

زیننشهاماد من آستانند مکارم شرازی



برگزیده تفسیر نمونه

نويسنده:

آیت الله العظمی ناصرمکارم شیرازی (دام ظله)

ناشر چاپي:

دارالكتب الاسلاميه

ناشر ديجيتالي:

مركز تحقيقات رايانهاى قائميه اصفهان

فهرست

Δ	فهرست
/	برگزیده تفسیر نمونه
* 1 *	مشخصات کتاب
1	جلد اول ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
1	اشاره
1	پیشگفتار گزیده تفسیر نمونه! ص : ۱۹
717	آغاز جزء اول قرآن مجید ص : ۲۳
717	سوره فاتحهٔ الکتاب (حمد) ص : ۲۳
*** *** **** **** **** **** **** **** **** **** **** **** **** *** **** **** **** **** **** **** **** *** **** **** *** **** ***	اشاره
۳۱۵	ویژگیهای سوره حمد: ص : ۲۳
۳۱۵	محتوای سوره حمد: ص : ۲۴
۳۱۵	در فضیلت این سوره ص : ۲۴
٣١۶	چرا نام این سوره فاتحهٔ الکتاب است؟ ص : ۲۴
٣١۶	سورة الفاتحة (١): آية ١] ص : ٢٥
٣١۶	اشاره
٣١٧	نكتهها: ص : ۲۶
٣١Y	۱- آیا بسم اللّه جزء سوره است؟ ص: ۲۶
٣١٧	٢- الله جامعترين نام خداست: ص : ٢٧
٣١٨	۳- رحمت عام و خاص خدا: ص : ۲۷
٣١٨ ٢٨	۴- چرا صفات دیگر خدا در «بسم اللّه» نیامده است؟ ص :
~19	سورة الفاتحة (١): أية ٢] ص : ٢٨
٣١٩	سورة الفاتحة (١): آية ٣] ص : ٣٠
٣٢٠	سورهٔ الفاتحهٔ (۱): آیهٔ ۴] ص : ۳۰
٣٢١	سورة الفاتحة (١): آية ۵] ص : ٣١ ··········

WK1	د الفاتحة (١٠) آمهٔ ع العرب
	(1) == (1)
٣٢١	سورة الفاتحة (١): أية ٧] ص : ٣٣
۳۲۱	اشاره
٣٢٢	اللَّهُ : أَنْ عَ أَنْ عَ مَا كَانِي ﴾ . • . • . • . • . • . • . • . • . • .
111	١- «لدِين العمت عليهِم» كيانندا ض : ١١
۳۲۲	٢- «الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ» و «الضَّالِّينَ» كيانند؟ ص : ٣٣
۳۲۲	سوره بقره ص : ۳۵
www.	
٣٢٢	اشاره
WYW	محتوا و فضیلت سوره بقره: ص : ۳۵
	G 7. 37 77
٣٢ ٣	در فضيلت اين سوره ص : ٣۵
٣٢٣	سورة البقرة (٢) : أيهٔ ١] ص : ٣٥
٣٢٣	A.I.Al
۳۲۴	عصر طلائی ادبیات عرب: ص : ٣٧
WY F	سورة البقرة (٢) : آية ٢] ص : ٣٧
۳۲۴	. 141
	اساره
۳۲۵	هدایت چیست؟ ص : ۳۸
۳۲۵	کلمه «هدایت» در قرآن به دو معنی بازگشت میکند: ص : ۳۸
wo x	
۳۲۵	۱ – «هدایت تکوینی» ص : ۱۸ ا
۳۲۵	۲– «هدایت تشریعی» ص : ۳۸
۳۲۵	چرا هدایت قرآن ویژه پرهیزکاران است؟ ص : ۳۸
۳۲۵	سورة البقرة (۲) : اية ۲ ا ص : ۲۸ ·······
۳۲۶ ـ	سورة النقرة (۲) : آية ۴ ص : ۴۰
٣٢V	سورة البقرة (٢) : آية ۵] ص : ۴۱
٣٢V	اشاره
۳۲۷	حة.ة.، ،
· · ·	حقیقت هو، چیست ص
۳۲۷	سورة البقرة (٢) : آية ۶] ص : ۴۱
٣٣٨	سورة النقرة (٢) : آية ٧] ص : ۴٢ ·

۳۲۸	اشاره
٣٢٨	نكتهها ص : ۴۲
٣٢٨	١- آيا سلب قدرت تشخيص، دليل بر جبر نيست؟ ص : ۴۲
٣٢٨	٢- مهر نهادن بر دلها! ص : ۴۲
٣٢٩	۳– مقصود از «قلب» در قرآن: ص : ۴۳
٣٢٩	سورة البقرة (٢) : آية ٨] ص : ۴۴
٣٢٩	سورة البقرة (٢) : آية ٩] ص : ۴۴
٣٢٩	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۰] ص : ۴۴
٣٣٠	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۱] ص : ۴۵
٣٣٠	سورة البقرة (٢) : آية ١٢] ص : ۴۵
٣٣٠	سورة البقرة (٢) : آية ١٣] ص : ۴۵
٣٣٠	سورة البقرة (٢) : آية ١۴] ص : ۴۵
۱۳۳	سورة البقرة (٢) : آية 1۵] ص : ۴۶
۱۳۳	سورة البقرة (٢) : آية ١٤] ص : ۴۶
۱۳۳	اشاره
۲۳۱	وسعت معنى نفاق – ص : ۴۶
٣٣٢	فریب دادن وجدان ص : ۴۷
٣٣٢	سورة البقرة (٢) : آية ١٧] ص : ۴٧
٣٣٢	سورة البقرة (۲) : آية ۱۸] ص : ۴۷
٣٣٢	سورة البقرة (۲) : آية ۱۹] ص : ۴۸
٣٣٣	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۰] ص : ۴۸
٣٣٣	اشاره
٣٣٣	لزوم شناخت منافقین در هر جامعه: ص : ۴۹ ··································
٣٣٣	سورة البقرة (٢) : آية ٢١] ص : ۴٩
٣٣۴	سورة البقرة (٢) : آية ٢٢] ص : ٥٠
۳۳۴	اشاره

۳۳۵ -	بت پرستی در شکلهای مختلف ص : ۵۱
۳۳۵ -	سورة البقرة (۲) : آية ۲۳] ص : ۵۱ ص : ۵۱
	سورة البقرة (٢) : آية ٢۴] ص : ۵۲
۳۳۵ -	اشاره
	چرا پیامبران به معجزه نیاز دارند؟ ص : ۵۲
۳۳۶ -	قر آن معجزه جاودانی پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله ص : ۵۳
۳۳۶ -	جاودانی و جهانی بودن: ص : ۵۳
۲۳۷	سورة البقرة (٢) : آية ٢۵] ص : ۵۳
۳۳۷ .	اشارهاشاره
۳۳۷۰	همسران پاک: ص : ۵۴
۳۳۷۰	نعمتهای مادی و معنوی در بهشت ص : ۵۴
۳ ۳۸ .	سورة البقرة (۲) : أَيةُ ۲۶] ص : ۵۵
۳ ۳۸ .	اشاره
	تفسير: ص : ۵۵
۳۳۸ -	اشاره
۳۳۹ -	هدایت و اضلال الهی ص : ۵۶
۳۳۹ -	سورة البقرة (۲) : آية ۲۷] ص : ۵۶
۳۳۹۰	اشاره
۳۳۹ -	این پیمان کجا و چگونه بسته شد؟ ص : ۵۶
74.	اهمیت صله رحم در اسلام ص : ۵۷
74.	سورة البقرة (۲) : آية ۲۸] ص : ۵۷
74.	اشاره
74.	نعمت اسرارآميز حيات! ص : ۵۷
741	سورة البقرة (۲) : آية ۲۹] ص : ۵۸
741.	اشاره
۱۴۳	آسمانهای هفت گانه– ص : ۵۹

۳۴۱	سورة البقرة (٢) : آية ٣٠] ص : ٥٩
۳۴۳	سورة البقرة (۲) : آية ۳۱] ص : ۶۱
	اشارها
۳۴۳	فرشتگان در بوته آزمایش! ص : ۶۱
۳۴۳	سورة البقرة (۲) : آية ۳۲] ص : ۶۲
۳۴۳	سورة البقرة (۲) : آية ۳۳] ص : ۶۲
	سورة البقرة (۲) : آية ۳۴] ص : ۶۲
TFF	اشاره
	١- چرا ابليس مخالفت كرد؟ ص : ۶۳
744	٢- آيا سجده برای خدا بود يا آدم؟ ص : ۶۳
۳۴۵	سورة البقرة (۲) : آية ۳۵] ص : ۶۳
	سورة البقرة (٢) : آية ٣۶] ص : ۶۴
۳۴۵	اشاره
۳۴۶	۱- بهشت آدم کدام بهشت بود؟ ص : ۶۵
۳۴۶	٢- خدا چرا شيطان را آفريد؟ ص : ۶۵
۳۴۶	سورة البقرة (۲) : آية ۳۷] ص : ۶۶
۳۴۷	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۳۸] ص : ۶۶
۳۴۷	سورة البقرة (٢) : آية ٣٩] ص : ۶۶
۳۴۷	سورة البقرة (۲) : آية ۴۰] ص : ۶۷
۳۴۷	اشاره
۳۴۷	چرا یهودیان را بنی اسرائیل میگویند؟ ص : ۶۷
۳۴۸	سورة البقرة (۲) : آية ۴۱] ص : ۶۷
۳۴۸	اشاره
۳۴۸	شأن نزول: ص : ۶۷
۳۴۸	تفسير: ص : ۶۸
۳۴۹	سورة البقرة (٢) : آية ٤٢] ص : ۶۸

TF9	سورة البقرة (٢) : آية ۴٣] ص : ۶۹
TF9	سورة البقرة (٢) : آية ۴۴] ص : ۶۹
۳۵۰	سورة البقرة (٢) : آية ۴۵] ص : ٧٠
۳۵۰	سورة البقرة (٢) : آية ۴۶] ص : ٧٠
۳۵۰	اشاره
۳۵۰	۱- «لقاء اللّه» چيست؟ ص : ۷۰
۳۵۰	۲– راه پیروزی بر مشکلات! ص : ۷۰
۳۵۱	سورة البقرة (٢) : آية ٤٧] ص : ٧١
۳۵۱	سورة البقرة (٢) : آية ۴۸] ص : ٧١
۳۵۱	اشاره
۳۵۲	۱- قرآن و مسأله شفاعت ص : ۷۲
۳۵۲	۲- شرایط گوناگون شفاعت ص : ۷۳
۳۵۳	سورة البقرة (٢) : آية ۴٩] ص : ٧۴
۳۵۳	اشاره
۳۵۳	بردگی دختران در آن روز و امروز ص : ۷۴
۳۵۴	سورة البقرة (٢) : آية ۵۰] ص : ٧۴
۳۵۴	سورة البقرة (٢) : آية ۵۱] ص : ٧٥
۳۵۴	سورة البقرة (٢) : آية ۵۲] ص : ٧٥
۳۵۴	سورة البقرة (٢) : آية ۵۳] ص : ٧۶
۳۵۵	سورة البقرة (٢) : آية ۵۴] ص : ٧۶
۳۵۵	اشاره
۳۵۵	گناه عظیم و توبه بیسابقه ص : ۷۶
۳۵۵	سورة البقرة (٢) : آية ۵۵] ص : ٧٧
۳۵۶	سورة البقرة (٢) : آية ۵۶] ص : ٧٨
۳۵۶	سورة البقرة (٢) : آية ۵۷] ص : ٧٨

۳۵۷ -	«من» و «سلوی» چیست؟ ص : ۷۹
۳۵۸ -	سورة البقرة (۲) : اَيهٔ ۵۸] ص : ۸۰
	سورة البقرة (۲) : آية ۵۹] ص : ۸۰
۳۵۸ -	سورة البقرة (۲) : آية ۶۰] ص : ۸۱
۳۵۹ -	سورة البقرة (۲) : أَيةُ ۶۱] ص : ۸۲
٣۶٠ _	سورة البقرة (٢) : أَيةُ ٤٢] ص : ٨٣٠
۳۶۱ -	سورة البقرة (٢) : آية ٤٣] ص : ٨۴
۳۶۱ -	سورة البقرة (۲) : آية ۶۴] ص : ۸۵
۳۶۱ -	اشارها
۳۶۱ -	۱- چگونه کوه بالای سر بنی اسرائیل قرار گرفت؟ ص : ۸۵
۳۶۲ -	۲- پیمان اجباری چه سودی دارد؟ ص : ۸۶
۳۶۲ -	سورة البقرة (۲) : آية ۶۵] ص : ۸۶
۳۶۲ -	سورة البقرة (۲) : آية ۶۶] ص : ۸۶
	سورة البقرة (۲) : آية ۶۷] ص : ۸۶
۳۶۳ -	سورة البقرة (۲) : آية ۶۸] ص : ۸۷
۳۶۳ -	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۶۹] ص : ۸۸
75F -	سورة البقرة (۲) : آية ۲۰] ص : ۸۸
75F -	سورة البقرة (۲) : آية ۲۱] ص : ۸۸
75F -	سورة البقرة (۲) : آية ۲۲] ص : ۸۸
	سورة البقرة (۲) : آية ۲۳] ص : ۸۹
۳۶۵ -	سورة البقرة (۲) : آية ۲۴] ص : ۸۹
	اشارها
	نکات آموزنده این داستان– ص : ۹۰
	سورة البقرة (۲) : آية ۲۵] ص : ۹۰
	سورة البقرة (۲) : آية ۷۶] ص : ۹۰
۳۶۶ -	سورة البقرة (۲) : آية ۷۷] ص : ٩٠

٣۶۶	سورة البقرة (۲) : الأيات ۷۸ الى ۷۹] ص : ۹۱
٣۶۶	اشاره
	شأن نزول: ص : ٩١
	تفسير: ص : ٩١
	سورة البقرة (۲) : آية ۷۹] ص : ۹۱
	سورة البقرة (۲) : آية 🗚 ص : ۹۲
٣۶٧	سورة البقرة (۲) : آية ۸۱] ص : ۹۲
۳۶۸	سورة البقرة (٢) : آية ٨٢] ص : ٩٣
۳۶۸	اشاره
۳۶۸	نژاد پرستی یهود ص : ۹۳
	سورة البقرة (۲) : آية ۸۳] ص : ۹۳٩٣
	سورة البقرة (۲) : آية A۴] ص : ۹۴ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
	سورة البقرة (۲) : آية ۸۵] ص : ۹۴
	سورة البقرة (۲) : آية ۸۶] ص : ۹۵ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
٣٧٠	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۸۷] ص : ۹۵
٣٧٠	اشارها
٣٧٠	روح القدس چيست؟ ص : ٩٤
٣٧٠	سورة البقرة (۲) : آية ۸۸] ص : ۹۶
	اشارها
	دلهای بیخبر و مستور! ص : ۹۶
	سورة البقرة (۲) : الآيات ۸۹ الى ۹۰] ص : ۹۷
	اشاره
۳۷۱	شأن نزول: ص : ۹۷
۳۷۲	تفسير: ص : ٩٨
۳۷۲	سورة البقرة (۲) : آية ۹۰] ص : ۹۸
۳۷۳	سورة البقرة (۲) : آية ۹۱] ص : ۹۹

٣٧٣	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۹۲] ص : ۱۰۰
۳۷۳	سورة البقرة (٢) : آية ٩٣] ص : ١٠٠
۳۷۴	سورة البقرة (۲) : آية ۹۴] ص : ۱۰۰
۳۷۴	سورة البقرة (۲) : آية ٩۵] ص : ١٠١
۳۷۴	سورة البقرة (٢) : آية ٩۶] ص : ١٠١
۳۷۵	سورة البقرة (٢) : آية ٩٧] ص : ١٠١
۳۷۵	اشاره
۳۷۵	شأن نزول: ص : ۱۰۱
۳۷۵	تفسیر: ص : ۱۰۲
۳۷۶	سورةُ البقرةُ (٢) : آيةُ ٩٨] ص : ١٠٣
۳۷۶	سورة البقرة (۲) : آية ٩٩] ص : ١٠٣
۳۷۶	اشاره
۳۷۶	شأن نزول: ص : ۱۰۳
۳۷۶	تفسیر: ص : ۱۰۳
۳۷۷	سورةُ البقرةُ (۲) : آيةُ ١٠٠] ص : ١٠٣
۳۷۷	سورةُ البقرةُ (۲) : آيةُ ١٠١] ص : ١٠۴
۳۷۷	سورةُ البقرةُ (۲) : آيةُ ١٠٢] ص : ١٠۴
۳۷۸	سورة البقرة (۲) : آية ۱۰۳] ص : ۱۰۶
۳۷۹	اشاره
٣٧٩	هیچ کس بدون اذن خدا قادر بر کاری نیست ص : ۱۰۶
٣٧٩	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۰۴] ص : ۱۰۶
۳۷۹	اشاره
۳۷۹	شأن نزول: ص : ۱۰۶
۳۸۰	تفسیر: ص : ۱۰۷
۳۸۰	سورةُ البقرةُ (۲) : آيةُ ١٠۵] ص : ١٠٧
۳۸۰	سورة البقرة (۲) : آية ۱۰۶] ص : ۱۰۸

۳۸۱	سورهٔ البقرهٔ (۲) : أَيهُ ۱۰۷] ص : ۱۰۹
۳۸۱	سورةُ البقرةُ (۲) : آيةُ ١٠٨] ص : ١٠٩
۳۸۱	
řΛ1	شأن نزول: ص : ۱۰۹
" Λ\	تفسیر: ص : ۱۰۹
″ ΛΥ	سورة البقرة (۲) : آية ۱۰۹] ص : ۱۱۰
″ ΛΥ	سورة البقرة (۲) : آية ۱۱۰] ص : ۱۱۰
″ΛΫ́	سورة البقرة (۲) : آية ۱۱۱] ص : ۱۱۰
″ΛΫ́	سورة البقرة (۲) : آية ۱۱۲] ص : ۱۱۱
″ΛΫ́	سورة البقرة (۲) : آية ۱۱۳] ص : ۱۱۱
″ΛΫ́	اشاره
" Λ "	شأن نزول: ص : ۱۱۱
″Λ۴	تفسیر: ص : ۱۱۲
″Λ۴	
″λf	اشاره
″ Λ ۴	شأن نزول: ص : ۱۱۲
Ϋ́ΛΨ	تفسیر: ص : ۱۱۲
۳۸۵	سورة البقرة (۲) : آية ۱۱۵] ص : ۱۱۳
۳۸۵	اشاره
۳۸۵	شأن نزول: ص : ۱۱۳
۳۸۵	تفسیر: ص : ۱۱۳
Ϋ́Λ۶	سورة البقرة (۲) : آية ۱۱۶] ص : ۱۱۴
Ϋ́Λ۶	سورة البقرة (۲) : آية ۱۱۷] ص : ۱۱۴
πλρ	اشاره
Ϋ́Λ۶	دلایل نفی فرزند ص : ۱۱۴
"AY	سورة البقرة (۲) : آية ١١٨] ص : ١١٥

٣٨٧	سورة البقرة (۲) : أيهٔ ۱۱۹] ص : ۱۱۵
۳۸۷	سورة البقرة (۲) : آیهٔ ۱۲۰] ص : ۱۱۶
۳۸۷	اشارهاشاره
۳۸۸	شأن نزول: ص : ۱۱۶
۳۸۸	تفسير: ص : ۱۱۶
۳۸۸	سورة البقرة (۲) : آية ۱۲۱] ص : ۱۱۶
۳۸۸	اشارهاشاره
۳۸۸	شأن نزول: ص : ۱۱۶
ዮሊዓ	تفسير: ص : ١١٧
ዮሊዓ	اشاره ،ا
ዮሊዓ	۱- جلب رضایت دشمن، حسابی دارد ص : ۱۱۷
ዮሊዓ	٢- حق تلاوت چيست؟ ص : ١١٧
ዮሊዓ	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۲۲] ص : ۱۱۸
٣٩٠	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۲۳] ص : ۱۱۸
٣٩٠	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۲۴] ص : ۱۱۸
٣٩٠	اشارهاشاره عامان المنازه المنازلة
۲۹۱	نکتهها: ص : ۱۲۰
۳۹۱	۱- منظور از «کلمات» چیست؟ ص : ۱۲۰
۳۹۱	۲- فرق نبوت و امامت و رسالت: ص : ۱۲۰
٣٩١	اشارها
۲۹۱	مقام نبوت– ص : ۱۲۰
٣٩١	مقام رسالت– ص : ۱۲۰
۳۹۲	مقام امامت– ص : ۱۲۰
۳۹۲	۳- امامت یا آخرین سیر تکاملی ابراهیم ص : ۱۲۰
	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۱۲۵] ص : ۱۲۱
۳۹۳	سورة البقرة (۲) : آية ۱۲۶] ص : ۱۲۲

٣٩٣	سورة البقرة (۲) : آية ۱۲۷] ص : ۱۲۲
٣ ٩٣	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۲۸] ص : ۱۲۳
٣ 9۴	سورة البقرة (۲) : آيةٔ ۱۲۹] ص : ۱۲۳
٣٩۴	اشاره
٣ 9 ۴	پیامبری از میان خود آنها ص : ۱۲۳
٣ 9۴	سورة البقرة (۲) : آیهٔ ۱۳۰] ص : ۱۲۴
٣ 9 ۴	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۳۱] ص : ۱۲۴
۳۹۵	سورة البقرة (۲) : آية ۱۳۲] ص : ۱۲۴
۳۹۵	سورة البقرة (۲) : آية ۱۳۳] ص : ۱۲۵
۳۹۵	اشاره
۳۹۵	شأن نزول: ص : ۱۲۵
۳۹۵	تفسیر: ص : ۱۲۵
٣٩۶	سورة البقرة (۲) : آية ۱۳۴] ص : ۱۲۵
٣9۶	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۳۵] ص : ۱۲۶
	اشاره
٣9 <i>۶</i>	شأن نزول: ص : ۱۲۶
٣ 9 <i>۶</i>	تفسیر: ص : ۱۲۶
٣ ٩٧	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۱۳۶] ص : ۱۲۶
	سورة البقرة (۲) : آية ۱۳۷] ص : ۱۲۷
	سورة البقرة (۲) : آية ۱۳۸] ص : ۱۲۷ ·
	سورة البقرة (۲) : آية ۱۳۹] ص : ۱۲۷ ················
	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۴۰] ص : ۱۲۸ ·
	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۴۱] ص : ۱۲۸
	آغاز جزء دوم قرآن مجید ص : ۱۲۹ ·
	ادامه سوره بقره ص : ۱۲۹
٣٩Λ	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۴۲] ص : ۱۲۹

٣٩٩	سورة البقرة (٢) : آية ١٤٣] ص : ١٢٩
٣٩٩	اشاره
۴۰۰ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ	
۴۰۰	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۱۴۴] ص : ۱۳۱
۴۰۱	سورة البقرة (۲) : آية ۱۴۵] ص : ۱۳۲
۴۰۱	سورة البقرة (۲) : آية ۱۴۶] ص : ۱۳۳
۴۰۲	سورة البقرة (۲) : آية ۱۴۷] ص : ۱۳۳
F•Y	سورة البقرة (۲) : آية ۱۴۸] ص : ۱۳۳
F•Y	سورة البقرة (٢) : آية ١۴٩] ص : ١٣۴
۴۰۲	سورة البقرة (۲) : آية ۱۵۰] ص : ۱۳۴
۴۰۳	سورة البقرة (۲) : آية ۱۵۱] ص : ۱۳۵
۴۰۴	سورة البقرة (٢) : آية ١۵٢] ص : ١٣۶
۴۰۴	اشاره
F·F	ذکر خدا چیست؟ ص : ۱۳۷
F•F	سورة البقرة (٢) : آية ١٥٣] ص : ١٣٧
۴۰۵	سورة البقرة (۲) : آية ۱۵۴] ص : ۱۳۸
۴۰۵	اشاره
۴۰۵	شأن نزول: ص : ۱۳۸
۴۰۵	تفسیر: ص : ۱۳۸
۴۰۶	سورة البقرة (۲) : آية ۱۵۵] ص : ۱۳۸
۴۰۶	سورة البقرة (۲) : آية ۱۵۶] ص : ۱۳۹
F•V	سورة البقرة (۲) : آية ۱۵۷] ص : ۱۳۹
F•V	اشاره
F•V	نكتهها ص : ۱۴۰
F•V	۱- چرا خدا مردم را آزمایش میکند؟ ص : ۱۴۰
F·Y	۲- آزمایش خدا همگانی است ص : ۱۴۰

۴·۸	۳- رمز پیروزی در امتحان ص : ۱۴۱
۴۰۸	سورةُ البقرةُ (٢) : آيةُ ١۵٨] ص : ١۴١
۴۰۸	اشاره
۴۰۸	شأن نزول: ص : ۱۴۱
F•A	تفسیر: ص : ۱۴۱
۴۰۸	اشاره
۴۰۹	۱– صفا و مروه– ص : ۱۴۲
۴۰۹	۲– جنبه تاریخی صفا و مروه– ص : ۱۴۲
۴۱۰	سورة البقرة (۲) : آية ۱۵۹] ص : ۱۴۴
۴۱۰	اشاره
۴۱۰	شأن نزول: ص : ۱۴۴
۴۱۰	تفسیر: ص : ۱۴۴
F11	سورة البقرة (۲) : آية ۱۶۰] ص : ۱۴۴
<u> </u>	اشاره
۴۱۱	کتمان حق در احادیث اسلامی ص : ۱۴۵
F11	سورة البقرة (۲) : آية ۱۶۱] ص : ۱۴۵
F1T	سورة البقرة (۲) : آية ۱۶۲] ص : ۱۴۶
F1Y	سورة البقرة (۲) : آية ۱۶۳] ص : ۱۴۶
F17	سورة البقرة (۲) : آية ۱۶۴] ص : ۱۴۶
۴۱۳	
F1F	
F1F	
* 1 *	
* 1 *	
* 1 *	
۴۱۵	تفسیر: ص : ۱۵۰

410	سورة البقرة (٢) : آية ١٤٩] ص : ١٥٠
۴۱۵	اشاره
۴۱۵	انحرافات تدریجی ص : ۱۵۰
۴۱۵	
۴۱۶	
۴۱۶	
F15	
۴۱۷	
F1Y	
F1Y	
F1Y	تفسیر: ص : ۱۵۳
۴۱۸	سورة البقرة (۲) : آية ۱۷۵ ص : ۱۵۳ ·
۴۱۸	سورة البقرة (۲) : آية ۱۷۶] ص : ۱۵۴
۴۱۸	سورة البقرة (۲) : آية ۱۷۷] ص : ۱۵۴
F19	تفسیر: ص : ۱۵۴
۴۲۰	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۱۷۸] ص : ۱۵۶
۴T・	اشاره
FT ·	شأن نزول: ص : ۱۵۶
ft.	تفسير: ص : ۱۵۶
FT1	
FT1	
FT1	
FYY	
ftt	
FTT	
FTT	اشاره

FYT	۱– فلسفه وصیّت: ص: ۱۶۰
FTT	
frf	سورة البقرة (۲) : آية ۱۸۳] ص : ۱۶۱
FTF	سورة البقرة (۲) : آية ۱۸۴] ص : ۱۶۱
frf	سورة البقرة (۲) : آية ۱۸۵] ص : ۱۶۲
fYF	اشاره
۴۲۵	۱– اثرات تربیتی، اجتماعی و بهداشتی روزه– ص : ۱۶۲
۴۲۵	اشاره
۴۲۵	اثر اجتماعی روزه ص : ۱۶۳
۴۲۵	اثر بهداشتی و درمانی روزه ص : ۱۶۳
ft9	۲- روزه در امّتهای پیشین ص : ۱۶۴
ft9	۳- امتیاز ماه مبارک رمضان ص : ۱۶۴
ft9	سورة البقرة (۲) : آية ۱۸۶] ص : ۱۶۴
FT9	اشاره
FTY	شأن نزول: ص : ۱۶۴
FTY	تفسیر: ص : ۱۶۵
FTY	سورة البقرة (۲) : آية ۱۸۷] ص : ۱۶۶
۴ ΥΛ	اشاره
۴۲A	شأن نزول: ص : ۱۶۶
۴۲۸	تفسیر: ص : ۱۶۶
۴۲۸	اشاره
P 7 7	آغاز و پایان، تقواست– ص : ۱۶۸
FT9	سورة البقرة (۲) : آية ۱۸۸] ص : ۱۶۸
FT9	اشاره
۴۳۰	رشوهخواری بلای بزرگ جامعهها! ص : ۱۶۹
۴۳۱	سورة البقرة (۲) : آية ۱۸۹] ص : ۱۷۰

۴۳۱	اشاره
441	شأن نزول: ص : ۱۷۰
441	تفسير: ص : ۱۷۰
441	اشاره
۴۳۲	سؤالات مختلف از شخص پیامبر ص : ۱۷۱
۴۳۲	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۹۰] ص : ۱۷۲
۴۳۲	اشاره
۴۳۲	شأن نزول: ص : ۱۷۲
۴۳۲	تفسير: ص : ۱۷۲
۴۳۳	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۱۹۱] ص : ۱۷۲
444	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۱۹۲ ص : ۱۷۳
444	سورة البقرة (۲) : آية ۱۹۳] ص : ۱۷۳
444	اشارها
	مسأله جهاد در اسلام: ص : ۱۷۴
444	اشارهاشاره التنادة التن
444	۱- جهاد برای خاموش کردن فتنهها ص : ۱۷۴
۴۳۵	۲- جهاد دفاعی ص : ۱۷۴
۴۳۵	٣- جهاد برای محو شرک و بت پرستی ص : ۱۷۵
۴۳۵	۴– جهاد برای حمایت از مظلومان– ص : ۱۷۵
۴۳۵	سورة البقرة (۲) : آية ۱۹۴] ص : ۱۷۶
448	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۱۹۵] ص : ۱۷۷
448	اشاره
۴۳۷	انفاق سبب پیشگیری از هلاکت جامعه است! ص : ص : ۱۷۷
۴۳۷	سورة البقرة (۲) : آية ۱۹۶] ص : ۱۷۷
۴۳۷	اشاره
۴۳۸	اهمیت حجّ در میان وظایف اسلامی! ص : ۱۷۹

۴۳۸	اقسام حج: ص : ۱۷۹
449	سورة البقرة (۲) : آية ۱۹۷] ص : ۱۸۰
	سورة البقرة (۲) : آية ۱۹۸ أ ص : ۱۸۱
44.	سورة البقرة (۲) : آية ۱۹۹] ص : ۱۸۱
44.	اشارها
44.	نکتهها: ص : ۱۸۲
44.	۱- نخستین موقف حجّ ص : ۱۸۲
441	٢- مشعر الحرام: دوّمين موقف حجّ ص : ١٨٣
441	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۲۰۰] ص : ۱۸۳
441	اشاره
441	شأن نزول: ص : ۱۸۳
441	تفسير: ص : ۱۸۳
447	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۲۰۱] ص : ۱۸۴
447	سورة البقرة (۲) : آية ۲۰۲] ص : ۱۸۴
447	سورة البقرة (۲) : آية ۲۰۳] ص : ۱۸۴
۴۴۳	سورة البقرة (۲) : آية ۲۰۴] ص : ۱۸۵
444	اشارهاشاره المنافقة الم
	شأن نزول: ص : ۱۸۵
	تفسير: ص : ١٨٥
	سورة البقرة (۲) : آية ۲۰۵] ص : ۱۸۶
	سورة البقرة (۲) : آية ۲۰۶] ص : ۱۸۶
	سورة البقرة (۲) : آية ۲۰۷] ص : ۱۸۶
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۱۸۶ـــــــــــــــــــــــــــــــــ
	تفسیر: ص : ۱۸۶
440	سورة البقرة (۲) : آية ۲۰۸] ص : ۱۸۷

FFO	سورة البقرة (۲) : آية ۲۰۹] ص : ۱۸۸
FFS	سورةُ البقرةُ (۲) : آيهُ ۲۱۰] ص : ۱۸۸
FF9	اشارها
FFS	رؤيت خداوند ص : ۱۸۹
ff9	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۲۱۱] ص : ۱۸۹
۴۴V	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۱۲] ص : ۱۹۰
۴۴V	اشارها
FFV	شأن نزول: ص : ۱۹۰
FFV	تفسیر: ص : ۱۹۰
FFA	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۱۳] ص : ۱۹۱
FF9	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۱۴] ص : ۱۹۲١٩٢٠
FF9	اشاره
FF9	شأن نزول: ص : ۱۹۲
FF9	تفسير: ص : ۱۹۳
Fa·	سورة البقرة (۲) : آية ۲۱۵] ص : ۱۹۳
۴۵۰	اشاره
۴۵۰	شأن نزول: ص : ۱۹۳
۴۵۰	تفسير: ص : ۱۹۳
۴۵۱	سورة البقرة (۲) : آية ۲۱۶] ص : ۱۹۴
۴۵۱	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۲۱۷] ص : ۱۹۵
401	اشارهاشاره
۴۵۱	شأن نزول: ص : ۱۹۵
FBT	تفسير: ص : ۱۹۶
FBT	سورة البقرة (۲) : آية ۲۱۸] ص : ۱۹۷
۴۵۳	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۱۹] ص : ۱۹۷
۴۵۳	اشاره

۴۵۳	شأن نزول: ص : ۱۹۷
۴۵۳	تفسیر: ص : ۱۹۷
FAF	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۲۰] ص : ۱۹۸
FAF	اشاره
FAF	شأن نزول: ص : ۱۹۸
۴۵۴	تفسیر: ص : ۱۹۹
۴۵۵	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۲۱] ص : ۱۹۹
۴۵۵	اشاره
۴۵۵	شأن نزول: ص : ۱۹۹
۴۵۵	تفسیر: ص : ۲۰۰
۴۵۶	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۲۲] ص : ۲۰۱
۴۵۶	اشاره
۴۵۶	شأن نزول: ص : ۲۰۱
۴۵۷	تفسیر: ص : ۲۰۲
F ΔY	سورة البقرة (۲) : آية ۲۲۳] ص : ۲۰۲
۴۵۸	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۲۲۴] ص : ۲۰۳
۴۵۸	اشاره
۴۵۸	شأن نزول: ص : ۲۰۳
۴۵۸	تفسیر: ص : ۲۰۳
۴۵۸	سورة البقرة (٢) : آية ٢٢۵] ص : ٢٠٣
۴۵۹	سورة البقرة (٢) : آية ٢٢۶] ص : ٢٠٤
۴۵۹	سورة البقرة (۲) : آية ۲۲۷] ص : ۲۰۵
۴۵۹	سورة البقرة (۲) : آية ۲۲۸] ص : ۲۰۵
۴۶۰	سورة البقرة (۲) : آية ۲۲۹] ص : ۲۰۶
49.	اشاره
KO	∨ ∧ f.

481	تفسير: ص : ۲۰۷
487	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۳۰] ص : ۲۰۸
487	اشاره
487	شأن نزول: ص : ۲۰۸
487	تفسير: ص : ۲۰۸
487	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۳۱] ص : ۲۰۸
454	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۳۲] ص : ۲۱۰
454	اشاره
458	شأن نزول: ص : ۲۱۰
458	تفسير: ص : ۲۱۰
494	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۳۳] ص : ۲۱۱
480	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۳۴] ص : ۲۱۳
499	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۳۵] ص : ۲۱۴
487	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۳۶] ص : ۲۱۴
484	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۳۷] ص : ۲۱۵
۴۶۸	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۳۸] ص : ۲۱۶
۴۶۸	اشاره
۴۶۸	شأن نزول: ص : ۲۱۶
۴۶۸	تفسير: ص : ۲۱۶
۴۶۸	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۳۹] ص : ۲۱۷
489	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۴۰] ص : ۲۱۷
489	سورة البقرة (۲) : آية ۲۴۱] ص : ۲۱۸
۴۷۰	سورة البقرة (۲) : آية ۲۴۲] ص : ۲۱۸
۴۷۰	سورة البقرة (۲) : آية ۲۴۳] ص : ۲۱۹
۴۷۰	اشاره
* C \ \ \	w.a f.

۴٧٠	تفسير: ص : ٢١٩
FY1	سورة البقرة (٢) : آية ٢٤۴] ص : ٢٢٠
FY1	سورة البقرة (٢) : آية ٢۴۵] ص : ٢٢٠
FY1	اشاره
FY1	شأن نزول: ص : ۲۲۰
fy)	تفسیر: ص : ۲۲۰
FYY	سورة البقرة (٢) : آية ٢٤٤] ص : ٢٢١
FYT"	سورة البقرة (٢) : آية ٢٤٧] ص : ٢٢٢
fyf	سورة البقرة (٢) : آية ٢۴٨] ص : ٢٢٣
fyf	سورة البقرة (٢) : آية ٢۴٩] ص : ٢٢٣
fyf	سورة البقرة (٢) : آية ٢٥٠] ص : ٢٢۴
۴ ΥΔ	سورة البقرة (٢) : آية ٢٥١] ص : ٢٢٥
۴۷۵	سورة البقرة (٢) : أية ٢٥٢] ص : ٢٢۶
۴۷۶	آغاز جزء سوم قرآن مجید ص : ۲۲۶
*Y9	
	ادامه سوره بقره ص : ۲۲۶
۴ Υ <i>β</i>	ادامه سوره بقره ص : ۲۲۶ ·
۴Υ۶	ادامه سوره بقره ص : ۲۲۶
FYF FYY	ادامه سوره بقره ص : ۲۲۶
FYF FYY	ادامه سوره بقره ص : ۲۲۶
FYF FYY FYY	ادامه سوره بقره ص : ۲۲۶
FYF FYY FYY FYY	ادامه سوره بقره ص : ۲۲۶
FYF FYY FYY FYY FYY	ادامه سوره بقره ص : ۲۲۶
FY9 FYY FYY FYY FYY	ادامه سوره بقره ص : ۲۲۶
FV9 FVV FVV FVY FVY FVY FVY FVY	ادامه سوره بقره ص : ۲۲۶

۴۸۱	سورة البقرة (۲) : أيهٔ ۲۵۹ أ ص : ۲۳۳
474	سورة البقرة (۲) : آية ۲۶۰] ص : ۲۳۵
	سورة البقرة (۲) : آية ۲۶۱] ص : ۲۳۶
۴۸۳	اشارها
۴۸۳	انفاق یکی از مهمترین طرق حل مشکل فاصله طبقاتی ص : ۲۳۶
۴۸۳	سورة البقرة (٢) : آية ٢۶٢] ص : ٢٣٧
474	سورة البقرة (۲) : آية ۲۶۳] ص : ۲۳۷
474	سورة البقرة (۲) : آية ۲۶۴] ص : ۲۳۸
410	سورة البقرة (۲) : آية ۲۶۵] ص : ۲۳۹
410	سورة البقرة (۲) : آية ۲۶۶] ص : ۲۳۹
	سورة البقرة (۲) : آيةٔ ۲۶۷] ص : ۲۴۰
418	اشارهاشاره
۴۸۶.	شأن نزول: ص : ۲۴۰
۴۸۶.	تفسير: ص : ۲۴۰
۴۸۷	سورهٔ البقرهٔ (۲) : آیهٔ ۲۶۸] ص : ۲۴۱
۴۸۷	سورة البقرة (۲) : آية ۲۶۹] ص : ۲۴۲
۴۸۸	سورة البقرة (۲) : آية ۲۷۰] ص : ۲۴۳
477	سورة البقرة (۲) : آية ۲۷۱ أ ص : ۲۴۳ ·
۴۸۸	سورة البقرة (۲) : آية ۲۷۲] ص : ۲۴۴ ·
۴۸۸	اشاره
474	شأن نزول: ص : ۲۴۴
474	تفسير: ص : ۲۴۴
474	سورة البقرة (۲) : آية ۲۷۳ أ ص : ۲۴۴ ·
۴۸۹	اشاره
474	شأن نزول: ص : ۲۴۴
49.	تفسير: ص : ۲۴۵

49.	اشاره
49	سؤال کردن بدون حاجت حرام است ص : ۲۴۶
491 -	سورة البقرة (۲) : اَية ۲۷۴] ص : ۲۴۶
491 -	اشارهاشاره المساره المس
491 -	شأن نزول: ص : ۲۴۶
491 -	تفسير: ص : ۲۴۶
491-	سورة البقرة (٢) : اَيةُ ٢٧۵] ص : ٢۴٧
497 -	سورة البقرة (۲) : أية ۲۷۶] ص : ۲۴۸
497 -	سورة البقرة (۲) : أية ۲۷۷] ص : ۲۴۸
498 -	سورة البقرة (۲) : أيهٔ ۲۷۸] ص : ۲۴۹
498 -	اشاره
497 -	شأن نزول: ص : ۲۴۹
497 -	تفسير: ص : ۲۴۹
498 -	سورة البقرة (۲) : أيهٔ ۲۷۹] ص : ۲۴۹
494-	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۸۰] ص : ۲۵۰
494 -	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۸۱] ص : ۲۵۰
490 -	سورة البقرة (۲) : آية ۲۸۲] ص : ۲۵۱ ·
497 -	سورة البقرة (۲) : آية ۲۸۳] ص : ۲۵۵ ·
۴۹۸ -	سورة البقرة (۲) : آية ۲۸۴] ص : ۲۵۶
49 <i>X</i> -	سورة البقرة (۲) : آيهٔ ۲۸۵] ص : ۲۵۶
49X -	اشاره
	شأن نزول: ص : ۲۵۶
۴۹۸ -	تفسیر: ص : ۲۵۷
	سورة البقرة (۲) : آية ۲۸۶] ص : ۲۵۷
	رِه آل عمران ص : ۲۵۹ ره آل عمران ص : ۲۵۹
۵۰۰ -	اشاره

۵۰۰	محتوای سوره: ص : ۲۵۹
۵۰۰	شأن نزول: ص : ۲۵۹
	سورة الفاتحة (١):آية ٣] ص : ٢۶١
۵۰۱	تفسير: ص : ۲۶۱
۵۰۱	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲] ص : ۲۶۱
۵۰۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳] ص : ۲۶۱
۵۰۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۴] ص : ۲۶۱
۵۰۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵] ص : ۲۶۲
	سورة آل عمران(٣): آية ۶] ص : ۲۶۲
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷] ص : ۲۶۲
۵۰۳	اشاره
۵۰۳	شأن نزول: ص : ۲۶۲
	تفسير: ص : ۲۶۳
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸] ص : ۲۶۴
	سورة آل عمران(٣): آيهٔ ٩] ص : ۲۶۴
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰] ص : ۲۶۵
۵۰۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱] ص : ۲۶۵
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲] ص : ۲۶۵
	اشارها
	شأن نزول: ص : ۲۶۵
	تفسير: ص : ۲۶۵
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳] ص : ۲۶۶
	ر شأن نزول: ص : ۲۶۶
	سین عرون ص : ۲۶۶
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴] ص : ۲۶۷
	سوره ال عمران الما اليد ١٠٠٠ الله الما الما الما الما الما الما الما

۵۰۷	ص : ۲۶۷	سورة أل عمران(٣): أيهٔ ١۵]
۵۰۸	ص : ۲۶۸	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶]
۵۰۸	ص : ۲۶۹	سورهٔ أل عمران(٣): أيهٔ ١٨]
۵۰۹	ص : ۲۷۰	سورة آل عمران(٣): آية ١٩]
۵۰۹	ص : ۲۷۱	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۰]
۵۱۰	ص : ۲۷۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۱]
۵۱۰	ص : ۲۷۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۲]
۵۱۰	ص : ۲۷۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۳]
۵۱۰		اشاره
۵۱۰		شأن نزول: ص : ۲۷۲ -
۵۱۱	·	تفسير: ص : ۲۷۳
۵۱۱	ص : ۲۷۳	سورهٔ أل عمران(٣): أيهٔ ٢۴]
۵۱۲	ص : ۲۷۴	سورهٔ أل عمران(٣): أيهٔ ٢۵]
۵۱۲	ص : ۲۷۴ ۲۷۴	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۶]
۵۱۲	·	اشاره
۵۱۲	1	شأن نزول: ص : ۲۷۴ -
۵۱۲	·	تفسیر: ص : ۲۷۴
۵۱۳	ص : ۲۷۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۷]
۵۱۳	ص : ۲۷۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۸]
۵۱۴	ص : ۲۷۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۹]
۵۱۴	ص : ۲۷۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۰]
۵۱۴	ص : ۲۷۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۱]
۵۱۴	÷	اشاره
	÷	
۵۱۵)	تفسير: ص : ۲۷۷
۵۱۵	ص : ۲۷۸	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۲]

۵۱۵	ص : ۲۷۸ -	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۳]
۵۱۵	ص : ۲۷۸	سورهٔ اَل عمران(٣): اَيهٔ ٣۴]
۵۱۶	ص : ۲۷۹	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۵]
۵۱۶	ص : ۲۷۹	سورة آل عمران(٣): آية ٣۶]
Δ۱Υ	ص : ۲۸۰ -	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۷]
Δ1Υ	ص : ۲۸۱	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۸]
Δ1Υ	ص : ۲۸۱	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۹]
۵۱۸		
۵۱۸		
۵۱۸		
۵۱۹		
Δ19		
Δ19		
۵۲۰		
۵۲۰		
۵۲۰		
۵۲۰		
ΔΥ1		
۵۲۱		
۵۲۲		
۵۲۲		
۵۲۲		
۵۲۲		
۵۲۳		
۵۲۳		
۵۲۳	ص : ۲۸۹	سورة ال عمران(٣): اية ١٥٨

۵۲۴	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵۹] ص : ۲۸۹
۵۲۴	اشاره
۵۲۴	
۵۲۴	
۵۲۴	
۵۲۵	
۵۲۵	
۵۲۵	
۵۲۵	
۵۲۵	
۵۲۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۳] ص : ۲۹۱
۵۲۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۴] ص : ۲۹۱
۵۲۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۵] ص : ۲۹۲
۵۲۷	اشاره
۵۲۷	شأن نزول: ص : ۲۹۲
۵۲۷	تفسیر: ص : ۲۹۲
۵۲۷	
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۶] ص : ۲۹۲
۵۲۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۷] ص : ۲۹۳
۵۲۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۷] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۸] ص : ۲۹۳
۵۲۸	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۷] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۸] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۹] ص : ۲۹۴
ΔΥΛ	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۷] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۸] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۹] ص : ۲۹۴
ΔΥΛ ΔΥΛ ΔΥΛ	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۷] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۸] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۹] ص : ۲۹۴
ΔΥΛ ΔΥΛ ΔΥΛ ΔΥΛ	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۷] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۸] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۹] ص : ۲۹۴ شأن نزول: ص : ۲۹۴
ΔΥΛ ΔΥΛ ΔΥΛ	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۷] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۸] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۹] ص : ۲۹۴ شأن نزول: ص : ۲۹۴
ΔΥΛ ΔΥΛ ΔΥΛ ΔΥΛ	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۷] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۸] ص : ۲۹۳ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۹] ص : ۲۹۴ شأن نزول: ص : ۲۹۴ تفسیر: ص : ۲۹۴

۵۲۹	اشاره
۵۲۹	شأن نزول: ص : ۲۹۵
۵۳۰	تفسیر: ص : ۲۹۵
۵۳۰	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۳] ص : ۲۹۵
۵۳۰	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۴] ص : ۲۹۶
۵۳۰	اشاره
۵۳۱	توطئههای کهن! ص : ۲۹۶
۵۳۱	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۵] ص : ۲۹۷
۵۳۱	اشاره
۵۳۱	شأن نزول: ص : ۲۹۷
۵۳۱	تفسیر: ص :
۵۳۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۶] ص : ۲۹۸
۵۳۳	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۷] ص : ۲۹۸
۵۳۳	اشاره
۵۳۳	شأن نزول: ص : ۲۹۸
۵۳۳	تفسیر: ص : ۲۹۹
۵۳۴	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۸] ص : ۳۰۰
۵۳۴	اشاره
۵۳۴	شأن نزول: ص : ۳۰۰
۵۳۴	تفسیر: ص : ۳۰۰
۵۳۴	
۵۳۴	اشاره
۵۳۴	
۵۳۵	تفسیر: ص : ۳۰۰
۵۳۵	
۵۳۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۱] ص : ۳۰۲

۵۳۶	سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٨٦] ص : ٣٠٣
۵۳۶	سورهٔ اَل عمران(٣): اَيهٔ ٨٣] ص : ٣٠٣
۵۳۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۴] ص : ۳۰۳
۵۳۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۵] ص : ۳۰۴
۵۳۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۶] ص : ۳۰۴
7°Y	اشاره
۵۳۷	شأن نزول: ص : ۳۰۴
እ۳۸	تفسیر: ص : ۳۰۴
۸۳۵ ۸۳۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۷] ص : ۳۰۵
۸۳۵ ۸۳۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۸] ص : ۳۰۵
۵۳۸	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۹] ص : ۳۰۵
۵۳۹	سورة آل عمران(٣): آية ٩٠] ص : ٣٠۵
۵۳۹	اشاره
۵۳۹	شأن نزول: ص : ۳۰۵
۵۳۹	تفسیر: ص : ۳۰۵
P7¢	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۱] ص : ۳۰۶
۵۴۰	ماز جزء چهارم قرآن مجید ص : ۳۰۶
۵۴۰	ادامه سوره آل عمران ص : ۳۰۶
)F·	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۲] ص : ۳۰۶
۵۴۰	اشاره
۵۴۰	نفوذ آیات قرآن در دلهای مسلمانان ص : ۳۰۷
۵۴۱	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۳] ص : ۳۰۸
۵۴۱	اشاره
۵۴۱	شأن نزول: ص : ۳۰۸
۵۴۱	تفسیر: ص : ۳۰۸
۸۴۲	سو،هٔ آل عمان (۳): آیهٔ ۹۴] ص : ۳۰۹

۵۴۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹۵ ص : ۳۰۹
۵۴۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۶] ص : ۳۱۰
۵۴۳	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۷] ص : ۳۱۰
۵۴۴	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۸] ص : ۳۱۱
۵۴۴	اشاره
۵۴۴	شأن نزول: ص : ٣١١
۵۴۴	تفسیر: ص : ۳۱۲
۵۴۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۹] ص : ۳۱۲
۵۴۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۰] ص : ۳۱۳
۵۴۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۱] ص : ۳۱۳
۵۴۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۲] ص : ۳۱۴
۵۴۶	اشاره
۵۴۶	شأن نزول: ص : ۳۱۴
۵۴۶	تفسیر: ص : ۳۱۴
۵۴۶	
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۳] ص : ۳۱۵
۵۴۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۳] ص : ۳۱۵
۵۴۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۳] ص : ۳۱۵
ΔFX ΔFX	سورة آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۳] ص : ۳۱۵
Δ۴Υ Δ۴Λ Δ۴Λ	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۳] ص : ۳۱۵ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۴] ص : ۳۱۲ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۵] ص : ۳۱۷ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۶] ص : ۳۱۷
ΔFY ΔFA ΔFA ΔFA	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۳] ص : ۳۱۵ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۴] ص : ۳۱۶ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۵] ص : ۳۱۷ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۶] ص : ۳۱۷ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۶] ص : ۳۱۸
ΔFY ΔFA ΔFA ΔFA ΔF9	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۳] ص : ۳۱۵ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۴] ص : ۳۱۶ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۵] ص : ۳۱۷ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۶] ص : ۳۱۷ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۷] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۸] ص : ۳۱۸
ΔFY ΔFA ΔFA ΔFA ΔF9 ΔF9	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۳] ص : ۳۱۵ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۴] ص : ۳۱۶ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۵] ص : ۳۱۷ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۶] ص : ۳۱۷ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۷] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۸] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۹] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۹] ص : ۳۱۸
ΔFY	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۳] ص : ۳۱۵ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۴] ص : ۳۱۶ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۵] ص : ۳۱۷ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۶] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۸] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۸] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۹] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۹] ص : ۳۱۸
ΔFY	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۳] ص : ۳۱۵ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۴] ص : ۳۱۷ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۵] ص : ۳۱۷ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۶] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۸] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۸] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۸] ص : ۳۱۸ سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۹] ص : ۳۱۸

۵۵۰	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱۲ ا ص : ۳۲۰
۵۵۱	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱۳] ص : ۳۲۱
۵۵۱	اشاره
۵۵۱	شأن نزول: ص : ۳۲۱
۵۵۲	تفسير: ص : ۳۲۱
۵۵۲	سورة اَل عمران(٣): آية ١١۴] ص : ٣٢٢
۵۵۲	سورة اَل عمران(٣): آية ١١۵] ص : ٣٢٢
۵۵۲	سورة اَل عمران(۳): آية ۱۱۶] ص : ۳۲۲
۵۵۳	سورة اَل عمران(٣): آية ١١٧] ص : ٣٢٣
۵۵۳	سورة آل عمران(۳): آية ۱۱۸] ص : ۳۲۳
۵۵۳	اشاره
۵۵۳	شأن نزول: ص : ٣٢٢
۵۵۴	تفسیر: ص : ۳۲۴
۵۵۴	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱۹] ص : ۳۲۴
۵۵۴	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۰] ص : ۳۲۵
۵۵۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۱] ص : ۳۲۵
۵۵۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۳] ص : ۳۲۶
۵۵۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۴] ص : ۳۲۶
۵۵۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۵] ص : ۳۲۷
۵۵۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۶] ص : ۳۲۷
۵۵۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۷] ص : ۳۲۷
۵۵۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۸] ص : ۳۲۷
۵۵۶	اشاره
۵۵۶	شأن نزول: ص : ۳۲۷
۵۵۷	تفسیر: ص : ۳۲۷
۵۵۷	سورة آل عمران(٣): آية ١٢٩] ص : ٣٢٨

۵۵۷	سورة أل عمران(۳): أيهٔ ۱۳۰ ا ص : ۳۲۸
۵۵۸	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۱] ص : ۳۲۹
۵۵۸	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۲] ص : ۳۲۹
۵۵۸	سورهٔ آل عمران(۳): اَیهٔ ۱۳۳] ص : ۳۲۹
۵۵۸	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۴] ص : ۳۳۰
۵۵۹	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۵] ص : ۳۳۰
۵۵۹	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۶] ص : ۳۳۱
۵۶۰	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۷] ص : ۳۳۱
۵۶۰	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۸] ص : ۳۳۲
۵۶۰	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۹] ص : ۳۳۲
۵۶۰	اشاره
۵۶۰	شأن نزول: ص : ٣٣٢
۵۶۱	تفسير: ص : ٣٣٢
۵۶۱	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۰] ص : ۳۳۲
۵۶۱	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۱] ص : ۳۳۳
۵۶۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۲] ص : ۳۳۳
۵۶۲	سورهٔ آل عمران(۳): اَیهٔ ۱۴۳] ص : ۳۳۴
۵۶۲	سورهٔ آل عمران(۳): اَیهٔ ۱۴۴] ص : ۳۳۴
۵۶۲	اشارها
۵۶۲	شأن نزول: ص : ۳۳۴
۵۶۳	تفسير: ص : ٣٣٥
۵۶۳	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۵] ص : ۳۳۵
۵۶۴	سورهٔ آل عمران(۳): اَیهٔ ۱۴۶] ص : ۳۳۶
۵۶۴	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۷] ص : ۳۳۶
۵۶۴	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۸] ص : ۳۳۷
۵۶۴	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۹] ص : ۳۳۷

۵۶۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۰] ص : ۳۳۷
۵۶۵	(آیه ۱۵۱) ص : ۳۳۸
۵۶۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۲] ص : ۳۳۸
۵۶۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۳ ص : ۳۳۹
۵۶۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۴] ص : ۳۴۰
۵۶۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۵] ص : ۳۴۱
۵۶۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۶] ص : ۳۴۱
۵۶۸	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۷] ص : ۳۴۲
۵۶۸	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۸] ص : ۳۴۲
۵۶۸	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۹] ص : ۳۴۲
۵۶۹	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۰] ص : ۳۴۳
۵۶۹	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۱] ص : ۳۴۴
۵۲۰	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۲] ص : ۳۴۴
۵۲۰	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۳] ص : ۳۴۵
۵۲۰	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۴] ص : ۳۴۵
ΔΥ1	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۵] ص : ۳۴۶
ΔΥ1	سورة آل عمران(٣): آية ١۶۶] ص : ٣٤۶
ΔΥ1	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۷] ص : ۳۴۷
۵۷۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۸] ص : ۳۴۸
۵۲۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۹] ص : ۳۴۸
۵۲۳	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۰] ص : ۳۴۹
۵۲۳	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۱] ص : ۳۴۹
۵۲۳	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۲] ص : ۳۴۹
۵۲۴	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۳] ص : ۳۵۰
۵۷۴	سورة آل عمران(٣): آية ١٧۴] ص : ٣٥٠
۵۷۴	سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٧۵] ص : ٣٥١

۵۷۵	سورة أل عمران(٣): أيهٔ ١٧۶] ص : ٣٥١
۵۷۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۷] ص : ۳۵۲
۵۷۵	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۸] ص : ۳۵۲
۵۷۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۹] ص : ۳۵۳
۵۷۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۰] ص : ۳۵۴
۵۷۷	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۱] ص : ۳۵۵
۵۷۷	اشارها
۵۷۷	شأن نزول: ص : ۳۵۵
	تفسير: ص : ۳۵۶
۵۷۸	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۲] ص : ۳۵۶
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۳] ص : ۳۵۶
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۳۵۶
	تفسير: ص : ۳۵۷
۵۷۹	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۴] ص : ۳۵۷
	سورة آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۵] ص : ۳۵۷
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۶] ص : ۳۵۸
	اشارها
	شأن نزول: ص : ۳۵۸
	تفسیر: ص : ۳۵۸
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۷] ص : ۳۵۹
	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۸] ص : ۳۶۰
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۳۶۰ص. : ۳۶۰
	تفسیر: ص : ۳۶۰
۵۸۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۹] ص : ۳۶۰ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ

۵۸۲ ٣۶٠	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹۰] ص :
۵۸۲	سورهٔ آل عمران(۳): أيهٔ ۱۹۱ ً ص :
۵۸۲	سورهٔ آل عمران(۳): أيهٔ ۱۹۲] ص :
۵۸۳۳۶۱	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹۳] ص :
۵۸۳ ٣۶۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹۴] ص :
۵۸۳ ٣۶۲	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹۵ ً ص :
۵۸۳	اشاره
۵۸۳	شأن نزول: ص : ۳۶۲
۵۸۴	تفسیر: ص : ۳۶۲
۵۸۴	سورة آل عمران(٣): آية ١٩۶] ص :
۵۸۴	اشاره
۵۸۵	شأن نزول: ص : ۳۶۳
۵۸۵	تفسیر: ص : ۳۶۴
ص : ۳۶۴	سورة أل عمران(٣): أيةُ ١٩٧]
ص : ۳۶۴	سورة آل عمران(٣): آية ١٩٨]
ص : ۳۶۵ ۵۸۶	سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹۹]
۵۸۶	اشاره
۵۸۶	شأن نزول: ص : ۳۶۵
۵۸۶	تفسیر: ص : ۳۶۵
ص : ۳۶۶	سورهٔ اَل عمران(۳): اَیهٔ ۲۰۰] ه
ΔΛΥ	سوره نساء ص : ۳۶۹
۵۸۸	اشاره
۵۸۸	محتوای سوره: ص : ۳۶۹
۵۸۸ ٣۶	فضیلت تلاوت این سوره: ص : ۹
۵۸۸ ٣	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱] ص : ۷۰
٣٣	سوره نساء (۴): آيهٔ ۲] ص : ۷۱

اشاره اشاره المنازه المنازع ال
شأن نزول: ص : ۳۷۱
تفسير: ص : ۳۷۱
سوره نساء (۴): آیهٔ ۳] ص : ۳۷۲ ۳۷۲
اشاره
شأن نزول: ص : ۳۷۲
تفسير: ص : ۳۷۲
سوره نساء (۴): آیهٔ ۴] ص : ۳۷۳ ۳۷۳
اشاره
«مهر» یک پشتوانه اجتماعی برای زن ص : ۳۷۳
سوره نساء (۴): آیهٔ ۵] ص : ۳۷۴
سوره نساء (۴): آیهٔ ۶] ص : ۳۷۵
سوره نساء (۴): آیهٔ ۷] ص : ۳۷۵ ۳۷۵
اشارها
اشاره ۵۹۳ ص : ۳۷۵ شأن نزول: ص : ۳۷۵
شأن نزول: ص : ۳۷۵
شأن نزول: ص : ۳۷۵ ۵۹۳
شأن نزول: ص : ۳۷۵
م۹۳
م۹۳ تفسیر: ص : ۳۷۶ سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۹ ص : ۳۷۶ موره نساء (۴): آیهٔ ۱۹ ص : ۳۷۶ موره نساء (۴): آیهٔ ۱۹ ص : ۳۷۷
م۹۳ م۹۳ تفسیر: ص : ۳۷۶ م۹۶ سوره نساء (۴): آیهٔ ۸] ص : ۳۷۶ م۹۶ سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۹] ص : ۳۷۶ م۹۶ سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۹] ص : ۳۷۸ م۹۸ م۹۵ ۳۷۸ م۹۵ ۳۷۸
م۹۳ ۳۷۶ تفسیر: ص : ۳۷۶ ۳۷۶ سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۸] ص : ۳۷۶ ۹۹ سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۹] ص : ۳۷۷ ۹۹ سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۱] ص : ۳۷۸ ۹۹ اشاره ۳۷۸ اشاره ۱شاره
م۹۳ شأن نزول: ص : ۳۷۶ تفسير: ص : ۳۷۶ م۹۶ موره نساء (۴): آية ۴] ص : ۳۷۶ م۹۶ موره نساء (۴): آية ۱] ص : ۳۷۷ م۹۵ م۹۵ م۹۵ ماشاره م۹۵ ماشاره م۹۵ ماشان نزول: ص : ۳۷۸ م۹۵
م۹۳ شأن نزول: ص : ۷۷۶ تفسير: ص : ۷۷۶ عوره نساء (۴): آية ۸ آ ص : ۷۶۶ م۹۶ ۳۷۶ ص : ۷۶۶ م۹۶ ۳۷۶ ص : ۷۶۶ م۹۶ ۳۷۷ ص : ۷۷۶ م۹۵ ۳۷۸ ص : ۸۷۶ م۹۵ شأن نزول: ص : ۸۷۸ م۹۵ ۳۷۸ ص : ۸۷۶ م۹۵ ۳۷۸ ص : ۸۷۶

۵۹۷	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۳] ص : ۳۸۱
ΔΥΥΥΡΡΔ	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۴] ص : ۳۸۱
۸۶۵ ۸۶۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۵] ص : ۳۸۲
۸۶۵ ۸۶۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۶] ص : ۳۸۲
۵۹۸ ۸۹۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۷] ص : ۳۸۲
۵۹۹	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۸] ص : ۳۸۳
۵۹۹	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۹] ص : ۳۸۴
۵۹۹	اشاره
	شأن نزول: ص : ۳۸۴
9	تفسیر: ص : ۳۸۴
9	سوره نساء (۴): آیهٔ ۲۰] ص : ۳۸۵
9	اشاره
9	شأن نزول: ص : ۳۸۵
9.1	تفسیر: ص : ۳۸۵
9.1	سوره نساء (۴): آیهٔ ۲۱] ص : ۳۸۵
9.1	سوره نساء (۴): آیهٔ ۲۲] ص : ۳۸۶
9.1	اشاره
9.1	شأن نزول: ص : ۳۸۶
9.1	تفسیر: ص : ۳۸۶
<pre>9.T</pre>	سوره نساء (۴): آیهٔ ۲۳] ص : ۳۸۶
9·٣	اغاز جزء پنجم قرآن مجید ص : ۳۸۸
9.٣	ادامه سوره نساء ص : ۳۸۸
۶۰۳	سوره نساء (۴): آیهٔ ۲۴] ص : ۳۸۸
9.4	اشاره
9·۴	
9.4	با این وضع چه باید کرد؟ ص : ۳۹۰

۶۰۱	سوره نساء (۴): أيهٔ ۲۵] ص : ۳۹۰
۶۰۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۲۶] ص : ۳۹۱
۶٠۶	سوره نساء (۴): آیهٔ ۲۷] ص : ۳۹۲
۶٠۶	سوره نساء (۴): آیهٔ ۲۸] ص : ۳۹۲
9.9	سوره نساء (۴): آیهٔ ۲۹] ص : ۳۹۲
۶۰۱	سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۰] ص : ۳۹۳
۶.۱	سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۱] ص : ۳۹۴
۶.۱	سوره نساء (۴): أيهٔ ۳۲] ص : ۳۹۴
	اشاره اشاره
	شأن نزول: ص : ۳۹۴
	تفسير: ص : ۳۹۴
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۳] ص : ۳۹۵
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۴] ص : ۳۹۶ ۳۹۶
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۵] ص : ۳۹۷
۶۱۶	سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۶] ص : ۳۹۹
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۷] ص : ۴۰۱
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۸] ص : ۴۰۱
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۹] ص : ۴۰۲
	اشاره اشاره
	چرا خداوند ظلم نمی <i>کند؟!</i> ص : ۴۰۲
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۱] ص : ۴۰۳
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۲] ص : ۴۰۳
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۳] ص : ۴۰۳
	اشاره
	۱- باطل بودن نماز در حال مستی: ص : ۴۰۳
۶۱۱	۲- باطل بودن نماز در حال جنابت: ص : ۴۰۴

۶۱۵	۳- سپس در مورد جواز نماز خواندن و یا عبور از مسجد میفرماید: ص : ۴۰۴
۶۱۵	۴- تیمم برای معذورین ص : ۴۰۴
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۴] ص : ۴۰۴
۶۱۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۵] ص : ۴۰۵
818	سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۶] ص : ۴۰۵
۶۱Y	سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۷] ص : ۴۰۶
۶۱Y	سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۸] ص : ۴۰۷
۶۱Y	اشاره
۶۱۸	اسباب بخشودگی گناهان ص : ۴۰۸
۶۱۸	سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۹] ص : ۴۰۸
۶۱۸	اشاره
۶۱۸	شأن نزول: ص : ۴۰۸
۶۱۸	تفسیر: ص : ۴۰۸
۶۱۹	سوره نساء (۴): آیهٔ ۵۰] ص : ۴۰۹
۶۱۹	سوره نساء (۴): آیهٔ ۵۱] ص : ۴۰۹
۶۱۹	اشاره
819	شأن نزول: ص : ۴۰۹
۶۱۹	تفسیر: ص : ۴۰۹
97.	سوره نساء (۴): آیهٔ ۵۲] ص : ۴۱۰
97•	سوره نساء (۴): آیهٔ ۵۳] ص : ۴۱۰
97•	سوره نساء (۴): آیهٔ ۵۴] ص : ۴۱۰
871	سوره نساء (۴): آیهٔ ۵۵] ص : ۴۱۱
871	سوره نساء (۴): آیهٔ ۵۶] ص : ۴۱۱
871	سوره نساء (۴): آیهٔ ۵۷] ص : ۴۱۲
871	سوره نساء (۴): آیهٔ ۵۸] ص : ۴۱۲
871	اشارهاشاره

۶۲۲	شأن نزول: ص : ۴۱۲
۶۲۲	تفسير: ص : ۴۱۲
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۵۹] ص : ۴۱۳
۶۲۳	اشاره
۶۲۳	«اولی الامر» چه کسانی هستند؟ ص : ۴۱۴
۶۲۳	سوره نساء (۴): آیهٔ ۶۰] ص : ۴۱۴
۶۲۳	اشارهاشاره
874	شأن نزول: ص : ۴۱۴
874	تفسير: ص : ۴۱۵
۶۲۴	سوره نساء (۴): آیهٔ ۶۱] ص : ۴۱۵ ص : ۴۱۵
۶۲۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۶۲] ص : ۴۱۶
۶۲۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۶۳] ص : ۴۱۶
۶۲۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۶۴] ص : ۴۱۶
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۶۵] ص : ۴۱۷
8 7 8	اشارها
878	شأن نزول: ص : ۴۱۷
१४१	تفسير: ص : ۴۱۷
۶۲۷	سوره نساء (۴): آیهٔ ۶۶] ص : ۴۱۸
877	سوره نساء (۴): آیهٔ ۶۷] ص : ۴۱۹
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۶۸] ص : ۴۱۹
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۶۹] ص : ۴۱۹
	اشارها
	شأن نزول: ص : ۴۱۹
	تفسیر: ص : ۴۱۹
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۷۰] ص : ۴۲۰
१८५	سوره نساء (۴): آیهٔ ۷۱] ص : ۴۲۰

१८४	سوره نساء (۴): اَیهٔ ۷۲] ص : ۴۲۱
१८४	سوره نساء (۴): آیهٔ ۷۳] ص : ۴۲۱
۶٣٠	سوره نساء (۴): آیهٔ ۷۴] ص : ۴۲۲
۶٣٠	سوره نساء (۴): آیهٔ ۷۵] ص : ۴۲۲
۶٣٠	سوره نساء (۴): آیهٔ ۷۶] ص : ۴۲۳
۶۳۱	سوره نساء (۴): آیهٔ ۷۷] ص : ۴۲۳
۶۳۱	اشارها
۶۳۱	شأن نزول: ص : ۴۲۳
۶۳۱	تفسير: ص : ۴۲۴
۶۳۲	سوره نساء (۴): اَیهٔ ۷۸] ص : ۴۲۴
۶۳۲	سوره نساء (۴): اَیهٔ ۲۹] ص : ۴۲۵
۶۳۳	سوره نساء (۴): آیهٔ ۸۰ آ ص : ۴۲۶
۶۳۳	سوره نساء (۴): آیهٔ ۸۱] ص : ۴۲۶
544	سوره نساء (۴): آیهٔ ۸۲] ص : ۴۲۷
544	سوره نساء (۴): آیهٔ ۸۳] ص : ۴۲۷
544	اشارها
544	زیانهای شایعهسازی و نشر شایعات– ص : ۴۲۸
۶۳۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۸۴] ص : ۴۲۹
۶۳۵	اشارها
۶۳۵	شأن نزول: ص : ۴۲۹
۶۳۵	تفسير: ص : ۴۲۹
۶۳۶	سوره نساء (۴): آیهٔ ۸۵] ص : ۴۳۰
۶۳۶	سوره نساء (۴): آیهٔ ۸۶] ص : ۴۳۰
۶۳۷	سوره نساء (۴): آیهٔ ۸۷] ص : ۴۳۱
۶۳۷	سوره نساء (۴): آیهٔ ۸۸] ص : ۴۳۱
۶۳۷	اشارها

۶۳۷	شأن نزول ص : ۴۳۱
۶۳۷	تفسير: ص : ۴۳۲
۶ ۳۸	سوره نساء (۴): آیهٔ ۸۹] ص : ۴۳۲
۶ ۳۸	سوره نساء (۴): آیهٔ ۹۰] ص : ۴۳۳
१ ७९	اشارها
<i>९</i> ٣१	شأن نزول: ص : ۴۳۳
	تفسير: ص : ۴۳۴
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۹۱] ص : ۴۳۵
	 اشارها
	شأن نزول ص : ۴۳۵
	ى برون
	سیر ص . ۱۳۰ ص : ۴۳۶
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۴۳۶
	تفسير: ص : ۴۳۶
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۹۳] ص : ۴۳۷
	اشارها
۶ ۴۲	شأن نزول: ص : ۴۳۷
۶۴۳	تفسير: ص : ۴۳۸
۶۴۳	سوره نساء (۴): آیهٔ ۹۴] ص : ۴۳۹
۶۴۳	اشارها
۶۴۳	شأن نزول: ص : ۴۳۹
544	تفسير: ص : ۴۳۹
544	سوره نساء (۴): آیهٔ ۹۵] ص : ۴۴۰
۶۴۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۹۶] ص : ۴۴۱
۶۴۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۹۷] ص : ۴۴۱

۶۴۵	اشارها
۶۴۵	شأن نزول: ص : ۴۴۱
۶۴۵	تفسير: ص : ۴۴۱
9 4 9	سوره نساء (۴): اَیهٔ ۹۸] ص : ۴۴۲
545	سوره نساء (۴): آیهٔ ۹۹] ص : ۴۴۲
545	اشاره
	مستضعف كيست؟ ص : ۴۴۲
۶۴۷	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۰۰] ص : ۴۴۳
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۰۱] ص : ۴۴۳
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۰۲] ص : ۴۴۴
	اشارها
	تفسير: ص : ۴۴۴
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۰۳] ص : ۴۴۵
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۰۴] ص : ۴۴۶
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۴۴۶
	تفسير: ص : ۴۴۷
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۰۵] ص : ۴۴۸
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۴۴۸
	تفسیر: ص : ۴۴۸
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۰۶] ص : ۴۴۸
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۰۷] ص : ۴۴۹
	سوره نساء (۲): ایهٔ ۱۰۸] ص : ۴۴۹
	سوره نساء (۱): ایه ۱۰۱ ص : ۲۲۱
, ω ι	سوره نساء (۱): ایه ۱۱۱۰ ص ۱۱۱۰

۶۵۳	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۱۱] ص : ۴۵۰
۶۵۳	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۱۲] ص : ۴۵۰
۶۵۳	اشاره
۶۵۳	جنایت تهمت ص : ۴۵۰
۶۵۳	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۱۳] ص : ۴۵۱
904	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۱۴] ص : ۴۵۱
904	سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۱۵] ص : ۴۵۲
900	اشاره
900	شأن نزول: ص : ۴۵۲
900	تفسیر: ص : ۴۵۲
۶۵۵	سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۱۶] ص : ۴۵۳
۶۵۶	سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۱۷] ص : ۴۵۳
۶۵۶	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۱۸] ص : ۴۵۴
۶۵۶	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۱۹] ص : ۴۵۴
<i>9</i> ΔΥ	سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۲۰] ص : ۴۵۵
9ΔY	سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۲۱] ص : ۴۵۵
۶۵Y	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۲۲] ص : ۴۵۵
۶۵Y	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۲۳] ص : ۴۵۶
<i>9</i> ΔΥ	اشاره
<i>γ</i> ΔΛ	شأن نزول: ص : ۴۵۶
<i>\$</i> ΔΛ	تفسیر: ص : ۴۵۶
<i>\$</i> ΔΛ	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۲۴] ص : ۴۵۶
<i>γ</i> ΔΛ	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۲۵] ص : ۴۵۷
<i>ዮ</i> ል٩	سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۲۶] ص : ۴۵۷
<i>γ</i> Δ٩	
<i>୨</i> ۵۹	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۲۸] ص : ۴۵۸

۶۶۰	اشاره
99.	شأن نزول: ص : ۴۵۸
99.	تفسير: ص : ۴۵۹
881	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۲۹] ص : ۴۶۰
881	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۳۰] ص : ۴۶۰
881	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۳۱] ص : ۴۶۱
१९४	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۳۲] ص : ۴۶۱
१९४	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۳۳] ص : ۴۶۱
१९४	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۳۴] ص : ۴۶۲
<i>9</i> 97	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۳۵] ص : ۴۶۲
۶۶۳	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۳۶] ص : ۴۶۳
998	اشاره
	شأن نزول: ص : ۴۶۳
	تفسير: ص : ۴۶۳
99 \$	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۳۷] ص : ۴۶۴
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۳۸] ص : ۴۶۵
۶۶۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۳۹] ص : ۴۶۵
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۴۰] ص : ۴۶۵
	اشارهاشاره المنافقة الم
	شأن نزول: ص : ۴۶۵
	تفسير: ص : ۴۶۵
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۴۱] ص : ۴۶۶
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۴۲] ص : ۴۶۷
	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۴۳] ص : ۴۶۷
	سوره نساء (۴): اَیهٔ ۱۴۴] ص : ۴۶۸
884	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۴۵] ص : ۴۶۸

99V	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۴۶] ص : ۴۶۸
99A	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۴۷] ص : ۴۶۹
99λ	آغاز جزء ششم قرآن مجید ص : ۴۶۹
<i>9γ</i> λ	ادامه سوره نساء ص : ۴۶۹
99λ	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۴۸] ص : ۴۶۹
۶۶۹	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۴۹] ص : ۴۷۰
۶۶۹	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۵۰] ص : ۴۷۰
۶۶۹	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۵۱] ص : ۴۷۱
۶۲۰	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۵۲] ص : ۴۷۱
۶۲۰	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۵۳] ص : ۴۷۱
۶۲۰	اشاره
۶۲۰	شأن نزول: ص : ۴۷۱
۶۲۰	تفسیر: ص : ۴۷۱
۶۷۱	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۵۴] ص : ۴۷۲
۶۷۱	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۵۵] ص : ۴۷۳
۶۷Y	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۵۶] ص : ۴۷۴
۶۷۲	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۵۷] ص : ۴۷۴
9YY	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۵۸] ص : ۴۷۴
9YY	سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۵۹] ص : ۴۷۴
۶۷۳	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۶۰] ص : ۴۷۵
۶۷۳	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۶۱] ص : ۴۷۶
۶۷۳	سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۶۲] ص : ۴۷۶
9YF	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۶۳] ص : ۴۷۷
۶۷۴	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۶۴] ص : ۴۷۷
9YF	سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۶۵] ص : ۴۷۷
۶۷۵	سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۶۶] ص : ۴۷۸

۶۷۵	سوره نساء (۴): أيهٔ ۱۶۷] ص : ۴۷۸
۶۷۵	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۶۸] ص : ۴۷۸
۶۷۵	سوره نساء (۴): آيةٔ ۱۶۹] ص : ۴۷۸
۶۷۵	سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۷۰] ص : ۴۷۹
۶Y9	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۷۱] ص : ۴۷۹
۶۷Y	سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۷۲] ص : ۴۸۱
۶۷۷	اشاره
۶YY	
۶۷۷	
۶۷۸	
۶۷۸	
۶۷۸	
۶۷۹	
۶۷۹	
۶۷۹	
۶۲۹	
۶۸۰	
۶۸۰	
۶۸۰	
۶۸۰	
FAY	
۶AY	
۶۸۳	
۶۸۴	
	(50,

۶۸۵	اشاره
۶۸۵	شأن نزول: ص : ۴۹۲
۶۸۵	تفسير: ص : ۴۹۲
<i>የ</i> እ ዖ	سوره مائده(۵): آیهٔ ۵ ص : ۴۹۳
۶۸۶	اشاره
۶۸۶	ازدواج با زنان غیر مسلمان ص : ۴۹۴
۶۸۷	سوره مائده(۵): آیهٔ ۶ ص : ۴۹۵
۶ ۸۸	سوره مائده(۵): آیهٔ ۷ ص : ۴۹۷
<i>۶</i> ۸۹	سوره مائده(۵): آیهٔ ۸ ص : ۴۹۷
۶۸۹	سوره مائده(۵): آیهٔ ۹ ص : ۴۹۸
۶۸۹	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰ ص : ۴۹۸
۶۸۹	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱ ص : ۴۹۸
१९.	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۲ ص : ۴۹۹
१९.	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۳ ص : ۵۰۰
१९१	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۴ ص : ۵۰۱
१९४	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۵ ص : ۵۰۲
१९४	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۶ ص : ۵۰۲
१९४	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۷ ص : ۵۰۲
१९४	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۸ ص : ۵۰۴
۶۹۳	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۹ ص : ۵۰۴ ص : ۵۰۴
११४	سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۰ ص : ۵۰۵ ·································
११४	سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۱ ص : ۵۰۶ · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
	سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۲ ص : ۵۰۶
	سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۳ ص : ۵۰۶
۶۹۵	سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۴ ص : ۵۰۷
۶۹۵	سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۵ ص : ۵۰۷

سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۶ ص : ۵۰۷
سوره مائده(۵): اَیهٔ ۲۷ ص : ۵۰۸ ۵۰۸
سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۸ ص : ۵۰۹ ص : ۶۹۷
سوره مائده(۵): اَیهٔ ۲۹ ص : ۵۰۹ ص : ۶۹۷
سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۰ ص : ۵۰۹ ص : ۶۹۷
سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۱ ص : ۵۰۹
سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۲ ص : ۵۱۰ عند ۵۱۰
سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۳ ص : ۵۱۱ ص : ۶۹۸
اشاره
شأن نزول: ص : ۵۱۱
تفسير: ص : ۵۱۱ ص : ۵۱۱
سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۴ ص : ۵۱۲ ص : ۶۹۹ ص
سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۵ ص : ۵۱۲ ۵۱۲
سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۶ ص : ۵۱۳ ص : ۵۱۳
سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۷ ص : ۵۱۴
سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۸ ص : ۵۱۴
سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۹ ص : ۵۱۴
سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۰ ص : ۵۱۵
سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۱ ص : ۵۱۵
اشاره
شأن نزول: ص : ۵۱۵
تفسير: ص : ۵۱۶ ص : ۵۱۶
سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۲ ص : ۵۱۸
سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۳ ص : ۵۱۸
سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۴ ص : ۵۱۹ ص : ۷۰۴
W.A. when a Total of

٧٠۵	سوره مائده(۵): أيهٔ ۴۶ ص : ۵۲۰
٧٠۵	سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۷ ص : ۵۲۱ ص : ۵۲۱
	سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۸ ص : ۵۲۱ــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۷۰۶	سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۹ ص : ۵۲۲ عند ۵۲۲
٧٠۶	اشاره
٧٠٧	شأن نزول: ص : ۵۲۲
٧٠٧	تفسير: ص : ۵۲۳ـــــــــــــــــــــــــــــــــ
٧٠٧	سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۰ ص : ۵۲۳
٧٠٧	سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۱ ص : ۵۲۳
٧٠٧	اشاره
٧٠٨	شأن نزول: ص : ۵۲۳
٧٠٨	تفسير: ص : ۵۲۴ـــــــــــــــــــــــــــــــــ
٧٠٨	سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۲ ص : ۵۲۴
٧٠٩	سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۳ ص : ۵۲۵
٧٠٩	سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۴ ص : ۵۲۵
٧٠٩	سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۵ ص : ۵۲۶
٧٠٩	اشاره
٧١٠	شأن نزول ص : ۵۲۶
٧١٠	تفسير: ص : ۵۲۷
Y11	سوره مائده(۵): اَیهٔ ۵۶ ص : ۵۲۸
Y11	سوره مائده(۵): اَیهٔ ۵۷ ص : ۵۲۸
Y11	اشارها
Y11	شأن نزول: ص : ۵۲۸
Y11	تفسير: ص : ۵۲۸
۷۱۲	سوره مائده(۵): اَیهٔ ۵۸ ص : ۵۲۹
۷۱۲	اشاره

۷۱۲	شأن نزول: ص : ۵۲۹
۷۱۲	تفسير: ص : ۵۲۹
۷۱۲	سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۹ ص : ۵۲۹
۷۱۲	اشاره
۷۱۳	شأن نزول: ص : ۵۲۹
۷۱۳	تفسير: ص : ۵۲۹
۷۱۳	سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۰ ص : ۵۳۰ــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۷۱۴	سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۱ ص : ۵۳۰
۷۱۴	سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۲ ص : ۵۳۱ــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۷۱۴	سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۳ ص : ۵۳۱ــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۷۱۵	سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۴ ص : ۵۳۲ــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۷۱۶	سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۵ ص : ۵۳۴
۷۱۶	سوره مائده(۵)؛ آیهٔ ۶۶ ص : ۵۳۴
Y 1 Y	سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۷ ص : ۵۳۵
Y 1 Y	اشاره
Y 1 Y	خلاصه جریان غدیر ص : ۵۳۶
V19	سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۸ ص : ۵۳۹
V19	اشاره
V19	شأن نزول: ص : ۵۳۹
٧٢٠	تفسير: ص : ۵۳۹
٧٢٠	سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۹ <i>ص</i> : ۵۴۰
۷۲۱	سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۰ ص : ۵۴۰
۷۲۱	سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۱ ص : ۵۴۱
۷۲۱	سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۲ ص : ۵۴۱
۷۲۲	سوره مائده(۵): اَیهٔ ۷۳ ص : ۵۴۲
٧٢٢	سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۴ ص : ۵۴۲

Y77	سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۵ ص : ۵۴۳
YYW	سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۶ ص : ۵۴۳
YT#	سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۷ ص : ۵۴۴
V7*	سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۸ ص : ۵۴۵
YY *	سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۹ ص : ۵۴۵
YY*	سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۰ ص : ۵۴۵
YY¥	سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۱ ص : ۵۴۶
٧٢٥	
٧٢۵	
۷۲۵	
YYY	
YTY	
ΥΥΥ	
γγγ	
YYA	
٧٢٨	
YYA	سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۷ ص : ۵۵۰
YYA	اشاره
YYA	شأن نزول: ص : ۵۵۰
P7Y	تفسير: ص : ۵۵۱
P7V	سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۸ ص : ۵۵۲
VY9	سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۹ ص : ۵۵۲
٧٣٠	سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۰ ص : ۵۵۳
٧٣٠.	اشاره
٧٣٠	شأن نزول: ص : ۵۵۳

۱۳۷	تفسير: ص : ۵۵۴
	سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۱ ص : ۵۵۵
٧٣٢	سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۲ ص : ۵۵۵
٧٣٢	سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۳ ص : ۵۵۶
٧٣٢	اشارهاشاره
٧٣٢	شأن نزول: ص : ۵۵۶
۲۳۲	تفسير: ص : ۵۵۶
۷۳۳	سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۴ ص : ۵۵۷
۷۳۳	اشاره
	شأن نزول: ص : ۵۵۷
٧٣٣	تفسير: ص : ۵۵۷عند ۵۵۷عند
	سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۵ ص : ۵۵۷
۲۳۴	سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۶ ص : ۵۵۸
	اشاره
	فلسفه تحریم صید در حال احرام ص : ۵۵۹
۷۳۵	سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۷ ص : ۵۶۰
۷۳۶	سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۸ ص : ۵۶۰
	سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۹ ص : ۵۶۰
	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۰ ص : ۵۶۱
	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۱ ص : ۵۶۱
	اشارها
	شأن نزول: ص : ۵۶۱
	تفسير: ص : ۵۶۲
	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۲ ص : ۵۶۲
	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۳ ص : ۵۶۳
٧٣٨	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۴ ص : ۵۶۴

۲۳۹	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۵ ص : ۵۶۴
٧٣٩	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۶ ص : ۵۶۵
749	اشاره
۲۳۹	شأن نزول: ص : ۵۶۵
٧۴٠	تفسير: ص : ۵۶۵
۷۴۰	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۷ ص : ۵۶۶
٧۴١	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۸ ص : ۵۶۷
٧۴١	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۹ ص : ۵۶۷
741	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۰ ص : ۵۶۸
747	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۱ ص : ۵۶۹
747	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۲ ص : ۵۶۹
۷۴۳	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۳ ص : ۵۶۹
۷۴۳	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۴ ص : ۵۲۰
۷۴۳	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۵ ص : ۵۲۰
۷۴۳	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۶ ص : ۵۲۰
744	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۷ ص : ۵۷۱
744	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۸ ص : ۵۷۱
744	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۹ ص : ۵۷۱
	سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۲۰ ص : ۵۷۲
	سوره انعام ص : ۵۷۳
	اشاره
	محتوای سوره: ص : ۵۷۳
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱ ص : ۵۷۳ ···································
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۲ ص : ۵۷۴
	سوره انعام(۶): اَیهٔ ۳ ص : ۵۷۵ ·
747	سوره انعام(۶): آيهٔ ۴ ص : ۵۷۵

٧۴٧	 ۵۷۶	ص : '	۱: آيهٔ ۵	سوره انعام(۶)
Y\$Y	 ۵ ۷۶	ص : ن	: آيهٔ ۶	سوره انعام(۶)
۷۴۸	ΔYY	ص : ٔ	ا: آيهٔ ۸	سوره انعام(۶)
V۴9	 ۵YA	ص : .	ا: آيهٔ ۹	سوره انعام(۶)
V۴9	 ۵۷۸ :	۱ ص	۱: آیهٔ	سوره انعام(۶)
νωω	 ω۸۶ :	۲ ص	۱: ایه ۰	سوره انعام(۲)

۷۵۵	سوره انعام(۶): أيهٔ ۳۱ ص : ۵۸۶
۷۵۶	سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۲ ص : ۵۸۷
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۳ ص : ۵۸۸
۷۵۷	سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۴ ص : ۵۸۸
۷۵۷	سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۵ ص : ۵۸۹
۷۵۸	سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۶ ص : ۵۹۰
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۷ ص : ۵۹۰
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۸ ص : ۵۹۱
	اشارها
	آیا رستاخیز برای حیوانات هم وجود دارد؟ ص : ۵۹۲ ·
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۹ ص : ۵۹۲
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۰ ص : ۵۹۳ ص : ۵۹۳ ص : ۵۹۳ ص : ۵۹۳ ص : ۵۹۴ ص : ۵۹۴ ص : ۵۹۴ ص
	سوره انعام(۶): آیه ۲۱ ص : ۵۹۴ سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۲ ص : ۵۹۴ ص : ۵۹۴
	سوره انعام(۶): آیه ۱۲ ص : ۵۹۴ ص : ۵۹۴ ص : ۵۹۴ ص
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۴ ص : ۵۹۵
	سوره ان ع ام(۶): آیهٔ ۴۵ ص : ۵۹۵
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۶ ص : ۵۹۶
V ۶۲	سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۷ ص : ۵۹۶
V ۶۲	سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۸ ص : ۵۹۶
٧۶٣	سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۹ ص : ۵۹۷
٧۶٣	سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۰ ص : ۵۹۷
V84	سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۱ ص : ۵۹۸
V54	سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۲ ص : ۵۹۸
V ۶۴	اشاره
V54	شأن نزول: ص : ۵۹۸

۷۶۵	تفسير: ص : ۵۹۹
۷۶۵	اشاره
۷۶۵	یک امتیاز بزرگ اسلام ص : ۶۰۰۰
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۳ ص :۶۰۰۰
٧۶۶	سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۴ ص :۶۰۰۰
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۵ ص :۲۰۱
٧۶۶	سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۶ ص :۶۰۱ ص
٧۶٧	سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۷ ص :۶۰۲
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۸ ص :۶۰۳
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۹ ص :۶۰۳
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۰ ص ۶۰۵:
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۱ ص ۶۰۵:
٧ ۶٩	سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۲ ص :۶۰۶
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۳ ص ۶۰۶۰
٧٧٠	سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۴ ص :۶۰۷
٧٧٠	سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۵ ص :۶۰۷
۷۷۱	سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۶ ص :۶۰۸
۷۷۱	سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۷ ص :۶۰۸
۷۷۱	سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۸ ص :۶۰۹
۷۷۱	اشاره
۷۷۲	شأن نزول: ص : ۶۰۹
	تفسير: ص : ۶۰۹
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۹ ص :۶۱۰
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۲۰ ص :۶۱۰
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۲۱ ص :۶۱۱
774	سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۲ ص :۶۱۲

۷۷۴	سوره انعام(۶): أيهٔ ۷۳ ص :۶۱۲
۷۷۵	سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۴ ص :۶۱۳
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۵ ص :۶۱۴
۷۷۵	سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۶ ص :۶۱۴
٧٧۶	سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۷ ص :۶۱۴
779	سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۸ ص :۶۱۵
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۲۹ ص :۶۱۵
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۰ ص :۶۱۵
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۱ ص :۶۱۶
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۲ ص :۶۱۷
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۳ ص :۶۱۷
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۴ ص :۶۱۷
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۵ ص :۶۱۸
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۶ ص :۶۱۸
	سوره انعام(۶): آیه ۸۷ ص :۱۸: ۶۱۹۰
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۸ ص :۹۱۹
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۹۰ ص :۶۲۰
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۹۱ ص :۶۲۰
	اشارها
	شأن نزول: ص : ۶۲۰
	تفسير: ص : ۶۲۰
۲۸۱	سوره انعام(۶): آیهٔ ۹۲ ص :۶۲۱
۲۸۱	اشاره
۲۸۲	اهميت نماز ص : ۶۲۲
۲۸۲	سوره انعام(۶): آیهٔ ۹۳ ص :۶۲۲

ΥλΥ	اشاره
ص : ۶۲۲ ۶۲۲	شأن نزول:
YAY	تفسير: ص
٩۴ ص :۶۲۳	سوره انعام(۶): آية
٧٨٣	اشاره
ص : ۶۲۳	شأن نزول:
YAT	تفسير: ص
٩۵ ص :۶۲۴	سوره انعام(۶): آية
۹۶ ص :۶۲۵	سوره انعام(۶): آيهٔ
٩٧ ص :۶۲۷	سوره انعام(۶): آيهٔ
٩٨ ص :۶۲۷	سوره انعام(۶): آيهٔ
٩٩ ص :۶۲۸	سوره انعام(۶): آيهٔ
١٠٠ ص :۶٣٠	سوره انعام(۶): آية
١٠١ ص : ۶۳۲	سوره انعام(۶): آية
۱۰۲ ص :۶۳۲	سوره انعام(۶): آية
۱۰۳ ص :۶۳۲	سوره انعام(۶): آية
ΥΛ٩	اشاره
نمی بیند! ص : ۶۳۳	چشمها، خدا را
۱۰۴ ص :۶۳۳	سوره انعام(۶): آيهٔ
١٠٥ ص :۶۳۳	سوره انعام(۶): آيهٔ
۱۰۶ ص:۶۳۴ عند ۶۳۴	سوره انعام(۶): آيهٔ
١٠٧ ص :۶۳۴	سوره انعام(۶): آيهٔ
۱۰۸ ص :۶۳۵	سوره انعام(۶): آيهٔ
١٠٩ ص :۶۳۵	سوره انعام(۶): آية
Y91	اشاره
VA.	t . fo

797	تفسير: ص : ۶۳۶
Y9Y	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۰ ص :۶۳۷
V9Y	غاز جزء هشتم قرآن مجید ص : ۶۳۷ناز جزء هشتم قرآن مجید
V9٣	ادامه سوره أنعام ص : ۶۳۷
V9	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۱ ص :۶۳۷
٧٩٣	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۲ ص :۶۳۸
γ۹٣	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۳ ص :۶۳۸
V9.F	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۴ ص :۶۳۸
Y9.F	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۵ ص :۶۳۹
Y9F	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۶ ص :۶۳۹
٧٩٥	سوره انعام(۶): اَیهٔ ۱۱۷ ص :۶۴۰
٧٩۵	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۸ ص :۶۴۰
٧٩٥	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۹ ص :۶۴۱ ص :۶۴۱ــــــــــــــــــــــــــــــــــ
Y98	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۰ ص :۶۴۱ ص :۶۴۱
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۱ ص :۶۴۲
Y9Y	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۲ ص :۶۴۲
Y9Y	اشارها
Y9Y	شأن نزول: ص : ۶۴۲
	تفسير: ص : ۶۴۳
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۳ ص :۶۴۴
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۴ ص :۶۴۴
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۶۴۴
	تفسیر: ص : ۶۴۵
	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۵ ص :۶۴۶
۸۰۰	سوره انعام(۶): اَيهٔ ۱۲۶ ص :۶۴۶

۸٠٠	۱ ص :۶۴۷	وره انعام(۶): آيهٔ ۲۷	س و
۸٠٠	۱ ص :۶۴۷	وره انعام(۶): آیهٔ ۲۸	m
۸۰۱	۱ ص :۴۸	وره انعام(۶): آیهٔ ۲۹	, w
۸٠١	۱ ص ۶۴۸:	وره انعام(۶): آیهٔ ۱۳۰	سږ
۸۰۱	۱ ص :۶۴۹	وره انعام(۶): آیهٔ ۳۱	, w
۸٠٢	۱ ص :۶۴۹	وره انعام(۶): آیهٔ ۱۳۲	, w
۸.۲	۱ ص :۶۵۰	وره انعام(۶): آيهٔ ۱۳۳	, w
۸٠٢	۱ ص :۶۵۰	وره انعام(۶): آيهٔ ۱۳۴	,w
۸٠٢	۱ ص :۶۵۰	وره انعام(۶): آيهٔ ۱۳۵	,w
۸٠٣	۱ ص : ۶۵۱	وره انعام(۶): آيهٔ ۱۳۶	,w
۸٠٣	۱ ص :۶۵۱	وره انعام(۶): آيهٔ ۱۳۷	, w
۸.۴	۱ ص :۶۵۲	وره انعام(۶): آیهٔ ۱۳۸	m
۸.۴	۱ ص :۶۵۳	وره انعام(۶): آيهٔ ۳۹	, w
۸-۵	۱ ص :۶۵۳	وره انعام(۶): آیهٔ ۴۰	سږ
۸.۵	۱ ص :۶۵۴	وره انعام(۶): آیهٔ ۴۱	, w
۸.۶	۱ ص ۶۵۵:	وره انعام(۶): اَيهٔ ۱۴۲	m
۸.۶	۱ ص :۶۵۶	وره انعام(۶): آیهٔ ۴۳	m
A•Y	۱ ص :۶۵۶	وره انعام(۶): آیهٔ ۱۴۴	, w
A•Y	۱ ص :۶۵۷	وره انعام(۶): آيهٔ ۴۵	, w
۸٠٨	۱ ص :۶۵۸	وره انعام(۶): آيهٔ ۱۴۶	m
۸٠٨	۱ ص :۶۵۹	وره انعام(۶): آيهٔ ۴۷	m
۸۰۹	۱ ص :۶۶۰	وره انعام(۶): آیهٔ ۴۸	, u
۸۰۹	۱ ص :۶۶۱	وره انعام(۶): آيهٔ ۴۹	m
۸۱۰	۱ ص :۶۶۱	وره انعام(۶): آيهٔ ۵۰	, u
۸۱۰	۱ ص :۶۶۲	وره انعام(۶): آيهٔ ۵۱	, w
۸۱۱	۱ ص :۶۶۳	وره انعام(۶): آيهٔ ۵۲	سو

۸۱۱	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۳ ص :۶۶۴
A17	اشاره
A1Y	١- اهميت نيكي به پدر و مادر! ص : ۶۶۴
λ\٢	۲- قتل فرزندان به خاطر گرسنگی! ص : ۶۶۴
A1Y	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۴ ص :۶۶۵
۸۱۳	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۵ ص :۶۶۵
۸۱۳ ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۶ ص :۶۶۵
۸۱۳	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۷ ص :۶۶۶
۸۱۴	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۸ ص :۶۶۶
۸۱۴	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۹ ص :۶۶۲
۸۱۵	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶۰ ص :۶۶۸
۸۱۵	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶۱ ص :۶۶۸
۸۱۶	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶۲ ص :۶۶۹
۸۱۶	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶۳ ص :۶۷۰
۸۱۶	
۸۱۶	سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶۵ ص :۶۷۰
۸۱۶	
ANY	
ANY	
۸۱۸	
۸۱۸	
۸۱۸	
۸۱۹	
۸۱۹	
۸۱۹	
۸۲٠	محتوای سوره: ص : ۲۳

۸۲۰	فضيلت تلاوت اين سوره: ص : ٢٣
۸۲۰	سورة الأعراف(۷): آية ۱ ص : ۲۴
۸۲۰	سورة الأعراف(٧): آية ٢ ص : ٢۴
۱۲۸	سورة الأعراف(٧): آية ٣ ص : ٢۴
۱۲۸	سورة الأعراف(٧): آية ۴ ص : ٢۵
٨٢١	سورة الأعراف(٧): آية ۵ ص : ۲۵
۸۲۲	سورة الأعراف(٧): آية ۶ ص : ۲۶
	سورة الأعراف(۷): آية ۷ ص : ۲۶
	سورة الأعراف(۷): آية ٨ ص : ٢٧
	سورة الأعراف(۷): آية ٩ ص : ٢٧
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۰ ص : ۲۸
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۱ ص : ۲۸ ··································
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۲ ص : ۲۹
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۳ ص : ۲۹
۸۲۵	سورة الأعراف(۷): آية ۱۴ ص : ۳۰ ··································
	سورة الأعراف(Y): آية ١۵ ص : ٣٠
۸۲۵	سورة الأعراف(۲): آية ۱۶ ص : ۳۰
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۷ ص : ۳۰
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۸ ص : ۳۱
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۹ ص : ۳۲
	سورة الأعراف(۷): آية ۲۰ ص : ۳۲
	سورة الأعراف(۷): آية ۲۱ ص : ۳۳
	سورة الأعراف(۷): آية ۲۲ ص : ۳۳
	اشاره
	۱- شجره ممنوعه چه درختی بوده است؟ ص : ۳۴
۸۲۸	٢- آيا آدم گناه كرد؟ ص : ٣۴

۸۲۸	سورة الأعراف(۷): آية ۲۳ ص : ۳۵ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
۸۲۸	سورة الأعراف(٧): آية ٢۴ ص : ٣۵ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
٨٢٩	سورة الأعراف(٧): آية ٢۵ ص : ٣۵ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
۸۲۹	سورة الأعراف(٧): آية ٢۶ ص : ٣۶
۸۲۹	اشارها
۸۳۰	لباس در گذشته و حال ص : ۳۷
۸۳۰	سورة الأعراف(٧): آية ٢٧ ص : ٣٧
۸۳۰	سورة الأعراف(٧): آية ٢٨ ص : ٣٨
۸۳۱	سورة الأعراف(٧): آية ٢٩ ص : ٣٨
۸۳۱	سورة الأعراف(٧): آية ٣٠ ص : ٣٩
۸۳۲	سورة الأعراف(٧): آية ٣١ ص : ۴٠
۸۳۳	سورة الأعراف(٧): آية ٣٢ ص : ۴۱
۸۳۳	سورة الأعراف(٧): آية ٣٣ ص : ۴۲
	سورة الأعراف(٧): آية ٣۴ ص : ۴۲
۸۳۴	سورة الأعراف(٧): آية ٣۵ ص : ۴٣
۸۳۴	سورة الأعراف(۷): آية ۳۶ ص : ۴۳
ለሞኖ	سورة الأعراف(۷): آية ۳۷ ص : ۴۳
۸۳۵	سورة الأعراف(۷): آية ٣٨ ص : ۴۴
۸۳۵	سورة الأعراف(۷): آية ۳۹ ص : ۴۵
۸۳۶	سورة الأعراف(۷): آية ۴۰ ص : ۴۵
۸۳۶	سورة الأعراف(۷): آية ۴۱ ص : ۴۶
۸۳۶	سورة الأعراف(٧): آية ۴۲ ص : ۴۶
۸۳۷	سورة الأعراف(۷): آية ۴۳ ص : ۴۷
۸۳۷	سورهٔ الأعراف(۷): آیهٔ ۴۴ ص : ۴۸
۸۳۸	سورة الأعراف(۷): آية ۴۵ ص : ۴۸
۸۳۸	سورة الأعراف(٧): آية ۴۶ ص : ۴۹

۸۳۸	سورة الأعراف(٧): آية ۴٧ ص : ۴٩
٨٣٩	سورة الأعراف(۷): آية ۴۸ ص : ۴۹
۸۳۹	سورة الأعراف(۷): آية ۴۹ ص : ۵۰
۸۳۹	اشارها
۸۳۹	«صحاب اعراف» چه کسانی هستند؟ ص : ۵۰
۸۳۹	سورة الأعراف(۲): آية ۵۰ ص : ۵۰
۸۴۰	سورة الأعراف(۲): آية ۵۱ ص : ۵۱
۸۴۰	سورة الأعراف(٧): آية ۵۲ ص : ۵۲
٨۴١	سورة الأعراف(٧): آية ۵۳ ص : ۵۲
۸۴۱	سورة الأعراف(٧): آية ۵۴ ص : ۵۳
۸۴۱	اشارها
	آیا جهان در شش روز آفریده شده؟ ص : ۵۳
۸۴۲	«عرش» چیست؟ ص : ۵۴
	سورة الأعراف(٧): آية ۵۵ ص : ۵۵
۸۴۳	سورة الأعراف(٧): آية ۵۶ ص : ۵۵
۸۴۳	سورة الأعراف(٧): آية ۵۷ ص : ۵۶
۸۴۴	سورة الأعراف(۷): آية ۵۸ ص : ۵۷
۸۴۴	سورة الأعراف(۷): آية ۵۹ ص : ۵۷
۸۴۵	سورة الأعراف(۷): آية ۶۰ ص : ۵۸
۸۴۵	سورة الأعراف(۷): آية ۶۱ ص : ۵۸
۸۴۵	سورة الأعراف(۷): آية ۶۲ ص : ۵۸
۸۴۵	سورة الأعراف(۷): آية ۶۳ ص : ۵۹
۸۴۶	سورة الأعراف(۷): آية ۶۴ ص : ۵۹ ص : ۵۹
۸۴۶	سورة الأعراف(۷): آية ۶۵ ص : ۵۹ ص : ۵۹
	سورة الأعراف(۷): آية ۶۶ ص : ۶۰
۸۴۶	سورة الأعراف(٧): آية ۶۷ ص : ۶۰

XFY	سورة الأعراف(٧): آية ۶۸ ص : ۶۰
AFY	سورة الأعراف(٧): آية ۶۹ ص : ۶۰
AFY	سورة الأعراف(٧): آية ٧٠ ص : ۶۱
AFY	سورهٔ الأعراف(۷): آیهٔ ۷۱ ص : ۶۱
A\$A	سورة الأعراف(٧): آية ٧٢ ص : ۶۲
۸۴۸	سورة الأعراف(٧): آية ٧٣ ص : ۶۲
۸۴۸	سورة الأعراف(٧): آية ٧۴ ص : ۶۳
Af9	سورة الأعراف(٧): آية ٧۵ ص : ۶۳
AF9	سورة الأعراف(٧): آية ٧۶ ص : ۶۴
AF9	سورة الأعراف(Y): آية VY ص : ۶۴
۸۵٠	سورة الأعراف(٧): آية ٧٨ ص : ۶۴
۸۵٠	اشاره
۸۵٠	قوم ثمود به چه وسیله نابود شدند؟ ص : ۶۴
۸۵٠	سورة الأعراف(٧): آية ٧٩ ص : ۶۵
۸۵٠	سورة الأعراف(٧): آية ٨٠ ص : ۶۵
۸۵٠	سورة الأعراف(٧): آية ٨١ ص : ۶۵
ΑΔ1	سورة الأعراف(٧): آية ٨٢ ص : ۶۶
ΑΔ1	سورة الأعراف(٧): آية ٨٣ ص : ۶۶
ΑΔ1	سورة الأعراف(٧): آية A۴ ص : ۶۶
۸۵۱	سورة الأعراف(٧): آية ٨۵ ص : ۶۶
ΛΔΥ	سورة الأعراف(٧): آية ٨۶ ص : ۶۷
λΔΥ	سورة الأعراف(٧): آية ٨٧ ص : ۶۸
۸۵۳	
۸۵۳	
۸۵۳	
۸۵۳	سورة الأعراف(٧): آية ٨٩ ص : ۶۹

λδ۴	سورة الأعراف(٧): آية ٩٠ ص : ٧٠
λΔ۴	سورة الأعراف(٧): آية ٩١ ص : ٧٠
λΔ۴	سورة الأعراف(٧): آية ٩٢ ص : ٧٠
λΔ۴	سورهٔ الأعراف(۷): آيهٔ ۹۳ ص : ۷۰
۸۵۵	سورهٔ الأعراف(۷): آيهٔ ۹۴ ص : ۷۱
۸۵۵	سورة الأعراف(٧): آية ٩٥ ص : ٧١
۸۵۵	سورة الأعراف(٧): آية ٩۶ ص : ٧٢
λδ9	سورة الأعراف(٧): أيةُ ٩٧ ص : ٧٢
λδ9	سورة الأعراف(٧): أيةُ ٩٨ ص : ٧٣
λδ9	سورة الأعراف(٧): أية ٩٩ ص : ٧٣
λδ9	سورة الأعراف(٧): أية ١٠٠ ص : ٧٣
ΛΔΥ	
ΛΔΥ	سورة الأعراف(٧): أية ١٠٢ ص : ٧۴
۸۵۸	سورة الأعراف(٧): آية ١٠٣ ص : ٧٥
۸۵۸	سورة الأعراف(٧): آية ١٠۴ ص : ٧۶
ΛΔΛ	سورة الأعراف(٧): آية ١٠٥ ص : ٧٤
	سورة الأعراف(٧): آية ١٠۶ ص : ٧٤
	سورة الأعراف(٧): آية ١٠٧ ص : ٧٤
	سورة الأعراف(٧): آية ١٠٨ ص : ٧٧
	سورة الأعراف(٧): آية ١٠٩ ص : ٧٧
ΡΔΑ	سورة الأعراف(٧): آية ١١٠ ص : ٧٧
۸۶۰	
۸۶۰	سورة الأعراف(٧): آية ١١٢ ص : ٧٧
۸۶۰	
<i>λ</i> ۶٠	
۸۶۰	سورة الأعراف(٧): آية ١١٥ ص : ٧٨

۸۶۱	سورة الأعراف(۷): آية ۱۱۶ ص : ۷۸
۸۶۱	سورة الأعراف(۷): آية ۱۱۷ ص : ۲۹
۸۶۱	سورة الأعراف(۷): آية ۱۱۸ ص : ۲۹
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۱۹ ص : ۷۹
۸۶۲	سورة الأعراف(٧): آية ١٢٠ ص : ٧٩
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۲۱ ص : ۷۹
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۲۲ ص : ۸۰
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۲۳ ص : ۸۰
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۲۴ ص : ۸۰
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۲۵ ص : ۸۱
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۲۶ ص : ۸۱
	سورة الأعراف(٧): آية ١٢٧ ص : ٨٢
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۲۸ ص : ۸۲
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۲۹ ص : ۸۳
184	سورة الأعراف(۷): آية ۱۳۰ ص : ۸۳
۸۶۵	سورة الأعراف(۷): آية ۱۳۱ ص : ۸۴
۸۶۵	سورة الأعراف(۷): آية ۱۳۲ ص : ۸۴
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۳۳ ص : ۸۵
ለዖዖ	سورة الأعراف(۷): آية ۱۳۴ ص : ۸۵
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۳۵ ص : ۸۶
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۳۶ ص : ۸۶
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۳۷ ص : ۸۶
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۳۸ ص : ۸۷
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۳۹ ص : ۸۷
	سورة الأعراف(۷): آية ۱۴۰ ص : ۸۷
ለዖለ	سورة الأعراف(٧): آية ١۴١ ص : ٨٨

۸۶۸	سورة الأعراف(٧): آية ١۴٢ ص : ٨٨
ለዎለ	اشاره
A89	حدیث «منزلت»: ص : ۸۹
ለዖ۹	سورة الأعراف(٧): آية ١۴٣ ص : ٩٠
NS4	اشاره
ΛY·	آیا مشاهده خدا امکان پذیر است؟ ص : ۹۰
\Y·	سورة الأعراف(٧): آية ١۴۴ ص : ٩١ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
ΛΥ·	سورة الأعراف(٧): آية ١۴۵ ص : ٩١ ···········
\Y\	سورة الأعراف(٧): آية ۱۴۶ ص : ۹۲ ···········
\Y\	سورهٔ الأعراف(۷): آيهٔ ۱۴۷ ص : ۹۲ ·
\YY	سورة الأعراف(٧): آية ١۴٨ ص : ٩٣
NYY	سورة الأعراف(٧): آية ١۴٩ ص : ٩۴ ···········
NYY	سورة الأعراف(٧): آية ١۵٠ ص : ٩۴ ·
\Y\	سورة الأعراف(٧): آية ١۵١ ص : ٩٥ ·
\Y٣	سورة الأعراف(٧): آية ١۵٢ ص : ٩٥ ·
\Y *	سورة الأعراف(٧): آية ١۵٣ ص : ٩۶
.V۴	سورة الأعراف(٧): آية ١۵۴ ص : ٩۶ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
NYF	سورة الأعراف(٧): آية ١۵۵ ص : ٩۶
۸۷۵	سورة الأعراف(٧): آية ١۵۶ ص : ٩٧ ·
۸۷۵	سورة الأعراف(٧): آية ١۵٧ ص : ٩٨ ·
۸۷۵	اشاره
۸۷۶	نكتهها: ص : ۱۰۰
AY9	۱- پنج دلیل برای نبوت در یک آیه! ص : ۱۰۰
λΥΥ	۲- بشارت ظهور پیامبر در کتب عهدین: ص : ۱۰۰
AYY	سورة الأعراف(٧): آية ١۵٨ ص : ١٠٠
۸۷۸	سورة الأعراف(۷): آية ۱۵۹ ص : ۱۰۲

ΑΥΑ	سورة الأعراف(٧): آية ١۶٠ ص : ١٠٢
ΑΥ٩	سورة الأعراف(٧): آية ١۶١ ص : ١٠٣
ΑΥ٩	سورة الأعراف(٧): آية ١۶٢ ص : ١٠۴
ΑΥ٩	سورة الأعراف(٧): آية ١۶٣ ص : ١٠۴
ΑΥ٩	اشاره
AA.	چگونه دست به گناه زدند؟ ص : ۱۰۵
۸۸۰	سورة الأعراف(٧): آية ۱۶۴ ص : ۱۰۵
AA1	سورة الأعراف(٧): آية ١۶۵ ص : ١٠۶
AA1	
ΛΛ1	
ΛΛ1	
AA1	سورة الأعراف(٧): آية ١۶٧ ص : ١٠٧
ΛΛΥ	سورة الأعراف(٧): آية ١۶٨ ص : ١٠٧
ΛΛΥ	
۸۸۳	سورة الأعراف(٧): آية ١٧٠ ص : ١٠٩
۸۸۳	سورة الأعراف(٧): آيهٔ ١٧١ ص : ١١٠
AAF	سورة الأعراف(٧): آية ١٧٢ ص : ١١٠
AAF	سورة الأعراف(٧): آية ١٧٣ ص : ١١١
AAF	سورة الأعراف(٧): آية ١٧۴ ص : ١١١
۸۸۵	سورة الأعراف(٧): آية ١٧۵ ص : ١١١
۸۸۵	سورة الأعراف(٧): آية ١٧۶ ص : ١١٢
AAA	
۸۸۶	
۸۸۶	سورة الأعراف(٧): آيهٔ ۱۷۷ ص : ۱۱۳
۸۸۶	
۸۸۶	سورة الأعراف(٧): آية ١٧٩ ص : ١١٣

AAY	سورة الأعراف(٧): آية ١٨٠ ص : ١١۴
AAY	سورة الأعراف(٧): آية ١٨١ ص : ١١٥
AAA	سورة الأعراف(٧): آية ١٨٢ ص : ١١۶
AAA	سورة الأعراف(٧): آية ١٨٣ ص : ١١٤
۸۸۸	سورة الأعراف(٧): آية ١٨۴ ص : ١١٧
ΡΑΛ	اشاره
AA9	شأن نزول: ص : ۱۱۷
PAA	
PAA	
ΡΑΑ	
۸۹۰	
۸۹۰	
٠٩٨.	
۸۹۰	
/ P A	
/PA	
/ P A	
	
	
	
N97	
N97	
A9T	
N9	
A9F	سورة الأعراف(٧): آية ١٩٤ ص : ١٢٢

۸۹۴-	سورة الأعراف(۷): أيهٔ ۱۹۷ ص : ۱۲۳
۸۹۴.	سورة الأعراف(۷): آية ۱۹۸ ص : ۱۲۳
. ۹۴۸	سورة الأعراف(۷): آيهٔ ۱۹۹ ص : ۱۲۳
۸۹۵ -	سورة الأعراف(۷): آية ٢٠٠ ص : ١٢۴
۸۹۵ -	سورة الأعراف(۷): آية ٢٠١ ص : ١٢۴
۸۹۵ -	سورة الأعراف(۷): آية ۲۰۲ ص : ۱۲۵
۸۹۵ -	سورة الأعراف(۷): آية ۲۰۳ ص : ۱۲۵
۸۹۶ -	سورة الأعراف(۷): آية ۲۰۴ ص : ۱۲۵ ···································
ለዓ۶ -	سورة الأعراف(۷): آية ۲۰۵ ص : ۱۲۶
۸۹۷-	سورة الأعراف(۷): آية ۲۰۶ ص : ۱۲۶
۸۹۷ -	سوره انفال [۸] ص : ۱۲۷
۸۹۷۰	اشاره
۸۹۷ -	دورنما و فشرده مباحث این سوره: ص : ۱۲۷
	سورة الأنفال(A): آية ١ ص : ١٣٨ ···································
ለዓለ -	اشارهاشاره
ለዓለ -	شأن نزول: ص : ۱۲۸
ለዓለ -	تفسیر: ص : ۱۲۸
۸۹۹ -	سورة الأنفال(A): آية ۲ ص : ۱۲۹ ···································
۸۹۹ -	سورة الأنفال(A): آية ٣ ص : ١٣٠ ص : ١٣٠٠
۸۹۹ -	سورة الأنفال(A): آية ۴ ص : ۱۳۰ ·
	سورة الأنفال(A): آية ۵ ص : ۱۳۱ ·································
9	سورة الأنفال(A): آية ۶ ص : ۱۳۱
	سورة الأنفال(A): آية V ص : ۱۳۲ ···································
	اشاره
	اکنون باز گردیم به تفسیر آیه: ص : ۱۳۵
۹۰۳.	سورة الأنفال(٨): آية ٨ ص : ١٣٥

9.٣	سورة الأنفال(٨): آية ٩ ص : ١٣۶
9.٣	سورة الأنفال(٨): آية ١٠ ص : ١٣۶
9.4	سورة الأنفال(٨): آية ١١ ص : ١٣۶
9.۴	سورة الأنفال(٨): آية ١٢ ص : ١٣٧
9.4	سورة الأنفال(٨): آية ١٣ ص : ١٣٨
٩٠۵	سورهٔ الأنفال(۸): آیهٔ ۱۴ ص : ۱۳۸
۹۰۵	سورهٔ الأنفال(۸): آيهٔ ۱۵ ص : ۱۳۸
۹۰۵	سورهٔ الأنفال(۸): آيهٔ ۱۶ ص : ۱۳۸
۹۰۵	سورة الأنفال(٨): آية ١٧ ص : ١٣٩
9.8	سورة الأنفال(٨): آية ١٨ ص : ١۴٠
9.8	سورة الأنفال(٨): آية ١٩ ص : ١۴٠
9·Y	سورة الأنفال(٨): آية ٢٠ ص : ١۴١
9 · Y	سورة الأنفال(٨): آية ٢١ ص : ١۴١
9·Y	سورة الأنفال(٨): آية ٢٢ ص : ١۴١
9·Y	سورة الأنفال(٨): آية ٢٣ ص : ١۴٢
٩٠٨	سورة الأنفال(٨): آية ٢۴ ص : ١۴٢
٩٠٨	سورة الأنفال(٨): آية ٢۵ ص : ١٤٣
9.9	سورة الأنفال(٨): آية ۲۶ ص : ۱۴۳
9.9	سورة الأنفال(٨): آية ٢٧ ص : ١۴۴
9.9	اشاره
9.9	شأن نزول: ص : ۱۴۴
91.	تفسیر: ص : ۱۴۵
91.	
91.	
911	
911	اشاره

911	شأن نزول: ص : ۱۴۷
917	تفسیر: ص : ۱۴۸
918	سورة الأنفال(٨): آية ٣١ ص : ١۴٩
918	سورة الأنفال(٨): آية ٣٢ ص : ١۴٩
918	سورة الأنفال(٨): آية ٣٣ ص : ١۴٩
۹۱۴	سورة الأنفال(٨): أيهٔ ٣۴ ص : ١۵٠
916	سورة الأنفال(٨): آية ٣۵ ص : ١۵١
918	سورة الأنفال(٨): آيةً ٣٣ ص : ١۵١
114	اشاره
۹۱۵	شأن نزول: ص : ۱۵۱
۹۱۵	تفسير: ص : ۱۵۱
۹۱۵	سورة الأنفال(٨): آية ٣٧ ص : ١۵٢
918	سورة الأنفال(٨): آية ٣٨ ص : ١۵٢
918	سورة الأنفال(٨): آية ٣٩ ص : ١۵٣ ·
918	سورة الأنفال(٨): آية ٤٠ ص : ١٥٣
₹۱٧	ىاز جزء دھم قرآن مجيد ص : ۱۵۴ان
۹۱۷	ادامه سوره انفال ص : ۱۵۴
917	سورة الأنفال(٨): آية ۴١ ص : ١۵۴
917	اشاره
91Y	منظور از سهم خدا چیست؟ ص : ۱۵۴
۹۱۸	سورة الأنفال(٨): آية ۴7 ص : ١۵۵
۹۱۸	سورة الأنفال(٨): آية ٤٣ ص : ١۵۶
919	سورة الأنفال(٨): آية ۴۴ ص : ۱۵۶
919	سورة الأنفال(٨): آية ۴۵ ص : ۱۵۷
919	سورة الأنفال(٨): آية ۴۶ ص : ۱۵۷
97•	سورة الأنفال (A): آية ۴۷ ص : ۱۵۸ ·

97	سورة الأنفال(٨): آية ۴۸ ص : ۱۵۸
970	اشاره
	آیا شیطان از طریق وسوسه یا از طریق تشکل ظاهر شد؟ ص : ۱۵۹
	سورة الأنفال(٨): اَيهٔ ۴۹ ص : ۱۶۰
977	سورة الأنفال(۸): اَية ۵۰ ص : ۱۶۰
977	سورة الأنفال(٨): أيهٔ ۵۱ ص : ۱۶۱
977	سورة الأنفال(٨): آية ۵۲ ص : ۱۶۱
977	سورة الأنفال(٨): آية ۵۳ ص : ۱۶۱
978	سورة الأنفال(٨): آية ۵۴ ص : ۱۶۲
97٣	سورة الأنفال(٨): أيهٔ ۵۵ ص : ١۶٢
978	سورة الأنفال(٨): آية ۵۶ ص : ۱۶۳
974	سورة الأنفال(٨): آية ۵۷ ص : ۱۶۳
	سورة الأنفال(٨): أيهٔ ۵۸ ص : ١۶٣
974	سورة الأنفال(٨): آية ۵۹ ص : ۱۶۴
	سورة الأنفال(A): آية ۶۰ ص : ۱۶۴
	سورة الأنفال(٨): أية ۶۱ ص : ۱۶۵
	سورة الأنفال(۸): آية ۶۲ ص : ۱۶۶
	سورة الأنفال(٨): آية ۶۳ ص : ۱۶۶
	سورة الأنفال(A): آية ۶۴ ص : ۱۶۷
	سورة الأنفال(۸): آية ۶۵ ص : ۱۶۷ سورة الأنفال(۸): آية ۶۶ ص : ۱۶۸
	سوره الانقال(۸): آیه ۲۶ ص : ۱۶۸
	سوره الأنفال(٨): آية ٢٠ ص : ١٦٨
	سوره الأنفال(٨): آية ٢٨ ص : ١٧٠
	سورهٔ الأنفال(۸): آية ۲۰ ص : ۱۷۰
	رر ع.ب سورة الأنفال(٨): اَية ٧١ ص : ١٧١

۹۳۰	سورة الأنفال(٨): اَية ٧٢ ص : ١٧١
981	سورة الأنفال(٨): اَية ٧٣ ص : ١٧٣
9٣١	سورة الأنفال(٨): اَية ٧۴ ص : ١٧٣
9٣١	سورة الأنفال(A): آية ٧۵ ص : ١٧۴
١٣٢	رِه توبه [۹] ص : ۱۷۵
777	اشاره
١٣٢	توجه به این نکات قبل از تفسیر سوره لازم است: ص : ۱۷۵
١٣٢	۱- نامهای این سوره: ص : ۱۷۵
١٣٢	٢- تاريخچه نزول سوره: ص : ١٧٥
\r\	٣- محتوای سوره: ص : ١٧٥
١٣٣	۴- چرا این سوره «بسم الله» ندارد؟ ص : ۱۷۶
\TT	سورة التوبة(٩): آية ١ ص : ١٧٧
**	سورة التوبة(٩): آية ٢ ص : ١٧٧
174	سورة التوبة(٩): آية ٣ ص : ١٧٧
**	سورة التوبة(٩): آية ۴ ص : ۱۷۸
۳۵	سورة التوبة(٩): آية ۵ ص : ١٧٩
۳۵	سورة التوبة(٩): آية ۶ ص : ١٧٩
۳۶	سورة التوبة(٩): آية ٧ ص : ١٨٠
۳۶	سورة التوبة(٩): آية ٨ ص : ١٨٠
188	سورة التوبة(٩): آية ٩ ص : ١٨١
1 ٣ ٧	سورة التوبهٔ(۹): آیهٔ ۱۰ ص : ۱۸۱
۲۳۶	سورة التوبهٔ(۹): آیهٔ ۱۱ ص : ۱۸۱
۹۳۷	سورهٔ التوبهٔ(۹): آیهٔ ۱۲ ص : ۱۸۲
۹۳۷	سورة التوبة(٩): آية ١٣ ص : ١٨٢
۹۳۸	سورة التوبة(٩): آية ١۴ ص : ١٨٢
۹۳۸	سورة التوبة(٩): آية ١۵ ص : ١٨٣

۹۳۸	سورة التوبة(٩): آية ١۶ ص : ١٨٣
9٣9	سورة التوبة(٩): آية ١٧ ص : ١٨۴
9٣9	سورة التوبة(٩): آية ١٨ ص : ١٨٥
9٣9	اشاره
۹۴۰	اهمیت بنای مساجد: ص : ۱۸۵
14.	سورة التوبة(٩): آيهٔ ١٩ ص : ١٨٤
Af•	اشاره
۹۴۰	شأن نزول: ص : ۱۸۶
941	تفسير: ص : ۱۸۶۱۸۶
9۴1	سورة التوبة(۹): آية ۲۰ ص : ۱۸۶
9۴1	سورة التوبة(٩): آية ٢١ ص : ١٨٧
9۴1	سورة التوبة(٩): آية ٢٢ ص : ١٨٧
987	سورة التوبة(٩): آية ٢٣ ص : ١٨٧
987	سورة التوبة(٩): آية ۲۴ ص : ۱۸۸
1 44°	سورة التوبة(٩): آية ٢۵ ص : ١٨٩
14"	سورة التوبة(۹): آية ۲۶ ص : ۱۹۰
188	سورة التوبة(۹): آية ۲۷ ص : ۱۹۱
988	اشاره
988	غزوه عبرتانگیز حنین: ص : ۱۹۱
۹۴۵	سورة التوبة(٩): آية ۲۸ ص : ۱۹۲
۹۴۵	سورة التوبة(٩): آية ٢٩ ص : ١٩٣
۹۴۵	اشاره
946	جزیه چیست؟ ص : ۱۹۴
947	سورة التوبة(٩): آية ٣٠ ص : ١٩٥
987	سورهٔ التوبهٔ(۹): آیهٔ ۳۱ ص : ۱۹۶
۹۴۸	سورة التوبة(٩): آية ٣٢ ص : ١٩٧ ···································

9 ۴ Å	مورة التوبة(٩): آية ٣٣ ص : ١٩٧
۹۴۸	اشاره
989	قرآن و قیام مهدی (عج): ص : ۱۹۸
9۴9	ص : ۱۹۸ ···· س : ۱۹۸ ···································
9۴9	اشاره
۹۵۰	جمع ثروت تا چه اندازه «کنز» محسوب میشود؟ ص : ۱۹۹
۹۵۰	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۳۵ ص : ۲۰۰
۹۵۱	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۳۶ ص : ۲۰۱
۳۵۲	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۳۷ ص : ۲۰۲
?\&Y	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۳۸ ص : ۲۰۳ ·
۹۵۲	اشاره
٠٠٠٠٠ ٢۵٩	شأن نزول: ص : ۲۰۳
٩۵٣	تفسير: ص : ۲۰۴
۹۵۳	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۳۹ ص : ۲۰۴
λδ¥	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۴۰ ص : ۲۰۵
300	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۴۱ ص : ۲۰۶
۵۵۵	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۴۲ ص : ۲۰۷
۹۵۶	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۴۳ ص : ۲۰۸
۹۵۶	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۴۴ ص : ۲۰۹۲۰۹
۹۵۲	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۴۵ ص : ۲۰۹۲۰۹
٩۵٧	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۴۶ ص : ۲۱۰
۹۵۲	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۴۷ ص : ۲۱۱
٠ ۸۵۶	ورهٔ التوبهٔ(۹): اَیهٔ ۴۸ ص : ۲۱۱
٩۵٩ ٩۵٩	ورهٔ التوبهٔ(۹): آیهٔ ۴۹ ص : ۲۱۲
۹۵۹	اشاره
٩۵٩	شأن نزول: ص : ۲۱۲

٩۵٩	تفسير: ص :
۵۰ ص : ۲۱۳۵۰	
۵۱ ص : ۲۱۴۵۱	سورة التوبة(٩): آية
۵۲ ص : ۲۱۴۵۲	سورة التوبة(٩): آية
۵۳ ص : ۲۱۵ ۵۳	سورة التوبة(٩): آية
۵۴ ص : ۲۱۵ ۲۱۵	سورة التوبة(٩): آية
۵۵ ص : ۲۱۶	سورة التوبة(٩): آية
۵۶ ص : ۲۱۶ ۲۱۶	سورة التوبة(٩): آية
۵۷ ص : ۲۱۷	سورة التوبة(٩): آية
۵۸ ص : ۲۱۷	سورة التوبة(٩): آية
967	اشاره
ص : ۲۱۷	شأن نزول: ص
958	تفسير: ص :
۵۹ ص : ۲۱۸	سورة التوبة(٩): آية
۶۰ ص : ۲۱۸	سورة التوبة(٩): آية
٩۶٣	اشاره
٩۶۴ ٢١٩ :	نكتهها: ص :
ن «فقیر» و «مسکین»: ص : ۲۱۹	۱– فرق میا،
رکات به هشت قسمت مساوی: ص : ۲۱۹	۲– تقسیم ز
گات در اسلام: ص : ۲۲۰	۳- نقش زک
۶۱ ص: ۲۲۰	سورة التوبة(٩): أية
٩۶۵	اشاره
س : ۲۲۰ ۹۶۵	شأن نزول: <i>م</i>
955	تفسير: ص :
۶۲ ص : ۲۲۲	سورة التوبة(٩): آية
9.66	1.41

9 <i>۶۶</i>	شأن نزول: ص : ۲۲۲
987	تفسير: ص : ۲۲۲
987	سورة التوبة(٩): آية ۶۳ ص : ۲۲۳
987	سورة التوبة(٩): آية ۶۴ ص : ٢٢٣
987	اشاره
٩ <i>۶</i> ٨	شأن نزول: ص : ٢٢٣
٩ <i>۶</i> ٨	تفسير: ص : ٢٢٣
٩ <i>۶</i> ٨	سورة التوبهٔ(۹): آيهٔ ۶۵ ص : ۲۲۳
٩ <i>۶</i> ٨	سورة التوبة(٩): آية ۶۶ ص : ۲۲۴
989	سورة التوبة(٩): آية ۶۷ ص : ۲۲۴
989	سورة التوبة(٩): آية ۶۸ ص : ۲۲۶
97.	سورة التوبة(٩): آية ۶۹ ص : ۲۲۶
۹٧٠	سورة التوبهٔ(۹): آيهٔ ۷۰ ص : ۲۲۷
971	سورة التوبة(٩): آية ٧١ ص : ٢٢٧
971	سورة التوبة(٩): آية ٧٢ ص : ٢٢٨
977	سورة التوبة(٩): آية ٧٣ ص : ٢٢٩
977	سورة التوبة(٩): آية ٧۴ ص : ٢٣٠
977	اشارها
977	شأن نزول: ص : ۲۳۰
974	تفسير: ص : ٢٣٠
٩٧٣	سورة التوبة(٩): آية ٧۵ ص : ٢٣١
974	اشارها
974	شأن نزول: ص : ۲۳۱
974	تفسير: ص : ۲۳۲
974	سورة التوبة(٩): آية ٧۶ ص : ٢٣٢
۹۷۵	سورة التوبة(٩): آية ٧٧ ص : ٢٣٢

سورة التوبة(٩): أية ٧٨ ص : ٢٣٢
سورة التوبة(٩): آية ٧٩ ص : ٢٣٣
اشاره ۱۷۵
شأن نزول: ص : ۲۳۳
تفسير: ص : ٢٣٣
سورة التوبة(٩): آية ٨٠ ص : ٢٣۴
اشاره
اهمیت به کیفیت کار است نه کمیت: ص : ۲۳۴
سورة التوبة(٩): آية ٨١ ص : ٣٣۵
سورة التوبة(٩): آية ٨٢ ص : ٣٣٥
سورة التوبة(٩): آية ٨٣ ص : ٢٣۶
سورة التوبة(٩): آية ٨۴ ص : ٣٣٧
سورة التوبة(٩): آية ۸۵ ص : ٢٣٧
سورة التوبة(٩): آية ۸۶ ص : ۲۳۸
سورهٔ التوبهٔ(۹): آیهٔ ۸۷ ص : ۲۳۸
سورة التوبة(٩): آية ٨٨ ص : ٢٣٩
سورة التوبة(٩): آية ٨٩ ص : ٢٣٩
سورة التوبة(٩): آية ٩٠ ص : ٢٣٩
سورة التوبة(٩): آية ٩١ ص : ٢٤٠
اشارهاشاره على المناطقة المناطقة المناطقة المناطقة المنطقة المناطقة
شأن نزول: ص : ۲۴۰
تفسير: ص : ۲۴۰
سورة التوبة(٩): آية ٩٢ ص : ٢۴١
اشاره اشاره
شأن نزول: ص : ۲۴۱
تفسير: ص : ۲۴۱ تفسير: ص : ۲۴۱

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	سورهٔ التوبهٔ(۹): أيهٔ ۹۳ ص : ۲۴۱
۳۸۸۶	آغاز جزء یازدهم قرآن مجید ص : ۲۴۲
٩٨٢	ادامه سوره توبه ص : ۲۴۲
۳۸۲	سورة التوبة(٩): آية ٩۴ ص : ۲۴۲
ጓለ۳	اشاره
۳۸۶	شأن نزول: ص : ۲۴۲
۳۸۶	تفسير: ص : ۲۴۲
۹۸۳	سورة التوبة(٩): اَية ٩۵ ص : ٣۴٣
9.4.4	سورة التوبة(٩): اَية ٩۶ ص : ٢۴٣
9.4.۴	سورة التوبة(٩): آية ٩٧ ص : ٢۴۴
۵۸۶۵۸۶	سورة التوبة(٩): آية ٩٨ ص : ٢۴۴
۵۸۶۵۸۶	سورة التوبة(٩): آية ٩٩ ص : ٢۴۵
۵۸۶۵۸۶	سورة التوبة(٩): آية ١٠٠ ص : ۲۴۶
۹۸۶	سورة التوبة(٩): آية ١٠١ ص : ٢۴٧
9AY	سورة التوبة(٩): آية ١٠٢ ص : ٢۴٨
9AY	اشارها
YAY	شأن نزول: ص : ۲۴۸
9AY	تفسیر: ص : ۲۴۸
AAA AAA	سورة التوبة(٩): آية ١٠٣ ص : ٢۴٩
۸۸۶ ۸۸۶	سورة التوبة(٩): آية ٢٠٠ ص : ٢۵٠
۹۸۹	سورة التوبة(٩): آية ١٠۵ ص : ٢۵٠
۹۸۹	اشارها
۰,۰۰۰	مسأله عرض اعمال: ص : ۲۵۱
99•	سورة التوبة(٩): آية ١٠۶ ص : ٢۵١
99•	اشارها

99.	تفسیر: ص : ۲۵۱
99.	
99.	اشاره
99	شأن نزول: ص : ۲۵۲
991	تفسیر: ص : ۲۵۲
991	سورهٔ التوبهٔ(۹): آیهٔ ۱۰۸ ص : ۲۵۳
997	سورهٔ التوبهٔ(۹): آیهٔ ۱۰۹ ص : ۲۵۴
997	سورهٔ التوبهٔ(۹): آیهٔ ۱۱۰ ص : ۲۵۴
998	سورة التوبة(٩): آية ١١١ ص : ٢٥٥
998	سورة التوبة(٩): آية ١١٢ ص : ٢۵۶
998	سورة التوبة(٩): آية ١١٣ ص : ٢٥٧
998	اشاره
998	شأن نزول: ص : ۲۵۷
998	تفسیر: ص : ۲۵۷
998	سورة التوبة(٩): آية ١١۴ ص : ٢٥٧
990	اشاره
۹۹۵	هر گونه پیوندی با دشمنان باید قطع شود: ص : ۲۵۸
۹۹۵	سورة التوبة(٩): آية ١١٥ ص : ٢٥٨
۹۹۵	اشاره
۹۹۵ ۵۶۶	شأن نزول: ص : ۲۵۸
٩٩۵	تفسیر: ص : ۲۵۸
998	سورة التوبة(٩): آية ١١۶ ص : ٢۵٩
998	سورة التوبة(٩): آية ١١٧ ص : ٢٥٩
999	اشاره
998	شأن نزول: ص : ۲۵۹
	W.A

99Y	سورة التوبة(٩): آية ١١٨ ص : ٢۶٠
99Y	اشاره
99V	شأن نزول: ص : ۲۶۰
997	تفسیر: ص : ۲۶۰
99A	سورهٔ التوبهٔ(۹): آیهٔ ۱۱۹ ص : ۲۶۱
99A	سورهٔ التوبهٔ(۹): آیهٔ ۱۲۰ ص : ۲۶۱
999	سورهٔ التوبهٔ(۹): آیهٔ ۱۲۱ ص : ۲۶۲
999	سورة التوبة(٩): آية ١٢٢ ص : ٢۶٣
999	اشاره
999	شأن نزول: ص : ۲۶۳
999	تفسیر: ص : ۲۶۳
1	سورة التوبة(٩): آية ١٢٣ ص : ٢۶۴
1	سورهٔ التوبهٔ(۹): آیهٔ ۱۲۴ ص : ۲۶۵
1	سورة التوبة(٩): آية ١٢۵ ص : ٢۶٥
1	سورة التوبة(٩): آية ١٢۶ ص : ٢۶۶
1	سورة التوبة(٩): آية ١٢٧ ص : ٢۶۶
1	سورة التوبة(٩): آية ١٢٨ ص : ٢۶٧
1	سورة التوبة(٩): آية ١٢٩ ص : ٢۶٨
1	سوره یونس [۱۰] ص : ۲۶۹
1	اشاره
1	محتوا و فضیلت این سوره: ص : ۲۶۹
1	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱ ص : ۲۷۰
1۴	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲ ص : ۲۷۰
١٠٠٥	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳ ص : ۲۷۱
١٠٠٥	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۴ ص : ۲۷۲
١٠٠٥	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵ ص : ۲۷۲

19	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۶ ص : ۲۷۳
18	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۷ ص : ۲۷۴
1 • • Y	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸ ص : ۲۷۴ ·
1 · · · Y	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹ ص : ۲۷۴
1 · · Y	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰ ص : ۲۷۵
1 · · Y	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۱ ص : ۲۷۵
1 · · Λ	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۲ ص : ۲۷۶
۱۰۰۸	
1 · · · 9	
1 · · · 9	
1 • • 9	
1 · · 9	
1 • • 9	
1.1.	
1.1.	
1.1.	
1.11	
1.11	
1.14	
1.17	
1.14	
1.14	
1.14	
1.14	
1.14	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲۷ ص : ۲۸۵
١٠١٥	

1.1Δ	- ۲۸۶	ص :	۲9 á	(۱۰):أ ي	سورة يونس	ىد
١٠١٥	YAS	. ص :	٣· á	(۱۰):آی	ىورة يونس	ىد
1.18	Y	. ص :	هٔ ۳۱	(۱۰):آی	ىورة يونس	ىد
1 · 1 Y	۲۸۸	. ص :	٣٢ å	(۱۰):آی	ىورة يونس	ىد
1 · 1 Y	۲۸۸	ص :	۳ ۳ á	(۱۰):آی	سورة يونس	ىد
1 • 1Y	۲۸۹	ص :	۳ ۴ á	(۱۰):آی	سورة يونس	ىد
1 · 1Y		ص :	٣۵ ā	(۱۰):آی	سورة يونس	ىد
١٠١٨	۲۸۹	. ص :	٣۶ á	(۱۰):آی	سورة يونس	ىد
١٠١٨	۲ ۹۰	ص :	۳۷ å	(۱۰):آی	سورة يونس	ىد
١٠١٩	Y9·	ص :	٣ ٨ å	(۱۰):آی	سورة يونس	ىد
1.19	۲۹۱	ص :	٣٩ å	(۱۰):آی	سورة يونس	ىد
1.7.						
1.7.						
1.4.						
1.7.						
1.41						
1.71						
1.41						
1.41						
1.44						
1.77						
1.44						
1.77						
1.74						
1.74						
1 • 7 ٣	۲۹۷	. ص :	هٔ ۵۴	(۱۰):آیا	ىورة يونس	ىد

1.74	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۵ ص : ۲۹۷ -
1.74	سورهٔ يونس(۱۰):آيهٔ ۵۶ ص : ۲۹۸
1.74	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۷ ص : ۲۹۸
۱۰۲۵	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۸ ص : ۲۹۹
۱۰۲۵	
۱۰۲۵	
1.79	
1.79	
1.47	
1.47	
1.47	
1.44	
1.7%	
١٠٢٨	
١٠٢٨	
1.79	
1.79	
1.4.	
1.7.	
1.7.	
1.71	
1.41	
1.71	
1.٣1	
1.47	

1.44	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۱ ص : ۳۰۸
1.77	سورهٔ یونس(۱۰):اَ یهٔ ۸۲ ص : ۳۰۸
1.47	
1. TT	
1. TT	
1.44	
1.44	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۷ ص : ۳۱۰
1.74	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۸ ص : ۳۱۰
1.74	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۹ ص : ۳۱۱
1.74	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۰ ص : ۳۱۱
۱۰۳۵	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۱ ص : ۳۱۲
۱۰۳۵	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۲ ص : ۳۱۲
۱۰۳۵	
١٠٣۶	
1.48	
1.48	
1 • ٣۶	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۷ ص : ۳۱۴
1·TY	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۸ ص : ۳۱۴
1.47	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۹ ص : ۳۱۶
١٠٣٨	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۰ ص : ۳۱۶
1·٣λ	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۱ ص : ۳۱۶
۱۰۳۸	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۲ ص : ۳۱۷
1.49	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۳ ص : ۳۱۷
١٠٣٩	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۴ ص : ۳۱۸·
١٠٣٩	
1.4.	
1 · 1 · ===============================	سوره يونس(١٠):ايه ١٠/ ص ١١١:

1.4.	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۷ ص : ۳۱۹
1.4.	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۸ ص : ۳۱۹
1.41	سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۹ ص : ۳۲۰
1.41	سوره هود [۱۱] ص : ۳۲۱
1.41	اشاره
1.41	محتوای سوره: ص : ۳۲۱
1.41	این سوره مرا پیر کرد ص : ۳۲۱
1.47	تأثیر معنوی این سوره: ص : ۳۲۲
1.47	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱ ص : ۳۲۲
1.47	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲ ص : ۳۲۳
1.47	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳ ص : ۳۲۳
1.47	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴ ص : ۳۲۴
1.45	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵ ص : ۳۲۴ ···········
1.44	آغاز جزء دوازدهم قرآن مجید ص : ۳۲۵
1.44	
1.44	
1.44	
1.44	
۱۰۴۵	
1.49	
1.46	
1.46	
1.47	
1.47	
1.47	·
1.47	شأن نزول: ص : ٣٢٩

1.4%	تفسیر: ص : ۳۳۰
١٠۴٨	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۳ ص : ۳۳۰
١٠۴٨	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۴ ص : ۳۳۱
1.49	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۵ ص : ۳۳۱
1.49	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۶ ص : ۳۳۲
1.49	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۷ ص : ۳۳۲
1.0.	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۸ ص : ۳۳۳
1.01	
1.01	
۱۰۵۱	
١٠۵٢	
۱۰۵۲	
١٠۵٢	
1 • 67	
١٠۵٣	
1.04	
1.04	
1.04	
1.04	
۱۰۵۵	
۱۰۵۵	
١٠۵۶	
١٠۵۶	
١٠۵۶	
۱۰۵۶	

1 · ΔY	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۸ ص : ۳۴۲
۱۰۵۷	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۹ ص : ۳۴۳
١٠۵٨	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۰ ص : ۳۴۳
۱۰۵۸	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۱ ص : ۳۴۴
۱۰۵۹	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۲ ص : ۳۴۴
۱۰۵۹	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۳ ص : ۳۴۵
۱۰۵۹	اشاره
1.5.	درسهای تربیتی در طوفان نوح: ص : ۳۴۶
1.8.	
1.8.	
1.5.	
1.8.	
1.81	
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۴ ص : ۳۴۷
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۵ ص : ۳۴۸
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۶ ص : ۳۴۹
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۷ ص : ۳۴۹
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۸ ص : ۳۵۰
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۹ ص : ۳۵۰
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۰ ص : ۳۵۱
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۱ ص : ۳۵۱
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۲ ص : ۳۵۲
1.94	
1.94	
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۳ ص : ۳۵۳
1.70	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۴ ص : ۳۵۳

١٠۶۵	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۵ ص : ۳۵۳
1 • 99	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۶ ص : ۳۵۴
1 · 99	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۷ ص : ۳۵۴
1 • 99	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۸ ص : ۳۵۵
1 · 9Y	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۹ ص : ۳۵۵
) • \$Y	
)·9Y	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۶۱ ص : ۳۵۶
۱۰۶۸	
۱۰۶۸	
1.59	
1.59	
1.59	
1 • ۶۹	
١٠٧٠	
١٠٧٠	
\·Y·	
١٠٧٠	
١٠٢١	
1.41	
۱۰۷۲	
1.41	
١٠٧٢	
١٠٧٣	
١٠٧٣	
١٠٧٣	
· · · ·	سوره هودر ۱۲۰ یا ۲۰۰ کی ۲۰۰

1.74	سورهٔ هود(۱۱):اَ یهٔ ۷۹ ص : ۳۶۵
1.74	سورة هود(۱۱):آیهٔ ۸۰ ص : ۳۶۵
1.74	سورة هود(۱۱):اَیهٔ ۸۱ ص : ۳۶۵
۱۰۷۵	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸۲ ص : ۳۶۶
۱۰۷۵	سورهٔ هود(۱۱):اَیهٔ ۸۳ ص : ۳۶۷
1 • ٧۶	سورة هود(۱۱):اً یهٔ ۸۴ ص : ۳۶۷
۱۰۷۶	سورة هود(۱۱):آیهٔ ۸۵ ص : ۳۶۸
	سورة هود(۱۱):آیهٔ ۸۶ ص : ۳۶۹
	سورهٔ هود(۱۱):اَ یهٔ ۸۷ ص : ۳۷۰
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸۸ ص : ۳۷۰
	سورهٔ هود(۱۱):اَیهٔ ۸۹ ص : ۳۷۱
	سورهٔ هود(۱۱):اَیهٔ ۹۰ ص : ۳۷۲
	سورهٔ هود(۱۱):اَیهٔ ۹۱ ص : ۳۷۲
	سورهٔ هود(۱۱):اَیهٔ ۹۲ ص : ۳۷۳
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۳ ص : ۳۷۳
	سورهٔ هود(۱۱):اَیهٔ ۹۴ ص : ۳۷۴
	سورة هود(۱۱):آیهٔ ۹۵ ص : ۳۷۴
	سورة هود(۱۱):آیهٔ ۹۶ ص : ۳۷۴
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۷ ص : ۳۷۵
	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۸ ص : ۳۷۵
	سوره هود(۱۱):ایه ۱۲ ص : ۱۷۶
	سوره هود(۱۱):ایه ۱۰۰ ص : ۱۷۶
	سوره هود(۱۱):ایه ۱۰۱ ص : ۱۷۶
	سوره هود(۱۱):ایه ۱۰۱ ص : ۱۷۶
	سوره هود(۱۱):ایه ۱۰۱ ص : ۱۷۷
	سوره هودر۱۱).اید ۱ ۱ ۱ ۱ س ص ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱ ۱

١٠٨٣	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۵ ص : ۳۷۷
١٠٨٣	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۶ ص : ۳۷۸
١٠٨۴	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۷ ص : ۳۷۸
١٠٨۴	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۸ ص : ۳۷۸
1.74	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
1.74	اسباب سعادت و شقاوت ص : ۳۷۹
۱۰۸۵	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۹ ص : ۳۸۰
۱۰۸۵	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۱۰ ص : ۳۸۱
١٠٨۶	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۱۱ ص : ۳۸۲
١٠٨۶	
١٠٨۶	
1 · AY	
1. γ	
۱۰۸۷	
١٠λλ	
١٠٨٨	
۱۰۸۸	
١٠٨٨	
١٠٨٩	
١٠٨٩	
1.9.	
1.9.	
1.9.	
1.91	
1.41	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۲۱ ص : ۳۸۹
1.91	

1.97	سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۲۳ ص : ۳۸۹
1 • 9 ٢	سوره يوسف [۱۲] ص : ۳۹۱
1 • 9 ٢	اشاره
1 • 9 ٢	محتوای سوره: ص : ۳۹۱
1 • 9 ٢	اشاره
1 • 98	۱- تمام آیات این سوره جز چند آیه که در آخر آن آمده سرگذشت جالب و شیرین و عبرت انگیز پیامبر خدا یوسف (ع) را بیان میکند ص : ۳۹۱
۱۰۹۳	۲- دقت در آیات این سوره این واقعیت را برای انسان روشنتر میسازد که قرآن در تمام ابعادش معجزه است ص : ۳۹۲
۱۰۹۳	٣- داستان يوسف قبل از اسلام و بعد از آن ص : ٣٩٢
1.94	۴- چرا بر خلاف سرگذشتهای سایر انبیاء داستان یوسف یک جا بیان شده است؟ ص : ۳۹۳
1.94	۵- فضیلت سوره یوسف ص : ۳۹۳
1.94	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱ ص : ۳۹۴
۱۰۹۵	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۲ ص : ۳۹۴
۱۰۹۵	سورة يوسف(١٢): آية ٣ ص : ٣٩۴
۱۰۹۵	اشاره
۱۰۹۵	نقش داستان در زندگی انسانها– ص : ۳۹۵
1.98.	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۴ ص : ۳۹۶
1.98	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۵ ص : ۳۹۷
1 • 9 ٧	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۶ ص : ۳۹۷
1 • 9 ٧	اشاره
1 • 9 ٧	رؤیا و خواب دیدن ص : ۳۹۸
۸۴۰۱	سورة يوسف(١٢): آية ٧ ص : ٣٩٨
۱۰۹۸	سورة يوسف(١٢): آية ٨ ص : ٣٩٩
1 • 9 9	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۹ ص : ۴۰۰
1 • 9 9	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۰ ص : ۴۰۰
1 • 9 9	اشارها
1 • 9 9	نقش ویرانگر حسد در زندگی انسانها ص : ۴۰۰

11	ص : ۴۰۱	سورة يوسف(١٢): آية ١١ .
11	ص : ۴۰۲	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۱۲ .
11.1	ص : ۴۰۲	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۱۳ .
11.1	ص : ۴۰۲	سورهٔ يوسف(۱۲): آيهٔ ۱۴ .
11.1	ص : ۴۰۳	سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ١۵ .
11.7	ص : ۴۰۴	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۶ .
11.7	ص : ۴۰۵	سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ١٧ .
11.7	ص : ۴۰۵	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۸ .
11.7		
11.7		
11.7	ـ اولی! ص : ۴۰۶	۱- در برابر یک ترک
11.4	ىف! ص : ۴۰۸	۲- دعای گیرای یو،
11.0	ص : ۴۰۸	سورهٔ يوسف(۱۲): آيهٔ ۱۹ .
11.0	ص : ۴۰۹	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۲۰ .
11.0	ص : ۴۰۹	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۲۱ .
11.9		
11.9		
11.Y	ص : ۴۱۲	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۲۴ .
11·V		
11·A		
11·A		
11.9		
11.9		
11.9		
111.	_	
111.		اشاره

111.	حمایت خدا در لحظات بحرانی ص : ۴۱۶
111.	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۳۰ ص : ۴۱۶
1111	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۳۱ ص : ۴۱۷
1111	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۳۲ ص : ۴۱۸
1117	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۳۳ ص : ۴۱۸
1117	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۳۴ ص : ۴۱۹
1118	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۳۵ ص : ۴۲۰
1118	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۳۶ ص : ۴۲۰
111#	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۳۷ ص : ۴۲۱
1114	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۳۸ ص : ۴۲۲
1114	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۳۹ ص : ۴۲۲
1114	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۴۰ ص : ۴۲۲
1110	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۴۱ ص : ۴۲۳
1110	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۴۲ ص : ۴۲۳
1118	
1118	
1118	
111Y	
111Y	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
\\\\	
1114	
1119	
1119	
1119	ادامه سوره يوسف ص : ۴۲۸

1119	۴ ۲۸ :	ا ص): آيهٔ ۵۳	ىورة يوسف(١٢	ىد
1119	479 :	، ص): آيهٔ ۵۴	ىورة يوسف(١٢	ىد
117.	- 479 :	، ص): آيهٔ ۵۵	ىورة يوسف(١٢	ىد
117.	44.	ص :): آيهٔ ۵۶	مورهٔ یوسف(۱۲	ىد
117	- 44.	ا ص): آيهٔ ۵۷	ىورة يوسف(١٢	ىد
1171	44.	، ص): آيهٔ ۵۸	ىورة يوسف(١٢	ىد
1171	۴۳۲ :	، ص): آيهٔ ۹۹	ىورة يوسف(١٢	ىد
1177					
1177					
1177					ىد
1177					
رد؟ ص : ۴۳۳ ۴۳۳					
1177					
1177					
1177					
1174					
1174					
۱۱۲۵					
۱۱۲۵					
۱۱۲۵					
1179					
1179					
1179					
1179					
1178					
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	- ۴ ٣٨ :	ٔ ص :): ایهٔ ۷۶	ىورة يوسف(١٢	ىد

\\YY	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۷ ص : ۴۴۰
117λ	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۸ ص : ۴۴۰
١١٢٨	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۹ ص : ۴۴۱
)	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۰ ص : ۴۴۱
11179	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۸۱ ص : ۴۴۲
1179	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۲ ص : ۴۴۲
)\\\\	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۳ ص : ۴۴۳
)\\\.	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۴ ص : ۴۴۳
11	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۵ ص : ۴۴۴
1171	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۶ ص : ۴۴۴
11171	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۷ ص : ۴۴۴
11171	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۸ ص : ۴۴۵
1187	
1187	
1188	
1188	
1177	
1174	
1174	
1174	
۱۱۳۵	
۱۱۳۵	
1180	
۱۱۳۵	
1180	
1189	سورهٔ یوسف(۱۲): ایهٔ ۱۰۰ ص : ۲۵۲

	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۱۰۱ ص : ۴۵۳
1177	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۱۰۲ ص : ۴۵۳
1 1 TY	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۱۰۳ ص : ۴۵۴
۱۱۳۸	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۱۰۴ ص : ۴۵۴
۱۱۳۸	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۱۰۵ ص : ۴۵۴
۱۱۳۸	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۱۰۶ ص : ۴۵۴
۱۱۳۸	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۰۷ ص : ۴۵۵
1179	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۰۸ ص : ۴۵۵
1179	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۱۰۹ ص : ۴۵۶
114	سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۱۰ ص : ۴۵۷
114	سورهٔ یوسف(۱۲): اَیهٔ ۱۱۱ ص : ۴۵۷
1141	سوره رعد [۱۳] ص : ۴۵۹
	اشارها
1141	محتوای سوره رعد: ص : ۴۵۹
	سورة الرعد(١٣): آية ١ ص : ۴۶٠
1147	سورة الرعد(۱۳): آیهٔ ۲ ص : ۴۶۰
1147	سورة الرعد(۱۳): آية ۲ ص : ۴۶۰
1147 1147	سورة الرعد(۱۳): آية ۲ ص : ۴۶۰
1147 1147 1147	سورة الرعد(۱۳): آية ۲ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۳ ص : ۴۶۱ سورة الرعد(۱۳): آية ۴ ص : ۴۶۳ سورة الرعد(۱۳): آية ۵ ص : ۴۶۴
11147 11147 11144	سورة الرعد(۱۳): آية ۲ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۳ ص : ۴۶۱ سورة الرعد(۱۳): آية ۴ ص : ۴۶۳ سورة الرعد(۱۳): آية ۵ ص : ۴۶۴
11147 11147 11144	سورة الرعد(۱۳): آية ۲ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۳ ص : ۴۶۳ سورة الرعد(۱۳): آية ۴ ص : ۴۶۳ سورة الرعد(۱۳): آية ۵ ص : ۴۶۴ سورة الرعد(۱۳): آية ۶ ص : ۴۶۴ سورة الرعد(۱۳): آية ۶ ص : ۴۶۴
11147 11147 11144	سورة الرعد(۱۳): آية ۲ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۴ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۴ ص : ۴۶۳ سورة الرعد(۱۳): آية ۵ ص : ۴۶۴ سورة الرعد(۱۳): آية ۶ ص : ۴۶۴ سورة الرعد(۱۳): آية ۶ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۷ ص : ۴۶۰
11147 11147 11147 11144 11140	سورة الرعد(١٣): آية ٢ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٣ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٦ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٥ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٥ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٥ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٨ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٨ ص : ٠٤٠٠ سورة الرعد(١٣): آية ٨ ص : ٠٤٠٠
11147 11147 11147 11140 11140	سورة الرعد(۱۳): آية ۲ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۳ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۵ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۵ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۷ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۷ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۸ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۸ ص : ۴۶۰ سورة الرعد(۱۳): آية ۹ ص : ۴۶۰
11147 11147 11147 11140 11140 11140	سورة الرعد(١٣): آية ٢ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٣ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٦ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٥ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٥ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٥ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٨ ص : ٠٤٠ سورة الرعد(١٣): آية ٨ ص : ٠٤٠٠ سورة الرعد(١٣): آية ٨ ص : ٠٤٠٠

1147	همیشه تغییرات از خود ما است! ص : ۴۶۸
1147	سورة الرعد(١٣): آية ١٢ ص : ۴۶۸
1144	سورة الرعد(١٣): أية ١٣ ص : ۴۶٩
1147	سورة الرعد(١٣): آية ١۴ ص : ۴۶٩
	سورة الرعد(١٣): أيهٔ ١۵ ص : ۴۷٠
	اشاره ٠٠
	منظور از سجده موجودات چیست؟ ص : ۴۷۰
	سورة الرعد(۱۳): آیهٔ ۱۶ ص : ۴۷۱
	سورهٔ الرعد(۱۳): آیهٔ ۱۷ ص : ۴۷۲
	اشاره
	مثال، مسائل را همگانی میسازد ص : ۴۷۳
	سورهٔ الرعد(۱۳): آیهٔ ۱۸ ص : ۴۷۴
	سورة الرعد(١٣): آية ٢٠ ص : ۴۷۵
	سورة الرعد(١٣): آية ٢١ ص : ۴۷۵
	سورة الرعد(١٣): آية ٢٢ ص : ۴۷۶
1104	سورة الرعد(١٣): أية ٢٣ ص : ۴۷۷
1104	سورة الرعد(١٣): آية ٢۴ ص : ۴۷۷
1104	سورة الرعد(١٣): أية ٢۵ ص : ۴۷۸
1164	سورة الرعد(١٣): آية ۲۶ ص : ۴۷۸
1100	سورة الرعد(١٣): آية ٢٧ ص : ۴۷٩
1100	سورة الرعد(١٣): أية ٢٨ ص : ٤٧٩
۱۱۵۵	سورة الرعد(١٣): آية ٢٩ ص : ۴٧٩
1100	اشارها
	ذکر خدا چیست و چگونه است؟ ص : ۴۸۰
1108	سورهٔ الرعد(۱۳): آیهٔ ۳۰ ص : ۴۸۰

1108	اشارهالشاره
1108	شأن نزول: ص : ۴۸۰
۱۱۵۶	تفسير: ص : ۴۸۰
۱۱۵۷	سورة الرعد(١٣): آية ٣١ ص : ۴۸۱
۱۱۵۲	اشاره ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
۱۱۵۷	شأن نزول: ص : ۴۸۱
۱۱۵۲	تفسیر: ص : ۴۸۱
۱۱۵۸	سورة الرعد(١٣): أية ٣٢ ص : ۴۸۲
۱۱۵۸	سورة الرعد(١٣): آية ٣٣ ص : ۴۸٣
۱۱۵۹	سورة الرعد(١٣): آية ٣۴ ص : ۴۸۴
۱۱۵۹	سورة الرعد(١٣): آية ٣۵ ص : ۴۸۵
118.	سورة الرعد(١٣): أية ٣۶ ص : ۴۸۵
1181	سورة الرعد(١٣): أية ٣٧ ص : ۴۸۶
1181	سورة الرعد(١٣): آية ٣٨ ص : ۴۸٧
1187	سورة الرعد(١٣): آية ٣٩ ص : ۴۸۸
1187	سورة الرعد(۱۳): آية ۴۰ ص : ۴۸۸
1157	اشارها
1188	لوح محو و اثبات و امّ الکتاب ص : ۴۸۸
1154	سورة الرعد(١٣): آية ٢١ ص : ۴۸٩
1154	سورة الرعد(١٣): آية ٤٢ ص : ۴۸٩
1188	سورة الرعد(١٣): أية ٤٣ ص : ٤٩٠
1184	سوره ابراهيم [۱۴] ص : ۴۹۱
1184	اشاره
1154	فضیلت تلاوت این سوره: ص : ۴۹۱
1154	سورة ابراهيم(۱۴): آيهٔ ۱ ص : ۴۹۱
۱۱۶۵	سورة ابراهيم(۱۴): آية ۲ ص : ۴۹۲

1190	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳ ص : ۴۹۳
1199	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۴ ص : ۴۹۳
1189	سورهٔابراهیم(۱۴): آیهٔ ۵ ص : ۴۹۵
\ \ PY	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۶ ص : ۴۹۵
\ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۷ ص : ۴۹۶
N19Α	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۸ ص : ۴۹۷
11 <i>5</i> Å	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۹ ص : ۴۹۷
1189	
1189	
\\Y•	
)) Y ·	
11Y1	
1171	
11Y1	
11Y1	
\\YY	
1177	
1174	
1174	
1174	
1174	
۱۱۲۵	
۱۱۲۵	
) 1 Y &	
1179	
• • • •	سوره ابراهیم ۱۱۱ اید ۱۱۱ سد کی ۲۰۰۰ س

1178	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۲۹ ص : ۵۰۹
1179	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۰ ص : ۵۰۹
)) YY	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۱ ص : ۵۰۹
)) YY	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۲ ص : ۵۱۰
11YA	سورة ابراهيم(۱۴): آيهٔ ۳۳ ص : ۵۱۱
11YA	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۴ ص : ۵۱۱
11YA	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۵ ص : ۵۱۲
1 1 V 9	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۶ ص : ۵۱۲
1179	سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۷ ص : ۵۱۳
1179	
114.	
114.	
11%.	
11%.	
11.61	
11.81	
11.61	
1187	
1187	
1187	
\\X\mathref{\text{\text{N}}}	
\\\T	
\\\T	
١١٨٣	
111.4.4	
1118	آغاز و ختم سوره ابراهیم ص : ۵۱۹

\\A f	آغاز جزء چهاردهم قرآن مجید ص : ۵۲۱
11AF	سوره حجر [۱۵] ص : ۵۲۱
\\A\$	اشاره
1140	محتوای سوره: ص : ۵۲۱
۱۱۸۵	سورة الحجر(١۵): أية ١ ص : ٥٢١
۱۱۸۵	سورة الحجر(١۵): آية ٢ ص : ٥٢٢
۱۱۸۵	سورة الحجر(۱۵): آية ٣ ص : ۵۲۲
\\A\$	سورة الحجر(١۵): أية ۴ ص : ۵۲۲
\\A\$	سورة الحجر(۱۵): أيةً ۵ ص : ۵۲۳
\\A\$	سورة الحجر(۱۵): أيةً ۶ ص : ۵۲۳
)) AY	سورة الحجر(۱۵): أية ۷ ص : ۵۲۳ · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
\\AY	سورة الحجر(١٥): أيهٔ ٨ ص : ٥٢۴
11AY	سورة الحجر(۱۵): أية ٩ ص : ۵۲۴
11AY	سورة الحجر(۱۵): أيهٔ ۱۰ ص : ۵۲۴
11AA	سورة الحجر(۱۵): أيهٔ ۱۱ ص : ۵۲۵
NAA	سورة الحجر(١۵): أيهٔ ١٢ ص : ٥٢۵
NAA	سورة الحجر(١۵): أيهٔ ١٣ ص : ٥٢۵
NAA	سورة الحجر(۱۵): أيهٔ ۱۴ ص : ۵۲۵
NAA	سورة الحجر(١۵): آية ١۵ ص : ۵۲۶
ΡΑΙΙ	سورة الحجر(١۵): آية ١۶ ص : ۵۲۶
ΝΑ9 ΡΑΙΙ	سورة الحجر(۱۵): آية ۱۷ ص : ۵۲۶
ΡΑΙΙ	سورة الحجر(۱۵): آية ۱۸ ص : ۵۲۷
111.9	سورة الحجر(۱۵): أية ۱۹ ص : ۵۲۷
119.	سورة الحجر(۱۵): آية ۲۰ ص : ۵۲۸ ·······················
119.	سورة الحجر(١۵): أيهٔ ٢١ ص : ٥٢٨
1191	سه, ة الحجر (۱۵): أبهٔ ۲۲ ص : ۵۲۸ ···················

1191	سورة الحجر(١۵): آية ٢٣ ص : ٥٢٩
1191	سورة الحجر(١٥): آية ٢۴ ص : ٥٢٩
1191	سورة الحجر (١٥): آية ٢٥ ص : ٥٣٠
1197	سورة الحجر (١٥): آية ٢۶ ص : ٥٣٠
1197	سورة الحجر(١٥): آية ٢٧ ص : ٥٣٠
1197	سورة الحجر(١٥): آية ٢٨ ص : ٥٣٠
)	سورة الحجر(١۵): آية ٢٩ ص : ٥٣١
)	سورة الحجر(۱۵): آية ۳۰ ص : ۵۳۱
)	سورة الحجر(۱۵): آية ٣١ ص : ۵۳۱
1197	سورة الحجر(١٥): آية ٣٢ ص : ٥٣١
1197	سورة الحجر (۱۵): آية ٣٣ ص : ۵۳۱
7)197	
7)197	
119٣	
1194	
1194	
1198	
)	
1196	
)	
119۵	
1190	
119۵	
1190	
1198	
1198	سورة الحجر(١٥): اية ٤٨ ص : ٥٣٢

1198	سورة الحجر(١٥): آية ٤٩ ص : ٥٣٥
1198	سورة الحجر(١۵): أية ٥٠ ص : ٥٣۵
)	سورة الحجر(١۵): آية ۵۱ ص : ۵۳۵
)) 9Y	سورة الحجر(١۵): آية ۵۲ ص : ۵۳۵
\\9Y	سورة الحجر(١۵): آية ۵۳ ص : ۵۳۶
119Y	سورة الحجر (١۵): آية ۵۴ ص : ۵۳۶
API	سورة الحجر (١۵): آية ۵۵ ص : ۵۳۶
)	سورة الحجر(١۵): آية ۵۶ ص : ۵۳۷
)	سورة الحجر(١٥): آية ۵۷ ص : ۵۳۷
)	سورة الحجر(١٥): آية ۵۸ ص : ۵۳۷
N19A	سورة الحجر(١۵): آية ۵۹ ص : ۵۳۷
1199	
1199	
1199	
1199	
1199	
1199	
١٢٠٠	
١٢٠٠	
NY••	
١٢٠٠	
١٢٠٠	
NY (
NY 1	
NY · N	
١٢٠١	سورة الحجر(١۵): اية ٧٢ ص : ٥٢١

17.7	سورة الحجر(١٥): آية ٧٥ ص : ٥٤١
17.7	سورة الحجر(١٥): آية ٧۶ ص : ۵۴۱
17.7	سورة الحجر(١٥): آية ٧٧ ص : ٥۴١
17.7	سورة الحجر(١٥): آية ٧٨ ص : ٥۴١
17.7	سورة الحجر(١٥): آية ٧٩ ص : ٥۴٢
17.8	سورة الحجر(۱۵): آية ۸۰ ص : ۵۴۲
17.4	سورة الحجر(۱۵): آية ۸۱ ص : ۵۴۳
17.4	سورة الحجر(١٥): آية ٨٢ ص : ٥٤٣
17.4	سورة الحجر(١٥): آية ٨٣ ص : ٥٤٣٠-
17.4	
17.4	سورة الحجر(١۵): آية ٨۵ ص : ٥۴۴
17.4	
17.4	
١٢٠۵	
١٢٠۵	
١٢٠۵	
17.8	
١٢٠۶	
17.8	
17.5	
17.8	
17.5	
17.7	
17·V	
١٢٠٧	
17.4	سوره نحل [۱۶] ص : ۵۴۹

۱۲۰۸	اشاره
۱۲۰۸	محتوای سوره: ص : ۵۴۹
۱۲۰۸	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۵۰
۱۲۰۸	سورة النحل(١٤): آيهٔ ١ ص : ۵۵۰
17.9	سورة النحل(۱۶): آيهٔ ۲ ص : ۵۵۰
	سورة النحل(۱۶): آية ٣ ص : ۵۵۱
17.9	سورة النحل(١٤): آيهٔ ۴ ص : ۵۵۱
	سورة النحل(۱۶): آية ۵ ص : ۵۵۱
	سورة النحل(۱۶): آية ۶ ص : ۵۵۲
	سورة النحل(۱۶): آية ۷ ص : ۵۵۲
	سورة النحل(۱۶): آية ۸ ص : ۵۵۳
	سورة النحل(۱۶): أيهٔ ۹ ص : ۵۵۳
	سورة النحل(۱۶): أيهٔ ۱۰ ص : ۵۵۴
	سورة النحل(١٤): آية ١١ ص : ۵۵۴
	سورة النحل(١٤): آية ١٢ ص : ۵۵۴
	سورة النحل(١٤): آية ١٣ ص : ۵۵۵
	اشاره
	ر چرا تنها زیتون و نخل و انگور؟! ص : ۵۵۵
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۴ ص : ۵۵۶
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۵ ص : ۵۵۷
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۶ ص : ۵۵۸
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۷ ص : ۵۵۸ ·
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۸ ص : ۵۵۹
	سوره النحل(۱۶): آیه ۱۸ ص : ۵۵۱
	سورة النحل(۱۶): آیهٔ ۲۰ ص : ۵۵۹
1117	سورة النحل(١٤): آيهٔ ٢١ ص : ٥٤٠

718	سورة النحل(۱۶): آية ۲۲ ص : ۵۶۰
719	سورة النحل(۱۶): أية ٢٣ ص : ۵۶۰
717	سورة النحل(۱۶): آية ۲۴ ص : ۵۶۱
Y1Y	اشاره
Y 1 Y	شأن نزول: ص : ۵۶۱
Y1Y	
Y 1 Y	سورة النحل(۱۶): أية ۲۵ ص : ۵۶۱
Y 1 A	
Y1X	
۲۱۸	
719	
YY•	
YY·	
YY1	
771	
777	
. ۲۲۲	
.۲۲۲	
. ۲۲۳	
.۲۲۳	
. ۲۲۳	
	سوره الكاس ١٠٠٠ ي عن ١٠٠٠ ي

177٣	اشاره
)	شأن نزول: ص : ۵۶۹
1777	تفسیر: ص : ۵۶۹
)YYF	سورة النحل(۱۶): آية ۴۲ ص : ۵۶۹
1777	سورة النحل(١۶): آية ۴۳ ص : ۵۷۰
1777	سورة النحل(۱۶): آية ۴۴ ص : ۵۷۰
۱۲۲۵	سورة النحل(۱۶): آية ۴۵ ص : ۵۷۱
۱۲۲۵	سورة النحل(۱۶): آية ۴۶ ص : ۵۷۱
۱۲۲۵	سورة النحل(۱۶): آية ۴۷ ص : ۵۷۱
NYY9	سورة النحل(۱۶): آية ۴۸ ص : ۵۷۲
)YY9	سورة النحل(١۶): آية ۴٩ ص : ۵۷۲
)YY9	سورة النحل(١۶): آية ۵۰ ص : ۵۷۳
)YY9	سورة النحل(١۶): آية ۵۱ ص : ۵۷۳
NYYY	سورة النحل(١۶): آية ۵۲ ص : ۵۷۳
NYYY	
NYYY	سورة النحل(۱۶): آية ۵۴ ص : ۵۷۴
1YYA	سورة النحل(۱۶): آية ۵۵ ص : ۵۷۴
1YYA	سورة النحل(۱۶): آية ۵۶ ص : ۵۷۵
NYYA	سورة النحل(١۶): آية ۵۷ ص : ۵۷۵ ·
NYTA	سورة النحل(١۶): آية ۵۸ ص : ۵۷۵
1779	سورة النحل(۱۶): آية ۵۹ ص : ۵۷۶
)YY9	سورة النحل(۱۶): آية ۶۰ ص : ۵۷۶
1779	اشاره
)YYYPYYI	نقش اسلام در احیای ارزش مقام زن: ص : ۵۷۶
)Y٣·	سورة النحل(١۶): آية ٤١ ص : ۵۷۷
١٢٣٠	سورة النحل(١٤): آية ۶۲ ص : ۵۷۸

1781	- ۵۷۸	ص :	آيهٔ ۶۳	لنحل(۱۶):	سورة ال
1777	- ۵۲۸	ص :	آيهٔ ۶۴	نحل(۱۶):	سورة ال
1771	- ۵۷۹	ص :	آيهٔ ۶۵	نحل(۱۶):	سورة ال
1781	- ۵۷۹	ص :	آيهٔ ۶۶	نحل(۱۶):	سورة ال
1787	- ۵۸۰	ص :	آيهٔ ۶۷	لنحل(۱۶):	سورة ال
1747	- ۵۸۰	ص :	آيهٔ ۶۸	نحل(۱۶):	سورة ال
1777					
1777					
1777					
1784					
1784					
۱۲۳۵					
۱۲۳۵					
178					
1789					
1789					
1777					
1777					
١٣٨					
17TA					
17TA					
1779					
1779					
1779					
1779					
174.	۱۹۵۰	ص :	ایهٔ ۸۸	نحل(۱۶)؛	سورة ال

17F•	سورة النحل(۱۶): أيهٔ ۸۹ ص : ۵۹۲
)YF•	سورة النحل(۱۶): آيهٔ ۹۰ ص : ۵۹۲
1751	سورهٔ النحل(۱۶): آیهٔ ۹۱ ص : ۵۹۳
1741	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
17۴1	شأن نزول: ص : ۵۹۳
	تفسیر: ص : ۵۹۳
NYFY	سورة النحل(۱۶): آية ۹۲ ص : ۵۹۴
	سورة النحل(۱۶): آية ۹۳ ص : ۵۹۵
) Y F F	سورة النحل(۱۶): آية ۹۴ ص : ۵۹۵
	سورة النحل(۱۶): آية ۹۵ ص : ۵۹۶
	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
	شأن نزول: ص : ۵۹۶
	تفسیر: ص : ۵۹۶
	سورة النحل(۱۶): آية ۹۶ ص : ۵۹۷
	سورة النحل(۱۶): آية ۹۷ ص : ۵۹۷
	سورة النحل(۱۶): آیهٔ ۹۸ ص : ۵۹۸
	سورهٔ النحل(۱۶): آیهٔ ۹۹ ص : ۵۹۸ ·
	سورهٔ النحل(۱۶): آیهٔ ۱۰۰ ص : ۵۹۸
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۰۱ ص : ۵۹۹
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۵۹۹
	تفسیر: ص : ۵۹۹
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۰۲ ص : ۵۹۹
	سورة النحل(۱۶): آیهٔ ۱۰۱ ص : ۶۰۰
	سورة النحل(۱۶): آیه ۱۰۲ ص : ۶۰۰
	سورة النحل(۱۲): آیه ۱۰۵ ص : ۲۰۱ ص

۱۲۴۸	سورة النحل(۱۶): أية ۱۰۶ ص : ۶۰۱ ص : ۶۰۱
1747	اشاره
۱۲۴۸	شأن نزول: ص : ۶۰۱
1749	تفسير: ص : ۶۰۲
1749	سورة النحل(۱۶): أية ۱۰۷ ص : ۶۰۳
	سورهٔ النحل(۱۶): آیهٔ ۱۰۸ ص : ۶۰۳
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۰۹ ص : ۶۰۴
	سورة النحل(١٤): أية ١١٠ ص : ۶۰۴
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۱۱ ص : ۶۰۴
۱۲۵۰	سورة النحل(۱۶): آية ۱۱۲ ص : ۶۰۵
۱۲۵۱	سورة النحل(۱۶): آية ۱۱۳ ص : ۶۰۵
۱۲۵۱	سورة النحل(۱۶): آية ۱۱۴ ص : ۶۰۵
۱۲۵۲	سورة النحل(۱۶): آية ۱۱۵ ص : ۶۰۶
۱۲۵۲	سورة النحل(۱۶): آية ۱۱۶ ص : ۶۰۷
۱۲۵۳	سورة النحل(۱۶): أية ۱۱۷ ص : ۶۰۸
۱۲۵۳	سورة النحل(۱۶): آية ۱۱۸ ص : ۶۰۸
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۱۹ ص : ۶۰۸
1724	سورة النحل(۱۶): أية ۱۲۰ ص : ۶۰۹
1764	سورة النحل(۱۶): آية ۱۲۱ ص : ۶۰۹
1704	سورة النحل(۱۶): آية ۱۲۲ ص : ۶۱۰
۱۲۵۴	سورة النحل(١٤): أية ١٢٣ ص : ٤١٠
۱۲۵۵	سورة النحل(۱۶): آية ۱۲۴ ص : ۶۱۰
۱۲۵۵	سورة النحل(۱۶): آية ۱۲۵ ص : ۶۱۱
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۲۶ ص : ۶۱۲
	سورة النحل(۱۶): آية ۱۲۷ ص : ۶۱۳
۱۲۵۷	سورة النحل(۱۶): آية ۱۲۸ ص : ۶۱۴

۱۲۵۸ -	آغاز جزء پانزدهم قرآن مجید ص : ۶۱۵
۱۲۵۸ -	سوره اسراء [۱۷] ص : ۶۱۵
۱۲۵۸ -	اشاره
۱۲۵۸ -	قبل از ورود در تفسیر این سوره توجه به چند نکته لازم است: ص : ۶۱۵
۱۲۵۸ -	۱– نامهای این سوره: ص : ۶۱۵
۱۲۵۸ -	۲- محتوای سوره: ص : ۶۱۵
1769 -	٣- فضيلت تلاوت سوره: ص : ۶۱۵
	سورة الإسراء(۱۷): آية ۱ ص : ۶۱۵
	سورة الإسراء(١٧): آية ٢ ص : ۶۱۶
	سورة الإسراء(۱۷): آيهٔ ۳ ص : ۶۱۸
	سورة الإسراء(١٧): آية ۴ ص : ۶۱۸
	سورة الإسراء(١٧): آية ۵ ص : ۶۱۸
	سورة الإسراء(۱۷): آية ۶ ص : ۶۱۹
	سورة الإسراء(١٧): آية ٧ ص : ۶۱۹
	سورة الإسراء(١٧): آية ٨ ص : ۶۲۰
	سورة الإسراء(١٧): آية ٩ ص : ۶۲۰
	سورة الإسراء(۱۷): آية ۱۰ ص : ۶۲۱
	سوره الإسراء(۱۷): آية ۱۱ ص : ۶۱۱ ص : ۶۲۱ ص . و ورد الإسراء(۱۷): آية ۱۲ ص : ۶۲۲
	سوره الإسراء(۱۲): آية ۱۱ ص : ۶۲۳
	سوره الإسراء(۱۷): آیهٔ ۱۴ ص : ۶۲۴
	سورة الإسراء(١٧): آية ١۵ ص : ۶۲۴
	سورة الإسراء(١٧): آية ١۶ ص : ۶۲۵
	سورة الإسراء(١٧): آية ١٧ ص : ۶۲۵
	سورة الإسراء(١٧): أية ١٨ ص : ۶۲۶ ·································
1787 -	ب

1757	سورة الإسراء(١٧): أية ٢٠ ص : ۶۲۷
1757 -	سورة الإسراء(١٧): آية ٢١ ص : ۶۲۷
1787 -	اشارها
1787 -	آیا دنیا و آخرت با هم تضاد دارند؟ ص : ۶۲۸
۱۲۶۸ -	سورة الإسراء(١٧): أيهٔ ٢٢ ص : ۶۲۸
۱۲۶۸ -	سورة الإسراء(١٧): آية ٣٣ ص : ۶۲۹
1789 -	سورة الإسراء(١٧): آية ٢۴ ص : ۶۳۰ ص ۶۳۰
1759 -	سورة الإسراء(١٧): أيهٔ ٢۵ ص : ۶۳۰
1789 -	اشارها
1789 -	احترام پدر و مادر در منطق اسلام ص : ۶۳۰
۱۲۷۰	سورة الإسراء(١٧): أيهٔ ٢۶ ص : ۶۳۱
۱۲۷۰	سورة الإسراء(١٧): أيهٔ ٢٧ ص : ٣٣٢ ص : ٣٣٠
۱۲۷۱	سورة الإسراء(١٧): أيهٔ ٢٨ ص : ٣٣٢ ص : ٣٣٠
۱۲۷۱	سورة الإسراء(١٧): أية ٢٩ ص : ۶۳۲
	سورة الإسراء(١٧): أية ٣٠ ص : ٣٣٩
۱۲۷۲	سورة الإسراء(١٧): أية ٣١ ص : ٣٣٧
1777	سورة الإسراء(١٧): آية ٣٢ ص : ۶۳۴
۱۲۷۲	اشارها
۱۲۷۲	فلسفه تحریم زنا ص : ۶۳۵
۱۲۷۳	سورة الإسراء(١٧): أية ٣٣ ص : ۶۳۵
	سورة الإسراء(١٧): أيهٔ ٣۴ ص : ۶۳۶
	سورة الإسراء(١٧): آية ٣۵ ص : ۶۳۷
	سورة الإسراء(١٧): آية ٣٣ ص : ٣٧٧
	سورة الإسراء(١٧): آية ٣٧ ص : ۶۳۸
	سورة الإسراء(١٧): أيهٔ ٣٨ ص : ٣٩٩
1778 -	سورة الإسراء(١٧): آية ٣٩ ص : ۶۳۹

1779	سورة الإسراء(١٧): آية ۴٠ ص : ۶۴۰
17YY	سورة الإسراء(١٧): آية ۴۱ ص : ۶۴۱
17YY	سورة الإسراء(١٧): آية ۴۲ ص : ۶۴۱
1YYY	سورة الإسراء(١٧): آية ۴۳ ص : ۶۴۲
17YY	سورة الإسراء(١٧): آية ۴۴ ص : ۶۴۲
17VA	سورة الإسراء(١٧): آية ٤٥ ص : ۶۴۲
17YA	اشاره
17YA	شأن نزول: ص : ۶۴۲
١٢٧٨	
17Y9	
17Y9	سورة الإسراء(١٧): آية ۴۷ ص : ۶۴۳
) YYY	
۱۲۷۹	
PY71	
١٢٨٠	
١٢٨٠	
١٢٨٠	
١٢٨٠	
17.11	
17.11	
1787	
1717	
١٢٨٢	
١٢٨٣	
١٢٨٣	C/SQ A. 5 T / 1/2 2/15
١٢٨٣	

۱۲۸۴ -	سورة الإسراء(١٧): آية ۶۰ ص : ۶۵۰
۱۲۸۴ -	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
1710 -	رؤیای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و شجره ملعونه: ص : ۶۵۱
۱۲۸۵ -	سورة الإسراء(١٧): آية ٤١ ص : ۶۵۱
۱۲۸۵ -	سورة الإسراء(١٧): آية ۶۲ ص : ۶۵۲
۱۲۸۶ -	سورة الإسراء(١٧): آية ۶۳ ص : ۶۵۲
۱۲۸۶ -	سورة الإسراء(١٧): آية ۶۴ ص : ۶۵۳
۱۲۸۶ -	سورة الإسراء(١٧): آية ۶۵ ص : ۶۵۳
۱۲۸۶ -	سورة الإسراء(١٧): آية ۶۶ ص : ۶۵۳ ص : ۶۵۳
۱۲۸۷ -	سورة الإسراء(١٧): آية ۶۷ ص : ۶۵۴
۱۲۸۷ -	سورة الإسراء(١٧): آية ۶۸ ص : ۶۵۵
۱۲۸۷ -	سورة الإسراء(١٧): آية ۶۹ ص : ۶۵۵
۲۸۸۰ -	سورة الإسراء(١٧): آية ٧٠ ص : ۶۵۵
۲۸۸۰ -	سورة الإسراء(١٧): آية ٧١ ص : ۶۵۶
1789 -	سورة الإسراء(١٧): آية ٧٢ ص : ۶۵۷
1789 -	سورة الإسراء(١٧): آية ٧٣ ص : ۶۵۸
1789 -	سورة الإسراء(١٧): آية ٧۴ ص : ۶۵۸
179	سورة الإسراء(١٧): آية ٧۵ ص : ۶۵۸
179	اشاره
179	خدایا! مرا به خود وامگذار ص : ۶۵۸
1790 -	سورة الإسراء(١٧): آية ٧۶ ص : ۶۵۹
1790 -	اشاره
179	شأن نزول: ص : ۶۵۹
1791 -	تفسير: ص : ۶۵۹
1791 -	سورة الإسراء(١٧): آية ٧٧ ص : ۶۵۹
1791 -	سورة الإسراء(١٧): آية ٧٨ ص : ۶۶۰

1797	سورة الإسراء(١٧): آية ٧٩ ص : ۶۶۰
1797	اشاره
1797	نماز شب یک عبادت بزرگ روحانی ص : ۹۶۱ -
179٣	سورة الإسراء(١٧): آية ٨٠ ص : ۶۶۲
179~	سورة الإسراء(١٧): آية ٨١ ص : ۶۶۲
1794	سورة الإسراء(١٧): آية ٨٢ ص : ۶۶۳
1794	سورة الإسراء(١٧): آية ٨٣ ص : ۶۶۴
1798	سورة الإسراء(١٧): آية ٨۴ ص : ۶۶۴
۱۲۹۵	سورة الإسراء(١٧): آية ٨٥ ص : ۶۶۴
۱۲۹۵	سورة الإسراء(١٧): آية ٨۶ ص : ۶۶۵
1790	سورة الإسراء(١٧): آية ٨٧ ص : ۶۶۶
1798	سورة الإسراء(١٧): آية ٨٨ ص : ۶۶۶
1798	سورة الإسراء(١٧): آية ٨٩ ص : ۶۶۷
\rangle \rangl	سورة الإسراء(١٧): آية ٩٠ ص : ۶۶۷
\rangle \rangl	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
1797	شأن نزول: ص : ۶۶۷
λργι	تفسیر: ص : ۶۶۸
٨٩٢١	سورة الإسراء(١٧): آية ٩١ ص : ۶۶۹
٨٩٢١	سورة الإسراء(١٧): آية ٩٢ ص : ۶۶۹
ΑΡΥΙ	سورة الإسراء(١٧): آية ٩٣ ص : ۶۶۹
۸۶۲۱	سورة الإسراء(١٧): آية ٩۴ ص : ۶۶۹
1799	سورة الإسراء(١٧): آية ٩٥ ص : ۶۷۰
1799	سورة الإسراء(١٧): آية ٩۶ ص : ۶۷۰
١٣٠٠	سورة الإسراء(١٧): آية ٩٧ ص : ۶۷۱
١٣٠٠	سورة الإسراء(١٧): آية ٩٨ ص : ۶۷۲
17.1	سه، ة الاسراء(۱۷): آنة ۹۹ ص: ۶۷۲

18.1	سورة الإسراء(١٧): أية ١٠٠ ص : ٤٧٣
١٣٠١	اشاره
18.1	معاد جسمانی ص : ۶۷۳
18.1	سورة الإسراء(١٧): آية ١٠١ ص : ۶۷۳
18.4	سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٢ ص : ۶۷۴
18.4	سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٣ ص : ۶۷۴
18.4	سورة الإسراء(١٧): آية ١٠۴ ص : ۶۷۵
18.8	سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٥ ص : ۶۷۵
١٣٠٣	سورة الإسراء(١٧): آية ١٠۶ ص : ۶۷۶
18.4	سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٧ ص : ۶۷۶
18.4	سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٨ ص : ۶۷۶
18.4	سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٩ ص : ۶۷۷
18.4	سورة الإسراء(١٧): آية ١١٠ ص : ۶۷۷
18.4	اشاره
1٣•۴	شأن نزول: ص : ۶۷۷
1٣•۴	تفسیر: ص : ۶۷۷
١٣٠۵	سورة الإسراء(١٧): آية ١١١ ص : ۶۷۸
١٣٠۶	جلد سوم
١٣٠۶	پیشگفتار ص : ۱۹
١٣٠٧	ادامه جزء پانزدهم ص : ٢٣
١٣٠٧	سوره کهف [۱۸] ص : ۲۳
١٣٠٧	اشاره
1٣•γ	محتوای سوره: ص : ۲۳
١٣٠٧	فضیلت تلاوت سوره: ص : ٢٣
١٣٠٨	سورة الكهف(١٨): آية ١ ص : ٢۴
١٣٠٨	سورة الكهف(١٨): آية ٢ ص : ٢۴

۱۳۰۸	سورة الكهف(١٨): آية ٣ ص : ٢۵
	سورة الكهف(١٨): آية ۴ ص : ٢۵
١٣٠٩	سورة الكهف(١٨): آية ۵ ص : ٢۵
١٣٠٩	سورة الكهف(١٨): آية ۶ ص : ۲۵
١٣٠٩	سورة الكهف(١٨): آية ٧ ص : ٢۵
	سورهٔ الکهف(۱۸): آیهٔ ۸ ص : ۲۶
	سورة الكهف(١٨): آية ٩ ص : ٢۶
171.	اشاره
	شأن نزول: ص : ۲۶
	تفسير: ص : ۲۷
	سورة الكهف(۱۸): آية ۱۰ ص : ۲۷
	سورة الكهف(١٨): آية ١١ ص : ٢٨
	سورة الكهف(١٨): آية ١٢ ص : ٢٨
	سورة الكهف(١٨): آية ١٣ ص : ٢٨ ·
	سورة الكهف(١٨): آية ١۴ ص : ٢٩
	سورة الكهف(١٨): آية ١۵ ص : ٢٩
	سورة الكهف(١٨): آية ١۶ ص : ٢٩
	سورة الكهف(١٨): آية ١٧ ص : ٣٠ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
	سورة الكهف(۱۸): آية ۱۸ ص : ۳۱
	سورة الكهف(۱۸): آية ۱۹ ص : ۳۱ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
	سورة الكهف(١٨): آية ٢٠ ص : ٣٢ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
	سورة الكهف(١٨): أية ٢١ ص : ٣٢ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
	سورة الكهف(١٨): آية ٢٢ ص : ٣۴
	سورة الكهف(١٨): أية ٢٣ ص : ٣۵
	سورة الكهف(١٨): آية ٢۴ ص : ٣۵
1717	سورة الكهف(١٨): آية ٢۵ ص : ٣۶

1717	سورة الكهف(١٨): آية ٢۶ ص : ٣۶
171V	سورة الكهف(١٨): آية ٢٧ ص : ٣٣
1717	اشاره ۰
١٣١٨	جنبههای آموزنده این داستان ص : ۳۷
1719	سورة الكهف(١٨): آية ٢٨ ص : ٣٨
1719	اشاره ۰
1719	شأن نزول: ص : ۳۸
1719	تفسیر: ص : ۳۹
144.	سورة الكهف(١٨): آية ٢٩ ص : ٣٩
187.	سورة الكهف(١٨): آية ٣٠ ص : ۴٠
187.	سورة الكهف(١٨): آية ٣١ ص : ۴٠
1771	سورة الكهف(١٨): آية ٣٢ ص : ۴١
1871	سورة الكهف(١٨): آية ٣٣ ص : ۴١
1871	سورة الكهف(١٨): آية ٣۴ ص : ۴۱
1871	سورة الكهف(١٨): أيهٔ ٣۵ ص : ۴۱
1877	سورة الكهف(١٨): آية ٣۶ ص : ۴۲
\TTT	سورة الكهف(١٨): آية ٣٧ ص : ۴۲
1777	سورهٔ الکهف(۱۸): آیهٔ ۳۸ ص : ۴۳
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	سورهٔ الکهف(۱۸): آیهٔ ۳۹ ص : ۴۳
14.44	سورهٔ الکهف(۱۸): آیهٔ ۴۰ ص : ۴۳
1878	سورة الكهف(١٨): آية ۴۱ ص : ۴۳
1878	سورة الكهف(١٨): آية ۴۲ ص : ۴۳
1878	سورة الكهف(١٨): آية ۴۳ ص : ۴۴
1874	سورة الكهف(١٨): آية ۴۴ ص : ۴۵
1874	سورة الكهف(١٨): آية ۴۵ ص : ۴۵
١٣٢۵	سورة الكوف(١٨): آبة ۴۶ ص: ۴۶

١٣٢٥	سورة الكهف(١٨): آية ۴٧ ص : ۴٧
1878	سورة الكهف(١٨): آية ۴۸ ص : ۴۷
1878	سورة الكهف(١٨): آية ۴٩ ص : ۴۸
1878	سورة الكهف(١٨): أيهٔ ٥٠ ص : ۴٩
1877	سورة الكهف(١٨): آية ۵۱ ص : ۵۰
\TYY	سورة الكهف(١٨): آية ۵۲ ص : ۵۰
187X	سورة الكهف(١٨): آية ۵۳ ص : ۵۱
187X	
١٣٢٨	
NTT9	
NTT9PTT1	
17T.	
۱۳۳۰	
17TV	
1881	
1881	
1881	
1881	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
1777	
1777	
1777	
1777	
1888	
	سوره ۱۵دهستر۱۲۰۰ یا ۲۰۰۰ سال ۲۰۰۰ سال

1777 -	سورة الكهف(١٨): آية ٧٣ ص : ۵۸
1888 -	سورة الكهف(١٨): أية ٧۴ ص : ۵۸
1774 -	آغاز جزء شانزدهم قرآن مجید ص : ۵۸
1774 -	ادامه سوره کهف ص : ۵۸
1774 -	سورة الكهف(١٨): أية ٧٥ ص : ۵۸
1774 -	سورة الكهف(١٨): اَيةُ ٧۶ ص : ۵۸
1774 -	سورة الكهف(١٨): آية ٧٧ ص : ۵٩
۱۳۳۵ -	سورة الكهف(١٨): آية ٧٨ ص : ۶٠
۱۳۳۵ -	سورة الكهف(١٨): آية ٧٩ ص : ۶۰
1886 -	سورة الكهف(١٨): آية ٨٠ ص : ۶۰
1888 -	سورة الكهف(١٨): آية ٨١ ص : ۶۱
1888 -	سورة الكهف(١٨): أية ٨٢ ص : ۶۱
1888-	اشاره
1888-	درسهای داستان خضر و موسی ص : ۶۱
	سورة الكهف(١٨): آية ٨٣ ص : ۶۳
۱۳۳۸ -	سورة الكهف(١٨): آية ٨۴ ص : ۶۴
۱۳۳۸ -	سورة الكهف(١٨): آية ٨۵ ص : ۶۴
۱۳۳۸ -	سورة الكهف(١٨): آية ٨۶ ص : ۶۴
۱۳۳۸ -	سورة الكهف(١٨): أية ٨٧ ص : ۶۴
۱۳۳۸ -	سورة الكهف(١٨): أية ٨٨ ص : ۶۴
1889 -	سورة الكهف(۱۸): أية ۸۹ ص : ۶۵
1889 -	سورة الكهف(۱۸): أية ۹۰ ص : ۶۵
1779 -	سورة الكهف(١٨): أية ٩١ ص : ۶۵
۱۳۳۹ -	سورة الكهف(١٨): أية ٩٢ ص : ۶۵
	سورة الكهف(١٨): آية ٩٣ ص : ۶۵
	سو، ة الكيف(٨١): أية ٩۴ ص : ۶۶

17°F	سورة الكهف(١٨): آية ٩۵ ص : ۶۶
174.	سورة الكهف(١٨): آية ٩۶ ص : ۶۶
174.	سورهٔ الکهف(۱۸): آیهٔ ۹۷ ص : ۶۷
1741	سورهٔ الکهف(۱۸): آیهٔ ۹۸ ص : ۶۷
1841	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
1841	نكات اَموزنده این داستان تاریخی: ص : ۶۷
1887	یأجوج و مأجوج کیانند؟ ص : ۶۹
1887	سورة الكهف(١٨): أيهٔ ٩٩ ص : ۶٩
1 mfm	سورة الكهف(١٨): أية ١٠٠ ص : ٧٠
17°F7"	سورة الكهف(١٨): أية ١٠١ ص : ٧٠
17°F7"	سورة الكهف(١٨): آية ١٠٢ ص : ٧١
17°F7"	سورة الكهف(١٨): آية ١٠٣ ص : ٧١
1٣ff	سورة الكهف(١٨): آية ١٠۴ ص : ٧١
1٣ff	سورة الكهف(١٨): آية ١٠۵ ص : ٧٢
۱۳۴۵	سورة الكهف(١٨): آية ١٠۶ ص : ٧٣
۱۳۴۵	سورة الكهف(١٨): آية ١٠٧ ص : ٧٣
۱۳۴۵	سورة الكهف(۱۸): آيهٔ ۱۰۸ ص : ۷۳
1848	سورة الكهف(١٨): آية ١٠٩ ص : ٧۴
1748	سورة الكهف(۱۸): آية ۱۱۰ ص : ۷۵ ·
17747	سوره مریم [۱۹] ص : ۷۷
\mathrm{\psi}	اشاره
\mathbb{\pi}\text{\pi}	محتوای سوره: ص : ۷۷
1776A	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۷۷
1 Μ F A	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱ ص : ۷۸
1776A	
١٣۴٨	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۳ ص : ۷۸

	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۴ ص : ۷۸
1849	سورة مريم(۱۹): آيهٔ ۵ ص : ۷۹
1749	سورة مريم(۱۹): آية ۶ ص : ۷۹ ص : ۷۹
1749	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷ ص : ۲۹
1849	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸ ص : ۲۹
۱۳۵۰	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۹ ص : ۸۰ ــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۱۳۵۰	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۰ ص : ۸۰
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۱ ص : ۸۰
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۲ ص : ۸۱
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۳ ص : ۸۱
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۴ ص : ۸۱
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۵ ص : ۸۱
	اشاره
۱۳۸۱	
	شهادت یحیی! ص : ۸۲
۱۳۵۲	سورة مريم(١٩): اَيةُ ١٤ ص : ٨٢
۱۳۵۲	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۶ ص : ۸۲
۱۳۵۲	سورة مريم(١٩): اَيةُ ١٤ ص : ٨٢
1805 1805 1805	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۶ ص : ۸۲
1707 1707 1707 1707	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۶ ص : ۸۳
1727 1727 1727 1727	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۶ ص : ۸۳ سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۸ ص : ۸۳ سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۸ ص : ۸۳ سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۹ ص : ۸۳ سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۲۰ ص : ۸۳ سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۲۰ ص : ۸۳
1707 1707 1707 1707 1707	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۶ ص : ۸۳ سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۸ ص : ۸۳ سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۹ ص : ۸۳ سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۲۰ ص : ۸۳ سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۲۰ ص : ۸۴ سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۲۰ ص : ۸۴
1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1	سورة مريم(۱۹): آية ۱۶ ص : ۲۲
1707 1707 1707 1707 1707 1707	سورة مريم(۱۹): آية ۱۶ ص : ۸۲ سورة مريم(۱۹): آية ۱۸ ص : ۸۳ سورة مريم(۱۹): آية ۱۹ ص : ۸۳ سورة مريم(۱۹): آية ۲۰ ص : ۸۳ سورة مريم(۱۹): آية ۲۱ ص : ۸۴ سورة مريم(۱۹): آية ۲۲ ص : ۸۸ سورة مريم(۱۹): آية ۲۳ ص : ۸۸
1707 1707 1707 1707 1707 1707 1707	سورة مريم(۱۹): آية ۱۷ ص : ۸۲ سورة مريم(۱۹): آية ۱۷ ص : ۸۳ سورة مريم(۱۹): آية ۱۷ ص : ۸۳ سورة مريم(۱۹): آية ۲۰ ص : ۸۳ سورة مريم(۱۹): آية ۲۰ ص : ۸۴ سورة مريم(۱۹): آية ۲۰ ص : ۸۸ سورة مريم(۱۹): آية ۲۲ ص : ۸۸ سورة مريم(۱۹): آية ۲۲ ص : ۸۸ سورة مريم(۱۹): آية ۲۲ ص : ۸۸
1707 1707 1707 1707 1707 1707 1706 1706	سورة مريم(۱۹): آية ۱۶ ص : ۸۲ سورة مريم(۱۹): آية ۱۸ ص : ۸۳ سورة مريم(۱۹): آية ۱۹ ص : ۸۳ سورة مريم(۱۹): آية ۲۰ ص : ۸۳ سورة مريم(۱۹): آية ۲۱ ص : ۸۴ سورة مريم(۱۹): آية ۲۲ ص : ۸۸ سورة مريم(۱۹): آية ۲۳ ص : ۸۸

١٣۵۵	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۲۸ ص : ۸۷
١٣۵۶	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۲۹ ص : ۸۷
١٣۵۶	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۳۰ ص : ۸۷
١٣۵۶	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۳۱ ص : ۸۸
١٣۵۶	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۳۲ ص : ۸۸
١٣۵۶	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۳۳ ص : ۸۸
١٣ΔΥ	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۳۴ ص : ۸۸
\ΥΔΥ	
١٣۵٧	
١٣۵٧	
١٣۵٨	
١٣۵٨	
1٣ΔΛ	
١٣۵٩	
١٣۵٩	
NPΔ9	
١٣۵٩	
١٣۵٩	
189.	
189.	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
1881	
1881	
1881	
1897	
1877	سورهٔ مریم(۱۹): ایهٔ ۵۲ ص : ۲۵

1887	سورهٔ مریم(۱۹): اَیهٔ ۵۴ ص : ۹۵
1887	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۵۵ ص : ۹۵
1888	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۵۶ ص : ۹۵
1757	سورهٔ مریم(۱۹): اَیهٔ ۵۷ ص : ۹۶
1757	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۵۸ ص : ۹۶
	سورة مريم(۱۹): آيهٔ ۵۹ ص : ۹۶
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۰ ص : ۹۷
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۱ ص : ۹۷
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۲ ص : ۹۷
	سورهٔ مریم(۱۹): اَیهٔ ۶۳ ص : ۹۸
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۴ ص : ۹۸
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۵ ص : ۹۸
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۶ ص : ۹۹
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۷ ص : ۹۹
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۸ ص : ۹۹
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۹ ص : ۱۰۰
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷۰ ص : ۱۰۰
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷۱ ص : ۱۰۰
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷۲ ص : ۱۰۰
	سورهٔ مریم(۱۹): اَیهٔ ۷۳ ص : ۱۰۱
	سوره مریم(۱۱): آیه ۷۱ ص : ۱۰۱
	سوره مریم(۱۰). آیه ۳۷ ص : ۱۰۲
	سوره مریم(۱۱): آیه ۱۷ ص : ۱۰۳
	سوره مریم(۱۱): آیه ۲۱ ص : ۱۰۱
	سوره مریم(۱۱): آیهٔ ۱۸ ص : ۱۰۳
-	

1889 -	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸۰ ص : ۱۰۴
1889 -	سورهٔ مریم(۱۹): اَیهٔ ۸۱ ص : ۱۰۴
1889 -	سورهٔ مریم(۱۹): اَیهٔ ۸۲ ص : ۱۰۴
1889 -	سورهٔ مریم(۱۹): اَیهٔ ۸۳ ص : ۱۰۴
۱۳۷۰	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸۴ ص : ۱۰۴
۱۳۷۰	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸۵ ص : ۱۰۵
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸۶ ص : ۱۰۵
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸۷ ص : ۱۰۵
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸۸ ص : ۱۰۶
	سورهٔ مریم(۱۹): اَیهٔ ۸۹ ص : ۱۰۶ سال ۱۹ سال ۱۰۶ س
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۹۰ ص : ۱۰۶
	سورهٔ مریم(۱۹): اَیهٔ ۹۱ ص : ۱۰۶ سال ۱۰۶ س
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۹۲ ص : ۱۰۶
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۹۳ ص : ۱۰۷
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۹۴ ص : ۱۰۷
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۹۵ ص : ۱۰۷
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۹۶ ص : ۱۰۷
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۹۷ ص : ۱۰۸
	سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۹۸ ص : ۱۰۸
	سوره طه ۱۰۱ ص : ۱۰۱ ۱۰۱ اشاره
	محتوای سوره: ص : ۱۰۹
	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۱۰۹
	عقینت کروت شوره ص : ۱۱۰
	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲ ص : ۱۱۰
	اشاره

\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	شأن نزول: ص : ۱۱۰
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	تفسیر: ص : ۱۱۰
١٣٧٥	سورهٔ طه(۲۰): اَیهٔ ۳ ص : ۱۱۱
١٣٧٥	سورة طه(۲۰): آيهٔ ۴ ص : ۱۱۱
١٣٧٥	سورةً طه(۲۰): آيةً ۵ ص : ۱۱۱
۱۳۷۵	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۶ ص : ۱۱۱
۱۳۷۵	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷ ص : ۱۱۱
١٣٧٥	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸ ص : ۱۱۱
١٣٧۶	سورة طه(۲۰): آيهٔ ۹ ص : ۱۱۲
١٣٧۶	سورة طه(۲۰): أيهٔ ۱۰ ص : ۱۱۲
١٣٧۶	سورة طه(۲۰): أيهٔ ۱۱ ص : ۱۱۲
1878	سورة طه(۲۰): أيهٔ ۱۲ ص : ۱۱۳
1844	سورهٔ طه(۲۰): اَیهٔ ۱۳ ص : ۱۱۳
\TYYY	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۴ ص : ۱۱۳
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۵ ص : ۱۱۳
\TYY	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۶ ص : ۱۱۴
١٣Υ Λ	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۷ ص : ۱۱۴
١٣Υ Λ	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۸ ص : ۱۱۴
١٣Υ Λ	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۹ ص : ۱۱۵
١٣٧٨	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۰ ص : ۱۱۵
١٣٧٨	سورة طه(۲۰): آیهٔ ۲۱ ص : ۱۱۵
١٣٧٨	سورة طه(۲۰): آیهٔ ۲۲ ص : ۱۱۵
١٣٧٩	سورة طه(۲۰): آیهٔ ۲۳ ص : ۱۱۵
\TV9	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۴ ص : ۱۱۵
\TV9	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۵ ص : ۱۱۶
١٣٧٩	سه, هٔ طه(۲۰): اَنهٔ ۲۶ ص: ۱۱۶

17Y9	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۷ ص : ۱۱۶
١٣٨٠	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۸ ص : ۱۱۶
١٣٨٠	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۹ ص : ۱۱۶
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۰ ص : ۱۱۶
١٣٨٠	سورهٔ طه(۲۰): اَیهٔ ۳۱ ص : ۱۱۷
18V·	سورهٔ طه(۲۰): اَیهٔ ۳۲ ص : ۱۱۷
١٣٨٠	سورهٔ طه(۲۰): اَیهٔ ۳۳ ص : ۱۱۷
١٣٨٠	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۴ ص : ۱۱۷
١٣٨١	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۵ ص : ۱۱۷
١٣٨١	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۶ ص : ۱۱۷
١٣٨١	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۷ ص : ۱۱۷
١٣٨١	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۸ ص : ۱۱۸
١٣٨١	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۹ ص : ۱۱۸
١٣٨٢	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۰ ص : ۱۱۹
١٣٨٣	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۱ ص : ۱۲۱
١٣٨۴	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۲ ص : ۱۲۱
17AF	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۳ ص : ۱۲۲
١٣٨۴	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۴ ص : ۱۲۲
17AF	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۵ ص : ۱۲۲
١٣٨۴	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۶ ص : ۱۲۲
۱۳۸۵	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۷ ص : ۱۲۲
۱۳۸۵	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۸ ص : ۱۲۳
١٣٨٥	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۹ ص : ۱۲۳
١٣٨۶	
١٣٨۶	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۱ ص : ۱۲۴
١٣٨٤	سورة طه(۲۰): أية ۵۲ ص: ۱۲۴

NWAS	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۳ ص : ۱۲۴
NTAY	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۴ ص : ۱۲۵ .
NTAY	سورهٔ طه(۲۰): أيهٔ ۵۵ ص : ۱۲۵ .
NWAY	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۶ ص : ۱۲۵ -
NWAY	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۷ ص : ۱۲۶ -
۱۳۸۸	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۸ ص : ۱۲۶ -
NWAA	سورهٔ طه(۲۰): أيهٔ ۵۹ ص : ۱۲۶ -
NWAA	
NYAA	سورة طه(۲۰): آية ۶۱ ص : ۱۲۷ -
NYA9	
NWA9	
NTA9	
NWAPAW	
1٣9·	
)٣٩·	
١٣٩٠	
) mq ·	
)٣٩١	
) m 9)	
) max	
1797	
1797	
)	
) T 4 T	
11 (1)	سوره طه(۱۰): آیه ۲۸ ص : ۱۱۱۱

NM9M	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷۹ ص : ۱۳۴
)\mathrm{\pi}	سورهٔ طه(۲۰): اَیهٔ ۸۰ ص : ۱۳۴۰
1٣9۴	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۱ ص : ۱۳۴ ۰۰
)٣٩f	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۲ ص : ۱۳۵ ۰۰
۱۳۹۵	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۳ ص : ۱۳۵
۱۳۹۵ ۵۳۳۱	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۴ ص : ۱۳۵ ۰۰
۱۳۹۵ ۵۳۳۸	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۵ ص : ۱۳۶ -۰
۱۳۹۵	
NM98	
1٣9۶	
1٣9۶	
NY9Y	
NY9Y	
1٣9Y	
)٣٩X	
NR9X	
1 may	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
1٣99	
1٣99	
1٣99	
1٣99	
14	
14	

14	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۰۵ ص : ۱۴۲ -
14	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۰۶ ص : ۱۴۲ -
14	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۴۳ ص : ۱۴۳ -
18.1	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۰۸ ص : ۱۴۳ -
14.1	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۰۹ ص : ۱۴۳ -
14.1	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۰ ص : ۱۴۳ -
14.1	
14.4	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۲ ص : ۱۴۴ -
14.4	
14.4	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۴ ص : ۱۴۵ -
14.4	
14.4	
14.4	
14.4	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۸ ص : ۱۴۶ -
14.4	
14.4	
14.4	
14.4	
14.0	
۱۴۰۵	
14.0	
۱۴۰۵	
14.0	
14.5	
14.5	
14.8	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۳۰ ص : ۱۵۰

14.4	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۳۱ ص : ۱۵۰
14.4	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۳۲ ص : ۱۵۱
۱۴۰۷	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۳۳ ص : ۱۵۱
۱۴۰۸۰	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۳۴ ص : ۱۵۲
۱۴۰۸۰	سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۳۵ ص : ۱۵۲
۱۴۰۸۰	آغاز جزء هفدهم قرآن مجید ص : ۱۵۳
۱۴۰۸۰	سوره انبياء [۲۱] ص : ۱۵۳
۱۴۰۸	اشاره
14.9.	محتوای سوره: ص : ۱۵۳
14.9.	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۱۵۳
14.9.	سورة الأنبياء(٢١): آية ١ ص : ١۵۴
14.9.	سورة الأنبياء(٢١): آية ٢ ص : ١۵۴
141.	سورهٔ الأنبياء(۲۱): اَيهٔ ٣ ص : ۱۵۵
141.	سورة الأنبياء(٢١): آية ۴ ص : ١۵۵
141.	سورة الأنبياء (٢١): آية ۵ ص : ۱۵۵
1411 -	سورهٔ الأنبياء(۲۱): آيهٔ ۶ ص : ۱۵۶
1411 -	سورهٔ الأنبياء(٢١): آيهٔ ۷ ص : ۱۵۶
1411 -	سورهٔ الأنبياء(٢١): آيهٔ ٨ ص : ١۵٧
1411 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ٩ ص : ١۵٧
1417 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٠ ص : ١۵٧
1417 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١١ ص : ١۵٨
1417 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٢ ص : ١۵٨
1417 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٣ ص : ١٥٨
1414.	سورة الأنبياء(٢١): آية ١۴ ص : ١۵٨
1414.	سورة الأنبياء(٢١): آية ١۵ ص : ١۵٩
1414.	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٤ ص : ١۵٩ ···································

1414	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٧ ص : ١٥٩
1414	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٨ ص : ١۵٩
1414	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٩ ص : ١۶٠
1414	سورة الأنبياء(٢١): آية ٢٠ ص : ١۶٠
1414	سورة الأنبياء(٢١): آية ٢١ ص : ١۶٠
1414	سورة الأنبياء(٢١): آية ٢٢ ص : ١۶١
۱۴۱۵	سورة الأنبياء(٢١): آية ٢٣ ص : ١۶١ ٠
1410	
1418	
1۴1۶	
1418	
1۴1Y	
1۴1Y	
1۴1Y	
NF1X	
1۴1λ	
1419	
1۴19	
1419	
187.	
147.	
187.	
(FY)	
1871	
1 f Y1	
1111	سورة الأنبياء(١١): ايه ٢١ ص : ١٧٠٠

1877	۱۷۰	ص :	47 2	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1877	۱۷۱	ص :	44 2	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1877	۱۷۱	ص :	۴ ۵ å	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1877	. ۱۷۱	. ص :	۴ ۶ å	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1877	. 177	ص :	۴ ۷ å	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	. 177	ص :	۴A å	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	۱۷۳	ص :	۴ 9	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	۱۷۳	ص :	۵٠ å	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	۱۷۳	ص :	۵۱ ۵	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	. ۱۷۳	ص :	۵۲ á	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	. 174	ص :	۵۳ ۵	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	. 174	ص :	۵۴ á	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
۱۴۲۵	. 174	ص :	هٔ ۵۵	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
۱۴۲۵	.174	. ص :	ئ ۵۶	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
۱۴۲۵	174	ص :	۵۷	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
١۴٢۵	۱۷۵	ص :	۵A á	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	۱۷۵	ص :	۵۹ ۵	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	- ۱۷۵	. ص :	9· ž	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	- 178	. ص :	۶۱ å	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	- ۱۷۶	. ص :	۶۲ ž	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1878	- ۱۷۶	. ص :	۶۳ á	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
187Y	- ۱۷۶	. ص :	۶۴ 8	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1 * TY	١٧٧	. ص :	ے ۶۵ <u>.</u>	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1877	- ۱۷۷	. ص :	<i>9</i> 9	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
١۴٢٨	. ۱۷۷	. ص :	ئ ۶۷	(۲۱): آیا	سورة الأنبياء(
1 * 1* 1* 1* 1* 1* 1* 1* 1* 1* 1* 1* 1* 1*	١٧٨	. ص. :	۶λ å	۲۱): آیا	سورة الأنبياء(

1 ۴ Υλ	سورة الأنبياء(٢١): آية ۶۹ ص : ١٧٨
NFYA	سورة الأنبياء(٢١): آية ٧٠ ص : ١٧٨
1479	سورة الأنبياء(٢١): آية ٧١ ص : ١٧٩
1879	سورة الأنبياء(٢١): آية ٧٢ ص : ١٧٩
1879	سورة الأنبياء(٢١): آية ٧٣ ص : ١٧٩
14~	سورة الأنبياء(٢١): آية ٧۴ ص : ١٨٠
1fr	سورة الأنبياء(٢١): آية ٧٥ ص : ١٨١
NFT	
NFT+	سورة الأنبياء(٢١): آية ٧٧ ص : ١٨١
1 FT 1	
1471	
1477	
1 F T T	
1477	
1 F T T	
1477	
)	
) f f f f	
)	
1	
1 FTF	
) FTF	
۱۴۳۵	
18m2	
14TD	
١٣٢٥	سورة الانبياء(٢١): اية ٩٢ ص : ١٨٨

1448 -	سورهٔ الأنبياء(۲۱): آيهٔ ۹۵ ص : ۱۸۸
1448 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ٩۶ ص : ١٨٩
1479 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ٩٧ ص : ١٨٩
1479 -	سورة الأنبياء(٢١): آيهٔ ٩٨ ص : ١٩٠
1447 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ٩٩ ص : ١٩٠
1477 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٠٠ ص : ١٩٠
1477 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٠١ ص : ١٩١
۱۴۳۸ -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٠٢ ص : ١٩١
۱۴۳۸ -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٠٣ ص : ١٩١
۱۴۳۸ -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٠۴ ص : ١٩٢
1479 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٠۵ ص : ١٩٢
1479 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٠۶ ص : ١٩٣
1479 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٠٧ ص : ١٩٣
1479.	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٠٨ ص : ١٩۴
144.	سورة الأنبياء(٢١): آيهٔ ١٠٩ ص : ١٩۴
144	سورة الأنبياء(٢١): آية ١١٠ ص : ١٩٥
144.	سورة الأنبياء(٢١): آية ١١١ ص : ١٩٥
1441 -	سورة الأنبياء(٢١): آية ١٩٢ ص : ١٩۶
1441 -	سوره حجّ [۲۲] ص : ۱۹۷
1441 -	اشاره
1441 -	محتوای سوره: ص : ۱۹۷
1447 -	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۱۹۸
1447 -	سورة الحج(۲۲): آية ۱ ص : ۱۹۸
1447 -	سورة الحج(۲۲): آية ۲ ص : ۱۹۸
	سورة الحج(۲۲): آية ۳ ص : ۱۹۹
1444 -	سورة الحج(٢٢): اَية ۴ ص : ١٩٩

1444	سورة الحج(٢٢): آية ۵ ص : ١٩٩
1444	سورة الحج(٢٢): آية ۶ ص : ٢٠١
1880	سورة الحج(٢٢): أية ٧ ص : ٢٠٢
۱۴۴۵	سورة الحج(٢٢): آية ٨ ص : ٢٠٢
۱۴۴۵	سورة الحج(٢٢): آية ٩ ص : ٢٠٢
1440	سورة الحج(۲۲): آية ۱۰ ص : ۲۰۲
1448	سورة الحج(٢٢): أيدُ ١١ ص : ٢٠٣
1448	سورة الحج(٢٢): أيدُ ١٢ ص : ٢٠٣
1448	سورة الحج(٢٢): آية ١٣ ص : ٢٠۴
1 F F V	سورة الحج(٢٢): آية ١۴ ص : ٢٠۴
1 F F V	سورة الحج(٢٢): آية ١٥ ص : ٢٠۴
1 F F V	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
1 F F V	
1 F F V	تفسیر: ص : ۲۰۵
144V	سورة الحج(٢٢): آية ١۶ ص : ٢٠٥
144V	سورة الحج(٢٢): آية ١٧ ص : ٢٠٥
144V	سورة الحج(٢٢): آية ١٨ ص : ٢٠۶
1444	سورة الحج(٢٢): آية ١٩ ص : ٢٠٧
1449	اشاره ۰
1449	شأن نزول: ص : ۲۰۷
1449	تفسیر: ص : ۲۰۷
140.	سورة الحج(٢٢): آية ٢٠ ص : ٢٠٧
140.	سورة الحج(٢٢): آية ٢١ ص : ٢٠٨
140.	سورة الحج(٢٢): آية ٢٢ ص : ٢٠٨
140.	
140.	سورة الحج(٢٢): آية ٢۴ ص : ٢٠٨

1401	سورة الحج(٢٢): أية ٢٥ ص : ٢٠٩
1501	سورة الحج(٢٢): آية ٢۶ ص : ٢١٠
1404	سورة الحج(٢٢): أية ٢٧ ص : ٢١٠
1404	سورة الحج(٢٢): آية ٢٨ ص : ٢١١
۱۴۵۳	سورة الحج(٢٢): آية ٢٩ ص : ٢١٢
۱۴۵۳	سورة الحج(٢٢): آية ٣٠ ص : ٢١٢
۱۴۵۳	سورة الحج(٢٢): آية ٣١ ص : ٢١٣
1f5f	سورة الحج(٢٢): آية ٣٢ ص : ٢١۴
1f5f	سورة الحج(٢٢): أية ٣٣ ص : ٢١۴
1faa	سورة الحج(٢٢): أيةُ ٣۴ ص : ٢١۴
1400	سورة الحج(٢٢): آية ٣۵ ص : ٢١٥
1406	سورة الحج(٢٢): آية ٣٠ ص : ٢١٤
1408	سورة الحج(٢٢): آية ٣٧ ص : ٢١٧
NFAY	سورهٔ الحج(۲۲): آیهٔ ۳۸ ص : ۲۱۸
140Y	سورة الحج(٢٢): آية ٣٩ ص : ٢١٨
1 Υ ΔΛ	سورة الحج(٢٢): آية ۴۰ ص : ٢١٩
NFAA	سورهٔ الحج(۲۲): آیهٔ ۴۱ ص : ۲۲۰
NFA9 PA71	سورة الحج(٢٢): آية ۴۲ ص : ٢٢١
NFA9 PA71	سورهٔ الحج(۲۲): آیهٔ ۴۳ ص : ۲۲۱
NFA9 PA71	سورة الحج(٢٢): آية ۴۴ ص : ٢٢١
\ * \$•	سورة الحج(٢٢): آية 4۵ ص : ٢٢٢
١۴۶٠	سورة الحج(٢٢): آية ۴۶ ص : ٢٢٢
149	سورة الحج(٢٢): آية ٤٧ ص : ٢٢٣
1491	سورة الحج(٢٢): آية 4۸ ص : ٢٢٣
1491	
1481	سورة الحج(٢٢): آية ۵۰ ص : ٢٢۴

1481	سورة الحج(٢٢): أية ۵۱ ص : ٢٢۴
1487	سورة الحج(٢٢): آية ۵۲ ص : ۲۲۴
1457	سورة الحج(٢٢): آية ۵۳ ص : ٢٢۵
1487	سورة الحج(٢٢): أية ۵۴ ص : ٢٢۵
1457	سورة الحج(٢٢): آية ۵۵ ص : ٢٢۶
1484	سورة الحج(٢٢): آية ۵۶ ص : ٢٢۶
1454	سورة الحج(٢٢): آية ۵۷ ص : ٢٢٧
	سورة الحج(٢٢): آية ۵۸ ص : ٢٢٧
	سورة الحج(٢٢): آية ۵۹ ص : ٢٢٧
	سورة الحج(۲۲): أية ۶۰ ص : ۲۲۸
	اشارها
	شأن نزول: ص : ۲۲۸
	تفسير: ص : ۲۲۸
	سورة الحج(٢٢): آية ۶۱ ص : ٢٢٩
	سورة الحج(٢٢): آية ۶۲ ص : ٢٢٩
	سورة الحج(٢٢): أية ۶۳ ص : ٢٢٩
	سورة الحج(٢٢): آية ۶۴ ص : ٢٣٠
	سورة الحج(٢٢): آية ۶۵ ص : ٢٣٠
	سورة الحج(٢٢): آية ۶۶ ص : ٢٣١
	سورة الحج(٢٢): آية ۶۷ ص : ٣٣١
	سورة الحج(٢٢): آية ۶۸ ص : ٣٣٢
	سورة الحج(٢٢): آية ۶۹ ص : ٢٣٢
	سورة الحج(٢٢): آية ٧٠ ص : ٣٣٢
	سورة الحج(٢٢): آية ٧١ ص : ٣٣٣
	سورة الحج(٢٢): آية ٧٢ ص : ٣٣٣
1489	سورة الحج(٢٢): آية ٧٣ ص : ٢٣٤

1469	سورة الحج(٢٢): آية ٧۴ ص : ٢٣٥
1 *Y·	سورة الحج(٢٢): آية ٧۵ ص : ٢٣٥
1 f Y•	اشارها
144.	شأن نزول: ص : ۲۳۵
144.	تفسیر: ص : ۲۳۶
1871	سورة الحج(٢٢): اَيةُ ٧٤ ص : ٢٣٤
1871	سورة الحج(٢٢): أية ٧٧ ص : ٢٣۶
1871	سورة الحج(٢٢): أية ٧٨ ص : ٣٣٧
1877	آغاز جزء هجدهم قرآن مجيد ص : ٢٣٩
1877	سوره مؤمنون [۲۳] ص : ۲۳۹
1877	اشاره
1877	محتوای سوره: ص : ۲۳۹
1878	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۲۴۰
1878	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱ ص : ۲۴۰
1878	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۲ ص : ۲۴۰
1444	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۳ ص : ۲۴۰
1474	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۴ ص : ۲۴۱
1474	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۵ ص : ۲۴۱
1474	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۶ ص : ۲۴۱
1474	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۷ ص : ۲۴۱
1474	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۸ ص : ۲۴۱
۱۴۷۵	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۹ ص : ۲۴۲
۱۴۷۵	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۰ ص : ۲۴۲
۱۴۷۵	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۱ ص : ۲۴۲
۱۴۷۵	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۲ ص : ۲۴۲
1470	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۳ ص : ۲۴۳

1448	سورهٔ مؤمنون(۲۳): اَیهٔ ۱۴ ص : ۲۴۳
1848	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۵ ص : ۲۴۴
1848	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۶ ص : ۲۴۴
1 FYY	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۷ ص : ۲۴۴
187Y	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۸ ص : ۲۴۵
*YY	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۹ ص : ۲۴۵
١ ۴Υλ	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۲۰ ص : ۲۴۶
1 ΥΥΛ	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۲۱ ص : ۲۴۶
1۴γλ	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۲۲ ص : ۲۴۶
1۴γλ	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۲۳ ص : ۲۴۷
\ * Y 9	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۲۴ ص : ۲۴۷
1879	
1474	
1879	
١۴٨٠	
144.	
14%.	
١۴٨٠	
1841	
1841	
١۴٨١	
1841	
1841	
\\$AY	
1 FAT	
11/1	سورة مؤمنون(١١): ايه ١٦ ص : ١ω١

1FAY	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۴۰ ص : ۲۵۱
1FAY	سورة مؤمنون(٢٣): آية ۴۱ ص : ۲۵۱
١۴٨٣	سورة مؤمنون(٢٣): آية ۴۲ ص : ۲۵۲
١۴٨٣	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۴۳ ص : ۲۵۲
١۴٨٣	سورة مؤمنون(٢٣): آية ۴۴ ص : ۲۵۲
1 f λ f	سورة مؤمنون(٢٣): آية ۴۵ ص : ۲۵۳
1FAF	سورة مؤمنون(۲۳): آية ۴۶ ص : ۲۵۳
\f\f	
\f\f	
\FAF	
1440	
١٤٨٥	
١٤٨٥	
١۴٨۵	
1۴λρ	
1 Γ Λ Γ	
1848	
\\$\\$	
14A9	
19 FAY	
1FAY	
1FAY	
14AA	
1FAA	
1FAA	

NFAX	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۶۶ ص : ۲۵۸
η ۴ ΑΑ	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۶۷ ص : ۲۵۸
NFAA	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۶۸ ص : ۲۵۹
١۴٨٩	سورة مؤمنون(٢٣): آية ۶۹ ص : ٢۵٩
NFA9	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۷۰ ص : ۲۵۹
PA7	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۷۱ ص : ۲۶۰
)	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۷۲ ص : ۲۶۰
189.	
189.	
189.	
1891	
1891	
1891	
1891	
) F9 Y	
1۴9Y	
1497	
1897	
1897	
1 F9 T	
) F 9 T	
)	
) F 9 T	
)	
) F9F	

1494	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۹۲ ص : ۲۶۵
1898	سورهٔ مؤمنون(۲۳): اَیهٔ ۹۳ ص : ۲۶۵
1494	سورة مؤمنون(٢٣): اَيهٔ ٩۴ ص : ۲۶۶
1890	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۹۵ ص : ۲۶۶ ـ
۱۴۹۵	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۹۶ ص : ۲۶۶
1F9D	سورهٔ مؤمنون(۲۳): اَیهٔ ۹۷ ص : ۲۶۶
۱۴۹۵	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۹۸ ص : ۲۶۶
1۴9۵	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۹۹ ص : ۲۶۷
1498	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۰۰ ص : ۲۶۷
1۴9۶	
\\$9Y	
\f9Y	
\f9Y	
1۴9A	
1۴9A	
1F9A	
1۴9A	
١ ۴٩λ	
1۴9A	
1899	
1899	
1899	
1499	
1899	
10	
1ω* τ	سورة مؤمنون(۱۱): ایه ۱۱۷ ص : ۱۲۱

10	سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۱۸ ص : ۲۷۲
١۵٠٠	يره نور [۲۴] ص : ۲۷۳ ـ
١۵٠٠	اشاره
١۵٠١	محتوای سوره: ص : ۲۷۳
١۵٠١	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۲۷۴
١۵٠١	سورة النور (۲۴): آية ۱ ص : ۲۷۴
10.7	سورة النور (۲۴): آية ۲ ص : ۲۷۴
١۵٠٢	سورة النور (۲۴): آية ۳ ص : ۲۷۵
١۵٠٢	سورة النور (۲۴): آية ۴ ص : ۲۷۶
١۵٠٣	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۵ ص : ۲۷۶
۱۵۰۳	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۶ ص : ۲۷۷
١۵٠٣	اشاره
۱۵۰۳	شأن نزول: ص : ۲۷۷
١۵٠۴	تفسير: ص : ۲۷۷
10.4	سورة النور (۲۴): آية ۷ ص : ۲۷۷
۱۵۰۴	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۸ ص : ۲۷۸
10.4	سورة النور (۲۴): آية ۹ ص : ۲۷۸
۱۵۰۵	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۱۰ ص : ۲۷۹
۱۵۰۵	سورة النور (۲۴): أيهٔ ۱۱ ص : ۲۷۹
١۵٠۶	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۱۲ ص : ۲۸۰
۱۵۰۶	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۱۳ ص : ۲۸۰
۱۵۰۶	سورة النور (۲۴): آية ۱۴ ص : ۲۸۱
10·Y	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۱۵ ص : ۲۸۱
10·Y	أ النم (٢٤): آ بهٔ ١٤ م م ٢٨٢
	<i>سوره تعور ۲۰۰۰ یک ۲۰۰۰</i>
10·Y	

ورهٔ النور(۲۴): آیهٔ ۱۹ ص : ۲۸۳ ۱۵۰۸	سو
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۲۰ ص : ۲۸۳	, w
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۲۱ ص : ۲۸۳ ۱۵۰۸ ۱۵۰۸	, we
ورهٔ النور(۲۴): آیهٔ ۲۲ ص : ۲۸۴	سو
اشاره ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
شأن نزول: ص : ۲۸۴ ۲۸۴	
تفسير: ص : ۲۸۴ ۲۸۴ تفسير:	
ورهٔ النور(۲۴): آیهٔ ۲۳ ص : ۲۸۵	سږ
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۲۴ ص : ۲۸۵	سو
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۲۵ ص : ۲۸۶	سو
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۲۶ ص : ۲۸۶	, w
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۲۷ ص : ۲۸۷	, w
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۲۸ ص : ۲۸۷	, w
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۲۹ ص : ۲۸۸	, w
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۳۰ ص : ۲۸۸	س و
اشارهاشاره	
شأن نزول: ص : ۲۸۸ ۲۸۸ مثل المنافع المناف	
تفسير: ص : ۲۸۹ ۲۸۹ تفسير: ص	
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۳۱ ص : ۲۸۹ ۱۵۱۳	, we
اشاره ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
فلسفه حجاب: ص : ۲۹۱ ۲۹۱ المنافع على المنافع على المنافع على المنافع على المنافع على المنافع المن	
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۳۲ ص : ۲۹۳ ۱۵۱۵	, w
ورهٔ النور (۲۴): اَيهٔ ۳۳ ص : ۲۹۴	سو
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۳۴ ص : ۲۹۶	سو
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۳۵ ص : ۲۹۶	س و
ورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۳۶ ص : ۲۹۸	سو

1019	سورهٔ النور(۲۴): آیهٔ ۳۷ ص : ۲۹۹
۱۵۱۹	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۳۸ ص : ۲۹۹
١۵٢٠	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۳۹ ص : ۳۰۰
187.	سورة النور (۲۴): آیهٔ ۴۰ ص : ۳۰۰
167.	سورة النور (۲۴): آیهٔ ۴۱ ص : ۳۰۱
1071	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۴۲ ص : ۳۰۱
	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۴۳ ص : ۳۰۲
	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۴۴ ص : ۳۰۳ ۳۰۳
	سورة النور (۲۴): آیهٔ ۴۵ ص : ۳۰۳
	سورة النور (۲۴): آیهٔ ۴۶ ص : ۳۰۴
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۳۰۴
	تفسیر: ص : ۳۰۴
	سورة النور (۲۴): آیهٔ ۴۷ ص : ۳۰۵
	سورة النور (۲۴): آیهٔ ۴۸ ص : ۳۰۵
	سورة النور (۲۴): آية ۴۹ ص : ۳۰۵
	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۵۰ ص : ۳۰۵
	سورة النور (۲۴): آیهٔ ۵۱ ص : ۳۰۶
	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۵۲ ص : ۳۰۷
	سورة النور (۲۴): آیهٔ ۵۳ ص : ۳۰۷
	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۵۴ ص : ۳۰۷
	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۵۵ ص : ۳۰۸
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۳۰۸
	تفسیر: ص : ۳۰۸
1ω1 γ	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۵۶ ص : ۳۱۰

1077 -	سورهٔ النور(۲۴): آیهٔ ۵۷ ص : ۳۱۰
1871 -	سورة النور (۲۴): آية ۵۸ ص : ۳۱۱
1671 -	سورة النور (۲۴): آية ۵۹ ص : ۳۱۱
1679 -	سورة النور (۲۴): آية ۶۰ ص : ۳۱۲
1679 -	سورة النور (۲۴): آيهٔ ۶۱ ص : ۳۱۳
1071 -	سورة النور (۲۴): آیهٔ ۶۲ ص : ۳۱۵
1071 -	اشاره
1071 -	شأن نزول: ص : ۳۱۵
1071 -	تفسیر: ص : ۳۱۵
1077 -	سورة النور (۲۴): آية ۶۳ ص : ۳۱۷ ص : ۳۱۷
1877 -	سورهٔ النور (۲۴): آیهٔ ۶۴ ص : ۳۱۷ ص : ۳۱۷
1577 -	سوره فرقان [۲۵] ص : ۳۱۹
1077 -	اشاره
1077 -	محتوای سوره: ص : ۳۱۹
1077 -	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۳۱۹
1074 -	سورة الفرقان(۲۵): آية ۱ ص : ۳۲۰ ·
1074 -	سورة الفرقان(۲۵): آيهٔ ۲ ص : ۳۲۰ ···································
1074 -	سورة الفرقان(۲۵): آيهٔ ۳ ص : ۳۲۱ ···································
1080 -	سورة الفرقان(۲۵): آية ۴ ص : ۳۲۲ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
1080 -	سورة الفرقان(۲۵): آیهٔ ۵ ص : ۳۲۲ ·································
1080 -	سورة الفرقان(۲۵): آیهٔ ۶ ص : ۳۲۲
1278	سورهٔ الفرقان(۲۵): آیهٔ ۷ ص : ۳۲۳ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
1048	سورة الفرقان(۲۵): آیهٔ ۸ ص : ۳۲۴ · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
1044 -	سورة الفرقان(۲۵): آية ۹ ص : ۳۲۴
	سورة الفرقان(۲۵): آيهٔ ۱۰ ص : ۳۲۴
1077 -	سورة الفرقان(۲۵): آیهٔ ۱۱ ص : ۳۲۵

۱۵۳۸	سورة الفرقان(۲۵): آية ۱۲ ص : ۳۲۵
۱۵۳۸	سورة الفرقان(۲۵): اَيهٔ ۱۳ ص : ۳۲۶
۱۵۳۸	سورة الفرقان(۲۵): أيهٔ ۱۴ ص : ۳۲۶
۱۵۳۸	سورة الفرقان(۲۵): آية ۱۵ ص : ۳۲۶
۱۵۳۹	سورة الفرقان(۲۵): اَيةُ ۱۶ ص : ۳۲۶ ص: ۳۲۶
۱۵۳۹	سورة الفرقان(۲۵): اَيةُ ۱۷ ص : ۳۲۷
۱۵۳۹	سورة الفرقان(۲۵): آية ۱۸ ص : ۳۲۷
۱۵۳۹	سورة الفرقان(۲۵): آية ۱۹ ص : ۳۲۷
104.	سورة الفرقان(۲۵): آية ۲۰ ص : ۳۲۸
104.	اشارها
104.	شأن نزول: ص : ۳۲۸
164.	تفسير: ص : ٣٢٨
1241	آغاز جزء نوزدهم قرآن مجید ص : ۳۲۹
1241	ادامه سوره فرقان ص : ۳۲۹
1241	سورة الفرقان(۲۵): أيةً ۲۱ ص : ۳۲۹
1241	سورة الفرقان(۲۵): أيهٔ ۲۲ ص : ۳۳۰
1241	سورة الفرقان(۲۵): آية ۲۳ ص : ۳۳۰
1247	سورة الفرقان(۲۵): آية ۲۴ ص : ۳۳۰
1247	سورة الفرقان(۲۵): آيهٔ ۲۵ ص : ۳۳۱
	سورهٔ الفرقان(۲۵): آیهٔ ۲۶ ص : ۳۳۱
	سورهٔ الفرقان(۲۵): اَیهٔ ۲۷ ص : ۳۳۱
	سورة الفرقان(۲۵): آية ۲۸ ص : ۳۳۲
	سورة الفرقان(۲۵): آيهٔ ۲۹ ص : ۳۳۳
	سورة الفرقان(۲۵): آية ۳۰ ص : ۳۳۳
	سورهٔ الفرقان(۲۵): آیهٔ ۳۱ ص : ۳۳۴
۱۵۴۵	سورة الفرقان(۲۵): أيهٔ ۳۳ ص : ۳۳۴

١۵۴۵	سورة الفرقان(٢۵): آية ٣٣ ص : ٣٣٥
١۵۴۵	سورة الفرقان(۲۵): آيهٔ ۳۴ ص : ۳۳۵
1048	سورة الفرقان(۲۵): آيهٔ ۳۵ ص : ۳۳۶
1048	سورة الفرقان(۲۵): آية ۳۶ ص : ۳۳۶
1048	سورة الفرقان(۲۵): أيهٔ ۳۷ ص : ۳۳۶
۱۵۴۶	سورة الفرقان(۲۵): آيةٔ ۳۸ ص : ۳۳۶
1Δ۴Y	سورهٔ الفرقان(۲۵): آیهٔ ۳۹ ص : ۳۳۷
1AFY	سورهٔ الفرقان(۲۵): آیهٔ ۴۰ ص : ۳۳۷
1AFY	
1Afy	
۱۵۴۸	
١۵۴٨	
۱۵۴۸	
1049	
1049	
1049	
١۵۵٠	
١۵۵٠	
١۵۵٠	
۱۵۵۰	
۱۵۵۱	
1001	
١۵۵٢	
1ΔΔΥ	
1007	
١۵۵٣	سورة الفرقان(٢۵): ايهٔ ۵۸ ص : ٣۴۵

١۵۵٣	سورة الفرقان(۲۵): آيهٔ ۵۹ ص : ۳۴۵
۱۵۵۳	سورة الفرقان(۲۵): آية ۶۰ ص : ۳۴۶
100F	سورة الفرقان(۲۵): آية ۶۱ ص : ۳۴۶
1004	سورة الفرقان(۲۵): آية ۶۲ ص : ۳۴۷
100f	سورة الفرقان(۲۵): آية ۶۳ ص : ۳۴۷
١۵۵۵	سورة الفرقان(۲۵): آية ۶۴ ص : ۳۴۸
١۵۵۵	سورهٔ الفرقان(۲۵): آیهٔ ۶۵ ص : ۳۴۸
١۵۵۵	سورهٔ الفرقان(۲۵): آیهٔ ۶۶ ص : ۳۴۹
١۵۵۵	سورهٔ الفرقان(۲۵): آیهٔ ۶۷ ص : ۳۴۹
١۵۵۶	سورهٔ الفرقان(۲۵): آیهٔ ۶۸ ص : ۳۴۹
١۵۵۶	سورة الفرقان(۲۵): آيهٔ ۶۹ ص : ۳۵۰
1ΔΔY	سورة الفرقان(۲۵): آيهٔ ۷۰ ص : ۳۵۰
1ΔΔY	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
100Y	تبدیل سیئات به حسنات: ص : ۳۵۱
100Y	سورة الفرقان(۲۵): آيهٔ ۷۱ ص : ۳۵۱
100Y	سورهٔ الفرقان(۲۵): آیهٔ ۷۲ ص : ۳۵۱
1 ΔΔΛ	سورة الفرقان(٢۵): آية ٧٣ ص : ٣۵٢
١۵۵٨	سورهٔ الفرقان(۲۵): آیهٔ ۷۴ ص : ۳۵۲
١۵۵٩	سورة الفرقان(٢۵): آية ٧۵ ص : ٣۵٣
٠٠٠٠٠ ٩۵۵١	سورهٔ الفرقان(۲۵): آيهٔ ۷۶ ص : ۳۵۳
٠٠٠٠٠ ٩٥٥١	سورهٔ الفرقان(۲۵): اَيهٔ ۷۷ ص : ۳۵۳
1001	(۲۶] ص : ۳۵۵
108.	اشاره
108.	محتوای سوره: ص : ۳۵۵
١۵۶٠	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۳۵۶
١۵۶٠	سو, ة الشعاء (۲۶): اَ بهٔ ۱ ص : ۳۵۶

1081	سورة الشعراء(٢۶): آية ٢ ص : ٣۵۶
1081	سورة الشعراء(۲۶): آية ٣ ص : ٣۵٧
1881	سورة الشعراء(٢۶): آية ۴ ص : ٣۵٧
1891	سورة الشعراء(٢۶): آية ۵ ص : ٣۵٧
1057	سورة الشعراء(۲۶): آية ۶ ص : ۳۵۸
1087	
1087	
1054	
1054	
1058	
1084	
1054	
1054	
1084	
۱۵۶۵	
١۵۶۵	
١۵۶۵	
١۵۶۵	
1099	
1088	
1088	
1099	
١۵۶٧	
1057	
1084	
1087	سورة الشعراء(٢۶): اية ٢٧ ص : ٣۶۵

\&\$Y	سورة الشعراء(٢۶): آية ٢٨ ص : ٣۶۵
١۵۶۸	سورة الشعراء(۲۶): آيهٔ ۲۹ ص : ۳۶۵
NΔ۶A	سورة الشعراء(۲۶): آية ۳۰ ص : ۳۶۵
ነ ል ቃ ለ	سورة الشعراء(۲۶): آيةٔ ۳۱ ص : ۳۶۶
NΔ9A	سورة الشعراء(٢۶): آية ٣٢ ص : ٣۶۶
1689	
١٥۶٩	
ነልዎ۹	
ነልዖ۹	
ነልዖ۹	
ΛΔΥ·	
1ΔY·	
ΛΔΥ·	
1ΔΥ·	
1ΔY·	
1041	
10Y1	
10Y1	
١۵٧١	
١۵٧٢	
١۵٧٢	
١۵٧٢	
10YY	
۱۵۲۳	
12.11	سوره السعراء (۱۱) اید ۱۱۰۰ عل ۱۱۱۱ عل

1 <u>۵</u> Y۳	سورة الشعراء(٢۶): آية ۵۴ ص : ٣٧١
١۵٧٣	سورة الشعراء(۲۶): آية ۵۵ ص : ۳۷۱
١۵٧٣	سورة الشعراء(۲۶): آية ۵۶ ص : ۳۷۱
١۵٧٣	سورة الشعراء(۲۶): آية ۵۷ ص : ۳۷۲
16YF	سورة الشعراء(۲۶): آية ۵۸ ص : ۳۷۲
ΛΔΥ۴	سورة الشعراء(۲۶): آية ۵۹ ص : ۳۷۲
)	سورة الشعراء(۲۶): آية ۶۰ ص : ۳۷۲
\&Y\$	
NAYF	
ΛΔΥΔ	
ΛΔΥΔ	
۱۵۷۵	
١۵٧۵	
۱۵۷۵	
\QY\$\\	
1	
10YF	
۱۵۲۲	
۱۵۲۲	
۱۵YY	
۱۵YY	
۱۵۲۲	
۱۵YY	
١۵٧٨	

١۵Υ λ	سورة الشعراء(۲۶): آية ۸۰ ص : ۳۷۶
10YA	سورة الشعراء(۲۶): آية ۸۱ ص : ۳۷۶
١۵٧٨	سورة الشعراء(٢۶): آية ٨٢ ص : ٣٧۶
Λ ΔΥΑ	سورة الشعراء(۲۶): آية ۸۳ ص : ۳۷۷
۱۵۲۹	سورة الشعراء(۲۶): آية ۸۴ ص : ۳۷۷
۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰	
NAY9PYAI	سورة الشعراء(۲۶): آية ۸۶ ص : ۳۷۸
ΛΔΑ.	
NAA·	
Λ ΔΛ·	
١۵ Α٠	
١۵ Α٠	
١۵٨٠	
1ΔΛ1	
1ΔΛ1	
1ΔΛ1	
١۵٨١	
1ΔΛ1	
١۵٨١	
1041	
١۵٨٢	
ΛΔΑΥ	
١٥٨٢	
10AY	
ιωλι	سورة الشعراء(۲۲): ایه ۱۰۵ ص : ۱۸۱

NAAY	سورة الشعراء(٢۶): آية ١٠۶ ص : ٣٨١
۱۵۸۳	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۰۷ ص : ۳۸۲
١۵٨٣	سورة الشعراء(۲۶): آيهٔ ۱۰۸ ص : ۳۸۲
١ ΔΛ٣	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۰۹ ص : ۳۸۲
۱۵۸۳	سورة الشعراء(۲۶): آيهٔ ۱۱۰ ص : ۳۸۲
۱۵۸۳ ۳	سورة الشعراء(۲۶): آيهٔ ۱۱۱ ص : ۳۸۲
۱۵۸۴	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۱۲ ص : ۳۸۲
۱۵۸۴	
NAAF	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۱۴ ص : ۳۸۳
NAAF	
NAAF	
۱۵۸۴	
۱۵۸۵	
١۵٨۵	
١۵٨۵	
ΛΔΛΔ	
ΛΔΛΔ	
١۵٨۶	
\ Δλ <i>β</i>	
Λ ΔΑ <i>β</i>	
ΛΔΛΑ	
١۵٨۶	
ΛΔΑΥ	
ΛΔΑΥ	
Λ ΔΑΥ	
IW// 1	سورة الشغراء(١٢): آيه ١١١ ص : ١٨٧

ΛΔΑΥ	سورة الشعراء(٢۶): آية ١٣٢ ص : ٣٨۶
١ ΔΛΛ	سورة الشعراء(۲۶): أية ١٣٣ ص : ٣٨٧
١۵٨٨	سورة الشعراء(۲۶): أية ۱۳۴ ص : ۳۸۷
NΔλλ	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۳۵ ص : ۳۸۷
١۵٨٨	سورة الشعراء(۲۶): أية ۱۳۶ ص : ۳۸۷
١۵٨٨	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۳۷ ص : ۳۸۸
NAAA	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۳۸ ص : ۳۸۸
PA&1	
ΡΛΔΙ	
١٥٩٠	
109.	
١٥٩٠	
۱۵۹۰	
۱۵۹۰	
169	
1691	
1891	
1091	
1891	
1891	
۱۵۹۲	

NA9Y	سورة الشعراء(٢۶): آية ١۵٨ ص : ٣٩١
١٥٩٢	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۵۹ ص : ۳۹۱
7961	سورة الشعراء(۲۶): أية ۱۶۰ ص : ۳۹۱
7961	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۶۱ ص : ۳۹۱
۱۵۹۳	سورة الشعراء(٢۶): آية ١۶٢ ص : ٣٩٢
۱۵۹۳	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۶۳ ص : ۳۹۲
1098	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۶۴ ص : ۳۹۲
1098	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۶۵ ص : ۳۹۲
۱۵۹۳	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۶۶ ص : ۳۹۲
1094	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۶۷ ص : ۳۹۳
1094	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۶۸ ص : ۳۹۳
1094	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۶۹ ص : ۳۹۳
1094	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۷۰ ص : ۳۹۳
1094	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۷۱ ص : ۳۹۳
۵۹۵ ۵۹۵	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۷۲ ص : ۳۹۴
۱۵۹۵	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۷۳ ص : ۳۹۴
۱۵۹۵	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۷۴ ص : ۳۹۴
۱۵۹۵	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۷۵ ص : ۳۹۴
۱۵۹۵ ۵۹۵	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۷۶ ص : ۳۹۵
۱۵۹۶	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۷۷ ص : ۳۹۵
۱۵۹۶	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۷۸ ص : ۳۹۵
۱۵۹۶	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۷۹ ص : ۳۹۵
1698	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۸۰ ص : ۳۹۵
1698	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۸۱ ص : ۳۹۵
189Υ	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۸۲ ص : ۳۹۶
109Υ	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۸۳ ص : ۳۹۶

ΛΔ9Υ	سورة الشعراء(٢۶): آية ١٨۴ ص : ٣٩۶
NΔ9Y	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۸۵ ص : ۳۹۶
10PΔ/	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۸۶ ص : ۳۹۶
ΥΡΔΙ	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۸۷ ص : ۳۹۶
1Δ9Δ ΑΡΔΙ	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۸۸ ص : ۳۹۷
Λραι	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۸۹ ص : ۳۹۷
ΑΡΔΙ	سورة الشعراء(۲۶): آية ١٩٠ ص : ٣٩٧
ΑΡΔΙ	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۹۱ ص : ۳۹۷
۱۵۹۹	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۹۲ ص : ۳۹۸
۱۵۹۹	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۹۳ ص : ۳۹۸
۱۵۹۹	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۹۴ ص : ۳۹۸
۱۵۹۹	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۹۵ ص : ۳۹۸
۱۵۹۹	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۹۶ ص : ۳۹۹
٠١٥٩٩	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۹۷ ص : ۳۹۹
15	
16	سورة الشعراء(۲۶): آية ۱۹۹ ص : ۳۹۹
)\$··	
)\$··	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۰۱ ص : ۴۰۰
16	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۰۲ ص : ۴۰۰
19.1	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۰۳ ص : ۴۰۰
19.1	
18.1	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۰۵ ص : ۴۰۰
19.1	
19.1	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۰۷ ص : ۴۰۱
16.4	
19.۲	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۰۹ ص : ۴۰۱

19.7	ص : ۴۰۱	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۱۰
18.7	ص : ۴۰۲	سورة الشعراء(٢۶): أية ٢١١
19.4	ص : ۴۰۲	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۱۲
19.4	ص : ۴۰۲	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۱۳
18.4	ص : ۴۰۲	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۱۴
19.4	ص : ۴۰۳	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۱۵
18.4	ص : ۴۰۳	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۱۶
18.4	ص : ۴۰۳	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۱۷
19.4	ص : ۴۰۳	سورة الشعراء(۲۶): أية ۲۱۸
19.4	ص : ۴۰۳	سورة الشعراء(۲۶): آية ۲۱۹
19.4	ص : ۴۰۳	سورة الشعراء (۲۶): آية ۲۲۰
19.4		اشاره
19.4	يث يوم الدّار): ص :	انذار بستگان نزدیک (حد
19.4	ص : ۴۰۴	سورة الشعراء(٢۶): آية ٢٢١
18.0	ص : ۴۰۴	سورة الشعراء(٢۶): آية ٢٢٢
18.0	ص : ۴۰۴	سورة الشعراء(٢۶): آية ٢٢٣
18.0	ص : ۴۰۴	سورة الشعراء(٢۶): آية ٢٢۴
18.0	ص : ۴۰۵	سورة الشعراء(٢۶): آية ٢٢٥
19.9	ص : ۴۰۵	سورة الشعراء(٢۶): آية ٢٢۶
19.9	ص : ۴۰۵	سورة الشعراء(٢۶): آية ٢٢٧
18.8		سوره نمل [۲۷] ص : ۴۰۷
18.8		اشاره
18.8		محتوای سوره: ص : ۴۰۷
18.4		
19.4	ص : ۴۰۸	سورة النمل(٢٧): آية ١ ٠
19.7	ص : ۴۰۸	سورة النمل(٢٧): آية ٢

1۶•Λ	سورة النمل(۲۷): آية ٣ ص : ۴۰۸
15·A	سورة النمل(۲۷): آيهٔ ۴ ص : ۴۰۹
15·A	سورة النمل(۲۷): آية ۵ ص : ۴۰۹
١ ۶∙λ	سورة النمل(۲۷): آية ۶ ص : ۴۰۹
15.9	سورة النمل(٢٧): آية ٧ ص : ۴۱٠
15.9	
16.4	
181 •	
181.	
181.	
181.	
1811	
1811	
181Y	
181۲	
181Y	
191۲	
1814	
1818	
1917	
191F	
1814	
1814	
1914	
1810	
1/ Iw	سوره النمل(۱۱): آیه ۱۸ ص . ۱۱۸

1810	سورة النمل(٢٧): آيهٔ ٢٩ ص : ۴۱۸
1810	سورة النمل(٢٧): آية ٣٠ ص : ۴۱۸
1810	سورة النمل(٢٧): آيهٔ ٣١ ص : ۴۱۸
1810	سورة النمل(٢٧): أية ٣٢ ص : ۴۱۸
1818	سورة النمل(۲۷): آية ٣٣ ص : ۴۱۸
1818	سورة النمل(٢٧): آية ٣۴ ص : ۴۱۹
1818	سورة النمل(٢٧): آية ٣۵ ص : ۴۱۹
1818	سورة النمل(٢٧): آية ٣٤ ص : ٤٢٠
181Y	سورة النمل(٢٧): آية ٣٧ ص : ۴۲٠ـــــــــــــــــــــــــــــــــ
181Y	
181Y	سورة النمل(٢٧): آية ٣٩ ص : ۴۲۱
1814	
181 λ	اشاره
1819	
	سورة النمل(٢٧): آية ۴۱ ص : ۴۲۲
1819	سورة النمل(۲۷): آية ۴۱ ص : ۴۲۲ سورة النمل(۲۷): آية ۴۲ ص : ۴۲۲
1819	سورة النمل(۲۷): آية ۴۱ ص : ۴۲۲
1819	سورة النمل(۲۷): آية ۴۱ ص : ۴۲۲
1819	سورة النمل(۲۷): آية ۴۱ ص : ۴۲۲
1819 1819 1819 1819	سورة النمل(۲۷): آية ۴۱ ص : ۴۲۲
1819 1819 1819 1870 1871	سورة النمل(۲۷): آية ۴۱ ص: ۴۲۲
1819 1819 1819 1870 1871	سورة النمل(۲۷): آية ۴۱ ص : ۴۲۲
1819 1819 1819 1870 1871	سورة النمل(۲۷): آية ۴۱ ص : ۴۲۲
1819 1819 1819 1870 1871 1871	سورة النمل(۲۷): آية ۴۱ ص : ۴۲۲

1877	سورة النمل(٢٧): أية ۵۳ ص : ۴۲۷
1877	سورة النمل(٢٧): آية ۵۴ ص : ۴۲۷
1977	سورة النمل(٢٧): أية ۵۵ ص : ۴۲۷
1877	آغاز جزء بیستم قرآن مجید ص : ۴۲۸
1878	ادامه سوره نمل ص : ۴۲۸
1878	سورة النمل(٢٧): أية ۵۶ ص : ۴۲۸
1878	سورة النمل(٢٧): أيهٔ ۵۷ ص : ۴۲۸
1878	سورة النمل(٢٧): أيهٔ ۵۸ ص : ۴۲۸
1874	سورة النمل(٢٧): أيهٔ ۵۹ ص : ۴۲۹
1874	سورة النمل(٢٧): أية ٤٠ ص : ٤٢٩
۱۶۲۵	سورة النمل(۲۷): أيهٔ ۶۱ ص : ۴۳۰
۱۶۲۵	سورة النمل(٢٧): أية ٤٢ ص : ۴٣١
۱۶۲۵	سورة النمل(٢٧): أية ٤٣ ص : ۴٣١
1878	سورة النمل(٢٧): أية ۶۴ ص : ۴۳۲
1878	سورة النمل(٢٧): آية ۶۵ ص : ۴۳۲
1878	سورة النمل(٢٧): آية ۶۶ ص : ۴۳۳
18TY	سورة النمل(٢٧): آية ۶۷ ص : ۴۳۳
18TY	سورة النمل(٢٧): آية ۶۸ ص : ۴۳۳
18TY	سورة النمل(٢٧): آية ۶۹ ص : ۴۳۳
18TY	سورة النمل(٢٧): آية ٧٠ ص : ۴٣۴
19TY	سورة النمل(٢٧): آية ٧١ ص : ۴۳۴
197A	سورة النمل(٢٧): آية ٧٢ ص : ۴۳۴
18TA	سورة النمل(٢٧): آية ٧٣ ص : ۴٣۴
187 Λ	سورة النمل(٢٧): آية ٧۴ ص : ۴۳۵
187A	سورة النمل(٢٧): أية ٧٥ ص : ۴٣۵
١۶٢٨	سورة النمل(٢٧): آية ٧۶ ص : ۴۳۵

1879	سورة النمل(٢٧): آية ٧٧ ص : ۴۳۶
1879	سورة النمل(٢٧): آية ٧٨ ص : ۴۳۶
1879	سورة النمل(٢٧): آية ٧٩ ص : ۴۳۶
1879	سورة النمل(٢٧): آية ٨٠ ص : ۴٣۶
158.	سورة النمل(٢٧): آية ٨١ ص : ٤٣٧
158.	سورة النمل(٢٧): آية ٨٢ ص : ٤٣٧
188.	سورة النمل(٢٧): آية ٨٣ ص : ٤٣٧
1881	سورة النمل(۲۷): آية ۸۴ ص : ۴۳۸
1881	سورة النمل(٢٧): آية ٨٥ ص : ٤٣٨
1981	
1881	سورة النمل(٢٧): آية ٨٧ ص : ۴٣٩
1987	
1987	
1987	
1,588	
1588	
1988	
1984	
1984	
1984	
1984	
1980	
1980	
1980	
1980	
1585	سورة القصص(٢٨): اية ۵ ص : ۴۴۶

1989	سورة القصص(٢٨): آية ۶ ص : ۴۴۶
1 <i>۶</i> ٣٧	سورة القصص(٢٨): آية ٧ ص : ۴۴٧
ነ۶۳۸	سورة القصص(۲۸): آيةٔ ۸ ص : ۴۴۹
19TA	سورة القصص(۲۸): آية ٩ ص : ۴۴٩
1989	سورة القصص(۲۸): آيهٔ ۱۰ ص : ۴۵۰
19٣9	سورة القصص(۲۸): آیهٔ ۱۱ ص : ۴۵۰
)\$٣٩	
NSF•	
1980	
194.	
1981	
1981	
1941	
1941	
19ft	
1987	
1987	
1987	
1,947	
1847	
1988	
1988	
1940	
1980	
1940	
1/ 1ω	سوره القصص(۱۸): ایه ۱۱ ص : ۱۵۱

1989	سورة القصص(۲۸): آیهٔ ۳۲ ص : ۴۶۰
1949	سورة القصص(۲۸): آیهٔ ۳۳ ص : ۴۶۰
1989	سورهٔ القصص(۲۸): اَيهٔ ۳۴ ص : ۴۶۰
1949	سورة القصص(۲۸): آية ۳۵ ص : ۴۶۱
) \$\$V	سورة القصص(۲۸): اَ يهٔ ۳۶ ص : ۴۶۱
19FY	
N9FY	سورة القصص (۲۸): آیهٔ ۳۸ ص : ۴۶۲
19fλ	
19FA	
) FFA	
19fA	
1989	
1 <i>9</i> ۴9	
1 <i>9</i> ۴9	
1 <i>9</i> ۴9	
19D•	
190·	
190.	
1961	
1961	
1961	
1961	
19AY	
186Y	
186Y	
., ∞.	سوره القصص (۱۸): آیه ۵۱ ص . ۱/۸

196Y	سورة القصص(٢٨): آية ۵۵ ص : ۴۶۸
1804	سورة القصص(۲۸): آية ۵۶ ص : ۴۶۹
1907	سورة القصص(۲۸): آية ۵۷ ص : ۴۶۹
1504	سورة القصص(۲۸): آية ۵۸ ص : ۴۷۰
1904	سورة القصص(٢٨): آية ۵۹ ص : ۴۷۱
1900	
1900	
١۶۵۵	
۱۶۵۵	
NPDP	
N9D9	
1909	
N9AY	
N&AY	
190Y	
19۵A	
190A	
190A	
1809	
1809	
199•	
199•	
1991	
1991	

1997	سورة القصص(٢٨): آية ٨١ ص : ۴٨١
1887	سورة القصص(٢٨): آية ٨٢ ص : ۴٨٢
188#	سورة القصص(٢٨): آية ٨٣ ص : ۴٨٣
1888	سورة القصص(٢٨): آية ٨۴ ص : ۴۸٣
1887	سورة القصص(٢٨): أيهٔ ٨٥ ص : ۴٨۴
1994	سورة القصص(٢٨): أيهٔ ٨۶ ص : ۴۸۵
1994	سورة القصص(٢٨): آية ٨٧ ص : ۴۸۵
1880	سورة القصص(٢٨): أية ٨٨ ص : ۴٨۶
۱۶۶۵	سوره عنکبوت [۲۹] ص : ۴۸۷
۱۶۶۵	
1888	
1888	
1888	سورة العنكبوت(٢٩): آية ٢ ص : ۴۸۸
199Y	سورة العنكبوت(٢٩): آية ٣ ص : ۴۸۸
188Y	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۴ ص : ۴۸۹
199Y	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۵ ص : ۴۸۹
١۶۶٨	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۶ ص : ۴۹۰
١۶۶٨	سورة العنكبوت(٢٩): آية ٧ ص : ۴۹٠
١۶۶٨	سورة العنكبوت(٢٩): آية ٨ ص : ۴۹٠
١٩۶٨	
١٩۶٨	
1889	
1889	
1889	
184.	
184.	سورة العنكبوت(٢٩): آية ١٢ ص : ۴٩٢

)\$Y•	- 497 :	ص	یهٔ ۱۳	ر۲۹): آ	العنكبوت	سورة ا
)\$Y•	: ۴۹۳	ص :	يهٔ ۱۴	١(٢٩): آ	العنكبوت	سورة ا
1871	494 :	ص	یهٔ ۱۵	۱ (۲۹): آ	العنكبوت	سورة ا
18Y1	494	ص :	يهٔ ۱۶	(۲۹): آ	العنكبوت	سورة ا
1841	- 494 :	ص :	یهٔ ۱۷	ر ۲۹): اَ	العنكبوت	سورة ا
1 <i>۶</i> ۷۲	- 490 :	ص	یهٔ ۱۸	(۲۹): آ	العنكبوت	سورة ا
19YY	490 :	ص	يهٔ ۱۹	(۲۹): آ	العنكبوت	سورة ا
19YY						
)\$Y*	498 :	ص :	يهٔ ۲۱	.(۲۹): آ	العنكبوت	سورة ا
1944						
1944	۴۹۷ :	ص	يهٔ ۲۳	(۲۹): آ	العنكبوت	سورة ا
199٣						
1974						
1974						
1 <i>γ</i> γδ						
۱۶۲۵						
1840						
1940						
19Y9						
1979						
1979						
1 <i>9</i> YY						
\\$YY						
\\$YY						
\\$YY						
1 ۶ΥΛ	: ۵۰۳	ص	یهٔ ۳۸	۱:(۲۹)،	العنكبوت	سورة ا

١ ۶ΥΛ	سورة العنكبوت(٢٩): آية ٣٩ ص : ٥٠٣
١۶٧٨	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۴٠ ص : ۵۰۴
1879	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۴۱ ص : ٥٠۴
1879	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۴۲ ص : ۵۰۵
184.	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۴۳ ص : ۵۰۵
184.	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۴۴ ص : ۵۰۵
184.	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۴۵ ص : ۵۰۶
1841	آغاز جزء ۲۱ قرآن مجید ص : ۵۰۷
1881	ادامه سوره عنكبوت ص : ۵۰۷
1881	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۴۶ ص : ۵۰۷
1887	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۴۷ ص : ۵۰۸
1887	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۴۸ ص : ۵۰۹ ·····················
1887	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۴۹ ص : ۵۰۹ ······
١۶٨٣	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۵۰ ص : ۵۰۹ــــــــــــــــــــــــــــــــــ
١۶٨٣	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۵۱ ص : ۵۱۰
١۶٨٣	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۵۲ ص : ۵۱۰
1844	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۵۳ ص : ۵۱۱
1844	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۵۴ ص : ۵۱۱
1844	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۵۵ ص : ۵۱۲ ····················
1984	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۵۶ ص : ۵۱۲
۱۶۸۵	اشاره
۱۶۸۵	شأن نزول: ص : ۵۱۲
۱۶۸۵	
۱۶۸۵	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۵۷ ص : ۵۱۲ ·················
۱۶۸۵	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۵۸ ص : ۵۱۳
1818	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۵۹ ص : ۵۱۳

1888 -	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۶۰ ص : ۵۱۳
1888 -	سورة العنكبوت(٢٩): آية ٤١ ص : ٥١٤
۱۶۸۷ -	سورة العنكبوت(۲۹): آية ۶۲ ص : ۵۱۵ص
1884 -	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۶۳ ص : ۵۱۵
۱۶۸۸ -	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۶۴ ص : ۵۱۶
	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۶۵ ص : ۵۱۶
۱۶۸۸ -	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۶۶ ص : ۵۱۶
	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۶۷ ص : ۵۱۷
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۵۱۷
	تفسير: ص : ۵۱۷
	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۶۸ ص : ۵۱۷ ص : ۵۱۷
1889 -	سورة العنكبوت(٢٩): آية ۶۹ ص : ۵۱۸
	سوره روم [۳۰] ص : ۵۱۹
1890 -	اشاره
1890 -	اشاره اشاره معتوای سوره: ص : ۵۱۹
1890 - 1890 -	اشاره
189 189 189	اشاره
189 189 189 1891 -	اشاره
189 189 189 1891 -	اشاره ص : ۵۱۹ فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۱۹ فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۲۰ فضيلت الدوت سورة الروم(۳۰): آية ۱ ص : ۵۲۰ فشأن نزول: ص : ۵۲۰ فشأن نزول: ص : ۵۲۰
1890 - 1890 - 1891 - 1891 - 1891 -	اشاره
1890 - 1890 - 1891 - 1891 - 1891 -	اشاره ص : ۵۱۹ ص : ۵۲۰ مسورة الروم (۳۰): آیهٔ ۱ ص : ۵۲۰ مشأن نزول: ص : ۵۲۰ مشاره ص : ۵۲۰ مسورة الروم (۳۰): آیهٔ ۲ ص : ۵۲۱ مسورة الروم (۳۰): آیهٔ ۲ ص : ۵۲۱ مسورة الروم (۳۰): آیهٔ ۲ ص : ۵۲۱
1890 - 1890 - 1891 - 1891 - 1891 - 1891 -	اشاره ص : ۱۹۵ ص : ۵۱۹ ص : ۵۱۹ ص : ۵۱۹ ص : ۵۱۹ ص : ۵۲۰ ص : ۵۲۰ شان نزول: ص : ۵۲۰ شأن نزول: ص : ۵۲۰ تفسير: ص : ۵۲۰ تفسير: ص : ۵۲۰ ص : ۵۲۰ ص : ۵۲۰ ص : ۵۲۱ ص
1890 - 1890 - 1891 - 1891 - 1891 - 1891 - 1897 -	اشاره ص : ۱۹۵ ص : ۱۹۵ ص : ۱۹۵ ص : ۵۱۹ ص : ۵۱۹ ص : ۵۱۹ ص : ۵۲۰ ص : ۵۲۱ ص : ۵
1890 - 1890 - 1891 - 1891 - 1891 - 1891 - 1897 - 1897 -	اشاره ص : ۱۹۵ ص : ۵۱۹ ص : ۵۱۹ ص : ۵۱۹ ص : ۵۱۹ ص : ۵۲۰ ص : ۵۲۰ شان نزول: ص : ۵۲۰ شأن نزول: ص : ۵۲۰ تفسير: ص : ۵۲۰ تفسير: ص : ۵۲۰ ص : ۵۲۰ ص : ۵۲۰ ص : ۵۲۱ ص

1898	سورة الروم(٣٠): آية ٧ ص : ۵۲۲
1898	اشاره
	اعجاز قرآن از دریچه علم غیب! ص : ۵۲۳
1898	سورة الروم(٣٠): آية ٨ ص : ۵۲۳ ·
1894	سورة الروم(٣٠): آية ٩ ص : ۵۲۴
1894	سورة الروم(۳۰): آیهٔ ۱۰ ص : ۵۲۴
1894	سورة الروم(٣٠): آية ١١ ص : ۵۲۴
۱۶۹۵	سورة الروم(٣٠): آية ١٢ ص : ۵۲۵
۱۶۹۵	سورة الروم(٣٠): اَية ١٣ ص : ۵۲۵
۱۶۹۵	سورة الروم(۳۰): آيهٔ ۱۴ ص : ۵۲۵
۱۶۹۵	سورهٔ الروم(۳۰): آیهٔ ۱۵ ص : ۵۲۵
۱۶۹۵	سورهٔ الروم(۳۰): آیهٔ ۱۶ ص : ۵۲۵
1898	سورهٔ الروم(۳۰): آیهٔ ۱۷ ص : ۵۲۶
1898	سورهٔ الروم(۳۰): آیهٔ ۱۸ ص : ۵۲۶
1898	سورة الروم(۳۰): آيهٔ ۱۹ ص : ۵۲۶
1897	سورة الروم(٣٠): آية ٢٠ ص : ۵۲۷
1897	سورة الروم(٣٠): آية ٢١ ص : ۵۲۸
1897	سورة الروم(٣٠): آية ٢٢ ص : ۵۲۸
۱۶۹۸	سورة الروم(٣٠): اَية ٢٣ ص : ٥٢٩
۱۶۹۸	سورة الروم(٣٠): آية ٢۴ ص : ۵۲۹
1899	سورة الروم(٣٠): آية ٢۵ ص : ۵۳۰
1899	سورة الروم(٣٠): آية ٢۶ ص : ۵۳۰
1899	سورهٔ الروم(۳۰): اَیهٔ ۲۷ ص : ۵۳۱
۱۷۰۰	سورهٔ الروم(۳۰): آیهٔ ۲۸ ص : ۵۳۱
	سورة الروم(٣٠): آية ٢٩ ص : ۵٣٢
۱۷۰۱	سورهٔ الروم(۳۰): آیهٔ ۳۰ ص : ۵۳۳

17.1	سورة الروم(٣٠): آية ٣١ ص : ٥٣٣
14.1	سورة الروم(٣٠): آية ٣٢ ص : ٥٣۴
1Y·1	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
١٧٠٢	توحید یک جاذبه نیرومند درونی! ص :
17.5	
١٧٠٣	
17.4	
17.4	
17.4	
17.4	
١٧٠۵	
١٧٠۵	
17.5	
1Y-9	
14.8	
14.4	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
1Y•Y	
١٧٠٨	
١٧٠٨	
١٧٠٨	
١٧٠٨	
17.9	
17.9	سورة الروم(٣٠): آية ۵۳ ص : ۵۴۴
17.9	سورة الروم(٣٠): آية ۵۴ ص : ۵۴۵

171	سورة الروم(٣٠): أية ۵۵ ص : ۵۴۶
۱۷۱۰	سورة الروم (۳۰): آية ۵۶ ص : ۵۴۶
	سورة الروم(٣٠): أية ۵۲ ص : ۵۴۶
1711	سورة الروم(٣٠): آية ۵۸ ص : ۵۴۶
۱۲۱۱	سورة الروم(٣٠): أية ۵٩ ص : ۵۴۷
۱۲۱۱	سورةَ الروم(٣٠): اَيةُ ۶٠ ص : ۵۴۷
	موره لقمان [۳۱] <i>ص</i> : ۵۴۹
1717	اشاره
1717	محتوای سوره: ص : ۵۴۹
	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۵۰
	سورة لقمان(۳۱): آیهٔ ۱ ص : ۵۵۰
	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۲ ص : ۵۵۰
	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۳ ص : ۵۵۱
	سورۂ لقمان(۳۱): آیۂ ۴ ص : ۵۵۱
	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۵ ص : ۵۵۱
	سورۂ لقمان(۳۱): اَیهٔ ۶ ص : ۵۵۱ص
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۵۵۱
	تفسير: ص : ۵۵۲
	اشاره
	تحریم غنا: ص : ۵۵۲
	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۷ ص : ۵۵۳
	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۸ ص : ۵۵۳
	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۹ ص : ۵۵۳ سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۰ ص : ۵۵۳
	سورة لقمان(۱۱): آیه ۱۰ ص : ۵۵۱
	سوره لقمان(۱۱): آیه ۱۱ ص : ۱۵س۱

1717	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۲ ص : ۵۵۵
1717	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۳ ص : ۵۵۶
١٧١٨	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۴ ص : ۵۵۶
١٧١٨	سورة لقمان(٣١): آية ١٥ ص : ٥٥٧
1719	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۶ ص : ۵۵۸
1719	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۷ ص : ۵۵۹
177.	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۸ ص : ۵۶۰
177.	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۹ ص : ۵۶۰
1771	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۲۰ ص : ۵۶۱
1771	سورة لقمان(٣١): آية ٢١ ص : ۵۶۲
1771	
1777	
1744	
1778	سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۲۵ ص : ۵۶۴
1778	
1774	
1776	-
1774	
1774	
۱۷۲۵	
1778	
1Y17	
1Y17	
1777	,
111/	نامهای این سوره: ص : ۱ /۵

YYY	محتوای سوره: ص : ۵۶۹
YYY	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۷۰
YYY	سورة السجده(٣٢): أية ١ ص : ٥٧٠
YYY	سورة السجده(٣٢): آية ٢ ص : ٥٧٠
NYX	سورة السجده(٣٢): أية ٣ ص : ٥٧٠
ΑΥΥ	سورة السجده(٣٢): آية ۴ ص : ۵۷۱
ΝΥΧ	سورة السجده(٣٢): آية ۵ ص : ۵۷۲
PYV	سورة السجده(٣٢): آية ۶ ص : ۵۷۲
PYV	سورة السجده(٣٢): آية ٧ ص : ٥٧٢
PYY	سورة السجده(٣٢): آية ٨ ص : ٥٧٣
٧٣٠	سورة السجده(٣٢): آية ٩ ص : ۵۷۳
٧٣٠	سورة السجده(۳۲): آیهٔ ۱۰ ص : ۵۷۴ ·
VY1	سورة السجده(٣٢): آية ١١ ص : ۵۷۵
VY1	سورة السجده(٣٢): آية ١٢ ص : ۵۷۵
VY1	سورة السجده(٣٢): آية ١٣ ص : ۵۷۵
VYY	سورة السجده(٣٢): آية ١۴ ص : ۵۷۶
) Y T	سورة السجده(٣٢): آية ١۵ ص : ۵۷۶
VYY	سورة السجده(٣٢): آية ١۶ ص : ۵۷۷
) YTT	سورة السجده(٣٢): آية ١٧ ص : ۵۷۸
ΥΥΫ́	سورة السجده(٣٢): أيهٔ ١٨ ص : ۵۷۸
\YTT	سورة السجده(٣٢): أية ١٩ ص : ۵۷۸
YTF	سورة السجده(٣٢): أية ٢٠ ص : ٥٧٩
)YTF	سورة السجده(٣٢): أيهٔ ٢١ ص : ٥٧٩
) YTF	سورة السجده(٣٢): آية ٢٢ ص : ٥٨٠
۱۷۳۵	
١٧٣٥	سورة السجده(٣٢): آية ٢۴ ص : ٥٨٠

١٧٣۵	سورة السجده(٣٢): آية ٢۵ ص : ٥٨١
۱۷۳۵	سورة السجده(٣٢): آية ۲۶ ص : ۵۸۱
1478	سورة السجده(٣٢): آية ٢٧ ص : ٥٨١
1778	سورة السجده(٣٢): آية ٢٨ ص : ٥٨٢
1788	سورة السجده(٣٢): آية ٢٩ ص : ٥٨٢
1788	سورة السجده(٣٢): آية ٣٠ ص : ٥٨٢
1 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7	وره احزاب [۳۳] ص : ۵۸۳
1747	اشاره
1747	محتوای سوره: ص : ۵۸۳
1747	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۵۸۴
١٧٣ Λ	سورة الأحزاب(٣٣): آية ١ ص : ٥٨٤
١٧٣٨	
۱۷۳۸	
١٧٣٨	تفسير: ص : ۵۸۵
1749	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢ ص : ٥٨٥
1YT9	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣ ص : ٥٨٤
1Υ٣٩	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۴ ص : ۵۸۶
1741	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۵ ص : ۵۸۸
1741	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۶ ص : ۵۸۸
1747	
1744	
1748	
1744	
1744	
1744	
١٧۴۵	سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٣ ص : ٥٩٤

NYF9	سورة الأحزاب(٣٣): آية ١۴ ص : ٥٩٤
NYF9	سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٥ ص : ٥٩٤
NYF9	سورة الأحزاب(٣٣): آية ١۶ ص : ٥٩٧
NY\$\$	سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٧ ص : ٥٩٧
YYY	سورة الأحزاب(٣٣): آيةُ ١٨ ص : ٥٩٧
)YFY	سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٩ ص : ٥٩٨
NΥ۴λ	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٠ ص : ٥٩٩
NΥ۴λ	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢١ ص : ٥٩٩
NYF9	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٢ ص : ۶۰۰
)YF9	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٣ ص : 50٠
)YF9	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢۴ ص : ۶۰۱
)Y&•	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢۵ ص : ۶۰۱
)Y&•	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢۶ ص : ۶۰۳
NYAN	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٧ ص : 5٠۴
١٧۵٢	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٨ ص : 5٠٥
١٧٥٢	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
١٧٥٢	شأن نزول: ص : ۶۰۵
NYAY	تفسیر: ص : ۶۰۵
١٧٥٣	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٩ ص : ۶۰۶
NYAT	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٠ ص : ۶۰۶
NYAT	آغاز جزء ۲۲ قرآن مجید ص : ۶۰۷
NYAT	ادامه سوره احزاب ص : ۶۰۷
١٧۵٣	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣١ ص : ۶۰۷
NYAF	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٢ ص : ۶۰۷
NYAF	
١٧۵۵	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣۴ ص : ٤٠٩

۱۷۵۵	اشاره
۱۷۵۵	جاهليت قرن بيستم! ص : ۶۰۹
۱۷۵۶	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣۵ ص : ۶۱۰
۱۷۵۶	اشاره
۱۷۵۶	شأن نزول: ص : ۶۱۰
۱۷۵۶	تفسير: ص : ۶۱۱
۱۷۵۷	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣۶ ص : ۶۱۲
۱۷۵۷	اشاره ٠٠
۱۷۵۸	شأن نزول: ص : ۶۱۲
۱۷۵۸	تفسير: ص : ۶۱۳
۱۷۵۹	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٧ ص : ۶۱۴
۱۷۵۹	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٨ ص : ۶۱۵
179.	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٩ ص : ۶۱۶
179.	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۴۰ ص : ۶۱۶
1751	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۴1 ص : ۶۱۷
1781	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۴۲ ص : ۶۱۷
1751	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۴۳ ص : ۶۱۸
1751	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۴۴ ص : ۶۱۸
1757	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۴۵ ص : ۶۱۸
1787	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۴۶ ص : ۶۱۹
1757	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۴۷ ص : ۶۲۰
1754	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۴۸ ص : ۶۲۰
1758	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۴٩ ص : ۶۲۰
1754	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۵۰ ص : ۶۲۱
۱۷۶۵	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۵۱ ص : ۶۲۳
۱۷۶۵	اشاره

۱۷۶۵	شأن نزول: ص : ۶۲۳
١٧۶۵	تفسیر: ص : ۶۲۳
1799	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۵۲ ص : ۶۲۵
1 1 7 9 9	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۵۳ ص : ۶۲۵
1788	اشاره
1788	شأن نزول: ص : ۶۲۵
\Y\$Y	تفسیر: ص : ۶۲۶
1Y9A	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۵۴ ص : ۶۲۷
1Y9A	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۵۵ ص : ۶۲۸
١٧۶٨	اشاره
NY9A	شأن نزول: ص : ۶۲۸
١٧۶٨	تفسیر: ص : ۶۲۸
1799	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۵۶ ص : ۶۲۸
1799	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۵۷ ص : ۶۲۹
١٧٧٠	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۵۸ ص : ۶۳۰
۱۷۷۰	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۵۹ ص : ۶۳۰
١٧٧٠	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
۱۷۷۰	شأن نزول: ص : ۶۳۰
١٧٧١	تفسیر: ص : ۶۳۰
1771	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۶۰ ص : ۶۳۱
1771	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
1771	شأن نزول: ص : ۶۳۱
1YY1	تفسیر: ص : ۶۳۱
1VVY	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۶۱ ص : ۶۳۲
1777	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۶۲ ص : ۶۳۲
1777	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٤٣ ص : ۶٣٢

۱۷۷۳ -	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۶۴ ص : ۶۳۳
۱۷۷۳ -	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۶۵ ص : ۶۳۳
۱۷۷۳ -	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۶۶ ص : ۶۳۳
۱۷۷۳ -	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۶۷ ص : ۶۳۴
۱۷۷۳ -	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۶۸ ص : ۶۳۴
1774 -	سورة الأحزاب(٣٣): آية ۶۹ ص : ۶۳۴
1774 -	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٧٠ ص : ۶۳۵
1774 -	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٧١ ص : ۶۳۵
۱۷۷۵ -	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٧٢ ص : ۶۳۵
۱۷۷۵ -	سورة الأحزاب(٣٣): آية ٧٣ ص : ۶۳۷
1778 -	جلد چهارم
1779 -	پیشگفتار ص : ۱۹
1777 -	ادامه جزء ۲۲ ص : ۲۳
	سوره سبأ [۳۴] ص : ۲۳
	اشارها
	محتوای سوره: ص : ۲۳
	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۲۳
	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۱ ص : ۲۴
	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۲ ص : ۲۵
	سورة سبإ(۳۴): آية ۳ ص : ۲۶
	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۴ ص : ۲۷
	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۵ ص : ۲۷
	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۶ ص : ۲۸
	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۷ ص : ۲۸
	سوره سبإ(۱۱): ایه ۸ ص : ۱۱
	سوره شبېر ۲۰۰۰ یک ۲۰۰۰ سال ۲۰۰۰ سال ۲۰۰۰ سوره

١٧٨٢	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۱۰ ص : ۳۰
)YAT	سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۱۱ ص : ۳۱
١٧٨٣	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۱۲ ص : ۳۱
NYA\$	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۱۳ ص : ۳۲
\YA\$	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۱۴ ص : ۳۳
ΝΥΛΔ	سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۱۵ ص : ۳۳
۱۷۸۵	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۱۶ ص : ۳۴
NΥΛΔ	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۱۷ ص : ۳۵
NYAF	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۱۸ ص : ۳۵
NYAF	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۱۹ ص : ۳۶
NYAY	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۲۰ ص : ۳۷
NYAY	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۲۱ ص : ۳۷
ΝΥΛΛ	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۲۲ ص : ۳۸
ΝΥΛΛ	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۲۳ ص : ۳۸
PAY(
PAY1	سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۲۵ ص : ۴۰
PAY(سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۲۶ ص : ۴۰
γ9·	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۲۷ ص : ۴۱
γ9·	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۲۸ ص : ۴۲
)Y9.	سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۲۹ ص : ۴۲
)Y9)	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۳۰ ص : ۴۲
)Y9)	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۳۱ ص : ۴۳
)Y9)	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۳۲ ص : ۴۳
797	سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۳۳ ص : ۴۴
797	
NY9Y	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۳۵ ص : ۴۵

1798	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۳۶ ص : ۴۵
1798	سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۳۷ ص : ۴۵
1798	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۳۸ ص : ۴۶
1794	سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۳۹ ص : ۴۶
1794	سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۴۰ ص : ۴۷
1794	سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۴۱ ص : ۴۷
1Υ٩Δ	سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۴۲ ص : ۴۸
۱۷۹۵	سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۴۳ ص : ۴۸
1798	سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۴۴ ص : ۴۹
1Y9 <i>8</i>	
1748	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
1797	
\PY\.	
179A	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
۱۷۹۸	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
1799	
1799	
١٨٠٠	
14	
١٨٠٠	
14.1	
١٨٠١	

14.1	سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۴ ص : ۵۸
١٨٠٢	سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۵ ص : ۵۸
١٨٠٢	
1.4.7	سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۷ ص : ۵۹
١٨٠٣	سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۸ ص : ۵۹
1.8.4.4.4.4.4.4.4.4.4.4.4.4.4.4.4.4.4.4.	
1.4.4	سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۱۰ ص : ۶۰
1.4.4	
١٨٠۵	
١٨٠۵	
١٨٠۶	
١٨٠۶	
1A·Y	
1A·Y	
1A·Y	
1Α·Α	
١Α٠Α	
١٨٠٨	
١٨٠٨	
1.4.4	
١٨٠٩	
١٨٠٩	
١٨٠٩	
141.	
141.	
1811	سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۲۹ ص : ۷۰

1411	سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۳۰ ص : ۷۱
1411	سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۳۱ ص : ۷۱
١٨١٢	سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۳۲ ص : ۷۲
1817	سورة فاطر (۳۵): آية ۳۳ ص : ۷۳
1.814	سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۳۴ ص : ۷۳
1.8.1%	سورة فاطر(٣۵): آية ٣۵ ص : ٧٣
1.8.1%	سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۳۶ ص : ۷۴
1.4.1.4	سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۳۷ ص : ۷۴
1.4.1.4	سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۳۸ ص : ۷۵ ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
١٨١٥	
١٨١٥	
١٨١٥	
1.4.1.9	
1818	
1818	
1.4.1.9	
1A1Y	
1A1Y	
١٨١٨	
١٨١٨	
١٨١٨	
١٨١٩	
1419	
1.19	
184.	
IVI	سورة يس(۱۶): ايه ۱ ص : ۸۱

١٨٢٠	سورهٔ یس(۳۶): اَیهٔ ۴ ص : ۸۳
147.	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۵ ص : ۸۳
1AT·	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۶ ص : ۸۳
147.	سورهٔ یس(۳۶): اَیهٔ ۷ ص : ۸۳
1471	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۸ ص : ۸۳
1471	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۹ ص : ۸۴
1471	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۰ ص : ۸۴
1471	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۱ ص : ۸۴
1ATT	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۲ ص : ۸۵
1ATT	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۳ ص : ۸۵
1877	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۴ ص : ۸۶
1877	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۵ ص : ۸۶
١٨٢٣	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۶ ص : ۸۶
١٨٢٣	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۷ ص : ۸۶
١٨٢٣	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۸ ص : ۸۷
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۰ ص : ۸۷
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۱ ص : ۸۸
۱۸۲۵	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۲ ص : ۸۸
۱۸۲۵	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۳ ص : ۸۹
۱۸۲۵	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۴ ص : ۸۹
١٨٢۵	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۵ ص : ۸۹
١٨٢۶	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۶ ص : ۹۰
١٨٢۶	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۷ ص : ۹۰
۱۸۲۶	آغاز جزء ۲۳ قرآن مجید ص : ۹۱
١٨٢۶	ادامه سوره پس ص : ۹۱

1878	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۸ ص : ۹۱
1XTY	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۹ ص : ۹۱
١٨٢٧	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۳۰ ص : ۹۱
١٨٢٧	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۳۱ ص : ۹۱
1877	
١٨٢٨	
١٨٢٨	
١٨٢٨	
١٨٢٩	
١٨٢٩	
١٨٣٠	
١٨٣٠	
١٨٣٠	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۴۱ ص : ۹۶
1861	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۴۲ ص : ۹۶
١٨٣١	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۴۳ ص : ۹۶
1,4,4,7,1,	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۴۴ ص : ۹۷
1AT1	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۴۵ ص : ۹۷
1,477	
1,477	
1,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,	
1ATT	
1ATT	
1486	
1,174	

۱۸۳۵
۱۸۳۵
۱۸۳۵ ص : ۱۰۳ م ۱۰۳ م ۱۸۳۵ ص : ۱۰۳ م ۱۸۳۵ م ۱۰۳ م ۱۸۳۶ م ۱۰۳ م ۱۸۳۶ م ۱۰۳ م ۱۸۳۶ م ۱۰۳ م ۱۰۳ م ۱۰۳ م ۱۰۳ م ۱۰۳ م ۱۰۳ م ۱۸۳۶ م ۱۰۴ م ۱۰۳
۱۸۳۶ سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۹ ص : ۱۰۳
۱۸۳۶ سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۰ ص : ۱۰۳ - ۱۸۳۶ سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۱ ص : ۱۰۴ - ۱۸۳۶ سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۲ ص : ۱۰۴ - ۱۸۳۷ سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۳۶ ص : ۱۰۴ - ۱۸۳۷ سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۳۶ ص : ۱۰۸ سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۴ ص : ۱۰۵ - ۱۸۳۷ سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۴ ص : ۱۰۵
سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۱ ص : ۱۰۴ ص : ۱۰۴ ص : ۱۰۴ ص : ۱۰۳ سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۲ ص : ۱۰۴ ص : ۱۰۳ سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۳ ص : ۱۰۵ سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۴ ص : ۱۰۵
سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۲ ص : ۱۰۴
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۶۳ ص : ۱۰۴
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۶۴ ص : ۱۰۵
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۶۶ ص : ۱۰۵
سورهٔ یس(۳۶): اَیهٔ ۶۷ ص : ۱۰۶
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۶۸ ص : ۱۰۶۱۸۳۸
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۶۹ ص : ۱۰۶
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۰ ص : ۱۰۸۱۸۳۹
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۱ ص : ۱۰۸۱۸۳۹
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۲ ص : ۱۰۸۱۸۴۰
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۳ ص : ۱۰۹
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۴ ص : ۱۰۹
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۵ ص : ۱۰۹
سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۷۶ ص : ۱۱۰
سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۷ ص : ۱۱۰
اساره ص : ۱۱۰

1,1,4,1	تفسیر: ص : ۱۱۰
١٨۴٢	سورهٔ یس(۳۶): اَیهٔ ۷۸ ص : ۱۱۱
1,447	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۹ ص : ۱۱۱
1,147	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۸۰ ص : ۱۱۲
1,148	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۸۱ ص : ۱۱۳
1,444	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۸۲ ص : ۱۱۳
1,444	سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۸۳ ص : ۱۱۴
1,444	اشاره
1,444	نکتهها: ص : ۱۱۴
1,444	اشاره
1,444	۱- اعتقاد به معاد یک امر فطری است ص : ۱۱۴
1,140	
1,1,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4	
1,147	
1.X.F.V	
١٨۴٨	
١٨۴٨	
1,	
1,149	
1.4.5	
1.67	
1887	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	•
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
· · · · · ·	سوره الصاحب ۱۱۱ ایک ایک ایک ایک ا

1A۵۴	سورة الصافات(٣٧): آية ٢ ص : ١٣١
NΔΔ۴	سورة الصافات(٣٧): آية ٣ ص : ١٣١
NAAF	سورهٔ الصافات(۳۷): آیهٔ ۴ ص : ۱۳۱
NAGF	سورة الصافات(٣٧): آية ۵ ص : ١٣١
١٨٥٥	سورة الصافات(٣٧): آية ۶ ص : ١٣٢
١٨٥٥	سورة الصافات(٣٧): آية ٧ ص : ١٣٢
١٨۵۵	سورة الصافات(٣٧): آية ٨ ص : ١٣٢
١٨۵۵	سورهٔ الصافات(۳۷): آیهٔ ۹ ص : ۱۳۲
١٨٥٥	سورهٔ الصافات(۳۷): آیهٔ ۱۰ ص : ۱۳۳
\ΛΔ۶	سورهٔ الصافات(۳۷): آیهٔ ۱۱ ص : ۱۳۳
NAQF	سورة الصافات(۳۷): آية ۱۲ ص : ۱۳۴
NAΔ۶	
\\\\SP	
1λΔY	
1ΑΔΥ	
1ΑΔΥ	
1 ΑΔΥ	
\AQY	
1λΔY	
۱۸۵۸	
1 λ Δ λ	
١٨٥٨	
λλλα	
ΡΔΑΙ	
NAONPOAN	
ιλωι	سورهٔ الصافات(۲۷): ایه ۱۷ ص : ۱۱۷

	ص : ۱۳۷	: آیهٔ ۲۸	سورة الصافات(٣٧)
	ص : ۱۳۷	: آيهٔ ۲۹	سورة الصافات(٣٧)
١٨۶٠	ص : ۱۳۷	: آيهٔ ۳۰	سورة الصافات(٣٧)
١٨۶٠	ص : ۱۳۸	: آیهٔ ۳۱	سورة الصافات(٣٧)
١٨۶٠	ص : ۱۳۸	: آیهٔ ۳۲	سورة الصافات(٣٧)
١٨۶٠	ص : ۱۳۸	: آيهٔ ۳۳	سورة الصافات(٣٧)
١٨۶٠	ص : ۱۳۸	: آیهٔ ۳۴	سورة الصافات(٣٧)
1881			
1881			
١٨۶١			
١٨٦١			
1881			
١٨۶٢			
١٨۶٢			
1887			
1887			
1,1,9,4			
188			
1,4,5,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,4,			
1.6.5.			
188			
1894			
1894			
1894			
1 <i>\(\seta \)</i>			

\&\$F	سورة الصافات(٣٧): أيهٔ ۵۴ ص : ۱۴۲
1 <i>A</i> \$\$	سورة الصافات(٣٧): آية ۵۵ ص : ۱۴۲
1,4,5,4	سورهٔ الصافات(۳۷): آیهٔ ۵۶ ص : ۱۴۳
ነለ۶۵	سورة الصافات(٣٧): أيدُ ۵۷ ص : ١٤٣
۱۸۶۵	سورة الصافات(٣٧): أيهٔ ۵۸ ص : ١٤٣
ነ ለዎል	سورة الصافات(٣٧): آية ۵۹ ص : ١٤٣
ነ ለዎል	سورة الصافات(۳۷): آیهٔ ۶۰ ص : ۱۴۳
ነ ለዎል	سورهٔ الصافات(۳۷): آیهٔ ۶۱ ص : ۱۴۳
\A\$\$	سورة الصافات(٣٧): آية ۶۲ ص : ۱۴۴
\A\$\$	سورهٔ الصافات(۳۷): آیهٔ ۶۳ ص : ۱۴۴
\	
\\\$\$\$	
\\\P\$	
ነ <i>ለ</i> ۶ሃ	
\&\$Y	
\ <i>\</i> \$\$Y	
\&\$Y	
\&\$Y	
\	
ΛΑ ۶ Λ	
\	
ΛΑ <i>Ρ</i> Α	
\A\$A	
ΛΑ ¢ Α	
\AF9	
1/// \	سورة الصافات(١١): ايه ٧١ ص ١١١ ٠

1899	سورة الصافات(٣٧): آية ٨٠ ص : ١۴٧
1889	سورة الصافات(٣٧): آية ٨١ ص : ١٤٧
1,899	سورة الصافات(٣٧): آية ٨٢ ص : ١٤٧٠
1889	سورة الصافات(٣٧): آية ٨٣ ص : ١٤٧٠
1XY·	سورة الصافات(۳۷): آية ۸۴ ص : ۱۴۸
1AY•	سورة الصافات(۳۷): آية ۸۵ ص : ۱۴۸
1AY•	سورة الصافات(۳۷): آية ۸۶ ص : ۱۴۸
1AY•	سورة الصافات(۳۷): آية ۸۷ ص : ۱۴۸
١٨٧٠	
1AY1	
1AVY	
١٨٧٢	
١٨٧٢	
١٨٧٢	
١٨٧٢	
١٨٧٣	
١٨٧٣	
١٨٧٣	
1.4.7.4	
1.4.7.4	
1.4.7.4	سورة الصافات(٣٧): آية ١٠٥ ص : ١٥۴ -

١٨٧٥	سورة الصافات(٣٧): آية ١٠۶ ص : ١٥٤
۱۸۷۵	سورة الصافات(۳۷): آية ۱۰۷ ص : ۱۵۴
١٨٧۵	سورة الصافات(۳۷): آيهٔ ۱۰۸ ص : ۱۵۴
۱۸۷۵	سورة الصافات(٣٧): آية ١٠٩ ص : ١٥٤
١٨٧٥	سورة الصافات(۳۷): أيهٔ ۱۱۰ ص : ۱۵۴
۱۸۷۵	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
1AY8	ذبيح اللّه كيست؟ ص : ۱۵۵
١٨٧٧	
١٨٧۶	
1AY8	
1AV9	
1AYY	
\AYY	
1AYY	
1AYY	
1AYY	
١٨٧٨	
١٨٧٨	
١٨٧٨	
١٨٧٨	
١٨٧٨	
١٨٧٨	
1AV9	
1AV9	
1AV9	
PYA1	سورة الصافات(٣٧): آية ١٢٩ ص : ١٥٩

PYA/	سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٠ ص : ١٥٩ -
١٨٨٠	سورهٔ الصافات(۳۷): آیهٔ ۱۳۱ ص : ۱۵۹ -
١٨٨٠	سورة الصافات(٣٧): آيةُ ١٣٢ ص : ١٥٩ -
١٨٨٠	سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٣ ص : ١۵٩ -
1884	سورة الصافات(٣٧): آية ١٣۴ ص : ١٥٩ -
١٨٨٠	سورة الصافات(۳۷): آية ۱۳۵ ص : ۱۶۰ -
١٨٨٠	سورة الصافات(۳۷): آية ۱۳۶ ص : ۱۶۰ -
١٨٨٠	سورة الصافات(٣٧): آية ١٣٧ ص : ١۶٠ -
١٨٨١	
١٨٨١	
1881	
1881	
1887	
1XXY	
1XXY	
1 λ λ λ 7	
١٨٨٢	
١٨٨٣	
١٨٨٣	
١٨٨٣	
١٨٨٣	
1	
1	
1	
1	
١٨٨٥	سورة الصافات(٣٧): اية ١٥٣ ص : ١٢٢

1840	ے : ۴	ً ص	أية ۱۵۴	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1844 18	ے : ۵	ً ص	أيهٔ ۱۵۵	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
١٨٨٥١۶	ے : ۵	ص	أية ۱۵۶	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1840	ے : ۵	ً ص	أيهٔ ۱۵۷	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
١٨٨٥ ١۶	ے : ۵	ً ص	أيهٔ ۱۵۸	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1888	ے : ۶	ً ص	أية ۱۵۹	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
١٨٨٤ ١۶	ى : ۶	ص	أيهٔ ۱۶۰	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
١٨٨٤ ١۶	ى : ۶	ص	أيهٔ ۱۶۱	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1AA8 18	ے : ۶	ص	أية ١۶٢	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
١٨٨٤ ١۶	ى : ۶	ص	أية ١۶٣	ات(۳۷): أ	سورة الصافا
1AA8 18	ے : ۶	ص	أية ۱۶۴	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1AAY 19	ے : ۶	ص	أية ۱۶۵	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1AAY 19	۷ : ر	حو	أية ۱۶۶	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
\AAY\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	ے : ۷	ص	أية ١۶٧	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1AAY 19	ی : ۷	ص	أية ١۶٨	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1AAY 19	ے : ۷	ص	أية ١۶٩	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1AAA 18	ی : ۷	ً ص	أية ۱۷۰	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1AAA 18	ے : ۸	ً ص	أية ١٧١	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1AAA 18	ی : ۸	ً ص	أية ۱۷۲	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1AAA 19	ے : ۸	ً ص	أية ١٧٣	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1AAA 19	ی : ۸	ً ص	أية ۱۷۴	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1AAA 19	ے : ۸	ً ص	أيهٔ ۱۷۵	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
۱۸۸۹۱۸۸۹	۸ : ر	ص	أية ۱۷۶	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1841	ى : ٩	ً ص	أية ١٧٧	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
1841	ى : ٩	ً ص	أية ۱۷۸	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا
۱۸۸۹	۹ : .	ص	أىة ١٧٩	ات(۳۷): اَ	سورة الصافا

۱۸۸۹	سورة الصافات(٣٧): آية ١٨٠ ص : ١۶٩
۱۸۹۰	سورة الصافات(۳۷): آيةٔ ۱۸۱ ص : ۱۶۹
189	سورة الصافات(۳۷): آيهٔ ۱۸۲ ص : ۱۷۰
۱۸۹۰	سوره ص [۳۸] ص : ۱۷۱
۱۸۹۰	اشاره
۱۸۹۰	محتوای سوره: ص : ۱۷۱
۱۸۹۱	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۱۷۲
۱۸۹۱	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱ ص : ۱۷۱ص
۱۸۹۱	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
۱۸۹۱	شأن نزول: ص : ۱۷۱
۱۸۹۲	تفسير: ص : ۱۷۳
۱۸۹۲	سورهٔ ص(۳۸): اَیهٔ ۲ ص : ۱۷۳
۱۸۹۲	سورهٔ ص(۳۸): اَیهٔ ۳ ص : ۱۷۳
۱۸۹۳	سورهٔ ص(۳۸): اَیهٔ ۴ ص : ۱۷۴ح
۱۸۹۳	اشارها
۱۸۹۳	شأن نزول: ص : ۱۷۴
۱۸۹۳	تفسير: ص : ۱۷۵
1894	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۵ ص : ۱۷۵
ነ从۹۴	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶ ص : ۱۷۵
1894	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷ ص : ۱۷۶
۱۸۹۵	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸ ص : ۱۷۶
۱۸۹۵	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۹ ص : ۱۷۷
۱۸۹۵	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۰ ص : ۱۷۷
۱۸۹۵	سورهٔ ص(۳۸): أيهٔ ۱۱ ص : ۱۷۷
۱۸۹۶	سورهٔ ص(۳۸): أيهٔ ۱۲ ص : ۱۷۸
) 1 0 C	, , , , , , , , , , , , , , , , , , ,

1898	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۴ ص : ۱۷۸
1498	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۵ ص : ۱۷۸
\A9YYPA/	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۶ ص : ۱۷۹
\A9YYPAI	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۷ ص : ۱۷۹
\P\N\	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۸ ص : ۱۸۰
\\P\\P\\P\\P\\P\\P\\P\\P\\P\\P\\P\\P\\P	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۹ ص : ۱۸۰
\APA\APA\APA\APA\APA\APA\APA\APA\APA\APA\APA	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۰ ص : ۱۸۰
١٨٩٨	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۱ ص : ۱۸۰
١٨٩٨	
1899	
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	
1λ99	
19	
19	
19	
19.1	
19.1	
19.1	
19.1	
19.7	
19.7	
19.7	
19.7	
19.7	
19.7	
19.8	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳۹ ص : ۱۸۸

19.4	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۰ ص : ۱۸۸
19.۴	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۱ ص : ۱۸۸
۹۰۵	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۲ ص : ۱۹۰
۱۹۰۵	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۳ ص : ۱۹۰
۵۰۶۱	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۴ ص : ۱۹۰
19.5	
19.8	
19.6	
19.8	
٠٩٠٧	
٧٠٠	
Α.β.	
Α.β.	
Α.β.	
, 9 · Λ	
۹۰۸	
۹۰۸	
9.9	
9.9	
19.9	
19.9	
91.	
191.	
191.	
1911	
	5

1911	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۶ ص : ۱۹۷
1911	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۷ ص : ۱۹۸
1911	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۸ ص : ۱۹۸
1911	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۹ ص : ۱۹۸
1917	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۰ ص : ۱۹۸
917	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۱ ص : ۱۹۸
917	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۲ ص : ۱۹۸
917	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۳ ص : ۱۹۸
917	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۴ ص : ۱۹۹
918	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۵ ص : ۱۹۹
918	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۶ ص : ۱۹۹
918	سورهٔ ص(۳۸): اَیهٔ ۷۷ ص : ۲۰۰
918	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۸ ص : ۲۰۰
914	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۹ ص : ۲۰۰
914	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۰ ص : ۲۰۱
918	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۱ ص : ۲۰۰
917	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۲ ص : ۲۰۰
910	سورهٔ ص(۳۸): اَیهٔ ۸۳ ص : ۲۰۰
910	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۴ ص : ۲۰۲
910	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۵ ص : ۲۰۲
910	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۶ ص : ۲۰۲
918	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۷ ص : ۲۰۳
118	سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۸ ص : ۲۰۳
918	سوره زمر [۳۹] ص : ۲۰۵
918	
918	محتوای سوره: ص : ۲۰۵

1917	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۲۰۶
191V	سورهٔ الزمر(۳۹): أيهٔ ۱ ص : ۲۰۶۰
191Y	سورهٔ الزمر(۳۹): آیهٔ ۲ ص : ۲۰۶
Λ/Ρ/	سورة الزمر(٣٩): أية ٣ ص : ٢٠٧
1919	سورهٔ الزمر (۳۹): آیهٔ ۴ ص : ۲۰۸
1919	سورة الزمر (۳۹): آیهٔ ۵ ص : ۲۰۹
197.	سورهٔ الزمر(۳۹): آیهٔ ۶ ص : ۲۱۰
	سورهٔ الزمر(۳۹): آیهٔ ۷ ص : ۲۱۱
	سورهٔ الزمر(۳۹): أيهٔ ۸ ص : ۲۱۲
	سورهٔ الزمر(۳۹): آیهٔ ۹ ص : ۲۱۳
	سورهٔ الزمر(۳۹): اَیهٔ ۱۰ ص : ۲۱۴
	سورة الزمر(٣٩): آيهٔ ١١ ص : ٢١۶
	سورة الزمر(٣٩): آية ١٢ ص : ٢١۶
	سورة الزمر(٣٩): آية ١٣ ص : ٢١۶
	سورة الزمر(٣٩): أيهٔ ١۴ ص : ٢١۶
	سورة الزمر(٣٩): آية ١۵ ص : ٢١۶
	سورة الزمر(٣٩): اَيةُ ١۶ ص : ٢١٧
	سورهٔ الزمر(۳۹): أيهٔ ۱۷ ص : ۲۱۷
	سورة الزمر(۳۹): أيهٔ ۱۸ ص : ۲۱۸
	سورهٔ الزمر(۳۹): آیهٔ ۱۹ ص : ۲۱۸
	سورهٔ الزمر (۳۹): آیهٔ ۲۰ ص : ۲۱۸
	سورهٔ الزمر(۳۹): آیهٔ ۲۱ ص : ۲۱۹
	سورهٔ الزمر(۳۹): آیهٔ ۲۲ ص : ۲۲۰
	سورهٔ الزمر (۳۹): آیهٔ ۲۳ ص : ۲۲۱
	اشاره
1977	شأن نزول: ص : ۲۲۱

ΑΥΡΙ	تفسیر: ص : ۲۲۱
1979	سورة الزمر(٣٩): آية ٢۴ ص : ٢٢٣
1979	سورة الزمر(٣٩): آية ٢٥ ص : ٢٢٣
1979	سورة الزمر (٣٩): آية ۲۶ ص : ٢٢٣
1979	سورة الزمر (٣٩): آية ٢٧ ص : ٢٢۴
198.	سورة الزمر (٣٩): آيهٔ ۲۸ ص : ۲۲۴
198.	سورة الزمر (٣٩): آية ٢٩ ص : ٢٢۴
198.	سورة الزمر (٣٩): آية ٣٠ ص : ٢٢۵
1971	سورة الزمر (٣٩): آية ٣١ ص : ٢٢۵
1981	أغاز جزء ۲۴ قرآن مجيد ص : ۲۲۵
1981	ادامه سوره زمر ص : ۲۲۵
1981	سورة الزمر (٣٩): آية ٣٢ ص : ٢٢۵
1987	سورة الزمر (٣٩): آية ٣٣ ص : ٢٢۶
1987	سورة الزمر(٣٩): آية ٣۴ ص : ٢٢۶
1987	سورة الزمر (٣٩): آية ٣۵ ص : ٢٢۶
1987	سورة الزمر (٣٩): آية ٣۶ ص : ٢٢٧
1987	اشاره ٠
1987	شأن نزول: ص : ۲۲۷
1988	تفسير: ص : ۲۲۷
1988	سورة الزمر (٣٩): آية ٣٧ ص : ٢٢٨
1977	اشاره
1984	هدایت و ضلالت از سوی خداست! ص : ۲۲۸
۱۹۳۵	سورة الزمر (٣٩): آية ٣٨ ص : ٢٣١
1989	سورهٔ الزمر(۳۹): آیهٔ ۳۹ ص : ۲۳۲
198	سورة الزمر (٣٩): آية ۴۰ ص : ٢٣٢
1989	سورهٔ الزمر(۳۹): آیهٔ ۴۱ ص : ۲۳۲

1988	۲۳۳	ص :	۱): آیهٔ ۴۲	سورة الزمر(٣٩
19TV	۲۳۳	ص :	۱): آیهٔ ۴۳	سورة الزمر (٣٩
19TY	۲۳۴	ص :	۱): آیهٔ ۴۴	سورة الزمر(٣٩
19TY	۲۳۴	ص :	۱): آیهٔ ۴۵	سورة الزمر(٣٩
۱۹۳۸	۲۳۵	ص :	۲): آيهٔ ۴۶	سورة الزمر (٣٩
N9WA	۲۳۵	ص :	۱): آیهٔ ۴۷	سورة الزمر (٣٩
19TA	۲۳۵	ص :	۱): آیهٔ ۴۸	سورة الزمر (٣٩
1989	۲۳۵	ص :	۱): آیهٔ ۴۹	سورة الزمر (٣٩
1989	۲۳۶	ص :	۱): آيهٔ ۵۰	سورة الزمر (٣٩
1989	۲۳۶	ص :	۱): آیهٔ ۵۱	سورة الزمر(٣٩
1989	۲۳۷	ص :	۱): آیهٔ ۵۲	سورة الزمر(٣٩
194.	۲۳۷	ص :	۱): آیهٔ ۵۳	سورة الزمر(٣٩
194.	۲۳۸	ص :	۱): آیهٔ ۵۴	سورة الزمر(٣٩
1941	ፕ۳አ	ص :	۱): آيهٔ ۵۵	سورة الزمر (٣٩
1981	۲۳۹	ص :	۱): آيهٔ ۵۶	سورة الزمر (٣٩
1981	۲۳۹	ص :	۱): آيهٔ ۵۷	سورة الزمر (٣٩
1981	۲۳۹	ص :	۱): آیهٔ ۵۸	سورة الزمر (٣٩
1987	۲۳۹	ص :	۱): آيهٔ ۵۹	سورة الزمر (٣٩
1987	۲۴۰	ص :	۱): آیهٔ ۶۰	سورة الزمر (٣٩
1987	۲۴۰	ص :	۱): آیهٔ ۶۱	سورة الزمر (٣٩
1987	741	ص :	۲): آیهٔ ۶۲	سورة الزمر (٣٩
1944	7۴1	ص :	۲): آیهٔ ۶۳	سورة الزمر (٣٩
1988	7۴1	ص :	۲): آیهٔ ۶۴	سورة الزمر (٣٩
1988	۲۴۲	ص :	۲): آیهٔ ۶۵	سورة الزمر (٣٩
1986	۲۴۲	ص :	۱): آیهٔ ۶۶	سورة الزمر (٣٩
1988	۲۴۳	ص :	۲): آیهٔ ۶۷	سورة الزمر (٣٩

1940	سورهٔ الزمر(۳۹): أيهٔ ۶۸ ص : ۲۴۴
1980	سورة الزمر (٣٩): آية ۶۹ ص : ۲۴۴
1948	سورهٔ الزمر(۳۹): اَيهٔ ۷۰ ص : ۲۴۶
1948	سورهٔ الزمر (۳۹): آیهٔ ۷۱ ص : ۲۴۶
1947	سورة الزمر (٣٩): اَية ٧٢ ص : ٢٤٧
1947	سورة الزمر (۳۹): آية ٧٢ ص : ۲۴۸
1947	سورة الزمر (٣٩): آية ٧۴ ص : ٢۴٩
1947	سورة الزمر (۳۹): آية ۷۵ ص : ۲۴۹
1949	ــوره مؤمن «غافر» [۴۰] ص : ۲۵۱
1949	اشاره
1949	محتوای سوره: ص : ۲۵۱
۱۹۵۰	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۲۵۲
۱۹۵۰	سورهٔ غافر(۴۰): اَیهٔ ۱ ص : ۲۵۲
۱۹۵۰	سورهٔ غافر(۴۰): اَیهٔ ۲ ص : ۲۵۳
۱۹۵۱	سورهٔ غافر(۴۰): اَیهٔ ۳ ص : ۲۵۳
۱۹۵۱	سورهٔ غافر(۴۰): اَیهٔ ۴ ص : ۲۵۳
۱۹۵۱	سورهٔ غافر(۴۰): اَیهٔ ۵ ص : ۲۵۴
1987	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۶ ص : ۲۵۵
۱۹۵۲	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷ ص : ۲۵۵
۱۹۵۳	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۸ ص : ۲۵۶
۱۹۵۳	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۹ ص : ۲۵۶
۱۹۵۳	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۰ ص : ۲۵۷
1964	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۱ ص : ۲۵۷
1964	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۲ ص : ۲۵۸
1964	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۳ ص : ۲۵۸
۱۹۵۵	سورهٔ غافر(۴۰): اَیهٔ ۱۴ ص : ۲۵۹

١٩٥٥	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۵ ص : ۲۵۹
1908	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۶ ص : ۲۶۰
1908	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۷ ص : ۲۶۱
19ΔY	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۸ ص : ۲۶۲
19ΔY	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۹ ص : ۲۶۳
ΛΔΡΙ	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۲۰ ص : ۲۶۳
ΛΔΡΙ	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۲۱ ص : ۲۶۳
ΑΔΡΙ	
١٩٥٩	
1909	
١٩٥٩	
196	
196.	
195.	
1981	
1987	
1987	
1987	
198٣	
198~	
1986	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۳۶ ص : ۲۷۱
19۶۴	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۳۷ ص : ۲۷۱
1984	سورهٔ غافر(۴۰): اَیهٔ ۳۸ ص : ۲۷۲
1980	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۳۹ ص : ۲۷۲
١٩۶۵	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۴۰ ص : ۲۷۳

1980	۲۷۳	ص :	۴1	(۴۰): آيهٔ	سورۂ غافر(
1980	774	ص :	۴۲	(۴۰): آيۀ	سورة غافر(
1988	774	ص :	۴ ۳	(۴۰): آيهٔ	سورة غافر(
1999	774	ص :	۴۴	(۴۰): آيۀ	سورۂ غافر(
1988	۲۷۵	ص :	۴۵	(۴۰): آيهٔ	سورة غافر(
1988					
1987					
1987					
1957					
1987					
1981					
1984					
1994					
1989					
1989					
197.					
197.					
1971					
1971					
1971					
1977					
1977					
1977					
1977	۲۸۴	ص :	۶۵	(۴۰): آية	سورة غافر(
1977	7,74	ص :	99	(۴۰): آيهٔ	سورة غافر(

1974	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۶۷ ص : ۲۸۵ــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۱۹۷۵	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۶۸ ص : ۲۸۶
۱۹۷۵	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۶۹ ص : ۲۸۷
۱۹۷۵	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷۰ ص : ۲۸۷
۱۹۷۵	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷۱ ص : ۲۸۷
1978	سورهٔ غافر(۴۰): اَ یهٔ ۷۲ ص : ۲۸۷
1978	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷۳ ص : ۲۸۷
1979	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷۴ ص : ۲۸۷ ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
1978	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷۵ ص : ۲۸۸ ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
١٩٧٧	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷۶ ص : ۲۸۸ ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
19YY	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷۷ ص : ۲۸۹
19YY	سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷۸ ص : ۲۸۹
1ΑΥΡ.	
1ΥΥΑ	
1979	
1979	
1979	
1979	
194.	
١٩٨٠	
194.	
194.	
1481	
1481	
19.4.	
1788	سورة فصلت(۲۱): ایه ۱ ص : ۱٦٧

YAP1	سورهٔ فصلت(۴۱): اَیهٔ ۴ ص : ۲۹۷
7AP1	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۵ ص : ۲۹۸
7AP(سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۶ ص : ۲۹۸
۳۸۶ ر	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۷ ص : ۲۹۹
۹۸۳	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۸ ص : ۲۹۹
7AP1	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۹ ص : ۲۹۹
19.4.۴	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۱۰ ص : ۳۰۰
19.4.۴	
1946	
۱۹۸۵	
۱۹۸۵ ۵۸۹۲	
N9A8	
1988	
1988	
N9AY	
NAAY	
) 9 A Y	
٠ ٨٨٩	
NAAA	
19AA	
19.4.4	
)9.4.9	
1949	
)99.	
199.	
.,,	سوره قصنت (۱۱): آیه ۱۱ ص . ۸۰ ۱ :

199.	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۳۰ ص : ۳۰۹
1991	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۳۱ ص : ۳۱۰
1991	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۳۲ ص : ۳۱۰
1997	سورهٔ فصلت(۴۱): اَیهٔ ۳۳ ص : ۳۱۰
1997	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۳۴ ص : ۳۱۱
1997	سورهٔ فصلت(۴۱): اَيهٔ ۳۵ ص : ۳۱۱
199٣	سورهٔ فصلت(۴۱): اَیهٔ ۳۶ ص : ۳۱۲
199٣	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۳۷ ص : ۳۱۲
1998	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۳۸ ص : ۳۱۳
1998	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۳۹ ص : ۳۱۴
1998	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۴۰ ص : ۳۱۴
1990	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۴۱ ص : ۳۱۵
۱۹۹۵	سورهٔ فصلت(۴۱): اَیهٔ ۴۲ ص : ۳۱۶
1998	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۴۳ ص : ۳۱۶
1998	سورهٔ فصلت(۴۱): أَيهٔ ۴۴ ص : ۳۱۷
\99Y	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۴۵ ص : ۳۱۸
γ99γ	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۴۶ ص : ۳۱۸
Λ ₽₽Λ	آغاز جزء ۲۵ قرآن مجید ص : ۳۱۹
۱۹۹۸	ادامه سوره فصلت ص : ۳۱۹
١٩٩٨	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۴۷ ص : ۳۱۹
۱۹۹۸	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۴۸ ص : ۳۲۰
١٩٩٨	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۴۹ ص : ۳۲۰
1999	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۵۰ ص : ۳۲۰
1999	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۵۱ ص : ۳۲۱
۲۰۰۰	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۵۲ ص : ۳۲۲
Y···	سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۵۳ ص : ۳۲۲

۲۰۰۱	سورة فصلت(۴۱): آية ۵۴ ص : ۳۲۳
۲۰۰۱	سوره شوری [۴۲] ص : ۳۲۵
۲۰۰۱	اشاره
	محتوای سوره: ص : ۳۲۵
	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٣٢٥ ٣٢٥
	سورة الشورى(۴۲): الآيات ۱ الى ۲ ص : ۳۲۶
	سورة الشورى(۴۲): آية ۳ ص : ۳۲۶حــــــــــــــــــــــــــــــــ
	سورة الشورى(۴۲): اَية ۴ ص : ۳۲۶ ص : ۳۲۶
7 • • ٢	سورة الشورى(۴۲): أيهٔ ۵ ص : ۳۲۶
۲۰۰۳	سورة الشورى(۴۲): اَيةُ ۶ ص : ۳۲۷
۲۰۰۳	سورة الشورى(۴۲): آية ۷ ص : ۳۲۷
74	سورة الشورى(۴۲): آيهٔ ۸ ص : ۳۲۸
۲۰۰۴	سورة الشورى(۴۲): آية ۹ ص : ۳۲۸
۲۰۰۴	سورهٔ الشوری(۴۲): آیهٔ ۱۰ ص : ۳۲۹
۲۰۰۵	سورة الشورى(۴۲): آيهٔ ۱۱ ص : ۳۲۹
۲۰۰۵	سورة الشورى(۴۲): آية ۱۲ ص : ۳۳۰
	سورة الشورى(۴۲): أيهٔ ۱۳ ص : ۳۳۱
	سورة الشورى(۴۲): آية ۱۴ ص : ۳۳۲
	سورة الشورى(۴۲): آية 1۵ ص : ۳۳۳
۲۰۰۸	سورة الشورى(۴۲): آية ۱۶ ص : ۳۳۵
۲۰۰۸	سورة الشورى(۴۲): آية ۱۷ ص : ۳۳۵
۲۰۰۹	سورة الشورى(۴۲): أيهٔ ۱۸ ص : ۳۳۶
۲۰۰۹	سورهٔ الشوری(۴۲): اَیهٔ ۱۹ ص : ۳۳۷
۲۰۱۰	سورة الشورى(۴۲): آيهٔ ۲۰ ص : ۳۳۷
۲۰۱۰	سورة الشورى(۴۲): أيهٔ ۲۱ ص : ۳۳۸
۲۰۱۱	سورة الشورى(۴۲): آية ۲۲ ص : ۳۳۹

7.11	سورهٔ الشوری(۴۲): آیهٔ ۲۳ ص : ۳۳۹
۲۰۱۱	اشاره
T·II	شان نزول: ص : ٣٣٩
۲۰۱۲	تفسیر: ص : ۳۴۰
T·17	سورهٔ الشوری(۴۲): آیهٔ ۲۴ ص : ۳۴۱
۲۰۱۳	سورة الشورى(۴۲): آية ۲۵ ص : ۳۴۲
7.14	سورة الشورى(۴۲): آية ۲۶ ص : ۳۴۲
7.14	سورة الشورى(۴۲): آيهٔ ۲۷ ص : ۳۴۲
7.14	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
7.14	شأن نزول: ص : ۲۴۲
7.14	تفسیر: ص : ۲۴۳
7.14	سورة الشورى(۴۲): آية ۲۸ ص : ۳۴۳
۲۰۱۵	سورة الشورى(۴۲): آية ۲۹ ص : ۳۴۴
۲۰۱۵	سورة الشورى(۴۲): آية ۳۰ ص : ۳۴۴
۲۰۱۵	
Y•18	سورة الشورى(۴۲): آيهٔ ۳۲ ص : ۳۴۵
7.18	سورة الشورى(۴۲): آية ٣٣ ص : ٣۴۵
Y•18	سورة الشورى(۴۲): آية ۳۴ ص : ۳۴۶
T•19	سورة الشورى(۴۲): آية ۳۵ ص : ۳۴۶
T• 1Y	سورة الشورى(۴۲): آية ۳۶ ص : ۳۴۶
T• 1Y	
T・1A	
Υ·١٨	
T・1A	
T•19	
T·19	سورة الشوري(۴۲): آية ۴۲ ص : ۳۴۹

T-19	سورة الشورى(۴۲): آية ۴۳ ص : ۳۵۰
Y - 19	سورة الشورى(۴۲): آية ۴۴ ص : ۳۵۰
Y-Y-	سورة الشورى(۴۲): آية ۴۵ ص : ۳۵۰
T.T.	سورة الشورى(۴۲): آية ۴۶ ص : ۳۵۱
T.T.	سورة الشورى(۴۲): آية ۴۷ ص : ۳۵۲
T-71	سورة الشورى(۴۲): آيهٔ ۴۸ ص : ۳۵۲
Y-Y1	سورة الشورى(۴۲): آية ۴۹ ص : ۳۵۳
Y-Y1	سورة الشورى(۴۲): آيهٔ ۵۰ ص : ۳۵۳
Y•YY	سورة الشورى(۴۲): آية ۵۱ ص : ۳۵۴
Y•YY	اشاره
7.77	شأن نزول: ص : ۳۵۴
Y•77	تفسیر: ص : ۳۵۴
7.77	سورة الشورى(۴۲): آية ۵۲ ص : ۳۵۵
7.77	سورة الشورى(۴۲): آية ۵۳ ص : ۳۵۵
7.77	اشاره
7.74	پيامبر اسلام صلّى اللّه عليه و اله قبل از نبوّت چه آئيني داشت؟ ص : ٣۵۶
7.76	سوره زخرف [۴۳] ص : ۳۵۷
7.74	اشاره
7.74	محتوای سوره: ص : ۳۵۷
7.74	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۳۵۸
۲۰۲۵	سورة الزخرف(۴۳): آية ١ ص : ٣۵٨
۲۰۲۵	سورة الزخرف(۴۳): آية ۲ ص : ۳۵۸
۲۰۲۵	سورۀ الزخرف(۴۳): آيۀ ٣ ص : ٣۵٨
T.70	سورة الزخرف(۴۳): آية ۴ ص : ۳۵۹
Y.Y8	سورة الزخرف(۴۳): آية ۵ ص : ۳۵۹
۲۰۲۶ ـ	سورة الزخرف(۴۳): آيةً ۶ ص : ۳۵۹

7.79	سورة الزخرف(۴۳): آية ۷ ص : ۳۵۹
T.75	سورة الزخرف(۴۳): آية ۸ ص : ۳۶۰
7.79	سورة الزخرف(۴۳): آية ۹ ص : ۳۶۰
Y•YY	سورة الزخرف(۴۳): آية ۱۰ ص : ۳۶۰
Y.YY	سورة الزخرف(۴۳): آيهٔ ۱۱ ص : ۳۶۱
Y.TY	سورة الزخرف(۴۳): آية ۱۲ ص : ۳۶۱
Υ·ΥΛ	سورة الزخرف(۴۳): آية ۱۳ ص : ۳۶۲
Υ•ΥΛ	سورة الزخرف(۴۳): آية ۱۴ ص : ۳۶۲
Υ•ΥΛ	سورة الزخرف(۴۳): آية ۱۵ ص : ۳۶۲
Υ•ΥΛ	سورة الزخرف(۴۳): آية ۱۶ ص : ۳۶۳ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
۲۰۲۹	سورة الزخرف(۴۳): آية ۱۷ ص : ۳۶۳
۲۰۲۹	سورة الزخرف(۴۳): آية ۱۸ ص : ۳۶۳
۲۰۲۹	سورة الزخرف(۴۳): آية ۱۹ ص : ۳۶۴
7.79	سورة الزخرف(۴۳): آية ۲۰ ص : ۳۶۴
7.7.	سورة الزخرف(۴۳): آية ۲۱ ص : ۳۶۵
7.7.	سورة الزخرف(۴۳): آية ۲۲ ص : ۳۶۵
7.%.	سورة الزخرف(۴۳): آية ۲۳ ص : ۳۶۵
7.71	سورة الزخرف(۴۳): آية ۲۴ ص : ۳۶۵
7.71	سورة الزخرف(۴۳): آية ۲۵ ص : ۳۶۶
7.71	سورة الزخرف(۴۳): آية ۲۶ ص : ۳۶۶
7.77	سورة الزخرف(۴۳): آية ۲۷ ص : ۳۶۷
7.77	سورة الزخرف(۴۳): آية ۲۸ ص : ۳۶۷
7.77	سورة الزخرف(۴۳): آية ۲۹ ص : ۳۶۷
7.77	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۳۰ ص : ۳۶۸
7.77	سورة الزخرف(۴۳): أية ٣١ ص : ٣۶٨
7.44	سورة الزخرف(۴۳): آیهٔ ۳۲ ص : ۳۶۸

Y·WW	سورة الزخرف(۴۳): أيةٔ ۳۳ ص : ۳۶۹
T.TT	سورة الزخرف(۴۳): آية ۳۴ ص : ۳۶۹
7.74	سورة الزخرف(۴۳): آية ۳۵ ص : ۳۶۹
7.44	سورهٔ الزخرف(۴۳): أيهٔ ۳۶ ص : ۳۷۰
Y·٣f	سورة الزخرف(۴۳): آية ۳۷ ص : ۳۷۰
T·٣f	
Υ·٣۵	
۲۰۳۵	
۲۰۳۵	
Υ·٣۵	
Y·WS Y·WS	
۲۰۳۶ ـ	
۲۰۳۶	
۲۰۳۷	
۲۰۳۷	سورة الزخرف(۴۳): آيهٔ ۴۸ ص : ۳۷۳
۲۰۳۷	سورة الزخرف(۴۳): آية ۴۹ ص : ۳۷۳
T· TY	سورة الزخرف(۴۳): آية ۵۰ ص : ۳۷۴
Υ٠٣٨	سورة الزخرف(۴۳): آية ۵۱ ص : ۳۷۴
Y·WA	سورة الزخرف(۴۳): آية ۵۲ ص : ۳۷۴
Υ·٣λ	سورة الزخرف(۴۳): آية ۵۳ ص : ۳۷۵
Y·WA	سورة الزخرف(۴۳): آية ۵۴ ص : ۳۷۵
T·٣٩	سورة الزخرف(۴۳): آية ۵۵ ص : ۳۷۶
7.49	سورة الزخرف(۴۳): آية ۵۶ ص : ۳۷۶
T·٣9	
T·٣9	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰

7.79	شأن نزول: ص : ۳۷۶
۲۰۴۰	تفسیر: ص : ۳۷۷
7.4.	سورة الزخرف(۴۳): آية ۵۸ ص : ۳۷۷
7.4.	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۵۹ ص : ۳۷۸
7.41	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۶۰ ص : ۳۷۸
7.41	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۶۱ ص : ۳۷۸
7.41	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۶۲ ص : ۳۷۹
7. FT	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۶۳ ص : ۳۷۹
7. FT	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۶۴ ص : ۳۷۹
7. FT	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۶۵ ص : ۳۸۰
7. FF	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۶۶ ص : ۳۸۰
7.48	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۶۷ ص : ۳۸۱
7. FF	سورة الزخرف(۴۳): آية ۶۸ ص : ۳۸۱
7.4%	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۶۹ ص : ۳۸۱
7.44	سورة الزخرف(۴۳): آية ۷۰ ص : ۳۸۲
7.44	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۷۱ ص : ۳۸۲
۲۰۴۴	سورة الزخرف(۴۳): أيهٔ ۷۲ ص : ۳۸۳
Y• FF	سورة الزخرف(۴۳): أيهٔ ۷۳ ص : ۳۸۳
۲۰۴۵	سورة الزخرف(۴۳): أيهٔ ۷۴ ص : ۳۸۳
۲۰۴۵	سورة الزخرف(۴۳): أيهٔ ۷۵ ص : ۳۸۳
۲۰۴۵	سورة الزخرف(۴۳): أيهٔ ۷۶ ص : ۳۸۳
۲۰۴۵	سورة الزخرف(۴۳): أيهٔ ۷۷ ص : ۳۸۴
7.48	سورة الزخرف(۴۳): أيهٔ ۷۸ ص : ۳۸۴
7.48	سورهٔ الزخرف(۴۳): آیهٔ ۷۹ ص : ۳۸۴
۲۰۴۶	سورة الزخرف(۴۳): آيهٔ ۸۰ ص : ۳۸۵
۲۰۴۶	سورة الزخرف(۴۳): آية ٨١ ص : ٣٨٥

7.47	سورهٔ الزخرف(۴۳): أيهٔ ۸۲ ص : ۳۸۵
7.47	سورة الزخرف(۴۳): آية ۸۳ ص : ۳۸۵
	سورة الزخرف(۴۳): أيهٔ ۸۴ ص : ۳۸۶
Y• * Y	سورة الزخرف(۴۳): آية ۸۵ ص : ۳۸۶
۲۰۴۸.	سورة الزخرف(۴۳): آیهٔ ۸۶ ص : ۳۸۷
۲۰۴۸.	سورة الزخرف(۴۳): آیهٔ ۸۷ ص : ۳۸۷ ص : ۳۸۷
۲۰۴۸.	سورة الزخرف(۴۳): آیهٔ ۸۸ ص : ۳۸۷
۲۰۴۸.	سورة الزخرف(۴۳): آيهٔ ۸۹ ص : ۳۸۸
	ــوره دخان [۴۴] ص : ۳۸۹
	اشاره
	محتوای سوره: ص : ۳۸۹
	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۳۹۰
	سورة الدخان(۴۴): آية ۱ ص : ۳۹۰
	سورة الدخان(۴۴): آية ۲ ص : ۳۹۰
۲۰۵۰	سورة الدخان(۴۴): آية ۳ ص : ۳۹۰
	سورة الدخان(۴۴): آية ۴ ص : ۳۹۱
	سورة الدخان(۴۴): آية ۵ ص : ۳۹۱
	سورة الدخان(۴۴): آية ۶ ص : ۳۹۱
	سورة الدخان(۴۴): آية ۷ ص : ۳۹۱
	سورة الدخان(۴۴): آية A ص : ۳۹۲ ·
	(أیه ۹)- آن روز که دودی کشنده همه آسمان را فرا میگیرد: ص : ۳۹۲
	سورة الدخان(۴۴): آية 1۰ ص : ۳۹۲
	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۱ ص : ۳۹۲
	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۲ ص : ۳۹۳
	سورة الدخان(۴۴): آية ١٣ ص : ٣٩٣
7.07	سورة الدخان(۴۴): آيهٔ ۱۴ ص : ۳۹۳

Υ·Δ٣	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۵ ص : ۳۹۳
۲۰۵۳	سورة الدخان(۴۴): آية ۱۶ ص : ۳۹۳
Υ.Δ٣	سورهٔ الدخان(۴۴): آیهٔ ۱۷ ص : ۳۹۳
Y • & W	سورة الدخان(۴۴): أية ۱۸ ص : ۳۹۴
۲۰۵۳	سورة الدخان(۴۴): أيهٔ ۱۹ ص : ۳۹۴
۲۰۵۳	سورة الدخان(۴۴): أيهٔ ۲۰ ص : ۳۹۴ ـ
Y·0f	سورة الدخان(۴۴): أيهٔ ۲۱ ص : ۳۹۴
7.04	
T.04	
T.04	
۲۰۵۵	
۲۰۵۵	
۲۰۵۵	
۲۰۵۵	
۲۰۵۵	
۲۰۵۶	
T • 08	
T · ۵۶	
T · 08	
Y. AY	
Y. AY	
Y. AY	
Y • &Y	
Υ·۵Υ	
Υ•۵Λ	
T.DA	سورة الدخان(۴۴): آية ۴۰ ص : ۳۹۹

Υ•ΔΛ	سورة الدخان(۴۴): آية ۴۱ ص : ۳۹۹
Υ•۵Λ	سورة الدخان(۴۴): آية ۴۲ ص : ۳۹۹
Υ•ΔΛ	سورة الدخان(۴۴): آية ۴۳ ص : ۴۰۰
Υ-Δ9ΡΔ-Υ	سورة الدخان(۴۴): آية ۴۴ ص : ۴۰۰
	سورة الدخان(۴۴): آية ۴۵ ص : ۴۰۰
۹۵۰۲	سورة الدخان(۴۴): آية ۴۶ ص : ۴۰۰
۹۵۰۲	سورة الدخان(۴۴): آية ۴۷ ص : ۴۰۰
۹۵۰۲	سورة الدخان(۴۴): آية ۴۸ ص : ۴۰۰
٢٠۵٠	
Y·۶·	
۲۰۶۰	
۲۰۶۰	
Y·۶·	
۲۰۶۰ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	
T·۶۱	
T·۶1	
7.81	
T·۶1	
T·۶1	
Y•\$Y	
7•97	
7.87	
Y•۶Y	
Y•۶Y	
7.54	
7.54	سورة الجاثية(۴۵): آية ٣ ص : ۴۰۶

Y.SE	سورة الجاثية(٤٥): آية ۴ ص : ۴۰۶
T.SM	سورة الجاثية(۴۵): آية ۵ ص : ۴۰۶
7.54	سورة الجاثية(۴۵): آية ۶ ص : ۴۰۷
T·\$F	سورة الجاثية(۴۵): آية ۷ ص : ۴۰۸
T·80	سورة الجاثية(۴۵): آية ٨ ص : ۴٠٨
۲۰۶۵	سورة الجاثية(۴۵): آية ٩ ص : ۴٠٩
۲۰۶۵	سورة الجاثية(۴۵): آية ١٠ ص : ۴٠٩
۲۰۶۵	سورة الجاثية(۴۵): آية ١١ ص : ۴۰۹
Y • 99	سورهٔ الجاثيةُ (۴۵): آيهٔ ۱۲ ص : ۴۱۰
Y • 99	سورة الجاثية(٤٥): آية ١٣ ص : ۴١٠
Y • 99	سورة الجاثية(٤٥): آية ١۴ ص : ۴۱۱
Y • 9Y	سورة الجاثية(۴۵): آية ۱۵ ص : ۴۱۱
Y • 9Y	سورة الجاثية (۴۵): آية ۱۶ ص : ۴۱۱
Υ•۶۸	سورة الجاثية(٤٥): آية ١٧ ص : ۴١٢
Υ•۶۸	سورة الجاثية(۴۵): آية ۱۸ ص : ۴۱۳
Υ•۶λ	سورة الجاثية(۴۵): آية ١٩ ص : ۴۱٣
Y.89	سورة الجاثية(۴۵): آية ۲۰ ص : ۴۱۴
Y.89	سورة الجاثية(۴۵): آية ۲۱ ص : ۴۱۴
Y.89	سورة الجاثية(۴۵): آية ۲۲ ص : ۴۱۴
T.89	سورة الجاثية(۴۵): آية ٢٣ ص : ۴۱۵
Y·Y·	سورة الجاثية(۴۵): آية ۲۴ ص : ۴۱۵
7.4.	سورة الجاثية(۴۵): آية ۲۵ ص : ۴۱۶
7.71	سورة الجاثية(۴۵): آية ۲۶ ص : ۴۱۶
۲۰۷۱	سورة الجاثية(۴۵): آية ۲۷ ص : ۴۱۷
7.71	سورة الجاثية(۴۵): آية ۲۸ ص : ۴۱۷
7.77	سورة الجاثية(٤٥): آية ٢٩ ص : ۴١٨

T·VY	سورة الجاثية(۴۵): آية ۳۰ ص : ۴۱۸
T.VY	سورة الجاثية(۴۵): آية ٣١ ص : ۴۱۸
T.VT	سورة الجاثية(۴۵): آية ٣٢ ص : ۴۱۹
7.77	آغاز جزء ۲۶ قرآن مجید ص : ۴۱۹
T.VW	ادامه سوره جاثیه ص : ۴۱۹
Y • V W	سورة الجاثية(٤۵): آية ٣٣ ص : ۴۱۹
۲۰۷۳	سورة الجاثية(٤۵): آية ٣۴ ص : ۴۱۹
۲۰۷۳	سورة الجاثية(۴۵): أية ٣٥ ص : ۴۱۹
Y · V W	سورة الجاثية(٤۵): آية ٣٣ ص : ٤٢٠
Y·V۴	سورة الجاثية(٤۵): آية ٣٧ ص : ٤٢٠
Y·V۴	سوره احقاف [۴۶] ص : ۴۲۱
7.74	اشاره
7.74	محتوای سوره: ص : ۴۲۱
7.74	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۴۲۱
Υ·٧Δ	
Υ·٧Δ	
Υ•٧Δ	سورة الأحقاف(۴۶): آية ٣ ص : ۴۲۲
Υ·Υ۵	
Y·Y9	
Y·Y9	
7.79	
Y•VY	-
Y•VY	
Y•YY	
Y·VA	
Υ·٧٨	اشاره

Υ•ΥΛ	شأن نزول: ص : ۴۲۶
Y·YA	تفسیر: ص : ۴۲۶
Y•YX	سورة الأحقاف(۴۶): آية ١٢ ص : ۴۲۶
T·Y9	سورة الأحقاف(۴۶): آية ١٣ ص : ۴۲٧
T•Y9	
۲۰۷۹	
۲۰۸۰	
۲۰۸۱	
۲۰۸۱	
۲۰۸۱	
۲۰۸۲	
۲۰۸۲	
۲٠٨٣	سورة الأحقاف(۴۶): آية ۲۲ ص : ۴۳۲
۲٠۸۳	سورة الأحقاف(۴۶): آية ٢٣ ص : ۴٣٢
۲۰۸۳	
۲۰۸۳	سورة الأحقاف(۴۶): آية ۲۵ ص : ۴۳۳
Y·	سورة الأحقاف(۴۶): آية ۲۶ ص : ۴۳۴
۲۰۸۴	سورة الأحقاف(۴۶): آية ۲۷ ص : ۴۳۵
۲۰۸۵	سورة الأحقاف(۴۶): آية ۲۸ ص : ۴۳۵
۲۰۸۵	سورة الأحقاف(۴۶): آية ٢٩ ص : ۴۳۶
۲۰۸۵	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
Υ·ΛΔ	شأن نزول: ص : ۴۳۶
۲۰۸۵	تفسیر: ص : ۴۳۶
۲۰۸۶	سورة الأحقاف(۴۶): آية ٣٠ ص : ۴٣٧
Y·18	سورة الأحقاف(۴۶): آية ٣١ ص : ۴٣٧
Y·18	

Y • AV	سورة الأحقاف(۴۶): آية ٣٣ ص : ۴۳۸
Y · A V	سورة الأحقاف(۴۶): آية ٣۴ ص : ۴۳۸
Υ·٨٨	سورة الأحقاف(۴۶): آية ٣۵ ص : ۴۳۹
Y · A A	اشاره
۲۰۸۸	پیامبر اسلام اسطوره صبر و استقامت بود! ص : ۴۴۰
PA+7	(۴۷) ص : ۴۴۳
۲۰۸۹	اشاره
Y·A9	محتوای سوره: ص : ۴۴۳
Y.q.	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۴۴۴
Y.9.	
Y.9.	
7.91	
7.91	
7.97	
7.98	
7.98	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۷ ص : ۴۴۸
7.97	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۸ ص : ۴۴۸
7.98	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۹ ص : ۴۴۹
7.98	
7.98	
7.94	
T-90	
Υ-9Δ	
T.90	
7.98	
7 · 9 V	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۱۷ ص : ۴۵۳

Y•9Y	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۱۸ ص : ۴۵۳
۲۰۹۷	سورهٔ محمد(۴۷): اَیهٔ ۱۹ ص : ۴۵۴
Υ٠٩٨	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۲۰ ص : ۴۵۴
Υ٠٩λ	سورة محمد(۴۷): آية ۲۱ ص : ۴۵۵
۰۰۹۸ ۸۶۰۲	سورة محمد(۴۷): أية ۲۲ ص : ۴۵۵
۲۰۹۹	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۲۳ ص : ۴۵۶
T·99	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۲۴ ص : ۴۵۶
T·99	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۲۵ ص : ۴۵۶
Y・99	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۲۶ ص : ۴۵۷
71	
71	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۲۸ ص : ۴۵۷
71	
71.1	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۳۰ ص : ۴۵۸
71.1	
71.1	سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۳۲ ص : ۴۵۹
71.7	
۲۱۰۲	
۲۱۰۲	
۲۱۰۳	
۲۱۰۳	
Y1.#	
ΥΙ·Δ	
۲۱۰۵	
۲۱۰۵	
Υ1·Δ	
Υ١·۶	سورة الفتح(۴۸): آية ١ ص : ۴۶۶

71.9	اشاره
Y1.9	داستان صلح حدیبیه: ص : ۴۶۶
Y1Y	سورة الفتح(۴۸): أيهٔ ۲ ص : ۴۶۸
Y1Y	سورة الفتح(۴۸): آيهٔ ۳ ص : ۴۶۹
Y1 • A	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
Y1·A	پاسخ به یک سؤال مهم: ص : ۴۶۹
Y1·A	سورة الفتح(۴۸): آيهٔ ۴ ص : ۴۷۰
Y1-9	سورة الفتح(۴۸): آية ۵ ص : ۴۷۱
Y1-9	سورة الفتح(۴۸): آية ۶ ص : ۴۷۲
711.	سورة الفتح(۴۸): آية ۷ ص : ۴۷۲
Y11.	سورة الفتح(۴۸): أيهٔ ۸ ص : ۴۷۲
711.	سورة الفتح(۴۸): آيهٔ ۹ ص : ۴۷۳
Y111	سورة الفتح(۴۸): آيهٔ ۱۰ ص : ۴۷۳
7111	سورة الفتح(۴۸): أيهٔ ۱۱ ص : ۴۷۳
Y111	سورهٔ الفتح(۴۸): أيهٔ ۱۲ ص : ۴۷۴
Y11Y	سورة الفتح(۴۸): أيهٔ ۱۳ ص : ۴۷۵
Y11Y	سورة الفتح(۴۸): آية ۱۴ ص : ۴۷۵
Y117	سورة الفتح(۴۸): آية ۱۵ ص : ۴۷۵
Y118	سورة الفتح(۴۸): آية ۱۶ ص : ۴۷۶
Y118	سورة الفتح(۴۸): آية ۱۷ ص : ۴۷۷
7116	سورة الفتح(۴۸): آيهٔ ۱۸ ص : ۴۷۸
Y110	سورة الفتح(۴۸): آيهٔ ۱۹ ص : ۴۷۹
T110	اشاره ۰
T110	بیعت و خصوصیات آن: ص : ۴۷۹
Y118	سورة الفتح(۴۸): أيهٔ ۲۰ ص : ۴۸۰
Y118	سورهٔ الفتح(۴۸): أبهٔ ۲۱ ص: ۴۸۱

۲۱۱۶	سورة الفتح(۴۸): أية ۲۲ ص : ۴۸۱
۲۱۱۷	سورة الفتح(۴۸): آية ۲۳ ص : ۴۸۱
۲۱۱۷	سورة الفتح(۴۸): آیهٔ ۲۴ ص : ۴۸۲
۲۱۱۷	سورهٔ الفتح(۴۸): اَ يهٔ ۲۵ ص : ۴۸۲
۲۱۱۸	سورة الفتح(۴۸): آية ۲۶ ص : ۴۸۳
T119	سورة الفتح(۴۸): آية ۲۷ ص : ۴۸۵
T119	سورة الفتح(۴۸): آية ۲۸ ص : ۴۸۶
T1T•	سورة الفتح(۴۸): آية ۲۹ ص : ۴۸۷
T1TT	سوره حجرات [۴۹] ص : ۴۹۱ـــــــــــــــــــــــــــــــــ
T1TT	اشاره
	محتوای سوره: ص : ۴۹۱
T1TT	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۴۹۲
T1TT	سورة الحجرات(۴۹): آية ١ ص : ۴۹۲
	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
۲۱۲۳	شأن نزول: ص : ۴۹۲
	تفسیر: ص : ۴۹۲
	سورة الحجرات(۴۹): آية ۲ ص : ۴۹۳
	اشارها
	شأن نزول: ص: ۴۹۳
	تفسير: ص : ۴۹۳
	سورة الحجرات(۴۹): آية ۳ ص : ۴۹۴
	سورة الحجرات(۴۹): آية ۴ ص : ۴۹۴
	سورة الحجرات(۴۹): آية ۵ ص : ۴۹۴
	اشاره
	نکتهها: ص : ۴۹۵
۲۱۲۵	١- ادب برترين سرمايه است: ص : ۴۹۵

۲۱۲۵ -	٢- انضباط اسلامي در همه چيز و همه جا: ص : ۴۹۵
T178-	سورة الحجرات(۴۹): آية ۶ ص : ۴۹۶
T178 -	اشاره
T178-	شأن نزول: ص : ۴۹۶
T178 -	تفسير: ص : ۴۹۶
T1TV -	سورة الحجرات(۴۹): آية ۷ ص : ۴۹۷
T 1 T V -	سورة الحجرات(۴۹): أية ٨ ص : ۴۹٧
T1TV -	سورة الحجرات(۴۹): آية ۹ ص : ۴۹۸
Y 1 Y Y -	اشاره
۲۱۲۸ -	شأن نزول: ص : ۴۹۸
Y	تفسير: ص : ۴۹۸
	سورة الحجرات(۴۹): آية ۱۰ ص : ۴۹۹
۲۱۲۹ -	اشارها
۲۱۲۹ -	اهمیت اخوت اسلامی: ص : ۵۰۰
۲۱۳۰ -	سورة الحجرات(۴۹): آية ۱۱ ص : ۵۰۱
۲۱۳۰ -	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
۲۱۳۰ -	شأن نزول: ص : ۵۰۱
۲۱۳۰ <u>-</u>	تفسير: ص : ۵۰۱
71T1 -	سورة الحجرات(۴۹): آية ۱۲ ص : ۵۰۳
۲۱۳۱ -	اشاره
۲۱۳۱ -	شأن نزول: ص : ۵۰۳
T 1 T T -	تفسير: ص : ۵۰۳
T 1 TT -	نکتهها: ص : ۵۰۵
T 1 TT -	۱- امنیت کامل و همه جانبه اجتماعی: ص : ۵۰۵
T 1 TT -	٢- تجسس نكنيد! ص : ۵۰۵
717F -	٣- غیبت از بزرگترین گناهان است: ص : ۵۰۶

T18F	سورة الحجرات(۴۹): آية ۱۳ ص : ۵۰۷
Y177F	اشاره
۲۱۳۵	نکتهها: ص : ۵۰۹
۲۱۳۵	۱ – ارزشهای راستین و ارزشهای کاذب! ص : ۵۰۹
۲۱۳۶	۲– حقیقت تقوا: ص : ۵۱۰
۲۱۳۶	سورة الحجرات(۴۹): آية ۱۴ ص : ۵۱۰
۲۱۳۶	اشاره
Y1778	شأن نزول: ص : ۵۱۰
Y17Y	تفسير: ص : ۵۱۰
	سورة الحجرات(۴۹): آية ۱۵ ص : ۵۱۱
	سورة الحجرات(۴۹): آية ۱۶ ص : ۵۱۲
	 اشاره ،
	شأن نزول: ص : ۵۱۲
	تفسير: ص : ۵۱۲
	سورة الحجرات(۴۹): آية ۱۷ ص : ۵۱۳
	سورة الحجرات(۴۹): آية ۱۸ ص : ۵۱۴
	سوره ق [۵۰] ص : ۵۱۵
	شوره ی ۲ س حق . س. س اشاره
	اساره محتوای سوره: ص : ۵۱۵
	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۵۱۵
	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱ ص : ۵۱۶
	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲ ص : ۵۱۶
	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳ ص : ۵۱۷
	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴ ص : ۵۱۷ ···································
	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۵ ص : ۵۱۸
7187	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۶ ص : ۵۱۸

Y1fY	سورهٔ ق(۵۰): أيهٔ ۷ ص : ۵۱۹
Y1fY	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۸ ص : ۵۱۹
714~	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۹ ص : ۵۱۹
Y1fm	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۰ ص : ۵۱۹
Y14#	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۱ ص : ۵۱۹
T1ff	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۲ ص : ۵۲۰
Y14#	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۳ ص : ۵۲۰
7188	
T14f	
Y144	
T140	
T1FD	
T140	
Y148	
T149	
Y14Y	
T1FY	
Y1fy	
Y14Y	
Υ۱۴Υ	
Y1FA	
Υ۱۴λ	
T1FA	
T14X	
Y14A	
Y189	سورهٔ ق(۵۰): ایهٔ ۲۲ ص : ۵۱۷

	سورهٔ ق(۵۰): اَیهٔ ۳۳ ص : ۵۲۷
7189	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۴ ص : ۵۲۸
7149	سورهٔ ق(۵۰): اَيهٔ ۳۵ ص : ۵۲۸
۲۱۵۰	سورهٔ ق(۵۰): اَيهٔ ۳۶ ص : ۵۲۸
۲۱۵۰	سورهٔ ق(۵۰): اَیهٔ ۳۷ ص : ۵۲۹
۲۱۵۰	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۸ ص : ۵۲۹
7101	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۹ ص : ۵۳۰
7101	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴۰ ص : ۵۳۰
7101	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴۱ ص : ۵۳۰
T1	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴۲ ص : ۵۳۱
Y10Y	سورهٔ ق(۵۰): أيهٔ ۴۳ ص : ۵۳۱
Y10Y	سورهٔ ق(۵۰): أيهٔ ۴۴ ص : ۵۳۱
Y10Y	سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴۵ ص : ۵۳۱
7104	سوره ذاریات [۵۱] ص : ۵۳۳
7104	اشاره
7104	محتوای سوره: ص : ۵۳۳ ·
Υ1ΔΨ Υ1ΔΨ	
	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۵۳۳
۲۱۵۳	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۵۳۳
710F	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۳۳
7104	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۳۳
710F	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۳۳
710F	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۳۳
7107 7104 7104 7104 7104 7104 7104 7105 7106	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۳۳
710F	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۳۳

T108	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۱۰ ص : ۵۳۶ ·················
Y108	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۱۱ ص : ۵۳۷
Y108	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۱۲ ص : ۵۳۷ ·················
Y108	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۱۳ ص : ۵۳۷ ·················
Y108	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۱۴ ص : ۵۳۷ ·
Y108	سورة الذاريات(۵۱): آية ۱۵ ص : ۵۳۷
Υ۱ΔΥ	سورة الذاريات(۵۱): آية ۱۶ ص : ۵۳۷
Y10Y	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۱۷ ص : ۵۳۸
Y10Y	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۱۸ ص : ۵۳۸
Y10Y	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۱۹ ص : ۵۳۸
Y10A	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۲۰ ص : ۵۳۹
Y10A	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۲۱ ص : ۵۴۰
Y109	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۲۲ ص : ۵۴۱
Υ1Δ9 <i>P</i> Δ17	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۲۳ ص : ۵۴۱
7109 P017	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۲۴ ص : ۵۴۱
718	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۲۵ ص : ۵۴۲
718.	سورة الذاريات(۵۱): آية ۲۶ ص : ۵۴۲
718.	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۲۷ ص : ۵۴۳
718.	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۲۸ ص : ۵۴۳
7181	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۲۹ ص : ۵۴۳
7181	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۳۰ ص : ۵۴۳
7181	آغاز جزء ۲۷ قرآن مجید ص : ۵۴۴
7181	ادامه سوره ذاریات ص : ۵۴۴
7181	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۳۱ ص : ۵۴۴
T18T	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۳۲ ص : ۵۴۴
T18T	سورة الذاريات(۵۱): آيهٔ ۳۳ ص : ۵۴۵

T19T	ص : ۵۴۵ -	۵): آیهٔ ۳۴ ه	سورة الذاريات(
Y19Y	ص : ۵۴۵	۵′): آیهٔ ۳۵ ه	سورة الذاريات(
T187	ص : ۵۴۵	۵′): آیهٔ ۳۶ ه	سورة الذاريات(
۲۱۶۳	ص : ۵۴۶	۵): آیهٔ ۳۷	سورة الذاريات(
718#	ص : ۵۴۶ -	۵): آیهٔ ۳۸	سورة الذاريات(
Y18#	ص : ۵۴۶ -	۵): آیهٔ ۳۹	سورة الذاريات(
Y18F	ص : ۵۴۷	۵): آیهٔ ۴۰	سورة الذاريات(ا
Y18F	ص : ۵۴۷	۵'): آیهٔ ۴۱	سورة الذاريات(
Y18F	ص : ۵۴۷	۵′): آیهٔ ۴۲	سورة الذاريات(
Y18f			
T180			
T180			
T180			
7180			
T190			
Y199			
T199			
Y188			
Y18Y			
Υ1 <i>γ</i> Υ			
Y18Y			
Υ1 <i>γ</i> Υ			
Y19A			
Y19A			
Y19A			
Y189	ص : ۵۵۳ -	۵'): آيهٔ ۵۹ ه	سورة الذاريات(

T189	سورهٔ الذاريات(۵۱): آيهٔ ۶۰ ص : ۵۵۴
Y189	وره طور [۵۲] ص : ۵۵۵
Y189	اشارها
Y189	محتوای سوره: ص : ۵۵۵
۲۱۷۰	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۵۶عنص المحتود المحت
۲۱۷۰	سورة الطور(۵۲): آية ۱ ص : ۵۵۶
۲۱۷۱	سورة الطور (۵۲): آية ۲ ص : ۵۵۶
۲۱۷۱	سورة الطور (۵۲): آية ۳ ص : ۵۵۷
۲۱۷۱	سورة الطور (۵۲): آية ۴ ص : ۵۵۷
T1Y1	سورة الطور (۵۲): آية ۵ ص : ۵۵۷
T1Y1	سورة الطور (۵۲): آية ۶ ص : ۵۵۷
T1YT	سورة الطور (۵۲): آية ۷ ص : ۵۵۸
Y1YY	سورة الطور (۵۲): آية ۸ ص : ۵۵۸
Y 1 Y Y	سورهٔ الطور (۵۲): آیهٔ ۹ ص : ۵۵۸
۲۱۷۳	سورة الطور (۵۲): آية ۱۰ ص : ۵۵۹
۲۱۷۳	سورة الطور (۵۲): آية ۱۱ ص : ۵۵۹
۲1V۳	سورة الطور (۵۲): آية ۱۲ ص : ۵۵۹
۲1Y۳	سورة الطور (۵۲): آية ۱۳ ص : ۵۵۹
Y1YW	سورة الطور (۵۲): آية ۱۴ ص : ۵۶۰
۲1V۳	سورة الطور(۵۲): آية ۱۵ ص : ۵۶۰
T17F	سورة الطور(۵۲): آية ۱۶ ص : ۵۶۰
71VF	سورة الطور (۵۲): آية ۱۷ ص : ۵۶۰
Y1YF	سورة الطور(۵۲): آية ۱۸ ص : ۵۶۱
۲۱۷۵	سورة الطور(۵۲): آية ۱۹ ص : ۵۶۱
	سورة الطور(۵۲): آية ۲۰ ص : ۵۶۲
۲۱۷۵	سورة الطور (۵۲): آيهٔ ۲۱ ص : ۵۶۲

Y1V9	سورة الطور (۵۲): آية ۲۲ ص : ۵۶۳
Y1V9	سورة الطور (۵۲): آية ۲۳ ص : ۵۶۳
Y1Y9	سورة الطور (۵۲): آية ۲۴ ص : ۵۶۴
Y1YY	سورة الطور (۵۲): آية ۲۵ ص : ۵۶۴
Y1VV	سورة الطور (۵۲): آية ۲۶ ص : ۵۶۴
71YY	سورة الطور (۵۲): آية ۲۷ ص : ۵۶۵
7) Y Y	سورة الطور (۵۲): أية ۲۸ ص : ۵۶۵
Y 1 V A	
Y) Y A	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
Y 1 V A	
Y 1 V A	
PV17	
Y179	
7) 7 7 7 7 7 7 7 7 7	
Y179 PV17	
7179	
Y1A.	
Y1A.	
TIAI	
Y1XY	
۲۱۸۲	
71A7	
Υ1ΛΥ	
Y1XY	
Y1X"	

۲۱۸۳	سورة الطور (۵۲): آية ۴۵ ص : ۵۷۲
۲۱۸۳	سورة الطور (۵۲): آية ۴۶ ص : ۵۷۲
۲۱۸۴	سورة الطور (۵۲): آيهٔ ۴۷ ص : ۵۷۳ ص : ۵۷۳
7114	سورة الطور (۵۲): أيهٔ ۴۸ ص : ۵۷۳
Y1A0	سورة الطور (۵۲): آية ۴۹ ص : ۵۷۴
Y1AA	وره نجم [۵۳] ص : ۵۷۵
Y1AA	اشاره
Y1AA	محتوای سوره: ص : ۵۷۵
Y1A8	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۷۶
Y1A8	سورة النجم(۵۳): اَيهٔ ۱ ص : ۵۷۶
Y1A9	سورة النجم(۵۳): اَ يهٔ ۲ ص : ۵۷۷
Y1A8	سورة النجم(۵۳): اَيهٔ ۳ ص : ۵۷۷
Y1AY	سورة النجم(۵۳): اَيهٔ ۴ ص : ۵۷۷
Y1AY	سورة النجم(۵۳): آيهٔ ۵ ص : ۵۷۸
Y1AY	سورة النجم(۵۳): آية ۶ ص : ۵۷۸
Y1AA	سورة النجم(۵۳): آيهٔ ۷ ص : ۵۷۸
Y1AA	سورة النجم(۵۳): آية ۸ ص : ۵۷۸
Y1AA	سورة النجم(۵۳): آيهٔ ۹ ص : ۵۷۸
Y1AA	سورة النجم(۵۳): آيهٔ ۱۰ ص : ۵۷۸
Y1AA	سورة النجم(۵۳): آيهٔ ۱۱ ص : ۵۷۹
Y1AA	سورة النجم(۵۳): آية ۱۲ ص : ۵۷۹
Y1A9	سورة النجم(۵۳): آية ۱۳ ص : ۵۸۰
Y1A9	سورة النجم(۵۳): آيهٔ ۱۴ ص : ۵۸۰
۲۱۸۹	سورة النجم(۵۳): آيهٔ ۱۵ ص : ۵۸۰
Y19.	سورة النجم(۵۳): آيهٔ ۱۶ ص : ۵۸۰
۲۱۹۰	سورة النجم(۵۳): آية ۱۷ ص : ۵۸۰

۲۱۹۰	سورهٔ النجم(۵۳): آیهٔ ۱۸ ص : ۵۸۱
719.	اشاره
	نکتهها: ص : ۵۸۱
Y19·	۱– هدف معراج، ص : ۵۸۱
719.	۲- گوشهای از گفتگوهای خداوند با پیامبرش در شب معراج: ص : ۵۸۱
7197	سورهٔ النجم(۵۳): آیهٔ ۱۹ ص : ۵۸۵
7197	سورة النجم(۵۳): آية ۲۰ ص : ۵۸۵
Y19W	سورة النجم(۵۳): آيهٔ ۲۱ ص : ۵۸۵
۲۱۹۳	سورة النجم(۵۳): آية ۲۲ ص : ۵۸۵
Y19#	سورة النجم(۵۳): آية ۲۳ ص : ۵۸۶
Y19F	سورة النجم(۵۳): آية ۲۴ ص : ۵۸۶
T198	سورة النجم(۵۳): آيهٔ ۲۵ ص : ۵۸۷
۲۱۹۵	سورة النجم(۵۳): آیهٔ ۲۶ ص : ۵۸۷
۲۱۹۵	سورة النجم(۵۳): آية ۲۷ ص : ۵۸۸
7190	سورهٔ النجم(۵۳): آیهٔ ۲۸ ص : ۵۸۸
T190	سورة النجم(۵۳): آية ۲۹ ص : ۵۸۸
	سورة النجم(۵۳): آيهٔ ۳۰ ص : ۵۸۹ ·
	سورة النجم(۵۳): آیهٔ ۳۱ ص : ۵۸۹
	سورة النجم(۵۳): آیهٔ ۳۲ ص : ۵۹۰
Y 1 9 P	اشارها
Y197	«كبائر الاثم» چيست؟ ص : ۵۹۱
Υ١٩٨	سورة النجم(۵۳): آية ۳۳ ص : ۵۹۲
ΥΙΡΑΝ ΑΡΙΥ	اشاره
Υ١٩٨	شأن نزول: ص : ۵۹۲
ΥΡΑΥΑΡΙΥ	تفسير: ص : ۵۹۲
T19A	سورة النجم(۵۳): آیهٔ ۳۴ ص : ۵۹۲

7199	۵ ۹ ۳ :	۳۵ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم('
7199	: ۵۹۳	۳۶ ص	۵۳): آيهٔ ٬	سورة النجم(
	۵۹۳ :	٣٧ ص	۵۳): آيهٔ '	سورة النجم(′
7199	: ۵۹۳	۳۸ ص	۵۳): آيهٔ .	سورة النجم('
7199	: ۵۹۳	٣٩ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم('
PP17	۵۹۳ :	۴۰ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم(
۲۲۰۰	۵۹۴ :	۴۱ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم(
YY··	۵۹۴ :	۴۲ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم(
YY··	۵۹۵ :	۴۲ ص	۵۳): آيهٔ '	سورة النجم(
77.1	۵۹۵ :	۴۴ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم(
77.1	۵۹۵ :	۴۵ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم(
77.1	: ۵۹۵	۴۶ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم(
77.1	۵۹۵ :	۴۷ ص	۵۳): آيهٔ '	سورة النجم(
77.1	۵۹ ۵ :	۴۸ ص	۵۳): آيهٔ .	سورة النجم(
77.1	۵۹۶ :	۴۹ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم(
٢٢٠٢	۵۹۶ :	۵۰ ص	۵۳): آيۀ	سورة النجم(′
TT•T	۵۹۶ :	۵۱ ص	۵۳): آيۀ	سورة النجم(′
YY•Y	۵۹۶ :	۵۲ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم(′
TT•T	Δ ۹ Υ :	۵۴ ص	۵۳): آيهٔ ′	سورة النجم(′
YY•٣	Δ ۹ Υ :	۵۴ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم('
YY•W	Δ ۹ Υ :	۵۵ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم(
YY•W	· ۵۹Y :	۵۶ ص	۵۳): آيهٔ ٬	سورة النجم(
YY•W	۵۹A :	۵۷ ص	۵۳): آيهٔ '	سورة النجم(
ΥΥ·٣	Δ9 λ :	۵۸ ص	۵۳): آيهٔ .	سورة النجم(′
YY•۴	۵۹A :	۵۹ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم('
77.4	: ۸۹۸	۶۰ ص	۵۳): آيهٔ	سورة النجم('

77.4	سورة النجم(۵۳): آية ۶۱ ص : ۵۹۸
YY•F	سورة النجم(۵۳): آية ۶۲ ص : ۵۹۹
ΥΥ·Δ	جلد پنجم
۲۲۰۵	پیشگفتار ص : ۲۱
YY-9	ادامه جزء ۲۷ ص : ۲۵
YY-9	سوره قمر [۵۴] ص : ۲۵
YY.8	اشاره
YY·9	محتوای سوره: ص : ۲۵
77·V	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۲۶
77·Y	سورة القمر (۵۴): آية ۱ ص : ۲۶
ΥΥ·Λ	
YY•A	
YY-9	
YY-9	
YY••9	
YY • 9	
771.	
TT1.	
YY1.	
TY1.	
TY11	
7711	
TT11	
TT1T	
TT 1 T	

7717	سورة القمر (۵۴): آیهٔ ۱۸ ص : ۳۲
7717	سورة القمر (۵۴): آية ۱۹ ص : ۳۳
YY1Y	سورهٔ القمر(۵۴): آیهٔ ۲۰ ص : ۳۳
TT1T	سورهٔ القمر (۵۴): أيهٔ ۲۱ ص : ۳۳
7717	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۲۲ ص : ۳۳
7717	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۲۳ ص : ۳۴
7714	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۲۴ ص : ۳۴
7714	سورة القمر (۵۴): آية ۲۵ ص : ۳۴
7714	سورة القمر (۵۴): آية ۲۶ ص : ۳۵
	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۲۷ ص : ۳۵
	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۲۸ ص : ۳۵
	سورة القمر (۵۴): آية ۲۹ ص : ۳۶
	سورهٔ القمر (۵۴): آیهٔ ۳۰ ص : ۳۶
	سورة القمر (۵۴): آيهٔ ۳۱ ص : ۳۶
	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۳۲ ص : ۳۷
	سورة القمر (۵۴): آية ٣٣ ص : ٣٧
7719	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۳۴ ص : ۳۷
	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۳۵ ص : ۳۷
	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۳۶ ص : ۳۸
	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۳۷ ص : ۳۸
	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۳۸ ص : ۳۸
	سورة القمر (۵۴): آیهٔ ۳۹ ص : ۳۹
	سورهٔ القمر (۵۴): آیهٔ ۴۰ ص : ۳۹
	سورهٔ القمر (۵۴): آیهٔ ۴۱ ص : ۳۹
	سورة القمر (۵۴): أيهٔ ۴۲ ص : ۳۹
ΥΥΙΛ	سورة القمر (۵۴): آية ۴۳ ص : ۴۰

ΥΥ ١ Α	. ص : ۴۰	۵۲): آیهٔ ۴۴	سورة القمر(3
7719	. ص : ۴۱ -	۵۲): اَیهٔ ۴۵	سورة القمر(َ
7719	. ص : ۴۱ -	۵۲): اَيهٔ ۴۶	سورة القمر(َ
7719	. ص : ۴۱ -	۵۲): اَيهٔ ۴۷	سورة القمر(َ
P177	. ص : ۴۱ .	۵۲): آیهٔ ۴۸	سورة القمر(⁻
P177	. ص : ۴۱ -	۵۲): اَيهٔ ۴۹	سورة القمر(-
777.	. ص : ۴۲ -	۵۲): آیهٔ ۵۰	سورة القمر(-
777.	. ص : ۴۲ -	۵۲): آیهٔ ۵۱	سورة القمر(-
777.	. ص : ۴۲ -	۵۲): آیهٔ ۵۲	سورة القمر(-
777.	. ص : ۴۳ -	۵۲): آیهٔ ۵۳	سورة القمر(-
7771	. ص : ۴۳ -	۵۲): آیهٔ ۵۴	سورة القمر(-
7771	. ص : ۴۳ -	۵۲): آیهٔ ۵۵	سورة القمر(-
7771	۴	۵۱] ص : ۵۰	سوره الرّحمن [۵
7777			اشاره
7777			
		ه: ص : ۴۵	محتوای سور
7777	·····	ە: ص : ۴۵ ت سورە: ص	محتوای سور فضیلت تلاو
7777	، : ۴۶	ە: ص : ۴۵ ت سورە: ص ر(۵۵): أيهٔ ۱	محتوای سور فضیلت تلاوب سورهٔ الرحمر:
7777 7777 7777*	، : ۴۶ ص : ۴۶ . ص : ۴۶	ه: ص : ۴۵ ت سوره: ص ز(۵۵): آیهٔ ۱ ز(۵۵): آیهٔ ۲	محتوای سور فضیلت تلاود سورهٔ الرحمر: سورهٔ الرحمر:
7777 7777 7777	ص : ۴۶ ص : ۴۶ ص : ۴۶	ه: ص : ۴۵ ت سوره: ص ز(۵۵): آیهٔ ۱ ز(۵۵): آیهٔ ۲	محتوای سور فضیلت تلاوب سورهٔ الرحمر سورهٔ الرحمر
************************************	ص : ۴۶ ص : ۴۶ ص : ۴۷ ۴۸ ص : ۴۸	ه: ص : ۴۵ ت سوره: ص (۵۵): آیهٔ ۲ (۵۵): آیهٔ ۳ (۵۵): آیهٔ ۳	محتوای سور فضیلت تلاود سورهٔ الرحمر سورهٔ الرحمر سورهٔ الرحمر
************************************	ص : ۴۶ ص : ۴۶ ص : ۴۷ ۴۸ ص : ۴۸	ه: ص : ۴۵ ت سوره: ص (۵۵): آیهٔ ۲ (۵۵): آیهٔ ۳ (۵۵): آیهٔ ۴	محتوای سور فضیلت تلاود سورهٔ الرحمر سورهٔ الرحمر سورهٔ الرحمر سورهٔ الرحمر
************************************	ص : ۴۶ ۴۶ ص : ۴۶ ۴۷ ص : ۴۸ ۴۸ ص : ۴۸	ه: ص : ۴۵ ت سوره: ص (۵۵): آیهٔ ۲ (۵۵): آیهٔ ۳ (۵۵): آیهٔ ۴ (۵۵): آیهٔ ۵	محتوای سور فضیلت تلاود سورة الرحمر سورة الرحمر سورة الرحمر سورة الرحمر
************************************	۴۶ ۴۶ : س : ۴۶ ۴۶ : س : ۴۷ : ۴۸ : س : ۴۸ : ۴۹ : س : ۴۹ :	ه: ص : ۴۵ ص ت سوره: ص ن (۵۵): آیهٔ ۲ ن (۵۵): آیهٔ ۳ ن (۵۵): آیهٔ ۶ ن	محتوای سور فضیلت تلاود سورة الرحمر سورة الرحمر سورة الرحمر سورة الرحمر سورة الرحمر
************************************	۴۶ : ۴۶ : ۴۶ : ۴۶ : ۴۷ : ۴۸ : ۴۸ : ۴۹ : ۵۱ :	ه: ص : ۴۵ ص ت سوره: ص ن (۵۵): آیهٔ ۲ (۵۵): آیهٔ ۴ (۵۵): آیهٔ ۶ (۵۵): آیهٔ ۶ (۵۵): آیهٔ ۷ (۵۵): آیهٔ ۷ (۵۵): آیهٔ ۷ (۵۵): آیهٔ ۷	محتوای سور فضیلت تلاور سورة الرحمر سورة الرحمر سورة الرحمر سورة الرحمر سورة الرحمر سورة الرحمر

YYY8	سورة الرحمن(۵۵): أيهٔ ۱۱ ص : ۵۱
YYY9	سورة الرحمن(۵۵): أيهٔ ۱۲ ص : ۵۲
YYYY	سورة الرحمن(۵۵): أيهٔ ۱۳ ص : ۵۲
YYYY	سورة الرحمن(۵۵): أيهٔ ۱۴ ص : ۵۲
YYYV	سورة الرحمن(۵۵): آية ۱۵ ص : ۵۳
777X	سورة الرحمن(۵۵): آية ۱۶ ص : ۵۳ــــــــــــــــــــــــــــــــ
YYYA	سورة الرحمن(۵۵): آيهٔ ۱۷ ص : ۵۳
777.	سورة الرحمن(۵۵): آيهٔ ۱۸ ص : ۵۴
777A	سورة الرحمن(۵۵): آيهٔ ۱۹ ص : ۵۴
7779	سورة الرحمن(۵۵): آيهٔ ۲۰ ص : ۵۴
7779	سورة الرحمن(۵۵): آيهٔ ۲۱ ص : ۵۵
7779	سورة الرحمن(۵۵): آية ۲۲ ص : ۵۵
7779	سورة الرحمن(۵۵): آية ٢٣ ص : ۵۵
7779	سورة الرحمن(۵۵): آية ۲۴ ص : ۵۵
77.	سورة الرحمن(۵۵): آية ۲۵ ص : ۵۶
77m.	سورة الرحمن(۵۵): آية ۲۶ ص : ۵۶
YYW	سورة الرحمن(۵۵): آية ۲۷ ص : ۵۶
7771	سورة الرحمن(۵۵): آية ۲۸ ص : ۵۷
7781	سورة الرحمن(۵۵): آية ٢٩ ص : ۵۷
7781	سورة الرحمن(۵۵): أيهٔ ۳۰ ص : ۵۷
7781	
YYWY	
7787	
YYWY	
77mm	سورة الرحمن(۵۵): آية ۳۵ ص : ۵۹
YYWW	سورة الرحمن(۵۵): آية ۳۶ ص : ۶۰

77٣٣	سورة الرحمن(۵۵): آية ۳۷ ص : ۶۰
7777	سورة الرحمن(۵۵): آية ۳۸ ص : ۶۰
7777	سورة الرحمن(۵۵): آية ٣٩ ص : ۶۰
7777	سورة الرحمن(۵۵): آية ۴۰ ص : ۶۱
7777	سورة الرحمن(۵۵): آية ۴۱ ص : ۶۱
YYYF	سورة الرحمن(۵۵): آية ۴۲ ص : ۶۱
YYYF	سورة الرحمن(۵۵): آية ۴۳ ص : ۶۲
۲۲۳۵	سورة الرحمن(۵۵): آية ۴۴ ص : ۶۲
7740	سورة الرحمن(۵۵): آية ۴۵ ص : ۶۲
۲۲۳۵	سورة الرحمن(۵۵): آية ۴۶ ص : ۶۲
۲۲۳۵	سورة الرحمن(۵۵): آية ۴۷ ص : ۶۳
۲۲۳۵	سورة الرحمن(۵۵): آية ۴۸ ص : ۶۳
YYTPS	سورة الرحمن(۵۵): آية ۴۹ ص : ۶۳
77٣۶	سورة الرحمن(۵۵): آيهٔ ۵۰ ص : ۶۳
TTT9	سورة الرحمن(۵۵): آيهٔ ۵۱ ص : ۶۳
YYTS	سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۲ ص : ۶۳
YYW8	سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۳ ص : ۶۳
YYTS	سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۴ ص : ۶۳
YYWY	سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۵ ص : ۶۴
YYWY	سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۶ ص : ۶۴
YYWY	سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۷ ص : ۶۴
YYWY	سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۸ ص : ۶۴
YYWY	سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۹ ص : ۶۵
YYWA	سورة الرحمن(۵۵): آية ۶۰ ص : ۶۵
77%A	سورة الرحمن(۵۵): آية ۶۱ ص : ۶۵
77%	سورة الرحمن(۵۵): آية ۶۲ ص : ۶۵

ΥΥ٣Λ	سورة الرحمن(۵۵): آية ۶۳ ص : ۶۶
YY٣9	سورة الرحمن(۵۵): آية ۶۴ ص : ۶۶
TYT9	سورة الرحمن(۵۵): آية ۶۵ ص : ۶۶
YY٣٩	
YYT9	
TYM9	
TYP9	
YY٣٩	
774.	
774.	
774.	
YY۴·	
YYF	
YY۴	
YYF1	
YYF1	
YYF1	
7741	-
TYFY	
77F7	
77FF	
77FF	
77FF	
77FF	
77FT	
	- , ,,,

YYFF	هٔ الواقعهٔ(۵۶): آیهٔ ۷ ص : ۷۱ ·	سورذ
YYFF	à الواقعة(۵۶): آية ٨ ص : ٧١ ·	سورة
7744	ة الواقعة(۵۶): آية ۹ ص : ۷۲ ·	سورة
7744	ة الواقعة(۵۶): آية ۱۰ ص : ۷۲ -	سورة
YYFF	ة الواقعة(۵۶): آية ۱۱ ص : ۷۲	سورة
77 ff	هٔ الواقعهٔ(۵۶): آیهٔ ۱۲ ص : ۷۲	سورة
ΥΥ۴۵	ة الواقعة(۵۶): آية ١٣ ص : ٧٣	سورة
ΥΥ۴۵	ة الواقعة(۵۶): آية ۱۴ ص : ۷۳	سورذ
ΥΥ۴۵	ةُ الواقعةُ(۵۶): آيةُ ١۵ ص : ٧٣	سورذ
YYFA	هٔ الواقعهٔ(۵۶): آیهٔ ۱۶ ص : ۷۳	سورة
۲۲۴۵	هٔ الواقعهٔ(۵۶): آیهٔ ۱۷ ص : ۷۳ .	سورة
ΥΥ۴۵	ة الواقعة(۵۶): آية ۱۸ ص : ۷۳ -	سورة
YY\$\$	ة الواقعة(۵۶): آية ۱۹ ص : ۷۳	سورة
YY\$\$	ة الواقعة(۵۶): آية ۲۰ ص : ۷۴	سورة
YY\$\$		
YY48	هٔ الواقعهٔ(۵۶): آیهٔ ۲۲ ص : ۷۴	سورة
TT\$\$		
YY\$\$	هٔ الواقعهٔ(۵۶): آیهٔ ۲۴ ص : ۷۴ ·-	سورة
YY#V		
YY\$Y		
YYFY		
YYFY		
YYFA		
YYFA		
YYFA		
TTFA	ة الواقعة(۵۶): اية ٣٢ ص : ٧۶ -	سورد

YYFA	٧۶	ص :	٣٣	(۵۶): آيهٔ	سورة الواقعة(
YY#A	٧۶	ص :	۳ ۴	(۵۶): آيهٔ	سورة الواقعة(
7779	٧۶	ص :	۳۵	(۵۶): آيهٔ	سورة الواقعة(
YYF9	٧٧	. ص :	۳ ۶	(۵۶): آيهٔ	سورة الواقعة(
7749	٧٧	ص :	٣٧	۵۶): آيهٔ	سورة الواقعة(
77۴9	٧٧	ص :	٣ ٨	(۵۶): آيهٔ	سورة الواقعة(
7749	٧٧	ص :	۳۹	(۵۶): آيهٔ	سورة الواقعة(
7749					
۲۲۵۰					
YYA					
۲۲۵۰					
۲۲۵۰					
77۵1					
TYD1					
ΥΥΔ1					
٠٢٥١					
۲۲۵۱					
ΥΥΔΥ					
ΥΥΔΥ ΥΥΔΥ					
7707					
7707					
ΥΥΔΨ					
ΥΥΔΨ					
		٠. س			

TYD#	٨١	ص :	۵۹	: آيهٔ ۱	فة(۵۶):	رة الواق	سو
ΥΥΔ٣	۸۱	ص :	۶·	: آيهٔ	فة(۵۶):	رة الواق	سو
۲۲۵۳	۸۲	ص :	۶۱	: آيهٔ ۱	فة(۵۶):	رة الواق	سو،
ΥΥΔ۴	۸۲	ص :	۶۱	: آیهٔ ۲	فة(۵۶):	رة الواق	سو،
YYDF	۸۳	ص :	FY	: آيهٔ "	فة(۵۶):	رة الواق	سو،
ΥΥΔΔ	۸۳	ص :	<i>۶</i> ۲	: آيهٔ ۴	فة(۵۶):	رة الواق	سو
ΥΥ۵۵	۸۳	ص :	Fl	: آيهٔ ۵	عة(۵۶):	رة الواق	سو،
۲۲۵۵	۸۴	ص :	89	: آيهٔ ۶	فة(۵۶):	رة الواق	سو،
TTAA	۸۴	ص :	۶۱	: آيهٔ /	عة(۵۶):	رة الواق	سو
TYAA	۸۴	ص :	91	: آيهٔ ۱	فة(۵۶):	رة الواق	سو _ا
YY۵۵	۸۴	ص :	۶ ⁴	: آيهٔ ۱	فة(۵۶):	رة الواق	سو،
ΥΥΔ <i>۶</i>	٨۴	ص :	Y	: آيهٔ	فة(۵۶):	ِرة الواق	سو
TYDS							
TYD9							
TTD9							
ΥΥΔΥ							
ΥΥΔΥ							
ΥΥΔΥ							
ΥΥΔΥ							
ΥΥΔΛ							
ΥΥΔΛ							
ΥΥΔΛ							
ΥΥΔΛ							
ΥΥΔΛ							
ΥΥΔ9 <i>Ρ</i> ΔΥΥ							
ιιωι	\\\	ص :	^ \	:ایه	مه(ω۲).	رة الوا ك	سو

۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰	سورة الواقعة(۵۶): آية ۸۵ ص : ۸۸
ΡΔΥΥ	سورة الواقعة(۵۶): آية ۸۶ ص : ۸۸
ΡΔΥΥ	سورة الواقعة(۵۶): آية ۸۷ ص : ۸۹
YY9·	سورة الواقعة(۵۶): آية ۸۸ ص : ۸۹
YYS	سورة الواقعة(۵۶): آية ۸۹ ص : ۸۹
775	سورهٔ الواقعهٔ(۵۶): آیهٔ ۹۰ ص : ۸۹
77 <i>5</i> ·	سورة الواقعة(۵۶): آية ۹۱ ص : ۸۹
YYF•	سورة الواقعة(۵۶): آية ۹۲ ص : ۸۹
YY91	سورة الواقعة(۵۶): آية ۹۳ ص : ۹۰
7791	سورهٔ الواقعهٔ(۵۶): آیهٔ ۹۴ ص : ۹۰
7791	سورة الواقعة(۵۶): آية ۹۵ ص : ۹۰
7791	
YY\$1	
7791	
7797	
7797	
7797	
7798	
7798	
YY9F	
7794	
YY9A	
7790	
YY99	
YY <i>99</i>	
YY <i>99</i>	سورة الحديد(۵۷): أية ١١ ص : ٩٨

77 <i>5</i> 7 -	سورة الحديد(۵۷): أيهٔ ۱۲ ص : ۹۸
TT8V -	سورة الحديد(۵۷): اَية ۱۳ ص : ۹۹
YY8A -	سورة الحديد(۵۷): آية ۱۴ ص : ۱۰۰
YY <i>S</i> A -	سورة الحديد(۵۷): آية ۱۵ ص : ۱۰۱
YY89 -	سورة الحديد(۵۷): آية ۱۶ ص : ۱۰۱ص
YY89 -	اشارهاشاره
YY89 -	شأن نزول: ص : ۱۰۱
TT59 -	تفسير: ص : ۱۰۲
777.	سورة الحديد(۵۷): آيةٔ ۱۷ ص : ۱۰۳
777.	سورة الحديد(۵۷): آية ۱۸ ص : ۱۰۳
777.	سورة الحديد(۵۷): آية ۱۹ ص : ۱۰۳
7771	سورة الحديد(۵۷): آية ۲۰ ص : ۱۰۴
TTVT .	سورة الحديد(۵۷): آية ۲۱ ص : ۱۰۵
TTVT .	سورة الحديد(۵۷): آية ۲۲ ص : ۱۰۶ ص : ۱۰۶
۲۲۷۳	سورة الحديد(۵۷): آية ۲۳ ص : ۱۰۷
۲۲۷۳	سورة الحديد(۵۷): آية ۲۴ ص : ۱۰۸
7774	سورة الحديد(۵۷): آية ۲۵ ص : ۱۰۹
۲۲۷۵ -	سورة الحديد(۵۷): آية ۲۶ ص : ۱۱۰
۲۲۷۵ -	سورة الحديد(۵۷): آية ۲۷ ص : ۱۱۱
	سورة الحديد(۵۷): آية ۲۸ ص : ۱۱۲
77VS -	اشارها
	شأن نزول: ص : ۱۱۲
	تفسير: ص : ١١٣
	سورة الحديد(۵۷): آية ۲۸ ص : ۱۱۴
	آغاز جزء ۲۸ قرآن مجید ص : ۱۱۵
7777	سوره مجادله [۵۸] ص : ۱۱۵

شاره ۲۲۷۸
حتوای سوره: ص : ۱۱۵ ۱۱۵
ضیلت تلاوت سوره: ص : ۱۱۶ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
مورة المجادلة(۵۸): آية ١ ص : ١١۶ ·
اشاره ۱۳۷۹
شأن نزول: ص : ۱۱۶ ۱۱۶ مثان نزول: ص
تفسير: ص : ١١٧
مورة المجادلة(۵۸): آية ۲ ص : ۱۱۷ ·
مورة المجادلة(۵۸): آية ۳ ص : ۱۱۸ ·
مورة المجادلة(۵۸): آية ۴ ص : ۱۱۹ ·
مورة المجادلة(۵۸): آية ۵ ص : ۱۲۰
مورة المجادلة(۵۸): آية ۶ ص : ۱۲۱ ·································
مورة المجادلة(۵۸): آية ۷ ص : ۱۲۱ ·································
مورة المجادلة(۵۸): آية ۸ ص : ۱۲۲ ·································
اشاره ۲۲۸۳
شأن نزول: ص : ۱۲۲
تفسير: ص : ۱۲۲
مورة المجادلة(۵۸): آية ۹ ص : ۱۲۳
مورة المجادلة(۵۸): آية ۱۰ ص : ۱۲۴
۱۸ اینهٔ ۱۱ ص : ۱۲۵
اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
شأن نزول: ص : ۱۲۵
تفسير: ص : ١٢٥
مورة المجادلة(۵۸): أية ۱۲ ص : ۱۲۶
اشاره ۲۲۸۶
شأن نزول: ص : ۱۲۶

۲۲۸۷	تفسير: ص : ۱۲۷
۲۲ ۸۷ .	سورة المجادلة(۵۸): آية ۱۳ ص : ۱۲۷
٠ ۸۸۲۲	سورة المجادلة(۵۸): آية ۱۴ ص : ۱۲۸
۲ ۲۸۸ -	سورة المجادلة(۵۸): آية ۱۵ ص : ۱۲۹
٠ ۸۸۲۲	سورة المجادلة(۵۸): آية ۱۲۶ ص : ۱۲۹
. <i>۹</i> ۸۲۲	سورة المجادلة(۵۸): آية ۱۷ ص : ۱۲۹
P	سورة المجادلة(۵۸): آية ۱۸ ص : ۱۳۰
۲۲۸۹۰	سورة المجادلة(۵۸): آية ۱۹ ص : ۱۳۰
۲۲۹ ٠.	سورة المجادلة(۵۸): آية ۲۰ ص : ۱۳۰
779.	سورة المجادلة(۵۸): آية ۲۱ ص : ۱۳۱
	سورة المجادلة(۵۸): آية ۲۲ ص : ۱۳۱
	سوره حشر [۵۹] ص : ۱۳۳ ·································
7791.	اشاره
	محتوای سوره: ص : ۱۳۳
7797	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۱۳۴
7797	سورة الحشر(۵۹): آية ۱ ص : ۱۳۴
7797	اشارهاشاره المنافعة الم
7797	شأن نزول: ص : ۱۳۴
779T -	تفسیر: ص : ۱۳۶
	سورة الحشر(۵۹): أية ۲ ص : ۱۳۶
	سورة الحشر(۵۹): أية ۳ ص : ۱۳۷
	سورة الحشر(۵۹): أية ۴ ص : ۱۳۸
	سورة الحشر (۵۹): آية ۵ ص : ۱۳۸
	سورة الحشر(۵۹): أية ۶ ص : ۱۳۹
	اشارها
۲۲۹۵.	شأن نزول: ص : ۱۳۹

7798	تفسیر: ص : ۱۳۹
TT98	سورة الحشر (۵۹): آية ۷ ص : ۱۴۰ ·
YY9Y YP7Y	سورة الحشر(۵۹): آية ۸ ص : ۱۴۱
ΥΥ٩Λ ΑΡΥΥ	سورة الحشر(۵۹): آية ۹ ص : ۱۴۲
YY99PPYY	سورة الحشر(۵۹): آية ۱۰ ص : ۱۴۳
YY99	اشاره
YY99	صحابه در میزان قرآن و تاریخ ص : ۱۴۴
7٣	سورة الحشر (۵۹): آية ۱۱ ص : ۱۴۵
Υ٣٠٠.	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
7₩	شأن نزول: ص : ۱۴۵
۲۳۰۰	تفسیر: ص : ۱۴۶
77.1	سورة الحشر (۵۹): أية ۱۲ ص : ۱۴۶
۲۳۰۱	سورة الحشر (۵۹): أية ۱۳ ص : ۱۴۶
۲۳۰۱	سورة الحشر (۵۹): أية ۱۴ ص : ۱۴۷
۲۳۰۲	سورة الحشر (۵۹): آية ۱۵ ص : ۱۴۷
۲۳·۲	سورة الحشر(۵۹): آية ۱۶ ص : ۱۴۸
T٣·٢	سورة الحشر(۵۹): آية ۱۲ ص : ۱۴۸
۲۳ ۰ ۳	سورة الحشر(۵۹): أية ۱۸ ص : ۱۴۹
T٣·٣	سورة الحشر(۵۹): آية ۱۹ ص : ۱۴۹
۲۳ ۰ ۳	سورة الحشر (۵۹): آية ۲۰ ص : ۱۵۰
T٣·۴	سورة الحشر(۵۹): آية ۲۱ ص : ۱۵۰
T٣·۴	سورة الحشر(۵۹): آية ۲۲ ص : ۱۵۱
Υ٣·۵	سورة الحشر (۵۹): آية ۲۳ ص : ۱۵۲
۲۳۰۵	سورة الحشر (۵۹): آية ۲۴ ص : ۱۵۳
TT.8	بره ممتحنه [۶۰] ص : ۱۵۵
۲۳۰۶	اشاره

77.8	محتوای سوره: ص : ۱۵۵
۲۳۰۶	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۱۵۵
7°.V	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۱ ص : ۱۵۶
۲۳•۷	اشاره
۲۳ ٠ ۷	شأن نزول: ص : ۱۵۶
Υ٣٠٨	تفسير: ص : ۱۵۷
Y٣.9	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۲ ص : ۱۵۹
۲۳۰۹	سورة الممتحنة(۶۰): آية ٣ ص : ١۵٩
YT. 9	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۴ ص : ۱۵۹
YT1.	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۵ ص : ۱۶۱
	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۶ ص : ۱۶۲
7711	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۷ ص: ۱۶۲
	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۸ ص : ۱۶۳
7777	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۹ ص : ۱۶۳
7777	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۱۰ ص : ۱۶۴
TT17	اشارهاشاره المناسبة الم
	شأن نزول: ص : ۱۶۴
	تفسیر: ص : ۱۶۴
	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۱۱ ص : ۱۶۶
	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۱۲ ص : ۱۶۷
	سورة الممتحنة(۶۰): آية ۱۳ ص : ۱۶۷
	سوره صف [۶۱] ص : ۱۶۹
	اشاره
	محتوای سوره: ص : ۱۶۹
	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۱۶۹
7718	سورة الصف(۴۱): آية ١ ص : ١٧٠

۲۳۱۶	سورة الصف(۶۱): آيهٔ ۲ ص : ۱۷۰
7719	اشارها
7718	شأن نزول: ص : ۱۷۰
TT1V	تفسير: ص : ۱۷۰
TT1V	سورة الصف(٤١): آية ٣ ص : ١٧٠
77717	سورة الصف(٤١): آية ۴ ص : ١٧١
TT1V	سورة الصف(۶۱): آية ۵ ص : ۱۷۱
۲۳۱۸	سورة الصف(۶۱): آية ۶ ص : ۱۷۲
۲۳۱۸	سورة الصف(۶۱): آية ۷ ص : ۱۷۲
7719	سورة الصف(۶۱): آية ۸ ص : ۱۷۳
7719	سورة الصف(۶۱): آية ۹ ص : ۱۷۳
7719	سورة الصف(۶۱): آية ۱۰ ص : ۱۷۴
7719	سورة الصف(۶۱): آية ۱۱ ص : ۱۷۴
۲۳۲۰	سورة الصف(۶۱): آية ۱۲ ص : ۱۷۴
۲۳۲۰	سورة الصف(۶۱): آية ۱۳ ص : ۱۷۵
777.	سورة الصف(۶۱): آية ۱۴ ص : ۱۷۵
۲۳۲۰	اشارهاشاره
7771	حواريّون كيانند؟ ص : ۱۷۶
7771	سوره جمعه [۶۲] ص : ۱۷۷
7771	اشارهاشاره
7771	محتوای سوره: ص : ۱۷۷
7777	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۱۷۷
7777	سورة الجمعة (۶۲): آية ۱ ص : ۱۷۷ ·································
7777	سورة الجمعة(۶۲): آية ۲ ص : ۱۷۸
7777	سورة الجمعة(۶۲): آية ۳ ص : ۱۷۹
TTTT	سورة الجمعة(۶۲): آية ۴ ص : ۱۷۹

YWYW	سورة الجمعة(٤٢): آية ۵ ص : ١٧٩
7774	سورة الجمعة(۶۲): آية ۶ ص : ۱۸۰
7777	سورة الجمعة(۶۲): آية ۷ ص : ۱۸۱
۲۳۲۵	سورة الجمعة(٤٢): آية ٨ ص : ١٨١
۲۳۲۵	سورة الجمعة(٤٢): آية ٩ ص : ١٨٢
۲۳۲۵	اشاره
۲۳۲۵	شأن نزول: ص : ۱۸۲
۲۳۲۵	تفسیر: ص : ۱۸۲
TTT9	سورة الجمعة(۶۲): آية ۱۰ ص : ۱۸۳
TTT9	سورة الجمعة(۶۲): آية ۱۱ ص : ۱۸۳
TTT9	اشاره
YWYY	نکتهها: ص : ۱۸۴
YWYV	۱- نخستین نماز جمعه در اسلام: ص : ۱۸۴
YWYY	۲– اهمیت نماز جمعه: ص : ۱۸۵
YWYV	۳- فلسفه نماز عبادی- سیاسی جمعه: ص : ۱۸۵
YWYA	سوره منافقون [۶۳] ص : ۱۸۷
777A	اشاره
777A	محتوای سوره: ص : ۱۸۷
787X	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۱۸۷
TTT9	سورة المنافقون(۶۳): آية ١ ص : ١٨٩
TTT.	سورة المنافقون(۶۳): آيهٔ ۲ ص : ۱۸۹
TTT.	سورة المنافقون(۶۳): آية ۳ ص : ۱۸۹
TTT	سورهٔ المنافقون(۶۳): آیهٔ ۴ ص : ۱۹۰
TTT	سورة المنافقون(۶۳): آية ۵ ص : ۱۹۱
TTT	اشاره
	شأن نزول: ص : ۱۹۱

TTTT	تفسیر: ص : ۱۹۲
TTTT	سورهٔ المنافقون(۶۳): آیهٔ ۶ ص : ۱۹۲
YTTY	سورة المنافقون(۶۳): آيهٔ ۷ ص : ۱۹۳
YTTT	سورة المنافقون(۶۳): آیهٔ ۸ ص : ۱۹۳
Y***	سورة المنافقون(۶۳): آيهٔ ۹ ص : ۱۹۴
7 mm	سورة المنافقون(۶۳): آيهٔ ۱۰ ص : ۱۹۴
TTTF	سورة المنافقون(۶۳): آيهٔ ۱۱ ص : ۱۹۵
7777	
TMM&	
TTTF	
TTTO	
۲۳۳۵	
TTTO	
۲۳۳۵	
TMMS	
TTTS	
TMMS	
Υ٣٣٧	
YTTY	
Υ٣٣٧	
Υ٣٣Λ	
TTT9	
77779	
774	
Υ٣۴·	
,,,	اساره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰

TTF•	شأن نزول: ص : ۲۰۵
۲۳۴۰	تفسیر: ص : ۲۰۵
۲۳۴۱	سورة التغابن(۶۴): آية ۱۵ ص : ۲۰۶
TTF1	سورهٔ التغابن(۶۴): اَيهٔ ۱۶ ص : ۲۰۶
77F7	سورهٔ التغابن(۶۴): اَيهٔ ۱۷ ص : ۲۰۷
77FT	سورهٔ التغابن(۶۴): آیهٔ ۱۸ ص : ۲۰۸
77F7	سوره طلاق [۶۵] ص : ۲۰۹
۲۳۴۲ <u>-</u>	اشاره
۲۳۴۲ -	محتوای سوره: ص : ۲۰۹
۲۳۴۲	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۲۰۹
۲۳ ۴ ۳	سورة الطلاق(۶۵): آیهٔ ۱ ص : ۲۰۹
۲۳ ۴ ۳	اشارهاشاره
۲۳ ۴۴	طلاق منفورترین حلالها ص : ۲۱۲
۲۳ ۴ ۴	سورة الطلاق(۶۵): آية ۲ ص : ۲۱۲
۲۳۴۵	سورة الطلاق(۶۵): آية ۳ ص : ۲۱۳
۲۳ ۴ ۶	سورة الطلاق(۶۵): أيهٔ ۴ ص : ۲۱۴
۲۳ ۴ ۶	سورة الطلاق(۶۵): آيهٔ ۵ ص : ۲۱۵
۲۳۴V	سورة الطلاق(۶۵): آية ۶ ص : ۲۱۵
۲۳۴V	سورة الطلاق(۶۵): آیهٔ ۷ ص : ۲۱۷
۲ ۳۴۸	سورة الطلاق(۶۵): أيهٔ ۸ ص : ۲۱۷
۲ ۳۴۸	سورة الطلاق(۶۵): آیهٔ ۹ ص : ۲۱۸
۲ ۳۴۸	سورهٔ الطلاق(۶۵): آیهٔ ۱۰ ص : ۲۱۸
TT49	سورة الطلاق(۶۵): آیهٔ ۱۱ ص : ۲۱۸
TTF9	سورة الطلاق(۶۵): آیهٔ ۱۲ ص : ۲۱۹
۲۳۵۰	سوره تحریم [۶۶] ص : ۲۲۱
۲۳۸.	. 141

محتوای سوره: ص : ۲۲۱	
فضيلت تلاوت سوره: ص : ۲۲۱	
سورة التحريم(۶۶): آية ۱ ص : ۲۲۲	
اشارها ۱۳۵۱	
شأن نزول: ص : ۲۲۲	
تفسير: ص : ۲۲۲	
سورة التحريم(۶۶): آية ۲ ص : ۲۲۳ــــــ ۲۳۵۲	
سورة التحريم(۶۶): آية ٣ ص : ٢٢۴ــــ ٢٣۵٢	
سورة التحريم(۶۶): آية ۴ ص : ۲۲۴ ص : ۲۳۵۲	
سورة التحريم(۶۶): آية ۵ ص : ۲۲۵ ٢٢٥	
سورة التحريم(۶۶): آية ۶ ص : ۲۲۵ ٢٣٥٣	
سورة التحريم(۶۶): آية ۷ ص : ۲۲۶	
سورة التحريم(۶۶): آية ۸ ص : ۲۲۶	
سورة التحريم(۶۶): آية ۹ ص : ۲۲۷	
سورة التحريم(۶۶): آية ۱۰ ص : ۲۲۸	
سورة التحريم(۶۶): آية ۱۱ ص : ۲۲۹	
سورة التحريم(۶۶): آية ۱۲ ص : ۲۲۹	
ز جزء ۲۹ قرآن مجید ص : ۲۳۱	آغا
سوره ملک [۶۷] ص : ۲۳۱	
اشاره ۲۳۵۶	
محتوای سوره: ص : ۲۳۱	
فضيلت تلاوت سوره: ص : ٢٣١	
سورة الملک(۶۷): آیهٔ ۱ ص : ۲۳۲	
سورهٔ الملک(۶۷): آیهٔ ۲ ص : ۲۳۲	
سورة الملک(۶۷): آیهٔ ۳ ص : ۲۳۲	
سورة الملک(۶۷): آية ۴ ص : ۲۳۳	

Υ٣۵λ	سورة الملک(۶۷): آية ۵ ص : ۲۳۳
Υ٣ΔΛ	سورة الملک(۶۷): آية ۶ ص : ۲۳۴
۲۳۵۹	سورة الملک(۶۷): آية ۷ ص : ۲۳۴
۲۳۵۹	سورة الملک(۶۷): آية ۸ ص : ۲۳۴
٢٣۵٩	سورة الملک(۶۷): آية ۹ ص : ۲۳۴
۲۳۵۹	سورة الملک(۶۷): آية ۱۰ ص : ۲۳۵ -
۲۳۶۰	سورة الملک(۶۷): آية ۱۱ ص : ۲۳۵ -
۲۳۶۰	سورة الملک(۶۷): آية ۱۲ ص : ۲۳۵ -
۲۳۶۰	سورهٔ الملک(۶۷): آیهٔ ۱۳ ص : ۲۳۵ -
۲۳۶۰	سورهٔ الملک(۶۷): آیهٔ ۱۴ ص : ۲۳۶
۲۳۶۰	سورة الملک(۶۷): آية ۱۵ ص : ۲۳۶
۲۳۶۱	سورة الملک(۶۷): آية ۱۶ ص : ۲۳۷
۲۳۶۱	سورهٔ الملک(۶۷): آیهٔ ۱۷ ص : ۲۳۷ -
TT9T	سورة الملک(۶۷): آية ۱۸ ص : ۲۳۷ -
TTPST	سورهٔ الملک(۶۷): آیهٔ ۱۹ ص : ۲۳۸ -
YW9Y	سورة الملک(۶۷): آية ۲۰ ص : ۲۳۹ -
YW9W	سورة الملك(٤٧): آية ٢١ ص : ٢٣٩ -
YW9W	سورة الملك(٤٧): آية ٢٢ ص : ٢٣٩ -
YW9W	سورة الملک(۶۷): آية ۲۳ ص : ۲۴۰ -
YW94	سورة الملک(۶۷): آية ۲۴ ص : ۲۴۰ -
YW94	سورة الملک(۶۷): آية ۲۵ ص : ۲۴۱ -
YW94	سورة الملك(٤٧): آية ٢٤ ص : ٢٤١ -
YTSF	سورة الملک(۶۷): آية ۲۷ ص : ۲۴۱ -
YTSF	سورة الملک(۶۷): آية ۲۸ ص : ۲۴۱ -
<u> ۲۳۶۵</u>	سورة الملك(٤٧): آية ٢٩ ص : ٢۴٢ -
TTPA	سورة الملك(۶۷): آية ۳۰ ص : ۲۴۲ -

۲۳۶۵ -	سوره قلم [۶۸] ص : ۲۴۳
<u> የ</u> ሞዖል -	اشارها
۲۳۶۵ -	محتوای سوره: ص : ۲۴۳
۲۳ <i>۶۶</i> _	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۲۴۴
۲۳۶۶ -	سورهٔ القلم(۶۸): آیهٔ ۱ ص : ۲۴۴
TTSV -	سورة القلم(۶۸): أيهٔ ۲ ص : ۲۴۵
rwev.	Y#A # 5 1 /C1/ 1:11 6
1177 -	سورهٔ القلم(۶۸): آیهٔ ۳ ص : ۲۴۵
TTSV -	سورهٔ القلم(۶۸): أيهٔ ۴ ص : ۲۴۵
۲۳ <i>۶</i> ۷ -	سورة القلم(۶۸): أية ۵ ص : ۲۴۶
۲ ۳۶۸ -	سورة القلم(۶۸): آیهٔ ۶ ص : ۲۴۶
۲۳۶ ۸ -	سورهٔ القلم(۶۸): اَيهٔ ۷ ص : ۲۴۶
117/	سورهٔ القلم(۶۸): آیهٔ ۸ ص : ۲۴۶
۲ ۳۶۸ -	سورة القلم(۶۸): أية ٩ ص : ۲۴۶
۲ ۳۶۸ -	سورة القلم(۶۸): آية ۱۰ ص : ۲۴۷
TTS9 -	سورهٔ القلم(۶۸): أيهٔ ۱۱ ص : ۲۴۷
۲۳۶ ۹ -	سورة القلم(۶۸): أيهٔ ۱۲ ص : ۲۴۷
~~ca	سورة القلم(۶۸): آية ۱۳ ص : ۲۴۷
11/ (-	سوره اهلم(۸/): آیه ۱۱ ص : ۱۱۴
۲۳۶9 -	سورة القلم(۶۸): اَيهٔ ۱۴ ص : ۲۴۷
۲۳۶9 -	سورة القلم(۶۸): آية ۱۵ ص : ۲۴۷
747.	سورهٔ القلم(۶۸): اَیهٔ ۱۶ ص : ۲۴۸
777.	سورة القلم(۶۸): أيهٔ ۱۷ ص : ۲۴۸
۲۳۷ ٠ -	سورة القلم(۶۸): أية ۱۸ ص : ۲۴۹
777.	سورهٔ القلم(۶۸): أيهٔ ۱۹ ص : ۲۴۹
777.	سورة القلم(۶۸): آية ۲۰ ص : ۲۴۹
۲ ₩\/\	سورة القلم(۶۸): أية ۲۱ ص : ۲۴۹
11 7 1 -	سورة الفلم(۶۸): ایه ۱۱۱ ص : ۱۲۹
۲۳۷۱ .	سورة القلم(۶۸): أبهٔ ۲۲ ص : ۲۴۹

YTY	سورة القلم(٤٨): أية ٢٣ ص : ٢۴٩
TTY1	سورة القلم(۶۸): آية ۲۴ ص : ۲۴۹
Υ٣Υ١	
TTV 1	سورة القلم(۶۸): آية ۲۶ ص : ۲۵۰
TTV 1	سورة القلم(۶۸): آية ۲۷ ص : ۲۵۰
TTVT	سورة القلم(۶۸): آيهٔ ۲۸ ص : ۲۵۰
TTVT	سورةُ القلم(٤٨): آيةُ ٢٩ ص : ٢٥٠
T#YT	سورةُ القلم(۶۸): آيةُ ٣٠ ص : ۲۵۰
TTYT	سورة القلم(۶۸): آيهٔ ۳۱ ص : ۲۵۰
Y۳YY	سورة القلم(۶۸): آيهٔ ۳۲ ص : ۲۵۱
Υ٣ΥΨ	سورة القلم(۶۸): آيهٔ ۳۳ ص : ۲۵۱
Υ٣Υ٣	
Υ٣Υ٣	سورة القلم(۶۸): آية ۳۵ ص : ۲۵۱
Υ٣٧٣	
TTYT	
YTVF	
TTVF	
YWYF	
YWYF	
Υ٣Υ ۴	
Υ٣ΥΔ	
Υ٣ΥΔ	
Υ٣ΥΔ	
Υ٣Υ۶	
Y۳Y۶	
TTV\$	سورهٔ القلم(۶۸): آیهٔ ۴۸ ص : ۲۵۵

۵ ص : ۲۵۶ ۲۵۶ ۲۵۷	سورة القلم(۶۸): آية •
۵ ص : ۲۵۶	سورة القلم(۶۸): أية ١
۵ ص : ۲۵۶	سورة القلم(۶۸): آية ۲
7°77	اشاره .۔۔۔۔۔۔
بت دارد؟ ص : ۲۵۷	آیا چشم زدن واقع
۲۳۷۸ ۸۷۳۲	موره حاقّه [۶۹] ص :
۲۳۷۸	اشاره
: PA7 AV77	محتوای سوره: ص
ص : ۲۵۹ ۲۵۹	فضيلت تلاوت سوره:
۱ ص : ۲۵۹ ۲۳۷۸	سورة الحاقة(۶۹): آية
۲ ص : ۲۶۰ ۲۶۰	سورة الحاقة(۶۹): آية
٣ ص : ٢۶٠	سورة الحاقة(۶۹): آية
۴ ص : ۲۶۰	سورة الحاقة(۶۹): آية
۵ ص : ۲۶۰	سورة الحاقة(۶۹): آية
۶ ص: ۲۶۰	سورة الحاقة(۶۹): أية ·
۷ ص : ۲۶۱	سورة الحاقة(۶۹): آية
۸ ص : ۲۶۱	سورة الحاقة(۶۹): آية
٩ ص : ٢۶١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	سورة الحاقة(۶۹): آية
۱۰ ص : ۲۶۱	سورة الحاقة(۶۹): آية
۱۱ ص : ۲۶۲	سورة الحاقة(۶۹): آية
۱۲ ص : ۲۶۲	سورة الحاقة(۶۹): آية
۲۳۸۱	اشاره
ضائل على عليه السّلام ص : 7۶۲	•
٣٨١ ص : ٣٤٣	
۱۳ ص : ۲۶۳ ۲۶۳	

YWAY	سورة الحاقة(۶۹): آية ۱۵ ص : ۲۶۳
Υ٣٨Υ	سورة الحاقة(۶۹): آية ۱۶ ص : ۲۶۳
Υ٣ΛΥ	سورة الحاقة(۶۹): آية ۱۷ ص : ۲۶۴
Υ٣٨٣	سورة الحاقة(۶۹): آية ۱۸ ص : ۲۶۴
Υ٣٨٣	سورة الحاقة(۶۹): آية ۱۹ ص : ۲۶۵ -
YWAW	سورة الحاقة(۶۹): آية ۲۰ ص : ۲۶۵
YWAW	
Υ٣Λ٣	
YWAF	
Υ٣λ۴	
Υ٣Λ¢	
YWAF	
TWAQ	
YWAQ	
۲۳۸۵	
۲۳۸۵	
TTNS	سورة الحاقة(٤٩): آية ٣٠ ص : ٢۶٨
TTAS	سورة الحاقة(۶۹): آية ٣١ ص : ۲۶۸
TWAS	سورة الحاقة(۶۹): آية ٣٢ ص : ۲۶۸
۲۳۸۶	سورة الحاقة(۶۹): آية ٣٣ ص : ۲۶۸
۲۳۸۶	سورة الحاقة(۶۹): آية ۳۴ ص : ۲۶۸
Υ٣ΑΥ	سورة الحاقة(۶۹): آية ۳۵ ص : ۲۶۹
Υ٣ΛΥ	سورة الحاقة(۶۹): آية ۳۶ ص : ۲۶۹
Υ٣٨٧	سورة الحاقة(۶۹): آية ٣٧ ص : ٢۶٩
YWAY	سورة الحاقة(۶۹): آية ٣٨ ص : ٢۶٩

۲۳۸۷	سورة الحاقة(۶۹): أيهٔ ۳۹ ص : ۲۶۹
۲۳۸۷۰	سورة الحاقة(۶۹): آية ۴۰ ص : ۲۶۹ ص : ۲۶۹
۲ ۳۸۸ -	سورهٔ الحاقهٔ(۶۹): آیهٔ ۴۱ ص : ۲۷۰
۲ ۳۸۸ .	سورهٔ الحاقهٔ(۶۹): آیهٔ ۴۲ ص : ۲۷۰ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
የ ሞአአ -	سورة الحاقة(۶۹): آية ۴۳ ص : ۲۷۰ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۲۳ ۸۸ -	سورة الحاقة(۶۹): آية ۴۴ ص : ۲۷۰ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۲ ۳۸۸ .	سورة الحاقة(۶۹): آية ۴۵ ص : ۲۷۰
۲ ۳۸۸ -	سورة الحاقة(۶۹): آية ۴۶ ص : ۲۷۰
የፖለዓ -	سورة الحاقة(۶۹): آية ۴۷ ص : ۲۷۱
የፖለዓ -	سورهٔ الحاقهٔ(۶۹): آیهٔ ۴۸ ص : ۲۷۱
የፖለዓ -	سورة الحاقة(۶۹): آية ۴۹ ص : ۲۷۱
	سورهٔ الحاقهٔ(۶۹): آیهٔ ۵۰ ص : ۲۷۱
የ۳አ۹ -	سورهٔ الحاقهٔ(۶۹): آیهٔ ۵۱ ص : ۲۷۱
	سورة الحاقة(۶۹): آية ۵۲ ص : ۲۷۲
	سوره معارج [۷۰] ص : ۲۷۳
	اشارها
	محتوای سوره: ص : ۲۷۳
	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۲۷۳
	سورة المعارج(۲۰): آية ۱ ص : ۲۷۴
	اشاره
	شأن نزول: ص : ۲۷۴
	تفسیر: ص : ۲۷۴
	سورة المعارج(۲۷): آية ۲ ص : ۲۷۴
	سورة المعارج(۲۷): آية ۳ ص : ۲۷۵
	سورة المعارج(۷۰): آية ۴ ص : ۲۷۵
۲۳۹۲.	سورة المعارج(٧٠): آية ۵ ص : ٢٧٥

YW9Y	سورة المعارج(٧٠): آية ۶ ص : ۲۷۶
Y۳97	سورة المعارج(٧٠): آية ٧ ص : ٢٧۶
YW9W	سورة المعارج(٧٠): آية ٨ ص : ٢٧۶
TM9M	سورة المعارج(٧٠): آية ٩ ص : ٢٧۶
YW9W	سورة المعارج(٧٠): آية ١٠ ص : ٢٧۶
TW9W	سورة المعارج(٧٠): آيهٔ ١١ ص : ٢٧٧
TW9W	سورة المعارج(٧٠): آية ١٢ ص : ٢٧٧
T٣9\$	
Y٣٩۴	
Y**9*	
Y 79 4	
TT94	سورة المعارج(٧٠): آية ١٧ ص : ٢٧٧
TT9F	
TW9F	
Υ٣٩Δ	
Υ٣٩Δ	سورة المعارج(٧٠): آية ٢١ ص : ٢٧٨
Υ٣٩۵	
۲۳۹۵	
Υ٣٩Δ	
TT9A	
TT9A	
YM98	
TT98	
TT98	
TT98	
TT98	سورة المعارج(٧٠): آية ٣١ ص : ٢٨٠

TT98	سورة المعارج(٧٠): آية ٣٢ ص : ٢٨٠
7797	سورة المعارج(٧٠): آية ٣٣ ص : ٢٨١
7 m 9 y	سورة المعارج(٧٠): آية ٣۴ ص : ٢٨١
7797	سورة المعارج(٧٠): آية ٣۵ ص : ٢٨١
YP97	سورة المعارج(٧٠): أية ٣۶ ص : ٢٨١
**************************************	سورة المعارج(٧٠): آية ٣٧ ص : ٢٨٢
**************************************	سورة المعارج(٧٠): آية ٣٨ ص : ٢٨٢
**************************************	سورة المعارج(٧٠): آية ٣٩ ص : ٢٨٢
APTT	سورة المعارج(٧٠): آية ۴۰ ص : ٢٨٢
Y٣٩٩	سورة المعارج(٧٠): آية ۴۱ ص : ۲۸۳
Y٣٩٩	سورة المعارج(٧٠): آية ۴۲ ص : ۲۸۳
Y٣٩٩	سورة المعارج(٧٠): آية ۴۳ ص : ٢٨٣
Y 7 9 9	سورة المعارج(٧٠): آية ۴۴ ص : ٢٨٣
	سوره نوح [۷۱] ص : ۲۸۵
76	اشاره
	اشاره
76	اشاره
YF	اشاره
7F	اشاره
7**** 7**** 7****	اشاره
7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****.	اشاره
7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****.	اشاره
76 76 77 77 77 77 77 77 77 77	اشاره
7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****. 7****.	اشاره
76 76 77 77 77 77 77 77 77 77	اشاره

74.4	۰ ۲۸۹	ص :	(۷۱): آیهٔ ۱۰	سورهٔ نوح(
74.4	۳۸۹	ص :	(۷۱): آیهٔ ۱۱	سورۂ نوح(
74.4	۰ ۲۸۹	ص :	(۷۱): آیهٔ ۱۲	سورهٔ نوح(
74.4	۰ ۲۸۹	ص :	(۷۱): آیهٔ ۱۳	سورهٔ نوح(
74.4	· ۲۹·	ص :	(۷۱): آیهٔ ۱۴	سورۂ نوح(
74.4	· ۲۹·	ص :	(۷۱): آیهٔ ۱۵	سورۂ نوح(
74.4	۲۹۰	ص :	(۷۱): آیهٔ ۱۶	سورهٔ نوح(
74.4	۲۹۱	ص :	(۷۱): آیهٔ ۱۷	سورهٔ نوح(
74.0	۲۹۱	ص :	(۷۱): آیهٔ ۱۸	سورهٔ نوح(
74.0	۲۹۱	ص :	(۷۱): آیهٔ ۱۹	سورهٔ نوح(
74.0	۲۹۱	ً ص :	(۷۱): آیهٔ ۲۰	سورهٔ نوح(
74.0	۲۹۲	ً ص :	(۷۱): آیهٔ ۲۱	سورهٔ نوح(
74.8	۲۹۲	ً ص :	(۷۱): آیهٔ ۲۲	سورهٔ نوح(
TF+9	۲۹۲	ً ص :	(۷۱): آیهٔ ۲۳	سورهٔ نوح(
TF.9	۲۹۳	ً ص :	(۷۱): آیهٔ ۲۴	سورهٔ نوح(
Y*·۶	۲۹۳	ً ص :	(۷۱): آیهٔ ۲۵	سورهٔ نوح(
Y*•Y	۲۹۳	ص :	(۷۱): آیهٔ ۲۶	سورهٔ نوح(
Y*•Y	۲۹۴	ً ص :	(۷۱): آیهٔ ۲۷	سورهٔ نوح(
74.7	۲۹۴	ً ص :	(۷۱): آیهٔ ۲۸	سورۂ نوح(
74.7		Y9,	۱] ص : ۵	سوره جنّ [۷۲
7۴.7				اشاره
74.4				
Y*•A	Y9	ص : ۵	(وت سوره:	فضيلت تلا
Y*• \		· ۲'	: ص: ۱۶	شأن نزول
Y۴.9	· ۲۹۷	ص :	ر(۷۲): آیهٔ ۱	سورة الجز
74.9	۲۹۷	ص :	ر(۷۲): آیهٔ ۲	سورة الجز

74.9	سورة الجن(٧٢): آية ٣ ص : ٢٩٧
74.9	سورة الجن(٧٢): آية ۴ ص : ٢٩٧
TF1·	سورة الجن(٧٢): آية ۵ ص : ٢٩٨
T\$1.	سورة الجن(٧٢): آية ۶ ص : ٢٩٨
Y\$1.	سورة الجن(٧٢): آية ٧ ص : ٢٩٨
YF11	سورة الجن(٧٢): آية ٨ ص : ٢٩٩
TF11	سورة الجن(٧٢): آية ٩ ص : ٢٩٩
TF11	سورة الجن(٧٢): آية ١٠ ص : ٢٩٩
7۴11	سورة الجن(٧٢): آية ١١ ص : ٣٠٠
TF1T	سورة الجن(٧٢): آية ١٢ ص : ٣٠٠
TF1Y	
YF1Y	
YF1Y	
YF1\\\	
7۴1٣	
Y\$1\forall	
YF1F	
7414	
7414	
7414	
YF1F	
Υ۴۱Δ	
TF18	
TF18	
TF18	
1 1 1/1/	سوره الجن (۱۱): آیه ۱۸ ص . ۱ ، ۱

7418	اشاره
T۴1۶	نکتهها: ص : ۳۰۶
7۴17	۱- تحقیق گستردهای پیرامون علم غیب ص : ۳۰۶
	۲– تحقیقی پیرامون آفرینش «جن» ص : ۳۰۸
7۴19	سوره مزّقل [۷۳] ص : ۳۱۱
	اشارها
	محتوای سوره: ص : ۳۱۱
	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۳۱۱
	سورة المزمل(٧٣): آية ١ ص : ٣١٢ ·······················
	سورة المزمل (٧٣): آية ٢ ص : ٣١٢ ·················
TFT•	سورة المزمل (٧٣): آية ٣ ص : ٣١٢
747.	سورة المزمل (٧٣): آية ۴ ص : ٣١٢ ······················
747.	سورة المزمل(٧٣): آية ۵ ص : ٣١٣ ·············
747.	اشاره ٠
7871	فضیلت نماز شب: ص : ٣١٣
TFT1	سورة المزمل(٧٣): آية ۶ ص : ٣١۴
7471	سورة المزمل(٧٣): آية ٧ ص : ٣١۴ ···································
YFYY	سورة المزمل (٧٣): آية ٨ ص : ٣١۴ ·
TFTT	سورة المزمل (٧٣): آية ٩ ص : ٣١٥ · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
TFTT	سورة المزمل(٧٣): آية ١٠ ص : ٣١٥
7°F7°F"	سورة المزمل(٧٣): آية ١١ ص : ٣١۶ ·
Y*Y*	سورة المزمل(٧٣): آية ١٢ ص : ٣١۶ ·
	سورة المزمل (۷۳): آية ۱۴ ص : ۳۱۷
	سورة المزمل (۲۲): آیهٔ ۱۵ ص : ۳۱۷
	سورة المزمل(۲۱): آیه ۱۵ ص : ۱۱۷
T T T T	ه.ة المنما (٧٣): إية ١٤ ص : ٣١٧ ٣١٧

741	F	ص : ۳۱۷	المزمل(٧٣): آية ١٧	سورة
741	F	ص : ۳۱۸	المزمل(٧٣): آيهٔ ١٨	سورة
741	F	ص : ۳۱۸	المزمل(٧٣): أيهٔ ١٩	سورة
741	۵	ً ص : ۳۱۸	المزمل(٧٣): أيهٔ ٢٠	سورة
741	9	٢	نْر [۷۴] ص : ۲۱	وره مدّثّ
741	9			اشاره
741	9	٣٢	_ا ی سوره: ص : ۱ ^۰	محتو
741	Υ	ی : ۳۲۱	ت تلاوت سوره: ص	فضيل
741	Υ	ص : ۳۲۲	المدثر (٧۴): أيهٔ ١	سورة
741	Υ	ص : ۳۲۲	المدثر (٧۴): أيهٔ ٢	سورة
741	Υ	ص : ٣٢٣	المدثر (٧۴): آيهٔ ٣	سورة
741	۸	ص : ٣٢٣	المدثر (٧۴): آيهٔ ۴	سورة
741	۸	ص : ۳۲۴	المدثر (٧۴): آيهٔ ۵	سورة
741	٨	ص : ۳۲۴	المدثر(٧۴): آية ۶	سورة
741	9	ص : ۳۲۴	المدثر(٧۴): أيهٔ ٧	سورة
741	9	ص : ۳۲۵	المدثر (٧۴): آية ٨	سورة
741	9	ص : ۳۲۵	المدثر (٧۴): آية ٩	سورة
741	9	ص : ۳۲۵	المدثر(٧۴): آية ١٠	سورة
741	9	ص : ۳۲۵	المدثر(٧۴): أيهٔ ١١	سورة
741	٩		شاره	ان
	· <u></u>			
	· <u></u>			
	· <u></u>		-	
	١			
	1			
741	\	ص: ۳۲۷	المدثر(٧۴): آية ١٥	سورة

TFT1	سورة المدثر (٧۴): آية ١۶ ص : ٣٢٧
YFT1	سورة المدثر (٧۴): أية ١٧ ص : ٣٢٧
Y۴۳Y	سورة المدثر(۷۴): أيهٔ ۱۸ ص : ۳۲۸
TFTT	سورة المدثر(٧۴): آية ١٩ ص : ٣٢٨
Y۴٣Y	سورة المدثر (٧۴): آية ٢٠ ص : ٣٢٨
T\$TT	سورة المدثر (٧۴): آية ٢١ ص : ٣٢٨
Y۴۳Y	سورة المدثر(٧۴): آية ٢٢ ص : ٣٢٨
TFWT	سورهٔ المدثر(۷۴): آیهٔ ۲۳ ص : ۳۲۸
TFTT	
TFTT	
TFTT	
TFTT	
T\$TT	
T\$TT	
T\$TT	
YFWF	
Υ۴٣۵	
Υ۴۳۵	
Υ۴٣۵	
YFWS	
YFTS	
TFTS	
YFTS	
YFTY	
7°FTY	
• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	سوره المعارز ۱۱۱ اید ۱۱۱ س کی ۱۱۰

سورة المدثر (٧۴): آية ۴۲ ص : ۳۳۴
سورة المدثر (٧٤): آية ۴۳ ص : ٣٣۴
سورة المدثر (٧۴): آية ۴۴ ص : ۳۳۴
سورة المدثر(۷۴): آية ۴۴ ص : ۳۳۴ ص :
سورة المدثر (۷۴): آية ۴۵ ص : ۳۳۴
سورة المدثر(۲۴): آية ۴۵ ص : ۳۳۴ ص : ۳۳۸
سورة المدثر(۲۴): آیة ۴۵ ص : ۳۳۸ سورة المدثر(۲۴): آیة ۶۶ ص : ۳۳۵ سورة المدثر(۲۴): آیة ۴۷ ص : ۳۳۵ سورة المدثر(۲۴): آیة ۴۸ ص : ۳۳۵ سورة المدثر(۲۴): آیة ۴۸ ص : ۳۳۵ سورة المدثر(۲۴): آیة ۴۹ ص : ۳۳۶ سورة المدثر(۲۴): آیة ۴۹ ص : ۳۳۶
۲۴۳۸ ۳۳۴ ص : ۴۵ ص : ۴۲۸ سورة المدثر (۲۴): آیهٔ ۴۶ ص : ۳۳۵ ۳۳۸ سورة المدثر (۲۴): آیهٔ ۲۴ ص : ۳۳۵ ۳۳۵ ص : ۳۳۵ سورة المدثر (۲۴): آیهٔ ۴۸ ص : ۳۳۵ ۳۳۶ ص : ۳۳۶ سورة المدثر (۲۴): آیهٔ ۴۹ ص : ۳۳۶ ۳۳۶ ص : ۳۳۶ سورة المدثر (۲۴): آیهٔ ۵۰ ص : ۳۳۶ ۳۳۶ ص : ۳۳۶
۲۴۳۸ ۳۳۶ ۳۳۵ سورة المدثر (۲۴): آیة ۴۶ ص : ۳۳۵ ۳۳۵ سورة المدثر (۲۴): آیة ۲۸ ص : ۳۳۵ ۳۳۵ سورة المدثر (۲۴): آیة ۸۸ ص : ۳۳۵ ۳۳۵ سورة المدثر (۲۴): آیة ۴۹ ص : ۳۳۶ ۳۳۶ سورة المدثر (۲۴): آیة ۸۰ ص : ۳۳۶ ۳۳۶ سورة المدثر (۲۴): آیة ۸۰ ص : ۳۳۶ ۳۳۶ سورة المدثر (۲۴): آیة ۸۰ ص : ۳۶۶ ۳۳۶
۲۴۲۸ 7۳۴ س. ص. ۲۳۴ س. ص. ۲۳۸ سورة المدثر(۲۷): آیة ۴۶ س ص. ۲۳۵ 7۳۵ س ص. ۲۳۵ س ۲۳۵ سورة المدثر(۲۷): آیة ۴۸ س ص. ۲۳۵ س ۲۳۵ س ۲۳۵ س ۲۳۵ س ۲۳۵ س ۲۳۵ س ۲۳۹ س ۲۳۶ س ۲۳۹
۲۴۲۸ ۳۳۶ ص : ۳۳۸ سورة المدثر(۲۷): آیة ۴۶ ص : ۳۳۵ ۳۳۸ سورة المدثر(۲۷): آیة ۴۷ ص : ۳۳۵ ۳۳۸ سورة المدثر(۲۷): آیة ۴۸ ص : ۳۳۵ ۳۳۸ سورة المدثر(۲۷): آیة ۴۹ ص : ۳۳۶ ۳۳۶ ص : ۳۳۶ سورة المدثر(۲۷): آیة ۴۸ ص : ۳۳۶ ۳۳۶ ص : ۳۳۶ سورة المدثر(۲۷): آیة ۳۵ ص : ۳۳۶ ۳۳۶ ص : ۳۳۶ سورة المدثر(۲۷): آیة ۳۵ ص : ۳۳۶ ۳۳۶ ص : ۳۳۶
۲۴۲۸ ۳۲۴ س : ۳۲۳ ۳۲۸ ۳۲۵ س : ۳۲۵ ۳۲۸ ۳۲۵ س : ۳۲۹ ۳۲۹ ۳۲۶ س : ۳۲۶ ۳۲۹ س : ۳۲۶ ۳۲۶ س : ۳۲۶ ۳۲۹ س : ۳۲۶ س : ۳۲۶ ۳۲۶ س : ۳۲۶ ۳۲۹ س : ۳۲۶ س : ۳۲۶ س : ۳۲۶ ۳۲۶ س : ۳۲۶ س : ۳۲۶ ۳۲۹ س : ۳۲۶
۲۴۲۸ ۳۲۶
۲۴۲۸ ۳۲۴۰ ۳۲۲۰ ۳۲۲۰ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۲۹
۲۴۲۸
۲۴۲۸ ۳۲۶ ۳۲۲ <td< td=""></td<>
۲۴۲۸ ۳۲۲ ۵ : ۲۴۲ ۳۲ ۳۲ <
۲۴۲۸ ۳۲۶ س. ۲۶ ۳ ۳۲۲ سورة المدتر(۲۷): آیة ۲۶ س. ۲۲۵ ۳۲۸ ۳۲۲۸ ۳۲۵ س. ۲۲۵ س. ۲۲۵ سورة المدتر(۲۷): آیة ۲۸ س. ۳۲۵ ۳۲۵ ۳۲۲۸ ۳۲۲۹ ۳۲۶ س. ۳۲۲ س. ۳۲۶ محتوای سوره س. ۳۲۹ س. ۳۲۶ ۳۲۶ س. ۳۲
۲۴۲۸ ۳۲۲۰
۲۴۲۸
٣٣٢٨ ٣٣٤
۲۴۲۸ ۳۲۴ س و ۳۲۰
٣٣٢٨ ٣٣٤٠
سورة المدثر(۷۴): آية ۴۳ ص : ۳۳۴

7444	ص : ۳۴۱	حکمه وجدان» ه	«م »
YFFF	ص : ۳۴۳	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۷	سورة الق
YFFF	ص : ۳۴۳	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۸	سورة الق
7444	ص : ۳۴۳	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۹	سورة الق
YFFF	ص : ۳۴۳	فیامهٔ(۷۵): آیهٔ ۱۰	سورة الق
YFFF	ص : ۳۴۴	فیامهٔ(۷۵): آیهٔ ۱۱	سورة الق
7449	ص : ۳۴۴	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۱۲	سورة الق
YFFA	ص : ۳۴۴	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۱۳	سورة الق
7440	ص : ۳۴۴	فیامهٔ(۷۵): آیهٔ ۱۴	سورة الق
7449	ص : ۳۴۵	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۱۵	سورة الق
7446	ص : ۳۴۵	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۱۶ .	سورة الق
7446	ص : ۳۴۵	فیامهٔ(۷۵): آیهٔ ۱۷	سورة الق
YFF9	ص : ۳۴۵	فیامهٔ(۷۵): آیهٔ ۱۸	سورة الق
YFF9	ص : ۳۴۶	نیامهٔ(۷۵): آیهٔ ۱۹	سورة الق
YFF9	ص : ۳۴۶	نیامهٔ(۷۵): آیهٔ ۲۰	سورة الق
YFFY	ص : ۳۴۶	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۲۱	سورة الق
YFFY	ص : ۳۴۶	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۲۲	سورة الق
YFFY	ص : ۳۴۶	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۲۳	سورة الق
YFFY	ص : ۳۴۷	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۲۴	سورة الق
YFFY	ص : ۳۴۷	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۲۵	سورة الق
YFFA	ص : ۳۴۷	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۲۶ .	سورة الق
YFFA	ص : ۳۴۸	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۲۷	سورة الق
YFFA	ص : ۳۴۸	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۲۸	سورة الق
7884	ص : ۳۴۸	فيامهٔ(۷۵): آيهٔ ۲۹	سورة الق
YFFA		ره ٠	اشار
Yff9	ص : ۳۴۸	طه دردناک مرگ!	لحض

7449	سورة القيامة (۷۵): آية ۳۰ ص : ۳۴۸	
7449	سورة القيامة(٧۵): آية ٣١ ص : ٣۴٩	
7449	سورة القيامة(٧۵): أيهٔ ٣٢ ص : ٣٤٩	
TFF9	سورة القيامة(٧۵): اَيهٔ ٣٣ ص : ٣۴٩	
740	سورة القيامة(٧۵): أية ٣۴ ص : ٣۴٩	
۲۴۵۰	سورة القيامة(٧۵): أية ٣۵ ص : ٣۴٩	
740	سورة القيامة(٧۵): آية ٣۶ ص : ٣۴٩	
۲۴۵۰	سورة القيامة(٧۵): آية ٣٧ ص : ٣٥٠	
۲۴۵۰	سورة القيامة(٧٥): آية ٣٨ ص : ٣٥٠	
7401	سورة القيامة(٧٥): آية ٣٩ ص : ٣٥٠	
7401	سورة القيامة(٧۵): آية ۴۰ ص : ۳۵۰	
	بوره دهر (انسان) [۲۶] ص : ۳۵۱	w
	اشارها	
	محتوای سوره: ص : ۳۵۱ـــــــــــــــــــــــــــــــــ	
	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۳۵۱	
	سورة الإنسان(٧۶): آية ١ ص : ٣۵٢	
	سورة الإنسان(٧۶): آية ٢ ص : ٣۵٢ ·	
	سورة الإنسان(۷۶): آية ۳ ص : ۳۵۳	
	سورة الإنسان(٧۶): آية ۴ ص : ٣۵٣ ·	
	سورة الإنسان(٧۶): آية ۵ ص : ٣۵٣ ·	
	اشاره	
	شأن نزول: ص : ۳۵۳	
	تفسير: ص : ۳۵۵	
	سورة الإنسان(٧۶): آية ۶ ص : ۳۵۵ـــــــــــــــــــــــــــــــ	
	سورة الإنسان(۲۶): آية ۷ ص : ۳۵۵ ·································	
7400	سورة الإنسان(٧۶): آية ٨ ص : ٣۵۶	

7400	سورة الإنسان(٧۶): آية ٩ ص : ٣۵۶ ·················
7500	سورة الإنسان(۷۶): آية ۱۰ ص : ۳۵۶
7500	سورة الإنسان(٧۶): آية ١١ ص : ٣۵٧
7405	سورة الإنسان(٧۶): آية ١٢ ص : ٣۵٧
7406	سورة الإنسان(٧۶): آية ١٣ ص : ٣۵٧
7405	سورة الإنسان(٧۶): آية ١۴ ص : ٣۵٨
Υ۴ΔΥ	سورة الإنسان(٧۶): آية ١۵ ص : ٣٥٨
Υ۴ΔΥ	سورة الإنسان(٧۶): آية ١۶ ص : ٣۵٨
Υ۴ΔΥ	سورة الإنسان(٧۶): آية ١٧ ص : ٣٥٨
Υ۴ΔΥ	سورة الإنسان(٧۶): آية ١٨ ص : ٣۵٩
Υ۴ΔΥ	سورة الإنسان(٧۶): آية ١٩ ص : ٣۵٩
Υ۴ΔΛ	سورة الإنسان(٧۶): آية ٢٠ ص : ٣٥٩
Υ۴ΔΛ	سورة الإنسان(٧۶): أية ٢١ ص : ٣۵٩
Υ۴ΔΛ	سورة الإنسان(٧۶): أيةُ ٢٢ ص : ٣۶٠
Υ۴ΔΛ	سورة الإنسان(٧۶): أية ٢٣ ص : ٣۶٠
Υ۴Δ٩	سورة الإنسان(٧۶): أية ٢۴ ص : ٣۶٠
YFQ9	سورة الإنسان(٧۶): أيهٔ ٢۵ ص : ٣۶١
۲۴۵۹	سورة الإنسان(٧۶): أية ٢۶ ص : ٣۶١
TF9·	سورة الإنسان(٧۶): أيهٔ ٢٧ ص : ٣۶٢
Y49·	سورة الإنسان(٧۶): أيهٔ ٢٨ ص : ٣۶٢ ص
YF91	سورة الإنسان(٧۶): آية ٢٩ ص : ٣۶٣
YF91	سورة الإنسان(٧۶): أية ٣٠ ص : ٣۶٣
7491	سورة الإنسان(٧۶): أيهٔ ٣١ ص : ٣۶۴
7 F F T	سوره مرسلات [۷۷] ص : ۳۶۵
YF9Y	اشاره
TF9T	محتوای سوره: ص : ۳۶۵

YF9Y	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۳۶۶
TFST	سورة المرسلات(٧٧): آية ١ ص : ٣۶۴
TF98	سورة المرسلات(٧٧): آية ٢ ص : ٣۶۶
TF98"	سورة المرسلات(٧٧): آية ٣ ص : ٣۶۶
YFST	سورة المرسلات(٧٧): أية ۴ ص : ٣۶۶
Y 4 5 4	سورة المرسلات(۷۷): آية ۵ ص : ۳۶۶
Y 4 5 7	سورة المرسلات(٧٧): آية ۶ ص : ۳۶۷
YF9F	
YF9F	
YFSF	
YF8F	
T484	
YF9F	
7494	
T490	
TF9A	
T490	
T480	
T490	
T488	
T499	
T488	
Y 4 5 9	
Y 4 5 9	
Y 4 5 9	
7457	سورة المرسلات(٧٧): آية ٢۵ ص : ٣٧٠

T48Y	سورة المرسلات(٧٧): آية ٢۶ ص : ٣٧٠
YFSY	سورة المرسلات(٧٧): آية ٢٧ ص : ٣٧٠
YF9A	سورة المرسلات(٧٧): أيهٔ ٢٨ ص : ٣٧١
YF9A	سورة المرسلات(٧٧): أية ٢٩ ص : ٣٧١
Υ۴۶λ	سورة المرسلات(۷۷): آية ۳۰ ص : ۳۷۲
Υ۴۶λ	سورة المرسلات(٧٧): آية ٣١ ص : ٣٧٢
Υ۴۶λ	سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٢ ص : ٣٧٢
Υ۴۶λ	سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٣ ص : ٣٧٢
Y 4 9	سورة المرسلات(٧٧): آية ٣۴ ص : ٣٧٢
Y F F 9	سورة المرسلات(٧٧): آية ٣۵ ص : ٣٧٢
Y F F 9	سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٤ ص : ٣٧٣
Y F S 9	سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٧ ص : ٣٧٣
Y F S 9	سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٨ ص : ٣٧٣
744.	سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٩ ص : ٣٧٣ -
YFV·	سورة المرسلات(۷۷): آية ۴۰ ص : ۳۷۳ -
744.	سورة المرسلات(۷۷): آية ۴۱ ص : ۳۷۴ -
744.	سورة المرسلات(٧٧): آية ٤٢ ص : ٣٧۴ -
744.	سورة المرسلات(٧٧): آية ۴۳ ص : ٣٧۴ -
7۴۷1	سورة المرسلات(٧٧): آية ۴۴ ص : ٣٧۴ -
7571	سورة المرسلات(٧٧): آيةُ ۴۵ ص : ٣٧۴ -
7471	سورة المرسلات(٧٧): أيهٔ ۴۶ ص : ٣٧۵ -
7471	سورة المرسلات(٧٧): آيةُ ۴٧ ص : ٣٧٥ -
7471	سورة المرسلات(٧٧): آية ۴۸ ص : ٣٧۵ -
7۴٧٢	سورة المرسلات(٧٧): آيةُ ٤٩ ص : ٣٧٥ -
7۴۷۲	سورة المرسلات(٧٧): آية ۵۰ ص : ٣٧۵ -
7۴٧٢	آغاز جزء ۳۰ قرآن مجید ص : ۳۷۷

7477 -	سوره نبأ [۲۸] ص : ۳۷۷
7477 -	اشارها
7477 -	محتوای سوره: ص : ۳۷۷
7474 -	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۳۷۸
7474 -	سورة النبإ(۷۸): آية ۱ ص : ۳۷۸
7474 -	سورة النبإ(۷۸): اَيهٔ ۲ ص : ۳۷۸
7474 -	سورة النبإ(۷۸): آيهٔ ۳ ص : ۳۷۸
7474 -	سورة النبإ(۷۸): آيهٔ ۴ ص : ۳۷۹
7474 -	سورة النبإ(۷۸): آيهٔ ۵ ص : ۳۷۹
7474 -	سورة النبإ(۷۸): اَيةٔ ۶ ص : ۳۷۹
۲۴۷۵ -	سورة النبإ(۷۸): اَيهٔ ۷ ص : ۳۸۰
۲۴۷۵ -	سورة النبإ(۷۸): آیهٔ ۸ ص : ۳۸۱
۲۴۷۵ -	سورة النبإ(۷۸): آيهٔ ۹ ص : ۳۸۱
T4V8_	سورة النبإ(۷۸): آية ۱۰ ص : ۳۸۱
7 4 78 -	سورة النبإ(۷۸): آية ۱۱ ص : ۳۸۲
7 4 78 -	سورة النبإ(۷۸): آية ۱۲ ص : ۳۸۲
	سورة النبإ(۷۸): آيهٔ ۱۳ ص : ۳۸۲
7477 -	سورة النبإ(۷۸): آيهٔ ۱۴ ص : ۳۸۳
7 ۴ ۷۷ -	سورة النبإ(۷۸): آية 1۵ ص : ۳۸۳
7 ۴ ۷۷ -	سورة النبإ(۷۸): آية ۱۶ ص : ۳۸۳
7 ۴ ۷۷ -	سورة النبإ(۷۸): آية ۱۷ ص : ۳۸۴ ·
۲۴ ۷۸ -	سورة النبإ(۷۸): آية ۱۸ ص : ۳۸۴
۲۴ ۷۸ -	سورة النبإ(۷۸): آية ۱۹ ص : ۳۸۴
7 ۴ YX -	سورة النبإ(۷۸): آيهٔ ۲۰ ص : ۳۸۴ · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
۲۴ ۷۸ -	سورة النبإ(۷۸): آيهٔ ۲۱ ص : ۳۸۵ · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
Y4V9 .	سو، ة النيا(۷۸): اَنهٔ ۲۲ ص : ۳۸۵ ···································

7479	سورة النبإ(٧٨): آية ٢٣ ص : ٣٨٥
7479	سورة النبإ(٧٨): آية ۲۴ ص : ٣٨٥٠
7479	سورة النبإ(٧٨): آية ٢۵ ص : ٣٨٥٠
7479	سورة النبإ(٧٨): آية ۲۶ ص : ٣٨۶
7479	سورة النبإ(٧٨): آية ٢٧ ص : ٣٨۶ ص : ٣٨۶
۲۴۸۰	سورة النبإ(٧٨): آية ٢٨ ص : ٣٨۶ ص : ٣٨۶
۲۴۸۰	سورة النبإ(٧٨): آية ٢٩ ص : ٣٨۶
YFA	سورة النبإ(٧٨): آية ٣٠ ص : ٣٨٧
7411	سورة النبإ(٧٨): آية ٣١ ص : ٣٨٧
7411	سورة النبإ(٧٨): آية ٣٢ ص : ٣٨٨
7411	سورة النبإ(٧٨): آية ٣٣ ص : ٣٨٨
YFA1	سورة النبإ(٧٨): آية ٣۴ ص : ٣٨٨ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
YFA1	سورة النبإ(٧٨): آية ٣۵ ص : ٣٨٨
YFAY	سورة النبإ(٧٨): آية ٣۶ ص : ٣٨٨
YFAY	سورة النبإ(٧٨): آية ٣٧ ص : ٣٨٩
7417	سورة النبإ(۲۸): آيهٔ ۳۸ ص : ۳۸۹
Y F A W	سورة النبإ(۲۸): آيهٔ ۳۹ ص : ۳۹۰
747	سورة النبإ(۷۸): آيهٔ ۴۰ ص : ۳۹۱
7414	سوره نازعات [۲۹] ص : ۳۹۳
7414	اشاره
YFAF	محتوای سوره: ص : ۳۹۳
۲۴۸۵	فضيلت تلاوت سوره: ص : ٣٩٣
۲۴۸۵	سورة النازعات(٧٩): آية ١ ص : ٣٩۴
۲۴۸۵	سورة النازعات(٧٩): آية ٢ ص : ٣٩۴
۲۴۸۵	سورة النازعات(٧٩): آية ٣ ص : ٣٩۴
7410	سورة النازعات(٧٩): أيهٔ ۴ ص : ٣٩۴

Υ۴۸۵	سورة النازعات(٧٩): ايهٔ ۵ ص : ٣٩۴
TFA9	سورة النازعات(٧٩): آية ۶ ص : ٣٩٥
Υ۴λ۶	سورة النازعات(٧٩): آية ٧ ص : ٣٩٥
YFAS	سورة النازعات(٧٩): أية ٨ ص : ٣٩٥
Υ۴λ۶	سورة النازعات(٧٩): آية ٩ ص : ٣٩٥
TFAS	سورة النازعات(٧٩): آية ١٠ ص : ٣٩٥
TFAS	سورة النازعات(٧٩): آية ١١ ص : ٣٩٥
Υ۴ΛΥ	سورة النازعات(٧٩): آية ١٢ ص : ٣٩۶
Υ۴λΥ	سورهٔ النازعات(۷۹): آیهٔ ۱۳ ص : ۳۹۶
Υ۴λΥ	سورة النازعات(٧٩): آية ١۴ ص : ٣٩۶
Υ۴λΥ	
Y\$AY	
YFAA	
YFAA	
Υ۴λλ	سورة النازعات(٧٩): آية ١٩ ص : ٣٩٧
Υ۴ΛΛ	
TFAA	سورة النازعات(٧٩): آية ٢١ ص : ٣٩٧
YFAA	سورة النازعات(۷۹): آية ۲۱ ص : ۳۹۷ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۲ ص : ۳۹۸
YFAA	سورة النازعات(۷۹): آية ۲۱ ص : ۳۹۷ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۲ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۳ ص : ۳۹۸
YFAA YFAA YFAA	سورة النازعات(۷۹): آية ۲۱ ص : ۳۹۷ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۲ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۳ ص : ۳۹۸
YFAA	سورة النازعات(۷۹): آية ۲۱ ص : ۳۹۷ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۲ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۳ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۴ ص : ۳۹۸
YFAA YFA9 YFA9 YFA9 YFA9	سورة النازعات(۷۹): آية ۲۱ ص : ۳۹۷ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۲ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۳ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۴ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۵ ص : ۳۹۸
YFAA YFA9 YFA9 YFA9 YFA9 YFA9	سورة النازعات(۷۹): آية ۲۱ ص : ۳۹۷ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۲ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۳ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۴ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۵ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۶ ص : ۳۹۸
T**AA T**A9 T**A9 T**A9 T**A9 T**A9 T**A9 T**A9 T**A9 T**A9	سورة النازعات(۷۹): آية ۲۱ ص : ۳۹۷ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۲ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۳ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۴ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۵ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۶ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۶ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۷۹): آية ۲۲ ص : ۳۹۹
YFAA YFA9 YFA9 YFA9 YFA9 YFA9	سورة النازعات(۲۹): آية ۲۱ ص : ۳۹۷ سورة النازعات(۲۹): آية ۲۲ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۲۹): آية ۲۳ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۲۹): آية ۲۴ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۲۹): آية ۲۵ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۲۹): آية ۲۶ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۲۹): آية ۲۲ ص : ۳۹۸ سورة النازعات(۲۹): آية ۲۸ ص : ۳۹۹

749.	سورة النازعات(٧٩): آية ٣١ ص : ۴۰٠
7491	سورهٔ النازعات(۷۹): آیهٔ ۳۲ ص : ۴۰۰
7491	سورة النازعات(٧٩): آية ٣٣ ص : ۴۰۰
Y491	سورة النازعات(٧٩): أية ٣۴ ص : ۴۰۱
YF91	سورة النازعات(٧٩): آية ٣۵ ص : ۴۰۱
Y491	سورة النازعات(٧٩): آية ٣٤ ص : ۴٠١
7497	سورة النازعات(٧٩): أية ٣٧ ص : ۴٠١
TF9T	سورة النازعات(٧٩): آية ٣٨ ص : ۴٠١
TF9T	سورة النازعات(٧٩): آية ٣٩ ص : ۴۰۲
TF9T	سورة النازعات(٧٩): آية ۴۰ ص : ۴۰۲
7497	سورة النازعات(٧٩): آية ۴۱ ص : ۴۰۲
YF9T	سورة النازعات(٧٩): آية ۴۲ ص : ۴۰۲
YF9T	سورة النازعات(٧٩): آية ۴۳ ص : ۴۰۴
TF9W	سورة النازعات(٧٩): آية ۴۴ ص : ۴۰۴
TF9W	سورة النازعات(٧٩): آية ۴۵ ص : ۴۰۴
TF9W	سورة النازعات(٧٩): آية ۴۶ ص : ۴۰۴
TF9F	سوره عبس [۸۰] ص : ۴۰۵
7494	اشاره
7494	محتوای سوره: ص : ۴۰۵
7494	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۴۰۵
7494	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱ ص : ۴۰۵
7494	اشاره ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
7494	شأن نزول: ص : ۴۰۵
7490	تفسیر: ص : ۴۰۶
7490 0.0977	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲ ص : ۴۰۷
T490	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۳ ص : ۴۰۷

T490	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۴ ص : ۴۰۷
7490	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۵ ص : ۴۰۷
7498	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۶ ص : ۴۰۷
7498	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۷ ص : ۴۰۷
7498	سورة عبس(۸۰): آيهٔ ۸ ص : ۴۰۷
7498	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۹ ص : ۴۰۷
7498	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۰ ص : ۴۰۷.
7498	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۱ ص : ۴۰۸.
YF9V	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۲ ص : ۴۰۸ .
Y49V	
Y49V	
Y۴9V	
Y49V	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۶ ص : ۴۰۹ .
Υ۴٩٨	
Υ۴٩٨	
YF9A	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۹ ص : ۴۰۹ .
Υ۴٩٨	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۰ ص : ۴۱۰
Υ۴٩λ	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۱ ص : ۴۱۰
7499	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۲ ص : ۴۱۰ .
Y 499	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۳ ص : ۴۱۰ .
7499	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۴ ص : ۴۱۱ ۰
۲۵۰۰	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۵ ص : ۴۱۲ ۰
۲۵۰۰	
۲۵۰۰	
۲۵۰۰	
70.1	سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۹ ص : ۴۱۳ .

۲۵۰۱	ا: آيهٔ ۳۰ ص : ۴۱۳ ·	سورهٔ عبس(۸۰)
۲۵۰۱	: آيهٔ ۳۱ ص : ۴۱۳	سورهٔ عبس(۸۰)
۲۵۰۱	: آیهٔ ۳۲ ص : ۴۱۴	سورهٔ عبس(۸۰)
۲۵۰۱	: آیهٔ ۳۳ ص : ۴۱۴	سورهٔ عبس(۸۰)
۲۵۰۲	: آیهٔ ۳۴ ص : ۴۱۴	سورهٔ عبس(۸۰)
Y۵·Y	۱: آیهٔ ۳۵ ص : ۴۱۵	سورهٔ عبس(۸۰)
Y۵·Y	۱: آیهٔ ۳۶ ص : ۴۱۵	سورهٔ عبس(۸۰)
۲۵۰۲		
۲۵۰۳	۱: آیهٔ ۳۸ ص : ۴۱۵	سورهٔ عبس(۸۰)
۲۵۰۳		
۲۵۰۳		
۲۵۰۳		
۲۵۰۳	۱: آیهٔ ۴۲ ص : ۴۱۶	سورهٔ عبس(۸۰)
۲۵۰۳		
۲۵۰۳		اشاره
YA·F	ص : ۴۱۷	اشاره محتوای سوره:
YA·F	ص : ۴۱۷وره: ص : ۴۱۷	اشاره محتوای سوره: فضیلت تلاوت س
70. # 70. \$ 70. \$	ص : ۴۱۷ وره: ص : ۴۱۷ /): اَيهٔ ۱ ص : ۴۱۸	اشاره محتوای سوره: فضیلت تلاوت س سورهٔ التکویر(۱۸
70. # 70. \$ 70. \$ 70. \$	ص : ۴۱۷ وره: ص : ۴۱۷ /): آیهٔ ۱ ص : ۴۱۸ /): آیهٔ ۲ ص : ۴۱۸	اشاره محتوای سوره: فضیلت تلاوت س سورهٔ التکویر(۱۱
 ΥΔ·Ψ ΥΔ·Ψ ΥΔ·Ψ ΥΔ·Ψ ΥΔ·Ψ 	ص : ۴۱۷ وره: ص : ۴۱۷ /): آیهٔ ۱ ص : ۴۱۸ /): آیهٔ ۲ ص : ۴۱۸	اشاره محتوای سوره: فضیلت تلاوت س سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱)
ΥΔ·Υ ΥΔ·Γ ΥΔ·Υ ΥΔ·Λ ΥΔ·Δ	ص : ۴۱۷ وره: ص : ۴۱۷ /): آیهٔ ۱ ص : ۴۱۸ /): آیهٔ ۲ ص : ۴۱۸ /): آیهٔ ۳ ص : ۴۱۸	اشاره محتوای سوره: فضیلت تلاوت س سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱)
ΥΔ·Υ ΥΔ·Υ ΥΔ·Υ ΥΔ·Υ ΥΔ·Δ ΥΔ·Δ	ص : ۴۱۷	اشاره محتوای سوره: فضیلت تلاوت س سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱)
70.7 70.7 70.7 70.7 70.0 70.0 70.0 70.0	ص : ۴۱۷	اشاره محتوای سوره: فضیلت تلاوت س سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱)
YA.F YA.F YA.F YA.A YA.A	ص : ۴۱۷	اشاره محتوای سوره: فضیلت تلاوت س سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱) سورهٔ التکویر(۱۱)
70.7 70.7 70.7 70.7 70.0 70.0 70.0 70.0	ص : ۴۱۷	اشاره محتوای سوره: فضیلت تلاوت س سورهٔ التکویر(۱۱)

۲۵۰۶	سورة التكوير(٨١): أية ١٠ ص : ٤٢٠
۲۵۰۶	سورة التكوير (٨١): أية ١١ ص : ۴۲١
۲۵·۷	سورة التكوير (٨١): أية ١٢ ص : ۴٢١
Y۵·Y	سورة التكوير (٨١): آية ١٣ ص : ۴٢١
70·V	سورة التكوير(٨١): آية ١۴ ص : ۴۲۱
Y۵·Y	
7A·Y	سورة التكوير (٨١): آية ١۶ ص : ۴۲۲
۲۵۰۸	
Ya·x	
Y۵·X	
70.9	
۲۵۰۹	
۲۵۰۹	
۲۵۱۰	
۲۵۱۰	
۲۵۱·	
۲۵۱۰	
۲۵۱۱	
۲۵۱۱	
۲۵۱۱	
TON 1	
7011	۔ محتوای سورہ: ص : ۴۲۷
۲۵۱۲	
۲۵۱۲	
TAIT	سورة الانفطار (۸۲): آية ۲ ص : ۴۲۸

۲۵۱۲	سورة الانفطار (۸۲): آية ٣ ص : ۴۲۸
۲۵۱۳	سورة الانفطار(٨٢): آية ۴ ص : ۴۲۹
۲۵۱۳	سورة الانفطار(۸۲): آية ۵ ص : ۴۲۹
۲۵۱۳	سورة الانفطار(٨٢): آية ۶ ص : ۴۲۹
۲۵۱۴	سورة الانفطار(۸۲): آية ۷ ص : ۴۳۰
۲۵۱۴	سورة الانفطار (A۲): آية A ص : ۴۳۰
۲۵۱۴	سورة الانفطار (A۲): آية ٩ ص : ۴۳٠
7014	سورة الانفطار (۸۲): آية ۱۰ ص : ۴۳۱
7014	سورة الانفطار (۸۲): آية ۱۱ ص : ۴۳۱
۲۵۱۵	سورة الانفطار (۸۲): آية ۱۲ ص : ۴۳۱
۲۵۱۵	سورة الانفطار (۸۲): آية ۱۳ ص : ۴۳۱
۲۵۱۵	سورة الانفطار (۸۲): آية ۱۴ ص : ۴۳۱
۲۵۱۵	سورة الانفطار (۸۲): آية ۱۵ ص : ۴۳۱
۲۵۱۵	سورة الانفطار(۸۲): آية ۱۶ ص : ۴۳۲
۲۵۱۶	
۲۵۱۶	سورة الانفطار(۸۲): آية ۱۸ ص : ۴۳۲
۲۵۱۶	سورة الانفطار(A۲): آية ۱۹ ص : ۴۳۲
۲۵۱۶	سوره مطفّفین [۸۳] ص : ۴۳۳
۲۵۱۶	اشاره
ΥΔ1۶	محتوای سوره: ص : ۴۳۳
ΥΔΙΥ	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۴۳۳
ΥΔΙΥ	شأن نزول: ص : ۴۳۴
۲۵۱۷	
ΥΔΙΑ	سورة المطففين(٨٣): آية ٢ ص : ۴٣۵ ·
ΥΔΙΑ	
۲۵۱۸	سورة المطففين(٨٣): آية ۴ ص : ۴۳۵

ΥΔΙΛ	سورة المطففين(٨٣): آية ۵ ص : ۴۳۵
τδιλ	سورة المطففين(٨٣): آيةً ۶ ص : ۴۳۵
Y019P107	سورة المطففين(٨٣): آية ٧ ص : ۴٣۶
٣٥١٩	سورة المطففين(٨٣): آية ٨ ص : ۴٣۶
۹۱۵۲	سورة المطففين(٨٣): آية ٩ ص : ۴٣۶
TAT·	
TAT·	
Y۵Y·	
ΥΔΥ·	
۲۵۲۰	
۲۵۲۱	
۲۵۲۱	
۲۵۲۱	
۲۵۲۱	
ΥΔΥΥ	
TATT	
TATT	
ΥΔΥΥ	
Y&Y**	
TATT	
TATT	
Y&Y**	
۲۵۲۳	
Y&Y\$	
TATF	
TATF	اشاره

۲۵۲۴	شأن نزول: ص : ۴۴۲
7074	تفسیر: ص: ۴۴۲
۲۵۲۵	سورة المطففين(٨٣): اَيهٔ ٣٠ ص : ۴۴۲
۲۵۲۵	سورة المطففين(٨٣): آية ٣١ ص : ۴۴٣
۲۵۲۵	سورة المطففين(٨٣): آية ٣٢ ص : ۴۴٣
۲۵۲۵	سورة المطففين(٨٣): آية ٣٣ ص : ۴۴٣
۲۵۲۶	سورة المطففين(٨٣): آية ٣۴ ص : ۴۴٣
۲۵۲۶	سورة المطففين(٨٣): آية ٣۵ ص : ۴۴۴
۲۵۲۶	سورة المطففين(٨٣): آية ٣۶ ص : ۴۴۴
۲۵۲۶	وره انشقاق [۸۴] ص : ۴۴۵
۲۵۲۶	اشاره
7077	محتوای سوره: ص : ۴۴۵
7077	در باره فضیلت تلاوت این سوره ص : ۴۴۵
۲۵۲۷	سورة الانشقاق(٨۴): آية ١ ص : ۴۴۵
۲۵۲۷	سورة الانشقاق(۸۴): آية ۲ ص : ۴۴۶ ···················
7077	سورة الانشقاق(٨۴): آية ٣ ص : ۴۴۶ ·
۲۵۲۸	سورة الانشقاق(٨۴): آية ۴ ص : ۴۴۶ ···················
۲۵۲۸	سورة الانشقاق(۸۴): آية ۵ ص : ۴۴۷
۲۵۲۸	سورة الانشقاق(۸۴): آية ۶ ص : ۴۴۷ ··················
۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰	سورة الانشقاق(٨۴): آية ٧ ص : ۴۴۸ ·
7079	سورهٔ الانشقاق(۸۴): آیهٔ ۸ ص : ۴۴۸ ·
P707	سورة الانشقاق(٨۴): آية ٩ ص : ۴۴۸ ·
۳۵۲۹	سورهٔ الانشقاق(۸۴): آیهٔ ۱۰ ص : ۴۴۸
۳۵۲۹	سورهٔ الانشقاق(۸۴): آیهٔ ۱۱ ص : ۴۴۹
۲۵۳۰	سورهٔ الانشقاق(۸۴): آیهٔ ۱۲ ص : ۴۴۹
۲۵۳۰	سورة الانشقاق(۸۴): آية ۱۳ ص : ۴۴۹

۲۵۳۰	سورهٔ الانشقاق(۸۴): أيهٔ ۱۴ ص : ۴۴۹
۲۵۳۰	سورة الانشقاق(۸۴): آيهٔ ۱۵ ص : ۴۴۹
۲۵۳۱	سورة الانشقاق(۸۴): آيهٔ ۱۶ ص : ۴۵۰
۲۵۳۱	سورة الانشقاق(۸۴): آيهٔ ۱۷ ص : ۴۵۰
۲۵۳۱	سورة الانشقاق(۸۴): آيهٔ ۱۸ ص : ۴۵۰
۲۵۳۱	سورة الانشقاق(۸۴): آية ۱۹ ص : ۴۵۰
۲۵۳۲	سورة الانشقاق(۸۴): آية ۲۰ ص : ۴۵۱
YATY	سورة الانشقاق(۸۴): آيهٔ ۲۱ ص : ۴۵۱
70°7	سورة الانشقاق(۸۴): آيهٔ ۲۲ ص : ۴۵۱
70°7	سورة الانشقاق(۸۴): آية ۲۳ ص : ۴۵۲
TATT	سورة الانشقاق(۸۴): آية ۲۴ ص : ۴۵۲
70°	سورة الانشقاق(٨۴): آية ٢۵ ص : ۴۵۲
70°°	سوره بروج [۸۵] ص : ۴۵۳
۲۵۳۳	اشاره
۲۵۳۳	محتوای سوره: ص : ۴۵۳
70°	
	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۴۵۴
TDTT	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۴۵۴ سورهٔ البروج(۸۵): آیهٔ ۱ ص : ۴۵۴
70TF	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۴۵۴ سورة البروج(۸۵): آية ١ ص : ۴۵۴ سورة البروج(۸۵): آية ٢ ص : ۴۵۴
70TF	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۴۵۴
YATT TATF YATF	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۴۵۴
70٣٣ 70٣6 70٣0 70٣0	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۴۵۴
YATT YATF YATF YATA	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۴۵۴
7077 7077 7077 7070 7070 7070 7070 7070 7079	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۴۵۴
YATT YATF YATA YATA YATA	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۴۵۴

۲۵۳۶	اصحاب اخدود چه کسانی بودند؟ ص : ۴۵۷
YATY	سورة البروج(۸۵): آية ۱۰ ص : ۴۵۸
YATA	سورة البروج(٨٥): آية ١١ ص : ۴۵٩
ΥΔΥΛ	سورة البروج(۸۵): آية ۱۲ ص : ۴۵۹
YATA	سورة البروج(۸۵): آية ۱۳ ص : ۴۶۰
۲۵۳۸	سورة البروج(۸۵): آية ۱۴ ص : ۴۶۰
Y۵WA	سورة البروج(۸۵): آية ۱۵ ص : ۴۶۰
TATA	سورة البروج(۸۵): آية ۱۶ ص : ۴۶۰
TAT9	سورة البروج(۸۵): آية ۱۷ ص : ۴۶۰ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
TAT9	سورة البروج(۸۵): آيهٔ ۱۸ ص : ۴۶۰ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
TDT9	سورة البروج(۸۵): آية ۱۹ ص : ۴۶۰ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
70mg	سورة البروج(۸۵): آية ۲۰ ص : ۴۶۰ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۲۵۳۹	سورة البروج(۸۵): آية ۲۱ ص : ۴۶۰ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۲۵۴۰	سورة البروج(۸۵): آية ۲۲ ص : ۴۶۰
ΥΔ۴·	سوره طارق [۸۶] ص : ۴۶۳
7af·	اشاره
704·	محتوای سوره: ص : ۴۶۳
TAFN	در باره فضیلت تلاوت این سوره ص : ۴۶۳
TAF1	سورة الطارق(۸۶): آية ۱ ص : ۴۶۴
TAF1	سورة الطارق(۸۶): آية ۲ ص : ۴۶۴
TBF1	سورة الطارق(۸۶): آية ۳ ص : ۴۶۴
TBF1	سورة الطارق(۸۶): آية ۴ ص : ۴۶۴
TAFT	سورة الطارق(۸۶): آية ۵ ص : ۴۶۴
TDFT	سورة الطارق(۸۶): آية ۶ ص : ۴۶۵
TDFT	سورة الطارق(A۶): آية ۷ ص : ۴۶۵

Y0ff	ص : ۴۶۶	لارق(۸۶): آيهٔ ۹	سورة الم
70fm	ص : ۴۶۶ -	لارق(۸۶): آیهٔ ۱۰	سورة الص
YDFT	ص : ۴۶۶ -	لمارق(۸۶): آيهٔ ۱۱	سورة الם
YDFT	ص : ۴۶۶ -	لارق(۸۶): آيهٔ ۱۲	سورة الم
Y04T	ص : ۴۶۶ -	لارق(۸۶): آیهٔ ۱۳	سورة الص
TAFT	ص : ۴۶۶ -	لمارق(۸۶): آيهٔ ۱۴	سورة الם
TAFF	ص : ۴۶۷ -	لمارق(۸۶): آيهٔ ۱۵	سورة الם
7044	ص : ۴۶۷ ـ	لارق(۸۶): آيهٔ ۱۶	سورة الم
7044	ص : ۴۶۷ -	لارق(۸۶): آيهٔ ۱۷	سورة الם
YAFF		(۸۷] ص: ۴۶۹	سوره اعلی [
YAFF			اشارہ
YDFF	\	سوره: ص : ۶۹۹	محتواى
TAFA			
TAFA	ص : ۴۷۰ ـ ـ	على(٨٧): آيهٔ ١	سورة الأ
TAFA			
TAFS	ص : ۴۷۰	على(٨٧): آيهٔ ٣	سورة الأ
TDF9	ص : ۴۷۱	على(٨٧): آية ۴	سورة الأ
YAFF	ص : ۴۷۱	على(٨٧): آية ۵	سورة الأ
YAFF			
704V	-	_	
YAFV			
YAFV			-
7DFY		_	
TAFA		_	
Y&FA			
VAC I	ω 1/ω	. w = 1 /11/1	N11 6

۲۵۴۸): آیهٔ ۱۴ ص : ۴۷۴	سورة الأعلى(٨٧
Υ۵۴Λ): آیهٔ ۱۵ ص : ۴۷۴	سورة الأعلى(٨٧
YAF9): اَيهٔ ۱۶ ص : ۴۷۴	سورة الأعلى(٨٧)
۳۵۲۹ ۹۶۵۲): آیهٔ ۱۷ ص : ۴۷۴	سورة الأعلى(٨٧)
ΥΔ۴9): آیهٔ ۱۸ ص : ۴۷۴	سورة الأعلى(٨٧)
ΥΔ Υ 9): آیهٔ ۱۹ ص : ۴۷۵	سورة الأعلى(٨٧)
۲۵۵۰	ص : ۴۷۷	سوره غاشیه [۸۸]
۲۵۵۰		اشاره
۲۵۵۰	ص : ۴۷۷	محتوای سوره:
۲۵۵۰	وره: ص : ۴۷۷	فضيلت تلاوت س
۲۵۵۰	/): آيهٔ ۱ ص : ۴۷۷	سورة الغاشية(٨٨
۲۵۵۱	/): آیهٔ ۲ ص : ۴۷۸	سورة الغاشية(٨٨
7۵۵1	/): آیهٔ ۳ ص : ۴۷۸	سورة الغاشية(٨٨
7۵۵1	/): آيهٔ ۴ ص : ۴۷۸	سورة الغاشية(٨٨
۲۵۵۱	/): أيهٔ ۵ ص : ۴۷۸	سورة الغاشية(٨٨
۲۵۵۱	/): اَيهٔ ۶ ص : ۴۷۸	سورة الغاشية(٨٨
Y۵۵Y	/): اَيهٔ ۷ ص : ۴۷۹	سورة الغاشية(٨٨
Y۵۵Y	/): اَيهٔ ۸ ص : ۴۷۹	سورة الغاشية(٨٨
Y۵ΔY	/): اَيهٔ ۹ ص : ۴۷۹	سورة الغاشية(٨٨
Y۵۵Y	/): اَیهٔ ۱۰ ص : ۴۸۰ -	سورة الغاشية(٨٨
Y00Y	/): اَيهٔ ۱۱ ص : ۴۸۰ -	سورة الغاشية(٨٨
Υ۵Δ٣	/): آیهٔ ۱۲ ص : ۴۸۰ -	سورة الغاشية(٨٨
TAAT		
Υ۵۵۳	-	
Υ۵۵۳	/): اَیهٔ ۱۵ ص : ۴۸۱ -	سورة الغاشية(٨٨
YDDT	/): آيهٔ ۱۶ ص : ۴۸۱ -	سورة الغاشية(٨٨

۲۵۵۳	سورة الغاشية(٨٨): آية ١٧ ص : ۴٨١
Y۵۵۴	سورة الغاشية(٨٨): آية ١٨ ص : ۴۸۲
Y۵۵F	سورة الغاشية(٨٨): آية ١٩ ص : ۴۸٢
۲۵۵۵	سورة الغاشية(٨٨): آية ٢٠ ص : ۴۸٣
۲۵۵۵	سورة الغاشية(٨٨): أية ٢١ ص : ۴٨٣
Y۵۵۶	سورة الغاشية(٨٨): أية ٢٢ ص : ۴٨۴
۲۵۵۶	سورة الغاشية(٨٨): آية ٢٣ ص : ۴٨۴
Y009	سورة الغاشية(٨٨): آية ٢۴ ص : ۴۸۴
YAAF	سورة الغاشية(٨٨): آية ٢۵ ص : ۴۸۴
Tabs	سورة الغاشية(٨٨): آية ٢۶ ص : ۴۸۴
Y۵۵۶	سوره فجر [۸۹] ص : ۴۸۵
Y۵۵Y	اشاره
Y۵۵Y	محتوای سوره: ص : ۴۸۵
YAAY	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۴۸۵
YAAY	سورة الفجر(٨٩): آية ١ ص : ۴۸۶
Y۵۵Y	سورة الفجر(٨٩): أية ٢ ص : ۴۸۶
Y۵۵A	
Y۵۵A	سورة الفجر (٨٩): أية ۴ ص : ۴۸۸
Y۵۵9	
PAG7	
Y۵۵9	
YD9.	
YAS.	
YA9·	
YA9·	
۲۵۶۰	سورة الفجر(٨٩): آية ١٢ ص : ۴٩٠

۲۵۶۱	سورة الفجر(٨٩): آية ١٣ ص : ٤٩٠
TAS1	سورة الفجر(٨٩): آية ١۴ ص : ۴۹٠
۲۵۶۱	سورهٔ الفجر (۸۹): آیهٔ ۱۵ ص : ۴۹۱
۲۵۶۲	سورة الفجر(٨٩): آية ١۶ ص : ۴۹۲
۲۵۶۲	سورة الفجر(٨٩): آية ١٧ ص : ۴۹۲
YASY	
YASY	
۲۵۶۳	
Y098	
YASF	
YASF	
YASA	
TA9A	
۲۵۶۵	
۲۵۶۵	
TA9A	
۲۵۶۵	سورة الفجر(٨٩): آية ٣٠ ص : ۴۹٧
۲۵۶۶	سوره بلد [٩٠] ص : ۴۹۹
Y <i>∆99</i>	اشاره
۲۵۶۶	محتوای سوره: ص : ۴۹۹
TDSY	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۴۹۹
TASY	سورة البلد(٩٠): آية ١ ص : ٥٠٠
Y09Y	سورة البلد(٩٠): آية ٢ ص : ٥٠٠
۲۵۶۸	سورة البلد(٩٠): آية ٣ ص : ٥٠٠
TAPA	سورة البلد(٩٠): آية ۴ ص : ٥٠١

T081	سورة البلد(٩٠): آية ۵ ص : ٥٠١
۲۵۶۸	سورة البلد(٩٠): آيةً ۶ ص : ۵۰۱
TD81.	سورة البلد(٩٠): آية ٧ ص : ٥٠١
7089 ·	سورة البلد(٩٠): آيهٔ ٨ ص : ٥٠٢
TB89.	سورة البلد(٩٠): آية ٩ ص : ٥٠٢
TB89.	سورة البلد(٩٠): اَية ١٠ ص : ٥٠٢
۲۵۷۰	سورة البلد(٩٠): آية ١١ ص : ٥٠۴
۲۵۷۰	سورة البلد(٩٠): آية ١٢ ص : £٥٠٠
۲۵۷۰	سورة البلد(٩٠): آية ١٣ ص : ٥٠۴
۲۵۷۰	سورة البلد(٩٠): آية ١۴ ص : ٥٠۴
	سورة البلد(٩٠): آية ١۵ ص : ۵۰۴
۲۵۷۱	سورة البلد(۹۰): آية ۱۶ ص : ۵۰۴
	سورة البلد(۹۰): آية ۱۷ ص : ۵۰۵
	سورة البلد(۹۰): آية ۱۸ ص : ۵۰۵
	سورة البلد(۹۰): آية ۱۹ ص : ۵۰۵
۲۵۷۲	سورة البلد(٩٠): آية ٢٠ ص : ۵۰۶
7077	سوره شمس [۹۱] ص : ۵۰۷
7077	اشاره
۲۵۷۲	محتوا و فضیلت سوره: ص : ۵۰۷
	سورة الشمس(٩١): آية ١ ص : ٥٠٨
	سورة الشمس(٩١): أيهٔ ۲ ص : ۵۰۸
	سورة الشمس(٩١): أية ٣ ص : ٥٠٩
	سورة الشمس(٩١): آية ۴ ص : ۵۰۹
	سورة الشمس(٩١): آية ۵ ص : ۵۰۹
	سورة الشمس(٩١): آية ۶ ص : ۵۰۹
7074	سورة الشمس(٩١): آية ٧ ص : ۵۱۰

ΥΔΥ۴	سورة الشمس(٩١): أية ٨ ص : ٥١٠
τωνω	سورة الشمس(٩١): آية ٩ ص : ٥١١
Y۵Y۵	سورة الشمس(٩١): أية ١٠ ص : ٥١١
Y۵Y۵	سورة الشمس(٩١): أية ١١ ص : ٥١١
Y۵Y9	سورة الشمس(٩١): آية ١٢ ص : ٥١٢
۲۵Υ۶	سورة الشمس(٩١): آية ١٣ ص : ٥١٢
۲۵Υ۶	سورة الشمس(٩١): آية ١۴ ص : ٥١٣
ΥΔΥΥ	سورة الشمس(٩١): آية ١٥ ص : ٥١٣
ΥΔΥΥ	سوره لیل [۹۲] ص : ۵۱۵
ΥΔΥΥ	اشاره
ΥΔΥΥ	محتوا و فضیلت سوره: ص : ۵۱۵
ΥΔΥΛ	شأن نزول: ص : ۵۱۵
	سورة الليل(٩٢): آية ١ ص : ٥١٧
ΡΥΔΥ	سورة الليل(٩٢): آية ٢ ص : ٥١٧
	سورة الليل(٩٢): آية ٣ ص : ٥١٧
	سورة الليل(٩٢): آية ۴ ص : ۵۱۸
۲۵۸۰	سورة الليل(٩٢): آية ۵ ص : ۵۱۸
۲۵۸۰	سورة الليل(٩٢): آية ۶ ص : ۵۱۸
۲۵۸۰	سورة الليل(٩٢): آية ٧ ص : ٥١٨
۲۵۸۰	سورة الليل(٩٢): آية ٨ ص : ٥١٨
۲۵۸۰	سورة الليل(٩٢): آية ٩ ص : ٥١٨
۲۵۸۰	سورة الليل(٩٢): آية ١٠ ص : ٥١٨
۲۵۸۱	سورة الليل(٩٢): آية ١١ ص : ٥١٩
۲۵۸۱	سورة الليل(٩٢): آية ١٢ ص : ٥١٩
۲۵۸۱	سورة الليل(٩٢): آية ١٣ ص : ٥١٩
۲۵۸۱	سورة الليل(٩٢): آية ١۴ ص : ٥١٩

۲۵۸۱	سورة الليل(٩٢): آية ١۵ ص : ٥١٩
۲۵۸۱	سورة الليل(٩٢): آية ١۶ ص : ۵۱۹
۲۵۸۲	سورة الليل(٩٢): آية ١٧ ص : ٥٢٠
۲۵۸۲	سورة الليل(٩٢): آية ١٨ ص : ٥٢٠
۲۵۸۲	سورة الليل(٩٢): آية ١٩ ص : ٥٢٠
۲۵۸۲	سورة الليل(٩٢): آية ٢٠ ص : ٥٢٠
۲۵۸۲	سورة الليل(٩٢): آية ٢١ ص : ٥٢٠
۲۵۸۳	سوره ضحی [۹۳] ص : ۵۲۱
۲۵۸۳	اشاره
۳۸۵۲	محتوا و فضيلت سوره: ص : ۵۲۱
۲۵۸۳	سورة الضحى(٩٣): آية ١ ص : ۵۲۲
۲۵۸۴	سورة الضحى(٩٣): آية ٢ ص : ۵۲۲ ص : ۵۲۲
۲۵۸۴	سورة الضحى(٩٣): آية ٣ ص : ۵۲۳
۲۵۸۴	سورة الضحى(٩٣): آية ۴ ص : ۵۲۳ ص : ۵۲۳
۲۵۸۴	سورة الضحى(٩٣): آية ۵ ص : ۵۲۳
۲۵۸۵	سورة الضحى(٩٣): آية ۶ ص : ۵۲۵ · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
۲۵۸۶	سورة الضحى(٩٣): آية ٧ ص : ۵۲۵
۲۵۸۶	سورة الضحى(٩٣): آية ٨ ص : ۵۲۶
۲۵۸۶	سورة الضحى(٩٣): آية ٩ ص : ۵۲۶
۲۵۸۶	سورة الضحى(٩٣): آية ١٠ ص : ۵۲۶
۲۵۸۷	سورة الضحى(٩٣): آية ١١ ص : ۵۲۷
۲۵۸۷	سوره انشراح [۹۴] ص : ۵۲۹
۲۵۸۷	اشاره
۲۵۸۷	محتوا و فضيلت سوره: ص : ۵۲۹
	سورة الشرح(٩۴): أية ١ ص : ۵۳۰
۲۵۸۸	سورة الشرح(٩۴): آية ٢ ص : ۵۳۱

	سورة الشرح(٩۴): آية ٣ ص : ٥٣١
۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰	سورة الشرح(٩۴): أية ۴ ص : ۵۳۱
۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰	سورة الشرح(٩۴): آية ۵ ص : ۵۳۱
۰۸۸۹	سورة الشرح(٩۴): آية ۶ ص : ۵۳۱ ·
۰٫۶۵۲	سورة الشرح(٩۴): آية ٧ ص : ٥٣٢
۲۵۹۰	سورة الشرح(٩۴): آية ٨ ص : ٥٣٢
٠٩٥٠	سوره تین [۹۵] ص : ۵۳۳
۲۵۹۰	اشاره
۲۵۹۰	محتوا و فضیلت سوره: ص : ۵۳۳
۲۵۹۰	سورة التين(٩۵): آية ١ ص : ٥٣٣ -
7091	سورة التين(٩۵): آية ٢ ص : ٥٣٣ -
1907	سورة التين(٩۵): آية ٣ ص : ٥٣۴ -
7947	سورهٔ التين(٩۵): آيهٔ ۴ ص : ۵۳۵ -
7807	سورة التين(٩٥): آية ۵ ص : ۵۳۵ -
7907	سورة التين(٩٥): آية ۶ ص : ۵۳۶ -
7PQ7	سورة التين(٩٥): آية ٧ ص : ۵٣۶ -
TD97"	
7098	
7098	,
۳۶۵۳	
Y094	
7096	
۸۹۵	
7A9A	
YA98	
7098	سورة العلق(٦٣): ا يه ۵ ص : ١١١ -

۲۵۹۶	سورة العلق(٩۶): آية ۶ ص : ۵۴۲
Y098	سورة العلق(٩۶): أيهٔ ۷ ص : ۵۴۲
۲۵۹۷	سورة العلق(٩۶): آية ٨ ص : ۵۴۲
۲۵۹۷	سورة العلق(٩۶): آية ٩ ص : ۵۴۲
ΥΔ9Υ	سورة العلق(۹۶): أية ١٠ ص : ۵۴۲
۲ραγ	سورة العلق(٩۶): آية ١١ ص : ۵۴۳
۸۹۵ ۸۹۵۲	سورة العلق(٩۶): آية ١٢ ص : ۵۴۳
۲۵۹۸	سورة العلق(٩۶): أية ١٣ ص : ۵۴۳
ΥΔ9Α ΑΡΔΥ	سورة العلق(٩۶): آية ۱۴ ص : ۵۴۳
	سورة العلق(٩۶): آية ١۵ ص : ۵۴۴
	سورة العلق(۹۶): أية ۱۶ ص : ۵۴۴
	سورة العلق(٩۶): أيهٔ ١٧ ص : ۵۴۵
	سورة العلق(۹۶): آية ۱۸ ص : ۵۴۵
	سورة العلق(۹۶): آية ۱۹ ص : ۵۴۶
79	سوره قدر [۹۷] ص : ۵۴۷
79	سوره قدر [۹۷] ص : ۵۴۷
79 75	سوره قدر [۹۷] ص : ۵۴۷
79 79 79	سوره قدر [۹۷] ص : ۵۴۷
79 75 75	سوره قدر [۹۷] ص : ۵۴۷
79 79 79 79 79	سوره قدر [۹۷] ص : ۵۴۷
79 79 79 79 79 79 79	سوره قدر [۹۷] ص : ۵۴۷
79 79 79 79.1 79.7 79.7	سوره قدر [۹۷] ص : ۵۴۷
79 79 79 79.1 79.7 79.7	سوره قدر [۹۷] ص : ۵۴۷ محتوا و فضيلت سوره: ص : ۵۴۷ سورة القدر (۹۷): آية ۲ ص : ۵۴۸ سورة القدر (۹۷): آية ۳ ص : ۵۴۸ سورة القدر (۹۷): آية ۴ ص : ۵۴۸ سورة القدر (۹۷): آية ۴ ص : ۵۴۹ سورة القدر (۹۷): آية ۵ ص : ۵۴۹
75 75 75 75.1 75.7 75.7 75.7	سوره قدر [۹۷] ص : ۵۴۷
75	سوره قدر [۹۷] ص : ۵۴۷ محتوا و فضيلت سوره: ص : ۵۴۷ سورة القدر (۹۷): آية ۲ ص : ۵۴۸ سورة القدر (۹۷): آية ۳ ص : ۵۴۸ سورة القدر (۹۷): آية ۴ ص : ۵۴۸ سورة القدر (۹۷): آية ۴ ص : ۵۴۹ سورة القدر (۹۷): آية ۵ ص : ۵۴۹

Y۶·٣	سورة البينة(٩٨): آية ٢ ص : ٥٥٢
79.8	سورة البينة(٩٨): آية ٣ ص : ۵۵۲
75.4	سورة البينة(٩٨): آية ۴ ص : ۵۵۲
75.4	سورة البينة(٩٨): آية ۵ ص : ۵۵۳
79.4	سورة البينة(٩٨): آية ۶ ص : ۵۵۴
۲۶۰۵	سورة البينة(٩٨): آية ٧ ص : ۵۵۴
۲۶۰۵	سورة البينة(٩٨): آية ٨ ص : ۵۵۵
Y9· ۵	اشاره
Y9.8۵۵	على عليه السّلام و شيعيانش خير البريّهاند؟ ص : ٥٥
Y9·9	سوره زلزله [۹۹] ص : ۵۵۷
Y9·9	اشاره
Y9·9	محتوای سوره: ص : ۵۵۷
Y9·Y	سورة الزلزلة(٩٩): آية ١ ص : ۵۵٧
Y9·Y	سورة الزلزلة(٩٩): آية ٢ ص : ۵۵۸
Y9·Y	سورة الزلزلة(٩٩): آية ٣ ص : ۵۵۸
Y9·X	سورة الزلزلة(٩٩): آية ۴ ص : ۵۵۸
Y9·X	سورة الزلزلة(٩٩): آية ۵ ص : ۵۵۹
Y9·X	سورة الزلزلة(٩٩): آية ۶ ص : ۵۵۹
T9· N	سورة الزلزلة(٩٩): آية ٧ ص : ۵۵۹
T9· N	سورة الزلزلة(٩٩): آية ٨ ص : ٥۵٩
79.9	سوره عادیات [۱۰۰] ص : ۵۶۱
Y۶·9	اشاره
Y۶·9	محتوا و فضیلت سوره: ص : ۵۶۱
Y\$•9	شأن نزول: ص : ۵۶۱
791.	سورة العاديات(١٠٠): آية ١ ص : ٥۶٢
781.	سورة العاديات(١٠٠): آية ٢ ص : ٥٤٢

7۶1.	سورة العاديات(١٠٠): آية ٣ ص : ٥۶٣
791.	سورة العاديات(١٠٠): آية ۴ ص : ۵۶۳
7911	سورة العاديات(١٠٠): آية ۵ ص : ۵۶۳
7811	سورة العاديات(١٠٠): آية ۶ ص : ۵۶۳
7811	سورة العاديات(١٠٠): آية ٧ ص : ٩۶۴
7911	سورة العاديات(١٠٠): آية ٨ ص : ٥۶۴
7917	سورة العاديات(١٠٠): آية ٩ ص : ۵۶۴
7917	سورة العاديات(١٠٠): آية ١٠ ص : ۵۶۴
7917	
7۶۱۲	
7۶17	
7917	
7918	
7918	
7914	
7918	
7 <i>5</i> 1 <i>F</i>	
7514	
T914	
7514	
7914	
7810	
7810	
7810	
791۵	·
	- ,, . , ,

T810	در فضیلت تلاوت این سوره ص : ۵۶۹
T810	شأن نزول: ص : ۵۶۹
TS10	سورهٔ التكاثر(۱۰۲): آیهٔ ۱ ص : ۵۷۰
T818	سورة التكاثر(۱۰۲): آيهٔ ۲ ص : ۵۷۰
T818	اشارهاشاره
T۶1۶	سر چشمه تفاخر و فخر فروشی! ص : ۵۲۰۵۲۰
	سورهٔ التکاثر(۱۰۲): آیهٔ ۳ ص : ۵۷۰
T۶1۶	سورهٔ التکاثر(۱۰۲): آیهٔ ۴ ص : ۵۷۱
	سورة التكاثر(۱۰۲): آية ۵ ص : ۵۷۱
	سورهٔ التکاثر(۱۰۲): اَیهٔ ۶ ص : ۵۷۱
	سورة التكاثر(۱۰۲): آيهٔ ۷ ص : ۵۷۱
	سورة التكاثر(۱۰۲): آيهٔ ۸ ص : ۵۷۲
	سوره عصر [۱۰۳] ص : ۵۷۳
	اشاره
	محتوا و فضيلت سوره: ص : ۵۷۳
	سورة العصر(۱۰۳): آية ۱ ص : ۵۷۴
	سورة العصر(١٠٣): آية ٢ ص : ۵۷۴ ·
	سورة العصر(۱۰۳): آية ۳ ص : ۵۷۵ ·
	اشارها
	برنامه چهار مادهای خوشبختی! ص : ۵۷۵
	سوره همزه [۱۰۴] ص : ۵۷۷
	اشاره
	محتوا و فضيلت سوره: ص : ۵۷۷
	شأن نزول: ص : ۵۷۷عن من شائن نزول: ص : ۵۷۷عند
	سورة الهمزة(۱۰۴): آيهٔ ۱ ص : ۵۷۸
7871	سورة الهمزة(١٠٤): آية ٢ ص : ۵۷۸

T8TT	سورة الهمزة(۱۰۴): آية ۳ ص : ۵۸۰
7877	سورة الهمزة(١٠۴): آية ۴ ص : ۵۸۰
787*	سورة الهمزة(١٠۴): آية ۵ ص : ۵۸۰
7977	سورة الهمزة(٢٠٤): آية ۶ ص : ۵۸۰
7978	سورة الهمزة(٢٠٤): آية ٧ ص : ۵۸۱
978	سورة الهمزة(٢٠٤): آية ٨ ص : ٥٨١
7978	سورة الهمزة(٢٠٤): آية ٩ ص : ٥٨١
7974	سوره فیل [۱۰۵] ص : ۵۸۳
′87°F	اشاره
1974	محتوا و فضیلت سوره: ص : ۵۸۳
7974	داستان اصحاب فیل ص : ۵۸۴
1979	سورة الفيل(١٠٥): آية ١ ص : ٥٨٧
7979	سورهٔ الفیل(۱۰۵): آیهٔ ۲ ص : ۵۸۷
′9۲Y	سورهٔ الفیل(۱۰۵): آیهٔ ۳ ص : ۵۸۷
9YY	سورة الفيل(١٠٥): آية ۴ ص : ۵۸۷
9TV	سورة الفيل(١٠٥): آية ۵ ص : ۵۸۸
'8TV	سوره قریش [۱۰۶] ص : ۵۸۹
'8TV	اشاره
977	محتوای سوره: ص : ۵۸۹
187X	فضيلت تلاوت سوره: ص : ۵۸۹
'8YN	سورهٔ قریش(۱۰۶): آیهٔ ۱ ص : ۵۹۰
YSTA	سورهٔ قریش(۱۰۶): آیهٔ ۲ ص : ۵۹۰
7879	سورهٔ قریش(۱۰۶): آیهٔ ۳ ص : ۵۹۰
7۶۲۹	سورهٔ قریش(۱۰۶): آیهٔ ۴ ص : ۵۹۱
7879	سوره ماعون [۱۰۷] ص : ۵۹۳
7۶۲9	اشاره

7979	محتوا و فضيلت سوره: ص : ۵۹۳
75**•	سورة الماعون(١٠٧): آيهٔ ١ ص : ۵۹۳
754.	سورة الماعون(١٠٧): آيهٔ ٢ ص : ۵۹۴ ·
798.	سورهٔ الماعون(١٠٧): آيهٔ ٣ ص : ۵۹۴
788.	سورة الماعون(١٠٧): آية ۴ ص : ۵۹۴ ·
754.	سورة الماعون(١٠٧): آية ۵ ص : ۵۹۴
794.	سورة الماعون(١٠٧): آية ۶ ص : ۵۹۴
7981	سورة الماعون(١٠٧): آية ٧ ص : ۵۹۴
7981	سوره کوثر [۱۰۸] ص : ۵۹۷
7981	اشاره
7981	محتوا و فضیلت سوره: ص : ۵۹۷
7987	سورة الكوثر(۱۰۸): آية ۱ ص : ۵۹۸
7987	سورة الكوثر(۱۰۸): آية ۲ ص : ۵۹۹
7988	سورة الكوثر(۱۰۸): آية ۳ ص : ۵۹۹
TSTT	اشاره
7588	حضرت فاطمه عليها التبلام و «كوثر»! ص : ۵۹۹
7984	سوره كافرون [۱۰۹] ص : ۶۰۱
7984	اشارهاشاره
7984	محتوای سوره: ص : ۶۰۱
79TF	فضیلت تلاوت سوره: ص : ۶۰۱ -۶۰۰
79TF	شأن نزول سوره: ص : ۶۰۲
7۶۳۵	سورة الكافرون(١٠٩): آية ١ ص : ۶۰۲
7۶۳۵	سورة الكافرون(١٠٩): آية ٢ ص : ۶۰۲
7980	سورهٔ الكافرون(۱۰۹): آيهٔ ۳ ص : ۶۰۲
7980	سورة الكافرون(١٠٩): آية ۴ ص : ۶۰۳
۲۶۳۵	سورة الكافرون(١٠٩): آية ۵ ص : ۶۰۳

7980	سورة الكافرون(١٠٩): آية ۶ ص : ۶۰۳
7989	سوره نصر [۱۱۰] ص : ۶۰۵
7989	اشاره
7989	محتوا و فضیلت سوره: ص : ۶۰۵
7977	سورة النصر(١١٠): آية ١ ص : ۶۰۶
7977	سورة النصر(١١٠): آية ٢ ص : ۶۰۶
79*7	سورة النصر(١١٠): آية ٣ ص : ۶۰۶
7977	اشارها
Y9TV	فتح مکه بزرگترین پیروزی اسلام: ص : ۶۰۷
Y9TA	سوره مسد [۱۱۱] ص : ۶۰۹
Y9WA	اشاره
Y9TA	محتوا و فضیلت سوره: ص : ۶۰۹
Y9TA	شأن نزول سوره: ص : ۶۰۹
7989	سورة المسد(١١١): آية ١ ص: ۶۱۱
784	سورة المسد(١١١): آية ٢ ص: ۶۱۲
794	سورة المسد(١١١): آية ٣ ص: ۶۱۲
794	سورة المسد(١١١): آية ۴ ص: ۶۱۳
7941	سورة المسد(١١١): آية ۵ ص: ۶۱۳
7841	سوره اخلاص [۱۱۲] ص : ۶۱۵
7841	اشاره
7841	محتوا و فضیلت سوره: ص : ۶۱۵
7987	سورة الإخلاص(١١٢): آية ١ ص : ۶۱۶
7987	سورة الإخلاص(١١٢): أية ٢ ص : ۶۱۷
7988	سورة الإخلاص(١١٢): آية ٣ ص : ۶۱۸
7947	سورة الإخلاص(١١٢): أية ۴ ص : ۶۱۸
7988	اشاره

7944	نكتهها: ص : ۶۱۹
Y9FF	۱-دلائل توحید: ص : ۶۱۹
T988	اشاره
Y\$FF	الف) برهان صرف الوجود– ص : ۶۱۹
Y\$FF	ب) برهان علمی ص : ۶۱۹
Y\$FF	ج) برهان تمانع ص : ۶۱۹
Y9F0	د) دعوت عمومی انبیا به خداوند یگانه ص : ۶۲۰
ፕ۶ ኖ ۵	۲- شاخههای پربار توحید: ص : ۶۲۰
Y940	,
7940	
T940	
7940	
7940	
Y949	
7949	,
7949	
7949	
7949	
Y949	
Y9FY	
Y\$\$Y	Ç,
Y9FY	
79FV	,
TSFA	ر
YSFN	سورة الفلق(١١٣): أية ٢ ص : ۶۲۴ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

7949	سورة الفلق(١١٣): آية ٣ ص : ٥٢٥
7989	سورة الفلق(١١٣): آية ۴ ص : ۶۲۵
7989	سورة الفلق(١١٣): آية ٤٥ ص : ۶۲۶
780.	سوره ناس [۱۱۴] ص : ۶۲۷
780.	اشاره
780.	محتوا و فضيلت سوره: ص : ۶۲۷
780.	سورة الناس(١١٤): آية ١ ص : ۶۲۸
780.	سورهٔ الناس(۱۱۴): آیهٔ ۲ ص : ۶۲۸
780.	سورهٔ الناس(۱۱۴): آیهٔ ۳ ص : ۶۲۸
7901	سورهٔ الناس(۱۱۴): آیهٔ ۴ ص : ۶۲۹
7901	سورة الناس(۱۱۴): آيهٔ ۵ ص : ۶۲۹
7861	سورهٔ الناس(۱۱۴): آیهٔ ۶ ص : ۶۲۹
7504	ر باره مر کز تحقیقات رایانهای قائمیه اصفهان ·

برگزیده تفسیر نمونه

مشخصات كتاب

عنوان و نام پدید آور:برگزیده تفسیر نمونه/ مکارم شیرازی، تنظیم احمد-علی بابایی

مشخصات نشر: تهران: دارالكتب اسلاميه، ١٣٨۶

مشخصات ظاهری: ج.

شانک ::۹۷۸۹۶۴۴۴۰۳۸۲۸

وضعیت فهرست نویسی: در انتظار فهرستنویسی

شماره کتابشناسی ملی: ۱۰۹۶۰۵۵

جلد اول

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

پیشگفتار گزیده تفسیر نمونه! ص: 19

بزرگترین سرمایه ما مسلمانان قرآن مجید است. معارف، احکام، برنامه زندگی، سیاست اسلامی، راه به سوی قرب خدا، همه و همه را در این کتاب بزرگ آسمانی مییابیم.

بنابر این، وظیفه هر مسلمان این است که با این کتاب بزرگ دینی خود روز به روز آشناتر شود این از یکسو.

از سوی دیگر آوازه اسلام که بر اثر بیداری مسلمین، در عصر ما، و بخصوص بعد از انقلاب اسلامی در سراسر جهان پیچیده است، حس کنجکاوی مردم غیر مسلمان جهان را برای آشنایی بیشتر به این کتاب آسمانی برانگیخته است، به همین دلیل در حال حاضر از همه جا تقاضای ترجمه و تفسیر قرآن به زبانهای زنده دنیا می رسد، هر چند متأسفانه جوابگویی کافی برای این تقاضاها نیست، ولی به هر حال باید تلاش کرد و خود را آماده برای پاسخگویی به این تقاضاهای مطلوب کنیم.

خوشبختانه حضور قرآن در زندگی مسلمانان جهان و بخصوص در محیط کشور ما روز به روز افزایش پیدا می کند، قاریان بزرگ، حافظان ارجمند، مفسران آگاه در جامعه امروز ما بحمد الله کم نیستند، رشته تخصصی تفسیر در حوزه علمیه قم به صورت یکی از رشته های تخصصی مهم درآمده و متقاضیان بسیاری دارد، درس تفسیر نیز از دروس رسمی حوزه ها و از مواد امتحانی است، و در همین راستا «تفسیر نمونه» نوشته شد، که تفسیری است سلیس و روان و در عین حال پرمحتوا برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۰

«تفسیر نمونه» نوشته شد، که تفسیری است سلیس و روان و در عین حال پرمحتوا و ناظر به مسائل روز و نیازهای زمان، و شاید یکی از دلایل گسترش سریع آن همین اقبال عمومی مردم به قرآن مجید است.

گرچه برای تهیه این تفسیر به اتفاق گروهی از فضلای گرامی حوزه علمیه قم (دانشمندان و حجج اسلام آقایان: محمد رضا آشتیانی- محمد جعفر امامی- داود الهامی- اسد الله ایمانی- عبد الرسول حسنی- سید حسن شجاعی- سید نور الله طباطبائی- محمود عبد اللهی- محسن قرائتی و محمد محمدی اشتهاردی) در مدت پانزده سال زحمات زیادی کشیده شد، ولی با توجه به استقبال فوق العاده ای که از سوی تمام قشرها و حتی برادران اهل تسنن از آن به عمل آمد، تمام خستگی تهیه آن برطرف گشت و این امید در دل دوستان بوجود آمد که ان شاء الله اثری است مقبول در پیشگاه خدا.

متن فارسی این تفسیر دهها بار چاپ و منتشر شده، و ترجمه کامل آن به زبان «اردو» در (۲۷) جلد نیز بارها به چاپ رسیده است، و ترجمه کامل آن به زبان «عربی» نیز به نام تفسیر «الأمثل» اخیرا در بیروت به چاپ رسید و در نقاط مختلف کشورهای اسلامی انتشار یافت.

ترجمه آن به زبان «انگلیسی» هم اکنون در دست تهیه است که امیدواریم آن هم به زودی در افق مطبوعات اسلامی ظاهر گردد.

بعد از انتشار تفسیر نمونه گروه کثیری خواهان نشر «خلاصه» آن شدند.

چرا که مایل بودند بتوانند در وقت کوتاهتر و با هزینه کمتر به محتوای اجمالی آیات، و شرح فشردهای آشنا شوند، و در بعضی از کلاسهای درسی که تفسیر قرآن مورد توجه است به عنوان متن درسی از آن بهره گیری شود.

این درخواست مکرّر، ما را بر آن داشت که به فکر تلخیص تمام دوره (۲۷) جلدی تفسیر نمونه، در پنج جلد بیفتیم ولی این کار آسانی نبود، مدتی در باره آن مطالعه و برنامه ریزی شد و بررسیهای لازم به عمل آمد بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۱ تا این که فاضل محترم جناب آقای احمد – علی بابایی که سابقه فعالیت و پشتکار و حسن سلیقه ایشان در تهیه «فهرست موضوعی تفسیر نمونه» بر ما روشن و مسلّم بود عهده دار انجام این مهم گردید و در مدت دو سال کار مستمر شبانه روزی این مهم به وسیله ایشان انجام گردید.

اینجانب نیز با فکر قاصر خود کرارا بر نوشته های ایشان نظارت کردم و در مواردی که نیاز به راهنمایی بود به اندازه توانایی مسائل لازم را تذکر دادم، و در مجموع فکر می کنم بحمد الله اثری ارزنده و پربار به وجود آمده که هم قرآن با ترجمه سلیس را در بر دارد و هم تفسیر فشرده و گویایی، برای کسانی که میخواهند با یک مراجعه سریع از تفسیر آیات آگاه شوند، می باشد.

و نام آن برگزیده تفسیر نمونه نهاده شد.

و من به نوبه خود از زحمات بیدریغ ایشان تشکر و قدردانی میکنم، امیدوارم این خلاصه و فشرده که گزیدهای است از قسمتهای حساس، و حدیث مجملی از آن مفصل، نیز مورد قبول اهل نظر و عموم قشرهای علاقهمند به قرآن گردد و ذخیرهای برای همه ما در «یوم الجزاء» باشد.

قم- حوزه علمیه ناصر مکارم شیرازی ۱۳ رجب ۱۴۱۴ روز میلاد مسعود امیر مؤمنان حضرت علی علیه السّلام مطابق با ۱۶/۱۰/ ۱۳۷۲

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۳

آغاز جزء اول قرآن مجيد ص: 23

سوره فاتحة الكتاب (حمد) ص: 23

ویژگیهای سوره حمد: ص: ۲۳

۱- این سوره اساسا با سوره های دیگر قرآن از نظر لحن و آهنگ فرق روشنی دارد زیرا در این سوره خداوند طرز مناجات و سخن گفتن با او را به بندگانش آموخته است. آغاز این سوره با حمد و ستایش پروردگار شروع و با ابراز ایمان به مبدء و معاد (خداشناسی و ایمان به رستاخیز) ادامه و با تقاضاها و نیازهای بندگان پایان می گیرد.

Y- سوره حمد، اساس قرآن است، در حدیثی از پیامبر اکرم صلّی الله علیه و اله میخوانیم که: «الحمد امّ القرآن» و این به هنگامی بود که «جابر بن عبد الله انصاری» خدمت پیامبر صلّی الله علیه و اله رسید، پیامبر صلّی الله علیه و اله به او فرمود: «آیا بر ترین سورهای را که خدا در کتابش نازل کرده به تو تعلیم کنم». جابر عرض کرد آری پدر و مادرم به فدایت باد، به من تعلیم کن، پیامبر صلّی الله علیه و اله سوره حمد که امّ الکتاب است به او آموخت.

سپس اضافه فرمود: «این سوره شفای هر دردی است مگر مرگ».

«امّ» به معنی اساس و ریشه است.

شاید به همین دلیل «ابن عباس» مفسر معروف می گوید: «هر چیزی اساس و شالودهای دارد ... و اساس و زیر بنای قرآن، سوره حمد است».

۳- در آیات قرآن سوره حمد به عنوان یک موهبت بزرگ به پیامبر صلّی اللّه علیه و اله برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۴ معرفی شده، و در برابر کل قرآن قرار گرفته است، آنجا که میفرماید: «ما به تو سوره حمد که هفت آیه است و دوبار نازل شده دادیم همچنین قرآن بزرگ بخشیدیم» «۱»

محتوای سوره حمد: ص: ۲۴

از یک نظر این سوره به دو بخش تقسیم می شود، بخشی از حمد و ثنای خدا سخن می گوید و بخشی از نیازهای بنده. در حدیثی از پیامبر صلّی الله علیه و اله می خوانیم: خداوند متعال چنین فرموده: «من سوره حمد را میان خود و بندهام تقسیم کردم نیمی از آن برای من و نیمی از آن برای بنده من است. و بنده من حق دارد هر چه را می خواهد از من بخواهد «۲».

در فضیلت این سوره ص: ۲۴

از پیامبر صلّی الله علیه و اله نقل شده: «هر مسلمانی سوره حمد را بخواند پاداش او باندازه کسی است که دو سوم قرآن را خوانده (و طبق نقل دیگری پاداش کسی است که تمام قرآن را خوانده باشد) و گوئی به هر فردی از مردان و زنان مؤمن هدیهای فرستاده است».

همچنین در حدیثی از امام صادق علیه السّر لام میخوانیم: «شیطان چهار بار فریاد کشید و ناله سر داد نخستین بار روزی بود که از درگاه خداوند رانده شد، سپس هنگامی بود که از بهشت به زمین تنزل یافت، سومین بار هنگام بعثت محمد صلّی اللّه علیه و اله بعد از فترت پیامبران بود و آخرین بار زمانی بود که سوره «حمد» نازل شد»!

چرا نام این سوره فاتحهٔ الکتاب است؟ ص: 24

«فاتحهٔ الکتاب» به معنی آغاز گر کتاب (قرآن) است، و از روایات استفاده می شود که این سوره در زمان خود پیامبر صلّی الله علیه و اله نیز به همین نام شناخته می شده است.

از اینجا دریچهای به سوی مسأله مهمّی از مسائل اسلامی گشوده می شود و آن اینکه بر خلاف آنچه در میان گروهی مشهور است که قرآن در عصر پیامبر صلّی الله علیه و اله به صورت پراکنده بود، بعد در زمان ابو بکر یا عمر یا عثمان جمع آوری شد، قرآن در زمان خود پیامبر صلّی الله علیه و اله به همین صورت امروز جمع آوری شده بود

(۱) رجوع كنيد به «تفسير نمونه» جلد يازدهم، ذيل آيه ۸۷ سوره «حجر».

(٢) نقل از «تفسير الميزان» جلد اول صفحه ٣٧، البته به خاطر طولاني بودن حديث قسمتي از آن ذكر شد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۵

و سر آغازش همین سوره حمد بوده است، مدارک متعددی در دست است که قرآن به صورت مجموعهای که در دست ماست در عصر پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و به فرمان او جمع آوری شده بود «علی بن ابراهیم» از امام صادق علیه السّ لام نقل کرده که رسول خدا صلّی اللّه علیه و اله به علی علیه السّ لام فرمود: «قرآن در قطعات حریر و کاغذ و امثال آن پراکنده است آن را جمع آوری کنید».

سپس اضافه می کند: علی علیه السّ<u>ه لام از آن مجلس برخاست و آن را در پارچه زرد رنگی جمع آوری نمود سپس بر آن مهر</u> زد.

به علاوه حدیث مشهور «ثقلین» که شیعه و سنّی آن را نقل کردهاند که پیامبر صلّی اللّه علیه و اله فرمود من از میان شما میروم و دو چیز گرانبها را به یادگار می گذارم «کتاب خدا» و «خاندانم» خود نشان میدهد که قرآن به صورت یک کتاب جمع آوری شده بود.

و در پاسخ این سؤال که در میان گروهی از دانشمندان معروف است که قرآن پس از پیامبر جمع آوری شده (به وسیله علی علیه السّلام یا کسان دیگر) باید گفت:

قرآنی که علی علیه السّ لام جمع آوری کرد تنها خود قرآن نبود بلکه مجموعهای بود از قرآن و تفسیر و شأن نزول آیات و مانند آن.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

سورة الفاتحة (١): آية ١] ص : 25

اشاره

(آیه ۱)- میان همه مردم جهان رسم است که هر کار مهم و پر ارزشی را به نام بزرگی از بزرگان آغاز می کنند، یعنی آن کار را با آن شخصیت مورد نظر از آغاز ارتباط میدهند. ولی آیا بهتر نیست که برای پاینده بودن یک برنامه و جاوید ماندن یک تشکیلات، آن را به موجود پایدار و جاویدانی ارتباط دهیم که فنا در ذات او راه ندارد، از میان تمام موجودات آنکه ازلی و ابدی است تنها ذات پاک خداست و به همین دلیل باید همه چیز و هر کار را با نام او آغاز کرد و از او استمداد نمود لذا در نخستین آیه قرآن می گوئیم: «بنام خداوند بخشنده بخشایشگر» (بِشم اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۶ و در حدیث معروفی از پیامبر صلّی الله علیه و اله میخوانیم: کلّ امر ذی بال لم یذکر فیه اسم الله فهو ابتر: «هر کار مهمی که بدون نام خدا شروع شود بی فرجام است».

و نیز امام باقر علیه السّلام می فرماید: «سزاوار است هنگامی که کاری را شروع می کنیم، چه بزرگ باشد چه کوچک، بسم اللّه بگوئیم تا پر برکت و میمون باشد».

کوتاه سخن اینکه: پایداری و بقاء عمل بسته به ارتباطی است که با خدا دارد به همین مناسبت خداوند به پیامبر دستور می دهد که در آغاز شروع تبلیغ اسلام این وظیفه خطیر را با نام خدا شروع کند: اقْرَأْ بِاشم رَبِّکَ (سوره علق آیه ۱)، و می بینیم حضرت نوح در آن طوفان سخت و عجیب هنگام سوار شدن بر کشتی برای پیروزی بر مشکلات به یاران خود دستور می دهد که در هنگام حرکت و در موقع توقف کشتی «بسم الله» بگویند (سوره هود آیه ۴۱ و ۴۸).

و آنها نیز این سفر را سر انجام با موفقیت و پیروزی پشت سر گذاشتند.

و نیز سلیمان در نامهای که به ملکه سبا مینویسد سر آغاز آن را «بِشم اللَّهِ» قرار میدهد (سوره نحل آیه ۳۰).

روی همین اصل، تمام سوره های قرآن- با بسم الله آغاز می شود تا هُدف اصلی از آغاز تا انجام با موفقیت و پیروزی و بدون شکست انجام شود و تنها سوره توبه با اعلان جنگ به جنایتکاران مکّه و پیمان شکنان آغاز شده، و اعلام جنگ با توصیف خداوند به «رحمان و رحیم» سازگار نیست.

نكتهها: ص: ۲۶

١- آيا بسم الله جزء سوره است؟ ص: 26

در میان دانشمندان و علماء شیعه اختلافی نیست که بسم الله جزء سوره حمد و همه سورههای قرآن است، اصولا ثبت «بسم الله» در آغاز همه سورهها، خود گواه زنده این امر است، زیرا میدانیم در متن قرآن چیزی اضافه نوشته نشده است، و ذکر «بسم الله» در آغاز سورهها از زمان پیامبر صلّی الله علیه و اله تاکنون معمول بوده است. به علاوه سیره مسلمین همواره بر این بوده که هنگام تلاوت قرآن بسم الله را در آغاز هر سورهای میخواندند، و متواترا نیز ثابت بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص:

شده که پیامبر صلّی الله علیه و اله آن را تلاوت میفرمود، چگونه ممکن است چیزی جزء قرآن نباشد و پیامبر و مسلمانان همواره آن را ضمن قرآن بخوانند و بر آن مداومت کنند.

به هر حال مسأله آنقدر روشن است که می گویند: یک روز معاویه در دوران حکومتش در نماز جماعت بسم الله را نگفت، بعد از نماز جمعی از مهاجران و انصار فریاد زدند أسرقت أم نسیت؟ آیا بسم الله را دزدیدی یا فراموش کردی!

٢- اللّه جامعترين نام خداست: ص: 27

زیرا بررسی نامهای خدا که در قرآن مجید و یا سایر منابع اسلامی آمده نشان می دهد که هر کدام از آن یک بخش خاص از صفات خدا را منعکس می سازد، تنها نامی که جامع صفات جلال و جمال است همان «الله» می باشد. به همین دلیل اسماء دیگر خداوند غالبا به عنوان صفت برای کلمه «الله» گفته می شود به عنوان نمونه: «غفور» و «رحیم» که به جنبه آمرزش خداوند اشاره می کند (فَإِنَّ اللَّه غَفُورٌ رَحِیمٌ) - سوره بقره آیه ۲۶۶.

«سميع» اشاره به آگاهى او از مسموعات، و «عليم» اشاره به آگاهى او از همه چيز است (فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) - بقره: ٢٢٧. و در يك آيه بسيارى از اين اسماء، وصف «الله» قرار مى گيرند. هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا ِ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ:

«اوست اللّه که معبودی جز وی نیست، اوست حاکم مطلق، منزه از ناپاکیها، از هر گونه ظلم و بیدادگری، ایمنی بخش، نگاهبان همه چیز، توانا و شکست ناپذیر، قاهر بر همه موجودات، و با عظمت».

يكي از شواهد جامعيت اين نام آن است كه ابراز ايمان و توصيه تنها با جمله لا اله الَّا اللَّه مي توان كرد.

٣- رحمت عام و خاص خدا: ص: 27

مشهور در میان گروهی از مفسران این است که صفت «رحمان» اشاره به رحمت عام خداست که شامل دوست و دشمن، مؤمن و کافر و نیکو کار و بدکار میباشد، زیرا «باران رحمت بیحسابش همه را رسیده، و خوان نعمت بی دریغش همه جا کشیده».

ولی «رحیم» اشاره به رحمت خاص پروردگار است که ویژه بندگان مطیع برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۸ و صالح و فرمانبردار است. و تنها چیزی که ممکن است اشاره به این مطلب باشد آن است که «الرَّحْمنِ» در همه جا در قرآن به صورت مطلق آمده است که نشانه عمومیت آن است، در حالی که «الرَّحِیمِ» گاهی به صورت مقید ذکر شده که دلیل بر خصوصیت آن است مانند (وَ کانَ بِالْمُؤْمِنِینَ رَحِیماً) «خداوند نسبت به مؤمنان رحیم است» (احزاب: ۴۳).

در روایتی نیز از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: «خداوند معبود همه چیز است، نسبت به تمام مخلوقاتش رحمان، و نسبت به خصوص مؤمنان رحیم است»

۴- چرا صفات دیگر خدا در «بسم اللّه» نیامده است؟ ص: ۲۸

و تنها روی صفت «رحمانیت و رحیمیّت» او تکیه می شود. امّا با توجه به یک نکته، پاسخ این سؤال روشن می شود و آن اینکه در آغاز هر کار لازم است از صفتی استمداد کنیم که آثارش بر سراسر جهان پر توافکن است، همه موجودات را فرا گرفته و گرفتاران را در لحظات بحرانی نجات بخشیده است.

بهتر است این حقیقت را از زبان قرآن بشنوید آنجا که می گوید: وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ «رحمت من همه چیز را فرا گرفته است» (اعراف–۱۵۶).

از سوی دیگر میبینیم پیامبران برای نجات خود از چنگال حوادث سخت و دشمنان خطرناک دست به دامن رحمت خدا میزدند، در مورد «هود» و پیروانش میخوانیم: فَأَنْجَیْناهُ وَ الَّذِینَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا: «هود و پیروانش را به وسیله رحمت خویش (از چنگال دشمنان) رهائی بخشیدیم» (اعراف- ۷۲).

پس اساس کار خداونـد بر رحمت است و مجازات جنبه استثنائی دارد چنانکه در دعا میخوانیم: یا من سبقت رحمته غضبه

«ای خدائی که رحمتت بر غضبت پیشی گرفته است». انسانها نیز باید در برنامه زندگی اساس و پایه کار را بر رحمت و محبت قرار دهند و توسل به خشونت را برای مواقع ضرورت بگذارند.

سورة الفاتحة (1): آية 2] ص: 28

(آیه ۲)- بعد از «بسم الله» که آغازگر سوره بود، نخستین وظیفه بندگان آن است که به یاد مبدء بزرگ عالم هستی و نعمتهای بی پایانش بیفتند، همان نعمتهای فراوانی که راهنمای ما در شناخت پروردگار و انگیزه مادر راه عبودیت است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۹

اینکه می گوئیم: انگیزه، به خاطر آن است که هر انسانی به هنگامی که نعمتی به او میرسد فورا میخواهد، بخشنده نعمت را بشناسد، و طبق فرمان فطرت به سپاسگزاری برخیزد و حق شکر او را ادا کند به همین جهت علمای علم کلام (عقائد) در نخستین بحث این علم «وجوب شکر منعم» را که یک فرمان فطری و عقلی است به عنوان انگیزه خداشناسی، یادآور می شوند. و اینکه می گوئیم: راهنمای ما در شناخت پروردگار نعمتهای اوست، زیرا بهترین و جامعترین راه برای شناخت مبدء، مطالعه در اسرار آفرینش و رازهای خلقت و مخصوصا وجود نعمتها در رابطه با زندگی انسانها است.

به این دو دلیل سوره فاتحهٔ الکتاب با این جمله شروع می شود «حمد و ستایش مخصوص خداوندی است که پروردگار جهانیان است» (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ).

«حمد» در لغت به معنی ستایش کردن در برابر کار یا صفت نیک اختیاری است.

۱- هر انسانی که سر چشمه خیر و برکتی است و هر پیامبر و رهبر الهی که نور هدایت در دلها می پاشد، هر شخص سخاو تمندی که بخشش می کند، و هر طبیبی که مرهمی بر زخم جانکاهی می نهد، ستایش آنها از ستایش خدا سر چشمه می گیرد، چرا که همه این مواهب در اصل از ناحیه ذات پاک او است، و نیز اگر خورشید نورافشانی می کند، ابرها باران می بارند، و زمین برکاتش را به ما تحویل می دهد، همه از ناحیه او است.

۲- جالب اینکه «حمد» تنها در آغاز کار نیست، بلکه پایان کارها نیز چنانکه قرآن به ما تعلیم می دهد با حمد خواهد بود، در مورد بهشتیان می خوانیم: «سخن آنها در بهشت نخست منزه شمردن خداوند از هر عیب و نقص و تحیت آنها سلام، و آخرین سخنشان الْحَمْدُ لللهِ رَبِّ الْعالَمِینَ است». (یونس: ۱۰) ۳- امّیا کلمه «ربّ» در اصل به معنی مالک و صاحب چیزی است که به تربیت و اصلاح آن می پردازد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۰

۴- کلمه «الْعالَمِينَ» جمع «عالم» است و عالم به معنی مجموعهای است از موجودات مختلف و هنگامی که به صورت «عالمین» جمع بسته می شود اشاره به تمام مجموعه های این جهان است.

در روایتی از علی علیه السّ لام چنین میخوانیم که در ضمن تفسیر آیه «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ» فرمود: «رَبِّ الْعالَمِینَ اشاره به مجموع همه مخلوقات است اعم از موجودات بیجان و جاندار».

سورة الفاتحة (1): آية 3] ص: 30

(آیه ۳)- «خداوندی که بخشنده و بخشایشگر است» و رحمت عام و خاصش همه را رسیده. (الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ). معنی «رحمن» و «رحیم» و همچنین تفاوت میان این دو کلمه را در تفسیر «بسم الله» خواندیم. نکتهای که باید اضافه کنیم این است که این دو صفت در نمازهای روزانه ما حد اقل ۳۰ بار تکرار میشونید (در هر یک از دو رکعت اول نماز دوازده بار) و به این ترتیب ۶۰ مرتبه خدا را به صفت رحمتش میستائیم. و این درسی است برای همه انسانها که خود را در زندگی بیش از هر چیز به این اخلاق الهی متخلق کنند.

به علاوه اشارهای است به این واقعیت که اگر ما خود را عبد و بنده خدا میدانیم مبادا رفتار مالکان بیرحم نسبت به بردگانشان در نظرها تداعی شود.

نکته دیگر اینکه «رحمان و رحیم» بعد از «رَبِّ الْعالَمِینَ» اشاره به این است که ما در عین قدرت نسبت به بندگان خویش، با مهربانی و لطف رفتار می کنیم.

سورة الفاتحة (1): آية 4] ص: 30

(آیه ۴)– دومین اصل مهم اسلام یعنی قیامت و رستاخیز: «خداوندی که مالک روز جزاست» (مالِکِ یَوْم الدِّینِ).

در اینجا تعبیر به «مالکیت خداوند» شده است، که نهایت سیطره و نفوذ او را بر همه چیز و همه کس در آن روز مشخص می کند، روزی که همه انسانها در آن دادگاه بزرگ برای حساب. حاضر می شوند و در برابر مالک حقیقی خود قرار می گیرند، تمام گفته ها و کارها و حتی اندیشه های خود را حاضر می بینند، هیچ چیز حتی به اندازه سر سوزنی نابود نشده و به دست فراموشی نیفتاده است، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۱

و اکنون این انسان است که باید بار همه مسئولیتهای اعمال خود را بردوش کشد! حتی در آنجا که بنیانگزار سنت و برنامهای است، باز باید سهم خویش را از مسئولیت بپذیرد! بدون شک مالکیت خداوند نسبت به جهان هستی مالکیت حقیقی است نه مالکیت اعتباری نظیر مالکیت ما نسبت به آنچه در این جهان ملک ما است.

و به تعبیر دیگر این مالکیت نتیجه خالقیت و ربوبیت است، آنکس که موجودات را آفریده و لحظه به لحظه فیض وجود هستی به آنها میبخشد، مالک حقیقی موجودات است.

و در پاسخ این سؤال که مگر خداوند مالک تمام این جهان نیست که ما از او تعبیر به «مالک روز جزا» می کنیم؟ باید بگوئیم: مالکیت خداوند گر چه شامل «هر دو جهان» می باشد، اما بروز و ظهور این مالکیت در قیامت بیشتر است، چرا که در آن روز همه پیوندهای مادی و مالکیتهای اعتباری بریده می شود، و هیچ کس در آنجا چیزی از خود ندارد، حتّی اگر شفاعتی صورت گیرد باز به فرمان خداست.

اعتقاد به روز رستاخیز، اثر فوق العاده نیرومندی در کنترل انسان در برابر اعمال نادرست و ناشایست دارد و یکی از علل جلو گیری کردن نماز از فحشاء و منکرات همین است که نماز انسان را هم به یاد مبدئی می اندازد که از همه کار او با خبر است و هم به یاد دادگاه بزرگ عدل خدا.

در حدیثی از امام سجّاد علیه السّلام میخوانیم: هنگامی که به آیه «مالِکِ یَوْمِ الدِّینِ» میرسید، آنقدر آن را تکرار میکرد که نزدیک بود روح از بدنش پرواز کند.

امّا کلمه «یَوْمِ اللّه ینِ»: در قرآن در تمام موارد به معنی قیامت آمده است، و اینکه چرا آن روز، روز دین معرفی شده؟ به خاطر این است که آن روز روز جزا است و «دین» در لغت به معنی «جزا» میباشد، و روشنترین برنامهای که در قیامت اجرا میشود همین برنامه جزا و کیفر و پاداش است.

سورة الفاتحة (1): آية 5].... ص: 31

(آیه ۵)– انسان در پیشگاه خدا: از اینجا گوئی «بنده» پروردگار خود را مخاطب ساخته نخست از عبودیت خویش در برابر او، و سپس از امدادها برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۲

و كمكهاى او سخن مى گويد: «تنها تو را مى پرستم و تنها از تو يارى مىجويم» (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).

در واقع آیات گذشته سخن از توحید ذات و صفات می گفت و در اینجا سخن از توحید عبادت، و توحید افعال است. توحید عبادت آن است که هیچ کس و هیچ چیز را شایسته پرستش جز ذات خدا ندانیم تنها به فرمان او گردن نهیم، و از بندگی و تسلیم در برابر غیر ذات او بپرهیزیم، توحید افعال آن است که تنها مؤثر حقیقی را در عالم او بدانیم، نه اینکه دنبال سبب نرویم بلکه معتقد باشیم هر سببی هر تأثیری دارد به فرمان خداست. این تفکر و اعتقاد انسان را از همه کس و همه موجودات بریده و تنها به خدا پیوند می دهد.

سورة الفاتحة (1): آية 6] ص: 32

(آیه ۶)- «ما را به راه راست هدایت فرما» (اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ).

پس از اظهار تسلیم در برابر پروردگار و وصول بر مرحله عبودیت و استمداد از ذات پاک او نخستین تقاضای بنده این است که او را به راه راست، راه پاکی و نیکی، راه عدل و داد، و راه ایمان و عمل صالح هدایت فرماید، در اینجا این سؤال که چرا ما همواره درخواست هدایت به صراط مستقیم از خدا می کنیم مگر ما گمراهیم! مطرح می شود. وانگهی این سخن از پیامبر و امامان که نمونه انسان کامل بودند چه معنی دارد؟! در پاسخ می گوئیم: انسان در مسیر هدایت هر لحظه بیم لغزش و انحراف در باره او می رود، به همین دلیل باید خود را در اختیار پرورد گار بگذارد و تقاضا کند که او را بر راه راست ثابت نگهدارد. دوم اینکه، هدایت همان پیمودن طریق تکامل است که انسان تدریجا مراحل نقصان را پشت سر بگذارد و به مراحل بالاتر برسد. بنابراین جای تعجب نیست که حتی پیامبران و امامان از خدا تقاضای هدایت «صراط مستقیم» کنند، چه اینکه کمال مطلق تنها خدا است، و همه بدون استثناء در مسیر تکاملند، چه مانعی دارد که آنها نیز تقاضای درجات بالاتری را از خدا

امام صادق علیه السّلام در تفسیر این آیه می فرماید: «خداوندا! ما را بر راهی که به بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۳ محبت تو می رسد و به بهشت واصل می گردد، و مانع از پیروی هوسهای کشنده و آراء انحرافی و هلاک کننده است ثابت بدار».

صراط مستقیم چیست؟ «صراط مستقیم» همان آئین خدا پرستی و دین حق و پایبند بودن به دستورات خداست، چنانکه در سوره انعام آیه ۱۶۱ میخوانیم: «بگو: خداوند مرا به صراط مستقیم هدایت کرده، به دین استوار آئین ابراهیم که هرگز به خدا شرک نورزید»

سورة الفاتحة (1): آية 7] ص : 33

دو خط انحرافی! «مرا به راه کسانی هدایت فرما که آنان را مشمول انواع نعمتهای خود قرار دادی (نعمت هدایت، نعمت توفیق، نعمت رهبری مردان حق و نعمت علم و عمل و جهاد و شهادت) نه آنها که بر اثر اعمال زشت و انحراف عقیده غضب تو دامنگیرشان شد و نه آنها که جاده حق را رها کرده و در بیراهه ها گمراه و سرگردان شده» (صِراطَ الَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَ لَا الضَّالِینَ).

در حقیقت خدا به ما دستور می دهد طریق و خط پیامبران و نیکو کاران و آنها که مشمول نعمت و الطاف او شده اند را بخواهیم و به ما هشدار می دهد که در برابر شما همیشه دو خط انحرافی قرار دارد، خط «الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» و خط «الضَّالِّينَ».

۱ – «الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» كيانند؟ ص: ٣٣

سوره نساء آیه ۶۹ این گروه را تفسیر کرده است: «کسانی که دستورات خدا و پیامبر را اطاعت کنند، خدا آنها را با کسانی قرار می دهد که مشمول نعمت خود ساخته، از پیامبران و رهبران صادق و راستین و جانبازان و شهیدان راه خدا و افراد صالح، و اینان رفیقان خوبی هستند». بنابراین ما در سوره حمد از خدا می خواهیم که در خط این چهار گروه قرار گیریم که در هر مقطع زمانی باید در یکی از این خطوط، انجام وظیفه کنیم و رسالت خویش را ادا نمائیم.

٢- «الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» و «الضَّالِّينَ» كيانند؟ ص : ٣٣

از موارد استعمال این دو کلمه در قرآن مجید چنین استفاده می شود که «الضَّالِّینَ» گمراهان عادی هستند، و «الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ» گمراهان لجوج و منافق، به همین دلیل در بسیاری از موارد، برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۴

غضب و لعن خداوند در مورد آنها ذکر شده.

در آیه ۶ سوره فتح آمده است: «خداوند مردان و زنان منافق و مردان و زنان مشرک و آنها را که در باره خدا گمان بد می برند مورد غضب خویش قرار می دهد، و آنها را لعن می کند، و از رحمت خویش دور می سازد، و جهنم را برای آنان آماده ساخته است».

به هر حال «الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» آنها هستند که علاوه بر کفر، راه لجاجت و عناد و دشمنی با حق را می پیمایند و حتّی از اذیت و آزار رهبران الهی و پیامبران در صورت امکان فرو گذار نمی کنند.

پایان سوره حمد

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۵

سوره بقره ص: ۳۵

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۲۸۶ آیه است

محتوا و فضيلت سوره بقره: ص: 35

جامعیت این سوره از نظر اصول اعتقادی اسلام و بسیاری از مسائل عملی (عبادی، اجتماعی، سیاسی و اقتصادی) قابل انکار نیست. چه اینکه در این سوره: ۱- بحثهائی پیرامون توحید و شناسائی خدا مخصوصا از طریق مطالعه اسرار آفرینش آمده است. ۲- بحثهائی در زمینه معاد و زندگی پس از مرگ، مخصوصا مثالهای حسّی آن مانند داستان ابراهیم و زنده شدن مرغها و داستان عزیر ۳- بحثهائی در زمینه اعجاز قرآن و اهمیت این کتاب آسمانی. ۴- بحثهائی بسیار مفصل در باره یهود و منافقان و موضع گیریهای خاص آنها در برابر اسلام و قرآن، و انواع کارشکنیهای آنان در این رابطه. ۵- بحثهائی در زمینه تاریخ پیامبران بزرگ مخصوصا ابراهیم و موسی علیهما السّیلام. ۶- بحثهائی در زمینه احکام مختلف اسلامی از جمله نماز، روزه، جهاد، حجّ و تغییر قبله، ازدواج و طلاق، احکام تجارت، و قسمت مهمی از احکام ربا و مخصوصا بحثهائی در زمینه انفاق در راه خدا، و همچنین مسأله قصاص و تحریم قسمتی از گوشتهای حرام و قمار و شراب و بخشی از احکام وصیّت و مانند آن.

در فضیلت این سوره ص: ۳۵

از پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و اله پرسیدند: «کدامیک از سورههای قرآن برتر است؟ فرمود: سوره بقره، عرض کردند کدام آیه از آیات سوره بقره افضل است؟ فرمود: «آیهٔ الکرسی».

> بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۶ بسم الله الرّحمن الرّحیم

سورة البقرة (2) : آية 1] ص : 35

اشاره

(آیه ۱)- تحقیق در باره حروف مقطعه قرآن: «الم» (الم). در آغاز ۲۹ سوره از قرآن با حروف مقطعه برخورد می کنیم. و این حروف همیشه جزء کلمات اسرار آمیز قرآن محسوب می شده، و با گذشت زمان و تحقیقات جدید دانشمندان، تفسیرهای تازهای برای آن پیدا می شود. و جالب اینکه در هیچ یک از تواریخ ندیده ایم که عرب جاهلی و مشرکان وجود حروف مقطعه را در آغاز بسیاری از سوره های قرآن بر پیغمبر صلّی الله علیه و اله خرده بگیرند، و آن را وسیله ای برای استهزاء و سخریه قرار دهند و این می رساند که گویا آنها نیز از اسرار وجود حروف مقطعه کاملا بی خبر نبوده اند. به هر حال چند تفسیر که هماهنگ با آخرین تحقیقاتی است که در این زمینه به عمل آمده، و ما آنها را به تدریج در آغاز این سوره، و سوره های «آل عمران» و «اعراف» بیان خواهیم کرد، اکنون به مهمترین آنها می پردازیم:

این حروف اشاره به این است که این کتاب آسمانی با آن عظمت و اهمیتی که تمام سخنوران عرب و غیر عرب را متحیّر ساخته، و دانشمندان را از معارضه با آن عاجز نموده است، از نمونه همین حروفی است که در اختیار همگان قرار دارد در عین اینکه قرآن از همان حروف «الف باء» و کلمات معمولی ترکیب یافته به قدری کلمات آن موزون است و معانی بزرگی دربردارد، که در اعماق دل و جان انسان نفوذ می کند، روح را مملو از اعجاب و تحسین میسازد، و افکار و عقول را در برابر

خود وادار به تعظیم مینماید.

درست همانطور که خداوند بزرگ از خاک، موجوداتی همچون انسان، با آن ساختمان شگفت انگیز، و انواع پرندگان زیبا، و جانداران متنوع، و گیاهان و گلهای رنگارنگ، می آفریند و ما از آن کاسه و کوزه و مانند آن میسازیم، همچنین خداوند از حروف الفبا و کلمات معمولی، مطالب و معانی بلند را در قالب الفاظ زیبا و کلمات موزون ریخته و اسلوب خاصی در آن بکار برده، آری همین حروف در اختیار انسانها نیز هست ولی توانائی ندارند که ترکیبها و جمله بندیهائی بسان قرآن ابداع کنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۷

عصر طلائي ادبيات عرب: ص: 37

عصر جاهلیت یک عصر طلائی از نظر ادبیات بود، همان اعراب بادیه نشین، همان پا برهنه ها با تمام محرومیتهای اقتصادی و اجتماعی دلهائی سرشار از ذوق ادبی و سخن سنجی داشتند، عربها در زمان جاهلیت یک بازار بزرگ سال به نام «بازار عکاظ» داشتند که در عین حال یک «مجمع مهم ادبی» و کنگره سیاسی و قضائی نیز محسوب می شد. در این بازار علاوه بر فعالیتهای اقتصادی عالیترین نمونه های نظم و نثر عربی از طرف شعراء و سخنسرایان توانا در این کنگره عرضه می گردید، و بهترین آنها به عنوان «شعر سال» انتخاب می شد، و البته موفقیت در این مسابقه بزرگ ادبی افتخار بزرگی برای سراینده آن شعر و قبیله اش بود.

در چنین عصری قرآن آنها را دعوت به مقابله به مثل کرد و همه از آوردن مانند آن اظهار عجز کردند، و در برابر آن زانو زدند، گواه زنده این تفسیر حدیثی است که از امام سجاد علیه السّلام رسیده آنجا که میفرماید: «قریش و یهود به قرآن نسبت ناروا دادند گفتند: قرآن سحر است، آن را خودش ساخته و به خدا نسبت داده است، خداوند به آنها اعلام فرمود: «الم ذلک الکتاب» یعنی: ای محمّد! کتابی که بر تو فرو فرستادیم از همین حروف مقطعه (الف- لام- میم) و مانند آن است که همان حروف الفبای شما است.

سورة البقرة (2) : آية 2] ص : 37

اشاره

(آیه ۲)- بعد از بیان حروف مقطعه، قرآن اشاره به عظمت این کتاب آسمانی کرده می گوید: «این همان کتاب با عظمت است که هیچ گونه تردید در آن وجود ندارد» (ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ).

اینکه می گوید هیچ گونه شک و تردید در آن وجود ندارد این یک ادعا نیست بلکه آنچنان آثار صدق و عظمت و انسجام و استحکام و عمق معانی و شیرینی و فصاحت لغات و تعبیرات در آن نمایان است که هر گونه وسوسه و شک را از خود دور می کند. جالب اینکه گذشت زمان نه تنها طراوت آن را نمی کاهد بلکه هر قدر علم به سوی تکامل پیش می رود در خشش این آیات بیشتر می شود، سپس در ادامه می افزاید: این کتاب «مایه هدایت پر هیز کاران است» (هُدی گلِلُمُتَّقِینَ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۸

کلمه «هدایت» در قرآن به دو معنی بازگشت میکند: ص: ۳۸

۱- «هدایت تکوینی» ص: ۳۸

و منظور از آن رهبری موجودات به وسیله پروردگار زیر پوشش نظام آفرینش و قانونمندی های حساب شده جهان هستی است.

۲- «هدایت تشریعی» ص: ۳۸

که به وسیله پیامبران و کتابهای آسمانی انجام می گیرد و انسانها با تعلیم و تربیت آنها در مسیر تکامل پیش میروند.

چرا هدایت قرآن ویژه پرهیزکاران است؟ ص: ۳۸

مسلما قرآن برای هدایت همه جهانیان نازل شده، ولی چرا در آیه فوق هدایت قرآن مخصوص پرهیز کاران معرفی گردیده؟ علت آن این است که تا مرحلهای از تقوا در وجود انسان نباشد (مرحله تسلیم در مقابل حق و پذیرش آنچه هماهنگ با عقل و فطرت است) محال است انسان از هدایت کتابهای آسمانی و دعوت انبیاء بهره بگیرد. «زمین شورهزار هر گز سنبل برنیارد، اگر چه هزاران مرتبه باران بر آن ببارد». سرزمین وجود انسانی نیز تا از لجاجت و عناد و تعصّب پاک نشود، بذر هدایت را نمی پذیرد، و لذا خداوند می فرماید: «قرآن هادی و راهنمای متقیان است».

سورة البقرة (٢) : آية ٣]..... ص: ٣٨

(آیه ۳)- آثار تقوا در روح و جسم انسان! قرآن در آغاز این سوره، مردم را در ارتباط با برنامه و آئین اسلام به سه گروه متفاوت تقسیم می کند: ۱- «متقین» (پرهیز کاران) که اسلام را در تمام ابعادش پذیرا گشته اند ۲- «کافران» که در نقطه مقابل گروه اول قرار گرفته و به کفر خود معترفند. ۳- «منافقان» که دارای دو چهره اند، با مسلمانان ظاهرا مسلمان و با گروه مخالف، مخالف اسلامند، البته چهره اصلی آنها همان چهره کفر است، بدون شکّ زیان این گروه برای اسلام بیش از گروه دوم است و به همین سبب قرآن با آنها برخورد شدیدتری دارد.

در این آیه سخن از گروه اوّل است، ویژگیهای آنها را از نظر ایمان و عمل در پنج عنوان مطرح می کند، ۱- ایمان به غیب: نخست می گوید: «آنها کسانی هستند که ایمان به غیب دارند» (الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْغَیْب).

«غیب و شهود» دو نقطه مقابل یکدیگرند، عالم شهود عالم محسوسات است، و جهان غیب، ماوراء حسّ، زیرا «غیب» در لغت بمعنی چیزی است که برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۹

پوشیده و پنهان است و چون عالم ماوراء محسوسات از حسّ ما پوشیده است به آن غیب گفته می شود، ایمان به غیب درست نخستین نقطه ای است که مؤمنان را از غیر آنها جدا می سازد و پیروان ادیان آسمانی را در برابر منکران خدا و وحی و قیامت قرار می دهد و به همین دلیل نخستین ویژگی پرهیزکاران ایمان به غیب ذکر شده است.

«مؤمنان به غیب» عقیده دارند، سازنده این عالم آفرینش، علم و قدرتی بیانتها، و عظمت و إدراکی بینهایت دارد، او ازلی و ابدی است، و مرگ به معنی فنا و نابودی نیست بلکه دریچهای است به جهان وسیعتر و پهناورتر، در حالی که یک فرد مادّی معتقد است جهان هستی محدود است به آنچه ما میبینیم و قوانین طبیعت بدون هیچ گونه نقشه و برنامهای پدید آورنده این جهان است، و پس از مرگ همه چیز پایان می گیرد.

آیا این دو انسان با هم قابل مقایسهاند؟! اولی نمی تواند از حق و عدالت و خیر خواهی و کمک به دیگران صرف نظر کند، و دومی دلیلی برای هیچ گونه از این امور نمی بیند، به همین دلیل در دنیای مؤمنان راستین برادری است و تفاهم، پاکی است و تعاون، امّیا در دنیای مادّیگری استعمار است و استثمار، خونریزی است و غارت و چپاول و این سیر قهقهرائی را تمدّن و پیشرفت و ترقی نام می نهند! و اگر می بینیم قرآن نقطه شروع تقوی را در آیه فوق، ایمان به غیب دانسته دلیلش همین است. «غیب» در این جا دارای مفهوم وسیع کلمه می باشد و اگر در بعضی روایات غیب در آیه فوق تفسیر به امام غائب حضرت مهدی (عج) شده در حقیقت می خواهد وسعت معنی ایمان به غیب را حتّی نسبت به امام غائب (عج) مجسّم کند بی آنکه به آن مصداق محدود باشد.

۲- ارتباط با خدا: ویژگی دیگر پرهیز کاران آن است که: «نماز را برپا می دارند» (وَ یُقِیمُونَ الصَّلاهُ). «نماز» که رمز ارتباط با خداست، مؤمنانی را که به جهان ماوراء طبیعت راه یافته اند در یک رابطه دائمی و همیشگی با آن مبدء بزرگ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۰

آفرینش نگه میدارد، آنها تنها در برابر خدا سر تعظیم خم میکنند، چنین انسانی احساس میکند از تمام مخلوقات دیگر فراتر رفته، و ارزش آن را پیدا کرده که با خدا سخن بگوید، و این بزرگترین عامل تربیت او است.

۳- ارتباط با انسانها: آنها علاوه بر ارتباط دائم با پروردگار رابطه نزدیک و مستمری با خلق خدا دارند، و به همین دلیل سومین ویژگی آنها را قرآن چنین بیان می کند: «و از تمام مواهبی که به آنها روزی داده ایم انفاق می کنند» (وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ). قابل توجه اینکه قرآن نمی گوید: «مِمَّا رَزَقْناهُمْ» (از آنچه به آنها روزی داده ایم) و به این ترتیب مسأله «انفاق» را آنچنان تعمیم می دهد که تمام مواهب مادی و معنوی را در بر می گیرد. بنابراین مردم پرهیزگار آنها هستند که نه تنها از اموال خود، بلکه از علم و عقل و دانش و نیروهای جسمانی و مقام و موقعیت اجتماعی خود، و خلاصه از تمام سرمایههای خویش به آنها که نیاز دارند می بخشند، بی آنکه انتظار پاداشی داشته باشند.

سورة البقرة (2) : آية 4.... ص: 40

(آیه ۴) – ویژگی چهارم پرهیز کاران ایمان به تمام پیامبران و برنامههای الهی است، قرآن می گوید: «آنها کسانی هستند که به آنچه بر تو نازل شده و آنچه پیش از تو نازل گردیده ایمان دارند» (وَ الَّذِینَ یُوْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ). ویژگی پنجم: ایمان به رستاخیز، صفتی است که در این سلسله از صفات برای پرهیز کاران بیان شده است «آنها به آخرت قطعا ایمان دارند» (وَ بِالْآخِرَهِ هُمْ یُوقِنُونَ). آنها یقین دارند که انسان عبث و بی هدف آفریده نشده، آفرینش برای او خط سیری تعیین کرده است که با مرگ هر گز پایان نمی گیرد، او اعتراف دارد که عدالت مطلق پروردگار در انتظار همگان است و چنان نیست که اعمال ما در این جهان، بی حساب و پاداش باشد. این اعتقاد به او آرامش می بخشد، از فشارهائی که در طریق انجام مسئولیتها بر او وارد می شود نه تنها رنج نمی برد بلکه از آن استقبال برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۱

می کنـد و مطمئن است کوچکترین عمـل نیک و بـد پاداش و کیفر دارد، بعـد از مرگ به جهانی وسیعتر که خالی از هر گونه ظلم و ستم است انتقال مییابد و از رحمت وسیع و الطاف پروردگار بزرگ بهرهمند میشود.

ایمان به رستاخیز اثر عمیقی در تربیت انسانها دارد، به آنها شهامت و شجاعت میبخشد زیرا بر اساس آن، اوج افتخار در زندگی این جهان، «شهادت» در راه یک هدف مقدس الهی است که آغازی است برای یک زندگی ابدی و جاودانی. و ایمان به قیامت انسان را در برابر گناه کنترل میکند، و به هر نسبت که ایمان قویتر باشد گناه کمتر است.

سورة البقرة (2) : آية 5]. ص : 41

اشاره

(آیه ۵)- این آیه، اشارهای است به نتیجه و پایان کار مؤمنانی که صفات پنجگانه فوق را در خود جمع کردهاند، می گوید: «اینها بر مسیر هدایت پروردگارشان هستند» (أُولِئِکَ عَلی هُیدیً مِنْ رَبِّهِمْ). «و اینها رستگارانند» (أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). در حقیقت هدایت آنها و همچنین رستگاریشان از سوی خدا تضمین شده است. جالب اینکه می گوید: «عَلی هُیدیً مِنْ رَبِّهِمْ» اشاره به اینکه هدایت الهی همچون مرکب راهواری است که آنها بر آن سوارند، و به کمک این مرکب به سوی رستگاری و سعادت پیش می روند.

حقيقت تقوا چيست؟ ص: 41

«تقوا» در اصل بمعنی نگهداری یا خویشتن داری است و به تعبیر دیگر یک نیروی کنترل درونی است که انسان را در برابر طغیان شهوات حفظ می کند، و در واقع نقش ترمز نیرومندی را دارد که ماشین وجود انسان را در پرتگاهها حفظ و از تندرویهای خطرناک، باز میدارد. و معیار فضیلت و افتخار انسان و مقیاس سنجش شخصیت او در اسلام محسوب می شود تا آنجا که جمله «إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ» به صورت یک شعار جاودانی اسلام در آمده است.

ضمنا باید توجه داشت که تقوا دارای شاخه ها و شعبی است، تقوای مالی و اقتصادی، تقوای جنسی، و اجتماعی، و تقوای سیاسی و مانند اینها.

سورة البقرة (2) : آية 6] ص : 41

(آیه ۶)– گروه دوم، کافران لجوج و سرسخت! این گروه درست در نقطه مقابل متقین و پرهیزکاران قرار دارند و صفات آنها در این آیه و آیه بعد بطور فشرده برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۲

بیان شده است. در این آیه میگوید «آنها که کافر شدند (و در کفر و بیایمانی سخت و لجوجند) برای آنها تفاوت نمی کند که آنان را از عـذاب الهی بترسانی یا نترسانی ایمان نخواهنـد آورد» (إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا سَواءٌ عَلَیْهِمْ أَ أَنْـذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْـذِرْهُمْ لا یُؤْمِنُونَ). این دسته چنان در گمراهی خود سرسختند که هر چنـد حق بر آنان روشن شود حاضـر به پـذیرش نیسـتند و اصولا آمادگی روحی برای پیروی از حق و تسلیم شدن در برابر آن را ندارند

اشاره

(آیه ۷)- این آیه اشاره به دلیل این تعصب و لجاجت می کند و می گوید: آنها چنان در کفر و عناد فرو رفته اند که حسّ تشخیص را از دست داده اند «خدا بر دلها و گوشهایشان مهر نهاده و بر چشمهاشان پرده افکنده شده» (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى أَبْصارِهِمْ غِشَاوَةً) به همین دلیل نتیجه کارشان این شده است که «برای آنها عذاب بزرگی است» (و لَهُمْ عَلَی سَیمْعِهِمْ و عَلی أَبْصارِهِمْ غِشَاوَةً) به همین دلیل نتیجه کارشان این شده است که «برای آنها عذاب بزرگی است» (و لَهُمْ عَلَی سَیمْعِهِمْ و عَلی أَبْصارِهِمْ غِشَاوَةً به همین دلیل نتیجه کارشان این شده است که حس عَلیمی است که تشخیص را بر اثر اعمال زشت خود از دست داد دیگر راه نجاتی برای او نیست، چرا که ابزار شناخت ندارد و طبیعی است که عذاب عظیم در انتظار او باشد.

نکتهها ص: ٤٢

۱- آیا سلب قدرت تشخیص، دلیل بر جبر نیست؟ ص: ۴۲

اگر طبق آیه فوق خداوند بر دلها و گوشهای این گروه مهر نهاده، و بر چشمهایشان پرده افکنده، آنها مجبورند در کفر باقی بمانند، آیا این جبر نیست؟ پاسخ این سؤال را خود قرآن در اینجا و آیات دیگر داده است و آن اینکه: اصرار و لجاجت آنها در برابر حق، تکبر و ادامه به ظلم و ستم و بیداد گری و کفر و پیروی از هوسهای سرکش سبب می شود که پرده ای بر حسّ تشخیص آنها بیفتد، که در واقع این حالت عکس العمل و بازتاب اعمال خود انسان است نه چیز دیگر.

۲- مهر نهادن بر دلها! ص: ۲۲

در آیات فوق و بسیاری دیگر از آیات قرآن برای بیان سلب حسّ تشخیص و درک واقعی از افراد، تعبیر به «ختم» شده است، و احیانا تعبیر به «طبع» و «رین». این معنی از آنجا گرفته شده است که در میان مردم رسم بر این بوده هنگامی که اشیائی را در کیسهها یا ظرفهای مخصوصی قرار میدادند، و یا برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۳

نامههای مهمی را در پاکت می گذاردند، برای آنکه کسی سر آن را نگشاید و دست به آن نزند آن را می بستند و گره می کردند و بر گره مهر می نهادند، امروز نیز معمول است کیسههای پستی را لاک و مهر می کنند. در لغت عرب برای این معنی کلمه «ختم» به کار می رود، البته این تعبیر در باره افراد بی ایمان و لجوجی است که بر اثر گناهان بسیار در برابر عوامل هدایت نفوذ ناپذیر شده اند، و لجاجت و عناد در برابر مردان حق در دل آنان چنان رسوخ کرده که درست همانند همان بسته و کیسه سر به مهر هستند که دیگر هیچ گونه تصرّفی در آن نمی توان کرد، و به اصطلاح قلب آنها لاک و مهر شده است. «طبع» نیز در لغت به همین معنی آمده است امّا «رین» به معنی زنگار یا غبار یا لایه کثیفی است که بر اشیاء گرانقیمت می نشیند این تعبیر در قرآن نیز برای کسانی که بر اثر خیره سری و گناه زیاد قلبشان نفوذ ناپذیر شده بکار رفته است. و مهم آن است که انسان مراقب باشد اگر خدای ناکرده گناهی از او سر می زند در فاصله نزدیک آن را با آب توبه و عمل صالح بشوید، تا مبادا

به صورت رنگ ثابتی برای قلب در آید و بر آن مهر نهد.

۳- مقصود از «قلب» در قرآن: ص: ۴۳

«قلب» در قرآن به معانی گوناگونی آمده است. از جمله: ۱- به معنی عقل و درک چنانکه در آیه ۳۷ سوره «ق» میخوانیم: إِنَّ فِی ذَلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کَانَ لَهُ قَلْبُ: «در این مطالب تذکر و یادآوری است برای آنان که نیروی عقل و درک داشته باشند». ۲- به معنی روح و جان چنانکه در سوره احزاب آیه ۱۰ آمده است: «هنگامی که چشمها از وحشت فرو مانده و جانها به لب رسیده بود» ۳- به معنی مرکز عواطف، آیه ۱۲ سوره انفال شاهد این معنی است:

«بزودی در دل کافران ترس ایجاد می کنم».

توضیح اینکه: در وجود انسان دو مرکز نیرومند به چشم میخورد: ۱- مرکز ادراکات که همان «مغز و دستگاه اعصاب است» ۲- مرکز عواطف که عبارت است از همان قلب صنوبری که در بخش چپ سینه قرار دارد و مسائل عاطفی در مرحله اول روی همین مرکز اثر می گذارد، ما بالوجدان هنگامی که با مصیبتی رو برو می شویم فشار آن را روی همین قلب صنوبری احساس می کنیم، و همچنان وقتی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۴

به مطلب سرورانگیزی بر میخوریم فرح و انبساط را در همین مرکز احساس میکنیم، نتیجه اینکه اگر در قرآن مسائل عاطفی به قلب (همین عضو مخصوص) و مسائل عقلی به قلب (به معنی عقل یا مغز) نسبت داده شده، دلیل آن همان است که گفته شد و سخنی به گزاف نرفته است.

سورة البقرة (2): آية 8] ص: 44

(آیه ۸)- گروه سوم (منافقان). اسلام در یک مقطع خاص تاریخی خود با گروهی رو برو شد که نه اخلاص و شهامت برای ایمان آوردن داشتند و نه قدرت و جرأت بر مخالفت صریح، این گروه که قرآن از آنها به عنوان «منافقین» «۱» یاد می کند و ما در فارسی از آن تعبیر به «دورو» یا «دو چهره» می کنیم، در صفوف مسلمانان واقعی نفوذ کرده بودند، و از آنجا که ظاهر اسلامی داشتند، غالبا شناخت آنها مشکل بود ولی قرآن نشانه های دقیق و زنده ای برای آنها بیان می کند که خط باطنی آنها را مشخص می سازد و الگوئی در این زمینه به دست مسلمانان برای همه قرون و اعصار می دهد. نخست تفسیری از خود نفاق دارد می گوید: «بعضی از مردم هستند که می گویند به خدا و روز قیامت ایمان آورده ایم در حالی که ایمان ندارند» (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنًا بِاللَّهِ وَ بِالْیُومِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِینَ).

سورة البقرة (2) : آية 9] ص: 44

(آیه ۹)- آنها این عمل را یک نوع زرنگی و به اصطلاح تاکتیک جالب، حساب می کنند: «آنها با این عمل میخواهند خدا و مؤمنان را بفریبند» (یُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِینَ آمَنُوا). «در حالی که تنها خودشان را فریب میدهند، امّا نمیفهمند» (وَ ما یَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما یَشْعُرُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 10] ص : 44

(آیه ۱۰) - سپس قرآن به این واقعیت اشاره می کند که نفاق در واقع یک نوع بیماری است می گوید: «در دلهای آنها بیماری خاصی است» (فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ). امّیا از آنجا که در نظام آفرینش، هر کس در مسیری قرار گرفت و وسائل آن را فراهم ساخت در همان مسیر، رو به جلو می رود قرآن اضافه می کند: «خداوند هم بر بیماری آنها می افزاید» (فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً).

(۱) «منافق» از ماده «نفق» به معنی کانالها و نقبهائی است که زیر زمین میزنند تا برای استتار یا فرار از آن استفاده کنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۵

و از آنجا که سرمایه اصلی منافقان دروغ است، تا بتوانند تناقضها را که در زندگیشان دیده می شود با آن توجیه کنند، در پایان آیه می فرماید: «برای آنها عذاب الیمی است بخاطر دروغهائی که می گفتند» (وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ بِما کانُوا یَکْذِبُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 11] ص : 45

(آیه ۱۱)- سپس به ویژگیهای آنها اشاره می کند که نخستین آنها داعیه اصلاح طلبی است در حالی که مفسد واقعی همانها هستند: «هنگامی که به آنها گفته شود در روی زمین فساد نکنید می گویند: ما فقط اصلاح کننده ایم»! (وَ إِذَا قِیلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ). ما برنامه ای جز اصلاح در تمام زندگی خود نداشته ایم و نداریم!

سورة البقرة (2) : آية 12] ص : 45

(آیه ۱۲)- قرآن اضافه می کند: «بدانید اینها همان مفسدانند و برنامه ای جز فساد ندارند ولی خودشان هم نمی فهمند»! (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِنْ لا يَشْعُرُونَ). بلكه اصرار و پافشاری آنها در راه نفاق و خو گرفتن با این برنامه های زشت و ننگین سبب شده که تدریجا گمان کنند این برنامه ها مفید و سازنده و اصلاح طلبانه است.

سورة البقرة (2) : آية 13] ص: 45

(آیه ۱۳) – نشانه دیگر اینکه: آنها خود را عاقل و هوشیار و مؤمنان را سفیه و سادهلوح و خوش باور می پندارند، آن چنانکه قرآن می گوید: «هنگامی که به آنها گفته می شود ایمان بیاورید آنگونه که توده های مردم ایمان آورده اند، می گویند: آیا ما همچون این سفیهان ایمان بیاوریم»؟! (وَ إِذَا قِیلَ لَهُمْ آمِنُوا کَما آمَنَ النَّاسُ قالُوا أَ نُوْمِنُ کَما آمَنَ السُّفَهاءُ). و به این ترتیب افراد پاکدل و حق طلب و حقیقت جو را که با مشاهده آثار حقانیت در دعوت پیامبر صلّی الله علیه و اله و محتوای تعلیمات او، سر تعظیم فرو آورده اند به سفاهت متهم می کنند لذا قرآن در پاسخ آنها می گوید: «بدانید سفیهان واقعی اینها هستند امّا نمی دانند» (أَلا إنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ وَ لَكِنْ لا یَعْلَمُونَ).

آیا این سفاهت نیست که انسان خط زندگی خود را مشخص نکند و در میان هر گروهی به رنگ آن گروه در آید، استعداد و نیروی خود را در طریق شیطنت و توطئه و تخریب به کار گیرد، و در عین حال خود را عاقل بشمرد؟!

سورة البقرة (2) : آية 14] ص: 45

(آیه ۱۴) – سومین نشانه آنها آن است که هر روز به رنگی در می آیند و در برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۶ میان هر جمعیتی با آنها هم صدا می شوند، آنچنانکه قرآن می گوید: «هنگامی که افراد با ایمان را ملاقات کنند می گویند ایمان آوردیم» (وَ إِذَا لَقُوا الَّذِینَ آمَنُوا قالُوا آمَنًا).

ما از شما هستیم و پیرو یک مکتبیم، از جان و دل اسلام را پذیرا گشتیم و با شما هیچ فرقی نداریم! «امّا هنگامی که با دوستان شیطان صفت خود به خلوتگاه میروند می گویند ما با شمائیم»! (وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَیاطِینِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَکُمْ). «و اگر میبینید ما در برابر مؤمنان اظهار ایمان میکنیم ما مسخره شان میکنیم»! (إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ).

سورة البقرة (2) : آية 15] ص: 46

(آیه ۱۵)- سپس قرآن با یک لحن کوبنده و قاطع می گوید: «خدا آنها را مسخره می کند» (اللَّهُ یَدِیَ تَهْزِئُ بِهِمْ). «و خدا آنها را در طغیانشان نگه می دارد تا به کلی سرگردان شوند» (وَ یَمُدُّهُمْ فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 16] ص: 48

اشاره

(آیه ۱۶)- این آیه، سرنوشت نهائی آنها را که سرنوشتی است بسیار غم انگیز و شوم و تاریک چنین بیان می کند: «آنها کسانی هستند که در تجارتخانه این جهان، هدایت را با گمراهی معاوضه کردهاند» (أُولئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدی). و به همین دلیل «تجارت آنها سودی نداشته» بلکه سرمایه را نیز از کف دادهاند (فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ). «و هرگز روی هدایت را ندیدهاند» (وَ ما کانُوا مُهْتَدِینَ).

خلاصه دو گانگی شخصیت و تضاد برون و درون که صفت بارز منافقان است پدیدههای گوناگونی در عمل و گفتار و رفتار فردی و اجتماعی آنها دارد که به خوبی می توان آن را شناخت.

وسعت معنى نفاق- ص: 46

گرچه نفاق به مفهوم خاصش، صفت افراد بی ایمانی است که ظاهرا در صف مسلمانانند، امّا باطنا دل در گرو کفر دارند، ولی نفاق معنی وسیعی دارد که هر گونه دو گانگی ظاهر و باطن، گفتار و عمل را شامل می شود هر چند در افراد مؤمن باشد که ما از آن به عنوان «رگههای نفاق» نام می بریم مثلا در حدیثی می خوانیم: سه صفت است که در هر کس باشد منافق است هر چند روزه بگیرد و نماز بخواند و خود را مسلمان بداند: کسی که در امانت خیانت می کند، و کسی که بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۷

به هنگام سخن گفتن دروغ می گوید، و کسی که وعده می دهد و خلف وعده می کند». مسلما این گونه افراد رگه هائی از نفاق در وجود آنها هست، مخصوصا در باره ریاکاران از امام صادق علیه السّ لام می خوانیم که فرمود: «ریا و ظاهر سازی، درخت (شوم و تلخی) است که میوه ای جز شرک خفی ندارد و اصل و ریشه آن نفاق است»

فریب دادن وجدان- ص: 47

آیه فوق، اشاره روشنی به مسأله فریب وجدان دارد و اینکه بسیار می شود که انسان منحرف و آلوده، برای رهائی از سرزنش و مجازات وجدان، کم کم برای خود این باور را به وجود می آورد که این عمل من نه تنها زشت و انحرافی نیست بلکه اصلاح است و مبارزه با فساد (إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ). تا با فریب وجدان آسوده خاطر به اعمال خلاف خود ادامه دهد.

سورة البقرة (2) : آية 17] ص : 47

(آیه ۱۷)- دو مثال جالب برای ترسیم حال منافقان.

۱- در مثال اول می گوید: «آنها مانند کسی هستند که آتشی (در شب ظلمانی) افروخته» تا در پرتو نور آن راه را از بیراهه بشناسد و به منزل مقصود برسد» (مَثَلُهُمْ کَمَثَلِ الَّذِی اسْتَوْقَدَ ناراً) «ولی همین که این شعله آتش اطراف آنها را روشن ساخت، خداوند آن را خاموش می سازد، و در ظلمات رهاشان می کند، به گونهای که چیزی را نبینند» (فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَکَهُمْ فِی ظُلُماتٍ لا یُبْصِرُونَ).

آنها فکر می کردند با این آتش مختصر و نور آن می توانند با ظلمتها به پیکار برخیزند، امّا ناگهان بادی سخت بر می خیزد و یا باران درشتی فرو می ریزد، و یا بر اثر پایان گرفتن مواد آتش افروز، آتش به سردی و خاموشی می گراید و بار دیگر در تاریکی وحشتزا سر گردان می شوند. این نور مختصر، یا اشاره به فروغ وجدان و فطرت توحیدی است و یا اشاره به ایمان نخستین آنهاست که بعدا بر اثر تقلیدهای کور کورانه و تعصبهای غلط و لجاجتها و عداوتها پردههای ظلمانی و تاریک بر آن می افتد.

سورة البقرة (2) : آية 18] ص : 47

(آیه ۱۸)- سپس اضافه می کند: «آنها کر هستند و گنگ و نابینا، و چون هیچ یک از وسائل اصلی درک حقایق را ندارند از راهشان باز نمی گردند» (صُمِّ بُکْمٌ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۸

عُمْئٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ)

. به هر حال این تشبیه در حقیقت، یک واقعیت را در زمینه نفاق روشن میسازد، و آن اینکه نفاق و دوروئی برای مدت طولانی نمی تواند مؤثر واقع شود و این امر همچون شعله ضعیف و کم دوامی که در یک بیابان تاریک و ظلمانی در معرض وزش طوفانهاست دیری نمی پاید، و سر انجام چهره واقعی آنها آشکار می گردد.

سورة البقرة (2) : آية 19] ص : 48

(آیه ۱۹) - در مثال دوم قرآن صحنه زندگی آنها را به شکل دیگری ترسیم مینماید: شبی است تاریک و ظلمانی پرخوف و خطر، باران به شدت میبارد، از کرانه های افق برق پر نوری میجهد، صدای غرش وحشتزا و مهیب رعد، نزدیک است پرده های گوش را پاره کند، انسانی بی پناه در دل این دشت وسیع و ظلمانی، حیران و سرگردان مانده است، باران پرپشت، بدان او را مرطوب ساخته، نه پناهگاه مورد اطمینانی وجود دارد که به آن پناه برد و نه ظلمت اجازه می دهد گامی به سوی

مقصد بردارد. قرآن در یک عبارت کوتاه، حال چنین مسافر سرگردانی را بازگو میکند: «یا همانند بارانی که در شب تاریک، توأم با رعد و برق و صاعقه (بر سر رهگذرانی) ببارد» (أَوْ کَصَیِّبِ مِنَ السَّماءِ فِیهِ ظُلُماتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ).

سپس اضافه می کنید: «آنها از ترس مرگ انگشتها را در گوش خود می گذارنید تا صدای وحشت انگیز صاعقه ها را نشنوند» (یَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِی آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ). و در پایان آیه می فرماید: «و خداوند به کافران احاطه دارد» و آنها هر کجا بروند در قبضه قدرت او هستند (وَ اللَّهُ مُحِیطٌ بِالْکافِرِینَ).

سورة البقرة (2) : آية 20] ص : 48

اشاره

(آیه ۲۰)- برقها پیدرپی بر صفحه آسمان تاریک جستن میکند: «نور برق آنچنان خیره کننده است که نزدیک است چشمهای آنها را برباید» (یکادُ الْبَرْقُ یَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ).

«هر زمان که برق میزند و صفحه بیابان تاریک، روشن میشود، چند گامی در پرتو آن راه میروند، ولی بلافاصله ظلمت بر آنها مسلط میشود و آنها در جای خود متوقف می گردند» (کُلَّما أُضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِیهِ وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَیْهِمْ قامُوا).

آنها هر لحظه خطر را در برابر خود احساس می کنند، چرا که در دل این بیابان بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۹ نه کوهی به چشم میخورد، و نه درختی تا از خطر رعد و برق و صاعقه جلو گیری کند، هر آن ممکن است هدف صاعقهای قرار گیرند و در یک لحظه خاکستر شوند! حتّی این خطر وجود دارد که غرش رعد، گوش آنها را پاره و نور خیره کننده برق چشمشان را نابینا کند، آری «اگر خدا بخواهد گوش و چشم آنها را از میان می برد چرا که خدا به هر چیزی توانا است» (وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَيْءٍ قَدِیرٌ).

افسوس که به پناهگاه مطمئن ایمان پناه نبردهاند تا از شرّ صاعقههای مرگبار مجازات الهی و جهاد مسلحانه مسلمین نجات یابند.

لزوم شناخت منافقین در هر جامعه: ص: 49

اگر چه شأن نزول این آیات، منافقان عصر پیامبر صلّی اللّه علیه و اله است اما با توجه به اینکه خط نفاق در هر عصر و زمانی، در برابر خط انقلابهای راستین وجود داشته و دارد به منافقان همه اعصار و قرون گسترش مییابد، و ما با چشم خود تمام این نشانه ها را یک به یک و مو به مو در مورد منافقان عصر خویش مییابیم، سرگردانی آنها، وحشت و اضطرابشان و خلاصه بی پناهی و بدبختی و سیه روزی و رسوائی آنها را درست همانند همان مسافری که قرآن به روشنترین وجهی حال او را ترسیم کرده است مشاهده می کنیم.

سورة البقرة (2) : آية 21] ص: 49

(آیه ۲۱)– اینچنین خدائی را بپرستید! بعد از بیان حال سه دسته (پرهیز کاران، کافران و منافقان) این آیه، خط سعادت و نجات

را که پیوستن به گروه اول است مشخص ساخته می گوید: «ای مردم پروردگارتان را پرستش کنید که هم شما و هم پشینیان را آفرید تا پرهیزکار شوید» (یا أَیُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّکُمُ الَّذِی خَلَقَکُمْ وَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ).

خطاب «یا أُیُّهَا النَّاسُ» (ای مردم) که در قرآن حدود بیست بار تکرار شده و یک خطاب جامع و عمومی است نشان می دهد که قرآن مخصوص نژاد و قبیله و طایفه و قشر خاصی نیست، بلکه همگان را در این دعوت عام شرکت می دهد، همه را دعوت به پرستش خدای یگانه، و مبارزه با هر گونه شرک و انحراف از خط توحید می کند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۰

سورة البقرة (٢): آية ٢٢] ص: ٥٠

اشاره

(آیه ۲۲)- نعمت زمین و آسمان: در این آیه به قسمت دیگری از نعمتهای بزرگ خدا که می تواند انگیزه شکر گزاری باشد اشاره کرده، نخست از آفرینش زمین سخن می گوید: «همان خدائی که زمین را بستر استراحت شما قرار داد» (الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ فِراشاً).

این مرکب راهواری که شما را بر پشت خود سوار کرده و با سرعت سرسام آوری در این فضا به حرکات مختلف خود ادامه می دهد، بی آنکه کمترین لرزشی بر وجود شما وارد کند، یکی از نعمتهای بزرگ او است. نیروی جاذبهاش که به شما اجازه حرکت و استراحت و ساختن خانه و لانه و تهیه باغها و زراعتها و انواع وسائل زندگی می دهد، نعمت دیگری است، هیچ فکر کرده اید که اگر جاذبه زمین نبود در یک چشم بر هم زدن همه ما و وسائل زندگیمان بر اثر حرکت دورانی زمین به فضا پرتاپ و در فضا سرگردان می شد! سپس به نعمت آسمان می پردازد و می گوید:

«آسمان را همچون سقفي بر بالاي سر شما قرار داد» (وَ السَّماءَ بِناءً).

کلمه «سماء» که در این آیه به آن اشاره شده است همان جوّ زمین است، یعنی قشر هوای متراکمی که دور تا دور کره زمین را پوشانده، و طبق نظریه دانشمندان ضخامت آن، چند صد کیلومتر است. اگر این قشر مخصوص هوا که همچون سقفی بلورین، اطراف ما را احاطه کرده نبود، زمین دائما در معرض رگبار سنگهای پراکنده آسمانی بود و عملا آرامش از مردم جهان سلب می شد.

بعـد از آن به نعمت بـاران پرداخته می گویـد: «و از آسـمان آبی نـازل کرد» (وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً). امّا چه آبی؟ حیاتبخش، و زندگی آفرین، و مایه همه آبادیها و شالوده همه نعمتهای مادی.

قرآن سپس به انواع میوههائی که از برکت باران و روزیهائی که نصیب انسانها میشود اشاره کرده چنین میگوید: «خداوند به وسیله باران، میوههائی را به عنوان روزی شما از زمین خارج ساخت» (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَکُمْ).

این برنامه الهی از یکسو، رحمت وسیع و گسترده خدا را بر همه بندگان مشخص می کند و از سوی دیگر بیانگر قدرت او است که چگونه از آب بیرنگ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۱

صد هزاران رنگ از میوه ها و دانه های غذائی با خواص متفاوت برای انسانها، و همچنین جانداران دیگر آفریده، یکی از زنده ترین دلائل وجود او است لذا بلافاصله اضافه می کند: «اکنون که چنین است برای خدا شریکهائی قرار ندهید در حالی که

مي دانيد» (فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

«أنداد» جمع «ند» به معنی چیزی است که از نظر گوهر و ذات شریک و شبیه چیز دیگری باشد.

بت پرستی در شکلهای مختلف ص: ۵۱

- بطور کلی هر چه را در ردیف خدا در زندگی مؤثر دانستن یک نوع شرک است، ابن عباس مفسر معروف در اینجا تعبیر جالبی دارد می گوید: «أنداد، همان شرک است که گاهی پنهان تر است از حرکت مورچه بر سنگ سیاه در شب تاریک، از جمله اینکه انسان بگوید: به خدا سو گند، به جان تو سو گند، به جان خودم سو گند ... (یعنی خدا و جان دوستش را در یک ردیف قرار بدهد) و بگوید این سگ اگر دیشب نبود دزدان آمده بودند! (پس نجات دهنده ما از دزدان این سگ است) یا به دوستش بگوید: هر چه خدا بخواهد و تو بخواهی، همه اینها بوئی از شرک می دهد».

در تعبیرات عامیانه روزمره نیز بسیار می گویند: «اول خدا، دوم تو»! باید قبول کرد که این گونه تعبیرات نیز مناسب یک انسان موحد کامل نیست.

سورة البقرة (2) : آية 23] ص : 51

(آیه ۲۳) - قرآن معجزه جاویدان: از آنجا که نفاق و کفر گاهی از عدم درک محتوای نبوت و اعجاز پیامبر صلّی الله علیه و اله سر چشمه می گیرد، در اینجا انگشت روی معجزه جاویدان «قرآن» می گذارد می گوید: «اگر در باره آنچه بر بنده خود نازل کردهایم، شک و تردید دارید لا اقل سورهای همانند آن بیاورید» (وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمًّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ).

و به این ترتیب قرآن همه منکران را دعوت به مبارزه با قرآن و همانند یک سوره مانند آن می کند تا عجز آنها دلیلی باشد، روشن بر اصالت این وحی آسمانی در رسالت الهی آورنده آن، سپس می گوید: تنها خودتان به این کار قیام نکنید بلکه «تمام گواهان خود را جز خدا دعوت کنید (تا شما را در این کار یاری کنند) اگر در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۲ ادّعای خود صادقید که این قرآن از طرف خدا نیست» (وَ ادْعُوا شُهَداءَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

کلمه «شُهَداء» در اینجا اشاره به گواهانی است که آنها را در نفی رسالت پیامبر صلّی اللّه علیه و اله کمک می کردند، و جمله «مِنْ دُونِ اللّهِ» اشاره به این است که حتی اگر همه انسانها جز «اللّهِ» دست به دست هم بدهند، برای اینکه یک سوره همانند سوره های قرآن بیاورند قادر نخواهند بود.

سورة البقرة (2) : آية 24] ص : 22

اشاره

(آیه ۲۴)- در این آیه، می گوید: «اگر شما این کار را انجام ندادید- و هر گز انجام نخواهید داد- از آتشی بترسید که هیزم آن بدنهای مردم بی ایمان و همچنین سنگها است»! (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِی وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ). «آتشی که هم اكنون براى كافران آماده شده است» و جنبه نسيه ندارد! (أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ).

«وَقُودُ» به معنی «آتشگیره» است یعنی ماده قابل اشتعال مانند هیزم. و در اینکه منظور از «انْحِجارَهٔ» چیست؟ آنچه با ظاهر آیات فوق، سازگار تر به نظر می رسد این است که آتش دوزخ از درون خود انسانها، و سنگها، شعلهور می شود، و با توجه به این حقیقت که امروز ثابت شده همه اجسام جهان در درون خود، آتشی عظیم نهفته دارند، درک این معنی مشکل نیست. در آیه ۶ و ۷ سوره همزه می خوانیم: «آتش سوزان پروردگار، که از درون دلها سر چشمه می گیرد و بر قلبها سایه می افکند، و از درون به برون سرایت می کند» (به عکس آتشهای این جهان که از بیرون به درون می رسد)

چرا پیامبران به معجزه نیاز دارند؟ ص: ۵۲

همانطور که از لفظ «معجزه» پیداست، باید پیامبر قدرت بر انجام اعمال خارق العادهای داشته باشد که دیگران از انجام آن «عاجز» باشند. پیامبری که دارای معجزه است لازم است مردم را به «مقابله به مثل» دعوت کند، او باید علامت و نشانه درستی گفتار خود را معجزه خویش معرفی نماید تا اگر دیگران می توانند همانند آن را بیاورند، و این کار را در اصطلاح «تحدی» گویند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۳

قرآن معجزه جاوداني پيامبر اسلام صلّي اللّه عليه و اله..... ص: 33

از میان معجزات و خارق عاداتی که از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله صادر شده قرآن برترین سند زنده حقانیت او است. علت آن این است که قرآن معجزهای است «گویا»، «جاودانی»، «جهانی» و «روحانی» پیامبران پیشین می بایست همراه معجزه خود باشند در حقیقت معجزات آنها خود زبان نداشت و گفتار پیامبران، آن را تکمیل می کرد ولی قرآن یک معجزه گویاست، نیازی به معرفی ندارد خودش به سوی خود دعوت می کند، مخالفانی را به مبارزه می خواند محکوم می سازد، و از میدان مبارزه، پیروز بیرون می آید لذا پس از گذشت قرنها از وفات پیامبر صلّی الله علیه و اله همانند زمان حیات او، به دعوت خود ادامه می دهد، هم دین است و هم معجزه، هم قانون است و هم سند قانون.

جاودانی و جهانی بودن: ص : 33

قرآن مرز «زمان و مکان» را در هم شکسته و همچنان به همان قیافهای که ۱۴۰۰ سال قبل در محیط تاریک حجاز تجلّی کرد، امروز بر ما تجلّی می کند، پیداست هر چه رنگ زمان و مکان به خود نگیرد تا ابد و در سراسر جهان پیش خواهد رفت، بدیهی است که یک دین جهانی و جاودانی باید یک سند حقانیت جهانی و جاودانی هم در اختیار داشته باشد اما «روحانی بودن قرآن» امور خارق العادهای که از پیامبران پیشین به عنوان گواه صدق گفتار آنها دیده شده معمولا جنبه جسمانی داشته زنده کردن مردگان، سخن گفتن کودک نوزاد در گاهواره، و ... همه جنبه جسمی دارند و چشم و گوش انسان را تسخیر می کنند، ولی الفاظ قرآن که از همین حروف الفبا و کلمات معمولی ترکیب یافته در اعمال دل و جان انسان نفوذ می کند،

افکار و عقول را در برابر خود وادار به تعظیم مینماید معجزهای که تنها با مغزها و اندیشهها و ارواح انسانها سر و کار دارد، برتری چنین معجزهای بر معجزات جسمانی احتیاج به توضیح ندارد.

سورة البقرة (2) : آية 25] ص : 23

اشاره

(آیه ۲۵) - ویژگی نعمتهای بهشتی! از آنجا که در آیه قبل، کافران و منکران قرآن به عذاب دردناکی تهدید شدند، در این آیه سرنوشت مؤمنان را بیان می کند نخست می گوید: «به آنها که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادهاند بشارت ده که برای آنها باغهائی از بهشت است که نهرها از زیر درختانش جریان دارد» (وَ بَشِّرِ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۴ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ)

. می دانیم باغهائی که آب دائم ندارند و باید گاهگاه از خارج، آب برای آنها بیاورند، طراوت زیادی نخواهند داشت، طراوت از آن باغی است که همیشه آب در اختیار دارد، آبهائی که متعلق به خود آن است و هر گز قطع نمی شود، خشکسالی و کمبود آب آن را تهدید نمی کند و چنین است باغهای بهشت، سپس ضمن اشاره به میوه های گوناگون این باغها می گوید: «هر زمان از این باغها میوهای گوناگون این باغها می گوید: «هر زمان از این باغها میوهای به آنها داده می شود می گویند: این همان است که از قبل به ما داده شده است» (کُلَما رُزِقُوا مِنْها مِنْ تَمَرَهُ رُزِقنا مِنْ قَبَلُ). سپس اضافه می کند: «و میوه هائی برای آنها می آورند که با یکدیگر شبیهند» (و اُتُوا بِه مُتشابِهاً). یعنی همه از نظر خوبی و زیبائی همانندند، آنچنان در درجه اعلا قرار دارند که نمی شود یکی را بر دیگری ترجیح داد، یک از یک خوشبوتر، یک از یک شیرینتر و یک از یک جالبتر و زیباتر! و بالاخره آخرین نعمت بهشتی که در این آیه به آن اشاره شده همسران پاک و پاکیزه است می فرماید: «برای آنها در بهشت همسران مطهر و پاکی است» (وَ لَهُمْ فِیها أَزُواجُ مُطَهّرَهٌ). پاک از همه آلود گیهایی که در این جهان ممکن است داشته باشند، پاک از نظر روح و قلب و پاک از نظر جسم و تن. و در پایان آیه می فرماید: «مؤمنان جاودانه در آن باغهای بهشت خواهند بود» (وَ هُمْ فِیها خالِدُونَ).

همسران پاک: ص: ۵۴

جالب اینکه تنها وصفی که برای همسران بهشتی در این آیه بیان شده وصف «مُطَهَّرَهٌ» (پاک و پاکیزه) است و این اشارهای است به اینکه: اولین و مهمترین شرط همسر، پاکی و پاکیزگی است، و غیر از آن همه تحت الشعاع آن قرار دارد، حدیث معروفی که از پیامبر صلّی الله علیه و اله نقل شده نیز این حقیقت را روشن می کند آنجا که می فرماید: «از گیاهان سر سبزی که بر مزبله ها می روید بپر هیزید! عرض کردند: ای پیامبر! منظور شما از این گیاهان چیست؟ فرمود: زن زیبائی است که در خانواده آلوده ای پرورش یافته».

نعمتهای مادی و معنوی در بهشت-.... ص: ۵۴

گر چه در بسیاری از آیات قرآن، سخن از نعمتهای مادی بهشت است ولی در کنار این نعمتها اشاره به نعمتهای بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۵

معنوی مهمتری نیز شده است، مثلا در آیه ۷۲ سوره توبه میخوانیم: «خداوند به مردان و زنان با ایمان، باغهائی از بهشت وعده داده که از زیر درختانش نهرها جاری است، جاودانه در آن خواهند بود، و مسکنهای پاکیزه در این بهشت جاودان دارند، همچنین خشنودی پروردگار که از همه اینها بالاتر است و این است رستگاری بزرگ»

سورة البقرة (٢) : آية ٢٦] ص : ٥٥

اشاره

آیه ۲۶- شأن نزول: هنگامی که در آیات قرآن، مثلهائی به «الذَّبابُ» (مگس) و «عنکبوت» نازل گردید، جمعی از مشرکان این موضوع را بهانه قرار داده زبان به انتقاد گشودند و مسخره کردند که این چگونه وحی آسمانی است که سخن از «عنکبوت» و «مگس» می گوید؟ آیه نازل شد و با تعبیراتی زنده به آنها جواب داد.

تفسير: ص: ۵۵

اشاره

آیا خدا هم مثال میزند؟! نخست می گوید: «خداوند از اینکه به موجودات ظاهرا کوچکی مانند پشه و یا بالاتر از آن مثال بزند هر گزشرم نمی کند» (إِنَّ اللَّهَ لا یَسْتَحْیِی أَنْ یَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَها). مثال وسیلهای است برای تجسم حقیقت، گاهی که گوینده در مقام تحقیر و بیان ضعف مدعیان است بلاغت سخن ایجاب می کند که برای نشان دادن ضعف آنها، موجود ضعیفی را برای مثال انتخاب کند. مثلا در آیه ۷۳ سوره حجّ میخوانیم: «آنها که مورد پرستش شما هستند هر گزنمی توانند «مگسی» بیافرینند اگر چه دست به دست هم بدهند، حتی اگر مگس چیزی از آنها برباید آنها قدرت پس گرفتن آن را ندارند، هم طلب کننده ضعیف است و هم طلب شونده».

در اینکه منظور از «فَما فَوْقَها» (پشه یا بالاتر از آن) چیست؟ مفسران دو گونه تفسیر کردهاند: گروهی گفتهاند «بالاتر از آن در کوچکی» است، زیرا مقام، مقام بیان کوچکی مثال است، و برتری نیز از این نظر میباشد، این درست به آن میماند که گاه به کسی بگوئیم تو چرا برای یک تومان اینهمه زحمت می کشی شرم نمی کنی؟

او می گوید شرمی ندارد من برای بالاتر از آن هم زحمت می کشم حتی برای یک ریال! بعضی دیگر گفتهاند: مراد «بالاتر از نظر بزرگی» است، یعنی خداوند هم مثالهای کوچک را مطرح می کند و هم مثالهای بزرگ را-ولی تفسیر اول مناسبتر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۶

بنظر میرسد- سپس در دنبال این سخن میفرماید: «امّا کسانی که ایمان آوردهاند میدانند که آن مطلب حقی است از سوی پروردگارشان» (فَأُمَّا الَّذِینَ آمَنُوا فَیَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ). آنها در پرتو ایمان و تقوا از لجاجت و عناد و کینه توزی با حق دورند. «ولی آنها که کافرند می گویند: خدا چه منظوری از این مثال داشته که مایه تفرقه و اختلاف شده، گروهی را به وسیله

آن هدایت کرده، و گروهی را گمراه»؟! (وَ أَمَّا الَّذِینَ کَفَرُوا فَیَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا یُضِلَّ بِهِ کَثِیراً وَ یَهْدِی بِهِ کَثِیراً). ولی خداوند به آنها پاسخ می گوید که «تنها فاسقان و گنهکارانی را که دشمن حقند به وسیله آن گمراه میسازد». (وَ ما یُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِةِ قِینَ). منظور از «الْفاسِةِ قِینَ» کسانی هستند که از راه و رسم عبودیت و بندگی پا بیرون نهاده اند زیرا «فسق» از نظر لغت به معنی خارج شدن هسته از درون خرما است سپس در این معنی توسعه داده شده و به کسانی که از جاده بندگی خداوند بیرون می روند اطلاق شده است.

هدایت و اضلال الهی ص: ۵۶

- هدایت و ضلالت در قرآن به معنی اجبار بر انتخاب راه درست یا غلط نیست، بلکه به شهادت آیات متعددی از خود قرآن «هدایت» به معنی فراهم آوردن وسائل سعادت و «اضلال» به معنی از بین بردن زمینه های مساعد است، بدون اینکه جنبه اجباری به خود بگیرد.

سورة البقرة (2) : آية 27] ص : 28

اشاره

(آیه ۲۷) – زیانکاران واقعی! از آنجا که در آیه قبل، سخن از اضلال فاسقان بود در این آیه با ذکر سه صفت فاسقان را معرفی می کند: ۱ – «فاسقان کسانی هستند که پیمان خدا را پس از آنکه محکم ساختند می شکنند» (الَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِیثاقِهِ). انسانها در واقع پیمانهای مختلفی با خدا بسته اند، پیمان توحید و خداشناسی، پیمان عدم تبعیت از شیطان و هوای نفس، فاسقان همه این پیمانها را شکسته، و از خواسته های دل و شیطان پیروی می کنند.

این پیمان کجا و چگونه بسته شد؟ ص: ۵۶

در واقع خداوند هر موهبتی به انسان ارزانی می دارد، همراه آن عملا پیمانی با زبان آفرینش از او می گیرد، به او چشم می دهد، یعنی با این چشم حقایق را ببین، گوش می دهد یعنی صدای حق را بشنو ... بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۷ و به این ترتیب هر گاه انسان از آنچه در درون فطرت او است بهره نگیرد و یا از نیروهای خداداد در مسیر خطا استفاده کند، پیمان خدا را شکسته است. آری فاسقان، همه یا قسمتی از این پیمانهای فطری الهی را زیر پا می گذارند.

۲-سپس به دومین نشانه آنها اشاره کرده می گوید: «آنها پیوندهائی را که خدا دستور داده برقرار سازند قطع می کنند» (وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ). این پیوندها شامل پیوند خویشاوندی، پیوند دوستی، پیوندهای اجتماعی، پیوند و ارتباط با رهبران الهی و پیوند و رابطه با خداست.

۳- نشانه دیگر فاسقان، فساد در روی زمین است می فرماید: «آنها فساد در زمین می کنند» (وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ). و در پایان آیه می گوید: «آنها همان زیانکارانند» (أُولئِکَ هُمُ الْخاسِ رُونَ). چه زیانی از این برتر که انسان همه سرمایه های مادی و معنوی خود را در طریق فنا و نیستی و بدبختی و سیه روزی خود به کار برد؟

اهمیت صله رحم در اسلام ص: ۵۷

- گر چه آیه فوق از احترام به همه پیوندهای الهی سخن می گفت، ولی پیوند خویشاوندی یک مصداق روشن آن است. اسلام نسبت به صله رحم و کمک و حمایت و محبت نسبت به خویشاوندان اهمیت فوق العاده ای قائل شده است و قطع رحم و بریدن رابطه از خویشاوندان و بستگان را شدیدا نهی کرده است، زشتی و گناه قطع رحم به حدی است که امام سجّاد علیه السّد الام به فرزند خود نصیحت می کند که از مصاحبت با پنج طایفه بپرهیزد، یکی از آن پنج گروه کسانی هستند که قطع رحم کرده که قرآن او را ملعون و دور از رحمت خدا شمرده است».

سورة البقرة (٢): آية ٢٨] ص: ٥٧

اشاره

(آیه ۲۸)

نعمت اسرار آميز حيات! ص: ۵۷

قرآن دلائلی را که در گذشته (آیه ۲۱ و ۲۲ همین سوره) در زمینه شناخت خدا ذکر کرده بود تکمیل می کند و در اینجا برای اثبات وجود خدا از نقطهای شروع کرده که برای احدی جای انکار باقی نمی گذارد و آن مسأله پیچیده حیات و زندگی است. نخست می گوید: «چگونه خدا را انکار می کنید در حالی که اجسام بی روحی بودید و او شما را زنده کرد و لباس برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۸

حيات بر تنتان پوشانيد» (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ).

قرآن به همه ما یادآوری می کند که قبل از این شما مانند سنگها و چوبها و موجودات بی جان مرده بودید، و نسیم حیات اصلا در کوی شما نوزیده بود. ولی اکنون دارای نعمت حیات و هستی می باشید، اعضاء و دستگاههای مختلف، حواس و ادراک به شما داده شده، و این مسأله آنقدر اسرار آمیز است که افکار میلیونها دانشمند و کوششهایشان تاکنون از درک آن عاجز مانده! آیا هیچ کس می تواند چنین امر فوق العاده دقیق و ظریف را که نیازمند به یک علم و قدرت فوق العاده است به طبیعت بی شعور که خود فاقد حیات بوده است نسبت دهد! اینجاست که می گوئیم پدیده حیات در جهان طبیعت بزرگترین سند اثبات وجود خدا است، پس از یادآوری این نعمت، دلیل آشکار دیگری را یادآور می شود و آن مسأله «مرگ» است می گوید: «سپس خداوند شما را می میراند» (ثُمَّ یُمِیتُکُمْ).

آری آفریننده حیات همان آفریننده مرگ است، چنانکه در آیه ۲ سوره ملک میخوانیم: «او خدائی است که حیات و مرگ را آفریده که شما را در میدان حسن عمل بیازماید».

قرآن پس از ذکر این دو دلیل روشن بر وجود خدا به ذکر مسأله معاد و زنده شدن پس از مرگ پرداخته، می گوید: «سپس بار دیگر شما را زنده می کند» (ثُمَّ یُحْیِیکُمْ). البته این زندگی پس از مرگ به هیچ وجه جای تعجب نیست، و با توجه به دلیل اول یعنی اعطای حیات به موجود بی جان، پذیرفتن اعطای حیات پس از متلاشی شدن بدن، نه تنها کار مشکلی نیست بلکه از نخستین بار آسانتر است (هر چند آسان و مشکل برای وجودی که قدرتش بی انتهاست مفهومی ندارد!). و در پایان آیه می گوید: «سپس به سوی او بازگشت می کنید» (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ). مقصود از رجوع به سوی پروردگار بازگشت به سوی نعمتهای خداوند می باشد، یعنی در قیامت و روز رستاخیز به نعمتهای خداوند بازگشت می کنید.

سورة البقرة (2) : آية 29] ص : 58

اشاره

آیه ۲۹)- پس از ذکر نعمت حیات و اشاره به مسأله مبدء و معاد، به یکی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۹ دیگر از نعمتهای گسترده خداوند اشاره کرده می گوید: «او خدائی است که آنچه روی زمین است برای شما آفریده» (هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً).

و به این ترتیب ارزش وجودی انسانها و سروری آنان را نسبت به همه موجودات زمینی مشخص می کند، آری او عالیترین موجود در این صحنه پهناور است و از تمامی آنها ارزشمندتر.

تنها این آیه نیست که مقام والای انسان را یادآور می شود بلکه در قرآن آیات فراوانی می یابیم که انسان را هدف نهائی آفرینش کل موجودات جهان معرفی می کند «۱».

بار دیگر به دلائل توحید بازگشته می گوید: «سپس خداوند به آسمان پرداخت و آنها را به صورت هفت آسمان مرتب نمود، و او به هر چیز آگاه است» (ثُمَّ اسْیَتوی إِلَی السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَیْبَعَ سَیماواتٍ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ) جمله «اسْتَوی» از ماده «استواء» در لغت به معنی تسلّط و احاطه کامل و قدرت بر خلقت و تدبیر است.

آسمانهای هفت گانه-.... ص: ۵۹

در اینکه مقصود از آسمانهای هفتگانه چیست؟

آنچه صحیحتر به نظر می رسد، این است که مقصود همان معنی واقعی آسمانهای هفتگانه است و از آیات قرآن چنین استفاده می شود که تمام کرات و ثوابت و سیاراتی را که ما می بینیم همه جزء آسمان اول است، و شش عالم دیگر وجود دارد که از دسترس دید ما و ابزارهای علمی امروز ما بیرون است و مجموعا هفت عالم را به عنوان هفت آسمان تشکیل می دهند شاهد این سخن اینکه، قرآن می گوید: «ما آسمان پائین را با چراغهای ستارگان زینت دادیم». (فصلت: ۱۲).

امّ ا اینکه گفتیم شش آسمان دیگر برای ما مجهول است و ممکن است علوم از روی آن در آینده پرده بردارد، به این دلیل است که علوم ناقص بشر به هر نسبت که پیش میرود از عجائب آفرینش تازههائی را به دست می آورد.

سورة البقرة (2) : آية 20] ص : 29

(آیه ۳۰) - انسان نماینده خدا در زمین! در آیات گذشته خواندیم که

(۱) برای توضیح بیشتر رجوع کنید به «تفسیر نمونه» جلد دهم صفحه ۱۲۰ و ۳۴۹.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۰

خدا همه مواهب زمین را برای انسان آفریده است و در این سلسله آیات که از آیه ۳۰ شروع و به آیه ۳۹ پایان می یابد سه مطلب اساسی مطرح شده است:

۱- خبر دادن پروردگار به فرشتگان راجع به خلافت و سرپرستی انسان در زمین.

۲- دستور خضوع و تعظیم فرشتگان در برابر نخستین انسان.

۳- تشریح وضع آدم و زندگی او در بهشت و حوادثی که منجر به خروج او از بهشت گردید و سپس توبه آدم، و زندگی او و فرزندانش در زمین.

این آیه از نخستین مرحله سخن می گوید، خواست خداوند چنین بود که در روی زمین موجودی بیافریند که نماینده او باشد، صفاتش پرتوی از صفات پروردگار، و مقام و شخصیتش برتر از فرشتگان.

لـذا نخست میگوید: «بخاطر بیاور هنگامی را که پروردگارت به فرشـتگان گفت من در روی زمین جانشـینی قرار خواهم داد» (وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَةِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْض خَلِیفَةً).

«خلیفه» به معنی جانشین است، - همانگونه که بسیاری از محققان پذیرفته اند - منظور خلافت الهی و نمایندگی خدا در زمین است، زیرا سؤالی که بعد از این فرشتگان می کنند و می گویند نسل آدم ممکن است مبدء فساد و خونریزی شود و ما تسبیح و تقدیس تو می کنیم متناسب همین معنی است، چرا که نمایندگی خدا در زمین با این کارها سازگار نیست.

به هر حال خدا میخواست موجودی بیافریند که گل سرسبد عالم هستی باشد و شایسته، مقام خلافت الهی و نماینده «اللّه» در زمین گردد.

سپس در این آیه اضافه می کند: فرشتگان به عنوان سؤال برای درک حقیقت و نه به عنوان اعتراض «عرض کردند: آیا در زمین کسی را قرار میدهی که فساد کند و خونها بریزد»؟! (قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ).

«در حالی که ما تو را عبادت میکنیم تسبیح و حمدت بجا می آوریم و تو را از آنچه شایسته ذات پاکت نیست پاک می شمریم» (وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۱

ولى خداوند در اينجا پاسخ سر بسته به آنها داد كه توضيحش در مراحل بعد آشكار گرديد «فرمود: من چيزهائي ميدانم كه شما نميدانيد»! (قالَ إنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ).

آنها فکر می کردند اگر هدف عبودیت و بندگی است که ما مصداق کامل آن هستیم، همواره غرق در عبادتیم و از همه کس سزاوارتر به خلافت! بی خبر از این که عبادت آنها با توجه به این که شهوت و غضب و خواستهای گوناگون در وجودشان راه ندارد با عبادت و بندگی این انسان که امیال و شهوات او را احاطه کرده و شیطان از هر سو او را وسوسه می کند تفاوت فراوانی دارد، اطاعت و فرمانبرداری این موجود طوفان زده کجا، و عبادت آن ساحل نشینان آرام و سبکبار کجا؟! آنها چه می دانستند که از نسل این آدم پیامبرانی همچون محمد و ابراهیم و نوح و موسی و عیسی و امامانی همچون ائمه اهل بیت علیهم السّیلام و بندگان صالح و شهیدان جانباز و مردان و زنانی که همه هستی خود را عاشقانه در راه خدا می دهند قدم به عرصه وجود خواهند گذاشت، افرادی که گاه فقط یک ساعت تفکر آنها برابر با سالها عبادت فرشتگان است!

سورة البقرة (2) : آية 31] ص : 91

اشاره

(آیه ۳۱)

فرشتگان در بوته آزمایش! ص: ۶۱

آدم به لطف پروردگار دارای استعداد فوق العادهای برای درک حقایق هستی بود. خداوند این استعداد او را به فعلیت رسانید و به گفته قرآن «به آدم همه اسماء (حقایق و اسرار عالم هستی) را تعلیم داد» (وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها).

البته این آگاهی از علوم مربوط به جهان آفرینش و اسرار و خواص مختلف موجودات عالم هستی، افتخار بزرگی برای آدم بود.

در حدیثی داریم که از امام صادق علیه السّلام پیرامون این آیه سؤال کردند، فرمود:

«منظور زمینها، کوهها، درّهها و بستر رودخانهها (و خلاصه تمامی موجودات) میباشد، سپس امام علیه السّلام به فرشی که زیر پایش گسترده بود نظری افکند فرمود: حتی این فرش هم از اموری بوده که خدا به آدم تعلیم داد»! همچنین استعداد نام گذاری اشیاء را به او ارزانی داشت تا بتواند اشیاء را برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۲

نام گذاری کند و در مورد احتیاج با ذکر نام آنها را بخواند و این خود نعمتی است بزرگ! «سپس خداوند به فرشتگان فرمود: اگر راست می گوئید اسماء اشیاء و موجوداتی را که مشاهده می کنید و اسرار و چگونگی آنها را شرح دهید» (ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَی الْمَلائِکَةِ فَقَالَ أَنْبِتُونِی بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ کُنتُمْ صادِقِینَ).

سورة البقرة (2) : آية 32] ص: 22

(آیه ۳۲) – ولی فرشتگان که دارای چنان احاطه علمی نبودند در برابر این آزمایش فرو ماندند لذا در پاسخ «گفتند: خداوندا! منزهی تو، جز آنچه به ما تعلیم داده ای چیزی نمی دانیم»! (قالُوا سُبْحانَکَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا). «تو خود عالم و حکیمی» (إِنَّکَ أَنْتَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ).

سورة البقرة (2) : آية 33] ص: 27

(آیه ۳۳) - در اینجا نوبت به آدم رسید که در حضور فرشتگان اسماء موجودات و اسرار آنها را شرح دهد. «خداوند فرمود: ای آدم فرشتگان را از اسماء و اسرار این موجودات با خبر کن»! (قالَ یا آدَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمائِهِمْ).

«هنگامی که آدم آنها را از این اسماء آگاه ساخت خداونـد فرمود: به شـما نگفتم که من از غیب آسـمانها و زمین آگاهم، و آنچه را که شما آشکار یا پنهان میکنید میدانم» (فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ). در اینجا فرشتگان در برابر معلومات وسیع و دانش فراوان این انسان سر تسلیم فرود آوردند، و بر آنها آشکار شد که لایق خلافت زمین تنها او است!.

سورة البقرة (2) : آية 34] ص: 27

اشاره

(آیه ۳۴)- آدم در بهشت- قرآن در تعقیب بحثهای گذشته پیرامون مقام و عظمت انسان به فصل دیگری از این بحث پرداخته، نخست چنین می گوید:

«بخاطر بیاوریـد هنگامی را که به فرشتگان گفتیم برای آدم سـجده و خضوع کنیـد» (وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَ فِه اسْ جُدُوا لِآدَمَ). «آنها همگی سجده کردند جز ابلیس که سر باز زد و تکبر ورزید» (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِیسَ أَبی وَ اسْتَكْبَرَ).

آرى او استكبار كرد «و بخاطر همين استكبار و نافرماني از كافران شد» (وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ).

به راستی کسی که لایق مقام خلافت الهی و نمایندگی او در زمین است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۳

شایسته هر نوع احترامی است. ما در برابر انسانی که چند فرمول علمی را میداند چه اندازه کرنش میکنیم پس چگونه است حال نخستین انسان با آن معلومات سرشار از جهان هستی!

1- چرا ابلیس مخالفت کرد؟ ص: 63

میدانیم «شیطان» اسم جنس است شامل نخستین شیطان و همه شیطانها می شود ولی «ابلیس» اسم خاص است و اشاره به همان شیطانی است که اغواگر آدم شد، او طبق صریح آیات قرآن از جنس فرشتگان نبود، بلکه در صف آنها قرار داشت او از طایفه جنّ بود که مخلوق مادی است.

انگیزه او در این مخالفت کبر و غرور و تعصب خاصی بود که بر فکر او چیره شد، او چنین می پنـداشت که از آدم برتر است «۱» و علت کفر او نیز همین بود که فرمان حکیمانه پروردگار را نادرست شمرد.

نه تنها عملا عصیان کرد از نظر اعتقاد نیز معترض بود، و به این ترتیب خودبینی و خودخواهی، محصول یک عمر ایمان و عبادت او را بر باد داد، و آتش به خرمن هستی او افکند، و کبر و غرور از این آثار بسیار دارد!

۲- آیا سجده برای خدا بود یا آدم؟ ص: ۶۳

شک نیست که «سجده» به معنی «پرستش» برای خداست، و معنی توحید عبادت همین است که غیر از خدا را پرستش نکنیم. بنابراین جای تردید نخواهد بود که فرشتگان برای آدم «سجده پرستش» نکردند، بلکه سجده برای خدا بود ولی بخاطر آفرینش چنین موجود شگرفی، و یا اینکه سجده برای آدم کردند اما سجده به معنی «خضوع» نه پرستش. در حدیثی از امام «علی بن موسی الرضا» علیه السّ لام می خوانیم: «سجده فرشتگان پرستش خداوند از یک سو، و اکرام و احترام آدم از سوی

دیگر بود، چرا که ما در صلب آدم بودیم»!

سورة البقرة (2) : آية 35] ص : 62

(آیه ۳۵)- به هر حال بعد از این ماجرا و ماجرای آزمایش فرشتگان به آدم دستور داده شد او و همسرش در بهشت سکنی گزیند، چنانکه قرآن می گوید:

«به آدم گفتیم تو و همسرت در بهشت ساکن شوید و هر چه میخواهید از نعمتهای

(۱) برای شرح بیشتر از معنی رجوع کنید به «تفسیر نمونه» ذیل آیه ۱۲ سوره اعراف.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۴

آن گوارا بخوريد»! (وَ قُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما).

«ولى به اين درخت مخصوص نزديك نشويد كه از ظالمان خواهيد شد» (وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ).

از آیات قرآن استفاده می شود که آدم برای زندگی در روی زمین، همین زمین معمولی آفریده شده بود، ولی در آغاز خداوند او را ساکن بهشت که یکی از باغهای سرسبز پر نعمت این جهان بود ساخت.

شاید علت این جریان آن بوده که آدم با زندگی کردن روی زمین هیچ گونه آشنائی نداشت، و تحمل زحمتهای آن بدون مقدمه برای او مشکل بود، و از چگونگی کردار و رفتار در زمین باید اطلاعات بیشتری پیدا کند او در این محیط می بایست تا حدی پخته شود و بداند زندگی روی زمین توأم با برنامه ها و تکالیف و مسئولیتها است که انجام صحیح آنها باعث سعادت و تکامل و بقای نعمت است، و سر باز زدن از آن سبب رنج و ناراحتی، آری این خود یک سلسله تعلیمات لازم بود که می بایست فرا گیرد، و با داشتن این آمادگی به روی زمین قدم بگذارد.

سورة البقرة (2) : آية 36] ص: 64

اشاره

(آیه ۳۶) - در اینجا «آدم» خود را در برابر فرمان الهی در باره خودداری از درخت ممنوع دید، ولی شیطان اغواگر که سوگند یاد کرده بود که دست از گمراه کردن آدم و فرزندانش برندارد به وسوسه گری مشغول شد، چنانکه قرآن می گوید: «سر انجام شیطان آن دو را به لغزش واداشت و از آنچه در آن بودند (بهشت) بیرون کرد» (فَأَزَلَّهُمَا الشَّیْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمَّا کانا فِیهِ).

آری از بهشتی که کانون آرامش و آسایش و دور از درد و رنج بود بر اثر فریب شیطان اخراج شدند.

و چنانکه قرآن می گوید: «ما به آنها دستور دادیم که به زمین فرود آئید در حالی که دشمن یکدیگر خواهید بود» آدم و حوّا از یکسو و شیطان از سوی دیگر (وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُ کُمْ لِبَعْضِ عَدُوِّ). منظور از هبوط و نزول آدم به زمین نزول مقامی است نه مکانی یعنی از مقام ارجمند خود و از آن بهشت سرسبز پائین آمد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۵ «و برای شما تا مدت معینی در زمین قرارگاه و وسیله بهرهبرداری است» (وَ لَکُمْ فِی الْأَرْضِ مُسْتَقَرُّ وَ مَتاعٌ إِلی حِین).

اینجا بود که آدم متوجه شد راستی به خویشتن ستم کرده و از محیط آرام و پرنعمت بهشت بخاطر تسلیم شدن در برابر وسوسههای شیطان بیرون رانده شده، درست است که آدم پیامبر بود و معصوم از گناه ولی، هرگاه ترک اولی از پیامبر سرزند خداوند نسبت به او سخت می گیرد، همانند گناهی که از افراد عادی سر بزند و این جریمه سنگینی بود که آدم در برابر آن نافرمانی پرداخت.

۱- بهشت آدم کدام بهشت بود؟ ص: ۶۵

در پاسخ این پرسش باید توجه داشت که بهشت موعود نیکان و پاکان نبود. بلکه یکی از باغهای پرنعمت و روحافزای یکی از مناطق سرسبز زمین بوده است.

زیرا: بهشت موعود قیامت، نعمت جاودانی است که در آیات بسیاری از قرآن به این جاودانگی بودنش اشاره شده، و بیرون رفتن از آن ممکن نیست و دوم این که ابلیس آلوده و بی ایمان را در آن بهشت راهی نخواهد بود.

سوم این که در روایاتی که از طرق اهل بیت علیهم السّ لام به ما رسیده این موضوع صریحا آمده است. یکی از راویان حدیث می گوید از امام صادق علیه السّ لام راجع به بهشت آدم پرسیدم امام علیه السّلام در جواب فرمود: «باغی از باغهای دنیا بود که خورشید و ماه بر آن می تابید، و اگر بهشت جاودان بود هر گز آدم از آن بیرون رانده نمی شد».

۲- خدا چرا شیطان را آفرید؟ ص: ۶۵

بسیاری می پرسند شیطان که موجود اغواگری است اصلا چرا آفریده شد و فلسفه وجود او چیست؟ در پاسخ می گوئیم: خداوند شیطان را، شیطان نیافرید، به این دلیل که سالها همنشین فرشتگان و بر فطرت پاک بود، ولی بعد از آزادی خود سوء استفاده کرد و بنای طغیان و سرکشی گذارد.

دوم اینکه: از نظر سازمان آفرینش وجود شیطان برای افراد با ایمان و آنها که میخواهنـد راه حق را بپوینـد زیانبخش نیست. بلکه وسیله پیشرفت و تکامل آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۶

است، چه اینکه پیشرفت و ترقی و تکامل، همواره در میان تضادها صورت می گیرد.

سورة البقرة (2) : آية 37] ص : 66

(آیه ۳۷)- بازگشت آدم به سوی خدا! بعد از ماجرای وسوسه ابلیس و دستور خروج آدم از بهشت، آدم متوجه شد راستی به خویشتن ستم کرده، در اینجا به فکر جبران خطای خویش افتاد و با تمام جان و دل متوجه پروردگار شد، توجهی آمیخته با کوهی از ندامت و حسرت! لطف خدا نیز در این موقع به یاری او شتافت و چنانکه قرآن در این آیه می گوید:

«آدم از پروردگار خود کلماتی دریافت داشت، سخنانی مؤثر و دگرگون کننـده، و بـا آن تـوبه کرد و خـدا نیز تـوبه او را پذیرفت» (فَتَلَقَّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ فَتابَ عَلَیْهِ) «۱».

«چرا كه او توّاب و رحيم است» (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

«توبه» در اصل به معنی «بازگشت» است، و در لسان قرآن به معنی بازگشت از گناه میآیید، زیرا هر گنه کاری در حقیقت از پروردگارش فرار کرده، هنگامی که توبه میکند به سوی او باز میگردد.

خداوند نیز در حالت عصیان بندگان گوئی از آنها روی گردان میشود، هنگامی که خداوند به توبه توصیف میشود، مفهومش این است که نظر لطف و رحمت و محبتش را به آنها باز می گرداند.

سورة البقرة (2) : آية 38] ص: 66

(آیه ۳۸)- با اینکه توبه آدم پذیرفته گردید، ولی اثر وضعی کار او که هبوط به زمین بود تغییر نیافت، و چنانکه قرآن می گوید: «ما به آنها گفتیم: همگی (آدم و حوّا) به زمین فرود آئید، هر گاه از جانب ما هدایتی برای شما آید کسانی که از آن پیروی کنند، نه ترسی دارند و نه اندوهگین خواهند شد» (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِیعاً فَإِمَّا یَأْثِیَنَّکُمْ مِنِّی هُدیً فَمَنْ تَبِعَ هُدایَ فَلا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 39] ص: 66

(آیه ۳۹)– «ولی آنان که کافر شونـد و آیات ما را تکـذیب کننـد برای همیشه در آتش دوزخ خواهند ماند» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا أُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ).

(۱) در این که «کلمات» و سخنانی که خدا برای توبه به آدم تعلیم داد چه سخنانی بوده است به «تفسیر نمونه» جلد اول ذیل همین آیه مراجعه فرمائید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۷

سورة البقرة (2) : آية 40] ص: 67

اشاره

(آیه ۴۰)- یاد نعمتهای خدا! از آنجا که داستان نجات بنی اسرائیل از چنگال فرعونیان و خلافت آنها در زمین، سپس فراموش کردن پیمان الهی و گرفتار شدن آنها در چنگال رنج و بدبختی شباهت زیادی به داستان آدم دارد، خداوند در این آیه روی سخن را به بنی اسرائیل کرده چنین می گوید: «ای بنی اسرائیل! به خاطر بیاورید نعمتهای مرا که به شما بخشیدم، و به عهد من وفا کنید تا من نیز به عهد شما وفا کنم، و تنها از من بترسید» (یا بَنی إِسْرائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِی أُونِ بِعَهْدِکُمْ وَ إِیَّایَ فَارْهَبُونِ) «۱».

در حقیقت این سه دستور اساس تمام برنامههای الهی را تشکیل میدهد.

چرا یهودیان را بنی اسرائیل میگویند؟ ص: 67

«اسرائیل» یکی از نامهای یعقوب، پدر یوسف میباشد، در علت نامگذاری یعقوب به این نام مورخان غیر مسلمان مطالبی گفتهاند که با خرافات آمیخته است.

چنانکه «قاموس کتاب مقدّس» می نویسد: «اسرائیل به معنی کسی است که بر خدا مظفر گشت»! وی اضافه می کند که «این کلمه لقب یعقوب بن اسحاق است که در هنگام مصارعه (کشتی گرفتن) با فرشته خدا به آن ملقب گردید»! ولی دانشمندان ما مانند مفسر معروف، «طبرسی» در «مجمع البیان» در این باره چنین می نویسد: «اسرائیل همان یعقوب فرزند اسحاق پسر ابراهیم (ع) است» ... او می گوید، «اسر» به معنی (عبد) و «ئیل» به معنی (الله) است، و این کلمه مجموعا معنی «عبد الله» را می بخشد. بدیهی است داستان کشتی گرفتن اسرائیل با فرشته خداوند و یا با خود خداوند که در تورات تحریف یافته کنونی دیده می شود یک داستان ساختگی و کودکانه است که از شأن یک کتاب آسمانی به کلی دور است و این خود یکی از مدارک تحریف تورات کنونی است.

سورة البقرة (2) : آية 41] ص : 62

اشاره

آیه ۴۱

شأن نزول: ص: 67

از امام باقر عليه السّلام چنين نقل شده كه: «حيّى بن اخطب»

(۱) در اینکه «عهـد و پیمان خـدا با یهود چه بوده» رجوع کنیـد به «تفسـیر نمونه» ذیل آیه ۸۳ و ۸۴ سـوره بقره و آیه ۱۲ سوره مائده.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۸

و «کعب ابن اشرف» و جمعی دیگر از یهود، هر سال مجلس میهمانی (پر زرق و برقی) از طرف یهودیان برای آنها ترتیب داده می شد، آنها حتی راضی نبودند که این منفعت کوچک به خاطر قیام پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله از میان برود، به این دلیل (و دلایل دیگر) آیات تورات را که در زمینه اوصاف پیامبر صلّی الله علیه و اله بود تحریف کردند، این همان «ثمن قلیل» و بهای کم است که قرآن در این آیه به آن اشاره می کند.

تفسير: ص: ۶۸

سودپرستی یهود- نخست می فرماید: «به آیاتی که بر پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله نازل شده ایمان بیاورید، آیاتی که هماهنگ با اوصافی است که در تورات شما آمده است» (وَ آمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ). اکنون که می بینید صفات این

پیامبر و ویژگیهای قرآن کاملا منطبق بر بشاراتی است که در کتب آسمانی شما آمده و هماهنگی همه جانبه با آن دارد چرا به آن ایمان نمی آورید؟

سپس می گوید: «شـما نخستین کسی نباشید به این کتاب آسمانی کفر میورزید و آن را انکار میکنید» (وَ لاَ تَکُونُوا أَوَّلَ کافِرٍ بهِ).

یعنی اگر مشرکان و بت پرستان عرب، کافر شوند زیاد عجیب نیست، عجیب کفر و انکار شما است. چرا که اهل کتابید و در کتاب آسمانی شما این همه بشارات در باره ظهور چنین پیامبری داده شده! آری! بسیاری از یهودیان اصولا مردمی لجوجند، و اگر این لجاجت نبود باید آنها خیلی زودتر از دیگران ایمان آورده باشند.

در سومین جمله می گوید: «شما آیات مرا به بهای اندکی نفروشید» و آن را با یک میهمانی سالیانه معاوضه نکنید (وَ لا تَشْتَرُوا بآیاتِی ثَمَناً قَلِیلًا).

و در چهارمین دستور می گوید: تنها از من بپرهیزید» (وَ إِیَّایَ فَاتَّقُونِ) از این نترسید که روزی شما قطع شود و از این نترسید که جمعی از متعصبان یهود بر ضد شما سران قیام کنند، تنها از من یعنی از مخالفت فرمان من بترسید.

سورة البقرة (2) : آية ٤٢] ص : 68

(آیه ۴۲) - در پنجمین دستور می فرماید: «حق را با باطل نیامیزید» تا مردم به اشتباه بیفتند (وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ). و در ششمین دستور از کتمان حق نهی کرده می گوید: «حق را مکتون ندارید بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۹ در حالی که شما می دانید و آگاهید» (وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

سورة البقرة (2) : آية ٤٣] ص : 69

(آیه ۴۳) - و بالاخره هفتمین و هشتمین و نهمین دستور را به این صورت بازگو میکند: «نماز را به پا دارید، زکات را ادا کنید، و (عبادت دستجمعی را فراموش ننمایید) با رکوع کنندگان رکوع نمایید» (وَ أَقِیمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّکاةَ وَ ارْکَعُوا مَعَ الرَّاکِعِینَ).

جالب این که نمی گوید: نماز بخوانید، بلکه می گوید: أَقِیمُوا الصَّلاهُ (نماز را به پا دارید) یعنی تنها خودتان نماز خوان نباشید، بلکه چنان کنید که آیین نماز در جامعه انسانی بر پا شود، و مردم با عشق و علاقه به سوی آن بیایند.

در حقیقت در این سه دستور اخیر، نخست پیونـد فرد با خالق (نماز) بیان شـده، و سـپس پیونـد با مخلوق (زکات) و سـر انجام پیوند دستجمعی همه مردم با هم در راه خدا!

سورة البقرة (2) : آية 44] ص : 69

(آیه ۴۴) - به دیگران توصیه می کنید اما خودتان چرا؟! علماء و دانشمندان یهود قبل از بعثت محمد صلّی الله علیه و اله مردم را به ایمان به وی دعوت می کردند و بعضی از علمای یهود به بستگان خود که اسلام آورده بودند توصیه می کردند به ایمان خویش باقی و ثابت بمانند ولی خودشان ایمان نمی آوردند، لذا قرآن آنها را بر این کار مذمت کرده می گوید: «آیا مردم را به نیکی دعوت می کنید ولی خودتان را فراموش می نمایید» (أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَ کُمْ). «با این که کتاب آسمانی را

مى خوانيد آيا هيچ فكر نمى كنيد» (وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ).

علمای یهود از این می ترسیدند که اگر به رسالت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله اعتراف کنند کاخ ریاستشان فرو ریزد و عوام یهود به آنها اعتنا نکنند. لذا صفات پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله را که در تورات آمده بود دگرگون جلوه دادند.

اصولاً یک برنامه اساسی مخصوصا برای علماء و مبلبیت غین و داعیان راه حق این است که بیش از سخن، مردم را با عمل خود تبلیغ کنند همان گونه که در حدیث معروف از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: «مردم را با عمل خود به نیکیها دعوت کنید نه با زبان خود».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۷۰

سورة البقرة (2) : آية 45] ص : 20

(آیه ۴۵)- قرآن برای این که انسان بتواند بر امیال و خواسته های دل پیروز گردد و حبّ جاه و مقام را از سر بیرون کند در این آیه چنین می گوید: «از صبر و نماز یاری جویید» و با استقامت و کنترل خویشتن بر هوسهای درونی پیروز شوید (وَ اشیتَعینُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاهِ). سپس اضافه می کند: «این کار جز برای خاشعان سنگین و گران است» (وَ إِنَّها لَکَبِیرَهُ إِلَّا عَلَی الْخَاشِعِینَ).

سورة البقرة (2) : آية 46] ص : 20

اشاره

(آیه ۴۶) – در این آیه خاشعان را چنین معرفی می کنـد: «همانها که میدانند پروردگار خود را ملاقات خواهند کرد و به سوی او باز می گردند» (الَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَیْهِ راجِعُونَ).

۱- «لقاء الله» چيست؟ ص: ۷۰

تعبیر به «لقاء اللّه» در قرآن مجید کرارا آمده است، و همه به معنی حضور در صحنه «قیامت» میباشد، بدیهی است منظور از «لقاء» و ملاقات خداوند ملاقات حسی، مانند ملاقات افراد بشر با یکدیگر نیست، چه این که خداوند نه جسم است و نه رنگ و مکان دارد که با چشم ظاهر دیده شود، بلکه منظور یا مشاهده آثار قدرت او در صحنه قیامت و پاداشها و کیفرها و نعمتها و عذابهای او است یا به معنی یک نوع شهود باطنی و قلبی است، زیرا انسان گاه به جایی میرسد که گویی خدا را با چشم دل در برابر خود مشاهده می کند، بطوری که هیچ گونه شک و تردیدی برای او باقی نمی ماند.

۲- راه پیروزی بر مشکلات! ص: ۲۰

برای پیشرفت و پیروزی بر مشکلات دو رکن اساسی لازم است، یکی پایگاه نیرومند درونی و دیگر تکیه گاه محکم برونی، در آیات فوق به این دو رکن اساسی با تعبیر «صبر» و «صلاهٔ» اشاره شده است: صبر آن حالت استقامت و شکیبایی و ایستادگی در جبهه مشكلات است، و نماز پيوندى است با خدا و وسيله ارتباطى است با اين تكيه گاه محكم، در حديثى از امام صادق عليه السّيلام نقل شده كه فرمود: «هنگامى كه با غمى از غمهاى دنيا رو برو مىشويىد وضو گرفته، به مسجد برويد، نماز بخوانيد و دعا كنيد، زيرا خداوند دستور داده (وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۷۱

سورة البقرة (2) : آية ٤٧] ص : 21

(آیه ۴۷)- خیالهای باطل یهود. در این آیه بـار دیگر خداونـد روی سـخن را به بنی اسـرائیل کرده و نعمتهای خـدا را به آنها یادآور میشود و میگوید: «ای بنی اسـرائیل نعمتهایی را که به شـما دادم به خاطر بیاورید» (یا بَنِی إِسْـرائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ).

این نعمتها دامنه گستردهای دارد، از نعمت هدایت و ایمان گرفته تا رهایی از چنگال فرعونیان و بازیافتن عظمت و استقلال همه را شامل می شود.

سپس از میـان این نعمتهـا به نعمت فضـیلت و برتری یافتن بر مردم زمان خود که ترکیبی از نعمتهای مختلف است اشاره کرده، می گوید: «من شما را بر جهانیان برتری بخشیدم» (وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعالَمِینَ).

سورة البقرة (2) : آية 48] ص : 21

اشاره

(آیه ۴۸)- در این آیه، قرآن خط بطلانی بر خیالهای باطل یهود می کشد، زیرا آنها معتقد بودند که چون نیاکان و اجدادشان پیامبران خدا بودند آنها را شفاعت خواهند کرد، و یا گمان می کردند می توان برای گناهان فدیه و بدل تهیه نمود، همان گونه که در این جهان متوسل به رشوه می شدند.

قرآن می گوید: «از آن روز بترسید که هیچ کس از دیگری دفاع نمی کند» (وَ اتَّقُوا یَوْماً لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً). «و نه شفاعتی (بیاذن پروردگار) پذیرفته میشود» (وَ لا یُقْبَلُ مِنْها شَفاعَهٌ).

«و نه غرامت و بدلى قبول خواهد شد» (وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ).

«و نه کسی برای یاری انسان به پا میخیزد» (وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ).

خلاصه حاکم و قاضی آن صحنه کسی است که جز عمل پاک را قبول نمی کند.

در حقیقت آیه فوق اشاره به این است که در این دنیا چنین معمول است که برای نجات مجرمان از مجازات از طرق مختلفی وارد می شوند: گاه یک نفر جریمه دیگری را پذیرا می شود و آن را اداء می کند. اگر این معنی ممکن نشد متوسل به شفاعت می گردد و اشخاصی را بر می انگیزد که از او شفاعت کنند. باز اگر این هم نشد سعی می کنند که با پرداختن غرامت خود را آزاد سازند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۷۲

اینها طرق مختلف فرار از مجازات در دنیا است، ولی قرآن می گوید: اصول حاکم بر مجازاتها در قیامت بکلی از این امور جداست، و هیچ یک از این امور در آنجا به کار نمی آید، تنها راه نجات، پناه بردن به سایه ایمان و تقوا است و استمداد از

لطف پروردگار.

بررسی عقاید بت پرستان یا منحرفین اهل کتاب نشان میدهد که این گونه افکار خرافی در میان آنها کم نبوده، مثلا در حالات یهود میخوانیم که آنها برای کفاره گناهانشان قربانی می کردند، اگر دسترسی به قربانی بزرگ نداشتند یک جفت کبوتر قربانی می کردند.

۱- قرآن و مسأله شفاعت ص: 22

(1)

بدون شک مجازاتهای الهی چه در این جهان و چه در قیامت جنبه انتقامی ندارد، بلکه همه آنها در حقیقت ضامن اجرا برای اطاعت از قوانین و در نتیجه پیشرفت و تکامل انسانهاست، بنابراین هر چیز که این ضامن اجرا را تضعیف کند باید از آن احتراز جست تا جرأت و جسارت بر گناه در مردم پیدا نشود.

از سوی دیگر نبایـد راه بـازگشت و اصـلاح را بکلی بر روی گناهکاران بست بلکه بایـد به آنها امکان داد که خود را اصـلاح کنند و به سوی خدا و پاکی تقوا بازگردند.

«شفاعت» در معنی صحیحش برای حفظ همین تعادل است، و وسیلهای است برای بازگشت گناهکاران و آلودگان، و در معنی غلط و نادرستش موجب تشویق و جرأت بر گناه است.

کسانی که جنبه های مختلف شفاعت و مفاهیم صحیح آن را از هم تفکیک نکر دهاند گاه بکلی منکر مسأله شفاعت شده، آن را با توصیه و پارتی بازی در برابر

(۱) کلمه «شفاعت» از ریشه «شفع» به معنی (جفت) و «ضمّ الشیء الی مثله» گرفته شده و نقطه مقابل آن «وتر» به معنی تک و تنها است، سپس به ضمیمه شدن فرد برتر و قویتر برای کمک به فرد ضعیفتر اطلاق گردیده است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۷۳

سلاطین و حاکمان ظالم برابر میدانند! و گاه مانند و هابیان آیه فوق را که می گوید: «وَ لا یُقْبَلُ مِنْها شَفاعَهُ» در قیامت از کسی شفاعت پذیرفته نمی شود بدون توجّه به آیات دیگر دستاویز قرار داده و بکلی شفاعت را انکار کرده اند.

٢- شرايط گوناگون شفاعت..... ص: 23

آیات شفاعت به خوبی نشان می دهد که مسأله شفاعت از نظر منطق اسلام یک موضوع بی قید و شرط نیست بلکه قیود و شرایطی، از نظر جرمی که در باره آن شفاعت می شود از یکسو، شخص شفاعت شونده از سوی دیگر، و شخص شفاعت کننده از سوی سوم دارد که چهره اصلی شفاعت و فلسفه آن را روشن می سازد. مثلا گناهانی همانند ظلم و ستم بطور کلی از دایره شفاعت بیرون شمرده شده و قرآن می گوید: ظالمان «شفیع مطاعی» ندارند! از طرف دیگر طبق آیه ۲۸ سوره انبیاء تنها کسانی مشمول بخشودگی از طریق شفاعت می شوند که به مقام «ارتضاء» رسیده اند و طبق آیه ۸۷ سوره مریم دارای «عهد الهی» هستند.

این دو عنوان همان گونه که از مفهوم لغوی آنها، و از روایاتی که در تفسیر این آیات وارد شده، استفاده می شود به معنی ایمان به خدا و حساب و میزان و پاداش و کیفر و اعتراف به حسنات و سیئات - نیکی اعمال نیک و بدی اعمال بد - و گواهی به درستی تمام مقرراتی است که از سوی خدا نازل شده، ایمانی که در فکر و سپس در زندگی آدمی انعکاس یابد، و نشانه اش این است که خود را از صف ظالمان طغیانگر که هیچ اصل مقدّسی را به رسمیت نمی شناسند بیرون آورد و به تجدید نظر در برنامه های خود وا دارد.

و در مورد شفاعت کنندگان نیز این شرط را ذکر کرده که باید گواه بر حق باشند «إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ» (زخرف: ۸۷). و به این ترتیب شفاعت شونـده بایـد یـک نوع ارتباط و پیونـد با شفاعت کننـده برقرار سازد، پیونـدی از طریق توجه به حقّ و گواهی قولی و فعلی به آن، که این خود نیز عامل دیگری برای سازندگی و بسیج نیروها در مسیر حقّ است. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۷۴

سورة البقرة (2) : آية 49] ص : 24

اشاره

(آیه ۴۹)– نعمت آزادی! قرآن در این آیه به یکی دیگر از نعمتهای بزرگی که به قوم بنی اسرائیل ارزانی داشته اشاره می کند و آن نعمت آزادی از چنگال ستمکاران است که از بزرگترین نعمتهای خدا است. به آنها یاد آور می شود که:

«به خاطر بیاورید زمانی را که شما را از دست فرعونیان نجات بخشیدیم» (وَ إِذْ نَجَیْناکُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ). «همانها که دائما شما را به شدیدترین وجهی آزار میدادند» (یَسُومُونَکُمْ سُوءَ الْعَذابِ). «پسرانتان را سر میبریدند، و زنان شما را برای کنیزی و خدمت، زنده نگه میداشتند» (یُذَبِّحُونَ أَبْناءَکُمْ وَ یَسْتَحْیُونَ نِساءَکُمْ). «و در این ماجرا آزمایش سختی از سوی پروردگارتان برای شما بود» (وَ فِی ذلِکُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَظِیمٌ).

قرآن این جریان را یک آزمایش سخت و عظیم، برای بنی اسرائیل میشمرد- یکی از معانی «بلاء» آزمایش است- و به راستی تحمل این همه ناملایمات، آزمایش سختی بوده است.

بردگی دختران در آن روز و امروز- ص: ۷۴

قرآن زنده گذاردن دختران و سر بریدن پسران بنی اسرائیل را عذاب میخواند، و آزادی از این شکنجه را نعمت خویش میشمارد. گویا میخواهد هشدار دهد که انسانها بایست سعی کنند آزادی صحیح خویش را به هر قیمت که هست به دست آورند و حفظ نمایند.

چنانکه علی علیه السّر لام به این مطلب در گفتار خود اشاره می فرماید: «زنده بودن و زیر دست بودن برای شـما مرگ است، و مرگ برای شما در راه به دست آوردن آزادی زندگی است».

دنیای امروز با گذشته این فرق را دارد که در آن زمان فرعون با استبداد مخصوص خود پسران و مردان را از جمعیت مخالفش می گرفت، و دختران آنها را آزاد می گذارد، ولی در دنیای امروز تحت عناوین دیگری روح مردانگی در افراد کشته می شود و

دختران به اسارت شهوات افراد آلوده در مي آيند.

سورة البقرة (2) : آية 50].... ص: 24

(آیه ۵۰)- نجات از چنگال فرعونیان! از آنجا که در آیه قبل اشاره اجمالی به نجات بنی اسرائیل از چنگال فرعونیان شد، این آیه در حقیقت توضیحی بر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۷۵

چگونگی این نجات است، می گوید: «به خاطر بیاورید هنگامی را که دریا را برای شما شکافتیم» (وَ إِذْ فَرَقْنا بِکُمُ الْبَحْرَ). «و شما را نجات دادیم و فرعونیان را غرق کردیم در حالی که تماشا می کردید» (فَأَنْجَیْناکُمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ). ماجرای غرق شدن فرعونیان در دریا و نجات بنی اسرائیل از چنگال آنها در سورههای متعدّدی از قرآن آمده است، از جمله سوره اعراف، آیه ۱۳۶ – انفال، آیه ۵۴ – اسراء، آیه سراء، آیه ۳۳ – شعراء، آیه ۳۶ و ۶۶ – زخرف، آیه ۵۵ و دخان، آیه ۱۷ به بعد.

در این سوره ها تقریبا همه جزئیات این ماجرا شرح داده شده، ولی در این آیه، تنها اشارهای از نظر نعمت و لطف خداوند به بنی اسرائیل شده، تا آنها را به پذیرش اسلام، آیین نجات بخش جدید، تشویق کند.

در ضمن این آیه درسی است برای انسانها که اگر در زندگی به خدا تکیه کنند، به آن نیروی بیزوال، اعتماد داشته باشند، و در مسیر صحیح از هیچ گونه کوشش و تلاش باز نایستند، در سخت ترین دقایق، خداوند یار و مددکار آنها است.

سورة البقرة (2) : آية [5] ص : 28

(آیه ۵۱)- بزرگترین انحراف بنی اسرائیل! قرآن در این آیه از بزرگترین انحراف بنی اسرائیل در طول تاریخ زندگیشان سخن می گوید: «به خاطر بیاورید زمانی را که با می گوید، و آن انحراف از اصل توحید، به شرک و گوساله پرستی است، نخست می گوید: «به خاطر بیاورید زمانی را که با موسی چهل شب وعده گذاشتیم» (وَ إِذْ واعَدْنا مُوسی أَرْبَعِینَ لَیْلَةً).

هنگامی که او از شما جدا شد، و میعاد سی شبه او به چهل شب تمدید گردید «شما گوساله را بعد از او به عنوان معبود انتخاب کردید، در حالی که با این عمل، به خود ستم می کردید» (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ) «۱».

سورة البقرة (2) : آية 22] ص : 28

(آیه ۵۲)- در این آیه خداوند می گوید: «با این گناه بزرگ باز شما را عفو کردیم شاید شکر نعمتهای ما را بجا آورید» (ثُمَّ عَفَوْنا عَنْکُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ).

(۱) شرح این ماجرا در سوره اعراف از آیه ۱۴۲ به بعد، و در سوره طه آیه ۸۶ مشروحا خواهد آمد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۷۶

سورة البقرة (2) : آية 23] ص: 28

(آیه ۵۳) - در ادامه آیه قبل می فرماید: «به خاطر بیاورید هنگامی را که به موسی کتاب و وسیله تشخیص حق از باطل

بخشيديم، تا شما هدايت شويد» (وَ إِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ الْفُرْقانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 34] ص: 28

اشاره

(آیه ۵۴) – سپس در زمینه تعلیم توبه از این گناه می گوید: «به خاطر بیاورید هنگامی را که موسی به قوم خود گفت: ای جمعیّت شما با انتخاب گوساله به خود ستم کردید» (وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ یا قَوْمِ إِنَّکُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَکُمْ بِاتِّخاذِکُمُ الْعِجْلَ). «اکنون که چنین است توبه کنید و به سوی آفریدگارتان باز گردید» (فَتُوبُوا إِلی بارِئِکُمْ). «توبه شما باید به این گونه که یکدیگر را به قتل برسانید»! (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَ کُمْ). «این کار برای شما در پیشگاه خالقتان بهتر است» (ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ عِنْدَ بارِئِکُمْ). «و به دنبال این ماجرا خداوند توبه شما را پذیرفت که او توّاب رحیم است» (فَتابَ عَلَیْکُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیمُ).

گناه عظیم و توبه بیسابقه ص: ۷۶

شک نیست که پرستش گوساله سامری، کار کوچکی نبود، ملّتی که بعد از مشاهده آن همه آیات خدا و معجزات پیامبر بزرگشان موسی (ع) همه را فراموش کنند و با یک غیبت کوتاه پیامبرشان بکلی اصل اساسی توحید و آیین خدا را زیر پا گذارده بت پرست شوند. اگر این موضوع برای همیشه از مغز آنها ریشه کن نشود وضع خطرناکی بوجود خواهد آمد، و بعد از هر فرصتی مخصوصا بعد از مرگ موسی (ع) ممکن است تمام آیات دعوت او از میان برود، و سرنوشت آیین او بکلی به خطر افتد لذا فرمان شدیدی از طرف خداوند، صادر شد، و آن این که ضمن دستور توبه و بازگشت به توحید، فرمان اعدام دستجمعی گروه کثیری از گنهکاران به دست خودشان صادر شد.

این فرمان به نحو خاصی میبایست اجرا شود، یعنی خود آنها باید شمشیر به دست گیرند و اقدام به قتل یکدیگر کنند که هم کشته شدنش عذاب است و هم کشتن دوستان و آشنایان.

طبق نقل بعضی از روایات موسی (ع) دستور داد در یک شب تاریک تمام کسانی که گوساله پرستی کرده بودند غسل کنند و کفن بپوشند و صف کشیده برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۷۷

شمشیر در میان یکدیگر نهند! ممکن است چنین تصور شود که این توبه چرا با این خشونت انجام گیرد؟ آیا ممکن نبود خداوند توبه آنها را بدون این خونریزی قبول فرماید؟

پاسخ به این سؤال از سخنان بالا روشن می شود، زیرا مسأله انحراف از اصل توحید و گرایش به بت پرستی مسأله ساده ای نبود. در حقیقت همه اصول ادیان آسمانی را می توان در توحید و یگانه پرستی خلاصه کرد، تزلزل این اصل معادل است با از میان رفتن تمام مبانی دین، اگر مسأله گوساله پرستی ساده تلقی می شد، شاید سنتی برای آیندگان می گشت، لذا باید چنان گوشمالی به آنها داد که خاطره آن در تمام قرون و اعصار باقی بماند و کسی هرگز بعد از آن به فکر بت پرستی نیفتد!

سورة البقرة (2): آية ٥٥] ص: ٧٧

(آیه ۵۵)- تقاضای عجیب! این آیه نشان می دهد چگونه بنی اسرائیل مردمی لجوج و بهانه گیر بودند و چگونه مجازات سخت الهی دامانشان را گرفت، نخست می گوید، «به خاطر بیاورید هنگامی را که گفتید، ای موسی! ما هر گز به تو ایمان نخواهیم آورد مگر این که خدا را آشکارا با چشم خود ببینیم»! (وَ إِذْ قُلْتُمْ یا مُوسی لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّی نَرَی اللَّهَ جَهْرَهً).

این درخواست ممکن است به خاطر جهل آنها بوده، چرا که درک افراد نادان فراتر از محسوساتشان نیست، حتی میخواهند خدا را با چشم خود ببینند. و یا به خاطر لجاجت و بهانه جویی بوده است که یکی از ویژگیهای این قوم بوده! به هر حال در اینجا چارهای جز این نبود که یکی از مخلوقات خدا که آنها تاب مشاهده آن را ندارند ببینند، و بدانند چشم ظاهر ناتوانتر از این است که حتی بسیاری از مخلوقات خدا را ببیند، تا چه رسد به ذات پاک پروردگار، صاعقهای فرود آمد و بر کوه خورد، برق خیره کننده و صدای رعب انگیز و زلزلهای که همراه داشت آن چنان همه را در وحشت فرو برد که بی جان به روی زمین افتادند.

چنانكه قرآن به دنبال جمله فوق مى گويد: «سپس در همين حال صاعقه شما را گرفت در حالى كه نگاه مى كرديد» (فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۷۸

سورة البقرة (2) : آية 25].... ص: 28

(آیه ۵۶)- موسی از این ماجرا سخت ناراحت شد، چرا که از بین رفتن هفتاد نفر از سران بنی اسرائیل در این ماجرا بهانه بسیار مهمّی به دست ماجرا جویان بنی اسرائیل می داد که زندگی را بر او تیره و تار کند، لذا از خدا تقاضای بازگشت آنها را به زندگی کرد، و این تقاضای او پذیرفته شد، چنانکه قرآن می گوید: «سپس شما را بعد از مرگتان حیات نوین بخشیدیم شاید شکر نعمت خدا را بجا آورید» (ثُمَّ بَعَثْناکُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ) «۱».

سورة البقرة (2) : آية 27] ص: 28

اشاره

(آیه ۵۷) – نعمتهای گوناگون! آن گونه که از آیات (۲۰ تا ۲۲) سوره مائده بر می آید پس از آن که بنی اسرائیل از چنگال فرعونیان نجات یافتند، خداوند به آنها فرمان داد که به سوی سرزمین مقدّس فلسطین حرکت کنند و در آن وارد شوند، اما بنی اسرائیل زیر بار این فرمان نرفتند و گفتند: تا ستمکاران (قوم عمالقه) از آنجا بیرون نروند ما وارد این سرزمین نخواهیم شد، به این هم اکتفا نکردند، بلکه به موسی گفتند: «تو و خدایت به جنگ آنها بروید پس از آن که پیروز شدید ما وارد خواهیم شد»! موسی از این سخن سخت ناراحت گشت و به پیشگاه خداوند شکایت کرد.

سر انجام چنین مقرّر شد که بنی اسرائیل مدّت چهل سال در بیابان (صحرای سینا) سر گردان بمانند.

گروهی از آنها از کار خود سخت پشیمان شدند و به درگاه خدا روی آوردند، خدا بار دیگر بنی اسرائیل را مشمول نعمتهای خود قرار داد که به قسمتی از آن در این آیه اشاره می کند: «ما ابر را بر سر شما سایبان قرار دادیم» (وَ ظَلَّلْنا عَلَیْکُمُ الْغَمامَ).

پیدا است مسافری که روز از صبح تا غروب در بیابان، در دل آفتاب، راهپیمایی میکند از یک سایه گوارا (همچون سایه ابر

که نه فضا را بر انسان محدود می کند و نه مانع نور و وزش نسیم است) چقدر لذّت می برد. از سوی دیگر رهروان این بیابان خشک و سوزان، آن هم برای مدت طولانی

(۱) توضیح بیشتر این سرگذشت عجیب و نکته های آموزنده آن را در «تفسیر نمونه» ذیل آیه ۱۵۵، سوره اعراف مطالعه فرماید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۷۹

چهل ساله نیاز به مواد غذایی کافی دارند، این مشکل را نیز خداوند برای آنها حل کرد چنانکه در دنباله همین آیه میفرماید: «ما من و سلوی را (که غذایی لذیذ و نیروبخش بود) بر شما نازل کردیم» (وَ أَنْزَلْنا عَلَیْکُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوی).

«از این خوراکهای پاکیزهای که به شما روزی دادیم بخورید «و از فرمان خدا سرپیچی نکنید و شکر نعمتش را بگذارید» (کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ).

ولى باز هم آنها از در سپاسگزارى وارد نشدنـد «آنها به ما ظلم و ستم نكردنـد بلكه تنها به خویشتن ستم مىكردنـد» (وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).

«من» و «سلوی» چیست؟ ص: ۷۹

بعضی از مفسران احتمال دادهاند که «من» یک نوع عسل طبیعی بوده که بنی اسرائیل در طول حرکت خود در آن بیابان به مخازنی از آن میرسیدند، چرا که در حواشی بیابان تیه، کوهستانها و سنگلاخهایی وجود داشته که نمونههای فراوانی از عسل طبیعی در آن به چشم میخورده است.

این تفسیر به وسیله تفسیری که بر عهدین (تورات و انجیل) نوشته شده تأیید می شود آنجا که میخوانیم: «اراضی مقدّسه به کثرت انواع گلها و شکوفه ها معروف است، و بدین لحاظ است که جماعت زنبوران همواره در شکاف سنگها و شاخ درختان و خانه های مردم می نشینند، بطوری که فقیر ترین مردم عسل را می توانند خورد» «۱».

در مورد «سلوی» بعضی مفسران آن را یک نوع پرنده دانستهاند، که از اطراف بطور فراوان در آن سرزمین می آمده، در تفسیری که بعضی از مسیحیان به عهدین نوشتهاند تأیید این نظریّه را می بینیم آنجا که می گوید:

بدان که «سلوی» از آفریقا بطور زیاد حرکت کرده به شمال میروند که در جزیره کاپری، ۱۶ هزار از آنها را در یک فصل صید نمودند ... این مرغ از راه دریای قلزم آمده، خلیج عقبه و سوئز را قطع نموده، در شبه جزیره سینا داخل می شود، و از کثرت تعب و زحمتی که در بین راه کشیده است به آسانی با دست گرفته

(١) قاموس كتاب مقدّس، ص ٥١٢.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۸۰

می شود، و چون پرواز نماید غالبا نزدیک زمین است «۱».

از این نوشته نیز استفاده می شود که مقصود از «سلوی» همان پرنده مخصوص پر گوشتی است که شبیه و اندازه کبوتر است.

سورة البقرة (2) : آية 58] ص: 80

(آیه ۵۸)– لجاجت شدید بنی اسرائیل! در اینجا به فراز دیگری از زندگی بنی اسرائیل برخورد میکنیم که مربوط به ورودشان در سرزمین مقدّس است.

نخست می گوید: «به خاطر بیاورید زمانی را که به آنها گفتیم داخل این قریه (یعنی سرزمین قدس) شوید» (وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ).

«قریه» گر چه در زبان روزمره ما به معنی روستا است، ولی در قرآن و لغت عرب به معنی هر محلی است که مردم در آن جمع میشوند، خواه شهرهای بزرگ باشد یا روستاها، در اینجا و منظور در اینجا بیت المقدس و اراضی قدس است.

سپس اضافه می کند: «از نعمتهای آن بطور فراوان هر چه میخواهید بخورید» (فَکُلُوا مِنْها حَیْثُ شِئْتُمْ رَغَداً).

«و از در (بیت المقـدس) بـا خضوع و تواضع وارد شویـد» (وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُـجَّداً). و بگوییـد: «خداونـدا! گناهان ما را بریز» (وَ قُولُوا حطَّهٌ).

«تـا خطاهـای شـما را ببخشـیم و به نیکوکـاران- علاـوه بر مغفرت و بخشـش گناهـان- پـاداش بیشتری خواهیم داد» (نَغْفِرْ لَکَمْ خَطایاکُمْ وَ سَنَزیدُ الْمُحْسِنِینَ).

بایـد توجه داشت که «حِطَّهٔ» از نظر لغت به معنی ریزش و پـایین آوردن است، و در اینجـا معنی آن این است که: «خـدایا از تو تقاضای ریزش گناهان خود را داریم».

سورة البقرة (2) : آية ٥٩] ص : ٨٠

(آیه ۵۹) – ولی چنانکه میدانیم، و از لجاجت و سرسختی بنی اسرائیل اطلاع داریم، عدهای از آنها حتی از گفتن این جمله نیز امتناع کردند و به جای آن کلمه نامناسبی بطور استهزاء گفتند لذا قرآن می گوید: «اما آنها که ستم کرده بودند این سخن را به غیر آنچه به آنها گفته شده بود تغییر دادند» (فَبَدَّلَ الَّذِینَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَیْرَ الَّذِی قِیلَ لَهُمْ).

«ما نیز بر این ستمگران به خاطر فسق و گناهشان، عذابی از آسمان فرو

(۱) قاموس کتاب مقدّس (مستر هاکس)، ص ۴۸۳.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۸۱

فرستاديم» (فَأَنْزُلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 60] ص: 11

(آیه ۶۰)- جوشیدن چشمه آب در بیابان! باز در این آیه خداوند به یکی دیگر از نعمتهای مهمّی که به بنی اسرائیل ارزانی داشت اشاره کرده می گوید:

«به خاطر بیاوریـد هنگـامی که موسـی (در آن بیابـان خشـک و سـوزان که بنی اسـرائیل از جهت آب سـخت در مضـیقه قرار داشتند) از خداوند خود برای قومش تقاضای آب کرد» (وَ إِذِ اسْتَسْقی مُوسی لِقَوْمِهِ). و خدا این تقاضا را قبول فرمود، چنانکه قرآن می گوید: «ما به او دستور دادیم که عصای خود را بر آن سنگ مخصوص بزن» (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاکَ الْحَجَرَ).

«ناگهان آب از آن جوشیدن گرفت و دوازده چشمه آب (درست به تعداد قبائل بنی اسرائیل) از آن با سرعت و شدّت جاری شد» (فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَهٔ عَیْناً). هر یک از این چشمه ها به سوی طایفه ای سرازیر گردید، به گونه ای که اسباط و قبایل بنی اسرائیل «هر کدام به خوبی چشمه خود را می شناختند» (قَدْ عَلِمَ کُلُّ أُناسِ مَشْرَبَهُمْ).

در این که این سنگ چگونه سنگی بوده، بعضی از مفسران گفتهاند: این سنگ صخرهای بوده است در یک قسمت کوهستانی مشرف بر آن بیابان، و تعبیر به «فَانْبَجَسَتْ» که در آیه ۱۶۰ سوره اعراف آمده نشان میدهد که آب در آغاز به صورت کم از آن سینگ بیرون آمد، سپس فزونی گرفت به حدّی که هر یک از قبایل بنی اسرائیل و حیوانی که همراهشان بود از آن سیراب گشتند، و جای تعجّب نیست که از قطعه سنگی در کوهستان چنین آبی جاری شود، ولی مسلّما همه اینها با یک نحوه «اعجاز» آمیخته بود.

به هر حال خداونـد از یکسو بر آنها من و سلوی نازل کرد، و از سوی دیگر آب بقـدر کافی در اختیارشان گذاشت، و به آنها فرمود: «از روزی خداوند بخورید و بنوشـید اما فساد و خرابی در زمین نکنید» (کُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ).

> در حقیقت به آنها گوشزد می کند که حد اقل به عنوان سپاسگزاری در برابر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۸۲ این نعمتهای بزرگ هم که باشد لجاجت و خیره سری و آزار پیامبران را کنار بگذارید.

سورة البقرة (2) : آية 61] ص : 28

(آیه ۶۱) – تمنّای غذاهای رنگارنگ! به دنبال مواهب فراوانی که خداوند به بنی اسرائیل ارزانی داشت، در این آیه، چگونگی کفران و ناسپاسی آنها را در برابر این نعمتهای بزرگ منعکس می کند و نشان می دهد که آنها چگونه مردم لجوجی بودهاند که شاید در تمام تاریخ دیده نشده است، نخست می گوید: «و به خاطر بیاورید زمانی را که گفتید: ای موسی! ما هر گز نمی توانیم به یک نوع غذا قناعت کنیم» من و سلوی هر چند خوب و لذیذ است، اما ما غذای متنوّع می خواهیم (وَ إِذْ قُلْتُمْ یا مُوسی لَنْ نَصْبِرَ عَلی طَعام واحِدٍ).

«بنـابراین از خـدایت بخواه تا از آنچه از زمین میرویـد برای ما قرار دهـد از سبزیها، خیار، سـیر، عـدس و پیاز» (فَادْعُ لَنا رَبَّکُ یُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَ قِثَّائِها وَ فُومِها وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها).

ولی موسی به آنها گفت: «آیا شما غـذای پست تر را در مقابل آنچه بهتر است انتخاب میکنیـد»؟ (قالَ أَ تَسْ تَبْدِلُونَ الَّذِی هُوَ أَدْنی بالَّذِی هُوَ خَیْرً).

«اکنون که چنین است از این بیابان بیرون رویـد و کوشـش کنیـد وارد شـهری شویـد، زیرا آنچه میخواهیـد در آنجـا است» (اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَکُمْ ما سَأَلْتُمْ).

> سپس قرآن اضافه می کند: «خداوند مهر ذلّت و فقر را بر پیشانی آنها زد» (وَ ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ). و بار دیگر به غضب الهی گرفتار شدند» (وَ باؤُ بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ).

«این به خاطر آن بود که آنها آیات الهی را انکار میکردنـد و پیامبران را بناحق میکشـتند» (ذلِکَ بِأَنْهُمْ کانُوا یَکْفُرُونَ بِآیاتِ

اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ).

و «این به خاطر آن بود که آنها گناه می کردند و تعدّی و تجاوز داشتند» (ذلِکُ بِما عَصَوْا وَ کانُوا یَعْتَدُونَ).

آیا تنوّع طلبی جزء طبیعت انسان نیست؟ بـدون شک، تنوّع از لوازم زندگی و جزء خواستههای بشر است، کاملا طبیعی است که انسان پس از مدّتی از غذای یکنواخت خسته شود، این کار خلافی نیست پس چگونه بنی اسرائیل با برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۸۳

درخواست تنوّع مورد سرزنش قرار گرفتند؟

پاسخ این سؤال با ذکر یک نکته روشن می شود و آن این که در زندگی بشر حقایقی وجود دارد که اساس زندگی او را تشکیل می دهد و نباید فدای خورد و خواب و لذائذ متنوّع گردد. زمانهایی پیش می آید که توجه به این امور انسان را از هدف اصلی، از ایمان و پاکی و تقوی، از آزادگی و حرّیّت باز می دارد، در اینجاست که باید به همه آنها پشت پا بزند.

تنوّع طلبی در حقیقت دام بزرگی است از سوی استعمارگران دیروز و امروز که بـا استفاده از آن، افراد آزاده را چنـان اسـیر انواع غذاها و لباسها و مرکبها و مسکنها میکنند که خویشتن خویش را بکلّی به دست فراموشی بسپارند و حلقه اسارت آنها را بر گردن نهند.

سورة البقرة (2) : آية 62] ص : 83

(آیه ۶۲) - قانون کلی نجات! در تعقیب بحثهای مربوط به بنی اسرائیل در اینجا قرآن به یک اصل کلی و عمومی، اشاره کرده می گوید: آنچه ارزش دارد واقعیّت و حقیقت است، نه تظاهر و ظاهر سازی، در پیشگاه خداوند بزرگ ایمان خالص و عمل صالح پذیرفته می شود «کسانی که (به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله) ایمان آورده اند و همچنین یهودیان و نصاری و صابئان (پیروان یحیی یا نوح یا ابراهیم) آنها که ایمان به خدا و روز قیامت آورند و عمل صالح انجام دهند پاداش آنها نزد پرورد گارشان ثابت است» (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هادُوا وَ النَّصاری وَ الصَّابِئِینَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ اللَّخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) «۱».

و بنابراین «نه ترسی از آینده دارند و نه غمی از گذشته» (وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ).

یک سؤال مهم: بعضی از بهانه جویان آیه فوق را دستاویزی برای افکار نادرستی از قبیل صلح کلی و این که پیروان هر مذهبی باید به مذهب خود عمل کنند قرار دادهاند، آنها می گویند بنابراین آیه لازم نیست یهود و نصاری و پیروان

(۱) در این که «صابئان» چه کسانی هستند و عقاید آنها چیست؟ رجوع کنید به «تفسیر نمونه» جلد اول، ذیل همین آیه. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۸۴

ادیان دیگر اسلام را پذیرا شوند، همین قدر که به خدا و آخرت ایمان داشته باشند و عمل صالح انجام دهند کافی است. پاسخ: به خوبی میدانیم که آیات قرآن یکدیگر را تفسیر میکنند، قرآن در آیه ۸۵ سوره آل عمران میگوید: وَ مَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلام دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ: «هر کس دینی غیر از اسلام برای خود انتخاب کند پذیرفته نخواهد شد».

به علاموه آیات قرآن پر است از دعوت یهود و نصاری و پیروان سایر ادیان به سوی این آیین جدید اگر تفسیر فوق صحیح باشد با بخش عظیمی از آیات قرآن تضاد صریح دارد، بنابراین باید به دنبال معنی واقعی آیه رفت.

در اینجا دو تفسیر از همه روشنتر و مناسبتر بنظر میرسد.

۱- اگر یهود و نصاری و مانند آنها به محتوای کتب خود عمل کنند مسلّما به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله ایمان می آورند چرا که بشارت ظهور او با ذکر صفات و علایم مختلف در این کتب آسمانی آمده است.

۲- این آیه ناظر به سؤالی است که برای بسیاری از مسلمانان در آغاز اسلام مطرح بوده، آنها در فکر بودند که اگر راه حق و نجات تنها اسلام است، پس تکلیف نیاکان و پدران ما چه می شود؟، آیا آنها به خاطر عدم درک زمان پیامبر اسلام و ایمان نیاوردن به او مجازات خواهند شد؟

در اینجا آیه فوق نازل گردید و اعلام داشت هر کسی که در عصر خود به پیامبر بر حق و کتاب آسمانی زمان خویش ایمان آورده و عمل صالح کرده است اهل نجات است، و جای هیچ گونه نگرانی نیست.

بنابراین یهودیان مؤمن و صالح العمل قبل از ظهور مسیح، اهل نجاتند، همان گونه مسیحیان مؤمن قبل از ظهور پیامبر اسلام. این معنی از شأن نزولی که برای آیه فوق ذکر شده نیز استفاده میشود.

شرح این شأن نزول را در «تفسیر نمونه» جلد اول ذیل همین آیه مطالعه کنید.

سورة البقرة (2) : آية 63] ص : 84

(آیه ۶۳)– آیات خدا را با قوت بگیرید! در این آیه مسأله پیمان گرفتن از بنی اسرائیل، برای عمل به محتویات تورات و سپس تخلّف آنها از این پیمان اشاره برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۸۵

شده است، نخست می گوید: «به خاطر بیاورید زمانی را که از شما پیمان گرفتیم» (وَ إِذْ أَخَذْنا مِیثاقَکُمْ).

«و طور را بالاى سر شما قرار داديم» (وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ).

«و گفتیم آنچه را از آیات الهی به شما دادهایم با قدرت و قوت بگیرید» (خُذُوا ما آتَیْناکُمْ بِقُوَّهٍٔ).

«و آنچه را در آن است دقیقا به خاطر داشته باشید (و به آن عمل کنید) تا پرهیزکار شوید» (وَ اذْکُرُوا ما فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 64] ص: 85

اشاره

(آیه ۶۴)- ولی شما پیمان خود را به دست فراموشی سپردید «و بعد از این ماجرا، روی گردان شدید» (ثُمَّ تَوَلَّیْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ).

«و اگر فضل و رحمت خدا بر شما نبود، از زیانکاران بودید» (فَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَکُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِینَ).

۱- چگونه کوه بالای سر بنی اسرائیل قرار گرفت؟ ص: ۵۵

مفسر بزرگ اسلام مرحوم طبرسی از قول «ابن زید» چنین نقل می کند: هنگامی که موسی (ع) از کوه طور بازگشت و تورات را با خود آورد، به قوم خویش اعلام کرد کتاب آسمانی آوردهام که حاوی دستورات دینی و حلال و حرام است، دستوراتی که خداوند برنامه کار شما قرار داده، آن را بگیرید و به احکام آن عمل کنید.

یهود به بهانه این که تکالیف مشکلی برای آنان آورده، بنای نافرمانی و سرکشی گذاشتند، خدا هم فرشتگان را مأمور کرد، تا قطعه عظیمی از کوه طور را بالای سر آنها قرار دهند.

در این هنگام موسمی (ع) اعلام کرد چنانچه پیمان ببندیـد و به دسـتورات خدا عمل کنید و از سرکشـی و تمرّد توبه نمایید این عذاب و کیفر از شما بر طرف میشود و گر نه همه هلاک خواهید شد.

آنها تسلیم شدند و تورات را پذیرا گشتند و برای خدا سجده نمودند، در حالی که هر لحظه انتظار سقوط کوه را بر سر خود می کشیدند، ولی به برکت توبه برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۸۶

سر انجام این عذاب الهی از آنها دفع شد».

اما در چگونگی قرار گرفتن کوه بالای سر بنی اسرائیل: این احتمال وجود دارد که قطعه عظیمی از کوه به فرمان خدا بر اثر زلزله و صاعقه شدید از جا کنده شد، و از بالای سر آنها گذشت بطوری که چند لحظه، آن را بر فراز سر خود دیدند و تصوّر کردند که بر آنها فرو خواهد افتاد.

۲- پیمان اجباری چه سودی دارد؟ ص: ۸۶

در پاسخ این سؤال می توان گفت: هیچ مانعی ندارد که افراد متمرّد و سرکش را با تهدید به مجازات در برابر حق تسلیم کنند، این تهدید و فشار که جنبه موقتی دارد، غرور آنها را در هم می شکند و آنها را وادار به اندیشه و تفکّر صحیح می کند و در ادامه راه با اراده و اختیار به وظایف خویش عمل می کند.

و به هر حال، این پیمان، بیشتر مربوط به جنبههای عملی آن بوده است و گر نه اعتقاد را نمی توان با اکراه تغییر داد.

سورة البقرة (2) : آية 62] ص : 88

(آیه ۶۵)– عصیانگران روز شنبه! این آیه به روح عصیانگری و نافرمانی حاکم بر یهود و علاقه شدید آنها به امور مادّی اشاره می کند، نخست می گوید:

«قطعا حال کسانی را که از میان شما در روز شنبه نافرمانی و گناه کردند دانستید» (وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِینَ اعْتَدَوْا مِنْکُمْ فِی السَّبْتِ). و نیز دانستید که «ما به آنها گفتیم: به صورت بوزینه گان طرد شدهای درآیید و آنها چنین شدنـد» (فَقُلْنا لَهُمْ کُونُوا قِرَدَهٔ خاسِئینَ).

سورة البقرة (2) : آية 66] ص: 86

(آیه ۶۶)- «ما این امر را کیفر و عبرتی برای مردم آن زمان و زمانهای بعد قرار دادیم» (فَجَعَلْناها نَکالًا لِما بَیْنَ یَدَیْها وَ ما خَلْفَها).

«و همچنین پند و اندرزی برای پرهیز کاران» (وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِینَ).

شرح این ماجرا ذیل آیات (۱۶۳ تا ۱۶۶) سوره اعراف خواهد آمد.

و خلاصه آن چنین است: «خداونـد به یهـود دسـتور داده بود، روز «شـنبه» را تعطیـل کننـد، گروهی از آنـان که در کنـار دریا میزیسـتند به عنوان آزمـایش دسـتور یافتنـد از دریـا در آن روز مـاهی نگیرنـد، ولی از قضا روزهای شـنبه که میشـد، ماهیان فراوانی بر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۸۷

صفحه آب ظاهر می شدند، آنها به فکر حیله گری افتادند و با یک نوع کلاه شرعی روز شنبه از آب ماهی گرفتند، خداوند آنان را به جرم این نافرمانی مجازات کرد و چهره شان را از صورت انسان به حیوان دگرگون ساخت»

سورة البقرة (2) : آية 67] ص : 88

(آیه ۶۷)– ماجرای گاو بنی اسرائیل! از این آیه به بعد بر خلاف آنچه تا به حال در سوره بقره پیرامون بنی اسرائیل خواندهایم که همه بطور فشرده و خلاصه بود، ماجرایی به صورت مشروح آمده.

ماجرا (آن گونه که از قرآن و تفاسیر بر می آید) چنین بود که یکنفر از بنی اسرائیل به طرز مرموزی کشته می شود، در حالی که قاتل به هیچ وجه معلوم نیست.

در میان قبایل و اسباط بنی اسرائیل نزاع در گیر میشود، داوری را برای فصل خصومت نزد موسی (ع) میبرند و حل مشکل را از او خواستار میشوند.

موسی (ع) با استمداد از لطف پروردگار از طریق اعجاز آمیزی به حل این مشکل چنانکه در تفسیر آیات میخوانید میپردازد. نخست میگوید: «به خاطر بیاورید هنگامی را که موسی به قوم خود گفت باید گاوی را سر ببرید» (وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً).

آنها از روى تعجّب «گفتند: آيا ما را به مسخره گرفته اى»؟! (قالُوا أَ تَتَّخِ نُدنا هُزُواً). «موسى در پاسخ آنان گفت: به خدا پناه مى برم كه از جاهلان باشم» (قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ).

یعنی استهزا نمودن و مسخره کردن، کار افراد نادان و جاهل است، و پیامبر خدا هرگز چنین نیست.

سورة البقرة (2) : آية 68] ص: 88

(آیه ۶۸) - پس از آن که آنها اطمینان پیدا کردند استهزایی در کار نیست و مسأله جدّی می باشد «گفتند: اکنون که چنین است از پروردگارت بخواه برای ما مشخص کند که این چگونه گاوی باید باشد» ؟! (قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ). به هر حال، موسی در پاسخ آنها «گفت: خداوند می فرماید باید ماده گاوی باشد که نه پیر و از کار افتاده و نه بکر و جوان بلکه میان این دو باشد» (قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَهٌ لا فارِضٌ وَ لا بِکْرٌ عَوانٌ بَیْنَ ذلِکَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۸۸ و برای این که آنها بیش از این مسأله را کش ندهند، و با بهانه تراشی فرمان خدا را به تأخیر نیندازند در پایان سخن خود اضافه کرد: «آنچه به شما دستور داده شده است انجام دهید» (فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 69] ص : 88

(آیه ۶۹)– ولی بـاز آنهـا دست از پرگویی و لجـاجت برنداشـتند و «گفتنـد: از پروردگـارت بخواه که برای ما روشن کنـد که رنگ آن باید چگونه باشد»؟! (قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما لَوْنُها). موسى (ع) در پاسخ «گفت: خدا مىفرمايد: گاو مادهاى باشد زرد يكدست كه رنگ آن بينندگان را شاد و مسرور سازد» (قالَ إنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرِينَ).

عجب این است که باز هم به این مقـدار اکتفا نکردنـد و هر بار با بهانه جویی کار خود را مشـکلتر ساخته، و دایره وجود چنان گاوی را تنگتر نمودند.

سورة البقرة (2) : آية 20] ص : 88

(آیه ۷۰)– باز «گفتند: از پروردگارت بخواه برای ما روشن کند این چگونه گاوی باید باشد»؟ از نظر نوع کار کردن (قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ).

«چرا که این گاو برای ما مبهم شده» (إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا).

«و اكر خدا بخواهد ما هدايت خواهيم شد»! (وَ إِنَّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 21] ص : 88

(آیه ۷۱)- مجدّدا «موسی گفت: خدا می فرماید: گاوی باشد که برای شخم زدن، رام نشده، و برای زراعت آبکشی نکند» (قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لا تَسْقِی الْحَرْثَ).

«و از هر عیبی بر کنار باشد» (مُسَلَّمَةً).

و حتى «هيچ گونه رنگ ديگرى در آن نباشد» (لا شِيَهُ فِيها).

در اینجا که گویا سؤال دیگری برای مطرح کردن نداشتند «گفتند: حالاً حق مطلب را ادا کردی»! (قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ). سپس گاو را با هر زحمتی بود به دست آوردنـد «و آن را سر بریدند، ولی مایل نبودند این کار را انجام دهند»! (فَذَبَحُوها وَ ما کادُوا یَفْعَلُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 22] ص : 88

(آیه ۷۲) – قرآن بعد از ذکر ریزه کاریهای این ماجرا، باز آن را بصورت برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۸۹ خلاصه و کلی در این آیه و آیه بعد چنین مطرح می کند: «به خاطر بیاورید هنگامی که انسانی را کشتید، سپس در باره قاتل آن به نزاع پرداختید و خداوند (با دستوری که در آیات بالا آمد) آنچه را مخفی داشته بودید آشکار ساخت» (وَ إِذْ قَتُلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِیها وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 23] ص : 89

(آیه ۷۳)- «سپس گفتیم قسمتی از گاو را به مقتول بزنید» تا زنده شود و قاتل خود را معرّفی کند (فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها) .«آری! خدا این گونه مردگان را زنده می کند» (کَذلِکَ یُحْیِ اللَّهُ الْمَوْتی) .«و این گونه آیات خود را به شما نشان می دهد تا تعقّل کنید» (وَ یُرِیکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ)

اشاره

(آیه ۷۴)- در این آیه به مسأله قساوت و سنگدلی بنی اسرائیل پرداخته می گوید: «بعد از این ماجراها و دیدن این گونه آیات و معجزات و عدم تسلیم در برابر آنها دلهای شما سخت شد همچون سنگ یا سختتر» (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُکُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ فَهِیَ کَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسُوهً).

چرا که «پارهای از سنگها میشکافد و از آن نهرها جاری میشود» (وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ). یا لا اقل «بعضی از آنها شکاف میخورد و قطرات آب از آن تراوش مینماید» (وَ إِنَّ مِنْها لَمَا يَشَّقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ). و گاه «پارهای از آنها (از فراز کوه) از خوف خدا فرو میافتد» (وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ).

اما دلهای شما از این سنگها نیز سخت تر است، نه چشمه عواطف و علمی از آن می جوشد و نه قطرات محبتی از آن تراوش می کند، و نه هر گز از خوف خدا می طید.

و در آخرین جمله می فرماید: «خداوند از آنچه انجام می دهید غافل نیست» (وَ مَا اللَّهُ بِغافِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

و این تهدیدی است سر بسته برای این جمعیّت بنی اسرائیل و تمام کسانی که خط آنها را ادامه می دهند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۹۰

نكات آموزنده اين داستان-.... ص: 90

این داستان عجیب، علاوه بر این که دلیل بر قدرت بیپایان پروردگار بر همه چیز است، دلیلی بر مسأله معاد نیز میباشد. از این گذشته این داستان به ما درس میدهد که سختگیر نباشیم تا خدا بر ما سخت نگیرد به علاوه انتخاب گاو برای کشتن شاید برای این بوده که بقایای فکر گوساله پرستی و بت پرستی را از مغز آنها بیرون براند.

سورة البقرة (2) : آية 25] ص: 90

(آیه ۷۵)- انتظار بیجا! در این آیه قرآن، ماجرای بنی اسرائیل را رها کرده، روی سخن را به مسلمانان نموده و نتیجه گیری آموزنده ای می کند، می گوید: «شما چگونه انتظار دارید که این قوم به دستورات آیین شما ایمان بیاورند، با این که گروهی از آنان سخنان خدا را می شنیدند و پس از فهم و درک آن را تحریف می کردند، در حالی که علم و اطلاع داشتند»؟! (أَ فَتُطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 26] ص : 90

(آیه ۷۶)- شأن نزول: در مورد نزول این آیه و آیه بعد از امام باقر علیه السّلام چنین نقل کردهاند: «گروهی از یهود که دشمنی با حق نداشتند هنگامی که مسلمانان را ملاقات می کردند از آنچه در تورات پیرامون صفات پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله آمده بود به آنها خبر میدادند، بزرگان یهود از این امر آگاه شدند و آنها را از این کار نهی کردند، و گفتند شما صفات محمد صلّی الله علیه و اله را که در تورات آمده برای آنها بازگو نکنید تا در پیشگاه خدا دلیلی بر ضد شما نداشته باشند، این دو آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت».

تفسیر: این آیه پرده از روی حقیقت تلخ دیگری پیرامون قوم یهود، این جمعیت حیله گر و منافق بر می دارد و می گوید: «پاکدلان آنها هنگامی که مؤمنان را ملاقات می کنند اظهار ایمان می نمایند» و صفات پیامبر را که در کتبشان آمده است خبر می دهند (وَ إذا لَقُوا الَّذِینَ آمَنُوا قالُوا آمَنًا).

«اما در پنهانی و خلوت، جمعی از آنها می گویند: «چرا مطالبی را که خداوند در تورات برای شما بیان کرده به مسلمانان می گویید»؟ (وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلی بَعْض قالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللَّهُ عَلَیْکُمْ).

«تا در قیامت در پیشگاه خدا بر ضد شما به آن استدلال کنند، آیا برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۹۱ نمی فهمید»؟ (لِیُحَاجُّوکُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّکُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ).

از این آیه به خوبی استفاده می شود که ایمان این گروه منافق در باره خدا آن قدر ضعیف بود که او را همچون انسانهای عادی می پنداشتند و تصور می کردند اگر حقیقتی را از مسلمانان کتمان کنند از خدا نیز مکتوم خواهد ماند!

سورة البقرة (2) : آية 27] ص: 90

(آيه ۷۷)- در اين آيه بـا صـراحت مي گويـد: «آيـا اينهـا نميداننـد كه خداونـد از اسـرار درون و برونشـان آگاه است» (أَ وَ لاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ).

سورة البقرة (2) : الآيات 28 الى 29].... ص: 91

اشاره

(آیه ۷۸ و ۷۹)

شأن نزول: ص: 91

جمعی از دانشمندان یهود اوصافی را که برای پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله در تورات آمده بود تغییر دادند و این تغییر به خاطر حفظ موقعیّت خود و منافعی بود که همه سال از ناحیه عوام به آنها میرسید.

هنگامی که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله مبعوث شد، و اوصاف او را با آنچه در تورات آمده بود مطابق دیدند ترسیدند که در صورت روشن شدن این واقعیّت منافع آنها در خطر قرار گیرد، لذا بجای اوصاف واقعی مذکور در تورات، صفاتی بر ضـدّ آن نوشتند.

عوام یهود که تا آن زمان کم و بیش صفات واقعی او را شنیده بودند، از علمای خود می پرسیدند: آیا این همان پیامبر موعود نیست که بشارت ظهور او را میدادید؟ آنها آیات تحریف شده تورات را بر آنها میخواندند تا به این وسیله قانع شوند.

تفسير: ص: 91

نقشه های یهود برای استثمار عوام! در تعقیب آیات گذشته پیرامون خلافکاریهای یهود، در اینجا جمعیّت آنها را به دو گروه مشخص تقسیم می کند، «عوام» و «دانشمندان حیله گر» می گوید: «گروهی از آنها افرادی هستند که از دانش بهرهای ندارند، و از کتاب خدا جزیک مشت خیالات و آرزوها نمی دانند، و تنها به پندارهایشان دل بسته اند» (وَ مِنْهُمْ أُمِّیُونَ لا یَعْلَمُونَ الْکِتابَ إِلَّا أَمانِیَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا یَظُنُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 29] ص : 91

(آیه ۷۹)– دستهای دیگر دانشمندان آنها بودنـد که حقایق را به سود خود تحریف میکردند چنانکه قرآن میگوید: «وای بر آنها که مطالب خود را به دست خود مینویسند، و بعد میگویند اینها از سوی خداست» (فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ یَکْتُبُونَ الْکِتابَ بِأَیْدِیهِمْ ثُمَّ یَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۹۲

«و هـدفشان این است که بـا این کـار، بهـای کمی به دست آورنـد» (لِیَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنـاً قَلِیلًـا). «وای بر آنهـا از آنچه با دست خود مینویسند» (فَوَیْلٌ لَهُمْ مِمَّا کَتَبَتْ أَیْدِیهِمْ).

«و وای بر آنها از آنچه با این خیانتها به دست می آورند» (وَ وَیْلٌ لَهُمْ مِمَّا یَكْسِبُونَ).

از جملههای اخیر این آیه بخوبی استفاده میشود که آنها هم وسیله نامقدسی داشتند، و هم نتیجه نادرستی می گرفتند.

سورة البقرة (2) : آية 80] ص : 92

(آیه ۸۰)- بلنـد پروازی و ادّعاهای توخالی! قرآن در اینجا به یکی از گفتههای بیاساس یهود که آنان را به خود مغرور ساخته و سر چشمه قسمتی از انحرافات آنها شده بود اشاره کرده و به آن پاسخ می گوید، نخست میفرماید: «آنها گفتند: هرگز آتش دوزخ، جز چند روزی به ما نخواهد رسید» (وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَیَّاماً مَعْدُودَهً).

«بگو آیا پیمانی نزد خدا بستهاید که هر گز خداوند از پیمانش تخلّف نخواهد کرد یا این که چیزی را به خدا نسبت میدهید که نمی دانید»؟! (قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ).

اعتقاد به برتری نژادی ملت یهود، و این که آنها تافتهای جدا بافتهاند، و گنهکارانشان فقط چند روزی کیفر و مجازات می بینند. سپس بهشت الهی برای ابد در اختیار آنان است این امتیاز طلبی با هیچ منطقی سازگار نیست. به هر حال آیه فوق، این پندار غلط را ابطال می کند و می گوید این گفتار شما از دو حال خارج نیست: یا باید عهد و پیمان خاصّ ی از خدا در این زمینه گرفته باشید- که نگرفته اید- و یا دروغ و تهمت به خدا می بندید!

سورة البقرة (2) : آية 81] ص: 92

(آیه ۸۱) - در این آیه یک قانون کلی و عمومی را که از هر نظر منطقی است بیان می کند می گوید: «آری! کسانی که تحصیل گناه کننـد و آثار گناه سراسـر وجودشان را بپوشانـد آنها اهل دوزخنـد، و همیشه در آن خواهنـد بود» (بَلی مَنْ کَسَبَ سَـ یِّئَةً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِیئتُهُ فَأُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ).

مفهوم احاطه گناه این است که انسان آن قدر در گناه فرو رود که زندانی برای خود بسازد، زندانی که منافذ آن بسته باشد. زیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۹۳

سورة البقرة (2) : آية 22] ص: 93

اشاره

(آیه ۸۲) و اما در مورد مؤمنان پرهیزگار، نیز یک قانون کلی و همگانی وجود دارد. چنانکه قرآن میگوید: «کسانی که ایمان آوردهاند و عمل صالح انجام دادهاند آمنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِیها خالِدُونَ).

نژاد پرستی یهود ص: ۹۳

- از این آیات استفاده می شود که روح تبعیض نژادی یهود که امروز نیز در دنیا سر چشمه بدبختیهای فراوان شده، از آن زمان در یهود بوده است، و امتیازات موهومی برای نژاد بنی اسرائیل قائل بوده اند، و متأسفانه بعد از گذشتن هزاران سال هنوز هم آن روحیه بر آنها حاکم است، و در واقع منشأ پیدایش کشور غاصب اسرائیل نیز همین روح نژاد پرستی است.

سورة البقرة (2) : آية 83] ص : 93

(آیه ۸۳)- پیمان شکنان! در آیات گذشته نامی از پیمان بنی اسرائیل به میان آمد. در اینجا، قرآن مجید یهود را شدیدا مورد سرزنش قرار می دهد که چرا این پیمانها را شکستند؟ و آنها را در برابر این نقض پیمان به رسوایی در این جهان و کیفر شدید در آن جهان تهدید می کند.

در پیمان بنی اسرائیل این مطالب آمده است: ۱- توحید و پرستش خداوند یگانه، چنانکه نخستین جمله آیه می گوید: «به یاد آورید زمانی را که از بنی اسرائیل پیمان گرفتیم جز الله (خداوند یگانه) را پرستش نکنید» و در برابر هیچ بتی سر تعظیم فرود نیاورید (وَ إِذْ أَخَذْنا مِیثاقَ بَنِی إِسْرائِیلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ).

- ٢- «و نسبت به پدر و مادر نیکی کنید» (وَ بِالْوالِدَیْن إحْساناً).
- ٣- «نسبت به خویشاوندان و یتیمان و مستمندان نیز به نیکی رفتار نمایید» (وَ ذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِین).
 - ۴- «و با سخنان نيكو با مردم سخن گوييد» (وَ قُولُوا لِلنَّاس حُسْناً).
 - ۵- «نماز را بر پا دارید» و در همه حال به خدا توجه داشته باشید (وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ).
 - ۶- «در ادای زکات و حق محرومان، کوتاهی روا مدارید» (وَ آتُوا الزَّکاةَ).

«اما شما جز گروه اندکی سرپیچی کردید، و از وفای به پیمان خود، برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۹۴ روی گردان شدید» (ثُمَّ تَوَلَّیْتُمْ إِلَّا قَلِیلًا مِنْکُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 84] ص: 94

(آیه ۸۴)- هفت: و به یاد آریـد «هنگامی که از شـما پیمان گرفتیم خون یکـدیگر را نریزیـد» (وَ إِذْ أَخَذْنا مِیثاقَکُمْ لا تَشْ فِکُونَ دِماءَکُمْ).

۸- «یکدیگر را از خانه ها و کاشانه های خود بیرون نکنید» (وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِیارِكُمْ).

۹-چنانچه کسی در ضمن جنگ از شما اسیر شد، همه برای آزادی او کمک کنید، فدیه دهید و او را آزاد سازید- این ماده
 از پیمان از جمله أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْکِتابِ وَ تَکْفُرُونَ بِبَعْضِ که بعدا خواهد آمد استفاده می شود.

«شما به همه این مواد اقرار کردید و بر این پیمان گواه بودید» (ثُمَّ أَقْرُرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 85] ص : 94

(آیه ۸۵)- ولی شما بسیاری از مواد این میثاق الهی را زیر پا گذاشتید «شما همانها بودید که یکدیگر را به قتل میرساندید و جمعی از خود را از سرزمینشان آواره می کردید» (ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِیقاً مِنْكُمْ مِنْ دِیارِهِمْ).

«و در انجام این گناه و تجاوز به یکدیگر کمک می کنید » (تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ). اینها همه بر ضدّ پیمانی بود که با خدا بسته بودید.

«ولی در این میان هنگامی که بعضی از آنها به صورت اسیران نزد شما بیاینـد فـدیه میدهیـد و آنها را آزاد میسازید» (وَ إِنْ یَأْتُوکُمْ أُساری تُفادُوهُمْ).

در حالى كه بيرون ساختن آنها از خانه و كاشانهشان از آغاز بر شما حرام بود» (وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ).

و عجب این که شما در دادن فدا و آزاد ساختن اسیران به حکم تورات و پیمان الهی استناد میکنید «آیا به بعضی از دستورات کتاب الهی ایمان می آورید و نسبت به بعضی کافر می شوید»؟! (أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْکِتابِ وَ تَکْفُرُونَ بِبَعْضِ).

«جزای کسی از شما که چنین تبعیضی را در مورد احکام الهی روا دارد چیزی جز رسُوایی در زنـدگی این دنیا نخواهـد بود» (فَما جَزاءُ مَنْ یَفْعَلُ ذلِکَ مِنْکُمْ إِلَّا خِزْیٌ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۹۵

فِي الْحَياةِ الدُّنْيا).

«و در روز رستاخيز به اشدّ عذاب باز مي گردند» (وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذابِ).

«و خداوند از اعمال شما غافل نيست» (وَ مَا اللَّهُ بِغافِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

و همه آن را دقیقا احصا کرده و بر طبق آن شما را در دادگاه عدل خود محاکمه می کند.

سورة البقرة (2) : آية 86] ص : 89

(آیه ۸۶)- این آیه در حقیقت انگیزه اصلی این اعمال ضد و نقیض را بیان کرده می گوید: «آنها کسانی هستند که زندگی دنیا را به قیمت از دست دادن آخرت خریداری کردند» (أُولئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الْحَیاةَ اللَّنْیا بِالْآخِرَةِ).

و به همین دلیل «عنداب آنها تخفیف داده نمی شود و کسی آنها را یاری نخواهد کرد» (فَلا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَ ذابُ وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 82] ص: 95

اشاره

(آیه ۸۷)- دلهایی که در غلاف است! باز روی سخن در این آیه و آیه بعد به بنی اسرائیل است، هر چند مفاهیم و معیارهای آن عمومیّت دارد و همگان را در بر می گیرد.

نخست می گوید «ما به موسی کتاب آسمانی (تورات) دادیم» (وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ).

«و بعد از او پیامبرانی پشت سر یکدیگر فرستادیم» (وَ قَفَّیْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُل).

پیامبرانی همچون داود و سلیمان و یوشع و زکریّا و یحیی و

«و به عیسی بن مریم دلایل روشن دادیم، و او را به وسیله روح القدس تأیید نمودیم» (وَ آتَیْنا عِیسَیی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّناتِ وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُس).

«ولی آیا این پیامبران بزرگ با این برنامههای سازنده، هر کدام مطلبی بر خلاف هوای نفس شما آورد، در برابر او استکبار نمودید و زیر بار فرمانش نرفتید»؟! (أَ فَکُلَّما جاءَکُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوی أَنْفُسُکُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ).

این حاکمیّت هوی و هوس بر شما آن چنان شدید بود که: «گروهی از آنها را برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۹۶ تکذیب کردید و گروهی را به قتل رساندید» (فَفَریقاً کَذَّبْتُمْ وَ فَریقاً تَقْتُلُونَ).

اگر تکذیب شما مؤثّر می افتاد و منظور تان عملی می شد شاید به همان اکتفا می کردید و اگر نه دست به خون پیامبران الهی آغشته می ساختید!

روح القدس چيست؟ ص: ۹۶

مفسران در باره روح القدس، تفسیرهای گوناگونی دارند:

۱- برخی گفتهانـد منظور جبرئیل است، بنابراین معنی آیه فوق چنین خواهـد بود «خداوند عیسـی را به وسـیله جبرئیل کمک و تأیید کرد».

اما جبرئیل را روح القدس می گویند به خاطر این که جنبه روحانیّت در فرشتگان مسأله روشنی است و اطلاق کلمه «روح» بر آنها کاملا صحیح است، و اضافه کردن آن به «القدس» اشاره به پاکی و قداست فوق العاده این فرشته است.

۲- بعضی دیگر معتقدند «روح القدس» همان نیروی غیبی است که عیسی علیه السّلام را تأیید میکرد، و با همان نیروی مرموز الهی مردگان را به فرمان خدا زنده مینمود.

سورة البقرة (2): آية 88].... ص: 98

اشاره

(آیه ۸۸)- این آیه می گوید: «آنها در برابر دعوت انبیاء- یا دعوت تو- از روی استهزاء گفتند: دلهای ما در غلاف است» و ما از این سخنان چیزی درک نمی کنیم (وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ).

آرى! همين طور است، «خداونـد آنهـا را به خـاطر كفرشـان لعنت كرده و از رحمت خـويش دور سـاخته است (به همين دليل چيزى درك نمىكنند) و كمتر ايمان مى آورند» (بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرهِمْ فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ).

آیه فوق بیانگر این واقعیّت است که انسان بر اثر پیروی از هوسهای سرکش آن چنان از درگاه خدا رانده میشود و بر قلب او پردهها میافتد که حقیقت کمتر به آن راه می یابد.

دلهای بیخبر و مستور! ص: ۹۶

یهود در مدینه در برابر تبلیغات رسول اکرم صلّی اللّه علیه و اله ایستادگی به خرج میدادند، و از پذیرفتن دعوت او امتناع میورزیدند، هر زمانی بهانهای برای شانه خالی کردن از زیر بار دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و اله می تراشیدند که در آیه فوق به یکی از سخنان آنها اشاره شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۹۷

آنها می گفتند دلهای ما در حجاب و غلاف است و آنچه بر ما میخوانی ما نمی فهمیم! مسلّما آنها این گفته را از روی استهزاء و سخریه می گفتند، اما قرآن می فرماید: مطلب همان است که آنها می گویند، زیرا به واسطه کفر و نفاق دلهای آنها در حجابهایی از ظلمت و گناه و کفر قرار گرفته و خداوند آنها را از رحمت خود دور داشته است، و به همین دلیل بسیار کم ایمان می آورند.

سورة البقرة (2) : الآيات 84 الى 91].... ص: 97

اشاره

آیه ۸۹ و ۹۰

شأن نزول: ص: 97

از امام صادق علیه السّلام ذیل این دو آیه چنین نقل شده که: یهود در کتابهای خویش دیده بودند هجرتگاه پیامبر اسلام بین کوه «عیر» و کوه «احد» (دو کوه در دو طرف مدینه) خواهد بود، یهود از سرزمین خویش بیرون آمدند و در جستجوی سرزمین مهاجرت رسول اکرم صلّی اللّه علیه و اله پرداختند، در این میان به کوهی به نام «حداد» رسیدند، گفتند: «حداد» همان «احد» است در همانجا متفرّق شدند و هر گروهی در جایی مسکن گزیدند. بعضی در سرزمین «تیما» و بعضی دیگر در «فدک» و عدهای در «خیبر».

آنان که در «تیما» بودند میل دیدار برادران خویش نمودند، در این اثنا عربی عبور می کرد مرکبی را از او کرایه کردند، وی گفت من شما را از میان کوه «عیر» و «احد» خواهم برد، به او گفتند: هنگامی که بین این دو کوه رسیدی ما را آگاه نما.

مرد عرب هنگامی که به سرزمین مدینه رسید اعلام کرد که اینجا همان سرزمین است که بین دو کوه عیر واحد قرار گرفته است، سپس اشاره کرد و گفتند: ما به مقصود رسیدیم دیگر احتیاج به مرکب تو نیست، و هر جا میخواهی برو.

آنها در سرزمین مدینه ماندند و اموال فراوانی کسب نمودند این خبر به سلطانی به نام «تبع» رسید با آنها جنگید، یهود در قلعههای خویش متحصّن شدند، وی آنها را محاصره کرد و سپس به آنها امان داد، آنها به نزد سلطان آمدند. تبع گفت: من این سرزمین را پسندیدهام و در این سرزمین خواهم ماند، در پاسخ وی گفتند:

این چنین نخواهد شد، زیرا این سرزمین هجرتگاه پیامبری است که جز او کسی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۹۸ نمی تواند به عنوان ریاست در این سرزمین بماند.

تبع گفت: بنابراین، من از خاندان خویش کسانی را در اینجا قرار خواهم داد تا آن زمانی که پیامبر موعود بیاید وی را یاری نمایند، لذا او دو قبیله معروف اوس و خزرج را در آن مکان ساکن نمود.

این دو قبیله هنگامی که جمعیّت فراوانی پیدا کردند به اموال یهود تجاوز نمودند، یهودیان به آنها می گفتند هنگامی که محمد صلّی الله علیه و اله مبعوث شد، صلّی الله علیه و اله مبعوث شد، اوس و خزرج که به نام انصار معروف شدند به او ایمان آوردند و یهود وی را انکار نمودند. این است معنی آیه «وَ کانُوا مِنْ قَبْلُ یَسْتَفْتِحُونَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا»

تفسیر: ص: ۹۸

خود مبلّغ بوده خود كافر شدند! يهود با عشق و علاقه مخصوصى براى ايمان به رسولخدا صلّى الله عليه و اله در سرزمين مدينه سكنى گزيده بودند و با بى صبرى در انتظار ظهورش بودند «ولى هنگامى كه از طرف خداوند كتابى (قرآن) به آنها رسيد كه موافق نشانههايى بود كه يهود با خود داشتند با اين كه پيش از اين جريان خود را به ظهور اين پيامبر صلّى الله عليه و اله نويد مىدادند و با ظهور اين پيامبر صلّى الله عليه و اله اميد فتح بر دشمنان داشتند. آرى! هنگامى كه اين كتاب و پيامبرى را كه از قبل شناخته بودند، نزدشان آمد نسبت به او كافر شدند» (وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّدٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبلُ يَسْتَفْتِ حُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمًا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ).

«لعنت خداوند بر كافران باد» (فَلَعْنَهُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ).

آری! گاه انسان عاشقانه به دنبال حقیقتی میدود، ولی هنگامی که به آن رسید و آن را مخالف منافع شخصی خود دید بر اثر هوی پرستی به آن پشت پا میزند.

سورة البقرة (2) : آية 90] ص : 98

(آیه ۹۰) - اما در حقیقت یهود معامله زیان آوری انجام داده اند، لذا قرآن می گوید: «آنها در برابر چه بهای بدی خود را

فروختند»؟ (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ).

«آنها به آنچه خداوند نازل کرده بود به خاطر حسد کافر شدند، و معترض بودند چرا خداوند آیات خود را بر هر کس از بندگان خود بخواهد به فضل خویش برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۹۹

نازل مى كند» (أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزُلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَرِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ).

و در پایـان آیه میگویـد: «لـذا شـعلههـای خشم خداونـد یکی پس از دیگری آنها را فرو گرفت و برای کافران مجازات خوار کنندهای است» (فَباؤُ بِغَضَبِ عَلی غَضَبِ وَ لِلْکافِرِینَ عَذابٌ مُهِینٌ).

سورة البقرة (2) : آية 91] ص : 99

(آیه ۹۱)- تعصبهای نژادی یهود! در تفسیر آیات گذشته خواندیم که یهود به خاطر این که این پیامبر از بنی اسرائیل نیست، و منافع شخصی آنها را به خطر میاندازد از اطاعت و ایمان به او سر باز زدند.

در تعقیب آن در این آیه به جنبه تعصّ بات نژادی یهود که در تمام دنیا به آن معروفند اشاره کرده، چنین می گوید: «هنگامی که به آنها گفته شود به آنچه خداوند نازل فرموده ایمان بیاورید، می گویند: ما به چیزی ایمان می آوریم که بر خود ما نازل شده باشد (نه بر اقوام دیگر) و به غیر آن کافر می شوند» (وَ إِذَا قِیلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَیْنا وَ یَکْفُرُونَ بِما وَراءَهُ).

آنها نه به انجیل ایمان آوردند و نه به قرآن، بلکه تنها جنبههای نژادی و منافع خویش را در نظر می گرفتند «در حالی که این قرآن حق است و منطبق بر نشانههای و علامتهایی است که در کتاب خویش خوانده بودند» (وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ). پس از آن پرده از روی دروغ آنان برداشته و می گوید: اگر بهانه عدم ایمان شما این است که محمد صلّی الله علیه و اله از شما نیست پس چرا به پیامبران خودتان در گذشته ایمان نیاوردید؟ «بگو: پس چرا آنها را کشتید اگر راست می گویید و ایمان دارید»؟! (قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِیاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ).

سورة البقرة (2) : آية 92] ص: 100

(آیه ۹۲)–اگر به راستی آنها به تورات ایمان داشتند، توراتی که قتل نفس را گناه بزرگی میشمرد نمیبایست پیامبران بزرگ خدا را به قتل برسانند.

قرآن برای روشنتر ساختن دروغ و کذب آنها، سند دیگری را بر ضدّ آنها افشا می کند و می گوید: «موسی آن همه معجزات و دلایـل روشن را برای شـما آورد، ولی شـما بعـد از آن گوسـاله را انتخاب کردیـد و با این کار ظالم و سـتمگر بودیـد»! (وَ لَقَدْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۰۰

جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ)

.اگر شـما راست می گوییـد و به پیامبر خودتان ایمان داریـد پس این گوسالهپرستی بعـد از آن همه دلایل روشن توحیـدی چه بود؟

سورة البقرة (٢) : آية ٩٣] ص: ١٠٠

(آیه ۹۳) - این آیه سند دیگری بر بطلان این ادّعا به میان می کشد و می گوید: «ما از شما پیمان گرفتیم و کوه طور را بالای سرتان قرار دادیم و به شما گفتند: شنیدیم و به شما گفتند: شنیدیم و مخالفت کردیم» (وَ إِذْ أَخَذْنا مِیثاقَکُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَکُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَیْناکُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمَعُوا قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَیْنا).

«آرى! دلهاى آنها به خاطر كفرشان با محبّت گوساله آبيارى شده بود»! (وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ).

شگفتا! این چگونه ایمانی است که هم با کشتن پیامبران خدا میسازد و هم گوسالهپرستی را اجازه میدهد، و هم میثاقهای محکم الهی را به دست فراموشی میسپرد؟! آری «اگر شما مؤمنید ایمانتان بد دستوراتی به شما میدهد» (قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

سورة البقرة (2) : آية 94] ص : 100

(آیه ۹۴)- گروه از خود راضی! از تاریخ زندگی یهود-علاوه بر آیات مختلف قرآن مجید- چنین بر می آید که آنها خود را یک نژاد برتر میدانستند، و معتقد بودند گل سر سبد جامعه انسانیتند، بهشت به خاطر آنها آفریده شده! و آتش جهنّم با آنها چندان کاری ندارد! آنها فرزندان خدا و دوستان خاصّ او هستند، و خلاصه آنچه خوبان همه دارند آنها تنها دارند! قرآن مجید در این آیه و دو آیه بعد به این پندارهای موهوم پاسخ دندانشکنی میدهد می گوید: «اگر (آنچنان که شما مدّعی هستید) سرای آخرت نزد خدا مخصوص شما است نه سایر مردم پس آرزوی مرگ کنید اگر راست می گویید» (قُلْ إِنْ کانَتْ لَکُمُ الدَّارُ الْآخِرَهُ عِنْدَ اللَّهِ خالِصَهُ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُّوُ الْمَوْتَ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۰۱ یهود با گفتن این سخنها که بهشت مخصوص ما است میخواستند مسلمانان را نسبت به آیینشان دلسرد کنند. ولی قرآن پرده از روی دروغ و تزویر آنان بر میدارد، زیرا آنها به هیچ وجه حاضر به ترک زندگی دنیا نیستند و این خود دلیل محکمی بر کذب آنها است.

سورة البقرة (2) : آية 95] ص : 101

(آیه ۹۵) - در این آیه، قرآن اضافه می کند: «آنها هر گز تمنّای مرگ نخواهند کرد، به خاطر اعمال بدی که پیش از خود فرستادند» (وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ).

«و خداوند از ستمگران، آگاه است» (وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ).

آری! آنها میدانستند در پرونده اعمالشان چه نقطه های سیاه و تاریک وجود دارد، آنها از اعمال زشت و ننگین خود مطّلع بودند، خدا نیز از اعمال این ستمگران آگاه است، بنابراین سرای آخرت برای آنها سرای عذاب و شکنجه و رسوایی است و به همین دلیل خواهان آن نیستند.

سورة البقرة (2) : آية 96] ص : 101

(آیه ۹۶)- این آیه از حرص شدید آنها به مادّیات چنین سخن می گوید: «تو آنها را حریصترین مردم بر زنـدگی می بینی» (وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلی حَیاهٍٔ).

«حتى حريصتر از مشركان» (وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا).

حریص در اندوختن مال و ثروت، حریص در قبضه کردن دنیا، حریص در انحصارطلبی، آن چنان علاقه به دنیا دارنـد که: «هر یک از آنها دوست دارد هزار سال عمر کند». (یَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ یُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ).

برای جمع ثروت بیشتر یا به خاطر ترس از مجازات! آری! هر یک تمنّای عمر هزار ساله دارد «ولی این عمر طولانی او را از عذاب خداوند باز نخواهد داشت» (وَ ما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ).

و اگر گمان کنند که خداوند از اعمالشان آگاه نیست، اشتباه می کنند «و خداوند نسبت به اعمال آنها بصیر و بینا است» (وَ اللَّهُ بَصِیرٌ بِما یَعْمَلُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 97] ص : 101

اشاره

(آیه ۹۷)

شأن نزول: ص: 101

هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و اله به مدینه آمد، روزی ابن صوریا (یکی از علمای یهود) با جمعی از یهود فدک نزد پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله آمدند، و سؤالات برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۰۲

گوناگونی از حضرتش کردند، و نشانه هایی را که گواه نبوّت و رسالت او بود جستجو نمودند، از جمله گفتند: ای محمد! خواب تو چگونه است؟ زیرا به ما اطلاعاتی در باره خواب پیامبر موعود داده شده است. فرمود: تنام عینای و قلبی یقظان! «چشم من به خواب می رود اما قلبم بیدار است» گفتند: راست گفتی ای محمد! و پس از سؤالایت متعدد دیگر، ابن صوریا گفت: یک سؤال باقی مانده که اگر آن را صحیح جواب دهی به تو ایمان می آوریم و از تو پیروی خواهیم کرد، نام آن فرشته ای که بر تو نازل می شود چیست؟ فرمود: جبرئیل است.

«ابن صوریا» گفت: او دشمن ما است، دستورهای مشکل در باره جهاد و جنگ می آورد، اما میکائیل همیشه دستورهای ساده و راحت آورده، اگر فرشته وحی تو میکائیل بود به تو ایمان می آوردیم!

تفسير: ص: ١٠٢

ملت بهانه جو! بررسی شأن نزول این آیه، انسان را بار دیگر به یاد بهانهجوییهای ملت یهود میاندازد که از زمان پیامبر بزرگوار، موسی (ع) تاکنون این برنامه را دنبال کردهاند در اینجا تنها بهانه این است که چون جبرئیل فرشته وحی تو است و تکالیف سنگین خدا را ابلاغ میکند ما ایمان نمی آوریم.

از اینان باید پرسید مگر فرشتگان الهی با یکدیگر از نظر انجام وظیفه فرق دارند؟ اصولاً مگر آنها طبق خواسته خودشان عمل می کنند یا از پیش خود چیزی می گویند؟ به هر حال قرآن در پاسخ این بهانه جوییها چنین می گوید: «به آنها بگو: هر کس دشمن جبرئیل باشد (در حقیقت دشمن خداست) چرا که او به فرمان خدا قرآن را بر قلب تو نازل کرده است» (قُلْ مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلُهُ عَلَى قَلْبِکَ بِإِذْنِ اللَّهِ).

«قرآنی که کتب آسمانی پیشین را تصدیق میکند» و هماهنگ با نشانههای آنها است (مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ). «قرآنی که مایه هدایت و بشارت برای مؤمنان است» (وَ هُدئ وَ بُشْری لِلْمُؤْمِنِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۰۳

سورة البقرة (2) : آية 98] ص : 103

(آیه ۹۸) – این آیه موضوع فوق را با تأکید بیشتر توأم با تهدید بیان میکند و میگوید: «هر کس دشمن خدا و فرشتگان و فرستادگان او و جبرئیل و میکائیل باشد خداوند دشمن اوست، خدا دشمن کافران است» (مَنْ کانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِیلَ وَ مِیکالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ لِلْکافِرِینَ).

اشاره به این که اینها قابل تفکیک نیستند: الله، فرشتگان او، فرستادگان او، جبرئیل، میکائیل و هر فرشته دیگر، و در حقیقت دشمنی با یکی دشمنی با بقیه است.

سورة البقرة (2) : آية 99] ص : 103

اشاره

(آیه ۹۹)

شأن نزول: ص: 103

«ابن عباس مفسر معروف، نقل می کند: «ابن صوریا» دانشمند یهودی از روی لجاج و عناد به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله گفت: تو چیزی که برای ما مفهوم باشد نیاوردهای! و خداوند نشانه روشنی بر تو نازل نکرده تا ما از تو تبعیت کنیم، آیه نازل شد و به او صریحا پاسخ گفت.

تفسير: ص: ١٠٣

پیمان شکنان یهود- نخست قرآن به این حقیقت اشاره می کند که دلایل کافی و نشانه های روشن و آیات بیّنات در اختیار پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله قرار دارد و آنها که انکار می کنند در حقیقت، پی به حقانیت دعوت او برده و به خاطر اغراض خاصی به مخالفت برخاسته اند، می گوید: «ما بر تو آیات بیّنات نازل کردیم و جز فاسقان کسی به آنها کفر نمی ورزد» (وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُ آیاتٍ بَیِّناتٍ وَ ما یَکْفُرُ بِها إِلَّا الْفاسِقُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 100] ص: 103

(آیه ۱۰۰)- سپس به یکی از اوصاف بسیار بـد جمعی از یهود، یعنی پیمان شکنی که گویا با تاریخ آنها همراه است اشاره کرده، می گوید: «آیا هر بار آنان پیمانی با خدا و پیامبر بستن ...جمعی از آنها آن را دور نیفکندنـد و با آن مخالفت نکردند»؟! (أَ وَ کُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِیقٌ مِنْهُمْ).

آرى! «اكثرشان ايمان نمى آورند» (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ).

خداوند از آنها در کوه طور پیمان گرفت که به فرمانهای تورات عمل کنند ولی سر انجام این پیمان را شکستند و فرمان او را زیر پا گذاردند.

و نیز از آنها پیمان گرفته شده بود که به پیامبر موعود (پیامبر اسلام که بشارت آمدنش در تورات داده شده بود) ایمان بیاورند به این پیمان نیز عمل نکردند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۰۴

سورة البقرة (2) : آية 101] ص : 104

(آیه ۱۰۱) - در این آیه، تأکید صریحتر و گویاتری روی همین موضوع دارد می گوید: «هنگامی که فرستادهای از سوی خدا به سراغ آنها آمد و با نشانه هایی که نزد آنها بود مطابقت داشت، جمعی از آنان که دارای کتاب بودند کتاب الهی را پشت سر افکندند، آن چنانکه گویی اصلا از آن خبر ندارند» (وَ لَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِیقٌ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ کِتابَ اللَّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ کَأَنَّهُمْ لا یَعْلَمُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 102] ص: 104

(آیه ۱۰۲) – سلیمان و ساحران بابل! از احادیث چنین بر می آید که در زمان سلیمان پیامبر گروهی در کشور او به عمل سحر و جادو گری پرداختند، سلیمان دستور داد تمام نوشته ها و اوراق آنها را جمع آوری کرده در محل مخصوصی نگهداری کنند. پس از وفات سلیمان گروهی آنها را بیرون آورده و شروع به اشاعه و تعلیم سحر کردند، بعضی از این موقعیت استفاده کرده و گفتند: سلیمان اصلا پیامبر نبود، گروهی از بنی اسرائیل هم از آنها تبعیت کردند و سخت به جادو گری دل بستند، تا آنجا که دست از تورات نیز برداشتند.

هنگامی که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله ظهور کرد و ضمن آیات قرآن اعلام نمود سلیمان از پیامبران خدا بوده است، بعضی از احبار و علمای یهود گفتند: از محمد تعجب نمی کنید که می گوید سلیمان پیامبر است؟

این گفتار یهود علاوه بر این که تهمت و افترای بزرگی نسبت به این پیامبر الهی محسوب می شد لازمهاش تکفیر سلیمان (ع) بود.

به هر حال این آیه فصل دیگری از زشتکاریهای یهود را معرّفی می کند که پیامبر بزرگ خدا سلیمان را به سحر و جادوگری متهم ساختند، می گوید: «آنها از آنچه شیاطین در عصر سلیمان بر مردم میخواندند پیروی کردند» (وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّیاطِینُ عَلی مُلْکِ سُلیْمانَ). سپس قرآن به دنبال این سخن اضافه می کند:

«سليمان هر گز كافر نشد» (وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ).

او هرگز به سحر توسل نجست، و از جادوگری برای پیشبرد اهداف خود برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۰۵ استفاده نکرد، «ولی شیاطین کافر شدند، و به مردم تعلیم سحر دادند» (وَ لَکِنَّ الشَّیاطِینَ کَفَرُوا یُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) «۱». «آنها (یهود) همچنین از آنچه بر دو فرشته بابل، هاروت و ماروت نازل گردید پیروی کردند» (وَ ما أُنْزِلَ عَلَی الْمَلَکَیْنِ بِبابِلَ

«در حالی که دو فرشته الهی (تنها هدفشان این بود که مردم را به طریق ابطال سحر ساحران آشنا سازند) و لذا «به هیچ کس چیزی یاد نمیدادند، مگر این که قبلا به او می گفتند: ما وسیله آزمایش تو هستیم، کافر نشو»! و از این تعلیمات سوء استفاده مکن (وَ ما یُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّی یَقُولاً إِنَّما نَحْنُ فِثْنَةٌ فَلا تَکْفُوْ).

خلاصه، این دو فرشته زمانی به میان مردم آمدند که بازار سحر داغ بود و مردم گرفتار چنگال ساحران، آنها مردم را به طرز ابطال سحر ساحران آشنا ساختند ولی از آنجا که خنثی کردن یک مطلب (همانند خنثی کردن یک بمب) فرع بر این است که انسان نخست از خود آن مطلب آگاه باشد و بعد طرز خنثی کردن آن را یاد بگیرد، ناچار بودند فوت و فن سحر را قبلا شرح دهند.

ولی سوء استفاده کنندگان یهود همین را وسیله قرار دادند برای اشاعه هر چه بیشتر سحر و تا آنجا پیش رفتند که پیامبر بزرگ الهی، سلیمان را نیز متهم ساختند که اگر عوامل طبیعی به فرمان او است یا جن و انس از او فرمان می برند همه مولود سحر است. آری! این است راه و رسم بدکاران که همیشه برای توجیه مکتب خود، بزرگان را متهم به پیروی از آن می کنند.

به هر حال آنها از این آزمایش الهی پیروز بیرون نیامدنـد «از آن دو فرشـته مطالبی را میآموختند که بتوانند به وسـیله آن میان مرد و همسرش جدایی بیفکنند» (فَیَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما یُفَرِّقُونَ بِهِ بَیْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ).

ولى قدرت خداوند مافوق همه اين قدرتها است، «آنها هرگز نمىتوانند بدون فرمان خدا به احدى ضرر برسانند» (وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ).

(۱) «سحر» نوعی اعمال خارق العاده است که آثاری از خود در وجود انسانها به جا میگذارد و گاهی یک نوع چشم بندی و تردستی است، و گاه تنها جنبه روانی و خیالی دارد. [.....]

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۰۶

«آنها قسمتهایی را یاد می گرفتند که برای ایشان ضرر داشت و نفع نداشت» (وَ یَتَعَلَّمُونَ ما یَضُرُّهُمْ وَ لا یَنْفَعُهُمْ).

آرى! آنها اين برنامه سازنده الهى را تحريف كردند به جاى اين كه از آن به عنوان وسيله اصلاح و مبارزه با سحر استفاده كننـد، آن را وسيله فساد قرار دادنـد «با اين كه مىدانسـتند هر كسـى خريـدار اين گونه متاع باشـد بهرهاى در آخرت نخواهد داشت» (وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ).

«چه زشت و ناپسند بـود آنچه خـود را به آن فروختنـد اگر علم و دانشـی میداشـتند» (وَ لَـبِئْسَ مـا شَـرَوْا بِهِ أَنْفُسَـهُمْ لَـوْ كـانُوا يَعْلَمُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 103] ص: 106

اشاره

(آیه ۱۰۳) – آنها آگاهانه به سعادت و خوشبختی خود پشت پا زدند و در گرداب کفر و گناه غوطهور شدند «در حالی که اگر ایمان می آوردنـد و تقوا پیشه می کردنـد پاداشـی که نزد خدا بود برای آنان از همه این امور بهتر بود، اگر توجه داشـتند» (وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ کانُوا يَعْلَمُونَ).

هیچ کس بدون اذن خدا قادر بر کاری نیست- ص: ۱۰۶

در آیات فوق خواندیم که ساحران نمی توانستند بدون اذن پروردگار به کسی زیان برسانند این به آن معنی نیست که جبر و اجباری در کار باشد، بلکه اشاره به یکی از اصول اساسی توحید است که همه قدر تها در این جهان از قدرت پروردگار سر چشمه می گیرد، حتی سوزندگی آتش و برّندگی شمشیر بیاذن و فرمان او نمی باشد، چنان نیست که ساحر بتواند بر خلاف اراده خدا در عالم آفرینش دخالت کند و چنین نیست که خدا را در قلمرو حکومتش محدود نماید بلکه اینها خواص و آثاری است که او در موجودات مختلف قرار داده، بعضی از آن حسن استفاده می کنند و بعضی سوء استفاده، و این آزادی و اختیار که خدا به انسانها داده نیز وسیلهای است برای آزمودن و تکامل آنها.

سورة البقرة (2) : آية 104] ص: 108

اشاره

آیه ۱۰۴

شأن نزول: ص: 106

«ابن عباس» نقل می کند: مسلمانان صدر اسلام هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و اله مشغول سخن گفتن بود و بیان آیات و احکام الهی می کرد گاهی از او میخواستند کمی با تأنّی سخن بگوید تا بتوانند مطالب را خوب درک بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۰۷

کنند، و سؤالات و خواسته های خود را نیز مطرح نمایند، برای این درخواست جمله «راعنا» که از ماده «الرعی» به معنی مهلت دادن است به کار می بردند.

ولى يهود همين كلمه «راعنا» را از ماده «الرعونه» كه به معنى كودنى و حماقت است استعمال مى كردند (در صورت اول مفهومش اين است «به ما مهلت بده» ولى در صورت دوم اين است كه «ما را تحميق كن»!).

در اینجا برای یهود دستاویزی پیدا شده بود که با استفاده از همان جملهای که مسلمانان می گفتند، پیامبر یا مسلمانان را استهزاء کننـد، آیه نـازل شـد و برای جلوگیری از این سوء اسـتفاده به مؤمنان دسـتور داد به جای جمله «راعنا»، جمله «انْظُوْنا» را به کار برند که همان مفهوم را میرساند، و دستاویزی برای دشمن لجوج نیست.

تفسير: ص: ١٠٧

دستاویز به دشمن ندهید؟ با توجه به آنچه در شأن نزول گفته شد، نخست آیه می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید (هنگامی که از پیامبر تقاضای مهلت برای درک آیات قرآن می کنید) نگویید راعنا بلکه بگویید انظرنا چرا که همان مفهوم را دارد و دستاویزی برای دشمن نیست (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وَ قُولُوا انْظُرْنا). «و آنچه به شما دستور داده می شود بشنوید، و برای کافران و استهزاء کنندگان عذاب دردناکی است» (وَ اسْمَعُوا وَ لِلْکافِرِینَ عَذابٌ أَلِیمٌ).

از این آیه به خوبی استفاده می شود که مسلمانان باید در برنامه های خود مراقب باشند که هرگز بهانه به دست دشمن ندهند، حتی از یک جمله کوتاه که ممکن است سوژهای برای سوء استفاده دشمنان گردد احتراز جویند.

از اینجا تکلیف مسلمانان در مسائل بزرگتر و بزرگتر روشن میشود، هم اکنون گاهی اعمالی از ما سر میزند که از سوی دشمنان داخلی، یا محافل بین المللی سبب تفسیرهای سوء و بهره گیری بلندگوهای تبلیغاتی آنان میشود، وظیفه ما این است که از این کارها جدا بپرهیزیم و بیجهت بهانه به دست این مفسدان داخلی و خارجی ندهیم.

سورة البقرة (2) : آية 105] ص: 107

(آیه ۱۰۵) - این آیه، پرده از روی کینه توزی و عداوت گروه مشرکان و گروه اهل کتاب نیست به مؤمنان برداشته، می گوید: «کافران اهل کتاب و همچنین برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۰۸

مشركان دوست ندارند خير و بركتى از سوى خدا بر شـما نازل گردد» (ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرِ مِنْ رَبِّكُمْ).

ولى اين تنها آرزويى بيش نيست زيرا: «خداونـد رحمت و خير و بركت خويش را به هر كس بخواهـد اختصاص مىدهـد» (وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ).

«و خداوند داراى بخشش و فضل عظيم است» (وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم).

آری! دشمنان از شدّت کینه توزی و حسادت حاضر نبودند این افتخار و موهبت را بر مسلمانان ببینند که پیامبری بزرگ، صاحب یک کتاب آسمانی با عظمت از سوی خداوند بر آنها مبعوث گردد، ولی مگر می توان جلو فضل و رحمت خدا را گرفت؟

سورة البقرة (2) : آية 106] ص : 108

(آیه ۱۰۶)- هدف از نسخ «۱» باز در این آیه سخن از تبلیغات سوء یهود بر ضد مسلمانان است.

آنها گاه به مسلمانان می گفتند: دین، دین یهود است و قبله، قبله یهود، و لذا پیامبر شما به سوی قبله ما (بیت المقدس) نماز می خواند، اما هنگامی که حکم قبله تغییر یافت و طبق آیه ۱۴۴ همین سوره مسلمانان موظف شدند به سوی کعبه نماز بگذارند این دستاویز از یهود گرفته شد، آنها نغمه تازهای ساز کردند و گفتند:

اگر قبله اولی صحیح بود پس دستور دوم چیست؟ و اگر دستور دوم صحیح است اعمال گذشته شما باطل است؟ قرآن به ایرادهای آنها پاسخ می گوید و قلوب مؤمنان را روشن میسازد.

می گوید: «هیچ حکمی را نسخ نمی کنیم، و یا نسخ آن را به تأخیر نمی اندازیم مگر بهتر از آن یا همانندش را جانشین آن می سازیم» (ما نَنْسَخْ مِنْ آیَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَیْرِ مِنْها أَوْ مِثْلِها).

و این برای خداوند آسان است «آیا نمی دانی که خدا بر همه چیز قادر است» (أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

(۱) «نسخ» از نظر لغت به معنی از بین بردن و زائل نمودن است، و در منطق شرع، تغییر دادن حکمی و جانشین ساختن حکم دیگر به جای آن است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۰۹

سورة البقرة (2) : آية 107] ص : 109

(آیه ۱۰۷)- «آیا نمی دانی حکومت آسمانها و زمین از آن خدا است» (أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ). او حق دارد هر گونه تغییر و تبدیلی در احکامش طبق مصالح بدهد، و او نسبت به مصالح بندگانش از همه آگاهتر و بصیرتر است.

«و آیا نمی دانی که جز خدا سرپرست و یاوری برای شما نیست»؟ (وَ ما لَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ).

سورة البقرة (2) : آية 108] ص : 109

اشاره

آیه ۱۰۸

شأن نزول: ص: 109

از ابن عباس نقل شده که: «وهب بن زید» و «رافع بن حرمله» نزد رسولخدا صلّی اللّه علیه و اله آمدند و گفتند: از سوی خدا نامهای به عنوان ما بیاور تا آن را قرائت کنیم و سپس ایمان بیاوریم! و یا نهرهایی برای ما جاری فرما تا از تو پیروی کنیم! آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ١٠٩

بهانه های بی اساس - شاید پس از ماجرای تغییر قبله بود که جمعی از مسلمانان و مشرکان بر اثر وسوسه یهود، تقاضاهای بی مورد و نابجایی از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله کردند. خداونـد بزرگ آنها را از چنین پرسشـهایی نهی کرده میفرماید: «آیا شـما میخواهید از پیامبرتان همان تقاضاهای نامعقول را بکنیـد که پیش از این از موسـی کردنـد» و با این بهانه جوییها شانه از زیر بار ایمان خالی کنید (أُمْ تُرِیدُونَ أَنْ تَسْ تَلُوا رَسُولَکُمْ کَما سُئِلَ مُوسی مِنْ قَبْلُ).

و از آنجا که این کار، یک نوع مبادله «ایمان» با «کفر» است، در پایان آیه اضافه می کند: «کسی که کفر را به جای ایمان بپذیرد، از راه مستقیم گمراه شده است» (وَ مَنْ یَتَبَدَّلِ الْکُفْرَ بِالْإِیمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِیلِ).

در واقع قرآن میخواهد به مردم هشدار دهد که اگر شما دنبال چنین تقاضاهای نامعقول بروید، بر سرتان همان خواهد آمد که بر سر قوم موسی آمد.

اشتباه نشود اسلام هرگز از پرسشهای علمی و سؤالات منطقی و همچنین تقاضای معجزه برای پی بردن به حقّانیّت دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و اله جلوگیری نمی کند چرا که راه درک و فهم و ایمان همینها است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۱۰

سورة البقرة (2) : آية 109] ص: 110

(آیه ۱۰۹) - حسودان لجوج! بسیاری از اهل کتاب مخصوصا یهود بودند که تنها به این قناعت نمی کردند که خود آیین اسلام را نپذیرند بلکه اصرار داشتند که مؤمنان نیز از ایمانشان باز گردند، قرآن به انگیزه آنان در این امر اشاره کرده می گوید: «بسیاری از اهل کتاب به خاطر حسد دوست داشتند شما را بعد از اسلام و ایمان به کفر باز گردانند با این که حق برای آنها کاملا آشکار شده است» (وَدَّ کَثِیرٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ لَوْ یَرُدُّونَکُمْ مِنْ بَعْدِ إِیمانِکُمْ کُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِة هِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیّنَ لَهُمُ الْحَقُّ).

در اینجا قرآن به مسلمانان دستور میدهد که در برابر این تلاشهای انحرافی و ویرانگر «شما آنها را عفو کنید و گذشت نمایید تا خدا فرمان خودش را بفرستد چرا که خداوند بر هر چیزی توانا است» (فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّی یَأْتِیَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ).

سورة البقرة (2) : آية 110] ص: 110

(آیه ۱۱۰) - این آیه دو دستور سازنده مهم به مؤمنان میدهد یکی در مورد نماز که رابطه محکمی میان انسان و خدا ایجاد می کند و دیگری در مورد زکات که رمز همبستگی های اجتماعی است و این هر دو برای پیروزی بر دشمن لانزم است، می گوید: «نماز را بر پا دارید و زکات را ادا کنید» و با این دو وسیله روح و جسم خود را نیرومند سازید (وَ أَقِیمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّکاهَ).

سپس اضافه می کنـد: تصوّر نکنید کارهای نیکی را که انجام میدهید و اموالی را که در راه خدا انفاق می کنید از بین میرود، نه «آنچه از نیکیها از پیش میفرستیـد آنها را نزد خـدا (در سـرای دیگر) خواهیـد یافت» (وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِـكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ).

«خداوند به تمام اعمال شما بصیر است» (إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِة یرٌ). او بطور دقیق می داند کدام عمل را به خاطر او انجام داده اید و کدام یک را برای غیر او.

سورة البقرة (٢) : آية 111] ص: 110

(آیه ۱۱۱)-انحصار طلبان بهشت! قرآن در این آیه اشاره به یکی دیگر از ادّعاهای پوچ و نابجای گروهی از یهودیان و مسیحیان کرده و سپس پاسخ دندان شکن به آنها می گوید: «آنها گفتند: هیچ کس جز یهود و نصاری داخل بهشت بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۱۱

نخواهد شد» (وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةُ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصارى).

در پاسخ ابتدا می فرماید: «این تنها آرزویی است که دارند» و هرگز به این آرزو نخواهند رسید (تِلْکُ أَمانِیُّهُمْ).

بعد روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و اله کرده می گوید: «به آنها بگو هر ادّعایی دلیلی میخواهد چنانچه در این ادّعا صادق هستید دلیل خود را بیاورید» (قُلْ هاتُوا بُرْهانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

سورة البقرة (2) : آية 112] ص: 111

(آیه ۱۱۲) - پس از اثبات این واقعیّت که آنها هیچ دلیلی بر این مـدّعی ندارنـد و ادّعای انحصاری بودن بهشت، تنها خواب و خیالی است که در سر می پرورانند، معیار اصلی و اساسی ورود در بهشت را به صورت یک قانون کلی بیان کرده، می گوید: آری! کسی که در برابر خداوند تسلیم گردد و نیکوکار باشد پاداش او نزد پروردگارش ثابت است» (بَلی مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ).

چنین کسانی نیکوکاری وصف آنها شده و در عمق جانشان نفوذ کرده است، و بنابراین «چنین کسانی نه ترسی خواهند داشت و نه غمگین می شوند» (وَ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ).

نفی خوف و غم از پیروان خط توحید، دلیلش روشن است، چرا که آنها تنها از خدا می ترسند، و از هیچ چیز دیگر وحشت ندارند، ولی مشرکان خرافی از همه چیز ترس دارند، از گفته های این و آن، از فال بد زدن، از سنتهای خرافی و از بسیاری چیزهای دیگر.

سورة البقرة (2) : آية 113] ص : 111

اشاره

آیه ۱۱۳

شأن نزول: ص: 111

جمعی از مفسران از ابن عباس چنین نقل کردهاند:

هنگامی که گروهی از مسیحیان «نجران» خدمت رسولخدا صلّی الله علیه و اله آمدند، عدهای از علمای یهود نیز در آنجا حضور یافتند، بین آنها و مسیحیان در محضر پیامبر صلّی الله علیه و اله نزاع و مشاجره در گرفت، «رافع بن حرمله» (یکی از یهودیان) رو به جمعیت مسیحیان کرد و گفت: آیین شما پایه و اساسی ندارد و نبوّت عیسی و کتاب او انجیل را انکار کرد، مردی از مسیحیان نجران نیز عین این جمله را در پاسخ آن یهودی تکرار نمود و گفت: آیین یهود پایه و اساسی ندارد، در این هنگام آیه نازل برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۱۲

شد و هر دو دسته را به خاطر گفتار نادرستشان ملامت نمود.

تفسير: ص: ١١٢

تضادهای ناشی از انحصار طلبی- در آیات گذشته گوشهای از ادّعاهای بیدلیل جمعی از یهود و نصاری را دیـدیم آیه مورد بحث نشان میدهد که وقتی پای ادّعای بی دلیل به میان آید نتیجهاش انحصار طلبی و سپس تضاد است.

مى گويـد: «يهوديان گفتنـد: مسـيحيان هيـچ موقعيتى نزد خدا ندارند، و مسـيحيان نيز گفتند: يهوديان هيچ موقعيتى ندارند و بر باطلند»! (وَ قالَتِ الْيُهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيُهُودُ عَلى شَيْءٍ).

سپس اضافه می کند: «آنها این سخنان را می گویند در حالی که کتاب آسمانی را میخوانند»! (وَ هُمْ یَتْلُونَ الْکِتابَ). یعنی با در دست داشتن کتابهای الهی که می تواند راهگشای آنها در این مسائل باشد این گونه سخنان که سر چشمهای جز تعصّب و عناد و لجاجت ندارد بسیار عجیب است.

سپس قرآن اضافه می کند: «مشرکان نادان نیز همان چیزی را می گفتنـد که اینها می گوینـد» با این که اینها اهل کتابنـد و آنها بت پرست (کَذلِکَ قالَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ).

در پایان آیه آمده است «خداوند داوری این اختلاف را در قیامت به عهده خواهد گرفت) (فَاللَّهُ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ).

آنجاست که حقایق روشنتر می شود و اسناد و مدارک هر چیز آشکار است، کسی نمی تواند حق را منکر شود.

سورة البقرة (2) : آية 114] ص : 117

اشاره

آیه ۱۱۴

شأن نزول: ص: 112

شأن نزولهایی برای این آیه نقل شده، از جمله: در روایتی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم که این آیه در مورد قریش نازل گردید، در آن هنگام که پیامبر صلّی الله علیه و اله را از ورود به شهر مکّه و مسجد الحرام جلوگیری می کردند.

تفسير: ص: 112

ستمکارترین مردم- بررسی شأن نزولهای آیه نشان میدهد که روی سخن در آیه با سه گروه، یهود و نصاری و مشرکان است. قرآن در برابر این سه گروه و تمام کسانی که در راهی مشابه آنها گام بر میدارند می گوید: «چه کسی ستمکارتر است از آنها که از بردن نام خدا در مساجد برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۱۳

الهي جلوگيري ميكنند و سعى در ويراني آنها دارند»! (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللَّهِ أَنْ يُـذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ سَعى فِي خَرابها).

سپس در ذیل این آیه می گوید: «شایسته نیست آنها جز با ترس و وحشت وارد این اماکن شوند» (أُولئِ-کُ ما کانَ لَهُمْ أَنْ یَدْخُلُوها إِلَّا خائِفِینَ).

یعنی مسلمانان و موحّدان جهان باید آنچنان محکم بایستند که دست این ستمگران از این اماکن مقدس کوتاه گردد.

و در پایان آیه مجازات دنیا و آخرت این ستمکاران را با تعبیر تکان دهندهای بیان کرده، می گوید: «برای آنها در دنیا رسوایی است و در آخرت عذاب عظیم» (لَهُمْ فِی اللَّنْیا خِزْیٌ وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِیمٌ).

در حقیقت هر عملی که نتیجه آن تخریب مساجد و از رونق افتادن آن باشد نیز مشمول همین حکم است.

سورة البقرة (2) : آية 115] ص : 113

اشاره

آیه ۱۱۵

شأن نزول: ص: 113

ابن عباس می گوید: این آیه مربوط به تغییر قبله است، هنگامی که قبله مسلمانان از بیت المقدس به کعبه تغییر یافت یهود در مقام انکار بر آمدند و به مسلمانان ایراد کردند که مگر می شود قبله را تغییر داد؟ آیه نازل شد و به آنها پاسخ داد که شرق و غرب جهان از آن خدا است.

تفسير: ص: ١١٣

به هر سو رو كنيد خدا آنجاست! در آيه قبل سخن از ستمگرانی بود كه مانع از مساجد الهی می شدند، و در تخريب آن می كوشيدند اين آيه دنباله همين سخن است، می گويد: «مشرق و مغرب از آن خداست، و به هر طرف رو كنيد خدا آنجاست» (وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجُهُ اللَّهِ).

منظور از مشرق و مغرب در آیه فوق اشاره به دو سمت خاص نیست بلکه این تعبیر کنایه از تمام جهات است.

چنین نیست که اگر شما را از رفتن به مساجد و پایگاههای توحید مانع شوند، راه بندگی خدا بسته شود، مگر جایی هست که از خدا خالی باشد، اصولا خدا مکان ندارد. و لذا در پایان آیه میفرماید: «خداوند نامحدود و بینیاز و دانا است» (إِنَّ اللَّهَ

واسِعٌ عَلِيمٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۱۴

سورة البقرة (2) : آية 116] ص: 114

(آیه ۱۱۶)- خرافات یهود و نصاری و مشرکان! این عقیده خرافی که خداوند دارای فرزندی است هم مورد قبول مسیحیان است، هم گروهی از یهود، و هم مشرکان آیه شریفه برای کوبیدن این خرافه چنین می گوید: «آنها گفتند:

خداوند فرزندی برای خود انتخاب کرده است، پاک و منزّه است او از این نسبتهای ناروا» (وَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ).

خدا چه نیازی دارد که فرزندی برای خود برگزیند؟ آیا نیازمند است؟

احتیاج به کمک دارد؟ احتیاج به بقاء نسل دارد؟ «برای او است آنچه در آسمانها و زمین است» (بَیلْ لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

«و همگان در برابر او خاضعند» (کُلُّ لَهُ قانِتُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 117] ص : 114

اشاره

(آیه ۱۱۷)- او نه تنها مالک همه موجودات عالم هستی است، بلکه «ایجاد کننده همه آسمانها و زمین اوست» (بَدِیعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

و حتى بدون نقشه قبلي و بدون احتياج به وجود ماده، همه آنها را ابداع فرموده است.

او چه نیازی به فرزنـد دارد در حالی که: «هر گـاه فرمـان وجود چیزی را صـادر کنـد به او میگویـد: موجود باش، و آن فورا موجود میشود»! (وَ إِذا قَضی أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

این جمله از حاکمیّت خداوند در امر خلقت سخن می گوید.

دلایل نفی فرزند- ص: ۱۱۴

این سخن که خداوند فرزندی دارد بدون شک زاییده افکار ناتوان انسانهایی است که خدا را در همه چیز با وجود محدود خودشان مقایسه می کردند.

انسان به دلایل مختلفی نیاز به وجود فرزند دارد: از یکسو عمرش محدود است و برای ادامه نسل تولد فرزند لازم است. از سوی دیگر قدرت او محدود است، و مخصوصا به هنگام پیری و ناتوانی نیاز به معاونی دارد که به او در کارهایش کمک کند.

از سوی سوم جنبه های عاطفی، و روحیه انس طلبی، ایجاب می کند که انسان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۱۵ مونسی در محیط زندگی خود داشته باشد که آن هم به وسیله فرزندان تأمین می گردد. بدیهی است هیچ یک از این امور در مورد خداوندی که آفریننده عالم هستی و قادر بر همه چیز و ازلی و ابدی است مفهوم ندارد.

به علاوه داشتن فرزند لازمهاش جسم بودن است که خدا از آن نیز منزّه میباشد.

سورة البقرة (2) : آية 118] ص: 110

(آیه ۱۱۸)- بهانه دیگر: چرا خدا با ما سخن نمی گوید؟! به تناسب بهانه جوییهای یهود، در این آیه سخن از گروه دیگری از بهانه جویان است که ظاهرا همان مشرکان عرب بودند، می گوید: «افراد بیاطلاع گفتند: چرا خدا با ما سخن نمی گوید؟ و چرا آیه و نشانهای بر خود ما نازل نمی شود»؟ (وَ قالَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ لَوْ لا یُکَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِینَا آیَهٌ).

قرآن در پاسخ این ادّعاهای لجوجانه و خودخواهانه می گوید: «پیشینیان آنها نیز همین گونه سخنان داشتند، دلها و افکارشان مشابه است، ولی ما آیات و نشانهها را (به مقدار کافی) برای آنها که حقیقت جو و اهل یقین هستند روشن ساختیم» (کَذلِکَ قالَ الّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَیّنًا الْآیاتِ لِقَوْم یُوقِنُونَ).

اگر به راستی منظور آنها درک حقیقت و واقعیت است، همین آیات را که بر پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله نازل کردیم نشانه روشنی بر صدق گفتار او است، چه لزومی دارد که بر هر یک یک از افراد مستقیما و مستقلا آیاتی نازل شود؟ و چه معنی دارد که من اصرار کنم باید خدا مستقیما با خود من سخن بگوید؟!

سورة البقرة (2) : آية 119] ص : 110

(آیه ۱۱۹)- در این آیه روی سخن را به پیامبر کرده و وظیفه او را در برابر درخواست معجزات اقتراحی و بهانه جوییهای دیگر مشخص می کند می گوید:

«ما تو را به حق برای بشارت و انذار (مردم جهان) فرستادیم» (إِنَّا أَرْسَلْناکَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً).

تو وظیفه داری دستورات ما را برای همه مردم بیان کنی، معجزات را به آنها نشان دهی و حقایق را با منطق تبیین نمایی، و این دعوت باید توأم با تشویق برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۱۶

نیکو کاران، و بیم دادن بدکاران، باشد این وظیفه تو است.

«اما اگر گروهی از آنها بعد از انجام این رسالت ایمان نیاوردند تو مسؤول گمراهی دوزخیان نیستی» (وَ لا تُسْ مَلُ عَنْ أَصْ حابِ الْجَحِیم).

سورة البقرة (2) : آية 120] ص : 118

اشاره

شأن نزول: ص: 116

از ابن عباس نقل شده که: یهود مدینه و نصارای نجران انتظار داشتند که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله همواره در قبله با آنها موافقت کند، هنگامی که خداوند قبله مسلمانان را از بیت المقدس به سوی کعبه گردانید آنها از پیامبر صلّی اللّه علیه و اله مأیوس شدند (و شاید در این میان بعضی از طوایف مسلمانان ایراد می کردند که نباید کاری کرد که باعث رنجش یهود و نصاری گردد).

آیه نازل شد و به پیامبر اعلام کرد که این گروه از یهود و نصاری نه با هماهنگی در قبله و نه با چیز دیگر از تو راضی نخواهند شد، جز این که آیین آنها را دربست بپذیری.

تفسير: ص: 116

جلب رضایت این گروه ممکن نیست- از آنجا که در آیه قبل سلب مسؤولیّت از پیامبر صلّی اللّه علیه و اله در برابر گمراهان لجوج می کند، قرآن در ادامه همین بحث به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله می گوید: اصرار بر جلب رضایت یهود و نصاری نداشته باش، چه این که «آنها هر گز از تو راضی نخواهند شد مگر این که بطور کامل تسلیم خواسته های آنها و پیرو آیینشان شوی» (وَ لَنْ تَرْضی عَنْکُ الْیَهُودُ وَ لَا النّصاری حَتَّی تَتَبَعَ مِلّتَهُمْ). تو وظیفه داری «به آنها بگویی که هدایت، تنها هدایت الهی است» (قُلْ إِنَّ هُدَی اللّهِ هُوَ الْهُدی).

هدایتی که آمیخته با خرافات و افکار منحط افراد نادان نشده است.

سپس اضافه می کند: «اگر تسلیم تعصبها و هوسها و افکار کوتاه آنها شوی بعد از آن که در پرتو وحی الهی حقایق برای تو روشن شده، هیچ سرپرست و یاوری از ناحیه خدا برای تو نخواهد بود» (وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِی جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ).

سورة البقرة (2) : آية 121] ص: 116

اشاره

آیه ۱۲۱

شأن نزول: ص: 118

بعضی از مفسران معتقدند که این آیه در باره افرادی که با «جعفر بن أبی طالب» از حبشه آمدند و از کسانی بودند که در آنجا به او پیوستند نازل شد، آنها چهل نفر بودند، سی و دو نفر اهل حبشه، و هشت نفر از راهبان شام برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۱۷

که «بحیرا» راهب معروف نیز جزء آنان بود.

بعضی دیگر معتقدنمد که آیه در باره افرادی از یهود هماننمد «عبد الله بن سلام» و «سعید بن عمرو» و «تمام بن یهودا» و امثال آنها نازل شده که اسلام را پذیرفتند و به راستی مؤمن شدند.

تفسير: ص: ١١٧

اشاره

از آنجا که جمعی از حق طلبان یهود و نصاری، دعوت پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله را لبّیک گفتند و این آیین را پذیرا شدند، قرآن پس از مذمت گروه سابق از اینها به نیکی یاد می کند و می گوید: «کسانی که کتاب آسمانی را به آنها دادیم و از روی دقت آن را تلاوت کرده و حق تلاوتش را (که تفکر و اندیشه و سپس عمل است) ادا کردند به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله ایمان می آورند» (الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولِئِکَ یُوْمِنُونَ بِهِ). «و آنها که نسبت به آن کافر شدند به خودشان ظلم کردند، همان زیانکارانند» (وَ مَنْ یَکْفُرْ بِهِ فَأُولِئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ).

۱- جلب رضایت دشمن، حسابی دارد- ص: ۱۱۷

درست است که انسان باید با نیروی جاذبه اخلاق دشمنان را به سوی حق دعوت کند، ولی این در مقابل افراد انعطاف پذیر است، اما کسانی که هرگز تسلیم حرف حق نیستند، نباید در فکر جلب رضایت آنها بود، اینجا است که اگر ایمان نیاوردند باید گفت: به جهنّم! و بیهوده نباید وقت صرف آنها کرد.

٢- حق تلاوت چيست؟ ص: ١١٧

این تعبیر پر معنایی است. در حدیثی از امام صادق علیه السّر الام در تفسیر این آیه میخوانیم که فرمود: «منظور این است که آیات آن را با دقّت بخوانند و حقایق آن را درک کنند و به احکام آن عمل بنمایند، به وعدههای آن امیدوار، و از وعیدهای آن ترسان باشند، از داستانهای آن عبرت گیرند، به اوامرش گردن نهند و نواهی آن را بپذیرند، به خدا سوگند منظور حفظ کردن آیات و خواندن حروف و تلاوت سورهها و یاد گرفتن اعشار و اخماس «۱» آن نیست- آنها حروف قرآن

(۱) منظور از «اعشار» و «اخماس» تقسیماتی که در قرآن می شود مانند: تقسیم به سی جزء و یا هر جزء به چهار حزب و امثال آن است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۱۸

را حفظ کردند اما حدود آن را ضایع ساختند، منظور تنها این است که در آیات قرآن بیندیشند و به احکامش عمل کنند، چنانکه خداوند می فرماید: این کتابی است پر برکت که ما بر تو نازل کردیم تا در آیاتش تدبّر کنند»

سورة البقرة (2) : آية 122] ص : 118

(آیه ۱۲۲)– بار دیگر خداوند روی سخن را به بنی اسرائیل کرده میفرماید:

«ای بنی اسرائیل به خاطر بیاورید نعمتهایی را که به شما ارزانی داشتم و نیز به خاطر بیاورید که من شما را بر جهانیان (بر تمام مردمی که در آن زمان زنـدگی میکردنـد) برتری بخشـیدم» (یا بَنِی إِش<u>ْرائِیلَ</u> اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعالَمِینَ).

سورة البقرة (2) : آية 123] ص: 118

(آیه ۱۲۳) – ولی از آنجا که هیچ نعمتی بدون مسؤولیّت نخواهد بود، بلکه خداوند در برابر بخشیدن هر موهبتی تکلیف و تعهّیدی بر دوش انسان می گذارد در این آیه به آنها هشدار میدهد و می گوید: «از آن روز بترسید که هیچ کس از دیگری دفاع نمی کند» (وَ اتَّقُوا یَوْماً لا تَجْزی نَفْسٌ عَنْ نَفْس شَیْئاً).

«و چیزی به عنوان غرامت و یا فدیه که بلاگردان آنها باشد پذیرفته نمی شود» (وَ لا یُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ).

«و هيچ شفاعتي (جز به اذن پروردگار) او را سود ندهد» (وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ).

و اگر فکر می کنید کسی در آنجا- جز خدا- می تواند انسان را کمک کند اشتباه است چرا که «هیچ کس در آنجا یاری نمی شود» (وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 124] ص : 118

اشاره

(آیه ۱۲۴)- «امامت» اوج افتخار ابراهیم (ع). از این آیات به بعد سخن از ابراهیم قهرمان توحید و بنای خانه کعبه و اهمیّت این کانون توحید و عبادت است که ضمن هیجده آیه این مسائل را بر شمرده است.

هدف از این آیات در واقع سه چیز است: نخست این که مقدمهای برای مسأله تغییر قبله است، و دیگر این که یهود و نصاری ادعا می کردند ما وارثان ابراهیم و آیین او هستیم و این آیات مشخص میسازد که آنها تا چه حد از آیین ابراهیم بیگانهاند.

سوم این که مشرکان عرب نیز پیوند ناگسستنی میان خود و ابراهیم قائل برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۱۹

بودند، باید به آنها نیز فهمانده شود که برنامه شما هیچ ارتباطی با برنامه این پیامبر بزرگ بت شکن ندارد.

در این آیه به مهمترین فرازهای زندگی ابراهیم (ع) اشاره کرده، می گوید:

«به خاطر بیاوریـد هنگـامی را که خداونـد ابراهیم را با وسایل گوناگون آزمود و او را عهـده آزمایش به خوبی بر آمـد» (وَ إِذِ ابْتَلی إِبْراهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ).

خداوند می باید جایزه ای به او بدهد «فرمود: من تو را امام و رهبر و پیشوای مردم قرار دادم» (قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً). «ابراهیم تقاضا کرد که از دودمان من نیز امامانی قرار ده» تا این رشته نبوّت و امامت قطع نشود و قائم به شخص من نباشد (قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَتِی).

اما خداوند در پاسخ او «فرمود: پیمان من، یعنی مقام امامت، به ظالمان هر گز نخواهد رسید» (قال لا یَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ).

تقاضای تو را پذیرفتیم، ولی تنها آن دسته از ذریّه تو که پاک و معصوم باشند شایسته این مقامنـد! از آیه فوق اجمالا چنین

استفاده می شود: مقام امامتی که به ابراهیم بعد از پیروزی در همه این آزمونها بخشیده شد. فوق مقام نبوّت و رسالت بود. این حقیقت اجمالاً در حدیث پر معنی و جالبی از امام صادق علیه السّلام نقل شده، آنجا که می فرماید:

«خداوند ابراهیم را بنده خاص خود قرار داد پیش از آن که پیامبرش قرار دهد، و خداوند او را به عنوان نبی انتخاب کرد پیش از آن که او را به عنوان خلیل خود برگزیند، و او را زر آن که او را به عنوان خلیل خود برگزیند، و او را خلیل خود قرار داد پیش از آن که او را امام قرار دهد، هنگامی که همه این مقامات را جمع کرد فرمود: من تو را امام مردم قرار دادم، این مقام به قدری در نظر ابراهیم بزرگ جلوه کرد که عرض نمود: خداوندا! از دودمان من نیز امامانی انتخاب کن، فرمود: پیمان من به ستمکاران آنها نمی رسد ... یعنی شخص سفیه هر گز امام افراد با تقوا نخواهد شد». برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۲۰

نکتهها: ص: ۱۲۰

۱- منظور از «کلمات» چیست؟ ص: ۱۲۰

از بررسی آیات قرآن چنین استفاده می شود که مقصود از «کلمات» (جمله هایی که خداوند ابراهیم را به آن آزمود) یک سلسله وظایف سنگین و مشکل بوده که خدا بر دوش ابراهیم گذارده بود.

این دستورات عبارت بودند از: بردن فرزند به قربانگاه و آمادگی جدّی برای قربانی او به فرمان خدا! بردن زن و فرزند و گذاشتن آنها در سرزمین خشک و بی آب و گیاه مکّه! قیام در برابر بت پرستان بابل و شکستن بتها و دفاع بسیار شجاعانه در آن محاکمه تاریخی و قرار گرفتن در دل آتش! مهاجرت از سرزمین بت پرستان و پشت پا زدن به زندگی خود، و مانند اینها که هر یک آزمایشی بسیار سنگین بود، اما او با قدرت و نیروی ایمان از عهده همه آنها بر آمد و اثبات کرد شایستگی مقام «امامت» را دارد.

۲- فرق نبوت و امامت و رسالت: ص: ۱۲۰

اشاره

بطوری که از آیات و احادیث بر می آید کسانی که از طرف خدا مأموریت داشتند دارای مقامات مختلفی بودند:

مقام نبوت ----- ص: 1۲۰

یعنی دریافت وحی از خداوند، بنابراین «نبی» کسی است که وحی بر او نازل میشود.

مقام رسالت-.... ص: 120

یعنی مقام ابلاغ وحی و تبلیغ و نشر احکام خداوند و تربیت نفوس از طریق تعلیم و آگاهی بخشیدن، بنابراین رسول کسی است که موظف است در حوزه مأموریت خود به تلاش و کوشش برخیزد، و برای یک انقلاب فرهنگی و فکری و عقیدتی تلاش نماید.

مقام امامت-.... ص: ۱۲۰

یعنی رهبری و پیشوایی خلق، در واقع امام کسی است که با تشکیل یک حکومت الهی سعی میکند احکام خدا را عملا اجرا و پیاده نماید.

به عبارت دیگر وظیفه امام اجرای دستورات الهی است در حالی که وظیفه رسول ابلاغ این دستورات میباشد.

۳- امامت یا آخرین سیر تکاملی ابراهیم- ص: ۱۲۰

مقام امامت، مقامی است بالاتر و حتی برتر از نبوت و رسالت، این مقام نیازمند شایستگی فراوان در جمیع جهات برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۲۱

است که ابراهیم پس از امتحان شایستگی از طرف خداوند دریافت داشت و این آخرین حلقه سیر تکاملی ابراهیم بود.

سورة البقرة (2) : آية 125] ص : 121

(آیه ۱۲۵) – عظمت خانه خدا! بعد از اشاره به مقام والای ابراهیم در آیه قبل، در این آیه به بیان عظمت خانه کعبه که به دست ابراهیم ساخته و آماده شد پرداخته، می فرماید: «به خاطر بیاورید هنگامی را که خانه کعبه را «مثابهٔ» (محل بازگشت و توجه) مردم قرار دادیم و مرکز امن و امان» (وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَیْتَ مَثابَهٔ لِلنَّاس وَ أَمْناً).

از آنجا که خانه کعبه مرکزی بوده است برای موحدان که همه سال به سوی آن رو می آوردند، نه تنها از نظر جسمانی که از نظر روحانی نیز بازگشت به توحید و فطرت نخستین می کردند، از این رو به عنوان «مثابه» معرفی شده، اما این که خانه کعبه از طرف پروردگار به عنوان یک پناهگاه و کانون امن و امان اعلام شده، می دانیم: در اسلام مقررات شدیدی برای اجتناب از هر گونه نزاع و کشمکش و جنگ و خونریزی در این سرزمین مقدس وضع شده است، بطوری که نه تنها افراد انسان بلکه حیوانات و پرندگان نیز در آنجا در امن و امان به سر می برند و این در حقیقت اجابت یکی از درخواستهایی است که ابراهیم از خداوند که د.

سپس اضافه می کند: «از مقام ابراهیم نمازگاهی برای خود انتخاب کنید» (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِیمَ مُصَیلًی). و آن همان مقام معروف ابراهیم است که محلی است در نزدیکی خانه کعبه و حجّاج بعد از انجام طواف به نزدیک آن میروند و نماز طواف بجا می آورند.

سپس اشاره به پیمانی که از ابراهیم و فرزندش اسماعیل در باره طهارت خانه کعبه گرفته است میفرماید: و میگوید: «ما به ابراهیم و اسماعیل امر کردیم که خانه مرا برای طواف کنندگان و مجاوران و رکوع کنندگان و سجده کنندگان (نماز گزاران) پاکیزه دارند» (وَ عَهِدْنا إِلی إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ أَنْ طَهِّرا بَیْتِیَ لِلطَّائِفِینَ وَ الْعاکِفِینَ وَ الرُّکَع السُّجُودِ).

منظور از طهارت و پاکیزگی در اینجا پاک ساختن ظاهری و معنوی این خانه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۲۲ توحید از هر گونه آلودگی است.

چرا خانه خدا! در آیه فوق از خانه کعبه به عنوان «بَیْتی» (خانه من) تعبیر شده در حالی که روشن است خداوند نه جسم است و نه نیاز به خانه دارد، منظور از این اضافه همان «اضافه تشریفی» است به این معنی که برای بیان شرافت و عظمت چیزی آن را به خدا نسبت می دهند، ماه رمضان را «شهر الله» و خانه کعبه را «بیت الله» می گویند.

سورة البقرة (2) : آية 126] ص: 127

(آیه ۱۲۶)- خواسته های ابراهیم از پیشگاه پروردگار! در این آیه ابراهیم دو درخواست مهم از پروردگار برای ساکنان این سرزمین مقدس میکند که به یکی از آنها در آیه قبل نیز اشاره شد.

قرآن می گوید: «به خاطر بیاورید هنگامی که ابراهیم عرض کرد پروردگارا! این سرزمین را شهر امنی قرار ده» (وَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً).

دوّمین تقاضایش این است که: «اهـل این سـرزمین را- آنهـا که به خـدا و روز بازپسـین ایمان آوردهانـد- از ثمرات گوناگون روزی ببخش» (وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ).

جالب این که ابراهیم نخست تقاضای «امنیت» و سپس درخواست «مواهب اقتصادی» می کند، و این خود اشارهای است به این حقیقت که تا امنیت در شهر یا کشوری حکمفرما نباشد فراهم کردن یک اقتصاد سالم ممکن نیست! خداوند در پاسخ این تقاضای ابراهیم چنین «فرمود: اما آنها که راه کفر را پوییدهاند بهره کمی (از این ثمرات به آنها خواهم داد» و بطور کامل محروم نخواهم کرد! (قالَ وَ مَنْ کَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِیلًا).

اما در سراى آخرت «آنها را به عذاب آتش مىكشانم و چه بد سر انجامى دارند» (ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذابِ النَّارِ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ).

سورة البقرة (2) : آية 127] ص : 122

(آیه ۱۲۷)- ابراهیم خمانه کعبه را بنا می کند! از آیات مختلف قرآن و احادیث و تواریخ اسلامی بخوبی استفاده می شود که خانه کعبه پیش از ابراهیم، حتی از زمان آدم بر پا شده بود، سپس در طوفان نوح فرو ریخت و بعد به دست برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۲۳

ابراهیم و فرزندش اسماعیل تجدید بنا گردید. اتفاقا تعبیری که در این آیه به چشم میخورد نیز همین معنی را میرساند آنجا که می گوید: «بیاد آورید هنگامی را که ابراهیم و اسماعیل پایههای خانه (کعبه) را بالا میبردند، و می گفتند: پروردگارا! از ما بپذیر تو شنوا و دانایی» (وَ إِذْ یَرْفَعُ إِبْراهِیمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَیْتِ وَ إِسْماعِیلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ).

این تعبیر میرساند که شالودههای خانه کعبه وجود داشته و ابراهیم و اسماعیل پایهها را بالا بردند.

در دو آیه بعد ابراهیم و فرزندش اسماعیل، پنج تقاضای مهمّ از خداوند جهان می کنند.

سورة البقرة (2) : آية 128] ص : 123

(آیه ۱۲۸)- نخست عرضه می دارند: «پروردگارا! ما را تسلیم فرمان خودت قرار ده» (رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَیْنِ لَکَ). بعد تقاضا می کنند: «از دودمان ما نیز امّتی مسلمان و تسلیم در برابر فرمانت قرار ده» (وَ مِنْ ذُرِّیَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَکَ). سپس تقاضا می کنند: «طرز پرستش و عبادت خودت را به ما نشان ده، و ما را از آن آگاه ساز» (وَ أُرِنا مَناسِکَنا). تا بتوانیم آن گونه که شایسته مقام تو است عبادتت کنیم.

بعـد از خـدا تقاضای توبه کرده، می گوینـد: «توبه ما را بپذیر و رحمتت را متوجّه ما گردان که تو توّاب و رحیمی» (وَ تُبْ عَلَیْنا إِنَّکَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِیمُ).

سورة البقرة (2) : آية 129] ص: 123

اشاره

(آیه ۱۲۹)– پنجمین تقاضای آنها این است که: «پروردگارا! در میان آنها پیامبری از خودشان مبعوث کن» (رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ).

«تا آیات تو را بر آنها بخوانـد و کتاب و حکمت به آنان بیاموزد و آنها را پاکیزه کند» (یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِکَ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ یُنَرِّکِیهِمْ).

«چرا که تو توانا هستی و بر تمام این کارها قدرت داری» (إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَکِيمُ)

پیامبری از میان خود آنها-.... ص: ۱۲۳

این تعبیر که رهبران و مربیان انسان باید از نوع برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۲۴

خود او باشند، با همان صفات و غرایز بشری، تا بتوانند از نظر جنبههای عملی، سرمشقهای شایستهای باشند، بدیهی است اگر از غیر جنس بشر باشند نه آنها می توانند دردها، نیازها، مشکلات، و گرفتاریهای مختلف انسانها را درک کنند و نه انسانها می توانند از آنها سرمشق بگیرند.

سورة البقرة (٢) : آية ١٣٠] ص: ١٢٤

(آیه ۱۳۰)- ابراهیم انسان نمونه! در آیات گذشته بعضی از خدمات ابراهیم و خواسته ها و تقاضاهای او که جامع جنبه های مادی و معنوی بود مورد بررسی قرار گرفت.

از مجموع این بحثها به خوبی استفاده شد که مکتب این پیامبر بزرگ می تواند به عنوان یک مکتب انسان ساز مورد استفاده همگان قرار گیرد.

بر اساس همین مطلب در این آیه چنین می گویـد: «چه کسـی جز افرادی که خود را به سـفاهت افکندهاند از آیین پاک ابراهیم روی گردان خواهد شد» (وَ مَنْ یَرْغَبُ عَنْ مِلَّهٔ إِبْراهِیمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ).

آیا این سفاهت نیست که انسان، آیینی را که هم آخرت در آن است و هم دنیا، رها کرده و به سراغ برنامههایی برود که دشمن خرد و مخالف فطرت و تباه کننده دین و دنیا است! سپس اضافه می کند: «ما ابراهیم را (بخاطر این امتیازات بزرگش) برگزیدیم و او در جهان دیگر از صالحان است» (وَ لَقَدِ اصْطَفَیْناهُ فِی الدُّنْیا وَ إِنَّهُ فِی اللَّخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِینَ).

سورة البقرة (2) : آية 131] ص: 124

(آیه ۱۳۱)- این آیه به عنوان تأکید به یکی دیگر از ویژگیهای برگزیده ابراهیم که در واقع ریشه بقیه صفات او است اشاره کرده می گوید: «به خاطر بیاورید هنگامی را که پروردگار به او گفت: در برابر فرمان من تسلیم باش، او گفت: در برابر پروردگار جهانيان تسليم شدم» (إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ).

سورة البقرة (2) : آية 132] ص: 124

(آیه ۱۳۲)- وصیت و سفارشی که در آخرین ایام عمر خود به فرزندانش نمود آن نیز نمونه بود، چنانکه قرآن می گوید: «ابراهیم و یعقوب فرزندان خود را در باز پسین لحظات عمر به این آیین پاک توحیدی وصیت کردند» (وَ وَصَّی بِها بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۲۵

إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ)

هر كـدام به فرزنـدان خود گفتنـد: «فرزندان من! خداوند اين آيين توحيد را براى شـما برگزيده است» (يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْـ طَفى لَكُمُ الدِّينَ).

«بنابراین جز بر این آیین رهسپار نشوید و جز با قلبی مملو از ایمان و تسلیم جهان را وداع نگویید» (فَلاـ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 123] ص: 125

اشاره

آیه ۱۳۳

شأن نزول: ص: 125

اعتقاد جمعی از یهود این بود که «یعقوب» به هنگام مرگ، فرزندان خویش را به دینی که هم اکنون یهود به آن معتقدند (با تمام تحریفاتش) توصیه کرد، خداوند در رد اعتقاد آنان این آیه را نازل فرمود.

تفسير: ص: ١٢٥

همه مسؤول اعمال خویشند- چنانکه در شأن نزول آیه خواندیم جمعی از منکران اسلام مطلب نادرستی را به یعقوب پیامبر خدا نسبت میدادند.

قرآن برای رد این ادعای بی دلیل می گوید: «مگر شما به هنگامی که مرگ یعقوب فرا رسید حاضر بودید» که چنان توصیهای را به فرزندانش کرد (أُمْ کُنْتُمْ شُهَداءَ إذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ).

آرى! آنچه شما به او نسبت مىدهيد نبود، آنچه بود اين بود كه: «در آن هنگام از فرزندان خود پرسيد، بعد از من چه چيز را مىپرستيد»؟ (إذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى).

آنها در پاسخ گفتنـد: «خـدای تو و خـدای پـدرانت ابراهیم و اسـماعیل و اسـحاق را میپرستیم خداوند یگانه یکتا» (قالُوا نَعْبُدُ

إِلهَكَ وَ إِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ إِلهاً واحِداً). «و ما در برابر فرمان او تسليم هستيم» (وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 134] ص : 125

(آیه ۱۳۴)- این آیه گویا پاسخ به یکی از اشتباهات یهود است، چرا که آنها بسیار روی مسأله نیاکان و افتخار آنها و عظمتشان در پیشگاه خدا تکیه می کردند.

قرآن می گوید: «آنها امتی بودند که در گذشتند، و اعمالشان مربوط به خودشان است، و اعمال شما نیز مربوط به خود شما است» (تِلْکُ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما کَسَبَتْ وَ لَکُمْ ما کَسَبْتُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۲۶

«و شما هرگز مسؤول اعمال آنها نخواهید بود» همان گونه که آنها مسؤول اعمال شما نیستند (وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا کانُوا یَعْمَلُونَ). بنابراین به جای این که تمام هم خود را مصروف به تحقیق و مباهات و افتخار نسبت به نیاکان خود کنید در اصلاح عقیده و عمل خویش بکوشید.

سورة البقرة (2) : آية 135] ص : 126

اشاره

آیه ۱۳۵

شأن نزول: ص: ۱۲۶

در شأن نزول این آیه و دو آیه بعد از ابن عباس چنین نقل شده که: چند نفر از علمای یهود و مسیحیان نجران با مسلمان بحث و گفتگو داشتند، هر یک از این دو گروه خود را اولی و سزاوارتر به آیین حق می دانست و دیگری را نفی می کرد، یهودیان می گفتند: موسی پیامبر ما از همه پیامبران برتر است و کتاب ما تورات بهترین کتاب است، عین همین ادعا را مسیحیان داشتند که مسیح بهترین راهنما و انجیل برترین کتب آسمانی است، و هر یک از پیروان این دو مذهب مسلمانان را به مذهب خویش دعوت می کردند، این سه آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ١٢٦

تنها ما بر حقیم! خودپرستی و خودمحوری معمولاـ سبب میشود که انسان حق را در خودش منحصر بدانـد، همه را بر باطل بشمرد و سعی کند دیگران را به رنگ خود در آورد چنانکه قرآن در این آیه می گوید: «اهل کتاب گفتند:

يهودى يا مسيحى شويد تا هدايت يابيد»! (وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا).

بگو آیینهای تحریف یافته هرگز نمی توانـد موجب هدایت بشر گردد «بلکه پیرو آیین خالص ابراهیم گردید تا هدایت شوید و

او هرگز از مشركان نبود» (قُلْ بَلْ مِلَّةً إِبْراهِيمَ حَنِيفًا وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

سورة البقرة (2) : آية 136] ص : 176

(آیه ۱۳۶)-این آیه به مسلمانان دستور می دهد که به مخالفان خود «بگویید: ما به خدا ایمان آورده ایم، و به آنچه از ناحیه او بر ما نازل شده و به آنچه بر ابراهیم و اسماعیل و اسحاق و یعقوب و پیامبران اسباط بنی اسرائیل نازل گردید و همچنین به آنچه به موسی و عیسی و پیامبران دیگر از ناحیه پروردگارشان داده شده ایمان داریم» (قُولُوا آمَنًا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْنا وَ ما أُوتِیَ النَّبیُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۲۷

«ما هیچ فرقی میان آنها نمی گذاریم و در برابر فرمان حق تسلیم هستیم» (لا نُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ). هدف همه آنها یک چیز بیشتر نبود و آن هدایت بشر در پرتو توحید خالص و حق و عدالت، هر چند هر یک از آنها در مقطعهای خاص زمانی خود وظایف و ویژگیهایی داشتند.

سورة البقرة (2) : آية 137] ص: 127

(آیه ۱۳۷)- سپس اضافه می کند: «اگر آنها به همین امور که شما ایمان آوردهاید ایمان بیاورند هدایت یافتهاند» (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا).

«و اگر سرپیچی کنند از حق جدا شدهاند» (وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ).

و در پایان آیه به مسلمانان دلگرمی میدهد که از توطئههای دشمنان نهراسند می گوید: «خداوند دفع شر آنها را از شما میکند و او شنونده و دانا است» سخنانشان را میشنود و از توطئههاشان آگاه است (فَسَیَکْفِیکَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ).

سورة البقرة (2) : آية 138] ص : 127

(آیه ۱۳۸)- رنگهای غیر خدایی را بشویید! به دنبال دعوتی که در آیات سابق از عموم پیروان ادیان، دائر به تبعیت از برنامههای همه انبیاء شده بود، در این آیه، به همه آنها فرمان می دهد که «تنها رنگ خدایی را بپذیرید» که همان رنگ ایمان و توحید خالص است (صِبْغَهٔ اللَّهِ).

و به این ترتیب قرآن فرمان می دهد همه رنگهای نژادی و قبیلگی و سایر رنگهای تفرقهانداز را از میان بردارند و همگی به رنگ الهی در آیند.

سپس اضافه می کند: «چه رنگی از رنگ خدایی بهتر است؟ و ما منحصرا او را پرستش می کنیم» (وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عابدُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 139] ص : 127

(آیه ۱۳۹) – و از آنجا که یهود و غیر آنها گاه با مسلمانان به محاجه و گفتگو بر میخاستند و می گفتند: تمام پیامبران از میان

جمعیت ما برخاسته، و دین ما قدیمی ترین ادیان و کتاب ما کهنترین کتب آسمانی است، اگر محمد نیز پیامبر بود باید از میان ما مبعوث شده باشد! قرآن خط بطلان به روی همه این پندارها کشیده، نخست به پیامبر می گوید:

«به آنها بگو: آیا در باره خداوند با ما گفتگو میکنید؟ در حالی که او پروردگار ما برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۲۸ و پروردگار شما است» (قُلْ أَ تُحَاجُّونَنا فِی اللَّهِ وَ هُوَ رَبُّنا وَ رَبُّکُمْ).

این را نیز بدانید که «ما در گرو اعمال خویشیم و شما هم در گرو اعمال خود» و هیچ امتیازی برای هیچ کس جز در پرتو اعمالش نمی باشد) (وَ لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ).

با این تفاوت که «ما با اخلاص او را پرستش میکنیم و موحد خالصیم» اما بسیاری از شما توحید را به شرک آلوده کردهاند (وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 140] ص : 128

(آیه ۱۴۰)-این آیه به قسمت دیگری از این ادعاهای بیاساس پاسخ گفته میفرماید: «آیا شما میگویید: ابراهیم و اسماعیل و اسحاق و یعقوب و اسباط همگی یهودی یا نصرانی بودهاند»)؟ (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصاری).

«آيا شما بهتر مي دانيد يا خدا»؟! (قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَم اللَّهُ).

خدا بهتر از همه کس می داند که آنها، نه یهودی بودند، و نه نصرانی.

شما هم کم و بیش میدانید و اگر هم ندانید باز بدون اطلاع، چنین نسبتی را به آنها دادن تهمت است و گناه، و کتمان حقیقت «و چه کسی ستمکارتر از آن کسی است که شهادت الهی را که نزد او است کتمان کند»؟ (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ).

سورة البقرة (2) : آية 141] ص : 128

(آیه ۱۴۱) - در این آیه به گونه دیگری به آنها پاسخ می گوید، میفرماید: به فرض این که همه این ادعاها درست باشد «آنها گروهی بودند که در گذشتند و پرونده اعمالشان بسته شد، و دورانشان سپری گشت و اعمالشان متعلق به خودشان است» (تِلْکَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما کَسَبَتْ).

«و شـما هـم مسؤول اعمال خویش هستید و هیچ گونه مسؤولیتی در برابر اعمال آنها ندارید» (وَ لَکُمْ ما کَسَ بْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا کانُوا یَعْمَلُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۲۹

آغاز جزء دوم قرآن مجيد ص: 179

ادامه سوره بقره ص: ۱۲۹

سورة البقرة (2) : آية 142] ص : 129

(آیه ۱۴۲)- ماجرای تغییر قبیله! این آیه و چند آیه بعد به یکی از تحولات مهم تاریخ اسلام اشاره می کند.

توضیح این که: پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله مدت سیزده سال پس از بعثت در مکه، و چند ماه بعد از هجرت در مدینه به امر خدا به سوی «بیت المقدس» نماز میخواند، ولی بعد از آن قبله تغییر یافت و مسلمانان مأمور شدند به سوی «کعبه» نماز مگذارند.

یهود از این ماجرا سخت ناراحت شدند و طبق شیوه دیرینه خود به بهانهجویی و ایرادگیری پرداختند چنانکه قرآن در این آیه می گوید: «بزودی بعضی از سبک مغزان مردم می گویند چه چیز آنها (مسلمانان) را از قبلهای که بر آن بودند بر گردانید»؟ (سَیَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاس ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِی کانُوا عَلَیْها).

اگر قبله اول صحیح بود این تغییر چه معنی دارد؟ و اگر دومی صحیح است چرا سیزده سال و چند ماه به سوی بیت المقدس نماز خواندید؟! خداوند به پیامبرش دستور می دهد: «به آنها بگو شرق و غرب عالم از آن خداست، هر کس را بخواهد به راه راست هدایت می کند» (قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِی مَنْ يَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ).

این یک دلیل قاطع و روشن در برابر بهانه جویان بود که بیت المقدس و کعبه و هُمه جا ملک خدا است، اصلا خدا خانه و مکانی ندارد، مهم آن است که تسلیم فرمان او باشید. و تغییر قبله در حقیقت مراحل مختلف آزمایش و تکامل است و هر یک مصداقی است از هدایت الهی.

سورة البقرة (2) : آية 143] ص : 179

اشاره

(آیه ۱۴۳) - امّت وسط: در این آیه به قسمتی از فلسفه و اسرار تغییر قبله اشاره شده است. نخست می گوید: «همان گونه (که قبله شما یک قبله میانه است) شما را نیز یک امت میانه قرار دادیم» (وَ کَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّةً وَسَطاً). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۳۰

قبله مسلمانان، قبله میانه است زیرا مسیحیان برای ایستادن به سوی محل تولد عیسی که در بیت المقدس بود ناچار بودند به سمت مشرق بایستند.

ولی یهود که بیشتر در شامات و بابل و مانند آن به سر میبردند رو به سوی بیت المقدس که برای آنان تقریبا در سمت غرب بود می ایستادند.

اما «کعبه» که نسبت به مسلمانان آن روز (مسلمانان مدینه) در سمت جنوب و میان مشرق و مغرب قرار داشت یک خط میانه محسوب می شد.

جالب این که توجه خاص مسلمانان به تعیین سمت کعبه سبب شد که علم هیئت و جغرافیا در آغاز اسلام در میان مسلمانان به سرعت رشد کند، زیرا که محاسبه سمت قبله در نقاط مختلف روی زمین بدون آشنایی با این علوم امکان نداشت.

سپس اضافه می کند: «هدف این بود که شما گواه بر مردم باشید و پیامبر هم گواه بر شما باشد» (لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النَّاسِ وَ یَکُونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهیداً).

یعنی شما با داشتن این عقاید و تعلیمات، امتی نمونه هستید همانطور که پیامبر در میان شما یک فرد نمونه است.

سپس به یکی دیگر از اسرار تغییر قبله اشاره کرده میگوید: «ما آن قبلهای را که قبلا بر آن بودی (بیت المقدس) تنها برای این قرار دادیم که افرادی که از رسولخدا پیروی میکننـد از آنها که به جاهلیت باز میگردند باز شناخته شوند» (وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةُ الَّتِی کُنْتَ عَلَیْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ یَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ یَنْقَلِبُ عَلی عَقِبَیْهِ).

سپس اضافه می کند: «اگر چه این کار جز برای کسانی که خداوند هدایتشان کرده دشوار بود» (وَ إِنْ کَانَتْ لَکَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ).

آری! تا هدایت الهی نباشد، آن روح تسلیم مطلق در برابر فرمان او فراهم نمی شود. و از آنجا که دشمنان وسوسه گر یا دوستان نادان، فکر می کردند با تغییر قبله ممکن است اعمال و عبادات سابق ما باطل باشد، و اجر ما بر باد رود، در آخر آیه اضافه می کند: «خدا هر گز ایمان (نماز) شما را ضایع نمی گرداند، زیرا خداوند نسبت به همه مردم رحیم و مهربان است» (وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُضِیعَ إِیمانَکُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُفُ رَحِیمٌ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۳۱

دستورهای او همچون نسخههای طبیب است یک روز این نسخه نجاتبخش است، و روز دیگر نسخه دیگر، هر کدام در جای خود نیکو است، و ضامن سعادت و تکامل، بنابراین تغییر قبله نباید هیچ گونه نگرانی برای شما نسبت به نمازها و عبادات گذشته یا آینده ایجاد نماید که همه آنها صحیح بوده و هست.

اسرار تغيير قبله-.... ص: ١٣١

از آنجا که خانه کعبه در آن زمان کانون بتهای مشرکان بود، دستور داده شد مسلمانان موقتا به سوی بیت المقدس نماز بخوانند و به این ترتیب صفوف خود را از مشرکان جدا کنند.

اما هنگامی که به مدینه هجرت کردند و تشکیل حکومت و ملتی دادند و صفوف آنها از دیگران کاملا مشخص شد، دیگر ادامه این وضع ضرورت نداشت در این هنگام به سوی کعبه قدیمی ترین مرکز توحید و پرسابقه ترین کانون انبیاء بازگشتند. بدیهی است هم نماز خواندن به سوی بیت المقدس برای آنها که خانه کعبه را سرمایه معنوی نژاد خود می دانستند مشکل بود،

بدیهی است کم مدار عوامدی به سوی بیک المقدس بعد از عادت کردن به قبله نخست. و هم بازگشت به سوی کعبه بعد از بیت المقدس بعد از عادت کردن به قبله نخست.

مسلمانان به این وسیله در بوته آزمایش قرار گرفتند، تا آنچه از آثار شرک در وجودشان است در این کوره داغ بسوزد، و پیوندهای خود را از گذشته شرک آلودشان ببرند و روح تسلیم مطلق در برابر فرمان حق در وجودشان پیدا گردد.

سورة البقرة (2) : آية 144] ص : 131

(آیه ۱۴۴)– همه جا رو به سوی کعبه کنید! در این آیه که فرمان تغییر قبله در آن صادر گردیده نخست میفرماید: «ما نگاههای انتظار آمیز تو را به آسمان (مرکز نزول وحی) میبینیم» (قَدْ نَری تَقَلُّبَ وَجْهِکَ فِی السَّماءِ).

«اکنون تو را به سوی قبلهای که از آن راضی خواهی بود باز می گردانیم» (فَلُنُوَلِّيَنَّکُ قِبْلَةً تَرْضاها).

«هم اكنون صورت خود را به سوى مسجد الحرام و خانه كعبه باز گردان» (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ).

نه تنها در مدینه، «هر جا باشید، روی خود را به سوی مسجد الحرام کنید» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۳۲

(وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ).

جالب این که تغییر قبله یکی از نشانه های پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله در کتب پیشین ذکر شده بود، چه این که آنها خوانده بودند که او به سوی دو قبله نماز می خواند «یصلّی الی القبلتین».

لــذا قرآن اضافه مىكنـد: «كسانى كـه كتـاب آســمانى بـه آنهـا داده شــده اسـت، مىداننـد ايـن فرمـان حقى اسـت از نـاحيه پروردگارشان» (وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ).

و در پایان اضافه می کند: «خداوند از اعمال آنها غافل نیست» (وَ مَا اللَّهُ بِغافِلِ عَمَّا يَعْمَلُونَ).

یعنی آنها به جای این که این تغییر قبله را به عنوان یک نشانه صدق او که در کتب پیشین آمده معرفی کنند، کتمان کرده و به عکس روی آن جنجال به راه انداختند، خدا، هم از اعمالشان آگاه است، و هم از نیاتشان.

سورة البقرة (2) : آية 145] ص : 132

(آیه ۱۴۵)- آنها به هیچ قیمت راضی نمی شوند! در تفسیر آیه قبل خواندیم که اهل کتاب می دانستند تغییر قبله از بیت المقدس به سوی کعبه نه تنها ایرادی بر پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله نیست، بلکه از جمله نشانه های حقانیت او است، ولی تعصبها نگذاشت آنها حق را بپذیرند.

لـذا قرآن در این آیه با قاطعیت می گویـد: «سوگند که اگر هر گونه آیه و نشانه و دلیلی برای (این گروه از) اهل کتاب بیاوری از قبله تو پیروی نخواهند کرد» (وَ لَئِنْ أَتَیْتَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ بِکُلِّ آیَهٍٔ ما تَبِعُوا قِبْلَتَکَ).

بعدا اضافه مي كند: «تو نيز هر گز تابع قبله آنها نخواهي شد» (وَ ما أُنْتَ بِتابع قِبْلَتَهُمْ).

یعنی اگر آنها تصور میکنند با این قال و غوغاها بار دیگر قبله مسلمانان تغییر خواهد کرد کور خواندهاند، این قبله همیشگی و نهایی مسلمین است.

سپس میافزاید: و آنها نیز آنچنان در عقیده خود متعصبند که «هیچ یک از آنها پیرو قبله دیگری نیست» (وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَهُ بَعْضِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۳۳

نه یهود از قبله نصاری پیروی می کنند و نه نصاری از قبله یهود.

و بـاز برای تأکیـد و قـاطعیت بیشتر به پیـامبر اخطـار میکنـد که «اگر پس از این آگاهی که از ناحیه خـدا به تو رسـیده تسـلیم هـوسـهای آنـان شوی و از آن پیروی کنی مسـلما از سـتمگران خواهی بود» (وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مـا جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ إنَّکَ إذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ).

سورة البقرة (2) : آية 146] ص : 133

(آیه ۱۴۶)- آنها به خوبی او را می شناسند! در تعقیب بحثهای گذشته پیرامون لجاجت و تعصب گروهی از اهل کتاب، این آیه می گوید: «علمای اهل کتاب پیامبر اسلام را به خوبی همچون فرزندان خود می شناسند» (الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ).

و نام و نشان و مشخصات او را در کتب مذهبی خود خواندهاند.

«ولى گروهي از آنان سعى دارند آگاهانه حق را كتمان كنند» (وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 147] ص: 133

(آیه ۱۴۷)- سپس به عنوان تأکید بحثهای گذشته پیرامون تغییر قبله، یا احکام اسلام بطور کلی میفرماید: «این فرمان حقی است که از سوی پروردگار تو است و هرگز از تردید کنندگان نباش» (الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِینَ).

و با این جمله پیامبر را دلداری میدهد و تأکید میکند در برابر سمپاشیهای دشمنان ذرهای تردید، چه در مسأله تغییر قبله و چه در غیر آن به خود راه ندهد.

سورة البقرة (2) : آية 148] ص : 133

(آیه ۱۴۸)- هر امّتی قبلهای دارد! این آیه در حقیقت پاسخی به قوم یهود است که دیدیم سر و صدای زیادی پیرامون موضوع تغییر قبله به راه انـداخته بودنـد، می گوید: «هر گروه و طایفهای قبلهای دارد که خداوند آن را تعیین کرده است»َ لِکُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُولِّیها)

.در طول تاریخ انبیاء قبله های مختلفی بوده، قبله هماننـد اصول دین نیست که تغییر ناپـذیر باشـد، بنـابراین زیـاد در بـاره قبله گفتگو نکنید و به جای آن «در اعمال خیر و نیکیها بر یکدیگر سبقت جویید»َاسْتَبِقُوا الْخَیْراتِ)

. - این مضمون در آیه ۱۷۷ همین سوره نیز آمده است. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۳۴

سپس به عنوان یک هشدار به خرده گیران، و تشویق نیکو کاران میفرماید: «هر جا باشید خداوند همه شما را حاضر خواهد کرد» یْنَ ما تَکُونُوا یَأْتِ بِکُمُ اللَّهُ جَمِیعاً)

.در آن دادگاه بزرگ رستاخیز که صحنه نهایی پاداش و کیفر است.

و از آنجا که ممکن است برای بعضی این جمله عجیب باشد که چگونه خداوند ذرات خاکهای پراکنده انسانها را هر جا که باشد جمع آوری می کند و لباس حیات نوینی بر آنها می پوشاند؟ بلافاصله می گوید: «و خداوند بر هر کاری قدرت دارد»ِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ)

سورة البقرة (2) : آية 149] ص : 134

(آیه ۱۴۹) - تنها از خدا بترس! این آیه و آیه بعد همچنان مسأله تغییر قبله و پی آمدهای آن را دنبال می کند.

نخست روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و اله کرده و به عنوان یک فرمان مؤکد می گوید:

«از هر جا (و از هر شهر و دیـار) خارج شـدی (به هنگام نماز) روی خود را به جانب مسـجد الحرام کن» (وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرام).

و باز به عنوان تأکید بیشتر اضافه َمیکند: «این فرمان دستور حقی است از سوی پروردگارت» (وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکُ).

و در پایان این آیه به عنوان تهدیدی نسبت به توطئه گران و هشداری به مؤمنان می گوید: «و خدا از آنچه انجام می دهید غافل نیست» (وَ مَا اللَّهُ بِغافِل عَمَّا تَعْمَلُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 150] ص : 134

(آیه ۱۵۰) - در این آیه، حکم عمومی توجه به مسجد الحرام را در هر مکان و هر نقطهای تکرار می کند، می گوید: «از هر جا خارج شدی و به هر نقطه روی آوردی، صورت خود را به هنگام نماز متوجه مسجد الحرام کن» (وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ فَوَلًّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرام).

درست است که روی سخن در این جمله به پیامبر صلّی اللّه علیه و اله است ولی مسلما منظور عموم نمازگزاران میباشد، ولی در جمله بعد برای تأکید و تصریح اضافه میکند: «و هر جا شما بوده باشید روی خود را به سوی آن کنید» (وَ حَیْثُ ما کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۳۵

سپس در ذیل همین آیه به سه نکته مهم اشاره می کند:

۱- کوتاه شدن زبان مخالفان! می گوید: «این تغییر قبله بخاطر آن صورت گرفت که مردم حجتی بر ضد شما نداشته باشند»
 (لِئَلًا یَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَیْکُمْ حُجَّهُ).

هر گاه این تغییر قبله صورت نمی گرفت از یکسو زبان یهود به روی مسلمانان باز می شد و می گفتند: ما در کتب خود خوانده ایم که نشانه پیامبر موعود این است که به سوی دو قبله نماز می خواند و این نشانه در محمد صلّی الله علیه و اله نیست، و از سوی دیگر مشرکان ایراد می کردند که او مدعی است برای احیاء آیین ابراهیم آمده، پس چرا خانه کعبه را، که پایه گزارش ابراهیم است فراموش نموده، اما حکم تغییر قبله موقت به قبله دائمی، زبان هر دو گروه را بست.

ولی از آنجا که همیشه افراد بهانهجو و ستمگری هستند که در برابر هیچ منطقی تسلیم نمیشوند، استثنایی برای این موضوع قائل شده، می گوید: «مگر کسانی از آنها که ستم کردهاند» (إِلَّا الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ).

این بهانه جویان به حق شایسته نام ستمگر و ظالمند، چرا که هم بر خود ستم می کنند و هم بر مردم که سد راه هدایت آنها می شوند.

۲- از آنجا که عنوان کردن این گروه لجوج را با نام «ستمگر» ممکن بود در بعضی تولید وحشت کند می گوید: «از آنها هر گز نترسید، و تنها از من بترسید» (فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِی).

این یکی از اصول کلی و اساسی تربیت توحیدی اسلامی است که از هیچ چیزی و هیچ کس جز خدا نباید ترس داشت. ۳- تکمیل نعمت خداوند به عنوان آخرین هدف برای تغییر قبله ذکر شده، می فرماید: این بخاطر آن بود که شما را تکامل بخشم و از قید تعصب برهانم «و نعمت خود را بر شما تمام کنم تا هدایت شوید» (وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِی عَلَیْکُمْ وَ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 151] ص : 138

(آیه ۱۵۱)- برنامههای رسول الله! خداوند در آخرین جمله از آیه قبل یکی از دلایل تغییر قبله را تکمیل نعمت خود بر مردم و هدایت آنان بیان کرد، در این آیه با ذکر کلمه «کما» اشاره به این حقیقت می کند که تغییر قبله تنها نعمت خدا بر شما برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۳۶

نبود، بلکه نعمتهای فراوان دیگری به شما داده است «همان گونه که رسولی در میان شما از نوع خودتان فرستادیم» (کَما أَرْسَلْنا فِیکُمْ رَسُولًا مِنْکُمْ).

او از نوع بشـر است و تنها بشـر می تواند مربی و رهبر و سرمشق انسانها گردد و از دردها و نیازها و مسائل او آگاه باشد که این خود نعمت بزرگی است. بعد از ذکر این نعمت به چهار نعمت دیگر که از برکت این پیامبر، عاید مسلمین شد اشاره می کند:

۱- «آيات ما را بر شما ميخواند» (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا).

۲- «و شما را پرورش می دهد» و بر کمالات معنوی و مادی شما می افزاید.

(وَ يُزَكِيكُمْ).

٣- «و كتاب و حكمت به شما مى آموزد» (وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةُ).

گر چه «تعلیم» بطور طبیعی مقدم بر «تربیت» است، اما قرآن مجید برای اثبات این حقیقت که هدف نهایی «تربیت» است غالبا آن را مقدم بر تعلیم آورده است.

(و آنچه را نمی دانستید به شما یاد می دهد» (و یُعَلِّمُکُمْ ما لَمْ تَکُونُوا تَعْلَمُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 152] ص : 138

اشاره

(آیه ۱۵۲)- این آیه به مردم اعلام می کند که جا دارد شکر این نعمتهای بزرگ را بجا آورند و با بهره گیری صحیح از این نعمتها، حق شکر او را ادا کنند، میفرماید: «مرا یاد کنید تا شما را یاد کنم و شکر مرا به جا آورید و کفران نکنید» (فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ وَ اشْکُرُوا لِی وَ لا تَکْفُرُونِ).

جمله «مرا یاد کنید تا شما را یاد کنم» اشاره به یک اصل تربیتی است یعنی به یاد من باشید، به یاد ذات پاکی که سر چشمه تمام خوبیها و نیکیها است، توجه شما به این ذات پاک شما را در فعالیتها مخلصتر، مصمم تر، نیرومند تر، و متحد تر می سازد. همان گونه که منظور از «شکر گزاری و عدم کفران» آن است که هر نعمتی را درست به جای خود مصرف کنید و در راه همان هدفی که برای آن آفریده شده اید به کار گیرید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۳۷

ذکر خدا چیست؟ - ص: ۱۳۷

مسلم است منظور از ذكر خدا تنها یاد آوری به زبان نیست، كه زبان ترجمان قلب است، به همین دلیل در احادیث متعددی از پیشوایان اسلام نقل شده است كه منظور از ذكر خدا یاد آوری عملی است، در حدیثی از پیامبر صلّی الله علیه و اله میخوانیم كه به علی علیه السّلام وصیت فرمود و از جمله وصایایش این بود:

«سه کار است که این امت توانایی انجام آن را (بطور کامل) ندارند، مواسات و برابری با برادر دینی در مال، و ادای حق مردم با قضاوت عادلانه نسبت به خود و دیگران، و خدا را در هر حال یاد کردن، منظور سبحان الله و الحمد لله و لا اله الّا الله و الله اکبر نیست، بلکه منظور این است هنگامی که کار حرامی در مقابل او قرار می گیرد از خدا بترسد و آن را ترک گوید».

سورة البقرة (2) : آية 153] ص: 137

(آیه ۱۵۳)– استقامت و توجّه به خدا! در آیات گذشته سخن از تعلیم و تربیت و ذکر و شکر بود و در این آیه سخن از صبر و

پایىدارى كه بىدون آن، مفاهیم گذشته هرگز تحقق نخواهـد یافت. نخست میگوید: «ای كسانی كه ایمان آوردهاید از صبر و نماز كمك بگیرید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَعِینُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ).

و با این دو نیرو (استقامت و توجه به خدا) به جنگ مشکلات و حوادث سخت بروید که پیروزی از آن شماست «زیرا خداوند با صابران است» (إنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابرينَ).

به عکس آنچه بعضی تصور می کنند، «صبر» هر گز به معنی تحمل بدبختیها و تن دادن به ذلت و تسلیم در برابر عوامل شکست نیست، بلکه صبر و شکیبایی به معنی پایداری و استقامت در برابر هر مشکل و هر حادثه است.

موضوع دیگری که در آیه بالا به عنوان یک تکیه گاه مهم در کنار صبر، معرفی شده «صلاهٔ» (نماز) است، لذا در احادیث اسلامی میخوانیم: «هنگامی که علی علیه السّ لام با مشکلی رو برو می شد به نماز برمی خاست و پس از نماز به دنبال حل مشکل می رفت و این آیه را تلاوت می فرمود: «وَ اسْتَعِینُوا بِالصَّبْر وَ الصَّلاهِ ...»

بنابراین آیه فوق در حقیقت به دو اصل توصیه می کند یکی اتکای به خداوند که نماز مظهر آن است و دیگری مسأله خودیاری و اتکای به نفس که به عنوان صبر از آن یاد شده است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۳۸

سورة البقرة (2) : آية 154] ص : 138

اشاره

آیه ۱۵۴

شأن نزول: ص: ۱۳۸

از ابن عباس نقل شده که: این آیه در باره کشته شدگان میدان جنگ بدر نازل گردید، آنها چهارده تن بودند، شش نفر از مهاجران، و هشت نفر از انصار، بعد از پایان جنگ عدهای تعبیر می کردند فلان کس مرد، آیه نازل شد و با صراحت آنها را از اطلاق کلمه «میت» بر شهیدان نهی کرد.

تفسير: ص: ١٣٨

شهیدان زندهاند ...! به دنبال مسأله صبر و استقامت در این آیه، سخن از حیات جاویدان شهیدان می گوید که پیوند نزدیکی با استقامت و صبرشان دارد.

نخست می گوید: «هرگز به آنها که در راه خدا کشته میشوند و شربت شهادت مینوشند مرده مگویید» (وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ یُقْتَلُ فِی سَبِیل اللَّهِ أَمْواتٌ).

سپس برای تأکید بیشتر اضافه می کند: «بلکه آنها زندگانند، اما شما درک نمی کنید!» (بَلْ أَحْیاءٌ وَ لَكِنْ لا تَشْعُرُونَ).

اصولاً در هر نهضتی گروهی راحت طلب و ترسو خود را کنار میکشند و علاوه بر این که خودشان کاری انجام نمی دهند سعی در دلسرد کردن دیگران دارند.

گروهی از این قماش مردم در آغاز اسلام بودند که هر گاه کسی از مسلمانان در میدان جهاد به افتخار شهادت نائل می آمد می گفتند: فلانی مرد! و با اظهار تأسف از مردنش، دیگران را مضطرب می ساختند. خداوند در پاسخ این گفته های مسموم با صراحت می گوید: شما حق ندارید کسانی را که در راه خدا جان می دهند مرده بخوانید آنها زنده اند، زنده جاویدان، و از روزیهای معنوی در پیشگاه خدا بهره می گیرند، اما شما که در چهار دیواری محدود عالم ماده محبوس و زندانی هستید این حقایق را نمی توانید در ک کنید.

ضمنا از این آیه موضوع بقای روح و زندگی برزخی انسانها (زندگی پس از مرگ و قبل از رستاخیز) به روشنی اثبات می شود.

شرح بیشتر در باره این موضوع و همچنین مسأله حیات جاویدان شهیدان و پاداش مهم و مقام والای کشتگان راه خدا در سوره آل عمران ذیل آیه ۱۶۹ خواهد آمد.

سورة البقرة (2) : آية 185] ص : 138

(آیه ۱۵۵)- جهان صحنه آزمایش الهی است! بعد از ذکر مسأله شهادت در راه خدا، و زندگی جاویدان شهیدان، در این آیه به مسأله «آزمایش و چهرههای برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۳۹

گوناگون آن اشاره می کنـد میفرماید: «بطور مسـلم ما همه شـما را با اموری همچون ترس و گرسـنگی و زیان مالی و جانی و کمبود میوهها آزمایش می کنیم» (وَ لَنَبْلُوَنَّکُمْ بِشَیْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ).

و از آنجا که پیروزی در این امتحانات جز در سایه مقاومت و پایـداری ممکن نیست در پایـان آیه میفرمایـد: «و بشارت ده صابران و پایداران را» (وَ بَشِّرِ الصَّابِرِینَ).

آنها هستند که از عهده این آزمایشهای سخت به خوبی بر میآیند و بشارت پیروزی متعلق به آنها است، اما سست عهدان بیاستقامت از بوته این آزمایشها سیه روی در میآیند.

سورة البقرة (2) : آية 186] ص : 139

(آیه ۱۵۶)- این آیه صابران را معرفی کرده می گوید: «آنها کسانی هستند که هر گاه مصیبتی به آنها رسد می گویند ما از آن خدا هستیم و به سوی او باز می گردیم» (الَّذِینَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَهُ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَیْهِ راجِعُونَ).

توجه به این واقعیت که همه از او هستیم این درس را به ما میدهد که از زوال نعمتها هرگز ناراحت نشویم، چرا که همه این مواهب بلکه خود ما تعلق به او داریم، یک روز میبخشد و روز دیگر از ما باز می گیرد و هر دو صلاح ما است.

و توجه به این واقعیت که ما همه به سوی او باز می گردیم به ما اعلام می کند که اینجا سرای جاویدان نیست، زوال نعمتها و کمبود مواهب و یا کثرت و وفور آنها همه زود گذر است، و همه اینها وسیلهای است برای پیمودن مراحل تکامل، توجه به این دو اصل اساسی اثر عمیقی در ایجاد روح استقامت و صبر دارد.

بدیهی است منظور از گفتن جمله إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ تنها ذكر زبانی آن نیست، بلكه توجه به حقیقت و روح آن است كه

یک دنیا توحید و ایمان در عمق آن نهفته است.

سورة البقرة (2) : آية 157] ص : 139

اشاره

(آیه ۱۵۷) - در این آیه الطاف بزرگ الهی را برای صابران و سخت کوشان که از عهده این امتحانات بزرگ بر آمدهاند بازگو می کند و می گوید: «اینها کسانی هستند که لطف و رحمت خدا و درود الهی بر آنها است» و (أُولئِکَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ برگزيده تفسير نمونه، ج ۱، ص: ۱۴۰

مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةً)

این الطاف و رحمتها آنها را نیرو میبخشد که در این راه پر خوف و خطر گرفتار اشتباه و انحراف نشوند، لـذا در پایان آیه می فرماید: «و آنها هستند هدایت یافتگان» (وَ أُولِئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ).

نکتهها ص: ۱۴۰

۱- چرا خدا مردم را آزمایش میکند؟ ص: ۱۴۰

در زمینه مسأله آزمایش الهی بحث فراوان است، نخستین سؤالی که به ذهن میرسد این است که مگر آزمایش برای این نیست که اشخاص یا چیزهایی مبهم و ناشناخته را بشناسیم و از میزان جهل و نادانی خود بکاهیم؟ اگر چنین است خداوندی که علمش به همه چیز احاطه دارد و از اسرار درون و برون همه کس و همه چیز آگاه است، غیب آسمان و زمین را با علم بی پایانش میداند، چرا امتحان می کند؟ مگر چیزی بر او مخفی است.

در پاسخ این سؤال باید گفت: مفهوم آزمایش و امتحان در مورد خداوند با آزمایشهای ما بسیار متفاوت است.

آزمایشهای ما برای شناخت بیشتر و رفع ابهام و جهل است، اما آزمایش الهی در واقع همان «پرورش و تربیت» است. همان گونه که فولاد را برای استحکام بیشتر در کوره می گدازند تا به اصطلاح آبدیده شود، آدمی را نیز در کوره حوادث سخت پرورش میدهد تا مقاوم گردد.

سربازان را برای این که از نظر جنگی نیرومنـد و قوی شوند به مانورها و جنگهای مصـنوعی میبرند و در برابر انواع مشکلات تشنگی، گرسنگی، گرما و سرما، حوادث دشوار، موانع سخت، قرار میدهند تا ورزیده و آبدیده شوند.

و این است رمز آزمایشهای الهی!

۲- آزمایش خدا همگانی است- ص: ۱۴۰

از آنجا که نظام حیات در جهان هستی نظام تکامل و پرورش است و تمامی موجودات زنده مسیر تکامل را میپیمایند، همه مردم از انبیاء گرفته تا دیگران طبق این قانون عمومی میبایست آزمایش شوند برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۴۱ و استعدادات خود را شکوفا سازند. گر چه امتحانات الهی متفاوت است، گاهی با وفور نعمت و کامیابیها و گاه به وسیله حوادث سخت و ناگوار، بعضی مشکل، بعضی آسان و قهرا نتایج آنها نیز با هم فرق دارد، اما به هر حال آزمایش برای همه هست.

۳- رمز پیروزی در امتحان-.... ص: ۱۴۱

حال که همه انسانها در یک امتحان گسترده الهی شرکت دارند، راه موفقیت در این آزمایشها چیست؟ در پاسخ باید بگوییم: نخستین و مهمترین گام برای پیروزی همان است که در جمله کوتاه و پر معنی و بَشِّرِ الصَّابِرِینَ در آیه فوق آمده است، این جمله با صراحت می گوید: رمز پیروزی در این راه، صبر و پایداری است و به همین دلیل بشارت پیروزی را تنها به صابران و افراد با استقامت می دهد.

دیگر این که توجه به گذرا بودن حوادث این جهان و سختیها و مشکلاتش و این که این جهان گذرگاهی بیش نیست عامل دیگری برای پیروزی محسوب می شود که در جمله إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ و اجِعُونَ (ما از آن خدا هستیم و به سوی خدا باز می گردیم) آمده است.

سورة البقرة (2) : آية 158] ص : 141

اشاره

آیه ۱۵۸

شأن نزول: ص: 141

در بسیاری از روایات که از طرق شیعه و اهل تسنن آمده، چنین میخوانیم که: در عصر جاهلیت مشرکان در بالای کوه «صفا» بتی نصب کرده بودند به نام «اساف» و بر کوه «مروه» بت دیگر به نام «نائله» و به هنگام سعی از این دو کوه بالا می رفتند و آن دو بت را به عنوان تبرک با دست خود مسح می کردند، مسلمانان بخاطر این موضوع از سعی میان صفا و مروه کراهت داشتند و فکر می کردند در این شرایط سعی صفا و مروه کار صحیحی نیست، آیه نازل شد و به آنها اعلام داشت که صفا و مروه از شعائر خداوند است اگر مردم نادان آنها را آلوده کرده اند دلیل بر این نیست که مسلمانان فریضه سعی را ترک کنند.

تفسير: ص: ١٤١

اشاره

اعمال جاهلان نباید مانع کار مثبت گردد- این آیه با توجه به شرایط خاص روانی که در شأن نزول گفته شد نخست به مسلمانان خبر میدهد که:

«صفا و مروه از شعائر و نشانههای خداست» (إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةُ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۴۲

و از این مقدمه چنین نتیجه گیری می کند: «کسی که حجّ خانه خدا یا عمره را بجا آورد گناهی بر او نیست که به این دو طواف کند» (فَمَنْ حَجَّ الْبَیْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَیْهِ أَنْ یَطَّوَّفَ بِهِما).

هرگز نباید اعمال بی رویه مشرکان که این شعائر الهی را با بتها آلوده کرده بودند از اهمیت این دو مکان مقدس بکاهد. و در پایان آیه می فرماید: «کسانی که کار نیک به عنوان اطاعت خدا انجام دهند خداوند شاکر و علیم است» (وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَیْراً

در برابر اطاعت و انجام کار نیک به وسیله پاداش نیک از اعمال بندگان تشکر میکند، و از نیتهای آنها به خوبی آگاه است، میداند چه کسانی به بتها علاقهمندند و چه کسانی از آن بیزار.

1- صفا و مروه- ص: 142

«صفا» و «مروه» نام دو كوه كوچك در مكه است كه امروز بر اثر توسعه مسجد الحرام در ضلع شرقى مسجد در سمتى كه حجر الاسود و مقام حضرت ابراهيم قرار دارد، مىباشد.

و در لغت، صفا به معنی سنگ محکم و صافی است که با خاک و شن آمیخته نباشـد و مروه به معنی سنگ محکم و خشـن است.

«شعائر الله» علامتهایی است که انسان را به یاد خدا می اندازد و خاطره ای از خاطرات مقدس را در نظرها تجدید می کند.

۲- جنبه تاریخی صفا و مروه- ص: ۱۴۲

با این که ابراهیم (ع) به سن پیری رسیده بود ولی فرزندی نداشت از خدا درخواست اولاد نمود، در همان سن پیری از کنیزش هاجر فرزندی به او عطا شد که نام وی را «اسماعیل» گذارد.

همسر اول او «ساره» نتوانست تحمل کند که ابراهیم از غیر او فرزند داشته باشد خداوند به ابراهیم دستور داد تا مادر و فرزند را به مکه که در آن زمان بیابانی بی آب و علف بود ببرد و سکنی دهد.

ابراهیم فرمان خدا را امتثال کرد و آنها را به سرزمین مکه برد، همین که برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۴۳ خواست تنها از آنجا برگردد همسرش شروع به گریه کرد که یک زن و یک کودک شیر خوار در این بیابان بی آب و گیاه چه کند؟

اشکهای سوزان او که با اشک کودک شیر خوار آمیخته می شد قلب ابراهیم را تکان داد، دست به دعا برداشت و گفت: «خداوندا! من بخاطر فرمان تو، همسر و کودکم را در این بیابان سوزان و بدون آب و گیاه تنها می گذارم، تا نام تو بلند و خانه تو آباد گردد» این را گفت و با آنها در میان اندوه و عشقی عمیق وداع گفت.

طولی نکشید غذا و آب ذخیره مادر تمام شد و شیر در پستان او خشکید، بی تابی کودک شیر خوار و نگاههای تضرع آمیز او، مادر را آنچنان مضطرب ساخت که تشنگی خود را فراموش کرد و برای به دست آوردن آب به تلاش و کوشش برخاست، نخست به کنار کوه «صفا» آمد، اثری از آب در آنجا ندید، برق سرابی از طرف کوه «مروه» نظر او را جلب کرد و به گمان آب به سوی آن شتافت و در آنجا نیز خبری از آب نبود، از آنجا همین برق را بر کوه «صفا» دید و به سوی آن باز گشت و هفت بار این تلاش و کوشش برای ادامه حیات و مبارزه با مرگ تکرار شد، در آخرین لحظات که طفل شیر خوار شاید آخرین دقایق عمرش را طی می کرد از نزدیک پای او - با نهایت تعجب - چشمه زمزم جوشیدن گرفت! مادر و کودک از آن

نوشیدند و از مرگ حتمی نجات یافتند.

کوه صفا و مروه به ما درسی میدهـد که: برای احیای نام حق و به دست آوردن عظمت آیین او همه حتی کودک شـیر خوار باید تا پای جان بایستند.

سعی صفا و مروه به ما می آموزد در نومیدیها بسی امیدهاست.

سعی صفا و مروه به ما می گوید: قدر این آیین و مرکز توحید را بدانید، افرادی خود را تا لب پرتگاه مرگ رساندند تا این مرکز توحید را امروز برای شما حفظ کردند.

به همین دلیل خداوند بر هر فردی از زائران خانهاش واجب کرده با لباس و وضع مخصوص و عاری از هر گونه امتیاز و تشخص هفت مرتبه برای تجدید آن خاطرهها بین این دو کوه را بپیماید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۴۴

کسانی که در اثر کبر و غرور حاضر نبودند حتی در معابر عمومی قدم بردارند و ممکن نبود در خیابانها به سرعت راه بروند در آنجا باید بخاطر امتثال فرمان خدا گاهی آهسته و زمانی «هروله کنان» با سرعت پیش بروند و بنا به روایات متعدد، اینجا مکانی است که دستوراتش برای بیدار کردن متکبران است!

سورة البقرة (2) : آية 159] ص: 144

اشاره

آیه ۱۵

شأن نزول: ص: ۱۴۴

از ابن عباس چنین نقل شده که: چند نفر از مسلمانان همچون «معاذ بن جبل» و «سعد بن معاذ» و «خارجهٔ بن زید» سؤالاتی از دانشـمندان یهود پیرامون مطالبی از تورات (که ارتباط با ظهور پیامبر صلّی الله علیه و آله داشت) کردنـد، آنها واقع مطلب را کتمان کرده و از توضیح خودداری کردند. این آیه در باره آنها نازل شد، و مسؤولیت کتمان حق را به آنها گوشزد کرد.

تفسير: ص: ۱۴۴

کتمان حق ممنوع! گر چه روی سخن در این آیه طبق شأن نزول، به علمای یهود است، ولی این معنی مفهوم آیه را که یک حکم کلی در باره کتمان کنندگان حق بیان می کند محدود نخواهد کرد.

آیه شریفه، این افراد را با شدیدترین لحنی مورد سرزنش قرار داده می گوید:

«كسانى كه دلايل روشن و وسائل هدايت را كه نازل كردهايم بعد از بيان آن براى مردم در كتاب آسمانى، كتمان مى كنند خدا آنها را لعن مى كنند» (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتابِ أُولِئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهِ عَلَى الْعَنْهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَنْهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَنْهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَنْهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَنْهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَنْهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَنْهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَنْهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنْهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ الْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ الْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ الْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ الْعَلْمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ اللّهُ وَيَعْمَلُونَ اللّهُ وَيَلْعَلَيْهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ الْعَلْمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ الْعَالَى الْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ وَالْفَهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ الْعَنْهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُونَ الْعُلْسُلُولُ وَيَعْمَلُهُمُ اللَّهُ وَيُعْمَلُهُمُ اللَّهُ وَيُعْمَلُهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُهُمُ اللَّهُ وَيَعْمَلُهُمُ اللَّهُ وَلِمُ اللَّهُ وَالْعَلْمُ اللَّهُ وَالْعَلْمِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْعَلْمُ اللَّهُ وَالْعَلْمُ اللَّهُ وَالْعَلْمُ اللَّهُ وَالْعَلْمُ اللَّهُ وَالْعَلْمُ اللَّهُ وَالْعَالِمُ اللَّهُ وَالْعَلْمُ اللَّهُ وَالْعَلْمُ اللَّهُ وَالْعَلْمِ اللَّهُ وَالْعُلْمِ اللْعِلْمُ الْعَلْمُ اللَّهُ وَالْعَلْمُ اللَّهُ وَالْعُلْمُ اللَّهُ وَالْعَلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُولُولُولُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ اللَّهُ وَلِمُ الْعُلْمُ الْعُلْعُ وَلِمُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ اللَّهُ وَالْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلِ

در حقیقت «کتمان حق» عملی است که خشم همه طرفداران حق را بر میانگیزد و مسلما منحصر به کتمان آیات خدا و نشانه های نبوت نیست، بلکه اخفای هر چیزی که مردم را می تواند به واقعیتی برساند در مفهوم وسیع این کلمه درج است، حتی گاهی سکوت در جایی که باید سخن گفت و افشاگری کرد، مصداق کتمان حق می شود.

سورة البقرة (2) : آية 160] ص : 144

اشاره

(آیه ۱۶۰)– و از آنجا که قرآن به عنوان یک کتاب هـدایت هیـچ گاه روزنه امیـد و راه بازگشت را به روی مردم نمی.بنـدد و آنها را هر قـدر آلوده به گناه باشـند از رحمت خدا مأیوس نمیکند، در این آیه راه نجات و جبران در برابر این گناه بزرگ را برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۴۵

چنین بیان می کند: «مگر آنها که توبه کنند و به سوی خدا باز گردند و در مقام جبران و اصلاح اعمال خود بر آیند، و حقایقی را که پنهان کرده بودند برای مردم آشکار سازند من این گونه افراد را میبخشم و رحمت خود را که از آنها قطع کرده بودم تجدید می کنم، چرا که من باز گشت کننده و مهربانم» (إِلَّا الَّذِینَ تابُوا وَ أَصْ لَمُحُوا وَ بَیّنُوا فَأُولِئِ کَ أَتُوبُ عَلَیْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِیمُ).

جالب این که نمی گوید شما توبه کنید تا توبه شما را پذیرا شوم، می گوید:

«شما باز گردید من نیز باز می گردم» و این دلالت بر نهایت محبت و کمال مهربانی پروردگار نسبت به توبه کاران می کند.

کتمان حق در احادیث اسلامی-.... ص : ۱۴۵

در احادیث اسلامی نیز شدیدترین حملات متوجه دانشمندان کتمان کننده حقایق شده، از جمله پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله می فرماید: «هرگاه از دانشمندی چیزی را که می داند سؤال کنند و او کتمان نماید روز قیامت افساری از آتش بر دهان او می زنند»! در حدیث دیگری می خوانیم که از امیر مؤمنان علی علیه السّ لام پرسیدند: «بدترین خلق خدا بعد از ابلیس و فرعون ... کست؟».

امام در پاسخ فرمود: «آنها دانشمندان فاسدند که باطل را اظهار و حق را کتمان می کنند و همانها هستند که خداوند بزرگ در باره آنها فرموده: لعن خدا و لعن همه لعنت کنندگان بر آنها خواهد بود»!

سورة البقرة (2) : آية 161] ص : 145

(آیه ۱۶۱)- آنها که کافر می میرند! در آیات گذشته، نتیجه کتمان حق را دیـدیـم، این آیه و آیه بعـد در تکمیل آن اشاره به افراد کافری می کند که به اجابت و کتمان و کفر و تکذیب حق تا هنگام مرگ ادامه می دهند، نخست می گوید: «کسانی که کافر شدنـد و در حال کفر از دنیا رفتند، لعنت خدا و فرشـتگان و همه مردم بر آنها خواهد بود» (إنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ

« كسانى كه كافر شدنـــد و در حال كفر از دنيا رفتند، لعنت خدا و فرشــتكان و همه مردم بر آنها خواهد بود» (إِن الدِين كَفُرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولِئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ). این گروه نیز هماننـد کتمان کننـدگان حق گرفتار لعن خـدا و فرشـتگان و مردم میشوند با این تفاوت که چون تا آخر عمر بر کفر، اصرار ورزیدهاند طبعا راه برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۴۶ بازگشتی برایشان باقی نمیماند.

سورة البقرة (2) : آية 162] ص : 148

(آیه ۱۶۲)- سپس اضافه می کند: «آنها جاودانه در این لعنت الهی و لعنت فرشتگان و مردم خواهند بود، بی آن که عذاب خدا از آنها تخفیف یابد و یا مهلت و تأخیری به آنها داده شود» (خالدِینَ فِیها لا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ یُنْظَرُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 163] ص: 148

(آیه ۱۶۳) - و از آنجا که اصل توحید به همه این بدبختیها پایان میدهد در این آیه می گوید: «معبود شما خداوند یگانه است» (وَ إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ).

باز برای تأکید بیشتر اضافه میکند: «هیچ معبودی جز او نیست، و هیچ کس غیر او شایسته پرستش نمیباشد» (لا إِلهَ إِلّا هُوَ). و در آخرین جمله به عنوان دلیل میفرماید: «او خداوند بخشنده مهربان است» (الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ).

آری! کسی که از یکسو رحمت عامش همگان را فرا گرفته و از دیگر سو برای مؤمنان رحمت ویژهای قرار داده، شایسته عبودیت است نه آنها که سر تا پا نیازند و محتاج.

سورة البقرة (2) : آية 164] ص: 148

(آیه ۱۶۴)- جلوههای ذات پاک او در پهنه هستی! از آنجا که در آیه قبل سخن از توحید پروردگار به میان آمد این آیه شریفه در واقع دلیلی است بر همین مسأله اثبات وجود خدا و توحید و یگانگی ذات پاک او.

مقدمتا باید به این نکته توجه داشت که همه جا «نظم و انسجام» دلیل بر وجود علم و دانش است، و همه جا «هماهنگی» دلیل بر وحدت و یگانگی است.

روی این اصل، ما به هنگام برخورد به مظاهر نظم در جهان هستی از یکسو، و هماهنگی و وحدت عمل این دستگاههای منظم از سوی دیگر، متوجه مبدء علم و قدرت یگانه و یکتایی میشویم که این همه آوازهها از اوست.

در این آیه به شش بخش از آثار نظم در جهان هستی که هر کدام آیت و نشانهای از آن مبدء بزرگ است اشاره شده:

١- «در آفرينش آسمان و زمين ...» (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ...)

امروز دانشمندان به ما می گویند: هزاران هزار کهکشان در عالم بالا وجود برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۴۷

دارد که منظومه شمسی ما جزئی از یکی از این کهکشانها است، تنها در کهکشان ما صدها میلیون خورشید و ستاره درخشان و جود دارد که روی محاسبات دانشمندان در میان آنها میلیونها سیاره مسکونی است با میلیاردها موجود زنده!، وه چه عظمت و چه قدرتی؟! ۲- «و نیز در آمد و شد شب و روز ...» (وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ ...).

آری! این دگرگونی شب و روز، و این آمد و رفت روشنایی و تاریکی با آن نظم خاص و تدریجیش که دائما از یکی کاسته و بر دیگری افزوده میشود، و به کمک آن فصول چهارگانه بوجود میآید، و درختان و گیاهان و موجودات زنده مراحل تکاملی خود را در پرتو این تغییرات تدریجی، گام به گام طی میکنند، اینها نشانه دیگری از ذات و صفات متعالی او هستند. ۳- «و کشتیهایی که در دریاها به سود مردم به حرکت در می آیند ...» (وَ الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفُعُ النَّاسَ ...). آری! انسان به وسیله کشتیهای بزرگ و کوچک، صحنه اقیانوسها و دریاها را مینوردد، و به این وسیله به نقاط مختلف زمین،

۴- «و آبی که خداوند از آسمان فرو فرستاده و به وسیله آن، زمینهای مرده را زنده کرده و انواع جنبندگان را در آن گسترده است ...» (وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ کُلِّ دَابَّةٍ ...).

آری! دانه های حیاتبخش باران و قطرات پرطراوت و با برکت که با نظام خاصی ریزش میکند و آن همه موجودات و جنبدگانی که از این مایع بیجان، جان می گیرند همه پیام آور قدرت و عظمت او هستند.

۵- «و حركت دادن و وزش منظم بادها ...» (وَ تَصْرِيفِ الرِّياح ...).

برای انجام مقاصد خود سفر می کند.

که نه تنها بر دریاها میوزند و کشتیها را حرکت میدهند، بلکه گاهی گردههای نر را بر قسمتهای ماده گیاهان میافشانند و به تلقیح و باروری آنها کمک میکنند، بذرهای گوناگون را می گسترانند، و میوهها به ما هدیه میکنند. و زمانی با جابهجا کردن هوای مسموم و فاقد اکسیژن شهرها به بیابانها و جنگلها، وسائل برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۴۸ تصفیه و تهویه را برای بشر فراهم میسازند.

آری! وزش بادها با این همه فواید و برکات، نشانه دیگری از حکمت و لطف بیپایان او است.

٥- «و ابرهایی که در میان زمین و آسمان معلقند ...» (وَ السَّحابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ ...).

این ابرهای متراکم که بالای سر ما در گردشند و میلیاردها تن آب را بر خلاف قانون جاذبه در میان زمین و آسمان، معلق نگاه داشته، خود نشانهای از عظمت اویند.

آرى! همه اينها «نشانهها و علامات ذات پاک او هستند اما براى مردمى که عقل و هوش دارند و مىانديشند» (لآياتٍ لِقَوْمٍ رَعْقُلُو نَ).

نه برای بیخبران سبکمغز و چشمداران بیبصیرت و گوشداران کر!

سورة البقرة (2) : آية 165] ص : 148

(آیه ۱۶۵) - بیزاری پیشوایان کفر از پیروان خود! در این آیه روی سخن متوجه کسانی است که از دلایل وجود خدا چشم پوشیده و در راه شرک و بت پرستی و تعدد خدایان گام نهادهاند، سخن از کسانی است که در مقابل این معبودان پوشالی سر تعظیم فرود آورده و به آنها عشق میورزند، عشقی که تنها شایسته خداوند است که منبع همه کمالات و بخشنده همه نعمتها است.

نخست می گوید: «بعضی از مردم معبودهایی غیر خدا برای خود انتخاب می کنند» (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً). نه فقط بتها را معبود خود انتخاب کردهانـد بلکه «آنچنان به آنها عشق میورزنـد که گویی به خـدا عشق میورزنـد» (یُحِبُّونَهُمْ کَحُکِّ اللَّهِ).

«اما كسانى كه ايمان به خدا آوردهاند عشق و علاقه بيشترى به او دارند» (وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ).

عشق مؤمنان از عقل و علم معرفت سـر چشـمه می گیرد. اما عشق کافران از جهل و خرافه و خیال! به همین دلیل ثبات و دوامی

ندارد.

لذا در ادامه آیه می فرماید: «این ظالمان هنگامی که عذاب الهی را برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۴۹

مشاهده می کنند و می دانند که تمام قدرتها به دست خدا است و او دارای مجازات شدید است» (وَ لَوْ یَرَی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِذْ یَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِیعاً وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعَذابِ).

سورة البقرة (2) : آية 186] ص : 149

(آیه ۱۶۶ه) - در این هنگام پرده های جهل و غرور و غفلت از مقابل چشمانشان کنار می رود و به اشتباه خود پی می برند و اعتراف می کنند که انسانهای منحرفی بوده اند، ولی از آنجا که هیچ تکیه گاه و پناهگاهی ندارند از شدت بیچار گی بی اختیار دست به دامن معبودان و رهبران خود می زنند اما «در این هنگام رهبران گمراه آنها دست رد به سینه آنان می کوبند و از پیروان خود تبری می جویند» (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِینَ اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِینَ اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِینَ اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِینَ اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِینَ الله کان ، خود را در بست در اختیار شان گذاردند.

«و در همين حال عذاب الهي را با چشم خود مي بينند و دستشان از همه جا كوتاه مي شود» (وَ رَأُوُا الْعَـذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْاتُ).

سورة البقرة (2) : آية 167] ص : 149

(آیه ۱۶۷)–اما این پیروان گمراه که بیوفایی معبودان خود را چنین آشکارا می بینند برای تسلی دل خویشتن می گویند: «ای کاش ما بار دیگر به دنیا باز می گشتیم تا از آنها تبری جوییم، همان گونه که آنها امروز از ما تبری جستند»! (وَ قالَ الَّذِینَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّهً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّوُهُا مِنَّا).

اما چه سود که کار از کار گذشته و باز گشتی به سوی دنیا نیست.

و در پایان آیه میفرماید: آری! «این چنین خداونـد اعمالشان را به صورت مایه حسـرت به آنها نشان میدهد» (کَذلِکُ یُرِیهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ).

اما حسرتی بیهوده، چرا که نه موقع عمل است و نه جای جبران! «و آنها هرگز از آتش دوزخ خارج نخواهنـد شـد» (وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ).

سورة البقرة (2) : آية 168] ص: 149

اشاره

آیه ۱۶۸

شأن نزول: ص: 149

از ابن عباس نقل شده که: بعضی از طوایف عرب همانند «ثقیف» و «خزاعه» و غیر آنها قسمتی از انواع زراعت و حیوانات را بدون دلیل بر خود حرام کرده بودند (حتی تحریم آن را به خدا نسبت میدادند) آیه نازل شد و آنها را از این عمل ناروا باز داشت.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۵۰

تفسير: ص: ١٥٠

گامهای شیطان! در آیات گذشته نکوهش شدیدی از شرک و بت پرستی شده بود، یکی از انواع شرک این است که انسان غیر خدا را قانونگذار بداند، آیه شریفه این عمل را یک کار شیطانی معرفی کرده، میفرماید: «ای مردم از آنچه در زمین است حلال و پاکیزه بخورید» (یا أَیُّهَا النَّاسُ کُلُوا مِمَّا فِی الْأَرْض حَلالًا طَیِّباً).

«و از گامهای شیطان پیروی نکنید، که او دشمن آشکار شما است» (وَ لا تَتَبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ).

سورة البقرة (2) : آية 169] ص: 150

اشاره

(آیه ۱۶۹)- این آیه دلیل روشنی بر دشمنی سرسختانه شیطان که جز بدبختی و شقاوت انسان هدفی ندارد بیان کرده، می گوید: «او شما را فقط به انواع بدیها و زشتیها دستور می دهد» (إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشاءِ).

«فحشا» به معنی هر کاری است که از حد اعتدال خارج گردد و صورت «فاحش» به خود بگیرد، بنابراین شامل تمامی منکرات و قبایح واضح و آشکار می گردد.

«و نیز شما را وادار می کنید که به خیدا افترا ببندید، و چیزهایی را که نمیدانید به او نسبت دهید» (وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ).

انحرافات تدريجي-.... ص: ١٥٠

جمله «خطوات الشّیطان» (گامهای شیطان) گویا اشاره به یک مسأله دقیق تربیتی دارد، و آن این که انحرافها و تبهکاریها غالبا بطور تدریج در انسان نفوذ می کند، وسوسه های شیطان معمولا، انسان را قدم به قدم و تدریجا در پشت سر خود به سوی پرتگاه می کشاند، این موضوع منحصر به شیطان اصلی نیست، بلکه تمام دستگاههای شیطانی و آلوده برای پیاده کردن نقشه های شوم خود از همین روش «خُطُواتِ» (گام به گام) استفاده می کنند، لذا قرآن می گوید: از همان گام اول باید به هوش بود و با شیطان همراه نشد!

سورة البقرة (2) : آية 170] ص : 100

(آیه ۱۷۰)- تقلید کورکورانه از نیاکان! در این جا اشاره به منطق سست مشرکان در مسأله تحریم بی دلیل غذاهای حلال، و یا بت پرستی، کرده می گوید:

«هنگامی که به آنها گفته شود از آنچه خدا نازل کرده پیروی کنید میگویند ما از آنچه پدران و نیاکان خود را بر آن یافتیم پیروی میکنیم» (وَ إِذَا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَبعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۵۱ قرآن بلافاصله این منطق خرافی و تقلید کورکورانه از نیاکان را با این عبارت کوتاه و رسا محکوم میکند: «آیا نه این است که پدران آنها چیزی نمی فهمیدند و هدایت نیافتند»؟! (أَ وَ لَوْ کَانَ آباؤُهُمْ لا یَعْقِلُونَ شَیْئاً وَ لا یَهْتَدُونَ).

یعنی اگر نیاکان آنها دانشمندان صاحب نظر و افراد هدایت یافتهای بودند جای این بود که از آنها تبعیت شود، اما پیشینیان آنها نه خود مردی آگاه بودند، نه رهبر و هدایت کنندهای آگاه داشتند، و میدانیم تقلیدی که خلق را بر باد میدهد همین تقلید نادان از نادان است که «ای دو صد لعنت بر این تقلید باد»!

سورة البقرة (2) : آية 171] ص : 151

(آیه ۱۷۱) - در این آیه به بیان این مطلب می پردازد که چرا این گروه در برابر این دلایل روشن انعطافی نشان نمی دهند؟ و همچنان بر گمراهی و کفر اصرار می ورزند؟ می گوید: «مثال تو در دعوت این قوم بی ایمان به سوی ایمان و شکستن سد تقلیدهای کورکورانه همچون کسی است که گوسفندان و حیوانات را (برای نجات از خطر) صدا می زند ولی آنها جز سر و صدا چیزی را درک نمی کنند» (وَ مَثَلُ الَّذِینَ کَفَرُوا کَمَثَلِ الَّذِی یَنْعِقُ بِما لا یَسْمَعُ إِلَّا دُعاءً وَ نِداءً).

و در پایان آیه برای تأکید و توضیح بیشتر اضافه می کند: «آنها کر و لال و نابینا هستند و لذا چیزی درک نمی کنند»! (صُمُّ بُکْمٌ عُمْیً فَهُمْ لا یَعْقِلُونَ).

و به همین دلیل آنها تنها به سنتهای غلط و خرافی پدران خود چسبیدهاند و از هر دعوت سازندهای رویگردانند!

سورة البقرة (2) : آية 172] ص : 151

(آیه ۱۷۲) – طیبات و خبائث! از آنجا که قرآن در مورد انحرافات ریشهدار از روش تأکید و تکرار در لباسهای مختلف استفاده می کند، در این آیه و آیه بعد بار دیگر به مسأله تحریم بی دلیل پارهای از غذاهای حلال و سالم در عصر جاهلیت به وسیله مشرکان باز می گردد، منتهی روی سخن را در اینجا به مؤمنان می کند، می فرماید: «ای افراد با ایمان از نعمتهای پاکیزه که به شما روزی داده ایم بخورید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ).

«و شکر خدا را بجا آورید اگر او را میپرستید» (وَ اشْکُرُوا لِلَّهِ إِنْ کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۵۲ این نعمتهای پاک و حلال که ممنوعیتی نـدارد و موافق طبع و فطرت سالم انسانی است برای شـما آفریده شده است چرا از آن استفاده نکنید؟

سورة البقرة (2) : آية 173] ص: 152

(آیه ۱۷۳) - در این آیه برای روشن ساختن غذاهای حرام و ممنوع و قطع کردن هر گونه بهانه چنین می گوید: «خداوند تنها گوشت مردار، خون، گوشت خوک، و گوشت هر حیوانی را که به هنگام ذبح نام غیر خدا بر آن گفته شود تحریم کرده است» (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ).

و از آنجا که گاه ضرورتهایی پیش می آید که انسان برای حفظ جان خویش مجبور به استفاده از بعضی غذاهای حرام می شود قرآن در ذیل آیه آن را استثنا کرده و می گوید: «ولی کسی که مجبور شود (برای نجات جان خویش از مرگ) از آنها بخورد گناهی بر او نیست، به شرط این که ستمگر و متجاوز نباشد»! (فَمَنِ اضْطُرَّ غَیْرَ باغ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ).

به این ترتیب برای این که اضطرار بهانه و دستاویزی برای زیاده روی در خوردن غذاهای حرام نشود با دو کلمه «غَیْرَ باغ» (یعنی طلب لذت کردن) و «لا عادٍ» (یعنی متجاوز از حد ضرورت) گوشزد می کند که این اجازه تنها برای کسانی است که خواهان لذت از خوردن این محرمات نباشند و از مقدار لازم که برای نجات از مرگ ضروری است تجاوز نکنند.

و در پایان آیه می فرماید: «خداوند غفور و رحیم است» (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

همان خداوندی که این گوشتها را تحریم کرده با رحمت خاصش در موارد ضرورت اجازه استفاده از آن را داده است «۱»

سورة البقرة (2) : آية 174] ص : 152

اشاره

آیه ۱۷۴

شأن نزول: ص: 152

به اتفاق همه مفسران این آیه و دو آیه بعد در مورد اهل کتاب نازل شده است، و به گفته بسیاری مخصوصا به علمای یهود نظر دارد که پیش از ظهور پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله صفات و نشانه های او را مطابق آنچه در کتب خود یافته بودند برای مردم بازگو می کردند، ولی پس از ظهور پیامبر صلّی الله علیه و آله و مشاهده

(۱) پیرامون «فلسفه تحریم گوشتهای حرام» به بحث جالبی که در «تفسیر نمونه» جلد اول ذیل همین آیه آمده است رجوع کنید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۵۳

گرایش مردم به او ترسیدند که اگر همان روش سابق را ادامه دهند منافع آنها به خطر بیفتد و هدایا و میهمانیهایی که برای آنها ترتیب میدادند از دست برود!، لذا اوصاف پیامبر صلّی الله علیه و آله را که در تورات نازل شده بود کتمان کردند، این سه آیه نازل شد و سخت آنها را نکوهش کرد.

تفسير: ص: ١٥٣

باز هم نکوهش از کتمان حق- این آیه تأکیدی است بر آنچه در آیه ۱۵۹ همین سوره در زمینه کتمان حق گذشت. نخست

می گوید: «کسانی که کتمان میکنند کتابی را که خدا نازل کرده و آن را به بهای کمی میفروشند آنها در حقیقت جز آتش چیزی نمیخورند»! (إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْکِتابِ وَ یَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِیلًا أُولئِکَ ما یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ). آری! هدایا و اموالی را که از این راه تحصیل میکنند آتشهای سوزانی است که در درون وجود آنان وارد میشود.

سپس به یک مجازات مهم معنوی آنها که از مجازات مادی بسیار دردناکتر است پرداخته، می گوید: «خداوند روز قیامت با آنها سخن نمی گوید، و آنان را پاکیزه نمی کند، و عذاب دردناکی در انتظارشان است»! (وَ لا یُکَلِّمُهُمُ اللَّهُ یَوْمَ الْقِیامَ فِی وَ لا یُزَکِّیهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ).

یکی از بزرگترین مواهب الهی در جهان دیگر این است که خدا با مردم با ایمان از طریق لطف سخن می گوید. یعنی با قدرت بی پایانش امواج صوتی را در فضا می آفریند به گونهای که قابل درک و شنیدن باشد و یا از طریق الهام و با زبان دل با بندگان خاصش سخن می گوید.

سورة البقرة (2) : آية 175] ص : 153

(آیه ۱۷۵)- این آیه وضع این گروه را مشخص تر میسازد و نتیجه کارشان را در این معامله زیانبار چنین باز گو میکند: «اینها کسانی هستند که گمراهی را با هدایت و عذاب را با آمرزش مبادله کردهاند» (أُولِئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدی وَ الْعَذابَ بالْمَغْفِرَةِ).

و به این ترتیب از دو سو گرفتار زیان خسران شدهاند.

لذا در پایان آیه اضافه می کند، راستی عجیب است که «چقدر در برابر آتش برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۵۴ خشم و غضب خدا جسور و خونسردند»؟! (فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ).

سورة البقرة (2) : آية 186] ص : 184

(آیه ۱۷۶) - در این آیه می گوید: «این تهدیدها و وعدههای عذاب که برای کتمان کنندگان حق بیان شده است به خاطر این است که خداوند کتاب آسمانی قرآن را به حق و توأم با دلایل روشن نازل کرده تا جای هیچ گونه شبهه و ابهامی برای کسی باقی نماند» (ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ).

با این حال گروهی بخاطر حفظ منافع کثیف خویش دست به توجیه و تحریف میزنند و در کتاب آسمانی اختلافها بوجود میآورند.

«چنین کسانی که اختلاف در کتاب آسمانی میکننـد بسیار از حقیقت دورنـد» (وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِی الْکِتابِ لَفِی شِـقاقٍ بَعِیدِ).

سورة البقرة (2) : آية 177] ص : 154

آیه ۱۷۷- شأن نزول: چون تغییر قبله سر و صدای زیادی در میان مردم بخصوص یهود و نصاری به راه انداخت، یهود که بزرگترین سند افتخار خود (پیروی مسلمین از قبله آنان) را از دست داده بودند زبان به اعتراض گشودند، که قرآن در آیه ۱۴۲ با جمله (سَریَقُولُ السُّفَهاءُ) به آن اشاره کرده است. این آیه نازل گردید و تأیید کرد که این همه گفتگو در مسأله قبله صحیح

نیست بلکه مهم تر از قبله مسائل دیگری است که معیار ارزش انسانهاست و بایـد به آنها توجه شود و آن مسائل را در این آیه شرح داده است.

تفسير: ص: ۱۵۴

ریشه و اساس همه نیکیها- در تفسیر آیات تغییر قبله گذشت که مخالفین اسلام از یک سو و تازه مسلمانان از سوی دیگر چه سر و صدایی پیرامون تغییر قبله به راه انداختند.

این آیه روی سخن را به این گروهها کرده، میگوید: «نیکی تنها این نیست که به هنگام نماز صورت خود را به سوی شرق و غرب کنید و تمام وقت خود را صرف این مسأله نمایید» (لَیْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَکُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ).

قرآن سپس به بیان مهمترین اصول نیکیها در ناحیه ایمان و اخلاق و عمل ضمن بیان شش عنوان پرداخته چنین می گوید: «بلکه نیکی (نیکوکار) کسانی هستند که به خدا و روز آخر و فرشتگان و کتابهای آسمانی و پیامبران ایمان برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۵۵

آوردهاند» (وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ الْكِتابِ وَ النَّبِيِّينَ).

پس از ایمان به مسأله انفاق و ایثار و بخششهای مالی اشاره می کند، و می گوید: «مال خود را با تمام علاقه ای که به آن دارند به خویشاوندان و یتیمان و مستمندان و واماندگان در راه، و سائلان و بردگان می دهند» (وَ آتَی الْمالَ عَلی حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبی وَ الْیُتامی وَ الْمُساکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ وَ السَّائِلِینَ وَ فِی الرِّقابِ). بدون شک گذشتن از مال و ثروت برای همه کس کار آسانی نیست. چرا که حبّ آن تقریبا در همه دلها است، و تعبیر عَلی حُبِّهِ نیز اشاره به همین حقیقت است که آنها در برابر این خواسته دل برای رضای خدا مقاومت می کنند.

سومین اصل از اصول نیکیها را برپا داشتن نماز می شمرد و می گوید: «آنها نماز را برپا می دارند» (وَ أَقامَ الصَّلاةَ).

چهارمین برنامه آنها را ادای زکات و حقوق واجب مالی ذکر کرده، می گوید:

«آنها زكات را مي پردازند» (وَ آتَى الزَّكاةُ).

بسیارند افرادی که در پارهای از موارد حاضرند به مستمندان کمک کنند اما در ادای حقوق واجب سهل انگار می باشند، و به عکس گروهی غیر از ادای حقوق واجب به هیچ گونه کمک دیگری تن در نمی دهند، آیه فوق نیکو کار را کسی می داند که در هر دو میدان انجام وظیفه کند.

پنجمین ویژگی آنها را وفای به عهد میشمرد، و میگوید: «کسانی هستند که به عهد خویش به هنگامی که پیمان میبندند وفا میکنند» (وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا).

چرا که سرمایه زندگی اجتماعی اعتماد متقابل افراد جامعه است، لذا در روایات اسلامی چنین میخوانیم که مسلمانان موظفند سه برنامه را در مورد همه انجام دهند، خواه طرف مقابل، مسلمان باشد یا کافر، نیکوکار باشد یا بدکار، و آن سه عبارتند از: وفای به عهد، ادای امانت و احترام به پدر و مادر.

و بالاخره ششمین و آخرین برنامه این گروه نیکوکار را چنین شرح می دهد:

«کسانی هستند که در هنگام محرومیت و فقر، و به هنگام بیماری و درد، و همچنین برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۵۶ در موقع جنگ بـا دشــمن، صبر و اسـتقامت به خرج میدهنــد، و در برابر این حوادث زانو نمیزننــد» (وَ الصَّابِرِینَ فِی الْبَأْساءِ وَ

الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْس).

و در پایان آیه به عنوان جمع بندی و تأکید بر شش صفت عالی گذشته میگوید: «آنها کسانی هستند که راست میگویند و آنان پرهیزکارانند» (أُولئِکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).

راستگویی آنها از اینجا روشن می شود که اعمال و رفتارشان از هر نظر با اعتقاد و ایمانشان هماهنگ است، و تقوا و پرهیزکاریشان از اینجا معلوم می شود که آنها هم وظیفه خود را در برابر «الله» و هم در برابر نیازمندان و محرومان و کل جامعه انسانی و هم در برابر خویشتن خویش انجام می دهند.

جالب این که شش صفت برجسته فوق هم شامل اصول اعتقادی و اخلاقی و هم برنامههای عملی است.

سورة البقرة (2) : آية 178] ص : 186

اشاره

آیه ۱۷۸

شأن نزول: ص: 146

عادت عرب جاهلی بر این بود که اگر کسی از قبیله آنها کشته میشد تصمیم می گرفتند تا آنجا که قدرت دارند از قبیله قاتل بکشند، و این فکر تا آنجا پیش رفته بود که حاضر بودند بخاطر کشته شدن یک فرد تمام طایفه قاتل را نابود کنند این آیه نازل شد و حکم عادلانه قصاص را بیان کرد.

این حکم اسلامی، در واقع حد وسطی بود میان دو حکم مختلف که آن زمان وجود داشت بعضی قصاص را لازم میدانستند و بعضی تنها دیه را لازم میشمردند، اسلام قصاص را در صورت عدم رضایت اولیای مقتول، و دیه را به هنگام رضایت طرفین قرار داد.

تفسير: ص: ۱۵۶

قصاص مایه حیات شماست! از این آیه به بعد یک سلسله از احکام اسلامی مطرح می شود نخست از مسأله حفظ احترام خونها آغاز می کند، و خط بطلان بر آداب و سنن جاهلی می کشد، مؤمنان را مخاطب قرار داده چنین می گوید:

«اى كسانى كه ايمان آورده ايد حكم قصاص در مورد كشتگان بر شما نوشته شده است» (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلي).

انتخاب واژه «قصاص» نشان می دهد که اولیاء مقتول حق دارند نسبت به برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۵۷

قاتل همان را انجام دهند که او مرتکب شده.

ولی به این مقدار قناعت نکرده، در دنباله آیه مسأله مساوات را با صراحت بیشتر مطرح می کند و می گوید: «آزاد در برابر

آزاد، برده در برابر برده، و زن در برابر زن» (الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأَنْثَى بِالْأَنْثَى).

البته این مسأله دلیل بر برتری خون مرد نسبت به زن نیست و توضیح آن خواهد آمد.

سپس برای این که روشن شود که مسأله قصاص حقی برای اولیای مقتول است و هر گزیک حکم الزامی نیست، و اگر مایل باشند می توانند قاتل را ببخشند و خونبها بگیرند، یا اصلا خونبها هم نگیرند، اضافه می کند: «اگر کسی از ناحیه برادر دینی خود مورد عفو قرار گیرد (و حکم قصاص با رضایت طرفین تبدیل به خونبها گردد) باید از روش پسندیده ای پیروی کند (و برای پرداخت دیه طرف را در فشار نگذارد) و او هم در پرداختن دیه کوتاهی نکند» (فَمَنْ عُفِیَ لَهُ مِنْ أَخِیهِ شَدیْءٌ فَاتّباعٌ بالْمَعْرُوفِ وَ أَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ).

در پایان آیه برای تأکید و توجه دادن به این امر که تجاوز از حد از ناحیه هر کس بوده باشد مجازات شدید دارد می گوید: «این تخفیف و رحمتی است از ناحیه پروردگارتان، و کسی که بعد از آن از حد خود تجاوز کند عذاب دردناکی در انتظار او است» (ذلِکَ تَخْفِیفٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَن اعْتَدی بَعْدَ ذلِکَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِیمٌ).

این دستور عادلانه «قصاص» و «عفو» از یکسو روش فاسد عصر جاهلیت را که همچون دژخیمان عصر فضا، گاه در برابر یک نفر صدها نفر را به خاک و خون می کشیدند محکوم می کند.

و از سوی دیگر راه عفو را به روی مردم نمیبندد، و از سوی سوم می گوید بعد از برنامه عفو و گرفتن خونبها هیچ یک از طرفین حق تعدی ندارند، بر خلاف اقوام جاهلی که اولیای مقتول گاهی بعد از عفو و حتی گرفتن خونبها قاتل را می کشتند! اما جنایتکارانی که به جنایت خود افتخار می کنند و از آن ندامت و پشیمانی ندارند نه شایسته نام برادرند و نه مستحق عفو و گذشت!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۵۸

سورة البقرة (2) : آية 179] ص : 158

اشاره

(آیه ۱۷۹)- این آیه با یک عبارت کوتاه و بسیار پرمعنی پاسخ بسیاری از سؤالات را در زمینه مسأله قصاص بازگو می کند و می گوید: «ای خردمندان! قصاص برای شما مایه حیات و زندگی است، باشد که تقوا پیشه کنید» (وَ لَکُمْ فِی الْقِصاصِ حَیاةٌ یا أُولِی الْأَلْبابِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ).

این آیه آن چنان جالب است که به صورت یک شعار اسلامی در اذهان همگان نقش بسته، و به خوبی نشان می دهد که قصاص اسلامی به هیچ وجه قصاص به هیچ وجه وجه است، زیرا اگر حکم قصاص به هیچ وجه وجود نداشت و افراد سنگدل احساس امنیت می کردند. جان مردم بی گناه به خطر می افتاد. همان گونه که در کشورهایی که حکم قصاص به کلی لغو شده آمار قتل و جنایت به سرعت بالا رفته است.

و از سوی دیگر مایه حیات قاتل است، چرا که او را از فکر آدمکشی تا حد زیادی باز میدارد و کنترل میکند.

ممکن است بعضی ایراد کنند که در آیات قصاص دستور داده شده که نباید «مرد» بخاطر قتل «زن» مورد قصاص قرار گیرد، مگر خون مرد از خون زن رنگین تر است؟ در پاسخ باید گفت: مفهوم آیه این نیست که مرد نباید در برابر زن قصاص شود، بلکه اولیای زن مقتول می توانند مرد جنایتکار را به قصاص برسانند به شرط آن که نصف مبلغ دیه را بپردازند.

توضیح این که: مردان غالبا در خانواده عضو مؤثر اقتصادی هستند و مخارج خانواده را متحمل می شوند، بنابراین تفاوت میان از بین رفتن «مرد» و «زن» از نظر اقتصادی و جنبه های مالی بر کسی پوشیده نیست، لذا اسلام با قانون پرداخت نصف مبلغ دیه در مورد قصاص مرد، رعایت حقوق همه افراد را کرده و از این خلاء اقتصادی و ضربه نابخشودنی، که به یک خانواده می خورد جلو گیری نموده است.

اسلام هرگز اجازه نمی دهـد که به بهانه لفظ «تساوی» حقوق افراد دیگری مانند فرزندان شخصـی که مورد قصاص قرار گرفته پایمال گردد.

سورة البقرة (2) : آية 180] ص : 188

(آیه ۱۸۰)– وصیّتهای شایسته! در آیات گذشته سخن از مسائل جانی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۵۹

و قصاص در میان بود، در این آیه و دو آیه بعد به قسمتی از احکام وصایا که ارتباط با مسائل مالی دارد می پردازد و به عنوان یک حکم الزامی می گوید: «بر شما نوشته شده هنگامی که مرگ یکی از شما فرا رسد اگر چیز خوبی (مالی) از خود بجای گذارده وصیت بطور شایسته برای پدر و مادر و نزدیکان کند» (کُتِبَ عَلَیْکُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَکَ خَیْراً الْوَصِ یَّهُ لِلْوالِدَیْن وَ الْأَقْرُبینَ بِالْمُعْرُوفِ).

و در پایان آیه اضافه می کند «این حقی است بر ذمه پرهیز کاران» (حَقًّا عَلَی الْمُتَّقِینَ).

جالب این که در اینجا به جای کلمه «مال» کلمه «خیر» گفته شده است.

این تعبیر نشان میدهد که اسلام ثروت و سرمایهای را که از طریق مشروع به دست آمده باشد و در مسیر سود و منفعت اجتماع بکار گرفته شود خیر و برکت میداند و بر افکار نادرست آنها که ذات ثروت را چیز بدی میدانند خط بطلان میکشد.

ضمنـا این تعبیر اشـاره لطیفی به مشـروع بودن ثروت است، زیرا اموال نامشـروعی که انسـان از خود به یادگـار میگـذارد خیر نیست بلکه شر و نکبت است.

سورة البقرة (2) : آية 181] ص : 189

(آیه ۱۸۱)- هنگامی که وصیت جامع تمام ویژگیهای بالا باشد، از هر نظر محترم و مقدس است، و هر گونه تغییر و تبدیل در آن ممنوع و حرام است، لذا این آیه می گوید: «کسی که وصیت را بعد از شنیدنش تغییر دهد گناهش بر کسانی است که آن را تغییر میدهند» (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَی الَّذِینَ یُبَدِّلُونَهُ).

و اگر گمان کنند که خداوند از توطئه هایشان خبر ندارد سخت در اشتباهند.

«خداوند شنوا و دانا است» (إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

آیه فوق اشاره به این حقیقت است که خلافکاریهای «وصی» (کسی که عهده دار انجام وصایا است) هر گز اجر و پاداش

وصیت کننده را از بین نمیبرد، او به اجر خود رسیده، تنها گناه بر گردن وصی است که تغییری در کمیت یا کیفیت و یا اصل وصیت داده است.

سورة البقرة (2) : آية 182] ص : 189

اشاره

(آیه ۱۸۲) – تا به اینجا این حکم اسلامی کاملا روشن شد که هر گونه تغییر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۶۰ و تبدیل در وصیتها به هر صورت و به هر مقدار باشد گناه است، اما از آنجا که هر قانونی استثنایی دارد، در این آیه می گوید: «هر گاه وصیی بیم انحرافی در وصیت کننده داشته باشد – خواه این انحراف ناآگاهانه باشد یا عمدی و آگاهانه – و آن را اصلاح کند گناهی بر او نیست (و مشمول قانون تبدیل وصیت نمی باشد) خداوند آمرزنده و مهربان است» (فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصِ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَیْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

1- فلسفه وصيّت: ص: 160

از قانون ارث تنها یک عده از بستگان آن هم روی حساب معینی بهرهمند میشوند در حالی که شاید عده دیگری از فامیل، و احیانا بعضی از دوستان و آشنایان نزدیک، نیاز مبرمی به کمکهای مالی داشته باشند.

و نیز در مورد بعضی از وارثان گاه مبلغ ارث پاسخگوی نیاز آنها نیست، لذا در کنار قانون ارث قانون وصیت را قرار داده و به مسلمانان اجازه میدهد نسبت به یک سوم از اموال خود (برای بعد از مرگ) خویش تصمیم بگیرند.

از اینها گذشته گاه انسان مایل است کارهای خیری انجام دهد، اما در زمان حیاتش به دلایلی موفق نشده، منطق عقل ایجاب می کند برای انجام این کارهای خیر لا اقل برای بعد از مرگش محروم نماند. مجموع این امور موجب شده است که قانون وصیت در اسلام تشریع گردد.

در روایات اسلامی تأکیدهای فراوانی در زمینه وصیت شده از جمله، در حدیثی از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «کسی که بدون وصیت از دنیا برود مرگ او مرگ جاهلیت است».

۲- عدالت در وصيّت: ص: 160

در روایات اسلامی تأکیدهای فراوانی روی «عدم جور» و «عدم ضرار» در وصیت دیده می شود که از مجموع آن استفاده می شود همان اندازه که وصیت کار شایسته و خوبی است تعدی در آن مذموم و از گناهان کبیره است در حدیثی از امام باقر علیه السّیلام می خوانیم که فرمود: «کسی که در وصیتش عدالت را رعایت کند همانند این است که همان اموال را در حیات خود در راه خدا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۶۱

داده باشد. و کسی که در وصیتش تعدی کند نظر لطف پروردگار در قیامت از او بر گرفته خواهد شد».

سورة البقرة (2) : آية 183] ص : 181

(آیه ۱۸۳) - روزه سر چشمه تقوا - به دنبال چند حکم مهم اسلامی در اینجا به بیان یکی دیگر از این احکام که از مهمترین عبادات محسوب می شود می پردازد و آن روزه است، و با همان لحن تأکید آمیز گذشته می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید روزه بر شما نوشته شده است آن گونه که بر امتهایی که قبل از شما بودند، نوشته شده بود» (یا أَیُهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَی کُتِبَ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ).

و بلافاصله فلسفه این عبادت انسان ساز و تربیت آفرین را در یک جمله کوتاه اما بسیار پرمحتوا چنین بیان می کند: «شاید پرهیزکار شوید» (لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 184] ص : 161

(آیه ۱۸۴)– در این آیه برای این که باز از سـنگینی روزه کاسـته شود چند دستور دیگر را در این زمینه بیان میفرماید، نخست می گوید: «چند روز معدودی را باید روزه بدارید» (أَیًاماً مَعْدُوداتٍ).

دیگر این که: «کسانی که از شـما بیمار یا مسافر باشـند و روزه گرفتن برای آنها مشـقت داشـته باشد از این حکم معافند و باید روزهای دیگر را بجای آن روزه بگیرند» (فَمَنْ کانَ مِنْکُمْ مَرِیضاً أَوْ عَلی سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَیَّام أُخَرَ).

سوم: «كسانى كه بـا نهايت زحمت بايـد روزه بگيرنـد (ماننـد پيرمردان و پيرزنان و بيماراًن مزمن كه بهبودى براى آنها نيست) لازم نيست مطلقا روزه بگيرنـد، بلكه بايـد بجاى آن كفاره بدهنـد، مسكينى را اطعام كننـد» (وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَـةٌ طَعامُ مِسْكِين).

«و آن کس که مایل باشد بیش از این در راه خدا اطعام کند برای او بهتر است» (فَمَنْ تَطَوَّعَ خَیْراً فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ).

و بالاخره در پایان آیه این واقعیت را بازگو می کنـد که: «روزه گرفتن برای شـما بهتر است اگر بدانید» (وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

و این جمله تأکید دیگری بر فلسفه روزه است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۶۲

سورة البقرة (2) : آية 180] ص : 187

اشاره

(آیه ۱۸۵)- این آیه زمان روزه و قسمتی از احکام و فلسفههای آن را شرح میدهد، نخست می گوید: «آن چند روز معدود را که باید روزه بدارید ماه رمضان است» (شَهْرُ رَمَضانَ).

«همان ماهي كه قرآن در آن نازل شد» (الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ).

«همان قرآنی که مایه هدایت مردم، و دارای نشانههای هدایت، و معیارهای سنجش حق و باطل است» (هُدِی لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ). سپس بار دیگر حکم مسافران و بیماران را به عنوان تأکید بازگو کرده، می گوید: «کسانی که در ماه رمضان در حضر باشند بایـد روزه بگیرنـد، اما آنها که بیمار یا مسافرنـد روزهای دیگر را بجای آن روزه می گیرند» (فَمَنْ شَـهِدَ مِنْکُمُ الشَّهْرَ فَلْیَصُـ مْهُ وَ مَنْ کانَ مَرِیضاً أَوْ عَلی سَفَرِ فَعِدَّهُ مِنْ أَیَّام أُخَرَ).

در قسمت آخر آیه بار دیگر به فلسفه تشُریع روزه پرداخته، می گوید:

«خداوند راحتى شما را مىخواهد و زحمت شما را نمىخواهد» (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ).

سپس اضافه مي كند: «هدف آن است كه شما تعداد اين روزها را كامل كنيد» (وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةُ).

و در آخرین جمله میفرماید: «تا خدا را بخاطر این که شما را هدایت کرده بزرگ بشمرید، و شاید شکر نعمتهای او را بگذارید» (وَ لِتُکَبِّرُوا اللَّه عَلی ما هَداکُمْ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ).

۱- اثرات تربیتی، اجتماعی و بهداشتی روزه- ص : ۱۶۲

اشاره

از فواید مهم روزه این است که روح انسان را «تلطیف»، و اراده انسان را «قوی»، و غرایز او را «تعدیل» می کند.

روزه دار باید در حال روزه با وجود گرسنگی و تشنگی از غذا و آب و همچنین لذت جنسی چشم بپوشد، و عملا ثابت کند که او همچون حیوان در بند اصطبل و علف نیست، او می تواند زمام نفس سرکش را به دست گیرد، و بر هوسها و شهوات خود مسلط گردد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۶۳

در حقیقت بزرگترین فلسفه روزه همین اثر روحانی و معنوی آن است.

خلاصه روزه انسان را از عالم حیوانیت ترقی داده و به جهان فرشتگان صعود میدهد، جمله «لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ» (باشد که پرهیزکار شوید) اشاره به همه این حقایق است.

و نيز حديث معروف الصّوم جنّهٔ من النّار: «روزه سپرى است در برابر آتش دوزخ» اشاره به همين موضوع است.

و نیز در حـدیث دیگری از پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «بهشت دری دارد به نام «ریان» (سـیراب شـده) که تنها روزه داران از آن وارد میشوند.

اثر اجتماعي روزه-.... ص: 163

بر کسی پوشیده نیست روزه یک درس مساوات و برابری در میان افراد اجتماع است. در حدیث معروفی از امام صادق علیه السّ لام نقل شده که «هشام بن حکم» از علت تشریع روزه پرسید، امام علیه السّ لام فرمود: «روزه به این دلیل واجب شده که میان فقیر و غنی مساوات برقرار گردد، و این بخاطر آن است که غنی طعم گرسنگی را بچشد و نسبت به فقیر ادای حق کند، چرا که اغنیاء معمولاً هر چه را بخواهند برای آنها فراهم است، خدا میخواهد میان بندگان خود مساوات باشد، و طعم گرسنگی و درد و رنج را به اغنیاء بچشاند تا به ضعیفان و گرسنگان رحم کنند».

اثر بهداشتی و درمانی روزه- ص: ۱۶۳

در طب امروز و همچنین طب قدیم، اثر معجزه آسای «امساک» در درمان انواع بیماریها به ثبوت رسیده، زیرا می دانیم: عامل بسیاری از بیماریها، زیاده روی در خوردن غذاهای مختلف است، چون مواد اضافی، جذب نشده به صورت چربیهای مزاحم در نقاط مختلف بدن، یا چربی و قند اضافی در خون باقی می ماند، این مواد اضافی در لابلای عضلات بدن در واقع لجنزارهای متعفنی برای پرورش انواع میکروبهای بیماریهای عفونی است، و در این حال بهترین راه برای مبارزه با این بیماریها نابود کردن این لجنزارها از طریق امساک و روزه است! روزه زبالهها و مواد اضافی و جذب نشده بدن را می سوزاند، و در واقع بدن را «خانه تکانی» می کند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۶۴

در حديث معروفي پيغمبر صلّى الله عليه و آله اسلام ميفرمايد: «صوموا تصحّوا»: «روزه بگيريد تا سالم شويد».

و در حدیث معروف دیگر نیز از پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله رسیده است (المعدهٔ بیت کلّ داء و الحمیهٔ رأس کلّ دواء): «معده خانه تمام دردها است و امساک بالاترین داروها»

۲- روزه در امّتهای پیشین- ص: ۱۶۴

از تورات و انجیل فعلی نیز بر می آیـد که روزه در میـان یهود و نصـاری بوده و اقوام و ملـل دیگر هنگـام مواجه شـدن با غم و اندوه روزه می گرفتهاند، و نیز از تورات برمی آید که موسـی (ع) چهل روز روزه داشـته است، و همچنین به هنگام توبه و طلب خشنودی خداوند، یهود روزه می گرفتند.

حضرت مسیح نیز چنانکه از «انجیل» استفاده می شود، چهل روز، روزه داشته.

به این ترتیب اگر قرآن می گوید «کَما کُتِبَ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ» (همان گونه که بر پیشینیان نوشته شد) شواهد تاریخی فراوانی دارد که در منابع مذاهب دیگر-حتی بعد از تحریف- به چشم میخورد.

۳- امتیاز ماه مبارک رمضان- ص: ۱۶۴

این که ماه رمضان برای روزه گرفتن انتخاب شده در آیه مورد بحث نکته برتری آن چنین بیان شده که قرآن در این ماه نازل گردیده، و در روایات اسلامی نیز چنین آمده است که همه کتابهای بزرگ آسمانی «تورات»، «انجیل»، «زبور»، «صحف» و «قرآن» همه در این ماه نازل شدهاند.

امام صادق علیه السّ لام می فرماید: «تورات» در ششم ماه مبارک رمضان، «انجیل» در دوازدهم و «زبور» در هیجدهم و «قرآن مجید» در شب قدر نازل گردیده است.

به این ترتیب ماه رمضان همواره ماه نزول کتابهای بزرگ آسمانی و ماه تعلیم و تربیت بوده است. برنامه تربیتی روزه نیز باید با آگاهی هر چه بیشتر و عمیقتر از تعلیمات آسمانی هماهنگ گردد، تا جسم و جان آدمی را از آلودگی گناه شستشو دهد.

سورة البقرة (2) : آية 186] ص: 184

شأن نزول: ص: 164

کسی از پیامبر صلّی الله علیه و آله پرسید: آیا خدای ما نزدیک است تا آهسته با او مناجات کنیم؟ یا دور است تا با صدای بلند او را بخوانیم؟ آیه نازل شد (و به آنها پاسخ داد که خدا به بندگانش نزدیک است).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۶۵

تفسير: ص: 160

سلاحی به نام دعا و نیایش- از آنجا که یکی از وسائل ارتباط بندگان با خدا مسأله دعا و نیایش است در این آیه روی سخن را به پیامبر کرده، می گوید:

«هنگامی که بندگانم از تو در باره من سؤال کنند بگو من نزدیکم» (وَ إِذَا سَأَلَکَ عِبادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبً).

نزدیکتر از آنچه تصور کنید، نزدیکتر از شما به خودتان، و نزدیکتر از شریان گردنهایتان، چنانکه در جای دیگر میخوانیم: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (سوره ق، آیه ۱۶).

سپس اضافه می کند: «من دعای دعا کننده را به هنگامی که مرا میخواند اجابت می کنم» (أُجِیبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ). «بنابراین باید بندگان من دعوت مرا بپذیرند» (فَلْیَشْتَجِیبُوا لِی).

«و به من ايمان آورند» (وَ لْيُؤْمِنُوا بِي).

«باشد که راه خود را پیدا کنند و به مقصد برسند» (لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ).

جالب این که در این آیه خداوند هفت مرتبه به ذات پاک خود اشاره کرده و هفت بار به بندگان! و از این نهایت پیوستگی و قرب و ارتباط، محبت خود را نسبت به آنان مجسم ساخته است! «دعا» یک نوع خود آگاهی و بیداری دل و اندیشه و پیوند باطنی با مبدء همه نیکیها و خوبیهاست.

«دعا» یک نوع عبادت و خضوع و بندگی است، و انسان به وسیله آن توجه تازهای به ذات خداوند پیدا می کند، و همانطور که همه عبادات اثر تربیتی دارد «دعا» هم دارای چنین اثری خواهد بود.

و این که می گویند: «دعا فضولی در کار خداست! و خدا هر چه مصلحت باشد انجام می دهد» توجه ندارند که مواهب الهی بر حسب استعدادها و لیاقتها تقسیم می شود، هر قدر استعداد و شایستگی بیشتر باشد سهم بیشتری از آن مواهب نصیب انسان می گردد.

لذا می بینیم امام صادق علیه السّلام می فرماید: آنّ عند اللّه عزّ و جلّ منزلهٔ لا تنال آلّا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۶۶ بمسألهٔ: «در نزد خداوند مقاماتی است که بدون دعا کسی به آن نمی رسد»! دانشمندی می گوید: «وقتی که ما نیایش می کنیم خود را به قوه پایان ناپذیری که تمام کائنات را به هم پیوسته است متصل و مربوط می سازیم»

سورة البقرة (2) : آية 187] ص: 188

آیه ۱۸۷

شأن نزول: ص: 166

از روایات اسلامی چنین استفاده می شود که در آغاز نزول حکم روزه، مسلمانان تنها حق داشتند قبل از خواب شبانه، غذا بخورند، چنانچه کسی در شب به خواب می رفت سپس بیدار می شد خوردن و آشامیدن بر او حرام بود.

و نیز در آن زمان آمیزش با همسران در روز و شب ماه رمضان مطلقا تحریم شده بود.

یکی از یاران پیامبر صلّی الله علیه و آله به نام «مطعم بن جبیر» که مرد ضعیفی بود با این حال روزه می داشت، هنگام افطار وارد خانه شد، همسرش رفت برای افطار او غذا حاضر کند بخاطر خستگی خواب او را ربود، وقتی بیدار شد گفت من دیگر حق افطار ندارم، با همان حال شب را خوابید و صبح در حالی که روزه دار بود برای حفر خندق (در آستانه جنگ احزاب) در اطراف مدینه حاضر شد، در اثناء تلاش و کوشش به واسطه ضعف و گرسنگی مفرط بیهوش شد، پیامبر بالای سرش آمد و از مشاهده حال او متأثر گشت.

و نیز جمعی از جوانان مسلمان که قدرت کنترل خویشتن را نداشتند شبهای ماه رمضان با همسران خود آمیزش مینمودند. در این هنگام آیه نازل شد و به مسلمانان اجازه داد که در تمام طول شب میتوانند غذا بخورند و با همسران خود آمیزش جنسی داشته باشند.

تفسير: ص: ۱۶۶

اشاره

توسعهای در حکم روزه- چنانکه در شأن نزول خواندیم در آغاز اسلام آمیزش با همسران در شب و روز ماه رمضان مطلقا ممنوع بود، و همچنین خوردن و آشامیدن پس از خواب و این شاید آزمایشی بود برای مسلمین و هم برای آماده ساختن آنها نسبت به پذیرش احکام روزه. این آیه که شامل چهار حکم اسلامی در زمینه روزه و اعتکاف است نخست در قسمت اول می گوید: «در شبهای بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۶۷

ماه روزه آمیزش جنسی با همسرانتان برای شما حلال شده است» (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيام الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ).

سپس به فلسفه این موضوع پرداخته، می گوید: «زنان لباس شما هستند و شما لباس آنهاً» (هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ).

لباس از یکسو انسان را از سرما و گرما و خطر بر خورد اشیا به بدن حفظ می کند، و از سوی دیگر عیوب او را میپوشاند. و از سوی سوم زینتی است برای تن آدمی، این تشبیه که در آیه فوق آمده اشاره به همه این نکات است.

سپس قرآن علت این تغییر قانون الهی را بیان کرده می گوید: «خداوند میدانست که شما به خویشتن خیانت می کردید (و این عمل را که ممنوع بود بعضا انجام میدادید) خدا بر شما توبه کرد، و شما را بخشید» (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُس<u>َ</u> كُمْ

فَتابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفا عَنْكُمْ).

آری! برای این که شما آلوده گناه بیشتر نشوید خدا به لطف و رحمتش این برنامه را بر شما آسان ساخت و از مدت محدودیت آن کاست.

اكنون كه چنين است با آنها آميزش كنيد و آنچه را خداوند بر شـما مقرر داشـته طلب نماييد» (فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ).

سپس به بیان دومین حکم می پردازد و می گوید: «بخورید و بیاشامید تا رشته سپید صبح از رشته سیاه شب برای شما آشکار گردد» (وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَکُمُ الْخَیْطُ الْأَبْیضُ مِنَ الْخَیْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ).

بعد به بيان سومين حكم پرداخته مي گويد: «سپس روزه را تا شب تكميل كنيد» (ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْل).

این جمله تأکیدی است بر ممنوع بودن خوردن و نوشیدن و آمیزش جنسی در روزها برای روزهداران، و نیز نشان دهنده آغاز و انجام روزه است که از طلوع فجر شروع و به شب ختم میشود.

سر انجام به چهارمین و آخرین حکم پرداخته می گوید: «هنگامی که در مساجد مشغول اعتکاف هستید با زنان آمیزش نکنید» (وَ لا تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۶۸

عاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ)

بیان این حکم مانند استثنایی است برای حکم گذشته زیرا به هنگام اعتکاف که حد اقل مدت آن سه روز است روزه می گیرند اما در این مدت نه در روز حق آمیزش جنسی با زنان دارند و نه در شب.

در پایان آیه، اشاره به تمام احکام گذشته کرده چنین می گوید: «اینها مرزهای الهی است به آن نزدیک نشوید» (تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوها).

زیرا نزدیک شدن به مرز وسوسه انگیز است، و گاه سبب می شود که انسان از مرز بگذرد و در گناه بیفتد.

آرى! اين چنين خداونـد آيات خود را براى مردم روشن مىسازد، شايـد پرهيزكارى پيشه كننـد» (كَذلِكُ يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

آغاز و پایان، تقواست-.... ص: ۱۶۸

جالب این که در نخستین آیه مربوط به احکام روزه خواندیم که هدف نهایی از آن تقوا است، همین تعبیر عینا در پایان آخرین آیه نیز آمده است (لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ) و این نشان میدهد که تمام این برنامهها وسیلهای هستند برای پرورش روح تقوا و خویشتنداری و ملکه پرهیز از گناه و احساس مسؤولیت در انسانها!

سورة البقرة (2) : آية 188] ص : 168

اشاره

(آیه ۱۸۸)- این آیه اشاره به یک اصل کلی و مهم اسلامی می کند که در تمام مسائل اقتصادی حاکم است، و به یک معنی می شود تمام ابواب فقه اسلامی را در بخش اقتصاد زیر پوشش آن قرار داد، نخست می فرماید: «اموال یکدیگر را در میان خود

به باطل و ناحق نخورید» (وَ لا تَأْكُلُوا أَمُوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ) «۱» مفهوم آیه فوق عمومیت دارد و هر گونه تصرف در اموال دیگران از غیر طریق صحیحی را تعقیب نمی کند و پایه و اساس عقلایی ندارد مشمول این آیه است.

جالب این که قرار گرفتن آیه مورد بحث بعد از آیات روزه (۱۸۲–۱۸۷) نشانه

(۱) «باطل» به معنی زایل و از بین رونده است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۶۹

یک نوع همبستگی در میان این دو است، در آنجا نهی از خوردن و آشامیدن بخاطر انجام یک عبادت الهی می کند و در اینجا نهی از خوردن اموال مردم به ناحق (که این هم نوع دیگری از روزه و ریاضت نفوس است) و در واقع هر دو شاخههایی از تقوا محسوب می شود، همان تقوایی که به عنوان هدف نهایی روزه معرفی شده است.

سپس در ذیل آیه، انگشت روی یک نمونه بارز «اکل مال به باطل» (خوردن اموال مردم به ناحق) گذاشته که بعضی از مردم آن را حق خود می شمرند به گمان این که به حکم قاضی، آن را به چنگ آوردهاند، می فرماید: «برای خوردن قسمتی از اموال مردم به گناه و بخشی از آن را به قضات ندهید در حالی که می دانید» (وَ تُدْلُوا بِها إِلَی الْحُکَّامِ لِتَأْکُلُوا فَرِیقاً مِنْ أَمُوالِ النَّاسِ بِالْإِثْم وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

رشوهخواری بلای بزرگ جامعهها! ص : 169

یکی از بلاهای بزرگی که از قدیمترین زمانها دامنگیر بشر شده و امروز با شدت بیشتر ادامه دارد بلای رشوه خواری است که یکی از بزرگترین موانع اجرای عدالت اجتماعی بوده و هست. و سبب می شود قوانین که قاعدتا باید حافظ منافع طبقات ضعیف باشد، به سود مظالم طبقات نیرومند که باید قانون آنها را محدود کند به کار بیفتد.

بدیهی است که اگر باب رشوه گشوده شود قوانین درست نتیجه معکوس خواهد داد و قوانین بازیچهای در دست اقویا برای ادامه ظلم و ستم و تجاوز به حقوق ضعفا خواهد شد. لذا در اسلام رشوه خواری یکی از گناهان کبیره محسوب میشود.

ولی قابل توجه است که زشتی رشوه سبب می شود که این هدف شوم در لابلای عبارات و عناوین فریبنده دیگر انجام گیرد و رشوه خوار و رشوه دهنده از نامهایی مانند هدیه، تعارف، حق الزحمه و انعام استفاده کنند. ولی این تغییر نامها به هیچ وجه تغییری در ماهیت آن نمی دهد و در هر صورت پولی که از این طریق گرفته می شود حرام و نامشروع است.

در نهج البلاغه در داستان هدیه آوردن «اشعث بن قیس» میخوانیم که: او برای پیروزی بر طرف دعوای خود در محکمه عدل علی علیه السّ بلام آورد و نام آن را هدیه گذاشت بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۷۰

علی علیه السّم بر آشفت و فرمود: «سوگواران بر عزایت اشک بریزند، آیا با این عنوان آمده ای که مرا فریب دهی و از آیین حق باز داری؟ ... به خدا سوگند اگر هفت اقلیم را با آنچه در زیر آسمانهای آنها است به من دهند که پوست جوی را از دهان مورچه ای به ظلم بگیرم هرگز نخواهم کرد، دنیای شما از برگ جویده ای در دهان ملخ برای من کم ارزشتر است علی را با نعمتهای فانی و لذتهای زود گذر چه کار؟ ...»

اسلام رشوه را در هر شکل و قیافهای محکوم کرده است، در تاریخ زندگی پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و اله میخوانیم که: به او خبر دادند یکی از فرماندارانش رشوهای در شکل هدیه پذیرفته، حضرت برآشفت و به او فرمود: کیف تأخذ ما لیس لک بحقّ:

«چرا آن که حق تو نیست می گیری»؟ او در پاسخ با معذرتخواهی گفت: «آنچه گرفتم هدیهای بود ای پیامبر خدا» پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «اگر شما در خانه بنشینید و از طرف من فرماندار محلی نباشید آیا مردم به شما هدیه میدهند؟! سپس دستور داد هدیه را گرفتند و در بیت المال قرار دادند و وی را از کار بر کنار کرد».

چه خوبست مسلمانان از کتاب آسمانی خود الهام بگیرند و همه چیز را پای بت رشوه خواری قربانی نکنند.

سورة البقرة (2) : آية 189] ص: 170

اشاره

آیه ۱۸۹

شأن نزول: ص: ۱۷۰

جمعی از یهود از رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله پرسیدند هلال ماه برای چیست؟ و چه فایده دارد؟ آیه نازل شد- و فواید مادی و معنوی آن را در نظام زندگی انسانها بیان کرد.

تفسیر: ص: ۱۷۰

اشاره

همان طور که در شأن نزول آمده است گروهی در مورد هلال ماه از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله پرسشهایی داشتند، قرآن سؤال آنها را به این صورت منعکس کرده است، می فرماید: «در باره هلالهای ماه از تو سؤال می کنند» (یَسْئُلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ). سپس می فرماید: «بگو: اینها بیان اوقات (طبیعی) برای مردم و حجّ است» (قُلْ هِیَ مَواقِیتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ).

هم در زندگی روزانه از آن استفاده می کنند و هم در عبادتهایی که وقت معینی در سال دارد، در حقیقت ماه یک تقویم طبیعی برای افراد بشر محسوب می شود. که مردم اعم از باسواد و بی سواد در هر نقطهای از جهان باشند می توانند از این تقویم برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۷۱

طبیعی استفاده کنند، و اصولا یکی از امتیازات قوانین اسلام این است که دستورات آن بر طبق مقیاسهای طبیعی قرار داده شده است. زیرا مقیاسهای طبیعی وسیلهای است که در اختیار همگان قرار دارد و گذشت زمان اثری بر آن نمی گذارد.

سپس در ذیل آیه به تناسب سخنی که از حجّ و تعیین موسم آن به وسیله هلال ماه در آغاز آیه آمده به یکی از عادات و رسوم خرافی جاهلیت در مورد حجّ اشاره نموده و مردم را از آن نهی میکند و میفرماید: «کار نیک آن نیست که از پشت خانهها وارد شويـد بلكه نيكى آن است كه تقوا پيشه كنيـد و از در خانهها وارد شويـد و از خدا بپرهيزيد تا رسـتگار شويد» (وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

این آیه مفهوم گستردهای دارد و از همین جا می توان پیوند میان آغاز و پایان آیه را پیدا کرد و آن این که برای اقدام در هر کار خواه دینی باشد یا غیر دینی باید از طریق صحیح وارد شد و نه از طرق انحرافی و وارونه و عبادتی همچون حجّ نیز باید در وقت مقرر که در هلال ماه تعیین می شود انجام گیرد.

جمله لَيْسَ الْبِرَّ ... ممكن است اشاره به نكته لطيف ديگرى نيز باشد، كه سؤال شما از اهله ماه به جاى سؤال از معارف دينى همانند عمل كسى است كه راه اصلى خانه را گذاشته و از سوراخى كه پشت در خانه زده وارد مىشود چه كار نازيبايى!

سؤالات مختلف از شخص پیامبر - ص: 171

در پانزده مورد از آیات قرآن جمله یَشیئلُونَکُ آمده که نشان میدهد مردم کرارا سؤالات مختلفی در مسائل گوناگون از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله داشتند و جالب این که پیامبر نه تنها ناراحت نمی شد بلکه با آغوش باز از آن استقبال می کرد و از طریق آیات قرآنی به آنها پاسخ می داد.

سؤال کردن یکی از حقوق مردم در برابر رهبران است، سؤال کلید حل مشکلات است، سؤال دریچه علوم است، سؤال وسیله انتقال دانشهاست. اصولاً طرح سؤالات مختلف در هر جامعه نشانه جنب و جوش افکار و بیداری اندیشهها است و وجود این همه سؤال در عصر پیامبر نشانه تکان خوردن افکار مردم آن محیط در پرتو قرآن و اسلام است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۷۲

سورة البقرة (2) : آية 190] ص: 172

اشاره

آیه ۱۹۰

شأن نزول: ص: ۱۷۲

این آیه اولین آیهای بود که در باره جنگ با دشمنان اسلام نازل شد و پس از نزول این آیه پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله با آنها که از در پیکار در آمدند، پیکار کرد و نسبت به آنان که پیکار نداشتند خودداری می کرد، و این ادامه داشت تا دستور فَاقْتُلُوا الْمُشْرِکِینَ که اجازه پیکار با همه مشرکان را میداد نازل گشت.

تفسير: ص: ۱۷۲

در این آیه قرآن، دستور مقاتله و مبارزه با کسانی که شمشیر به روی مسلمانان میکشند صادر کرده، میفرماید: «با کسانی که

با شما مى جنگند در راه خدا پيكار كنيد» (وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ).

تعبیر به فِی سَبِیلِ اللَّهِ، هـدف اصلی جنگهای اسـلامی را روشن میسازد که جنگ در منطق اسـلام هرگز بخاطر انتقامجویی یا جـاه طلبی یـا کشورگشـایی یـا به دست آوردن غنایم نیست. همین هـدف در تمام ابعاد جنگ اثر میگـذارد، کمیت و کیفیت جنگ، نوع سلاحها، چگونگی رفتار با اسیران، را به رنگ فِی سَبِیلِ اللَّهِ درمیآورد.

سپس قرآن توصیه به رعایت عدالت، حتی در میدان جنگ و در برابر دشمنان کرده میفرماید: «از حد تجاوز نکنید» (وَ لا تَعْتَدُوا).

«چرا كه خداوند، تجاوزكاران را دوست نمى دارد» (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ).

آری! هنگامی که جنگ برای خدا و در راه خدا باشد، هیچ گونه تعدی و تجاوز، نباید در آن باشد، و درست به همین دلیل است که در جنگهای اسلامی- بر خلاف جنگهای عصر ما- رعایت اصول اخلاقی فراوانی توصیه شده است، مثلا افرادی که سلاح به زمین بگذارند، و کسانی که توانایی جنگ را از دست دادهاند، یا اصولا قدرت بر جنگ ندارند، همچون مجروحان، پیرمردان، زنان و کودکان نباید مورد تعدی قرار بگیرند، باغستانها و گیاهان و زراعتها را نباید از بین ببرند، و از مواد سمی برای زهر آلود کردن آبهای آشامیدنی دشمن (جنگ شیمیایی و میکروبی) نباید استفاده کنند.

سورة البقرة (2) : آية 191] ص : 172

(آیه ۱۹۱) - این آیه که دستور آیه قبل را تکمیل می کند، با صراحت بیشتری سخن می گوید، می فرماید: «آنها (همان مشرکانی که از هیچ گونه ضربه زدن به مسلمین خودداری نمی کردند) را هر کجا بیابید به قتل برسانید و از آنجا که شما را بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۷۳

بيرون ساختنـد (مكـه) آنهـا را بيرون كنيـد» چراكـه ايـن يـك دفـاع عادلاـنه و مقـابله بـه مثـل منطقى اسـت. (وَ اقْتُلُـوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ).

سپس مى افزايد: «فتنه از كشتار هم بدتر است» (وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْل).

«فتنه» به معنی قرار دادن طلا در آتش، برای ظاهر شدن میزان خوبی آن از بدی است.

از آنجا که آیین بت پرستی و فسادهای گوناگون فردی و اجتماعی مولود آن، در سرزمین مکه رایج شده بود، و حرم امن خدا را آلوده کرده بود، و فساد آن از قتل و کشتار هم بیشتر بود آیه مورد بحث می گوید: «بخاطر ترس از خونریزی، دست از پیکار با بت پرستی بر ندارید که بت پرستی از قتل، بدتر است».

سپس قرآن به مسأله ديگري در همين رابطه اشاره، کرده ميفرمايد:

«مسلمانان باید احترام مسجد الحرام را نگهدارند، و این حرم امن الهی باید همیشه محترم شمرده شود، و لذا «با آنها (مشرکان) نزد مسجد الحرام پیکار نکنید، مگر آن که آنها در آنجا با شما بجنگند» (وَ لا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُمْ فه).

«ولى اگر آنها با شما در آنجا جنگ كردند، آنها را به قتل برسانيد، چنين است جزاى كافران» (فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرينَ).

چرا که وقتی آنها حرمت این حرم امن را بشکنند دیگر سکوت در برابر آنان جایز نیست. و باید پاسخ محکم به آنان داده

شود تا از قداست و احترام حرم امن خدا هرگز سوء استفاده نکنند.

سورة البقرة (2) : آية 192] ص : 173

(آیه ۱۹۲) - ولی از آنجا که اسلام همیشه نیش و نوش و اندار و بشارت را با هم می آمیزد تیا معجون سالم تربیتی برای گنهکاران فراهم کند در این آیه راه بازگشت را به روی آنها گشوده می فرماید: «اگر (دست از شرک بردارند) و از جنگ خودداری کنند، خداوند غفور و مهربان است» (فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

سورة البقرة (٢) : آية 193] ص: ١٧٣

اشاره

(آیه ۱۹۳)– در این آیه به هـدف جهـاد در اســلام اشــاره کرده میفرمایــد: «با آنها پیکار کنیــد تا فتنه از میان برود» (وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِثْنَةً).

«و دين مخصوص خدا باشد» (وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ). بركزيده تفسير نمونه، ج١، ص: ١٧٤

سپس اضافه مي كنـد: «اگر آنهـا (از اعتقـاد و اعمـال نـادرست خـود) دسـت بردارنـد (مزاحم آنـان نشويـد زيرا) تعـدي جز بر ستمكاران روا نيست» (فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ).

در ظاهر سه هدف برای جهاد در این آیه ذکر شده، از میان بردن فتنهها و محو شرک و بت پرستی، و جلوگیری از ظلم و ستم.

مسأله جهاد در اسلام: ص: ۱۷۴

اشاره

از آنجا که همیشه افراد زورمند و خودکامه و فرعونها و نمرودها و قارونها اهداف انبیاء را مزاحم خویش میدیدهاند در برابر آن ایستاده و جز به محو دین و آیین خدا راضی نبودند. از طرفی دینداران راستین در عین تکیه بر عقل و منطق و اخلاق باید در مقابل این گردنکشان ظالم و ستمگر بایستند و راه خود را با مبارزه و در هم کوبیدن آنان به سوی جلو باز کنند.

اصولا جهاد یک قانون عمومی در عالم حیات است. و تمام موجودات زنده برای بقای خود، با عوامل نابودی خود در حال مبارزه اند. به هر حال یکی از افتخارات ما مسلمانان آمیخته بودن دین با مسأله حکومت و داشتن دستور جهاد در برنامههای دینی است. منتهی جهاد اسلامی اهدافی را تعقیب می کند و آنچه ما را از دیگران جدا می سازد همین است. چنانکه در آیات فوق خواندیم جهاد در اسلام برای چند هدف مجاز شمرده شده است.

1- جهاد برای خاموش کردن فتنهها- ص: ۱۷۴

و به تعبیر دیگر جهاد ابتدایی آزادیبخش. میدانیم: خداوند دستورها و برنامههایی برای سعادت و آزادی و تکامل و

خوشبختی و آسایش انسانها طرح کرده است، و پیامبران خود را موظف ساخته که این دستورها را به مردم ابلاغ کنند، حال اگر فرد یا جمعیتی ابلاغ این فرمانها را مزاحم منافع پست خود ببیند و بر سر راه دعوت انبیاء موانعی ایجاد نماید آنها حق دارند نخست از طریق مسالمت آمیز و اگر ممکن نشد با توسل به زور این موانع را از سر راه دعوت خود بردارند و آزادی تبلیغ را برای خود کسب کنند. تا مردم از قید اسارت و بردگی فکری و اجتماعی آزاد گردند.

۲- جهاد دفاعی- ص: ۱۷۴

تمام قوانین آسمانی و بشری به شخص یا جمعیتی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۷۵

مورد هجوم واقع شده حق میدهد برای دفاع از خویشتن به پا خیزد و آنچه در قدرت دارد به کار برد، و از هر گونه اقدام منطقی برای حفظ موجودیت خویش فروگذار نکند این نوع جهاد را، جهاد دفاعی مینامند.

جنگهایی ماننـد جنگ احزاب واحـد و موته و تبوک و حنین و بعضـی دیگر از غزوات اســلامی جزء این بخش از جهاد بوده و جنبه دفاعی داشته است.

۳- جهاد برای محو شرک و بت پرستی- ص: ۱۷۵

اسلام در عین این که آزادی عقیده را محترم می شمرد هیچ کس را با اجبار دعوت به سوی این آیین نمی کند، به همین دلیل به اقوامی که دارای کتاب آسمانی هستند، فرصت کافی می دهد که با مطالعه و تفکر، آیین اسلام را بپذیرند، و اگر نپذیرفتند با آنها به صورت یک «اقلیت» هم پیمان (اهل ذمه) معامله می کند، و با شرایط خاصی که نه پیچیده است و نه مشکل با آنها همزیستی مسالمت آمیز برقرار می کند. در عین حال نسبت به شرک و بت پرستی، سختگیر است. زیرا، شرک و بت پرستی نه دین است و نه آیین، بلکه یک خرافه است و انحراف و حماقت و در واقع یک نوع بیماری فکری و اخلاقی که باید به هر قیمت ممکن آن را ریشه کن ساخت.

از آنچه تاکنون گفتیم روشن می شود که اسلام جهاد را با اصول صحیح و منطق عقل هماهنگ ساخته است. ولی می دانیم دشمنان اسلام - مخصوصا ارباب کلیسا و مستشرقان مغرض - با تحریف حقایق، سخنان زیادی بر ضد مسأله جهاد اسلامی ایراد کرده اند، و به این قانون الهی سخت هجوم برده اند، بنظر می رسد و حشت آنها از پیشرفت اسلام در جهان، بخاطر معارف قوی و برنامه های حساب شده، سبب شده که از اسلام چهره دروغین و حشتناکی بسازند، تا جلو پیشرفت اسلام را در جهان بگیرند.

۴- جهاد برای حمایت از مظلومان-.... ص: ۱۷۵

حمایت از مظلومان در مقابل ظالمان در اسلام یک اصل است که باید مراعات شود، حتی اگر به جهاد منتهی گردد، اسلام اجازه نمی دهد مسلمانان در برابر فشارهایی که به مظلومان جهاد وارد می شود بی تفاوت باشند، و این دستور یکی از ارزشمند ترین دستورات اسلامی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۷۶

است که از حقانیت این آیین خبر می دهد.

سورة البقرة (2) : آية 194] ص : 178

(آیه ۱۹۴) – مشرکان مکه می دانستند که جنگ در ماههای حرام (ذی القعده و ذی الحجه و محرم و رجب) از نظر اسلام جایز نیست به همین دلیل در نظر داشتند مسلمانان را غافلگیر ساخته و در ماههای حرام به آنها حملهور شوند و شاید گمانشان این بود، که اگر آنها احترام ماههای حرام را نادیده بگیرند مسلمانان به مقابله برنمی خیزند، آیه مورد بحث به این پندارها پایان داد و نقشههای احتمالی آنها را نقش بر آب کرد، و دستور داد اگر آنها در ماههای حرام دست به اسلحه ببرند، مسلمانان در مقابل آنها بایستند، می فرماید: «ماه حرام در برابر ماه حرام است» (الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرام).

یعنی اگر دشمنان احترام آن را شکستند و در آن با شما پیکار کردند، شما نیز حق دارید مقابله به مثل کنید زیرا: «حرمات، قصاص دارد» (وَ الْحُرُماتُ قِصاصُ).

این در واقع یک نوع قصاص است تا هرگز مشرکان به فکر سوء استفاده از احترام ماه حرام یا سرزمین محترم مکه نیفتند.

سپس به یک دستور کلی و عمومی اشاره کرده می گوید: «هر کس به شما تجاوز کند، به مانند آن بر او تجاوز کنید ولی از خدا بپرهیزید (و زیاده روی نکنید) و بدانید خدا با پرهیزکاران است» (فَمَنِ اعْتَدی عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدی عَلَیْکُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ).

اسلام بر خلاف مسیحیت کنونی که می گوید: «... هر کس که به رخساره راست تو طپانچه زند رخساره دیگر را به سوی او بگردان» «۱» چنین دستوری نمی دهد، چرا که این دستور انحرافی باعث جرأت و جسارت ظالم و تجاوزگر است، حتی مسیحیان جهان امروز نیز هر گز به چنین دستوری عمل نمی کنند و کمترین تجاوزی را با پاسخی شدیدتر که آن هم بر خلاف دستور اسلام است جواب می گویند.

اسلام به هر کس حق می دهد که اگر به او تعدی شود، به همان مقدار مقابله کند، تسلیم در برابر متجاوز مساوی است با مرگ و مقاومت مساوی است

(۱) انجیل متی باب پنجم، شماره ۳۹.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۷۷

با حيات، اين است منطق اسلام.

و این که می گوید خدا با پرهیز کاران است، اشاره به این است که آنها را در مشکلات تنها نمی گذارد و یاری میدهد.

سورة البقرة (2) : آية 195] ص : 177

اشاره

(آیه ۱۹۵)–این آیه تکمیلی است بر آیات جهاد، زیرا جهاد به همان اندازه که به مردان با اخلاص و کار آزموده نیازمند است به اموال و ثروت نیز احتیاج دارد.

زیرا از سربازان که عامل تعیین کننده سرنوشت جنگ هستند بدون وسائل و تجهیزات کافی (اعم از سلاح، مهمات، وسیله نقل و انتقال، مواد غذایی، وسائل درمانی) کاری ساخته نیست.

لذا در اسلام تأمين وسائل جهاد با دشمنان از واجبات شمرده شده در اين آيه با صراحت دستور مي دهد و مي فرمايد: «در راه

خدا انفاق كنيد و خود را به دست خود به هلاكت نيفكنيد» (وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكَمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ). در آخر آيه دستور به نيكوكارى داده، مىفرمايـد: «نيكى كنيـد كه خداونـد نيكوكاران را دوست مىدارد» (وَ أَحْسِـنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

انفاق سبب پیشگیری از هلاکت جامعه است!-.... ص : ص : 177

این آیه گر چه در ذیل آیات جهاد آمده است ولی بیانگر یک حقیقت کلی و اجتماعی است و آن این که انفاق بطور کلی سبب نجات جامعهها از مفاسد کشنده است، زیرا هنگامی که مسأله انفاق به فراموشی سپرده شود، و ثروتها در دست گروهی معدود جمع گردد و در برابر آنان اکثریتی محروم و بینوا وجود داشته باشد دیری نخواهد گذشت که انفجار عظیمی در جامعه بوجود می آید، که نفوس و اموال ثروتمندان هم در آتش آن خواهد سوخت، بنابراین انفاق، قبل از آن که به حال محرومان مفید باشد به نفع ثروتمندان است، زیرا تعدیل ثروت حافظ ثروت است.

امير مؤمنان على عليه السّم در يكي از كلمات قصارش مي فرمايد: حصّ نوا اموالكم بالزّكاه: «اموال خويش را با دادن زكات حفظ كنيد».

سورة البقرة (2) : آية 196] ص : 177

اشاره

(آیه ۱۹۶) - قسمتی از احکام مهم حجّ! در این آیه، احکام زیادی بیان شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۷۸ ۱- در ابتدا یک دستور کلی برای انجام فریضه حجّ و عمره بطور کامل و برای اطاعت فرمان خدا داده، میفرماید: «حجّ و عمره را برای خدا به اتمام برسانید» (وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةُ لِلَّهِ).

در واقع قبل از هر چیز به سراغ انگیزه های این دو عبادت رفته و توصیه می کند که جز انگیزه الهی و قصد تقرب به ذات پاک او، چیز دیگری در کار نباید باشد.

۲-سپس به سراغ کسانی میرود که بعد از بستن احرام بخاطر وجود مانعی مانند بیماری شدید و ترس از دشمن، موفق به انجام حجّ عمره نمی شوند، می فرماید: «اگر محصور شدید (و موانعی به شما اجازه نداد که پس از احرام بستن وارد مکه شوید) آنچه از قربانی فراهم شود» ذبح کنید و از احرام خارج شوید (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَیْسَرَ مِنَ الْهَدْیِ).

۳- سپس به دستور دیگری اشاره کرده میفرماید: «سرهای خود را نتراشید تا قربانی به محلش برسد» و در قربانگاه ذبح شود (وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَکُمْ حَتَّی یَبْلُغَ الْهَدْیُ مَحِلَّهُ).

۴- سپس میفرماید: «اگر کسی از شما بیمار بود و یا ناراحتی در سر داشت (و به هر حال ناچار بود سر خود را قبل از آن موقع بتراشد) باید فدیه (کفارهای) از قبیل روزه یا صدقه یا گوسفندی بدهد» (فَمَنْ کانَ مِنْکُمْ مَرِیضاً) أَوْ بِهِ أَذَى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِیام أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُکٍ).

در واقع شخص مخیر در میان این سه کفاره (روزه- صدقه- ذبح گوسفند) می باشد.

۵- سپس میافزاید: «و هنگامی که (از بیماری و دشمن در امان بودید) از کسانی که عمره را تمام کرده و حجّ را آغاز میکنند، آنچه میسر از قربانی است» ذبح کنند. (فَإِذا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّع بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ).

اشاره به این که در حجّ تمتع، قربانی کردن لازم است و فرق نمی کند این قربانی شتر باشد یا گاو و یا گوسفند، و بدون آن از احرام خارج نمی شود.

۶- سپس به بیان حکم کسانی میپردازد که در حال حجّ تمتع قادر به قربانی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۷۹

نیستند، میفرماید: «کسی که (قربانی) نـدارد، بایـد سه روز در ایام حجّ، و هفت روز به هنگام بازگشت، روزه بدارد، این ده روز کامل است» (فَمَنْ لَمْ یَجِدْ فَصِیامُ ثَلاثَةِ أَیّام فِی الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْکَ عَشَرَةٌ کامِلَةٌ).

بنابراین اگر قربانی پیدا نشود، یا وضع مالی انسان اجازه ندهد، جبران آن ده روز روزه است.

٧- بعد به بيان حكم ديگرى پرداخته، مى گويد: «اين برنامه حجّ تمتع براى كسى است كه خانواده او نزد مسجد الحرام نباشد» (ذلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرام).

بنابراین کسانی که اهل مکه یا اطراف مکه باشند، حجّ تمتع ندارند و وظیفه آنها حجّ قران یا افراد است- که شرح این موضوع در کتب فقهی آمده است.

بعد از بیان این احکام هفتگانه در پایان آیه دستور به تقوا میدهد و میفرماید: «از خدا بپرهیزید و تقوا پیشه کنید و بدانید خداوند عقاب و کیفرش شدید است». (وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ).

این تأکید شاید به این جهت است که مسلمانان در هیچ یک از جزئیات این عبادت مهم اسلامی کوتاهی نکنند چرا که کوتاهی در آن گاهی سبب فساد حجّ و از بین رفتن برکات مهم آن می شود.

اهمیت حجّ در میان وظایف اسلامی! ص : ۱۷۹

حجّ از مهمترین عباداتی است که در اسلام تشریع شده و دارای آثار و برکات فراوان و بیشماری است، حجّ مراسمی است که پشت دشمنان را میلرزاند و هر سال خون تازهای در عروق مسلمانان جاری میسازد.

حجّ عبادتی است که امیر مؤمنان آن را «پرچم» و «شعار مهم» اسلام نامیده و در وصیت خویش در آخرین ساعت عمرش فرموده: «خدا را خدا را! در مورد خانه پروردگارتان تا آن هنگام که هستید آن را خالی نگذارید که اگر خالی گذارده شود مهلت داده نمی شوید». (و بلای الهی شما را فرا خواهد گرفت).

اقسام حجّ: ص: ۱۷۹

فقهای بزرگ ما با ابهام از آیات قرآن و سنت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و ائمه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۸۰ اهل بیت علیهم السّلام حجّ را به سه قسم تقسیم کردهاند: حجّ تمتع، حجّ قران و افراد.

حجّ تمتع مخصوص کسانی است که فاصله آنها از مکه ۴۸ میل یا بیشتر باشد (حدود ۸۶ کیلومتر) و حجّ قران و افراد، مربوط به کسانی است که در کمتر از این فاصله زندگی می کنند.

در حجّ تمتع، نخست عمره را بجا مي آورنـد، سپس از احرام بيرون مي آينـد، بعـدا مراسم حجّ را در ايـام مخصوصش انجام

می دهند، ولی در حجّ قران و افراد، اول مراسم حجّ بجا می آورده می شود، و بعد از پایان آن مراسم عمره، با این تفاوت که در حجّ قران، قربانی به همراه می آورند و در حجّ افراد این قربانی نیست.

سورة البقرة (2) : آية 197] ص: 180

(آیه ۱۹۷)- قرآن در این آیه احکام حجّ را تعقیب میکند و دستورات جدیدی میدهد.

۱- نخست مىفرمايد: «حجّ در ماههاى معينى است» (الْحَ بَّج أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ). منظور از اين ماهها، ماههاى شوال، ذى القعده و ذى الحجه است.

۲-سپس به دستور دیگری، در مورد کسانی که با احرام بستن شروع به مناسک حجّ می کنند، اشاره کرده می فرماید: «آنها که حجّ را بر خود فرض کرده انـد (و احرام بسـته انـد باید بدانند) در حجّ آمیزش جنسـی، و گناه و جدال نیست» (فَمَنْ فَرَضَ فِیهِنَ الْحَجِّ فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِی الْحَجِّ).

به این ترتیب محیط حبّج باید از تمتعات جنسی و همچنین گناهان و گفتگوهای بیفایده و جر و بحثها و کشمکشهای بیهوده پاک باشد، زیرا محیطی است که روح انسان باید از آن نیرو بگیرد و یکباره از جهان ماده جدا شود، و به عالم ماوراء ماده راه یابد، و در عین حال رشته الفت و اتحاد و اتفاق و برادری در میان مسلمانان محکم گردد و هر کاری که با این امور منافات دارد ممنوع است.

۳- در مرحله بعد به مسائل معنوی حبّ، و آنچه مربوط به اخلاص است اشاره کرده، میفرماید: «آنچه را از کارهای خیر انجام میدهید خدا میداند» (وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ).

و این بسیار لذتبخش است که اعمال خیر در محضر او انجام می شود. بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۸۱

و در ادامه همین مطلب میفرماید: «زاد و توشه تهیه کنید که بهترین زاد و توشهها پرهیز کاری است و از من بپرهیزید ای صاحبان عقل» (وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَیْرَ الزَّادِ التَّقْوی وَ اتَّقُونِ یا أُولِی الْأَلْبابِ).

این جمله ممکن است اشاره لطیفی به این حقیقت بوده باشد که در سفر حجّ موارد فراوانی برای تهیه زادهای معنوی وجود دارد که باید از آن غفلت نکنید، در آنجا تاریخ مجسم اسلام است و صحنههای زنده فداکاری ابراهیم (ع) و جلوههای خاصی از مظاهر قرب پروردگار دیده میشود آنها که روحی بیدار و اندیشهای زنده دارند می توانند برای یک عمر از این سفر بی نظیر روحانی توشه معنوی فراهم سازند.

سورة البقرة (2) : آية 198] ص : 181

(آیه ۱۹۸)– در این آیه به رفع پارهای از اشـتباهات در زمینه مسأله حـجّ پرداخته میفرماید: «گناهی بر شـما نیست که از فضـل پروردگارتان (و منافع اقتصادی در ایام حجّ) بر خوردار شوید» (لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّکُمْ).

در زمان جاهلیت هنگام مراسم حبّج هر گونه معامله و تجارت و بارکشی و مسافربری را گناه می دانستند و حبّج کسانی را که چنین می کردند باطل می شمردند آیه فوق این حکم جاهلی را بی ارزش و باطل اعلام کرد و فرمود هیچ مانعی ندارد که در موسم حبّج از معامله و تجارت حلال که بخشی از فضل خداوند بر بندگان است بهره گیرید و یا کار کنید و از دست رنج خود استفاده کنید، علاوه بر این، مسافرت مسلمانان از نقاط مختلف به سوی خانه خدا می تواند پایه و اساسی برای یک جهش

اقتصادی عمومی در جوامع اسلامی گردد.

سپس در ادامه همین آیه عطف توجه به مناسک حجّ کرده می فرماید:

«هنگامي كه از عرفات كوچ كرديـد خـدا را در نزد مشعر الحرام ياد كنيـد» (فَإِذا أَفَضْ تُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْـدَ الْمَشْعَرِ الْحَرام).

«او را ياد كنيد همان گونه كه شما را هدايت كرد هر چند پيش از آن از گمراهان بوديد» (وَ اذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ).

سورة البقرة (2) : آية 199] ص: ١٨١

اشاره

(آیه ۱۹۹)- باز در ادامه همین معنی می فرماید: «سپس از آنجا که مردم کوچ می کنند (از مشعر الحرام به سوی سرزمین منی) کوچ کنید» (ثُمَّ أَفِیضُوا مِنْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۸۲

حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ)

در روایات آمده است که قبیله قریش در جاهلیت امتیازات نادرستی برای خود قائل بودند از جمله این که می گفتند: ما نباید در مراسم حجّ به عرفات برویم زیرا عرفات از حرم مکه بیرون است. قرآن در آیه فوق خط بطلان بر این اوهام کشید و به مسلمانان دستور داد همه با هم در عرفات وقوف کنند و از آنجا همگی به سوی مشعر الحرام و از آنجا به سوی منی کوچ کنند.

و در پایان دستور به استغفار و توبه میدهـد میفرمایـد: «از خـدا طلب آمرزش کنیـد که خداونـد آمرزنده و مهربان است» (وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

و طلب آمرزش کنید از آن افکار و خیالات جاهلی که مخالف روح مساوات و برابری حجّ است.

در این بخش از آیات به سه موقف حج اشاره شده، عرفات که محلی در ۲۰ کیلومتری مکه است سپس وقوف در مشعر الحرام - یا مزدلفه - و سوم سرزمین منی که محل قربانی و رمی جمرات و پایان داده به احرام و انجام مراسم عید است.

نکتهها: ص: ۱۸۲

1- نخستين موقف حجّ- ص: ١٨٢

زائران خانه خدا بعد از انجام مراسم عمره راهی مراسم حبّع می شوند و نخستین مرحله همان وقوف در عرفات است- در نامگذاری سرزمین عرفات به این نام ممکن است اشاره به این حقیقت باشد که این سرزمین محیط بسیار آمادهای برای معرفت پروردگار و شناسایی ذات پاک اوست و به راستی آن جذبه معنوی و روحانی که انسان به هنگام ورود در عرفات پیدا می کند با هیچ بیان و سخنی قابل توصیف نیست تنها باید رفت و مشاهده کرد- همه یکنواخت، همه بیابان نشین، همه از هیاهوی دنیای مادی و زرق و برقش فرار کرده در زیر آن آسمان نیلی و در آن هوای پاک از آلودگی گناه، در آنجا که از لابلای

نسیمش صدای زمزمه جبرئیل و آهنگ مردانه ابراهیم خلیل و طنین حیاتبخش صدای پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله شنیده می شود در این سرزمین خاطرهانگیز که گویا دریچهای به جهان ماورای طبیعت در آن گشوده شده انسان نه تنها از نشئه عرفان برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۸۳

پروردگار سرمست می شود و لحظه ای با زمزمه تسبیح عمومی خلقت هماهنگ می گردد بلکه در درون وجود خود، خودش را هم که عمری است گم کرده و به دنبالش می گردد پیدا می کند و به حال خویشتن نیز عارف می گردد. آری! این سرزمین را «عرفات» می نامند چه اسم جالب و مناسبی!

٢- مشعر الحرام: دوّمين موقف حجّ- ص: ١٨٣

«مشعر» از ماده «شعور» است در آن شب تاریخی (شب دهم ذی الحجه) که زائران خانه خدا پس از طی دوران تربیت خود در عرفات به آنجا کوچ می کنند و شبی را تا به صبح روی ماسه های نرم در زیر آسمان پرستاره در سرزمینی که نمونه کوچکی از محشر کبری و پرده ای از رستاخیز بزرگ قیامت است. آری! در چنان محیط بی آلایش و با صفا و تکان دهنده در درون جامه معصومانه احرام و روی آن ماسه های نرم انسان جوشش چشمه های تازه ای از اندیشه و فکر و شعور در درون خود احساس می کند و صدای ریزش آن را در اعماق قلب خود به روشنی می شنود آنجا را «مشعر» می نامند!

سورة البقرة (2) : آية 200] ص : 183

اشاره

آیه ۲۰۰

شأن نزول: ص: ۱۸۳

در حدیثی از امام باقر علیه السّ لام میخوانیم که: در ایام جاهلیت هنگامی که از مراسم حجّ فارغ می شدند در آنجا اجتماع می کردند و افتخارات نیاکان خود را بر می شمردند (و افتخارات موهومی برای خود بر می شمردند) آیه نازل شد و به آنها دستور داد که به جای این کار (نادرست) ذکر خدا گویند و از نعمتهای بی دریغ خداوند و مواهب او یاد کنند.

تفسير: ص: ١٨٣

این آیه همچنان ادامه بحثهای مربوط به حجّ است نخست می گوید:

«هنگامی که مناسک (حـجّ) خود را انجام دادید ذکر خدا گویید همان گونه که پدران و نیاکانتان را یاد میکردید بلکه از آن بیشتر و برتر» (فَإِذا قَضَیْتُمْ مَناسِکَکُمْ فَاذْکُرُوا اللَّهَ کَذِکْرِکُمْ آباءَکُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِکْراً).

منظور از این تعبیر این نیست که هم نیاکانتان را ذکر کنیـد و هم خدا را، بلکه اشارهای است به این واقعیت که اگر آنها بخاطر

پارهای از مواهب لایق یاد آوری هستند پس چرا به سراغ خدا نمی روید که تمام عالم هستی و تمام نعمتهای جهان از ناحیه اوست صاحب صفات جلال و جمال و ولی نعمت همگان است. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۸۴

«ذكر خدا» در اين جا تمام اذكار الهي بعد از مراسم را شامل مي شود.

در اینجا مردم را به دو گروه تقسیم می کنـد میفرمایـد: «گروهی از مردم می گوینـد خداوندا! در دنیا به ما نیکی عطا فرما ولی در آخرت بهرهای ندارند» (فَمِنَ النَّاسِ مَنْ یَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا وَ ما لَهُ فِی الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ).

سورة البقرة (2) : آية 201] ص: 184

(آیه ۲۰۱)- «و گروهی می گویند پروردگارا! به ما نیکی عطا کن و در آخرت نیکی مرحمت فرما و ما را از عذاب آتش نگاهدار» (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنا عَذابَ النَّارِ).

در حقیقت این قسمت از آیات اشاره به خواسته های مردم و اهداف آنها در این عبادت بزرگ است، زیرا گروهی هم مواهب مادی دنیا را می خواهند و هم مواهب معنوی را بلکه زندگی دنیا را نیز به عنوان مقدمه تکامل معنوی می طلبند! در این که منظور از «حَسَينَهٔ» در آیه چیست؟ در حدیثی از پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله می خوانیم: «کسی که خدا به او قلبی شاکر و زبان مشغول به ذکر حق، و همسری با ایمان که او را در امور دنیا و آخرت یاری کند ببخشد، نیکی دنیا و آخرت را به او داده و از عذاب آتش باز داشته شده».

البته «حسنه» به معنی هر گونه خیر و خوبی است و مفهوم وسیع و گستردهای دارد که تمام مواهب مادی و معنوی را شامل می شود، بنابراین آنچه در روایت فوق آمده بیان مصداق روشن آن است.

سورة البقرة (2) : آية 202] ص: 184

(آیه ۲۰۲) - در این آیه اشاره به گروه دوم کرده (همان گروهی که حسنه دنیا و آخرت را از خدا می طلبند) می فرماید: «آنها نصیب و بهرهای از کسب خود دارند و خداوند سریع الحساب است» (أُولئِکَ لَهُمْ نَصِیبٌ مِمَّا کَسَبُوا وَ اللَّهُ سَرِیعُ الْحِسابِ). در حقیقت این آیه نقطه مقابل جملهای است که در آیات قبل در باره گروه اول آمد که می فرماید: «آنها نصیبی در آخرت ندارند».

سورة البقرة (2) : آية 203] ص: 184

(آیه ۲۰۳)- این آیه آخرین آیه است که در اینجا در باره مراسم حجّ، سخن می گوید و سنتهای جاهلی را در رابطه با تفاخرهای موهوم نسبت به نیاکان و گذشتگان در هم می شکند و به آنها توصیه می کند که (بعد از مراسم عید) به یاد خدا باشند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۸۵

مى فرمايد: «خدا را در روزهاى معينى ياد كنيد» (وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ).

در این که منظور از این اذکار چیست؟ در احادیث اسلامی به این صورت تعیین شده که بعد از پانزده نماز که آغازش نماز ظهر روز عید قربان، و پایانش نماز روز سیزدهم است، جملههای الهام بخش زیر تکرار گردد: الله اکبر الله اکبر لا اله الّا اللّه و اللّه اکبر و للّه الحمد اللّه اکبر علی ما هدانا اللّه اکبر علی ما رزقنا من بهیمهٔ الانعام. سپس در دنبال این دستور میافزاید: «کسانی که تعجیل کنند و (ذکر خدا را) در دو روز انجام دهند گناهی بر آنان نیست، و کسانی که تأخیر کنند (و سه روز انجام دهند نیز) گناهی بر آنها نیست، برای کسانی که تقوا پیشه کنند» (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِی یَوْمَیْنِ فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ لِمَن اتَّقی).

این تعبیر در حقیقت، اشاره به نوعی تخییر در اداء ذکر خدا، میان دو روز و سه روز میباشد.

و در پایان آیه، یک دستور کلی به تقوا داده میفرماید: «تقوای الهی پیشه کنید و بدانید شما به سوی او محشور خواهید شد» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ).

این جمله می تواند اشاره به این باشد که مراسم روحانی حجّ، گناهان گذشته شما را پاک کرده، و همچون فرزندی که از مادر متولد شده است پاک از این مراسم باز می گردید، اما مراقب باشید بعدا خود را آلوده نکنید.

سورة البقرة (2) : آية 204] ص: 185

اشاره

آیه ۲۰۴

شأن نزول: ص: 185

در مورد نزول این آیه و دو آیه بعد گفتهاند: این آیات در باره «اخنس بن شریق» نازل شده که مردی زیبا و خوش زبان بود و تظاهر به دوستی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می کرد و خود را مسلمان جلوه میداد، و سوگند می خورد که آن حضرت را دوست دارد و به خدا ایمان آورده، پیامبر هم که مأمور به ظاهر بود با او گرم می گرفت، ولی او در باطن مرد منافقی بود، در یک ماجرا زراعت بعضی از مسلمانان را آتش زد و چهارپایان آنان را کشت.

این سه آیه نازل شد و به این ترتیب پرده از روی کار او برداشته شد.

تفسير: ص: ١٨٥

در این آیه، اشاره سر بسته ای به بعضی از منافقان کرده، می فرماید: برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۸۶ «و بعضی از مردم چنین هستند که گفتار او در زندگی دنیا مایه اعجاب تو می شود (ولی در باطن چنین نیست) و خداوند بر آنچه در قلب او است گواه می باشد، و او سرسخت ترین دشمنان است» (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اللَّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصام).

سورة البقرة (2) : آية 200] ص: 186

(آیه ۲۰۵)- سپس میافزاید: «نشانه دشمنی باطنی او این است که وقتی روی بر می گرداند و از نزد تو خا**ز**میشود، کوشش

می کنــد که در زمین، فساد به راه بینــدازد، و زراعت و چهارپایان را نابود کنــد با این که میداند خدا فساد را دوست ندارد» (وَ إِذا تَوَلَّى سَعى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ).

آری! اگر اینها در اظهار دوستی و محبت به پیامبر اسلام و پیروان او صادق بودند هر گز دست به فساد و تخریب نمیزدند، ظاهر آنان دوستی خالصانه است، اما در باطن، بیرحمترین، و سرسخت ترین دشمنانند.

سورة البقرة (2) : آية 206] ص: 186

(آیه ۲۰۶) - در این آیه می افزاید: هنگامی که او را از این عمل زشت نهی کنند «و به او گفته شود از خدا بترس (آتش لجاجت در درونش شعلهور می گردد) و لجاج و تعصب، او را به گناه می کشاند» (وَ إِذَا قِیلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّهُ بِالْإِثْمِ). او نه به اندرز ناصحان، گوش فرا می دهد، و نه به هشدارهای الهی بلکه پیوسته با غرور و نخوت مخصوص به خود، بر خلاف کاریهایش می افزاید چنین کسی را جز آتش دوزخ رام نمی کند، و لذا در پایان آیه می فرماید: «آتش دوزخ برای آنها کافی است و چه بد جایگاهی است» (فَحَشْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِنْسَ الْمِهادُ).

سورة البقرة (2) : آية 207] ص : 186

اشاره

آیه ۲۰۷

شأن نزول: ص: ۱۸۶

مفسر معروف اهل تسنن «ثعلبی» می گوید: هنگامی که پیغمبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله تصمیم گرفت مهاجرت کند، و مشرکان اطراف خانه او را برای حمله به او، محاصره کرده بودند دستور داد علی علیه السّ<u>ه لام در بستر او بخوابد و پارچه سبز</u> رنگی که مخصوص به خود پیغمبر بود روی خود بکشد.

در این هنگام خداوند به «جبرئیل» و «میکائیل» وحی فرستاد که من بین شما برادری ایجاد کردم و عمر یکی از شما را طولانی تر قرار دادم کدامیک از شما حاضر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۸۷

است ایثار به نفس کند؟ هیچ کدام حاضر نشدند به آنها وحی شد اکنون علی علیه السّلام در بستر پیغمبر خوابیده و آماده شده جان خویش را فدای او سازد به زمین بروید و حافظ و نگهبان او باشید هنگامی که جبرئیل بالای سر و میکائیل پایین پای علی علی علیه السّلام نشسته بودند جبرئیل می گفت: «به به آفرین به تو ای علی خداوند به واسطه تو بر فرشتگان مباهات می کند»! در این هنگام آیه نازل گردید و به همین دلیل آن شب تاریخی به نام «لیلهٔ المبیت» نامیده شده است.

تفسير: ص: ۱۸۶

گر چه این آیه در مورد هجرت پیغمبر و فداکاری علی علیه السّلام نازل شده، ولی مفهوم و محتوای کلی و عمومی دارد. و در واقع نقطه مقابل چیزی است که در آیات قبل در مورد منافقان وارد شده بود، میفرماید: «از میان مردم کسانی هستند که جان خود را در برابر خشنودی خدا میفروشند، و خداوند نسبت به بندگانش مهربان است» (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَوْضاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَوُّفٌ بالْعِبادِ).

جمله (وَ اللَّهُ رَوُّفٌ بِالْعِبادِ) ممکن است اشاره به این باشد که خداوند در عین این که بخشنده جان به انسان است همان را خریدار خریداری می کند و بالاترین بها را که همان خشنودی اوست به انسان می پردازد! قابل توجه این که فروشنده «انسان» و خریدار «خدا» و متاع «جان» و بهای معامله خشنودی ذات پاک اوست، در حالی که در موارد دیگر بهای این گونه معاملات را بهشت جاویدان و نجات از دوزخ ذکر کرده است.

به هر حال آیه فوق با توجه به شأن نزول یکی از بزرگترین فضائل علی علیه السّـ لام است که در اکثر منابع اسلامی ذکر شـده است.

سورة البقرة (2) : آية 208] ص: 187

(آیه ۲۰۸)- صلح جهانی تنها در سایه ایمان! بعد از اشاره به دو گروه (گروه مؤمنان بسیار خالص و منافقان مفسد) در آیات گذشته، همه مؤمنان را در این آیه مخاطب ساخته میفرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید، همگی در صلح و آشتی درآیید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِی السِّلْم کَافَّهً).

از مفهوم این آیه چنین استفاده می شُود که صلح و آرامش تنها در پرتو ایمان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۸۸ امکان پذیر است. اصولا در مقابل عوامل پراکندگی (زبان و نژاد و ...) یک حلقه محکم اتصال در میان قلوب بشر لازم است، این حلقه اتصال تنها ایمان به خدا است که مافوق این اختلافات است.

سپس میافزاید: «از گامهای شیطان پیروی نکنید که او دشمن آشکار شما است» (وَ لا تَتَبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوُّ مُبِينٌ).

در اینجا نیز این حقیقت تکرار شده که انحراف از صلح و عدالت و تسلیم شدن در برابر انگیزههای دشمنی و عداوت و جنگ و خونریزی از مراحل ساده و کوچک شروع می شود، و به مراحل حاد و خطرناک منتهی می گردد.

جمله إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ متضمن استدلال زنده و روشنی است، می گوید دشمنی شیطان با شما چیزی مخفی و پوشیده نیست، او از آغاز آفرینش آدم برای دشمنی با او کمر بست، با این حال چگونه تسلیم وسوسههای او میشوید!

سورة البقرة (2) : آية 209] ص : 188

(آیه ۲۰۹) - در این آیه به همه مؤمنان هشدار میدهد که «اگر بعد از (این همه) نشانهها و برنامههای روشن که به سراغ شما آمده لغزش کنید و تسلیم وسوسههای شیطان شوید و گامی بر خلاف صلح و سلام بردارید بدانید (از پنجه عدالت خداوند فرار نتوانید کرد) چرا که خداوند توانا و شکستناپذیر و حکیم است» (فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْکُمُ الْبَیّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ).

برنامه روشن، راه روشن و مقصد هم معلوم است با این حال جایی برای لغزش و قبول وسوسههای شیطانی نیست! اگر منحرف

شوید قطعا مقصر خود شمایید و بدانید خداوند قادر حکیم شما را مجازات عادلانه خواهد کرد.

سورة البقرة (2) : آية 210] ص : 188

اشاره

(آیه ۲۱۰)- این آیه گر چه از آیات پیچیده قرآن بنظر می رسد لکن دقت روی تعبیرات آن ابهام را بر طرف می سازد، در اینجا روی سخن به پیامبر صلّی الله علیه و آله است، می فرماید: «آیا آنها انتظار دارند که خداوند و فرشتگان در سایه های ابرها به سوی آنها بیایند» و دلایل دیگری در اختیارشان بگذارند با این که چنین چیزی محال است و به فرض که محال نباشد چه ضرورتی دارد (هَیلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ یَیْأُتِیهُمُ اللَّهُ فِی ظُلَلِ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِکَهُ).» در حالی که کار پایان گرفته است» (وَ قُضِت یَ الْأَمْرُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۱۸۹

در این که منظور از پایان گرفتن کار چیست؟ آنچه به نظر میرسد این است که اشاره به نزول عذاب الهی به کافران لجوج باشد زیرا ظاهر آیه مربوط به این جهان است.

و در پایان آیه می فرماید: «و همه کارها به سوی خدا باز می گردد» (وَ إِلَى اللَّهِ تُوْجَعُ الْأُمُورُ).

امور مربوط به ارسال پیامبران و نزول کتابهای آسمانی و تبیین حقایق بازگشت به او میکند همان گونه که امر حساب و مجازات و کیفر و پاداش به او باز می گردد.

رؤيت خداوند- ص: ۱۸۹

بی شک مشاهده حسی تنها در مورد اجسامی صورت می گیرد که دارای رنگ و مکان و محل است بنابراین، در مورد ذات خداوند که مافوق زمان و مکان است معنی ندارد ذات پاک او نه در دنیا با این چشم دیده می شود و نه در آخرت دلایل عقلی این مسأله به قدری روشن است که ما را بی نیاز از شرح و بسط می کند.

البته مشاهده خداوند با چشم دل هم در این جهان ممکن است و هم در جهان دیگر و مسلما در قیامت که ذات پاک او ظهور و بروز قوی تری دارد این مشاهده قوی تر خواهد بود «۱».

سورة البقرة (2) : آية 211] ص : 189

(آیه ۲۱۱)- این آیه در حقیقت، یکی از مصادیق آیات گذشته است، چرا که در آیات گذشته سخن از مؤمنان و کافران و منافقان بود، کافرانی که بر اثر لجاجت، آیات و دلایل روشن را نادیده گرفته به بهانه جویی می پرداختند، و بنی اسرائیل یکی از مصادیق واضح این معنی هستند می فرماید: «از بنی اسرائیل بپرس، چه نشانه های روشنی به آنها دادیم؟» ولی آنها این نشانه های روشن را نادیده گرفتند، و نعمتهای الهی را در راه غلط صرف کردند (سَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ کَمْ آتَیْناهُمْ مِنْ آیَهٔ بِبَیّنَهٔ). سپس می افزاید: «کسی که نعمت خدا را بعد از آن که به سراغ او آمد تبدیل کند (و از آن سوء استفاده نماید، گرفتار عذاب شدید الهی خواهد شد) زیرا خداوند

(۱) برای شرح بیشتر رجوع کنید به «تفسیر نمونه» ذیل آیه ۱۰۳ سوره انعام و «پیام قرآن» جلد ۴، صفحه ۲۲۱ تا ۲۵۰.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۹۰

شديد العقاب است» (وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةُ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ).

منظور از تبدیل نعمت این است که انسان امکانات و منابع مادی و معنوی را که در اختیار دارد، در مسیرهای انحرافی و گناه به کار گیرد، مسأله تبدیل نعمت، و سرنوشت دردناک ناشی از آن منحصر به بنی اسرائیل نیست، هم اکنون دنیای صنعتی گرفتار این بدبختی بزرگ است زیرا با این که خداوند مواهب و نعمتها و امکاناتی در اختیار انسان امروز قرار داده که در هیچ دورانی از تاریخ سابقه نداشته، ولی بخاطر دوری از تعلیمات الهی پیامبران گرفتار تبدیل نعمت شده و آنها را به صورت وحشتناکی در راه فنا و نیستی خود به کار گرفته و از آن مخربترین سلاحها، برای ویرانی جهان ساخته و یا از قدرت مادی خویش برای توسعه ظلم و استعمار و استثمار بهره گرفته و دنیا را به جایگاهی ناامن از هر نظر مبدل کرده است.

سورة البقرة (2) : آية 212] ص: 190

اشاره

آیه ۲۱۲

شأن نزول: ص: 190

ابن عباس مفسر معروف می گوید: این آیه در باره اقلیت اشرافی و رؤسای قریش نازل شد که زندگی بسیار مرفهی داشتند، و جمعی از مؤمنان ثابت قدم که از نظر زندگی مادی فقیر و تهیدست بودند را به باد استهزاء می گرفتند و می گفتند: اگر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله شخصیتی داشت و از طرف خدا بود، اشراف بزرگان از او پیروی می کردند، آیه نازل شد و به سخنان بی اساس آنها پاسخ داد.

تفسير: ص: ١٩٠

شأن نزول این آیه مانع از آن نیست که یک قاعده کلی و عمومی از آن استفاده کرده یا آن را مکمل آیه پیشین در باره یهود بدانیم آیه می گوید: «زندگی دنیا برای کافران زینت داده شده است» (زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا الْحَیاهُ الدُّنیا).

لذا از باده غرور سـرمست شده «و افراد با ایمان را که احیانا دسـتشان تهی است به باد مسـخره می گیرند» (وَ یَشْخَرُونَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا).

این در حالی است که «این افراد با ایمان و تقوا در قیامت برتر از آنها هستند» آنها در اعلی علیین بهشتند و اینها در در کات جهنم (وَ الَّذِینَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ).

زیرا در آن جهان مقامات معنوی صورت عینی به خود می گیرد و مؤمنان در درجات بالایی قرار خواهند گرفت، آنها گویی بر فراز آسمانها سیر می کنند در حالی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۹۱

که اینها در اعماق زمین میرونـد و این جای تعجب نیست «زیرا خداونـد هر کس را بخواهـد بیحساب روزی میدهد» (وَ اللَّهُ یَوْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِساب).

اینها در حقیقت بشارت و آرامشی است برای مؤمنان فقیر و هشدار و تهدیدی است برای ثروتمندان مغرور و بی ایمان.

بی حساب بودن روزی خداوند نسبت به افراد با ایمان اشاره به این است که هر گز پاداشها و مواهب الهی به اندازه اعمال ما نیست بلکه مطابق کرم و لطف او است و میدانیم لطف و کرمش حد و حدودی ندارد.

سورة البقرة (2) : آية 213] ص : 191

(آیه ۲۱۳)- بعد از بیان حال مؤمنان و منافقان و کفار در آیات پیشین، در این آیه به سراغ یک بحث اصولی و کلی و جامع در مورد پیدایش دین و مذهب و اهداف و مراحل مختلف آن میرود نخست میفرماید: «انسانها (در آغاز) همه امت واحدی بودند» (کانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً).

و در آن روز تضادی در میان آنها وجود نداشت، زندگی بشر و اجتماع او ساده بود، فطرتها دست نخورده، و انگیزههای هوی و هوس و اختلاف و کشمکش در میان آنها ناچیز بود. (این مرحله اول زندگی انسانها بود) سپس زندگی انسانها شکل اجتماعی به خود گرفت زیرا انسان برای تکامل آفریده شده و تکامل او تنها در دل اجتماع تأمین می گردد (و این مرحله دوم زندگی انسانها بود) ولی به هنگام ظهور اجتماع، اختلافها و تضادها به وجود آمد چه از نظر ایمان و عقیده، و چه از نظر عمل و تعیین حق و حقوق هر کس و هر گروه در اجتماع، و اینجا بشر تشنه قوانین و تعلیمات انبیاء و هدایتهای آنها می گردد تا به اختلافات او در جنبههای مختلف پایان دهد (و این مرحله سوم بود) در اینجا «خداوند پیامبران را برانگیخت تا مردم را بشارت دهند و انذار کنند» (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِیِّنَ مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ). و این مرحله چهارم بود.

در اینجا انسانها با هشدارهای انبیاء و توجه به مبدء و معاد و جهان دیگر که در آنجا پاداش و کیفر اعمال خویش را در مییابند برای گرفتن احکام و قوانین الهی آمادگی پیدا کردند و لذا میفرماید: «خداوند با آنها کتاب آسمانی به حق نازل کرد تا برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۹۲

در ميان مردم در آنچه اختلاف داشتند حكومت كند» (وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ).

و به این ترتیب ایمان به انبیاء و تمسک به تعلیمات آنها و کتب آسمانی، آبی بر آتش اختلافات فرو ریخت و آن را خاموش ساخت- و این مرحله پنجم بود.

این وضع مدتی ادامه یافت ولی کم کم وسوسه های شیطانی و امواج خروشان هوای نفس، کار خود را در میان گروهی کرد لذا آیه می فرماید: «در آن اختلاف نکردند مگر کسانی که کتاب آسمانی را دریافت داشته بودند و بینات و نشانه های روشن به آنها رسیده بود. آری! آنها، بخاطر انحراف از حق و ستمگری در آن اختلاف کردند» (وَ مَا اخْتَلَفَ فِیهِ إِلَّا الَّذِینَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبُیّناتُ بَغْیاً بَیْنَهُمْ). و این مرحله ششم بود.

در اینجا مردم به دو گروه تقسیم شدند مؤمنان راستین که در برابر حق تسلیم بودند آنها برای پایان دادن به اختلافات جدید به کتب آسمانی و تعلیمات انبیاء باز گشتند و به حق رسیدند و لذا می فرماید: «خداوند مؤمنان از آنها را به حقیقت آنچه در آن اختلاف داشتند به فرمان خود هدایت فرمود» در حالی که افراد بی ایمان و ستمگر خود خواه همچنان در گمراهی و اختلاف باقی ماندند (فَهَدَی اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِیهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ). و این مرحله هفتم بود.

و در پایان آیه میفرماید: «خداونـد هر که را بخواهـد و لایق ببینـد به راه مستقیم هـدایت میکنـد» (وَ اللَّهُ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلَی صِراطِ مُسْتَقِیم).

اشاره به این که مشیت الهی که آمیخته با حکمت او است گزاف و بیحساب نیست و از هر گونه تبعیض ناروا بر کنار است. تمام کسانی که دارای نیت پاک و روح تسلیم در برابر حقند مشمول هدایتهای او میشوند، اشتباهات عقیدتی آنها اصلاح می گردد و از روشن بینیهای مخصوصی بر خوردار میشوند و آنها را از اختلافات و مشاجرات دنیا پرستان بی ایمان بر کنار می دارد و آرامش روح و اطمینان خاطر و سلامت جسم و جان به آنها می بخشد.

سورة البقرة (2) : آية 214] ص : 192

اشاره

آیه ۲۱۴

شأن نزول: ص: 192

بعضی از مفسران گفتهاند: هنگامی که در جنگ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۹۳

احزاب ترس و خوف و شدت بر مسلمانان غالب شد و در محاصره قرار گرفتند این آیه نازل شد و آنان را به صبر و استقامت دعوت نمود و یاری نصرت به آنها داد.

تفسير: ص: ١٩٣

از این آیه چنین بر می آید که جمعی از مؤمنان می پنداشتند که عامل اصلی ورود در بهشت تنها اظهار ایمان به خدا است بی آن که تلاش و کوششی به خرج دهند، قرآن در برابر این تفکر نادرست می فرماید: «آیا گمان کردید داخل بهشت می شوید بی آن که حوادثی همچون حوادث سخت گذشتگان به شما برسد» (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهُ وَ لَمَّا یَأْتِکُمْ مَثَلُ الَّذِینَ خَلُوا مِنْ قَیْلِکُمْ).

«همانها که شداید و زیانهای فراوان به آنها رسید و آنچنان ناراحت و متزلزل شدند که پیامبر الهی و افرادی که ایمان آورده بودند گفتند: پس یاری خدا کجاست!» (مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّی یَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ مَتی نَصْرُ اللَّهِ). البته آنها این جمله را به عنوان اعتراض و ایراد نمی گفتند بلکه به عنوان تقاضا و انتظار مطرح می کردند. و چون آنها نهایت استقامت خود را در برابر این حوادث به خرج دادند و دست به دامن الطاف الهی زدند به آنها گفته شد «آگاه باشید یاری خدا نزدیک است» (أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَریبٌ).

در حقیقت این آیه به یکی از سنن الهی که در همه اقوام جاری بوده است اشاره می کند و به مؤمنان در همه قرون و اعصار هشدار می دهد که برای پیروزی و موفقیت و نایل شدن به مواهب بهشتی، باید به استقبال مشکلات بروند و فداکاری کنند و این آزمونی است که مؤمنان را پرورش می دهد.

سورة البقرة (2) : آية 215] ص : 193

اشاره

آیه ۲۱۵

شأن نزول: ص: 193

«عمرو بن جموح» پیرمردی بزرگ و ثروتمنـد بـود به پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله عرض کرد از چه چیز صـدقه بـدهم و به چه کسانی؟ این آیه نازل شد و به او پاسخ گفت.

تفسير: ص: ١٩٣

در قرآن مجید آیات فراوانی در باره انفاق و بخشش در راه خدا آمده است همین امر سبب می شد که در باره جزئیات از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله سؤال کننـد لذا در آیه مورد بحث می فرماید: «از تو سؤال می کنند چه چیز را انفاق کنند» (یَدُی مُلُونَکُ ما ذا یُنْفِقُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۹۴

سپس مىافزايىد: «بگو هر خير و نيكى (و هر گونه سرمايه سودمنىد مادى و معنوى) كه انفاق مىكنيىد براى پىدر و مادر و نزديكان و يتيمان و مستمندان و وامانىدگان در راه، بايد باشد» (قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبيل).

مسلما ذکر این پنج طایفه به عنوان بیان مصداقهای روشن است و گر نه منحصر به آنها نمی باشد.

و در پایان آیه میفرماید: «و هر کار خیری انجام میدهید خداوند از آن آگاه است» (وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرِ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِیمٌ).

لزومی ندارد تظاهر کنید، و مردم را از کار خویش آگاه سازید، چه بهتر که برای اخلاص بیشتر انفاقهای خود را پنهان سازید، زیرا کسی که جزا به دست اوست حساب همه نزد او است.

جمله «وَ ما تَفْعَلُوا» معنى وسيعى دارد كه تمام اعمال خير را شامل مىشود.

و جمله «ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ» (آنچه از نيكيها انفاق مىكنيد) مى گويد: انفاق از هر موضوع خوبى مى تواند باشد، و تمام نيكيها را شامل مى شود از اموال باشد يا خدمات، از موضوعات مادى باشد يا معنوى.

در ضمن تعبیر به «خیر» نشان میدهـد که مال و ثروت ذاتا چیز بدی نیست، بلکه یکی از بهترین وسایل خیر است، مشروط بر این که به نیکی از آن بهره گیری شود.

سورة البقرة (2) : آية 216] ص: 194

(آیه ۲۱۶)- آیه گذشته عمدتا در مورد انفاق اموال بود و در این آیه سخن از انفاق جانها در راه خدا است و این هر دو در میدان فداکاری دوش به دوش یکدیگر قرار دارند. میفرماید: «جنگ (با دشمن) بر شما مقرر شده است در حالی که از آن اکراه دارید» (کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ کُرْهٌ لَکُمْ).

تعبیر به «کُتِبَ» (نوشته شده) اشاره به حتمی بودن و قطعی بودن این فرمان الهی است.

برای انسانهای معمولی یک امر طبیعی است که جنگ و لو با دشمن و در راه خدا خوشایند نیست زیرا در جنگ هم تلف اموال و هم نفوس و هم جراحتها برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۹۵

و مشقتها است البته برای عاشقان شهادت در راه حق و کسانی که در سطح بالایی از معرفت قرار دارند جنگ با دشمنان حق شربت گوارایی است که همچون تشنه کامان به دنبال آن میروند و مسلما حساب آنها از حساب توده مردم جدا است.

سپس به یک قانون کلی و اصل اساسی که حاکم بر قوانین تکوینی و تشریعی خداوند است اشاره می کند، می فرماید: «چه بسا شما از چیزی اکراه داشته باشید در حالی که برای شما خیر است و مایه سعادت و خوشبختی» (وَ عَسی أَنْ تَكْرَهُوا شَیْئاً وَ هُو خَیْرٌ لَکُمْ).

به عکس کناره گیری از جنگ و عافیت طلبی ممکن است خوشایند شما نباشد در حالی که واقعا چنین نیست «چه بسا چیزی را دوست داشته باشید و آن برای شما شرّ است» (وَ عَسی أَنْ تُحِبُّوا شَیْئاً وَ هُوَ شَرِّ لَکُمْ).

و در پایان می فرماید: «و خدا می داند و شما نمی دانید» (وَ اللَّهُ یَعْلَمُ وَ أَنَّتُمْ لا تَعْلَمُونَ).

پروردگار جهان با این لحن قاطع می گوید که افراد بشر نباید تشخیص خودشان را در مسائل مربوط به سرنوشتشان حاکم سازند چرا که علم آنها از هر نظر محدود و ناچیز است و معلوماتشان در برابر مجهولات همچون قطرهای در برابر دریا است. آنها با توجه به علم محدود خود نباید در برابر احکام الهی روی در هم کشند. باید بطور قطع بدانند که خداوند اگر جهاد و روزه و حجّ را تشریع کرده همه به سود آنها است، توجه به این حقیقت روح انضباط و تسلیم در برابر قوانین الهی را در انسان پرورش می دهد، و درک و دید او را از محیطهای محدود فراتر می برد و به نامحدود یعنی علم بی پایان خدا پیوند می دهد.

سورة البقرة (2) : آية 217] ص: 195

اشاره

آیه ۲۱۷

شأن نزول: ص: 195

پیش از جنگ «بـدر» پیامبر اسـلام صـلّی الله علیه و آله «عبد الله بن جحش» را طلبید و نامهای به او داد، به او فرمان داد پس از آن که دو روز راه پیمود، نـامه را بگشایـد و طبق آن عمل کنـد، او پس از دو روز طی طریق نامه را گشود و چنین یافت: «پس

از آن که نامه را باز کردی تا «نخله» (زمینی که بین مکه و طائف است) پیش برو و در آنجا وضع قریش را زیر نظر بگیر». برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۹۶

هنگامی که به «نخله» رسیدند به قافلهای از قریش بر خورد کردند به آنها حمله کردند «عمر و بن حضرمی» را کشتند و قافله را با دو نفر نزد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آوردند، پیغمبر به آنان فرمود: من به شما دستور نداده بودم که در ماههای حرام نبرد کنید، مشرکان نیز زبان به طعن گشودند که محمد صلّی اللّه علیه و آله جنگ و خونریزی را در ماههای حرام حلال شمرده، آیه مورد بحث نازل شد و سپس «عبد اللّه بن جحش» و همراهانش اظهار کردند که در این راه برای درک ثواب جهاد کوشش کردهاند و از پیامبر پرسیدند که آیا اجر مجاهدان را دارند یا نه؟ آیه بعد (آیه ۲۱۸) نازل گردید.

تفسير: ص: ١٩٦

این آیه در صدد پاسخ گویی به پارهای از سؤالات در باره جهاد و استثناهای آن است، نخست میفرماید: «از تو در باره جنگ کردن در ماههای حرام سؤال میکنند» (یَسْئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرام قِتالٍ فِیهِ).

سپس میافزاید: «به آنها بگو: جنگ در آن (گناه) بزرگی است» (قُلْ قِتالٌ فیهِ کَبِیرٌ).

و به این ترتیب سنتی را که از زمانهای قدیم و اعصار انبیای پیشین در میان عرب در مورد تحریم پیکار در ماههای حرام (رجب، ذی القعده، ذی الحجه و محرم) وجود داشته با قاطعیت امضا می کند.

سپس مىفرمايد: چنين نيست كه اين قانون استثنايى نداشته باشد، نبايد اجازه داد گروهى فاسد و مفسد زير چتر اين قانون هر ظلم و فساد و گناهى را مرتكب شونـد درست است كه جهاد در ماه حرام مهم است «ولى جلوگيرى از راه خدا و كفر ورزيدن نسبت به او و هتك احترام مسجد الحرام، و خارج كردن و تبعيـد نمودن ساكنان آن، نزد خداونـد از آن مهمتر است» (وَ صَـ لُّهُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرام وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ).

سپس مىافزايد: «ايجاد فتنه (و منحرف ساختن مردم از دين خدا) از قتل هم بالاتر است» (وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْل).

چرا که آن جنایتی است بر جسم انسان و این جنایتی است بر جان و روح و ایمان انسان، و بعد چنین ادامه می دهد که مسلمانان نباید تحت تأثیر تبلیغات بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۹۷

انحرافی مشرکان قرار گیرند، زیرا «آنها دائما با شما میجنگند تا اگر بتوانند شما را از دینتان باز گردانند» و در واقع به کمتر از این قانع نیستند (وَ لا یَزالُونَ یُقاتِلُونَکُمْ حَتَّی یَرُدُّوکُمْ عَنْ دِینِکُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا).

بنابراین، محکم در برابر آنها بایستید، و به وسوسههای آنها در زمینه ماه حرام و غیر آن اعتنا نکنید و بعد به مسلمانان در زمینه بازگشت از دین خدا هشدار جدی داده می گوید: «هر کس از شما مرتد شود و از دینش برگردد، و در حال کفر بمیرد، تمام اعمال نیک او در دنیا و آخرت بر باد می رود و آنها اهل دوزخند و جاودانه در آن می مانند» (وَ مَنْ یَوْتَدِدْ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَیَمُتْ وَ هُوَ کَافِرٌ فَأُولِئِکَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولِئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ).

چه مجازاتی از این سخت تر و وحشتناکتر که تمام اعمال نیک انسان نابود شود.

سورة البقرة (2) : آية 218] ص : 197

(آیه ۲۱۸) - در این آیه به نقطه مقابل این گروه اشاره کرده و میفرماید:

«كسانى كه ايمان آوردنـد و كسانى كه هجرت نمودند و در راه خدا جهاد كردند (و بر ايمان خود اسـتوار ماندند) آنها اميد به رحمت پروردگـار دارنـد و خداونـد آمرزنـده و مهربان است» (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَـدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

آری! این گروه در پرتو این سه کار بزرگ (ایمان، هجرت و جهاد) اگر مرتکب اشتباهاتی نیز بشوند ممکن است مشمول عنایات و مغفرت الهی گردند.

سورة البقرة (2) : آية 219] ص : 197

اشاره

آیه ۲۱۹

شأن نزول: ص: 197

تفسير: ص: ١٩٧

این آیه از یک سؤال در باره شراب و قمار شروع می شود می فرماید:

«از تو در باره شراب و قمار سؤال مي كنند» (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ).

«خمر» در اصطلاح شرع به معنی هر مایع مست کننده است هر چند در لغت برای هر یک از انواع مشروبات الکلی اسمی قرار داده شده است. «میسر» به معنی سهل و آسان است و از آنجا که قمار در نظر بعضی از مردم وسیله آسانی برای نیل به برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۹۸

مال و ثروت است به آن میسر گفته شده است.

سپس در جواب میفرماید: «بگو در این دو، گناه بزرگی است و منافعی (از نظر ظاهر و جنبه مادی) برای مردم ولی گناه آنها از نفعشان بیشتر است» (قُلْ فِیهِما إِثْمٌ کَبِیرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما).

بنابراین، هیچ انسان عاقلی بخاطر آن نفع کم به این همه زیان تن در نمی دهد.

دومین سؤالی که در این آیه مطرح است، سؤال در باره انفاق است، میفرماید: «از تو سؤال میکنند چه چیز انفاق کنند» (وَ یَشْئَلُونَکَ ما ذا یُنْفِقُونَ).

«بكو: از مازاد نيازمنديهايتان» (قُل الْعَفْوَ).

«عفو» به معنی از بین بردن اثر، حد وسط و میانه هر چیز و مقدار اضافی چیزی، و بهترین قسمت مال آمده است و ممکن است در اینجا به معنی مغفرت و گذشت از لغزش دیگران باشد، و مطابق این معنی تفسیر آیه چنین می شود: «بگو: بهترین انفاق، انفاق عفو و گذشت است».

با توجه به اوضاع اجتماعی عرب جاهلی و محل نزول قرآن، مخصوصا مکه و مدینه که از نظر دشمنی و کینه توزی، و عدم گذشت در حد اعلا بودند، هیچ مانعی ندارد که آنها سؤال از انفاق اموال کنند، ولی نیاز شدید به انفاق عفو، سبب شود که قرآن آنچه را لایزمتر است، در پاسخ بیان کند و این یکی از شؤون فصاحت و بلاغت است که گوینده پاسخ طرف را رها کرده و به مهمتر از آن می پردازد.

و بالاخره در پایان آیه میفرماید: «خداونـد آیات خود را چنین بیان میکند شاید تفکر و اندیشه کنید» (کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ تَتَفَکَّرُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 220] ص: 198

اشاره

آیه ۲۲۰

شأن نزول: ص: ۱۹۸

پس از نزول آیاتی «۱» که در آن از نزدیک شدن به اموال و دارایی یتیمان و نیز از خوردن اموال آنها نهی شده مردمی که یتیمی در خانه داشتند، از کفالت وی فاصله گرفتند و حتی گروهی آنان را از خانه خود بیرون کردند و یا در خانه برای آنان وضعی به وجود آورده بودند که کمتر از بیرون کردن نبود، این عمل هم برای سرپرستان و هم برای یتیمان مشکلات فراوانی به بار می آورد،

(۱) آیه ۳۴، سوره اسراء و آیه ۱۰، سوره نساء.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۱۹۹

خدمت پیامبر رسیده و از این طرز عمل سؤال کردند در پاسخ آنها این آیه نازل شد.

تفسير: ص: 199

در این آیه مرکز اصلی فکر و اندیشه را چنین بیان میکند: «در دنیا و آخرت» (فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ).

در حقیقت با این که انسان مأمور است در برابر خدا و پیامبران وی تسلیم باشد، در عین حال موظف است که این اطاعت فرمان را با فکر و اندیشه انجام دهد، نه این که کورکورانه پیروی کند. و به عبارت روشنتر، باید از اسرار احکام الهی آگاه

گردد، و با درک صحیح آنها را انجام دهد.

سپس به پاسخ سومین سؤال می پردازد و می فرماید: «از تو در باره یتیمان سؤال می کنند» (وَ یَدِ مُلُونَکَ عَنِ الْیتامی). «بگو: اصلاح کار آنان بیامیزید (مانعی ندارد) آنها برادر شما هستند» (وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخُوانُکُمْ).

به این ترتیب قرآن، به مسلمانان گوشزد می کند که شانه خالی کردن از زیر بار مسؤولیت سر پرستی یتیمان، و آنها را به حال خود واگذاردن، کار درستی نیست.

سپس اضافه مي كند كه «خداوند مفسد را از مصلح مي شناسد» (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِح).

آری! و از نیات همه شما آگاه است و آنها را که قصد سوء استفاده از اموال یتیمان دارند، و با آمیختن اموال آنها با اموال خود، به حیف و میل اموال یتیمان می پردازند، از دلسوزان پاکدل واقعی می شناسد.

و در پایان آیه می فرماید: «خداوند اگر بخواهد می تواند کار را بر شما سخت بگیرد و شما را به زحمت اندازد (و در عین دستور دادن به سرپرستی یتیمان، دستور دهد که اموال آنها را به کلی از اموال خود جدا سازید، ولی خدا هر گز چنین نمی کند) زیرا او توانا و حکیم است». (وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ).

سورة البقرة (2) : آية 221] ص : 199

اشاره

آیه ۲۲۱

شأن نزول: ص: 199

شخصی به نام «مرثد» از طرف پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله مأمور شد، که از مدینه به مکه برود، وی به قصد انجام فرمان رسولخدا صلّی اللّه علیه و آله وارد مکه شد، و در آنجا با زن زیبایی به نام «عناق» که در زمان جاهلیت او را می شناخت برخورد برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۰۰

نمود آن زن او را مانند گذشته به گناه دعوت کرد، اما «مرثـد» که مسلمان شـده بود تسلیم خواسته او نشـد آن زن تقاضای ازدواج نمود، «مرثـد» جریان را به اطلاع پیغمبر صـلّی اللّه علیه و آله رسانـد، این آیه نازل شد و بیان داشت که زنان مشـرک و بت پرست شایسته همسری و ازدواج با مردان مسلمان نیستند.

تفسير: ص: ۲۰۰

مطابق شأن نزول، این آیه در واقع پاسخ به سؤال دیگری در باره ازدواج با مشرکان است، میفرماید: «با زنان مشرک و بت پرست مادام که ایمان نیارودهاند ازدواج نکنید» (وَ لا تَنْکِحُوا الْمُشْرِکاتِ حَتَّی یُؤْمِنَّ). سپس در یک مقایسه میافزاید: «کنیزان با ایمان از زن آزاد بت پرست بهترند، هر چند زیبایی او شـما را به اعجاب وا دارد» (وَ لَأَمَةٌ مُوْمِنَةٌ خَیْرٌ مِنْ مُشْرِکَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْکُمْ).

بنابراین، هدف از ازدواج تنها کامجویی جنسی نیست، زن شریک عمر انسان و مربی فرزندان اوست نیمی از شخصیت او را تشکیل میدهد، با این حال چگونه می توان شرک و عواقب شوم آن را با زیبایی ظاهری و مقداری مال و ثروت، مبادله کرد. سپس به بخش دیگری از این حکم پرداخته می فرماید: «دختران خود را نیز به مردان بت پرست مادامی که ایمان نیاورده اند ندهید (هر چند ناچار شوید آنها را به همسری غلامان با ایمان در آورید زیرا) یک غلام با ایمان از یک مرد آزاد بت پرست بهتر است، هر چند (مال و موقعیت و زیبایی او) شما را به اعجاب آورد» (وَ لا تُنْکِحُوا الْمُشْرِکِینَ حَتَّی یُوْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَیْرٌ مِنْ مُشْرکِ وَ لَوْ أَعْجَبُکُمْ).

بنابراین ازدواج مردان مشرک با زنان مؤمنه نیز ممنوع است بلکه مسأله در این بخش از حکم، سخت تر و مشکلتر است، چرا که تأثیر شوهر بر زن معمولاً از تأثیر زن بر شوهر بیشتر است.

در پایان آیه نیز دلیل این حکم الهی را برای به کار انداختن اندیشه ها بیان می کند، می فرماید: «آنها- یعنی مشرکان- به سوی آتش دعوت می کنند، در حالی که خدا (و مؤمنانی که مطیع فرمان او هستند) دعوت به بهشت و آمرزش به فرمانش برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۰۱

مي كند» (أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ).

سپس می افزاید: «و آیات خود را برای مردم روشن می سازد، شاید متذکر شوند» (وَ یُبیینُ آیاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَهُمْ یَتَذَکّرُونَ).

بعضی از مفسران معاصر، اشاره به نکته ظریفی نموده اند و آن این که آیه مورد بحث و ۲۱ آیه دیگر که به دنبال آن می آید احکام مربوط به تشکیل خانواده را در ابعاد مختلف بیان می کند و در این آیات دوازده حکم در این رابطه بیان شده است: ۱- حکم ازدواج با مشرکان ۲- تحریم نزدیکی در حال حیض ۳- حکم قسم به عنوان مقدمه ای بر مسأله ایلاء (منظور از ایلاء آن است که کسی سوگند یاد کند با همسرش نزدیکی نکند) ۴- حکم ایلاء و به دنبال آن طلاق ۵- عدّه نگهداشتن زنان مطلقه، عدد طلاقها ۷- نگهداشتن زن با نیکی یا رها کردن با نیکی ۸- حکم شیر دادن نوزادان ۹- عدّه زنی که شوهرش وفات کرده اد خواستگاری زن قبل از تمام شدن عدّه او ۱۱- مهر زنان مطلقه قبل از دخول ۱۲- حکم متعه، و این احکام با تذکرات اخلاقی و تعبیراتی که نشان می دهد مسأله تشکیل خانواده نوعی عبادت پروردگار است، باید همراه با فکر و اندیشه باشد آمیخته شده است.

سورة البقرة (2) : آية 222] ص: 201

اشاره

(آیه ۲۲۲)

شأن نزول: ص: 201

زنان در هر ماه به مدت، حد اقل سه روز و حد اکثر ده روز، قاعده می شوند، و آن عبارت از خونی است که با اوصاف خاصی که در کتب فقه آمده از رحم زن خارج می گردد، زن را در چنین حال «حائض» و آن خون را خون حیض می گویند.

جمعی از یهود می گویند معاشرت مردان با این گونه زنان مطلقا حرام است، و لو این که به صورت غذا خوردن سر یک سفره و یا زندگی در یک اتاق باشد.

در مقابل این گروه، نصاری می گویند: هیچ گونه فرقی میان حالت حیض زن و غیر حیض نیست، همه گونه معاشرت حتی آمیزش جنسی با آنان بیمانع میباشد! مشرکین عرب، کم و بیش به خلق و خوی یهود انس گرفته بودند و با زنان حائض مانند یهود رفتار می کردند، همین اختلاف در آیین و افراط و تفریطهای غیر قابل گذشت، سبب شد که بعضی از مسلمانان از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله در این باره برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۰۲ سؤال کنند، در پاسخ آنان این آیه نازل گردید.

تفسير: ص: ۲۰۲

در این آیه به سؤال دیگری برخورد می کنیم و آن در بـاره عـادت ماهیـانه زنـان است، میفرمایـد: «از تو در باره (خون) حیض سؤال می کنند بگو چیز زیان آوری است» (وَ یَشئَلُونَکَ عَن الْمَحِیض قُلْ هُوَ أَذیً).

و بلافاصله مى افزايد: حال كه چنين است «از زنان در حالت قاعـدگى كناره گيرى نماييـد، و با آنها آميزش جنسى نكنيـد تا پاك شوند» (فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيض وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ).

زیرا آمیزش جنسی در چنین حالتی، علاوه بر این که تنفر آور است، زیانهای بسیاری به بار می آورد، که طب امروز نیز آن را اثبات کرده، از جمله احتمال عقیم شدن مرد و زن، و ایجاد یک محیط مساعد برای پرورش میکرب بیماریهای آمیزشی (مانند: سفلیس و سوزاک) و نیز التهاب اعضاء تناسلی زن و وارد شدن خون آلوده به داخل عضو تناسلی مرد، لذا پزشکان، آمیزش جنسی با چنین زنانی را ممنوع اعلام می کنند.

«ولى هنگامى كه پاك شونـد، از طريقى كه خـدا به شـما فرمان داده با آنها آميزش كنيد كه خداوند توبه كنندگان و پاكان را دوست دارد» (فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ).

سورة البقرة (2) : آية 223] ص : 202

(آیه ۲۲۳)- در این آیه اشاره زیبایی به هدف نهایی آمیزش جنسی کرده میفرماید: «همسران شما محل بذرافشانی شما هستند» (نِساؤُ کُمْ حَرْثٌ لَکُمْ).

«بنابراین هر زمان بخواهید می توانید با آنها آمیزش نمایید» (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ).

در اینجا زنان تشبیه به مزرعه شدهاند، و این تشبیه ممکن است برای بعضی سنگین آید که چرا اسلام در باره نیمی از نوع بشر چنین تعبیری کرده است در حالی که نکته باریکی در این تشبیه نهفته است، در حقیقت قرآن میخواهد ضرورت وجود زن را در اجتماع انسانی نشان دهد که زن وسیله اطفاء شهوت و هوسرانی مردان نیست، بلکه وسیلهای است برای حفظ حیات نوع بشر، این سخن در برابر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۰۳

آنها که نسبت به جنس زن همچون یک بازیچه یا وسیله هوسبازی مینگرند، هشداری محسوب میشود.

سپس در ادامه آیه میافزاید: «بـا اعمـال صالـح و پرورش فرزنـدان صالـح، آثـار نیکی برای خـود از پیش بفرستیـد» (وَ قَـدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ).

اشاره به این که هدف نهایی از آمیزش جنسی، لذت و کامجویی نیست بلکه باید از این موضوع، برای ایجاد و پرورش فرزندان، شایسته استفاده کرد و آن را به عنوان یک ذخیره معنوی برای فردای قیامت از پیش بفرستید، بنابراین در انتخاب همسر، باید اصولی را رعایت کنید که به این نتیجه مهم منتهی شود.

و در پایان آیه، دستور به تقوا می دهـد و می فرمایـد: «تقوای الهی پیشه کنیـد و بدانیـد او را ملاقات خواهیـد کرد، و به مؤمنان بشارت دهید» بشارت رحمت الهی و سعادت و نجات در سایه تقوا (وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ).

سورة البقرة (2) : آية 224] ص: 203

اشاره

(آیه ۲۲۴)

شأن نزول: ص: 203

میان داماد و دختر یکی از یاران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به نام عبـد اللّه بن رواحه اختلافی روی داد، او سوگنـد یاد کرد که برای اصـلاح کـار آنهـا هیـچ گونه دخالتی نکنـد و در این راه گامی بر نـدارد آیه نازل شـد و این گونه سوگنـدها را ممنوع و بیاساس قلمداد کرد.

تفسير: ص: ٢٠٣

این آیه و آیه بعد ناظر به سوء استفاده از مسأله سو گند است. و مقدمهای محسوب می شود برای بحث آیات آینده که سخن از «ایلاء» و سو گند در مورد ترک آمیزش جنسی با همسران می گوید، نخست می فرماید: «خداوند را در معرض سو گندهای خود برای ترک نیکی و تقوا و اصلاح در میان مردم قرار ندهید و (بدانید) خدا شنوا و داناست» سخنان شما را می شنود و از نیات شما آگاه است (وَ لا تَجْعَلُوا اللَّه عُرْضَةً لِأَیْمانِکُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَیْنَ النَّاسِ وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ). به این ترتیب سو گند یاد کردن جز در مواردی که هدف مهمی در کار باشد عمل نامطلوبی است.

سورة البقرة (2) : آية 225] ص: 202

(آیه ۲۲۵)- در این آیه برای تکمیل این مطلب مهم که قسم نباید مانع کارهای خیر شود، میفرماید: «خداونـد شـما را بخاطر سو گندهایی که بدون توجه برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۰۴ ياد مي كنيد مؤاخذه نخواهد كرد» (لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ).

اما به آنچه دلهای شما کسب کرده (و سوگندهایی که از روی اراده و اختیار یاد میکنید) مؤاخذه میکند و خداوند آمرزنده و دارای حلم است» (وَ لَکِنْ یُؤاخِذُکُمْ بِما کَسَبَتْ قُلُوبُکُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِیمٌ).

در این آیه خداوند به دو نوع سوگند اشاره کرده، نوع اول قسمهای لغو است که هیچ گونه اثری ندارد و نباید به آن اعتنا کرد و مخالفت آن کفاره ندارد زیرا از روی اراده و تصمیم نیست. نوع دوم سوگندهایی است که از روی اراده و تصمیم انجام می گیرد و به تعبیر قرآن قلب انسان آن را کسب می کند، این گونه قسم معتبر است و باید به آن پایبند بود، و مخالفت با آن، هم گناه دارد، و هم موجب کفاره می شود.

سورة البقرة (2) : آية 226] ص: 204

(آیه ۲۲۶) - در دوران جاهلیت زن هیچ گونه ارزش و مقامی در جامعه عرب نداشت و به همین جهت برای جدایی از او و یا تحت فشار قرار دادن زن، طرق زشتی وجود داشت که یکی از آنها «ایلاء» بود به این ترتیب که هر زمان مردی از همسر خود متنفر می شد، سو گند یاد می کرد که با او همبستر نگردد و با این راه غیر انسانی همسر خود را در تنگنای شدیدی قرار می داد، نه او را رسما طلاق می داد و نه بعد از این سو گندها حاضر می شد آشتی کند و زندگی مطلوبی داشته باشد. البته مردان غالبا تحت فشار قرار نمی گرفتند، چون همسران متعددی داشتند آیه مورد بحث با این سنت غلط مبارزه کرده، و طریق گشودن این سوگند را بیان می کند، می فرماید: «کسانی که از زنان خود ایلاء می کنند (سو گند برای ترک آمیزش جنسی می خورند) حق دارند چهار ماه انتظار کشند» (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَهُ أَشْهُرٍ).

این چهار ماه مهلت برای این است که وضع خویش را با همسر خود روشن کنند و زن را از این نابسامانی، نجات دهند. سپس می افزاید: «اگر (در این فرصت) تصمیم به بازگشت گرفتند، خداوند آمرزنده و مهربان است» (فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ). آری! خداوند گذشته او را در این مسأله و همچنین شکستن سوگند را بر او برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۰۵ می بخشد – هر چند کفاره آن چنانکه خواهیم گفت به وقت خود باقی است.

سورة البقرة (2) : آية 227] ص : 205

(آیه ۲۲۷)- «و اگر تصمیم به جدایی گرفتند (آن هم با شرایطش مانعی ندارد) خداوند شنوا و دانا است» (وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

و هر گاه مرد هیچ یک از این دو راه را انتخاب نکنید، نه به زندگی سالم زناشویی باز گردد، و نه او را با طلاق رها سازد، در اینجا حاکم شرع دخالت میکند و مرد را به زندان میاندازد و بر او سخت میگیرد که بعد از گذشتن چهار ماه مجبور شود یکی از دو راه را انتخاب کند و زن را از حال بلاتکلیفی در آورد.

سورة البقرة (2) : آية 228] ص: 205

(آیه ۲۲۸)- در آیه قبل سخن از طلاق بود و در این آیه بخشی از احکام طلاق و آنچه مربوط به آن است بیان می شود و در مجموع پنج حکم در آن بیان شده، نخست در باره عدّه می فرماید: «زنان مطلّقه باید به مدت سه بار پاک شدن را انتظار

بكشند» (وَ الْمُطَلَقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ).

«قُرُوءٍ» در آیه فوق به معنی ایام پاکی زن میباشد، و از آنجا که طلاق باید در حال پاکی که با شوهر خود آمیزش جنسی نکرده باشد انجام گیرد این پاکی یک مرتبه محسوب می شود، و هنگامی که بعد از آن دو بار عادت ببیند و پاک شود، به محض این که پاکی سوم به اتمام رسید و لحظه ای عادت شد عدّه تمام شده و از دواج او در همان حال جایز است.

دومین حکم، این است که «برای آنها حلال نیست که آنچه را در رحم آنـان آفریـده شـده کتمـان کننـد، اگر به خـدا و روز رستاخیز ایمان دارند» (وَ لا یَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ یَکْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِی أَرْحامِهِنَّ إِنْ کُنَّ یُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَ الْیَوْم الْآخِرِ).

قابل توجه این که مسأله آغاز و پایان ایام عدّه را که معمولا خود زن میفهمد، نه دیگری بر عهده او گذارده و گفتار او را سند قرار داده است.

سومین حکمی که از آیه استفاده می شود، این است که شوهر در عدّه طلاق رجعی، حق رجوع دارد، می فرماید: «همسران آنها برای رجوع به آنها (و از سر گرفتن زندگی زناشویی) در این مدت عدّه (از دیگران) سزاوار ترند هرگاه خواهان اصلاح باشند» (وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِی ذٰلِکَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۰۶

در واقع در موقعی که زن در عدّه طلاق رجعی است، شوهر می تواند بدون هیچ گونه تشریفات، زندگی زناشویی را از سر گیرد، با هر سخن و یا عملی که به قصد بازگشت باشد این معنی حاصل می شود.

سپس به بیان چهارمین حکم پرداخته میفرماید: «و برای زنان همانند وظایفی که بر دوش آنها است حقوق شایستهای قرار داده شده و مردان بر آنها برتری دارند» (وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِی عَلَیْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجالِ عَلَیْهِنَّ دَرَجَهُٔ).

بنابراین همانطور که برای مرد حقوقی بر عهده زنان گذارده شده، همچنین زنان حقوقی بر مردان دارند که آنها موظف به رعایت آنند.

با توجه به اختلاف دامنه داری که بین نیروهای جسمی و روحی زن و مرد وجود دارد مدیریت خانواده بر عهده مرد و معاونت آن بر عهده زن گذارده شده است و این تفاوت مانع از آن نخواهد بود که از نظر مقامات معنوی و دانش و تقوی گروهی از زنان از بسیاری از مردان پیشرفته تر باشند.

واژه «معروف» که به معنی کار نیک و معقول و منطقی است، در این آیات دوازده بار تکرار شده تا هشداری به مردان و زنان باشد که هرگز از حق خود سوء استفاده نکنند بلکه با احترام به حقوق متقابل یکدیگر در تحکیم پیوند زناشویی و جلب رضای الهی بکوشند.

و بالاخره در پایان آیه میخوانیم: «خداوند توانا و حکیم است» (وَ اللَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ). و این اشاره ای است به این که حکمت و تدبیر الهی، ایجاب می کند که هر کس در جامعه به وظایفی بپردازد که قانون آفرینش برای او تعیین کرده است، و با ساختمان جسم و جان او هماهنگ است. حکمت خداوند ایجاب می کند که در برابر وظایفی که بر عهده زنان گذارده، حقوق مسلمی قرار گیرد، تا تعادلی میان وظیفه حق برقرار شود.

سورة البقرة (2) : آية 229] ص : 206

شأن نزول: ص: 206

زنی خدمت یکی از همسران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسید و از شوهرش شکایت کرد که او پیوسته وی را طلاق میدهد و سپس رجوع میکند تا به این وسیله به زیان و ضرر افتد و در جاهلیت چنین بود که مرد حق داشت همسرش برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۰۷

را هزار بار طلاق بدهـد و رجوع کند و حدی بر آن نبود، هنگامی که این شکایت به محضر پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله رسید، آیه نازل شد و حد طلاق را سه بار قرار داد.

تفسير: ص: ۲۰۷

در آیه قبل به اینجا رسیدیم که قانون «عده» و «رجوع» برای اصلاح وضع خانواده و جلوگیری از جدایی و تفرقه است، ولی بعضی از تازه مسلمانان مطابق دوران جاهلیت، از آن سوء استفاده می کردند، و برای این که همسر خود را تحت فشار قرار دهند پی در پی او را طلاقی داده و رجوع می کردند این آیه نازل شد و از این عمل زشت و ناجوانمردانه جلوگیری کرد، می فرماید: «طلاق (منظور طلاقی است که رجوع و بازگشت دارد) دو مرتبه است» (الطَّلاقُ مَرَّتانِ).

البته باید در جلسات متعدد واقع شود و در یک مجلس انجام نمی شود.

سپس می افزاید: «در هر یک از این دو بار باید همسر خود را بطور شایسته نگاهداری کند و آشتی نماید، یا با نیکی او را رها سازد و برای همیشه از او جدا شود» (فَإِمْساکُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِیحٌ بِإِحْسانٍ).

بنابراین طلاق سوم، رجوع و بازگشتی ندارد، و هنگامی که دو نوبت کشمکش و طلاق و سپس صلح و رجوع انجام گرفت، باید کار را یکسره کرد.

منظور از جدا شدن با احسان و نیکی این است که حقوق آن زن را بپردازد و بعد از جدایی پشت سر او سخنان نامناسب نگوید، و مردم را نسبت به او بدبین نسازد، و امکان ازدواج را از او نگیرد. بنابراین جدایی نیز باید توأم با احسان گردد. و لنذا در ادامه آیه می فرماید: «برای شما حلال نیست که چیزی را از آنچه به آنها داده اید پس بگیرید» (وَ لا یَجِلُّ لَکُمْ أَنْ تَنْتُمُوهُنَّ شَیْئاً).

بنابراین، شوهر نمی تواند هنگام جدایی چیزی را که به عنوان مهر به زن داده است باز پس گیرد.

در ادامه آیه به مسأله طلاق خلع اشاره کرده میگوید: تنها در یک فرض باز پس گرفتن مهر مانعی نـدارد و آن در صورتی است که زن تمایل به ادامه زندگی زناشویی حدود الهی را برپا ندارند» (إلَّا أَنْ یَخافا أَلَّا یُقِیما حُدُودَ اللَّهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۰۸

سپس می افزاید: «اگر بترسید که حدود الهی را رعایت نکنند، گناهی بر آن دو نیست که زن فدیه (عوضی) بپردازد» و طلاق بگیرد (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا یُقِیما حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُناحَ عَلَیْهِما فِیمَا افْتَدَتْ بِهِ).

در حقیقت در اینجا سر چشمه جدایی، زن است، و او باید غرامت این کار را بپردازد و به مردی که مایل است، با او زندگی

کند اجازه دهد با همان مهر، همسر دیگری انتخاب کند.

و در پایان آیه به تمام احکامی که در این آیه بیان شده اشاره کرده می فرماید:

«اینها حدود و مرزهای الهی است از آن تجاوز نکنید و آنها که از آن تجاوز میکنند ستمگرانند» (تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوها وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 230] ص: 208

اشاره

(آیه ۲۳۰)

شأن نزول: ص: 208

در حدیثی آمده است که زنی خدمت پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله رسید و عرض کرد: من همسر پسر عمویم بودم او سه بار مرا طلاق داد، پس از او با مردی ازدواج کردم، اتفاقا او هم مرا طلاق داد، آیا می توانم به شوهر اولم باز گردم؟ حضرت فرمود: نه، تنها در صورتی می توانی که با همسر دوم آمیزش جنسی کرده باشی، در این هنگام آیه نازل شد.

تفسیر: ص: ۲۰۸

این آیه در حقیقت حکم تبصرهای دارد که به حکم سابق ملحق می شود می فرماید: «اگر (بعد از دو طلاق و رجوع، بار دیگر) او را طلاق داد، زن بر او بعد از آن حلال نخواهد شد مگر این که همسر دیگری (به ازدواج دائمی) انتخاب کند (و با او آمیزش جنسی نماید در این صورت اگر همسر دوم) او را طلاق داد، گناهی ندارد که آن دو بازگشت کنند، (و آن زن با همسر اولش بار دیگر ازدواج نماید) مشروط بر این که امید داشته باشد که حدود الهی را محترم می شمرند» (فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تُحِالُ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّی تَنْکِحَ زَوْجاً غَیْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَها فَلا جُناحَ عَلَیْهِما أَنْ یَتراجَعا إِنْ ظَنَّا أَنْ یُقِیما حُدُودَ اللَّهِ).

و در پایان تأکید میکند «اینها حدود الهی است که برای افرادی که آگاهند بیان میکند» (وَ تِلْکَ حُرِدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 231] ص : 208

(آیه ۲۳۱)- باز هم محدودیتهای دیگر طلاق! به دنبال آیات گذشته این برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۰۹ آیه نیز اشاره به محدودیتهای دیگری در امر طلاق می کند تا از نادیده گرفتن حقوق زن جلوگیری کند در آغاز می گوید: «هنگامی که زنان را طلاق دادید و به آخرین روزهای عدّه رسیدند (باز می توانید با آنها آشتی کنید) یا به طرز پسندیدهای آنها را نگاه دارید، و یا به طرز پسندیدهای رها سازید» (وَ إِذا طَلَقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِ کُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ

بمَعْرُوفٍ).

یا صمیمانه تصمیم به ادامه زندگی زناشویی بگیرید و یا اگر زمینه را مساعد نمی بینید با نیکی از هم جدا شوید.

سپس به مفهوم مقابل آن اشاره کرده میفرماید: «هرگز بخاطر ضرر زدن و تعدی کردن آنها را نگه ندارید» (وَ لا تُمْسِـکُوهُنَّ ضراراً لِتَعْتَدُوا).

این جمله تفسیر کلمه «معروف» است، زیرا در جاهلیت گاه بازگشت به زناشویی را وسیله انتقامجویی قرار میدادند، لذا با لحن قاطعی می گوید: «هرگز نباید چنین فکری در سر بپرورانید».

«چرا که هر کس چنین کند به خویشتن ظلم و ستم کرده» (وَ مَنْ یَفْعَلْ ذَلِکَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ).

سپس به همگان هشدار میدهد و میفرماید: «آیات خدا را به استهزاء نگیرید» (وَ لا تَتَخِذُوا آیاتِ اللَّهِ هُزُواً).

بنابراین نباید با چشم پوشی از روح احکام الهی و چسبیدن به ظواهر خشک و قالبهای بی روح، آیات الهی را بازیچه و ملعبه خود قرار داد که گناه این کار شدیدتر، و مجازاتش دردناکتر است. سپس می افزاید: «نعمت خدا را بر خود به یاد آورید و آنچه از کتاب آسمانی و دانش بر شما نازل کرده و شما را با آن پند می دهد» (وَ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ مَا أَنْزَلَ عَلَیْکُمْ مِنَ الْکِتابِ وَ الْحِکْمَةِ یَعِظُکُمْ بِهِ).

«و تقواى الهي پيشه كنيد و بدانيد خداوند به هر چيزى داناست» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

جمله فوق، هشدار می دهد که در مورد حقوق زنان، از موقعیت خود سوء استفاده نکنند و بدانند که خداوند حتی از نیات آنها آگاه است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۱۰

سورة البقرة (2) : آية 232] ص: 210

اشاره

(آیه ۲۳۲)

شأن نزول: ص: 210

یکی از یاران پیامبر صلّی الله علیه و آله به نام «معقل بن یسار» خواهری به نام جملاء داشت که از همسرش طلاق گرفته بود، بعد از پایان عدّه مایل بود بار دیگر به عقد همسرش در آید، ولی برادرش از این کار مانع شد، آیه نازل شد و او را از مخالفت با چنین ازدواجی نهی کرد.

تفسير: ص: ۲۱۰

شکستن یکی دیگر از زنجیرهای اسارت- در زمان جاهلیت زنان در زنجیر اسارت مردان بودند و مجبور بودند زندگی خود را

طبق تمايلات مردان خودكامه تنظيم كنند.

از جمله در انتخاب همسر به خواسته و میل زن هیچ گونه اهمیتی داده نمی شد، حتی اگر زن با اجازه ولی، ازدواج می کرد سپس از همسرش جدا می شد باز پیوستن او به همسر اول بستگی به اراده مردان فامیل داشت و بسیار می شد با این که زن و شوهر بعد از جدایی علاقه به باز گشت داشتند مردان خویشاوند روی پندارها و موهوماتی مانع می شدند، قرآن صریحا این روش را محکوم کرده می گوید:

«هنگامی که زنان را طلاق دادید و عدّه خود را به پایان رسانیدند، مانع آنها نشوید که با همسران (سابق) خویش ازدواج کنند اگر در میان آنها رضایت به طرز پسندیدهای حاصل شود» (وَ إِذا طَلَقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إذا تَراضَوْا بَیْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ).

سپس در ادامه آیه، بار دیگر هشدار می دهد و می فرماید: «این دستوری است که تنها افرادی از شما که ایمان به خدا و روز قیامت دارند از آن پند می گیرند» (ذلِکَ یُوعَظُ بِهِ مَنْ کانَ مِنْکُمْ یُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ).

و باز برای تأکید بیشتر می گوید: «این برای پاکی و نموّ (خانوادههای شـما) مؤثرتر و برای شسـتن آلودگیها مفیدتر است و خدا میداند و شما نمیدانید» (ذلِکُمْ أَزْکی لَکُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللَّهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ).

این بخش از آیه، در واقع می گوید: این احکام همه به نفع شما بیان شده منتهی کسانی می توانند از آن بهره گیرند که سرمایه ایمان به مبدء و معاد را داشته باشند، و بتوانند تمایلات خود را کنترل کنند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۱۱

سورة البقرة (2) : آية 233] ص : 211

(آیه ۲۳۳)- هفت دستور در باره شیر دادن نوزادان! این آیه که در واقع ادامه بحثهای مربوط به مسائل ازدواج و زناشویی است، به سراغ یک مسأله مهم یعنی مسأله «رضاع» (شیر دادن) رفته و جزئیات آن را باز گو می کند.

١- نخست مي گويد: «مادران فرزندان خود را دو سال تمام شير ميدهند» (وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ).

بنابراین، هر چند ولایت بر اطفال صغیر به عهده پدر گذاشته شده است اما حق شیر دادن در دو سال شیر خوارگی به مادر داده شده و او است که می تواند در این مدت از فرزند خود نگاهداری کند و به اصطلاح حق حضانت در این مدت از آن مادر است. و این یک حق دو جانبه است که هم برای رعایت حال فرزند است و هم رعایت عواطف مادر.

۲– سپس میافزاید: «این برای کسی است که بخواهد دوران شیرخوارگی را کامل کند» (لِمَنْ أُرادَ أُنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةُ).

یعنی مدت شیر دادن طفل لازم نیست، همواره دو سال باشد، دو سال برای کسی است که میخواهد شیر دادن را کامل کند، ولی مادران حق دارند با توجه به وضع و رعایت سلامت او این مدت را کمتر کنند.

۳- هزینه زندگی مادر از نظر غذا و لباس در دوران شیر دادن بر عهده پدر نوزاد است تا مادر با خاطری آسوده بتواند فرزند را شیر دهد. لذا در ادامه آیه میفرماید:

«و بر آن كسى كه فرزنـد براى او متولـد شـده (پـدر) لاـزم است، خوراك و پوشاك مادران را بطور شايسـته بپردازد» (وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ).

در اینجا تعبیر به «الْمَوْلُودِ لَهُ» (کسی که فرزند برای او متولد شده) به جای تعبیر به «اب» (پدر) قابل توجه است، گویی

میخواهـد عواطف پـدر را در راه انجام وظیفه مزبور، بسـیج کنـد، یعنی اگر هزینه کودک و مادرش در این موقع بر عهده مرد گذاشته شده به خاطر این است که فرزند او و میوه دل اوست، نه یک فرد بیگانه.

توصیف به «معروف» (بطور شایسته) نشان می دهد که پدران در مورد لباس و غذای مادر، باید آنچه شایسته و متعارف و مناسب حال او است را در نظر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۱۲

بگیرند، نه سختگیری کنند و نه اسراف.

و برای توضیح بیشتر می فرماید: «هیچ کس موظف نیست بیش از مقدار توانایی خود را انجام دهد» (لا تُکَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَها). ۴- سپس به بیان حکم مهم دیگری پرداخته، می فرماید: «نه مادر (بخاطر اختلاف با پدر) حق دارد به کودک ضرر زند، و نه پدر (بخاطر اختلاف با مادر)» (لا تُضَارَّ والِدَهُ بِوَلَدِها وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِه).

یعنی هیچ یک از این دو حق ندارنـد سرنوشت کودک را مال المصالحه اختلاف خویش قرار دهنـد و بر جسم و روح نوزاد، ضربه وارد کنند.

۵- سپس به حکم دیگری مربوط به بعد از مرگ پدر می پردازد می فرماید:

«و بر وارث او نيز لازم است اين كار را انجام دهد» (وَ عَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكُ).

یعنی: آنها باید نیازهای مادر را در دورانی که به کودک شیر میدهد تأمین کنند.

9- در ادامه آیه، سخن از مسأله باز داشتن کودک از شیر به میان آمده اختیار آن را به پدر و مادر واگذاشته، هر چند در جملههای سابق، زمانی برای شیر دادن کودک تعیین شده بود ولی پدر و مادر با توجه به وضع جسمی و روحی او، و توافق با یکدیگر می توانند کودک را در هر موقع مناسب از شیر باز دارند، می فرماید: «اگر آن دو با رضایت و مشورت یکدیگر بخواهند کودک را (زودتر از دو سال یا بیست و یک ماه) از شیر باز گیرند گناهی بر آنها نیست» (فَإِنْ أَرادا فِصالًا عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما).

۷- گاه می شود که مادر از حق خود در مورد شیر دادن و حضانت و نگاهداری فرزند خودداری می کند و یا به راستی مانعی برای او پیش می آید، در این صورت باید راه چارهای اندیشید و لذا در ادامه آیه می فرماید: «اگر (با عدم توانایی یا عدم موافقت مادر) خواستید دایه ای برای فرزندان خود بگیرید، گناهی بر شما نیست، هر گاه حق گذشته مادر را بطور شایسته بپردازید» (وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِ مُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُناحَ عَلَیْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَیْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص:

بنابراین، انتخاب دایه به جای مادر، بیمانع است مشروط بر این که این امر سبب از بین رفتن حقوق مادر، نسبت به گذشته نشود.

و در پایان آیه به همگان هشدار می دهد که «تقوای الهی پیشه کنید و بدانید خدا به آنچه انجام می دهید بیناست» (وَ اتَّقُوا اللَّه وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّه بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ).

مبادا کشمکش میان مرد و زن، روح انتقامجویی را در آنها زنده کند و سرنوشت یکدیگر و یا کودکان مظلوم را به خطر اندازد، همه باید بدانند خدا دقیقا مراقب آنها است.

سورة البقرة (2) : آية 234] ص: 213

(آیه ۲۳۴)- خوافاتی که زنان را بیچاره می کرد! یکی از مسائل و مشکلات اساسی زنان ازدواج بعد از مرگ شوهر است. از طرفی رعایت حریم زندگانی زناشویی حتی بعد از مرگ همسر موضوعی است فطری و لذا همیشه در قبایل مختلف آداب و رسوم گوناگونی برای این منظور بوده است گر چه گاهی در این رسوم آن چنان افراط می کردند که عملاـ زنان را در بن بست و اسارت قرار می دادند و گاهی جنایت آمیز ترین کارها را در مورد او مرتکب می شدند به عنوان نمونه! بعضی از قبایل پس از مرگ شوهر، زن را آتش زده و یا بعضی او را با مرد دفن می کردند، برخی زن را برای همیشه از ازدواج مجدد محروم ساخته و گوشه نشین می کردند و در پارهای از قبایل زنها موظف بودند مدتی کنار قبر شوهر زیر خیمه سیاه و چرکین با لباسهای مندرس و کثیف دور از هر گونه آرایش و زیور و حتی شستشو به سر برده و بدین وضع شب و روز خود را لباسهای مندرس و کثیف دور از هر گونه آرایش و زیور و حتی شستشو به سر برده و بدین وضع شب و روز خود را بگذرانند. این آیه بر تمام این خرافات و جنایات خط بطلان کشیده و به زنان بیوه اجازه می دهد بعد از نگاهداری عدّه و حفظ حریم زوجیت گذشته اقدام به ازدواج کنند، می فرماید: «کسانی که از شما می میرند و همسرانی از خود باقی گذارند، آنها باید بطور شایسته انجام دهند» و با مرد دلخواه خود ازدواج کنند. (وَ الَّذِینَ یُتَوَفِّنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزُواجاً یَتَرَبُّصْنَ بِأَنْفُتِ هِنَّ أَنْهُمِ وَ عَشْراً فَإِذا بَلَغَنَ أَجَلَهُنَ فَلا جُناحَ عَلَیْکُمْ فِیما فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۱۴ بطور می گیرند، در پایان آیه خداوند به همه هشدار می دهد و می فرماید: «خداوند از هر کاری که انجام می دهید آگاه است» و هر کس را به جزای اعمال نیک و بد خود می رساند (وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَیْبِرٌ).

سورة البقرة (2) : آية 235] ص: 214

(آیه ۲۳۵) - در این آیه به یکی از احکام مهم زنانی که در عدّه هستند (به تناسب بحثی که در باره عدّه وفات گذشت) اشاره کرده، می فرماید: «گناهی بر شما نیست که از روی کنایه (از زنانی که در عدّه وفات هستند) خواستگاری کنید، و یا در دل تصمیم داشته باشید، خدا می دانست شما به یاد آنها خواهید افتاد، ولی با آنها در تنهایی با صراحت وعده از دواج نگذارید، مگر این که به طرز شایسته ای (با کنایه) اظهار کنید» (وَ لا جُناحَ عَلَیْکُمْ فِیما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَهِ النّساءِ أَوْ أَکْنَنتُمْ فِی أَنْفُسِ کُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنّکُمْ سَتَذْکُرُونَهُنَّ وَ لَکِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًا إِلّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفاً).

در حقیقت این یک امر طبیعی است که بـا فـوت شوهر، زن به سـرنوشت آینـده خود فکر میکنـد و مردانی نیز ممکن است-بخاطر شرایط سهلتر که زنان بیوه دارند- در فکر ازدواج با آنان باشند.

سپس در ادامه آیه میفرماید: « (ولی در هر حال) عقد نکاح را نبندید تا عدّه آنها به سر آید» (وَ لا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النّکاحِ حَتَّی يَتْلُغَ الْکِتابُ أَجَلَهُ).

و بطور مسلم اگر کسی در عدّه، عقد ازدواج ببندد باطل است، بلکه اگر آگاهانه این کار را انجام دهد سبب می شود که آن زن برای همیشه نسبت به او حرام گردد.

و به دنبال آن میفرماید: «بدانید خداوند آنچه را در دل دارید میداند، از مخالفت او بپرهیزید و بدانید که خداوند آمرزنده و دارای حلم است» و در مجازات بنـدگان عجله نمی کنـد (وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِی أَنْفُسِـ کُمْ فَاحْ ِذَرُوهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ).

سورة البقرة (2) : آية 236] ص: 214

(آیه ۲۳۶)- باز در ادامه احکام طلاق در این آیه و آیه بعد احکام دیگری برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۱۵ بیان شده است نخست می فرماید: «گناهی بر شما نیست اگر زنان را قبل از این که با آنها تماس پیدا کنید (و آمیزش جنسی انجام دهید) و تعیین مهر نمایید، طلاق دهید» (لا جُناحَ عَلَیْکُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِیضَهً). البته این در صورتی است که مرد یا زن و مرد بعد از عقد ازدواج و پیش از عمل زناشویی، متوجه شوند که به جهاتی

نمی توانند با هم زندگی کنند، چه بهتر که در این موقع با طلاق از هم جدا شوند، زیرا در مراحل بعد کار مشکلتر می شود. سپس به بیان حکم دیگری در این رابطه می پردازد و می فرماید: «در چنین حالی باید آنها را (با هدیه مناسبی) بهره مند سازید» (وَ مَتِّعُوهُنَّ).

ولى در پرداخت اين هديه، قدرت و توانايى شوهر نيز بايد در نظر گرفته شود، و لذا در دنباله آيه مى گويد: «بر آن كسى كه توانايى دارد به اندازه توانايىش، و بر آن كس كه تنگدست است به اندازه خودش هديه شايستهاى لازم است، و اين حقى است بر نيكوكاران» (عَلَى الْمُوسِع قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ).

توانگران باید به اندازه خود و تنگدستان نیز در خور تواناییشان این هدیه را بپردازند از آنجا که این هدیه اثر قابل ملاحظهای در جلوگیری از حس انتقامجویی و رهایی زن از عقدههایی که ممکن است، بر اثر گسستن پیوند زناشویی حاصل شود در آیه فوق آن را وابسته به روحیه نیکوکاری و احسان کرده و می گوید: «این عمل بر نیکوکاران لازم است» یعنی باید آمیخته با روح نیکوکاری و مسالمت باشد.

سورة البقرة (2) : آية 237] ص : 215

(آیه ۲۳۷) - در این آیه سخن از زنانی به میان آمده که برای آنها تعیین مهر شده است ولی قبل از آمیزش و عروسی، جدا می شوند، می فرماید: «اگر آنها را طلاق دهید پیش از آن که با آنان تماس پیدا کنید (و آمیزش انجام شود) در حالی که مهری برای آنها تعیین کرده اید به آنها بدهید» (وَ إِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ).

این حکم قانونی مسأله است، که به زن حق می دهد نصف تمام مهریه را بدون کم و کاست بگیرد هر چند آمیزشی حاصل نشده باشد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۱۶

ولى بعد به سراغ جنبه هاى اخلاقى و عاطفى مىرود و مىفرمايد: «مگر اين كه آنها حق خود را ببخشند (و يا اگر صغير و سفيه هستند، ولى آنها يعنى) آن كس كه گره ازدواج به دست اوست آن را ببخشـد» (إِلَّا أَنْ يَعْفُـونَ أَوْ يَعْفُـوا الَّذِى بِيَـدِهِ عُقْـدَهُ النِّكاح).

در جمله بعد مى گويد: «عفو و گذشت شما (و پرداختن تمام مهر) به پرهيز كارى نزديكتر است و گذشت و نيكوكارى را در ميان خود فراموش نكنيد كه خداوند به آنچه انجام مىدهيد بيناست» (وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

لحن مجموعه آیه، بر اصل اساسی «معروف» و «احسان» در این مسائل تأکید میکند، که حتی طلاق و جدایی آمیخته با نزاع و کشمکش و تحریک روح انتقامجویی نباشد بلکه بر اساس بزرگواری و احسان و عفو و گذشت، قرار گیرد.

سورة البقرة (٢): آية ٢٣٨] ص: ٢١٦

اشاره

(آیه ۲۳۸)

شأن نزول: ص: 216

جمعی از منافقان گرمی هوا را بهانه برای ایجاد تفرقه در صفوف مسلمین قرار داده بودند و در نماز جماعت شرکت نمی کردند، و به دنبال آنها بعضی از مؤمنین نیز از شرکت در جمات خودداری کرده بودند، پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله از این جهت ناراحت بود حتی آنها را تهدید به مجازات شدید کرد، لذا در حدیثی نقل شده که پیامبر در گرمای فوق العاده نیمروز تابستان نماز (ظهر) را با جماعت می گذارد و این نماز برای اصحاب و یاران سخت ترین نماز بود، بطوری که پشت سر پیامبر صلّی الله علیه و آله یک صف یا دو صف بیشتر نبود، در اینجا فرمود: من تصمیم گرفته ما خانه کسانی که در نماز ما شرکت نمی کنند بسوزانم، آیه نازل شد و اهمیت نماز ظهر را (با جماعت) تأکید کرد.

تفسير: ص: ۲۱۶

اهمیت نماز، مخصوصا نماز وسطی- از آنجا که نماز مؤثرترین رابطه انسان با خداست، در آیات قرآن تأکید فراوانی روی آن شده، از جمله در آیه مورد بحث میفرماید: «در انجام همه نمازها مخصوصا نماز وسطی، مداومت کنید و در حفظ آن کوشا باشید» (حافِظُوا عَلَی الصَّلُواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطی).

> «و با خضوع و خشوع و توجه کامل، برای خدا بپا خیزید» (وَ قُومُوا لِلَّهِ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۱۷ قانِتِینَ)

.مبادا گرما و سرما گرفتاریهای دنیا و پرداختن به مال و همسر و فرزند، شما را از این امر مهم باز دارد. منظور از «صلاهٔ وسطی» (نماز میانه) همان نماز ظهر است.

تأکید روی این نماز بخاطر این بوده که بر اثر گرمی هوای نیمروز تابستان، یا گرفتاریهای شدید کسب و کار نسبت به آن کمتر اهمیت میدادند.

سورة البقرة (2) : آية 239] ص: 217

(آیه ۲۳۹) - در این آیه تأکید میکند که در سخت ترین شرایط حتی در صحنه جنگ نباید نماز فراموش شود. منتها در چنین وضعی، بسیاری از شرایط نماز همچون رو به قبله بودن و انجام رکوع و سجود بطور متعارف، ساقط می شود.

لذا می فرماید: «و اگر (بخاطر جنگ یا خطر دیگری) بترسید باید (نماز را) در حال پیاده یا سواره انجام دهید» و رکوع و سجود

را با ايماء و اشاره بجا آوريد (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالًا أَوْ رُكْباناً).

بنابراین، محافظت بر نمازها، تنها در حال امنیت نیست، بلکه در همه حال باید نماز را بجا آورد.

«اما به هنگامی که امنیت خود را باز یافتید، خدا را یاد کنید، آن چنانکه به شما، چیزهایی را تعلیم داد که نمی دانستید» و نماز را در این حال به صورت معمولی و بـا تمـام آداب و شـرایط انجـام دهیـد (فَاإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمـا عَلَّمَكُمْ مـا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ).

روشن است شکرانه این تعلیم الهی که طرز نماز خواندن در حالت امن و خوف را به انسانها آموخته، همان عمل کردن بر طبق آن است.

سورة البقرة (2) : آية 240] ص: 217

(آیه ۲۴۰) - قرآن بار دیگر به مسأله ازدواج و طلاق و اموری در این رابطه بازگشته و نخست در باره شوهرانی سخن می گوید که در آستانه مرگ قرار گرفته و همسرانی از خود بجای می گذارند، می فرماید: «و کسانی که از شما می میرند - یعنی در آستانه مرگ قرار می گیرند - و همسرانی از خود باقی می گذارند باید برای همسران خود وصیت کنند که تا یک سال آنها را بهره مند سازند، و از خانه بیرون نکنند» در خانه شوهر باقی بمانند و هزینه زندگی آنها پرداخت شود (و الَّذِینَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۱۸

يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ)

البته این در صورتی است که آنها از خانه شوهر بیرون نروند «و اگر بیرون روند (حقی در هزینه و سکنی ندارند ولی) گناهی بر شما نیست، نسبت به آنچه در باره خود از کار شایسته (ماننـد انتخاب شوهر مجـدد بعد از تمام شدن عدّه) انجام میدهند» (فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَیْکُمْ فِی ما فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ).

در پایان آیه، گویا برای این که چنین زنانی از آینده خود نگران نباشند آنها را دلداری داده میفرماید: خداوند قادر است که راه دیگری بعد از فقدان شوهر پیشین در برابر آنها بگشاید، و اگر مصیبتی به آنها رسیده حتما حکمتی در آن بوده است، زیرا «خداوند توانا و حکیم است» (وَ اللَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ).

اگر از روی حکمتش دری را ببندد، به لطفش در دیگری را خواهد گشود و جای نگرانی نیست.

بسیاری از مفسران معتقدند که این آیه به وسیله آیه ۲۳۴ همین سوره که قبلا گذشت و در آن، عدّه وفات چهار ماه و ده روز تعیین شده بود نسخ شده است و مقدم بودن آن آیه بر این آیه از نظر ترتیب و تنظیم قرآنی دلیل بر این نیست که قبلا نازل شده است.

سورة البقرة (2) : آية 241] ص : 218

(آیه ۲۴۱)- در این آیه به یکی دیگر از احکام طلاق پرداخته می فرماید:

«برای زنـان مطلّقـه، هـدیه شایسـتهای ایـن حقی اسـت بر پرهیزکـاران» که از طرف شـوهر پرداخته میشـود (وَ لِلْمُطَلَّقـاتِ مَتـائع بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ).

حکم در این آیه به قرینه آیه ۲۳۶ که گذشت، در مورد زنانی است که مهری برای آنها به هنگام عقد قرار داده نشده و قبل از

آميزش جنسي، طلاق داده ميشوند.

سورة البقرة (2): آية 242] ص: 218

(آیه ۲۴۲)- در این آیه که آخرین آیه مربوط به طلاق است، میفرماید: «این چنین خداوند آیات خود را برای شما شرح میدهد شاید اندیشه کنید» (کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعُلَّکُمْ تَعْقِلُونَ).

بدیهی است که منظور از اندیشه کردن و تعقل، آن است که مبدء حرکت به سوی عمل باشد، و گر نه اندیشه تنها در باره احکام نتیجهای نخواهد داشت.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۱۹

سورة البقرة (2) : آية 243] ص: 219

اشاره

(آیه ۲۴۳)

شأن نزول: ص: 219

در یکی از شهرهای شام بیماری طاعون راه یافت و مردم یکی پس از دیگری از دنیا میرفتند در این میان عده بسیاری به این امید که شاید از چنگال مرگ رهایی یابند آن محیط و دیار را ترک گفتند از آنجا که پس از فرار از محیط خود و رهایی از مرگ در خود احساس قدرت و استقلالی نموده و با نادیده گرفتن اراده الهی و چشم دوختن به عوامل طبیعی دچار غرور شدند پروردگار آنها را نیز در همان بیابان به همان بیماری نابود ساخت.

تفسير: ص: 219

این آیه اشاره سر بسته، و در عین حال آموزندهای است، به سرگذشت عجیب یکی از اقوام پیشین، که بیماری مسری وحشتناکی در محیط آنها ظاهر گشت، و هزاران نفر، از آن منطقه فرار کردند، میفرماید: «آیا ندیدی کسانی را که از خانه خود از ترس مرگ فرار کردند در حالی که هزاران نفر بودند» (أَ لَمَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَ ذَرَ الْهَوْت).

سپس به عاقبت کار آنها اشاره کرده می فرماید: «خداوند به آنها فرمود:

بميريد» و به آن بيمارى كه آن را بهانه قرار داده بودند مردند (فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا).

«سپس خداوند آنها را زنده کرد» تا ماجرای زندگی آنان درس عبرتی برای دیگران باشد (ثُمَّ أُحْياهُمْ).

این امر تکوینی، هماننـد امری است که در آیه ۸۲ سوره یس آمـده، آنجا که میفرمایـد: «امر او تنها این است که هنگامی که

چیزی را اراده کند می گوید: ایجاد شو و فورا موجود می شود»! جمله «ثُمَّ أُحْیاهُمْ» اشاره به زنده شدن آن جمعیت است که به دعای حزقیل پیامبر، صورت گرفت و از آنجا که بازگشت آنان به حیات، یکی از نعمتهای روشن الهی بود، (هم از نظر خودشان، و هم از نظر عبرت مردم) در پایان آیه می فرماید:

«خداونـد نسبت به بنـدگان خود احسان میکنـد، ولی بیشتر مردم، شـکر او را بجا نمیآورنـد» (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لکِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لا يَشْكُرُونَ).

نه تنها این گروه، بلکه همه انسانها مشمول الطاف و عنایات و نعمتهای اویند.

دانشمند معروف شیعه مرحوم صدوق- ره- به این آیه برای امکان مسأله برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۲۰

«رجعت» استدلال کرده و می گوید: یکی از عقاید ما اعتقاد به رجعت است (که گروهی از انسانهای پیشین بار دیگر در همین دنیا به زندگی باز می گردند).

و نیز می تواند این آیه سندی برای مسأله معاد و احیای مردگان در قیامت باشد.

سورة البقرة (2) : آية 244] ص: 224

(آیه ۲۴۴)- از اینجا آیات جهاد شروع می شود، نخست می فرماید: «در راه خدا پیکار کنید، و بدانید خداوند شنوا و داناست» سخنان شما را می شنود و از انگیزه های درونی شما و نیّانتان در امر جهاد آگاه است (وَ قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ).

سورة البقرة (2) : آية 245] ص : 220

اشاره

(آیه ۲۴۵)

شأن نزول: ص: ۲۲۰

چنین نقل شده که روزی پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله فرمود: هر کس صدقهای بدهد دو برابر آن در بهشت خواهد داشت، ابو الدحداح انصاری عرض کرد ای رسول خدا من دو باغ دارم اگر یکی از آنها را به عنوان صدقه بدهم دو برابر آن در بهشت خواهم داشت، فرمود: آری! سپس او باغی را که بهتر بود به عنوان صدقه به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله داد، آیه نازل شد، و صدقه او را دو هزار هزار برابر برای او کرد و این است معنی «أَضْعافاً کَثِیرَهٔ».

تفسير: ص: ۲۲۰

در این آیه می فرماید: «کیست که به خدا وام نیکویی دهد (و از اموالی که او بخشیده است در طریق جهاد و در طریق حمایت

مستمندان، انفاق كنـد) تا خداونـد آن را براى او، چنـدين برابر كنـد» (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَـناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْ عافاً كَثِيرَةً).

بنابراین وام دادن به خداوند به معنی انفاقهایی است که در راه جهاد میشود.

و در پایان آیه میفرماید: «خداونـد (روزی بندگان را) محدود و گسترده میکند و همه شـما به سوی او باز می گردید» (وَ اللَّهُ یَقْبِضُ وَ یَبْصُطُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ).

اشاره به این که تصور نکنید انفاق و بخشش، اموال شما را کم میکند زیرا گسترش و محدودیت روزی شما به دست خداست.

چرا تعبیر به قرض؟ در چندین آیه از قرآن مجید در مورد انفاق در راه خدا برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۲۱ تعبیر به قرض و وام دادن به پروردگار آمده است، و این نهایت لطف خداوند نسبت به بندگان را از یکسو و کمال اهمیت مسأله انفاق را از سوی دیگر میرساند، در نهج البلاغه علی علیه السّلام میفرماید: «خداوند از شما درخواست قرض کرده در حالی که گنجهای آسمان و زمین از آن اوست و بینیاز و ستوده (آری، اینها نه از جهت نیاز اوست) بلکه میخواهد شما را بیازماید که کدامیک نیکوکارترید».

سورة البقرة (2) : آية 246] ص: 221

(آیه ۲۴۶)- یک ماجرای عبرت انگیز! قوم یهود که در زیر سلطه فرعونیان ضعیف و ناتوان شده بودند بر اثر رهبریهای خردمندانه موسی (ع) از آن وضع اسف انگیز نجات یافته و به قدرت و عظمت رسیدند خداوند به برکت این پیامبر نعمتهای فراوانی به آنها بخشیده که از جمله صندوق عهد «۱» بود.

ولی همین پیروزیها و نعمتها کم کم باعث غرور آنها شد و تن به قانون شکنی دادند. سر انجام به دست فلسطینیان شکست خورده و قدرت و نفوذ خویش را همراه صندوق عهد از دست دادند این وضع سالها ادامه داشت تا آن که خداوند پیامبری به نام «اشموئیل» را برای نجات و ارشاد آنها برانگیخت آنها گرد او اجتماع کردند و از او خواستند رهبر و امیری برای آنها انتخاب کند تا همگی تحت فرمان او با دشمن نبرد کنند تا عزت از دست رفته را باز یابند.

«اشموئیل» به درگاه خداوند روی آورده و خواسته قوم را به پیشگاه وی عرضه داشت به او وحی شد که «طالوت» را به پادشاهی ایشان برگزیدم. در این آیه، روی سخن را به پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله کرده میفرماید: «آیا ندیدی جمعی از اشراف

(۱) «صندوق عهد» یا «تابوت» همان صندوقی بود که مادر موسی او را در آن نهاد و به دریا افکند و هنگامی که به وسیله عمّال فرعون از دریا گرفته شد و موسی را از آن بیرون آوردند همچنان در دستگاه فرعون نگاهداری می شد و سپس به دست بنی اسرائیل افتاد، بنی اسرائیل این صندوق خاطره انگیز را محترم می شمردند و به آن تبرّک می جستند، موسی در واپسین روزهای عمر خود الواح مقدّس را که احکام خدا بر آن نوشته شده بود به ضمیمه زره خود و یادگارهای دیگری در آن نهاد، و به وصیّ خویش «یوشع بن نون» سپرد به این ترتیب اهمیت این صندوق در نظر بنی اسرائیل بیشتر شد، و لذا در جنگها آن را با خود می بردند و اثر روانی و معنوی خاصّ ی در آنها می گذارد ولی تدریجا مبانی دین آنها ضعیف شد، و دشمنان بر آنها

چیره شدنید و آن صندوق را از آنها گرفتنید اما «اشموئیل» به آنها وعیده داد که صندوق عهید به عنوان یک نشانه بر صدق گفتار او به آنها باز خواهد گشت.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۲۲

بنی اسرائیل را بعد از موسی (ع) که به پیامبر خود گفتنـد زمامـداری برای ما انتخاب کن تا (تحت فرمانـدهی او) در راه خدا پیکار کنیم» (أَ لَمْ تَرَ إِلَی الْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ مِنْ بَعْدِ مُوسی إِذْ قالُوا لِنَبِیِّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِکاً نُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ).

قابل توجه این که آنها نام این مبارزه را «فِی سَبِیلِ اللَّهِ» (در راه خدا) گذاردند از این تعبیر روشن می شود که آنچه به آزادی و نجات انسانها از اسارت و رفع ظلم کمک کند فی سبیل الله محسوب می شود. به هر حال پیامبرشان که از وضع آنان نگران بود، و آنها را ثابت قدم در عهد و پیمان نمی دید به آنها «گفت: اگر دستور پیکار به شما داده شود شاید (سرپیچی کنید و) در راه خدا پیکار نکنید» (قالَ هَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ أَلَّا تُقاتِلُوا).

آنها در پاسخ گفتند: «چگونه ممکن است در راه خدا پیکار نکنیم در حالی که از خانه و فرزندانمان رانده شدیم»! و شـهرهای ما به وسیله دشمن اشغال و فرزندانمان اسیر شدهاند (قالُوا وَ ما لَنا أَلًا نُقاتِلَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِیارِنا وَ أَبْنائِنا).

اما هیچ یک از اینها نتوانست جلو پیمان شکنی آنها را بگیرد، و لذا در ادامه آیه میخوانیم: «هنگامی که دستور پیکار به آنها داده شد جز عده کمی همگی سر پیچی کردند و خداوند ستمکاران را میداند» و میشناسد و به آنها کیفر میدهد (فَلَمَّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِیلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِالظَّالِمِینَ).

بعضی عده وفاداران را ۳۱۳ نفر نوشتهاند، همانند سربازان وفادار اسلام در جنگ بدر.

سورة البقرة (2) : آية 247] ص : 222

(آیه ۲۴۷)- در هر صورت پیامبرشان، طبق وظیفهای که داشت به درخواست آنها پاسخ گفت، و طالوت را به فرمان خدا برای زمامداری آنان برگزید «و به آنها گفت: خداوند طالوت را برای زمامداری شما برانگیخته است» (وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طالُوتَ مَلِکاً).

از تعبیر ملکا چنین برمی آیـد که طالوت، تنها فرمانـده لشگر نبود بلکه زمامـدار کشور هم بود. از اینجا مخالفت شـروع شـد، گروهی گفتند: «چگونه او بر ما حکومت برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۲۳

داشـته باشد با این که ما از او شایسته تریم، و او ثروت زیادی ندارد» (قالُوا أَنَّی یَکُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَیْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ وَ لَمْ یُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ).

در واقع آنها به انتخاب خداونـد اعتراض کردنـد- طالوت جوانی از یک قبیله گمنام بنی اسـرائیل و از نظر مالی یک کشاورز ساده بود- ولی قرآن پاسخ دندانشکنی را که آن پیامبر به گمراهان بنی اسرائیل داد چنین بازگو میکند «گفت:

خداونــد او را بر شــما برگزيــده و علم و (قدرت) جسم او را وسـعت بخشـيده» (إِنَّ اللَّهَ اصْـطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْـطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْم).

نخست: این که این گزینش خداونـد حکیم است و دوم این که شما سخت در اشتباهید و شرایط اساسی رهبری را فراموش کردهاید، نسب عالی و ثروت، هیچ امتیازی برای رهبری نیست.

سپس میافزاید: «خداوند ملک خود را به هر کس بخواهد میبخشد و خداوند (احسانش) وسیع و گسترده و دانا (به لیاقت و

شايستگى افراد) است» (وَ اللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ).

این جمله ممکن است اشاره به شرط سومی برای رهبری باشد و آن فراهم شدن امکانات و وسایل مختلف از سوی خداست.

سورة البقرة (2) : آية 248] ص : 223

(آیه ۲۴۸)- این آیه نشان می دهد که گویا بنی اسرائیل هنوز به مأموریت طالوت از سوی خداوند حتی با تصریح پیامبرشان اشموئیل، اطمینان پیدا نکرده بودند و از او خواهان نشانه و دلیل شدند، «پیامبر آنها به آنها گفت: نشانه حکومت او این است که صندوق عهد به سوی شما خواهد آمد که در آن آرامشی از سوی پروردگارتان برای شما است، همان صندوقی که یادگارهای خاندان موسی و هارون در آن است، در حالی که فرشتگان آن را حمل می کنند، در این موضوع، نشانه روشنی برای شما است، اگر ایمان داشته باشید» (وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ آیَهُ مُلْکِهِ أَنْ یَأْتِیکُمُ التَّابُوتُ فِیهِ سَکِینَهُ مِنْ رَبِّکُمْ وَ بَقِیَّهُ مِمَّا تَرَکَ آلُ مُوسی وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِکَهُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً لَکُمْ إِنْ کُنتُمْ مُؤْمِنِینَ).

سورة البقرة (2): آية 249] ص: 223

(آیه ۲۴۹)- سر انجام به رهبری و فرماندهی طالوت تن در دادند و او برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۲۴

لشگرهای فراوانی را بسیج کرد و به راه افتاد، و در اینجا بود که بنی اسرائیل در برابر آزمون عجیبی قرار گرفتند بهتر است این سخن را از زبان قرآن بشنویم، میفرماید:

«هنگامی که طالوت (به فرماندهی لشگر بنی اسرائیل منصوب شد سپاهیان را با خود بیرون برد، به آنها گفت: خداوند شما را با یک نهر آب امتحان می کند، آنها که از آن بنوشند از من نیستند و آنها که جز یک پیمانه با دست خود، بیشتر از آن نچشند از منند» (فَلَمَّا فَصَ لَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِیکُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَیْسَ مِنِّی وَ مَنْ لَمْ یَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّی إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بیَدِهِ).

در اینجا لشگریان طالوت در برابر آزمون بزرگی قرار گرفتند، و آن مسأله مقاومت شدید در برابر تشنگی، و چنین آزمونی برای این لشگر- مخصوصا با سابقه بدی که بنی اسرائیل در بعضی جنگها داشتند- ضرورت داشت.

ولى اكثريت آنها از بوته اين امتحان سالم بيرون نيامدند، چنانكه قرآن مي گويـد: «آنها همگي- جز عـده كمي از آنها، از آن آب نوشيدند» (فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ).

سپس میافزاید: «هنگامی که او (طالوت) و افرادی که به وی ایمان آورده بودند (و از بوته آزمایش سالم به در آمدند) از آن نهر گذشتند، گفتند: امروز ما (با این جمعیت اندک) توانایی مقابله با جالوت و سپاهیان او را نداریم» (فَلَمَّا جاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ قالُوا لا طاقَةً لَنَا الْیَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ).

و در ادامه می فرماید: «آنها که می دانستند خدا را ملاقات خواهند کرد (و به رستاخیز و وعده های الهی ایمان داشتند) گفتند: چه بسیار گروههای کوچکی که به فرمان خدا بر گروههای عظیمی پیروز شدنـد و خداوند با صابران (و استقامت کنندگان) همراه است» (قالَ الَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ کَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِیلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً کَثِیرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِینَ).

سورة البقرة (2) : آية 250] ص: 224

(آیه ۲۵۰)– در این آیه مسأله رویارویی دو لشگر مطرح میشود، میفرماید: «هنگامی که آنها (لشگر طالوت و بنی اسرائیل) در برابر جالوت و سپاهیان او قرار گرفتنـد گفتند: پروردگارا! صبر و استقامت را بر ما فرو ریز گامهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۲۵

ما را استوار بدار، و ما را بر جمعيت كافران پيروز گردان» (وَ لَمَّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ تَبَّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ).

در حقیقت طالوت و سپاه او سه چیز طلب کردند. نخست صبر و استقامت، دومین تقاضای آنها از خدا این بود که گامهای ما را استوار بدار تا از جا کنده نشود و فرار نکنیم در واقع دعای اول جنبه باطنی و درونی داشت و این دعا جنبه ظاهری و برونی دارد و مسلما ثبات قدم از نتایج روح استقامت و صبر است، سومین تقاضای آنها این بود که «ما را بر این قوم کافر یاری فرما و پیروز کن» که نتیجه نهایی صبر و استقامت و ثبات قدم است.

سورة البقرة (2) : آية 251] ص : 225

(آیه ۲۵۱)– به یقین خداوند چنین بندگانی را تنها نخواهد گذاشت هر چند عدد آنها کم و عدد دشمن زیاد باشد، لذا در این آیه میفرماید: «آنها به فرمان خدا سپاه دشمن را شکست دادند و به هزیمت واداشتند» (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ).

«و داود (جوان کم سن و سال و نیرومند شجاعی که در لشگر طالوت بود) جالوت را کشت» (وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ).

این جوان با فلاخنی که در دست داشت، یکی دو سنگ آن چنان ماهرانه پرتاب کرد که درست بر پیشانی و سر جالوت کوبیده شد و در آن فرو نشست و فریادی کشید و فرو افتاد، و ترس و وحشت تمام سپاه او را فرا گرفت و به سرعت فرار کردند، گویا خداوند میخواست قدرت خویش را در اینجا نشان دهد که چگونه پادشاهی با آن عظمت و لشگری انبوه به وسیله نوجوان تازه به میدان آمدهای آن هم با یک سلاح ظاهرا بی ارزش، از پای در می آید! سپس می افزاید: «خداوند حکومت و دانش را به او بخشید و از آنچه می خواست به او تعلیم داد» (وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکُ وَ الْحِکْمَةً وَ عَلَّمَهُ مِمَّا یَشاءُ).

گر چه در این آیه تصریح نشده که این داود همان داود، پیامبر بزرگ بنی اسرائیل، پـدر سـلیمان است ولی جمله فوق نشان میدهد که او به مقام نبوت رسید.

و در پایان آیه به یک قانون کلی اشاره فرموده می گوید: «و اگر خداونید بعضی از مردم را به وسیله بعضی دیگر دفع نکند سراسر روی زمین فاسد می شود، ولی بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۲۶

خداوند نسبت به تمام جهانيان، لطف و احسان دارد» (وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ).

این آیات، بشارت است برای مؤمنان که در مواقعی که در فشار شدید از سوی طاغوتها و جباران قرار می گیرند در انتظار نصرت و پیروزی الهی باشند.

سورة البقرة (2) : آية 252] ص: 228

(آیه ۲۵۲)- این آیه اشاره به داستانهای متعددی است که در آیات گذشته در باره بنی اسرائیل بیان شده است که هر کدام نشانهای از قدرت و عظمت پروردگار است و پاک از هر گونه خرافه و افسانه و اساطیر بر پیامبر نازل گردیده و در آن مىفرمايىد: «اينها آيات خداست كه به حق بر تو مىخوانيم و تو از رسولان هستى» (تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ).

آغاز جزء سوم قرآن مجید ص: ۲۲۶

ادامه سوره بقره ص: ۲۲۶

سورة البقرة (2) : آية 253] ص: 228

(آیه ۲۵۳) - نقش پیامبران در زندگی انسانها! این آیه اشارهای به درجات انبیاء و مراتب آنها و گوشهای از رسالت آنها در جامعه انسانی می کند، نخست می فرماید: «آن رسولان را بعضی بر بعضی بر تری دادیم» (تِلْکُ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضِ). تعبیر به فَضَّلْنا بَعْضَ هُمْ عَلی بَعْضِ به روشنی می رساند که همه پیامبران الهی با این که از نظر نبوت و رسالت، همانند بودند از جهت مقام یکسان نبودند.

سپس به ویژگی بعضی از آنان پرداخته میفرماید: «بعضی از آنان را خدا با او سخن گفت» (مِنْهُمْ مَنْ کَلَّمَ اللَّهُ). و منظور از آن موسی (ع) است که به «کلیم اللّه» معروف شده است.

سپس می افزاید: «و درجات بعضی را بالا ـ برد» (وَ رَفَعَ بَعْضَ هُمْ دَرَجاتٍ). که نمونه کامل آن پیامبر گرامی اسلام است که آیینش کاملترین و آخرین آیینها بود، و یا منظور از آن بعضی از پیامبران پیشین مانند ابراهیم و امثال اوست.

سپس به سراغ امتیاز حضرت مسیح (ع) رفته میفرماید: «ما به عیسی بن مریم نشانههای روشن دادیم، و او را با روح القدس تأیید کردیم» (وَ آتَیْنا عِیسَی ابْنَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۲۷

مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)

.نشانههای روشن، اشاره به معجزاتی مانند شفای بیماران غیر قابل علاج و احیای مردگان، و معارف عالی دینی است. و منظور از روح القدس پیک وحی خداوند یعنی جبرئیل، یا نیروی مرموز معنوی خاصی است که در اولیاء الله با تفاوتهایی وجود دارد.

در ادامه آیه اشاره به وضع امتها و اختلافات آنها بعد از انبیاء کرده میفرماید:

«اگر خدا میخواست کسانی که بعد از آنان بودند، پس از آن که آن همه نشانههای روشن برای آنان آمد، به جنگ و ستیز با یکدیگر نمیپرداختند» (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ).

یعنی اگر خدا میخواست، قدرت داشت که آنها را به اجبار از جنگ و ستیز باز دارد، ولی سنت الهی بر این بوده و هست که مردم را در انتخاب راه آزاد گذارد.

ولى آنها از آزادى خود سوء استفاده كردنـد «و راه اختلاف پيمودنـد» (وَ لَكِنِ اخْتَلَفُوا). در حقيقت اختلافـات ميـان پيروان راستين و حقيقى مذاهب نبوده بلكه «ميان» پيروان و «مخالفان» مذهب صورت گرفته است. «پس بعضى از آنها ايمان آوردند و بعضى كافر شدند» (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ).

بار دیگر تأکید می کند که این کار برای خدا آسان بود که به حکم اجبار جلو اختلافات آنها را بگیرد، زیرا «اگر خدا میخواست هرگز آنها با یکدیگر جنگ نمی کردند ولی خداوند آن را که اراده کرده (و بر طبق حکمت و هماهنگ با هدف آفرینش انسان است و آن آزادی اراده و مختار بودن است) به جا می آورد» (وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ). بـدون شـک گروهی از این آزادی نتیجه منفی می گیرنـد ولی در مجموع وجود آزادی از مهمترین ارکـان تکامل انسان است، زیرا تکامل اجباری تکامل محسوب نمی شود.

سورة البقرة (2) : آية 254] ص: 227

(آیه ۲۵۴)- انفاق یکی از مهمترین اسباب نجات در قیامت! در این آیه روی سخن را به مسلمانان کرده و به یکی از وظایفی که سبب برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۲۸

وحـدت جامعه و تقویت حکومت و بنیه دفاعی و جهاد میشود اشاره میکنـد و میفرمایـد: «ای کسانی که ایمان آوردهایـد از آنچه به شما روزی دادهایم انفاق کنید» (یا أَتُیهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناکُمْ).

از تهدیدی که در ذیل آیه آمده استفاده می شود منظور، انفاق واجب یعنی زکات است.

سپس مىافزايىد: امروز كه توانىايى داريىد انفىاق كنيىد «پيش از آن كه روزى فرا رسىد كه نه خريىد و فروش در آن است و نه رابطه دوستى و نه شفاعت» (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفاعَةٌ).

و در پایان آیه می فرماید: «كافران همان ظالمانند» (وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

اشاره به این که آنها که انفاق و زکات را ترک میکنند هم به خویشتن ستم روا میدارند و هم به دیگران.

«کفر» در اینجا به معنی سر پیچی و گناه و تخلف از دستور خداست.

سورة البقرة (2) : آية 255] ص : 228

اشاره

(آیه ۲۵۵) - «آیهٔ الکرسی» یکی از مهمترین آیات قرآن! در اهمیت و فضیلت این آیه همین بس که از پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله نقل شده است که از ابیّ بن کعب سؤال کرد و فرمود: کدام آیه برترین آیه کتاب الله است؟ عرض کرد: اللّه لا إِلهَ إِلّا هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ، پیامبر صلّی الله علیه و آله دست بر سینه او زد و فرمود: دانش بر تو گوارا باد، سو گند به کسی که جان محمد صلّی الله علیه و آله در دست اوست این آیه دارای دو زبان و دو لب است که در پایه عرش الهی تسبیح و تقدیس خدا می گویند.

در حدیث دیگری از امام باقر علیه السّ بلام آمده است: «هر کس آیهٔ الکرسی را یکبار بخواند، خداوند هزار امر ناخوشایند از امور ناخوشایند دنیا، فقر، و آسانترین ناخوشایند دنیا، فقر، و آسانترین ناخوشایند دنیا، فقر، و آسانترین ناخوشایند آخرت، عذاب قبر است»

تفسیر: ص: ۲۲۸

ابتـدا از ذات اقـدس الهي و مسأله توحيـد و اسـماء حسـني و صـفات او شـروع مي كنـد ميفرمايد: «خداوند هيچ معبودي جز او

نيست» (اللَّهُ لا إلهَ إلَّا هُوَ).

«اللَّهُ» نام مخصوص خداوند و به معنی ذاتی است که جامع همه صفات کمال برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۲۹ و جلال و جمال است.

سپس می افزاید: «خداوندی که زنده و قائم به ذات خویش است و موجودات دیگر عالم، قائم به او هستند» (الْحَيُّ الْقَيُّومُ).

بدیهی است که حیات در خداوند حیات حقیقی است چرا که حیاتش عین ذات و مجموعه علم و قدرت اوست نه همچون موجودات زنده در عالم خلقت که حیات آنها عارضی است. لذا پس از مدتی میمیرند! اما در خداوند چنین نیست چنانکه در آیه ۵۸ سوره فرقان میخوانیم: «توکل بر ذات زندهای کن که هر گز نمی میرد».

سپس در ادامه آیه می افزاید: «هیچ گاه خواب سبک و سنگین او را فرا نمی گیرد» و لحظهای از تدبیر جهان غافل نمی شود (لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ).

«سِـنَهٔ» خوابی است که به چشم عارض می شود، اما وقتی عمیقتر شد و به قلب عارض شد «نَوْمٌ» گفته می شود. این جمله اشاره به این حقیقت است که فیض و لطف تدبیر خداوند دائمی است، و لحظه ای قطع نمی گردد.

سپس به مالکیت مطّلقه خداونـد اشاره کرده میفرمایـد: «برای اوست آنچه در آسـمانها و زمین است» (لَهُ ما فِی الشّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْض).

و این پنجمین وصف از اوصاف الهی است که در این آیه آمده، زیرا قبل از آن اشاره به توحید و حیّ و قیوم بودن، و عدم غلبه خواب بر ذات پاک او شده است.

ناگفته پیداست توجه به این صفت که همه چیز مال خداست اثر تربیتی مهمی در انسانها دارد زیرا هنگامی که بدانند آنچه دارند از خودشان نیست و چند روزی به عنوان عاریت یا امانت به دست آنها سپرده شده این عقیده بطور مسلم انسان را از تجاوز به حقوق دیگران و استعمار و احتکار و حرص و بخل و طمع باز میدارد.

در ششمین توصیف می فرماید: «کیست که در نزد او جز به فرمانش شفاعت کند» (مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ).

در واقع با یک استفهام انکاری می گوید هیچ کس بدون فرمان خدا نمی تواند در پیشگاه او شفاعت کند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۳۰

در باره «شفاعت» در ذیل آیه ۴۸ سوره بقره بحث کردیم.

در هفتمین توصیف می فرماید: «آنچه را پیش روی آنها (بندگان) و پشت سر آنهاست می داند و از گذشته و آینده آنان آگاه است» (یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ).

و به این ترتیب پهنه زمان و مکان، همه در پیشگاه علم او روشن است پس هر کار – حتی شفاعت– باید به اذن او باشد.

در هشتمین توصیف، می فرماید: «آنها جز به مقداری که او بخواهد احاطه به علم او ندارند» و تنها بخش کوچکی از علوم را که مصلحت دانسته در اختیار دیگران گذارده است. (وَ لا یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ).

و به این ترتیب علم و دانش محدود دیگران، پرتوی از علم بی پایان اوست.

از جمله فوق دو نکته دیگر نیز استفاده می شود: نخست این که هیچ کس از خود علمی ندارد و تمام علوم و دانشهای بشری از ناحیه خداست.

دیگر این که خداوند ممکن است بعضی از علوم پنهان و اسرار غیب را در اختیار کسانی که میخواهد قرار دهد.

در نهمین و دهمین توصیف می فرماید: «کرسی (حکومت) او آسمانها و زمین را دربر گرفته و حفظ و نگاهـداری آسمان و

زمين براى او گران نيست» (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما).

به این ترتیب حکومت و قدرت پروردگار همه آسمانها و زمین را فرا گرفته و کرسی علم و دانش او به همه این عوالم احاطه دارد و چیزی از قلمرو حکومت و نفوذ علم او بیرون نیست.

حتى از پـارهاى از روايـات اسـتفاده مىشود كه كرسـى به مراتب از آسـمانها و زمين وسـيعتر است چنـانكه از امـام صادق عليه السّــلام نقــل شــده كه فرمود: «آسـمانها و زمين در برابر كرسـى همچون حلقه انگشترى است در وسط يك بيابان و كرسـى در برابر عرش همچون حلقهاى است در وسط يك بيابان».

البته هنوز علم و دانش بشر نتوانسته است از این معنی پرده بردارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۳۱ و در یازدهمین و دوازدهمین، توصیف می گوید: «و اوست بلند مقام و با عظمت» (وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِیمُ).

و خداوندی که عظیم و بزرگ است و بینهایت هیچ کاری برای او مشکل نیست و هیچ گاه از اداره و تدبیر جهان هستی خسته و ناتوان و غافل و بیخبر نمی گردد و علم او به همه چیز احاطه دارد.

قابل توجه این که آیهٔ الکرسی بر خلاف آنچه مشهور و معروف است همین یک آیه بیشتر نیست.

سورة البقرة (2) : آية 256] ص : 221

اشاره

(آیه ۲۵۶)

شأن نزول: ص: 231

مردی از اهل مدینه به نام «ابو حصین» دو پسر داشت برخی از بازرگانانی که به مدینه کالا وارد می کردنـد هنگام برخورد با این دو پسر آنان را به عقیده و آیین مسیح دعوت کردند، آنها هم سخت تحت تأثیر قرار گرفتند.

«ابو حصین» از این جریان سخت ناراحت شد و به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله اطلاع داد و از حضرت خواست که آنان را به مذهب خود برگرداند؟ آیه نازل شد و این حقیقت را بیان داشت که:

«در گرایش به مذهب اجبار و اکراهی نیست».

تفسير: ص: ٢٣١

آیهٔ الکرسی در واقع مجموعهای از توحید و صفات جمال و جلال خدا بود که اساس دین را تشکیل میدهد، و چون در تمام مراحل با دلیل عقل قابل استدلال است و نیازی به اجبار و اکراه نیست در این آیه میفرماید: «در قبول دین هیچ اکراهی نیست (زیرا) راه درست از بیراهه آشکار شده است» (لا إکْراهَ فِی الدِّین قَدْ تَبَیَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغُیِّ).

این آیه پاسخ دندانشکنی است به آنها که تصور میکنند اسلام در بعضی از موارد جنبه تحمیلی و اجباری داشته و با زور و شمشیر و قدرت نظامی پیش رفته است.

سپس به عنوان یک نتیجه گیری از جمله گذشته میافزاید: «پس کسی که به طاغوت (بت و شیطان و انسانهای طغیانگر) کافر شود و به خیدا ایمیان آورد، به دستگیره محکمی دست زده است که گسستن برای آن وجود نیدارد (فَمَنْ یَکْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ یُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقی لَا انْفِصامَ لَها). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۳۲

و در پایان می فرماید: «خداوند شنوا و داناست» (وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ).

اشاره به این که مسأله کفر و ایمان چیزی نیست که با تظاهر انجام گیرد، زیرا خداوند سخنان همه را اعم از آنچه آشکارا می گویند یا در جلسات خصوصی و نهانی، همه را می شنود.

سورة البقرة (2) : آية 257].... ص : 222

(آیه ۲۵۷)- با اشارهای که در مسأله ایمان و کفر در آیه قبل آمده بود در اینجا وضع مؤمنان و کافران را از نظر راهنما و رهبر مشخص می کند، می فرماید:

«خداوند ولى و سرپرست كسانى است كه ايمان آوردهاند» (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا).

و در پرتو این ولایت و رهبری «آنها را از ظلمتها به سوی نور خارج میسازد» (یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ).

سپس میافزاید: «اما کسانی که کافر شدند، اولیاء آنها طاغوت (بت و شیطان و افراد جبار و منحرف) هستند که آنها را از نور به سوی ظلمتها بیرون میبرند» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَوْلِیاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ یُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَی الظُّلُماتِ).

به همين دليل «آنها اهل آتشند و براى هميشه در آن خواهند بود» (أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ).

سورة البقرة (2) : آية 258] ص : 222

(آیه ۲۵۸)- ابراهیم در برابر طاغوت زمان خود نمرود! به دنبال آیه قبل که از هدایت مؤمنان در پرتو ولایت و راهنمایی پروردگار و گمراهی کافران بر اثر پیروی از طاغوت سخن می گفت خداوند چند نمونه ذکر می کند که یکی از آنها نمونه روشنی است که در این آیه آمده و آن گفتگو و محاجّه ابراهیم قهرمان بت شکن با جبار زمان خود، نمرود است، می فرماید: «آیا ندیدی (آگاهی نداری) از کسی که با ابراهیم در باره پروردگارش محاجّه و گفتگو کرد» (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِی حَاجَّ إِبْراهِیمَ فِی رَبِّهِ).

و در یک جمله اشاره به انگیزه اصلی این محاجه می کند و می گوید: «بخاطر این بود که خداوند به او حکومت داده بود» و بر اثر کمی ظرفیت از باده کبر و غرور، سرمست شده بود (أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکُ).

و چه بسیارند کسانی که در حال عادی، انسانهای معتدل، سربه راه، مؤمن و بیدارند اما هنگامی که به مال و مقام و نوایی برسند همه چیز را به دست فراموشی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۳۳

می سپارند و مهمترین مقدسات را زیر پا می نهند! و در ادامه می افزاید: در آن هنگام که از ابراهیم (ع) پرسید خدای تو کیست که به سوی او دعوت می کنی؟ «ابراهیم گفت: همان کسی که زنده می کند و می میراند» (إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ رَبِّیَ الَّذِی یُحْیِی وَ یُمیتُ).

در حقیقت ابراهیم (ع) بزرگترین شاهکار آفرینش یعنی قانون حیات و مرگ را به عنوان نشانه روشنی از علم و قدرت پروردگار مطرح ساخت.

ولی نمرود جبار، راه تزویر و سفسطه را پیش گرفت و برای اغفال مردم و اطرافیان خود «گفت من نیز زنده می کنم و می می می میرانم» و قانون حیات و مرگ در دست من است (قالَ أَنَا أُحیِی وَ أُمِیتُ).

ولی ابراهیم (ع) برای خنثی کردن این توطئه، دست به استدلال دیگری زد که دشمن نتواند در برابر ساده لوحان در مورد آن مغالطه کند، «ابراهیم گفت: خداوند خورشید را (از افق مشرق) میآورد (اگر تو راست می گویی که حاکم بر جهان هستی میباشی) خورشید را از طرف مغرب بیاور»! (قالَ إِبْراهِیمُ فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ). اینجا بود که «آن مرد کافر، مبهوت و وامانده شد» (فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ).

آرى! «خداوند قوم ظالم را هدايت نمى كند» (وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

و به این ترتیب آن مرد مست و مغرور سلطنت و مقام، خاموش و مبهوت و ناتوان گشت و نتوانست در برابر منطق زنده ابراهیم (ع) سخنی بگوید.

سورة البقرة (2) : آية 259] ص: 223

(آیه ۲۵۹) - در این آیه سرگذشت یکی دیگر از انبیاء پیشین بیان شده، که مشتمل بر شواهد زندهای بر مسائل معاد است. آیه اشاره به سرگذشت کسی می کند که در اثنای سفر خود در حالی که بر مرکبی سوار بود و مقداری آشامیدنی و خوراکی همراه داشت از کنار یک آبادی گذشت در حالی که به شکل وحشتناکی در هم ریخته و ویران شده بود و اجساد و استخوانهای پوسیده ساکنان آن به چشم میخورد هنگامی که این منظره وحشتزا را دید گفت چگونه خداوند این مردگان را زنده می کند؟ شرح بیشتر این ماجرا را از برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۳۴

زبان قرآن بشنویم. میفرماید: «یا همانند کسی که از کنار یک آبادی عبور می کرد در حالی که دیوارهای آن به روی سقفها فرو ریخته بود، (و اجساد و استخوانهای اهل آن در هر سو پراکنده بود، او از روی تعجب با خود) گفت: چگونه خدا اینها را بعد از مرگ زنده می کند»! (أَوْ کَالَّذِی مَرَّ عَلی قَرْیَةٍ وَ هِیَ خاوِیَةٌ عَلی عُرُوشِها قالَ أَنَّی یُحیِی هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها).

در ادامه مىفرمايىد: «خداونىد او را يكصد سال ميراند، سپس او را زنده كرد و به او گفت: چقدر درنگ كردى؟ گفت: يك روز يا قسمتى از يك روز، فرمود (نه) بلكه يكصد سال درنگ كردى» (فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةً عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْم قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عام).

سپس برای این که آن پیامبر، اطمینان بیشتری به این مسأله پیدا کند، به او دستور داده شد که به غذا و نوشیدنی و همچنین مرکب سواریش که همراه داشته، نگاهی بیفکند که اولی کاملال سالم مانده بود و دومی به کلی متلاشی شده بود، تا هم گذشت زمان را مشاهده کند، و هم قدرت خدا را بر نگهداری هر چه اراده داشته باشد، میفرماید: به او گفته شد «پس حالا نگاه کن به غذا و نوشیدنیت (که همراه داشتی ببین که با گذشت سالها) هیچ گونه تغییر نیافته» (فَانْظُرْ إِلی طَعامِکُ وَ شَرابِکَ لَمْ نَتَسَنَّهُ).

بنابراین، خدایی که می تواند غذا و نوشیدنی تو را که قاعدتا باید زود فاسد گردد، به حال اول نگهدارد، زنده کردن مردگان برای او مشکل نیست، زیرا ادامه حیات چنین غذای فاسد شدنی که عمر آن معمولاً بسیار کوتاه است، در این مدت طولانی

ساده تر از زنده کردن مردگان نیست.

سپس میافزاید: «ولی نگاه به الاغ خود کن (که چگونه از هم متلاشی شده برای این که اطمینان به زندگی پس از مرگ پیدا کنی) و تو را نشانهای برای مردم قرار دهیم» آن را زنده میسازیم (وَ انْظُرْ إِلی حِمارِکَ وَ لِنَجْعَلَکَ آیَهٔ لِلنَّاس).

به هر حال در تکمیل همین مسأله می افزاید: «به استخوانها نگاه کن (که از مرکب سواریت باقی مانده) و ببین چگونه آنها را بر می داریم و به هم پیوند می دهیم برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۳۵

و گوشت بر آن مي پوشانيم» (وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً).

و در پایان آیه می فرماید: «هنگامی که با مشاهده این نشانه های واضح (همه چیز) برای او روشن شد گفت: می دانم که خدا بر هر کاری قادر است» (فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلیی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ).

در باره این که او کدامیک از پیامبران بوده مشهور و معروف این است که «عزیر» بوده و در حدیثی از امام صادق علیه السّلام این موضوع تأیید شده است.

سورة البقرة (2) : آية 260] ص : 235

(آیه ۲۶۰) - صحنه دیگری از معاد در این دنیا! به دنبال داستان عزیر در مورد معاد داستان دیگری از ابراهیم (ع) در اینجا مطرح شده است، و آن این که:

روزی ابراهیم (ع) از کنار دریایی می گذشت مرداری را دید که در کنار دریا افتاده، در حالی که مقداری از آن داخل آب و مقداری دیگر در خشکی قرار داشت و پرندگان و حیوانات دریا و خشکی از دو سو آن را طعمه خود قرار دادهاند، این منظره ابراهیم را به فکر مسألهای انداخت که همه میخواهند چگونگی آن را بدانند و آن کیفیت زنده شدن مردگان پس از مرگ است. چنانکه قرآن می گوید: «بخاطر بیاور، هنگامی را که ابراهیم (ع) گفت: خدایا! به من نشان ده چگونه مردگان را زنده می کنی» (وَ إِذْ قَالَ إِبْراهِیمُ رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحی الْمَوْتی).

او میخواست با رؤیت و شهود، ایمان خود را قویتر کند، به همین دلیل در ادامه این سخن، هنگامی که خداونـد «فرمود: آیا ایمان نیاوردهای؟» (قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ).

او در جواب عرض كرد: «آرى، ايمان آوردم ولى مىخواهم قلبم آرامش يابد» (قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي).

در اینجا به ابراهیم دستور داده می شود که برای رسیدن به مطلوبش دست به اقدام عجیبی بزند، آن گونه که قرآن در ادامه این آیه بیان کرده، می گوید: «خداوند فرمود: حال که چنین است چهار نوع از مرغان را انتخاب کن و آنها را (پس از ذبح کردن) قطعه قطعه کن (و در هم بیامیز) سپس بر هر کوهی قسمتی از آن را قرار بده، بعد آنها را بخوان به سرعت به سوی تو می آیند» (قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّیْرِ فَصُرْهُنَّ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۳۶

إِلَيْكُ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً)

.ابراهیم (ع) این کار را کرد، و آنها را صدا زد، در این هنگام اجزای پراکنده هر یک از مرغان، جدا و جمع شده و به هم آمیختند و زندگی را از سر گرفتند و این موضوع به ابراهیم نشان داد، که همین صحنه در مقیاس بسیار وسیعتر، در رستاخیز انجام خواهد شد.

و در پایان آیه می فرماید: این را ببین «و بـدان خداونـد توانـا و حکیم است» (وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ). هم تمام ذرات بـدن

مردگان را بخوبی می شناسد، و هم توانایی بر جمع آنها دارد.

سورة البقرة (2) : آية 261] ص : 238

اشاره

(آیه ۲۶۱) – آغاز آیات انفاق! مسأله انفاق یکی از مهمترین مسائلی است که اسلام روی آن تأکید دارد و شاید ذکر آیات آن پشت سر آیات مربوط به معاد از این نظر باشد که یکی از مهمترین اسباب نجات در قیامت، انفاق و بخشش در راه خداست. نخست می فرماید: «مثل کسانی که اموال خود را در راه خدا انفاق می کنند همانند بذری است که هفت خوشه برویاند» (مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ کَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِل). «و در هر خوشهای یکصد دانه باشد» که مجموعا از یک دانه هفتصد دانه بر می خیزد (فِی کُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ).

تازه پاداش آنها منحصر به این نیست، بلکه: «خداونـد آن را برای هر کس بخواهـد (و شایسـتگی در آنها و انفاق آنها از نظر نیت و اخلاص و کیفیت و کمیت ببیند) دو یا چند برابر می کند» (وَ اللَّهُ یُضاعِفُ لِمَنْ یَشاءُ).

و این همه پاداش از سوی خدا عجیب نیست «چرا که او (از نظر رحمت و قدرت) وسیع و از همه چیز آگاه است» (وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ).

انفاق یکی از مهمترین طرق حل مشکل فاصله طبقاتی ص: 276

با دقت در آیات قرآن مجید آشکار می شود که یکی از اهداف اسلام این است که اختلافات غیر عادلانهای که در اثر بی عدالتیهای اجتماعی در میان طبقه غنی و ضعیف پیدا می شود از بین برود و سطح زندگی کسانی که نمی توانند نیازمندیهای زندگیشان را بدون کمک دیگران رفع کنند بالا بیاید و حد اقل لوازم زندگی را داشته برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۳۷ باشند، اسلام برای رسیدن به این هدف برنامه وسیعی در نظر گرفته است - تحریم ربا خواری بطور مطلق، و وجوب پرداخت مالیاتهای اسلامی از قبیل زکات و خمس و صدقات و مانند آنها و تشویق به انفاق - وقف و قرض الحسنه و کمکهای مختلف مالی قسمتی از این برنامه را تشکیل می دهد، و از همه مهمتر زنده کردن روح ایمان و برادری انسانی در میان مسلمانان است.

سورة البقرة (2) : آية 262] ص: 277

(آیه ۲۶۲)- چه انفاقی با ارزش است؟ در آیه قبل اهمیت انفاق در راه خدا بطور کلی بیان شد، ولی در این آیه بعضی از شرایط آن ذکر میشود، میفرماید:

«كسانى كه اموال خود را در راه خدا انفاق مىكنند سپس به دنبال انفاقى كه كردهاند منت نمى گذارند و آزارى نمىرسانند پاداش آنها، نزد پروردگارشان است» (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنَّا وَ لا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ).

«علاوه بر اين نه ترسى بر آنها است و نه غمگين مىشوند» (وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ).

بنابراین کسانی که در راه خدا بذل مال می کنند ولی به دنبال آن منت می گذارند یا کاری که موجب آزار و رنجش است می کنند در حقیقت با این عمل ناپسند اجر و پاداش خود را از بین می برند، بلکه می توان گفت چنین افراد در بسیاری از موارد بده کارند نه طلبکار! زیرا آبروی انسان و سرمایه های روانی و اجتماعی او به مراتب برتر و بالاتر از ثروت و مال است. جمله «لَهُمْ أَجُرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» به انفاق کنندگان اطمینان می دهد که پاداششان نزد پروردگار محفوظ است تا با اطمینان خاطر در این راه گام بردارند بلکه تعبیر «رَبِّهِمْ» (پروردگارشان) اشاره به این است که خداوند آنها را پرورش می دهد و بر آن می افزاید.

سورة البقرة (2) : آية 263] ص: 277

(آیه ۲۶۳) - این آیه در حقیقت تکمیلی است نسبت به آیه قبل، در زمینه ترک منت و آزار به هنگام انفاق، میفرماید: «گفتار پسندیده (در برابر ارباب حاجت) و عفو و گذشت (از خشونتهای آنان) از بخششی که آزاری به دنبال آن باشد برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۳۸

بهتر است» (قَوْلُ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذَىً).

این را نیز بدانید که آنچه در راه خدا انفاق می کنید در واقع برای نجات خویشتن ذخیره مینمایید، «و خداوند (از آن) بینیاز و (در برابر خشونت و ناسپاسی شما) بردبار است» (وَ اللَّهُ غَنِیٌّ حَلِیمٌ).

پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله در حدیثی گوشهای از آداب انفاق را روشن ساخته میفرماید:

«هنگامی که حاجتمندی از شما چیزی بخواهد گفتار او را قطع نکنید تا تمام مقصود خویش را شرح دهد، سپس با وقار و ادب و ملایمت به او پاسخ بگویید، یا چیزی که در قدرت دارید در اختیارش بگذارید و یا به طرز شایستهای او را باز گردانید زیرا ممکن است سؤال کننده «فرشتهای» باشد که مأمور آزمایش شما است تا ببیند در برابر نعمتهایی که خداوند به شما ارزانی داشته چگونه عمل می کنید»!

سورة البقرة (2) : آية 264] ص : 278

(آیه ۲۶۴) - دو مثال جالب در باره انگیزه های انفاق! در این آیه و آیه بعد، نخست اشاره به این حقیقت شده که افراد با ایمان نباید انفاقهای خود را به خاطر منت و آزار، باطل و بی اثر سازند، سپس دو مثال جالب برای انفاقهای آمیخته با منت و آزار و ریاکاری و خودنمایی و همچنین انفاقهایی که از ریشه اخلاص و عواطف دینی و انسانی سر چشمه گرفته، بیان می کند. می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید، بخششهای خود را با منت و آزار باطل نسازید» (یا آیُهُ اللَّذِینَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِکُمْ بالْمَنِّ وَ الْأَذی).

سپس این عمل را تشبیه به انفاقهایی که توأم با ریاکاری و خودنمایی است میکند میفرماید: «این همانند کسی است که مال خود را برای نشان دادن به مردم انفاق میکند و ایمان به خدا و روز رستاخیز ندارد» (کَالَّذِی یُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ وَ لا یُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْیَوْم الْآخِرِ).

و بعد می افزاید: « (کار او) همچون قطعه سنگ صافی است که بر آن (قشر نازکی از) خاک باشد (و بذرهایی در آن افشانده شود) و باران درشت به آن برسد، (و خاکها و بذرها را بشوید) و آن را صاف رها سازد آنها از کاری که انجام داده اند چیزی به دست نمى آورند» (فَمَثْلُهُ كَمَثُلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ برگزيده تفسير نمونه، ج ١، ص: ٢٣٩ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا)

این گونه است اعمال ریاکارانه و انفاقهای آمیخته با منت و آزار که از دلهای سخت و قساوتمند سر چشمه می گیرد و صاحبانش هیچ بهرهای از آن نمی برند و تمام زحماتشان بر باد می رود.

و در پایان آیه میفرماید: «و خداوند گروه کافران را هدایت نمی کند» (وَ اللَّهُ لاَ یَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِینَ).

اشاره به این که خداوند توفیق هدایت را از آنها می گیرد چرا که با پای خود، راه کفر و ریا و منت و آزار را پوییدند، و چنین کسانی شایسته هدایت نیستند.

سورة البقرة (2) : آية 265] ص : 239

(آیه ۲۶۵) - در این آیه مثال زیبای دیگری برای نقطه مقابل این گروه بیان می کند، آنها کسانی هستند که در راه خدا از روی ایمان و اخلاص، انفاق می کنند می فرماید: «و مثل کسانی که اموال خود را برای خشنودی خدا و استوار کردن (ملکات عالی انسانی) در روح خود انفاق می کنند، همچون باغی است که در نقطه بلندی باشد، و بارانهای درشت و پی در پی به آن برسد (و به خاطر بلند بودن مکان، از هوای آزاد و نور آفتاب به حد کافی بهره گیرد و آن چنان رشد و نمو کند که) میوه خود را دو چندان دهد» (وَ مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمُوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِیتاً مِنْ أَنْفُسِ هِمْ کَمَثَلِ جَنَّهٍ بِرَبُوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُکُلَها ضَعْفَیْن).

سپس می افزاید: «و اگر بـاران درشتی بر آن نبـارد لاـاقـل بارانهـای ریز و شـبنم بر آن می.بارد» و باز هم میوه و ثمر می دهــد و شاداب و باطراوت است (فَإِنْ لَمْ یُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ).

و در پایان می فرماید: «خداوند به آنچه انجام می دهید آگاه است» (وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

او مىداند آيا انفاق انگيزه الهى دارد يا رياكارانه است، آميخته با منت و آزار است يا محبت و احترام.

سورة البقرة (2) : آية 266] ص : 239

(آیه ۲۶۶)- یک مثال جالب دیگر! در این آیه مثال گویای دیگری، برای مسأله انفاق آمیخته با ریا کاری و منت و آزار و این که چگونه این کارهای نکوهیده برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۴۰

آثار آن را از بین میبرد بیان شده است، میفرماید: «آیا هیچ یک از شما دوست دارد که باغی از درختان خرما و انواع انگور داشته باشد که از زیر درختانش نهرها جاری باشد، و برای او در آن باغ از تمام انواع میوهها موجود باشد، و در حالی که به سن پیری رسیده و فرزندانی (خرد سال و) ضعیف دارد، ناگهان در این هنگام گردبادی شدید که در آن آتش سوزانی است به آن برخورد کند و شعلهور گردد و بسوزد» (أَ یَودُّ أَحَدُکُمْ أَنْ تَکُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِیلٍ وَ أَعْنابٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُ فِیها مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ وَ أَصابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّیَّةٌ ضُعَفاءً فَأَصابَها إِعْصارٌ فِیهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ).

آری، زحمت فراوانی کشیدهاند، و در آن روز که نیاز به نتیجه آن دارند، همه را خاکستر میبینند چرا که گردباد آتشبار ریا و منت و آزار آن را سوزانده است.

و در پایان آیه به دنبال این مثال بلیغ و گویا، میفرماید: «این گونه خداوند آیات خود را برای شما بیان میکند، شاید

بينديشيد» و راه حق را از باطل تشخيص دهيد (كَذلِكُ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ).

آری! سر چشمه بدبختیهای انسان مخصوصا کارهای ابلهانهای همچون منت گذاردن و ریا که سودش ناچیز و زیانش سریع و عظیم است ترک اندیشه و تفکر دعوت میکند.

سورة البقرة (2) : آية 267] ص: 244

اشاره

(آیه ۲۶۷)

شأن نزول: ص: 240

از امام صادق علیه السّلام نقل شده که این آیه در باره جمعی نازل شد که ثروتهایی از طریق رباخواری در زمان جاهلیت جمع آوری کرده بودنید و از آن در راه خیدا انفیاق می کردنید، خداونید آنها را از این کار نهی کرد، و دستور داد از اموال پاک و حلال در راه خدا انفاق کنند.

تفسير: ص: ۲۴۰

از چه اموالی باید انفاق کرد؟ در این آیه که ششمین آیه، از سلسله آیات در باره انفاق است، سخن از چگونگی اموالی است که باید انفاق گردد.

نخست می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید از اموال پاکیزه ای که (از طریق تجارت) به دست آورده اید و از آنچه از زمین برای شما خارج کرده ایم (از منابع و معادن زیر زمینی و از کشاورزی و زراعت و باغ) انفاق کنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۴۱

آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ)

.در واقع قرآن می گوید، ما منابع اینها را در اختیار شما گذاشتیم بنابراین نباید از انفاق کردن بخشی از طیبات و پاکیزهها و «سر گل» آن در راه خدا دریغ کنید.

سپس برای تأکید هر چه بیشتر میافزاید: «به سراغ قسمتهای ناپاک نروید تا از آن انفاق کنید در حالی که خود شما حاضر نیستید آنها را بپذیرید، مگر از روی اغماض و کراهت» (وَ لا تَیَمَّمُوا الْخَبِیثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِیهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِیهِ).

از آنجا که بعضی از مردم عادت دارند همیشه از اموال بیارزش و آنچه تقریبا از مصرف افتاده و قابل استفاده خودشان نیست انفاق کنند این جمله صریحا مردم را از این کار نهی می کند.

در حقیقت، آیه به نکته لطیفی اشاره می کند که انفاق در راه خدا، یک طرفش مؤمنان نیازمندند، و طرف دیگر خدا و با این حال اگر عمدا اموال پست و بی ارزش انتخاب شود، از یک سو تحقیری است نسبت به نیازمندان که ممکن است علی رغم تهیدستی مقام بلندی از نظر ایمان و انسانیت داشته باشند و روحشان آزرده شود و از سوی دیگر سوء ادبی است نسبت به مقام شامخ پروردگار.

و در پایان آیه می فرماید: «بدانید خداوند بی نیاز و شایسته ستایش است» (وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِیدٌ).

یعنی نه تنها نیازی به انفاق شما ندارد، و از هر نظر غنی است، بلکه تمام نعمتها را او در اختیار شما گذارده و لذا حمید و شایسته ستایش است.

سورة البقرة (2) : آية 268] ص: 241

(آیه ۲۶۸)- مبارزه با موانع انفاق! در ادامه آیات انفاق در اینجا به یکی از موانع مهم آن برخورد می کنیم و آن وسوسههای شیطانی در زمینه انفاق است، در این راستا می فرماید: «شیطان (به هنگام انفاق) به شما وعده فقر و تهیدستی می دهد» (الشَّیْطانُ یَعِدُکُمُ الْفَقْرَ).

و می گوید: تأمین آینده خود و فرزندانتان را فراموش نکنید و از امروز فردا را ببینید و آنچه بر خویشتن رواست بر دیگری روا نیست و امثال این وسوسههای برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۴۲

گمراه کننده به علاوه «او شما را وادار به معصیت و گناه می کند» (وَ یَأْمُرُکُمْ بِالْفَحْشاءِ) «ولی خداوند به شما وعده آمرزش و فزونی می دهد» (وَ اللَّهُ یَعِدُکُمْ مَغْفِرَهً مِنْهُ وَ فَضْلًا). زیرا انفاق اگر چه به ظاهر، چیزی از شما کم می کند در واقع چیزهایی بر سرمایه شما می افزاید، هم از نظر معنوی و هم از نظر مادی، چنانکه در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام نقل شده که فرمود: هنگام انفاق دو چیز از طرف خداست و دو چیز از ناحیه شیطان آنچه از جانب خداست یکی «آمرزش گناهان» و دیگری «وسعت و افزونی اموال» و آنچه از طرف شیطان است یکی «وعده فقر و تهیدستی» و دیگری «امر به فحشاء» است.

و در پایان آیه می فرماید: «و خداوند قدرتش وسیع و (به هر چیز) داناست» به همین دلیل به وعده خود وفا می کند (وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ).

در واقع اشاره به این حقیقت شده که چون خداوند قدرتی وسیع و علمی بیپایان دارد میتواند به وعده خویش عمل کند بنابراین، باید به وعده او دلگرم بود نه وعده شیطان «فریبکار» و «ناتوان» که انسان را به گناه میکشاند.

سورة البقرة (2) : آية 269] ص: 242

(آیه ۲۶۹) – برترین نعمت الهی! با توجه به آنچه در آیه قبل گذشت، که به هنگام انفاق، وسوسههای شیطانی دایر به فقر و جذبههای رحمانی در باره مغفرت و فضل الهی آدمی را به این سو و آن سو می کشد، در آیه مورد بحث سخن از حکمت و معرفت و دانش می گوید، چرا که تنها حکمت است که می تواند بین این دو کشش الهی و شیطانی فرق بگذارد، و انسان را به وادی مغفرت و فضل بکشاند و از وسوسههای گمراه کننده ترس از فقر برهاند، می فرماید: «خداوند دانش را به هر کس بخواهد (و شایسته بداند) می دهد» (یُوْتِی الْحِکْمَهٔ مَنْ یَشاءُ).

«حکمت» معنی وسیعی دارد که «معرفت و شناخت اسرار جهان هستی» و «آگاهی از حقایق قرآن» و «رسیدن به حق از نظر گفتار و عمل» حتی نبوت را شامل میشود.

سپس می فرماید: «و هر کس که به او دانش داده شده است خیر فراوانی داده شده است» (وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِكْمَ لَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً

كَثِيراً). برگزيده تفسير نمونه، ج ١، ص: ٣٤٣

و به گفته آن حکیم: «هر کس را که عقل دادی چه نـدادی و هر کس را که عقل ندادی چه دادی!» و در پایان آیه میفرماید: «تنها خردمندان متذکر میشوند» (وَ ما یَذَّکُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْباب).

منظور از «اولوا الالباب» (صاحبان عقل و خرد) آنهایی هستند که عقل و خرد خود را به کار می گیرنـد و در پرتو این چراغ پرفروغ، راه زندگی و سعادت را می یابند.

سورة البقرة (2) : آية 270] ص : 243

(آیه ۲۷۰)- چگونگی انفاقها! در این آیه و آیه بعد سخن از چگونگی انفاقها و علم خداوند نسبت به آن است. نخست می فرماید: «آنچه را که انفاق می کنید یا نذرهایی که (در این زمینه کردهاید) خداوند همه آنها را می داند» (وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفْر تُمْ مِنْ نَذْر فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ).

کم باشد یا زیاد، خوب باشد یا بد، از طریق حلال تهیه شده باشد یا حرام، همراه با منت و آزار باشد یا بدون آن خدا از تمام جزئیات آن آگاه است.

و در پایان آیه می فرماید: «و ظالمان یاوری ندارند» (وَ ما لِلظَّالِمِینَ مِنْ أَنْصارٍ).

«ظالمان» در اینجا اشاره به ثروت اندوزان بخیل و انفاق کنندگان ریاکار، و منت گذاران و مردم آزاران است که خداوند آنها را یاری نمی کند، و انفاقشان نیز در دنیا و آخرت یاورشان نخواهد بود.

آری! آنها نه در دنیا یار و یاوری دارند و نه در قیامت شفاعت کنندهای و این خاصیت ظلم و ستم، در هر چهره و به هر شکل است.

ضمنا این آیه دلالت بر مشروعیت نذر می کند.

سورة البقرة (2) : آية 271] ص : 243

(آیه ۲۷۱)- در این آیه سخن از چگونگی انفاق از نظر آشکار و پنهان بودن است میفرماید: «اگر انفاقها را آشکار کنید، چیز خوبی است، و اگر آنها را مخفی ساخته و به نیازمندان بدهید برای شما بهتر است» (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمًا هِیَ وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ).

در بعضی احادیث تصریح شده که انفاقهای واجب بهتر است اظهار گردد برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۴۴ و اما انفاقهای مستحب، بهتر است مخفیانه انجام گیرد. «و بخشی از گناهان شما را میپوشاند (و در پرتو این کار بخشوده خواهید شد) و خداوند به آنچه انجام می دهید، آگاه است» (وَ یُکَفِّرُ عَنْکُمْ مِنْ سَیِّئاتِکُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ).

سورة البقرة (2) : آية 272] ص : 244

شأن نزول: ص: ۲۴۴

از ابن عباس نقل شده که: مسلمانان حاضر نبودند به غیر مسلمین انفاق کننـد. آیه نازل شد و به آنها اجازه داد که در مواقع لزوم این کار را انجام دهند.

تفسير: ص: ۲۴۴

انفاق بر غیر مسلمانان؟ - در این آیه سخن از جواز انفاق به غیر مسلمانان است، میفرماید: «هدایت آنها (بطور اجبار) بر تو نیست» (لَیْسَ عَلَیْکُ هُداهُمْ).

بنابراین، ترک انفاق بر آنها برای اجبار آنها به اسلام صحیح نمی باشد. این سخن گر چه خطاب به پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله است، ولی در واقع همه مسلمانان را شامل می شود.

سپس می افزاید: «ولی خداوند هر که را بخواهد (و شایسته بداند) هدایت می کند» (وَ لکِنَّ اللَّهَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ).

و بعد از این یاد آوری، به ادامه بحث فواید انفاق در راه خدا می پردازد و می گوید: «آنچه را از خوبیها انفاق کنید برای خودتان است» (وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرِ فَلِأَنْفُسِكُمْ). «ولی جز برای خدا انفاق نکنید» (وَ ما تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ).

و در آخرین جمله باز به عنوان تأکید بیشتر می فرماید: «و آنچه را از خوبیها انفاق می کنید به شما تحویل داده می شود، و هرگز ستمی بر شما نخواهد شد» (وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرِ یُوفَّ إِلَیْکُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ).

یعنی گمان نکنید که از انفاق خود سود مختصری میبرید، بلکه تمام آنچه انفاق میکنید بطور کامل به شما باز می گرداند، آن هم در روزی که شدیدا به آن نیازمندید، بنابراین همیشه در انفاقهای خود کاملا دست و دل باز باشید.

البته نبایـد تصور کرد که سود انفـاق تنها جنبه اخروی دارد، بلکه از نظر این دنیا نیز به سود شـماست هم از جنبه مادی و هم از جنبه معنوی!

سورة البقرة (٢): آية ٢٧٣].... ص: ٢٤٤

اشاره

(آیه ۲۷۳)

شأن نزول: ص: 244

از امام باقر علیه السّلام نقل شده است که: «این آیه در باره بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۴۵

اصحاب «صفّه» نازل شده است (اصحاب صفّه در حدود چهار صد نفر از مسلمانان مکّه و اطراف مدینه بودند که هیچ منزلگاهی برای سکونت نداشتند از این جهت در مسجد پیامبر سکنی گزیده بودند) ولی چون اقامت آنها در مسجد با شؤون مسجد سازگار نبود، دستور داده شد به صفّه (سکوی بزرگ و وسیع) که در بیرون مسجد قرار داشت منتقل شوند. آیه نازل شد و به مردم دستور داد که به این دسته از برادران خود از کمکهای ممکن مضایقه نکنند، آنها هم چنین کردند.

تفسير: ص: ٢٤٥

اشاره

بهترین مورد انفاق- در این آیه بهترین مواردی که انفاق در آنجا باید صورت گیرد، بیان شده است، و آن کسانی هستند که دارای صفات سه گانهای که در این آیه آمده است باشند در بیان اولین صفت میفرماید: انفاق شما مخصوصا «باید برای کسانی باشد که در راه خدا، محصور شدهاند» (لِلْفُقَراءِ الَّذِینَ أُحْصِرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ).

یعنی کسانی که به خاطر اشتغال به مسأله جهاد در راه خـدا و نبرد با دشـمن و یادگیری فنون جنگی از تلاش برای معاش و تأمین هزینه زندگی بازماندهاند.

سپس برای تأکید می افزاید: «همانها که نمی توانند سفری کنند» و سرمایه ای به دست آورند (لا یَشتَطِیعُونَ ضَرْباً فِی الْأَرْضِ). و در دومین توصیف از آنان، می فرماید: «کسانی که افراد نادان و بی اطلاع آنها را از شدت عفاف، غنی می پندارند» (یَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِیاءَ مِنَ النَّعَفُّفِ).

ولى اين سخن به آن مفهوم نيست كه اين نيازمندان با شخصيت قابل شناخت نيستند. لذا مى افزايد: «آنها را از چهرههايشان مى شناسى» (تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ).

یعنی در چهرههایشان نشانههایی از رنجهای درونی وجود دارد که برای افراد فهمیده آشکار است. آری! «رنگ رخساره خبر میدهد از سرّ درون».

و در سومین توصیف، می فرماید: آنها چنان بزرگوارند که «هرگز چیزی با اصرار از مردم نمی خواهند» (لا یَد منه النَّاسَ إلْحافاً).

معمول نیازمندان عادی اصرار در سؤال است ولی آنها یک نیازمند عادی نیستند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۴۶ و در پایـان آیه، باز همگان را به انفاق از هر گونه خیرات خصوصا به افرادی که دارای عزت نفس و طبع بلندنـد تشویق کرده، میفرماید: «و هر چیز خوبی در راه خدا انفاق کنید خداوند از آن آگاه است» (وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرِ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِیمٌ).

سؤال كردن بدون حاجت حرام است-.... ص: 246

یکی از گناهان بزرگ تکدی و سؤال و تقاضای از مردم بدون نیاز است، و در روایات متعددی از این کار، نکوهش شده. در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: لا تحلّ الصّدقهٔ لغنیّ:

«صدقات برای افراد بی نیاز حرام است».

اشاره

(آیه ۲۷۴)

شأن نزول: ص: 246

در احادیث بسیاری آمده است که این آیه در باره علی علیه السّر لام نازل شده است زیرا آن حضرت چهار درهم داشت، درهمی را در شب و درهمی را در روز و درهمی را آشکارا و درهمی را نهان انفاق کرد و این آیه نازل شد.

تفسير: ص: ۲۴۶

انفاق به هر شكل و صورت- باز در اين آيه سخن از مسأله ديگرى در ارتباط با انفاق در راه خداست و آن كيفيات مختلف و متنوع انفاق است، مىفرمايد: «آنها كه اموال خود را در شب و روز، پنهان و آشكار، انفاق مىكنند پاداششان نزد پروردگارشان است» (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْل وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ).

ناگفته پیداست که انتخاب این روشهای مختلف، رعایت شرایط بهتر برای انفاق است. یعنی انفاق کنندگان باید در انفاق خود به هنگام شب یا روز، پنهان یا آشکار، جهات اخلاقی و اجتماعی را در نظر بگیرند.

ممکن است مقدم داشتن شب بر روز، و پنهان بر آشکار (در آیه) اشاره به این باشد که مخفی بودن انفاق بهتر است، هر چند در همه حال و به هر شکل، نباید انفاق فراموش شود.

مسلما چیزی که نزد پروردگار است چیز کم یا کمارزشی نخواهد بود، و تناسب با الطاف و عنایات پروردگار خواهد داشت. سپس میافزاید: «نه ترسی بر آنها است و نه غمگین میشوند» (وَ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۴۷

زیرا میدانند در مقابل چیزی که از دست دادهاند به مراتب بیشتر از فضل پروردگار و از برکات فردی و اجتماعی آن در این جهان و آن جهان بهرهمند خواهند شد.

سورة البقرة (2) : آية 270] ص : 247

(آیه ۲۷۵) - بلای رباخواری! به دنبال بحث در باره انفاق در راه خدا و بذل مال برای حمایت از نیازمندان در این آیه و دو آیه بعد، از مسأله رباخواری که درست بر ضد انفاق و یکی از عوامل مهم زندگی طبقاتی و طغیان اشراف بود، سخن می گوید. نخست در یک تشبیه گویا و رسا، حال رباخواران را مجسم میسازد، می فرماید: «کسانی که ربا می خورند، بر نمی خیزند مگر مانند کسی که بر اثر تماس شیطان با او دیوانه شده » و نمی تواند تعادل خود را حفظ کند، گاه به زمین می خورد و گاه بر می خیزد (الَّذِینَ یَاْ کُلُونَ الرِّبا لا یَقُومُ الَّذِی یَتَحَبَّطُهُ الشَّیْطانُ مِنَ الْمَسِّ).

آری! رباخواران که قیامشان در دنیا بیرویه و غیر عاقلانه و آمیخته با «ثروت اندوزی جنون آمیز» است، در جهان دیگر نیز

بسان دیوانگان محشور میشوند.

سپس به گوشهای از منطق رباخواران اشاره کرده میفرماید: «این به خاطر آن است که آنها گفتنـد: بیع هم ماننـد ربا است» و تفاوتی میان این دو نیست. (ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَیْعُ مِثْلُ الرِّبا).

یعنی: هر دو از انواع مبادله است که با رضایت طرفین انجام می شود، ولی قرآن در پاسخ آنها می گوید: چگونه این دو ممکن است یکسان باشد «حال آن که خداوند بیع را حلال کرده و ربا را حرام» (وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَیْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا).

مسلما این تفاوت، دلیل و فلسفهای داشته که خداوند حکیم به خاطر آن چنین حکمی را صادر کرده است، و عدم توضیح بیشتر قرآن در این باره شاید به خاطر وضوح آن بوده است.

سپس راه را به روی توبه کاران باز گشوده، می فرماید: «هر کس اندرز الهی به او رسد و (از رباخواری) خودداری کند، سودهایی که در سابق (قبل از حکم تحریم ربا) به دست آورده مال او است و کار او به خدا واگذار می شود» و گذشته او را خدا خواهد بخشید (فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهی فَلَهُ ما سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَی اللَّهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۴۸ «اما کسانی که (به خیره سری ادامه دهند و) باز گردند (و این گناه را همچنان ادامه دهند) آنها اهل دوزخند و جاودانه در آن می مانند» (وَ مَنْ عادَ فَأُولِهُ کَ أَصْ حابُ النَّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ). به این ترتیب رباخواری مستمر و دائم سبب می شود که آنها بدون ایمان از دنیا بروند و عاقبتشان تیره و تار گردد.

سورة البقرة (2) : آية 276] ص : 248

(آیه ۲۷۶)- در این آیه مقایسهای بین ربا و انفاق در راه خدا می کند، میفرماید: «خداوند ربا را نابود می کند و صدقات را افزایش میدهد» (یَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ یُرْبِی الصَّدَقاتِ).

سپس می افزاید: «و خداوند هیچ انسان بسیار ناسپاس گنهکار را (که آن همه برکات انفاق را فراموش کرده و به سراغ آتش سوزان رباخواری می رود) دوست نمی دارد» (وَ اللَّهُ لا یُحِبُّ کُلَّ کَفَّارٍ أَثِیم).

جمله فوق می گوید: رباخواران نه تنها با ترک انفاق و قرض الحسنه و صرف مال در راه نیازمندیهای عمومی شکر نعمتی که خداوند به آنها ارزانی داشته به جای نمی آورند بلکه آن را وسیله هر گونه ظلم و ستم و گناه و فساد قرار می دهند و طبیعی است که خدا چنین کسانی را دوست نمی دارد.

سورة البقرة (2) : آية 277] ص : 248

(آیه ۲۷۷) - در این آیه سخن از گروه با ایمانی می گوید که درست نقطه مقابل ربا خوارانند، میفرماید: «کسانی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند و زکات را پرداختند اجر و پاداششان نزد خداست، نه ترسی بر آنان است و نه غمگین می شوند» (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَ آتَوُا الزَّکاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ).

در برابر رباخواران ناسپاس و گنهکار، کسانی که در پرتو ایمان، خود پرستی را ترک گفته و عواطف فطری خود را زنـده کرده و علاوه بر ارتباط با پروردگار و برپاداشـتن نماز، به کمک و حمایت نیازمنـدان میشـتابند و از این راه از تراکم ثروت و به وجود آمدن اختلافات طبقاتی و به دنبال آن هزار گونه جنایت جلوگیری می کنند پاداش خود را نزد پروردگار خواهند داشت و در هر دو جهان از نتیجه عمل نیک خود بهرهمند می شوند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۴۹ طبیعی است دیگر، عوامل اضطراب و دلهره برای این دسته به وجود نمی آید خطری که در راه سرمایه داران مفت خوار بود و لعن و نفرینهایی که به دنبال آن نثار آنها می شد برای این دسته نیست.

سورة البقرة (2) : آية 278] ص : 249

اشاره

(آیه ۲۷۸)

شأن نزول: ص: 249

پس از نزول آیه ربا «خاله بن ولیه» خدمت پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله حاضر شده عرضه داشت: پدرم چون با «طائفه ثقیف» معاملات ربوی داشت و مطالباتش را وصول نکرده بود وصیت کرده است مبلغی از سودهای اموال او که هنوز پرداخت نشده است تحویل بگیرم آیا این عمل برای من جائز است؟ این آیه و سه آیه بعد از آن نازل شد و مردم را به شدت از این کار نهی کرد.

تفسير: ص: ٢٤٩

رباخواری یک گناه بی نظیر - در این آیه خداوند افراد با ایمان را مخاطب قرار داده و برای تأکید بیشتر در مسأله تحریم ربا می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید از خدا بیرهیزید و آنچه از ربا باقی مانده رها کنید اگر ایمان دارید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِیَ مِنَ الرِّبا إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ).

جالب این که: آیه فوق هم با ایمان به خـدا شـروع شـده و هم با ایمان ختم شـده است و در واقع تأکیدی است بر این معنی که رباخواری با روح ایمان سازگار نیست.

سورة البقرة (2) : آية 279] ص: 249

(آیه ۲۷۹) - در این آیه لحن سخن را تغییر داده و پس از اندرزهایی که در آیات پیشین گذشت با شدت با رباخواران برخورد کرده هشدار می دهد که اگر به کار خود همچنان ادامه دهند و در برابر حق و عدالت تسلیم نشوند و به مکیدن خون مردم محروم مشغول باشند، پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله ناچار است با توسل به جنگ جلو آنها را بگیرد، می فرماید: «اگر چنین نمی کنید بدانید با جنگ با خدا و رسول او رو برو خواهید بود» (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ).

این همان جنگی است که طبق قانون فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتَّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللَّهِ «۱» «با گروهی که متجاوز است پیکار کنید تا به فرمان خدا گردن نهد» انجام می گیرد. _____

(۱) سوره حجرات آیه ۹.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۵۰

جلو رباخواری را بگیرد. سپس میافزاید: اگر توبه کنید سرمایههای شما از آن شما است نه ستم می کنید، و نه ستم بر شما می شود» (وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ).

یعنی اگر توبه کنید و دستگاه رباخواری را بر چینید حق دارید سرمایههای اصلی خود را که در دست مردم دارید (به استثنای سود) از آنها جمع آوری کنید و این قانون کاملا عادلانه است زیرا که هم از ستم کردن شما بر دیگران جلوگیری می کند و هم از ستم وارد شدن بر شما، و در این صورت نه ظالم خواهید بود و نه مظلوم.

جمله لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ در حقیقت یک شعار وسیع پرمایه اسلامی است که می گوید: به همان نسبت که مسلمانان باید از ستمگری بپرهیزند از تن دادن به ظلم و ستم نیز باید اجتناب کنند اصولا اگر ستمکش نباشد ستمگر کمتر پیدا می شود!

سورة البقرة (2) : آية 280] ص: 250

(آیه ۲۸۰)- در این آیه میفرماید: «اگر (بدهکار) دارای سختی و گرفتاری باشد او را تا هنگام توانایی مهلت دهید» (وَ إِنْ کانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَیْسَرَةٍ).

در این جما یکی از حقوق بدهکاران را بیان میفرمایید که اگر آنها از پرداختن اصل بدهی خود (نه سود) نیز عاجز باشند، نه تنها نبایید به رسم جاهلیت سود مضاعفی بر آنها بست و آنها را تحت فشار قرار داد، بلکه باید برای پرداختن اصل بدهی نیز به آنها مهلت داده شود و این یک قانون کلی در باره تمام بدهکاران است.

و در پایان آیه میفرماید: «و (چنانچه قدرت پرداخت ندارند) ببخشید برای شما بهتر است اگر بدانید» (وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

این در واقع گامی فراتر از مسائل حقوقی است، این یک مسأله اخلاقی و انسانی است که بحث حقوقی سابق را تکمیل می کند و احساس کینه توزی و انتقام را به محبت و صمیمیت مبدل میسازد.

سورة البقرة (2) : آية 281] ص: 250

(آیه ۲۸۱) - در این آیه با یک هشدار شدید، مسأله ربا را پایان می دهد و می فرماید: «از روزی بپرهیزید که در آن به سوی خدا باز می گردید» (وَ اتَّقُوا یَوْماً تُرْجَعُونَ فِیهِ إِلَی اللَّهِ). «سپس به هر کس آنچه را انجام داده باز پس داده می شود» (ثُمَّ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۵۱

تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ)

. «و به آنها ستمى نخواهد شد» بلكه هر چه مىبينند نتيجه اعمال خودشان است (وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ).

جالب توجه این که در تفاسیر نقل شده که این آیه آخرین آیهای است که بر پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله نازل شده است و با توجه به مضمون آن این موضوع هیچ بعید به نظر نمی رسد. «رباخواری» از نظر اخلاقی اثر فوق العاده بـدی در روحیه وام گیرنـده به جا میگـذارد و کینه او را در دل خودش مییابـد و پیوند تعاون و همکاری اجتماعی را بین افراد و ملتها سست میکند.

در روایات اسلامی در مورد تحریم ربا میخوانیم: هشام بن سالم میگوید، امام صادق علیه السّلام فرمودند: انّما حرّم اللّه عزّ و جلّ الرّبوا لکیلا یمتنع النّاس من اصطناع المعروف: «خداوند ربا را حرام کرده تا مردم از کار نیک امتناع نورزند» «۱».

سورة البقرة (2) : آية 282] ص : 251

(آیه ۲۸۲)- تنظیم اسناد تجاری در طولانی ترین آیه قرآن.

بعد از بیان احکامی که مربوط به انفاق در راه خدا و همچنین مسأله رباخواری بود در این آیه که طولانی ترین آیه قرآن است، احکام و مقررات دقیقی برای امور تجاری و اقتصادی بیان کرده تا سرمایه ها هر چه بیشتر رشد طبیعی خود را پیدا کنند و بن بست و اختلاف و نزاعی در میان مردم رخ ندهد.

در این آیه نوزده دستور مهم در مورد داد و ستد مالی به ترتیب ذیل بیان شده است. ۱- در نخستین حکم میفرماید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید هنگامی که بدهی مدت داری (به خاطر وام دادن یا معامله) به یکدیگر پیدا کنید آن را بنویسید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا تَدایَنْتُمْ بِدَیْنِ إِلی أَجَلِ مُسَمَّی فَاکْتُبُوهُ).

ضمنا از این تعبیر، هم مسأله مجاز بودن قرض و وام روشن می شود و هم تعیین مدت برای وامها. همچنین آیه مورد بحث شامل عموم بدهیهایی می شود که در معاملات وجود دارد مانند سلف و نسیه، در عین این که قرض را هم شامل می شود.

(۱) برای شرح بیشتر در باره زیانهای رباخواری به کتاب «خطوط اساسی اقتصاد اسلامی» نوشته آیهٔ الله مکارم شیرازی مراجعه فرمائید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۵۲

۲ و ۳- سپس برای این که جلب اطمینان بیشتری شود، و قرار داد از مداخلات احتمالی طرفین سالم بماند، میافزاید: «باید نویسندهای از روی عدالت (سند بدهکاری را) بنویسد» (وَ لْیَکْتُبْ بَیْنَکُمْ کاتِبٌ بِالْعَدْلِ).

بنابراین این قرار داد باید به وسیله شخص سومی تنظیم گردد و آن شخص عادل باشد.

۴- «كسى كه قدرت بر نويسندگى دارد نبايد از نوشتن خوددارى كند و همانطور كه خدا به او تعليم داده است بايد بنويسد» (وَ لا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ).

یعنی به پاس این موهبتی که خمدا به او داده نباید از نوشتن قرار داد شانه خالی کند، بلکه باید طرفین معامله را در این امر مهم کمک نماید.

۵- «و آن كس كه حق بر ذمه اوست بايد املاء كند» (وَ لْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ).

٩- «بدهكار بايد از خدا بيرهيزد و چيزى را فرو گذار نكند» (وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً).

٧- «هر گاه كسى كه حق بر ذمه اوست (بدهكار) سفيه يا (از نظر عقل) ضعيف (و مجنون) و يا (به خاطر لال بودن) توانايي بر املاء كردن ندارد، بايد ولتي او املاء كند» (فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ).

بنابراین در مورد سه طایفه، «ولی» باید املاء کند، کسانی که سفیهاند و نمی توانند ضرر و نفع خویش را تشخیص دهند و امور

مالی خویش را سر و سامان بخشند (هر چند دیوانه نباشند) و کسانی که دیوانهاند یا از نظر فکری ضعیفند و کم عقل مانند کودکان کم سن و سال و پیران فرتوت و کم هوش، و افراد گنگ و لال، و یا کسانی که توانایی املاء کردن را ندارند هر چند گنگ نباشند.

از این جمله احکام دیگری نیز بطور ضمنی استفاده میشود، از جمله ممنوع بودن تصرفات مالی سفیهان و ضعیف العقلها و همچنین جواز دخالت ولیّ در این گونه امور. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۵۳

۸- «ولی» نیز باید در املاء و اعتراف به بدهی کسانی که تحت ولایت او هستند «عدالت را رعایت کند» (بِالْعَدْلِ).

٩- سپس اضافه مي كند: «علاوه بر اين دو شاهد بگيريد» (وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ).

۱۰ و ۱۱- این دو شاهد باید «از مردان شما باشد» (مِنْ رِجالِکُمْ).

يعنى هم بالغ، هم مسلمان باشند.

۱۲– «و اگر دو مرد نباشند کافی است یک مرد و دو زن شهادت دهند» (فَإِنْ لَمْ یَکُونا رَجُلَیْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ).

۱۳ – «از كسانى كه مورد رضايت و اطمينان شما باشند» (مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ).

از این جمله مسأله عادل بودن و مورد اعتماد و اطمینان بودن شهود، استفاده می شود.

۱۴ - در صورتی که شهود مرکب از دو مرد باشند هر کدام می توانند مستقلا شهادت بدهند اما در صورتی که یک مرد و دو زن باشند، باید آن دو زن به اتفاق یکدیگر اداء شهادت کنند «تا اگر یکی انحرافی یافت، دیگری به او یاد آوری کند» (أَنْ تَضِلَّ إحْداهُما فَتُذَکِّرَ إحْداهُمَا الْأُخْری).

زیرا زنان به خاطر عواطف قوی ممکن است تحت تأثیر واقع شوند، و به هنگام اداء شهادت به خاطر فراموشی یا جهات دیگر، مسیر صحیح را طی نکنند.

1۵- یکی دیگر از احکام این باب این است که «هرگاه، شهود را (برای تحمل شهادت) دعوت کنند، خودداری ننمایند» (وَ لا یَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا).

بنابراین تحمل شهادت به هنگام دعوت برای این کار، واجب است.

۱۶- بدهی کم باشد یا زیاد باید آن را نوشت چرا که سلامت روابط اقتصادی که مورد نظر اسلام است ایجاب می کند که در قراردادهای مربوط به بدهکاریهای کوچک نیز از نوشتن سند کوتاهی نشود، و لذا در جمله بعد میفرماید:

«و از نوشتن (بدهی) کوچک یا بزرگی که دارای مدت است ملول و خسته نشوید» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۵۴ (وَ لا تَسْئُمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِیراً أَوْ كَبِیراً إِلی أَجَلِهِ).

سپس می افزاید: «این در نزد خدا به عدالت نزدیکتر و برای شهادت مستقیم تر، و برای جلوگیری از شک و تردید بهتر است» (ذلِکُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَ أَدْنَى أَلَّا تَوْتابُوا).

در واقع این جمله اشاره به فلسفه احکام فوق در مورد نوشتن اسناد معاملاتی است و به خوبی نشان میدهد که اسناد تنظیم شده می تواند به عنوان شاهد و مدرک مورد توجه قضات قرار گیرد.

۱۷ – سپس یک مورد را از این حکم استثناء کرده میفرماید: «مگر این که داد و ستد نقدی باشد که (جنس و قیمت را) در میان خود دست به دست کنید، در آن صورت گناهی بر شما نیست که آن را ننویسید» (إِلَّا أَنْ تَکُونَ تِجارَهُ حاضِ رَهُ تُدِیرُونَها بَیْنَکُمْ فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَلَّا تَکْتُبُوها).

۱۸ - در معامله نقـدی گر چه تنظیم سـند و نوشـتن آن لاـزم نیست ولی شاهـد گرفتن برای آن بهتر است، زیرا جلو اختلافـات

احتمالی آینده را می گیرد لذا میفرماید: «هنگامی که خرید و فروش (نقدی) می کنید، شاهد بگیرید» (وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبایَعْتُمْ). ۱۹- در آخرین حکمی که در این آیه ذکر شده میفرماید: «هیچ گاه نباید نویسنده سند و شهود (به خاطر ادای حق و عدالت) مورد ضرر و آزار قرار گیرند» (وَ لا یُضَارَّ کاتِبٌ وَ لا شَهِیدٌ).

«كه اگر چنين كنيد از فرمان خدا خارج شديد» (فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ).

و در پایان آیه، بعد از ذکر آن همه احکام، مردم را دعوت به تقوا و پرهیزکاری و امتثال اوامر خداوند میکند (وَ اتَّقُوا اللَّهَ). و سپس یاد آوری مینماید که «خداوند آنچه مورد نیاز شما در زندگی مادی و معنوی است به شما تعلیم میدهد» (وَ یُعَلِّمُکُمُ اللَّهُ).

قرار گرفتن دو جمله فوق در کنار یکدیگر این مفهوم را میرساند که تقوا و پرهیزگاری و خدا پرستی اثر عمیقی در آگاهی و روشن بینی و فزونی علم و دانش دارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۵۵

«و او از همه مصالح و مفاسد مردم آگاه است و آنچه خیر و صلاح آنهاست برای آنها مقرر میدارد» (وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

سورة البقرة (2) : آية 283] ص : 255

(آیه ۲۸۳)- تکمیلی بر بحث گذشته. این آیه در حقیقت با ذکر چند حکم دیگر در رابطه با مسأله تنظیم اسناد تجاری مکمل آیه قبل است، و آنها عبارتند از: ۱- «هر گاه در سفر بودید و نویسندهای نیافتید (تا اسناد معامله را برای شما تنظیم کند و قرار داد را بنویسد) گروگان بگیرید» (وَ إِنْ کُنْتُمْ عَلی سَفَرِ وَ لَمْ تَجِدُوا کاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ).

البته در وطن نیز اگر دسترسی به تنظیم کننده سند نباشد اکتفا کردن به گروگان مانعی ندارد.

۲- گروگان حتما بایـد قبض شود و در اختیـار طلبکـار قرار گیرد تا اثر اطمینانبخشـی را داشـته باشـد، لـذا میفرمایـد: فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ گروگان گرفته شده.

۳- سپس به عنوان یک استثناء در احکام فوق می فرماید: «اگر بعضی از شما نسبت به بعضی دیگر اطمینان داشته باشد (می تواند بدون نوشتن سند و رهن با او معامله کند و امانت خویش را به او بسپارد) در این صورت کسی که امین شمرده شده است باید امانت (و بدهی خود را به موقع) بپردازد و از خدایی که پروردگار اوست بپرهیزد» (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُ کُمْ بَعْضًا فَلْیُؤَدِّ الَّذِی اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ وَ لْیُتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ).

قابل توجه این که در اینجا طلب طلبکار به عنوان یک امانت، ذکر شده که خیانت در آن، گناه بزرگی است.

۴- سپس همه مردم را مخاطب ساخته و یک دستور جامع در زمینه شهادت بیان می کند و میفرماید: «شهادت را کتمان نکنید و هر کس آن را کتمان کند قلبش گناهکار است» (وَ لا تَکْتُمُوا الشَّهادَةَ وَ مَنْ یَکْتُمُها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ).

بنابراین کسانی که از حقوق دیگران آگاهند موظفند به هنگام دعوت برای ادای شهادت آن را کتمان نکنند.

و از آنجا که کتمان شهادت و خودداری از اظهار آن، به وسیله دل و روح انجام می شود آن را به عنوان یک گناه قلبی معرفی کرده و می گوید: «کسی که چنین برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۵۶

کند قلب او گناهکار است» و باز در پایان آیه برای تأکید و توجه بیشتر نسبت به حفظ امانت و ادای حقوق یکدیگر و عـدم کتمان شهادت هشدار داده میفرماید:

«خداوند نسبت به آنچه انجام مى دهيد داناست» (وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ).

ممکن است مردم ندانند چه کسی قادر به ادای شهادت است و چه کسی نیست، و نیز ممکن است مردم ندانند در آن جا که اسناد و گروگانی وجود ندارد، چه کسی طلبکار و چه کسی بدهکار است، ولی خداوند همه اینها را میداند و هر کس را طبق اعمالش جزا میدهد.

سورة البقرة (2) : آية 284] ص : 258

(آیه ۲۸۴)- همه چیز از آن اوست! این آیه در حقیقت آنچه را که در جمله آخر آیه قبل آمد تکمیل می کند می گوید: «آنچه در آسمانها و زمین است از آن خداست و (به همین دلیل) اگر آنچه را در دل دارید آشکار سازید یا پنهان کنید خداوند شما را مطابق آن محاسبه می کند» (لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحاسِبْکُمْ بِهِ اللَّهُ).

«سپس هر کس را که بخواهد (و شایسته بداند) میبخشد و هر کس را بخواهد (و مستحق ببیند) مجازات میکند» (فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ).

یعنی تصور نکنید اعمالی همچون کتمان شهادت و گناهان قلبی دیگر بر او مخفی میماند کسی که حاکم بر جهان هستی و زمین و آسمان است، هیچ چیز بر او مخفی نخواهد بود.

و در پایان آیه می فرماید: «و خداوند بر هر چیز قادر است» (وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

هم آگاهی دارد نسبت به همه چیز این جهان و هم قادر است لیاقتها و شایستگیها را مشخص کند و هم متخلفان را کیفر دهد.

سورة البقرة (2) : آية 285] ص: 286

اشاره

(آیه ۲۸۵)

شأن نزول: ص: 258

هنگامی که آیه سابق نازل شد که اگر چیزی در دل پنهان دارید یا آشکار کنید خداوند حساب آن را میرسد، گروهی از اصحاب ترسان شدند (و می گفتند: هیچ کس از ما خالی از وسوسه های باطنی و خطورات قلبی نیست و همین معنی را خدمت رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله عرض کردند). آیه نازل شد و راه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۵۷ و رسم ایمان و تضرع به درگاه خداوند و اطاعت و تسلیم را به آنان آموخت.

تفسیر: ص: ۲۵۷

راه و رسم ایمان- سوره بقره با بیان بخشی از معارف و اعتقادات حق آغاز شد و با همین معنی که در این آیه و آیه بعد میباشد نیز پایان مییابد و به این ترتیب آغاز و پایان آن هماهنگ است. به هر حال قرآن مىفرمايىد: «پيامبر صلّى الله عليه و آله به آنچه از طرف پروردگارش نازل شده است ايمان آورده» (آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ).

و این امتیازات انبیای الهی است که عموما به مرام و مکتب خویش ایمان قاطع داشته و هیچ گونه تزلزلی در اعتقاد خود نداشتهاند، قبل از همه خودشان مؤمن بودند، و بیش از همه استقامت و پایمردی داشتند.

سپس مى افزايد: «مؤمنان نيز به خدا و فرشتگان او و كتابها و فرستادگان وى همگى ايمان آوردهاند (و مى گويند) ما در ميان پيامبران او هيچ گونه فرقى نمى گذاريم» و به همگى ايمان داريم (وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلِّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ).

سپس می افزاید که مؤمنان علاوه بر این ایمان راسخ و جامع، در مقام عمل نیز «گفتند: ما شنیدیم (و فهمیدیم) و اطاعت کردیم پروردگارا! (انتظار) آمرزش تو را (داریم) و بازگشت (همه ما) به سوی توست» (وَ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَکَ رَبَّنا وَ إِلَيْکَ الْمُصيرُ).

به این ترتیب ایمان به مبدء و معاد و رسولان الهی با التزام عملی به تمام دستورات الهی همراه و هماهنگ می گردد.

سورة البقرة (2) : آية 286] ص: 257

(آیه ۲۸۶)- این آیه می گوید: «خداوند هیچ کس را جز به اندازه توانائیش تکلیف نمی کند» (لا یُکَلِفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها). تمام احکام با همین آیه تفسیر و تقیید می گردد، و به مواردی که تحت قدرت انسان است اختصاص می یابد.

سپس میافزاید: «هر کار (نیکی) انجام دهد برای خود انجام داده و هر کار (بدی) کند به زیان خود کرده است» (لَها ما کَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اکْتَسَبَتْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۵۸

آیه فوق با این بیان مردم را به مسؤولیت خود و عواقب کار خویش متوجه میسازد و بر افسانه جبر و اقبال و طالع و موهومات دیگر از این قبیل خط بطلان می کشد.

و به دنبال این دو اصل اساسی (تکلیف به مقدار قدرت است و هر کس مسؤول اعمال خویش است) از زبان مؤمنان هفت درخواست از درگاه پروردگار بیان می کند که در واقع آموزشی است برای همگان که چه بگویند و چه بخواهند نخست می گوید: «پروردگارا! اگر ما فراموش کردیم یا خطا نمودیم ما را مؤاخذه مکن» (رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِینا أَوْ أَخْطَأْنا). بنابراین فراموشکاریهایی که زاییده سهل انگاری است قابل مجازات است.

آنها چون میداننـد مسؤول اعمـال خویشـند لـذا بـا تضـرعی مخصوص، خـدا را به عنوان «رب» و کسـی که لطف خاصـی در پرورش آنان دارد میخوانند و می گویند:

زندگی به هر حال خالی از فراموشی و خطا و اشتباه نیست ما می کوشیم به سراغ گناه عمدی نرویم، اما خطاها و لغزشها را تو بر ما ببخش! سپس به بیان دومین درخواست آنان پرداخته می گوید: «پروردگارا! بار سنگین بر دوش ما قرار مده آن چنانکه بر کسانی که پیش از ما بودند (به کیفر گناهان و طغیانشان) قرار دادی» (رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَیْنا إِصْراً کَما حَمَلْتَهُ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَتْلنا).

در سومین درخواست می گویند: «پروردگارا! مجازاتهایی که طاقت تحمل آن را نداریم برای ما مقرر مدار» (رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بهِ). این جمله ممکن است اشاره به آزمایشهای طاقت فرسا یا مجازاتهای سنگین دنیا و آخرت و یا هر دو باشد.

و در چهـارمین و پنجمین و ششـمین تقاضـا می گوینـد: «ما را ببخش و گناهان ما را بپوشان و مشـمول رحمت خود قرار ده» (وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا).

و بالأخره در هفتمین و آخرین درخواست می گوینـد: «تو مولی و سـرپرست مـائی، پس ما را بر جمعیت کافران پیروز گردان» (أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْم الْكافِرِينَ).

و به این ترتیب تقاضاهای آنان شامل دنیا و آخرت و پیروزیهای فردی و اجتماعی و عفو و بخشش و رحمت الهی می گردد، و این تقاضایی است بسیار جامع.

پایان سوره بقره

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۵۹

سوره آل عمران ص: ۲۵۹

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۲۰۰ آیه است

محتوای سوره: ص: 259

۱- بخش مهمی از این سوره از توحید و صفات خداوند و معاد و معارف اسلامی بحث می کند.

۲- بخش دیگری پیرامون جهاد و دستورات مهم آن و حیات جاویدان شهیدان راه خدا همچنین درسهای عبرتی که در دو غزوه بدر و احد بود سخن می گوید.

۳- در قسمتی از این سوره، به یک سلسله احکام اسلامی در زمینه لزوم وحدت صفوف مسلمین و خانه کعبه و فریضه حج و امر بمعروف و نهی از منکر و تولی و تبری و مسأله امانت، و انفاق در راه خدا، ترک دروغ و مقاومت و پایمردی در مقابل دشمن و صبر و شکیبایی در مقابل مشکلات و آزمایشهای مختلف الهی و ذکر خداوند در هر حال، اشارات پرمعنایی شده است.

۴- برای تکمیل این بحثها، بخشی از تاریخ انبیاء از جمله آدم و نوح و ابراهیم و موسی و عیسی و سایر انبیاء علیهم السّـ لام و داستان مریم و مقامات این زن بزرگ نیز ذکر شده است.

در مورد فضیلت این سوره در حدیثی از پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: من قرء سورهٔ آل عمران اعطی بکلّ آیهٔ منها امانا علی جسر جهنّم: «هر کس سوره آل عمران را بخواند به تعداد آیات آن، امانی بر پل دوزخ به او میدهند».

شأن نزول: ص: ۲۵۹

بعضی از مفسران می گویند: هشتاد و چند آیه از این سوره در باره بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۶۰ فرستادگان و مسیحیان نجران نازل شده است. فرستادگان شصت نفر بودند که چهارده نفر آنان از اشراف و برجستگان نجران محسوب می شدند، سه نفر از این چهارده نفر سمت ریاست داشتند و مسیحیان آن سامان در کارها و مشکلات خود به آن سه نفر مراجعه می کردند.

این گروه شصت نفری در لباس مردان قبیله بنی کعب به مدینه آمدند و به مسجد پیامبر صلّی الله علیه و آله وارد شدند، موقعی که آنها وارد مسجد شدند، هنگام نمازشان بود، طبق مراسم خود، ناقوس را نواختند و مشغول نماز شدند. پس از نماز «عاقب» و «سید» که اولی امیر و رئیس قوم خود محسوب می شد و دیگری سرپرست تشریفات و تنظیم برنامه سفر و مورد اعتماد مسیحیان بود خدمت پیامبر رسیدند و با او آغاز سخن کردند پیامبر صلّی الله علیه و آله به آنها پیشنهاد کرد: به آیین اسلام در آیید و در پیشگاه خداوند تسلیم گردید.

عاقب و سید گفتند: ما پیش از تو اسلام آورده و تسلیم خداوند شده ایم! پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: شما چگونه بر آیین حق هستید، با اینکه اعمالتان حاکی از این است که تسلیم خداوند نیستید، چه اینکه برای خدا فرزند قائلید و عیسی را پسر خدا می دانید، و صلیب را عبادت و پرستش می کنید و گوشت خوک می خورید، با این که تمام این امور مخالف آیین حق است! عاقب و سید گفتند: اگر عیسی پسر خدا نیست، پس پدرش که بوده است؟

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: آیا شما قبول دارید که هر پسری شباهتی به پدر خود دارد؟

گفتند آری. فرمود: آیا اینطور نیست که خدای ما به هر چیزی، احاطه دارد و قیوم است و روزی موجودات با اوست، گفتند: آری، همین طور است، فرمود:

آیا عیسی این اوصاف را داشت، گفتند: نه. فرمود: آیا چنین نیست که عیسی را مادرش مانند سایر کودکان در رحم حمل کرد، و بعد همچون مادرهای دیگر، او را به دنیا آورد؟ و عیسی پس از ولادت، چون اطفال دیگر غذا میخورد! گفتند:

آری چنین بود. فرمود: پس چگونه عیسی پسر خداست با این که هیچ گونه شباهتی به پدرش ندارد؟! برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۶۱

سخن که به اینجا رسید، همگی خاموش شدند، در این هنگام، هشتاد و چند آیه از اوایل این سوره برای توضیح معارف و برنامههای اسلام نازل گردید.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

سورة الفاتحة (١): آية ٣] ص: 261

تفسير: ص: 261

باز در آغاز این سوره به حروف مقطعه برخورد می کنیم (الم) در باره حروف مقطعه قرآن، در اول سوره بقره، توضیحات لازم گفته شد که نیازی به تکرار آن نیست.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٢] ص: ٢٦١

(آیه ۲)- در این آیه می فرماید: «خداوند تنها معبود یگانه یکتای جاویدان و پایدار است که همه چیز به وجود او بستگی دارد» (اللَّهُ لا إلهَ إلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ).

- شرح و تفسیر این آیه در سوره بقره آیه ۲۵۵ گذشت.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳] ص: ۲۶۱

(آیه ۳)- در این آیه خطاب به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله میفرماید: خداوندی که پاینده و قیوم است «قرآن را بر تو فرستاد که با نشانه های کتب آسمانی پیشین کاملا تطبیق می کند همان خدایی که تورات و انجیل را پیش از قرآن برای راهنمایی و هدایت بشر نازل کرد» (نَزَّلَ عَلَيْم کَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِدًقاً لِما بَيْنَ یَدَیْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ مِنْ قَبْلُ هُدیً لِلنَّاس).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۴] ص: ۲۶۱

(آیه ۴)- سپس می افزاید: «همچنین قرآن را که حق را از باطل جدا می سازد نازل کرد» (وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ).

سپس می افزاید: بعد از اتمام حجت و نزول آیات از سوی خداوند و گواهی فطرت و عقل بر صدق دعوت پیامبران، راهی جز مجازات نیست، و لذا در آیه مورد بحث به دنبال بحثی که در باره حقانیت پیامبر صلّی الله علیه و آله و قرآن مجید گذشت می فرماید: «کسانی که به آیات خدا کافر شدند کیفر شدیدی دارند» (إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِیدٌ).

و برای روشن ساختن این که، توانایی خداوند بر تحقق بخشیدن تهدیداتش جای تردید نیست، میافزاید: «خداوند توانا و صاحب انتقام است» (وَ اللَّهُ عَزِیزٌ ذُو انْتِقام).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۶۲

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵] ص: ۲۶۲

(آیه ۵)- این آیه در حقیقت، تکمیل آیات قبل است، میفرماید: «هیچ چیز در زمین و آسمان بر خدا مخفی نمیماند» (إِنَّ اللَّهَ لا یَخْفی عَلَیْهِ شَیْءٌ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ).

چگونه ممکن است چیزی بر او مخفی بماند در حالی که او در همه جا حاضر و ناظر است و به حکم این که وجودش از هر نظر بی پایان و نامحدود است جایی از او خالی نیست و به ما از خود ما نزدیکتر است، بنابراین در عین این که محل و مکانی ندارد به همه چیز احاطه دارد. و این احاطه به معنی علم و آگاهی او بر همه چیز است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶] ص: ۲۶۲

(آیه ۶)- سپس به گوشهای از علم و قدرت خود که در حقیقت یکی از شاهکارهای عالم آفرینش و از مظاهر بارز علم و قدرت خداست اشاره کرده است می فرماید: «او کسی است که شما را در رحم (مادران) آن گونه که میخواهد تصویر می کند» (هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الْأَرْحامِ کَیْفَ یَشاءً). «آری! هیچ معبودی جز آن خداوند توانا و حکیم نیست» (لا إِلهَ إِلّا هُوَ الْغَزیزُ الْحَکِیمُ).

صورتبندی انسان در شکم مادر و نقش بر آب زدن در آن محیط تاریک ظلمانی آن هم نقشهای بدیع و عجیب و پی در پی،

راستی شگفت آور است، مخصوصا با آن همه تنوعی که از نظر شکل و صورت و جنسیت و انواع استعدادهای متفاوت و صفات مختلف وجود دارد و اگر میبینیم معبودی جز او نیست به خاطر همین است، که شایسته عبودیت جز ذات پاک او نمی باشد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷] ص: ۲۶۲

اشاره

(آیه ۷)

شأن نزول: ص: 262

در حدیثی از امام باقر علیه السّلام نقل شده که: چند نفر از یهود به اتفاق «حیّ بن اخطب» و برادرش خدمت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله آمدند و حروف مقطعه «الم» را دستاویز خود قرار داده گفتند: طبق حساب ابجد الف مساوی یک و لام مساوی ۳۰ و میم مساوی ۴۰ میباشد و به این ترتیب خبر داده ای که، دوران بقای امت تو بیش از هفتاد و یک سال نیست!. پیامبر صلّی اللّه علیه و آله برای جلوگیری از سوء استفاده آنها فرمود: شما چرا تنها «الم» را محاسبه کرده اید مگر در قرآن «المص و الر» و سایر حروف مقطعه نیست، اگر این برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۶۳

حروف اشاره به مدت بقاء امت من باشد چرا همه را محاسبه نمی کنید؟! (در صورتی که منظور از این حروف چیز دیگری است) سپس آیه مورد بحث نازل شد.

تفسير: ص: ٢٦٣

محکم و متشابه در قرآن - در آیات پیشین سخن از نزول قرآن به عنوان یکی از دلایل آشکار نبوت پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله به میان آمده بود، و در این آیه یکی از ویژگیهای قرآن و چگونگی بیان مطلب در این کتاب بزرگ آسمانی آمده است، نخست می فرماید: «او کسی است که این کتاب را بر تو نازل کرد که بخشی از آن آیات محکم (صریح و روشن) است که اساس و شالوده این کتاب است (و آیات پیچیده دیگر را تفسیر می کند) و بخشی از آن متشابه است» آیاتی که به خاطر بالا بودن سطح مطلب یا جهات دیگر، در آغاز پیچیده بنظر می رسد (هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکُ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتاب وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ).

این آیات متشابه محکی است برای آزمایش افراد که عالمان راستین و فتنه گران لجوج را از هم جدا میسازد، لذا به دنبال آن می فرماید: «اما کسانی که در قلوبشان انحراف است پیروی از متشابهات می کنند تا فتنه انگیزی کنند و تفسیر (نادرستی بر طبق امیال خود) برای آن می طلبند (تا مردم را گمراه سازند) در حالی که تفسیر آن را جز خدا و راسخان در علم نمی دانند» (فَأُمَّا اللَّه وَ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْم).

سپس میافزایـد: آنهـا هسـتند که بر اثر درک صـحیح معنی محکمـات و متشابهـات «میگوینـد ما به همه آنها ایمان آوردهایم (چرا که) همه از سوی پروردگار ما است» (یَقُولُونَ آمَنًا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا).

آرى! «جز صاحبان فكر و خردمندان، متذكر نمى شوند» (وَ ما يَذَّكُّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْباب).

از آیه فوق چنین استفاده می شود که: آیات قرآن بر دو دسته هستند مفهوم قسمتی از آیات آن چنان روشن است که جای هیچ گونه انکار و توجیه و سوء استفاده در آن نیست، و آنها را «محکمات» گویند و قسمتی به خاطر بالا بودن برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۶۴

سطح مطلب یا گفتگو در باره عوالمی که از دسترس ما بیرون است ماننـد عالم غیب، و جهان رسـتاخیز و صـفات خـدا، چنان هستند که معنی نهایی و اسرار و کنه حقیقت آنها نیاز به سرمایه خاص علمی دارد که آنها را «متشابهات» گویند.

افراد منحرف معمولاً می کوشند این آیات را دستاویز قرار داده و تفسیری بر خلاف حق برای آنها درست کنند، تا در میان مردم، فتنه انگیزی نمایند، و آنها را از راه حق گمراه سازند، اما خداوند و راسخان در علم، اسرار این آیات را میدانند و برای مردم تشریح می کنند.

البته آنها که از نظر علم و دانش در ردیف اولند (همچون پیامبر و ائمه هدی) از همه اسرار آن آگاهند در حالی که دیگران هر یک به اندازه دانش خود از آن چیزی میفهمند، و همین حقیقت است که مردم حتی دانشمندان را به دنبال معلمان الهی برای درک اسرار قرآن میفرستد.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٨] ص: ٢٥٤

(آیه ۸)- رهایی از لغزشها! از آنجا که آیات متشابه و اسرار نهانی آن ممکن است لغزشگاهی برای افراد گردد، و از کوره این امتحان، سیه روی در آیند راسخون در علم و اندیشمندان با ایمان، علاوه بر به کار گرفتن سرمایههای علمی خود در فهم معنی این آیات به پروردگار خویش پناه می برند و این آیه و آیه بعد که از زبان راسخون در علم می باشد روشنگر این حقیقت است آنها می گویند: «پروردگارا! دلهای ما را بعد از آن که ما را هدایت نمودی، منحرف مگردان، و از سوی خود رحمتی بر ما ببخش زیرا تو بسیار بخشندهای» (رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَیْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَهً إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهَّابُ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹] ص: ۲۶۴

(آیه ۹) و از آنجا که عقیده به معاد و توجه به روز رستاخیز از هر چیز برای کنترل امیال و هوسها مؤثرتر است، راسخون در علم، به یاد آن روز میافتند، و می گویند: «پروردگارا! تو مردم را در آن روزی که تردیدی در آن نیست جمع خواهی کرد زیرا خداوند از وعده خود تخلف نمی کند» (رَبَّنا إِنَّکَ جامِعُ النَّاسِ لِیَوْم لا رَیْبَ فِیهِ إِنَّ اللَّهَ لا یُخْلِفُ الْمِیعادَ). و به این ترتیب از هوی و هوسها و احساسات افراطی که موجب لغزش برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۶۵ می گردد خود را بر کنار می دارند و می توانند آیات خدا را آنچنانکه هست بفهمند!

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰] ص: ۲۶۵

(آیه ۱۰)- در آیات گذشته وضع مؤمنان و غیر مؤمنان در برابر آیات محکم و متشابه بیان شده بود، در ادامه این بحث از وضع

دردناک کافران در روز قیامت پرده بر میدارد و عواقب شوم اعمالشان را برای آنها مجسم میسازد، میفرماید: «کسانی که کافر شدند اموال و ثروتها و فرزندانشان آنها را از خداوند بینیاز نمی کند (و در برابر عذاب الهی به آنان کمک نمی نمیناید) و آنها آتشگیره دوزخند» (إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا ـ أَوْلا ـدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَیْئاً وَ أُولِدِ کَ هُمْ وَقُودُ النَّار).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱] ص: ۲۶۵

(آیه ۱۱)- سپس به یک نمونه روشن از اقوامی که دارای ثروت و نفرات فراوان بودند ولی به هنگام نزول عذاب، این امور نتوانست مانع نابودی آنان گردد اشاره کرده میفرماید: «وضع اینها همچون وضع آل فرعون و کسانی است که قبل از آنها بودند، آیات ما را تکذیب کردند (و به فزونی اموال و نفرات و فرزندان مغرور شدند) خداوند آنها را به کیفر گناهانشان گرفت و خداوند کیفرش شدید است» (کَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ کَذَبُوا بِآیاتِنا فَأَخَدَهُمُ اللَّهُ بِخُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِیدُ الْعِقاب).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲] ص: ۲۶۵

اشاره

(آیه ۱۲)

شأن نزول: ص: 265

پس از جنگ «بدر» و پیروزی مسلمانان جمعی از یهود گفتند: آن پیامبر که ما وصف او را در کتاب دینی خود (تورات) خوانده ایم که در جنگ مغلوب نمی شود همین پیغمبر است، بعضی دیگر گفتند: عجله و شتاب نکنید تا نبرد دیگری واقع شود، هنگامی که جنگ احد پیش آمد و ظاهرا به شکست مسلمانان پایان یافت گفتند: نه به خدا سو گند آن پیامبری که در کتاب ما بشارت به آن داده شده این نیست در این هنگام آیه نازل شد و پاسخ دندانشکنی به آنها داد که نتیجه را در پایان کار حساب کنید و بدانید همگی مغلوب خواهید شد.

تفسیر: ص: ۲۶۵

با توجه به شأن نزول فوق معلوم می شود کفاری که به اموال و ثروتها و فرزندان مغرور بودند انتظار شکست اسلام را داشتند، قرآن روی سخن را به پیامبر کرده، می فرماید: «به کافران بگو: به زودی مغلوب خواهید شد (در این دنیا خوار و بی مقدار و در قیامت) به سوی جهنم محشور و رانده خواهید شد و چه بد جایگاهی است دوزخ» (قُلْ لِلَّذِینَ کَفَرُوا سَ تُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلی جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۶۶

در قرآن مجید اخبار غیبی فراوانی است که از ادله عظمت و اعجاز قرآن میباشد و یک نمونه آن آیه فوق است که خداوند صریحا به پیامبر خود بشارت پیروزی بر همه دشمنان را میدهد.

طولی نکشید که مضمون آیه، تحقق یافت، یهودیان مدینه (بنی قریظه و بنی نضیر) در هم شکسته شدند و در غزوه خیبر مهمترین مرکز قدرت آنان از هم متلاشی شد و مشرکان نیز در فتح مکه برای همیشه مغلوب گشتند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳] ص: ۲۶۶

اشاره

(آیه ۱۳)

شأن نزول: ص: 266

این آیه گوشهای از ماجرای بدر را بازگو می کند. در جنگ بدر تعداد مسلمانان (۳۱۳) نفر بود (۷۷) نفر آنها را مهاجران و (۲۳۶) نفر آنها از انصار بودند پرچم مهاجران به دست علی علیه السّیلام و سعد بن عباده پرچمدار انصار بود آنان تنها با داشتن هفتاد شتر و دو اسب و شش زره و هشت شمشیر در این نبرد شرکت کرده بودند با این که سپاه دشمن بیش از هزار نفر با اسلحه و تجهیزات کافی بودند مسلمانان بر آنها غالب شدند و با پیروزی کامل به مدینه مراجعت کردند.

تفسير: ص: ۲۶۶

این آیه در حقیقت بیان نمونهای است از آنچه در آیات قبل گذشت و به کافران هشدار میدهد که به اموال و ثروت و کثرت نفرات مغرور نشوند که سودی به حالشان ندارد یک شاهد زنده این موضوع جنگ بدر است، میفرماید:

«در آن دو جمعیت (که در میـدان جنگ بـدر) با هم رو برو شدنـد نشانه و درس عبرتی برای شـما بود» (قَـدْ کانَ لَکَمْ آیَـهُ فِی فِئَتَیْن الْتَقَتا).

«یک گروه در راه خدا نبرد می کرد و گروه دیگر کافر بود» و در راه شیطان و بت (فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ أُخْری کافِرَهٌ). سپس میافزایـد: «آنها (مشـرکان) این گروه (مؤمنان) را با چشم خود دو برابر آنچه بودنـد مشاهـده می کردند» (یَرَوْنَهُمْ مِثْلَیْهِمْ رَأْیَ الْعَیْن).

خدا میخواست قبل از شروع جنگ تعداد مسلمانان در نظر آنان کم جلوه کند تا با غرور و غفلت وارد جنگ شوند- چنانچه در آیه ۴۴ سوره انفال بـدان اشـاره شـده است- و پس از شروع جنگ، دو برابر جلوه کنـد تا وحشت و اضـطراب، آنها را فرا گیرد و منتهی به شکست آنان گردد ولی به عکس خداوند عدد دشمنان را در برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۶۷ نظر مسلمانان، کم جلوه داد تا بر قدرت و قوت روحیه آنها بیفزاید.

سپس مىافزايد: «خداوند هر كس را بخواهد با يارى خود تقويت مىكند» (وَ اللَّهُ يُـؤَيِّدُ بِنَصْ رِهِ مَنْ يَشاءُ). در پايان آيه

مىفرمايد: «در اين عبرتى است براى صاحبان چشم و بينش» (إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَهُ لِأُولِي الْأَبْصارِ).

آری! آنها که چشم بصیرت دارند، و حقیقت را آنچنان که هُست میبینند از این پیروزی همُه جانبه افراد با ایمان درس عبرت می گیرند و میدانند سرمایه اصلی پیروزی ایمان است و ایمان.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴] ص: ۲۶۷

(آیه ۱۴) - در آیات گذشته سخن از کسانی بود که تکیه بر اموال و فرزندانشان در زندگی دنیا داشتند و به آن مغرور شدند و خود را از خدا بی نیاز دانستند، این آیه در حقیقت تکمیلی است بر آن سخن، می فرماید: «امور مورد علاقه، از جمله زنان و فرزندان و اموال هنگفت از طلا و نقره و اسبهای ممتاز و چهار پایان و زراعت و کشاورزی در نظر مردم جلوه داده شده است» تا به وسیله آن آزمایش شوند (زُیِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَناطِیرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ النَّهَ وَ الْمَیْوَاتِ مِنَ النَّساءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَناطِیرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْحَیْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْاَنْعام وَ الْحَرْثِ).

در تفسیر آیه آنچه صحیح بنظر میرسد این است که زینت دهنده خداوند است زیرا اوست که عشق به فرزندان و مال و ثروت را در نهاد آدمی ایجاد کرده تا او را آزمایش کند و در مسیر تکامل و تربیت به پیش ببرد.

«ولى اينها سرمايههاى زندگى دنيا است، (و هرگز نبايد هدف اصلى انسان را تشكيل دهد) و سر انجام نيك (و زندگى جاويدان) نزد خداست» (ذلِكَ مَتائع الْحَياةِ الدُّنْيا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ).

درست است که بدون این وسایل، نمی توان زندگی کرد، و حتی پیمودن راه معنویت و سعادت نیز بدون وسایل مادی غیر ممکن است اما استفاده کردن از آنها در این مسیر مطلبی است، و دلبستگی فوق العاده و پرستش آنها و هدف نهایی بودن مطلب دیگر - دقت کنید.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵] ص: ۲۶۷

(آیه ۱۵)- با توجه به آنچه در آیه قبل در باره اشیاء مورد علاقه انسان در برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۶۸ زندگی مادی دنیا آمده بود در اینجا در یک مقایسه، اشاره به مواهب فوق العاده خداوند در جهان آخرت و بالاخره قوس صعودی تکامل انسان کرده می فرماید:

«بگو: آیا شما را از چیزی آگاه کنم که از این (سرمایه های مادی) بهتر است» (قُلْ أَ أُنَّبِئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ).

سپس به شرح آن پرداخته میافزاید: «برای کسانی که تقوا پیشه کردهاند در نزد پروردگارشان باغهایی از بهشت است که نهرها از زیر درختانش جاری است همیشه در آن خواهند بود، و همسرانی پاکیزه و (از همه بالاتر) خوشنودی خداوند نصیب آنها می شود، و خدا به بندگان بینا است» (لِلَّذِینَ اتَّقَوْا عِنْهَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ أَزْواجُ مُطَهَّرَهُ وَ رَضُوانٌ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِیرٌ بِالْعِبادِ).

قرآن مجید در این آیه، به افراد با ایمان اعلام می کند که اگر به زندگی حلال دنیا قناعت کنند و از لذات نامشروع و هوسهای سرکش و ظلم و ستم به دیگران بپرهیزند، خداوند لذاتی برتر و بالاتر در جهت مادی و معنوی که از هر گونه عیب و نقص پاک و پاکیزه است نصیب آنها خواهد کرد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶] ص: ۲۶۸

(آیه ۱۶)- در این آیه به معرفی بندگان پرهیزکار که در آیه قبل به آن اشاره شده بود پرداخته و شـش صـفت ممتاز برای آنها بر میشمرد.

۱- نخست این که: آنان با تمام دل و جان متوجه پروردگار خویشند و ایمان، قلب آنها را روشن ساخته و به همین دلیل در برابر اعمال خویش به شدت احساس مسؤولیت می کنند، می فرماید: «همان کسانی که می گویند پروردگارا! ما ایمان آورده ایم، گناهان ما را ببخش و ما را از عذاب آتش نگاهدار» (الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا آمَنًا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ قِنا عَذابَ النَّارِ).
 ۲- «آنها که صبر و استقامت دارند» (الصَّابِرینَ).

و در برابر حوادث سخت که در مسیر اطاعت پروردگار پیش می آید، و همچنین در برابر گناهان و به هنگام پیش آمدن شداید و گرفتاریهای فردی و اجتماعی، شکیبایی و ایستادگی به خرج میدهند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۶۹

۳- «آنها که راستگو و درست کردارند» و آنچه در باطن به آن معتقدند در ظاهر به آن عمل میکنند و از نفاق و دروغ و تقلب و خیانت دورند (وَ الصَّادِقِینَ).

۴- «آنها که خاضع و فروتن هستند» و در طریق بندگی و عبودیت خدا بر این کار مداومت دارند (وَ الْقانِتِینَ).

۵- «آنها که در راه خدا انفاق می کنند» نه تنها از اموال، بلکه از تمام مواهب مادی و معنوی که در اختیار دارند به نیازمندان می بخشند (وَ الْمُنْفِقِینَ).

٥- «و آنها كه سحر گاهان، استغفار و طلب آمرزش مىكنند» (وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ).

در آن هنگام که چشمهای غافلان و بیخبران در خواب است و غوغاهای جهان مادی فرو نشسته و به همین دلیل حالت حضور قلب و توجه خاص به ارزشهای اصیل در قلب مردان خدا زنده می شود به پا می خیزند و در پیشگاه با عظمتش سجده می کنند و از گناهان خود آمرزش می طلبند و محو انوار جلال کبریایی او می شوند.

در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام در تفسیر این آیه میخوانیم که فرمود: «هر کس در نماز وتر (آخرین رکعت نماز شب) هفتاد بار بگوید (استغفار کنندگان در سحر «وَ الْمُشتَغْفِرِینَ بِالْأَسْحارِ» قرار میدهد و او را مشمول عفو و رحمت خود میسازد»

سورة آل عمران(3): آية 18] ص: 259

(آیه ۱۸)- به دنبال بحثی که در باره مؤمنان راستین در آیات قبل آمده بود در این آیه اشاره به گوشهای از دلایل توحید و خداشناسی و بیان روشنی این راه پرداخته می گوید: «خداوند (با ایجاد نظام شگرف عالم هستی) گواهی می دهد که معبودی جز او نیست» (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ).

«و نيز فرشتگان و صاحبان علم و دانشمندان (هر كدام به گونهاى و با استناد به دليل و آيهاى) به اين امر گواهى مىدهند» (وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْم).

«این در حالی است که خداوند قیام به عدالت در جهان هستی فرموده» که این عدالت نیز نشانه بارز وجود اوست (قائِماً بِالْقِسْطِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۷۰

آرى! با اين اوصاف كه گفته شد «هيچ معبودى جز او نيست كه هم توانا و هم حكيم است» (لا إِلهَ إِنَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

بنابراین شما هم با خداوند و فرشتگان و دانشمندان همصدا شوید و نغمه توحید سر دهید.

این آیه از آیاتی است که همواره مورد توجه رسول اکرم صلّی الله علیه و آله بوده و کرارا در مواقع مختلف آن را تلاوت می فرمود. زبیر بن عوام می گوید: «شب عرفه در خدمت رسول خدا صلّی الله علیه و آله بودم، شنیدم که مکررا این آیه را می خواند».

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹] ص: ۲۷۰

(آیه ۱۹)– روح دین همان تسلیم در برابر حق است! بعد از بیان یگانگی معبود به یگانگی دین پرداخته میفرماید: «دین در نزد خدا، اسلام است» (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ).

یعنی آیین حقیقی در پیشگاه خدا همان تسلیم در برابر فرمان اوست، و در واقع روح دین در هر عصر و زمان چیزی جز تسلیم در برابر حق نبوده و نخواهد بود.

سپس به بیان سر چشمه اختلافهای مذهبی که علی رغم وحدت حقیقی دین الهی به وجود آمده می پردازد و می فرماید: «آنها که کتاب آسمانی به آنها داده شده بود در آن اختلاف نکردند مگر بعد از آن که آگاهی و علم به سراغشان آمد و این اختلاف به خاطر ظلم و ستم در میان آنها بود» (وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْیاً بَیْنَهُمْ).

بنابراین ظهور اختلاف اولا بعد از علم و آگاهی بود و ثانیا انگیزهای جز طغیان و ظلم و حسد نداشت.

مثلاً پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله علاوه بر معجزات آشکار، از جمله قرآن مجید و دلایل روشنی که در متن این آیین آمده، اوصاف و مشخصاتش در کتب آسمانی پیشین که بخشهایی از آن در دست یهود و نصاری وجود داشت بیان شده بود و به همین دلیل دانشمندان آنها قبل از ظهور او بشارت ظهورش را با شوق و تأکید فراوان میدادند، اما همین که مبعوث شد چون منافع خود را در خطر میدیدند از روی طغیان و ظلم و حسد همه را نادیده گرفتند. به همین دلیل در پایان آیه سرنوشت آنها و امثال آنها بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۷۱

را بیان کرده می گوید: «هر کس به آیات خدا کفر ورزد (خدا حساب او را میرسد زیرا) خداوند حسابش سریع است» (وَ مَنْ یَکْفُوْ بِآیاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِیعُ الْحِسابِ).

آری! کسانی که آیات الهی را بازیچه هوسهای خود قرار دهند، نتیجه کار خود را در دنیا و آخرت میبینند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۰] ص: ۲۷۱

(آیه ۲۰)- به دنبال بیان سر چشمه اختلافات دینی به گوشهای از این اختلاف که همان بحث و جدال یهود و نصاری، با پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله بود در این آیه اشاره می کند می فرماید: «اگر با تو، به گفتگو و ستیز برخیزند (با آنها) مجادله نکن و بگو: من و پیروانم در برابر خداوند، تسلیم شدهایم» (فَإِنْ حَاجُّوکَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِیَ لِلَّهِ وَ مَنِ اتَّبَعَنِ).

خداونـد در این آیه به پیـامبرش دسـتور میدهـد که از بحث و مجـادله بـا آنهـا دوری کن و به جای آن برای راهنمایی و قطع مخاصـمه «بگو: به آنها که اهل کتاب هسـتند (یهود و نصاری) و همچنین درس نخواندهها (مشرکان) آیا شما هم (همچون من که تسلیم فرمان حقم) تسلیم شدهاید»؟ (وَ قُلْ لِلَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ وَ الْأُمِّیِّینَ أَ أَسْلَمْتُمْ).

«اگر براستی تسلیم شونـد هـدایت یافتهانـد، و اگر روی گردان شوند و سـرپیچی کنند بر تو ابلاغ (رسالت) است» و تو مسؤول

اعمال آنها نيستى (فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكُ الْبَلاغُ).

بدیهی است منظور تسلیم زبانی و ادعایی نیست، بلکه منظور تسلیم حقیقی و عملی در برابر حق است.

و در پایان آیه می فرماید: «خداوند به اعمال و افکار بندگان خود بیناست» (وَ اللَّهُ بَصِیرٌ بالْعِبادِ).

از این آیه به خوبی روشن میشود که روش پیامبر صلّی اللّه علیه و آله هرگز تحمیل فکر و عقیده نبوده است. بلکه کوشش و مجاهـدت داشـته که حقـایق بر مردم روشن شود و سـپس آنـان را به حـال خود وا میگذاشـته که خودشان تصـمیم لازم را در پیروی از حق بگیرند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۷۲

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۱] ص: ۲۷۲

(آیه ۲۱) - در تعقیب آیه قبل که بطور ضمنی نشان می داد یهود و نصاری و مشرکانی که با پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله به گفتگو و ستیز برخاسته بودند تسلیم حق نبودند در این آیه به بعضی از نشانه های این مسأله اشاره می کند می فرماید: «کسانی که به آیات خدا کافر می شوند، و پیامبران را به ناحق می کشند و (همچنین) کسانی را از مردم که امر به عدل و داد می کنند به قتل می رسانند، آنها را به مجازات دردناک (الهی) بشارت بده» (إِنَّ الَّذِینَ یَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ یَقْتُلُونَ النَّبِیِّینَ بِغَیْرِ حَقِّ وَ یَقْتُلُونَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ أَلِیم).

در این آیه به سه گناه بزرگ آنها اشاره شده که ثابت می کند آنها تسلیم فرمان حق نیستند، بلکه صدای حق گویان را در گلو خفه می کنند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۲] ص: ۲۷۲

(آیه ۲۲) - در آیه قبل به یک کیفر آنها (عذاب الیم) اشاره شد، و در این آیه به دو کیفر دیگر آنها اشاره میفرماید: «آنها کسانی هستند که اعمال نیکشان در دنیا و آخرت نابود گشته» و اگر اعمال نیکی انجام دادهاند تحت تأثیر گناهان بزرگ آنان اثر خود را از دست داده است. (أُولئِکَ الَّذِینَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِٰ).

دیگر این که «آنها در برابر مجازاتهای سخت الهی هیچ یار و یاور (و شفاعت کنندهای) ندارند» (وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِینَ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٢٣] ص: ٢٧٢

اشاره

(آیه ۲۳)

شأن نزول: ص: 277

از ابن عباس نقل شده که: در عصر پیامبر صلّی الله علیه و آله زن و مردی از یهود مرتکب زنای محصنه شدند با این که در تورات دستور مجازات سنگباران در باره این چنین اشخاص داده شده بود، چون آنها از طبقه اشراف بودند بزرگان یهود از اجرای این دستور در مورد آنها سر باز زدند و پیشنهاد شد که به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله مراجعه کرده داوری طلبند. پیغمبر صلّی الله علیه و آله فرمود: همین تورات فعلی میان من و شما داوری می کند آنها پذیرفتند. پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور داد قسمتی از تورات را که آیه «رجم» (سنگباران) در آن بود پیش روی دانشمند یهود «ابن صوریا» بگذارند. او که قبلا از جریان آگاه شده بود هنگامی که به این آیه رسید دست روی آن گذاشت و جملههای بعد را خواند «عبد الله بن سلام» که نخست از دانشمندان یهود بود و سپس اسلام اختیار کرده بود بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۷۳

فورا متوجه پرده پوشمی «ابن صوریا» شد و برخاست و دست او را از روی این جمله برداشت و آن را از متن تورات قرائت کرد، سپس پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور داد مجازات مزبور طبق آیین آنها در مورد این دو مجرم اجرا شود. جمعی از یهود خشمناک شدند و این آیه در باره وضع آنها نازل گردید.

تفسير: ص: ۲۷۳

به دنبال آیات گذشته که سخن از محاجّه و بحث و گفتگوهای لجوجانه گروهی از اهل کتاب به میان آورد، در اینجا روشن میسازد که آنها تسلیم پیشنهادهای منطقی نبودند و انگیزههای این عمل و نتایج آن را نیز بازگو می کند.

آیه نخست می فرماید: «آیا مشاهده نکردی کسانی را که بهرهای از کتاب آسمانی داشتند و دعوت به سوی کتاب الهی شدند تا در میان آنها داوری کند ولی عده ای از آنها روی گرداندند و از قبول حق اعراض نمودند» این در حالی بود که کتاب آسمانی آنها حکم الهی را بازگو کرده بود و آنها از آن آگاهی داشتند. (أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ أُوتُوا نَصِیباً مِنَ الْکِتابِ یُدْعَوْنَ إِلی کتاب اللَّهِ لِیَحْکُمَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ یَتُولَی فَرِیقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ).

از جمله «اوتوا نصیبا من الکتاب» بر می آیـد که تورات و انجیلی که در دست یهود و نصاری در آن عصر بود، تنها قسـمتی از آن بود و احتمالاً قسمت بیشتر از این دو کتاب آسمانی، از میان رفته یا تحریف شده بود.

آری! آنها به همان حکم موجود در کتاب مذهبی خویش نیز گردن ننهادند و با بهانهجویی و مطالب بیاساس از اجرای حدود الهی سرپیچی کردند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۴]..... ص: ۲۷۳

(آیه ۲۴) - در این آیه دلیل مخالفت و سرپیچی آنها را شرح میدهد که آنها بر اساس یک فکر باطل معتقد بودند از نژاد ممتازی هستند (همان گونه که امروز نیز چنین فکر می کنند) به همین دلیل برای خود مصونیتی در مقابل مجازات الهی قائل بودند. لذا قرآن می گوید: این اعمال و رفتار به خاطر آن است که «گفتند: جز چند روزی آتش دوزخ به ما نمی رسد» و اگر مجازاتی داشته باشیم بسیار محدود است (ذلک بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَیَّاماً مَعْدُوداتٍ).

سپس می افزاید: آنها این امتیازات دروغین را به خدا نسبت می دادند «و این برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۷۴ افتراء و دروغی را که به خدا بسته بودند آنها را در دینشان مغرور ساخته بود» (وَ غَرَّهُمْ فِی دِینِهِمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۵] ص: ۲۷۴

(آیه ۲۵)- در این آیه، خط بطلان بر تمام این ادعاهای واهی و خیالات باطل می کشد و می گوید: «پس چگونه خواهد بود هنگامی که آنها را در روزی که در آن شکی نیست جمع کنیم، و به هر کس آنچه را به دست آورده، داده شود و به آنها ستم نخواهد شد» (فَکَیْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِیَوْم لا رَیْبَ فِیهِ وَ وُفِّیَتْ کُلُّ نَفْسِ ما کَسَبَتْ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ).

آری! در آن روز همه در دادگاه عـدل الهی حاضر خواهند شد، و هر کس نتیجه کشته خود را درو میکند، و آن روز است که میفهمند هیچ امتیازی بر دیگران ندارند.

سورة آل عمران(3): آية 26] ص: 274

اشاره

(آیه ۲۶)

شأن نزول: ص: 274

هنگامی که پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله مکه را فتح نمود، به مسلمانان نوید داد که به زودی کشور ایران و روم نیز زیر پرچم اسلام قرار خواهد گرفت، منافقان که دلهایشان به نور ایمان روشن نشده بود و روح اسلام را درک نکرده بودند، این مطلب را اغراق آمیز تلقی کرده و با تعجب گفتند: محمد صلّی الله علیه و آله به مدینه و مکه قانع نیست و طمع در فتح ایران و روم دارد، در این هنگام آیه نازل شد.

تفسير: ص: ۲۷۴

همه چیز به دست اوست- در آیات قبل سخن از امتیازاتی بود که اهل کتاب (یهود و نصاری) برای خود قائل بودند و خود را از خاصّان خداوند می پنداشتند، خداوند در این آیه و آیه بعد ادعای باطل آنان را با این بیان جالب، رد می کند می فرماید: «بگو: بار الها! مالک ملکها تویی، تو هستی که به هر کس بخواهی و شایسته بدانی حکومت می بخشی و از هر کس بخواهی حکومت را جدا می سازی» (قُلِ اللَّهُمَّ مالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ).

«هر کس را بخواهی بر تخت عَزت مینشانی، و هر کس را اراده کنی بر خاک مذلت قرار میدهی» (وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ).

و در یک جمله «کلید تمام خوبیها به دست توانای توست، زیرا تو به هر چیز توانایی» (بِیَدِکَ الْخَیْرُ إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ). ناگفته پیداست که منظور از اراده و مشیت الهی در این آیه این نیست که بدون برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۷۵ حساب و بی دلیل چیزی را به کسی می بخشد و یا از او می گیرد بلکه مشیت او از روی حکمت و مراعات نظام و مصلحت و حكمت جهان آفرينش و عالم انسانيت است و گاه اين حكومتها به خاطر شايستگيها است، و گاه حكومت ظالمان هماهنگ ناشايستگي امتهاست.

خلاصه اینکه خواست خداوند همان است که در عالم اسباب آفریده تا چگونه ما از عالم اسباب استفاده کنیم.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٢٧] ص: ٢٧٥

(آیه ۲۷) - در این آیه برای تکمیل معنی فوق و نشان دادن حاکمیت خداوند بر تمام عالم هستی می افزاید: «شب را در روز داخل می کنی و روز را در شب و موجود زنده را از مرده خارج می سازی و مرده را از زنده، و به هر کس اراده کنی بدون حساب روزی می بخشی» (تُولِجُ اللَّهُ لَ فِی النَّهارِ وَ تُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَیِّتَ مِنَ الْمَیِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْمَیْتِ مِنَ الْمَیْقِ مِنَ الْمَیْتِ مِنْ الْمُیْقِیْمِ مِسَابِ اللَّهُ اللَّهُ لِعَیْرِ مِسَابِ اللَّیْلِ وَ تُعْرِبُ مِسْلِی مِنْ الْمُیْتِ مِنْ الْمُیْتِ مِنْ اللَّیْلِ وَ تُعْرِیْمِ مِسَابِ).

و اینها نشانه بارزی از قدرت مطلقه اوست.

منظور از دخول شب در روز و روز در شب همان تغییر محسوسی است که در شب و روز در طول سال مشاهده می کنیم، این تغییر بر اثر انحراف محور کره زمین نسبت به مدار آن که کمی بیش از ۲۳ درجه است، و تفاوت زاویه تابش خورشید می باشد و این تدریجی بودن تغییر شب و روز آثار سودمندی در زندگانی انسان و موجودات کره زمین دارد زیرا پرورش گیاهان و بسیاری از جانداران در پرتو نور و حرارت تدریجی آفتاب صورت می گیرد.

منظور از بیرون آوردن «زنده» از «مرده» همان پیدایش حیات از موجودات بی جان است، زیرا می دانیم آن روز که زمین آماده پذیرش حیات شد موجودات زنده از مواد بی جان به وجود آمدند، از این گذشته دائما در بدن ما و همه موجودات زنده عالم، مواد بی جان، جزو سلولها شده، تبدیل به موجودات زنده می گردند.

پیدایش مردگان از موجودات زنده، نیز دائما در مقابل چشم ما مجسم است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۲۸] ص: ۲۷۵

(آیه ۲۸)- پیوند با بیگانگان ممنوع! در آیات گذشته سخن از این بود که عزت و ذلت و تمام خیرات به دست خداست و در این آیه به همین مناسبت برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۷۶

مؤمنان را از دوستی با کافران شدیدا نهی میکند، میفرماید: «افراد با ایمان نباید غیر از مؤمنان (یعنی) کافران را دوست و ولی و حامی خود انتخاب کنند» (لا یَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ).

«و هر کس چنین کنـد در هیـچ چیز از خداونـد نیست» و رابطه خود را بکلی از پروردگـارش گسسـته است (وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَلَیْسَ مِنَ اللَّهِ فِی شَیْءٍ).

این آیه در واقع یک درس مهم سیاسی- اجتماعی به مسلمانان میدهـد که بیگانگان را به عنوان دوست و حامی و یار و یاور هرگز نپذیرند.

سپس به عنوان یک استثنا از این قانون کلی می فرماید: «مگر این که از آنها بپرهیزید و تقیه کنید» (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً). همان تقیهای که برای حفظ نیروها و جلوگیری از هدر رفتن قوا و امکانات و سر انجام پیروزی بر دشمن است.

مسأله تقیه در جای خود یک حکم قاطع عقلی و موافق فطرت انسانی است.

و در پایان آیه، هشداری به همه مسلمانان داده می فرماید: «خداونید شما را از (نافرمانی) خود بر حذر می دارد، و بازگشت (همه شما) به سوی خداست» (وَ یُحَذِّرُکُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِیرُ).

دو جمله فوق بر مسأله تحریم دوستی با دشمنان خدا تأکید می کند، از یک سو می گوید از مجازات و خشم و غضب خداوند بپرهیزید، و از سوی دیگر می فرماید: «اگر مخالفت کنید بازگشت همه شما به سوی اوست و نتیجه اعمال خود را خواهید گرفت».

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٢٩] ص: ٢٧۶

(آیه ۲۹) - در آیه قبل، دوستی و همکاری با کافران و دشمنان خدا شدیدا مورد نهی واقع شده، در این آیه به کسانی که ممکن است از حکم تقیه سوء استفاده کنند، هشدار داده می فرماید: «بگو: اگر آنچه را در سینه های شماست، پنهان سازید یا آشکار کنید، خداوند آن را می داند» (قُلْ إِنْ تُخْفُوا ما فِی صُدُورِکُمْ أَوْ تُبْدُوهُ یَعْلَمْهُ اللَّهُ).

نه تنها اسرار درون شما را میداند بلکه «آنچه را که در آسمانها و آنچه را در برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۷۷ زمین است (نیز) میداند (و علاوه بر این آگاهی وسیع) خداوند بر هر چیزی تواناست» (وَ یَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٣٠] ص: ٢٧٧

(آیه ۳۰) - این آیه تکمیلی است بر آنچه در آیه قبل آمد، و از حضور اعمال نیک و بـد در قیامت پرده بر میدارد، میفرماید: «به یـاد آوریـد روزی را که هر کس آنچه را از کار نیک انجام داده حاضر می بینـد و همچنین آنچه را از کار بـد، انجام داده است» (یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسِ ما عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ).

«در حالی که دوست میدارد میان او و آن اعمال بد فاصله زمانی زیادی باشد» (تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَها وَ بَیْنَهُ أَمَداً بَعِیداً).

در پایان آیه، باز برای تأکید بیشتر می فرماید: «خداوند شما را از (نافرمانی) خویش بر حذر می دارد و در عین حال خدا نسبت به همه بندگان مهربان است» (وَ یُحَذِّرُکُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ).

در واقع این جمله معجونی است از بیم و امید، از یک سو اعلام خطر می کند و هشدار می دهد، از سوی دیگر بندگان را به لطفش امیدوار می سازد تا تعادلی میان خوف و رجا که عامل مهم تربیت انسان است برقرار شود.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٣١] ص: ٢٧٧

اشاره

(آیه ۳۱)

شأن نزول: ص: ۲۷۷

جمعی در حضور پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله ادعای محبت پروردگار کردنـد، در حالی که «عمل» به برنامههای الهی در آنها کمتر دیده میشد، این آیه و آیه بعد نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۲۷۷

محبت واقعی – این آیه مفهوم دوستی واقعی را تبیین می کند، نخست میفرماید: «بگو: اگر خدا را دوست میدارید از من پیروی کنید تا خدا شما را دوست بدارد و گناهانتان را ببخشد که خدا آمرزنده مهربان است» (قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللَّهُ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

یعنی محبت یک علاقه قلبی ضعیف و خالی از هر گونه اثر نیست، بلکه باید آثار آن، در عمل انسان منعکس باشد.

این آیه نه تنها به مدعیان محبت پروردگار در عصر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله پاسخ میگوید، بلکه یک اصل کلی در منطق اسلام برای همه اعصار و قرون است آنها که شب برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۷۸

و روز دم از عشق پروردگار یا عشق و محبت پیشوایان اسلام و مجاهدان راه خدا و صالحان و نیکان میزنند اما در عمل، کمترین شباهتی به آنها ندارند، مدعیان دروغینی بیش نیستند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۲] ص: ۲۷۸

(آیه ۳۲)- در این آیه بحث را ادامه داده می فرماید: «بگو: اطاعت کنید خدا و فرستاده او را» (قُلْ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ). بنابراین، چون شما مدعی محبت او هستید باید با اطاعت از فرمان او و پیامبرش این محبت را عملا اثبات کنید. سپس می افزاید: «اگر آنها سرپیچی کنند، خداوند کافران را دوست ندارد» (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ الْکافِرِینَ).

سرپیچی آنها نشان میدهد که محبت خدا را ندارند. بنابراین، خدا هم آنها را دوست ندارد زیرا محبت یکطرفه بیمعنی است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۳] ص: ۲۷۸

(آیه ۳۳)- این آیه سرآغازی است برای بیان سرگذشت مریم و اشارهای به مقامات اجداد او و نمونه بارزی است از محبت واقعی به پروردگار و ظهور آثار این محبت در عمل، که در آیات گذشته به آن اشاره شده بود، نخست می فرماید: «خداونـد آدم و نوح و خانـدان ابراهیم و خاندان عمران را بر عالمیان برگزید» (إِنَّ اللَّهَ اصْ طَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعَالَمِینَ).

ممکن است این گزینش، تکوینی باشد و یا تشریعی، به این معنی که خداوند آفرینش آنها را از آغاز، آفرینش ممتازی قرار داد، هر چند با داشتن آفرینش ممتاز با اراده و اختیار خود راه حق را پیمودند، سپس به خاطر اطاعت فرمان خدا و کوشش در راه هدایت انسانها، امتیازهای جدیدی کسب کردند که با امتیاز ذاتی آنها آمیخته شد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۴] ص: ۲۷۸

(آیه ۳۴) - در این آیه می افزاید: «آنها فرزندان و دودمانی بودند که بعضی از بعضی دیگر گرفته شده بودند» (ذُرِّیَّهٔ بَعْضُها مِنْ بَعْض).

این برگزیدگان الهی از نظر اسلام و پاکی و تقوا و مجاهده برای راهنمایی بشر همانند یکدیگر بودند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۷۹

و در پایان آیه اشاره به این حقیقت می کند که خداوند مراقب کوششها و تلاشهای آنها بوده، و سخنانشان را شنیده است و از اعمالشان آگاه است می فرماید: «خداوند شنوا و داناست» (وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ).

در آیات فوق علاوه بر آدم، به تمام پیامبران اولوا العزم اشاره شده است. نام نوح صریحا آمده، و آل ابراهیم هم خود او و هم موسی و عیسی و پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله را شامل میشود.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۵] ص: ۲۷۹

(آیه ۳۵)– به دنبال اشارهای که به عظمت آل عمران در آیات قبل آمـده بود در اینجا، سـخن از عمران و دخترش مریم به میان میآورد و بطور فشرده چگونگی تولد و پرورش و بعضی از حوادث مهم زندگی این بانوی بزرگ را بیان میکند.

از بعضی روایات استفاده می شود که خداوند به عمران وحی فرستاده بود که پسری به او خواهد داد که به عنوان پیامبر به سوی بنی اسرائیل فرستاده می شود. او این جریان را با همسر خود «حنّه» در میان گذاشت لـذا هنگامی که او باردار شد تصور کرد فرزند مزبور همان است که در رحم دارد بی خبر از این که کسی که در رحم اوست مادر آن فرزند (مریم) می باشد و به همین دلیل نذر کرد که پسر را خدمتگزار خانه خدا «بیت المقدس» نماید، اما به هنگام تولد مشاهده کرد که دختر است.

در این آیه می فرماید: به یاد آرید «هنگامی را که همسر عمران گفت:

خداوندا! آنچه را در رحم دارم برای تو نذر کردم که محرّر (و آزاد برای خدمت خانه تو) باشد آن را از من بپذیر که تو شنوا و دانایی» (إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّی نَذَرْتُ لَکَ ما فِی بَطْنِی مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّی إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۶] ص: ۲۷۹

(آیه ۳۶) – سپس می افزاید: «هنگامی که فرزند خود را به دنیا آورد (او را دختر یافت) گفت: پروردگارا! من او را دختر آوردم» (فَلَمَّا وَضَعَتْها قَالَتْ رَبِّ إِنِّی وَضَعْتُها أُنْدی). «البته خدا از آنچه او به دنیا آورده بود آگاهتر بود» (وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ). سپس افزود: «تو می دانی که دختر و پسر (برای هدفی که من نذر کرده ام) یکسان نیستند» (وَ لَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْدی). دختر، پس از بلوغ، عادت ماهانه دارد و نمی تواند در مسجد بماند، به علاوه برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۸۰ نیروی جسمی آنها یکسان نیست و نیز مسائل مربوط به حجاب و بارداری و وضع حمل، ادامه این خدمت را برای دختر مشکل می سازد و لذا همیشه پسران را نذر می کردند.

سپس افزود: «من او را مریم نام گذاردم و او و فرزندانش را از (وسوسههای) شیطان رجیم و رانده شده (از درگاه خدا) در پناه تو قرار میدهم» (وَ إِنِّی سَمَّیْتُها مَرْیَمَ وَ إِنِّی أُعِیذُها بِکَ وَ ذُرِّیَّتَها مِنَ الشَّیْطانِ الرَّجِیم).

مریم در لغت، زن عبادتکار و خدمتگزار است و از آنجا که این نامگذاری به وسیله مادرش بعد از وضع حمل انجام شد، نهایت عشق و علاقه این مادر با ایمان را برای وقف فرزندش در مسیر بندگی و عبادت خدا نشان میدهد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۷] ص: ۲۸۰

(آیه ۳۷)– این آیه ادامه بحث آیه قبل در باره سرگذشت مریم است، میفرماید: «پروردگارش او را به طرز نیکویی پذیرفت و بطور شایستهای (گیاه وجود) او را رویانید و پرورش داد» (فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنِ وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً).

جمله اخیر اشاره به نکته لطیفی دارد و آن اینکه کار خداوند، انبات و رویانیدن است یعنی همان گونه که در درون بذر گلها و گیاهان استعدادهایی نهفته است، در درون وجود آدمی و اعماق روح و فطرت او نیز همه گونه استعدادهای عالی نهفته شده است که اگر انسان خود را تحت تربیت مربیان الهی که باغبانهای باغستان جهان انسانیتند قرار دهد، به سرعت پرورش می یابد و آن استعدادهای خداداد آشکار می شود.

سپس می افزاید: «خداوند زکریا را سرپرست و کفیل او قرار داد» (وَ کَفَّلَها زَکَرِیّا).

هر چه بر سن مریم افزوده می شد، آثار عظمت و جلال در وی نمایانتر می گشت و به جایی رسید که قرآن در ادامه این آیه در باره او می گوید: «هر زمان زکریا وارد محراب او می شد غذای جالب خاصی نزد او مییافت» (کُلَّما دَخَلَ عَلَیْها زَکَرِیَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً).

زکریا از روی تعجب، روزی «به او گفت این غذا را از کجا آوردی»! (قالَ یا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۸۱ مَوْیَمُ أَنَّی لَکِ هذا)

.مريم در جواب «گفت: اين از طرف خداست و اوست كه هر كس را بخواهد بىحساب روزى مىدهد» (قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابِ).

از روایـات متعـددی اسـتفاده میشود که آن غـذا یـک نوع میوه بهشتی بوده که در غیر فصـل، در کنـار محراب مریم به فرمان پروردگار حاضر میشده است و این موضوع جای تعجب نیست که خدا از بنده پرهیزگارش این چنین پذیرایی کند!

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۸] ص: ۲۸۱

(آیه ۳۸) - از این به بعد گوشهای از زندگی پیامبر الهی، زکریا را در ارتباط با داستان مریم بیان می کند.

همسر زکریا و مادر مریم خواهر یکدیگر بودند و اتفاقا هر دو در آغاز، نازا و عقیم بودند. با این که سالیان درازی از عمر زکریا و همسرش گذشته و از نظر معیارهای طبیعی بسیار بعید به نظر میرسید که صاحب فرزندی شود، با ایمان به قدرت پروردگار و مشاهده وجود میوههای تازه در غیر فصل، قلب او لبریز از امید گشت که شاید در فصل پیری، میوه فرزند بر شاخسار وجودش آشکار شود، به همین دلیل هنگامی که مشغول نیایش بود از خداوند تقاضای فرزند کرد، آن گونه که قرآن در این هنگام زکریا پروردگار خویش را خواند و گفت:

پروردگارا! فرزنـد پاکیزهای از سوی خودت به من (نیز) عطا فرما که تو دعا را میشـنوی» و اجابت میکنی (هُنالِکُ دَعا زَکَرِیَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّیَّةً طَیِّبَةً إِنَّکَ سَمِیعُ الدُّعاءِ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۳۹] ص: ۲۸۱

(آیه ۳۹)- «در این موقع فرشتگان به هنگامی که او در محراب ایستاده و مشغول نیایش بود، وی را صدا زدند که خداوند تو را

به یحیی بشارت میدهد، در حالی که کلمه خدا (حضرت مسیح) را تصدیق میکند و آقا و رهبر خواهد بود، از هوی و هوس بر کنار و پیامبری از صالحان است» (فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَ هُوَ قائِمٌ یُصَـ لِّی فِی الْمِحْرابِ أَنَّ اللَّهَ یُبَشِّرُکَ بِیَحْیی مُصَدِّقاً بِکَلِمَهٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَیِّداً وَ حَصُوراً وَ نَبِیًا مِنَ الصَّالِحِینَ).

> نه تنها خداوند اجابت دعای او را به وسیله فرشتگان خبر داد، بلکه پنج برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۸۲ وصف از اوصاف این فرزند پاکیزه را بیان داشت.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۴۰] ص: ۲۸۲

(آیه ۴۰)- زکریا از شنیدن این بشارت، غرق شادی و سرور شد و در عین حال نتوانست شگفتی خود را از چنین موضوعی پنهان کند، «عرض کرد پروردگارا! چگونه ممکن است فرزندی برای من باشد در حالی که پیری به من رسیده و همسرم ناز است» (قالَ رَبِّ أَنَّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ قَدْ بَلَغَنِیَ الْکِبَرُ وَ امْرَأَتِی عاقِرٌ).

در اینجا خداوند به او پاسخ داد و «فرمود: این گونه خداوند هر کاری را که بخواهد انجام می هد» (قالَ کَذلِکَ اللّهُ یَفْعَلُ ما نَشاءُ).

و با این پاسخ کوتاه که تکیه بر نفوذ اراده و مشیت الهی داشت، زکریا قانع شد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۴۱] ص: ۲۸۲

(آیه ۴۱) - در اینجا زکریا تقاضای نشانهای بر این بشارت میکند، تا قلبش مالامال از اطمینان شود همان گونه که ابراهیم خلیل تقاضای مشاهده صحنه معاد برای آرامش هر چه بیشتر قلب مینمود زکریا عرضه داشت: «پروردگارا! نشانهای برای من قرار ده» (قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِی آیَةً).

در پاسخ خداونـد به او «گفت: نشانه تو آن است که سه روز با مردم جز به اشاره و رمز سخن نخواهی گفت» و زبان تو بدون هیچ عیب و علت برای گفتگوی با مردم از کار میافتد (قالَ آیَتُکَ أَلَّا تُکَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةً أَیًام إِلَّا رَمْزاً).

«ولى پروردگار خود را (به شكرانه اين نعمت) بسيار يـاد كن و هنگـام شب و صبحگاهانً او را تسبيـح گوى» (وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ).

به این ترتیب خداوند درخواست زکریا را پذیرفت و سه شبانه روز زبان او بدون هیچ عامل طبیعی از سخن گفتن با مردم باز ماند در حالی که به ذکر خدا مترنم بود، این وضع عجیب نشانه ای از قدرت پروردگار بر همه چیز بود، خدایی که می تواند زبان بسته را به هنگام ذکرش بگشاید، قادر است از رحم عقیم و بسته، فرزندی با ایمان که مظهر یاد پروردگار باشد به وجود آورد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۴۲] ص: ۲۸۲

(آیه ۴۲) - قرآن بار دیگر به داستان مریم باز می گردد، و از دوران شکوفایی او سخن می گوید و مقامات والای او را بر می شمر د.

نخست از گفتگوی فرشتگان با مریم، بحث می کند، می فرماید: به یاد آور بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۸۳

«هنگامی را که فرشتگان گفتند: ای مریم! خدا تو را برگزیده و پاک ساخته و بر تمام زنان جهان برتری داده است» (وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاکِ وَ طَهَّرَکِ وَ اصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ).

و این برگزیـدگی و برتری مریم بر تمـام زنـان جهـان، نبود جز در سـایه تقوا و پرهیزگـاری آری او برگزیـده شـده تـا پیامبری همچون عیسای مسیح به دنیا آورد.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٤٣] ص: ٢٨٣

(آیه ۴۳) - در این آیه سخن از خطاب دیگری از فرشتگان به مریم است، می گویند: «ای مریم! (به شکرانه این نعمتهای بزرگ) برای پروردگارت سـجده کن و همراه رکوع کنندگان رکوع نما» (یا مَرْیَهُ اقْنُتِی لِرَبِّکِ وَ الله بُجدِی وَ ارْکَعِی مَعَ الرَّاکِعِینَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۴۴] ص: ۲۸۳

(آیه ۴۴) - این آیه اشاره به گوشه دیگری از داستان مریم می کند و می گوید:

«آنچه را در بـاره سـرگذشت مریم و زکریا برای تو بیان کردیم از خبرهای غیبی است که به تو وحی میکنیم» (ذلِکُ مِنْ أُنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْکُ).

زیرا این داستانها به این صورت (صحیح و خالی از هر گونه خرافه) در هیچ یک از کتب پیشین که تحریف یافته است، وجود ندارد و سند آن تنها وحی آسمانی قرآن است.

سپس در ادامه این سخن می گوید: «در آن هنگام که آنها قلمهای خود را برای (قرعه کشی و) تعیین سرپرستی مریم در آب میافکندند، تو حاضر نبودی و نیز به هنگامی که (علمای بنی اسرائیل برای کسب افتخار سرپرستی او) با هم کشمکش داشتند حضور نداشتی» و ما همه اینها را از طریق وحی به تو گفتیم (وَ ما کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَیُّهُمْ یَکْفُلُ مَرْیَمَ وَ ما کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَیُّهُمْ یَکْفُلُ مَرْیَمَ وَ ما کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَیُّهُمْ یَکْفُلُ مَرْیَمَ وَ ما کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَیُّهُمْ یَکْفُلُ مَرْیَمَ وَ ما کُنْتَ لَدیْهُمْ إِذْ یُخْتَصِمُونَ).

از این آیه و آیاتی که در سوره صافات در باره یونس آمده استفاده می شود که برای حل مشکل و یا در هنگام مشاجره و نزاع و هنگامی که کار به بن بست کامل می رسد و هیچ راهی برای پایان دادن به نزاع دیده نمی شود می توان از «قرعه» استمداد حست.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۴۵] ص: ۲۸۳

(آیه ۴۵) – از این آیه به بعد به بخش دیگری از زندگی مریم یعنی جریان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۸۴

تولد فرزندش حضرت مسيح (ع) مى پردازد، نخست مى فرمايد: «به ياد آور: هنگامى را كه فرشتگان گفتند: اى مريم! خداوند تو را به كلمه اى (وجود با عظمتى) از سوى خودش بشارت مى دهد كه نامش مسيح، عيسى (ع) پسر مريم است» (إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ).

«در حالى كه هم در اين جهان و هم در جهان ديگر، آبرومنـد و با شخصـيت و از مقربان (درگاه خدا) خواهد بود» (وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۴۶] ص: ۲۸۴

(آیه ۴۶) - در این آیه به یکی از فضایل و معجزات حضرت مسیح (ع) اشاره می کند می گوید: «او با مردم در گهواره» و در حال کهولت (میانسال شدن) سخن خواهد گفت و او از صالحان است» (وَ یُکَلِّمُ النَّاسَ فِی الْمَهْدِ وَ کَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِینَ). ذکر «فی المهد» و «کهلا» ممکن است اشاره به این باشد که او در گهواره همان گونه سخن می گفت که در موقع رسیدن به کمال عمر، سخنانی سنجیده و پرمحتوا و حساب شده، نه سخنانی کودکانه!

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۴۷] ص: ۲۸۴

(آیه ۴۷)- باز در این آیه داستان مریم ادامه می یابد، او هنگامی که بشارت تولد عیسی (ع) را شنید، چنین «گفت: پروردگارا! چگونه فرزندی برای من خواهد بود، در حالی که هیچ انسانی با من تماس نگرفته» و هرگز همسری نداشتهام. (قالَتْ رَبِّ أَنَّی یَکُونُ لِی وَلَدٌ وَ لَمْ یَمْسَشْنِی بَشَرٌ).

ولى خداونـد به اين شگفتى حضرت مريم پايان داد و «فرمود: اين گونه خـدا هر چه را بخواهـد مى آفرينـد» (قالَ كَـذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ).

سپس برای تکمیل این سخن میفرماید: «هنگامی که چیزی را مقرر کند (و فرمان وجود آن را صادر نماید) تنها به آن می گوید: موجود باش، آن نیز فورا موجود میشود» (إِذا قَضی أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۴۸] ص: ۲۸۴

(آیه ۴۸)- به دنبال صفات چهارگانهای که در آیات قبل برای حضرت مسیح (ع) بیان شده بود (آبرومند در دنیا و آخرت بودن، از مقربان بودن، و سخن گفتن در گاهواره و از صالحان بودن) به دو وصف دیگر آن پیامبر بزرگ اشاره می کند. نخست می فرماید: «خداوند به او کتاب و دانش و تورات و انجیل می آموزد» برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۸۵ (وَ یُعَلِّمُهُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةُ وَ الْآثُوراةُ وَ الْإِنْجِیلَ).

جمله فوق نخست به تعلیم کتاب و حکمت بطور کلی اشاره میکند و بعد دو مصداق روشن این کتاب و حکمت، یعنی تورات و انجیل را بیان مینماید.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٤٩] ص: ٢٨٥

(آیه ۴۹) - در این آیه به معجزات حضرت مسیح اشاره کرده می فرماید:

«و (خداوند) او را رسول و فرستاده به سوی بنی اسرائیل قرار میدهد» (وَ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ).

سپس میافزاید: او مأمور بود به آنها بگوید: «من نشانهای از سوی پروردگارتان برای شما آوردهام» (أَنِّی قَدْ جِئْتُكُمْ بِآیَـهٍٔ مِنْ رَبِّكُمْ).

نه یک نشانه بلکه نشانههای متعـدد! «من از گل چیزی به شکل پرنده میسازم، سـپس در آن میدمم و به فرمان خدا پرندهای میگردد» (أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ کَهَیْنَهِٔ الطَّیْرِ فَأَنْفُخُ فِیهِ فَیَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِ اللَّهِ). سپس به بیـان دومین معجزه یعنی درمان بیماریهای صـعب العلاج یا غیر قابل علاج از طریق عادی پرداخته می گویـد: «من کور مادر زاد و مبتلا به برص (پیسی) را بهبودی میبخشم» (وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرُصَ).

شک نیست که این موضوعات مخصوصا برای پزشکان و دانشمندان آن زمان معجزات غیر قابل انکاری بوده است.

در سومین مرحله، اشاره به معجزه دیگری می کنـد و آن این که: «من مردگان را به فرمان خـدا زنـده می کنم» (وَ أُحْيِ الْمَوْتَى بإذْنِ اللَّهِ).

چیزی که در هر عصر و زمانی جزء معجزات و کارهای خارق العاده است.

و در مرحله چهارم موضوعات خبر دادن از اسرار نهانی مردم را مطرح می کند، زیرا هر کس معمولا در زندگی فردی و شخصی خود، اسراری دارد که دیگران از آن آگاه نیستند مسیح می گوید: «من شما را از آنچه میخورید و در خانهها ذخیره می کنید خبر می دهم» (وَ أُنَّبُنُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِكُمْ).

و در پایان به تمام این چهار معجزه اشاره کرده می گوید: «مسلما در اینها برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۸۶ نشانهای است برای شما اگر ایمان داشته باشید» و در جستجوی حقیقت باشید (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ).

از مفاد آیه فوق و آیات مشابه آن استفاده می شود که فرستادگان و اولیای خدا به اذن او می توانند به هنگام لزوم در جهان تکوین و آفرینش تصرف کنند و بر خلاف عادت و جریان طبیعی حوادثی به وجود آورند و این چیزی است بالاتر از ولایت تشریعی یعنی سرپرستی مردم که نام آن ولایت تکوینی است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵۰] ص: ۲۸۶

(آیه ۵۰)- این آیه نیز ادامه سخنان حضرت مسیح است، و در واقع بخشی از اهداف بعثت خود را شرح میدهد می گوید: «من آمدهام تورات را تصدیق کنم و مبانی و اصول آن را تحکیم بخشم» (وَ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْراؤ).

و نیز آمـدهام تا پارهای از چیزهایی که (بر اثر ظلم و گناه) بر شـما تحریم شـده بود (مانند ممنوع بودن گوشت شتر و پارهای از چربیهای حیوانات و بعضی از پرندگان و ماهیها) بر شما حلال کنم» (وَ لِأُحِلَّ لَکُمْ بَعْضَ الَّذِی حُرِّمَ عَلَیْکُمْ).

سپس میافزاید: «من نشانهای از سوی پروردگارتان برای شما آوردهام» (وَ جِئْتُكُمْ بِآیَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ).

و در پایان آیه چنین نتیجه گیری می کند: «بنابراین، از (مخالفت) خداوند بترسید و مرا اطاعت کنید» (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُونِ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵۱] ص: ۲۸۶

(آیه ۵۱) - در این آیه، از زبان حضرت مسیح برای رفع هر گونه ابهام و اشتباه و برای این که تولد استثنایی او را دستاویزی برای الوهیت او قرار ندهند چنین نقل می کند: «مسلما خداوند پروردگار من و پروردگار شماست، پس او را پرستش کنید (نه من و نه چیز دیگر را) این راه مستقیم است» راه توحید و یکتاپرستی نه راه شرک و دوگانه و چندگانهپرستی (إِنَّ اللَّهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِیمٌ).

در آیات دیگر قرآن نیز کرارا میخوانیم که حضرت مسیح (ع) روی مسأله عبودیت و بنیدگی خود در پیشگاه خدا، تکیه می فرمود، و بر خلاف آنچه در انجیلهای تحریف یافته کنونی که از زبان مسیح (ع) نقل شده که او غالبا کلمه پدر را در باره خدا به کار می برد قرآن مجید کلمه «رب» (پروردگار) و مانند آن را از او نقل برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۸۷

می کنید که دلیلی است بر نهایت توجه او نسبت به مبارزه با شرک، و یا دعوی الوهیت حضرت مسیح و لذا تا زمانی که حضرت مسیح (ع) در میان مردم بود هیچ کس جرأت پیدا نکرد او را یکی از خدایان معرفی کنید بلکه به اعتراف محققان مسیحی مسأله تثلیث و اعتقاد به خدایان سه گانه از قرن سوم میلادی پیدا شد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵۲] ص: ۲۸۷

(آیه ۵۲) – مطابق پیشگویی و بشارت موسی (ع)، جمعیت یهود قبل از آمدن عیسی (ع) منتظر ظهور او بودند اما هنگامی که ظاهر گشت و منافع نامشروع جمعی از منحرفان بنی اسرائیل به خطر افتاد، تنها گروه محدودی گرد مسیح (ع) را گرفتند آیه می گوید: «هنگامی که عیسی (ع) احساس کفر (و مخالفت) از آنها کرد، گفت: چه کسانی یاور من به سوی خدا (برای تبلیغ آیین او) خواهند بود؟» (فَلَمَّا أَحَسَّ عِیسی مِنْهُمُ الْکُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِی إِلَی اللَّهِ).

در اینجا تنها گروه اندکی به این دعوت پاسخ مثبت دادند، قرآن از این افراد پاک به عنوان «حواریون» نام برده است «حواریون (شاگردان ویژه مسیح) گفتند: ما یاوران (آیین) خدا هستیم، به او ایمان آوردیم و تو گواه باش که ما اسلام آورده و تسلیم آیین حق شده ایم» (قالَ الْحَوارِیُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنًا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

حواریون برای اثبات اخلاص خود در پاسخ گفتند: ما یاوران خداییم و آیین او را یاری می کنیم و نگفتند ما یاور توایم!

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵۳] ص: ۲۸۷

(آیه ۵۳) – در این آیه حملههایی نقل شده که بیانگر نهایت توحید و اخلاص حواریون است آنها ایمان خویش را به پیشگاه خداونـد چنین عرضه داشـتند و گفتنـد: «پروردگـارا! ما به آنچه نازل کردهای ایمان آوردیم و از فرسـتاده (تو حضـرت مسـیح) پیروی نمودیم، پس ما را در زمره گواهان بنویس» (رَبَّنا آمَنًا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِینَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵۴] ص: ۲۸۷

(آیه ۵۴)- پس از شرح ایمان حواریون، در این آیه اشاره به نقشه های شیطانی یهود کرده می گوید: «آنها (یهود و سایر دشمنان مسیح برای نابودی او و آئینش) نقشه کشیدند و خداوند (برای حفظ او و آئینش) چاره جویی کرد، برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۸۸

و خداوند بهترين چارهجويان است» (وَ مَكَرُوا وَ مَكَرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ).

بدیهی است نقشه های خدا بر نقشه های همه پیشی می گیرد، چرا که آنها معلوماتی اندک و قدرتی محدود دارند و علم و قدرت خداوند بی پایان است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵۵] ص: ۲۸۸

(آیه ۵۵)– این آیه همچنان ادامه آیات مربوط به زندگی حضرت مسیح (ع) است. معروف در میان مفسران اسلام، به استناد آیه ۱۵۷ سوره نساء، این است که مسیح (ع) هرگز کشته نشد و خداوند او را به آسمان برد آیه مورد بحث ناظر به همین معنی است، می فرماید: به یاد آورید! «هنگامی را که خدا به عیسی گفت من تو را بر می گیرم و به سوی خود بالا می برم» (إِذْ قالَ اللَّهُ یا عِیسی إِنِّی مُتَوَفِّیکَ وَ رافِعُکَ إِلَیَّ). سپس می افزاید: «و تو را از کسانی که کافر شدند پاک می سازم» (وَ مُطَهِّرُکَ مِنَ الَّذِینَ کَهُوُوا).

منظور از این پاکیزگی، یا نجات او از چنگال افراد پلید و بیایمان است و یا از تهمتهای ناروا و توطئههای ناجوانمردانه، که در سایه پیروزی آیین او حاصل شد.

سپس مىافزايـد: «ما پيروان تو را تا روز رسـتاخيز بر كافران برترى مىدهيم» (وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ).

این آیه یکی از آیات اعجاز آمیز و از پیشگوییها و اخبار غیبی قرآن است که میگوید پیروان مسیح همواره بر یهود که مخالف مسیح بودند برتری خواهند داشت.

و در پایان آیه میفرماید: «سپس بازگشت همه شما به سوی من است، و من در میان شما در آنچه اختلاف داشتید داوری میکنم» (ثُمَّ إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأَحْکُمُ بَیْنَکُمْ فِیما کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ).

یعنی آنچه از پیروزیها گفته شد مربوط به این جهان است محاکمه نهایی و گرفتن نتیجه اعمال چیزی است که در آخرت خواهد آمد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵۶]..... ص: ۲۸۸

(آیه ۵۶) - این آیه و آیه بعد خطاب به حضرت مسیح (ع) است می فرماید:

بعد از آن که مردم به سوی خدا بیاز گشتند و او در میان آنان داوری کرد، صفوف از هم جدا می شود «اما کسانی که کافر شدنید (و حق را شناختند و انکار کردند) آنها را مجازات شدیدی در دنیا و آخرت خواهم کرد و یاورانی ندارند» (فَأُمَّا الَّذِینَ کَفَرُوا برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۸۹

فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيداً فِي الدُّنيا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵۷] ص: ۲۸۹

(آیه ۵۷)- سپس به گروه دوم اشاره کرده میفرماید: «اما کسانی که ایمان آوردند و اعمال صالح انجام دادند، خداوند پاداش آنها را بطور کامل خواهد داد» (وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ). و باز تأکید میکند «خداوند هرگز ستمگران را دوست ندارد» (وَ اللَّهُ لا یُحِبُّ الظَّالِمِینَ).

بنابراین، خدایی که ظالمان را دوست ندارد هرگز در حق بندگان ستم نخواهد کرد و اجر آنها را بطور کامل خواهد داد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵۸] ص: ۲۸۹

(آیه ۵۸)– پس از شرح داستان مسیح (ع)، در این آیه روی سخن را به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله کرده می گوید: «اینها را که بر تو میخوانیم از نشانههای حقانیت تو و یادآوری حکیمانه است» که به صورت آیات قرآن بر تو نازل گردیده و خالی از هر گونه باطل و خرافه است (ذلِکَ نَتْلُوهُ عَلَیْکَ مِنَ الْآیاتِ وَ الذِّکْرِ الْحَکِیم).

این در حالی است که دیگران سرگذشت این پیامبر بزرگ را به هزار گونه افسانه دروغین و خرافات و بدعتها آلودهاند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۵۹] ص: ۲۸۹

اشاره

(آیه ۵۹)

شأن نزول: ص: ۲۸۹

قبلا گفتیم مقدار زیادی از آیات این سوره در پاسخ گفتگوهای مسیحیان نجران نازل شده است، آنها در یک هیأت شصت نفری برای گفتگو با پیامبر صلّی الله علیه و آله به مدینه وارد شده بودند. از جمله مسائلی که در این گفتگو مطرح شد این بود که آنها از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله پرسیدند ما را به چه چیز دعوت می کنی، پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: به سوی خداوند یگانه و این که مسیح بندهای از بندگان اوست و حالات بشری داشت، آنها این سخن را نپذیرفتند و به ولادت عیسی (ع) بدون پدر اشاره کرده و آن را دلیل بر الوهیت او خواندند آیه نازل شد و به آنها پاسخ داد و چون حاضر به قبول پاسخ نشدند آنها را دعوت به مباهله کرد.

تفسير: ص: ۲۸۹

آیه ناظر به کسانی است که ولاحت حضرت مسیح (ع) را بدون پدر، دلیل بر فرزندی او نسبت به خدا، و یا الوهیتش می گرفتند، آیه می گوید: «مثل عیسی نزد خدا همچون مثل آدم است که او را از خاک آفرید، سپس به او فرمود: موجود باش، او نیز بلافاصله موجود شد» (إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللَّهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۹۰ مِنْ تُرابِ ثُمَّ قالَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ)

. بنابراین، اگر مسیح بدون پدر به دنیا آمد، جای تعجب نیست، زیرا موضوع آدم (ع) از این هم شگفتانگیزتر بود، او بدون پدر و مادر به دنیا آمد، سپس به غافلان می فهماند که هر کاری در برابر اراده حق، سهل و آسان است تنها کافی است بفرماید: موجود باش آن هم موجود می شود!

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۰] ص: ۲۹۰

(آیه ۶۰) - در این آیه برای تأکید آنچه در آیات قبل آمد، میفرماید: «اینها را (که در باره حضرت مسیح (ع) و چگونگی ولایدت او و مقاماتش) بر تو میخوانیم حقی است از سوی پروردگارت، و چون حق است، هرگز از تردید کنندگان در آن مباش» (الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلا تَکُنْ مِنَ الْمُمْتَرِینَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۱] ص: ۲۹۰

اشاره

(آیه ۶۱)

شأن نزول: ص: 290

این آیه و دو آیه قبل از آن در باره هیأت نجرانی نازل شده است. آنها خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله رسیدند و عرض کردند: آیا هرگز دیدهای فرزندی بدون پدر متولد شود؟ در این هنگام آیه ان مثل عیسی عند الله ... نازل شد و هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله آنها را به مباهله «۱» دعوت کرد آنها تا فردای آن روز از حضرتش مهلت خواستند. فردا که شد پیامبر صلّی الله علیه و آله آمد در حالی که دست علی بن أبی طالب علیه السّ لام را گرفته بود و حسن و حسین علیهما السّلام در پیش روی او راه میرفتند و فاطمه علیها السّلام پشت سرش بود.

در روایتی آمده است اسقف مسیحیان به آنها گفت: «من صورتهایی را می بینم که اگر از خداوند تقاضا کنند کوهها را از جا برکند چنین خواهد کرد هرگز با آنها مباهله نکنید که هلاک خواهید شد، و یک نصرانی تا روز قیامت بر صفحه زمین نخواهد ماند.

تفسير: ص: ۲۹۰

این آیه به دنبال آیات قبل و استدلالی که در آنها بر نفی خدا بودن مسیح (ع) شده بود، به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور می دهد: «هر گاه بعد از علم و دانشی که (در باره مسیح) برای تو آمده (باز) کسانی با تو در آن به محاجّه و ستیز برخاستند، به

(۱) به معنی نفرین کردن دو نفر به یکدیگر است بدین ترتیب که افرادی که با هم گفتگو در باره یک مسأله مهم مذهبی دارند در یک جا جمع شوند و به درگاه خدا تضرع کنند و از او بخواهند که دروغگو را رسوا سازد و مجازات کند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۹۱

آنها بگو: بیایید ما فرزندان خود را دعوت می کنیم و شما هم فرزندان خود را، ما زنان خویش را دعوت می نماییم، شما هم زنان خود را، ما از نفوس خود دعوت کنید، سپس زنان خود را، ما از نفوس خود دعوت کنید، سپس مباهله می کنیم و لعنت خدا را بر دروغگویان قرار می دهیم» «۱». (فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۲] ص: ۲۹۱

(آیه ۶۲) - پس از شرح زندگی مسیح در این آیه به عنوان تأکید هر چه بیشتر میفرماید: «اینها سرگذشت واقعی (مسیح) است» نه ادعاهایی همچون الوهیت مسیح یا فرزند خدا بودنش (إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ).

نه مدعیان خدایی او سخن حقی می گفتند و نه آنهایی که العیاذ بالله فرزند نامشروعش میخوانند. حق آن است که تو آوردی و تو گفتی او بنده خدا و پیامبر بود که با یک معجزه الهی از مادری پاک، بدون پدر تولد یافت.

باز برای تأکید بیشتر می افزاید: «و هیچ معبودی جز خداوند یگانه نیست».

(وَ ما مِنْ إلهِ إلَّا اللَّهُ).

«و خداونـد یگانه قدرتمنـد و توانا و حکیم است» و تولـد فرزندی بدون پدر در برابر قدرتش مسأله مهمی نیست (وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ).

آری! چنین کسی سزاوار پرستش است نه غیر او.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۳]..... ص: ۲۹۱

(آیه ۶۳) - در این آیه کسانی را که از پذیرش این حقایق سر باز میزنند مورد تهدید قرار داده میفرماید: «اگر (با این همه دلایل و شواهد روشن باز هم) روی بگردانند (بدان که در جستجوی حق نیستند و فاسد و مفسدند) زیرا خداوند از مفسدان آگاه است» (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ).

سورة آل عمران(3): آية 64] ص: 291

(آیه ۶۴)- دعوت به سوی وحدت! در آیات گذشته دعوت به سوی اسلام با تمام خصوصیات بود ولی در این آیه دعوت به نقطههای مشترک میان اسلام و آیینهای اهل کتاب است روی سخن را به پیامبر کرده میفرماید: «بگو: ای اهل

(۱) شرح جامع پیرامون «آیه مباهله» را در «تفسیر نمونه» ذیل همین آیه مطالعه فرمایید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۹۲

كتاب! بياييد به سوى سخنى كه ميان ما و شما مشترك است كه جز خداوند يگانه را نپرستيم و چيزى را شريك او قرار ندهيم و بعضى از ما بعضى ديگر را غير از خداوند يگانه به خدايى نپذيرد» (قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ).

با این طرز استدلال به ما می آموزد اگر کسانی حاضر نبودند در تمام اهداف مقدس با شما همکاری کنند بکوشید لا اقل در اهداف مهم مشترک همکاری آنها را جلب کنید و آن را پایهای برای پیشبرد اهداف مقدستان قرار دهید.

سپس در پایان آیه میفرماید: «اگر آنها (بعد از این دعوت منطقی به سوی نقطه مشترک توحید باز) سر تابند و روی گردان شوند بگویید گواه باشید که ما مسلمانیم» و تسلیم حق هستیم و شما نیستید (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

بنابراین دوری شما از حق در روح ما کمترین اثری نمی گذارد و ما همچون به راه خود یعنی راه اسلام ادامه خواهیم داد تنها خدا را می پرستیم و تنها قوانین او را به رسمیت می شناسیم و بشر پرستی به هر شکل و صورت در میان ما نخواهد بود.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۵] ص: ۲۹۲

اشاره

(آیه ۶۵)

شأن نزول: ص: 292

در اخبار اسلامی آمده است که دانشمندان یهود و نصارای نجران نزد پیامبر صلّی الله علیه و آله به گفتگو و نزاع در باره حضرت ابراهیم برخاستند، یهود می گفتند: او تنها یهودی بود و نصاری می گفتند: او فقط نصرانی بود (به این ترتیب هر کدام مدعی بودند که او از ما است) این آیه و سه آیه بعد از آن نازل شد و آنها را در این ادعاهای بی اساس تکذیب کرد.

تفسير: ص: ۲۹۲

در ادامه بحثهای مربوط به اهل کتاب در این آیه روی سخن را به آنها کرده میفرماید: «ای اهل کتاب چرا در باره ابراهیم به گفتگو و نزاع میپردازید (و هر کدام او را از خود میدانید) در حالی که تورات و انجیل بعد از او نازل شده (و دوران او قبل از موسی و مسیح بود) آیا اندیشه نمی کنید؟» (یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِی إِبْراهِیمَ وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراهُ وَ الْإِنْجِیلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۶] ص: ۲۹۲

(آیه ۶۶) - در این آیه از طریق دیگری آنها را مورد سرزنش قرار داده میفرماید: «شما کسانی هستید که در باره آنچه نسبت به آن آگاهی داشتید بحث برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۹۳

و گفتگو کردید ولی چرا در باره آنچه به آن آگاهی ندارید، بحث و گفتگو می کنید»؟

(ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ).

یعنی شما در مسائل مربوط به مذهب خودتان که از آن آگاهی داشتید بحث و گفتگو کردید و دیدید که حتی در این مباحث گرفتار چه اشتباهات بزرگی شده اید و چه اندازه از حقیقت دور افتاده اید (و در واقع علم شما جهل مرکب بود) با این حال چگونه در چیزی که از آن اطلاع ندارید بحث و گفتگو می کنید! سپس برای تأکید مطالب گذشته و آماده ساختن برای بحث آینده می گوید:

«خدا مى داند و شما نمى دانيد» (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ).

آری، او میداند که در چه تاریخی آیین خود را بر ابراهیم نازل کرده!

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۷] ص: ۲۹۳

(آیه ۶۷)- سپس با صراحت تمام به این مدعیان پاسخ می گوید که: «ابراهیم نه یهودی بود و نه نصرانی، بلکه موحد خالص و مسلمان (پاک نهادی) بود» (ما کانَ إِبْراهِیمُ یَهُودِیًّا وَ لا نَصْرانِیًّا وَ لکِنْ کانَ حَنیفاً مُسْلِماً).

خداوند پس از توصیف ابراهیم (ع) به عنوان حنیف و مسلم، میفرماید: «او هرگز از مشرکان نبود» (وَ ماکانَ مِنَ الْمُشْرِكِینَ). تا هر گونه ارتباطی میان ابراهیم و بت پرستان عرب را نفی کند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۸] ص: ۲۹۳

(آیه ۶۸)- بنابر آنچه گفته شد معلوم شد که ابراهیم پیرو هیچ یک از این آیینها نبوده، تنها چیزی که در اینجا باقی می ماند این است که چگونه می توان خود را پیرو این پیامبر بزرگ که همه پیروان ادیان الهی برای او عظمت قائل هستند دانست! در آیه مورد بحث به این معنی پرداخته و می گوید: «سزاوار ترین مردم به ابراهیم آنها هستند که از او پیروی کردند و این پیامبر (پیامبر اسلام) و کسانی که به او ایمان آورده اند می باشند» (إِنَّ أَوْلَی النَّاسِ بِإِبْراهِیمَ لَلَّذِینَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِیُّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا).

اهل کتاب با عقاید شرک آمیز خود که اساسی ترین اصل دعوت ابراهیم (ع) یعنی توحید را زیر پاگذاردهاند، و یا بت پرستان عرب که درست در نقطه مقابل آیین ابراهیم (ع) قرار گرفتهاند چگونه می توانند خود را پیرو ابراهیم و در خط او بدانند! برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۹۴

و در پایان آیه به آنها که پیرو واقعی مکتب پیامبران بزرگ خـدا بودنـد بشارت میدهـد که «خداوند ولیّ و سرپرست مؤمنان است» (وَ اللَّهُ وَلِیٌّ الْمُؤْمِنِینَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۶۹] ص: ۲۹۴

اشاره

(آیه ۶۹)

شأن نزول: ص: 294

جمعی از یهود کوشش داشتند افراد سرشناس و مبارزی از مسلمانان پاکدل چون «معاذ» و «عمّار» و بعضی دیگر را به سوی آیین خود دعوت کنند و با وسوسههای شیطانی از اسلام باز گردانند. آیه نازل شد و به همه مسلمانان در این زمینه اخطار کرد!

تفسير: ص: ۲۹۴

این آیه ضمن افشای نقشه دشمنان اسلام برای دور ساختن تازه مسلمانان از اسلام، به آنها یـاد آور میشـود که دست از کوشش بیهوده خود بردارند، میفرماید: «جمعی از اهل کتاب دوست داشتند شما را گمراه کنند» (وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ

لَوْ يُضِلُّونَكُمْ).

غافل از ایس که تربیت مسلمانان در مکتب پیامبر صلّی الله علیه و آله به اندازهای حساب شده و آگاهانه بود که احتمال بازگشت وجود نداشت، آنها اسلام را با تمام هستی خود دریافته بودند بنابراین دشمنان نمی توانستند آنها را گمراه سازند، بلکه به گفته قرآن در ادامه این آیه «آنها تنها خودشان را گمراه می کنند و نمی فهمند» (وَ ما یُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما یَشْعُرُونَ). زیرا آنها با القاء شبهات و نسبت دادن خلافها به اسلام و پیامبر صلّی الله علیه و آله روح بدبینی را در روح خود پرورش می دادند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۰] ص: ۲۹۴

(آیه ۷۰) - در ادامه گفتگو در باره فعالیتهای تخریبی اهل کتاب در این آیه و آیه بعد روی سخن را به آنها کرده، و به خاطر کتمان حق و عدم تسلیم در برابر آن، آنها را شدیدا مورد سرزنش قرار می دهد، می فرماید: «ای اهل کتاب چرا به آیات خدا کافر می شوید در حالی که (به صحّت و صدق آن) گواهی می دهید» (یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ). شما نشانه های پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله را در تورات و انجیل خوانده اید و نسبت به آن آگاهی دارید، چرا راه انکار را در پیش می گیرید؟

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۱] ص: ۲۹۴

(آیه ۷۱)- در این آیه بار دیگر آنها را مخاطب ساخته می گوید: «ای اهل بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۹۵ کتاب! چرا حق را با باطل می آمیزید و مشتبه می کنید (تا مردم را به گمراهی بکشانید و خودتان نیز گمراه شوید) و چرا حق را پنهان می دارید در حالی که می دانید»! (یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَکْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۲] ص: ۲۹۵

اشاره

(آیه ۷۲)

شأن نزول: ص: 295

نقل شده که: دوازده نفر از یهود با یکدیگر تبانی کردند که صبحگاهان خدمت پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله برسند و ظاهرا ایمان بیاورند و مسلمان شوند، ولی در آخر روز از این آیین برگردند و هنگامی که از آنها سؤال شود چرا چنین کردهاند بگویند: ما صفات محمد صلّی الله علیه و آله را از نزدیک مشاهده کردیم و دیدیم صفات و روش او با آنچه در کتب ما است تطبیق نمی کند و لذا برگشتیم، و به این وسیله بعضی از مؤمنان متزلزل می گردند.

یهود برای متزلزل ساختن ایمان مسلمانان از هر وسیلهای استفاده می کردند، تهاجم نظامی، سیاسی و اقتصادی این آیه اشاره به بخشی از تهاجم فرهنگی آنها دارد. می فرماید: «گروهی از اهل کتاب گفتند: (بروید و ظاهرا) به آنچه بر مؤمنان نازل شده در آغاز روز ایمان بیاورید و در پایان روز کافر شوید (و کفر خود را آشکار سازید) شاید آنها (مؤمنان) نیز متزلزل شده باز گردند» (وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ آمِنُوا بِالَّذِی أُنْزِلَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اکْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ).

این توطئه در افراد ضعیف النفس اثر قابل ملاحظهای خواهد داشت به خصوص این که عده مزبور از دانشمندان یهود بودند، و همه میدانستند که آنها نسبت به کتب آسمانی و نشانههای آخرین پیامبر، آشنایی کامل دارند و این امر لا اقل پایههای ایمان تازه مسلمانان را متزلزل میسازد.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٧٣] ص: ٢٩٥

(آیه ۷۳) - ولی برای این که پیروان خود را از دست ندهند تأکید کردند که ایمان شما باید تنها جنبه صوری داشته و کاملا محرمانه باشد «شما جز به کسی که از آیینتان پیروی می کند (واقعا) ایمان نیاورید» (وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِینَکُمْ).

سپس در یک جمله معترضه که از کلام خداوند است، می فرماید: «به آنها بگو: هدایت تنها هدایت الهی است» و این توطئههای شما در برابر آن بی اثر است برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۲۹۶

(قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ).

بار دیگر به ادامه سخنان یهود باز می گردد، و می فرماید: آنها گفتند «هر گز باور نکنید به کسی همانند شما (کتاب آسمانی) داده شود، (بلکه نبوت مخصوص شماست) و همچنین تصور نکنید آنها می توانند در پیشگاه پروردگارتان با شما بحث و گفتگو کنند» (أَنْ یُؤْتی أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِیتُمْ أَوْ یُحاجُّوکُمْ عِنْدَ رَبِّکُمْ).

به این ترتیب روشن می شود که آنها گرفتار خود برتربینی عجیبی بودند خود را بهترین نژادهای جهان می پنداشتند و همیشه در این فکر بودند که برای خود مزیّتی بر دیگران قائل شوند.

در پایان آیه خداونید جواب محکمی به آنها می دهید و با بی اعتنایی به آنها روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده می فرماید: «بگو: فضل و موهبت به دست خداست و به هر کس بخواهد و شایسته ببیند می دهد و خداوند واسع (دارای مواهب گسترده) و آگاه (از موارد شایسته) می باشد» (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِیَدِ اللَّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ).

یعنی بگو مواهب الهی اعم از مقام والای نبوت و همچنین موهبت عقل و منطق و افتخارات دیگر همه از ناحیه اوست، و به شایستگان می بخشد.

سورة آل عمران(3): آية 24]..... ص: 298

اشاره

خداونـد داراى فضل عظيم است» و هيـچ كس نمى توانـد مواهب او را محدود سازد (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْ لِ الْعَظِيم).

بنابراین، اگر فضل و موهبت الهی شامل بعضی می شود نه بعضی دیگر، به خاطر محدود بودن آن نیست بلکه به خاطر تفاوت شایستگیهاست.

توطئههای کهن! ص: ۲۹۶

آیات فوق که از آیات اعجاز آمیز قرآن بوده و پرده از روی اسرار یهود و دشمنان اسلام برمیداشت امروز هم به مسلمانان در برابر این جریان هشدار میدهد، زیرا در عصر ما نیز وسایل تبلیغاتی دشمن که از مجهزترین وسایل تبلیغاتی جهان است در این جهت به کار گرفته شده که عقاید اسلامی را در افکار برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۹۷

مسلمین مخصوصا نسل جوان ویران سازند آنها در این راه از هر وسیله و هر کس در لباسهای «دانشمند، خاورشناس، مورخ و روزنامهنگار و حتی بازیگران سینما و ...»

استفاده می کننید و این حقیقت را مکتوم نمی دارنید که هدفشان این نیست که مسلمانان به آیین مسیح یا یهود در آینید بلکه هدف آنها ویرانی افکار و بی علاقه ساختن جوانان نسبت به مفاخر آیین و سنتشان است!

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۵] ص: ۲۹۷

اشاره

(آیه ۷۵)

شأن نزول: ص: 297

این آیه در باره دو نفر از یهود نازل گردیده که یکی امین و درستکار و دیگری خائن و پست بود نفر اول «عبد الله بن سلام» بود که مرد ثروتمندی ۱۲۰۰ اوقیّه «۱» طلا نزد او به امانت گذارد، عبد الله همه آن را به موقع به صاحبش رد کرد و به واسطه امانتداری خداوند او را در آیه مورد بحث میستاید.

نفر دوم «فنحاص» است که مردی از قریش یک دینار به او امانت سپرد «فنحاص» در آن خیانت کرد خداوند او را بواسطه خیانت در امانت نکوهش می کند.

تفسير: ص:

خائنـان و امینان– جمعی از یهود عقیـده داشـتند که مسؤول حفظ امانتهای دیگران نیسـتند، منطق آنها این بود که میگفتنـد ما

اهـل کتـابیم! و پیـامبر الهی و کتـاب آسـمانی او در میـان مـا بوده است، ولی در مقابـل اینها گروهی از آنان خود را موظف به پرداخت حقوق دیگران میدانستند.

در این آیه قرآن به هر دو گروه اشاره کرده حق هر کدام را ادا می کند، می فرماید: «در میان اهل کتاب کسانی هستند که اگر ثروت زیادی به رسم امانت به آنها بسپاری به تو باز می گردانند (و به عکس) کسانی هستند که اگر یک دینار به عنوان امانت به آنها بسپاری به تو باز نمی گردانند مگر تا زمانی که بالای سر آنها ایستاده (و بر آنها مسلط) باشی» (وَ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِینارِ لا یُؤدِّه إِلَیْکَ إِلَّا ما دُمْتَ عَلَیْهِ قائِماً).

به این ترتیب قرآن مجید به خاطر غلط کاری گروهی از آنها، همه آنها را محکوم نمی کند و این یک درس مهم اخلاقی به همه مسلمین است.

ضمنا نشان می دهد آن گروهی که خود را در تصرف و غصب اموال دیگران

(۱) «اوقیّه» یک دوازدهم رطل، معادل هفت مثقال است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۹۸

مجاز و مأذون میدانستند هیچ منطقی جز منطق زور و سلطه را پذیرا نیستند و نمونه آن را بطور گسترده در دنیای امروز در صهیونیستها مشاهده می کنیم و این در حقیقت از مسائل جالبی است که در قرآن مجید در آیه فوق پیشگویی شده، و به همین دلیل مسلمانان برای استیفای حقوق خود از آنان هیچ راهی جز کسب قدرت ندارند.

سپس در ادامه آیه منطق این گروه را در مورد غصب اموال دیگران بیـان میکنـد، میفرمایـد: «این به خـاطر آن است که آنها میگویند ما در برابر «امّیّین» (غیر اهل کتاب) مسؤول نیستیم» (ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَیْسَ عَلَیْنا فِی الْأُمِّیِّینَ سَبِیلٌ).

آری! آنها با این خود برتربینی و امتیاز دروغین به خود حق میدادنـد که اموال دیگران را به هر اسم و عنوان تملک کننـد، و این منطق از اصل خیانت آنها در امانت، به مراتب بدتر و خطرناکتر بود.

قرآن مجید در پاسخ آنها در پایان همین آیه با صراحت می گوید: «آنها به خدا دروغ میبندند در حالی که میدانند» (وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ).

آنها به خوبی میدانستند که در کتب آسمانیشان به هیچ وجه اجازه خیانت در امانتهای دیگران به آنان داده نشده، در حالی که آنها برای توجیه اعمال ننگین خویش چنین دروغهایی را میساختند و به خدا نسبت میدادند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۶] ص: ۲۹۸

(آیه ۷۶) – این آیه ضمن نفی کلام اهل کتاب که می گفتند: خوردن اموال غیر اهل کتاب برای ما حرام نیست! و به همین دلیل برای خود آزادی عمل قائل بودند همان آزادی که امروز هم در اعمال بسیاری از آنها می بینیم که هر گونه تعدی و تجاوز به حقوق دیگران را برای خود مجاز می دانند، می فرماید: «آری، کسی که به پیمان خود وفا کند و پرهیز کاری پیشه نماید (خدا او را دوست دارد زیرا) خداوند پرهیز کاران را دوست می دارد» (بَلی مَنْ أَوْفی بِعَهْدِهِ وَ اتَّقی فَإِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُتَّقِینَ).

یعنی معیار برتری انسان و مقیاس شخصیت و ارزش آدمی، وفای به عهد و عدم خیانت در امانت و تقوا و پرهیز کاری به طور عام است.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٧٧] ص: ٢٩٨

اشاره

(آیه ۷۷)

شأن نزول: ص: ۲۹۸

جمعی از دانشمندان یهود به هنگامی که موقعیت برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۲۹۹

اجتماعی خود را در میان یهود در خطر دیدند کوشش کردند که نشانه هایی که در تورات در باره آخرین پیامبر وجود داشت و شخصا در نسخی از تورات با دست خود نگاشته بودند تحریف نمایند و حتی سوگند یاد کنند که آن جمله های تحریف شده از ناحیه خداست! آیه نازل شد و شدیدا به آنها اخطار کرد.

تفسير: ص: 299

در این آیه به بخش دیگری از خلافکاریهای یهود و اهل کتاب اشاره شده میفرماید: «کسانی که پیمان الهی و سوگندهای خود را (به نام مقدس او) با بهای کمی معامله میکنند بهرهای در آخرت نخواهند داشت» (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِکَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِی الْآخِرَهِ).

البته آیه به صورت کلی ذکر شده هر چند شأن نزول آن گروهی از علمای اهل کتاب است و قرآن در این آیه، پنج مجازات برای آنها ذکر می کند نخست این که آنها از مواهب بی پایان عالم دیگر بهرهای نخواهند داشت- چنانکه در بالا ذکر شد. دیگر این که «خداوند در قیامت با آنها سخن نخواهد گفت» (وَ لا یُکَلِّمُهُمُ اللَّهُ). و نیز «نظر لطف خود را در آن روز از آنها برمی گیرد و نگاهی به آنها نمی کند» (وَ لا یَنْظُرُ إِلَیْهِمْ یَوْمَ الْقِیامَهُ).

روشن است که منظور از سخن گفتن خداوند سخن گفتن با زبان نیست زیرا خداوند از جسم و جسمانیات پاک و منزه است بلکه منظور سخن گفتن از طریق الهام قلبی و یا ایجاد امواج صوتی در فضا است همانند سخنانی که موسی (ع) از شجره طور شنید. و همچنین نظر کردن خداوند به آنان اشاره به توجه و عنایت خاص اوست نه نگاه با چشم جسمانی- آنچنان که بعضی ناآگاهان ینداشته اند.

و بالاخره مجازات چهارم و پنجم آنان این است «خداونـد آنان را (از گناه) پاک نمی کنـد و برای آنها عـذاب دردناکی است» (وَ لا يُزَكِّيهمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

و از اینجا روشن می شود که گناه پنهان ساختن آیات الهی و شکستن عهد و پیمان او و استفاده از سوگندهای دروغین تا چه حد سنگین است که تهدید به این همه مجازاتهای روحانی و جسمانی و محرومیت کامل از الطاف و عنایات الهی شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۰۰

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۸] ص: ۳۰۰

اشاره

(آیه ۷۸)

شأن نزول: ص: 300

این آیه نیز در باره گروهی از علماء یهود نازل شده که با دست خود چیزهایی بر خلاف آنچه در تورات آمده بود در باره صفات پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله مینوشتند و آن را به خدا نسبت میدادند (و با زبان خود حقایق تورات را تحریف می کردند).

تفسير: ص: 300

باز در این آیه سخن از بخش دیگری از خلافکاریهای بعضی از علمای اهل کتاب است میفرماید: «بعضی از آنها زبان خود را به هنگام تلاوت کتاب خدا چنان می پیچند و منحرف می کنند که گمان کنید آنچه را میخوانند از کتاب خداست در حالی که از کتاب الهی نیست» (وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِیقاً یَلُوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْکِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْکِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْکِتابِ).

آنها به این کار نیز قناعت نمی کردنـد بلکه صریحا «می گفتنـد این از سوی خـدا نازل شـده در حالی که از سوی خدا نبود» (وَ یَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ).

سپس قرآن بر این امر تأکید می کند که این کار به خاطر این نبود که گرفتار اشتباهی شده باشند بلکه «به خدا دروغ می بندند در حالی که عالم و آگاهند» (وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ).

ضمنا از این آیه و آیات قبل خطر مهم علماء و دانشمندان منحرف برای یک امت و ملت روشن می شود.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۷۹] ص: ۳۰۰

اشاره

(آیه ۷۹)

شأن نزول: ص: 300

در بـاره شـأن نزول اين آيه و آيه بعـد نقل شـده كه: كســى نزد پيامبر اســلام صــــّــى اللّـه عليه و آله آمـد و اظهار داشت ما به تو

همانند دیگران «سلام» میکنیم در حالی که به نظر ما چنین اعترافی کافی نیست تقاضا داریم به ما اجازه دهی امتیازی برایت قائل شویم و تو را سجده کنیم! پیامبر فرمود: «سجده برای غیر خدا جایز نیست، پیامبر خود را تنها به عنوان یک بشر احترام کنید ولی حق او را بشناسید و از او پیروی نمایید»!

تفسیر: ص: ۳۰۰

این آیه همچنان افکار باطل گروهی از اهل کتاب را نفی و اصلاح می کند، مخصوصا به مسیحیان گوشزد مینماید که هرگز مسیح (ع) ادعای الوهیّت برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۰۱

نكرد و نيز به درخواست كسانى كه مىخواستند اين گونه ادعاها را در باره پيامبر اسلام صلّى الله عليه و آله تكرار كنند صريحا پاسخ مى گويد مىفرمايد: «براى هيچ بشرى سزاوار نيست كه خداوند كتاب آسمانى و حكم و نبوت به او دهد سپس او به مردم بگويد غير از خدا مرا پرستش كنيد» (ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللّهِ).

نه پیامبر اسلام و نه هیچ پیغمبر دیگری حق ندارد چنین سخنی را بگوید و این گونه نسبتها که به انبیاء داده شده همه ساخته و پرداخته افراد ناآگاه و دور از تعلیمات آنهاست.

سپس میافزاید: «بلکه (سزاوار مقام او این است که بگوید) افرادی باشید الهی آنگونه که تعلیم کتاب الهی به شما داده شده و درس خواندهاید» و هرگز غیر خدا را پرستش نکنید (وَ لکِنْ کُونُوا رَبَّانِیِّینَ بِما کُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْکِتابَ وَ بِما کُنْتُمْ تَدْرُسُونَ).

آری! فرستادگان الهی هیچ گاه از مرحله بندگی و عبودیت تجاوز نکردند و همیشه بیش از هر کس در برابر خداوند خاضع بودند.

از جمله مزبور استفاده می شود که هدف انبیاء تنها پرورش افراد نبوده، بلکه هدف تربیت عالمان ربانی و مصلحان اجتماعی و افراد دانشمند بوده تا بتوانند محیطی را با علم و ایمان خود روشن سازند.

سورهٔ آل عمران(٣): آیهٔ ۸۰] ص: ۳۰۱

(آیه ۸۰)- این آیه تکمیلی است نسبت به آنچه در آیه قبل آمد می گوید:

همانطور که پیامبران مردم را به پرستش خویش دعوت نمی کردند، به پرستش فرشتگان و سایر پیامبران هم دعوت نمی نمودند می فرماید: «و سزاوار نیست این که به شما دستور دهد فرشتگان و پیامبران را پروردگار خود انتخاب کنید» (وَ لا یَأْمُرَکُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِکَهُ وَ النَّبِیِّینَ أَرْباباً).

این جمله از یکسو پاسخی است به مشرکان عرب که فرشتگان را دختران خدا میپنداشتند و نوعی ربوبیت برای آنها قائل بودند و با این حال خود را پیرو آیین ابراهیم معرفی میکردند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۰۲

و از سوی دیگر پاسخی است به صابئان که خود را پیرو یحیی (ع) میدانستند ولی مقام فرشتگان را تا سر حـد پرسـتش بالا می بر دند.

و نیز پاسخی است به یهود و نصارا که عزیز یا مسیح (ع) را فرزند خدا معرفی می کردند.

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر میافزاید: «آیا شما را به کفر دعوت میکند پس از آن که (تسلیم فرمان حق گشته و) مسلمان شدید» (أَ یَاْمُرُکُمْ بِالْکُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

یعنی، چگونه ممکن است پیامبری پیدا شود و نخست مردم را به ایمان و توحید دعوت کند سپس راه شرک را به آنها نشان دهد! آیه ضمنا اشاره سر بستهای به معصوم بودن پیامبران و عدم انحراف آنها از مسیر فرمان خدا می کند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۱] ص: ۳۰۲

(آیه ۸۱)- پیمان مقدس! به دنبال اشاراتی که در آیات پیشین در باره وجود نشانههای روشن پیامبر اسلام در کتب انبیاء قبل آمده بود در اینجا اشاره به یک اصل کلی در این رابطه می کند و می فرماید: «و (به خاطر بیاورید) هنگامی را که خداوند پیمان مؤکد از پیامبران (و پیروان آنها) گرفت که هرگاه کتاب و دانش به شما دادم سپس پیامبری به سوی شما آمد که آنچه را با شما است تصدیق می کند (و نشانههای او موافق چیزی است که با شما است) حتما به او ایمان بیاورید و او را یاری کنید» (وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِیثاقَ النَّبِیِّنَ لَما آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتابٍ وَ حِکْمَهُ ثُمَّ جاء کُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ).

در آیات قرآن کرارا اشاره به وحدت هدف پیغمبران خدا شده است و این آیه نمونه زندهای از آن میباشد.

سپس برای تأکید میافزاید: خداوند به آنها فرمود: «آیا اقرار به این موضوع دارید؟ و پیمان مؤکد مرا بر آن گرفتید؟ گفتند: آری، اقرار داریم فرمود: بر این پیمان گواه باشید و من هم با شما گواهم» (قالَ أَ أَقْرُرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلی ذلِکُمْ إِصْرِی قالُوا أَقْرُرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۰۳

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٨٢] ص: ٣٠٣

(آیه ۸۲) - در این آیه قرآن مجید پیمان شکنان را مورد مذمت و تهدید قرار میدهد و می گوید: «پس هر کس (بعد از این همه پیمانهای مؤکد و میثاقهای محکم) سرپیچی کند و روی گرداند (و به پیامبری همچون پیامبر اسلام که بشارات ظهورش همراه نشانههای او در کتب پیشین آمده ایمان نیاورد) فاسق و خارج از اطاعت فرمان خداست» (فَمَنْ تَوَلَّی بَعْدَ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ).

و میدانیم که خداونید این گونه فاسقان لجوج و متعصب را هیدایت نمی کنید- همان گونه که در آیه ۸۰ سوره توبه آمیده است- و کسی که مشمول هدایت الهی نشد سرنوشتش دوزخ و عذاب شدید الهی است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۳] ص: ۳۰۳

(آیه ۸۳)- برترین آیین الهی! در اینجا بحث در باره اسلام آغاز می شود و توجه اهل کتاب و پیروان ادیان گذشته را به آن جلب می کند.

نخست مىفرمايد: «آيا آنها غير از آيين خدا را مىطلبند»؟ آيين او همين اسلام است (أَ فَعَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ).

سپس می افزاید: «تمام کسانی که در آسمانها و زمینند چه از روی اختیار یا اجبار اسلام آورده اند (و در برابر فرمان او تسلیمند) و همه به سوی او بازگردانده می شوند» بنابراین، اسلام آیین همه جهان هستی و عالم آفرینش است (وَ لَهُ أَسْ ِلَمَ مَنْ فِی

السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ).

در اینجا قرآن مجید «اسلام» را به معنی وسیعی تفسیر کرده و می گوید: تمام کسانی که در آسمان و زمینند و تمام موجوداتی که در آنها وجود دارند مسلمانند.

یعنی در برابر فرمان او تسلیمند زیرا، روح اسلام همان تسلیم در برابر حق است منتهی گروهی از روی اختیار (طوعا) در برابر «قوانین تشریعی» او تسلیمند و گروهی بیاختیار (کرها) در برابر «قوانین تکوینی» او.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۴]..... ص: ۳۰۳

(آیه ۸۴) - در این آیه خداوند به پیامبر صلّی الله علیه و آله (و همه پیروان او) دستور می دهد که نسبت به همه تعلیمات انبیاء و پیامبران پیشین، علاوه بر آنچه بر پیغمبر اسلام نازل شده ایمان داشته باشند می فرماید: «بگو: ایمان به خدا آوردیم و به آنچه بر ما و بر ابراهیم و بر اسماعیل و اسحاق و یعقوب و اسباط (پیامبران تیره های بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۰۴ بنی اسرائیل) نازل شده و آنچه به موسی و عیسی و همه پیامبران از سوی پروردگارشان داده شده است نیز ایمان آورده ایم ما در میان آنها فرقی نمی گذاریم و ما در برابر او (خداوند) تسلیم هستیم» (قُلْ آمَنًا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَیْنا وَ ما أُنْزِلَ عَلی إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِیَ مُوسی وَ عِیسی وَ النَّبِیُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَیْنَ أُحدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۵] ص: ۳۰۴

(آیه ۸۵)- و بالاخره در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری کلی میفرماید:

«هر كس غير از اسلام آييني براى خود انتخاب كنـد از او پذيرفته نخواهد شد و در آخرت از زيانكاران است» (وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۶ ص: ۳۰۴

اشاره

(آیه ۸۶)

شأن نزول: ص: 304

یکی از انصار (مسلمانان مدینه) دستش به خون بی گناهی آلوده گشت و از ترس مجازات از اسلام برگشت و به مکّه فرار کرد (و یازده نفر از پیروان او که مسلمان شده بودند نیز مرتد شدند) پس از ورود به مکه از کار خود سخت پشیمان گشت، یک نفر را به سوی خویشان خود به مدینه فرستاد تا از پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله سؤال کنند آیا برای او راه بازگشتی وجود دارد یا

آیه نازل شد و قبولی توبه او را با شرایط خاصی اعلام داشت.

تفسير: ص: ۳۰۴

در آیات گذشته سخن از آیین اسلام بود که تنها آیین مقبول الهی است در اینجا سخن از کسانی است که اسلام را پذیرفته و سپس از آن برگشتهاند که در اصطلاح «مرتد» نامیده میشوند.

مى فرمايىد: «چگونه خداونىد جمعيتى را هدايت مىكند كه بعد از ايمان و گواهى به حقانيت رسول، و آمدن نشانههاى روشن براى آنها كافر شدنىد و خدا جمعيت ستمكاران را هدايت نمىكنىد» (كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

چرا خداونید آنها را هدایت نمی کند؟ دلیل آن روشن است آنها پیامبر را با نشانههای روشن شناختهاند و به رسالت او گواهی دادهانید بنابراین، در بازگشت و عدول از اسلام در واقع ظالم و ستمگرند و کسی که آگاهانه ظلم و ستم می کنید برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۰۵

لایق هدایت الهی نیست او زمینه های هدایت را در وجود خود از میان برده است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۷] ص: ۳۰۵

(آيه ۸۷)- سپس مىافزايد: «آنها كيفرشان اين است كه لعن خداوند و فرشتگان و همه مردم بر آنهاست» (أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٨٨] ص: ٣٠٥

(آیه ۸۸)- در این آیه می افزاید: «این در حالی است که آنها همواره در این لعن و طرد و نفرت می مانند و مجازات آنها تخفیف نمی یابد و به آنها مهلت داده نمی شود» (خالِدینَ فِیها لا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَ لا هُمْ یُنْظَرُونَ).

در واقع اگر این لعن و طرد جاودانی نبود و یا جاودانی بود و تـدریجا تخفیف مییافت و یا حـد اقل مهلتی به آنها داده میشـد تحملش آسانتر بود ولی هیچ یـک از اینها در باره آنها نیست عـذابشان دردناک و جاودانی و غیر قابل تخفیف و بـدون هیچ گونه مهلت است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۸۹] ص: ۳۰۵

(آیه ۸۹)- در این آیه راه بازگشت را به روی این افراد می گشاید و به آنان اجازه توبه میدهد چرا که هدف قرآن در همه جا اصلاح و تربیت است.

می فرمایـد: «مگر کسانی که بعد از آن توبه کنند و اصـلاح نمایند و در مقام جبران برآیند (که توبه آنان پذیرفته می شود) زیرا خداوند آمرزنده و مهربان است» (إِلَّا الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). از این تعبیر استفاده می شود که گناه نقصی در ایمان انسان ایجاد می کند که بعد از توبه باید تجدید ایمان کند تا این نقص بر طرف گردد.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٩٠] ص: ٣٠٥

اشاره

(آیه ۹۰)

شأن نزول: ص: 300

بعضی گفتهاند این آیه در مورد اهل کتاب که قبل از بعث پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله به او ایمان آورده بودند، اما پس از بعثت به او کفر ورزیدند نازل شده است.

تفسير: ص: ٣٠٥

توبه بی فایده – در آیات قبل سخن از کسانی در میان بود که از راه انحرافی خود پشیمان شده و توبه حقیقی نموده بودند و لذا توبه آنها قبول شد ولی در این آیه سخن از کسانی است که توبه آنها پذیرفته نیست، می فرماید: «کسانی که بعد از ایمان آوردن کافر شدند سپس بر کفر خود افزودند (و در این راه اصرار بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۰۶ ورزیدند) هیچ گاه توبه آنان قبول نمی شود (چرا که از روی ناچاری صورت می گیرد) و آنها گمراهانند» چرا که هم راه خدا را گم کردهاند و هم راه توبه را (إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بَعْدَ إِیمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا کُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ أُولِئِکَ هُمُ الضَّالُونَ). توبه آنها ظاهری است چرا که وقتی پیروزی طرفداران حق را ببینند از روی ناچاری اظهار پشیمانی و توبه می کنند و طبیعی است که چنین توبه ای پذیرفته نشود.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۱ ص: ۳۰۶

(آیه ۹۱) - در این آیه به دنبال اشارهای که در آیه قبل به توبه های بیهوده شد سخن از کفّاره بیهوده می گوید، می فرماید: «کسانی که کافر شدند و در حال کفر از دنی ...رفتند اگر تمام روی زمین پر از طلا باشد و آن را به عنوان «فدیه» (و کفاره اعمال زشت خویش) بپردازند هر گز از آنها پذیرفته نخواهد شد» (إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ کُفَّارٌ فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْ أَجَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْض ذَهَباً وَ لَوِ افْتَدی بِهِ).

روشن است کفر تمام اعمال نیک انسان را بر باد میدهد و اگر تمام روی زمین پر از طلا باشد و در راه خدا انفاق کنند پذیرفته نخواهد شد و صد البته اگر چنین چیزی در قیامت در اختیار آنها باشد و بدهند پذیرفته نیست.

و در پایان آیه به نکته دیگری اشاره فرموده می گوید: «آنها کسانی هستند که مجازات دردناک دارند و یاوری ندارند»

(أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ).

یعنی، نه تنها فدیه و انفاق به حال آنها سودی ندارد بلکه شفاعت شفاعت کنندگان نیز شامل حال آنها نمی شود زیرا شفاعت شرایطی دارد که یکی از مهمترین آنها ایمان به خداست و اصولا شفاعت به اذن خدا است.

آنها هر گز از چنین افراد نالایق شفاعت نمی کنند که شفاعت نیز لیاقتی لازم دارد چرا که اذن الهی شامل افراد نالایق نمی شود.

آغاز جزء چهارم قرآن مجید ص: 308

ادامه سوره آل عمران ص: 306

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۲] ص: ۳۰۶

اشاره

(آیه ۹۲) - در این آیه به یک نشانه ایمان اشاره کرده، می گوید: «شما هر گز به حقیقت برّ و نیکی نمی رسید مگر این که از آنچه دوست می دارید در راه خدا بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۰۷

انفاق كنيد» (لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ).

«برّ» معنی وسیعی دارد که به تمام نیکیها اعم از ایمان و اعمال پاک گفته می شود، چنانکه از آیه ۱۷۷ سوره بقره استفاده می شود که «ایمان به خدا، و روز جزا، و پیامبران، و کمک به نیاز مندان، و نماز و روزه، وفای به عهد، و استقامت در برابر مشکلات و حوادث» همه از شعب «برّ» محسوب می شوند.

بنابراین رسیدن به مقام نیکو کاران واقعی، شرایط زیادی دارد که یکی از آنها انفاق کردن از اموالی است که مورد علاقه انسان است و این گونه انفاق مقیاسی است برای سنجش ایمان و شخصیت! در پایان آیه برای جلب توجه انفاق کنندگان می فرماید: «آنچه در راه خدا انفاق می کنید (کم یا زیاد از اموال مورد علاقه یا غیر مورد علاقه) از همه آنها آگاه است» (وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ).

و بنابراین هرگز گم نخواهد شد و نیز چگونگی آن بر او مخفی نخواهد ماند.

نفوذ آیات قرآن در دلهای مسلمانان-.... ص: 307

نفوذ آیات قرآن در دلهای مسلمانان به قدری سریع و عمیق بود که بلافاصله بعد از نزول آیات اثر آن ظاهر می گشت، به عنوان نمونه در تواریخ و تفاسیر اسلامی در مورد آیه فوق چنین میخوانیم:

۱- یکی از یاران پیامبر صلّی الله علیه و آله به نام ابو طلحه انصاری در مدینه نخلستان و باغی زیبا و پر در آمد داشت، پس از نزول آیه فوق به خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله رسید و عرض کرد: می دانی که محبوبترین اموال من همین باغ است، و من می خواهم آن را در راه خدا انفاق کنم تا ذخیرهای برای رستاخیز من باشد، پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: بخ بخ ذلک مال رابح لک: آفرین بر تو، آفرین بر تو، این ثروتی است که برای تو سودمند خواهد بود، سپس فرمود: من صلاح می دانم که آن

را به خویشاونـدان نیازمند خود بدهی، ابو طلحه دستور پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را عمل کرد و آن را در میان بستگان خود تقسیم کرد.

۲- زبیده همسر هارون الرشید قرآنی بسیار گرانقیمت داشت که آن را با زر بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۰۸ و زیور و جواهرات تزیین کرده بود و علاقه فراوانی به آن داشت، یک روز هنگامی که از همان قرآن تلاوت می کرد به آیه لن تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّی تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ رسید، با خواندن آیه در فکر فرو رفت و با خود گفت هیچ چیز مثل این قرآن نزد من محبوب نیست و باید آن را در راه خدا انفاق کنم، کسی را به دنبال جواهر فروشان فرستاد و تزیینات و جواهرات آن را بفروخت و بهای آن را در بیابانهای حجاز برای تهیه آب مورد نیاز بادیه نشینان مصرف کرد که می گویند: امروز هم بقایای آن چاهها وجود دارد و به نام او نامیده می شود.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۳] ص: ۳۰۸

اشاره

(آیه ۹۳)

شأن نزول: ص: 308

در مورد نزول این آیه و دو آیه بعد از روایات استفاده می شود که یهود، دو ایراد در گفتگوهای خود به پیامبر صلّی الله علیه و آله کردند، نخست این که چگونه پیامبر اسلام گوشت و شیر شتر را حلال می داند با این که در آیین ابراهیم (ع) حرام بوده، و به همین دلیل یهود هم به پیروی از ابراهیم آنها را بر خود حرام می دانند، نه تنها ابراهیم، بلکه نوح هم اینها را تحریم کرده بود با این حال چگونه کسی که آنها را حرام نمی داند دم از آیین ابراهیم می زند؟! دیگر این که چگونه پیامبر اسلام خود را وفادار به آیین پیامبران بزرگ خدا مخصوصا ابراهیم (ع) می داند در حالی که تمام پیامبرانی که از دودمان اسحاق فرزند ابراهیم بودند «بیت المقدس» را محترم می شمردند، و به سوی آن نماز می خواندند، ولی پیامبر اسلام از آن قبله روی گردانده و کعبه را قبله گاه خود انتخاب کرده است؟! آیه مورد بحث به ایراد اول پاسخ گفته و دروغ آنها را روشن می سازد، و آیات آینده به ایراد دوم پاسخ می گوید.

تفسیر: ص: ۲۰۸

تهمت یهود بر پیغمبر خدا- همان گونه که در شأن نزول خواندیم یهود حلال بودن گوشت و شیر شتر را از طرف پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله منکر شده بودند.

قرآن با صراحت تمام تهمتهای یهود در مورد تحریم پارهای از غذاهای پاک- مانند شیر و گوشت شتر- را رد می کند و می گوید: «در آغاز، تمام این غذاها برای بنی اسرائیل حلال بود، جز آنچه اسرائیل (یعقوب) پیش از نزول تورات بر خود

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۰۹

تحريم كرده بود» (كُلُّ الطَّعام كانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَّلَ التَّوْراهُ).

در باره این که اسرائیل (اسرائیل نام دیگر یعقوب است) چه نوع غذایی را بر خود تحریم کرده بود؟ از روایات اسلامی برمی آید که: هنگامی که یعقوب گوشت شتر میخورد بیماری عرق النساء «۱» بر او شدت می گرفت و لذا تصمیم گرفت که از خوردن آن برای همیشه خودداری کند، پیروان او هم در این قسمت به او اقتدا کردند، و تدریجا امر بر بعضی مشتبه شد، و تصور کردند این یک تحریم الهی است و آن را به خدا نسبت دادند. قرآن در آیه فوق نسبت دادن این موضوع به خداوند را یک تهمت می شمارد.

در جمله بعد خداوند به پیامبرش دستور می دهد که از یهود دعوت کند همان تورات موجود نزد آنها را بیاورند و آن را بخوانند تا معلوم شود که ادعای آنها در مورد تحریم غذاها نادرست است، می فرماید: «بگو: اگر راست می گویید تورات را بیاورید و بخوانید» این نسبتهایی که به پیامبران پیشین می دهید حتی در تورات تحریف شده شما نیست (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراهِ فَاتْلُوها إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

ولی آنها حاضر به چنین کاری نشدند، چون میدانستند در تورات چنین چیزی وجود ندارد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۴] ص: ۳۰۹

(آیه ۹۴) - در این آیه می گوید، اکنون که آنها حاضر به آوردن تورات نشدند و افترا بستن آنها بر خدا مسلم شد باید بدانند: «آنها که بعد از این به خـدا دروغ میبندند سـتمگرند» زیرا از روی علم و عمد چنین میکنند (فَمَنِ افْتُری عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِکَ فَأُولِئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۵] ص: ۳۰۹

(آیه ۹۵) – در این آیه روی سخن را به پیامبر کرده می گوید: «بگو: خدا راست گفته (و اینها در آیین پاک ابراهیم نبوده است) بنابراین، از آیین ابراهیم پیروی کنیـد که به حق گرایش داشت و از مشـرکان نبود» (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّهُ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ).

(۱) عرق النساء یک نوع بیماری عصبی است که امروز به آن «سیاتیک» می گویند. [.....]

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۱۰

اکنون که میبینید من در دعوت خود صادق و راستگویم، پس از آیین من که همان آیین پاک و بی آلایش ابراهیم است پیروی کنید. او هر گز از مشرکان نبود و این که مشرکان عرب خود را بر آیین او میدانند کاملا بی معنی است، «بت پرست» کجا و «بت شکن» کجا!

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۶] ص: ۳۱۰

(آیه ۹۶)– نخستین خانه مردم! این آیه و آیه بعـد به پاسـخ دومین ایراد یهود که در باره فضـیلت بیت المقـدس و برتری آن بر

کعبه بوده می پردازد، نخست می فرماید: «نخستین خانهای که برای مردم (و نیایش خداونید) قرار داده شده همان است که در سرزمین مکّه است که پر برکت و مایه هدایت جهانیان است» (إِنَّ أَوَّلَ بَیْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِی بِبَکَّهٔ مُبارَکاً وَ هُدیً لِلْعالَمِینَ). به این ترتیب اگر کعبه به عنوان قبله مسلمانان انتخاب شده است جای تعجب نیست، زیرا نخستین خانه توحید است.

تاریخ و منابع اسلامی هم به ما میگویـد که خانه کعبه به دست آدم (ع) ساخته شـد و سـپس در توفان نوح آسـیب دیـد و به وسیله ابراهیم خلیل تجدید بنا شد.

جالب این که در آیه فوق خانه کعبه به عنوان خانه مردم معرفی شده و این بیانگر این حقیقت است که آنچه به نام خدا و برای خداست باید در خدمت مردم و بندگان خداست برای خدا محسوب می شود. قابل توجه این که در این آیه برای کعبه علاوه بر امتیاز «نخستین پرستشگاه بودن» به دو امتیاز «مبارک» و «مایه هدایت جهانیان» بودن آن نیز اشاره شده است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۷] ص: ۳۱۰

(آیه ۹۷)- در این آیه به دو امتیاز دیگر آن اشاره کرده می فرماید: «در آن نشانه های روشن (از جمله) مقام ابراهیم است» (فیهِ آیاتٌ بِیِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِیمَ).

و نشانه دیگر آن آرامش و امنیت حاکم بر این شهر است چنانکه قرآن می گوید: «و هر کس داخل آن شود در امان خواهد بود» (وَ مَنْ دَخَلَهُ کانَ آمِناً).

در جمله بعـد دسـتور حـجّ به همه مردم داده می گویـد: «و برای خـدا بر مردم است که آهنگ خانه (او) کننـد آنها که توانایی رفتن به سوی آن دارند» (وَ لِلَّهِ عَلَی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۱۱

النَّاسِ حِبُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)

از این دستور تعبیر به یک بدهی و دین الهی شده که بر ذمّه عموم مردم میباشد، زیرا فرموده است «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ» «برای خدا بر مردم است ...».

فریضه حبّ از زمان آدم (ع) تشریع شده بود، ولی رسمیت یافتن آن بیشتر مربوط به زمان ابراهیم (ع) است.

تنها شرطی که در آیه برای وجوب حج ذکر شده مسأله استطاعت و توانایی است که از جمله داشتن زاد و توشه و مرکب، و توانایی جسمی را شامل میشود.

ضمنا از آیه فوق استفاده می شود که این قانون مانند سایر قوانین اسلامی اختصاص به مسلمانان ندارد، بلکه همه موظفند آن را انجام بدهند.

در پایان آیه برای تأکید و بیان اهمیت مسأله حجّ می فرماید: «و هر کس کفر بورزد (و حج را ترک کند به خود زیان رسانیده زیرا) خداوند از همه جهانیان بی نیاز است» (وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِیٌّ عَنِ الْعالَمِینَ).

واژه «کفر» در اصل به معنی پوشانیدن است و از نظر اصطلاح دینی معنی وسیعی دارد و هر گونه مخالفت با حق، چه در مرحله عقاید و چه در مرحله دستورات فرعی را شامل میشود، لذا در آیه فوق در مورد «ترک حجّ» به کار رفته است.

در باره اهمیت فوق العاده حجّ در حدیثی از پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم که به علی علیه السّلام فرمود: ای علی! کسی که حج را ترک کند با این که توانایی دارد کافر محسوب میشود، زیرا خداوند میفرماید: بر مردمی که استطاعت دارند به سوی خانه خدا بروند لازم است حج به جا بیاورند و کسی که کفر بورزد (آن را ترک کند) به خود زیان رسانیده است، و خداوند از آنان بینیاز است، ای علی! کسی که حجّ را به تأخیر بیاندازد تا این که از دنیا برود خداوند او را در قیامت یهودی یا نصرانی محشور میکند!

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۸] ص: ۳۱۱

اشاره

(آیه ۹۸)

شأن نزول: ص: 311

در مورد نزول این آیه و سه آیه بعـد از مجموع آنچه در کتب شـیعه و اهل تسـنن نقل شده چنین اسـتفاده می شود که: یکی از یهودیان به نام برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۱۲

«شاس بن قیس» که پیرمردی تاریک دل و در کفر و عناد کم نظیر بود، روزی از کنار مجمع مسلمانان می گذشت، دید جمعی از طایفه «اوس» و «خزرج» که سالها با هم جنگهای خونینی داشتند، مجلس انسی به وجود آورده اند، با خود گفت اگر اینها تحت رهبری محمد صلّی الله علیه و آله از همین راه پیش روند موجودیت یهود بکلی در خطر می افتد در این حال یکی از جوانان یهودی را دستور داد که به جمع آنها بپیوندد، و حوادث خونین «بغاث» (محلی که جنگ شدید اوس و خزرج در آن نقطه واقع شد) را به یاد آنها بیاورد.

اتفاقا این نقشه، مؤثر واقع گردید و جمعی از مسلمانان از شنیدن این جریان به گفتگو پرداختند، چیزی نمانده بود که آتش خاموش شده دیرین بار دیگر شعلهور گردد.

خبر به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسید، فورا با جمعی از مهاجرین به سراغ آنها آمد، و با اندرزهای مؤثر و سخنان تکان دهنده خود آنها را بیدار ساخت.

جمعیت چون سخنان آرام بخش پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را شنیدند، سلاحها را بر زمین گذاشته، و دانستند این از نقشههای دشمنان اسلام بوده است، و صلح و صفا و آشتی بار دیگر کینههایی را که میخواست زنده شود شستشو داد.

در این هنگام چهار آیه نازل شد که در دو آیه نخست، یهودیان اغواکننده را نکوهش میکند، و در دو آیه بعد به مسلمانان هشدار میدهد.

تفسير: ص: ٣١٢

نفاقافکنان- در این آیه نخست روی سخن را به اهل کتاب (یهود) نموده و خداوند به پیغمبرش فرمان میدهد که با زبان ملامت و سرزنش از آنها بپرسد انگیزه آنها در کفر ورزیدن به آیات خدا چیست؟ در حالی که میدانند خداوند از اعمال آنان آگاه است. میفرماید: «بگو: ای اهل کتاب! چرا به آیات خدا کفر میورزید با آن که خدا گواه است بر اعمالی که انجام میدهید» (قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِیدٌ عَلی ما تَعْمَلُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۹۹] ص: ۳۱۲

(آیه ۹۹) - در این آیه آنها را ملامت می کند و می فرماید: «بگو: ای اهل کتاب! چرا افرادی را که ایمان آوردهاند از راه خدا باز می دارید و می خواهید برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۱۳

این راه را کج سازید در حالی که شما (به درستی این راه) گواه هستید» (قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ).

چرا علاوه بر انحراف خود بار سنگینی مسؤولیت انحراف دیگران را نیز بر دوش می کشید؟ در حالی که شما باید نخستین دسته ای باشید که این منادی الهی را «لبیک» گویید، زیرا بشارت ظهور این پیامبر قبلا در کتب شما داده شده و شما گواه بر آنید.

در پایان آیه آنها را تهدید می کند که: «خداوند هر گز از اعمال شما غافل نیست» (وَ مَا اللَّهُ بِغافِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۰] ص: ۳۱۳

(آیه ۱۰۰)- در این آیه روی سخن را به مسلمانان اغفال شده کرده می گوید:

«ای کسانی که ایمان آورده اید! اگر از جمعی از اهل کتاب (که کارشان نفاق افکنی و شعلهور ساختن آتش کینه و عداوت در میان شماست) اطاعت کنید شما را پس از ایمان آوردن به کفر باز می گردانند» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تُطِیعُوا فَرِیقاً مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ یَرُدُّوکُمْ بَعْدَ إِیمانِکُمْ کافِرِینَ).

بنابراین به وسوسههای آنها ترتیب اثر ندهید و اجازه ندهید در میان شما نفوذ کنند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۱] ص: ۳۱۳

(آیه ۱۰۱)- در این آیه به صورت تعجب از مؤمنان سؤال می کند: «و چگونه ممکن است شما کافر شوید با این که (در دامان وحی قرار گرفته اید) و آیات خدا بر شما خوانده می شود و پیامبر او در میان شماست» (وَ کَیْفَ تَکْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلی عَلَیْکُمْ آیاتُ اللَّهِ وَ فِیکُمْ رَسُولُهُ).

بنابراین، اگر دیگران گمراه شوند زیاد جای تعجب نیست، تعجب در این است افرادی که پیامبر را در میان خود می بینند و دائما با عالم وحی در تماس هستند چگونه ممکن است گمراه گردند و مسلما اگر چنین اشخاصی گمراه شوند مقصر اصلی خود آنها هستند و مجازاتشان بسیار دردناک خواهد بود.

در پایان آیه به مسلمانان توصیه می کند که برای نجات خود از وسوسههای دشمنان، و برای هدایت یافتن به صراط مستقیم، دست به دامن لطف پروردگار برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۱۴

بزنند، و به ذات پاک او و آیات قرآن مجید متمسک شوند، میفرماید: «و هر کس به خدا تمسک جوید به راه مستقیم هدایت شده است» (وَ مَنْ یَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِیَ إِلَی صِراطٍ مُسْتَقِیم).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۲] ص: ۳۱۴

اشاره

(آیه ۱۰۲)

شأن نزول: ص: 314

در شأن نزول این آیه و آیه بعد گفته اند: روزی دو نفر از قبیله «اوس» و «خرزج» به نام «ثعلبهٔ بن غنم» و «اسعد بن زراره» در برابر یکدیگر قرار گرفتند، و هر کدام افتخاراتی را که بعد از اسلام نصیب قبیله او شده بود بر می شمرد، «ثعلبه» گفت: خزیمهٔ بن ثابت (ذو الشهادتین) و حنظله (غسیل الملائکهٔ) که هر کدام از افتخارات مسلمانانند، از ما هستند، و همچنین عاصم بن ثابت، و سعد بن معاذ از ما می باشند.

در برابر او «اسعد بن زراره» که از طایفه خزرج بود گفت: چهار نفر از قبیله ما در راه نشر و تعلیم قرآن خدمت بزرگی انجام دادند: ابی بن کعب، و معاذ بن جبل، و زید بن ثابت، و أبو زید، به علاوه «سعد بن عباده» رئیس و خطیب مردم مدینه از ماست.

کم کم کار به جای باریک کشید، و قبیله دو طرف از جریان آگاه شدند، و دست به اسلحه کرده، در برابر یکدیگر قرار گرفتند، بیم آن می رفت که بار دیگر آتش جنگ بین آنها شعلهور گردد و زمین از خون آنها رنگین شود! خبر به پیامبر رسید، حضرت فورا به محل حادثه آمد، و با بیان و تدبیر خاص خود به آن وضع خطرناک پایان داد، و صلح و صفا را در میان آنها برقرار نمود. آیه نازل گردید و به صورت یک حکم عمومی همه مسلمانان را با بیان مؤثر و مؤکدی دعوت به اتحاد نمود.

تفسير: ص: 314

دعوت به تقوی - در این آیه نخست دعوت به تقوی شده است تا مقدمهای برای دعوت به سوی اتحاد باشد، در حقیقت دعوت به اتحاد بدون استمداد از یک ریشه اخلاقی و عقیدهای بی اثر و یا بسیار کم اثر است، به همین دلیل در این آیه کوشش شده است تا عوامل ایجاد کننده اختلاف و پراکندگی در پرتو ایمان و تقوی تضعیف گردند. لذا افراد با ایمان را مخاطب ساخته، می گوید: بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۱۵

«ای کسانی که ایمان آوردهاید! آن گونه که حق تقوی و پرهیزکاری است از خدا بپرهیزید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِه).

«حق تقوی» آخرین و عمالیترین درجه پرهیز کماری است، که پرهیز از هر گونه گنماه و عصمیان و تعمدی و انحراف از حق و نیز اطاعت از فرمان خداوند و شکر نعمتهای او را شامل می شود.

در پایان آیه به طایفه اوس و خزرج و همه مسلمانان جهان هشدار می دهد که به هوش باشند، تا عاقبت و پایان کار آنها به بدبختی نگراید، لذا با تأکید می فرماید: «و از دنیا نروید مگر این که مسلمان باشید» باید گوهر ایمان را تا پایان عمر حفظ کنید (وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۳] ص: ۳۱۵

(آیه ۱۰۳) - دعوت به سوی اتحاد! در این آیه بحث نهایی که همان «مسأله اتحاد و مبارزه با هر گونه تفرقه» باشد مطرح شده، می فرماید: «و همگی به ریسمان الهی چنگ بزنید، و از هم پراکنده نشوید» (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِیعاً وَ لا تَفَرَّقُوا).

در باره «بِحَبْلِ اللَّهِ» (ریسمان الهی) مفسران احتمالات مختلفی ذکر کردهاند و در روایات اسلامی نیز تعبیرات گوناگونی دیده می شود ولی هیچ کدام با یکدیگر اختلاف ندارند زیرا منظور از «ریسمان الهی» هر گونه وسیله ارتباط با ذات پاک خداوند است، خواه این وسیله اسلام باشد، یا قرآن، یا پیامبر و اهل بیت او.

سپس قرآن به نعمت بزرگ اتحاد و برادری اشاره کرده و مسلمانان را به تفکر در وضع اندوهبار گذشته، و مقایسه آن «پراکندگی» با این «وحدت» دعوت می کند، می گوید: «و نعمت (بزرگ) خدا را بر خود به یاد آرید که چگونه دشمن یکدیگر بودید و او در میان دلهای شما الفت ایجاد کرد، و به برکت نعمت او برادر شدید» (وَ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ کُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَفَ بَیْنَ قُلُوبِکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخُواناً).

در اینجا مسأله تألیف قلوب مؤمنان را به خود نسبت داده می گوید: «خدا در میان دلهای شما الفت ایجاد کرد» با این تعبیر، اشاره به یک معجزه اجتماعی اسلام نموده، زیرا اگر سابقه دشمنی و عداوت پیشین عرب را درست بررسی کنیم برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۱۶

خواهیم دیـد که چگونه یک موضوع جزئی و ساده کافی بود آتش جنگ خونین در میان آنها بیفروزد و ثابت میگردد که از طرق عادی امکان پذیر نبود که از چنان ملت پراکنده و نادان و بیخبر، ملتی واحد و متحد و برادر بسازند.

اهمیت وحدت و برادری در میان قبایل کینه توز عرب حتی از نظر دانشمندان و مورّخان غیر مسلمان مخفی نمانده و همگی با اعجاب فراوان از آن یاد کردهاند! سپس قرآن می افزاید: «شما در گذشته در لبه گودالی از آتش بودید که هر آن ممکن بود در آن سقوط کنید و همه چیز شما خاکستر گردد» (وَ کُنْتُمْ عَلی شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها).

اما خداوند شما را نجات داد و از این پرتگاه به نقطه امن و امانی که همان نقطه «برادری و محبت» بود رهنمون ساخت.

«نـار» (آتش) در آیه فوق کنـایه از جنگهـا و نزاعهـایی بوده که هر لحظه در دوران جاهلیت به بهانهای در میان اعراب شـعلهور مـــشد.

در پایان آیه برای تأکیـد بیشتر میگویـد: «خداونـد این چنین آیات خود را بر شـما روشن میسازد شایـد قبول هـدایت کنیـد» (کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ).

بنابر این، هدف نهایی هدایت و نجات شماست، پس باید به آنچه گفته شد اهمیت فراوان دهید.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۴] ص: ۳۱۶

(آیه ۱۰۴)– دعوت به حق و مبارزه با فساد! در این آیه دستور داده شده که: «همواره در میان شما مسلمانان باید امتی باشند که این دو وظیفه بزرگ اجتماعی را انجام دهنـد: مردم را به نیکیها دعوت کننـد، و از بـدیها باز دارنـد» (وَ لْتَکُنْ مِنْکُمْ أُمَّةُ یَدْعُونَ إِلَی الْخَیْرِ وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَن الْمُنْکَرِ). و در پایـان آیه تصـریح میکنـد که فلاـح و رسـتگاری تنهـا از این راه ممکن است «و آنهـا همـان رسـتگارانند» (وَ أُولئِکُ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله در ضمن یک مثال جالب، منطقی بودن وظیفه امر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۱۷

به معروف و نهی از منکر را مجسم ساخته و حق نظارت فرد بر اجتماع را یک حق طبیعی که ناشی از پیوند سرنوشتهاست، بر شمرده و می فرماید: «یک فرد گنهکار، در میان مردم همانند کسی است که با جمعی سوار کشتی شود، و هنگامی که در وسط دریا قرار گیرد تبری برداشته و به سوراخ کردن موضعی که در آن نشسته است بپردازد، و هر گاه به او اعتراض کنند، در جواب بگوید من در سهم خود تصرف می کنم! اگر دیگران او را از این عمل خطرناک باز ندارند؟ طولی نمی کشد که آب دریا به داخل کشتی نفوذ کرده و یکباره همگی در دریا غرق می شوند».

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۵] ص: ۳۱۷

(آیه ۱۰۵) - در این آیه مجددا پیرامون مسأله اتحاد و پرهیز از تفرقه و نفاق بحث می کند، می فرماید: «و مانند کسانی نباشید که پراکنده شدند و اختلاف کردند» (وَ لا تَکُونُوا کَالَّذِینَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا).

اصرار قرآن در این آیات در باره اجتناب از تفرقه و نفاق، اشاره به این است که این حادثه در آینده در اجتماع آنها وقوع خواهد یافت زیرا هر کجا قرآن در ترساندن از چیزی زیاد اصرار نموده اشاره به وقوع و پیدایش آن می باشد.

لـذا در پایـان آیه میفرمایـد: «کسـانی که بـا بودن ادله روشن در دین چنـان اختلاف کننـد به عـذاب عظیم و دردناکی گرفتار می گردند» (مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَیِّناتُ وَ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ).

جامعهای که اساس قدرت و ارکان همبستگیهای آنان با تیشههای تفرقه در هم کوبیده شود، سرزمین آنان برای همیشه جولانگاه بیگانگان و قلمرو حکومت استعمار گران خواهد بود، راستی چه عذاب بزرگی است!

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۶] ص: ۳۱۷

(آیه ۱۰۶) - چهره های نورانی و تاریک! به دنبال هشداری که در آیات سابق در باره تفرقه و نفاق و بازگشت به آثار دوران کفر و جاهلیت داده شد در این آیه و آیه بعد به نتایج نهایی آن اشاره می کند که چگونه کفر موجب رو سیاهی و اسلام، و ایمان موجب رو سفیدی است، می فرماید: «در روز رستاخیز چهرههایی سفید و نورانی و چهرههایی تاریک و سیاه خواهد بود» (یَوْمَ تَبْیَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُ وُجُوهٌ).

سپس می فرماید: به آنها که چهرههای سیاه و تاریک دارند گفته می شود: برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۱۸ «چرا بعد از ایمان، راه کفر را پیمودید (؟) و چرا بعد از اتحاد در پرتو اسلام، راه نفاق و جاهلیت را پیش گرفتید»؟ (فَأُمَّا الَّذِینَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ کَفَوْتُمْ بَعْدَ إِیمانِکُمْ).

در پایان آیه به عذابی که در انتظار آنهاست اشاره کرده، می گوید: «پس (اکنون) بچشید عذاب را در برابر آنچه کفر ورزیدید» (فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۷] ص: ۳۱۸

(آیه ۱۰۷) - ولی در مقابل مؤمنان متحد غرق در دریای رحمت الهی خواهند بود و جاودانه در آن زندگی آرام بخش به سر می برند چنانکه قرآن می گوید:

«و اما آنها که چهرههایشان سفید شده در رحمت خداوند خواهند بود، و جاودانه در آن میمانند» (وَ أَمَّا الَّذِینَ ابْیُضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِی رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِیها خالِدُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۸] ص: ۳۱۸

(آیه ۱۰۸)-این آیه اشاره به بحثهای مختلف گذشته در باره اتحاد و اتفاق و ایمان و کفر و امر به معروف و نهی از منکر و نتایج و عواقب آنها کرده می فرماید:

«اينها آيات خداست كه به حق بر تو ميخوانيم» (تِلْكُ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكُ بِالْحَقِّ).

سپس می افزاید: آنچه بر اثر تخلف از این دستورات دامنگیر افراد می شود، نتیجه اعمال خود آنهاست «و خداوند (هیچ گاه) ستمی برای (احدی از) جهانیان نمی خواهد» (وَ مَا اللَّهُ یُریدُ ظُلْماً لِلْعالَمِینَ).

بلکه این آثار شوم، همان است که با دست خود برای خود فراهم ساختند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۰۹] ص: ۳۱۸

(آیه ۱۰۹)- این آیه مشتمل دلیل بر عدم صدور ظلم و ستم از ناحیه خداست، می فرماید: «و (چگونه ممکن است خدا ستم کند در حالی که) آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است از آن اوست و همه کارها به سوی او باز می گردد» و به فرمان او است (وَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ إِلَی اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱۰] ص: ۳۱۸

(آیه ۱۱۰) - باز هم مبارزه با فساد و دعوت به حق! در این آیه بار دیگر به مسأله امر به معروف و نهی از منکر و ایمان به خدا باز گشته و میفرماید: «شما بهترین امتی بودید که به سود انسانها آفریده شدید (چه این که) امر به معروف می کنید و نهی از منکر، و به خدا ایمان دارید» (کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۱۹ بالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

جالب این که دلیل بهترین امت بودن مسلمانان «امر به معروف و نهی از منکر کردن، و ایمان بخدا داشتن» ذکر گردیده، و این میرساند که اصلاح جامعه بشری بدون ایمان و دعوت به حق و مبارزه با فساد ممکن نیست. به علاوه انجام این دو فریضه، ضامن گسترش ایمان و اجرای همه قوانین فردی و اجتماعی میباشد و ضامن اجرا عملا بر خود قانون مقدم است. سپس اشاره می کند که مذهبی به این روشنی و قوانینی با این عظمت منافعش برای هیچ کس قابل انکار نیست، بنابراین «اگر اهل کتاب (یهود و نصاری) ایمان بیاورند به سود خودشان است (اما متأسفانه تنها) اقلیتی از آنها پشت پا به تعصبهای جاهلانه زده اند و اسلام را با آغوش باز پذیرفته اند در حالی که اکثریت آنها از تحت فرمان پروردگار خارج شده اند» (وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ

الْكِتابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱۱] ص: ۳۱۹

اشاره

(آیه ۱۱۱)

شأن نزول: ص: 319

در شأن نزول این آیه و آیه بعد نقل شده: هنگامی که بعضی از بزرگان روشن ضمیر یهود همچون عبد الله بن سلام با یاران خود آیین پیشین را ترک گفته و به آیین اسلام گرویدند، جمعی از رؤسای یهود به نزد آنها آمدند و زبان به سرزنش و ملامت آنان گشودند و حتی آنها را تهدید کردند که چرا آیین پدران و نیاکان خود را ترک گفته و اسلام آوردهاند؟ آیه به عنوان دلداری و بشارت به آنها و سایر مسلمانان نازل گردید.

تفسير: ص: 319

این آیه و آیه بعد در حقیقت متضمن چند پیشگویی و بشارت مهم به مسلمانان است که همه آنها در زمان پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله عملی گردید:

۱- «اهـل کتـاب هیـچ گـاه نمی تواننـد ضـرر مهمی به شـما (مسـلمانان) برساننـد، و زیانهای آنها جزئی و زود گـذر است» (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذِيً).

۲- «هر گاه در جنگ با شما رو برو شونـد سر انجام شـکست خواهنـد خورد و پیروزی نهایی از آن شما (مسلمانان) است و
 کسی به حمایت از آنان بر نخواهد خاست» (وَ إِنْ یُقاتِلُو کُمْ یُوَلُّو کُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا یُنْصَرُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۲۰

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱۲] ص: ۳۲۰

(آیه ۱۱۲) – سوم: آنها هیچ گاه روی پای خود نمیایستند، و همواره ذلیل و بیچاره خواهند بود، مگر این که در برنامه خود تجدید نظر کنند و راه خدا پیش گیرند یا به دیگران متوسل شوند و موقتا از نیروی آنها استفاده کنند (ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ الذِّلَّهُ أَیْنَ ما ثُقَفُوا).

طولی نکشید که این سه وعده و بشارت آسمانی در زمان خود پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله تحقق یافت.

سپس در ذیل این جمله می فرماید: تنها در دو صورت است که می تواننـد این مهر ذلت را از پیشانی خود پاک کننـد، نخسـت «بازگشت و پیوند با خدا و ایمان به آیین راستین او» (إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ).

«و یا وابستگی به مردم و اتکاء به دیگران» (وَ حَبْلِ مِنَ النَّاسِ).

بنابراین، یا بایـد در برنامه زنـدگی خود تجدیـد نظر کننـد و به سوی خـدا باز گردند و خاطره خیال شـیطنت و کینهتوزی را از افکار خود بشویند، و یا از طریق وابستگی به این و آن به زندگی نفاق آلود خود ادامه دهند.

سپس قرآن به ذلّتی که یهود بـدان گرفتار آمـده اشاره کرده، می گوید: «و در خشم خدا مسکن گزیدهاند، و مهر بیچارگی بر آنها زده شده» (وَ باؤُ بِغَضَبِ مِنَ اللّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ).

به این ترتیب یهود بر اثر خلافکاریها نخست از طرف دیگران مطرود شدند و به خشم خداوند گرفتار آمدند و سپس تدریجا این موضوع به صورت یک صفت ذاتی «احساس حقارت» در آمد.

در پایان آیه دلیل این سرنوشت شوم یهودیان را بیان می کند، می فرماید: اگر آنها به چنین سرنوشتی گرفتار شدند، نه به خاطر نژاد و یا خصوصیات دیگر آنها به آیات خدا کفر می ورزیدند» (ذلکک بِأَنَّهُمْ کانُوا یَکْفُرُونَ بآیاتِ اللَّهِ).

و دوم این که: اصرار در کشتن رهبران الهی و پیشوایان خلق و نجات دهندگان بشر یعنی انبیای پروردگار داشتند «و پیامبران را به ناحق می کشتند» (وَ یَقْتُلُونَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۲۱

الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)

.و سوم این که: آلوده به انواع گناهان مخصوصا ظلم و ستم و تعدی به حقوق دیگران و تجاوز به منافع سایر مردم بودهاند و اگر چنین ذلیل شدند «به خاطر آن است که گناه کردند و به حقوق دیگران تجاوز مینمودند» (ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ کانُوا نَعْتَدُونَ).

و مسلما هر قوم و ملتى كه داراى چنين اعمالي باشند سرنوشتى مشابه آنها خواهند داشت.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱۳] ص: ۳۲۱

اشاره

(آیه ۱۱۳)

شأن نزول: ص: 321

در شأن نزول این آیه و دو آیه بعد، گویند هنگامی که «عبد الله بن سلام» که از دانشمندان یهود بود با جمع دیگری از آنها اسلام آوردند یهودیان و مخصوصا بزرگان آنها از این حادثه بسیار ناراحت شدند، و در صدد برآمدند که آنها را متهم به شرارت سازند تا در انظار یهودیان، پست جلوه کنند، و عمل آنها سر مشقی برای دیگران نشود، لذا علمای یهود این اشعار را در میان آنها پخش کردند که تنها جمعی از اشرار ما به اسلام گرویدهاند! اگر آنها افراد درستی بودند آیین نیاکان خود را ترک نمی گفتند و به ملت یهود خیانت نمی کردند، آیه نازل شد و از این دسته دفاع کرد.

روح حق جویی اسلام- به دنبال مذمتهای شدیدی که در ایات گذشته از قوم یهود به عمل آمد، قرآن در این آیه برای رعایت عدالت و احترام به حقوق افراد شایسته و اعلام این حقیقت که همه آنها را نمی توان با یک چشم نگاه کرد می گوید: «اهل کتاب همه یکسان نیستند، و در برابر افراد تبهکار، کسانی در میان آنها یافت می شوند که در اطاعت خداوند و قیام بر ایمان ثابت قدمند» (لَیْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ).

صفت دیگر آنها این است که: «پیوسته در دل شب آیات خدا را تلاوت می کنند» (یَتْلُونَ آیاتِ اللَّهِ آناءَ اللَّیْلِ). و در پایان آیه از خضوع آنها یاد می کند و می فرماید: «و در برابر عظمت پروردگار به سجده می افتند» (وَ هُمْ یَسْجُدُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۲۲

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١١٤] ص: ٣٢٢

(آیه ۱۱۴) - در این آیه اضافه می کند: «به خدا و روز رستاخیز ایمان دارند» (یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ). «و به وظیفه امر به معروف و نهی از منکر قیام می کنند» (وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ). «و در کارهای نیک بر یکدیگر سبقت می گیرند» (وَ یُسارِعُونَ فِی الْخَیْراتِ). و بالاخره «آنها از افراد صالح و با ایمان هستند» (وَ أُولِئِکَ مِنَ الصَّالِحِینَ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١١٥] ص: ٣٢٢

(آیه ۱۱۵) - در این آیه که در حقیقت مکمل آیات قبل است، به عاقبت افراد صالح و با ایمان اشاره کرده و میفرماید: «و (این دسته از اهل کتاب) آنچه از اعمال نیک انجام میدهند هرگز کفران نخواهد شد» و پاداش شایسته همه آن را می بینند (وَ ما یَفْعَلُوا مِنْ خَیْرِ فَلَنْ یُکْفَرُوهُ).

یعنی: هر چند در گذشته مرتکب خلافهایی شده باشند اکنون که در روش خود تجدید نظر به عمل آوردهاند و در صف متقین و پرهیزکاران قرار گرفتهاند، نتیجه اعمال نیک خود را خواهند دید و هرگز از خدا، ناسپاسی نمی بینند! با این که خداوند به همه چیز آگاهی دارد در پایان آیه می فرماید: «خداوند از پرهیزکاران آگاه است» (وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِالْمُتَّقِینَ). بنابراین اعمال نیک آنها، کم باشد یا زیاد، هرگز ضایع نمی شود.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱۶] ص: ۳۲۲

(آیه ۱۱۶)- نقطه مقابل افراد با ایمان و حق جویی که وصف آنها در آیه قبل آمد افراد بی ایمان و ستمگری هستند که در این آیه و آیه بعد توصیف شدهاند.

نخست مىفرمايىد: «آنها كه راه كفر را پيش گرفتنىد هرگز نمىتواننىد در پناه ثروت و فرزنىدان متعدد خويش ار مجازات خدا در امان بمانند» (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً).

در این که از امکانات مادی تنها اشاره به ثروت و فرزندان شده، به خاطر آن است که مهمترین سرمایههای مادی، یکی نیروی

انسانی است که به عنوان فرزندان ذکر شده است و دیگری سرمایههای اقتصادی میباشد و بقیه امکانات مادی از این دو سر چشمه می گیرد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۲۳

قرآن با صراحت می گوید: امتیازهای مالی، و قدرت جمعی، به تنهایی نمیتواند در برابر خداوند، امتیازی محسوب شود، و تکیه کردن بر آنها اشتباه است، مگر هنگامی که در پرتو ایمان و نیت پاک در مسیرهای صحیح به کار گرفته شوند، در غیر این صورت «آنها (صاحبان اموال) اصحاب دوزخند و جاودانه در آن خواهند بود» (اُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١١٧] ص: ٣٢٣

(آیه ۱۱۷) - در این آیه اشاره به وضع بذل و بخششها و انفاقهای ریاکارانه آنها نموده و ضمن یک مثال جالب سرنوشت آن را تشریح می کند و می گوید: «آنچه آنها در این زندگی دنیا انفاق می کنند همانند باد سوزانی است که به زراعت قومی که بر خود ستم کردهاند (و در غیر محل یا وقت مناسب کشت نمودهاند) بوزد و آن را نابود سازد آئلُ ما یُنْفِقُونَ فِی هذِهِ الْحَیاهِ اللَّنْیا کَمَثُلِ رِیحِ فِیها صِرُّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْم ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ)

افراد بیایُمان و آلوده چون انگیزه صحیحی در انفاق خود ندارند روح خودنمایی و ریاکاری همچون باد سوزان و خشک کنندهای بر مزرعه انفاق آنها میوزد و آن را بیاثر میسازد.

در پایان می فرماید: «خداوند به آنها ستمی نکرده، بلکه آنها خودشان ستم به خویشتن کردهاند) ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لکِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلُمُونَ)

به این ترتیب سرمایه های خود را بیهوده از بین می برند، زیرا عمل فاسد جز اثر فاسد چه نتیجه ای می تواند داشته باشد؟

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱۸] ص: ۳۲۳

اشاره

(آیه ۱۱۸)

شأن نزول: ص: 322

از ابن عباس نقل شده این آیه و دو آیه بعد هنگامی نازل شد که عدهای از مسلمانان با یهودیان، به سبب قرابت، یا همسایگی، یا حقّ رضاع، و یا پیمانی که پیش از اسلام بسته بودند، دوستی داشتند و به قدری با آنها صمیمی بودند که اسرار مسلمانان را به آنان می گفتند، بدین وسیله قوم یهود که دشمن سرسخت اسلام و مسلمین بودند و به ظاهر خود را دوست مسلمانان قلمداد می کردند، از اسرار مسلمانان مطلع می شدند، آیه نازل شد و به آن عده از مسلمانان هشدار داد که چون آنها در دین شما نیستند، نباید آنان را محرم اسرار خود قرار دهید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۲۴

بیگانگان را محرم اسرار خود نسازید- این آیه به دنبال آیاتی که مناسبات مسلمانان را با کفار بیان کرد به یکی از مسائل حساس اشاره کرده و ضمن تشبیه لطیفی به مؤمنان هشدار میدهد، می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! غیر از هم مسلکان خود برای خود، دوست و همرازی انتخاب نکنید، و بیگانگان را از اسرار و رازهای درونی خود با خبر نسازید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بطانَةً مِنْ دُونِکُمْ لا یَأْلُونَکُمْ خَبالًا).

هرگز سوابق دوستی و رفاقت آنها با شما مانع از آن نیست که به خاطر جدایی در مذهب و مسلک آرزوی زحمت و زیان شما را در دل خود نپرورانند، بلکه «پیوسته علاقه آنها این است که شما در رنج و زحمت باشید» (وَدُّوا ما عَنِتُّمْ).

آنها برای این که شما از مکنونات ضمیرشان آگاه نشوید، و رازشان فاش نگردد، معمولاً در سخنان و رفتار خود مراقبت می کنند، و با احتیاط و دقت حرف می زنند، ولی با وجود این «آثار عداوت و دشمنی از لابلای سخنان آنها آشکار است» (قَدْ بَدَتِ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْواهِهمْ).

خلاصه این که خداوند بدین وسیله طریقه شناسایی باطن دشمنان را نشان داده، و از ضمیر باطن و راز درونیشان خبر میدهد و می فرماید: «آنچه از عداوت و دشمنی در دل خود پنهان کردهاند، به مراتب از آنچه بر زبان می آورند بزرگتر است» (وَ ما تُخْفِی صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ).

سپس اضافه نموده: «ما برای شـما این آیات را بیان کردیم، که اگر در آن تدبّر کنید» به وسیله آن می توانید دوست خود را از دشمن تمیز دهید، و راه نجات را از شرّ دشمنان پیدا کنید (قَدْ بَیَّنّا لَکُمُ الْآیاتِ إِنْ کُنْتُمْ تَعْقِلُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۱۹] ص: ۳۲۴

(آیه ۱۱۹) - در این آیه می فرماید: «شما ای جمعیت مسلمانان آنان را روی خویشاوندی و یا همجواری و یا به علل دیگر دوست می دارید، غافل از این که آنها شما را دوست نمی دارند، در حالی که شما به تمام کتابهایی که از طرف خداوند نازل شده (اعم از کتاب خودتان و کتابهای آسمانی آنها) ایمان دارید، ولی آنان به کتاب آسمانی شما ایمان ندارند» (ها أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لا یُحِبُّونَکُمْ بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۲۵

وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ)

.سپس قرآن چهره اصلی آنها را معرفی کرده، می گوید: «این دسته از اهل کتاب منافق هستند، چون با شما ملاقات کنند، می گویند ما ایمان داریم و آیین شما را تصدیق می کنیم، ولی چون تنها شوند، از شدت کینه و عداوت و خشم سر انگشتان خود را به دندان می گیرند» (وَ إِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنًا وَ إِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ).

اى پيامبر! «بگو: با همين خشمى كه داريد، بميريد» و اين غصّه تا روز مرك دست از شما برنخواهد داشت (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ). شما از وضع آنها آگاه نبوديد، و خدا آگاه است «زيرا خداوند از اسرار درون سينه ها باخبر است» (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِلناتِ الصُّدُور). الصُّدُور).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۰] ص: ۳۲۵

(آیه ۱۲۰) - در این آیه یکی از نشانههای کینه و عداوت آنها بازگو شده است که «اگر فتح و پیروزی و پیشامد خوبی برای شما رخ دهد، آنها ناراحت میشوند، و چنانچه حادثه ناگواری برای شما رخ دهد خوشحال میشوند، (إِنْ تَمْسَدُكُمْ حَسَينَةً تَسُوْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّنَةً يَفْرُحُوا بِها).

«اما اگر در برابر کینه توزیهای آنها استقامت کنید، و پرهیزکار و خویشتن دار باشید، آنان نمی توانند به وسیله نقشه های خائنانه خود به شما لطمه ای وارد کنند، زیرا خداوند به آنچه می کنید کاملا احاطه دارد» (وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا یَضُ رُّکُمْ کَیْدُهُمْ شَیْئاً إِنَّ اللَّهَ بِما یَعْمَلُونَ مُحِیطٌ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۱] ص: ۳۲۵

(آیه ۱۲۱)- از این به بعد آیاتی شروع می شود که در باره یک حادثه مهم و پردامنه اسلامی یعنی جنگ «احد» نازل شده. در آغاز اشاره به بیرون آمدن پیامبر از مدینه برای انتخاب لشکرگاه در دامنه احد کرده و می گوید: «به خاطر بیاور ای پیامبر! آن روز را که صبحگاهان از مدینه از میان بستگان و اهل خود بیرون آمدی تا برای مؤمنان پایگاههایی برای نبرد با دشمن آماده سازی و خداوند شنوا و داناست» (وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِکَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِینَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۲۶

سپس به گوشه دیگری از این ماجرا اشاره کرده میفرماید: «در آن هنگام دو طایفه از مسلمانان (که طبق نقل تواریخ «بنو سلمه» از قبیله اوس و «بنو حارثه» از قبیله خزرج بودند) تصمیم گرفتند که سستی به خرج دهند و از وسط راه به مدینه باز گردند» (إذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا).

علت این تصمیم شاید این بود که آنها از طرفداران نظریه «جنگ در شهر» بودند و پیامبر با نظر آنها مخالفت کرده بود، اما چنانکه از ذیل آیه استفاده می شود آن دو طایفه به زودی از تصمیم خود بازگشتند، و به همکاری با مسلمانان ادامه دادند، لذا قرآن می گوید: «خداوند یاور و پشتیبان این دو طایفه بود و افراد با ایمان باید بر خدا تکیه کنند» (وَ اللَّهُ وَلِیُّهُما وَ عَلَی اللَّهِ فَلْیَتَوَکَّل الْمُؤْمِنُونَ) «۱».

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۳] ص: ۳۲۶

(آیه ۱۲۳) – از اینجا به بعد آیاتی است که برای تقویت روحیه، شکستخورده مسلمانان در یک حالت بحرانی نازل گردید، نخست در آن اشاره به پیروزی چشمگیر مسلمانان در میدان بدر شده تا با یادآوری آن خاطره، به آینده خویش دلگرم شوند و لذا می فرماید: «خداوند شما را در بدر پیروزی داد در حالی که نسبت به دشمن ضعیف، و از نظر عده و تجهیزات قابل مقایسه با آنها نبودید» (وَ لَقَدْ نَصَرَ کُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّهُ).

عدد شما ٣١٣ نفر با تجهيزات كم، و مشركان بيش از هزار نفر و با تجهيزات فراوان بودند.

«حال که چنین است، از خدا بپرهیزید، و از تکرار مخالفت فرمان پیشوای خود، یعنی پیامبر اجتناب کنید تا شکر نعمتهای گوناگون او را بجای آورده باشید» (فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۴] ص: ۳۲۶

(آیه ۱۲۴)– سپس خاطره یاری مسلمانان را در میدان بدر به وسیله فرشتگان یادآوری کرده و می گوید: «در آن هنگام که تو، به مؤمنان می گفتی: آیا کافی نیست پروردگارتان شما را به سه هزار نفر از فرشتگان که (از آسمان) فرود آیند

(۱) مشروح ماجرای احد را ذیل همین آیه در «تفسیر نمونه» مطالعه فرمایید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۲۷

يارى كند»! (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۵] ص: ۳۲۷

(آیه ۱۲۵)- «آری! امروز هم اگر استقامت به خرج دهید و به استقبال سپاه قریش بشتابید، و تقوا را پیشه کنید، و مانند روز گذشته، با فرمان پیامبر مخالفت ننمایید، اگر در این حال مشرکان به سرعت به سوی شما برگردند، خداوند به وسیله پنج هزار نفر از فرشتگان که همگی دارای نشانه های مخصوصی هستند شما را یاری خواهد کرد» (بَلی إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا یُمْدِدْکُمْ رَبُّکُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِکَةِ مُسَوِّمِینَ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٢٦] ص: ٣٢٧

(آیه ۱۲۶)- «اما توجه داشته باشید که آمدن فرشتگان به یاری شما، تنها برای تشویق و بشارت و اطمینان خاطر و تقویت روحیه شماست، و گر نه پیروزی تنها از ناحیه خداوندی است که بر همه چیز قادر و در همه کار حکیم است» هم راه پیروزی را میداند و هم قدرت بر اجرای آن دارد (وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْری لَکُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُکُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْ رُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِیزِ النَّهِ الْعَزِیزِ اللَّهِ الْعَزِیزِ اللَّهِ الْعَکِیم).

سورهٔ آل عمران(٣): آیهٔ ۱۲۷] ص: ۳۲۷

(آیه ۱۲۷) - در این آیه خداوند میفرماید: «این که به شما وعده داده شده است که فرشتگان را در برخورد جدید با دشمن به یاری شما بفرستد، برای این است که قسمتی از پیکر لشکر مشرکان را قطع کند، و آنها را با ذلّت و رسوایی باز گرداند» (لِیَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَوْ یَکْبِتَهُمْ فَیَنْقَلِبُوا خائِبِینَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۸] ص: ۳۲۷

اشاره

(آیه ۱۲۸)

شأن نزول: ص: 327

پس از آن که دندان و پیشانی پیامبر صلّی الله علیه و آله در جنگ «احد» شکست و آن همه ضربات سخت بر پیکر مسلمین وارد شد، پیامبر از آینده مشرکان نگران گردید و پیش خود فکر می کرد چگونه این جمعیت قابل هدایت خواهند بود و فرمود: «چگونه چنین جمعیتی رستگار خواهند شد که با پیامبر خود چنین رفتار می کنند در حالی که وی آنها را به سوی خدا دعوت می کند».

آیه نازل شد و به پیامبر دلداری داد که تو مسؤول هدایت آنها نیستی بلکه تنها موظف به تبلیغ آنها میباشی.

تفسير: ص: ٣٢٧

در تفسیر این آیه سخن بسیار رفته است ولی این موضوع مسلم است برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۲۸ که پس از جنگ احد نازل شده و مربوط به حوادث آن است.

به هر حال آیه می گوید: «در باره سرنوشت (کافران یا مؤمنان فراری از جنگ) کاری از دست تو ساخته نیست مگر این که خدا بخواهد آنها را ببخشد یا به خاطر ستمی که کردهاند مجازاتشان کند» (لَیْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَیْءٌ أَوْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ أَوْ یُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۲۹] ص: ۳۲۸

(آیه ۱۲۹) - این آیه در حقیقت تأکیدی است برای آیه قبل، می گوید:

«و آنچه در آسمانها و زمین است از آن خداست، هر کس را بخواهد (و شایسته بداند) میبخشد و هر کس را بخواهد مجازات می کند» (وَ لِلَّهِ ما فِی الشَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ).

سپس می افزاید: در عین حال که مجازات او شدید است «او آمرزنده و مهربان است» و رحمت او بر غضب او پیشی می گیرد (وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۰] ص: ۳۲۸

(آیه ۱۳۰)- تحریم رباخواری! این آیه و هشت آیه بعد از آن محتوی یک سلسله برنامههای اقتصادی، اجتماعی و تربیتی است. در این آیه روی سخن را به مؤمنان کرده، میفرماید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! ربا (و سود پول) را چند برابر نخورید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَأْکُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً).

عرب در زمان جاهلیت آلودگی شدیدی به رباخواری داشت، به همین دلیل قرآن برای ریشه کن ساختن رباخواری حکم تحریم را تدریجا و در چهار مرحله بیان کرده است:

۱- در آیه ۳۹ سوره روم در باره «ربا» به یک پند اخلاقی قناعت شده.

۲- در آیه ۱۶۱ سوره نساء «ربا» به عنوان یک عادت زشت یهود مورد سرزنش قرار گرفته است.

۳- در آیات ۲۷۵ تا ۲۷۹ سوره بقره، نیز هر گونه رباخواری را ممنوع و در حکم جنگ با خدا ذکر نموده است.

۴- و بالاخره در آیه مورد بحث، حکم تحریم ربا صریحا ذکر شده، امّا تنها به یک نوع از انواع ربا که نوع شدید و فاحش آن

است اشاره شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۲۹

منظور از «ربا فاحش» این است که سرمایه به شکل تصاعدی در مسیر ربا سیر کند یعنی سود در مرحله نخستین با اصل سرمایه ضمیمه شود و مجموعا مورد ربا قرار گیرند.

در پایان آیه میفرماید: «اگر میخواهید رستگار شوید باید تقوی را پیشه کنید و از این گناه بپرهیزید» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۱] ص: ۳۲۹

(آیه ۱۳۱) - در این آیه، مجددا روی حکم تقوی تأکید کرده، میفرماید:

«و از آتشی بیر هیزید، که برای کافران آماده شده است» (وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ).

از تعبیر «کافرین» استفاده می شود که اصولا رباخواری با روح ایمان سازگار نیست و رباخواران از آتشی که در انتظار کافران است سهمی دارند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۲] ص: ۳۲۹

(آیه ۱۳۲) - تهدید آیه قبل با تشویقی که در این آیه برای مطیعان و فرمانبرداران ذکر شده تکمیل می گردد، میفرماید: «فرمان خدا و پیامبر را اطاعت کنید و رباخواری را ترک گویید تا مشمول رحمت الهی شوید» (وَ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۳] ص: ۳۲۹

(آیه ۱۳۳۳) – مسابقه در مسیر سعادت! به دنبال آیات گذشته که بدکاران را تهدید به مجازات آتش و نیکوکاران را تشویق به رحمت الهی میکرد، در این آیه کوشش و تلاش نیکوکاران را تشبیه به یک مسابقه معنوی کرده که هدف نهایی آن آمرزش الهی و نعمتهای جاویدان بهشت است، میفرماید: «برای رسیدن به آمرزش الهی بر یکدیگر سبقت بگیرید» (و سارِعُوا إِلی مَغْفِرَهُ مِنْ رَبِّکُمْ).

از آنجا که رسیدن به هر مقام معنوی بدون آمرزش و شستشوی از گناه ممکن نیست، هدف این مسابقه معنوی در درجه اول مغفرت و دومین هدف آن بهشت قرار داده شده «بهشتی که وسعت آن، پهنه آسمانها و زمین است» (وَ جَنَّهُ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ).

در پایان آیه تصریح می کند که: «این بهشت، با آن عظمت، برای پرهیز کاران آماده شده است» (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۳۰

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۴] ص: ۳۳۰

(آیه ۱۳۴) - سیمای پرهیز کاران! از آنجا که در آیه قبل وعده بهشت جاویدان به پرهیز کاران داده شده در این آیه پرهیز کاران

را معرفی می کند و پنج صفت از اوصاف عالی و انسانی برای آنها ذکر نموده است:

۱- «آنها در همه حال انفاق میکننید چه موقعی که در راحتی و وسعتند و چه زمانی که در پریشانی و محرومیتنید» (الَّذِینَ یُنْفِقُونَ فِی السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ).

جالب توجه این که در اینجا نخستین صفت برجسته پرهیزکاران «انفاق» ذکر شده، زیرا این آیات نقطه مقابل صفاتی را که در باره رباخواران و استثمارگران در آیات قبل ذکر شد، بیان میکند، به علاوه گذشت از مال و ثروت آن هم در حال خوشی و تنگدستی روشنترین نشانه مقام تقواست.

٢- «آنها بر خشم خود مسلّطند» (وَ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ).

٣- «آنها از خطاى مردم مى گذرند» (وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ).

فرو بردن خشم بسیار خوب است اما به تنهایی کافی نیست زیرا ممکن است کینه و عداوت را از قلب انسان ریشه کن نکند، در این حال برای پایان دادن به حالت عداوت باید «کظم غیظ» با «عفو و بخشش» تو أم گردد.

۴- آنها نیکو کارند «و خداوند نیکو کاران را دوست دارد» (وَ اللَّهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

در اینجا اشاره به مرحله عالیتر از عفو شده، که انسان با نیکی کردن در برابر بدی (آنجا که شایسته است) ریشه دشمنی را در دل طرف بسوزاند و قلب او را نسبت به خویش مهربان گرداند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۵] ص: ۳۳۰

(آیه ۱۳۵)- پنجم: «و آنها که وقتی مرتکب عمل زشتی شونـد یا به خود سـتم کننـد به یاد خـدا میافتنـد و برای گناهان خود طلب آمرزش میکنند» (وَ الَّذِینَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ).

از آیه فوق استفاده می شود که انسان تا به یاد خداست مرتکب گناه نمی شود، اما این فراموشکاری و غفلت در افراد پرهیزکار دیری نمی پاید، به زودی به یاد خدا می افتند و گذشته را جبران می کنند «و کیست جز خدا که گناهان را برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۳۱

ببخشد»؟ (وَ مَنْ يَغْفِرُ اللَّذُنُوبَ إِلَّا اللَّهُ).

در پایان آیه برای تأکید میگوید: «آنها هرگز با علم و آگاهی بر گناه خویش اصرار نمیورزند و تکرار گناه نمیکنند» (وَ لَمْ یُصِرُّوا عَلی ما فَعَلُوا وَ هُمْ یَعْلَمُونَ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٣٦] ص: ٣٣١

(آیه ۱۳۶) - در این آیه پاداش پرهیز کارانی که صفات آنها در دو آیه گذشته آمد توضیح داده، می گوید: «آنها پاداششان آمرزش پروردگار و بهشتهایی است که از زیر درختانش نهرها جاری است (و لحظهای آب از آنها قطع نمی شود) بهشتی که بطور جاودان در آن خواهند بود» (أُولئِکَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها). و در پایان آیه می گوید: «این چه پاداش نیکی است برای آنها که اهل عمل هستند» (وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِینَ).

نه افراد واداده و تنبل که همیشه از تعهدات و مسؤولیتهای خویش می گریزند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۷] ص: ۳۳۱

(آیه ۱۳۷) - بررسی تاریخ گذشتگان! قرآن مجید پیوند فکری و فرهنگی نسل حاضر با گذشتگان برای درک حقایق، لازم و ضروری میداند، زیرا از ارتباط و گره خوردن این دو زمان (گذشته و حاضر) وظیفه و مسؤولیت آیندگان روشن می شود، در آیه مورد بحث می فرماید: «خداوند سنتهایی در اقوام گذشته داشته که این سنن هرگز جنبه اختصاصی ندارد و به صورت یک سلسله قوانین حیاتی در باره همگان اجرا می شود» (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ سُنَنٌ).

در این سنن پیشرفت و تعالی افراد با ایمان و مجاهد و متحد و بیدار پیش بینی شده و شکست و نابودی ملتهای پراکنده و بیایمان و آلوده به گناه نیز پیش بینی گردیده که در تاریخ بشریت ثبت است.

روی این جهت قرآن مجید به مسلمانان دستور میدهد «بروید در روی زمین بگردید و در آثار پیشینیان و ملتهای گذشته و زمامداران و فراعنه گردنکش و جبار دقت کنید، و بنگرید پایان کار آنها که کافر شدند، و پیامبران خدا را تکذیب کردند و بنیان ظلم و فساد را در زمین گذاردند، چگونه بود؟ و سر انجام کار آنها به کجا رسید»؟ (فَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُروا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُکَذِّبینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۳۲

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٣٨] ص: ٣٣٢

(آیه ۱۳۸) - در این آیه می گوید: «آنچه در آیات فوق گفته شد بیانیه روشنی است برای همه انسانها و وسیله هدایت و اندرزی است برای همه پرهیزکاران» (هذا بَیانٌ لِلنَّاس وَ هُدیً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِینَ).

یعنی در عین این که این بیانات جنبه همگانی و مردمی دارد تنها پرهیز کاران و افراد با هدف از آن الهام می گیرند و هدایت می شوند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۳۹] ص: ۳۳۲

اشاره

(آیه ۱۳۹)

شأن نزول: ص: 322

در مورد نزول این آیه و چهار آیه بعد از آن روایات متعددی وارد شده که از آنها استفاده می شود این چند آیه دنباله آیاتی است که در باره جنگ احد داشتیم، و این آیات تجزیه و تحلیلی است روی نتایج جنگ احد، زیرا همانطور که گفتیم جنگ احد بر اثر نافرمانی و عدم انضباط نظامی جمعی از سربازان اسلام، در پایان به شکست انجامید و جمعی از شخصیتها و چهرههای برجسته اسلام از جمله «حمزه» عموی پیامبر، در این میدان شربت شهادت نوشیدند.

پیامبر همان شب با یاران خود به میان کشتگان رفت و برای بزرگداشت ارواح شهداء بر سر جنازه یکایک آنها مینشست و اشک میریخت و طلب آمرزش مینمود، و سپس اجساد همه آنها در دامنه کوه احد در میان اندوه فراوان به خاک سپرده شد، در این لحظات حساس که مسلمانان نیاز شدید به تقویت روحی و هم استفاده معنوی از نتایج شکست داشتند این آیات نازل گردید.

تفسیر: ص: ۳۳۲

نتایج جنگ احد- در این آیه به مسلمانان هشدار داده، می گوید افراد بیدار همانطور که از پیروزیها استفاده می کنند از شکستها نیز درس می آموزند و در پرتو آن نقاط ضعفی را که سر چشمه شکست شده، پیدا می کنند و با برطرف ساختن آن برای پیروزی نهایی آماده می شوند، لذا آیه شریفه می فرماید: «و سست نشوید و غمگین مگردید شما برترید اگر ایمان داشته باشید» (وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ) یعنی، شکست شما در حقیقت به خاطر از دست دادن روح ایمان و آثار آن بوده.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۰] ص: ۳۳۲

(آیه ۱۴۰) - در این آیه درس دیگری برای رسیدن به پیروزی نهایی به برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۳۳ مسلمانان داده شده است که: «اگر به شما جراحتی رسید به آنها هم جراحتی همانند آن رسید» (إِنْ یَمْسَدُ کُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ).

بنابراین، سستی و اندوه شما برای چیست؟! سپس اشاره به یکی از سنن الهی شده است که در زندگی بشر حوادث تلخ و شیرین رخ می دهد که هیچ کدام پایدار نیست، و «خداوند این ایام را در میان مردم بطور مداوم گردش می دهد» تا سنت تکامل از لابلای این حوادث آشکار شود (وَ تِلْکُ الْأَیّامُ نُداوِلُها بَیْنَ النّاسِ).

و سپس اشاره به نتیجه این حوادث ناگوار کرده، میفرماید: «اینها به خاطر آن است که افراد با ایمان، از مدعیان ایمان شناخته شوند» (وَ لِیَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا).

«و یکی از نتایج این شکست دردناک این بود که شما شهیدان و قربانیانی، در راه اسلام بدهید» (وَ یَتَّخِذَ مِنْکُمْ شُهَداءَ). اسلام است کرتر از مصل ایدان میشند در دناک این بود که شما شهیدان و قربانیانی، در راه اسلام بدهید» (وَ یَتَّخِذَ مِنْکُمْ شُهَداءَ).

اصولا ملتی که قربانی در راه اهداف مقدس خود ندهد همیشه آنها را کوچک می شمرد اما به هنگامی که قربانی داد هم خود او، و هم نسلهای آینده او، به دیده عظمت به آن می نگرند.

در پایان آیه می فرماید: «خداوند ستمگران را دوست نمی دارد» (وَ اللَّهُ لاً یُحِبُّ الظَّالِمِینَ) و بنابراین از آنها حمایت نخواهد کرد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۱] ص: ۳۳۳

(آیه ۱۴۱)- در این آیه به یکی دیگر از نتایج طبیعی شکست جنگ احد اشاره شده است و آن این که این گونه شکستها نقاط ضعف و عیوب، قرآن می گوید:

«خـدا مىخواست در اين ميـدان جنـگ، افراد بـا ايمـان را خالص گردانـد و نقاط ضـعفشان را به آنها نشان بدهـد و كافران را تدريجا نابود سازد» (وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۲] ص: ۳۳۳

(آیه ۱۴۲)- در این آیه قرآن با استفاده از حادثه احد برای تصحیح یک اشتباه فکری مسلمانان اقدام می کند و می گوید: «آیا شما چنین پنداشتید که بدون برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۳۴

جهاد و استقامت در راه خدا می توانید در بهشت برین جای گیرید (شما گمان کردید داخل شدن در آن سعادت معنوی تنها با انتخاب نام مسلمان و یا عقیده بدون عمل ممکن است؟) در حالی که هنوز خداوند مجاهدان از شما و صابران را مشخص نساخته است» (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةُ وَ لَمَّا يَعْلَم اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۳] ص: ۳۳۴

(آیه ۱۴۳) – بعد از جنگ بدر و شهادت پرافتخار جمعی از مسلمانان عدهای در جلسات می نشستند و پیوسته آرزوی شهادت می کردند که ای کاش این افتخار در میدان بدر نصیب ما نیز شده بود، مطابق معمول در میان آنها جمعی صادق بودند و عدهای متظاهر و دروغگو، اما چیزی طول نکشید که جنگ وحشتناک احد پیش آمد، مجاهدان راستین با شهامت جنگیدند و شربت شهادت نوشیدند و به آرزوی خود رسیدند اما جمعی از دروغگویان هنگامی که آثار شکست را در ارتش اسلام مشاهده کردند از ترس کشته شدن فرار کردند، این آیه آنها را سرزنش می کند، می گوید: «و شما تمنّای مرگ (و شهادت در راه خدا) را پیش از آن که با آن رو برو شوید می کردید، سپس آن را با چشم خود دیدید در حالی که به آن نگاه می کردید، و حاضر نبودید به آن تن در دهید، چقدر میان گفتار و کردار شما فاصله است! (و لَقَدْ کُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ وَ أَنتُمْ تَنْظُرُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۴] ص: ۳۳۴

اشاره

(آیه ۱۴۴)

شأن نزول: ص: 334

این آیه نیز ناظر به یکی دیگر از حوادث جنگ احد است و آن این که: در همان حال که آتش جنگ میان مسلمانان و بت پرستان به شدت شعلهور بود ناگهان صدایی بلند شد و کسی گفت: محمّد را کشتم ... محمّد را کشتم ...! جمعی که اکثریت را تشکیل میدادند به دست و پا افتاده و از میدان جنگ به سرعت خارج می شدند، اما در مقابل آنها اقلیتی

فداکار و پایدار همچون علی علیه السّلام و أبو دجانهٔ و طلحهٔ و بعضی دیگر بودند که بقیه را به استقامت دعوت می کردند. آیه در این مورد نازل گردید و دسته اول را سخت نکوهش کرد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۳۵

تفسير: ص: ٣٣٥

فرد پرستی ممنوع- مسأله فرد پرستی یکی از بزرگترین خطراتی است که مبارزات هدفی را تهدید می کند، وابستگی به شخص معین اگر چه پیامبر خاتم باشد مفهومش پایان یافتن کوشش و تلاش برای پیشرفت، به هنگام از دست رفتن آن شخص است و این وابستگی یکی از نشانه های بارز عدم رشد اجتماعی است.

قرآن در آیه مورد بحث با صراحت می گوید: «محمّد تنها فرستاده خداست، پیش از او هم فرستادگانی بودند که از دنیا رفتند آیا اگر او بمیرد یا کشته شود باید شما سیر قهقرایی کنید؟ و به آیین بت پرستی باز گردید»؟ (وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ).

سپس میفرمایـد: «آنها که عقبگرد کننـد و به دوران کفر و بت پرستی باز گردنـد تنها به خود زیان میرساننـد نه به خدا» (وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً).

زیرا با این عمل نه تنها چرخهای سعادت خود را متوقف میسازند بلکه آنچه را به دست آوردهاند نیز به سرعت از دست خواهند داد.

در پایان آیه به اقلیتی که در جنگ احد علی رغم همه مشکلات و انتشار خبر شهادت پیغمبر، دست از جهاد برنداشتند اشاره کرده و کوششهای آنها را میستاید و آنها را به عنوان شاکران و کسانی که از نعمتها در راه خدا استفاده کردند معرفی میکند می گوید: «خداوند این شاکران را پاداش نیک میدهد» (وَ سَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِینَ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ۱۴۵] ص: ٣٣٥

(آیه ۱۴۵) - همان طور که گفتیم شایعه بی اساس شهادت پیامبر در احد عده زیادی از مسلمانان را به وحشت افکند تا آنجا که از میدان جنگ فرار کردند و حتی بعضی میخواستند از اسلام هم برگردند، در این آیه مجددا برای تنبیه و بیداری این دسته می فرماید: «مرگ به دست خدا و فرمان اوست و برای هر کس اجلی مقرّر شده است که نمی تواند از آن فرار کند» (وَ ما کانَ لِنَفْس أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ کِتاباً مُؤَجَّلًا).

بنابراین اگر پیامبر در این میدان شربت شهادت مینوشید چیزی جز انجام برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۳۶ یافتن یک سنت الهی نبود.

از سوی دیگر فرار از میدان جنگ نمی تواند از فرا رسیدن اجل جلو گیری کند همان طور که شرکت در میدان جهاد نیز اجل انسان را جلو نمی اندازد.

در پایان آیه میفرماید: سعی و کوشش انسان هیچ گاه ضایع نمیشود «اگر هدف کسی تنها نتیجههای مادی و دنیوی باشد (و هماننـد بعضـی از رزمندگان احد تنها به خاطر غنیمت تلاش کند) بالاخره بهرهای از آن به دست می آورد اما اگر هدف عالیتر بود، و كوششـها در مسـير حيات جاويدان و فضايل انسانى به كار افتاد، باز به هدف خود خواهد رسـيد» (وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها).

بنابراین، حالا که رسیدن به دنیا یا آخرت هر دو نیازمند به کوشش است، پس چرا انسان سرمایههای وجودی خود را در مسیر دوم که یک مسیر عالی و پایدار است به کار نیندازد؟

سپس بار دیگر تأکید می کند که «پاداش شاکران را به زودی خواهیم داد» (وَ سَنَجْزِی الشَّاکِرِینَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۶] ص: ۳۳۶

(آیه ۱۴۶)- مجاهدان پیشین! به دنبال حوادث احد با یادآوری شجاعت و ایمان و استقامت مجاهدان و یاران پیامبران گذشته مسلمانان را به شجاعت و فداکاری و پایداری تشویق می کند و در ضمن آن دسته ای را که از میدان احد فرار کردند سرزنش می نماید و می گوید: «پیامبران بسیاری بودند که خدا پرستان مبارزی در صف یاران آنها قرار داشتند، آنها هیچ گاه در برابر آنچه (از تلفات سنگین و جراحات سخت) در راه خدا به آنان می رسید سست نشدند و ناتوان نگردیدند و تن به تسلیم ندادند» (وَ کَأَیّنْ مِنْ نَبِیِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِیُّونَ کَثِیرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَکانُوا).

«بدیهی است خداوند هم، چنین افرادی را دوست دارد که دست از مقاومت برنمی دارند» (وَ اللَّهُ یُحِبُّ الصَّابِرِينَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۷] ص: ۳۳۶

(آیه ۱۴۷)- آنها به هنگامی که احیانا بر اثر اشتباهات یا سستی ها، یا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۳۷ لغزشهایی گرفتار مشکلاتی در برابر دشمن می شدند، به جای این که میدان را به او بسپارند و یا تسلیم شوند و یا فکر ارتداد و بازگشت به کفر در مغز آنها پیدا شود، روی به درگاه خدا می آوردند و «گفتار آنها فقط این بود که پروردگارا! گناهان ما را ببخش، و از تندرویهای ما در کارها صرف نظر کن، قدمهای ما را استوار بدار، و ما را بر جمعیت کافران پیروز گردان»! (وَ ما کانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِی أَمْرِنا وَ ثَبُتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَی الْقَوْم الْکافِرِینَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۸] ص: ۳۳۷

(آیه ۱۴۸)– آنها با این طرز تفکر و عمل به زودی پاداش خود را از خـدا می گرفتنـد «لذا خداوند هم پاداش این جهان که فتح و پیروزی بر دشمن بود و هم پاداش نیک آن جهان را به آنها داد» (فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْیا وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَهِ). و در پایان آیه آنها را جزء نیکوکاران شمرده و می فرماید: «خدا نیکوکاران را دوست دارد» (وَ اللَّهُ یُجِبُّ الْمُحْسِنِینَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۴۹] ص: ۳۳۷

(آیه ۱۴۹)- اخطارهای مکرر! بعد از پایان جنگ احد دشمنان اسلام با یک سلسله تبلیغات مسموم کننده در لباس نصیحت و دلسوزی تخم تفرقه در میان مسلمانان می پاشیدند و آنها را نسبت به اسلام بدبین می کردند در این آیه به مسلمانان اخطار می کند و از پیروی آنها بر حذر می دارد و می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! اگر از کفار پیروی کنید شما را به عقب

بر می گرداننـد (و پس از پیمودن راه پرافتخار تکامل معنوی و مادی در پرتو تعلیمات اسـلام) به نقطه اول که نقطه کفر و فساد بود سـقوط میدهنـد و در این موقع بزرگترین زیانکاری دامنگیر شـما خواهـد شد» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تُطِیعُوا الَّذِینَ کَفَرُوا یَرُدُّوکُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرینَ).

چه زیانی از این بالاتر که انسان اسلام را با کفر، و سعادت را با شقاوت، و حقیقت را با باطل معاوضه کند.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٥٠] ص: ٣٣٧

(آیه ۱۵۰)- در این آیه تأکید میکند که «خدا پشتیبان و سر پرست شماست و او بهترین یاوران است» (بَلِ اللَّهُ مَوْلاکُمْ وَ هُوَ خَیْرُ النَّاصِرینَ).

یاوری است که هرگز مغلوب نمی شود و هیچ قدرتی با قدرت او برابری برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۳۸ ندارد در حالی که یاوران دیگر ممکن است گرفتار شکست و نابودی شوند.

(آیه ۱۵۱) -.... ص: ۳۳۸

در این آیه اشاره به نجات معجزه آسای مسلمانان بعد از جنگ احد می کند و می فرماید: «ما به زودی در دل کفار رعب و وحشت می افکنیم» یعنی، همان طور که در پایان جنگ احد افکندیم و نمونه آن را با چشم خود دیدید (سَنُلْقِی فِی قُلُوبِ الَّذِینَ کَفَرُوا الرُّعْبَ).

و در جمله بعد، علت افکندن رعب و ترس را در دلهای آنها چنین بیان میکند: «به این جهت که آنها چیزهایی را بدون دلیل شریک خدا قرار داده بودند» (بِما أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً).

در پایان آیه به سرنوشت این افراد اشاره کرده، می فرماید: این افراد به خود و اجتماع خود ستم کردهاند «و بنابراین جایگاهی جز آتش نخواهند داشت و چه بد جایگاهی است» (وَ مَأْواهُمُ النَّارُ وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۲] ص: ۳۳۸

(آیه ۱۵۲)- شکست پس از پیروزی! در ماجرای جنگ احد گفتیم:

مسلمانان در آغاز جنگ با اتحاد و شجاعت خاصی جنگیدند، و به زودی پیروز شدند، ولی نافرمانی جمعی از تیراندازان که سنگر خود را رها کردند و به جمع آوری غنایم مشغول شدند سبب شد که ورق برگردد و شکست سختی به لشگر اسلام وارد گردد. هنگامی که مسلمانان با دادن تلفات و خسارات سنگینی به مدینه باز می گشتند با یکدیگر می گفتند مگر خداوند به ما وعده فتح و پیروزی نداده بود؟

پس چرا در این جنگ شکست خوردیم؟

از این به بعد قرآن ضمن پاسخ آنها، علل شکست را توضیح میدهد، میفرماید: «وعده خدا در باره پیروزی شما کاملا درست بود و به همین دلیل در آغاز جنگ پیروز شدید و به فرمان خدا دشمنان را به قتل میرساندید و این وعده تا زمانی که دست از استقامت و پیروی فرمان پیغمبر برنداشته بودید ادامه داشت، شکست از آن زمان شروع شد که سستی و نافرمانی شما را فرا گرفت» (وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ).

یعنی، اگر تصور کردید که وعده پیروزی بدون قید و شرط بوده، سخت در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۳۹ اشتباه بودهاید تمام وعدههای پیروزی مشروط به پیروی از فرمان خداست.

سپس قرآن می گوید: «پس از مشاهده آن پیروزی چشم گیر که مورد علاقه شما بود راه عصیان پیش گرفتید و (بر سر رها کردن سنگرها) به نزاع پرداختید» (وَ تَنازَعْتُمْ فِی الْأَمْرِ وَ عَصَیْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراکُمْ ما تُحِبُّونَ).

سپس می افزاید: «در این موقع جمعی از شما خواستار دنیا و جمع غنایم بودید در حالی که جمعی دیگر ثابت قدم و خواستار آخرت و پاداشهای الهی بودند» (مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الدُّنْیا وَ مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الْآخِرَةَ).

در اینجا ورق برگشت «و خداونـد پیروزی شـما را به شـکست تبـدیل کرد تا شـما را بیازمایـد و تنبیه کنـد و پرورش دهد» (ثُمَّمَ صَرَفَکُمْ عَنْهُمْ لِیَبْتَلِیکُمْ).

«سپس خداوند همه این نافرمانیها و گناهان شما را بخشید (در حالی که سزاوار مجازات بودید) زیرا خداوند نسبت به مؤمنان از هر گونه نعمتی فرو گذار نمی کند» (وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلِ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٥٣] ص: ٣٣٩

(آیه ۱۵۳) - در این آیه صحنه پایان احد را به مسلمانان یادآوری می کند و می فرماید: «به خاطر بیاورید هنگامی را که به هر طرف پراکنده می شدید و فرار می کردید و هیچ گاه به عقب سر نمی کردید که سایر برادران شما در چه حالند در حالی که پیامبر از پشت سر شما را صدا می زد» (إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلی أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ یَدْعُوکُمْ فِی أُخْراکُمْ).

فریاد می زد که: «بندگان خدا! به سوی من باز گردید، به سوی من باز گردید، من رسول خدایم».

ولی هیچ یک از شما به سخنان او توجه نداشتید «در این هنگام غم و اندوه یکی پس از دیگری به سوی شما رو آورد» (فَأَثابَكُمْ غَمًّا بغَمِّ).

هجوم سیل غم و اندوه به سوی شما «برای این بود که دیگر به خاطر از دست رفتن غنایم جنگی غمگین نشوید و از جراحاتی که در میدان جنگ در راه پیروزی به شما میرسد نگران نباشید و خداوند از آنچه انجام میدهید آگاه است» (لِکَیْلا تَحْزَنُوا عَلی ما فاتَکُمْ وَ لا ما أَصابَکُمْ وَ اللَّهُ خَبِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۴۰

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٥۴] ص: ٣٤٠

(آیه ۱۵۴) - شب بعد از جنگ احد، شب دردناک و پر اضطرابی بود، مسلمانان پیش بینی می کردند که سربازان فاتح قریش بار دیگر به مدینه باز گردند. در این میان مجاهدان راستین و توبه کنندگانی که از فرار احد پشیمان شده بودند، به لطف پروردگار اعتماد داشتند و به وعده های پیغمبر دلگرم بودند آیه مورد بحث ماجرای آن شب را تشریح می کند و می گوید: «سپس بعد از آن همه غم و اندوه روز احد، آرامش را بر شما نازل کرد» (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَیْکُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَهُ).

«این آرامش همان خواب سبکی بود که جمعی از شما را فرا گرفت، اما جمع دیگری بودند که تنها به فکر جان خود بودند و به چیزی جز نجات خویش نمیاندیشدند و به همین جهت آرامش را بکلی از دست داده بودنـد» (نُعاساً یَغْشی طائِفَةً مِنْکُمْ وَ طائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ). سپس به تشریح گفتگوها و افکار منافقان و افراد سست ایمان که در آن شب بیدار ماندند پرداخته می گوید: «آنها در باره خدا گمانهای نادرست همانند گمانهای دوران جاهلیت و قبل از اسلام داشتند و در افکار خود احتمال دروغ بودن وعدههای پیامبر را میدادند» (یَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَیْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِیَّةِ).

و به یکدیگر و یا خویشتن می گفتند: «آیا ممکن است با این وضع دلخراشی که میبینیم پیروزی نصیب ما بشود»؟ (هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْر مِنْ شَيْءٍ).

یعنی، بسیار بعید و یا غیر ممکن است، قرآن در جواب آنها می گوید: «بگو:

آری! پیروزی به دست خداست و اگر او بخواهد و شما را شایسته ببیند نصیب شما خواهد شد» (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ). «آنها در دل خود اموری را پنهان میدارند که برای تو آشکار نمیسازند» (یُخْفُونَ فِی أَنْفُسِهِمْ ما لا یُبْدُونَ لَکَ).

گویا آنها چنین می پنداشتند که شکست احد نشانه نادرست بودن آیین اسلام است و لـذا «می گفتنـد: اگر ما بر حق بودیم و سهمی از پیروزی داشتیم در اینجا این همه کشته نمی دادیم» (یَقُولُونَ لَوْ کانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَیْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا).

خداوند در پاسخ آنها به دو مطلب اشاره می کند، می فرماید: «بگو: اگر هم بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۴۱

در خانههای خود بودید آنهایی که کشته شدن بر آنها مقرر شده بود قطعا به سوی آرامگاه خود بیرون میآمدند» و آنها را به قتل میرساندند (قُلْ لَوْ کُنْتُمْ فِی بُیُوتِکُمْ لَبَرَزَ الَّذِینَ کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقَتْلُ إِلی مَضاجِعِهِمْ).

دیگر این که «بایـد این حوادث پیش بیاید که خداوند آنچه در دل دارید بیازماید و صفوف مشخص گردد (و به علاوه افراد تـدریجا پرورش یابنـد) و نیـات آنها خـالص و ایمـان آنها محکم و قلـوب آنهـا پـاک شود» (وَ لِیَبْتَلِیَ اللَّهُ مـا فِی صُـدُورِکُمْ وَ لِیُمَحِّصَ ما فِی قُلُوبِکُمْ).

در پايان آيه مي گويد: «خداوند اسرار درون سينهها را ميداند» (وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ).

و به همین دلیل تنها به اعمال مردم نگاه نمی کنـد بلکه میخواهـد قلوب آنها را نیز بیازماید و از هر گونه آلودگی به شـرک و نفاق و شک و تردید پاک سازد.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٥٥] ص: ٣٤١

(آیه ۱۵۵) – گناه سر چشمه گناه دیگر است! این آیه که باز ناظر به حوادث جنگ احد است حقیقت دیگری را بازگو می کند و آن این که: لغزشهایی که بر اثر وسوسههای شیطانی به انسان دست می دهد بر اثر گناهان پیشین در انسان فراهم شده، و گر نه وسوسههای شیطانی در دلهای پاک که آثار گناهان سابق در آن نیست اثری در آن نمی گذارد و لذا می فرماید: «آنهایی که در میدان احد فرار کردند شیطان آنان را به سبب پارهای از اعمالشان به لغزش انداخت، اما خدا آنها را بخشید، خداوند آمرزنده و حلیم است» (إِنَّ الَّذِینَ تَوَلَّوْا مِنْکُمْ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّیْطانُ بِبَعْضِ ما کَسَی بُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِیمٌ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٥٦] ص: ٣٤١

(آیه ۱۵۶)- بهرهبرداری منافقان! حادثه احد زمینه را برای سمپاشی دشمنان و منافقان آماده ساخت، به همین دلیل آیات زیادی برای خنثی کردن این سمپاشیها نازل گردید در این آیه نیز به منظور درهم کوبیدن فعالیتهای تخریبی منافقان و هشدار به مسلمانان، نخست به مؤمنان خطاب کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! شما همانند کافران نباشید که هنگامی که برادرانشان (در راه خـدا) به مسافرتی میرونـد و یا در صف مجاهـدان قرار می گیرنـد و کشـته میشوند بر گزیده تفسـیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۴۲

مى گويند: افسوس اگر نزد ما بودند نمى مردند و كشته نمى شدند» (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزَّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَ ما قُتِلُوا).

اگر شما مؤمنان تحت تأثیر سخنان گمراه کننده آنان قرار گیرید و همان حرفها را تکرار کنید طبعا روحیه شما ضعیف گشته و از رفتن به میدان جهاد و سفر در راه خدا خودداری خواهید کرد و آنها به هدف خود نائل میشوند، ولی شما این گونه سخنان را نگویید «تا خدا این حسرت را بر دل آنها (کافران) بگذارد» (لِیَجْعَلَ اللَّهُ ذلِکَ حَسْرَةً فِی قُلُوبِهِمْ).

سپس قرآن به سمپاشی آنها سه پاسخ منطقی می دهد:

۱- مرگ و حیات در هر حال به دست خداست (و مسافرت و یا حضور در میدان جنگ نمی تواند مسیر قطعی آن را تغییر دهد) و خداوند زنده می کند و می میراند و خدا به آنچه انجام می دهید بیناست» (وَ اللَّهُ یُحْیِی وَ یُمِیتُ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۷] ص: ۳۴۲

(آیه ۱۵۷)- دوم: «تازه اگر در راه خمدا بمیرید یا کشته شوید (و به گمان منافقان مرگی زودرس دامن شما را بگیرد چیزی از دست نمداده اید) زیرا آمرزش و رحمت پروردگار از تمام اموالی که شما یا منافقان با ادامه حیات برای خود جمع آوری می کنید بالاتر است» (وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَوْ مُتَّمْ لَمَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةً خَیْرٌ مِمَّا یَجْمَعُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۸] ص: ۳۴۲

(آیه ۱۵۸)- سوم: از همه گذشته مرگ به معنی فنا و نابودی نیست که این قدر از آن وحشت دارید بلکه دریچهای است به سوی زندگانی دیگری در سطحی بسیار وسیعتر و آمیخته با ابدیت «و اگر بمیرید و یا کشته شوید به سوی خدا باز می گردید» (وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَی اللَّهِ تُحْشَرُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۵۹] ص: ۳۴۲

(آیه ۱۵۹) - فرمان عفو عمومی! این آیه نیز ناظر به حوادث احد است، زیرا بعد از مراجعت مسلمانان از احد، کسانی که از جنگ فرار کرده بودند، اطراف پیامبر را گرفته و ضمن اظهار ندامت، تقاضای عفو و بخشش می کردند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۴۳

خداوند در این آیه، عفو عمومی آنها را صادر کرد و پیامبر صلّی الله علیه و آله با آغوش باز، خطاکاران توبه کار را پذیرفت. نخست اشاره به یکی از مزایای فوق العاده اخلاقی پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، میفرماید: «در پرتو رحمت و لطف پروردگار، تو با مردم مهربان شدی در حالی که اگر خشن و تندخو و سنگدل بودی از اطراف تو پراکنده میشدند» (فَبِما رَحْمَةً مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ کُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ).

سپس دستور میدهد که «از تقصیر آنان بگذر، و آنها را مشمول عفو خود گردان و برای آنها طلب آمرزش کن» (فَاعْفُ عَنْهُمْ

وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ).

بعد از فرمان عفو عمومی، برای زنده کردن شخصیت مسلمانان و تجدید حیات فکری و روحی آنان دستور میدهد که باز هم «در کارها با آنها مشورت کن و رأی و نظر آنها را بخواه» (وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ).

سپس قرآن در ادامه میافزاید: «اما هنگامی که تصمیم گرفتی (قاطع بـاش و) بر خـدا توکـل کن، زیرا خداونـد متوکلان را دوست دارد» (فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).

همان اندازه که به هنگام مشورت باید، نرمش و انعطاف به خرج داد، در موقع اتخاذ تصمیم نهایی باید قاطع بود. بنابراین، پس از برگزاری مشاوره و روشن شدن نتیجه مشورت، باید هر گونه تردید و دو دلی و آراء پراکنده را کنار زد و با قاطعیت تصمیم گرفت و این همان چیزی است که در آیه فوق از آن تعبیر به «عزم» شده است و آن تصمیم قاطع میباشد.

ضمنا از این آیه استفاده می شود که تو کل بایـد حتما بعـد از مشورت و استفاده از همه امکاناتی که انسان در اختیار دارد قرار گیرد.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٦٠] ص: ٣٤٣

(آیه ۱۶۰)- نتیجه توکل! در این آیه که مکمل آیه قبل است، نکته توکل بر خداوند بیان شده است و آن این که: قدرت او بالاترین قدرتهاست و «اگر خداوند شما را یاری کند هیچ کس بر شما پیروز نخواهد شد، و اگر دست از یاری شما بردارد کیست که بعد از او شما را یاری کند» (إِنْ یَنْصُرْکُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَکُمْ وَ إِنْ یَخْذُلْکُمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۴۴ فَمَنْ ذَا الَّذِی یَنْصُرُکُمْ مِنْ بَعْدِهِ)

.در آیه گذشته روی سخن به پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله بود و به او دستور میداد، اما در این آیه روی سخن به همه مؤمنان است و به آنها می گوید: همانند پیامبر، باید بر ذات پاک خدا تکیه کنند، و لذا در پایان آیه میخوانیم: «و مؤمنان تنها بر ذات خداوند، باید توکل کنند» (وَ عَلَی اللَّهِ فَلْیَتَوَکَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۱] ص: ۳۴۴

(آیه ۱۶۱)- هر گونه خیانتی ممنوع! هنگامی که بعضی از تیراندازان احد میخواستند سنگر خود را برای جمع آوری غنیمت تخلیه کنند، امیر آنان، دستور داد از جای خود حرکت نکنید رسول خدا شما را از غنیمت محروم نخواهد کرد.

ولی آن دنیاپرستان برای پنهان ساختن چهره واقعی خود گفتند: ما می ترسیم پیغمبر در تقسیم غنایم ما را از نظر دور دارد. قرآن در پاسخ آنها می گوید: آیا شـما چنین پنداشتید که پیغمبر صـلّی اللّه علیه و آله به شـما خیانت خواهد کرد «در حالی که هیچ پیغمبری ممکن نیست، خیانت کند» (وَ ما کانَ لِنَبِیِّ أَنْ یَغُلَّ).

البته روشن است خیانت برای هیچ کس مجاز نیست خواه پیامبر باشد یا غیر پیامبر، ولی از آنجا که گفتگوی عذر تراشان جنگ «احد» در باره پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بود آیه نیز نخست سخن از پیامبران می گوید و سپس اضافه می نماید: «هر کس خیانت کند، روز رستاخیز آنچه را در آن خیانت کرده، به عنوان مدرک جنایت بر دوش خویش حمل می کند و یا همراه خود به صحنه محشر می آورد» و به این ترتیب، در برابر همگان رسوا می شود (وَ مَنْ یَغْلُلْ یَأْتِ بِما غَلَّ یَوْمَ الْقِیامَةِ).

«سـپس به هر کس آنچه انجام داده و به دست آورده، داده میشود و در باره هیـچ کس ظلم و سـتمی نمیشود» (ثُمَّ تُوَفَّی کُلُّ

نَفْسِ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٦٢] ص: ٣٤٢

(آیه ۱۶۲)– آنها که در جهاد شرکت نکردند! در آیات گذشته در جوانب مختلف جنگ احد و نتایج آن بحث شد.

اکنون نوبت منافقان و مؤمنان سست ایمانی است که به پیروی از آنها در میدان جنگ حضور نیافتند، آیه مورد بحث سرنوشت آنها را تشریح میکند برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۴۵

و می گوید: «آیا کسانی که فرمان خدا را اطاعت کردند و از خشنودی او پیروی نمودند، همانند کسانی هستند که به سوی خشم خدا باز گشتند و جایگاه آنها جهنم و بازگشت و پایان کار آنها، زشت و ناراحت کننده است» (أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضُوانَ اللَّهِ كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۳] ص: ۳۴۵

(آیه ۱۶۳) - در این آیه میفرماید: «هر یک از آنها (منافقان و مجاهدان) برای خود درجه و موقعیتی در پیشگاه خدا دارنـد» (هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ).

و در پایان آیه می فرماید: «خداوند نسبت به اعمال همه آنها بیناست» (وَ اللَّهُ بَصِیرٌ بِما یَعْمَلُونَ).

و به خوبی میداند هر کس طبق نیت و ایمان و عمل خود شایسته کدامین درجه است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۶۴] ص: ۳۴۵

(آیه ۱۶۴)- بزرگترین نعمت خداوند! در این آیه، سخن از بزرگترین نعمت الهی یعنی نعمت «بعثت پیامبر اسلام» به میان آمده است و در حقیقت، پاسخی است به سؤالاتی که در ذهن بعضی از تازه مسلمانان، بعد از جنگ احد خطور می کرد، که چرا ما این همه گرفتار مشکلات و مصائب شویم؟ قرآن به آنها می گوید: «خداوند بر مؤمنان منت گذارد (نعمت بزرگی بخشید) هنگامی که در میان آنها پیامبری برانگیخت» (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ إِذْ بَعَثَ فِیهِمْ رَسُولًا).

سپس می فرماید: یکی از مزایای این پیامبر این است که: «او از جنس خود آنها و از نوع بشر است» (مِنْ أَنْفُسِهِمْ).

سپس می گوید: این پیامبر سه برنامه مهم را در باره آنها اجرا می کند نخست این که «آیات پروردگار را بر آنها بخواند و (دیگر این که) آنان را پاک کند و کتاب و حکمت بیاموزد هر چند پیش از آن در گمراهی آشکار بودند» (یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةُ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ).

تعلیم، یعنی وارد ساختن حقایق دین در درون جان آنها و به دنبال آن تزکیه نفوس و تربیت ملکات اخلاقی و انسانی و از آنجا که هدف اصلی و نهایی تربیت است در آیه، قبل از تعلیم ذکر شده، در حالی که از نظر ترتیب طبیعی، تعلیم بر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۴۶

تربیت مقدم است.

مردم دنیا بویژه مردم جزیرهٔ العرب در زمان بعثت پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله در ضلالت و گمراهی روشنی بودند، سیه روزی و بدبختی، جهل و نادانی، و آلودگیهای گوناگون معنوی در آن عصر، تمام نقاط جهان را فرا گرفته بود، و این وضع

نابسامان بر کسی پوشیده نبود.

سورة آل عمران(٣): آية 160] ص: 348

(آیه ۱۶۵)– بررسی دیگری روی جنگ احد! جمعی از مسلمانان از نتایج دردناک جنگ، غمگین و نگران بودند، خداوند در این آیه سه نکته را به آنها گوشزد می کند.

۱- شما نباید از نتیجه یک جنگ نگران باشید، بلکه همه برخوردهای خود را با دشمن روی هم محاسبه کنید «اگر به شما در این میدان، مصیبتی رسید در میدان دیگر (میدان جنگ بدر) دو برابر آن را به دشمن وارد ساختید» (أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِیبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَیْها).

زیرا آنها در احد هفتاد نفر از شـما را شـهید کردند، در حالی که هیچ اسیر نگرفتند ولی شما در بدر هفتاد نفر از آنها را به قتل رساندید و هفتاد نفر را اسیر کردید.

۲- «شما می گویید: این مصیبت از کجا دامنگیرتان شد» (قُاتُمْ أَنَّی هذا).

ولى «اى پيامبر! به آنها بگو: اين مصيبت از وجود خود شما سر چشمه گرفته و عوامل شكست را بايـد در خودتان جسـتجو كنيد» (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ).

۳- شما نباید از آینده، نگران باشید «زیرا خداوند بر همه چیز قادر و تواناست» و اگر نقاط ضعف خود را جبران کنید، مشمول حمایت او خواهید شد (إنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَيْءٍ قَدِیرٌ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ۱۶۶] ص: ٣٤٦

(آیه ۱۶۶)- باید صفوف مشخص شود! آیه مورد بحث این نکته را ت...گالآمیدهد که هر مصیبتی (مانند مصیبت احد) که پیش می آید علاوه بر این که بدون علت نیست وسیله آزمایشی است برای جدا شدن صفوف مجاهدان راستین از منافقان و یا افراد سست ایمان، لذا در قسمت اول آیه می فرماید: «آنچه در روز احد آن روز که جمعیت مسلمانان با بت پرستان به هم در آویختند بر شما وارد شد به برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۴۷

فرمان خدا بود و طبق خواست و اراده او صورت گرفت» (وَ ما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ).

منظور از «اذن الله» (فرمان خدا) همان اراده و مشیت اوست که به صورت قانون علیت در عالم هستی منعکس شده است.

و در پایان آیه می فرماید: یکی دیگر از آثار این جنگ، این بود که: «صفوف مؤمنان و منافقان از هم مشخص شود و افراد با ایمان از سست ایمان شناخته گردند» (وَ لِیَعْلَمَ الْمُؤْمِنِینَ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٤٧] ص: ٣٤٧

(آیه ۱۶۷) - در این آیه به اثر دیگری اشاره کرده، میفرماید: «تا کسانی که نفاق ورزیدند شناخته شوند» (وَ لِیَعْلَمَ الَّذِینَ نافَقُوا).

سپس قرآن گفتگویی که میان بعضی از مسلمانان و منافقین، قبل از جنگ رد و بدل شد به این صورت بیان می کند: بعضی از مسلمانان (که طبق نقل ابن عباس «عبد الله بن عمر بن حزام» بوده است) هنگامی که دید «عبد الله بن ابی سلول» با یارانش

خود را از لشكر اسلام كنار كشيده و تصميم بازگشت به مدينه دارند «گفت: بياييد يا به خاطر خدا و در راه او پيكار كنيد و يا لا اقل در برابر خطرى كه وطن و خويشان شما را تهديد مىكند دفاع نماييد» (وَ قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا). ولى آنها به يك بهانه واهى دست زدند و «گفتند: ما اگر مىدانستيم جنگ مىشود بى گمان از شما پيروى مىكرديم» (قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قتالًا لَاتَّمَعْناكُمْ).

اینها بهانهای بیش نبود، هم وقوع جنگ حتمی بود و هم مسلمانان در آغاز پیروز شدند و اگر شکستی دامنگیرشان شد، بر اثر اشتباهات و خلافکاریهای خودشان بود، خداوند می گوید: آنها دروغ می گفتند: «آنها در آن روز به کفر نزدیکتر از ایمان بودند» (هُمْ لِلْکُفْرِ یَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِیمانِ).

از جمله فوق استفاده می شود که کفر و ایمان دارای درجاتی است که به عقیده و طرز عمل انسان بستگی دارد.

«آنها به زبان چیزی می گویند که در دل ندارند» (یَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَیْسَ فِی قُلُوبِهِمْ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۴۸ آنها به خاطر لجاجت روی پیشنهاد خود، دائر به جنگ کردن در خود مدینه، و با ترس از ضربات دشمن و یا بیعلاقگی به اسلام از شرکت در میدان جنگ خودداری کردند.

«ولى خداوند به آنچه منافقان كتمان مىكنند آگاهتر است» (وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ).

هم در این جهان پرده از چهره آنان برداشته و قیافه آنها را به مسلمانان نشان میدهد و هم در آخرت به حساب آنها رسیدگی خواهد کرد.

سورهٔ آل عمران(٣): آیهٔ ۱۶۸] ص: ۳۴۸

(آیه ۱۶۸)- گفته های بی اساس منافقان! منافقان علاوه بر این که خودشان از جنگ احد کناره گیری کردند به هنگام بازگشت مجاهدان زبان به سرزنش آنها گشودند قرآن در این آیه به گفتار بی اساس آنها پاسخ می دهد و می گوید: «آنها که از جنگ کناره گیری کردند و در باره برادران خود گفتند اگر از ما اطاعت کرده بودند هیچ گاه کشته نمی شدند، به آنها بگو: اگر قادر به پیش بینی حوادث آینده هستید مرگ را از خودتان دور سازید اگر راست می گویید» (الَّذِینَ قالُوا لِإِخُوانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْهُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِینَ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٦٩] ص: ٣٩٨

(آیه ۱۶۹) – زنـدگان جاویـد! این آیه و دو آیه بعد از آن، بعد از حادثه احد نازل شده است. اما مضمون و محتوای آن تعمیم دارد و همه شهدا حتی شهدای بـدر را که چهارده نفر بودنـد شامل می شود و در آن مقام شامخ و بلند شهیدان را یاد کرده و می گوید: «ای پیامبر! هرگز گمان مبر آنها که در راه خدا کشته شدند مردهاند» (وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتاً). در اینجا روی سخن فقط به پیامبر است تا دیگران حساب خود را بکنند.

«بلکه آنها زندهاند و نزد پروردگارشان روزی داده میشوند»! (بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ).

منظور از حیات و زندگی در اینجا همان حیات و زندگی برزخی است که ارواح در عالم پس از مرگ دارند و این اختصاصی به شهیدان نـدارد، ولی از آنجا که شـهیدان به قـدری غرق مواهب حیات معنوی هستند که گویا زنـدگی سایر برزخیان زیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۴۹

در مقابل آنها چیزی نیست، تنها از آنها نام برده شده است.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٧٠] ص: ٣٤٩

(آیه ۱۷۰)- در این آیه به گوشهای از مزایا و برکات فراوان زندگی برزخی شهیدان اشاره کرده و میفرماید: «آنها به خاطر نعمتهای فراوانی که خداوند از فضل خود به آنها بخشیده است خوشحالند» (فَرِحِینَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ).

خوشحالی دیگرشان به خاطر برادران مجاهد آنهاست، همانطور که قرآن میگوید: «و به خاطر کسانی که هنوز به آنها ملحق نشدهاند (مجاهدان و شهیدان آینده، نیز) شادمانند (زیرا مقامات برجسته آنها را در آن جهان می بینند و می دانند) که نه ترسی بر آنهاست و نه غمی» از روز رستاخیز و حوادث وحشتناک آن (وَ یَشْتَبْشِرُونَ بِالَّذِینَ لَمْ یَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۱] ص: ۳۴۹

(آیه ۱۷۱)-این آیه در حقیقت تأکید و توضیح بیشتری در باره بشارتهایی است که شهیدان بعد از کشته شدن دریافت می کنند «آنها از دو جهت خوشحال و مسرور می شوند: نخست از این جهت که نعمتهای خداوند را دریافت می دارند، نه تنها نعمتهای او بلکه فضل او (که همان افزایش و تکرار نعمت است) نیز شامل حال آنها می شود» (یَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَ فِه مِنَ اللَّهِ وَ فَضْل).

ديگر اين كه «آنها مي بينند كه خدا پاداش مؤمنان را ضايع نمي كند» نه پاداش شهيدان و نه پاداش مجاهدان راستيني كه شربت شهادت ننوشيدند (وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۲] ص: ۳۴۹

(آیه ۱۷۲) - غزوه حمراء الأسد: گفتیم در پایان جنگ احد، لشکر فاتح ابو سفیان، پس از پیروزی به سرعت راه مکه را پیش گرفتند، هنگامی که به سرزمین «روحاء» رسیدند از کار خود سخت پشیمان شدند و تصمیم به مراجعت به مدینه و نابود کردن باقیمانده مسلمانان گرفتند، این خبر به پیامبر رسید، فورا دستور داد لشکر احد خود را برای شرکت در جنگ دیگری آماده کنند این خبر به لشکر قریش رسید و از این مقاومت عجیب به وحشت افتادند! در این موقع جریان دیگری روحیه آنها را ضعیفتر ساخت، و آن این که یکی از مشرکان به نام «معبد الخزاعی» مشاهده وضع پیامبر و یارانش او را به سختی بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۵۰

تکان داد و به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله گفت: مشاهده وضع شما برای ما بسیار ناگوار است. این سخن را گفت و از آنجا گذشت و در سرزمین «روحاء» به لشکر ابو سفیان رسید، ابو سفیان از او در باره پیامبر اسلام سؤال کرد، او در جواب گفت: محمد را دیدم با لشکری انبوه در تعقیب شما هستند! ابو سفیان و یاران او تصمیم به عقب نشینی گرفتند، و از جمعی از قبیله عبد القیس که از آنجا می گذشتند خواهش کردند که به پیامبر اسلام خبر برسانند که ابو سفیان و بت پرستان قریش با لشکر انبوهی به سوی مدینه می آیند تا بقیه یاران پیامبر را از پای در آورند.

هنگامی که این خبر به پیامبر و مسلمانان رسید، گفتنـد: حَسْـبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَکِیلُ «خـدا ما را کافی است و او بهترین مـدافع ما

است».

اما هر چه انتظار کشیدند خبری از لشکر دشمن نشد، لذا پس از سه روز توقف، به مدینه بازگشتند. این آیه و دو آیه بعد، اشاره به این ماجرا می کند، و می گوید:

«آنها که دعوت خدا و پیامبر صلّی الله علیه و آله را اجابت کردند و بعد از آن همه جراحاتی که روز احد پیدا نمودند (آماده شرکت در جنگ دیگری با دشمن شدند) از میان این افراد برای آنها که نیکی کردند و تقوا پیش گرفتند (یعنی با نیت پاک و اخلاص کامل در میدان شرکت کردند) پاداش بزرگی خواهد بود» (الَّذِینَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِیمٌ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٧٣] ص: ٣٥٠

(آیه ۱۷۳) - در این آیه یکی از نشانه های زنده پایمردی و استقامت آنها را به این صورت بیان می کند «اینها همان کسانی بودند که جمعی از مردم (اشاره به کاروان عبد القیس و به روایتی اشاره به نعیم بن مسعود است که آورنده این خبر بودند) به آنها گفتند: لشکر دشمن اجتماع کرده و آماده حملهاند، از آنها بترسید اما آنها نترسیدند، بلکه بعکس بر ایمان آنها افزوده شد و گفتند: خدا ما را کافی است و او بهترین حامی است» (الَّذِینَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَکُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزادَهُمْ إِیماناً وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَکِیلُ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۴] ص: ۳۵۰

(آیه ۱۷۴)– به دنبال آن ایمان و پایمردی آشکار، قرآن در این آیه نتیجه برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۵۱ عمـل آنهـا را بیـان کرده، چنین میگویـد: «آنهـا از این میـدان، با نعمت و فضل پروردگار برگشـتند» (فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَـهُ مٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْل).

سپس به عنوان تأکید میفرماید: «آنها در این جریان، کوچکترین ناراحتی ندیدند» (لَمْ یَمْسَدِ هُمْ سُوءٌ). با این که «خشنودی خدا را به دست آوردند و از فرمان او متابعت کردند» (وَ اتَّبَعُوا رِضُوانَ اللَّهِ). «و خداوند، فضل و انعام بزرگی دارد که در انتظار مؤمنان واقعی و مجاهدان راستین است» (وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِیم).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٧٥] ص: ٣٥١

(آیه ۱۷۵) – این آیه دنباله آیاتی است که در باره غزوه «حمراء الاسد» نازل گردید و در آن میفرماید: «این فقط شیطان است که پیروان خود را (با سخنان و شایعات بی اساس) می ترسانید از آنها نترسید و تنها از من بترسید اگر ایمان دارید» (إِنَّما ذلِکُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

تعبیر از نعیم بن مسعود و یـا کاروان عبـد القیس به شـیطان یا به خاطر این است که عمل آنها به راستی عمل شـیطانی بود و یا منظور از شیطان، خود این اشخاص میباشند و این از مواردی است که شیطان بر مصداق انسانی آن گفته شده.

بنابراین معنی آیه چنین است: عمل نعیم بن مسعود و یا کاروان عبد القیس فقط یک عمل شیطانی است که برای ترسانـدن دوستان شیطان صورت گرفته.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ۱۷۶] ص: ٣٥١

(آیه ۱۷۶))- تسلیت به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در این آیه روی سخن به پیامبر است و به دنبال حادثه دردناک احد خداوند او را تسلیت داده، می گوید: «ای پیامبر! از این که می بینی جمعی در راه کفر بر یکدیگر پیشی می گیرند، و گویا با هم مسابقه گذاشته اند، هیچ گاه غمگین مباش» (وَ لا یَحْزُنْکُ الَّذِینَ یُسارِعُونَ فِی الْکُفْر).

«زيرا، آنها هرگز هيچ گونه زياني به خداوند نميرسانند» (إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً).

اصولاً نفع و ضرر برای موجوداتی است که وجودشان از خودشان نیست اما خداوند ازلی و ابدی که از هر جهت بینیاز است کفر و ایمان مردم کوششها و تلاشهای آنها در این راه چه اثری برای خداوند میتواند داشته باشد؟

و اگر می بینی آنها به اراده خود راه کفر را در پیش می گیرند «خدا می خواهد برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۵۲ (آنها را در این راه، آزاد بگذارد و چنان به سرعت راه کفر را بپویند) که کمترین بهرهای در آخرت نداشته باشند، بلکه عذاب عظیم در انتظار آنها باشد» (یُرِیدُ اللَّهُ أَلَّا یَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِی الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۷] ص: ۳۵۲

(آیه ۱۷۷)) - در این آیه مطلب را بطور وسیعتر، عنوان کرده و میفرماید: نه تنها افرادی که به سرعت در راه کفر، پیش میروند چنین هستند «بلکه تمام کسانی که به نوعی راه کفر را پیش گرفته اند و ایمان را از دست داده و در مقابل آن، کفر خریداری نموده اند، هر گز به خدا زیان نمی رسانند» و زیان آن، دامنگیر خودشان می شود (إِنَّ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الْکُفْرَ بِالْإِیْمانِ لَنْ یَضُرُّوا اللَّهَ شَیْئاً).

و در پایان آیه می فرماید: «آنها عذاب دردناکی دارند» (وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٧٨] ص: ٣٥٢

(آیه ۱۷۸)) - سنگین بارها! این آیه نیز بحثهای مربوط به حادثه احد و حوادث بعد از آن را تکمیل می کند زیرا، یک جا روی سخن را به پیامبر و در جای دیگر به مؤمنان و در اینجا روی سخن به مشرکان است و در باره سرنوشت شومی که در پیش دارند سخن می گوید، و می فرماید: «گمان نکنند آنهایی که کافر شدند، مهلتی که به ایشان می دهیم برای آنها خوب است» (وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّما نُمْلِی لَهُمْ خَیْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ).

سپس مىفرمايد: «بلكه مهلت مىدهيم تا به گناه و طغيان خود بيفزايند» (إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً).

و در پایان آیه به سرنوشت آنها اشاره کرده میفرماید: «و برای آنها عذاب خوار کنندهای است» (وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ).

آیه فوق به آنها اخطار میکند که هرگز نباید امکاناتی را که خدا در اختیارشان گذاشته و پیروزیهایی که گاهگاه نصیبشان می شود و آزادی عملی که دارند دلیل بر این بگیرند که افرادی صالح و درستکار هستند و یا نشانهای از خشنودی خدا نسبت به خودشان فکر کنند.

ضمنا، آیه فوق به این سؤال که در ذهن بسیاری وجود دارد، پاسخ می گویـد که چرا جمعی از ستمگران و افراد گنهکـار و آلوده این همه غرق نعمتند و مجازات برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۵۳ نمی بینند. قرآن می گوید: اینها افراد غیر قابل اصلاحی هستند که طبق سنت آفرینش و اصل آزادی اراده و اختیار به حال خود واگذار شدهاند، تا به آخرین مرحله سقوط برسند و مستحق حد اکثر مجازات شوند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۷۹] ص: ۳۵۳

(آیه ۱۷۹))- مسلمانان تصفیه می شوند! قبل از حادثه احد موضوع «منافقان» زیاد مطرح نبود، اما بعد از شکست احد و آماده شدن زمینه برای فعالیت منافقان، مسلمانان فهمیدند دشمنانی خطرناکتر دارند و این یکی از نتایج حادثه احد بود.

آیه مورد بحث که آخرین آیهای است که در اینجا از حادثه احمد بحث می کند این حقیقت را به صورت یک قانون کلی بیان نموده و می گوید: «چنین نبود که خداوند مؤمنان را به همان صورت که شما هستید واگذارد (و آنها را تصفیه نکند) مگر آن که ناپاک را از پاک متمایز و جدا سازد» (ما کانَ اللَّهُ لِیَذَرَ الْمُؤْمِنِینَ عَلی ما أَنْتُمْ عَلَیْهِ حَتَّی یَمِیزَ الْخَبِیثَ مِنَ الطَّیّبِ).

این یک حکم عمومی است که هر کس ادعای ایمان کند به حال خود رها نمی شود بلکه با آزمایشهای پی در پی خداوند، بالاخره اسرار درون او فاش می گردد.

در اینجا ممکن بود سؤالی مطرح شود و آن این که خدا که از اسرار درون همه کس آگاه است چه مانعی دارد که مردم را از وضع آنها آگاه کند و از طریق علم غیب، مؤمن از منافق شناخته شود.

قسمت دوم آیه به این سؤالات پاسخ می گوید که: «هیچ گاه خداوند اسرار پنهانی و علم غیب را در اختیار شما نخواهد گذارد» (وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُطْلِعَکُمْ عَلَی الْغَیْبِ).

زیرا آگاهی بر اسرار نهانی مشکلی را برای مردم حل نمی کند بلکه باعث از هم پاشیدن پیوندهای اجتماعی و از بین رفتن تلاش و کوشش در میان توده مردم می گردد.

و از همه مهمتر این که باید ارزش اشخاص از طریق اعمال آنها روشن گردد.

سپس پیامبران خدا را، از این حکم استثناء کرده و میفرماید: «خداوند هر زمان بخواهد از میان پیامبرانش، کسانی را انتخاب می کند و گوشهای از «علم غیب» برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۵۴

بی پایـان خود و اسـرار درون مردم را که شـناخت آن برای تکمیل رهبری آنها لازم است در اختیار آنان قرار میدهـد» (وَ لَکِنَّ اللَّهَ یَجْتَبِی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ یَشاءُ).

منظور از «مشیت» و خواست خدا، همان «اراده آمیخته با حکمت» است یعنی خدا هر کس را شایسته ببیند و حکمتش اقتضا کند، به اسرار غیب آگاه میسازد.

در پایان آیه، خاطر نشان میسازد، اکنون که میدان زندگی میدان آزمایش و جدا سازی پاک از ناپاک و مؤمن از منافق است، پس شما برای این که از این بوته آزمایش، خوب به در آیید «به خدا و پیامبران او ایمان آورید» (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ). اما تنها به ایمان آوردن اکتفا نمی کند و می فرماید «اگر ایمان بیاورید و تقوا پیشه کنید، اجر و پاداش بزرگ در انتظار شماست» (وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَقُوا فَلَکُمْ أَجْرٌ عَظِیمٌ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۰] ص: ۳۵۴

(آیه ۱۸۰))- طوق سنگین اسارت! این آیه سرنوشت بخیلان را در روز رستاخیز، توضیح میدهد، همانها که در جمع آوری و

حفظ ثروت می کوشند و از انفاق کردن در راه بندگان خدا، خود داری می کنند.

گر چه در آیه، نامی از زکات و حقوق واجب مالی برده نشده، ولی در روایات اهل بیت علیهم السّلام و گفتار مفسران، آیه به مانعان زکات تخصیص داده شده است.

آیه می گوید: «افرادی که بخل میورزند و از آنچه خداوند از فضل خود به آنها داده در راه او نمیدهند، تصور نکنند به سود آنهاست، بلکه این کار به زیان آنها تمام می شود» (وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ یَبْخُلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَیْراً لَهُمْ).

«بلکه (بر خلاف تصور آنها) این کار به زیان آنها تمام می شود» (بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ).

سپس سرنوشت آنها را در رستاخیز، چنین توصیف می کند: «به زودی در روز قیامت آنچه (اموالی) را که نسبت به آن بخل ورزیدند، همانند طوقی در گردنشان میافکنند» (سَیُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ یَوْمَ الْقِیامَةِ).

از این جمله استفاده می شود، اموالی که حقوق واجب آن، پرداخت نشده برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۵۵

و اجتماع از آن بهرهای نگرفته است و تنها در مسیر هوسهای فردی و گاهی مصارف جنون آمیز به کار گرفته شده و یا بیدلیل روی هم انباشته گردیده، همانند سایر اعمال زشت انسان، در روز رستاخیز طبق قانون «تجسم اعمال» تجسم می یابد. و به صورت عذاب دردناکی در خواهد آمد.

سپس آیه اشاره به یک نکته دیگر می کنـد، و می گویـد: این اموال چه در راه خـدا و بنـدگان او انفاق شود یا نشود بالاخره از صاحبان آن جدا خواهد شد «و خداوند وارث همه میراثهای زمین و آسمان خواهد بود» (وَ لِلَّهِ مِیراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

اکنون که چنین است چه بهتر که پیش از جـدا شـدن از آنهـا، از برکـات معنـوی آن بهرهمنـد گردنـد، نه تنهـا از حسـرت و مسؤولیت آن! و در پایان آیه میفرماید: «خدا از اعمال شما آگاه است» (وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ).

بنابراین، اگر بخل بورزید میداند و اگر در راه کمک به جامعه انسانی از آن استفاده کنید آن را نیز میداند و به هر کس پاداش مناسبی خواهد داد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۱] ص: ۳۵۵

اشاره

(آیه ۱۸۱))

شأن نزول: ص: 755

این آیه و آیه بعد در باره توبیخ و سرزنش یهود نازل شده است. پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نامهای به یهود «بنی قینقاع» نوشت و در طی آن، آنها را به انجام نماز و پرداخت زکات، و دادن قرض به خدا (منظور از این جمله انفاق در راه خداست که برای تحریک حد اکثر عواطف مردم از آن چنین تعبیر شده است) دعوت نمود.

فرستاده پیامبر صلّی الله علیه و آله به خانهای که مرکز تدریس مذهبی یهودیان بود و بیت المدارس نام داشت وارد شد، و نامه را به دست «فنحاص» دانشمند بزرگ یهود داد، او پس از مطالعه نامه، با لحن استهزا آمیزی گفت: اگر سخنان شما راست

باشد، باید گفت: خدا فقیر است و ما غنی و بی نیاز! زیرا اگر او فقیر نبود، از ما قرض نمی خواست! به علاوه محمد صلّی الله علیه و آله معتقد است، خدا شما را از رباخواری نهی کرده، در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۵۶

حالی که خود او در برابر انفاقها به شما وعده ربا و فزونی میدهد! ولی بعدا «فنحاص» انکار کرد چنین سخنانی را گفته باشد در این موقع این دو آیه نازل گشت.

تفسير: ص: ۳۵۶

در این آیه می گوید: «خدا سخن کفر آمیز آنان (یهود) را که گفتند:

خداوند فقير است و ما غنى هستيم شنيد» (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ).

بنابراین، انکار آنها بیهوده است، سپس می گوید: نه تنها سخنان آنها را می شنویم «بلکه همه آنها را خواهیم نوشت و (همچنین) به قتل رسانیدن پیامبران را به ناحق، مینویسیم (سَنَکْتُبُ ما قالُوا وَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِیاءَ بِغَیْرِ حَقِّ).

ثبت و حفظ اعمال آنها برای این است که روز رستاخیز آن را در برابر آنها قرار میدهیم «و می گوییم اکنون نتیجه اعمال خود را به صورت عذاب سوزان بچشید» (وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِیقِ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۲] ص: ۳۵۶

(آیه ۱۸۲)) - در این آیه می افزاید: «این عذاب در دناک (که هم اکنون، تلخی آن را می چشید) نتیجه اعمال خود شماست، این شما بودید که به خود ستم کردید، خدا هر گز به کسی ستم نخواهد کرد» (ذلِکَ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیکُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَیْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبیدِ).

اصولاً اگر امثال شما جنایتکاران، مجازات اعمال خود را نبینید و در ردیف نیکوکاران قرار گیرید، این نهایت ظلم است و اگر خدا، چنین نکند «بِظَلَّامِ» (بسیار ظلمکننده) خواهد بود.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۳] ص: ۳۵۶

اشاره

(آیه ۱۸۳)

شأن نزول: ص: 368

در مورد نزول این آیه و آیه بعد نقل شده: جمعی از بزرگان یهود به حضور پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسیدند و گفتند: تو ادعا می کنی که خداوند تو را به سوی ما فرستاده و کتابی هم بر تو نازل کرده است، در حالی که خداوند در تورات از ما پیمان گرفته است به کسی که ادعای نبوت کند، ایمان نیاوریم مگر این که برای ما حیوانی را قربانی کند و آتش (صاعقهای) از آسمان بیاید و آن را بسوزاند اگر تو نیز چنین کنی ما به تو ایمان خواهیم آورد، این دو آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۵۷

تفسير: ص: ٣٥٧

بهانه جویی یهود- یهود، برای این که از قبول اسلام، سر باز زنند، بهانه های عجیبی می آوردند از جمله همان است که در شأن نزول، به آن اشاره شد، آنها می گفتند: «خداوند از ما پیمان گرفته که دعوت هیچ پیامبری را نپذیریم، تا برای ما قربانی بیاورد که آتش، آن را بخورد» (الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَیْنا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّی یَأْتِینا بِقُرْبانٍ تَأْکُلُهُ النَّارُ).

سپس می افزاید: در پاسخ این بهانه جوییها به آنها «بگو: گروهی از پیامبران بنی اسرائیل پیش از من آمدند و نشانههای روشنی با خود آوردند و حتی چنین قربانی برای شما آوردند اگر راست می گویید چرا به آنها ایمان نیاوردید و چرا آنها را کشتید» اشاره به زکریا و یحیی و جمع دیگری از پیامبران بنی اسرائیل است که به دست خود آنان به قتل رسیدند (قُلْ قَدْ جاءَکُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِی بِالْبَیِّنَاتِ وَ بِالَّذِی قُلْتُمُ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۴] ص: ۳۵۷

(آیه ۱۸۴))- در این آیه خداوند پیامبر خود را دلداری می دهد، می فرماید:

«پس اگر (این بهانه جویان) تو را تکذیب کنند (چیز تازهای نیست) رسولان پیش از تو (نیز) تکذیب شدند» (فَإِنْ کَخَذَبُوکَ فَقَدْ کُذّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ).

«در حالی که آن پیامبران، هم نشانههای روشن و معجزات آشکار با خود داشتند» (جاؤُ بِالْبَیِّناتِ). «و هم نوشتههای متین و محکم و کتاب روشنی بخش آورده بودند» (وَ الزُّ بُرِ وَ الْکِتابِ الْمُنِیرِ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۵] ص: ۳۵۷

(آیه ۱۸۵))- قانون عمومی مرگ! این آیه نخست اشاره به قانونی می کند که حاکم بر تمام موجودات زنده جهان است و می گوید: «تمام زندگان خواه و ناخواه روزی مرگ را خواهند چشید» (کُلُّ نَفْسِ ذائِقَةُ الْمَوْتِ).

گر چه بسیاری از مردم مایلند، که فناپذیر بودن خود را فراموش کنند، ولی این واقعیتی است که اگر ما آن را فراموش کنیم، آن هرگز ما را فراموش نخواهد کرد.

سپس می گوید: بعد از زندگی این جهان، مرحله پاداش و کیفر اعمال شروع میشود «و شما پاداش خود را بطور کامل در روز قیامت خواهید گرفت» (وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۵۸

سپس اضافه می کند: «کسانی که از تحت تأثیر جاذبه آتش دوزخ دور شوند و داخل در بهشت گردند، نجات یافته، و محبوب و مطلوب خود را پیدا کردهاند» (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ).

گویا دوزخ با تمام قدرتش انسانها را به سوی خود جذب می کند، و راستی عواملی که انسان را به سوی آن می کشاند جاذبه عجیبی دارند. آیا هوسهای زود گذر، لذات جنسی نامشروع، مقامها و ثروتهای غیر مباح، برای هر انسانی جاذبه ندارد؟! در جمله بعد بحث گذشته را تکمیل می کند، می گوید: «و زندگی دنیا چیزی جز تمتع و بهرهبرداری غرور آمیز نیست» (وَ مَا الْحَیاةُ الدُّنْیا إِلَّا مَتائع الْغُرُورِ).

مهم این است که جهان ماده و لـذات آن هـدف نهایی انسان قرار نگیرد، و گر نه استفاده از جهان ماده و مواهب آن به عنوان یک وسیله برای نیل به تکامل انسانی، نه تنها نکوهیده نیست، بلکه لازم و ضروری میباشد.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۶] ص: ۳۵۸

اشاره

(آیه ۱۸۶)

شأن نزول: ص: 388

هنگامی که مسلمانان، از مکّه به مدینه مهاجرت نمودند و از خانه و زنـدگی خود دور شدنـد مشـرکان دست تجاوز به اموال آنها دراز کرده و به تصرف خود در آوردند.

و به هنگامی که به مدینه آمدند، در آنجا گرفتار بدگویی و آزار یهودیان مدینه شدند، مخصوصا یکی از آنان به نام کعب بن اشرف شاعری بدزبان و کینه توز بود که پیوسته پیامبر و مسلمانان را به وسیله اشعار خود هجو می کرد، حتی زنان و دختران مسلمان را موضوع غزلسرایی و عشقبازی خود قرار می داد. خلاصه کار وقاحت را به جایی رسانید که پیامبر صلّی الله علیه و آله به ناچار دستور قتل او را صادر کرد، و به دست مسلمانان کشته شد.

تفسير: ص: ٣٥٨

از مقاومت خسته نشوید- این آیه در حقیقت هشدار و آماده باشی است به همه مسلمانان که گمان نکنند حوادث سخت زندگی آنها، پایان یافته و یا مثلا با کشته شدن کعب بن اشرف، شاعر بدزبان و آشوب طلب، دیگر ناراحتی و زخم زبان از دشمن نخواهند دید، نخست می فرماید: «شما در جان و مالتان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۵۹

مورد آزمايش قرار خواهيد گرفت» (لَتُبْلُونَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ).

در جمله بعد می گوید: «بطور مسلم در آینده از اهل کتاب (یهود و نصاری) و مشرکان سخنان ناراحتکننده فراوانی خواهید شنید» (وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مِنَ الَّذِینَ أَشْرَکُوا أَذَیً کَثِیراً).

سپس قرآن به وظیفهای که مسلمانان در برابر این گونه حوادث سخت و دردناک دارند اشاره کرده و می گوید: «اگر استقامت به خرج دهید، شکیبا باشید، و تقوی و پرهیزکاری پیشه کنید، این از کارهایی است که (نتیجه آن روشن است و لذا) هر انسان عاقلی باید تصمیم انجام آن را بگیرد» (وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِکَ مِنْ عَزْم الْأُمُورِ).

تقارن «صبر» و «تقوا» در آیه گویا اشاره به این است که بعضی افراد در عین استقامت و شکیبایی، زبان به ناشکری و شکایت

باز می کنند، ولی مؤمنان واقعی صبر و استقامت را همواره با تقوا می آمیزند، و از این امور دورند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۷] ص: ۳۵۹

(آیه ۱۸۷))- به دنبال ذکر پارهای از خلافکاریهای اهل کتاب، این آیه به یکی دیگر از اعمال زشت آنها که مکتوم ساختن حقایق بوده اشاره می کند، و می گوید:

«به یاد آور زمانی را که خداوند از اهل کتاب پیمان گرفت که آیات کتاب را برای مردم آشکار سازید، و هرگز آن را کتمان نکنید» (وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِیثاقَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ لَتُمَیِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَکْتُمُونَهُ).

اما با این همه در این پیمان محکم الهی خیانت کردند و حقایق کتب آسمانی را کتمان نمودند و لذا می گوید: «آنها کتاب خدا را پشت سر انداختند» (فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ).

در جمله بعد اشاره به دنیا پرستی شدید و انحطاط فکری آنها می کند و می گوید: «آنها با این کار تنها بهای ناچیزی به دست آوردند و چه بد متاعی خریدند» (وَ اشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِیلًا فَبِئْسَ ما یَشْتُرُونَ).

آیه فوق گر چه در باره دانشمندان اهل کتاب (یهود و نصاری) وارد شده ولی در حقیقت اخطاری به تمام دانشمندان و علمای مذهبی است که آنها موظفند در برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۶۰

تبیین و روشن ساختن فرمانهای الهی و معارف دینی بکوشند و خداوند از همه آنها پیمان مؤکدی در این زمینه گرفته است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۸] ص: ۳۶۰

اشاره

آیه ۱۸۸

شأن نزول: ص: 344

نقل کردهاند: جمعی از یهود به هنگامی که آیات کتب آسمانی خویش را تحریف و کتمان می کردند، از این عمل خود بسیار شاد و مسرور بودند، و در عین حال دوست میداشتند که مردم آنها را عالم و دانشمند و حامی دین و وظیفه شناس بدانند، آیه نازل شد و به پندار غلط آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۳۶۰

از خود راضیها- این آیه در پاسخ جمعی از دانشمندان یهود که آیات خدا را تحریف می کردند می فرماید: «گمان مبر آنها که از اعمال (زشت) خود خوشحالند، و دوست دارند، در برابر کار (نیکی) که انجام ندادهاند، از آنها تقدیر شود گمان مبر که ایشان از عذاب پروردگار بدورند، و نجات خواهند یافت» بلکه نجات برای کسانی است که از کار بد خود شرمندهاند (لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذاب).

در پایان آیه می گویـد: نه تنها این گونه اشـخاص از خود راضـی و مغرور اهل نجات نیسـتند، بلکه «عـذاب دردناکی در انتظار آنهاست» (وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۸۹] ص: ۳۶۰

(آیه ۱۸۹)) - در این آیه که بشارتی است برای مؤمنان و تهدیدی است نسبت به کافران، می فرماید: «و حکومت آسمانها و زمین از آن خداست، و خداوند بر همه چیز قادر است» (وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى کُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). یعنی، دلیلی ندارد که مؤمنان برای پیشرفت خود از راههای انحرافی وارد شوند، آنها می توانند در پر تو قدرت خداوند با استفاده از طرق مشروع و صحیح به پیشروی خود ادامه دهند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹۰] ص: ۳۶۰

(آیه ۱۹۰))- روشن ترین راه خداشناسی! آیات قرآن تنها برای خواندن نیست، بلکه برای فهم و درک مردم نازل شده و تلاوت و خواندن آیات مقدمهای است، برای اندیشیدن، لذا در آیه مورد بحث اشاره به عظمت آفرینش آسمان و زمین کرده و می گوید: «در آفرینش آسمانها و زمین و آمد و شد شب و روز نشانههای روشنی برای صاحبان خرد و اندیشمندان است» (إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۶۱ و آللُرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآیاتٍ لِأُولِی الْأَلْبابِ)

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٩١] ص: ٣٦١

(آیه ۱۹۱))- نقشه دلربا و شگفت انگیز این جهان آنچنان قلوب صاحبان خرد را به خود جذب می کند که در جمیع حالات به یاد پدید آوردنده این نظام و اسرار شگرف آن می باشند لذا آیه شریفه می فرماید: «خردمندان آنها هستند که خدا را در حال ایستادن و نشستن و آنگاه که بر پهلو خوابیده اند یاد می کنند و در اسرار آفرینش آسمانها و زمین می اندیشند» (الَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللَّه قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِهِمْ وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْاَرْضِ).

يعني هميشه و در همه حال غرق اين تفكر حيات بخشند.

لذا خردمندان، با توجه به این حقیقت، این زمزمه را سر میدهند که:

«خداونـدا! این (دسـتگاه با عظمت) را بیهوده، نیافریـدهای» و همه روی حکمت و هـدف صـحیحی آفریده شده (رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا).

در این موقع متوجه مسؤولیتهای خود میشونـد، و از خـدا تقاضای توفیق انجام آنها را میطلبنـد، تا از کیفر او در امان باشـند و لذا می گویند: «خداوندا! تو منزه و پاکی ما را از عذاب آتش نگاهدار» (سُبْحانَکَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ).

سورهٔ آل عمران(3): آیهٔ ۱۹۲] ص: 361

(آیه ۱۹۲))- «بـار الهـا! هر که را تو (بر اثر اعمالش) به دوزخ افکنی او را خوار و رسوا ساختهای، و برای افراد سـتمگر، یاوری نیست» (رَبَّنا إِنَّکَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَیْتَهُ وَ ما لِلظَّالِمِینَ مِنْ أَنْصارٍ).

از این آیه استفاده می شود که دردناکترین عذاب رستاخیز، همان رسوایی در پیشگاه خدا و بندگان خداست.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٩٣] ص: ٣٦١

(آیه ۱۹۳۳) – صاحبان عقل و خرد، پس از دریافت هدف آفرینش، این نکته را نیز متوجه می شوند، که این راه پرفراز و نشیب را بدون رهبران الهی، هرگز نمی توانند بپیمایند. لذا همواره منتظر شنیدن صدای منادیان ایمان هستند و تا نخستین ندای آنها را بشنوند به سرعت به سوی آنها می شتابند، و با تمام وجود ایمان می آورند و به پیشگاه پروردگار خود عرض می کنند: «بار الها! ما صدای منادی توحید را شنیدیم که ما را دعوت به سوی ایمان به پروردگارمان می کرد، و به برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص:

دنبال آن ایمان آوردیم» (رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا).

بار الها! اکنون ما با تمام وجود خود ایمان آوردیم، اما از آنجا که در معرض وزش توفانهای شدید غرایز گوناگون قرار داریم، گاهی لغزشهایی از ما سر میزند و مرتکب گناهانی میشویم، «خداوندا! ما را ببخش و گناهان ما را بیامرز و لغزشهای ما را پوشیده دار و ما را با نیکان و در راه و رسم آنان، بمیران» (رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ کَفِّرْ عَنَّا سَیِّئاتِنا وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ).

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ١٩٤] ص: ٣٦٢

(آیه ۱۹۴)- آنها در آخرین مرحله و پس از پیمودن راه توحید و ایمان به رستاخیز و اجابت دعوت پیامبران و انجام وظایف و مسؤولیتهای خویش از خدای خود تقاضا می کنند و می گویند اکنون که ما به پیمان خویش وفا کردیم «بار الها! آنچه را تو به وسیله پیامبرانت به ما وعده فرمودی (و مژده دادی) به ما مرحمت کن، و ما را در روز رستاخیز رسوا مگردان، زیرا تو هر چه را وعده دهی تخلّفناپذیر است» (رَبَّنا وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلی رُسُلِکَ وَ لا تُخْزِنا یَوْمَ الْقِیامَةِ إِنَّکَ لا تُخْلِفُ الْمِیعادَ).

پنج آیه فوق از فرازهای تکان دهنده قرآن است که مجموعهای از معارف دینی آمیخته با لحن لطیف مناجات و نیایش، در شکل یک نغمه آسمانی میباشد، و در روایات اهل بیت علیهم السّ لام نیز دستور داده شده که هر کس برای نماز شب بر میخیزد این آیات را تلاوت کند.

سورهٔ آل عمران(3): آیهٔ ۱۹۵] ص: 362

اشاره

(آیه ۱۹۵)

شأن نزول: ص: ٣٦٢

این آیه دنباله آیات پیشین در باره صاحبان عقل و خرد، و نتیجه اعمال آنها میباشد و در مورد نزول آن نقل شده که: «امّ سلمه» (یکی از همسران رسول خدا) خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله عرض کرد: در قرآن از جهاد و هجرت و فداکاری مردان، فراوان بحث شده آیا زنان هم در این قسمت سهمی دارند؟ آیه نازل شد و به این سؤال پاسخ گفت.

تفسير: ص: ٣٦٢

نتیجه برنامه خردمندان- در پنج آیه گذشته، فشردهای از ایمان و برنامههای عملی و درخواستهای صاحبان فکر و خرد و نیایشهای آنها را اجابت می کند» (فَاسْ تَجابَ لَهُمْ نیایشهای آنها بیان شد در این آیه میفرماید: «پروردگارشان و بلافاصله درخواستهای آنها را اجابت می کند» (فَاسْ تَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۶۳

و برای این که اشتباه نشود و ارتباط پیروزی و نجات آدمی با اعمال و کردار او قطع نگردد بلافاصله میفرماید: «من هرگز عمل هیچ عمل کنندهای از شما را ضایع نمی کنم» (أَنِّی لا أُضِیعُ عَمَلَ عامِلِ مِنْکُمْ).

سپس برای این که تصور نشود که این وعده الهی اختصاص به دسته معینی دارد صریحا میفرماید: «این عمل کننده خواه مرد باشد یا زن، تفاوتی نمی کند» (مِنْ ذَكِرِ أَوْ أُنثی).

از اینجا روشن می شود این که پـارهای از افراد بی اطلاع گـاهی اسـلام را متهم می کننـد که اسـلام دین مردهاست نه زنها، چه انـدازه از حقیقت دور است! زیرا همه شـما در آفرینش به یکدیگر بسـتگی دارید «بعضـی از شـما از بعض دیگر تولد یافته اید» زنان از مردان و مردان از زنان (بَعْضُکُمْ مِنْ بَعْض).

در جمله بعـد چنین نتیجه گیری میکند، میفرماید: «آنها که در راه خدا هجرت کردند، و از خانههای خود بیرون رانده شدند، و در راه من آزار دیدند، و جنگ کردند و کشته شدند، به یقین گناهانشان را میبخشم» (فَالَّذِینَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ أُوذُوا فِی سَبِیلِی وَ قاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئاتِهِمْ).

سپس می فرماید: علاوه بر این که گناهان آنها را می بخشم، بطور مسلم «آنها را در بهشتی جای می دهم که از زیر درختان آن، نهرها در جریان است و مملو از انواع نعمتهاست» (وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

«این پاداشی است که به پاس فداکاری آنها از ناحیه خداوند، به آنها داده میشود و بهترین پاداشها و اجرها در نزد پروردگار است» (تَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ).

اشاره به این که پاداشهای الهی برای مردم این جهان بطور کامل قابل توصیف نیست همین اندازه باید بدانند که از هر پاداشی بالاتر است.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹۶] ص: ۳۶۳

اشاره

شأن نزول: ص: 363

بسیاری از مشرکان مکه و یهودیان مدینه تجارت پیشه بودند، و در ناز و نعمت به سر می بردند در حالی که مسلمانان در آن زمان به خاطر شرایط خاص زندگی و از جمله مسأله مهاجرت از مکه به مدینه و محاصره برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۶۴ اقتصادی از ناحیه دشمنان نیرومند، از نظر وضع مادی بسیار در زحمت بودند، و به عسرت زندگی می کردند، مقایسه این دو حالت این سؤال را برای بعضی طرح کرده بود که چرا افراد بی ایمان این چنین در ناز و نعمتند، اما افراد با ایمان در رنج و عذاب و فقر و پریشانی زندگی می کنند؟ آیه نازل شد و به این سؤال پاسخ گفت.

تفسير: ص: ٣۶۴

یک سؤال ناراحت کننده - سؤالی که در شأن نزول بالا برای جمعی از مسلمانان عصر پیامبر، مطرح بود یک سؤال عمومی و همگانی برای بسیاری از مردم در هر عصر و زمان است، آنها غالبا زندگی مرفّه و پرناز و نعمت گردنکشان فراعنه و افراد بی بندوبار را، با زندگی پرمشقت جمعی از افراد با ایمان مقایسه می کنند، و گاهی این موضوع در افراد سست ایمان ایجاد شک و تردید می کند.

این سؤال اگر به دقت بررسی شود پاسخهای روشنی دارد که آیه مورد بحث به بعضی از آنها اشاره کرده است، می گوید: «رفت و آمد پیروزمندانه کافران در شهرهای مختلف هر گز تو را نفریبد» (لا یَغُرَّنَکَ تَقَلُّبُ الَّذِینَ کَفَرُوا فِی الْبِلادِ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹۷] ص: ۳۶۴

(آیه ۱۹۷) - در این آیه می فرماید: «این پیروزیها و در آمدهای مادی بی قید و شرط، پیروزیهای زود گذر و اند کند» (مَتاعٌ قَلِیلٌ).

یعنی: پیروزیهای طغیانگران و ستمکاران ابعاد محدودی دارد، همانطور که محرومیتها و ناراحتیهای بسیاری از افراد با ایمان نیز محدود است.

سپس اضافه می کند: «به دنبال این پیروزیها عواقب شوم و مسؤولیتهای آن دامان آنها را خواهد گرفت و جایگاهشان دوزخ است چه جایگاه بد و آرامگاه نامناسبی» (ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ).

بنابراین نمی توان حال این دو را با هم مقایسه کرد، زیرا افراد بی ایمان از هر طریقی خواه مشروع یا نامشروع و حتی با مکیدن خون بی نوایان برای خود ثروت اندوزی می کنند در حالی که مؤمنان برای رعایت اصول حق و عدالت محدودیتهایی دارند و باید هم داشته باشند.

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹۸] ص: ۳۶۴

(آیه ۱۹۸) - در آیه قبل سر انجام افراد بی ایمان تشریح شده بود، و در این آیه پایان کار پرهیز کاران بیان می گردد، می فرماید:

«ولی آنها که پرهیز کاری پیشه بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۶۵

کردند (و برای رسیدن به سرمایههای مادی موازین حق و عدالت را در نظر گرفتند، و یا به خاطر ایمان به خدا از وطنهای خود آواره شدند و در محاصره اجتماعی و اقتصادی قرار گرفتند) در برابر این مشکلات، خداوند باغهایی از بهشت در اختیار آنان می گذارد که نهرهای آب از زیر درختان آن جاری است و جاودانه در آن می مانند» (لکِنِ الَّذِینَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها).

سپس می افزاید: «باغهای بهشت با آن همه مواهب مادی نخستین وسیله پذیرایی از پرهیز کاران می باشد» (نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ). و اما پذیرایی مهم و عالیتر همان نعمتهای روحانی و معنوی است که در پایان آیه به آن اشاره شده، می فرماید: «آنچه نزد خداست برای نیکان بهتر است» (وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَیْرٌ لِلْأَبْرارِ).

سورهٔ آل عمران(۳): آیهٔ ۱۹۹] ص: ۳۶۵

اشاره

(آیه ۱۹۹)

شأن نزول: ص: 360

در سال نهم هجری در ماه رجب نجاشی وفات یافت، خبر درگذشت او با یک الهام در همان روز به پیامبر رسید، پیامبر به مسلمانان فرمود: حاضر شوید تا به پاس خدماتی که در حق مسلمانان کرده است بر او نماز گذاریم، آنگاه به قبرستان بقیع آمد و از دور بر او نماز گذاشت. بعضی از منافقان گفتند: محمد صلّی اللّه علیه و آله بر مردی کافری که هرگز او را ندیده است نماز می گذارد، و حال آن که آیین او را نپذیرفته است آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: 360

این آیه در باره مؤمنان اهل کتاب است، و سخن از اقلیتی به میان می آورد که دعوت پیغمبر را اجابت کردند، و برای آنها پنج صفت ممتاز بیان می کند: ۱- «و از اهل کتاب کسانی هستند که (از جان و دل) به خدا ایمان می آورند» (وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ).

٢- «آنها به قرآن و آنچه بر شما مسلمانان نازل شده است، ایمان می آورند» (وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ).

۳- ایمان آنها به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله در حقیقت از ایمان واقعی به کتاب آسمانی خودشان و بشاراتی که در آن آمده است سر چشمه می گیرد بنابراین: «آنها به آنچه بر خودشان نازل شده نیز ایمان دارند» (وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۶۶

۴- «آنها در برابر فرمان خدا تسليم و خاضعند» (خاشِعِينَ لِلَّهِ).

و همین خضوع آنهاست که انگیزه ایمان واقعی شده و میان آنها و تعصبهای جاهلانه، جدایی افکنده است.

۵- «آنها هرگز آیات الهی را به بهای ناچیز نمی فروشند» (لا یَشْتَرُونَ بِآیاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِیلًا).

با داشتن آن برنامه روشن و زنده و صفات عالى انسانى «اينها پاداش خود را نزد پروردگار خواهند داشت» (أُولئِکَ لَهُمْ أُجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ).

> در پایان آیه میفرماید: «خداوند به سرعت حساب بندگان را رسیدگی میکند» (إِنَّ اللَّهَ سَرِیعُ الْحِسابِ). بنابراین، نه نیکوکاران برای دریافت پاداش خود گرفتار مشکلی میشوند و نه مجازات بدکاران به تأخیر میافتد.

سورهٔ آل عمران(٣): آيهٔ ٢٠٠] ص: ٣٦٦

(آیه ۲۰۰)-این آیه آخرین آیه سوره آل عمران و محتوی یک برنامه جامع چهار مادهای که ضامن سر بلندی و پیروزی مسلمین است، می باشد.

۱- نخست روی سخن را به همه مؤمنان کرده و به اولین ماده این برنامه اشاره میکند و میفرماید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! در برابر حوادث ایستادگی کنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اصْبِرُوا).

صبر و استقامت در برابر مشکلات و هوسها و حوادث، در حقیقت ریشه اصلی هر گونه پیروزی مادی و معنوی را تشکیل میدهد.

۲- در مرحله دوم قرآن به افراد با ایمان دستور به استقامت در برابر دشمن می دهد و می فرماید: «و در برابر دشمنان نیز استقامت به خرج دهید» (وَ صابِرُوا).

۳- در جمله بعد به مسلمانان دستور آماده باش در برابر دشمن و مراقبت دائم از مرزها و سرحدات کشورهای اسلامی میدهد و میفرماید: «از مرزهای خود، مراقبت به عمل آورید» (وَ رابِطُوا).

این دستور به خاطر آن است که مسلمانان هرگز گرفتار حملات غافلگیرانه دشمن نشوند. و در برابر حملات شیطان و هوسهای سرکش همیشه آماده و مراقب باشند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۶۷

۴- بالاخره در آخرین دستور که همچون چتری بر همه دستورهای سابق سایه میافکند، میفرماید: «و از خدا بپرهیزید» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ).

سپس مى گويد: «شايد رستگار شويد» (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

یعنی شما در سایه به کار بستن این چهار دستور، می توانید رستگار شوید و با تخلف از آنها راهی به سوی رستگاری نخواهید داشت.

به هر حال اگر روح استقامت و پایمردی در مسلمانان زنده شود، اگر در برابر افزایش تلاش و کوشش دشمنان، مسلمانان تلاش و کوشش بیشتری از خود نشان دهند و پیوسته از مرزهای جغرافیایی و عقیدهای خود مراقبت نمایند و علاوه بر همه اینها با تقوای فردی و اجتماعی، گناه و فساد را از جامعه خود دور کنند پیروزی آنها تضمین خواهد شد.

يايان سوره آل عمران

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۶۹

سوره نساء ص: 369

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۱۷۶ آیه است.

سوره نساء از نظر ترتیب نزول، بعد از سوره «ممتحنه» قرار دارد.

زیرا می دانیم ترتیب کنونی سوره های قرآن مطابق ترتیب نزول سوره ها نیست.

همچنین از نظر تعداد کلمات و حروف، این سوره طولانی ترین سوره های قرآن بعد از سوره «بقره» می باشد و نظر به این که بحثهای فراوانی در مورد احکام و حقوق زنان در آن آمده، به سوره «نساء» نامیده شده است.

محتوای سوره: ص: 369

بحثهای مختلف این سوره عبارتند از:

۱- دعوت به ایمان و عدالت و قطع رابطه دوستانه با دشمنان سرسخت.

۲- قسمتی از سرگذشت پیشینیان برای آشنایی به سرنوشت جامعههای ناسالم.

۳- حمایت از نیازمندان، مانند یتیمان.

۴- قانون ارث بر اساس یک روش طبیعی و عادلانه.

۵- قوانین مربوط به ازدواج و برنامههایی برای حفظ عفت عمومی.

وانین کلی برای حفظ اموال عمومی.

۷- معرفی دشمنان جامعه اسلامی و بیدارباش به مسلمانان در برابر آنها.

۸- حکومت اسلامی و لزوم اطاعت از رهبر چنین حکومتی.

٩- اهميت هجرت و موارد لزوم آن.

فضيلت تلاوت اين سوره: ص: 369

پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله طبق روایتی فرمود: «هر کس برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۷۰

سوره نساء را بخواند، گویا به اندازه هر مسلمانی که طبق مفاد این سوره ارث میبرد، در راه خدا انفاق کرده است و همچنین پاداش کسی را که بردهای را آزاد کرده به او میدهند».

بدیهی است در این روایت و در تمام روایات مشابه آن، منظور تنها خواندن آیات نیست بلکه خواندن، مقدمهای است برای فهم و درک، و آن نیز به نوبه خود مقدمهای است برای پیاده ساختن آن در زندگی فردی و اجتماعی.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

سوره نساء (4): آية ١] ص: ٣٧٠

(آیه ۱)– مبـارزه بـا تبعیضــها! روی سـخن در نخسـتین آیـه ایـن سـوره به تمـام افراد انسـان است و آنهـا را دعـوت به تقـوی و پرهیزکاری میکند و میفرماید: «ای مردم از پروردگارتان بپرهیزید» (یا أَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمُ).

سپس برای معرفی خدایی که نظارت بر تمام اعمال انسان دارد به یکی از صفات او اشاره میکند که ریشه وحدت اجتماعی بشر است «آن خدایی که همه شما را از یک انسان پدید آورد» (الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍٔ).

«نَفْسٍ واحِ لَهٔ اشاره به نخستین انسانی است که قرآن او را به نام آدم پـدر انسانهای امروز معرفی کرده و تعبیر «بنی آدم» در آیات قرآن نیز اشاره به همین است.

سپس در جمله بعد می گوید: «همسر آدم را از او آفرید» (وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها).

و معنی آن این است که همسر آدم را از جنس او قرار داد نه از اعضای بدن او و طبق روایتی از امام باقر علیه السّ لام، خلقت حوّا از یکی از دنده های آدم شدیدا تکذیب شده و تصریح شده که حوّا از باقیمانده خاک آدم آفریده شده است.

سپس در جمله بعد می فرماید: «خداوند از آدم و همسرش، مردان و زنان فراوانی به وجود آورد» (وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نساءً).

از این تعبیر استفاده می شود که تکثیر نسل فرزندان آدم تنها از طریق آدم و همسرش صورت گرفته است و موجود دیگری در آن دخالت نداشته است.

سپس به خاطر اهمیتی که تقوا در ساختن زیر بنای یک جامعه سالم دارد برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۷۱

مجددا در ذیل آیه مردم را به پرهیزکاری و تقوا دعوت میکند و میفرماید: «از خدایی بپرهیزید که در نظر شما عظمت دارد و به هنگامی که میخواهید چیزی از دیگری طلب کنید نام او را میبرید» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی تَسائَلُونَ بِهِ).

و اضافه می کند: «از خویشاوندان خود و (قطع پیوند آنها) بپرهیزید» (وَ الْأَرْحامَ).

ذكر اين موضوع در اينجا نشانه اهميت فوق العادهاي است كه قرآن براي صله رحم قائل است.

در پایان آیه می افزاید: «خداوند مراقب شماست» (إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلَیْکُمْ رَقِیباً).

و تمام اعمال و نیات شما را می بیند و در ضمن نگهبان شما در برابر حوادث است.

سوره نساء (4): آیهٔ ۲] ص: ۳۷۱

اشاره

(آیه ۲)

شأن نزول: ص: 371

شخصی از قبیله «بنی غطفان» برادر ثروتمندی داشت که از دنیا رفت، و او به عنوان سرپرستی از یتیمان برادر، اموال او را به تصرف در آورد، و هنگامی که برادرزاده به حد رشد رسید، از دادن حق او امتناع ورزید، موضوع را به خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله عرض کردند، آیه نازل گردید، و مرد غاصب بر اثر شنیدن آن توبه کرد و اموال را به صاحبش باز گرداند و گفت: اعوذ باللّه من الحوب الکبیر: «به خدا پناه می برم از این که آلوده به گناه بزرگی شوم».

تفسير: ص: ٣٧١

خیانت در اموال یتیمان ممنوع- در هر اجتماعی بر اثر حوادث گوناگون پدرانی از دنیا میروند و فرزندان صغیری از آنها باقی میمانند.

در این آیه سه دستور مهم در باره اموال یتیمان داده شده است.

۱- نخست دستور می دهد که: «اموال یتیمان را (به هنگامی که رشد پیدا کنند) به آنها بدهید» (وَ آتُوا الْیتامی أَمْوالَهُمْ).

يعنى، تصرف شما در اين اموال تنها به عنوان امين و ناظر است نه مالك.

۲- دستور بعد برای جلوگیری از حیف و میلهایی است، که گاهی سرپرستهای یتیمان به بهانه این که تبدیل کردن مال به نفع
 یتیم است یا تفاوتی با هم ندارد، و یا اگر بماند ضایع میشود، اموال خوب و زبده یتیمان را بر میداشتند برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۷۲

و اموال بد و نامرغوب خود را به جاى آن مى گذاشـتند قرآن مى گويد: «و هيچ گاه اموال پاكيزه آنها را با اموال ناپاك و پست خود تبديل نكنيد» (وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ).

٣- «و اموال آنها را با اموال خود نخوريد» (وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلَى أَمْوالِكُمْ).

یعنی، اموال یتیمان را با اموال خود مخلوط نکنید بطوری که نتیجهاش تملّک همه باشد، و یا این که اموال بد خود را با اموال خوب آنها مخلوط نسازید که نتیجهاش پایمال شدن حق یتیمان باشد.

در پایان آیه، برای تأکید و اثبات اهمیت موضوع میفرماید: «این گونه تعدی و تجاوز به اموال یتیمان، گناه بزرگی است» (إِنَّهُ کانَ حُوباً کَبِیراً)

سوره نساء (4): آية ٣] ص: ٣٧٢

اشاره

(آیه ۳)

شأن نزول: ص: ٣٧٢

قبل از اسلام معمول بود که بسیاری از مردم حجاز، دختران یتیم را به عنوان تکفّل و سرپرستی به خانه خود میبردند، و بعد با آنها ازدواج کرده و اموال آنها را هم تملک می کردند، و چون همه کار، دست آنها بود حتی مهریّه آنها را کمتر از معمول قرار میدادند، و هنگامی که کمترین ناراحتی از آنها پیدا می کردند به آسانی آنها را رها میساختند.

در این هنگام آیه نازل شد و به سرپرستان ایتام دستور داد در صورتی با دختران یتیم ازدواج کنند که عدالت را بطور کامل در باره آنها رعایت نمایند.

تفسير: ص: ٣٧٢

در این آیه اشاره به یکی دیگر از حقوق یتیمان می کند و می فرماید:

«اگر می ترسید به هنگام ازدواج با دختران یتیم رعایت حق و عـدالت را در باره حقوق زوجیت و اموال آنان ننمایید از ازدواج با آنها چشم بپوشید و به سراغ زنان دیگر بروید» (وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِی الْیَتامی فَانْکِحُوا ما طابَ لَکُمْ مِنَ النِّساءِ).

سپس میفرماید: «از آنها دو نفر یا سه نفر یا چهار نفر به همسری خود انتخاب کنید» (مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ).

سپس بلافاصله می گوید: این در صورت حفظ عدالت کامل است «اما اگر می ترسید عدالت را (در مورد همسران متعدد) رعایت ننمایید تنها به یک همسر اکتفا کنید» تا از ظلم و ستم بر دیگران بر کنار باشید (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلًا تَعْدِلُوا فَواحِدَهً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۷۳

«و یا (به جای انتخاب همسر دوم) از کنیزی که مال شما است استفاده کنید» زیرا شرایط آنها سبکتر است، اگر چه آنها نیز باید از حقوق حقه خود برخوردار باشند (أَوْ ما مَلَكَتْ أَیْمانُكُمْ).

«این کار (انتخاب یک همسر و یا انتخاب کنیز) از ظلم و ستم و انحراف از عـدالت، بهتر جلوگیری میکنـد» (ذلِکَ أَدْنی أَلَّا تَعُولُوا).

در باره عدالت همسران، آنچه مرد موظف به آن است رعایت عدالت در جنبه های عملی و خارجی است چه این که عدالت در محبتهای قلبی خارج از قدرت انسان است «۱».

سوره نساء (4): آية 4] ص: ٣٧٣

اشاره

(آیه ۴) – مهر زنان! به دنبال بحثی که در آیه گذشته در باره انتخاب همسر بود، در این آیه اشاره به یکی از حقوق مسلم زنان می کند و تأکید مینماید که: مهر زنان را بطور کامل به عنوان یک عطیه (الهی) بپردازید» (وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَهً). سپس در ذیل آیه برای احترام گذاردن به احساسات طرفین و محکم شدن پیوندهای قلبی و جلب عواطف می گوید: «اگر زنان با رضایت کامل خواستند مقداری از مهر خود را ببخشند برای شما حلال و گواراست» (فَإِنْ طِبْنَ لَکُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَکُلُوهُ هَنِیاً مَریئاً).

تا در محیط زندگی زناشویی تنها قانون و مقررات خشک حکومت نکند، بلکه به موازات آن عاطفه و محبت نیز حکمفرما باشد.

«مهر» یک پشتوانه اجتماعی برای زن- ص: 373

در عصر جاهلیت نظر به این که برای زنان ارزشی قائل نبودند، غالبا مهر را که حق مسلم زن بود در اختیار اولیای او قرار میدادند، و آن را ملک مسلم آنها میدانستند، گاهی نیز مهر یک زن را ازدواج زن دیگری قرار میدادند، اسلام بر تمام این رسوم ظالمانه خط بطلان کشید و مهر را به عنوان یک حق مسلم به زن اختصاص داد.

و اگر بعضی برای «مهر» تفسیر غلطی کردهاند و آن را یک نوع «بهای زن» پنداشتهاند ارتباط به قوانین اسلام ندارد، زیرا در اسلام «مهر» به هیچ وجه جنبه بها (۱) بحث جالبی که پیرامون «تعدّد همسر» در ذیل همین آیه در «تفسیر نمونه» آمده، مطالعه فرمایید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۷۴

و قیمت کالا ندارد، و بهترین دلیل آن همان صیغه ازدواج است که در آن رسما «مرد» و «زن» به عنوان دو رکن اساسی پیمان ازدواج به حساب آمدهاند و مهر یک چیز اضافی و در حاشیه قرار گرفته است به همین دلیل اگر در صیغه عقد اسمی از مهر نبرند، عقد باطل نیست، در حالی که اگر در خرید و فروش و معاملات اسمی از قیمت برده نشود مسلما باطل خواهد بود.

سوره نساء (4): آیهٔ ۵] ص: ۳۷۴

(آیه ۵)- سفیه کیست؟ به دنبال بحثی که در آیات پیش در باره یتیمان گذشت این آیه و آیه بعد، آن را تکمیل می کند، و می فرماید: «اموال و ثروتهای خود را به دست افراد سفیه نسپارید» (وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَکُمُ). و بگذارید در مسائل اقتصادی رشد پیدا کنند تا اموال شما در معرض مخاطره و تلف قرار نگیرد.

منظور از «سفاهت» در این جمله، عدم رشد کافی در خصوص امور مالی است بطوری که شخص نتواند سرپرستی اموال خود را به عهده گیرد و در مبادلات، منافع خود را تأمین نماید.

در جمله بعد قرآن تعبیر جالبی در باره اموال و ثروتها کرده و می گوید: «این سرمایههای شما که قوام زندگانی و اجتماع شما به آن است و بدون آن نمی توانید کمر راست کنید» به دست سفیهان و اسرافکاران نسپارید (الَّتِی جَعَلَ اللَّهُ لَکُمْ قِیاماً).

از این تعبیر به خوبی اهمیتی را که اسلام برای مسائل مالی و اقتصادی قائل است روشن می شود، و به عکس آنچه در انجیل کنونی «۱» می خوانیم که «شخص پولدار هر گز وارد ملکوت آسمانها نمی شود» اسلام می گوید ملتی که فقیر باشد هر گز نمی تواند کمر راست کند و عجب این است که آنها با آن تعلیمات غلط به کجا رسیده اند و ما با این تعلیمات عالی در چه مرحله ای سیر می کنیم! در پایان آیه دو دستور مهم در باره یتیمان می دهد نخست این که «خوراک و پوشاک آنها را از طریق اموالشان تأمین کنید» (وَ ارْزُقُوهُمْ فِیها وَ اکْسُوهُمْ).

تا با آبرومندی بزرگ شوند و به حد بلوغ برسند.

ديگر اين كه: «با يتيمان بطور شايسته سخن گوييد» (وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً).

(۱) انجیل متی باب ۱۹ شماره ۲۳.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۷۵

یعنی، با عبارات و سخنان دلنشین و شایسته هم کمبود روانی آنها را برطرف سازید و هم به «رشد عقلی» آنها کمک کنید تا به موقع بلوغ از رشد عقلی کافی برخوردار باشند، و به این ترتیب برنامه سازندگی شخصیت آنها نیز جزء وظایف سرپرستان خواهد بود.

سوره نساء (4): آیهٔ ۶] ص : ۳۷۵

(آیه ۶)– در این آیه دستور دیگری در باره یتیمان و سرنوشت اموال آنها داده و میفرماید: «یتیمان را بیازمایید تا هنگامی که

به حد بلوغ برسند» (وَ ابْتَلُوا الْيَتامي حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكاحَ).

«و اگر در این موقع در آنها رشــد (کافی) برای اداره اموال خود یافتیــد، اموالشان را به آنها بازگردانیـد» (فَإِنْ آنَـشـِـتُـمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ).

سپس بار دیگر به سرپرستان تأکید میکند، میگوید: «و پیش از آن که بزرگ شوند اموالشان را از روی اسراف نخورید» (وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً أَنْ يَكْبَرُوا).

و دیگر این که: «سرپرستان ایتام اگر متمکّن و ثروتمندنـد نبایـد به هیـچ عنوانی از اموال ایتام استفاده کننـد و اگر فقیر و نادار باشـند تنها می تواننـد (در برابر زحماتی که به خاطر حفظ اموال یتیم متحمل می شوند) با رعایت عدالت و انصاف، حق الزحمه خود را از اموال آنها بردارند» (وَ مَنْ کانَ غَنِیًّا فَلْیَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ کانَ فَقِیراً فَلْیَاْکُلْ بِالْمَعْرُوفِ).

سپس به آخرین حکم در باره اولیاء ایتام اشاره کرده، میفرماید: «هنگامی که میخواهید اموال آنها را به دست آنها بسپارید گواه بگیرید» تا جای اتهام و نزاع و گفتگو باقی نماند» (فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ).

در پایان آیه می فرماید: اما بدانید که حساب کننده واقعی خداست و مهمتر از هر چیز این است که حساب شما نزد او روشن باشد، اوست که اگر خیانتی از شما سر زند و بر گواهان مخفی بماند به حساب آن رسیدگی خواهد کرد «و خداوند برای محاسبه کافی است» (وَ کَفی باللَّهِ حَسِیباً).

سوره نساء (4): آية ٧] ص: ٣٧٥

اشاره

(آیه ۷)

شأن نزول: ص: ۳۷۵

در عصر جاهلیت عرب، رسم چنین بود که تنها مردان را وارث می شناختند، و زنان و کودکان را از ارث محروم می ساختند و ثروت میت را برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۷۶

(در صورتی که مرد نزدیکی نبود) در میان مردان دورتر قسمت می کردند، تا این که یکی از انصار به نام «اوس بن ثابت» از دنیا رفت، عموزاده های وی اموال او را میان خود تقسیم کردند، و به همسر و فرزندان خردسال او چیزی ندادند، همسر او به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله شکایت کرد.

در این موقع آیه نازل شد و پیامبر آنها را خواست و دستور داد در اموال مزبور، هیچ گونه دخالت نکنند و آن را برای بازماندگان درجه اول او بگذارند.

تفسیر: ص: ۳۷۶

گام دیگری برای حفظ حقوق زن- اعراب با رسم غلط و ظالمانهای که داشتند زنان و فرزندان خردسال را از حق ارث محروم می ساختند، آیه مورد بحث روی این قانون غلط خط بطلان کشیده، می فرماید: «مردان از اموالی که پدر و مادر و نزدیکان به

جای می گذارند سهمی دارند و زنان نیز از آنچه پدر و مادر و خویشاوندان می گذارند سهمی، خواه آن مال کم باشد یا زیاد» (لِلرِّجالِ نَصِة بِبٌ مِمَّا تَرَکَ الْوالِـدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ اللِّساءِ نَصِة بِبٌ مِمَّا تَرَکَ الْوالِـدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ). بنابراین، هیچ یک حق ندارد سهم دیگری را غصب کند.

سپس در پایان آیه برای تأکید مطلب می فرماید: «این سهمی است تعیین شده و لازم الاداء» تا هیچ گونه تردید در این بحث باقی نماند (نَصِیباً مَفْرُوضاً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۸] ص: ۳۷۶

(آیه ۸)- یک حکم اخلاقی! این آیه مسلما بعد از قانون تقسیم ارث، نازل شده، زیرا می گوید: «هر گاه در مجلس تقسیم ارث، خویشاوندان و یتیمان و مستمندان حاضر شدند چیزی از آن به آنها بدهید» (وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْ مَهُ أُولُوا الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمُساکِینُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ).

کلمه «یتامی» و «مساکین» اگر چه بطور مطلق ذکر شده ولی منظور از آن ایتام و نیازمندان فامیل است.

در پایان آیه دستور می دهد که «به این دسته از محرومان، با زبان خوب و طرز شایسته صحبت کنید» (وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً).

سوره نساء (۴): آیهٔ ۹] ص: ۳۷۶

(آیه ۹)– جلب عواطف به سوی یتیمان! قرآن برای برانگیختن عواطف مردم در برابر وضع یتیمان اشاره به حقیقتی می کنـد که گاهی مردم از آن غافل برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۷۷

میشونـد، میفرماید: «کسانی که اگر فرزندان ناتوانی از خود به یادگار بگذارند از آینده آنان میترسـند باید (از سـتم در باره یتیمان مردم) بترسند» (وَ لْیَخْشَ الَّذِینَ لَوْ تَرَکُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّیَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَیْهِمْ).

اصولا مسائل اجتماعی همواره به شکل یک سنت از امروز به فردا، و از فردا به آینده دوردست سرایت می کند. بنابراین، آنها که اساس ظلم و ستم بر ایتام را در اجتماع می گذارند بالاخره روزی این بدعت غلط، دامان فرزندان خود آنها را خواهد گرفت.

در پایان آیه می فرماید: «اکنون که چنین است باید سرپرستان ایتام، از مخالفت با احکام خدا بپرهیزند و با یتیمان، با زبان ملایم و عباراتی سرشار از عواطف انسانی سخن بگویند» (فَلْیَتَّقُوا اللَّهَ وَ لْیَقُولُوا قَوْلًا سَدِیداً).

تا ناراحتی درونی و زخمهای قلب آنها به این وسیله التیام یابد.

این دستور عالی اسلامی اشاره به یک نکته روانی در مورد پرورش یتیمان میکند و آن این که: نیازمندی کودک یتیم، منحصر به خوراک و پوشاک نیست، بلکه باید علاوه بر مراقبتهای جسمی از نظر تمایلات روانی نیز اشباع شود و گر نه کودکی سنگدل، شکست خورده، فاقد شخصیت و خطرناک به عمل خواهد آمد.

سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۰] ص: ۳۷۷

(آیه ۱۰)- چهره باطنی اعمال ما! در آغاز این سوره تعبیر شدیدی پیرامون تصرفهای ناروا در اموال یتیمان دیده می شود که صریحترین آنها آیه مورد بحث است. می گوید: «کسانی که اموال یتیمان را به ناحق تصرف می کنند (در حقیقت) در شکمشان تنها آتش می خورند» (إِنَّ الَّذِینَ یَأْکُلُونَ أَمُوالَ الْیَتامی ظُلْماً إِنَّما یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ ناراً).

سپس در پایان آیه میگوید: علاوه بر این که آنها در همین جهان در واقع آتش میخورند «به زودی در جهان دیگر داخل در آتش برافروختهای میشوند» که آنها را به شدت میسوزاند (وَ سَیَصْلَوْنَ سَعِیراً).

از این آیه استفاده می شود که اعمال ما علاوه بر چهره ظاهری خود، یک چهره واقعی نیز دارد که در این جهان از نظر ما پنهان است اما این چهره های درونی در جهان دیگر ظاهر می شوند و مسأله «تجسّم اعمال» را تشکیل می دهند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۷۸

سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۱] ص: ۳۷۸

اشاره

آیه ۱۱)

شأن نزول: ص: 378

در مورد نزول این آیه و آیه بعد، از «جابر بن عبد الله» نقل شده که می گوید: بیمار شده بودم، پیامبر صلّی الله علیه و آله از من عیادت کرد، من بی هوش بودم، پیامبر صلّی الله علیه و آله آبی خواست و با مقداری از آن وضو گرفت، و بقیه را بر من پاشید، من به هوش آمدم، عرض کردم ای رسولخدا! تکلیف اموال من بعد از من چه خواهد شد؟ پیامبر صلّی الله علیه و آله خاموش گشت، چیزی نگذشت که آیه نازل گردید و سهم ورّاث در آن تعیین شد.

تفسیر: ص: ۳۷۸

اشاره

سهام ارث- در این آیه حکم طبقه اول وارثان (فرزندان و پدران و مادران) بیان شده است.

در جمله نخست می گوید: «خداوند به شما در باره فرزندانتان سفارش می کند که برای پسران دو برابر سهم دختران قائل شوید» (یُوصِیکُمُ اللَّهُ فِی أَوْلادِکُمْ لِلذَّکرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْتَیْنِ).

و این یک نوع تأکید روی ارث بردن دختران و مبارزه با سنتهای جاهلی است که آنها را بکلی محروم می کردند.

سپس مىفرمايىد: «اگر فرزنىدان ميت، منحصرا دو دختر يا بيشتر باشند دو ثلث مال از آن آنهاست» (فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ).

«ولى اگر تنها يك دختر بوده باشد نصف مجموع مال از آن اوست» (وَ إِنْ كَانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النَّصْفُ).

اما میراث پدران و مادران که آنها نیز جزء طبقه اول و هم ردیف فرزندان میباشند، سه حالت دارد.

حالت اول: «شخص متوفی، فرزند یا فرزندانی داشته باشد که در این صورت برای پدر و مادر او هر کدام یک ششم میراث

است» (وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ).

حالت دوم: «فرزنـدی در میان نباشد و وارث، تنها پدر و مادر او باشـند در این صورت سـهم مادر یک سوم مجموع مال و بقیه از آن پدر است» (فَإِنْ لَمْ یَکُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۷۹

حالت سوم: این است که وارث تنها پـدر و مادر باشـند و فرزندی در کار نباشد، «ولی شخص متوفی برادرانی (از طرف پدر و مادر، یا تنها از طرف پدر) داشـته باشد، در این صورت سـهم مادر از یک سوم به یک ششم تنزل می یابد و پنج ششم باقیمانده برای پدر است» (فَإِنْ کَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ).

در واقع برادران با این که ارث نمی برند، مانع مقدار اضافی ارث مادر می شوند و به همین جهت آنها را «حاجب» می نامند. سپس قرآن می گوید: «همه اینها بعد از انجام وصیتی است که او (میت) کرده است و بعد از ادای دین است» بنابراین، اگر وصیتی کرده یا دیونی دارد باید نخست به آنها عمل کرد (مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصِی بِها أَوْ دَیْنِ).

البته انسان فقط می تواند در باره یک سوم از مال خود وصیت کند و اگر بیش از آن وصیت کند صحیح نیست مگر این که ورثه اجازه دهند.

و در جمله بعد مىفرمايد: «شما نمىدانيد پدران و فرزندانتان كداميك بيشتر به نفع شما هستند» (آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً).

و در پایان آیه میفرماید: «این قانونی است که از طرف خدا فرض و واجب شده و او دانا و حکیم است» (فَرِیضَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلِیماً حَکِیماً).

این جمله برای تأکید مطالب گذشته است، تا جای هیچ گونه چانه زدن برای مردم در باره قوانین مربوط به سهام ارث باقی نماند.

چرا ارث مرد دو برابر زن میباشد؟ ص: 379

با مراجعه به آثار اسلامی به این نکته پی می بریم که این سؤال از همان آغاز اسلام در اذهان مردم بوده و گاه بیگاه از پیشوایان اسلام در این زمینه پرسشهایی می کردند از جمله از امام علی بن موسی الرضا علیه السّ لام نقل شده که در پاسخ این سؤال فرمود: «این که سهم زنان از میراث نصف سهم مردان است به خاطر آن است که زن هنگامی که ازدواج می کند چیزی (مهر) می گیرد و مرد ناچار است چیزی بدهد، به علاوه هزینه زندگی زنان بر دوش مردان است، در حالی که زن در برابر هزینه زندگی مرد و خودش مسؤولیتی ندارد».

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۲] ص: ۳۷۹

(آیه ۱۲)- سهم ارث همسران از یکدیگر! در این آیه چگونگی ارث زن برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۸۰ و شوهر از یکدیگر توضیح داده شده، آیه می گوید: «و برای شما نصف میراث زنانتان است اگر فرزندی نداشته باشند» (وَ لَکُمْ نِصْفُ ما تَرَکَ أَزْواجُکُمْ إِنْ لَمْ یَکُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ).

«ولی اگر فرزند و یا فرزندانی برای آنها باشد (حتی اگر از شوهر دیگری باشد) تنها یک چهارم از آن شماست» (فَإِنْ کانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَکُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَکْنَ). البته این تقسیم نیز «بعد از پرداخت بدهیهای همسر و انجام وصیتهای مالی اوست» (مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصِینَ بِها أَوْ دَیْنٍ).
«و برای زنان شما یک چهارم میراث شماست اگر فرزندی نداشته باشید» (وَ لَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ یَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ).
«و اگر برای شما فرزندی باشد (اگر چه این فرزند از همسر دیگری باشد) سهم زنان به یک هشتم میرسد» (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ النُّنُمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ).

این تقسیم نیز همانند تقسیم سابق «بعد از انجام وصیتی که کرده اید و ادای دین» است (مِنْ بَعْدِ وَصِیَّهٍ تُوصُونَ بِها أَوْ دَیْنٍ). سپس حکم ارث خواهران و برادران را بیان می کند و می گوید: «اگر مردی از دنیا برود و برادران و خواهران از او ارث ببرند، یا زنی از دنیا برود و برادر و یا خواهری داشته باشد هر یک از آنها یک ششم مال را به ارث می برند» (وَ إِنْ کَانَ رَجُلٌ یُورَثُ کَلالَةً أَوِ امْرَأَةً وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِکُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ).

«کلالهٔ» به خواهران و برادران مادری که از شخص متوفی ارث میبرند گفته میشود. این در صورتی است که از شخص متوفی یک برادر و یک خواهر (مادری) باقی بماند «اما اگر بیش از یکی باشند مجموعا یک سوم میبرند» یعنی باید ثلث مال را در میان خودشان تقسیم کنند (فَإِنْ کَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِکَ فَهُمْ شُرَكاءُ فِی النَّلُثِ).

سپس اضافه میکند: «این در صورتی است که وصیت قبلا انجام گیرد و دیون از آن خارج شود» (مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصِی بِها أَوْ دَیْن).

«به شرط آن که (از طریق وصیت و اقرار به دین) به آنها (ورثه) ضرر نزند» (غَیْرَ مُضَارً). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۸۱ و در پایان آیه برای تأکید می فرماید: «این سفارش خداست، و خدا دانا و بر دبار است» (وَصِیَّهٔ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَلِیمٌ). یعنی، این توصیهای است الهی که باید آن را محترم بشمرید، زیرا خداوند به منافع و مصالح شما آگاه است که این احکام را مقرر داشته و نیز از نیات وصیت کنندگان آگاه می باشد، در عین حال حلیم است و کسانی را که بر خلاف فرمان او رفتار می کنند فورا مجازات نمی نماید!

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۳] ص: ۳۸۱

(آیه ۱۳) - به دنبال بحثی که در آیات گذشته در باره قوانین ارث گذشت در این آیه از این قوانین به عنوان حدود الهی یاد کرده می فرماید: «اینها حدود و مرزهای الهی است» (تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ).

که عبور و تجاوز از آنها ممنوع است، و آنها که از حریم آن بگذرند و تجاوز کنند، گناهکار و مجرم شناخته می شوند. سپس می فرماید: «کسانی که خداوند و پیامبر را اطاعت کنند (و این مرزها را محترم شمارند) بطور جاودان در باغهایی از بهشت خواهند بود، که آب از پای درختان آنها قطع نمی گردد» (وَ مَنْ یُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ یُدِخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها).

در پایان آیه می فرماید: «این رستگاری و پیروزی بزرگی است» (وَ ذلِکُ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۴] ص: ۳۸۱

(آیه ۱۴)- در این آیه به نقطه مقابل کسانی که در آیه قبل بیان شد اشاره کرده، می فرماید: «آنها که نافرمانی خدا و پیامبر

کنند و از مرزها تجاوز نمایند جاودانه در آتش خواهند بود» (وَ مَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَتَعَدَّ حُدُودَهُ یُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِیها). و در پایان آیه به سر انجام آنها اشاره کرده، می فرماید: «آنها عذاب خوارکننده و آمیخته با توهینی دارند» (وَ لَهُ عَذابٌ مُهِینٌ). در جمله قبل جنبه جسمانی مجازات الهی منعکس شده بود، و در این جمله که مسأله اهانت به میان آمده به جنبه روحانی آن اشاره می کند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۸۲

سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۵] ص: ۳۸۲

(آیه ۱۵) – این آیه اشاره به مجازات زنان شوهرداری است که آلوده «فحشاء» می شوند، نخست می فرماید: «و کسانی از زنان (همسران) شما که مرتکب زنا شوند چهار نفر از مسلمانان را به عنوان شاهد بر آنها بطلبید» (وَ اللَّاتِی یَأْتِینَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِکُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَیْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْکُمْ).

سپس می فرماید: «اگر این چهار نفر به موضوع (زنا) گواهی دادند، آنها را در خانههای (خود) محبوس سازید، تا مرگ آنها فرا رسد» (فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِی الْبُیُوتِ حَتَّی یَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ).

بنابراین، مجازات عمل منافی عفت برای زنان شوهردار در این آیه «حبس ابد» تعیین شده است.

ولى بلافاصله مى گويد: «و يا اين كه خداوند راهى براى آنها قرار بدهد» (أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا).

از تعبیر فوق استفاده می شود که این حکم، یک حکم موقت بوده است.

سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۶] ص: ۳۸۲

(آیه ۱۶) - در این آیه حکم زنا و عمل منافی عفت «غیر محصنه» را بیان می کند، و میفرماید: «مرد و زنی که (همسر ندارند و) اقدام به ارتکاب این عمل زشت می کنند، آنها را آزار (و مجازات) کنید» (وَ الَّذانِ یَأْتِیانِها مِنْکُمْ فَآذُوهُما).

مجازات مذکور در این آیه یک مجازات کلی است، و آیه ۲ سوره نور که حدّ زنا را یکصد تازیانه برای هر یک از طرفین بیان کرده می تواند، تفسیر و توضیحی برای این آیه بوده باشد.

در پایان آیه اشاره به مسأله توبه و عفو و بخشش از این گونه گناهکاران کرده، و میفرماید: «اگر آنها به راستی توبه کننـد و خود را اصـلاح نماینـد و به جبران گذشـته بپردازنـد، از مجازات آنها صـرف نظر کنید، زیرا خداوند توبه پذیر و مهربان است» (فَإِنْ تابا وَ أَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما إِنَّ اللَّهَ کانَ تَوَّاباً رَحِیماً).

از این حکم ضمنا استفاده می شود که هرگز نباید افرادی را که توبه کردهاند در برابر گناهان سابق مورد ملامت قرار داد.

سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۷] ص: ۳۸۲

(آیه ۱۷) - در آیه قبل مسأله سقوط حد و مجازات مرتکبین اعمال منافی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۸۳ عفت در پرتو توبه صریحا بیان شد، در این آیه پارهای از شرایط آن را بیان می کند و میفرماید: «پذیرش توبه از سوی خدا تنها براى كسانى است كه كار بىدى (گناهى) را از روى جهالت انجام مىدهنىد» (إِنَّمَا التَّوْبَيَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بَجَهَالَةٍ).

منظور از «جهالت» در آیه فوق طغیان غرایز و تسلط هوسهای سرکش و چیره شدن آنها بر نیروی عقل و ایمان است، و در این حالت، علم و دانش انسان به گناه گر چه از بین نمیرود اما تحت تأثیر آن غرایز سرکش قرار گرفته و عملا بی اثر می گردد، و هنگامی که علم اثر خود را از دست داد، عملا با جهل و نادانی برابر خواهد بود.

در جمله بعد قرآن به یکی دیگر از شرایط توبه اشاره کرده، میفرماید: «سپس به زودی توبه میکنند» (ثُمَّ یَتُوبُونَ مِنْ قَرِیبٍ). یعنی، به زودی از کار خود پشیمان شوند و به سوی خدا باز گردند، زیرا توبه کامل آن است که آثار و رسوبات گناه را بطور کلی از روح و جان انسان بشوید.

پس از ذكر شرايط تـوبه در پايـان آيه مىفرمايـد: «خداونـد تـوبه چنين اشخاصـى را مىپـذيرد و خداونـد دانـا و حكيم است» (فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً).

سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۸] ص: ۳۸۳

(آیه ۱۸) - در این آیه اشاره به کسانی که توبه آنها پذیرفته نمی شود نموده، می فرماید: «کسانی که در آستانه مرگ قرار می گیرند و می گویند اکنون از گناه خود توبه کردیم توبه آنان پذیرفته نخواهد شد» (وَ لَیْسَتِ التَّوْبَهُ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السَّیِّئاتِ حَشَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّی تُبْتُ الْآنَ).

دسته دوم، از کسانی که توبه آنها پذیرفته نمی شود آنها هستند که در حال کفر از جهان میروند، در آیه مورد بحث در باره آنها چنین می فرماید: «و آنها که در حال کفر می میرند توبه برای آنها نیست» (وَ لَا الَّذِینَ یَمُوتُونَ وَ هُمْ کُفَّارٌ).

در حقیقت آیه می گوید: کسانی که از گناهان خود در حال صحت و سلامت و ایمان توبه کردهانـد ولی در حال مرگ با ایمان از دنیا نرفتند، توبههای گذشته آنها نیز بیاثر است.

در پایان آیه می فرماید: «اینها (هر دو دسته) کسانی هستند که عذاب برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۸۴ در دناکی برای آنان مهیا کرده ایم» (أُولئِکَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۹] ص: ۳۸۴

اشاره

(آیه ۱۹)

شأن نزول: ص: ۳۸۴

از امام باقر علیه السّلام نقل شده که: این آیه در باره کسانی نازل گردیده که همسران خود را بدون این که همچون یک همسر با آنها رفتار کنند.

تفسير: ص: ٣٨٤

باز هم دفاع از حقوق زنان- در این آیه به دو عادت ناپسند دوران جاهلیت اشاره گردیده و به مؤمنان هشدار داده شده که آلوده آنها نشوند.

۱- آیه می گوید: «ای افراد با ایمان! برای شما حلال نیست که از زنان از روی اکراه (و ایجاد ناراحتی برای آنها) ارث ببرید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَرثُوا النِّساءَ کَرْهاً).

۲- یکی دیگر از عادات نکوهیده آنها این بود که زنان را با وسایل گوناگون، تحت فشار می گذاشتند تا مهر خود را ببخشند و طلاق گیرند، آیه مورد بحث این کار را ممنوع ساخته، میفرماید: «آنها را تحت فشار قرار ندهید به خاطر این که قسمتی از آنچه را به آنها داده اید (از مهر) تملک کنید» (وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْض ما آتَیْتُمُوهُنَّ).

ولی این حکم، استثنایی دارد که در جمله بعد به آن اشاره شده و آن این است که اگر آنها مرتکب عمل زشت گردند شوهران می توانند آنها را تحت فشار قرار دهند، تا مهر خود را حلال کرده و طلاق بگیرند. همان طور که آیه می گوید: «مگر این که عمل زشت آشکاری انجام دهند» (إلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ).

منظور از «بِفاحِشَهٍٔ مُبَيِّنَهُ ٍۗ» (عمل زشت آشكار) در آيه فوق هر گونه مخالفت شديد زن و نافرماني و ناساز گاري او را شامل مي شود.

سپس دستور معاشرت شایسته و رفتار انسانی مناسب با زنان را صادر می کند، می فرماید: و با آنها بطور شایسته معاشرت کنید» (وَ عاشِرُوهُنَّ بالْمَعْرُوفِ).

و به دنبال آن اضافه می کند، حتی «اگر به جهانی از همسران خود رضایت کامل نداشته باشید و بر اثر اموری آنها در نظر شما ناخوشاینـد باشـند (فورا تصـمیم به جـدایی نگیریـد و تا آنجا که قـدرت داریـد مدارا کنید، زیرا ممکن است شـما در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۸۵

تشخیص خود گرفتار اشتباه شده باشید) و ای بسا آنچه را نمی پسندید خداوند در آن خیر و برکت و سود فراوانی قرار داده باشد» (فَإِنْ کَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسی أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً).

سوره نساء (۴): آيهٔ ۲۰] ص: ۳۸۵

اشاره

(آیه ۲۰)

شأن نزول: ص: 388

پیش از اسلام رسم بر این بود که اگر میخواستند همسر سابق را طلاق گویند و ازدواج جدیدی کنند برای فرار از پرداخت مهر، همسر خود را به اعمال منافی عفت متهم می کردند، و بر او سخت می گرفتند، تا حاضر شود مهر خویش را که معمولا قبلا دریافت می شد بپردازد، و طلاق گیرد، و همان مهر را برای همسر دوم قرار میدادند.

آیه نازل شد و این کار زشت را مورد نکوهش قرار داد.

تفسير: ص: ٣٨٥

این آیه نیز برای حفظ قسمت دیگری از حقوق زنان نازل گردیده و می گوید: «و اگر تصمیم گرفتید که همسر دیگری به جای همسر خود انتخاب کنید و مال فراوانی (به عنوان مهر) به او پرداخته اید، چیزی از آن را نگیرید» (وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَیْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَیْئاً).

سپس اشاره به طرز عمل دوران جاهلیت در این باره که همسر خود را متهم به اعمال منافی عفت می کردنـد نموده، میفرماید: «آیا برای باز پس گرفتن (مهر) زنان متوسل به تهمت و گناه میشوید» (أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِیناً).

یعنی، اصل عمل، ظلم است و گناه، و متوسل شدن به یک وسیله ناجوانمردانه و غلط، گناه آشکار دیگری است.

سوره نساء (4): آية 21] ص: 388

(آیه ۲۱)- در این آیه مجددا برای تحریک عواطف انسانی مردان اضافه می کند که شما و همسرانتان مدتها در خلوت و تنهایی با هم بوده اید همانند یک روح در دو بدن «چگونه آن (مهر) را باز پس می گیرید در حالی که با یک دیگر تماس و آمیزش کامل داشته اید» و همچون بیگانه ها و دشمنان با یک دیگر رفتار می کنید، و حقوق مسلم آنها را پایمال می نمایید! (وَ کَیْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضی بَعْضُکُمْ إلی بَعْض).

سپس می فرماید: از این گذشته «همسران شما پیمان محکمی به هنگام عقد ازدواج از شما گرفتهاند» چگونه این پیمان مقدس و محکم را نادیده می گیرید بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۸۶ و اقدام به پیمانشکنی آشکار می کنید؟ (وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِیثاقاً غَلِیظاً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۲۲] ص: ۳۸۶

اشاره

(آیه ۲۲)

شأن نزول: ص: 388

پس از اسلام، حادثه ای برای یکی از مسلمانان پیش آمد و آن این که: یکی از انصار به نام «ابو قیس» از دنیا رفت، فرزندش به نامادری خود پیشنهاد ازدواج نمود، آن زن گفت: من تو را فرزند خود می دانم و چنین کاری را شایسته نمی بینم ولی با این حال از پیغمبر صلّی الله علیه و آله کسب تکلیف می کنم، سپس موضوع را خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله عرض کرد، و کسب تکلیف نمود، آیه نازل شد و از این کار (که در زمان جاهلیت معمول بود) به شدت نهی کرد.

تفسير: ص: ۳۸۶

همان طور که در شأن نزول نیز اشاره شد، آیه خط بطلان به یکی از اعمال ناپسند دوران جاهلیت میکشد و میگوید: «با زنانی که پدران شما با آنها ازدواج کردهاند هرگز ازدواج نکنید» (وَ لا تَنْکِحُوا ما نَکَحَ آباؤُکُمْ مِنَ النِّساءِ).

اما از آنجا که هیچ قانونی معمولاً شامل گذشته نمی شود، اضافه می فرماید:

«مگر ازدواجهایی که (پیش از نزول این حکم) انجام شده است» (إلَّا ما قَدْ سَلَفَ).

سپس برای تأکید مطلب، سه تعبیر شدید در بـاره این نوع ازدواج بیان کرده، می گویـد: «زیرا این کار، عمل زشتی است» (إِنَّهُ کانَ فاحشَهً).

و بعد اضافه می کند: «عملی است که موجب تنفر» در افکار مردم است یعنی طبع بشر آن را نمی پسندد (وَ مَقْتاً).

و در پایان می فرماید: «روش نادرستی است» (وَ ساءَ سَبِیلًا).

حتی در تاریخ می خوانیم که مردم جاهلی نیز این نوع ازدواج را «مقت» (تنفر آمیز) و فرزندانی که ثمره آن بودند «مقیت» (فرزندان مورد تنفر) می نامیدند.

سوره نساء (4): آیهٔ ۲۳] ص: ۳۸۶

(آیه ۲۳)- تحریم ازدواج با محارم! در این آیه به محارم یعنی زنانی که ازدواج با آنها ممنوع است اشاره کرده، و بر اساس آن محرمیت از سه راه ممکن است پیدا شود:

۱- ولادت که از آن تعبیر به «ارتباط نسبی» می شود.

۲- از طریق ازدواج که به آن «ارتباط سببی» می گویند.

۳- از طریق شیرخوارگی که به آن «ارتباط رضاعی» گفته می شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۸۷

نخست اشاره به محارم نسبی که هفت دسته هستند کرده و میفرماید:

«مادران شما و دخترانتان و خواهرانتان و عمهها و خالههايتان و دختران برادر و دختران خواهرانتان بر شما حرام شدهانـد» (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَ بَناتُكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ وَ عَمَّاتُكُمْ وَ بَناتُ الْأَخ وَ بَناتُ الْأُخْتِ).

باید توجه داشت که منظور از مادر فقط آن زنی که انسان بلاواسطه از او متولد شده نیست، بلکه جدّه و مادر جدّه و مادر پدر و ماننـد آن را شامل میشود همان طور که منظور از دختر، تنها دختر بلاواسطه نیست بلکه، دختر و دختر پسـر و دختر دختر و فرزندان آنها را نیز در بر می گیرد و همچنین در مورد پنج دسته دیگر.

سپس به محارم رضاعی اشاره کرده و میفرماید: «و مادرانی که شما را شیر دادهاند، و خواهران رضاعی شما، بر شما حرامند» (وَ أُمَّهاتُكُمُ اللَّاتِی أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ).

و در آخرین مرحله اشاره به دسته سوم از محارم کرده و آنها را تحت چند عنوان بیان می کند.

١- «و مادران همسرانتان» (وَ أُمَّهاتُ نِسائِكُمْ).

یعنی، به مجرد این که زنی به ازدواج مردی در آمد و صیغه عقد، جاری گشت مادر او، و مادر مادر او، و هر چه بالاتر روند بر او حرام ابدی میشوند.

۲- «و دختران همسرتان که در دامان شما قرار دارند به شرط این که با آن همسر آمیزش جنسی پیدا کرده باشید» (وَ رَبائِبُکُمُ اللَّاتِی فِی حُجُورِکُمْ مِنْ نِسائِکُمُ اللَّاتِی دَخَلْتُمْ بِهِنَّ). به دنبال این قسمت برای تأکید مطلب اضافه می کند که: «اگر با آنها آمیزش جنسی نداشته اید دخترانشان بر شما حرام نیستند» (فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَیْكُمْ).

٣- «و همسران فرزندانتان كه از نسل شما هستند» (وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ).

در حقیقت تعبیر «مِنْ أَصْلابِكُمْ» (فرزندانی كه از نسل شما باشند) برای این برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۸۸

است که روی یکی از رسوم غلط دوران جاهلیت (و آن فرزند خواندگی و احکام آن است) خط بطلان کشیده شود.

۴- «و برای شما جمع در میان دو خواهر ممنوع است» (وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْن).

و از آنجا که در زمان جاهلیت ازدواج بـا محارم و جمع میان دو خواهر رایـج بود، و افرادی مرتکب چنین ازدواجهایی شـده بودند قرآن بعد از جمله فوق می گوید: «مگر آنچه در گذشته واقع شده» (إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ).

یعنی، اگر کسانی قبل از نزول این قانون، چنین ازدواجی انجام دادهانـد، کیفر و مجازاتی ندارنـد، اگر چه اکنون بایـد یکی از آن دو را انتخاب کرده و دیگری را رها کنند.

در پایان آیه می فرماید: «خداوند آمرزنده و مهربان است» (إِنَّ اللَّهَ کانَ غَفُوراً رَحِیماً).

آغاز جزء پنجم قرآن مجید ص: 388

ادامه سوره نساء ص: 388

سوره نساء (4): آیهٔ ۲۴] ص : ۳۸۸

اشاره

(آیه ۲۴)- این آیه، بحث آیه گذشته را در باره زنانی که ازدواج با آنها حرام است دنبال می کند و اضافه مینماید که: «ازدواج و آمیزش جنسی با زنان شوهردار نیز حرام است» (وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ).

تنها استثنایی که به این حکم خورده است در مورد زنان غیر مسلمانی است که به اسارت مسلمانان در جنگها در می آیند، همان گونه که آیه می فرماید: «مگر آنها را که (از طریق اسارت) مالک شده اید» (إلَّا ما مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ).

زیرا اسارت آنها به حکم طلاق است و اسلام اجازه می دهد بعد از تمام شدن عدّه با آنان ازدواج کنند و یا همچون یک کنیز با آنان رفتار شود.

سپس برای تأکید احکام گذشته که در مورد محارم و مانند آن وارد شده میفرماید: «اینها احکامی است که خداوند برای شما مقرر داشته و نوشته است» (کِتابَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ). بنابراین، به هیچ وجه قابل تغییر و عدول نیست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص:

سپس می گوید: غیر از این چند طایفه «زنان دیگر غیر از اینها (که گفته شد) برای شما حلال است، که با اموال خود آنان را اختیار کنید در حالی که پاکدامن باشید و از زنا خودداری کنید» (وَ أُحِلَّ لَکُمْ ما وَراءَ ذلِکُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِکُمْ مُحْصِة نِینَ غَیْرَ مُسافِحِینَ).

جمله أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ اشاره به این است که رابطه زناشویی یا باید به شکل ازدواج با پرداخت مهر و یا به شکل مالک شدن

كنيز با پرداخت قيمت باشد.

در قسمت بعد، اشاره به مسأله ازدواج موقت و به اصطلاح «متعه» کرده، می گویـد: «زنانی را که متعه می کنیـد مهر آنها را به عنوان یک واجب باید بپردازید» (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِیضَةً).

بعد از ذکر لزوم پرداخت مهر اشاره به این مطلب می فرماید که: «اگر طرفین عقد، با رضایت خود مقدار مهر را بعدا کم و زیاد کنند مانعی ندارد» (وَ لا جُناحَ عَلَیْکُمْ فِیما تَراضَیْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِیضَةِ).

احکامی که در آیه به آن اشاره شد، احکامی است که متضمن خیر و سعادت افراد بشر است زیرا: «خداوند از مصالح بندگان آگاه و در قانونگذاری خود حکیم است» (إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلِیماً حَکِیماً).

قابل ذکر است که اصل مشروع بودن این نوع ازدواج در زمان پیامبر قطعی است و هیچ گونه دلیل قابل اعتمادی در باره نسخ شدن آن در دست نیست.

ازدواج موقت یک ضرورت اجتماعی-.... ص: 389

این موضوع را نمی توان انکار کرد که غریزه جنسی یکی از نیرومند ترین غرایز انسانی است، تا آنجا که پارهای از روانکاوان آن را تنها غریزه اصیل انسان می دانند و تمام غرایز دیگر را به آن باز می گردانند.

این موضوع مخصوصا در عصر ما که سن ازدواج بر اثر طولانی شدن دوره تحصیل و مسائل پیچیده اجتماعی بالا رفته، و کمتر جوانی می تواند در سنین پایین یعنی در داغ ترین دوران غریزه جنسی اقدام به ازدواج کند، شکل حادّ تری به خود گرفته است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۹۰

با این وضع چه باید کرد؟ ص: 390

یا باید «فحشاء» را مجاز بدانیم (همان طور که دنیای مادی امروز عملا بر آن صحه گذارده و آن را به رسمیت شناخته) و یا طرح ازدواج موقت را بپذیریم، معلوم نیست آنها که با ازدواج موقت و فحشاء مخالفند چه جوابی برای این سؤال فکر کردهاند؟! در حالی که طرح ازدواج موقت، نه شرایط سنگین ازدواج دائم را دارد که با عدم تمکن مالی یا اشتغالات تحصیلی و مانند آن نسازد و نه زیانهای فجایع جنسی و فحشاء را در بر دارد.

سوره نساء (۴): آیهٔ ۲۵] ص: ۳۹۰

(آیه ۲۵)- ازدواج با کنیزان! در تعقیب بحثهای مربوط به ازدواج، این آیه، شرایط ازدواج با کنیزان را بیان می کند، نخست می گوید: «کسانی که قدرت ندارند که با زنان (آزاد) پاکدامن با ایمان ازدواج کنند می توانند با کنیزان با ایمان ازدواج ننده که می قدرت ندارند که با زنان (آزاد) پاکدامن با ایمان ازدواج کنند می توانند با کنیزان با ایمان ازدواج نمایند» که مهر و سایر مخارج آن معمولا سبکتر و سهلتر است (وَ مَنْ لَمْ یَسْتَطِعْ مِنْکُمْ طَوْلًا أَنْ یَنْکِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِنْ ما مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ مِنْ فَتیاتِکُمُ الْمُؤْمِناتِ).

سپس می گوید: شما برای تشخیص ایمان آنها مأمور به ظاهر اظهارات آنان هستید، و اما در باره باطن و اسرار درونی آنان

«خداوند به ايمان و عقيده شما آگاهتر است» (وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكَمْ).

و از آنجا که بعضی در مورد ازدواج با کنیزان کراهت داشتند، قرآن می گوید:

شما همه از یک پدر و مادر به وجود آمدهاید «و بعضی از بعض دیگرید» (بَعْضُکُمْ مِنْ بَعْضٍ). بنابراین، نباید از ازدواج با آنها کراهت داشته باشید.

سپس به یکی از شرایط این ازدواج اشاره کرده، میفرماید: «این ازدواج باید به اجازه مالک صورت گیرد» و بدون اجازه او باطل است (فَانْکِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ).

در جمله بعد مىفرمايد: «و مهرشان را به خودشان بدهيد» (وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ).

از این جمله استفاده می شود که باید مهر متناسب و شایسته ای برای آنها قرار برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۹۱

داد و آن را به خود آنان داد. همچنین استفاده می شود که بردگان نیز می توانند مالک اموالی گردند که از طرق مشروع به آن دست یافتهاند.

یکی دیگر از شرایط این ازدواج آن است که کنیزانی انتخاب شونـد «که پاکـدامن باشـند، نه مرتکب زنا بطور آشـکار شوند» (مُحْصَناتٍ غَیْرَ مُسافِحاتٍ).

«و نه دوست پنهاني بگيرند» (وَ لا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ).

در جمله بعد به تناسب احكامى كه در باره ازدواج با كنيزان و حمايت از حقوق آنها گفته شد بحثى در باره مجازات آنها به هنگام انحراف از جاده عفت به ميان آمده، و آن اين كه اگر مرتكب عمل منافى عفت شوند، نصف مجازات زنان آزاد در باره آنان، جارى مىشود» يعنى تنها پنجاه تازيانه بايد به آنها زد (فَإِذا أُحْصِنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَهُ فَعَلَيْهِنَّ نِصْ فَ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ مِنَ الْعَذاب).

سپس می گوید: «این ازدواج بـا کنیزان برای کسانی است که از نظر غریزه جنسی شدیـدا در فشـار قرار گرفتهانـد، و قـادر به ازدواج با زنان آزاد نیستند» بنابراین، برای غیر آنها مجاز نیست (ذلِکَ لِمَنْ خَشِیَ الْعَنَتَ مِنْکُمْ).

اما بعـد میفرمایـد: «خودداری کردن از ازدواج با کنیزان (تا آنجا که توانایی داشـته باشـید و دامان شـما آلوده گناه نگردد) به سود شماست» (وَ أَنْ تَصْبرُوا خَيْرٌ لَكُمْ).

در پایان آیه می فرماید: «و خداوند (نسبت به آنچه در گذشته بر اثر بی خبری انجام دادهاید) آمرزنده و مهربان است» (وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

سوره نساء (4): آية 25] ص: 391

(آیه ۲۶) - این محدودیتها برای چیست؟ به دنبال احکام مختلف در زمینه ازدواج که در آیات پیش بیان شد ممکن است این سؤال پیش آید که منظور از این همه محدودیتها و قید و بندهای قانونی چیست؟ در این آیه و دو آیه بعد پاسخ به این سؤالات میدهد، و می گوید: «خداوند میخواهد (با این دستورات راههای خوشبختی و سعادت را) برای شما آشکار سازد» (یُرِیدُ اللَّهُ لِیُبیِّنَ لَکُمْ).

وانگهی شما در این برنامه تنها نیستیـد «و (خداوند میخواهد شـما را) به سـنتهای (صـحیح) پیشـینیان رهبری کند» (وَ یَهْدِیَکُمْ سُنَنَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ). علاوه بر این «توبه شما را بپذیرد» (وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۹۲

و نعمتهای خود را که بر اثر انحرافات شما قطع شده بار دیگر به شما باز گرداند و این در صورتی است که شما از آن راههای انحرافی که در زمان جاهلیت و قبل از اسلام داشتید، باز گردید.

در پایان آیه می فرماید: «خداوند دانا و حکیم است» (وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ).

از اسرار احکام خود آگاه، و روی حکمت خود آنها را برای شما تشریع کرده است.

سوره نساء (4): آيهٔ ۲۷] ص: ۳۹۲

(آیه ۲۷)- در این آیه مجددا تأکید می کند، که «خدا میخواهد شما را ببخشد (و از آلودگی پاک نماید) و نعمتها و برکات را به شما بازگرداند» (و اللَّهُ یُریدُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْکُمْ).

«ولى شهوت پرستانى كه در امواج گناهان غرق هستند، مىخواهند شما از طريق سعادت بكلى منحرف شويد» و همانند آنها از فرق تا قدم آلوده انواع گناهان گرديد (وَ يُريدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً).

اکنون شما فکر کنید، آیا آن محدودیت آمیخته با سعادت و افتخار برای شما بهتر است، یا این آزادی و بیبندوباری توأم با آلودگی و نکبت و انحطاط؟! این آیات در حقیقت به افرادی که در عصر و زمان ما نیز به قوانین مذهبی مخصوصا در زمینه مسائل جنسی ایراد می کنند، پاسخ می گوید، که این آزادیهای بی قید و شرط سرابی بیش نیست و نتیجه آن گرفتار شدن در بیراهه ها و پرتگاههاست که نمونه های زیادی از آن را با چشم خودمان به شکل متلاشی شدن خانواده ها، انواع جنایات جنسی و فرزندان نامشروع جنایت پیشه مشاهده می کنیم.

سوره نساء (4): آیهٔ ۲۸] ص: ۳۹۲

(آیه ۲۸)- در این آیه می گوید: «خدا میخواهد (با دستورهای مربوط به ازدواج با کنیزان و مانند آن) کار را بر شما سبک کند» (یُریدُ اللَّهُ أَنْ یُخَفِّفَ عَنْکُمْ).

و در بيان علت آن مىفرمايد: «زيرا انسان، ضعيف آفريده شده» (وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً).

و در برابر توفان غرایز گوناگون که از هر سو به او حملهور می شود باید طرق مشروعی برای ارضای غرایز به او ارائه شود تا بتواند خود را از انحراف حفظ کند.

سوره نساء (4): آية ٢٩] ص: ٣٩٢

(آیه ۲۹)– بستگی سلامت اجتماع به سلامت اقتصاد! این آیه در واقع برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۹۳

زیر بنای قوانین اسلامی را در مسائل مربوط به «معاملات و مبادلات مالی» تشکیل میدهد، و به همین دلیل فقهای اسلام در تمام ابواب معاملات به آن استدلال می کنند، آیه خطاب به افراد با ایمان کرده و می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! اموال یکدیگر را به باطل (و از طرق نامشروع) نخورید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَأْکُلُوا أَمْوالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْباطِلِ).

بنـابراین، هر گونه تجاوز، تقلب، غش، معاملات ربوی، معاملاتی که حـد و حـدود آن کاملا مشخص نباشـد، خریـد و فروش اجناسی که فایده منطقی و عقلایی در آن نباشد، خرید و فروش وسایل فساد و گناه، همه در تحت این قانون کلی قرار دارد. در جمله بعد به عنوان یک استثناء میفرماید: «مگر این که (تصرف شما در اموال دیگران از طریق) تجارتی باشد که با رضایت شما انجام می گیرد» (إِلَّا أَنْ تَکُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضِ مِنْکُمْ).

در پایان آیه، مردم را از قتل نفس باز میدارد و ظاهر آن به قرینه آخرین جمله آیه نهی از خودکشی و انتحار است، می فرماید: «و خودکشی نکنید، خداوند نسبت به شما مهربان است» (وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً).

در حقیقت قرآن با ذکر این دو حکم پشت سر هم اشاره به یک نکته مهم اجتماعی کرده است و آن این که اگر روابط مالی مردم بر اساس صحیح استوار نباشد و اقتصاد جامعه به صورت سالم پیش نرود و در اموال یکدیگر به ناحق تصرف کنند، جامعه گرفتار یک نوع خودکشی و انتحار خواهد شد، و علاوه بر این که انتحارهای شخصی افزایش خواهد یافت، انتحار اجتماعی هم از آثار ضمنی آن است.

سوره نساء (۴): آيهٔ ۳۰] ص: ۳۹۳

(آیه ۳۰) - در این آیه به مجازات کسانی که از قوانین الهی سرپیچی کنند اشاره کرده و میفرماید: «و هر کس این عمل را از روی تجاوز و ستم انجام دهد (و خود را آلوده خوردن اموال دیگران به ناحق سازد و یا دست به انتحار و خودکشی زند، نه تنها به آتش این جهان میسوزد بلکه) در آتش قهر و غضب پروردگار (نیز) خواهد سوخت» (وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ عُدُواناً وَ ظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِیهِ ناراً). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۳۹۴

در پایان آیه می فرماید: «و این کار برای خدا آسان است» (وَ کَانَ ذَلِکَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً).

سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۱] ص: ۳۹۴

(آیه ۳۱)- گناهان کبیره و صغیره! این آیه با صراحت می گوید: «اگر گناهان کبیرهای که از آن نهی شده ترک گویید گناهان کوچک شما را می پوشانیم و می بخشیم و در جایگاه نیکویی شما را وارد می کنیم» (إِنْ تَجْتَنِبُوا کَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ وَ نُدْخِلْکُمْ مُدْخَلًا کَریماً).

از این تعبیر استفاده می شود که گناهان بر دو دسته اند، دسته ای که قرآن نام آنها را «کبیره» و دسته ای که نام آنها را «سیئه» گذاشته است، و در آیه ۴۹ سوره کهف در برابر کبیره، «صغیره» را ذکر فرموده است.

«کبیره» هر گناهی است که از نظر اسلام بزرگ و پراهمیت است، و نشانه اهمیت آن می تواند این باشد که در قرآن مجید، تنها به نهی از آن قناعت نشده، بلکه به دنبال آن تهدید به عذاب دوزخ گردیده است، مانند قتل نفس و رباخواری و زنا و امثال آنها.

البته گناهـان «صـغیره» در صـورتی صـغیره هسـتند که تکرار نشونـد و علاـوه بر آن به عنـوان بیاعتنـایی و یـا غرور و طغیـان و کوچک شمردن گناه انجام نگیرند.

سوره نساء (4): آیهٔ ۳۲] ص: ۳۹۴

(آیه ۳۲)

شأن نزول: ص: 394

در مورد نزول این آیه چنین نقل شده که: امّ سلمه (یکی از همسران پیامبر) به پیامبر صلّی الله علیه و آله عرض کرد: «چرا مردان به جهاد میروند و زنان جهاد نمی کنند؟ و چرا برای ما نصف میراث آنها مقرر شده؟ ای کاش ما هم مرد بودیم و همانند آنها به جهاد میرفتیم، و موقعیت اجتماعی آنها را داشتیم».

آیه نازل گردید و به این سؤالات و مانند آن پاسخ گفت.

تفسير: ص: ٣٩٤

تفاوت سهم ارث مردان و زنان برای جمعی از مسلمانان به صورت یک سؤال در آمده بود، آنها گویا توجه نداشتند که این تفاوت به خاطر آن است که هزینه زندگی، عموما بر دوش مردان میباشد، و زنان از آن معافند، به علاوه هزینه خود آنها نیز بر دوش مردان است، و همان طور که سابقا اشاره شد سهمیه زنان عملا برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۹۵

دو برابر مردان خواهد بود، لذا آیه شریفه می گوید: «برتریهایی را که خداوند برای بعضی از شما نسبت به بعضی دیگر قائل شده هرگز آرزو نکنید» (وَ لا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَکُمْ عَلی بَعْض).

زیرا این تفاوتها هر کدام اسراری دارد که از شما پوشیده و پنهان است.

البته نباید اشتباه کرد که آیه اشاره به تفاوتهای واقعی و طبیعی می کند نه تفاوتهای ساختگی که بر اثر «استعمار» و «استثمار» طبقاتی به وجود می آید.

لذا بلافاصله مىفرمايد: «مردان و زنان هر كدام بهرهاى از كوششها و تلاشها و موقعيت خود دارند» (لِلرِّ جالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ).

خواه موقعیت طبیعی باشد (مانند تفاوت دو جنس مرد و زن با یکدیگر) و یا تفاوت به خاطر تلاشها و کوششهای اختیاری. سپس می فرماید: «به جای آرزو کردن این گونه تفاوتها، از فضل خدا و لطف و کرم او تمنا کنید که به شما از نعمتهای مختلف و موقعیتها و پاداشهای نیک ارزانی دارد» (وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ). و در نتیجه افرادی خوشبخت و سعادتمند باشید. و در پایان می فرماید: «چون خداوند به همه چیز داناست» (إِنَّ اللَّهَ کانَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً).

و میدانید برای نظام اجتماعی چه تفاوتهایی از نظر طبیعی و یا حقوقی لایزم است، و نیز از اسرار درون مردم باخبر است و میداند چه افرادی آرزوهای نادرست در دل می پرورانند و چه افرادی به آنچه مثبت و سازنده است می اندیشند.

سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۳] ص: ۳۹۵

(آیه ۳۳)– بار دیگر قرآن در این آیه به مسائل ارث بازگشته و می گوید:

«برای هر کس (اعم از زن و مرد) وارثانی قرار دادیم که از میراث پـدر و مادر و نزدیکان ارث ببرنـد» (وَ لِکُلِّ جَعَلْنا مَوالِیَ مِمَّا تَرَکَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ).

سپس اضافه می کند: «کسانی که با آنها پیمان بسته اید، نصیب و سهم آنها را از ارث بپردازید» (وَ الَّذِینَ عَقَدَتْ أَیْمانُکُمْ فَآتُوهُمْ نَصِیبَهُمْ).

در باره «هم پیمانها» یی که باید سهم ارث آنها را پرداخت آنچه به مفهوم آیه نزدیکتر است همان پیمان «ضمان جریره» می باشد که قبل از اسلام وجود داشت، برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۹۶

و آن چنین بود که: «دو نفر با هم قرار می گذاشتند که در کارها «برادروار» به یکدیگر کمک کنند، و در برابر مشکلات، یکدیگر را یاری نمایند و به هنگامی که یکی از آنها از دنیا برود، شخصی که بازمانده از وی ارث ببرد اسلام این «پیمان دوستی» و برادری را به رسمیت شناخت، ولی تأکید کرد که ارث بردن چنین هم پیمانی منحصرا در زمانی است که خویشاوندی برای میت وجود نداشته باشد.

سپس در پایان آیه میفرماید: اگر در دادن سهام صاحبان ارث کوتاهی کنید و یا حق آنها را کاملا ادا نمایید در هر حال خدا آگاه است «زیرا خداوند شاهد و ناظر بر هر کار و هر چیزی میباشد» (إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلی کُلِّ شَيْءٍ شَهِیداً).

سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۴] ص: ۳۹۶

(آیه ۳۴) – سرپرستی در نظام خانواده. خانواده یک واحد کوچک اجتماعی است و همانند یک اجتماع بزرگ باید رهبر و سر پرست واحدی داشته باشد، زیرا رهبری و سرپرستی دسته جمعی که زن و مرد مشترکا آن را به عهده بگیرند مفهومی ندارد در نتیجه مرد یا زن یکی باید «رئیس» خانواده و دیگری «معاون» و تحت نظارت او باشد، قرآن در اینجا تصریح می کند که مقام سرپرستی باید به مرد داده شود، می گوید: «مردان سرپرست و نگهبان زنانند» (الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَی النِّساءِ).

البته مقصود از این تعبیر استبداد و اجحاف و تعدی نیست، بلکه منظور رهبری واحد منظم با توجه به مسؤولیتها و مشورتهای لازم است.

جمله بعد که دو بخش است در قسمت اول می فرماید: «این سرپرستی به خاطر برتریهایی است که (از نظر نظام اجتماع) خداوند برای بعضی نسبت به بعضی دیگر قرار داده است» (بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضِ).

و در قسمت دوم میفرماید: «و نیز این سرپرستی به خاطر تعهداتی است که مردان در مورد پرداختهای مالی در برابر زنان و خانواده به عهده دارند» (وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ).

سپس اضافه می کنـد که زنان در برابر وظایفی که در خانواده به عهـده دارنـد به دو دسـتهاند: برگزیده تفسـیر نمونه، ج۱، ص: ۳۹۷

دسته اول: «و زنان صالح، زنانی هستند که متواضعند و در غیاب (همسر خود) حفظ اسرار و حقوق او را در مقابل حقوقی که خدا برای آنان قرار داده، میکنند» (فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَیْبِ بِما حَفِظَ اللَّهُ).

یعنی مرتکب خیانت چه از نظر مال و چه از نظر ناموس و چه از نظر حفظ شخصیت شوهر و اسرار خانواده در غیاب او نمی شوند، و وظایف و مسؤولیتهای خود را به خوبی انجام می دهند. دسته دوم: زنانی هستند که از وظایف خود سرپیچی میکنند و نشانههای ناسازگاری در آنها دیده میشود، مردان در مقابل این گونه زنان وظایفی دارند که باید مرحله به مرحله اجرا گردد، در مرحله اول میفرماید: «زنانی را که از طغیان و سرکشی آنها می ترسید پند و اندرز دهید» (وَ اللَّاتِی تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ).

در مرحله دوم می فرماید: «در صورتی که اندرزهای شما سودی نداد، در بستر از آنها دوری کنید» (وَ اهْجُرُوهُنَّ فِی الْمَضاجِعِ). و در مرحله سوم: در صورتی که سرکشی و پشت پا زدن به وظایف و مسؤولیتها از حد بگذرد و همچنان در راه قانون شکنی با لجاجت و سرسختی گام بردارند، نه اندرزها تأثیر کند، و نه جدا شدن در بستر، و کم اعتنایی نفعی نبخشد، و راهی جز «شدت عمل» باقی نماند «آنها را تنبیه بدنی کنید» (وَ اضْرِبُوهُنَّ).

مسلم است که اگر یکی از این مراحل مؤثر واقع شود و زن به انجام وظیفه خود اقدام کند مرد حق ندارد بهانه گیری کرده، در صدد آزار زن بر آید، لذا به دنبال این جمله میفرماید: «پس اگر آنها از شما اطاعت کردند، راهی برای تعدّی بر آنها مجویید» (فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا).

و در پایان آیه مجددا به مردان هشدار میدهد که از موقعیت سرپرستی خود در خانواده سوء استفاده نکنند و به قدرت خدا که بالاتر از همه قدرتهاست بیندیشند «زیرا خداوند بلند مرتبه و بزرگ است» (إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلِیًّا کَبِیراً).

سوره نساء (4): آيهٔ 30] ص: 397

(آیه ۳۵)- محکمه صلح خانوادگی! در این آیه اشاره به مسأله بروز اختلاف و نزاع میان دو همسر کرده، می گوید: «و اگر از جدایی و شکاف میان آنان برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۹۸

(دو همسر) بیم داشته باشید یک داور از خانواده شوهر، و داوری از خانواده زن انتخاب کنید» تا به کار آنان رسیدگی کنند (وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَیْنِهِما فَابْعَثُوا حَکَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَکَماً مِنْ أَهْلِها).

سپس مىفرمايىد: «اگر اين دو داور (بـا حسن نيت و دلسوزى وارد كـار شونـد و) هـدفشان اصـلاح ميان دو همسـر بوده باشـد، خداوند كمك مىكند و به وسيله آنان ميان دو همسر الفت مىدهد» (إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما).

و برای این که به داوران هشدار دهـد که حسن نیت به خرج دهنـد در پایـان آیه میفرمایـد: «خداونـد (از نیت آنهـا) با خبر و آگاه است» (إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلِیماً خَبِیراً).

محکمه صلح خانوادگی که در آیه فوق به آن اشاره شده یکی از شاهکارهای اسلام است. این محکمه امتیازاتی دارد که سایر محاکم فاقد آن هستند، از جمله:

۱- در محیط خانواده نمی توان تنها با مقیاس خشک قانون و مقررات بی روح گام برداشت، لـذا دسـتور می دهد که داوران این محکمه کسانی باشند که پیوند خویشاوندی به دو همسر دارند و می توانند عواطف آنها را در مسیر اصلاح تحریک کنند.

۲- در محاکم عادی قضایی طرفین دعوا مجبورند برای دفاع از خود، هر گونه اسراری که دارند فاش سازند. مسلم است که
 اگر زن و مرد در برابر افراد بیگانه و اجنبی اسرار زناشویی خود را فاش سازند احساسات یکدیگر را چنان جریحهدار می کنند
 که اگر به اجبار به منزل و خانه باز گردند، دیگر از آن صمیمیت و محبت سابق خبری نخواهد بود.

۳- داوران در محاکم معمولی، در جریان اختلافات غالبا بی تفاو تند در حالی که در محکمه صلح فامیلی حکمین نهایت کوشش را به خرج می دهند که صلح و صمیمیت در میان این دو برقرار شود و به اصطلاح آب رفته، به جوی باز گردد! ۴- از همه اینها گذشته چنین محکمهای هیچ یک از مشکلات و هزینههای سرسام آور و سرگردانی محاکم معمولی را ندارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۳۹۹

سوره نساء (4): آیهٔ ۳۶] ص: ۳۹۹

(آیه ۳۶) – در این آیه یک سلسله از حقوق اعم از حق خدا و بندگان و آداب معاشرت با مردم بیان شده است، و روی هم رفته ده دستور از آن استفاده می شود.

۱- نخست مردم را دعوت به عبادت و بندگی پروردگار و ترک شرک و بت پرستی که ریشه اصلی تمام برنامههای اسلامی است می کند، دعوت به توحید و یگانه پرستی روح را پاک، و نیت را خالص، و اراده را قوی، و تصمیم را برای انجام هر برنامه مفیدی محکم می سازد، و از آنجا که آیه بیان یک رشته از حقوق اسلامی است، قبل از هر چیز اشاره به حق خداوند بر مردم کرده، می گوید: «و خدا را بپرستید و هیچ چیز را شریک او قرار ندهید» (وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً).

٢-سپس مى گويد: «و به پدر و مادر نيكى كنيد» (وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً).

حق پـدر و مـادر از مسـائلی است که در قرآن مجیـد زیاد روی آن تکیه شـده و کمتر موضوعی است که این قـدر مورد تأکید واقع شده باشد، و در چهار مورد از قرآن، بعد از توحید قرار گرفته است.

۳- «همچنین به خویشاوندان» نیکی کنید (وَ بِذِی الْقُرْبی).

این موضوع نیز از مسائلی است که در قرآن تأکید فراوان در باره آن شده است، گاهی به عنوان «صله رحم»، و گاهی به عنوان «احسان و نیکی به خویشاوندان».

۴- سپس اشاره به حقوق «ایتام» کرده، و افراد با ایمان را توصیه به نیکی در حق «یتیمان» میکند (وَ الْیتامی). زیرا در هر اجتماعی بر اثر حوادث گوناگون همیشه کودکان یتیمی وجود دارند که فراموش کردن آنها نه فقط وضع آنان را به خطر میافکند، بلکه وضع اجتماع را نیز به خطر میاندازد.

۵- بعد از آن حقوق «مستمندان» را یاد آوری می کند (وَ الْمَساکِینِ).

زیرا در هر اجتماعی افرادی معلول و از کار افتاده و مانند آن وجود دارند که فراموش کردن آنها بر خلاف تمام اصول انسانی است.

۶- سپس توصیه به نیکی در حق «همسایگان نزدیک» می کند (وَ الْجارِ ذِی الْقُرْبی). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۰۰ ۷- سپس در باره «همسایگان دور» سفارش می کند (وَ الْجارِ الْجُنُبِ).

«حق همسایگی» در اسلام به قدری اهمیت دارد که در وصایای معروف امیر مؤمنان علیه السّلام میخوانیم: ما زال (رسول الله) یوصی بهم حتّی ظننا انّه سیورّثهم:

«آنقدر پیامبر صلّی الله علیه و آله در باره آنها سفارش کرد، که ما فکر کردیم شاید دستور دهد همسایگان از یکدیگر ارث ببرند».

در حدیث دیگری از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نقل شده که در یکی از روزها سه بار فرمود:

و الله لا يؤمن: «به خدا سوگند چنين كسى ايمان ندارد ...».

یکی پرسید چه کسی؟ پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: الّذی لا یأمن جاره بوائقه: «کسی که همسایه او از مزاحمت او در امان

نیست»! ۸- سپس قرآن در باره کسانی که با انسان دوستی و مصاحبت دارند، توصیه کرده، میفرماید: «و به دوست و همنشین» نیکی کنید (وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ).

البته «صاحب بالجنب» معنایی وسیعتر از دوست و رفیق دارد، به این ترتیب آیه یک دستور جامع و کلی برای حسن معاشرت نسبت به تمام کسانی که با انسان ارتباط دارند میباشد، اعم از دوستان واقعی، و همکاران، و همسفران، و مراجعان، و شاگردان، و مشاوران، و خدمتگزاران.

۹- دسته دیگری که در اینجا در باره آنها سفارش شده، کسانی هستند که در سفر و بلاد غربت احتیاج پیدا می کنند و با اینکه ممکن است در شهر خود افراد متمکنی باشند، در سفر به علتی وا میمانند می فرماید: «و واماندگان» (وَ ابْنِ السَّبِيلِ).

۱۰- در آخرین مرحله توصیه به نیکی کردن نسبت به بردگان کرده، میفرماید: «و بردگانی که مالک آنها هستید» (وَ ما مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ).

در حقیقت آیه با حق خدا شروع شده و با حقوق بردگان ختم می گردد و تنها این آیه نیست که در آن در باره بردگان توصیه شده، بلکه در آیات مختلف دیگر نیز در این زمینه بحث شده است.

در پایان آیه هشدار می دهد و می گوید: «خداوند افراد متکبر و فخر فروش را برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۰۱ دوست نمی دارد» (إنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ مَنْ کانَ مُخْتالًا فَخُوراً).

به این ترتیب هر کس از فرمان خدا سرپیچی کند و به خاطر تکبر، از رعایت حقوق خویشاوندان، پدر و مادر، یتیمان، مسکینان، ابن السبیل و دوستان سر باز زند محبوب خدا و مورد لطف او نیست. و هر کس که مشمول لطف او نباشد از هر خیر و سعادتی محروم است.

سوره نساء (4): آیهٔ 37] ص: 401

(آیه ۳۷)– انفاقهای ریایی و الهی! این آیه در حقیقت، دنباله آیات پیش و اشاره به افراد متکبر و خودخواه است «آنها کسانی هستند که (نه تنها خودشان از نیکی کردن به مردم) بخل میورزند، بلکه مردم را نیز به بخل دعوت میکنند» (الَّذِینَ یَبْخُلُونَ وَ یَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ).

علاوه بر این سعی دارنـد «آنچه را که خداونـد از فضـل (و رحمت) خود به آنان داده کتمان کننـد» مبادا افراد اجتماع از آنها توقعی پیدا کنند (وَ یَکْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ).

سپس سر انجام و عاقبت کار آنها را چنین بیان می کنـد که: «ما برای کافران عـذاب خوارکننـدهای مهیا ساختهایم» (وَ أَعْتَـدْنا لِلْکافِرینَ عَذاباً مُهیناً).

شاید سرّ تعبیر به «کافرین» آن باشد که «بخل» غالبا از کفر سر چشمه می گیرد، زیرا افراد بخیل، در واقع ایمان کامل به مواهب بیپایان پروردگار نسبت به نیکوکاران ندارند، و این که می گوید: «عذاب آنها خوارکننده است» برای این است که جزای «تکبر» و «خود برتربینی» را از این راه ببینند.

سوره نساء (4): آیهٔ ۳۸] ص: ۴۰۱

(آیه ۳۸)- در این آیه به یکی دیگر از صفات متکبران خود خواه اشاره کرده، میفرماید: «و آنها کسانی هستند که اموال خود

را براى نشان دادن به مردم (و كسب شـهرت و مقام) انفاق مىكننـد و ايمان به خـدا و روز رسـتاخيز ندارنـد» (وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَهْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ وَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْم الْآخِرِ).

و از آنجا که هدف آنها جلب رضایت خالق نیست بلکه خدمت به خلق است، دائما در این فکرند که چگونه انفاق کنند تا بیشتر بتوانند از آن بهرهبرداری به سود خود نموده، و موقعیت خود را تثبیت کنند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۰۲ آنها شیطان را دوست و رفیق خود انتخاب کردند «و کسی که شیطان قرین اوست بد قرینی برای خود انتخاب کرده» و سرنوشتی بهتر از این نخواهد داشت (وَ مَنْ یَکُنِ الشَّیْطانُ لَهُ قَرِیناً فَساءَ قَرِیناً).

از این آیه استفاده می شود که رابطه «متکبران» با «شیطان و اعمال شیطانی» یک رابطه مستمر است نه موقت و گاهگاهی.

سوره نساء (۴): آیهٔ ۳۹] ص: ۴۰۲

اشاره

(آیه ۳۹) - در این آیه به عنوان اظهار تأسف به حال این عده می فرماید: «چه می شد اگر آنها (از این بیراهه ها باز می گشتند و) ایمان به خدا و روز رستاخیز می آوردند و از مواهبی که خداوند در اختیار آنها گذاشته با اخلاص نیت و فکر پاک به بندگان خدا می دادند» و از این راه برای خود کسب سعادت و خوشبختی دنیا و آخرت می کردند (وَ ما ذا عَلَیْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ اللَّهُ عَلَیْهُمُ اللَّهُ).

«و در هر حال خداوند از نیات و اعمال آنها باخبر است» و بر طبق آن به آنها جزا و کیفر میدهد» (وَ کانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِیماً). ((۴۰)- این آیه به افراد بیایمان و بخیل که حال آنها در آیات قبل گذشت می گوید: «خداوند حتی به اندازه سنگینی ذرهای ستم نمی کند» (إِنَّ اللَّهَ لا یَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّهُ).

«ذرّه» در اصل به معنی مورچههای بسیار کوچکی است که به زحمت دیده می شود، ولی تدریجا به هر چیز کوچکی ذرّه گفته شده است، و امروز به «اتم» که کوچکترین جزء اجسام است نیز ذرّه گفته می شود. و از آنجا که «مثقال» به معنی «سنگینی» است، تعبیر «مثقال ذرّهٔ» به معنی سنگینی یک جسم فوق العاده کوچک می باشد.

سپس اضافه می کند، خداوند تنها ستم نمی کند، بلکه «اگر کار نیکی انجام شود آن را مضاعف مینماید، و پاداش عظیم از طرف خود در برابر آن میدهد» (وَ إِنْ تَکُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً).

چرا خداوند ظلم نمیکند؟! ص: 407

از آنجا که ظلم و ستم معمولاً یا بر اثر جهل است و یا احتیاج و یا کمبودهای روانی، کسی که نسبت به همه چیز و همه کس برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۰۳

عالم و از همه بینیاز و هیچ کمبودی در ذات مقدس او نیست، ظلم کردن در باره او ممکن نیست نه این که نمی تواند ظلم کند، بلکه در عین توانایی به خاطر این که حکیم و عالم است از ظلم کردن، خودداری مینماید.

سوره نساء (4): آية 41] ص: 403

(آیه ۴۱)- در تعقیب آیات گذشته که در مورد مجازاتها و پاداشهای بدکاران و نیکوکاران سخن میگفت، این آیه اشاره به مسأله شهود و گواهان رستاخیز کرده، میگوید: «حال این افراد چگونه خواهد بود آن روز که برای هر امتی گواهی بر اعمال آنها میآوریم و تو را گواه بر آنان خواهیم آورد» (فَکَیْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنَا بِکَ عَلَی هُؤُلاءِ شَهِیداً).

و به این ترتیب علاوه بر گواهی اعضای پیکر آدمی، و گواهی زمینی که بر آن زیست کرده، و گواهی فرشتگان خدا بر اعمال او، هر پیامبری نیز گواه اعمال امت خویش است، و بـدکاران با وجود این همه گواه چگونه می تواننـد حقیقتی را انکار کنند و خود را از کیفر اعمال خویش دور دارند.

سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۰۳] ص: ۴۰۳

(آیه ۴۲) - در این آیه به نتیجه اعمال آنها اشاره کرده، می گوید: «در آن روز آنها که کافر شدند، و با فرستاده پروردگار به مخالفت برخاستند (دادگاه عدل خدا را می بینند و شهود و گواهان غیر قابل انکاری در این دادگاه مشاهده می کنند، آن چنان از کار خود پشیمان می شوند که) آرزو می کنند ای کاش خاک بودند و با خاکهای زمین یکسان می شدند» (یَوْمَئِذِ یَوَدُّ الَّذِینَ کَفُرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّی بِهِمُ الْأَرْضُ). «و در آن روز (با آن همه گواهان) سخنی را نمی توانند از خدا پنهان کنند» (وَ لا نَکْتُمُونَ اللَّهَ حَدیثاً).

زیرا با آن همه شهود و گواهان راهی برای انکار نیست.

سوره نساء (4): آیهٔ ۴۳] ص: ۴۰۳

اشاره

(آیه ۴۳)- چند حکم فقهی! از این آیه چند حکم اسلامی استفاده می شود:

1- باطل بودن نماز در حال مستى: ص: 403

آیه شریفه میفرماید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! در حال مستی به نماز نزدیک نشوید، تا بدانید چه می گویید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُکاری حَتَّی تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ).

فلسفه آن هم روشن است، زیرا نماز گفتگوی بنده و راز و نیاز او با خداست برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۰۴ و باید در نهایت هوشیاری انجام گردد و افراد مست از این مرحله دور و بیگانهاند

۲- باطل بودن نماز در حال جنابت: ص: 404

همان گونه که قرآن می گوید:

همچنین هنگامی که جنب هستید» به نماز نزدیک نشوید (وَ لا جُنُباً).

سپس استثنایی برای این حکم بیان فرموده، می گوید: «مگر این که مسافر باشید» و در مسافرت گرفتار بی آبی شوید (إِلَّا عابِرِی سَبِیلِ). که در این حال نماز خواندن به شرط تیمم که در ذیل آیه خواهد آمد جایز است.

۳- سپس در مورد جواز نماز خواندن و یا عبور از مسجد میفرماید: ص: ۴۰۴

«تا غسل كنيد» (حَتَّى تَغْتَسِلُوا).

۴- تیمم برای معذورین- ص: ۴۰۴

در جمله بعد که در حقیقت تمام موارد تشریع تیمم جمع است، نخست به موردی که آب رای بـدن ضـرر داشـته باشـد اشاره کرده و میفرماید: «و اگر بیمار باشید و یا در سفر» (وَ إِنْ کُنْتُمْ مَرْضی أَوْ عَلی سَفَرِ).

و یا «هنگامی که یکی از شــما از قضای حاجت برگشتَ و یا با زنان آمیزش جنسـًی داشتهاید» (أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لاَمَشْتُمُ النِّساءَ).

«و در این حال آب برای وضو یا غسل نیابید» (فَلَمْ تَجِدُوا ماءً).

در این موقع با خاک پاکیزهای تیمم کنید» (فَتَیَمَّمُوا صَعِیداً طَیِّباً).

در جمله بعـد طرز تیمم را بیـان فرمـوده، می گویـد: «سـپس صـورت و دسـتهای خـود را مسـح کنیـد» (فَامْسَــُحُوا بِوُجُـوهِکُمْ وَ أَیْدِیکُمْ).

در پایان آیه اشاره به این حقیقت می کند که دستور مزبور، یک نوع تسهیل و تخفیف برای شماست «چون خداوند بخشنده و آمرزنده است» (إِنَّ اللَّهَ کانَ عَفُوًّا غَفُوراً).

سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۴] ص: ۴۰۴

(آیه ۴۴) - در این آیه خداوند با تعبیری حاکی از تعجب به پیامبر خود، خطاب می کند که: «آیا ندیدی جمعیتی که بهرهای از کتاب آسمانی را در اختیار داشتند، (اما به جای این که با آن، هدایت و سعادت برای خود و دیگران بخرند) هم برای خود گمراهی خریدند هم میخواهند شما گمراه شوید» (أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ أُوتُوا نَصِ یباً مِنَ الْکِتابِ یَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَ یُرِیدُونَ أَنْ تَضِیلًوا السَّبیل). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۰۵

و به این ترتیب آنچه وسیله هـدایت خود و دیگران بود بر اثر سوء نیّاتشان تبدیل به وسیله گمراه شدن و گمراه کردن گشت، چرا که آنها هیچ گاه دنبال حقیقت نبودند، بلکه به همه چیز با عینک سیاه نفاق و حسد و مادیگری مینگریستند.

سوره نساء (4): آية 45] ص: 404

(آیه ۴۵)- در این آیه میفرماید: اینها اگر چه در لباس دوست، خود را جلوه میدهند، دشمنان واقعی شما هستند «و خداوند از دشمنان شما آگاهتر است» (وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدائِكُمْ).

چه دشمنی از آن بالاتر که با سعادت و هدایت شما مخالفند، گاهی به زبان خیرخواهی و گاهی از طریق بدگویی و هر زمان به شکلی به دنبال تحقق بخشیدن به اهداف شوم خود هستند.

ولى شما هرگز از عـداوت آنها وحشت نكنيـد، شـما تنها نيستيـد «همين قـدر كافى است كه خداوند رهبر و ولتى شـما باشد و كافى است كه خدا ياور شما باشد» (وَ كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۴۶] ص: ۴۰۵

(آیه ۴۶)- گوشه دیگری از اعمال یهود! این آیه به دنبال آیات قبل، صفات جمعی از دشمنان اسلام را تشریح می کنـد و به گوشهای از اعمال آنها اشاره مینماید.

یکی از کارهای آنها، تحریف حقایق و تغییر چهره دستورهای خداوند بوده است، آیه میفرماید: «جمعی از یهودیان سخنان را از محل خود تحریف مینمایند» (مِنَ الَّذِینَ هادُوا یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ).

این تحریف ممکن است جنبه لفظی داشته باشد و یا جنبه معنوی و عملی، اما جملههای بعد میرساند که منظور از تحریف در اینجا همان تحریف لفظی و تغییر عبارت است زیرا آنها می گویند: «ما شنیدیم و مخالفت کردیم»! (وَ یَقُولُونَ سَمِعْنا وَ عَصَیْنا).

یعنی، به جای این که بگویند: سمعنا و اطعنا «شنیدیم و فرمانبرداریم» می گویند شنیدیم و مخالفیم.

و بعد اشاره به قسمت دیگری از سخنان عداوت آمیز و آمیخته با جسارت برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۰۶

و بی ادبی آنها کرده، می گوید: آنها می گویند: «بشنو که هر گز نشنوی» (وَ اسْمِعْ غَیْرَ مُسْمَعٍ). علاوه بر این از روی سخریه می گفتند: (راعِنا).

توضیح این که: مسلمانان راستین در آغـاز دعوت پیـامبر صـلّی الله علیه و آله برای این که بهتر سـخنان او را بشـنوند و به دل بسپارند در برابر پیامبر صلّی الله علیه و آله این جمله را می گفتند:

راعنا یعنی، ما را مراعات کن و به ما مهلت بده! ولی این دسته از یهود این جمله را دستاویز قرار داده و آن را مقابل حضرت تکرار می کردند و منظورشان معنی عبری این جمله که «بشنو که هر گز نشنوی» بود و یا معنی دیگر عربی آن را یعنی «ما را تحمیق کن»! اراده می کردند.

تمام اینها به منظور آن بود که «با زبان خود حقایق را از محور اصلی بگرداننـد و در آیین حق طعن زننـد» (لَیًّا بِأَلْسِـٓ نَتِهِمْ وَ طَعْناً فِی الدِّین).

اما اگر آنها به جای این همه لجاجت و دشمنی با حق و جسارت و بیادبی، راه راست را پیش می گرفتند و می گفتند: «ما کلام خدا را شنیدیم و از در اطاعت در آمدیم، سخنان ما را بشنو و ما را مراعات کن و به ما مهلت بده (تا حقایق را کاملا درک کنیم) به نفع آنها بود و با عدالت و منطق و ادب کاملا تطبیق داشت» (وَ لَوْ أَنَّهُمْ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ اسْمَعْ وَ انْظُرْنا لَکانَ خَیْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ).

«اما آنها بر اثر کفر و سرکشی و طغیان از رحمت خـدا به دور افتادهاند (و دلهای آنها آن چنان مرده است که به این زودی در برابر حق، زنـده و بیـدار نمی گردد) فقـط دسـته کوچکی از آنها افراد پاکـدلی هسـتند که آمادگی پـذیرش حقایق را دارنـد و سخنان حق را مىشنوند و ايمان مى آورند» (وَ لَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكَفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا).

سوره نساء (۴): آيهٔ ۴۷] ص: ۴۰۶

(آیه ۴۷) - سرنوشت افراد لجوج! در دنبال بحثی که در آیات سابق در باره اهل کتاب بود، در اینجا روی سخن را به خود آنها کرده می فرماید: «ای کسانی که کتاب آسمانی به شما داده شده است ایمان بیاورید به آنچه نازل کردیم (آیات قرآن مجید) که هماهنگ است با نشانه هایی که در کتب شما در باره آن وارد شده است» (یا أَیُهَا الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَکُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۰۷

و مسلما شما با داشتن این همه نشانهها از دیگران سزاوارترید که به این آیین پاک بگروید.

سپس آنها را تهدید می کند که سعی کنید پیش از آن که گرفتار یکی از دو عقوبت شوید در برابر حق تسلیم گردید، نخست این که: «صورتهای شما را بکلی محو کرده (و تمام اعضایی که به وسیله آن حقایق را می بینید و می شنوید و درک می کنید از میان برده) سپس صورتهای شما را به پشت سر بازگردانیم» (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلی أَدْبارِها).

و اما مجازات دوم كه به آن تهديد شدهاند اين است كه: «آنها را از رحمت خود دور ميسازيم همان طور كه اصحاب سبت را دور ساختيم» (أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ) «١».

به این ترتیب اهل کتاب با اصرار و پافشاری در مخالفت با حق عقب گرد و سقوط میکنند و یا نابود میشوند، منظور از «طمس و محو و بازگرداندن به عقب» در آیه فوق همان محو فکری و روحی و عقب گرد معنوی است.

در پایان آیه برای تأکید این تهدیدها می فرماید: «فرمان خدا در هر حال انجام می شود» و هیچ قدرتی مانع از آن نخواهد بود (وَ کانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا).

سوره نساء (4): آیهٔ ۴۸] ص: ۴۰۷

اشاره

(آیه ۴۸)- امیدبخش ترین آیات قرآن! این آیه صریحا اعلام می کند که همه گناهان ممکن است مورد عفو و بخشش واقع شوند، ولی «خداوند (هرگز) شرک را نمی بخشد و پایین تر از آن را برای هر کس بخواهد (و شایسته بداند) می بخشد» (إِنَّ اللَّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ یَشاءُ).

ارتباط این آیه با آیات سابق از این نظر است که یهود و نصاری هر یک به نوعی مشرک بودند، و قرآن به وسیله این آیه به آنها اعلام خطر می کند که این عقیده را ترک گویند که گناهی است غیر قابل بخشش، سپس در پایان آیه دلیل این موضوع را بیان کرده می فرماید: «کسی که برای خدا شریکی قائل شود گناه بزرگی مرتکب شده است» (وَ مَنْ یُشْرِکْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتُری إِثْماً عَظِیماً).

⁽۱) شرح سر گذشت «اصحاب سبت» در سوره اعراف ذیل آیه ۱۶۳ خواهد آمد.

طبق روایتی که از امیر مؤمنان علی علیه السّـ لام نقل شــده این آیه امیـدبخش ترین آیات قرآن است و افراد موحــد را به لطف و رحمت پروردگار دلگرم میسازد، زیرا در این آیه خداوند امکان بخشش همه گناهان را غیر از شرک بیان کرده است.

اسباب بخشودگی گناهان- ص : 408

از آیات قرآن استفاده می شود که وسائل آمرزش و بخشودگی گناه متعدد است از جمله:

۱- توبه و بازگشت به سوی خدا که توأم با پشیمانی از گناهان گذشته و تصمیم بر اجتناب از گناه در آینده و جبران عملی اعمال بد به وسیله اعمال نیک بوده باشد.

۲- كارهاى نيك فوق العادهاى كه سبب آمرزش اعمال زشت مى گردد.

۳- شفاعت که شرح آن در ذیل آیه ۴۸ سوره بقره گذشت.

۴- پرهیز از گناهان «کبیره» که موجب بخشش گناهان «صغیره» می باشد.

۵- عفو الهي که شامل افرادي ميشود که شايستگي آن را دارند.

سوره نساء (۴): آیهٔ ۴۹] ص: ۴۰۸

اشاره

(آیه ۴۹)

شأن نزول: ص: ۴۰۸

یهود و نصاری برای خود امتیازاتی قائل بودنید و همان طور که در آیات قرآن نقل شده گاهی می گفتند: «ما فرزندان خداییم» (مائده: ۱۸) و گاهی می گفتند: «بهشت مخصوص ماست و غیر از ما، در آن راهی ندارد». (بقره: ۱۱۱) این آیه و آیه بعد نازل شد و به این پندارهای باطل پاسخ گفت.

تفسیر: ص: ۴۰۸

خودستایی – در این آیه به یکی از صفات نکوهیده اشاره شده که گریبانگیر بسیاری از افراد و ملتها میشود و آن خودستایی و خویشتن را پاک نشان دادن و فضیلت برای خود ساختن است، می گوید. «آیا ندیدی کسانی را که خودستایی میکنند» (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُُّونَ أَنْفُسَهُمْ).

سپس مىفرمايد: «خداوند هر كه را بخواهد مىستايد» (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ).

و تنها اوست که از روی حکمت و مشیت بالغه بدون کم و زیاد، افراد را طبق شایستگیهایی که دارند، مدح و ستایش میکند

«و هرگز به هیچ کس، سر سوزنی ستم نخواهد شد» (وَ لا یُظْلَمُونَ فَتِیلًا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۰۹ در حقیقت فضیلت چیزی است که خداوند آن را فضیلت بداند نه آنچه خودستایان برای خود از روی خودخواهی قائل می شوند و به خویش و دیگران ستم می کنند.

سوره نساء (4): آية ٥٠] ص: 409

(آیه ۵۰)- در این آیه برتری طلبیها را یک نوع افترا و دروغ به خدا بستن و گناه بزرگ و آشکار معرفی میکند، میفرماید: «ببین این جمعیت چگونه با ساختن فضائل دروغین و نسبت دادن آنها به خدا، به پروردگار خویش دروغ میبندند، آنها اگر گناهی جز همین گناه نداشته باشند، برای مجازات آنان کافی است» (انْظُرْ کَیْفَ یَفْتَرُونَ عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ وَ کَفی بِهِ إِثْماً مُبِیناً).

سوره نساء (4): آية ۵۱] ص: ۴۰۹

اشاره

(آیه ۵۱)

شأن نزول: ص: 409

بعد از حادثه «احد» یکی از بزرگان یهود به نام «کعب بن اشرف» به اهل مکه پیشنهاد کرد که سی نفر از شما و سی نفر از ما به کنار خانه کعبه برویم و شکمهای خود را بر دیوار خانه کعبه بگذاریم و با پروردگار کعبه عهد کنیم که در نبرد با محمد کوتاهی نکنیم، این برنامه انجام شد، و پس از پایان آن، ابو سفیان رو به «کعب» کرده، گفت: تو مرد دانشمندی هستی و ما بیسواد و درس نخوانده! به عقیده تو، «ما» و «محمد» کدام به حق نزدیکتریم، کعب گفت: آیین خود را برای من کاملا تشریح کن. ابو سفیان گفت: ما برای حاجیان، شتران بزرگ قربانی می کنیم، و به آنها آب می دهیم، میهمان را گرامی می داریم، و اسیران را آزاد کرده، و صله رحم به جا می آوریم، خانه پروردگار خود را آباد نگه می داریم، و بر گرد آن طواف می کنیم، و ما اهل حرم خدا سرزمین مکّهایم! ولی محمد قطع پیوند خویشاوندی کرده، و از حرم خدا و آیین کهن ما بیرون رفته و آیین محمد آیینی است تازه و نوپا- کعب گفت: به خدا سو گند آیین شما از آیین محمد بهتر است! در این هنگام آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۴٠٩

سازشکاران- این آیه یکی دیگر از صفات ناپسند یهود را منعکس می کند که آنها برای پیشبرد اهدافشان آن چنان سازشکاری با هر جمعیتی نشان میدادند که حتی برای جلب نظر بت پرستان در برابر بتهای آنها سجده می کردند و آنچه را که در باره عظمت اسلام و صفات پیامبر صلّی الله علیه و آله دیده یا خوانده بودند زیر پا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۱۰

می گذاشتند، و حتی برای خوشایند بت پرستان آیین خرافی و مملو از ننگ آنها را بر اسلام ترجیح می دادند، با این که اهل کتاب بودند و قدر مشتر کشان با اسلام به مراتب بیش از بت پرستان بود، لذا آیه به عنوان تعجب می گوید: «آیا ندیدی کسانی را که سهمی از کتاب خدا داشتند، اما در برابر بت سجده کردند و به طغیانگران اظهار ایمان نمودند» (أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ أُوتُوا نَصِیباً مِنَ الْکِتابِ یُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ).

به این هم قناعت نکردند «و در باره مشرکان می گویند: آنان از کسانی که ایمان آوردهاند هدایت یافته ترند»! (وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ کَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدی مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا سَبِیلًا).

سوره نساء (4): آیهٔ ۵۲] ص: ۴۱۰

(آیه ۵۲) - در این آیه، سرنوشت این گونه سازشکاران را بیان کرده میفرماید: «آنها کسانی هستند که خدا آنان را از رحمت خود دور ساخته و کسی که خدا او را از رحمت خویش دور کند، هیچ یاوری برای او نخواهی یافت» (أُولئِکُ الَّذِینَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ یَلْعَن اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِیراً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۵۳] ص: 41۰

(آیه ۵۳) – در تفسیر دو آیه قبل گفته شد که یهود به خاطر جلب توجه بت پرستان مکّه گواهی دادند که بت پرستی قریش از خدا پرستی مسلمانان بهتر است! و حتی خود آنان در مقابل بتها سجده کردند! در این آیه و آیه بعد این نکته یاد آوری شده که قضاوت آنان به دو دلیل فاقد ارزش و اعتبار است:

۱- «آیا آنها (یهود) سهمی در حکومت دارنـد (که بخواهنـد چنین داوری کنند؟) در حالی که اگر چنین بود به مردم کمترین حق را نمیدادند» و همه چیز را در انحصار خود می گرفتند (أَمْ لَهُمْ نَصِیبٌ مِنَ الْمُلْکِ فَإِذاً لا یُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِیراً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۵۴] ص: 41۰

(آیه ۵۴) - دوم این که: آنها بر اثر ظلم و ستم و کفران نعمت، مقام نبوت و حکومت را از دست دادند، و به همین جهت مایل نیستند این موقعیت الهی به دست هیچ کس سپرده شود «یا این که نسبت به مردم (پیامبر و خاندانش) در برابر آنچه خدا از فضلش به آنان بخشیده، حسد میورزند» و با آن گونه قضاوتهای بیاساس میخواهند آبی بر شعلههای آتش حسد خویش بپاشند (أُمْ یَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلی ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۱۱

سپس می فرماید: چرا از اعطای چنین منصبی به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و خاندان بنی هاشم تعجب و وحشت می کنید و حسد می ورزید در حالی که «ما به آل ابراهیم (که یهود از خاندان او هستند نیز) کتاب و حکمت دادیم و حکومت عظیمی در اختیارشان (پیامبران بنی اسرائیل) قرار دادیم» (فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً).

اما متأسفانه شما مردم ناخلف آن سرمایههای معنوی و مادی پرارزش را بر اثر شرارت و قساوت از دست دادید.

در روایتی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم که در باره این آیه سؤال کردند، فرمود:

نحن المحسودون: يعنى «ماييم كه مورد حسد دشمنان قرار گرفته ايم».

زیانهای معنوی و مادی، فردی و اجتماعی «حسـد» فوق العاده زیاد است که در روایات پیشوایان اسـلام به آن اشاره شـده، از

جمله در حدیثی از امام صادق علیه السّ بلام میخوانیم که فرمود: «حسد و بدخواهی از تاریکی قلب و کوردلی است و از انکار نعمتهای خدا به افراد سر چشمه می گیرد، و این دو (کوردلی و ایراد بر بخشش خدا) دو بال کفر هستند، به سبب حسد بود که فرزند آدم در یک حسرت جاودانی فرو رفت و به هلاکتی افتاد که هرگز از آن رهایی نمی یابد».

سوره نساء (۴): آية ۵۵] ص: ۴۱۱

(آیه ۵۵)- در این آیه می گوید: «جمعی از مردم آن زمان به کتاب آسمانی که بر آل ابراهیم نازل شده بود ایمان آوردند و بعضی دیگر (نه تنها ایمان نیاوردند بلکه) در راه پیشرفت آن ایجاد مانع کردند و شعله فروزان آتش دوزخ برای آنها کافی است» (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ کَفی بِجَهَنَّمَ سَعِیراً).

همچنین کسانی که به این کتاب آسمانی که بر پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله نازل گردیده کفر میورزند به همان سرنوشت گرفتار خواهند شد.

سوره نساء (4): آية 36] ص: 411

(آیه ۵۶) - در این آیه و آیه بعد سرنوشت افراد با ایمان و بی ایمان تشریح شده است، در این آیه می گوید: «کسانی که به آیات ما کافر شدند به زودی آنها را در آتشی وارد می کنیم که هر گاه پوستهای تنشان (در آن) بریان گردد (و بسوزد) پوستهای دیگری را به جای آن قرار می دهیم تا کیفر (الهی) را بچشند» (إِنَّ الَّذِینَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۱۲ کَفَرُوا بِآیاتِنا سَوْفَ نُصْلِیهِمْ ناراً کُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَیْرَها لِیَذُوقُوا الْعَذابَ)

البته پوستهای جدید از همان مواد پوستهای پیشین تشکیل می گردد، و این نتیجه اصرار در زیر پا گذاشتن حق و عدالت و انحراف از فرمان خداست.

و در پایان آیه می فرماید: «خداوند (نسبت به انجام این گونه مجازاتها) هم قادر و توانا و هم حکیم است» و روی حساب کیفر می دهد (إِنَّ اللَّهَ کانَ عَزِیزاً حَکِیماً).

سوره نساء (4): آيهٔ ۵۷] ص: ۴۱۲

(آیه ۵۷) - در آیات گذشته سخن از مجازات کافران بود، در این آیه به پاداش مؤمنان اشاره کرده، می فرماید: «و کسانی که ایمان آوردند و کارهای شایسته انجام دادند به زودی آنها را در باغهایی از بهشت وارد می کنیم که نهرها از زیر درختانش جاری است، همیشه در آن خواهند ماند، و همسرانی پاکیزه برای آنها خواهد بود، و آنان را در سایههای گسترده (و فرحبخش) جای می دهد» (و الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَی نُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً لَهُمْ فِیها أَزُواجٌ مُطَهَّرَهٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًا ظَلِیلًا).

سوره نساء (۴): آیهٔ ۵۸] ص: ۴۱۲

شأن نزول: ص: 412

این آیه زمانی نازل گردید که پیامبر صلّی الله علیه و آله با پیروزی کامل وارد شهر مکّه گردید، عثمان بن طلحه را که کلیددار خانه کعبه بود احضار کرد و کلید را از او گرفت، تا درون خانه کعبه را از وجود بتها پاک سازد، عباس عموی پیامبر صلّی الله علیه و آله با تحویل کلید خانه خدا به او، مقام صلّی الله علیه و آله با تحویل کلید خانه خدا به او، مقام کلیدداری بیت الله را که در میان عرب یک مقام برجسته و شامخ بود، به او بسپارد. ولی پیامبر صلّی الله علیه و آله بر خلاف این تقاضا پس از تطهیر خانه کعبه از لوث بتها در خانه را بست و کلید را به «عثمان بن طلحه» تحویل داد، در حالی که آیه مورد بحث را تلاوت می نمود.

تفسير: ص: 412

امانت و عدالت در اسلام-این آیه که یک حکم عمومی و همگانی از آن استفاده می شود، صریحا می گوید: «خداوند به شما فرمان می دهد که امانتها را به صاحبانش بدهید» (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ كُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلَى أَهْلِها). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۱۳

در قسمت دوم آیه، اشاره به دستور مهم دیگری شده و آن مسأله «عدالت در حکومت» است.

آیه می گوید، خداوند نیز به شما فرمان داده که: «به هنگامی که میان مردم داوری می کنید، از روی عدالت حکم کنید» (وَ إِذَا حَکَمْتُمْ بَیْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْکُمُوا بِالْعَدْلِ).

سپس برای تأکید این دو فرمان مهم می گوید: «خداوند پند و اندرزهای خوبی به شما میدهد» (إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا یَعِظُکُمْ بِهِ). باز تأکید می کند و می گوید: «در هر حال خدا (مراقب اعمال شماست) هم سخنان شما را می شنود و هم کارهای شما را می بیند» (إِنَّ اللَّهَ کانَ سَمِیعاً بَصِیراً).

روشن است «امانت» معنی وسیعی دارد و هر گونه سرمایه مادی و معنوی را شامل می شود و هر مسلمانی طبق صریح این آیه وظیفه دارد که در هیچ امانتی نسبت به هیچ کس خیانت نکند، خواه صاحب امانت، مسلمان باشد یا غیر مسلمان، و این در واقع یکی از مواد «اعلامیه حقوق بشر در اسلام» است.

حتی دانشمندان در جامعه، امانتدارانی هستند که موظفند حقایق را کتمان نکنند، فرزندان انسان نیز امانتهای الهی هستند که نباید در تعلیم و تربیت آنان کوتاهی شود، و از آن بالاتر وجود و هستی خود انسان و تمام نیروهایی که خدا به او داده امانت پروردگارند که انسان موظف است در حفظ آنها بکوشد.

در روایتی از امام صادق علیه السّ لام در باره اهمیت «امانت» میخوانیم که به یکی از دوستان خود فرمود: «اگر قاتل علی علیه السّ لام امانتی پیش من میگذاشت و یا از من نصیحتی میخواست و یا با من مشورتی میکرد و من آمادگی خود را برای این امور اعلام میداشتم، قطعا حق امانت را ادا مینمودم».

اشاره

(آیه ۵۹)- این آیه و چند آیه بعد، در باره یکی از مهمترین مسائل اسلامی، یعنی مسأله رهبری بحث می کند و مراجع واقعی مسلمین را در مسائل مختلف دینی و اجتماعی مشخص میسازد.

نخست به مردم با ایمان دستور می دهد، می گوید: «ای کسانی که ایمان بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۱۴ آورده اید! اطاعت کنید خدا را» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ).

بدیهی است برای یک فرد با ایمان همه اطاعتها باید به اطاعت پروردگار منتهی شود، و هر گونه رهبری باید از ذات پاک او سر چشمه گیرد، و طبق فرمان او باشد، زیرا حاکم و مالک تکوینی جهان هستی اوست، و هر گونه حاکمیت و مالکیت باید به فرمان او باشد.

در مرحله بعد مىفرمايد: «و اطاعت كنيد پيامبر خدا را» (وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ).

پیامبری که معصوم است و هرگز از روی هوی و هوس، سخن نمی گوید، پیامبری که نماینده خدا در میان مردم است و سخن او سخن خداست، و این منصب و موقعیت را خداوند به او داده است.

و در مرحله سوم می فرماید: اطاعت کنید «اولی الامر (اوصیای پیامبر) را» (وَ أُولِی الْـأَمْرِ مِنْكُمْ). که از متن جامعه اسلامی برخاسته و حافظ دین و دنیای مردمند.

سپس مىفرمايد: «اگر در چيزى اختلاف كرديد آن را به خدا و پيامبر صلّى اللّه عليه و آله ارجاع دهيد اگر ايمان به پروردگار و روز بـاز پسـين داريـد، اين براى شـما بهتر و پايان و عاقبتش نيكوتر است» (فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِى شَـيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا).

«اولى الامر» چه كساني هستند؟ ص: 414

همه مفسران شیعه در این زمینه اتفاق نظر دارند که منظور از «اولی الامر» امامان معصوم میباشند که رهبری مادی و معنوی جامعه اسلامی، در تمام شؤون زندگی از طرف خداوند و پیامبر صلّی الله علیه و آله به آنها سپرده شده است، و غیر آنها را شامل نمی شود.

و البته كسانى كه از طرف آنها به مقامى منصوب شونـد و پستى را در جامعه اسـلامى به عهده بگيرند، با شـروط معينى اطاعت آنها لازم است نه به خاطر اين كه اولى الامرند، بلكه به خاطر اين كه نمايندگان اولى الامر مىباشند.

سوره نساء (4): آية 60] ص : 414

شأن نزول: ص: 414

یکی از یهودیان مدینه با یکی از مسلمانان منافق اختلافی داشت، بنا گذاشتند یک نفر را به عنوان داور در میان خود انتخاب کننـد، مرد یهودی چون به عـدالت و بینظری پیـامبر اسـلام صـلّی الله علیه و آله اطمینان داشت گفت: من به برگزیـده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۱۵

داوری پیامبر شما راضیم ولی مرد منافق یکی از بزرگان یهود به نام «کعب بن اشرف» را انتخاب کرد و به این ترتیب با داوری پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله مخالفت کرد.

آیه شریفه نازل شد و چنین افرادی را شدیدا سرزنش کرد

تفسير: ص: 410

حکومت طاغوت- این آیه در واقع مکمل آیه قبل است، زیرا در آنجا، مؤمنان را به اطاعت فرمان خدا و پیامبر و اولو الأمر و به داوری طلبیدن کتاب و سنت دعوت نمود و این آیه از اطاعت و پیروی و داوری طاغوت، نهی مینماید.

قرآن مسلمانانی را که برای داوری به نزد حکام جور میرفتند ملامت میکند، میگوید: «آیا ندیدی کسانی را که گمان میکنند به آنچه (از کتب آسمانی) بر تو و بر پیشینیان نازل شده ایمان آوردهاند ولی میخواهند طاغوت و حکّام باطل را به داوری بطلبند با این که به آنها دستور داده شده به طاغوت کافر شوند» (أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ یَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ یُریدُونَ أَنْ یَتَحاکَمُوا إِلَی الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ یَکْفُرُوا بِهِ).

سپس اضافه می کند: «مراجعه به طاغوت یک دام شیطانی است و شیطان میخواهد آنان را گمراه کند و به بیراهههای دوردستی بیفکند» (وَ یُرِیدُ الشَّیْطانُ أَنْ یُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِیداً).

سوره نساء (4): آية [6] ص: 413

(آیه ۶۱) - نتیجه داوری طاغوت. به دنبال نهی شدید از مراجعه به طاغوت، و داوران جور، نتایج این گونه داوریها و دستاویزهایی که منافقان برای توجیه کار خود به آن متشبث می شدند، در این آیه و دو آیه بعد مورد بررسی قرار گرفته است. در آیه مورد بحث می فرماید: این گونه مسلمان نماها نه تنها برای داوری به سراغ طاغوت می روند، بلکه هنگامی که به آنها گفته شود به سوی آنچه خداوند نازل کرده، و به سوی پیامبر بیایید، منافقان را می بینی که از (قبول دعوت) تو اعراض می کنند» و با اصرار روی این کار می ایستند (وَ إِذَا قِیلَ لَهُمْ تَعَالُوْا إِلَی ما أَنْزُلَ اللَّهُ وَ إِلَی الرَّسُولِ رَأَیْتَ الْمُنافِقِینَ یَصُدُّونَ عَنْکَ می کنند»

یعنی: مقاومت و اصرار آنها در این کار نشان دهنده روح نفاق و ضعف ایمان آنهاست، و گر نه با دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بیدار می شدند و به اشتباه خود معترف می گشتند.

سوره نساء (4): آیهٔ ۶۲] ص: ۴۱۶

(آیه ۶۲)- بــاز در این آیه روی سـخن به پیامبر صــلّی اللّه علیه و آله است، میفرمایــد: «پس چگونه موقعی که بر اثر اعمالشان گرفتار مصیبتی میشوند سپس به سراغ تو میآیند»! (فَکَیْفَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَهُ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ ثُمَّ جاؤُکَ).

و در این موقع «سوگنـد یاد میکننـد که منظور و هدف ما (از بردن داوری نزد دیگران) جز نیکی کردن و ایجاد توافق در میان (طرفین نزاع) نبوده است» (یَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا إِحْساناً وَ تَوْفِیقاً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۶۳] ص: ۴۱۶

(آیه ۶۳)– ولی خـدا در این آیه نقاب از چهره آنها کنار میزنـد و این گونه تظاهرات دروغین را ابطال میکنـد، و میفرمایـد: «اینها کسانی هستند که خداوند اسرار درون دلهای آنها را میداند» (أُولئِکَ الَّذِینَ یَعْلَمُ اللَّهُ ما فِی قُلُوبِهِمْ).

ولى در عين حال به پيامبر خود دستور مىدهد كه: «از مجازات آنها صرف نظر كن» (فَأُعْرِضْ عَنْهُمْ).

و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله همواره با منافقان به خاطر اظهار اسلام تا آنجا که ممکن بود مدارا میکرد، زیرا مأمور به ظاهر بود و جز در موارد استثنایی آنها را مجازات نمی کرد.

سپس دستور میدهد که: «آنها را موعظه کن و اندرز ده و با بیانی رسا (که در دل و جان آنها نفوذ کند) نتایج اعمالشان را به آنها گوشزد کن» (وَ عِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِی أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِیغاً).

سوره نساء (4): آية 64] ص: 418

(آیه ۶۴)– قرآن در آیات گذشته مراجعه به داوران جور را شدیدا محکوم نمود، در این آیه به عنوان تأکید می گوید.

«ما هیچ پیامبری را نفرستادیم مگر برای این منظور که به فرمان خـدا از وی اطاعت شود» و هیچ گونه مخالفتی نسبت به آنها انجام نگردد (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ).

زیرا آنها هم رسول و فرستاده خدا بودهاند و هم رئیس حکومت الهی، بنابراین، مردم موظف بودهاند هم از نظر بیان احکام خداوند و هم از نظر چگونگی اجرای آن از آنها پیروی کنند، و تنها به ادعای ایمان قناعت نکنند.

> سپس در دنباله آیه راه بازگشت را به روی گناهکاران و آنها که به طاغوت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۱۷ مراجعه کردند، و یا به نحوی از انحاء مرتکب گناهی شدند، گشوده و میفرماید:

«اگر آنها هنگامی که به خویش ستم کردنـد، به سوی تو میآمدنـد و از خـدا طلب آمرزش مینمودنـد و پیامبر هم برای آنها طلب آمرزش مینمود، خـدا را توبهپـذیر و مهربان مییافتند» (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَـهُمْ جاؤٌکَ فَاسْـتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْـتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِیماً).

اشاره به این که فایده اطاعت فرمان خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله متوجه خود شـما میشود و مخالفت با آن یک نوع سـتم به خویشتن است زیرا زندگی مادی شما را به هم میریزد و از نظر معنوی مایه عقبگرد شماست.

از این آیه ضمنا پاسخ کسانی که توسل جستن به پیامبر و یا امام را یک نوع شرک میپندارنـد روشن میشود، زیرا این آیه

صریحا می گویـد که آمدن به سـراغ پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله و او را بر درگاه خدا شـفیع قرار دادن، و وساطت و اسـتغفار او برای گنهکاران مؤثر است، و موجب پذیرش توبه، و رحمت الهی است.

سوره نساء (4): آیهٔ 62] ص: 417

اشاره

(آیه ۶۵)

شأن نزول: ص: 417

«زبیر بن عوام» که از مهاجران بود با یکی از انصار (مسلمانان مدینه) بر سر آبیاری نخلستانهای خود که در کنار هم قرار داشتند، اختلافی پیدا کرده بودند، هر دو برای حل اختلاف خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله رسیدند، پیامبر نیز در میان آنها داوری کرد.

اما این مرد انصاری به ظاهر مسلمان، از داوری عادلانه پیامبر صلّی الله علیه و آله ناراحت شد و گفت: آیا این قضاوت به خاطر آن بود که زبیر، عمه زاده توست؟! پیامبر صلّی الله علیه و آله از این سخن بسیار ناراحت شد به حدی که رنگ رخسار او دگر گون گردید، در این موقع آیه نازل شد و به مسلمانان هشدار داد.

تفسير: ص: 417

تسلیم در برابر حق- این آیه مکمل بحث آیات قبل است و در آن خداونید سوگنید یاد کرده که: «به پروردگارت سوگند که آنها مؤمن نخواهنید بود مگر این که تو را در اختلافات خود به داوری بطلبنید» و به بیگانگان مراجعه ننماینید (فَلا وَ رَبِّکُ لا یُؤْمِنُونَ حَتَّی یُحَکِّمُوکَ فِیما شَجَرَ بَیْنَهُمْ).

سپس می فرماید: نه فقط داوری را به نزد تو آورند بلکه هنگامی که تو در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۱۸ میان آنها حکمی کردی، خواه به سود آنها باشد یا به زیان آنها، علاوه بر این که اعتراض نکنند «در دل خود از داوری تو احساس ناراحتی ننمایند و کاملا تسلیم باشند» (ثُمَّ لا یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً).

از آیه فوق در ضمن دو مطلب مهم استفاده می شود:

۱- پیامبر صلّی الله علیه و آله معصوم است، زیرا در آن دستور به تسلیم مطلق از نظر گفتـار و کردار در برابر همه فرمانهـای پیامبر صلّی الله علیه و آله داده شده.

۲- هر گونه اجتهاد در مقابل نص پیامبر صلّی الله علیه و آله و اظهار عقیده در مواردی که حکم صریح از طرف خدا و پیامبر
 صلّی الله علیه و آله در باره آن رسیده باشد ممنوع است.

سوره نساء (4): آیهٔ ۶۶] ص: ۴۱۸

(آیه ۶۶) - در اینجا برای تکمیل بحث گذشته در باره کسانی که از داوریهای عادلانه پیامبر صلّی الله علیه و آله گاهی بر احساس ناراحتی می کردند اشاره به پارهای از تکالیف طاقت فرسای امم پیشین کرده و می گوید: ما تکلیف شاق و مشکلی بر دوش اینها نگذاشتیم، اگر همانند بعضی از امم پیشین (مانند یهود که پس از بت پرستی و گوساله پرستی به آنها دستور داده شد که یکدیگر را به کفاره این گناه بزرگ به قتل برسانند و یا از وطن مورد علاقه خود بیرون روند) به اینها نیز چنین دستور سنگین و سختی را می دادیم، چگونه در برابر انجام آن طاقت می آورند، اینها که در باره آبیاری کردن یک نخلستان و داوری پیامبر صلّی الله علیه و آله نسبت به آن، تسلیم نیستند، چگونه می توانند از عهده آزمایشهای دیگر در آیند «مسلما اگر به آنان دستور می دادیم که یکدیگر را بکشید و یا از وطن و خانه خود خارج شوید، تنها عده کمی از آنها آن را انجام می دادند» (وَ لُو أَنَّا کَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ أَو اخْرُجُوا مِنْ دِیارکُمْ ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِیلٌ مِنْهُمْ).

سپس به دو فایده انجام دستورات الهی اشاره کرده، می فرماید: «اگر آنها اندرزهای خدا و پیامبر صلّی الله علیه و آله را بپذیرند هم به سودشان است، و هم باعث تقویت ایمان آنهاست» (وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما یُوعَظُونَ بِهِ لَکانَ خَیْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِیتاً).

از فرمانها و احکام الهی تعبیر به موعظه و اندرز شده، اشاره به این که این احکام چیزی نیست که به سود فرماندهنده (خدا) بوده باشد، بلکه اندرزهایی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۱۹

است که به سود خود شماست.

جالب این که می گوید: «هر قدر انسان در مسیر اطاعت فرمان خدا گام بردارد ثبات و استقامت او بیشتر می شود» در واقع اطاعت فرمان خدا یک نوع ورزش روحی برای انسان است.

سوره نساء (4): آية 67] ص: 419

(آیه ۶۷) - در این آیه سومین فایده تسلیم و اطاعت در برابر خدا را بیان کرده، می گوید: «در این هنگام (علاوه بر آنچه گفته شد) پاداش عظیمی از ناحیه خود نیز به آنها خواهیم داد» (وَ إِذاً لَآتَیْناهُمْ مِنْ لَدُنّا أَجْراً عَظِیماً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۶۸] ص: ۴۱۹

(آیه ۶۸) و در این آیه به چهارمین نتیجه اشاره کرده، میفرماید: «و ما آنها را به راه راست هدایت میکنیم» (وَ لَهَـدَیْناهُمْ صراطاً مُسْتَقِیماً).

منظور از این همدایت، الطاف تازهای است که از طرف خداونید به صورت هدایت ثانوی و به عنوان پاداشی به این گونه افراد شایسته داده می شود

سوره نساء (4): آية 69] ص: 419

شأن نزول: ص: 419

در مورد نزول این آیه و آیه بعد نقل شده: یکی از صحابه پیامبر صلّی الله علیه و آله به نام «ثوبان» که نسبت به آن حضرت، محبت و علاقه شدیدی داشت، روزی با حال پریشان خدمتش رسید، پیامبر صلّی الله علیه و آله از سبب ناراحتی او سؤال نمود، در جواب عرض کرد: امروز در این فکر فرو رفته بودم که فردای قیامت اگر من اهل بهشت باشم، مسلما در مقام جایگاه شما نخواهم بود، و اگر اهل بهشت نباشم که تکلیفم روشن است، و بنابراین در هر حال از درک حضور شما محروم خواهم شد، با این حال چرا افسرده نباشم؟! این دو آیه نازل شد و به این گونه اشخاص بشارت داد که افراد مطبع پروردگار در بهشت نیز همنشین پیامبران و برگزیدگان خدا خواهند بود، سپس پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: به خدا سوگند، ایمان مسلمانی کامل نمی شود مگر این که مرا از خود و پدر و مادر و همه بستگان بیشتر دوست دارد، و در برابر گفتار من تسلیم باشد.

تفسير: ص: 419

دوستان بهشتی- در آیات قبل امتیازات مطیعان فرمان خدا را می شمرد این آیه آن را تکمیل کرده، می فرماید: «و کسی که خدا و پیامبر را اطاعت کند، (در روز رستاخیز) همنشین کسانی خواهد بود که خداوند نعمت خود را بر آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۲۰

تمام كرده» (وَ مَنْ يُطِع اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولِئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ).

و همانطور که در سوره حمد، بیان شده است کسانی که مشمول این نعمتند، همواره در جاده مستقیم گام برمیدارنـد و کوچکترین انحراف و گمراهی ندارند.

سپس در توضيح اين جمله اشاره به چهار طايفه كرده، مىفرمايد: «از پيامبران و صديقان و شهداء و صالحان» (مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ).

۱- «انبیاء» و فرستادگان مخصوص پروردگار که نخستین گام را برای هـدایت و رهـبری مردم و دعوت به صراط مستقیم برمیدارند.

۲- «راستگویان» کسانی که هم در سخن راست می گویند و هم با عمل و کردار صدق گفتار خود را اثبات می کنند و نشان می دهند که مدعی ایمان نیستند بلکه به راستی به فرمانهای الهی ایمان دارند.

۳- «شهدا» و کشته شدگان در راه هدف و عقیده پاک الهی، و یا افراد برجستهای که روز قیامت شاهد و گواه اعمال انسانها هستند

۴- «صالحان» و افراد شایسته و برجستهای که با انجام کارهای مثبت و سازنده و مفید و پیروی از اوامر انبیاء به مقامات برجستهای نائل شدهاند.

در پایان میفرماید: «آنها رفیقهای خوبی هستند» (وَ حَسُنَ أُولئِکُ رَفِیقاً).

از آیه فوق این حقیقت به روشنی استفاده می شود که موضوع معاشران خوب و همنشینهای با ارزش به قدری اهمیت دارد که

حتی در عالم آخرت برای تکمیل نعمتهای بهشتی این نعمت بزرگ به «مطیعان» ارزانی می گردد.

سوره نساء (۴): آیهٔ ۷۰] ص: ۲۲۰

(آیه ۷۰)- برای بیان اهمیت این امتیاز بزرگ (همنشینی با برگزیدگان) میفرماید: «این موهبتی از ناحیه خداست، و کافی است که خدا از حال بندگان و نیات و شایستگیهای آنها) آگاه است» (ذلِکَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ کَفی بِاللَّهِ عَلِیماً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۷۱] ص: ۲۲۰

(آیه ۷۱)- آماده باش دائمی! در این آیه قرآن خطاب به عموم مسلمانان کرده و دو دستور مهم، برای حفظ موجودیت اجتماعشان به آنها میدهد.

نخست می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! با کمال دقت مراقب دشمن برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۲۱ باشید مبادا غافلگیر شوید و از ناحیه آنها خطری به شما برسد» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَکُمْ).

سپس دستور می دهد که برای مقابله با دشمن از روشها و تاکتیکهای مختلف استفاده کنید و «در دسته های متعدد یا به صورت اجتماع، برای دفع دشمن حرکت کنید» (فَانْفِرُوا تُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِیعاً).

این آیه دستور جامع و همه جانبهای به تمام مسلمانان، در همه قرون و اعصار، میدهد که برای حفظ امنیت خود و دفاع از مرزهای خویش، دائما مراقب باشند، و یک نوع آماده باش مادی و معنوی بطور دائم بر اجتماع آنها حکومت کند.

سوره نساء (4): آية 22] ص: 421

(آیه ۷۲)- به دنبال فرمان عمومی جهاد و آماده باش در برابر دشمن که در آیه قبل بیان شد در این آیه اشاره به حال جمعی از منافقان کرده می فرماید: «این افراد دو چهره که در میان شما هستند با اصرار می کوشند از شرکت در صفوف مجاهدان راه خدا خودداری کنند» (وَ إِنَّ مِنْکُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ).

«ولی هنگامی که مجاهدان از میدان جنگ باز می گردند و یا اخبار میدان جنگ به آنها میرسد، در صورتی که شکست و یا شهادتی نصیب آنها شده باشد، اینها با خوشحالی می گویند چه نعمت بزرگی خداوند به ما داد که همراه آنها نبودیم تا شاهد چنان صحنه های دلخراشی بشویم» (فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً).

سوره نساء (4): آية ٧٣] ص: 4٢١

(آیه ۷۳) و لی اگر بـاخبر شونـد که مؤمنان واقعی پیروز شـدهانـد، و طبعا به غنائمی دست یافتهانـد، اینها هماننـد بیگانهای که گویا هیچ ارتباطی در میان آنها و مؤمنان برقرار نبوده از روی تأسف و حسرت می گویند: «ای کاش ما هم با مجاهدان بودیم و سهم بزرگی عاید ما میشد»! (وَ لَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَیَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُ مَوَدَّهٌ یا لَیْتَنِی کُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِیماً).

روشن است کسی که شهادت در راه خدا را یک نوع بلا می شمرد، و عدم درک شهادت را یک نعمت الهی می پندارد،

پیروزی و فوز عظیم و رستگاری بزرگ از نظر او چیزی جز پیروزی مادی و غنایم جنگی نخواهد بود. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۲۲

سوره نساء (4): آيهٔ ۷۴] ص: ۲۲۲

(آیه ۷۴) – آماده ساختن مؤمنان برای جهاد. در این آیه و چند آیه بعد از آن افراد با ایمان با منطق مؤثر و هیجانانگیزی دعوت به جهاد در راه خدا پیکار کنند که آمادهاند زندگی پست دعوت به جهاد در راه خدا پیکار کنند که آمادهاند زندگی پست جهان ماده را با زندگی ابدی و جاویدان سرای دیگر مبادله نمایند» (فَلْیُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ الَّذِینَ یَشْرُونَ الْحَیاهَ الدُّنْیا بِالْآخِرَهِ). یعنی تنها کسانی می توانند جزء مجاهدان واقعی باشند که آماده چنین معاملهای گردند.

سپس در ذیل آیه میفرماید: «سرنوشت چنین مجاهدانی کاملا روشن است، زیرا از دو حال خارج نیست یا شهید میشوند و یا دشمن را در هم میکوبند و بر او پیروز میگردند، در هر صورت پاداش بزرگی به آنها خواهیم داد» (وَ مَنْ یُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَیُقْتَلْ أَوْ یَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً).

مسلما چنین سربازانی با چنین روحیهای شکست در قاموسشان وجود نـدارد و در هر دو صورت خود را پیروز می بینند، حتی دانشـمندان بیگانهای که در بـاره اسـلام و پیروزیهـای سـریع مسـلمین، در زمان پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله و بعـد از آن، بحث کردهاند، این منطق را یکی از عوامل مؤثر پیشرفت آنها دانستهاند.

سوره نساء (4): آیهٔ ۷۵] ص: ۲۲۲

(آیه ۷۵)- استمداد از عواطف انسانی. در آیه قبل از مؤمنان دعوت به جهاد شده، ولی روی ایمان به خدا و رستاخیز، و استدلال سود و زیان تکیه شده است، اما این آیه دعوت به سوی جهاد بر اساس تحریک عواطف انسانی می کند و می گوید: «چرا شما در راه خدا و در راه مردان و زنان و کودکان مظلوم و بی دفاعی که در چنگال ستمگران گرفتار شدهاند مبارزه نمی کنید آیا عواطف انسانی شما اجازه می دهد که خاموش باشید و این صحنه های رقت بار را تماشا کنید»؟ (و ما لَکُمْ لا تُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ).

سپس برای شعلهور ساختن عواطف انسانی مؤمنان می گویـد: «این مستضعفان همانها هسـتند که می گوینـد خدایا! ما را از این شهر (مکه) که اهلش ستمگرند بیرون ببر» (الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنا أُخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْیَةِ الظَّالِم أَهْلُها).

و نیز از خدای خود تقاضا می کنند که «ولی و سرپرستی برای حمایت ما از برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۲۳ طرف خود قرار بـده» (وَ اجْعَلْ لَنـا مِنْ لَـدُنْکَ وَلِيًّا). «و برای مـا از طرف خود یـار و یاوری تعیین فرما» (وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَـدُنْکَ نَصِیراً).

در حقیقت آیه فوق اشاره به این است که خداوند دعای آنها را مستجاب کرده و این رسالت بزرگ انسانی را بر عهده شما گذاشته، شما «ولیّ» و «نصیری» هستید که از طرف خداوند برای حمایت و نجات آنها تعیین شده اید.

سوره نساء (4): آیهٔ ۷۶] ص: ۴۲۳

(آیه ۷۶)- در این آیه برای تشجیع مجاهدان و ترغیب آنها به مبارزه با دشمن و مشخص ساختن صفوف و اهداف مجاهدان،

چنین می فرماید: «افراد با ایمان در راه خدا و آنچه به سود بندگان خداست پیکار می کنند، ولی افراد بی ایمان در راه طاغوت یعنی قدرتهای ویرانگر» (الَّذِینَ آمَنُوا یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ الَّذِینَ کَفَرُوا یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ الطَّاغُوتِ).

یعنی در هر حال زندگی خالی از مبارزه نیست منتها جمعی در مسیر حق و جمعی در مسیر باطل و شیطان پیکار دارند. و به دنبال آن میگوید: «با یاران شیطان پیکار کنید و از آنها وحشت نداشته باشید» (فَقَاتِلُوا أَوْلِیاءَ الشَّیْطانِ).

طاغوت و قدرتهای طغیانگر و ظالم هر چند به ظاهر بزرگ و قوی جلوه کنند، اما از درون، زبون و ناتوانند، از ظاهر مجهز و آراسته آنها نهراسید، زیرا درون آنها خالی است و «نقشههای آنها همانند قدرتهایشان سست و ضعیف است» چون متکی به نیروی لایزال الهی نیست. بلکه متکی به نیروهای شیطانی میباشد (إِنَّ کَیْدَ الشَّیْطانِ کانَ ضَعِیفاً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۷۷] ص: ۲۲۳

اشاره

(آیه ۷۷)

شأن نزول: ص: 423

از ابن عباس نقل شده که: جمعی از مسلمانان هنگامی که در مکه بودند، و تحت فشار و آزار شدید مشرکان قرار داشتند، خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسیدند و گفتند: ما قبل از اسلام عزیز و محترم بودیم، اما آن عزت و احترام را از دست دادیم، و همواره مورد آزار دشمنان قرار داریم، اگر اجازه دهید با دشمن می جنگیم تا عزت خود را باز یابیم آن روز پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: من فعلا مأمور به مبارزه نیستم - ولی هنگامی که دستور جهاد نازل گردید بعضی از آن افراد داغ و آتشین بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۲۴

برای شرکت در میدان جهاد مسامحه می کردند، آیه نازل شد و به عنوان تشجیع مسلمانان و ملامت از افراد مسامحه کار حقایقی را بیان نمود.

تفسير: ص: ۴۲۴

آنها که مرد سخنند – قرآن در اینجا می گوید: «راستی شگفت انگیز است حال جمعیتی که در یک موقعیت نامناسب با حرارت و شور عجیبی تقاضا می کردند که به آنها اجازه جهاد داده شود، و به آنها دستور داده شد که فعلا خودداری کنید و به خودسازی و انجام نماز و تقویت نفرات خود و ادای زکات بپردازید، اما هنگامی که زمینه از هر جهت آماده شد و دستور جهاد نازل گردید، ترس و وحشت یکباره وجود آنها را فرا گرفت، و زبان به اعتراض در برابر این دستور گشودند» (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ کُفُّوا أَيْدِيكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّکاةَ فَلَمَّا کُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ کَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْنَهُ).

آنها در اعتراض خود صریحا «می گفتند: خدایا چرا به این زودی دستور جهاد را نازل کردی؟ چه خوب بود این دستور مدتی به تأخیر میافتاد!» و یا این که این رسالت به عهده نسلهای آینده واگذار میشد! (وَ قالُوا رَبَّنا لِمَ کَتَبْتَ عَلَیْنَا الْقِتالَ لَوْ لا أُخَّرْ تَنا إِلَى أُجَل قَرِیب).

قرآن به این گونه افراد دو جواب می دهد: نخست جوابی است که لابلای عبارت: یخشون النّاس کخشیهٔ الله او اشد خشیهٔ گذشت یعنی آنها به جای این که از خدای قادر قاهر بترسند از بشر ضعیف و ناتوان وحشت دارند، بلکه وحشتشان از چنین بشری بیش از خداست! دیگر این که به چنین افراد باید گفته شود به فرض این که با ترک جهاد چند روزی آرام زندگی کنید، بالاخره «این زندگی فانی و بی ارزش است، ولی جهان ابدی برای پرهیزکاران با ارزشتر است، به خصوص این که پاداش خود را بطور کامل خواهند یافت و کمترین ستمی به آنها نمی شود» (قُلْ مَتاعُ الدُّنیا قَلِیلٌ وَ الْآخِرَهُ خَیْرٌ لِمَنِ اتَّقی وَ لا تُظْلَمُونَ فَتِیلًا).

سوره نساء (4): آیهٔ ۷۸] ص: ۴۲۴

(آیه ۷۸)- با توجه به آیات قبل و آیات بعد چنین استفاده می شود که این آیه و آیه بعد نیز مربوط به جمعیتی از منافقان است که در صفوف مسلمانان برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۲۵

جای گرفته بودنـد، آنها از شرکت در میـدان جهاد وحشت داشـتند و هنگامی که دسـتور جهاد صادر گردیـد ناراحت شدنـد، قرآن به آنها در برابر این طرز تفکر دو پاسخ می گوید: قُلْ مَتاعُ الدُّنْیا قَلِیلٌ وَ الْآخِرَةُ خَیْرٌ لِمَن اتَّقی.

پاسخ دوم همان است که در این آیه میخوانیم و آن این که فرار از مرگ چه سودی میتواند برای شما داشته باشد! «در حالی که در هر کجا باشید مرگ به دنبال شما می شتابد و بالاخره روزی شما را در کام خود فرو خواهد برد حتی اگر در برجهای محکم باشید» (أَیْنَما تَکُونُوا یُدْرِکْکُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ کُنْتُمْ فِی بُرُوج مُشَیَّدَهٔ).

درست است که قلعه های محکم گاهی جلو مرگهای غیر طبیعی را می گیرند ولی بالاخره چه سود؟ مرگ را بطور کلی نمی توانند از بین ببرند، چند روز دیگر مرگ طبیعی به سراغ آدمی خواهد آمد. پس چه بهتر که این مرگ حتمی و اجتناب ناپذیر در یک مسیر سازنده و صحیح همچون جهاد صورت گیرد، نه بیهوده و بی اثر.

قرآن در ذیل همین آیه به یکی دیگر از سخنان بی اساس و پندارهای باطل منافقان اشاره کرده می گوید: «آنها هر گاه به پیروزی برسند و نیکیها و حسناتی به دست آورند می گویند از طرف خداست» (وَ إِنْ تُصِ بَهُمْ حَسَ نَهٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ). یعنی ما شایسته بوده ایم که خدا چنین مواهبی را به ما داده! ولی هنگامی که شکستی دامنگیر آنها شود و یا در میدان جنگ آسیبی ببینند می گویند: «اینها بر اثر سوء تدبیر پیامبر صلّی الله علیه و آله و عدم کفایت نقشه های نظامی او بوده است» (وَ إِنْ تُصِبُهُمْ سَیّئَهٌ یَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِکَ).

قرآن به آنها پاسخ می گوید که از نظر یک موحد و خداپرست تیزبین «همه این حوادث و پیروزیها و شکستها از ناحیه خداست» که بر طبق لیاقتها و ارزشهای وجودی مردم به آنها داده می شود (قُلْ کُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ).

و در پایـان آیه به عنوان اعتراض به عـدم تفکر و تعمق آنهـا در موضوعـات مختلف زنـدگی میگویـد: «پس چرا اینها حاضـر نیستند حقایق را درک کنند» (فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْم لا یَکادُونَ یَفْقَهُونَ حَدِیثاً).

سوره نساء (4): آية ٧٩] ص: 423

(آیه ۷۹) - سپس در این آیه چنین می فرماید: «تمام نیکیها و پیروزیها برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۲۶

و حسناتی که به تو میرسد از ناحیه خداست و آنچه از بدیها و ناراحتیها و شکستها دامنگیر تو می شود از ناحیه خود توست»! (ما أَصابَکَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَکَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِکَ).

و در پایان آیه به آنها که شکستها و ناکامیهای خود را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نسبت میدادنـد و به اصطلاح اثر قـدم پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میدانسـتند پاسـخ می گوید که: «ما تو را فرسـتاده خود به سوی مردم قرار دادیم (و خداوند گواه بر این مطلب است) و گواهی او کافی است» (وَ أَرْسَلْناکَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۸۰] ص: ۴۲۶

(آیه ۸۰)- سنت پیامبر همچون وحی الهی است! در این آیه موقعیت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در برابر مردم و «حسنات» و «سیئات» آنان، بیان شده است.

نخست می فرماید: «هر کس اطاعت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کند اطاعت خدا کرده است» (مَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّه). بنابراین اطاعت خدا از اطاعت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نمی توانـد جـدا باشـد، زیرا پیامبر صلّی اللّه علیه و آله هیچ گامی بر خلاف خواست خداوند برنمی دارد.

سپس می فرماید: «اگر کسانی سرپیچی کنند و با دستورات تو به مخالفت برخیزند مسؤولیتی در برابر اعمال آنها نداری و موظف نیستی که به حکم اجبار آنها را از هر خلافکاری بازداری، وظیفه تو تبلیغ رسالت و امر به معروف و نهی از منکر و راهنمایی افراد گمراه و بی خبر است» (وَ مَنْ تَوَلَّی فَما أَرْسَلْناکَ عَلَیْهِمْ حَفِیظاً).

بایـد توجه داشت که این آیه یکی از روشنترین آیـات قرآن است که دلیل بر حجیت سنت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و قبول احـادیث او میباشـد، و هنگـامی که میبینیم پیـامبر صلّی اللّه علیه و آله طبق حـدیث ثقلین، صریحا احـادیث اهل بیت علیهم السّلام را سند و حجت شمرده است استفاده میکنیم که اطاعت از فرمان اهل بیت نیز از اطاعت فرمان خدا جدا نیست.

سوره نساء (4): آیهٔ ۸۱] ص: ۴۲۶

(آیه ۸۱)- در این آیه اشاره به وضع جمعی از منافقان و یا افراد ضعیف الایمان کرده و می گوید: آنها به هنگامی که در صف مسلمانان در کنار پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله قرار می گیرند برای حفظ منافع و یا دفع ضرر از خویش با دیگران بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۲۷

همصدا شده و اظهار اطاعت فرمان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می کنند «و می گویند با جان و دل حاضریم از او پیروی کنیم» (وَ يَقُولُونَ طاعَةً).

«اما هنگامی که مردم از خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله خارج شدند، آن دسته از منافقان و افراد ضعیف الایمان گفته ها (و پیمانهای خویش را به دست فراموشی میسپارند) و در جلسات شبانه تصمیمهایی بر ضد سخنان پیغمبر صلّی الله علیه و آله می گیرند و خداوند آنچه را در این جلسات می گویند می نویسد» (فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِکَ بَیَّتَ طائِفَةً مِنْهُمْ غَیْرَ الَّذِی تَقُولُ وَ اللّهُ يَکْتُبُ مَا یُبَیّتُونَ).

ولی خداونـد به پیغمبرش دستور میدهد که «از آنها روی بگردان و از نقشههای آنها وحشت نکن و هیچ گاه آنها را تکیه گاه

در برنامههای خود قرار مـده، تنها بر خدا تکیه کن خدایی که بهترین یار و مددکار و مدافع است» (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَی اللَّهِ وَ كَفی بِاللَّهِ وَكِيلًا).

سوره نساء (4): آیهٔ ۸۲] ص: ۴۲۷

(آیه ۸۲) – سند زندهای بر اعجاز قرآن! به دنبال نکوهشهایی که در آیات قبل از منافقان به عمل آمد، در اینجا به آنها و همه کسانی که در حقانیت قرآن مجید شک و تردید دارند اشاره کرده میفرماید: «آیا آنها در باره وضع خاص این قرآن اندیشه نمی کنند و نتایج آن را بررسی نمی نمایند این قرآن اگر از ناحیه غیر خدا نازل شده بود حتما تناقضها و اختلافهای فراوانی در آن مییافتند، اکنون که در آن هیچ گونه اختلاف و تناقض نیست باید بدانند که از طرف خداوند نازل شده است» (أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ کَانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً).

بنابراین، مردم موظفند که در باره اصول دین و مسائلی همانند صدق دعوی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و حقانیت قرآن مطالعه و بررسی کنند و از تقلید و قضاوتهای کورکورانه بپرهیزند!

سوره نساء (4): آية 83] ص: 427

اشاره

(آیه ۸۳)- پخش شایعات! در این آیه به یکی دیگر از اعمال نادرست منافقان و یا افراد ضعیف الایمان اشاره کرده، میفرماید: «آنها کسانی هستند که هنگامی که اخباری مربوط به پیروزی و یا شکست مسلمانان به آنان برسد، بدون تحقیق، آن را همه جا پخش میکنند» (وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۲۸

زیرا بسیار می شود که این اخبار، بی اساس بوده و از طرف دشمنان به منظورهای خاصی جعل شده و اشاعه آن به زیان مسلمانان تمام می گردد.

«در حالى كه اگر آن را به پيامبر و پيشوايان- كه قـدرت تشخيص كافى دارنـد- بازگردانند، از ريشههاى مسائل آگاه خواهند شد» (وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ).

و بـدون جهت نه مسلمانان را گرفتـار عواقب غرور ناشـی از پیروزیهـای خیالی میکردنـد و نه روحیه آنها را به خاطر شایعات دروغین مربوط به شکست تضعیف مینمودند.

زیانهای شایعهسازی و نشر شایعات-.... ص: ۴۲۸

از بلاهای بزرگی که دامنگیر جوامع مختلف می شود و روح اجتماعی و تفاهم و همکاری را در میان آنها می کشد، مسأله شایعه سازی و نشر شایعات است، بطوری که گاه یک نفر منافق مطلب نادرستی جعل می کند و آن را به چند نفر می گوید، و افرادی بدون تحقیق در نشر آن می کوشند، و شاید شاخ و برگهایی هم از خودشان به آن می افزایند، و بر اثر آن اضطراب و نگرانی در مردم ایجاد می کنند.

گر چه اجتماعاتی که در فشار و خفقان قرار دارند گاهی شایعهسازی و نشر شایعات را به عنوان یک نوع مبارزه و یا انتقامجویی تعقیب میکنند ولی برای اجتماعات سالم نشر شایعات زیانهای فراوانی به بار می آورد.

به همین دلیل اسلام صریحا هم با «شایعهسازی» مبارزه کرده و جعل و دروغ و تهمت را ممنوع می شمارد و هم با نشر شایعات، و آیه فوق نمونهای از آن است.

سپس در پایان آیه اشاره به این حقیقت می کند که «اگر فضل و رحمت الهی شامل حال شما نمی شد (و به وسیله راهنماییهای پروردگار از چنگال این گونه شایعات و عواقب وخیم آن نجات نمی یافتید) بسیاری از شما در راههای شیطانی گام می نهادید و تنها عده کمی بودند که می توانستند خود را از پیروی شیطان بر کنار دارند» (وَ لَوْ لاَ فَضْ لُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَمَا تَبُعْتُمُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَمَا تَبُعْتُمُ اللَّهِ عَلَیْلًا).

یعنی تنها پیامبر صلّی الله علیه و آله و صاحب نظران و دانشمندان مو شکاف و باریک بینند که برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۲۹

می توانند خود را از وساوس شایعات و شایعهسازان بر کنار دارند، و اما اکثریت اجتماع اگر از رهبری صحیحی محروم بمانند گرفتار عواقب دردناک شایعهسازی و نشر شایعات خواهند شد.

سوره نساء (4): آيهٔ ۱۹۴] ص: ۲۲۹

اشاره

(آیه ۸۴)

شأن نزول: ص: 429

هنگامی که ابو سفیان و لشکر قریش پیروزمندانه از میدان احد بازگشتند ابو سفیان با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله قرار گذاشت که در موسم بدر صغری (یعنی بازاری که در ماه ذی القعده در سرزمین بدر تشکیل میشد) بار دیگر رو برو شوند، هنگامی که موعد مقرر فرا رسید، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله مسلمانان را دعوت به حرکت به محل مزبور کرد، ولی جمعی از مسلمانان که خاطره تلخ شکست احد را فراموش نکرده بودند شدیدا از حرکت خودداری مینمودند.

این آیه نازل شد و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله مسلمانان را مجددا دعوت به حرکت کرد، در این موقع تنها هفتاد نفر در رکاب پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله در محل مزبور حاض...شدند، ولی ابو سفیان (بر اثر وحشتی که از رو برو شدن با سپاه اسلام داشت) از حضور در آنجا خودداری کرد و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با همراهان سالم به مدینه بازگشتند.

تفسير: ص: 479

هر کس مسؤول وظیفه خویش است- به دنبال آیات مربوط به جهاد، دستور فوقالعادهای در این آیه به پیامبر صلّی اللّه علیه و

آله داده شده است، مىفرمايىد: «در راه خىدا پيكار كن، تنها مسؤول وظيفه خود هستى، و مؤمنان را (بر اين كار) تشويق نما» (فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ).

در حقیقت آیه، یک دستور مهم اجتماعی را مخصوصا در باره رهبران در بر دارد، و آن این که آنها باید آنقدر در کار خود مصمم و ثابت قدم و قاطع باشند که حتی اگر هیچ کس دعوت آنها را «لبیک» نگوید، دست از تعقیب هدف مقدس خویش برندارند و هیچ رهبری تا چنین آمادگی نداشته باشد قادر به انجام رهبری و پیشبرد اهداف خود نیست مخصوصا رهبران الهی که تکیه گاه اصلی آنها خداست خدایی که سر چشمه تمام نیروها و قدرتهاست.

و لذا به دنبال این دستور می فرماید: «امید است خداوند با کوششها و تلاشهای تو حتی اگر تنها بوده باشی، قدرت و نیروی دشمنان را در هم بشکند، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۳۰

زيرا قـدرت او مافوق قـدرتها و مجازات او مافوق مجازاتهاست» (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَـدُّ تَنْكِيلًا).

سوره نساء (4): آيهٔ 🗚] ص: 430

(آیه ۸۵)- تشویق کار نیک یا بـد! همانطور که در تفسیر آیه قبل اشاره شـد، قرآن می گویـد: هر کسـی در درجه اول مسؤول کار خویش است، نه مسؤول کار دیگران، اما برای این که از این مطلب سوء استفاده نشود در این آیه می گوید:

«درست است که هر کسی مسؤول کارهای خود میباشد ولی هر انسانی که دیگری را به کار نیک وادارد، سهمی از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دود میباشد و در تابعه میباشد و در تابعه کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و هر کس، دیگری را به کار بدی دعوت کنو بهرهای از آن خواهد داشت و میباشد که دیگری را به کار بیک و داشت و میباشد و در تابه کار بازی تابع دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و میباشد و در تابع دیگری را به کار بدی دعوت کند بهرهای از آن خواهد داشت و در تابع داشت و در تابع در تابع داشت و در تابع در تابع داشت و در تابع داشت و در تابع داشت و در تابع در تابع داشت و در تابع داشت و در تابع در تابع در تابع داداشت و در تابع در تابع داداشت و در تابع در تا

بنابراین، مسؤولیت هر کس در برابر اعمال خویش به آن معنی نیست که از دعوت دیگران به سوی حق و مبارزه با فساد چشم بپوشد و روح اجتماعی اسلام را تبدیل به فردگرایی و بیگانگی از اجتماع کند، و در لاک خود فرو رود.

در پایان آیه می فرماید: «خداوند تواناست و اعمال شما را حفظ و محاسبه کرده و در برابر حسنات و سیئات پاداش مناسب خواهد داد» (وَ کانَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً).

سوره نساء (4): آية 86] ص: 430

(آیه ۸۶)- هر گونه محبتی را پاسخ گویید! این آیه یک حکم کلی و عمومی است در زمینه تمام تحیّتها و اظهار محبتهایی که از طرف افراد مختلف می شود، در آغاز می گوید: «هنگامی که کسی به شما تحیت گوید پاسخ آن را به طرز بهتر بدهید و یا لااقل بطور مساوی پاسخ گویید» (وَ إذا حُیِّیتُمْ بِتَحِیَّهٍ فَحَیُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها).

«تحیّت» در لغت از ماده «حیات» و به معنی دعا برای حیات دیگری کردن است، ولی معمولا این کلمه هر نوع اظهار محبتی را که افراد به وسیله سخن یا عمل، با یکدیگر می کنند شامل می شود که روشنترین مصداق آن همان موضوع سلام کردن است. و در پایان آیه برای این که مردم بدانند چگونگی «تحیتها» و «پاسخها» برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۳۱ و برتری یا مساوات آنها، در هر حد و مرحلهای، بر خداوند پوشیده و پنهان نیست می فرماید: «خداوند حساب همه چیز را دارد» (إنَّ اللَّه کانَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ حَسِیباً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۸۷] ص: ۴۳۱

(آیه ۸۷) – این آیه تکمیلی برای آیات قبل و مقدمه برای آیات بعد است زیرا در آیه قبل پس از دستور به «رد تحیّت» فرمود: خداوند حساب همه اعمال شما را دارد، در این آیه اشاره به مسأله رستاخیز و دادگاه عمومی بندگان در روز قیامت کرده و آن را با مسأله توحید و یگانگی خدا که رکن دیگری از ایمان است می آمیزد، و می فرماید: «خداوند، معبودی جز او نیست و بطور قطع در روز قیامت شما را دسته جمعی مبعوث می کند، همان روز قیامتی که هیچ شک و تردیدی در آن نیست» (اللَّهُ لا بِلًا هُوَ لَیَجْمَعَنَّکُمْ إِلی یَوْم الْقِیامَهُ لا رَیْبَ فِیهِ).

و در پایان برای تأکید مطلبَ میفرماید: «کیست که راستگوتر از خدا باشد» (وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِیثًا).

بنابراین، هر گونه وعدهای در باره روز قیامت و غیر آن میدهد نباید جای تردید باشد، زیرا دروغ یا از جهل سر چشمه می گیرد یا از ضعف و نیاز، اما خداوندی که از همه آگاهتر و از همگان بینیاز است، از هر کس راستگوتر است و اصولا دروغ برای او مفهومی ندارد.

سوره نساء (4): آیهٔ ۸۸] ص: ۴۳۱

اشاره

(آیه ۸۸)

شأن نزول- ص: 421

مطابق نقل جمعی از مفسران از ابن عباس، عدهای از مردم مکه ظاهرا مسلمان شده بودند، ولی در واقع در صف منافقان قرار داشتند، به همین دلیل حاضر به مهاجرت به مدینه نشدند، اما سر انجام مجبور شدند از مکه خارج شوند (و شاید هم به خاطر موقعیت ویژهای که داشتند برای هدف جاسوسی این عمل را انجام دادند).

مسلمانان از جریان آگاه شدند، ولی به زودی در باره چگونگی برخورد با این جمع در میان مسلمین اختلاف افتاد، عدهای معتقد بودند که باید این عده را طرد کرد، زیرا در واقع پشتیبان دشمنان اسلامند، ولی بعضی از افراد ظاهربین و ساده دل با این طرح مخالفت کردند و گفتند: عجبا! ما چگونه با کسانی که گواهی به توحید و نبوت پیامبر صلّی الله علیه و آله دادهاند بجنگیم؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۳۲

آیه نازل شد و دسته دوم را در برابر این اشتباه ملامت و سپس راهنمایی کرد.

تفسیر: ص: ۴۳۲

با توجه به شأن نزول بالا پیوند این آیه و آیات بعد از آن با آیاتی که قبلا در باره منافقان بود کاملا روشن است.

در آغـاز آیه میفرمایـد: «چرا در مورد منافقان دو دسـته شـدهایـد و هر کـدام طوری قضاوت میکنیـد» (فَما لَکَمْ فِی الْمُنافِقِینَ فِئَتَیْن).

سپس می فرماید: «این عده از منافقان به خاطر اعمال زشت و ننگینی که انجام دادهانید خداونید توفیق و حمایت خویش را از آنها برداشته و افکارشان را به کلی واژگونه کرده، همانند کسی که به جای ایستادن به روی پا، با سر بایستد» (وَ اللَّهُ أَرْکَسَهُمْ بِما کَسَبُوا).

و در پایان آیه خطاب به افراد ساده دلی که حمایت از این دسته منافقان مینمودند کرده، میفرماید: «آیا شما میخواهید کسانی را که خدا بر اثر اعمال زشتشان از هدایت محروم ساخته هدایت کنید در حالی که هر کس را خداوند گمراه کند راهی برای او نخواهی یافت» (أَ تُرِیدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَنْ یُضْلِل اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِیلًا).

زیرا، این یک سنت فناناپذیر الهی است که اثر اعمال هیچ کس از او جدا نمی شود چگونه می توانید انتظار داشته باشید افرادی که فکرشان آلوده و قلبشان مملوّ از نفاق و عملشان حمایت از دشمنان خداست مشمول هدایت شوند؟ این یک انتظار بی دلیل و نابجاست!

سوره نساء (4): آية 89] ص: 422

(آیه ۸۹) - در تعقیب آیه قبل در باره منافقانی که بعضی از مسلمانان ساده دل به حمایت از آنها برخاسته و از آنها شفاعت می کردند و قرآن بیگانگی آنها را از اسلام بیان داشت در این آیه می فرماید: تاریکی درون آنها به قدری است که نه تنها خودشان کافرند، بلکه «دوست می دارند که شما هم همانند آنان کافر شوید و مساوی یکدیگر گردید» (وَدُّوا لَوْ تَکْفُرُونَ کَما کَفُرُوا فَتَکُونُونَ سَواءً).

بنابراین، آنها از کافران عادی نیز بدترند زیرا کفار معمولی دزد و غارتگر عقاید دیگران نیستند اما اینها هستند، و فعالیتهای پی گیری برای تخریب عقاید دیگران دارند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۳۳

اكنون كه آنها چنين هستند «هرگز نبايد شما مسلمانان، دوستاني از ميان آنها انتخاب كنيد» (فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِياءَ).

«مگر این که (در کار خود تجدید نظر کنند و دست از نفاق و تخریب بردارند و نشانه آن این است که از مرکز کفر و نفاق به مرکز اسلام) در راه خدا مهاجرت نمایند» (حَتَّی یُهاجِرُوا فِی سَبِیل اللَّهِ).

«اما اگر آنها حاضر به مهاجرت نشدند (بدانید که دست از کفر و نفاق خود برنداشتهاند و اظهار اسلام آنها فقط به خاطر اغراض جاسوسی و تخریبی است) و در این صورت می توانید هر جا بر آنها دست یافتید، آنها را اسیر کنید و یا در صورت لزوم به قتل برسانید» (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ).

و در پایان آیه بار دیگر تأکید میکند که «هیچ گاه دوست و یار و یاوری از میان آنها انتخاب نکنید» (وَ لا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِیًّا وَ لا نَصِیراً).

نجات یک جامعه زنده که در مسیر یک انقلاب اصلاحی گام بر میدارد، از چنگال دشمنان دوستنما و جاسوسان خطرناک، راهی جز این شدت عمل ندارد.

سوره نساء (۴): آيهٔ ۹۰] ص: ۴۳۳

(آیه ۹۰)

شأن نزول: ص: 433

از روایات مختلفی که در شأن نزول آیه وارد شده چنین استفاده می شود که: دو قبیله در میان قبایل عرب به نام «بنی ضمره» و «اشجع» وجود داشتند که قبیله اول با مسلمانان پیمان ترک تعرض بسته بودند و طایفه اشجع نیز با بنی ضمره هم پیمان بودند. بعضی از مسلمانان از قدرت طایفه بنی ضمره و پیمان شکنی آنها بیمناک بودند، لذا به پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله پیشنهاد کردند که پیش از آن که آنها حمله را آغاز کنند مسلمانان به آنها حملهور شوند.

پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «نه، هرگز چنین کاری نکنید، زیرا آنها در میان تمام طوایف عرب نسبت به پدر و مادر خود نیکو کارترند، و از همه نسبت به اقوام و بستگان مهربانتر، و به عهد و پیمان خود از همه پایبندترند»! پس از مدتی مسلمانان باخبر شدند که طایفه اشجع به سرکردگی «مسعود بن رجیله» که هفتصد نفر بودند به نزدیکی مدینه آمدهاند، پیامبر صلّی الله علیه و آله نمایندگانی نزد برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۳۴

آنها فرستاد تا از هدف مسافرتشان مطلع گردد، آنها اظهار داشتند: ما از یک طرف توانایی مبارزه با دشمنان شما را نداریم، چون عدد ما کم است، و نه قدرت و تمایل به مبارزه با شما داریم، زیرا محل ما به شما نزدیک است لذا آمده ایم با شما پیمان ترک تعرّض ببندیم.

در این هنگام آیه نازل شد و دستورهای لازم را در این زمینه به مسلمانان داد.

تفسير: ص: ۴۳۴

استقبال از پیشنهاد صلح- به دنبال دستور به شدت عمل در برابر منافقانی که با دشمنان اسلام همکاری نزدیک داشتند، در این آیه دستور می دهد که دو دسته از این قانون مستثنا هستند:

١- «آنها كه با يكى از هم پيمانان شما ارتباط دارند و پيمان بستهاند» (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ).

۲- «کسانی که از نظر موقعیت خاص خود در شرایطی قرار دارند که نه قدرت مبارزه با شما را در خود می بینند، و نه توانایی همکاری با شما و مبارزه با قبیله خود دارند» (أَوْ جاؤُکُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ یُقاتِلُوکُمْ أَوْ یُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ).

سپس برای این که مسلمانان در برابر این پیروزیهای چشمگیر مغرور نشوند و آن را مرهون قدرت نظامی و ابتکار خود ندانند و نیز برای این که احساسات انسانی آنها در برابر این دسته از بیطرفان تحریک شود میفرماید: «اگر خداونـد بخواهد می تواند آن (جمعیت ضعیف) را بر شما مسلط گرداند تا با شما پیکار کنند» (وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَیْکُمْ فَلَقَاتَلُوکُمْ).

بنابراین، همواره در پیروزیها به یاد خدا باشید و هیچ گاه به نیروی خود مغرور نشوید و نیز گذشت از ضعیفان را برای خود خسارتی نشمرید.

در پایان آیه بار دیگر نسبت به دسته اخیر تأکید کرده و با توضیح بیشتری چنین می فرماید: «اگر آنها از پیکار با شما

کناره گیری کننـد و پیشـنهاد صـلح نماینـد، خداونـد به شـما اجازه تعرّض نسـبت به آنها را نمیدهد» و موظفید دستی را که به منظور صلح به سوی شما دراز شده بفشارید (فَإِنِ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ یُقاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَیْكُمُ السَّلَمَ فَما جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَیْهِمْ سَبِیلًا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۳۵

سوره نساء (4): آية 91] ص: 435

اشاره

آیه ۹۱

شأن نزول- ص: 435

نقل شده: جمعی از مردم مکّه به خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می آمدند و از روی خدعه و نیرنگ اظهار اسلام می کردند، اما همین که در برابر قریش و بتهای آنها قرار می گرفتند و به نیایش و عبادت بتها می پرداختند، و به این ترتیب می خواستند از ناحیه اسلام و قریش هر دو آسوده خاطر باشند، از هر دو طرف سود ببرند و از هیچ یک زیان نبینند، و به اصطلاح در میان این دو دسته دو دوزه بازی کنند آیه نازل شد و دستور داد مسلمانان در برابر این دسته شدت عمل به خرج دهند.

تفسير: ص: 4٣٥

سزای آنها که دو دوزه بازی می کنند! در اینجا با دسته دیگری رو برو می شویم که درست در مقابل دسته ای قرار دارند که در آیه پیش دستور صلح نسبت به آنها داده شده بود، آنها کسانی هستند که می خواهند برای حفظ منافع خود در میان مسلمانان و مشرکان آزادی عمل داشته باشند و برای تأمین این نظر، راه خیانت و نیرنگ پیش گرفته، با هر دو دسته اظهار همکاری و همفکری می کنند، می فرماید: «به زودی جمعیت دیگری را می یابید که می خواهند هم از ناحیه شما و هم از ناحیه قوم خودشان در امان باشند» (سَتَجِدُونَ آخَرِینَ یُریدُونَ أَنْ یَأْمَنُو کُمْ وَ یَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ).

و به همین دلیل «هنگامی که میدان فتنه جویی و بت پرستی پیش آید همه برنامه ها آنها وارونه می شود و با سر در آن فرو می روند»! (کُلَّما رُدُّوا إِلَی الْفِتْنَهِ أُرْکِسُوا فِیها). اینها درست بر ضد دسته سابقند.

سپس در جمله بعد سه تفاوت برای آنها میشمرد، میفرماید: «اگر آنها از درگیری با شما کنار نرفتند و پیشنهاد صلح نکردند و دست از شما برنداشتند» (فَإِنْ لَمْ یَعْتَزِلُوکُمْ وَ یُلْقُوا إِلَیْکُمُ السَّلَمَ وَ یَکُفُّوا أَیْدِیَهُمْ).

«هر كجا آنان را يافتيد اسير كنيد و در صورت مقاومت به قتل برسانيد» (فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ).

همین تفاوتها موجب گردیده که حکم اینها از دسته سابق به کلی جدا شود.

و از آنجا که به اندازه کافی نسبت به آنها اتمام حجت شده در پایان آیه برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۳۶

مىفرمايد: «آنان كسانى هستند كه ما تسلط آشكارى براى شما نسبت به آنها قرار داديم» (وَ أُولِئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبيناً).

این تسلط می توانـد از نظر منطقی بـوده باشـد چه این که منطق مسـلمانان بر مشـرکان کاملاـ پیروز بـود و یـا از نظر ظـاهری و خارجی، زیرا در زمانی این آیات نازل شد که مسلمین به قدر کافی نیرومند شده بودند.

سوره نساء (4): آية ٩٢] ص: 436

اشاره

(آیه ۹۲)

شأن نزول: ص: 436

یکی از بت پرستان مکّه به نام «حارث بن یزید» با دستیاری «ابو جهل» مسلمانی را به نام «عیاش بن ابی ربیعه» به جرم گرایش به اسلام مدتها شکنجه می داد، پس از هجرت مسلمانان به مدینه، «عیاش» نیز به مدینه هجرت کرد.

اتفاقا روزی در یکی از محلههای اطراف مدینه با شکنجه دهنده خود حارث بن یزید رو برو شد، و از فرصت استفاده کرده، او را به قتل رسانید، به گمان این که دشمنی را از پای در آورده است، در حالی که توجه نداشت که «حارث» توبه کرده و مسلمان شده به سوی پیامبر صلّی الله علیه و آله عرض کردند آیه نازل شد و حکم قتلی را که از روی اشتباه و خطا واقع شده بیان کرد.

تفسير: ص: ۴۳۶

احکام قتل خطا- چون در آیات گذشته به مسلمانان آزادی عمل برای در هم کوبیدن منافقان و دشمنان خطرناک داخلی داده شده، برای این که مبادا کسانی از این قانون سوء استفاده کنند و با افرادی که دشمنی دارند به نام منافق بودن تصفیه حساب خصوصی نمایند در این آیه و آیه بعد احکام قتل خطا و قتل عمد بیان شده است، نخست در این آیه میفرماید: «برای هیچ مؤمنی مجاز نیست که فرد با ایمانی را جز از روی خطا به قتل برساند» (وَ ما کانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ یَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطاً). سپس جریمه و کفاره قتل خطا را در سه مرحله بیان می کند:

صورت نخست این که فرد بیگناهی که از روی اشتباه کشته شده متعلق به خانواده مسلمانی باشد که در این صورت، قاتل باید دو کار کند، یکی این که برده مسلمانی را آزاد نماید و دیگر این که خونبهای مقتول را به صاحبان خون بپردازد، آیه شریفه می فرماید: «کسی که مؤمنی را از روی خطا به قتل رساند، باید یک برده بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۳۷ مؤمن را آزاد کند و خونبهایی به کسان او بپردازد» (وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطاً فَتَحْرِیرُ رَقَبَهٍ مُؤْمِناً وَ دِیَةً مُسَلَّمَةً إِلَی أَهْلِهِ). «مگر این که خاندان مقتول با رضایت خاطر از دیه بگذرند» (إِلَّا أَنْ یَصَّدَقُوا).

صورت دوم این که «مقتول مؤمن وابسته به خاندانی باشد که با مسلمانان خصومت و دشمنی دارند، در این صورت کفاره قتل خطا تنها آزاد نمودن برده مسلمان است» (فَإِنْ کانَ مِنْ قَوْم عَدُوِّ لَکُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ).

پرداخت دیه به جمعیتی که تقویت بنیه مالی آنان خطری برای مسلمانان محسوب خواهد شد ضرورت ندارد، به علاوه اسلام ارتباط این فرد را با خانواده خود که همگی از دشمنان اسلامند بریده است و بنابراین، جایی برای جبران خسارت نیست.

صورت سوم این که: «خاندان مقتول از کفاری باشند که با مسلمانان هم پیمانند، در این صورت برای احترام به پیمان باید علاوه بر آزاد کردن یک برده مسلمان خونبهای او را به بازماندگانش بپردازند» (وَ إِنْ کَانَ مِنْ قَوْمٍ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُمْ مِیثاقٌ فَدِیَهٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَی أَهْلِهِ وَ تَحْرِیرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ).

ظاهرا منظور از مقتول در اینجا «مقتول مؤمن» است.

و در پایان آیه در مورد کسانی که دسترسی به آزاد کردن بردهای ندارند یعنی قدرت مالی ندارند و یا بردهای برای آزاد کردن نمی یابند می فرماید: «و آن کس که دسترسی (به آزاد کردن برده) ندارد، دو ماه پی در پی روزه می گیرد» (فَمَنْ لَمْ یَجِدْ فَصِیامُ شَهْرَیْنِ مُتَتابِعَیْنِ).

و در پایان می گوید: «این (تبدیل شدن آزاد کردن برده به دو ماه روزه گرفتن یک نوع تخفیف و توبه الهی است، یا این که آنچه در آیه به عنوان کفاره قتل خطا گفته شد همگی) برای انجام یک توبه الهی است و خداوند همواره از هر چیز باخبر و همه دستوراتش بر طبق حکمت است» (تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ کانَ اللَّهُ عَلِیماً حَکِیماً).

سوره نساء (4): آيهٔ ٩٣] ص : 4٣٧

اشاره

(آیه ۹۳)

شأن نزول: ص: 437

«مقیس بن صبابه کنانی» که یکی از مسلمانان بود، کشته برادر خود «هشام» را در محله «بنی النجّ ار» پیدا کرد، جریان را به عرض برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۳۸

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسانید، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله او را به اتفاق «قیس بن هلال» نزد بزرگان «بنی النجار» فرستاد و دستور داد که اگر قاتل «هشام» را می شناسند، او را تسلیم نمایند و اگر نمی شناسند، خونبها و دیه او را بپردازند. آنان هم چون قاتل را نمی شناختند، دیه را به صاحب خون پرداختند و او هم تحویل گرفت و به اتفاق «قیس بن هلال» به طرف مدینه حرکت کردند، در بین راه بقایای افکار جاهلیت «مقیس» را تحریک نمود و با خود گفت: قبول دیه موجب سرشکستگی و ذلت است، لذا همسفر خود را که از قبیله «بنی النجار» بود به انتقام خون برادر کشت و به طرف مکّه فرار نمود و از اسلام نیز کناره گیری

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله هم در مقابل این خیانت خون او را مباح نمود، و آیه مورد بحث به همین مناسبت نازل شـد که

مجازات قتل عمد در آن بیان شده است.

تفسير: ص: ٤٣٨

مجازات قتل عمد- بعد از بیان حکم قتل خطا در اینجا به مجازات کسی که فرد با ایمانی را از روی عمد به قتل برساند اشاره کرده، و چهار مجازات و کیفر شدید اخروی (علاوه بر مسأله قصاص که مجازات دنیوی است) ذکر میکند، میفرماید:

۱- «و هر کسی فرد با ایمانی را از روی عمد به قتل برساند مجازات او دوزخ است که برای همیشه در آن میماند» (وَ مَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِیها).

٢- «و خداوند بر او غضب مي كند» (وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ).

۳- «و از رحمتش او را دور مي سازد» (وَ لَعَنَهُ).

۴- و عذاب عظیمی برای او آماده ساخته است» (وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً).

از آنجا که آدمکشی یکی از بزرگترین جنایات و گناهان خطرناک است و اگر با آن مبارزه نشود، امنیت که یکی از مهمترین شرایط یک اجتماع سالم است به کلی از بین میرود، قرآن قتل بیدلیل یک انسان را همانند کشتن تمام مردم روی زمین معرفی می کند انسانی را بدون این که قاتل باشد و یا در زمین فساد کند بکشد، گویا همه مردم را کشته است».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۳۹

سوره نساء (۴): آیهٔ ۹۴] ص: ۴۳۹

اشاره

(آیه ۹۴)

شأن نزول: ص: 439

نقل شده که: پیامبر صلّی الله علیه و آله بعد از بازگشت از جنگ خیبر «اسامهٔ بن زید» را با جمعی از مسلمانان به سوی یهودیانی که در یکی از روستاهای «فدک» زندگی می کردند فرستاد، تا آنها را به سوی اسلام و یا قبول شرایط ذمّه دعوت کنند.

یکی از یهودیان به نام «مرداس» که از آمدن سپاه اسلام باخبر شده بود به استقبال مسلمانان شتافت، در حالی که به یگانگی خدا و نبوت پیامبر صلّی الله علیه و آله گواهی میداد.

اسامهٔ بن زید به گمان این که مرد یهودی از ترس جان و برای حفظ مال اظهار اسلام میکند و در باطن مسلمان نیست به او حمله کرد و او را کشت.

هنگامی که خبر به پیامبر صلّی الله علیه و آله رسید، سخت از این جریان ناراحت شد و فرمود: تو مسلمانی را کشتی، «اسامهٔ»

ناراحت شد و عرض کرد این مرد از ترس جان و برای حفظ مالش اظهار اسلام کرد، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: تو که از درون او آگاه نبودی، چه میدانی؟ شاید به راستی مسلمان شده است، در این موقع آیه نازل شد.

تفسير: ص: 439

در این آیه یک دستور احتیاطی برای حفظ جان افراد بیگناهی که ممکن است مورد اتهام قرار گیرند بیان می کند و می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید هنگامی که در راه جهاد گام برمی دارید، تحقیق و جستجو کنید و به کسانی که اظهار اسلام می کنند نگویید مسلمان نیستید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَتَبَیّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقی إِلَیْکُمُ السَّلامَ لَسْ تَ مُؤْمِناً).

سپس اضافه می کنید که «مبادا به خاطر نعمتهای ناپاییدار این جهان افرادی را که اظهار اسلام می کنند متهم کرده و آنها را به عنوان یک دشمن به قتل برسانید و اموال آنها را به عنیمت بگیرید» (تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَیاؤِ الدُّنْیا). «در حالی که عنیمتهای جاودانی و ارزنده در پیشگاه خداست» (فَعِنْدَ اللَّهِ مَعانِمُ کَثِیرَهٔ). «گر چه در گذشته چنین بودید و در دوران جاهلیت جنگهای شما انگیزه غارتگری داشت» (کَذلِک کُنتُمْ مِنْ قَبْلُ). «ولی اکنون در پرتو اسلام و منّتی که خداوند بر شما نهاده است (از آن وضع نجات یافتهاید، بنابراین به شکرانه این نعمت بزرگ) لازم است برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۴۰ که در کارها تحقیق کنید» (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَیْکُمْ فَتَبَیّتُوا) «و این را بدانید که خداوند از اعمال و نیّات شما آگاه است» (إِنَّ اللَّهَ کانَ

بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً). حواد که قاند نور مید در مالی آفرنش است و در مورد دارت حوان ای از زاتان و حرازات به میر او حواد در از میران سر

جهاد یک قانون عمومی در عالم آفرینش است و همه موجودات جهان اعم از نباتات و حیوانات به وسیله جهاد موانع را از سر راه خود برمیدارند تا بتوانند به کمالات مطلوب خود برسند.

البته بایـد توجه داشت که جهاد علاوه بر نبردهای دفاعی و گاهی تهاجمی، مبارزات علمی، اقتصادی، فرهنگی و سیاسی را نیز دربرمی گیرد.

سوره نساء (4): آيهٔ ٩٥] ص: 44

(آیه ۹۵) - در آیات گذشته سخن از جهاد در میان بود، این آیه مقایسهای در میان مجاهدان و غیر مجاهدان به عمل آورده، می گوید: «افراد با ایمانی که از شرکت در میدان جهاد خودداری می کنند، و بیماری خاصی که آنها را از شرکت در این میدان مانع شود ندارند، هر گز با مجاهدانی که در راه خدا و اعلای کلمه حق با مال و جان خود جهاد می کنند یکسان نیستند» (لا یَسْتَوِی الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ غَیْرُ أُولِی الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ).

سپس برتری مجاهدان را بار دیگر به صورت صریحتر و آشکارتر بیان کرده، میفرماید: «خداوند مجاهدانی را که با مال و جان خود در راهش پیکار میکنند بر خودداری کنندگان از شرکت در میدان جهاد برتری عظیمی بخشیده» (فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِینَ بَأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَی الْقاعِدِینَ دَرَجَهُ).

ولی چون نقطه مقابل این دسته از مجاهدان افرادی هستند که جهاد برای آنها واجب عینی نبوده و یا این که به خاطر بیماری و ناتوانی و علل دیگر قادر به شرکت در میدان جنگ نبودهانـد لـذا برای این که پاداش نیت صالح و ایمان و سایر اعمال نیک آنها نادیده گرفته نشود به آنها نیز وعده نیک داده، میفرماید: «به هر دو دسته (مجاهدان و غیر مجاهدان) وعده نیک داده است» (وَ کُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْني).

ولى از آنجا كه اهميت جهاد در منطق اسلام از اين هم بيشتر است بـار ديگر به سـراغ مجاهـدان رفته و تأكيـد ميكنـد كه «خداوند مجاهدان را بر قاعدان اجر عظيمي بخشيده است» (وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۴۱

سوره نساء (4): آية 96] ص: 441

(آیه ۹۶)- این اجر عظیم در این آیه چنین تفسیر شده: «درجات مهمی از طرف خداوند و آمرزش و رحمت او» (دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً).

و در پایان آیه میفرماید: اگر در این میان افرادی ضمن انجام وظیفه خویش مرتکب لغزشهایی شدهاند و از کرده خویش پشیمانند خدا به آنها نیز وعده آمرزش داده «زیرا خداوند آمرزنده و مهربان است» (وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً).

سوره نساء (4): آية ٩٧] ص: 441

اشاره

(آیه ۹۷)

شأن نزول: ص: 441

قبل از آغاز جنگ بدر سران قریش اخطار کردند که همه افراد ساکن مکّه که آمادگی برای شرکت در میدان جنگ دارند، باید برای نبرد با مسلمانان حرکت کنند و هر کس مخالفت کند خانه او ویران و اموالش مصادره می شود، به دنبال این تهدید، عدهای از افرادی که ظاهرا اسلام آورده بودند ولی به خاطر علاقه شدید به خانه و زندگی و اموال خود حاضر به مهاجرت نشده بودند، نیز با بت پرستان به سوی میدان جنگ حرکت کردند، و در میدان در صفوف مشرکان ایستادند و از کمی نفرات مسلمانان به شک و تردید افتادند و سر انجام در این میدان کشته شدند، آیه نازل گردید و سرنوشت شوم آنها را شرح داد.

تفسير: ص: 441

در تعقیب بحثهای مربوط به جهاد، در این آیه اشاره به سرنوشت شوم کسانی می شود که دم از اسلام می زدند ولی برنامه مهم اسلامی یعنی «هجرت» را عملی نساختند، قرآن می گوید: «کسانی که فرشتگان قبض روح، روح آنها را گرفتند در حالی که به خود ستم کرده بودند، و از آنها پرسیدند (شما اگر مسلمان بودید) پس چرا در صفوف کفار قرار داشتید و با مسلمانان جنگیدید»؟

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ).

از جمله فوق استفاده می شود که گرفتن ارواح به دست یک فرشته معین نیست و اگر می بینیم که در بعضی آیات این موضوع به ملک الموت (فرشته مرگ) نسبت داده شده از این نظر است که او بزرگ فرشتگان مأمور قبض ارواح است.

آنها در پاسخ به عنوان عـذرخواهی می گوینـد: «ما در محیط خود تحت فشار بودیم و به همین جهت توانایی بر اجرای فرمان خدا نداشتیم» (قالُوا کُنَّا مُشتَضْعَفِینَ فِی الْأَرْض). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۴۲

اما این اعتذار از آنان پذیرفته نمی شود و به زودی «از فرشتگان خدا پاسخ می شنوند که: مگر سرزمین پروردگار وسیع و پهناور نبود که مهاجرت کنید و خود را از آن محیط آلوده و خفقان بار برهانید»! (قالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِیها).

و در پایان به سرنوشت آنان اشاره کرده، میفرماید: «این گونه اشخاص) که با عذرهای واهی و مصلحت اندیشیهای شخصی شانه از زیر بار هجرت خالی کردنـد و زندگی در محیط آلوده و خفقانبار را بر آن ترجیح دادند) جایگاهشان دوزخ و بد سر انجامی دارند» (فَأُولِئِکَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِیراً).

سوره نساء (4): آيهٔ ٩٨] ص: 44٢

(آیه ۹۸) - در این آیه مستضعفان و ناتوانهای واقعی (نه مستضعفان دروغین) را استثناء کرده، می فرماید: «مردان و زنان و کودکانی که هیچ چارهای برای هجرت و هیچ طریقی برای نجات از آن محیط آلوده نمی یابند، از این حکم مستثنا هستند» زیرا واقعا این دسته معذورند و خداوند ممکن نیست تکلیف ما لا یطاق کند (إِلَّا الْمُسْتَضْ عَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا).

سوره نساء (4): آيهٔ ٩٩] ص: 447

اشاره

(آیه ۹۹) - در این آیه می فرماید: «ممکن است اینها مشمول عفو خداوند شوند و خداوند همواره بخشنده و آمرزنده بوده است» (فَأُولئِکَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَ كانَ اللَّهُ عَفُوًا غَفُوراً).

مستضعف کیست؟ ص: 442

از بررسی آیات قرآن و روایات استفاده می شود افرادی که از نظر فکری یا بدنی یا اقتصادی آنچنان ضعیف باشند که قادر به شناسایی حق از باطل نشوند، و یا این که با تشخیص عقیده صحیح بر اثر ناتوانی جسمی یا ضعف مالی و یا محدودیتهایی که محیط بر آنها تحمیل کرده قادر به انجام وظایف خود بطور کامل نباشند و نتوانند مهاجرت کنند آنها را مستضعف می گویند. از امام موسی بن جعفر علیه السّ لام پرسیدند که مستضعفان چه کسانی هستند؟ امام در پاسخ این سؤال نوشتند: «مستضعف کسی است که حجت و دلیل به او نرسیده باشد و به وجود اختلاف (در مذاهب و عقاید که محرک بر تحقیق است) پی نبرده باشد، اما هنگامی که به این مطلب پی برد، دیگر مستضعف نیست».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۴۳

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۰۰] ص: ۴۴۳

(آیه ۱۰۰)- هجرت یک دستور سازنده اسلامی! به دنبال بحث در باره افرادی که بر اثر کوتاهی در انجام فریضه مهاجرت، به انواع ذلتها و بدبختیها تن در می دهند، در این آیه با قاطعیت تمام در باره اهمیت هجرت در دو قسمت بحث شده است: نخست اشاره به آثار و برکات هجرت در زندگی این جهان کرده، می فرماید: «و کسانی که در راه خدا و برای خدا مهاجرت کنند، در این جهان پهناور خدا، نقاط امن فراوان و وسیع پیدا می کنند» که می توانند حق را در آنجا اجرا کنند و بینی مخالفان را به خاک بمالند (وَ مَنْ یُهاجِرْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ یَجِدْ فِی الْأَرْضِ مُراغَماً کَثِیراً وَ سَعَةً).

سپس به جنبه معنوی و اخروی مهاجرت اشاره کرده می فرماید: «اگر کسانی از خانه و وطن خود به قصد مهاجرت به سوی خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله خارج شوند و پیش از رسیدن به هجرتگاه، مرگ آنها را فرا گیرد، اجر و پاداششان بر خداست، و خداوند آمرزنده و مهربان است» و گناهان آنها را می بخشد (وَ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهاجِراً إِلَی اللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ یُدْرِکُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَی اللّهِ وَ کانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِیماً).

بنابراین مهاجران در هر دو صورت به پیروزی نائل می گردند.

جالب این است که هجرت- آن هم نه برای حفظ خود، بلکه برای حفظ آیین اسلام- مبدء تاریخ مسلمانان میباشد، و زیر بنای همه حوادث سیاسی، تبلیغی و اجتماعی ما را تشکیل میدهد، و در هر عصر و زمان و مکانی اگر همان شرایط پیش آید، مسلمانان موظف به هجرتند!

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۰۱] ص: 443

(آیه ۱۰۱)- نماز مسافر. در تعقیب آیات گذشته که در باره «جهاد» و «هجرت» بحث می کرد در این آیه به مسأله «نماز مسافر» اشاره کرده، می فرماید:

«هنگامی که مسافرت کنید مانعی ندارد که نماز را کوتاه کنید اگر از خطرات کافران بترسید، زیرا کافران دشمن آشکار شما هستند» (وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِی الْأَرْضِ فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاهِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ یَفْتِنَکُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنَّ الْکافِرِینَ کانُوا لَکُمْ عَدُوًّا مُبِیناً).

البته جای شک نیست که نماز مسافر اختصاصی به حالت ترس ندارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۴۴

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۰۲] ص: ۴۴۴

اشاره

(آیه ۱۰۲)– هنگامی که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با عدهای از مسلمانان به عزم «مکّه» وارد سرزمین «حدیبیه» شدند و جریان

به گوش قریش رسید، خالد بن ولید به سرپرستی یک گروه دویست نفری برای جلوگیری از پیشروی مسلمانان به سوی مکّه، در کوههای نزدیک مکّه مستقر شد، هنگام ظهر «بلال» اذان گفت و پیامبر صلّی الله علیه و آله با مسلمانان نماز ظهر را به جماعت ادا کردند، خالد از مشاهده این صحنه در فکر فرو رفت و به نفرات خود گفت در موقع نماز عصر باید از فرصت استفاده کرد و در حال نماز کار مسلمانان را یکسره ساخت در این هنگام آیه نازل شد و دستور نماز خوف را به مسلمانان داد، و این خود یکی از نکات اعجاز قرآن است که قبل از اقدام دشمن، نقشههای آنها را نقش بر آب کرد.

تفسير: ص: ۴۴۴

در تعقیب آیات مربوط به جهاد، این آیه کیفیت نماز خوف را که به هنگام جنگ باید خوانده شود به مسلمانان تعلیم می دهد، آیه خطاب به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، می فرماید: «هنگامی که در میان آنها هستی و برای آنها نماز جماعت بر پا می داری باید مسلمانان به دو گروه تقسیم شوند، نخست عده ای با حمل اسلحه با تو به نماز بایستند» (وَ إِذَا کُنْتَ فِیهِمْ فَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَکَ وَ لُیْأُخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ).

سپس هنگامی که این گروه سجده کردند (و رکعت اول نماز آنها تمام شد، تو در جای خود توقف می کنی) و آنها با سرعت رکعت دوم را تمام نموده و به میدان نبرد باز می گردند و در برابر دشمن می ایستند و گروه دوم که نماز نخوانده اند، جای گروه اول را می گیرند و با تو نماز می گزارند» (فَإِذَا سَجَدُوا فَلْیَکُونُوا مِنْ وَرائِکُمْ وَ لْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْری لَمْ یُصَلُّوا فَلْیُصَلُّوا مَعَکَ). «گروه دوم نیز باید وسایل دفاعی و اسلحه را با خود داشته باشند و بر زمین نگذارند» (وَ لْیَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ).

این طرز نماز گزاردن برای این است که دشمن شما را غافلگیر نکند، «زیرا دشمن همواره در کمین است که از فرصت استفاده کنـد و دوست میدارد که شـما از سـلاح و متاع خود غافل شویـد و یکباره به شـما حملهور شود» (وَدَّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۴۵

تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً)

.ولی از آنجا که ممکن است ضرورتهایی پیش بیاید که حمل سلاح و وسایل دفاعی هر دو با هم به هنگام نماز مشکل باشد، در پایان آیه چنین دستور میدهد:

«و گناهی بر شما نیست اگر از باران ناراحت باشید و یا بیمار شوید که در این حال سلاح خود را بر زمین بگذارید» (وَ لا جُناحَ عَلَیْکُمْ إِنْ کَانَ بِکُمْ أَذَیً مِنْ مَطَرِ أَوْ کُنْتُمْ مَرْضی أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَکُمْ).

«ولمی در هر صورت از همراه داشتن وسایل محافظتی و ایمنی (مانند زره و خود و امثال آن) غفلت نکنید و حتی در حال عذر، حتما آنها را با خود داشته باشید» که اگر احیانا دشمن حمله کند بتوانید تا رسیدن کمک، خود را حفظ کنید (وَ خُدنُوا حِذْرَكُمْ).

شما این دستورات را به کار بندید و مطمئن باشید پیروزی با شماست «زیرا خداوند برای کافران مجازات خوارکنندهای آماده کرده است» (إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْکافِرِینَ عَذاباً مُهِیناً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۰۳] ص: ۴۴۵

(آیه ۱۰۳)- اهمیت فریضه نماز! به دنبال دستور نماز خوف در آیه قبل و لزوم بپاداشتن نماز حتی در حال جنگ در این آیه می فرماید: «پس از اتمام نماز یاد خدا را فراموش نکنید، و در حال ایستادن و نشستن و زمانی که بر پهلو خوابیده اید به یاد خدا باشید و از او کمک بجویید» (فَإِذا قَضَیْتُمُ الصَّلاهُ فَاذْکُرُوا اللَّه قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِکُمْ).

منظور از یاد خدا در حال قیام و قعود و بر پهلو خوابیدن، ممکن است همان حالات مختلف جنگی که سربازان گاهی در حال ایستادن و زمانی نشستن و زمانی به پهلو خوابیدن، سلاحهای مختلف جنگی از جمله وسیله تیراندازی را به کار میبرند، بوده باشد.

آیه فوق در حقیقت اشاره به یک دستور مهم اسلامی است، که معنی نماز خواندن در اوقات معین این نیست که در سایر حالات انسان از خدا غافل بماند.

سپس قرآن می گوید: دستور نماز خوف یک دستور استثنایی است و «به برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۴۶ مجرد این که حالت خوف زائل گشت، باید نماز را به همان طرز عادی انجام دهید» (فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِیمُوا الصَّلاهُ). و در پایان سرّ این همه سفارش و دقت را در باره نماز چنین بیان میدارد:

«زيرا نماز وظيفه ثابت و معيني براي مؤمنان است» (إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً).

ابو سفیان فریاد زد: «لنا العزّی و لا عزّی لکم ما دارای بت بزرگ «عزّی» هستیم و شما ندارید.

سوره نساء (4): آية 104] ص: 449

اشاره

(آیه ۱۰۴)

شأن نزول: ص: 446

از ابن عباس چنین نقل شده که: پس از حوادث دردناک جنگ احد پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله بر فراز کوه احد رفت و أبو سفیان نیز بر کوه احد قرار گرفت و با لحنی فاتحانه فریاد زد: «ای محمد! یک روز پیروز شدیم و روز دیگر شما» یعنی این پیروزی ما در برابر شکستی که در بدر داشتیم، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به مسلمانان فرمود: فورا به او پاسخ گویید، مسلمانان گفتند: «هر گز وضع ما با شما یکسان نیست، شهیدان ما در بهشتند و کشتگان شما در دوزخ».

پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: شما هم در برابر شعار آنها بگویید: الله مولینا و لا_مولی لکم سرپرست و تکیه گاه ما خداست و شما سرپرست و تکیه گاهی ندارید.

ابو سفیان که خود را در مقابل این شعار زنده اسلامی ناتوان دید، دست از بت «عزّی» برداشت و به دامن بت «هبل» در آویخت و فریاد زد: اعل هبل! سر بلند باد هبل.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور داد که این شعار جاهلی را نیز با شعاری نیرومندتر و محکمتر بکوبند و بگویند: اللّه اعلی و اجلّ! خداوند برتر و بالاتر است. ابو سفیان که از این شعارهای گوناگون خود بهرهای نگرفت فریاد زد: میعادگاه ما سرزمین بدر صغری است.

مسلمانان از میدان جنگ بازگشتند در حالی که از حوادث دردناک احد سخت ناراحت بودند در این هنگام آیه نازل شد و به آنها هشدار داد که در تعقیب مشرکان کوتاهی نکنند و از این حوادث دردناک ناراحت نشوند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۴۷

این شأن نزول به ما می آموزد که مسلمانان باید هیچ یک از تاکتیکهای دشمن را از نظر دور ندارند در برابر منطق دشمنان، منطقهای نیرومندتر و در برابر سلاحهای آنها سلاحهای برتر و گر نه حوادث به نفع دشمن تغییر شکل خواهد داد.

و بنابراین، در عصری همچون عصر ما باید به جای تأسف خوردن در برابر حوادث دردناک و مفاسد وحشتناکی که مسلمانان را از هر سو احاطه کرده بطور فعالانه دست به کار شوند، در برابر کتابها و مطبوعات ناسالم، کتب و مطبوعات سالم فراهم کنند، و در مقابل وسایل تبلیغاتی روز استفاده کنند، و در مقابل طرحها و تزها و کنند، و در مقابل طرحها و تزها و دکترینهایی که مکتبهای مختلف سیاسی و اقتصادی و اجتماعی ارائه میدهند طرحهای جامع اسلامی را به شکل روز در اختیار همگان قرار دهند، تنها با استفاده از این روش است که می توانند موجودیت خود را حفظ کرده و به صورت یک گروه پیشرو در جهان در آیند.

تفسیر: ص: ۴۴۷

به دنبال آیات مربوط به جهاد و هجرت، این آیه برای زنده کردن روح فداکاری در مسلمانان چنین می گوید: «هر گز از تعقیب دشمن سست نشوید» (وَ لا تَهِنُوا فِی ابْتِغاءِ الْقَوْم).

اشاره به این که در مقابل دشمنان سرسخت، روح تهاجم را در خود حفظ کنید زیرا از نظر روانی اثر فوق العادهای در کوبیدن روحیه دشمن دارد.

سپس استدلال زنده و روشنی برای این حکم بیان می کند و می گوید: چرا شما سستی به خرج دهید «در حالی که اگر شما در جهاد گرفتار درد و رنج می شوید دشمنان شما نیز از این ناراحتیها سهمی دارند، با این تفاوت که شما امید به کمک و رحمت وسیع پروردگار عالم دارید و آنها فاقد چنین امیدی هستند» (إِنْ تَکُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلُمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ).

و در پایان برای تأکید بیشتر میفرماید: «فراموش نکنید که تمام این ناراحتیها و رنجها و تلاشها و کوششها و احیانا سستیها و مسامحه کاریهای شما از دیدگاه علم خدا مخفی نیست» (وَ کانَ اللَّهُ عَلِیماً حَکِیماً).

و بنابراین، نتیجه همه آنها را خواهید دید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۴۸

سوره نساء (4): آية 100] ص: 448

شأن نزول: ص: 448

در شأن نزول این آیه و آیه بعد نقل شده که: طایفه بنی ابیرق طایفهای نسبتا معروف بودند سه برادر از این طایفه به نام «بشر» و «بشیر» و «مبشر» نام داشتند، «بشیر» به خانه مسلمانی به نام «رفاعه» دستبرد زد و شمشیر و زره و مقداری از مواد غذایی را به سرقت برد، فرزند برادر او به نام «قتاده» که از مجاهدان بدر بود جریان را به خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله عرض کرد. برادران سارق وقتی باخبر شدند، یکی از سخنوران قبیله خود را دیدند که با جمعی به خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله بروند و با قیافه حق به جانب سارق را تبرئه کنند، و قتاده را به تهمت ناروا زدن متهم سازند.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله طبق وظیفه «عمل به ظاهر» شهادت این جمعیت را پـذیرفت و قتاده را مورد سـرزنش قرار داد، قتاده که بیگنـاه بود از این جریـان بسـیار نـاراحت شـد و به سوی عموی خود بـازگشت و جریان را با اظهار تأسف فراوان بیان کرد، عمویش او را دلداری داد و گفت: نگران مباش خداوند پشتیبان ما است.

این آیه و آیه بعد نازل شد و این مرد بیگناه را تبرئه کرد و خائنان واقعی را مورد سرزنش شدید قرار داد.

تفسير: ص: ۴۴۸

از خائنان حمایت نکنید- در این آیه خداوند نخست به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله توصیه می کند که هدف از فرستادن این کتاب آسمانی این است که اصول حق و عدالت در میان مردم اجرا شود، می فرماید: «ما این کتاب را به حق بر تو فرستادیم تا به آنچه خداوند به تو آموخته است در میان مردم قضاوت کنی» (إِنَّا أَنْزُلْنا إِلَيْ كَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ).

سپس به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله هشدار میدهد، می گوید: «هرگز از کسانی مباش که از خائنان حمایت نمایی» (وَ لا تَکَنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً).

گر چه روی سخن در این آیه به پیامبر صلّی الله علیه و آله است ولی شک نیست که این حکم یک حکم عمومی نسبت به تمام قضات و داوران میباشد، و به همین دلیل چنین خطابی مفهومش این نیست که ممکن است چنین کاری از پیامبر صلّی الله علیه و آله سر بزند!

سوره نساء (4): آية ۱۰۶] ص: ۴۴۸

(آیه ۱۰۶)- در این آیه به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهد که «و از پیشگاه خداوند برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص:

طلب آمرزش نما» (وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ).

«زيرا خداوند آمرزنده و مهربان است» (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۰۷] ص: 449

(آیه ۱۰۷)- به دنبال دستورهای گذشته در باره عـدم حمایت از خائنان، قرآن چنین ادامه میدهـد که: «هیـچ گاه از خائنان و آنها که به خود خیانت کردند، حمایت نکن» (وَ لا تُجادِلْ عَنِ الَّذِینَ یَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ) «چرا که خداوند، خیانت کنندگان گنهکار را دوست نمیدارد» (إِنَّ اللَّه لا یُحِبُّ مَنْ کانَ خَوَّاناً أَثِیماً)

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۰۸] ص: ۴۴۹

(آیه ۱۰۸)- سپس این گونه خائنان را مورد سرزنش قرار داده، می گوید:

«آنها شـرم دارند که باطن اعمالشان برای مردم روشن شود ولی از خدا، شـرم ندارند!» (یَـشـــَتُخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لا یَـشَـَخْفُونَ مِنَ اللَّه)

«خداوندی که همه جا با آنهاست، و در آن هنگام که در دل شب، نقشههای خیانت را طرح میکنند و سخنانی که خدا از آن راضی نبود می گفتند، با آنها بود و به همه اعمال آنها احاطه دارد» (وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضي مِنَ الْقَوْلِ وَ كانَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً)

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۰۹] ص: ۴۴۹

(آیه ۱۰۹) - سپس روی سخن را به طایفه شخص سارق که از او دفاع کردند نموده، می گوید: «گیرم که شما در زندگی این جهان از آنها دفاع کنید ولی کیست که در روز قیامت بتواند از آنها دفاع نماید و یا به عنوان و کیل کارهای آنها را سامان بخشد، و گرفتاریهای آنها را برطرف سازد»؟! (ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلتُمْ عَنْهُمْ فِی الْحَیاؤِ الدُّنْیا فَمَنْ یُجادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ أَمْ مَنْ یَکُونُ عَلَیْهِمْ وَکِیلًا)

. بنابراین دفاع شما از آنها بسیار کماثر است، زیرا در زندگی جاویدان آن هم در برابر خداوند، هیچ گونه مدافعی برای آنها نیست. در حقیقت در سه آیه فوق، نخست به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله و همه قاضیان به حق توصیه شده که کاملا مراقب باشند، افرادی با صحنهسازی و شاهدهای دروغین حقوق دیگران را پایمال نکنند.

سپس به افراد خیانتکار، و بعـد به مـدافعان آنها هشـدار داده شده که مراقب نتایج سوء اعمال خود در این جهان و جهان دیگر باشند.

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۱۰] ص: ۴۴۹

(آیه ۱۱۰)- قرآن در تعقیب بحثهای مربوط به خیانت و تهمت که در آیات قبل گذشت سه حکم کلی بیان می کند: برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۵۰

۱- نخست اشاره به این حقیقت می کند که راه توبه، به روی افراد بدکار به هر حال باز است و «کسی که به خود یا دیگری ستم کند و بعد حقیقتا پشیمان شود و از خداوند طلب آمرزش کند و در مقام جبران برآید، خدا را آمرزنده و مهربان خواهد یافت» (وَ مَنْ یَعْمَلْ سُوءاً أَوْ یَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ یَشْتَغْفِرِ اللَّهَ یَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِیماً)

.از جمله فوق استفاده می شود که توبه حقیقی آنچنان اثر دارد که انسان در درون جان خود نتیجه آن را می یابد.

سوره نساء (4): آية 111] ص: 40+

(آیه ۱۱۱)- دوم: این آیه توضیح همان حقیقی است که اجمال آن در آیات قبل بیان شد و آن این که: «هر گناهی که انسان مرتکب می شود نهایتا و در نتیجه به خود ضرر زده و به زیان خود گام برداشته است» (وَ مَنْ یَکْسِبُ إِثْماً فَإِنَّما یَکْسِبُ بُهُ عَلی نَفْسِهِ)

. و به این ترتیب گناهان اگر چه در ظاهر مختلفند، ولی آثار سوء آن قبل از همه در روح و جان خود شخص ظاهر می شود. و در پایان آیه می فرماید: «خداوند هم عالم است و از اعمال بندگان باخبر، و هم حکیم است» و هر کس را طبق استحقاق خود مجازات می کند (وَ کانَ اللَّهُ عَلِیماً حَکِیماً)

سوره نساء (4): آيهٔ ۱۱۲] ص: ۴۵۰

اشاره

(آیه ۱۱۲)- سوم: در این آیه اشاره به اهمیت گناه تهمت زدن نسبت به افراد بیگناه کرده، میفرماید: «هر کس خطا یا گناهی مرتکب شود و آن را به گردن بیگناهی بیفکند، بهتان و گناه آشکاری انجام داده است» (وَ مَنْ یَکْسِبْ خَطِیئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ یَوْمِ بِهِ بَرِیئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِیناً)

جنایت تهمت - ص: 450

تهمت زدن به بیگناه از زشت ترین کارهایی است که اسلام آن را به شدت محکوم ساخته است.

از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله نقل شده که فرمود: «کسی که به مرد یا زن با ایمان تهمت بزند و یا در باره او چیزی بگوید که در او نیست، خداوند در روز قیامت او را بر تلّی از آتش قرار میدهد تا از مسؤولیت آنچه گفته است در آید».

. در حقیقت رواج این کار ناجوانمردانه در یک محیط، سبب به هم ریختن نظام و عدالت اجتماعی و آلوده شدن حق به باطل و گرفتار شدن بیگناه و تبرئه گنهکار برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۵۱

و از میان رفتن اعتماد عمومی میشود.

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۱۳] ص: ۴۵۱

(آیه ۱۱۳)- این آیه اشاره به گوشه دیگری از حادثه بنی ابیرق است که در چند آیه قبل تحت عنوان شأن نزول به آن اشاره شد، آیه چنین می گوید: «اگر فضل و رحمت پروردگار شامل حال تو نبود جمعی از منافقان یا مانند آنها تصمیم داشتند تو را از مسیر حق و عدالت، منحرف سازند، ولی لطف الهی شامل حال تو شد و تو را حفظ کرد» (وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکُ وَ رَحْمَتُهُ

لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ)

. آنها میخواستند با متهم ساختن یک فرد بیگناه و سپس کشیدن پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به این ماجرا، هم ضربهای به شخصیت اجتماعی و معنوی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بزنند و هم اغراض سوء خود را در باره یک مسلمان بیگناه عملی سازند، ولی خداوندی که حافظ پیامبر خویش است، نقشه های آنها را نقش بر آب کرد! سپس قرآن می گوید: «اینها فقط خود را گمراه می کنند و هیچ گونه زیان به تو نمی رسانند» (وَ ما یُضِلُّونَ إلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما یَضُرُّونَکَ مِنْ شَیْءٍ)

.سر انجام علت مصونیت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را از گمراهی و خطا و گناه، چنین بیان میکند که «خدا، کتاب و حکمت بر تو نازل کرد و آنچه را نمیدانستی به تو آموخت» (وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْکُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةُ وَ عَلَّمَکُ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ) .و در پایان آیه میفرماید: «فضل خداوند بر تو بسیار بزرگ بوده است» (وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً)

.در جمله فوق یکی از دلایل اساسی مسأله عصمت بطور اجمال آمده است و آن این که خداونـد علوم و دانشـهایی به پیامبر آموخته که در پرتو آن در برابر گناه و خطا بیمه میشود، زیرا علم و دانش (در مرحله نهایی) موجب عصمت است.

سوره نساء (4): آيهٔ ۱۱۴] ص: ۴۵۱

(آیه ۱۱۴)– سخنان در گوشی! در آیات گذشته اشارهای به جلسات مخفیانه شبانه و شیطنت آمیز بعضی از منافقان یا مانند آنها شده بود، در این آیه بطور مشروحتر از آن تحت عنوان نجوی بحث می شود.

«نجوی» تنها به معنی سخنان در گوشی نیست، بلکه هر گونه جلسات سرّی و مخفیانه را نیز شامل می شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۵۲

آیه می گوید: «در غالب جلسات محرمانه و مخفیانه آنها که بر اساس نقشههای شیطنت آمیز بنا شده خیر و سودی نیست» (لا خَیْرَ فِی کَثِیر مِنْ نَجْواهُمْ).

سپس برای این که گمان نشود هر گونه نجوی و سخن در گوشی یا جلسات سرّی مذموم و ممنوع است، چند مورد را به صورت استثناء در ذیل آیه ذکر کرده می فرماید: «مگر این که کسی در نجوای خود، توصیه به صدقه و کمک به دیگران، یا انجام کار نیک، و یا اصلاح در میان مردم می نماید» (إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاح بَیْنَ النَّاسِ).

و این گونه نجویها اگر به خاطر تظاهر و ریاکاری نباشد بلکه منظور از آن کسب رضای پرُوردگار بوده باشد، خداوند پاداش بزرگی برای آن مقرر خواهد فرمود، آیه میگوید: «و هر کس برای خشنودی پروردگار چنین کند، پاداش بزرگی به او خواهیم داد» (وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً).

اصولا نجوی و سخنان در گوشی و تشکیل جلسات سرّی در قرآن به عنوان یک عمل شیطانی معرفی شده است. در آیه ۱۰ سوره مجادله میفرماید: إنَّمَا النَّجُوی مِنَ الشَّیْطانِ نجوی از شیطان است.

اساسا نجوی اگر در حضور جمعیت انجام پذیرد سوء ظن افراد را برمیانگیزد، و گاهی حتی در میان دوستان ایجاد بدبینی می کند، به همین دلیل بهتر است که جز در موارد ضرورت از این موضوع استفاده نشود و فلسفه حکم مزبور در قرآن نیز همین است.

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۱۵] ص: ۴۵۲

(آیه ۱۱۵)

شأن نزول: ص: 452

در شأن نزول آیات سابق گفتیم که بشیر بن ابیرق، پس از سرقت از مسلمانی، شخص بیگناهی را متهم ساخت و با صحنهسازی در حضور پیغمبر صلّی الله علیه و آله خود را تبرئه کرد ولی با نزول آیات گذشته رسوا شد، و به دنبال آن رسوایی به جای این که توبه کند، راه کفر را پیش گرفت و رسما از زمره مسلمانان خارج گردید، آیه نازل شد و ضمن اشاره به این موضوع، یک حکم کلی و عمومی را بیان ساخت.

تفسير: ص: 457

هنگامی که انسان مرتکب خلافی می شود، پس از آگاهی دو راه در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۵۳ پیش دارد، راه بازگشت و توبه که اثر آن در شستشوی گناه در چند آیه پیش بیان گردید راه دیگر، راه لجاجت و عناد است که به نتیجه شوم آن در این آیه اشاره شده می فرماید: «کسی که بعد از آشکار شدن حق از در مخالفت و عناد در برابر پیامبر صلّی الله علیه و آله در آید و راهی جز راه مؤمنان انتخاب نماید، ما او را به همان راه که می رود می کشانیم و در قیامت به دوزخ می فرستیم و چه جایگاه بدی در انتظار اوست» (وَ مَنْ یُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُ الْهُدی وَ یَتَبعْ غَیْرَ سَبِیلِ الْمُؤْمِنِینَ نُولِّهِ ما تَبَیَّنَ لَهُ الْهُدی وَ یَتَبعْ غَیْرَ سَبِیلِ الْمُؤْمِنِینَ نُولِّهِ ما تَبَیَّنَ لَهُ الْهُدی وَ یَتَبعْ عَیْرَ سَبِیلِ الْمُؤْمِنِینَ لَهُ الله علیه وَ یُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِیراً).

سوره نساء (4): آية 116] ص: 45٣

(آیه ۱۱۶) - شرک گناه نابخشودنی! در اینجا بار دیگر به دنبال بحثهای مربوط به منافقان و مرتدّان یعنی کسانی که بعد از قبول اسلام به سوی کفر باز می گردند، اشاره به اهمیت گناه شرک می کند که گناهی است غیر قابل عفو و بخشش و هیچ گناهی بالا_تر از آن متصور نیست، نخست می فرماید: «خداوند شرک به او را نمی آمرزد (ولی) کمتر از آن را برای هر کس بخواهد (و شایسته بیند) می آمرزد» (إِنَّ اللَّه لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ یَشاءً).

این مضمون در آیه ۴۸ همین سوره گذشت، منتها ذیل دو آیه با هم تفاوت مختصری دارد، در اینجا میفرماید: «هر کس برای خدا شریکی قائل شود در گمراهی دوری گرفتار شده» (وَ مَنْ یُشْرِکْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِیداً).

ولی در گذشـته فرمود: وَ مَنْ یُشْـرِکْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَری إِثْماً عَظِیماً: «کسـی که برای خدا شریک قائل شود دروغ و افترای بزرگی زده است».

در حقیقت در آنجا اشاره به مفسده بزرگ شرک از جنبه الهی و شناسایی خدا شده و در اینجا زیانهای غیر قابل جبران آن برای خود مردم بیان گردیده است.

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۱۷] ص: ۴۵۳

(آیه ۱۱۷) – نقشه های شیطان! این آیه توضیحی است برای حال مشرکان، که در آیه قبل به سرنوشت شوم آنها اشاره شد و در حقیقت علت گمراهی شدید آنها را بیان می کند و می گوید: آنها به قدری کوتاه فکرند که خالق و آفریدگار جهان پهناور هستی را رها کرده و در برابر موجوداتی سر تعظیم فرود می آورند که کمترین اثر مثبتی ندارند و «آنچه غیر از خدا می خوانند، فقط بتهایی است (بی روح)، که برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۵۴

هيچ اثرى ندارد و (يا) شيطان سركش و ويرانگر است» (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِناثًا وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطاناً مَرِيداً).

قابل توجه این که: معبودهای مشرکان در این آیه منحصر به دو چیز شناخته شده «اناث» و «شیطان مرید».

«اناث» جمع «انثى» به معنى موجود نرم و قابل انعطاف است.

یعنی آنها معبودهایی را میپرستیدند که مخلوق ضعیفی بیش نبودند و به آسانی در دست آدمی به هر شکل درمی آمدند، تمام وجودشان تأثر و «انعطاف پذیری» و تسلیم در برابر حوادث بود، و به عبارت روشنتر، موجودهایی که هیچ گونه اراده و اختیاری از خود نداشتند و سر چشمه سود و زیان نبودند.

اما «شیطان مرید» یعنی شیطانی که تمام صفات فضیلت از شاخسار وجودش فرو ریخته و چیزی از نقاط قوت در او باقی نمانده است.

سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۱۸] ص: ۴۵۴

(آیه ۱۱۸) - سپس در آیات بعد اشاره به صفات شیطان و اهداف او و عداوت خاصی که با فرزندان آدم دارد کرده و قسمتهای مختلفی از برنامههای او را شرح می دهد و قبل از هر چیز می فرماید: «خداوند او را از رحمت خویش دور ساخته» (لَعَنَهُ اللَّهُ). و در حقیقت ریشه تمام بدبختیها و ویرانگریهای او همین دوری از رحمت خداست که بر اثر کبر و نخوت دامنش را گرفت.

سپس می فرماید: شیطان سو گند یاد کرده که چند برنامه را اجرا کند:

١- ﴿وَ كَفْتَ: ازْ بِندَكَانَ تُو نَصِيبُ مَعْيَنَى خُواهِم كُرَفْتَ﴾ ﴿وَ قَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾.

او مىداند قدرت بر گمراه ساختن همه بندگان خدا را ندارد، و تنها افراد هوسباز و ضعيف الايمان و ضعيف الاراده هستند كه در برابر او تسليم مىشوند.

سوره نساء (4): آيهٔ ۱۱۹] ص: ۴۵۴

(آیه ۱۱۹)- دوم: «آنها را گمراه می کنم» (وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ).

۳- «با آرزوهای دور و دراز و رنگارنگ آنها را سرگرم میسازم» (وَ لَأُمِّتَيَّنَّهُمْ).

۴- آنها را به اعمال خرافی دعوت می کنم، از جمله «فرمان میدهم که گوشهای چهارپایان را بشکافند و یا قطع کننـد» (وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَیْبَتِّکُنَّ آذانَ الْأَنْعام). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۵۵

و این اشاره به یکی از اعمال زشت جاهلی است که در میان بت پرستان رایج بود که گوش بعضی از چهار پایان را میشکافتند

و یا به کلی قطع می کردند و سوار شدن بر آن را ممنوع میدانستند و هیچ گونه از آن استفاده نمی نمودند.

۵- «آنها را وادار میسازم که آفرینش پاک خـدایی را تغییر دهنـد» (وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَیُغَیِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ). و این ضـرر غیر قابل جبرانی است که شیطان بر پایه سعادت انسان میزند.

این جمله اشاره به آن است که خداوند در نهاد اولی انسان توحید و یکتاپرستی و هر گونه صفت و خوی پسندیدهای را قرار داده است ولی وسوسههای شیطانی و هوی و هوسها انسان را از این مسیر صحیح منحرف میسازد و به بیراههها می کشاند. و در پایان یک اصل کلی را بیان کرده، میفرماید: «هر کس شیطان را به جای خداوند به عنوان ولی و سرپرست خود انتخاب کند زیان آشکاری کرده» (وَ مَنْ یَتَّخِذِ الشَّیْطانَ وَلِیًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِیناً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۲۰] ص: ۴۵۵

(آیه ۱۲۰) - در این آیه چند نکته که به منزله دلیل برای مطلب سابق است بیان شده: «شیطان پیوسته به آنها وعدههای دروغین می دهد، و به آرزوهای دورو دراز سرگرم می کند ولی جز فریب و خدعه، کاری برای آنها انجام نمی دهد» (یَعِدُهُمْ وَ یُمَنِّیهِمْ وَ یُمَنِّیهِمْ وَ یُمَنِّیهِمْ وَ مَا یَعِدُهُمُ الشَّیْطانُ إِنَّا غُرُوراً).

سوره نساء (4): آية 121] ص: 655

(آیه ۱۲۱) - در این آیه، سرنوشت نهایی پیروان شیطان چنین بیان شده:

«آنها جايگاهشان دوزخ است و هيچ راه فراري از آن ندارند» (أُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ لا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۲۲] ص: ۴۵۵

(آیه ۱۲۲) - در آیات گذشته چنین خواندیم: کسانی که شیطان را ولیّ خود انتخاب کنند، در زیان آشکاری هستند، شیطان به آنها وعده دروغین می دهد و با آرزوها سرگرم می سازد، و وعده شیطان جز فریب و مکر نیست، در برابر آنها در این آیه سر انجام کار افراد با ایمان را بیان کرده، می فرماید: «و آنها که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند به زودی در باغهایی از بهشت وارد می شوند که نهرها از برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۵۶

زیر درختان آن می گذرد» (وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَ نُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ). این نعمت همانند نعمتهای این دنیا زود گذر و ناپایدار نیست، بلکه «مؤمنان برای همیشه در آن خواهند ماند» (خالِدِینَ فِیها أَیَداً). این وعده همانند وعده های دروغین شیطان نیست، بلکه «وعدهای است حقیقی و از ناحیه خدا» (وَعْدَ اللَّهِ حَقًا). بدیهی است «هیچ کس نمی تواند صادق تر از خدا وعده ها و سخنانش باشد» (وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِیلًا). زیرا تخلّف از وعده، یا به خاطر ناتوانی است، یا جهل و نیاز، که تمام اینها از ساحت مقدّس او دور است.

سوره نساء (۴): آیهٔ ۱۲۳] ص: ۴۵۶

شأن نزول: ص: 486

نقل شده که: مسلمانان و اهل کتاب هر کدام بر دیگری افتخار می کردند، اهل کتاب می گفتند: پیامبر ما قبل از پیامبر شما بوده است، کتاب ما از کتاب شما سابقه دارتر است، و مسلمانان می گفتند: پیامبر ما خاتم پیامبران است، و کتابش آخرین و کاملترین کتب آسمانی است، بنابراین ما بر شما امتیاز داریم، این آیه و آیه بعد نازل شد و بر این ادعاها قلم بطلان کشید، و ارزش هر کس را به اعمالش معرفی کرد.

تفسير: ص: ۴۵۶

امتیازات واقعی و دروغین - در این آیه و آیه بعد یکی از اساسی ترین پایه های اسلام بیان شده است، که ارزش وجودی اشخاص و پاداش و کیفر آنها هیچ گونه ربطی به ادعاها و آرزوهای آنها ندارد، بلکه تنها بستگی به عمل و ایمان دارد، این اصلی است ثابت و سنتی تغییر ناپذیر، و قانونی است که تمام ملتها در برابر آن یکسانند لذا نخست می فرماید: «فضیلت و برتری به آرزوهای شما و آرزوهای اهل کتاب نیست» (لَیْسَ بِأَمانِیِّکُمْ وَ لا أَمانِیِّ أَهْلِ الْکِتابِ).

سپس اضافه می کند: «هر کس عمل بـدی انجام دهـد کیفر خود را در برابر آن خواهـد گرفت و هیـچ کس را جز خـدا ولی و یاور خویش نمییابد» (مَنْ یَعْمَلْ سُوءاً یُجْزَ بِهِ وَ لا یَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِیًّا وَ لا نَصِیراً).

سوره نساء (4): آية 124] ص: 458

(آیه ۱۲۴)- «و هم چنین کسانی که عمل صالح به جا آورند و با ایمان باشند اعم از مرد و زن آنها وارد بهشت خواهند شد و کمترین ستمی به آنها نمی شود» (وَ مَنْ یَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثَی وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولِئِکَ یَدْخُلُونَ الْجَنَّهُ وَ لا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۵۷

يُظْلَمُونَ نَقِيراً)

.و به این ترتیب قرآن به تعبیر ساده معمولی به اصطلاح «آب پاک» به روی دست همه ریخته است و وابستگیهای ادعایی و خیالی و اجتماعی و نژادی و مانند آن را نسبت به یک مذهب به تنهایی بیفایده می شمرد، و اساس را ایمان به مبانی آن مکتب و عمل به برنامههای آن معرفی می کند.

سوره نساء (4): آية ١٢٥] ص: 40٧

(آیه ۱۲۵) - در آیه قبل، سخن از تأثیر ایمان و عمل بود و این که انتساب به هیچ مذهب و آیینی، به تنهایی اثری ندارد، در عین حال در این آیه برای این که سوء تفاهمی از بحث گذشته پیدا نشود، برتری آیین اسلام را بر تمام آیینها به این تعبیر بیان کرده است: «چه آیینی بهتر است از آیین کسی که با تمام وجود خود، در برابر خدا تسلیم شده، و دست از نیکوکاری

برنمى دارد و پيرو آيين پاک خالص ابراهيم است» (وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً). در اين آيه سه چيز مقياس بهترين آيين شمرده شده:

نخست تسلیم مطلق در برابر خدا «اسلم وجهه لله»، دیگری نیکو کاری «و هو محسن» منظور از نیکو کاری در اینجا هر گونه نیکی با قلب و زبان و عمل است.

و دیگری پیروی از آیین پاک ابراهیم است «وَ اتَّبَعَ مِلَّهُ إِبْراهِیمَ حَنِیفًا».

در پایان آیه دلیل تکیه کردن روی آیین ابراهیم را چنین بیان می کند که «خداوند ابراهیم را به عنوان خلیل و دوست خود انتخاب کرد» (وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِیمَ خَلِیلًا).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۲۶].... ص: ۴۵۷

(آیه ۱۲۶)- در این آیه اشاره به مالکیت مطلقه پروردگار و احاطه او به همه اشیاء میکند و میفرماید: «آنچه در آسمانها و زمین است ملک خداست، زیرا خداوند به همه چیز احاطه دارد» (وَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ کانَ اللَّهُ بِکُلِّ شَـیْءٍ مُحِیطاً).

اشاره به این که اگر خداوند ابراهیم را دوست خود انتخاب کرد نه به خاطر نیاز به او بود، زیرا خدا از همگان بینیاز است بلکه به خاطر سجایا و صفات برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۵۸

فوق العاده و برجسته ابراهيم بود.

سوره نساء (4): آية ١٢٧] ص: 45٨

(آیه ۱۲۷) - باز هم حقوق زنان! این آیه به پارهای از سؤالات و پرسشهایی که در باره زنان (مخصوصا دختران یتیم) از طرف مردم می شده است پاسخ می گوید، می فرماید: «ای پیامبر! از تو در باره احکام مربوط به حقوق زنان، سؤالاتی می کنند بگو: خداوند در این زمینه به شما فتوا و پاسخ می دهد» (وَ یَسْتَفْتُونَکَ فِی النِّساءِ قُل اللَّهُ یُفْتِیکُمْ فِیهِنَّ).

سپس اضافه می کند: «و آنچه در قرآن مجید در باره دختران یتیمی که حقوقشان را نمی دهید و میخواهید با آنها از دواج کنید، به قسمتی دیگر از سؤالات شما پاسخ می دهد» و زشتی این عمل ظالمانه را آشکار می سازد (وَ ما یُثلی عَلَیْکُمْ فِی الْکِتابِ فِی یَتامَی النِّساءِ اللَّاتِی لا تُؤْتُونَهُنَّ ما کُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْکِحُوهُنَّ).

سپس در بـاره پسـران صـغیر که طبق رسم جـاهلیت از ارث ممنوع بودنـد توصیه کرده و میفرمایـد: «خداونـد به شـما توصیه میکند که حقوق کودکان ضعیف را رعایت کنید» (وَ الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الْوِلْدانِ).

بار دیگر در باره حقوق یتیمان بطور کلی تأکید کرده و می گوید: «و خدا به شما توصیه می کند که در مورد یتیمان به عدالت رفتار کنید» (وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْیَتامی بِالْقِسْطِ).

و در پایـان به این مسأله توجه میدهـد که «هر گونه عمل نیکی (مخصوصا در باره یتیمان و افراد ضـعیف) از شـما سـر زنـد از دیدگاه علم خداوند مخفی نمیماند» و پاداش مناسب آن را خواهید یافت (وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ کانَ بِهِ عَلیماً).

سوره نساء (4): آية 128] ص: 488

(آیه ۱۲۸)

شأن نزول: ص: 458

نقل شده که: رافع بن خدیج دو همسر داشت یکی مسن و دیگری جوان (بر اثر اختلافی) همسر مسن خود را طلاق داد، و هنوز مدت عدّه، تمام نشده بود به او گفت: اگر مایل باشی با تو آشتی می کنم، ولی باید اگر همسر دیگرم را بر تو مقدم داشتم صبر کنی و اگر مایل باشی صبر می کنم مدت عدّه تمام شود و از هم جدا شویم، زن پیشنهاد اول را قبول کرد و با هم آشتی کردند.

آیه شریفه نازل شد و حکم این کار را بیان داشت.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۵۹

تفسير: ص: 459

صلح بهتر است! در آیه ۳۴ و ۳۵ همین سوره احکام مربوط به نشوز زن بیان شده بود، ولی در اینجا اشارهای به مسأله نشوز مرد کرده و میفرماید:

«هر گاه زنی احساس کنـد که شوهرش بنای سرکشـی و اعراض دارد، مانعی نـدارد که برای حفظ حریم زوجیت، از پارهای از حقوق خود صرف نظر کنـد، و بـا هم صـلح نماینـد» (وَ إِنِ امْرَأَةٌ خـافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْـ لِحـا تَنَهُما صُلْحاً).

سپس برای تأکید موضوع می فرماید: «به هر حال صلح کردن بهتر است» (وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ).

این جمله کوتاه و پرمعنی گر چه در مورد اختلافات خانوادگی در آیه فوق ذکر شده ولی بدیهی است یک قانون کلی و عمومی و همگانی را بیان می کند که در همه جا اصل نخستین، صلح و صفا و دوستی و سازش است، و نزاع و کشمکش و جدایی بر خلاف طبع سلیم انسان و زندگی آرام بخش او است، و لذا جز در موارد ضرورت و استثنایی نباید به آن متوسل شد! و به دنبال آن اشاره به سر چشمه بسیاری از نزاعها و عدم گذشتها کرده می فرماید: «مردم ذاتا و طبق غریزه حبّ ذات، در امواج بخل قرار دارند» (وَ أُحْضِ رَبِ الْأَنْفُسُ الشُّحِّ). و هر کسی سعی می کند تمام حقوق خود را بی کم و کاست دریافت دارد، و همین سر چشمه نزاعها و کشمکشهاست.

بنابراین اگر زن و مرد به این حقیقت توجه کنند که سر چشمه بسیاری از اختلافات بخل است، سپس در اصلاح خود بکوشند و گذشت پیشه کنند، نه تنها ریشه اختلافات خانوادگی از بین میرود، بلکه بسیاری از کشمکشهای اجتماعی نیز پایان می گیرد.

ولی در عین حال برای این که مردان از حکم فوق سوء استفاده نکننـد، در پایـان آیه روی سـخن را به آنها کرده و توصیه به نیکوکاری و پرهیزکاری نموده و به آنان گوشـزد میکند که «اگر مراقب اعمال و کارهای خود باشید و از مسیر حق و عدالت منحرف نشوید، خداوند از همه اعمال شما آگاه است» و پاداش شایسته برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۶۰ به شما خواهد داد (وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً).

سوره نساء (4): آية 129] ص: 460

(آیه ۱۲۹) - عدالت شرط تعدد همسر! از جملهای که در پایان آیه قبل گذشت و در آن دستور به احسان و تقوی و پرهیزکاری داده شده بود، یک نوع تهدید در مورد شوهران استفاده می شود، که آنها باید مراقب باشند کمترین انحرافی از مسیر عدالت در مورد همسران خود پیدا نکنند، اینجاست که این توهم پیش می آید که مراعات عدالت حتی در مورد محبت و علاقه قلبی امکان پذیر نیست، بنابراین در برابر همسران متعدد چه باید کرد؟

این آیه به این سؤال پاسخ می گوید که «عدالت از نظر محبت، در میان همسران امکان پذیر نیست، هر چند در این زمینه کوشش شود» (وَ لَنْ تَسْتَطِیعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَیْنَ النِّساءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ).

در عین حال برای این که مردان از این حکم، سوء استفاده نکننـد به دنبال این جمله میفرماید: «اکنون که نمی توانید مساوات کامل را از نظر محبت، میان همسران خود، رعایت کنید لااقل تمام تمایل قلبی خود را متوجه یکی از آنان نسازید، که دیگری به صورت بلاتکلیف در آید و حقوق او نیز عملا ضایع شود» (فَلا تَمِیلُوا کُلَّ الْمَیْلِ فَتَذَرُوها کَالْمُعَلَّقَةِ).

و در پایان آیه به کسانی که پیش از نزول این حکم، در رعایت عدالت میان همسران خود کوتاهی کردهاند هشدار میدهد که «اگر راه اصلاح و تقوا پیش گیرید و گذشته را جبران کنید خداوند شما را مشمول رحمت و بخشش خود قرار خواهد داد» (وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ کَانَ غَفُوراً رَحِیماً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۳۰] ص: ۴۶۰

(آیه ۱۳۰) - سپس در این آیه اشاره به این حقیقت می کند: اگر ادامه همسری برای طرفین طاقت فرساست، و جهاتی پیش آمده که افق زندگی برای آنها تیره و تار است و به هیچ وجه اصلاح پذیر نیست، آنها مجبور نیستند چنان ازدواجی را ادامه دهند، و تا پایان عمر با تلخ کامی در چنین زندگی خانوادگی زندانی باشند بلکه می توانند از هم جدا شوند و در این موقع باید شجاعانه تصمیم بگیرند و از آینده وحشت نکنند، زیرا «اگر با چنین شرایطی از هم جدا شوند خداوند بزرگ هر دو را با برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۶۱

فضل و رحمت خود بی نیاز خواهـد کرد و امید است همسران بهتر و زندگانی روشـنتری در انتظار آنها باشد» (وَ إِنْ يَتَفَرَّقا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ). «زيرا خداوند فضل و رحمت وسيع آميخته با حکمت دارد» (وَ کانَ اللَّهُ واسِعاً حَکِيماً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۳۱] ص: ۴۶۱

(آیه ۱۳۱) - در آیه قبل به این حقیقت اشاره شد که اگر ضرورتی ایجاب کند که دو همسر از هم جدا شوند، و چارهای از آن نباشد، اقدام بر این کار بیمانع است و از آینده نترسند، زیرا خداوند آنها را از فضل و کرم خود بینیاز خواهد کرد، در این آیه اضافه می کند: ما قدرت بینیاز نمودن آنها را داریم زیرا «آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است ملک خداست» (وَ لِلَّهِ ما فِی الْأَرْض).

کسی که چنین ملک بی انتها و قدرت بی پایان دارد از بی نیاز ساختن بندگان خود عاجز نخواهد بود، سپس برای تأکید در باره پر هیزکاری در این مورد و هر مورد دیگر، می فرماید: «به یهود و نصارا و کسانی که قبل از شما دارای کتاب آسمانی بودند و همچنین به شما، سفارش کرده ایم که پر هیزکاری را پیشه کنید» (وَ لَقَدْ وَصَّیْنَا الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ إِیَّاکُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَا).

بعد روی سخن را به مسلمانان کرده، می گوید: اجرای دستور تقوا به سود خود شماست، و خدا نیازی به آن ندارد «و اگر سرپیچی کنید و راه طغیان و نافرمانی پیش گیرید، زیانی به خدا نمی رسد، آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است از آن اوست، و او بی نیاز و در خور ستایش است» (وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ کانَ اللَّهُ غَنِیًّا حَمِیداً).

سوره نساء (4): آية 132] ص: 481

(آیه ۱۳۲) - در این آیه برای سومین بار، روی این جمله تکیه می کند که:

«آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است ملک خداست و خدا آنها را محافظت و نگهبانی و اداره می کند» (وَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ کَفی بِاللَّهِ وَکِیلًا).

سوره نساء (4): آية ١٣٣] ص: 481

(آیه ۱۳۳) – سپس میفرماید: «برای خدا هیچ مانعی ندارد که شما را از بین ببرد، و جمعیتی آماده تر و مصمّم تر جانشین شما کند، که در راه اطاعت او کوشاتر باشند و خداوند توانایی بر این کار را دارد» (إِنْ یَشَأْ یُرِذْهِبْکُمْ أَیُّهَا النَّاسُ وَ یَأْتِ بِآخَرِینَ وَ کانَ اللَّهُ عَلی ذلِکَ قَدِیراً).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۶۲

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۳۴] ص: ۴۶۲

(آیه ۱۳۴) - در این آیه، سخن از کسانی به میان آمده که دم از ایمان به خدا میزنند، و در میدانهای جهاد شرکت میکنند و دستورات اسلام را به کار میبندند، بدون این که هدف الهی داشته باشند، بلکه منظورشان به دست آوردن نتایج مادی همانند غنایم جنگی و مانند آن است، میفرماید: «کسانی که تنها پاداش دنیا میطلبند (در اشتباهند) زیرا در نزد پروردگار پاداش دنیا و آخرت، هر دو میباشد» (مَنْ کانَ یُرِیدُ ثَوابَ الدُّنْیا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ) پس چرا به دنبال هر دو نمیروند؟ «و خداوند از نیات همگان آگاه است و هر صدایی را میشنود، و هر صحنهای را میبیند و از اعمال منافق صفتان اطلاع دارد» (و کانَ اللَّهُ سَمِیعاً بَصِیراً).

سوره نساء (4): آية 138] ص: 487

(آیه ۱۳۵) - عدالت اجتماعی! به تناسب دستورهایی که در آیات گذشته در باره اجرای عدالت در مورد یتیمان، و همسران داده شده، در این آیه یک اصل اساسی و یک قانون کلی در باره اجرای عدالت در همه موارد بدون استثناء ذکر می کند و

مى فرمايىد: «اى كسانى كه ايمان آوردهايىد كاملا قيام به عدالت كنيىد» (يا أُيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ). يعنى، بايد آنچنان عدالت را اجرا كنيد كه كمترين انحرافى به هيچ طرف پيدا نكنيد.

سپس برای تأکید مطلب مسأله «شهادت» را عنوان کرده، میفرماید: به خصوص در مورد شهادت باید همه ملاحظات را کنار بگذارید «و فقط به خاطر خدا شهادت به حق دهید، اگر چه به زیان شخص شما یا پدر و مادر و یا نزدیکان تمام شود» (شُهَداءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَیْنِ وَ الْأَقْرَبِینَ).

از این جمله استفاده می شود که بستگان می توانند با حفظ اصول عدالت به سود یا به زیان یکدیگر شهادت دهند.

سپس به قسمت دیگری از عوامل انحراف از اصل عدالت اشاره کرده می فرماید: «نه ملاحظه ثروت ثروتمندان باید مانع شهادت به حق گردد و نه عواطف ناشی از ملاحظه فقر فقیران، زیرا «اگر آن کس که شهادت به حق به زیان او تمام می شود، ثروتمند یا فقیر باشد، خداوند نسبت به حال آنها آگاهتر است» نه صاحبان زر و زور می توانند در برابر حمایت پروردگار، زیانی به شاهدان بر حق برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۶۳

برسانند، و نه فقير با اجراي عدالت گرسنه ميماند» (إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما).

باز برای تأکید دستور میدهد که «از هوی و هوس پیروی نکنید تا مانعی در راه اجرای عدالت ایجاد گردد» (فَلا تَتَبِعُوا الْهَوی أَنْ تَعْدِلُوا).

از این جمله به خوبی استفاده می شود که سر چشمه مظالم و ستمها، هوی پرستی است و اگر اجتماعی هوی پرست نباشد، ظلم و ستم در آن راه نخواهد داشت! بار دیگر به خاطر اهمیتی که موضوع اجرای عدالت دارد، روی این دستور تکیه کرده می فرماید: «اگر مانع رسیدن حق به حقدار شوید و یا حق را تحریف نمایید و یا پس از آشکار شدن حق از آن اعراض کنید، خداوند از اعمال شما آگاه است» (وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ کانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیراً).

آیه فوق توجه فوق العاده اسلام را به مسأله عدالت اجتماعی در هر شکل و هر صورت کاملا روشن می سازد و انواع تأکیداتی که در این چند جمله به کار رفته است نشان می دهد که اسلام تا چه اندازه در این مسأله مهم انسانی و اجتماعی، حساسیت دارد، اگر چه با نهایت تأسف میان عمل مسلمانان، و این دستور عالی اسلامی، فاصله از زمین تا آسمان است!، و همین یکی از اسرار عقب ماندگی آنهاست.

سوره نساء (4): آية 136] ص: 463

اشاره

(آیه ۱۳۶)

شأن نزول: ص: 463

از «ابن عباس» نقل شده که این آیه در باره جمعی از بزرگان اهل کتاب نازل گردید مانند عبد الله بن سلام و اسد بن کعب و برادرش اسید بن کعب و جمعی دیگر، زیرا آنها در آغاز خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسیدند و گفتند: ما به تو و کتاب آسمانی تو و موسی و تورات و عزیر ایمان می آوریم ولی به سایر کتابهای آسمانی و همچنین سایر انبیاء ایمان نداریم. آیه نازل شد و به آنها تعلیم داد که باید به همه ایمان داشته باشید.

تفسير: ص: 463

با توجه به شأن نزول، روی سخن در آیه به جمعی از مؤمنان اهل کتاب است که آنها پس از قبول اسلام روی تعصبهای خاصی تنها اظهار ایمان به برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۶۴

مذهب سابق خود و آیین اسلام می کردند، اما قرآن به آنها توصیه می کند که تمام پیامبران و کتب آسمانی را به رسمیت بشناسند، زیرا همه از طرف یک مبدء مبعوث شدهاند. بنابراین، معنی ندارد که بعضی از آنها را بپذیرند و بعضی را نپذیرند، مگر یک حقیقت واحد تبعیضبردار است؟ و مگر تعصبها می تواند جلو واقعیات را بگیرد؟ لذا آیه می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید به خدا و پیامبرش (پیامبر اسلام) و کتابی که بر او نازل شده، و کتب آسمانی پیشین، همگی ایمان بیاورید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْکِتابِ الَّذِی نَزَّلَ عَلی رَسُولِهِ وَ الْکِتابِ الَّذِی أَنْزُلَ مِنْ قَبْلُ).

و در پایان آیه سرنوشت کسانی را که از این واقعیتها غافل بشوند بیان کرده، چنین میفرماید: «کسی که به خدا و فرشتگان، و کتب الهی، و فرستادگان او، و روز بازپسین، کافر شود، در گمراهی دور و درازی افتاده است» (وَ مَنْ یَکْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِیداً).

در حقیقت ایمان به پنج اصل در این آیه لازم شمرده شده، یعنی علاوه بر ایمان به مبدء و معاد، ایمان به کتب آسمانی و انبیاء و فرشتگان نیز لازم است.

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۳۷] ص: 4۶۴

(آیه ۱۳۷) – سرنوشت منافقان لجوج! به تناسب بحثی که در آیه قبل در باره کافران و گمراهی دور و دراز آنها بود در اینجا قرآن اشاره به حالت جمعی از آنان کرده که هر روز شکل تازهای به خود می گیرند، روزی در صف مؤمنان، و روز دیگر در صف کفار، و باز در صف مؤمنان و سپس در صفوف کافران متعصب و خطرناک قرار می گیرند خلاصه همچون «بت عیّار» هر لمحه به شکلی و هر روز به رنگی در می آیند و سر انجام در حال کفر و بی ایمانی جان می دهند! این آیه در باره سرنوشت چنین کسانی می گوید: «آنها که ایمان آوردند سپس کافر شدند باز ایمان آوردند و بار دیگر راه کفر پیش گرفتند و سپس بر کفر خود افزودند، هر گز خداوند آنها را نمی آمرزد و به راه راست هدایت نمی کند» (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ اَمْنُوا ثُمَّ اَرْدادُوا کُفْراً لَمْ یَکُن اللَّهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِیَهْدِیَهُمْ سَبِیلًا).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۶۵

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۳۸] ص: ۴۶۵

(آیه ۱۳۸)- در این آیه می گوید: «به این دسته از منافقان بشارت بده که عذاب دردناکی برای آنها است» (بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً).

سوره نساء (4): آية ١٣٩] ص: 463

(آیه ۱۳۹) و در این آیه این دسته از منافقان چنین توصیف شده اند: «آنها کافران را به جای مؤمنان دوست خود انتخاب می کنند» (الَّذِینَ یَتَّخِ ذُونَ الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ). سپس می گوید: هدف آنها از این انتخاب چیست؟ «آیا راستی می خواهند آبرو و حیثیتی از طریق این دوستی برای خود کسب کنند»؟! (أَ یَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّهُ). «در حالی که تمام عزتها مخصوص خداست» (فَإِنَّ الْعِزَّهُ لِلَهِ جَمِیعاً) زیرا عزت همواره از «علم» و «قدرت» سر چشمه می گیرد و اینها که قدرت و علمشان ناچیز است، کاری از دستشان ساخته نیست که بتوانند منشأ عزتی باشند.

این آیه به همه مسلمانان هشدار میدهد که عزت خود را در همه شؤون زندگی اعم از شؤون اقتصادی و فرهنگی و سیاسی و مانند آن، در دوستی با دشمنان اسلام نجویند، زیرا هر روز که منافع آنها اقتضا کند فورا صمیمی ترین متحدان خود را رها کرده و به سراغ کار خویش میروند که گویی هرگز با هم آشنایی نداشتند، چنانکه تاریخ معاصر شاهد بسیار گویای این واقعیت است!

سوره نساء (4): آية 140] ص: 463

اشاره

(آیه ۱۴۰)

شأن نزول: ص: 460

از ابن عباس نقل شده که: جمعی از منافقان در جلسات دانشـمندان یهود مینشسـتند، جلساتی که در آن نسـبت به آیات قرآن استهزاء میشد، آیه نازل گشت و عاقبت شوم این عمل را روشن ساخت.

تفسير: ص: 460

در مجلس گناه ننشینید- در سوره انعام آیه ۶۸ صریحا به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور داده است که: «اگر مشاهده کنی کسانی نسبت به آیات قرآن استهزاء می کنند و سخنان ناروا می گویند، از آنها اعراض کن».

این آیه بار دیگر این حکم اسلامی را تأکید میکند و به مسلمانان هشدار میدهد که: «در قرآن به شما قبلا دستور داده شده که هنگامی بشنوید افرادی نسبت به آیات قرآن کفر میورزند و استهزاء میکنند با آنها ننشینید تا از این کار صرف نظر کرده، به مسائل دیگری بپردازند» (وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَیْکُمْ فِی الْکِتابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آیاتِ اللَّهِ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۶۶ یُکْفَرُ بِها وَ یُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ)

.سپس نتیجه این کار را چنین بیان می کند که: «اگر شما در این گونه مجالس شرکت کردید همانند آنها خواهید بود» و

سرنوشتتان، سرنوشت آنهاست (إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ).

باز برای تأکید این مطلب اضافه میکند شرکت در این گونه جلسات نشانه روح نفاق است «و خداوند همه منافقان و کافران را در دوزخ جمع میکند» (إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْکافِرِينَ فِی جَهَنَّمَ جَمِيعاً).

سوره نساء (4): آية 141] ص: 488

(آیه ۱۴۱) - صفات منافقان! این آیه و آیات بعد قسمتی دیگر از صفات منافقان و اندیشههای پریشان آنها را بازگو می کند، می گوید: «منافقان کسانی هستند که همیشه میخواهند از هر پیشامدی به نفع خود بهرهبرداری کنند، اگر پیروزی نصیب شما شود فورا خود را در صف مؤمنان جا زده، می گویند آیا ما با شما نبودیم و آیا کمکهای ارزنده ما مؤثر در غلبه و پیروزی شما نبود؟ بنابراین، ما هم در تمام این موفقیتها و نتایج معنوی و مادی آن شریک و سهیمیم» (الَّذِینَ یَتَرَبَّصُونَ بِکُمْ فَإِنْ کَانَ لَکُمْ فَأَنْ مَنَّ کُمْ مَنَ لُمُنْ مَعَکُمْ).

اما اگر بهرهای از این پیروزی نصیب دشمنان اسلام شود، فورا خود را به آنها نزدیک کرده، مراتب رضامندی خویش را به آنها اعلام میدارند و می گویند: «این ما بودیم که شما را تشویق به مبارزه با مسلمانان و عدم تسلیم در برابر آنها کردیم بنابراین، ما هم در این پیروزیها سهمی داریم»! (وَ إِنْ کَانَ لِلْکَافِرِینَ نَصِیبٌ قالُوا أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَیْکُمْ وَ نَمْنَعْکُمْ مِنَ الْمُوْمِنِینَ). به این ترتیب این دسته با فرصت طلبی مخصوص خود، گاهی «رفیق قافله» اند و گاهی «شریک دزد» و عمری را با این دو دوزه بازی کردن می گذرانند! ولی قرآن سر انجام آنها را با یک جمله کوتاه بیان می کند و می گوید: بالاخره روزی فرا می رسد که پرده ها بالا می رود و نقاب از چهره زشت آنان برداشته می شود. آری! «در روز قیامت خداوند در میان شما قضاوت می کند» (فَاللَّهُ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۶۷

و برای این که مؤمنان واقعی مرعوب آنان نشوند در پایان آیه اضافه می کند:

«هیچ گاه خداونـد راهی برای پیروزی و تسلط کافران بر مسلمانان قرار نـداده است» (وَ لَنْ یَجْعَلَ اللَّهُ لِلْکافِرِینَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ سَبِیلًا).

یعنی کافران نه تنها از نظر منطق بلکه از نظر نظامی و سیاسی و فرهنگی و اقتصادی و خلاصه از هیچ نظر بر افراد با ایمان، چیره نخواهند شد.

و اگر پیروزی آنها را بر مسلمانان در میدانهای مختلف با چشم خود می بینیم به خاطر آن است که بسیاری از مسلمانان مؤمنان واقعی نیستند، نه خبری از اتحاد و اخوت اسلامی در میان آنان است و نه علم و آگاهی لازم که اسلام آن را از لحظه تولد تا لحظه مرگ بر همه لازم شمرده است دارند، و چون چنانند طبعا چنینند!

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۴۲] ص: 467

(آیه ۱۴۲) - در این آیه و آیه بعد پنج صفت دیگر از صفات منافقان در عبارات کوتاهی آمده است:

۱- آنها برای رسیدن به اهداف شوم خود از راه خدعه و نیرنگ وارد می شوند و حتی می خواهند: به خدا خدعه و نیرنگ زنند در حالی که در همان لحظات که در صدد چنین کاری هستند در یک نوع خدعه واقع شده اند، زیرا برای به دست آوردن سرمایه های ناچیزی سرمایه های بزرگ و جود خود را از دست می دهند بطوری که آیه می گوید: «منافقان می خواهند خدا را فريب دهند در حالى كه او آنها را فريب مىدهد» (إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ)

.٢- آنها از خدا دورند و از راز و نیاز با او لذت نمی برند و به همین دلیل:

«هنگامی که به نماز برخیزند سر تا پای آنها غرق کسالت و بیحالی است» (وَ إِذا قامُوا إِلَی الصَّلاةِ قامُوا کُسالی)

.۳- آنها چون به خدا و وعدههای بزرگ او ایمان ندارند، «اگر عبادت یا عمل نیکی انجام دهند آن نیز از روی ریاست نه به خاطر خدا»! (یُراؤُنَ النَّاسَ)

.۴- «آنها گاهی ذکری هم بگوینـد و یادی از خدا کنند از صمیم دل و از روی آگاهی و بیداری نیست و اگر هم باشد بسیار کم است» (وَ لا یَذْکُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِیلًا)

سوره نساء (4): آية 143] ص: 487

(آیه ۱۴۳)- پنجم: «آنها افراد سر گردان و بی هدف و فاقد برنامه و مسیر بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۶۸ مشخصاند، نه جزء مؤمنانند و نه در صف کافران»! (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِکَ لا إِلى هؤُلاءِ وَ لا إِلى هؤُلاءِ).

و در پایان آیه سرنوشت آنها را چنین بیان میکند آنها افرادی هستند که بر اثر اعمالشان خدا حمایتش را از آنان برداشته و در بیراههها گمراهشان ساخته «و هر کس را خـدا گمراه کنـد هیـچ گاه راه نجاتی برای آنان نخواهی یافت» (وَ مَنْ یُضْـلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِیلًا).

سوره نساء (4): آيهٔ ۱۴۴] ص: ۴۶۸

(آیه ۱۴۴) - در آیات گذشته اشاره به گوشهای از صفات منافقان و کافران شد و در این آیه نخست می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! کافران (و منافقان) را به جای مؤمنان تکیه گاه و ولتی خود انتخاب نکنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِ ذُوا الْکافِرینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ).

چرا که این عمل یک جرم و قانون شکنی آشکار و شرک به خداوند است و با توجه به قانون عدالت پروردگار موجب استحقاق مجازات شدیدی است لذا به دنبال آن می فرماید: «آیا می خواهید دلیل روشنی بر ضد خود در پیشگاه پروردگار درست کنید» (أَ تُرِیدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَیْکُمْ سُلْطاناً مُبِیناً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۴۵] ص: ۴۶۸

(آیه ۱۴۵) - در این آیه برای روشن ساختن حال منافقانی که این دسته از مسلمانان غافل، طوق دوستی آنان را بر گردن می نهند، می فرماید: «منافقان در پایین ترین و نازلترین مراحل دوزخ قرار دارند و هیچ گونه یاوری برای آنها نخواهی یافت» (إِنَّ الْمُنافِقِینَ فِی الدَّرْکِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِیراً).

از این آیه به خوبی استفاده می شود که از نظر اسلام نفاق بـدترین انواع کفر، و منافقـان دورترین مردم از خـدا هسـتند، و به همین دلیل جایگاه آنها بدترین و پستترین نقطه دوزخ است.

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۴۶] ص: ۴۶۸

(آیه ۱۴۶) – اما برای این که روشن شود حتی این افراد فوق العاده آلوده، راه بازگشت به سوی خدا و اصلاح موقعیت خویشتن دارنید، اضافه می کنید: «مگر آنها که توبه کرده و اعمال خود را اصلاح نماینید (و گذشته را جبران کننید) و به دامن لطف پروردگار چنگ بزنند و دین و ایمان خود را برای خدا خالص گردانند» (إِلَّا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۶۹ الَّذِینَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَ أَخْلَصُوا دِینَهُمْ لِلَّهِ)

. «چنین کسانی (سر انجام اهل نجات خواهند شد) و با مؤمنان قرین می گردند» (فَأُولئِکَ مَعَ الْمُؤْمِنِینَ). «و خداوند پاداش عظیمی به همه افراد با ایمان خواهد داد» (وَ سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِینَ أَجْراً عَظِیماً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۴۷] ص: ۴۶۹

(آیه ۱۴۷) – مجازاتهای خدا انتقامی نیست! در این آیه به یک «واقعیت مهم» اشاره می شود و آن این که مجازاتهای دردناک الهی نه به خاطر آن است که خداوند بخواهد از بندگان عاصی «انتقام» بگیرد و یا «قدرت نمایی» کند، و یا زیانی که از رهگذر عصیان آنها بدو رسیده است «جبران» نماید، زیرا همه اینها لازمه نقایص و کمبودهاست که ذات پاک خدا از آنها مبرّاست، بلکه این مجازاتها همگی بازتابها و نتایج سوء اعمال و عقاید خود انسانهاست.

و لذا آیه می فرماید: «خدا چه نیازی به مجازات شما دارد اگر شما شکر گزاری کنید و ایمان بیاورید»؟ و (ما یَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِکُمْ إِنْ شَکَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ).

یعنی، اگر شما ایمان و عمل صالحی داشته باشید و از مواهب الهی سوء استفاده نکنید، بدون شک کمترین مجازاتی دامن شما را نخواهد گرفت.

و برای تأکید این موضوع اضافه میکند: «خداوند هم از اعمال و نیات شما آگاه است و هم در برابر اعمال نیک شما شاکر و پاداشدهنده است» (وَ کانَ اللَّهُ شاکِراً عَلِیماً).

در آیه فوق موضوع «شکرگزاری» بر «ایمان» مقدم شده است و این به خاطر آن است که تا انسان نعمتها و مواهب خدا را نشناسد و به مقام شکرگزاری نرسد، نمی تواند خود او را بشناسد- دقت کنید.

آغاز جزء ششم قرآن مجید ص: 469

ادامه سوره نساء ص: 469

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۴۸] ص: ۴۶۹

(آیه ۱۴۸)- در این آیه و آیه بعد اشاره به بخشی از دستورات اخلاقی اسلام شده، نخست میفرماید: «خدا دوست نمی دارد که بدگویی شود و یا عیوب و اعمال زشت اشخاص با سخن برملا شود» (لا یُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۷۰

زیرا همان گونه که خداونـد «سـتّار العیوب» است، دوست نـدارد که افراد بشـر پردهدری کننـد و عیوب مردم را فاش سازنـد و آبروی آنها را ببرند.

سپس به بعضی از امور که مجوز این گونه بـدگوییها و پردهدریها میشود اشاره کرده، میفرماید: «مگر کسی که مظلوم واقع

شده» (إلَّا مَنْ ظُلِمَ).

چنین افراد برای دفاع از خویشتن در برابر ظلم ظالم حق دارند اقدام به شکایت کنند و یا از مظالم و ستمگریها آشکارا مذمت و انتقاد و غیبت نمایند و تا حق خود را نگیرند و دفع ستم ننمایند از پای ننشینند.

و در پایان آیه- همان طور که روش قرآن است- برای این که افرادی از این استثناء نیز سوء استفاده نکنند و به بهانه این که مظلوم واقع شدهاند عیوب مردم را بدون جهت آشکار نسازند می فرماید: «خداوند سخنان را می شنود و از نیات آگاه است» (وَ کانَ اللَّهُ سَمِیعاً عَلِیماً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۴۹] ص: ۴۷۰

(آیه ۱۴۹) - در این آیه، به نقطه مقابل این حکم اشاره کرده، میفرماید: «اگر نیکیهای افراد را اظهار کنید و یا مخفی نمایید مانعی ندارد (به خلاف بدیهایی که مطلقا جز در مواردی استثنایی باید کتمان شود) و نیز اگر در برابر بدیهایی که افراد به شما کردهاند راه عفو و بخشش را پیش گیرید بهتر است زیرا این کار در حقیقت یک نوع کار الهی است که با داشتن قدرت بر هر گونه انتقام، بندگان شایسته خود را مورد عفو قرار می دهد» (إِنْ تُبُردُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَغْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ کانَ عَفُواً قَدِیراً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۵۰] ص: ۴۷۰

(آیه ۱۵۰)- میان پیامبران تبعیض نیست! در این آیه و آیه بعد توصیفی از حال جمعی از کافران و مؤمنان و سرنوشت آنها آمده است و آیات گذشته را که در باره منافقان بود تکمیل می کند.

نخست به کسانی که میان پیامبران الهی فرق گذاشته، بعضی را بر حق و بعضی را بر باطل می دانند اشاره کرده، می فرماید: «آنها که به خدا و پیامبرانش کافر می شوند و می خواهند میان خدا و پیامبران تفرقه بیندازند و اظهار می دارند که ما نسبت به بعضی از آنها ایمان داریم اگر چه بعضی دیگر را به رسمیت نمی شناسیم، و به گمان خود می خواهند در این میان راهی پیدا کنند ...» (إِنَّ الَّذِينَ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۷۱

يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا).

در حقیقت این جمله حال یهودیان و مسیحیان را روشن میسازد که یهودیان مسیح را به رسمیت نمی شناختند، و هر دو، پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله را، در حالی که طبق کتب آسمانی آنها نبوت این پیامبران بر ایشان ثابت شده بود.

بنابراین، ایمان آنها حتی در مواردی که نسبت به آن اظهار ایمان میکنند، بیارزش قلمداد شده است، چرا که از روح حقجویی سر چشمه نمی گیرد.

سوره نساء (4): آية 151].... ص: 471

(آیه ۱۵۱)– در این آیه ماهیت این افراد را بیان کرده، میفرماید: «آنها کافران واقعی هستند» (أُولئِکَ هُمُ الْکافِرُونَ حَقًّا). و در پایـان آنهـا را تهدیـد کرده، میگویـد: «مـا برای کـافران عـذاب توهین آمیز و خوارکننـدهای فراهم ساختهایم» (وَ أَعْتَـدْنا

لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِيناً).

سوره نساء (4): آية 157] ص: 471

(آیه ۱۵۲) - در این آیه به وضع مؤمنان و سرنوشت آنها اشاره کرده و می گوید: «کسانی که ایمان به خدا و همه پیامبران او آوردهاند و در میان هیچ یک از آنها تفرقه نینداختند (و با این کار، «تسلیم و اخلاص» خود در برابر حق، و مبارزه با هر گونه «تعصب» نابجا را اثبات نمودند) به زودی خداوند پاداشهای آنها را به آنها خواهد داد» (وَ الَّذِینَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ یُفَرِّقُوا بَیْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولئِکَ سَوْفَ یُؤْتِیهِمْ أُجُورَهُمْ).

و در پایان آیه به این مطلب اشاره می شود که اگر این دسته از مؤمنان در گذشته مرتکب چنان تعصبها و تفرقه ها و گناهان دیگر شدند اگر ایمان خود را خالص کرده و به سوی خدا بازگردند خداوند آنها را می بخشد «و خداوند همواره آمرزنده و مهربان بوده و هست» (وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً).

سوره نساء (4): آية 153] ص: 471

اشاره

(آیه ۱۵۳)

شأن نزول: ص: 471

جمعی از یهود نزد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمدنـد و گفتند: اگر تو پیغمبر خدایی کتاب آسـمانی خود را یکجا به ما عرضـه کن، همانطور که موسی تورات را یکجا آورد، این آیه و آیه بعد نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: 471

بهانه جویی یهود- در این آیه، نخست اشاره به درخواست اهل برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۷۲

كتاب (يهود) مىكند و مى گويد: «اهل كتاب از تو تقاضا مىكنند كه كتابى از آسمان (يكجا) بر آنها نازل كنى» (يَسْ مَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتابًا مِنَ السَّماءِ).

شک نیست که آنها در این تقاضای خود حسن نیت نداشتند، زیرا هدف از نزول کتاب آسمانی همان ارشاد و هدایت و تربیت است، گاهی این هدف با نزول کتاب آسمانی یکجا تأمین میشود، و گاهی تدریجی بودن آن به این هدف بیشتر کمک می کند.

لذا به دنبال این تقاضا خداوند به عدم حسن نیت آنها اشاره کرده، و ضمن دلداری به پیامبرش، سابقه لجاجت و عناد و بهانهجویی یهود را در برابر پیامبر بزرگشان موسی بن عمران بازگو می کند. نخست می گویـد: «اینها از موسـی چیزهایی بزرگتر و عجیبتر از این خواسـتند و گفتنـد: خـدا را آشـکارا به ما نشان بـده»! (فَقَدْ سَأَلُوا مُوسی أَكْبَرَ مِنْ ذلِکَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً).

این درخواست عجیب و غیر منطقی که نوعی از عقیده بت پرستان را منعکس میساخت و خدا را جسم و محدود معرفی می کرد و بدون شک از لجاجت و عناد سر چشمه گرفته بود، سبب شد که «صاعقه آسمانی به خاطر این ظلم و ستم آنها را فرا گرفت» (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ).

سپس به یکی دیگر از اعمال زشت آنها که مسأله «گوساله پرستی» بود، اشاره می کند و می گوید: «آنها پس از مشاهده آن همه معجزات و دلایل روشن، گوساله را به عنوان معبود خود انتخاب کردند»! (ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَیِّناتُ). ولی با این همه برای این که به راه باز گردند «ما آنها را بخشیدیم و به موسی برتری و حکومت آشکاری دادیم» و بساط رسوای سامری و گوساله پرستان را برچیدیم» (فَعَفَوْنا عَنْ ذلِکَ وَ آتَیْنا مُوسی سُلْطاناً مُبِیناً).

سوره نساء (۴): آيهٔ ۱۵۴].... ص: ۴۷۲

(آیه ۱۵۴)- باز آنها از خواب غفلت بیـدار نشدند و از مرکب غرور و لجاجت پایین نیامدند، به همین جهت «ما کوه طور را بر بالای سر آنها به حرکت برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۷۳

درآوردیم، و در همان حال از آنها پیمان گرفتیم و به آنها گفتیم که به عنوان توبه از گناهانتان از در بیت المقدس با خضوع و خشوع و ارد شوید، و نیز به آنها تأکید کردیم که در روز شنبه دست از کسب و کار بکشید و راه تعدی و تجاوز را پیش نگیرید (و از ماهیان دریا که در آن روز صیدش حرام بود استفاده نکنید) و در برابر همه اینها پیمان شدید از آنان گرفتیم» اما آنها به هیچ یک از این پیمانهای مؤکد وفا نکردند! (و رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِیثاقِهِمْ وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ سُرِجَداً وَ قُلْنا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِی السَّبْتِ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِیثاقاً غَلِیظاً).

سوره نساء (4): آية 100] ص: 473

(آیه ۱۵۵)- گـوشه دیگری از خلافکاریهـای یهـود! در اینجـا قرآن بـه قسـمتهای دیگری از خلافکاریهـای بنی اسـرائیل و کارشکنیها و دشمنیهای آنها با پیامبران خدا اشاره کرده است.

نخست، به پیمانشکنی و کفر جمعی از آنها و قتل پیامبران به دست آنان اشاره کرده چنین میفرماید: «ما آنها را به خاطر پیمان شکنی» از رحمت خود دور ساختیم یا قسمتی از نعمتهای پاکیزه را بر آنان تحریم نمودیم (فَبِما نَقْضِهِمْ مِیثاقَهُمْ). آنها به دنبال این پیمان شکنی، «آیات پروردگار را انکار کردند و راه مخالفت پیش گرفتند» (وَ کُفْرهِمْ بِآیاتِ اللَّهِ).

و به این نیز قناعت نکردنـد، «بلکه دست به جنـایت بزرگ دیگری که قتـل و کشـتن راهنمایان و هادیان راه حق یعنی پیامبران زدند و بدون هیچ مجوزی آنها را از بین بردند» (وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِیاءَ بِغَیْرِ حَقِّ).

آنها به قدری در اعمال خلاف جسور و بیباک بودند که گفتار پیامبران را به باد استهزاء می گرفتند و صریحا به آنها «گفتند: بر دلهای ما پرده افکنده شده که مانع شنیدن و پذیرش دعوت شماست»! (وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ).

در اینجا قرآن اضافه می کند: دلهای آنها به کلی مهر شده و هیچ گونه حقی در آن نفوذ نمی کند ولی عامل آن کفر و بیایمانی، خود آنها هستند و به همین دلیل جز افراد کمی که خود را از این گونه لجاجتها برکنار داشتهاند ایمان نمی آورند، مىفرمايد: «آرى! خداوند به علت كفرشان، بر دلهاى آنها مهر زده، كه جز عده كمى برگزيده تفسير نمونه، ج ١، ص: ۴٧۴ (كه راه حق مى پويند و لجاج ندارند) ايمان مى آورند» (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا).

سوره نساء (4): آية 186] ص: 474

(آیه ۱۵۶)- «آنها در راه کفر آن چنان سریع تاختند که به مریم پاکدامن، مادر پیامبر بزرگ خدا که به فرمان الهی بدون همسر باردار شده بود تهمت بزرگی زدند» (وَ بِکُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلی مَرْیَمَ بُهْتاناً عَظِیماً).

سوره نساء (4): آيهٔ ۱۵۷] ص: ۴۷۴

(آیه ۱۵۷) - حتی آنها به کشتن پیامبران افتخار می کردند «و می گفتند ما مسیح عیسی بن مریم رسولخدا را کشته ایم» (وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِیحَ عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ رَسُولَ اللَّهِ). و شاید تعبیر به رسول الله را در مورد مسیح از روی استهزاء و سخریه می گفتند. در حالی که در این ادعای خود نیز کاذب بودند، «آنها هر گز مسیح را نکشتند و نه به دار آویختند، بلکه دیگری را که شباهت به او داشت اشتباها به دار زدند» (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لَکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ).

سپس قرآن میگوید: «آنها که در باره مسیح اختلاف کردند، خودشان در شک بودند و هیچ یک به گفته خود ایمان نداشتند و تنها از تخمین و گمان پیروی میکردند» (وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِیهِ لَفِی شَکِّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ). آنگاه قرآن به عنوان تأکید مطلب میگوید: «و قطعا او را نکشتند» (وَ ما قَتَلُوهُ یَقِیناً).

سوره نساء (4): آيهٔ ۱۵۸] ص: ۴۷۴

(آیه ۱۵۸)- «بلکه خداوند او را به سوی خود برد و خداوند قادر و حکیم است» (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَ کَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَکِیماً). اگر می بینیم قرآن مخصوصا روی مصلوب نشدن مسیح (ع) تکیه کرده، به خاطر این است که عقیده خرافی فداء و بازخرید گناهان امت را به شدت بکوبد، تا مسیحیان نجات را در گروه اعمال خویش ببینند، نه در پناه بردن به صلیب!

سوره نساء (4): آية 189] ص: 474

(آیه ۱۵۹) - در تفسیر این آیه دو احتمال است که هر یک به جهاتی قابل ملاحظه است:

۱- آیه می فرماید: «هیچ کس از اهل کتاب نیست مگر این که به مسیح (ع) پیش از مرگ خود ایمان می آورد» (وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۷۵

و آن هنگامی است که انسان در آستانه مرگ قرار می گیرد و ارتباط او با این جهان ضعیف و با جهان بعد از مرگ قوی می گردد، پردهها از برابر چشم او کنار میرود و بسیاری از حقایق را می بیند، در این موقع است که چشم حقیقت بین او مقام مسیح را مشاهده می کند و در برابر او تسلیم می گردد، آنها که منکر او شدند به او مؤمن می شوند و آنها که او را خدا دانستند به اشتباه خود پی می برند در حالی که این ایمان هیچ گونه سودی برای آنها ندارد- پس چه بهتر اکنون که ایمان مفید است مؤمن شوند! ۲- منظور این است که تمام اهل کتاب به حضرت مسیح (ع) پیش از «مرگ او» ایمان می آوردند یهودیان او را به

نبوت می پذیرند و مسیحیان دست از الوهیت او می کشند و این به هنگامی است که مسیح (ع) طبق روایات اسلامی در موقع ظهور حضرت مهدی (عج) از آسمان فرود می آید، و پشت سر او نماز می گذارد و یهود و نصارا نیز او را می بینند و به او و مهدی (عج) ایمان می آورند، و روشن است که مسیح به حکم این که آیینش مربوط به گذشته بوده وظیفه دارد در این زمان از آیین موجود یعنی آیین اسلام که مهدی (عج) مجری آن است پیروی کند.

و در پایان آیه میفرماید: «در روز رستاخیز، مسیح گواه بر آنها خواهد بود» (وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ یَکُونُ عَلَیْهِمْ شَهِیداً).

منظور از گواهی مسیح بر ضد آنها این است که او گواهی میدهد که تبلیغ رسالت کرده و آنها را هیچ گاه به خدایی و الوهیت خود دعوت ننموده بلکه به ربوبیت پروردگار دعوت کرده است.

سوره نساء (4): آيهٔ 160] ص: 473

(آیه ۱۶۰) - سرنوشت صالحان و ناصالحان یهود! در آیات گذشته به چند نمونه از خلافکاریهای یهود اشاره شد، در این آیه و دو آیه بعد نیز پس از ذکر چند قسمت دیگر از اعمال ناشایست آنها، کیفرهایی را که بر اثر این اعمال در دنیا و آخرت دامان آنها را گرفته و می گیرد، بیان میدارد.

نخست میفرماید: «به خاطر ظلم و ستمی که یهود کردند، و به خاطر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۷۶ باز داشتن مردم از راه خدا، قسمتی از چیزهای پاک و پاکیزه را که بر آنها حلال بود تحریم کردیم» و آنان را از استفاده کردن از آن محروم ساختیم (فَبِظُلْم مِنَ الَّذِینَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَیْهِمْ طَیِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ کَثِیراً) «۱»

سوره نساء (4): آية 161].... ص: 479

(آیه ۱۶۱) - و نیز به خاطر این که «رباخواری می کردند با این که از آن نهی شده بودند، و همچنین اموال مردم را به ناحق میخوردند، همه اینها سبب شد که گرفتار آن محرومیت شوند» (وَ أَخْذِهِمُ الرِّبُوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمُوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ). گذشته از این کیفر دنیوی، ما آنها را به کیفرهای اخروی گرفتار خواهیم ساخت «و برای کافران آنها عذاب دردناکی آماده کرده ایم» (وَ أَعْتَدْنا لِلْکافِرِینَ مِنْهُمْ عَذاباً أَلِیماً).

سوره نساء (4): آية 182] ص: 478

(آیه ۱۶۲) - در ایس آیه به واقعیت مهمی اشاره شده که قرآن کرارا به آن تکیه کرده است و آن این که مذمت و نکوهش قرآن از یهود به هیچ وجه جنبه مبارزه نژادی و طائفهای ندارد، اسلام هیچ نژادی را به عنوان «نژاد» مذمت نمی کند بلکه نکوهشها و حملات آن تنها متوجه آلودگان و منحرفان است، لذا در این آیه افراد با ایمان و پاکدامن یهود را استثناء کرده، و مورد ستایش قرار داده و پاداش بزرگی به آنها نوید می دهد، و می گوید: «ولی آن دسته از یهود که در علم و دانش راسخند و مؤمنان (از دست اسلام) به آنچه بر تو نازل شده و آنچه بر پیامبران پیشین نازل گردیده ایمان می آورند (همچنین) نماز گزاران و زکات دهندگان و ایمان آورندگان به خدا و روز قیامت به زودی پاداش بزرگی به آنها خواهیم داد» (لکِنِ الرَّاسِ خُونَ فِی الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُوْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْ کَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ الْمُقِیمِینَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْمُونَ الزَّکاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیُوْمِنُونَ الزَّکاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیُوْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَیْهِکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ الْمُقِیمِینَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْمُونَ الزَّکاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیُونِ بِما اللَّهِ وَ الْیُکونَ بِما اللَّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ الزَّکاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیُونَ بِاللَّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَیْ کَو مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ الْمُقِیمِینَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْمُونَ الزَّکامَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِما أَنْزِلَ الْمَاسِمُ اللَّهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِما أَنْزِلَ الْوَلْ مَنْ قَبْلِکَ وَ الْمُقْمِنِينَ السَّالِي الْکَامَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِما اللَّهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِعَامِ الْمَاسِمُ الْوَاسِمِ اللَّهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ اللَّهُ مِنْهُمُ وَ الْمُؤْمِنُونَ بَعِلْمِ الْمُؤْمُ وَ الْمُؤْمُونَ بَالْمَاسُولُ الْمُؤْمُونَ بَالْمَاسُمُ مِیْنَ الْمُؤْمِنُونَ بِهُ الْمُؤْمِنُونَ بَوْلُولُولُ وَالْمُؤْمُونَ الْمَاسِمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمَاسُمُ وَالْمُولُولُولُولُ الْمَاسُمُ وَالْمُولِمُ الْمَاسُمُ اللَّهُ الْمُؤْمُولُولُ اللَّهُ الْمُؤْمُولُولُولُ الْمَاسُمُ مِیْ الْمُؤْمِلُولُ الْمِیْمُ الْمُؤْمُولُولُ

به همین دلیل میبینیم که جمعی از بزرگان یهود به هنگام ظهور پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله و مشاهده دلایل حقانیت او به اسلام گرویدند و با جان و دل از آن

(۱) در مور تحریم طیبات رجوع کنید به سوره انعام (۶) آیه ۱۴۶.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۷۷

حمایت کردند و مورد احترام پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و سایر مسلمانان بودند.

سوره نساء (4): آية 163] ص: 477

(آیه ۱۶۳) - در آیات گذشته خواندیم که یهود در میان پیامبران خدا تفرقه میافکندند بعضی را تصدیق و بعضی را انکار می کردند در این آیه، بار دیگر به آنها پاسخ می گوید که: «ما بر تو وحی فرستادیم همانطور که بر نوح و پیامبران بعد از او وحی فرستادیم و همانطور که بر ابراهیم و اسماعیل و اسحاق و یعقوب و پیامبرانی که از فرزندان یعقوب بودند و عیسی و ایوب و یونس و هارون و سلیمان وحی نمودیم و به داود کتاب زبور دادیم» (إِنَّا أَوْحَیْنا إِلَیْکَ کَما أَوْحَیْنا إِلی نُوحٍ وَ النَّبِیِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَیْنا إِلی إِبْراهِیمَ وَ إِسْمانَ وَ مِهْ مَاعِیلَ وَ إِسْمانَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْمِاطِ وَ عِیسی وَ أَیُّوبَ وَ یُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلیْمانَ وَ آتَیْنا داوُدَ زَبُوراً).

سوره نساء (4): آية 184] ص: 477

(آیه ۱۶۴) - در این آیه اضافه می کند پیامبرانی که وحی بر آنان نازل گردید منحصر به اینها نبودند بلکه «پیامبران دیگری که قبلا سرگذشت آنها را برای تو بیان کرده ایم و پیامبرانی را که هنوز سرگذشت آنها را شرح نداده ایم همگی همین مأموریت را داشتند و وحی الهی بر آنها نازل گردید» (وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْ ناهُمْ عَلَیْکَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْ هُمْ عَلَیْکَ). و از این بالاتر «خداوند رسما با موسی سخن گفت» (وَ کَلَّمَ اللَّهُ مُوسی تَکْلِیماً).

سوره نساء (4): آية 160] ص: 477

(آیه ۱۶۵) - بنابراین، رشته وحی همیشه در میان بشر بوده است و چگونه ممکن است ما افراد انسان را بدون راهنما و رهبر بگذرانیم و در عین حال برای آنها مسؤولیت و تکلیف قائل شویم؟ لذا «ما این پیامبران را بشارت دهنده و انذار کننده قرار دادیم تا به رحمت و پاداش الهی، مردم را امیدوار سازند و از کیفرهای او بیم دهند تا اتمام حجت بر آنها شود و بهانهای نداشته باشند» (رُسُلًا مُبَشِّرینَ وَ مُنْذِرِینَ لِئَلًا یَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَی اللَّهِ حُجَّهٔ بَعْدَ الرُّسُل).

خداوند برنامه ارسال این رهبران را دقیقا تنظیم و اجرا نموده، چرا چنین نباشد با این که: «او بر همه چیز توانا و حکیم است» (وَ کانَ اللَّهُ عَزیزاً حَکِیماً).

حکمت او ایجاب می کند که این کار عملی شود و قدرت او راه را هموار میسازد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۷۸

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۶۶] ص: ۴۷۸

(آیه ۱۶۶) – و در این آیه به پیامبر دلـداری و قـوت قلب میبخشـد که اگر این جمعیت نبـوت و رسـالت تـو را انکـار کردند اهمیتی ندارد، زیرا: «خداوند گواه چیزی است که بر تو نازل کرده است» (لکِنِ اللَّهُ یَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَیْکَ).

و البته انتخاب تو برای این منصب بیحساب نبوده بلکه «این آیات را از روی علم به لیاقت و شایستگی تو برای مأموریت، نازل کرده است» (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ).

و در پایان اضافه می کنـد که نه تنها خداوند گواهی بر حقانیت تو میدهد، بلکه «فرشـتگان پروردگار نیز گواهی میدهند اگر چه گواهی خدا کافی است» (وَ الْمَلائِکَةُ یَشْهَدُونَ وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۶۷] ص: ۴۷۸

(آیه ۱۶۷) - در آیات گذشته بحثهایی در باره افراد بی ایمان و با ایمان ذکر شده بود، در این آیه اشاره به دستهای دیگر می کند که بدترین نوع کفر را انتخاب کردند، آنها کسانی هستند که علاوه بر گمراهی خود، کوشش برای گمراه ساختن دیگران می کنند، نه خود راه هدایت را پیمودند و نه می گذارند دیگران این راه را بپیمایند آیه می فرماید: «کسانی که کافر شدند و مردم را از گام گذاشتن در راه خدا مانع گشتند، در گمراهی دور و درازی گرفتار شدهاند» (إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِیل اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالًا بَعِیداً).

سوره نساء (4): آية 168] ص: 478

(آیه ۱۶۸) - در این آیه اضافه می فرماید: «آنها که کافر شدند و ستم کردند (هم ستم به حق کردند که آنچه شایسته آن بود انجام ندادند و هم ستم به خویش که خود را از سعادت محروم ساختند و در درّه ضلالت سقوط کردند و هم به دیگران ستم کردند که آنها را از راه حق بازداشتند) چنین افرادی هر گز مشمول آمرزش پروردگار نخواهند شد و خداوند آنها را به هیچ راهی هدایت نمی کند» (إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ یَکُنِ اللَّهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِیَهْدِیَهُمْ طَرِیقاً).

سوره نساء (4): آية 169] ص: 478

(آیه ۱۶۹)– «مگر به سوی دوزخ! و آنها برای همیشه در دوزخ میمانند» (إِلَّا طَرِیقَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها أَبَداً). آنها بایـد بدانند که این تهدید الهی صورت میپذیرد، زیرا: «این کار برای خدا آسان است و قدرت بر آن دارد» (وَ کانَ ذلِکَ

عَلَى اللَّهِ يَسِيراً).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۷۹

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۷۰] ص: ۴۷۹

(آیه ۱۷۰)- در آیات گذشته سرنوشت افراد بیایمان بیان شد، و در این آیه دعوت به سوی ایمان آمیخته با ذکر نتیجه آن می کند، و با تعبیرات مختلفی که شوق و علاقه انسان را برمیانگیزد همه مردم را به این هدف عالی تشویق مینماید.

نخست می گوید: «ای مردم همان پیامبری که در انتظار او بودید و در کتب آسمانی پیشین به او اشاره شده بود با آیین حق به سوی شما آمده است» (یا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَکُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ). سپس می فرماید: «این پیامبر از طرف آن کس که پرورش و تربیت شما را بر عهده دارد آمده است» (مِنْ رَبِّکُمْ).

بعـد اضافه می کند: «اگر ایمان بیاورید به سود شـماست» به دیگری خدمت نکردهاید، بلکه به خودتان خدمت نمودهاید (فَآمِنُوا خَيْراً لَکُمْ).

و در پایان می فرماید: «فکر نکنید اگر شما راه کفر پیش گیرید به خدا زیانی میرسد چنین نیست، زیرا خداوند مالک آنچه در آسمانها و زمین است می باشد» (وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

به علاوه چون «خداوند، عالم و حکیم است» (وَ کانَ اللَّهُ عَلِیماً حَکِیماً) دستورهایی را که به شما داده و برنامههایی را که تنظیم کرده همگی روی فلسفه و مصالحی بوده و به سود شماست.

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۷۱] ص: ۴۷۹

(آیه ۱۷۱)- تثلیث موهوم است! در این آیه و آیه بعد به تناسب بحثهایی که در باره اهل کتاب و کفار بود به یکی از مهمترین انحرافات جامعه مسیحیت یعنی «مسأله تثلیث و خدایان سه گانه» اشاره کرده و با جملهای کوتاه و مستدل آنها را از این انحراف بزرگ برحذر می دارد.

نخست به آنـان اخطـار میکنـد که: «ای اهـل کتـاب! در دین خود راه غلو را نپوییـد و جز حق، در باره خـدا نگوییـد» (یا أَهْلَ الْکِتاب لا تَغْلُوا فِی دِینِکُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَی اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ).

مسأله «غلق» در باره پیشوایان، یکی از مهمترین سر چشمههای انحراف در ادیان آسمانی بوده است، به همین جهت اسلام در باره غلات سختگیری شدیدی کرده و در کتب «عقاید» و «فقه» غلات از بدترین کفار معرفی شدهاند! برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۸۰

سپس به چند نکته که هر کدام در حکم دلیلی بر ابطال تثلیث و الوهیت مسیح است اشاره می کند:

١- «عيسى فقط فرزند مريم بود» (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ).

این تعبیر خاطرنشان میسازد که مسیح همچون سایر افراد انسان در رحم مادر قرار داشت و دوران جنینی را گذرانید و همانند سایر افراد بشر متولد شد، شیر خورد و در آغوش مادر پرورش یافت یعنی، تمام صفات بشری در او بود، چگونه ممکن است چنین کسی که مشمول و محکوم قوانین طبیعت و تغییرات جهان ماده است خداوندی ازلی و ابدی باشد.

۲- «عیسی فرستاده خدا بود» (رَسُولُ اللهِ) - این موقعیت نیز تناسبی با الوهیت او ندارد.

٣- «عيسى كلمه خدا بود كه به مريم القا شد» (وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلَى مَرْيَمَ).

این تعبیر به خاطر آن است که اشاره به مخلوق بودن مسیح کند، همانطور که «کلمات» مخلوق ما است، موجودات عالم آفرینش هم مخلوق خدا هستند.

۴- «عيسى روحى است كه از طرف خدا آفريده شد» (وَ رُوحٌ مِنْهُ).

این تعبیر که در مورد آفرینش آدم و به یک معنی آفرینش تمام بشر نیز در قرآن آمده است اشاره به عظمت آن روحی است که خدا آفرید و در وجود انسانها عموما و مسیح و پیامبران خصوصا قرار داد. سپس قرآن به دنبال این بیان می گوید: «اکنون که چنین است به خـدای یگانه و پیامبران او ایمان بیاوریـد و نگوییـد خـدایان سه گانهاند و اگر از این سخن بپرهیزید، به سود شماست» (فا مِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَیْراً لَکُمْ).

بار ديگر تأكيد ميكند كه: «تنها خداوند معبود يكانه است» (إنَّمَا اللَّهُ إلهُ واحِدٌ).

یعنی، شما قبول دارید که در عین تثلیث، خدا یگانه است در حالی که اگر فرزندی داشته باشد شبیه او خواهد بود و با این حال یگانگی معنی ندارد.

«چگونه ممکن است خداوند فرزندی داشته باشد در حالی که او از نقیصه احتیاج برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۸۱ به همسر و فرزند و نقیصه جسمانیت و عوارض جسم بودن مبرّاست» (سُبْحانَهُ أَنْ یَکُونَ لَهُ وَلَدٌ).

به علاوه «او مالک آنچه در آسمانها و زمین است میباشد، همگی مخلوق اویند و او خالق آنهاست، و مسیح نیز یکی از این مخلوقات اوست» (لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْض).

چگونه می توان یک حالت استثنایی برای وی قائل شد؟ آیا مملوک و مخلوق می تواند فرزند مالک و خالق خود باشد؟ خداوند نه تنها خالق و مالک آنهاست بلکه مدبّر و حافظ و رازق و سرپرست آنها نیز می باشد «و برای تدبیر و سرپرستی آنها خداوند کافی است» (وَ کَفی باللَّهِ وَکِیلًا).

اصولا خدایی که ازلی و ابدی است، و سرپرستی همه موجودات را از ازل تا ابد بر عهده دارد چه نیازی به فرزند دارد، مگر او همانند ما است که فرزندی برای جانشین بعد از مرگ خود بخواهد؟!

سوره نساء (4): آية 172] ص: 481

اشاره

(آیه ۱۷۲)

شأن نزول: ص: 481

روایت شده که: طایفهای از مسیحیان نجران خدمت پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله رسیدند و عرض کردند: چرا نسبت به پیشوای ما خرده می گیری؟

پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: من چه عیبی بر او گذاشتم؟ گفتند: تو می گویی او بنده خدا و پیامبر او بوده است. آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسیر: ص: ۴۸۱

مسیح بنده خدا بود- پیوند و ارتباط این آیه با آیات گذشته که در باره نفی الوهیت مسیح و ابطال مسأله تثلیث بود آشکار است. نخست با بیان دیگری مسأله الوهیت مسیح را ابطال می کند و می گوید شما چگونه معتقد به الوهیت عیسی هستید در حالی که «نه مسیح استنکاف دارند»َنْ یَشْتَنْکِفَ الْمَسِیحُ الْمَسِیحُ الْمَسِیحُ الْمَسِیحُ الْمُسِیحُ الْمُلائِکَةُ الْمُقَرَّبُونَ)

.و مسلم است کسی که خود عبادت کننده است معنی ندارد که معبود باشد.

در حدیثی میخوانیم که امام علی بن موسی الرضا علیه السّ لام برای محکوم ساختن مسیحیان منحرف که مدعی الوهیت او بودند به «جاثلیق» بزرگ مسیحیان فرمود: برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۸۲

عیسی (ع) همه چیزش خوب بود تنها یک عیب داشت و آن این که عبادت چندانی نداشت، مرد مسیحی برآشفت و به امام گفت چه اشتباه بزرگی میکنی؟

اتفاقا او از عابدترین مردم بود، امام فورا فرمود: او چه کسی را عبادت می کرد؟

آیا کسی جز خدا را میپرستید؟ بنابراین، به اعتراف خودت مسیح بنده و مخلوق و عبادت کننده خدا بود، نه معبود و خدا، مرد مسیحی خاموش شد و پاسخی نداشت! سپس قرآن اضافه می کند: «کسانی که از عبادت و بندگی پروردگار امتناع ورزند و این امتناع از تکبر و خودبینی سر چشمه بگیرد، خداوند همه آنها را در روز رستاخیز حاضر خواهد ساخت» و به هر کدام کیفر مناسب خواهد داد مَنْ یَسْتَنْکِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ یَسْتَکْبِرْ فَسَیَحْشُرُهُمْ إِلَیْهِ جَمِیعاً)

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۷۳] ص: ۴۸۲

(آیه ۱۷۳)- «در آن روز آنها که دارای ایمان و عمل صالح بودهاند پاداششان را بطور کامل خواهد داد، و از فضل و رحمت خدا بر آن خواهد افزود، آنها که از بندگی خدا امتناع ورزیدند و راه تکبر را پیش گرفتند به عذاب دردناکی گرفتار خواهد کرد و غیر از خدا هیچ سرپرست و حامی و یاوری نخواهند یافت» (فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَیُوَفِّیهِمْ أُجُورَهُمْ وَ یَزیدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَمَّا الَّذِینَ اسْتَنْکَفُوا وَ اسْتَکْبَرُوا فَیُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِیماً وَ لا یَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِیًّا وَ لا نَصِیراً).

سوره نساء (4): آيهٔ ۱۷۴] ص: ۴۸۲

(آیه ۱۷۴)- نور آشکار! در تعقیب بحثهایی که در باره انحرافات اهل کتاب از اصل توحید و اصول تعلیمات انبیاء در آیات سابق گذشت در این آیه و آیه بعد سخن نهایی گفته شده و راه نجات مشخص گردیده است، نخست عموم مردم جهان را مخاطب ساخته، می گوید: «ای مردم از طرف پروردگار شما پیامبری آمده است که براهین و دلایل آشکار دارد و همچنین نور آشکاری به نام قرآن با او فرستاده شده که روشنگر راه سعادت شماست» (یا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَکُمْ بُرُهانٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ أَنْزَلْنا إلَیْکُمْ نُوراً مُبیناً).

منظور از «برهان» شخص پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله است و منظور از «نور» قرآن مجید برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۸۳

است که در آیات دیگر نیز از آن تعبیر به نور شده است.

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۷۵] ص: ۴۸۳

(آیه ۱۷۵) - در این آیه نتیجه پیروی از این برهان و نور را چنین شرح می دهد: «اما آنها را که به خدا ایمان آوردند و به این کتاب آسمانی چنگ زدند به زودی در رحمت واسعه خود وارد خواهد کرد، و از فضل و رحمت خویش بر پاداش آنها خواهد افزود و به صراط مستقیم و راه راست هدایتشان می کند» (فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ فَسَیُدْخِلُهُمْ فِی رَحْمَهُ مِنْهُ وَ فَضْلِ وَ یَهْدِیهِمْ إِلَیْهِ صِراطاً مُسْتَقِیماً).

سوره نساء (4): آیهٔ ۱۷۶] ص: ۴۸۳

اشاره

(آیه ۱۷۶)

شأن نزول: ص: 483

از «جابر بن عبد الله انصاری» چنین نقل کردهاند که می گوید: من شدیدا بیمار بودم، پیامبر صلّی الله علیه و آله به عیادت من آمد و در آنجا وضو گرفت و از آب وضوی خود بر من پاشید، من که در اندیشه مرگ بودم به پیامبر صلّی الله علیه و آله عرض کردم: وارث من فقط خواهران منند، میراث آنها چگونه است؟

این آیه که آیه فرائض نام دارد نازل شد و میراث آنها را روشن ساخت.

و به عقیده بعضی این آخرین آیهای است که در باره احکام اسلام بر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نازل شده.

تفسیر: ص: ۴۸۳

این آیه مقدار ارث برادران و خواهران را بیان می کند، و همانطور که در اوایل این سوره در تفسیر آیه ۱۲ گفتیم در باره ارث خواهران و خواهران را بیان می کند، و همان آیه ۱۲ که ناظر به برادران و خواهران «مادری» است، و دیگر آیه مورد بحث که در باره خواهران و برادران «پدری و مادری» یا «پدری تنها» سخن می گوید، می فرماید: «از تو در این باره سؤال می کنند، بگو:

خداوند حكم كلاله (برادران و خواهران را) براى شما بيان مىكند» (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ).

سپس به چندین حکم اشاره مینماید:

۱- «هر گاه مردی از دنیا برود و فرزنـدی نداشـته باشـد و یک خواهر داشـته باشـد نصف میراث او به آن یک خواهر میرسد» (إِنِ امْرُؤٌ هَلَکَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتُ فَلَها نِصْفُ ما تَرَکَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۸۴

۲- و اگر زنی از دنیا برود «و فرزنـدی نداشـته باشـد و یک برادر (برادر پـدر و مادری یا پدری تنها) از خود به یادگار بگذارد تمام ارث او به یک برادر میرسد» (وَ هُوَ یَرِثُها إِنْ لَمْ یَکُنْ لَها وَلَدٌ).

٣- «اگر كسى از دنيا برود و دو خواهر از او به يادگار بمانـد دو ثلث از ميراث او را مىبرنـد» (فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا النُّلُثانِ مِمَّا

تَوَكَ).

۴- «اگر ورثه شخص متوفی، چند برادر و خواهر باشند (از دو نفر بیشتر) تمام میراث او را در میان خود تقسیم می کنند بطوری که سهم هر برادر دو برابر سهم یک خواهر شود» (وَ إِنْ کانُوا إِخْوَةً رِجالًا وَ نِساءً فَلِلذَّ کَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْتَيَيْن).

در پایان آیه می فرماید: «خداوند این حقایق را برای شما بیان می کند تا گمراه نشوید و راه سعادت را بیابید (و حتما راهی را که خدا نشان می دهد راه صحیح و واقعی است) زیرا به هر چیزی دانا است» (یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَ اللَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ). پایان سوره نساء

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۸۵

سوره مائده ص: ۴۸۵

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۱۲۰ آیه است.

محتوای سوره: ص: 485

این سوره محتوی یک سلسله از معارف و عقاید اسلامی و یک سلسله از احکام و وظایف دینی است.

در قسمت اول به مسأله ولایت و رهبری بعد از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و مسأله تثلیث مسیحیان و قسمتهایی از مسائل مربوط به قیامت و رستاخیز و بازخواست از انبیاء در مورد امتهایشان اشاره شده است.

و در قسمت دوم، مسأله وفای به پیمانها، عدالت اجتماعی، شهادت به عدل و تحریم قتل نفس (و به تناسب آن داستان فرزندان آدم و قتل هابیل بوسیله قابیل) و همچنین توضیح قسمتهایی از غذاهای حلال و حرام و قسمتی از احکام وضو و تیمم آمده است.

و نامگذاری آن به «سوره مائده» به خاطر این است که داستان نزول مائده «۱» برای یاران مسیح در آیه ۱۱۴ این سوره ذکر شده است.

بسم الله الرحمن الرحيم

سوره مائده (۵): آیهٔ ۱ ص: ۴۸۵

(آیه ۱)- لزوم وفا به عهد و پیمان! بطوری که از روایات اسلامی و سخنان مفسران بزرگ استفاده می شود، این سوره آخرین سوره (و یا از آخرین سورههایی) است که بر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نازل شده است.

(۱) «مائده» در اصل به طبقی گویند که در آن غذا باشد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۸۶

در این سوره- به خاطر همین موقعیت خاص- تأکید روی یک سلسله مفاهیم اسلامی و آخرین برنامههای دینی و مسأله رهبری

امت و جانشینی پیامبر صلّی الله علیه و آله شده است و شاید به همین جهت است که با مسأله لزوم وفای به عهد و پیمان، شروع شده، و در نخستین جمله می فرماید: «ای افراد با ایمان به عهد و پیمان خود وفا کنید» (یا أَیُهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ). تا به این وسیله افراد با ایمان را ملزم به پیمانهایی که در گذشته با خدا بسته اند و یا در این سوره به آن اشاره شده است بنماید. جمله فوق دلیل بر وجوب وفا به تمام پیمانهایی است که میان افراد انسان با یکدیگر، و یا افراد انسان با خدا، بطور محکم بسته می شود، و به این ترتیب تمام پیمانهای الهی و انسانی و پیمانهای سیاسی و اقتصادی و اجتماعی و تجاری و زناشویی و مانند آن را در بر می گیرد و یک مفهوم کاملا وسیع دارد، حتی عهد و پیمانهایی را که مسلمانان با غیر مسلمانان می بندند نیز شامل می شود.

در اهمیت وفای به عهد در نهج البلاغه در فرمان مالک اشتر چنین میخوانیم:

«در میان واجبات الهی هیچ موضوعی همانند وفای به عهد در میان مردم جهان- با تمام اختلافاتی که دارند- مورد اتفاق نیست به همین جهت بت پرستان زمان جاهلیت نیز پیمانها را در میان خود محترم می شمردند زیرا عواقب دردناک پیمان شکنی را دریافته بودند».

سپس به دنبال دستور وفای به پیمانها که تمام احکام و پیمانهای الهی را شامل می شود یک سلسله از احکام اسلام را بیان کرده، که نخستین آن حلال بودن گوشت پارهای از حیوانات است، می فرماید: «چهار پایان (یا جنین آنها) برای شما حلال شده است» (أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِیمَهُ الْأَنْعام) «۱».

سپس در ذیل آیه دو مورد را از حکم حلال بودن گوشت چهارپایان استثناء کرده، میفرماید: «به استثنای گوشتهایی که تحریم آن به زودی برای شما بیان میشود» (إِلَّا ما یُتْلی عَلَیْکُمْ).

(۱) «انعام» جمع «نعم» به معنى شتر و گاو و گوسفند است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۸۷

«و به استثنای حال احرام (برای انجام مناسک حجّ یا انجام مناسک عمره) که در این حال صید کردن حرام است» (غَیْرَ مُحِلِّی الصَّیْدِ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ).

و در پایان می فرماید: «خداوند هر حکمی را بخواهد صادر می کند» (إِنَّ اللَّهَ یَحْکُمُ ما یُرِیدُ). یعنی، چون آگاه از همه چیز و مالک همه چیز میباشد هر حکمی را که به صلاح و مصلحت بندگان باشد و حکمت اقتضا کند تشریع می نماید.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۲ ص: ۴۸۷

(آیه ۲)- هشت دستور در یک آیه! در این آیه چند دستور مهم اسلامی از آخرین دستوراتی که بر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نازل شده است بیان گردیده که همه یا اغلب آنها مربوط به حجّ و زیارت خانه خداست:

۱- نخست خطاب به افراد با ایمان کرده، می فرماید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! شعائر الهی را نقض نکنید و حریم آنها را حلال نشمرید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ). منظور از «شعائر اللّه» مناسک و برنامههای حجّ است.

۲- «احترام ماههای حرام را نگاه دارید و از جنگ کردن در این ماهها خودداری کنید» (وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرامَ).

۳- «قربانیانی را که برای حج می آورند، اعم از این که بینشان باشند- هدی- و یا نشان داشته باشند- قلائد- حلال نشمرید و

بگذارید که به قربانگاه برسند و در آنجا قربانی شوند» (وَ لَا الْهَدْیَ وَ لَا الْقَلائِدَ).

۴- تمام زائران خانه خدا باید از آزادی کامل در این مراسم بزرگ اسلامی بهرهمند باشند و هیچ گونه امتیازی در این قسمت در میان قبایل و افراد و نژادها و زبانها نیست بنابراین «نباید کسانی را که برای خشنودی پروردگار و جلب رضای او و حتی به دست آوردن سود تجاری به قصد زیارت خانه خدا حرکت می کنند مزاحمت کنید خواه با شما دوست باشند یا دشمن همین اندازه که مسلمانند و زائر خانه خدا مصونیت دارند» (وَ لَا آمِّینَ الْبَیْتَ الْحَرامَ یَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضُواناً).

۵- تحریم صید محدود به زمان احرام است، بنابراین «هنگامی که از احرام (حج یا عمره) بیرون آمدید، صید کردن برای شما مجاز است» (وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۸۸

۶- اگر جمعی از بت پرستان در دوران جاهلیت (در جریان حدیبیه) مزاحم زیارت شما از خانه خدا شدند و نگذاشتند مناسک زیارت خانه خدا را انجام دهید، «نباید این جریان سبب شود که بعد از اسلام آنها، کینههای دیرینه را زنده کنید و مانع آنها از زیارت خانه خدا شوید» (وَ لا یَجْرِمَنَّکُمْ شَنَآنُ قَوْم أَنْ صَدُّوکُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرام أَنْ تَعْتَدُوا).

از جمله فوق یک قانون کلی استفاده می شود و آن این که مسلمانان هر گز نباید «کینه توز» باشند و در صدد انتقام حوادثی که در زمانهای گذشته واقع شده بر آیند.

۷- سپس برای تکمیل بحث گذشته می فرماید: شما بجای این که دست به هم بدهید تا از دشمنان سابق و دوستان امروز خود انتقام بگیرید «باید دست اتحاد در راه نیکیها و تقوا به یک دیگر بدهید نه این که تعاون و همکاری بر گناه و تعدی نمایید» (وَ تَعاوَنُوا عَلَی الْإِثْم وَ الْعُدُوانِ).
 تَعاوَنُوا عَلَی الْبِرِّ وَ التَّقُوی وَ لا تَعاوَنُوا عَلَی الْإِثْم وَ الْعُدُوانِ).

۸- در پایان آیه برای تحکیم و تأکید احکام گُذشته می فرماید: «پرهیز کاری را پیشه کنید و از مخالفت فرمان خدا بپرهیزید که مجازات و کیفرهای خدا شدید است» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۳ ص : ۴۸۸

اشاره

(آیه ۳)- در آغاز این سوره اشاره به حلال بودن گوشت چهارپایان به استثنای آنچه بعدا خواهد آمد شده این آیه در حقیقت همان استثناهایی است که وعده داده شد، در اینجا حکم به تحریم یازده چیز شده است.

نخست مىفرمايد: «مردار بر شما حرام شده است» (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ).

«و همچنین خون» (وَ الـدَّمُ) «و گوشت خوک» (وَ لَحْمُ الْخِنْزِیرِ). «و حیوانـاتی که طبق سنت جـاهلیت به نام بتها و اصولا به غیر نام خدا ذبح شوند» (وَ ما أُهِلَّ لِغَیْرِ اللَّهِ بِهِ).

«و نيز حيواناتي كه خفه شده باشند حرامند» (وَ الْمُنْخَنِقَةُ).

خواه بخودی خود و یا بوسیله دام و خواه بوسیله انسان این کار انجام گردد چنانکه در زمان جاهلیت معمول بوده گاهی حیوان را در میان دو چوب یا در میان دو شاخه درخت سخت می فشردند تا بمیرد و از گوشتش استفاده کنند «و حیواناتی که با شکنجه و ضرب، جان بسپارند و یا به بیماری از دنیا بروند» (وَ الْمَوْقُوذَةُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۸۹

در تفسیر قرطبی نقل شده که در میان عرب معمول بوده که بعضی از حیوانات را به خاطر بتها آنقدر میزدند تا بمیرد و آن را

يك نوع عبادت مى دانستند! «و حيواناتى كه بر اثر پرت شدن از بلندى بميرند» (وَ الْمُتَرَدِّيَةُ).

«و حيواناتي كه به ضرب شاخ مرده باشند» (وَ النَّطِيحَةُ).

«و حيواناتي كه بوسيله حمله درندگان كشته شوند» (وَ مَا أَكُلَ السَّبُعُ).

سپس به دنبال تحریم موارد فوق می فرماید: «اگر قبل از آن که این حیوانات جان بسپرند به آنها برسند و با آداب اسلامی آنها را سر ببرند و خون بقدر کافی از آنها بیرون بریزد، حلال خواهد بود» (إِلَّا ما ذَكَّیْتُمْ).

در زمان جاهلیت بت پرستان سنگهایی در اطراف کعبه نصب کرده بودند که شکل و صورت خاصی نداشت، آنها را «نصب» می نامیدند در مقابل آنها قربانی می کردند و خون قربانی را به آنها می مالیدند، و فرق آنها با بت همان بود که بتها همواره دارای اشکال و صور خاصی بودند اما «نصب» چنین نبودند، اسلام در آیه مورد بحث این گونه گوشتها را تحریم کرده و می گوید: «حیوانهایی که روی بتها یا در برابر آنها ذبح شوند همگی بر شما حرام است» (وَ ما ذُبِحَ عَلَی النُّصُبِ). روشن است که تحریم این نوع گوشت جنبه اخلاقی و معنوی دارد نه جنبه مادی و جسمانی.

نوع دیگری از حیواناتی که تحریم آن در آیه آمده آنهاست که بصورت «بخت آزمایی» ذبح و تقسیم می گردیده و آن چنین بوده که: ده نفر با هم شرط بندی می کردند و حیوانی را خریداری و ذبح نموده سپس ده چوبه تیر، که روی هفت عدد از آنها عنوان «برنده» و سه عدد عنوان «بازنده» ثبت شده بود در کیسه مخصوصی می ریختند و به صورت قرعه کشی آنها را به نام یک یک از آن ده نفر بیرون می آوردند، هفت چوبه برنده به نام هر کس می افتاد سهمی از گوشت برمی داشت، و چیزی در برابر آن نمی پرداخت، ولی آن سه نفر که تیرهای بازنده را دریافت داشته بودند، باید هر کدام یک سوم قیمت حیوان را بپردازند، بدون این که سهمی از گوشت داشته باشند، این چوبه های تیر را «ازلام» می نامیدند، اسلام بر گزیده تفسیر نمونه،

خوردن این گوشتها را تحریم کرد، نه به خاطر این که اصل گوشت حرام بوده باشد، بلکه به خاطر این که جنبه قمار و بخت آزمایی» بر بخت آزمایی الله بخت آزمایی بر شما حرام شده است (وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلام).

روشن است که تحریم قمار و مانند آن اختصاص به گوشت حیوانات ندارد، بلکه در هر چیز انجام گیرد ممنوع است و تمام زیانهای «فعالیتهای حساب نشده اجتماعی» و برنامههای خرافی در آن جمع میباشد.

و در پایان برای تأکید بیشتر روی تحریم آنها میفرماید: «تمام این اعمال فسق است و خروج از اطاعت پروردگار» (ذلِکُمْ فِسْقٌ).

اعتدال در استفاده از گوشت-.... ص: 490

آنچه از مجموع بحثهای فوق و سایر منابع اسلامی استفاده می شود این است که روش اسلام در مورد بهره برداری از گوشتها همانند سایر دستورهایش - یک روش کاملا اعتدالی است، یعنی نه همانند مردم زمان جاهلیت که از گوشت سوسمار و مردار و خون و امثال آن می خوردند، و یا همانند بسیاری از غربیهای امروز که حتی از خوردن گوشت خرچنگ و کرمها چشم پوشی نمی کنند، و نه مانند هندوها که مطلقا خوردن گوشت را ممنوع می دانند، بلکه گوشت حیواناتی که دارای تغذیه پاک بوده و مورد تنفر نباشد حلال کرده و روی روشهای افراطی و تفریطی خط بطلان کشیده و برای استفاده از گوشتها شرایطی

مقرر داشته است.

بعد از بیان احکام فوق دو جمله پرمعنی در آیه مورد بحث به چشم میخورد نخست میگوید: «امروز کافران از دین شما مأیوس شدند بنابراین، از آنها نترسید و تنها از (مخالفت) من بترسید» (الْیَوْمَ یَئِسَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ دِینِکُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْن).

و سپس می گوید: «امروز دین و آیین شما را کامل کردم و نعمت خود را بر شما تمام نمودم و اسلام را به عنوان آیین شما پذیرفتم» (الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۹۱ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً).

روز اکمال دین کدام روز است-.... ص: 491

منظور از «الیوم» (امروز) که در دو جمله بالاـ تکرار شده چیست؟ آنچه تمام مفسران شیعه آن را در کتب خود آوردهاند و روایات متعددی از طرق معروف اهل تسنن و شیعه آن را تأیید می کند و با محتویات آیه کاملا سازگار است این که: منظور روز غدیر خم است، روزی که پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله امیر مؤمنان علی علیه السّلام را رسما برای جانشینی خود تعیین کرد، آن روز بود که آیین اسلام به تکامل نهایی خود رسید و کفار در میان امواج یأس فرو رفتند، زیرا انتظار داشتند که آیین اسلام قائم به شخص باشد، و با از میان رفتن پیغمبر صلّی الله علیه و آله اوضاع به حال سابق برگردد، و اسلام تدریجا برچیده شود، اما هنگامی که مشاهده کردند مردی که از نظر علم و تقوا و قدرت و عدالت بعد از پیامبر صلّی الله علیه و آله در میان مسلمانان بی نظیر بود به عنوان جانشینی پیامبر صلّی الله علیه و آله انتخاب و از مردم برای او بیعت گرفته شد یأس و نومیدی نسبت به آینده اسلام آنها را فرا گرفت و فهمیدند که آیینی است ریشهدار و پایدار.

نکته جالبی که باید در اینجا به آن توجه کرد این است که قرآن در سوره نور آیه ۵۵ چنین می گوید: «خداوند به آنهایی که از شما ایمان آوردند و عمل صالح انجام داده اند و عده داده است که آنها را خلیفه در روی زمین قرار دهد همان طور که پیشینیان آنان را چنین کرد، و نیز وعده داده آیینی را که برای آنان پسندیده است مستقر و مستحکم گرداند و بعد از ترس به آنها آرامش بخشد».

در این آیه خداوند می فرماید: آیینی را که برای آنها «پسندیده»، در روی زمین مستقر می سازد، با توجه به این که سوره نور قبل از سوره مائده نازل شده است و با توجه به جمله «رضیت لکم الاسلام دینا» که در آیه مورد بحث، در باره ولایت علی علیه السّیلام نازل شده، چنین نتیجه می گیریم که اسلام در صورتی در روی زمین مستحکم و ریشه دار خواهد شد که با «ولایت» تو أم باشد، زیرا این همان اسلامی است که خدا «پسندیده» و وعده استقرار و استحکامش را داده است، و به عبارت روشن تر اسلام در صورتی عالمگیر می شود که از مسأله ولایت اهل بیت جدا نگر دد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۹۲ مطلب دیگری که از ضمیمه کردن «آیه سوره نور» با آیه مورد بحث استفاده می شود این است که در آیه سوره نور سه وعده به افراد با ایمان داده شده است نخست خلافت در روی زمین، و دیگر امنیت و آرامش برای پرستش پرورد گار، و سوم استقرار آیینی که مورد رضایت خداست.

این سه وعده در روز غدیر خم با نزول آیه «الْیُوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ ...» جامه عمل بخود پوشید زیرا نمونه کامل فرد با ایمان و عمل صالح، یعنی علی علیه السّ لام به جانشینی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نصب شد و به مضمون جمله الْیَوْمَ یَئِسَ الَّذِینَ كَفَرُوا مِـنْ دِينِكَـمْ مسلمانان در آرامش و امنيت نسبى قرار گرفتنـد و نيز به مضـمون و رضـيت لكم الاسـلام دينـا آيين مـورد رضايت پروردگار در ميان مسلمانان استقرار يافت.

در پایان آیه بار دیگر به مسائل مربوط به گوشتهای حرام برگشته، و حکم صورت اضطرار را بیان می کند و می گوید: «کسانی که به هنگام گرسنگی ناگزیر از خوردن گوشتهای حرام شوند در حالی که تمایل به گناه نداشته باشند خوردن آن برای آنها حلال است، زیرا خداوند آمرزنده و مهربان است» و به هنگام ضرورت بندگان خود را به مشقت نمیافکند و آنها را کیفر نمی دهد (فَمَنِ اضْطُرَّ فِی مَخْمَصَهُ غَیْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۴ ص: ۴۹۲

اشاره

(آیه ۴)

شأن نزول: ص: 492

در باره این آیه شأن نزولهایی ذکر کردهاند که مناسبتر از همه این است: «زید الخیر» و «عدی بن حاتم» که دو نفر از یاران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بودند خدمتش رسیدند و عرض کردند: ما جمعیتی هستیم که با سگها و بازهای شکاری صید می کنیم، و سگهای شکاری ما حیوانات وحشی حلال گوشت را می گیرند، بعضی از آنها زنده به دست ما می رسد و آن را سر می بریم، ولی بعضی از آنها بوسیله سگها کشته می شوند، و ما فرصت ذبح آنها را پیدا نمی کنیم و با این که می دانیم خدا گوشت مردار را بر ما حرام کرده، تکلیف ما چیست؟ آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۴۹۲

صید حلال– به دنبال احکامی که در باره گوشـتهای حلال و حرام در دو آیه گذشته بیان شد در این آیه نیز به قسمتی دیگر از آنها اشاره کرده و به عنوان برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۹۳

پاسخ سؤالی که در این زمینه شده است، چنین میفرماید: «از تو در باره غذاهای حلال سؤال میکنند» (یَشْ تَلُونَکَ ما ذا أُحِلَّ لَهُمْ).

سپس به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهد که نخست به آنها «بگو: هر چیز پاکیزهای برای شـما حلال است» (قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ).

یعنی تمام آنچه را اسلام تحریم کرده در زمره خبائث و ناپاکها است و هیچ گاه قوانین الهی، موجود پاکیزهای که طبعا برای استفاده و انتفاع بشر آفریده شده است تحریم نمی کند.

سپس به سراغ صیدها رفته، می گوید: «صید حیوانات صیاد که تحت تعلیم شما قرار گرفتهاند، یعنی از آنچه خداوند به شما

تعليم داده به آنها آموختهايد، براى شما حلال است» (وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ).

حیوانی را که سگها شکار می کنند اگر زنده به دست آید، باید طبق آداب اسلامی ذبح شود ولی اگر پیش از آن که به آن برسند جان دهد، حلال است، اگر چه ذبح نشده باشد.

سپس در ذیل آیه اشاره به دو شـرط دیگر از شرایط حلیت چنین صیدی کرده، میفرماید: «از صیدی که سگهای شکاری برای شما نگاه داشتهاند بخورید» (فَکُلُوا مِمَّا أَمْسَکْنَ عَلَیْکُمْ).

بنابراین، اگر سگهای شکاری عادت داشته باشند قسمتی از صید خود را بخورند و قسمتی را واگذارند، چنان صیدی حلال نیست و در حقیقت چنین سگی نه تعلیم یافته است و نه آنچه را که نگاه داشته مصداق «علیکم» (برای شما) میباشد، بلکه برای خود صید کرده است.

ديگر اين كه «به هنگامي كه سگ شكاري رها مي شود، نام خدا را ببريد» (وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ).

و در پایان برای رعایت تمام این دستورات، می فرماید: «از خدا بپر هیزید، زیرا خداوند، سریع الحساب است» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِیعُ الْحِسابِ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۵ ص: ۴۹۳

اشاره

(آیه ۵)- خوردن غذای اهل کتاب و ازدواج با آنان! در این آیه که مکمل برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۹۴ آیات قبل است، نخست می فرماید: «امروز آنچه پاکیزه است برای شما حلال شده و غذاهای اهل کتاب برای شما حلال و غذاهای شما برای آنها حلال است» (الْیَوْمَ أُحِلَّ لَکُمُ الطَّیِّباتُ وَ طَعامُ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ حِلُّ لَکُمْ وَ طَعامُکُمْ حِلُّ لَهُمْ). منظور از «طعام اهل کتاب» غیر از گوشتهایی است که ذبیحه آنها باشد.

و در حدیثی از امام صادق علیه السّلام نقل شده که، در تفسیر آیه چنین فرمود:

«منظور از طعام اهل کتاب حبوبات و میوههاست، نه ذبیحههای آنها، زیرا هنگام ذبح کردن نام خدا را نمی برند»

ازدواج با زنان غير مسلمان-.... ص: 494

بعد از بیان حلیت طعام اهل کتاب، این آیه در باره ازدواج با زنان پاکدامن از مسلمانان و اهل کتاب سخن می گوید و می فرماید:

«زنان پاکدامن از مسلمانان و از اهل کتاب برای شما حلال هستند و میتوانید با آنها ازدواج کنید به شرط این که مهر آنها را بپردازید» (وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ).

«به شرط این که از طریق ازدواج مشروع باشد نه به صورت زنای آشکار، و نه بصورت دوست پنهانی انتخاب کردن» (مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ وَ لا مُتَّخِذِی أَخْدانٍ).

در حقیقت این قسمت از آیه نیز محدودیتهایی را که در مورد ازدواج مسلمانان با غیر مسلمانان بوده تقلیل میدهد و ازدواج

آنها را با زنان اهل کتاب با شرایطی تجویز مینماید- شرح بیشتر در این باره باید از کتب فقهی مطالعه شود.

ناگفته نماند که در دنیای امروز که بسیاری از رسوم جاهلی در اشکال مختلف زنده شده است این تفکر نیز به وجود آمده که انتخاب دوست زن یا مرد برای افراد مجرد بی مانع است نه تنها به شکل پنهانی، آن گونه که در زمان جاهلیت قبل از اسلام وجود داشت، بلکه به شکل آشکار نیز هم! در حقیقت دنیای امروز در آلودگی و بی بندوباری جنسی از زمان جاهلیت پا را فراتر نهاده، زیرا اگر در آن زمان تنها انتخاب دوست پنهانی را مجاز می دانستند، اینها آشکارش را نیز بی مانع می دانند و حتی با نهایت وقاحت به آن افتخار می کنند، بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۹۵

این رسم ننگین که یک فحشای آشکار و رسوا محسوب می شود از سوغاتهای شومی است که از غرب به شرق انتقال یافته و سر چشمه بسیاری از بدبختیها و جنایات شده است.

از آنجا که تسهیلات فوق در باره معاشرت با اهل کتاب و ازدواج با زنان آنها ممکن است مورد سوء استفاده بعضی قرار گیرد، و آگاهانه یا غیر آگاهانه به سوی آنها کشیده شوند در پایان آیه به مسلمانان هشدار داده، می گوید: «کسی که نسبت به آنچه باید به آن ایمان بیاورد کفر بورزد و راه مؤمنان را رها کرده، در راه کافران قرار گیرد، اعمال او بر باد میرود و در آخرت در زمره زیانکاران خواهد بود» (وَ مَنْ یَکْفُورْ بِالْإِیمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِی الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِینَ).

اشاره به این که تسهیلات مزبور علاوه بر این که گشایشی در زندگی شما ایجاد می کند باید سبب نفوذ و توسعه اسلام در میان بیگانگان گردد، نه این که شما تحت تأثیر آنها قرار گیرید، و دست از آیین خود بردارید که در این صورت مجازات شما بسیار سخت و سنگین خواهد بود.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۶ ص : ۴۹۵

(آیه ۶)- پاک سازی جسم و جان! در آیات سابق، بحثهای گوناگونی در باره «طیبات جسمی و مواهب مادی» مطرح شد، در این آیه به «طیبات روح» و آنچه باعث پاکیزگی جان انسان می گردد، اشاره شده است و قسمت قابل ملاحظهای از احکام وضو و غسل و تیمم که موجب صفای روح است، تشریح گردیده، نخست خطاب به افراد با ایمان کرده، احکام وضو را به این ترتیب بیان می کند: «ای کسانی که ایمان آورده اید هنگامی که برای نماز بپا خاستید صورت و دستهای خود را تا آرنج بشویید و قسمتی از سر و همچنین پا را تا مفصل (یا برآمدگی پشت پا) مسح کنید» (یا أَیُهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَی الْمَرافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ إِلَی الْمَرافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ إِلَی الْکَعْبَیْنِ).

بنابراین، فقط مقداری از دست که باید شسته شود در آیه ذکر شده، و اما کیفیت آن در سنت پیامبر که بوسیله اهل بیت علیهم السّلام به ما رسیده آمده است و آن شستن آرنج است به طرف سر انگشتان. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۹۶ سپس به توضیح حکم غسل پرداخته، می فرماید: «و اگر جنب باشید غسل کنید» (وَ إِنْ کُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَرُوا). روشن است که مراد از جمله «فاطّهروا» شستن تمام بدن می باشد.

«جنب» همان طور که در ذیل آیه ۴۳ سوره نساء گذشت به معنی «دور شونده» است، و اگر شخص «جنب» به این عنوان نامیده می شود به خاطر آن است که باید در آن حال، از نماز و توقف در مسجد و مانند آن دوری کند.

ضمنا از این که قرآن در آیه فوق می گوید به هنگام نماز اگر جنب هستید غسل کنید استفاده می شود که غسل جنابت جانشین وضو نیز می گردد. سپس به بیان حکم تیمم پرداخته و می گوید: «و اگر از خواب برخاستهاید و قصد نماز دارید و بیمار یا مسافر باشید و یا اگر از قضای حاجت برگشته اید و یا آمیزش جنسی با زنان کرده اید و دسترسی به آب ندارید با خاک پاکی تیمم کنید» (وَ إِنْ کُنْتُمْ مَرْضی أَوْ عَلی سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْکُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَیَمَّمُوا صَعِیداً طَیِّباً).

سپس طرز تیمم را اجمالا بیان کرده، می گوید: «بوسیله آن صورت و دستهای خود را مسح کنید» (فَامْسَـحُوا بِوُجُوهِکُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ) «۱».

و در پایان آیه، برای این که روشن شود هیچ گونه سختگیری در دستورات گذشته در کار نبوده بلکه همه آنها به خاطر مصالح قابل توجهی تشریع شده است، میفرماید: «خداوند نمیخواهد شما را به زحمت بیفکند، بلکه میخواهد شما را پاکیزه سازد و نعمت خود را بر شما تمام کند تا سپاس نعمتهای او را بگویید» (ما یُرِیدُ اللَّهُ لِیَجْعَلَ عَلَیْکُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لَکِنْ یُرِیدُ لِیُطَهِّرَ کُمْ وَ لِیُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکُمْ تَشْکُرُونَ).

در حقیقت جملههای فوق بار دیگر این واقعیت را تأکید میکند که تمام دستورهای الهی و برنامههای اسلامی به خاطر مردم و برای حفظ منافع آنها قرار

(۱) پیرامون «فلسفه وضو، تیمم و غسل» بحث جالبی که در «تفسیر نمونه» ذیل همین آیه آمده، مطالعه فرمایید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۹۷

داده شده و به هیچ وجه هدف دیگری در کار نبوده است، خداوند میخواهد با این دستورها هم طهارت معنوی و هم جسمانی برای مردم فراهم شود.

جمله ما يريـد الله ليجعل عليكم من حرج اين قانون كلى را بيان مىكند، كه احكام الهى در هيچ مورد به صورت تكليف شاق و طاقت فرسا نيست.

سوره مائده(۵): آية ۷ ص : 497

(آیه ۷)- پیمانهای الهی! در این آیه بار دیگر مسلمانان را به اهمیت نعمتهای بیپایان خداوند که مهمترین آنها نعمت ایمان و هدایت است، توجه داده میفرماید: «نعمتهای خدا بر خودتان را به یاد بیاورید» (وَ اذْکُرُوا نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ).

چه نعمتی از آن بالاتر که در سایه اسلام، همه گونه مواهب و افتخارات و امکانات نصیب مسلمانان شد و جمعیتی که قبلا کاملا پراکنده و جاهل و گمراه و خونخوار و فاسد و مفسد بودند به صورت جمعیتی متشکل و متحد و دانا با امکانات مادی و معنوی فراوان در آمدند.

سپس پیمانی را که با خدا بستهاند، یاد آور شده می گوید: «پیمانی را که بطور محکم خدا با شما بست فراموش نکنید، آن زمان که گفتید شنیدیم و اطاعت کردیم» (وَ مِیثاقَهُ الَّذِی واثَقَکُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنا وَ أَطَعْنا).

این آیه می تواند اشاره به تمام پیمانهای تکوینی و تشریعی (پیمانهایی که خدا به حکم فطرت گرفته و یا پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در مراحل مختلف از مسلمانان گرفته) باشد.

و در پایان آیه برای تأکید این معنی میفرماید: «پرهیزکاری پیشه کنید خداوند از اسرار درون سینه ها آگاه است» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۸ ص: ۴۹۷

(آیه ۸)- دعوت اکید به عدالت! این آیه دعوت به قیام به عدالت می کند و نظیر آن با تفاوت مختصری در سوره نساء آیه ۱۳۵ گذشت.

نخست خطاب به افراد با ایمان کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید همواره قیام برای خدا کنید و به حق و عدالت گواهی دهید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُونُوا قَوَّامِینَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ).

سپس به یکی از عوامل انحراف از عدالت اشاره نموده، به مسلمانان چنین برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۹۸

هشدار می دهد که: «نباید کینه ها و عداوتهای قومی و تصفیه حسابهای شخصی مانع از اجرای عدالت و موجب تجاوز به حقوق دیگران گردد، زیرا عدالت از همه اینها بالاتر است» (وَ لا یَجْرِمَنَّکُمْ شَنَآنُ قَوْم عَلی أَلَّا تَعْدِلُوا).

بار دیگر به خاطر اهمیت موضوع روی مسأله عدالت تکیه کرده، میفرماید:

«عدالت پیشه کنید که به پرهیز کاری نزدیکتر است» (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوی).

و از آنجا که عـدالت مهمترین رکن تقوا و پرهیزکاری است، برای سومین بار به عنوان تأکیـد اضافه میکند: «از خدا بپرهیزید، زیرا خداوند از تمام اعمال شما آگاه است» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۹ ص : ۴۹۸

(آیه ۹) - سپس در این آیه - طبق سنت قرآن - که پس از احکام خاصی برای تأکید و تکمیل آن اشاره به قوانین و اصول کلی می کند در اینجا نیز برای تأکید مسأله اجرای عدالت و گواهی به حق چنین می فرماید: «خداوند به کسانی که ایمان آورده اند و عمل صالح انجام می دهند و عده آمرزش و پاداش عظیم داده است» (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرً عَظِیمٌ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰ ص: ۴۹۸

(آیه ۱۰)- و در مقابل: «کسانی که خـدا را انکار کننـد و آیات او را تکـذیب نماینـد از اصـحاب دوزخنـد» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَحِیم).

قابل توجه این که آمرزش و اجر عظیم به عنوان یک وعده الهی در آیه ذکر شده و فرموده: وعد الله ... ولی کیفر دوزخ به صورت نتیجه عمل بیان شده و میفرماید: «کسانی که دارای چنین اعمالی باشند، چنان سرنوشتی خواهند داشت» و این در حقیقت اشاره به مسأله فضل و رحمت خدا در مورد پاداشهای سرای دیگر است، که به هیچ وجه برابری با اعمال ناچیز انسان ندارد، همانطور که مجازاتهای آن جهان جنبه انتقامی نداشته بلکه نتیجه اعمال خود آدمی است.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱ ص: ۴۹۸

(آیه ۱۱)- به دنبال یادآوری نعمتهای الهی در چند آیه قبل، در این آیه روی سخن را بار دیگر به مسلمانان کرده و قسمتی دیگر از نعمتهای خود را به یاد آنها میآورد تا به شکرانه آن در اطاعت فرمان خدا و اجرای اصول عدالت بکوشند، برگزیده

تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۹۹

می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! نعمت خدا را بر خودتان به یاد آورید در آن زمان که جمعیتی تصمیم گرفته بودند، دست به سوی شما دراز کنند و شما را از میان بردارند، ولی خداوند شرّ آنها را از شما دفع کرد» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ یَبْسُطُوا إِلَیْکُمْ أَیْدِیَهُمْ فَکَفَّ أَیْدِیَهُمْ عَنْکُمْ).

در حقیقت این آیه مسلمانان را متوجه خطراتی که ممکن بود برای همیشه نامشان را از صفحه روزگار براندازد میکند، و به آنها هشدار می دهد که به پاس این نعمتها «تقوا را پیشه کنید و مؤمنان باید تنها بر خدا توکل کنند» و بدانید اگر پرهیزکار باشید، در زندگی تنها نخواهید ماند و آن دست غیبی که همیشه حافظ شما بوده، باز هم از شما حمایت خواهد کرد (وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَی اللَّهِ فَلْیَتُوَکَّل الْمُؤْمِنُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۲ ص: ۴۹۹

(آیه ۱۲)- در این سوره از آغاز اشاره به مسأله وفای به عهد شده، و شاید فلسفه این همه تأکید برای اهمیت دادن به مسأله پیمان غدیر است که در آیه ۶۷ همین سوره خواهد آمد.

در این آیه می فرماید: «ما از بنی اسرائیل پیمان گرفتیم که به دستورات ما عمل کنند و به دنبال این پیمان دوازده رهبر و سرپرست برای آنها برگزیدیم» تا هر یک سرپرستی یکی از طوایف دوازده گانه بنی اسرائیل را بر عهده گیرد (وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِیثاقَ بَنِی إِسْرائِیلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَیْ عَشَرَ نَقِیباً).

سپس وعده خدا را به بنی اسرائیل چنین تشریح می کند که خداوند به آنها گفت: «من با شما خواهم بود و از شما حمایت می کنم» (وَ قالَ اللَّهُ إِنِّی مَعَکُمْ).

اما به چند شرط:

١- «به شرط اين كه نماز را بر پا داريد» (لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ).

٢- (و زكات خود را بيردازيد) (وَ آتَثِتُمُ الزَّكاةُ).

۳- «به پیامبران من ایمان بیاورید و آنها را یاری کنید» (وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِی وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ).

۴- علاوه بر این، از انفاقهای مستحب که یک نوع قرض الحسنه با خداست خودداری ننمایید» (وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۰۰

«اگر به این پیمان عمل کنید، من سیئات و گناهان گذشته شما را میبخشم» (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ).

«و شما را در باغهای بهشت که از زیر درختان آن نهرها جاری است داخل می کنم» (وَ لَلَّادْخِلَّنَکُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

«ولى آنها كه راه كفر و انكار و عصيان را پيش گيرنـد مسلما از طريق مستقيم گمراه شدهاند» (فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۳ ص: ۵۰۰

(آیه ۱۳)– در تعقیب بحثی که در باره پیمان خدا با بنی اسرائیل در آیه قبل گذشت، در این آیه اشاره به پیمان شکنی آنها و

عواقب این پیمان شکنی میکند و میفرماید: «چون آنها پیمان خود را نقض کردند ما آنها را طرد کردیم و از رحمت خود دور ساختیم و دلهای آنها را سخت و سنگین نمودیم» (فَبِما نَقْضِهِمْ مِیثاقَهُمْ لَعَنّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِیَةً).

در حقیقت آنها به جرم پیمان شکنی با این دو مجازات، کیفر دیدند، هم از رحمت خدا دور شدند، و هم افکار و قلوب آنها متحجر و غیر قابل انعطاف شد.

سپس آثار این قساوت را چنین شرح میدهد: «آنها کلمات را تحریف میکنند و از محل و مسیر آن بیرون میبرند» (یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ).

و نیز «قسمتهای قابل ملاحظهای از آنچه به آنها گفته شده بود به دست فراموشی میسپارند» (وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ).

بعید نیست قسمتی را که آنها به دست فراموشی سپردند، همان نشانه ها و آثار پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله باشد که در آیات دیگر قرآن به آن اشاره شده است، و نیز ممکن است این جمله اشاره به آن باشد که می دانیم تورات در طول تاریخ مفقود شده، سپس جمعی از دانشمندان یهود به نوشتن آن مبادرت کردند و طبعا قسمتهای فراوانی از میان رفت و قسمتی تحریف یا به دست فراموشی سپرده شد، و آنچه به دست آنها آمد بخشی از کتاب واقعی موسی (ع) بود که با خرافات زیادی آمیخته شده بود و آنها همین بخش را نیز گاهی به دست فراموشی سپردند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۰۱

سپس اضافه میفرماید: «هر روز به خیانت تازهای از آنها پی میبری، مگر دستهای از آنها که از این جنایتها برکنارنـد و در اقلیتند» (وَ لا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلی خائِنَهٍٔ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِیلًا مِنْهُمْ).

و در پایان به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهـد که «از آنها صرف نظر کن و چشم بپوش، زیرا خداوند نیکوکاران را دوست دارد» (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

بطور مسلم این گذشت و عفو در مورد آزارهایی است که به شخص پیامبر رسانیدند نه در مسائل هدفی و اصولی اسلام که در آنها گذشت معنی ندارد.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۴ ص: ۵۰۱

(آیه ۱۴) - دشمنان جاویدان! در آیه قبل سخن از پیمان شکنی بنی اسرائیل در میان بود و در این آیه به پیمان شکنی نصاری اشاره کرده، میفرماید: «جمعی از کسانی که ادعای نصرانیت میکنند، با این که از آنها پیمان وفاداری گرفته بودیم، دست به پیمان شکنی زدند و قسمتی از دستوراتی را که به آنها داده شده بود به دست فراموشی سپردند» (وَ مِنَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّا نَصاری أَخَذْنا مِیثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمًّا ذُکِّرُوا بهِ).

آری! آنها نیز با خدا پیمان بسته بودند که از حقیقت توحید منحرف نشوند و دستورات الهی را به دست فراموشی نسپارند و نشانههای آخرین پیامبر را کتمان نکنند، ولی آنها نیز به همان سرنوشت یهود گرفتار شدند.

بایـد توجه داشت «نصاری» جمع «نصـرانی» است و نامگـذاری مسیحیان به این اسم ممکن است به خاطر آن باشد که هنگامی که مسیح ناصـران و یارانی از مردم طلبیـد، آنها دعوت او را اجابت کردنـد همانطور که قرآن می گویـد: کَما قالَ عِیسَـی ابْنُ مَرْیَمَ لِلْحَوارِیِّینَ مَنْ أَنْصارِی إِلَی اللَّهِ قالَ الْحَوارِیُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ:

«همان گونه که عیسی بن مریم به حواریّون گفت: چه کسانی در راه خدا یاوران من هستند؟

حواریّون گفتنـد: ما یاوران خـدا هستیم». (صف: ۱۴) سـپس قرآن نتیجه اعمـال مسـیحیان را چنین شـرح میدهـد که: «به جرم

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۰۲

اعمالشان تا دامنه قيامت در ميان آنها عداوت و دشمني افكنديم» (فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلَى يَوْم الْقِيامَةِ).

و مجازات دیگر آنها که در آخرین جمله آیه به آن اشاره شده این است که «در آینده خداوند نتایج اعمال آنها را به آنها خبر خواهد داد و عملا با چشم خود خواهند دید» (وَ سَوْفَ یُنتَّئُهُمُ اللَّهُ بِما کانُوا یَصْنَعُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۵ ص: ۵۰۲

(آیه ۱۵) - در تعقیب آیاتی که در باره یهود و نصاری و پیمان شکنیهای آنها بحث می کرد، این آیه اهل کتاب را بطور کلی مخاطب قرار داده و از آنها دعوت به سوی اسلام کرده، نخست می گوید: «ای اهل کتاب فرستاده ما به سوی شما آمد، تا بسیاری از حقایق کتب آسمانی را که شما کتمان کرده بودید آشکار سازد، و در عین حال از بسیاری از آنها (که نیازی به ذکر نبوده و مربوط به دورانهای گذشته است) صرف نظر می کند» (یا أَهْلَ الْکِتابِ قَدْ جاءَکُمْ رَسُولُنا یُبَیِّنُ لَکُمْ کَثِیراً مِمَّا کُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْکِتابِ وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرِ).

سپس اشاره به اهمیت و عظمت قرآن مجید و اثرات عمیق آن در هدایت و تربیت بشر کرده می گوید: «از طرف خداوند نور و کتاب آشکاری به سوی شما آمد» (قَدْ جاءَکُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ کِتابٌ مُبِینٌ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۶ ص: ۵۰۲

(آیه ۱۶)- «همان نوری که خداوند بوسیله آن کسانی را که در پی کسب خشنودی او باشند به طرق سلامت هدایت می کند» (یَهْدِی بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضُوانَهُ سُبُلَ السَّلام).

و علاـوه بر این «آنهـا را از انواع ظلمتهـا ُو تاریکیها (ظلمت شـرک، ظلمت جهل، ظلمت پراکنـدگی و نفاق و ...) به سوی نور توحید، علم و اتحاد رهبری میکند» (وَ یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِهِ).

و از همه گذشته «آنها را به جاده مستقیم که هیچ گونه کجی در آن از نظر اعتقاد و برنامه عملی نیست هـدایت مینماید» (وَ یَهْدِیهِمْ إِلَی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۷ ص: ۵۰۲

(آیه ۱۷)- چگونه ممکن است مسیح، خدا باشد! برای تکمیل بحثهای گذشته در این آیه شدیدا به ادعای الوهیت مسیح (ع) حمله شده و آن را یک کفر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۰۳

آشكار شمرده و مى گويىد: «بطور مسلم كسانى كه گفتنىد: مسيح بن مريم خمدا است كافر شدند و در حقيقت خدا را انكار كردهاند» (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ).

برای روشن شدن مفهوم این جمله باید بدانیم که مسیحیان چند ادعای بیاساس در مورد خدا دارند نخست این که: عقیده به خدایان سه گانه دارند، آیه ۱۷۰ سوره نساء به آن اشاره کرده و آن را ابطال می کند.

دیگر این که: آنها خدای آفریننده عالم هستی را یکی از خدایان سه گانه می شمرند و به او خدای پدر می گویند، قرآن این عقیده را نیز در آیه ۷۳ همین سوره ابطال می کند. دیگر این که خدایان سه گانه در عین تعدد حقیقی، یکی هستند که گاهی از آن تعبیر به وحدت در تثلیث می شود، و این همان چیزی است که در آیه فوق به آن اشاره شده که آنها می گویند خدا همان مسیح بن مریم و مسیح بن مریم همان خدا است! و این دو با روح القدس یک واحد حقیقی و در عین حال سه ذات متعدد را تشکیل می دهند! سپس برای ابطال عقیده الوهیت مسیح قرآن چنین می گوید: «اگر خدا بخواهد مسیح و مادرش مریم و تمام کسانی را که در زمین زندگی می کنند هلاک کند چه کسی می تواند جلو آن را بگیرد» (قُلْ فَمَنْ یَمْلِکُ مِنَ اللَّهِ شَیْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ یُهْلِکَ الْمَسِیحَ ابْنَ مَرْیَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِی الْأَرْض جَمِیعاً).

اشاره به این که مسیح مانند مادرش مریم و مانند همه افراد بشر انسانی بیش نبود و به همین دلیل فنا و نیستی در ذات او راه دارد و چنین چیزی، چگونه ممکن است خداوند ازلی و ابدی باشد! و در پایان آیه به گفتار آنهایی که تولد مسیح را بدون پدر دلیلی بر الوهیت او می گیرند پاسخ داده، می گوید: «خداوند حکومت آسمانها و زمین و آنچه را میان این دو است در اختیار دارد هر گونه مخلوقی بخواهد می آفریند (خواه انسانی بدون پدر و مادر مانند آدم، و خواه انسانی از پدر و مادر مانند آدم، و خواه انسانی از پدر و مادر مانند انسانهای بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۰۴

معمولی، و خواه فقط از مادر مانند مسیح، این تنوع خلقت دلیل بر قدرت اوست و دلیل بر هیچ چیز دیگر نیست) و خداوند بر هر چیزی تواناست» (وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۸ ص: ۵۰۴

(آیه ۱۸) - در این آیه به یکی از ادعاهای بی اساس و امتیازات موهومی که یهود و نصاری داشتند اشاره کرده می گوید: «یهود و نصاری گفتند: ما فرزندان خدا و دوستان او هستیم»! (وَ قالَتِ الْیَهُودُ وَ النَّصاری نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ)! اما می دانیم که قرآن با تمام این امتیازات موهوم مبارزه می کند و امتیاز هر انسانی را تنها در ایمان و عمل صالح و پرهیز کاری او می شمرد، لذا در ادامه آیه برای ابطال این ادعا چنین می گوید: «بگو: پس چرا شما را در مقابل گناهانتان مجازات می کند»؟ (قُلْ فَلِمَ یُعَ ذَّبُکُمْ بُذُنُوبِکُمْ).

این مجازات گناهکاران نشانه آن است که ادعای ارتباط فوق العاده با خدا! تا آنجا که خود را دوستان، بلکه فرزندان خدا میشمارید، ادعایی بیاساس است.

به علاوه تاریخ شما نشان میدهد که گرفتار یک سلسله مجازاتها و کیفرهای الهی در همین دنیا نیز شدهاید و این دلیل دیگری بر بطلان ادعای شماست.

سپس برای تأکید مطلب اضافه می کند: «شما بشری هستید از مخلوقات خدا، همانند سایر انسانها» (بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ). و این یک قانون عمومی است که «خدا هر که را بخواهد (و شایسته ببیند) می بخشد و هر که را بخواهد (و مستحق ببیند) کیفر می دهد» (یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ).

از این گذشته «همه مخلوق خـدا هسـتند و بنـده و مملوک او، بنابراین نام فرزنـد خدا بر کسـی گذاشـتن منطقی نیست» (وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما).

«و سر انجام هم تمام مخلوقات به سوى او باز مى گردند» (وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۹ ص: ۵۰۴

(آیه ۱۹)– باز در این آیه روی سخن به اهل کتاب است: «ای اهل کتاب برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۰۵

و ای یهود و نصاری پیامبر ما به سوی شما آمد و در عصری که میان پیامبران الهی فترت و فاصلهای واقع شده بود حقایق را برای شما بیان کرد، مبادا بگویید از طرف خدا بشارت دهنده و بیم دهنده به سوی ما نیامد» (یا أَهْلَ الْکِتابِ قَدْ جاءَکُمْ رَسُولُنا یُبَیِّنُ لَکُمْ عَلی فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِیرٍ وَ لا نَذِیرٍ).

آری! «بشیر» و «نـذیر» یعنی پیامبر اسـلام صـلّی اللّه علیه و آله (که افراد با ایمان و نیکوکار را به رحمت و پاداش الهی بشارت داده و افراد بیایمان و گنهکار و آلوده را از کیفرهای الهی بیم میدهد به سوی شما آمد» (فَقَدْ جاءَکُمْ بَشِیرٌ وَ نَذِیرٌ).

و در پایان آیه می فرماید: «خداوند بر هر چیز تواناست» (وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَـیْءٍ قَدِیرٌ). یعنی مبعوث ساختن پیامبران و برانگیختن جانشینان آنها برای نشر دعوت حق در برابر قدرت او ساده و آسان است.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۰ ص: ۵۰۵

(آیه ۲۰)- بنی اسرائیل و سرزمین مقدس! از این به بعد قرآن برای زنده کردن روح حق شناسی در یهود، و بیدار کردن و جدان آنها در برابر خطاهایی که در گذشته مرتکب شدند، تا به فکر جبران بیفتند، نخست چنین می گوید: به خاطر بیاورید «زمانی را که موسی به پیروان خود گفت: ای بنی اسرائیل نعمتهایی را که خدا به شما ارزانی داشته است بیاد آورید» (وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ یا قَوْم اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ).

سپس به سه نعمت مهم اشاره کرده، نخست می گوید: «هنگامی که در میان شما پیامبرانی قرار داد» و زنجیر فرعونی را شکست (إذْ جَعَلَ فِیكُمْ أَنْبِیاءَ).

در پرتو این نعمت بود که از درّه هولناک شـرک و بت پرستی و گوساله پرستی رهایی یافتند، و این بزرگترین نعمت معنوی در حق آنها بود.

سپس به بزرگترین موهبت مادی که به نوبه خود مقدمه مواهب معنوی نیز میباشد اشاره کرده میفرماید: «شما را صاحب اختیار جان و مال و زندگی خود قرار داد» (وَ جَعَلَکُمْ مُلُوکاً).

زیرا بنی اسرائیل سالیان دراز در زنجیر اسارت و بردگی فرعون و فرعونیان بودند و هیچ گونه «اختیاری» از خود نداشتند، خداوند به برکت قیام موسی آنها را برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۰۶

صاحب اختیار هستی و زندگی خود ساخت.

و در آخر آیه بطور کلی به نعمتهای مهم و برجستهای که در آن زمان به احدی داده نشده بود اشاره فرموده، می گوید: «به شما چیزهایی داده که به احدی از عالمیان نداد» (وَ آتاکُمْ ما لَمْ یُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِینَ).

این نعمتهای متنوع، فراوان بودند، که شرح آن در آیه ۵۷ سوره بقره گذشت.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۱ ص: ۵۰۶

(آیه ۲۱)- در این آیه جریان ورود بنی اسرائیل را به سرزمین مقدس چنین بیان می کند: «موسی به قوم خود گفت: شما به سرزمین مقدسی که خداوند برایتان مقرر داشته است وارد شوید، و برای ورود به آن از مشکلات نترسید و از فداکاری مضایقه نکنید، اگر به این فرمان پشت کنید زیان خواهید دید» (یا قَوْم ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةُ الَّتِی کَتَبَ اللَّهُ لَکُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا

عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۲ ص: ۵۰۶

(آیه ۲۲) – اما بنی اسرائیل در برابر این پیشنهاد موسی – همانطور که روش افراد ضعیف و ترسو و بی اطلاع است که مایلند همه پیروزیها در سایه تصادفها و یا معجزات برای آنها فراهم شود و به اصطلاح لقمه را بگیرند و در دهانشان بگذارند «به او گفتند: ای موسی! تو که می دانی در این سرزمین جمعیتی جبار و زورمند زندگی می کنند و ما هر گز در آن گام نخواهیم گذاشت تا آنها این سرزمین را تخلیه کرده و بیرون روند، هنگامی که آنها خارج شوند ما فرمان تو را اطاعت خواهیم کرد و گام در این سرزمین مقدس خواهیم گذاشت» (قالُوا یا مُوسی إِنَّ فِیها قَوْماً جَبًّارِینَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّی یَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ یَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ داخِلُونَ).

این پاسخ بنی اسرائیل به خوبی نشان میدهـد که استعمار فرعونی در طول سالیان دراز چه اثر شومی روی نسل آنها گذارده بود.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۳ ص: ۵۰۶

(آیه ۲۳) – سپس قرآن می گوید: «در این هنگام دو نفر از مردان با ایمان که ترس از خدا در دل آنها جای داشت و به همین دلیل مشمول نعمتهای بزرگ او شده بودند (و روح استقامت و شهامت را با دوراندیشی و آگاهی اجتماعی و نظامی آمیخته بودند برای دفاع از پیشنهاد موسی بیا خاستند و به بنی اسرائیل) گفتند: شما برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۰۷ از دروازه شهر وارد بشوید، هنگامی که وارد شدید (و آنها را در برابر عمل انجام شده قرار دادید) پیروز خواهید شد» (قال رُجُلانِ مِنَ الَّذِینَ یَخافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِمَا ادْخُلُوا عَلَیْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّکُمْ غالِبُونَ).

«ولى بايد در هر صورت از روح ايمان استمداد كنيد و بر خدا تكيه نماييد تا به اين هدف برسيد» (وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۲۴ ص: ۵۰۷

(آیه ۲۴) - ولی بنی اسرائیل هیچ یک از این پیشنهادها را نپذیرفتند و به خاطر ضعف و زبونی که در روح و جان آنها لانه کرده بود، صریحا به موسی خطاب کرده، گفتند: «ما تا آنها در این سرزمینند هرگز و ابدا وارد آن نخواهیم شد تو و پروردگارت که به تو وعده پیروزی داده است بروید و با عمالقه بجنگید هنگامی که پیروز شدید ما را خبر کنید ما در اینجا نشسته ایم» (قالُوا یا مُوسی إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِیها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ).

این آیه نشان می دهد که بنی اسرائیل جسارت را در مقابل پیامبر خود به حد اکثر رسانیده بودند.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۵ ص: ۵۰۷

(آیه ۲۵)- در این آیه میخوانیم که موسی بکلی از جمعیت مأیوس گشت و دست به دعا برداشت و جدایی خود را از آنها با

این عبارت تقاضا کرد:

«پروردگارا! من تنها اختیاردار خود و برادرم هستم، خداوندا! میان ما و جمعیت فاسقان و متمردان جدایی بیفکن» تا نتیجه اعمال خود را ببینند و اصلاح شوند (قالَ رَبِّ إِنِّی لا أَمْلِکُ إِلَّا نَفْسِی وَ أَخِی فَافْرُقْ بَیْنَنا وَ بَیْنَ الْقَوْم الْفاسِقِینَ).

البته کاری که بنی اسرائیل کردند یعنی رد صریح فرمان پیامبرشان در سر حد کفر بود و اگر می بینیم قرآن لقب «فاسق» به آنها داده است به خاطر آن است که فاسق معنی وسیعی دارد و هر نوع خروج از رسم عبودیت و بندگی خدا را شامل می شود.

سوره مائده (۵): آیهٔ ۲۶ ص: ۵۰۷

(آیه ۲۶)- سر انجام دعای موسی به اجابت رسید و بنی اسرائیل نتیجه شوم اعمال خود را گرفتند زیرا از طرف خداوند به موسی چنین وحی فرستاده شد که: «این جمعیت از ورود در این سرزمین مقدس که مملو از انواع مواهب برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۰۸

مادى و معنوى بود تا چهل سال محروم خواهند ماند» (قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً). «به علاوه در اين چهل سال بايد در بيابانها سرگردان باشند» (يَتِيهُونَ فِي الْأَرْض).

سپس به موسى مى گويىد: هر چه بر سر جمعيت اين سرزمين در اين مىدت بيايد به جا است «هيچ گاه در باره فاسقان از اين سرنوشت غمگين مباش» (فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْم الْفاسِقِينَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۷ ص: ۵۰۸

(آیه ۲۷)- نخستین قتل در روی زمین! از این آیه به بعد داستان فرزند آدم، و قتل یکی به وسیله دیگری، شرح داده شده است و شاید ارتباط آن با آیات سابق- که در باره بنی اسرائیل بود- این باشد که انگیزه بسیاری از خلافکاریهای بنی اسرائیل مسئله «حسد» بود، و خداوند در اینجا به آنها گوشزد می کند که سر انجام حسد چگونه ناگوار و مرگبار می باشد که حتی به خاطر آن برادر دست به خون برادر خود می آلاید! نخست می فرماید: «ای پیامبر! داستان دو فرزند آدم را به حق بر آنها بخوان» (وَ اتّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَیْ آدَمَ بالْحَقِّ).

ذكر كلمه «بالحقّ» ممكن است اشاره به اين باشد كه سـرگذشت مزبور در «عهد قديم» (تورات) با خرافاتي آميخته شده است، اما آنچه در قرآن آمده عين واقعيتي است كه روى داده است.

سپس به شـرح داسـتان میپردازد و میگویـد: «در آن هنگـام که هر کـدام کـاری برای تقرب به پروردگار انجام دادنـد، اما از یکی پذیرفته شد و از دیگری پذیرفته نشد» (إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ).

و همین موضوع سبب شد برادری که عملش قبول نشده بود دیگری را تهدید به قتل کند، و «سوگند یاد نماید که تو را خواهم کشت»! (قالَ لَأَقْتُلَنَّکَ).

اما برادر دوم او را نصیحت کرد که اگر چنین جریانی پیش آمده گناه من نیست بلکه ایراد متوجه خود تو است که عملت با تقوا و پرهیزکاری همراه نبوده است و «گفت: خدا تنها از پرهیزکاران میپذیرد» (قالَ إِنَّما یَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۰۹

سوره مائده(۵): آیهٔ ۲۸ ص: ۵۰۹

(آیه ۲۸)– سپس اضافه کرد: حتی «اگر تو، به تهدیدت جامه عمل بپوشانی و دست به کشتن من دراز کنی، من هرگز مقابله به مثل نخواهم کرد و دست به کشتن تو دراز نمی کنم» (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَیَّ یَدَکَ لِتَقْتُلَنِی ما أَنَا بِباسِطٍ یَدِیَ إِلَیْکَ لِأَقْتُلَکَ). «چرا که من از خدا می ترسم» و هرگز دست به چنین گناهی نمی آلایم» (إِنِّی أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِینَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۲۹ ص: ۵۰۹

(آیه ۲۹)- به علاموه من نمیخواهم بـار گنـاه دیگری را به دوش بکشم «بلکه میخواهم تو بـار گنـاه من و خویش را به دوش بکشی» (إِنِّی أُرِیدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِی وَ إِثْمِکَ). و مسلما با قبول این مسؤولیت بزرگ «از دوزخیان خواهی بود و همین است جزای ستمکاران» (فَتَکُونَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ وَ ذلِکَ جَزاءُ الظَّالِمِینَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۰ ص: ۵۰۹

(آیه ۳۰)– پرده پوشی بر جنایت! در این آیه و آیه بعـد دنباله ماجرای فرزندان آدم تعقیب شده، نخست می گوید: «سـر انجام، نفس سرکش قابیل او را مصمم به کشتن برادر کرد و او را کشت» (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِیهِ فَقَتَلَهُ).

سپس می گوید: «و بر اثر این عمل زیانکار شد» (فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِینَ).

چه زیانی از این بالاتر که عذاب وجدان و مجازات الهی و نام ننگین را تا دامنه قیامت برای خود خرید.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۱ ص: ۵۰۹

(آیه ۳۱) - در روایتی از امام صادق علیه السّ لام نقل شده، هنگامی که قابیل برادر خود را کشت، او را در بیابان افکنده بود، و نمی دانست چه کند! چیزی نگذشت که درندگان به سوی جسد هابیل روی آوردند، در این موقع همانطور که قرآن می گوید: «خداوند زاغی را فرستاد که خاکهای زمین را کنار بزند (و با پنهان کردن جسد بیجان زاغ دیگر، و یا با پنهان کردن قسمتی از طعمه خود، آنچنان که عادت زاغ است) به قابیل نشان دهد که چگونه جسد برادر خویش را به خاک بسپارد» (فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً یَبْحَثُ فِی الْاَرْض لِیُریَهُ کَیْفَ یُوارِی سَوْأَهٔ أَخِیهِ).

سپس قرآن اضافه می کند در این موقع قابیل از غفلت و بیخبری خود ناراحت شـد و «فریاد برآورد که ای وای بر من! آیا من باید از این زاغ هم ناتوانتر باشم و نتوانم همانند او جسد برادرم را دفن کنم» (قالَ یا وَیْلَتی أَ عَجَزْتُ أَنْ أَکُونَ مِثْلَ هذَا برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۱۰

الْغُرابِ فَأُوارِيَ سَوْأَةً أَخِي)

اما به هر حال «سر انجام از کرده خود نادم و پشیمان شد» (فَأَصْ بَحَ مِنَ النَّادِمِینَ). البته این ندامت دلیل بر توبه او از گناه نخواهد ب...چ

در حدیثی از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله نقـل شـده که فرمود: «خون هیچ انسانی به ناحق ریخته نمی شود مگر این که سهمی از مسؤولیت آن بر عهده قابیل است که این سنت شوم آدمکشی را در دنیا بنا نهاد».

سوره مائده (۵): آیهٔ ۳۲ ص: ۵۱۰

(آیه ۳۲) - پیوند انسانها! پس از ذکر داستان فرزندان آدم یک نتیجه گیری کلی و انسانی در این آیه شده است، نخست می فرماید: «به خاطر همین موضوع بر بنی اسرائیل مقرر داشتیم که هر گاه کسی انسانی را بدون ارتکاب قتل، و بدون فساد در روی زمین به قتل برساند، چنان است که گویا همه انسانها را کشته است و کسی که انسانی را از مرگ نجات دهد گویا همه انسانها را از مرگ نجات داده است» (مِنْ أَجْلِ ذلِکَ کَتَبْنا عَلی بَنِی إِسْرائِیلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَیْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِی الْأَرْضِ فَکَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِیعاً وَ مَنْ أَحْیاها فَکَأَنَّما أَحْیَا النَّاسَ جَمِیعاً).

چگونه قتل یک انسان مساوی است با قتل همه انسانها و نجات یک نفر مساوی با نجات همه انسانها؟

آنچه می توان گفت این است که: قرآن در این آیه یک حقیقت اجتماعی و تربیتی را بازگو می کند زیرا: کسی که دست به خون انسان بیگناهی می آلاید در حقیقت چنین آمادگی را دارد که انسانهای بیگناه دیگری را به قتل برساند، او در حقیقت یک قاتل است و طعمه او انسان بیگناه، و می دانیم تفاوتی در میان انسانهای بیگناه از این نظر نیست، همچنین کسی که به خاطر نوع دوستی و عاطفه انسانی، دیگری را از مرگ نجات بخشد این آمادگی را دارد که این برنامه انسانی را در مورد هر بشر دیگری انجام دهد و با توجه به این که قرآن می گوید: «فکأنّما ...»

استفاده می شود که مرگ و حیات یک نفر اگر چه مساوی با مرگ و حیات اجتماع نیست اما شباهتی به آن دارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۱۱

قابل توجه این که، کسی از امام صادق علیه السلام تفسیر این آیه را پرسید، امام فرمود: منظور از «کشتن» و «نجات از مرگ» که در آیه آمده نجات از آتش سوزی یا غرقاب و مانند آن است، سپس امام سکوت کرد و بعد فرمود: تأویل اعظم و مفهوم بزرگتر آیه این است که دیگری را دعوت به سوی راه حق یا باطل کند و او دعوتش را بپذیرد.

در پایان آیه اشاره به قانون شکنی بنی اسرائیل کرده می فرماید: «پیامبران ما با دلایل روشن برای ارشاد آنها آمدند ولی بسیاری از آنها قوانین الهی را در هم شکستند و راه اسراف را در پیش گرفتند» (وَ لَقَـدْ جاءَتْهُمْ رُسُرِلُنا بِالْبَیِّناتِ ثُمَّ إِنَّ کَثِیراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِکَ فِی الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ).

«اسراف» در لغت، معنی وسیعی دارد که هر گونه تجاوز و تعدی از حد را شامل می شود اگر چه غالبا در مورد بخششها و هزینه ها و مخارج به کار می رود.

سوره مائده (۵): آیهٔ ۳۳ ص: ۵۱۱

اشاره

(آیه ۳۳)

شأن نزول: ص: 311

نقل شده که: جمعی از مشرکان خدمت پیامبر آمدند و مسلمان شدند اما آب و هوای مدینه به آنها نساخت، رنگ آنها زرد و بدنشان بیمار شد، پیامبر صلّی الله علیه و آله برای بهبودی آنها دستور داد به خارج مدینه، در نقطه خوش آب و هوایی از صحرا که شتران زکات را در آنجا به چرا میبردند بروند و ضمن استفاده از آب و هوای آنجا از شیر تازه شتران به حد کافی استفاده کنند، آنها چنین کردند و بهبود یافتند اما به جای تشکر از پیامبر صلّی الله علیه و آله چوپانهای مسلمان را دست و پا بریده و چشمان آنها را از بین بردند و سپس دست به کشتار آنها زدند و از اسلام بیرون رفتند. پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور داد آنها را دستگیر کردند و همان کاری که با چوپانها انجام داده بودند به عنوان مجازات در باره آنها انجام یافت، آیه در باره این گونه اشخاص نازل گردید و قانون اسلام را در مورد آنها شرح داد.

تفسير: ص: ۵۱۱

کیفر آنها که به جان و مال مردم حمله میبرند- این آیه در حقیقت بحثی را که در مورد قتل نفس در آیات سابق بیان شد تکمیل می کند و جزای افراد متجاوزی را که اسلحه به روی مسلمانان می کشند و با تهدید به مرگ و حتی کشتن، اموالشان را به غارت می برند، با شدت هر چه تمامتر بیان می کند، و می گوید: «کیفر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۱۲

کسانی که با خدا و پیامبر به جنگ برمیخیزند و در روی زمین دست به فساد میزنند این است که (یکی از چهار مجازات در مورد آنها اجرا شود. نخست:) این که کشته شوند، (دیگر) این که به دار آویخته شوند، (سوم) این که دست و پای آنها بطور مخالف (دست راست با پای چپ) بریده شود (چهارم) این که از زمینی که در آن زندگی می کنند تبعید گردند» (إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْ عَوْنَ فِی الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتِّلُوا أَوْ يُصَ لَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَیْدِیهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ یُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ

در پایان آیه می فرماید: «این مجازات و رسوایی آنها در دنیا است و (تنها به این مجازات قناعت نخواهد شد بلکه) در آخرت نیز کیفر سخت و عظیمی خواهند داشت» (ذلِکَ لَهُمْ خِزْیٌ فِی الدُّنْیا وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِیمٌ).

از این جمله استفاده می شود که حتی اجرای حدود و مجازاتهای اسلامی مانع از کیفرهای آخرت نخواهد گردید.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۴ ص: ۵۱۲

(آیه ۳۴) – سپس برای این که راه بازگشت را حتی به روی این گونه جانیان خطرناک نبندد، می گوید: «مگر کسانی که پیش از دسترسی به آنها توبه و بازگشت کنند که مشمول عفو خداوند خواهند شد و بدانید خداوند غفور و رحیم است» (إِلَّا الَّذِینَ تابُوا مِنْ قَبْل أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

البته توبه آنها، تنها تأثير در ساقط شدن حق الله و مجازات محارب دارد و اما حق الناس بدون رضايت صاحب حق، ساقط نخواهد شد- دقت كنيد.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۵ ص: ۵۱۲

(آیه ۳۵)– حقیقت توسل! در این آیه روی سخن به افراد با ایمان است و به آنها سه دستور برای رستگار شدن داده شده.

نخست می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! تقوا و پرهیز کاری پیشه کنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه). سپس دستور می دهد که: «وسیله ای برای تقرب به خدا انتخاب نمایید» (وَ ابْتَغُوا إِلَیْهِ الْوَسِیلَهُ). و سر انجام «دستور به جهاد در راه خدا می دهد» (وَ جاهِدُوا فِی سَیلِهِ). و نتیجه همه آنها این است که «در مسیر رستگاری قرار گیرید» (لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ). بر گزیده تفسر نمونه، ج۱، ص: ۵۱۳

«وسیله» در آیه فوق معنی بسیار وسیعی دارد و هر کار و هر چیزی را که باعث نزدیک شدن به پیشگاه مقدس پروردگار می شود شامل می گردد که مهمترین آنها را علی علیه السّلام در «نهج البلاغه» این چنین برمی شمرد:

«بهترین چیزی که به وسیله آن می توان به خدا نزدیک شد ایمان به خدا و پیامبر او و جهاد در راه خداست که قلّه کوهسار اسلام است، و همچنین جمله اخلاص (لا اله الّا اللّه) که همان فطرت توحید است، و بر پاداشتن نماز که آیین اسلام است، و زکوهٔ که فریضه واجبه است، و روزه ماه رمضان که سپری است در برابر گناه و کیفرهای الهی، و حج و عمره که فقر و پریشانی را دور می کنند و گناهان را می شوید، و صله رحم که ثروت را زیاد و عمر را طولانی می کند، انفاقهای پنهانی که جبران گناهان می نماید و انفاق آشکار که مرگهای ناگوار و بد را دور می سازد و کارهای نیک که انسان را از سقوط نجات می دهد».

و نیز شفاعت پیامبران و امامان و بندگان صالح خدا که طبق صریح قرآن باعث تقرب به پروردگار می گردد، در مفهوم وسیع توسل داخل است.

لازم به تذکر است که هرگز منظور از «توسل» این نیست چیزی را از شخص پیامبر یا امام مستقلا تقاضا کنند، بلکه منظور این است با اعمال صالح یا پیروی از پیامبر و امام، یا شفاعت آنان و یا سوگند دادن خداوند به مقام و مکتب آنها (که خود یک نوع احترام و اهتمام به موقعیت آنها و یک نوع عبادت است) از خداوند چیزی را بخواهند و این معنی، نه بوی شرک می دهد و نه بر خلاف آیات دیگر قرآن است و نه از عموم آیه فوق بیرون می باشد – دقت کنید.

سوره مائده (۵): آیهٔ ۳۶ ص: ۵۱۳

(آیه ۳۶) - در تعقیب آیه قبل که به مؤمنان دستور تقوا و جهاد و تهیه وسیله میداد، در این آیه به عنوان بیان علت دستور سابق به سرنوشت افراد بی ایمان و آلوده اشاره کرده، می فرماید: «افرادی که کافر شدند اگر تمام آنچه روی زمین است و همانند آن را داشته باشند تا برای نجات از مجازات روز قیامت بدهند از آنها پذیرفته نخواهد شد و عذاب دردناکی خواهند داشت» (إِنَّ الَّذِينَ کَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِیَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذابِ یَوْمِ الْقِیامَةِ مَا تُقَبِّلَ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص:

مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ)

. تنها در پرتو ایمان و تقوا و جهاد و عمل می توان رهایی یافت.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۳۷ ص: ۵۱۴

(آیه ۳۷)– سپس به دوام این کیفر اشاره کرده، می گویـد: «آنها پیوسـته میخواهند از آتش دوزخ خارج شوند ولی توانایی بر آن را ندارند و کیفر آنها ثابت و برقرار خواهد بود» (یُرِیدُونَ أَنْ یَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ ما هُمْ بِخارِجِینَ مِنْها وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِیمٌ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۳۸ ص: ۵۱۴

(آیه ۳۸)- مجازات دزدان! در چند آیه قبل احکام «محارب» بیان شد، در این آیه، به همین تناسب حکم دزد یعنی کسی که بطور پنهانی و مخفیانه اموال مردم را میبرد بیان گردیده است، نخست میفرماید: «دست مرد و زن سارق را قطع کنند» (وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقُ فَاقْطَعُوا أَیْدِیَهُما).

از روایات اهل بیت علیه السیلام استفاده می شود که تنها چهار انگشت از دست راست بریده می شود، نه بیشتر، اگر چه فقهای اهل تسنن بیش از آن گفته اند! در اینجا مرد دزد بر زن دزد مقدم داشته شده در حالی که در آیه حد زناکار، زن زانیه بر مرد زانی مقدم ذکر شده است، این تفاوت شاید به خاطر آن باشد که در مورد دزدی عامل اصلی بیشتر مردانند و در مورد ارتکاب زنا عامل و محرک مهمتر زنان بی بندوبار! سپس می گوید: «این کیفری است در برابر اعمالی که انجام داده اند و مجازاتی است از طرف خداوند» (جَزاءً بِما کَسَبا نَکالًا مِنَ اللَّهِ).

و در پایان آیه برای رفع این توهم که مجازات مزبور عادلانه نیست میفرماید: «خداونـد توانا (قدرتمند) و حکیم است» (وَ اللَّهُ عَزیزٌ حَکِیمٌ).

بنابراین دلیلی ندارد که از کسی انتقام بگیرد و کسی را بیحساب مجازات کند.

سوره مائده (۵): آیهٔ ۳۹ ص: ۵۱۴

(آیه ۳۹) - در این آیه راه بازگشت را به روی آنها گشوده و میفرماید: «کسی که بعد از این ستم توبه کند و در مقام اصلاح و جبران برآیـد خداونـد او را خواهـد بخشـید زیرا خداونـد آمرزنـده و مهربـان است» (فَمَنْ تـابَ مِنْ بَعْـدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْـلَحَ فَإِنَّ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۱۵

اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

. آیا بوسیله توبه تنها گناه او بخشوده می شود و یا این که حد سرقت (بریدن دست) نیز ساقط خواهد شد؟

معروف در میان فقهای ما این است که: اگر قبل از ثبوت سرقت در دادگاه اسلامی توبه کند حدّ سرقت نیز از او برداشته می شود، ولی هنگامی که از طریق دو شاهد عادل، جرم او ثابت شد با توبه حدّ از بین نمی رود.

سوره مائده (۵): آیهٔ ۴۰ ص: ۵۱۵

(آیه ۴۰) - به دنبال حکم توبه سارقان روی سخن را به پیامبر بزرگ اسلام صلّی اللّه علیه و آله کرده، میفرماید: «آیا نمی دانی که خداوند مالک آسمان و زمین است (و هر گونه صلاح بداند در آنها تصرف می کند) هر کس را که شایسته مجازات بداند، مجازات و هر کس را که شایسته بخشش ببیند، می بخشد و او بر هر چیز تواناست» (أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ وَ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرً).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۱ ص: ۵۱۵

شأن نزول: ص: ۵۱۵

از امام باقر علیه السّلام نقل شده که: یکی از اشراف یهود خیبر که دارای همسر بود، با زن شوهرداری که او هم از خانوادههای سرشناس خیبر محسوب می شد عمل منافی عفت انجام داد، یهودیان از اجرای حکم تورات (سنگسار کردن) در مورد آنها ناراحت بودند، این بود که به هم مسلکان خود در مدینه پیغام فرستادند که حکم این حادثه را از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله بپرسند (تا اگر در اسلام حکم سبکتری بود آن را انتخاب کنند و در غیر این صورت آن را نیز به دست فراموشی بسپارند و شاید از این طریق میخواستند توجه پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله را نیز به خود جلب کنند و خود را دوست مسلمانان معرفی نمایند).

در این موقع حکم سنگباران کردن کسانی که مرتکب زنای محصنه می شود نازل گردید، ولی آنها از پذیرفتن این حکم شانه خالی کردند! پیامبر صلّی اللّه علیه و آله اضافه کرد: این همان حکمی است که در تورات شما نیز آمده، آیا موافقید که یکی از شما را به داوری بطلبم و هر چه او از زبان تورات نقل کرد بپذیرید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۱۶

گفتند: آري.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله گفت: ابن صوریا که در فدک زندگی میکند چگونه عالمی است؟

گفتنـد: او از همه یهود به تورات آشناتر است، به دنبـال او فرسـتادند و هنگـامی که نزد پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله آمـد به او فرمود: آیا حکم سنگباران کردن در چنین موردی در تورات بر شما نازل شده است یا نه؟

او در پاسخ گفت: آری! چنین حکمی در تورات آمده است.

پیامبر صلّی الله علیه و آله گفت: چرا از اجرای این حکم سرپیچی می کنید؟

او در جواب گفت: حقیقت این است که ما در گذشته این حد را در باره افراد عادی اجرا می کردیم، ولی در مورد ثروتمندان و اشراف خودداری مینمودیم، این بود که گناه مزبور در طبقات مرفّه جامعه ما رواج یافت. به همین جهت ما قانونی سبکتر از قانون سنگسار کردن تصویب نمودیم.

در این هنگام پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور داد که آن مرد و زن را در مقابل مسجد سنگسار کنند.

و فرمود: خدایا من نخستین کسی هستم که حکم تو را زنده نمودم بعد از آن که یهود آن را از بین بردند.

در این هنگام آیه نازل شد و جریان مزبور را بطور فشرده بیان کرد.

تفسير: ص: ۵۱۶

داوری میان دوست و دشمن- از این آیه و چند آیه بعد از آن استفاده می شود که قضات اسلام حق دارند با شرایط خاصی در باره جرایم و جنایات غیر مسلمانان نیز قضاوت کنند.

آیه مورد بحث با خطاب (یا أُیُهَا الرَّسُولُ) «ای فرستاده!» آغاز شده، گویا به خاطر اهمیت موضوع میخواهد حس مسؤولیت را در پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بیشتر تحریک کند و اراده او را تقویت نماید. سپس به دلداری پیامبر صلّی الله علیه و آله به عنوان مقدمهای برای حکم بعد پرداخته و میفرماید: «آنها که با زبان، مدعی ایمانند و قلب آنها هر گز ایمان نیاورده و در کفر بر یکدیگر سبقت می جویند هر گز نباید مایه اندوه تو شوند» زیرا این وضع تازگی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۱۷

ندارد (لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ).

بعد از ذکر کارشکنیهای منافقان و دشمنان داخلی به وضع دشمنان خارجی و یهود پرداخته و می گوید: «همچنین کسانی که از یهود نیز این مسیر را می پیمایند نباید مایه اندوه تو شوند» (وَ مِنَ الَّذِینَ هادُوا).

بعد اشاره به پارهای از اعمال نفاق آلود کرده، می گوید: «آنها زیاد به سخنان تو گوش می دهند) اما این گوش دادن برای درک و اطاعت نیست، بلکه برای این است) که دستاویزی برای تکذیب و افترا بر تو پیدا کنند» (سَمَّاعُونَ لِلْکَذِبِ).

این جمله تفسیر دیگری نیز دارد، «آنها به دروغهای پیشوایان خود فراوان گوش میدهنـد. ولی حاضـر به پـذیرش سـخن حق نیستند».

صفت دیگر آنها این است که نه تنها برای دروغ بستن به مجلس شما حاضر می شوند، بلکه «در عین حال جاسوسهای دیگران که نزد تو نیامده اند نیز می باشند» (سَمَّاعُونَ لِقَوْم آخَرِینَ لَمْ یَأْتُوکَ).

یکی دیگر از صفات آنها این است که «سخنان ً خدا را تحریف می کنند (خواه تحریف لفظی و یا تحریف معنوی هر حکمی را بر خلاف منافع و هوسهای خود تشخیص دهند) آن را توجیه و تفسیر و یا بکلی رد می کنند» (یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ). عجب تر این که آنها پیش از آن که نزد تو بیایند تصمیم خود را گرفته اند، «بزرگان آنها به آنان دستور داده اند که اگر محمد حکمی موافق خواست ما گفت، بپذیرید و اگر بر خلاف خواست ما بود از آن دوری کنید» (یَقُولُونَ إِنْ أُوتِیتُمْ هـذا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا».

اینها در گمراهی فرو رفتهاند و به این ترتیب امیدی به هدایت آنها نیست، و خدا میخواهد به این وسیله آنها را مجازات کرده و رسوا کند «و کسی که خدا اراده مجازات و رسوایی او را کرده است هرگز تو قادر بر دفاع از او نیستی» (وَ مَنْ یُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلْنْ تَمْلِکَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَیْئاً). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۱۸

آنها به قدری آلودهاند که قابل شستشو نمیباشند به همین دلیل «آنها کسانی هستند که خدا نمیخواهد قلب آنها را شستشو دهد» (أُولئِکَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ).

در پایان آیه میفرماید: «آنها هم در این دنیا رسوا و خوار خواهند شد و هم در آخرت کیفر عظیمی خواهند داشت» (لَهُمْ فِی اللَّنِیا خِزْیٌ وَ لَهُمْ فِی اللَّخِرَةِ عَذابٌ عَظِیمٌ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۴۲ ص: ۵۱۸

(آیه ۴۲) - در این آیه بار دیگر قرآن تأکید می کند که «آنها گوش شنوا برای شنیدن سخنان تو و تکذیب آن دارند» و یا گوش شنوایی برای شنیدن دروغهای بزرگانشان دارند (سَمَّاعُونَ لِلْکَذِبِ).

این جمله به عنوان تأکید و اثبات این صفت زشت برای آنها تکرار شده است.

علاوه بر این «آنها زیاد اموال حرام و ناحق و رشوه میخورند» (أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ). سپس به پیامبر صلّی الله علیه و آله اختیار می دهـد که «هرگاه این گونه اشخاص برای داوری به تو مراجعه کردنـد می توانی در میان آنها داوری به احکام اسلام کنی و

مى توانى از آنها روى گردانى» (فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ).

و برای تقویت روح پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله اضافه می کند: «اگر صلاح بود که از آنها روی بگردانی هیچ زیانی نمی توانند به تو برسانند» (وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوکَ شَيْئاً). «و اگر خواستی در میان آنها داوری کنی حتما باید اصول عدالت را رعایت نمایی، زیرا خداوند افراد دادگر و عدالت پیشه را دوست دارد» (وَ إِنْ حَکَمْتَ فَاحْکُمْ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۳ ص: ۵۱۸

(آیه ۴۳)– این آیه بحث در باره یهود را در مورد داوری خواستن از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله که در آیه قبل آمده بود تعقیب می کنـد و از روی تعجب می گوید: «چگونه اینها تو را به داوری می طلبند در حالی که تورات نزد آنهاست و حکم خدا در آن آمده است و به آن ایمان دارند»! (وَ کَیْفَ یُحَکِّمُونَکَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراهُ فِیها حُکْمُ اللَّهِ).

باید دانست که حکم مزبور یعنی (حکم سنگسار کردن زن و مردی که زنای برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۱۹ محصنه کردهاند) در تورات کنونی در فصل بیست و دوم از سفر تثنیه آمده است.

عجب این که «بعد از انتخاب تو برای داوری، حکم تو را که موافق حکم تورات است چون بر خلاف میل آنهاست نمی پذیرند» (ثُمَّ یَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ).

«حقیقت این است که آنها اصولا ایمان ندارند» و گر نه با احکام خدا چنین بازی نمی کردند» (وَ ما أُولئِکَ بِالْمُؤْمِنِينَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۴۴ ص: ۵۱۹

(آیه ۴۴)- این آیه و آیه بعد، بحث گذشته را تکمیل کرده، و اهمیت کتاب آسمانی موسی، یعنی تورات را چنین شرح می دهد: «ما تورات را نازل کردیم که در آن هدایت و نور بود» هدایت به سوی حق و نور و روشنایی برای برطرف ساختن تاریکیهای جهل و نادانی (إِنَّا أَنْزُلْنَا التَّوْراهُ فِیها هُدیً وَ نُورٌ).

«به همین جهت پیامبران الهی که در برابر فرمان خدا تسلیم بودند و بعد از نزول تورات روی کار آمدند همگی بر طبق آن برای یهود، حکم می کردند» (یَحْکُمُ بِهَا النَّبِیُّونَ الَّذِینَ أَسْلَمُوا لِلَّذِینَ هادُوا).

نه تنها آنها چنین می کردند بلکه «علمای بزرگ یهود و دانشمندان با ایمان و پاک آنها، بر طبق این کتاب آسمانی که به آنها سپرده شده بود، و بر آن گواه بودند داوری می کردند» (وَ الرَّبَّائِیُّونَ وَ الْاَّحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ کِتابِ اللَّهِ وَ کانُوا عَلَیْهِ شُهَداءً). در اینجا روی سخن را به آن دسته از دانشمندان اهل کتاب که در آن عصر می زیستند کرده، می گوید: «از مردم نترسید (و احکام واقعی خدا را بیان کنید) بلکه از مخالفت من بترسید» که اگر حق را کتمان کنید مجازات خواهید شد (فَلا تَخْشُوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ). و همچنین «آیات خدا را به بهای کمی نفروشید» (وَ لا تَشْتَرُوا بِآیاتِی ثَمَناً قَلِیلًا).

در حقیقت سر چشمه کتمان حق و احکام خدا یا ترس از مردم و عوامزدگی است و یا جلب منافع شخصی و هر کدام باشد نشانه ضعف ایمان و سقوط شخصیت است، و در جملههای بالا به هر دو اشاره شده است.

و در پایان آیه، حکم قاطعی در باره این گونه افراد که بر خلاف حکم خدا بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۲۰ داوری میکننـد صادر کرده، میفرمایـد: «آنها که بر طبق احکام خـدا داوری نمیکننـد، کافرند» (وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ

سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۵ ص: ۵۲۰

(آیه ۴۵) – قصاص و گذشت! این آیه قسمت دیگری از احکام جنایی و حدود الهی تورات را شرح میدهد، و میفرماید: «ما در تورات قانون قصاص را مقرر داشتیم که اگر کسی عمدا بیگناهی را به قتل برساند اولیای مقتول می توانند قاتل را در مقابل اعدام نمایند» (وَ کَتَبْنا عَلَیْهِمْ فِیها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ).

«و اگر کسی آسیب به چشم دیگری برساند و آن را از بین ببرد او نیز می تواند، چشم او را از بین ببرد» (وَ الْعُیْنَ بِالْعُیْنِ). «و همچنین در مقابل بریدن بینی، جایز است بینی جانی بریده شود» (وَ الْاَنْفَ بِالْاَنْفِ). «و نیز در مقابل بریدن گوش، بریدن گوش طرف، مجاز است» (وَ الْاُذُنَ بِالْاَذُنِ). «و اگر کسی دندان دیگری را بشکند او می تواند دندان جانی را در مقابل بشکند» (وَ السِّنَ بِالسِّنَ بِاللَّهُ و بلاون هیچ گونه تفاوت از نظر نژاد و طبقه اجتماعی و طایفه و شخصیت اجرا می گردد. ولی برای آن که این توهم پیش نیاید که خداوند قصاص کردن را الزامی شمرده و دعوت به مقابله به مثل نموده است، به دنبال این حکم می فرماید: «اگر کسی از حق خود بگذرد و عفو و بخشش کند، کفارهای برای گناهان او محسوب می شود، و به همان نسبت که گذشت به خرج داده خداوند از او گذشت می کند» (فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ کَفَارَهُ لَهُ).

و در پایان آیه میفرماید: «کسانی که بر طبق حکم خداوند، داوری نکنند ستمگرند» (وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولِئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

چه ظلمی از این بالاتر که ما گرفتار احساسات و عواطف کاذبی شده و از شخص قاتل به بهانه این که خون را با خون نباید شست بکلی صرف نظر کنیم!

سوره مائده(۵): آیهٔ ۴۶ ص: ۵۲۰

(آیه ۴۶) - در تعقیب آیات مربوط به تورات، در این آیه اشاره به وضع بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۲۱ انجیل کرده، می گوید: «پس از رهبران و پیامبران پیشین، مسیح را مبعوث کردیم، در حالی که (به حقانیت تورات اعتراف داشت و) نشانههای او کاملا با نشانههایی که تورات داده بود تطبیق می کرد» (وَ قَفَیْنا عَلی آثارِهِمْ بِعِیسَ ی ابْنِ مَرْیَمَ مُصَدِدًا لِما بینَ یَدَیْهِ مِنَ التَّوْراؤ).

سپس مي گويد: «انجيل را در اختيار او گذاشتيم که در آن هدايت و نور بود» (وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَىً وَ نُورٌ).

اطلاق نور به این دو کتاب در قرآن، ناظر به تورات و انجیل اصلی است.

بـار دیگر به عنـوان تأکیـد، روی این مطلب تکیه میکنـد که «نه تنهـا عیسـی بن مریم، تـورات را تصـدیق میکرد، بلکه انجیل کتاب آسمانی او نیز گواه صدق تورات بود» (وَ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ التَّوْراؤِ).

و در پایان می فرماید: «این کتاب آسمانی مایه هدایت و اندرز پرهیزکاران بود» (وَ هُدیً وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِینَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۴۷ ص: ۵۲۱

(آیه ۴۷)- آنها که به قانون خدا حکم نمی کنند! پس از اشاره به نزول انجیل در آیات گذشته، در این آیه می فرماید: «ما به اهل انجیل دستور دادیم که به آنچه خدا در آن نازل کرده است، داوری کنند» (وَ لْیَحْکُمْ أَهْلُ الْإِنْجِیلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِیهِ). منظه راین است، که ما سی از نزول انجیل بر عسم (۶) به به وان او دسته ردادیم که به آن عمل کنند و طبق آن داوری

منظور این است، که ما پس از نزول انجیل بر عیسی (ع) به پیروان او دستور دادیم که به آن عمل کنند و طبق آن داوری نمایند.

و در پایان آیه، بار دیگر تأکید میکند: «کسانی که بر طبق حکم خدا داوری نکنند فاسقند» (وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۴۸ ص: ۵۲۱

(آیه ۴۸) - در این آیه اشاره به موقعیت قرآن بعد از ذکر کتب پیشین انبیاء شده است. نخست می فرماید: «ما این کتاب آسمانی را به حق بر تو نازل کردیم در حالی که کتب پیشین را تصدیق کرده (و نشانه های آن، بر آنچه در کتب پیشین آمده تطبیق می کند) و حافظ و نگاهبان آنهاست» (وَ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الْكِتابِ بِالْحَقِّ مُصَ دِقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۲۲

اساسا تمام کتابهای آسمانی، در اصول مسائل هماهنگی دارند و هدف واحد یعنی، تربیت و تکامل انسان را تعقیب میکنند. سپس دستور میدهـد که چون چنین است «طبق احکامی که بر تو نازل شده است در میان آنها داوری کن» (فَاحْکُمْ بَیْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ).

بعد اضافه می کند: «از هوی و هوسهای آنها (که مایلند احکام الهی را بر امیال و هوسهای خود تطبیق دهند) پیروی مکن و از آنچه به حق بر تو نازل شده است روی مگردان» (وَ لا تَتَبعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَکَ مِنَ الْحَقِّ).

و برای تکمیل این بحث می گوید: «برای هر کدام از شما آیین و شریعت و طریقه و راه روشنی قرار دادیم» (لِکُلِّ جَعَلْنا مِنْکُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً).

سپس می فرماید: «خداوند می توانست همه مردم را امت واحدی قرار دهد و همه را پیرو یک آیین سازد ولی خدا می خواهد شما را در آنچه به شما بخشیده بیازماید» و استعدادهای مختلف شما را پرورش دهد (وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ).

سر انجام، همه اقوام و ملل را مخاطب ساخته و آنها را دعوت می کند که به جای صرف نیروهای خود در اختلاف و مشاجره «در نیکیها بر یکدیگر پیشی بگیرید» (فَاسْتَبِقُوا الْخَیْراتِ).

زیرا «بازگشت همه شما به سوی خداست و اوست که شما را از آنچه در آن اختلاف میکنید در روز رستاخیز آگاه خواهد ساخت» (إلَی اللَّهِ مَوْجِعُکُمْ جَمِیعاً فَیُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۴۹ ص: ۵۲۲

اشاره

شأن نزول: ص: ۵۲۲

از ابن عباس نقل شده: جمعی از بزرگان یهود توطئه کردند و گفتند: نزد محمد صلّی اللّه علیه و آله میرویم شاید بتوانیم او را از آیین خود منحرف سازیم، پس از این تبانی، نزد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمدند و گفتند: ما دانشمندان و اشراف یهودیم و اگر ما از تو پیروی کنیم سایر یهودیان نیز به ما اقتدا می کنند ولی در میان ما و جمعیتی، نزاعی است (در مورد یک قتل یا چیز دیگر) اگر در این نزاع به نفع ما داوری کنی ما به تو ایمان خواهیم آورد، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله از چنین قضاوتی (که عادلانه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۲۳

نبود) خودداری کرد و این آیه نازل شد.

تفسير: ص: ٥٢٣

در این آیه بـار دیگر خداونـد به پیامبر خود تأکیـد میکنـد که «در میان اهل کتاب بر طبق حکم خداونـد داوری کن و تسلیم هوی و هوسهای آنها نشو» (وَ أَنِ احْکُمْ بَیْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَبعْ أَهْواءَهُمْ).

سپس به پیامبر صلّی الله علیه و آله هشدار می دهد که «اینها تبانی کرده اند تو را از بعض احکامی که خدا بر تو نازل کرده منحرف سازند مراقب آنها باش» (وَ احْدَدُرهُمْ أَنْ یَفْتِنُوکَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْکَ). «و اگر اهل کتاب در برابر داوری عادلانه تو تسلیم نشوند، بدان این نشانه آن است که (گناهان آنها دامانشان را گرفته است و توفیق را از آنها سلب کرده) و خدا میخواهد آنها را به خاطر بعضی از گناهانشان مجازات کند» (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما یُرِیدُ اللَّهُ أَنْ یُصِیبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ). و در پایان آیه می فرماید: اگر آنها در راه باطل این همه پافشاری می کنند، نگران مباش «زیرا بسیاری از مردم فاسقند» (وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ النَّاس لَفاسِقُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۰ ص: ۵۲۳

(آیه ۵۰)- در این آیه به عنوان استفهام انکاری میفرماید: آیا اینها که مدعی پیروی از کتب آسمانی هستند «انتظار دارند با احکام جاهلی و قضاوتهای آمیخته با انواع تبعیضات در میان آنها داوری کنی» (أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِیَّةِ یَبْغُونَ). «در حالی که هیچ داوری برای قومی که اهل یقین هستند، بالاتر و بهتر از حکم خدا نیست» (وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمِ

سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۱ ص: ۵۲۳

اشاره

يُوقِنُونَ).

شأن نزول: ص: 223

در مورد نزول این آیه و دو آیه بعد نقل کردهاند که: بعد از جنگ بدر، عبادهٔ بن صامت خزرجی خدمت پیامبر رسید و گفت: من هم پیمانانی از یهود دارم که از نظر عدد زیاد و از نظر قدرت نیرومندند، اکنون که آنها ما را تهدید به جنگ می کنند و حساب مسلمانان از غیر مسلمانان جدا شده است من از دوستی و هم پیمانی با آنان برائت می جویم، هم پیمان من تنها خدا و پیامبر اوست.

عبد الله بن أبي گفت: ولي من از هم پيماني با يهود برائت نميجويم، زيرا از حوادث مشكل مي ترسم و به آنها نيازمندم. برگزيده تفسير نمونه، ج١، ص: ٥٢۴

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به او فرمود: آنچه در مورد دوستی با یهود بر عباده می ترسیدیم، بر تو نیز می ترسم (و خطر این دوستی و هم پیمانی برای تو از او بیشتر است) عبد اللّه گفت: چون چنین است من هم می پذیرم و با آنها قطع رابطه می کنم، آیه نازل شد و مسلمانان را از هم پیمانی با یهود و نصاری بر حذر داشت.

تفسير: ص: ۵۲۴

قرآن، مسلمانان را از همكارى با يهود و نصارى بشدت برحذر مىدارد، نخست مى گويد: «اى كسانى كه ايمان آوردهايد، يهود و نصارى را تكيه گاه و هم پيمان خود قرار ندهيد» (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ).

یعنی ایمان به خدا ایجاب می کند که به خاطر جلب منافع مادی با آنها همکاری نکنید.

سپس با یک جمله کوتاه، دلیل این نهی را بیان کرده، می گوید: «هر یک از آن دو طایفه، دوست و هم پیمان هممسلکان خود هستند» (بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْض).

یعنی، تا زمانی که منافع خودشان و دوستانشان مطرح است، هرگز به شما نمیپردازند.

روی این جهت، «هر کس از شما طرح دوستی و پیمان با آنها بریزد، از نظر تقسیم بندی اجتماعی و مذهبی جزء آنها محسوب خواهد شد» (وَ مَنْ یَتَوَلَّهُمْ مِنْکُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ). و شک نیست که «خداوند چنین افراد ستمگری را که به خود و برادران و خواهران مسلمان خود خیانت کرده و بر دشمنانشان تکیه میکنند، هدایت نخواهد کرد» (إِنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۲۴ ص: ۵۲۴

(آیه ۵۲)- در این آیه اشاره به عذرتراشیهایی می کند که افراد بیمارگونه برای توجیه ارتباطهای نامشروع خود با بیگانگان، انتخاب می کنند، و می گوید:

«آنهایی که در دلهایشان بیماری است، اصرار دارنـد که آنان را تکیهگاه و همپیمان خود انتخاب کننـد، و عذرشان این است که می گوینـد: مـا می ترسیم قـدرت به دست آنهـا بیفتـد و گرفتار شویم» (فَتَرَی الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ یُسارِعُونَ فِیهِمْ یَقُولُونَ نَخْشی أَنْ تُصِیبَنا دائِرَهُّ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۲۵

قرآن در پاسخ آنها می گوید: همانطور که آنها احتمال میدهند روزی قدرت به دست یهود و نصاری بیفتد، این احتمال را نیز

بایـد بدهند که «ممکن است سـر انجام، خداوند مسـلمانان را پیروز کند و قدرت به دست آنها بیفتد و این منافقان، از آنچه در دل خود پنهان ساختند، پشیمان گردند» (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ یَأْتِیَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَیُصْبِحُوا عَلی ما أَسَرُّوا فِی أَنْفُسِهِمْ نادِمِینَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۳ ص: ۵۲۵

(آیه ۵۳) - در این آیه به سر انجام کار منافقان اشاره کرده می گوید: در آن هنگام که فتح و پیروزی نصیب مسلمانان راستین شود، و کار منافقان برملا گردد «مؤمنان از روی تعجب می گویند آیا این افراد منافق، همانها هستند که این همه ادعا داشتند و با نهایت تأکید قسم یاد می کردند که با ما هستند، چرا سر انجام کارشان به اینجا رسید» (وَ یَقُولُ الَّذِینَ آمَنُوا أَ هُولًا ِ الَّذِینَ أَمْنُوا أَ هُولًا ِ الَّذِینَ أَمْنُوا أَ هُولًا ِ الَّذِینَ أَمْنُوا أَ هُولًا ِ اللّهِ جَهْدَ أَیْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَکُمْ).

و به خاطر همین نفاق، «همه اعمال نیک آنها بر باد رفت (زیرا از نیت پاک و خالص سر چشمه نگرفته بود، و) به همین دلیل زیانکار شدند» هم در این جهان و هم در جهان دیگر (حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرِینَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۴ ص: ۵۲۵

(آیه ۵۴)- پس از بحث در باره منافقان، سخن از مرتدانی که طبق پیش بینی قرآن بعدها از این آیین مقدس روی برمی گرداندند به میان میآورد و به عنوان یک قانون کلی به همه مسلمانان اخطار می کند: «اگر کسانی از شما از دین خود بیرون روند (زیانی به خدا و آیین او و جامعه مسلمین و آهنگ سریع پیشرفت آنها نمی رسانند) زیرا خداوند در آینده جمعیتی را برای حمایت از این آیین برمی انگیزد» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اللَّهُ بِقَوْمٍ).
سپس صفات کسانی که باید این رسالت بزرگ را انجام دهند، چنین شرح می دهد:

۱- آنها به خدا عشق میورزند و جز به خشنودی او نمی اندیشند «هم خدا آنها را دوست دارد و هم آنها خدا را دوست دارند» (یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ).

۲ و ۳- «در برابر مؤمنان خاضع و مهربان و در برابر دشمنان و ستمكاران، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۲۶ سرسخت و خشن و پرقدرتند» (أَذِلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى الْكافِرِينَ).

۴- «جهاد در راه خدا بطور مستمر از برنامه های آنهاست» (یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ).

۵- آخرین امتیازی که برای آنان ذکر می کند این است که: «در راه انجام فرمان خدا و دفاع از حق، از ملامت هیچ ملامت کنندهای نمی هراسند» (وَ لا یَخافُونَ لَوْمَهٔ لائِم).

و در پایان می گوید: «به دست آوردن این امتیازات (علاوه بر کوشش انسان) مرهون فضل الهی است که هر کس بخواهد و شایسته ببیند می دهد» (ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ). «و خداوند دایره فضل و کرمش، وسیع و به آنها که شایستگی دارند آگاه است» (وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۵ ص: ۵۲۶

شأن نزول ص: ۵۲۶

آیه ولایت: در مورد نزول این آیه از «عبد الله بن عباس» نقل شده که: روزی در کنار چاه زمزم نشسته بود و برای مردم از قول پیامبر صلّی اللّه علیه و آله حدیث نقل می کرد، ناگهان مردی که عمامهای بر سر داشت و صورت خود را پوشانیده بود نزدیک آمد و هر مرتبه که ابن عباس از پیغمبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله حدیث نقل می کرد او نیز با جمله «قال رسول اللّه» حدیث دیگری از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نقل می نمود.

ابن عباس او را قسم داد تا خود را معرفی کند، او صورت خود را گشود و صدا زد ای مردم! هر کس مرا نمی شناسد بداند من أبو ذر غفاری هستم با این گوشهای خودم از رسولخدا صلّی اللّه علیه و آله شنیدم، و اگر دروغ می گویم هر دو گوشم کر باد، و با چشمان خود این جریان را دیدم و اگر دروغ می گویم هر دو چشمم کور باد، که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: علی قائد البررهٔ و قاتل الکفرهٔ منصور من نصره مخذول من خذله «علی علیه السّ لام پیشوای نیکان است، و کشنده کافران، هر کس او را یاری کند، خدا یاریش خواهد کرد، و هر کس دست از یاریش بردارد، خدا دست از یاری او برخواهد داشت».

سپس أبو ذر اضافه كرد: اى مردم! روزى از روزها با رسولخدا صلّى الله عليه و آله در مسجد نماز مىخواندم، سائلى وارد مسجد شد و از مردم تقاضاى كمك كرد، ولى كسى برگزيده تفسير نمونه، ج١، ص: ۵۲۷

چیزی به او نداد، او دست خود را به آسمان بلند کرد و گفت: خدایا تو شاهد باش که من در مسجد رسول تو تقاضای کمک کردم ولی کسی جواب مساعد به من نداد، در همین حال علی علیه السّی لام که در حال رکوع بود با انگشت کوچک دست راست خود اشاره کرد. سائل نزدیک آمد و انگشتر را از دست آن حضرت بیرون آورد، پیامبر صلّی الله علیه و آله که در حال نماز بود جریان را مشاهده کرد، هنگامی که از نماز فارغ شد، سر به سوی آسمان بلند کرد و چنین گفت: «خداوندا! برادرم موسی از تو تقاضا کرد که روح او را وسیع گردانی و کارها را بر او آسان سازی و گره از زبان او بگشایی تا مردم گفتارش را درک کنند، و نیز موسی درخواست کرد هارون را که برادرش بود وزیر و یاورش قرار دهی و بوسیله او نیرویش را زیاد کنی و در کارهایش شریک سازی.

خداوندا! من محمد پیامبر و برگزیده توام، سینه مرا گشاده کن و کارها را بر من آسان ساز، از خاندانم علی علیه السّ<u>ه لام را</u> وزیر من گردان تا بوسیله او، پشتم قوی و محکم گردد».

أبو ذر مى گويـد: هنوز دعـاى پيـامبر صـلّى الله عليه و آله پايـان نيافته بود كه جبرئيل نازل شـد و به پيامبر صـلّى الله عليه و آله گفت: بخوان! پيامبر صلّى اللّه عليه و آله فرمود: چه بخوانم؟ گفت: بخوان انّما وليّكم اللّه و رسوله و الّذين آمنوا ..

تفسير: ص: ۵۲۷

این آیه با کلمه «انّما» که در لغت عرب به معنی انحصار می آید شروع شده و می گوید: «ولیّ و سرپرست و متصرف در امور شما سه کس است: خدا و پیامبر و کسانی که ایمان آوردهاند، و نماز را برپا میدارند و در حال رکوع زکات میدهند» (إِنّما وَلِیّکُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاةَ وَ هُمْ راکِعُونَ). منظور از «ولیّ» در آیه فوق ولایت به معنی، سرپرستی و تصرف و رهبری مادی و معنوی است. بخصوص این که این ولایت در ردیف ولایت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و ولایت خدا قرار گرفته و هر سه با یک جمله ادا شده است. و به این ترتیب، آیه از آیاتی است که به عنوان یک نصّ قرآنی دلالت بر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۲۸ ولایت و امامت علی علیه السّلام می کند.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۶ ص: ۵۲۸

(آیه ۵۶)- این آیه تکمیلی برای مضمون آیه پیش است و هدف آن را تأکید و تعقیب می کند، و به مسلمانان اعلام می دارد که: «کسانی که ولایت و سرپرستی و رهبری خدا و پیامبر صلّی الله علیه و آله و افراد با ایمانی را که در آیه قبل به آنها اشاره شد بپذیرند پیروز خواهند شد، زیرا آنها در حزب خدا خواهند بود و حزب خدا پیروز است» (وَ مَنْ یَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ).

در این آیه قرینه دیگری بر معنی ولایت که در آیه پیش اشاره شد دیده می شود، زیرا تعبیر به «حزب الله» و «غلبه آن» مربوط به حکومت اسلامی است، نه یک دوستی ساده و عادی و این خود می رساند که ولایت در آیه به معنی سرپرستی و حکومت و زمامداری اسلام و مسلمین است، زیرا در معنی حزب یک نوع تشکل و همبستگی و اجتماع برای تأمین اهداف مشترک افتاده است.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۲۸ ص: ۵۲۸

اشاره

(آیه ۵۷)

شأن نزول: ص: 228

در مورد نزول این آیه، مفسران نقل کردهاند که: دو نفر از مشرکان به نام «رفاعه» و «سوید» اظهار اسلام کردند و سپس جزء دار و دسته منافقان شدند، بعضی از مسلمانان با این دو نفر رفت و آمد داشتند و اظهار دوستی می کردند، آیه نازل شد و به آنها اخطار کرد که از این عمل بپرهیزید.

تفسیر: ص: ۵۲۸

در این آیه بار دیگر خداوند به مؤمنان دستور میدهد که از انتخاب منافقان و دشمنان به عنوان دوست بپرهیزید، منتها برای تحریک عواطف آنها و توجه دادن به فلسفه این حکم، چنین می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! آنها که آیین شما را به باد استهزاء و یا به بازی می گیرند، چه آنها که از اهل کتابند و چه آنها که از مشرکان و منافقانند، هیچ یک از آنان را به

عنوان دوست انتخاب نكنيد» (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكَمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِياءَ).

و در پایان آیه این موضع را تأکید میکند که طرح دوستی با آنان، با تقوا و ایمان سازگار نیست بنابراین «از خدا بترسید، اگر ایمان دارید» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۲۹

سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۸ ص: ۵۲۹

اشاره

(آیه ۵۸)

شأن نزول: ص: ۵۲۹

در مورد نزول این آیه که دنباله آیه قبل است نقل شده که: جمعی از یهود و بعضی از نصاری صدای مؤذن را که می شنیدند و یا قیام مسلمانان را به نماز می دیدند شروع به مسخره و استهزاء می کردند، قرآن مسلمانان را از طرح دوستی با این گونه افراد برحذر داشت.

تفسير: ص: ٥٢٩

در این آیه در تعقیب بحث گذشته در مورد نهی از دوستی با منافقان و جمعی از اهل کتاب که احکام اسلام را به باد استهزاء می گرفتند، اشاره به یکی از اعمال آنها به عنوان شاهد و گواه کرده، می گوید: «هنگامی که (اذان می گویید و مسلمانان را) به سوی نماز دعوت می کنید، آن را به باد استهزاء و بازی می گیرند» (وَ إِذا نادَیْتُمْ إِلَی الصَّلاهِ اتَّخَذُوها هُزُواً وَ لَعِباً).

قابل ذکر این که همانطور که در روایات اهل بیت علیه السّلام وارد شده است اذان از طریق وحی به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله تعلیم داده شد.

سپس علت عمل آنها را چنین بیان می کند: «این به خاطر آن است که آنها جمعیت نادانی می باشند و از درک حقایق بدورند» (ذلِکَ بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَعْقِلُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۵۹ ص : ۵۲۹

اشاره

شأن نزول: ص: 229

در مورد نزول این آیه و آیه بعد از ابن عباس نقل شده که: جمعی از یهود نزد پیامبر صلّی الله علیه و آله آمدند و درخواست کردند عقاید خود را برای آنها شرح دهد، پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: من به خدای بزرگ و یگانه ایمان دارم و آنچه بر ابراهیم و اسماعیل و اسحاق و یعقوب و موسی و عیسی و همه پیامبران الهی نازل شده حق میدانم، و در میان آنها جدایی نمیافکنم، آنها گفتند: ما عیسی را نمی شناسیم و به پیامبری نمی پذیریم، سپس افزودند: ما هیچ آیینی بدتر از آیین شما سراغ نداریم! این دو آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ٥٢٩

در این آیه، خداوند به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهد که از اهل کتاب سؤال کن و «بگو: چه کار خلافی از ما سر زده که شما از ما عیب می گیرید و انتقاد می کنید؟ جز این که ما به خدای یگانه ایمان آورده ایم و در برابر آنچه بر ما و بر انبیاء پیشین نازل شده تسلیم هستیم» (قُلْ یا أَهْلُ الْکِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنّا إِلّا أَنْ آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۳۰

و در پایان آیه جملهای میبینیم که در حقیقت بیان علت جمله قبل است، می گوید: اگر شما توحید خالص و تسلیم در برابر تمام کتب آسمانی را بر ما ایراد می گیرید به خاطر آن است که بیشتر شما فاسق و آلوده به گناه شدهاید، چون خود شما آلوده و منحرفید اگر کسانی پاک و بر جاده حق باشند در نظر شما عیب است (وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۶۰ ص: ۵۳۰

(آیه ۶۰) - در این آیه عقاید تحریف شده و اعمال نادرست اهل کتاب و کیفرهایی که دامنگیر آنها گردیده است با وضع مؤمنان راستین و مسلمان، مقایسه گردیده، تا معلوم شود کدامیک از این دو دسته در خور انتقاد و سرزنش هستند و این یک پاسخ منطقی است که برای متوجه ساختن افراد لجوج و متعصب به کار میرود، در این مقایسه چنین می گوید: ای پیامبر! به آنها بگو:

آیـا ایمـان به خـدای یگانه و کتب آسـمانی داشـتن در خور سـرزنش و ایراد است، یا اعمال ناروای کسانی که گرفتار آن همه مجازات الهی شدند «به آنها بگو: آیا شما را آگاه کنم از کسانی که پاداش کارشان در پیشگاه خدا از این بدتر است» (قُلْ هَلْ أُنَّبُنُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ).

سپس به تشریح این مطلب پرداخته و می گوید: «آنها که بر اثر اعمالشان مورد لعن و غضب پروردگار واقع شدند و آنان را به صورت «میمون» و «خوک» مسخ کرد، و آنها که پرستش طاغوت و بت نمودند، مسلما این چنین افراد، موقعیتشان در این دنیا و محل و جایگاهشان در روز قیامت بـدتر خواهد بود، و از راه راست و جاده مستقیم گمراهترند» (مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةُ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضَلَّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۱ ص: ۵۳۰

(آیه ۶۱) - در این آیه - برای تکمیل بحث در باره منافقان اهل کتاب - پرده از روی نفاق درونی آنها برداشته و به مسلمانان چنین اعلام می کند: «هنگامی که نزد شما می آیند می گویند ایمان آوردیم در حالی که با قلبی مملو از کفر داخل می شوند و به همان حال نیز از نزد شما بیرون می روند و منطق و استدلال و سخنان شما در قلب آنها کمترین اثری نمی بخشد» (وَ إِذَا جَاوُ کُمْ قالُوا آمَنًا وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْکُفْرِ وَ هُمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۳۱

قَدْ خَرَجُوا بِهِ).

و در پایان آیه به آنها اخطار می کند که «با تمام این پردهپوشیها، خداوند از آنچه آنها کتمان می کنند، آگاه و باخبر است» (وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما كَانُوا يَكْتُمُونَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۶۲ ص: ۵۳۱

(آیه ۶۲) - در این آیه نشانههای دیگری از نفاق آنها را بازگو میکند، از جمله این که میگوید: «بسیاری از آنها را میبینی که در مسیر گناه و ستم و خوردن اموال حرام بر یکدیگر سبقت میجویند» (وَ تَری کَثِیراً مِنْهُمْ یُسارِعُونَ فِی الْإِثْمِ وَ الْعُدُوانِ وَ أَکْلِهِمُ السُّحْتَ).

یعنی، آنچنان آنها در راه گناه و ستم گام برمیدارنـد که گویا به سوی اهداف افتخار آمیزی پیش میروند، و بدون هیچ گونه شرم و حیا، سعی میکنند از یکدیگر پیشی گیرند.

و در پایان آیه برای تأکید زشتی اعمال آنها می گوید: «چه عمل زشت و ننگینی آنها انجام میدهند» و بر آن مداومت دارند (لَبِئْسَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۳ ص: ۵۳۱

(آیه ۶۳) – سپس در این آیه، حمله را متوجه دانشمندان آنها کرده که با سکوت خود آنان را به گناه، تشویق مینمودنـد و می گویـد: «چرا دانشـمندان مسیحی و علمای یهود، آنها را از سخنان گناه آلود و خوردن اموال نامشـروع باز نمیدارند» (لَوْ لا یَنْهاهُمُ الرَّبَانِیُّونَ وَ الْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ).

یعنی، دانشمندان برای اصلاح یک اجتماع فاسد، نخست باید افکار و اعتقادات نادرست آنها را تغییر دهند، و به این ترتیب آیه، راه اصلاح جامعه فاسد را که باید از انقلاب فکری شروع شود به دانشمندان نشان میدهد.

و در پایان آیه، قرآن به همان شکل که گناهکاران اصلی را مـذمت نمود، دانشـمندان ساکت و ترک کننـده امر به معروف و نهی از منکر را مورد مذمت قرار داده، می گوید: «چه زشت است کاری که آنها انجام میدهند» (لَبِئْسَ ما کانُوا یَصْنَعُونَ).

و به این ترتیب روشن می شود که سرنوشت کسانی که وظیفه بزرگ امر به معروف و نهی از منکر را ترک می کننـد-بخصوص اگر از دانشمندان و علما برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۳۲

باشند- سرنوشت همان گناهکاران است و در حقیقت شریک جرم آنها محسوب میشوند.

از ابن عباس مفسر معروف نقل شده که می گفت: این آیه شدیدترین آیهای است که دانشمندان وظیفه نشناس و ساکت را توبیخ و مذمت میکند.

بدیهی است این حکم اختصاصی به علمای خاموش و ساکت یهود و نصاری ندارد، و تمام رهبران فکری و دانشمندانی که به هنگام آلوده شدن مردم به گناه و سرعت گرفتن در راه ظلم و فساد، خاموش می نشینند در بر می گیرد، زیرا حکم خدا، در باره همگان یکسان است! در حدیثی از امیر مؤمنان علی علیه السّیلام می خوانیم: که در خطبهای فرمود: «اقوام گذشته به این جهت هلاک و نابود گشتند که مرتکب گناهان می شدند و دانشمندانشان سکوت می کردند، و نهی از منکر نمی نمودند، در این هنگام بلاها و کیفرهای الهی بر آنها فرود می آمد، پس شما ای مردم! امر به معروف کنید و نهی از منکر نمایید، تا به سرنوشت آنها دچار نشوید».

سوره مائده (۵): آیهٔ ۶۴ ص: ۵۳۲

(آیه ۶۴)- در این آیه یکی از مصداقهای روشن سخنان ناروا و گفتار گناه آلود یهود که در آیه قبل بطور کلی به آن اشاره شد، آمده است.

توضیح این که: تاریخ نشان می دهد که یهود زمانی در اوج قدرت می زیستند، و بر قسمت مهمی از دنیای آباد آن زمان حکومت داشتند، که زمان داود و سلیمان بن داود را به عنوان نمونه می توان یاد آور شد، و در اعصار بعد نیز، قدرت آنها با نوسانهایی ادامه داشت، ولی با ظهور اسلام، مخصوصا در محیط حجاز، ستاره قدرت آنها افول کرده، مبارزه پیامبر صلّی الله علیه و آله با یهود «بنی النضیر» و «بنی قریظه» و «یهود خیبر» موجب نهایت تضعیف آنها گردید در این موقع بعضی از آنها با در نظر گرفتن قدرت و عظمت پیشین از روی استهزاء گفتند: دست خدا به زنجیر بسته شده و به ما بخششی نمی کند! و از آنجا که بقیه نیز به گفتار او راضی بودند، قرآن این سخن را به همه آنها نسبت داده، می گوید: «یهود گفتند: دست خدا به زنجیر بسته شده»! (وَ قالَتِ بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۳۳

الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةً)

خداونـد در پاسـخ آنها نخست به عنوان نكوهش و مـذمت از اين عقيـده ناروا مى گويـد: «دست آنها در زنجير باد، و به خاطر اين سخن ناروا از رحمت خدا بدور گردند» (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا).

سپس برای ابطال این عقیده ناروا می گوید: «هر دو دست خدا گشاده است، و هر گونه بخواهد و به هر کس بخواهد می بخشد» (بَلْ یَداهُ مَبْسُوطَتانِ یُنْفِقُ کَیْفَ یَشاءُ).

نه اجباری در کار او هست، نه محکوم جبر عوامل طبیعی و جبر تاریخ میباشد، بلکه اراده او بالاتر از هر چیز و نافذ در همه چیز است.

بعد می گوید: «حتی این آیات که پرده از روی گفتار و عقاید آنان برمیدارد به جای این که اثر مثبت در آنها بگذارد و از راه غلط بازگردانـد، بسـیاری از آنها را روی دنـده لجاجت میافکنـد و طغیان و کفر آنها بیشتر میشود» (وَ لَیَزِیـدَنَّ کَثِیراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ طُغْیاناً وَ کُفْراً).

اما در مقابل این گفته ها و اعتقادات ناروا و لجاجت و یکدندگی در طریق طغیان و کفر، خداوند مجازات سنگینی در این جهان برای آنها قائل شده، می فرماید: «و در میان آنها عداوت و دشمنی تا روز قیامت افکندیم» (وَ أَلْقَیْنا بَیْنَهُمُ الْعَداوَةُ وَ

الْبَغْضاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ).

و در قسمت اخیر آیه اشاره به کوششها و تلاشهای یهود برای برافروختن آتش جنگها و لطف خدا در مورد رهایی مسلمانان از این آتشهای نابود کنند کرده، میفرماید: «هر زمان آتشی برای جنگ افروختند، خداوند آن را خاموش ساخت و شما را از آن حفظ کرد» (کُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ).

و این در حقیقت یکی از نکات اعجاز آمیز زندگی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است.

قرآن اضافه می کند: «آنها برای پاشیدن بذر فساد در روی زمین تلاش و کوشش پی گیر و مداومی دارند» (وَ یَشِعَوْنَ فِی الْأَرْض فَساداً).

در حالى كه خداوند مفسدان را دوست نمى دارد» (وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۳۴

سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۵ ص : ۵۳۴

(آیه ۶۵) – به دنبال انتقادات گذشته از برنامه و روش اهل کتاب، در این آیه و آیه بعد آنچنان که اصول تربیتی اقتضا می کند، قرآن برای بازگرداندن منحرفان اهل کتاب به راه راست، و تقدیر از اقلیتی که با اعمال خلاف آنها همگام نبود، نخست چنین می گوید: «اگر اهل کتاب ایمان بیاورند و پرهیزکاری پیشه کنند، گناهان گذشته آنها را می پوشانیم و از آن صرف نظر می کنیم» (و لَوْ أَنَّ أَهْلِ الْکِتابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَکَفَرْنا عَنْهُمْ سَرِیًاتِهِمْ). نه تنها گناهان آنها را می بخشیم «بلکه در باغهای بهشت که کانون انواع نعمتها است آنها را وارد می کنیم» (و لَأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِیم).

این در زمینه نعمتهای معنوی و اخروی است.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۶ ص : ۵۳۴

(آیه ۶۶) - سپس به اثر عمیق ایمان و تقوا حتی در زندگی مادی انسانها، اشاره کرده می گوید: «اگر آنها تورات و انجیل را برپا دارند (و آن را به عنوان یک دستور العمل زندگی در برابر چشم خود قرار دهند) و بطور کلی به همه آنچه از طرف پروردگارشان بر آنها نازل شده اعم از کتب آسمانی پیشین و قرآن بدون هیچ گونه تبعیض و تعصب عمل کنند، از آسمان و زمین، نعمتهای الهی آنها را فرا خواهد گرفت» (و لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراهَ وَ الْإِنْجِیلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهمْ).

شک نیست که منظور از برپاداشتن تورات و انجیل، آن قسمت از تورات و انجیل واقعی است که در آن زمان در دست آنها بود.

در حقیقت آیه فوق یکبار دیگر، این اصل اساسی را مورد تأکید قرار می دهد که پیروی از تعلیمات آسمانی انبیاء تنها برای سر و سامان دادن به زندگی مادی انسانها نیز دارد، جمعیتها را قوی، و صفوف را فشرده، و نیروها را متراکم، و نعمتها را پربرکت، و امکانات را وسیع، و زندگی را مرفه، و امن و امان می سازد.

نظری به ثروتهای عظیم مادی و نیروهای فراوان انسانی که امروز در دنیای بشریت بر اثر انحراف از این تعلیمات نابود

می گردد، دلیل زنده این حقیقت است. بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۳۵

امروز مغزهای متفکری که برای تکمیل و توسعه و تولید سلاحهای مرگبار و کشمکشهای استعماری کار می کند، قسمت مهمی از نیروهای ارزنده انسانی را تشکیل می دهد، و چقدر نوع بشر، به این نوع سرمایهها و این مغزهایی که بیهوده از بین می رود، برای رفع نیاز مندیهایش محتاج است، و چقدر چهره دنیا زیبا و خواستنی و جالب بود اگر همه اینها در راه آبادی به کار گرفته می شدند! در پایان آیه، اشاره به اقلیت صالح این جمعیت کرده، می گوید: «با این که بسیاری از آنها بد کارند ولی جمعیتی معتدل و میانه رو در میان آنها وجود دارد» که حسابشان با حساب دیگران در پیشگاه خدا و در نظر خلق خدا جداست (مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَ کَثِیرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما یَعْمَلُونَ).

نظیر این تعبیر در باره اقلیت صالح اهل کتاب، در آیه ۱۵۹ سوره اعراف و آیه ۷۵ آل عمران نیز دیده می شود.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۶۷ ص: ۵۳۵

اشاره

(آیه ۶۷) – انتخاب جانشین نقطه پایان رسالت! در این آیه روی سخن، فقط به پیامبر است، و تنها وظیفه او را بیان می کند، با خطاب «ای پیامبر!» (یا أَیُّهَا الرَّسُولُ). شروع شده و با صراحت و تأکید دستور می دهد، که «آنچه را از طرف پروردگارت بر تو نازل شده است (به مردم) برسان» (بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ).

سپس برای تأکید بیشتر به او اخطار میکند که: «اگر از این کار خودداری کنی (که هرگز خودداری نمیکرد) رسالت خدا را تبلیغ نکردهای»! (وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ).

سپس به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله که گویا از واقعه خاصی اضطراب و نگرانی داشته، دلداری و تأمین میدهد و به او می گوید: از مردم در ادای این رسالت وحشتی نداشته باش» زیرا خداوند تو را از خطرات آنها نگاه خواهد داشت» (وَ اللّهُ يَعْصِمُكُ مِنَ النّاس).

و در پایان آیه به عنوان یک تهدید و مجازات، به آنهایی که این رسالت مخصوص را انکار کنند و در برابر آن از روی لجاجت کفر بورزند، می گوید: «خداوند کافران لجوج را هدایت نمی کند» (إِنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِینَ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۳۶

راستی چه مسأله مهمی در این آخرین ماههای عمر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله مطرح بوده که در آیه فوق عدم تبلیغ آن مساوی با عدم تبلیغ رسالت شمرده شده است.

در کتابهای مختلف دانشمندان شیعه و اهل تسنن روایات زیادی دیده می شود که با صراحت می گوید آیه فوق در باره تعیین جانشین برای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و سرنوشت آینده اسلام و مسلمین در غدیر خم نازل شده است.

خلاصه جریان غدیر – ص: ۵۳۶

در آخرین سال عمر پیامبر مراسم حجّهٔ الوداع، با شکوه هر چه تمامتر در حضور پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به پایان رسید.

نه تنها مردم مدینه در این سفر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را همراهی میکردند بلکه، مسلمانان نقاط مختلف جزیره عربستان نیز برای کسب یک افتخار تاریخی بزرگ به همراه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بودند.

آفتاب حجاز آتش بر کوهها و درّهها می پاشید، اما شیرینی این سفر روحانی بی نظیر، همه چیز را آسان می کرد، ظهر نزدیک شده بود، کم کم سرزمین جحفه و سپس بیابانهای خشک و سوزان «غدیر خم» از دور نمایان می شد.

روز پنج شنبه سال دهم هجرت بود، و درست هشت روز از عید قربان می گذشت، ناگهان دستور توقف از طرف پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به همراهان داده شد.

مؤذن پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با صدای اللّه اکبر مردم را به نماز ظهر دعوت کرد، مردم بسرعت آماده نماز میشدند، اما هوا بقدری داغ بود که بعضی مجبور بودند، قسمتی از عبای خود را به زیر پا و طرف دیگر آن را به روی سر بیفکنند.

نماز ظهر تمام شد، مسلمانان تصمیم داشتند فورا به خیمههای کوچکی که با خود حمل می کردند پناهنده شوند، ولی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به آنها اطلاع داد که همه باید برای شنیدن یک پیام تازه الهی که در ضمن خطبه مفصلی بیان می شد خود را آماده کنند. کسانی که از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فاصله داشتند قیافه ملکوتی او را در لابلای جمعیت نمی توانستند مشاهده کنند.

لذا منبری از جهاز شتران ترتیب داده شد و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بر فراز آن قرار گرفت و نخست حمد و سپاس پروردگار بجا آورد و خود را به خدا سپرد، سپس مردم را برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۳۷

مخاطب ساخت و چنین فرمود: «من به همین زودی دعوت خدا را اجابت کرده، از میان شما میروم، من مسؤولم، شما هم مسؤولید، شما در باره من چگونه شهادت میدهید»؟

مردم صدا بلند کردند و گفتند: نشهد انّک قد بلّغت و نصحت و جهدت فجزاک اللّه خیرا: «ما گواهی میدهیم تو وظیفه رسالت را ابلاغ کردی و شرط خیرخواهی را انجام دادی و آخرین تلاش و کوشش را در راه هدایت ما نمودی، خداوند تو را جزای خیر دهد».

سپس فرمود: «آیا شما گواهی به یگانگی خمدا و رسالت من و حقانیت روز رستاخیز و برانگیخته شمدن مردگان در آن روز نمیدهید»؟! همه گفتند: «آری! گواهی میدهیم» فرمود: خداوندا! گواه باش»! ...

بار دیگر فرمود: ای مردم! آیا صدای مرا می شنوید؟ ... گفتند: آری، و بدنبال آن، سکوت سراسر بیابان را فرا گرفت و جز صدای زمزمه باد چیزی شنیده نمی شد. پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: ... اکنون بنگرید با این دو چیز گرانمایه و گرانقدر که در میان شما به یادگار می گذارم چه خواهید کرد؟

يكى از ميان جمعيت صدا زد، كدام دو چيز گرانمايه يا رسول الله؟!.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بلافاصله گفت: اول ثقل اکبر، کتاب خداست که یک سوی آن به دست پروردگار و سوی دیگرش در دست شماست، دست از دامن آن برندارید تا گمراه نشوید، و اما دومین یادگار گرانقدر من خاندان منند و خداوند لطیف خبیر به من خبر داده که این دو هرگز از هم جدا نشوند، تا در بهشت به من بپیوندند، از این دو پیشی نگیرید که هلایک می شوید و عقب نیفتید که باز هلاک خواهید شد.

ناگهان مردم دیدند پیامبر صلّی الله علیه و آله به اطراف خود نگاه کرد گویا کسی را جستجو می کند و همین که چشمش به علی علیه السّ لام افتاد، خم شد و دست او را گرفت و بلند کرد، آنچنان که سفیدی زیر بغل هر دو نمایان شد و همه مردم او را دیدند و شناختند که او همان افسر شکست ناپذیر اسلام علی علیه السّلام است، در اینجا صدای پیامبر صلّی الله علیه و آله رساتر و بلندتر شد و فرمود: ایّها النّاس من اولی النّاس بالمؤمنین من برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۳۸ انفسهم: «چه کسی از همه مردم نسبت به مسلمانان از خود آنها سزاوارتر است؟!».

گفتند: خدا و پیامبر صلّی الله علیه و آله داناترند، پیامبر صلّی الله علیه و آله گفت: خدا، مولی و رهبر من است، و من مولی و رهبر مؤمنانم و نسبت به آنها از خودشان سزاوارترم (و اراده من بر اراده آنها مقدم) سپس فرمود: فمن کنت مولاه فعلیّ مولاه: «هر کس من مولا و رهبر او رهبر اوست» و این سخن را سه بار و به گفته بعضی از راویان حدیث، چهار بار تکرار کرد.

و بدنبال آن سر به سوی آسمان برداشت و عرض کرد: اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه و احبّ من احبّه و ابغض من ابغضه و انصر من نصره و اخذل من خذله و ادر الحقّ معه حیث دار: «خداوندا! دوستان او را دوست بدار و دشمنان او را دشمن بدار، محبوب بدار آن کس که او را مبغوض دارد، یارانش را یاری کن، و آنها را که ترک یاریش کنند، از یاری خویش محروم ساز، و حق را همراه او بدار و او را از حق جدا مکن».

سپس فرمود: الا فليبلغ الشّاهد الغائب: «آگاه باشيد، همه حاضران وظيفه دارند اين خبر را به غايبان برسانند».

خطبه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به پایان رسید، عرق از سر و روی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و علی علیه السّ لام و مردم فرو می ریخت، و هنوز صفوف جمعیت از هم متفرق نشده بود که امین وحی خدا نازل شد و این آیه را بر پیامبر صلّی الله علیه و آله خواند: الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی ... «امروز آیین شما را کامل و نعمت خود را بر شما تمام کردم، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: اللّه اکبر، اللّه اکبر، الله اکبر علی اکمال الـدّین و اتمام النّعمهٔ و رضی الرّب برسالتی و الولایهٔ لعلیّ من بعدی: «خداوند بزرگ است، خداوند بزرگ است همان خدایی که آیین خود را کامل و نعمت خود را بر ما تمام کرد، و از نبوت و رسالت من و ولایت علی علیه السّلام پس از من راضی و خشنود گشت».

در این هنگام شور و غوغایی در میان مردم افتاد و به علی علیه السّ_م لام این موقعیت را تبریک می گفتند و از افراد سرشناسی که به او تبریک گفتند، أبو بکر و عمر بودند، که این جمله را در حضور جمعیت بر زبان جاری ساختند: بخّ بخّ لک یابن برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۳۹

ابی طالب اصبحت و امسیت مولای و مولا کل مؤمن و مؤمنه: «آفرین بر تو باد، آفرین بر تو باد، ای فرزند أبو طالب! تو مولا و رهبر من و تمام مردان و زنان با ایمان شدی».

این بود خلاصهای از حدیث معروف غدیر که در کتب دانشمندان اهل تسنن و شیعه آمده است.

سوره مائده (۵): آیهٔ ۶۸ ص: ۵۳۹

اشاره

(آیه ۹۸)

شأن نزول: ص: ٥٣٩

نقل شده که جمعی از یهود خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمدند، نخست پرسیدند آیا تو اقرار نداری که تورات از طرف خداست؟

پيغمبر صلّى الله عليه و آله جواب مثبت داد:

آنها گفتنـد: ما هم تورات را قبول داریم، ولی به غیر آن ایمان نـداریم (در حقیقت تورات قـدر مشترک میان ما و شـماست اما قرآن کتابی است که تنها شـما به آن عقیده دارید پس چه بهتر که تورات را بپذیریم و غیر آن را نفی کنیم!) آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ٥٣٩

این آیه به گوشه دیگری از کارشکنیها و ایرادهای اهل کتاب (یهود و نصاری) اشاره می کند و می گوید: «بگو: ای اهل کتاب شما هیچ موقعیتی نخواهید داشت مگر آن زمانی که تورات و انجیل و تمام کتب آسمانی را که بر شما نازل شده بدون تبعیض و تفاوت برپا دارید» (قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ لَسْتُمْ عَلی شَیْءٍ حَتَّی تُقِیمُوا التَّوْراهَ وَ الْإِنْجِیلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ مِنْ رَبِّکُمْ).

زیرا این کتابها همه از یک مبدء صادر شده، و اصول اساسی آنها یکی است اگر چه آخرین کتاب آسمانی، کاملترین و جامع ترین آنهاست و به همین دلیل لازم العمل است.

ولى قرآن بار ديگر اشاره به وضع اكثريت آنها كرده، مى گويىد: «بسيارى از آنها نه تنها از اين آيات پنـد نمى گيرند و هدايت نمىشونـد بلكه به خاطر روح لجاجت بر طغيان و كفرشان افزوده مىشود» (وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً).

و در پایان آیه پیامبر خود را در برابر سرسختی این اکثریت منحرف، دلداری برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۴۰ می دهد و می گوید: «از مخالفتهای این جمعیت کافر غمگین مباش» (فَلا تَأْسَ عَلَی الْقَوْم الْکافِرِینَ).

زیرا زیان آن متوجه خود آنها خواهد شد و به تو ضرری نمی رساند! بدیهی است محتوای این آیه اختصاص به قوم یهود ندارد، مسلمانان نیز اگر تنها به ادعای اسلام قناعت کنند، و اصول تعلیمات انبیاء و مخصوصا کتاب آسمانی خود را برپا ندارند، هیچ گونه موقعیت و ارزشی نه در پیشگاه خدا، و نه در زندگی فردی و اجتماعی نخواهند داشت، و همیشه زبون و زیر دست و شکست خورده خواهند بود.

سوره مائده (۵): آیهٔ ۶۹ ص: ۵۴۰

(آیه ۶۹) - در این آیه موضوع فوق را مورد تأکید قرار داده، می گوید: «تمام اقوام و ملتها و پیروان همه مذاهب بدون استثناء اعم از مسلمانان و یهودیان و صابئان و مسیحیان در صورتی اهل نجات خواهند بود، و از آینده خود وحشتی و از گذشته غمی نخواهند داشت که ایمان به خدا و روز جزا داشته باشند و عمل صالح انجام دهند» (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ اللَّابِینَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ وَ النَّصاری مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْم الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ).

این آیه پاسخ دندانشکنی است به کسانی که نجات را در پناه ملیت خاصی میدانند و میل دارند میان دستورات انبیاء تبعیض قائل شوند، و دعوتهای مذهبی را با تعصب قومی بیامیزند.

سوره مائده (۵): آیهٔ ۷۰ ص: ۵۴۰

(آیه ۷۰) - در سوره بقره و اوایل همین سوره اشاره به پیمان مؤکدی که خداوند از بنی اسرائیل گرفته بود شده است، در این آیه بار دیگر این پیمان را یادآوری کرده میفرماید: «ما پیمان (عمل به آنچه نازل کردیم) از بنی اسرائیل گرفتیم و پیامبرانی برای هدایت آنها و مطالبه وفای به این پیمان، به سوی آنان فرستادیم» (لَقَدْ أَخَذْنا مِیثاقَ بَنِی إِسْرائِیلَ وَ أَرْسَلْنا إِلَیْهِمْ رُسُلًا). سیس اضافه می کند: آنها نه تنها به این پیمان عمل نکردند، بلکه «هر زمان پیامبری دستوری بر خلاف تمایلات و هوی و

سپس اضافه می کند: آنها نه تنها به این پیمان عمل نکردند، بلکه «هر زمان پیامبری دستوری بر خلاف تمایلات و هوی و هوسهای آنها می آورد (به شدیدترین مبارزه بر ضد او دست میزدند) جمعی را تکذیب می کردند و جمعی را که با برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۴۱

تكـذيب نمىتوانسـتند از نفوذشان جلوگيرى كننـد به قتل مىرساندند» (كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُـهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَ فَريقاً يَقْتُلُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۱ ص: ۵۴۱

(آیه ۷۱)- در این آیه اشاره به غرور نابجای آنها در برابر این همه طغیان و جنایات کرده میفرماید: «با این حال آنها گمان می کردند که بلا و مجازاتی دامنشان را نخواهد گرفت» (وَ حَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً).

و همانطور که در آیات دیگر تصریح شده، خود را یک نژاد برتر می پنداشتند و به عنوان فرزندان خدا از خود یاد می کردند! سر انجام این غرور خطرناک و خود برتربینی همانند پردهای بر چشم و گوش آنها افتاد و به خاطر آن «از دیدن آیات خدا نابینا و از شنیدن کلمات حق، کر شدند»! (فَعَمُوا وَ صَمُّوا).

اما به هنگامی که نمونههایی از مجازاتهای الهی و سر انجام شوم اعمال خود را مشاهده کردند، پشیمان گشتند و توبه کردند و متوجه شدند که تهدیدهای الهی جدی است و آنها هر گزیک نژاد برتر نیستند «خداوند نیز توبه آنها را پذیرفت» (ثُمَّ تابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ).

ولی این بیداری و ندامت و پشیمانی دیری نپایید باز طغیان و سرکشی و پشت پا زدن به حق و عدالت شروع شد، و دیگر بار پردههای غفلت که از آثار فرو رفتن در گناه است بر چشم و گوش آنها افکنده شد «و باز از دیدن آیات حق نابینا و از شنیدن سخنان حق کر شدند و این حالت، بسیاری از آنها را فرا گرفت» (ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا کَثِیرٌ مِنْهُمْ).

و در پایان آیه، با یک جمله کوتاه و پر معنی می گوید: «خداوند هیچ گاه از اعمال آنها غافل نبوده و تمام کارهایی را که انجام میدهند میبیند» (وَ اللَّهُ بَصِیرٌ بِما یَعْمَلُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۲ ص: ۵۴۱

(آیه ۷۲) - در تعقیب بحثهایی که در مورد انحرافات یهود، در آیات قبل، گذشت، این آیه و آیات بعد، از انحرافات مسیحیان سخن می گوید نخست از مهمترین انحراف مسیحیت یعنی مسأله «الوهیت مسیح» بحث کرده می گوید:

«بطور مسلم آنها که گفتهاند خدا همان مسیح بن مریم است، کافر شدند» (لَقَدْ کَفَرَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۴۲ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِیحُ ابْنُ مَرْیَمَ) .در حالی که خود مسیح با صراحت به بنی اسرائیل گفت: «خداوند یگانهای را پرستش کنید که پروردگار من و شماست» (وَ قالَ الْمَسِیحُ یا یَنِی إِسْرائِیلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّی وَ رَبَّکُمْ).

و نیز مسیح برای تأکید این مطلب و رفع هر گونه ابهام و اشتباه اضافه کرد:

«هر کس شریکی برای خـدا قرار دهـد خداونـد بهشت را بر او حرام کرده و جایگـاه او آتش است» (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِکْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّهُ وَ مَأْواهُ النَّارُ).

و نیز برای تأکید بیشتر و اثبات این حقیقت که شرک و غلو یک نوع ظلم آشکار است به آنها گفت: «برای ستمگران و ظالمان هیچ گونه یار و یاوری وجود نخواهد داشت» (وَ ما لِلظَّالِمِینَ مِنْ أَنْصارٍ).

آنچه در آیه فوق در مورد پافشاری مسیح (ع) روی مسأله توحید دیده می شود مطلبی است که با منابع موجود مسیحیت نیز هماهنگ است و از دلایل عظمت قرآن محسوب می شود.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۳ ص: ۵۴۲

(آیه ۷۳)- باید توجه داشت که آنچه در آیه قبل آمد مسأله غلو و وحدت مسیح با خدا بود، ولی در این آیه اشاره به مسأله «تعداد خدایان» از نظر مسیحیان یعنی «تثلیث در توحید» کرده می گوید: «آنها که گفتهاند خداوند سومین اقنوم از اقانیم سه گانه است بطور مسلم کافر شدهاند» (لَقَدْ کَفَرَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللَّهُ ثالِثُ ثَلاثَهُ).

قرآن بطور قاطع در پاسخ آنها می گوید: «هیچ معبودی جز معبود یگانه نیست» (وَ ما مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ واحِدٌ).

و دگر بار با لحن شدیـد و مؤکّد به آنها اخطار میکند که «اگر دست از این عقیده برندارند عذاب دردناکی در انتظار کسانی که بر این کفر باقی بمانند خواهد بود» (وَ إِنْ لَمْ یَنْتَهُوا عَمَّا یَقُولُونَ لَیَمَسَّنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۴ ص: ۵۴۲

(آیه ۷۴) - در این آیه از آنها دعوت می کند که از این عقیده کفر آمیز توبه کنند تا خداوند آنها را مشمول عفو و بخشش خود قرار دهد لذا می گوید: «آیا بعد از این همه، آنها به سوی خدای یگانه بازنمی گردند و از این شرک و کفر طلب آمرزش برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۴۳

نمى كنند با اين كه خداوند غفور و رحيم است»؟ (أَ فَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَ يَشْتَغْفِرُونَهُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۵ ص : ۵۴۳

(آیه ۷۵) - در این آیه با دلایل روشنی در چند جمله کوتاه اعتقاد مسیحیان به الوهیت مسیح را ابطال می کند، نخست می گوید: «چه تفاوتی در میان مسیح و سایر پیامبران بود که عقیده به الوهیت او پیدا کرده اید، مسیح پسر مریم نیز فرستاده خدا بود و پیش از آن رسولان و فرستادگان دیگری از طرف خدا آمدند» (مَا الْمَسِیحُ ابْنُ مَرْیَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ). اگر رسالت از ناحیه خدا دلیل بر الوهیت و شرک است پس چرا در باره سایر پیامبران این مطلب را قائل نمی شوید؟ سپس برای تأیید این سخن می گوید: «مادر او، زن بسیار راستگویی بود» (وَ أُمُّهُ صِدِّیقَهُّ).

اشاره به این که کسی که دارای مادر است و در رحم زنی پرورش پیدا می کند چگونه می تواند خدا باشد؟

و دوم این که اگر مادر او محترم است به خاطر این است که او هم در مسیر رسالت مسیح با او هماهنگ بود و از رسالتش پشتیبانی می کرد، و به این ترتیب بنده خاص خدا بود و نباید او را همچون یک معبود همانطور که در میان مسیحیان رایج است که در برابر مجسمه او تا سر حد پرستش خضوع می کنند، عبادت کرد.

بعد به یکی دیگر از دلایل نفی ربوبیت مسیح اشاره کرده، می گوید: «او و مادرش هر دو غذا میخوردند» (کانا یَأْکُلانِ الطَّعامَ).

و در پایان آیه اشاره به روشنی این دلایل از یک طرف و سرسختی و نادانی آنها در برابر این دلایل آشکار از طرف دیگر کرده، می گوید: «بنگر چگونه دلایل را به روشنی برای آنها شرح میدهیم و سپس بنگر چگونه اینها از قبول حق باز گردانده می شوند» (انْظُرْ کَیْفَ نُبَیِّنُ لَهُمُ الْآیاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّی یُؤْفَکُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۶ ص: ۵۴۳

(آیه ۷۶) - در این آیه برای تکمیل استدلال گذشته می گوید: شما می دانید بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۴۴

که مسیح خود سر تا پا نیازهای بشری داشت و مالک سود و زیان خویش هم نبود تا چه رسد به این که مالک سود و زیان شما باشد «بگو: آیا چیزی را پرستش می کنید که نه مالک زیان شماست، و نه مالک سود شما» (قُلْ أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا یَمْلِکُ لَکُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً).

و به همین دلیل بارها در دست دشمنان گرفتار شد و یا دوستانش گرفتار شدند و اگر لطف خدا شامل حال او نبود هیچ گامی نمی توانست بردارد.

و در پایان به آنها اخطار می کند که گمان نکنید خداوند سخنان ناروای شما را نمی شنود و یا از درون شما آگاه نیست «خداوند هم شنواست و هم دانا» (وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۷ ص: ۵۴۴

(آیه ۷۷)- در این آیه به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهد که به دنبال روشن شدن اشتباه اهل کتاب در زمینه غلو در باره پیامبران الهی با استدلالات روشن از آنها دعوت کنـد که از این راه رسـما بازگردند و میگوید: «بگو: ای اهل کتاب! در دین خود، غلوّ و تجاوز از حد نکنید و غیر از حق چیزی مگویید» (قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ لا تَغْلُوا فِی دِینِکُمْ غَیْرَ الْحَقِّ).

البته غلو نصاری روشن است و اما در مورد غلو یهود که خطاب «یا اهل الکتاب» شامل آنها نیز می شود بعید نیست که اشاره به سخنی باشد که در باره عزیر پیغمبر خدا می گفتند و او را فرزند خدا می دانستند.

و از آنجا که سر چشمه غلو غالبا پیروی از هوی و هوس گمراهان است، برای تکمیل این سخن می گوید: «از هوسهای اقوامی که پیش از شما گمراه شدنـد و بسیاری را نیز گمراه کردند و از راه مستقیم منحرف گشتند، پیروی نکنید» (وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْم قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِیراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِیل).

این جمله اشاره به چیزی است که در تاریخ مسیحیت نیز منعکس است که مسأله تثلیث و غلوّ در بـاره مسیح (ع) در قرون نخستین مسیحیت در میان آنها وجود نداشت بلکه هنگامی که بت پرسـتان هندی و مانند آنها به آیین مسیح پیوستند، چیزی از بقایای آیین سابق را که تثلیث و شرک بود به مسیحیت افزودند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۴۵

سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۸ ص: ۵۴۵

(آیه ۷۸)– در این آیه و دو آیه بعـد برای این که از تقلیـدهای کورکورانه اهـل کتـاب از پیشـینیانشان جلوگیری کنـد اشاره به سرنوشت شوم آنها کرده و میگوید:

«كافران از بنى اسرائيل بر زبان داود و عيسى بن مريم، لعن شدند و اين دو پيامبر بزرگ از خدا خواستند كه آنها را از رحمت خويش دور سازد» (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ).

آیه فوق اشاره به این است که بودن جزء نژاد بنی اسرائیل و یا جزء اتباع مسیح، مادام که هماهنگی با برنامههای آنها نبوده باشد باعث نجات کسی نخواهد شد، بلکه خود این پیامبران از این گونه افراد ابراز تنفر و انزجار کردهاند.

جمله آخر آیه نیز این مطلب را تأکید میکند و میگوید: «این اعلام تنفر و بیزاری به خاطر آن بود که آنها گناهکار و متجاوز بودند» (ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ کانُوا یَعْتَدُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۷۹ ص : ۵۴۵

(آیه ۷۹)- به علاوه آنها به هیچ وجه مسؤولیت اجتماعی برای خود قائل نبودند و «یکدیگر را از کار خلاف نهی نمی کردند، و حتی جمعی از نیکان آنها با سکوت و سازشکاری، افراد گناهکار را عملا تشویق می کردند» (کانُوا لا یَتَناهَوْنَ عَنْ مُنکَرٍ فَعَلُوهُ).

و به این ترتیب «برنامه اعمال آنها بسیار زشت و ناپسند بود» (لَبِئْسَ ما کانُوا یَفْعَلُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۰ ص: ۵۴۵

(آیه ۸۰)- در این آیه به یکی دیگر از اعمال خلاف آنها اشاره کرده، می گوید: «بسیاری از آنان را می بینی که طرح دوستی و محبت با کافران می ریزند» (تَری کَثِیراً مِنْهُمْ یَتَوَلَّوْنَ الَّذِینَ کَفَرُوا).

بدیهی است که دوستی آنها ساده نبود، بلکه دوستی آمیخته با انواع گناه و تشویق آنان به اعمال و افکار غلط بود، و لذا در آخر آیه میفرماید: «چه بد اعمالی از پیش برای معاد خود فرستادند، اعمالی که نتیجه آن، خشم و غضب الهی بود و در عذاب الهی جاودانه خواهند ماند» (لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِی الْعَذَابِ هُمْ خالِدُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۴۶

سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۱ ص: ۵۴۶

(آیه ۸۱)- این آیه راه نجات از این برنامه غلط و نادرست را به آنها نشان میدهد که «اگر راستی ایمان به خدا و پیامبر و آنچه بر او نازل شده است میداشتند هیچ گاه تن به دوستی بیگانگان و دشمنان خدا در نمیدادند و آنان را به عنوان تکیه گاه خود انتخاب نمی کردند» (وَ لَوْ کَانُوا یُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِیِّ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِیاءً).

ولى متأسفانه در ميان آنها كسانى كه مطيع فرمان الهى باشند كمند «و بسيارى از آنها از دايره فرمان خدا خارج شده، راه فسق را پيش گرفتهاند» (وَ لَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۲ ص: ۵۴۶

اشاره

(آیه ۸۲)

شأن نزول: ص: ۵۴۶

نخستین مهاجران اسلام! در شأن نزول سلسله آیات ۸۲ تا ۸۶- نقل کردهانـد که این آیات در باره نجاشـی زمامـدار حبشه در عصر پیامبر صلّـی اللّه علیه و آله و یاران او نازل شده است.

آنچه در باره این موضوع نقل شده، چنین است: در سالهای نخستین بعثت پیامبر صلّی الله علیه و آله و دعوت عمومی او، مسلمانان در اقلیت شدیدی قرار داشتند، قریش به قبائل عرب توصیه کرده بود که هر کدام، افراد وابسته خود را که به پیامبر صلّی الله علیه و آله ایمان آورده است تحت فشار شدید قرار دهند و به این ترتیب هر یک از مسلمانان از طرف قوم و قبیله خود سخت تحت فشار قرار داشت.

آن روز تعداد مسلمانان برای دست زدن به یک «جهاد آزادیبخش» کافی نبود، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله برای حفظ این دسته کوچک، و تهیه پایگاهی برای مسلمانان در بیرون حجاز، به آنها دستور مهاجرت به حبشه داد.

یازده مرد و چهار زن از مسلمانان راه حبشه را پیش گرفتند، و این در ماه رجب سال پنجم بعثت بود، و این مهاجرت، مهاجرت اول نام گرفت.

چیزی نگذشت که «جعفر بن أبو طالب» و جمعی دیگر از مسلمانان به حبشه رفتند و هسته اصلی یک جمعیت متشکل اسلامی را که از ۸۲ نفر مرد و عدّه قابل ملاحظهای زن و کودک تشکیل می شد بوجود آوردند.

طرح این مهاجرت برای بت پرستان سخت دردناک بود، و برای به هم زدن برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۴۷

این موقعیت دست به کار شدند، و دو نفر از جوانان با هوش و حیله گر و پشت همانداز یعنی «عمرو عاص» و «عمارهٔ بن ولید» را انتخاب کردند و با هدایای فراوانی به حبشه فرستادند، این دو نفر با مقدماتی به حضور نجاشی بار یافتند.

«عمرو عاص» با نجاشی چنین گفت: «ما فرستادگان بزرگان مکّهایم، تعدادی از جوانان سبک مغز در میان ما پرچم مخالفت برافراشتهاند و از آیین نیاکان خود برگشته و به بدگویی از خدایان ما پرداخته و آشوب و فتنه به پاکرده و از موقعیت سرزمین شما سوء استفاده کرده و به اینجا پناه آوردند، ما از آن می ترسیم که در اینجا نیز دست به اخلالگری زنند، بهتر این است که آنها را به ما بسپارید تا به محل خود بازگردانیم»

این را گفتند و هدایایی را که با خود آورده بودند تقدیم داشتند.

نجاشی گفت: تا من با نمایندگان این پناهندگان به کشورم تماس نگیرم نمی توانم در این زمینه سخن بگویم! روز دیگری در

یک جلسه مهم که اطرافیان نجاشی و جمعی از دانشمندان مسیحی و جعفر بن أبی طالب به عنوان نمایندگی مسلمانان، و نمایندگان قریش، حضور داشتند، نجاشی پس از استماع سخنان نمایندگان قریش رو به جعفر کرد و از او خواست که نظر خود را در این زمینه بیان کند.

«جعفر پس از ادای احترام چنین گفت: نخست از اینها بپرسید آیا ما جزء بردگان فراری این جمعیتیم؟ عمرو گفت: نه شما آزادید.

جعفر – و نیز سؤال کنید آیا آنها دینی بر ذمه ما دارند که آن را از ما می طلبند؟

عمرو- نه ما هیچ گونه مطالبهای از شما نداریم.

جعفر- آیا خونی از شما ریختهایم؟ که آن را از ما میطلبید؟

عمرو- نه چنین چیزی در کار نیست.

سپس جعفر رو به نجاشی کرد و گفت: ما جمعی نادان بودیم، بت پرستی می کردیم، گوشت مردار میخوردیم، انواع کارهای زشت و ننگین انجام میدادیم، برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۴۸

قطع رحم می کردیم و نسبت به همسایگان خویش بـدرفتاری داشتیم، و نیرومندان ما حق ضعیفان را میخوردند! ولی خداوند پیامبری در میان ما مبعوث کرد که به ما دستور داده است هر گونه شبیه و شریک را از خدا دور سازیم و فحشاء و منکرات و ظلم و ستم و قمار را ترک گوییم، به ما دستور داده نماز بخوانیم، زکات بدهیم، عدالت و احسان پیشه کنیم و بستگان خود را کمک نماییم.

نجاشی گفت: عیسای مسیح نیز برای همین مبعوث شده بود! سپس از جعفر پرسید: آیا چیزی از آیاتی که بر پیامبر شما نازل شده است حفظ داری؟

جعفر گفت: آری! و سپس شروع به خواندن سوره «مریم» کرد.

حسن انتخاب جعفر، در مورد آیات تکان دهنده این سوره که مسیح و مادرش را از هر گونه تهمتهای ناروا پاک می سازد، اثر عجیبی گذاشت تا آنجا که قطرههای اشک شوق، از دیدگان دانشمندان مسیحی سرازیر گشت، و نجاشی صدا زد به خدا سو گند نشانه های حقیقت در این آیات نمایان است! هنگامی که «عمرو» خواست در اینجا سخنی بگوید و تقاضای سپردن مسلمانان را به دست وی کند، نجاشی دست بلند کرد، و محکم بر صورت عمرو کوبید و گفت: خاموش باش به خدا سوگند اگر بیش از این سخنی در مذمت این جمعیت بگویی تو را مجازات خواهم کرد! سالها گذشت، پیامبر صلّی الله علیه و آله هجرت کرد و کار اسلام بالا گرفت، و عهدنامه «حدیبیه» امضا شد و پیامبر صلّی الله علیه و آله متوجه فتح «خیبر» گشت، در آن روز که مسلمانان از فرط شادی به خاطر در هم شکستن بزرگترین کانون خطر یهود در پوست نمی گنجیدند، از دور شاهد حرکت دسته جمعی عدهای به سوی سپاه اسلام بودند، چیزی نگذشت که معلوم شد این جمعیت همان مهاجران حبشهاند که به آغوش وطن باز می گردند! پیامبر صلّی الله علیه و آله با مشاهده «جعفر» و مهاجران حبشه، این جمله تاریخی را فرمود:

لا ادری انا بفتح خیبر اسر ام بقدوم جعفر؟!: «نمی دانم از پیروزی خیبر خوشحالتر برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۴۹

می گویند، علاوه بر مسلمانان، هشت نفر از شامیان که در میان آنها یک راهب مسیحی بود و تمایل شدید به اسلام پیدا کرده بود، خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسیدند و پس از شنیدن آیات سوره یس به گریه افتادند و مسلمان شدند و گفتند: چقدر این آیات به تعلیمات راستین مسیح شباهت دارد آیات ۸۲ تا ۸۶- نازل شد و از این مؤمنان تجلیل کرد. کینه توزی یهود و نرمش نصاری! در سلسله آیات ۸۲ تا ۸۶- مقایسه ای میان یهودیان و مسیحیانی که معاصر پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله بوده اند شده است، نخست آیه یهود و مشرکان را در یک صف و مسیحیان را در صف دیگر قرار داده، می گوید: «بطور مسلم سرسخت ترین دشمنان مؤمنان را یهود و مشرکان خواهی یافت، و با محبت ترین آنها نسبت به مؤمنان مدعیان مسیحیتند» (لَتَجِدَنَّ أَشَرَ اللَّهُ اللَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ أَشْرَکُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّهُ لِلَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ قالُوا إِنَّا نَصاری).

تاریخ اسلام به خوبی گواه این حقیقت است، زیرا در بسیاری از صحنههای نبرد ضد اسلامی، یهود بطور مستقیم یا غیر مستقیم دخالت داشتند.

در حالی که در غزوات اسلامی، کمتر مسلمانان را مواجه با مسیحیان می بینیم، سپس قرآن دلیل این تفاوت روحیه و خط مشی اجتماعی را طی چند جمله بیان کرده، می گوید: مسیحیان معاصر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله امتیازاتی داشتند که در یهود نبود. نخست این که: «در میان آنها جمعی دانشمند بودند که به اندازه دانشمندان دنیا پرست یهود در کتمان حقیقت کوشش نداشتند» (ذلِکَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّیسِینَ).

و نیز در میان آنها جمعی «تارک دنیا بودند» که درست در نقطه مقابل حریصان یهود گام برمیداشتند (وَ رُهْباناً). «و بسیاری از آنها در برابر پذیرش حق خاضع بودند، و تکبری از خودشان نمیدادند» (وَ أَنَّهُمْ لا یَسْتَکْبِرُونَ).

در حالی که اکثریت یهود به خاطر این که خود را نژاد برتر میدانستند، از قبول آیین اسلام که از نژاد یهود برنخاسته بود سر باز میزدند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۵۰

آغاز جزء هفتم قرآن مجيد ص: ۵۵۰

ادامه سوره مائده ص: ۵۵۰

سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۳ ص: ۵۵۰

(آیه ۸۳)– به علاوه «جمعی از آنان (همانند همراهان جعفر و جمعی از مسیحیان حبشه» هنگامی که آیات قرآن را می شنیدند، اشک شوق از دیـدگانشان به خاطر دست یافتن به حق سـرازیری میشد» (وَ إِذَا سَـمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَری أَعْیُنَهُمْ تَفِیضُ مِنَ الدَّمْع مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ).

«و با صراحت و شهامت و بىنظرى صدا مىزدند: پروردگارا! ما ايمان آورديم، ما را از گواهان حق و همراهان محمد صلّى الله عليه و آله و ياران او قرار ده» (يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۸۴ ص: ۵۵۰

(آیه ۸۴)– آنها بقدری تحت تأثیر آیات تکان دهنده این کتاب آسمانی قرار می گرفتند که می گفتند: «چگونه ممکن است ما

به خداونـد یگـانه و حقایقی که از طرف او آمـده است ایمان نیاوریم در حالی که انتظار داریم ما را در زمره جمعیت صالحان قرار دهد» (وَ ما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ما جاءَنا مِنَ الْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ یُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۵ ص: ۵۵۰

(آیه ۸۵) - در این آیه و آیه بعد به سرنوشت این دو طایفه و پاداش و کیفر آنها اشاره شده، نخست می گوید: «آنها که در برابر افراد با ایمان، محبت نشان دادند، و در مقابل آیات الهی سر تسلیم فرود آوردند، و با صراحت ایمان خود را اظهار داشتند، خداوند در برابر این به آنها باغهای بهشت را پاداش می دهد که از زیر درختان آن نهرها جاری است و جاودانه در آن می مانند و این است جزای نیکو کاران» (فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِما قالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ ذلِکَ جَزاءُ الْمُحْسِنِینَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۶ ص: ۵۵۰

(آیه ۸۶)- و در مقابل «آنها که راه دشمنی را پیمودنـد و کافر شدنـد و آیات خـدا را تکـذیب کردند اهل دوزخند» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا أُولِئِکَ أَصْحابُ الْجَحِیم).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۷ ص: ۵۵۰

اشاره

(آیه ۸۷)

شأن نزول: ص: ۵۵۰

در مورد نزول این آیه و دو آیه بعد نقل شده است: برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۵۱

روزی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در بـاره رستاخیز و وضع مردم در آن دادگاه بزرگ الهی بیاناتی فرمود، این بیانات مردم را تکان داد و جمعی گریستند، به دنبال آن جمعی از یاران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله تصمیم گرفتند، پارهای از لذائذ و راحتیها را بر خود تحریم کرده و به جای آن به عبادت پردازند.

روزی همسر «عثمان بن مظعون» نزد عایشه آمد، او زن جوان و صاحب جمالی بود، عایشه از وضع او متعجب شد و گفت: چرا به خودت نمی رسی، و زینت نمی کنی؟! در پاسخ گفت: برای چه کسی زینت کنم؟ همسرم مدتی است که مرا ترک گفته و رهبانیت پیش گرفته است، این سخن به گوش پیامبر صلّی الله علیه و آله رسید، فرمان داد همه مسلمانان به مسجد آیند، هنگامی که مردم در مسجد اجتماع کردند، بالای منبر قرار گرفت، پس از حمد و ثنای پروردگار گفت: من سنت خود را برای شما بازگو می کنم هر کس از آن روی گرداند از من نیست، من قسمتی از شب را می خوابم و با همسرانم آمیزش دارم و همه

روزها را روزه نمي گيرم.

آگاه باشید! من هرگز به شما دستور نمی دهم که مانند کشیشان مسیحی و رهبانها ترک دنیا گویید زیرا این گونه مسائل و همچنین دیرنشینی در آیین من نیست، رهبانیت امت من در جهاد است، آنها که سوگند یاد کرده بودند، برخاستند و گفتند: ای پیامبر! ما در این راه سوگند یاد کرده ایم وظیفه ما در برابر سوگندمان چیست؟ آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۵۵۱

از حد تجاوز نكنيد! در اين آيه و آيات بعد يك سلسله احكام مهم اسلامي مطرح شده است.

نخست، اشاره به تحریم قسمتی از مواهب الهی به وسیله بعضی از مسلمین شده، و آنها را از تکرار این کار نهی می کند، و می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید «طیبات» و امور پاکیزهای را که خداوند برای شما حلال کرده بر خود حرام مکنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَیِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَکُمْ).

با بیان این حکم، اسلام صریحا بیگانگی خود را از مسأله رهبانیت و ترک دنیا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۵۲ آن چنان که مسیحیان و مرتاضان دارند اعلام داشته است.

سپس برای تأکید این موضوع می گوید: «از حد و مرزها فراتر نروید، زیرا خداوند تجاوزکنندگان را دوست نـدارد» (وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۸ ص: ۵۵۲

(آیه ۸۸)- در این آیه نیز مجددا روی مطلب تأکید کرده، منتها در آیه گذشته نهی از تحریم بود و در این آیه امر به بهره گرفتن مشروع از مواهب الهی کرده، میفرماید: «از آنچه خداوند به شما روزی داده است حلال و پاکیزه بخورید» (وَ کُلُوا مِمَّا رَزَقَکُمُ اللَّهُ حَلالًا طَیِّباً).

تنها شرط آن این است که «از (مخالفت) خداوندی که به او ایمان دارید بپرهیزید» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ). یعنی، ایمان شما به خدا ایجاب می کند که همه دستورات او را محترم بشمرید، هم در بهره گرفتن از مواهب الهی و هم رعایت اعتدال و تقوی.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۸۹ ص: ۵۵۲

(آیه ۸۹)– سوگند و کفّاره سوگند! در این آیه در باره سوگندهایی که در زمینه تحریم حلال و غیر آن خورده می شود، بطور کلی بحث کرده و قسمها را به دو قسمت تقسیم می کند:

نخست می گوید: «خداوند شما را در برابر قسمهای لغو مؤاخذه و مجازات نمی کند» (لا یُؤاخِذُکُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِی أَیْمانِکُمْ). منظور از سو گند لغو چنانکه مفسران و فقها گفتهاند، سو گندهایی است که دارای هدف مشخص نیست و از روی اراده و تصمیم سرنمی زند.

قسم دوم از سوگندها، سوگندهایی است که از روی اراده و تصمیم و بطور جدّی یاد می شود، در باره این نوع قسمها، قرآن

در ادامه آیه چنین می گوید: «خداوند شما را در برابر چنین سو گندهایی که گره آن را محکم کردهاید مؤاخذه می کند و شما را موظف به عمل کردن به آن میسازد» (وَ لکِنْ یُؤاخِذُکُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَیْمانَ).

البته جدّی بودن سوگند به تنهایی برای صحت آن کافی نیست بلکه باید محتوای سوگند لااقل یک امر مباح بوده باشد و باید دانست که سوگند جز به نام خدا معتبر نیست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۵۳

بنابراین اگر کسی به نام خدا سوگند یاد کند واجب است به سوگند خود عمل کند و اگر آن را شکست کفاره دارد. «و کفاره چنین سوگندی (یکی از سه چیز است: نخست) اطعام ده نفر مسکین» (فَکَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَهُِ مَساکِینَ).

منتها برای این که بعضی از اطلاق این حکم چنین استفاده نکنند که میتوان از هر نوع غذای پست و کمارزشی برای کفاره استفاده کرد، تصریح میکند که «این غذا باید لااقل یک غذای حد وسط بوده باشد که معمولا در خانواده خود از آن تغذیه میکنید» (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِیكُمْ).

دوم: «پوشاندن لباس، بر ده نفر نیازمند» (أَوْ کِسْوَتُهُمْ).

البته ظاهر آیه این است که لباسی بوده باشد که بطور معمول تن را بپوشاند و بر حسب فصول و مکانها و زمانها تفاوت پیدا می کند.

در این که آیا از نظر کیفیت حد اقل کافی است و یا در اینجا نیز باید حد وسط مراعات شود، به مقتضای اطلاق آیه هر گونه لباس کافی است.

سوم: «آزاد كردن يك برده» (أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ).

اما ممکن است کسانی باشند که قدرت بر هیچ یک از اینها نداشته باشند و لذا بعد از بیان این دستور میفرماید: «آنهایی که دسترسی به هیچ یک ندارند باید سه روز، روزه بگیرند» (فَمَنْ لَمْ یَجِدْ فَصِیامُ ثَلاثَهُ أَیّام).

سپس برای تأکید می گوید: «کفاره سو گندهای شما این است که گفته شد» (ذلِکَ کَفَّارَهُ أَیْمانِکُمْ إذا حَلَفْتُمْ).

ولی برای این که کسی تصور نکند با دادن کفاره، شکستن سو گندهای صحیح حرام نیست می گوید: «سو گندهای خود را حفظ کنید» (وَ احْفَظُوا أَیْمانَکُمْ).

و در پایان آیه میفرماید: «این چنین خداونـد آیاتش را برای شـما بیان میکند، تا شـکر او را بگذارید و در برابر این احکام و دستوراتی که ضامن سعادت و سلامت فرد و اجتماع است، او را سپاس گویید» (کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۰ ص: ۵۵۳

اشاره

(آیه ۹۰)

شأن نزول: ص: ۵۵۳

در تفاسیر شیعه و اهل تسنن شأن نزولهای مختلفی در برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۵۴

باره این آیه ذکر شده است که تقریبا با یکدیگر شباهت دارند از جمله این که در «مسند احمد» و «سنن ابی داود» و «نسائی» و «ترمذی» چنین نقل شده است که:

عمر (که طبق تصریح تفسیر فی ظلال جلد سوم، صفحه ۳۳، علاقه شدیدی به نوشیدن شراب داشت) دعا می کرد، و می گفت: خدایا بیان روشنی در مورد خمر برای ما بفرما، هنگامی که آیه ۲۱۹، سوره بقره (یَشئُلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ ...) نازل شد پیامبر صلّی الله علیه و آله آیه را برای او قرائت کرد ولی او باز به دعای خود ادامه می داد، و می گفت: خدایا بیان روشنتری در این زمینه بفرما، تا این که آیه ۳۳ سوره نساء (یا أَیُهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَقْرُبُوا الصَّلاهُ وَ أَنْتُمْ شُکاری) نازل شد، پیامبر صلّی الله علیه و آله آن را نیز بر او خواند، باز به دعای خود ادامه می داد! تا این که آیه مورد بحث که صراحت فوق العاده ای در این موضوع دارد، نازل گردید، هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله آیه را بر او خواند، گفت: انتهینا انتهینا! «از نوشیدن شراب خودداری می کنیم»

تفسير: ص: ۵۵۴

حکم قطعی در باره شراب و مراحل تدریجی آن- همانطور که در ذیل آیه ۴۳ سوره نساء اشاره کردیم، شرابخوری و میگساری در زمان جاهلیت و قبل از ظهور اسلام فوق العاده رواج داشت و به صورت یک بلای عمومی درآمده بود، تا آنجا که بعضی از مورّخان می گویند عشق عرب جاهلی در سه چیز خلاصه می شد: شعر و شراب و جنگ! روشن است که اگر اسلام میخواست بدون رعایت اصول روانی و اجتماعی با این بلای بزرگ عمومی به مبارزه برخیزد ممکن نبود، و لذا از روش تحریم تدریجی و آماده ساختن افکار و اذهان برای ریشه کن کردن میگساری که به صورت یک عادت ثانوی در رگ و پوست آنها نفوذ کرده بود، استفاده کرد، به این ترتیب که نخست در بعضی از سورههای مکّی اشاراتی به زشتی این کار نمود، ولی عادت زشت شرابخواری از آن ریشهدار تر بود، که با این اشاره ها ریشه کن شود، لذا هنگامی که مسلمانان به مدینه منتقل شدند و نخستین حکومت اسلامی تشکیل شد، دومین دستور – آیه ۲۱۹، سوره بقره – در زمینه منع شرابخواری به صورت قاطع تری نازل بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۵۵

گشت، آشنایی مسلمانان به احکام اسلام سبب شد که دستور نهایی- همین آیه مورد بحث- با صراحت کامل و بیان قاطع که حتی بهانه جویان نیز نتوانند به آن ایراد گیرند نازل گردد.

در این آیه با تعبیرات گوناگون ممنوعیت این کار مورد تأکید قرار گرفته، تا جایی که شرابخواری در ردیف بت پرستی و قمار و ازلام و از اعمال شیطانی و پلید قلمداد شده است می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید شراب و قمار و بتها و ازلام (یک نوع بخت آزمایی) پلیدند و از عمل شیطانند از آنها دوری کنید تا رستگار شوید» (یا أَیُهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَیْسِرُ وَ الْاَنْصابُ وَ الْاَنْصابُ وَ الْاَنْدُلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَل الشَّیْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ).

«انصاب» بتهایی که شکل مخصوصی نداشتند و تنها قطعه سنگی بودند و قرار گرفتن شراب و قمار هم ردیف آن نشانگر خطر بسیار زیاد شراب و قمار است به همین دلیل در روایتی از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: شارب الخمر کعابد الوثن: «شرابخور همانند بت پرست است». (آیه ۹۱) – در این آیه به پارهای از زیانهای آشکار شراب و قمار پرداخته نخست می گوید: «شیطان میخواهد از طریق شراب و قمـار در میان شـما تخم عـداوت و دشـمنی بپاشـد و از نماز و ذکر خـدا باز دارد» (إِنَّما يُرِيـدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَـداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ فِی الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ وَ یَصُدَّکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلاةِ).

در پایان این آیه به عنوان یک استفهام تقریری، می گوید: «آیا شما خودداری خواهید کرد؟» (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ).

یعنی پس از این همه تأکید باز جای بهانه جویی یا شک و تردید در مورد ترک این دو گناه بزرگ باقی مانده است؟! و لذا می بینیم که حتی «عمر» که تعبیرات آیات گذشته را به خاطر علاقهای که (طبق تصریح مفسران عامه) به شراب داشت وافی نمی دانست پس از نزول این آیه، گفت که این تعبیر کافی و قانع کننده است.

سوره مائده (۵): آیهٔ ۹۲ ص: ۵۵۵

(آیه ۹۲) و در این آیه به عنوان تأکید این حکم نخست به مسلمانان دستور برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۵۶ می دهد که «خدا و پیامبرش را اطاعت کنید و از مخالفت او بپرهیزید» (وَ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا). و سپس مخالفان را تهدید می کند که: «اگر از اطاعت فرمان پروردگار سرباز زنید، مستحق کیفر و مجازات خواهید بود و پیامبر صلّی الله علیه و آله وظیفه ای جز ابلاغ آشکار ندارد» (فَإِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلی رَسُولِنَا الْبَلائُع الْمُبِینُ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۹۳ ص: ۵۵۶

اشاره

(آیه ۹۳)

شأن نزول: ص: ۵۵۶

در تفاسیر چنین آمده است که، پس از نزول آیه تحریم شراب و قمار، بعضی از یاران پیامبر صلّی الله علیه و آله گفتند: اگر این دو کار این همه گناه دارد پس تکلیف برادران مسلمان ما که پیش از نزول این آیه از دنیا رفتهاند و هنوز این دو کار را ترک نکرده بودند چه میشود؟ آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۵۵۶

در این آیه در پاسخ کسانی که نسبت به وضع گذشتگان قبل از نزول تحریم شراب و قمار و یا نسبت به وضع کسانی که این حکم هنوز به گوش آنها نرسیده، و در نقاط دور دست زندگی داشتند، سؤال می کردند، می گوید: «آنهایی که ایمان و عمل صالح داشته اند و این حکم به آنها نرسیده بوده، اگر شرابی نوشیده اند و یا از در آمد قمار خورده اند گناهی بر آنها نیست» (لَیْسَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِیما طَعِمُوا).

سپس این حکم را مشروط به این می کنـد که «آنها تقوا را پیشه کنند و ایمان بیاورند و عمل صالح انجام دهند» (اِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) بار دیگر همین موضوع را تکرار کرده، می گوید: «سپس تقوا پیشه کنند و ایمان بیاورند» (ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا).

و برای سومین بار با کمی تفاوت همین موضوع را تکرار نموده، می گوید:

«سپس تقوا پیشه کنند و نیکی نمایند» (ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا).

و در پایان آیه میفرماید: «خداوند نیکوکاران را دوست میدارد» (وَ اللَّهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

هر یک از این سه تقوا، اشاره به مرحلهای از احساس مسؤولیت و پرهیز کاری است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۵۷

سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۴ ص: ۵۵۷

اشاره

(آیه ۹۴)

شأن نزول: ص: ۵۵۷

نقل شده: هنگامی که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و مسلمانان در سال حدیبیّه برای عمره با حال احرام حرکت کردند، در وسط راه با حیوانات وحشی فراوانی رو برو شدند، بطوری که می توانستند آنها را با دست و نیزهها صید کنند! این شکارها بقدری زیاد بودند که بعضی نوشته اند دوش به دوش مرکبها و از نزدیک خیمه ها رفت و آمد می کردند.

این آیه و دو آیه بعد نازل شد و مسلمانان را از صید آنها برحذر داشت، و به آنها اخطار کرد که این نوع امتحان برای آنها محسوب می شود.

تفسير: ص: ۵۵۷

احکام صید در حال احرام این آیه و دو آیه بعد ناظر به یکی از احکام عمره و حبّ، یعنی مسأله شکار حیوانات صحرایی و دریایی در حال احرام میباشد. نخست اشاره به جریانی که مسلمانان در سال «حدیبیه» با آن رو برو بودند کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! خداوند شما را با چیزی از شکار می آزماید، شکارهایی که بقدری به شما نزدیک می شوند که حتی با نیزه و دست می توانید آنها را شکار کنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لَیَبْلُوَنَّکُمُ اللَّهُ بِشَیْءٍ مِنَ الصَّیْدِ تَنالُهُ أَیْدِیکُمْ و رماحُکُمْ).

سپس به عنوان تأکید می فرماید: «این جریان برای آن بوده است که افرادی که از خدا با ایمان به غیب می ترسند، از دیگران شناخته شوند» (لِیَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ یَخافُهُ بِالْغَیْب).

و در پایان آیه میفرماید: «پس هر کس بعد از آن تجاوز کند مجازات دردناکی خواهد داشت» (فَمَنِ اعْ<u>تَ</u>دی بَعْدَ ذلِکَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۵ ص: ۵۵۷

(آیه ۹۵) - در این آیه با صراحت و قاطعیّت بیشتر و بطور عموم فرمان تحریم صید را در حال احرام صادر کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! در حال احرام شکار نکنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّیْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ).

سپس به کفاره صید در حال احرام اشاره کرده، می گوید: «کسی که عمدا صیدی را به قتل برساند، باید کفارهای همانند آن از چهارپایان بدهد» یعنی، آن را برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۵۸

قرباني كرده و گوشت آن را به مستمندان بدهد (وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَم).

در اینجا منظور از «مثل» همانندی در شکل و اندازه حیوان است به این معنی که مثلاً اگر کسی حیوان وحشی بزرگی را همانند شترمرغ صید کند، باید گوسفند که تقریبا به اندازه آن است قربانی نماید.

و از آنجا که ممکن است مسأله هماننـدی برای بعضـی مورد شک و تردید واقع شود، قرآن در این زمینه دسـتور داده است که «باید این موضوع زیر نظر دو نفر از افراد مطلع و عادل انجام پذیرد» (یَحْکُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْکُمْ).

و در باره این که این کفاره در کجا باید ذبح شود، دستور میدهد که به صورت «قربانی و «هدی» اهداء به کعبه شود و به سرزمین کعبه برسد» (هَدْیاً بالِغَ الْکَعْبَهِ).

سپس اضافه می کند که، لازم نیست حتما کفاره به صورت قربانی باشد، بلکه دو چیز دیگر نیز هر یک می توانند جانشین آن شوند، نخست این که «معادل پول آن را در راه اطعام مساکین مصرف کند» (أَوْ کَفَّارَةٌ طَعامُ مَساکِینَ).

«و يا معادل آن روزه بگيرد» (أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً).

«اين كفارات به خاطر آن است كه كيفر كار خلاف خود را ببيند» (لِيَذُوقَ وَبالَ أُمْرِهِ).

اما از آنجایی که هیچ حکمی معمولا شامل گذشته نمی شود، تصریح می کند که «خدا از تخلفاتی که در این زمینه در گذشته انجام داده اید، عفو فرموده است» (عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَرِلَفَ). «و هر گاه کسی به این اخطارهای مکرر و حکم کفاره اعتنا نکند و باز هم مرتکب صید در حال احرام شود، خداوند از چنین کسی انتقام خواهد گرفت و خداوند تواناست، و به موقع انتقام می گیرد» (وَ مَنْ عادَ فَیَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَ اللَّهُ عَزِیزٌ ذُو انْتِقام).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۶ ص: ۵۵۸

اشاره

(آیه ۹۶)- در این آیه پیرامون صیدهای دریا سخن به میان آورده، می گوید: «صید دریا و طعام آن برای شما (در حال احرام) حلال است» (أُحِلَّ لَکُمْ صَیْدُ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۵۹

الْبَحْرِ وَ طَعامُهُ)

.منظور از «طعام» همان خوراکی است که از ماهیان صید شده ترتیب داده می شود، زیرا آیه می خواهد دو چیز را مجاز کند نخست صید کردن و دیگر خوردن غذای صید شده.

سپس به فلسفه این حکم اشاره کرده می گوید: «این به خاطر این است که شما و مسافران بتوانیـد بهره ببریـد» (مَتاعاً لَکُمْ وَ لِلسَّيَّارَةُ).

یعنی به خاطر این که در حال احرام برای تغذیه به زحمت نیفتید و بتوانید از یک نوع صید بهرهمند شوید، این اجازه در مورد صید دریا به شما داده شده است.

بار دیگر به عنوان تأکید به حکم سابق بازگشته، می گوید: «مادام که در حال احرام هستید صیدهای صحرایی بر شما حرام است» (وَ حُرِّمَ عَلَیْکُمْ صَیْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً).

و در پایان آیه برای تأکید تمام احکامی که ذکر شد میفرماید: «از خداوندی که در قیامت در پیشگاه او محشور خواهید شد بپرهیزید» و با فرمان او مخالفت ننمایید (وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ).

فلسفه تحریم صید در حال احرام-.... ص: ۵۵۹

می دانیم، حبّے و عمره از عباداتی است که انسان را از جهان ماده جدا کرده و در محیطی مملو از معنویت فرو می برد. تعیّنات زندگی مادی، جنگ و جدالها، خصومتها، هوسهای جنسی، لذات مادی، در مراسم حبّ و عمره بکلی کنار می روند و انسان به یک نوع ریاضت مشروع الهی دست می زند، و به نظر می رسد که تحریم صید در حال احرام نیز به همین منظور است. از این گذشته اگر صید کردن برای زوّار خانه خدا کار مشروعی بود، با توجه به این همه رفت و آمدی که هر سال در این سرزمینهای مقدس می شود، نسل بسیاری از حیوانات در آن منطقه که به حکم خشکی و کم آبی، حیواناتش نیز کم است، برچیده می شد، مخصوصا با توجه به این که در غیر حال احرام نیز صید حرام، برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۶۰ و همچنین کندن در ختان و گیاهان آن ممنوع است، روشن می شود که این دستور ارتباط نزدیکی با مسأله حفظ محیط زیست و نگهداری گیاهان و حیوانات آن منطقه از فنا و نابودی دارد.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۷ ص: ۵۶۰

(آیه ۹۷) - در تعقیب آیات گذشته که در زمینه تحریم صید در حال احرام، بحث می کرد، در این آیه به اهمیت «مکّه» و اثر آن در سازمان زندگی اجتماعی مسلمانها اشاره کرده، نخست می فرماید: «خداوند کعبه، بیت الحرام را وسیلهای برای اقامه امر مردم قرار داده است» (جَعَلَ اللَّهُ الْبَیْتَ الْجَرامَ قِیاماً لِلنَّاس).

و از آنجا که این مراسم باید در محیطی امن و امان از جنگ و کشمکش و نزاع صورت گیرد اشاره به اثر ماههای حرام (ماههایی که جنگ مطلقا در آن ممنوع است) در این موضوع کرده، میفرماید: «و همچنین ماه حرام» (وَ الشَّهْرَ الْحَرامَ).

و نیز نظر به این که وجود «قربانیهای بینشان- هدی- و قربانیهای نشاندار- قلائد» که تغذیه مردم را در ایامی که اشتغال به مراسم حج و عمره دارند تأمین کرده و فکر آنها را از این جهت آسوده می کند، تأثیری در تکمیل این برنامه دارد به آنها نیز اشاره کرده می گوید: (وَ الْهَدْیَ وَ الْقَلائِدَ).

در پایان آیه چنین می گوید: «خداوند این برنامه های منظم را به خاطر این قرار داد تا بدانید علم او به اندازهای وسیع است که آنچه در آسمانها و زمین است می داند و از همه چیز- مخصوصا نیازمندیهای روحی و جسمی بندگانش- باخبر است» (ذلِکَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ ما فِی الشَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللَّه بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۹۸ ص: ۵۶۰

(آیه ۹۸) - در این آیه برای تأکید دستورات گذشته و تشویق مردم به انجام آنها و تهدید مخالفان و معصیت کاران میفرماید: «بدانید خدا شدید العقاب و نیز غفور و رحیم است» (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۹۹ ص: ۵۶۰

(آیه ۹۹) - و باز برای تأکید بیشتر می گوید: مسؤول اعمال شما خودتان هستید و «پیامبر صلّی الله علیه و آله مسؤولیتی جز ابلاغ رسالت و رساندن دستورات خدا ندارد» (ما عَلَی الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلائع). «و در عین حال خداوند از نیات شما، و از کارهای برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۶۱

آشكار و پنهاني همگي آگاه و باخبر است» (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۰ ص: ۵۶۱

(آیه ۱۰۰)- اکثریت دلیل «پاکی» نیست! در آیات گذشته سخن از تحریم مشروبات الکلی و قمار و انصاب و ازلام و صید کردن در حال احرام بود، از آنجا که بعضی از افراد ممکن است برای ارتکاب این گونه گناهان عمل اکثریت را در پارهای از محیطها دستاویز قرار دهند.

خداونـد يـک قاعـده کلی و اساسـی را در يـک عبـارت کوتاه بيان کرده، میفرمايـد: «بگو ای پيامبر! هيـچ گاه ناپاک و پاک يکسـان نخواهـد بود، اگر چه فزونی ناپـاک و کثرت آلودههـا تو را به شـگفتی فرو برد»! (قُـلُ لا يَشِـتَوِی الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ وَ لَوْ أَعْجَبَکَ کَثْرُهُ الْخَبيثِ).

بنابراین، خبیث و طیب در آیه به معنی هر گونه موجود پاک و ناپاک اعم از غذاها و افکار است.

و در پایان آیه، اندیشمندان را مخاطب ساخته و می گوید: «از (مخالفت) خمدا بپرهیزید ای صاحبان خرد، تا رستگار شوید» (فَاتَّقُوا اللَّهَ یا أُولِی الْأَلْبابِ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۱ ص : ۵۶۱

اشاره

(آیه ۱۰۱)

شأن نزول: ص: 261

در مورد نزول این آیه و آیه بعد، از علی بن أبی طالب علیه السّ لام نقل شده است که: «روزی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله خطبهای خواند و دستور خدا را در باره حج بیان کرد، شخصی به نام عکاشه- و به روایتی سراقه- گفت: آیا این دستور برای هر سال است، و همه سال باید حج به جا بیاوریم؟

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به سؤال او پاسخ نگفت، ولی او لجاجت کرد، و دوبار، و یا سه بار، سؤال خود را تکرار نمود، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: وای بر تو، چرا این همه اصرار می کنی اگر در جواب تو بگویم بلی، حجّ در همه سال بر همه شما واجب می شود و اگر در همه سال واجب باشد توانایی انجام آن را نخواهید داشت و اگر با آن مخالفت کنید گناهکار خواهید بود، بنابراین، مادام که چیزی به شما نگفته ام روی آن اصرار نورزید.

آیه نازل شد و آنها را از این کار بازداشت.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۶۲

تفسير: ص: ۵۶۲

سؤالات بیجا! شک نیست که سؤال کردن، کلید فهم حقایق است، و در آیات و روایات اسلامی نیز به مسلمانان دستور اکید داده شده است که هر چه را نمی دانند بپرسند، ولی از آنجا که هر قانونی معمولا استثنایی دارد، این اصل اساسی تعلیم و تربیت نیز استثنایی دارد و آن این که گاهی پارهای از مسائل پنهان بودنش برای حفظ نظام اجتماع و تأمین مصالح افراد بهتر است در این گونه موارد جستجوها و پرسشهای پی در پی، برای پرده برداشتن، از روی واقعیت، نه تنها فضیلتی نیست بلکه مذموم و ناپسند نیز می باشد.

قرآن در این آیه به این موضوع اشاره کرده، صریحا می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید از اموری که افشای آنها باعث ناراحتی و دردسر شما میشود پرسش نکنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَشْئُلُوا عَنْ أَشْیاءَ إِنْ تُبْدَ لَکُمْ تَسُؤْکُمْ).

ولی از آنجا که سؤالات پی در پی از ناحیه افراد و پاسخ نگفتن به آنها ممکن است موجب شک و تردید برای دیگران گردد و مفاسد بیشتری ببار آورد اضافه می کند» اگر در این گونه موارد زیاد اصرار کنید به وسیله آیات قرآن بر شما افشاء می شود» و به زحمت خواهید افتاد (وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْها حِینَ یُنَزَّلُ الْقُوْآنُ تُبْدَ لَکُمْ).

سپس اضافه می کند: تصور نکنید اگر خداوند از بیان پارهای از مسائل سکوت کرده است از آن غفلت داشته، بلکه میخواسته است شما را در توسعه قرار دهد و «آنها را بخشوده است، و خداوند بخشنده حلیم است» (عَفَا اللَّهُ عَنْها وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِیمٌ).

در حدیثی از علی علیه السّ بلام میخوانیم: «خداوند واجباتی برای شما قرار داده آنها را ضایع مکنید، و حدود و مرزهایی تعیین کرده از آنها تجاوز ننمایید و از اموری نهی کرده، در برابر آنها پردهدری نکنید، و از اموری ساکت شده و صلاح در کتمان آن دیده و هیچ گاه این کتمان از روی نسیان نبوده، در برابر این گونه امور، اصراری در افشاء نداشته باشید».

سوره مائده (۵): آیهٔ ۱۰۲ ص: ۵۶۲

(آیه ۱۰۲) – در این آیه برای تأکید مطلب می گوید: «بعضی از اقوام پیشین، این گونه سؤالات را داشتند و به دنبال پاسخ آنها به مخالفت و عصیان برخاستند» برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۶۳

(قَدْ سَأَلَها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِها كافِرِينَ).

و در پایان این بحث ذکر این نکته را لازم میدانیم که آیههای فوق به هیچ وجه راه سؤالات منطقی و آموزنده و سازنده را به روی مردم نمیبندد، بلکه منحصرا مربوط به سؤالات نابجا و جستجو از اموری است که نه تنها مورد نیاز نیست بلکه مکتوم ماندن آن بهتر و حتی گاهی لازم است.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۳ ص: ۵۶۳

(آیه ۱۰۳) - در این آیه، اشاره به چهار «بدعت» نابجا شده که در میان عرب جاهلی معمول بود، آنها بر پارهای از حیوانات به جهتی از جهات علامت و نامی گذارده و خوردن گوشت آن را ممنوع میساختند و یا حتی خوردن شیر و چیدن پشم و سوار شدن بر پشت آنها را مجاز نمی شمردند، یعنی عملا حیوان را بلااستفاده و بیهوده رها میساختند.

قرآن مجيد مي گويد: «خداوند هيچ يك از اين احكام را به رسميت نمي شناسد، نه بحيرهٔاي قرار داده و نه سائبهٔ و نه وصيلهٔ و نه حام (ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائبهٍٔ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حام).

و اما توضیح این چهار نوع حیوان:

۱- بحیره به حیوانی می گفتند که پنج بـار زاییـده بود و پنجمین آنهـا ماده و به روایتی نر بود، گوش چنین حیوانی را شـکاف وسیعی میدادند و آن را به حال خود آزاد می گذاشتند و از کشتن آن صرف نظر می کردند.

۲-سائبه شتری بوده که دوازده-و به روایتی ده- بچه می آورد، آن را آزاد می ساختند و حتی کسی سوار بر آن نمی شد، تنها گاهی از شیر آن می دوشیدند و به میهمان می دادند.

۳- وصیله به گوسفندی می گفتند که هفت بار فرزند می آورد و به روایتی به گوسفندی می گفتند: که دوقلو میزایید، کشتن چنان گوسفندی را نیز حرام می دانستند.

۴- حام به حیوان نری می گفتنـد که ده بار از آن برای تلقیـح حیوانات ماده اسـتفاده می کردنـد و هر بار فرزندی از نطفه آن به وجود می آمد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۶۴

کوتاه سخن این که منظور حیواناتی بوده که در واقع خدمات فراوان و مکرری به صاحبان خود از طریق «انتاج» می کردنـد، و آنها هم در مقابل یک نوع احترام و آزادی بر این حیوانات قائل میشدند.

سپس مىفرمايىد: «افراد كافر و بت پرست اينها را به خىدا نسبت مىدادنىد و مى گفتنىد: قانون الهى است» (وَ لَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ).

«و اکثر آنها در این باره کمترین فکر و اندیشهای نمی کردند و عقل خود را به کار نمی گرفتند» بلکه کورکورانه از دیگران تقلید مینمودند (وَ أَکْتُرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۱۰۴ ص: ۵۶۴

(آیه ۱۰۴)- در این آیه اشاره به دلیل و منطق آنها در این تحریمهای نابجا و بیمورد کرده، می گوید: «هنگامی که به آنها

گفته شود به سوی آنچه خدا نازل کرده و به سوی پیامبر صلّی الله علیه و آله بیایید، آنها از این کار سر باز زده، می گویند همان رسوم و آداب نیاکان ما، ما را بس است»! (وَ إِذَا قِیلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزُلَ اللّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَشِيبُنا مَا وَجَـدْنا عَلَيْهِ آبَاءَنا).

در حقیقت خلافکاریها و بت پرستیهای آنها از یک نوع بت پرستی دیگر یعنی تسلیم بـدون قید و شـرط در برابر آداب و رسوم خرافی نیاکان سـر چشمه می گرفت قرآن صریحا به آنها پاسخ می گوید: که «مگر نه این است که پدران آنها دانشی نداشتند و هدایت نیافته بودند» (أَ وَ لَوْ کَانَ آباؤُهُمْ لا یَعْلَمُونَ شَیْئاً وَ لا یَهْتَدُونَ).

بنابراین، کار شما مصداق روشن تقلید «جاهل» از «جاهل» است که در میزان عقل و خرد بسیار ناپسند می باشد؟

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۵ ص: ۵۶۴

(آیه ۱۰۵) – هر کس مسؤول کار خویش است! در آیه قبل سخن از تقلید کورکورانه مردم عصر جاهلیت از نیاکان گمراه، به میان آمد و قرآن به آنها صریحا اخطار کرد که چنین تقلیدی، با عقل و منطق سازگار نیست، به دنبال این موضوع طبعا این سؤال در ذهن آنها می آمد که اگر ما حسابمان را از نیاکانمان در اینگونه مسائل جدا کنیم، پس سرنوشت آنها چه خواهد شد، به علاوه اگر ما دست از چنان تقلیدی برداریم سرنوشت بسیاری مردم که تحت تأثیر چنین تقالیدی هستند، چه می شود، آیه شریفه در پاسخ این گونه سؤالات می گوید: «ای کسانی که ایمان بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۶۵

آوردهاید شما مسؤول خویشتنید، اگر شما هدایت یافتید گمراهی دیگران (اعم از نیاکان و یا دوستان و بستگان هم عصر شما) لطمهای به شما نخواهد زد» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا عَلَیْکُمْ أَنْفُسَکُمْ لا یَضُرُّکُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَیْتُمْ).

سپس اشاره به موضوع رستاخیز و حساب و رسیدگی به اعمال هر کس کرده، می گوید: «بازگشت همه شما به سوی خداست، و به حساب هر یک از شما جداگانه رسیدگی می کند، و شما را از آنچه انجام می دادید آگاه می سازد» (إِلَی اللَّهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِیعاً فَیۡنَبِّنُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۶ ص: ۵۶۵

اشاره

(آیه ۱۰۶)

شأن نزول: ص: 260

در مورد نزول این آیه و دو آیه بعد نقل شده که: یک نفر از مسلمانان به نام «ابن ابی ماریه» به اتفاق دو نفر از مسیحیان عرب به نام «تمیم» و «عدی» که دو برادر بودند به قصد تجارت از مدینه خارج شدند در اثنای راه «ابن ماریه» که مسلمان بود بیمار شد، وصیت نامه ای نوشت و آن را در میان اثاث خود مخفی کرد، و اموال خویش را به دست دو همسفر نصرانی سپرد، وصیت کرد که آنها را به خانواده او برسانند، و از دنیا رفت، همسفران متاع او را گشودند و چیزهای گرانقیمت و جالب آن را

برداشتند و بقیه را به ورثه بازگرداندند.

ورثه هنگامی که متاع را گشودند، قسمتی از اموالی که ابن ابی ماریه با خود برده بود در آن نیافتند، ناگاه چشمان آنها به وصیت نامه افتاد، دیدند، صورت تمام اموال مسروقه در آن ثبت است، مطلب را با آن دو نفر مسیحی همسفر در میان گذاشتند آنها انکار کرده و گفتند: هر چه به ما داده بود به شما تحویل داده ایم! ناچار به پیامبر صلّی الله علیه و آله شکایت کردند، آیه نازل شد و حکم آن را بیان کرد.

تفسير: ص: ٥٥٥

از مهمترین مسائلی که اسلام روی آن تکیه می کند، مسأله حفظ حقوق و اموال مردم و بطور کلی اجرای عدالت اجتماعی است.

نخست برای این که حقوق ورثه در اموال میت از میان نرود و حق بازماندگان و ایتام و صغار پایمال نشود، به افراد با ایمان دستور می دهد و می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! هنگامی که مرگ یکی از شما فرا رسد باید به هنگام وصیت کردن دو نفر از افراد عادل مسلمان را به گواهی بطلبید و اموال خود را به عنوان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۶۶ امانت برای تحویل دادن به ورثه به آنها بسپارید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا شَهادَهُ بَیْنِکُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ حِینَ الْوَصِیَّةِ اثْنانِ ذَوا عَدْلِ مِنْکُمْ).

البته شهادت در اینجا توأم با وصایت است، یعنی این دو نفر هم «وصیند» و هم «گواه»، سپس اضافه می کند: «اگر در مسافرتی باشید و مصیبت مرگ برای شما فرا رسد (و از مسلمانان وصی و شاهدی پیدا نکنید) دو نفر از غیر مسلمانها را برای این منظور انتخاب نمایید» (أَوْ آخَرانِ مِنْ غَیْرِکُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِی الْأَرْضِ فَأَصابَتْکُمْ مُصِیبَةُ الْمَوْتِ).

منظور از غیر مسلمانان تنها اهل کتاب یعنی، یهود و نصاری میباشد زیرا اسلام برای مشرکان و بتپرستان در هیچ مورد اهمیتی قائل نشده است.

سپس دستور میدهد که: «اگر به هنگام ادای شهادت در صدق آنها شک کردید آنها را بعد از نماز نگاه میدارید و وادار کنید تا سوگند یاد کنند (و شهادت دهند) که ما حاضر نیستیم حق را به چیزی (منافع مادی) بفروشیم (و به ناحق گواهی دهیم) اگر چه در مورد خویشاوندان ما باشد» (تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاهِ فَیُقْسِ-مانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِی بِهِ ثَمَناً وَ لَوْ کانَ ذا قُرْبی).

«و ما هیچ گاه شهادت الهی را کتمان نمی کنیم که در این صورت از گناهکاران خواهیم بود» (وَ لا نَکْتُمُ شَهادَهُ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِینَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۷ ص: ۵۶۶

(آیه ۱۰۷) - در این آیه سخن از مواردی به میان آمده که ثابت شود، دو شاهد مرتکب خیانت و گواهی بر ضد حق شدهاند - همانطور که در شأن نزول آیه آمده بود - در چنین موردی دستور میدهد که: «اگر اطلاعاتی حاصل شود که آن دو نفر مرتکب گناه و جرم و تعدی شدهاند و حق را پایمال کردهاند، دو نفر دیگر از کسانی که گواهان نخست به آنها ستم کردهاند

(يعنى ورثه ميت) به جاى آنها قرار گرفته و براى احقاق حق خود شـهادت و گواهى مىدهند» (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا الْـيَتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيانِ).

و در ذیل آیه وظیفه دو شاهـد دوم را چنین بیان می کنـد که «آنها باید به خدا سو گند یاد کنند که گواهی ما از گواهی دو نفر اول شایسته تر و به حق نزدیکتر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۶۷

است و ما مرتكب تجاوز و ستمى نشده ايم و اگر چنين كرده باشيم از ظالمان و ستمگران خواهيم بود» (فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ لَشَهادَتُنا أَخَقُ مِنْ شَهادَتِهِما وَ مَا اعْتَدَيْنا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۱۰۸ ص: ۵۶۷

(آیه ۱۰۸) – این آیه در حقیقت فلسفه احکامی را که در زمینه شهادت در آیات قبل گذشت بیان می کند که: «اگر طبق دستور بالا عمل شود (یعنی دو شاهد را بعد از نماز و در حضور جمع به گواهی بطلبند، و در صورت بروز خیانت آنها، افراد دیگری از ور ثه جای آنها را بگیرند و حق را آشکار سازند) این برنامه سبب می شود که شهود در امر شهادت دقت به خرج دهند و آن را بر طبق واقع – به خاطر ترس از خدا یا به خاطر ترس از خلق خدا – انجام دهند مبادا سو گندهایی جای سو گندهای آنها را بگیرد» (ذلِکَ أَدْنی أَنْ یَأْتُوا بِالشَّهادَهُ عَلی وَجْهِها أَوْ یَخافُوا أَنْ تُرَدَّ أَیْمانٌ بَعْدَ أَیْمانِهِمْ).

در حقیقت این کار سبب می شود که حد اکثر ترس از مسؤولیت در برابر خدا و یا بندگان خدا در آنها بیدار گردد و از محور حق منحرف نشوند.

و در آخر آیه برای تأکید روی تمام احکام گذشته دستور میدهد: «پرهیزکاری پیشه کنید و گوش به فرمان خدا فرا دهید و بدانید خداوند جمعیت فاسقان را هدایت نخواهد کرد» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمَعُوا وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِینَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۰۹ ص: ۵۶۷

(آیه ۱۰۹) - این آیه در حقیقت مکملی برای آیات قبل است، زیرا در ذیل آیات گذشته که مربوط به مسأله شهادت حق و باطل بود دستور به تقوا و ترس از مخالفت فرمان خدا داده شده، در این آیه می گوید: «از آن روز بترسید که خداوند پیامبران را جمع می کند و از آنها در باره رسالت و مأموریتشان سؤال می کند و می گوید مردم در برابر دعوت شما چه پاسخی گفتند» (یَوْمَ یَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَیَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ).

آنها از خود نفی علم کرده و همه حقایق را موکول به علم پروردگار کرده میگویند: «خداوندا! ما علم و دانشی نداریم، تو آگاه بر تمام غیوب و پنهانیها هستی» (قالُوا لا عِلْمَ لَنا إِنَّکَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُیُوبِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۶۸ و به این ترتیب سر و کار شما با چنین خداوند علام الغیوب و با چنین دادگاهی است، بنابراین در گواهیهای خود مراقب حق و عدالت باشید.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۰ ص: ۵۶۸

(آیه ۱۱۰)- مواهب الهی بر مسیح! این آیه و آیات بعد تا آخر سوره مائده مربوط به سرگذشت حضرت مسیح و مواهبی است که به او و امتش ارزانی داشته که برای بیداری و آگاهی مسلمانان در اینجا بیان شده است. نخست می گویـد: «به یاد بیاور هنگامی را که خداونـد به عیسـی بن مریم فرمود: «نعمتی را که بر تو و بر مادرت ارزانی داشـتم متذکر باش» (إِذْ قالَ اللَّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ اذْکُرْ نِعْمَتِی عَلَیْکَ وَ عَلی والِدَتِکَ).

سپس به ذکر مواهب خود پرداخته، نخست می گوید «تو را با روح القدس تقویت کردم» (إِذْ أَیَدْتُکَ بِرُوحِ الْقُدُسِ) «۱». دیگر از مواهب الهی بر تو این است که «به تأیید روح القدس با مردم در گهواره و به هنگام بزرگی و پختگی سخن می گفتی» (تُکَلِّمُ النَّاسَ فِی الْمَهْدِ وَ کَهْلًا).

اشاره به این که سخنان تو در گاهواره همانند سخنان تو در بزرگی، پخته و حساب شده بود، نه سخنان کودکانه و بیارزش. دیگر این که «کتاب و حکمت و تورات و انجیل را به تو تعلیم دادم» (وَ إِذْ عَلَّمْتُکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ). دیگر این که «کتاب و حکمت و به اذن من پرنده زندهای دیگر از مواهب این که از «گل به فرمان من چیزی شبیه پرنده میساختی سپس در آن میدمیدی و به اذن من پرنده زندهای می شد» (وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ بِإِذْنِی فَتَنْفُخُ فِیها فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی).

دیگر این که: «کور مادرزاد و کسی که مبتلا به بیماری پیسی بود به اذن من شفا میدادی» (وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرُصَ بِإِذْنِی). «و نیز مردگان را به اذن من زنده می کردی» (وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتی بِإِذْنِی).

و بالاخره یکی دیگر از مواهب من بر تو این بود که «بنی اسرائیل را از آسیب رساندن به تو باز داشتم در آن هنگام که کافران آنها در برابر دلایل روشن تو به پا

(۱) در باره معنی «روح القدس» رجوع کنید به «تفسیر نمونه» جلد اول، ذیل آیه ۸۷ سوره بقره.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۶۹

خاستند و آنها را سحر آشکاری معرفی کردند» (وَ إِذْ کَفَفْتُ بَنِی إِسْرائِيلَ عَنْکُ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ کَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) من در برابر اين همه هياهو و دشمنان سرسخت و لجوج تو را حفظ کردم تا دعوت خود را پيش ببری. قابل توجه اين که در اين آيه چهار بار کلمه «باذنی» (به فرمان من) تکرار شده است، تا جايی برای غلو و ادعای الوهيت در مورد حضرت مسيح باقی نماند، او بندهای بود سر بر فرمان خدا و هر چه داشت از طريق استمداد از نيروی لايزال الهی بود.

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۱ ص: ۵۶۹

(آیه ۱۱۱) - داستان نزول مائده بر حواریون! به دنبال بحثی که در باره مواهب الهی در باره مسیح و مادرش در آیه قبل بیان شد در آیات بعد به موهبتهایی که به حواریون یعنی یاران نزدیک مسیح بخشید، اشاره می کند: نخست می فرماید:
«به خاطر بیاور زمانی را که بر حواریین وحی فرستادم که به من و فرستاده ام مسیح ایمان بیاورید و آنها دعوت مرا اجابت کردند و گفتند: ایمان آوردیم، خداوندا گواه باش که ما مسلمانان و در برابر فرمان تو تسلیم هستیم» (وَ إِذْ أَوْحَیْتُ إِلَی النّحوارِیّینَ أَنْ آمِنُوا بِی وَ بِرَسُولِی قالُوا آمَنًا وَ اشْهَدْ بِأَنّنا مُشلِمُونَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۲ ص: ۵۶۹

(آیه ۱۱۲)– سپس اشاره به جریـان معروف نزول مائـده آسـمانی کرده، میگویـد: «یاران خاص مسیح به عیسـی گفتنـد: آیا پروردگار تو میتواند غذایی از آسـمان برای ما بفرستد»؟ (إِذْ قالَ الْحَوارِیُّونَ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ هَلْ یَسْتَطِیعُ رَبُّکَ أَنْ یُنَزِّلَ عَلَیْنا

مائِدَةً مِنَ السَّماءِ).

مسیح از این تقاضا که بوی شک و تردید میداد پس از آوردن آن همه آیات و نشانههای دیگر نگران شـد و به آنها هشـدار داد و گفت: «از خدا بترسید اگر ایمان دارید» (قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۱۱۳ ص: ۵۶۹

(آیه ۱۱۳) ولی به زودی به اطلاع عیسی رسانیدند که ما هدف نادرستی از این پیشنهاد نداریم، و غرض ما لجاجتورزی نیست بلکه «گفتند: میخواهیم از این مائده بخوریم (و علاوه بر نورانیتی که بر اثر تغذیه از غذای آسمانی در قلب ما پیدا می شود، زیرا تغذیه بطور مسلم در روح انسان مؤثر است) قلب ما اطمینان بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۷۰ و آرامش پیدا کند و با مشاهده این معجزه بزرگ به سر حد عین الیقین برسیم و بدانیم آنچه به ما گفتهای راست بوده و بتوانیم بر آن گواهی دهیم» (قالُوا نُرِیدُ أَنْ نَأْکُلَ مِنْها وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتنا وَ نَکُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِینَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۴ ص: ۵۷۰

(آیه ۱۱۴) - هنگامی که عیسی از حسن نیت آنها در این تقاضا آگاه شد، خواسته آنها را به پیشگاه پروردگار به این صورت منعکس کرد: «خداوندا! مائدهای از آسمان برای ما بفرست که عیدی برای اول و آخر ما باشد، و نشانهای از ناحیه تو محسوب شود و به ما روزی ده، تو بهترین روزی دهندگان هستی» (قالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَیْنا مائِدَهُ مِنَ السَّماءِ تَکُونُ لَنا عِیسَالِ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَیْنا مائِدَهُ مِنَ السَّماءِ تَکُونُ لَنا عِیداً لِلَّاوِلِنا وَ آیَهٔ مِنْکَ وَ ارْزُقْنا وَ أَنْتَ خَیْرُ الرَّازِقِینَ).

سوره مائده (۵): آیهٔ ۱۱۵ ص: ۵۷۰

(آیه ۱۱۵) - خداوند این دعایی را که از روی حسن نیت و اخلاص صادر شده بود اجابت کرد، و به آنها «فرمود: من چنین مائده ای را بر شما نازل می کنم، ولی توجه داشته باشید، بعد از نزول این مائده مسؤولیت شما بسیار سنگین تر می شود و با مشاهده چنین معجزه آشکاری هر کس بعد از آن، راه کفر را بپوید او را چنان مجازاتی خواهم کرد که احدی از جهانیان را چنین مجازاتی نکرده باشم»! (قالَ اللَّهُ إِنِّی مُنَزِّلُها عَلَیْکُمْ فَمَنْ یَکْفُرْ بَعْدُ مِنْکُمْ فَإِنِّی أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِینَ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۶ ص: ۵۷۰

(آیه ۱۱۶)- بیزاری مسیح از شرک پیروانش! این آیه و دو آیه بعـد پیرامون گفتگوی خداوند با حضـرت مسیح (ع) در روز رستاخیز بحث میکند، میگوید:

«خداونــد در روز قیامت به عیســی میگوید: آیا تو به مردم گفتی که من و مادرم را علاوه بر خداوند معبود خویش قرار دهید، و پرستش کنید»؟ (وَ إِذْ قالَ اللَّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَیْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

مسیح با نهایت احترام در برابر این سؤال چند جمله در پاسخ می گوید:

۱- نخست زبان به تسبیح خداوند از هر گونه شریک و شبیه گشوده و می گوید: «خداوندا! پاک و منزهی از هر گونه شریک»

(قالَ سُبْحانَكُ).

۲- «چگونه ممکن است چیزی را که شایسته من نیست بگویم» (ما یَکُونُ لِی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۷۱ أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِی بَحَقًّ).

در حقیقت نه تنها گفتن این سخن را از خود نفی می کند، بلکه می گویـد اساسـا من چنین حقی را نـدارم و چنین گفتاری با مقام و موقعیت من هرگز سازگار نیست.

٣- سپس استناد به علم بى پايان پروردگار كرده، مى گويد: «گواه من اين است كه اگر چنين مى گفتم مى دانستى، زيرا تو از آنچه در درون روح و جان من است آگاهى، در حالى كه من از آنچه در ذات پاك توست بى خبرم، زيرا تو علام الغيوب و باخبر از تمام رازها و پنهانيها هستى» (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِى نَفْسِتى وَ لا أَعْلَمُ ما فِى نَفْسِتى وَ لا أَعْلَمُ ما فِى نَفْسِتى النُّكُ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوب).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۷ ص: ۵۷۱

(آیه ۱۱۷)- چهار: «تنها چیزی که من به آنها گفتم، همان بوده است که به من مأموریت دادی که آنها را دعوت به عبادت تو کنم و بگویم خداوند یگانهای را که پروردگار من و شما است، پرستش نکنید» (ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِی بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّی وَ رَبَّکُمْ).

۵- «و تا آن زمان که در میانشان بودم مراقب و گواه آنها بودم و نگذاشتم راه شرک را پیش گیرند، اما به هنگامی که مرا از میان آنها بر گرفتی تو مراقب و نگاهبان آنها بودی، و تو گواه بر هر چیزی هستی» (وَ کُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِی کُنْتَ أَنْتَ الرَّقِیبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدً).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۸ ص: ۵۷۱

(آیه ۱۱۸)- ششم: و با این همه باز امر، امر تو و خواست، خواست توست «اگر آنها را در برابر این انحراف بزرگ مجازات کنی بندگان تواند (و قادر به فرار از زیر بار این مجازات نخواهند بود، و این حق برای تو در برابر بندگان نافرمانت ثابت است) و اگر آنها را ببخشی و از گناهانشان صرف نظر کنی، توانا و حکیم هستی» نه بخشش تو نشانه ضعف است، و نه مجازاتت خالی از حکمت و حساب (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ وَ إِنْ تَعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكُ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۱۹ ص: ۵۷۱

(آیه ۱۱۹)- رستگاری بزرگ! در تعقیب ذکر گفتگوی خداوند با حضرت مسیح، در این آیه میخوانیم: «خداوند پس از این گفتگو، میفرماید: امروز برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۷۲

روزى است كه راستى راستگويان به آن سود مىبخشد» (قالَ اللَّهُ هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ).

سپس پاداش صادقان را چنین بیان می کند: «برای آنها باغهایی از بهشت است که از زیر درختان آن نهرها جاری است، و جاودانه و برای همیشه در آن خواهند ماند» (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً).

و از این نعمت مادی مهمتر این است که «هم خداوند از آنها راضی است و هم آنها از خداوند راضی و خشنودند» (رَضِیَ اللَّهُ

عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ).

«و شک نیست که این موهبت بزرگ که جامع میان موهبت مادی و معنوی است رستگاری بزرگ محسوب می شود» (ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ).

سوره مائده(۵): آیهٔ ۱۲۰ ص: ۵۷۲

(آیه ۱۲۰)- در این آیه اشاره به مالکیت و حکومت خداوند کرده، می گوید:

«حکومت آسمانها و زمین و آنچه در آنهاست، از آن خداست و او بر هر چیزی تواناست» (لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما فِیهنَّ وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ).

پایان تفسیر سوره مائده

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۷۳

سوره انعام ص: ۵۷۳

اشاره

سوره مبارزه با انواع شرک و بت پرستی این سوره در «مکّه» نازل شده و ۱۶۵ آیه است.

محتوای سوره: ص: ۵۷۳

گفته می شود این سوره شصت و نهمین سورهای است که در مکّه بر پیامبر نازل گردید، و از روایات اهل بیت علیه السّه لام استفاده می شود که تمام آیاتش یکجا نازل شده است و هدف اساسی این سوره، همانند سایر سورههای مکّی، دعوت به اصول سه گانه «توحید»، «نبوت» و «معاد» است، ولی بیش از همه روی مسأله یگانه پرستی و مبارزه با شرک و بت پرستی دور می زند. دقت در آیات این سوره می تواند روح نفاق و پراکندگی را از میان مسلمانان برچیند، و گوشها را شنوا، و چشمها را بینا و دلها را دانا سازد.

به خاطر همین موضوع است که در روایاتی که پیرامون فضیلت این سوره وارد شده میخوانیم: «سوره انعام را هفتاد هزار فرشته، به هنگام نزول بدرقه کردند، و کسی که آن را بخواند (و در پرتو آن روح و جانش از سر چشمه توحید سیراب گردد) تمام آن فرشتگان برای او آمرزش می طلبند»! ولی عجیب این است که بعضی از این سوره، تنها به خواندن الفاظ آن قناعت می کنند، و جلسات عریض و طویلی برای «ختم انعام» و حل مشکلات شخصی و خصوصی خود با تشریفات ویژه ای تشکیل می دهند که به نام جلسات ختم انعام نامیده می شود، مسلما اگر در این جلسات به محتوای سوره دقت شود، نه تنها مشکلات شخصی، بلکه مشکلات عمومی مسلمانان نیز حل خواهد شد، اما برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۷۴

افسوس که بسیاری از مردم به قرآن به عنوان یک سلسله «اوراد» که دارای خواص مرموز و ناشناخته است می نگرنـد و جز به خواندن الفاظ آن نمی اندیشند، در حالی که قرآن سراسر درس است و مکتب، برنامه است و بیداری، رسالت است و آگاهی. بسم الله الرّحمن الرّحیم

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱ ص: ۵۷۳

(آیه ۱)- این سوره با حمد و ستایش پروردگار آغاز شده است. نخست از طریق آفرینش عالم کبیر (آسمان و زمین) و نظامات آنها، و سپس از طریق آفرینش «عالم صغیر یعنی انسان»، مردم را متوجه اصل توحید میسازد، می گوید: «حمد و سپاس برای خدایی است که آسمانها و زمین را آفرید» (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ). «خداوندی که مبدء نور و ظلمت (و بر خلاف عقیده دو گانه پرستان) آفریننده همه چیز است» (وَ جَعَلَ الظَّلُماتِ وَ النُّورَ).

«اما مشرکان و کافران به جای این که از این نظام واحـد درس توحید بیاموزند برای پروردگار خود شـریک و شبیه میسازند» (ثُمَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بَرَبِّهمْ یَعْدِلُونَ).

کلمه «ثمّ» بیانگر این حقیقت است که در آغاز، توحید به عنوان یک اصل فطری و عقیده عمومی و همگانی بشر بوده است و شرک بعدا به صورت یک انحراف از این اصل فطری به وجود آمده.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۲ ص: ۵۷۴

(آیه ۲)– و در این آیه توجه به عالم صغیر یعنی انسان میدهد و در این مورد به شگفت انگیزترین مسأله یعنی، آفرینش او از خاک و گل اشاره کرده و میفرماید: «اوست خدایی که شما را از گل آفرید» (هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ طِینٍ).

از آنجا که آفرینش انسان نخستین از خاک و گل بوده، درست است که به ما نیز چنین خطابی بشود.

سپس به مراحل تکاملی عمر انسان اشاره کرده می گوید: «پس از آن مدتی را مقرر ساخت که در این مدت انسان در روی زمین پرورش و تکامل پیدا کند» (ثُمَّ قَضی أَجَلًا).

سپس برای تکمیل این بحث می گوید: «اجل مسمّی در نزد خداست» بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۷۵ (وَ أَجَلُّ مُسَمَّی عِنْدَهُ).

و بعد می گوید: «شما افراد مشرک (در باره آفریننده ای که انسان را از این اصل بی ارزش، یعنی گل آفریده و از این مراحل حیرت انگیز و حیرت زا گذرانده است) شک و تردید به خود راه می دهید» (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ).

موجودات بیارزشی همچون بتها را در ردیف او قرار داده، یا در قـدرت پروردگار بر رسـتاخیز و زنده کردن مردگان شک و تردید دارید.

در این که منظور از «اجل مسمّی» و «اجلا» در آیه چیست؟ آنچه از آیات قرآن و روایات اهل بیت علیه السّلام استفاده می شود این است که «اجل» به تنهایی به معنی عمر و وقت و مدت غیر حتمی، و «اجل مسمّی» به معنی عمر و مدت حتمی است، و به عبارت دیگر «اجل مسمّی» مرگ طبیعی و «اجل» مرگ زودرس است. ولی به هر حال هر دو اجل از ناحیه خداوند تعیین می شود.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۳ ص: ۵۷۵

(آیه ۳)- در این آیه برای پاسخ گفتن به کسانی که برای هر دستهای از موجودات خدایی قائلند و می گویند خدای باران، خدای جنگ، خدای صلح، خدای آسمان و مانند آن «۱» چنین می گوید: «اوست خداوندی که بر تمام آسمانها و زمین

حكومت مي كند» (وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ).

بدیهی است کسی که در همه جا حکومت میکند و تدبیر همه چیز به دست او است و در همه جا حضور دارد، تمام اسرار و نهانها را میداند، و لذا در جمله بعد می گوید: «چنین پروردگاری پنهان و آشکار شما را میداند و نیز از آنچه انجام میدهید و به دست می آورید باخبر است» (یَعْلَمُ سِرَّکُمْ وَ جَهْرَکُمْ وَ یَعْلَمُ ما تَکْسِبُونَ).

سوره انعام(6): آية 4 ص: 275

(آیه ۴)-گفتیم در سوره انعام روی سخن بیشتر با مشرکان است، و قرآن به انواع وسائل برای بیداری و آگاهی آنها متوسل می شود، در این آیه به روح لجاجت و بیاعتنایی و تکبر مشرکان در برابر حق و نشانه های خدا اشاره کرده، می گوید: «آنها چنان لجوج و بیاعتنا هستند که هر نشانه ای از نشانه های پروردگار را می بینند، فورا از آن روی برمی گردانند» (وَ ما تَأْتِیهِمْ مِنْ آیاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا کَانُوا عَنْها مُعْرِضِینَ).

(۱). و این همان عقیده ارباب انواع میباشد که در یونان قدیم نیز وجود داشته است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۷۶

این روحیه منحصر به دوران جاهلیت و مشرکان عرب نبوده، الان هم بسیاری را می بینیم که در یک عمر شصت ساله حتی، زحمت یک ساعت تحقیق و جستجو در باره خدا و مذهب به خود نمی دهند، سهل است اگر کتاب و نوشته ای در این زمینه به دست آنها بیفتد به آن نگاه نمی کنند، و اگر کسی با آنها در این باره سخن گوید، گوش فرا نمی دهند، اینها جاهلان لجوج و بی خبری هستند که ممکن است گاهی در کسوت دانشمند ظاهر شوند!

سوره انعام(6): آية ۵ ص: ۵۷۶

(آیه ۵)- سپس به نتیجه این عمل آنها اشاره کرده، و می گوید: «نتیجه این شد که آنها حق را به هنگامی که به سراغشان آمد تکذیب کردند» (فَقَدْ کَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ).

در حالی که اگر در آیات و نشانههای پروردگارت دقت مینمودند، حق را به خوبی میدیدند و میشناختند و باور میکردند. «و نتیجه این تکذیب را به زودی دریافت خواهند داشت، و خبر آنچه را به باد مسخره گرفتند به آنها میرسد» (فَسَوْفَ یَأْتِیهِمْ أَنْباءُ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزُوُنَ).

در دو آیه فوق در حقیقت اشاره به سه مرحله از کفر شده که مرحله به مرحله تشدید می گردد، نخست مرحله اعراض و روی گردانیدن، سپس مرحله تکذیب و بعدا مرحله استهزاء و مسخره کردن حقایق و آیات خدا.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۶ ص: ۵۷۶

(آیه ۶)- سرنوشت طغیانگران! از این آیه به بعد، قرآن یک برنامه تربیتی مرحله به مرحله را، برای بیدار ساختن بت پرستان و مشرکان- به تناسب انگیزههای مختلف شرک و بت پرستی- عرضه میکند.

نخست برای کوبیدن عامل غرور که یکی از عوامل مهم طغیان و سرکشی و انحراف است، دست به کار شده و با یادآوری

وضع اقوام گذشته و سر انجام دردناک آنها، به این افراد، که پرده غرور بر چشمانشان افتاده است هشدار میدهد و می گوید: «آیا اینها مشاهده نکردند چه اقوامی را پیش از آنها هلاک کردیم، اقوامی که امکاناتی در روی زمین در اختیار آنها گذاشتیم که در اختیار شما نگذاشتیم» (أَ لَمْ یَرَوْا کَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَاهُمْ فِی الْأَرْضِ ما لَمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص:

نُمَكِّنْ لَكُمْ)

. از جمله این که «بارانهای پربرکت و پشت سر هم برای آنها فرستادیم» (وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً).

«و دیگر این که نهرهای آب جاری را از زیر آبادیهای آنها و در دسترس آنها جاری ساختیم» (وَ جَعَلْنَا الْأَنْهارَ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهمْ).

اما به هنگامی که راه طغیان را پیش گرفتنـد، هیـچ یک از این امکانات نتوانست آنها را از کیفر الهی بر کنار دارد «و ما آنها را به خاطر گناهانشان نابود کردیم» (فَأَهْلَکْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ). «و بعد از آنها اقوام دیگری روی کار آوردیم» (وَ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْناً آخَرینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۷ ص: ۵۷۷

(آیه ۷)- آخرین درجه لجاجت! قرآن در اینجا اشاره به تقاضای جمعی از بت پرستان کرده و می گوید: «اگر همانطور که آنها تقاضا کردند، نوشته ای بر صفحه ای از کاغذ و مانند آن بر تو نازل کنیم، و علاوه بر مشاهده کردن، با دست خود نیز آن را لمس کنند باز می گویند: این یک سحر آشکار است»! (وَ لَوْ نَزَّلْنَا عَلَیْکَ کِتاباً فِی قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَیْدِیهِمْ لَقالَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِینٌ).

یعنی دایره لجاجت آنها تا حدی توسعه یافته که روشنترین محسوسات را انکار میکنند و به بهانه سحر از تسلیم شدن در برابر آن سرباز میزنند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۸ ص: ۵۷۷

(آیه ۸)- بهانه جوییها! یکی دیگر از عوامل کفر و انکار، بهانه جویی است از جمله بهانه جوییهایی که مشرکان در برابر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله داشتند و در چندین آیه از قرآن به آن اشاره شده و در این آیه نیز آمده، این است که آنها می گفتند: چرا پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به تنهایی به این مأموریت بزرگ دست زده است؟ «چرا موجودی از غیر جنس بشر و از جنس فرشتگان او را در این مأموریت همراهی نمی کند»؟ (وَ قَالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ مَلَکُ). مگر می تواند انسانی را که از جنس ما است به تنهایی بار رسالت را بر دوش کشد؟

قرآن با دو جمله که هر کدام استدلالی را دربردارد به آنها پاسخ می گوید:

نخست این که «اگر فرشتهای نازل شود، و سپس آنها ایمان نیاورند، به حیات همه آنان خاتمه داده خواهد شد و دیگر به آنها مهلت داده نمی شود» (وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَکاً برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۷۸

لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ)

.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۹ ص: ۵۷۸

(آیه ۹) – لذا قرآن در جواب دوم می گوید «اگر ما او را فرشته قرار میدادیم و به پیشنهاد آنها عمل می کردیم، باز لازم بود تمام صفات انسان را در او ایجاد کنیم، و او را به صورت و سیرت مردی قرار دهیم» (وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَکاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا). سپس نتیجه می گیرد که «با این حال همان ایرادات سابق را بر ما تکرار می کردند که چرا به انسانی مأموریت رهبری دادهای و چهره حقیقت را بر ما پوشانیدهای» (وَ لَلَبَسْنا عَلَیْهِمْ ما یَلْبِسُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۰ ص: ۵۷۸

(آیه ۱۰) - در این آیه، خداوند به پیامبرش دلداری می دهد و می گوید از مخالف و لجاجت و سرسختی آنها نگران نباش، زیرا «جمعی از پیامبران پیش از تو را نیز به باد استهزاء و مسخره گرفتند اما سر انجام آنچه را، مسخره می کردند، دامانشان را گرفت و عذاب الهی بر آنها نازل شد» (وَ لَقَدِ اسْتُهْزِیَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ فَحاقَ بِالَّذِینَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِوُنَ).

در حقیقت این آیه هم مایه تسلی خاطری است برای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و هم تهدیدی است برای مخالفان لجوج که به عواقب شوم و دردناک کار خود بیندیشند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱ ص: ۵۷۸

(آیه ۱۱) – قرآن در اینجا برای بیدار ساختن این افراد لجوج و خودخواه از راه دیگری وارد شده و به پیامبر دستور میدهد که به آنها سفارش کن «بگو: در زمین به سیر و سیاحت بپردازید و عواقب کسانی که حقایق را تکذیب کردند با چشم خود ببینید، شاید بیدار شوید» (قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُکَذِّبِینَ).

شک نیست که مشاهده آثار گذشتگان و اقوامی که بر اثر پشت پا زدن به حقایق راه فنا و نابودی را پیمودند، تأثیرش بسیار بیشتر از مطالعه تاریخ آنها در کتابها است، زیرا این آثار حقیقت را محسوس و قابل لمس میسازد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲ ص: ۵۷۸

(آیه ۱۲) - در ادامه بحث با مشرکان، در این آیه با اشاره به اصل توحید، مسأله رستاخیز و معاد از طریق جالبی تعقیب می گردد.

۱- نخست می گوید: «بگو: آنچه در آسمانها و زمین است برای کیست»؟

(قُلْ لِمَنْ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ). و بلافاصله به دنبال آن می گوید: خودت از زبان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۷۹ فطرت و جان آنها پاسخ بده «بگو: برای خدا» (قُلْ لِلَّهِ).

۲- پروردگار عالم سر چشمه تمام رحمتهاست «اوست که رحمت را بر عهده خویش قرار داده» و مواهب بی شمار، به همه ارزانی می دارد (کَتَبَ عَلی نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ).

همین رحمت ایجاب می کند انسان را که استعداد بقاء و زندگی جاودانی دارد پس از مرگ در لباس حیاتی نوین و در عالمی وسیعتر در آورد و در این سیر ابدی تکامل دست رحمتش پشت سر او باشد. لـذا به دنبال این دو مقـدمه می گوید: «بطور مسلم همه شـما را در روز رستاخیز، روزی که هیچ گونه شک و تردیدی در آن نیست جمع خواهد کرد» (لَیَجْمَعَنَّکُمْ إِلی یَوْم الْقِیامَةِ لا رَیْبَ فِیهِ).

در پایان آیه به سرنوشت و عاقبت کار مشرکان لجوج اشاره کرده می گوید:

«آنها که در بازار تجارت زندگی، سرمایه وجود خود را از دست دادهاند به این حقایق ایمان نمی آورند» (الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۳ ص: ۵۷۹

(آیه ۱۳) - در آیه قبل اشاره به مالکیت خداوند نسبت به همه موجودات از طریق قرار گرفتن آنها در افق «مکان» شده بود، و این آیه اشاره به مالکیت او از طریق قرار گرفتن در افق و پهنه «زمان» کرده، می گوید: «و از آن اوست آنچه در شب و روز قرار گرفته است» (وَ لَهُ ما سَکَنَ فِی اللَّیْل وَ النَّهارِ).

و در پایان آیه پس از ذکر توحید اشاره به دو صفت بارز خداوند کرده می گوید: «و اوست شنونده دانا» (وَ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ). اشاره به این که وسعت جهان هستی و موجوداتی که در افق زمان و مکان قرار گرفتهاند هیچ گاه مانع از آن نیست که خدا از اسرار آنها آگاه باشد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۴ ص: ۵۷۹

(آیه ۱۴)- پناهگاهی غیر از خدا نیست! در این آیه نیز هدف، اثبات توحید و مبارزه با شرک و بت پرستی است، مشرکان با این که آفرینش جهان را مخصوص ذات خداوند می دانستند بتها را به عنوان تکیه گاه و پناهگاه برای خود انتخاب کرده بودند. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۸۰

قرآن برای از بین بردن این پنـدار غلط به پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله چنین دسـتور میدهـد: «به آنها بگو: آیا غیر خدا را ولی و سرپرست و پناهگاه خود انتخاب کنم! در حالی که او آفریننده آسمانها و زمین، و روزی دهنده همه موجودات است بدون این که خود نیازی به روزی داشته باشد» (قُلْ أَ غَیْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِیًا فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ یُطْعِمُ وَ لا یُطْعَمُ).

قابل توجه این که: در میان صفات خدا در اینجا تنها روی اطعام بندگان و روزی دادن آنها تکیه شده است این تعبیر شاید به خاطر آن است که بیشتر وابستگیها در زندگی مادی بشر بر اثر همین نیاز مادی است، همین به اصطلاح «خوردن یک لقمه نان» است که افراد را به خضوع در برابر اربابان زر و زور وامی دارد، و گاهی تا سر حد پرستش در مقابل آنها کرنش می کنند. قرآن در آیه فوق می گوید: روزی شما به دست اوست نه به دست این گونه افراد.

سپس برای پاسخ گفتن به پیشنهاد کسانی که از او دعوت می کردند به آیین شرک، بپیوندد می گوید: علاوه بر این که عقل به من فرمان می دهد که تنها تکیه بر کسی کنم که آفریننده آسمان و زمین می باشد «بگو: وحی الهی نیز به من دستور داده است که نخستین مسلمان باشم و به هیچ وجه در صف مشرکان قرار نگیرم» (قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلِمَ وَ لا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِکِینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵ ص: ۵۸۰

(آیه ۱۵)– من نیز به نوبه خود احساس مسؤولیت می کنم و از قوانین الهی به هیچ وجه مستثنا نیستم، «بگو: من نیز اگر از دستور پروردگار منحرف شوم و راه سازشکاری با مشرکان را بپیمایم و عصیان و نافرمانی او کنم از مجازات آن روز بزرگ – روز رستاخیز – ترسان و خائفم» (قُلْ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْم عَظِیم).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶ ص: ۵۸۰

(آیه ۱۶) - در این آیه برای این که ثابت شود پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نیز بدون تکیه بر لطف و رحمت خدا کاری نمی تواند بکنید و هر چه هست به دست اوست و حتی شخص پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله چشم امیدش را به رحمت بی پایان پروردگار دوخته و نجات و پیروزی خود را از او می طلبد می گوید: «هر کس در آن روز بزرگ از مجازات برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۸۱

پروردگار رهایی یابد مشمول رحمت خدا شده است و این یک موفقیت و پیروزی آشکار است» (مَنْ یُصْرَفْ عَنْهُ یَوْمَئِذِ فَقَدْ رَحِمَهُ وَ ذَلِکَ الْفَوْزُ الْمُبِینُ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۷ ص: ۵۸۱

(آیه ۱۷)- قدرت قاهره پروردگار! گفتیم هدف این سوره در درجه اول ریشه کن ساختن عوامل شرک و بت پرستی است. در این آیه و آیه بعد نیز همین حقیقت تعقیب شده است. نخست می گوید:

چرا شما به غیر خدا توجه می کنید، و برای حل مشکلات و دفع زیان و ضرر و جلب منفعت به معبودهای ساختگی پناه می برید با این که «اگر کمترین زیانی به تو برسد برطرف کننده آن، کسی جز خدا نخواهد بود، و اگر خیر و برکت و پیروزی و سعادتی نصیب تو شود از پرتو قدرت اوست، زیرا او بر همه چیز تواناست» (وَ إِنْ یَمْسَ سُکَ اللَّهُ بِضُرِّ فَلا کاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ یَمْسَ سُکَ بِخَیْرِ فَهُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ).

در حقیقت توجه به غیر خدا به خاطر این است که آنها را سر چشمه خیرات و یا برطرف کننده مصائب و مشکلات می دانند.

سوره انعام(6): آیهٔ ۱۸ ص: ۵۸۱

(آیه ۱۸)- در این آیه برای تکمیل بحث فوق می گوید: «اوست که بر تمام بندگان قاهر و مسلط است» (وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ).

اما برای این که این توهم پیش نیاید که خداوند مانند بعضی از صاحبان قدرت ممکن است کمترین سوء استفادهای از قدرت نامحدود خود کند در پایان آیه میفرماید: «و با این حال او حکیم است و همه کارش روی حساب، و خبیر و آگاه است و کمترین اشتباه و خطا در اعمال قدرت ندارد» (وَ هُوَ الْحَکِیمُ الْخَبِیرُ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۹ ص: ۵۸۱

(آیه ۱۹)– بالاترین شاهد! عدهای از مشرکان مکّه نزد پیامبر آمدند و گفتند: تو چگونه پیامبری هستی که احدی را با تو موافق

نمی بینیم حتی از یهود و نصاری در باره تو تحقیق کردیم آنها نیز گواهی و شهادتی به حقانیت تو بر اساس محتویات تورات و انجیل ندادند، لااقل کسی را به ما نشان ده که گواه بر رسالت تو باشد.

در مقابل این مخالفان لجوج که چشم بر هم نهاده، و این همه نشانههای حقانیت دعوت او را نادیده گرفته بودند و باز هم مطالبه گواه و شاهد می کردند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۸۲

خداوند به پيامبر دستور مي دهد «بگو: به عقيده شما بالاترين شهادت، شهادت كيست»؟ (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً).

غیر از این است که بالاترین شهادت، شهادت پروردگار است؟ «بگو:

خداوند بزرگ گواه ميان من و شما است» (قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ).

و بهترين دليل آن اين است كه: «اين قرآن بر من وحى شده است» (وَ أُوحِيَ إِلَىَّ هَذَا الْقُرْآنُ).

قرآنی که ممکن نیست ساخته فکر بشری آن هم در آن عصر و زمان و در آن محیط و مکان بوده باشد قرآنی که محتوای انواع شواهد اعجاز میباشد.

سپس به هـدف نزول قرآن پرداخته و می گویـد: «این قرآن به این جهت بر من نـازل شـده است که شـما و تمـام کسانی را که سخنـان من در طول تاریخ بشـر و پهنه زمان و در تمام نقاط جهان به گوش آنها میرسـد از مخالفت فرمان خـدا بترسانم و به عواقب دردناک این مخالفت توجه دهم» (لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ).

سپس به دنبال این سخن به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور میدهد که از آنها سؤال کند «آیا به راستی شما گواهی میدهید که خدایان دیگری با خداست»؟ (أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْری). بعد می گوید: «با صراحت به آنها بگو: من هر گز چنین گواهی نمی دهم، بگو: اوست خداوند یگانه و من از آنچه شما برای او شریک قرار داده اید بیزارم» (قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّما هُوَ إِلَهٌ واحِدٌ وَ إِنَّنِی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِکُونَ).

سوره انعام(6): آية 20 ص: 582

(آیه ۲۰)- در این آیه به آنها که مدّعی بودند اهل کتاب هیچ گونه گواهی در باره پیامبر اسلام نمیدهند صریحا پاسخ میدهد و می گوید: «آنهایی که کتاب آسمانی بر آنها نازل کردیم به خوبی پیامبر را می شناسند همان گونه که فرزندان خود را می شناسند»! (الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ).

و در پایان آیه به عنوان یک نتیجه نهایی اعلام میدارد: «تنها کسانی به این پیامبر (با این همه نشانه های روشن) ایمان نمی آورند که در بازار تجارت زندگی همه چیز خود را از دست داده و سرمایه وجود خود را باختهاند» (الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۸۳

سوره انعام(۶): آیهٔ ۲۱ ص: ۵۸۳

(آیه ۲۱)- بزرگترین ظلم! در تعقیب برنامه کوبیدن همه جانبه «شرک و بت پرستی» در این آیه بـا صـراحت می گویـد: «چه کسـی سـتمکارتر از مشرکانی است که بر خدا دروغ بسته و شریک برای او قرار داده و یا آیات او را تکذیب نمودهاند» (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَوْ کَذَّبَ بِآیاتِهِ). در حقیقت جمله اول اشاره به انکار توحید است، و جمله دوم اشاره به انکار نبوت، و به راستی ظلمی از این بالاتر نمی شود که انسان جماد، بی ارزش و یا انسان ناتوانی را همتای وجود نامحدودی قرار دهد که بر سراسر جهان هستی حکومت می کند. «مسلما هیچ ستمگری روی سعادت و رستگاری نخواهد دید» (إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) مخصوصا چنین ستمگرانی که ستم آنها همه جانبه است.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۲۲ ص: ۵۸۳

(آیه ۲۲) - در این آیه پیرامون سرنوشت مشرکان در رستاخیز بحث می شود، تا روشن گردد آنها با اتکاء به مخلوقات ضعیفی همچون بتها نه آرامشی برای خود در این جهان فراهم ساختند و نه در جهان دیگر، می گوید: «آن روز که همه اینها را یکجا مبعوث می کنیم به مشرکان می گوییم معبودهای ساختگی شما که آنها را شریک خدا می پنداشتید کجا هستند»؟ (وَ یَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِیعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِینَ أَشْرَکُوا أَیْنَ شُرَکاؤُکُمُ الَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ). چرا به یاری شما نمی شتابند؟ چرا هیچ گونه اثری از قدرت نمایی آنها در این عرصه وحشتناک دیده نمی شود؟

سوره انعام(۶): آیهٔ ۲۳ ص: ۵۸۳

(آیه ۲۳)- آنها در بهت و حیرت و وحشت عجیبی فرو میرونـد «سپس پاسخی در برابر این سؤال ندارنـد جز این که سوگند یاد کننـد، می گوینـد به خداوندی که پروردگار ماست قسم، ما هیچ گاه مشـرک نبودیم» به گمان این که در آنجا نیز می توان حقایق را انکار کرد» (ثُمَّ لَمْ تَکُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا وَ اللَّهِ رَبِّنا ما کُنَّا مُشْرِکِینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۲۴ ص: ۵۸۳

(آیه ۲۴)- در این آیه برای این که مردم از سرنوشت رسوای این افراد عبرت گیرند می گوید: «درست توجه کن ببین اینها کارشان به کجا می رسد که بکلی از روش و مسلک خویش بیزاری جسته و آن را انکار می کنند و حتی به خودشان نیز دروغ می گویند» (انْظُرْ کَیْفَ کَذَبُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ). «و تمام تکیه گاههایی که برای خود بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۸۴ انتخاب کرده بودند و آنها را شریک خدا می پنداشتند همه را از دست می دهند و دستشان به جایی نمی رسد» (وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۲۵ ص: ۵۸۴

(آیه ۲۵) - نفوذ ناپذیران! در این آیه اشاره به وضع روانی بعضی از مشرکان شده که در برابر شنیدن حقایق کمترین انعطاف از خود نشان نمی دهند - سهل است - به دشمنی با آن نیز برمی خیزند و با وصله های تهمت، خود و دیگران را از آن دور نگاه می دارند، قرآن در باره اینها چنین می گوید: «بعضی از آنان به سوی تو گوش می دهند ولی بر دلهای آنها پرده هایی افکنده ایم تا آن را درک نکنند و در گوشهای آنها سنگینی ایجاد کرده ایم تا آن را نشنوند»! (وَ مِنْهُمْ مَنْ یَسْ تَمِعُ إِلَیْکُ وَ جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّهُ أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذانِهِمْ وَقُراً).

البته اگر این گونه مسائل به خدا نسبت داده می شود در حقیقت اشاره به قانون «علّیت» و خاصیت «عمل» است، یعنی استمرار در کجروی و اصرار در لجاجت اثرش این است که روح و روان آدمی را به شکل خود درمی آورد.

تجربه این حقیقت را ثابت کرده است که افراد بـدکار و گناهکار در آغاز از کار خود احساس ناراحتی میکنند، اما تدریجا به آن خو گرفته و شایـد روزی فرا رسـد که اعمـال زشت خود را واجب و لازم بشـمرند لـذا می گویـد کار اینها به جایی رسـیده است که «اگر تمام آیات و نشانههای خدا را ببینند باز ایمان نمی آورند» (وَ إِنْ یَرَوْا کُلَّ آیَهٍٔ لا یُوْمِنُوا بِها).

و از این بالاتر «هنگامی که به نزد تو بیایند هدفی جز مجادله و پرخاشگری و خرده گیری ندارند» (حَ تَّی إِذا جاؤُکَ یُجادِلُو نَکُ).

به جای این که گوش جان را به سخنان تو متوجه سازند و حد اقل به صورت یک جستجوگر، به احتمال یافتن حقیقتی پیرامون آن بیندیشند، با روح و فکر منفی در برابر تو ظاهر میشوند. آنها با شنیدن سخنان تو که از سر چشمه وحی تراوش کرده و بر زبان حقگوی تو جاری شده است متوسل به ضربه تهمت شده، می گویند:

«اینها چیزی جز افسانهها و داستانهای ساختگی پیشینیان نیست»! (یَقُولُ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۸۵

سوره انعام(۶): آیهٔ ۲۶ ص: ۵۸۵

(آیه ۲۶) - در این آیه می گوید آنها به این مقدار نیز قناعت نمی کنند و علاوه بر این که خود گمراهند پیوسته تلاش می کنند» (وَ افراد حق طلب را با سمپاشیهای گوناگون از پیمودن این مسیر باز دارند، لذا «آنها را از نزدیک شدن به پیامبر نهی می کنند» (وَ هُمْ یَنْهُوْنَ عَنْهُ).

«و خودشان نيز از او فاصله مي گيرند» (وَ يَنْأُوْنَ عَنْهُ).

بیخبر از این که هر کس با حق درافتـد تیشه بر ریشه خود زده و سـر انجام طبق سـنت آفرینش، حق با جاذبهای که دارد پیروز خواهد شد.

بنابراین «تلاش و فعالیت آنها به شکست خودشان منتهی خواهد شد و جز خود را هلاک نمی کنند، ولی قدرت بر درک این حقیقت ندارند» (وَ إِنْ یُهْلِکُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما یَشْعُرُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۲۷ ص: ۵۸۵

(آیه ۲۷)- بیداری زود گذر و بی اثر! در دو آیه گذشته به قسمتی از اعمال لجوجانه مشرکان اشاره شد، در این آیه و آیه بعد صحنهای از نتایج اعمال آنها مجسم گردیده است تا بدانند چه سرنوشت شومی در پیش دارند و بیدار شوند یا لااقل وضع آنها عبرتی برای دیگران گردد! نخست می گوید: «اگر حال آنها را به هنگامی که در روز رستاخیز در برابر آتش دوزخ قرار گرفتهاند ببینی تصدیق خواهی کرد که به چه عاقبت دردناکی گرفتار شدهاند» (وَ لَوْ تَری إِذْ وُقِفُوا عَلَی النَّارِ).

آنها در آن حالت چنان منقلب میشوند که «فریاد برمیکشند ای کاش برای نجات از این سرنوشت شوم، و جبران کارهای زشت گذشته بار دیگر به دنیا باز میگشتیم، و در آنجا آیات پروردگار خود را تکذیب نمیکردیم و در صف مؤمنان قرار میگرفتیم» (فَقالُوا یا لَیْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُکَذِّبَ بِآیاتِ رَبِّنا وَ نَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۲۸ ص: ۵۸۵

(آیه ۲۸) - در این آیه اضافه می کنید که این آرزوی دروغینی بیش نیست، بلکه به خاطر آن است که در آن جهان «آنچه را از عقاید و نیات و اعمال شوم خویش مخفی می داشتند همه برای آنها آشکار گردیده» و موقتا بیدار شدهاند (بَلْ بَدا لَهُمْ ما کانُوا یُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۸۶

ولی این بیداری، بیداری پایدار و پابرجا نیست، و به خاطر شرایط و اوضاع خاص و رو برو شدن با مجازاتهای عینی پدید آمده است، و لذا «اگر به فرض محال بار دیگر به این جهان برگردند به سراغ همان کارهایی میروند که از آن نهی شده بودند» (وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ). بنابراین «آنها در آرزو و ادّعای خویش صادق نیستند و دروغ می گویند» (وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ).

سوره انعام(6): آية 29 ص: ۵۸۶

(آیه ۲۹)- این آیه دنباله سخنان مشرکان لجوج و سرسخت است که به هنگام مشاهده صحنههای رستاخیز، آرزو می کنند بار دیگر به دنیا بازگردند و جبران کنند، ولی قرآن می گوید اگر اینها بازگردند نه تنها به فکر جبران نخواهند بود و به کارهای خود ادامه «خواهند داد، بلکه اساسا رستاخیز و قیامت را هم انکار خواهند کرد، و با نهایت تعجب خواهند گفت: زندگی تنها همین زندگی دنیاست و ما هرگز برانگیخته نخواهیم شد»! (وَ قالُوا إِنْ هِیَ إِلَّا حَیاتُنَا الدُّنْیا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۰ ص: ۵۸۶

(آیه ۳۰) – در این آیه قرآن به سرنوشت آنها در روز رستاخیز اشاره کرده، می گوید: «اگر آنها را مشاهده کنی در آن هنگام که در پیشگاه پروردگارشان ایستادهانـد و به آنها گفته میشود، آیا این حق نیست»؟ (وَ لَوْ تَری إِذْ وُقِفُوا عَلی رَبِّهِمْ قالَ أَ لَیْسَ هذا بِالْحَقِّ). «آنها در پاسخ خواهند گفت: آری، سوگند به پروردگار ما، این حق است»! (قالُوا بَلی وَ رَبِّنا).

بار دیگر «به آنها گفته می شود پس بچشید مجازات را به خاطر این که آن را انکار می کردید و کفر می ورزیدید»! (قالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ).

مسلما منظور از «وقوف در برابر پروردگار» این نیست که خداوند مکانی داشته باشد، بلکه به معنی ایستادن در برابر صحنههای مجازات اوست- همانطور که بعضی از مفسران گفتهاند- و یا کنایه از حضور در دادگاه الهی است، همانطور که انسان به هنگام نماز می گوید من در برابر خداوند ایستادهام.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۱ ص: ۵۸۶

(آیه ۳۱)– در این آیه اشـاره به خسـران و زیـان منکران معاد و رسـتاخیز کرده میفرمایـد: «آنها که ملاقات پروردگار را انکار کردند مسلما گرفتار زیان شدند» (قَدْ خَسِرَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۸۷

منظور از «ملاقات پروردگار» یا ملاقات معنوی و ایمان شهودی است، (شهود باطنی) و یا ملاقات صحنههای رستاخیز و پاداش و جزای او.

سپس می گوید: این انکار برای همیشه ادامه نخواهد یافت، و تا زمانی خواهد بود که «ناگهان رستاخیز برپا شود، و آنها در

برابر این صحنه های وحشتناک قرار گیرنـد و نتایج اعمال خود را با چشم خود ببینند، در این موقع فریاد آنها بلند می شود: ای وای بر ما چقدر کو تاهی در باره چنین روزی کردیم» (حَتَّی إِذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قالُوا یا حَسْرَ تَنا عَلی ما فَرَّطْنا فِیها).

منظور از «ساعـهٔ» روز قیامت است و «بغتـهٔ» به معنی این است که بطور ناگهانی و جهش آسا که هیچ کس جز خدا وقت آن را نمیداند واقع میشود.

> سپس قرآن می گوید: «آنها بار گناهانشان را بر دوش دارند» (وَ هُمْ یَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلَی ظُهُورِهِمْ). و در پایان آیه می فرماید: «چه بد باری بر دوش می کشند» (أَلا ساءَ ما یَزِرُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۲ ص: ۵۸۷

(آیه ۳۲)- در این آیه برای بیان موقعیت زندگی دنیا در برابر زندگی آخرت چنین می گویـد: «زندگی دنیا چیزی جز بازی و سرگرمی نیست» (وَ مَا الْحَیاهُ الدُّنْیا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ).

تشبیه زندگی دنیا به بازی و سرگرمی از این نظر است که بازیها و سرگرمیها معمولا کارهای توخالی و بیاساس هستند که از متن زندگی حقیقی دورند.

بسیار دیده می شود که کودکان دور هم می نشینند و بازی را شروع می کنند، یکی را «امیر» و دیگری را «وزیر»، و یکی را «دزد» و دیگری را «قافله» اما ساعتی نمی گذرد که نه خبری از امیر است و نه وزیر، و نه دزد و نه قافله، و یا در نمایشنامه هایی که به منظور سرگرمی انجام می شود صحنه هایی از جنگ یا عشق یا عداوت مجسّم می گردد اما پس از ساعتی خبری از هیچ کدام نیست.

سپس زنـدگانی سـرای دیگر را بـا آن مقـایسه کرده میفرمایـد: «سـرای آخرت برای افراد با تقوا بهتر است آیا انـدیشه و تعقل نمیکنید» (وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَیْرٌ لِلَّذِینَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۸۸

يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ)

زیرا حیاتی است جاویدان و فناناپذیر در جهانی وسیعتر و سطح بسیار بالاتر، در عالمی که سر و کار آن با حقیقت است نه مجاز، و با واقعیت است نه خیال.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۳ ص: ۵۸۸

(آیه ۳۳) – همواره در راه مصلحان مشکلات بوده! شک نیست که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در گفتگوهای منطقی و مبارزات فکری که با مشرکان لجوج و سرسخت داشت گاهی از شدت لجاجت آنها و عدم تأثیر سخن در روح آنان و گاهی از نسبتهای ناروایی که به او میدادند غمگین و اندوهناک میشد، خداوند بارها در قرآن مجید پیامبرش را در این مواقع دلداری میداد، تا با دلگرمی و استقامت بیشتر، برنامه خویش را تعقیب کند، در این آیه نیز میفرماید: «ما میدانیم که سخنان آنها تو را محزون و اندوهگین میکند» (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَیْحُزُنُکَ الَّذِی یَقُولُونَ).

«ولى بدان كه آنها تو را تكذيب نمى كنند و در حقيقت آيات ما را انكار مى كنند و بنابراين طرف آنها در حقيقت ما هستيم نه تو» (فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ).

و نظیر این سخن در گفتگوهای رایج میان ما نیز دیده میشود که گاهی شخص «برتر» به هنگام ناراحت شدن نمایندهاش به او

می گوید: غمگین مباش طرف آنها در واقع منم و اگر مشکلی ایجاد شود برای من است نه برای تو، و به این وسیله مایه تسلّی خاطر او را فراهم میسازد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۴ ص: ۵۸۸

(آیه ۳۴) - در این آیه، برای تکمیل این دلداری، به وضع انبیای پیشین اشاره کرده می گوید: این موضوع منحصر به تو نبوده است «رسولاین پیش از تو نیز تکذیب شدند» (وَ لَقَدْ کُذِبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ). «اما آنها در برابر تکذیبها و آزارها استقامت ورزیدند تا نصرت و یاری ما به سراغشان آمد و سر انجام پیروز شدند» (فَصَبَرُوا عَلی ما کُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّی أَتاهُمْ نَصْرُنا). «و این یک سنت الهی است که هیچ چیز نمی تواند آن را دگر گون کند» (وَ لا مُبَدِّلَ لِکَلِماتِ اللَّهِ).

بنابراین، تو هم در برابر تکذیبها و آزارها و حملات دشمنان لجوج و سرسخت روح صبر و استقامت را از دست مده، و بدان طبق همین سنت، برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۸۹

امدادهای الهی و الطاف بی کران پروردگار به سراغ تو خواهد آمد، و سر انجام بر تمام آنها پیروز خواهی شد «و اخباری که از پیامبران پیشین به تو رسیده است که چگونه در برابر مخالفتها و شدایـد اسـتقامت کردند و پیروز شدند گواه روشـنی برای تو است» (وَ لَقَدْ جاءَکَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ).

در حقیقت آیه فوق به یک اصل کلی اشاره می کند و آن این که همیشه رهبران صالح اجتماع که برای هدایت تودههای مردم به وسیله ارائه مکتب و طرحهای سازنده با افکار منحط و خرافات و سنن غلط جامعه به پا میخاستند با مخالفت سرسختانه جمعی سودجو و زورگو که با پر و بال گرفتن مکتب جدید، منافعشان به خطر می افتاد، رو برو می شدند. اما شک نیست که شرط اساسی این پیروزی بردباری و مقاومت و استقامت است.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۵ ص: ۵۸۹

(آیه ۳۵)- مردگان زندهنما! این آیه و آیه بعد دنباله دلداری و تسلی دادن به پیامبر است که در آیات قبل گذشت.

از آنجا که فکر و روح پیامبر صلّی الله علیه و آله از گمراهی و لجاجت مشرکان زیاد ناراحت و پریشان بود، و علاقه داشت با هر وسیلهای که شده آنها را به صف مؤمنان بکشاند، خداوند می فرماید: «اگر اعراض و رو گردانی زیاد آنها بر تو سخت و سنگین است چنانچه بتوانی اعماق زمین را بشکافی و در آن نقبی بزنی و جستجو کنی و یا نردبانی به آسمان بگذاری و اطراف آسمانها را نیز جستجو کنی و آیه و نشانه دیگری برای آنها بیاوری چنین کن» ولی بدان آنان به قدری لجوجند که باز ایمان نخواهند آورد (وَ إِنْ کَانَ کَبُرَ عَلَیْکَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِی نَفَقاً فِی الْأَرْضِ أَوْ سُلّماً فِی السّماء فَتَا نُیهُمْ بِآیهُ). خداوند با این جمله به پیامبر خود می فهماند که هیچ گونه نقصی در تعلیمات و دعوت و تلاش و کوشش تو نیست، بلکه نقص از ناحیه آنها است، آنها تصمیم گرفتهاند حق را نپذیرند. لذا هیچ گونه کوششی اثر نمی بخشد، نگران مباش! ولی برای این که کسی توهم نکند که خداوند قادر نیست آنها را وادار به تسلیم کند، بلافاصله می فرماید: «اگر خدا بخواهد می تواند همه آنها را بر هدایت بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۹۰

مجتمع کند» یعنی وادار به تسلیم در برابر دعوت تو و اعتراف به حق و ایمان کند (وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَی الْهُدی). ولی روشن است که این چنین ایمان اجباری بیهوده است، آفرینش بشر برای تکامل بر اساس اختیار و آزادی اراده میباشد، تنها در صورت آزادی اراده است که ارزش «مؤمن» از «کافر» و «نیکان» از «بدان» شناخته می شود.

سپس می گوید: «اینها را برای این گفتیم که تو از جاهلان نباشی» (فَلا تُکُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِینَ).

یعنی: بیتابی مکن و صبر و استقامت را از دست مده و بیش از اندازه خود را به خاطر کفر و شرک آنها ناراحت مکن و بدان راه همین است که تو می پیمایی.

شک نیست که پیامبر از این حقایق باخبر بود، اما خداوند اینها را به عنوان یادآوری و دلداری برای پیامبرش بازگو می کند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۶ ص: ۵۹۰

(آیه ۳۶) - در این آیه برای تکمیل این موضوع و دلداری بیشتر به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می گوید: «تنها کسانی که گوش شنوا دارند دعوت تو را اجابت می کنند و می پذیرند» (إِنَّما یَسْتَجِیبُ الَّذِینَ یَسْمِعُونَ). «و اما آنها که عملا در صف مردگانند ایمان نمی آورند، تا زمانی که خداوند آنها را در روز قیامت برانگیزند و به سوی او بازگشت کنند» (وَ الْمَوْتی یَبْعَتُهُمُ اللّهُ ثُمَّ اللّهُ ثُمَّ اللّهُ ثُمَّ اللّهُ یُرْجَعُونَ).

آن روز است که با مشاهده صحنه های رستاخیز ایمان می آورند، ولی ایمانشان هم سودی ندارد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۷ ص: ۵۹۰

آیه ۳۷)- در این آیه یکی از بهانه جوییهای مشرکان مطرح شده است، بطوری که در بعضی از روایات آمده جمعی از رؤسای قریش هنگامی که از معارضه و مقابله با قرآن عاجز ماندند به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله گفتند: اینها فایده ندارد اگر راست می گویی معجزاتی همانند عصای موسی، و ناقه صالح، برای ما بیاور.

قرآن در این باره می گویـد: «آنها گفتنـد: چرا آیه و معجزهای از طرف پروردگار بر این پیامبر نازل نشده است»؟! (وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ آیَةٌ مِنْ رَبِّهِ).

> روشن است که آنها این پیشنهاد را از روی حقیقت جویی نمی گفتند، زیرا بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۹۱ پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به اندازه کافی برای آنها معجزه آورده بود.

لـذا قرآن در پاسـخ آنها می گویـد: «به آنها بگو: خداونـد قادر است آیه و معجزهای (که شـما پیشـنهاد می کنید) بر پیامبر خود نازل کند» (قُلْ إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلی أَنْ یُنَزِّلَ آیَهً).

ولی این کار یک اشکال دارد که غالب شما از آن بیخبرید و آن این که اگر به این گونه تقاضاها که از سر لجاجت می کنید ترتیب اثر داده شود سپس ایمان نیاورید همگی گرفتار مجازات الهی شده، نابود خواهید گشت، زیرا این نهایت بیحرمتی نسبت به ساحت مقدس پروردگار و فرستاده او و آیات و معجزات اوست، لذا در پایان آیه میفرماید «ولی اکثر آنها نمی دانند» (و لکِنَّ أَکْتَرهُمْ لا یَعْلَمُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۸ ص : ۵۹۱

(آیه ۳۸) – این آیه به دنبال آیات گذشته که در باره مشرکان بحث می کرد و آنها را به سرنوشتی که در قیامت دارند متوجه می ساخت، سخن از «حشر» و رستاخیز عمومی تمام موجودات زنده، و تمام انواع حیوانات به میان آورده، نخست می گوید: «هیچ جنبندهای در زمین، و هیچ پرندهای که با دو بال خود پرواز می کند نیست مگر این که امتهایی همانند شما هستند» (وَ ما مِنْ دَابَّهُ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرِ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ).

و به این ترتیب هر یک از انواع حیوانات و پرندگان برای خود امتی هستند همانند انسانها یعنی: آنها نیز در عالم خود دارای علم و شعور و ادراک هستند، خدا را می شناسند و به اندازه توانایی خود او را تسبیح و تقدیس می گویند، اگر چه فکر آنها در سطحی پایین تر از فکر و فهم انسانهاست.

سپس در جمله بعد می گوید: «ما در این کتاب هیچ چیز را فرو گذار نکردیم» (ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ). و در پایان آیه می گوید «تمام آنها به سوی خدا در رستاخیز جمع میشوند» (ثُمَّ إِلی رَبِّهِمْ یُحْشَرُونَ).

روی این جهت آیه به مشرکان اخطار می کند خداوندی که تمام اصناف حیوانات را آفریده، و نیازمندیهای آنها را تأمین کرده، و مراقب تمام افعال آنهاست برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۹۲

و برای همه رستاخیزی قرار داده، چگونه ممکن است برای شما حشر و رستاخیزی قرار ندهـد و به گفته بعضـی از مشرکان چیزی جز زندگی دنیا و حیات و مرگ آن در کار نباشد.

آیا رستاخیز برای حیوانات هم وجود دارد؟ ص : ۵۹۲

شک نیست که نخستین شرط حساب و جزا مسأله عقل و شعور و به دنبال آن تکلیف و مسؤولیت است، طرفداران این عقیده می گویند: زندگی بسیاری از حیوانات آمیخته با نظام جالب و شگفتانگیزی است که روشنگر سطح عالی فهم و شعور آنهاست، کیست که در باره مورچگان و زنبور عسل و تمدن عجیب آنها و نظام شگفت انگیز لانه و کندو، سخنانی نشنیده باشد. و مسلم است آنها را به آسانی نمی توان ناشی از غریزه دانست، زیرا غریزه معمولاً سر چشمه کارهای یکنواخت و مستمر است، اما اعمالی که در شرایط خاصی که قابل پیش بینی نبوده به عنوان عکس العمل انجام می گردد، به فهم و شعور شبیه تر است تا به غریزه.

مثلاً گوسفندی که در عمر خود گرگ را ندیده برای نخستین بار که آن را میبیند به خوبی خطرناک بودن این دشمن را تشخیص داده و به هر وسیله که بتواند برای دفاع از خود و نجات از خطر متوسل میشود.

از همه اینها گذشته، در آیات متعددی از قرآن، مطالبی دیده می شود که دلیل قابل ملاحظهای برای فهم و شعور بعضی از حیوانات محسوب می شود، داستان فرار کردن مورچگان از برابر لشکر سلیمان، و داستان آمدن هدهد به منطقه «سبا و یمن» و آوردن خبرهای هیجان انگیز برای سلیمان شاهد این مدعاست.

در روایات اسلامی نیز احادیث متعددی در زمینه رستاخیز حیوانات دیده می شود، از جمله: از أبو ذر نقل شده که می گوید: ما خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله بودیم که در پیش روی ما دو بز به یکدیگر شاخ زدند، پیغمبر صلّی الله علیه و آله فرمود، می دانید چرا اینها به یکدیگر شاخ زدند؟ حاضران عرض کردند: نه، پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود ولی خدا می داند چرا؟ و به زودی در میان آنها داوری خواهد کرد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۳۹ ص: ۵۹۲

(آیه ۳۹) - کر و لالها! بار دیگر قرآن به بحث از منکران لجوج می پردازد، برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۹۳ می گوید: «و آنها که آیات ما را تکذیب کردند کر و لال هستند، و در ظلمت و تاریکی قرار گرفتهاند» (وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا صُمُّ وَ بُکْمٌ فِی الظُّلُماتِ).

نه گوش شنوایی دارند که حقایق را بشنوند، و نه زبان حقگویی که اگر حقیقتی را درک کردند برای دیگران بازگو کنند. و به دنبال آن میفرماید: «خداوند هر کس را بخواهد گمراه می کند و هر کس را بخواهد بر جاده مستقیم قرار می دهد» (مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِراطٍ مُشْتَقِيم).

گاهی اعمال فوق العاده زشتی از انسان سر میزند که بر اثر تاریکی وحشتناکی روح او را احاطه خواهد کرد، چشمان حقیقت بین از او گرفته میشود، و گوش او صدای حق را نمیشنود، و زبان او از گفتن حق باز میماند.

اما به عکس گاهی چنان کارهای نیک فراوان از او سر میزند که یک دنیا نور و روشنایی به روح او میپاشد، دید و درک او وسیعتر و فکر او پرفروغتر و زبان او در گفتن حق، گویاتر میشود، این است معنی هـدایت و ضـلالت که به اراده خـدا نسبت داده میشود.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۰ ص: ۵۹۳

(آیه ۴۰)- توحید فطری! بار دیگر روی سخن را به مشرکان کرده و از راه دیگری برای توحید و یگانه پرستی، در برابر آنها، استدلال می کند، به این طریق که لحظات فوق العاده سخت و دردناک زندگی را به خاطر آنها می آورد، و از وجدان آنها استمداد می کند که در این گونه لحظات که همه چیز را به دست فراموشی می سپارند آیا پناهگاهی جز «خدا» برای خودشان فکر می کنند! «ای پیامبر! به آنها بگو: اگر عذاب دردناک خداوند به سراغ شما بیاید و یا قیامت با آن همه هول و هیجان و حوادث وحشتناک برپا شود، راست بگویید آیا غیر خدا را برای برطرف ساختن شداید خود می خوانید»! (قُلْ أَ رَأَیْتَکُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِینَ).

روح معنی این آیه نه تنها برای مشرکان، بلکه برای همه کس به هنگام بروز شداید و حوادث سخت، قابل درک است، ممکن است در حال عادی و در برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۹۴

حوادث کوچک انسان به غیر خدا متوسل گردد، اما هنگامی که حادثه فوق العاده شدید باشد انسان همه چیز را فراموش می کند ولی در همین حال در اعماق دل خود یک نوع امیدواری به نجات که از منبع قدرت مرموز و نامشخصی سر چشمه می گیرد احساس می کند این همان توجه به خدا و حقیقت توحید است.

سوره انعام(۶): آية ۴۱ ص: ۵۹۴

(آیه ۴۱) - در این آیه میفرماید: «بلکه تنها او را میخوانید، او هم اگر بخواهد مشکل شما را برطرف میکند، و شریکهایی برای خدا درست کرده بودید همه را فراموش میکنید» (بَلْ إِیَّاهُ تَدْعُونَ فَیَکْشِهِ فُ ما تَدْعُونَ إِلَیْهِ إِنْ شاءَ وَ تَنْسَوْنَ ما تُشْرِکُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۲ ص: ۵۹۴

(آیه ۴۲)- سر انجام زندگی اندرز ناپذیران! قرآن همچنان گفتگو با گمراهان و مشرکان را ادامه میدهد و از راه دیگری برای بیدار ساختن آنها موضوع را تعقیب میکند، یعنی دست آنها را گرفته و به قرون و زمانهای گذشته میبرد.

نخست می گوید: «ما پیامبرانی به سوی امم پیشین فرستادیم و چون اعتنا نکردند آنها را به منظور بیداری و تربیت با مشکلات و حوادث سخت، با فقر و خشکسالی و قحطی با بیماری و درد و رنج و بأساء و ضرّاء «۱» مواجه ساختیم شاید متوجه شوند و به سوی خدا بازگردند» (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلَی أُمَم مِنْ قَبْلِکَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ یَتَضَرَّعُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۳ ص: ۵۹۴

(آیه ۴۳) - در این آیه می گوید: «چرا آنها از این عوامل دردناک و بیدارکننده پند و اندرز نگرفتند و بیدار نشدند و به سوی خدا بازنگشتند» (فَلَوْ لا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا).

در حقیقت علت عـدم بیـداری آنهـا دو چیز بود، نخست این که «بر اثر زیـادی گنـاه و لجـاجت در شـرک، قلبهـای آنها تیره و سخت و روح آنها انعطاف ناپذیر شده بود» (وَ لکِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ).

(۱) «بأساء» در اصل به معنی شدت و رنج است و به معنی جنگ نیز به کار میرود، همچنین در قحطی و خشکسالی و فقر و مانند اینها، ولی «ضرّاء» به معنی ناراحتی روحی است مانند غم و اندوه و جهل و نادانی و یا ناراحتیهایی که از بیماری و از دست دادن مقام و مال و ثروت پیدا می شود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۹۵

دیگر این که «شیطان (بـا استفاده از روح هوی پرستی آنها) اعمالشان را در نظرشان زینت داده بود، و هر عمل زشتی را انجام میدادند زیبا و هر کار خلافی را صواب میپنداشتند» (وَ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ ما کانُوا یَعْمَلُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۴ ص: ۵۹۵

(آیه ۴۴) - در این آیه اضافه می کند: هنگامی که سختگیریها و گوشمالیها در آنها مؤثر نیفتاد از راه لطف و محبت وارد شدیم «و به هنگامی که درسهای نخست را فراموش کردند، درس دوم را برای آنها آغاز کردیم و درهای انواع نعمتها را بر آنها گشودیم» شاید بیدار شوند و به آفریننده و بخشنده آن نعمتها توجه کنند، و راه راست را بازیابند» (فَلَمَّا نَسُوا ما ذُکِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبُوابَ کُلِّ شَيْءٍ).

ولی این همه نعمت در واقع خاصیت دو جانبه داشت هم ابراز محبتی برای بیداری بود و هم مقدمهای برای عذاب دردناک در صورتی که بیدار نشوند.

لذا می گوید «آنقدر به آنها نعمت دادیم تا کاملا خوشحال شدند اما بیدار نشدند، لذا ناگاه آنها را گرفتیم و مجازات کردیم، و تمام درهای امید به روی آنها بسته شد» (حَتَّی إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُثْلِسُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۵ ص: ۵۹۵

(آیه ۴۵)- «و به این ترتیب جمعیت ستمکاران ریشه کن شد، و نسل دیگری از آنها به پا نخاست» (فَقُطِّعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِینَ ظَلَمُوا).

و از آنجا که خداوند در به کار گرفتن عوامل تربیت در مورد آنها هیچ گونه کوتاهی نکرده، در پایان آیه میفرماید: «ستایش و حمد مخصوص خداوندی است که پروردگار و مربی همه جهانیان است» (وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ).

این جمله نشانه آن است که قطع ریشه ظلم و فساد و نابود شدن نسلی که بتواند این کار را ادامه دهد، به قدری اهمیت دارد که جای شکر و سپاس است.

در حدیثی از امام صادق علیه السّد الام میخوانیم: «هر کس بقای ستمگران را دوست دارد، مفهومش این است که دوست میدارد معصیت خدا شود (موضوع ظلم به اندازهای مهم است که) خداوند تبارک و تعالی در برابر نابود ساختن ظالمان خود را حمد و ستایش کرده است و فرموده: دنباله قوم ستمگر بریده شد و سپاس مخصوص خداوند پروردگار جهانیان است». برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۵۹۶

سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۶ ص: ۵۹۶

(آیه ۴۶)- بخشنده نعمتها را بشناسید! روی سخن همچنان با مشرکان است، نخست می گوید: «اگر خداوند نعمتهای گرانبهایش را همچون گوش و چشم از شما بگیرد، و بر دلهایتان مهر بگذارد بطوری که نتوانید میان خوب و بد و حق و باطل تمیز دهید چه کسی جز خدا می تواند این نعمتها را به شما بازگرداند»؟! (قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَیمْعَکُمْ وَ أَبْصارَکُمْ وَ خَتَمَ عَلَی قُلُوبِکُمْ مَنْ إِلَهٌ غَیْرُ اللَّهِ یَأْتِیکُمْ بِهِ).

در حقیقت مشرکان نیز قبول داشتند که خالق و روزی دهنده خداست، و بتها را به عنوان شفیعان در پیشگاه خدا می پرستیدند. سپس می گوید: «ببین چگونه آیات و دلایل را به گونه های مختلف برای آنها شرح می دهیم، ولی باز آنها از حق روی برمی گردانند» (انْظُرْ کَیْفَ نُصَرِّفُ الْآیاتِ ثُمَّ هُمْ یَصْدِفُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۷ ص: ۵۹۶

(آیه ۴۷) - در این آیه به دنبال ذکر این سه نعمت بزرگ الهی (چشم و گوش و فهم) که سر چشمه تمام نعمتهای دنیا و آخرت است اشاره به امکان سلب همه نعمتها بطور کلی کرده، می گوید: «به آنها بگو: اگر عذاب خداوند ناگهانی و بدون مقدمه، و یا آشکارا و با مقدمه، به سراغ شما بیاید آیا جز ستمکاران نابود می شوند»! (قُلْ أَ رَأَیْتَکُمْ إِنْ أَتَاکُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَهُ أَوْ جَهْرَهً هَلْ یُهْلَکُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ).

منظور این است تنها کسی که قادر به انواع مجازات و گرفتن نعمتهاست خداست، و بتها هیچ نقشی در این میان ندارند. بنابراین، دلیلی ندارد که به آنها پناه ببرید.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۸ ص: ۵۹۶

(آیه ۴۸)- در این آیه به وضع پیامبران الهی اشاره کرده، می گوید: «نه تنها بتهای بیجان کاری از آنها ساخته نیست، انبیای بزرگ و رهبران الهی نیز کاری جز ابلاغ رسالت، و بشارت و انذار، و تشویق و تهدید ندارند، و هر نعمتی هست به فرمان خدا

و از ناحیه اوست و آنها هم هر چه بخواهند از او میخواهند» (وَ ما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ).

سپس می گوید: «راه نجات منحصر در دو چیز است آنها که ایمان بیاورند و خویشتن را اصلاح کنند (و عمل صالح انجام دهند) نه ترسی از مجازاتهای الهی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۹۷

دارند، و نه غم و اندوهي از اعمال گذشته خود» (فَمَنْ آمَنَ وَ أُصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۴۹ ص: ۵۹۷

(آیه ۴۹)- «و در مقابل، کسانی که آیات ما را تکذیب کنند، در برابر این فسق و نافرمانی گرفتار مجازات الهی خواهند شد» (وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا یَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِما کانُوا یَفْسُقُونَ).

سوره انعام(6): آية 50 ص: 597

(آیه ۵۰)- آگاهی از غیب! این آیه دنباله پاسخگویی به اعتراضات گوناگون کفار و مشرکان است و به سه قسمت از ایرادهای آنها در جملههای کوتاه پاسخ داده شده است:

نخست این که آنها به پیامبر صلّی الله علیه و آله پیشنهاد معجزات عجیب و غریبی می کردند، و هر یک به میل خود پیشنهادی داشتند، حتی به مشاهده معجزات مورد درخواست دیگران نیز قانع نبودند گاهی خانههایی از طلا، و گاهی نزول فرشتگان، و زمانی تبدیل سرزمین خشک و سوزان مکّه به یک باغستان پر آب و میوه! گویا آنها با این تقاضاهای عجیب و غریب یک نوع مقام الوهیت و مالکیت زمین و آسمان برای پیامبر صلّی الله علیه و آله انتظار داشتند.

لـذا خداونـد در پاسخ این افراد، به پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله دسـتور میدهد «بگو: من هرگز ادعا نمی کنم که خزائن الهی به دست من است» (قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللّهِ).

«خزائن» جمع «خزینه» به معنی منبع و مرکز هر چیزی است و به این ترتیب خزائن الله، منبع همه چیز را دربرمی گیرد که از ذات بی انتهای او که سر چشمه جمیع کمالات و قدرتهاست، می باشد.

سپس در برابر افرادی که انتظار داشتند پیامبر صلّی الله علیه و آله آنها را از تمام اسرار آینده و گذشته آگاه سازد، و حتی به آنها بگوید در آینده چه حوادثی مربوط به زندگی آنها روی میدهد، تا برای دفع ضرر و جلب منفعت بپا خیزند، می گوید: «من هرگز ادعا نمی کنم که از همه امور پنهانی و اسرار غیب آگاهم» (وَ لا أَعْلَمُ الْغَیْبَ).

و در جمله سوم به پاسخ ایراد کسانی که انتظار داشتند خود پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرشته برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۹۸

باشـد، و یا فرشـتهای همراه او باشـد، و هیچ گونه عوارض بشـری از خوردن غذا و راه رفتن در کوچه و بازار در او دیده نشود، می گوید: «و من هرگز ادعا نمی کنم فرشتهام» (وَ لا أَقُولُ لَکُمْ إِنِّی مَلَکُ).

بلکه «من تنها از دستورات و تعلیماتی پیروی میکنم که از طریق وحی از ناحیه پروردگار به من میرسد» (إِنْ أُتَّبُعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیًّ).

و در پایـان آیه به پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله دسـتور داده می شود که: «بگو: آیا افراد نابینا و بینا همانندنـد؟ و آنها که چشم و انـدیشه و عقلشـان بسـته است با کسانی که حقایق را به خوبی می.بیننـد و درک می کننـد برابرنـد؟ آیا فکر نمی کنیـد» (قُلْ هَلْ

يَسْتَوى الْأَعْمَى وَ الْبُصِيرُ أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۱ ص : ۵۹۸

(آیه ۵۱) – در پایان آیه قبل فرمود که نابینا و بینا یکسان نیستند، و به دنبال آن در این آیه به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور می دهـد «به وسیله قرآن کسانی را انـذار و بیـدار کن که از روز رسـتاخیز بیم دارند» (وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِینَ یَخافُونَ أَنْ یُحْشَـرُوا إِلَی رَبِّهِمْ).

یعنی کسانی که تا این اندازه چشم قلب آنها گشوده است که احتمال میدهند حساب و کتابی در کار باشد، در پرتو این احتمال، و ترس از مسؤولیت، آمادگی برای پذیرش حق یافتهاند.

سپس می گوید: این گونه افراد بیدار دل از آن روز می ترسند که «جز خدا پناهگاه و شفاعت کنندهای وجود ندارد» (لَیْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِیٌّ وَ لا شَفِیعٌ).

آری! این گونه افراد را انذار کن و دعوت به سوی حق بنما «زیرا امید تقوا و پرهیزکاری در باره آنها هست» (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۲ ص: ۵۹۸

اشاره

(آیه ۵۲)

شأن نزول: ص: ۵۹۸

در مورد نزول این آیه و آیه بعد نقل شده: جمعی از قریش از کنار مجلس پیامبر صلّی اللّه علیه و آله گذشتند در حالی که «صهیب» و «عمّیار»، «بلالی» و «خباب» و امثال آنها از مسلمانان کمبضاعت و کارگر، در خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بودند.

آنها از مشاهده این صحنه تعجب کردند.

گفتنـد: ای محمـد! آیا به همین افراد از جمعیت قناعت کردهای؟ اینها هستند که خداوند از میان ما انتخاب کرده! ما پیرو اینها بوده باشیم؟ هر چه زودتر برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۵۹۹

آنها را از اطراف خود دور کن، شاید ما به تو نزدیک شویم و از تو پیروی کنیم.

آیه نازل شد و این پیشنهاد را به شدت رد کرد.

بعضی از مفسران اهل تسنن مانند نویسنده «المنار» حدیثی شبیه به این شأن نزول نقل کرده و سپس اضافه می کند: «عمر بن خطاب» در آنجا حاضر بود، و به پیامبر پیشنهاد کرد چه مانعی دارد که پیشنهاد آنها را بپذیریم؟ و ما ببینیم اینها چه می کنند. آیات فوق پیشنهاد او را نیز رد کرد.

اشاره

مبارزه با فکر طبقاتی - در این آیه به یکی دیگر از بهانه جوییهای مشرکان اشاره شده و آن این که آنها انتظار داشتند پیامبر صلّی الله علیه و آله امتیازاتی برای ثروتمندان نسبت به طبقه فقیر قائل شود، بی خبر از این که اسلام آمده تا به این گونه امتیازات پوچ و بی اساس پایان دهد، لذا آنها روی این پیشنهاد اصرار داشتند که پیامبر صلّی الله علیه و آله این دسته را از خود براند، اما قرآن صریحا و با ذکر دلایل زنده پیشنهاد آنها را نفی می کند، نخست می گوید: «کسانی را که صبح و شام پروردگار خود را می خوانند و جز ذات پاک او نظری ندارند، هر گز از خود دور مکن» (وَ لا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغُداؤ وَ الْعَشِیِّ یُریدُونَ وَجْهَهُ).

در حقیقت آنها روی یک سنت دیرین غلط امتیاز افراد را به ثروت آنها میدانستند، و معتقد بودند باید طبقات اجتماع که بر اساس ثروت به وجود آمده همواره محفوظ بماند، و هر آیین و دعوتی بخواهد زندگی طبقاتی را بر هم زند، و این امتیاز را نادیده بگیرد، در نظر آنها مطرود و غیر قابل قبول است.

در جمله بعد میفرماید: «دلیلی نـدارد که این گونه اشخاص بـا ایمـان را از خود دور سـازی، برای این که نه حسـاب آنها بر توست و نه حساب تو بر آنها» (ما عَلَیْکَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَیْءٍ وَ ما مِنْ حِسابِکَ عَلَیْهِمْ مِنْ شَیْءٍ).

«با این حال اگر آنها را از خود برانی از ستمگران خواهی بود» (فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ).

قرآن پاسخ میدهد به فرض این که آنها چنین بوده باشند، ولی حسابشان با خداست، همین اندازه که ایمان آوردهاند و در صف مسلمین قرار گرفتهاند، به برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۰۰

هیچ قیمتی نباید رانده شود، و به این ترتیب جلو بهانه جوییهای اشراف قریش را می گیرد.

یک امتیاز بزرگ اسلام - ص: ۶۰۰

میدانیم در مسیحیت کنونی دایره اختیارات رؤسای مذهبی به طرز مضحکی توسعه یافته تا آنجا که آنها برای خود حق بخشیدن گناه قائل هستند، و به همین جهت می توانند کسانی را با کوچکترین چیزی طرد و تکفیر کنند، و یا بپذیرند. قرآن در آیه فوق و آیات دیگر صریحا یادآور می شود که نه تنها علمای مذهبی، بلکه شخص پیامبر صلّی الله علیه و آله نیز حق طرد کسی را که اظهار ایمان می کند، و کاری که موجب خروج از اسلام بشود، انجام نداده، ندارد. آمرزش گناه و حساب و کتاب بندگان تنها به دست خداست، و هیچ کس جز او حق دخالت در چنین کاری ندارد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۳ ص:۶۰۰

(آیه ۵۳) - در این آیه به ثروتمندان بی ایمان هشدار می دهد که این جریانات آزمایشهایی است برای آنها، و اگر از کوره این آزمایشها نادرست بیرون آیند، باید عواقب دردناک آن را تحمل کنند، می گوید: «این چنین، بعضی از آنها را با بعض دیگر آزمودیم» (وَ کَذلِکَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضِ).

«فتنه» در اینجا به معنی آزمایش است.

سپس اضافه می کند: کار این توانگران به جایی میرسد که با نگاه تحقیر آمیز به مؤمنان راستین نگریسته و می گویند: «آیا اینها هستند که خداوند از میان ما برگزیده، و نعمت ایمان و اسلام را به آنها ارزانی داشته است» آیا اینها قابل چنین حرفهایی هستند! (لِیَقُولُوا أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَیْهِمْ مِنْ بَیْنِنا).

و بعد به آنها پاسخ می گوید که این افراد با ایمان مردمی هستند که شکر نعمت علم و تشخیص را به جا آورده و آن را به کار بسته اند، و هم چنین شکر نعمت دعوت پیامبر صلّی الله علیه و آله را به جا آورده و از او پذیرا شده اند. چه نعمتی از آن بزرگتر و چه شکری از آن بالاتر و به خاطر همین، خداوند ایمان را در قلوب آنها راسخ گردانیده است «آیا خداوند شاکران را بهتر نمی شناسد»! (أ لَیْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاکِرِینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۴ ص :۰۰۰

(آیه ۵۴)– این آیه به صورت یک قانون کلی به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهد که برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۰۱

تمام افراد با ایمان را هر چند گناهکار باشند، نه تنها طرد نکند، بلکه به خوبی بپذیرد، چنین می گوید: «هر گاه کسانی که به آیات ما ایمان آوردهاند به سراغ تو بیایند، به آنها بگو: سلام بر شما» (وَ إِذَا جَاءَکُ الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِآیاتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَیْکُمْ). این سلام ممکن است از ناحیه خدا و به وسیله پیامبر صلّی الله علیه و آله بوده باشد، و یا مستقیما از ناحیه خود پیامبر صلّی الله علیه و آله و در هر حال دلیل بر پذیرا شدن و استقبال کردن و تفاهم و دوستی با آنهاست.

در جمله دوم اضافه می کند، که «پروردگار شما رحمت را بر خود فرض کرده است» (کَتَبَ رَبُّکُمْ عَلی نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ).

و در جمله سوم که در حقیقت توضیح و تفسیر رحمت الهی است، با تعبیری محبت آمیز چنین می گوید: «هر کس از شما کاری از روی جهالت انجام دهد، سپس توبه کند و اصلاح و جبران نماید، خداوند آمرزنده و مهربان است» (أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْکُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

منظور از «جهالت» در این گونه موارد، همان غلبه و طغیان شهوت است و مسلما چنین کسی در برابر گناه خود مسؤول است.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۵ ص:۶۰۱

(آیه ۵۵)- در این آیه برای تأکید مطلب میفرماید: «ما آیات و نشانهها و دستورات خود را این چنین روشن و مشخص میکنیم، تا هم راه حقجویان و مطیعان آشکار گردد و هم راه گنهکاران لجوج و دشمنان حق» (وَ کَهذلِکَ نُفَصِّلُ الْآیاتِ وَ لِتَسْتَبِینَ سَبِیلُ الْمُجْرِمِینَ).

منظور از «مجرم» همان گناهكاران لجوج و سرسختي است كه با هيچ وسيله تسليم حق نميشوند.

یعنی بعد از این دعوت عمومی و همگانی به سوی حق، حتی دعوت از گناهکارانی که از کار خود پشیمانند، راه و رسم مجرمان لجوج و غیر قابل انعطاف کاملا شناخته خواهد شد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۶ ص :۶۰۱

(آیه ۵۶)– اصرار بیجا! در این آیه و دو آیه بعد همچنان روی سخن به برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۰۲

مشرکان و بت پرستان لجوج است- همانطور که بیشتر آیات این سوره نیز همین بحث را دنبال می کند- لحن این آیات چنان است که گویا آنها از پیامبر دعوت کرده بودند به آئینشان گرایش پیدا کند، پیامبر صلّی الله علیه و آله مأمور می شود که به آنها «بگو: من از پرستش کسانی که غیر از خدا می خوانید نهی شده ام» (قُلْ إِنِّی نُهِیتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ). سپس می فرماید: «بگو: ای پیامبر! من پیروی از هوی و هوسهای شما نمی کنم» (قُلْ لا أَتَّبُعُ أَهْواءَکُمْ). و این پاسخ روشنی به پیشنهاد بی اساس آنهاست و آن این که بت پرستی هیچ دلیل منطقی ندارد.

و در آخرین جمله برای تأکید بیشتر می گوید: «اگر من چنین کاری را کنم مسلما گمراه شدهام و از هدایت یافتگان نخواهم بود» (قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۵۷ ص:۶۰۲

(آیه ۵۷) - در این آیه پاسخ دیگری به آنها می دهد و آن این که «من بیّنه و دلیل روشنی از طرف پروردگارم دارم اگر چه شما آن را نپذیرفته و تکذیب کرده اید» (قُلْ إِنِّی عَلی بَیِّنَهٔ مِنْ رَبِّی وَ کَذَّبْتُمْ بِهِ).

خلاصه در این آیه نیز پیامبر صلّی اللّه علیه و آله مأمور است روی این نکته تکیه کنـد که مـدرک من در مسأله خـداپرستی و مبارزه با بت کاملا روشن و آشکار میباشد و انکار و تکذیب شما چیزی از اهمیت آن نمیکاهد.

سپس به یکی از بهانه جوییهای آنها اشاره می کند و آن این که آنها می گفتند اگر تو بر حق هستی کیفرهایی که ما را به آن تهدید می کنی زودتر بیاور پیامبر صلّی الله علیه و آله در پاسخ آنها میفرماید: «آنچه را شما در باره آن عجله دارید به دست من نیست» (ما عِنْدِی ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ).

«تمام كارها و فرمانها همه به دست خداست» (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ).

یعنی: هر گونه فرمان در عالم آفرینش و تکوین و در عالم احکام دینی و تشریع به دست خداست، همچنین هر منصبی اعم از رهبری الهی و قضاوت و حکمیت به کسی سپرده شده است آن هم از ناحیه پروردگار است. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۰۳

و بعد به عنوان تأكيد مى گويد: «اوست كه حق را از باطل جدا مى كند و او بهترين جداكنندگان حق از باطل است» (يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ).

زیرا کسی که علمش از همه بیشتر و قدرت کافی برای اعمال علم و دانش خود نیز داشته باشد او بهترین جداکنندگان حق از باطل است.

سوره انعام(6): آية 58 ص:603

(آیه ۵۸) – در این آیه به پیامبر دستور میدهد که در برابر مطالبه عذاب و کیفر از ناحیه این جمعیت لجوج و نادان به آنها «بگو: اگر آنچه را که شما با عجله از من میطلبید در قبضه قدرت من بود و من به درخواست شما ترتیب اثر میدادم کار من با شما پایان گرفته بود» (قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِی ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِیَ الْأَمْرُ بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ).

اما برای این که تصور نکنند مجازات آنها به دست فراموشی سپرده شده در پایان می گوید: «خداوند از همه کس بهتر ستمکاران و ظالمان را می شناسد و به موقع آنها را کیفر خواهد داد» (وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِینَ).

سوره انعام(۶): آية ۵۹ ص:۶۰۳

(آیه ۵۹)- اسرار غیب! در آیات گذشته سخن از علم و قدرت خدا و وسعت دایره حکم و فرمان او در میان بود، از این به بعد آنچه در آیات قبل اجمالاً بیان شد، مشروحا توضیح داده می شود، نخست به موضوع علم خدا پرداخته، می گوید: «کلیدهای غیب (یا خزانه های غیب) همه در نزد خداست، و جز او کسی آنها را نمی داند» (وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلَّا هُوَ). سپس برای توضیح و تأکید بیشتر می گوید: «آنچه در برّ و بحر است خدا می داند» (وَ یَعْلَمُ ما فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ).

«برّ» به معنی مکان وسیع است، و معمولا_ به خشکیها گفته می شود، و «بحر» نیز در اصل به معنی محل وسیعی است که آب زیاد در آن مجتمع باشد، و معمولا به دریاها و گاهی به نهرهای عظیم نیز گفته می شود.

در هر حال آگاهی خدا از آنچه در خشکیها و دریاهاست، به معنی احاطه علم او بر همه چیز است.

یعنی، او از جنبش میلیاردها موجود زنده، کوچک و بزرگ، در اعماق دریاها، برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۰۴ از شماره واقعی سلولهای بدن هر انسان و گلبولهای خونها. از حرکات مرموز تمام الکترونها در دل اتمها. و بالاخره از تمام اندیشههایی که از لابلای پردههای مغز ما میگذرد، و تا اعماق روح ما نفوذ میکند

آرى! از همه اينها بطور يكسان باخبر است.

باز در جمله بعـد برای تأکید احاطه علمی خداوند، اشاره بخصوص در این مورد کرده و میفرماید: «هیچ برگی از درختی جدا نمی شود، مگر این که آن را میداند» (وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلَّا یَعْلَمُها).

یعنی، تعداد این برگها و لحظه جدا شدنشان از شاخهها و گردش آنها در وسط هوا و لحظه قرار گرفتنشان روی زمین، همه اینها در پیشگاه علم او روشن است. «و هم چنین هیچ دانهای در مخفیگاه زمین قرار نمی گیرد» مگر این که تمام خصوصیات آن را میداند (وَ لا حَبَّهٍٔ فِی ظُلُماتِ الْأَرْض).

در حقیقت دست روی دو نقطه حساس گذارده شده است، که برای هیچ انسانی هر چند میلیونها سال از عمر او بگذرد، و دستگاههای صنعتی تکامل حیرت انگیز پیدا کند، احاطه بر آن ممکن نیست.

چه کسی میداند بادها در هر شبانه روز در سرتاسر کره زمین چه بذرهایی را از گیاهان جدا کرده و به چه نقطهای می پاشد، کدام مغز الکترونیکی می تواند، تعداد برگهایی که در یک روز از شاخه درختان جنگلها جدا می شود حساب کند؟! نگاه به منظره یک جنگل مخصوصا در فصل پاییز، و منظره بدیعی که سقوط پی در پی برگها پیدا می کند، به خوبی این حقیقت را ثابت می کند، که این گونه علوم هیچ گاه ممکن نیست در دسترس انسان قرار گیرد.

در واقع سقوط برگها لحظه مرگ آنهاست، و سقوط دانهها در مخفیگاه زمین گامهای نخستین حیات و زندگی آنهاست، اوست که از نظام این مرگ و زندگی باخبر است.

بیان این موضوع یک اثر «فلسفی» دارد و یک اثر «تربیتی»، اما اثر فلسفی آن این است که پندار کسانی را که علم خدا را منحصر به کلیات میدانند، و معتقدند که زیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۰۵

خدا از جزئیات این جهان آگاهی ندارد، نفی می کند، و صریحا می گوید که خدا از همه کلیات و جزئیات آگاهی کامل دارد. و اما اثر تربیتی آن روشن است، زیرا ایمان به این علم وسیع پهناور به انسان می گوید تمام اسرار وجود تو، اعمال و گفتار تو، نیات و افکار تو، همگی برای ذات پاک او آشکار است با چنین ایمانی چگونه ممکن است انسان مراقب حال خویش نباشد و اعمال و گفتار و نیات خود را کنترل نکند.

و در پایـان آیه میفرمایـد: «هیـچ تر و خشـکی نیست، مگر این که در کتـاب مبین (و در مقام علم پروردگار) ثبت است» (وَ لا رَطْبِ وَ لا یابِسِ اِلَّا فِی کِتابِ مُبِینِ).

سوره انعام(6): آیهٔ ۶۰ ص :۶۰۵

(آیه ۶۰) - در این آیه بحث را به احاطه علم خداوند به اعمال انسان که هدف اصلی است، کشانیده و قدرت قاهره خدا را نیز مشخص میسازد، تا مردم از مجموع این بحث نتایج تربیتی لازم را بگیرند.

نخست می گوید «او کسی است که روح شـما را در شب قبض می کند، و از آنچه در روز انجام می دهید و به دست می آورید آگاه است» (وَ هُوَ الَّذِی یَتَوَفَّاکُمْ بِاللَّیْلِ وَ یَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ).

سپس می گوید: این نظام خواب و بیداری تکرار می شود، شب می خوابید «و روز شما را بیدار می کند و این وضع هم چنان ادامه دارد تا پایان زندگی شما فرا رسد» (ثُمَّ یَبْعَثُکُمْ فِیهِ لِیُقْضی أَجَلٌ مُسَمَّی).

سر انجام نتیجه نهایی بحث را چنین بیان می کند: «سپس بازگشت همه به سوی خداست و شما را از آنچه انجام دادهاید آگاه میسازد» (ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

سوره انعام(6): آیهٔ ۶۱ ص :۶۰۵

(آیه ۶۱) - در این آیه باز برای توضیح بیشتر روی احاطه علمی خداوند نسبت به اعمال بندگان، و نگاهداری دقیق حساب آنها برای روز رستاخیز چنین می گوید: «او تسلط کامل بر بندگان خود دارد و حافظان و مراقبانی بر شما میفرستد که حساب اعمالتان را دقیقا نگاهداری کنند» (وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۰۶ وَ یُرْسِلُ عَلَیْکُمْ حَفَظَةً)

.سپس میفرماید: «نگاهداری این حساب تا لحظه پایان زندگی و فرا رسیدن مرگ ادامه دارد» (حَتَّی إِذا جاءَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ). «و در این هنگام فرستادگان ما که مأمور قبض ارواحند روح او را می گیرند» (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا).

و در پایان اضافه می کنید که «این فرشتگان به هیچ وجه در انجام مأموریت خود کوتاهی و قصور و تفریط ندارند، نه لحظهای گرفتن روح را مقدم می دارند، و نه لحظهای مؤخر» (وَ هُمْ لا یُفَرِّطُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۲ ص:۶۰۶

(آیه ۶۲) - در این آیه اشاره به آخرین مرحله کار انسان کرده، می گوید: «افراد بشر پس از طی دوران خود با این پروندههای تنظیم شده که همه چیز در آنها ثبت است، در روز رستاخیز به سوی پرورد گاری که مولای حقیقی آنهاست باز می گردند» (ثُمَّ رُدُّوا إِلَی اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ). و در آن دادگاه، «دادرسی و حکم و قضاوت مخصوص ذات پاک خداست» (ألا لَهُ الْحُکْمُ). و با آن همه اعمال و پروندههایی که افراد بشر در طول تاریخ پرغوغای خود داشتهاند «به سرعت به تمام حسابهای آنها رسیدگی می کند» (وَ هُوَ أَشْرَ عُ الْحاسِبینَ).

تا آنجا که در بعضی از روایات وارد شده، انّه سبحانه یحاسب جمیع عباده علی مقدار حلب شاهٔ!: «خداوند حساب تمام بندگان را در زمان کوتاهی به اندازه دوشیدن یک گوسفند، رسیدگی میکند»!

سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۳ ص:۶۰۶

(آیه ۶۳) – نـوری کـه در تـاریکی میدرخشـد! بـار دیگر قرآن دسـت مشـرکان را گرفته و به درون فطرتشـان میبرد و در آن مخفیگاه اسـرار آمیز نور توحیـد و یکتا پرستی را به آنها نشان میدهـد و به پیامبر صــلّی اللّه علیه و آله دسـتور میدهـد به آنها «بگو: چه کسی شما را از تاریکیهای برّ و بحر رهایی میبخشد»! (قُلْ مَنْ یُنَجِّیکُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ).

ظلمت و تاریکی گاهی جنبه حسی دارد و گاهی جنبه معنوی: ظلمت حسی آن است که نور بکلی قطع شود یا آن چنان ضعیف شود که انسان جایی را نبیند یا به زحمت ببیند، و ظلمت معنوی همان مشکلات، گرفتاریها و پریشانیها و آلودگیهایی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۰۷

است که عاقبت آنها تاریک و ناپیداست.

اگر این تاریکی با حوادث وحشتناکی آمیخته شود و مثلا انسان در یک سفر دریایی «شب تاریک و بیم موج و گردابی حائل» محاصره شود وحشت آن به درجات بیش از مشکلاتی است که به هنگام روز پدید می آید. در چنین لحظاتی است که انسان همه چیز را به دست فراموشی میسپارد و جز خودش و نور تابناکی که در اعماق جانش می درخشد و او را بسوی مبدئی می خواند که تنها اوست که می تواند چنان مشکلاتی را حل کند، از یاد می برد.

این گونه حالات دریچههایی هستند به جهان توحید و خداشناسی.

لـذا در جمله بعـد می گویـد: «در چنین حالی شـما از لطف بی پایان او اسـتمداد می کنید گاهی آشـکارا و با تضرّع و خضوع و گاهی پنهانی و در درون دل و جان، او را میخوانید» (تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَ خُفْیَهً).

«و در چنین حالی فورا با آن مبدء بزرگ عهد و پیمان می بندید که اگر ما را از کام خطر برهاند بطور قطع، شکر نعمتهای او را انجام خواهیم داد، و جز به او دل نخواهیم بست» (لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۴ ص:۶۰۷

(آیه ۶۴) - «ولی ای پیامبر به آنها بگو: خداوند شما را از این تاریکیها و از هر گونه غم و اندوه دیگر نجات می دهد (و بارها نجات داده است) ولی پس از رهایی باز همان راه شرک و کفر را می پویید» (قُلِ اللَّهُ یُنَجِّیکُمْ مِنْها وَ مِنْ کُلِّ کَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِکُونَ).

سوره انعام(6): آیهٔ ۶۵ ص:60

(آیه ۶۵) – عذابهای رنگارنگ! در این آیه برای تکمیل طرق مختلف تربیتی، تکیه روی مسأله تهدید به عذاب و مجازات الهی شده، یعنی همانطور که خداوند ارحم الراحمین و پناه دهنده بی پناهان است همچنین در برابر طغیانگران و سرکشان، قهار و منتقم نیز می باشد.

در این آیه به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور داده شده است که مجرمان را به سه نوع مجازات تهدید کند: عذابهایی از طرف بالا و پایین و مجازات اختلاف کلمه و بروز جنگ و خونریزی، لـذا می گویـد: «بگو: خداونـد قادر است که مجازاتی از طرف بالا بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۰۸ یا از طرف پایین بر شما بفرستد» (قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلَی أَنْ یَبْعَثَ عَلَیْکَمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِکَمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِکَمْ). «و یا این که شما را به صورت دسته های پراکنده به یکدیگر مخلوط کند و طعم جنگ و خونریزی را به بعضی به وسیله بعضی دیگر بچشاند» (أَوْ یَلْبِسَکُمْ شِیَعاً وَ یُذِیقَ بَعْضَکُمْ بَأْسَ بَعْض).

مسأله اختلاف کلمه و پراکندگی در میان جمعیت به قدری خطرناک است که در ردیف عذابهای آسمانی و صاعقه ها و زلزله ها قرار گرفته است، و راستی چنین است، بلکه گاهی ویرانیهای ناشی از اختلاف و پراکندگی به درجات بیشتر از ویرانیهای ناشی از صاعقه ها و زلزله هاست، کرارا دیده شده است کشورهای آباد در سایه شوم نفاق و تفرقه به نابودی مطلق کشیده شده است و این جمله هشداری است به همه مسلمانان جهان! و در پایان آیه اضافه می کند: «بنگر که چگونه نشانه ها و دلایل مختلف را برای آنها بازگو می کنیم، شاید درک کنند و به سوی حق بازگردند» (انْظُرْ کَیْفَ نُصَرِّفُ الْآیاتِ لَعَلَّهُمْ وَقُقَهُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۶ ص :۶۰۸

(آیه ۶۶)- این آیه و آیه بعد در حقیقت تکمیل بحثی است که پیرامون دعوت به سوی خدا و معاد و حقایق اسلام و ترس از مجازات الهی در آیات پیشین گذشت.

نخست مى گويىد: «قوم و جمعيت تو يعنى قريش و مردم مكّه تعليمات تو را تكـذيب كردنـد در حالى كه همه حق است» و دلايل گوناگونى از طريق عقل و فطرت و حس آنها را تأييد مى كند (وَ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَ هُوَ الْحَقُّ).

بنابراین، تکذیب و انکار آنان از اهمیت این حقایق نمی کاهد، هر چند مخالفان و منکران زیاد باشند.

سپس دستور می دهد که «به آنها بگو: وظیفه من تنها ابلاغ رسالت است، و من ضامن قبول شما نیستم» (قُلْ لَسْتُ عَلَیْکُمْ بِوَکِیل).

منظور از «و کیل» کسی است که مسؤول هدایت عملی و ضامن دیگران بوده باشد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۷ ص:۶۰۸

(آیه ۶۷) - در این آیه با یک جمله کوتاه و پرمعنی به آنها هشدار می دهد، برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۰۹ و به دقت کردن در انتخاب راه صحیح دعوت می کند، و می گوید: «هر خبری که خدا و پیامبر صلّی الله علیه و آله به شما داده سر انجام در این جهان یا جهان دیگر قرار گاهی دارد، و بالاخره در موعد مقرر انجام خواهد یافت، و به زودی باخبر خواهید شد» (لِکُلِّ نَبَا مُسْتَقَرُّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۸ ص :۶۰۹

اشاره

شأن نزول: ص: 609

از امام باقر علیه السّ لام نقل شده که: چون این آیه نازل گردید و مسلمانان از مجالست با کفار و استهزاکنندگان آیات الهی نهی شدند جمعی از مسلمانان گفتند: اگر بخواهیم در همه جا به این دستور عمل کنیم باید هر گز به مسجد الحرام نرویم، طواف خانه خدا نکنیم (زیرا آنها در گوشه و کنار مسجد پراکندهاند و به سخنان باطل پیرامون آیات الهی مشغولند و در هر گوشهای از مسجد الحرام ما مختصر توقفی کنیم ممکن است سخنان آنها به گوش ما برسد) در این موقع آیه بعد (۶۹) نازل شد و به مسلمانان دستور داد که در این گونه مواقع آنها را نصیحت کنند و تا آنجا که در قدرت دارند به ارشاد و راهنمایی آنها بیردازند.

تفسير: ص: ۶۰۹

دوری از مجالس اهل باطل! از آنجا که بحثهای این سوره بیشتر ناظر به وضع مشرکان و بت پرستان است در این آیه و آیه بعد به یکی دیگر از مسائل مربوط به آنها اشاره می شود، نخست به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می گوید: «هنگامی که مخالفان لجوج و بی منطق را مشاهده کنی که آیات خدا را استهزاء می کنند، از آنها روی بگردان تا از این کار صرف نظر کرده به سخنان دیگری بپردازند» (وَ إِذَا رَأَیْتَ الَّذِینَ یَخُوضُونَ فِی آیاتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ).

سپس اضافه می کند این موضوع به اندازهای اهمیت دارد که «اگر شیطان تو را به فراموشی افکند و با این گونه اشخاص سهوا همنشین شدی به مجرد این که متوجه موضوع گشتی فورا از آن مجلس برخیز و با این ستمکاران منشین» (وَ إِمَّا يُنْسِتَيَنَّکَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْری مَعَ الْقَوْم الظَّالِمِینَ).

سؤال: مگر ممكن است شيطان بر پيامبر مسلط گردد و باعث فراموشي او شود؟

در پاسخ این سؤال می توان گفت که روی سخن در آیه گر چه به پیامبر است، برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۱۰ اما در حقیقت منظور پیروان او هستند که اگر گرفتار فراموشکاری شدند و در جلسات آمیخته به گناه کفار شرکت کردند به محض این که متوجه شوند باید از آنجا برخیزند و بیرون روند، و نظیر این بحث در گفتگوهای روزانه ما در ادبیات زبانهای مختلف دیده می شود که انسان روی سخن را به کسی می کند اما هدفش این است که دیگران بشنوند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۶۹ ص:۶۱۰

(آیه ۶۹) - در این آیه یک مورد استثناء کرده و می گوید: «اگر افراد با تقوا برای نهی از منکر در جلسات آنها شرکت کنند و به امید پرهیزکاری و بازگشت آنها از گناه، آنان را متذکر سازند مانعی ندارد و گناهان آنها را بر چنین اشخاصی نخواهند نوشت، زیرا در هر حال قصد آنها خدمت و انجام وظیفه بوده است» (وَ ما عَلَی الَّذِینَ یَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَیْءٍ وَ لکِنْ ذِکْری لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ).

باید توجه داشت تنها کسانی می توانند از این استثناء استفاده کنند که طبق تعبیر آیه دارای مقام تقوا و پرهیز کاری باشند و نه تنها تحت تأثیر آنها واقع نشوند، بلکه بتوانند آنها را تحت تأثیر خود قرار دهند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۰ ص:۶۱۰

(آیه ۷۰)- آنها که دین حق را به بازی گرفته اند! این آیه در حقیقت بحث آیه قبل را تکمیل می کند و به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور می دهد «از کسانی که دین و آیین خود را به شوخی گرفته اند و یک مشت بازی و سرگرمی را به حساب دین می گذارند و زندگی دنیا و امکانات مادی آنها را مغرور ساخته، اعراض کن و آنها را به حال خود واگذار» (وَ ذَرِ الَّذِینَ اتّخذُوا دِینَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَیاهُ الدُنیا).

در حقیقت آیه فوق اشاره به این است که آیین آنها از نظر محتوا پوچ و واهی است و نام دین را بر یک مشت اعمالی که به کارهای کودکان و سرگرمیهای بزرگسالان شبیهتر است گذاردهاند، این چنین افراد قابل بحث و گفتگو نیستند و لذا دستور میدهد از آنها روی بگردان و به آنها و مذهب توخالیشان اعتنا مکن.

سپس به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور می دهد که «به آنها در برابر این اعمال هشدار بده که روزی فرا می رسد که هر کس تسلیم اعمال خویش است و راهی برای فرار از چنگال آن ندارد» (وَ ذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِما كَسَبَتْ). «و در آن روز جز خدا نه برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۱۱

حامى و ياورى دارد و نه شفاعت كنندهاى» (لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ).

کار آنها در آن روز به قدری سخت و دردناک است و چنان در زنجیر اعمال خود گرفتارند که «هر گونه غرامت و جریمه آن را (فرضا داشته باشند و) بپردازند که خود را از مجازات نجات دهند از آنها پذیرفته نخواهد شد» (وَ إِنْ تَعْدِلْ کُلَّ عَدْلٍ لا یُؤْخَذْ مِنْها). چرا که «آنها گرفتار اعمال خویش شدهاند» (أُولئِکَ الَّذِینَ أُبْسِتَلُوا بِما کَسَبُوا). نه راه جبران در آن روز باز است و نه زمان، زمان توبه است. به همین دلیل راه نجاتی برای آنها تصور نمی شود.

سپس به گوشهای از مجازاتهای دردناک آنها اشاره کرده، می گوید: «نوشابهای دارند از آب داغ و سوزان به همراه عذاب دردناک در برابر پشت پا زدنشان به حق و حقیقت» (لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِیمٍ وَ عَذابٌ أَلِیمٌ بِما کانُوا یَکْفُرُونَ).

آنها از درون به وسیله آب سوزان می سوزند و از برون به وسیله آتش!

سوره انعام(6): آية ٧١ ص :11

(آیه ۷۱)- این آیه در برابر اصراری که مشرکان برای دعوت مسلمانان به کفر و بت پرستی داشتند به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور می دهد که با یک دلیل دندانشکن به آنها پاسخ بده و «بگو: آیا شما می گویید ما چیزی را شریک خدا قرار دهیم که نه سودی به حال ما دارد که به خاطر سودش به سوی او برویم و نه زیانی دارد که از زیان او بترسیم»؟! (قُلْ أَ نَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا یَنْفَعُنا وَ لا یَضُرُّنا).

این جمله در حقیقت اشاره به آن است که معمولا۔ کارهای انسان از یکی از دو سر چشمه ناشی می شود، یا به خاطر جلب منفعت است و یا به خاطر دفع ضرر سپس به استدلال دیگری در برابر مشرکان دست می زند و می گوید: «اگر ما به سوی بت پرستی بازگردیم و پس از هدایت الهی در راه شرک گام نهیم به عقب بازگردانده شده ایم» این بر خلاف قانون تکامل است که قانون عمومی عالم حیات می باشد (وَ نُرَدُّ عَلی أَعْقابِنا بَعْدَ إِذْ هَدانَا اللَّهُ).

و بعد با یک مثال، مطلب را روشنتر میسازد و می گوید بازگشت از توحید به شرک «همانند آن است که کسی بر اثر وسوسههای شیطان (یا غولهای بیابانی، به پندار عرب جاهلیت که تصور می کردند در راهها کمین کردهاند و مسافران را به

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۱۲

بیراههها می کشانند!) راه مقصد را گم کرده و حیران و سرگردان در بیابان مانده است» (کَالَّذِی اسْـتَهْوَتْهُ الشَّیاطِینُ فِی الْأَرْضِ حَیْرانَ).

«در حالی که یارانی دارد که او را به سوی هدایت و شاهراه دعوت می کنند و فریاد میزنند به سوی ما بیا» (لَهُ أَصْحابُ یَدْعُونَهُ إِلَی الْهُدَی ائْتِنا) ولی آنچنان حیران و سرگردان است که گویی سخنان آنان را نمی شنود و یا قادر بر تصمیم گرفتن نیست. و در پایان آیه به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور می دهد که بگو: «هدایت، تنها هدایت خداست و ما مأموریت داریم که فقط در برابر پروردگار عالمیان تسلیم شویم» (قُلْ إِنَّ هُدَی اللَّهِ هُوَ الْهُدی وَ أُمِونا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِینَ).

این جمله در حقیقت دلیل دیگری بر نفی مذهب مشرکان است زیرا تنها در برابر کسی باید تسلیم شد که مالک و آفریدگار و مربی جهان هستی است نه بتها که هیچ نقشی در ایجاد و اداره این جهان ندارند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۲ ص :۶۱۲

(آیه ۷۲)- در این آیه دنباله دعوت الهی را چنین شرح می دهـ د که، گذشته از توحیـد به ما دستور داده شـده: «نماز را بر پا دارید و از او بپرهیزید و اوست که به سوی او محشور خواهید شد» (وَ أَنْ أَقِیمُوا الصَّلاةَ وَ اتَّقُوهُ وَ هُوَ الَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۳ ص:۶۱۲

(آیه ۷۳) - این آیه در حقیقت دلیلی است بر مطالب آیه قبل و دلیلی است بر لزوم تسلیم در برابر پروردگار، و پیروی از رهبری او، لـذا نخست می گویـد: «او خـدایی است که آسـمانها و زمین را به حق آفریـده است» (وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّمـاواتِ وَ الْمُأرْضَ بالْحَقِّ).

تنها چنین کسی که مبدء عالم هستی است، شایسته رهبری میباشد و باید تنها در برابر فرمان او تسلیم بود، زیرا همه چیز را برای هدف صحیحی آفریده است.

سپس می فرماید: نه تنها مبدء عالم هستی اوست، بلکه رستاخیز و قیامت نیز به فرمان او صورت می گیرد «و آن روز که فرمان می دهد رستاخیز برپا شود فورا بر پا خواهد شد» (وَ یَوْمَ یَقُولُ کُنْ فَیَکُونُ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۱۳ بعد اضافه می کند که «گفتار خداوند حق است» (قَوْلُهُ الْحَقُّ).

یعنی همانطور که آغاز آفرینش بر اساس هدف و نتیجه و مصلحت بود، رستاخیز نیز همان گونه خواهد بود.

«و در آن روز که در صور دمیده می شود و قیامت بر پا می گردد، حکومت و مالکیت مخصوص ذات پاک اوست» (وَ لَهُ الْمُلْکُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّور).

درست است که مالکیت و حکومت خداوند بر تمام عالم هستی از آغاز جهان بوده و تا پایان جهان و در عالم قیامت ادامه خواهد داشت، ولی از آنجا که در این جهان یک سلسله عوامل و اسباب در پیشبرد هدفها و انجام کارها مؤثر است گاهی این عوامل و اسباب انسان را از خداوند که مسبب الاسباب است غافل می کند، اما در آن روز که همه این اسباب از کار می افتد، مالکیت و حکومت او از هر زمان آشکار تر و روشنتر می گردد.

و در پایـان آیه اشـاره به سه صـفت از صـفات خـدا کرده، میگویـد: «خداونـد از پنهـان و آشـکار باخبر است» (عالِمُ الْغَيْبِ وَ

الشَّهادَةِ). «و كارهاى او همه از روى حكمت مىباشد، و از همه چيز آگاه است» (وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ). يعنى، به مقتضاى علم و آگاهيش اعمال بندگان را مىداند و به مقتضاى قدرت و حكمتش به هر كس جزاى مناسب مىدهد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۴ ص:۶۱۳

(آیه ۷۴)- از آنجا که این سوره جنبه مبارزه با شرک و بت پرستی دارد، در اینجا به گوشهای از سر گذشت ابراهیم، قهرمان بتشکن اشاره کرده، می گوید:

ابراهیم پـدر (عمـوی) خـود را مـورد سـرزنش قرار داد و بـه او چنین «گفت: آیـا این بتهـای بیارزش و موجـودات بیجـان را خدایان خود انتخاب کردهای»؟! (وَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً).

«بدون شک من، تو و جمعیت پیروان و هم مسلکان تو را در گمراهی آشکاری میبینم» (إِنِّی أُراکُ وَ قَوْمَکُ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ). چه گمراهی از این آشکارتر که انسان مخلوق خود را معبود خود قرار دهد، و موجود بیجان و بیشعوری را پناهگاه خود بپندارد و حل مشکلات خود را از برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۱۴

آنها بخواهد.

جمعی از مفسران سنّی، آزر را پـدر واقعی ابراهیم میداننـد، در حالی که تمام مفسران و دانشـمندان شیعه معتقدند آزر پدر ابراهیم نبود، بعضی او را پدر مادر و بسیاری او را عموی ابراهیم دانستهاند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۵ ص:۶۱۴

(آیه ۷۵)- دلایل توحید در آسمانها! در تعقیب نکوهشی که ابراهیم از بتها داشت، قرآن به مبارزات منطقی ابراهیم با گروههای مختلف بت پرستی آشاه می کند نخست می گوید: «همانطور که ابراهیم را از زیانهای بت پرستی آگاه ساختیم همچنین مالکیت مطلقه و تسلط پروردگار را بر تمام آسمان و زمین به او نشان دادیم» (وَ کَذلِکَ نُرِی إِبْراهِیمَ مَلَکُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

و در پایان آیه می فرماید: «و هدف ما این بود که ابراهیم اهل یقین گردد» (وَ لِیَکُونَ مِنَ الْمُوقِنِینَ).

شک نیست که ابراهیم یقین استدلالی و فطری به یگانگی خدا داشت، اما با مطالعه در اسرار آفرینش این یقین به سر حد کمال رسید.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۶ ص: ۶۱۴

(آیه ۷۶)- از این به بعد موضوع فوق را بطور مشروح بیان کرده و استدلال ابراهیم را از افول و غروب ستاره و خورشید بر عدم الوهیت آنها روشن میسازد.

می گوید: «هنگامی که پرده تاریک شب جهان را در زیر پوشش خود قرار داد ستارهای در برابر دیـدگان او خودنمایی کرد، ابراهیم صدا زد این خدای من است! اما به هنگامی که غروب کرد با قاطعیت تمام گفت: من هیـچ گاه غروب کننـدگان را دوست نمیدارم» و آنها را شایسته عبودیت و ربوبیت نمیدانم (فَلَمَّا جَنَّ عَلَیْهِ اللَّیْلُ رَأی کَوْکَباً قالَ هـذا رَبِّی فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُجِتُ اللَّافِلِینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۷ ص:۶۱۴

(آیه ۷۷)- بار دیگر چشم بر صفحه آسمان دوخت، این بار قرص سیم گون ماه با فروغ و درخشش دلپذیر خود بر صفحه آسمان ظاهر شده بود «هنگامی که ابراهیم ماه را دید، صدا زد این است پروردگار من! اما سر انجام ماه به سرنوشت همان ستاره گرفتار شد و چهره خود را در پرده افق فرو کشید، ابراهیم جستجوگر گفت: اگر پروردگار من، مرا به سوی خود رهنمون نشود در صف گمراهان قرار برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۱۵ خواهم گرفت» (فَلَمَّا رَأَی الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّی فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ یَهْدِنِی رَبِّی لَأَکُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۸ ص :۶۱۵

(آیه ۷۸) - در این هنگام شب به پایان رسیده بود و پرده های تاریک خود را جمع کرده و از صحنه آسمان می گریخت، خورشید از افق مشرق سربر آورده و نور زیبا و لطیف خود را همچون یک پارچه زر بافت بر کوه و دشت و بیابان می گسترد، «همین که چشم حقیقت بین ابراهیم بر نور خیره کننده آن افتاد صدا زد خدای من این است؟! این که از همه بزرگتر و پرفروغتر است!، اما با غروب آفتاب و فرو رفتن قرص خورشید (در دهان هیولای شب، ابراهیم آخرین سخن خویش را ادا کرد و) گفت: ای جمعیت، من از همه این معبودهای ساختگی که شریک خدا قرار داده اید بیزارم» (فَلَمَّا رَأَی الشَّمْسَ بازِغَهً قالَ هذا رَبِّی هذا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ یا قَوْم إِنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِکُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۷۹ ص :۶۱۵

(آیه ۷۹)- اکنون که فهمیدم در ماورای این مخلوقات متغیر و محدود و اسیر چنگال قوانین طبیعت، خدایی است قادر و حاکم بر نظام کائنات «من روی خود را به سوی کسی می کنم که آسمانها و زمین را آفرید و در این عقیده خود کمترین شرک راه نمی دهم، من موحد خالصم و از مشرکان نیستم» (إِنِّی وَجَهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْـأَرْضَ حَنِیفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ).

در این که چگونه ابراهیم موحد و یکتاپرست، به ستاره آسمان اشاره کرده و می گوید: «هذا ربّی» (این خدای من است) باید بگوییم ابراهیم (ع) این را به عنوان یک خبر قطعی نگفت، بلکه به عنوان یک فرض و احتمال برای تفکر و اندیشیدن، این سخن را بر زبان جاری کرد.

و یا مفهوم آن این است که «به اعتقاد شما این خدای من است».

سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۰ ص :۶۱۵

(آیه ۸۰)- قرآن در بـاره ادامه گفتگـوی ابراهیم بـا قـوم و جمعیت بت پرست می گویـد: «قوم ابراهیم بـا او به گفتگو و محـاجّه پرداختند» (وَ حاجَّهُ قَوْمُهُ).

ابراهیم در پاسخ آنها گفت: «چرا در بـاره خداونـد یگانه با من گفتگو و مخالفت میکنیـد، در حالی که خداونـد مرا در پرتو دلایل منطقی و روشن به راه برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۱۶ توحید هدایت کرده است»؟ (قالَ أُ تُحاجُّونِّی فِی اللَّهِ وَ قَدْ هَدانِ) از این آیه به خوبی استفاده می شود که جمعیت بت پرست قوم ابراهیم تلاش و کوشش داشتند که به هر قیمتی که ممکن است او را از عقیده خود بازدارند.

لـذا او را تهدیـد به کیفر و خشم خـدایان و بتهـا کردنـد، و او را از مخـالفت آنان بیم دادنـد، زیرا در دنباله آیه از زبان ابراهیم چنین میخوانیم: «من هرگز از بتهای شـما نمی ترسم زیرا آنها قدرتی ندارند که به کسـی زیان برسانند مگر این که خدا چیزی را بخواهد» (وَ لا أَخافُ ما تُشْرِکُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ یَشاءَ رَبِّی شَیْئاً).

گویا ابراهیم با این جمله میخواهد یک پیشگیری احتمالی کند و بگوید اگر در گیرودار این مبارزهها فرضا حادثهای هم برای من پیش بیاید هیچ گونه ارتباطی به بتها ندارد، بلکه مربوط به خواست پروردگار است.

سپس می گوید: «علم و دانش پروردگار من آن چنان گسترده و وسیع است که همه چیز را دربرمی گیرد» (وَسِعَ رَبِّی کُلَّ شَيْءٍ عِلْماً).

و سر انجام برای تحریک فکر و اندیشه، آنان را مخاطب ساخته می گوید: «آیا با این همه باز متذکر و بیدار نمیشوید»؟ (أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۱ ص: ۶۱۶

(آیه ۸۱)- در این آیه منطق و استدلال دیگری را از ابراهیم بیان می کند که به جمعیت بت پرست می گوید: «چگونه ممکن است من از بتها بترسم و در برابر تهدیدهای شما وحشتی به خود راه دهم با این که هیچ گونه نشانهای از عقل و شعور و قدرت در این بتها نمی بینم، اما شما با این که به وجود خدا ایمان دارید و قدرت و علم او را می دانید، و هیچ گونه دستوری به شما در باره پرستش بتها نازل نکرده است، با این همه از خشم او نمی ترسید من چگونه از خشم بتها بترسم»؟ (و کَیْفَ أَخافُ ما أَشْرَكْتُمْ وَ لا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ما لَمْ یُنزِّلْ بِهِ عَلَیْكُمْ سُلْطاناً).

اكنون انصاف بدهيد كدام يك از اين دو دسته (بت پرستان و خداپرستان) شايسته تر به ايمني (از مجازات) هستند اگر مي دانيد»! (فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

در واقع منطق ابراهیم در اینجا یک منطق عقلی بر اساس این واقعیت است برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۱۷ که شـما مرا تهدیـد به خشم بتهـا میکنیـد در حالی که تأثیر وجودی آنها موهوم است، ولی از خشم خداونـد بزرگ که من و شما هر دو او را پذیرفتهایم- و هیچ گونه دستوری از طرف او در باره پرستش بتها نرسیده- ترس و وحشتی ندارید.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۲ ص:۶۱۷

(آیه ۸۲) - در این آیه، پاسخی از زبان ابراهیم به سؤالی که خودش در آیه قبل مطرح نمود نقل شده است و این یک شیوه جالب در استدلالات علمی است که گاهی شخص استدلال کننده سؤالی از طرف مقابل می کند و خودش بلافاصله به پاسخ آن می پردازد اشاره به این که مطلب به قدری روشن است که هر کس پاسخ آن را باید بداند.

می گویـد: «آنهـا که ایمـان آوردنـد و ایمـان خود را با ظلم و سـتم نیامیختنـد امنیت برای آنهاست، و هـدایت مخصوص آنان» (الَّذِینَ آمَنُوا وَ لَمْ یَلْبِسُوا إِیمانَهُمْ بِظُلْمِ أُولِئِکَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۳ ص:۶۱۷

(آیه ۸۳)- این آیه به تمام بحثهای گذشته که در زمینه توحید و مبارزه با شرک از ابراهیم نقل شد اشاره کرده، می گوید: «اینها دلایلی بود که ما به ابراهیم در برابر قوم و جمعیتش دادیم» (وَ تِلْکَ حُجَّتُنا آتَیْناها إِبْراهِیمَ عَلی قَوْمِهِ).

سپس برای تکمیل این بحث می فرماید: «درجات هر کس را بخواهیم بلند می کنیم» (نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ).

اما برای این که اشتباهی پیش نیاید که گمان کنند خداوند در این ترفیع درجه تبعیضی قائل می شود می فرماید: «پروردگار تو، حکیم و عالم است» (إِنَّ رَبَّکَ حَکِیمٌ عَلِیمٌ).

و درجاتی را که میدهد روی آگاهی به شایستگی آنها و موافق موازین حکمت است و تا کسی شایسته نباشد از آن برخوردار نخواهد شد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۴ ص:۶۱۷

(آیه ۸۴)- از این به بعد به قسمتی از مواهبی که خداوند به ابراهیم داده است اشاره شده، و آن مواهب فرزندان صالح و نسل لایق و برومند است که یکی از بزرگترین مواهب الهی محسوب می شود.

نخست مى گويد: «ما به ابراهيم، اسحاق و يعقوب (فرزندان اسحاق) را برگزيده تفسير نمونه، ج ١، ص: ۶۱۸ بخشيديم» (وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ).

سپس برای این که افتخار این دو تنها در جنبه پیغمبرزادگی نبود، بلکه شخصا در پرتو فکر صحیح و عمل صالح نور هدایت را در قلب خود جای داده بودند، می گوید: «هر یک از آنها را هدایت کردیم» (کُلًّا هَدَیْنا).

و به دنبال آن برای این که تصور نشود، در دورانهای قبل از ابراهیم، پرچمدارانی برای توحید نبودند، و این موضوع از زمان او شروع شده اضافه میکند، «نوح را نیز پیش از آن هدایت و رهبری کردیم» (وَ نُوحاً هَدَیْنا مِنْ قَبْلُ).

در حقیقت با اشاره به موقعیت نوح که از اجـداد ابراهیم است و موقعیت جمعی از پیامبران که از دودمان و فرزندان او هسـتند، موقعیت ممتاز ابراهیم را از نظر «وراثت و ریشه» و «ثمره» وجودی مشخص میسازد.

و در تعقیب آن نام جمع کثیری از پیامبران را که از دودمان ابراهیم بودند می برد، نخست می گوید: «از دودمان ابراهیم، داود و سلیمـان و ایـوب و یوسـف و موسـی و هـارون را هـدایت کردیـم» (وَ مِـنْ ذُرِّیَّتِهِ داوُدَ وَ سُـکَیْمانَ وَ أَیُّوبَ وَ یُوسُـفَ وَ مُوسـی وَ هارُونَ).

و در پایان آیه می فرماید: «این چنین نیکو کاران را پاداش می دهیم» (وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِزِنِینَ). به این ترتیب روشن می کند که مقام و موقعیت آنان در پرتو اعمال و کردار آنها بود.

سوره انعام(6): آیهٔ ۸۵ ص :۶۱۸

(آیه ۸۵)- و در این آیه اضافه می کند: «و (همچنین) زکریا و یحیی و عیسی و الیاس هر کدام از صالحان بودند» (وَ زَکَرِیَّا وَ یَحْیی وَ عِیسی وَ اِلْیاسَ کُلِّ مِنَ الصَّالِحِینَ). یعنی، مقامات آنها جنبه تشریفاتی و اجباری نـداشت بلکه در پرتو عمل صالح در پیشگاه خدا شخصیت و عظمت یافتند.

سوره انعام(6): آیهٔ ۸۶ ص :۶۱۸

(آیه ۸۶)- در این آیه نیز نام چهار نفر دیگر از پیامبران و رهبران الهی را ذکر کرده، میفرماید: «و اسماعیل و الیسع و یونس و لوط و هر کدام را بر مردم عصر خود برتری بخشیدیم» (وَ إِسْماعِیلَ وَ الْیَسَعَ وَ یُونُسَ وَ لُوطاً وَ کلَّا فَضَّلْنا عَلَی الْعالَمِینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۷ ص:۶۱۸

(آیه ۸۷) - و در این آیه یک اشاره کلی به پدران و فرزندان و برادران صالح بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۱۹ پیامبران نامبرده که بطور تفصیل اسم آنها در اینجا نیامده است کرده، می گوید: «از میان پدران آنها و فرزندانشان و برادرانشان، افرادی را فضیلت دادیم و بر گزیدیم و به راه راست هدایت کردیم» (وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّیَّاتِهِمْ وَ إِخُوانِهِمْ وَ اجْتَبَیْناهُمْ وَ هَدَیْناهُمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیم).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۸۸ ص: ۶۱۹

(آیه ۸۸)- سه امتیاز مهم! به دنبال ذکر نام گروههای مختلفی از پیامبران الهی در آیات گذشته، در اینجا اشاره به خطوط کلی و اصلی زندگانی آنها شده، نخست می فرماید: «این هدایت خداست که به وسیله آن هر کس از بندگانش را بخواهد هدایت و رهبری می کند» (ذلِکَ هُدَی اللَّهِ یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ).

سپس برای این که کسی تصور نکنید آنها به اجبار در این راه گام گذاشتند و همچنین کسی تصور نکنید که خداونید نظر خاص و استثنایی و بیدلیل در مورد آنها داشته است، میفرماید: «اگر فرضا این پیامبران با آن همه مقام و موقعیتی که داشتند مشرک می شدند، تمام اعمالشان بر باد میرفت» (وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ).

یعنی آنها نیز مشمول همان قوانین الهی هستند که در باره دیگران اجرا می گردد و تبعیضی در کار نیست.

سوره انعام(6): آیهٔ ۸۹ ص :619

(آیه ۸۹)- در این آیه به سه امتیاز مهم که پایه همه امتیازات انبیاء بوده اشاره کرده، میفرماید: «اینها کسانی بودند که هم کتاب آسمانی به آنان دادهایم و هم مقام حکم و هم نبوت» (أُولئِکَ الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ وَ الْتُحُکْمَ وَ النَّبُوَّةَ).

«حکم» در اصل به معنی منع و جلوگیری است، و از آنجا که عقل جلو اشتباهات و خلافکاریها را می گیرد، همچنین قضاوت صحیح مانع از ظلم و ستم است، و حکومت عادل جلو حکومتهای ناروای دیگران را می گیرد، در هر یک از این سه معنی استعمال می شود.

سپس می فرماید: «اگر این جمعیت- یعنی مشرکان و اهل مکّه و مانند آنها- این حقایق را نپذیرند، دعوت تو بدون پاسخ نمی ماند، زیرا ما جمعیتی را مأموریت داده ایم که نه تنها آن را بپذیرند بلکه آن را محافظت و نگهبانی کنند جمعیتی که در برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۲۰

راه كفر گام برنمىدارند و در برابر حق تسليمند» (فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۹۰ ص:۶۲۰

(آیه ۹۰) - در این آیه، برنامه این پیامبران بزرگ را به عنوان یک سرمشق عالی هدایت به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله معرفی کرده، و می گوید: «اینها کسانی هستند که مشمول هدایت الهی شدهاند، پس به هدایت آنها اقتدا کن» (أُولئِکَ الَّذِینَ هَدَی اللَّهُ فَبهُداهُمُ اقْتَدِهْ).

این آیه بار دیگر تأکید می کند که اصول دعوت همه پیامبران الهی یکی است، گر چه آیینهای بعدی کاملتر از آیینهای قبلی بوده است.

«هدایت» مفهوم وسیعی دارد که هم توحید و سایر اصول اعتقادی را شامل می شود و هم صبر و استقامت، و هم سایر اصول اخلاق و تعلیم و تربیت.

سپس به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور داده می شود که «به مردم بگو: من هیچ گونه اجر و پاداشی در برابر رسالت خود از شما تقاضا نمی کنم» همانطور که پیامبران پیشین چنین درخواستی نکردند، من هم از این سنت همیشگی پیامبران پیروی کرده و به آنها اقتدا می کنم (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً).

«به علاوه این قرآن و رسالت و هدایت یک بیدار باش و یادآوری به همه جهانیان است» (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْری لِلْعالَمِينَ).

و چنین نعمت عمومی و همگانی، هماننـد نور آفتـاب و امواج هوا و بـارش باران است که جنبه عُمومی و جهانی دارد، و هیچ گاه خرید و فروش نمیشود و کسی در برابر آن اجر و پاداشی نمی گیرد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۹۱ ص:۶۲۰

اشاره

(آیه ۹۱)

شأن نزول: ص: 620

نقل شده که جمعی از یهودیان گفتند: ای محمد! آیا راستی خداوند کتابی بر تو فرستاده است؟! پیامبر فرمود: آری! آنها گفتند: به خدا سوگند که خداوند هیچ کتابی از آسمان فرو نفرستاده است!

تفسير: ص: ۲۲۰

خدانشناسان! از شأن نزول فوق و لحن آیه در مییابیم این آیه در باره یهود است نه مشرکان، از طرفی بعضی معتقدند که این آیه استثنائا در مدینه نازل شده است و به دستور پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به تناسب خاصی در وسط این سوره مکّی برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۲۱

قرار گرفته و این موضوع در قرآن نمونههای فراوانی دارد.

اكنون مى پردازيم به تفسير آيه، نخست مى گويد: «آنها خدا را آن چنانكه شايسته است نشناختند زيرا گفتند: خدا هيچ كتابى بر هيچ انسانى نازل نكرده است»! (وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرِ مِنْ شَيْءٍ).

خداوند به پیامبرش دستور میدهد که در جواب آنها «بگو: چه کسی کتابی را که موسی آورد و نور و هدایت برای مردم بود نازل گردانید»؟ (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْکِتابَ الَّذِی جاءَ بِهِ مُوسی نُوراً وَ هُدیً لِلنَّاس).

«همان کتابی که آن را به صفحات پراکنده ای تبدیل کرده اید، بعضی را که به سود شماست آشکار می کنید و بسیاری را که به زبان خود می دانید پنهان می دارید» (تَجْعَلُونَهُ قَراطِیسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ کَثِیراً). «و در این کتاب آسمانی مطالبی به شما تعلیم داده شده که نه شما و نه پدرانتان از آن باخبر نبودید و بدون تعلیم الهی نمی توانستید باخبر شوید» (وَ عُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لا آباؤُكُمْ).

در پایـان آیه به پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله دسـتور میدهـد که «تنها خـدا را یاد کن و آنها را در اباطیل و لجاجت و بازیگری خود رها ساز» زیرا آنها جمعیتی هستند که کتاب الهی و آیات او را به بازی گرفتهاند (قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِی خَوْضِهِمْ یَلْعُبُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۹۲ ص:۲۱۱

اشاره

(آیه ۹۲) - در تعقیب بحثی که در باره کتاب آسمانی یهود در آیه گذشته عنوان شد در اینجا به قرآن که یک کتاب دیگر آسمانی است اشاره می شود، و در حقیقت ذکر تورات مقدمه ای است برای ذکر قرآن تا تعجب و وحشتی از نزول یک کتاب آسمانی، بر یک بشر، نکنند.

نخست می گوید: «این کتابی است که ما آن را نازل کردیم» (وَ هذا کِتابٌ أَنْزَلْناهُ). «کتابی است بسیار پربرکت، زیرا سر چشمه انواع خیرات و نیکیها و پیروزیها است» (مُبارکُ). «به علاوه کتبی را که پیش از آن نازل شدهاند همگی تصدیق می کند» (مُصَدِّقُ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ).

منظور از این که قرآن کتب مقدسه پیشین را تصدیق می کند آن است که تمام نشانه هایی که در آنها آمده است بر آن تطبیق می نماید. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۲۲

بنابراین، هم از نظر محتوا و هم از نظر اسناد و مدارک تاریخی نشانه های حقانیت در آن آشکار است.

سپس هـدف نزول قرآن را چنین توضیح میدهـد که «آن را فرستادیم تـا امّ القری (مکّه) و تمام آنها که در گرد آن هستند، انذار کنی» و به مسؤولیتها و وظایفشان آگاه سازی (وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُری وَ مَنْ حَوْلَها).

اگر به مکّه «امّ القری» می گویند به خاطر این است که اصل و آغاز پیدایش تمام خشکیهای روی زمین است در روایات متعددی میخوانیم، خشکیهای زمین از زیر خانه کعبه گسترده شدند و از آن به نام «دحو الارض» (گسترش زمین) یاد شده است. بنابراین «و من حولها» (کسانی که پیرامون آن هستند) تمام مردم روی زمین را شامل می شود.

و در پایان آیه می گویـد: «کسانی که به روز رسـتاخیز و حساب پاداش اعمال ایمان دارنـد به این کتاب ایمان خواهنـد آورد و مراقب نمازهای خود خواهند بود» (وَ الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلی صَلاتِهِمْ یُحافِظُونَ).

اهمیت نماز- ص: ۶۲۲

در آیه فوق از میان تمام دستورات دینی، تنها اشاره به نماز شده است و همانطور که میدانیم نماز مظهر پیوند با خدا و ارتباط با اوست و به همین دلیل از همه عبادات برتر و بالاتر است و به عقیده بعضی هنگام نزول این آیات تنها فریضه اسلامی همین نماز بود.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۹۳ ص :۶۲۲

اشاره

(آیه ۹۳)

شأن نزول: ص: ۶۲۲

این آیه در مورد شخصی به نام «عبد الله بن سعد» که از کاتبان وحی بود و سپس خیانت کرد و پیغمبر صلّی الله علیه و آله او را طرد نمود و پس از آن ادعا کرد که من میتوانم همانند آیات قرآن بیاورم نازل گردیده.

جمعی از مفسران نیز گفتهاند که آیه یا قسمتی از آن در باره «مسیلمه کذاب» که از مدعیان دروغین نبوت بود نازل گردیده است.

و در هر حال آیه همانند سایر آیات قرآن که در شرایط خاصی نازل شده مضمون و محتوای آن کلی و عمومی است و همه مدعیان نبوت و مانند آنها را شامل می شود.

تفسير: ص: ٢٢٦

به دنبال آیات گذشته که اشاره به گفتار یهود در باره نفی نزول کتاب برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۲۳

آسمانی بر هیچ کس نبوده بود، در این آیه سخن از گناهکاران دیگری است که در نقطه مقابل آنها قرار دارند و ادعای نزول وحی آسمانی بر خود می کنند، در حالی که دروغ می گویند. و در حقیقت به سه دسته از این گونه افراد در آیه مورد بحث اشاره شده است. نخست می گوید: «چه کسی ستمکار تر است از کسانی که بر خدا دروغ می بندند و آیهای را تحریف و سخنی از سخنان خدا را تغییر می دهند» (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً).

دسته دوم «آنها که ادعای نبوت و وحی میکنند، در حالی که نه پیامبرند و نه وحی بر آنها نازل شده است» (أَوْ قالَ أُوحِیَ إِلَیَّ وَ لَمْ یُوحَ إِلَیْهِ شَیْءً).

دسته سوم آنها که به عنوان انکار نبوت پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله یا از روی استهزاء «می گویند ما هم می توانیم همانند این آیات نازل کنیم» در حالی که دروغ می گویند و کمترین قدرتی بر این کار ندارند (وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللّهُ). آری! همه اینها ستمگرند و کسی ستمکارتر از آنها نیست هم خود گمراهند و هم دیگران را به گمراهی می کشانند، چه ظلمی از این بالاتر که افرادی که صلاحیت رهبری ندارند، ادعای رهبری کنند آن هم رهبری الهی و آسمانی.

سپس مجازات دردناک این گونه افراد را چنین بیان می کند: «اگر تو ای پیامبر! این ستمکاران را به هنگامی که در شداید مرگ و جان دادن فرو رفته اند مشاهده کنی، در حالی که فرشتگان قبض ارواح دست گشوده اند به آنها می گویند: جان خود را خارج سازید، خواهی دید که وضع آنها بسیار دردناک و اسفبار است» (وَ لَوْ تَری إِذِ الظَّالِمُونَ فِی غَمَراتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلائِکَهُ باسِطُوا أَیْدِیهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَکُمُ).

در این حال فرشتگان عـذاب به آنها میگویند: «امروز گرفتار مجازات خوارکنندهای خواهید شد به خاطر دو کار: نخست این که بر خدا دروغ بستید و دیگر این که در برابر آیات او سـر تسـلیم فرود نیاوردید» (الْیَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما کُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ کُنْتُمْ عَنْ آیاتِهِ تَسْتَکْبِرُونَ).

سوره انعام(6): آية ٩٤ ص :623

اشاره

(آیه ۹۴)

شأن نزول: ص: 223

یکی از مشرکان به نام «نضربن حارث» گفت: «لات» و «عزی» (دو بت بزرگ و معروف عرب) در قیامت از من شفاعت خواهند کرد، آیه برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۲۴

نازل شد و به او و امثال او پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۶۲۴

گمشده ها - در آیه گذشته به قسمتی از حالات ظالمان در آستانه مرگ اشاره شد در این آیه گفتاری که خداوند به هنگام مرگ یا به هنگام ورود در صحنه قیامت به آنها می گوید، منعکس شده است.

در آغاز می فرماید: «امروز همه به صورت تنها، همان گونه که روز اول شما را آفریدیم، به سوی ما بازگشت نمودید» (وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادی کَما خَلَقْناکُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ).

«و اموالی که به شما بخشیده بودیم و تکیه گاه شما در زندگی بود، همه را پشت سر گذاردید» و با دست خالی آمدید (وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ).

همچنین «بتهایی که آنها را شفیع خود می پنداشتید، و شریک در تعیین سرنوشت خود تصور می کردید هیچ کدام را با شما نمی بینیم» (وَ ما نَری مَعَکُمْ شُـفَعاءَکُمُ الَّذِینَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِیکُمْ شُـرَکاءُ). در حقیقت «جمع شما به پراکندگی گرایید و تمام

پيوندها از شما بريده شد» (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكَمْ).

«تمام پندارها و تکیه گاههایی که فکر می کردید نابود گشتند و گم شدند» (وَ ضَلَّ عَنْکُمْ ما کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ).

مشرکان و بت پرستان عرب روی سه چیز تکیه داشتند: «قبیله و عشیره» که به آن وابسته بودند، و «اموال و ثروتهایی» که برای خود گرد آورده بودند، و «بتهایی» که آنها را شریک خدا در تعیین سرنوشت انسان و شفیع در پیشگاه او میپنداشتند، در هر یک از سه جمله آیه، به یکی از این سه موضوع اشاره شده که چگونه به هنگام مرگ، همه آنها با انسان وداع می گویند، و او را تک و تنها به خود وامی گذارند.

در آن روز بطور کلی تمام پیوندها و علائق مادی و همه تکیه گاهها و معبودهای خیالی و ساختگی از او جدا می شود، او می ماند و اعمالش، و به تعبیر قرآن گم می شوند، یعنی آنچنان حقیر و پست و ناشناس خواهند بود که به چشم نمی آیند!

سوره انعام(۶): آیهٔ ۹۵ ص: ۶۲۴

(آیه ۹۵) - شکافنده صبح! بار دیگر روی سخن را به مشرکان کرده و دلایل توحید را در ضمن عبارات جالب و نمونههای زندهای از اسرار مشرکان و نظام آفرینش و شگفتیهای خلقت، شرح میدهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۹۲۵ در این آیه، به سه قسمت از این شگفتیها که در زمین است اشاره شده، نخست می گوید: «خداوند شکافنده دانه و هسته است» (إنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی).

جالب این که دانه و هسته گیاهان غالبا بسیار محکمند، یک نگاه به هسته خرما و میوههایی مانند هلو و شفتالو و دانههای محکم بعضی از حبوبات نشان می دهد که چگونه آن نطفه حیاتی که در حقیقت نهال و درخت کوچکی است در دژی فوق العاده محکم محاصره شده است، ولی دستگاه آفرینش آنچنان خاصیت تسلیم و نرمش به این دژ نفوذ ناپذیر، و آنچنان قدرت و نیرو به آن جوانه بسیار لطیف و ظریفی که در درون هسته و دانه پرورش می یابد، می دهد که بتواند دیواره آن را بشکافد و از میان آن قد برافرازد.

به راستی این حادثه در جهان گیاهان حادثه شگرفی است که قرآن به عنوان یک نشانه توحید انگشت روی آن گذاشته است. سپس می گوید: «موجود زنده را از مرده بیرون میفرستد، و موجودات مرده را از زنده» (یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ).

و این یک نظام دائمی و عمومی در جهان آفرینش است مسأله حیات و زنـدگی موجودات زنـده از پیچیـده ترین مسائلی است که هنوز علم و دانش بشـر نتوانسـته است پرده از روی اسرار آن بردارد و به مخفیگاه آن گام بگذارد که چگونه عناصر طبیعی و مواد آلی با یک جهش عظیم، تبدیل به یک موجود زنده میشوند.

لـذا میبینیم قرآن برای اثبات وجود خدا بارها روی این مسأله تکیه کرده است، و پیامبران بزرگی همچون ابراهیم و موسی در برابر گردنکشانی همچون نمرود و فرعون، به وسیله پدیـده حیـات و حکایت آن از وجود مبـدء قادر و حکیم جهان استدلال می کردند.

و در پایان آیه به عنوان تأکید و تحکیم مطلب میفرماید: «این است خدای شما و این است آثار قدرت و علم بیپایان او، با این حال چگونه از حق منحرف، و به راه باطل کشانده میشوید» (ذلِکُمُ اللَّهُ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ). (آیه ۹۶) - در این آیه به سه نعمت از نعمتهای جوّی و آسمانی اشاره شده برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۲۶ است. نخست می گوید: «خداوند شکافنده صبح است» (فالِقُ الْإِصْباح).

قرآن در اینجا روی مسأله صبح تکیه می کند که یکی از نعمتهای بزرگ پروردگار است زیرا می دانیم این پدیده آسمانی نتیجه وجود جوّ زمین (یعنی قشر ضخیم هوا که دور تا دور این کره را پوشانیده) می باشد، اگر اطراف کره زمین همانند کره ماه جوّی وجود نداشت نه بین الطلوعین و فلق وجود داشت و نه سپیدی آغاز شب و شفق، اما وجود جوّ زمین و فاصلهای که در میان تاریکی شب، و روشنایی روز به هنگام طلوع و غروب آفتاب قرار دارد، انسان را تدریجا برای پذیرا شدن هر یک از این دو پدیده متضاد آماده می سازد، و انتقال از نور به ظلمت و از ظلمت به نور، به صورت تدریجی و ملایم و کاملا مطبوع و قابل تحمل انجام می گردد.

ولی برای این که تصور نشود شکافتن صبح دلیل این است که تاریکی و ظلمت شب، چیز نامطلوب و یا مجازات و سلب نعمت است بلافاصله می فرماید: خداوند «شب را مایه آرامش قرار داد» (وَ جَعَلَ اللَّیْلَ سَکَناً).

این موضوع مسلم است که انسان در برابر نور و روشنایی تمایل به تلایش و کوشش دارد، جریان خون متوجه سطح بـدن می شود، و تمام سلولها آماده فعالیت می گردند، و به همین دلیل خواب در برابر نور چندان آرام بخش نیست.

ولی هر قدر محیط تاریک بوده باشد خواب عمیقتر و آرام بخش تر است، زیرا در تاریکی، خون متوجه درون بدن می گردد و بطور کلی سلولها در یک آرامی و استراحت فرو می روند، به همین دلیل در جهان طبیعت نه تنها حیوانات، بلکه گیاهان نیز به هنگام تاریکی شب به خواب فرو می روند و با نخستین اشعه صبحگاهان جنب و جوش و فعالیت را شروع می کنند، به عکس دنیای ماشینی که شب را تا بعد از نیمه بیدار می مانند، و روز را تا مدت زیادی بعد از طلوع آفتاب در خواب فرو می روند، و نشاط و سلامت خود را از دست می دهند.

سپس اشاره به سومین نعمت و نشانه عظمت خود کرده، می گوید: «و خورشید و ماه را وسیله حساب در زندگی شما قرار داد» (وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً).

این موضوع بسیار جالب توجه است که میلیونها سال کره زمین به دور برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۲۷ خورشید، و ماه به دور زمین گردش می کند، و این گردش به قدری حساب شده است که حتی لحظه ای پس و پیش نمی شود، و این ممکن نیست مگر در سایه یک علم و قدرت بی انتها که هم طرح آن را بریزد و هم آن را دقیقا اجرا کند. و لذا در پایان آیه می گوید: «این اندازه گیری خداوندی است که هم توانا است و هم دانا» (ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیم).

سوره انعام(6): آیهٔ ۹۷ ص:۶۲۷

(آیه ۹۷) - در تعقیب آیه قبل که اشاره به نظام گردش آفتاب و ماه شده بود، در اینجا به یکی دیگر از نعمتهای پروردگار اشاره کرده و می گوید: «او کسی است که ستارگان را برای شما قرار داد تا در پرتو آنها راه خود را در تاریکی صحرا و دریا، در شبهای ظلمانی، بیابید» (وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ).

و در پایان آیه می فرماید: «نشانه ها و دلایل خود را برای افرادی که اهل فکر و فهم و اندیشه اند روشن ساختیم» (قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْم یَعْلَمُونَ).

انسان هزاران سال است که با ستارگان آسمان و نظام آنها آشنا است، لـذا برای جهت یابی در سفرهای دریایی و خشکی

بهترین وسیله او، همین ستارگان بودند.

مخصوصا در اقیانوسهای وسیع که هیچ نشانهای برای پیدا کردن راه مقصد در دست نیست و در آن زمان دستگاه قطبنما نیز اختراع نشده بود وسیله مطمئنی جز ستارگان آسمان وجود نیداشت، همانها بودنید که میلیونها بشر را از گمراهی و غرقاب نجات میدادند و به سر منزل مقصود میرسانیدند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۹۸ ص:۶۲۷

(آیه ۹۸) - در این آیه نیز دلایل توحید و خداشناسی تعقیب شده است، زیرا قرآن برای این هدف گاهی انسان را در آفاق و جهانهای دور دست سیر میدهد، و گاهی او را به سیر در درون وجود خویش دعوت مینماید، نخست می گوید: «او کسی است که شما را از یک انسان آفرید» (وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسِ واحِدَهٍ).

یعنی، شما با این همه چهرههای گوناگون، ذوقها و افکار متفاوت، و تنوع وسیع در تمام جنبههای وجودی، همه از یک فرد آفریده شده این همه چهرههای برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۲۸

متفاوت آفریده است؟

سپس مى فرمايد: «جمعى از افراد بشر مستقر هستند و جمعى مستودع» (فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدُعُ).

«مستقر» به معنی ناپایدار می آید، و «مستودع» به معنی ناپایدار.

احتمال دارد دو تعبیر فوق، اشاره به اجزای اولیه تشکیل دهنده نطفه انسان بوده باشد، زیرا چنانکه می دانیم نطفه انسان از دو جزء یکی «اوول» (نطفه ماده) و دیگری «اسپرم» (نطفه نر) تشکیل شده است، نطفه ماده در رحم تقریبا ثابت و مستقر است، ولی نطفههای نر به صورت جانداران متحرک به سوی او با سرعت حرکت می کنند و نخستین فرد «اسپرم» که به «اوول» می رسد با او می آمیزد و بقیه را عقب می راند و تخمه اولی انسان را تشکیل می دهد.

در پایان آیه بار دیگر می گوید: «ما نشانه های خود را برشمردیم تا آنها که دارای فهم و درکند بیندیشند» (قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْم یَفْقَهُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۹۹ ص:۴۲۸

(آیه ۹۹)- این آیه، آخرین آیهای است که در این سلسله بحثها ما را به شگفتیهای جهان آفرینش، و شناسایی خداوند از طریق آن دعوت می کند.

در آغاز به یکی از مهمترین و اساسی ترین نعمتهای پروردگار که می توان آن را ریشه و مادر سایر نعمتها دانست اشاره می کند و آن پیدایش و رشد و نمو گیاهان و درختان در پرتو آن است، و می گوید: «او کسی است که از آسمان آبی (برای شما) فرستاد» (وَ هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً).

این که می گوید از طرف آسمان به خاطر آن است که تمام منابع آب روی زمین اعم از چشمه ها و نهرها و قناتها و چاههای عمیق به آب باران منتهی می گردد لذا کمبود باران در همه آنها اثر می گذارد و اگر خشکسالی ادامه یابد همگی خشک می شوند. سپس به اثر بارز نزول باران اشاره كرده، مى گويـد: «به واسـطه آن روييدنيها را از همه نوع از زمين خارج ساختيم» (فَأُخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ).

جالب این که خداوند از یک زمین و یک آب، غذای مورد نیاز همه جانداران برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۲۹ را تأمین کرده است و جالبتر این که نه تنها گیاهان صحرا و خشکیها از برکت آب باران پرورش می یابند، بلکه گیاهان بسیار کوچکی که در لابلای امواج آب دریاها می رویند و خوراک عمده ماهیان دریاست از پرتو نور آفتاب و دانههای باران رشد می کنند، سپس به شرح این جمله پرداخته و موارد مهمی را از گیاهان و درختان که به وسیله آب باران پرورش می یابند خاطرنشان می سازد.

نخست می گوید: «ما به وسیله آن ساقه های سبز گیاهان و نباتات را از زمین خارج ساختیم» و از دانه کوچک و خشک ساقه ای با طراوت و سرسبز که لطافت و زیبایی آن چشم را خیره می کند آفریدیم» (فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً).

«و از آن ساقه سبز، دانههای روی هم چیده شده، (همانند خوشه گندم و ذرت) بیرون آوردیم (نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً).

«همچنین به وسیله آن از درختان نخل خوشه سر بسته ای بیرون فرستادیم که پس از شکافته شدن رشته های باریک و زیبایی که دانه های خرما را بر دوش خود حمل می کننـد و از سنگینی به طرف پایین متمایل می شونـد خارج می گردد» (وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِیَةٌ). «همچنین باغهایی از انگور و زیتون و انار پرورش دادیم» (وَ جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنابِ وَ الزَّیْتُونَ وَ الرُّمَّانَ).

سپس اشاره به یکی دیگر از شاهکارهای آفرینش در این درختان کرده میفرماید: «هم با یکدیگر شباهت دارند و هم ندارند» (مُشْتَبِهاً وَ غَیْرَ مُتشابِهٍ).

دو درخت زیتون و انار از نظر شکل ظاهری و ساختمان شاخهها و برگها شباهت زیادی به هم دارند، در حالی که از نظر میوه و طعم و خاصیت آن بسیار با هم متفاوتند.

یکی دارای ماده چربی مؤثر و نیرومند، و دیگری دارای ماده اسیدی و یا قندی است، که با یکدیگر کاملا متفاوتند، به علاوه این دو درخت گاهی درست در یک زمین پرورش می یابند و از یک آب مشروب می شوند یعنی، هم با یکدیگر تفاوت زیاد دارند و هم شباهت.

سپس از میان تمام اعضای پیکر درخت بحث را روی میوه برده می گوید: بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۳۰ «نگاهی به ساختمان میوه آن به هنگامی که به ثمر مینشیند و همچنین نگاهی به چگونگی رسیدن میوهها کنید که در اینها نشانه های روشنی است از قدرت و حکمت خدا برای افرادی که اهل ایمان هستند» (انْظُرُوا إِلی ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَ یَنْعِهِ إِنَّ فِی ذَلِکُمْ لَآیاتٍ لِقَوْم یُؤْمِنُونَ).

با توجه به آنچه امروز در گیاه شناسی از چگونگی پیدایش میوه ها و رسیدن آنها میخوانیم نکته این اهمیت خاص که قرآن برای میوه قائل شده است روشن می شود، زیرا پیدایش میوه ها درست همانند تولد فرزند در جهان حیوانات است، نطفه های نر با وسایل مخصوصی (وزش باد یا حشرات و مانند آنها) از کیسه های مخصوص جدا می شوند، و روی قسمت مادگی گیاه قرار می گیرند، پس از انجام عمل لقاح و ترکیب شدن با یکدیگر، نخستین تخم و بذر تشکیل می گردد، و در اطرافش انواع مواد غذایی همانند گوشتی آن را دربرمی گیرند.

این مواد غذایی از نظر ساختمان بسیار متنوع و همچنین از نظر طعم و خواص غذایی و طبی فوق العاده متفاوتند، گاهی یک میوه (مانند انار و انگور) دارای صدها دانه است که هر دانهای از آنها خود جنین و بذر درختی محسوب می شود و ساختمانی بسیار پیچیده و تو در تو دارد.

این از یک سو، از سوی دیگر مراحل مختلفی را که یک میوه از هنگامی که نارس است تا موقعی که کاملا رسیده می شود، می پیماید، بسیار قابل ملاحظه است زیرا لابراتوارهای درونی میوه دائما مشغول کارند، و مرتبا ترکیب شیمیایی آن را تغییر می دهند، تا هنگامی که به آخرین مرحله برسد و وضع ساختمان شیمیایی آن تثبیت گردد.

هر یک از این مراحل خود نشانهای از عظمت و قدرت آفریننده است.

ولی بایـد توجه داشت که به تعبیر قرآن تنهـا افراد با ایمان یعنی افراد حقبین و جستجوگران حقیقت، این مسائل را میبیننـد و گر نه با چشم عناد و لجاج و یا با بیاعتنایی و سهلاانگاری ممکن نیست هیچ یک از این حقایق را ببینیم.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۰۰ ص:۶۳۰

(آیه ۱۰۰)- خالق همه اشیاء اوست! در این آیه و آیات بعد به گوشهای از برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۳۱ عقاید نادرست و خرافات مشرکان و صاحبان مذاهب باطله و جواب منطقی آنها اشاره شده است.

نخست مي گويد: «آنها شريكهايي براي خداوند از جن قائل شدند» (وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ).

سپس به این پندار خرافی پاسخ گفته و می گوید: «با این که خداوند آنها را (یعنی جن را) آفریده است» (وَ خَلَقَهُمْ).

یعنی، چگونه ممکن است مخلوق کسی شریک او بوده باشد، زیرا شرکت نشانه سنخیت و هم افق بودن است در حالی که مخلوق هرگز در افق خالق نخواهد بود.

خرافه دیگر این که «آنها برای خدا پسران و دخترانی از روی نادانی قائل شدند» (وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِینَ وَ بَناتٍ بِغَیْرِ عِلْم).

و در حقیقت بهترین دلیل باطل بودن این گونه عقاید خرافی همان است که از جمله «بغیر علم» استفاده می شُود، یعنی هیچ گونه دلیل و نشانهای برای این موهومات در دست نداشتند.

اما این که چه طوائفی برای خدا پسرانی قائل بودند، قرآن نام دو طایفه را در آیات دیگر برده است یکی مسیحیان که عقیده داشتند عیسی پسر خداست و دیگر یهود که عزیز را فرزند او میدانستند. ولی از آیه ۳۰ سوره توبه، استفاده می شود که اعتقاد به وجود فرزند پسر برای خدا منحصر به مسیحیان و یهود نبوده، بلکه در میان مذاهب خرافی پیشین نیز وجود داشته است.

اما در مورد اعتقاد به وجود دختران برای خدا، خود قرآن در سوره زخرف، آیه ۱۹ میفرماید: «آنها (مشرکان) فرشتگان را که بندگان خدا هستند، دختران قرار دادند».

ولی در پایان این آیه قلم سرخ بر تمام این مطالب خرافی و پندارهای موهوم و بیاساس کشیده و با جمله رسا و بیدار کنندهای همه این اباطیل را نفی می کند و می گوید: «منزه است خداوند و برتر و بالاتر است از این اوصافی که برای او برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۳۲

مى گويند» (سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَصِفُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۰۱ ص:۶۳۲

(آیه ۱۰۱)– در این آیه به پاسخ این عقاید خرافی پرداخته نخست می گوید:

«خداوند كسى است كه آسمانها و زمين را ابداع و ايجاد كرد» (بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

«بدیع» به معنی وجود آورنده چیزی بدون سابقه است یعنی، خداوند آسمان و زمین را بدون هیچ ماده و یا طرح و نقشه قبلی

ایجاد کرده است.

به علاوه «چگونه ممکن است او فرزندی داشته باشد در حالی که همسری ندارد» (أَنَّی یَکُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَکُنْ لَهُ صاحِبَةٌ). اصولا چه نیازی به همسر دارد، وانگهی چه کسی ممکن است همسر او باشد با این که همه مخلوق او هستند.

بار دیگر مقام خالقیت او را نسبت به همه چیز و همه کس و احاطه علمی او را نسبت به تمام آنها تأکید کرده، می گوید: «همه چیز را آفرید و او به هر چیزی داناست» (وَ خَلَقَ کُلَّ شَیْءٍ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۰۲ ص ۶۳۲:

(آیه ۱۰۲) - در این آیه پس از ذکر خالقیت، نسبت به همه چیز و ابداع و ایجاد آسمانها و زمین و منزه بودن او از عوارض جسم و جسمانی و همسر و فرزند و احاطه علمی او به هر کار و هر چیز، چنین نتیجه می گیرد: «خداوند و پروردگار شما چنین کسی است (و چون هیچ کس دارای چنین صفات نیست) هیچ ک خیر او نیز شایسته عبودیت نخواهد بود، پروردگار اوست و آفریدگار هم اوست (بنابراین معبود هم تنها او می تواند باشد) پس او را بپرستید» (ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ کُلِّ شَعْءِ فَاعْبُدُوهُ).

و در پایـان آیه برای این که هر گونه امیـدی را به غیر خـدا قطع کنـد و ریشه هر گونه شـرک و بطور کلی تکیه به غیر خـدا را بسوزاند، می گوید: «حافظ و نگهبان و مدبر همه چیز اوست» (وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ وَکِیلٌ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۰۳ ص:۶۳۲

اشاره

(آیه ۱۰۳)- در آیه برای اثبات حاکمیت و نگاهبانی او نسبت به همه چیز و همچنین برای اثبات تفاوت او با همه موجودات می گوید: «چشمها او را برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۳۳

نمى بینند، اما او همه چشمها را ادراک می کند و او بخشنده انواع نعمتها و با خبر از تمام ریزه کاریها و آگاه از همه چیز است، مصالح بندگان را می کند (لا تُـدْرِکُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ لَلْعُنْ رَا می کند (لا تُـدْرِکُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ لِلْعُنِیلُ الْخَبیرُ).

در حقیقت کسی که میخواهد حافظ و مربی و پناهگاه همه چیز باشد باید این صفات را دارا باشد.

چشمها، خدا را نمیبیند! ص: 333

دلایل عقلی گواهی می دهد که خداوند هر گز با چشم دیده نخواهد شد، زیرا چشم تنها اجسام یا صحیحتر بعضی از کیفیات آنها را می بیند و چیزی که جسم نیست و کیفیت جسم هم نمی باشد، هر گز با چشم مشاهده نخواهد شد و به تعبیر دیگر، اگر چیزی با چشم دیده شود، حتما باید دارای مکان و جهت و ماده باشد، در حالی که او برتر از همه اینهاست، او وجودی است نامحدود و به همین دلیل بالاتر از جهان ماده است، زیرا در جهان ماده همه چیز محدود است.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۰۴ ص:۳۳۶

(آیه ۱۰۴)- وظیفه تو اجبار کردن نیست! از این به بعد قرآن یک نوع خلاصه و نتیجه گیری از آیات گذشته می کند، نخست می گوید: «دلایل و نشانه های روشن در زمینه توحید و خداشناسی و نفی هر گونه شرک که مایه بصیرت و بینایی است برای شما آمد» (قَدْ جاءَکُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّکُمْ).

سپس برای این که روشن سازد این دلایل به قدر کافی حقیقت را آشکار میسازد و جنبه منطقی دارد، می گوید: «آنهایی که به وسیله این دلایل چهره حقیقت را بنگرند به سود خود گام برداشتهاند، و آنها که همچون نابینایان از مشاهده آن خود را محروم سازند به زیان خود عمل کردهاند» (فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِیَ فَعَلَیْها).

و در پایان آیه از زبان پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله می گوید: «من نگاهبان و حافظ شما نیستم» (وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۰۵ ص:۶۳۳

(آیه ۱۰۵)- در این آیه برای تأکید این موضوع که تصمیم نهایی در انتخاب برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۳۴ راه حق و باطل با خود مردم است، می گوید: «این چنین ما آیات و دلایل را در شکلهای گوناگون و قیافههای مختلف بیان کردیم» (وَ کَذلِکَ نُصَرِّفُ الْآیاتِ).

ولى جمعى به مخالفت برخاستند و بدون مطالعه و هيچ گونه دليل، گفتند:

«این درسها را از دیگران (از یهود و نصاری و کتابهای آنها) فرا گرفتهای» (وَ لِیَقُولُوا دَرَسْتَ). ولی «هـدف ما این است که آن را برای کسانی که علم و آگاهی دارند روشن سازیم» (وَ لِنُبَیِّنَهُ لِقَوْم یَعْلَمُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۰۶ ص: ۶۳۴

(آیه ۱۰۶) - در اینجا وظیفه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را در برابر لجاجتها و کینه توزیها و تهمتهای مخالفان، مشخص ساخته، می گوید: «وظیفه تو آن است که از آنچه از طرف پروردگار بر تو وحی می شود، پیروی کنی، خدایی که هیچ معبودی جز او نیست» (اتَّبعْ ما أُوحِیَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ).

و نیز «وظیفه تو این است که به مشرکان و نسبتهای ناروا و سخنان بیاساس آنها اعتنا نکنی» (وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِینَ). در حقیقت این آیه یک نوع دلداری و تقویت روحیه نسبت به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است، که در برابر این گونه مخالفان در عزم راسخ و آهنینش کمترین سستی حاصل نشود.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۰۷ ص: ۶۳۴

(آیه ۱۰۷)- در این آیه، بار دیگر این حقیقت را تأیید می کند که خداوند نمیخواهد آنها را به اجبار وادار به ایمان سازد و «اگر میخواست همگی ایمان می آوردند و هیچ کس مشرک نمی شد» (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا).

همچنین تأکید می کند: «و ما تو را مسؤول (اعمال) آنها قرار ندادیم» (وَ ما جَعَلْناکَ عَلَیْهِمْ حَفِیظاً). همانطور که «تو وظیفه نداری آنها را به اجبار (به ایمان) دعوت کنی» (وَ ما أَنْتَ عَلَیْهِمْ بِوَکِیلِ).

لحن این آیات از این نظر بسیار قابل ملاحظه است که ایمان به خدا و مبانی اسلام هیچ گونه جنبه تحمیلی نمی تواند داشته باشد، بلکه از طریق منطق و استدلال و نفوذ در فکر و روح افراد باید پیشروی کند، زیرا ایمان اجباری ارزشی ندارد، مهم این است که مردم حقایق را درک کنند و با اراده و اختیار خویش آن را بپذیرند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۳۵

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۰۸ ص:۳۵۵

(آیه ۱۰۸) - به دنبال بحثی که در باره منطقی بودن تعلیمات اسلام و لزوم دعوت از راه استدلال، نه از راه اجبار، در آیات قبل گذشت، در این آیه تأکید می کند که «هیچ گاه بتها و معبودهای مشرکان را دشنام ندهید، زیرا این عمل سبب می شود که آنها نیز نسبت به ساحت قدس خداوند همین کار را از روی ظلم و ستم و جهل و نادانی انجام دهند» (وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَیَسُبُّوا اللَّهَ عَدُواً بِغَیْرِ عِلْم).

بطوری که از بعضی روایات استفاده می شود، جمعی از مؤمنان بر اثر ناراحتی شدید که از مسأله بت پرستی داشتند، گاهی بتهای مشرکان را به باد ناسزا گرفته و به آنها دشنام می دادند، قرآن صریحا از این موضوع، نهی کرد و رعایت اصول ادب و عفت و نزاکت در بیان را، حتی در برابر خرافی ترین و بد ترین ادیان، لازم می شمرد. زیرا با دشنام و ناسزا نمی توان کسی را از مسیر غلط باز داشت چرا که هر گروه و ملتی نسبت به عقاید و اعمال خود، تعصب دارد، همانطور که قرآن در جمله بعد می گوید: «ما این چنین برای هر جمعیتی عملشان را زینت دادیم» (کذلِکُ زَیَّنًا لِکُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ).

و در پایان آیه می فرماید: «بازگشت همه آنها به سوی خداست، و به آنها خبر می دهد که چه اعمالی انجام داده اند» (ثُمَّ إِلی رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَیُنَبِّنُهُمْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۰۹ ص :۳۵۶

اشاره

(آیه ۱۰۹)

شأن نزول: ص: 635

نقل کردهاند که: عدهای از قریش خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله رسیدند و گفتند: تو برای موسی و عیسی، خارق عادات و معجزات مهمی نقل می کنی، و همچنین در باره انبیای دیگر، تو نیز امثال این کارها را برای ما انجام ده تا ما ایمان آوریم، پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: مایلید برای شما چه کار کنم؟ گفتند: از خدا بخواه کوه صفا را تبدیل به طلا کند، و بعضی از مردگان پیشین ما زنده شوند و از آنها در باره حقانیت دعوت تو سؤال کنیم، و نیز فرشتگان را به ما نشان بده که در باره تو گواهی دهند، و یا خداوند و فرشتگان را دسته جمعی با خود بیاور!.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: اگر بعضی از این کارها را بجا بیاورم ایمان می آورید؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۳۶

گفتند: به خدا سوگند چنین خواهیم کرد، همین که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آماده دعا کردن شد، که بعضی از این پیشنهادها را از خدا بخواهد (زیرا بعضی از آنها نامعقول و محال بود) پیک وحی خدا نازل شد، چنین پیام آورد که اگر بخواهی دعوت تو اجابت می شود، ولی در این صورت (چون از هر نظر اتمام حجت خواهد شد و موضوع جنبه حسّی و شهود به خود خواهد گرفت) اگر ایمان نیاورند همگی سخت کیفر می بینند (و نابود خواهند شد) اما اگر به خواسته آنها تر تیب اثر داده نشود و آنها را به حال خود واگذاری، ممکن است بعضی از آنها در آینده توبه کنند و راه حق را پیش گیرند پیامبر صلّی اللّه علیه و آله پذیرفت و آیه نازل گردید.

تفسير: ص: ۶۳۶

در آیات گذشته دلایل منطقی متعددی در زمینه توحید، ذکر شد که برای اثبات یگانگی خدا و نفی شرک و بت پرستی کافی بود، اما با این حال جمعی از مشرکان لجوج و متعصب، تسلیم نشدند و شروع به بهانه جویی کردند.

قرآن در این آیه وضع آنها را چنین نقل می کند: «با نهایت اصرار سو گند یاد کردند که اگر معجزهای برای آنها بیاید ایمان خواهند آورد» (وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَیْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آیَةٌ لَیُؤْمِنُنَّ بِها).

قرآن در پاسخ آنها دو حقیقت را بازگو می کند: نخست به پیامبر صلّی الله علیه و آله اعلام می کند که به آنها بگوید این کار در اختیار من نیست که هر پیشنهادی بکنید انجام دهم، «بگو: معجزات تنها از ناحیه خداست و به فرمان اوست» (قُلْ إِنَّمَا الْآیاتُ عِنْدَ اللَّهِ).

سپس روی سخن را به مسلمانان ساده دلی که تحت تأثیر سوگندهای غلیظ و شدید مشرکان قرار گرفته بودند کرده، می گوید: «شما نمی دانید که اینها دروغ می گویند و اگر این معجزات و نشانه های مورد در خواست آنها انجام شود باز ایمان نخواهند آورد» (وَ ما یُشْعِرُکُمْ أَنَها إذا جاءَتْ لا یُؤْمِنُونَ).

صحنه های مختلف برخورد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با آنها نیز گواه این حقیقت است که این دسته در جستجوی حق نبودند، بلکه هدفشان این بود که با بهانه جوییها مردم را سرگرم ساخته و بذر شک و تردید در دلها بپاشند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۳۷

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۰ ص:۶۳۷

(آیه ۱۱۰) - در این آیه علت لجاجت آنها چنین توضیح داده شده است که آنها بر اثر اصرار در کجروی و تعصبهای جاهلانه و عدم تسلیم در مقابل حق، درک و دید سالم را از دست داده اند، و گیج و گمراه در سرگردانی به سر می برند، و چنین می گوید: «ما دلها و چشمهای آنها را وارونه و دگرگون می نماییم، آنچنان که در آغاز و ابتدای دعوت ایمان نیاوردند» (وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَ تَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ کَما لَمْ یُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّهُ).

و در پایان آیه میفرماید: «ما آنها را در حال طغیان و سرکشی به حال خود وا میگذاریم تا سرگردان شونـد» (وَ نَذَرُهُمْ فِی طُغْیانِهمْ یَعْمَهُونَ).

آغاز جزء هشتم قرآن مجید ص: 627

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۱ ص ۶۳۷:

(آیه ۱۱۱)- چرا افراد لجوج به راه نمی آیند؟ این آیه با آیات قبل مربوط است، هدف این چند آیه این است که روشن سازد جمعی از تقاضا کنندگان معجزات عجیب و غریب در تقاضاهای خود صادق نیستند و هدفشان پذیرش حق نمی باشد، لذا بعضی از خواسته های آنها (مثل آمدن خدا در برابر آنان!) اصولا محال است.

قرآن در این آیه بـا صـراحت میگویـد: «اگر مـا (آنطـور که درخـواست کرده بودنـد) فرشـتگان را بر آنهـا نــازل میکردیـم و مردگان میآمدند و با آنها سـخن میگفتند و خلاصه هر چه میخواستند در برابر آنها گرد میآوردیـم، باز ایمان نمیآوردند» (وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتـی وَ حَشَرْنا عَلَيْهِمْ کُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ما کانُوا لِيُؤْمِنُوا).

سپس برای تأکید مطلب می فرماید: «تنها در یک صورت ممکن است ایمان بیاورند و آن این که خداوند با مشیت اجباری خود آنها را وادار به قبول ایمان کند» (إِلَّا أَنْ یَشاءَ اللَّهُ). و بدیهی است که این گونه ایمان هیچ فایده تربیتی و اثر تکاملی نخواهد داشت.

و در پایان آیه اضافه می کند که «بیشتر آنها جاهل و بیخبرند» (وَ لکِنَّ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۳۸ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۲ ص :۶۳۸

(آیه ۱۱۲)- در آیات قبل گفتیم وجود دشمنان سرسخت و لجوج در برابر پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله منحصر به او نبود در این آیه میفرماید: «این چنین در برابر هر پیامبری دشمنی از شیاطین انس و جن قرار دادیم» (وَ کَذلِکَ جَعَلْنا لِکُلِّ نَبِیًّ عَدُوًّا شَیاطِینَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ).

و کار آنها این بوده که «سخنان فریبنـدهای برای اغفال یکـدیگر بطور اسرار آمیز و احیانا در گوشـی به هم میگفتند» (یُوحِی بَعْضُهُمْ إِلی بَعْضِ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً).

ولى اشتباه نشودُ «اگر خداوند مىخواست مىتوانست به اجبار جلو همه آنها را بگيرد» (وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكُ ما فَعَلُوهُ).

ولی خداوند این کار را نکرد، زیرا میخواست مردم آزاد باشند تا میدانی برای آزمایش و تکامل و پرورش آنها وجود داشته باشد.

لـذا در پایان آیه به پیامبرش دسـتور میدهـد که به هیـچ وجه به این گونه شـیطنتها اعتنا نکنـد «و آنها و تهمتهایشان را به حال خود واگذارد» (فَذَرْهُمْ وَ ما یَفْتَرُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۳ ص :۶۳۸

(آیه ۱۱۳) - در این آیه نتیجه تلقینات و تبلیغات فریبنده شیاطین را چنین بازگو می کند که: «سر انجام کار آنها این خواهد شد که افراد بی ایمان یعنی آنها که به روز رستاخیز عقیده ندارند به سخنان آنها گوش فرا دهند و دلهایشان به آن متمایل گردد» (وَ لِتَصْغی إِلَيْهِ أَفْئِدَهُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ).

سپس مىفرمايد: «سر انجام اين تمايل، رضايت كامل به برنامه هاى شيطانى خواهد شد» (وَ لِيَرْضَوْهُ).

و پایان همه آنها ارتکاب انواع گناهان و اعمال زشت و ناپسند خواهد بود «و هر گناهی که بخواهند انجام دهند» (وَ لِیَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرفُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۴ ص :۳۸۶

(آیه ۱۱۴)- این آیه در حقیقت نتیجه آیات قبل است، و می گوید: با این همه آیات روشنی که در زمینه توحید گذشت چه کسی را باید به داوری پذیرفت؟

«آیا غیر خدا را به داوری بپذیرم» (أَ فَغَیْرَ اللَّهِ أَبْتَغِی حَكَماً). برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۳۹

«بـا این که اوست که این کتـاب بزرگ آسـمانی را که تمام نیازمنـدیهای تربیتی انسان در آن آمـده و میان حق و باطل، نور و ظلمت، کفر و ایمان، جدایی افکنده به سوی شما نازل کرده است» (وَ هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ إِلَیْکُمُ الْکِتابَ مُفَصَّلًا).

سپس می گوید: نه تنها تو و مسلمانان میدانید که این کتاب از طرف خدا است بلکه «اهـل کتاب (یهـود و نصـاری) که نشانه های این کتاب آسـمانی را در کتب خود دیده اند میدانند از سوی پروردگار تو به حق نازل شده است» (وَ الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّکَ بالْحَقِّ).

بنابراین، جای هیچ گونه شک و تردیدی در آن نیست «و تو ای پیامبر هرگز در آن تردید مکن» (فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِینَ).

سوره انعام(6): آیهٔ ۱۱۵ ص:۶۳۹

(آيه ۱۱۵)- در اين آيه مىفرمايـد: «كلاـم پروردگـار تو بـا صـدق و عـدل تكميـل شـد و هيـچ كس قـادر نيست كلمات او را دگرگون سازد و او شنونده و داناست» (وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

منظور از «کلمه» در آیه فوق، قرآن است زیرا در آیات قبل نیز سخن از «قرآن» در میان بوده است.

در حقیقت آیه می گوید: به هیچ وجه قرآن جای تردید و شک نیست، زیرا از هر نظر کامل و بیعیب است، تواریخ و اخبار آن، همه صدق و احکام و قوانین آن همه عدل است.

بعضی از مفسران با این آیه استدلال بر عدم امکان راه یافتن تحریف در قرآن کردهاند، زیرا جمله «لا مبدّل لکلماته» اشاره به این است که هیچ کس نمی تواند تغییر و تبدیلی نه از نظر لفظ و نه از نظر اخبار و نه از نظر احکام در قرآن ایجاد کند، و همیشه این کتاب آسمانی که باید تا آخر دنیا راهنمای جهانیان باشد از دستبرد خائنان و تحریف کنندگان مصون و محفوظ خواهد بود.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۶ ص:۶۳۹

(آیه ۱۱۶) – میدانیم آیات این سوره در مکّه نازل شد و در آن زمان مسلمانان شدیدا در اقلیت بودند، گاهی اقلیت آنها و اکثریت قاطع بت پرستان و مخالفان اسلام، ممکن بود این توهم را برای بعضی ایجاد کند که اگر آیین آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۴۰

باطل و بیاساس است چرا این همه پیرو دارد و اگر ما بر حقیم چرا این قـدر کم هستیم؟! در این آیه برای دفع این توهم پیامبر

خود را مخـاطب ساخته، می گویـد: «اگر از اکثر مردمی که در روی زمین هسـتند پیروی کنی تو را از راه حق گمراه و منحرف خواهند ساخت»! (وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِی الْأَرْضِ یُضِلُّوکَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ).

در جمله بعد دلیل این موضوع را بیان می کند و می گوید: «علت آن این است که آنها بر اساس منطق و فکر صحیح کار نمی کنند «راهنمای آنها یک مشت گمانهای آلوده به هوی و هوس و یک مشت دروغ و فریب و تخمین است» (إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا یَخْرُصُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۷ ص:۴۴۰

(آیه ۱۱۷)-از آنجا که مفهوم آیه قبل این است که اکثریت به تنهایی نمیتواند راه حق را نشان دهد نتیجه آن، این میشود که راه حق را تنها باید از خداوند گرفت هر چند طرفداران راه حق در اقلیت بوده باشند.

لذا در این آیه دلیل این موضوع را روشن میسازد که: «پروردگارت که از همه چیز باخبر و آگاه است و در علم بیپایان او کمترین اشتباه راه ندارد، بهتر میداند راه ضلالت و هدایت کدام است و گمراهان و هدایت یافتگان را بهتر میشناسد» (إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ یَضِلُّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۸ ص:۶۴۰

(آیه ۱۱۸)- تمام آثار شرک باید برچیده شود! در آیات گذشته با بیانات گوناگونی حقیقت توحید، اثبات و بطلان شرک و بت پرستی آشکار گردید.

یکی از نتایج این مسأله آن است که مسلمانان باید از خوردن گوشت حیواناتی که به نام «بتها» ذبح میشد خودداری کنند، و تنها از گوشت حیواناتی که به نام خدا ذبح می گردید استفاده نماید، لذا نخست می گوید: «از چیزهایی بخورید که نام خدا بر آن برده شده است، اگر به آیاتش ایمان دارید» (فَکُلُوا مِمَّا ذُکِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَیْهِ إِنْ کُنْتُمْ بِآیاتِهِ مُؤْمِنِینَ).

یعنی، ایمان تنها ادّعا و گفتار و عقیده نیست بلکه باید در لابلای عمل نیز آشکار گردد. کسی که به خدای یکتا ایمان دارد تنها از این گوشتها میخورد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۴۱

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۱۹ ص :۶۴۱

(آیه ۱۱۹) - در این آیه همین موضوع به عبارت دیگری که تو أم با استدلال بیشتری است آمده، می فرماید: «چرا از حیواناتی نمی خورید که نام خدا بر آنها گفته شده؟ در حالی که آنچه را بر شما حرام است خداوند شرح داده است» (وَ ما لَکُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَیْهِ وَ قَدْ فَصَّلَ لَکُمْ ما حَرَّمَ عَلَیْکُمْ).

سپس یک صورت را استثناء نموده، و می گوید: «مگر در صورتی که ناچار شوید» (إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ).

خواه این اضطرار بخاطر گرفتاری در بیابان و گرسنگی شدیـد بوده باشد و یا گرفتار شدن در چنگال مشـرکان و اجبار کردن آنها به این موضوع.

بعد اضافه می کند که «بسیاری از مردم، دیگران را از روی جهل و نادانی و هـوی و هوسـها گمراه میسازنـد» (وَ إِنَّ كَـثِيراً

لَيُضِلُّونَ بِأَهْوائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْم).

در پایان آیه می فرماید: «پُروردگار تو نسبت به آنها که تجاوزکارند آگاهتر است» (إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِینَ). همانها که با دلایل واهی نه تنها از راه حق منحرف می شوند بلکه سعی دارند دیگران را نیز منحرف سازند.

سوره انعام(6): آیهٔ ۱۲۰ ص :۴۱

(آیه ۱۲۰)- و از آنجا که ممکن است بعضی این کار حرام را در پنهانی مرتکب شوند در تعقیب آن، در این آیه به عنوان یک قانون کلی می گوید: «گناه آشکار و پنهان را رها سازید» (وَ ذَرُوا ظاهِرَ الْإِثْم وَ باطِنَهُ).

می گویند: در زمان جاهلیت عدهای عقیده داشتند که عمل منافی عفت (زنا) اگر در پنهانی باشد عیبی ندارد تنها اگر آشکارا باشد گناه است! هم اکنون نیز عملا عدهای این منطق جاهلی را پذیرفته و تنها از گناهان آشکار وحشت دارند، اما گناهان پنهانی را بدون احساس ناراحتی مرتکب میشوند! آیه فوق به شدت این منطق را محکوم میسازد.

سپس به عنوان یادآوری و تهدید گناهکاران به سرنوشت شومی که در انتظار آنهاست چنین میگوید: «آنها که تحصیل گناه کنند به زودی تکفیر اعمال خود را خواهند دید» (إِنَّ الَّذِینَ یَکْسِبُونَ الْإِثْمَ سَیُجْزَوْنَ بِما کانُوا یَقْتَرِفُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۴۲

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۱ ص:۶۴۲

(آیه ۱۲۱)- در آیات گذشته روی جنبه مثبت مسأله، یعنی خوردن از گوشتهای حلال تکیه شده بود، ولی در این آیه- برای تأکید هر چه بیشتر- روی جنبه منفی و مفهوم آن تکیه نموده و می گوید: «از گوشتهایی که نام خدا به هنگام ذبح بر آنها برده نشده است نخورید» (وَ لاَ تَأْکُلُوا مِمَّا لَمْ یُذْکَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَیْهِ).

سپس بـا یـک جمله کوتـاه مجـددا این عمل را محکوم کرده می گویـد: «این کار فسق و گناه و خروج از راه و رسم بنـدگی و اطاعت فرمان خداست» (وَ إنَّهُ لَفِسْقٌ).

و برای این که بعضی از مسلمانان ساده دل تحت تأثیر وسوسه های شیطانی آنها قرار نگیرنـد اضافه میکنـد: «شیاطین مطالب وسوسه انگیزی بطور مخفیانه به دوستان خود القا میکننـد، تا با شـما به مجادله برخیزند» (وَ إِنَّ الشَّیاطِینَ لَیُوحُونَ إِلی أَوْلِیائِهِمْ لِیُجادِلُوکُمْ).

ولى به هوش باشيد «اگر تسليم وسوسههاى آنها شويد، شما هم در صف مشركان قرار خواهيد گرفت» (وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ).

این مجادله و وسوسه شاید اشاره به همان منطقی باشد که مشرکان به یکدیگر القا می کردند (و بعضی گفته اند مشرکان عرب آن را از مجوسیان آموخته بودند) که اگر ما گوشت حیوان مرده را میخوریم به خاطر آن است که خدا آن را کشته یعنی نخوردن مردار یک نوع بی اعتنایی به کار خداست! غافل از آن که آنچه به مرگ طبیعی می میرد علاوه بر این که غالبا بیمار است، سر بریده نیست و خونهای کثیف در لابلای گوشتهای آن می ماند و فاسد می شود و گوشت را هم آلوده و فاسد می کند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۲ ص:۶۴۲

اشاره

(آیه ۱۲۲)

شأن نزول: ص: 642

نقل شده است: «أبو جهل» که از دشمنان سرسخت اسلام و پیامبر صلّی الله علیه و آله بود روزی سخت آن حضرت را آزاد داد، «حمزه» عموی شجاع پیامبر صلّی الله علیه و آله که تا آن روز اسلام را نپذیرفته بود و همچنان در باره آیین او مطالعه و اندیشه می کرد، و در آن روز از جریان کار أبو جهل و برادرزاده خویش باخبر شد، سخت برآشفت و یکسره به سراغ أبو جهل رفت و چنان بر سر- یا بینی او- کوفت که خون جاری شد، ولی أبو جهل با تمام نفوذی که داشت، به ملاحظه شجاعت برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۴۳

فوق العاده حمزه از نشان دادن عكس العمل خودداري كرد.

اراده و فرمان خدا زنده شده است (أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ).

سپس حمزه به سراغ پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمد و اسلام را پذیرفت و تا واپسین دم عمر، از این آیین آسمانی دفاع می کرد. آیه در باره این حادثه نازل گردید و وضع ایمان حمزه و پافشاری أبو جهل را در کفر و فساد مشخص ساخت.

از بعضی روایات نیز استفاده می شود که آیه در مورد ایمان آوردن عمار یاسر و اصرار أبو جهل در کفر نازل گردیده است.

تفسير: ص: ۶۴۳

ایمان و روشن بینی- ارتباط این آیه و آیه بعد با آیات قبل از این نظر است که در آیات گذشته اشاره به دو دسته مؤمن خالص و کافر لجوج شده بود، در اینجا نیز با ذکر دو مثال جالب و روشن وضع این دو طایفه مجسم گردیده است. نخست این که افرادی را که در گمراهی بودند، سپس با پذیرش حق و ایمان تغییر مسیر دادهاند تشبیه به مردهای می کند که به

ایمان افراد را دگرگون میسازد و در سراسر زندگی آنها اثر می گذارد و آثار حیات را در تمام شؤون آنها آشکار مینماید. سپس می گوید: «ما برای چنین افراد نوری قرار دادیم که با آن در میان مردم راه بروند» (وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی النَّاسِ). منظور از این «نور» تنها قرآن و تعلیمات پیامبر صلّی الله علیه و آله نیست، بلکه علاوه بر این، ایمان به خدا، بینش و در ک تازهای به انسان می بخشد افق دید او را از زندگی محدود مادی و چهار دیوار عالم ماده فراتر برده و در عالمی فوق العاده وسیع فرو می برد.

در پرتو این نور می تواند راه زندگی خود را در میان مردم پیدا کند، و از بسیاری اشتباهات که دیگران به خاطر آز و طمع، و به علت تفکر محدود مادی، و یا غلبه خودخواهی و هوی و هوس، گرفتار آن می شوند مصون و محفوظ بماند. و این که در روایات اسلامی می خوانیم: المؤمن ینظر بنور الله «انسان برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۴۴۴

با ایمان با نور خدا نگاه می کند» اشاره به همین حقیقت است.

سپس چنین فرد زنده و فعال و نورانی و مؤثری را با افراد بیایمان لجوج مقایسه کرده، می گوید: «آیا چنین کسی همانند شخصی است که در امواج ظلمتها و تاریکیها فرو رفته و هرگز از آن خارج نمی گردد»؟! (کَمَنْ مَثَلُهُ فِی الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها).

از هستی و وجود این گونه افراد در حقیقت چیزی جز یک شبح، یک قالب، یک مثال و یک مجسمه باقی مانده است، هیکلی دارند بیروح و مغز و فکری از کار افتاده! و در پایان آیه اشاره به علت این سرنوشت شوم کرده، می گوید: «این چنین اعمال کافران در نظرشان جلوه داده شده است» (کَذلِکَ زُیِّنَ لِلْکافِرِینَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۳ ص :۶۴۴

(آیه ۱۲۳) - و از آنجا که قهرمان این ماجرا در جهت نفی «ابو جهل» بود، و او از سردمداران مشرکان مکّه و قریش محسوب می شد در این آیه اشاره به وضع این رهبران گمراه و زعمای کفر و فساد کرده می فرماید: «این چنین قرار دادیم در هر شهر و آبادی بزرگانی را که طریق گناه پیش گرفتند و با مکر و فریب و نیرنگ مردم را از راه منحرف ساختند» (وَ کَذلِکَ جَعَلْنا فِی کُلِّ قَرْیَهٍ أَکابِرَ مُجْرِمِیها لِیَمْکُرُوا فِیها).

یعنی، سر انجام نافرمانی و گناه فراوان این شد که رهزن راه حق شدند و بندگان خدا را از راه منحرف ساختند.

و در پایان آیه می گوید: «آنها جز به خودشان نیرنگ نمیزنند ولی نمیفهمند و متوجه نیستند» (وَ ما یَمْکُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَ ما یَشْعُرُونَ).

از این آیه به خوبی استفاده میشود که مفاسد و بدبختیهایی که دامن اجتماعات را میگیرد از بزرگترها و سردمداران اقوام سر چشمه میگیرد و آنها هستند که با انواع حیله و نیرنگ راه خدا را دگرگون ساخته و چهره حق را بر مردم میپوشانند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۴ ص :۶۴۴

اشاره

(آیه ۱۲۴)

شأن نزول: ص: ۶۴۴

نقل شده که: این آیه در باره ولید بن مغیره (که از سران برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۴۵

معروف بت پرستان بود و به اصطلاح مغز متفكر آنها محسوب مىشـد) نـازل گرديـده است، او به پيامبر صـلّى اللّه عليه و آله مى گفت: اگر نبوت راست باشد من به احراز اين مقام از تو سزاوارترم، زيرا هم سنّم از تو بيشتر است و هم مالم!

تفسير: ص: 643

انتخاب پیامبر به دست خداست- در این آیه اشارهای کوتاه و پرمعنی به طرز تفکّر و ادعاهای مضحک این سردمداران باطل و «اکابر مجرمیها» کرده می گوید: «هنگامی که آیهای از طرف خدا برای هدایت آنها فرستاده می شد می گفتند: ما هر گز ایمان نمی آوریم، مگر این که به ما نیز همان مقامات و آیاتی که به فرستادگان خدا اعطا شده است داده شود» (وَ إِذَا جاءَتْهُمْ آیَهُ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّی نُؤْتی مِثْلَ ما أُوتِیَ رُسُلُ اللَّهِ).

قرآن پاسخ روشنی به آنها میدهد و می گوید لازم نیست شما به خدا درس بدهید که چگونه پیامبران و رسولان خویش را اعزام دارد و از میان چه افرادی انتخاب کند! زیرا «خداوند از همه بهتر میداند رسالت خود را در کجا قرار دهد» (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رسالَتَهُ).

روشن است رسالت نه ارتباطی به سن و مال دارد و نه به موقعیت قبایل، بلکه شرط آن قبل از هر چیز آمادگی روحی، پاکی ضمیر، سجایای اصیل انسانی، فکر بلند و اندیشه قوی، و بالاخره تقوی و پرهیزکاری فوق العادهای در مرحله عصمت است، و وجود این صفات مخصوصا آمادگی برای مقام عصمت چیزی است که جز خدا نمی داند، و چقدر فرق است میان این شرایط و میان آنچه آنها فکر می کردند.

جانشین پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نیز تمام صفات و برنامههای او را، به جز وحی و تشریع، دارد یعنی هم حافظ شرع و شریعت است و هم پاسدار مکتب و قوانین او و هم رهبر معنوی و مادی مردم، لذا باید او هم دارای مقام عصمت و مصونیت از خطا و گناه باشد تا بتواند رسالت خویش را به ثمر برساند و رهبری مطاع و سرمشقی مورد اعتماد گردد.

و به همین دلیل انتخاب او نیز به دست خداست نه از طریق انتخاب مردم برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۴۶

و شوری و خدا میداند این مقام را در چه جایی قرار دهد نه خلق خدا! و در آخر آیه سرنوشتی را که در انتظار این گونه مجرمان و رهبران پر ادعای باطل است بیان کرده، می گوید: «به زودی این گنهکاران به خاطر مکر و فریبی که برای گمراه ساختن مردم به کار زدند، گرفتار کوچکی و حقارت در پیشگاه خدا و عذاب شدید خواهند شد» (سَیُصِ یبُ الَّذِینَ أَجْرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عَذابٌ شَدِیدٌ بِما کانُوا یَمْکُرُونَ).

این خودخواهان میخواستند با کارهای خلاف خود موقعیت و بزرگی خویش را حفظ کنند، ولی خدا آنها را آنچنان «تحقیر» خواهد کرد که دردناکترین شکنجههای روحی را احساس کنند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۵ ص :۶۴۶

(آیه ۱۲۵)- امدادهای الهی! در تعقیب آیات گذشته که در زمینه مؤمنان راستین و کافران لجوج، بحث می کرد در اینجا مواهب بزرگی را که در انتظار دسته اول، و بی توفیقیهایی را که دامنگیر دسته دوم می شود شرح می دهد.

نخست می گوید: «هر کس را خدا بخواهد هدایت کند سینهاش را برای پذیرش حق گشاده میسازد و آن کس را که بخواهد گمراه سازد سینهاش را آن چنان تنگ و محدود می کند که گویا میخواهد به آسمان بالا رود» (فَمَنْ یُرِدِ اللَّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلام وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیَّقاً حَرَجاً کَأَنَّما یَصَّعَدُ فِی السَّماءِ).

و برای تأکید این موضوع اضافه میکند: «خداوند این چنین، پلیدی و رجس را، بر افراد بیایمان قرار میدهد» و سراپای آنها را نکبت و سلب توفیق فرا خواهد گرفت (کَذلِکَ یَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَی الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ).

كرارا گفتهايم كه منظور از «هـدايت» و «اضـلال» الهي فراهم ساختن يا از ميان بردن مقدمات هدايت در مورد كساني است كه

آمادگی و عدم آمادگی خود را برای پذیرش حق با اعمال و کردار خویش اثبات کردهاند.

سوره انعام(۶): آية ۱۲۶ ص :۶۴۶

(آیه ۱۲۶)- در این آیه به عنوان تأکید بحث گذشته می گوید: «این مطلب (که مددهای الهی شامل حال حق طلبان می گردد و سلب موفقیت به سراغ دشمنان بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۴۷

حق مىرود) يك سنت مستقيم و ثابت و دگرگونىناپذير الهى است» (وَ هذا صِراطُ رَبِّكَ مُشتَقِيماً).

در پایان آیه باز تأکید میکند که: «ما نشانه ها و آیات خود را برای آنها که دلی پذیرا و گوشی شنوا دارند شرح دادیم» (قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْم یَذَّکُرُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۷ ص:۴۲۶

(آیه ۱۲۷) - در این آیه دو قسمت از بزرگترین موهبتهایی را که به افراد بیدار و حقطلب می دهد بیان می کند، نخست این که: «برای آنها خانه امن و امان نزد پروردگارشان است» (لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْـدَ رَبِّهِمْ). و دیگر این که: «ولی و سـرپرست و حافظ و ناصر آنها خداست» (وَ هُوَ وَلِیُّهُمْ). «و تمام اینها به خاطر اعمال نیکی است که انجام می دادند» (بِما کانُوا یَعْمَلُونَ).

چه افتخاری از این بالاتر که سرپرستی و کفالت امور انسان را خداوند بر عهده گیرد و او حافظ و یار و یاورش باشد.

و چه موهبتی از این عظیمتر که «دار السّ لام» یعنی محلی که در آن نه جنگ است نه خونریزی، نه خشونت است و نه رقابتهای کشنده و طاقت فرسا، نه تصادم منافع است و نه دروغ و افترا و تهمت و حسد و کینه و نه غم و اندوه، که از هر نظر قرین آرامش است، در انتظار انسان باشد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۸ ص :۴۲

(آیه ۱۲۸)- در این آیه مجددا قرآن به سرنوشت مجرمان گمراه و گمراه کننده باز می گردد و بحثهای آیات گذشته را با آن تکمیل می کند.

آنها را به یاد روزی میاندازد که رو در روی شیاطینی که از آنها الهام گرفتهاند میایستند و از این پیروان و آن پیشوایان سؤال میشود.

نخست می گوید: «آن روز که خداوند همه را جمع و محشور میسازد، ابتدا می گوید: ای جمعیت جن و شیاطین اغواگر! شما افراد زیادی از انسانها را گمراه ساختید» (وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ جَمِیعاً یا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَکْتَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ).

منظور از کلمه «جن» در اینجا همان شیاطین است، زیرا جن در اصل به معنی هر موجود ناپیدا میباشد و در آیه ۵۰ سوره کهف در باره رئیس شیاطین «ابلیس» میخوانیم: کانَ مِنَ الْجِنِّ یعنی او از جن بود. برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۴۸ اما شیاطین اغواگر گویا در برابر این سخن پاسخی ندارند و سکوت می کنند، ولی «پیروان آنها از بشر چنین می گویند: پروردگارا! آنها از ما بهره گرفتند و ما هم از آنها، تا زمانی که اجل ما پایان گرفت» (وَ قالَ أَوْلِیاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْ تَمْتَع بَعْضُنا بِبَعْضِ وَ بَلَغْنا أَجَلَنا الَّذِی أَجَّلْتَ لَنا).

منظور از «اجل» در این آیه پایان زندگی است، زیرا اجل به این معنی در بسیاری از آیات قرآن به کار رفته است.

اما خداونـد همه این پیشوایان و پیروان مفسـد و فاسـد را مخاطب ساخته میگوید: «جایگاه همه شـما آتش است و جاودانه در آن خواهید ماند مگر آنچه خدا بخواهد» (قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِینَ فِیها إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ).

و در پایان آیه می فرماید: «پروردگار تو حکیم و داناست» (إِنَّ رَبَّکُ حَکِیمٌ عَلِیمٌ).

هم کیفرش روی حساب است و هم عفو و بخشش، و به خوبی از موارد آنها آگاه میباشد.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۲۹ ص :۶۴۸

(آیه ۱۲۹) - در این آیه اشاره به یک قانون همیشگی الهی در مورد این گونه اشخاص کرده می گوید: ستمگران و طاغیان در این دنیا حامی و پشتیبان یکدیگر و رهبر و راهنمای هم بودند و در مسیرهای غلط همکاری نزدیک داشتند «همان طور که در جهان دیگر نیز آنها را به یکدیگر وامی گذاریم و این به خاطر اعمالی است که در این جهان انجام دادند» (وَ کَذلِکَ نُولِی بَعْضَ الظَّالِمِینَ بَعْضًا بِما کانُوا یَکْسِبُونَ).

تعبیر «بما کانوا یکسبون» نشان میدهد که این سیه روزی و بدبختی به خاطر اعمال خودشان است و این یک سنت الهی و قانون آفرینش است که رهسپران راههای تاریک جز سقوط در چاه و درّه بدبختی فرجامی نخواهند داشت.

سوره انعام(6): آیهٔ ۱۳۰ ص :۶۴۸

(آیه ۱۳۰)- اتمام حجت! در آیات گذشته سرنوشت شیطان صفتان ستمگر در روز رستاخیز بیان شده، برای این که تصور نشود آنها در حال غفلت دست به چنین اعمالی زدند در این آیه و دو آیه بعد روشن میسازد که به اندازه برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۴۹

كافي هشدار به آنها داده شده و اتمام حجت گرديده است.

لذا خداوند در روز قیامت به آنها می گوید: «ای جمعیت جن و انس آیا رسولانی از شما به سوی شما نیامدند و آیات مرا بازگو نکردند و در باره ملاقات چنین روزی به شما اخطار ننمودند»ا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْبِإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آیاتِی وَ یُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ یَوْمِكُمْ هذا)

.سپس می گوید: از آنجا که روز رستاخیز روز کتمان نیست و نشانههای همه چیز آشکار است و هیچ کس نمی تواند چیزی را پنهان دارد، «همگی در برابر این پرستش الهی، اظهار میدارند: ما بر ضد خود گواهی میدهیم و اعتراف می کنیم» که چنین رسولانی آمدند و پیامهای تو را به ما رسانیدند اما مخالفت کردیمالُوا شَهِدْنا عَلی أَنْفُسِنا)

. آری! دلایـل کافی از طرف پروردگار در اختیار آنها بود و آنها راه را از چاه میشـناختند «ولی زنـدگی فریبنـده دنیا و زرق و برق وسوسهانگیز آن، آنها را فریب داد»َ غَرَّتْهُمُ الْحَیاهُ الدُّنْیا)

. بار دیگر قرآن تأکیـد میکنـد که «آنها با صـراحت به زبان خود گواهی میدهند که راه کفر پوییدند و در صف منکران حق قرار گرفتند»َ شَهِدُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ کانُوا کافِرینَ)

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۳۱ ص:۶۴۹

(آیه ۱۳۱)- در این آیه همان مضمون آیه گذشته را، اما به صورت یک قانون کلی و سنت همیشگی الهی، بازگو می کند که

«این به خاطر آن است که پروردگار تو هیچ گاه مردم شهرها و آبادیها را به خاطر ستمگریهایشان، در حالی که غافلند، هلاک نمی کنند» مگر این که رسولانی به سوی آنها بفرستد و آنها را متوجه زشتی اعمالشان سازد و گفتنیها را بگوید (ذلِکَ أَنْ لَمْ یَکُنْ رَبُّکَ مُهْلِکَ الْقُری بِظُلْم وَ أَهْلُها غافِلُونَ).

ممكن است كلمه «بظلم» به این معنی باشد كه خدا افراد غافل را از روی ظلم و ستم كیفر نمی دهد زیرا كیفر دادن آنها در این حال، ظلم و ستم است و خداوند برتر از این است كه در باره كسی ستم كند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۳۲ ص:۶۴۹

(آیه ۱۳۲)- و سر انجام آنها را در این آیه خلاصه کرده، چنین می گوید: «هر یک از این دستهها (نیکوکار و بدکار، فرمانبردار و قانون شکن، حق طلب و ستمگر) برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۵۰

درجات و مراتبی بر طبق اعمال خود در آنجا دارنـد و پروردگارت هیـچ گاه از اعمال آنها غافل نیست، بلکه همه را میداند و به هر کس آنچه لایق است میدهد» (وَ لِکُلِّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَ ما رَبُّکَ بِغافِلِ عَمَّا یَعْمَلُونَ).

این آیه بار دیگر بر این حقیقت تأکید میکند که تمام مقامها و «درجات» و «درکات» زاییده اعمال خود آدمی است و نه چیز دیگر.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۳۳ ص:۶۵۰

(آیه ۱۳۳)- این آیه در واقع استدلالی است برای آنچه در آیات پیش در زمینه عـدم ظلم پروردگـار بیـان شـد، میگویـد: «پروردگار تو، هم بینیاز است، و هم رحیم و مهربان» (وَ رَبُّکَ الْغَنِیُّ ذُو الرَّحْمَةِ).

بنابراین، دلیلی ندارد که بر کسی کوچکترین ستم روا دارد، زیرا کسی ستم می کند که یا نیازمند باشد یا خشن و سنگدل به علاوه نه نیازی به اطاعت شما دارد و نه بیمی از گناهانتان، زیرا «اگر بخواهد همه شما را می برد و به جای شما کسان دیگری را که بخواهد جانشین می سازد همان طور که شما را از دودمان انسانهای دیگری که در بسیاری از صفات با شما متفاوت بودند آفرید» (إِنْ یَشَا یُدْهِبْکُمْ وَ یَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِکُمْ ما یَشاء کما أَنْشَا کُمْ مِنْ ذُرِّیَةٍ قَوْمِ آخَرِینَ).

بنابراین، او هم بینیاز و هم مهربان و هم قادر بر هر چیز است با این حال تصور ظلم در باره او ممکن نیست.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۳۴ ص:۶۵۰

(آیه ۱۳۴) و با توجه به قدرت بی پایان او روشن است که: «آنچه به شما در زمینه رستاخیز و پاداش و کیفر وعده داده خواهد آمد و کمترین تخلفی در آن نیست» (إِنَّ ما تُوعَ دُونَ لَآتٍ). «و شما هر گز نمی توانید از قلمرو حکومت او خارج شوید و از پنجه عدالت او فرار کنید» (وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۳۵ ص:۶۵۰

(آیه ۱۳۵)– سپس به پیامبر دستور می دهد که «آنها را تهدید کن و بگو: ای قوم من! هر کار از دستتان ساخته است انجام دهید

من هم آنچه خدا به من دستور داده انجام خواهم داد، اما به زودی خواهید دانست سر انجام نیک و پیروزی نهایی با کیست اما بطور مسلم ظالمان و ستمگران پیروز نخواهند شد و روی سعادت را نخواهند دید» (قُلْ یا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلی مَکانَتِکُمْ إِنِّی عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَکُونُ برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۵۱ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الظَّالِمُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۳۶ ص :۶۵۱

(آیه ۱۳۶)- بار دیگر برای ریشه کن ساختن افکار بت پرستی از مغزها به ذکر عقاید و رسوم و آداب و عبادات خرافی مشرکان پرداخته و با بیان رسا خرافی بودن آنها را روشن میسازد.

نخست مى گويىد: «كفار مكُه و ساير مشركان سهمى از زراعت و چهارپايان خود را براى خدا و سهمى نيز براى بتها قرار مى دادنىد، و مى گفتنىد: اين قسمت مال خداست و اين هم مال شركاى ما، يعنى بتهاست» (وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْنَاهُمِ نَصِيبًا فَقالُوا هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هذا لِشُرَكائِنا).

سپس اشاره به داوری عجیب آنها در این باره کرده، می گوید: «سهمی را که برای بتها قرار داده بودند هرگز به خدا نمیرسید و اما سهمی را که برای بتها قرار داده بودند به بتها میرسید» (فَما کانَ لِشُرَکائِهِمْ فَلا یَصِلُ إِلَی اللَّهِ وَ ما کانَ لِلَّهِ فَهُوَ یَصِلُ إِلَی شُرَکائِهِمْ).

هر گاه بر اثر حادثهای قسمتی از سهمی که برای خدا از زراعت و چهارپایان قرار داده بودند آسیب میدید و نابود می شد می گفتند: مهم نیست خداوند بینیاز است، اما اگر از سهم بتها از بین میرفت سهم خدا را به جای آن قرار میدادند و می گفتند: بتها نیاز بیشتری دارند.

در پایان آیه با یک جمله کوتاه این عقیده خرافی را محکوم میسازد و می گوید: «چه بد حکم می کنند» (ساءَ ما یَحْکُمُونَ). چه حکمی از این زشت تر و ننگین تر که انسان قطعه سنگ و چوب بی ارزشی را بالاتر از آفریننده جهان هستی فکر کند، آیا انحطاط فکری از این بالاتر تصور می شود؟!

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۳۷ ص :۶۵۱

(آیه ۱۳۷) – قرآن در این آیه اشاره به یکی دیگر از زشتکاریهای بت پرستان و جنایتهای شرم آور آنها کرده می گوید: «همان طور (که تقسیم آنها در مورد خداوند و بتها در نظرشان جلوه داشت و این عمل زشت و خرافی و حتی مضحک را کاری پسندیده می پنداشتند) همچنین شرکای آنها قتل فرزندان را در نظر بسیاری از بت پرستان بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۵۲ جلوه داده بود» (وَ کَذلِکَ زَیَنَ لِکَثِیرٍ مِنَ الْمُشْرِکِینَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَکاؤُهُمْ).

تا آنجا که کشتن بچههای خود را یک نوع افتخار و یا عبادت محسوب می داشتند.

منظور از «شرکاء» در اینجا بتها هستند که به خاطر آنان گاهی فرزندان خود را قربانی مینمودند و یا نـذر میکردند که اگر فرزندی نصیب آنها شد آن را برای بت قربانی کنند، همان طور که در تاریخ بت پرستان قدیم گفته شده است.

و بنابراین نسبت «تزیین» به بتها به خاطر آن است که علاقه و عشق به بت آنها را وادار به این عمل جنایت بار می کرد.

سپس قرآن می گوید: «نتیجه این گونه اعمال زشت این بود که «بتها و خدمه آن، مشرکان را به هلاکت بیفکنند و دین و آیین

حق را مشتبه سازند و آنها را از رسيدن به يک آيين پاک محروم نمايند» (لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ).

قرآن مي گويد: «اما با اين همه اگر خدا ميخواست مي توانست به اجبار جلو آنها را بگيرد» (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ).

ولی اجبار بر خلاف سنت خداست، خداوند خواسته بندگان، آزاد باشند تا راه تربیت و تکامل هموار گردد زیرا در اجبار نه تربیت است و نه تکامل.

و در پایان می فرماید: اکنون که چنین است و آنها در میان یک چنین اعمال خرافی زشت و ننگینی غوطه ورند و حتی قبح آن را درک نمی کنند، و از همه بدتر این که گاهی آن را به خدا نیز نسبت می دهند «آنها و تهمتهایشان را به حال خود واگذار» و به تربیت دلهای آماده و مستعد بپرداز (فَذَرْهُمْ وَ ما یَفْتُرُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۳۸ ص:۶۵۲

(آیه ۱۳۸)- در این آیه و آیات بعد به چند قسمت از احکام خرافی بت پرستان که حکایت از کوتاهی سطح فکر آنها می کند اشاره شده است.

نخست می گوید بت پرستان می گفتند: «این قسمت از چهارپایان و زراعت که مخصوص بتهاست و سهم آنها می باشد بطور کلی برای همه ممنوع است، مگر آنهایی که ما میخواهیم و به پندار آنها تنها این دسته حلال بود نه بر دیگران» (وَ قالُوا هـذِهِ أَنْعامٌ وَ حَرْثٌ حِجْرٌ لا یَطْعَمُها إِلَّا مَنْ نَشاءُ بِزَعْمِهِمْ).

و منظورشان همان خدمه و متولیان بت و بتخانه بود، تنها این دسته بودند که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۵۳ به پندار آنها حق داشتند از سهم بتها بخورند.

سپس اشاره به دومین چیزی می کند که آنها تحریم کرده بودند و می گوید:

آنها معتقد بودند که «قسمتی از چهارپایان هستند که سوار شدن بر آنها حرام است» (وَ أُنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها).

بعـد سومین قسـمت از احکـام نـاروای آنها را بیان کرده می گویـد: «نام خـدا را بر قسـمتی از چهارپایان نمیبردنـد» (وَ أَنْعامٌ لاَ یَذْکُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَیْهَا).

این جمله ممکن است اشاره به حیواناتی باشد که به هنگام ذبح تنها نام بت را بر آنها میبردند و یا حیواناتی بوده است که سوار شدن بر آنها را برای حج تحریم کرده بودند.

عجیب این است که به این احکام خرافی قناعت نمی کردنـد، بلکه «به خدا افترا میبسـتند و آن را به او نسـبت میدادند» (افْتِراءً عَلَیْه).

در پایان آیه پس از ذکر این احکام ساختگی می گوید: «خداوند به زودی کیفر آنها را در برابر این افترائات خواهد داد» (سَیَجْزِیهِمْ بِما کانُوا یَفْتَرُونَ).

سوره انعام(۶): آية ۱۳۹ ص :۶۵۳

(آیه ۱۳۹) - در این آیه نیز به یکی دیگر از احکام خرافی بت پرستان در مورد گوشت حیوانات اشاره کرده می فرماید: «آنها گفتند: جنین هایی که در شکم این حیوانات است مخصوص مردان ما است، و بر همسران ما حرام است ولی اگر مرده متولد شود، همگی در آن شریکند» (وَ قالُوا ما فِی بُطُونِ هـنِهِ الْأَنْعام خالِصَ أُهُ لِـنَدُکُورِنا وَ مُحَرَّمٌ عَلی أَزْواجِنا وَ إِنْ یَکُنْ مَیْتَـهً فَهُمْ فِیهِ

شُرَكاءُ).

قرآن به دنبال این حکم جاهلی، با این جمله مطلب را تمام کرده و می گوید:

«به زودی خداوند کیفر این گونه توصیفات آنها را می دهد» (سَیَجْزِیهِمْ وَصْفَهُمْ).

و در پایان آیه می فرماید: «او حکیم و داناست» (إِنَّهُ حَكِیمٌ عَلِیمٌ).

هم از اعمال و گفتار و تهمتهای ناروای آنان باخبر است و هم روی حساب، آنها را مجازات می کند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۴۰ ص :۶۵۳

(آیه ۱۴۰)- در تعقیب چند آیه گذشته که سخن از قسمتی از احکام خرافی و آداب زشت و ننگین عصر جاهلیت عرب به میان آورد، در این آیه به شدت همه برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۵۴

این اعمال و احکام را محکوم کرده و با «هفت تعبیر مختلف» در جملههایی کوتاه اما بسیار رسا و جالب، وضع آنها را روشن میسازد.

نخست می گوید: «کسانی که فرزندان خود را از روی سفاهت و جهل کشتند، زیان کردند» (قَدْ خَسِرَ الَّذِینَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَیْر عِلْم).

هم از نظر انسانی و اخلاقی، و هم از نظر عاطفی، و هم از نظر اجتماعی گرفتار خسارت و زیان گشتند و از همه بالاتر خسارت معنوی در جهان دیگر! هر یک از این تعبیرهای سه گانه به تنهایی برای معرفی زشتی عمل آنها کافی است. کدام علم و دانش اجازه می دهد که انسان چنین عملی را به عنوان یک سنت و یا قانون در جامعه خود بپذیرد؟! اینجاست که به یاد گفتار ابن عباس می افتیم که می گفت: اگر کسی بخواهد میزان عقب ماندگی اقوام جاهلی را بداند آیات سوره انعام (یعنی آیات فوق) را بخواند.

سپس قرآن می گوید: «اینان آنچه را خـدا به آنان روزی داده بود و مباح و حلال ساخته بود، بر خود تحریم کردنـد و به خـدا افترا زدند که خدا آنها را حرام کرده است» (وَ حَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِراءً عَلَى اللَّهِ).

در این جمله با دو تعبیر دیگر اعمال آنها محکوم شده است، زیرا آنها نعمتی را که خدا به آنان «روزی» داده بود و حتی برای ادامه حیاتشان لازم و ضروری بود بر خود تحریم کردند و قانون خدا را زیر پا گذاشتند و دیگر این که به خدا «افترا» بستند که او چنین دستوری داده است، با آن که ابدا چنین نبود.

و در پایان آیه با دو تعبیر دیگر آنان را محکوم میسازد، نخست می گوید:

«آنها بطور مسلم گمراه شدند» (قَدْ ضَلُّوا).

سپس اضافه می کند «آنها هیچ گاه در مسیر هدایت نبودهاند» (وَ ما کانُوا مُهْتَدِینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۴۱ ص :۶۵۴

(آیه ۱۴۱)- یک درس بزرگ توحید! در این آیه به چند موضوع اشاره شده است که هر کدام در حقیقت نتیجه دیگری است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۵۵

نخست می گوید: «خداونید همان کسی است که انواع باغها و زراعتها با درختان گوناگون آفریده است که بعضی روی

داربستها قرار گرفته (و با منظره بدیع و دلانگیز خود چشمها را متوجه خویش میسازند، و با میوههای لذیـذ و پربرکت کام انسـان را شـیرین میکننـد) و بعضـی بـدون احتیـاج به داربست بر سـر پـا ایسـتاده و سـایه بر سـر آدمیان گسترده، و با میوههای گوناگون به تغذیه انسان کمک میکنند» (وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وَ غَیْرَ مَعْرُوشاتٍ).

سپس اشاره به دو قسمت از باغها و جنات کرده، می گوید: «و همچنین درختان نخل و زراعت را آفرید» (وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ). بعد اضافه می کند که: «این درختان از نظر میوه و طعم با هم متفاوتند» (مُخْتَلِفاً أُکُلُهُ). یعنی با این که از زمین واحدی میرویند هر کدام طعم و عطر و خاصیتی مخصوص به خود دارند، که در دیگری دیده نمی شود.

سپس اشاره به دو قسمت دیگر از میوههایی می کند که فوق العاده مفید و دارای ارزش حیاتی هستند، و می گوید: «همچنین زیتون و انار» را آفرید (وَ الزَّیْتُونَ وَ الرُّمَّانَ).

انتخاب این دو، ظاهرا به خاطر آن است که این دو درخت در عین این که از نظر ظاهر با هم شباهت دارند، از نظر میوه و خاصیت غذایی بسیار با هم متفاوتند.

لذا بلافاصله مى فرمايد «هم با يكديگر شبيهند و هم غير شبيه» (مُتَشابِهاً وَ غَيْرَ مُتَشابِها).

پس از ذکر این همه نعمتهای گوناگون پروردگار، می گوید: «از میوه آنها به هنگامی که به ثمر نشست، بخورید ولی فراموش نکنید که به هنگام چیدن، حق آن را باید ادا کنید» (کُلُوا مِنْ تَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ یَوْمَ حَصادِهِ).

و در پایان، فرمان میدهد که «اسراف نکنید، زیرا خداوند مسرفان را دوست نمیدارد» (وَ لا تُشرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ).

سوره انعام(6): آیهٔ ۱۴۲ ص :۶۵۵

(آیه ۱۴۲)- در این آیه و دو آیه بعد در باره حیوانات حلال گوشت و خدمات آنها سخن می گوید. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۵۶

نخست می گوید: خداوند کسی است که از چهارپایان برای شما حیوانات بزرگ و باربر و حیوانات کوچک آفرید» (وَ مِنَ الْأَنْعام حَمُولَةً وَ فَوْشاً).

«فرش» به همان معنی معروف است، ولی در اینجا به معنی گوسفند و نظیر آن از حیوانات کوچک تفسیر شده است.

سپس چنین نتیجه می گیرد، اکنون که همه اینها مخلوق خداست و حکم آن به دست اوست، به شما اجازه میدهـ که «از آنچه خدا به شما روزی داده است بخورید» (کُلُوا مِمَّا رَزَقَکُمُ اللَّهُ).

و برای تأکید این سخن و ابطال احکام خرافی مشرکان، میفرماید: «از گامهای شیطان پیروی نکنید، که او دشمن آشکار شماست» دشمنی که از آغاز خلقت آدم با شما اعلان جنگ داده است (وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۴۳ ص:۶۵۶

(آیه ۱۴۳) - در این آیه به عنوان توضیح، قسمتی از حیوانات حلال گوشت و قسمتی از حیواناتی را که هم باربرند و هم برای تغذیه انسان قابل استفاده اند، شرح می دهد و می گوید: «خداوند هشت جفت از چهارپایان را برای شما آفرید، از گوسفند و میش یک جفت (نر و ماده) و از بز یک جفت (نر و ماده) (ثَمانِیَهُ أَزْواجِ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَیْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَیْنِ).

پس از ذکر این چهار زوج بلافاصله به پیامبرش دستور میدهد که «از آنها صریحا بپرس: آیا خداوند نرهای آنها را حرام

كرده يا ماده ها را»؟ (قُلْ آلنَّ كَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأَنْتَيَيْنِ). «يا حيواناتى كه در شكم ميشها يا بزهاى ماده است» (أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأَنْتَيِيْنِ).

بعد اضافه می کند: «اگر راست می گویید و بر تحریم هر یک از این حیوانات از روی علم و دانش دلیلی دارید به من خبر دهید» (نَبْنُونِی بِعِلْم إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۴۴ ص :۶۵۶

(آیه ۱۴۴) - در این آیه، چهار زوج دیگر را بیان می کند و میفرماید: «از شتر، دو زوج (نر و ماده) و از گاو هم دو زوج (نر و ماده) ماده) قرار دادیم، بگو: کدامیک از اینها را خدا حرام کرده است، نرها یا ماده ها را و یا حیواناتی که در شکم شترها یا برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۵۷

كَاوهاى ماده است»؟ (وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْتَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْتَيَيْنِ).

حکم به حلال بودن یا حرام بودن این حیوانات تنها به دست خداوندی است که آفریننده آنها و آفریدگار بشر و تمام جهان هستی است.

در آیه قبل تصریح شده بود که هیچ گونه دلیل علمی و عقلی برای تحریم این حیوانات در اختیار مشرکان نبود، و چون آنها ادعای نبوت و وحی نیز نداشتند، بنابراین، احتمال سوم باقی میماند که ادعا کنند به هنگام صدور این فرمان، از پیامبران الهی، حاضر و گواه بودهاند.

لذا مىفرمايد: «آيا شما شاهد و گواه اين مطلب بوديد، هنگامى كه خداوند شما را به اين موضوع توصيه كرد» (أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهذا).

و چون جواب این سؤال نیز منفی بوده، ثابت میشود که آنها جز تهمت و افتراء در این باره سرمایهای نداشتند.

لـذا در پایان آیه اضافه می کنـد: «چه کسی ستمکارتر است از آنها که بر خـدا دروغ میبندند تا مردم را از روی جهل گمراه سازند، مسـلما خداوند هیچ گاه سـتمگران را هدایت نخواهد کرد» (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً لِیُضِلَّ النَّاسَ بِغَیْرِ عِلْمٍ، إِنَّ اللَّهَ لاَ یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ).

از آیه فوق استفاده می شود که دروغ بستن به خدا یکی از بزرگترین ستمها است، ستم به مقام مقدس پروردگار، و ستم به بندگان خدا، و ستم به خویشتن!

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۴۵ ص:۶۵۷

(آیه ۱۴۵)- بخشی از حیوانات حرام. برای روشن ساختن محرمات الهی از بدعتهایی که مشرکان در آیین حق گذاشته بودند، در این آیه به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور می دهد که: «صریحا به آنها بگو: در آنچه بر من وحی شده هیچ غذای حرامی را برای هیچ کس (اعم از زن و مرد، کوچک و بزرگ) نمی یابم» (قُلْ لا أَجِدُ فِی ما أُوحِیَ إِلَیَّ مُحَرَّماً عَلی طاعِمٍ یَطْعَمُهُ). مگر چند چیز «نخست این که مردار باشد» (إِلَّا أَنْ یَکُونَ مَیْتَهً).

«یا خونی که از بدن حیوان بیرون میریزد» (أَوْ دَماً مَشفُوحاً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۵۸

نه خونهایی که پس از بریدن رگهای حیوان و خارج شدن مقدار زیادی از خون در لابلای رگهای مویین در وسط گوشتها

باقی میماند «یا گوشت خوک» (أَوْ لَحْمَ خِنزِیرٍ). زیرا «همه اینها رجس و پلیدی است» و مایه تنفر طبع سالم آدمی و منبع انواع آلودگیها و سر چشمه زیانهای مختلف (فَإِنَّهُ رِجْسٌ).

سپس به نوع چهارم اشاره کرده می گوید: «یا حیواناتی که هنگام ذبح نام غیر خدا بر آنها برده شده است» (أَوْ فِشِ قَا أُهِلَّ لِغَیْرِ اللَّهِ بِهِ). که از نظر اخلاقی و معنوی نشانه بیگانگی از خدا و دوری از مکتب توحید است.

بنابراین، شرایط ذبح اسلامی، بر دو گونه است، بعضی مانند بریدن رگهای چهارگانه و بیرون ریختن خون حیوان، جنبه بهداشتی دارد، و بعضی مانند رو به قبله بودن و گفتن «بسم الله» و ذبح به وسیله مسلمان، جنبه معنوی.

در پایان آیه کسانی را که از روی ناچاری و اضطرار، و نیافتن هیچ غذای دیگر برای حفظ جان خویش، از این گوشتهای حرام استفاده می کنند، استثناء کرده و می گوید: «کسانی که اضطرار پیدا کنند، گناهی بر آنها نیست، مشروط بر این که تنها به خاطر حفظ جان باشد نه به خاطر لذت و یا حلال شمردن حرام الهی و نه زیاد از حد، بخورند، در این صورت پروردگار آمرزنده مهربان، آنها را معاف خواهد ساخت» (فَمَنِ اضْطُرَّ غَیْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّکَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

در حقیقت این دو شرط برای آن است که افرادی اضطرار را دستاویز برای تجاوز به حریم قوانین الهی نسازند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۴۶ ص:۶۵۸

(آیه ۱۴۶)- محرمات بر یهود. در این آیه اشاره به قسمتی از محرمات بر یهود می کند تا روشن شود، که احکام مجعول و خرافی بت پرستان نه با آیین اسلام سازگار است و نه با آیین یهود، (و نه با آیین مسیح که معمولا در احکامش از آیین یهود پیروی می کند). لذا نخست می گوید: «بر یهودیان، هر حیوان ناخنداری را حرام کردیم» (وَ عَلَی الَّذِینَ هادُوا حَرَّمْنا کُلَّ ذِی ظُفُر).

بنابراین، تمام حیواناتی که «سم چاک» نیستند اعم از چهارپایان یا پرنـدگان، بر یهود تحریم شـده بود. برگزیـده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۵۹

سپس مىفرمايىد: «پيه و چربى موجود در بدن گاو و گوسفند را نيز بر آنها حرام كرده بوديم» (وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما).

و به دنبال آن، سه مورد را استثناء می کند، نخست «چربیهایی که در پشت این دو حیوان قرار دارد» (إِلَّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما). «و چربیهایی که در پهلوها و لابلای امعاء قرار گرفته» (أَوِ الْحَوایا). «و چربیهایی که با استخوان آمیخته شده است» (أَوْ مَا اخْتَلَطَ بعَظْم).

ولی در پایان آیه تصریح می کند که اینها در حقیقت بر یهود حرام نبود، «اما به خاطر ظلم و ستمی که می کردند، از این گونه گوشتها و چربیها که مورد علاقه آنها بود به حکم خدا محروم شدند» (ذلِکَ جَزَیْناهُمْ بِبَغْیِهِمْ). و برای تأکید اضافه می کند: «این یک حقیقت است و ما راست می گوییم» (وَ إِنَّا لَصادِقُونَ).

سوره انعام(6): آیهٔ ۱۴۷ ص:۶۵۹

(آیه ۱۴۷)- از آنجا که لجاجت یهود و مشرکان روشن بوده و امکان داشته پافشاری کنند و پیامبر صلّی الله علیه و آله را تکذیب نمایند، در این آیه خداوند به پیامبرش دستور میدهد که «اگر تو را تکذیب کنند به آنها بگو: پروردگارتان رحمت وسيع و پهناورى دارد» (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكَمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ).

و شـما را زود مجازات نمی کند بلکه مهلت میدهد، شاید از اشـتباهات خود برگردید و از کرده خود پشیمان شوید و به سوی خدا باز آیید.

ولی اگر از مهلت الهی باز هم سوء استفاده کنید، و به تهمتهای ناروای خود ادامه دهید، بدانید کیفر خداوند قطعی است، و سر انجام دامان شما را خواهد گرفت، زیرا «مجازات او از جمعیت مجرمان دفع شدنی نیست» (و لا یُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِینَ). این آیه به خوبی عظمت تعلیمات قرآن را روشن می سازد که بعد از شرح این همه خلافکاریهای یهود و مشرکان، باز آنها را فورا تهدید به عذاب نمی کند بلکه نخست با تعبیرهای آکنده از محبت راه بازگشت را به سوی آنها گشوده، تا تشویق شوند و به سوی حق بازگردند، اما برای این که رحمت پهناور الهی باعث جرأت برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۶۰ و جسارت و طغیان آنان نگردد، و دست از لجاجت بردارند در آخرین جمله آنها را تهدید به مجازات قطعی خدا می کند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۴۸ ص:۶۶۰

(آیه ۱۴۸) - فرار از مسؤولیت به بهانه «جبر»! به دنبال سخنانی که از مشرکان در آیات سابق گذشت، در این آیه اشاره به پارهای از استدلالات واهی و پاسخ آن شده است، نخست می گوید: «به زودی مشرکان (در پاسخ ایرادات تو در زمینه شرک و تحریم روزیهای حلال) چنین می گویند که اگر خداوند میخواست نه ما مشرک می شدیم و نه نیاکان ما بت پرست بودند، و نه چیزی را تحریم می کردیم»، پس آنچه ما کرده ایم و می گوییم همه خواست اوست (سَیَقُولُ الَّذِینَ أَشْرَکُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَکُنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَیْءٍ).

مشرکان مانند بسیاری از گناهکاران میخواستند با استتار تحت عنوان جبر از مسؤولیت خلافکاریهای خود فرار کنند. در حقیقت آنها مدعی بودهاند سکوت خدا در برابر بت پرستی و تحریم پارهای از حیوانات، دلیل بر رضایت اوست زیرا اگر راضی نبود می بایست به نوعی ما را از این کار بازدارد.

اما قرآن در پاسخ آنها به طرز قاطعی بحث کرده، نخست می گوید: تنها اینها نیستند که چنین دروغهایی را بر خدا می بندند «بلکه جمعی از اقوام گذشته نیز همین دروغها را می گفتند ولی سر انجام گرفتار عواقب سوء اعمالشان شدند و طعم مجازات ما را چشیدند» (کَذلِکَ کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّی ذاقُوا بَأْسَنا).

آنها در حقیقت با این گفته های خود، هم دروغ می گفتند و هم انبیاء را تکذیب می کردند، اگر او به این اعمال راضی بود چگونه پیامبران خود را برای دعوت به توحید می فرستاد، اصولاد دعوت انبیاء خود مهمترین دلیل برای آزادی اراده و اختیار انسان است.

سپس می گوید: «به آنها بگو: آیا راستی دلیل قطعی و مسلّمی بر این ادعا دارید اگر دارید چرا نشان نمیدهید» (قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْم فَتُخْرِجُوهُ لَنا).

و سر انجام اضًافه می کنـد که «شـما بطور قطع هیـچ دلیلی بر این ادعاها ندارید، تنها از پندارها و خیالات خام پیروی می کنید» (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۶۱

إِلَّا تَخْرُصُونَ).

(آیه ۱۴۹) - در این آیه برای ابطال ادعای مشرکان دلیل دیگری ذکر میکند، و میگوید: «بگو خداوند دلایل صحیح و روشن در زمینه توحید و یگانگی خویش و همچنین احکام حلال و حرام اقامه کرده است» هم به وسیله پیامبران خود و هم از طریق عقل، بطوری که هیچ گونه عذری برای هیچ کس باقی نماند (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ).

بنابراین، آنها هرگز نمی توانند ادعا کنند که خدا با سکوت خویش، عقاید و اعمال ناروایشان را امضا کرده است، و نیز نمی توانند ادعا کنند که در اعمالشان مجبورند، زیرا اگر مجبور بودند، اقامه دلیل و فرستادن پیامبران و دعوت و تبلیغ آنان بیهوده بود، اقامه دلیل، دلیل بر آزادی اراده است.

و در پایان آیه می فرماید: «خداوند اگر بخواهد، همه شما را از طریق اجبار هدایت خواهد کرد» (فَلَوْ شاءَ لَهَداکُمْ أَجْمَعِینَ). ولی نه چنان ایمانی ارزش خواهد داشت و نه اعمالی که در پرتو آن انجام می گیرد، بلکه فضیلت و تکامل انسان در آن است که راه هدایت و پرهیزکاری را با پای خود و به اراده و اختیار خویش بپیماید.

از امام كاظم عليه السيلام چنين نقل شده است كه فرمود: «خداوند بر مردم دو حجت دارد، حجت آشكار و حجت پنهان، حجت آشكار و حجت باطنه، عقول و افكارند».

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۰ ص :۶۶۱

(آیه ۱۵۰) - در این آیه برای این که بطلاین سخنان آنها روشنتر شود، و نیز اصول صحیح قضاوت و داوری رعایت گردد، از آنها دعوت می کند که اگر شهود معتبری دارند، که خداوند حیوانات و زراعتهایی را که آنها مدّعی تحریم آن هستند. تحریم کرده، اقامه کنند.

لـذا مي گويـد: «اي پيامبر! به آنها بگو: گواهان خود را كه گواهي بر تحريم اينها ميدهنـد بياوريـد». (قُلْ هَلُمَّ شُههَداءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هذا).

سپس اضافه می کند: اگر آنها دسترسی به گواهان معتبری پیدا نکردند برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۶۲

(و قطعا پیدا نمی کنند) «و تنها به گواهی و ادعای خویش قناعت نمودند، تو هرگز با آنها هم صدا نشو و مطابق شهادت و ادعای آنان گواهی مده» (فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ).

قرائن گواهی می دهـد که این احکـام ساختگی، صرفا از هوی و هوس و تقلیـدهای کورکورانه سر چشـمه گرفته، چه این که هیچ سند و مدرکی از انبیای الهی و کتب آسمانی بر تحریم این امور ندارند.

لذا در جمله بعد میگوید: «از هوی و هوسهای کسانی که آیات ما را تکذیب کردند و آنها که به آخرت ایمان ندارند و آنها که برای خـدا شـریک قائـل شـدهانـد، پیروی مکن» (وَ لاـ تَتَّبعْ أَهْواءَ الَّذِینَ کَـذَّبُوا بِآیاتِنا وَ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ یَعْدِلُونَ).

یعنی، بت پرستی آنها و انکار قیامت و رستاخیز و خرافات و هوی پرستی آنان گواه زندهای است، که این احکام آنان نیز ساختگی است و ادعایشان در مورد تحریم این موضوعات از طرف خدا، بیاساس و بیارزش است.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۱ ص:۶۶۲

(آیه ۱۵۱)- فرمانهای دهگانه! پس از نفی احکام ساختگی مشرکان که در آیات قبل گذشت، این آیه و دو آیه بعـد اشاره به

اصول محرمات در اسلام کرده و گناهان کبیره ردیف اول را ضمن بیان کوتاه و پر مغز و جالبی در ده قسمت بیان می کند، نخست می گوید: «به آنها بگو: بیایید تا آنچه را خدا بر شما تحریم کرده است بخوانم و برشمرم» (قُلْ تَعالَوْا أَثْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَیْكُمْ).

۱- «این که هیچ چیز را شریک و همتای خدا قرار ندهید» (أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَیْئًا).

٢- «نسبت به پدر و مادر نيكى كنيد» (وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً).

۳- «فرزنـدان خود را به خاطر تنگدستی و فقر نکشید» (وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ). «زیرا روزی شما و آنها همه به دست ماست و ما همه را روزی میدهیم» (نَحْنُ نَرْزُقُکُمْ وَ إِیَّاهُمْ).

۴- «به اعمال زشت و قبیح نزدیک نشوید، خواه آشکار باشد، خواه پنهان» برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۶۳

(وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ).

يعني، نه تنها انجام ندهيد، بلكه به آن نزديك هم نشويد.

۵- «دست به خون بی گناهان نیالایید و نفوسی را که خداوند محترم شمرده و ریختن خون آنها مجاز نیست به قتل نرسانید مگر این که طبق قانون الهی اجازه قتل آنها داده شده باشد» مثل این که قاتل باشند (وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ). و به دنبال این پنج قسمت برای تأکید بیشتر می فرماید: «اینها اموری است که خداوند به شما توصیه کرده، تا دریابید و از ارتکاب آنها خودداری نمایید» (ذلِکُمْ وَصَّاکُمْ بهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۲ ص :۶۶۳

(آیه ۱۵۲)- شـشم: «هیچ گاه جز به قصد اصلاح نزدیک مال یتیمان نشوید، تا هنگامی که به حدّ بلوغ برسند» (وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْیَتِیم إِلَّا بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ حَتَّی یَبْلُغَ أَشُدَّهُ)

.٧- َ«كم فروشى نكنيد و حق پيمانه و وزن را با عدالت ادا كنيد» (وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ)

.و از آنجا که هر قدر انسان دقت در پیمانه و وزن کند باز ممکن است، مختصر کم و زیادی صورت گیرد که سنجش آن با پیمانه ها و ترازوهای معمولی امکان پذیر نیست، به دنبال این جمله اضافه می کند: «هیچ کس را جز به اندازه توانایی تکلیف نمی کنیم» (لا نُکَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها)

.۸- «هر گاه به هنگام داوری یا شهادت و یا در مورد دیگر سخنی می گویید عدالت را رعایت کنید و از مسیر حق منحرف نشوید، هر چند در مورد خویشاوندان شما باشد و داوری و شهادت به حق به زیان آنها تمام گردد» (وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبی)

.٩- «به عهد الهي وفا كنيد و آن را نشكنيد» (وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا)

. منظور از «عهد الهی» همه پیمانهای الهی اعم از پیمانهای «تکوینی» و «تشریعی» و تکالیف الهی و هر گونه عهد و نذر و قسم است.

> و باز برای تأکید در پایان این چهار قسمت، میفرماید: «اینها اموری است که برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۶۴ خداوند به شما توصیه میکند، تا متذکر شوید» (ذلِکُمْ وَصَّاکُمْ بِهِ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ)

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۳ ص:۶۶۴

(آیه ۱۵۳) - دهم: «این راه مستقیم من، راه توحید، راه حق و عدالت، راه پاکی و تقواست، از آن پیروی کنید و هرگز در راههای انحرافی و پراکنده کام ننهید که شما را از راه خدا منحرف و پراکنده می کند و تخم نفاق و اختلاف را در میان شما می پاشد» (وَ أَنَّ هذا صِراطِی مُشتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ).

و در پایان برای سومین بار تأکید میکند که: «اینها اموری است که خداوند به شما توصیه میکند تا پرهیزکار شوید» (ذلِکُمْ وَصَّاکُمْ بِهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ).

۱- اهمیت نیکی به پدر و مادر! ص: ۶۶۴

ذكر نيكي به پدر و مادر، بلافاصله بعد از مبارزه با شرك، و قبل از دستورهاي مهمي همانند تحريم قتل نفس، و اجراي اصول عدالت، دليل بر اهميت فوق العاده حق پدر و مادر در دستورهاي اسلامي است.

این موضوع وقتی روشنتر می شود که توجه کنیم به جای «تحریم آزار پدر و مادر» که هماهنگ با سایر تحریمهای این آیه است، موضوع احسان و نیکی کردن، ذکر شده است، یعنی نه تنها ایجاد ناراحتی برای آنها حرام است بلکه علاوه بر آن، احسان و نیکی در مورد آنان نیز لازم و ضروری است.

و جالبتر این که کلمه «احسان» را به وسیله «ب» متعدی ساخته و فرموده است «و بالوالدین احسانا» بنابراین، آیه تأکید می کند که موضوع نیکی به پدر و مادر را باید آنقدر اهمیت داد که شخصا و بدون واسطه به آن اقدام نمود.

۲- قتل فرزندان به خاطر گرسنگی! ص: 664

از این آیات برمی آید که عربهای دوران جاهلی نه تنها دختران خویش را به خاطر تعصبهای غلط، زنده به گور می کردند، بلکه پسران را که سرمایه بزرگی در جامعه آن روز محسوب می شد، نیز از ترس فقر و تنگدستی به قتل می رسانیدند.

با نهایت تأسف این عمل جاهلی در عصر و زمان ما در شکل دیگری تکرار می شود، و به عنوان کمبود احتمالی مواد غذایی روی زمین، کودکان بی گناه در عالم برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۶۵

جنین، از طریق «کورتاژ» به قتل میرسند.

گر چه امروز برای سقط جنین دلایل بیاساس دیگری نیز ذکر میکنند، ولی مسأله فقر و کمبود مواد غذایی یکی از دلایل عمده آن است.

اینها و مسائل دیگری شبیه به آن، نشان می دهد که عصر جاهلیت در زمان ما به شکل دیگری تکرار می شود و «جاهلیت قرن بیستم» حتی در جهاتی و حشتناکتر و گستر ده تر از جاهلیت قبل از اسلام است.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۴ ص :۶۶۵

(آیه ۱۵۴)- پاسخ قاطع به بهانهجویان. در آیات قبل، سخن از ده حکم اساسی و اصولی در میان بود، که نه تنها در اسلام بلکه در تمام ادیان بوده است. به دنبال آن در این آیه می گوید: «سپس به موسی، کتاب آسمانی دادیم و نعمت خود را بر افراد نیکوکار و آنها که تسلیم فرمان ما و پیرو حق بودند کامل ساختیم» (ثُمَّ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ تَماماً عَلَی الَّذِی أَحْسَنَ).

«و در آن هر چیز را که مورد نیاز بود، و در مسیر تکامل انسان اثر داشت، بازگو کردیم» (وَ تَفْصِۃ یلًا لِکُلِّ شَیْءٍ). «و نیز این کتاب، که بر موسی نازل شد، مایه هدایت و رحمت بود» (وَ هُدِدیً وَ رَحْمَهُ أَ). «تمام این برنامه ها به خاطر آن بود که به روز رستاخیز و لقای پروردگار ایمان بیاورند» و با ایمان به معاد، افکار و گفتار و رفتارشان پاک شود (لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ یُوْمِنُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۵ ص:۶۶۵

(آیه ۱۵۵) - در این آیه، اشاره به نزول قرآن و تعلیمات آن کرده و بحث آیه گذشته را تکمیل مینماید و می گوید: «این کتابی است که ما نازل کردهایم، کتابی است با عظمت و پربرکت و سر چشمه انواع خیرات و نیکیها» (وَ هذا کِتابٌ أَنْزُلْناهُ مُبارَكُ). و «چون چنین است بطور کامل از آن پیروی کنید، و پرهیزکاری پیشه نمایید و از مخالفت با آن بپرهیزید شاید مشمول رحمت خدا گردید» (فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ).

سوره انعام(۶): آية ۱۵۶ ص :۶۶۵

(آیه ۱۵۶) - در این آیه، تمام راههای فرار و بهانهجوییها را به روی مشرکان بسته، نخست به آنها می گوید: «ما این کتاب آسمانی را با این امتیازات نازل کردیم تا نگویید که تنها بر دو طایفه پیشین (یهود و نصاری) کتاب آسمانی نازل شده، و ما از برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۶۶

بحث و بررسى و مطالعه آنها غافل بودهايم، و اگر از فرمان تو سـرپيچى كرديم به خاطر اين بوده است كه فرمان تو در دست ديگران بود و به دست ما نرسيد» (أَنْ تَقُولُوا إِنَّما أُنْزِلَ الْكِتابُ عَلى طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلينَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۷ ص :۶۶۶

(آیه ۱۵۷) - در این آیه همان بهانه به صورت دامنه دارتر و آمیخته با ادعا و غرور بیشتر از آنها نقل شده است، و آن این که، اگر قرآن بر آنها نازل نمی شد، ممکن بود ادعا کنند ما بقدری برای انجام فرمان الهی آمادگی داشتیم که هیچ ملتی به اندازه ما آمادگی نداشت، آیه می فرماید: تا نگویید «اگر کتاب آسمانی بر ما نازل می شد، ما از همه آنها پذیراتر و هدایت یافته تر بودیم» (أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَیْنَا الْکِتابُ لَکُنَّا أَهْدی مِنْهُمْ).

قرآن در برابر این ادعاها می گوید: خداوند تمام راههای بهانه جویی را بر شما بسته است زیرا «آیات و دلایل روشن از طرف پروردگار برای شما آمد، آمیخته با هدایت الهی و رحمت پروردگار» (فَقَدْ جاءَكُمْ بَیِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدیً وَ رَحْمَةٌ).

«با این حال آیا کسی ستمکارتر از آنها که تکذیب آیات خدا میکنند و از آن اعراض مینمایند پیدا میشود؟» (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ کَذَّبَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ صَدَفَ عَنْها).

اشاره به این که آنها نه تنها از آیات خدا روی گردانیدند بلکه با شدت از آن فاصله گرفتند.

در پایان آیه، مجازات دردناک این گونه افراد لجوج و بیفکری را که مطالعه نکرده حقایق را به شدت انکار میکنند و از آن

می گریزند حتی سد راه دیگران میشوند، در یک جمله کوتاه و رسا بیان کرده می گوید: «به زودی کسانی را که از آیات ما روی می گردانند، گرفتار مجازاتهای شدید خواهیم کرد، و این به خاطر همان اعراض بیرویه و بیدلیل آنهاست» (سَنُجْزِی الَّذِینَ یَصْدِفُونَ عَنْ آیاتِنا سُوءَ الْعَذاب بِما کانُوا یَصْدِفُونَ).

سوره انعام(۶): آية ۱۵۸ ص:۶۶۶

(آیه ۱۵۸)- انتظارات بیجا و محال! در آیات گذشته این حقیقت بیان شد که ما حجت را بر مشرکان تمام کردیم و کتاب آسمانی یعنی قرآن را برای هدایت همگان فرستادیم. این آیه می گوید: اما این افراد لجوج به اندازهای در کار خود بر گزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۴۶۷

سرسختند، که این برنامه روشن نیز در آنها تأثیر نمی کند، گویا انتظار نابودی خویش، یا از میان رفتن آخرین فرصت، و یا انتظار امور محالی را می کشند.

نخست می گوید: «آیا آنها جز این انتظار دارند که فرشتگان مرگ به سراغشان بیایند»! (هَلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِیَهُمُ الْمَلائِکَةُ). «یا این که پروردگارت به سراغ آنها بیاید» و او را ببینند، و ایمان بیاورند!! (أَوْ یَأْتِیَ رَبُّکَ). در حقیقت آنها انتظار امر محالی را می کشند.

سپس می گویـد: «یـا این که بعضـی از آیـات و نشانههای پروردگار (که در آسـتانه رسـتاخیز و پایان جهان، واقع میشود، و به دنبال آن درهای توبه بسته خواهد شد) انجام گیرد» (أَوْ یَأْتِیَ بَعْضُ آیاتِ رَبِّکَ).

و به دنبال آن اضافه می کند: «آن روز که چنین آیات صورت پذیرد، ایمان آوردن افرادی که قبلا ایمان نیاوردهاند و آنها که عمل نیکی انجام ندادهاند، پذیرفته نخواهد شد» (یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیاتِ رَبِّکَ لا یَنْفَعُ نَفْساً إِیمانُها لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ کَسَرِ بَتْ فِی إِیمانِها خَیْراً). و درهای توبه به روی آنان بسته می شود، زیرا توبه و ایمان در آن هنگام، صورت اجباری و اضطراری به خود می گیرد، و ارزش ایمان و توبه اختیاری را نخواهد داشت.

در پایان آیه با لحنی تهدیـد آمیز به این افراد لجوج می گوید: «اکنون که شـما چنین انتظاری را دارید در انتظار خویش بمانید، ما هم در انتظار (کیفر دردناک شما) خواهیم بود» (قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ).

از نکات جالبی که از آیه فوق استفاده می شود این است که راه نجات را در ایمان، آن هم ایمانی که در پرتو آن اکتساب خیری شود و اعمال نیک انجام گیرد، معرفی می کند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۵۹ ص:۶۶۷

(آیه ۱۵۹)- بیگانگی از نفاقافکنان! در تعقیب دستورات دهگانهای که در آیات قبل گذشت و در آخر آن فرمان به پیروی از «صراط مستقیم خدا» و مبارزه با هر گونه نفاق و اختلاف داده شده بود، این آیه در حقیقت تأکید و تفسیری روی همین مطلب است. نخست می فرماید: «آنها که آیین و مذهب خود را پراکنده کردند برگزیده تفسیر نمونه، ج ۱، ص: ۶۶۸

و به دسته های مختلف تقسیم شدند، در هیچ چیز با آنها ارتباط نداری و آنها نیز هیچ گونه ارتباطی با مکتب تو ندارند» (إِنَّ الَّذِینَ فَرَّقُوا دِینَهُمْ وَ کَانُوا شِیَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِی شَیْءٍ).

زیرا مکتب تو، مکتب توحید و صراط مستقیم است و صراط مستقیم و راه راست همواره یکی بیش نیست.

سپس به عنوان تهدیمد و توبیخ این گونه افراد تفرقهانداز، می گوید: «کار اینها واگذار به خداست، و آنها را از اعمالشان آگاه خواهد ساخت» (إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ).

قابل ذکر این که محتوای آیه یک حکم عمومی و همگانی در باره تمام افراد تفرقهانداز است، که با ایجاد انواع بـدعتها، میان بندگان خدا، بذر نفاق و اختلاف می پاشند اعم از آنها که در امتهای پیشین بودند، یا آنها که در این امتند.

این آیه بار دیگر، این حقیقت را که اسلام آیین وحدت و یگانگی است و از هر گونه نفاق و تفرقه و پراکندگی بیزار است با تأکید تمام بازگو میکند.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶۰ ص:۴۶۸

(آیه ۱۶۰)- پاداش بیشتر، مجازات کمتر: در این آیه، اشاره به رحمت و پاداش وسیع خداونـد که در انتظار افراد نیکوکار است، کرده و تهدیـدهای آیه را بـا این تشویقهـا تکمیـل میکنـد و میگویـد: «هر کسـی کـار نیکی به جا آورد، ده برابر به او پاداش داده میشود» (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها).

«و هر كس كار بدى انجام دهد، جز به همان مقدار، كيفر داده نمىشود» (وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها).

و برای تأکید این جمله را نیز اضافه میکند که «به آنها هیچ گونه ستمی نخواهد شد» و تنها به مقدار عملشان کیفر میبینند (وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ).

منظور از «حسنهٔ» و «سیئهٔ» در آیه فوق، هر گونه «کار نیک و فکر نیک و عقیده نیک و یا بد» است.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶۱ ص :۶۶۸

(آیه ۱۶۱)- این است راه مستقیم من! این آیه و آیات بعد از آن سوره انعام با آن پایان می پذیرد در حقیقت خلاصهای است از بحثهای این سوره که در برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۶۹

زمینه مبارزه با شـرک و بت پرستی بیان شده، نخست در برابر عقاید و ادعاهای دور از منطق مشـرکان و بت پرسـتان، خداوند به پیامبرش دستور میدهد که «بگو:

پروردگار من! مرا به راه راست که نزدیکترین راههاست هدایت کرده است» (قُلْ إِنَّنِی هَدانِی رَبِّی إِلی صِراطٍ مُشتَقِیمٍ). این راه راست همان جاده توحید و یکتاپرستی و درهم کوبیدن آیین شرک و بتپرستی است.

سپس «صراط مستقیم» را در این آیه و دو آیه بعد توضیح میدهد: نخست می گوید: «آیینی است مستقیم در نهایت راستی و درستی، ابدی و جاویدان و قائم به امور دین و دنیا و جسم و جان» (دِیناً قِیَماً).

و از آنجا که عربها علاقه خاصی به ابراهیم نشان میدادنـد و حتی آیین خود را به عنوان آیین ابراهیم معرفی میکردند، اضافه میکند که «آیین واقعی ابراهیم همین است که من به سوی آن دعوت میکنم» نه آنچه شما به او بستهاید (مِلَّهُ إِبْراهِیمَ).

همان ابراهیمی که «از آیین خرافی زمان و محیط، اعراض کرد، و به حق یعنی آیین یکتاپرستی روی آورد» (حَنِیفاً).

این تعبیر گویا پاسخی است به گفتار مشرکان که مخالفت پیامبر را با آیین بت پرستی که آیین نیاکان عرب بود، نکوهش می کردند، پیامبر در پاسخ آنها می گوید: این سنت شکنی و پشت پا زدن به عقاید خرافی محیط، تنها کار من نیست، ابراهیم که مورد احترام همه ما است نیز چنین کرد.

سپس برای تأکید می افزاید که «او هیچ گاه از مشرکان و بت پرستان نبود» (وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ). بلکه او قهرمان بت شکن و مبارز پویا و پی گیر با آیین شرک بود.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶۲ ص: ۶۶۹

(آیه ۱۶۲) – در این آیه اشاره به این می کنـد که «بگو: (نه تنها از نظر عقیـده من موحّد و یکتاپرسـتم بلکه از نظر عمل، هر کار نیکی که می کنم) نمـاز من و تمام عبادات من و حتی مرگ و حیات من همه برای پروردگار جهانیان است» (قُلْ إِنَّ صَــلاتِی وَ نُسُکِی وَ مَحْیایَ وَ مَماتِی لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۷۰

برای او زندهام به خاطر او می میرم و در راه او هر چه دارم فدا می کنم تمام هدف من و تمام عشق من و تمام هستی من اوست!

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶۳ ص:۶۷۰

(آیه ۱۶۳) - در این آیه برای تأکید و ابطال هر گونه شرک و بت پرستی، اضافه می کند: «پروردگاری که هیچ شریک و شبیهی برای او نیست» (لا شَرِیکَ لَهُ).

سر انجام مىفرمايد: «و به اين موضوع، من دستور يافتهام و من اولين مسلمانم» (وَ بِذلِکَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ). اولين مسلمان بودن پيامبر اسلام صلّى الله عليه و آله يا از نظر كيفيت و اهميت اسلام اوست، زيرا درجه تسليم و اسلام او بالاتر از همه انبياء بود و يا اولين فرد از اين امت بود كه آيين قرآن و اسلام را پذيرفت.

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶۴ ص:۶۷۰

(آیه ۱۶۴)– در این آیه از طریق دیگری منطق مشرکان را مورد انتقاد قرار میدهد و میگوید: «به آنها بگو: و از آنها بپرس آیا سزاوار است غیر از خداوند یگانه را پروردگار خود بدانم، در حالی که او مالک و مربی و پروردگار همه چیز است» و حکم و فرمان او در تمام ذرات این جهان جاری است! (قُلْ أَ غَیْرَ اللَّهِ أَبْغِی رَبًّا وَ هُوَ رَبُّ کُلِّ شَیْءٍ).

سپس به جمعی از مشرکان کوتاه فکر که خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسیدند و گفتند:

«تو از آیین ما پیروی کن، اگر بر خطا باشد، گناه تو به گردن ما» پاسخ می گوید:

«هیچ کسی جز برای خود عملی انجام نمی دهد و هیچ گنهکاری بار گناه دیگری را به دوش نمی کشد» (وَ لا تَکْسِبُ کُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْها وَ لا تَزرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری).

و «سر انجام، همه شما به سوی خـدا بازمی گردیـد، و شـما را به آنچه در آن اختلاف داشتیـد، آگاه میسازد» (ثُمَّ إِلی رَبِّکُمْ مَوْجِعُکُمْ فَیُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ).

سوره انعام(۶): آیهٔ ۱۶۵ ص:۶۷۰

(آیه ۱۶۵) - در این آیه که آخرین آیه سوره انعام است به اهمیت مقام انسان و موقعیت او در جهان هستی اشاره می کند تا بحثهای گذشته در زمینه تقویت پایههای توحید و مبارزه با شرک، تکمیل گردد.

لـذا در جمله نخست میفرمایـد: «او کسـی است که شـما را جانشـینان (و نمایندگان خود) در روی زمین قرار داد» (وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَکُمْ خَلائِفَ الْأَرْض). برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۷۱

انسانی که نماینده خدا در روی زمین است، و تمام منابع این جهان در اختیار او گذارده شده، و فرمان فرمانرواییش بر تمام این موجودات از طرف پروردگار صادر شده است، نباید آنچنان خود را سقوط دهد که از جمادی هم پست تر گردد و در برابر آن سجده کند.

سپس اشاره به اختلاف استعدادها و تفاوت مواهب جسمانی و روحی مردم و هدف از این اختلاف و تفاوت کرده، می گوید: «و بعضی از شما را بر بعض دیگر درجاتی برتری داد تا به وسیله این مواهب و امکانات که در اختیارتان قرار داده است شما را بیازماید» (وَ رَفَعَ بَعْضَکُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجاتٍ لِیَبْلُوَکُمْ فِی ما آتاکُمْ).

و در پایان آیه ضمن اشاره به آزادی انسان در انتخاب راه خوشبختی و بدبختی نتیجه این آزمایشها را چنین بیان می کند: «پروردگار تو (در برابر آنها) که از بوته این آزمایشها سیه روی بیرون می آیند «سریع العقاب» و در برابر آنها که در صدد اصلاح و جبران اشتباهات خویش بر آیند آمرزنده و مهربان است» (إِنَّ رَبَّکَ سَرِیعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِیمٌ).

تفاوت در میان انسانها و اصل عدالت-.... ص : 671

شک نیست که در میان افراد بشر یک سلسله تفاوتهای مصنوعی وجود دارد که نتیجه مظالم و ستمگری بعضی از انسانها نسبت به بعض دیگر است، مثلا جمعی مالک ثروتهای بی حسابند، و جمعی بر خاک سیاه نشستهاند، عدهای به خاطر کمبود تغذیه و فقدان مسائل بهداشتی علیل و بیمارند، در حالی که عده دیگری بر اثر فراهم بودن همه گونه امکانات، در نهایت سلامت به سر می برند.

این گونه اختلافها: ثروت و فقر، علم و جهل، و سلامت و بیماری، غالبا زاییده استعمار و استثمار و اشکال مختلف بردگی و ظلمهای آشکار و پنهان است.

مسلما اینها را به حساب دستگاه آفرینش نمی توان گذارد، و دلیلی ندارد که از وجود این گونه اختلافات بی دلیل دفاع کنیم. افراد انسان روی هم رفته نیز یک درخت بزرگ و بارور را تشکیل می دهند که هر دسته بلکه هر فردی رسالت خاصی در این پیکر بزرگ بر عهده دارد، و متناسب برگزیده تفسیر نمونه، ج۱، ص: ۶۷۲

آن ساختمان مخصوص به خود، و این است که قرآن می گوید این تفاوتها وسیله آزمایش شماست زیرا «آزمایش» در مورد برنامههای الهی به معنی «تربیت و پرورش» است.

خلافت انسان در روی زمین: ص : 677

قرآن كرارا انسان را به عنوان «خليفه» و «نماينده خدا در روى زمين» معرفى كرده است، اين تعبير ضمن روشن ساختن مقام بشر، اين حقيقت را نيز بيان مىكند كه اموال و ثروتها و استعدادها و تمام مواهبى كه خدا به انسان داده، در حقيقت مالك اصلیش اوست، و انسان تنها نماینده و مجاز و مأذون از طرف او میباشد و بدیهی است که هر نمایندهای در تصرفات خود استقلال ندارد بلکه باید تصرفاتش در حدود اجازه و اذن صاحب اصلی باشد و از اینجا روشن می شود که مثلا در مسأله مالکیت، اسلام هم از اردوگاه «کاپیتالیسم» و سرمایه داری.

اسلام می گوید: مالکیت نه برای فرد است و نه برای اجتماع، بلکه در واقع برای خداست، و انسانها و کیل و نماینده اویند و به همین دلیل اسلام، هم در طرز در آمد افراد نظارت می کند، و هم در چگونگی مصرف، و برای هر دو قیود و شروطی قائل شده است که اقتصاد اسلامی را به عنوان یک مکتب مشخص در برابر مکاتب دیگر قرار میدهد.

پایان سوره انعام و جلد اول برگزیده تفسیر نمونه و آخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمین

جلد دوم

اشاره

بِشْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

پیشگفتار گزیده تفسیر نمونه! ص: 19

بزرگترین سرمایه ما مسلمانان قرآن مجید است. معارف، احکام، برنامه زندگی، سیاست اسلامی، راه به سوی قرب خدا، همه و همه را در این کتاب بزرگ آسمانی مییابیم.

بنابر این، وظیفه هر مسلمان این است که با این کتاب بزرگ دینی خود روز به روز آشناتر شود این از یکسو.

از سوی دیگر آوازه اسلام که بر اثر بیداری مسلمین در عصر ما، و بخصوص بعد از انقلاب اسلامی در سراسر جهان پیچیده است، حس کنجکاوی مردم غیر مسلمان جهان را برای آشنایی بیشتر به این کتاب آسمانی برانگیخته است، به همین دلیل در حال حاضر از همه جا تقاضای ترجمه و تفسیر قرآن به زبانهای زنده دنیا میرسد، هر چند متأسفانه جوابگویی کافی برای این تقاضاها نیست، ولی به هر حال باید تلاش کرد و خود را آماده برای پاسخگویی به این تقاضاهای مطلوب کنیم.

خوشبختانه حضور قرآن در زنـدگی مسلمانان جهان و بخصوص در محیط کشور ما روز به روز افزایش پیـدا می کنـد، قاریان بزرگ، حافظان ارجمند، مفسران آگاه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۰

در جامعه امروز ما بحمد الله کم نیستند، رشته تخصصی تفسیر در حوزه علمیه قم به صورت یکی از رشتههای تخصصی مهم در آمده و متقاضیان بسیاری دارد، درس تفسیر نیز از دروس رسمی حوزهها و از مواد امتحانی است، و در همین راستا «تفسیر نمونه» نوشته شد، که تفسیری است سلیس و روان و در عین حال پر محتوا و ناظر به مسائل روز و نیازهای زمان، و شاید یکی از دلایل گسترش سریع آن همین اقبال عمومی مردم به قرآن مجید است.

گرچه برای تهیه این تفسیر به اتفاق گروهی از فضلای گرامی حوزه علمیه قم (دانشمندان و حجج اسلام آقایان: محمد رضا آشتیانی – محمد جعفر امامی – داود الهامی – اسد الله ایمانی – عبد الرسول حسنی – سید حسن شجاعی – سید نور الله طباطبائی – محمود عبد اللهی – محسن قرائتی و محمد محمدی اشتهاردی) در مدت پانزده سال زحمات زیادی کشیده شد، ولی با توجه به استقبال فوق العاده ای که از سوی تمام قشرها و حتی برادران اهل تسنن از آن به عمل آمد، تمام خستگی تهیه آن برطرف گشت و این امید در دل دوستان بوجود آمد که ان شاء الله اثری است مقبول در پیشگاه خدا.

متن فارسی این تفسیر دهها بار چاپ و منتشر شده، و ترجمه کامل آن به زبان «اردو» در (۲۷) جلد نیز بارها به چاپ رسیده است، و ترجمه کامل آن به زبان «عربی» نیز به نام تفسیر «الأمثل» اخیرا در بیروت به چاپ رسید و در نقاط مختلف کشورهای اسلامی انتشار یافت.

ترجمه آن به زبان «انگلیسی» هم اکنون در دست تهیه است که امیدواریم آن هم به زودی در افق مطبوعـات اسـلامی ظـاهر گردد.

بعد از انتشار تفسیر نمونه گروه کثیری خواهان نشر «خلاصه» آن شدند.

چرا که مایـل بودنـد بتواننـد در وقت کوتـاهتر و بـا هزینه کمتر به محتوای اجمالی آیات، و شـرح فشـردهای آشـنا شونـد، و در بعضـی از کلاسـهای درسی که تفسیر قرآن مورد توجه است به عنوان متن درسی از آن بهره گیری شود. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۱

این درخواست مکرّر، ما را بر آن داشت که به فکر تلخیص تمام دوره (۲۷) جلدی تفسیر نمونه، در پنج جلد بیفتیم ولی این کار آسانی نبود، مدتی در باره آن مطالعه و برنامهریزی شد و بررسیهای لازم به عمل آمد تا این که فاضل محترم جناب مستطاب آقای احمد – علی بابایی که سابقه فعالیت و پشتکار و حسن سلیقه ایشان در تهیه «فهرست موضوعی تفسیر نمونه» بر ما روشن و مسلّم بود عهده دار انجام این مهم گردید و در مدت دو سال کار مستمر شبانه روزی این مهم به وسیله ایشان انجام گردید.

اینجانب نیز با فکر قاصر خود کرارا بر نوشته های ایشان نظارت کردم و در مواردی که نیاز به راهنمایی بود به اندازه توانایی مسائل لازم را تذکر دادم، و در مجموع فکر می کنم بحمد الله اثری ارزنده و پربار به وجود آمده که هم قرآن با ترجمه سلیس را در بر دارد و هم تفسیر فشرده و گویایی، برای کسانی که میخواهند با یک مراجعه سریع از تفسیر آیات آگاه شوند، می باشد.

و نام آن برگزیده تفسیر نمونه نهاده شد.

و من به نوبه خود از زحمات بیدریغ ایشان تشکر و قدردانی میکنم، امیدوارم این خلاصه و فشرده که گزیدهای است از قسمتهای حساس، و حدیث مجملی از آن مفصل، نیز مورد قبول اهل نظر و عموم قشرهای علاقهمند به قرآن گردد و ذخیرهای برای همه ما در «یوم الجزاء» باشد.

قم– حوزه علمیه ناصر مکارم شیرازی ۱۳ رجب ۱۴۱۴ روز میلاد مسعود امیر مؤمنان حضرت علی علیه السّلام مطابق با ۴/ ۱۰/ ۱۳۷۲

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۳

ادامه جزء هشتم ص: 23

سوره اعراف [۷] ص: ۲۳

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۲۰۶ آیه دارد

محتوای سوره: ص: 23

در آغاز اشاره کوتاه و گویایی به مسأله «مبدء و معاد» کرده سپس برای احیای شخصیت انسان، داستان آفرینش آدم را با اهمیت فراوان شرح می دهد. بعد پیمانهایی را که خدا از فرزندان آدم در مسیر هدایت و صلاح گرفته یک یک برمی شمرد. سپس برای نشان دادن شکست و ناکامی اقوامی که از مسیر توحید و عدالت و پرهیزکاری منحرف می شوند، و هم برای نشان دادن پیروزی مؤمنان راستین، سرگذشت بسیاری از اقوام پیشین و انبیای گذشته مانند «نوح» و «لوط» و «شعیب» را بیان کرده، و با سرگذشت مشروح بنی اسرائیل و مبارزه «موسی» با فرعون این بخش را پایان می دهد.

در آخر سوره بار دیگر به مسأله مبدء و معاد باز می گردد و انجام و آغاز را بدین وسیله تکمیل می کند.

فضيلت تلاوت اين سوره: ص: 23

از امام صادق علیه السّلام نقل شده که فرمود: «هر کس سوره اعراف را در هر ماه بخواند در روز قیامت، از کسانی خواهد بود که نه ترسی بر آنهاست و نه غمی دارنـد (من الّـذین فَلا_خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا_هُمْ یَحْزَنُونَ) و اگر در هر جمعه بخوانـد، در روز قیامت از کسانی میباشد که بدون حساب به بهشت میرود».

و نیز فرمود: «در این سوره آیات محکمهای است، «قرائت» و «تلاوت» برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۴ و «قیام به آنها» را فراموش نکنید، زیرا اینها روز رستاخیز در پیشگاه خدا برای کسانی که آنها را خواندهاند گواهی میدهند». بسم الله الرّحمن الرّحیم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورة الأعراف(٧): آية ١ ص: ٢۴

(آیه ۱)- در آغاز این سوره بار دیگر به «حروف مقطّعه» برخورد می کنیم که در اینجا چهار حرف: «الف، لام، میم و صاد» است (المص).

ممکن است، یکی از اهداف این حروف، جلب توجه شنوندگان، و دعوت آنها به سکوت و استماع بوده باشد، زیرا ذکر این حروف در آغاز سخن، مطلب عجیب و نوظهوری در نظر عرب بود، و حس کنجکاوی آنها را برمیانگیخت، و در نتیجه به دنباله آن نیز گوش فرا میدادند.

سورة الأعراف(٧): آية ٢ ص: ٢٤

(آیه ۲)- در این آیه می فرماید: «این کتابی است که بر تو نازل شده است، و نباید از ناحیه آن هیچ گونه نگرانی و ناراحتی به خود راه دهی» (کِتابٌ أُنْزِلَ إِلَیْکَ فَلا یَکُنْ فِی صَدْرِکَ حَرَجٌ مِنْهُ).

جمله فوق به پیامبر صلّی الله علیه و آله دلداری میدهد، که چون این آیات از ناحیه خداست، نباید هیچ گونه نگرانی به خود راه دهد، نه نگرانی از جهت عکس العملی که دشمنان لجوج و سرسخت در برابر آن نشان خواهند داد، و نه نگرانی از ناحیه نتیجه و برداشتی که از تبلیغ این رسالت انتظار میرود.

و در جمله بعد اضافه می کند: «هدف از نزول این کتاب انذار و بیم دادن مردم (از عواقب شوم افکار و اعمالشان است) و

همچنین تذکر و یادآوری برای مؤمنان راستین» (لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِكْری لِلْمُؤْمِنِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٣ ص: 24

(آیه ۳)- سپس روی سخن را به عموم مردم کرده، می گوید: «از آنچه از طرف پروردگارتان بر شما نازل شده است، پیروی کنید» (اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ). و به این ترتیب، سخن از پیامبر صلّی الله علیه و آله و مأموریت و رسالت او شروع می شود و به وظیفه مردم منتهی می گردد.

و برای تأکید اضافه می کند: «از فرمان غیر خداوند پیروی نکنید و از انتخاب برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۵ ولیّ و سرپرستی جز او خودداری نمایید» (وَ لا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیاءَ).

اما چون آنها که به تمام معنی در برابر حق تسلیمند و از تذکرات، متذکر می گردند کمند، در پایان آیه می گوید: «کمتر متذکر می شوید» (قَلِیلًا ما تَذَکَّرُونَ).

از این آیه ضمنا استفاده می شود که انسان بر سر دو راهی است، یا پذیرش ولایت و رهبری خداوند، و یا داخل شدن در (ولایت) دیگران، اگر مسیر اول را قبول کند، (ولیّ) او تنها خداست، اما اگر تحت ولایت دیگران قرار گیرد، هر روز باید بار کسی را بر دوش گیرد و ارباب تازهای انتخاب کند.

سورة الأعراف(٧): آية ٢ ص: ٢٥

(آیه ۴)- اقوامی که نابود شدند! این آیه و آیه بعد در واقع «فهرستی» است، اجمالی از سرگذشت اقوام متعددی همچون قوم نوح و فرعون و عاد و ثمود و لوط که بعدا خواهد آمد.

قرآن در اینجا به آنهایی که از تعلیمات انبیاء سرپیچی میکنند و به جای اصلاح خویش و دیگران بذر فساد میپاشند، شدیدا اخطار میکند که نگاهی به زندگانی اقوام پیشین بیفکنید و ببینید «چقدر از شهرها و آبادیها را ویران کردیم» و مردم فاسـد آنها را به نابودی کشانیدیم! (وَ کَمْ مِنْ قَرْیَهٍ أَهْلَکْناها).

سپس چگونگی هلاـکت آنهـا را چنین تشـریح میکنـد: «عـذاب دردناک ما، در دل شب (در ساعاتی که در آرامش فرو رفته بودنـد) یـا در وسط روز، به هنگامی که پس از فعالیتهای روزانه به استراحت پرداخته بودنـد به سـراغ آنها آمـد» (فَجاءَها بَأْسُـنا بَياتاً أَوْ هُمْ قائِلُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٥ ص: 25

(آیه ۵)- در این آیه سخن را چنین ادامه می دهد: «آنها به هنگامی که در گرداب بلاـ گرفتار می شدند و توفان مجازات، زندگیشان را درهم می کوبید (از مرکب غرور و نخوت پیاده شده) فریاد می زدند: ما ستمگر بودیم» و اعتراف می کردند که ظلم و ستمهایشان دامانشان را گرفته است! (فَما کانَ دَعْواهُمْ إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا إِلَّا أَنْ قالُوا إِنَّا كُنَّا ظالِمِینَ).

ولی اعترافی که سودی به حال آنها نداشت، زیرا یک نوع اعتراف «اجباری و اضطراری» بود که حتی مغرورترین افراد خود را از آن ناگزیر میبینند، و کمترین برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۶

نشانهای از انقلاب روحی در آن نیست.

قابل ذکر است که این گونه آیات اخطارهای کوبندهای است برای امروز و برای فردا، برای ما و همه اقوام آینده، زیرا در سنّت و قانون الهی تبعیض مفهوم ندارد.

هم اکنون، انسان صنعتی با تمام قدرتی که پیدا کرده است، در مقابل یک زلزله، یک توفان، یک باران شدید و مانند اینها به همان اندازه ضعیف و ناتوان است که انسانهای قبل از تاریخ ناتوان بودند، بنابراین همان عواقب شوم و دردناکی که ستمکاران اقوام گذشته و انسانهای مست غرور و شهوت و افراد سرکش و آلوده پیدا کردند، از انسانهای امروز دور نیست.

سورة الأعراف(٧): آية ٢٠.... ص: ٢٦

(آیه ۶)- بازپرسی عمومی! در آیه قبل سخن از مجازات دنیوی ستمکاران در میان بود، در این آیه و سه آیه بعد از مجازات اخروی آنها بحث می کند و به این ترتیب پیوندی روشن دارند.

نخست به عنوان یک قانون عمومی میفرماید: «از تمام کسانی که پیامبران به سوی آنها فرستاده شدند، بطور قطع در روز قیامت سؤال میکنیم» (فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِینَ أُرْسِلَ إِلَیْهِمْ).

نه تنها از آنها سؤال می کنیم «از پیامبرانشان نیز می پرسیم» که رسالت خویش را چگونه انجام دادند (وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِینَ). بنابراین، هم رهبران مسؤولند و هم پیروان، هم پیشوایان و هم تابعان، منتها چگونگی مسؤولیتهای این دو گروه متفاوت است.

سورة الأعراف(٧): آية ٧..... ص: ٢٦

(آیه ۷)- در این آیه برای این که کسی تصور نکند که سؤال از امتها و پیامبرانشان دلیل بر این است که چیزی از علم خدا مخفی میماند، با صراحت و تأکید آمیخته با قسم می گوید: «ما با علم و دانش خویش تمام اعمالشان را برای آنها شرح می دهیم، زیرا ما هر گز از آنها غایب نبودیم» همه جا با آنها بودیم و در هر حال همراهشان (فَلَنَقُصَّنَ عَلَیْهِمْ بِعِلْمٍ وَ ما کُنَّا غائِینَ).

سؤال برای چیست؟ ما می دانیم خدا همه چیز را می داند و اصولا در برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۷

همه جا حاضر و ناظر است. با این حال چه نیازی به سؤال دارد که انبیاء و امتها را عموما و بدون استثناء مورد بازپرسی قرار دهد؟! پاسخ این که: اگر سؤال برای استعلام و درک واقعیت چیزی باشد، در مورد کسی که عالم است معنی ندارد ولی اگر منظور توجه دادن خود شخص و اتمام حجت به او و امثال آن بوده باشد، هیچ مانعی ندارد، درست مثل این که ما به شخص فراموشکاری خدمتهای زیاد کردهایم، و او به جای خدمت مرتکب خیانتهایی شده و همه این مسائل پیش ما روشن است، او را مورد بازپرسی قرار داده و می گوییم آیا ما این همه به تو خدمت نکردیم؟ و آیا تو حق این خدمات را ادا کردی؟ این سؤال برای کسب علم نیست بلکه برای تفهیم طرف است.

سورة الأعراف(٧): آية ٨..... ص: ٢٧

(آیه ۸)- در این آیه برای تکمیل بحث رستاخیز، اشاره به مسأله «سنجش اعمال» می کند که نظیر آن در سوره های دیگر قرآن از جمله در سوره مؤمنون آیه ۱۰۲ و ۱۰۳ و سوره قارعه آیه ۶ و ۸ آمده است.

نخست مي گويد: «مسأله توزين اعمال در آن روز حق است» (وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ).

آنچه مسلم است این است که در روز رستاخیز اعمال انسان با وسیله خاصی سنجیده می شود نه با ترازوهایی همانند ترازوهای دنیا، و چه بسا آن وسیله همان وجود انبیاء و امامان و افراد صالح بوده باشد، و در روایاتی که از طرق اهل بیت علیهم السّلام به ما رسیده است این مطلب به خوبی دیده می شود.

حتى در اين جهان نيز دوستان خدا مقياس سنجشند، ولى از آنجا كه بسيارى از حقايق در اين عالم در پرده ابهام مى ماند و در روز قيامت كه به مقتضاى وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ (ابراهيم/ ۴۸) - روز بروز و ظهور است اين واقعيتها آشكار مى گردد. در پايان آيه مى فرمايد: «كسانى كه ميزانهاى (عمل) آنها سنگين است، همان رستگارانند» (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٩..... ص: ٢٧

(آیه ۹)– «و کسانی که میزانهای (عمل) آنها سبک است، افرادی هستند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۸

كه سرمایه وجود خود را، به خاطر ظلم و ستمى كه نسبت به آیات ما مىكردنـد، از دست دادهانـد» (وَ مَنْ خَفَّتْ مَ<u>وازِی</u>نُهُ فَأُولئِكَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآیاتِنا یَظْلِمُونَ).

بدیهی است منظور از سبکی و سنگینی میزان اعمال، سبکی و سنگینی خود میزان نیست بلکه ارزش و وزن چیزهایی است که با میزان سنجیده میشود.

تعبیر «ظلم به آیات» اشاره به این است که این گونه اشخاص نه تنها به خود ستم می کنند، بلکه به برنامههای هدایت الهی نیز ستم کردهاند، زیرا این برنامهها میبایست وسیله هدایت و نجات گردد، و اگر به آن بیاعتنایی شد و این اثر از آنها به دست نیامد، به آنها ستم شده است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٠.... ص: ٢٨

(آیه ۱۰) – مقام با عظمت انسان در جهان هستی! به دنبال آیاتی که اشاره به مبدء و معاد در آنها شده بود در این آیه و آیات بعد، «انسان» و عظمت و اهمیت مقام او و چگونگی آفرینش او و افتخاراتی که خداوند به او داده، مورد بحث قرار داده، می فرماید: «ما مالکیت و حکومت، و تسلط شما را بر زمین، مقرر داشتیم» (وَ لَقَدْ مَكَّنَاكُمْ فِی الْأَرْضِ).

«و انواع وسایل زندگی را برای شـما در آن قرار دادیم» (وَ جَعَلْنا لَکُمْ فِیها مَعایِشَ). «اما با این حال کمتر شکر این همه نعمت و موهبت را به جای می آورید» (قَلِیلًا ما تَشْکُرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١١..... ص: ٢٨

(آیه ۱۱)- ماجرای سرکشی و عصیان ابلیس! در هفت سوره از سورههای قرآن اشاره به آفرینش انسان و چگونگی خلقت او شده است.

در آیه مورد بحث، خداوند می گوید: «ما شما را آفریدیم، و سپس صورت بندی کردیم، بعد از آن به فرشتگان (و از جمله ابلیس که در صف آنها قرار داشت اگرچه جزء آنها نبود) فرمان دادیم، برای آدم (جدّ نخستین شما) سجده کنند» (وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ).

«همگی (این فرمان را به جان و دل پذیرفتند و) برای آدم سجده کردند، مگر ابلیس که از سجده کنندگان نبود» (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ). برگزيده تفسير نمونه، ج۲، ص: ۲۹

سجده فرشتگان برای آدم به معنی «سجده پرستش» نبوده است، زیرا پرستش مخصوص خداست، بلکه سجده در اینجا به معنی خضوع و تواضع است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٢..... ص: ٢٩

(آیه ۱۲)– در این آیه می گوید: خداوند «ابلیس» را به خاطر سرکشی و طغیانگری مؤاخذه کرد، فرمود: «در آن هنگام که به تو فرمان دادم، چه چیز تو را مانع شد که سجده کنی؟» (قالَ ما مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ).

او در پاسخ به یک عذر ناموجه متوسل گردید، «گفت: من از او بهترم، به دلیل این که مرا از آتش آفریدهای و او را از خاک و گل»! (قالَ أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینِ).

گویا چنین میپنداشت که آتش برتر از خاک است، و این یکی از بزرگترین اشتباهات ابلیس بود، شاید هم اشتباه نمی کرد و به خاطر تکبر و خودپسندی دروغ می گفت.

اما امتیاز آدم در این نبود که از خاک است، بلکه امتیاز اصلی او همان «روح انسانیت» و مقام خلافت و نماینـدگی پروردگار بوده است.

در اینجا یک سؤال باقی میماند، و آن این که چگونه شیطان، با خدا سخن گفت، مگر وحی بر او نازل می شده است؟ پاسخ این سؤال این است که: هیچ مانعی ندارد که خداوند با شخص دیگری نه به عنوان وحی و رسالت، بلکه از طریق الهام درونی، یا به وسیله بعضی از فرشتگان سخن بگوید، خواه این شخص از صالحان و پاکان باشد، همانند مریم و مادر موسی یا از ناصالحان باشد مانند شیطان!

سورة الأعراف(٧): آية ١٣..... ص: ٢٩

(آیه ۱۳) – از آنجا که امتناع شیطان از سجده کردن، برای آدم (ع) یک امتناع ساده و معمولی نبود و نه یک گناه عادی محسوب می شد، بلکه یک سرکشی و تمرّد آمیخته به اعتراض و انکار مقام پروردگار بود. به این جهت، مخالفت او سر از کفر و انکار علم و حکمت خدا در آورد و به همین جهت، می بایست تمام مقامها و موقعیتهای خویش را در درگاه الهی از دست بدهد، به همین سبب خداوند او را از آن مقام برجسته و موقعیتی که در صفوف فرشتگان پیدا کرده بود بیرون کرد و به او برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۰

«فرمود: از این مقام و مرتبه، فرود آی» (قالَ فَاهْبِطْ مِنْها).

سپس سر چشمه این سقوط و تنزّل را با این جمله، برای او شرح می دهد که: «تو حق نداری در این مقام و مرتبه، راه تکبر، پیش گیری» (فَما یَکُونُ لَکَ أَنْ تَتَکَبّرَ فِیها).

و باز به عنوان تأکیـد بیشتر، اضافه میفرمایـد: «بیرونرو که از افراد پست و ذلیل هستی» (فَاخْرُجْ إِنَّکَ مِنَ الصَّاغِرِینَ). یعنی، نه تنها با این عمل بزرگ نشدی، بلکه به عکس به خواری و پستی گراییدی.

از این جمله به خوبی روشن میشود که تمام بدبختی شیطان، مولود تکبر او بود.

از امام صادق علیه السّ لام نیز نقل شده که فرمود: «اصول و ریشه های کفر و عصیان، سه چیز است. حرص و تکبر و حسد، اما حرص سبب شد که آدم از درخت ممنوع بخورد، و تکبر سبب شد که ابلیس از فرمان خدا سرپیچی کند، و حسد سبب شد که یکی از فرزندان آدم دیگری را به قتل رساند»!

سورة الأعراف(٧): آية ١٤.... ص: ٣٠

(آیه ۱۴) – اما داستان شیطان به همین جا پایان نیافت، او به هنگامی که خود را مطرود دستگاه خداوند دید، طغیان و لجاجت را بیشتر کرد و به جای توبه و بازگشت به سوی خدا و اعتراف به اشتباه، تنها چیزی که از خدا تقاضا کرد این بود که گفت: «خدایا! مرا تا پایان دنیا مهلت ده، و زنده بگذار» (قالَ أَنْظِرْنِی إِلی یَوْم یُبْعَثُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٥..... ص: ٣٠

(آیه ۱۵)- این تقاضای او به اجابت رسید و خداوند «فرمود: تو از مهلت داده شدگانی» (قالَ إِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٤.... ص: ٣٠

(آیه ۱۶) - ولی او نمیخواست برای جبران گذشته زنده بماند و عمر طولانی کند، بلکه هدف خود را از این عمر طولانی کند، بلکه هدف خود را از این عمر طولانی چنین «بیان کرد: اکنون که مرا گمراه ساختی! بر سر راه مستقیم تو کمین می کنم و آنها را از راه به در میبرم» (قالَ فَبِما أَغْوَیْتَنِی لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَکَ الْمُسْتَقِیمَ). تا همانطور که من گمراه شدم، آنها نیز به گمراهی بیفتند!

سورة الأعراف(٧): آية ١٧..... ص: ٣٠

(آیه ۱۷)- سپس شیطان، برای تأیید و تکمیل گفتار خود، اضافه کرد که نه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۱ تنها بر سر راه آنها کمین می کنم بلکه «از پیش رو، و از پشت سر، و از طرف راست، و از طرف چپ (از چهار طرف) به سراغ آنها می روم، و اکثر آنها را شکر گزار نخواهی یافت» (ثُمَّ لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَیْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَکْثَرَهُمْ شاکِرینَ).

در روایتی که از امام باقر علیه السّ بلام نقل شده، تفسیر عمیقی برای این چهار جهت دیده می شود، آنجا که می فرماید: «منظور از آمدن شیطان به سراغ انسان از «پیش رو» این است که آخرت و جهانی را که در پیش دارد در نظر او سبک و ساده جلوه می دهد، و منظور از «پشت سر» این است که آنها را به گرد آوری اموال و تجمع ثروت و بخل از پرداخت حقوق واجب به خاطر فرزندان و وارثان دعوت می کند، و منظور از «طرف راست» این است که امور معنوی را به وسیله شبهات و ایجاد شک و تردید، ضایع می سازد، و منظور از «طرف چپ» این است که لذات مادی و شهوات را در نظر آنها جلوه می دهد.

سورة الأعراف(٧): آية ١٨.... ص: ٣١

(آیه ۱۸)– در این آیه بـار دیگر فرمان بیرون رفتن ابلیس از حریم قرب خـدا و مقام و منزلت رفیع صادر میشود، با این تفاوت

که در اینجا حکم طرد او به صورت تحقیر آمیز و شدیدتر صادر شده است و شاید به خاطر لجاجتی بود که شیطان در مورد اصرار در وسوسه افراد انسان به خرج داد و گناه بزرگ دیگری بر گناه خود افزود به او فرمود: «از این مقام با بـدترین ننگ و عار بیرون رو و باخواری و ذلت فرود آی»! (قالَ اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً).

«و سوگند یاد میکنم که هر کس از تو پیروی کند، جهنم را از تو و آنها پر سازم» (لَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ).

سؤال: بعد از آنکه شیطان مرتکب چنان گناه بزرگی شد، چرا خداوند تقاضای او را مبنی بر ادامه حیات او پذیرفت؟ پاسخ اینکه: ادامه حیات او به عنوان وجود یک نقطه منفی برای تقویت نقاط مثبت نه تنها ضرر نداشت، بلکه مؤثر نیز بود، حتی قطع نظر از وجود شیطان، در درون خود ما، غرایز مختلفی وجود دارد، که چون در برابر نیروهای عقلانی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۲

و روحانی قرار گیرند، یک میدان تضاد را تشکیل میدهند که در این میدان پیشرفت و تکامل و پرورش وجود انسان صورت می گیرد.

باید توجه داشت که خداوند اگرچه شیطان را در انجام وسوسههایش آزاد گذاشته ولی انسان را در برابر او بیدفاع قرار نداده است، زیرا نیروی عقل و خرد به او بخشیده که می تواند سدّ نیرومندی در مقابل وسوسههای شیطان به وجود آورد.

و از سوی دیگر فطرت پاک و عشق به تکامل را در درون وجود انسان به عنوان یک عامل سعادت قرار داده و از سوی سوم فرشتگانی که الهام بخش نیکیها هستند، به کمک انسانهایی که میخواهند از وسوسههای شیطان برکنار بمانند میفرستد.

سورة الأعراف(٧): آية ١٩..... ص: ٣٢

(آیه ۱۹) - وسوسه های شیطانی در لباسهای دلپذیر! از این به بعد فصل دیگری از سرگذشت آدم را بیان می کند، نخست خداوند به آدم و همسرش دستور می دهد که: «و ای آدم! تو و همسرت (حوّا) در بهشت سکونت اختیار کنید» (و یا آدم اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهُ).

از این جمله چنین استفاده می شود که آدم و حوّا در بدو خلقت در بهشت نبودند سپس به سوی بهشت راهنمایی شدند. در این هنگام، نخستین تکلیف و امر و نهی پروردگار به این صورت، صادر شد: «شما از هر نقطهای و از هر درختی از درختان بهشت که می خواهید تناول کنید، اما به این درخت معین نزدیک نشوید که از ستمگران خواهید بود» (فَکُلا مِنْ حَیْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَکُونا مِنَ الظَّالِمِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٢٠.... ص: ٣٢

(آیه ۲۰)– سپس شیطان که بر اثر سجده نکردن رانده درگاه خدا شده بود و تصمیم قاطع داشت تا آنجا که می تواند از آدم و فرزندانش انتقام بگیرد «به وسوسه کردن آنان مشغول شد، تا لباسهای اطاعت و بندگی خدا را از تن آنان بیرون کند، و عورت آنها را که پنهان بود آشکار سازد» (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِیَ لَهُما ما وُورِیَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما).

و برای رسیدن به این هدف، از عشق و علاقه ذاتی انسان به تکامل و ترقی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۳ و «زندگی جاویدان»، استفاده کرد.

لذا نخست به آدم و همسرش گفت: «خداوند شما را از این جهت نهی نکرده جز این که اگر از آن بخورید یا فرشته خواهید شد و یا عمر جاویدان پیدا میکنید» (وَ قالَ ما نَهاکُما رَبُّکُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَکُونا مَلَکَیْنِ أَوْ تَکُونا مِنَ الْخالِدِینَ). و به این ترتیب، فرمان خدا را در نظر آنان به گونه دیگری جلوه داد.

سورة الأعراف(٧): آية ٢١..... ص: ٣٣

(آیه ۲۱)- آدم با شنیدن این سخن در فکر فرو رفت، اما شیطان برای این که پنجههای وسوسه خود را بیشتر و محکمتر در جان آدم و حوّا فرو برد «سوگندهای شدیدی برای آنها یاد کرد، که من خیرخواه شما هستم»! (وَ قاسَمهُما إِنِّی لَکُما لَمِنَ النَّاصِحِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٢٢..... ص: ٣٣

اشاره

(آیه ۲۲)– آدم که هنوز تجربه کافی در زنـدگی نـداشت، و گرفتار دامهای شـیطان و خـدعه و دروغ و نیرنگ نشـده بود، سـر انجام تسلیم فریب شیطان شد، و به این ترتیب «شیطان» آنها را با فریب (از مقامشان) فرود آورد» (فَدَلَّاهُما بِغُرُورٍ).

«هميـن كـه آدم و همسـرش از آن درخت ممنـوع چشـيدند، بلافاصـله لباسـهايشان از تنشـان فرو ريخت انـدامشان (عورتشـان) آشكار گشت» (فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما).

و در حقیقت از لباس بهشتی که لباس کرامت و احترام خدا بود برهنه شدند.

قرآن سپس می گوید: هنگامی که آدم و حوّا چنین دیدند «بلافاصله از برگهای درختان بهشتی برای پوشیدن اندام خود، استفاده کردند» (وَ طَفِقا یَخْصِۃ فانِ عَلَیْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ). «و در این موقع از طرف خداوند ندا رسید که مگر من شما را از آن درخت نهی نکردم، مگر به شما نگفتم که شیطان دشمن آشکار و سرسخت شماست» چرا فرمان مرا به دست فراموشی سپردید و در این گرداب سقوط کردید؟» (وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَکُما عَنْ تِلْکُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَکُما إِنَّ الشَّیْطانَ لَکُما عَدُوٌّ مُبِینً). از مقایسه تعبیر این آیه با نخستین آیهای که به آدم و حوّا اجازه سکونت در برگزیده تفسیر نمونه، ج ۲، ص: ۳۴ بهشت را می داد به خوبی استفاده می شود که آنها پس از این نافرمانی، چه اندازه از مقام قرب پروردگار دور شدند.

۱- شجره ممنوعه چه درختی بوده است؟ ص: 34

در منابع اسلامی دو نوع تفسیر برای آن آمده است، یکی تفسیر «مادی» که طبق معروف در روایات، «گندم» بوده است و دیگری تفسیر «معنوی» که در روایات از آن تعبیر به «شجره حسد» شده است، زیرا طبق این روایات، آدم پس از ملاحظه مقام و موقعیت خود چنین تصور کرد که مقامی بالاتر از مقام او وجود نخواهد داشت، ولی خداوند او را به مقام جمعی از اولیا از فرزندان او (پیامبر اسلام و خاندانش) آشنا ساخت، او حالتی شبیه به حسد پیدا کرد، و همین شجره ممنوعه بود که آدم مأمور بود به آن نزدیک نشود.

در حقیقت طبق این روایات، آدم از دو درخت تناول کرد که یکی از مقام او پایین تر بود و او را به سوی جهان ماده می کشید و آن گندم بود، و دیگری درخت معنوی مقام جمعی از اولیاء خدا بود که از مقام و موقعیت او بالاتر قرار داشت و چون از دو جنبه از حدّ خود تجاوز کرد به آن سرنوشت گرفتار شد.

اما باید توجه داشت که این حسد از نوع حسد حرام نبوده و تنها یک احساس نفسانی بوده است، بی آنکه کمترین گامی بر طبق آن بردارد.

۲- آیا آدم گناه کرد؟ ص: ۳۴

مدارک اسلامی به ما می گوید: هیچ پیامبری مرتکب گناه نمی شود، و مقام پیشوایی خلق به شخص گناهکار، واگذار نخواهد شد، و می دانیم که آدم از پیامبران الهی بود، بنابراین آنچه در پارهای از تعبیرات در باره پیامبران در قرآن آمده است که نسبت عصیان به آنها داده شده، همگی به معنی «عصیان نسبی» و «ترک اولی» است، نه گناه مطلق.

توضیح این که: گناه بر دو گونه است، «گناه مطلق» و «گناه نسبی»، گناه مطلق همان مخالفت نهی تحریمی و مخالفت با فرمان قطعی خداوند است و هرگونه ترک واجب و انجام حرام را شامل می شود.

اما «گناه نسبی» آن است که عمل غیر حرامی از شخص بزرگی سر زند، که با برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۵ توجه به مقام و موقعیتش شایسته او نباشد.

في المثل نمازي كه ممكن است از يك فرد عادي، نماز ممتازي باشد براي اولياء حق، گناه محسوب شود.

سایر اعمال آنها غیر از عبادات نیز چنین است، و با توجه به موقعیت آنها سنجیده می شود، به همین دلیل اگر یک «ترک اولی» از آنها سر زند، مورد عتاب و سرزنش پروردگار قرار می گیرند- منظور از ترک اولی این است که انسان کار بهتر را رها کند و سراغ کار خوب یا مباحی برود.

نهی آدم از «شجره ممنوعه» نیز یک نهی تحریمی نبود بلکه با توجه به موقعیت آدم با اهمیت تلقی شد و مخالفت با این نهی-هر چند نهی کراهتی بود- موجب چنان مؤاخذه و مجازاتی از طرف خداوند گردید.

سورة الأعراف(٧): آية ٢٣.... ص: ٣٥

(آیه ۲۳)- بازگشت آدم به سوی خدا! سر انجام هنگامی که آدم و حوّا، به نقشه شیطانی ابلیس واقف شدند و نتیجه کار خلاف خود را دیدند به فکر جبران گذشته افتادند و نخستین گام را اعتراف به ظلم و ستم بر خویشتن، در پیشگاه خدا قرار دادند و «گفتند: پروردگار! ما بر خویشتن ستم کردیم» (قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا).

«و اگر ما را نیامرزی و رحمت خود را شامل حال ما نکنی، از زیانکاران خواهیم بود» (وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٢٤..... ص: ٣٥

(آیه ۲۴)- گرچه توبه خالصانه آدم و همسرش در پیشگاه خـدا پذیرفته شد ولی به هر حال اثر وضـعی آن عمل، دامانشان را

گرفت، و دستور خارج شدن از بهشت از سوی خداونـد به آنهـا داده شـد، «فرمود: فرود آییـد در حالی که شـما با یکـدیگر (انسان و شیطان) دشمن خواهید بود» (قالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ عَدُوٌّ).

«و زمين تا مدت معيني قرارگاه و وسيله بهره گيري شما خواهد ً بود» (وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاُّع إِلَى حِينٍ).

سورة الأعراف(٧): آية ٢٥..... ص: ٣٥

(آیه ۲۵)– و «نیز به آنها گوشـزد کرد، که هم در زمین زندگی میکنید و هم در آن میمیرید، و از همان برای حساب در روز رستاخیز، برانگیخته خواهید شد» (قالَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶ فِیها تَحْیَوْنَ وَ فِیها تَمُوتُونَ وَ مِنْها تُحْرَجُونَ)

سورة الأعراف(٧): آية ٢٠.... ص: ٣٦

اشاره

(آیه ۲۶)- اخطار به همه فرزندان آدم! خداوند از این جا به بعد یک سلسله دستورات و برنامههای سازنده، برای همه فرزندان آدم، بیان می کند، که در حقیقت دنبالهای است از برنامههای آدم در بهشت.

نخست به همان مسأله لباس و پوشانیدن بدن که در سرگذشت آدم نقش مهمی داشت اشاره کرده، میفرماید: «ای فرزندان آدم! ما لباسی بر شما فرو فرستادیم، که (اندام شما را میپوشاند و) زشتیهای بدنتان را پنهان میسازد» (یا بَنِی آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَیْکُمْ لِباساً یُوارِی سَوْآتِکُمْ).

ولی فایده این لباس که برای شما فرستاده ایم، تنها پوشانیدن تن و مستور ساختن زشتیها نیست بلکه «مایه زینت شماست» (وَ رِیشاً). لباس تجمل و زینت که اندام شما را زیباتر از آنچه هست نشان می دهد.

به دنبال این جمله که در باره لباس ظاهری سخن گفته است، قرآن بحث را به لباس معنوی کشانده و آن چنان که سیره قرآن در بسیاری از موارد است، هر دو جنبه را به هم میآمیزد و میگوید: «لباس پرهیزکاری و تقوا از آن هم بهتر است» (وَ لِباسُ التَّقُوی ذلِکَ خَیْرٌ).

تشبیه تقوی و پرهیز کاری به لباس، تشبیه بسیار رسا و گویایی است، زیرا همانطور که لباس هم بدن انسان را از سرما و گرما حفظ می کند، و هم سپری است در برابر بسیاری از خطرها، و هم عیوب جسمانی را می پوشاند و هم زینتی است برای انسان، روح تقوی و پرهیز کاری نیز علاوه بر پوشانیدن بشر از زشتی گناهان و حفظ از بسیاری از خطرات فردی و اجتماعی، زینت بسیار بزرگی برای او محسوب می شود زینتی است چشمگیر که بر شخصیت او می افزاید.

منظور از لباس تقوا همان «روح تقوا و پرهیز کاری» است، که جان انسان را حفظ می کند و معنی «حیاء» و «عمل صالح» و امثال آن در آن جمع است.

در پایان آیه می فرماید: «این (لباسهایی که خدا برای شما قرار داده اعم از لباس مادی و معنوی، لباس جسمانی و لباس تقوا) همگی از آیات و نشانه های خداست برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۷

تا بندگان متذكر نعمتهاى پروردگار شوند» (ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكُّرُونَ).

لباس در گذشته و حال-.... ص: 37

تا آنجا که تاریخ نشان میدهد همیشه انسان لباس میپوشیده است، ولی وسایل تولید لباس در عصر ما به قدری متنوع شده و توسعه یافته است که با گذشته اصلا قابل مقایسه نیست.

و متأسفانه، جنبههای فرعی و حتی نامطلوب و زننده لباس چنان گسترش یافته که فلسفه اصلی لباس را دارد تحت الشعاع خود قرار میدهد.

لباس عاملی شده برای انواع تجمل پرستیها، توسعه فساد، تحریک شهوات، خودنمایی و تکبر و اسراف و تبذیر و امثال آن، حتی گاه لباسهایی در میان جمعی از مردم بخصوص «جوانان غربزده» دیده می شود که جنبه جنون آمیز آن بر جنبه عقلانیش برتری دارد و به همه چیز شباهت دارد جز به لباس.

مسأله مدپرستی در لباس نه تنها ثروتهای زیادی را به کام خود فرو می کشد، بلکه قسمت مهمی از وقتها و نیروهای انسانی را نیز بر باد میدهد.

سورة الأعراف(٧): آية ٢٧..... ص: ٣٧

(آیه ۲۷) - در این آیه خداوند به همه افراد بشر و فرزندان آدم، هشدار می دهد که مراقب فریبکاری شیطان باشند زیرا شیطان سابقه دشمنی خود را با پدر و مادر آنها نشان داده و همانطور که لباس بهشتی را بر اثر وسوسهها از اندام آنان بیرون کرد، ممکن است لباس تقوا را از اندام ایشان بیرون نماید، لذا می گوید: «ای فرزندان آدم! شیطان شما را نفریبد، آن چنانکه پدر و مادر شما را از بهشت بیرون ساخت و لباس آنان را از اندامشان بیرون کرد، تا عورتشان را به آنها نشان دهد» (یا بَنِی آدَمَ لا یَفْتِنَدُّکُمُ الشَّیْطانُ کَما أَخْرَجَ أَبَوَیْکُمْ مِنَ الْجَنَّهُ یَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِیُریَهُما سَوْآتِهِما).

سپس تأكيد مى كند كه حساب شيطان و همكارانش از ساير دشمنان جداست، «او و همكارانش شما را مى بينند در حالى كه شما آنها را مشاهده نمى كنيد» و از چنين دشمنى بايد سخت برحذر بود! (إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ).

و در پایان آیه جملهای بیان می کند که در حقیقت پاسخی است به یک ایراد بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۸ مهم و آن این که اگر کسی بگوید: چگونه خداوند دادگر و مهربان دشمنی را با این قدرت بر انسان مسلط ساخته، دشمنی که

هیچ گونه موازنه قوا با او ندارد، به هر کجا بخواهد میرود، بدون این که کسی حضورش را احساس کند، حتی طبق بعضی از روایات در درون وجود انسان همچون جریان خون در رگها حرکت میکند! آیا این با عدالت پروردگار سازگار است؟

ته در پاسخ این سؤال احتمالی، می گوید: «ما شیاطین را اولیاء و سرپرستان افراد بیایمان قرار دادیم» (إِنَّا جَعَلْنَا الشَّیاطِینَ أَوْلِیاءَ لَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ).

یعنی، تنها پس از موافقت خود انسان است که شیطان می تواند از مرزهای روح او بگذرد.

سورة الأعراف(٧): آية ٢٨.... ص: ٣٨

(آیه ۲۸)- در این آیه اشاره به یکی از وسوسه های مهم شیطانی می کند که بر زبان جمعی از انسانهای شیطان صفت نیز جاری می شود و آن این که: «هنگامی که عمل زشت و قبیحی را انجام می دهند (اگر از دلیل آن سؤال شود، در پاسخ) می گویند:

این راه و رسمی است که نیاکان خود را بر آن یافته ایم خداونـد هم ما را به آن دستور داده است» (وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَهُ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَ اللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا).

جالب این که قرآن در پاسخ آنها اعتنایی به دلیل اول یعنی پیروی کورکورانه از نیاکان نمیکند و تنها به پاسخ دلیل دوم قناعت کرده، می گوید: «بگو: خداوند هرگز به کارهای زشت و قبیح فرمان نمیدهد» زیرا حکم او از فرمان عقل جدا نیست (قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ).

سپس با این جمله آیه ختم می شود که: «آیا به خدا نسبتهایی می دهید که نمی دانید» (أَ تَقُولُونَ عَلَی اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ). منظور از «فاحِشَهُ» در اینجا هر گونه کار زشت و قبیحی است که مسأله «طواف عریان» و «پیروی از پیشوایان ظلم و ستم» از مصادیق روشن آن محسوب می گردد.

سورة الأعراف(٧): آية ٢٩..... ص: ٣٨

(آیه ۲۹)- در این آیه به اصول دستورات پروردگار در زمینه وظایف عملی در یک جمله کوتاه اشاره، شده و سپس اصول عقاید دینی یعنی، مبدء و معاد را بطور برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۹

فشرده بیان می کند نخست می گوید: ای پیامبر! «به آنان بگو: پروردگار من به عدالت دستور داده است» (قُلْ أَمَرَ رَبِّی بِالْقِسْطِ). سپس دستور به یکتاپرستی و مبارزه با هر گونه شرک داده، می فرماید: «توجه قلب خویش را در هر عبادتی به او کنید» و از ذات پاک او به سوی دیگر منحرف نشوید (وَ أَقِیمُوا وُجُوهَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ).

«او را بخوانيد و دين و آيين خود را خالص و مخصوص او قرار دهيد» (وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ).

پس از تحکیم پایه توحید، توجه به مسأله معاد و رستاخیز کرده، می گوید:

«همان گونه که شما را در آغاز آفرید، دگر بار در قیامت باز می گردید» (کَما بَدَأْکُمْ تَعُودُونَ).

آیه فوق یکی از کوتاهترین و جالبترین تعبیرات را در زمینه معاد جسمانی بازگو میکند، و میگوید: نگاهی به آغاز آفرینش خود کنید ببینید همین جسم شما که از مقدار زیادی آب و مقدار کمتری مواد مختلف، فلزات و شبه فلزات ترکیب شده است در آغاز کجا بود؟ آبهایی که در ساختمان جسم شما به کار رفته هر قطرهای از آن احتمالاً در یکی از اقیانوسهای روی زمین سرگردان بود و سپس تبخیر گردید و تبدیل به ابرها و به شکل قطرات باران بر زمینها فرو ریختند، و ذراتی که هم اکنون از مواد جامد زمین در ساختمان جسم شما به کار رفته، روزی به صورت دانه گندم یا میوه درخت، یا سبزیهای مختلف بود که از نقاط پراکنده زمین گردآوری شد.

بنابراین چه جای تعجب که پس از متلاشی شدن و بازگشت به حال نخستین، باز همان ذرات جمع آوری گردد و به هم پیوندند و اندام نخستین را تشکیل دهند؟

و اگر چنین چیزی محال بود چرا در آغاز آفرینش انجام شد؟ بنابراین «همان گونه که در آغاز، خـدا شـما را آفریـده است در روز رستاخیز نیز باز می گرداند».

سورة الأعراف(٧): آية ٣٠.... ص: ٣٩

(آیه ۳۰)- در این آیه چگونگی عکس العملهای مردم را در برابر این دعوت (دعوت به سوی نیکیها و توحید و معاد) بیان

کرده، می گوید: «جمعی را هدایت کرده و جمعی (که شایستگی نداشتهاند) گمراهی بر آنها مسلّم شده است» (فَرِیقاً برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۰

هَدى وَ فَريقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ)

و برای این که کسی تصور نکند بدون جهت خداوند، طایفهای را هدایت میکند و جمع دیگری را گمراه، در جمله بعد اضافه میکند: «گروه گمراهان همانها بودند که شیاطین را اولیای خود انتخاب کرده بودند، و به جای ولایت پروردگار ولایت شیطان را پذیرفتند» (إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّیاطِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

و عجب این که با تمام گمراهی و انحراف «چنین می پنداشتند که هدایت یافتگان واقعی آنها هستند» (وَ یَحْسَ بُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ).

این حالت مخصوص کسانی است که در طغیان و گناه فرو روند و در این حال درهای هدایت بکلی به روی آنها مسدود خواهد شد، و این همان چیزی است که خودشان برای خویشتن فراهم ساختهاند.

سورة الأعراف(٧): آية ٣١..... ص: ٤٠

(آیه ۳۱) – در این آیه به عنوان یک قانون همیشگی که شامل تمام اعصار و قرون می شود دستور می دهـد که، «ای فرزنـدان آدم! زینت خود را به هنگام رفتن به مسجد با خود داشته باشید» (یا بَنِی آدَمَ خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ).

این جمله می تواند هم اشاره به «زینتهای جسمانی» باشد که شامل پوشیدن لباسهای مرتب و پاک و تمیز، و شانه زدن موها، و به کار بردن عطر و مانند آن می شود، و هم شامل «زینتهای معنوی»، یعنی صفات انسانی و ملکات اخلاقی و پاکی نیت و اخلاص.

در جمله بعد اشاره به مواهب دیگر یعنی خوردنیها و آشامیدنیهای پاک و پاکیزه میکند، میگوید از آنها «بخورید و بنوشید» (وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا).

اما چون طبع زیاده طلب انسان، ممکن است از این دو دستور سوء استفاده کند و به جای استفاده عاقلانه و اعتدال آمیز از پوشش و تغذیه صحیح، راه تجمل پرستی و اسراف و تبذیر را پیش گیرد، بلافاصله اضافه می کند: «ولی اسراف نکنید که خدا مسرفان را دوست نمی دارد» (وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُسْرِفِینَ).

کلمه «اسراف» کلمه بسیار جامعی است که هر گونه زیاده روی در کمیت و کیفیت و بیهوده گرایی و اتلاف و مانند آن را شامل می شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۱

جمله کُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُشرِفُوا بخورید و بیاشامید و اسراف نکنید، در آیه فوق آمده، گرچه بسیار ساده به نظر می رسد، اما امروز ثابت شده است که یکی از مهمترین دستورات بهداشتی همین است، زیرا تحقیقات دانشمندان به این نتیجه رسیده که سر چشمه بسیاری از بیماریها، غذاهای اضافی است که به صورت جذب نشده در بدن انسان باقی می ماند، این مواد اضافی هم بار سنگینی است برای قلب و سایر دستگاههای بدن و هم منبع آماده ای است برای انواع عفونتها و بیماریها! عامل اصلی تشکیل این مواد مزاحم، اسراف و زیاده روی در تغذیه و به اصطلاح «پرخوری» است، و راهی برای جلوگیری از آن جز رعایت اعتدال در غذا نیست، کسانی که این دستور را ساده فکر می کنند خوب است در زندگی خود آن را بیازمایند تا اهمیت رعایت این دستور را در سلامت جسم و تن خود ببینند.

سورة الأعراف(٧): آية ٣٢.... ص: ٤١

(آیه ۳۲) - در این آیه با لحن تندتری به پاسخ آنها که گمان میبرند، تحریم زینتها و پرهیز از غذاها و روزیهای پاک و حلال، نشانه زهد و پارسایی و مایه قرب به پروردگار است پرداخته، می گوید: ای پیامبر! «بگو: چه کسی زینتهای الهی را که برای بندگانش آفریده و همچنین مواهب و روزیهای پاکیزه را تحریم کرده است» (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَهٔ اللَّهِ الَّتِی أُخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّیِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ).

سپس برای تأکید اضافه می کند: به آنها «بگو: این نعمتها و موهبتها برای افراد با ایمان در این زندگی دنیا آفریده شده (اگرچه دیگران نیز بدون داشتن شایستگی از آن استفاده می کنند) ولی در روز قیامت و زندگی عالیتر (که صفوف کاملااز هم مشخص میشوند) اینها همه در اختیار افراد با ایمان و درستکار قرار می گیرد» و دیگران بکلی از آن محروم میشوند! (قُلْ هِیَ لِلَّذِینَ آمَنُوا فِی الْحَیاهُ الدُّنیا خالِصَهُ یَوْمَ الْقِیامَهُ).

در پایان آیه به عنوان تأکید می گوید: «این چنین آیات و احکام خود را برای جمعیتی که آگاهند و میفهمند تشریح می کنیم» (کَذٰلِکَ نُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْم یَعْلَمُونَ).

در مورد استفاده از انواع زینتها، اسلام مانند تمام موارد، حدّ اعتدال را برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۲

انتخاب کرده است و استفاده کردن از زیباییهای طبیعت، لباسهای زیبا و متناسب، به کار بردن انواع عطرها، و امثال آن، نه تنها مجاز شمرده شده بلکه به آن توصیه و سفارش نیز شده است.

سورة الأعراف(٧): آية ٣٣..... ص: ٤٢

(آیه ۳۳) – محرمات الهی! بارها دیده ایم که قرآن مجید هرگاه سخن از امر مباح یا لازمی به میان می آورد، بلافاصله از نقطه مقابل آن یعنی زشتیها و محرمات سخن می گوید، تا هر دو بحث، یکدیگر را تکمیل کنند، در اینجا نیز به دنبال اجازه استفاده از مواهب الهی و زینتها و نفی تحریم آنها، سخن از محرمات به میان آورده و بطور عموم، و سپس بطور خصوص انگشت روی چند نقطه مهم می گذارد.

در آغاز از تحریم فواحش سخن می گوید، می فرماید: ای پیامبر! «بگو:

پروردگار من تنها اعمال زشت و قبیح را حرام کرده است، اعم از این که آشکار باشد یا پنهان» (قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّیَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ).

سپس موضوع را تعميم داده، مي گويد: «و (همچنين) گناه و ستم به ناحق را» (وَ الْإِثْمَ).

بار دیگر انگشت روی چند قسمت از بزرگترین گناهان گذاشته، می گوید:

«و هرگونه ستم و تجاوز به ناحق به حقوق دیگران» (وَ الْبَغْیَ بِغَیْرِ الْحَقِّ).

سپس اشاره به مسأله شرک کرده، می گوید: و نیز پروردگار من، حرام کرده «این که چیزی را که خداوند دلیلی برای آن نازل نکرده، شریک او قرار دهید» (وَ أَنْ تُشْرِکُوا بِاللَّهِ ما لَمْ یُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً).

آخرین چیزی را که به عنوان محرمات روی آن تکیه می کند، نسبت دادن چیزی به خدا بدون علم و آگاهی است، میفرماید: «و این که به خدا مطلبی نسبت دهید که نمی دانید» (وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَی اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٣٤.... ص: ٤٢

(آیه ۳۴) – هر جمعیتی سر انجامی دارد! در این آیه خداوند به یکی از قوانین آفرینش یعنی فنا و نیستی ملتها، اشاره می کند و بحثهای مربوط به زندگی فرزندان آدم در روی زمین و سر انجام و سرنوشت گنهکاران که در آیات قبل گفته شد با این بحث روشنتر می شود نخست می گوید: «برای هر امتی زمان و مدت معینی بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۳ وجود دارد» (وَ لِکُلِّ أُمَّةٍ أَجَلُ).

«و به هنگامی که این اجل فرا رسد، نه لحظهای تأخیر خواهند کرد و نه لحظهای بر آن پیشی می گیرند» (فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا یَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا یَسْتَقْدِمُونَ).

یعنی، ملتهای جهان همانند افراد، دارای مرگ و حیاتند، ملتهایی از صفحه زمین برچیده می شوند، و به جای آنها ملتهای دیگری قرار می گیرند، قانون مرگ و حیات مخصوص افراد انسان نیست، بلکه اقوام و جمعیتها و جامعه ها را نیز در بر می گیرد با این تفاوت که مرگ ملتها غالبا بر اثر انحراف از مسیر حق و عدالت و روی آوردن به ظلم و ستم و غرق شدن در دریای شهوات و فرو رفتن در امواج تجمل پرستی و تن پروری می باشد.

هنگامی که ملتهای جهان در چنین مسیرهایی گام بگذارند، و از قوانین مسلم آفرینش منحرف گردند، سرمایههای هستی خود را یکی پس از دیگری از دست خواهند داد و سر انجام سقوط میکنند.

سورة الأعراف(٧): آية ٣٥..... ص: ٤٣

(آیه ۳۵) - دستور دیگری به همه فرزندان آدم! بار دیگر خداوند فرزندان آدم را مخاطب ساخته، می گوید: «ای فرزندان آدم! اگر رسولانی از خودتان (از طرف من) به سوی شما آمدند که آیات مرا به شما عرضه می دارند (از آنها پیروی کنید) زیرا آنها که پرهیزکاری پیشه کنند و در اصلاح خویشتن و دیگران بکوشند نه وحشتی از مجازات الهی خواهند داشت و نه اندوه و غمی» (یا بَنِی آدَمَ إِمَّا یَأْتِیَنَّکُمْ رُسُلٌ مِنْکُمْ یَقُصُّونَ عَلَیْکُمْ آیاتِی فَمَنِ اتَّقی وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٣٣..... ص: ٣٣

(آیه ۳۶)– و در این آیه اضافه می کنـد: «اما آنها که آیات ما را تکذیب کنند و در برابر آن تکبر ورزند آنها اصـحاب دوزخند و جاودانه در آن خواهند ماند» (وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها أُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٣٧..... ص: ٤٣

(آیه ۳۷)- از این آیه به بعد قسمتهای مختلف از سرنوشت شومی که در انتظار افترا گویان و تکذیب کنندگان آیات خداست، بیان شده، نخست می گوید:

«چه کسی ستمکارتر است از آنها که بر خدا دروغ می بندند و یا آیات او را تکذیب برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴ می کنند»؟ (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَوْ کَذَّبَ بِآیاتِهِ).

سپس وضع آنها را به هنگام مرگ چنین توصیف می کند: «آنان چند روزی بهره خود را از آنچه برایشان مقدر شده است

مىبرنىد و از نعمتهاى مختلف سهم خود را مى گيرنىد، تىا (پيمانه عمرشان لبريز گردد و به اجل نهايى برسىد) در اين هنگام فرشتگان ما كه مأمور گرفتن ارواحند به سراغ آنها مى آيند تا جانشان را بگيرند» (أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِ يَبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ).

به هر حال از لحظه مرگ مجازاتهای آنها شروع می شود، نخستین بار با توبیخ و سرزنش فرشتگان پروردگار که مأمور گرفتن جانشان هستند رو برو می شوند، «آنها می پرسند کجا هستند معبودهایی که غیر از خدا می پرستیدید» و یک عمر از آنها دم می زدید و همه چیز خود را نابخردانه در پای آنها می ریختید؟ (قالُوا أَیْنَ ما کُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

آنها چون دست خود را از همه چیز کوتاه می بینند و پندارهایی را که در باره معبودهای ساختگی داشتند همچون نقش بر آب مشاهده می کنند، در پاسخ می گویند: «آنها همه گم شدند و از ما دور گشتند» (قالُوا ضَلُّوا عَنَّا).

اثری از آنها نمی بینیم و هیچ گونه قدرتی بر دفاع از ما ندارند، و تمام عبادات ما برای آنها بیهوده بود، «و به این ترتیب خودشان بر ضد خود گواهی میدهند که کافر بودند» (وَ شَهِدُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ کانُوا کافِرِینَ).

در حالی که راه بازگشت به روی آنها بسته است و این نخستین تازیانه آتشین مجازات الهی است که بر روح آنها نواخته می شود.

سورة الأعراف(٧): آية ٣٨..... ص: 44

(آیه ۳۸) - درگیری پیشوایان و پیروان گمراه در دوزخ! در آیات گذشته صحنهای که به هنگام مرگ و بازپرسی فرشتگان قبض ارواح رخ می دهد ترسیم شده بود و در اینجا صحنه برخورد گروههای اغوا کننده و اغوا شونده را در قیامت شرح می دهد: «در روز رستاخیز خداوند به آنها می گوید در صف گروههای مشابه خود از جن و انس که پیش از شما بودند، قرار گیرید و در آتش داخل شوید» (قال ادْخُلُوا فِی أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبَلِکُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فِی النَّارِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص. ۴۵

هنگامی که همگی در آتش داخل شدند برخوردشان با هم مسلکهایشان شروع میشود، برخوردی عجیب و عبرت انگیز، «هر دستهای که وارد دوزخ میشونـد به دیگری لعن و نفرین میکنـد» و او را مسؤول بـدبختی خویش میدانـد (کُلَّمـا دَخَلَتْ أُمَّةُ لَعَنَتْ أُخْتَها).

مطلب به همین جا پایان نمی پذیرد، «هنگامی که همگی با ذلت و خواری در محیط شرر بار دوزخ قرار می گیرند (شکایت آنها به پیشگاه پروردگار از یکدیگر شروع می شود) نخست فریب خوردگان عرضه می دارند: پروردگارا! این اغواگران بودند که ما را گمراه ساختند، خدایا عذاب و کیفر آنها را مضاعف کن» کیفری به خاطر گمراهیشان، و کیفری به خاطر گمراه کردن ما (حَتَّی إِذَا ادَّارَکُوا فِیها جَمِیعاً قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ).

ولی عجیب این است که خداونـد در پاسخ آنها «میفرماید: برای هر کدام (از شـما) عذاب مضاعف است ولی نمیدانید!» چرا که پیروان اگر گرد پیشوایان گمراه را نگرفته بودند، قدرتی بر اغوای مردم نداشتند (قالَ لِکُلِّ ضِعْفٌ وَ لکِنْ لا تَعْلَمُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٣٩..... ص: ٤٥

(آیه ۳۹)- در این آیه پاسخ پیشوایان گمراه را چنین نقل می کند که: «آنها به پیروان خود می گویند شما هیچ تفاوت و برتری

بر ما ندارید، (یعنی اگر ما گفتیم شما تأیید کردید و اگر گام برداشتیم کمک نمودید و اگر ستم نمودیم شما یار و مددکار ما بودید) بنابراین شما هم در مقابل اعمالتان عذاب دردناک الهی را بچشید» (قالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْراهُمْ فَما کانَ لَکُمْ عَلَیْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما کُنْتُمْ تَکْسِبُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية 40.... ص: 45

(آیه ۴۰)– بار دیگر قرآن به سراغ سرنوشت افراد متکبر و لجوج یعنی آنها که زیر بار آیات پروردگار نمیروند و در برابر حق تسلیم نیستند رفته، می گوید:

«كسانى كه آيات ما را تكذيب كنند و در برابر آن تكبر ورزند درهاى آسمان به روى آنان گشوده نمى شود» (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ).

در حدیثی از امام باقر علیه السّلام چنین میخوانیم: «اما مؤمنان، اعمال و ارواحشان برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶ به سوی آسمانها برده می شود و درهای آسمان به روی آنها گشوده خواهد شد، اما کافر روح و عملش را بالا می برند تا به آسمان برسد در این هنگام کسی صدا می زند آن را به سوی سجّین (دوزخ) پایین ببرید».

سپس اضافه مىكنـد: «آنها وارد بهشت نخواهنـد شد، تا زمانى كه شتر از سوراخ سوزن بگذرد»! (وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ).

این تعبیر کنایه لطیفی از محال بودن این امر است، که راهی برای ورود افراد بیایمان متکبر در بهشت مطلقا موجود نیست! در پایان آیه برای تأکید و توضیح بیشتر اضافه میکند، «و این چنین گنهکاران را کیفر میدهیم» (وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُجْرِمِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٢١.... ص: 46

(آیه ۴۱)- در این آیه، به قسمتی دیگر از مجازات دردناک آنها اشاره کرده، میگوید: «برای این گونه افراد، بسترهایی از جهنم و آتش سوزان است و روی آنها پوششهایی از همان آتش سوزان قرار دارد» (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ). و باز برای تأکید اضافه میکند: «این چنین ظالمان و ستمگران را کیفر میدهیم» (وَ کَذلِکَ نَجْزِی الظَّالِمِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٢٢.... ص: 46

(آیه ۴۲)– آرامش کامل و سعادت جاویدان! در آیات گذشته بحث از سرنوشت منکران آیات خدا و متکبران و ظالمان بود، در اینجا آینده روشن افراد با ایمان را چنین شرحِ میدهد: «کسانی که ایمان آورند و عمل صالح انجام دهند، ...

اهل بهشتند و جاودانه در آن خواهند ماند» (وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ ...

أُولِئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ).

ولى در ميان اين جمله يک جمله معترضه که اشاره به پاسخ بسيارى از سؤالات است بيان کرده، مى گويد: «ما هيچ کس را جز به اندازه توانائيش تکليف نمى کنيم» (لا نُکَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها)

.اشاره به این که کسی تصور نکند که قرار گرفتن در صف افراد با ایمان و انجام عمل صالح در دسترس همه کس نیست، زیرا تکالیف پروردگار به اندازه قدرت برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷

افراد است.

این آیه مانند بسیاری دیگر از آیات قرآن، وسیله نجات و سعادت جاویدان را منحصرا ایمان و عمل شایسته معرفی می کند و به این ترتیب به عقیده خرافی مسیحیان امروز که وسیله نجات را قربانی شدن مسیح در برابر گناهان بشریت میدانند، خط بطلان می کشد، اصرار قرآن روی مسأله ایمان و عمل صالح در آیات مختلف برای کوبیدن این طرز تفکر و مانند آن است.

سورة الأعراف(٧): آية ٤٣..... ص: ٤٧

(آیه ۴۳) - در این آیه به یکی از مهمترین نعمتهایی که خدا به بهشتیان ارزانی میدارد و مایه آرامش روح و جان آنهاست اشاره کرده، می گوید: «کینهها و حسدها و دشمنیها را از دل آنها برمی کنیم» (وَ نَزَعْنا ما فِی صُدُورِهِمْ مِنْ غِلِّ).

در حقیقت یکی از بزرگترین ناراحتیهای انسانها در زنـدگی دنیا که سـر چشـمه پیکارهای وسیع اجتماعی میشود و علاوه بر خسارتهای سنگین جانی و مالی آرامش روح را بکلی بر هم میزند، همین «کینه توزی» و «حسد» است.

بهشتیان بکلی از بـدبختیهای ناشـی از این گونه صـفات و عواقب آن برکنارند، آنها با هم در نهایت دوستی و محبت و صـفا و صمیمیت و آرامش زندگی میکنند، و همه از وضع خود راضیند.

قرآن پس از ذکر این نعمت روحانی، اشاره به نعمت مادی و جسمانی آنها کرده، می گوید: «از زیر قصرهای آنها نهرهای آب جریان دارد» (تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ).

سپس رضایت و خشنودی کامل و همه جانبه اهل بهشت را با این جمله منعکس می کند که آنها «می گویند: حمد و سپاس مخصوص خداوندی است که ما را به این همه نعمت رهنمون شد و اگر خدا ما را راهنمایی نمی کرد، هر گز، هدایت نمی یافتیم» (وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی هَدانا لِهذا وَ ما کُنَّا لِنَهْتَدِی لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ).

این توفیق او بود که دست ما را گرفت و از گذرگاههای زندگی عبور داد و به سر منزل سعادت رسانید. «مسلما فرستادگان پروردگار ما، حق را آوردنـد!» آنها راست میگفتنـد و ما با چشم خود درستی گفتارشان را هم اکنون میبینیم (لَقَـدْ برگزیـده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۸

جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ)

«در این هنگام نـدایی برمیخیزد، و این جمله را در گوش جـان آنهـا سـر میدهـد که این بهشت را به خـاطر اعمال پاکتان به ارث بردید» (وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّهُ أُورِ ثُتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية 44.... ص: ٤٨

(آیه ۴۴)- از این آیه استفاده می شود که بهشتیان و دوزخیان از جایگاه خود می توانند با یکدیگر سخن بگویند نخست می گوید: «بهشتیان، دوزخیان را مخاطب ساخته و صدا می زنند که ما وعده پروردگار خویش را حق یافتیم، آیا شما هم به آنچه خدا به وسیله فرستادگانش وعده داده بود، رسیدید؟» (و نادی أُصْ حابُ الْجَنَّهُ أُصْ حابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّکُمْ حَقًا).

در پاسخ «می گویند: آری» همه را عین حقیقت دیدیم (قالُوا نَعَمْ).

سپس اضافه می کند: «در این هنگام ندا دهندهای در میان آنها ندا در میدهد (آنچنان که صدای او به گوش همگان میرسد)

كه: لعنت خدا بر ستمكران باد» (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَغْنَهُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ).

سورة الأعراف(٧): آية 45.... ص: 48

(آیه ۴۵)- سپس ستمگران را چنین معرفی می کند: «همانها که مردم را از راه راست بـاز میداشـتند (و بـا تبلیغات مسـموم و زهر آگین خود، ایجاد شک و تردیـد در ریشههای عقاید مردم می کردند) و جاده مسـتقیم الهی را کج و معوج نشان میدادند، و به سرای دیگر نیز ایمان نداشتند» (الَّذِینَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ وَ یَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ کافِرُونَ).

این مؤذّن در روایات اسلامی، غالبا به امیر مؤمنان علی علیه السّلام تفسیر شده است.

حاکم «ابو القاسم حسکانی» که از دانشمندان اهل سنّت است به سند خود از «محمّد بن حنفیه» از «علی» علیه السّلام نقل می کند که می کند که فرمود: انا ذلک المؤذن: «آن که این ندا را سر می دهد منم» و همچنین به سند خود از ابن عباس نقل می کند که علی علیه السّلام در قرآن نامهایی دارد که مردم آنها را نمی دانند، از جمله «مؤذن» در آیه شریفه فَأَذَن مُؤذِن بَیْنَهُمْ علی علیه السّلام است که این ندا را سر می دهد و می گوید: الا لعنهٔ الله علی الّذین بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۹ کذبوا بولایتی و استخفّوا بحقی «لعنت خدا بر آنها باد که ولایت مرا تکذیب کردند و حق مرا کوچک شمردند».

سورة الأعراف(٧): آية 47.... ص: ٤٩

(آیه ۴۶)- اعراف گذرگاه مهمی به سوی بهشت! در تعقیب بیان سرگذشت بهشتیان و دوزخیان این آیه و سه آیه بعد از آن در باره «اعراف» که منطقهای است حد فاصل میان بهشت و دوزخ، با ویژگیهایی که دارد سخن می گوید.

نخست به حجابی که در میان بهشتیان و دوزخیان کشیده شده است اشاره کرده، می گوید: «میان این دو گروه حجابی قرار دارد» (وَ بَیْنَهُما حِجابٌ).

از آیات بعد چنین استفاده می شود که حجاب مزبور همان «اعراف» است که مکان مرتفعی است در میان این دو گروه، که مانع از مشاهده یکدیگر می شود، البته کسانی که بر اعراف یعنی قسمتهای بالای این مانع مرتفع قرار دارند، هر دو گروه را می توانند ببینند.

سپس قرآن می گوید: «بر اعراف مردانی قرار دارنـد کـه هر یـک از جهنمیـان و دوزخیـان را (در جایگـاه خـود می.بیننـد و) از سیمایشان آنها را میشناسند» (وَ عَلَی الْأَعْرافِ رِجالٌ یَعْرِفُونَ کُلًا بِسِیماهُمْ).

سپس می گویـد: مردانی که بر اعراف قرار دارنـد «بهشتیـان را صـدا میزننـد و می گوینـد: درود بر شـما باد، اما خودشان وارد بهشت نشدهاند، اگرچه بسیار تمایل دارند» (وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّهِ أَنْ سَلامٌ عَلَیْکُمْ لَمْ یَدْخُلُوها وَ هُمْ یَطْمَعُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٤٧..... ص: ٤٩

(آیه ۴۷)- «اما به هنگامی که به سوی دیگر نگاه میکننه و دوزخیان را در دوزخ میبیننه (به درگاه خمدا راز و نیاز میکننه و) می گویند: پروردگارا! ما را با جمعیت ستمگران قرار مده» (وَ إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).

سورة الأعراف(٧): آية 4٨..... ص: ٤٩

(آیه ۴۸) - در این آیه اضافه می کند که: «و اصحاب اعراف مردانی از دوزخیان را که از چهره و سیمایشان می شناسند صدا می زنند (و مورد ملامت و سرزنش قرار می دهند که دیدید عاقبت) گرد آوری اموال و نفرت در دنیا و تکبر ورزیدن از قبول حقّ، به شما سودی نداد» چه شد آن مالها؟ و کجا رفتند آن برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۰ نفرات؟ و چه نتیجه ای گرفتید از آن همه کبر و خودپرستی؟ (وَ نادی أَصْحابُ الْأَعْرافِ رِجالًا یَعْرِفُونَهُمْ بِسِیماهُمْ قالُوا ما أَعْنی عَنْکُمْ جَمْعُکُمْ وَ ما کُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٤٩..... ص: ٥٠

اشاره

(آیه ۴۹)- بار دیگر با همان زبان ملامت و سرزنش در حالی که اشاره به جمعی از ضعفای مؤمنان که بر اعراف قرار گرفتهاند می کنند، می گویند: «آیا اینها همان کسانی هستند که شما سو گند یاد کردید هیچ گاه خداوند آنان را مشمول رحمت خود قرار نخواهد داد» (أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةً).

سر انجام رحمت الهى شامل حال اين دسته از ضعفاى مؤمنان شده و به آنها خطاب مىشود كه: «وارد بهشت شويد نه ترسى بر شماست و نه در آنجا غم و اندوهى داريد» (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ).

«اصحاب اعراف» چه کسانی هستند؟ ص: ۵۰

از مجموع آیات و روایات چنین استفاده می شود که «اعراف» گذرگاه سخت و صعب العبوری بر سر راه بهشت سعادت جاویدان است، طبیعی است که افراد نیرومند و قوی یعنی صالحان و پاکان با سرعت از این گذرگاه عبور می کنند اما افرادی که خوبی و بدی را به هم آمیختند در این مسیر وا می مانند.

همچنین طبیعی است که سرپرستان جمعیت و پیشوایان قوم در گذرگاههای سخت همانند فرماندهانی که در این گونه موارد در آخر لشکر راه میروند تا همه سپاهیان بگذرند، در آنجا توقف میکنند تا به کمک ضعفای مؤمنان بشتابند و آنها که شایستگی نجات را دارند در پرتو امدادشان رهایی یابند.

بنابراین در اعراف، دو گروه وجود دارنـد، ضـعیفان و آلودگـانی کـه در رحمتنـد و پیشوایـان بزرگ (یعنی انبیـاء، امامـان و صالحان) که در همه حال یار و یاور ضعیفانند.

سورة الأعراف(٧): آية ٥٠.... ص: ٥٠

(آیه ۵۰)- نعمتهای بهشتی بر دوزخیان حرام است! پس از آن که بهشتیان و دوزخیان هر کدام در محل مناسب خود مستقر شدند گفتگوهایی در میان آنها رد و بـدل میشود که نتیجه آن مجازات و کیفری است روحانی و معنوی برای دوزخیان،

نخست می فرماید: «دوزخیان، بهشتیان را صدا می زنند که (محبت کنید) برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۱

و مقداری آب یا از آنچه خدا به شما روزی داده، به ما ببخشید» تا عطش سوزان خود را تسکین دهیم و از آلام خود بکاهیم (وَ نادی أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَکُمُ اللَّهُ).

ولى بلافاصله بهشتيان دست ردّ بر سينه آنها زده، و «مي گوينـد: خداونـد اينهـا را بر كافران تحريم كرده است» (قالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرينَ).

۱- جمله «مِمَّا رَزَقَکُمُ اللَّهُ» (از آنچه خدا به شما روزی داده) که تعبیری است سر بسته و توأم با یک نوع ابهام نشان میدهد که حتی دوزخیان نمی توانند از ماهیت و انواع نعمتهای بهشتی آگاه شوند.

۲- جمله «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ» (خداوند آنها را بر كافران حرام كرده) اشاره به اين است كه بهشتيان مضايقهاى از بخشيدن اين نعمتها ندارند زيرا نه چيزى از آنها كم مىشود و نه در درون سينه، كينهاى نسبت به كسى دارند، ولى وضع دوزخيان آنچنان است كه نمى توانند از نعمتهاى بهشتى بهره گيرند، اين تحريم در حقيقت يك نوع «تحريم تكوينى» است، همانند محروميت بسيارى از بيماران از غذاهاى لذيذ و رنگارنگ.

سورة الأعراف(٧): آية ٥١.... ص: ٥١

(آیه ۵۱)– در این آیه سبب محرومیت آنها را تشریح میکند و با ذکر صفات دوزخیان روشن میسازد که این سرنوشت شوم را خودشان برای خویشتن فراهم ساختهاند نخست می گوید: «آنها کسانی هستند که دین و مذهب خود را به سرگرمی و بازی گرفتند» (الَّذِینَ اتَّخَذُوا دِینَهُمْ لَهُواً وَ لَعِباً).

«و زندگی دنیا آنها را فریب داد و مغرور ساخت» (وَ غَرَّ تُهُمُ الْحَیاهُ الدُّنْیا).

این امور سبب شد که آنها در لجنزار شهوات فرو روند و همه چیز حتی رستاخیز را به دست فراموشی بسپارند و گفتار پیامبران و آیات الهی را انکار کنند، لذا به دنبال آن اضافه می کند: «پس امروز هم ما آنها را فراموش خواهیم کرد همان گونه که آنها لقای چنین روزی را فراموش کردند و همان گونه که آیات ما را انکار نمودند» (فَالْیَوْمَ نَنْساهُمْ کَما نَسُوا لِقاءَ یَوْمِهِمْ هـذا وَ ما کانُوا بآیاتِنا یَجْحَدُونَ).

ضمنا از این آیه استفاده می شود که نخستین مرحله گمراهی و انحراف آن برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۲ است که انسان مسائل سرنوشت ساز خود را جدّی نگیرد و با آنها به عنوان یک سرگرمی و بازیچه رفتار کند.

سورة الأعراف(٧): آية ٥٢ ص: ٥٢

(آیه ۵۲) – این آیه اشاره به این است که محرومیت کفار و سرنوشت شومشان نتیجه کوتاهیها و تقصیرات خودشان است و گر نه از ناحیه خداوند هیچ گونه کوتاهی در هدایت و رهبری و ابلاغ آیات و بیان درسهای تربیتی نشده است لذا می گوید: ما در هدایت و راهنمایی آنها چیزی فروگذار نکردیم «کتابی برای آنها فرستادیم که تمام اسرار و رموز آن را با آگاهی کامل تشریح کردیم» (وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِکِتابِ فَصَّلْناهُ عَلی عِلْم).

«کتابی که مایه هدایت و موجب رحمت برای ایمان آورندگان بود» اگرچه افراد لجوج و خودخواه از آن بیبهره میمانند (هُدئ وَ رَحْمَةً لِقَوْم يُؤْمِنُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٥٣ ص: ٥٢

(آیه ۵۳)- و در این آیه اشاره به طرز تفکر غلط تبهکاران و منحرفان در زمینه هدایتهای الهی کرده، می گوید: «آیا آنها جز انتظار تأویل آیات (و فرا رسیدن تهدیدهای الهی) دارند»؟ (هَلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِیلَهُ).

اما چه انتظار نابجایی، زیرا هنگامی که نتایج و سر انجام این وعده های الهی را مشاهده کنند، کار از کار گذشته و راهی برای بازگشت باقی نمانده است «آن روز که تأویل آنها فرا رسد، کسانی که قبلا آن را فراموش کرده بودند می گویند: فرستادگان پروردگار ما حق را آوردند» و گفتار آنها نیز همه حق بود (یَوْمَ یَرَأْتِی تَأْوِیلُهُ یَقُولُ الَّذِینَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بالْحَقِّ).

اما در این هنگام در وحشت و اضطراب فرو میرونـد، و به فکر چارهجویی میافتنـد و می گوینـد: «آیا (امروز) شـفیعانی یافت میشوند که برای ما شفاعت کنند»؟ (فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا).

و «یـا (اگر شـفیعانی برای مـا در کار نیست و اصولا شایسـته شـفاعت نیستیم) آیا ممکن است به عقب باز گردیم و اعمالی غیر آنچه انجام دادیم انجام دهیم» و تسلیم حق و حقیقت باشیم (أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَیْرَ الَّذِی کُنَّا نَعْمَلُ).

ولی افسوس! این بیداری بسیار دیر است، نه راه بازگشتی وجود دارد و نه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۳

شایستگی شفاعت دارند، زیرا «آنها سرمایههای وجود خود را از دست داده و گرفتار خسران و زیانی شدهاند که تمام وجودشان را در بر می گیرد» (قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ).

و بر آنها ثابت می شود که بتها و معبودهای ساختگی آنان در آنجا هیچ گونه نقشی ندارد «و معبودهایی را که به دروغ ساخته بودند همگی از نظرشان گم می شوند» (وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ).

از این آیه استفاده می شود که انسان در اعمال خود مختار و آزاد است و الّا تقاضای بازگشت به دنیا نمی کرد تا اعمال بد خود را جبران کند. و نیز استفاده می شود که جهان دیگر جای انجام عمل و کسب فضیلت و نجات نیست.

سورة الأعراف(٧): آية ٥٤ ص: ٥٣

اشاره

(آیه ۵۴) - این آیه معبود حقیقی و واقعی را با ذکر صفات خاصش معرفی میکند، تا آنها که حقیقت جو هستند قبل از فرا رسیدن رستاخیز در همین جهان او را به روشنی بشناسند، نخست می گوید: «معبود و پروردگار شما آن کس است که آسمانها و زمین را در شش روز آفرید» (إِنَّ رَبَّکُمُ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّیَّهُ أَیّامٍ). یعنی «معبود» کسی جز «آفریدگار» نمی تواند باشد.

آیا جهان در شش روز آفریده شده؟ ص: ۵۳

با توجه به مفهوم وسیع کلمه «ایّام» (روزها) و معادل آن در زبانهای دیگر، پاسخ این سؤال روشن است، زیرا بسیار میشود که

«ایّام» به معنی «دورانها» به کار میرود.

بنابراین خداوند مجموعه زمین و آسمان را در شش دوران متوالی آفریده است، هر چند این دورانها گاهی به میلیونها یا میلیاردها سال بالغ شده است و علم امروز هیچ گونه مطلبی را که مخالف این موضوع باشد بیان نکرده است.

سپس قرآن می گوید: «خداوند پس از آفرینش آسمان و زمین، زمام رهبری آنها را به دست گرفت» (ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ). یعنی، نه تنها آفرینش از اوست بلکه اداره و رهبری جهان نیز با او میباشد.

و این پاسخی است به آنها که جهان را در آفرینش نیازمند به خدا میدانند نه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۴ در بقا و ادامه هستی.

«عرش» چیست؟ ص: ۵۴

عرش در لغت معانی متعددی دارد از جمله: به معنی سقف یا چیزی است که دارای سقف بوده باشد، و گاهی به معنی تختهای بلند همانند تخت سلاطین نیز آمده است.

ولی هنگامی که در مورد خداونـد به کار میرود و گفته میشود «عرش خـدا» منظور از آن مجموعه جهان هستی است که در حقیقت تخت حکومت پروردگار محسوب میشود.

بنابراین در آیه مورد بحث جمله «اسْیَتَوی عَلَی الْعَرْشِ» کنایه از احاطه کامل پروردگار و تسلط او بر تدبیر امور آسمانها و زمین بعد از خلقت آنهاست.

سپس می فرماید: «اوست که شب را همچون پوششی بر روز می افکنید و روشنایی روز را با پرده های ظلمانی شب می پوشاند» (یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ).

بعد از آن اضافه می کند: «شب با سرعت به دنبال روز در حرکت است» (یَطْلُبُهُ حَثِیثاً). همانند طلبکاری که با سرعت به دنبال بدهکار می دود.

سپس مىافزايد: «اوست كه خورشيد و ماه و ستارگان را آفريده است، در حالى كه همه سر بر فرمان او هستند» (وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ).

پس از ذکر آفرینش جهان هستی و نظام شب و روز و آفرینش ماه و خورشید و ستارگان به عنوان تأکید می گوید: «آگاه باشید آفرینش و اداره امور جهان هستی تنها به دست اوست» (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ).

منظور از «الْخَلْقُ» آفرینش نخستین، و منظور از «الْـأَمْرُ» قوانین و نظاماتی است که به فرمان پروردگار بر عالم هستی حکومت می کند و آنها را در مسیر خود رهبری مینماید.

به عبارت دیگر: همان طور که جهان در حدوثش نیازمند به اوست در تدبیر و ادامه حیات و ادارهاش نیز وابسته به او میباشد، و اگر لحظهای لطف خدا از آن گرفته شود نظامش بکلی از هم گسسته و نابود می گردد.

و در پایان آیه می فرماید: «پر برکت است خداوندی که پروردگار عالمیان برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۵ است» (تَبارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ).

این جمله بعد از ذکر آفرینش و تدبیر جهان هستی یک نوع ستایش از مقام مقدس پروردگار است که وجودی مبارک، ازلی، ابدی و سر چشمه همه برکات و نیکیها و خیر مستمر می باشد.

سورة الأعراف(٧): آية ٥٥ ص: ٥٥

(آیه ۵۵)- شرایط اجابت دعا: آیه قبل با ذکر دلایل روشن این حقیقت را اثبات کرد که شایسته عبودیت و بندگی تنها خداست و به دنبال آن در اینجا دستور می دهد که «دعا و نیایش» که جان و روح عبادت است باید در برابر خدا انجام گیرد، نخست می گوید: «پروردگار خود را از روی تضرّع و در پنهانی بخوانید» (ادْعُوا رَبَّکُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْیَهً).

این که در آیه فوق دستور داده شده که خدا را در «خفیّه» و پنهانی بخوانید برای این است که از «ریا» دورتر، و به اخلاص نزدیکتر، و توأم با تمرکز فکر و حضور قلب باشد.

و در پایان آیه می فرماید: «او (خداوند) تجاوز کاران را دوست نمی دارد» (إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ).

و این جمله معنی وسیعی دارد که هرگونه تجاوز را، اعم از فریاد کشیدن به هنگام دعا، و یا تظاهر و ریاکاری، و یا توجه به غیر خدا را به هنگام دعا، شامل میشود.

سورة الأعراف(٧): آية ٥٥ ص: ۵۵

(آیه ۵۶) - در این آیه اشاره به حکمی شده است که در واقع یکی از شرایط تأثیر دعا است، میفرماید: «در روی زمین فساد مکنید بعد از آن که اصلاح شده است» (وَ لا تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها). بنابراین هیچ گاه دعای افراد مفسد و تبهکار به جایی نخواهد رسید.

در روایتی از امام باقر علیه السّلام میخوانیم: «زمین فاسد بود و خداوند به وسیله پیامبر اسلام آن را اصلاح کرد».

باز دیگر به مسأله دعا میپردازد و یکی دیگر از شرایط آن را بازگو میکنـد، میگویـد: «و خدا را با ترس و امید بخوانید» (وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۶

نه آن چنان از اعمال خود راضی باشید که گمان کنید هیچ نقطه تاریکی در زندگی شما نیست که این خود عامل عقبگرد و سقوط است، و نه آن چنان مأیوس باشید که خود را شایسته عفو خدا و اجابت دعا ندانید، بلکه با دو بال «بیم» و «امید» به سوی او پرواز کنید، امید به رحمتش و بیم از مسؤولیتها و لغزشهای خود.

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر روی اسباب امیدواری به رحمت خدا، می گوید: «رحمت خدا به نیکو کاران نزدیک است» (إنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَریبٌ مِنَ الْمُحْسِنِینَ).

در این دو آیه اشاره به پنج قسمت از شرایط قبولی دعا شده است: نخست این که از روی تضرع و در پنهانی باشد، دیگر این که از حد اعتدال تجاوز نکند، سوم این که با تولید فساد و تبهکاری همراه نگردد، چهارم این که توأم با بیم و امید متوازن باشد، پنجم این که با نیکوکاری توأم گردد.

سورة الأعراف(٧): آية ٥٧ ص: ٥٦

(آیه ۵۷) - در آیات گذشته اشاره های مکرر به مسأله «مبدء» یعنی توحید و شناسایی پروردگار از روی اسرار جهان آفرینش شد، و در این آیه اشاره به مسأله «معاد» و رستاخیز می شود، تا این دو بحث یکدیگر را تکمیل کنند، و این سیره قرآن است که در بسیاری از موارد «مبدء» و «معاد» را با هم قرین می سازد، نخست می گوید: «او کسی است که بادها را پیشاپیش باران

رحمتش همچون بشارت دهندهای (که از قدوم مسافر عزیزی خبر میدهد) میفرستد» (وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِه).

«بادهایی که از اقیانوسها برخاسته و ابرهای سنگین بار و پر آب را با خود حمل می کند» (حَتَّی إِذا أَقَلَتْ سَحاباً ثِقالًا).

«در این موقع آنها را به سوی سرزمینهای مرده و خشک و سوزان میرانیم» و مأموریت آبیاری این تشنگان را به عهده آنها مینهیم (سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ).

«و به وسیله آن، آب حیات بخش را در همه جا فرو میفرستیم» (فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ). «سپس به کمک این آب انواع میوهها را از خاک تیره بیرون میآوریم» برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۷

(فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ).

و به دنبال آن اضافه می کند: «این چنین مردگان را از زمین بیرون می آوریم» و لباس حیات را در اندامشان می پوشانیم (کَذلِکَ نُخْرِجُ الْمَوْتی).

این مثال را برای آن آوردیم که نمونه معاد را در این دنیا که همه سال در برابر چشم شما تکرار می شود به شما نشان دهیم «تا شاید متذکر گردید» (لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٥٨ ص: ٥٧

(آیه ۵۸) - در این آیه برای این که گمان نشود یکنواخت بودن باران دلیل آن است که همه سرزمینها یکسان زنده شوند، و برای این که روشن گردد، استعدادها و آمادگیهای متفاوت سبب استفادههای مختلف از مواهب الهی می شود، می گوید: «سرزمین شیرین و پاکیزه گیاهان پربرکت و مفید و سودمند به اذن پروردگار، از آن می روید» (وَ الْبَلَدُ الطَّیِّبُ یَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ).

«اما زمینهای شورهزار و خبیث و زشت، چیزی جز گیاهان ناچیز و کم ارزش نمیرویاند» (وَ الَّذِی خَبُثَ لاَ یَخْرُجُ إِلَّا نَکِداً). و در پایان آیه میفرماید: «این چنین آیات را برای کسانی که شکر گزارند (و از آن استفاده میکنند و راه هدایت را میپویند) بیان میکنیم» (کَذلِکَ نُصَرِّفُ الْآیاتِ لِقَوْم یَشْکُرُونَ).

آیه فوق در حقیقت اشاره به یک مسأله مهم است و آن این که تنها «فاعلیت فاعل» برای به ثمر رسیدن یک موضوع، کافی نیست بلکه استعداد و «قابلیت قابل» نیز شرط است.

سورة الأعراف(٧): آية ٥٩ ص: ٥٧

(آیه ۵۹)- رسالت نوح نخستین پیامبر اولوا العزم: سرگذشت نوح در سوره های مختلفی از قرآن مانند سوره هود، انبیاء، مؤمنون، شعراء و نوح مشروحا آمده است، اما در اینجا تنها فهرستی از آن در شش آیه آمده، نخست می فرماید: «ما نوح را به سوی قومش فرستادیم» (لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ).

نخستین چیزی که او به آنها یادآور شد، همان توجه به حقیقت توحیـد و نفی هرگونه بت پرستی بود، «پس به آنها گفت: ای قوم من! خدا را بپرستید که هیچ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۸

معبودي جز او براي شما نيست» (فَقالَ يا قَوْم اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ).

نوح پس از بیدار کردن فطرتهای خفته، آنان را از سر انجام بت پرستی بر حذر داشته و گفت: «من از عذاب روزی بزرگ بر شما می ترسم» (إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْم عَظِیم).

منظور از مجازات «روز بزرگ» ممكن است همان توفان معروف نوح يا مجازات الهي در روز رستاخيز باشد.

سورة الأعراف(٧): آية 60 ص: 58

(آیه ۶۰) ولی قوم نوح به جای این که از دعوت اصلاحی این پیامبر بزرگ که تو أم با نهایت خیرخواهی بود استقبال کنند، به آیین توحید بپیوندند و دست از ستم و فساد بردارند «جمعی از اشراف و ثروتمندان قوم او (که منافع خود را با بیداری مردم در خطر می دیدند، و مذهب او را مانعی بر سر راه هوسرانیها و هوسبازیهای خویش مشاهده می کردند) صریحا در جواب نوح گفتند: ما تو را در گمراهی آشکار می بینیم» (قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراکَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ).

سورة الأعراف(٧): آية ٦١ ص: ٥٨

(آیه ۶۱)- «نوح» در برابر توهین و خشونت آنها با همان لحن آرام و متین و محبت آمیز خود در پاسخ آنها «گفت: (من نه تنها گمراه نیستم بلکه) هیچ گونه نشانهای از گمراهی در من وجود ندارد، ولی من فرستاده پروردگار جهانیانم» (قالَ یا قَوْمِ لَیْسَ بِی ضَلاَلَةٌ وَ لکِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ).

اشاره به این که خدایان پراکندهای که شـما قائل شدهاید همه بیاساس است، پروردگار و ربّ همه جهانیان تنها خداوند یگانه یکتاست که خالق همه آنها میباشد.

سورة الأعراف(٧): آية 67 ص: ٥٨

(آیه ۶۲)– هدف من این است که رسالت پروردگار را انجام داده و دستورات او را به شما برسانم» (أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّی). «و در این راه از هیچ گونه خیرخواهی فروگذاری نمی کنم» (وَ أَنْصَحُ لَكُمْ).

و در پایان اضافه می کند: «من چیزهایی از خداوند میدانم که شما نمیدانید» (وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ).

این جمله ممکن است جنبه تهدید در برابر مخالفتهای آنها داشته باشد که من مجازاتهای دردناکی از خداوند در برابر تبهکاران سراغ دارم که شما هنوز برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۹

از آن بیخبرید، و یا اشاره به لطف و رحمت پروردگار باشد که اگر در مسیر اطاعتش گام بگذارید برکات و پاداشهایی از او سراغ دارم که شما به عظمت و وسعت آن واقف نیستید.

سورة الأعراف(٧): آية ٤٣ ص: ٥٩

(آیه ۶۳) - در این آیه گفتار دیگری را از نوح میخوانیم که در برابر اظهار تعجب قوم خود از این که چگونه ممکن است انسانی عهده دار رسالت پروردگار گردد، بیان کرده است: «آیا تعجب کرده اید که انسانی مأمور ابلاغ رسالت پروردگار گردد و دستورات بیدار کننده او بر این انسان نازل شود تا شما را از عواقب سوء اعمالتان برحذر دارد و به آیین پرهیز کاری دعوت كنىد و تىا مشمول رحمت الهى شويىد» (أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَمْ عَلَى رَجُهِلٍ مِنْكَمْ لِيُنْ ذِرَكُمْ وَ لِتَتَّقُوا وَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).

یعنی، این موضوع چه جای تعجب است؟ زیرا یک انسان شایسته، استعداد انجام این رسالت را بهتر از هر موجود دیگر دارد.

سورة الأعراف(٧): آية 64 ص: ٥٩

(آیه ۶۴) – ولی به جای این که دعوت چنین رهبر دلسوز و خیرخواه و آگاهی را بپذیرند، «همه گفته های او را تکذیب کردند (و در برابر دعوتش سر تسلیم فرود نیاوردند، هر چه نوح بیشتر تبلیغ می کرد، آنها بر لجاجت و سرسختی خود می افزودند) و همین سبب شد که ما نوح و آنها که با او در کشتی بودند نجات داده و تکذیب کنندگان به آیاتش را گرفتار غرقاب ساخته و هلاک کنیم» (فَکَذَّبُوهُ فَأَنْجَیْناهُ وَ الَّذِینَ مَعَهُ فِی الْفُلْکِ وَ أَغْرَقُنَا الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا).

در پایان آیه، دلیل این کیفر سخت را چنین بیان می کند که «آنها جمعیت نابینایی بودند» یعنی مردمی بودند کور دل و کورباطن که از مشاهده چهره حقیقت محروم بودند (إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً عَمِینَ).

و این کوردلی نتیجه اعمال شوم و لجاجتهای مستمر خودشان بود، زیرا چشم پوشی مستمر از حقایق، تدریجا چشم تیزبین عقل را ضعیف کرده و سر انجام نابینا می کند.

سورة الأعراف(٧): آية 60 ص: ٥٩

(آیه ۶۵) – گوشهای از سرگذشت قوم هود: در تعقیب ذکر رسالت نوح برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۰

و درسهای عبرتی که در آن نهفته بود، به سرگذشت یکی دیگر از پیامبران بزرگ یعنی هود و درگیریهای او با قوم و ملتش میپردازد، نخست میفرماید: «ما به سوی جمعیت عاد، برادرشان هود را فرستادیم» (وَ إِلی عادٍ أَخاهُمْ هُوداً).

قوم «عاد» مردمی بودنـد که در سرزمین «یمن» زندگی می کردند، از نظر قدرت جسـمانی و ثروت ملتی نیرومند و قوی بودند، ولی انحرافات عقیدهای مخصوصا بت پرستی و مفاسد اخلاقی در میان آنها غوغا می کرد.

سپس می گوید: هود دعوت خود را از مسأله توحید و مبارزه با شرک و بت پرستی شروع کرد و «به آنها گفت: ای قوم من! خداونـد یگانه را بپرستید که هیچ معبودی برای شـما غیر او نیست، آیا پرهیزگاری را پیشه نمی کنید»! (قالَ یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّه ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ أَ فَلا تَتَقُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية 67 ص: 6٠

(آیه ۶۶) – ولی ثروتمندان از خود راضی (الْمَلَأُ) یعنی کسانی که ظاهر آنها چشم پرکن بود، به هود همان گفتند: که قوم نوح به نوح گفته بودند، بلکه نسبت سفاهت نیز به او دادند، «اشراف کافر قوم او گفتند ما تو را در سفاهت و سبک مغزی می بینیم و گمان می کنیم تو از دروغگویان باشی»! (قالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراکَ فِی سَفاهَهُ وَ إِنَّا لَنَظُنُکَ مِنَ الْکاذِبِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٦٧ ص: ٦٠

(آیه ۶۷) – اما هود با وقار و ادبی که مخصوص پیامبران و رهبران راستین و پاک است، بی آنکه از گفته آنان عصبانی و یا دلسرد و مأیوس گردد، «گفت: ای جمعیت من! هیچ گونه سفاهتی در من نیست و وضع رفتار و گفتار من بهترین دلیـل بر سرمایههای عقلانی من است، من فرستاده پروردگار جهانیانم» (قالَ یا قَوْم لَیْسَ بِی سَفاهَةً وَ لَکِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٦٨ ص: 6٠

(آیه ۶۸)- هـود اضافه کرد: «رسالتهـای پروردگـارم را به شـما ابلاغ میکنم و من خیرخواه امینی برای شـما هسـتم» (أُبَلِّغُکُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنَا لَکُمْ ناصِحٌ أَمِینٌ).

سورة الأعراف(٧): آية ٦٩ ص: 6٠

(آیه ۶۹)– سپس هود در برابر افرادی که از بعثت یک انسان به عنوان پیامبر در تعجب بودند به همان مطلبی اشاره می کند که نوح پیامبر نیز به قوم خود گفته بود برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۱

و آن ایـن که: «آیـا تعجب میکنیـد که از طرف پروردگـار به فردی از شـما وحی شـود، تـا شـما را از کیفرهـایی که به خـاطر اعـمالتان در پیش دارید بیم دهد!» (أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلی رَجُلِ مِنْكُمْ لِیُنْذِرَكُمْ).

سپس برای تحریک عواطف خفته آنها و برانگیختن حس شکرگزاری در درون جانشان قسمتی از نعمتهای پروردگار را، برای آنان شرح میدهد، می گوید:

«به خاطر بیاوریـد که خداوند شـما را جانشینان قوم نوح قرار داد» (وَ اذْکُرُوا إِذْ جَعَلَکُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ). و هنگامی که آنها بر اثر طغیانشان به وسـیله توفان نابود شدند، سرزمینهای وسیع و گسترده آنان را با تمام نعمتهایی که داشتند در اختیار شما قرار داد.

به علاوه «و شما را از جهت خلقت (جسماني) گسترش (و قدرت) داد» (وَ زَادَكُمْ فِي الْخُلْقِ بَصْطَةً).

سورة الأعراف(٧): آية ٧٠ ص: ٦٩

(آیه ۷۰) - اما در مقابل این اندرزها و راهنماییهای منطقی و یادآوری نعمتهای الهی آنها که منافع مادی خود را در خطر می دیدند و قبول دعوت او را مانع هوسبازیهای خویش می دانستند، در مقام مخالفت بر آمده و «گفتند: آیا به سراغ ما آمدهای که تنها خدای یگانه را بپرستیم، و آنچه را پدران ما می پرستیدند، رها کنیم»؟ نه هر گز چنین چیزی، ممکن نیست (قالُوا أَ جِئْتُنا لِنَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ ما کانَ یَعْبُدُ آباؤُنا).

و سر انجام برای این که امید «هود» را بکلی از خود قطع کنند و به اصطلاح حرف آخر را به او زده باشند گفتند: «اگر راست می گویی (و عذابها و مجازاتهایی را که به ما وعده می دهی حقیقت دارد) هر چه زودتر آنها را به سراغ ما بفرست و ما را محو و نابود کن»! (فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ).

یعنی ما کمترین واهمهای از تهدیدهای تو نداریم.

سورة الأعراف(٧): آية ٧١ ص: ٦١

(آیه ۷۱)- هنگامی که سخن به اینجا رسید و آخرین حرف خود را که نشانه امتناع کامل از قبول دعوت هود بود زدنـد و او بکلی از هـدایت آنـان مأیوس شـد، «به آنها گفت: اکنون که چنین است بدانیـد عـذاب و کیفر خشم خـدا بر شـما مسـلّما واقع برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۲

خواهد شد» (قالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَ غَضَبٌ).

سپس برای این که گفتار آنها در باره بتها بدون پاسخ نماند، اضافه می کند: «آیا شما با من در مورد چیزهایی که از الوهیت جز نامی بی اثر ندارند و شما و پدرانتان اسم خدا بر آنها گذارده اید و به دروغ آثار و خاصیتهایی برای آنها قائل شده اید، به مجادله برخاسته اید، در حالی که هیچ گونه فرمان و حجتی خدا در این باره نازل نکرده است» (أَ تُجادِلُونَنِی فِی أَسْمِاءٍ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما نَزَّلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ).

سپس گفت: «اکنون که چنین است شما در انتظار بمانید من هم با شما انتظار می کشم» (فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ). شما در این انتظار باشید که بتها یاریتان کنند و من در انتظارم که عذاب دردناک الهی بر شما فرود آید آینده نشان خواهد داد کدامیک از این دو انتظار به حقیقت نزدیکتر خواهد بود.

سورة الأعراف(٧): آية ٧٢ ص: 62

(آیه ۷۲) - در این آیه سر انجام کار این قوم لجوج در عبارت کوتاهی چنین بیان شده است: «ما هود و کسانی را که با او بودند به لطف و رحمت خود، رهایی بخشیدیم، و ریشه کسانی که آیات ما را تکذیب کردند و حاضر نبودند در برابر حق تسلیم شوند، قطع و نابود ساختیم» (فَأَنْجَیْناهُ وَ الَّذِینَ مَعَهُ بِرَحْمَهُ مِنَّا وَ قَطَعْنا دابِرَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ ما کانُوا مُؤْمِنِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٧٣ ص: ٤٢

(آیه ۷۳) - سرگذشت عبرت انگیز قوم ثمود! از این به بعد به قیام «صالح» پیامبر بزرگ خدا در میان قوم «ثمود» که در یک منطقه کوهستانی میان حجاز و شام زندگی می کردند اشاره شده، نخست می گوید: «ما به سوی قوم ثمود برادرشان صالح را فرستادیم» (وَ إِلَی ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً).

پیامبر آنان صالح نیز همانند سایر پیامبران، نخستین گام را در راه هدایت آنها از مسأله توحید و یکتاپرستی برداشت و به آنها «گفت: ای قوم من! خداوند یگانه را پرستش کنید که معبودی جز او ندارید» (قالَ یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ). سپس اضافه نمود: من بدون دلیل چیزی نمی گویم، «بیّنه و دلیل روشن از بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۳ طرف پروردگارتان برای شما آمده است و این همان شتری است که خداوند برای شما معجزه قرار داده است» (قَدْ جاءَتْکُمْ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَکُمْ آیَةً).

سپس به آنها می گویـد: «او را به حال خود واگذاریـد و بگذاریـد در زمین خدا به چرا بپردازد، و به او آزار مرسانید که عذاب دردناکی شما را فرا خواهد گرفت» (فَذَرُوها تَأْكُلْ فِی أَرْضِ اللَّهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ).

سورة الأعراف(٧): آية ٧٤ ص: ٣٣

(آیه ۷۴)– در این آیه می گوید: «به خاطر داشته باشید که خداوند شما را جانشینان در روی زمین بعد از قوم عاد قرار داد، و

در آن مستقر ساخت» (وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ).

یعنی از یک سو نعمتهای فراوان الهی را فراموش نکنید و از سوی دیگر توجه داشته باشید که پیش از شما اقوام طغیانگری مانند قوم عاد بودند که بر اثر مخالفتهایشان به عذاب الهی گرفتار شدند و نابود گردیدند.

سپس روی بعضی از نعمتها و امکانات خداداد قوم ثمود تکیه کرده، می گوید: شما در سرزمینی زندگی دارید که هم دشتهای مسطح با خاکهای مساعد و آماده که «در دشتهایش قصرها برای خود بنا می کنید و در کوهها برای خود خانهها می تراشید» (تَتَخِذُونَ مِنْ سُهُولِها قُصُوراً وَ تَنْجِتُونَ الْجِبالَ بُیُوتاً).

و در پایان آیه می گوید: «این همه نعمتهای فراوان خدا را یادآور شوید و در زمین فساد نکنید و کفران نعمت ننمایید» (فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَ لا تَعْتَوْا فِي الْأَرْض مُفْسِدِينَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٧٥ ص: 63

(آیه ۷۵)- باز ملاحظه می کنیم که جمعیت اشراف و ثروتمندان خوش ظاهر و بد باطن سر رشته مخالفت با این پیامبر بزرگ الهی را به دست گرفتند و همان طور که قرآن می گوید: «این جمعیت اشرافی و متکبر از قوم صالح به افرادی از مستضعفان که ایمان آورده بودند گفتند: آیا به راستی شما می دانید که صالح از طرف خداوند برای راهنمایی ما فرستاده شده است» (قالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ).

ولی به زودی با پاسخ قاطع آنان که حکایت از تصمیم و اراده قوی می کرد بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۴ رو برو شدند و این پاسخ را از آنان شنیدند که «گفتند: ما نه تنها میدانیم صالح فرستاده خداست بلکه) ما به آنچه او مأموریت دارد، و دعوت به سوی آن می کند، ایمان آوردهایم» (قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٧٤ ص: 64

(آیه ۷۶)– «این مغروران متکبر (دست از کار خود برنداشته و مجددا برای تضعیف روحیه جمعیت مؤمنان) گفتند: ما به آنچه شما ایمان آوردهاید کافریم» (قالَ الَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِی آمَنْتُمْ بِهِ کافِرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٧٧ ص: 64

(آیه ۷۷) – هنگامی که ثروتمندان متکبر و خودخواه از ایجاد تزلزل در پایههای ایمان تودههای مردم با ایمان مأیوس شدند، و از سوی دیگر می دیدند با وجود «ناقه» که معجزه صالح محسوب می شد، سمپاشیهای آنها به جایی نمی رسد، تصمیم به نابود کردن ناقه گرفتند، و قبل از هر چیز «آن را پی کردند و کشتند و از فرمان خدا سر برتافتند» (فَعَقَرُوا النَّاقَةُ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ). و به این نیز قناعت نکردند بلکه به سراغ صالح آمدند و صریحا به او «گفتند:

اى صالح! اگر تو فرستاده خدا هستى هر چه زودتر عذاب الهى را به سراغ ما بفرست» (وَ قالُوا يا صالِحُ اثْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُوْسَلِينَ).

این سخن در حقیقت برپا ساختن یک نوع جنگ اعصاب در مقابل صالح و برای تضعیف روحیه «صالح» و مؤمنان بود.

سورة الأعراف(٧): آية ٧٨ ص: 64

اشاره

(آیه ۷۸)- هنگامی که آنها ستیزه جویی و طغیانگری را به آخر رساندند و آخرین بارقه آمادگی ایمان را در وجود خود خاموش ساختند، مجازات الهی که طبق قانون انتخاب اصلح و از میان بردن موجودات فاسد و مفسد صورت می گیرد به سراغ آنها آمد و «آن چنان زمین لرزهای قصرها و خانههای مستحکمشان را تکان داد و فرو ریخت (و زندگی پرزرق و برق آنها را در هم کوبید) که صبحگاهان تنها جسم بی جان آنها در خانههایشان باقی مانده بود» (فَأَخَه نَدُّهُمُ الرَّجْفَهُ فَأَصْ بَحُوا فِی دارِهِم جاثِمِینَ).

قوم ثمود به چه وسیله نابود شدند؟ ص: 64

از آیه فوق استفاده می شود که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۵

وسیله نابودی این قوم سرکش، زلزله بود، اما از آیه ۱۳ سوره فصلت بر می آید که صاعقه آنها را نابود کرد، و در آیه ۵ سوره حاقه می خوانیم به وسیله یک عامل ویرانگر (طاغیه) از میان رفتند. باید بگوییم این هر سه عامل به یک چیز بازگشت می کنند، یعنی نخست صاعقه تولید می شود و به دنبال آن زمین لرزه به وجود می آید، و اما «طاغیه» به معنی موجودی است که از حد خود تجاوز کند و این هم، با زلزله سازگار است و هم با صاعقه، بنابراین تضادی در میان آیات نیست.

سورة الأعراف(٧): آية ٧٩ ص: 65

(آیه ۷۹) - در این آیه می گوید: «بعد از این جریان صالح از آنها روی برتافت و به آنها گفت: من حق رسالت پروردگارم را ادا کردم و آنچه گفتنی بود به شما گفتم و از نصیحت و خیرخواهی کوتاهی نکردم، لکن شما خیرخواهان را دوست ندارید» (فَتَوَلَّی عَنْهُمْ وَ قالَ یا قَوْم لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةً رَبِّی وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٨٠ ص: 63

(آیه ۸۰)- سرنوشت دردناک قوم لوط: قرآن، صحنه عبرت انگیز دیگری از سرگذشت پیامبران را بازگو میکند و هدف آیات پیشین را تعقیب و تکمیل مینماید، و آن سرگذشت پیامبر بزرگ خدا «لوط» و قوم اوست.

نخست مى گويد: «به خاطر بياوريد لوط پيامبر را هنگامى كه به قوم خود گفت: آيا شما عمل زشت و ننگينى انجام مى دهيد كه احدى از جهانيان تاكنون مرتكب آن نشده است»؟ (وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَ بَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَ لِهِ مِنَ الْعالَمِينَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٨١ ص: 63

(آیه ۸۱)– در این آیه گناهی را که در آیه قبل بطور سر بسته ذکر شده بود، تشریح میکند و میگوید: «شما از روی شهوت به سراغ مردان میروید، و از زنان صرف نظر میکنید» (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ).

چه انحرافی از این بدتر و بالاتر که وسیله تولید نسل را که آمیزش زن و مرد است و خداوند آن را بطور غریزی در هر انسانی قرار داده، رها کنند، و سراغ «جنس موافق» بروند کاری که اصولا برخلاف فطرت و ساختمان طبیعی جسم و روح انسان و غریزه تحریف نایافته اوست. و در پایان آیه به عنوان تأکید می گوید: «بلکه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۶ شما جمعیت اسراف کارید» (بَلُ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ). یعنی از حدود الهی قدم بیرون گذارده و در سنگلاخ انحراف و تجاوز از مرز فطرت سرگردان شده اید.

سورة الأعراف(٧): آية ٨٢ ص: 69

(آیه ۸۲) - در این آیه اشاره به جواب لجوجانه و غیر منطقی قوم لوط کرده، می گوید: «از آنها هیچ گونه جوابی در برابر دعوت این پیامبر خیرخواه و دلسوز و مصلح نداشتند جز این که با خشم و عصبانیت گفتند: لوط و پیروان او را از شهر خود بیرون کنید (گناهشان چیست؟ گناهشان این است) که مردمی پاکند و گناه نمی کنند»! و نه تنها با ما هم صدا نمی شوند، بلکه مزاحم ما نیز هستند! (وَ ما کانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْیَتِکُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ یَتَطَهَّرُونَ).

این احتمال نیز در تفسیر جمله «إِنَّهُمْ أَناسٌ یَتَطَهَّرُونَ» وجود دارد، که قوم لوط میخواستند این پیامبر و پیروانش را متهم به تظاهر و ریاکاری کنند.

سورة الأعراف(٧): آية ٨٣ ص: 66

(آیه ۸۳)- با توجه به آنچه در سه آیه فوق بیان شد، هر داور منصفی می توانید حکم محکومیت چنین قوم و ملتی را صادر کند.

لـذا در این آیه خداونـد میفرمایـد: «چون کار به اینجا رسید ما لوط و پیروان واقعی و خاندانش را که پاکدامن بودند، نجات بخشیدیم جز همسرش که او را در میان قوم تبهکار رها ساختیم» زیرا او هم از نظر عقیده و آیین و مذهب با آنان هماهنگ بود (فَأَنْجَیْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ کانَتْ مِنَ الْغابِرِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٨٤ ص: 69

(آیه ۸۴) - در این آیه اشاره بسیار کوتاه و پرمعنی به مجازات شدیـد و وحشـتناک این قوم کرده، میگویـد: «ما بارانی بر آنها فرستادیم» اما چه بارانی؟! بارانی از سنگ که آنها را در هم میکوبید و نابود میکرد (وَ أَمْطَوْنا عَلَیْهِمْ مَطَراً). «اکنون تماشا کن ببین سر انجام کار مجرمان به کجا کشید» (فَانْظُوْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُجْرمِینَ).

گرچه روی سخن در اینجا به پیامبر است اما پیداست که هدف عبرت گرفتن همه افراد با ایمان میباشد.

سورة الأعراف(٧): آية ٨٥ ص: 69

(آیه ۸۵)- رسالت شعیب در مدین: شعیب که نسبش طبق تواریخ با چندین واسطه به «ابراهیم» میرسید، به سوی اهل مدین مبعوث گردید، «مدین» از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۷

شهرهای شام بود و مردمی تجارت پیشه و مرفّه داشت، که در میان آنها بت پرستی و همچنین تقلب و کم فروشی در معامله کاملا رایج بود- شرح در گیری این پیامبر بزرگ با اهل «مدین» در سورههای متعددی از قرآن مخصوصا سوره «هود» و «شعرا» آمده است.

در این آیه خداوند می فرماید: «ما به سوی مردم مدین، برادر آنها شعیب را فرستادیم» (وَ إِلَى مَدْیَنَ أَخاهُمْ شُعَیْباً).

سپس اضافه می کند که شعیب دعوت خود را همانند پیامبران دیگر از مسأله توحید شروع کرد و «صدا زد ای قوم من! خداوند یگانه را بپرستید که هیچ معبودی جز او برای شما نیست» (قالَ یا قَوْم اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ).

و گفت این حکم علاوه بر این که فرمان عقل است به وسیله «دلایل روشنی که از طرف خداونـد برای شـما آمـده» نیز اثبات شده است (قَدْ جاءَتْکُمْ بِیِّنَهٌ مِنْ رَبِّکُمْ).

پس از دعوت به توحید، به مبارزه با مفاسد اجتماعی و اخلاقی و اقتصادی آنها برخاسته نخست آنان را که آلوده کم فروشی و تقلب و تزویر در معامله بودند از این کار باز میدارد و می گوید: اکنون که راه خدا برای شما آشکار شده «حق پیمانه و وزن را ادا کنید و از حقوق مردم چیزی کم نگذارید» (فَأَوْفُوا الْکَیْلَ وَ الْمِیزانَ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْیاءَهُمْ).

سپس به یکی دیگر از کارهای خلاف آنها اشاره کرده، می گوید: «در روی زمین بعد از آن که (در پرتو ایمان و کوششهای انبیاء) اصلاح شده است، فساد نکنید» (وَ لا تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها).

مسلم است که از تولید فساد، اعم از فساد اخلاقی یا بی ایمانی یا ناامنی، هیچ کس بهرهای نمی گیرد، لذا در آخر آیه اضافه می کند: «این به سود شماست اگر ایمان داشته باشید» (ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٨٦ ص: ٤٧

(آیه ۸۶)- در این آیه به چهارمین نصیحت شعیب، اشاره شده است، آنجا که می گوید: «شما بر سر راه مردم با ایمان ننشینید و آنها را تهدید نکنید و مانع راه بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۸

خـدا نشویـد و با القای شـبهات راه مسـتقیم حق را در نظر آنها کـج و معوج نشان ندهیـد» (وَ لاَ تَقْعُدُوا بِکُلِّ صِـّراطٍ تُوعِدُونَ وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ تَبْغُونَها عِوَجاً).

و در پایان آیه پنجمین نصیحت شعیب که یادآوری نعمتهای پروردگار برای تحریک حسّ شکرگزاری آنهاست آمده: «و به خاطر بیاورید هنگامی که افراد کمی بودید سپس خداوند جمعیت شما را زیاد کرد و نیروی انسانی شما را فزونتر ساخت» (وَ اذْکُرُوا إذْ کُنْتُمْ قَلِیلًا فَکَتَّرُکُمْ).

از جمله فوق استفاده می شود که در اکثر موارد کثرت نفرات، می تواند سر چشمه قدرت و عظمت و پیشرفت جامعه باشد. «و نیز خوب بنگریـد که سـر انجـام کـار مفسـدان به کجـا منتهی شـد» و به دنبال آنها گام برنداریـد (وَ انْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُفْسِدِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٨٧ ص: ٦٨

(آیه ۸۷) - در این آیه که در واقع پاسخی است به بعضی از گفته های مؤمنان و کافران، شعیب می گوید: «اگر طایفه ای از شما به آنچه من مبعوث شده ام ایمان آورده و جمعیت دیگری ایمان نیاورده اند (نباید موجب غرور کافران و یأس مؤمنان گردد) شما صبر کنید تا خداوند میان ما حکم کند که او بهترین حاکمان است» (وَ إِنْ کَانَ طَائِفَةٌ مِنْکُمْ آمَنُوا بِالَّذِی أُرْسِلْتُ بِهِ وَ طَائِفَةً لَمْ يُؤْمِنُوا خَتَّی یَحْکُمَ اللَّهُ بَیْنَنا وَ هُوَ خَیْرُ الْحاکِمِینَ). یعنی، آینده نشان خواهد داد، چه کسانی بر حق بوده اند و چه کسانی بر باطل.

آغاز جزء نهم قرآن مجید ص: 68

ادامه سوره اعراف ص: ۶۸

سورة الأعراف(٧): آية ٨٨ ص: 6٨

(آیه ۸۸) - در این آیه و آیه بعد عکس العمل قوم مستکبر شعیب در برابر سخنان منطقی این پیامبر بزرگ بیان شده است. قرآن می گوید: «اشراف زورمند و متکبر قوم شعیب به او گفتند سو گند یاد می کنیم که قطعا، هم خودت و هم کسانی را که به تو ایمان آوردهاند، از محیط خود بیرون خواهیم راند، مگر این که هر چه زودتر به آیین ما باز گردید» (قالَ الْمَلَأُ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۹

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُحْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا)

پاسخی که شعیب در برابر این همه تهدید و خشونت به آنها داد خیلی ساده و ملایم و منطقی بود، «گفت: آیا (میخواهید ما را به آیین خودتان بازگردانید) اگر چه مایل نباشیم» (قالَ أَ وَ لَوْ كُنَّا كارِهِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٨٩ ص: 69

(آیه ۸۹) - در این آیه شعیب چنین ادامه می دهد: «اگر ما به آیین بت پرستی شما باز گردیم، و بعد از آن که خدا ما را نجات داده خود را به این پرتگاه بیفکنیم، بر خدا افترا بسته ایم» (قَدِ افْتَرَیْنا عَلَی اللَّهِ کَذِباً إِنْ عُدْنا فِی مِلَّتِکُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَانَا اللَّهُ مِنْها). سپس اضافه می کند: «ممکن نیست ما به آیین شما بازگردیم مگر این که خدا بخواهد» (وَ ما یَکُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِیها إِلَّا أَنْ یَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا).

و بلافاصله اضافه می کند که خداوند نیز چنین دستوری نخواهد داد، «چرا که او از همه چیز آگاه است و به همه چیز احاطه علمی دارد» (وَسِعَ رَبُّنا کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً).

بنابراین هرگز ممکن نیست او از دستوری که داده باز گردد، زیرا کسی که از دستورش برمی گردد، که علمش محدود باشد و اشتباه کند و از دستور خود پشیمان گردد، اما آن کس که احاطه علمی به همه چیز دارد، تجدید نظر برای او ممکن نیست. سپس برای این که به آنها حالی کند از تهدیدشان هراسی ندارد و محکم بر جای خود ایستاده است، می گوید: «توکل و تکیه ما تنها به خداست» (عَلَی اللَّهِ تَوَکَّلْنا).

و سر انجام برای این که حسن نیت خود را ثابت کند و چهره حقیقت طلبی و مسالمت جویی خویش را آشکار سازد، تا

(

(۱) البته مخالفان تهدیدهای دیگری نیز داشتهاند که در سایر آیات مربوط به شعیب بحث خواهد شد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۷۰

و داوری کن، و مشکلات و گرفتاریهای ما را برطرف ساز، و درهای رحمتت را به سوی ما بگشا که بهترین گشاینـدگانی» (رَبَّنَا افْتَحْ بَیْنَنا وَ بَیْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَیْرُ الْفاتِحِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٩٠ ص: ٧٠

(آیه ۹۰) - در این آیه از تبلیغاتی که مخالفان شعیب در برابر تابعان او می کردند سخن به میان آورده، می گوید: «اشراف و متکبران خودخواهی که از قوم شعیب راه کفر را پیش گرفته بودند (به کسانی که احتمال می دادند تحت تأثیر دعوت شعیب واقع شوند) می گفتند: اگر از شعیب پیروی کنید بطور مسلم از زیانکاران خواهید بود» (وَ قالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَیْباً إِنَّکُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ).

و منظورشان همان خسارتهای مادی بود که دامنگیر مؤمنان به دعوت شعیب می شد، زیرا آنها مسلما بازگشت به آیین بت پرستی نمی کردند، و بنابراین می بایست به زور از آن شهر و دیار اخراج شوند و املاک و خانه های خود را بگذارند و بروند.

سورة الأعراف(٧): آية ٩١ ص: ٧٠

(آیه ۹۱) - هنگامی که کارشان به اینجا رسید و علاوه بر گمراهی خویش در گمراه ساختن دیگران نیز اصرار ورزیدند، و هیچ گونه امیدی به ایمان آوردن آنها نبود، مجازات الهی به حکم قانون قطع ریشه فساد به سراغ آنها آمد، «پس زلزله سخت و وحشتناکی آنها را فراگرفت، آنچنان که صبحگاهان همگی به صورت اجساد بی جانی در درون خانه هایشان افتاده بودند» (فَأَخَذَ تُهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِی دارِهِمْ جاثِمِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية 92 ص: ٧٠

(آیه ۹۲) – سپس ابعاد وحشتناک این زلزله عجیب را با این جمله تشریح کرده، می گوید: «آنها که شعیب را تکذیب کردند، آنچنان نابود شدند که گویا هر گز در این خانه ها سکنی نداشتند»! (الَّذِینَ کَذَّبُوا شُعَیْباً کَأَنْ لَمْ یَغْنَوْا فِیهَا). و در پایان آیه می فرمنان (الَّذِینَ کَذَّبُوا شُعَیْباً کانُوا هُمُ الْخاسِرینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٩٣ ص: ٧٠

(آیه ۹۳)- در این آیه آخرین گفتار شعیب را میخوانیم که: «او از قوم گنهکار برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۷۱ روی برگردانیـد و گفت: من رسالات پروردگارم را ابلاغ کردم، و به مقـدار کافی نصیحت نمودم و از هیـچ گونه خیرخواهی فرو گذار نکردم» (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّى وَ نَصَحْتُ لَكَمْ). «با اين حال چگونه به حال اين جمعيت كافر تأسف بخورم» (فَكَيْفَ آسى عَلى قَوْم كافِرِينَ).

زیرا آخرین تلایش و کوشش برای هدایت آنها به عمل آمد ولی در برابر حق سر تسلیم فرود نیاوردند، و میبایست چنین سرنوشت شومی را داشته باشند.

سورة الأعراف(٧): آية ٩٤ ص: ٧١

(آیه ۹۴)- اگر هشدارها مؤثر نیفتد: این آیه که بعد از ذکر سرگذشت جمعی از پیامبران بزرگ و پیش از پرداختن به سرگذشت موسی بن عمران آمده، اشاره به چند اصل کلی است که در همه ماجراها حکومت می کند، نخست می گوید: «و ما در هیچ شهر و آبادی، پیامبری نفرستادیم مگر این که اهل آن را به ناراحتیها و خسارتها گرفتار ساختیم شاید (به خود آیند، و به سوی خدا) بازگردند و تضرّع کنند»! (وَ ما أَرْسَلْنا فِی قَرْیَهُ مِنْ نَبِیِّ إِلَّا أَخَذْنا أَهْلَها بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ یَضَّرُّعُونَ). و این به خاطر آن است که مردم تا در ناز و نعمتند کمتر گوش شنوا و آمادگی برای پذیرش حق دارند اما هنگامی که در تنگنای مشکلات قرار می گیرند و نور فطرت و توحید آشکارتر می گردد، بی اختیار به یاد خدا می افتند و دلهایشان آماده

تنگنای مشکلات قرار می گیرند و نور فطرت و توحید آشکار تر می گردد، بی اختیار به یاد خدا می افتند و دلهایشان آماده پذیرش می گردد، ولی این بیداری که در همه یکسان است در بسیاری از افراد زود گذر و ناپایدار است و به مجرد، برطرف شدن مشکلات بار دیگر در خواب غفلت فرو می روند ولی برای جمعی نقطه عطفی در زندگی محسوب می شود و برای همیشه، به سوی حق باز می گردند.

سورة الأعراف(٧): آية ٩٥ ص: ٧١

(آیه ۹۵) – لذا در این آیه می گوید: هنگامی که آنها در زیر ضربات حوادث و فشار مشکلات تغییر مسیر ندادند و همچنان در گمراهی خود باقی ماندند «سپس ما مشکلات را از آنها برداشتیم و به جای آن گشایش و نعمت قرار دادیم، تا آنجا که (بار دیگر زندگانی آنها رونق گرفت و کمبودها به فزونی تبدیل شد و) مال و نفرات برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۷۲ آنها فراوان گردید» (ثُمَّ بَدَّلْنا مَکانَ السَّیِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّی عَفَوْا).

به هنگام برطرف شدن مشکلات، به جای این که به این حقیقت توجه کنند که «نعمت» و «نقمت» به دست خداست و رو به سوی او آورند، برای اغفال خود به این منطق متشبث شدند، که اگر برای ما مصائب و گرفتاریهایی پیش آمد، چیز تازهای نیست «و گفتند: پدران ما نیز گرفتار چنین مصائب و مشکلاتی شدند» (وَ قالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرَّاءُ وَ السَّرَّاءُ). دنیا فراز و نشیب دارد و برای هر کس دوران راحتی و سختی بوده است، سختیها امواجی ناپایدار و زود گذرند.

در پایان، قرآن می گوید: هنگامی که کار به اینجا رسید و از عوامل تربیت کمترین بهرهای نگرفتند، بلکه بر غرور خود افزودند، «ناگاه آنها را به مجازات خود گرفتیم، در حالی که آنها هیچ خبر نداشتند و غافلگیر شدند» و به همین جهت مجازات برای آنها، سخت دردناک بود (فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٩٤ ص: ٧٧

(آیه ۹۶) – عمران و آبادی در سایه ایمان و تقوا: در این آیه و آیات بعـد برای نتیجه گیری از آیات قبل می گویـد: «اگر مردمی

که در این آبادیها و نقاط دیگر روی زمین زندگی داشته و دارند (به جای طغیان و سرکشی و تکذیب آیات پروردگار و ظلم و فساد) ایمان می آوردند، و در پرتو آن تقوا و پرهیزکاری پیشه می کردند (نه تنها مورد خشم پروردگار و مجازات الهی واقع نمی شدند، بلکه) درهای برکات آسمان و زمین را به روی آنها می گشودیم» (وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُری آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْض).

منظور از برکات زمین و آسمان نزول باران و روییدن گیاهان میباشد.

ولی متأسفانه آنها صراط مستقیم که راه سعادت و خوشبختی و رفاه و امنیت بود رها ساختند، «و پیامبران خدا را تکذیب کردند (و برنامههای اصلاحی آنها را زیر پاگذاشتند) ما هم به جرم اعمالشان، آنها را کیفر دادیم» (وَ لکِنْ کَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما کانُوا یَکْسِبُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٩٧ ص: ٧٢

(آیه ۹۷) - در این آیه به عنوان تأکید بیشتر روی عمومیت این حکم و این که قانون فوق مخصوص اقوام پیشین نبوده بلکه امروز و آینده را نیز در بر می گیرد، بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۷۳

می گوید: «آیا اهل آبادیها، خود را از مجازاتهای ما در امان میدانند که شب هنگام در موقعی که در خواب خوش آرمیدهاند (به صورت صاعقهها و زلزلهها و مانند آن) بر آنها فرو ریزد» (أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُری أَنْ یَأْتِیَهُمْ بَأْسُنا بَیاتاً وَ هُمْ نائِمُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٩٨ ص: ٧٣

(آیه ۹۸)- «و یـا این که مجازاتهای ما به هنگام روز در موقعی که غرق انواع بازیها و سـرگرمیها هسـتند دامان اهل این آبادیها را بگیرد» (أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُری أَنْ یَأْتِیَهُمْ بَأْسُنا ضُحّی وَ هُمْ یَلْعَبُونَ).

یعنی، آنها در همه حال در روز و شب، در خواب و بیداری، در ساعات خوشی و ناخوشی همه در دست قدرت خدا قرار دارند، و با یک فرمان میتواند همه زندگی آنها را در هم بپیچد، آری تنها در یک لحظه و بدون هیچ مقدمه ممکن است انواع بلاها بر سر این انسان بیخبر فرود آید.

سورة الأعراف(٧): آية ٩٩ ص: ٧٣

(آیه ۹۹) - در این آیه باز به شکل دیگر و به بیان تازهای این حقیقت را تأکید میکند و میگوید: «آیا این مجرمان از مکر اللهی ایمنند؟ در حالی که هیچ کس جز زیانکاران خود را از مکر خداوند در امان نمیدانند» (أَ فَأَمِنُوا مَكْرَ اللّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلّاً الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ).

منظور از «مکر الهی» آن است که خداوند، مجرمان را با نقشه های قاطع و شکست ناپذیر بدون اختیار خودشان از زندگانی مرفّه و هدفهای خوشگذرانی باز می دارد، و این اشاره به همان کیفرها و بلاهای ناگهانی و بیچاره کننده است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٠٠ ص: ٧٣

(آیه ۱۰۰) - در این آیه بار دیگر برای بیدار ساختن اندیشه های خفته اقوام موجود و توجه دادن آنان به درسهای عبرتی که در زندگانی پیشینیان بوده است می گوید: «آیا کسانی که وارث روی زمین بعد از صاحبان آن می شوند، از مطالعه حال پیشینیان متنبه نشدند: که اگر ما بخواهیم می توانیم آنها را نیز به خاطر گناهانشان هلاک کنیم» و به همان سرنوشت مجرمان گذشته گرفتار سازیم (أَ وَ لَمْ یَهْدِ لِلَّذِینَ یَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ).

و نیز می توانیم آنها را زنـده بگـذاریم، ولی به خاطر غوطهور شدن در گناه و فساد «بر دلهایشان مهر می نهیم (درک و شـعور و حس تشخیص را از آنها می گیریم) برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۷۴

آنچنان که هیچ حقیقتی را نشنوند» و هیچ اندرزی را نپذیرند و در زندگی حیران و سرگردان شوند (وَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا یَسْمَعُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٠١ ص: ٧٤

(آیه ۱۰۱)- در این آیه و آیه بعـد بـاز هم تکیه روی عبرتهایی است که از بیان سرگذشـتهای اقوام پیشـین گرفته میشود، ولی روی سخن در اینجا به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است اگرچه هدف در واقع همه هستند.

نخست می گوید: «اینها آبادیها و شهرها و اقوامی هستند که اخبار و سرگذشت آنها را برای تو بیان می کنیم» (تِلْکُ الْقُری نَقُصُّ عَلَیْکُ مِنْ أَنْبائِها).

سپس می گوید: چنان نبود که آنها بدون اتمام حجت، هلاک و نابود شوند، بلکه، «بطور مسلم پیامبرانشان با دلایل روشن، به سراغ آنها آمدند» و نهایت تلاش و کوشش را در هدایت آنها کردند (وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیّناتِ).

«اما آنها (در برابر تبلیغات مستمر، و دعوت پی گیر انبیاء مقاومت به خرج دادن و روی حرف خود ایستادند، و) حاضر نبودند آنچه را قبلا تکذیب کردند بپذیرند و به آن ایمان بیاورند» (فَما کانُوا لِیُؤْمِنُوا بِما کَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ).

در جمله بعد علت این لجاجت و سرسختی را چنین بیان می کند: «این چنین خداوند بر دلهای کافران نقش بی ایمانی و انحراف را ترسیم می کند و بر قلوبشان مهر می نهد» (کَذلِکَ یَطْبَعُ اللَّهُ عَلی قُلُوبِ الْکافِرِینَ).

یعنی، کسانی که در مسیرهای غلط گام بر میدارند، بر اثر تکرار و ادامه عمل، انحراف و کفر و ناپاکی آنچنان بر دلهای آنها نقش میبندد، که همچون نقش سکه ثابت میماند و این از قبیل اثر و خاصیت عمل است که به خداوند نسبت داده شده، زیرا مسبب تمام اسباب، اوست.

سورة الأعراف(٧): آية ١٠٢ ص: ٧٤

(آیه ۱۰۲)- در این آیه دو قسمت دیگر از نقطه های ضعف اخلاقی این جمعیتها که سبب گمراهی و نابودی آنها گردیده، بیان شده است.

نخست می گویـد آنهـا افراد پیمـان شـکن بودنـد: «و ما برای اکثریت آنها عهـد و پیمان ثابتی نیافتیم» (وَ ما وَجَے دْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدِ).

این عهد و پیمان ممکن است اشاره به «عهد و پیمان فطری» باشد که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۷۵ خداوند به حکم آفرینش و فطرت از همه بندگان خود گرفته است.

و یا عهد و پیمانهایی که پیامبران الهی از مردم می گرفتند، بسیاری از مردم آن را میپذیرفتند و سپس میشکستند.

و یا اشاره به همه پیمانها اعم از «فطری» و «تشریعی» بوده باشد.

روح پیمان شکنی یکی از عوامل مخالفت با پیامبران و اصرار در پوییدن راه کفر و نفاق و گرفتار شدن به عواقب شوم آن است.

سپس به عامل دیگر اشاره کرده، می گوید: «اکثر آنها را فاسد و خارج از اطاعت فرمان یافتیم» (وَ إِنْ وَجَدْنا أَكْتَرَهُمْ لَفاسِقِینَ). یعنی روح تمرّد و قانون شکنی و خروج از نظامات آفرینش و قوانین الهی یکی دیگر از عوامل ایستادگی و پافشاری آنها در کفر و بیایمانی بود.

سورة الأعراف(٧): آية ١٠٣ ص: ٧٥

(آیه ۱۰۳)- خاطره در گیریهای موسی و فرعون! در این آیه و آیات فراوان دیگری که بعد از آن می آید، داستان موسی بن عمران و سر گذشت در گیریهای او با فرعون و فرعونیان و سر انجام کار آنها بیان شده است.

بطور کلی زندگی این پیامبر بزرگ یعنی موسی بن عمران را در پنج دوره می توان خلاصه کرد:

۱- دوران تولد و حوادثی که بر او گذشت.

۲- دوران فرار او از مصر و زندگی او در سرزمین «مدین».

۳- دوران بعثت و درگیریهای فراوانی که با فرعون و دستگاه او داشت.

۴- دوران نجات او و بنی اسرائیل از چنگال فرعونیان.

۵- دوران در گیریهای موسی با بنی اسرائیل! در این آیه میفرماید: «بعد از اقوام گذشته (یعنی قوم نوح، هود، صالح و مانند آنها) موسی را با آیات خود به سوی فرعون و فرعونیان مبعوث کردیم» (ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسی بِآیاتِنا إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ). فرعون، اسم عام است که به تمام سلاطین مصر در آن زمان گفته میشد.

سپس می فرماید: «آنها نسبت به آیات الهی ظلم و ستم کردند» (فَظَلَمُوا بِها). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۷۶ و در پایان اضافه میکند: «بنگر سر انجام کار مفسدان چگونه بود»؟! (فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُفْسِدِینَ).

جمله فوق یک اشاره اجمالی به نابودی فرعون و قوم سرکش اوست که شرح آن بعدا خواهد آمد.

سورة الأعراف(٧): آية ١٠٤ ص: ٧٧

(آیه ۱۰۴)– آیه قبل اشاره بسیار کوتاهی به مجموع برنامه رسالت موسی و درگیریهای او با فرعون و عاقبت کار آنها بود، اما در آیات بعد همین موضوع بطور مشروحتر مورد بررسی قرار گرفته، نخست می گوید: «و موسی گفت: ای فرعون! من فرستاده پروردگار جهانیانم» (وَ قالَ مُوسی یا فِرْعَوْنُ إِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ).

و این نخستین برخورد موسی با فرعون و چهرهای از در گیری «حق» و «باطل» است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٠٥ ص: ٧٦

(آیه ۱۰۵)- در این آیه میخوانیم که موسی به دنبال دعوی رسالت پروردگار می گوید: اکنون که من فرستاده او هستم

«سزاوار است که در باره خداوند جز حق نگویم» زیرا فرستاده خداوندی که از همه عیوب، پاک و منزه است، ممکن نیست دروغگو باشد. (حَقِیقٌ عَلی أَنْ لا أَقُولَ عَلَی اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) سپس برای تثبیت دعوی نبوت خویش اضافه می کند: چنان نیست که این ادعا را بدون دلیل گفته باشم «من از پروردگار شما، دلیل روشن و آشکاری با خود آوردهام» (قَدْ جِئْتُکُمْ بِبَیِّنَهٔ مِنْ رَبِّکُمْ). اکنون که چنین است «بنی اسرائیل را با من بفرست» (فَأَرْسِلْ مَعِیَ بَنِی إِسْرائِیلَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٠٦ ص: ٧٤

(آیه ۱۰۶)- فرعون با شنیدن این جمله که «من دلیل روشنی با خود دارم»، بلافاصله «گفت: اگر راست میگویی و نشانهای از طرف خداوند با خود داری آن را بیاور» (قالَ إِنْ کُنْتَ جِئْتَ بِآیَةٍ فَأْتِ بِها إِنْ کُنْتَ مِنَ الصَّادِقِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٠٧ ص: ٧٦

(آیه ۱۰۷)- بلافاصله موسی دو معجزه بزرگ خود را که یکی مظهر «بیم» و دیگری مظهر «امید» بود، و مقام «انـذار» و «بشارت» او را تکمیل می کرد، نشان داد: برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۷۷ نخست، «عصای خود را انداخت و به صورت اژدهای آشکاری درآمد» (فَأَلْقی عَصاهُ فَإِذا هِیَ ثُعْبانٌ مُبِینٌ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٠٨ ص: ٧٧

(آیه ۱۰۸)-ایـن آیه اشـاره به دومین اعجـاز موسـی که جنبه امیـد و بشـارت دارد کرده، میفرمایـد: «موسـی دست خـود را از گریبان خارج کرد، ناگهان سفید و درخشنده در برابر بینندگان بود» (وَ نَزَعَ یَدَهُ فَإِذا هِیَ بَیْضاءُ لِلنَّاظِرِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٠٩ ص: ٧٧

(آیه ۱۰۹)- مبارزه شروع می شود! از این بعد سخن از نخستین واکنشهای فرعون و دستگاه او در برابر دعوت موسی و معجزاتش به میان آمده است، می فرماید: «اطرافیان فرعون (با مشاهده اعمال خارق العاده موسی فورا وصله سحر به او بستند و) گفتند: این ساحر دانا و کهنه کار و آزمودهای است»! (قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْم فِرْعَوْنَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِیمٌ).

سورة الأعراف(٧): آية ١١٠ ص: ٧٧

(آیه ۱۱۰)– سپس افزودنـد: «هـدف این مرد این است که شـما را از سـرزمین و وطنتـان بیرون برانـد» (یُرِیـدُ أَنْ یُخْرِجَکُمْ مِنْ أَرْضِکُمْ).

یعنی، او نظری جز استعمار و استثمار و حکومت بر مردم و توسعه طلبی و غصب سرزمین دیگران ندارد و این کارهای خارق العاده و ادعای نبوت همه برای وصول به این هدف است.

و بعد گفتند: «با توجه به این اوضاع و احوال عقیده شما در باره او چیست؟» (فَما ذا تَأْمُرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١١١ ص: ٧٧

(آیه ۱۱۱)- به هر حال نظر همگی بر این قرار گرفت که به فرعون «گفتند: (کار) او و برادرش را به تأخیر انداز، و جمع آوری کنندگان را به همه شهرها بفرست ...»

(قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ أَرْسِلْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١١٢ ص: ٧٧

(آیه ۱۱۲)- «تا همه ساحران ورزیده و آزموده و دانا را به سوی تو فراخوانند و به محضر تو بیاورند» (یَا ْتُوکَ بِکُلِّ ساحِرٍ عَلِیم).

از آنجا که عجله در کشتن موسی و هارون با توجه به دو معجزه عجیبش باعث گرایش عده زیادی به او می شد و چهره «نبوت» او با چهره «مظلومیت و شهادت» آمیخته شده، جاذبه بیشتری به خود می گرفت، نخست به این فکر بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۷۸

افتادند که عمل او را با اعمال خارق العاده ساحران خنثی کنند و آبرویش را بریزند سپس او را به قتل برسانند تا داستان موسی و هارون برای همیشه از نظرها فراموش گردد!

سورة الأعراف(٧): آية ١١٣ ص: ٧٨

(آیه ۱۱۳)- چگونه سر انجام حق پیروز شد؟ از این به بعد سخن از در گیری موسی (ع) با ساحران و سر انجام کار او در این مبارزه به میان آمده است.

آیه می گوید: «ساحران به دعوت فرعون به سراغ او شتافتند و نخستین چیزی که با او در میان گذاشتند این بود که آیا ما اجر و پاداش فراوانی در صورت غلبه بر دشمن خواهیم داشت» (وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١١٤ ص: ٧٨

(آیه ۱۱۴)- فرعون نیز بلافاصله وعده مساعد به آنها داد و گفت: «آری (نه تنها اجر و پاداش مادی خواهید داشت) بلکه از مقربان درگاه من نیز خواهید شد»! (قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ).

و به این ترتیب هم وعده «مال» به آنها داد و هم وعده «مقام بزرگ».

سورة الأعراف(٧): آية ١١٥ ص: ٧٨

(آیه ۱۱۵)- سر انجام موعد معینی برای مقابله موسی (ع) با ساحران تعیین شد و از همه مردم برای مشاهده این ماجرا دعوت به عمل آمد.

روز موعود فرا رسید و ساحران همه مقدمات کار خود را فراهم ساخته بودند، یک مشت ریسمان و عصا که درون آنها گویا مواد شیمیایی مخصوصی قرار داده شده بود تهیه کردند که در برابر تابش آفتاب به صورت گازهای سبکی در می آمد و آن

طنابها و عصاهای تو خالی را به حرکت درمی آورد.

صحنه عجیبی بود، موسی (ع) تک و تنها-فقط برادرش با او بود- در برابر انبوه جمعیت ساحران و مردم «گفتند: ای موسی! یا (تو شروع به کار کن و وسائل سحرت را) بیفکن و یا ما آغاز می کنیم و وسائل خود را میافکنیم» (قالُوا یا مُوسی إِمَّا أَنْ تُلْقِیَ وَ إِمَّا أَنْ نَکُونَ نَحْنُ الْمُلْقِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١١٦ ص: ٧٨

(آیه ۱۱۶)- موسی با خونسردی مخصوصی در پاسخ «گفت: (شما قبلا شروع کنید) شما وسائل خود را بیفکنید»! (قالَ أَلْقُوا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۷۹

«هنگامی که ساحران طنابها و ریسمانها را به وسط میدان افکندند، مردم را چشم بندی کرده و (با اعمال و گفتارهای اغراق آمیز خود) هول و وحشتی در دل مردم افکندند و سحر عظیمی در برابر آنها انجام دادند» (فَلَمَّا أَلْقَوْا سَ حَرُوا أَعْیُنَ النَّاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جاؤٌ بِسِحْرٍ عَظِیم).

کلمه «سحر» به معنی خدعه ًو نیرنگ و شعبده و تردستی است، گاهی نیز به معنی هر چیزی که عامل و انگیزه آن نامرئی و مرموز باشد، آمده است.

سورة الأعراف(٧): آية ١١٧ ص: ٧٩

(آیه ۱۱۷) – در این هنگام که همه مردم به جنب و جوش افتاده بودند و غریو شادی از هر سو بلند بود و فرعون و اطرافیانش تبسم رضایت بخشی بر لب داشتند و برق شادی از چشمانشان می درخشید، وحی الهی به سراغ موسی (ع) آمد و او را فرمان به انداختن عصا داد، ناگهان صحنه بکلی دگرگون شد و رنگ از چهرهها پرید و تزلزل بر ارکان فرعون و یارانش افتاد، چنانکه قرآن می گوید: «و ما وحی به موسی کردیم که عصایت را بیفکن ناگهان (به صورت اژدهایی درآمد و) با دقت و سرعت، مارهای دروغین و وسائل قلابی ساحران را جمع کرد» (وَ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی أَنْ أَلْقِ عَصاکَ فَإِذا هِیَ تَلْقَفُ ما یَافْفِکُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١١٨ ص: ٧٩

(آیه ۱۱۸)- «در این هنگام حق آشکار شد و اعمال آنها که بیاساس و نادرست بود، باطل گردید» (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ).

> زیرا کار موسی یک واقعیت بود و اعمال آنها یک مشت تقلب و تزویر و چشم بندی و اغفال. و این نخستین ضربتی بود که بر پایه قدرت فرعون جبّار فرود آمد.

سورة الأعراف(٧): آية ١١٩ ص: ٧٩

(آیه ۱۱۹)- در این آیه می گوید: «به این ترتیب آثار شکست در آنها نمایان شد و همگی خوار و کوچک و ناتوان شدند» (فَغُلِبُوا هُنالِکَ وَ انْقَلَبُوا صاغِرِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٢٠ ص: ٧٩

(آیه ۱۲۰)- ضربه مهمتر آنگاه واقع شد که صحنه مبارزه ساحران با موسی (ع) بکلی تغییر شکل داد، ناگهان «همه ساحران به زمین افتادند و برای عظمت خداوند سجده کردند» (وَ أُلْقِیَ السَّحَرَةُ ساجِدِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٢١ ص: ٧٩

(آیه ۱۲۱)– «و فریاد زدند ما به پروردگار جهانیان ایمان آوردیم» (قالُوا آمَنًا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۸۰ بِرَبِّ الْعالَمِینَ)

سورة الأعراف(٧): آية ١٢٢ ص: ٨٠

(آیه ۱۲۲)– «همان پروردگار موسی و هارون» (رَبِّ مُوسی وَ هارُونَ).

و این چیزی بود که به هیچ وجه برای فرعون و دستگاه او قابل پیش بینی نبود.

سورة الأعراف(٧): آية ١٢٣ ص: ٨٠

(آیه ۱۲۳) – تهدیدهای بیهوده! هنگامی که ضربه تازهای با پیروزی موسی (ع) بر ساحران و ایمان آوردن آنها به موسی (ع) بر ارکان قدرت فرعون فرود آمد، فرعون بسیار متوحش و دستپاچه شد، لذا بلافاصله دست به دو ابتکار زد:

نخست اتهامی که شاید عوام پسند هم بود به ساحران بست، سپس با شدیدترین تهدید آنها را مورد حمله قرار داد، ولی بر خلاف انتظار فرعون ساحران آنچنان مقاومتی در برابر این دو صحنه از خود نشان دادند که ضربه سومی بر پایههای قدرت لرزان او فرود آمد.

چنانکه قرآن می گوید: «فرعون به ساحران گفت: آیا پیش از این که به شما اجازه دهم به او (موسمی) ایمان آوردید»؟! (قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ).

و این بالاترین نوع استعمار است که ملتی آنچنان برده و اسیر گردند که حتی حق فکر کردن و اندیشیدن و ایمان قلبی به کسی یا مکتبی را نداشته باشند.

این همان برنامهای است که در «استعمار نو» نیز دنبال می شود.

سپس فرعون اضافه كرد: «اين توطئه و نقشهاى است كه شـما در اين شـهر (و ديار) كشـيدهايد تا به وسيله آن اهل آن را بيرون كنيد» (إِنَّ هذا لَمَكْرُ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها).

این تهمت به قدری بی اساس و رسوا بود که جز عوام النّاس و افراد کاملا بی اطلاع نمی توانستند آن را بپذیرند.

سپس فرعون بطور سر بسته اما شدید و محکم آنها را تهدید کرد و گفت: «اما به زودی خواهید فهمید»! (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٢٤ ص: ٨٠

(آیه ۱۲۴)- در این آیه تهدید سر بسته ای را که در جمله قبل به آن اشاره شد بطور وضوح بیان می کند، می گوید: «سو گند یاد

می کنم که دستها و پاهای شما را بطور مخالف (دست راست و پای چپ و دست چپ و پای راست را) قطع می کنم برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۸۱

سپس همگی شما را به دار خواهم آویخت» (لَأُقطِّعَنَّ أَیْدِیَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِینَ).

برنامه فرعون در اینجا برای مبارزه با ساحرانی که به موسی (ع) ایمان آورده بودند، یک برنامه عمومی در مبارزات ناجوانمردانه جبّیاران با طرفداران حق است که از یکسو از حربه تهمت استفاده می کنند، تا موقعیت حق طلبان را در افکار عمومی تضعیف کنند و از سوی دیگر تکیه بر زور و قدرت و تهدید به قتل و نابودی مینمایند تا اراده آنها را در هم بشکنند.

سورة الأعراف(٧): آية ١٢٥ ص: 81

(آیه ۱۲۵)– ساحران در برابر هیچ یک از دو حربه فرعون از میـدان در نرفتند، یکدل و یکجان در پاسخ او «گفتند: ما به سوی پروردگار خود باز میگردیم» (قالُوا إِنَّا إِلی رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ).

یعنی، اگر آخرین تهدید تو عملی بشود، سر انجامش این است که ما شربت شهادت خواهیم نوشید، و این نه تنها به ما زیانی نمیرساند و از ما چیزی نمی کاهد، بلکه سعادت و افتخار بزرگی برای ما محسوب میشود.

سورة الأعراف(٧): آية ١٢٦ ص: ٨١

(آیه ۱۲۶)- سپس برای این که پاسخی به تهمت فرعون داده باشند و حقیقت امر را بر انبوه مردمی که تماشاچی این صحنه بودند، روشن سازند و بی گناهی خویش را ثابت کنند، چنین گفتند: «انتقام تو از ما تنها به خاطر این است که ما به آیات پروردگار خود، هنگامی که به سراغ ما آمد، ایمان آوردهایم» (وَ ما تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنًا بِآیاتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا).

سپس روی از فرعون برتافتند و متوجه درگاه پروردگار شدند و از او تقاضای صبر و استقامت کردند، زیرا میدانستند بدون حمایت و یاری او، توانایی مقابله با این تهدیدهای سنگین را ندارند، لذا گفتند: بار الها! صبر و استقامت بر ما فرو ریز! (و آخرین درجه شکیبایی را به ما مرحمت فرما!) و ما را مسلمان بمیران!» (رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَیْنا صَبْراً وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِینَ).

و سر انجام چنانکه در روایات و تواریخ آمده است، آنقدر در این راه ایستادگی به خرج دادنـد که فرعون، تهدیـد خود را عملی ساخت، و بدنهای مثله برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۸۲

شده آنان را در کنار رود نیل بر شاخههای درختان بلند نخل آویزان نمود.

آری! اگر ایمان با آگاهی کامل توأم گردد از چنین عشقی سر بر میآورد که این گونه ایستادگیها و فـداکاریها در راه آن شگفت انگیز نیست.

سورة الأعراف(٧): آية ١٢٧ ص: ٨٢

(آیه ۱۲۷)- باز قرآن صحنه دیگری را از گفتگوی فرعون و اطرافیانش پیرامون وضع موسی (ع) بیان می کند. در این آیه می گوید: «جمعیت اشراف و اطرافیان فرعون به عنوان اعتراض به او گفتند: آیا موسی و قومش را به حال خود رها

و ين يك ور زمين فساد كننـد، و تو و خـدايانت را رها سازند»؟! (وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ أَ تَذَرُ مُوسـى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِى الْأَرْض وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ). از این تعبیر استفاده می شود که فرعون بعد از شکست در برابر موسی (ع) مدتی او و بنی اسرائیل را آزاد گذارد و آنها نیز بیکار ننشستند و به تبلیغ آیین موسی (ع) پرداختند و نیز فرعون هم برای خود بتها و معبودها و خدایانی داشت.

فرعون با اخطار اطرافیان به شدت عمل در برابر بنی اسرائیل تشویق شد و در پاسخ هواخواهانش چنین «گفت: به زودی پسران آنها را به قتل میرسانیم و نابود می کنیم و زنانشان را (برای خدمت) زنده می گذاریم، و ما بر آنها تسلط کامل داریم» (قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَ نَسْتَحْیِی نِساءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٢٨ ص: ٨٢

(آیه ۱۲۸)- این آیه در حقیقت، نقشه و برنامهای است که موسی (ع) به بنی اسرائیل برای مقابله با تهدیدهای فرعون، پیشنهاد می کند، که اگر سه برنامه را عملی کنند، قطعا بر دشمن پیروز خواهند شد. «موسی به قوم خود گفت: از خدا یاری جویید» (قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ اسْتَعِینُوا بِاللَّهِ).

دیگر این که: «استقامت و پایداری پیشه کنید» (وَ اصْبِرُوا). و از تهدیدها و حملات دشمن نهراسید و از میدان بیرون نروید. و برای تأکید مطلب و ذکر دلیل، به آنها گوشزد می کند که: «سراسر زمین از آن خداست (و مالک و فرمانروای مطلق اوست) و به هر کس از بندگانش بخواهد آن را منتقل میسازد» (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ یُورِثُها مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۸۳

و آخرین شرط این است که تقوا را پیشه کنید، زیرا «عاقبت (نیک و پیروزمندان) برای پرهیزکاران است!» (وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِینَ). این سه شرط تنها شرط پیروزی قوم بنی اسرائیل بر دشمن نبود، بلکه هر قوم و ملتی بخواهند بر دشمنانشان پیروز شوند، بدون داشتن این برنامه سه مادهای امکان ندارد.

سورة الأعراف(٧): آية ١٢٩ ص: ٨٣

(آیه ۱۲۹) - این آیه شکوه و گلههای بنی اسرائیل را از مشکلاتی که بعد از قیام موسی (ع) با آن دست به گریبان بودند، منعکس میسازد و می گوید: «آنها به موسی گفتند: پیش از آن که تو بیایی ما آزار می دیدیم اکنون هم که آمدهای باز آزار می بینیم» کی این آزارها سر خواهد آمد و گشایشی در کار ما پیدا می شود؟ (قالُوا أُوذِینا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِینا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتنا). گویا بنی اسرائیل مثل بسیاری از ما مردم انتظار داشتند که با قیام موسی (ع) یک شبه همه کارها رو به راه شود.

ولی موسی (ع) به آنها فهمانید با این که سر انجام پیروز خواهنید شد، اما راه درازی در پیش دارند، و این پیروزی طبق سنت الهی در سایه استقامت و کوشش و تلاش به دست خواهید آمید، همانطور که آیه مورد بحث می گویید: «موسی گفت امید است پروردگار شما دشمنتان را نابود کند و شما را جانشینان آنها در زمین قرار دهد» (قالَ عَسی رَبُّکُمْ أَنْ یُهْلِکَ عَدُوَّکُمْ وَ یَسْتَخْلِفَکُمْ فِی الْأَرْض).

و در پایان آیه میفرماید: خداوند این نعمتها را به شما خواهد داد و آزادی از دست رفته را به شما بر می گرداند، «تا ببیند چگونه عمل خواهید کرد» (فَیَنْظُرَ کَیْفَ تَعْمَلُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٣٠ ص: ٨٣

(آیه ۱۳۰)- مجازاتهای بیدار کننده! همانطور که در تفسیر آیه ۹۴ از همین سوره گذشت، یک قانون کلی الهی در مورد تمام پیامبران این بوده است، که به هنگامی که با مخالفتها رو برو می شدند، خداوند برای تنبه و بیداری اقوام سرکش، آنها را گرفتار مشکلات و ناراحتیها میساخته تا در خود احساس نیاز کنند.

در آیه مورد بحث، اشاره به همین مطلب در مورد پیروان فرعون می کند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۸۴ و می گویـد: «ما آل فرعون را به قحطی و خشـکسالیهای متوالی و کمبود میوهها گرفتار ساختیم، شایـد متـذکر گردنـد و بیـدار شوند» (وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِینَ وَ نَقْصِ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ یَذَّکُرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٣١ ص: ٨٤

(آیه ۱۳۱) - اما به جای این که «آل فرعون» از این درسهای الهی پند بگیرند، و از خواب خرگوشی بیدار شوند، از این موقعیت سوء استفاده کرده و جریان حوادث را به میل خود تفسیر می کردند، «پس هنگامی که نیکی به آنها می رسید (و اوضاع بر وفق مراد آنها بود، و در آرامش و راحتی بودند) می گفتند: این وضع به خاطر لیاقت ماست!» در حقیقت شایسته چنین موقعیتی بوده ایم (فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ).

«اما هنگامی که گرفتار بـدی و بلا میشدنـد (فورا به موسـی و کسانی که با او بودنـد، میبسـتند و) میگفتنـد: این از شـرّ قدم موسی و کسان اوست» (وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَرُوا بِمُوسی وَ مَنْ مَعَهُ).

ولى قرآن در پاسخ آنها مى گويد: «بدانيد كه سر چشمه شوميها و ناراحتيهايى كه دامان آنها را مى گرفت، نزد پروردگار است (خدا مىخواسته است كه آنها را گرفتار نتيجه شوم اعمالشان بكند) ولى اكثر آنها نمىدانند» (أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ).

شاید همیشه در میان انسانها و اقوام مختلف، فال نیک و بد رواج داشته است، این دو گرچه اثر طبیعی ندارند، ولی بدون تردید اثر روانی می توانند داشته باشند، فال نیک غالبا مایه امیدواری و حرکت است ولی فال بد موجب یأس و نومیدی و سستی و ناتوانی است.

شاید به خاطر همین موضع است که در روایات اسلامی از فال نیک نهی نشده، اما فال بد به شدت محکوم گردیده است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٣٢ ص: ٨٤

(آیه ۱۳۲)- بلاهای پیدرپی و رنگارنگ! در این آیه، به مرحله دیگری از بلاهای پیدرپی و درسهای بیدار کنندهای که خدا به قوم فرعون داد، اشاره شده است.

نخست به عنوان مقدمهای برای نزول این بلاها میگوید: آنها همچنان در برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۸۵ انکار دعوت موسی (ع)، مقاومت به خرج دادند، «و گفتند: هرگاه آیتی برای ما بیاوری که بخواهی ما را با آن سحر کنی، ما به تو ایمان نخواهیم آورد» (وَ قالُوا مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آیَهٍٔ لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَکَ بِمُؤْمِنِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٣٣ ص: ٨٥

(آیه ۱۳۳)- ولی از آنجا که خداوند بدون اتمام حجت کافی، هیچ جمعیتی را کیفر نمی دهمد در این آیه میفرماید که ما

چندین بلا بر آنها نازل کردیم شاید بیدار شوند، نخست «توفان را بر آنها فرستادیم» (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطَّوفانَ). سپس «ملخ را» بر زراعتها و درختان آنها، مسلط ساختیم (وَ الْجَرادَ).

هر بار که بلایی فرا میرسید، دست به دامن موسی میزدند، تا از خدا بخواهد رفع بلا کند، بعد از طوفان و ملخ خوارگی نیز همین تقاضا را کردند، و موسی (ع) پذیرفت و بلا برطرف شد، ولی باز دست از لجاجت خویش برنداشتند، بار سوم «قمّل را» را بر آنها مسلط ساختیم (وَ الْقُمَّلَ).

«الْقُمَّلَ» یک نوع آفت نباتی بود که به غلات آنها افتاد، و همه را فاسد کرد.

هنگامی که امواج این بلا_فرو نشست و باز ایمان نیاوردند، بار دیگر خداوند، «نسل قورباغه را» آنچنان افزایش داد که به صورت یک بلا زندگی آنها را فرا گرفت (وَ الضَّفادِعَ). ولی باز در برابر حق زانو نزدند و تسلیم نشدند.

در این هنگام خداوند «خون را» بر آنها مسلط ساخت (وَ الدَّمَ).

و در پایان می فرماید: «این آیات و معجزات آشکار و نشانه های حقانیت موسی که از هم جدا بودند را به آنها نشان دادیم، اما آنها در برابر آن تکبر ورزیدند و از قبول حق سر باز زدند و جمعیت مجرم و گنهکاری بودند» (آیاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْ تَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْماً مُجْرِمِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٣٤ ص: ٨٥

(آیه ۱۳۴)- پیمان شکنیهای مکرّر! در این آیه واکنش فرعونیان در برابر بلاهای آموزنده و بیدار کننده پروردگار بیان شده است.

نخست میخوانیم: «هنگامی که بلا بر آنها مسلط میشد، می گفتند: ای موسی، برای ما از خدایت بخواه تا به عهدی که با تو کرده است وفا کند، و دعایت را در حق ما مستجاب نماید» (وَ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا یا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّکَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۸۶

بِما عَهِدَ عِنْدَكَ)

«اگر تو این بلا را از ما برطرف سازی، سوگند یاد میکنیم که قطعا هم خودمان به تو ایمان خواهیم آورد و هم بنی اسرائیل را آزاد ساخته و با تو میفرستیم» (لَئِنْ کَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَکَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَکَ بَنِی إِسْرائِیلَ).

سورة الأعراف(٧): آية 135 ص: 86

(آیه ۱۳۵) - در این آیه اشاره به پیمان شکنی آنها کرده، می گوید: «پس هنگامی که بلا را پس از مدت تعیین شدهای، که به آن میرسیدند، از آنها برمیداشتیم، پیمان خود را می شکستند» نه خودشان ایمان می آوردند و نه بنی اسرائیل را از زنجیر اسارت رها می ساختند (فَلَمَّا کَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَی أَجَلِ هُمْ بالِغُوهُ إِذَا هُمْ یَنْکُثُونَ).

جمله «إِلَى أَجَلٍ» اشاره به این است که موسی، می گفت در فلان وقت، این بلا برطرف خواهد شد، برای این که کاملا روشن شود این دگرگونی تصادفی نبوده.

سورة الأعراف(٧): آية ١٣٦ ص: ٨٦

(آیه ۱۳۶)- این آیه، سر انجام این همه خیره سری و سرکشی و پیمان شکنی را در دو جمله کوتاه بیان میکند، نخست به صورت سر بسته میگوید: «پس ما از آنها انتقام گرفتیم» (فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ).

سپس این انتقام را شرح می دهـد و می گویـد: «آنها را در دریا غرق کردیم زیرا آنها آیات ما را تکذیب کردند، و از آن غافل بودند» (فَأَغْرَقْناهُمْ فِی الْیَمِّ بِأَنَّهُمْ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ کانُوا عَنْها غافِلینَ).

منظور از انتقام الهي آن است كه خداونـد جمعيت فاسـد و غير قابـل اصـلاح را كه در نظـام آفرينش حق حيات ندارنـد، نابود سازد.

سورة الأعراف(٧): آية ١٣٧ ص: 88

(آیه ۱۳۷) – سر انجام دردناک قوم فرعون! پس از نابودی قوم فرعون و در هم شکستن قدرت آنها، بنی اسرائیل وارث سرزمینهای پهناور آنها شدند، آیه مورد بحث به همین معنی اشاره کرده، می گوید: «مشرقها و مغربهای پربرکت زمین را در اختیار جمعیت مستضعف و استعمار شده قرار دادیم» (وَ أَوْرَثُنُها الْقَوْمَ الَّذِینَ کانُوا یُشتَضْ عَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِی بارَکْنا فِیها).

یعنی، حکومت بنی اسرائیل بر سراسر سرزمین فراعنه گسترده شد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۸۷

سپس می گوید: «وعده نیک پروردگار تو در زمینه پیروزی بنی اسرائیل- به خاطر صبر و استقامتی که نشان دادنـد- تحقق یافت» (وَ تَمَّتْ کَلِمَتُ رَبِّکَ الْحُشنی عَلی بَنِی إِسْرائِیلَ بِما صَبَرُوا).

و در پایان آیه اضافه می کند که: «ما قصرهای زیبای فرعون و فرعونیان و کاخهای مجلل و بناهای پرزرق و برق و جالب آنها و همچنان باغات پرشکوهشان را نابود ساختیم» (وَ دَمَّرْنا ما کانَ یَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما کانُوا یَعْرِشُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٣٨ ص: 87

(آیه ۱۳۸)- پیشنهاد بت سازی به موسی! در اینجا به قسمت حساس دیگری از سرگذشت بنی اسرائیل که به دنبال پیروزی آنها بر فرعونیان واقع شد، اشاره شده است، نخست می گوید: «ما بنی اسرائیل را از دریا (رود عظیم نیل) عبور دادیم» (وَ جاوَزْنا بِبَنِی إِسْرائِیلَ الْبَحْرَ).

«اما در مسیر خود به قومی برخورد کردنـد که با خضوع و تواضع، اطراف بتهای خود را گرفته بودنـد» (فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنام لَهُمْ).

افراد جاهلً و بیخبر آنچنان تحت تأثیر این صحنه قرار گرفتند که بلافاصله نزد موسی آمدند و «گفتند: ای موسی! تو، هم برای ما معبودی قرار بده همانطور که آنها معبودانی دارند»! (قالُوا یا مُوسَی اجْعَلْ لَنا إِلهاً کَما لَهُمْ آلِهَةٌ).

موسى (ع) از اين پيشـنهاد جاهلاـنه و نابخردانه، بسـيار ناراحت شـد، به آنها رو كرد و «گفت: شـما جمعيت جاهل و بيخبرى هستيد»! (قالَ إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ).

چرا که سر چشمه بت پرستی، جهل و نادانی بشر است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٣٩ ص: ٨٧

(آیه ۱۳۹) - در این آیه میخوانیم که موسی (ع) برای تکمیل سخن خود به بنی اسرائیل گفت: «این جمعیت بت پرست را که می بینید، کارشان به هلاکت می انجامد و عملشان باطل و بی اساس است» (إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَرِّ ما هُمْ فِیهِ وَ باطِلٌ ما کانُوا یَعْمَلُونَ). یعنی، هم عملشان بیهوده و رنجهایشان بی نتیجه است و هم سر انجام یک قوم بت پرست و مشرک، به هلاکت و نابودی می کشد.

سورة الأعراف(٧): آية ١٤٠ ص: ٨٧

(آیه ۱۴۰) و باز برای تأکید اضافه کرد: «آیا غیر از خدا معبودی برای شما برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۸۸ بطلبم! همان خدایی که شما را بر جهانیان (مردم عصر خود) برتری داد» (قالَ أَ غَیْرَ اللَّهِ أَبْغِیکُمْ إِلهاً وَ هُـوَ فَضَّلَکُمْ عَلَی الْعالَمِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٤١ ص: ٨٨

(آیه ۱۴۱) - در این آیه خداوند یکی از نعمتهای بزرگ خود را به بنی اسرائیل، یادآور می شود، تا با توجه به این نعمت بزرگ حسّ شکرگزاری در آنها تحریک گردد، و بدانند شایسته پرستش و خضوع و عبادت، تنها ذات پاک اوست. نخست می گوید: «به خاطر بیاورید هنگامی که شما را از چنگال آل فرعون نجات دادیم آنها که مرتبا شما را شکنجه می دادند و مجازات می کردند» (وَ إِذْ أَنْجَیْناکُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَسُومُونَکُمْ سُوءَ الْعَذابِ).

سپس این عـذاب و شـکنجه مسـتمر را چنین شـرح میدهـد که آنها «پسـران شـما را به قتل میرسانیدند، و زنان و دخترانتان را (برای خدمتگزاری و بردگی) زنده نگه میداشتند» (یُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ وَ یَسْتَحْیُونَ نِساءَكُمْ).

«و در این، آزمایش بزرگی از ناحیه خداوند برای شما بود» (وَ فِی ذلِکُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَظِیمٌ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٤٢ ص: ٨٨

اشاره

(آیه ۱۴۲)- وعده گاه بزرگ! در این آیه اشاره به یکی دیگر از صحنههای زندگی بنی اسرائیل و درگیری موسی با آنها شده است و آن جریان رفتن موسی به میعادگاه پروردگار و گرفتن تورات از طریق وحی و تکلم با خدا میباشد، که به دنبال آن داستان گوساله پرستی بنی اسرائیل و انحراف از مسیر توحید ذکر شده است.

نخست می گوید: «ما با موسی (ع) سی شب وعده گذاشتیم، سپس با ده روز دیگر آن را کامل ساختیم، و وعده خدا با او در چهل شب پایان یافت» (وَ واعَدْنا مُوسی ثَلاثِینَ لَیْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِیقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِینَ لَیْلَةً).

این چهل روز از آغاز ذیقعده شروع، و به دهم ذیحجه (عید قربان) ختم گردیده است.

سپس چنین نقل می کند که: «موسی به برادرش هارون گفت: در میان قوم من جانشین من باش و در راه اصلاح آنها بکوش و هیچ گاه از طریق مفسدان پیروی مکن» (وَ قالَ مُوسی لِأَخِیهِ هارُونَ اخْلُفْنِی فِی قَوْمِی وَ أَصْرِلِحْ وَ لا تَتَبَعْ برگزیده تفسیر نمونه،

حدیث «منزلت»: ص: ۸۹

بسیاری از مفسران اهل تسنن و شیعه در ذیل آیه مورد بحث اشاره به حدیث معروف منزلت کردهاند، با این تفاوت که مفسران شیعه آن را به عنوان یکی از اسناد زنده خلافت بلافصل علی علیه السّ لام گرفته، ولی بعضی از مفسران اهل تسنن ضمن عدم قبول آن، تاخت و تاز بیرحمانه و تعصب آمیزی به شیعه دارند.

متن این حدیث چنین است: عده زیادی از صحابه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در باره جریان جنگ تبوک چنین نقل کردهاند:
«پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به سـوی تبوک حرکت کرد و علی علیه السّیلام را به جـای خود قرار داد، علی علیه السّیلام عرض
کرد آیا مرا در میان کودکان و زنان می گذاری (و اجازه نمیدهی با تو به میدان جهاد بیایم) پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود:
آیا راضی نیستی که نسبت به من همانند هارون نسبت به موسی (ع) باشی جز این که پیامبری بعد از من نخواهد بود».

و پیامبر صلّی الله علیه و آله این سخن را تنها در جنگ تبوک نفرمود، بلکه در چنـدین مورد دیگر نیز این جمله از او شـنیده شده است، از جمله این که:

۱- پیامبر روزی به «امّ سلیم» فرمود: ای امّ سلیم! «علی گوشتش از گوشت من، و خونش از خون من، و او نسبت به من همانند هارون است نسبت به موسی».

۲- ابن عباس می گوید: روزی عمر بن خطاب گفت: من و ابو بکر و جمعی از اصحاب پیامبر صلّی الله علیه و آله نزد او بودیم و پیامبر صلّی الله علیه و آله تکیه بر علی علیه السّد الام کرده بود، دست بر شانه او زد سپس فرمود: «ای علی! تو نخستین مردی هستی که به خدا ایمان آوردی و نخستین کسی هستی که اسلام را پذیرفتی، تو نسبت به من همانند هارون به موسی هستی».
 به هر حال اگر با بی نظری حدیث فوق را بررسی کنیم از این حدیث استفاده می شود که علی علیه السّد الام تمام مناصبی را که هارون نسبت به موسی (ع) و در میان بنی اسرائیل داشت - به جز نبوت - داشته است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٤٣ ص: ٩٠

اشاره

(آیه ۱۴۳)– تقاضای مشاهده پروردگار! در این آیه و آیات بعد صحنه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۹۰

عبرت انگیز دیگری از صحنههای زندگی بنی اسرائیل نشان داده شده است، و آن این که جمعی از بنی اسرائیل با اصرار و تأکید از موسی (ع) خواستند که خدا را مشاهده کنند و اگر او را مشاهده نکنند، هرگز ایمان نخواهند آورد، موسی (ع) از میان آنها هفتاد نفر را انتخاب کرد و همراه خود به میعادگاه پروردگار برد، در آنجا تقاضای آنها را به درگاه الهی عرضه داشت، پاسخی شنید که همه چیز را برای بنی اسرائیل در این زمینه روشن کرد.

نخست می گوید: «هنگامی که موسی (ع) به میعادگاه ما آمد و پروردگارش با او سخن گفت، عرض کرد: پروردگارا! خود را

به من نشان ده تا به تو بنگرم» (وَ لَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ).
ولى به زودى اين پاسخ را از پيشگاه پروردگار شنيد كه «گفت: هرگز مرا نخواهى ديد» (قالَ لَنْ تَرانِى).
«ولى به كوه بنگر، اگر به جاى خود ايستاد مرا خواهى ديد»! (وَ لَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِى).
«هنگامى كه خداوند بر كوه جلوه كرد آن را محو و نابود و همسان با زمين نمود»! (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا).
موسى (ع) از مشاهده اين صحنه هول انگيز چنان وحشت زده شده كه «مدهوش به روى زمين افتاد» (وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً).
«و هنگامى كه به هوش آمد، عرضه داشت: پروردگارا! منزهى تو، من به سوى تو باز مىگردم و توبه مىكنم و من نخستين مؤمنانم» (فَلَمَّا أَفَاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبتُ إِلَيْكَكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ).

آیا مشاهده خدا امکان پذیر است؟ ص: ۹۰

در آیه فوق می خوانیم که خداوند به موسی (ع) می گوید: «به کوه بنگر اگر در جای خود باقی ماند مرا خواهی دید» آیا مفهوم این سخن این است که به راستی خداوند قابل مشاهده است؟

پاسخ این است که این تعبیر در حقیقت کنایه از محال بودن چنین موضوعی است، هماننـد جمله حَـِتَّی یَلِـَجَ الْجَمَـلُ فِی سَـمًّ الْخِیاطِ کافران در بهشت نمیروند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۹۱

مگر آن که شتر از سوراخ سوزن بگذرد (اعراف/ ۴۰) و از آنجا که معلوم بوده کوه در برابر جلوه خداونـد محال است پایدار بماند، چنین تعبیری ذکر شده است.

همان گونه که قبل از آن نیز فرمود: «لَنْ تَرانِی) یعنی، هرگز مرا نخواهی دید نه در دنیا و نه در آخرت.

سورة الأعراف(٧): آية ١٤٤ ص: ٩١

(آیه ۱۴۴)- الواح تورات! سر انجام در آن میعادگاه بزرگ، خداونـد، شرایع و قوانین آیین خود را بر موسی (ع) نازل کرد. نخست به او «فرمود: ای موسی! من تو را با رسالتهای خویش، و با سخن گفتنم (با تو) بر مردم برتری دادم و برگزیدم» (قالَ یا مُوسی إِنِّی اصْطَفَیْتُکَ عَلَی النَّاسِ بِرِسالاتِی وَ بِکَلامِی).

اکنون که چنین است «آنچه را به تو دستور دادهام بگیر و در برابر این همه موهبت از شکرگزاران باش» (فَخُذْ ما آتَیْتُکَ وَ کُنْ مِنَ الشَّاکِرینَ).

هدف آیه بیان دو امتیاز بزرگ موسی (ع) بر توده مردم است، یکی دریافت رسالات خدا، و دیگری گفتگوی با پروردگار که هر دو مقام رهبری او را در میان امت خویش تثبیت می کرد.

سورة الأعراف(٧): آية ١٤٥ ص: ٩١

(آیه ۱۴۵)– سپس اضافه می کنـد که: «در الواحی که بر موسـی (ع) نازل کردیم، از هر موضوعی پند و اندرز کافی و شـرح و بیان مسائل مورد نیاز در امور دین و دنیا و فرد و اجتماع برای او نوشتیم» (وَ کَتَبْنا لَهُ فِی الْأَلْواحِ مِنْ کُلِّ شَـیْءٍ مَوْعِظَـهُ وَ تَفْصِـ یلًا لِکُلِّ شَیْءٍ). سپس به او دستور دادیم که: «با نهایت جدّیت و قوت اراده این فرمانها را برگیر» (فَخُذْها بِقُوَّهٍْ). «و به قوم خود نیز فرمان ده که به نیکوترین آنها عمل کنند» (وَ أُمُرْ قَوْمَکَ یَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها).

و نیز به آنها اخطار کن که مخالفت با این فرمانها و فرار از زیر بار مسؤولیتها و وظائف، نتیجه دردناکی دارد، و پایانش دوزخ است و «به زودی جایگاه فاسقان را به شما نشان خواهم داد» (سَأُرِیکُمْ دارَ الْفاسِقِینَ).

از تعبير «مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً» چنين استفاده ميشود كه همه مواعظ برگزيده تفسير نمونه، ج٢، ص: ٩٢

و اندرزها و مسائل لاخرم در الواح موسى (ع) نبود، زيرا در آن زمان به مقدار استعداد مردم، احكام الهى نازل گشت، ولى هنگامى كه مردم جهان به آخرين مرحله از تعليمات انبياء رسيدند، آخرين دستور كه شامل همه نيازمنديهاى مادى و معنوى مردم بود بر پيامبر صلّى الله عليه و آله نازل گرديد.

ظاهر جمله «سَأُرِیکُمْ دارَ الْفاسِ قِینَ» (به زودی خانه فاسقان را به شما نشان میدهم) این است که منظور از آن، دوزخ میباشد، که قرارگاه کسانی است که از اطاعت فرمان خدا و انجام وظائف خویش خارج شدهاند.

سورة الأعراف(٧): آية ١٤٦ ص: ٩٢

(آیه ۱۴۶) - سرنوشت متکبران - بحثی که از این آیه و آیه بعد آمده است در حقیقت یک نوع نتیجه گیری از آیات گذشته در زمینه سرنوشت فرعون و فرعونیان و سرکشان بنی اسرائیل است، نخست می فرماید: «به زودی کسانی را که در زمین، به غیر حق تکبر ورزیدند از آیات خود، منصرف می سازیم» (سَأَصْرِفُ عَنْ آیاتِی الَّذِینَ یَتَکَبُرُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ). سپس به سه قسمت از صفات این گونه افراد «متکبر و سرکش» و چگونگی «سلب توفیق حق پذیری» از آنها اشاره کرده، می فرماید: «و آنها اگر تمام آیات و نشانه های الهی را ببینند، ایمان نمی آورند»! (وَ إِنْ یَرَوْا کُلَّ آیَهٔ لا یُوْمِنُوا بِها). «و نیز اگر راه راست و طریق درست را مشاهده کنند، انتخاب نخواهند کرد» (وَ إِنْ یَرَوْا سَبِیلَ الرُّشْدِ لا یَتَّخِذُوهُ سَبِیلًا). و به عکس «اگر راه منحرف و نادرست را ببینند، آن را راه خود انتخاب می کنند» (وَ إِنْ یَرَوْا سَبِیلَ الغَیِّ یَتَّخِذُوهُ سَبِیلًا). بعد از ذکر این صفات سه گانه که همگی حکایت از انعطاف ناپذیریشان در برابر حق می باشد، اشاره به دلیل آن کرده، می گوید: «اینها همه به خاطر آن است که آیات ما را تکذیب کردند و از آن غافل بودند» (ذلِکَ بَانَهُمْ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ کانُوا مَانُوا بِآها فِلْهِانِنَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٤٧ ص: ٩٢

(آیه ۱۴۷)- این آیه کیفر چنین اشخاصی را بیان کرده، می گوید: «آنها که آیات ما را تکذیب کنند و لقای رستاخیز را منکر شوند اعمالشان بکلی حبط و نابود زیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۹۳

مي گردد» (وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ).

و در پایان آیه چنین اضافه می کند: این سرنوشت برای آنها، جنبه انتقامی ندارد، این نتیجه اعمال خود آنهاست، بلکه عین اعمال آنهاست که در برابرشان مجسم شده، «آیا آنها جز اعمالی را که انجام میدادند، جزا داده میشوند»؟ (هَلْ یُجْزَوْنَ إِلَّا ما کانُوا یَعْمَلُونَ).

این آیه یکی دیگر از آیاتی است که دلیل بر تجسم اعمال، و حضور خود اعمال نیک و بد در قیامت میباشد

سورة الأعراف(٧): آية ١٤٨ ص: ٩٣

(آیه ۱۴۸)- آغاز گوساله پرستی یهود: در این آیات، یکی از حوادث اسفناک و در عین حال تعجب آوری بود که بعد از رفتن موسی (ع) به میقات در میان بنی اسرائیل رخ داد، بازگو شده است و آن جریان گوساله پرستی آنهاست که به دست شخصی به نام «سامری» و با استفاده از زیور آلات بنی اسرائیل، انجام گرفت.

نخست چنین می گوید: «قوم موسی (ع) بعد از رفتن او به میقات، از زینت آلات خود گوسالهای که تنها جسد بیجانی بود با صدای مخصوص گاو برای خود انتخاب کردند» (وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسی مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِیِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ).

سپس قرآن به عنوان سرزنش آنها می گوید: «آیا آنها نمی دیدند که (آن گوساله) با آنان سخن نمی گوید و به راه راست راهنمائیشان نمی کند؟! (أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا).

یعنی، یک معبود واقعی حد اقل باید نیک و بد را بفهمد و توانایی بر راهنمایی و هدایت پیروان خود داشته باشد، با عبادت کنندگان خویش، سخن بگوید و آنها را به راه راست هدایت کند و طریقه عبادت را به آنها بیاموزد.

آنها در حقیقت به خودشان ظلم و ستم کردند، لذا در پایان آیه می فرماید:

«گوساله را معبود خود انتخاب كردند و ظالم و ستمگر بودند» (اتَّخَذُوهُ وَ كَانُوا ظالِمِينَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۹۴

سورة الأعراف(٧): آية ١٤٩ ص: ٩٤

(آیه ۱۴۹) – ولی بـا مراجعت موسـی، بنی اسـرائیل به اشـتباه خود پی بردنـد «و هنگامی که حقیقت به دسـتشان افتاد، و دیـدند گمراه شدنـد گفتنـد: اگر پروردگار ما به ما رحم نکنـد و ما را نبخشـد بطور مسـلم از زیانکاران خواهیم بود» (وَ لَمَّا سُـقِطَ فِی أَیْدِیهِمْ وَ رَأُوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ یَرْحَمْنا رَبُّنا وَ یَغْفِرْ لَنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرینَ).

چگونه گوساله طلایی صدا کرد؟ جمعی از مفسران معتقدند که سامری با اطلاعاتی که داشت، لولههای مخصوصی در درون سینه گوساله طلایی کار گذاشته بود که هوای فشرده از آن خارج می شد و از دهان گوساله، صدایی شبیه صدای گاو بیرون می آمد!

سورة الأعراف(٧): آية ١٥٠ ص: ٩٤

(آیه ۱۵۰)- عکس العمل شدید در برابر گوساله پرستان! در این آیه و آیه بعد ماجرای درگیری موسی (ع) با گوساله پرستان به هنگام بازگشت از میعادگاه، که در آیه قبل تنها اشارهای به آن شده بود تشریح گردیده.

نخست می گوید: «هنگامی که موسی خشمناک و اندوهگین به سوی قوم خود بازگشت (و صحنه زننده و نفرت انگیز گوساله پرستی را مشاهده نمود) به آنها گفت بد جانشینانی برای من بودید و آیین مرا ضایع کردید» (وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسی إِلی قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ بِنْسَما خَلَفْتُمُونِی مِنْ بَعْدِی).

سپس موسی (ع) به آنها گفت: «آیا در فرمان پروردگار خود، عجله نمودید» (أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ).

منظور این است که شما در برابر فرمان خمدا نسبت به تمدید مدت سمی شب به چهل شب، عجله به خرج دادید و در قضاوت

شتاب نمودید، نیامدن مرا دلیل بر مرگ و یا خلف وعده گرفتید.

موسی (ع) در اینجا باید خشم شدید خود را آشکار سازد، در غیر این صورت بازگشت آنها به آسانی ممکن نبود.

قرآن عکس العمل شدید موسی (ع) را در برابر این صحنه و در این لحظات بحرانی و توفانی چنین بازگو می کند: «موسی بی درنگ الواح تورات را از دست برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۹۵

خود بیفکند (و به سراغ برادرش هارون رفت) و سر و ریش او را گرفت و به سوی خود کشید»! (وَ أَلْقَی الْأَلْواحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِیهِ یَجُرُّهُ إِلَیْهِ).

در حقیقت این واکنش از یک سو روشنگر حال درونی موسی (ع) و التهاب و بیقراری و ناراحتی شدید او در برابر بت پرستی و انحراف آنها بود، و از سوی دیگر وسیله مؤثری برای تکان دادن مغزهای خفته بنی اسرائیل و توجه دادن آنها به زشتی فوق العاده اعمالشان.

سپس قرآن می گوید: هارون برای برانگیختن عواطف موسی (ع) و بیان بی گناهی خود «گفت: فرزند مادرم! این جمعیت نادان مرا در ضعف و اقلیت قرار دادند آنچنان که نزدیک بود مرا به قتل برسانند (بنابراین من بی گناهم بی گناه) کاری نکن که دشمنان به شماتت من برخیزند و مرا در ردیف این جمعیت ظالم و ستمگر قرار مده» (قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِی وَ کادُوا یَقْتُلُونَنِی فَلا تُشْمِتْ بِیَ الْأَعْداءَ وَ لا تَجْعَلْنِی مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٥١ ص: ٩٥

(آیه ۱۵۱)– آتش خشم موسی کمی فرو نشست و به درگاه پروردگار متوجه شد و «عرض کرد: پروردگارا! من و برادرم را بیامرز و ما را در رحمت بیپایانت داخل کن، تو مهربانترین مهربانانی» (قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِأَخِی وَ أَدْخِلْنا فِی رَحْمَتِکُ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِینَ).

تقاضای بخشش و آمرزش برای خود و برادرش نه به خاطر آن است که گناهی از آنها سرزده بلکه یک نوع خضوع به درگاه پروردگار و بازگشت به سوی او و ابراز تنفر از اعمال زشت بت پرستان و همچنین سرمشقی است برای همگان تا فکر کنند جایی که موسی و برادرش که انحرافی پیدا نکرده بودند چنین تقاضایی از پیشگاه خدا کنند، دیگران باید حساب خود را برسند.

سورة الأعراف(٧): آية ١٥٢ ص: ٩٥

(آیه ۱۵۲) – واکنش شدید موسی (ع) سر انجام کار خود را کرد، و گوساله پرستان بنی اسرائیل که اکثریت قوم را تشکیل می دادند از کار خود پشیمان شدند ولی برای این که تصور نشود تنها این ندامت و پشیمانی برای توبه آنها از چنین گناه عظیمی کافی بوده است، قرآن چنین اضافه می کند: «کسانی که گوساله را معبود خود برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۹۶ انتخاب کردند به زودی خشم پروردگار و ذلت درندگی این جهان به آنها خواهد رسید» (إِنَّ الَّذِینَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَینالُهُمْ عَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّهُ فِی الْحَیاةِ الدُّنیا).

و نیز برای این که تصور نشود این قانون اختصاصی به آنها دارد، اضافه میکند: «همه کسانی را که افترا (بر خدا) میبندند این چنین کیفر میدهیم» (وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُفْتَرِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٥٣ ص: ٩٦

(آیه ۱۵۳) - در این آیه این موضوع را تکمیل کرده، و به صورت یک قانون کلی چنین می گوید: «اما آنها که اعمال بدی انجام دهند، سپس توبه کنند (و شرایط توبه همگی انجام گیرد) و ایمان خود را به خدا تجدید نمایند و از هر گونه شرک و نافرمانی بازگردند، پروردگار تو بعد از آن (آنها را می بخشد، او) بخشنده و مهربان است» (وَ الَّذِینَ عَمِلُوا السَّیِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِیمٌ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٥٤ ص: ٩٦

(آیه ۱۵۴) - در این آیه می گوید: «هنگامی که آتش خشم موسی فرو نشست (و آن نتیجهای را که انتظار داشت گرفت) دست کرد و الواح تورات را از زمین برداشت، الواحی که نوشته های آن سراسر هدایت و رحمت بود (اما هدایت و رحمت) برای کسانی که احساس مسؤولیت می کردند و از خدا می ترسیدند و در برابر فرمانش تسلیم بودند» (وَ لَمَّا سَکَتَ عَنْ مُوسَی الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلُواحَ وَ فِی نُشْخَتِها هُدیً وَ رَحْمَةً لِلَّذِینَ هُمْ لِرَبِّهِمْ یَرْهَبُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٥٥ ص: ٩٦

(آیه ۱۵۵) - نمایندگان بنی اسرائیل در میعادگاه خدا! در این آیه و آیه بعد بار دیگر قرآن به جریان رفتن موسی (ع) به میعادگاه «طور» با جمعی از بنی اسرائیل بازگشت نموده و قسمت دیگری از همان حادثه را بازگو می کند.

نخست می گوید: «موسی (ع) هفتاد نفر از قوم خود را برای میعاد ما انتخاب کرد» (وَ اخْتارَ مُوسی قَوْمَهُ سَبْعِینَ رَجُلًا لِمِیقاتِنا).

ولی بنی اسرائیل چون کلام خدا را شنیدند، از موسی (ع) تقاضا کردند از او بخواهد خود را نشان دهد «در این هنگام زلزله عظیمی در گرفت (و جمعیت هلا_ک شدند و موسی (ع) مدهوش بر زمین افتاد، هنگامی که به هـوش آمـد) عرض کرد: برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۹۷

پروردگارا! اگر تو میخواستی میتوانستی آنها و مرا پیش از این هلاک کنی» (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّاىَ).

یعنی، من چگونه پاسخ قوم را بگویم که بر نمایندگان آنها چنین گذشته است.

سپس گفت: پروردگارا! این درخواست نابهجا تنها کار جمعی از سفهای ما بود، «آیا ما را به خاطر کار سفیهانمان هلاک میکنی؟» (أَ تُهْلِکُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا).

سپس موسی (ع) به دنبال این تضرع و تقاضا از پیشگاه خدا عرضه می دارد:

«این جز آزمایش تو چیز دیگری نیست که هر که را بخواهی (و مستحق ببینی) بـا آن گمراه میکنی و هر کس را بخواهی (و شایسته بدانی) هدایت مینمایی» (إِنْ هِیَ إِلَّا فِتْنَتُکَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَ تَهْدِی مَنْ تَشاءُ).

و در پایان آیه، موسمی (ع) عرض میکند: بار الها! «تنها تو ولیّ و سرپرست مایی، ما را ببخش، و مشمول رحمت خود قرار ده، تو بهترین آمرزندگانی» (أَنْتَ وَلِیّنا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَیْرُ الْغافِرِینَ).

از مجموع آیات و روایات استفاده میشود که سر انجام هلاک شـدگان بار دیگر زندگی را از سـر گرفتند و به اتفاق موسـی

(ع) به سوی بنی اسرائیل بازگشتند، و آنچه را دیده بودند برای آنها بازگو نمودند و به تبلیغ و ارشاد آن مردم بی خبر پرداختند.

سورة الأعراف(٧): آية ١٥٦ ص: ٩٧

(آیه ۱۵۶) - در این آیه دنباله تقاضای موسی (ع) از پروردگار و تکمیل مسأله توبه که در آیات قبل به آن اشاره شد چنین آمده است.

خداوندا! «در این جهان و در سرای دیگر نیکی برای ما مقرر بدار» (وَ اكْتُبْ لَنا فِی هذِهِ الدُّنْیا حَسَنَةً وَ فِی الْآخِرَةِ).

سپس دلیل این تقاضا را چنین بیان می کند: «ما به سوی تو بازگشت کردهایم» (إِنَّا هُیدْنا إِلَیْکُ). و از سخنانی که سفیهان ما گفتهاند که شایسته مقام با عظمت تو نبود، پوزش طلبیدهایم. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۹۸

سر انجام خداوند دعای موسی (ع) را به اجابت میرساند و توبه او را میپذیرد، ولی نه بدون قید و شرط، بلکه با شرایطی که در ذیل آیه آمده است، می گوید: «خداوند فرمود: عذاب و کیفرم را به هر کس بخواهم (و مستحق ببینم) میرسانم» (قالَ عَذابِی أُصِیبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ).

سپس اضافه می کند: «اما رحمت من همه چیز را در برگرفته است» (وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَيْءٍ).

ولی برای این که کسانی خیال نکنند، پذیرش توبه و یا وسعت رحمت پروردگار و عمومیت آن، بیقید و شرط و بدون حساب و کتاب است، در پایان آیه اضافه می کند: «من به زودی رحمتم را برای (کسانی که سه کار را انجام می دهند) می نویسم، آنها که تقوا پیشه می کنند، و آنها که زکات می پردازند، و آنها که به آیات ما ایمان می آورند» (فَسَأَ کُتُبُها لِلَّذِینَ یَتُقُونَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاهَ وَ الَّذِینَ هُمْ بِآیاتِنا یُؤْمِنُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٥٧ ص: ٩٨

اشاره

(آیه ۱۵۷) – از چنین پیامبری پیروی کنید: این آیه در حقیقت، مکمل آیه گذشته در باره صفات کسانی است که مشمول رحمت واسعه پروردگار هستند، یعنی پس از ذکر صفات سه گانه تقوا و اداء زکات و ایمان به آیات پروردگار، در این آیه صفات دیگری به عنوان توضیح برای آنها ذکر می کند و آن پیروی از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله است، زیرا ایمان به خدا از ایمان به پیامبر صلّی الله علیه و آله و پیروی از مکتبش جدایی ناپذیر است، لذا می گوید: «کسانی مشمول این رحمت می شوند که از فرستاده پرورد گار پیروی کنند» (الَّذِینَ یَتَبِعُونَ الرَّسُولَ).

سپس برای این رسول، شش صفت علاوه بر مقام رسالت بیان می کند:

1- او «پيامبر خداست» (النَّبِيَّ).

«نبی» به کسی گفته میشود که پیام خدا را بیان میکند و به او، وحی نازل میشود- هر چند مأمور به دعوت و تبلیغ نباشد. اما «رسول» کسی است که علاوه بر مقام نبوت، مأمور به دعوت و تبلیغ به سوی آیین خدا و ایستادگی در این مسیر میباشد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۹۹ ۲- «پیامبری که درس نخوانده و از میان توده جمعیت برخاسته، از سرزمین مکه ام القری» کانون اصلی توحید طلوع کرده
 است (الْأُمِّیَ).

۳- «پیامبری که صفات و علامات و نشانه ها و دلائل حقانیت او را در (کتب آسمانی پیشین) تورات و انجیل مشاهده می کنند» (الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراهِ وَ الْإِنْجِیل).

۴- پیامبری که محتوای دعوت او با فرمان عقل کاملا سازگار است «به نیکیها و آنچه خرد آن را می شناسد و نزدش معروف است، دعوت می کند، و از بدیها و زشتیها و آنچه نزد خرد ناشناس است، نهی می نماید» (یَا أُمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَر).

۵- محتوای دعوت او با فطرت سلیم هماهنگ است، «طیبات و آنچه را طبع سلیم می پسندد، برای آنها حلال می شمرد، و آنچه خبیث و تنفر آمیز باشد بر آنها تحریم می کند» (وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ).

۹- او بسان مدعیان دروغین نبوت و رسالت که هدفشان به زنجیر کشیدن تودههای مردم و استعمار و استثمار آنهاست، نیست نه تنها بندی بر آنها نمی گذارد، بلکه «بارها را از دوش آنان بر میدارد، و غل و زنجیرهایی را که بر دست و پا و گردنشان سنگینی می کرد، می شکند» (وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ).

و چون این صفات ششگانه به ضمیمه مقام رسالت که مجموعا هفت صفت می شود، روی هم رفته نشانه روشن و دلیل آشکاری بر صدق دعوت اوست اضافه می کند: «پس کسانی که به او ایمان بیاورند و مقامش را بزرگ بشمرند و او را در ابلاغ رسالتش یاری کنند، و از نور آشکاری که با او نازل شده (یعنی قرآن مجید) پیروی کنند، بدون شک چنین افرادی رستگارانند» (فَالَّذِینَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ النَّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُولِئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲،

نکتهها: ص: ۱۰۰

۱- پنج دلیل برای نبوت در یک آیه! ص: ۱۰۰

نخست این که او «امّی» بود و درس نخوانده، اما با این حال کتابی آورد که نه تنها سرنوشت مردم حجاز را دگرگون ساخت، بلکه نقطه بازگشت مهمی در تاریخ بشریت بود.

دوم این که: دلایل نبوت او با تعبیرات مختلف در کتب آسمانی پیشین وجود دارد آنچنان که انسان را به حقانیت او مطمئن میسازد.

سوم این که: محتویات دعوت او با عقل و خرد سازگار است.

چهارم: محتویات دعوت او با طبع سلیم و فطرت هماهنگ است.

پنجم: اگر او از طرف خدا نبود، حتما به خاطر منافع خویش دست به چنین کاری می زد و در این صورت نه تنها نبایـد غل و زنجیرها را از مردم بگشاید بلکه باید آنها را همچنان در جهل و بیخبری نگهدارد تا بهتر بتواند آنها را استثمار کند، در حالی که می بینیم او زنجیرهای گران را از دست و پای بشریت گشود.

زنجیر جهل و نادانی از طریق دعوت پی گیر و مستمر به علم و دانش.

زنجیر انواع تبعیضات و زنـدگی طبقـاتی! و زنجیرهـای دیگر، هر یـک از اینهـا به تنهـایی دلیلی است بر حقـانیت دعوت او و مجموع آنها دلیلی روشنتر.

۲- بشارت ظهور پیامبر در کتب عهدین: ص: ۱۰۰

گرچه شواهد قطعی تاریخی و همچنین محتویات کتب مقدسه یهود و نصاری (تورات و انا جیل) نشان میدهد که اینها کتابهای آسمانی نازل شده بر موسی و عیسی (ع) نیستند و دست تحریف به سوی آنها دراز شده است بلکه بعضی از میان رفته اند و آنچه امروز به نام کتب مقدسه در میان آنهاست مخلوطی است از زائیده های افکار بشری و قسمتی از تعلیماتی که بر موسی (ع) و عیسی (ع) نازل گردیده و در دست شاگردان بوده، ولی با این حال در همین کتب تحریف یافته عباراتی دیده می شود که اشارات قابل ملاحظه ای به ظهور این پیامبر بزرگ دارد

سورة الأعراف(٧): آية ١٥٨ ص: ١٠٠

(آیه ۱۵۸) - دعوت جهانی پیامبر: در حدیثی از امام مجتبی علیه السّلام چنین برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۰۱ میخوانیم: عدهای از یهود نزد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمدند و گفتند: ای محمد تویی که گمان میبری فرستاده خدایی و

همانند موسی (ع) بر تو وحی فرستاده می شود؟! پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کمی سکوت کرد، سپس فرمود: آری منم سیّد فرزندان آدم و به این افتخار نمی کنم، من خاتم پیامبران و پیشوای پرهیزکاران و فرستاده پروردگار جهانیانم.

آنها سؤال کردند به سوی چه کسی؟ به سوی عرب یا عجم یا ما؟

خداوند آیه مورد بحث را نازل کرد، و رسالت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را به تمام جهانیان با صراحت در ضمن آن شرح داد. نخست به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور می دهد: «بگو: ای مردم! من فرستاده خدا به سوی همه شما هستم» (قُلْ یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً).

این آیه همانند آیات بسیار دیگری از قرآن مجید، دلیل روشنی بر جهانی بودن دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است.

سپس خدایی را که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به سوی او دعوت می کند با سه صفت معرفی می کند: «خداوندی که حکومت آسمانها و زمین از آن اوست» (الَّذِی لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

خداوندی که «معبودی شایسته پرستش، جز او وجود ندارد» (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ).

خداوندی که «زنده می کند و می میراند» و نظام حیات و مرگئ به فرمان اوست (یُحییی وَ یُمِیتُ).

و در پایان از همه مردم جهان دعوت می کند که «به خدا و فرستاده او پیامبر درس نخوانده و قیام کننده از میان تودههای جمعیت، ایمان بیاورید» (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِیِّ الْأُمِّیِّ).

«پیامبری که (تنها دیگران را دعوت به این حقایق نمی کند، بلکه در درجه اول خودش به آنچه می گوید، یعنی) به خدا و سخنان او ایمان دارد» (الَّذِی یُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ کَلِماتِهِ).

نه تنها آیاتی را که بر خودش نازل شده می پذیرد، بلکه تمام کتب راستین برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۰۲

انبیاء پیشین را نیز می پذیرد.

تمام تاریخ پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به این حقیقت گواهی میدهد، که او بیش از همه به تعلیمات خویش و آیات قرآن پای

بند بود و ایمان داشت.

آری! از چنین پیامبری بایـد پیروی کنیـد، تا نور هدایت در قلب شـما بتابد و در مسـیر سـعادت قرار گیرید، میفرماید: «و از او پیروی کنید تا هدایت یابید» (وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ).

اشاره به این که ایمان به تنهایی کافی نیست، بلکه در صورتی مفید خواهد بود که با پیروی عملی تکمیل گردد.

سورة الأعراف(٧): آية ١٥٩ ص: ١٠٢

(آیه ۱۵۹) - در این آیه باز سخن پیرامون بنی اسرائیل و سرنوشت و رویدادهای تاریخ آنهاست، نخست اشاره به واقعیتی می کند که شبیه آن را در قرآن بسیار دیدهایم واقعیتی که حکایت از روح حق طلبی قرآن دارد، و آن احترام به موقعیت اقلیتهای صالح است یعنی: چنان نبود که بنی اسرائیل یکپارچه فاسد و مفسد باشند و این نژاد عموما مردمی گمراه و سرکش معرفی شوند، بلکه در برابر اکثریت، قرآن برای این اقلیت صالح و ناهماهنگ با کارهای اکثریت، قرآن برای این اقلیت صالح اهمیت خاصی قائل شده است.

می گوید: «از قوم موســی (ع) گروهی هسـتند که دعوت به سوی حق میکنند و حاکم به حق و عدالتند» (وَ مِنْ قَوْمِ مُوســی أُمَّةً یَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ یَعْدِلُونَ).

این آیه ممکن است اشاره به گروه کوچکی باشد که در برابر سامری و دعوت او تسلیم نشدند و همه جا حامی و طرفدار مکتب موسی (ع) بودند و یا گروههای صالح دیگری که بعد از موسی (ع) به روی کار آمدند.

سورة الأعراف(٧): آية ١٦٠ ص: ١٠٢

(آیه ۱۶۰)- گوشهای از نعمتهای خدا به بنی اسرائیل: در این آیه اشاره به چند قسم از نعمتهای خدا بر بنی اسرائیل می کند. نخست می گوید: «ما آنها را به دوازده گروه- که هر یک شاخهای (از دودمان اسرائیل) بود- تقسیم کردیم» تا نظمی عادلانه و دور از برخوردهای خشونت آمیز در میانشان حکومت کند (وَ قَطَّعْناهُمُ اثْنَتَیْ عَشْرَهُ أَشِباطاً أُمَماً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۰۳

نعمت دیگر: «و هنگامی که قوم موسی (در بیابان سوزان، به سوی بیت المقدس در حرکت بودند و گرفتار عطش سوزان و تشنگی خطرناکی شدند) و از او تقاضای آب کردند، به او وحی فرستادیم که عصایت را بر سنگ بزن و او چنین کرد، ناگهان دوازده چشمه از سنگ جوشید» (وَ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاکَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَهٔ عَیْناً). و آنچنان این چشمه ها در میان آنها تقسیم شد «که هر کدام به خوبی چشمه خود را می شناختند» (قَدْ عَلِمَ کُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ). نعمت دیگر این که، در آن بیابان سوزان که پناهگاهی وجود نداشت «ابر را بر سر آنها سایه افکن ساختیم» (وَ ظَلَّلْنا عَلَیْهِمُ الْغُمامَ).

بالاخره چهارمین نعمت این بود که «من و سلوی را (به عنوان دو غذای لذیذ و نیروبخش) بر آنها فرو فرستادیم» (وَ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلُوی) «۱».

و به آنها گفتیم «از غـذاهای پاکیزهای که در اختیار شـما گـذاردهایم بخورید» (کُلُوا مِنْ طَیّباتِ ما رَزَقْناکُمْ). و فرمان خدا را به کار بندید. اما آنها خوردنـد و كفران و ناسپاســـى كردنــد، آنها «به ما ســتم نكردند بلكه به خودشان ســتم روا داشــتند» (وَ ما ظَلَمُونا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٦١ ص: ١٠٣

(آیه ۱۶۱) - در تعقیب آیات گذشته در این آیه و آیه بعد به قسمت دیگری از مواهب پروردگار به بنی اسرائیل و طغیانگری آنان در برابر این مواهب اشاره شده است، نخست می گوید: «و (به خاطر بیاورید) هنگامی را که به آنها گفته شد در این سرزمین (بیت المقدس) ساکن گردید و از نعمتهای فراوان آن، در هر نقطه و هر گونه که میخواهید بخورید» و بهره گیرید (وَ إِذْ قِیلَ لَهُمُ اسْکُنُوا هذِهِ الْقَرْیَةَ وَ کُلُوا مِنْها حَیْتُ شِئْتُمْ).

«و بگویید: خداوندا! گناهان ما را بریز و از در بیت المقدس با خضوع و تعظیم وارد شوید» (وَ قُولُوا حِطَّةٌ وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً).

که اگر این برنامه را انجام دهید «خطاهایی را که مرتکب شده اید می بخشیم

(۱) در باره «منّ» و «سلوی» ذیل آیه ۵۷ سوره بقره بحث کردیم.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۰۴

و به نیکوکاران پاداش بیشتر و بهتر خواهیم داد» (نَغْفِرْ لَکُمْ خَطِیئاتِکُمْ سَنَزِیدُ الْمُحْسِنِینَ).

«حطّه» به معنی نزول چیزی از طرف بالاست و این کلمه در واقع شعار آنها به هنگام ورود به بیت المقدس بود، یعنی «تقاضای ما ریزش گناهانمان و یا ریزش باران عفو و رحمتت بر ماست».

سورة الأعراف(٧): آية ١٦٢ ص: ١٠٤

(آیه ۱۶۲) – ولی با این که درهای رحمت به روی آنها گشوده بود، و اگر از فرصت استفاده می کردند می توانستند، گذشته و آینده خود را اصلاح کنند «اما ستمکاران بنی اسرائیل (نه تنها استفاده نکردند بلکه) فرمان پروردگار را بر خلاف آنچه به آنها گفته شده بود عمل کردند» (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ).

«سر انجام به خاطر این نافرمانی و طغیان و ظلم و ستم (بر خویشتن و بر دیگران) عذابی از آسمان بر آنها نازل کردیم» (فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما کَانُوا یَظْلِمُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٥٣ ص: ١٠٤

اشاره

(آیه ۱۶۳)- یک سرگذشت عبرت انگیز! در اینجا صحنه دیگری از تاریخ پرماجرای بنی اسرائیل که مربوط به جمعی از آنهاست که در ساحل دریایی زندگی می کردند، آمده است، منتها روی سخن در آن به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله است، و به او می گوید: «از قوم یهود معاصر خویش ماجرای شهری را که در کنار دریا قرار داشت سؤال کن» (وَ شِئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْیَةِ الَّتِی کانَتْ حاضِرَةَ الْبُحْر).

طبق روایات این «قریه» بندری به نام «ایله» بوده که امروز به نام بندر ایلات معروف است.

و به یاد آنها بیاور «زمانی را که در روز شنبه (از قانون پروردگار) تجاوز میکردند» (إِذْ یَعْدُونَ فِی السَّبْتِ).

زیرا روز شنبه تعطیل آنها بود و وظیفه داشتند، دست از کار و کسب و صید ماهی بکشند و به مراسم عبادت آن روز بپردازند، اما آنها این دستور را زیر پا گذاردند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۰۵

سپس قرآن آنچه را در جمله قبل سر بسته بیان کرده بود، چنین شرح می دهد:

به خاطر آنها بیاور «آن هنگام را که ماهیان در روز شنبه در روی آب آشکار میشدند و در غیر روز شنبه ماهیان کمتر به سراغ آنها میآمدند» (إِذْ تَأْتِیهِمْ حِیتانُهُمْ یَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَ یَوْمَ لا یَسْبِتُونَ لا تَأْتِیهِمْ).

این موضوع خواه جنبه طبیعی داشته، و یا جنبه فوق العاده و الهی، وسیلهای بود برای امتحان و آزمایش این جمعیت، لذا قرآن می گوید: «ما این چنین آنها را به چیزی که در برابر آن مخالفت می کردند آزمایش می کردیم» (کَذلِکَ نَبْلُوهُمْ بِما کانُوا یَفْسُقُونَ).

چگونه دست به گناه زدند؟ ص: ۱۰۵

این جمعیت، قانون شکنی را به این ترتیب شروع کردند که در آغاز از طریق حیله به اصطلاح شرعی- به وسیله کندن حوضچهها و یا انداختن قلابها- کار خود را شروع کردند، این کار، گناه را در نظر آنها کوچک و آنان را در برابر شکستن احترام روز شنبه جسور ساخت، کم کم روزهای شنبه بطور علنی و بی پروا به صید ماهی مشغول شدند و از این راه مال و ثروت فراوانی فراهم ساختند.

سورة الأعراف(٧): آية ١٦٤ ص: ١٠٥

(آیه ۱۶۴)- این جمعیت از بنی اسرائیل در برابر این آزمایش بزرگ که با زنـدگی آنان کاملا آمیخته بود به سه گروه تقسیم شدند:

«گروه اول» که اکثریت را تشکیل می دادند، به مخالفت با این فرمان الهی برخاستند.

«گروه دوم» که قاعدتا اقلیت کوچکی بودند و در برابر گروه اول به وظیفه امر به معروف و نهی از منکر قیام کردند.

«گروه سوم»، ساکتان و بی طرفان بودند، که نه همگامی با گناهکاران داشتند و نه وظیفه نهی از منکر را انجام می دادند.

در آیه مورد بحث، گفتگوی این گروه را با نهی کنندگان شرح میدهد، می گوید: «و (به خاطر بیاور) هنگامی که جمعی از آنها به جمع دیگری گفتند: چرا قومی را اندرز میدهید که خداوند سر انجام آنها را هلاک می کند و یا به عذاب بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۰۶

دردناكى كيفر خواهد داد» (وَ إِذْ قالَتْ أُمَّةً مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً).

«گفتنـد: (این انـدرزها) برای اعتـذار و رفع مسؤولیت در پیشـگاه پروردگار شـماست به علاوه شایـد آنها بپذیرند و از گناه باز

ايستند، و تقوا پيشه كنند»! (قالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

از جمله بالا چنین استفاده می شود که: گاهی بیان حقایق و وظایف الهی بدون احتمال تأثیر نیز واجب می شود و آن در موردی است که اگر حکم خدا گفته نشود و از گناه انتقاد نگردد کم کم به دست فراموشی سپرده می شود و بدعتها جان می گیرند و سکوت دلیل بر رضایت و موافقت محسوب می شود، در این گونه موارد لازم است حکم پروردگار آشکارا و در همه جا گفته شود هر چند اثری در گنهکاران نگذارد.

سورة الأعراف(٧): آية ١٦٥ ص: ١٠٦

اشاره

(آیه ۱۶۵) - در این آیه می فرماید: سر انجام دنیاپرستی بر آنان غلبه کرد و فرمان خدا را به دست فراموشی سپردند «اما هنگامی که تذکراتی را که به آنها داده شده بود فراموش کردند (لحظه عذاب فرا رسید، و) نهی کنندگان از بدی را رهایی بخشیدیم و کسانی را که ستم کردند، به خاطر نافرمانیشان به عذاب شدیدی گرفتار ساختیم» (فَلَمَّا نَسُوا ما ذُکِّرُوا بِهِ أَنْجَیْنَا الَّذِینَ یَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِینَ ظَلَمُوا بِعَذَابِ بَیْسِ بِما کانُوا یَفْسُقُونَ).

چه کسانی رهایی یافتند؟ ص: ۱۰۶

از آن سه گروه (گنهکاران، ساکتان و اندرزدهندگان) تنها گروه سوم از مجازات الهی مصون ماندند و بطوری که در روایات آمده است آنها هنگامی که دیدند اندرزهایشان مؤثر واقع نمی شود ناراحت شدند و گفتند: ما از شهر بیرون می رویم، شب هنگام به بیابان رفتند و اتفاقا در همان شب کیفر الهی دامان دو گروه دیگر را گرفت.

سورة الأعراف(٧): آية ١٦٦ ص: ١٠٧

(آیه ۱۶۶) - در این آیه مجازات آنها را چنین شرح می دهد: «هنگامی که در برابر آنچه از آن نهی شده بودند، سرکشی کردند به آنها گفتیم به شکل میمونهای طرد شده در آیید» (فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ ما نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ کُونُوا قِرَدَهً خاسِ بِئِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۰۷

روشن است که امر «کُونُوا» (بوده باشید) در اینجا یک فرمان تکوینی است، یعنی آنها فورا به شکل میمون در می آمدنـد البته طبق روایات مسخ شدگان تنها چند روزی زنده میماندند و سپس از دنیا میرفتند و نسلی از آنها به وجود نمی آمد.

سورة الأعراف(٧): آية ١٦٧ ص: ١٠٧

(آیه ۱۶۷)- پراکندگی یهود! این آیه و آیه بعد اشاره به قسمتی از کیفرهای دنیوی آن جمع از یهود است که در برابر فرمانهای الهی قد علم کردند و حق و عدالت و درستی را زیر پا گذاردند. نخست می گوید: به خاطر بیاور «زمانی که پروردگار تو اعلام داشت که بر این جمعیت گنهکار، عدهای را مسلط می کند، که بطور مداوم تا دامنه قیامت آنها را در ناراحتی و عـذاب قرار دهنـد» (وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّکَ لَیَبْعَثَنَّ عَلَیْهِمْ إِلَی یَوْمِ الْقِیامَةِ مَنْ یَسُومُهُمْ شُوءَ الْعَذاب).

از این آیه استفاده می شود که این گروه سرکش، هرگز روی آرامش کامل نخواهند دید، هر چند برای خود حکومت و دولتی تأسیس کنند.

و در پایان آیه اضافه می کند که: «پروردگار تو هم مجازاتش برای مستحقان، سریع است، و هم (نسبت به خطاکاران توبه کار) آمرزنده و مهربان است» (إِنَّ رَبَّکَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ).

و این جمله نشان می دهد که خداوند راه بازگشت را به روی آنان بازگذارده، تا کسی گمان نبرد که سرنوشت اجباری توأم با بدبختی و کیفر و مجازات برای آنها تعیین شده است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٦٨ ص: ١٠٧

(آیه ۱۶۸) - در این آیه به پراکندگی یهود در جهان اشاره کرده، می گوید: «ما آنها را در زمین متفرق ساختیم به گروههای مختلفی تقسیم شدند، بعضی از آنها صالح بودند (به همین دلیل هنگامی که فرمان حق و دعوت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله را شنیدند، ایمان آوردند) و جمعی دیگر ناصالح بودند» و حق را پشت سر انداختند و برای تأمین زندگی مادی خود از هیچ کاری فروگذار نکردند (وَ قَطَّعْناهُمْ فِی الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذلِکَ).

باز در این آیه این حقیقت تجلی می کند که اسلام هیچ گونه خصومتی با نژاد بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۰۸ یهود ندارد و به عنوان پیروان یک مکتب و یا وابستگان به یک نژاد، آنها را محکوم نمینماید بلکه مقیاس و معیار سنجش را اعمال آنها قرار می دهد.

سپس اضافه می کند: «ما آنها را با وسائل گوناگون، نیکیها و بدیها آزمودیم شاید باز گردند» (وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَيناتِ وَ السَّيِّئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

گاهی آنها را تشویق کردیم و در رفاه و نعمت قرار دادیم، تا حس شکرگزاری در آنها برانگیخته شود و به سوی حق بازآیند، و گاهی به عکس آنها را در شدائد و سختیها و مصائب فرو بردیم، تا از مرکب غرور و خودپرستی و تکبر فرود آیند و به ناتوانی خویش پی برند، شاید بیدار شوند و به سوی خدا بازگردند، و هدف در هر دو حال مسأله تربیت و هدایت و بازگشت به سوی حق بوده است.

سورة الأعراف(٧): آية 169 ص: ١٠٨

(آیه ۱۶۹) - در آیات گذشته سخن از نیاکان یهود بود، ولی در این آیه، بحث از فرزندان و اخلاف آنها به میان آمده است. نخست یادآور می شود که: «پس از آنها، فرزندانی جای آنها را گرفتند که وارث کتاب (آسمانی تورات) شدند اما با این حال متاع این دنیای پست را گرفته» بر اطاعت خدا ترجیح می دهند (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْکِتابَ یَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْکُذَنی).

سپس اضافه می کند: هنگامی که آنها در کشمکش وجدان از یک سو، و منافع مادی از سوی دیگر قرار می گیرند، دست به

دامن امیدهای کاذب زده، «و می گویند (ما این منفعت نقد را مشروع یا نامشروع به چنگ می آوریم، خداوند رحیم و مهربان است) و به زودی ما مورد بخشش قرار خواهیم گرفت» (وَ یَقُولُونَ سَیُغْفَرُ لَنا).

این جمله نشان میدهد که آنها بعد از انجام چنین کاری یک نوع پشیمانی زود گذر و حالت توبه ظاهری به خود می گرفتند، ولی بطوری که قرآن می گوید:

این ندامت و پشیمانی آنها به هیچ وجه ریشه نداشت به همین دلیل «اگر سود مادی دیگری همانند آن به دستشان میآمد، آن را نیز میگرفتند» (وَ إِنْ یَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ یَأْخُذُوهُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۰۹

در هر حال این جمله اشاره به رشوه خواریهای جمعی از یهود، و تحریف آیات آسمانی به خاطر آن، و فراموش کردن احکام پروردگار به خاطر تضاد با منافع آنها می کند.

لذا به دنبال آن مىفرمايد: «آيا اينها به وسيله كتاب آسمانيشان (تورات) پيمان نبسته بودند كه بر خدا (دروغ نبندند و احكام او را تحريف نكنند و) جز حق چيزى نگويند؟!» (أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ).

سپس می گوید: اگر آنها از آیات الهی آگاهی نداشتند و دست به این اعمال خلاف میزدند ممکن بود برای خودشان عذری بسازند، ولی اشکال کار این است که: «آنها کرارا محتویات تورات را دیده و فهمیده بودند» (وَ دَرَسُوا ما فِیهِ). در عین حال آن را ضایع ساختند و فرمانش را پشت سر انداختند.

سر انجام می فرماید: اینها اشتباه می کنند، و این اعمال و متاعها سودی برای آنها نخواهد داشت، بلکه «سرای آخرت برای پرهیز کاران بهتر است» (وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ).

«آیا شما حقایقی را به این روشنی درک نمی کنید» (أَ فَلا تَعْقِلُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٧٠ ص: ١٠٩

(آیه ۱۷۰) - در این آیه در برابر گروه فوق اشاره به گروه دیگر می کند که آنها نه تنها از هرگونه تحریف و کتمان آیات الهی بر کنار بودند، بلکه به آن تمسک جسته و موبهمو آنها را اجرا کردند، قرآن این جمعیت را «مصلحان جهان» نام نهاده و اجر و پاداش مهمی برای آنها قائل شده و در باره آنها چنین می گوید: «کسانی که تمسک به کتاب پروردگار جویند و نماز را برپا دارند (پاداش بزرگی خواهند داشت) زیرا ما پاداش مصلحان را ضایع نخواهیم ساخت» (وَ الَّذِینَ یُمَسِّکُونَ بِالْکِتابِ وَ أَقامُوا الصَّلاةُ إِنَّا لا نُضِیعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِینَ).

آیه فوق به خوبی نشان میدهد که اصلاح واقعی در روی زمین بدون تمسک به کتب آسمانی و فرمانهای الهی امکان پذیر نمیباشد، و این تعبیر بار دیگر این حقیقت را تأکید میکند که دین و مذهب تنها یک برنامه مربوط به جهان ماوراء طبیعت و یا سرای آخرت نیست، بلکه آیینی است در متن زندگی انسانها، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۱۰

و در طریق حفظ منافع تمام افراد بشر و اجرای اصول عدالت و صلح و رفاه و آسایش و بالاخره هر مفهومی که در معنی وسیع «اصلاح» جمع است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٧١ ص: ١١٠

(آیه ۱۷۱)– آخرین سخن در باره قوم یهود: این آیه آخرین آیهای است که در این سوره پیرامون زندگی بنی اسرائیل سخن

می گوید و در آن سرگذشت دیگری را به جمعیت یهود یادآوری می کند، سرگذشتی که هم درس عبرت است و هم دلیل بر سپردن یک پیمان، می گوید: به خاطر بیاورید «هنگامی که کوه را بالای سر آنها قرار دادیم، آنچنان که گویی سایبانی بر سر آنها بود» (وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ کَأَنَّهُ ظُلَّهُ).

«و آنچنان که آنها گمان بردند بر سرشان سقوط خواهد کرد» (وَ ظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ). وحشت و اضطراب سراسر وجودشان را گرفت، و به تضرع افتادند.

در همان حال به آنها گفتيم «آنچه را از احكام به شما دادهايم با جديت و قوت بگيريد» (خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّهٍُ).

«و آنچه در آن مانـده است به خاطر داشـته باشـید تا پرهیزکار شویـد» (وَ اذْکُرُوا ما فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ). از کیفر خدا بترسـید و به پیمانهایی که در آن از شما گرفتهایم عمل کنید.

یعنی، تمام رسالت موسی (ع) و سایر انبیاء و مبارزات در گیریهای مستمر و سخت آنان، و ناراحتیها و شداید طاقت فرسایی که تن به آن دادند، همه برای آن بوده است که فرمان خدا و اصول حق و عدالت و پاکی و تقوا در میان همه بطور کامل اجرا گردد.

سورة الأعراف(٧): آية ١٧٢ ص: ١١٠

(آیه ۱۷۲)- پیمان نخستین و عالم ذر: این آیه اشارهای به «توحید فطری» و وجود ایمان به خدا در اعماق روح آدمی است و به همین جهت بحثهایی را که در آیات گذشته این سوره در زمینه «توحید استدلالی» بوده است تکمیل می کند.

خداوند روی سخن را در این آیه به پیامبر کرده، نخست چنین می گوید:

به خاطر بیاور «موقعی را که پروردگارت از پشت فرزندان آدم ذرّیه آنها را برگرفت و آشکار ساخت و آنها را گواه بر خویشتن نمود (و از آنها پرسید:) آیا من پروردگار برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۱۱

شما نيستم؟ آنها همكى گفتند: آرى! گواهى مىدهيم» (وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا).

سپس اشاره به هـدف نهایی این سؤال و جواب و گرفتن پیمان از فرزندان آدم در مسأله توحید نموده، میفرماید: این کار را خداونـد به این جهت انجام داد «که در روز قیامت نگوییـد ما از این موضوع (توحید و شـناسایی خدا) غافل بودیم» (أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هذا غافِلینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٧٣ ص: ١١١

(آیه ۱۷۳) - در این آیه اشاره به هدف دیگر این پیمان کرده، می گوید: این پیمان را به خاطر آن گرفتیم که «نگویید: پدران ما پیش از ما بت پرست بودنـد و ما هم فرزنـدانی بعـد از آنها بودیم (و چارهای جز تبعیت از آنها نـداشتیم) آیا ما را به گناه افراد بیهوده کار مجازات میکنی» (أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَکَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ کُنَّا ذُرِّیَّهٔ مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِکُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٧٤ ص: ١١١

(آیه ۱۷۴)– آری «این گونه مـا آیات را توضیح میدهیم و روشن میسازیم (تا بداننـد نور توحیـد از آغاز در روح آنها بوده)

شايد با توجه به اين حقايق به سوى حق باز گردند» (وَ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

منظور از این عالم و این پیمان همان «عالم استعدادها» و «پیمان فطرت» و تکوین و آفرینش است، به این ترتیب که به هنگام خروج فرزندان آدم به صورت «نطفه» از صلب پدران به رحم مادران که در آن هنگام ذراتی بیش نیستند خداوند استعداد و آمادگی برای حقیقت توحید به آنها داده است، هم در نهاد و فطرتشان این سرّ الهی به صورت یک حس درون ذاتی به ودیعه گذارده شده است و هم در عقل و خردشان به صورت یک حقیقت خود آگاه! بنابراین همه افراد بشر دارای روح توحیدند و سؤالی که خداوند از آنها کرده به زبان تکوین و آفرینش است و پاسخی که آنها داده اند نیز به همین زبان است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٧٥ ص: ١١١

(آیه ۱۷۵)- دانشمندی که در خدمت فراعنه در آمد: در اینجا اشاره به یکی دیگر از داستانهای بنی اسرائیل شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۱۲

نخست روی سخن را به پیامبر کرده، می گوید: «و بر آنها بخوان داستان آن کس را که آیات خود را به او دادیم ولی سر انجام خود را از آن تهی ساخت و گرفتار وسوسههای شیطان گشت و از گمراهان گردید» (وَ اثْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ الَّذِی آتَیْناهُ آیاتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّیْطانُ فَکانَ مِنَ الْغاوِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٧٦ ص: ١١٢

اشاره

(آیه ۱۷۶))- در این آیه این موضوع را چنین تکمیل می کند که «و اگر میخواستیم (می توانستیم او را در همان مسیر حق به اجبار نگاه داریم) و به وسیله آن آیات و علوم، مقام والا بدهیم» (وَ لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِها).

ولی مسلّم است که نگاهـداری اجبـاری افراد در مسـیر حق بـا سـنّت پروردگـار که سـنّت اختیار و آزادی اراده است، سازگار نیست و نشانه شخصیت و عظمت کسی نخواهد بود، لذا بلافاصله اضافه میکند:

ما او را به حال خود رها کردیم «و او به پستی گرایید و از هوای نفس پیروی کرد» (وَ لَکِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ).

سپس این شخص را تشبیه به سگی می کند که همیشه زبان خود را همانند حیوانات تشنه بیرون آورده، می گوید: «او همانند سپس این شخص را تشبیه به سگی دهانش باز و زبانش بیرون است و اگر او را به حال خود واگذاری باز چنین است» (فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ الْکَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَیْهِ یَلْهَتْ أَوْ تَنْرُکْهُ یَلْهَتْ).

او بر اثر شدت هوی پرستی و چسبیدن به لذات جهان ماده، یک حال عطش نامحدود و پایان ناپذیر به خود گرفته که همواره دنبال دنیاپرستی میرود، همچون یک «سگ هار» که بر اثر بیماری هاری حالت عطش کاذب به او دست میدهد و در هیچ حال سیراب نمی شود.

سپس اضافه می کند که: «این مثل (مخصوص به این شخص معین نیست، بلکه) مثالی است برای همه جمعیتهایی که آیات خدا را تکذیب کنند» (ذلِکَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا).

«این داستان را برای آنها بـازگو کن، شایـد در بـاره آن بیندیشـند» و مسـیر صـحیحی را پیـدا کننـد (فَاقْصُـ صِ الْقَصَـ صَ لَعَلَّهُمْ

بعلم باعورا دانشمند دنیاپرست و منحرف-.... ص: ۱۱۳

از بسیاری از روایات و کلمات مفسران می شود که منظور از این شخص مردی به نام «بلعم باعورا» بوده، که در عصر موسی ز ندگی می کرد و از دانشمندان و علمای مشهور بنی اسرائیل محسوب می شد، و حتی موسی از وجود او به عنوان یک مبلّغ نیرومند استفاده می کرد، و کارش در این راه آن قدر بالا گرفت که دعایش در پیشگاه خدا به اجابت می رسید، ولی بر اثر تمایل به فرعون و وعد و وعیدهای او از راه حق منحرف شد و همه مقامات خود را از دست داد، تا آنجا که در صف مخالفان موسی قرار گرفت.

سورة الأعراف(٧): آية ١٧٧ ص: ١١٣

(آیه ۱۷۷)) - در این آیه و آیه بعد در واقع یک نتیجه کلی و عمومی از سرگذشت «بلعم» و علمای دنیاپرست گرفته، نخست می گوید: «چه بد مثلی دارند آنها که آیات ما را تکذیب و انکار کردند» و چه بد عاقبت و سرنوشتی در انتظار آنهاست (ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِینَ کَذَّبُوا بآیاتِنا).

ولى آنها به ما ظلم و ستم نمىكردند، بلكه «بر خويشتن ستم روا مىداشتند» (وَ أَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ).

چه ستمی از این بالاتر که سرمایه های معنوی علوم و دانشهای خویش را که می تواند باعث سر بلندی خود آنها و جامعه هایشان گردد در اختیار صاحبان «زر» و «زور» می گذارند و به بهای ناچیز می فروشند.

سورة الأعراف(٧): آية ١٧٨ ص: ١١٣

(آیه ۱۷۸))- اما به هوش باشید که رهایی از این گونه لغزشها و دامهای شیطانی، بدون توفیق و هدایت الهی ممکن نیست «آن کس را که خدا هدایت کند (و توفیق را رفیق راهش سازد) هدایت یافته واقعی اوست» (مَنْ یَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِی).

«و کسانی را که خداونـد گمراه سازد (و بر اثر اعمالشان بـه حـال خـود رهـا سـازد یـا وسائـل پیروزی و مـوفقیت را در برابر وسوسههای شیطانی آنان بگیرد) زیانکار واقعی همانها هستند» (وَ مَنْ یُضْلِلْ فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٧٩ ص: ١١٣

(آیه ۱۷۹))- نشانه های دوزخیان: در این آیه و دو آیه بعـد مردم به دو گروه تقسیم شـدهانـد و صفات هر کدام توضیح داده شده: «گروه دوزخیان و گروه بهشتیان». برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۱۴

نخست در باره دوزخیان با سوگند و تأکید چنین می گوید: «ما بسیاری از جن و انس را برای دوزخ آفریدیم» (وَ لَقَـدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِیراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْس).

گرچه خداونـد همه را پاک آفریده، ولی گروهی با اعمال خویش خود را نامزد دوزخ میکنند و سـر انجامشان شوم و تاریک

است و گروهی با اعمال خود، خود را نامزد بهشت میسازند و عاقبت کارشان خوشبختی و سعادت است.

سپس صفات گروه دوزخی را در سه جمله خلاصه می کند: نخست این که:

«آنها قلبهایی دارند که با آن درک و اندیشه نمی کنند» (لَهُمْ قُلُوبٌ لا یَفْقَهُونَ بِها).

دیگر این که: «چشمهای روشن و حقیقت بین دارند اما با آن چهره حقایق را نمینگرند» و همچون نابینایان از کنار آن می گذرند (وَ لَهُمْ أَعْیُنُ لا یُبْصِرُونَ بِها).

سوم این که: «با داشتن گوش سالم، سخنان حق را نمی شنوند» و همچون کران خود را از شنیدن حرف حق محروم می سازند (وَ لَهُمْ آذانٌ لا یَسْمَعُونَ بِها).

«اینها در حقیقت همچون چهارپایاننـد» (أُولئِکَ کَالْأَنْعامِ). چرا که امتیاز آدمی از چهارپایان در فکر بیـدار و چشم بینا و گوش شنواست که متأسفانه آنها همه را از دست دادهاند «بلکه آنها از چهارپایان گمراهتر و پست تر میباشند» (بَلْ هُمْ أَضَلُّ).

چرا که چهارپایان دارای این استعدادها و امکانات نیستند، ولی آنها با داشتن عقل سالم و چشم بینا و گوش شنوا امکان همه گونه ترقی و تکامل را دارند، اما بر اثر هوی پرستی و گرایش به پستیها این استعدادها را بلااستفاده می گذارند.

«آنها افراد غافل و بیخبری هستند» و به همین جهت در بیراهههای زندگی سرگردانند (أُولئِکَ هُمُ الْغافِلُونَ).

چشمه آب حیات کنار دستشان، ولی از تشنگی فریاد می کشند، درهای سعادت در برابر رویشان باز است، اما حتی به آن نگاه نمی کنند.

سورة الأعراف(٧): آية ١٨٠ ص: ١١٤

(آیه ۱۸۰)) - در این آیه اشاره به وضع گروه بهشتی کرده، صفات آنان را بیان میکند، نخست برای بیرون آمدن از صف دوزخیان مردم را به توجه عمیق به اسماء حسنای خدا دعوت نموده، میفرماید: «برای خدا نامهای نیکی است، خدا را به آنها بخوانید» (وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنی فَادْعُوهُ بِها). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۱۵

منظور از «اسماء حسنی»، صفات مختلف پروردگار است که همگی نیک و همگی «حسنی» است.

و منظور از خواندن خدا به اسماء حسنی تنها این نیست که الفاظ را بر زبان جاری کنیم و مثلا بگوییم یا عالم، یا قادر، یا ارحم الرّاحمین، بلکه در واقع این است که این صفات را در وجود خودمان به مقدار امکان پیاده کنیم، و به تعبیر دیگر متصف به اوصاف او و متخلق به اخلاقش گردیم، و نیز اگر در بعضی روایات مانند روایتی که از امام صادق علیه السّد لام در تفسیر این آیه نقل شده میخوانیم: نحن و الله الاسماء الحسنی به خدا سوگند ما اسماء حسنای خدا هستیم، اشاره به آن است که پرتو نیرومندی از آن صفات الهی در وجود ما منعکس شده و شناخت ما به شناخت ذات پاکش کمک می کند.

سپس مردم را از این نکته برحذر میدارد که اسامی خدا را تحریف نکنند و میگوید: «آنها که اسماء خدا را تحریف کردهاند رهـا سازیـد، آنها به زودی به جزای اعمال خویش گرفتار خواهنـد شـد» (وَ ذَرُوا الَّذِینَ یُلْحِ َدُونَ فِی أَشِمائِهِ سَیُجْزَوْنَ ما کانُوا نَعْمَلُه نَ).

منظور از الحاد در اسماء خدا این است که الفاظ و مفاهیم آن را تحریف کنیم، یا او را به اوصافی توصیف نماییم که شایسته آن نیست، همانند مسیحیان که قائل به تثلیث و خدایان سه گانه شدهاند، و یا این که صفات او را بر مخلوقاتش تطبیق نماییم.

سورة الأعراف(٧): آية ١٨١ ص: ١١٥

(آیه ۱۸۱))- این آیه به دو قسمت که اساسی ترین صفات گروه بهشتیان است اشاره می کند، می فرماید: «و از کسانی که آفریدیم، امت و گروهی هستند که مردم را به حق هدایت می کنند و به آن حکم می کنند» (وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةُ یَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ یَعْدِلُونَ).

در واقع آنها دو برنامه ممتاز دارند، فکر، هدف، دعوت و فرهنگشان حق و به سوی حق است، و نیز عمل و برنامهها و حکومتشان بر اساس حق و حقیقت میباشد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۱۶

سورة الأعراف(٧): آية ١٨٢ ص: ١١٦

(آیه ۱۸۲)- مجازات استدراج: در این آیه و آیه بعد یکی از مجازاتهای الهی که به صورت یک سنّت در باره بسیاری از گنهکاران سرکش اجرا می شود، بیان شده و آن «عذاب استدراج» است.

استدراج در دو مورد از قرآن مجید آمده است. یکی در آیه مورد بحث و دیگری در آیه ۴۴ سوره قلم و هر دو مورد در باره انکار کنندگان آیات الهی است.

خداوند در این آیه میفرماید: «آنها که آیات ما را تکذیب و انکار کردند تدریجا، مرحله به مرحله، از راهی که نمیدانند، در دام مجازات گرفتارشان میکنیم» و زندگی آنها را درهم میپیچیم (وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَیْثُ لا یَعْلَمُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٨٣ ص: ١١٦

(آیه ۱۸۳)) - در این آیه همان مطلب را به این صورت تأکید می کند: چنان نیست که با شتابزدگی چنین کسانی را فورا مجازات کنم، بلکه «به آنها مهلت و فرصت کافی (برای تنبه و بیداری) می دهم» و هنگامی که بیدار نشدند، گرفتارشان می سازم (وَ أُمْلِی لَهُمْ). زیرا کسانی شتاب و عجله می کنند که قدرت کافی ندارند و می ترسند فرصت از دستشان برود «ولی نقشه من و مجازاتهایم آنچنان قوی و حساب شده است» که هیچ کس را قدرت فرار از آن نیست (إِنَّ کَیْدِی مَتِینٌ).

این آیه به همه گنهکاران هشدار میدهد که تأخیر کیفر الهی را دلیل بر پاکی و درستی خود، و یا ضعیف و ناتوانی پروردگار، نگیرند، و ناز و نعمتهایی را که در آن غرقند، نشانه تقربشان به خدا ندانند، چه بسا این پیروزیها و نعمتهایی که به آنها میرسد مقدمه مجازات استدراجی پروردگار باشد، خدا آنها را غرق نعمت می کند و به آنها مهلت می دهد و بالا و بالاتر می برد، اما سر انجام چنان بر زمین می کوبد که اثری از آنها باقی نماند و تمام هستی و تاریخشان را درهم می پیچد.

از امام صادق علیه السّلام در تفسیر آیه فوق چنین نقل شده که فرمود: «منظور از این آیه بنده گنهکاری است که پس از انجام گناه، خداوند او را مشمول نعمتی قرار می دهد ولی او نعمت را به حساب خوبی خودش گذاشته و از استغفار در برابر گناه غافلش میسازد».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۱۷

سورة الأعراف(٧): آية ١٨٤ ص: ١١٧

(آیه ۱۸۴)

شأن نزول: ص: 117

مفسران اسلامی چنین نقل کردهاند: پیامبر صلّی الله علیه و آله هنگامی که در مکّه بود، شبی بر کوه صفا برآمد و مردم را به سوی توحید و یکتاپرستی دعوت نمود، مخصوصا تمامی طوائف قریش را صدا زد و آنها را از مجازات الهی برحذر داشت، تا مقدار زیادی از شب گذشت، بت پرستان مکّه گفتند: «رفیق ما دیوانه شده، از شب تا صبح نعره می کشید»! در این موقع آیه نازل شد و به آنها در این زمینه پاسخ دندانشکنی داد

تفسير: ص: ١١٧

تهمتها و بهانهها- در این آیه نخست خداوند به گفتار بیاساس بت پرستان دائر به جنون پیامبر صلّی اللّه علیه و آله چنین پاسخ می گوید: «آیا آنها فکر و اندیشه خود را به کار نینداختند که بدانند همنشین آنها (پیامبر) هیچ گونه آثاری از جنون ندارد» (أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّهٍ).

بیش از چهل سال در میان آنها رفت و آمد داشته، و همواره فکر، عقل و تدبیرش را دیدهاند، چگونه یکباره چنین وصلهای را به وی چسباندند، و به دنبال این جمله می گوید: «او فقط بیم دهنده آشکاری است» که جامعه خویش را از خطراتی که با آن رو برو است برحذر میدارد (إنْ هُوَ إلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٨٥ ص: ١١٧

(آیه ۱۸۵)) - در این آیه برای تکمیل این بیان آنها را به مطالعه عالم هستی، آسمانها و زمین، دعوت می کند و می گوید: «آیا در حکومت آسمانها و زمین و مخلوقاتی که خدا آفریده از روی دقت و فکر نظر نیفکندند» (أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِی مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ).

تما بدانند این عمالم وسیع آفرینش با این نظام حیرت انگیز بیهوده آفریده نشده و همدفی برای آن بوده است، و دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در حقیقت دنباله همان هدف آفرینش، یعنی تکامل و تربیت انسان است.

سپس برای این که آنها را از خواب غفلت بیدار سازد، می فرماید: آیا در این موضوع نیز اندیشه نکردند که: ممکن است پایان زندگی آنها نزدیک شده باشد، (اگر امروز ایمان نیاورند، و دعوت این پیامبر را نپذیرند، و قرآنی را که بر او نازل شده است با این همه نشانه های روشن قبول نکنند) به کدام سخن بعد از آن ایمان بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۱۸ خواهند آورد»؟ (وَ أَنْ عَسی أَنْ یَکُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَیِّ حَدِیثٍ بَعْدَهُ یُؤْمِنُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٨٦ ص: ١١٨

(آیه ۱۸۶))- سر انجام در این آیه سخن را با آنها چنین پایان میدهد که «هر کس را خداوند (به خاطر اعمال زشت و مستمرش) گمراه سازد، هیچ هدایت کنندهای ندارد، و خداوند آنها را همچنان در طغیان و سرکشی رها میسازد تا حیران و سرگردان شوند» (مَنْ یُضْلِل اللَّهُ فَلا هادِیَ لَهُ وَ یَذَرُهُمْ فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ).

این گونه تعبیرات مخصوص به گروهی است که آن چنان در برابر حقایق، لجوج و متعصب و معاندند که گویی پرده بر چشم و گوش و قلبشان افتاده، پردههای تاریکی که نتیجه اعمال خود آنهاست، و منظور از «اضلال الهی» نیز همین است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٨٧ ص: ١١٨

اشاره

(آیه ۱۸۷)–

شأن نزول: ص: ۱۱۸

طایفه قریش به چند نفر مأموریت دادند که به نجران سفر کنند، و از دانشمندان یهود که (علاوه بر مسیحیان) در آنجا ساکن بودند مسائل پیچیدهای را سؤال کنند، و در بازگشت آنها را در برابر پیامبر صلّی الله علیه و آله مطرح سازند (به گمان این که پیامبر از پاسخ آنها عاجز میماند) از جمله سؤالات این بود که در چه زمانی قیامت برپا می شود، هنگامی که آنها این پرسش را از پیامبر صلّی الله علیه و آله کردند، آیه مورد بحث نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۱۱۸

کی قیامت برپا می شود؟ با این که برای آیه شأن نزول خاصی ذکر شده در عین حال پیوند روشنی نیز با آیات قبل دارد، زیرا در آیات قبل اشاره به مسأله قیامت و لزوم آمادگی برای چنین روزی شده بود، طبعا به دنبال چنین بحثی این سؤال برای بسیاری از مردم پیش می آید که قیامت کی برپا خواهد شد، لذا قرآن می گوید: «از تو در باره ساعت (روز رستاخیز) می پرسند، که در چه زمانی وقوع می یابد»؟ (یَشْنَلُونَکَ عَن السَّاعَةِ أَیَّانَ مُرْساها).

سپس اضافه می کنـد که ای پیامبر! در پاسـخ این سؤال صـریحا «بگو: این علم تنها نزد پروردگار من است، و هیـچ کس جز او نمی تواند وقت آن را آشکار سازد» (قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی لا یُجَلِّیها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ).

ولى دو نشانه سر بسته براى آن بيان مى كند، نخست مى گويد: «قيام ساعت در آسمانها و زمين، مسأله سنگينى است» (ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْض). برگزيده تفسير نمونه، ج٢، ص: ١١٩

چه حادثهای ممکن است از این سنگین تر بوده باشد، در حالی که در آستانه قیامت، همه کرات آسمانی به هم میریزند، آفتاب خاموش، ماه تاریک، ستارگان بیفروغ و اتمها متلاشی می گردند، و از بقایای آنها جهانی نو با طرحی تازه ریخته می شود.

دیگر اینکه قیام ساعت، بدون مقدمات تدریجی، و به شکل انقلابی، تحقق مییابد «و جز بطور ناگهانی به سراغ شما نمی آید» (لا تَأْتِیكُمْ إِلَّا بَغْتَهُ).

بار دیگر می گوید: «چنان از تو سؤال می کنند که گویی تو از زمان وقوع قیامت با خبری»! (یَشْئُلُونَکَ کَأَنَّکَ حَفِیٌّ عَنْها). بعـد اضافه می کنـد که در جواب آنها «بگو: این علم تنها نزد خداست ولی بیشتر مردم از این حقیقت آگاهی ندارند» که چنین علمی مخصوص ذات پاک اوست، لذا پیدرپی از آن می پرسند (قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٨٨ ص: ١١٩

اشاره

(آیه ۱۸۸))

شأن نزول: ص :119

اهـل مكّه به پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله گفتنـد: تو اگر بـا خـدا ارتباط داری آیا پروردگار تو را از گرانی و ارزانی اجناس در آینـده با خبر نمیسازد که از این طریق بتوانی آنچه به سود و منفعت است تهیه کنی و آنچه به زیان است کنار بگذاری و یا از خشکسالی، و یا پر آبی مناطق مختلف آگاه سازد تا به موقع از مناطق خشک به سرزمینهای پربرکت کوچ کنی؟! در این هنگام آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: 119

اسرار نهان را فقط خدا میداند- در آیه قبل عدم آگاهی هیچ کس جز خدا نسبت به زمان قیام «قیامت» مورد بحث بود و در این آیه سخن از نفی علم غیب بطور کلی در میان است.

در نخستین جمله، به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میگویـد: «به آنها بگو: من مالک و صاحب اختیار هیچ گونه سود و زیانی در باره خویش نیستم مگر آنچه را که خدا بخواهد» (قُلْ لا أَمْلِکُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ).

انسان در کارهای خود، قـدرت و نیرویی از خویش نـدارد بلکه همه قـدرتها از ناحیه خـداست و اوست که این تواناییها را در اختیار انسان گذاشته است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۲۰

پس از بیان این موضوع، اشاره به مسأله مهم دیگری می کند که مورد سؤال گروهی بود و آن اینکه به پیامبرش می گوید به آنها بگو: من از غیب و اسرار نهان آگاه نیستم «زیرا اگر از اسرار نهان آگاهی داشتم منافع فراوانی را برای خودم میساختم و هیچ گونه زیانی به من نمی رسید» (وَ لَوْ کُنْتُ أَعْلَمُ الْغَیْبَ لَاسْتَکْثَوْتُ مِنَ الْخَیْرِ وَ ما مَسَّنِیَ السُّوءُ).

سپس مقام واقعی و رسالت خویش را در یک جمله کوتاه و صریح بیان کرده می گوید: «من فقط بیم دهنـده و بشارت دهنده برای افرادی که ایمان می آورند هستم» (إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ لِقَوْم یُؤْمِنُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٨٩ ص: ١٢٠

(آیه ۱۸۹))- کفران یک نعمت بزرگ! در اینجا به گوشه دیگری از حالات مشرکان و طرز تفکر آنها و پاسخ به اشتباهاتشان اشاره شده است و از آنجا که آیه قبل اشاره به توحید افعالی خدا بود، آیات بعد مکمل آنها محسوب می شود.

نخست مى گويد: «او كسى است كه (همه) شما را از يك فرد آفريد و همسرش را نيز از جنس او قرار داد تا در كنار او بياسايد» (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسِ واحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها).

این دو در کنار هم زندگی آرام بخشی داشتند، «اما هنگامی که زوج با همسر خود آمیزش جنسی کرد، باری سبک برداشت (به گونهای که در آغاز کار این حمل برای او مشکلی ایجاد نمی کرد، و با داشتن حمل) به کارهای خود همچنان ادامه میداد» (فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِیفاً فَمَرَّتْ بِهِ).

اما با گذشت شب و روز، حمل او کم کم سنگین شد «و چون سنگین شد» (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ). در این هنگام دو همسر، انتظار فرزندی را می کشیدند و آرزو داشتند خداوند فرزند صالحی به آنها مرحمت کند، لذا «متوجه در گاه خدا شدند و پروردگار خویش را چنین خواندند: بار الها! اگر به ما فرزند صالحی عطا کنی از شکر گزاران خواهیم بود» (دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَیْتَنا صالحاً لَنکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٩٠ ص: ١٢٠

(آیه ۱۹۰))- «ولی هنگامی که خداونـد فرزنـدی سالم با تناسب انـدام و شایسـتگی کامل به آنها داد، آنها برای خـدا در این نعمت بزرگ شرکایی قائل برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۲۱

شدند، اما خداوند برتر و بالاتر از شرك آنهاست» (فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٩١ ص: ١٢١

(آیه ۱۹۱))- به دنبال این جریان، قرآن بار دیگر فکر و عقیده بت پرستی را با بیان روشن و کوبندهای محکوم می کند، و می گوید: «آیا اینها موجوداتی را شریک خدا قرار میدهند که قادر بر آفرینش چیزی نیستند، بلکه خودشان مخلوق اویند» (أَ یُشْرکُونَ ما لا یَخْلُقُ شَیْئاً وَ هُمْ یُخْلَقُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٩٢ ص: ١٢١

(آیه ۱۹۲))- به علاوه «این معبودهای ساختگی (در هیچ یک از مشکلات) قادر نیستند پرستش کنندگان خود را یاری کنند، و حتی قادر نیستند خود را نیز (در برابر مشکلات) یاری دهند» (وَ لا یَسْتَطِیعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَ لا أَنْفُسَهُمْ یَنْصُرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٩٣ ص: ١٢١

(آیه ۱۹۳)- این معبودها آنچنان هستند که «اگر شما بخواهید آنها را هدایت کنید، از شما پیروی نخواهند کرد» و حتی عقل و شعور آن را ندارند (وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ).

آنها که چنین هستند و ندای هادیان را نمی شنوند، چگونه می توانند دیگران را هدایت کنند؟

به هر حال «برای شما مساوی است، خواه آنها را، دعوت به سوی حق کنید و یا در برابرشان خاموش باشید» در هر دو صورت، این گروه بت پرستان لجوج، دست بردار نیستند (سَواءً عَلَیْکُمْ أَ دَعَوْ تُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صِامِتُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٩٤ ص: ١٢١

(آیه ۱۹۴)- این آیه و آیه بعد همچنان بحثهای توحید و مبارزه با شرک را ادامه میدهد، و پرستش غیر خدا را عملی سفیهانه و دور از منطق و عقل معرفی مینماید و با چهار دلیل، منطق بت پرستان را ابطال میکند.

نخست می گوید: «آنهایی را که شـما جز خـدا میخوانیـد (و عبادت میکنید و از آنان یاری میطلبید) بندگانی همچون خود شما هستند»! (إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ).

بنابراین معنی ندارد که انسان در مقابل چیزی که مثل خود او محکوم قوانین طبیعت است، به سجده بیفتد و دست نیاز به سوی او دراز کند و مقدرات برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۲۲

و سرنوشتش را در دست او بداند.

سپس اضافه می کند: اگر فکر می کنید آنها قدرت و شعوری دارند «آنها را بخوانید باید جواب شما را بدهند اگر راست می گویید» (فَادْعُوهُمْ فَلْیَسْتَجِیبُوا لَکُمْ إِنْ کُنتُمْ صادِقِینَ).

و این دومین دلیلی است که برای ابطال منطق آنها بیان شده.

سورة الأعراف(٧): آية ١٩٥ ص: ١٢٢

(آیه ۱۹۵) - در سومین بیان روشن میسازد که آنها حتی از بندگان خود پست تر و ناتوانترند: خوب بنگرید «آیا آنها لا اقل همانند شما پاهایی دارند که با آن راه بروند» (أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها).

«يـا دسـتهايـي دارنـد كه با آن چيزى را بگيرنـد و كارى انجام دهنـد» (أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها). «يا چشـمهايـي دارنـد كه با آن ببينند» (أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بها).

«يا گوشهايي دارند كه با آن بشنوند» (أُمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها).

به این ترتیب آنها به قدری ضعیفند، که حتی برای جابه جا شدن نیاز به کمک شما دارند و برای دفاع از موجودیت خود، نیازمند به حمایت هستند.

سر انجام در پایان آیه ضمن تعبیر دیگری که در حکم چهارمین استدلال است می گوید: ای پیامبر! «بگو: این معبودهایی را که شما شریک خدا قرار داده اید بر ضد من بخوانید و همگی دست به دست هم دهید و برای من تا آنجا که می توانید نقشه بکشید و در این کار هیچ گونه تأخیر روا مدارید» ببینیم با این حال کاری از همه شما ساخته است؟ (قُلِ ادْعُوا شُرَ کاءَکُمْ ثُمَّ کِیدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ).

یعنی اگر من دروغ می گویم و آنها مقربان خدا هستند و من به حریم احترامشان جسارت کردهام، پس چرا آنها بر من غضب نمی کنند.

سورة الأعراف(٧): آية ١٩٦ ص: ١٢٢

(آیه ۱۹۶) - معبودهای بی ارزش: در تعقیب آیه گذشت که به مشرکان می گفت: شما و بتهایتان نمی توانید کوچکترین زیانی به من برسانید، در این آیه به دلیل آن اشاره کرده، می گوید: «ولیّ و سرپرست و تکیه گاه من خدایی است که این کتاب آسمانی را بر من نازل کرده است» (إِنَّ وَلِیِّیَ اللَّهُ الَّذِی نَزَّلَ الْکِتابَ).

نه تنها من، «او همه صالحان و شایستگان را حمایت و سرپرستی می کند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۲۳ و مشمول لطف و عنایتش قرار می دهد» (وَ هُوَ یَتَوَلَّی الصَّالِحِینَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٩٧ ص: ١٢٣

(آیه ۱۹۷)- سپس بار دیگر به تأکید روی دلایل بطلان بت پرستی پرداخته، می گوید: «معبودهایی را که غیر از خدا میخوانید کاری از آنها ساخته نیست، نمی توانند شما را یاری کنند و نه خودشان را» (وَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا یَشتَطِیعُونَ نَصْرَکُمْ وَ لا أَنْفُسَهُمْ یَنْصُرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ١٩٨ ص: ١٢٣

(آیه ۱۹۸) - و از این بالاتر «اگر از آنها هدایت خویشتن را در مشکلات بخواهید، آنها حتی حرف شما را نمی شنوند»! (وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَسْمَعُوا).

و حتى «آنها را مىبينى كه (با چشمهاى مصنوعيشان) گويا به تو نگاه مىكننـد، ولى در حقيقت نمىبيننـد» (وَ تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُ وَ هُمْ لاَ يُبْصِرُونَ).

مضمون دو آیه اخیر در آیات گذشته نیز آمده بود، و این تکرار به خاطر تأکید هر چه بیشتر روی مسأله مبارزه با بت پرستی و ریشه کن کردن نفوذ آن در روح و فکر مشرکان از طریق تلقین مکرر است.

سورة الأعراف(٧): آية ١٩٩ ص: ١٢٣

(آیه ۱۹۹ه)- وسوسه های شیطان: در اینجا شرایط تبلیغ و رهبری و پیشوایی مردم را به طرز بسیار جالب و فشرده بیان می کند و با آیات گذشته که اشاره به مسأله تبلیغ مشرکان داشت نیز تناسب دارد، نخست به سه قسمت از وظایف رهبران و مبلّغان به صورت خطاب به پیامبر صلّی الله علیه و آله شده، در آغاز می گوید در طرز رفتار با مردم سختگیر مباش، عذرشان را بپذیر، و بیش از آنچه قدرت دارند از آنها مخواه و به هر حال «با آنها مدارا کن» (خُذِ الْعَفْوَ).

سپس دومین دستور را به این صورت میدهد: «مردم را به کارهای نیک و آنچه را عقل و خرد، شایسته می شناسد و خداوند آن را نیک معرفی کرده، دستور ده» (وَ أُمُرْ بِالْعُرْفِ).

در مرحله سوم دستور به تحمل و بردباری در برابر جاهلان داده، می گوید:

«از جاهلان روى بگردان و با آنها ستيزه مكن» (وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ).

رهبران و مبلّغان در مسیر خود با افراد متعصب، لجوج، جاهل و بیخبر، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۲۴

و افرادی که سطح فکر و اخلاق آنها بسیار پایین است، رو برو میشوند، از آنها دشنام میشنوند، هدف تهمتشان قرار می گیرند، سنگ در راهشان میافکنند.

راه پیروزی بر این مشکل گلاویز شدن با جاهلان نیست، بلکه بهترین راه تحمل و حوصله، نادیده گرفتن و نشنیده گرفتن این گونه کارهاست، و تجربه نشان میدهد برای بیدار ساختن جاهلان و خاموش کردن آتش خشم و حسد و تعصبشان، این بهترین راه است.

سورة الأعراف(٧): آية ٢٠٠ ص: ١٢٤

(آیه ۲۰۰) - در این آیه دستور دیگری می دهد که در حقیقت چهارمین وظیفه رهبران و مبلغان را تشکیل می دهد و آن این که بر سر راه آنها همواره وسوسه های شیطانی در شکل مقام، مال، شهوت و امثال اینها خودنمایی می کند.

قرآن دستور می دهد که: «و هرگاه وسوسه ای از شیطان به تو رسد، به خدا پناه بر که او شنونده و داناست»! (وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْخٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

سورة الأعراف(٧): آية ٢٠١ ص: ١٢٤

(آیه ۲۰۱) - در این آیه راه غلبه و پیروزی بر وسوسه های شیطان را، به این صورت بیان می کند که: «پرهیز کاران هنگامی که وسوسه های شیطانی، آنها را احاطه می کند به یاد خدا (و نعمتهای بی پایانش، به یاد عواقب شوم گناه و مجازات در دناک خدا) می افتند، در این هنگام (ابرهای تیره و تار وسوسه از طرف قلب آنها کنار می رود و) راه حق را به روشنی می بینند و انتخاب می کنند» (إِنَّ الَّذِینَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّیْطانِ تَذَکَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ).

اصولا هر کس در هر مرحلهای از ایمان و در هر سن و سال گهگاه گرفتار وسوسه های شیطانی می گردد، و گاه در خود احساس می کند که نیروی محرک شدیدی در درون جانش آشکار شده و او را به سوی گناه دعوت می کند، این وسوسه ها و تحریکها، مسلما در سنین جوانی بیشتر است.

تنها راه نجات از آلودگی، نخست فراهم ساختن سرمایه «تقوا» است که در آیه فوق به آن اشاره شده، و سپس «مراقبت» و سر انجام توجه به خویشتن و پناه بردن به خدا، یاد الطاف و نعمتهای او، و مجازاتهای دردناک خطاکاران است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۲۵

سورة الأعراف(٧): آية ٢٠٢ ص: ١٢٥

(آیه ۲۰۲) - در آیه گذشته مشاهده کردیم که چگونه پرهیز کاران در پرتو ذکر خدا از چنگال وسوسههای شیطانی رهایی می یابند، و این در حالی است که گناهکاران آلوده، که برادران شیطانند در دام او گرفتارند. این آیه در این باره چنین می گوید: «و (ناپرهیز کاران را) برادرانشان (از شیاطین) پیوسته در گمراهی پیش می برند، و باز نمی ایستند»! بلکه بی رحمانه حملات خود را بطور مداوم بر آنها ادامه می دهند (وَ إِخْوانُهُمْ یَمُدُّونَهُمْ فِی الْغَیِّ ثُمَّ لا یُقْصِرُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٢٠٣ ص: ١٢٥

(آیه ۲۰۳)- سپس حال جمعی از مشرکان و گنهکاران دور از منطق را شرح میدهد و میگوید هنگامی که آیات قرآن را برای آنها بخوانی آن را تکذیب میکنند «و هنگامی که آیهای برای آنها نیاوری (و در نزول وحی تأخیر افتد) میگویند: (پس این آیات چه شد؟) چرا از پیش خود آنها را تنظیم نمیکنی»؟ مگر همه اینها وحی آسمانی نیست؟ (وَ إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآیَهٍ قَالُوا لَوْ لا اجْتَنْتَها).

اما «به آنها بگو: من تنها از آنچه به سویم وحی میشود پیروی میکنم، و جز آنچه خمدا نازل میکند، چیزی نمیگویم» (قُلْ إِنَّما أَتَّبِعُ ما يُوحي إِلَيَّ مِنْ رَبِّي).

«این قرآن و آیات نورانیش وسیله بیداری و بینایی از طرف پروردگار است» که به هر انسان آمادهای دید و روشنایی و نور می دهد (هذا بَصائِرُ مِنْ رَبِّکُمْ).

«و مایه هدایت و رحمت برای افراد با ایمان و آنها که در برابر حق تسلیمند میباشد» (وَ هُدیً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

سورة الأعراف(٧): آية ٢٠٤ ص: ١٢٥

(آیه ۲۰۴)- به هنگام شنیدن تلاوت قرآن خاموش باشید: این سوره (سوره اعراف) با بیان عظمت قرآن آغاز شده، و با آن پایان می پذیرد، در این آیه دستور می دهد: «هنگامی که قرآن تلاوت می شود، با توجه، به آن گوش دهید و ساکت باشید، شاید مشمول رحمت خدا گردید» (وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).

از ظاهر آیه استفاده می شود که این حکم، عمومی و همگانی است و مخصوص به حال معینی نیست یعنی، شایسته و مستحب است که در هر کجا و در هر حال کسی قرآن را تلاوت کند، دیگران به احترام قرآن سکوت کنند و گوش برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۲۶

جان فرا دهند و پیام خدا را بشنوند و در زندگی خود از آن الهام گیرند، زیرا قرآن تنها کتاب قرائت نیست، بلکه کتاب فهم و درک و سپس عمل است.

تنها موردی که این حکم الهی شکل وجوب به خود می گیرد موقع نماز جماعت است که مأموم به هنگام شنیدن قرائت امام باید سکوت کند و گوش فرا دهد.

سورة الأعراف(٧): آية ٢٠٥ ص: ١٢٦

(آیه ۲۰۵)- سپس در این آیه برای تکمیل دستور فوق به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهد- و البته یک حکم عمومی است اگرچه روی سخن در آن به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله شده همانند بسیاری دیگر از تعبیرات قرآن- که: «پروردگارت را در دل خود از روی تضرع و خوف یاد کن» (وَ اذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَةً).

سپس اضافه می کند: «و آهسته و آرام نام او را بر زبان بیاور» (وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ).

و اين كار را همواره «صبحگاهان و شامگاهان تكرار كن» (بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصالِ).

«و هرگز از غافلان و بیخبران از یاد خدا مباش» (وَ لا تَکُنْ مِنَ الْغافِلِينَ).

یاد خدا همچون باران بهاری است که چون بر دل ببارد گلهای بیداری، توجه، احساس مسؤولیت، روشن بینی و هرگونه عمل مثبت و سازندهای را میرویاند.

سورة الأعراف(٧): آية 206 ص: 126

(آیه ۲۰۶) - سپس با این سخن سوره را پایان می دهد که نه تنها شما باید در همه حال به یاد خدا باشید، فرشتگان مقرب پروردگار و «آنها که در مقام قرب، نزد پروردگار تواند هیچ گاه از عبادت او تکبر نمی ورزند، و همواره تسبیح او می گویند و ذات پاکش را از آنچه شایسته مقام او نیست منزه می شمارند و در پیشگاه او سجده می نمایند» (إِنَّ الَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لا یَسْتُحُونَهُ وَ لَهُ یَسْجُدُونَ).

«پایان سوره اعراف»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۲۷

سوره انفال [8] ص: 127

اشاره

از سورههای «مدنی» و دارای ۷۵ آیه است

دورنما و فشرده مباحث این سوره: ص: ۱۲۷

نخست اشاره به بخش مهمی از مسائل مالی اسلام از جمله «انفال» و «غنائم» و «خمس» که پشتوانه مهمی برای «بیت المال» محسوب می گردد، شده است.

سپس مباحث دیگری مانند: صفات و امتیازات مؤمنان واقعی، و داستان جنگ بدر، یعنی نخستین برخورد مسلّحانه مسلمانان با دشمنان.

قسمت قابل ملاحظهای از احکام جهاد و وظائف مسلمانان در برابر حملات پی گیر دشمن و لزوم آمادگی دائمی برای جهاد، و حکم اسیران و طرز رفتار با آنها جریان هجرت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و داستان آن شب تاریخی (لیلهٔ المبیت).

وضع مشرکان و خرافات آنها قبل از اسلام چگونگی ضعف و ناتوانی مسلمانان در آغاز کار و سپس تقویت آنها در پرتو اسلام.

مبارزه و درگیری با منافقان و راه شناخت آنها و بالاخره یک سلسله مسائل اخلاقی و اجتماعی سازنده دیگر.

به همین دلیل در فضیلت تلاوت این سوره در روایتی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم که فرمود: «کسی که سوره «انفال» و «برائت» را در هر ماه بخواند، هرگز روح نفاق در وجود او وارد نخواهد شد و از پیروان حقیقی امیر مؤمنان علی علیه السّ<u>ا</u> لام برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۲۸

خواهد بود و در روز رستاخیز از مائده های بهشتی با آنها بهره می گیرد، تا مردم از حساب خویش فارغ شوند». بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورة الأنفال(8): آية 1 ص : 128

(آیه ۱)–

شأن نزول: ص: ۱۲۸

از «ابن عباس» چنین نقل شده که: پیامبر صلّی الله علیه و آله در روز جنگ «بدر» برای تشویق جنگجویان اسلام جوایزی برای آنها تعیین کرد، هنگامی که جنگ «بدر» پایان پذیرفت، جوانان برای گرفتن پاداش افتخار آمیز خود به خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله شتافتند. در این موقع میان دو نفر از انصار مشاجره لفظی پیدا شد و راجع به غنائم جنگ با یکدیگر گفتگو کردند، آیه نازل شد و صریحا غنائم را متعلق به پیغمبر صلّی الله علیه و آله معرفی کرد که هرگونه بخواهد با آن رفتار کند.

تفسیر: ص: ۱۲۸

آیه پیرامون غنائم جنگی صحبت میکند و به صورت قانون کلی، یک حکم وسیع اسلامی را بیان میدارد، خطاب به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میگوید: «از تو در باره انفال سؤال میکنند» (یَشئَلُونَکَ عَنِ الْأَنْفالِ).

«بكُو: انفال مخصوص خدا و پيامبر (صلّى الله عليه و آله) است» (قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ).

بنـابراین «تقوا را پیشه کنیـد و در میـان خود اصـلاح کنیـد و برادرانی را که بـا هم سـتیزه کردهانـد آشتی دهیـد» (فَـاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَیْنِکُمْ).

«و اطاعت خدا و پیامبرش کنید، اگر ایمان دارید» (وَ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

یعنی، تنها ایمان با سخن نیست، بلکه جلوه گاه ایمان، اطاعت بیقید و شرط در همه مسائل زندگی از فرمان خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است.

انفال چیست؟ مفهوم اصلی انفال نه تنها غنائم جنگی بلکه همه اموالی را که مالک خصوصی ندارد- مثل بیشهزارها، جنگلها، درّه ها و سرزمینهای موات- شامل می شود و تمام این اموال متعلق به خدا و پیامبر صلّی الله علیه و آله و قائم مقام اوست، و به تعبیر دیگر متعلق به حکومت اسلامی است و در مسیر منافع عموم مسلمین مصرف می گردد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص:

نکته دیگر این که در شأن نزول خواندیم در میان بعضی از مسلمانان مشاجرهای در مورد غنائم جنگی واقع شد و برای قطع این مشاجره نخست ریشه آن که مسأله غنیمت بود زده شد و بطور دربست در اختیار پیامبر صلّی اللّه علیه و آله قرار گرفت، سپس دستور اصلاح میان مسلمانان و افرادی که با هم مشاجره کردند، به دیگران داد.

اصولا «اصلاح ذات البین» و ایجاد تفاهم و زدودن کدورتها و دشمنیها و تبدیل آن به صمیمیت و دوستی، یکی از مهمترین برنامههای اسلامی است.

و در تعلیمات اسلامی به اندازهای به این موضوع اهمیت داده شده که به عنوان یکی از برترین عبادات معرفی گردیده است. امیر مؤمنان علی علیه السّ لام در آخرین وصایایش به هنگامی که در بستر شهادت بود به فرزندانش فرمود: «من از جـدّ شـما پیامبر صلّی الله علیه و آله شنیدم که می فرمود: اصلاح رابطه میان مردم از انواع نماز و روزه مستحب هم برتر است».

سورة الأنفال(8): آية 2 ص: 179

(آیه ۲)- پنج صفت ویژه مؤمنان: در آیه گذشته به تناسب گفتگویی که در امر غنایم میان بعضی از مسلمانان روی داده بود سخن از تقوا و پرهیز کاری و ایمان به میان آمد، برای تکمیل این موضوع به پنج قسمت از صفات برجسته مؤمنان اشاره کرده که سه قسمت آن، جنبه معنوی و باطنی دارد و دو قسمت آن جنبه عملی و خارجی، سه قسمت اول عبارتند از «احساس مسؤولیت» و «تکامل ایمان» و «توکل» و دو قسمت دیگر عبارتند از «ارتباط با خدا» و «ارتباط و پیوند با خلق خدا».

نخست می گوید: «مؤمنان تنها کسانی هستند که هر وقت نام خدا برده شود، دلهای آنها (به خاطر درک عظمت او و احساس مسؤولیت در پیشگاهش) ترسان می گردد» (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ).

سپس دومین صفت آنها را چنین بیان می کند: آنها همواره در مسیر تکامل پیش میروند و لحظهای آرام ندارند «و هنگامی که آیات خدا بر آنها خوانده شود بر ایمانشان افزوده می شود» (وَ إِذَا تُلِیَتْ عَلَیْهِمْ آیاتُهُ زَادَتْهُمْ إِیماناً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۳۰

آنها همچنان مردگان زنـده نما در جا نمیزنند و در یک حال رکود و یکنواختی مرگبار نیستند، هر روز که نو میشود فکر و ایمان و صفات آنها هم نو میشود.

سومین صفت بارز آنها این است که: «تنها بر پروردگار خویش تکیه و توکل میکنند» (وَ عَلی رَبِّهِمْ یَتَوَگُلُونَ).

مفهوم توکل خودسازی و بلند نظری و عدم وابستگی به این و آن و ژرف نگری است، استفاده از عالم اسباب جهان طبیعت و حیات، عین توکل بر خداست، زیرا هر تأثیری در این اسباب است به خواست خدا و طبق اراده اوست.

سورة الأنفال(8): آية 3 ص: 130

(آیه ۳)- پس از ذکر این سه قسمت، از صفات روحانی و نفسانی مؤمنان راستین می گوید: آنها در پرتو احساس مسؤولیت و درک عظمت پروردگار و همچنین ایمان فزاینده و بلندنگری توکل، از نظر عمل دارای دو پیوند محکمند، پیوند و رابطه نیرومندی با بندگان خدا «آنها کسانی هستند که نماز را (که مظهر رابطه با خداست) برپا می دارند و از آنچه به آنها روزی داده ایم در راه بندگان خدا انفاق می کنند» (الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاهُ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ). تعبیر به «اقامه نماز» (به جای خواندن نماز) اشاره به این است که نه تنها خودشان نماز می خوانند بلکه کاری می کنند که این رابطه محکم با پروردگار همیشه و در همه جا برپا باشد.

سورة الأنفال(8): آية 4 ص: ١٣٠

(آیه ۴) – در این آیه موقعیت و مقام والا و پاداشهای فراوان این گونه مؤمنان راستین را بیان می کند، نخست می گوید: «مؤمنان حقیقی تنها آنها هستند» (أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا).

سپس سه پاداش مهم آنها را بیان می کند: «آنها درجات مهمی نزد پروردگارشان دارند» (لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ). درجاتی که میزان و مقدار آن تعیین نشده، و همین ابهام دلالت بر فوق العادگی آن دارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۳۱ به علاوه آنها «مشمول مغفرت (و رحمت و آمرزش) او خواهنـد شـد» (وَ مَغْفِرَةٌ). «و روزیهـای کریم (یعنی مـواهب بزرگ و مستمر و همیشگی که نقص و عیبی در آن راه ندارد و حد و حسابی برای آن نیست) در انتظارشان میباشد» (وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ).

سورة الأنفال(8): آية 5 ص: 131

(آیه ۵)- در آیه اول این سوره خواندیم که پارهای از مسلمانان تازه کار از چگونگی تقسیم غنائم «بدر» تا حدی ناراضی بودند، در این آیه خداوند به آنها می گوید: این تازگی ندارد که چیزی ناخوشایند شما باشد در حالی که صلاحتان در آن است، همان گونه که اصل جنگ بدر که فعلا گفتگو بر سر غنائم آن است برای بعضی ناخوشایند بود و دیدید سر انجام چه نتایج درخشانی برای مسلمانان دربرداشت.

آیه می گوید: این ناخشنودی پارهای از افراد از طرز تقسیم غنائم بـدر «هماننـد آن است که خداونـد تو را به حق از خانه و جایگاهت در مـدینه بیرون فرسـتاد در حالی که بعضـی از مؤمنان کراهت داشـتند» (کَما أُخْرَجَکُ رَبُّکُ مِنْ بَیْتِکُ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنَ الْمُؤْمِنِینَ لَکارِهُونَ).

سورة الأنفال(8): آية 6 ص: 131

(آیه ۶)- این گروه ظاهربین و کم حوصله در مسیر راه به سوی بدر «مرتبا با تو مجادله و گفتگو در این فرمان حق داشتند، و با این که این واقعیت را دریافته بودند» که این فرمان خداست، ولی باز دست از اعتراض خویش برنمی داشتند (یُجادِلُونَکَ فِی الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَیَّنَ).

و آنچنان ترس و وحشت سراسر وجود آنها را فراگرفته بود که «گویی به سوی مرگ رانده میشوند و مرگ و نابودی خویش را با را با چشم خود میبینند» (کَأَنَّما یُساقُونَ إِلَی الْمَوْتِ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ).

ولی حوادث بعد نشان داد که آنها چقدر گرفتار اشتباه و ترس و وحشت بی دلیل بودند، و این جنگ چه پیروزیهای درخشانی برای مسلمانان به بار آورده، با دیدن چنین صحنهای چرا بعد از جنگ بدر، در مورد غنائم زبان به اعتراض می گشایند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۳۲

سورة الأنفال(8): آية 7 ص: 132

اشاره

(آیه ۷)- غزوه بدر نخستین درگیری مسلّحانه اسلام و کفر:

چون در آیات گذشته اشارهای به جنگ بدر شد، قرآن مجید بحث را به جنگ بدر کشانده و فرازهای حساسی از آن را تشریح میکند.

برای روشن شدن تفسیر این آیات و آیات آینده قبلا باید فشردهای از جریان این جهاد اسلامی را از نظر بگذرانیم، تا ریزه کاریها و اشاراتی که در این آیات هست کاملا روشن گردد. غزوه بدر از اینجا آغاز شد که «ابو سفیان» بزرگ «مکّه» در رأس یک کاروان نسبتا مهم تجارتی که از چهل نفر با ۵۰ هزار دینار مال التجاره تشکیل می شد از شام به سوی مدینه باز می گشت، پیامبر صلّی الله علیه و آله به یاران خود دستور داد آماده حرکت شوند و به طرف این کاروان بزرگ که قسمت مهمی از سرمایه دشمن را با خود حمل می کرد بشتابند و با مصادره کردن این سرمایه، ضربه سختی بر قدرت اقتصادی و در نتیجه بر قدرت نظامی دشمن وارد کنند.

ابو سفیان از یک سو به وسیله دوستان خود در مدینه از این تصمیم پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آگاه شد و از سوی دیگر چون موقعی که این کاروان برای آوردن مال التجاره به سوی شام میرفت نیز مورد چنین تعرض احتمالی قرار گرفته بود، قاصدی را به سرعت به مکّه فرستاد، قاصد در حالی که طبق توصیه ابو سفیان بینی و گوش شتر خود را دریده و خون به طرز هیجان انگیزی از شتر میریخت و پیراهن خود را از دو طرف پاره کرده و وارونه سوار بر شتر نشسته بود تا توجه همه مردم را به سوی خود جلب کند، وارد مکّه شد، و فریاد بر آورد: «ای مردم پیروزمند! کاروان خود را دریابید، کاروان خود را دریابید»! و از آنجا که بسیاری از مردم مکّه در این کاروان سهمی داشتند مردم به سرعت بسیج شدند و حدود ۹۵۰ نفر مرد جنگی که جمعی از آنها بزرگان و سرشناسان مکّه بودند با هفتصد شتر و یکصد رأس اسب به حرکت درآمدند، و فرماندهی لشکر به عهده «ابو جهل» بود.

پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله با ۳۱۳ نفر که تقریبا مجموع مسلمانان مبارز اسلام را در آن روز تشکیل میدادند به نزدیکی سرزمین بدر، بین راه مکّه و مدینه رسیده بود که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۳۳

خبر حرکت سپاه قریش به او رسید.

در این هنگام با یاران خود مشورت کرد که آیا به تعقیب کاروان ابو سفیان و مصادره اموال کاروان بپردازد و یا برای مقابله با سپاه آماده شود جمعی مقابله با سپاه دشـمن را ترجیح دادند ولی گروهی از این کار اکراه داشتند، ولی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نظر گروه اول را پسندید، و دستور داد آماده حمله به سپاه دشمن شوند.

از طرفی جمعی از مسلمانان در وحشت و ترس فرو رفته بودند، و اصرار داشتند که مبارزه با این گروه عظیم که هیچ گونه موازنهای با آنها ندارد صلاح نیست، ولی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با این وعده الهی آنها را دلگرم ساخت و گفت: «خداوند به من وعده داده که بر یکی از دو گروه پیروز خواهید شد، یا بر کاروان قریش یا بر لشکرشان، و وعده خداوند تخلف ناپذیر است».

سپس به مسلمانان دستور داد که در کنار چاه بدر فرود آیند.

در این گیر و دار ابو سفیان توانست خود را با قافله از منطقه خطر رهایی بخشد، و از طریق ساحل دریا (دریای احمر) از بیراهه به سوی مکّه با عجله بشتابد، و به وسیله قاصدی به لشکر پیغام فرستاد که خدا کاروان شما را رهایی بخشید، من فکر می کنم مبارزه با محمد در این شرایط لزوم ندارد ولی رئیس لشکر ابو جهل به بتهای بزرگ «لات» و «عزّی» قسم یاد کرد که ما نه تنها با آنها مبارزه می کنیم بلکه تا داخل مدینه آنها را تعقیب خواهیم کرد.

سر انجام لشکر قریش نیز وارد سرزمین بدر شد، و غلامان خود را برای آوردن آب به سوی چاه فرستادند، یاران پیامبر صلّی اللّـه علیـه و آله آنهـا را گرفته و برای بـازجویی به خـدمت پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله آوردنـد، حضـرت از آنهـا پرسـید شـما کیستید؟ گفتند: غلامان قریشیم، فرمود: تعداد لشکر چند نفر است، گفتند: اطلاعی از این موضوع نداریم.

فرمود: هر روز چند شتر برای غذا می کشند، گفتند: نه تا ده شتر.

فرمود: جمعیت آنها از نهصد تا هزار نفر است (هر شتر خوراک یکصد مرد جنگی).

محیط، محیط رعب آور و به راستی وحشتناکی بود، لشکر قریش که با ساز برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۳۴

و برگ جنگی فراوان و نیرو و غذای کافی و حتی زنان خواننده و نوازنده برای تهییج یا سرگرمی لشکر قدم به میدان گذارده بودند، خود را با حریفی رو برو میدیدند که باورشان نمی آمد، با آن شرایط قدم به میدان جنگ بگذارند.

مشکل دیگری که جنگجویان از آن وحشت داشتند، وضع میدان بدر بود که از شنهای نرم که پاها در آن فرو میرفت پوشیده بود، در آن شب باران جالبی بارید، هم توانستند با آب آن وضو بسازند، خود را شستشو و صفا دهند و هم زمین زیر پای آنها سفت و محکم شد، و عجب این که این رگبار در سمت دشمن بطور شدید بود که آنها را ناراحت ساخت.

خبر تازهای که به وسیله گزارشگران مخفی لشکر اسلام دریافت شد و بسرعت در میان مسلمانان انعکاس یافت این بود که آنها گزارش دادند، که لشکر قریش با آن همه امکانات، سخت بیمناکند گویی خداوند لشکری از وحشت در سرزمین قلب آنها فرو ریخته است.

فردا صبح لشكر كوچك اسلام با روحیهای نیرومند در برابر دشمن صف كشیدند. قبلا پیامبر صلّی الله علیه و آله به آنها پیشنهاد صلح كرد تا عذر و بهانهای باقی نماند.

بعضى از سران قریش نیز مایل بودند صلح كنند، ولى باز ابو جهل مانع شد.

سر انجام آتش جنگ شعلهور گردید «حمزه» عموی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و «علی» علیه السّیلام که جوانترین افراد لشکر بودند و جمعی دیگر از جنگجویان شجاع اسلام در جنگهای تن به تن که سنّت آن روز بود، ضربات شدیدی بر پیکر حریفان خود زدند و آنها را از پای در آوردند.

پیامبر صلّی الله علیه و آله دست به سوی آسمان برداشت و عرض کرد: یا ربّ ان تهلک هذه العصابه، لم تعبد: «اگر این گروه کشته شوند کسی تو را پرستش نخواهد کرد».

باد بشدت به سوی لشکر قریش میوزید و مسلمانان پشت به باد به آنها حمله می کردند.

در نتیجه هفتـاد نفر از سـپاه دشـمن که ابو جهـل در میان آنها بود، کشـته شدنـد و در میان خاک و خون غلتیدنـد و ۷۰ نفر به دست مسلمانان اسیر گشتند. ولی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۳۵

مسلمانان تعداد کمی کشته بیشتر نداشتند و به این ترتیب نخستین پیکار مسلحانه مسلمانان با دشمن نیرومندشان با پیروزی غیر منتظرهای پایان گرفت.

اکنون باز گردیم به تفسیر آیه: ص: ۱۳۵

در این آیه نخست اشاره به وعده پیروزی اجمالی خداوند در جریان جنگ بـدر شـده، و می گوید: «به یاد بیاورید هنگامی را که خداوند به شـما وعده داد که یکی از دو گروه (کاروان تجاری قریش یا لشـکر آنها) در اختیار شما قرار خواهد گرفت» (وَ إِذْ یَعِدُکُمُ اللَّهُ إِحْدَی الطَّائِفَتَيْن أَنَّها لَکُمْ).

اما شما برای پرهیز از دردسرهای جنگ و تلفات و ناراحتیهای ناشی از آن «دوست میداشتید کاروان در اختیارتان قرار بگیرد، نه لشکر قریش» (وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَیْرَ ذاتِ الشَّوْکَهِ تَکُونُ لَکُمْ).

یعنی، گروهی از شما روی حس راحت طلبی یا علاقه به منافع مادی، ترجیح میدادند که با مال التجاره دشمن رو برو شوند، نه با سربازان مسلح، در حالی که پایان جنگ نشان داد، صلاح و مصلحت قطعی آنها در این بود که قدرت نظامی دشمن را درهم بکوبند، تا راه برای پیروزیهای بزرگ آینده هموار گردد.

لـذا به دنبال آن مىگويـد: «خـدا مىخواهـد به اين وسـيله حق را با كلمات خود تثبيت كند (و آيين اســلام را تقويت نمايد) و ريشه كافران را قطع كند» (وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ).

این تنها درسی برای مسلمان آن روز نبود، بلکه مسلمانان امروز نیز باید از این تعلیم آسمانی الهام بگیرند، هرگز به خاطر مشکلات و ناراحتیها و زحمات طاقت فرسا از برنامههای اصولی چشم نپوشند و به سراغ برنامههای غیر اصولی و ساده و کم زحمت نروند.

سورة الأنفال(8): آية 8 ص: 138

(آیه ۸)- در این آیه باز هم بطور آشکارتر پرده از روی مطلب بر میدارد که هدف اصلی این برنامه (درگیری مسلمانان با لشکر دشمن در میدان بدر) این بود که حق (یعنی توحید و اسلام و عدالت و آزادی بشر از چنگال خرافات و اسارتها و مظالم) تثبیت و جای گیر شود و باطل (یعنی شرک و کفر و بی ایمانی و ظلم برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۳۶ و فساد) ابطال گردد و از میان برود، هر چند مجرمان کراهت داشته باشند» (لِیُجِقَّ الْحَقَّ وَ یُبْطِلَ الْباطِلَ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُجْرِمُونَ).

سورة الأنفال(8): آية 9 ص: 138

(آیه ۹) - درسهای آموزنده در میدان بدر: نخست به یاری فرشتگان اشاره کرده، می گوید: «به خاطر بیاورید زمانی را که (از شدت وحشت و اضطراب که از کثرت نفرات دشمن و فزونی تجهیزات جنگی آنها برای شما پیش آمده بود) به خدا پناه بردید و دست حاجت به سوی او دراز کردید و از وی تقاضای کمک نمودید» (إذْ تَسْتَغِیثُونَ رَبَّکُمْ).

در پارهای از روایات آمده که پیامبر صلّی الله علیه و آله نیز با مسلمانها در استغاثه و یاری طلبیدن از خداوند هم صدا بود، دست خود را به سوی آسمان بلند کرده بود و عرضه می داشت: اللّهمّ انجزلی ما وعدتنی، اللّهمّ ان تهلک هذه العصابهٔ لا تعبد فی الارض: «خداوندا! وعدهای را که به من دادهای تحقق بخش، پروردگارا! اگر این گروه مؤمنان نابود شوند پرستش تو از زمین برچیده خواهد شد» و آن قدر پیامبر صلّی الله علیه و آله به این استغاثه و دعا ادامه داد که عبا از دوشش بر زمین افتاد. در این هنگام «خداوند تقاضای شما را پذیرفت و فرمود: من شما را با یک هزار نفر از فرشتگان که پشت سر هم فرود می آیند، کمک و یاری می کنم» (فَاسْتَجابَ لَکُمْ أَنِّی مُمِدُّ کُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِکَةِ مُرْدِفِینَ).

سورة الأنفال(8): آية 10 ص: 136

(آیه ۱۰)– سپس برای این که کسی خیال نکند پیروزی به دست فرشتگان و مانند آنهاست، می گوید: «خداوند این کار را قرار نداد مگر برای بشارت و اطمینان قلب شما» (وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْری وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُکُمْ).

«و گر نه پیروزی جز از ناحیه خداوند نیست» و مافوق همه این اسباب ظاهری و باطنی اراده و مشیت اوست (وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عنْد اللَّه).

زیرا هیچ کس نمی تواند در برابر اراده او ایستادگی کند و یاری خود را جز در مورد افراد شایسته قرار نخواهد داد «چرا که خداوند توانا و حکیم است» (إنَّ اللَّهَ عَزیزٌ حَکِیمٌ).

سورة الأنفال(8): آية 11 ص: 136

(آیه ۱۱)– سپس دومین نعمت خود را به مؤمنان یادآور می شود، می گوید: برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۳۷ «به خاطر بیاوریـد هنگامی را که شـما را در خواب سـبکی فرو برد که مایه آرامش و امنیت روح و جسم شـما از ناحیه خداوند گردید» (إِذْ یُغَشِّیکُمُ النُّعاسَ أَمَنَهُ مِنْهُ).

و به این ترتیب مسلمانان در آن شب پراضطراب، از این نعمت بزرگی که فردای آن روز در میدان مبارزه به آنها کمک فراوانی کرد بهره گرفتند.

سومین موهبتی را که در آن میدان به شـما ارزانی داشت این بود «که آبی از آسـمان برای شـما فرو فرستاد» (وَ یُنَزِّلُ عَلَیْکُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً).

«تا به وسیله آن شما را پاک و پاکیزه کند و پلیدی شیطان را از شما دور سازد» (لِیُطَهِّرَکُمْ بِهِ وَ یُذْهِبَ عَنْکُمْ رِجْزَ الشَّیْطانِ). به علاموه «خمدا میخواست بـا این نعمت دلهای شـما را محکم دارد» (وَ لِیَرْبِطَ عَلی قُلُوبِکُمْ). و نیز «میخواست (در آن شنزار که پای شما فرو میرفت، و لغزنده بود) به وسیله ریزش باران گامهای شما را محکم کند» (وَ یُتَبَّتَ بِهِ الْأَقْدامَ).

سورة الأنفال(8): آية ١٢ ص: ١٣٧

(آیه ۱۲) – دیگر از نعمتهای پروردگار بر مجاهدان جنگ بـدر، ترس و وحشتی بود که در دل دشـمنان افکند و روحیه آنها را سخت متزلزل ساخت در این باره میفرمایـد: «به خاطر بیاور هنگامی را که پروردگار تو به فرشـتگان وحی فرسـتاد، من با شـما هستم و شما افراد با ایمان را تقویت کنید و ثابت قدم بدارید» (إِذْ یُوحِی رَبُّکَ إِلَی الْمَلائِکَهُ أَنِّی مَعَکُمْ فَتَبُّتُوا الَّذِینَ آمَنُوا). «و به زودی در دلهای کافران ترس و وحشت میافکنم» (سَأُلْقِی فِی قُلُوبِ الَّذِینَ کَفَرُوا الرُّعْبَ).

و این راستی عجیب بود که ارتش نیرومند قریش در برابر سپاه کوچک مسلمانان آنچنان روحیه خود را باخته بود که جمعی از درگیر شدن با مسلمانان بسیار وحشت داشتند.

سپس فرمانی را که در میدان بدر به وسیله پیامبر صلّی الله علیه و آله به مسلمانان داده بود، به یاد آنها می آورد، و آن این بود که هنگام نبرد با مشرکان از ضربههای غیر کاری بپرهیزید و نیروی خود را در آن صرف نکنید، بلکه ضربههای کاری بر پیکر دشمن فرود آرید «ضربه بر بالاتر از گردن، (بر مغزها و سرهای آنها) فرود آرید» (فَاضْرِبُوا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص:

فَوْقَ الْأَعْناقِ)

«و دست و پای آنها را از کار بیندازید» (وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ کُلَّ بَنانٍ).

سورة الأنفال(٨): آية ١٣ ص: ١٣٨

(آیه ۱۳)- بعد از همه گفتگوها برای این که کسی این فرمانهای شدید و دستورات قاطع و کوبنده را بر خلاف آیین جوانمردی و رحم و انصاف تصور نکند، می فرماید: اینها استحقاق چنین چیزی را دارند «زیرا آنان از در عداوت و دشمنی و عصیان و گردنکشی در برابر خدا و پیامبرش در آمدند»لِکَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ)

. گفته می شود، «و هر کس از در مخالفت و دشمنی با خدا و پیامبرش در آیـد (گرفتـار مجـازات دردنـاک در دنیا و آخرت خواهـد شـد) زیرا خداونـد (همـان گونه که رحمتش وسیع و بی انتهاست) مجازاتش شدیـد و دردناک است» مَنْ یُشاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ)

سورة الأنفال(8): آية ١٤ ص: ١٣٨

(آیه ۱۴) – سپس برای تأکید این موضوع می گوید: «این مجازات دنیا را بچشید (مجازات ضربه های سخت در میدان جنگ و کشته شدن و اسارت و شکست و ناکامی و در انتظار مجازات سرای دیگر باشید) زیرا عذاب آتش در انتظار کافران است» (ذلِکُمْ فَذُوقُوهُ وَ أَنَّ لِلْکافِرِینَ عَذابَ النَّارِ).

سورة الأنفال(8): آية 15 ص: ١٣٨

(آیه ۱۵) – فرار از جهاد ممنوع! این آیه روی سخن را به مؤمنان کرده و یک دستور کلّی جنگی را به آنها توصیه و تأکید می کند، می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! هنگامی که با کافران در میدان جهاد رو برو شدید به آنها پشت مکنید و فرار اختیار ننمایید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا لَقِیتُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُولُّوهُمُ الْأَدْبارَ).

سورة الأنفال(٨): آية ١٦ ص: ١٣٨

(آیه ۱۶) - اصولا فرار از جنگ یکی از بزرگترین گناهان در اسلام محسوب می شود به همین جهت در این آیه مجازات در دناک فرار کنندگان از میدان جهاد را با ذکر استثناهای آن شرح می دهد، می فرماید: «هر کس که به هنگام مبارزه با دشمن پشت به آنها کند (مگر در صورتی که هدف کناره گیری از میدان برای انتخاب یک روش جنگی بوده باشد و یا به قصد پیوستن به گروهی از مسلمانان و حمله بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۳۹

مجـدّد) چنین کسـی گرفتار غضب پروردگار خواهـد شـد» (وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَثِ نٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَب مِنَ اللَّهِ).

همان گونه که مشاهده می کنیم در این آیه دو صورت از مسأله فرار، استثناء شده که در ظاهر شکل فرار دارد اما در باطن شکل مبارزه و جهاد.

و در پایان آیه میفرماید: نه تنها فرارکنندگان گرفتار خشم خدا میشوند، بلکه «جایگاه آنها دوزخ و چه بد جایگاهی است» (وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ).

در میان امتیازات فراوانی که علی علیه السّم داشت و گاهی خودش به عنوان سرمشق برای دیگران به آن اشاره می کند همین مسأله عدم فرار از میدان جهاد است آنجا که می فرماید: «فانّی لم افرّ من الزّحف قطّ و لم یبارزنی احد الّا سقیت الارض من دمه»!: «من هیچ گاه از برابر انبوه دشمن فرار نکردم (با این که در طول عمرم در میدانهای زیاد شرکت جستم) و هیچ کس در میدان جنگ با من رو برو نشد مگر این که زمین را از خونش سیراب کردم».

سورة الأنفال(8): آية 17 ص: 139

(آیه ۱۷) – سپس برای ایـن کـه مسلمانان از پیروزی بـدر مغرور نشونـد و تنهـا بر نیروی جسمانی خودشـان تکیه نکننـد بلکه همواره دل و جان خود را به یاد خدا و مددهای او گرم و روشن نگاه دارند می گوید: «این شما نبودید که دشمنان را در میدان بدر کشتید بلکه خداوند آنها را به قتل رساند» (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ).

«و تو ای پیامبر! نیز خاک و ریگ در صورت آنها نپاشیدی بلکه خدا پاشید» (وَ ما رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لکِنَّ اللَّهَ رَمی).

در دنباله آیه اشاره به نکته مهم دیگری می کنید و آن این که: مییدان بیدر یک مییدان آزمایش برای مسلمانان بود «و خیدا میخواست مؤمنان را از سوی خود به وسیله این پیروزی امتحان خوبی کند» (وَ لِیُثِلِیَ الْمُؤْمِنِینَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً).

و با این جمله آیه را تمام می کند که «خداوند هم شنوا و هم داناست» (إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

یعنی خدا صدای استغاثه پیامبر و مؤمنان را شنید و از صدق نیّت و اخلاص آنها آگاه و با خبر بود، و به همین دلیل همگی را مشمول لطف قرار داد و بر دشمن برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۴۰

پیروز ساخت، و در آینده نیز خدا بر طبق نیرات و میزان اخلاص و اندازه پایمردی و استقامت مسلمانان با آنها رفتار خواهد کرد.

سورة الأنفال(8): آية 18 ص: 140

(آیه ۱۸) - در این آیه برای تأکید و تعمیم این موضوع می فرماید: «سرنوشت مؤمنان و کافران و عاقبت کارشان همان بود که شنیدید» (ذلِکُمْ).

سپس به عنوان ذکر علت می گوید: «خداوند نقشه های کافران را (در برابر مؤمنان) ضعیف و سست می کند» تا نتوانند آسیبی به آنها و برنامه هایشان برسانند (وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ کَیْدِ الْکافِرینَ).

سورة الأنفال(8): آية 19 ص: 140

(آیه ۱۹)- بعد از پایان جنگ بدر آیه نازل شد و به مؤمنان چنین گفت: «اگر شما فتح و پیروزی میخواهید، پیروزی به سراغ شما آمد و اگر (از مخالفت) خودداری کنید، برای شما بهتر است و اگر بازگردید، ما هم باز خواهیم گشت» (إِنْ تَشِ تَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ وَ إِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَعُودُوا نَعُدْ).

«و جمعیت شـما هر چنـد زیاد باشـد، شـما را (از یاری خـدا) بینیاز نخواهـد کرد و خداوند با مؤمنان است»! (وَ لَنْ تُغْنِیَ عَنْکُمْ فِئَتُکُمْ شَیْئاً وَ لَوْ کَثُرَتْ وَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِینَ).

بنابراین که مخاطب در آیه مؤمنان باشند تفسیر آیه چنین است:

بعد از جنگ بدر - چنانکه دیدیم - میان بعضی از مسلمانان ضعیف الایمان بر سر تقسیم غنائم جنگی گفتگو واقع شد آیات آغاز سوره نازل گردید و آنها را توبیخ کرد و غنایم را دربست در اختیار پیامبر گذارد، و او هم بطور مساوی در میان مسلمانان تقسیم کرد سپس برای تعلیم و تربیت مؤمنان، حوادث جنگ بدر را به یاد آنها آورد که چگونه خداوند آنها را در برابر یک گروه نیرومند پیروز کرد.

این آیه نیز همان مطلب را دنبال می کنید که اگر شما مسلمانان از خداونید تقاضای فتح و پیروزی کردید خدا دعای شما را مستجاب کرد و پیروز شدید. و اگر از اعتراض و گفتگو در برابر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله خودداری کنید به سود شماست.

و اگر به همان روش اعتراض آمیز خود باز گردید ما هم باز می گردیم و شما را در چنگال دشمن تنها رها میسازیم، و جمعیت شما هر چند زیاد هم باشد بدون برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۴۱

یاری خدا کاری از پیش نخواهید برد و خداوند با مؤمنان راستین و مطیع فرمان او و پیامبرش میباشد.

سورة الأنفال(8): آية 20 ص: 141

(آیه ۲۰)- شنوندگان ناشنوا! این آیه در زمینه دعوت مسلمانان به اطاعت کامل از پیامبر اسلام در جنگ و صلح و در همه برنامهها چنین می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! اطاعت خدا و پیامبرش کنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ).

و باز برای تأکید اضافه می کند: «هیچ گاه از اطاعت فرمان او روی گردان نشوید در حالی که سخنان او و اوامر و نواهیش را می شنوید» (وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ).

لحن آیه نشان می دهد که بعضی از مؤمنان از وظیفه خود در این زمینه کوتاهی کرده بودند.

سورة الأنفال(8): آية 21 ص: 141

(آیه ۲۱)- در این آیه بار دیگر روی همین مسأله تکیه کرده، می گوید:

«همانند كساني نباشيد كه مي گفتند شنيديم ولي در حقيقت نمي شنيدند» (وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ).

سورة الأنفال(8): آية 22 ص: 141

(آیه ۲۲)– از آنجا که گفتار بدون عمل و شنیدن بدون ترتیب اثر یکی از بزرگترین بلاهای جوامع انسانی و سر چشمه انواع بدبختیهاست بار دیگر در این آیه روی همین مسأله تکیه کرده و با بیان زیبای دیگر بحث را ادامه داده، می گوید:

«بـدترين جنبنـدگان نزد خـدا افرادى هسـتند كه نه گوش شـنوا دارند و نه زبان گويا، و نه عقل و درك، كر و لال و بىعقلند» (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ).

از آنجا که قرآن کتاب عمل است نه یک کتاب تشریفاتی همه جا روی نتایج تکیه می کند، در این آیه نیز کسانی که ظاهرا گوشهای سالم دارند ولی در مسیر شنیدن آیات خدا و سخنان حق و برنامههای سعادت بخش نیستند، آنها را فاقد گوش می داند و کسانی که زبان سالمی دارند امّا مهر سکوت بر لب زده نه دفاعی از حق می کنند و نه مبارزهای با ظلم و فساد نه ارشاد جاهل و نه امر به معروف و نه بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۴۲

نهی از منکر و نه دعوت به راه حق بلکه این نعمت بزرگ خدا را در مسیر بیهوده گویی یا تملق و چاپلوسی در برابر صاحبان زر و زور و یا تحریف حق و تقویت باطل به کار می گیرند همچون افراد لال و گنگ میداند و آنان که از نعمت هوش و عقل بهرهمندند اما درست نمی اندیشند همچون دیوانگان می شمرد!

سورة الأنفال(8): آية 23 ص: 142

(آیه ۲۳) – در روایات آمده است که جمعی از بت پرستان لجوج نزد پیامبر آمده، گفتند: اگر جدّ بزرگ ما «قصیّ بن کلاب» را زنده کنی و گواهی به نبوت تو دهد ما همگی تسلیم خواهیم شد – آیه نازل شد و به آنها پاسخ داد.

آیه می گوید: خداوند هیچ گونه مضایقه در دعوت آنها به سوی حق ندارد اگر آنها آمادگی می داشتند و «خدا از این نظر خیر و نیکی در آنها می دیـد حرف حق را به هر صورت بود به گوش آنها میرسانید» (وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِیهِمْ خَیْراً لَأَسْمِعَهُمْ). ولی آنها دروغ می گویند و بهانه می گیرند و هدفشان شانه خالی کردن از زیر بار حقّ است.

«و اگر با این حال (خداوند خواسته آنها را بپذیرد و) سخنان حق را بیش از این به گوش آنها بخواند (و یا جدّشان قصیی بن کلاب را زنده کند و گواهی او را بشنوند) باز رو گردان می شوند و اعراض می کنند» (وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ). این جمله ها در باره کسانی است که بارها سخنان حق را شنیده اند و آیات روح پرور قرآن به گوش آنها رسیده و محتوای عالی آن را فهمیده اند ولی باز بر اثر تعصّب و لجاجت در مقام انکار بر آمدند.

این آیه جواب دندان شکنی است برای پیروان مکتب جبر، و نشان میدهد که سر چشمه همه سعادتها از خود انسان شروع می شود.

سورة الأنفال(8): آية 24 ص: 147

(آیه ۲۴)- دعوت به سوی حیات و زندگی: در تعقیب آیات گذشته که مسلمانان را به علم و عمل و اطاعت و تسلیم دعوت می کرد در اینجا همان هدف از راه دیگری دنبال می شود.

نخست می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! اجابت کنید دعوت خدا و پیامبر را به هنگامی که شما را به چیزی میخواند که شما را زنده می کند» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْ تَجِیبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعاكُمْ لِما یُحْیِیكُمْ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص:

آیه فوق با صراحت می گوید که دعوت اسلام، دعوت به سوی حیات و زندگی در تمام زمینه هاست و مردم عصر جاهلیت تنها از حیات مادی و حیوانی برخوردار بودند.

سپس مى گويىد: «و بدانيىد كه خداوند ميان انسان و قلب او حائل مىشود، و اين كه همه شما نزد او در قيامت اجتماع خواهيد كرد» (وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ).

خداوند در همه جا حاضر و ناظر و به همه موجودات احاطه دارد، در عین این که با موجودات این جهان یکی نیست از آنها جدا و بیگانه هم نمیباشد، مرگ و حیات، علم و قدرت، آرامش و امنیّت، توفیق و سعادت همه در دست او و به قدرت اوست و به همین دلیل انسان نه چیزی را می تواند از او مکتوم دارد و نه کاری را بی توفیق او انجام دهد و نه سزاوار است به غیر او روی آورد و از غیر او تقاضا کند، چرا که او مالک همه چیز و محیط به تمام وجود انسان است!

سورة الأنفال(8): آية 25 ص: 143

(آیه ۲۵)– سپس اشاره به عواقب شوم عـدم پـذیرش دعوت حیات بخش خدا و پیامبر می کند و می گوید: «از فتنهای بپرهیزید که تنها دامن ستمکاران شما را نمی گیرد» بلکه همه را فرا خواهد گرفت (وَ اتَّقُوا فِتْنَهُ لا تُصِیبَنَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْکُمْ خَاصَّهُ). در آیه مورد بحث «فتنه» به معنـای بلاها و مصائب اجتماعی است که دامن همه را می گیرد، و مفهوم آن این است: افراد جامعه نه تنها موظفند وظایف خود را انجام دهند بلکه موظفند دیگران را هم به انجام وظیفه وا دارند زیرا اختلاف و پراکندگی و ناهماهنگی در مسائل اجتماعی موجب شکست برنامهها خواهد شد و دود آن در چشم همه میرود. در پایان آیه با زبان تهدیدآمیز می گوید: «بدانید خداوند مجازاتش شدید است» (وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقاب).

سورة الأنفال(8): آية 26 ص: 143

(آیه ۲۶)– بـار دیگر قرآن دست مسـلمانان را گرفته و به گذشـته تاریخشـان باز میگردانـد و به آنها حالی میکنـد که در چه پایهای بودید و اکنون در چه مرحلهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۴۴

قرار دارید تا درسی را که در آیات قبل به آنها آموخت به خوبی درک کنند.

می گوید: «به خاطر بیاورید آن زمان را که شما گروهی کوچک و ناتوان بودید و در چنگال دشمنان گرفتار، و آنها شما را به ضعف و ناتوانی کشانده بودند»! (وَ اذْکُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِی الْأَرْض).

«آن چنان که می ترسیدید مشرکان و مخالفان شما را بسرعت بربایند» (تَخافُونَ أَنْ یَتَخَطَّفَکُمُ النَّاسُ).

این تعبیر، نهایت ضعف و کمی نفرات مسلمانان را در مکّه قبل از هجرت در برابر مشرکان نیرومند و یا بعد از هجرت در مقابل قدرتهای بزرگ آن روز همانند ایران و روم آشکار میسازد.

«ولى خداوند شما را پناه داد» (فَآواكُمْ).

«و با یاری خود شما را تقویت کرد» (وَ أَیَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ).

«و از روزیهای پاکیزه شما را بهرهمند ساخت» (وَ رَزَقَکُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ).

«شاید شکر نعمت او را به جا آرید» (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

سورة الأنفال(8): آية 27 ص: 144

اشاره

(آیه ۲۷)–

شأن نزول: ص: ۱۴۴

نقل شد، که پیامبر دستور داد یهود «بنی قریظه» را محاصره کنند این محاصره ۲۱ شب ادامه یافت لذا ناچار شدند پیشنهاد صلحی همانند صلحی که برادرانشان از طائفه «بنی نضیر» کرده بودند بکنند به این ترتیب که از سرزمین مدینه کوچ کرده و به سوی شام بروند.

پیامبر از این پیشنهاد امتناع کرد و فرمود: تنها باید حکمیّت «سعد بن معاذ» را بپذیرید آنها تقاضا کردند که پیامبر «ابو لبابه» را نزد آنها بفرستد و «ابو لبابه» با آنها سابقه دوستی داشت و خانواده و فرزندان و اموالش نزد آنها بود.

پیامبر صلّی الله علیه و آله ابو لبابه را نزد آنها فرستاد آنها با «ابو لبابه» مشورت کردند که آیا صلاح است حکمیت «سعد بن

معاذ» را بپذیرند؟ ابو لبابه اشاره به گلوی خود کرد یعنی اگر بپذیرید کشته خواهید شد.

پیک وحی خدا جبرئیل این موضوع را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله خبر داد.

ابو لبابه می گوید: هنوز گام برنداشته بودم متوجه شدم که من به خدا و پیامبر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۴۵ خیانت کردم- این آیه و آیه بعد در باره او نازل شد.

در این هنگام «ابو لبابه» سخت پریشان گشت بطوری که خود را با طنابی به یکی از ستونهای مسجد پیامبر بست. هفت شبانه روز گذشت نه غذا خورد و نه آب نوشید آن چنان که بیهوش به روی زمین افتاد خداوند توبه او را پذیرفت.

تفسير: ص: ١٤٥

نخست خداونـد روی سخن را به مؤمنان کرده و می گویـد: «ای کسانی که ایمان آوردهایـد! به خدا و پیامبر خیانت نکنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ).

خیانت به خدا و پیامبر آن است که اسرار نظامی مسلمانان را در اختیار دیگران بگذارند، و یا دشمنان را در مبارزه خود تقویت کنند.

سپس می گوید: «در امانات خود نیز خیانت نکنید در حالی که میدانید» این کار گناه بزرگی است! (وَ تَخُونُوا أَماناتِکُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

«خیانت» به معنای خودداری از پرداخت حقّی است که انسان پرداختن آن را تعهد کرده و امانت گرچه معمولا به امانتهای مالی گفته میشود ولی در منطق قرآن مفهوم وسیعی دارد که تمام شؤون زندگی اجتماعی و سیاسی و اخلاقی را در برمی گیرد.

سورة الأنفال(8): آية 28 ص: 148

(آیه ۲۸)- در این آیه به مسلمانان هشدار میدهد که مواظب باشند علاقه به امور مادی و منافع زود گذر شخصی پرده بر چشم و گوش آنها نیفکند و مرتکب خیانتهایی که سرنوشت جامعه آنها را به خطر میافکند نشوند، می گوید: «و بدانید اموال و اولاد شما وسیله آزمایش و امتحان شما هستند» (وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ).

بایـد اگر یک روز لغزشـی از ما سـر زد «ابو لبابه» وار در مقام جبران لغزش برآییم و حتی اموالی که سـبب چنین لغزشـی شـده است در این راه قربانی کنیم.

و در پایان آیه به آنها که از این دو میدان امتحان پیروز بیرون میآیند بشارت میدهد که: بدانید «پاداش بزرگ نزد پروردگار است» (وَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِیمٌ)

> .هر قدر عشق به فرزند بزرگ جلوه کند، و هر اندازه اموالی که مورد نظر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۴۶ است زیاد و مهم و جالب باشد، باز اجر و پاداش پروردگار از آنها برتر و عالی تر و بزرگتر است.

سورة الأنفال(8): آية 29 ص: 146

(آیه ۲۹)- ایمان و روشن بینی: در آیات گذشته یک سلسله دستورات حیات بخش که ضامن سعادت مادی و معنوی بود بیان شد ولی به کار بستن آنها جز در سایه تقوا میسیر نیست، لذا در این آیه به چهار نتیجه و ثمره برای تقوا و پرهیزکاری اشاره شده است، نخست می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! اگر تقوا پیشه کنید و از مخالفت فرمان خدا بپرهیزید به شما نورانیت و روشن بینی خاصی می بخشد که بتوانید حق را از باطل به خوبی تشخیص دهید» (یا أَیُهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَتَقُوا اللَّهَ یَجْعَلْ لَکُمْ فُرْقاناً).

لذا در حالاً مردان و زنان پرهیز کار روشن بینیهایی مشاهده می کنیم که هرگز از طریق علم و دانش معمولی قابل در ک نیست، آنها بسیاری از حوادث را که در لابلای آشوبهای اجتماعی ریشه آن ناشناخته است به خوبی می شناسند و چهرههای منفور دشمنان حق را از پشت هزاران پرده فریبنده می بینند.

از سوی دیگر به کار افتادن نیروها و انرژیها و هـدر رفتن این سـرمایهها در راه گناه موجب میشود که مردم از نظر درک و اطلاع، در سطحی پایین قرار گیرند و افکار منحطی داشته باشند هر چند در صنایع و زندگی مادی پیشروی کنند.

سپس می گوید: علاوه بر تشخیص حق از باطل نتیجه پرهیز کاری این است که «خداوند گناهان شما را میپوشاند و آثار آن را از وجود شما برمیدارد» (وَ یُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ).

به علاوه «شما را مشمول آمرزش خود قرار می دهد» (وَ يَغْفِرْ لَكُمْ).

و پاداشهای فراوان دیگری در انتظار شماست که جز خدا نمی داند زیرا «خداوند صاحب فضل و بخشش عظیم است» (وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْل الْعَظِیم).

این چهـار اثر، میوههـای درخت تقوا و پرهیزکاری هسـتند و وجود رابطه طبیعی در میان تقوا و پارهای از این آثار مانعی از آن نمیشود که همه آنها را به خدا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۴۷

نسبت بدهيم.

«تکفیر سیئات» اشاره به آثار روانی و اجتماعی گناهان دارد که در پرتو تقوا و پرهیزکاری از میان میرود، و «غفران» اشاره به مسأله عفو و بخشش خداوند و رهایی از مجازات است.

سورة الأنفال(8): آية 30 ص: 147

اشاره

(آیه ۳۰)

شأن نزول: ص: ۱۴۷

گروهی از قریش و اشراف مکّه از قبایل مختلف در «دار الندوه» (محل انعقاد جلسات مشورتی بزرگان مکّه) اجتماع کردند تا در باره خطری که از ناحیه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آنها را تهدید می کرد بیندیشند.

(می گوینـد) در اثنـاء راه پیرمرد خوش ظـاهری به آنهـا برخورد کرد که در واقع همان شـیطان بود (یا انسانی که دارای روح و

فکر شیطانی) از او پرسیدند کیستی؟ گفت: پیرمردی از اهل نجد هستم خواستم خیرخواهی خود را از شما دریغ ندارم. گفتند: بسیار خوب داخل شو! او هم همراه آنها به دار الندوه وارد شد.

یکی از حاضران رو به جمعیت کرد و گفت: در باره این مرد (اشاره به پیامبر اسلام) باید فکری کنید، زیرا به خدا سوگند بیم آن میرود که بر شما پیروز گردد. یکی پیشنهاد کرد او را «حبس» کنید تا در زندان جان بدهد

پیر مرد نجدی این نظر را ردّ کرد.

دیگری گفت: او را از میان خود بیرون کنید تا از دست او راحت شوید.

پیرمرد نجدی گفت: به خدا سو گند این هم عقیده درستی نیست.

«ابو جهل» گفت: من عقیدهای دارم که غیر از آن را صحیح نمی دانم! گفتند: چه عقیدهای؟ گفت: از هر قبیلهای جوانی شجاع و شمشیر زن را انتخاب می کنیم و به دست هر یک شمشیر برندهای می دهیم تا در فرصتی مناسب دسته جمعی به او حمله کنند.

پیرمرد نجدی (با خوشحالی) گفت: به خدا رأی صحیح همین است و این پیشنهاد به اتفاق عموم پذیرفته شد.

جبرئیل فرود آمد و به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور داد که شب را در بستر خویش نخوابید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۴۸

پیامبر شبانه به سوی غار (ثور) حرکت کرد و سفارش نمود علی علیه السّلام در بستر او بخوابد- تا کسانی که از درز در مراقب بستر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بودند او را در بسترش خیال کنند و تا صبح مهلت دهند و او از منطقه خطر دور شود.

هنگامی که صبح شد و به خانه ریختند و جستجو کردند علی علیه السّلام را در بستر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دیدند و به این ترتیب خداوند نقشههای آنان را نقش بر آب کرد.

پیامبر سه روز در غار ماند- و هنگامی که دشـمنان همه بیابانهای مکّه را جستجو کردند و خسته و مأیوس بازگشتند او به سوی مدینه حرکت کرد.

تفسير: ص: ۱۴۸

سر آغاز هجرت- این آیه اگرچه اشاره به جریان هجرت دارد ولی مسلما در مدینه نازل شده است.

نخست می گوید: «به خاطر بیاور زمانی را که مشرکان مکّه نقشه میکشیدند که تو را یا به زندان بیفکنند و یا به قتل رسانند و یا تبعید کنند» (وَ إِذْ یَمْکُرُ بِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِیُشْبِتُوکَ أَوْ یَقْتُلُوکَ أَوْ یُخْرِجُوکَ).

سپس اضافه می کند: «آنها نقشه می کشند و چاره می اندیشند، و خداوند هم چاره جویی و تدبیر می کند و خداوند بهترین چاره جویان و مدبّران است» (وَ یَمْکُرُونَ وَ یَمْکُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَیْرُ الْماکِرِینَ).

آنها حد اکثر نیروی فکری و جسمانی خویش را برای نابود کردن پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله به کار بردند، و حتی یکصد شتر که در آن روز سرمایه عظیمی بود برای یافتن پیامبر جایزه تعیین کردند و افراد بسیاری کوهها و بیابانهای اطراف مکّه را زیر پاگذاردند، و حتی تا دم در غار آمدند ولی خداوند با یک وسیله بسیار ساده و کوچک - چند تار عنکبوت - همه این طرحها را نقش بر آب کرد، و با توجه به این که مسأله هجرت سر آغاز مرحله نوینی از تاریخ اسلام بلکه تاریخ بشریت بود نتیجه می گیریم که خداوند به وسیله چند تار عنکبوت مسیر تاریخ بشریت را تغییر داد! این منحصر به جریان هجرت نیست

بلکه تاریخ انبیاء نشان میدهد که همواره خداوند برای درهم کوبیدن گردنکشان از ساده ترین وسائل استفاده می کرده برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۴۹

گاهی از وزش باد، و زمانی از انبوه پشهها، و گاهی از پرنده کوچک ابابیل، و مانند اینها، تا ضعف و ناتوانی بشر را در برابر قدرت بی پایانش آشکار سازد، و او را از فکر طغیان و سرکشی باز دارد.

سورة الأنفال(8): آية 31 ص: 149

(آیه ۳۱)- بیهوده گویان! در آیه گذشته نمونهای از منطق عملی «مشرکان» خرافی مکّه بیان شد، در اینجا نمونهای از منطق فکری آنها منعکس شده است تا روشن شود که آنها نه دارای سلامت فکر بودند و نه درستی عمل، بلکه همه برنامههایشان بیاساس و ابلهانه بود! نخست می گوید: «هنگامی که آیات ما بر آنها خوانده شود می گویند آن را شنیدیم (اما چیز مهمّی نیست) اگر بخواهیم مثل آن را می گوییم»! (وَ إِذَا تُتلی عَلَيْهِمْ آیاتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا).

«اینها (که محتوای مهمی ندارد) همان افسانه های پیشینیان است»! (إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ).

این سخن را در حالی میگفتند که بارها به فکر مبارزه با قرآن افتاده، و از آن عاجز گشته بودنـد و به خوبی میدانسـتند که توانایی بر معارضه با قرآن ندارند.

سورة الأنفال(8): آية 22 ص: 149

(آیه ۳۲) - در این آیه منطق عجیب دیگری را بازگو می کند، می گوید:

به خاطر بياور «هنگامى را كه (دست به دعا برمىداشتند و) مىگفتنـد: خداونـدا! اگر اين (آيين و اين قرآن) حق و از ناحيه توست بارانى از سنگ از آسمان بر سر ما فرود آورد»! (وَ إِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَهُ مِنَ السَّماءِ).

«يا به عذاب دردناك (ديگرى) ما را گرفتار كن» (أُوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيم).

این سخن را به خاطر آن می گفتند که بر اثر شدت تعصّب و لجاجت چنان می پنداشتند که آیین اسلام صد در صد بی اساس است و گر نه کسی که احتمال حقّانیت آن را می دهد چنین نفرینی به خود نمی کند.

سورة الأنفال(8): آية 33 ص: 149

(آیه ۳۳)– در آیات گذشته دو ایراد از ناحیه مخالفان به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله شـد که یکی از آنها باطل بودنش واضح بوده، لذا قرآن به پاسخ آن نپرداخته، و آن این که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۵۰

گفتند: «ما اگر بخواهیم میتوانیم مثل قرآن را بیاوریم».

ایراد دوم آنها این بود که اگر این آیات حق است و از طرف خداست پس باید ما را مجازات کند و بلا بر ما فرود آرد قرآن در اینجا به آنها چنین پاسخ می دهد:

«هیچ گاه خداوند آنها را مجازات نخواهد کرد در حالی که تو در میان آنها هستی» (وَ ما کانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ).

سپس اضافه می کند: «همچنین خداوند آنها را مجازات نخواهد کرد در حالی که استغفار کنند» و از او تقاضای عفو نمایند (وَ

مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ).

مفهوم آیه اختصاص به مردم عصر پیامبر ندارد بلکه یک قانون کلی در باره همه مردم است، لذا در حدیث معروفی از حضرت علی علیه السّ لام میخوانیم: «در روی زمین دو وسیله امنیت از عذاب الهی بود یکی از آنها (که وجود پیامبر بود) برداشته شد. هم اکنون به دومی (یعنی استغفار) تمسک جویید سپس آیه فوق را تلاوت فرمود».

سورة الأنفال(٨): آية ٣٤ ص: ١٥٠

(آيه ٣٣)- در اين آيه مي گويـد اينها استحقاق عـذاب الهي را دارنـد: «چرا خداونـد آنها را عذاب نكند و حال آن كه مانع از رفتن مؤمنان به مسجد الحرام ميشوند» (وَ ما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرام).

و این اشاره به زمانی است که مسلمانان در مکّه بودنـد و حق نداشـتند آزادانه در کنار خانه خـدا نماز جماعت اقامه کنند و یا اشاره به ممانعتهایی است که بعدا از انجام مراسم حجّ و عمره نسبت به مؤمنان به عمل میآوردند.

عجیب این که این مشرکان آلوده خود را صاحب اختیار و سرپرست این کانون بزرگ عبادت میپنداشتند ولی قرآن اضافه می کند: «آنها هرگز سرپرستان این مرکز مقدّس نبودند» (وَ ما کانُوا أَوْلِیاءَهُ).

«تنها كساني حق اين سرپرستي را دارند كه موحّد و پرهيزكار باشند» (إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ).

«ولى غالب آنها از اين واقعيت بيخبرند» (وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ). برگزيده تفسير نمونه، ج٢، ص: ١٥١

گرچه این حکم در باره مسجد الحرام گفته شده است، ولی در واقع شامل همه کانونهای دینی و مساجد و مراکز مذهبی می شود که «متولیان» و «متصدیان» آنها باید از پاکترین و پرهیز کارترین و فعالترین مردم باشند که این کانونها را پاک و زنده و مرکز تعلیم و تربیت و بیداری و آگاهی قرار دهند.

سورة الأنفال(8): آية 30 ص: 151

(آیه ۳۵)- عجیبتر این که آنها مدعی بودند که نماز و عبادتی دارند و به کارهای احمقانه خود، نعره زدنها و کف زدنها در اطراف خانه خدا، نام نماز می گذاشتند، لذا قرآن اضافه می کند: «نماز آنها در کنار خانه خدا (کعبه) چیزی جز سوت کشیدن و کف زدن نبود» (وَ ما کانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَیْتِ إِلَّا مُکاءً وَ تَصْدِیَهً).

در تاریخ میخوانیم که گروهی از اعراب در زمان جاهلیت به هنگام طواف خانه کعبه لخت مادرزاد میشدند، و سوت میکشیدند و کف میزدند و نام آن را عبادت میگذاشتند.

در تعقیب این جمله می گوید اکنون که همه کارهای شما حتی نماز و عبادتتان این چنین ابلهانه و زشت و شرم آور است مستحق مجازاتید «پس بچشید عذاب الهی را به خاطر این کفرتان» (فَذُوقُوا الْعَذابَ بما کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ).

سورة الأنفال(8): آية 35 ص: 151

شأن نزول: ص: 151

این آیه و آیه بعد در مورد جنگ بدر و کمکهای مالی مردم مکّه نازل شده است، زیرا هنگامی که مشرکان مکّه به وسیله قاصد ابو سفیان از جریان آگاه شدند اموال فراوانی جمع و جور کردند تا به جنگجویان خود کمک کنند، اما سر انجام شکست خوردند و کشته شدند و به سوی آتش دوزخ شتافتند و آنچه را در این راه مصرف کرده بودند مایه حسرت و اندوهشان شد.

تفسير: ص: ۱۵۱

مفهوم آیه یک مفهوم جامع است که تمام کمکهای مالی دشمنان حق و عدالت را برای پیشرفت مقاصد شومشان در همه زمانها در بر می گیرد.

نخست مى گويـد: «كافران و دشـمنان حق اموالشان را انفاق مىكننـد تا مردم را از راه خـدا باز دارند» (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ).

اما این صرف اموال هیچ گاه پیروزی برای آنها نمی آفریند «به زودی این اموال را انفاق می کنند اما سر انجام مایه حسرت و اندوهشان خواهد بود» (فَسَیُنْفِقُونَها ثُمَّ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۵۲

تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً)

. «سپس مغلوب (طرفداران حق) مىشوند» (ثُمَّ يُغْلَبُونَ).

نه تنها در زنـدگی این جهان گرفتار حسـرت و شـکست میشونـد بلکه در سـرای دیگر نیز این «کافران دسـته جمعی به سوی دوزخ میروند» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِلی جَهَنَّمَ یُحْشَرُونَ).

سورة الأنفال(٨): آية ٣٧ ص: ١٥٢

(آیه ۳۷)- پس از آن که در آیه قبل سه نتیجه شوم انفاقهای مالی دشمنان حق بازگو شد، در این آیه میفرماید: این حسرت و شکست و بـدبختی «برای آن است که خداوند میخواهد ناپاک را از پاک (در این جهان و جهان دیگر) جدا سازد» (لِیَمِیزَ اللَّهُ الْخَبِیثَ مِنَ الطَّیِّبِ).

این یک سنت الهی است که برای همیشه «پاک» و «ناپاک» «مخلص» و «ریاکار» «مجاهد راستین» و «دروغین» «کارهای الهی» و «شیطانی» «برنامههای انسانی» و «ضد انسانی» ناشناخته نمی مانند، بلکه سر انجام صفوف از یکدیگر مشخص می گردد، و حق جلوه خود را نشان خواهد داد.

سپس اضافه می کند: «تا خداوند ناپاکها را به یکدیگر ضمیمه کند و همه را متراکم سازد، و در یک جا در جهنم قرار دهد» (وَ یَجْعَلَ الْخَبِیثَ بَعْضَهُ عَلی بَعْضِ فَیَرْکُمَهُ جَمِیعاً فَیَجْعَلَهُ فِی جَهَنَّمَ). خبیث و ناپاک از هر گروه و در هر شکل و لباس سر انجام شکل واحدی خواهند داشت، و پایان کار همه آنها زیان و خسران خواهد چنانکه قرآن می گوید:

«آنها زيانكارانند» (أُولِئِكُ هُمُ الْخاسِرُونَ).

سورة الأنفال(8): آية 38 ص: 152

(آیه ۳۸)- میدانیم روش قرآن این است که بشارت و انذار را با هم توأم میکند یعنی همان گونه که دشمنان حق را تهدید به مجازاتهای سخت و دردناک مینماید، راه بازگشت را نیز به روی آنها باز میگذارد.

این آیه همین روش را تعقیب می کند، و به پیامبر دستور میدهد: «به افرادی که کافر شدهاند بگو: اگر (از مخالفت و لجاجت و طغیان و سرکشی) باز ایستند و به سوی آیین حق باز گردند گذشته آنها بخشوده خواهد شد» (قُلْ لِلَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ یَنْتَهُوا یُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۵۳

از این آیه استفاده می شود که با قبول اسلام، گذشته هر چه باشد مورد عفو قرار می گیرد.

سپس اضافه می کند: اما «اگر (از روش نادرست خود باز نایستند) و به اعمال سابق بازگردند سنت خداوند در مورد پیشینیان در باره آنها نیز انجام می شود» (وَ إِنْ یَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِینَ).

منظور از این سنّت همان سرنوشتی است که دشمنان حق در برابر انبیاء، و حتی خود مشرکان مکّه در برابر پیامبر در جنگ بدر به آن گرفتار شدند.

سورة الأنفال(8): آية 39 ص: 153

(آیه ۳۹) – از آنجا که در آیه قبل دشمنان را برای بازگشت به سوی حق دعوت کرده بود، و این دعوت ممکن بود این فکر را برای مسلمانان ایجاد کند که دیگر دوران جهاد پایان یافته و هیچ راهی جز انعطاف و نرمش در پیش نیست، برای رفع این اشتباه اضافه می کند: «با این دشمنان سرسخت مبارزه کنید و پیکار را همچنان ادامه دهید تا فتنه برچیده شود و دین یکپارچه برای خدا باشد» (وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّی لا تَکُونَ فِثْنَةٌ وَ یَکُونَ الدِّینُ کُلُّهُ لِلَّهِ).

در ذیل آیه بار دیگر در برابر شدت عمل دست دوستی و محبت را به سوی آنها دراز میکند و میگوید: «اگر از راه و روش خود دست بردارند خداوند به آنچه عمل میکنند آگاه است» و با لطف و مرحمت خاصّ خویش با آنان رفتار خواهد کرد (فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِما یَعْمَلُونَ بَصِیرً).

در تفسیرهای اهل سنت و تفاسیر مختلف شیعه از امام صادق علیه السّلام چنین نقل شده که فرمود: «تأویل و تفسیر نهایی این آیه هنوز فرا نرسیده است، و هنگامی که قائم ما قیام کند کسانی که زمان او را درک کنند تأویل این آیه را خواهند دید، به خدا سوگند که در آن موقع دین محمد صلّی اللّه علیه و آله به تمام نقاطی که شب پوشش آرام بخش خود را بر آن میافکند خواهد رسید تا در سراسر روی زمین مشرک و بت پرستی باقی نماند».

سورة الأنفال(8): آية 40 ص: 153

(آیه ۴۰)- «اما اگر باز به سرپیچی خود ادامه دهند و در برابر دعوت حق تسلیم نشوند بدانید پیروزی برای شما و شکست در

انتظار آنهاست، زیرا خداوند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۵۴ مولی و سرپرست شماست» (وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاَكُمْ). «او بهترین مولی و رهبر و بهترین یار و یاور است» (نِعْمَ الْمُوْلی وَ نِعْمَ النَّصِیرُ).

آغاز جزء دهم قرآن مجید ص: ۱۵۴

ادامه سوره انفال ص: ۱۵۴

سورة الأنفال(8): آية 41 ص: 154

اشاره

(آیه ۴۱)- خمس یک دستور مهم اسلامی: در آغاز این سوره دیدیم که پارهای از مسلمانان بعد از جنگ بدر بر سر تقسیم غنائم جنگی مشاجره کردند.

این آیه در حقیقت بازگشت به همان مسأله غنائم است.

در آغاز آیه میفرماید: «و بدانید هرگونه غنیمتی نصیب شما میشود یک پنجم آن، از آن خدا و پیامبر و ذی القربی (امامان اهل بیت) و یتیمان و مسکینان و وامانـدگان در راه (از خاندان پیامبر) میباشد» (وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَـیْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ).

و برای تأکید اضافه می کند: که «اگر شما به خدا و آنچه بر بنده خود در (روز جنگ بدر) روز جدایی حق از باطل، روزی که دو گروه مؤمن و کافر در مقابل هم قرار گرفتند، نازل کردیم ایمان آوردهاید» باید به این دستور عمل کنید و در برابر آن تسلیم باشید (إِنْ کُنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلی عَبْدِنا یَوْمَ الْفُرْقانِ یَوْمَ الْتُقَی الْجَمْعانِ).

و در پایان آیه اشاره به قدرت نامحدود الهی کرده، می گوید: «و خدا بر همه چیز قادر است» (وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَيْءٍ قَدِیرً). یعنی با این که در میدان بدر از هر نظر شما در اقلیت قرار داشتید و دشمن ظاهرا از هر نظر برتری چشمگیری داشت خداوند قادر توانا آنها را شکست داد و شما را یاری کرد تا پیروز شدید.

این آیه گرچه در ضمن آیات جهاد وارد شده ولی مفهوم وسیعی دارد و می گوید: هر در آمدی از هر موردی عاید شما شود که یکی از آنها غنایم جنگی است خمس آن را بپردازید.

منظور از سهم خدا چیست؟ ص: ۱۵۴

ذکر سهمی برای خدا به عنوان «لله» برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۵۵

به خاطر اهمیت بیشتر روی اصل مسأله خمس و تأکید و تثبیت ولایت و حاکمیت پیامبر و رهبر حکومت اسلامی است، یعنی همان گونه که خداوند سهمی برای خویش قرار داده و خود را سزاوارتر به تصرف در آن دانسته است پیامبر و امام را نیز به همان گونه، حق ولایت و سرپرستی و تصرف داده، و گر نه سهم خدا در اختیار پیامبر قرار خواهد داشت و در مصارفی که

پیامبر یا امام صلاح می داند صرف می گردد، و خداوند نیاز به سهمی ندارد

سورة الأنفال(8): آية 47 ص: 155

(آیه ۴۲)- قرآن به تناسب سخنی که از «یوم الفرقان» (روز جنگ بـدر) در آیه قبل آمـده بود جزئیات دیگری از این جنگ را به خاطر مسلمانان می آورد تا به اهمیت این نعمت پیروزی بیشتر واقف شوند.

نخست مى گويىد: «آن روز شما در طرف پايين و (نزديك مدينه) قرار داشتيىد و آنها در طرف بالا و دورتر» (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُـدْوَةِ الدُّنْيا وَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى).

در این میدان مسلمانان در سمت شمالی که نزدیکتر به مدینه است قرار داشتند، و دشمنان در سمت جنوبی که دورتر است. سپس می گوید: «کاروانی را که شما در تعقیب آن بودید (کاروان تجارتی قریش و ابو سفیان) در نقطه پایین تری قرار داشت» (وَ الرَّکْبُ أَسْفَلَ مِنْکُمْ).

از همه اینها گذشته تعداد نفرات و امکانات جنگی مسلمانان در مقابل دشمن از هر نظر کمتر و ضعیفتر بود و در سطح پایین تری قرار داشتند و دشمن در سطح بالاتر، لذا قرآن اضافه می کند: «شرایط چنان بود که اگر از قبل آگاهی داشتید و میخواستید در این زمینه با یکدیگر وعده و قراردادی بگذارید حتما گرفتار اختلاف در این میعاد می شدید» (وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِی الْمِیعادِ).

زیرا بسیاری از شما تحت تأثیر وضع ظاهری و موقعیت ضعیف خود در مقابل دشمن قرار می گرفتید و با چنین جنگی اصولاً مخالفت می کردید.

ولى خداوند شما را در مقابل يك عمل انجام شده قرار داد «تا كارى را كه مىبايست انجام گيرد تحقّق بخشد» (وَ لكِنْ لِيقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا).

تا در پرتو این پیروزی غیر منتظره و معجز آسا حق از باطل شناخته شود برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۵۶ «و آنهـا که گمراه میشونـد با اتمام حجت باشـد و آنها که راه حق را میپذیرنـد با آگاهی و دلیل آشـکار» (لِیَهْلِکُ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَیّنَةٍ وَ یَحْیی مَنْ حَیَّ عَنْ بَیّنَةٍ).

و در پایان می گوید: «خداوند شنوا و داناست» (وَ إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ).

فریاد استغاثه شما را شنید و از نیّاتتان با خبر بود و به همین دلیل شما را یاری کرد تا بر دشمن پیروز شدید.

سورة الأنفال(8): آية ٤٣ ص: ١٥٦

(آیه ۴۳) - پیامبر صلّی الله علیه و آله قبلا صحنهای از نبرد را در خواب دید که تعداد کمی از و دشمنان در مقابل مسلمانان حاضر شدهاند، این خواب را برای مسلمانان نقل کرد و موجب تقویت روحیه و اراده آنها در پیشروی به سوی میدان بدر گردید.

در این آیه اشاره به فلسفه این موضوع و نعمتی که خداوند از این طریق به مسلمانان ارزانی داشت میکند، میگوید: «در آن زمان خداونـد در خواب عدد دشـمنان را به تو کم نشان داد و اگر آنها را زیاد نشان میداد مسلما به سـستی میگرائیدید» (إِذْ یُریکَهُمُ اللَّهُ فِی مَنامِکَ قَلِیلًا وَ لَوْ أَراکَهُمْ کَثِیراً لَفَشِلْتُمْ). و نه تنها سـست میشدیـد بلکه «کارتان به اختلاف میکشـید» و گروهی موافق رفتن به میـدان و گروهی مخالف میشدیـد (وَ لَتنازَعْتُمْ فِی الْأَمْر).

«ولی خداوند (شما را از این سستی و اختلاف کلمه و تنازع و آشفتگی با این خوابی که چهره باطنی را نشان میداد نه ظاهری را) رهایی بخشید و سالم نگهداشت» (وَ لکِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ).

چرا که خداوند از روحیه و باطن همه شما آگاه بود «و او از آنچه در درون سینههاست باخبر است» (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ).

سورة الأنفال(٨): آية 44 ص: 158

(آیه ۴۴) - در این آیه مرحله دیگری از مراحل جنگ بدر را یادآور می شود که با مرحله قبل تفاوت بسیار دارد، در این مرحله مسلمانان در پرتو بیانات گرم پیامبر صلّی الله علیه و آله و توجه به وعده های الهی، و مشاهده حوادثی از قبیل باران به موقع، برای رفع تشنگی، و سفت شدن شنهای روان در میدان نبرد، روحیه تازه ای پیدا کردند آن چنان که انبوه لشکر دشمن در نظر آنها کم جلوه داد» (وَ إِذْ اَنها کم جلوه کرد، لذا می گوید: «و در آن هنگام خداوند آنها را به هنگام آغاز نبرد در نظر شما کم جلوه داد» (وَ إِذْ یُریکُمُوهُمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۵۷

إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا)

.ولی دشمن چون از روحیه و این موقعیت مسلمانان آگاه نبود به همین دلیل به ظاهر جمعیت نگاه می کرد و ناچیز در نظرش جلوه می نمود، حتی کمتر از آنچه بودند لذا می گوید: «و شما را در نظر آنها کم جلوه می داد» (وَ یُقَلِّلُکُمْ فِی أَعْیُنِهِمْ).

و این دو موضوع اثر عمیقی در پیروزی مسلمانان داشت، لذا قرآن به دنبال جمله های فوق می گوید: «همه اینها به خاطر آن بود که خداوند موضوعی را که در هر حال می بایست تحقق یابد انجام دهد» (لِیَقْضِیَ اللَّهُ أَمْراً کانَ مَفْعُولًا).

نه تنها این جنگ طبق آنچه خداونـد میخواست پایـان گرفت، «همه کارهـا و همه چیز در این عـالم به فرمان و خواست او بر می گردد» و اراده او در همه چیز نفوذ دارد (وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ).

سورة الأنفال(٨): آية ٤٥ ص: ١٥٧

(آیه ۴۵)- شش دستور دیگر در زمینه جهاد! در این آیه و آیه بعد شش دستور مهم به مسلمانان داده شده است:

۱- نخست می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! هنگامی که گروهی از دشمنان را در برابر خود در میدان نبرد ببینید ثابت قدم باشید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا لَقِیتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا)، یعنی دیگر از نشانههای بارز ایمان ثابت قدم در همه زمینهها مخصوصا در پیکار با دشمنان حق است.

٢- «خدا را فراوان ياد كنيد تا رستگار و پيروز شويد» (وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

شک نیست که منظور از یاد خدا تنها ذکر لفظی نیست، بلکه خدا را در درون جان حاضر دیدن است، این توجه به خدا روحیه سرباز مجاهد را تقویت میکند و در پرتو آن احساس مینماید که در میدان مبارزه تنها نیست، تکیه گاه نیرومندی دارد که هیچ قدرتی در برابر آن مقاومت نمیکند، و اگر هم کشته شود به بزرگترین سعادت، یعنی سعادت شهادت رسیده است.

سورة الأنفال(8): آية 46 ص: 157

(آیه ۴۶) – سوم: یکی دیگر از مهمترین برنامه های مبارزه، توجه به مسأله رهبری و اطاعت از دستور پیشوا و رهبر است همان دستوری که اگر انجام برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۵۸

نمی گرفت جنگ بدر به شکست کامل مسلمانان منتهی می شد، لذا در این آیه می گوید: «و فرمان خدا و پیامبرش را اطاعت نمایید» (وَ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ).

۴- «و از پراکندگی و نزاع بپرهیزید تا سست نشوید» (وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا).

زیرا کشمکش و نزاع و اختلاف مجاهدان در برابر دشمن نخستین اثرش سستی و ناتوانی و ضعف در مبارزه است.

«و نتیجه این سستی و فتور از میان رفتن قدرت و قوّت و هیبت و عظمت شماست» (وَ تَذْهَبَ رِیحُکُمْ).

۵- سپس دستور به استقامت در برابر دشمنان و در مقابل حوادث سخت داده، می گوید: «استقامت کنید که خداوند با استقامت کنید که خداوند با استقامت کنندگان است» (وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ).

تفاوت میان ثبات قدم (دستور اول) و استقامت و صبر (دستور پنجم) از این نظر است که ثبات قدم بیشتر جنبه جسمانی و ظاهری دارد، در حالی که استقامت و صبر بیشتر جنبههای روانی باطنی را شامل میشود.

سورة الأنفال(8): آية 47 ص: 158

(آیه ۴۷) - ششم: در این آیه مسلمانان را از پیروی کارهای ابلهانه و اعمال غرور آمیز و بی محتوا و سر و صداهای توخالی و بی معنی باز می دارد، و با اشاره به جریان کار ابو جهل و طرز افکار او و ادیانش می فرماید: «و مانند کسانی نباشید که از سرزمین خود از روی غرور و هوی پرستی و خود نمایی در برابر مردم (بسوی میدان بدر) خارج شدند» (وَ لا تَکُونُوا کَالَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیارِهِمْ بَطَراً وَ رِئاءَ النَّاسِ).

«همانها که (مردم را) از راه خدا باز میداشتند» و سر انجام شکست خوردند (وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ). هم هدفشان نامقدّس بود و هم وسایل رسیدنشان به این هدف.

«خداوند به كارهايي كه اين گونه افراد انجام مي دهند محيط است و از اعمالشان باخبر» (وَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ).

سورة الأنفال(8): آية 48 ص: 158

اشاره

(آیه ۴۸)- مشرکان و منافقان و وسوسه های شیطانی: در اینجا صحنه دیگری از جنگ بدر ترسیم شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۵۹

نخست می گوید: «و در آن روز شیطان اعمال آنها را در برابرشان آرایش و زینت داد» تا به کردههای خود خوشبین و دلگرم و امیدوار باشند (وَ إِذْ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ).

تزیین و آرایش شیطان این چنین است که از طریق تحریک شهوات و هوسها و صفات زشت و ناپسند انسان چهره عملش را در نظرش آن چنان جلوه می دهد که سخت مجذوب آن می شود.

«و به آنها چنین میفهمانید که (با داشتن این همه نفرات و ساز و برگ جنگی) هیچ کس از مردم امروز بر شما غالب نخواهد

شد» و شما ارتشى شكست ناپذيريد (وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاس).

به علاوه «من نیز همسایه شما و در کنار شما هستم» و همچون یک همسایه وفادار و دلسوز به موقع لزوم از هیچ گونه حمایتی دریغ ندارم (وَ إِنِّی جارٌ لَکُمْ).

«اما به هنگامی که دو لشکر با هم در آویختند (و فرشتگان به حمایت لشکر توحید برخاستند نیروی ایمان و پایمردی مسلمانان را مشاهده کرد) به عقب بـاز گشت و صـدا زد من از شـما [مشـرکان] بیزارم» (فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتـانِ نَکَصَ عَلی عَقِبَیْهِ وَ قالَ إِنِّی بَریءٌ مِنْکُمْ).

و برای این عقبگرد وحشتناک خویش دو دلیل آورد: نخست این که: «گفت:

من چيزى مى بينم كه شما نمى بينيد» (إِنِّي أُرى ما لا تَرَوْنَ).

من به خوبی آثار پیروزی را در چهرههای مسلمانان با ایمان مینگرم، و آثار حمایت الهی و یاری فرشتگان را در آنها مشاهده می کنم.

دیگر این که: «من از مجازات دردناک پروردگار در این صحنه می ترسم» و آن را به خوبی نزدیک می بینم» (إِنِّی أَخافُ اللَّهُ). مجازات خداونـد هم چیز سادهای نیست که بتوان در برابرش مقاومت کرد بلکه «کیفر خداونـد شدیـد و سخت است» (وَ اللَّهُ شَدِیدُ الْعِقاب).

آیا شیطان از طریق وسوسه یا از طریق تشکل ظاهر شد؟ ص: ۱۵۹

جمعی از مفسران معتقدند که شیطان به شکل انسانی مجسّم شد و در برابر آنها آشکار گردید، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۶۰

در روایتی میخوانیم: قریش به هنگامی که تصمیم راسخ برای حرکت به سوی میدان بدر گرفت ابلیس در چهره «سراقهٔ بن مالک» که از سرشناسهای قبیله بنی کنانه بود به سراغشان آمد و به آنها اطمینان داد که با شما موافق و هماهنگم و کسی بر شما غالب نخواهد شد و در میدان بدر شرکت کرد.

نظیر آن را نیز در داستان هجرت پیامبر صلّی الله علیه و آله و آمدن پیرمردی در شکل مردی از «نجد» در «دار الندوه» قبلا خواندیم.

سورة الأنفال(8): آية 49 ص: 160

(آیه ۴۹)– در این آیه اشاره به روحیه جمعی از طرفداران لشکر شرک و بت پرستی در صحنه بدر میکند و میگوید: «در آن هنگام منافقان و آنهایی که در دل آنها بیماری بود میگفتند: این مسلمانان را دینشان مغرور ساخته است» (إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِینُهُمْ).

ولی آنها بر اثر عدم ایمان و عدم آگاهی از الطاف پروردگار و امدادهای غیبی او از این حقیقت آگاهی ندارند که: «هر کس بر خدا توکّل کند (و پس از بسیج تمام نیروهایش خود را به او بسپارد خداوند او را یاری خواهد کرد، چه این که خداوند قادری است که هیچ کس در مقابل او یارای مقاومت ندارد، و حکیمی است که ممکن نیست دوستان و مجاهدان راهش را تنها بگذارد) چرا که خداوند قدرتمند و حکیم است» (وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

«منافقان» و «بیمار دلان» اشاره به گروه منافقان مدینه است، یا منافقانی که در مدینه به صفوف مسلمانان پیوسته بودند و یا آنها که در مکّه ظاهرا ایمان آوردهاند، ولی از هجرت به مدینه سرباز زدند و در میدان بدر به صفوف مشرکان پیوسته، و به هنگامی که کمی نفرات مسلمانان را در برابر لشکر کفر دیدند و گفتند این جمعیت مسلمانان فریب دین و آیین خود را خوردند و به این میدان گام گذاردند.

سورة الأنفال(8): آية 50 ص: 160

(آیه ۵۰)- این آیه صحنه مرگ کفار و پایان زندگی شومشان را مجسم می کند، نخست روی سخن را به پیامبر کرده، می گوید: «و اگر ببینی وضع عبرت انگیز کفار را به هنگامی که فرشتگان مرگ به صورت و پشت آنها میزنند و به آنها گویند عذاب سوزندهای را بچشید» به حال آنان تأسف خواهی خورد (وَ لَوْ تَری برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۶۱ إِذْ یَتَوَفَّی الَّذِینَ کَفَرُوا الْمَلائِکَةُ یَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِیقِ).

آیه فوق اشاره به فرشتگان مرگ، و لحظه قبض روح و مجازات دردناکی است که در این لحظه بر دشمنان حق و گنهکاران بیایمان وارد میسازند.

سورة الأنفال(8): آية 51 ص: 161

(آیه ۵۱)– سپس می گوید به آنها گفته می شود: «این مجازات دردناک (که هم اکنون می چشید) به خاطر اموری است که دستهایتان پیش از شما فراهم ساخته و به این جهان فرستاده است» (ذلِکَ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیکُمْ).

و در آخر آیه اضافه می کند: «خداوند هیچ گاه ظلم و ستم به بندگانش روا نمی دارد» و هرگونه مجازات و کیفری در این جهان و جهان دیگر دامان آنها را بگیرد از ناحیه خود آنهاست وَ أَنَّ اللَّهَ لَیْسَ بِظَلَّامِ لِلْعَبِیدِ).

سورة الأنفال(8): آية 22 ص: 161

(آیه ۵۲) – یک سنت تغییر ناپذیر: در این آیه و دو آیه بعد به یک «سنت همیشگی الهی» در باره اقوام و ملتها اشاره شده. نخست می گوید: چگونگی حال مشرکان قریش «همانند حال نزدیکان فرعون و آنها که پیش از او بودند میباشد» (کَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

«آنها آیات خدا را انکار کردند خداوند آنها را به گناهانشان کیفر داد» (کَفَرُوا بِآیاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ). «زیرا خداوند قوی و با قدرت است و کیفرش شدید است» (إِنَّ اللَّهَ قَوِیٌّ شَدِیدُ الْعِقابِ).

بنـابراین تنهـا قریش و مشـرکان و بت پرسـتان مکّه نبودنـد که بـا انکار آیات الهی و لجاجت در برابر حق و درگیری با رهبران راستین انسانیت گرفتار کیفر گناهانشان شدند، این یک قانون جاودانی و عمومی است.

سورة الأنفال(٨): آية ٥٣ ص: ١٦١

(آیه ۵۳) – سپس این موضوع را با ذکر ریشه اساسی مسأله، روشنتر میسازد و می گوید: «اینها همه به خاطر آن است که خداوند هر نعمت و موهبتی را به قوم و ملتی ببخشد هیچ گاه آن را دگر گون نمیسازد مگر این که خود آن جمعیت دگر گون شوند و تغییر یابند و خداوند شنوا و داناست» (ذلکک بِأَنَّ اللَّه لَمْ یَکُ مُغَیِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۶۲

عَلَى قَوْم حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

.به تعبیر دیگر فیض رحمت خدا بیکران و عمومی و همگانی است ولی به تناسب شایستگیها و لیاقتها به مردم میرسد. چنانچه نعمتهای الهی را وسیلهای برای تکامل خویش ساختند و شکر آن را که همان استفاده صحیح است به جا آوردند، نعمتش را پایدار بلکه افزون میسازد اما هنگامی که این مواهب وسیلهای برای طغیان و ظلم و ناسپاسی و آلودگی گردد در این هنگام نعمتها را می گیرد و یا آن را تبدیل به بلا و مصیبت می کند، بنابراین دگر گونیها همواره از ناحیه ماست و گر نه مواهب الهی زوال ناپذیر است.

سورة الأنفال(8): آية 34 ص: 162

(آیه ۵۴) - در تعقیب این هدف بـار دیگر قرآن اشـاره به حـال قدرتمنـدانی هماننـد فرعونیـان و گروهی دیگر از اقوام پیشـین می کند و می گوید: وضع حال و عادت بت پرستان در مورد سلب نعمتها و گرفتاری در چنگال کیفرهای سخت «همچون وضع و حالت فرعونیان و اقوام پیشین بود» (کَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

«آنها نیز آیات پروردگارشان را (که به منظور هدایت و تقویت و سعادت آنان نازل شده بود) تکذیب کرده و زیر پا گذاشتند» (کَذَّبُوا بِآیاتِ رَبِّهِمْ).

«ما هم به خاطر گناهانشان هلاکشان کردیم» (فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ).

«و فرعونيان را در ميان امواج غرق ساختيم» (وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ).

«و تمام این اقوام و افرادشان ظالم و ستمگر بودند» هم نسبت به خویشتن و هم نسبت به دیگران (وَ کُلِّ کانُوا ظالِمِینَ).

سورة الأنفال(8): آية 55 ص: 182

(آیه ۵۵)- شدت عمل در برابر پیمان شکنان: در اینجا به گروه دیگری از دشمنان اسلام که در طول تاریخ پر ماجرای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله ضربات سختی بر مسلمین وارد کردند و سر انجام نتیجه دردناک آن را چشیدند اشاره می کند.

این گروه همان «یهود» مدینه بودنـد که مکرر بـا پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله پیمـان بسـتند و پیمـان خـویش را نـاجوانمردانه شکستند.

نخست آنها را بی ارزش ترین موجودات زنده این جهان معرفی کرده، می گوید: «بدترین جنبندگان نزد خدا کسانی هستند که راه کفر پیش گرفتند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۶۳

و همچنان به آن ادامه مىدهند و به هيچ رو ايمان نمى آورند» (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ).

سورة الأنفال(8): آية 36 ص: 163

(آیه ۵۶)- سپس می گوید «اینها همان کسانی بودند که با آنها عهد و پیمان بستی (که لااقلّ بی طرفی را رعایت کنند و در صدد آزار مسلمانان و کمک به دشمنان اسلام نباشند) ولی آنها هر بار پیمان خود را می شکستند» (الَّذِینَ عاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ یَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِی کُلِّ مَرَّهٍ).

نه از خدا شرم می کردند «و نه از مخالفت فرمان او پرهیز داشتند» و نه از زیر پا گذاردن اصول انسانی پروا مینمودند (وَ هُمْ لاَ يَتَّقُونَ).

سورة الأنفال(8): آية ٥٧ ص: ١٦٣

(آیه ۵۷)- در این آیه طرز برخورد با این گروه پیمان شکن و بیایمان و لجوج را چنین بیان می کند که: «اگر آنها را در (میدان) جنگ بیابی (و اسلحه به دست گیرند و در برابر تو بایستند) آن چنان به آنها حمله کن که جمعیتهایی که پشت سر آنها قرار دارند (عبرت گیرند و) پراکنده شوند» (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِی الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ).

این دستور به خاطر آن است که دشمنان دیگر و حتی دشمنان آینده عبرت گیرند، و از دست زدن به جنگ خودداری کنند، و همچنین آنها که با مسلمانان پیمانی دارند و یا در آینده پیمانی خواهند بست از نقض پیمان خودداری کنند «شاید همگی متذکر شوند» (لَعَلَّهُمْ یَذَّکُرُونَ).

سورة الأنفال(8): آية 58 ص: 163

(آیه ۵۸)- «و اگر آنها (در برابر تو در میدان حاضر نشدند ولی قرائن و نشانه هایی از آنها ظاهر شده است که در صدد پیمان شکنی هستند و) بیم آن می رود که دست به خیانت بزنند و پیمان خود را بدون اعلام قبلی یک جانبه نقض کنند، تو پیشدستی کن، و به آنها اعلام نما که پیمانشان لغو شده است» (وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْم خِیانَةً فَانْبِذْ إِلَیْهِمْ عَلی سَواءٍ).

مبادا بدون اعلام الغاء پیمانشان به آنها حمله کنی «زیرا خداونـد خائنانَ و کسانی را که در پیمان خویش راه خیانت در پیش می گیرند دوست نمیدارد» (إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ الْخائِنِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۶۴

سورة الأنفال(8): آية ٥٩ ص: ١٦٤

(آیه ۵۹) - در این آیه روی سخن را به این گروه پیمان شکن کرده به آنها هشدار داده، می گوید: «مبادا آنها که راه کفر پیش گرفتهانـد تصور کننـد با اعمال خیانت آمیز خود پیروز شـدهاند» و از قلمرو قدرت و کیفر ما بیرون رفتهاند (وَ لا یَحْسَـبَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا سَبَقُوا).

«آنها هرگز ما را ناتوان نخواهند كرد» و از محيط قدرت ما بيرون نخواهند رفت (إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ).

سورة الأنفال(8): آية 60 ص: 164

(آیه ۶۰) – افزایش قـدرت جنگی و هـدف آن: به تناسب دسـتورات گذشـته در زمینه جهاد اسـلامی، در این آیه به یک اصـل

حیاتی که در عصر و زمان بایـد مورد توجه مسلمانان باشـد اشاره میکنـد، و آن لزوم آمادگی رزمی کافی در برابر دشـمنان است.

نخست می گوید: «در برابر دشمنان هر قدر توانایی دارید از نیرو و قدرت و اسبهای ورزیده برای میدان آماده سازید» (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْل).

یعنی در انتظار نمانید تا دشمن به شما حمله کند و آنگاه آماده مقابله شوید، بلکه از پیش باید به حدّ کافی آمادگی در برابر هجومهای احتمالی دشمن داشته باشید.

تعبیر آیه به قدری وسیع است که بر هر عصر و زمان و مکانی کاملا تطبیق می کند و اگر این دستور بزرگ اسلامی «وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْ تَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ» به عنوان یک شعار همگانی در همه جا تبلیغ شود و مسلمانان از کوچک و بزرگ، عالم و غیر عالم، نویسنده و گوینده، سرباز و افسر، کشاورز و بازرگان، در زندگی خود آن را به کار بندند، برای جبران عقب ماندگیشان کافی است.

سیره عملی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و پیشوایان بزرگ اسلام نیز نشان میدهد که آنها برای مقابله با دشمن از هیچ فرصتی غفلت نمی کردند، در تهیه سلاح و نفرات، تقویت روحیه سربازان، انتخاب محل اردوگاه، و انتخاب زمان مناسب برای حمله به دشمن و به کار بستن هرگونه تاکتیک جنگی، هیچ مطلب کوچک و بزرگی را از نظر دور نمیداشتند.

سپس قرآن به دنبال این دستور اشاره به هدف منطقی و انسانی این موضوع برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۶۵

می کند و می گوید هدف این نیست که مردم جهان و حتی ملت خود را با انواع سلاحهای مخرب و ویرانگر درو کنید، آبادیها و زمینها را به ویرانی بکشانید، سرزمینها و اموال دیگران را تصاحب کنید، اصول بردگی و استعمار را در جهان گسترش دهید، بلکه هدف این است که «با این وسایل دشمن خدا و دشمن خود را بترسانید» (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّ کُمْ).

زیرا غالب دشمنان گوششان بدهکار حرف حساب و منطق و اصول انسانی نیست، آنها چیزی جز منطق زور نمی فهمند! سپس اضافه می کند، علاوه بر این دشمنانی که می شناسید «دشمنان دیگری غیر از اینها نیز دارید که آنها را نمی شناسید ولی خدا می شناسد» و با افزایش آمادگی جنگی شما آنها نیز می ترسند و بر سر جای خود می نشینند (وَ آخَرِینَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ یَعْلَمُهُمْ).

این تعبیر متضمن دستوری برای امروز مسلمانان نیز هست و آن این که تنها نباید روی دشمنان شناخته شده خود تکیه کنند و آمادگی خویش را در سر حد مبارزه با آنها محدود سازند بلکه دشمنان احتمالی و بالقوه را نیز باید در نظر بگیرند و حد اکثر نیرو و قدرت لازم را فراهم کنند.

و در پایان این آیه اشاره به موضوع مهم دیگری می کند و آن اینکه تهیه نیرو و قوه کافی و ابزار و اسلحه جنگی، و وسایل مختلف دفاعی، نیاز به سرمایه مالی دارد، لذا به مسلمانان دستور می دهد که باید با همکاری عمومی این سرمایه را فراهم سازید، و بدانید هر چه در این راه بدهید در راه خدا داده اید و هرگز گم نخواهد شد «و آنچه در راه خدا انفاق کنید به شما پس داده خواهد شد» (وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِی سَبِیل اللَّهِ یُوَفَّ إِلَیْکُمْ).

و تمام آن و بیشتر از آن به شما میرسد «و هیچ گونه ستمی بر شما وارد نمی گردد» (وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ).

سورة الأنفال(8): آية 61 ص: 165

(آیه ۶۱) - این آیه که پیرامون صلح با دشمن بحث می کند این حقیقت را روشن تر می سازد، می گوید: «و اگر آنها تمایل به صلح نشان دادند تو نیز (دست آنها بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۶۶

را عقب نزن) و تمايل نشان ده (وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْم فَاجْنَحْ لَها).

و از آنجا که به هنگام امضای پیمان صلح غالبا افراد، گرفتار تردیدها و دو دلیها میشونید به پیامبر دستور میدهد در قبول پیشنهاد صلح تردیدی به خود راه مده و چنانچه شرایط آن منطقی و عاقلانه و عادلانه باشد آن را بپذیر «و بر خدا توکل کن زیرا خداوند هم گفتگوهای شما را میشنود و هم از نیات شما آگاه است» (وَ تَوَکَّلْ عَلَی اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ).

سورة الأنفال(8): آية 67 ص: 186

(آیه ۶۲) ولی با این حال به پیامبر و مسلمانان هشدار میدهد که: «اگر بخواهند تو را فریب دهند (و صلح را مقدمهای برای ضربه غافلگیرانهای قرار دهند یا هدفشان تأخیر جنگ برای فراهم کردن نیروی بیشتر باشد از این موضوع نگرانی به خود راه مده) زیرا خداوند کفایت کار تو را می کند و در همه حال پشتیبان توست» (وَ إِنْ یُرِیدُوا أَنْ یَخْدَعُوکَ فَإِنَّ حَسْبَکَ اللَّهُ). سابقه زندگی تو نیز گواه بر این حقیقت است زیرا: «اوست که تو را با یاری خود و به وسیله مؤمنان پاکدل تقویت کرد» (هُوَ الَّذِی أَیَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِینَ).

سورة الأنفال(8): آية 67 ص: 188

(آیه ۶۳)- به علاوه این مؤمنان مخلصی که گرد تو را گرفتهاند و از هیچ گونه فداکاری مضایقه ندارند قبلا مردمی از هم پراکنده و با یکدیگر دشمن بودند خداوند نور هدایت بر آنها پاشید «و در میان دلهای آنها الفت ایجاد کرد» (وَ أَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ).

سالیان دراز در میان طایفه اوس و خزرج در مدینه جنگ و خونریزی بود و هیچ کس باور نمی کرد روزی آنها دست دوستی و محبت به سوی هم دراز کنند ولی خداوند قادر متعال این کار را در پرتو اسلام و در سایه نزول قرآن انجام داد.

سپس اضافه می کند فراهم ساختن این الفت و پیوند دلها از طرق مادی و عادی امکان پذیر نبود «اگر تمام آنچه را که در روی زمین است خرج می کردی هیچ گاه نمی توانستی در میان دلهایشان الفت ایجاد کنی» (لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ما أَلَّفْتَ بَیْنَ قُلُوبِهمْ).

«ولى اين خـدا بود كه در ميان آنها به وسيله ايمان الفت ايجاد كرد» (وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ). برگزيده تفسير نمونه، ج٢، ص:

و در پایان آیه اضافه می کند: «او توانا و حکیم است» (إِنَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ).

عزّت او ایجاب می کنید که هیچ کس را یارای مقاومت در مقابل او نباشید و حکمتش سبب می شود که همه کارهایش روی حساب باشد و لذا با برنامه حساب شدهای دلهای پراکنده را متحد ساخت و در اختیار پیامبرش گذاشت تا نور هدایت اسلام را به وسیله آنها در همه جهان پخش کند.

سورة الأنفال(8): آية 64 ص: 167

(آیه ۶۴) - در این آیه برای تقویت روحیه پاک پیامبر صلّی اللّه علیه و آله روی سخن را به او کرده، می گوید: «ای پیامبر! خداونـد و این مؤمنـانی که از تو پیروی میکننـد برای حمـایت تو کافی هسـتند» و با کمک آنها می توانی به هـدف خود نائل شوی (یا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَسْبُکَ اللَّهُ وَ مَن اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ).

سورة الأنفال(8): آية 68 ص: 187

(آیه ۶۵) – منتظر برابری قوا نباشید: در این آیه و آیه بعد نیز دستورات نظامی و احکام جهاد اسلامی تعقیب می شود. نخست به رسول اکرم صلّی اللّه علیه و آله دستور می دهد که «ای پیامبر! مؤمنان را به جنگ (با دشمن) تشویق کن»! (یا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِینَ عَلَی الْقِتالِ).

آیه فوق اهمیت تبلیغ و تقویت هر چه بیشتر روحیه سربازان را به عنوان یک دستور اسلامی روشن میسازد.

و به دنبال آن دستور دومی میدهد و میگوید: «اگر از شما بیست نفر سرباز با استقامت باشند بر دویست نفر غلبه خواهند کرد و اگر از شما صد نفر باشند بر هزار نفر از کافران غلبه میکنند» (إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ وَ إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ مِائَةٌ یَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا).

و به این ترتیب مسلمانان نباید منتظر این باشند که از نظر نفرات جنگی با دشمن در یک سطح مساوی قرار گیرند بلکه حتی اگر عدد آنها یک دهم نفرات دشمن باشد باز وظیفه جهاد بر آنها فرض است.

سپس اشاره به علت این حکم کرده، می گوید: «این به خاطر آن است که دشمنان بی ایمان شما جمعیتی هستند که نمی فهمند» (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَفْقَهُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۶۸

این تعلیل در آغاز عجیب و شگفت آور به نظر می رسد که چه ارتباطی میان «آگاهی» و «پیروزی» یا «عدم آگاهی» و «شکست و جود دارد؟ ولی در واقع رابطه میان این دو بسیار نزدیک و محکم است چه این که مؤمنان، راه خود را به خوبی می شناسند. این مسیر روشن و این آگاهی، به آنان صبر و استقامت و پایمردی می بخشد.

اما افراد بی ایمان و یا بت پرستان، درست نمی دانند برای چه می جنگند؟

تنها روی یک عادت تقلید کورکورانه و یا تعصب خشک و بی منطق به دنبال این مکتب افتادهاند و این تاریکی راه و ناآگاهی از هدف اعصاب آنها را سست می کند، و توان و استقامتشان را می گیرد، و از آنها موجودی ضعیف می سازد.

سورة الأنفال(8): آية 66 ص: 168

(آیه ۶۶)– اما به دنبال دستور سنگین فوق، خداوند آن را چند درجه تخفیف میدهد و می گوید: «هم اکنون خداوند به شما تخفیف داد و دانست در میان شما افرادی ضعیف و سست هستند» (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِیكُمْ ضَعْفاً).

سپس می گوید: «در این حال اگر از شما صد نفر سرباز با استقامت باشند، بر دویست نفر غلبه می کنند و اگر هزار نفر باشند بر دو هزار نفر به فرمان خدا پیروز می شوند» (فَإِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ وَ إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ أَلْفٌ یَغْلِبُوا أَلْفَیْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ). ولی در هر حال فراموش نکنید که «خداوند با صابران است» (وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِینَ).

یعنی هنگامی که مسلمانان گرفتار ضعف و سستی شوند و در میان آنها افراد تازه کار و ناآزموده و ساخته نشده، بوده باشند مقیاس سنجش همان نسبت دو برابر است، ولی به هنگامی که افراد ساخته شده و ورزیده و قوی الایمان همانند بسیاری از

رزمندگان بدر بوده باشند این نسبت تا ده برابر ترقی می کند.

هر یک از این دو حکم مذکور در دو آیه، مربوط به دو گروه مختلف و در شرایط متفاوت است.

سورة الأنفال(8): آية 67 ص: 168

(آیه ۶۷) - اسیران جنگی: در آیات گذشته قسمتهای مهمی از احکام جهاد برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۶۹ و درگیری با دشمنان بیان شد، در اینجا با ذکر قسمتی از احکام اسرای جنگی این بحث تکمیل می شود.

نخستین مطلب مهمی را که در این زمینه بیان می کند، این است که می گوید:

«هیچ پیامبری حق ندارد اسیران جنگی داشته باشد، تا به اندازه کافی جای پای خود را در زمین محکم کند و ضربههای کاری و اطمینان بخش بر پیکر دشمن وارد سازد» (ما کانَ لِنَبِیِّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری حَتَّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْض).

بنابراین گرفتن اسیر تنها در صورتی مجاز است که اطمینان کامل از پیروزی بر دشمن حاصل شود در غیر این صورت بایـد با ضربـات قـاطع و کوبنـده و پیدرپی قـدرت و نیروی دشـمن مهـاجم را از کـار بیاندازنـد. امـا به محض حصول اطمینـان از این موضوع، هدف انسانی ایجاب می کند که دست از کشتن بر دارند و به اسیر کردن قناعت کنند.

سپس آن گروه را که بر خلاف این دستور رفتار کردند مورد ملامت قرار داده و می گوید: «شما تنها به فکر جنبه های مادی هستید و متاع ناپایدار دنیا را میخواهید، در حالی که خداوند سرای جاویدان و سعادت همیشگی را برای شما میخواهد» (تُریدُونَ عَرَضَ الدُّنْیا وَ اللَّهُ یُریدُ الْآخِرَةُ).

بنابراین نبایـد به خاطر منافع آنی و زود گـذر، منافع مسـتمر آینـده را به خطر افکنـد! و در پایان آیه میفرماید: دسـتور فوق در واقع آمیختهای از عزّت و پیروزی و حکمت و تدبیر است، چون از ناحیه خداوند صادر شده «و خداوند عزیز و حکیم است» (وَ اللَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ).

سورة الأنفال(8): آية 68 ص: 189

(آیه ۶۸) – در این آیه بار دیگر به ملامت و توبیخ کسانی که برای تأمین منافع زود گذر مادّی مصالح مهمّ اجتماعی را به خطر افکندند، پرداخته، می گوید: «اگر فرمان سابق خدا نبود عذاب و کیفر بزرگی به خاطر اسیرانی که گرفتید به شما میرسید» (لَوْ لا کِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّکُمْ فِیما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ).

ولی همان گونه که در آیات دیگر قرآن تصریح شده، سنّت پروردگار این است که نخست احکام را تبیین می کنـد سـپس متخلّفین را کیفر میدهد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۷۰

سورة الأنفال(8): آية 69..... ص: 170

(آیه ۶۹)- در این آیه اشاره به یکی دیگر از احکام اسیران جنگی و آن مسأله گرفتن «فداء» شده است.

بعد از پایان جنگ بدر و گرفتن اسیران جنگی گروه انصار به پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله عرض کردند ما هفتاد نفر را کشته و هفتاد نفر را اسیر کردیم و اینها از قبیله تو و اسیران تواند، آنها را به ما ببخش تا در برابر آزادی آنها «فداء» بگیریم (پیامبر صلّی الله علیه و آله در انتظار نزول وحی آسمانی در این باره بود) آیه نازل شد و اجازه گرفتن «فداء» در مقابل آزادی اسیران داد. به هر حال آیه مورد بحث به مسلمانان اجازه می دهد که از این غنیمت جنگی (یعنی مبلغی را که در برابر آزادی اسیران می گرفتند) استفاده کنند و می گوید: «از آنچه به غنیمت گرفته اید، حلال و پاکیزه بخورید و بهره گیرید» (فَکُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ عَلِلًا طُیِّاً طُیِّاً).

این جمله ممکن است معنی وسیعی داشته باشد، و علاوه بر موضوع «فداء» سایر غنایم را نیز شامل شود.

سپس به آنها دستور مىدهد كه: «تقوا را پيشه كنيد و از مخالفت فرمان خدا بپرهيزيد» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ).

اشاره به این که مباح بودن این گونه غنایم نبایـد سـبب شود که هدف مجاهدین در میدان جهاد جمع غنیمت و یا گرفتن اسـیر به خاطر «فداء» باشد. و اگر در گذشته چنین نیات زشتی در دل داشتند، بیرون کنند.

در پایان آیه نسبت به گذشته وعده عفو و آمرزش داده، می گوید: «خداوند آمرزنده و مهربان است» (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

سورة الأنفال(8): آية ٧٠ ص: ١٧٠

(آیه ۷۰)– مسأله مهمی که در مورد اسیران جنگی وجود دارد موضوع اصلاح و تربیت و هدایت آنهاست.

لذا در این آیه به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور می دهد که اسیران را با بیان دلگرم کننده ای به سوی ایمان و اصلاح روش خود دعوت و تشویق کند، می گوید: «ای پیامبر! به اسیرانی که در دست شما هستند بگو: اگر خداوند در دلهای شما خیر و نیکی بداند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۷۱

بهتر از آنچه از شما گرفته شده، به شما مىبخشد» (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِي إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ).

منظور از کلمه «خَیْراً» در جمله اول همان ایمان و پذیرش اسلام است و منظور از آن در جمله بعد پاداشهای مادی و معنوی است که در سایه اسلام و ایمان عاید آنها می شود.

علاوه بر این پاداشها لطف دیگری نیز در باره شما کرده «و گناهانی را که در سابق و قبل از پذیرش اسلام مرتکب شدید، می بخشد، و خداوند آمرزنده و مهربان است» (وَ یَغْفِرْ لَکُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

سورة الأنفال(8): آية ٧١ ص: ١٧١

(آیه ۷۱) و از آنجا که ممکن بود بعضی از اسیران از این برنامه سوء استفاده کنند و با اظهار اسلام به قصد خیانت و انتقامجویی در صفوف مسلمانان در آیند، در این آیه هم به آنها اخطار می کند، و هم به مسلمانان هشدار می دهد و می گوید: «و اگر بخواهند به تو خیانت کنند چیز تازه ای نیست، آنها پیش از این هم به خدا خیانت کردند» (وَ إِنْ یُرِیدُوا خِیانَتکَ فَقَدْ خانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ).

چه خیانتی از این بالاتر که نـدای فطرت را نشـنیده گرفته و حکم عقل را پشت سـر انداختنـد، و برای خدا شـریک و شبیه قائل شدند.

ولى اينها نبايد فراموش كنند كه: «خداوند تو و يارانت را بر آنها پيروز كرد» (فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ).

در آینده نیز اگر راه خیانت را بپویند به پیروزی نخواهند رسید.

خداونـد از نیـات آنها آگاه است و دستوراتی را که در باره اسیران داده است بر طبق حکمت میباشـد، زیرا «خداونـد علیم و حکیم است» (وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ).

سورة الأنفال(8): آية 27 ص: 171

(آیه ۷۲)- چهار گروه مختلف: سلسله آیات (۷۲-۷۵) که آخرین فصل سوره انفال است بحثی را در باره «مهاجرین» و «انصار» و گروههای دیگر مسلمین و ارزش وجودی هر یک از آنان، مطرح کرده و بحثهای گذشته پیرامون جهاد و مجاهدان را بدین وسیله تکمیل می کند.

در این آیات سخن از پنج گروه که چهار گروه آن از مسلمانان و یک گروه از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۷۲ غیر مسلمانانند به میان آمده است: آن چهار گروه عبارتند از:

١- مهاجرين نخستين.

۲- انصار و یاران مدینه.

٣- آنها كه ايمان آوردند ولي مهاجرت نكردند.

۴- آنها که بعدا ایمان آوردند و به مهاجران پیوستند.

در این آیه می گوید: «کسانی که ایمان آوردند و مهاجرت کردند و با اموال و جانهای خود در راه خدا جهاد نمودند و کسانی که پناه دادنـد و یاری کردنـد اولیاء و هم پیمان و مـدافعان یکدیگرند» (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِـهِمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ الَّذِینَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِکَ بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْضِ).

برای گروه نخست چهار صفت بیان کرده اول ایمان، دوم هجرت و سوم جهاد مالی و اقتصادی و چهارم جهاد با خون و جان خویش در راه خدا و در مورد «انصار» دو صفت ذکر شده نخست «ایواء» (پناه دادن) دوم یاری کردن.

در حقیقت این دو گروه در بافت جامعه اسلامی یکی به منزله «تار» و دیگری به منزله «پود» بود و هیچ کدام از دیگری بینیاز نبود.

سپس به گروه سوم اشاره کرده، میگوید: «و آنها که ایمان آوردند و مهاجرت نکردند (و به جامعه نوین شما نپیوستند) هیچ گونه ولایت و تعهد و مسؤولیتی در برابر آنها نداریم تا اقدام به هجرت کنند» (وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ لَمْ یُهاجِرُوا ما لَکُمْ مِنْ وَلایَتِهِمْ مِنْ شَیْءٍ حَتَّی یُهاجِرُوا).

و در جمله بعد تنها یک نوع حمایت و مسؤولیت را استثنا کرده و آن را در باره این گروه اثبات می کند و می گوید: «هرگاه این گروه (مؤمنان غیر مهاجر) از شما به خاطر حفظ دین و آئینشان یاری بطلبند (یعنی تحت فشار شدید دشمنان قرار گیرند) بر شما لازم است که به یاری آنها بشتابید» (وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِی الدِّینِ فَعَلَیْكُمُ النَّصْرُ).

«مگر زمانی که مخالفان آنها جمعیتی باشند که میان شما و آنان پیمان ترک مخاصمه بسته شده» (إِلَّا عَلَی قَوْمٍ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُمْ مِیثاقٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۷۳

و در پایان آیه برای رعایت حدود این مسؤولیتها و دقت در انجام این مقررات می گوید: «و خداونـد به آنچه انجام میدهید بصیر و بیناست» (وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ).

همه اعمال شما را میبیند و از تلاشها و کوششها و مجاهدتها و احساس مسؤولیتها آگاه است، همچنین از بیاعتنایی و سستی

و تنبلی و عدم احساس مسؤولیت در برابر این وظایف بزرگ با خبر میباشد!.

سورة الأنفال(8): آية ٧٣ ص: ١٧٣

(آیه ۷۳) – در این آیه به نقطه مقابل جامعه اسلامی، یعنی جامعه کفر و دشمنان اسلام اشاره کرده و می گوید: «آنها که کافر شدند بعضی اولیای بعضی دیگرند» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْضِ).

یعنی پیوند آنها تنها با خودشان است، و شما حق ندارید با آنها پیوندی داشته باشید، و از آنها حمایت کنید و یا آنها را به حمایت خود دعوت نمایید.

سپس به مسلمانان هشدار می دهد که: «اگر این دستور مهم را نادیده بگیرید، فتنه و فساد عظیمی در زمین و در محیط جامعه شما به وجود خواهد آمد» (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِی الْأَرْضِ وَ فَسادٌ كَبِیرٌ).

چه فتنه و فسادی از این بالاتر که خطوط پیروزی شما محو می گردد و دسائس دشمنان در جامعه شما کارگر می شود.

سورة الأنفال(8): آية ٧٤ ص: ١٧٣

(آیه ۷۴) - در این آیه بار دیگر روی اهمیت مقام مهاجران و انصار و موقعیت و تأثیر و نفوذ آنها در پیشبرد اهداف جامعه اسلامی تکیه کرده و از آنها به این گونه تقدیر می کند: «آنها که ایمان آوردند و هجرت کردند و در راه خدا جهاد نمودند و آنها که پناه دادند و یاری کردند، مؤمنان حقیقی و راستین هستند» (وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَ دُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ الَّذِینَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولِئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا).

زیرا در روزهای سخت و دشوار و ایام غربت و تنهایی اسلام هر یک به نوعی به یاری آیین خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله شتافتند.

و «آنها (به خاطر این فداکاریهای بزرگ) آمرزش و روزی شایستهای خواهند داشت» (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۷۴

هـم در پیشگاه خـدا و جهـان دیگر از مـواهب بزرگی برخوردارنـد و هم بهرهای شایسـته از عظمت و امنیت و آرامش در این جهان خواهند داشت.

سورة الأنفال(٨): آية ٧٥ ص: ١٧٤

(آیه ۷۵) - در این آیه، به چهارمین گروه مسلمانان یعنی «مهاجران بعدی» اشاره کرده، می گوید: «آنها که بعد از این ایمان بیاورند و هجرت کنند و با شما در جهاد شرکت جویند آنها نیز از شمایند» (وَ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا مَعَکُمْ فَاوُلئِکَ مِنْکُمْ).

یعنی جامعه اسلامی یک جامعه مدار بسته و انحصاری نیست، بلکه درهایش به سوی همه مؤمنان و مهاجران و مجاهدان آینده نیز گشوده است.

و در پایان آیه اشاره به ولایت و اولویت خویشاوندان نسبت به یکدیگر کرده، می گوید: «خویشاوندان (نیز) نسبت به یکدیگر و در احکامی که خداوند بر بندگانش مقرر داشته اولویت دارند» (وَ أُولُوا الْأَرْحام بَعْضُهُمْ أَوْلی بِبَعْضٍ فِی کِتابِ اللَّهِ). در حقیقت در آیات گذشته سخن از ولایت و اولویت عمومی مسلمانان نسبت به یکدیگر بود و در این آیه تأکید می کند که این ولایت و اولویت در مورد خویشاوندان مسلمان علاوه بر ولایت ایمان و هجرت، ولایت خویشاوندی نیز دارند.

و در آخرین جمله این آیه که آخرین جمله سوره انفال است، می فرماید:

«خداوند به هر چيزي داناست» (إنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

و تمامی احکامی را که در زمینه «انفال» و «غنائم جنگی» و «نظام جهاد» و «صلح» و «احکام اسیران جنگی» و مسائل مربوط به «هجرت» و مانند آن در این سوره نازل کرده است همه را روی حساب و برنامه دقیقی بیان نموده که با روح جامعه انسانی و عواطف بشری و مصالح همه جانبه آنها کاملا منطبق است «پایان سوره انفال»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۷۵

سوره توبه [۹] ص: ۱۷۵

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۱۲۹ آیه است.

توجه به این نکات قبل از تفسیر سوره لازم است: ص : ۱۲۵

۱- نامهای این سوره: ص : ۱۷۵

مفسران برای این سوره نامهای زیادی که بالغ بر ده نام می شود ذکر کرده اند، که از همه معروفتر «برائت» و «توبه» و «فاضحه» است.

۲- تاریخچه نزول سوره: ص: ۱۷۵

این سوره آخرین سوره یا از آخرین سورههایی است که بر پیامبر صلّی الله علیه و آله در مدینه نازل گردید، آغاز نزول آن را در سال نهم هجرت میدانند، و قسمتی از آن پیش از جنگ تبوک، و قسمتی به هنگام آمادگی برای جنگ، و بخش دیگری از آن پس از مراجعت از جنگ نازل شده است.

آیات آغـاز این سوره که پیرامون وضع باقیمانـده مشرکان بود در مراسم حـج به وسیله امیر مؤمنان علی علیه السّـلام به مردم ابلاغ شد.

7- محتوای سوره: ص : 175

قسمت مهمی از این سوره پیرامون باقیمانده مشرکان و بت پرستان و قطع رابطه با آنها، و الغاء پیمانهایی است که با مسلمانان داشتند.

قسمت مهم دیگری از این سوره از منافقان و سرنوشت آنان سخن می گوید، و به مسلمانان شدیدا هشدار میدهد و نشانههای منافقان را بر می شمرد.

بخش دیگری از این سوره پیرامون اهمیت جهاد در راه خدا و اتحاد صفوف است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۷۶ بخش مهم دیگری از این سوره به عنوان تکمیل بحثهای گذشته از انحراف اهل کتاب (یهود و نصاری) از حقیقت توحید، و انحراف دانشمندانشان از وظیفه رهبری و روشنگری سخن می گوید.

و از آنجا که جامعه اسلامی در آن روز نیازهای مختلفی پیدا کرده بود، که میبایست برطرف گردد، به همین مناسبت بحثی از زکات، و پرهیز از تراکم و کنز ثروت، و لزوم تحصیل علم، و وجوب تعلیم افراد نادان را یادآور می شود.

علاوه بر مباحث فوق، مباحث دیگری مانند داستان هجرت پیامبر صلّی الله علیه و آله، مسأله ماههای حرام که جنگ در آن ممنوع است، موضوع گرفتن جزیه از اقلیتهای دینی و امثال آن به تناسب مطرح گردیده است.

اهمیت نکات مختلفی که در این سوره به آن اشاره شده به قدری زیاد است که از پیامبر نقل شده که فرمود: سوره برائت و توحید با هفتاد هزار صف از صفوف ملائکه بر من نازل گردید و هر کدام اهمیت این دو سوره را توصیه می کردند!

4- چرا این سوره «بسم الله» ندارد؟ ص: ۱۷۶

پاسخ این سؤال را چگونگی شروع این سوره به ما می دهد، زیرا این سوره در واقع با اعلان جنگ به دشمنان پیمان شکن، و اظهار برائت و بیزاری و پیش گرفتن یک روش محکم و سخت در مقابل آنان آغاز شده است، و روشنگر خشم خداوند نسبت به این گروه است و بیا (بیشم اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِیمِ» که نشانه صلح و دوستی و محبت و بیان کننده صفت رحمانیت و رحیمیت خداست، تناسب ندارد.

سورة التوبة(٩): آية ١ ص: ١٧٧

(آیه ۱)- پیمانهای مشرکان الغاء میشود! در محیط دعوت اسلام گروههای مختلفی وجود داشتند. گروهی با پیامبر صلّی الله علیه و آله هیچ گونه پیمانی نداشتند، و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در مقابل آنها نیز هیچ گونه تعهدی نداشت.

گروههای دیگری در «حدیبیه» و مانند آن پیمان ترک مخاصمه با رسول خدا صلّی الله علیه و آله بسته بودند. در این میان بعضی از طوائفی که با پیامبر صلّی الله علیه و آله پیمان بسته بودند، یک جانبه و بدون هیچ مجوزی پیمانشان را به خاطر همکاری آشکار با دشمنان اسلام شکستند، و یا در صدد از میان بردن رسول خدا صلّی الله علیه و آله برآمدند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۷۷

این آیه به تمام مشرکان- بت پرستان- اعلام میکند که: هر گونه پیمانی با مسلمانان داشتهاند، لغو خواهد شد، می گوید: «این اعلام برائت و بیزاری خداوند و پیامبرش از مشرکانی که با آنها عهد بسته اید، می باشد» (بَراءَهُ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

از روایات اسلامی استفاده میشود که علی علیه السّلام مأمور شد در آن روز چهار موضوع را به مردم ابلاغ کند:

۱ – الغاى پيمان مشركان.

۲- عدم حق شرکت آنها در مراسم حجّ در سال آینده.

۳- ممنوع بودن طواف افراد عریان و برهنه که تا آن زمان در میان مشرکان رائج بود.

۴- ممنوع بودن ورود مشركان در خانه خدا.

سورة التوبة(٩): آية ٢ ص: ١٧٧

(آیه ۲)- سپس برای آنها یک مهلت چهار ماهه قائل میشود، که در این مدت بیاندیشند، و وضع خود را روشن سازند، و پس از انقضای چهار ماه در زمین آزادانه به هر کجا میخواهید بروید» (فَسِیحُوا فِی الْأَرْض أَرْبَعَةً أَشْهُرِ).

ولى بعـد از چهار ماه وضع دگرگون خواهـد شـد «اما بدانيـد كه شـما نمىتوانيد خداوند را ناتوان سازيد، و از قلمرو قدرت او بيرون رويد» (وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ).

و نيز بدانيد كه: «خداوند كافران مشرك و بت پرست را سر انجام خوار و رسوا خواهد ساخت» (وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِى الْكافِرِينَ).

سورة التوبة (٩): آية ٣ ص: ١٧٧

(آیه ۳)- آنها که پیمانشان محترم است: قرآن بار دیگر موضوع الغای پیمانهای مشرکان را با تأکید بیشتری عنوان کرده و حتی تاریخ اعلام آن را تعیین می کند و می گوید: «این اعلامی است از طرف خدا و پیامبرش به عموم مردم در روز حج اکبر (روز عید قربان) که خداوند و فرستاده او از مشرکان بیزارند» (وَ أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَی النَّاسِ یَوْمَ الْحَجِّ الْأَحْبِرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِیءً مِنَ الْمُشْرِکِینَ وَ رَسُولُهُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۷۸

در حقیقت خداوند میخواهد با این اعلام عمومی در سرزمین مکّه و آن هم در آن روز بزرگ راههای بهانه جویی دشمن را ببندد و زبان بدگویان را قطع کند تا نگویند ما را غافلگیر ساختند و ناجوانمردانه به ما حمله کردند.

سپس روی سخن را به خود مشرکان کرده و از طریق تشویق و تهدیـد برای هـدایت آنها کوشـش میکنـد، نخست می گوید: «اگر توبه کنید (و به سوی خدا باز گردید و دست از آیین بت پرستی بردارید) به نفع شماست» (فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ).

یعنی قبول آیین توحید به نفع شما و جامعه شما و دنیا و آخرت خودتان است و اگر نیک بیندیشید همه نابسامانیهایتان در پرتو آن، سامان می یابد، نه این که سودی برای خدا و پیامبر در برداشته باشد.

بعد به مخالفان متعصب و لجوج هشدار می دهد که: «اگر (از این فرمان که ضامن سعادت خودتان است) سرپیچی کنید بدانید هرگز نمی توانید خداوند را ناتوان سازید» و از قلمرو قدرت او بیرون روید (وَ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّکُمْ غَیْرُ مُعْجِزِی اللَّهِ).

و در پایـان آیه به کسانی که با سرسـختی مقاومت میکننـد اعلام خطر مینمایـد و میگویـد: «کافران بت پرسَت را به عـذاب دردناک بشارت ده» (وَ بَشِّرِ الَّذِینَ کَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِیم).

سورة التوبة(٩): آية 4 ص: ١٧٨

(آیه ۴)- این الغای یک جانبه پیمانهای مشرکان، مخصوص کسانی بود که نشانههایی بر آمادگی برای پیمان شکنی از آنها ظاهر شده بود، لذا در این آیه یک گروه را استثنا کرده، می گوید: «مگر آن دسته از مشرکین که با آنها پیمان بسته اید و هیچ گاه بر خلاف شرایط پیمان گام برنداشتند و کم و کسری در آن ایجاد نکردند، و نه احدی را بر ضد شما تقویت نمودند» (إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِکِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَ لَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً).

«در مورد این گروه تا پایان مدت به عهد و پیمانشان وفادار باشید» (فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ) «زیرا خداوند پرهیزکاران (و آنها را که از هرگونه پیمان شکنی و تجاوز اجتناب میکنند) دوست میدارد» (إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُتَّقِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۷۹

سورة التوبة(٩): آية ۵ ص: ١٧٩

(آیه ۵)- شدت عمل تو أم با نرمش: در اینجا وظیفه مسلمانان پس از پایان مدت مهلت مشرکان، یعنی چهار ماه بیان شده است و شدیدترین دستور را در بـاره آنهـا صـادر کرده، می گویـد: «هنگـامی که ماههـای حرام (مهلت چهار ماهه) پایان گیرد، بت پرستان را هر کجا یافتید به قتل برسانید» (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِکِینَ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ).

سپس می گوید: «آنها را بگیرید و اسیر کنید» (وَ خُذُوهُمْ).

«و آنها را در حلقه محاصره قرار دهید» (وَ احْصُرُوهُمْ).

«و در کمین آنها در هر نقطهای بنشینید و راهها را بر آنها ببندید» (وَ اقْعُدُوا لَهُمْ کُلَّ مَرْصَدٍ).

این شدت عمل به خاطر آن است که برنامه اسلام ریشه کن ساختن بت پرستی از روی کره زمین بوده، زیرا بت پرستی مذهب و آیین نیست که محترم شمرده شود.

ولی این شدت و خشونت نه به مفهوم این است که راه بازگشت به روی آنها بسته شده باشد، بلکه در هر جا و در هر لحظه بخواهند می توانند جهت خود را تغییر دهند، لذا بلافاصله اضافه می کند: «اگر آنها توبه کنند و به سوی حق بازگردند و نماز را برپا دارند و زکات را ادا کنند، آنها را رها سازید» و مزاحمشان نشوید (فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاهُ وَ آتَوُا الزَّ کاهُ فَخُلُّوا سَبِیلَهُمْ). «زیرا خداوند آمرزنده و مهربان است»، و کسی را که به سوی او بازگردد، از خود نمیراند (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

سورة التوبة(٩): آية 6 ص: ١٧٩

(آیه ۶)- سپس این موضوع را با دستور دیگری تکمیل می کند تا تردیدی باقی نمانده که هدف اسلام از این دستور تعمیم توحید و آیین حق و عدالت است، نه استعمار و استثمار و قبضه کردن اموال یا سرزمینهای دیگران، می گوید: «اگر یکی از بت پرستان از تو درخواست پناهندگی کند به او پناه ده تا سخن خدا را بشنود» (وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِینَ اللهِ تَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّی يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ).

یعنی در نهـایت آرامش با او رفتار کن، و مجال انـدیشه و تفکر را به او بـده تا آزادانه به بررسـی محتوای دعوت تو بپردازد، و اگر نور هدایت بر دل او تابید آن را بپذیرد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۸۰

بعد اضافه می کند که: «او را پس از پایان مدت مطالعه به جایگاه امن و امانش برسان» تا کسی در اثناء راه مزاحم او نگردد (ثُمَّ أَیْلِغْهُ مَأْمَنَهُ). و سر انجام علت این دستور سازنده را چنین بیان می کند: «این به خاطر آن است که آنها قومی بی اطلاع و ناآگاهند» (ذلِکُ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَعْلَمُونَ).

بنابراین اگر درهای کسب آگاهی به روی آنها بازگردد، این امید میرود که از بت پرستی که زاییده جهل و نادانی است خارج شوند، و به راه توحید و خدا که مولود علم و دانش است گام بگذارند.

سورة التوبة(٩): آية ٧ ص: ١٨٠

(آیه ۷)- تجاوز کاران پیمان شکن! همان گونه که در آیات قبل دیدیم اسلام پیمانهای مشرکان و بت پرستان را- مگر گروه خاصی - لغو کرد، تنها چهار ماه به آنها مهلت داد تا تصمیم خود را بگیرند، در اینجا دلیل و علت این کار را بیان می کند، نخست به صورت استفهام انکاری می گوید: «چگونه ممکن است مشرکان عهد و پیمانی نزد خدا و نزد پیامبرش داشته باشند»؟! (کَیْفَ یَکُونُ لِلْمُشْرِکِینَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ).

یعنی آنها با این اعمال و این همه کارهای خلافشان نباید انتظار داشته باشند که پیامبر صلّی الله علیه و آله بطور یک جانبه به پیمانهای آنها وفادار باشد.

بعد بلافاصله یک گروه را که در اعمال خلاف و پیمان شکنی با سایر مشرکان شریک نبودند استثنا کرده، می گوید: «مگر کسانی که با آنها نزد مسجد الحرام پیمان بستید» (إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرام).

«این گروه مادام که به پیمانشان در برابر شما وفادار باشند شما هم وفادار بمانید» (فَمَا اَسْتَقَامُوا لَکُمْ فَاسْتَقِیمُوا لَهُمْ). «زیرا خداوند پرهیزکاران (و آنها را که از هرگونه پیمان شکنی اجتناب میورزند) دوست دارد» (إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُتَّقِینَ).

سورة التوبة(9): آية 1 ص: 180

(آیه ۸)- در این آیه موضوع فوق با صراحت و تأکید بیشتری بیان شده است، و باز به صورت استفهام انکاری می گوید: «چگونه (ممکن است عهد و پیمان آنها را محترم شمرد) در حالی که اگر آنها بر شما غالب شوند هیچ گاه نه بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۸۱

مراعات خویشاوندی با شما را می کنند و نه پیمان را» (کَیْفَ وَ إِنْ یَظْهَرُوا عَلَیْکُمْ لا یَرْقُبُوا فِیکُمْ إِلَّا وَ لا ذِمَّهُ). بعد قرآن اضافه می کند که هیچ گاه فریب سخنان دلنشین و الفاظ به ظاهر زیبای آنها را نخورید زیرا: «آنها میخواهند شما را با دهانها (و سخنان) خود راضی کنند، ولی دلهای آنها از این موضوع ابا دارد» (یُرْضُونَکُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَ تَأْبی قُلُوبُهُمْ). و در پایان آیه اشاره به ریشه اصلی این موضوع کرده، می گوید: «و بیشتر آنها فاسق و نافرمانبردارند» (وَ أَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ)

سورة التوبة(٩): آية ٩ ص : ١٨١

(آیه ۹)- در این آیه یکی از نشانه های فسق و نافرمانبرداری آنها را چنین توضیح می دهد: «آنها آیات خدا را با بهای کمی معامله کردند، و به خاطر منافع زود گذر مادی و ناچیز خود، مردم را از راه خدا باز داشتند» (اشْتَرَوْا بِآیاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِیلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبیلهِ).

بعد می گوید: «چه عمل بدی آنها انجام می دادند» (إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ). هم خود را از سعادت و هدايت و خوشبختي

محروم میساختند، و هم سدّ راه دیگران میشدند، و چه عملی از این بدتر!

سورة التوبة(٩): آية ١٠ ص: ١٨١

(آیه ۱۰)- در این آیه بار دیگر گفتار سابق را تأکید می کند که: «این مشرکان اگر دستشان برسد، در باره هیچ فرد با ایمانی کمترین ملاحظه خویشاوندی و عهد و پیمان را نخواهند کرد» (لا یَرْقُبُونَ فِی مُؤْمِنِ إِلَّا وَ لا ذِمَّةً).

«چرا كه اينها اصولا مردمي تجاوزكارند» (وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ).

نه تنها در باره شما، در مورد هر کس که توانایی داشته باشند دست به تجاوز میزنند.

سورة التوبة (٩): آية 11 ص: ١٨١

(آیه ۱۱)- یکی از فنون فصاحت و بلاخت آن است که مطالب پر اهمیت را با تعبیرات گوناگون برای تأکید و جا افتادن مطلب تکرار کنند، و از آنجا که مسأله ضربه نهایی بر پیکر بت پرستی در محیط اسلام و برچیدن آخرین آثار آن از مسائل بسیار مهم بوده است، بار دیگر قرآن مجید مطالب گذشته را با عبارات تازهای بیان می کند.

نخست مى گويد: «اگر مشركان توبه كنند و نماز را برپا دارند و زكات را برگزيده تفسير نمونه، ج٢، ص: ١٨٢ بپردازند برادر دينى شما هستند» (فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِى الدِّينِ).

و در پایان آیه اضافه می کند: «ما آیات خود را برای آنها که آگاهند شرح میدهیم» (وَ نُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْم یَعْلَمُونَ).

سورة التوبة(٩): آية ١٢ ص: ١٨٢

(آیه ۱۲)- «اما اگر آنها همچنان به پیمان شکنی خود ادامه دهنـد، و عهد خود را زیر پا بگذارند، و آیین شـما را مورد مذمت قرار داده، و به تبلیغات سوء خود ادامه دهنـد، شـما با پیشوایان این گروه کافر پیکار کنید» (وَ إِنْ نَکَثُوا أَیْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِی دِینِکُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّهُ الْکُفْرِ).

و سر چشمههای گمراهی و ضلالت و ظلم را ببندید.

«چرا که عهد و پیمان آنها کمترین ارزشی ندارد» (إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ).

درست است که آنها با شما پیمان ترک مخاصمه بستهاند، ولی این پیمان با نقض شدن مکرر و آمادگی برای نقض در آینده اصلا اعتبار و ارزشی نخواهد داشت.

«تـا (بـا توجه به این شـدت عمـل و با توجه به این که راه بازگشت به روی آنها باز است) از کار خود پشـیمان شونـد و دسـت بردارند» (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ).

سورة التوبة (٩): آية ١٣ ص: ١٨٢

(آیه ۱۳)- در این آیه برای تحریک مسلمانان و دور ساختن هرگونه سستی و ترس و تردیـد در این امر حیاتی از روح و فکر آنها، می گوید: «چگونه شـما با گروهی پیکار نمی کنید که پیمانهایشان را شکستند، و تصمیم گرفتند پیامبر را از سرزمین خود خارج كنند» (أَ لا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَ هَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ).

شما آغازگر مبارزه لغو پیمان نبودهایـد که نگران و ناراحت باشـید، بلکه «مبارزه و پیمان شـکنی در آغاز از آنها شـروع شـده است» (وَ هُمْ بَدَوُّکُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ).

و اگر تردید بعضی از شما در پیکار با آنها به خاطر ترس است، این ترس کاملا بی جاست، «آیا شما از این افراد بی ایمان می ترسید، در حالی که خداوند سزاوار تر است که از او و از مخالفت فرمانش بترسید، اگر به راستی شما ایمان دارید» (أَ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

سورة التوبة(٩): آية ١٤ ص: ١٨٢

(آیه ۱۴)– در این آیه وعده پیروزی قطعی به مسلمانان میدهد و می گوید: بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۸۳ «با آنها پیکار کنید که خداوند آنها را به دست شما مجازات می کند» (قاتِلُوهُمْ یُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَیْدِیکُمْ).

نه فقط مجازات می کند بلکه «خوار و رسوایشان میسازد و شما را بر آنها پیروز می گرداند» (وَ یُخْزِهِمْ وَ یَنْصُرْکُمْ عَلَیْهِمْ). و به این ترتیب «دلهای گروهی از مؤمنان را (که تحت فشار و شکنجه سخت این گروه سنگدل قرار گرفته و در این راه قربانیهایی داده بودند) شفا میدهد» و بر جراحات قلب آنها از این راه مرهم مینهد» (وَ یَشْفِ صُدُورَ قَوْم مُؤْمِنِینَ).

سورة التوبة(٩): آية 15 ص: ١٨٣

(آیه ۱۵)- در این آیه اضافه می کند که: خداوند در پرتو پیروزی شما و شکست آنها «خشم دلهای مؤمنان را فرو مینشاند» (وَ یُذْهِبْ غَیْظَ قُلُوبِهِمْ).

و در پایان آیه می فرماید: «خداوند توبه هر کسی را که بخواهد (و مصلحت بداند) می پذیرد» (وَ یَتُوبُ اللَّهُ عَلی مَنْ یَشاءُ). «و خداوند دانا و حکیم است» (وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ).

از نیات توبه کنندگان آگاه و دستورهایی را که در باره آنها و همچنین پیمان شکنان داده است حکیمانه میباشد.

جمله های اخیر بشارتی است به این که چنین افرادی در آینده به سوی مسلمانها خواهند آمد و توفیق الهی به خاطر آمادگی روحیشان شامل حال آنها خواهد بود.

سورة التوبة(٩): آية 16 ص: ١٨٣

(آیه ۱۶) - در این آیه مسلمانان را از طریق دیگری تشویق به جهاد کرده، متوجه مسؤولیت سنگین خود در این قسمت می کند که نبایـد تصور کنیـد، تنها با ادعای ایمان همه چیز درست خواهد شد، بلکه صدق نیت و درستی گفتار، و واقعیت ایمان شما در مبارزه با دشمنان، آن هم یک مبارزه خالصانه و دور از هرگونه نفاق، روشن می شود.

نخست می گوید: «آیا گمان کردید شما به حال خودتان رها می شوید؟ و در میدان آزمایش قرار نخواهید گرفت، در حالی که هنوز مجاهدین شما، و همچنین کسانی که جز خدا و پیامبر صلّی الله علیه و آله و مؤمنان محرم اسراری برای خود انتخاب نکردهاند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۸۴

مشخص نشدهاند»؟ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ

وَلِيجَةً).

در حقیقت جمله فوق دو مطلب را به مسلمانان گوشزد می کند، و آن این که تنها با اظهار ایمان کارها سامان نمی یابد، و شخصیت اشخاص روشن نمی شود، بلکه با دو وسیله آزمایش، مردم آزمون می شوند.

نخست جهاد در راه خدا، و برای محو آثار شرک و بت پرستی و دوم ترک هرگونه رابطه و همکاری با منافقان و دشمنان، که اولی دشمنان خارجی را بیرون میراند و دومی دشمنان داخلی را.

و در پایان آیه به عنوان اخطار و تأکید می فرماید: «خداوند از آنچه انجام می دهید آگاه است» (وَ اللَّهُ خَبِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ).

سورة التوبة(9): آية 17 ص: 184

(آیه ۱۷) – عمران مسجد در صلاحیت همه کس نیست: از جمله موضوعاتی که بعد از لغو پیمان مشرکان و حکم جهاد با آنان ممکن بود برای بعضی مطرح گردد، این بود که چرا ما این گروه عظیم را از خود برانیم و اجازه ندهیم به مسجد الحرام برای مراسم حج قدم بگذارند، در حالی که شرکت آنان در این مراسم از هر نظر مایه آبادی است، هم آبادی بناء مسجد الحرام از طریق کمکهای مالی و هم آبادی معنوی از نظر افزایش جمعیت در اطراف خانه خدا! قرآن به این گونه افکار واهی و بی اساس پاسخ می گوید، و تصریح می کند:

«مشركان حق ندارند مساجد خدا را آباد كنند در حالى كه صريحا به كفر خود گواهى مىدهند» (ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ).

سپس به دلیل و فلسفه این حکم اشاره کرده، می گوید: «اینها (به خاطر نداشتن ایمان) اعمالشان نابود می شود و بر باد می رود» و در پیشگاه خدا کمترین وزن و قیمتی ندارد (أُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ).

و به همین دلیل «آنها جاودانه در آتش دوزخ باقی میمانند» (وَ فِی النَّارِ هُمْ خالِدُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۸۵ خداونـد پاک و منزه است، و خانه او نیز بایـد پاک و پاکیزه باشـد و دسـتهای آلودگان از خانه خـدا و مساجـد باید بکلی قطع گردد.

سورة التوبة (٩): آية ١٨ ص: ١٨٥

اشاره

(آیه ۱۸) - در این آیه برای تکمیل این سخن شرایط آباد کننـدگان مساجـد و کانونهای پرسـتش و عبادت را ذکر میکند، و برای آنها پنج شـرط مهم بیان میدارد و میگوید: «تنها کسانی مساجد خدا را آباد میسازند که ایمان به خدا و روز رسـتاخیز دارند» (إنَّما یَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْم الْآخِر).

این اشاره به شرط اول و دوم است، که جنبه اعتقادی و زیر بنایی دارد.

بعد به شرطهای سوم و چهارم اشاره کرده، می گوید: «و نماز را برپا دارند و زکات را بدهند» (وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَی الزَّکاةَ). یعنی ایمانش به خدا و روز رستاخیز تنها در مرحله ادعا نباشد، بلکه با اعمال پاکش آن را تأیید کند، هم پیوندش با خدا محکم باشد و نماز را به درستی انجام دهد، و هم پیوندش با خلق خدا، و زکات را بپردازد. سر انجام به آخرین شرط اشاره کرده، می گوید «و جز از خدا نترسند» (وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ).

قلبشان مملو از عشق به خداست و تنها احساس مسؤولیت در برابر فرمان او می کنند بندگان ضعیف را کوچکتر از آن می شمرند که بتوانند در سرنوشت مسلمانان و در آبادی کانون عبادت آنان تأثیری داشته باشند.

و در پایان اضافه می کند: «این گروه که دارای چنین صفاتی هستند ممکن است هدایت شوند» (فَعَسی أُولئِکَ أَنْ یَکُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِینَ). و به هدف خود برسند و در عمران و آبادی مساجد خدا بکوشند و از نتایج بزرگ آن بهرهمند شوند.

اهمیت بنای مساجد: ص: ۱۸۵

در باره اهمیت بنای مسجد احادیث فراوانی از طرق اهل بیت علیهم السّلام و اهل سنت رسیده است.

از جمله، از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله چنین نقل شده که فرمود: «کسی که مسجدی بنا کند هر چند به اندازه لانه مرغی بوده باشد، خداوند خانهای در بهشت برای او بنا خواهد ساخت». برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۸۶

ولی امروز آنچه بیشتر اهمیت دارد، عمران و آبادی معنوی مساجد است.

و باید مسجد، مرکزی برای جوانان با ایمان گردد، نه این که تنها مرکز بازنشستگان و از کار افتادگان شود.

مسجد باید کانونی برای فعالترین قشرهای اجتماع باشد، نه مرکز افراد بیکار، و بی حال و خواب آلودهها!

سورة التوبة(٩): آية ١٩ ص: ١٨٦

اشاره

(آیه ۱۹)

شأن نزول: ص: ۱۸۶

در مورد نزول این آیه و سه آیه بعد نقل شده که: «شیبه» و «عباس» هر کدام بر دیگری افتخار می کرد و در این باره مشغول به سخن بودند که علی علیه السّلام از کنار آنها گذشت، و پرسید: به چه چیز افتخار می کنید؟

«عباس» گفت: امتیازی به من داده شده که احدی ندارد، و آن مسأله آب دادن به حجّاج خانه خداست.

«شبیه» گفت من تعمیر کننده مسجد الحرام (و کلیددار خانه کعبه) هستم.

على عليه السّلام فرمود: با اين كه از شما حيا مي كنم بايد بگويم كه با اين سن كم افتخارى دارم كه شما نداريد، آنها پرسيدند كدام افتخار؟! فرمود: من با شمشير جهاد كردم تا شما ايمان به خدا و پيامبر صلّى اللّه عليه و آله آورديد.

«عباس» خشمناک برخاست و دامن کشان به سراغ پیامبر صلّی الله علیه و آله آمد (و به عنوان شکایت) گفت: آیا نمی بینی علی چگونه با من سخن می گوید؟

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: علی را صدا کنید، هنگامی که به خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمد فرمود چرا این گونه

با عمویت (عباس) سخن گفتی؟

على عليه السّ لام عرض كرد: اى رسول خدا! اگر من او را نـاراحت سـاختم بـا بيـان حقيقتى بوده است، در برابر گفتار حق هر كس مىخواهـد نـاراحت شود، و هر كس مىخواهـد خشـنود! جبرئيل نازل شـد و گفت: اى محمـد! پروردگارت به تو سـلام مىفرستد، و مىگويد اين آيات را بر آنها بخوان أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةُ الْحاجِّ وَ

تفسير: ص: ۱۸۶

مقیاس افتخار و فضیلت! همان گونه که در شأن نزول خواندیم مطابق روایتی که در بسیاری از معروفترین کتب اهل سنت نقل شده این آیات برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۸۷

در مورد على عليه السّلام و بيان فضائل او نازل شده، و در عين حال مكمل بحث آيات گذشته است.

آیه می گوید: «آیا سیراب کردن حاجیان خانه خدا و عمران مسجد الحرام را همانند کار کسی قرار دادید که ایمان به خدا و روز قیامت دارد و در راه خدا جهاد کرده است؟ این دو هیچ گاه در نزد خدا یکسان نیستند و خداوند جمعیت ستمکار را هدایت نمی کند» (أَ جَعَلْتُمْ سِتَقَایَةُ الْحاجِّ وَ عِمارَةً الْمَسْ ِجِدِ الْحَرامِ کَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ لا یَشتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ).

از تواریخ چنین برمی آید که قبل از اسلام منصب «سِـقایَهٔ الْحاجِّ» در ردیف نصب کلیدداری خانه کعبه و از مهمترین مناصب محسوب می شد.

سورة التوبة(9): آية 20 ص: 186

(آیه ۲۰) - در این آیه به عنوان تأکید و توضیح میفرماید: «کسانی که ایمان آوردند، و هجرت نمودند، و در راه خدا با مال و جان خود جهاد کردند، اینها در پیشگاه خداوند مقامی برتر و بزرگتر دارند» (الَّذِینَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَـدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ).

«و اينها به افتخار بزرگى نائل شدهاند» (أُولئِكُ هُمُ الْفائِزُونَ).

سورة التوبة (٩): آية ٢١ ص: ١٨٧

(آیه ۲۱)- در این آیه می گوید خداوند سه موهبت بزرگ در برابر این سه کار مهم (ایمان، هجرت و جهاد) به آنها می بخشد: ۱- «پروردگارشان آنها را به رحمت گسترده خود بشارت می دهد» و از آن بهرهمند می سازد (یُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ).

۲- «آنها را از رضایت و خشنودی خویش بهرهمند می کند» (وَ رِضُوانٍ).

۳- «و باغهایی از بهشت در اختیار آنها می گذارد که نعمتهایش دائمی و همیشگی است» (وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِیها نَعِیمٌ مُقِیمٌ).

سورة التوبة(٩): آية 22 ص: 187

(آیه ۲۲)- در این آیه برای تأکید بیشتر اضافه می کند: «جاودانه در آن تا ابد خواهند ماند» (خالِدِینَ فِیها أَبَداً). «زیرا نزد خداوند پاداشهای عظیم است» که در برابر اعمال بندگان به آنها می بخشد (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِیمٌ).

سورة التوبة(٩): آية 27 ص: ١٨٧

(آیه ۲۳)- همه چیز فدای هدف و برای خدا! آخرین وسوسه و بهانهای که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۸۸

ممکن بود برای گروهی از مسلمانان در برابر دستور پیکار با بت پرستان پیدا شود- و طبق بعضی از تفاسیر پیدا شد- این بود که آنها فکر می کردند که از یک سو در میان مشرکان و بت پرستان، خویشاوندان و بستگان نزدیک آنها وجود دارند و اگر بنا شود با همه مشرکان پیکار کنند باید از خویشاوندان و قبیله خود چشم بپوشند! از سوی دیگر سرمایهها و تجارت آنان تا حد زیادی در دست مشرکان بود، با آمد و شد آنها به مکّه آن را رونق می بخشیدند.

و از سوی سوم خانههای مرفّه و نسبتا آبادی در مکّه داشتند که در صورت درگیری با مشرکان ممکن بود به ویرانی بکشد. آیه شریفه با بیان قاطعی به این گونه اشخاص پاسخ صریح میدهد، نخست میگوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! پدران و برادران خود را در صورتی که کفر را بر ایمان مقدم دارند یار و یاور و متحد و ولی خود قرار ندهید» (یا أَثْیَهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَکُمْ وَ إِخْوانَکُمْ أَوْلِیاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْکُفْرَ عَلَی الْإیمانِ).

سپس به عنوان تأکید اضافه میکند: «کسانی که از شما آنها را به یاری، دوستی و ولایت برگزینند ستمگرند» (وَ مَنْ یَتَوَلَّهُمْ مِنْکُمْ فَأُولِئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

چه ظلمی از این بالاتر که انسان با پیوند دوستی با بیگانگان و دشمنان حق، هم به خویشتن ستم کند و هم به جامعهای که تعلق به آن دارد، و هم به فرستاده خدا!

سورة التوبة(٩): آية 24 ص: ١٨٨

(آیه ۲۴) - در این آیه به خاطر اهمیت فوق العاده موضوع، همین مطلب با شرح و تأکید و تهدید بیشتری بیان می شود، روی سخن را به پیامبر کرده، می فرماید: «به آنها بگو: اگر پدران، و فرزندان و برادران و همسران و طایفه شما، و اموالی که به دست آورده اید، و تجارتی که از کساد آن بیم دارید و مساکن مرفهی که مورد رضایت و علاقه شماست، در نظرتان محبوبتر از خدا و پیامبر او و جهاد در راهش می باشد، در انتظار باشید که مجازات و کیفر شدیدی از ناحیه خدا بر شما نازل گردد» (قُلْ إِنْ کانَ آباؤُکُمْ وَ أَبْناؤُکُمْ وَ إِخُوانُکُمْ وَ أَزْواجُکُمْ وَ عَشِیرَتُکُمْ وَ أَمُوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ کَسادَها وَ مَساکِنُ تَرْضَوْنَها وَ رَسُولِهِ وَ جِهادٍ فِی سَبِیلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّی یَأْتِی اللَّهُ بِأَمْرِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۸۹ و از آنجا که ترجیح این امور بر رضای خدا و جهاد یک نوع نافرمانبرداری و فسق آشکار است و دلباختگان زرق و برق

ا نچه در ایات فوق میخوانیم مفهومش بریدن پیوندهای دوستی و محبت با خویشاوندان و نادیده کرفتن سرمایه های اقتصادی و سوق دادن به ترک عواطف انسانی نیست، بلکه منظور این است که بر سر دو راهیها نبایید عشق زن و فرزنید و مال و مقام و خانه و خانواده مانع از اجرای حکم خدا و گرایش به جهاد گردد و انسان را از هدف مقدسش باز دارد. لذا اگر انسان بر سر دو راهی نباشد رعایت هر دو بر او لازم است.

آیات فوق به عنوان یک شعار، باید به تمام فرزندان و جوانان مسلمانان تعلیم گردد تا روح فداکاری و سلحشوری و ایمان در آنها زنده شود، و بتوانند دین خدا و میراثهای خود را پاسداری کنند.

سورة التوبة(٩): آية 25 ص: 189

(آیه ۲۵)- انبوه جمعیت به تنهایی کاری نمی کند: در آیات گذشته دیدیم که خداوند مسلمانان را دعوت به فداکاری همه جانبه در مسیر جهاد و برانداختن ریشه شرک و بت پرستی می کند، و به آنها که عشق زن و فرزند، اقوام و خویشاوندان، و مال و ثروت آن چنان روحشان را فراگرفته که حاضر به فداکاری و جهاد نیستند، شدیدا اخطار می کند.

به دنبال آن به مسأله مهمی اشاره می کند که هر رهبری در لحظات حساس باید پیروان خود را به آن متوجه سازد، و آن این که: اگر عشق مال و فرزند گروهی از افراد ضعیف الایمان را از جهاد بزرگی که با مشرکان در پیش داشتند باز دارد، نباید گروه مؤمنان راستین از این موضوع نگرانی به خود راه دهند، برای این که خداوند نه در آن روزهایی که نفراتشان کم بود (مانند میدان جنگ بدر) آنها را تنها گذارد، و نه در آن روز که جمعیتشان چشم پر کن بود (مانند میدان جنگ حنین)، انبوه جمعیت دردی را از آنها دوا کرد، بلکه در هر حال یاری خدا و مددهای او بود که باعث پیروزیشان شد. برگزیده تفسیر نمونه، ح۲، ص: ۱۹۰

لذا نخست مي گويد: «خداوند شما را در ميدانهاي بسياري ياري كرد» (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ).

عدد میدانهای نبرد اسلام و کفر در زمان پیامبر به هشتاد میرسد.

سپس اضافه می کنـد: «و در روز حنین شـما را یـاری نمـود، در آن روز که فزونی جمعیتتـان مـایه اعجـاب شـما بـود ولی هیچ مشکلی را برای شما حل نکرد» (وَ یَوْمَ حُنَیْنِ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْکُمْ شَیْئاً).

تعداد لشکر اسلام را در این جنگ دوازده هزار نفر نوشتهاند که در هیچ یک از جنگهای اسلامی تا آن روز این عدد سابقه نداشت، آن چنانکه بعضی از مسلمانان مغرورانه گفتند: «لن نغلب الیوم» هیچ گاه با این همه جمعیت امروز شکست نخواهیم خورد! اما این انبوه جمعیت که گروهی از آنها از افراد تازه مسلمان و ساخته نشده بودند، موجب فرار لشکر و شکست ابتدایی شدند.

این شکست ابتدایی چنان بود که قرآن اضافه می کند: «و زمین با آن همه وسعتش بر شما تنگ شد» (وَ ضاقَتْ عَلَیْکُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ).

«سپس پشت به دشمن كرده و فرار نموديد» (ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ).

سورة التوبة(٩): آية 27 ص: ١٩٠

(آیه ۲۶) - در این موقع که سپاه اسلام در اطراف سرزمین حنین پراکنده شده بود، و جز گروه کمی با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله باقی نمانده بودند، و پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله به خاطر فرار آنها شدیدا نگران و ناراحت بود، «خداوند آرامش و اطمینان خویش را بر پیامبرش و بر مؤمنان فرستاد» (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِینَتَهُ عَلی رَسُولِهِ وَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ).

«و هم چنین لشکریانی که شما نمی دیدید، (برای تقویت و یاریتان) فرو فرستاد» (وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها).

و در پایان نتیجه نهایی جنگ «حنین» را چنین بیان می کند: «خداوند افراد بیایمان و بت پرست را کیفر داد» (وَ عَـذَبَ الَّذِینَ کَفَرُوا). گروهی کشته و گروهی اسیر و جمعی پا به فرار گذاردند آن چنان که از دسترس ارتش اسلام خارج شدند. «و این است کیفر افراد بی ایمان»! (وَ ذلِکَ جَزاءُ الْکافِرینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۹۱

سورة التوبة(9): آية 27 ص: 191

اشاره

(آیه ۲۷) – ولی با این حال درهای توبه و بازگشت را به روی اسیران و فرارکنندگان از کفار باز گذارد که اگر مایل باشند به سوی خدا باز گردند و آیین حق را بپذیرند، چنانکه قرآن می گوید: «سپس خداوند بعد از این جریان توبه هر کس را بخواهد (و او را شایسته و آماده برای توبه واقعی بداند) می پذیرد» (ثُمَّ یَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِکَ عَلی مَنْ یَشاءً). «چرا که خداوند آمرزنده و مهربان است» (و اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

و هیچ گاه درهای توبه را به روی کسی نمیبندد، و از رحمت گسترده خود کسی را نومید نمیسازد.

غزوه عبرتانگيز حنين: ص: 191

در آخر ماه رمضان یا در ماه شوال سنه هشتم هجرت بود که رؤسای طایفه «هوازن» نزد «مالک بن عوف» جمع شدند و اموال و فرزندان و زنان خود را به همراه آوردند تا به هنگام در گیری با مسلمانان هیچ کس فکر فرار در سر نپروراند و به این ترتیب وارد سرزمین «اوطاس» شدند.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله پرچم بزرگ لشکر را بست و به دست علی علیه السّیلام داد. دو هزار نفر از مسلمانانی که در فتح مکّه اسلام را پذیرفته بودند برای میدان جنگ حرکت کردند.

هنگامی که پیامبر نماز صبح را با یاران خواند فرمان داد به طرف سرزمین «حنین» سرازیر شدند، در این موقع بود که ناگهان لشکر «هوازن» از هر سو مسلمانان را زیر رگبار تیرهای خود قرار دادند. گروهی که در مقدمه لشکر قرار داشتند (و در میان آنها تازه مسلمانان مکّه بودند) فرار کردند، و این امر سبب شد که باقیمانده لشکر به وحشت بیفتند و فرار کنند.

خداوند در اینجا آنها را با دشمنان به حال خود واگذارد و موقتا دست از حمایت آنها برداشت زیرا به جمعیت انبوه خود مغرور بودند، و آثار شکست در آنان آشکار گشت.

اما على عليه السّر لام كه پرچمدار لشكر بود با عده كمى در برابر دشمن ايستادند و همچنان به پيكار ادامه دادند. برگزيده تفسير نمونه، ج٢، ص: ١٩٢

در این هنگام پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به عباس که صدای بلند و رسایی داشت دستور داد فورا از تپهای که در آن نزدیکی بود بالا رود و به مسلمانان فریاد زند: «ای گروه مهاجران و انصار! و ای یاران سوره بقره! و ای اهل بیعت شجره! به کجا فرار می کنید؟ پیامبر صلّی الله علیه و آله اینجاست»! هنگامی که مسلمانان صدای عباس را شنیدند بازگشتند و گفتند: «لبّیک، لبّیک» و حمله سختی از هر جانب به سپاه دشمن کردند. آن چنان که حدود یک صد نفر از سپاه دشمن کشته شد و اموالشان به غنیمت به دست مسلمانان افتاد و گروهی نیز اسیر شدند.

پس از پایان جنگ نمایندگان و رئیس قبیله هوازن خدمت پیامبر آمدند و اسلام را پذیرفتند و پیامبر محبت زیاد به آنها کرد.

سورة التوبة(٩): آية 28 ص: 192

(آیه ۲۸)- مشرکان حق ورود به مسجد الحرام را ندارند! یکی از فرمانهای چهارگانهای که علی علیه السّدلام در مراسم حج سال نهم هجرت، به مردم مکّه ابلاغ کرد این بود که از سال آینده هیچ یک از مشرکان حق ورود به مسجد الحرام و طواف خانه کعبه را ندارد، این آیه اشاره به این موضوع و فلسفه آن کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! مشرکان آلوده و ناپاکند، بنابراین نباید بعد از امسال نزدیک مسجدالحرام شوند» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِکُونَ نَجَسٌ فَلا یَقْرَبُوا الْمُشْجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهمْ هذا).

سپس در پاسخ افراد کوته بینی که اظهار میداشتند اگر پای مشرکان از مسجد الحرام قطع شود، کسب و کار و تجارت ما از رونق میافتد، و فقیر و بیچاره خواهیم شد، می گوید: «و اگر از فقر و احتیاج می ترسید، به زودی خداوند اگر بخواهد از فضلش شما را بی نیاز می سازد» (وَ إِنْ خِفْتُمْ عَیْلَةً فَسَوْفَ یُغْنِیکُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ).

همان گونه که به عالی ترین وجهی بی نیاز ساخت، و با گسترش اسلام در عصر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله سیل زائران خانه خدا به سوی مکّه به حرکت در آمد، و این موضوع تا به امروز ادامه دارد، و مکّه که در میان یک مشت کوههای خشک و سنگلاخهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۹۳

بی آب و علف است، به صورت یک شهر بسیار آباد و یک کانون مهم داد و ستد و تجارت در آمده است. و در پایان آیه اضافه می کند: «خداوند دانا و حکیم است» (إنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ حَکِیمٌ).

و هر دستوری میدهد بر طبق حکمت است و از نتائج آینده آن کاملا آگاه و با خبر میباشد.

سورة التوبة(٩): آية 29 ص: 193

اشاره

(آیه ۲۹)- وظیفه ما در برابر اهل کتاب: در آیات گذشته سخن از وظیفه مسلمانان در برابر «بت پرستان» بود، این آیه و آیات آینده تکلیف مسلمین را با «اهل کتاب» روشن میسازد.

در این آیات در حقیقت اسلام برای آنها یک سلسله احکام حد وسط میان «مسلمین» و «مشرکین» قائل شده است، زیرا اهل کتاب از نظر پیروی از یک دین آسمانی شباهتی با مسلمانان دارند، ولی از جهتی نیز شبیه به مشرکان هستند، به همین دلیل اجازه کشتن آنها را نمی دهد در حالی که این اجازه را در باره بت پرستانی که مقاومت به خرج می دادند، می داد، زیرا برنامه، برنامه ریشه کن ساختن بت پرستی از روی کره زمین بوده است.

ولی در صورتی اجازه کنار آمدن با اهل کتاب را می دهد که آنها حاضر شوند به صورت یک اقلیّت سالم مذهبی با مسلمانان زندگی مسالمت آمیز داشته باشند، اسلام را محترم بشمرند و دست به تحریکات بر ضد مسلمانان و تبلیغات مخالف اسلام نزنند، و یکی دیگر از نشانه های تسلیم آنها در برابر این نوع همزیستی مسالمت آمیز آن است که «جزیه» را که یک نوع مالیات سرانه است، بپذیرند و هر ساله آن را به حکومت اسلامی بپردازند.

در غیر این صورت دستور مبارزه و پیکار با آنها را صادر می کند، دلیل این شدت عمل را در لابلای سه جمله در آیه مورد بحث روشن میسازد.

نخست مى گويىد: «با كسانى كه ايمان به خـدا و روز قيامت ندارند، پيكار كنيد» (قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ). برگزيده تفسير نمونه، ج٢، ص: ١٩۴

اما چگونه اهل کتاب مانند یهود و نصاری ایمان به خدا و روز رستاخیز ندارند، با این که به ظاهر می بینیم هم خدا را قبول دارند و هم معاد را، این به خاطر آن است که ایمان آنان آمیخته به خرافات و مطالب بی اساس فراوانی است.

سپس به دومین صفت آنها اشاره می کند که آنها در برابر محرّمات الهی تسلیم نیستند «و آنچه را که خدا و پیامبرش تحریم کرده، حرام نمی شمرند» (وَ لا یُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ). آلودگی به شراب، ربا، خوردن گوشت خوک و ارتکاب بسیاری از بی بند و باریهای جنسی در میان آنها رواج دارد.

بالاخره به سومین صفت آنها اشاره کرده، می گوید: «آنها بطور کلی آیین حق را قبول ندارند» (وَ لا یَدِینُونَ دِینَ الْحَقِّ). یعنی ادیان آنها از مسیر اصلی منحرف شده بسیاری از حقایق را به دست فراموشی سپردهاند و انبوهی از خرافات را به جای آن نشانیدهاند.

پس از ذكر اين اوصاف سه گانه كه در حقيقت مجوز مبارزه با آنهاست مى گويد: «اين حكم در باره آنهاست كه اهل كتابند» (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ).

بعد تفاوتی را که آنها با مشرکان و بت پرستان دارند در ضمن یک جمله بیان کرده و می گوید: «این مبارزه تا زمانی خواهد بود که جزیه را با دست خود با خضوع و تسلیم بپردازند» (حَتَّی یُعْطُوا الْجِزْیَةَ عَنْ یَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ).

جزیه چیست؟ ص: ۱۹۴

«جزیه» یک نوع مالیات سرانه اسلامی است که به افراد تعلق می گیرد، نه بر اموال و اراضی، و به تعبیر دیگر «مالیات سرانه سالانه» است.

فلسفه اصلی این مالیات این است که دفاع از موجودیت و استقلال و امنیت یک کشور وظیفه همه افراد آن کشور است، بنابراین هرگاه جمعی عملا برای انجام این وظیفه قیام کنند، و عدهای دیگر به خاطر اشتغال به کسب و کار نتوانند در صف سربازان قرار گیرند وظیفه گروه دوم این است که هزینه جنگجویان و حافظان امنیت را به صورت یک مالیات سرانه در سال بپردازند.

بنابراین جزیه تنها یک نوع کمک مالی است، که از طرف اهل کتاب در برابر مسؤولیتی که مسلمانان به منظور تأمین امنیت جان و مال آنها به عهده برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۹۵

می گیرند، پرداخت می گردد.

سورة التوبة (٩): آية 30 ص: 190

(آیه ۳۰)- بت پرستی اهل کتاب: در آیات گذشته پس از بحث پیرامون مشرکان و لغو پیمانهای آنها و لزوم برچیده شدن آیین بت پرستی اشاره به وضع «اهل کتاب» شده بود.

در اینجا وجه شباهت اهل کتاب- مخصوصا یهود و نصاری- را با مشرکان و بت پرستان بیان می کند تا روشن شود که اگر در مورد اهـل کتاب نیز تا حـدودی سـختگیری به عمل آمـده به خاطر انحرافشان از توحیـد و گرایش آنها به نوعی از «شـرک در عقیده» و «شرک در عبادت» است.

نخست می گوید: «یهود گفتند: عزیر پسر خداست»! (وَ قَالَتِ الْیَهُودُ عُزَیْرٌ ابْنُ اللَّهِ). «و مسیحیان نیز گفتند: مسیح پسر خداست»! (وَ قَالَتِ النَّصَاری الْمَسِتِیحُ ابْنُ اللَّهِ). «این سخنی است که آنها با زبان می گویند» و حقیقتی در آن نهفته نیست (ذلِکَ قَوْلُهُمْ بَأَفْواهِهِمْ). «این گفتگوی آنها شبیه گفتار مشرکان پیشین است» که از آنان تقلید کردهاند (یُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَبْلُ). «خداوند آنها را بکشد و به لعن خود گرفتار و از رحمتش دور سازد، چگونه دروغ می گویند و به انحراف کشانده می شوند» (قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّی یُؤْفِکُونَ).

عزیر کیست؟ «عزیر» در لغت عرب همان «عزرا» در لغت یهود است که در تاریخ یهود موقعیت خاصی دارد تا آنجا که بعضی اساس ملیت و درخشش تاریخ این جمعیت را به او نسبت میدهند و در واقع او خدمت بزرگی به این آیین کرد، زیرا هنگامی که به وسیله «بخت نصّر» پادشاه «بابل» وضع یهود بکلی درهم ریخته شد، شهرهای آنها به دست سربازان افتاد و معبدشان ویران و کتاب آنها تورات سوزانده شد.

سپس هنگامی که «کوروش» پادشاه ایران «بابل» را فتح کرد، «عزرا» که یکی از بزرگان یهود در آن روز بود نزد وی آمـد و برای آنها شفاعت کرد.

در این هنگام او طبق آنچه در خاطرش از گفته های پیشینیان یهود باقی مانیده بود «تورات» را از نو نوشت. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۹۶

به همین دلیل یهود او را یکی از نجات دهندگان و زنده کنندگان آیین خویش میدانند و به همین جهت برای او فوق العاده احترام قائلند.

این موضوع سبب شد که گروهی از یهود لقب «ابن الله» (فرزند خدا) را برای او انتخاب کنند.

سورة التوبة (9): آية 31 ص: 198

(آیه ۳۱) - در این آیه به شرک عملی آنان (در مقابل شرک اعتقادی) و یا به تعبیر دیگر «شرک در عبادت» اشاره کرده، می گوید: «یهود و نصاری دانشمندان و راهبان خود را، خدایان خود، در برابر پروردگار قرار دادنـد» (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ).

و نيز «مسيح فرزند مريم را به الوهيت پذيرفتند» (وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ).

شک نیست که یهود و نصاری در برابر علماء و راهبان خود سجده نمی کردند ولی از آنجا که خود را بدون قید و شرط در اطاعت آنان قرار داده بودند و حتی احکامی را که بر خلاف حکم خدا می گفتند واجب الاجرا می شمردند قرآن از این پیروی کورکورانه و غیر منطقی تعبیر به «اتخاذ رب» کرده است.

در پایان آیه روی این مسأله تأکید میکند که تمام این بشر پرستیها بدعت و از مسائل ساختگی است «هیچ گاه به آنها دستوری داده نشده جز خداوند یکتا را بپرستند» (وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً).

«معبودى كه هيچ كس جز او شايسته پرستش نيست» (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ).

«معبودی که منزه است از آنچه آنها شریک وی قرار می دهند» (سُبْحانَهُ عَمَّا یُشْرِکُونَ).

قرآن مجید در آیه فوق درس بسیار پرارزشی به همه پیروان خود میدهد و یکی از عالیترین مفاهیم توحید را ضمن آن خاطر نشان میسازد، و می گوید: هیچ مسلمانی حق ندارد اطاعت بیقید و شرط انسانی را بپذیرد، زیرا این کار مساوی است با پرستش او، همه اطاعتها باید در چارچوب اطاعت خدا در آید و پیروی از دستور انسانی تا آنجا مجاز است که با قوانین خدا مخالفت نداشته باشد این انسان هر کس و هر مقامی می خواهد باشد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۹۷

سورة التوبة (9): آية 32 ص: 197

(آیه ۳۲) - در این آیه تشبیه جالبی برای تلاشهای مذبوحانه و بیسرانجام یهود و نصاری و یا همه مخالفان اسلام حتی مشرکان کرده، می گوید: «اینها میخواهند نور خدا را با دهان خود خاموش کنند ولی خداوند جز این نمیخواهد که این نور الهی را همچنان گسترده تر و کاملتر سازد (تا همه جهان را فراگیرد، و تمام جهانیان از پرتو آن بهره گیرند) هر چند کافران را خوشایند نباشد» (یُرِیدُونَ أَنْ یُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ یَأْبَی اللَّهُ إِلَّا أَنْ یُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ کَرِهَ الْکافِرُونَ).

و برای مجسم کردن حقارت تلاشهای آنها تعبیری از این رساتر به نظر نمیرسد و در واقع کوششهای یک مخلوق ناتوان در برابر اراده بیپایان و قدرت بیانتهای حق غیر از این نخواهد بود.

سورة التوبة (٩): آية 33 ص: 197

اشاره

(آیه ۳۳) – سر انجام در این آیه بشارت عالمگیر شدن اسلام را به مسلمانان داده و با آن، بحث آیه گذشته را دائر بر این که تلاشهای مذبوحانه دشمنان اسلام به جایی نمی رسد، تکمیل می کند و با صراحت می گوید: «او کسی است که رسول خود را با هدایت و دین حق فرستاد تا او را بر تمام ادیان پیروز و غالب گرداند، هر چند مشرکان را خوشایند نباشد» (هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ).

منظور از «هدی» دلائل روشن و براهین آشکاری است که در آیین اسلام وجود دارد و منظور از «دین حق» همین آیینی است که اصولش حق و فروعش نیز حق و بالاخره تاریخ و مدارک و اسناد و نتیجه و برداشت آن نیز همه حق است و بدون شک آیینی که هم محتوای آن حق باشد و هم دلائل و مدارک و تاریخ آن روشن، باید سر انجام بر همه آیینها پیروز گردد.

با گذشت زمان، و پیشرفت علم و دانش، و سهولت ارتباطات، واقعیتها چهره خود را از پشت پردههای تبلیغات مسموم، به در خواهد آورد و موانعی را که مخالفان حق بر سر راه آن قرار میدهند درهم کوبیده خواهد شد، و به این ترتیب آیین حق و حکومت حق همه جا را فرا خواهد گرفت هر چند دشمنان حق نخواهند و از هیچ گونه کارشکنی مضایقه نکنند، زیرا حرکت آنها حرکتی است بر خلاف برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۹۸ مسیر تاریخ و بر ضدّ سنن آفرینش!

قرآن و قیام مهدی (عج): ص: ۱۹۸

آیه فوق - که عینا و با همین الفاظ در سوره «صفّ» آیه ۹ آمده است و با تفاوت مختصری در سوره «فتح» آیه ۲۸ تکرار شده خبر از واقعه مهمی می دهد که اهمیتش موجب این تکرار شده است - خبر از جهانی شدن اسلام و عالمگیر گشتن این آیین می دهد.

زیرا مفهوم آیه پیروزی همه جانبه اسلام بر همه ادیان جهان است، و معنی این سخن آن است که سر انجام اسلام همه کره زمین را فرا خواهد گرفت و بر همه جهان پیروز خواهد گشت.

از امام صادق علیه السّ لام در تفسیر این آیه چنین نقل شده: «به خدا سو گند هنوز محتوای این آیه تحقق نیافته است و تنها زمانی تحقق می پذیرد که «قائم» خروج کند و به هنگامی که او قیام کند کسی که خدا را انکار نماید در تمام جهان باقی نخواهد ماند».

و نیز از امام باقر علیه السّلام چنین نقل شده: «و عدهای که در این آیه است به هنگام ظهور مهدی از آل محمد صلّی اللّه علیه و آله آله صورت می پذیرد، در آن روز هیچ کس در روی زمین نخواهد بود مگر این که اقرار به حقانیت محمد صلّی اللّه علیه و آله می کند».

سورة التوبة (٩): آية 34 ص: ١٩٨

اشاره

(آیه ۳۴)- کنز ممنوع است! در آیات گذشته سخن از اعمال شرک آمیز یهود و نصاری بود که برای دانشمندان خود یک نوع الوهیت قائل بودند، در این آیه می گوید: آنها نه تنها مقام الوهیت را ندارند بلکه صلاحیت رهبری خلق را نیز دارا نیستند، بهترین گواه این سخن خلافکاریهای گوناگون آنهاست، روی سخن را به مسلمانان کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! بسیاری از علمای اهل کتاب و راهبان، اموال مردم را به باطل می خورند، و خلق را از راه خالق باز می دارند» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ کَثِیراً مِنَ الْأَحْبارِ وَ الرُّهْبانِ لَیَا مُّکُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ).

آنها به صورتهای مختلفی اموال مردم را بدون مجوز و از طریق باطل میخورند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۱۹۹ یکی این که: حقایق تعلیمات آیین مسیح (ع) و موسسی (ع) را کتمام میکردند تا مردم به آیین جدید (آیین اسلام) نگروند و منافع آنها به خطر نیفتد و هدایایشان قطع نشود.

و دیگر این که: با گرفتن «رشوه» از مردم حق را باطل و باطل را حق می کردند و به نفع زورمندان و اقویا حکم باطل می دادند. یکی دیگر از طرق نامشروع در آمدشان این بود که به نام «بهشت فروشی» و یا «گناه بخشی» مبالغ هنگفتی از مردم می گرفتند. و اما جلوگیری کردنشان از راه خدا روشن است زیرا آیات الهی را تحریف می کردند و یا به خاطر حفظ منافع خویش مکتوم

مىداشتند.

سپس قرآن به تناسب بحث دنیاپرستی پیشوایان یهود و نصاری به ذکر یک قانون کلی در مورد ثروت اندوزان پرداخته، می گوید: «و کسانی که طلا و نقره را جمع آوری و گنجینه و پنهان می کنند و در راه خدا انفاق نمی نمایند آنها را به عـذاب دردناکی بشارت ده» (وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابِ أَلِیم).

آیه فوق صریحا ثروتاندوزی و گنجینه سازی اموال را تحریم کرده است و به مسلمانان دستور میدهد که اموال خویش را در راه خدا، و در طریق بهره گیری بندگان خدا به کار اندازند، و از اندوختن و ذخیره کردن و خارج ساختن آنها از گردش معاملات به شدت بپرهیزند، در غیر این صورت باید منتظر عذاب دردناکی باشند.

این عـذاب دردنـاک تنهـا کیفر شدیـد روز رسـتاخیز نیست بلکه مجازاتهـای سـخت این دنیا را که بر اثر به هم خوردن موازنه اقتصادی و پیدایش اختلافات طبقاتی دامان فقیر و غنی را می گیرد نیز شامل میشود.

جمع ثروت تا چه اندازه «کنز» محسوب میشود؟ ص: ۱۹۹

طبق بسیاری از روایات آنچه واجب است، پرداختن زکات سالانه است و نه غیر آن. بنابراین هرگاه انسان اموالی را جمع آوری کند و هر سال مرتبا مالیات اسلامی آن یعنی زکات را بپردازد مشمول آیه فوق نخواهد بود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص:

از جمله در حدیثی از پیامبر صلّی الله علیه و آله میخوانیم: هنگامی که آیه فوق نازل شد کار بر مسلمانان مشکل گردید و گفتند: با این حکم هیچ یک از ما نمی تواند چیزی برای فرزندان خود ذخیره کند و آینده آنها را تأمین نماید ... سر انجام از پیامبر سؤال کردند، پیغمبر صلّی الله علیه و آله فرمود: «خداوند زکات را واجب نکرده است مگر به خاطر این که باقیمانده اموال شما برای شما پاک و پاکیزه باشد، لذا قانون ارث را در باره اموالی که بعد از شما میماند قرار داده است» یعنی اگر گرد آوری مال بکلی ممنوع بود قانون ارث موضوع نداشت.

ولی روایات دیگری در منابع اسلامی مشاهده می کنیم که مضمون آن با تفسیر فوق ظاهرا و در بدو نظر سازگار نیست، از جمله از علی علیه السّلام نقل شده که فرمود:

«هرچه از چهار هزار (درهم)- که ظاهرا اشاره به مخارج یک سال است- بیشتر باشد «کنز» است خواه زکاتش را بپردازند یا نه، و آنچه کمتر از آن باشد نفقه و هزینه زندگی محسوب می شود، بنابراین ثروت اندوزان را به عذاب دردناک بشارت ده». از بررسی مجموع احادیث به ضمیمه خود آیه می توان چنین نتیجه گرفت که در شرایط عادی و معمولی یعنی در مواقعی که جامعه در وضع ناگوار و خطرناکی نیست و مردم از زندگانی عادی بهره مندند پرداختن زکات کافی است و باقیمانده کنز محسوب نمی شود.

و اما در مواقع فوق العاده و هنگامی که حفظ مصالح جامعه اسلامی ایجاب کند حکومت اسلامی می تواند محدودیتی برای جمع آوری اموال قائل شود و یا بکلی همه اندوخته ها و ذخیره های مردم را برای حفظ موجودیت جامعه اسلامی مطالبه کند.

سورة التوبة(٩): آية ٣٥ ص: 200

(آیه ۳۵) - کیفر ثروت اندوزان! در این آیه اشاره به یکی از مجازاتهای این گونه افراد در جهان دیگر کرده، می گوید: «روزی فرا خواهد رسید که (این سکّهها) را در آتش سوزان دوزخ داغ و گداخته کرده و پیشانی و پهلو و پشتشان را با آن داغ می کنند» (یَوْمَ یُحْمی عَلَیْها فِی نارِ جَهَنَّمَ فَتُکْوی بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۰۱ و در همین حال فرشتگان عذاب به آنها می گویند: «این همان چیزی است که برای خودتان اندوختید و به صورت کنز در آوردید» و در راه خدا به محرومان انفاق نکردید (هذا ما کَنَوْتُمْ لِأَنْفُسِکُمْ).

«اکنون بچشید آنچه را برای خود اندوخته بودید» و عواقب شوم آن را دریابید (فَذُوقُوا ما کُنْتُمْ تَكْنِزُونَ).

این آیه بار دیگر بر این حقیقت تأکید میکند که اعمال انسانها از بین نمیروند و همچنان باقی میمانند و همانها هستند که در جهان دیگر برابر انسان مجسم میشوند و مایه سرور و شادی و یا رنج و عذاب او میگردند.

سورة التوبة(٩): آية 38 ص: 201

(آیه ۳۶)- آتش بس اجباری! از آنجا که در این سوره بحثهای مشروحی پیرامون جنگ با مشرکان آمده است در این آیه و آیه بعد اشاره به یکی از مقررات جنگ و جهاد اسلامی شده و آن احترام به ماههای حرام است.

نخست مى گويىد: «تعداد ماهها در نزد خىدا در كتاب آفرينش از آن روز كه آسىمانها و زمين را آفريىد دوازده ماه است» (إِنَّ عِدَّهٔ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ).

از آن روز که نظام منظومه شمسی به شکل کنونی صورت گرفت سال و ماه وجود داشت، سال عبارت از یک دوره کامل گردش زمین به دور خورشید، و ماه عبارت از یک دوره کامل گردش کره ماه به دور کره زمین است که در هر سال دوازده بار تکرار می شود.

سپس اضافه می کند: «از این دوازده ماه چهار ماه، ماه حرام است» که هر گونه جنگ و نبرد در آن حرام است (مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ).

بعـد برای تأکیـد می گویـد: «این آیین ثـابت و پابرجـا و تغییر ناپـذیر است» نه رسم نادرستی که در میان عرب بود که با میل و هوس خویش آنها را جابهجا می کردند (ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ).

از پـارهای از روایـات اسـتفاده می شود که تحریم جنگ در این چهـار ماه علاوه بر آیین ابراهیم در آیین یهود و مسـیح و سایر آیینهای آسمانی نیز بوده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۰۲

سپس می گوید: «در این چهار ماه به خود ستم روا مدارید» با شکستن احترام آنها خویش را گرفتار کیفرهای دنیا و مجازاتهای آخرت نسازید (فَلا تَظْلِمُوا فِیهِنَّ أَنْفُسَکُمْ).

ولی از آنجا که ممکن بود تحریم جهاد در این چهار ماه وسیلهای برای سوء استفاده دشمنان بشود و آنها را در حمله کردن به مسلمین جسور کنـد در جمله بعـد اضافه می کند: «با مشرکان بطور دسـته جمعی پیکار کنید همان گونه که آنها متفقا با شـما میجنگند» (وَ قاتِلُوا الْمُشْرِکِینَ کَافَّةً کَما یُقاتِلُونَکُمْ کَافَّةً).

یعنی با این که آنها مشرکند و بت پرست و شرک سر چشمه پراکندگی است ولی با این حال در یک صف واحد با شما می جنگند، شما که موحدید و یکتاپرست سزاوارتر هستید که وحدت کلمه را برابر دشمن حفظ کنید و در یک صف همچون یک دیوار آهنین در مقابل دشمنان بایستید.

سر انجام می گوید: «و بدانید (اگر پرهیز کار باشید و اصول تعلیمات اسلام را دقیقا اجرا کنید خداوند پیروزی شما را تضمین می کند زیرا) خدا با پرهیز کاران است» (وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ).

سورة التوبة (٩): آية ٣٧ ص: 202

(آیه ۳۷) - در این آیه اشاره به یک سنت غلط جاهلی یعنی مسأله «نسیء» (تغییر دادن جای ماههای حرام) کرده، می گوید: «تغییر دادن ماههای حرام کفری است که بر کفر آنها افزوده می شود» (إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیادَةٌ فِی الْکُفْرِ).

زیرا علاوه بر شرک و «کفر اعتقادی» با زیر پا گذاشتن این دستور مرتکب کفر عملی هم میشدند.

«و با این عمل افراد بی ایمان در گمراهی بیشتر قرار می گیرند» (یُضَلَّ بِهِ الَّذِینَ کَفَرُوا).

«آنها در یک سال ماهی را حلال میشمرند، و سال دیگر همان ماه را تحریم میکنند تا به گمان خود آن را با تعداد ماههایی که خدا تعیین کرده تطبیق دهند» (یُجِلُّونَهُ عاماً وَ یُحَرِّمُونَهُ عاماً لِیُواطِؤُا عِدَّهٔ ما حَرَّمَ اللَّهُ).

یعنی هرگاه یکی از ماههای حرام را حذف می کنند ماه دیگری را به جای آن برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۰۳ می گذارند تا عدد چهار ماه تکمیل شود! در حالی که با این عمل زشت و مسخره فلسفه تحریم ماههای حرام را بکلی از میان می بردند و حکم خدا را بازیچه هوسهای خویش می ساختند، و عجب این که از این کار خود بسیار خشنود و راضی هم بودند، زیرا «اعمال زشتشان در نظرشان جلوه کرده بود» (زُیِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ).

و می گفتند: فاصله زیاد آتش بس ورزیدگی جنگی را کم می کند باید آتشی به پا کرد.

خدا نیز آن مردمی را که شایستگی هدایت ندارند به حال خود رها میکند و دست از هدایتشان میکشد زیرا: «خداوند گروه کافران را هدایت نمیکند» (وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِینَ).

سورة التوبة (٩): آية 38 ص: 203

اشاره

(آیه ۳۸)

شأن نزول: ص: 203

از «ابن عباس» و دیگران نقل شده که این آیه و آیه بعد در باره جنگ «تبوک» نازل گردیده است.

در روایات اسلامی آمده است که پیامبر معمولا مقاصد جنگی و هدفهای نهایی خود را قبل از شروع جنگ برای مسلمانان روشن نمیساخت تا اسرار نظامی اسلام به دست دشمنان نیفتد، ولی در مورد «تبوک» چون مسأله شکل دیگری داشت قبلا با صراحت اعلام نمود که ما به مبارزه با «رومیان» میرویم زیرا مبارزه با امپراتوری روم شرقی کار سادهای نبود، و می بایست مسلمانان برای این در گیری بزرگ کاملا آماده شوند و خودسازی کنند.

به علاوه فاصله میان مدینه و سرزمین رومیان بسیار زیاد بود، و از همه گذشته فصل تابستان و گرما و برداشت محصول غلات

و ميوهها بود.

همه این امور دست به دست هم داده و رفتن به سوی میدان جنگ را فوق العاده بر مسلمانان مشکل میساخت، تا آنجا که بعضی در اجابت دعوت پیامبر صلّی الله علیه و آله تردید و دو دلی نشان میدادند! این دو آیه نازل شد و با لحنی قاطع و کوبنده به مسلمانان هشدار داد و اعلام خطر کرد و آنها را آماده این نبرد بزرگ ساخت.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۰۴

تفسير: ص: ۲۰۴

همان گونه که در شأن نزول گفتيم، آيه فوق ناظر به جريان جنگ «تبوک» است.

«تبوک» منطقهای است میان «مدینه» و «شام» که اینک مرز کشور «عربستان سعودی» محسوب می شود، و در آن روز نزدیک سرزمین امپراتوری روم شرقی که بر شامات تسلط داشت محسوب می شد. این واقعه در سال نهم هجری یعنی حدود یک سال بعد از جریان فتح مکّه روی داد.

قرآن بـا شـدت هر چه تمـامتر مردم را به جهـاد دعوت میکنـد، گـاهی به زبـان تشویق، و گاهی به زبان ملامت و سـرزنش، و گاهی به زبان تهدید، با آنها سخن میگوید و از هر دری برای آماده ساختن آنها وارد میشود.

نخست می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! چرا هنگامی که به شما گفته می شود در راه خدا و به سوی میدان جهاد حرکت کنید سستی و سنگینی به خرج می دهید»؟ (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ما لَکُمْ إِذا قِیلَ لَکُمْ انْفِرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ إِلَی اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ إِلَی اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ إِلَی اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ إِلَی اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ اللَّهِ اثَالَهُ اللَّهِ اثَاقُلْتُمْ اللَّهِ اللَّهِ اثَاقَلْتُمْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللّهِ الللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ اللللّهِ الللللّهِ الللّهِ الللّهِ اللللّهِ اللللّهِ الللّهِ الللّهِ الللللّهِ الللللّهِ اللللّهِ الللّهِ الللللّهِ الللّهِ الللللّهِ اللللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ الللللّهِ اللللّهِ الللّهِ اللللّهِ الللّهِ الللّهِ الللللّهِ اللّهِ اللللّهِ اللللّهِ الللللّهِ الللّهِ الللّهِ الللللّهِ الل

سپس با سخن ملامت آمیزی می گوید: «آیا به این زندگی دنیا، این زندگی پست و زود گذر و ناپایدار، به جای زندگی وسیع و جاویدان آخرت راضی شدید»؟

(أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ). «با اين كه فوائد و متاع زندگى دنيا در برابر زندگى آخرت يك امر ناچيز بيش نيست» (فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ).

چگونه یک انسان عاقل تن به چنین مبادله زیانباری ممکن است بدهد؟

و چگونه متاع فوق العاده گرانبها را به خاطر دستیابی به یک متاع ناچیز و کم ارزش از دست میدهد؟

سورة التوبة (٩): آية ٣٩ ص: 204

(آیه ۳۹)– سپس مسأله را از لحن ملامت آمیز بالاتر برده و شکل یک تهدید جدّی به خود می گیرد و می گوید: «اگر شما به سوی میدان جنگ حرکت نکنید خداوند به عذاب دردناکی مجازاتتان خواهد کرد» (إِلَّا تَنْفِرُوا یُعَذِّبْکُمْ عَذاباً أَلِیماً).

و اگر گمان میکنید با کنار رفتن شما و پشت کردنتان به میدان جهاد چرخ پیشرفت اسلام از کار میافتد و فروغ آیین خدا به خاموشی میگراید سخت در برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۰۵

اشتباهید زیرا: «خداوند گروهی غیر از شـما (از افراد با ایمان و مصـمّم و مطیع فرمان خود را) به جای شما قرار خواهد داد» (وَ یَشتَبْدِلْ قَوْماً غَیْرَکُمْ). گروهی که از هر نظر مغایر شما هستند نه تنها شخصیتشان بلکه ایمان و اراده و شهامت و فرمانبرداریشان غیر از شماست. بعضی از مفسران این جمله را اشاره به ایرانیان یا مردم من دانستهاند.

«و از این رهگذر هیچ گونه زیانی نمی توانید به خداوند و آیین پاک او وارد کنید» (وَ لا تَضُرُّوهُ شَیْئاً).

این یک واقعیت است، نه یک گفتگوی خیـالی یا آرزوی دور و دراز، چرا که «خداونـد بر هر چیز تواناست» (وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). و هرگاه اراده پیروزی آئین پاکش را کند بدون گفتگو جامه عمل به آن خواهد پوشاند.

سورة التوبة(٩): آية ٤٠ ص: 205

(آیه ۴۰)- خداوند پیامبرش را در حساسترین لحظات تنها نگذارد! در آیات گذشته همان گونه که گفته شد روی مسأله جهاد در برابر دشمن از چند راه تأکید شده بود، از جمله این که گمان نکنید اگر شما خود را از جهاد و یاری پیامبر کنار بکشید کار او و اسلام، زمین میماند.

آیه مورد بحث این موضوع را تعقیب کرده، می گوید: «اگر او را یاری نکنید، خداوند او را یاری کرد» و در مشکلترین ساعات، او را تنها نگذاشت (إلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ).

و آن زمانی بود که مشرکان «مکّه» توطئه خطرناکی برای نابود کردن پیامبر چیده بودند و همان گونه که در ذیل آیه ۳۰ سوره «انفال» شرح آن گذشت. پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به فرمان خدا از این جریان آگاه شد و شبانه از مکّه به سوی مدینه حرکت کرد. دشمنان کوشش فراوانی برای یافتن پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کردند ولی مأیوس و نومید بازگشتند و پیامبر بعد از چندین شبانه روز سالم به مدینه رسید و فصل نوینی در تاریخ اسلام آغاز شد.

آیه اشاره به یکی از حساسترین لحظات این سفر تاریخی کرده، می گوید:

خداونـد پیامبرش را یاری کرد «در آن هنگام که کافران او را بیرون کردنـد» (إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِینَ کَفَرُوا). برگزیـده تفسـیر نمونه، ج۲، ص: ۲۰۶

البته قصـد کفـار بیرون کردن او از «مکّه» نبود، بلکه تصـمیم به کشـتن او داشـتند، ولی چون نتیجه کارشـان بیرون رفتن پیـامبر صلّی اللّه علیه و آله از مکّه شد این نسبت به آنها داده شده است.

سپس می گوید: «این در حالی بود که او دومین نفر بود» (ثانِی اثُنیْنِ).

اشاره به این که جزیک نفر همراه او نبود و این نهایت تنهایی او را در این سفر پر خطر نشان میدهد و همسفر او ابو بکر بود. «به هنگامی که دو نفری به غار، (ثور) پناه بردند» (إذْ هُما فِی الْغارِ).

«در آن موقع (ترس و وحشت، یار و همسفر پیامبر را فرا گرفت و پیامبر او را دلداری میداد) و به همسفرش می گفت: غم مخور خدا با ماست» (إِذْ یَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا). «در این هنگام خداوند روح آرامش و اطمینان را (که در لحظات حساس و پر خطر بر پیامبرش نازل می کرد) بر او فرستاد» (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِینَتَهُ عَلَیْهِ). «و او را با لشكرهایی که نمی توانستید آنها را مشاهده کنید، یاری کرد» (وَ أَیَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها).

«و گفتار و هـدف كافران را پايين قرار داده، (و آنها را با شـكست مواجه ساخت) و سـخن خدا و آيين او بالا و پيروز است» (وَ جَعَلَ كَلِمَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا الشَّفْلي وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا).

اشاره به این که توطئههای آنها در هم شکست، آیین خرافیشان در هم پیچیده شد، و نور خدا همه جا آشکار گشت و پیروزی

در تمام جهات نصيب پيامبر اسلام صلّى الله عليه و آله شد.

چرا چنین نشود در حالی که «خداونـد هم قادر است و هم حکیم و دانا» (وَ اللَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ). با حکمتش راههای پیروزی را به پیامبرش نشان میدهد و با قدرتش او را یاری می کند.

سورة التوبة (٩): آية ٤١ ص: 206

(آیه ۴۱)- تن پروران طمّاع! گفتیم جنگ «تبوک» یک وضع استثنایی داشت، و توأم با مقدماتی کاملا مشکل و پیچیده بود، به همین جهت عدهای از افراد ضعیف الایمان و یا منافق از شرکت در این میدان تعلل میورزیدند، در آیات برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۰۷

گذشته خداوند گروهی از مؤمنان را سرزنش کرد.

به دنبال این سخن بار دیگر مؤمنان را با لحنی تشویق آمیز دعوت همه جانبه به سوی جهاد می کند و مسامحه کنندگان را مورد سرزنش قرار می دهد.

نخست مي گويد: «همگي به سوي ميدان جهاد حركت كنيد، خواه سبكبار باشيد يا سنگين بار» (انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالًا).

سپس اضافه می کند: «در راه خدا با اموال و جانها جهاد کنید» (وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ). یعنی جهادی همه جانبه و فراگیر.

اما برای این که باز اشتباه برای کسی پیدا نشود که این فداکاریها به سود خداوند است می گوید: «این به نفع شماست اگر بدانید» (ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

یعنی اگر بدانید که جهاد کلید سر بلندی و عزت و برطرف کننده ضعف و ذلت است.

و اگر بدانیـد که راه رسیدن به رضای خـدا و سـعادت جاویدان و انواع نعمتها و مواهب الهی در این نهضت مقدس عمومی و فداکاری همه جانبه است!

سورة التوبة (٩): آية ٤٢ ص: 207

(آیه ۴۲) - سپس بحث را متوجه افراد تنبل و ضعیف الایمان که برای سرباز زدن از حضور در این میدان بزرگ به انواع بهانهها متشبث می شدند کرده، و با پیامبر صلّی الله علیه و آله چنین می گوید: «اگر غنیمتی آماده و سفری نزدیک بود به خاطر رسیدن به متاع دنیا دعوت تو را اجابت می کردند» و برای نشستن بر سر چنین سفره آماده ای می دویدند (لَوْ کَانَ عَرَضاً قَرِیباً وَ سَفَراً قاصِداً لَاتَّبَعُوکَ).

«لكن اكنون كه راه بر آنها دور و پر مشقت است سستى مىورزند و بهانه مى آورند» (وَ لكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ).

عجب این که تنها به عذر و بهانه قناعت نمی کند بلکه: «به زودی نزد تو می آیند و قسم یاد می کنند که اگر ما قدرت داشتیم با شما خارج می شدیم» (وَ سَیَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَکُمْ).

و اگر می بینید ما به این میدان نمی آییم بر اثر ناتوانی و گرفتاری و عدم قدرت است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۰۸ آنها با این اعمال و این دروغها در واقع «خود را هلاک می کنند» (یُهْلِکُونَ أَنْفُسَهُمْ).

«ولى خداوند مىداند آنها دروغ مى گويند» (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ).

کاملاً قدرت دارند اما چون سفره چرب و نرمی نیست و برنامه شاق و پردرد سری در پیش است به قسمهای دروغ متشبث می شوند.

این موضوع منحصر به جنگ «تبوک» و زمان پیامبر صلّی الله علیه و آله نبود، در هر جامعهای گروهی «تنبل» یا «منافق و طمّاع و فرصت طلب» وجود دارند که همیشه منتظرند لحظات پیروزی و نتیجه گیری فرا رسد آنگاه خود را در صف اول جا بزنند، فریاد بکشند، گریبان چاک کنند و خود را نخستین مجاهد و بر ترین مبارز و دلسوز ترین افراد معرفی کنند تا بدون زحمت از ثمرات پیروزی دیگران بهره گیرند! ولی همین گروه مجاهد سینه چاک و مبارز دلسوز به هنگام پیش آمدن حوادث مشکل هر کدام به سویی فرار می کنند و برای توجیه فرار خود عذرها و بهانهها می تراشند. یکی بیمار شده، دیگری فرزندش در بستر بیماری افتاده، سومی خانوادهاش گرفتار وضع حمل است، چهارمی چشمش دید کافی ندارد، پنجمی مشغول تهیه مقدمات است و همچنین ...!

ولی بر افراد بیدار و رهبران روشن لازم است که این گروه را از آغاز شناسایی کنند و اگر قابل اصلاح نیستند از صفوف خود برانند!

سورة التوبة (٩): آية ٤٣ ص: 208

(آیه ۴۳) – سعی کن منافقان را بشناسی: از لحن آیات استفاده می شود که گروهی از منافقان نزد پیامبر آمدنـد و پس از بیان عذرهای گوناگون و حتی سوگند خوردن، اجازه خواستند که آنها را از شرکت در میدان «تبوک» معذور دارد، و پیامبر به این عده احازه داد.

خداونـد در این آیه، پیـامبرش را مورد عتاب قرار میدهـد و می گویـد: «خداونـد تو را بخشید، چرا به آنها اجازه دادی» که از شرکت در میدان جهاد خودداری کنند؟! (عَفَا اللَّهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ).

«چرا نگذاشتی آنها که راست می گویند از آنها که دروغ می گویند شناخته بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۰۹ شوند و به ماهیّت آنها پی بری»؟ (حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْکاذِبِینَ).

آیا عتاب و سرزنش فوق که با اعلام عفو پروردگار توأم شده دلیل بر آن است که اجازه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کار خلافی بوده، یا تنها «ترک اولی» بوده؟ ممکن است گفته شود این عتاب و خطاب مزبور جنبه کنایی داشته و حتی ترک اولی نیز در کار نباشد، بلکه منظور بیان روح منافقگری منافقان با یک بیان لطیف و کنایه آمیز بوده است.

این موضوع را با ذکر مثالی می توان روشن ساخت. فرض کنید ستمگری می خواهد به صورت فرزند شما سیلی بزند، یکی از دوستانتان دست او را می گیرد شما نه تنها از این کار ناراحت نمی شوید بلکه خوشحال نیز خواهید شد، اما برای اثبات زشتی باطن طرف به صورت عتاب آمیز به دوستتان می گویید: «چرا نگذاشتی سیلی بزند تا همه مردم این سنگدل منافق را بشناسند»؟! و هدفتان از این بیان تنها اثبات سنگدلی و نفاق اوست که در لباس عتاب و سرزنش دوست مدافع ظاهر شده است.

سورة التوبة(٩): آية 44 ص: 209

(آیه ۴۴)- سپس به شرح یکی از نشانه های مؤمنان و منافقان پرداخته، می گوید: «آنها که ایمان به خدا و سرای دیگر دارند هیچ گاه از تو اجازه برای عدم شرکت در جهاد با اموال و جانها، نمی خواهند» (لا یَسْ تَأْذِنُکَ الَّذِینَ یُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ

أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ).

بلکه هنگامی که فرمان جهاد صادر شد بدون تعلل و سستی به دنبال آن می شتابند و همان ایمان به خدا و مسؤلیتهایشان در برابر او، و ایمان به دادگاه رستاخیز آنان را به این راه دعوت می کند و راه عذر تراشی و بهانه جویی را به رویشان می بندد. «خداوند به خوبی افراد پرهیزکار را می شناسد» و از نیت و اعمال آنها کاملا آگاه است (وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِالْمُتَّقِینَ).

سورة التوبة (٩): آية 45 ص: 209

(آیه ۴۵)– سپس می گوید: «تنها کسانی از تو اجازه (برای عدم شرکت در میدان جهاد) میطلبند که ایمان به خدا و روز جزا ندارند» (إِنَّما يَسْتَأْذِنُکَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْم الْآخِرِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۱۰

سپس برای تأکید عدم ایمان آنها می گوید: آنها کسانی هستند که «دلهایشان مضطرب و آمیخته با شک و تردید است»! (وَ ارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ).

«به همین دلیل در این شک و تردید گاهی قدم به پیش می گذارند و گاهی باز می گردند و پیوسته در حیرت و سر گردانی به سر میبرند» و همیشه منتظر پیدا کردن بهانه و کسب اجازه از پیامبرند (فَهُمْ فِی رَیْبِهِمْ یَتَرَدَّدُونَ).

این دو نشانه مخصوص «مؤمنان» و «منافقان» صدر اسلام و میدان جنگ «تبوک» نبود، بلکه هم امروز نیز «مؤمنان راستین» را از «مدعیان دروغین» با این دو صفت می توان شناخت، مؤمن، شجاع و مصمم است و منافق بزدل و ترسو و متحیر و عذر تراش!

سورة التوبة (٩): آية 47 ص: 210

(آیه ۴۶)– عدمشان، به ز وجود! در اینجا یکی دیگر از نشانه های کذب و دروغ منافقان را بیان کرده و در حقیقت بحثی را که در آیات قبل گذشت و فرمود:

وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ تَكَميل مَى كَند و مَى گويد: «اينها اگر (راست مَى گفتند و) اراده داشتند كه (بسوى ميدان جهاد) خارج شوند وسيلهاى براى آن فراهم مىساختند» در حالى كه هيچ گونه آمادگى در آنها ديده نمىشود (وَ لَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً).

اینها افراد تاریکدل بی ایمانی هستند که «خدا از شرکت آنها در میدان پر افتخار جهاد کراهت دارد لذا (توفیق خود را از آنها سلب کرده و) آنان را از حرکت باز داشته است و به آنها گفته شد با قاعدین [کودکان و پیران و بیماران] بنشینید» (وَ لَکِنْ کَرِهَ اللَّهُ انْبِعاتَهُمْ فَثَبَطَهُمْ وَ قِیلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِینَ).

این یک فرمان تکوینی است که از باطن تاریک و آلوده آنها برخاسته و مقتضای عقیده فاسد و اعمال زشت آنها از آیه فوق به خوبی استفاده می شود که هر عمل و نیتی اقتضایی دارد که خواه ناخواه دامان انسان را می گیرد، و همه افراد شایستگی و لیاقت آن را ندارند که در کارهای بزرگ و راه خدا گام بردارند، این توفیق را خداوند نصیب کسانی می کند که پاکی نیت و آمادگی و اخلاص در آنان سراغ دارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۱۱

سورة التوبة (٩): آية ٤٧ ص: ٢١١

(آیه ۴۷) - در این آیه به این واقعیت اشاره می کند که عدم شرکت این گونه افراد در میدان جهاد نه تنها جای تأسف نیست بلکه شاید جای خوشحالی باشد.

در حقیقت به مسلمانان یک درس بزرگ میدهد که هیچ گاه در فکر افزودن سیاهی لشکر و کمیت و تعداد نباشند، بلکه به فکر این باشند که افراد مخلص و با ایمان را انتخاب کنند هر چند نفراتشان کم باشد.

نخست می گوید: «اگر آنها همراه شما به سوی میدان جهاد (تبوک) حرکت می کردنـد (نخستین اثر شومشـان این بود) که چیزی جز تردید و اضطراب بر شما نمیافزودند» (لَوْ خَرَجُوا فِیکُمْ ما زادُوکُمْ إِلَّا خَبالًا).

یعنی حضور آنها با آن روحیه فاسد و توأم با تردید و نفاق و بزدلی اثری جز ایجاد تردید و شک و تولید فساد در میان سپاه اسلام ندارد.

به علاوه «آنها با سرعت كوشش مىكنند در ميان نفرات لشكر نفوذ كنند و به ايجاد نفاق و تفرقه و از هم گسستن پيوندهاى اتحاد بپردازند» (وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ).

سپس به مسلمانان اخطار می کند که: مراقب باشید «افراد ضعیف الایمانی در گوشه و کنار جمعیت شما وجود دارند که زود تحت تأثیر سخنان این گروه منافق قرار می گیرند» (وَ فِیکُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ). و یا این که در میان شما افرادی هستند که برای منافقان جاسوسی می کنند.

بنابراین وظیفه مسلمانان قوی الایمان آن است که مراقب این گروه ضعیف یا جاسوس باشند.

و در پایان آیه می گوید: «خداوند همه ستمگران را میشناسد» (وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِالظَّالِمِینَ). آنها که آشکارا و آنها که پنهانی ستم به خویش یا به جامعه میکنند از دیدگاه علم او مخفی نیستند.

سورة التوبة (٩): آية ٤٨ ص: 211

(آیه ۴۸)- در این آیه به پیامبر صلّی الله علیه و آله هشدار میدهد که این اولین بار نیست که این گروه منافق به سمپاشی و تخریب مشغول میشوند، آنها در گذشته نیز مرتکب چنین کارهایی شدند، و الآن نیز از هر فرصتی برای نیل به مقصود خود استفاده برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۱۲

مى كنـد، و چنين مى گويـد: «اين گروه منافقان قبلا هم مىخواسـتند ميان شـما تفرقه و پراكندگى ايجاد كنند» (لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةُ مِنْ قَبْلُ).

و این اشاره به داستان «جنگ احد» است که «عبد الله بن ابی» و یارانش از نیمه راه بازگشتند و دست از یاری پیامبر صلّی الله علیه و آله برداشتند، و یا افراد مسلمین چیدند که تاریخ اسلام، آنها را ثبت کرده است.

«و آنها کارها را برای تو دگرگون ساختند» (وَ قَلَّبُوا لَکَ الْأُمُورَ). نقشهها کشیدند تا اوضاع مسلمانان را به هم بریزند و آنها را از جهاد باز دارند و اطراف تو خالی شود.

اما هیچ یک از این توطئهها و تلاشها به جایی نرسید، و همه نقش بر آب شد و تیرشان به سنگ خورد.

«تا آن كه حق فرا رسيد و فرمان خدا آشكار گشت» (حَتَّى جاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ).

«در حالی که آنها از پیشرفت و پیروزی تو ناراحت بودند» (وَ هُمْ کارِهُونَ).

اما خواست و اراده بندگان در برابر اراده و مشیت پروردگار کمترین اثری نمی تواند داشته باشد، خدا می خواست تو را پیروز کند و آیینت را به سراسر جهان برساند و موانع را هر چه باشد از سر راه بر دارد و بالاخره این کار را کرد.

سورة التوبة (٩): آية ٤٩ ص: ٢١٢

اشاره

(آیه ۴۹)

شأن نزول: ص: ۲۱۲

هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله مسلمانان را آماده جنگ تبوک میساخت و دعوت به حرکت می کرد یکی از رؤسای طایفه «بنی سلمه» به نام «جدّ بن قیس» که در صف منافقان بود خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله آمد و عرض کرد اگر اجازه دهی من در این میدان جنگ حاضر نشوم زیرا علاقه شدیدی به زنان دارم مخصوصا اگر چشمم به دختران رومی بیفتد ممکن است دل از دست بدهم و مفتون آنها شوم! پیامبر صلّی الله علیه و آله به او اجازه داد.

در این موقع آیه نازل شد و عمل آن شخص را محکوم ساخت.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۱۳

تفسير: ص: ٢١٣

منافقان بهانه تراش! شأن نزول فوق نشان می دهـد که انسان هرگاه بخواهد شانه از زیر بار مسؤولیتی خالی کند از هر وسیلهای برای خود بهانه می تراشد.

به هر حال قرآن در اینجا روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده و در پاسخ این گونه بهانه جویان رسوا می گوید: «بعضی از آنها می گویند به ما اجازه بده (که از حضور در میدان جهاد خودداری کنیم) و ما را مفتون و فریفته (زنان و دختران زیبا روی رومی) مساز»! (وَ مِنْهُمْ مَنْ یَقُولُ انْذَنْ لِی وَ لا تَفْتِنِی).

اصولاً منافقان برای اغفال افراد با ایمان غالبا به یک سلسله موضوعات جزئی و ناچیز و گاهی مضحک متشبث میشوند تا موضوعات مهم و کلی را نادیده بگیرند.

ولى به هر حال قرآن در پاسخ او مىگويـد: «آگاه باشـيد كه اينها هم اكنون در ميان فتنه و گناه و مخالفت فرمان خدا سـقوط كردهاند و جهنم گرداگرد كافران را احاطه كرده است» (أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ).

یعنی آنها به عذرهای واهی و این که ممکن است بعدا آلوده به گناه بشوند هم اکنون در دل گناه قرار دارند و جهنم گرداگرد آنها را فرا گرفته است آنها فرمان صریح خدا و پیامبرش را در باره حرکت به سوی جهاد زیر پا می گذارند مبادا به «شبهه شرعی» گرفتار شوند!

سورة التوبة (٩): آية ٥٠ ص: 213

(آیه ۵۰)- در این آیه به یکی دیگر از صفات منافقان و نشانه های آنها اشاره شده است و بحثی را که در آیات گذشته و آینده پیرامون نشانه های منافقان می باشد تکمیل می کند.

نخست مى گويد: «اگر نيكى به تو رسد آنها را ناراحت مىكند» (إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَشُؤْهُمْ).

و این ناراحتی دلیل عداوت باطنی و فقدان ایمان آنهاست «ولی در مقابل اگر مصیبتی به تو برسد و گرفتار مشکلی شوی با خوشحالی می گویند: ما از قبل (پیش بینی چنین مسائلی را می کردیم، و) تصمیم لازم را گرفتیم» و خود را از این پرتگاه رهایی بخشیدیم! (وَ إِنْ تُصِبْکَ مُصِیبَةً یَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۱۴ و به خانههای خود «باز می گردند در حالی که (از شکست یا مصیبت یا ناراحتی شما) خوشحالند» (وَ یَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ). این منافقان کوردل از هر فرصتی به نفع خود استفاده و لاف عقل و درایت می زنند که این عقل و تدبیر ما بود که موجب شد در فلان میدان شرکت نکنیم، این سخن را چنان می گویند که گویی از خوشحالی در پوست نمی گنجند!

سورة التوبة (٩): آية ٥١ ص: 214

(آیه ۵۱) - اما تو ای پیامبر! به اینها از دو راه پاسخ گوی، پاسخی دندان شکن و منطقی، نخست «بگو: هیچ حادثهای برای ما رخ نمی دهد مگر آنچه خداوند برای ما مقرّر داشته است همان خدایی که مولای ما» و سرپرست حکیم و مهربان ماست و جز خیر و صلاح ما را مقدر نمی دارد (قُلْ لَنْ یُصِیبَنا إِلَّا ما کَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا).

آرى «افراد با ايمان بايد تنها بر خدا توكّل كنند» (وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).

تنها به او عشق میورزند و از او یاری میطلبند و سر بر آستان او میسایند تکیه گاه و پناهگاهشان کسی جز او نیست.

سورة التوبة (٩): آية ٥٢ ص: ٢١٤

(آیه ۵۲)– «و تو ای پیـامبر این پاسـخ را نیز به آنــان بگو که شــما چه انتظاری را در باره ما میکشـید جز این که به یکی از دو یکی و خیر و سعادت خواهیم رسید» (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلَّا إِحْدَی الْحُسْنَییْنِ).

یا دشمنان را در هم می کوبیم و پیروز از میدان مبارزه باز می گردیم، و یا کشته می شویم و شربت شهادت را با افتخار می نوشیم، هر کدام پیش آید، خوش آید که مایه افتخار است و روشنی چشم ما و به هر صورت شکست در قاموس ما راه ندارد.

اما به عکس «ما در مورد شما یکی از دو بدبختی، تیره روزی و بلا و مصیبت را انتظار میکشیم، یا در این جهان و جهان دیگر به مجازات الهی گرفتار میشوید، و یا به دست ما خوار و نابود خواهید شد» (وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِکُمْ أَنْ یُصِۃ یبَکُمُ اللَّهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأَیْدِینا).

> «حال که چنین است شما انتظار بکشید، و ما هم با شما انتظار میکشیم» برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۱۵ (فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ).

> > شما در انتظار خوشبختی ما باشید و ما هم در انتظار بدبختی شما نشسته ایم!

سورة التوبة (٩): آية ٥٣ ص: 215

(آیه ۵۳) – قرآن در اینجا به قسمتی دیگر از نشانه های منافقان و نتیجه و سر انجام کار آنها اشاره کرده و روشن می سازد که چگونه اعمال آنها بی روح و بی اثر است و هیچ گونه بهره ای از آن عاید شان نمی شود، و از آنجا که در میان اعمال نیک، انفاق در راه خدا و نماز (پیوند خلق با خالق) موقعیت خاصی دارد، مخصوصا انگشت روی این دو قسمت گذارده است. نخست می گوید: ای پیامبر! «به آنها بگو: شما چه از روی اراده و اختیار در راه خدا انفاق کنید و چه از روی کراهت و اجبار (و ملاحظات شخصی و اجتماعی) در هر حال از شما پذیرفته نخواهد شد» (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً لَنْ یُتَقَبّلَ مِنْکُمْ). سپس به دلیل آن اشاره کرده، می فرماید: «زیرا شما گروه فاسقی بودید» (اِنَّکُمْ کُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِینَ). نیتهایتان آلوده، و اعمالتان ناپاک، و قلبتان تاریک است، و خدا تنها عملی را می پذیرد که پاک باشد و از شخصی پاک و با تقوا سر زند.

سورة التوبة (٩): آية ٥٤ ص: ٢١٥

(آیه ۵۴) - در این آیه بار دیگر دلیل عدم قبول انفاقات آنها را توضیح داده، می گوید: «و هیچ چیز مانع قبول انفاقات آنها نشده جز این که آنها به خدا و پیامبرش کافر شده اند» و هر عملی تو أم با ایمان با خدا و توحید نبوده باشد در پیشگاه خدا مقبول نیست (وَ ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ).

پس از ذکر عـدم قبول انفاقهـای مـالی آنهـا به وضع عبادات آنان اشاره کرده می گویـد: «آنها نماز را به جا نمی آورنـد مگر از روی کسالت و با ناراحتی و سنگینی» (وَ لا یَأْتُونَ الصَّلاهَ إِلَّا وَ هُمْ کُسالی).

همان گونه که «انفاق نمیکنند مگر از روی کراهت و اجبار» (وَ لا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ کارِهُونَ).

در حقیقت به دو دلیل انفاقهای آنها پذیرفته نمی شود یکی به دلیل آن که از روی کفر و عدم ایمان سر میزند، و دیگر این که از روی کراهت و اجبار است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۱۶

همچنین به دو علت نماز آنها پذیرفته نیست نخست به علت کفر، و دیگر به خاطر آنکه از روی کسالت و کراهت انجام می گیرد.

سورة التوبة (٩): آية ۵۵ ص: 218

(آیه ۵۵) - در این آیه روی سخن را به پیامبر کرده، می گوید: «فزونی اموال و اولاد آنها نباید تو را در شگفتی فرو برد» و فکر کنی که آنها با این که منافقند چگونه مشمول این همه مواهب الهی واقع شدهاند (فَلا تُعْجِبْکَ أَمُوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ).

چرا كه اينها به ظاهر براى آنها نعمت است اما در حقيقت «خـدا مىخواهد به اين وسيله آنان را در زندگى دنيا معذب كند، و به خاطر دلبسـتگى فوق العاده به اين امور در حال كفر و بى ايمانى بميرنـد» (إِنَّما يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُعَـذِّبَهُمْ بِها فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كافِرُونَ).

در واقع آنها از دو راه به وسیله این اموال و اولاید (نیروی اقتصادی و انسانی) معذب می شوند: نخست این که این گونه افراد معمولاً فرزندانی ناصالح و اموالی بی برکت دارند که مایه درد و رنجشان در زندگی دنیاست، شب و روز باید برای فرزندانی که مایه ننگ و ناراحتی هستند، تلاش کنند، و برای حفظ اموالی که از طریق گناه به دست آورده اند جان بکنند، و از طرف

دیگر چون به این اموال و فرزندان دلبستگی دارند و به سرای وسیع و پر نعمت آخرت و جهان پس از مرگ ایمان ندارند چشم پوشی از این همه اموال برایشان مشکل است تا آنجا که ایمانشان را روی آنها گذاشته و با کفر از دنیا میروند، و به سخت ترین وضعی جان می دهند؟

مال و فرزند اگر پاک و صالح باشد موهبت است و سعادت و مایه رفاه و آسایش و اگر ناپاک و ناصالح باشد رنج و عذاب الیم است.

سورة التوبة (٩): آية ٥٦ ص: 218

(آیه ۵۶)- نشانه دیگری از منافقان! در اینجا یکی دیگر از اعمال و حالات منافقان به روشنی ترسیم شده است می گوید: «آنها به خدا سو گند یاد می کنند که از شما هستند» (وَ یَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْکُمْ).

«در حالی که نه از شما هستند (و نه در چیزی با شما موافقند) بلکه آنها گروهی هستند که فوق العاده می ترسند» و از شدت ترس کفر را پنهان کرده اظهار ایمان می کنند مبادا گرفتار شوند (وَ ما هُمْ مِنْکُمْ وَ لکِنَّهُمْ قَوْمٌ یَفْرَقُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۱۷

سورة التوبة(٩): آية ٥٧ ص: 217

(آیه ۵۷) - در این آیه شدت بغض و عداوت و نفرت آنها را از مؤمنان در عبارتی کوتاه اما بسیار رسا و گویا منعکس کرده، می گوید: «آنها چنان هستند که اگر پناهگاهی (همانند یک دژ محکم) بیابند، یا دسترسی به غارهایی در کوهها داشته باشند، یا بتوانند راهی در زیر زمین پیدا کنند، با سرعت هر چه بیشتر به سوی آن می شتابند» تا از شما دور شوند و بتوانند کینه و عدوات خود را آشکار سازند (لَوْ یَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغاراتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلُوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ یَجْمَحُونَ).

این یکی از رساترین تعبیراتی است که قرآن در باره ترس و وحشت منافقان و یا بغض و نفرت آنان بیان کرده که آنها اگر در کوهها و حتی زیر و روی زمین راه فراری پیـدا کننـد از ترس یا عـداوت از شـما دور میشونـد ولی چون قوم و قبیله و اموال و ثروتی در محیط شما دارند مجبورند دندان بر جگر بگذارند و بمانند!

سورة التوبة(٩): آية 58 ص: 217

اشاره

(آیه ۵۸)

شأن نزول: ص: 217

نقل شده که: پیامبر صلّی الله علیه و آله مشغول تقسیم اموالی (از غنائم یا مانند آن) بود که یکی از طایفه «بنی تمیم» فرا رسید،

صدا زد: ای رسول خدا! عدالت کن! پیامبر فرمود: وای بر تو اگر من عدالت نکنم چه کسی عدالت خواهد کرد؟! در این هنگام این آیه و آیه بعد نازل شد و به این گونه افراد اندرز داد.

تفسير: ص: ۲۱۷

خودخواهان بی منطق: در این آیه به یکی از حالات منافقان اشاره شده و آن این که آنها هرگز راضی به حق خود نیستند. هر کس جیب آنها را پر کند عادل است و از او راضی هستند و هر کس به خاطر رعایت عدالت حق دیگران را به آنها نبخشد ظالم و از او ناراضی می شوند.

لذا مي گويد: «بعضي از آنها در تقسيم صدقات به تو عيب مي گيرند» و مي گويند عدالت را رعايت نكردي (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ).

اما در حقیقت چنین است که آنها به منافع خویش مینگرند «اگر سهمی به آنها داده شود راضیند و خوشحال» و تو را مجری عدالت میدانند هر چند استحقاق نداشته باشند (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا).

«و اگر چیزی از آن به آنها داده نشود خشمگین میشونید» و تو را متهم به بیعمدالتی میکننید (وَ إِنْ لَمْ یُعْطُوْا مِنْها إِذا هُمْ یَسْخَطُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۱۸

سورة التوبة (٩): آية ٥٩ ص: ٢١٨

(آیه ۵۹)- «ولی اگر آنها (به حق خود راضی باشند و) به آنچه خدا و پیامبرش در اختیار آنها گذارده رضایت دهند و بگویند همین برای ما کافی است و اگر هم نیاز بیشتری داریم خدا و پیامبر از فضل خود به زودی به ما میبخشند ما تنها رضای خدا را میطلبیم» و از او میخواهیم که ما را از اموال مردم بینیاز سازد، اگر آنها چنین کنند به سود آنهاست (وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا ما آتاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَیُؤْتِینَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ إِنَّا إِلَی اللَّهِ راغِبُونَ).

سورة التوبة (٩): آية 60 ص: 218

اشاره

(آیه ۶۰) – مصارف زکات و ریزه کاریهای آن: در تاریخ اسلام دو دوران مشخص دیده می شود، دوران مکّه که همت پیامبر صلّی صلّی اللّه علیه و آله و مسلمانان در آن مصروف تعلیم و تربیت نفرات و آموزش و تبلیغ می شد، و دوران مدینه که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در آن دست به تشکیل «حکومت اسلامی» و پیاده کردن و اجرای تعلیمات اسلام، از طریق این حکومت صالح زد.

بدون شک یکی از ابتدایی و ضروری ترین مسأله، به هنگام تشکیل حکومت، تشکیل «بیت المال» است که به وسیله آن نیازهای اقتصادی حکومت بر آورده شود. به همین دلیل یکی از نخستین کارهایی که پیامبر صلّی الله علیه و آله در مدینه انجام داد تشکیل بیت المال بود که یکی از منابع آن را «زکات» تشکیل میداد، و طبق مشهور این حکم در سال دوم هجرت پیامبر صلّی الله علیه و آله تشریع شد.

به هر حال آیه مورد بحث به روشنی مصارف واقعی زکات را بیان کرده و آن را در هشت مصرف خلاصه می کند:

١- «فقرا» نخست مي گويد: «صدقات و زكات براي فقيران است» (إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ).

Y - «مساكين» (وَ الْمَساكِين).

۳- «عاملان و جمع آوری کنندگان زکات» (وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها).

این گروه در حقیقت کارمنـدان و کارکنـانی هسـتند که برای جمع آوری زکـات و اداره بیت المـال اسـلام تلاـش و کوشـش میکنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۱۹

۴- «و كسانى كه براى جلب محبتشان اقدام مىشود» (وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ).

آنها کسانی هستند که انگیزه معنوی نیرومندی برای پیشبرد اهداف اسلامی ندارند، و با تشویق مالی میتوان تألیف قلب، و جلب محبت آنان نمود، و در مباحث فقهی گفته شده که آیه مفهوم وسیعی دارد که کفار و غیر مسلمانان را شامل میشود.

۵- «در راه آزاد ساختن بردگان» (وَ فِی الرِّقابِ).

یعنی سهمی از زکات، تخصیص به مبارزه با بردگی، و پایان دادن به این موضوع ضد انسانی، و «آزادی تدریجی بردگان» داده می شود.

۶- «اداء دین بدهکاران» و آنها که بدون جرم و تقصیر زیر بار بدهکاری مانده و از ادای آن عاجز شدهاند (وَ الْغارِمِینَ).

٧- «و در راه خدا» (وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

٨- «واماندگان در راه» (وَ ابْنِ السَّبِيلِ).

یعنی مسافرانی که بر اثر علّتی در راه مانـده، و زاد و توشه و مرکب کافی برای رسـیدن به مقصـد ندارنـد، هر چنـد افراد فقیر و بی.بضاعتی نیستند.

در پایان آیه به عنوان تأکید روی مصارف گذشته، می فرماید: «این فریضه الهی است» (فَریضَهٔ مِنَ اللَّهِ).

و بـدون شک این فریضه، حساب شـده، و کاملا دقیق، و جامع مصلحت فرد و اجتماع است، زیرا «خداونـد دانا و حکیم است» (وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ).

نکتهها: ص: ۲۱۹

1- فرق میان «فقیر» و «مسکین»: ص: ۲۱۹

به نظر می رسد که «فقیر» به معنی کسی است که در زندگی خود کمبود مالی دارد، هر چند مشغول کسب و کاری باشد و هرگز از کسی سؤال نکند، اما «مسکین» کسی است که نیازش شدیدتر است و دستش از کار کوتاه است، و به همین جهت از این و آن سؤال می کند.

۲- تقسیم زکات به هشت قسمت مساوی: ص: ۲۱۹

اکثریت قاطع فقها براینند که اصناف هشتگانه فوق مواردی است که صرف زکات در آنها مجاز است، و تقسیم کردن در آن واجب نیست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۲۰

اما چگونگی مصرف آن در این مصرف هشتگانه بستگی به ضرورتهای اجتماعی از یکسو، و نظر حکومت اسلامی از سوی دیگر دارد.

٣- نقش زكات در اسلام: ص: ٢٢٠

با توجه به این که اسلام به عنوان یک «آیین جامع» که تمام نیازمندیهای مادی و معنوی در آن پیش بینی شده، و از همان عصر پیامبر صلّی الله علیه و آله، با تأسیس حکومت همراه بود، و توجه خاصی به حمایت از محرومان و مبارزه با فاصله طبقاتی دارد، روشن می شود که نقش بیت المال، و زکات از مهمترین نقشهاست.

شک نیست که هر جامعهای دارای افرادی از کار افتاده، بیمار، یتیمان بی سرپرست، معلولین، و امثال آنها می باشد که باید مورد حمایت قرار گیرند.

و نیز برای حفظ موجودیت خود در برابر هجوم دشمن، نیاز به سربازان مجاهدی دارد که هزینه آنها از طرف حکومت پرداخت می شود.

به همین دلیل در اسلام مسأله زکات که در حقیقت یک نوع «مالیات بر در آمد و تولید» و «مالیات بر ثروت راکد» محسوب می شود، از اهمیت خاصی برخوردار است، تا آنجا که در ردیف مهمترین عبادات قرار گرفته، و در بسیاری از موارد با نماز همراه ذکر شده، و حتی شرط قبولی نماز شمرده شده است!

سورة التوبة (٩): آية ٦١ ص: ٢٢٠

اشاره

(آیه ۶۱)

شأن نزول: ص: ۲۲۰

در مورد نزول این آیه گفتهاند: این آیه در باره گروهی از منافقان نازل شده، که دور هم نشسته بودند و سخنان ناهنجار، در باره پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می گفتند، یکی از آنان گفت: این کار را نکنید، زیرا، می ترسیم به گوش محمّد برسد، و او به ما بد بگوید (و مردم را بر ضد ما بشوراند).

یکی از آنان که نامش «جلاس» بود گفت: مهم نیست، ما هر چه بخواهیم می گوییم، و اگر به گوش او رسید نزد وی می رویم، و انکار می کنیم، و او از ما می پذیرد، زیرا محمّد صلّی اللّه علیه و آله آدم خوش باور و دهن بینی است، و هر کس هر چه بگوید قبول می کند، در این هنگام آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۲۲۰

این حسن است نه عیب! در این آیه همان گونه که از مضمون آن استفاده می شود سخن از فرد یا افرادی در میان است که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را با گفته های برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۲۱

خود آزار میدادند آیه می گوید: «از آنها کسانی هستند که پیامبر را آزار میدهند و می گویند: او آدم خوش باوری است»! (وَ مِنْهُمُ الَّذِینَ یُؤْذُونَ النَّبِیَّ وَ یَقُولُونَ هُوَ أُذُنِّ).

آنها در حقیقت یکی از نقاط قوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را که وجود آن در یک رهبر کاملا لازم است، به عنوان نقطه ضعف نشان میدادند.

لـذا قرآن بلافاصـله اضافه می کنـد که: «به آنها بگو: اگر پیامبر گوش به سـخنان شـما فرا میدهـد (و عذرتان را میپذیرد، و به گمان شما یک آدم گوشی است) این به نفع شماست»! (قُلْ أُذُنُ خَیْرِ لَکُمْ).

زیرا از این طریق آبروی شما را حفظ کرده، و شخصیتتان را خرد نمی کند عواطف شما را جریحه دار نمی سازد، و برای حفظ محبت و اتحاد و وحدت شما از این طریق کوشش می کند، در حالی که اگر او فورا پرده ها را بالا میزد، و دروغگویان را رسوا می کرد، در دسر فراوانی برای شما فراهم می آمد.

سپس برای این که عیب جویان از این سخن سوء استفاده نکنند، و آن را دستاویز قرار ندهند، چنین اضافه می کند: «او به خدا و فرمانهای او ایمان دارد، و به سخنان مؤمنان راستین گوش فرا می دهد، و آن را می پذیرد و به آن ترتیب اثر می دهد» (یُؤْمِنُ باللَّهِ وَ یُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِینَ).

یعنی در واقع پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دو گونه برنامه دارد: یکی برنامه حفظ ظاهر و جلوگیری از پردهدری، و دیگری در مرحله عمل، در مرحله اول به سخنان همه گوش فرا می دهد، و ظاهرا انکار نمی کند، ولی در مقام عمل تنها توجه او به فرمانهای خدا و پیشنهادها و سخنان مؤمنان راستین است، و یک رهبر واقع بین باید چنین باشد، و تأمین منافع جامعه جز از این راه ممکن نیست لذا بلافاصله می فرماید: «او رحمت برای مؤمنان شماست» (وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ).

تنها چیزی که در اینجا باقی میماند این است که نباید آنها که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را با این سخنان خود ناراحت می کنند و از او عیب جویی مینمایند، تصور کنند که بدون مجازات خواهند ماند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۲۲ لذا در پایان آیه می فرماید: «آنها که به رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله آزار می رسانند عذابی دردناک دارند» (وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ).

سورة التوبة (٩): آية ٦٢ ص: ٢٢٢

اشاره

(۶۲ م آ)

جمعی از مفسران شأن نزولی برای این آیه و آیه بعد نقل کردهاند و آن این که: هنگامی که در نکوهش تخلف کنندگان از غزوه تبوک آیاتی نازل شد یکی از منافقان گفت: به خدا سو گند این گروه نیکان و اشراف ما هستند، اگر آنچه را «محمّد» در باره آنها می گوید راست باشد، اینها از چهارپایان هم بدترند، یکی از مسلمانان این سخن را شنید و گفت: به خدا آنچه او می گوید حق است، و تو از چهارپا بدتری! این سخن به گوش پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسید به دنبال آن مرد منافق فرستاد و از او پرسید: چرا چنین گفتی، او سو گند یاد کرد که چنین سخنی نگفته است آن مرد مؤمن، گفت: خداوندا خودت راستگو را تصدیق، و دروغگو را تکذیب فرما.

این دو آیه نازل شد و وضع آنها را مشخص ساخت.

تفسير: ص: ٢٢٢

قیافه حق به جانب منافقان! یکی از نشانه های منافقان و اعمال زشت و شوم آنها که قرآن کرارا به آن اشاره کرده، این است که آنها برای پوشاندن چهره خود بسیاری از خلافکاریهای خود را انکار می کردند و با توسل به سوگندهای دروغین میخواستند مردم را فریب داده و از خود راضی کنند. در این آیه و آیه بعد قرآن مجید پرده از روی این عمل زشت برداشته و مسلمانان را آگاه میسازد که تحت تأثیر این گونه سوگندهای دروغین قرار نگیرند.

نخست می گوید: «آنها برای شما سوگند به خدا یاد می کنند تا شما را راضی کنند» (یَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَکُمْ لِیُرْضُو کُمْ).

روشن است كه هدف آنها از اين سوگندها، بيان حقيقت نيست. بلكه مىخواهنىد بـا فريب و نيرنىگ چهره واقعيـات را در نظرتان دگرگون جلوه دهند، و به مقاصد خود برسـند. لذا قرآن مىگويد: «اگر آنها راست مىگويند و ايمان دارند، شايسـتهتر اين است كه خدا و پيامبرش را راضى كنند»! (وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۲۳

سورة التوبة (9): آية 67 ص: 223

(آیه ۶۳) - در این آیه این گونه افراد منافق را شدیدا تهدید می کند، و می گوید: «مگر نمی دانند کسی که با خدا و رسولش دشمنی و مخالفت کند برای او آتش دوزخ است که جاودانه در آن می ماند» (أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ یُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِیها).

سپس برای تأکید اضافه میکند: «این رسوایی و ذلّت بزرگی است» (ذلِکَ الْخِزْیُ الْعَظِیمُ).

سورة التوبة (٩): آية 64 ص: 223

اشاره

شأن نزول: ص: 223

در بـاره نزول این آیه و دو آیه بعـد چنین نقل شـده: گروهی از منافقان در یک جلسه سـرّی، برای قتل پیامبر توطئه کردنـد که پس از مراجعت از جنگ تبوک در یکی از گردنههای سـر راه به صورت ناشـناس کمین کرده، شتر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را رم دهند، و حضرت را به قتل برسانند.

خداوند پیامبرش را از این نقشه آگاه ساخت، و او دستور داد جمعی از مسلمانان مراقب باشند، و آنها را متفرق سازند.

تفسير: ص: ٢٢٣

برنامه خطرناک دیگری از منافقان: از این آیه چنین استفاده می شود که خداوند برای دفع خطر منافقان از پیامبر، گهگاه پرده از روی اسرار آنها برمی داشت، و آنان را به مسلمانان معرفی می کرد، تا به هوش باشند و آنها نیز دست و پای خود را جمع کنند، روی این جهت غالبا آنان در یک حالت ترس و وحشت به سر می بردند، قرآن به این وضع اشاره کرده، می گوید: «منافقان می ترسند که بر ضد آنها سورهای نازل شود، و آنان را به آنچه در دل دارند آگاه سازد» (یَدِیدُدُرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنبَّئُهُمْ بما فِی قُلُوبِهمْ).

ولی عجیب این که بر اثر شدت لجاجت و دشمنی باز هم دست از استهزاء و تمسخر نسبت به کارهای پیامبر صلّی الله علیه و آله بر نمی داشتند، لذا خداوند در پایان آیه به پیامبرش می گوید: «به آنها بگو: هر چه میخواهید استهزاء کنید، اما بدانید خدا آنچه را را از آن بیم دارید آشکار میسازد» و شما را رسوا می کند! (قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ).

سورة التوبة(٩): آية 65 ص: 223

(آیه ۶۵) - در این آیه به یکی دیگر از برنامههای منافقان اشاره کرده، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۲۴

می گوید: «اگر از آنها بپرسی (که چرا چنین سخن نادرستی را گفتهاند، و یا چنین کار خلافی را انجام دادهاند) می گویند: ما مزاح و شوخی می کردیم و در واقع قصد و غرضی نداشتیم»! (وَ لَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَیَقُولُنَّ إِنَّمَا کُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ).

منافقان امروز و منافقان هر زمان که برنامه های یکنواختی دارند از این روش بهره برداری فراوان می کنند، حتی گاه می شود جمدی ترین مطالب را در لباس مزاحها و شوخیهای ساده مطرح کنند، اگر به همدفشان رسیدند چه بهتر، و الّا با عنوان کردن شوخی و مزاح می خواهند از چنگال مجازات فرار کنند.

اما قرآن با تعبیری قاطع و کوبنده، به آنها پاسخ می گوید، و به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهد که «به آنها بگو: آیا خدا، و آیات او، و رسولش، را مسخره می کنید و به شوخی می گیرید»؟! (قُلْ أَ بِاللّهِ وَ آیاتِهِ وَ رَسُولِهِ کُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ).

یعنی آیا با همه چیز می توان شوخی کرد، حتی با خدا و پیامبر و آیات قرآن! آیا مسأله رم دادن شتر، و سقوط پیامبر صلّی الله علیه و آله از آن گردنه خطرناک، چیزی است که بتوان زیر نقاب شوخی آن را پوشاند؟

سورة التوبة (٩): آية 66 ص: 224

(آیه ۶۶) – سپس به پیامبر دستور میدهـد صریحا به این منافقـان بگو: «دست از این عـذرهای واهی و دروغین برداریـد» (لا تَعْتَذِرُوا).

چرا که «شما بعد از ایمان راه کفر پیش گرفتید» (قَدْ کَفَرْتُمْ بَعْدَ إِیمانِکُمْ).

این تعبیر نشان میدهد که گروه بالا از آغاز در صف منافقان نبودند، بلکه در صف مؤمنان ضعیف الایمان بودند و پس از ماجرای فوق راه کفر پیش گرفتند.

سر انجام، آیه را با این جمله پایان میدهد که: «اگر ما گروهی از شما را ببخشیم گروه دیگری را به خاطر این که مجرم بودند، مجازات خواهیم کرد» (إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً بِأَنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِینَ).

این که می گویـد گروهی را مجـازات می کنیم به خاطر جرم و گناهشان، دلیل بر آن است که «گروه مورد عفو» افرادی هسـتند که آثار جرم و گناه را با آب توبه از وجود خود شستهاند.

سورة التوبة (٩): آية ٧٧ ص: 224

(آیه ۶۷) - نشانههای منافقان: در این آیه اشاره به یک مطلب کلی می کند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۲۵

و آن این که ممکن است روح نفاق به اشکال مختلف ظاهر شود، مخصوصا خودنمایی، روح نفاق در یک «مرد» با یک «زن» ممکن است متفاوت باشد، اما نباید فریب تغییر چهرههای نفاق را در میان منافقان خورد.

لذا مى كويد: «مردان منافق و زنان منافق همه از يك قماشند» (الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ).

سپس به ذکر پنج صفت از اوصاف آنان می پردازد.

اول و دوم: «آنها مردم را به منكرات تشويق، و از نيكيها باز مىدارند» (يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ).

یعنی درست برعکس برنامه مؤمنان راستین که دائما از طریق «امر به معروف» و «نهی از منکر» در اصلاح جامعه و پیراستن آن از آلودگی و فساد کوشش دارنـد، منافقان دائما سـعی میکنند که فساد همه جا را بگیرد، و معروف و نیکی از جامعه برچیده شود.

سوم: آنها «دستهایشان را میبندنـد» (وَ یَقْبِضُونَ أَیْدِیَهُمْ). نه در راه خدا انفاق میکنند، نه به کمک محرومان میشتابند، و نه خویشاوند و آشنا را کمک مالی آنها بهره میگیرند.

روشن است آنها چون ایمان به آخرت و نتایج و پاداش «انفاق» ندارند، در بذل اموال سخت بخیلند.

چهارم: تمام اعمال و گفتار و رفتارشان نشان می دهد که «آنها خدا را فراموش کردهاند (و نیز وضع زندگی آنها نشان می دهد که) خدا هم آنها را از برکات و توفیقات و مواهب خود فراموش نموده» (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِتَهُمْ). یعنی با آنها معامله فراموشی کرده است و آثار این دو فراموشی در تمام زندگی آنان آشکار است.

پنجم: اين كه «منافقان فاسقند و بيرون از دايره اطاعت فرمان خدا» (إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ).

آنچه در آیه فوق در باره صفات مشترک منافقان گفته شد در هر عصر و زمانی دیده می شود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۲۶

سورة التوبة(٩): آية ٦٨ ص: 228

(آیه ۶۸) – در این آیه مجازات شدیـد و دردناک آنها، بیان شـده است، میفرماید: «خداوند مردان و زنان منافق و همه کفار و افراد بیایمان را وعده آتش جهنم داده» (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْكُفَّارَ نارَ جَهَنَّمَ).

همان آتش سوزانی که: «جاودانه در آن خواهند ماند» (خالِدِینَ فِیها).

و «همین یک مجازات (که تمام انواع عذابها و کیفرها را در بر دارد) برای آنها کافی است» (هِیَ حَسْبُهُمْ).

و به تعبیر دیگر آنها نیاز به هیچ مجازات دیگری ندارند، زیرا در دوزخ همه نوع عذاب جسمانی و روحانی وجود دارد.

و در پایان آیه اضافه می کند: «خداونـد آنها را از رحمت خود دور ساخته و عذاب همیشـگی نصیبشان نموده است» (وَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِیمٌ).

بلکه این دوری از خداوند، خود بزرگترین عذاب و دردناکترین کیفر برای آنها محسوب می شود.

سورة التوبة(٩): آية 69 ص: 228

(آیه ۶۹)- تکرار تاریخ و درس عبرت! این آیه برای بیدار ساختن این گروه از منافقان، آینه تاریخ را پیش روی آنها می گذارد، و با مقایسه زندگی آنان با منافقان و گردنکشان پیشین، عبرت انگیز ترین درسها را به آنها می دهد، و می گوید: «شما همانند منافقان پیشین هستید»، و همان مسیر و برنامه و سرنوشت شوم را تعقیب می کنید (کَالَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ).

«همانها که از نظر نیرو از شما قویتر، و از نظر اموال و فرزندان از شما افزونتر بودند» (کانُوا أَشَدَّ مِنْکُمْ قُوَّةً وَ أَکْثَرَ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً).

«آنها از نصیب و بهره خود در دنیا، در طریق شهوات و آلودگی و گناه و فساد و تبهکاری، بهره گرفتند، شما منافقان این امت نیز از نصیب و بهره خود همان گونه که منافقان پیشین بهره گرفته بودند، بهره برداری کردید» (فَاسْ تَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعُتُمْ بِخَلاقِهِمْ).

سپس می گویـد: «شـما در کفر و نفـاق و سـخریه و اسـتهزاء مؤمنان، فرو رفتیـد، همان گونه که آنها در این امور فرو رفتنـد» (وَ خُضْتُمْ کَالَّذِی خاضُوا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۲۷

سر انجام پایان کار منافقان پیشین را برای هشدار به گروه منافقان معاصر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و همه منافقان جهان، با دو جمله بیان می کند:

نخست این که: «آنها کسانی هستند که همه اعمالشان در دنیا و آخرت بر باد رفته و میرود، و هیچ نتیجه مثبتی از آن عائدشان نمی گردد» (أُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ).

ديگر اين كه: «آنها زيانكاران حقيقي، و خسران يافتگان واقعي هستند» (وَ أُولِئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ).

آنها ممکن است استفاده های «موقت» و «محدودی» از اعمال نفاق آمیز خود ببرند، ولی اگر درست بنگریم میبینیم نه در زندگی این دنیا از این رهگذر طرفی میبندند، و نه در جهان دیگر بهرهای دارند.

سورة التوبة(٩): آية ٧٠ ص: 227

(آیه ۷۰)– در این آیه روی سخن را به پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله کرده، به عنوان اسـتفهام انکـاری چنین میگویـد: «آیا این گروه منافق از سرنوشت امتهای پیشین، قوم نوح، و عاد، و ثمود، و قوم ابراهیم، و اصحاب مدین (قوم شعیب) و شهرهای ویران شده قوم لوط بـا خـبر نشدنـد» (أَ لَـمْ يَـأْتِهِمْ نَبَـأَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُـوحٍ وَ عـادٍ وَ ثَمُـودَ وَ قَـوْمِ إِبْراهِيمَ وَ أَصْـحابِ مَـدْيَنَ وَ الْمُؤْتَفِكاتِ).

اینها ماجراهای تکان دهندهای است که مطالعه و بررسی آن هر انسانی را که کمترین احساس در قلب او باشد تکان میدهد. هر چند خداوند آنها را هیچ گاه از لطف خود محروم نساخت، «و پیامبرانشان با دلایل روشن برای هدایت آنان به سویشان آمدند» (أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالْبَیّناتِ).

ولی آنها به هیچ یک از مواعظ و اندرزهای این مردان الهی گوش فرا ندادند و برای زحمات طاقت فرسایشان در راه روشنگری خلق خدا ارجی ننهادند.

«بنابراین هرگز خداوند به آنها ستم نکرد، این خودشان بودند که به خویشتن ستم روا داشتند»! (فَما کانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ).

سورة التوبة (٩): آية ٧١ ص: 227

(آیه ۷۱)- نشانه های مؤمنان راستین: در آیات گذشته علائم و جهات مشترک مردان و زنان منافق در پنج قسمت مطرح گردید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۲۸

در آیه مورد بحث علائم و نشانههای مردان و زنان با ایمان بیان شده است که آن هم در پنج قسمت خلاصه می شود.

آیه از اینجا شروع می شود که می فرماید: «مردان و زنان با ایمان دوست و ولیّ و یار و یاور یکدیگرند» (وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْض).

پس از بیان این اصل کلی به شرح جزئیات صفات مؤمنان می پردازد:

۱- نخست می گوید: «آنها مردم را به نیکیها دعوت می کند» (یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ).

٢- «مردم را از زشتيها و بديها و منكرات باز مىدارند» (وَ يَنْهَوْنَ عَن الْمُنْكَرِ).

۳- آنها به عکس منافقان که خدا را فراموش کرده بودند «نماز را برپا میدارند» (وَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ). و به یاد خدا هستند و با یاد و ذکر او، دل را روشن، و عقل را بیدار و آگاه میدارند.

۴- آنها بر خلاف منافقان که افرادی ممسک و بخیل هستند بخشی از اموال خویش را در راه خدا، و حمایت خلق خدا، و برای بازسازی جامعه، انفاق می نمایند «و زکات اموال خویش را می پردازد» (وَ یُؤْتُونَ الزَّکاهَ).

۵- منافقان فاسقند و سركش، و خارج از تحت فرمان حق، اما مؤمنان «اطاعت فرمان خدا و پيامبر او مىكنند» (وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ).

در پایان این آیه اشاره به نخستین امتیاز مؤمنان از نظر نتیجه و پاداش کرده، می گوید: «خداونـد آنهـا را به زودی مشـمول رحمت خویش می گرداند» (أُولئِکَ سَیَرْحَمُهُمُ اللَّهُ).

شک نیست که وعده رحمت به مؤمنان از طرف خداوند، از هر نظر قطعی و اطمینان بخش است، چرا که «خداوند توانا و حکیم است» (إِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ).

نه بدون علت وعده می دهد، و نه هنگامی که وعده داد، از انجام آن عاجز می ماند.

سورة التوبة (٩): آية ٧٢ ص: ٢٢٨

(آیه ۷۲)- این آیه قسمتی از این رحمت واسعه الهی را که شامل حال افراد با ایمان می شود، در دو جنبه «مادی» و «معنوی» شرح می دهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۲۹

نخست مىفرمايد: «خداوند به مردان و زنان با ايمان باغهايى از بهشت وعده داده است كه از زير درختانش نهرها جريان دارد» (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

از ویژگیهای این نعمت بزرگ این است که زوال و جدایی در آن راه ندارد و «آنان جاودانه در آن میمانند» (خالِدِینَ فِیها). دیگر از مواهب الهی به آنها این است که خداوند «مسکنهای پاکیزه و منزلگاههای مرفّه در قلب بهشت عـدن در اختیار آنها می گذارد» (وَ مَساکِنَ طَیّبَهٔ فِی جَنَّاتِ عَدْنِ).

از احادیث اسلامی چنین استفاده می شود که «جنّات عدن» باغهای مخصوصی است از بهشت که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و جمعی از خاصان پیروان او در آنها مستقر خواهند شد.

سپس اشاره به نعمت و پاداش معنوی آنها کرده، میفرماید: «رضایت و خشنودی خدا (که نصیب این مؤمنان راستین میشود) از همه برتر و بزرگتر است» (وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ).

هیچ کس نمی تواند آن لذت معنوی و اسی و اسی و اسی و اسی و که به یک انسان به خاطر توجه رضایت و خشنودی خدا از او، دست می دهد، توصیف کند.

و در پایان آیه اشاره به تمام این نعمتهای مادی و معنوی کرده، می گوید: «این پیروزی بزرگی است» (ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ).

سورة التوبة(٩): آية ٧٣ ص: 229

(آیه ۷۳)- پیکار با کفار و منافقان: سر انجام در این آیه دستور به شدت عمل در برابر کفّار و منافقان داده، می گوید: «ای پیامبر! با کافران و منافقان جهاد کن» (یا أَیُّهَا النَّبِیُّ جاهِدِ الْکُفَّارَ وَ الْمُنافِقِینَ).

«و در برابر آنها روش سخت و خشنی در پیش گیر» (وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ).

این مجازات آنها در دنیاست، و در آخرت «جایگاهشان دوزخ است که بـدترین سـرنوشت و جایگاه است» (وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بئْسَ الْمَصِیرُ).

البته طرز جهاد در برابر «كفار» جهاد همه جانبه، و مخصوصا جهاد مسلحانه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۳۰ است. و منظور از جهاد با منافقان انواع و اشكال دیگر مبارزه غیر از مبارزه مسلحانه است، ماننـد مـذمت و توبیخ و تهدیـد و رسوا ساختن آنها، و شاید جمله «وَ اغْلُظْ عَلَیْهِمْ) اشاره به همین معنی باشد.

سورة التوبة(٩): آية ٧٤ ص: 230

اشاره

(آیه ۷۴)

شأن نزول: ص: 230

در بـاره شـأن نزول این آیه روایـات مختلفی نقـل شـده که همه آنها نشان میدهـد بعضـی از منافقان، مطالب زننـدهای در باره اســلام و پیامبر صــلّی اللّه علیه و آله گفته بودنـد و پس از فاش شـدن اسـرارشان سوگند دروغ یاد کردند که چیزی نگفتهاند و همچنین توطئهای بر ضد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله چیده بودند که خنثی گردید.

تفسير: ص: ۲۳۰

توطئه خطرناک! در این آیه پرده از روی یکی دیگر از اعمال منافقان برداشته شده و آن این که: هنگامی که میبینند اسرارشان فاش شده واقعیات را انکار میکنند و حتی برای اثبات گفتار خود به قسمهای دروغین متوسل میشوند.

نخست می گوید: «منافقان سوگند یاد می کنند که چنان مطالبی را در باره پیامبر نگفتهاند» (یَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ما قالُوا).

در حالى كه: «اينهـا بطور مسـلم سـخنان كفر آميزى گفتهانــد» (وَ لَقَـدْ قـالُوا كَلِمَـهُ الْكُفْرِ). و به اين جهت «پس از قبول و اظهار اسلام راه كفر را پيش گرفتهاند» (وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ).

البته آنان از آغاز مسلمان نبودند که کافر شوند بلکه تنها اظهار اسلام می کردند، بنابراین همین اسلام ظاهری و صوری را نیز با اظهار کفر درهم شکستند.

و از آن بالاتر «آنها تصميم خطرناكي داشتند كه به آن نرسيدند» (وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا).

و آن توطئه برای نابودی پیامبر و یا فعالیتهایی است که برای به هم ریختن سازمان جامعه اسلامی، و تولید فساد و نفاق و شکاف، انجام میدادند، که هرگز به هدف نهایی منتهی نشد.

در جمله بعد برای این که زشتی و وقاحت فعالیتهای منافقان و نمک نشناسی آنها کاملا آشکار شود اضافه می کند: آنها در واقع خلافی از پیامبر ندیده بودند و هیچ لطمهای از ناحیه اسلام بر آنان وارد نشده بود، بلکه به عکس در پرتو برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۳۱

حکومت اسلام به انواع نعمتهای مادی و معنوی رسیده بودند، بنابراین «آنها در حقیقت انتقام نعمتهایی را می گرفتند خداوند و پیامبر با فضل و کرم خود تا سر حد استغنا به آنها داده بودند» (وَ ما نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ).

سپس آنچنان که سیره قرآن است راه بازگشت را به روی آنان گشوده، می گوید: «اگر آنان توبه کنند برای آنها بهتر است» (فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ).

و این نشانه واقع بینی اسلام و اهتمام به امر تربیت، و مبارزه با هرگونه سختگیری و شدت عمل نابجاست، که حتی راه آشتی و توبه را به روی منافقانی که توطئه برای نابودی پیامبر کردند و سخنان کفرآمیز و توهینهای زننده داشتند بازگذارده.

در عين حال براى اين كه آنها اين نرمش را دليل بر ضعف نگيرند، به آنها هشدار مىدهد كه: «اگر به روش خود ادامه دهند، و از توبه روى برگرداننـد، خداونـد در دنيـا و آخرت آنـان را به مجازات دردناكى كيفر خواهـد داد» (وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَـذُبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ).

و اگر می پندارند کسی در برابر مجازات الهی ممکن است به کمک آنان بشتابد سخت در اشتباهند، زیرا «آنها در سراسر روی زمین نه ولی و سرپرستی خواهند داشت و نه یار و یاوری» (وَ ما لَهُمْ فِی الْأَرْضِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ).

سورة التوبة(٩): آية ٧٥ ص: 231

(آیه ۷۵)

شأن نزول: ص: 231

این آیه و سه آیه بعد از آن در باره یکی از انصار به نام «ثعلبهٔ بن حاطب» نازل شده است، او که مرد فقیری بود و مرتب به مسجد پیامبر صلّی الله علیه و آله دعا کند تا خداوند مال فراوانی به او بدهد! پیغمبر به او فرمود: «قلیل تؤدّی شکره خیر من کثیر لا تطیقه» «مقدار کمی که حقش را بتوانی ادا کنی، بهتر از مقدار زیادی است که توانایی ادا حقش را نداشته باشی».

ولى ثعلبه دست بردار نبود و سر انجام پيامبر صلّى اللّه عليه و آله براى او دعا كرد.

چیزی نگذشت که طبق روایتی پسر عموی ثروتمندی داشت از دنیا رفت و ثروت سرشاری به او رسید.

پس از مدتی پیامبر صلّی الله علیه و آله مأمور جمع آوری زکات را نزد او فرستاد، تا زکات برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۳۲

اموال او را بگیرد، ولی این مرد کم ظرفیت و تازه به نوا رسیده و بخیل، از پرداخت حق الهی خودداری کرد، نه تنها خودداری کرد، نه کم خودداری کرد، نه تنها خودداری کرد، بلکه به اصل تشریع این حکم نیز اعتراض نمود و گفت: این حکم برادر «جزیه» است.

به هر حال هنگامی که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله سخن او را شنید فرمود: یا ویح ثعلبهٔ! یا ویح ثعلبهٔ! «وای بر ثعلبه! ای وای بر ثعلبه»! و در این هنگام آیات مزبور نازل شد.

تفسير: ص: ٢٣٢

منافقان کم ظرفیتند! قرآن در اینجا روی یکی دیگر از صفات زشت منافقان انگشت میگذارد و آن این که: به هنگام ضعف و ناتوانی و فقر و پریشانی، چنان دم از ایمان میزنند که هیچ کس باور نمی کند آنها روزی در صف منافقان قرار گیرند. اما همین که به نوایی برسند چنان دست و پای خود را گم کرده و غرق دنیاپرستی میشوند که همه عهد و پیمانهای خویش را با خدا به دست فراموشی میسپارند.

نخست مى گويد: «بعضى از منافقان كسانى هستند كه با خدا پيمان بستهاند كه اگر از فضل و كرم خود به ما مرحمت كند قطعا به نيازمندان كمك مىكنيم و از نيكوكاران خواهيم بود» (وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَمَ لَاللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ).

سورة التوبة (٩): آية ٧٦ ص: ٢٣٢

(آیه ۷۶)- ولی این سخن را تنها زمانی می گفتند که دستشان از همه چیز تهی بود «و به هنگامی که خداوند از فضل و

رحمتش سـرمایههایی به آنان داد، بخل ورزیدند و سرپیچی کردند و رویگردان شدند» (فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ).

سورة التوبة(٩): آية ٧٧ ص: 232

(آیه ۷۷)– «این عمل و این پیمان شکنی و بخل نتیجهاش این شد که روح نفاق بطور مستمر و پایدار در دل آنان ریشه کند و تا روز قیامت و هنگامی که خدا را ملاقات میکنند ادامه یابد» (فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِی قُلُوبِهِمْ إِلیی یَوْمِ یَلْقَوْنَهُ).

این «به خاطر آن است که از عهدی که با خدا بستند تخلف کردند، و به خاطر آن است که مرَتبا دروغ می گفتند» (بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وَ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ).

سورة التوبة(٩): آية ٧٨ ص: 232

(آیه ۷۸) – سر انجام آنها را با این جمله مورد سرزنش و توبیخ قرار میدهد که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۳۳ «آیا آنها نمیدانند خداوند اسرار درون آنها را میداند، و سخنان آهسته و در گوشی آنان را میشنود، و خداوند از همه غیوب و پنهانیها با خبر است»؟! (أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُیُوبِ).

سورة التوبة (٩): آية ٧٩ ص: 233

اشاره

(آیه ۷۹)

شأن نزول: ص: 233

روایات متعددی در شأن نزول این آیه و آیه بعد نقل شده، که از مجموع آنها چنین استفاده می شود که: پیامبر صلّی الله علیه و آله تصمیم داشت لشکر اسلام را برای مقابله با دشمن (احتمالا برای جنگ تبوک) آماده سازد، و نیاز به گرفتن کمک از مردم داشت، هنگامی که نظر خود را اظهار فرمود، کسانی که توانایی داشتند مقدار قابل ملاحظهای به عنوان زکات یا کمک بلاعوض به ارتش اسلام تقدیم کردند.

ولی بعضی از کارگران کم در آمد مسلمان با تحمل کار اضافی و کشیدن آب در شب و تهیه مقداری خرما کمک ظاهرا ناچیزی به این برنامه بزرگ اسلامی نمودند.

ولی منافقان عیبجو به هر یک از این دو گروه ایراد می گرفتند: گروه اول را به عنوان ریاکار معرفی می کردند، و کسانی را که مقدار ظاهرا ناچیزی کمک نموده بودند به باد مسخره و استهزاء می گرفتند.

این آیه و آیه بعد نازل شد و شدیدا آنها را تهدید کرد و از عذاب خداوند بیم داد!

تفسير: ص: ٢٣٣

کارشکنی منافقان: در اینجا اشاره به یکی دیگر از صفات عمومی منافقان شده است که آنها افرادی لجوج، بهانهجو، و ایرادگیر، و کارشکن هستند، هر کار مثبتی را، با وصلههای نامناسبی تحقیر کرده، و بد جلوه میدهند.

قرآن مجید شدیدا این روش غیر انسانی آنها را نکوهش می کند، و مسلمانان را از آن آگاه میسازد، تا تحت تأثیر این گونه القائات سوء قرار نگیرند و هم منافقان بدانند که حنای آنان در جامعه اسلامی رنگی ندارد! نخست می فرماید: «آنها که به افراد نیکو کار مؤمنین در پرداختن صدقات و کمکهای صادقانه، عیب می گیرند، و مخصوصا آنها که افراد با ایمان تنگدست را که دسترسی جز به کمکهای مختصر ندارند، مسخره می کنند، خداوند آنان را بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۳۴ مسخره می کنند، غداوند آنان را بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: گون لا یَجدُونَ مسخره می کند، و عذاب دردناک در انتظار آنهاست»! (الَّذِینَ یَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِینَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ فِی الصَّدَقاتِ وَ الَّذِینَ لا یَجدُونَ

منظور از جمله «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» (خداوند آنها را مسخره می کند) این است که مجازات استهزاء کنندگان را به آنها خواهد داد، و یا آن چنان با آنها رفتار می کند که همچون استهزاء شدگان تحقیر شوند!

سورة التوبة (٩): آية ٨٠.... ص: ٢٣٢

إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

اشاره

(آیه ۸۰)- در این آیه تأکید بیشتری روی مجازات این گروه از منافقان نموده و آخرین تهدید را ذکر می کند به این ترتیب که روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله نموده می گوید: «چه برای آنها استغفار کنی و چه نکنی، حتی اگر هفتاد بار برای آنها از خداوند طلب آمرزش نمایی هر گز خدا آنها را نمی بخشد» (اش تَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِینَ مَرَّهُ فَلَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ).

«چرا که آنها خـدا و پیـامبرش را انکار کردنـد و راه کفر پیش گرفتنـد» و همین کفر آنها را به درّه نفاق و آثار شوم آن افکند (ذلِکَ بَأَنَّهُمْ کَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ).

و روشن است هدایت خدا شامل حال کسانی می شود که در طریق حق طلبی گام بر می دارند و جویای حقیقتند، ولی «خداوند افراد فاسق و گنهکار و منافق را هدایت نمی کند» (وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِینَ).

اهمیت به کیفیت کار است نه کمیت: ص: ۲۳۴

این حقیقت به خوبی از آیات قرآن به دست می آید که اسلام در هیچ موردی روی «کثرت مقدار عمل» تکیه نکرده، بلکه همه جا اهمیت به «کیفیت عمل» داده است.

مهم این است که هیچ کسی از مقدار توانایی خود دریغ ندارد، سخن از بسیار و کم نیست، سخن از احساس مسؤولیت و اخلاص است.

از این موضوع این حقیقت نیز روشن می شود که در یک جامعه سالم اسلامی به هنگام بروز مشکلات، همه باید احساس مسؤولیت کنند، نباید چشمها تنها به متمکنان دوخته شود، چرا که اسلام متعلق به همه است، و همه باید در حفظ آن از جان و دل بکوشند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۳۵

سورة التوبة(٩): آية ٨١.... ص: 235

(آیه ۸۱)- باز هم کارشکنی منافقان: در این آیه نیز سخن همچنان پیرامون معرفی منافقان، به وسیله اعمال و رفتار و افکار آنهاست.

نخست می فرماید: «آنها که در (تبوک) از شرکت در جهاد تخلف جستند، و با عذرهای واهی در خانه های خود نشستند (و به گمان خود سلامت را بر خطرات میدان جنگ ترجیح دادند) از این عملی که بر ضد رسول خدا صلّی الله علیه و آله مرتکب شدند، خوشحالند» (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ).

«و از این که در راه خدا با مال و جان خود جهاد کنند (و به افتخارات بزرگ مجاهدان نائل گردند) کراهت داشتند» (وَ کَرِهُوا أَنْ یُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ).

آنها به تخلف خودشان از شرکت در میدان جهاد قناعت نکردند، بلکه با وسوسههای شیطانی کوشش داشتند، دیگران را نیز دلسرد یا منصرف سازند «و به آنها گفتند: در این گرمای سوزان تابستان به سوی میدان نبرد حرکت نکنید» (وَ قالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ).

سپس قرآن روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده و با لحن قاطع و کوبندهای به آنها چنین پاسخ می گوید: «به آنها بگو: آتش سوزان دوزخ از این هم گرمتر و سوزانتر است اگر بفهمند»! (قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ کانُوا یَفْقَهُونَ).

ولی افسوس که بر اثر ضعف ایمان، و عدم درک کافی، توجه ندارند که چه آتش سوزانی در انتظار آنهاست، آتشی که یک جرقه کوچکش از آتشهای دنیا سوزنده تر است.

سورة التوبة (٩): آية ٨٢.... ص: 235

(آیه ۸۲) - در این آیه اشاره به این می کند که آنها به گمان این که پیروزی به دست آوردهاند و با تخلف از جهاد و دلسرد کردن بعضی از مجاهدان به هدفی رسیدهاند، قهقهه سر میدهند و بسیار میخندند، همان گونه که همه منافقان در هر عصر و زمان چنینند.

ولى قرآن به آنها اخطار مىكندكه «بايدكم بخندند و بسيار بگريند» (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً).

گریه برای آینده تاریکی که در پیش دارند، گریه به خاطر این که همه پلهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۳۶ بازگشت را پشت سر خود ویران ساختهاند، و بالاخره گریه برای این که این همه استعداد و سرمایه عمر را از دست داده و رسوایی و تیرهروزی و بدبختی برای خود خریدهاند.

و در آخر آیه می فرماید: «این جزای اعمالی است که آنها انجام می دادند» (جَزاءً بِما کانُوا یَکْسِبُونَ).

سورة التوبة(٩): آية 33.... ص: 238

(آیه ۸۳) - در این آیه اشاره به یکی دیگر از روشهای حساب شده و خطرناک منافقان می کند و آن این که آنها به هنگامی که کار خلافی را آشکارا انجام می دهند برای تبرئه خود ظاهرا در مقام جبران بر می آیند و با این نوسانها و اعمال ضد و نقیض، چهره اصلی خود را پنهان می دارند.

آیه می گوید: «هرگاه خداوند تو را به سوی گروهی از اینها باز گرداند و از تو اجازه بخواهند که در میدان جهاد دیگری شرکت کنند، به آنها بگو، هیچ گاه با من در هیچ جهادی شرکت نخواهید کرد، و هرگز همراه من با دشمنی نخواهید جنگید»! (فَإِنْ رَجَعَکَ اللَّهُ إِلَى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوکَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِیَ أَبَداً وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِیَ عَدُوًّا).

یعنی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله باید آنها را برای همیشه مأیوس کند و روشن سازد که دیگر کسی فریبشان را نخواهد خورد. جمله «طائِفَةٍ مِنْهُمْ» (گروهی از ایشان) نشان میدهد که همه آنان حاضر نبودند از این طریق وارد شوند و پیشنهاد شرکت در جهاد دیگری را عرضه بدارند.

سپس دلیل عـدم قبول پیشـنهاد آنان را چنین بیان می کنـد: «شـما برای نخستین بار راضـی شدید که از میدان جهاد کناره گیری کنیـد و در خانهها بنشـینید» (إِنَّکُمْ رَضِ یتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ).

سورة التوبة(٩): آية ٢٣٧... ص: ٢٣٧

(آیه ۸۴)- روش محکمتر در برابر منافقان: پس از آن که منافقان با تخلف صریح از شرکت در میدان جهاد پردهها را دریدند و کارشان بر ملا شد، خداوند به پیامبرش دستور می دهد روش صریحتر و محکمتری در برابر آنها اتخاذ کند تا برای برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۳۷

همیشه فکر نفاق و منافق گری از مغزهای دیگران برچیده شود.

لذا مىفرمايد: «بر هيچ يك از آنها (منافقان) كه از دنيا مىروند نماز مگزار»! (وَ لا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً).

«و هیچ گاه در کنار قبر او برای طلب آمرزش و استغفار نایست» (وَ لا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ).

در حقیقت این یک نوع مبارزه منفی، و در عین حال مؤثر، در برابر گروه منافقان است.

و این یک برنامه مبارزه حساب شده در برابر گروه منافقان در آن زمان بود که امروز هم مسلمانان باید از روشهای مشابه آن استفاده کنند.

در پایان آیه بار دیگر دلیل این دستور را روشن میسازد و میفرماید: «این حکم به خاطر آن است که آنها به خدا و پیامبرش کافر شدند» (إنَّهُمْ کَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ).

«و در حالی که فاسق و مخالف فرمان خـدا بودنـد از دنیا رفتند» (وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِـ قُونَ). نه از کرده خود پشـیمان شدند و نه با آب توبه لکههای گناه را از دامان شستند.

سورة التوبة(٩): آية ٨٥ ص: 232

(آیه ۸۵) - در اینجا ممکن بوده است سؤالی برای ما مسلمانان مطرح شود که اگر منافقان به راستی این همه از رحمت خدا دورند پس چرا خداوند به آنها این همه محبت کرده و این همه مال و فرزند (نیروی اقتصادی و انسانی) را در اختیارشان قرار داده است.

در آیه مورد بحث روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده و پاسخ این سؤال را چنین میدهد: «اموال و فرزندانشان هیچ گاه نباید مایه اعجاب تو شود» (وَ لا تُعْجِبْکَ أَمْوالُهُمْ وَ أَوْلادُهُمْ).

چرا که به عکس آنچه مردم ظاهربین خیال می کنند، این اموال و فرزندان نه تنها باعث خوشوقتی آنها نیست، بلکه «خداوند میخواهد آنان را به وسیله اینها در دنیا مجازات کند، و با حال کفر جان بدهند» (إِنَّما يُرِیدُ اللَّهُ أَنْ يُعَيِذِّبَهُمْ بِها فِی الدُّنْیا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۳۸

وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ).

این آیه اشاره به این واقعیت می کند که امکانات اقتصادی و نیروهای انسانی در دست افراد ناصالح نه تنها سعادت آفرین نیست، بلکه غالبا مایه دردسر و بلا و بدبختی است، زیرا چنین اشخاصی نه اموال خود را به مورد، مصرف می کنند و نه فرزندان سر به راه و با ایمان و تربیت یافتهای دارند، بلکه اموالشان مایه غفلت آنها از خدا و مسائل اساسی زندگی است و فرزندانشان هم در خدمت ظالمان و فاسدان قرار می گیرند.

منتها برای کسانی که ثروت و نیروی انسانی را اصیل میپندارند و چگونگی مصرف آن، برای آنها مطرح نیست، زندگانی این گونه اشخاص دورنمای دل انگیزی دارد، اما اگر به متن زندگیشان نزدیکتر شویم و به این حقیقت نیز توجه کنیم که چگونگی بهرهبرداری از این امکانات مطرح است تصدیق خواهیم کرد که هرگز افراد خوشبختی نیستند.

سورة التوبة(٩): آية 86 ص: 238

(آیه ۸۶)– در این آیه و آیه بعد باز سخن در باره منافقان است. آیه می گوید:

«هنگامی که سورهای در باره جهاد نازل می شود و از مردم دعوت می کنید که به خدا ایمان بیاورید (یعنی بر ایمان خود ثابت قدم بمانند و آن را تقویت نمایند) و همراه پیامبر خدا صلّی الله علیه و آله در راه او جهاد کنید، در این هنگام منافقان قدر تمند که توانایی کافی از نظر جسمی و مالی برای شرکت در میدان جنگ دارند از تو اجازه می خواهند که در میدان جهاد شرکت نکنند و می گویند بگذار ما با قاعدین (آنها که از جهاد معذورند) باشیم» (وَ إِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَ جاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَکَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَ قالُوا ذَرْنا نَکُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ).

سورة التوبة (٩): آية ٨٧ ص: 238

(آیه ۸۷) – در این آیه قرآن آنها را با این جمله مورد ملاحت و مذمت قرار میدهـد که «آنها راضـی شدنـد با متخلفان باقی بمانند» (رَضُوا بِأَنْ یَکُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ).

بعدا اضافه می کند که «اینها بر اثر گناه و نفاق به مرحلهای رسیدهاند که بر قلبهایشان مهر زده شده، به همین دلیل چیزی نمی فهمند» (وَ طُبَعَ عَلی قُلُوبِهِمْ فَهُمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۳۹

لا يَفْقَهُونَ)

سورة التوبة (٩): آية ٨٨ ص: ٢٣٩

(آیه ۸۸)- در این آیه از گروهی که در نقطه مقابل این دسته قرار دارند و صفات و روحیات آنها، و همچنین سر انجام کارشان درست به عکس آنهاست، سخن به میان آمده.

آیه چنین می گوید: «اما پیامبر و آنها که با او ایمان آوردنـد با اموال و جانهای خود در راه خـدا جهاد کردند» (لکِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ).

و سر انجام کارشان این شد که «همه نیکیها برای آنهاست» و خیرات مادی و معنوی در این جهان و جهان دیگر نصیبشان است (وَ أُولِئِکَ لَهُمُ الْخَیْراتُ).

«و گروه رستگاران همینها هستند» (وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

از این آیه به خوبی استفاده می شود که اگر «ایمان» و «جهاد» تو أم گردد هر گونه خیر و برکتی را با خود همراه خواهد داشت، و جز در سایه این دو، نه راهی به سوی فلاح و رستگاری است، و نه نصیبی از خیرات و برکات مادی و معنوی.

سورة التوبة(٩): آية ٨٩ ص: 239

(آیه ۸۹)- در این آیه به قسمتی از پاداشهای اخروی این گروه اشاره کرده، می گوید: «خداوند باغهایی از بهشت برای آنان فراهم ساخته که از زیر درختانش نهرها جریان دارد» (أُعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْری مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

و تأكيـد مىكنـد: اين نعمت و موهبت عـاريتى و فناپـذير نيست بلكه «جاودانه در آن مىماننـد» (خالِـدِينَ فِيها). «و اين پيروزى بزرگى است» (ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

سورة التوبة(٩): آية ٩٠ ص: 239

(آیه ۹۰) - در این آیه به تناسب بحثهای گذشته، پیرامون منافقان بهانهجو و عذر تراش اشاره به وضع دو گروه از تخلف کنندگان از جهاد شده است.

نخست می گوید: «گروهی از اعراب بادیه نشین که از شرکت در میدان جهاد واقعا معذور بودند نزد تو آمدهاند تا به آنها اجازه داده شود و معاف گردند» (وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ).

و در مقابل «کسانی که به خـدا و پیامبر دروغ گفتنـد، بدون هیچ عذری در خانه خود نشسـتند» و به میدان نرفتند (وَ قَعَدَ الَّذِینَ کَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۴۰

در پایان آیه، گروه دوم را شدیدا تهدید کرده، می گوید: «به زودی به آن دسته از ایشان که کافر شدند عذاب دردناکی خواهد رسید» (سَیُصِیبُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ).

سورة التوبة (٩): آية ٩١ ص: ٢٤٠

شأن نزول: ص: ۲۴۰

چنین نقل شده که یکی از یاران با اخلاص پیامبر صلّی اللّه علیه و آله عرض کرد: ای پیامبر خدا! من پیرمردی نابینا و ناتوانم، حتی کسی که دست مرا بگیرد و به میدان جهاد بیاورد، ندارم، آیا اگر در جهاد شرکت نکنم معذورم؟ پیامبر صلّی اللّه علیه و آله سکوت کرد، سپس آیه نازل شد و به این گونه افراد اجازه داد.

تفسير: ص: ۲۴۰

در این آیه و دو آیه بعد برای روشن ساختن وضع همه گروهها از نظر معذور بودن یا نبودن در زمینه شرکت در جهاد تقسیم بندی مشخصی شده است.

نخست می گوید: «کسانی که ضعیف و ناتوان هستند (بر اثر پیری و یا نقص اعضا همچون فقدان بینایی) همچنین بیماران و آنها که وسیله لازم برای شرکت در میدان جهاد در اختیار ندارند بر آنها ایرادی نیست که در این برنامه واجب اسلامی شرکت نکنند» (لَیْسَ عَلَی الْضَّعَفاءِ وَ لا عَلَی الْمَرْضی وَ لا عَلَی الَّذِینَ لا یَجِدُونَ ما یُنْفِقُونَ حَرَجٌ).

این سه گروه در هر قانونی معافند، و عقل و منطق نیز معاف بودن آنها را امضا می کند و مسلم است که قوانین اسلامی در هیچ مورد از منطق و عقل جدا نیست.

سپس یک شرط مهم برای حکم معافی آنها بیان کرده، می گوید «این در صورتی است که آنها از هر گونه خیرخواهی مخلصانه در باره خدا و پیامبرش دریغ ندارند» (إذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ).

و بـا سـخن و طرز رفتـار خـود مجاهـدان را تشويق كننـد و در تضعيف روحيه دشـمن و فراهم آوردن مقـدمات شـكست آنها كوتاهي نورزند.

بعـدا برای بیـان دلیـل این موضوع میفرمایـد: این گونه افراد مردان نیکوکـاری هسـتند و «برای نیکوکـاران هیـچ راه ملاـمت و سرزنش و مجازات و مؤاخذه وجود ندارد» (ما عَلَی الْمُحْسِنِینَ مِنْ سَبِیلِ).

و در پایان آیه خدا را با دو صفت از اوصاف بزرگش به عنوان دلیل دیگری بر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۴۱ معاف بودن این گروههای سه گانه توصیف می کند و می گوید: «خداوند غفور و رحیم است» (وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

سورة التوبة (٩): آية ٩٢ ص: ٢٤١

اشاره

(آیه ۹۲)

شأن نزول: ص: 241

در روایات میخوانیم که هفت نفر از فقرای انصار خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله رسیدند و تقاضا کردند وسیلهای برای شرکت در جهاد در اختیارشان گذارده شود، اما چون پیامبر صلّی الله علیه و آله وسیلهای در اختیار نداشت، جواب منفی به آنها داد، آنها با چشمهای پر از اشک از خدمتش خارج شدند و بعدا به نام «بکّائون» مشهور گشتند.

تفسير: ص: 241

معـذورانی که از عشق جهاد اشک میریختنـد! در این آیه نیز به گروه چهارمی اشاره میکنـد که آنها هم از شـرکت در جهاد معاف شدند، می گوید:

«همچنین بر آن گروه ایراد نیست که وقتی نزد تو آمدند که مرکبی برای شرکت در میدان جهاد در اختیارشان بگذاری، گفتی مرکبی در اختیار ندارم که شما را بر آن سوار کنم، ناچار از نزد تو خارج شدند در حالی که چشمهایشان اشکبار بود، و این اشک به خاطر اندوهی بود که از نداشتن وسیله برای انفاق در راه خدا سر چشمه می گرفت» (وَ لا عَلَی الَّذِینَ إِذَا ما أَتَوْکَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْع حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ).

سورة التوبة (9): آية 93 ص: 241

(آیه ۹۳) - در این آیه، حال گروه پنجم را شرح میدهد یعنی آنها که به هیچ وجه در پیشگاه خدا معذور نبوده و نخواهند بود، میفرماید: «راه مؤاخذه و مجازات تنها به روی کسانی گشوده است که از تو اجازه میخواهند در جهاد شرکت نکنند در حالی که امکانات کافی و وسائل لازم برای این کار در اختیار دارند و کاملا بینیازند» (إِنَّمَا السَّبِیلُ عَلَی الَّذِینَ یَشِ تَأْذِنُونَکَ وَ هُمْ أَغْنِیاءً).

سپس اضافه می کند: این ننگ برای آنها بس است که «راضی شدند با افراد ناتوان و بیمار و معلول در مدینه بمانند» و از افتخار شرکت در جهاد محروم گردند (رَضُوا بِأَنْ یَکُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ).

و این کیفر نیز آنها را بس که خداوند قدرت تفکر و ادراک را از آنها به خاطر اعمال زشتشان گرفته «و بر دلهایشان مهر نهاده و به همین دلیل چیزی نمی دانند» برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۴۲

(وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ).

از این آیه به خوبی روحیه قوی و عالی سربازان اسلام روشن میشود که چگونه افتخار جهاد و شهادت را بر هر افتخار دیگری مقدم میداشتند، و از همین جا یکی از عوامل مهم پیشرفت سریع اسلام در آن روز و عقب ماندگی امروز ما روشن میشود.

آغاز جزء یازدهم قرآن مجید ص: ۲۴۲

ادامه سوره توبه ص: ۲۴۲

سورة التوبة (٩): آية ٩٤ ص: ٢٤٢

(آیه ۹۴)

شأن نزول: ص: 242

بعضی از مفسران می گویند این آیه و دو آیه بعد در باره گروهی از منافقان که تعدادشان بالغ بر هشتاد نفر می شد نازل گردید زیرا به هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله از تبوک بازگشت دستور داد هیچ کس با آنها مجالست نکند و سخن نگوید و آنها که خود را در فشار شدید اجتماعی دیدند در مقام عذرخواهی برآمدند، آیه نازل شد و وضع آنها را مشخص ساخت.

تفسير: ص: ۲۴۲

به عـذرها و سوگنـدهای دروغینشان اعتنا نکنید! این سلسـله از آیات همچنان پیرامون اعمال شـیطانی منافقان سـخن می گوید، نخست می فرماید:

«هنگامی که شما (از جنگ تبوک) به مدینه باز می گردید، منافقان به سراغ شما می آیند و عذرخواهی می کنند» (یَعْتَذِرُونَ اِلَیْکُمْ اِذا رَجَعْتُمْ اِلَیْهِمْ).

در اینجا روی سخن را به پیامبرش به عنوان رهبر مسلمین کرده، می گوید: «به منافقان بگو: عـذرخواهی مکنیـد، ما هر گز به سخنان شما ایمان نخواهیم آورد» (قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ).

«چرا که خداوند ما را از اخبار شما آگاه ساخته» بنابراین ما از نقشههای شیطانی شما به خوبی باخبریم! (قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ).

ولی در عین حال راه بازگشت و توبه، به سوی شـما باز است، «و به زودی خداوند و پیامبرش اعمال شـما را میبینند» (وَ سَیَرَی اللَّهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ).

بعد می فرماید: همه اعمال و نیات شما امروز ثبت و بایگانی می شود، «سپس به سوی کسی که اسرار پنهان و آشکار را می داند باز می گردید، و او شما را به برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۴۳

اعمالتان آگاه مي كند» و جزاى آن را به شما خواهد داد (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُتَبَّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

سورة التوبة (٩): آية ٩٥ ص: ٢٤٣

(آیه ۹۵) - در این آیه بار دیگر اشاره به سوگندهای دروغین منافقان کرده، میفرماید: «آنها برای فریب شما به زودی دست به دامن قسم میزنند، و هنگامی که به سوی آنان بازگشتید سوگند به خدا یاد میکنند که از آنها صرف نظر کنید» و اگر خطایی کردهاند مشمول عفوشان سازید (سَیَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَکُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَیْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ).

در حقیقت آنها از هر دری وارد میشوند، گاهی از طریق عـذرخواهی میخواهنـد خود را بی گناه قلمـداد کننـد، و گاهی با

اعتراف به گناه، تقاضای عفو و گذشت دارند، شاید بتوانند در دل شما نفوذ کنند.

ولى شما به هيچ وجه تحت تأثير آنان قرار نگيريـد و «از آنها روى گردانيـد» (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ). اما به عنوان اعتراض و خشم و انكار! نه به عنوان عفو و بخشش و گذشت.

سپس به عنوان تأکید و توضیح و بیان دلیل می فرماید: «چرا که آنها موجوداتی پلیدند» و باید از چنین موجودات پلیدی صرف نظر کرد (إنَّهُمْ رِجْسٌ).

و چون چنینند «جایگاهشان دوزخ است» (وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ).

زیرا بهشت جای نیکان و پاکان است، نه جایگاه پلیدان و آلودگان! اما «همه اینها نتیجه اعمالی است که خودشان انجام دادهاند» (جَزاءً بِما کانُوا یَکْسِبُونَ).

سورة التوبة(٩): آية 96 ص: 243

(آیه ۹۶)- در این آیه اشاره به یکی از سوگندهای آنها شده و آن این که:

«با اصرار و سوگند از شما میخواهند که از آنها خشنود شوید» (یَحْلِفُونَ لَکُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ).

جالب این که در این مورد خداوند نمی فرماید: از آنها راضی نشوید، بلکه با تعبیری که بوی تهدید از آن می آید، می فرماید: «اگر هم شما از آنها راضی شوید خدا هر گز از جمعیت فاسقان راضی نخواهد شد» (فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۴۴

يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ)

. شک نیست آنها از نظر دینی و اخلاقی اهمیتی برای خشنودی مسلمانان قائل نبودند، بلکه میخواستند از این راه کدورتهای قلبی آنان را بشویند تا در آینده از عکس العملهای آنان در امان بمانند.

سورة التوبة (٩): آية ٩٧ ص: ٢۴۴

(آیه ۹۷) – بادیه نشینان سنگدل و با ایمان: در این آیه و دو آیه بعد به تناسب بحثهایی که در باره منافقان مدینه گذشت پیرامون حال منافقان بادیه نشین، و نشانه ها و افکار آنها، و همچنین در باره مؤمنان مخلص و راستین بادیه گفتگو شده است. شاید به این علت که به مسلمانان هشدار دهد چنین نپندارند که منافقان تنها همان گروهی هستند که در شهرند، بلکه منافقان بادیه نشین از آنها خشن ترند.

نخست می فرماید: «اعراب بادیه نشین (به حکم دوری از تعلیم و تربیت و نشنیدن آیات الهی و سخنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کفر و نفاقشان شدیدتر است» (الْأَعْرابُ أَشَدُّ کُفْراً وَ نِفاقاً).

«و باز به همین دلیل، به جهل و بیخبری از حدود فرمانها و احکامی که خدا بر پیامبرش نازل کرده است سزاوارترند» (وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ).

در پايان آيه مي فرمايد «خداوند دانا و حكيم است» (وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

یعنی اگر در باره عربهای بادیه نشین چنین داوری می کند روی تناسب خاصی است که محیط آنها با این گونه صفات دارد.

سورة التوبة (٩): آية ٩٨ ص: 244

(آیه ۹۸) - اما برای این که چنین توهمی پیدا نشود که همه اعراب بادیه نشین، و یا همه بادیه نشینان، دارای چنین صفاتی هستند، در این آیه می گوید:

«گروهی از این عربهای بادیه نشین کسانی هستند که (بر اثر نفاق یا ضعف ایمان) هنگامی که چیزی را در راه خدا انفاق کننـد، آن را ضرر و زیان و غرامت محسوب می دارند» نه یک موفقیت و پیروزی و تجارت پرسود (وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ یَتَّخِذُ ما یُنْفِقُ مَغْرَماً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۴۵

دیگر از صفات آنها این است که: «همواره در انتظار این هستند که بلاها و مشکلات شما را احاطه کند» و تیرهروزی و ناکامی به سراغ شما بیاید (وَ یَتَرَبَّصُ بِکُمُ الدَّوائِرَ). در واقع آنها افرادی تنگ نظر و بخیل و حسودند.

سپس اضافه می کند: آنها نباید در انتظار بروز مشکلات و نزول بلاها بر شما باشند چرا که این مشکلات و ناکامیها و بدبختیها تنها به سراغ این گروه منافق بی ایمان و جاهل و نادان و تنگ نظر و حسود می رود «و حوادث در دناک برای خود آنهاست» (عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ).

سر انجام آیه را با این جمله پایان می دهد که: «خداوند شنوا و داناست» (وَ اللَّهُ سَرِمِیعٌ عَلِیمٌ). هم سخنان آنها را می شنود و هم از نیات و مکنون ضمیر آنها آگاه است.

سورة التوبة(٩): آية ٩٩ ص: 245

(آیه ۹۹)– و در این آیه به گروه دوم یعنی مؤمنان با اخلاص بادیه نشین اشاره کرده، میگویـد: «گروهی از این عربهای بادیه نشین کسانی هستند که ایمان به خدا و روز رستاخیز دارند» (وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ یُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ).

به همین دلیل هیچ گاه انفاق در راه خدا را غرامت و زیان، نمیدانند، بلکه با توجه به پاداشهای وسیع الهی در این جهان و سرای دیگر، «این کار را وسیله نزدیکی به خدا و مایه توجه و دعای پیامبر صلّی الله علیه و آله» که افتخار و برکت بزرگی است میدانند (وَ یَتَّخِذُ مَا یُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللّهِ وَ صَلَواتِ الرَّسُولِ).

در اینجا خداونـد این طرز فکر آنها را با تأکیـد فراوان تصـدیق میکنـد و میگوید: «آگاه باشـید که این انفاقها بطور قطع مایه تقرب آنها در پیشگاه خداوند است» (أَلا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ).

و به همین دلیل «خدا آنان را به زودی در رحمت خود فرو میبرد» (سَیُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِی رَحْمَتِهِ).

و اگر لغزشهایی از آنها سرزده باشد به خاطر ایمان و اعمال پاکشان آنها را میبخشد «زیرا خداوند آمرزنده و مهربان است» (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۴۶

سورة التوبة(٩): آية ١٠٠ ص: ٢٤٦

(آیه ۱۰۰)- پیشگامان اسلام! به دنبال آیات گذشته که بیان حال کفّار و منافقان را مینمود در این آیه اشاره به گروههای مختلف از مسلمانان راستین شده است و آنها را در سه گروه مشخص تقسیم میکند. ١- «پيشگامان نخستين از مهاجرين» (وَ السَّابِقُونَ الْأُوّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ).

یعنی آنها که در اسلام و هجرت پیشگام بودهاند.

۲- آنها که پیشگام در «نصرت و یاری پیامبر و یاران مهاجرش بودند» (وَ الْأُنْصارِ).

٣- «و كسانى كه به نيكى از آنها پيروى كردند» (وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإحْسانٍ).

و با انجام اعمال نیک، و قبول اسلام، و هجرت، و نصرت آیین پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به آنها پیوستند.

جالب توجه این که: همه متفقا گفتهاند نخستین کسی که از زنان، مسلمان شد «خدیجه» همسر وفادار و فداکار پیامبر صلّی الله علیه و آله بود، و اما از مردان، همه دانشمندان و مفسران شیعه به اتفاق گروه عظیمی از دانشمندان اهل سنت «علی» علیه السّلام را نخستین کسی میدانند که دعوت پیامبر صلّی الله علیه و آله را پاسخ گفت.

پس از ذکر این گروه سه گانه میفرماید: «هم خداوند از آنها راضی است و هم آنها از خدا راضی شدهاند» (رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ).

رضایت خدا از آنها به خاطر ایمان و اعمال صالحی است که انجام دادهاند، و خشنودی آنان از خدا به خاطر پاداشهای گوناگون و فوق العاده و پراهمیت است که به آنان ارزانی داشته.

با این که جمله گذشته همه مواهب و نعمتهای الهی را در بر داشت (مواهب مادی و معنوی، جسمانی و روحانی) ولی به عنوان تأکید و بیان «تفصیل» بعد از «اجمال» اضافه می کند: «و خداوند برای آنها باغهایی از بهشت فراهم ساخته که از زیر درختانش نهرها جریان دارند» (وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ).

از امتیازات این نعمت آن است که جاودانی است و «همواره در آن خواهنـد مانـد» (خالِـدِینَ فِیها أَبَداً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۴۷

«و این است پیروزی بزرگ؛ (ذلِکُ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ).

چه پیروزی از این برتر که انسان احساس کند آفریدگار و معبود و مولایش از او خشنود است و کارنامه قبولی او را امضا کرده؟

سورة التوبة(٩): آية 101 ص: 247

(آیه ۱۰۱)– بـار دیگر قرآن مجیـد بحث را متوجه اعمـال منافقـان و گروههـای آنهـا کرده، میگویـد: «در میان کسانی که در اطراف شهر شما (مدینه) هستند گروهی از منافقان وجود دارند» (وَ مِمَّنْ حَوْلَکُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ).

یعنی باید هشیار باشید منافقان بیرون را نیز زیر نظر بگیرید و مراقب فعالیتهای خطرناک آنان باشید.

سپس اضافه می کنـد: «در خود مـدینه و از اهل این شـهر نیز گروهی هسـتند که نفاق را تا سـر حد سرکشـی و طغیان رسانده و سخت به آن پایبندند و در آن صاحب تجربهاند»! (وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِینَةِ مَرَدُوا عَلَی النِّفاقِ).

این تفاوت در تعبیر که در باره منافقان «داخلی» و «خارجی» در آیه فوق دیده می شود گویا اشاره به این نکته است که منافقان داخلی در کار خود مسلطتر و طبعا خطرناکترند، و مسلمانان باید شدیدا مراقب آنها باشند، هر چند که منافقان خارجی را نیز باید از نظر دور ندارند.

لذا بلافاصله بعد از آن مىفرمايد: «تو آنها را نمىشناسى ولى ما مىشناسيم» (لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ).

البته این اشاره به علم عادی و معمولی پیغمبر است، ولی هیچ منافات ندارد که او از طریق وحی و تعلیم الهی به اسرار آنان کاملا واقف گردد.

در پایــان آیه مجــازات شدیــد این گروه را به این صورت بیان میکنــد که: «ما به زودی آنها را دو بار مجازات خواهیم کرد، و پس از آن به سوی عذاب بزرگ دیگری فرستاده خواهند شد» (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَیْنِ ثُمَّ یُرَدُّونَ إِلی عَذابِ عَظِیم).

«عـذاب عظیم» اشاره به مجازاتهای روز قیامت است ولی در این که، آن دو عـذاب دیگر چه نوع عـذابی اُست به نظر میرسـد که یکی از این دو عـذاب همان مجازات اجتماعی آنها به خاطر رسوائیشان و کشف اسرار درونیشان میباشـد برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۴۸

و مجازات دوم آنان همان است که در آیه ۵۰ سوره انفال اشاره شده، آنجا که میفرماید: «هرگاه کافران را به هنگامی که فرشتگان مرگ جان آنها را میگیرند ببینی که چگونه به صورت و پشت آنها می کوبند، و مجازات می کنند، به حال آنها تأسف خواهی خورد».

سورة التوبة (٩): آية ١٠٢ ص: ٢٤٨

اشاره

(آیه ۱۰۲)

شأن نزول: ص: 248

در مورد نزول این آیه روایاتی نقل شده که در بیشتر آنها به نام «ابو لبابه انصاری» برخورد می کنیم، طبق روایتی او با دو یا چند نفر دیگر از یاران پیامبر صلّی الله علیه و آله از شرکت در جنگ «تبوک» خودداری کردند اما هنگامی که آیاتی را که در مذمت متخلفین وارد شده بود شنیدند بسیار ناراحت و پشیمان گشتند، خود را به ستونهای مسجد پیغمبر صلّی الله علیه و آله بستند و هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله بازگشت و از حال آنها خبر گرفت عرض کردند: آنها سوگند یاد کردهاند که خود را از ستون باز نکنند تا این که پیامبر صلّی الله علیه و آله چنین کند، رسول خدا صلّی الله علیه و آله فرمود: من نیز سوگند یاد می کنم که چنین کاری نخواهم کرد مگر این که خداوند به من اجازه دهد.

آیه نازل شد و خداوند توبه آنها را پذیرفت، و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آنها را از ستون مسجد باز کرد.

آنها به شکرانه این موضوع همه اموال خود را به پیامبر صلّی الله علیه و آله تقدیم داشتند.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: هنوز دستوری در این باره بر من نازل نشده است، چیزی نگذشت که آیه بعد نازل شد و دستور داد که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله قسمتی از اموال آنها را بگیرد.

تفسیر: ص: ۲۴۸

توبه کاران- پس از اشاره به وضع منافقان داخل و خارج مدینه در آیه قبل در اینجا با اشاره به وضع گروهی از مسلمانان گناهکار که اقدام به توبه و جبران اعمال سوء خود کردند، میفرماید: «گروه دیگری از آنها به گناهان خود اعتراف کردند» (وَ آخَرُونَ اغْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ).

«و اعمال صالح و ناصالح را به هم آويختند» (خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً).

سپس اضافه می کند: «امید میرود که خداوند توبه آنها را بپذیرد» و رحمت خویش را به آنان بازگرداند (عَسَی اللَّهُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۴۹

«زیرا خداوند آمرزند و مهربان است» و دارای رحمتی وسیع و گسترده (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

سورة التوبة (٩): آية 103 ص: 249

(آیه ۱۰۳)- زکات عامل پاکی فرد و جامعه: در این آیه به یکی از احکام مهم اسلامی یعنی مسأله زکات اشاره شده است، و به عنوان یک قانون کلّی به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور میدهد که «از اموال آنها صدقه یعنی زکات بگیر» (خُدْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَهٌ).

دستور «خذ» (بگیر) دلیل روشنی است که رئیس حکومت اسلامی میتواند زکات را از مردم بگیرد، نه این که منتظر بماند که اگر مایل بودند خودشان بپردازند و اگر نبودند نه! سپس به دو قسمت از فلسفه اخلاقی و روانی و اجتماعی زکات اشاره کرده، می فرماید: «تو با این کار آنها را پاک می کنی و نموّ می دهی» (تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّیهِمْ بِها).

آنها را از رذائل اخلاقی، از دنیا پرستی و بخل پاک می کنی، و نهال نوع دوستی و سخاوت و توجه به حقوق دیگران را در آنها پرورش میدهی.

از این گذشته، مفاسد و آلودگیهایی که در جامعه به خاطر فقر و فاصله طبقاتی و محرومیت گروهی از جامعه به وجود می آید با انجام این فریضه الهی بر میچینی، و صحنه اجتماع را از این آلودگیها پاک میسازی.

سپس اضافه می کند: هنگامی که آنها زکات می پردازند «برای آنها دعا کن و به آنها درود بفرست» (وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ).

این نشان میدهد که حتی در برابر انجام وظائف واجب باید از مردم تشکر و تقدیر کرد، و مخصوصا از طریق معنوی و روانی آنها را تشویق نمود، همانطور که در روایات میخوانیم هنگامی که مردم زکات خود را خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله می آوردند پیامبر صلّی الله علیه و آله با جمله اللّهمّ صلّ علیهم به آنها دعا می کرد.

بعد اضافه میکند که: «این دعا و درود تو مایه آرامش خاطر آنهاست» (إِنَّ صَلاَتَکُ سَکَنٌ لَهُمْ).

چرا که از پرتو این دعا رحمت الهی بر دل و جان آنها نازل می شود، آن گونه که آن را احساس کننـد. برگزیده تفسـیر نمونه، ج۲، ص: ۲۵۰

> و در پایان آیه به تناسب بحثی که گذشت می گوید: «خداوند شنوا و داناست» (وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ). هم دعای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را می شنود، و هم از نیّات زکات دهندگان آگاه است.

سورة التوبة(٩): آية 104 ص: 250

(آیه ۱۰۴)– از آنجا که بعضی از گنهکاران مانند متخلفان جنگ تبوک به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله اصرار داشـتند که توبه

آنها را بپذیرد در این آیه به این موضوع اشاره می کند که پذیرش توبه، کار پیامبر نیست.

«آيا آنها نميدانند كه تنها خداوند توبه را از بندگانش مي پذيرد» (أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ).

نه تنها پذیرنده توبه اوست، بلکه «زکات و یا صدقات دیگری را (که به عنوان کفّاره گناه و تقرب به پروردگار میدهند) نیز خدا می گیرد» (وَ یَأْخُذُ الصَّدَقاتِ).

شک نیست که گیرنده زکات و صدقات یا پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و امام علیه السّ لام و پیشوای مسلمین است و یا افراد مستحق، ولی از آنجا که دست پیامبر و پیشوایان راستین و افراد مستحق دست خداست گویی خداوند این صدقات را می گیرد. در روایتی که از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نقل شده میخوانیم: انّ الصّدقهٔ تقع فی ید اللّه قبل ان تصل الی ید السّائل «صدقه پیش از آن که در دست نیازمند قرار بگیرد به دست خدا می رسد»! حتی در روایتی تصریح شده که همه اعمال آدمی را فرشتگان تحویل می گیرند جز صدقه که مستقیما به دست خدا می رسد.

و در پایان آیه بار دیگر به عنوان تأکید میفرماید: «و خداوند توبه پذیر و مهربان است» (وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیمُ).

سورة التوبة (٩): آية ١٠٥ ص: 250

اشاره

(آیه ۱۰۵) - در این آیه بحثهای گذشته را به شکل تازهای تأکید می کند و به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور می دهد که به همه مردم این موضوع را ابلاغ کن «و بگو اعمال و وظائف خود را انجام دهید، و بدانید هم خدا و هم رسولش و هم مؤمنان، اعمال شما را خواهند دید» (وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَیَرَی اللَّهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ).

اشاره به این که کسی تصور نکند اگر در خلوتگاه یا در میان جمع، عملی را برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۵۱ انجام میدهد از دیدگاه علم خدا مخفی و پنهان میماند، بلکه علاوه بر خداوند، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و مؤمنان نیز از آن آگاهند.

این آگاهی مقدمه پاداش و یا کیفری است که در جهان دیگر در انتظار انسان است، لـذا به دنبال این جمله می افزایـد: «و به زودی به سوی کسـی که آگاه از پنهان و آشـکار است باز می گردیـد، و شـما را به آنچه عمل کرده اید خبر می دهد» و بر طبق آن جزا خواهد داد (وَ سَتُرَدُّونَ إِلَی عالِمِ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ فَیُتَبَّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

مسأله عرض اعمال: ص: 251

در میان پیروان مکتب اهل بیت علیهم السّر بلام با توجه به اخبار فراوانی که از امامان رسیده عقیده معروف و مشهور بر این است که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و امامان علیهم السّر بلام از اعمال همه امت آگاه می شوند، یعنی خداوند از طرق خاصی اعمال امت را بر آنها عرضه می دارد.

مسأله عرض اعمال اثر تربیتی فوق العاده ای در معتقدان به آن دارد، زیرا هنگامی که من بدانم علاوه بر خدا که همه جا با من است پیامبر صلّی الله علیه و آله و پیشوایان محبوب من همه روز یا همه هفته از هر عملی که انجام می دهم، اعم از خوب و بد در هر نقطه و هر مکان آگاه می شوند، بدون شک بیشتر رعایت می کنم و مراقب اعمال خود خواهم بود.

سورة التوبة(٩): آية ١٠٦ ص: 251

اشاره

(آیه ۱۰۶)

شأن نزول: ص: 251

جمعی از مفسران گفتهاند که این آیه در باره سه نفر از متخلفان جنگ تبوک به نام «هلال بن امیه» و «مرارهٔ بن ربیع» و «کعب بن مالک» نازل شده است- شرح پشیمانی و چگونگی توبه آنها در ذیل آیه ۱۱۸ همین سوره به خواست خدا خواهد آمد.

تفسير: ص: ۲۵۱

در این آیه اشاره به گروه دیگری از گنهکاران شده است که پایان کار آنها درست روشن نیست، نه چنانند که مستحق رحمت الهی باشند و نه چنانند که بتوان از آمرزش آنها بکلی مأیوس بود.

لـذا قرآن در باره آنها می گویـد: «گروه دیگری کارشان متوقف بر فرمان خـداست یا آنها را مجازات می کند و یا توبه آنان را می پذیرد» (وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا یُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا یَتُوبُ عَلَیْهِمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۵۲ و در پایان آیه اضافه می کنـد: خداونـد بـدون حساب با آنها رفتار نمی کنـد، بلکه با علم خویش و به مقتضای حکمتش با آنها رفتار خواهد نمود چرا که «خداوند دانا و حکیم است» (وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ).

سورة التوبة (٩): آية ١٠٧ ص: ٢٥٢

اشاره

(آیه ۱۰۷)

شأن نزول: ص: ۲۵۲

این آیه در باره گروهی دیگر از منافقان است که برای تحقق بخشیدن به نقشههای شوم خود اقدام به ساختن مسجدی در مدینه کردند که بعدا به نام مسجد «ضرار» معروف شد. خلاصه جریان چنین است: گروهی از منافقان نزد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمدند و عرض کردند به ما اجازه ده مسجدی در میان قبیله بنی سالم (نزدیک مسجد قبا) بسازیم تا افراد ناتوان و بیمار و پیرمردان از کار افتاده در آن نماز بگزارند، و این در موقعی بود که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله عازم جنگ تبوک بود.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به آنها اجازه داد، ولی آنها اضافه کردند آیا ممکن است شخصا بیایید و در آن نماز بگزارید؟ پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود من فعلا عازم سفرم.

هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله از تبوک بازگشت نزد او آمدنـد و گفتنـد اکنون تقاضا داریم به مسجد ما بیایی و در آنجـا نمـاز بگزاری، و از خـدا بخواهی مـا را برکت دهـد، و این در حالی بود که هنوز پیامبر صلّی الله علیه و آله وارد دروازه مدینه نشده بود.

در این هنگام پیک وحی خدا نازل شد و سلسله آیات (۱۰۷– ۱۱۰) را آورد و پرده از اسرار کار آنها برداشت.

و به دنبال آن پیامبر دستور داد مسجد مزبور را آتش زننـد، و بقایای آن را ویران کننـد، و جای آن را محل ریختن زبالههای شهر سازند!

تفسير: ص: ۲۵۲

بتخانهای در چهره مسجد! در این آیه به وضع گروه دیگری از مخالفان اشاره کرده، می گوید: «گروهی دیگر از آنها مسجدی در مدینه اختیار کردند» که هدفهای شومی زیر این نام مقدس داشتند (وَ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً).

سپس هدفهای آنها را در چهار قسمت زیر خلاصه می کند:

۱- منظور آنها این بود که با این عمل «ضرر و زیانی» به مسلمانان برسانند (ضِراراً).

۲- «تقویت مبانی کفر» و بازگشت دادن مردم به وضع قبل از اسلام (وَ کُفْراً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۵۳

٣- «ايجاد تفرقه در ميان صفوف مسلمانان» (وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ).

زیرا با اجتماع گروهی در این مسجد، مسجد «قبا» که نزدیک آن بود و یا مسجد پیامبر صلّی الله علیه و آله که از آن فاصله داشت از رونق میافتاد.

از این جمله، چنین بر می آید که نباید فاصله بین مساجد آن چنان باشد که روی اجتماع یکدیگر اثر بگذارند.

۴- آخرین هدف آنها این بود که: «مرکز و کانونی برای کسی که با خدا و پیامبرش از پیش مبارزه کرده بود (و سوابق سوئش بر همگان روشن بود) بسازنـد تـا از این پایگـاه نفاق، برنامههای خود را عملی سازنـد» (وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ).

ولى عجب اين است كه تمام اين اغراض سوء و اهداف شوم را در يك لباس زيبا و ظاهر فريب پيچيده بودند «و حتى سوگند ياد مىكردند كه ما جز نيكى قصد و نظر ديگرى نداشتيم» (وَ لَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى).

ولى قرآن اضافه مىكند: «خداونىدى (كه از اسرار درون همه آگاه است و غيب و شهود برايش يكسان مىباشىد) گواهى مىدهد كه بطور مسلم آنها دروغگو هستند» (وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ).

سورة التوبة(٩): آية ١٠٨ ص: 253

(آیه ۱۰۸)- خداوند در این آیه تأکید بیشتری روی این موضوع حیاتی کرده، به پیامبرش صریحا دستور میدهد که: «هرگز در این مسجد قیام به عبادت مکن» و نماز مگزار (لا تَقُمْ فِیهِ أَبَداً).

بلکه به جـای این مسـجد «شایسـته تر این است که در مسـجدی قیام به عبادت کنی که شالوده آن در روز نخست بر اساس تقوا گذارده شده است» (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوی مِنْ أَوَّلِ یَوْم أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِیهِ).

نه این مسجدی که شالوده و اساسش از روز نخست بر کفر و نفاق و بیدینی و تفرقه بنا شده است.

سپس قرآن اضافه می کند: علاوه بر این که این مسجد از اساس بر شالوده تقوا گذارده شده، «گروهی از مردان در آن به عبادت مشغولند که دوست میدارند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۵۴

خود را پاكيزه نگه دارند، و خدا پاكيزگان را دوست دارد» (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ).

پاکیزگی و طهارت در اینجا معنی وسیعی دارد که هرگونه پاکسازی روحانی از آثار شرک و گناه، و جسمانی از آثار آلودگی به کثافات را شامل میشود.

سورة التوبة (٩): آية ١٠٩ ص: ٢٥٤

(آیه ۱۰۹) - در این آیه مقایسهای میان دو گروه مؤمنان که مساجـدی همچون مسـجد قبا را بر پایه تقوا بنا میکننـد با منافقانی که شالوده کار خود را بر کفر و نفاق و تفرقه و فساد قرار میدهند به عمل آمده است.

نخست می گوید: «آیا کسی که بنای آن مسجد را بر پایه تقوا و پرهیز از مخالفت فرمان خدا و جلب خشنودی او نهاده است بهتر است، یا کسی که شالوده آن را بر لبه پرتگاه سستی در کنار دوزخ نهاده که به زودی در آتش جهنم سقوط خواهد کرد»! (أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْیانَهُ عَلی شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِی نارِ جَهَنَّمَ).

تشبیه فوق با نهایت روشنی و وضوح بی ثباتی و سستی کار منافقان و استحکام و بقای کار اهل ایمان و برنامههای آنها را روشن میسازد.

و از آنجا که گروه منافقان هم به خویشتن ستم میکنند و هم به جامعه، در آخر آیه میفرماید: «خداوند ظالمان را هـدایت نمیکند» (وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ).

سورة التوبة (٩): آية ١١٠ ص: 254

(آیه ۱۱۰)- در این آیه اشاره به لجاجت و سرسختی منافقان کرده، می گوید:

آنها چنان در کار خود سرسختند و در نفاق سرگردان، و در تاریکی و ظلمت کفر حیرانند که حتی «بنایی را که خودشان بر پا کردنـد همواره به عنوان یک عامـل شک و تردیـد- یـا یـک نتیجه شک و تردیـد- در قلوب آنها باقی میمانـد، مگر این که دلهای آنها قطعه قطعه شود و بمیرند» (لا یَزالُ بُنْیانُهُمُ الَّذِی بَنَوْا رِیبَهٔٔ فِی قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ).

و در آخر آیه می گوید: «و خداوند دانا و حکیم است» (وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ).

اگر به پیامبرش دستور مبارزه و درهم کوبیدن چنین بنای ظاهرا حق به جانبی برگزیده تفسیر نمونه، ج ۲، ص: ۲۵۵ را داد به خاطر آگاهی از نیات سوء بنا کننـدگان و باطن و حقیقت این بنا بود این دستور عین حکمت و بر طبق مصلحت و صلاح حال جامعه اسلامی صادر شد نه یک قضاوت عجولانه بود و نه زاییده یک هیجان و عصبانیت.

سورة التوبة (٩): آية ١١١ ص: 255

(آیه ۱۱۱)- یک تجارت بی نظیر! از آنجا که در آیات گذشته در باره متخلفان و جهاد سخن به میان آمد، در این آیه و آیه بعد مقام والای مجاهدان با ایمان، با ذکر مثال جالبی، بیان شده است.

در این مثال خداوند خود را خریدار و مؤمنان را فروشنده معرفی کرده، و می گوید: «خداوند از مؤمنان جانها و اموالشان را خریداری میکند، و در برابر این متاع، بهشت را به آنان میدهد» (إِنَّ اللَّهَ اشْتَری مِنَ الْمُوْمِنِينَ أَنْفُسَ هُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ).

و از آنجا که در هر معامله در حقیقت «پنج رکن اساسی» وجود دارد، در این آیه به تمام این ارکان اشاره کرده است.

خودش را «خریدار» و مؤمنان را «فروشنده» و جانها و اموال را «متاع» و بهشت را «ثمن» (بها) برای این معامله قرار داده است.

منتها طرز پرداخت این متاع را با تعبیر لطیفی چنین بیان می کند: «آنها در راه خدا پیکار می کنند، و دشـمنان حق را می کشند و یا در این راه کشته میشوند» و شربت شهادت را مینوشند (یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَیَقْتُلُونَ وَ یُقْتَلُونَ).

و به دنبال آن به «اسناد» معتبر و محكم اين معامله كه پنجمين ركن است اشاره كرده، مىفرمايد: «اين وعده حقى است بر عهده خداوند كه در سه كتاب آسمانى تورات، انجيل و قرآن آمده است» (وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ). سپس براى تأكيد روى اين معامله بزرگ اضافه مىكند: «چه كسى وفادار تر به عهدش از خداست»؟ (وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّه).

یعنی گرچه بهای این معامله فورا پرداخت نمی شود، اما خطرات نسیه را در بر ندارند! چرا که خداوند به حکم قدرت و توانایی و بی نیازی، از هر کس نسبت به عهد و پیمانش وفادار تر است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۵۶

و از همه جالبتر این که پس از انجام مراسم این معامله، همان گونه که در میان تجارت کنندگان معمول است، به طرف مقابل تبریک گفته و معامله را معامله پرسودی برای او میخواهد و می گوید: «بشارت باد بر شما به این معاملهای که انجام دادید» (فَاسْتَبْشِرُوا بِبَیْعِکُمُ الَّذِی بایَعْتُمْ بِهِ).

«و این پیروزی و رستگاری بزرگی برای همه شماست» (وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ).

سورة التوبة(٩): آية 112 ص: 258

(آیه ۱۱۲)– همان گونه که روش قرآن مجیـد است که در آیهای سـخنی را به اجمال برگزار میکنـد و در آیه بعد به شـرح و توضیح آن میپردازد، در این آیه مؤمنان را که فروشندگان جان و مال به خدا هستند با نه صفت بارز معرفی میکند.

۱- «آنها توبه کارانند» (التَّائِبُونَ). و دل و جان خود را به وسیله آب توبه از آلودگی گناه شستشو میدهند.

۲- «آنها عبادت كارانند» (الْعابِدُونَ). و در پرتو راز و نياز با خدا و پرستش ذات پاك او خودسازی میكنند».

۳- «آنها (در برابر نعمتهای مادی و معنوی پروردگار) سپاس می گویند» (الْحامِدُونَ).

۴- «آنها از یک کانون عبادت و پرستش به کانون دیگری رفت و آمد دارند» (السَّائِحُونَ).

و به این ترتیب برنامههای خودسازی آنان در پرتو عبادت، در محیط محدودی خلاصه نمی شود، و به افق خاصی تعلق ندارد، بلکه همه جا کانون عبودیت پروردگار و خودسازی و تربیت برای آنهاست.

۵- «آنها که در برابر عظمت خدا رکوع می کنند» (الرَّاکِعُونَ).

۶- «آنها که سر بر آستانش میسایند و سجده می آورند» (السَّاجِدُونَ).

٧- «آنها كه مردم را به نيكيها دعوت ميكنند» (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ).

۸- «آنها که (تنها به وظیفه دعوت به نیکی قناعت نمی کنند بلکه) با هر گونه فساد و منکری می جنگند» (وَ النَّاهُ ونَ عَنِ الْمُنْکَر). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۵۷

۹- «و آنها که (پس از ادای رسالت امر به معروف و نهی از منکر، به آخرین و مهمترین وظیفه اجتماعی خود یعنی) حفظ حدود الهی، و اجرای قوانین او، و اقامه حق و عدالت قیام می کنند» (وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ).

پس از ذکر این صفات نه گانه، خداوند بار دیگر چنین مؤمنان راستین و تربیت یافتگان مکتب ایمان و عمل را تشویق می کند، و به پیامبرش می گوید: «این مؤمنان را بشارت ده» (وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ).

سورة التوبة (٩): آية ١١٣ ص: ٢٥٧

اشاره

(آیه ۱۱۳)

شأن نزول: ص: ۲۵۷

در مورد نزول این آیه و آیه بعد نقل شده است که گروهی از مسلمانان به پیامبر اسلام میگفتند: آیا برای پدران ما که در عصر جاهلیت از دنیا رفتند طلب آمرزش نمیکنی؟ آیات مزبور نازل شد و به همه آنها اخطار کرد که هیچ کس حق ندارد برای مشرکان استغفار نماید.

تفسير: ص: ۲۵۷

آیه، نخست با تعبیری رسا و قاطع پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و مؤمنان را از استغفار برای مشرکان نهی میکند و میگوید: «شایسته نیست که پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله و افراد با ایمان برای مشرکان طلب آمرزش کنند» (ما کانَ لِلنَّبِیِّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ یَشْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِکِینَ).

سپس برای تأکید و تعمیم اضافه می کند: «حتی اگر از نزدیکانشان باشند» (وَ لَوْ کانُوا أُولِی قُرْبی).

بعدا دلیل این موضوع را ضمن جملهای چنین توضیح میدهد: «بعد از آن که برای مسلمانان روشن شد که مشرکان اهل دوزخند» طلب آمرزش برای آنها معنی ندارد (مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِیم).

این کاری است بیهوده و آرزویی نابجا چرا که مشرک به هیچ وجه قابل آمرزش نیست.

سورة التوبة(٩): آية ١١٤ ص: ٢٥٧

اشاره

(آیه ۱۱۴) - در این آیه به پاسخ این سؤال - که اگر این کار ممنوع است چرا ابراهیم برای «آزر» استغفار کرد؟ - پرداخته می گوید: «و استغفار ابراهیم برای پدرش [عمویش آزر] به خاطر وعدهای بود که به او داد، اما هنگامی که برای او آشکار شد که وی دشمن خداست از او بیزاری جست» و برایش استغفار نکرد (وَ ما کانَ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۵۸ اسْتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِیَّاهُ فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ لِلَّهِ تَبَرَّأُ مِنْهُ)

.در پایـان آیه اضافه میکنـد: «ابراهیم (کسـی بود که در پیشگاه خـدا خاضع و از خشم و غضب پروردگار خائف و ترسان، و مردی بزرگوار و) مهربان و بردبار بود» (إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوَّاهٌ حَلِیمٌ).

هر گونه پیوندی با دشمنان باید قطع شود: ص: ۲۵۸

از آیات متعددی از قرآن این موضوع به خوبی استفاده می شود که هر گونه پیوند و همبستگی خویشاوندی و غیر خویشاوندی بایـد تحت الشـعاع پیوندهای مکتبی قرار گیرد و این پیوند (ایمان به خدا و مبارزه با هر گونه شـرک و بت پرستی) باید بر تمام روابط مسلمانان حاکم باشد، چرا که این پیوند یک پیوند زیر بنایی و حاکم بر همه مقدرات اجتماعی آنهاست.

سورة التوبة (٩): آية 110 ص: 258

اشاره

(آیه ۱۱۵)

شأن نزول: ص: 258

گروهی از مسلمانان قبل از نزول فرائض و واجبات چشم از جهان بسته بودند، جمعی خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمدند و در باره سرنوشت آنها اظهار نگرانی کردند، و چنین می پنداشتند که آنها شاید گرفتار مجازات الهی به خاطر عدم انجام این فرائض باشند. آیه نازل شد و این موضوع را نفی کرد.

تفسير: ص: ۲۵۸

مجازات پس از تبیین - این آیه اشاره به یک قانون کلی و عمومی است، که عقل نیز آن را تأیید می کند و آن این که تکلیف و مسؤولیت همواره بعد از بیان احکام است، و این همان چیزی است که در علم اصول از آن تعبیر به قاعده «قبح عقاب بلا بیان» می شود.

لذا در آغاز میفرماید: «چنین نبوده که خداوند گروهی را پس از هدایت گمراه سازد تا این که آنچه را که باید از آن بپرهیزند برای آنها تبیین کند» (وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّی یُبَیِّنَ لَهُمْ ما یَتَّقُونَ).

و در پایان آیه میفرماید: «خداوند به هر چیزی داناست» (إِنَّ اللَّهَ بِکُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

یعنی علم و دانایی خداونـد ایجاب میکند که تا چیزی را برای بندگان بیان نکرده است، کسی را در برابر آن مسؤول نداند و مؤاخذه نکند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۵۹

سورة التوبة (٩): آية ١١٦ ص: ٢٥٩

(آیه ۱۱۶)- در این آیه روی این مسأله تکیه و تأکید می کند که: «حکومت آسمانها و زمین برای خداست» (إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

و نظام حیات و مرگ نیز در کف قدرت اوست، اوست که «زنده می کند و می میراند» (یُحیِی وَ یُمِیتُ).

و بنابراین «هیچ ولیّ و سرپرست و یاوری جز خدا ندارید» (وَ ما لَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِیِّ وَ لا نَصِیرِ).

اشاره به این که، شما نباید بر غیر او تکیه کنید، و بیگانگان از خدا را پناهگاه یا مورد علاقه خود قرار دهید، و پیوند محبت خویش را با این دشمنان خدا از طریق استغفار یا غیر آن بر قرار و محکم دارید.

سورة التوبة(٩): آية ١١٧ ص: 259

اشاره

(آیه ۱۱۷)

شأن نزول: ص: 259

این آیه در مورد غزوه تبوک و مشکلات طاقت فرسایی که به مسلمانان در این جنگ رسید نازل شده، این مشکلات به قدری بود که گروهی تصمیم به بازگشت گرفتند اما لطف و توفیق الهی شامل حالشان شد، و همچنان پابرجا ماندند.

تفسير: ص: ۲۵۹

این آیه اشاره به شمول رحمت بی پایان پروردگار نسبت به پیامبر و مهاجرین و انصار در آن لحظات حساس کرده، می گوید: «رحمت خدا شامل حال پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و مهاجران و انصار، همانها که در موقع شدت و سختی از او پیروی کردند، شد» (لَقَدْ تابَ اللّهُ عَلَی النّبِیِّ وَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُ فِی ساعَهِٔ الْعُسْرَهُِ).

سپس اضافه می کند: «این شمول رحمت الهی به هنگامی بود که بر اثر شدت حوادث و فشار ناراحتیها نزدیک بود دلهای

گروهی از مسلمانان از جاده حق منحرف شود» و تصمیم به مراجعت از تبوک بگیرند (مِنْ بَعْدِ ما کادَ یَزِیعُ قُلُوبُ فَرِیقٍ مِنْهُمْ). دگر بار تأکید میکند که «بعد از این ماجرا، خداوند رحمت خود را شامل حال آنها ساخت، و توبه آنها را پذیرفت، زیرا او نسبت به مؤمنان مهربان و رحیم است» (ثُمَّ تابَ عَلَیْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفُّ رَحِیمٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۶۰

سورة التوبة(٩): آية ١١٨ ص: 260

اشاره

(آیه ۱۱۸)

شأن نزول: ص: 260

سه نفر از مسلمانان به نام «کعب بن مالک» و «مرارهٔ بن ربیع» و «هلال بن امیه» از شرکت در جنگ تبوک، و حرکت همراه پیامبر صلّی الله علیه و آله سرباز زدند، ولی این به خاطر آن نبود که جزء دار و دسته منافقان باشند، بلکه به خاطر سستی و تنبلی بود، چیزی نگذشت که پشیمان شدند.

هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله از صحنه تبوک به مدینه بازگشت، خدمتش رسیدند و عذرخواهی کردند، اما پیامبر صلّی الله علیه و آله حتی یک جمله با آنها سخن نگفت و به مسلمانان نیز دستور داد که احدی با آنها سخن نگوید.

آنها در یک محاصره عجیب اجتماعی قرار گرفتند، بطوری که فضای مدینه با تمام وسعتش چنان بر آنها تنگ شد که مجبور شدند برای نجات از این خواری و رسوایی بزرگ، شهر را ترک گویند و به کوههای اطراف مدینه پناه ببرند. سر انجام پس از پنجاه روز توبه و تضرع به پیشگاه خداوند، توبه آنان قبول شد و آیه در این زمینه نازل گردید.

تفسير: ص: ۲۶۰

زندان محاصره اجتماعی گنهکاران! نه تنها آن گروه عظیم مسلمانان را که در جهاد شرکت کرده بودند، مورد رحمت خویش قرار داد «بلکه آن سه نفر را که (از شرکت در جهاد تخلف ورزیده بودند و) جنگجویان آنها را پشت سر گذاشتند و رفتند، نیز مشمول لطف خود قرار داد» (وَ عَلَی الثَّلاثَةُ الَّذِینَ خُلِّفُوا).

اما این لطف الهی به آسانی شامل حال آنها نشد، بلکه آن به هنگامی بود که آن سه نفر در محاصره شدید اجتماعی قرار گرفتند، و مردم همگی با آنها قطع رابطه کردند، «آن چنان که زمین با همه وسعتش بر آنها تنگ شد» (حَتَّی إِذا ضافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ).

و سینه آنها چنان از انـدوه آکنـده شـد که گویی «جایی در وجود خویش برای خود نمییافتنـد» (وَ ضاقَتْ عَلَیْهِمْ أَنْفُسُـهُمْ). تا آنجا که خود آنها نیز از یکدیگر قطع رابطه کردند. و به این ترتیب همه راهها به روی آنها بسته شد، «و یقین پیدا کردند که پناهگاهی از خشم خدا جز از طریق بازگشت به سوی او نیست» (وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۶۱

مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ).

«بــار دیگر (رحمت خــدا به ســراغ آنان آمــد، و) توبه و بازگشت حقیقی و خالصانه را بر آنان آسان ساخت، تا توبه کننــد» (ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا).

چرا كه «خداوند توبه پذير و رحيم است» (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

سورة التوبة(9): آية 119 ص: 261

(آیه ۱۱۹)- با صادقان باشید: در آیات گذشته، سخن در باره گروهی از متخلفان در میان بود، اما در آیه مورد بحث اشاره به نقطه مقابل آنها کرده به همه مسلمانان دستور میدهد که رابطه خود را با راستگویان و آنها که بر سر پیمان خود ایستادهاند محکم بدارید.

نخست مىفرمايد: «اى كسانى كه ايمان آوردهايد! از مخالفت فرمان خدا بپرهيزيد» (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ).

و برای این که بتوانید راه پر پیچ و خم تقوا را بدون اشتباه و انحراف بپیمائید اضافه می کند: «با صادقان باشید» (وَ کُونُوا مَعَ الصَّادِقِینَ).

«صادقین» آنهایی هستند که تعهدات خود را در برابر ایمان به پروردگار به خوبی انجام میدهند، نه تردیدی به خود راه میدهند، نه عقب نشینی میکنند، نه از انبوه مشکلات میهراسند بلکه با انواع فداکاریها، صدق ایمان خود را ثابت میکنند. شک نیست که این صفات مراتبی دارد که بعضی مانند امامان معصوم علیهم السّلام در قله آن قرار گرفتهاند و بعضی دیگر در مرحله پایینتر.

سورة التوبة (٩): آية ١٢٠ ص: 261

(آیه ۱۲۰) - مشکلات مجاهدان بی پاداش نمی ماند: در آیات گذشته بحثهایی پیرامون سرزنش کسانی که از غزوه تبوک خودداری کرده بودند، به میان آمد، این آیه و آیه بعد به عنوان یک قانون کلی و همگانی، بحث نهایی را روی این موضوع می کند.

نخست می گویـد: «مردم مـدینه و بادیه نشینانی که در اطراف این شـهر (که مرکز و کانون اسـلام است) زنـدگی میکنند حق ندارند، از رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله تخلف جویند» (ما کانَ لِأَهْلِ الْمَدِینَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أَنْ یَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۶۲

«و نه حفظ جان خود را بر حفظ جان او مقدم دارند» (وَ لا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ). چرا که او رهبر امت، و پيامبر خدا، و رمز بقاء و حيات ملت اسلام است.

این وظیفه همه مسلمانان در تمام قرون و اعصار است که رهبران خویش را همچون جان خویش، بلکه بیشتر گرامی دارنـد و در حفظ آنان بکوشند و آنها را در برابر حوادث سخت تنها نگذارند، چرا که خطر برای آنها خطر برای امت است.

سپس به پاداشـهای مجاهدان که در برابر هر گونه مشـکلی در راه جهاد نصـیبشان میشود، اشاره کرده و روی هفت قسـمت از

این مشکلات و پاداش آن انگشت می گذارد و می گوید: «این به خاطر آن است که هیچ گونه تشنگی به آنها نمیرسد» (ذلِکَ بِأَنَّهُمْ لا یُصِیبُهُمْ ظَمَأٌ). «و هیچ رنج و خستگی پیدا نمی کنند» (وَ لا نَصَبُ).

«و هیچ گرسنگی در راه خدا دامن آنها را نمی گیرد» (وَ لا مُخْمَصَه تُه فِی سَبِیلِ اللَّهِ). «و در هیچ نقطه خطرناک و میدان پرمخاطرهای که موجب خشم و ناراحتی کفار است قرار نمی گیرند» (وَ لا یَطَوُّنَ مَوْطِئاً یَغِیظُ الْکُفَّارَ).

«و هيچ ضربهاي از دشمن بر آنها وارد نمي شود» (وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا).

«مگر این که در ارتباط با آن، عمل صالحی برای آنها ثبت می شود» (إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ).

و مسلما پاداش یک به یک آنها را از خداوند بزرگ دریافت خواهند داشت، «زیرا خدا پاداش نیکوکاران را هیچ گاه ضایع نمی کند» (إِنَّ اللَّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ).

سورة التوبة (٩): آية ١٢١ ص: 262

(آیه ۱۲۱)- «همچنین هیچ مال کم یا زیادی را در مسیر جهاد، انفاق نمی کنند» (وَ لا یُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِیرَةً وَ لا کَبِیرَةً).

«و هیچ سرزمینی را (برای رسیدن به میدان جهاد و یا به هنگام بازگشت) زیر پا نمی گذارند، مگر این که تمام این گامها، و آن انفاقها، برای آنها ثبت می شود» (وَ لا یَقْطَعُونَ وادِیاً إِلّا کُتِبَ لَهُمْ).

«تا سر انجام خداوند این اعمال را به عنوان بهترین اعمالشان پاداش دهد» برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۶۳ (لِیَجْزیَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا یَعْمَلُونَ).

سورة التوبة(٩): آية ١٢٢ ص: 263

اشاره

(آیه ۱۲۲)

شأن نزول: ص: ٢٦٣

هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله به سوی میدان جهاد حرکت میکرد، همه مسلمانان به استثنای منافقان و معذوران در خدمتش حرکت میکردند، حتی در جنگهایی که پیغمبر صلّی الله علیه و آله شخصا شرکت نمیکرد (سریهها) همگی به سوی میدان میرفتند و پیامبر صلّی الله علیه و آله را تنها میگذاردند.

آیه نازل شد و اعلام کرد که در غیر مورد ضرورت، شایسته نیست همه مسلمانان به سوی میدان جنگ بروند.

تفسير: ص: ٢٦٣

جهاد با جهل و جهاد با دشمن-این آیه که با آیات گذشته در زمینه جهاد پیوند دارد، اشاره به واقعیتی می کند که برای

مسلمانان جنبه حیاتی دارد و آن این که: گرچه جهاد بسیار پراهمیت است و تخلف از آن ننگ و گناه، ولی در مواردی که ضرورتی ایجاب نمی کند که همه مؤمنان در میدان جهاد شرکت کنند، مخصوصا در مواقعی که پیامبر صلّی الله علیه و آله شخصا در مدینه باقی مانده نباید همه به جهاد بروند بلکه لازم است هر جمعیتی از مسلمانان به دو گروه تقسیم شوند گروهی فریضه جهاد را انجام دهند، و گروه دیگری در مدینه بمانند و معارف و احکام اسلام را بیاموزند همان گونه که آیه می فرماید: «شایسته نیست مؤمنان همگی به سوی میدان جهاد کوچ کنند چرا از هر گروهی از آنان، طایفهای کوچ نمی کند (و طایفهای در مدینه بماند) تا در دین و معارف و احکام اسلام آگاهی یابند» (وَ ما کانَ الْمُؤْمِنُونَ لِیَنْفِرُوا کَافَةً فَلُو لا نَفَرَ مِنْ کُلً فِرْقَةً مِنْهُمْ طائِفَةً لِیَتَفَقَّهُوا فِی الدِّین).

«و به هنگامی که یاران مجاهدشان از میدان بازگشتند احکام و فرمانهای الهی را به آنها تعلیم دهند و از مخالفت آن انذارشان نمایند» (وَ لِیُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ).

«باشد (که این برنامه موجب شود) که آنها از مخالفت فرمان خدا بپرهیزند» و وظایف خویش را انجام دهند (لَعَلَّهُمْ یَحْذَرُونَ). مسأله مهمی که از آیه می توان استفاده کرد، احترام و اهمیت خاصی است که اسلام برای مسأله «تعلیم» و «تعلم» قائل شده است، تا آنجا که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۶۴

مسلمانان را ملزم میسازد که همه در میدان جنگ شرکت نکنند، بلکه گروهی بمانند و معارف اسلام را بیاموزند. یعنی جهاد با جهل همانند جهاد با دشمن بر آنها فرض است، و اهمیت یکی کمتر از دیگری نیست، بلکه تا مسلمانان در مسأله جهاد با جهل، پیروز نشوند در جهاد با دشمن پیروز نخواهند شد، زیرا یک ملت جاهل همواره محکوم به شکست است.

سورة التوبة (٩): آية ١٢٣ ص: ٢۶۴

(آیه ۱۲۳)– دشـمنان نزدیکتر را دریابیـد! به تناسب بحثهایی که تاکنون پیرامون جهاد در این سوره ذکر شده در این آیه به دو دستور دیگر در زمینه این موضوع مهم اسلام اشاره گردیده است.

نخست روی سخن را به مؤمنان کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! با کفاری که به شـما نزدیکترند پیکار کنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِینَ یَلُونَکُمْ مِنَ الْکُفَّارِ).

آیه فوق گرچه از «پیکار مسلحانه»، و از «فاصله مکانی» سخن می گوید، ولی بعید نیست که روح آیه در پیکارهای منطقی و فاصلههای معنوی نیز حاکم باشد، به این معنی که مسلمانان به هنگام پرداختن به مبارزه منطقی و تبلیغاتی با دشمنان، اول باید به سراغ کسانی بروند که خطرشان برای جامعه اسلامی بیشتر و نزدیکتر است، مثلا در عصر ما که خطر الحاد و مادّیگری همه جوامع را تهدید می کند، باید مبارزه با آن را مقدم بر مبارزه با مذاهب باطله قرار داد، نه این که آنها فراموش شوند، بلکه باید لبه تیز حمله متوجه گروه خطرناکتر گردد، یا مثلا مبارزه با استعمار فکری و سیاسی و اقتصادی باید در درجه اول قرار گیرد. دومین دستوری که در زمینه جهاد، در این آیه می خوانیم، دستور شدت عمل است، آیه می گوید: «دشمنان باید در شما یک نوع خشونت احساس کنند» (وَ نُیجِدُوا فِیکُمْ غِلْظَهُ).

بنابراین تنها، وجود قدرت کافی نیست، بلکه باید در برابر دشمن نمایش قدرت داد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۶۵ و در پایان آیه به مسلمانان با این عبارت نوید پیروزی می دهد که: «بدانید خدا با پرهیز کاران است» (وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ).

این تعبیر ممکن است علاوه بر آنچه گفته شد، اشاره به این معنی نیز باشد که توسل به خشونت و شدت عمل باید توأم با تقوا باشد، و هیچ گاه از حدود انسانی تجاوز نکند.

سورة التوبة(٩): آية 124 ص: 265

(آیه ۱۲۴)- تأثیر آیات قرآن بر دلهای آماده و آلوده: به تناسب بحثهایی که در باره منافقان و مؤمنان گذشت، در این آیه و آیه بعد اشاره به یکی از نشانههای بارز این دو گروه شده است.

نخست می گوید: «و هنگامی که سورهای نازل می شود، بعضی از منافقان به یکدیگر می گویند: ایمان کدامیک از شما را نزول این سوره افزون ساخت»؟ (وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ یَقُولُ أَیُّکُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِیماناً).

و با این سخن میخواستند عدم تأثیر سورههای قرآن و بیاعتنایی خود را نسبت به آنها بیان کنند.

اما قرآن با لحن قاطعی به آنها پاسخ میدهد و ضمن تقسیم مردم به دو گروه، می گوید: «اما کسانی که ایمان آوردهاند! نزول این آیات بر ایمانشان افزوده و آنها به فضل و رحمت الهی خوشحالند» (فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِیماناً وَ هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ).

سورة التوبة (٩): آية ١٢٥ ص: ٢٦٥

(آیه ۱۲۵)- «و اما آنها که در دلهایشان بیماری (نفاق و جهل و عناد و حسـد) است، پلیـدی تازهای بر پلیـدیشان میافزاید»! (وَ أَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَی رِجْسِهِمْ).

چرا که در برابر هر فرمان تازهای نافرمانی و عصیان جدیدی می کنند و در مقابل هر حقیقت لجاجت جدیدی، و این سبب تراکم عصیانها و لجاجتها، در وجودشان می شود، و چنان ریشه های این صفات زشت در روح آنان قوی می گردد «و سر انجام در حال کفر و بی ایمانی از دنیا خواهند رفت» (وَ ماتُوا وَ هُمْ کافِرُونَ).

قرآن در دو آیه بالا بر این واقعیت تأکید می کند که تنها وجود برنامه ها برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۶۶ و تعلیمات حیاتبخش برای سعادت یک فرد، یا یک گروه کافی نیست، بلکه آمادگی زمینه ها نیز باید به عنوان یک شرط اساسی مورد توجه قرار گیرد.

آیات قرآن مانند دانههای حیاتبخش باران است که میدانیم «در باغ، سبزه روید و در شورهزار، خس!»

سورة التوبة(٩): آية ١٢٦ ص: ٢۶۶

(آیه ۱۲۶)- در ایـن آیـه و آیـه بعـد نیز سـخن را در بـاره منافقـان ادامه میدهـد، و آنهـا را مـورد سـرزنش و انـدرز قرار داده میگویـد: «آیـا آنها نمیبیننـد که در هر سال، یک یا دو بار، مورد آزمایش قرار میگیرنـد»! (أَ وَ لا یَرَوْنَ أَنَّهُمْ یُفْتُنُونَ فِی کُلِّ عام مَرَّةً أَوْ مَرَّتَیْنِ).

و عُجِب این که بـا این همه آزمایشـهای پیدرپی «از راه خلاف بـاز نمیایسـتند و تـوبه نمیکننـد و متـذکر نمیشونـد» (ثُمَّ لا یَتُوبُونَ وَ لا هُمْ یَذَّکُرُونَ).

از تعبیر آیه چنین بر می آید که این آزمایش غیر از آزمایش عمومی است که همه مردم در زندگی خود با آن رو برو می شوند. بلکه از آزمایشهایی بوده که باید باعث بیداری این گروه گردد مثل فاش شدن اعمال سوءشان و ظاهر شدن

سورة التوبة(٩): آية ١٢٧ ص: 768

(آیه ۱۲۷) - سپس اشاره به قیافه انکار آمیزی که آنها در برابر آیات الهی به خود می گرفتند کرده، می گوید: «و هنگامی که سورهای از قرآن نازل می شود، بعضی از آنها با نظر تحقیر و انکار نسبت به آن سوره به بعض دیگر نگاه می کنند» و با حرکات چشم، مراتب نگرانی خود را ظاهر می سازند (وَ إِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ).

ناراحتی و نگرانی آنها از این نظر است که مبادا نزول آن سوره، رسوایی جدیدی برایشان فراهم سازد.

و به هر حال تصمیم بر این می گیرند که از مجلس بیرون بروند، تا این نغمههای آسمانی را نشنوند، اما از این بیم دارند که به هنگام خروج کسی آنها را ببیند، لذا آهسته از یکدیگر سؤال می کنند: آیا کسی متوجه ما نیست «آیا کسی شما را می بیند»؟! (هَلْ یَراکُمْ مِنْ أَحَدِ).

و همین که اطمینان پیدا می کنند جمعیت به سخنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله مشغولند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۶۷ و متوجه آنها نیستند «از مجلس بیرون میروند» (ثُمَّ انْصَرَفُوا).

در پایان آیه، به ذکر علت این موضوع پرداخته و می گوید: «آنها به این جهت از شنیدن کلمات خدا ناراحت می شوند که «خداوند قلوبشان را (به خاطر لجاجت و عناد و به خاطر گناهانشان) از حق منصرف ساخته (و یک حالت دشمنی و عداوت نسبت به حق پیدا کردهاند) چرا که آنها افرادی بی فکر و نفهم هستند» (صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَفْقَهُونَ).

سورة التوبة(٩): آية ١٢٨ ص: 267

(آیه ۱۲۸)- آخرین آیات قرآن مجید: این آیه و آیه بعد که آخرین آیاتی است که بر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نازل شده است، و با آن سوره برائت پایان میپذیرد، در واقع اشارهای است به تمام مسائلی که در این سوره گذشت.

نخست روی سخن را به مردم کرده، می گوید: «پیامبری از خودتان به سوی شما آمد»! (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ).

«مِنْ أَنْفُسِـ كُمْ» (از خودتان) اشاره به شـدت ارتباط پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله با مردم است، گویی پارهای از جان مردم و روح جامعه در شکل پیامبر صلّی اللّه علیه و آله ظاهر شده است.

پس از ذكر اين صفت به چهار قسمت ديگر از صفات ممتاز پيامبر صلّى الله عليه و آله كه در تحريك عواطف مردم و جلب احساساتشان اثر عميق دارد اشاره كرده، نخست مى گويد: «هر گونه ناراحتى و زيان و ضررى به شما برسد براى او سخت ناراحت كننده است» (عَزيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُمْ).

و به شدت از رنجهای شما رنج میبرد.

ديگر اين كه: «او سخت به هدايت شما علاقهمند است» و به آن عشق ميورزد (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ).

سپس به سومین و چهارمین صفت اشاره کرده، می گوید: «او نسبت به مؤمنان رءوف و رحیم است» (بِالْمُؤْمِنِینَ رَوُّنٌ رَحِیمٌ). بنابراین هر گونه دستور مشکل و طاقت فرسایی را می دهد - حتی گذشتن از بیابانهای طولانی و سوزان در فصل تابستان، با گرسنگی و تشنگی، برای مقابله با یک دشمن نیرومند در جنگ تبوک - آن هم یک نوع محبت و لطف از ناحیه او برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۶۸

و برای نجات شما، از چنگال ظلم و ستم و گناه و بدبختی است.

سورة التوبة(٩): آية ١٢٩ ص: ٢٦٨

(آیه ۱۲۹)- در این آیه که آخرین آیه سوره توبه است، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را دلـداری میدهـد که از سرکشیها و عصیانهای مردم، دلسرد و نگران نشود، می گوید: «اگر آنها روی از حق بگردانند (نگران نباش و) بگو: خداوند برای من کافی است» چرا که او بر هر چیزی تواناست (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِیَ اللّهُ).

«همان خداوندي كه هيچ معبودي جز او نيست» و بنابراين تنها پناهگاه اوست (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ).

آری «من تنها بر چنین معبودی تکیه کردهام، و به او دلبستهام و کارهایم را به او واگذاردهام» (عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ).

«و او پروردگار عرش بزرگ است» (وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم).

جایی که عرش و عالم بالا و جهان ماوراء طبیعت با آن همه عظمتی که دارد، در قبضه قدرت او، و تحت حمایت و کفالت اوست، چگونه مرا تنها می گذارد و در برابر دشمن یاری نمی کند؟ مگر قدرتی در برابر قدرتش تاب مقاومت دارد؟ و یا رحمت و عطوفتی بالاتر از رحمت و عطوفت او تصور می شود؟

«پایان سوره توبه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۶۹

سوره يونس [10] ص: ۲۶۹

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۱۰۹ آیه است.

محتوا و فضيلت اين سوره: ص: 269

این سوره که به گفته بعضی از مفسران بعد از سوره اسراء و قبل از سوره هود نازل شده است روی چند مسأله اصولی و زیر بنایی تکیه می کند، که از همه مهمتر مسأله «مبدأ» و «معاد» است.

منتها نخست از مسأله وحی و مقام پیامبر صلّی اللّه علیه و آله سخن می گوید، سپس به نشانه هایی از عظمت آفرینش می پردازد، بعد مردم را به ناپایداری زندگی مادی دنیا و لزوم توجه به سرای آخرت متوجه می سازد.

و به تناسب همین مسائل قسمتهای مختلفی از زنـدگی پیامبران بزرگ از جمله نوح و موسـی و یونس علیهم السّـلام را بازگو میکند و به همین مناسبت نام سوره یونس بر آن گذارده شده است.

و بالأخره برای تکمیل بحثهای فوق در هر مورد مناسبی از بشارت و انـذار، بشارت به نعمتهای بیپایان الهی برای صالحان و انذار و بیم دادن طاغیان و گردنکشان، استفاده می کند.

لذا در روایتی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم که فرمود: «کسی که سوره یونس را در هر دو یا سه ماه بخواند بیم آن نمی رود که از جاهلان و بی خبران باشد، و روز قیامت از مقربان خواهد بود». - و این به خاطر آن است که آیات هشدار دهنده

و بیدار کننده در این سوره فراوان است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۷۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱ ص: ۲۷۰

(آیه ۱) - در این سوره بار دیگر با «حروف مقطعه» قرآن رو برو می شویم که به صورت «الف - لام - راء» (الر). ذکر شده است. به دنبال آن نخست اشاره به عظمت آیات قرآن کرده، می گوید: «آنها آیات کتاب حکیم است» (تِلْکُ آیاتُ الْکِتابِ الْحَکِیمِ). توصیف قرآن به «حکیم» اشاره به این است که آیات قرآن دارای آن چنان استحکام و نظم و حسابی است که هرگونه باطل و خرافه و هزل را از خود دور می سازد، جز حق نمی گوید و جز به راه حق دعوت نمی کند.

سورهٔ يونس(١٠): آيهٔ ٢ ص: ۲۷۰

(آیه ۲)- رسالت پیامبر صلّی الله علیه و آله: این آیه به تناسب اشارهای که در آیه قبل به قرآن مجید و وحی آسمانی شده، یکی از ایرادات رائج مشرکان را نسبت به پیامبر صلّی الله علیه و آله بیان می کند، همان اشکالی که بطور مکرر در قرآن مجید آمده و آن این که چرا وحی آسمانی از ناحیه خدا بر انسانی نازل شده، چرا فرشتهای مأموریت این رسالت بزرگ را به عهده نگرفته است؟! قرآن در پاسخ این گونه سؤالات می گوید: «آیا تعجبی برای مردم دارد که ما وحی به مردی از آنان فرستادیم» (أ کانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا إِلی رَجُلٍ مِنْهُمْ).

سپس به محتوای این وحی آسمانی اشاره کرده، آن را در دو چیز خلاصه میکند: نخست این که به او وحی فرستادیم که: «مردم را انذار کن و از عواقب کفر و گناه بترسان» (أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ).

دیگر این که: «به افراد با ایمان بشارت ده که برای آنان در پیشگاه خدا قدم صدق است» (وَ بَشِّرِ الَّذِینَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقِ عِنْدَ رَبِّهِمْ).

تعبیر «قَدَمَ صِـ دْقِ» یـا اشـاره به آن است که ایمان «سابقه فطری» دارد و یا اشاره به مسأله معاد و نعمتهای آخرت است و یا این که قدم به معنی پیشوا و رهبر است، یعنی برای مؤمنان پیشوا و رهبری صادق فرسـتاده شده است. و ممکن است برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۷۱

بشارت به همه این امور، هدف از تعبیر فوق بوده باشد.

باز در پایان آیه به یکی از اتهاماتی که مشرکان کرارا برای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله ذکر می کردنـد اشاره کرده، می گویـد: «کافران گفتند این مرد ساحر آشکاری است» (قالَ الْکافِرُونَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ مُبِینٌ).

این گونه تعبیرها که از ناحیه دشمنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله صادر می شد خود دلیل روشنی است بر این که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کارهای خارق العادهای داشته که افکار و دلها را به سوی خود جذب می کرده است، مخصوصا تکیه کردن روی سحر در مورد قرآن مجید خود گواه زندهای بر جاذبه فوق العاده این کتاب آسمانی است که آنها برای اغفال مردم آن را زیر پرده سحر می پوشاندند.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳ ص: ۲۷۱

(آیه ۳)- خداشناسی و معاد: قرآن پس از اشاره به مسأله وحی و نبوت در نخستین آیات این سوره، به سراغ دو اصل اساسی تعلیمات همه انبیاء یعنی «مبدأ» و «معاد» میرود، و این دو اصل مهم را در ضمن عباراتی کوتاه و گویا بیان می کند.

نخست می گویـد: «پروردگار شـما همان خداونـدی است که آسـمانها و زمین را در شـش روز (دوران) آفریـد» (إِنَّ رَبَّکُمُ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیَّام).

«سپس بر تخت قدرت قرار گرفت، و به تدبیر کار جهان پرداخت» (ثُمَّم اسْتَوى عَلَى الْعَرْش يُدَبِّرُ الْأَمْرِ).

پس از آن که روشن شد خالق و آفریدگار «الله» است و زمام اداره جهان هستی به دست اوست و تدبیر همه امور به فرمان او میباشد معلوم است که بتها این موجودات بیجان و عاجز و ناتوان هیچ گونه نقشی در سرنوشت انسانها نمی توانند داشته باشند لذا در جمله بعد می فرماید: «هیچ شفاعت کننده ای جز به اذن و فرمان او وجود ندارد» (ما مِنْ شَفِیعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ). آری! «این چنین است «الله» پروردگار شما، او را پرستش کنید» نه غیر او (ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ).

«آيا با اين دليل روشن متذكر نمي شويد؟» أَ فَلا تَذَكَّرُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۷۲

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۴ ص: ۲۷۲

(آیه ۴)- سپس در این آیه سخن از معاد می گوید و در جملههای کوتاهی هم اصل این مسأله و هم دلیل و هم هدف آن را بیان میدارد.

نخست می گوید: «بازگشت همه شما به سوی خداست» (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً).

سپس روى اين مسأله مهم تأكيد كرده، اضافه ميكند: «اين وعده قطعي خداوند است» (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا).

بعد اشاره به دلیل آن کرده، می گوید: «خداوند آفرینش را آغاز کرد و سپس تجدید میکند» (إِنَّهُ یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ).

آیات مربوط به معاد در قرآن نشان میدهد که علت عمده تردید مشرکان و مخالفان، این بوده که در امکان چنین چیزی تردید داشتهاند و با تعجب سؤال می کردند آیا این استخوانهای پوسیده و خاک شده بار دیگر لباس حیات و زندگی در بر می کند و به شکل نخست باز می گردد؟ لذا قرآن می گوید: همان گونه که شما را در آغاز ایجاد کرد باز می گرداند.

سپس سخن از هدف معاد به میان می آید که این برنامه «برای آن است که خداوند افرادی را که ایمان آورده و عمل صالح انجام دادهاند به عدالت پاداش دهد» (لِیَجْزِیَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ بِالْقِسْطِ).

بى آنكه كوچكترين اعمال آنها از نظر لطف و مرحمت او مخفى و بى اجر بماند.

«و آنها که راه کفر و انکار پوییدنـد (و طبعا عمـل صـالحی نیز نداشـتند زیرا ریشه عمـل خـوب اعتقـاد خوب است مجـازات دردناک، و) نوشـیدنی از آب گرم و سوزان و عذاب الیم به خاطر کفرشان در انتظارشان است» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِیم وَ عَذابٌ أَلِیمٌ بِما کانُوا یَکْفُرُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵ ص : ۲۷۲

(آیه ۵)- گوشهای از آیات عظمت خدا: در آیات گذشته اشاره کوتاهی به مسأله مبدأ و معاد شده بود، ولی از این به بعد این دو مسأله اصولی که مهمترین پایه دعوت انبیاء بوده است بطور مشروح مورد بحث قرار می گیرد.

نخست اشاره به قسمتهایی از آیات عظمت خدا در جهان آفرینش کرده، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۷۳

مى گويد: «او كسى است كه خورشيد را ضياء و روشنى و قمر را نور قرار داد» (هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً).

می توید. «او تسی است که خورسید را طیاء و روستی و قمر را نور قرار داد» رهو آندی جعل انسمس طِیاء و آندم نورا). خورشید با نور عالمگیرش نه تنها بستر موجودات را گرم و روشن میسازد بلکه در تربیت گیاهان و پرورش حیوانات سهم عمده و اساسی دارد و اگر روزی این اشعه حیاتبخش از کره خاکی ما قطع شود در فاصله کوتاهی تاریکی و سکوت و مرگ همه جا را فرا خواهد گرفت.

ماه با نور زیبایش چراغ شبهای تار ماست، و روشنایی ملائمش برای همه ساکنان زمین مایه آرامش و نشاط است.

سپس به یکی دیگر از آثار مفید وجود ماه اشاره کرده، می گوید: «خداوند برای آن منزلگاههایی مقدر کرد تا شماره سالها و حساب زندگی و کار خویش را بدانید» (وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ).

یعنی یک تقویم بسیار دقیق و زنده طبیعی است که عالم و جاهل میتوانند آن را بخوانند و حساب تاریخ کارها و امور زندگی خود را نگهدارند و این اضافه بر نوری است که ماه به ما میبخشد.

سپس اضافه می کند: این آفرینش و این گردش مهر و ماه سرسری و از بهر بازیگری نیست «خداوند آن را نیافریده است مگر به حق» (ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِکَ إِلَّا بِالْحَقِّ).

و در پایان آیه تأکید میکند که: «خدا آیات و نشانههای خود را برای آنها که میفهمند و درک میکنند شرح میده» (یُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْم یَعْلَمُونَ).

اما بی خبران بی بصر چه بسیار از کنار همه این آیات و نشانههای پروردگار می گذرند و کمترین چیزی از آن درک نمی کنند.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۶ ص: ۲۷۳

(آیه ۶)– در این آیه به قسمتی دیگر از نشانهها و دلائل وجودش در آسمان و زمین پرداخته، میگویـد: «درآمد و شد شب و روز و آنچه خداونـد در آسـمان و زمین آفریده است نشانههایی است برای گروه پرهیزکاران» (إِنَّ فِی اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْم یَتَّقُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۷۴

یعنی تنها کسانی این آیات را درک می کننگ که در پرتو تقوا و پرهیز از گناه، صفای روح و روشن بینی یافتهاند اگر نور آفتاب یکنواخت و بطور مداوم بر زمین می تابید مسلما درجه حرارت در زمین به قدری بالا می رفت که قابل زندگی نبود و همچنین اگر شب بطور مستمر ادامه می یافت همه چیز از شدت سرما می خشکید ولی خداوند این دو را پشت سر یکدیگر قرار داده تا بستر حیات و زندگی را در کره زمین آماده و مهیا سازد.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۷ ص: ۲۷۴

(آیه ۷)- بهشتیان و دوزخیان: از این آیه به بعد نیز شرحی پیرامون معاد و سرنوشت مردم در جهان دیگر آمده است. نخست میفرماید: «کسانی که امید لقای ما را ندارند و به رستاخیز معتقد نیستند و به همین دلیل تنها به زندگی دنیا خشنودند و به آن اطمینان میکنند ...» (إِنَّ الَّذِینَ لا یَوْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَیاةِ الدُّنْیا وَ اطْمَأَنُّوا بِها). «و همچنین آنها که از آیات ما غافلند و در آنها اندیشه نمی کنند» تا قلبی بیدار و دلی مملو از احساس مسؤولیت پیدا کنند ... (وَ الَّذِینَ هُمْ عَنْ آیاتِنا غافِلُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸ ص: ۲۷۴

(آیه ۸)- «این هر دو گروه جایگاهشان آتش است، به خاطر اعمالی که انجام میدهند» (أُولِثِکَ مَا ُواهُمُ النَّارُ بِما کانُوا یَکْسِبُونَ).

در حقیقت نتیجه مستقیم عدم ایمان به معاد همان دلبستگی به این زندگی محدود و مقامهای مادی و اطمینان و اتکاء به آن است.

همچنین غفلت از آیات الهی، سر چشمه بیگانگی از خدا، و بیگانگی از خدا سر چشمه عدم احساس مسؤولیت، و آلودگی به ظلم و فساد و گناه است، و سر انجام آن چیزی جز آتش نمی تواند باشد.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹ ص: ۲۷۴

(آیه ۹) – سپس اشاره به حال گروه دیگری می کند که نقطه مقابل این دو گروه می باشند، می گوید: «کسانی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند، خداوند به کمک ایمانشان آنها را هدایت می کند» (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ یَهْ دِیهِمْ رَبُّهُمْ بإیمانِهمْ).

این نور هدایت الهی که از نور ایمانشان سر چشمه می گیرد، تمام افق زندگانی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۷۵ آنها را روشن میسازد، در پرتو این نور آن چنان روشن بینی پیدا می کنند که جار و جنجالهای مکتبهای مادی، و وسوسههای شیطانی، و زرق و برقهای گناه، و زر و زور، فکر آنها را نمی دزدد، و از راه به بیراهه گام نمی نهند.

این حال دنیای آنان و در جهان دیگر خداوند قصرهایی به آنها میبخشد که «از زیر آنها در باغهای بهشت نهرها جاری است» (تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِی جَنَّاتِ النَّعِیم).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰ ص: ۲۷۵

(آیه ۱۰)– آنها در محیطی مملو از صلح و صفا و عشق به پروردگار و انواع نعمتها به سر میبرند.

هر زمان که جذبه ذات و صفات خدا وجودشان را روشن میسازد «گفتار و دعای آنها در بهشت این است که: پروردگارا! منزه و پاک از هر گونه عیب و نقصی» (دَعْواهُمْ فِیها سُبْحانَکَ اللَّهُمَّ).

و هر زمان به یکدیگر میرسند سخن از صلح و صفا می گویند: «و تحیت آنها در آنجا سلام است» (وَ تَحِیَّتُهُمْ فِیها سَلامٌ). و سر انجام هرگاه از نعمتهای گوناگون خداوند در آنجا بهره می گیرند به شکر پرداخته «و آخرین سخنشان این است که: حمد و سپاس مخصوص پروردگار عالمیان است» (وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ).

سورهٔ یونس(۱۰): آیهٔ ۱۱ ص: ۲۷۵

(آیه ۱۱)- انسانهای خودرو! در این آیه نیز همچنان سخن پیرامون مسأله پاداش و کیفر بدکاران است.

نخست می گوید: «اگر خداوند مجازات مردم بد کار را سریعا و در این جهان انجام دهد و همان گونه که آنها در به دست آوردن نعمت و خیر و نیکی عجله دارند، در مجازاتشان تعجیل کند، عمر همگی به پایان میرسد و اثری از آنها باقی نمی ماند» (وَ لَوْ یُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَیْرِ لَقُضِیَ إِلَیْهِمْ أَجَلُهُمْ).

ولی از آنجا که لطف خداوند همه بندگان حتی بدکاران و کافران و مشرکان را نیز شامل میشود، در مجازاتشان عجله به خرج نمیدهد، شاید بیدار شوند و توبه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۷۶

کنند، و از بیراهه به راه باز گردند.

و در پایان آیه میفرماید: مجازاتشان همین بس که «افرادی را که ایمان به رستاخیز و لقای ما ندارند به حال خود رها می کنیم تـا در طغیانشـان حیران و سـرگردان شونـد»، نه حـق را از باطـل بشناسـند، و نه راه را از چـاه (فَنَـذَرُ الَّذِینَ لاـ یَرْجُونَ لِقاءَنـا فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ).

سورهٔ يونس(١٠): آيهٔ ١٢ ص: ٢٧۶

(آیه ۱۲)-آنگاه اشاره به وجود نور توحید در فطرت و عمق روح آدمی کرده، می گوید: «هنگامی که به انسان زیانی میرسد، و دستش از همه جا کوتاه می شود، دست به سوی ما دراز می کند و ما را (در همه حال) در حالی که به پهلو خوابیده یا نشسته یا ایستاده است می خواند» (وَ إذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضَّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً).

آری! خاصیت مشکلات و حوادث دردناک، کنار رفتن حجابها از روی فطرت پاک آدمی است، و برای مدتی، هر چند کوتاه درخشش این نور توحیدی آشکار می گردد.

سپس می گوید: اما این افراد، چنان کم ظرفیت و بیخردند که «به مجرد این که بلا و ناراحتی آنها را برطرف میسازیم، آن چنان در غفلت فرو میروند که گویا هر گز از ما تقاضایی نداشتند» و ما نیز به آنها کمکی نکردیم (فَلَمَّا کَشَهْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ کَأَنْ لَمْ یَدْعُنا إِلی ضُرِّ مَسَّهُ).

«آرى! اين چنين اعمال مسرفان در نظرشان جلوه داده شده است» (كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ).

خداوند این خاصیت را در اعمال زشت و آلوده آفریده که هر قدر انسان به آنها بیشتر آلوده شود، بیشتر خو می گیرد و نه تنها قبح و زشتی آنها تدریجا از میان می رود بلکه کم کم به صورت عملی شایسته در نظرش مجسم می گردد! و اما چرا در آیه فوق این گونه افراد به عنوان «مسرف» (اسرافکار) معرفی شده اند؟ به خاطر این است که چه اسرافی از این بالاتر که انسان مهمترین سرمایه وجود خود یعنی عمر و سلامت و جوانی و نیروها را بیهوده در راه فساد و گناه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲،

و عصیان و یا در مسیر به دست آوردن متاع بی ارزش و ناپایـدار این دنیا به هـدر دهـد، و در برابر این سـرمایه چیزی عایـد او نشود.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۳ ص: ۲۷۷

(آیه ۱۳)- ستمگران پیشین و شما: در این آیه نیز اشاره به مجازاتهای افراد ستمگر و مجرم در این جهان می کند و با توجه

دادن مسلمانان به تاریخ گذشته به آنها گوشزد مینماید که اگر راه آنان را بپویند به همان سرنوشت گرفتار خواهند شد.

نخست می گوید: «ما امتهای قبل از شما را هنگامی که دست به ستمگری زدند و با این که پیامبران با دلائل و معجزات روشن برای همدایت آنان آمدنمد هرگز به آنها ایمان نیاوردنمد، هلاک و نابود ساختیم» (وَ لَقَمْدُ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبُیِّناتِ وَ ما کانُوا لِیُؤْمِنُوا).

و در پایان آیه میافزاید: این برنامه مخصوص جمعیت خاصی نیست «این چنین مجرمان را کیفر میدهیم» (کَهذلِکُ نَجْزِی الْقَوْمَ الْمُجْرِمِینَ).

سورهٔ يونس(١٠):آيهٔ ۱۴ ص: ۲۷۷

(آیه ۱۴) - در این آیه مطلب را صریحتر بیان می کند و می گوید: «سپس شما را جانشین آنها در زمین قرار دادیم تا ببینیم چگونه عمل می کنید» (ثُمَّ جَعَلْناکُمْ خَلائِفَ فِی الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ کَیْفَ تَعْمَلُونَ).

از جمله «وَ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا» (چنان نبود كه ايمان بياورنـد) استفاده مي شود كه خداونـد تنها آن گروهي را به هلاكت كيفر مي دهـد كه اميـدى به ايمان آنها در آينـده نيز نباشـد، و به اين ترتيب اقوامي كه در آينـده ممكن است ايمان بياورنـد مشـمول چنين كيفرهايي نمي شوند.

سورهٔ يونس(١٠):آيهٔ ١٥ ص: ٢٧٧

اشاره

(آیه ۱۵)

شأن نزول: ص: 277

این آیه و دو آیه بعد از آن در باره چند نفر از بت پرستان نازل شده، چرا که خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله آمدند و گفتند: آنچه در این قرآن در باره ترک عبادت بتهای بزرگ ما، لات و عزی و منات و هبل و همچنین مذمت از آنان وارد شده برای ما قابل تحمل نیست، اگر میخواهی از تو پیروی کنیم، قرآن دیگری بیاور که این ایراد در آن نباشد! و یا حد اقل این گونه مطالب را در قرآن کنونی تغییر ده!

تفسير: ص: ۲۷۷

این آیات نیز در تعقیب آیات گذشته پیرامون مبدأ و معاد سخن برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۷۸ می گوید، نخست به یکی از اشتباهات بزرگ بت پرستان اشاره کرده، می گوید:

«هنگامی که آیات آشکار و روشن ما بر آنها خوانده می شود، آنها که به رستاخیز و لقای ما ایمان ندارند می گویند: قرآن

ديگرى غير از اين بيـاور و يـا لااقـل اين قرآن را، تغيير ده» (وَ إِذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنـا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْر هذا أَوْ بَدِّلُهُ).

ایـن بیخـبران بینـوا، پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله را برای رهـبری خـود نمیخواسـتند، بلکه او را به پیروی از خرافـات و ابـاطیل خویش دعوت میکردند.

قرآن با صراحت آنها را از این اشتباه بزرگ در می آورد، و به پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله دستور می دهد که به آنها «بگو: برای من ممکن نیست که از پیش خود آن را تغییر دهم» (قُلْ ما یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِی).

سپس برای تأکید اضافه میکند: «من فقط پیروی از چیزی میکنم که بر من وحی میشود» (اِنْ أَتَّبُعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیًّ).

نه تنها نمی توانم تغییر و تبدیلی در این وحی آسمانی بدهم، بلکه «اگر کمترین تخلفی از فَرمان پروردگار بکنم، از مجازات آن روز بزرگ (رستاخیز) می ترسم» (إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمِ عَظِیمٍ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۶ ص: ۲۷۸

(آیه ۱۶) - در این آیه به دلیل این موضوع می پردازد و می گوید به آنها بگو:

من کمترین ارادهای از خودم در باره این کتاب آسمانی ندارم «و اگر خدا میخواست این آیات را بر شما تلاوت نمی کردم و از آن آگاهتان نمیساختم» (قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ).

به دلیل این که «سالها پیش از این در میان شما زنـدگی کردم» (فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ). و هرگز این گونه سخنان را از من نشنیده اید، اگر آیات از ناحیه من بود لابد در این مدت چهل سال از فکر من بر زبانم جاری می شد و حد اقل گوشه ای از آن را بعضی از من شنیده بودند.

«آیا مطلبی را به این روشنی درک نمیکنید» (أَ فَلا تَعْقِلُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۷ ص: ۲۷۸

(آیه ۱۷)- باز برای تأکید اضافه می کند که من به خوبی می دانم بدترین انواع بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۷۹ ظلم و ستم آن است که کسی بر خدا افتراء ببندد «چه کسی ستمکارتر است از کسی که دروغی را به خدا نسبت بدهد» (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً).

بنابراین چگونه چنین گناه بزرگی را ممکن است من مرتکب بشوم.

«همچنین کار کسی که آیات الهی را تکذیب می کند» نیز بزرگترین ظلم و ستم است (أَوْ کَذَّبَ بِآیاتِهِ).

اگر شما از عظمت گناه تکذیب و انکار آیات حق بیخبرید من بیخبر نیستم، و به هر حال این کار شما جرم بزرگی است، و «مجرمان هرگز رستگار نخواهند شد» (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۸ ص: ۲۷۹

(آیه ۱۸)- معبودهای بیخاصیت: در این آیه نیز بحث «توحید»، از طریق نفی الوهیت بتها، تعقیب شده است، و با دلیل روشنی بیارزش بودن بتها اثبات گردیده: «آنها غیر از خدا معبودهایی را می پرستند که نه زیانی به آنان می رساند (که از ترس زیانشان آنها را بپرستند) و نه سودی میرسانـد» که به خـاطر سودشان مورد، عبادت قرار دهنـد (وَ یَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَضُرُّهُمْ وَ لا یَنْفَعُهُمْ).

سپس به ادعای واهی بت پرستان پرداخته، می گویـد: «آنها می گوینـد: این بتها شـفیعان ما در پیشـگاه خدا هسـتند» (وَ یَقُولُونَ هَوُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ).

یعنی می توانند از طریق شفاعت، منشأ سود و زیانی شوند، هر چند مستقلا از خودشان کاری ساخته نباشد.

اعتقاد به شفاعت بتها یکی از انگیزههای بت پرستی بود.

قرآن در پاسخ این پندار می گوید: «آیا شما خداوند را به چیزی خبر میدهید که در آسمانها و زمین سراغ ندارد» (قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللَّه بِما لا یَعْلَمُ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْض).

کنایه از این که اگر خدا چنین شفیعانی میداشت، در هر نقطهای از زمین و آسمان که بودند، از وجودشان آگاه بود.

و در پایان آیه برای تأکید میفرماید: «خداوند منزه، و برتر است از شریکهایی که برای او میسازند» (سُرِبْحانَهُ وَ تَعالَی عَمَّا یُشْرکُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۸۰

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۹ ص: ۲۸۰

(آیه ۱۹)- این آیه به تناسب بحثی که در آیه قبل در زمینه نفی شرک و بت پرستی گذشت اشاره به فطرت توحیدی همه انسانها کرده، می گوید: «در آغاز همه افراد بشر امت واحدی بودند» و جز توحید در میان آنها آیین دیگری نبود (وَ ما کانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً واحِدَةً).

این فطرت توحیدی که در ابتدا دست نخورده بود با گذشت زمان بر اثر افکار کوتاه و گرایشهای شیطانی، دستخوش دگر گونی شد، گروهی از جاده توحید منحرف شدند و به شرک روی آوردند و طبعا «جامعه انسانی به دو گروه مختلف تقسیم شد» گروهی موحد و گروهی مشرک (فَاخْتَلَفُوا).

بنابراین شرک در واقع یک نوع بدعت و انحراف از فطرت است، انحرافی که از مشتی اوهام و پندارهای بیاساس سر چشمه گرفته است.

در اینجا ممکن بود این سؤال پیش بیاید که چرا خداوند این اختلاف را از طریق مجازات سریع مشرکان بر نمی چیند.

قرآن بلافاصله برای پاسخ به این سؤال اضافه می کند: «و اگر فرمانی از طرف پروردگارت (در باره عدم مجازات سریع آنان) از قبل صادر نشده بود، در میان آنها در آنچه اختلاف داشتند داوری می شد» و سپس همگی به مجازات می رسیدند (وَ لَوْ لا کَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ فِیما فِیهِ یَخْتَلِفُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲۰ ص: ۲۸۰

(آیه ۲۰)- معجزات اقتراحی: دگر بار قرآن به بهانه جوییهای مشرکان به هنگام سرباز زدن از ایمان و اسلام پرداخته، می گوید: «مشرکان چنین می گویند که چرا معجزهای از ناحیه خداوند بر پیامبر نازل نشده است» (وَ یَقُولُونَ لَوْ لاَ أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیَهٌ مِنْ رَبِّهِ). البته منظور آنها این بوده که هر وقت معجزهای به میل خود پیشنهاد کنند فورا آن را انجام دهد! لذا بلافاصله به پیامبر صلّی الله

علیه و آله چنین دستور داده می شود که «به آنها بگو:

معجزه مخصوص خـدا (و مربوط به جهان غيب و ماوراء طبيعت) است» (فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ). برگزيـده تفسـير نمونه، ج٢، ص: ٢٨١

بنابراین چیزی نیست که در اختیار من باشـد و من بر طبق هوسـهای شـما هر روز معجزه تازهای انجام دهم، و بعدا هم با عذر و بهانهای از ایمان آوردن خودداری کنید.

و در پایان آیه با بیانی تهدید آمیز به آنها می گوید: «اکنون که شما دست از لجاجت برنمی دارید در انتظار باشید، من هم با شما در انتظارم» (فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ).

شما در انتظار مجازات الهي باشيد، و من هم در انتظار پيروزيم!

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲۱ ص: ۲۸۱

(آیه ۲۱)- در این آیه باز سخن از عقاید و کارهای مشرکان است.

نخست اشاره به یکی از نقشههای جاهلانه مشرکان کرده، می گوید:

«هنگامی که مردم (را برای بیداری و آگاهی، گرفتار مشکلات و زیانهایی میسازیم سپس آن را برطرف ساخته) طعم آرامش و رحمت خود را به آنها می چشانیم به جای این که متوجه ما شوند در این آیات و نشانه ها نیرنگ می کنند» و یا با توجیهات نادرست در مقام انکار آنها بر می آیند (وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَ لَهُ مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَکْرٌ فِی آیاتِنا). و مثلا بلاها، و مشکلات را به عنوان غضب بتها و نعمت و آرامش را دلیل بر شفقت و محبت آنان می گیرند و یا بطور کلی همه را معلول یک مشت تصادف می شمرند اما خداوند به وسیله پیامبرش به آنها هشدار می دهد که «به آنها بگو: خدا از هر کس در چارهاندیشی و طرح نقشه های کوبنده قادر تر و سریعتر است» (قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَکْراً).

و به تعبیر دیگر او هر زمان اراده مجازات و تنبیه کسی کند بلافاصله تحقق مییابد، در حالی که دگران چنین نیستند.

سپس آنها را تهدید می کند که گمان نبرید این توطئه ها و نقشه ها فراموش می گردد، «فرستادگان ما (یعنی فرشتگان ثبت اعمال) تمام نقشه هایی را که (برای خاموش کردن نور حق) می کشید می نویسند» (إِنَّ رُسُلَنا یَکْتُبُونَ ما تَمْکُرُونَ).

و باید خود را برای پاسخگویی و مجازات، در سرای دیگر آماده کنید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۸۲

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲۲ ص: ۲۸۲

(آیه ۲۲)- در این آیه دست به اعماق فطرت بشر انداخته و توحید فطری را برای آنها تشریح می کند که چگونه انسان در مشکلات بزرگ و به هنگام خطر، همه چیز را جز خدا فراموش مینماید.

نخست مي گويد: «او خدايي است كه شما را در صحرا و دريا سير ميدهد» (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ).

«تا هنگامی که در کشتیها قرار می گیریـد و (کشتیها) سرنشینان را به کمک بادهای موافق آرام آرام به سوی مقصد حرکت میدهند و همه شادمان و خوشحالند» (حَتَّی إِذَا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحِ طَیِّبَهٍ وَ فَرِحُوا بِها).

«اما ناگهان طوفان شدیـد و کوبنـدهای میوزد، و امواج از هر سو به طرف آنها هجوم میآورد، آن چنان که مرگ را با چشـم

خود مى بينند و دست از زندگانى مى شويند» (جاءَ تُها رِيحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أَحِيطَ بِهِمْ). درست در چنين موقعى به ياد خـدا مى افتند «و او را از روى اخلاص مى خوانند و آيين خود را براى او از هرگونه شـرک و بت پرستى خالص مى کنند»! (دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ).

در این هنگام دست به دعا بر میدارند و میگویند: «خداوندا! اگر ما را از این مهلکه رهایی بخشی سپاسگزار تو خواهیم بود» نه ستم میکنیم و نه به غیر تو روی میآوریم (لَئِنْ أَنْجَیْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ).

با این که این بیداری موقتی، اثر تربیتی در افراد فوق العاده آلوده ندارد حجت را بر آنها تمام میکند، و دلیلی خواهد بود بر محکومتشان.

ولی افرادی که آلودگی مختصری دارند در این گونه حوادث معمولاً بیدار میشوند و مسیر خود را اصلاح میکنند.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲۳ ص: ۲۸۲

(آیه ۲۳)– «اما هنگامی که خـدا آنها را رهایی میبخشـد و به ساحل نجات میرسـند شـروع به ظلم و سـتم در زمین میکننـد» (فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۸۳

ولى «اى مردم (بدانيد) هرگونه ظلم و ستمى مرتكب شويد و هر انحرافى از حق پيدا كنيد زيانش متوجه خود شماست» (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ).

آخرین کاری که می توانید انجام دهید این است که «چند روزی از متاع زندگی دنیا بهرهمند شوید» (مَتاعَ الْحَیاهِ الدُّنْیا). «سپس بازگشت شما به سوی ماست» (ثُمَّ إلَیْنا مَرْجِعُکُمْ).

«آنگاه ما شما را از آنچه انجام مىداديد آگاه خواهيم ساخت» (فَنْنَبُّنُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲۴ ص: ۲۸۳

(آیه ۲۴) - دورنمای زندگی دنیا: در آیات گذشته اشارهای به ناپایداری زندگی دنیا شده بود، در این آیه این واقعیت ضمن مثال جالبی تشریح شده تا پردههای غرور و غفلت را از مقابل دیدههای غافلان و طغیانگران کنار زند.

«مثل زندگى دنيا همانند آبى است كه از آسمان نازل كردهايم» (إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ).

این دانههای حیاتبخش باران بر سرزمینهای آماده میریزنید، «و به وسیله آن گیاهان گوناگونی که بعضی قابل استفاده برای انسانها، و بعضی برای حیوانات است، میرویند» (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمَّا یَأْکُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعامُ).

این گیاهان علاوه بر خاصیتهای غذایی که برای موجودات زنده دارند سطح زمین را میپوشانند و آن را زینت میبخشند، تا آنجا که «زمین بهترین زیبایی خود را در پرتو آن پیدا کرده و تزیین میشود» (حَتَّی إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّیَنَتْ).

در این هنگام شکوفه ها، شاخساران را زینت داده و گلها میخندند، دانه های غذایی و میوه ها کم کم خود را نشان می دهند، و صحنه پر جوشی را از حیات و زندگی به تمام معنی کلمه مجسم می کنند، که دلها را پر از امید و چشمها را پر از شادی و سرور می سازند، آن چنان که «اهل زمین مطمئن می شوند، که می توانند از مواهب این گیاهان بهره گیرند» هم از میوه ها و هم از دانه های حیات بخششان (وَ ظَنَّ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۸۴

أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها)

«اما ناگهان فرمان ما فرا میرسد (سرمای سخت و یا تگرگ شدید و یا طوفان درهم کوبندهای بر آنها مسلط می گردد) و آنها را چنان درو میکنیم که گویا هرگز نبودهاند»! (أَتاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ).

در پایان آیه برای تأکید بیشتر می فرماید: «این چنین آیات خود را برای افرادی که تفکر می کنند تُشریع می کنیم» (کَذلِکَ نُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْم یَتَفَکَّرُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲۵ ص: ۲۸۴

(آیه ۲۵)- این آیه با یک جمله کوتاه اشاره به نقطه مقابل این گونه زندگی کرده و میفرماید: «خداوند به دار السلام، خانه صلح و سلامت و امنیت دعوت می کند» (وَ اللَّهُ یَدْعُوا إِلی دارِ السَّلام).

به آنجا که نه از این کشمکشهای غارتگران دنیای مادی خبری است، و نه از مزاحمتهای احمقانه ثروت اندوزان از خدا بیخبر، و نه جنگ و خونریزی و استعمار و استثمار.

سپس اضافه می کند: «خدا هر کس را بخواهـد (و شایسـته و لایق ببیند) به سوی راه مسـتقیم (همان راهی که به دار السـلام و مرکز امن و امان منتهی میشود) دعوت میکند» (وَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلی صِراطٍ مُشتَقِیم).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲۶ ص: ۲۸۴

(آیه ۲۶)- رو سفیدان و رو سیاهان! در آیات گذشته اشاره به سرای آخرت و روز رستاخیز شده بود، به همین مناسبت، این آیه و آیه بعد سرنوشت نیکوکاران و آلودگان به گناه را در آنجا تشریح میکند.

نخست مي گويد: «كساني كه كار نيك انجام دهند پاداش نيك و زياده بر آن دارند» (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُشني وَ زِيادَةٌ).

منظور از «زِیـادَهٔ» در این جمله ممکن است پاداشـهای مضـاعف و فراوانی باشـد که گـاهی ده برابر و گاهی هزاران برابر بر آن افزوده میشود.

سپس اضافه می کند: نیکو کاران در آن روز چهرههای درخشانی دارنـد «و تاریکی و ذلت، صورت آنها را نمی پوشانـد» (وَ لا یَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لا ذِلَّهُ).

> و در پایان آیه میفرماید: «این گروه یاران بهشتند و جاودانه در آن خواهند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۸۵ ماند» (أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَنَّهِ هُمْ فِیها خالِدُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲۷ ص: ۲۸۵

(آیه ۲۷) – در این آیه سخن از دوزخیان به میان می آیـد که در نقطه مقابل گروه اولنـد می گوید: «کسانی که مرتکب گناهان می شوند جزای بدی به مقدار عملشان دارند» (وَ الَّذِینَ کَسَبُوا السَّیِّئاتِ جَزاءُ سَیِّئَهُ بِمِثْلِها).

در اینجا سخنی از «زیاده» در کار نیست، چرا که در پاداش، «زیاده» فضل و رحمت است اما در کیفر، عدالت ایجاب می کند که ذرهای بیش از گناه نباشد.

> ولى آنها به عكس گروه اول چهرههايى تاريك دارند «و ذلت، صورت آنها را مىپوشاند» (وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةُ). و اين خاصيت و اثر عمل است كه از درون جان انسان به بيرون منعكس مى گردد.

به هر حال ممکن است بـدکاران گمان کننـد راه فرار و نجاتی خواهنـد داشت و یا بتها و مانند آنها می توانند برایشان شفاعت کنند اما جمله بعد صریحا می گوید:

«هیچ کس و هیچ چیز نمی تواند آنها را از مجازات الهی دور نگه دارد» (ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِم).

تاریکی چهرههای آنها به اندازهای زیاد است که «گویی پارههایی از شب تاریک و ظلمانی، یکی پس از دیگری بر صورت آنها افکنده شده است» (کَأَنَّمَا أُغْشِیَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّیْل مُظْلِماً).

«آنها اصحاب آتشند و جاودانه در آن ميمانند» (أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲۸ ص: ۲۸۵

(آیه ۲۸)- یک صحنه از رستاخیز بت پرستان! این آیه نیز بحثهای گذشته را در زمینه «مبدأ» و «معاد» و وضع مشرکان دنبال می کند.

نخست می گوید: به خاطر بیاورید «روزی را که همه بندگان را جمع و محشور می کنیم» (وَ یَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِیعاً).

«سپس به مشرکان میگوییم شما و معبودهایتـان در جای خود باشـید» تا به حسابتان رسـیدگی شود (ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِینَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكاؤُكُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۸۶

سپس اضافه می کند: «ما این دو گروه (معبودان و عابدان) را از یکدیگر جدا می کنیم» (فَزَیَّلْنا بَیْنَهُمْ).

و از هر کدام جداگانه سؤال مینماییم-همان گونه که در تمام دادگاهها این مسأله معمول است که از هر کس جداگانه بازپرسی به عمل می آید.

از بت پرستان سؤال می کنیم به چه دلیل این بتها را شریک خدا قرار دادید و عبادت کردید؟ و از معبودان نیز می پرسیم به چه سبب شما معبود واقع شدید و یا تن به این کار دادید؟

«در این هنگام شریکانی را که آنها ساخته بودند، به سخن می آیند و می گویند:

شما هر گز ما را پرستش نمی کردید» (وَ قالَ شُرَ کاؤُهُمْ ما کُنْتُمْ إِیَّانا تَعْبُدُونَ). شما در حقیقت هوی و هوسها و اوهام و خیالات خویش را می پرستیدید.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۲۹ ص: ۲۸۶

(آیه ۲۹)– سپس برای تأکید بیشتر میگویند: «همین بس که خدا گواه میان ما و شماست که ما به هیچ وجه از عبادات شما آگاه نبودیم» (فَکَفی بِاللَّهِ شَهِیداً بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ إِنْ کُنَّا عَنْ عِبادَتِکُمْ لَغافِلینَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳۰ ص: ۲۸۶

(آیه ۳۰)- به هر حال همان گونه که قرآن در این آیه می گوید: «در آن هنگام هر کس اعمال خویش را که قبلا انجام داده است می آزماید» (هُنالِکَ تَبْلُوا کُلُّ نَفْسِ ما أَسْلَفَتْ).

و نتیجه بلکه خود آن را میبیند چه عبادت کنندگان و چه معبودهای گمراهی که مردم را به عبادت خویش دعوت می کردند، چه مشرکان و چه مؤمنان از هر گروه و از هر قبیل. «و در آن روز همگی به سوی «اللّه» که مولی و سرپرست حقیقی آنان است باز می گردنـد» و دادگاه محشـر نشان میدهـد که تنها حکومت به فرمان اوست (وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ).

«و سـر انجام تمام بتها و معبودهای ساختگی که به دروغ آنها را شـریک خـدا قرار داده بودنـد، گـم و نابود میشونـد» (وَ ضَـلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ).

چرا که آنجا عرصه ظهور و بروز تمام اسرار مکتوم بندگان است و هیچ حقیقتی نمیماند مگر این که خود را آشکار میسازد.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳۱ ص: ۲۸۶

(آیه ۳۱) – در این آیه سخن از نشانه های و جود پروردگار و شایستگی او برای برگزیده تفسیر نمونه، ج ۲، ص: ۲۸۷ عبودیت است.

نخست می فرماید: به مشرکان و بت پرستانی که در بیراهه سرگردانند «بگو:

چه کسی شما را از آسمان و زمین روزی می دهد؟» (قُلْ مَنْ یَرْزُقُکُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الَّأَرْض).

البته زمین تنها به وسیله مواد غذایی خود ریشه گیاهان را تغذیه می کند و شاید به همین دلیل است که در آیه فوق سخن از ارزاق آسمان و سپس ارزاق زمین به میان آمده است (به تفاوت درجه اهمیت).

سپس به دو قسمت از مهمترین حواس انسان که بدون آن دو، کسب علم و دانش برای بشر امکان پذیر نیست اشاره کرده، می گوید: و بگو «چه کسی است»؟ (أُمَّنْ يَمْلِکُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ).

بعد، از دو پدیده مرگ و حیات که عجیب ترین پدیده های عالم آفرینش است سخن به میان آورده، می گوید: «و چه کسی زنده را از مرده و مرده را از زنده خارج می کند»؟ (وَ مَنْ یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ یُخْرِجُ الْمَیِّتَ مِنَ الْحَیِّ).

این همان موضوعی است که تاکنون عقل دانشمندان و علمای علوم طبیعی و زیست شناسان در آن حیران مانـده است که چگونه موجود زنده از موجود بیجان به وجود آمده است؟

آیه فوق علاوه بر مرگ و حیات مادی مرگ و حیات معنوی را نیز شامل می شود، زیرا انسانهای هوشمند و پاکدامن و با ایمان را می بینیم که گاهی از پدر و مادری آلوده و بی ایمان متولد می شوند، عکس آن نیز مشاهده شده است.

بعد اضافه می کند: «و چه کسی است که امور این جهان را تدبیر می کند»؟

(وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ).

در حقیقت نخست سخن از آفرینش مواهب، سپس سخن از حافظ و نگهبان و مدبر آنهاست.

بعد از آن که قرآن این سؤالات سه گانه را مطرح می کند بلافاصله می گوید: بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۸۸ «آنها به زودی در پاسخ خواهند گفت: خدا» (فَسَیَقُولُونَ اللَّهُ).

از این جمله به خوبی استفاده می شود که حتی مشرکان و بت پرستان عصر جاهلیت خالق و رازق و حیاتبخش و مدبر امور جهان هستی را خدا می دانستند.

و در آخر آیه به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور میدهد: «به آنها بگو: آیا با این حال تقوا را پیشه نمی کنید» (فَقُلْ أَ فَلا تَتَقُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳۲ ص: ۲۸۸

(آیه ۳۲)- پس از آن که نمونههایی از آثار عظمت و تدبیر خداوند را در آسمان و زمین بیان کرد و وجدان و عقل مخالفان را به داوری طلبید و آنها به آن معترف گردیدند، در این آیه با لحنی قاطع میفرماید: «این است الله، پروردگار بر حق شما»! (فَذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمُ الْحَقُّ). نه بتها، و نه سایر موجوداتی را که شریک خداوند در عبودیت قرار داده اید و در برابر آنها سجده و تعظیم می کنید.

سپس نتیجه گیری می کنـد: «اکنون (که حق را به روشـنی شـناختید) آیـا بعـد از حق چیزی جز ضـلال و گـمراهی وجود دارد»؟ (فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ).

«با این حال چگونه از عبادت و پرستش خدا روی گردان میشوید» با این که میدانید معبود حقی جز او نیست؟! (فَاأَتَّی تُصْرَفُونَ).

این آیه در حقیقت یک راه منطقی روشن را برای شناخت باطل و ترک آن پیشنهاد میکند، و آن این که نخست باید از طریق وجدان و عقل برای شناخت حق گام برداشت، هنگامی که حق شناخته شد، هر چه غیر آن و مخالف آن است باطل و گمراهی است، و باید کنار گذاشته شود.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳۳ ص: ۲۸۸

(آیه ۳۳) - در این آیه برای بیان این نکته که چرا آنها با وضوح مطلب و روشنایی حق به دنبال آن نمیرونـد می گویـد: «این گونه فرمان خدا در باره این افراد که (از روی علم و عمد برخلاف عقل و وجدان) سر از اطاعت پیچیدهاند صادر شده که آنها ایمان نیاورند» (کَذلِکَ حَقَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ عَلَی الَّذِینَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا یُؤْمِنُونَ).

در واقع این خاصیت اعمال نادرست و مستمر آنهاست که قلبشان را چنان تاریک و روحشان را چنان آلوده می کند که با وضوح و روشنی حق آن را نمی بینند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۸۹

و به بیراهه میروند.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳۴ ص: ۲۸۹

(آیه ۳۴) - یکی از نشانه های حق و باطل: قرآن همچنان استدلالات مربوط به مبدأ و معاد را تعقیب می کند نخست به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور می دهد «به آنها بگو: آیا هیچ یک از این معبودهایی که شما شریک خدا قرار داده اید می تواند آفرینش را ایجاد کند و سپس بازگرداند» (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَکائِکُمْ مَنْ یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ).

بعد اضافه می کند «بگو: خداوند آفرینش را آغاز کرده و سپس باز می گرداند» (قُلِ اللَّهُ یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ). «با این حال چرا از حق روی گردان (و در بیراهه سر گردان) میشوید» (فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳۵ ص: ۲۸۹

(آیه ۳۵)- بار دیگر به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور می دهد «به آنها بگو: آیا هیچ یک از معبودهای ساختگی شما هدایت

به سوى حق مى كند»؟ (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكَمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ).

زیرا معبود بایـد رهبر عبادت کننـدگان خود باشـد، آن هم رهبری به سوی حق، در حالی که معبودهای مشـرکان اعم از بتهای بیجان و جاندار هیچ کدام قادر نیستند بدون هدایت الهی کسی را به سوی حق رهنمون گردند.

لذا بلافاصله اضافه مي كند: «بكو تنها خداوند هدايت به سوى حق مي كند» (قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ).

با این حال «آیا کسی که هـدایت به سوی حق میکنـد شایسـته تر برای پیروی است یا آن کس که خود هـدایت نمی شود مگر آن که هدایتش کنند» (أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهدِّی إِلَّا أَنْ یُهْدی).

و در پایان آیه با بیانی توبیخ آمیز و سرزنش بار می گوید: «شما را چه می شود؟ چگونه قضاوت می کنید»؟ (فَما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳۶ ص: ۲۸۹

(آیه ۳۶)- و در این آیه اشاره به سر چشمه و عامل اصلی انحرافات آنها، کرده، می گوید: «اکثر آنها جز از پندار و گمان پیروی نمی کنند، در حالی که گمان و پندار هر گز انسان را بینیاز از حق نمی کنند و به حق نمی رساند» (وَ ما یَتَّبُعُ أَكْتُرُهُمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۹۰

إِلَّا ظَنَّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً)

.سر انجام با لحنى تهديد آميز نسبت به اين گونه افرادى كه تابع هيچ منطق و حسابى نيستند مىفرمايد: «خداوند به آنچه آنها انجام مىدهند عالم است» (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳۷ ص: ۲۹۰

(آیه ۳۷)– عظمت و حقانیت دعوت قرآن: در اینجا قرآن به پاسخ قسمت دیگری از سخنان ناروای مشرکان میپردازد، چراکه آنها تنها در شناخت مبدأ گرفتار انحراف نبودند، بلکه به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله نیز افترا میزدند، که قرآن را با فکر خود ساخته و به خدا نسبت داده است.

آیه می گوید: «شایسته نیست که این قرآن بدون وحی الهی به خدا نسبت داده شده باشد» (وَ ما کانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ یُفْتَری مِنْ دُون اللَّهِ).

سپس به ذکر دلیل بر اصالت قرآن و وحی آسمانی بودنش پرداخته، می گوید:

«ولى اين قرآن كتب آسماني پيش از خود را تصديق ميكند» (وَ لَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ).

یعنی تمام بشارات و نشانه های حقانیتی که در کتب آسمانی پیشین آمده بر قرآن و آورنده قرآن کاملا منطبق است و این خود ثابت می کند که تهمت و افترا بر خدا نیست و واقعیت دارد.

سپس دلیل دیگری بر اصالت این وحی آسمانی ذکر کرده، میگوید: «و این قرآن شرح کتب اصیل انبیاء پیشین و بیان احکام اساسی و عقائد اصولی آنها است و به همین دلیل شکی در آن نیست که از طرف پروردگار عالمیان است» (وَ تَفْصِیلَ الْکِتابِ لا رَیْبَ فِیهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ).

و به تعبیر دیگر هیچ گونه تضادی با اصول برنامه انبیاء گذشته ندارد، بلکه تکامل آن تعلیمات و برنامهها در آن دیده میشود،

و اگر این قرآن مجعول بود حتما مخالف و مباین آنها بود.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳۸ ص: ۲۹۰

(آیه ۳۸) - در این آیه دلیل سومی بر اصالت قرآن ذکر کرده، می گوید: «آنها می گویند این قرآن را پیامبر صلّی الله علیه و آله به دروغ به خدا نسبت داده، به آنها بگو: اگر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۹۱

راست می گویید شما هم مثل یک سوره آن را بیاورید، و از هر کس میتوانید غیر از خدا برای همکاری دعوت کنید» ولی هر گز توانایی بر این کار را نخواهید داشت، به همین دلیل ثابت می شود که این وحی آسمانی است (أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِینَ).

این آیه از جمله آیاتی است که با صراحت اعجاز قرآن را بیان می کند نه تنها همه قرآن را بلکه حتی اعجاز یک سوره را، و از همه جهانیان بدون استثناء دعوت می کند که اگر معتقدید این آیات از طرف خدا نیست همانند آن و یا لااقل همانند یک سوره آن را بیاورید.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۳۹ ص: ۲۹۱

(آیه ۳۹) - در این آیه اشاره به یکی از علل اساسی مخالفتهای مشرکان کرده، می گوید: آنها قرآن را به خاطر اشکالات و ایرادهایی انکار نمی کردنـد «بلکه تکـذیب و انکارشان به خاطر این بود که از محتوای آن آگاهی نداشتند» (بَلْ کَهـنَّبُوا بِما لَمْ یُحِیطُوا بعِلْمِهِ).

در حقیقت آنها هیچ گونه دلیلی بر نفی مبدأ و معاد نداشتند و تنها جهل و بیخبری ناشی از خرافات و عادت به مذهب نیاکان سدّ راهشان بود.

و یا جهل به اسرار احکام، جهل به مفهوم بعضی از آیات متشابه، و جهل به درسهای عبرت انگیزی که هدف نهایی ذکر تاریخ پیشینیان بوده است.

مجموع این جهالتها و بیخبریها، آنها را وادار به انکار و تکذیب می کرد. «در حالی که هنوز تأویل و تفسیر و واقعیت مسائل مجهول برای آنها روشن نشده بود» (وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ).

قرآن سپس اضافه می کند که این روش نادرست، منحصر به مشرکان عصر جاهلیت نیست بلکه «اقوام گمراه گذشته نیز (به همین گرفتاری مبتلا بودند، آنها نیز بدون این که تحقیق در شناخت واقعیتها بکنند و یا انتظار برای تحقق آنها بکشند) حقایق را انکار و تکذیب می کردند» (کَذْلِکَ کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

در حالی که عقل و منطق حکم می کنـد که انسان چیزی را که نمیدانـد، هر گز انکار نکند، بلکه به جسـتجو و تحقیق بپردازد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۹۲

و در پایان آیه روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، می گوید: «پس بنگر عاقبت کار این ستمکاران به کجا کشید» (فَانْظُرْ کَیْفَ کَانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِینَ).

یعنی اینها نیز به همان سرنوشت گرفتار خواهند شد.

سورة يونس(١٠):آية ٤٠ ص: ٢٩٢

(آیه ۴۰) - در این آیه اشاره به دو گروه عظیم مشرکان کرده، می گوید: اینها همگی به این حال باقی نمیمانند بلکه «گروهی از آنان (که روح حق طلبی در وجودشان نمرده است سر انجام) به این قرآن ایمان می آورند، در حالی که گروهی دیگر (همچنان در جهل و لجاجت پافشاری کرده و) ایمان نخواهند آورد» (وَ مِنْهُمْ مَنْ یُؤْمِنُ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لا یُؤْمِنُ بِهِ).

روشن است که این گروه مردم، افراد فاسد و مفسدی هستند و به همین دلیل در پایان آیه میفرماید: «پروردگار تو مفسدان را بهتر میشناسد» (وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِینَ).

اشاره به این که افرادی که زیر بار حق نمیروند، در فاسد کردن نظام جامعه نقش مؤثری دارند.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۴۱ ص: ۲۹۲

(آیه ۴۱)- بحثی که در آیات گذشته در زمینه انکار و تکذیب لجوجانه مشرکان گذشت همچنان دنبال می شود و در این آیه طریق جدیدی برای مبارزه به پیامبر صلّی الله علیه و آله تعلیم داده، می گوید: «اگر آنها تو را تکذیب کنند به آنان بگو عمل من برای من و عمل شما برای خودتان باشد» (وَ إِنْ کَذَّبُوکَ فَقُلْ لِی عَمَلِی وَ لَکُمْ عَمَلُکُمْ).

«شما از آنچه من انجام مىدهم بيزاريد، و من هم از اعمال شما بيزارم» (أَنْتُمْ بَرِيتُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ).

این اعلام بیزاری و بیاعتنایی که تو أم با اعتماد و ایمان قاطع به مکتب خویشتن است به منکران لجوج میفهمانند که با عندم تسلیم در مقابل حق، خود را به محرومیت میکشانند و تنها به خویشتن ضرر میزنند.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۴۲ ص: ۲۹۲

(آیه ۴۲)- کوران و کران! در این آیه اشاره به دلیل انحراف و عدم تسلیم آنها در برابر حق کرده، می گوید: برای هدایت یک انسان تنها تعلیمات صحیح و آیات برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۹۳

تکان دهنده و اعجاز آمیز و دلائل روشن کافی نیست، بلکه آمادگی و استعداد پذیرش و شایستگی برای قبول حق نیز لازم است، همان گونه که برای پرورش سبزه و گل تنها بذر آماده کافی نمیباشد، زمین مستعد نیز لازم است.

لذا نخست می گوید: «گروهی از آنها گوش به سوی تو فرا میدهند» اما گویی کرند (وَ مِنْهُمْ مَنْ یَسْتَمِعُونَ إِلَیْکَ).

با این حال که آنها گوش شنوایی ندارند «آیا تو می توانی صدای خود را به گوش کران برسانی هر چند درک نکنند» (أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ کَانُوا لا یَعْقِلُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۴۳ ص: ۲۹۳

(آیه ۴۳)- «و گروهی دیگر از آنان چشم به تو میدوزند و اعمال تو را مینگرند» که هر یک نشانهای از حقانیت و صدق گفتار تو را در بر دارد، اما گویی کورند و نابینا (وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْظُرُ إِلَیْکَ).

«آيا با اين حال تو مى توانى اين نابينايان را هـدايت كنى هر چنـد فاقـد بصيرت باشـند» (أَ فَأَنْتَ تَهْدِى الْعُمْيَ وَ لَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۴۴ ص: ۲۹۳

(آیه ۴۴) – ولی این نارسایی فکر و ندیدن چهره حق و ناشنوایی در برابر گفتار خدا، چیزی نیست که با خود از مادر به این جهان آورده باشند، و خداوند به آنها ستمی کرده باشد، بلکه این خود آنها بودهاند که با اعمال نادرستشان و دشمنی و عصیان در برابر حق روح خود را تاریک و چشم بصیرت و گوش شنوایشان را از کار انداختند «چرا که خداوند به هیچ کس از مردم ستم نمی کند، ولی مردمند که به خویشتن ستم روا میدارند» (إِنَّ اللَّهَ لا یَظْلِمُ النَّاسَ شَیْئاً وَ لَکِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۴۵ ص: ۲۹۳

(آیه ۴۵)- به دنبال شرح بعضی از صفات مشرکان در آیات گذشته، در اینجا اشاره به وضع دردناکشان در قیامت کرده، می گوید: «به خاطر بیاور آن روز را که خداوند همه آنها را محشور و جمع می کند در حالی که چنان احساس می کنند که تمام عمرشان در این دنیا بیش از ساعتی از یک روز نبوده، به همان مقدار که یکدیگر را ببینند و بشناسند» (وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ کَأَنْ لَمْ یَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنَ النَّهارِ یَتَعارَفُونَ بَیْنَهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۹۴

سپس اضافه می کنـد: در آن روز به همه آنها ثابت میشود «افرادی که روز رسـتاخیز و ملاقات پروردگار را تکـذیب کردنـد، زیان بردند»، و تمام سرمایههای وجود خود را از دست دادند بی آنکه نتیجهای بگیرند (قَدْ خَسِرَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ).

«و اینها (به خاطر این تکذیب و انکار و اصرار بر گناه و لجاجت) آمادگی هدایت نداشتند» (وَ ما کانُوا مُهْتَـدِینَ). چرا که قلبشان تاریک و روحشان ظلمانی بود.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۴۶ ص: ۲۹۴

(آیه ۴۶) - در این آیه به عنوان تهدید کفار و تسلی خاطر پیامبر صلّی الله علیه و آله چنین می گوید: «اگر ما قسمتی از مجازاتهایی را که به آنها وعده داده ایم به تو نشان دهیم (و در زمان حیات خود عذاب و مجازات آنها را ببینی) و یا اگر (پیش از آن که به چنین سرنوشتی گرفتار شوند) تو را از این دنیا ببریم به هر حال باز گشتشان به سوی ماست. سپس خداوند شاهد و گواه اعمالی است که انجام می دادند» (وَ إِمَّا نُرِیَنَکَ بَعْضَ الَّذِی نَعِدُهُمْ أَوْ نَدَوَقَیْنَکَ فَإِلَیْنا مَرْجِعُهُمْ ثُرُمَّ اللَّهُ شَهِیدٌ عَلی ما یَفْعَلُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۴۷ ص: ۲۹۴

(آیه ۴۷)- در این آیه یک قانون کلی در باره همه پیامبران و از جمله پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله و همه امتها از جمله امتی که در عصر پیامبر صلّی الله علیه و آله میزیسته اند بیان کرده، می گوید: «هر امتی رسول و فرستاده ای از طرف خدا دارد» (وَ لِکُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ).

«هنگامی که فرستاده آنها آمد (و ابلاغ رسالت کرد و گروهی در برابر حق تسلیم شدند و پذیرفتند و گروهی به مخالفت و تکذیب برخاستند) به عدالت در میان آنها داوری می شود و به هیچ کس ستمی نمی شود»، مؤمنان و نیکان می مانند و بدان و مخالفان یا نابود می شوند و یا محکوم به شکست (فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ).

همان گونه که در باره پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و امت معاصرش چنین شد.

بنابراین قضاوت و داوری که در این آیه به آن اشاره شده همان قضاوت تکوینی و اجرایی در این دنیاست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۹۵

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۴۸ ص: ۲۹۵

(آیه ۴۸)- به دنبال تهدیدهایی که در آیات سابق راجع به عذاب و مجازات منکران حق ذکر شد در این آیه از قول آنها چنین نقل می کند که از روی استهزاء و مسخره و انکار «می گویند: این وعدهای که در مورد نزول عذاب می دهی اگر راست می گویی چه موقع است»؟! (وَ یَقُولُونَ مَتی هذَا الْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

آنها با این تعبیر میخواستند بیاعتنایی کامل خود را به تهدیدهای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نشان دهند.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۴۹ ص: ۲۹۵

(آیه ۴۹)- مجازات الهی در دست من نیست! در برابر این سؤال خداوند به پیامبرش دستور میدهد که از چند راه به آنها پاسخ گوید نخست این که میفرماید:

«به آنها بگو: (وقت و موعد این کار در اختیار من نیست) من مالک سود و زیانی برای خود نیستم (تا چه رسد برای شما) مگر آنچه خدا بخواهد و اراده کند» (قُلْ لا أَمْلِکُ لِنَفْسِی ضَرَّا وَ لا نَفْعاً إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ).

من تنها پیامبر و فرستاده اویم، تعیین موعد نزول عذاب، تنها به دست اوست.

این جمله در حقیقت اشاره به توحید افعالی است که در این عالم همه چیز به خدا باز می گردد، و هر کار از ناحیه اوست، اوست که با حکمتش مؤمنان را پیروزی می دهد و اوست که با عدالتش منحرفان را مجازات می کند.

بدیهی است این منافات با آن نـدارد که خداونـد به ما نیروها و قدرتهایی داده است که به وسیله آن مالک قسـمتی از سود و زیان خویش هستیم و می توانیم در باره سرنوشت خویش تصمیم بگیریم.

سپس قرآن به پاسخ دیگری پرداخته، می گوید: «هر قوم و جمعیتی زمان و اجل معینی دارند، به هنگامی که اجل آنها فرا رسد نه ساعتی از آن تأخیر خواهند کرد و نه ساعتی پیشی خواهند گرفت» (لِکُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا یَشِتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا یَسْتَقْدِمُونَ).

در واقع قرآن به مشرکان اخطار میکند که بیجهت عجله نکنند، به هنگامی که اجل آنها فرا برسد، لحظهای این عذاب تأخیر و تقدیم نخواهد داشت.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۹۶

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۰ ص: ۲۹۶

(آیه ۵۰)- در این آیه سومین پاسخ را مطرح کرده، می گوید: «به آنها بگو: اگر عذاب پروردگار شب هنگام یا در روز به سراغ شما بیاید» امر غیر ممکنی نیست، و آیا شما می توانید این عذاب ناگهانی را از خود دفع کنید؟ (قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَیاتاً أَوْ نَهاراً).

«با این حال مجرمان و گنهکاران در برابر چه چیز عجله می کنند» (ما ذا یَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۱ ص: ۲۹۶

(آیه ۵۱)- و در این آیه چهارمین پاسخ را به آنها چنین می گوید: «یا این که آنگاه که واقع شد، به آن ایمان می آورید» و گمان می کنید که ایمان شما پذیرفته می شود، این خیال باطلی است (أَ ثُمَّ إِذا ما وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ).

چرا که پس از نزول عذاب، درهای توبه به روی شما بسته می شود و ایمان کمترین اثری ندارد، بلکه به شما گفته می شود: «حالا_ایمان می آورید، در حالی که قبلا_(از روی استهزاء و انکار) برای عذاب عجله می کردید»؟ (آلْآنَ وَ قَدْ کُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۲ ص: ۲۹۶

(آیه ۵۲)– این مجازات دنیای آنهاست، «سپس در روز رستاخیز به کسانی که ستم کردند، گفته می شود بچشید عذاب ابدی را!» (ثُمَّ قِیلَ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ).

«آیا جز بدانچه انجام دادید کیفر داده میشوید»؟ (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ).

این در واقع اعمال خود شماست که دامانتان را گرفته است، همانهاست که در برابرتان مجسم شده و شما را برای همیشه آزار میدهد.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۳ ص: ۲۹۶

(آیه ۵۳) - در مجازات الهی تردید نکنید! در آیات گذشته سخن از کیفر و مجازات و عذاب مجرمان در این جهان و جهان دیگر بود. این آیه نیز موضوع را دنبال می کند.

نخست می گوید: مجرمان و مشرکان از روی تعجب و استفهام «از تو سؤال میکنند که آیا این وعده مجازات الهی در این جهان و جهان دیگر حق است»؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۹۷

(وَ يَسْتَنْبِئُونَكُ أَ حَقٌّ هُوَ).

خداونـد به پیـامبرش دسـتور میدهـد که در برابر این سؤال بـا تأکیـد هر چه بیشتر «بگو: آری! به پروردگارم سوگنـد این یک واقعیت است» و هیچ شک و تردیدی در آن نیست (قُلْ إِی وَ رَبِّی إِنَّهُ لَحَقُّ).

و اگر فکر می کنید، می توانید از چنگال مجازات الهی فرار کنید اشتباه بزرگی کرده اید، زیرا «هرگز شما نمی توانید (از آن جلوگیری کنید و) او را با قدرت خود ناتوان سازید» (وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزینَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۴ ص: ۲۹۷

(آیه ۵۴) - در این آیه روی عظمت این مجازات مخصوصا در قیامت تکیه کرده، می گوید: آن چنان عذاب الهی وحشتناک و هول انگیز است که «اگر هر یک از ستمکاران مالک تمام ثروتهای روی زمین باشند، حاضرند همه آن را بدهند» تا از این

كيفر سخت رهايي يابند (وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْس ظَلَمَتْ ما فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ).

در واقع آنها حاضرند بزرگترین رشوهای را که می توان تصور کرد، برای رهایی از چنگال عذاب الهی بدهند تا سر سوزنی از مجازاتشان کاسته شود، اما کسی از آنها نمی پذیرد.

مخصوصا بعضى از اين مجازاتها جنبه معنوى دارد و آن اين كه: «آنها هنگامى كه عذاب را ببينند (پشيمان مىشوند اما) پشيمانى خود را كتمان مىكنند» مبادا رسواتر شوند (وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ).

سپس تأكيد ميكند: «كه با همه اين احوال در ميان آنها به عدالت داوري مي شود، و ظلم و ستمي در باره آنان نخواهد شد» (وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ).

سورهٔ يونس(١٠): آيهٔ ۵۵ ص: ۲۹۷

(آیه ۵۵)- سپس برای این که مردم این وعده ها و تهدیدهای الهی را به شوخی نگیرند و فکر نکنند خداوند از انجام اینها عاجز است، اضافه می کند: «آگاه باشید آنچه در آسمانها و زمین است از آن خداست» و مالکیت و حکومت او تمام جهان هستی را فرا گرفته و هیچ کس نمی تواند از کشور او بیرون رود (أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ). برگزیده تفسیر نمونه، ح۲، ص: ۲۹۸

و نیز «آگـاه باشـید وعـده خداونـد (در مورد مجازات مجرمان) حق است هر چنـد بسـیاری از مردم (که ناآگاهی، سایه شوم بر روانشان افکنده) این حقیقت را نمیدانند» (أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۶ ص: ۲۹۸

(آیه ۵۶)- این آیه نیز تأکید مجددی روی همین مسأله حیاتی است که می گوید: «خداوند است که زنده می کند، و اوست که می میراند» (هُوَ یُحیی وَ یُمِیتُ).

بنابراین هم توانایی بر مرگ و میراندن بندگان دارد و هم زنده کردن آنها برای دادگاه رستاخیز.

«و سر انجام همه شما به سوى او باز مى گرديد» (وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

و پاداش همه اعمال خویش را در آنجا خواهید یافت.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۷ ص: ۲۹۸

(آیه ۵۷) - قرآن رحمت بزرگ الهی! در قسمتی از آیات گذشته بحثهایی در زمینه قرآن آمده، و گوشهای از مخالفتهای مشرکان در آن منعکس گردیده بود، در این آیه به همین مناسبت سخن از قرآن به میان آمده نخست به عنوان یک پیام همگانی و جهانی، تمام انسانها را مخاطب ساخته، می گوید: «ای مردم! از سوی پروردگارتان، موعظه و اندرزی برای شما آمده» (یا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْکُمْ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّکُمْ).

«و كلامى كه مايه شفاء بيمارى دلهاست» (وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ).

«و چیزی که مایه هدایت و راهنمایی است» (وَ هُدیً).

«و رحمت براى مؤمنان است» (وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ).

در واقع آیه فوق چهار مرحله از مراحل تربیت و تکامل انسان را در سایه قرآن شرح میدهد.

مرحله اول: مرحله «موعظه و اندرز» است.

مرحله دوم: پاکسازی روح انسان از انواع رذائل اخلاقی است.

مرحله سوم: مرحله هدایت است که پس از پاکسازی انجام می گیرد.

و مرحله پنجم: مرحلهای است که انسان لیاقت آن را پیدا کرده است که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۲۹۹

مشمول رحمت و نعمت پروردگار شود.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۸ ص: ۲۹۹

(آیه ۵۸) - در این آیه برای تکمیل این بحث و تأکید روی این نعمت بزرگ الهی یعنی قرآن مجید که از هر نعمتی برتر و بالا تر است، می فرماید: «بگو: ای پیامبر! این مردم به فضل پروردگار و به رحمت بی پایان او (و این کتاب بزرگ آسمانی که جامع همه نعمتهاست) باید خشنود بشوند» نه به حجم ثروتها و بزرگی مقامها و فزونی قوم و قبیله هاشان (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرْحُمَتِهِ فَبِذَلِکَ فَلْیَفْرُ حُوا).

زیرا «این سرمایه از تمام آنچه آنها برای خود گردآوری کردهاند بهتر و بالاتر است» و هیچ یک از آنها قابل مقایسه با این نیست (هُوَ خَیْرٌ مِمَّا یَجْمَعُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۵۹ ص: ۲۹۹

(آیه ۵۹)– در آیات گذشته سخن از قرآن و موعظه الهی و هـدایت و رحمتی که در این کتاب آسـمانی است در میان بود، و در این آیه به همین مناسبت از قوانین ساختگی و خرافی و احکام دروغین مشرکان سخن می گوید.

نخست روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، میفرماید: «به آنها بگو: چرا این روزیهایی را که خداوند برای شما نازل کرده است بعضی را حرام و بعضی را حلال قرار داده اید»؟ (قُلْ أَ رَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ عَلاًا).

و بر طبق سنن خرافی خود پارهای از چهارپایان و همچنین قسمتی از زراعت و محصول کشاورزی خود را تحریم نمودهاید. «بگو: آیا خداوند به شما اجازه داده است (چنین قوانینی را وضع کنید) یا بر خدا افترا میبندید»؟ (قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَکُمْ أَمْ عَلَی اللَّهِ تَفْتَرُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۶۰ ص: ۲۹۹

(آیه ۶۰)- اکنون که مسلم شد آنها با این احکام خرافی و ساختگی خود علاوه بر محروم شدن از نعمتهای الهی تهمت و افترا به ساحت مقدس پروردگار بستهاند، اضافه می کند: «آنها که بر خدا دروغ میبندند، در باره مجازات روز قیامت چه میاندیشند»؟ آیا تأمینی برای رهایی از این کیفر دردناک به دست آوردهاند؟

(وَ مَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ).

اما «خداوند فضل و رحمت گستردهای بر مردم دارد» (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۰۰

به همین دلیل آنها را در برابر این گونه اعمال زشتشان فورا کیفر نمی دهد.

ولى آنها به جاى اين كه از اين مهلت الهى استفاده كننـد و عبرت گيرنـد و شـكر آن را به جا آورند و به سوى خدا بازگردند «اكثر آنان (غافلند و) سپاس اين نعمت بزرگ را به جا نمى آورند» (وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۶۱ ص: ۳۰۰

(آیه ۶۱) و برای این که تصور نشود این مهلت الهی دلیل بر عدم احاطه علم پروردگار بر کارهای آنهاست، در این آیه این حقیقت را به رساترین عبارت بیان می کند که او از تمام ذرات موجودات در پهنه آسمان و زمین و جزئیات اعمال بندگان آگاه و با خبر است، و می گوید: «در هیچ حالت و کار مهمی نمی باشی، و هیچ آیه ای از قرآن را تلاوت نمی کنی، و هیچ عملی را انجام نمی دهید مگر این که ما شاهد و ناظر بر شما هستیم در آن هنگام که وارد آن عمل می شوید» (وَ ما تَکُونُ فِی شَانٍ وَ ما تَتُلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلِ إِلَّا کُنَّا عَلَیْکُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِیضُونَ فِیهِ).

سپس با تأكيد بيشتر اين مسأله را تعقيب كرده، مى گويد: «كوچكترين چيزى در زمين و آسمان حتى به اندازه سنگينى ذره بى مقدارى، از ديدگاه علم پروردگار تو مخفى و پنهان نمى ماند، و نه كوچكتر از اين و نه بزرگتر از اين مگر اين كه همه اينها در لوح محفوظ و كتاب آشكار علم خدا ثبت و ضبط است» (وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّهْ فِى الْأَرْضِ وَ لا فِى السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَ لا أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتابِ مُبِينِ).

در آیه فوق درس بزرگی برای همه مسلمانان بیان شده است درسی که می تواند آنها را در مسیر حق به راه اندازد و از کجرویها و انحرافات باز دارد. و آن این که: به این حقیقت توجه داشته باشیم که هر گامی بر می داریم و هر سخنی که می گوییم و هر اندیشه ای که در سر می پرورانیم، و به هر سو نگاه می کنیم، و در هر حالی هستیم، نه تنها ذات پاک خدا بلکه فرشتگان او نیز مراقب ما هستند و با تمام توجه ما را می نگرند.

بیجهت نیست که امام صادق علیه السّلام می فرماید: «پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله هر زمان این برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۰۱

آیه را تلاوت می کرد شدیدا گریه مینمود».

جایی که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با آن همه اخلاص و بندگی و آن همه خدمت به خلق و عبادت خالق از کار خود در برابر علم خدا ترسان باشد، حال ما و دیگران معلوم است.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۶۲ ص: ۳۰۱

(آیه ۶۲) – آرامش روح در سایه ایمان! چون در آیات گذشته قسمتهایی از حالات مشرکان و افراد بی ایمان مطرح شده بود. از این به بعد شرح حال مؤمنان مخلص و مجاهد و پرهیزکار که درست در نقطه مقابل هستند بیان گردیده، آیه می گوید: «آگاه باشید که اولیای خدا نه ترسی بر آنان است و نه غمی دارند» (أَلا إِنَّ أَوْلِیاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ).

منظور غمهای مادی و ترسهای دنیوی است، و گر نه دوستان خدا وجودشان از خوف او مالامال است، ترس از عدم انجام وظایف و مسؤولیتها، و اندوه بر آنچه از موفقیتها از آنان فوت شده، که این ترس و اندوه جنبه معنوی دارد و مایه تکامل وجود انسان و ترقی اوست به عکس ترس و اندوههای مادی که مایه انحطاط و تنزّل است.

اولیاء خدا کسانی هستند، که میان آنان و خدا حائل و فاصلهای نیست، حجابها از قلبشان کنار رفته، و در پرتو نور معرفت و ایمان و عمل پاک، خدا را با چشم دل چنان میبینند که هیچ گونه شک و تردیدی به دلهایشان راه نمی یابد، و به خاطر همین آشنایی با خدا ماسوای خدا در نظرشان کوچک و کم ارزش و ناپایدار و بی مقدار است.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۶۳ ص: ۳۰۱

(آیه ۶۳) – این آیه «اولیاء خـدا» را معرفی کرده، میگویـد: «آنهـا کسـانی هسـتند که ایمـان آوردهانـد و بطـور مـداوم تقـوا و پرهیزکاری را پیشه خود ساختهاند» (الَّذِینَ آمَنُوا وَ کانُوا یَتَّقُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۶۴ ص: ۳۰۱

(آیه ۶۴)– در این آیه روی مسأله عـدم وجود ترس و غم و وحشت در اولیای حق با این عبارت تأکیـد میکند که: «برای آنان در زندگی دنیا و در آخرت بشارت است»َهُمُ الْبُشْری فِی الْحَیاهِ الدُّنیا وَ فِی الْآخِرَهِ)

. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۰۲

باز برای تأکید اضافه میکند: «سخنان پروردگار و وعدههای الهی تغییر و تبدیل ندارد» و خداوند به این وعده خود نسبت به دوستانش وفا میکند تَبْدِیلَ لِکَلِماتِ اللَّهِ)

«و این پیروزی و سعادت بزرگی است» برای هر کس که نصیبش شودلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ)

سورهٔ یونس(۱۰): آیهٔ ۶۵ ص: ۳۰۲

(آیه ۶۵) – و در این آیه روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله که سر سلسله اولیاء و دوستان خداست کرده و به صورت دلداری و تسلی خاطر به او می گوید: «سخنان ناموزون مخالفان و مشرکان غافل و بیخبر تو را غمگین نکند» (وَ لا یَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ).

«چرا که تمام عزت و قدرت از آن خداست» و در برابر اراده حق از دشمنان کاری ساخته نیست (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِیعاً). او از تمام نقشه های آنها باخبر است «زیرا او شنوا و داناست» (هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۶۶ ص: ۳۰۲

(آیه ۶۶) – قسمتی از آیات عظمت خداوند: این آیه بار دیگر به مسأله توحید و شرک که یکی از مهمترین مباحث اسلام و مباحث این سوره است بازگشته، مشرکان را به محاکمه می کشد و ناتوانی آنها را به ثبوت می رساند.

نخست می گوید: «آگاه باشید تمام کسانی که در آسمانها و زمین هستند از آن خدا میباشند» (أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْض).

جایی که اشخاص ملک او باشند، اشیایی که در این جهان میباشند به طریق اولی از آن او هستند، بنابراین او مالک تمام عالم هستی است. سپس اضافه می کنـد: «و آنها که غیر خـدا را همتای او میخواننـد از دلیل و منطقی پیروی نمی کننـد» و هیچ سـند و شاهدی بر گفتار خود ندارند (وَ ما یَتَّبُعُ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَکاءَ).

«آنها تنها از پندار (ها و گمانهای) بی اساس پیروی می کنند» (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ).

«بلکه آنها فقط با مقیاس حدس و تخمین سخن می گویند، و دروغ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۰۳ می گویند»! (وَ إِنْ هُمْ إِلَّا یَخْرُصُونَ).

اصولا راستي و صدق براساس قطع و يقين استوار است و دروغ براساس تخمينها و پندارها و شايعهها!

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۶۷ ص: ۳۰۳

(آیه ۶۷) - سپس برای تکمیل این بحث و نشان دادن راه خداشناسی، و دوری از شرک و بت پرستی، به گوشهای از مواهب الهی که نشانه عظمت و قدرت و حکمت «الله» است اشاره کرده، می گوید: «او کسی است که شب را برای شما مایه آرامش قرار داد و روز را روشنی بخش» (هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً).

آرى! «در این نظام حساب شده آیات و نشانه هایی (از توانایی آفریدگار است، اما) برای آنها که گوش شنوا دارند و حقایق را می شنوند» (إِنَّ فِی ذَلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَسْمَعُونَ). آنها که می شنوند و درک می کنند، و آنها که پس از درک حقیقت، آن را به کار می بندند.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۶۸ ص: ۳۰۳

(آیه ۶۸) – این آیه نیز همچنان بحث با مشرکان را ادامه داده یکی از دروغها و تهمتهای آنها را نسبت به ساحت مقدس خداوند بازگو میکند، نخست می گوید: «آنها گفتند: خداوند برای خود فرزندی اختیار کرده است»! (قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً). این سخن را در درجه اول مسیحیان در مورد حضرت «مسیح» سپس بت پرستان عصر جاهلی در مورد «فرشتگان» که آنها را دختران خدا می پنداشتند، و یهود در مورد «عزیر» می گفتند.

قرآن از دو راه به آنها پاسخ مي گويد نخست اين كه: «خداوند از هر عيب و نقص منزه است، و از همه چيز بينياز است» (سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ).

اشاره به این که نیاز به فرزند یا به خاطر احتیاج جسمانی به نیرو، و کمک اوست، و یا به خاطر نیاز روحی و عاطفی، از آنجا که خداوند از هر عیب و نقصی و از هر کمبود و ضعفی منزه است و ذات پاکش یک پارچه غنا و بی نیازی است ممکن نیست برای خود فرزندی انتخاب کند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۰۴

«او مالک همه موجوداتی است که در آسمانها و زمین است» (لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ).

دومین پاسخی را که قرآن به آنها می گوید این است که: هر کس ادّعایی دارد باید دلیل بر مدّعای خود اقامه کند آیا شما بر این سخن دلیلی دارید؟ نه «هیچ دلیلی نزد شما برای این مدّعا وجود ندارد» (اِنْ عِنْدَکُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذا).

با اين حال «آيا به خدا نسبتي مي دهيد كه (حد اقل) از آن آگاهي نداريد» (أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۶۹ ص: ۳۰۴

(آیه ۶۹) - در این آیه سر انجام شوم افترا و تهمت بر خدا را بازگو می کند روی سخن را متوجه پیامبرش کرده و می گوید: «به آنها بگو: کسانی که بر خدا افترا میبندند و دروغ می گویند هر گز روی رستگاری را نخواهند دید» (قُلْ إِنَّ الَّذِینَ یَفْتُرُونَ عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ لا یُفْلِحُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۷۰ ص: ۳۰۴

(آیه ۷۰)- فرضا که آنها بتوانند با دروغها و افتراهای خود چند صباحی به مال و منال دنیا برسند «این تنها یک متاع زود گذر این جهان است، سپس بازگشتشان به سوی ماست و ما عذاب شدید را در مقابل کفرشان به آنها میچشانیم» (مَتاعُ فِی الدُّنْیا ثُمَّ إِلَیْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِیقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِیدَ بِما کانُوا یَکْفُرُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۷۱ ص: ۳۰۴

(آیه ۷۱)- گوشهای از مبارزات نوح: در این آیه خداوند به پیامبرش دستور میدهد گفتاری را که با مشرکان داشت با شرح تاریخ عبرت انگیز پیشینیان تکمیل کند.

نخست سرگذشت «نوح» را عنوان کرده، می گوید: «سرگذشت نوح را بر آنها تلاوت کن، هنگامی که به قومش گفت: ای قوم من! اگر توقفم در میان شما و یادآوری کردن آیات الهی برایتان سخت و غیر قابل تحمل است» هر کار از دستتان ساخته است انجام دهید و کوتاهی نکنید (وَ اتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ یا قَوْمِ إِنْ کانَ کَبُرَ عَلَیْکُمْ مَقامِی وَ تَذْکِیرِی بِآیاتِ اللَّهِ). «چرا که من بر خدا تکیه کردهام» و به همین دلیل از غیر او نمی ترسم و نمی هراسم! (فَعَلَی اللَّهِ تَوَکَّلْتُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۰۵

سپس تأکید میکند: «اکنون که چنین است فکر خود را جمع کنید و از بتهای خود نیز دعوت به عمل آورید» تا در تصمیم گیری به شما کمک کنند (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ).

«آن چنان که هیچ چیز بر شـما مکتوم نماند و غم و اندوهی از این نظر بر خاطر شما نباشد»، بلکه با نهایت روشنی تصمیم خود را در باره من بگیرید (ثُمَّ لا یَکُنْ أَمْرُکُمْ عَلَیْکُمْ غُمَّهُ).

سپس می گوید: اگر می توانید «برخیزید، و به زندگی من پایان دهید، و لحظهای مرا مهلت ندهید» (ثُمَّ اقْضُوا إِلَیَّ وَ لا تُنْظِرُونِ). این یک درس است برای همه رهبران اسلامی که در برابر انبوه دشمنان هر گز نهراسند، بلکه با اتکاء و توکل بر پروردگار با قاطعیت هر چه بیشتر آنها را به میدان فرا خوانند، و قدرتشان را تحقیر کنند که این عامل مهمی برای تقویت روحی پیروان و شکست روحیه دشمنان خواهد بود.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۷۲ ص: ۳۰۵

(آیه ۷۲)- در این آیه بیان دیگری از نوح برای اثبات حقانیت خویش نقل شده، آنجا که می گوید: «اگر شما از دعوت من سرپیچی کنید (من زیانی نمی برم چرا که) من از شما اجر و پاداشی نخواستم» (فَإِنْ تَوَلَّئِتُمْ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ). «چرا که اجر و پاداش من تنها بر خداست» (إِنْ أَجْرِیَ إِلَّا عَلَی اللَّهِ).

برای او کار می کنم و تنها از او پاداش میخواهم «و من مأمورم که از مسلمین (تسلیم شدگان در برابر فرمان خدا) باشم» (وَ

أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۷۳ ص: ۳۰۵

(آیه ۷۳) - در این آیه سر انجام کار دشمنان نوح و صدق پیشگوئیش را به این صورت بیان می کند: «آنها نوح را تکذیب کردند ولی ما، او و تمام کسانی را که با او در کشتی بودند نجات دادیم» (فَکَذَّبُوهُ فَنَجَیْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِی الْفُلْکِ).

نه فقط آنها را نجات داديم بلكه: «آنها را جانشين قوم ستمكّر ساختيم» (وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ).

«و کسانی را که آیات ما را انکار کرده بودند غرق نمودیم» (وَ أَغْرَقْنَا الَّذِینَ کَهٰذَّبُوا بِآیاتِنا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۰۶

و در پایان روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، می گویـد «اکنون بنگر عاقبت آن گروهی که انـذار شدنـد (ولی تهدیدهای الهی را به چیزی نگرفتند) به کجا کشید» (فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُنْذَرِینَ).

سورهٔ يونس(١٠):آيهٔ ٧۴ ص: ٣٠۶

(آیه ۷۴)- رسولان بعد از نوح: پس از پایان بحث اجمالی پیرامون سرگذشت نوح، اشاره به پیامبران دیگری که بعد از نوح و قبل از موسی (مانند ابراهیم و هود و صالح و لوط و یوسف) برای هدایت مردم آمدند کرده، می گوید:

«سپس بعد از نوح رسولانی به سوی قوم و جمعیتشان فرستادیم» (ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ).

«آنها با دلائل روشن و آشکار به سوی قومشان آمدنـد» و ماننـد نوح با سـلاح منطق و اعجاز و برنامههای سازنـده مجهز بودند (فَجاؤُهُمْ بالْبَيِّناتِ).

«ولی آنها که (راه عناد و لجاج را میپوییدنـد و) در گذشـته به تکـذیب پیـامبران پیشـین برخاسـته بودنـد (این پیامبران را نیز تکذیب کردند و به آنها) ایمان نیاوردند» (فَما کانُوا لِیُؤْمِنُوا بِما کَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ).

این به خاطر آن بود که بر اثر عصیان و گناه و دشمنی با حق پرده بر دلهای آنها افتاده بود «آری! این چنین بر دلهای متجاوزان مهر میزنیم» (کَذلِکَ نَطْبَعُ عَلی قُلُوبِ الْمُعْتَدِینَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۷۵ ص: ۳۰۶

(آیه ۷۵) – بخشی از مبارزات موسی و هارون: از اینجا به بحث پیرامون موسی و هارون و مبارزات پیگیرشان با فرعون و فرعونیان میپردازد.

آیه می گویـد: «سـپس بعد از رسولان پیشـین، موسـی و هارون را به سوی فرعون و ملأ او همراه با آیات و معجزات فرسـتادیم» (ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسی وَ هارُونَ إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ بِآیاتِنا).

اما فرعون و فرعونیان از پذیرش دعوت موسمی و هارون سر باز زدند، و از این که در برابر حق سر تسلیم فرود آوردند «تکبر ورزیدند» (فَاسْتَکْبَرُوا).

آنها به خاطر کبر و خود برتربینی و نداشتن روح تواضع، واقعیتهای روشن را در دعوت موسی نادیده گرفتنید چرا که: «آنها گروهی مجرم بودند» برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۰۷

(وَ كَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۷۶ ص: ۳۰۷

(آیه ۷۶)– در اینجا سخن از مبارزات چند مرحلهای فرعونیان با موسی و برادرش هارون است.

قرآن مي گويد: «هنگامي كه حق از نزد ما به سوى آنها آمد (با اين كه آن را از چهرهاش شناختند) گفتند: اين سحر آشكاري است»! (فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۷۷ ص: ۳۰۷

(آیه ۷۷) - اما «موسی» (ع) در مقام دفاع از خویش برآمد، با بیان دو دلیل پردهها را کنار زده و دروغ و تهمت آنها را آشکار ساخت «موسی گفت: آیا در باره حق، هنگامی که به سوی شما آمد چنین می گویید؟ آیا این سحر است»؟ (قالَ مُوسی أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ أَ سِحْرٌ هذا).

«در حالى كه ساحران هرگز رستگار (و پيروز) نمىشوند» (وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۷۸ ص: ۳۰۷

(آیه ۷۸)– سپس سیل تهمت خود را به سوی موسی ادامه دادند، و صریحا به او «گفتند: آیا تو میخواهی ما را از راه و رسم پدران و نیاکانمان منصرف سازی»؟

(قالُوا أَ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا).

در واقع بت «سنتهای نیاکان» و عظمت خیالی و افسانهای آنها را پیش کشیدند تا افکار عامه را نسبت به موسی و هارون بدبین کنند که آنها میخواهند با مقدسات جامعه و کشور شما بازی کنند.

سپس ادامه دادنـد دعوت شـما به دین و آیین خدا دروغی بیش نیست، اینها همه دام است، و نقشههای خائنانه برای این که در این سرزمین حکومت کنید «و ریاست در روی زمین از آن شما دو تن باشد» (وَ تَکُونَ لَکُمَا الْکِبْرِیاءُ فِی الْأَرْض).

در حقیقت آنها چون خودشان هر تلاش و کوششی برای حکومت ظالمانه بر مردم بود، دیگران را نیز چنین میپنداشتند و تلاشهای مصلحان و پیامبران را هم، این گونه تفسیر می کردند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۰۸

اما بدانید «ما به شما دو نفر هرگز ایمان نمی آوریم» زیرا دست شما را خواندهایم و از نقشههای تخریبیتان آگاهیم (وَ ما نَحْنُ لَکُما بِمُؤْمِنِینَ).

و این نخستین مرحله مبارزه آنها با موسی بود.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۷۹ ص: ۳۰۸

(آیه ۷۹)- مرحله دوم مبارزه موسی: هنگامی که فرعون قسمتی از معجزات موسی مانند ید بیضاء و حمله مار عظیم را ملاحظه کرد و دید ادعای موسی بدون دلیل نیست و این دلیل کم و بیش در جمع اطرافیان او و یا دیگران اثر خواهد گذاشت، به فکر پاسخ گویی عملی افتاد، چنانکه قرآن می گوید: «فرعون صدا زد: تمام ساحران آگاه و دانشمند را نزد من آورید»، تا به وسیله آنها زحمت موسی را از خود دفع کنم (وَ قالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِی بِکُلِّ ساحِرٍ عَلِیمٍ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۰ ص: ۳۰۸

(آیه ۸۰)- سپس «هنگامی که ساحران (در روزی که برای این مبارزه تاریخی تعیین شده بود و دعوت عمومی نیز از مردم به عمل آمده بود) گرد آمدند، بیفکنید، (فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالَ لَهُمْ مُوسی اَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۱ ص: ۳۰۸

(آیه ۸۱)– آنها آنچه را در توان داشتند بسیج کردند «و هنگامی که وسائلی را که با خود آورده بودند به وسط میدان افکندند، موســـی گفت: آنچه شــما آوردید سحر است که خداوند به زودی آن را ابطال میکند» (فَلَمَّا أَلْقُوْا قالَ مُوسی ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ).

شما افرادی فاسد و مفسدید چرا که در خدمت یک دستگاه جبار و ظالم و طاغی هستید و علم و دانش خود را برای تقویت پایه های این حکومت خودکامه، فروخته اید، و این خود بهترین دلیل بر مفسد بودن شماست، و «خداوند عمل مفسدان را اصلاح نمی کند» (إِنَّ اللَّهَ لا یُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِینَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۲ ص: ۳۰۸

(آیه ۸۲) و در این آیه میفرماید: موسی به آنها گفت در این درگیری و مبارزه مطمئنا پیروزی با ماست، چرا که «خداوند وعده داده است که حق را آشکار سازد (و به وسیله منطق کوبنده و معجزات قاهره پیامبرانش، مفسدان و باطل گرایان را رسوا کند) هر چند مجرمان (همچون فرعون و ملأش) کراهت برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۰۹ داشته باشند» (وَ یُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِکَلِماتِهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُجْرِمُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۳ ص: ۳۰۹

(آیه ۸۳) – سومین مرحله مبارزه موسی با طاغوت مصر: در آغاز وضع نخستین گروه ایمان آورندگان به موسی را بیان می کند و می گوید: «بعد از این (ماجرا) هیچ گروهی به موسی ایمان نیاوردند مگر گروهی از فرزندان قوم او» (فَما آمَنَ لِمُوسی إِلَّا ذُرِّیَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ).

این گروه کوچک و اندک که به مقتضای ظاهر کلمه «ذُرِّیَهٔ» بیشتر از جوانان و نوجوانان تشکیل می شدند، تحت فشار شدیدی از ناحیه فرعون و اطرافیانش قرار داشتند، و هر زمان «از این بیم داشتند که دستگاه فرعونی (با فشارهای شدیدی که روی مؤمنان وارد می کرد) آنان را وادار به ترک آیین و مذهب موسی کند» (عَلی خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِمْ أَنْ یَفْتِنَهُمْ). چرا که «فرعون مردی بود که در آن سرزمین برتری جویی داشت» (وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِی الْأَرْضِ).

«و اسرافكار و تجاوزكار بود» و هيچ حد و مرزى را به رسميت نمىشناخت (وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۴ ص: ۳۰۹

(آیه ۸۴)- به هر حال موسی برای آرامش فکر و روح آنها با لحنی محبت آمیز به آنان گفت: «ای قوم من! اگر شما به خدا ایمان آورده اید، و در گفتار خود و ایمان و اسلام خود صادقید، باید بر او توکل و تکیه کنید» و از امواج و طوفان بلا نهراسید، چرا که ایمان از توکل جدا نیست (وَ قالَ مُوسی یا قَوْمِ إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَیْهِ تَوَکَّلُوا إِنْ کُنْتُمْ مُسْلِمِینَ).

حقیقت «توکل» واگذاری کار به دیگری و انتخاب او به وکالت است.

مفهوم توکل این نیست که انسان دست از تلایش و کوشش بردارد. بلکه مفهوم آن این است که هرگاه نهایت تلایش و کوشش خود راه ندهد، و با اتکاء به لطف پروردگار و استمداد از ذات پاک و قدرت بی پایان او، ایستادگی به خرج دهد، و به جهاد پی گیر خود همچنان ادامه دهد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۱۰

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۵ ص: ۳۱۰

(آیه ۸۵)– این مؤمنان راستین دعوت موسمی را به تو کل اجابت کردنـد، «و گفتند: ما تنها بر خدا توکل داریم» (فَقالُوا عَلَی اللَّهِ تَوَکَّلْنا).

سپس از ساحت مقدس خدا تقاضا کردند که از شرّ دشمنان و وسوسهها و فشارهای آنان در امان باشند، و عرضه داشتند: «پروردگارا ما را وسیله فتنه و تحت تأثیر و نفوذ ظالمان و ستمگران قرار مده» (رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِثْنَةً لِلْقَوْم الظَّالِمِينَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۶ ص: ۳۱۰

(آیه ۸۶)– «پروردگارا! ما را به رحمت خود از قوم بیایمان رهایی بخش» (وَ نَجِّنا بِرَحْمَتِکُ مِنَ الْقَوْمِ الْکافِرِينَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۷ ص: ۳۱۰

(آیه ۸۷)- مرحله چهارم، دوران سازنـدگی برای انقلاب: در اینجـا مرحله دیگری از قیـام و انقلاب موسـی و هـارون و بنی اسرائیل بر ضد فراعنه تشریح شده است.

نخست این که خداوند میفرماید: «ما به موسی و برادرش وحی فرستادیم که برای قوم خود خانههایی در سرزمین مصر انتخاب کنید» (وَ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی وَ أَخِیهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِکُما بِمِصْرَ بُیُوتاً).

و مخصوصا «این خانهها را نزدیک به یکدیگر و مقابل هم بسازید» (وَ اجْعَلُوا بُیُوتَکُمْ قِبْلَةً).

سپس به خودسازی معنوی و روحانی بپردازید «و نماز را بر پا دارید» (وَ أَقِیمُوا الصَّلاةَ). و از این طریق روان خود را پاک و قوی نمایید.

و برای این که آثار ترس و وحشت از دل آنها بیرون رود، و قدرت روحی و انقلابی را بازیابند «به مؤمنان بشارت بده» بشارت

به پیروزی و لطف و رحمت خدا (وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۸۸ ص: ۳۱۰

(آیه ۸۸)- سپس به یکی از علل طغیان فرعون و فرعونیان اشاره کرده، چنین می گوید: «موسی گفت: پروردگارا! تو فرعون و اطرافیانش را زینت و اموال در زندگی دنیا بخشیدهای» (وَ قالَ مُوسی رَبَّنا إِنَّکَ آتَیْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِینَـهُ وَ أَمْوالًا فِی الْحَیاهُ اللَّنْیا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۱۱

«پروردگارا! سر انجام این ثروت و تجملات و عاقبت کارشان این شده که آنها بندگانت را از راه تو منحرف و گمراه میسازند» (رَبَّنا لِیُضِلُّوا عَنْ سَبیلِکَ).

سپس موسى (ع) از پیشگاه خدا تقاضا مىكنـد و مىگويد: «پروردگارا! اموال آنها را محو و بىاثر ساز» تا نتوانند از آن بهره گيرند (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ).

بعد اضافه کرد: پروردگارا! «علاوه بر این، قدرت تفکر و اندیشه را نیز از آنان بگیر» (وَ اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ).

چه این که با از دست دادن این دو سرمایه، آماده زوال و نیستی خواهند شد و راه ما به سوی انقلاب و وارد کردن ضربه نهایی بر آنان باز می گردد.

خداوندا! اگر من از تو در باره فرعونیان چنین میخواهم نه به خاطر روح انتقامجویی و کینه توزی است، بلکه به خاطر این است که آنها دیگر هیچ گونه آمادگی برای ایمان ندارند «و تا عذاب الیم تو فرا نرسد ایمان نمی آورند» (فَلا یُؤْمِنُوا حَتَّی یَرَوُا الْعَذَابَ الْاَلِیمَ).

سورهٔ یونس(۱۰): آیهٔ ۸۹ ص: ۳۱۱

(آیه ۸۹) – خداوند به موسی و برادرش «فرمود: (اکنون که شـما آماده تربیت و سازندگی جمعیت بنی اسرائیل شدهاید) دعای شما (نسبت به دشمنانتان) اجابت شد» (قالَ قَدْ أُجِیبَتْ دَعْوَتُكُما).

پس محکم در راه خود بایستید و «استقامت به خرج دهید» و از انبوه مشکلات نهراسید و در کار خود قاطع باشید (فَاسْتَقِیما). و هرگز در برابر پیشنهادهای افراد نادان و بیخبر تسلیم نشوید «و از راه و رسم کسانی که نمیدانند، تبعیّت نکنید» بلکه کاملا آگاهانه برنامههای انقلابی خود را ادامه دهید (وَ لا تَتَّبِعانِّ سَبِیلَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۰ ص: ۳۱۱

(آیه ۹۰)- آخرین فصل مبارزه با ستمگران: در اینجا آخرین مرحله مبارزه بنی اسرائیل با فرعونیان و سرنوشت آنها، در عباراتی کوتاه اما دقیق و روشن، ترسیم شده است.

نخست می گوید: «ما بنی اسرائیل را (به هنگام مقابله با فرعونیان در حالی که تحت فشار و تعقیب آنها قرار گرفته بودند) از دریا (شط عظیم نیل که به خاطر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۱۲

عظمتش كلمه بحر بر آن اطلاق شده) عبور داديم» (وَ جاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ).

«فرعون و لشکرش برای کوبیدن بنی اسرائیل و ظلم و ستم و تجاوز بر آنان به تعقیب آنها پرداختنـد» اما به زودی همگی در

ميان طوفان امواج نيل غرق شدند (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْياً وَ عَدْواً).

این جریان ادامه یافت «تا این که غرقاب دامن فرعون را فرو گرفت و او همچون پر کاهی بر روی امواج عظیم نیل می غلتید، در این هنگام پردههای غرور و بی خبری از مقابل چشمان او کنار رفت، و نور توحید فطری در خشیدن گرفت) فریاد زد: من ایمان آوردم که معبودی جز آن کس که بنی اسرائیل به او ایمان آورده اند، وجود ندارد» (حَتَّی إِذَا أَدْرَکَهُ الْغُرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا الَّذِی آمَنْتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِیلَ).

نه تنها با قلب خود ایمان آوردم بلکه عملا هم «در برابر چنین پروردگار توانایی تسلیمم» (وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِینَ).

در واقع هنگامی که پیشگوییهای موسی یکی پس از دیگری به وقوع پیوست و فرعون بیش از پیش از صدق گفتار این پیامبر بزرگ آگاه شد، و قدرت نمایی او را مشاهده کرد، ناچار اظهار ایمان نمود، به امید این که همان گونه که «خدای بنی اسرائیل» آنها را از این امواج کوه پیکر رهایی بخشید، او را نیز رهایی بخشد.

ولی بدیهی است چنین ایمانی که به هنگام نزول بلا و گرفتار شدن در چنگال مرگ اظهار میشود، در واقع یک نوع ایمان اضطراری است، که هر جانی و مجرم و گنهکاری از آن دم میزند، بی آنکه ارزشی داشته باشد.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۱ ص: ۳۱۲

(آیه ۹۱)- به همین جهت خداوند او را مخاطب ساخت و فرمود: «اکنون ایمان می آوری در حالی که قبل از این طغیان و گردنکشی و عصیان نمودی، و در صف مفسدان فی الارض و تبهکاران قرار داشتی» (آلْآنَ وَ قَدْ عَصَ یْتَ قَبْلُ وَ کُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۲ ص: ۳۱۲

(آیه ۹۲)- ولی، امروز بدن تو را از امواج رهایی میبخشیم تا درس عبرتی برای آیندگان باشی» برای زمامداران مستکبر و برای همه ظالمان و مفسدان، و نیز برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۱۳

براى گروههاى مستضعف (فَالْيُوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً).

و در پایان آیه میفرماید: اما با این همه آیات و نشانههای قیدرت خدا و با این همه درسهای عبرت که تاریخ بشر را پر کرده است، «بسیاری از مردم از آیات و نشانههای ما غافلند» (وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آیاتِنا لَغافِلُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۳ ص: ۳۱۳

(آیه ۹۳) - و در این آیه، پیروزی نهایی بنی اسرائیل و بازگشت به سرزمینهای مقدسه را پس از رهایی از چنگال فرعونیان چنین بیان می کند:

«ما بنى اسرائيل را در مكان صدق و راستى منزل داديم» (وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ).

تعبير به «مُبَوَّأً صِدْقٍ» (منزلگاه راستين) مي تواند اشاره به سرزمين مصر و يا اراضي شام و فلسطين باشد.

سپس قرآن اضافه می کند: «ما آنها را از روزیهای پاکیزه، بهرهمند ساختیم» (وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطُّیّباتِ).

اما آنها قـدر این نعمت را ندانسـتند و به اختلاف و نزاع با یکـدیگر برخاسـتند «و اختلاف نکردنـد، مگر بعـد از آن که علم و

آگاهي به سراغشان آمد» (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ).

ولى «پروردگار تو سر انجام در روز قيامت در ميان آنها در آنچه اختلاف داشتند داورى مىكنـد» و اگر امروز مجازات اختلاف را نچشند، فردا خواهند چشيد! (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۴ ص: ۳۱۳

(آیه ۹۴)- تردید به خود راه مده! چون در آیات گذشته قسمتهایی از سر گذشتهای انبیاء و اقوام پیشین ذکر شده بود، و ممکن بود بعضی از مشرکان و منکران دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در صحت آن تردید کنند، قرآن از آنها میخواهد که برای فهم صدق این گفته ها به اهل کتاب مراجعه کنند، و چگونگی را از آنها بخواهند، چرا که در کتب آنها بسیاری از این مسائل آمده است.

ولی به جای این که روی سخن را به مخالفان کند، پیامبر را مخاطب ساخته چنین می گوید: «اگر از آنچه بر تو نازل کردیم در شک و تردید هستی از کسانی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۱۴

كتب آسمانى را قبل از تو مىخواننىد بپرس» (فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْ ِئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ). تا از این طریق ثابت شود که «آنچه بر تو نازل شده حق است و از طرف پروردگار» (لَقَدْ جاءَکَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ). «بنابراین هیچ گونه شک و تردید هرگز به خود راه مده» (فَلا تَکُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِینَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۵ ص: ۳۱۴

(آیه ۹۵) - در این آیه اضافه می کند: اکنون که آیات پروردگار و حقانیت این دعوت بر تو آشکار شده است «در صف کسانی که آیات الهی را تکذیب کردهاند مباش که از زیانکاران خواهی شد» (وَ لاَ تَکُونَنَّ مِنَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِ اللَّهِ فَتَکُونَ مِنَ الْخاسِرِینَ).

در واقع، در آیه قبل می گوید اگر تردید داری، از آنها که آگاهی دارند بپرس، و در این آیه می گوید اکنون که عوامل تردید برطرف شد باید در برابر این آیات تسلیم باشی، و گر نه مخالفت با حق، نتیجهای جز خسران و زیان در بر نخواهد داشت.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۶ ص: ۳۱۴

(آیه ۹۶) – سپس به پیامبر صلّی الله علیه و آله اعلام می کند که در میان مخالفان تو گروهی متعصب و لجوج هستند که انتظار ایمان آنها بیهوده است، آنها از نظر فکری چنان مسخ شدهاند، و آنقدر در راه باطل گام برداشتهاند که وجدان بیدار انسانی را بکلی از دست داده و به موجودی نفوذناپذیر تبدیل شدهاند، منتها قرآن این موضوع را با این تعبیر بیان می کند: «کسانی که فرمان پروردگارت بر آنها ثابت و مسجل شده، ایمان نخواهند آورد» (إِنَّ الَّذِینَ حَقَّتْ عَلَیْهِمْ کَلِمَتُ رَبِّکَ لا یُؤْمِنُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۷ ص: ۳۱۴

(آیه ۹۷)- «و حتی اگر تمام آیات و نشانه های پروردگار به سراغ آنها بیاید (ایمان نخواهند آورد) تا زمانی که عذاب الیم

الهي را با چشم خود ببينند» كه آن زمان ايمان برايشان اثرى ندارد (وَ لَوْ جاءَتْهُمْ كُلَّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۸ ص: ۳۱۴

(آیه ۹۸)- تنها یک گروه به موقع ایمان آوردند! در آیات گذشته در باره فرعون و فرعونیان خصوصا و دیگر اقوام پیشین عموما این نکته ذکر شده بود که آنها از ایمان به خدا در حال اختیار و سلامت سر باز زدند، ولی به هنگام قرار گرفتن برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۱۵

در آستانه مرگ و کیفر الهی، اظهار ایمان کردند، که برای آنها سودمند نیفتاد.

در این آیه این مسأله را به عنوان یک قانون کلی بیان میدارد و می گوید: «چرا اقوام گذشته به موقع ایمان نیاوردند تا ایمانشان سودمند باشد» (فَلَوْ لا کانَتْ قَرْیَةً آمَنَتْ فَنْفَعَها إِیمانُها).

سپس قوم يونس (ع) را استثنا كرده، مى گويد: «مگر قوم يونس كه چون ايمان آوردند، مجازات رسوا كننده را در زندگى اين دنيا از آنها برطرف ساختيم» (إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَـفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا). «و آنها را تا وقت معلومى (تا پايان عمرشان) بهرهمند كرديم» (وَ مَتَّعْناهُمْ إِلى حِينِ).

ماجرای ایمان آوردن قوم یونس: هنگامی که یونس از ایمان آوردن قوم خود که در سرزمین «نینوا» (در عراق) زندگی می کردند مأیوس شد، به پیشنهاد عابدی که در میان آنها می زیست نفرین کرد در حالی که عالم دانشمندی نیز در میان آن گروه بود که به یونس پیشنهاد می کرد باز هم در باره آنان دعا کند و باز هم به ارشاد بیشتر بپردازد و مأیوس نگردد.

ولی یونس پس از این ماجرا از میان قوم خود بیرون رفت، آنها موقع را غنیمت شمرده و به رهبری عالم از شهر بیرون ریختند، در حالی که دست به دعا و تضرّع برداشته و اظهار ایمان و توبه کردند.

این توبه و ایمان و بـازگشت به سوی پروردگار که به موقع انجـام یافته بود و با آگاهی و اخلاص توأم بود کار خود را کرد، نشانههای عذاب برطرف شد و آرامش به سوی آنها بازگشت، و هنگامی که یونس پس از ماجرای طولانیش به میان قوم خود بازگشت، او را از جان و دل پذیرا گشتند.

داستان فوق نشان میدهد که نقش یک رهبر آگاه و دلسوز در میان یک قوم و ملت، تا چه اندازه مؤثر و حیاتبخش است، در صورتی که عابدی که آگاهی کافی ندارد بیشتر روی خشنونت تکیه میکند، و منطق اسلام در مقایسه میان عبادت ناآگاهانه، و علم توأم با احساس مسؤولیت نیز از این روایت مفهوم می شود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۱۶

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۹۹ ص: ۳۱۶

(آیه ۹۹)- ایمان اجباری بیهوده است! در آیات گذشته خواندیم که ایمان اضطراری به هیچ دردی نمیخورد، به همین جهت در این آیه می گوید: «اگر (ایمان اضطراری و اجباری به درد میخورد) و پروردگار تو اراده می کرد همه مردم روی زمین ایمان می آوردند» (وَ لَوْ شَاءَ رَبُّکَ لَآمَنَ مَنْ فِی الْأَرْضِ کُلُّهُمْ جَمِیعاً).

بنابراین از عدم ایمان گروهی از آنان دلگیر و ناراحت مباش، این لازمه اصل آزادی اراده و اختیار است که گروهی مؤمن و گروهی بیایمان خواهند بود، «با این حال آیا تو میخواهی مردم را اکراه کنی که ایمان بیاورند» (أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّی

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ).

این آیه بـار دیگر تهمت ناروایی را که دشـمنان اسـلام کرارا گفته و میگوینـد با صـراحت نفی میکنـد، آنجا که میگوینـد: اسلام آیین شمشیر است و از طریق زور و اجبار بر مردم جهان تحمیل شده است.

اصولاً دین و ایمان چیزی است که از درون جان بر میخیزد، نه از برون و به وسیله شمشیر، و مخصوصا پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را از اکراه و اجبار کردن مردم برای اسلام برحذر میدارد.

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۰ ص: ۳۱۶

(آیه ۱۰۰) - در عین حال در این آیه این حقیقت را یادآور می شود: درست است که انسانها مختار و آزادند اما «هیچ کس نمی تواند ایمان بیاورد، جز به فرمان خدا» و توفیق و یاری و هدایت او (وَ ما کانَ لِنَفْسِ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ). و لذا آنها که در مسیر جهل و عدم تعقل گام بگذارند و حاضر به استفاده از سرمایه فکر و خرد خویش نباشند «خداوند رجس و پلیدی را بر آنها می نهد» آن چنان که موفق به ایمان نخواهند شد (وَ یَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَی الَّذِینَ لا یَعْقِلُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۱ ص: ۳۱۶

(آیه ۱۰۱)- تربیت و اندرز: در آیات گذشته سخن از این بود که ایمان باید جنبه اختیاری داشته باشد نه اضطراری و اجباری، به همین مناسبت در این آیه راه تحصیل ایمان اختیاری را نشان می دهد و به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می فرماید: «به آنها بگو: درست بنگرید و ببینید در آسمان و زمین چه نظام حیرت انگیز و شگرفی است» که هر گوشهای از آن دلیلی بر عظمت و قدرت و علم و حکمت آفریدگار است (قُلِ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۱۷

انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ)

این جمله به روشنی مسأله جبر و سلب آزادی اراده را نفی می کند و می گوید:

ایمان نتیجه مطالعه جهان آفرینش است یعنی این کار به دست خود شماست.

سپس اضافه می کند ولی با این همه آیات و نشانه های حق باز جای تعجب نیست که گروهی ایمان نیاورند، چرا که آیات و نشانه ها و اخطار ها و انذارها به این آیات و انذارها به حال نشانه ها و اخطارها و انذارها به درد کسانی میخورد که آمادگی برای پذیرش حق دارند «اما این آیات و انذارها به حال کسانی که به خاطر لجاجت ایمان نمی آورند مفید نخواهد بود»! (وَ ما تُغْنِی الْآیاتُ وَ النَّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۲ ص: ۳۱۷

(آیه ۱۰۲) – سپس در این آیه با لحنی تهدید آمیز اما در لباس سؤال و استفهام می گوید: «آیا (این گروه لجوج و بی ایمان) جز این انتظار دارند که سرنوشتی همانند اقوام طغیانگر و گردنکش پیشین که گرفتار مجازات دردناک الهی شدند پیدا کنند» سرنوشتی همچون فراعنه و نمرودها و شدّادها و اعوان و انصارشان! (فَهَلْ یَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَیَّامِ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ). و در پایان آیه به آنها اخطار می کند و می گوید: «ای پیامبر! به آنها بگو: اکنون (که شما در چنین مسیری هستید و حاضر به تجدید نظر نیستید) شما در انتظار بمانید و من نیز با شما انتظار می کشم» (قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ).

شما در انتظار درهم شکستن دعوت حق، و ما در انتظار سرنوشت شوم و دردناکی برای شما، همچون سرنوشت اقوام مستکبر

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۳ ص: ۳۱۷

(آیه ۱۰۳) - سپس برای این که چنین توهمی پیش نیایید که خدا به هنگام مجازات تر و خشک را با هم میسوزانید، اضافه می کند: «سپس (هنگام آماده شدن مقدمات مجازات اقوام گذشته) فرستادگان خود و کسانی را که به آنها ایمان می آوردند نجات و رهایی بخشیدیم» (ثُمَّ نُنجِی رُسُلَنا وَ الَّذِینَ آمَنُوا).

و در پایان می گوید: این اختصاص به اقوام گذشته و رسولان و مؤمنان پیشین نداشته است «و همین گونه، بر ما حق است که مؤمنان به تو را نیز رهایی بخشیم» (کَذلِکَ حَقًّا عَلَیْنا نُنْج الْمُؤْمِنِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۱۸

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۴ ص: ۳۱۸

(آیه ۱۰۴)- قاطعیت در برابر مشرکان! این آیه و چند آیه بعد که همگی در رابطه با مسأله توحید و مبارزه با شرک و دعوت به سـوی حق سـخن می گویـد، آخرین آیـات این سوره است، و در واقع فهرست یـا خلاـصهای است از بحثهـای توحیـدی این سوره، و تأکیدی است بر مبارزه با بت پرستی که در این سوره کرارا بیان شده است.

لحن آیات نشان میدهـد که مشرکان گاهی گرفتار این توهم بودند، که ممکن است پیامبر در اعتقاد خود پیرامون بتها نرمش و انعطافی به خرج دهد، و به نوعی آنها را بپذیرد.

قرآن با قاطعیت هرچه تمامتر به این توهم بیاساس پایان میدهد، و فکر آنها را برای همیشه راحت می کند که هیچ گونه سازش و نرمشی در برابر بت معنی ندارد، و جز «الله» معبودی نیست، تنها «الله» نه یک کلمه بیشتر، نه یک کلمه کمتر.

نخست به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور می دهد که تمام مردم را مخاطب ساخته «بگو:

ای مردم! اگر شما در اعتقاد من شک و تردیدی دارید (آگاه باشید که) من کسانی را که- غیر از خدا- پرستش میکنید، هرگز نمی پرستم» (قُلْ یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی شَکِّ مِنْ دِینِی فَلا أَعْبُدُ الَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

تنها به نفی معبودهای آنان قناعت نمی کند بلکه برای تأکید بیشتر، تمام پرستش را برای خدا اثبات کرده، می گوید: «ولی خدایی را می پرستم که شما را می میراند» (وَ لکِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّاكُمْ).

و بـاز برای تأکیـد افزونتر می گویـد: این تنهـا خواسـته من نیست بلکه «این فرمـانی است که به من داده شـده است که از ایمان آورندگان (به الله) بوده باشم» (وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۵ ص: ۳۱۸

(آیه ۱۰۵)- پس از آن که اعتقاد خود را در بـاره نفی شـرک و بت پرستی بـا قـاطعیت بیـان کرده به بیان دلیل آن میپردازد، دلیلی از فطرت، و دلیلی از عقل و خرد.

بگو: به من دستور داده شده که «روی خود را به آیین مستقیمی بدار که از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۱۹ هر نظر خالص و پاک است» (وَ أَنْ أَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفاً).

در اینجا نیز تنها به جنبه اثبات قناعت نکرده بلکه برای تأکید، طرف مقابل آن را نفی کرده، می گوید: «و هرگز و بطور قطع از مشرکان نباش»! (وَ لا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِکِینَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۶ ص: ۳۱۹

(آیه ۱۰۶) پس از اشاره به بطلان شرک از طریق فطرت، اشاره به یک دلیل روشن عقلی می کند و می گوید دستور داده شده است که «غیر از خدا اشیایی را که نه سودی به تو میرساند، نه زیانی، پرستش مکن، چرا که اگر چنین کاری کردی، از ستمگران خواهی بود» هم به خویشتن ستم کردهای و هم به جامعهای که به آن تعلق داری (وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَنْفَعُکَ وَ لا یَضُرُّکَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنْ كَارِمِینَ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۷ ص: ۳۱۹

(آیه ۱۰۷) - در اینجا نیز تنها به جنبه نفی قناعت نمی کند، و علاوه بر جنبه نفی روی جنبه اثبات نیز تکیه کرده، می گوید: «و اگر نـاراحتی و زیـانی خـدا به تو رسانـد (خواه برای مجـازات باشـد و یـا به خاطر آزمایش) هیـچ کس جز او نمیتوانـد آن را برطرف سازد» (وَ إِنْ یَمْسَسْکُ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا کاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ).

همچنین «اگر خداونـد اراده کنـد خیر و نیکی به تو برساند، هیچ کس توانایی ندارد که جلو فضل و رحمت او را بگیرد» (وَ إِنْ یُرِدْکَ بِخَیْر فَلا رَادًّ لِفَضْلِهِ).

> «او هر کس از بندگانش را اراده کند (و شایسته بداند) به نیکی میرساند» (یُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ). چرا که آمرزش و رحمتش همگان را در بر می گیرد «و اوست غفور رحیم» (وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ).

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۸ ص: ۳۱۹

(آیه ۱۰۸)- آخرین سخن! این آیه و آیه بعد که یکی اندرزی است به عموم مردم، و دیگری به خصوص پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستورهایی را که خداوند در سراسر این سوره بیان داشه است، تکمیل می کند، و با آن سوره یونس پایان می یابد. نخست به عنوان یک دستور عمومی می فرماید: «بگو: ای مردم! از طرف پروردگارتان حق به سوی شما آمده است» (قُلْ یا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَکُمُ الْحَقُّ مِنْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۲۰

. این تعلیمات، این کتاب آسمانی، این برنامه و این پیامبر همه حق است و نشانههای حق بودنش آشکار.

و با توجه به این واقعیت «هر کس در پرتو این حق هـدایت شود، به سود خود هـدایت یافته، و هر کس با عـدم تسـلیم در برابر آن راه گمراهی را برگزیند به زیان خود گام برداشته» (فَمَنِ اهْتَدی فَإِنَّما یَهْتَدِی لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما یَضِلُّ عَلَیْها).

«و من مأمور و و كيل و نگاهبان شما نيستم» (وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلِ).

یعنی نه وظیفه دارم که شما را به پذیرش حق مجبور کنم، چرا که اجبار در پذیرش ایمان معنی ندارد، و نه اگر نپذیرفتید می توانم شما را از مجازات الهی حفظ کنم، بلکه وظیفه من دعوت است و تبلیغ، و ارشاد و راهنمایی و رهبری!

سورهٔ یونس(۱۰):آیهٔ ۱۰۹ ص: ۳۲۰

(آیه ۱۰۹)– سپس وظیفه پیـامبر را در دو جمله تعیین میکنـد، نخست اینکه «تنهـا از آنچه به تـو وحی میشود پیروی کن» (وَ اتَّبِعْ ما یُوحی إلَیْکَ).

مسیر راهت را خدا از طریق وحی تعیین کرده است و کمترین انحراف از آن برای تو مجاز نیست.

دیگر این که در این راه مشکلات طاقت فرسا و ناراحتیهای فراوان در برابر تو است، باید از انبوه مشکلات ترس و هراسی به خود راه ندهی، «صبر و استقامت و پایداری پیشه کن، تا خداوند حکم و فرمان خود را (برای پیروزی تو بر دشمنان) صادر کند» (وَ اصْبرْ حَتَّی یَحْکُمَ اللَّهُ).

«چرا که او بهترین حاکمان است» فرمانش حق و حکمتش عدالت، و وعدهاش تخلّف ناپذیر (وَ هُوَ خَیْرُ الْحاکِمِینَ).

«پایان سوره یونس»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۲۱

سوره هود [11] ص: ٣٢١

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۱۲۳ آیه است

محتواي سوره: ص: 321

این سوره چهل و نهمین سورهای است که بر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نازل گردید و نیز در اواخر سالهایی بود که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله علیه و آله نازل گردید و نیز در اواخر سالهایی بود که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در مکّه به سر میبرد یعنی بعد از مرگ «ابو طالب» و «خدیجه» و طبعا در یکی از سخت ترین دورانهای زندگانی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به همین جهت در آغاز این سوره، تعبیراتی که جنبه دلداری و تسلّی نسبت به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و مؤمنان دارد دیده می شود.

قسمت عمده آیات سوره را سرگذشت پیامبران پیشین مخصوصا «نوح» که با وجود نفرات کم بر دشمنان بسیار پیروز شدند تشکیل میدهد.

و به هر حال آیات این سوره، همانند سایر سورههای مکّی، اصول معارف اسلام مخصوصا «مبارزه با شرک و بت پرستی» و توجه به «معاد و جهان پس از مرگ» و «صدق دعوت پیامبر» را تشریح می کند.

در این سوره علاوه بر حالات نوح پیامبر به سرگذشت «هود» و «صالح» و «ابراهیم» و «لوط» و «موسی» و مبارزات دامنه دارشان بر ضد شرک و کفر و انحراف و ستمگری اشاره شده.

این سوره مرا پیر کرد ص: 221

- آیات این سوره به روشنی این امر را اثبات می کنـد که مسـلمانان هرگز نبایـد به خاطر کثرت دشـمنان میدان را خالی کنند،

بلکه باید هر روز بر «استقامت» خویش بیفزایند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۲۲

به همین دلیل در حدیث معروفی میخوانیم که پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله فرمود:

شیّبتنی سورهٔ هود «سوره هود مرا پیر کرد»! این سوره آیات تکان دهندهای مربوط به قیامت و بازپرسی در آن دادگاه عدل الهی و آیاتی پیرامون مجازات اقوام پیشین و دستوراتی در باره مبارزه با فساد دارد که همگی مسؤولیت آفرین است، و جای تعجب نیست که اندیشه در این مسؤولیتها آدمی را پیر می کند.

تأثیر معنوی این سوره: ص: 322

اما در مورد فضیلت این سوره، در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله آمده است: «کسی که این سوره را بخواند، پاداش و ثوابی به تعداد کسانی که به هود و سایر پیامبران ایمان آوردند و کسانی که آنها را انکار نمودند خواهد داشت، و روز قیامت در مقام شهدا قرار می گیرد، و حساب آسانی خواهد داشت.

روشن است که تنها تلاوت خشک و خالی این اثر را نـدارد بلکه تلاوت این سوره توأم با انـدیشه، و سـپس عمل است که، انسان را به مؤمنان پیشین نزدیک، و از منکران پیامبران دور میسازد.

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱ ص: ۳۲۲

(آیه ۱)- چهار اصل مهم در دعوت انبیاء: این سوره با بیان اهمیت این کتاب بزرگ آسمانی شروع می شود، تا مردم به محتویات آن بیشتر توجه کنند.

ذكر حروف مقطعه خود دليلي است بر اهميت اين كتاب بزرگ آسماني كه با تمام اعجاز و عظمتش از حروف مقطعه سادهاي كه در اختيار همگان است همچون «الف، لام، راء» تشكيل شده است (الر).

و به دنبال این حروف مقطعه یکی از ویژگیهای قرآن مجید را با دو جمله بیان می کند، نخست این که: «کتابی است که تمام آیاتش متقن و مستحکم است» (کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ).

و «سپس شرح و تفصیل (تمام نیازمندیهای انسان در زمینه زندگی فردی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۲۳ و اجتماعی، مادی و معنوی، در آن) بیان شده است» (ثُمَّ فُصِّلَتْ).

این کتاب بزرگ با این ویژگی از سوی چه کسی نازل شده است؟ «از نزد خدایی که هم حکیم است و هم آگاه» (مِنْ لَمدُنْ حَکِیم خَبِیرٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲ ص: ۳۲۳

(آیه ۲)- در این آیه مهمترین و اساسی ترین محتوای قرآن یعنی توحید و مبارزه بـا شـرک را به این صورت بیـان میکنـد: نخستین دعوت من این است که «جز خداوند یگانه یکتا را نپرستید» (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ).

و دومین برنامه دعوتم این است که: «من برای شما از سوی او نذیر و بشیرم» (إِنَّنِی لَکُمْ مِنْهُ نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ).

در برابر نافرمانیها و ظلم و فساد و شرک و کفر، شما را بیم میدهم، و از عکس العمل کارهایتان و مجازات الهی بر حذر

مىدارم، و در برابر اطاعت و پاكى و تقوا شما را بشارت به سرنوشتى سعادتبخش مىدهم.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳ ص: ۳۲۳

(آیه ۳)- سومین دعوتم این است که: «از گناهان خویش استغفار کنیـد» و از آلودگیها خود را شستشو دهیـد (وَ أَنِ اسْ تَغْفِرُوا رَبَّکُمْ).

چهارمین دعوتم این است که: «به سوی او باز گردید» (ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ).

و پس از شستشوی از گناه و پاک شدن در سایه استغفار، خود را به صفات الهی بیارایید که بازگشت به سوی او چیزی جز اقتباس از صفات او نیست.

سپس نتیجه های عملی «موافقت» یا «مخالفت» با این چهار دستور را چنین بیان می کند: هرگاه به این برنامه ها جامه عمل بپوشانید خداوند «تا پایان عمر شما را از زندگانی سعاد تبخش این دنیا بهره مند و متمتع میسازد» (یُمَتِّعْکُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلَی أَجَلٍ مُسَمَّی).

بنابراین مذهب پیش از آن که سرای آخرت را آباد کند، آباد کننده سرای دنیاست و از آن بالاتر این که به هر کس به اندازه کارش، بهره می دهـد و تفاوت مردم را در چگونگی عمل به این چهار اصل به هیچ وجه نادیده نمی گیرد، بلکه «به هر صاحب فضیلتی به اندازه فضیلتش عطا می کند» (وَ یُؤْتِ کُلَّ ذِی فَضْلِ فَضْلَهُ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۲۴

«و اما اگر راه مخالفت را پیش گیرید، و (در برابر این دستورهای چهارگانه عقیدتی و عملی) سرپیچی کنید، من از عذاب روز بزرگی بر شـما بیمناکم» همان روز که در دادگاه بزرگ عـدل الهی حضور مییابید (وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْمٍ کَبِیرٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲ ص: ۳۲۴

(آیه ۴)- به هر حال بدانید که هر کس باشید، و در هر مقام و منزلتی قرار گیرید، سر انجام «بازگشت همه شما به سوی خداست» (إلَی اللَّهِ مَرْجِعُکُمْ).

و این جمله اشاره به اصل پنجمی از اصول تفصیلی قرآن یعنی مسأله معاد و رستاخیز است.

اما هیچ گاه فکر نکنید که قدرت شما در برابر قدرت خدا اهمیتی دارد، یا میتوانید از فرمان او، و دادگاه عدالتش فرار کنید، و نیز تصور نکنید که او نمیتواند استخوانهای پوسیده شما را بعد از مرگ جمع آوری کند، و لباس حیات و زندگی نوینی بر آن بپوشاند «چرا که او بر همه چیز قادر و تواناست» (وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵ ص: ۳۲۴

(آیه ۵)- این آیه بطور کلی اشاره به یکی از کارهای احمقانه دشمنان اسلام و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میکند که با استفاده از روش نفاق آمیز و دورکشی از حق میخواستند ماهیت خود را از نظرها پنهان سازند تا گفتار حق را نشنوند.

لذا می گوید: «آگاه باشید! آنها (سرها را به هم نزدیک ساخته و) سینههایشان را در کنار هم قرار میدهند تا خود (و سخنان خویش) را از او (پیامبر) پنهان دارند» (أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ). تعبیر «یَثْنُونَ» ممکن است اشاره به هرگونه «مخفی کاری» ظاهری و باطنی دشمنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله باشد. لـذا قرآن بلافاصـله اضـافه میکنـد: «آگـاه باشـید آنهـا هنگامی که خود را در جامههایشان پنهان میدارنـد پروردگار پنهان و آشکار آنان را میداند» (أَلا حِینَ یَسْتَغْشُونَ ثِیابَهُمْ یَعْلَمُ ما یُسِرُّونَ وَ ما یُعْلِنُونَ).

«چرا كه او از اسرار درون سينه ها آگاه است» (إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۲۵

آغاز جزء دوازدهم قرآن مجید ص: 320

ادامه سوره هود ص: ۳۲۵

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۶ ص: ۳۲۵

اشاره

(آیه ۶) – همه میهمان اویند! در آیه قبل اشارهای به وسعت علم پروردگار و احاطه او به اسرار نهان و آشکار شده بود، و این آیه در حقیقت دلیلی برای آن محسوب می شود، چرا که از روزی دادن خداوند به همه موجودات سخن می گوید، همان کاری که بدون احاطه علمی کامل به همه جهان امکان پذیر نیست! نخست می گوید: «هیچ جنبندهای در روی زمین نیست مگر این که رزق و روزی آن بر خداست، و قرارگاه او را می داند، و از نقاطی که از قرارگاهش به آن منتقل می شود (نیز) باخبر است» و در هر جا باشد روزیش را به او می رساند (وَ ما مِنْ دَابَّهُ فِی الْأَرْضِ إِلَّا عَلَی اللَّهِ رِزْقُها وَ یَعْلَمُ مُشِیْتُهُ وَ مَها).

«تمام این حقایق (با همه حدود و مرزهایش) در کتاب مبین و لوح محفوظ علم خداوند ثبت است» (کُلُّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ).

تقسیم ارزاق و تلاش برای زندگی! ص: 320

طرز روزی رساندن خداوند به موجودات مختلف، راستی حیرت انگیز است، از جنینی که در شکم مادر قرار گرفته تا حشرات گوناگونی که در اعماق تاریک زمین و لانههای پرپیچ و خم و در لابلای درختان و بر فراز کوهها و در قعر درهها زندگی دارند که از دیدگاه علم او هرگز مخفی و پنهان نیستند، و همانگونه که قرآن می گوید خداوند، هم جایگاه و «آدرس اصلی» آنها را می داند و هم محل سیار آنان را، و در هر جا باشند روزیشان را به آنان حواله می کند.

جالب این که در آیات فوق به هنگام بحث از روزی خواران تعبیر به «دابّه» و جنبده شده است و این اشاره لطیفی به مسأله رابطه «انرژی» و «حرکت» است، میدانیم هر جا حرکتی وجود دارد نیازمند به ماده انرژیزا است یعنی مادهای که منشأ حرکت گردد.

و در پاسخ این سؤال که آیا «روزی» هر کس از آغاز تا پایان عمر تعیین شده، و خواه ناخواه به او میرسد؟ باید بگوییم درست است که روزی هر کس مقدر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۲۶ و ثابت است، ولی در عین حال مشروط به سعی و تلاش و کوشش میباشد، و هرگاه این شرط حاصل نشود مشروط نیز از میان خواهد رفت.

نکته مهم این است که آیات و روایات مربوط به معین بودن روزی در واقع ترمزی است روی افکار مردم حریص و دنیاپرست که برای تأمین زندگی به هر در میزنند، و هر ظلم و جنایتی را مرتکب می شوند، به گمان این که اگر چنین نکنند زندگیشان تأمین نمی شود.

آیات قرآن و احادیث اسلامی به این گونه افراد هشدار میدهد که بیهوده دست و پا نکنند، همین اندازه که آنها در طریق مشروع گام بگذارند و تلاش و کوشش کنند مطمئن باشند خداوند از این راه همه نیازمندیهای آنها را تأمین می کند.

البته بعضی از روزیها مثل نور آفتاب، باران و هوا و عقل و هوش خـدادادی چه انسان به دنبال آن برود، یا نرود، به سـراغ او می آیند.

ولی اگر با تلاش و کوشش خود از همین مواهب نیز بطور صحیحی نگهداری نکنیم آنها نیز از دست ما خواهد رفت، و یا بی اثر می ماند.

ولی به هر حال نکته اساسی این است که تمام تعلیمات اسلامی به ما می گوید برای تأمین زندگی بهتر چه مادی و چه معنوی، باید تلاش بیشتر کرد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۷ ص: ۳۲۶

(آیه ۷)- هدف آفرینش: در این آیه از سه نکته اساسی بحث شده است:

نخست از آفرینش جهان هستی و مخصوصا آغاز آفرینش که نشانه قـدرت پروردگار و دلیل عظمت او است، میفرمایـد: «او کسی است که آسمانها و زمین را در شش روز آفرید» (وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهُ أَیَّام).

منظور از «روز» دوران است، خواه این دوران کوتاه باشد و خواه بسیار طولانی و حتی به مقدار میلیاردها سال- و چون در ذیل آیه ۵۴ سوره اعراف شرح آن گذشت نیازی به تکرار نیست.

سپس اضافه می کند: «و عرش او (خداوند) بر آب قرار داشت» (وَ کانَ عَرْشُهُ عَلَی الْماءِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۲۷ در آغاز آفرینش، جهان هستی به صورت مواد مذاب (یا گازهای فوق العاده فشرده که شکل مواد مذاب و مایع را داشت) به د.

سپس در این توده آبگونه حرکات شدید و انفجارات عظیمی رخ داد، و قسمتهایی از سطح آن پیدرپی به خارج پرتاب شد، این اتصال و به هم پیوستگی به انفصال و جدایی گرایید، و کواکب و سیارات و منظومهها یکی بعد از دیگری تشکیل یافتند. بنابراین، جهان هستی و پایه تخت قدرت خدا نخست بر این ماده عظیم آبگونه قرار داشت.

دومین مطلبی که در این آیه به آن اشاره شده هدف آفرینش جهان هستی است، همان هدفی که قسمت عمدهاش به «گل سر سبد این جهان» یعنی «انسان» باز می گردد، انسانی که باید در مسیر تعلیم و تربیت قرار گیرد و راه تکامل را بپوید و هر لحظه به خدا نزدیکتر شود، می فرماید: این آفرینش با عظمت را «به این خاطر قرار داد که شما را بیازماید تا کدامین بهتر عمل می کنید» (لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا).

سومین مطلبی که در این آیه به آن اشاره شده مسأله «معاد» است که پیونـد ناگسسـتنی با مسأله آفرینش جهان و هدف خلقت

دارد.

لـذا می گویـد: «اگر به آنهـا بگویی شـما بعـد از مرگ برانگیخته می شویـد کـافران از روی تعجب می گوینـد: (این باورکردنی نیست، این حقیقت و واقعیت نـدارد، بلکه) این تنها یک سـحر آشـکار است» (وَ لَئِنْ قُلْتَ إِنَّکُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَیَقُولَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِینٌ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸ ص: ۳۲۷

(آیه ۸)- مؤمنان پر ظرفیت و افراد بیایمان کم ظرفیتند! در سلسله آیات (۸ تا ۱۱) گوشههایی از حالات روانی و نقاط ضعف اخلاقی افراد بیایمان تشریح شده، همان نقاط ضعفی که انسان را به راههای تاریک و فساد می کشاند.

نخستین صفتی که برای آنها ذکر میکند، شوخی کردن با حقایق و مسخره نمودن مسائل سرنوشت ساز است، میفرماید: «و اگر مجازات را تا زمان محدودی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۲۸

از آنها به تأخير اندازيم (از روى استهزا) مى گويند: چه چيز مانع آن شده است»! چه شد اين مجازات، كجا رفت اين كيفر؟ (وَ لَئِنْ أَخَّوْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ).

این شیوه همه جاهلان مغرور و بیخبر است، که هر چه با تمایلات آنها سازگار نباشد، در نظرشان مسخره است.

اما قرآن با صراحت به آنها پاسخ می گوید: «آگاه باشید آن روز که (عذاب) به سراغشان آید، از آنها باز گردانده نخواهد شد» و هیچ قدرتی مانع آن نخواهد بود.

(أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ).

«و آنچه را مسخره می کردند بر آنان نازل می شود» و آنها را درهم می کوبد (وَ حاقَ بِهِمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ).

امت معدوده و یاران حضرت مهدی (عج): در روایات متعددی که از طرق اهل بیت علیهم السّلام به ما رسیده امت معدوده به معنی نفرات کم، و اشاره به یاران حضرت مهدی (عج) گرفته شده است، ولی همانگونه که گفتیم معنی ظاهر آیه این است که امت معدوده به معنی زمان معدود و معین است، و اتفاقا در روایتی که از امیر مؤمنان علی علیه السّد لام در تفسیر آیه نقل شده «امت معدوده» همین گونه تفسیر گردیده، بنابراین روایات مزبور ممکن است اشاره به معنی دوم آیه و به اصطلاح «بطن آیه» بوده باشد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹ ص : ۳۲۸

(آیه ۹)- یکی دیگر از نقطه های ضعف آنان، کم ظرفیتی در برابر مشکلات و ناراحتیها و قطع برکات الهی است، چنان که قرآن می گوید: «و هرگاه نعمت و رحمتی به انسان بچشانیم و سپس آن را از او برگیریم او مأیوس و نومید می شود و به کفران و ناسپاسی بر می خیزد» (وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسُ كَفُورٌ).

کلمه «انسان» در این گونه آیات اشاره به انسانهای تربیت نایافته و خودرو و بیارزش است.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰ ص: ۳۲۸

(آیه ۱۰)– سومین نقطه ضعف آنها این است که به هنگامی که در ناز و نعمت فرو میروند، چنان خودباختگی و غرور و تکبر

بر آنها چیره می شود که همه چیز را برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۲۹

فراموش می کنند، چنانکه قرآن می گوید: «و اگر بعد از شدت و رنجی که به او رسیده نعمتهایی به او بچشانیم می گوید: مشکلات از من برطرف شد، و دیگر باز نخواهد گشت و غرق شادی و غفلت و فخر فروشی می شود» آنچنان که از شکر نعمتهای پروردگار غافل می گردد (وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّی إِنَّهُ لَفَرِحُ فَخُورُ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۱ ص: ۳۲۹

(آیه ۱۱)- سپس در این آیه اضافه می کند: «مگر آنها که (در سایه ایمان راستین) صبر و استقامت ورزیدند و کارهای شایسته انجام دادند» و در همه حال از اعمال صالح فروگذار نمی کنند، از تنگ نظریها و ناسپاسیها و غرور، و تکبر برکنارند (إِلَّا الَّذِینَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ).

آنها نه به هنگام وفور نعمت، مغرور میشونـد و خـدا را فراموش میکننـد، و نه به هنگام شدت و مصـیبت مأیوس میگردند و کفران میکنند.

و به همین دلیل: «برای این افراد آمرزش و پاداش بزرگی خواهد بود» (أُولئِکَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ کَبِيرٌ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۲ ص: ۳۲۹

اشاره

(آیه ۱۲)

شأن نزول: ص: 329

برای این آیه و دو آیه بعد دو شأن نزول نقل شده:

نخست این که گروهی از رؤسای کفار مکّه نزد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمدند و گفتند: اگر راست می گویی که پیامبر خدا هستی کوههای مکه را برای ما طلا کن! و یا فرشتگانی را بیاور که نبوت تو را تصدیق کنند! این آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

شأن نزول دیگری از امام صادق علیه السّ لام نقل شده و آن این که پیامبر به علی علیه السّ لام فرمود: من از خدا خواستهام که میان من و تو برادری برقرار سازد و این درخواست قبول شد و نیز خواستهام که تو را وصی من کند این درخواست نیز اجابت گردید، هنگامی که این سخن به گوش بعضی از مخالفان رسید (از روی عداوت و دشمنی) گفتند به خدا سوگند یک من خرما در یک مشک خشکیده از آنچه محمّد صلّی اللّه علیه و آله از خدای خود خواسته بهتر است (اگر راست می گوید) چرا از خدا نخواست فرشته ای برای یاری او بر دشمنان بفرستد و یا گنجی که او را از فقر نجات دهد.

آیات مزبور نازل شد و به آنها پاسخ داد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۳۰

تفسير: ص: ٣٣٠

قرآن معجزه جاویدان- از این سلسله آیات بر میآید که گاهی پیامبر صلّی الله علیه و آله به خاطر شدت مخالفت و لجاجت دشمنان ابلاغ بعضی از آیات را به آخرین فرصت موکول میکرده است، لذا خداوند در این آیه پیامبرش را از این کار نهی میکند، میفرماید: «گویا ابلاغ بعضی از آیاتی را که بر تو وحی میشود ترک میکنی و سینه تو از آن نظر تنگ و ناراحت میشود» (فَلَعَلَّکُ تارِکٌ بَعْضَ ما یُوحی إِلَیْکَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُکَ).

از این ناراحت می شوی که مبادا آنها معجزات اقتراحی از تو بخواهند و «بگویند چرا گنجی بر او نازل نشده، و یا چرا فرشتهای همراه او نیامده»؟ (أَنْ یَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ کَنْزُ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَکُ).

لذا بلافاصله اضافه مي كند: «تو تنها بيم دهنده و انذار كننده اي» (إِنَّما أُنْتَ نَذِيرٌ).

یعنی، خواه آنها بپذیرند، یا نپذیرند و مسخره کنند و لجاجت به خرج دهند.

و در پایان آیه می گوید: «خداوند حافظ و نگاهبان و ناظر بر هر چیز است» (وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ).

یعنی از ایمان و کفر آنها پروا مکن و این به تو مربوط نیست. وظیفه تو ابلاغ است خداوند خودش میداند با آنها چگونه رفتار کند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۳ ص: ۳۳۰

(آیه ۱۳) – از آنجا که این بهانه جوییها و ایراد تراشیها به خاطر آن بود که آنها اصولاً وحی الهی را منکر بودند و می گفتند: این آیات از طرف خدا نیست، اینها جملههایی است که «محمّد» به دروغ بر خدا بسته، لذا در این آیه به پاسخ این سخن با صراحت هر چه بیشتر پرداخته، می گوید: «آنها می گویند: او (پیامبر) آنها را به خدا افترا بسته» (أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ).

«به آنها بگو: اگر راست می گویید (که اینها ساخته و پرداخته مغز بشر است) شما هم ده سوره همانند این سورههای دروغین بیاورید و از هر کس می توانید– جز خدا– برای این کار دعوت کنید» (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَریاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْ تَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۳۱

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۴ ص: ۳۳۱

(آیه ۱۴)- «اما اگر آنها دعوت شما مسلمانان را اجابت نکردند (و حاضر نشدند لااقل ده سوره همانند این سوره ها بیاورند) بدانید (این ضعف و ناتوانی نشانه آن است که قرآن) تنها با علم الهی نازل شده» (فَإِلَّمْ یَدِیتُوا لَکُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ).

«و (نیز بدانید که) هیچ معبودی جز خدا نیست» و نزول این آیات معجز نشان دلیل بر این حقیقت است (وَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ). «آیا با این حال در برابر فرمان الهی شما ای مخالفان تسلیم میشوید»؟ (فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

آیا با این که از شما دعوت به مبارزه کردیم و عجر و ناتوانیتان در برابر این دعوت ثابت شد جای تردید می ماند که این آیات از طرف خداست. دو آیه فوق بار دیگر اعجاز قرآن را تأکید می کند و می گوید: این یک سخن عادی نیست، بلکه وحی آسمانی است که از علم و قدرت بی پایان خداوند سر چشمه گرفته، و به همین جهت تحدی می کند و تمام جهانیان را به مبارزه می طلبد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۵ ص: ۳۳۱

(آیه ۱۵) – آیات گذشته با ذکر «دلایل اعجاز قرآن» حجت را بر مشرکان و منکران تمام کرد و از آنجا که پس از وضوح حق باز گروهی، تنها به خاطر حفظ منافع مادی خویش، از تسلیم خودداری می کنند در این آیه و آیه بعد اشاره به سرنوشت این گونه افراد دنیاپرست کرده، می گوید: «کسی که تنها هدفش زندگی دنیا و زرق و برق و زینت آن باشد در همین جهان نتیجه اعمالشان را بطور کامل به آنها می دهیم بی آن که چیزی از آن کم و کاست شود» (مَنْ کانَ یُرِیدُ الْحَیاةَ الدُّنْیا وَ زِینَتَها نُوَفِّ إِلَیْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِیها وَ هُمْ فِیها لا یُبْخَسُونَ).

این آیه بیان یک سنت همیشگی الهی است که اعمال مثبت و مؤثر نتائج، آن از میان نمی رود، با این تفاوت که اگر هدف اصلی رسیدن به زندگی مادی این جهان باشد ثمره آن چیزی جز آن نخواهد بود، و اما اگر هدف خدا و جلب رضای او باشد هم در این جهان تأثیر خواهد بخشید و هم نتائج پرباری برای جهان دیگر خواهد داشت. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۳۲ نمونه این موضوع را امروز در اطراف خود به روشنی می یابیم، جهان غرب با تلاش پیگیر و منظم خود اسرار بسیاری از علوم و دانشها را شکافته، و بر نیروهای مختلف طبیعت مسلط گشته و با سعی و کوشش مداوم و استقامت در مقابل مشکلات و اتحاد و همبستگی، مواهب فراوانی فراهم نموده است.

بنابراین جای گفتگو نیست که آنها نتائج اعمال و تلاشهای خود را خواهند گرفت و به پیروزیهای درخشانی نائل خواهند شد، اما از آنجا که هدفشان تنها زندگی است، اثر طبیعی این اعمال چیزی جز فراهم شدن امکانات مادی آنان نخواهد بود.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۶ ص: ۳۳۲

(آیه ۱۶)- لذا در این آیه صریحا می گوید: «این گونه افراد در سرای دیگر بهرهای جز آتش ندارند»! (أُولئِکَ الَّذِینَ لَیْسَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ).

«و تمام آنچه را در این جهان انجام دادهاند در جهان دیگر محو و نابود می شود» و هیچ پاداشی در برابر آن دریافت نخواهند کرد (وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِیها).

«و تمام اعمالي را كه براي غير خدا انجام دادهاند باطل و نابود مي گردد» (وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۷ ص: ۳۳۲

(آیه ۱۷)– در تفسیر این آیه نظرات گوناگونی وجود دارد ولی آنچه از همه روشنتر به نظر میرسد چنین است:

در آغاز آیه می گوید: «آیا کسی که دلیل روشنی از پروردگار خویش در اختیار دارد، و به دنبال آن شاهد و گواهی از سوی خدا آمده و قبل از آن کتاب موسی (تورات) به عنوان پیشوا و رحمت و بیانگر عظمت او آمده است» همانند کسی است که دارای این صفات و نشانه ها و دلائل روشن نیست (أَ فَمَنْ کَانَ عَلی بَیّنَهٔ مِنْ رَبِّهِ وَ یَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ کِتابُ مُوسی إِماماً وَ رَحْمَهً).

این شخص همان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است و «بیّنه» و دلیل روشن او قرآن مجید و شاهد و گواه صدق نبوتش مؤمنان راستینی همچون علی علیه السّلام میباشند که پیش از او نشانهها و صفاتش در تورات آمده است.

به این ترتیب از سه راه روشن حقانیت دعوتش به ثبوت رسیده است.

نخست قرآن که بینه و دلیل روشنی است در دست او. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۳۳

دوم کتب آسمانی پیشین که نشانه های او را دقیقا بیان کرده، و پیروان این کتب در عصر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آنها را به خو بی می شناختند.

سوم پیروان فداکار و مؤمنان مخلص که بیانگر صدق دعوت او و گفتار او میباشند.

آیا با جود این دلائل زنده می توان او را با مدعیان دیگر قیاس کرد و یا در صدق دعوتش تردید نمود؟

سپس به دنبال این سخن اشاره به افراد حق طلب و حقیقت جو کرده و از آنها دعوت ضمنی به ایمان می کند و می گوید: «آنها به چنین پیامبری (که این همه دلیل روشن در اختیار دارد) ایمان می آورند» (أُولئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ).

و به دنبال آن سرنوشت منکران را به این صورت بیان میکند: «و هر کس از گروههای مختلف به او کافر شود موعـد و میعادش آتش دوزخ است» (وَ مَنْ یَکْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ).

و در پایان آیه همان گونه که سیره قرآن در بسیاری از موارد است روی سخن را به پیامبر کرده، یک درس عمومی برای همه مردم بیان می کنـد و می گوید: «اکنون (که چنین است و این همه شاهد و گواه بر صدق دعوت تو وجود دارد) هر گز در آنچه بر تو نازل شده تردید به خود راه مده» (فَلا تَکُ فِی مِرْیَةٍ مِنْهُ).

«چرا که این سخن حقی است از سوی پروردگار تو» (إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ).

«ولى بسيارى از مردم (بر اثر جهل و تعصب و خودخواهى) ايمان نمىآورند» (وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ).

بنابراین آیه اشاره به امتیازات اسلام و مسلمین راستین و اتکای آنها بر دلائل محکم در انتخاب این مکتب است، و در نقطه مقابل سرنوشت شوم منکران مستکبر را نیز بیان کرده است.

سورهٔ هود(۱۱): آیهٔ ۱۸ ص: ۳۳۳

(آیه ۱۸)- زیانکارترین مردم: در تعقیب آیه قبل که سخن از قرآن و رسالت پیامبر صلّی الله علیه و آله به میان آمده، در سلسله آیات (۱۸ تا ۲۲) سرنوشت منکران، و نشانه ها، و پایان و عاقبت کارشان را تشریح می کند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۳۴

نخست می فرماید: «چه کسی ستمکارتر است از آن کس که بر خدا دروغ می بندد» (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتُری عَلَی اللَّهِ کَذِباً). یعنی نفی دعوت پیامبر راستین در واقع نفی سخنان خدا و آن را به دروغ نسبت دادن است، اصولاً تکذیب پیامبر، تکذیب خداست.

سپس آینده شوم آنها را در قیامت چنین بیان می کند که: «آنها در آن روز به پیشگاه پروردگار (با تمامی اعمال و کردارشان) عرضه می شوند» و در دادگاه عدل او حضور می یابند (أُولئِکَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ).

«در این هنگام شاهـدان اعمـال (گواهی میدهنـد و) میگوینـد: اینها همان کسانی هسـتند که بر پروردگار بزرگ و مهربان و ولی نعمت خود دروغ بستند» (وَ یَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِینَ کَذَبُوا عَلی رَبِّهِمْ). سپس با صداى رسا مى گويند: «اى لعنت خدا بر ستمگران باد!» (أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۹ ص: ۳۳۴

(آیه ۱۹) – این آیه صفات این ظالمان را در ضمن سه جمله بیان می کند:

نخست می گوید: «آنها کسانی هستند که (مردم را با انواع وسائل) از راه خدا باز میدارند» (الَّذِینَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ). این کار از طریق القاء شبهه، و زمانی از طریق تهدید، و گاهی تطمیع، و مانند آن، صورت می گیرد که هدف همه آنها یکی است و آن بازداشتن از راه خداست.

دیگر این که: «آنها مخصوصا سعی دارند راه مستقیم الهی را کج و معوج نشان دهند» (وَ یَبْغُونَها عِوَجاً). یعنی با انواع تحریفها، کم و زیاد کردن، تفسیر به رأی و مخفی ساختن حقایق چنان می کنند که این صراط مستقیم به صورت اصلیش در نظرها جلوه گر نشود، تا مردم نتوانند از این راه بروند.

و دیگر این که: «آنها به قیامت و روز رستاخیز ایمان ندارند» (وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ کافِرُونَ). و عدم ایمانشان به معاد سر چشمه سایر انحرافات و تبهکاریهای آنان میشود.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲۰ ص: ۳۳۴

(آیه ۲۰)- ولی در این آیه می گوید: با این همه «آنها هیچ گاه توانایی فرار در زمین را ندارنـد» تا از قلمرو قـدرت پروردگار خارج شوند (أُولئِکَ لَمْ یَکُونُوا مُعْجِزِینَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۳۵ فِی الْأَرْض)

. «همچنین آنها نمی توانند ولی و حامی و پشتیبانی غیر از خدا برای خود بیابند» (وَ ما کانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِیاءَ). سر انجام به مجازات سنگین آنها اشاره کرده، می گوید: «مجازات آنها مضاعف می گردد» (یُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ).

چرا که هم خود گمراه و گناهکار و تبهکار بودند، و هم دیگران را به این راهها می کشاندند، و به همین دلیل هم بار گناه خویش را بر دوش می کشند و هم بار گناه دیگران را بی آنکه از گناه دیگران چیزی کاسته شود.

در پایان آیه ریشه اصلی بـدبختی آنها را این گـونه شـرح میدهـد: «آنها نه گوش شـنوا داشـتند و نه چشم بینا»! (ما کـانُوا یَشتَطِیعُونَ السَّمْعَ وَ ما کانُوا یُبْصِرُونَ).

در حقیقت از کار انداختن این دو وسیله مؤثر برای درک حقایق سبب شد که هم خودشان به گمراهی بیفتند و هم دیگران را به گمراهی بکشانند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲۱ ص: ۳۳۵

(آیه ۲۱)– این آیه محصول تمام تلاشـها و کوششهای نادرست آنها را در یک جمله بیان میکند، میگوید: «اینها همه کسانی هستند که سرمایه وجود خود را از دست داده و ورشکست شدند» (أُولئِکَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ)

.و این بزرگترین خسارتی است که ممکن است دامنگیر انسانی شود که موجودیت انسانی خویش را از دست داده.

سپس اضافه می کند: آنها به معبودهایی دروغین دل بسته بودند «اما سر انجام تمام این معبودهای ساختگی گم شدند و از

نظرشان محو گشتند» (وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ)

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲۲ ص: ۳۳۵

(آیه ۲۲)- و در این آیه حکم نهایی سرنوشت آنها را به صورت قاطعی چنین بیان می کند: «لا جرم و به ناچار آنها در سرای آخرت زیانکارترین مردمند» (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِی الْآخِرَهِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ).

چرا که تمام سرمایههای انسانی وجود خویش را از دست دادند، و با این حال، هم بار مسؤولیت خویش را بر دوش می کشند و هم بار مسؤولیت دیگران را!

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲۳ ص: ۳۳۵

(آیه ۲۳) – در تعقیب آیات گذشته که حال گروهی از منکران وحی الهی را برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۳۶ تشریح می کرد، این آیه و آیه بعد نقطه مقابل آنها یعنی حال مؤمنان راستین را بیان می کند.

نخست مى گويىد: «كسانى كه ايمان آوردنىد و عمل صالح انجام دادنىد و در برابر خداونىد خاضع و تسليم و به وعدههاى او مطمئن بودنىد، اصحاب و ياران بهشتند و جاودانه در آن خواهنىد مانىد» (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولِئِكُ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲۴ ص: ۳۳۶

(آیه ۲۴)– در این آیه خداونـد حال این دو گروه را در ضـمن یک مثال روشن و زنـده بیان میکنـد و میگوید: «حال این دو گروه، حال نابینا و کر و بینا و شنوا است» (مَثَلُ الْفَرِیقَیْنِ کَالْأَعْمی وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِیرِ وَ السَّمِیعِ).

«آيا اين دو گروه همانند يكديگرند» (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا).

«آیا شما متذکر نمی شوید و نمی اندیشید» (أَ فَلا تَذَكَّرُونَ).

آنها که بر اثر لجاجت و دشمنی با حق و گرفتار بودن در چنگال تعصب و خودخواهی و خودپرستی، چشم و گوش حقیقت بین را از دست دادهاند هر گز نمی توانند، حقایق مربوط به عالم غیب و اثرات ایمان و لذت عبادت پروردگار و شکوه تسلیم در برابر فرمان او را درک کنند، این گونه افراد به کوران و کرانی میمانند که در تاریکی مطلق و سکوت مرگبار زندگی دارند، در حالی که مؤمنان راستین با چشم باز و گوش شنوا هر حرکتی را می بینند و هر صدایی را می شنوند و با توجه به آن راه خود را به سوی سرنوشتی سعادت آفرین می گشایند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲۵ ص: ۳۳۶

(آیه ۲۵)- سرگذشت تکان دهنده نوح و قومش: همان گونه که در آغاز سوره بیان کردیم در این سوره، قسمتهای قابل ملاحظهای از تاریخ انبیاء پیشین بیان شده است:

نخست از داستان «نوح» (ع) پیامبر اولو العزم شروع می کند و ضمن ۲۶ آیه نقاط اساسی تاریخ او را به صورت تکان دهندهای

شرح مىدهد.

در این آیه نخستین مرحله این دعوت بزرگ را بیان کرده و می گوید: «ما نوح را به سوی قومش فرستادیم، (او به آنها اعلام کرد) که من بیم دهنده آشکاری هستم» برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۳۷ (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّی لَکُمْ نَذِیرٌ مُبِینٌ).

سورهٔ هود(۱۱): آیهٔ ۲۶ ص: ۳۳۷

(آیه ۲۶) - در این آیه پس از ضربه نخستین، محتوای رسالت خود را در یک جمله خلاصه می کند و می گوید: رسالت من این است «که غیر از الله دیگری را پرستش نکنید» (أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ).

و بلافاصله پشت سر آن همان مسأله انـذار و اعلام خطر را تكرار مىكنـد و مىگويـد: «من بر شـما از عـذاب روز دردناكى بيمناكم» (إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْم أَلِيم).

در حقیقت توحید و پرستش اللّه (خدای یگّانه یکتا) ریشه و اساس و زیر بنای تمام دعوت پیامبران است.

اگر براستی همه افراد جامعه جز «اللّه» را پرستش نکننـد و در مقابـل انواع بتهـای ساختگی اعم از بتهای برونی و درونی، خود خواهیها، هوی و هوسـها، شـهوتها، پول و مقام و جاه و جلال و زن و فرزنـد سـر تعظیم فرود نیاورنـد، هیـچ گونه نابسامانی در جوامع انسانی وجود نخواهد آمد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲۷ ص: ۳۳۷

(آیه ۲۷)– اکنون ببینیم نخستین عکس العمل طاغوتها و خودکامگان و صاحبان زر و زور آن عصر در برابر این دعوت بزرگ و اعلام خطر آشکار چه بود؟

آنها سه پاسخ در برابر دعوت نوح دادند.

نخست «اشـراف و ثروتمنـدان كافر فوم او (نوح) گفتنـد: ما تو را جز انسانى همانند خود نمىبينيم» (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا).

در حالی که رسالت الهی را باید فرشتگان بدوش کشند، به گمان این که مقام انسان از فرشته پایین تر است و یا درد انسان را فرشته بهتر از انسان میداند! دلیل دیگر آنها این بود که گفتند: ای نوح! «ما در اطراف تو، و در میان آنها که از تو پیروی کردهاند کسی جز یک مشت اراذل و جوانان کم سن و سال ناآگاه و بی خبر که هر گز مسائل را بررسی نکردهاند نمی بینیم» (وَ ما نَراکَ اتَّبَعَکَ إِلَّا الَّذِینَ هُمْ أَراذِلُنا بادِیَ الرَّأْیِ).

بالاخره سومین ایراد آنها این بود که میگفتند قطع نظر از این که تو انسان برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۳۸ هستی نه فرشته، و علاوه بر این که ایمان آورنـدگان به تو نشان میدهـد که دعوتت محتوای صحیحی نـدارد «اصولا ما هیچ گونه برتری برای شما بر خودمان نمیبینیم تا به خاطر آن از شما پیروی کنیم» (وَ ما نَری لَکُمْ عَلَیْنا مِنْ فَضْلٍ). و به همین دلیل «ما گمان میکنیم که شما دروغگو هستید» (بَلْ نَظُنُّکُمْ کاذِبِینَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲۸ ص: ۳۳۸

(آیه ۲۸) - در این آیه پاسخهای منطقی نوح را در برابر این ماجراجویان بیان می کند «نوح گفت: ای قوم من! اگر من دارای دلیل و معجزه آشکاری از سوی پروردگارم باشم، و مرا در انجام این رسالت مشمول رحمت خود ساخته باشد، و این موضوع بر اثر عدم توجه بر شما مخفی مانده باشد» آیا باز هم رسالت مرا انکار می کنید (قالَ یا قَوْمِ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ کُنْتُ عَلی بَیّنَهٔ مِنْ رَبّی وَ آتانِی رَحْمَهٔ مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّیَتْ عَلَیْکُمْ).

و در پایـان آیه می گویـد: «آیـا من میتوانم شـما را بر پـذیرش این بیّنه روشن مجبور سـازم در حـالی که (خود شـما آمـادگی ندارید و) از پذیرش و حتی تفکر و اندیشه پیرامون آن کراهت دارید» (أَ نُلْزِمُکُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها کارِهُونَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۲۹ ص: ۳۳۸

(آیه ۲۹)- من هیچ فرد با ایمانی را طرد نمی کنم! این آیه نیز دنباله پاسخگویی به بهانه جوییهای قوم نوح است.

نخست یکی از دلائل نبوت را که نوح برای روشن ساختن قوم تاریکدل بیان کرده، بازگو میکند: «ای قوم من! در برابر این دعوت از شما مال و ثروت و اجر و پاداشی مطالبه نمیکنم» (وَ یا قَوْم لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مالًا).

«اجر و پاداش من تنها بر خداست» (إِنْ أُجرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ).

خدایی که مرا مبعوث به نبوت ساخته و مأمور به دعوت خلق کرده است.

و این میزان و الگویی است برای شناخت رهبران راستین، از فرصت طلبان دروغین، که هر گامی را برمیدارند بطور مستقیم یا غیر مستقیم هدف مادی از آن دارند.

سپس در پاسخ آنها که اصرار داشتند نوح ایمان آورندگان فقیر و یا کم سن و سال را از خود براند با قاطعیت می گوید: «من هرگز کسانی را که ایمان آوردهاند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۳۹

طرد نمى كنم» (وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا).

«چرا که آنها با پروردگار خویش ملاقات خواهند کرد» و در سرای دیگر خصم من در برابر او خواهند بود (إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ). در پایان آیه به آنها اعلام میکند که: «من شما را مردمی جاهل میدانم» (وَ لَکِنِّی أَراکُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۰ ص: ۳۳۹

(آیه ۳۰) - در این آیه برای توضیح بیشتر به آنها می گوید: «ای قوم من! اگر این گروه با ایمان را طرد کنم چه کسی در برابر خدا (در آن دادگاه بزرگ عدالت و حتی در این جهان) مرا یاری خواهد کرد»؟! (وَ یا قَوْمِ مَنْ یَنْصُرُنِی مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ). طرد افراد صالح و مؤمن کار ساده ای نیست، آنها فردای قیامت دشمن من خواهند بود و هیچ کس نمی تواند در آنجا از من دفاع کند، و نیز ممکن است مجازات الهی در این جهان دامن مرا بگیرد «آیا اندیشه نمی کنید» تا بدانید آنچه می گویم عین حقیقت است (أَ فَلا تَذَکَّرُونَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۱ ص: ۳۳۹

(آیه ۳۱)- آخرین سخنی که نوح در پاسخ ایرادهای واهی قوم به آنها می گوید این است که اگر شما خیال می کنید و انتظار دارید من امتیازی جز از طریق وحی و اعجاز بر شما داشته باشم اشتباه است، با صراحت باید بگویم که: «من نه به شما مى گويم خزائن الهى در اختيار من است» و نه هر كارى بخواهم مى توانم انجام دهم (وَ لا أَقُولُ لَكَمْ عِنْدِى خَزائِنُ اللَّهِ). «و نه مى گويم من فرشتهام» (وَ لا أَقُولُ إِنِّى مَلَكُ).

این گونه ادعاهای بزرگ و دروغین مخصوص مدّعیان کاذب است، و هیچ گاه یک پیامبر راستین چنین ادّعاهایی نخواهد کرد.

در پایان آیه بار دیگر به موضوع ایمان آورندگان مستضعف پرداخته و تأکید میکند که: «من هرگز نمی توانم در باره این افرادی که در چشم شما حقیرند بگویم:

خداونـد خير و پـاداش نيكى به آنها نخواهـد داد» (وَ لا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً) بلكه به عكس خير اين جهان و آن جهان مال آنهاست، هر چند دستشان از برگزيده تفسير نمونه، ج٢، ص: ٣٤٠

مال و ثروت تهی است، این شما هستید که بر اثر خیالات خام، خیر را در مال و مقام یا سن و سال منحصر ساخته اید و از حقیقت و معنی بکلی بیخبرید.

و به فرض که گفته شما راست باشد و آنها اراذل و اوباش باشند «خدا از درون جان آنها و نیاتشان آگاهتر است» (اللّهُ أَعْلَمُ بِما فِي أَنْفُسِهِمْ).

من که جز ایمان و صداقت از آنها چیزی نمی بینم، و به همین دلیل وظیفه دارم آنان را بپذیرم، من مأمور به ظاهرم و بنده شناس خداست! و اگر غیر از این کاری کنم «مسلما در این صورت از ستمکاران خواهم بود» (إِنِّی إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِینَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۲ ص: ۳۴۰

(آیه ۳۲) – حرف بس است، مجازات کو؟ به دنبال گفتگوی نوح و قومش در این آیه از زبان قوم نوح چنین نقل می کند «آنها گفتند: ای نوح این همه بحث و مجادله کردی بس است، تو بسیار با ما سخن گفتی» دیگر جایی برای بحث باقی نمانده است (قالُوا یا نُوحُ قَدْ جادَلْتنا فَأَکْثَوْتَ جِدالَنا).

«اگر راست می گویی، همان وعـدههای دردناکی را که به ما میدهی در مورد عـذابهای الهی تحقق بخش» (فَأْتِنا بِما تَعِـدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ).

انتخاب این روش در برابر آن همه محبت و لطف پیامبران الهی و گفتارهایی که همچون آب زلال و گوارا بر دل مینشیند حکایت از نهایت لجاجت و تعصب و بیخبری می کند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۳ ص: ۳۴۰

(آیه ۳۳)- نوح در برابر این بیاعتنایی، لجاجت و خیرهسری، با جمله کوتاهی چنین «پاسخ گفت: تنها اگر خـدا اراده کنـد به این تهدیدها و وعدههای عذاب تحقق میبخشد» (قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شاءَ).

ولی به هر حال این از دست من خارج است و در اختیار من نیست، من فرستاده اویم، و سر بر فرمانش دارم، بنابراین مجازات و عذاب را از من مخواهید.

اما بدانید هنگامی که فرمان عذاب فرا رسد «شما نمی توانید از چنگال قدرت او بگریزید، و به مأمن و پناهگاهی فرار کنید»! (وَ ما أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۴ ص: ۳۴۰

(آیه ۳۴)- سپس اضافه می کند: «اگر خداوند (به خاطر گناهان و آلودگیهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۴۱ جسمی و فکریتان) بخواهد شما را گمراه سازد، هرگز نصیحت من برای شما سودی نخواهد بخشید هر چند بخواهم شما را نصیحت کنم» (وَ لا یَنْفَعُکُمْ نُصْحِی إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَکُمْ إِنْ کَانَ اللَّهُ یُرِیدُ أَنْ یُغْوِیکُمْ).

چرا که «او پروردگار شماست و به سوی او باز می گردید» و تمام هستی شما در قبضه قدرت اوست» (هُـوَ رَبُّکُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۵ ص: ۳۴۱

(آیه ۳۵) - در این آیه سخنی به عنوان یک جمله معترضه برای تأکیـد بحثهایی که در داسـتان نوح در آیات گذشـته و آینـده عنوان شده است می گوید:

«دشمنان می گوینـد این مطلب را او (محمـد صـلّی اللّه علیه و آله) از پیش خود ساخته و به خدا نسـبت داده است» (أُمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ).

در پاسخ آنها «بگو: اگر من اینها را از پیش خود ساخته و به دروغ به خـدا نسبت دادهام گناهش بر عهـده من است» (قُلْ إِنِ افْتَرَیْتُهُ فَعَلَیً إِجْرامِی).

«ولى من از گناهان شما بيزارم» (وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۶ ص: ۳۴۱

(آیه ۳۶)- تصفیه شروع می شود! آنچه در آیات قبل گذشت مرحله دعوت و تبلیغ پی گیر و مستمر نوح (ع) با نهایت جدیت، و با استفاده از تمام وسائل بود.

در اینجا به مرحله دوم این مبارزه اشاره شده مرحله پایان یافتن دوران تبلیغ و آماده شدن برای تصفیه الهی! نخست میخوانیم: «به نوح وحی شـد که جز افرادی که از قومت به تو ایمان آوردهاند دیگر هیچ کس ایمان نخواهد آورد» (وَ أُوحِیَ إِلَی نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِکَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ).

اشاره به این که صفوف بکلی از هم جدا شده، و دیگر دعوت برای ایمان و اصلاح سودی ندارد، و باید آماده تصفیه و انقلاب نهایی شود.

و در پایان آیه به نوح دلداری داده، می گوید: «اکنون که چنین است از کارهایی که اینها انجام میدهند به هیچ وجه اندوهناک و محزون مباش» (فَلا تَبْتَئِسْ بِما کانُوا یَفْعَلُونَ).

ضمنا از این آیه استفاده می شود که خداوند قسمتهایی از علم اسرار غیب را برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۴۲ در هر مورد که لازم باشد در اختیار پیامبرش می گذارد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۷ ص: ۳۴۲

(آیه ۳۷) – به هر حال این گروه عصیانگر و لجوج باید مجازات شوند، مجازاتی که جهان را از لوث وجود آنها پاک کند و مؤمنان را برای همیشه از چنگالشان رها سازد.

نخست می فرماید: به نوح فرمان دادیم که «کشتی بساز، در حضور ما و طبق فرمان ما» (وَ اصْنَعِ الْفُلْکُ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا). در پایان آیه به نوح هشدار می دهد که از این به بعد «در باره ستمگران شفاعت و تقاضای عفو مکن چرا که آنها (محکوم به عذابند و) مسلما غرق خواهند شد (وَ لا تُخاطِبْنِی فِی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ).

این جمله به خوبی میفهماند که شفاعت شرائطی دارد که اگر در کسی موجود نباشد پیامبر خدا هم حق شفاعت و تقاضای عفو در مورد او را ندارد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۸ ص: ۳۴۲

(آیه ۳۸) – اما چند جمله هم در باره قوم نوح بشنویم: آنها به جای این که یک لحظه با مسأله دعوت نوح بطور جدی برخورد کنند و حد اقل احتمال دهند که ممکن است این همه اصرار نوح (ع) و دعوتهای مکررش از وحی الهی سر چشمه گرفته و مسأله طوفان و عذاب حتمی باشد، باز همانطور که عادت همه افراد مستکبر و مغرور است به استهزاء و مسخره ادامه دادند «او مشغول ساختن کشتی بود و هر زمان که گروهی از قومش از کنار او می گذشتند (و او و یارانش را سر گرم تلاش برای آماده ساختن چوبها و میخها و وسائل کشتی سازی می دیدند) او را مسخره می کردند» (وَ یَصْ نَعُ الْفُلْکَ وَ کُلَّما مَرَّ عَلَیْهِ مَلَاً مِنْ قَوْمِهِ سَخُوا منه کُه).

اما نوح با استقامت فوق العادهای که زاییده ایمان است با جدیت فراوان به کار خود ادامه می داد، و بی اعتنا به گفته های بی اساس این کوردلان از خود راضی بسرعت پیشروی می کرد، و روز به روز اسکلت کشتی آماده تر و مهیاتر می شد، فقط گاهی سر بلند می کرد و این جمله کوتاه و پرمعنی را به آنها «می گفت: اگر (امروز) ما را مسخره می کنید ما نیز شما را همین گونه (در آینده نزدیکی) مسخره خواهیم کرد»! (قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْکُمْ کَما تَسْخَرُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص : ۳۴۳

آن روز که شما در میان طوفان سرگردان خواهید شد و سراسیمه به هر سو میدوید و هیچ پناهگاهی نخواهید داشت و از میان امواج فریاد میکشید و التماس میکنید که ما را نجات ده! آری آن روز مؤمنان بر افکار شما و غفلت و جهل و بی خبرتیان می خندند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۳۹ ص: ۳۴۳

(آیه ۳۹)– «پس به زودی خواهیـد دانست چه کسـی عـذاب خوار کننـده به سـراغ او خواهد آمد و مجازات جاودان دامنش را خواهد گرفت» (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ).

در بعضی از روایات اسلامی آمده است که مدت چهل سال قبل از ظهور طوفان یک نوع بیماری به زنان قوم نوح دست داد که دیگر از آنان بچهای متولد نشد و این در واقع مقدمهای برای مجازات و عذاب آنان بود.

کشتی نوح- بـدون شک کشتی نوح یک کشتی سادهای نبود و ساخت آن با وسائل آن روز به آسانی و سـهولت پایان نیافت، کشتی بزرگی بود که علاـوه بر مؤمنـان راستین یک جفت از نسل هر حیوانی را در خود جای میداد و آذوقه فراوانی که برای مدتها زندگی انسانها و حیوانهایی که در آن جای داشتند حمل می کرد، چنین کشتی با چنان ظرفیت حتما در آن روز بی سابقه بوده است، به خصوص که این کشتی باید از دریایی به وسعت این جهان با امواجی کوه پیکر سالم بگذرد و نابود نشود، لذا در بعضی از روایات مفسرین می خوانیم که این کشتی هزار و دویست ذراع طول و ششصد ذراع عرض داشت! (هر ذراع حدود نیم متر است).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۰ ص: ۳۴۳

(آیه ۴۰)– طوفان شروع می شود! در آیات گذشته دیدیم که چگونه نوح و مؤمنان راستین دست به ساختن کشتی نجات زدند و تن به تمام مشکلات و سخریههای اکثریت بی ایمان مغرور دادند، و خود را برای طوفان آماده ساختند:

در اینجا سومین فراز این سرگذشت یعنی چگونگی نزول عذاب را بر این قوم ستمگر به طرز گویایی تشریح می کند.

نخست می گوید: این وضع همچنان ادامه داشت «تا فرمان ما صادر شـد (و طلایع عـذاب آشـکار گشت) و آب از درون تنور جوشیدن گرفت»! (حَتَّی إِذا جاءَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۴۴

أَمْرُنا وَ فارَ النَّنُّورُ)

. شاید قوم غافل و بیخبر جوشیدن آب را از درون تنور خانه هایشان دیدند ولی مانند همیشه از کنار این گونه اخطارهای پرمعنی الهی چشم و گوش بسته گذشتند، حتی برای یک لحظه نیز به خود اجازه تفکر ندادند که شاید حادثهای در شرف تکوین باشد، شاید اخطارهای نوح واقعیت داشته باشد.

در این هنگام به نوح «فرمان دادیم که از هر نوعی از انواع حیوانـات یک جفت (نر و ماده) بر کشتی سوار کن» تا در غرقاب، نسل آنها قطع نشود (قُلْنَا احْمِلْ فِیها مِنْ کُلِّ زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ).

«و همچنین خانـدانت را جز آنها که قبلا وعده هلاک آنها داده شده و نیز مؤمنان را بر کشتی سوار کن» (وَ أَهْلَکَ إِلَّا مَنْ سَـبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ).

«اما جز افراد كمى به او ايمان نياورده بودند» (وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ).

این آیه از یک سو اشاره به همسر بی ایمان نوح و فرزندش «کنعان» می کند که بر اثر انحراف از مسیر ایمان و همکاری با گناهکاران رابطه و پیوند خود را از نوح بریدند و حق سوار شدن بر آن کشتی نجات نداشتند.

و از سوی دیگر اشــاره به این میکنــد که محصول سالیان بســیار دراز تلاش پیگیر نوح (ع) در راه تبلیغ آیین خویش چیزی جز گروهی اندک از مؤمنان نبود.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۱ ص: ۳۴۴

(آیه ۴۱)- نوح بسرعت بستگان و یاران با ایمان خود را جمع کرد و چون لحظه طوفان و فرا رسیدن مجازاتهای کوبنده الهی نزدیک می شد «به آنها دستور داد که به نام خدا بر کشتی سوار شوید، به هنگام حرکت و توقف کشتی نام خدا را بر زبان جاری سازید و به یاد او باشید» (وَ قالَ ارْکَبُوا فِیها بِسْم اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها).

چرا می گویم: در همه حال به یاد او باشید و از یاد و نام او مدد بگیرید؟ «برای این که پروردگار من آمرزنده مهربان است» (إِنَّ رَبِّی لَغَفُورٌ رَحِیمٌ).

به مقتضای رحمتش این وسیله نجات را در اختیار شما بنـدگان با ایمان قرار داده و به مقتضای آمرزشـش از لغزشـهای شـما می گذرد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۲ ص: ۳۴۴

(آیه ۴۲)- سر انجام لحظه نهایی فرا رسید و فرمان مجازات این قوم سرکش برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۴۵

صادر شد، ابرهای تیره و تار همچون پارههای شب ظلمانی سراسر آسمان را فرا گرفت، و آنچنان روی هم متراکم گردید که نظیرش هیچ گاه دیده نشده بود، صدای غرش رعد و پرتو خیره کننده برق پیدرپی در فضای آسمان پخش می شد و خبر از حادثه بسیار عظیم و وحشتناکی می داد.

باران شروع شد، قطرهها درشت و درشت تر شد. از سوی دیگر سطح آب زیر زمینی آنقدر بالا آمد که از هر گوشهای چشمه خروشانی جوشیدن گرفت.

و به زودی سطح زمین به صورت اقیانوسی در آمد، وزش بادها امواج کوه پیکری روی این اقیانوس ترسیم می کرد و این امواج از سر و دوش هم بالا میرفتند و روی یکدیگر می غلتیدند.

«و کشتی نوح با سرنشینانش سینه امواج کوه پیکر را میشکافت و همچنان پیش میرفت» (وَ هِیَ تَجْرِی بِهِ-مْ فِی مَروْجٍ کَالْجبال).

«نوح فرزندش را که در کناری جدا از پدر قرار گرفته بود مخاطب ساخت و فریاد زد فرزندم! با ما سوار شو و با کافران مباش» که فنا و نابودی دامنت را خواهد گرفت (وَ نادی نُوحٌ ابْنَهُ وَ کانَ فِی مَعْزِلٍ یا بُنَیَّ ارْکَبْ مَعَنا وَ لا تَکُنْ مَعَ الْکافِرِینَ). اما متأسفانه تأثیر همنشین بد بیش از آن بود که گفتار این پدر دلسوز تأثیر مطلوب خود را ببخشد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۳ ص: ۳۴۵

اشاره

(آیه ۴۳)- لـذا این فرزنـد لجوج و کوتاه فکر به گمان این که با خشم خدا می توان به مبارزه برخاست، فریاد زد (پدر برای من جوش نزن) به زودی به کوهی پنـاه می برم که (دست این سیلاب به دامنش هرگز نخواهـد رسید و) مرا در دامـان خود پنـاه خواهد داد» (قالَ سَآوِی إِلی جَبَلِ يَعْصِمُنِی مِنَ الْماءِ).

نوح باز مأیوس نشد، بار دیگر به انـدرز و نصیحت پرداخت، شاید فرزند کوتاه فکر از مرکب غرور و خیره سـری فرود آید و راه حق پیش گیرد، به او «گفت:

فرزندم امروز هیچ قدرتی در برابر فرمان خدا پناه نخواهد داد» (قالَ لا عاصِمَ الْیَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ). «تنها نجات از آن کسی است که مشمول رحمت خدا باشد و بس» (إِلَّا مَنْ رَحِمَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۴۶

«در این هنگام موج (ی برخاست و فرزنـد نوح را همچون پر کاهی از جا کنـد و) در میان آن دو حائل شـد و او در زمره غرق شدگان قرار گرفت» (وَ حالَ بَیْنَهُمَا الْمَوْجُ فَکانَ مِنَ الْمُغْرَقِینَ).

درسهای تربیتی در طوفان نوح: ص: 348

اشاره

همان گونه که میدانیم هدف اصلی قرآن از بیان سرگذشت پیشینیان بیان درسهای عبرت و نکات آموزنده و تربیتی است و در همین قسمت نکتههای بسیار مهمی نهفته است که به قسمتی از آن ذیلا اشاره میشود:

۱- پاکسازی روی زمین: ص: ۳۴۶

درست است که خداوند، «رحیم» و مهربان است ولی نباید فراموش کرد که او در عین حال، «حکیم» نیز میباشد، به مقتضای حکمتش هرگاه قوم و ملتی فاسد شوند و دعوت ناصحان و مربیان الهی در آنها اثر نکند، حق حیات برای آنها نیست، سر انجام از طریق انقلابهای اجتماعی و یا انقلابهای طبیعی، سازمان آنها در هم کوبیده و نابود می شود.

این نه منحصر به قوم نوح بوده است و نه به زمان و وقت معینی، یک سنت الهی است در همه اعصار و قرون و همه اقوام و ملتها و حتی در عصر و زمان ما! و چه بسا جنگهای جهانی اول و دوم اشکالی از این پاکسازی باشد.

٢- مجازات با طوفان چرا؟ ص: 348

درست است که یک قوم و ملت فاسد باید نابود شوند و وسیله نابودی آنها هر چه باشد تفاوت نمی کند، ولی دقت در آیات قرآن نشان میدهد که بالاخره تناسبی میان نحوه مجازاتها و گناهان اقوام بوده و هست.

فرعون تکیه گاه قدرتش را رود «عظیم نیل» و آبهای پربرکت آن قرار داده بود و جالب این که نابودی او هم به وسیله همان شد! قوم نوح جمعیت کشاورز و دامدار بودند و چنین جمعیتی همه چیز خود را از دانههای حیاتبخش باران میداند، اما سر انجام همین باران آنها را از بین برد.

و اگر می بینیم انسانهای طغیانگر عصر ما در جنگهای جهانی اول و دوم به وسیله مدرنترین سلاحهایشان در هم کوبیده شدند، نبایـد مایه تعجب ما باشـد چرا که همین صنایع پیشرفته بود که تکیه گاه آنها در اسـتعمار و اسـتثمار خلقهای برگزیـده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۴۷

مستضعف جهان محسوب مي شد!

٣- پناهگاههای پوشالی: ص: ٣٤٧

معمولا هر کس در مشکلات زندگی به چیزی پناه می برد، گروهی به ثروتشان، گروهی به مقام و منصبشان، عده ای به قدرت جسمانیشان، و جمعی به نیروی فکریشان، ولی همان گونه که آیات فوق به ما می گوید، و تاریخ نشان داده، هیچ یک از اینها در برابر فرمان پروردگار کمترین تاب مقاومت ندارد، و همچون تارهای عنکبوت که در برابر وزش طوفان قرار گیرد بسرعت در هم می ریز د.

فرزند نادان و خیره سر نوح پیامبر (ع) نیز در همین اشتباه بود، گمان می کرد کوه می تواند در برابر طوفان خشم خدا به او پناه دهد، اما چه اشتباه بزرگی! حرکت یک موج کار او را ساخت و به دیار عدمش فرستاد.

۴- کشتی نجات: ص: ۳۴۷

در روایاتی که از پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله در کتب شیعه و اهل تسنن آمده است خاندان او یعنی امامان اهل بیت و حاملات مکتب اسلام به عنوان «کشتی نجات» معرفی شده اند. یعنی، هنگامی که توفانهای فکری و عقیدتی و اجتماعی در جامعه اسلامی رخ می دهد تنها راه نجات، پناه بردن به مکتب اهل بیت علیهم السّلام است.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۴ ص: ۳۴۷

(آیه ۴۴)- پایان یک ماجرا! نوح زمام کشتی را به دست خدا سپرده امواج، کشتی را به هر سو میبرد. در روایات آمده است که شش ماه تمام این کشتی سر گردان بود و نقاط مختلفی و حتی طبق پارهای از روایات سرزمین مکه و اطراف خانه کعبه را سیر کرد.

سر انجام فرمان پایان مجازات و بازگشت زمین به حالت عادی صادر شد. این آیه چگونگی این فرمان و جزئیات و نتیجه آن را در عبارات بسیار کوتاه و مختصر و در عین حال فوق العاده رسا و زیبا در ضمن شش جمله بیان می کند و می گوید: «به زمین دستور داده شد، ای زمین آبت را در کام فرو بر»! (وَ قِیلَ یا أَرْضُ ابْلَعِی ماءَکِ).

«و (به آسمان دستور داده شد) ای آسمان دست نگهدار» (وَ یا سَماءُ أَقْلِعِی).

«و آب فرو نشست» (وَ غِيضَ الْماءُ). برگزيده تفسير نمونه، ج٢، ص: ٣٤٨

«و كار پايان يافت» (وَ قُضِيَ الْأَمْرُ).

«و كشتى بر دامنه كوه جودى پهلو گرفت» (وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ).

و آن کوه معروفی در نزدیکی «موصل» میباشد.

«و در این هنگام گفته شد: دور باد قوم ستمگر»! (وَ قِیلَ بُعْداً لِلْقَوْم الظَّالِمِینَ).

به گفته جمعی از دانشمندان عرب این آیه «فصیحترین و بلیغترین» آیات قرآن محسوب می شود.

شاهد گویای این سخن همان است که در روایات و تواریخ اسلامی میخوانیم که گروهی از کفار قریش، به مبارزه با قرآن برخاستند و تصمیم گرفتند آیاتی همچون آیات قرآن ابداع کنند، علاقمندانشان برای مدت چهل روز بهترین غذاها و مشروبات مورد علاقه آنان برایشان تدارک دیدند، مغز گندم خالص، گوشت گوسفند و شراب کهنه! تا با خیال راحت به ترکیب جملههایی همانند قرآن بپردازند! اما هنگامی که به آیه فوق رسیدند، چنان آنها را تکان داد که بعضی به بعض دیگر نگاه کردند و گفتند: این سخنی است که هیچ کلامی شبیه آن نیست، و اصولا شباهت به کلام مخلوقین ندارد، این را گفتند و از تصمیم خود منصرف شدند و مأیوسانه پراکنده گشتند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۵ ص: ۳۴۸

(آیه ۴۵) – سرگذشت دردناک فرزند نوح: در آیات گذشته خواندیم که فرزند نوح، نصیحت و اندرز پدر را نشنید و تا آخرین نفس دست از لجاجت و خیرهسری بر نداشت.

در اینجا قسمت دیگری از همین ماجرا را بیان می کند و آن این که وقتی نوح فرزند خود را در میان امواج دید، عاطفه پدری

به جوش آمد و به یاد وعده الهی در باره نجات خاندانش افتاد، رو به درگاه خدا کرد «و صدا زد پروردگارا! فرزندم از خاندان من است (و تو وعده فرمودی که خاندان مرا از طوفان و هلاکت رهایی بخشی) و وعده تو در مورد نجات خاندانم حقّ است. و تو از همه حکم کنندگان برتری» و در وفای به عهد از همه ثابت تری (وَ نادی نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ زیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۴۹

أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكُمُ الْحاكِمِينَ)

این وعده اشاره به همان چیزی است که در آیه ۴۰ همین سوره گذشت.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۶ ص: ۳۴۹

(آیه ۴۶)- اما بلافاصله پاسخ شنید، پاسخی تکان دهنده و روشنگر از یک واقعیت بزرگ، واقعیتی که پیوند مکتبی را مافوق پیوند نسبی و خویشاوندی قرار میدهد.

«خداوند گفت: اى نوح! او از اهل تو نيست»! (قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكُ).

«بلكه او عملى است غير صالح» (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِح).

فرد ناشایستهای است که بر اثر بریدن پیوند مکتبیش از تو، پیوند خانواده گیش به چیزی شمرده نمی شود.

«حال که چنین است، چیزی را که به آن علم نداری از من تقاضا مکن» (فَلا تَدْ مَلْنِ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ). «من به تو موعظه می کنم تا از جاهلان نباشی» (إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجاهِلِینَ).

از امام على بن موسى الرضا عليه السّلام نقل شده كه روزى از دوستان خود پرسيد:

مردم این آیه را چگونه تفسیر می کنند «إِنَّهُ عَمَلٌ غَیْرُ صالِحٍ» یکی از حاضران عرض کرد بعضی معتقدند که معنی آن این است که فرزند نوح (کنعان) فرزند حقیقی او نبود. امام فرمود: «نه چنین نیست، او به راستی فرزند نوح بود، اما هنگامی که گناه کرد و از جاده اطاعت فرمان خدا قدم بیرون گذاشت خداوند فرزندی او را نفی کرد، همچنین کسانی که از ما باشند ولی اطاعت خدا نکنند، از ما نیستند».

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۷ ص: ۳۴۹

(آیه ۴۷) – به هر حال نوح دریافت که این تقاضا از پیشگاه پروردگار درست نبوده است و هرگز نباید نجات چنین فرزندی را مشمول وعده الهی دائر بر نجات خاندانش بداند، لذا رو به درگاه پروردگار کرد و گفت: پروردگارا! من به تو پناه میبرم از اینکه چیزی از تو بخواهم که به آن آگاهی ندارم» (قالَ رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْئَلَکَ ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ).
(و اگر مرا نبخشی و مشمول رحمت قرار ندهی از زیانکاران خواهم بود» برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۵۰
(وَ إِلَّا تَغْفِرْ لِی وَ تَرْحَمْنِی أَکُنْ مِنَ الْخاسِرِینَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۸ ص: ۳۵۰

(آیه ۴۸)- نوح به سلامت فرود آمد! در این آیه اشاره به فرود آمدن نوح از کشتی و تجدید حیات و زندگی عادی بر روی زمین شده است. نخست می گوید: «به نوح خطاب شد که ای نوح! به سلامت و با برکت از ناحیه ما بر تو و بر آنها که با تواند فرود آی» (قِیلَ یا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلام مِنَّا وَ بَرَکاتٍ عَلَیْکَ وَ عَلی أُمَم مِمَّنْ مَعَکَ).

بدون شک «طُوفان» همه آثار حیات را در هُم کوبیده بود، و طبعا زمینهای آباد، مراتع سرسبز و باغهای خرم، همگی ویران شده بودند، و در این هنگام بیم آن میرفت که نوح و یارانش از نظر «زندگی» و «تغذیه» در مضیقه شدید قرار گیرند، اما خداوند به این گروه مؤمنان اطمینان داد که درهای برکات الهی به روی شما گشوده خواهد شد و از نظر زندگی هیچ گونه نگرانی به خود راه ندهید که محیطی «سالم» و پربرکت برای شما فراهم است.

سپس اضافه می کند: با این همه باز در آینده از نسل همین مؤمنان «امتهایی به وجود می آیند که انواع نعمتها را به آنها می بخشیم (ولی آنها می رسد» (وَ أُمَمُّ سَـ نُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ می بخشیم (ولی آنها می رسد» (وَ أُمَمُّ سَـ نُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ مَی بَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِیمٌ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۴۹ ص: ۳۵۰

(آیه ۴۹)- در این آیه که با آن داستان نوح در این سوره پایان می گیرد، یک اشاره کلی به تمام آنچه گذشت می کند و میفرماید: «اینها همه از اخبار غیب است که به تو (ای پیامبر) وحی می کنیم» (تِلْکُ مِنْ أَنْباءِ الْغَیْبِ نُوحِیها إِلَیْکُ). «هیچ گاه نه تو و نه قوم تو قبل از این از آن آگاهی نداشتید» (ما کُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُکُ مِنْ قَبْلِ هذا).

با توجه به آنچه در باره نوح به تو وحی شد و آن همه مشکلاتی که نوح در دعوتش با آن رو برو بود، و با این حال استقامت ورزید «تو هم صبر و استقامت کن، چرا که سر انجام پیروزی برای پرهیزکاران است» (فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِینَ).

از این آیه استفاده می شود که بر خلاف آنچه برخی می پندارند، پیامبران (از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۵۱

علم غیب آگاهی داشتند، منتها این آگاهی از طریق الهی و به مقداری که خدا میخواست بود، نه این که از پیش خود چیزی بدانند.

در اینجا داستان نوح را با تمام شگفتیها و عبرتهایش رها کرده و به سراغ پیامبر بزرگ دیگری یعنی هود که این سوره به نام او نامیده شده است میرویم.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۰ ص : ۳۵۱

(آیه ۵۰)- بت شکن شجاع! نخست در مورد این ماجرا می فرماید: «ما به سوی قوم عاد برادرشان هود را فرستادیم» (وَ إِلَى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً).

در اینجا از «هود» تعبیر به برادر میکند، این تعبیر یا به خاطر آن است که عرب از تمام افراد قبیله تعبیر به برادر میکند. و یا اشاره به این است که رفتار هود مانند سایر انبیاء با قوم خود کاملا برادرانه بود، نه در شکل یک امیر و فرمانده، و یا حتی یک پدر نسبت به فرزندان، بلکه همچون یک برادر در برابر برادران دیگر بدون هر گونه امتیاز و برتری جویی.

نخستین دعوت هود، همان دعوت تمام انبیاء بود، دعوت به سوی توحیـد و نفی هر گونه شـرک: «هود به آنها گفت: ای قوم من! خدا را پرستش کنید» (قالَ یا قَوْم اعْبُدُوا اللَّهَ).

«چرا که هیچ اله و معبود شایسته ای جَز او وجود ندارد» (ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ).

«شما (در اعتقادی که به بتها دارید در اشتباهید و) فقط تهمت میزنید» و بتها را شریک او میخوانید (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ). این بتها نه شریک او هستند و نه منشأ خیر و شر، هیچ کاری از آنها ساخته نیست، چه افترا و تهمتی از این بالاتر که برای چنین موجودات بیارزشی این همه مقام قائل شوید.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۱ ص : ۳۵۱

(آیه ۵۱) - سپس حضرت هود اضافه کرد: «ای قوم من! در دعوت خودم (هیچ گونه چشمداشتی از شما ندارم) هیچ گونه پاداشی از شما نمیخواهم» (یا قَوْمِ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً). تا گمان کنید فریاد و جوش و خروش من برای رسیدن به مال و مقام است، و یا شما به خاطر سنگینی بار پاداشی که میخواهید برای من در نظر بگیرید تن به تسلیم ندهید. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۵۲

«تنها اجر و پاداش من بر آن کسی است که مرا آفریده» (إِنْ أُجْرِیَ إِلَّا عَلَى الَّذِی فَطَرَنِی). به من روح و جسم بخشیده و در همه چیز مدیون او هستم همان خالق و رازق من.

اصولا من اگر گامی برای هدایت و سعادت شما بر میدارم به خاطر اطاعت فرمان اوست و بنابراین باید اجر و پاداش از او بخواهم نه از شما.

به علاوه مگر شما چیزی از خود دارید که به من بدهید هر چه شما دارید از ناحیه او است «آیا نمیفهمید»؟ (أَ فَلا تَعْقِلُونَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۲ ص: ۳۵۲

اشاره

(آیه ۵۲) – سر انجام برای تشویق آنها و استفاده از تمام وسائل ممکن برای بیدار ساختن روح حق طلبی این قوم گمراه، متوسل به بیان پاداشهای مادی مشروط می شود که خداوند در اختیار مؤمنان در این جهان می گذارد، می گوید: «ای قوم من! از خدا به خاطر گناهانتان طلب بخشش کنید» (وَ یا قَوْم اسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ).

«سپس توبه كنيد و به سوى او باز گرديد» (ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ).

اگر شـما چنین کنید «به آسـمان فرمان میدهد قطرههای حیاتبخش باران را بر شـما پیدرپی فرو فرسـتد» (یُوْسِلِ السَّماءَ عَلَیْکُمْ مِدْراراً).

تا کشت و زرع و باغهای شما به کم آبی و بی آبی تهدید نشوند و همواره سرسبز و خرم باشند. به علاوه در سایه ایمان و تقوا و پرهیز از گناه و بازگشت به سوی خدا «نیرویی بر نیروی شما میافزاید» (وَ یَزِدْکُمْ قُوَّةً إِلَی قُوَّتِکُمْ).

هرگز فکر نکنید که ایمان و تقوا از نیروی شما می کاهد، نه هرگز.

بنابراین «از راه حق روی بر نتابید و در جاده گناه قدم مگذارید» (وَ لا تَتَوَلُّوْا مُجْرِمِینَ).

توحید خمیر مایه دعوت همه پیامبران-.... ص: 322

تاریخ انبیاء نشان میدهد که همه آنها دعوت خود را از توحید و نفی شرکت و هرگونه بت پرستی آغاز کردند، و در واقع هیچ اصلاحی در جوامع انسانی بدون این دعوت میسر نیست، چرا که وحدت جامعه و همکاری و تعاون و ایثار و فداکاری همه اموری هستند که از ریشه توحید معبود سیراب میشوند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۵۳

اما شرک سر چشمه هرگونه پراکندگی و تضاد و تعارض و خودکامگی و خود محوری و انحصار طلبی است، و پیوند این مفاهیم با شرک و بت پرستی به مفهوم وسیعش چندان مخفی نیست.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۳ ص: ۳۵۳

(آیه ۵۳)– منطق نیرومنـد هود! حال ببینیم این قوم سـرکش و مغرور یعنی عاد در برابر برادرشان هود (ع) و نصایح و اندرزها و راهنماییهای او چه واکنشی نشان دادند.

«آنهـا گفتنـد: ای هود تو دلیل روشـنی برای ما نیاوردهای» (قالُوا یا هُودُ ما جِئْتنا بِبَیِّنَـهٍٔ). «و ما هرگز به خاطر سـخنان تو دست از دامن بتها و خدایانمان بر نمیداریم» (وَ ما نَحْنُ بِتارِکِی آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِکَ).

«و ما هرگز به تو ایمان نخواهیم آورد»! (وَ ما نَحْنُ لَکُ بِمُؤْمِنِینَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۴ ص: ۳۵۳

(آیه ۵۴)- و پس از این سه جمله غیر منطقی، اضافه کردند: «ما (در باره تو) فقط می گوییم: بعضی از خدایان ما به تو زیان رسانده (و عقلت را ربوده) اند» (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَراکَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ).

بدون شک هود- همان گونه که برنامه و وظیفه تمام پیامبران است- معجزه یا معجزاتی برای اثبات حقانیت خویش به آنها عرضه داشته بود، ولی آنها به خاطر کبر و غروری که داشتند مانند سایر اقوام لجوج، معجزات را انکار کردند.

به هر حال هود می باید پاسخی دندان شکن به این قوم گمراه و لجوج بدهد، پاسخی که هم آمیخته با منطق باشد، و هم از موضع قدرت ادا شود.

قرآن می گوید: او در پاسخ آنها این چند جمله را بیان کرد:

«گفت: من خدا را به شـهادت مىطلبم و همه شـما نيز شاهد باشـيد كه من از اين بتها و خدايانتان بيزارم» (قالَ إِنِّى أُشْهِدُ اللَّهَ وَ اشْهَدُوا أَنِّى بَرىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ).

اشاره به این که اگر این بتها قدرتی دارند از آنها بخواهید مرا از میان بردارند، من که آشکارا به جنگ آنها برخاستهام چرا مرا نابود نمیکنند؟!

سورهٔ هود(۱۱): آیهٔ ۵۵ ص: ۳۵۳

(آیه ۵۵)- سپس اضافه می کند: نه فقط کاری از آنها ساخته نیست، شما هم با این انبوه جمعیتتان قادر بر چیزی نیستید، «از آنچه غیر او (می پرستید) حال که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۵۴

چنین است همگی دست به دست هم بدهید و هر نقشهای را می توانید بر ضد من بکشید و لحظهای مرا مهلت ندهید» اما بدانید کاری از دست شما ساخته نیست (مِنْ دُونِهِ فَکِیدُونِی جَمِیعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۶ ص: ۳۵۴

(آیه ۵۶)– چرا من انبوه جمعیت را به هیچ می شمرم؟ و چرا کمترین اعتنایی به قوت و قدرت شما ندارم؟ شمایی که تشنه خون من هستیـد و همه گونه قـدرت دارید. برای این که من پشتیبانی دارم که قدرتش فوق قدرتها است «من توکل بر خدایی کردم که پروردگار من و شماست» (إِنِّی تَوَکَّلْتُ عَلَی اللَّهِ رَبِّی وَ رَبِّکُمْ).

و بعد ادامه داد نه تنها شما، «هیچ جنبندهای در جهان نیست مگر این که در قبضه قدرت و فرمان خداست» و تا او نخواهد کاری از آنان ساخته نیست (ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِیَتِها).

ولی این را نیز بدانید خدای من از آن قدرتمندانی نیست که قدرتش موجب خودکامگی و هوسبازی گردد و آن را در غیر حق به کار برد، بلکه «پروردگار من همواره بر صراط مستقیم و جاده عدل و داد میباشد» و کاری بر خلاف حکمت و صواب انجام نمیدهد (إِنَّ رَبِّی عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیم).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۷ ص: ۳۵۴

(آیه ۵۷)– سر انجام «هود» در آخرین سخن به آنها چنین می گوید: «اگر شما از راه حق روی برتابید (به من زیانی نمیرسد) چرا که من رسالت خویش را به شما ابلاغ کردم» (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ).

اشاره به این که گمان نکنید اگر دعوت من پذیرفته نشود برای من شکست است، من انجام وظیفه کردم، انجام وظیفه، پیروزی است.

سپس همان گونه که بت پرستان او را تهدید کرده بودند، او به طرز شدیدتری آنها را به مجازات الهی تهدید میکند و می گوید: اگر شما دعوت حق را نپذیرید «خداوند به زودی (شما را نابود کرده و) گروه دیگری را جانشین شما میکند و هیچ گونه زیانی به او نمیرسانید» (وَ یَشتَخْلِفُ رَبِّی قَوْماً غَیْرَکُمْ وَ لا تَضُرُّونَهُ شَیْئاً).

این قانون خلقت است، که هرگاه مردمی لیاقت پـذیرا شدن نعمت هدایت و یا نعمتهای دیگر پروردگار را نداشـته باشـند، آنها را از میان برمیدارد و گروهی لایق برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۵۵

به جای آنان مینشاند.

این را هم بدانید که: «پروردگار من حافظ همه چیز و نگاهدارنده هرگونه حساب است» (إِنَّ رَبِّی عَلی کُلِّ شَیْءِ حَفِیظٌ). نه فرصت از دست او میرود، نه موقعیت را فراموش می کند، نه پیامبران و دوستان خود را به دست نسیان میسپارد، بلکه همه چیز را میداند و بر هر چیز مسلط است.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۸ ص : ۳۵۵

(آیه ۵۸)- لعن و نفرین ابدی بر این قوم ستمگر! در آخرین قسمت از آیات مربوط به سرگذشت قوم عاد و پیامبرشان هود، به مجازات دردناک این سرکشان اشاره کرده، نخست می گوید: «و هنگامی که فرمان ما (دایر به مجازاتشان فرا رسید) هود و کسانی را که با او ایمان آورده بودند به خاطر رحمت و لطف خاصی که به آنان داشتیم رهایی بخشید» (وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّیْنا هُوداً وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَهُ مِنَّا).

و باز برای تأکید بیشتر می فرماید: «و ما این قوم با ایمان را از عذاب شدید و غلیظ رهایی بخشیدیم» (وَ نَجَّیْناهُمْ مِنْ عَدابِ غَلِیظٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۵۹ ص: ۳۵۵

(آیه ۵۹) - در این آیه گناهان قوم عاد را در سه موضوع خلاصه می کند نخست میفرماید: «و این قوم عاد بود که آیات پروردگارشان را انکار کردند» و با لجاجت، هرگونه دلیل و مدرک روشنی را بر صدق دعوت پیامبرشان منکر شدند (وَ تِلْکَ عادٌ جَحَدُوا بِآیاتِ رَبِّهِمْ).

ديگر اين كه: آنها از نظر عمل نيز «به عصيان و سركشي در برابر پيامبران برخاستند» (وَ عَصَوْا رُسُلَهُ).

سومین گناهشان این بود که فرمان خدا را رها کرده «و از فرمان هر جبّ ار عنیدی پیروی می کردند» (وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ کُلِّ جَبَّارٍ عَنِیدِ).

چه گناهی از این گناهان بالاتر، ترک ایمان، مخالفت پیامبران و گردن نهادن به فرمان جباران عنید.

«جبّار» به کسی می گویند که از روی خشم و غضب میزند و می کشد و نابود می کند، و پیرو فرمان عقل نیست و «عَنِیدٍ» کسی است که با حق و حقیقت، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۵۶

فوق العاده مخالف است و هيچ گاه زير بار حق نميرود.

این دو صفت، صفت بارز طاغوتها و مستکبران هر عصر و زمان است، که هرگز گوششان بدهکار حرف حق نیست، و با هر کس مخالف شدند با قساوت و بیرحمی، شکنجه می کنند و می کوبند و از میان می برند.

سورهٔ هود(۱۱): آیهٔ ۶۰ ص: ۳۵۶

(آیه ۶۰) - در این آیه که داستان هود و قوم عاد در آن پایان می گیرد، نتیجه اعمال زشت و نادرست آنها را چنین بیان می کند: «آنها به خاطر اعمالشان در این دنیا مورد لعن و نفرین واقع شدند، و بعد از مرگشان جز نام بد و تاریخ ننگین از آنها باقی نماند» (وَ أُتْبِعُوا فِی هذِهِ الدُّنْیا لَعْنَهُ).

و در روز رستاخيز گفته مىشود: «بدانيد كه قوم عاد پروردگارشان را انكار كردند» (وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ). «دور باد عاد، قوم هود از رحمت پروردگار» (أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْم هُودٍ).

با این که کلمه «عاد» برای معرفی این گروه کافی است در آیه فوق بعد از ذکر عاد، قوم هود نیز ذکر شده است که هم تأکید را میرسانید و هم اشاره به این است که این گروه همان کسانی هستند که پیامبر دلسوزشان هود را آن همه ناراحت و متهم ساختند، و به همین جهت از رحمت خداوند دورند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۶۱ ص: ۳۵۶

(آیه ۶۱) – آغاز سرگذشت قوم ثمود: سرگذشت قوم عاد با تمام درسهای عبرت انگیزش بطور فشرده پایان یافت و اکنون نوبت قوم ثمود است، همان جمعیتی که طبق نقل تواریخ در سرزمین «وادی القری» در میان مدینه و شام زندگی داشتند. باز در اینجا می بینیم که قرآن مجید هنگامی که سخن از پیامبر آنها «صالح» می گوید به عنوان «برادر» از او یاد می کند برادری

دلسوز و مهربان که جز خیرخواهی هدف دیگری ندارد آیه شریفه میفرماید: «ما به سوی قوم ثمود برادرشان صالح را فرستادیم» (وَ إِلی تَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً).

«گفت: ای قوم من! خدا را پرستش کنید که هیچ معبودی برای شما جز او نیست» (قالَ یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَکُمْ مِنْ إِلَهٍ غَیْرُهُ). سپس برای تحریم حسن حق شناسی آنها به گوشهای از نعمتهای مهم برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۵۷ پروردگار که سراسر وجودشان را فرا گرفته اشاره کرده، می گوید: «او کسی است که شما را از زمین آفرید» (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَدْض).

پس از اشاره به نعمت آفرینش، نعمتهای دیگری را که در زمین قرار داده به این انسانهای سرکش یادآوری میکند: او کسی است که: «عمران و آبادی زمین را به شما سپرد و قدرت و وسائل آن را در اختیارتان قرار داد» (وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِیها).

قابل توجه این که قرآن نمی گوید خداوند زمین را آباد کرد و در اختیار شما گذاشت، بلکه می گوید عمران و آبادی زمین را به شما تفویض کرد، اشاره به این که وسائل از هر نظر آماده است، اما شما بایـد با کار و کوشـش زمین را آباد سازید و منابع آن را به دست آورید و بدون کار و کوشش سهمی ندارید.

«اکنون که چنین است، از گناهان خود توبه کنیـد و به سوی خـدا بازگردیـد که پروردگار من به بنـدگان خود نزدیک است و درخواست آنها را اجابت میکند» (فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّی قَرِیبٌ مُجِیبٌ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۶۲ ص: ۳۵۷

(آیه ۶۲)– اکنون ببینیم مخالفان صالح در مقابل منطق زنده و حق طلبانه او چه پاسخی دادند؟

آنها برای نفوذ در صالح و یا لااقل خنثی کردن نفوذ سخنانش در توده مردم از یک عامل روانی استفاده کردنـد، و به تعبیر عامیانه خواسـتند هنـدوانه زیر بغلش بگذارنـد، و «گفتنـد: ای صالح! تو پیش از این مایه امید ما بودی» (قالُوا یا صالِحُ قَدْ کُنْتَ فِینا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا).

در مشکلات به تو پناه میبردیم و از تو مشورت میکردیم، و به عقل و هوش و درایت تو ایمان داشتیم، و در خیرخواهی و دلسوزی تو هرگز تردید به خود راه نمیدادیم.

اما متأسفانه امید ما را بر باد دادی، و با مخالفت با آیین بت پرستی و خدایان ما که راه و رسم نیاکان ما است و از افتخارات قوم ما محسوب می شود نشان دادی که نه احترامی برای بزرگان قائلی، نه به عقل و هوش ما ایمان داری، و نه مدافع سنتهای ما هستی. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۵۸

«راستى تو مىخواهى ما را از پرستش آنچه پدران ما مىپرستيدند نهى كنى»؟ (أَ تَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا).

«حقیقت این است ما نسبت به آیینی که تو به آن دعوت می کنی (یعنی آیین یکتاپرستی) در شک و تردیدیم، و نسبت به آن بدبین نیز هستیم» (وَ إِنَّنا لَفِی شَکِّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبِ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۶۳ ص: ۳۵۸

(آیه ۶۳) - اما این پیامبر بزرگ الهی بدون آن که از هدایت آنها مأیوس گردد، و یا این که سخنان پر تزویرشان در روح بزرگ او کمترین اثری بگذارد، با متانت خاص خودش چنین پاسخ «گفت: ای قوم من! ببینید اگر من دلیل آشکاری از پروردگارم داشته بـاشم، و رحمتی از جـانب خود به من داده باشـد» آیـا میتوانم رسـالت الهی را ابلاغ نکنم و با انحرافات و زشتیها نجنگم؟! (قالَ یا قَوْم أَ رَأَیْتُمْ إِنْ کُنْتُ عَلی بَیِّنَهٍٔ مِنْ رَبِّی وَ آتانِی مِنْهُ رَحْمَةً).

در این حال «اگر من نافرمانی او کنم، چه کسی می تواند مرا در برابر وی یاری دهد»؟ (فَمَنْ یَنْصُرُنِی مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَیْتُهُ). «پس (استدلال به روش نیاکان و این گونه سخنان) شما جز اطمینان به زیانکار بودنتان چیزی بر من نمی افزاید»! (فَما تَزِیدُونَنِی غَیْرَ تَخْسِیرٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۶۴ ص: ۳۵۸

(آیه ۶۴)- بعد برای نشان دادن معجزه و نشانهای بر حقانیت دعوتش از طریق کارهایی که از قدرت انسان بیرون است و تنها به قدرت پروردگار متکی است وارد شد و به آنها گفت: «ای قوم من! این ناقه پروردگار برای شما، آیت و نشانهای است» (وَ یا قَوْم هذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَکُمْ آیَةً).

«آن رًا رها كنيد كه در زمين خدا از مراتع و علفهاى بيابان بخورد» (فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ).

«و هرگز آزاری به آن نرسانید که اگر چنین کنید عذاب نزدیک الهی شما را فرا خواهد گرفت» (وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۶۵ ص: ۳۵۸

اشاره

(آیه ۶۵)- به هر حال با تمام تأکیدهایی که این پیامبر بزرگ یعنی صالح در باره آن ناقه کرده بود آنها سر انجام تصمیم گرفتند، ناقه را از بین ببرند چرا که وجود برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۵۹

آن با خارق عاداتی که داشت باعث بیدار شدن مردم و گرایش به صالح می شد، لذا گروهی از سرکشان قوم ثمود که نفوذ دعوت صالح را مزاحم منافع خویش می دیدند، و هر گز مایل به بیدار شدن مردم نبودند، چرا که با بیدار شدن خلق خدا پایههای استعمار و استثمارشان فرو می ریخت، توطئه ای برای از میان بردن ناقه چیدند و گروهی برای این کار مأمور شدند و سر انجام یکی از آنها بر ناقه تاخت و با ضربه یا ضرباتی که بر آن وارد کرد «آن را از پای در آوردند» (فَعَقَرُوها).

در پایان آیه میخوانیم: صالح پس از سرکشی و عصیان قوم و از میان بردن ناقه به آنها اخطار کرد و «گفت: سه روز تمام در خانههای خود از هر نعمتی میخواهید متلذذ و بهرهمند شوید» و بدانید پس از این سه روز عذاب و مجازات الهی فرا خواهد رسید (فَقالَ تَمَتَّعُوا فِی دارِکُمْ ثَلاثَهُ أَیَّام).

این را جدی بگیرید، دروغ نمی گویم «ًاین یک وعده راست و حقیقی است» (ذلِکَ وَعْدٌ غَیْرُ مَكْذُوبِ).

پیوند مکتبی- ص: 399

اسلام رضایت باطنی به یک امر و پیوند مکتبی با آن را به منزله شرکت در آن می داند، امیر مؤمنان علی علیه السّد لام

می فرماید: «ناقه ثمود را یک نفر از پای در آورد، اما خداوند همه آن قوم سرکش را مجازات کرد، چرا که همه به آن راضی بودند».

روایات متعدد دیگری به همین مضمون و یا مانند آن از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله و ائمه اهل بیت علیهم السّ لام نقل شده که اهمیت فوق العاده اسلام را به پیوند مکتبی و برنامههای هماهنگ فکری، روشن میسازد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۶۶ ص: ۳۵۹

(آیه ۶۶) – سر انجام قوم ثمود: در این آیه چگونگی نزول عذاب را بر این قوم سرکش (قوم ثمود) بعد از پایان مدت سه روز تشریح میکند: «پس هنگامی که فرمان ما (دائر به مجازات این گروه) فرا رسید صالح و کسانی را که با او ایمان آورده بودند در پرتو رحمت خویش رهایی بخشیدیم» (فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَیْنا صالِحاً وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَهُ مِنَّا).

نه تنها از عذاب جسمانی و مادی که «از رسوایی و خواری و بی آبرویی که آن برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶۰ روز دامن این قوم سرکش را گرفت نیز نجاتشان دادیم» (وَ مِنْ خِزْیِ یَوْمِئِذٍ).

«چرا که پروردگارت قوی و قادر بر همه چیز و مسلط به هر کار است» (إِنَّ رَبَّکَ هُوَ الْقَوِیُّ الْعَزِیزُ). هیچ چیز برای او محال نیست، و هیچ قدرتی توانایی مقابله با اراده او را ندارد این رحمت الهی است که ایجاب می کند، بی گناهان به آتش گنهکاران نسوزند، و مؤمنان به خاطر افراد بی ایمان گرفتار نشوند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۶۷ ص: ۳۶۰

(آیه ۶۷)- «ولی ظالمان را صیحه آسمانی فرو گرفت، و آن چنان این صیحه سخت و سنگین و وحشتناک بود که بر اثر آن همگی آنان در خانه های خود به زمین افتادند و مردند» (وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِی دِیارِهِمْ جاثِمِینَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۶۸ ص: ۳۶۰

(آیه ۶۸)– آن چنان مردند و نابود شدند و آثارشان بر باد رفت که: «گویی هرگز در آن سرزمین ساکن نبودند» (کَأَنْ لَمْ یَغْنَوْا فِیها).

«بدانید قوم ثمود نسبت به پروردگار خود کفر ورزیدند و فرمانهای الهی را پشت سر انداختند» (أَلا إِنَّ تَمُودَ کَفَرُوا رَبَّهُمْ). «دور باد قوم ثمود از لطف و رحمت پروردگار و نفرین بر آنها» (أَلا بُعْداً لِثَمُودَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۶۹ ص: ۳۶۰

(آیه ۶۹) - فرازی از زندگی بت شکن بزرگ! اکنون نوبت فرازی از زندگانی ابراهیم این قهرمان بت شکن است، البته در اینجا تنها یک قسمت از زندگانی او که مربوط به داستان قوم لوط و مجازات این گروه آلوده عصیانگر است، اشاره شده، نخست می گوید: «فرستادههای ما نزد ابراهیم آمدند در حالی که حامل بشارتی بودند» (وَ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِیمَ بِالْبُشْری). این فرستادگان الهی همان فرشتگانی بودند که مأمور درهم کوبیدن شهرهای قوم لوط بودند، ولی قبلا برای دادن پیامی به

ابراهیم (ع) نزد او آمدند.

در این که بشارتی که آنها حامل آن بودند چه بوده است، دو احتمال وجود دارد که جمع میان آن دو نیز بی مانع است: نخست بشارت به تولد اسماعیل و اسحاق است که بشارت بزرگی برای او محسوب می شد.

دیگر این که ابراهیم از فساد قوم لوط و عصیانگری آنها سخت ناراحت بود، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶۱ -

هنگامی که با خبر شد آنها چنین مأموریتی دارند، خوشحال گشت.

به هر حال: «هنگامی که رسولان بر او وارد شدند سلام کردند» (قالُوا سَلاماً).

«او هم در پاسخ به آنها سلام گفت» (قالَ سَلامٌ).

«و چیزی نگذشت که گوساله بریانی برای آنها آورد» (فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلِ حَنِیذٍ).

از این جمله استفاده می شود که یکی از آداب مهمانداری آن است که غذا را هر چه زودتر برای او آماده کنند، چرا که میهمان وقتی از راه می رسد مخصوصا اگر مسافر باشد غالبا خسته و گرسنه است، هم نیاز به غذا دارد، و هم نیاز به استراحت، باید زودتر غذای او را آماده کنند تا بتواند استراحت کند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۷۰ ص: ۳۶۱

(آیه ۷۰)- در این هنگام واقعه عجیبی اتفاق افتاد و آن این که ابراهیم مشاهده کرد که میهمانان تازه وارد دست به سوی غذا دراز نمی کنند، اما «هنگامی که دید دست آنها به آن نمی رسد (و از آن نمی خورند کار) آنها را غیر عادی شمرد و در دل احساس ترس نمود» (فَلَمَّا رَأَى أَیْدِیَهُمْ لا تَصِلُ إِلَیْهِ نَکِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِیفَهً).

این موضوع از یک رسم و عادت دیرینه سر چشمه می گرفت. زیرا اگر کسی واقعا قصد سوئی نسبت به دیگری داشته باشد سعی می کند نان و نمک او را نخورد، روی این جهت ابراهیم از کار این میهمانان، نسبت به آنها بدگمان شد و فکر کرد ممکن است قصد سوئی داشته باشند.

رسولان که به این مسأله پی برده بودند، به زودی ابراهیم را از این فکر بیرون آوردند و «به او گفتند: نترس ما به سوی قوم لوط فرستاده شدهایم» یعنی فرشتهایم و مأمور عذاب یک قوم ستمگر و فرشته غذا نمیخورد (قالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلَى قَوْمِ لُوطِ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۷۱ ص: ۳۶۱

(آیه ۷۱)- «در این هنگام همسر ابراهیم (ساره) که در آنجا ایستاده بود خندید» (وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِکَتْ). این خنده ممکن است به خاطر آن باشد که او نیز از فجایع قوم لوط برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶۲ به شدت ناراحت و نگران بود و اطلاع از نزدیک شدن مجازات آنها مایه خوشحالی و سرور او گشت.

سپس اضافه می کند: «به دنبال آن به او بشارت دادیم که اسحاق از او متولد خواهد شد و پس از اسحاق، یعقوب» از اسحاق متولد می گردد، (فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ).

در حقیقت هم به او بشارت فرزند دادند، و هم «نوه»، یکی اسحاق و دیگری یعقوب که هر دو از پیامبران خدا بودند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۷۲ ص: ۳۶۲

(آیه ۷۲) - همسر ابراهیم «ساره» که با توجه به سن زیاد خود و همسرش سخت از دارا شدن فرزند مأیوس و نومید بود، با لحن بسیار تعجب آمیزی «فریاد کشید که ای وای بر من! آیا من فرزند می آورم در حالی که پیرزنم، و شوهرم نیز پیر است، این مسأله بسیار عجیبی است»!؟ (قالَتْ یا وَیْلَتی أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هذا بَعْلِی شَیْخًا إِنَّ هذا لَشَیْءٌ عَجِیبٌ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۷۳ ص: ۳۶۲

(آیه ۷۳)- به هر حال رسولان پروردگار فورا او را از این تعجب در آوردند، و سوابق نعمتهای فوق العاده الهی را بر این خانواده و نجات معجز آسایشان را از چنگال حوادث یادآور شدند و به او «گفتند: آیا از فرمان خداوند تعجب می کنی»؟ (قالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ).

در حالى كه «رحمت خدا و بركاتش بر شما اهل بيت بوده و هست» (رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ).

همان خدایی که ابراهیم را از چنگال نمرود ستمگر رهایی بخشید، و در دل آتش سالم نگاه داشت.

این رحمت و برکت الهی تنها آن روز و آن زمان نبود بلکه در این خاندان همچنان ادامه داشته و دارد، چه برکتی بالاتر از وجود پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و امامان معصوم که در این خاندان آشکار شدهاند.

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر، فرشتگان گفتند: «او (خدایی است) که حمید و مجید است» (إِنَّهُ حَمِیدٌ مَجِیدٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶۳

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۷۴ ص: ۳۶۳

(آیه ۷۴)- «هنگامی که وحشت ابراهیم از آنها، زائل شد، و از طرفی بشارت فرزند و جانشین برومندی به او دادند، فورا به فکر قوم لوط (که آن رسولان مأمور نابودی آنها بودند) افتاد و شروع به مجادله و گفتگو در این باره با آنها کرد» (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِیمَ الرَّوْعُ وَ جاءَتُهُ الْبُشْری یُجادِلُنا فِی قَوْم لُوطٍ).

در اینجا این سؤال پیش می آید که چرا ابراهیم در باره یک قوم آلوده گنهکار به گفتگو برخاسته و با رسولان پروردگار که مأموریت آنها به فرمان خداست به مجادله پرداخته است. در حالی که این کار از شأن یک پیامبر، آن هم پیامبری به عظمت ابراهیم دور است.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۷۵ ص: ۳۶۳

(آیه ۷۵)– لذا قرآن بلافاصله می گوید: «ابراهیم، بردبار، بسیار مهربان، و متوکل بر خدا و بازگشت کننده به سوی او بود» (إِنَّ إِبْراهِیمَ لَحَلِیمٌ أَوَّاهٌ مُنِیبٌ).

در واقع با این سه وصف، پاسخ سر بسته و کوتاهی به این سؤال داده شده است که: مجادله او مجادله ممدوحی بوده است، و این به خاطر آن است که برای ابراهیم روشن نبود که فرمان عذاب بطور قطع از ناحیه خداوند صادر شده، و احتمال بیدار شدن در باره آنها میرود، و به همین دلیل هنوز جایی برای شفاعت وجود دارد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۷۶ ص: ۳۶۳

(آیه ۷۶)– در این آیه میفرماید: «رسولان به زودی به ابراهیم گفتند: ای ابراهیم! از این پیشنهاد صرف نظر کن» و شفاعت را کنار بگذار که جای آن نیست (یا إِبْراهِیمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا).

«چرا که فرمان حتمی پروردگارت فرا رسیده» (إنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّکُ).

«و عذاب خداوند بدون گفتگو به سراغ آنها خواهد آمد» (وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۷۷ ص: ۳۶۳

(آیه ۷۷) – زندگی ننگین قوم لوط: در آیات سوره اعراف، اشاره به گوشهای از سرنوشت قوم لوط شده، و تفسیر آن را در آنجا دیدیم، اما در اینجا به تناسب شرح داستانهای پیامبران و اقوام آنها، و به تناسب پیوندی که آیات گذشته با سرگذشت لوط و قومش داشت پرده از روی قسمت دیگری از زندگانی این قوم منحرف و گمراه بر میدارد، تا هدف اصلی را که نجات و سعادت کل جامعه انسانی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶۴

است از زاویه دیگری تعقیب کند.

نخست می گوید: «و هنگامی که رسولان ما به سراغ لوط آمدند او بسیار از آمدن آنها ناراحت شد و فکر و روحش پراکنده گشت و غم و اندوه تمام وجودش را فراگرفت» (وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِیءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً).

در روایات و تفاسیر اسلامی آمده است که لوط در آن هنگام در مزرعه خود کار می کرد ناگهان، عدهای از جوانان زیبا را دید که به سراغ او می آیند و مایلند میهمان او باشند، علاقه او به پذیرایی از میهمان از یک سو، و توجه به این واقعیت که حضور این جوانان زیبا، در شهری که غرق آلودگی انحراف جنسی است، موجب انواع دردسر و احتمالا آبروریزی است، او را سخت در فشار قرار داد.

این مسائـل به صورت افکاری جانفرسا از مغز او عبور کرد، و آهسـته با خود «گفت: امروز روز سـخت و وحشـتناکی است» (وَ قالَ هذا یَوْمٌ عَصِیبٌ).

در پارهای از روایات آمده که لوط آنقدر میهمانهای خود را معطل کرد تا شب فرا رسید شاید دور از چشم آن قوم شرور و آلوده بتواند با حفظ حیثیت و آبرو از آنان پذیرایی کند.

ولی چه می توان کرد. وقتی که انسان دشمنش در درون خانهاش باشد! همسر لوط که زن بی ایمانی بود و به این قوم گنهکار کمک می کرد، از ورود این میهمانان جوان و زیبا آگاه شد بر فراز بام رفت. نخست از طریق کف زدن، و سپس با روشن کردن آتش و برخاستن دود، گروهی از این قوم منحرف را آگاه کرد که طعمه چربی به دام افتاده!

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۷۸ ص: ۳۶۴

(آیه ۷۸)- در اینجا قرآن می گوید: «قوم با سرعت و حرص و ولع برای رسیدن به مقصد خود به سوی لوط آمدند» (وَ جاءَهُ قَوْمُهُ یُهْرَعُونَ إِلَيْهِ).

همان قوم و گروهی که صفحات زندگانیشان سیاه و آلوده به ننگ بود «و قبلا اعمال زشت و بدی انجام میدادند» (وَ مِنْ قَبْلُ

كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ).

لوط در این هنگام حق داشت بر خود بلرزد و از شدت ناراحتی فریاد بکشد و به آنها «گفت: ای قوم من! اینها دختران منند (و من حتی حاضرم دختران خودم برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶۵

را به عقد شما در آورم اینها) برای شما پاکیزه ترند» (قالَ یا قَوْم هؤُلاءِ بَناتِی هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ).

بياييـد «و از خـدا بترسيد، آبروى مرا نبريـد، و بـا قصـد سوء در مورد ميهمانـانم مرا رسوا مسازيـد» (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُخْزُونِ فِي ضَعْفي).

ای وای «مگر در میان شما یک انسان رشید و عاقل و شایسته وجود ندارد» که شما را از این اعمال ننگین و بی شرمانه باز دارد (أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ).

این سخن «لوط» این حقیقت را بازگو می کند که حتی وجود یک مرد رشید در میان یک قوم و قبیله برای جلوگیری از اعمال ننگینشان کافی است یعنی، اگر یک انسان عاقل و صاحب رشد فکری در میان شما بود هرگز به سوی خانه من به قصد تجاوز به میهمانانم نمی آمدید.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۷۹ ص: ۳۶۵

(آیه ۷۹)- ولی این قوم تبهکار در برابر این همه بزرگواری لوط پیامبر بی شرمانه پاسخ «گفتند: تو خود به خوبی میدانی که ما را در دختران تو حقی نیست» (قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِی بَناتِکَ مِنْ حَقِّ).

«و تو مسلما مىدانى ما چه چيز مىخواهيم»! (وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ).

سورهٔ هود(۱۱): آیهٔ ۸۰ ص: ۳۶۵

(آیه ۸۰)- در اینجا بود که پیامبر بزرگوار چنان خود را در محاصره حادثه دید و ناراحت شد که فریاد زده «گفت: (افسوس!) ای کاش در برابر شما قدرتی در خود داشتم» تا از میهمانهایم دفاع کنم و شما خیره سران را در هم بکوبم (قالَ لَوْ أَنَّ لِی بِکُمْ قُوَّةً).

«یا تکیه گاه و پشتیبان محکمی (از قوم و عشیره و پیروان و هم پیمانهای قوی و نیرومند) در اختیار من بود» تا با کمک آنها بر شما منحرفان چیره شوم (أَوْ آوِی إِلی رُکْنِ شَدِیدٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸۱ ص: ۳۶۵

(آیه ۸۱)- پایان زندگی این گروه ستمکار: سر انجام هنگامی که رسولان پروردگار نگرانی شدید لوط را مشاهده کردند که در چه عـذاب و شکنجه روحی گرفتـار است، پرده از روی اسـرار کـار خود برداشـتند و به او «گفتنـد: ای لوط ما فرسـتادگان پروردگار توایم (نگران مباش، و بدان که) آنها هرگز دسترسی به تو پیدا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶۶ نخواهند کرد»! (قالُوا یا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّکَ لَنْ یَصِلُوا إِلَیْکَ).

این آگاهی لـوط از وضع میهمانـان و مأموریتشـان همچون آب سـردی بود که بر قلب سوخته این پیـامبر بزرگ ریخته شـد و فهمیـد دوران اندوه و غم در شـرف پایان است و زمان شادی و نجات از چنگال این قوم ننگین حیوان صـفت فرا رسـیده است! میهمانان بلافاصله این دستور را به لوط دادند که: «تو همین امشب در دل تاریکی خانوادهات را با خود بردار و از این سرزمین بیرون شو» (فَأَسْرِ بِأَهْلِکَ بِقِطْع مِنَ اللَّيْلِ).

ولى مواظب باشيد كه «هيچ يّك از شما به پشت سرش نگاه نكند» (وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ).

«تنها کسی که از این دستور تخلف خواهد کرد و به همان بلایی که به قوم گناهکار میرسد گرفتار خواهد شد همسر معصیت کار توست» (إِلَّا امْرَأَتَکَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ).

سر انجام آخرین سخن را به لوط گفتند که: «لحظه نزول عذاب و میعاد آنها صبح است» و با نخستین شعاع صبحگاهی زندگی این قوم غروب خواهد کرد (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ).

اكنون برخيزيد و هر چه زودتر شهر را ترك گوييد «مگر صبح نزديك نيست» (أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸۲ ص: ۳۶۶

(آیه ۸۲) – سر انجام لحظه عذاب فرا رسید و به انتظار لوط پیامبر پایان داد، همان گونه که قرآن می گوید: «هنگامی که فرمان ما فرا رسید آن سرزمین را زیر و رو کردیم، و بارانی از سنگ، از گلهای متحجر متراکم بر روی هم، بر سر آنها فرو ریختیم» (فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِیَها سافِلَها وَ أَمْطَوْنا عَلَیْها حِجارَةً مِنْ سِجِّیلِ مَنْضُودٍ).

اینها که همه چیز را وارونه کرده بودند! باید شهرشان هم واژگونه شود! نه فقط زیر و رو شود که بارانی از سنگ، آخرین آثار حیات را در آنجا در هم بکوبد.

بنابراین هر گروه منحرف و ملت ستم پیشهای چنین سرنوشتی در انتظار اوست گاهی زیر باران سنگریزهها و گاهی زیر ضربات بمبهای آتشزا و زمانی زیر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶۷

فشارهای اختلافات کشنده اجتماعی، و بالاخره هر کدام به شکلی و به صورتی.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸۳ ص: ۳۶۷

(آیه ۸۳) – ولی این سنگها، سنگهای معمولی نبودند بلکه «سنگهایی بودند نشاندار، نزد پروردگار تو» (مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکُ). اما تصور نکنید که این سنگها مخصوص قوم لوط بودند «آنها از هیچ قوم و جمعیت و گروه ستمکار و ظالمی دور نیستند» (وَ ما هِیَ مِنَ الظَّالِمِینَ بِبَعِیدٍ).

این قوم منحرف هم بر خویش ستم کردند و هم بر جامعه شان، هم سرنوشت ملتشان را به بازی گرفتند و هم ایمان و اخلاق انسانی را.

تحریم همجنس گرایی- همجنس گرایی چه در مردان باشد و چه در زنان در اسلام از گناهان بسیار بزرگ است و هر دو دارای حد شرعی است.

روایاتی که در مذمت همجنس گرایی از پیشوایان اسلام نقل شده آنقدر زیاد و تکان دهنده است که با مطالعه آن هر کس احساس می کند که زشتی این گناه به اندازهای است که کمتر گناهی در پایه آن قرار دارد.

از جمله در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «هر کس با نوجوانی آمیزش جنسی کند روز قیامت ناپاک وارد محشر میشود، آن چنان که تمام آبهای جهان او را پاک نخواهند کرد، و خداوند او را غضب می کند و از رحمت خویش دور می دارد و دوزخ را برای او آماده ساخته است و چه بد جایگاهی است» ... سپس فرمود: «هرگاه جنس مذکر با مذکر آمیزش کند عرش خداوند به لرزه در می آید».

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸۴ ص: ۳۶۷

(آیه ۸۴)- مدین سرزمین شعیب: با پایان یافتن داستان عبرت انگیز قوم لوط نوبت به قوم «شعیب» و مردم «مدین» میرسد همان جمعیتی که راه توحید را رها کردند و در سنگلاخ شرک و بت پرستی سرگردان شدند، نه تنها بت که درهم و دینار و مال و ثروت خویش را آلوده به تقلب و کم فروشی و خلافکاریهای دیگر می کردند.

در آغاز می گوید: «و به سوی مدین برادرشان شعیب را فرستادیم» (وَ إِلَى مَدْیَنَ أَخاهُمْ شُعَیْباً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶۸

كلمه «أُخاهُمْ» (برادرشان) به خاطر آن است كه نهايت محبت پيامبران را به قوم خود باز گو كند.

«مدین» در مشرق «خلیج عقبه» قرار داشته و مردم آن از فرزندان اسماعیل بودند، و با مصر و لبنان و فلسطین تجارت داشتهاند. این پیامبر این برادر دلسوز و مهربان همان گونه که شیوه همه پیامبران در آغاز دعوت بود نخست آنها را به اساسی ترین پیامبر این برادر دلسوز و مهربان همان گونه که شیوه همه پیامبران در آغاز دعوت بود نخست آنها را به اساسی ترین پایههای مذهب یعنی «توحید» دعوت کرد و «گفت: ای قوم من! خداوند یگانه را بپرستید که جز او معبودی برای شما نیست» (قالَ یا قَوْم اعْبُدُوا اللَّه ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ).

آنگاه به یکی از مفاسد اقتصادی که از روح شرک و بت پرستی سر چشمه می گیرد و در آن زمان در میان اهل «مدین» سخت رایج بود اشاره کرده و گفت: «به هنگام خرید و فروش، پیمانه و وزن اشیاء را کم نکنید» (وَ لا تَنْقُصُوا الْمِکْیالَ وَ الْمِیزانَ). این پیامبر بزرگ پس از این دستور بلافاصله اشاره به دو علت برای آن می کند:

نخست می گوید: قبول این اندرز سبب می شود که درهای خیرات به روی شما گشوده شود، پیشرفت امر تجارت، پایین آمدن سطح قیمتها، آرامش جامعه، خلاصه «من خیرخواه شما هستم» (إِنِّی أَراکُمْ بِخَیْرٍ). و مطمئنم که این اندرز نیز سر چشمه خیر و برکت برای جامعه شما خواهد بود.

این احتمال نیز در تفسیر این جمله وجود دارد که شعیب می گوید: «من شما را دارای نعمت فراوان و خیر کثیری می بینم» بنابراین دلیلی ندارد حقوق مردم را ضایع کنید.

دیگر ایس که: «مـن از آن می ترسم که (اصـرار بر شـرک و کفران نعمت و کم فروشـی) عـذاب روز فراگیر، همه شـما را فرو گیرد» (وَ إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْم مُحِیطٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸۵ ص: ۳۶۸

(آیه ۸۵)- این آیه مجددا روی نظام اقتصادی آنها تأکید می کند و اگر قبلا شعیب قوم خود را از کم فروشی نهی کرده بود در اینجا دعوت به پرداختن حقوق مردم کرده، می گوید: «و ای قوم من! پیمانه و وزن را با قسط و عدل وفا کنید» (وَ یا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶۹

قَوْم أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ)

.و این اصل یعنی «اقامه قسط و عدل» و دادن حق هر کس به او باید بر سراسر جامعه شما حکومت کند.

سپس قدم از آن فراتر نهاده، می گوید: «و بر اشیاء (و اجناس) مردم عیب نگذارید، و از حق آنان نکاهید» (وَ لا تَبَخَسُوا النَّاسَ أَشْیاءَهُمْ).

در پایان آیه باز هم از این فراتر رفته، می گوید: «و در روی زمین به فساد نکوشید» (وَ لا تَعْتَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ). دو آیه فوق این واقعیت را به خوبی منعکس می کنـد که بعـد از مسـأله اعتقـاد به توحیـد، یـک اقتصـاد سالم از اهمیت ویژهای

برخوردار است، و نیز نشان میدهد که به هم ریختگی نظام اقتصادی سر چشمه فساد وسیع در جامعه خواهد بود.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸۶ ص: ۳۶۹

(آیه ۸۶)– سر انجام به آنها گوشزد کرد که افزایش ثروت– ثروتی که از راه ظلم و ستم و استثمار دیگران به دست آید– سبب بینیازی شـما نخواهـد بود، بلکه «سـرمایه حلالی که برای شـما باقی میمانـد (هر چنـد کم و اندک باشد) اگر ایمان به خدا و دستوراتش داشته باشید بهتر است» (بَقِیَّتُ اللَّهِ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ).

سپس گفت: وظیفه من همین ابلاغ و انـذار و هشـدار بـود که گفتم «و من مسؤول اعمـال شـما و موظف به اجبـار کردنتـان بر پذیرفتن این راه نیستم» (وَ ما أَنَا عَلَیْکُمْ بِحَفِیظٍ).

نکته: بارها گفته ایم آیات قرآن هر چند در مورد خاصی نازل شده باشد مفاهیم جامعی دارد که می تواند در اعصار و قرون بعد بر مصداقهای کلی تر و وسیع تر، تطبیق شود.

لذا در آیه مورد بحث، گرچه مخاطب قوم شعیبند، و منظور از «بَقِیَّتُ اللَّهِ» سود و سرمایه حلال و یا پاداش الهی است، ولی هر موجود نافع که از طرف خداوند برای بشر باقی مانده و مایه خیر و سعادت او گردد، «بَقِیَّتُ اللَّهِ» محسوب می شود.

و از آنجا که مهدی موعود (عج) آخرین پیشوا و بزرگترین رهبر انقلابی پس از قیام پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله است یکی از روشنترین مصادیق «بقیهٔ اللّه» میباشد و از همه به برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۷۰

این لقب شایسته تر است، بخصوص که تنها باقیمانده بعد از پیامبران و امامان است و در روایات متعددی به آن اشاره شده است.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸۷ ص: ۳۷۰

(آیه ۸۷) - منطق بی اساس لجو جان: اکنون ببینیم این قوم لجوج در برابر این ندای مصلح آسمانی چه عکس العملی نشان داد. آنها که بتها را آثار نیاکان و نشانه اصالت فرهنگ خویش می پنداشتند و از کم فروشی و تقلب در معامله سود کلانی می بردند، در برابر شعیب چنین «گفتند: ای شعیب! آیا این نمازت به تو دستور می دهد که ما آنچه را پدرانمان می پرستیدند ترک گوییم»؟! (قالُوا یا شُعَیْبُ أَ صَلاتُکَ تَأْمُرُکَ أَنْ نَتْرُکَ ما یَعْبُدُ آباؤنا).

«و یـا (آزادی خود را در اموال خویش از دست دهیم و) نتوانیم به دلخواهمان در اموالمان تصرف کنیم»؟ (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِی أَمْوالِنا ما نَشُوُّا).

قوم شعیب گرفتار این اشتباه بودند که هیچ کس نمی تواند کمترین محدودیتی برای تصرف در اموال نسبت به مالکین قائل شود در حالی که همیشه امور مالی باید تحت ضوابط صحیح و حساب شدهای که پیامبران الهی بر مردم عرضه کردهاند قرار

گیرد و گر نه جامعه به تباهی خواهد کشید.

«تو که آدم بردبار، پرحوصله و فهمیدهای»، از تو چنین سخنانی بعید است! (إِنَّکَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ).

شاید آنها فکر می کردند نماز، این حرکات و اذکار چه اثری می تواند داشته باشد در حالی که اگر آنها درست اندیشه می کردند، این واقعیت را درمی یافتند که نماز حس مسؤولیت و تقوا و پرهیزکاری و خداترسی و حق شناسی را در انسان زنده می کند، او را به یاد خدا و به یاد دادگاه عدل او می اندازد.

و به همین دلیل او را از شرک و بت پرستی و تقلید کورکورانه نیاکان و از کم فروشی و انواع تقلب باز میدارد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸۸ ص: ۳۷۰

(آیه ۸۸)-اما شعیب در پاسخ آنها که سخنانش را حمل بر سفاهت و دلیل بر بیخردی گرفته بودند «گفت: ای قوم من! (ای گروهی که شما از منید و من هم از شما، و آنچه را برای خود دوست میدارم برای شما هم میخواهم) هرگاه من دلیل برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۷۱

آشكارى از پروردگارم داشته باشم و رزق و موهبت خوبى به من داده باشد» آيا مىتوانىم بر خلاف فرمان او رفتار كنم؟ (قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَ رَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً).

سپس این پیامبر بزرگ اضافه می کند: «من هرگز نمیخواهم چیزی که شما را از آن باز میدارم، خودم مرتکب شوم»! (وَ ما أُریدُ أَنْ أُخالِفَکُمْ إلى ما أَنْهاکُمْ عَنْهُ).

به شـما بگویم کم فروشـی نکنید و تقلب و غش در معامله روا مدارید، اما خودم با انجام این اعمال ثروتی بیندوزم و یا شما را از پرستش بتها منع کنم اما خود در برابر آنها سر تعظیم فرود آورم، نه هرگز چنین نیست.

سر انجام به آنها مي گويد: «من يک هدف بيشتر ندارم و آن اصلاح شما و جامعه شماست تا آنجا که در قدرت دارم» (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ).

اصلاح عقيده، اصلاح اخلاق، اصلاح عمل و اصلاح روابط و نظامات اجتماعي.

و براى رسيدن به اين هدف «تنها از خدا توفيق مي طلبم» (وَ ما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ).

و به همین دلیل برای انجام رسالت خود، و رسیدن به این هدف بزرگ «تنها بر او تکیه میکنم و در همه چیز به او باز می گردم» (عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَ إِلَیْهِ أُنِیبُ).

برای حل مشکلات، با تکیه بر یاری او تلاش می کنم، و برای تحمل شداید این راه، به او باز می گردم.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۸۹ ص: ۳۷۱

(آیه ۸۹) - سپس آنها را متوجه یک نکته اخلاقی می کند و آن این که بسیار می شود که انسان به خاطر بغض و عداوت نسبت به کسی، و یا تعصب و لجاجت نسبت به چیزی، تمام مصالح خویش را نادیده می گیرد، و سرنوشت خود را به دست فراموشی می سپارد، به آنها می گوید: «و ای قوم من! مبادا دشمنی و عداوت با من شما را به گناه و عصیان و سرکشی وا دارد» (وَ یا قَوْمِ لا یَجْرَمَنَّکُمْ شِقاقِی).

«مبادا همان بلاها و مصائب و رنجها و مجازاتهایی که به قوم نوح یا قوم هود یا قوم صالح رسید به شما هم برسد» (أَنْ یُصِیبَکُمْ

مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِح). بركزيده تفسير نمونه، ج٢، ص: ٣٧٢

«و قوم لوط (با آن بلاًی عظیم یعنی زیر و رو شَـدن شـهرهایشان و سـنگباران شدن) از شـما چندان دور نیسـتند» (وَ ما قَوْمُ لُوطٍ مِنْکُمْ بَبَعِیدٍ).

نه زمان آنها از شما چندان فاصله دارد، و نه مکان زندگیشان و نه اعمال و گناهان شما از گناهان آنان دست کمی دارد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۰ ص: ۳۷۲

(آیه ۹۰)- و سر انجام دو دستور که در واقع نتیجه تمام تبلیغات پیشین او است به این قوم گمراه می دهد.

نخست این که: «از خداوند آمرزش بطلبید» (وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ).

تا از گناه پاک شوید، و از شرک و بت پرستی و خیانت در معاملات بر کنار گردید.

«و پس از پاکی از گناه به سوی او بازگردید» (ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ).

که او پاک است و باید پاک شد و به سوی او رفت.

در واقع استغفار، توقف در مسیر گناه و شستشوی خویشتن است و توبه بازگشت به سوی اوست که وجودی است بیانتها. و بدانیـد گناه شـما هر قدر عظیم و سـنگین باشد، راه بازگشت به روی شـما باز است «چرا که پروردگار من، هم رحیم است و هم دوستدار بندگان» (إِنَّ رَبِّی رَحِیمٌ وَدُودٌ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۱ ص: ۳۷۲

(آیه ۹۱)- تهدیدهای متقابل شعیب و قومش: شعیب این پیامبر بزرگ که به خاطر سخنان حساب شده و رسا و دلنشین به عنوان خطیب الانبیاء لقب گرفته، گفتارش را با صبر و حوصله و متانت و دلسوزی تمام ایراد کرد، اما ببینیم این قوم گمراه چگونه به او پاسخ گفتند.

آنها با چهار جمله که همگی حکایت از لجاجت و جهل و بیخبری می کرد جواب دادند. نخست این که: «گفتند: ای شعیب ما بسیاری از حرفهای تو را نمی فهمیم» (قالُوا یا شُعَیْبُ ما نَفْقَهُ کَثِیراً مِمَّا تَقُولُ).

اساسا سخنان تو سر و ته ندارد! و محتوا و منطق با ارزشی در آن نیست که ما بخواهیم پیرامون آن بیندیشیم! دیگر این که: «ما تو را در میان خود ضعیف و ناتوان می بینیم» (وَ إِنَّا لَنَراکَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۷۳ فنا ضَع فاً)

. گمان مكن اگر ما حساب تو را نمى رسيم به خاطر ترس از قىدرت توست، «اگر ملاحظه قوم و قبيلهات (و احترامى كه براى آنها قائل هستيم) نبود (تو را به بـدترين صورتى به قتل مى رسانـديم يعنى) تو را سـنگباران مى كرديم»! (وَ لَـوْ لاـ رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ).

سر انجام گفتند: «تو برای ما فردی نیرومند و شکست ناپذیر نیستی» (وَ ما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۲ ص: ۳۷۳

(آیه ۹۲)– شعیب بـدون این که از سـخنان زننـده و توهینهای آنها از جا در برود، با همان منطق شـیوا و بیان رسا به آنها چنین

پاسخ «گفت: ای قوم من! آیا این چنـد نفر قوم و قبیله من نزد شـما از خداونـد عزیزترنـد»؟ (قالَ یا قَوْمِ أَ رَهْطِی أَعَزُّ عَلَیْکُمْ مِنَ اللَّهِ).

شما که به خاطر فامیل من که به گفته خودتان به من آزار نمیرسانید چرا به خاطر «خدا» سخنانم را نمیپذیرید؟ آیا شما برای خدا احترام قائلید؟ «با این که او و فرمان او را پشت سر انداختهاید»؟ (وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِیًّا).

و در پایان می گوید: فکر نکنید خداوند اعمال شما را نمی بیند و سخنانتان را نمی شنود، یقین بدانید که: «پروردگار من به تمام اعمالی که انجام می دهید، احاطه دارد» (إِنَّ رَبِّی بِما تَعْمَلُونَ مُحِیطٌ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۳ ص: ۳۷۳

(آیه ۹۳)- از آنجا که مشرکان قوم شعیب در آخر سخنان خود، او را تهدید ضمنی به سنگسار کردن نمودند، شعیب موضع خویش را در برابر تهدید آنها چنین مشخص می کند: «ای قوم من! (هر چه در قدرت دارید مضایقه ننماید و) هر کاری از دستتان ساخته است انجام دهید» (وَ یا قَوْم اعْمَلُوا عَلی مَکانَتِکُمْ).

«من نیز کار خودم را می کنم» (إِنِّی عامِلٌ).

«اما به زودی خواهید فهمید چه کسی گرفتار عذاب خوارکننده خواهد شد (من یا شما) و چه کسی دروغگوست» من یا شما؟ (سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ یَأْتِیهِ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۷۴

عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ)

«و حال که چنین است، شما در انتظار بمانید، من هم در انتظار» (وَ ارْتَقِبُوا إِنِّی مَعَکُمْ رَقِیبٌ). شما در انتظار این باشید که بتوانید با قدرت و جمعیت و ثروت و نفوذتان بر من پیروز شوید من هم در انتظار این هستم که مجازات دردناک الهی به زودی دامان شما جمعیت گمراه را بگیرد و از صفحه گیتی براندازد!

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۴ ص: ۳۷۴

(آیه ۹۴)- پایان عمر تبهکاران مدین: سر انجام مرحله نهایی فرا رسید، چنانکه قرآن می گوید: «هنگامی که فرمان ما (دائر به مجازات این قوم گمراه و ستمکار و لجوج) فرا رسید، نخست شعیب و کسانی را که با او ایمان آورده بودند به برکت رحمت خود از آن سرزمین نجات دادیم» (وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَیْنا شُعَیْباً وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَهٍ مِنَّا).

«سپس فرياد آسماني و صيحه عظيم مرگ آفرين، ظالمان و ستمگران را فرو گرفت» (وَ أُخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ).

و به دنبال آن می فرماید: «قوم شعیب بر اثر این صیحه آسمانی در خانه های خود به رو افتادند و مردند» و اجساد بی جانشان به عنوان درسهای عبرتی تا مدتی در آنجا بود (فَأَصْبَحُوا فِی دِیارِهِمْ جاثِمِینَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۵ ص: ۳۷۴

(آیه ۹۵) – آنچنان طومار زندگی آنها در هم پیچیده شد که «گویا هرگز ساکن آن سرزمین نبودند» (کَأَنْ لَمْ یَغْنَوْا فِیها). سر انجام همان گونه که در آخر سرگذشت قوم عاد و ثمود بیان شد، میفرماید: «دور باد سرزمین مدین از لطف و رحمت پروردگار همان گونه که قوم ثمود دور شدند» (أَلا بُعْداً لِمَدْیَنَ کَما بَعِدَتْ ثَمُودُ).

سورهٔ هود(۱۱): آیهٔ ۹۶ ص: ۳۷۴

(آیه ۹۶)- قهرمان مبارزه با فرعون! بعد از پایان داستان شعیب و اصحاب مدین اشاره به گوشهای از سرگذشت «موسی بن عمران» و مبارزاتش با فرعون می کند و این هفتمین داستان پیامبران در این سوره است.

سرگذشت موسی (ع) از تمام پیامبران در قرآن بیشتر آمده است، زیرا در بیش از سی سوره بیش از صد بار به ماجرای موسی و فرعون و بنی اسرائیل اشاره شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۷۵

ویژگی سرگذشت موسی نسبت به پیامبران دیگر این است که آنها بر ضد اقوام گمراه، قیام کردند، ولی موسی علاوه بر این در برابر حکومت خودکامهای همچون دستگاه جبار فرعون قیام نمود.

ولی باید توجه داشت که در این قسمت از سرگذشت موسی، تنها یک گوشه را میخوانیم گوشهای که در عین کوچکی، پیام بزرگی برای همه انسانها دارد.

نخست آیه می گوید: «ما موسی را با معجزاتی که در اختیار او قرار دادیم و منطقی قوی و نیرومنـد فرسـتادیم» (وَ لَقَـدْ أَرْسَـِ لْنا مُوسی بِآیاتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِینٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۷ ص: ۳۷۵

(آیه ۹۷) – موسی را با آن معجزات کوبنده و آن منطق نیرومند «به سوی فرعون و ملأ او فرستادیم» (إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ). اما اطرافیان فرعون که با قیام موسی، منافع نامشروع خود را در خطر میدیدند، حاضر نشدند در برابر او و معجزات و منطقش تسلیم گردند «لذا از فرمان فرعون پیروی کردند» (فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ).

«اما فرمان فرعون هرگز ضامن سعادت آنها و مایه رشد و نجات نبود» (وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِیدٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۸ ص: ۳۷۵

(آیه ۹۸)- از آنجا که روز رستاخیز هر قوم و ملت و گروهی بـا رهـبر خویش، وارد محشـر میشونـد و پیشوایـان این جهـان، پیشوایان آن جهاننـد «فرعون (نیز که رهبر گمراهان عصـر خود بود) در پیشاپیش قومش وارد این صـحنه میشود» (یَقْـدُمُ قَوْمَهُ یَوْمَ الْقِیامَهُِ).

اما به جای این که این پیشوا پیروان خود را در آن گرمای سوزان به سوی چشمه گوارایی از آب زلال ببرد «آنها را به آتش دوزخ وارد میسازد» (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ).

«و چه بدآبشخوری است (آتش) که بر آن وارد می شوند»! (وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ).

همان چیزی که به جای تسکین عطش، تمام وجود انسان را میسوزاند و در عوض سیراب کردن بر تشنگیش میافزاید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۷۶

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۹۹ ص: ۳۷۶

(آیه ۹۹)– سپس می گوید: «آنها در این جهان به لعنت خدا محلق گشتند (و به مجازات و کیفرهای سخت او گرفتار شدند و

در ميان امواج خروشان غرق گرديدنـد) و در روز رستاخيز نيز از رحمت خـدا دور خواهنـد بود» (وَ أُتْبِعُوا فِي هــذِهِ لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ).

نام ننگین آنها همیشه در صفحات تاریخ به عنوان یک قوم گمراه و جبار ثبت می گردد، بنابراین هم در این دنیا خسارت کردند و هم در جهان دیگر.

«و چه بد عطایی است (لعن و دوری از رحمت خدا) که نصیب آنان می شود» (بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۰ ص: ۳۷۶

(آیه ۱۰۰)– در آیات این سوره سرگذشت هفت قوم از اقوام پیشین و گوشهای از تاریخ پیامبرانشان بیان شد.

در اینجا به تمام آن داستانها اشاره کرده، به صورت یک جمع بندی میفرماید: «این ماجراها گوشهای از اخبار شهرها و آبادیهاست که ما داستانش را برای تو بازگو میکنیم» (ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْقُری نَقُصُّهُ عَلَیْکَ).

همان شهرها و آبادیهایی که «قسمتی از آن هنوز برپاست، و قسمتی همچون کشتزار درو شده بکلی ویران گشته است» (مِنْها قائِمٌ وَ حَصِیدٌ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۱ ص: ۳۷۶

(آیه ۱۰۱)- «اما ما به آنها ستم نکردیم بلکه آنها خودشان به خویشتن ستم روا داشتند» (وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لَکِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ). آنها به بتها و خدایان دروغینشان پناه بردند «و هنگامی که فرمان مجازات الهی فرا رسید، معبودانی را که غیر از خدا میخواندند آنها را یاری نکردند» (فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِی یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّکَ). آری! این خدایان قلابی «جز بر هلاکت آنها نیفزودند» (وَ ما زادُوهُمْ غَیْرَ تَتْبِیبٍ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۲ ص: ۳۷۶

(آیه ۱۰۲)– آری «این چنین بود مجازات پروردگار تو نسبت به شهرها و آبادیهایی که ستم میکردنـد هنگامی که آنها را تسلیم هلاکت کرد» (وَ کَذلِکَ أَخْذُ رَبِّکَ إِذا أَخَذَ الْقُری وَ هِیَ ظالِمَةً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۷۷ «مسلما مجازات پروردگار دردناک و شدید است» (إِنَّ أَخْذَهُ أَلِیمٌ شَدِیدٌ).

این یک قانون عمومی الهی است، یک سنت و برنامه همیشگی است که هر قوم و ملتی دست به ظلم و ستم بیالایند و پا را از مرز فرمانهای الهی فراتر نهند و به رهبری و راهنمایی و اندرزهای پیامبران خدا اعتنا ننمایند خداوند آنها را سر انجام سخت می گیرد و در پنجه عذاب میفشارد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۳ ص: ۳۷۷

(آیه ۱۰۳) - و از آنجا که این یک قانون کلی و عمومی است بلافاصله میفرماید: «در این (سرگذشتهای عبرت انگیز و حوادث شوم و دردناکی که بر گذشتگان گذشت) علامت و نشانهای است (برای یافتن راه حق) برای کسانی که از عذاب

آخرت مي ترسند» (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خافَ عَذابَ الْآخِرَةِ).

چرا که دنیا در برابر سرای دیگر همه چیزش کوچک و ناچیز است حتی مجازاتها و عذابهایش و جهان دیگر از هر نظر وسیعتر میباشد، و آنها که ایمان به رستاخیز دارند با دیدن هر یک از این نمونهها در دنیا تکان میخورند.

در پایان آیه اشاره به دو وصف از اوصاف روز قیامت کرده، می گوید: «آن روزی است که همه مردم برای آن جمع می شوند» (ذلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ).

«و آن روزی است که مشهود همگان است» (وَ ذٰلِکُ یَوْمٌ مَشْهُودٌ).

آنچنان که تمام انسانها در آن حاضر میشوند و آن را میبینند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۴ ص: ۳۷۷

(آیه ۱۰۴)- و از آنجا که ممکن است بعضی بگوینـد سـخن از آن روز نسـیه است و معلوم نیست کی فرا میرسـد، لـذا قرآن بلافاصله می گوید: «و ما آن (مجازات) را جز تا زمان محدودی، تأخیر نمیاندازیم» (وَ ما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ).

آن هم برای مصلحتی که روشن است تا مردم جهان میدانهای آزمایش و پرورش را ببینند، و آخرین برنامه انبیاء پیاده شود.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۵ ص: ۳۷۷

(آیه ۱۰۵)- سعادت و شقاوت! در آیات گذشته اشارهای به مسأله قیامت و اجتماع همه مردم در آن دادگاه بزرگ شده بود. در اینجا گوشهای از سرنوشت مردم را در آن روز بیان کرده، نخست می گوید: «هنگامی که آن روز فرا رسد هیچ کس جز به اراده پروردگار سخن نمی گوید» (یَوْمَ یَأْتِ لا تَکَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۷۸

مردم در آن روز مراحل مختلفی را می پیمایند که هر مرحله ویژگیهایی دارد، در پارهای از مراحل هیچ گونه پرسش و سؤالی از آنها نمی شود و حتی مهر بر دهانشان می نهند، فقط اعضای پیکرشان که آثار اعمال را در خود حفظ کردهاند با زبان بی بیزبانی سخن می گویند، اما در مراحل دیگر قفل از زبانشان برداشته می شود و به اذن خداوند به سخن می آیند و به گناهان خود اعتراف می کنند و خطاکاران یکدیگر را ملامت می نمایند بلکه سعی دارند گناه خویش را بر گردن دیگری نهند! به هر حال در پایان آیه اشاره به تقسیم همه مردم به دو گروه کرده، می گوید:

«گروهی در آنجا شقی و گروهی سعیدند، گروهی خوشبخت و گروه دیگری بدبختند» (فَمِنْهُمْ شَقِیٌّ وَ سَعِیدٌ). این شقاوت و آن سعادت چیزی جز نتیجه اعمال و کردار و گفتار و نیات انسان در دنیا نیست.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۶ ص: ۳۷۸

(آیه ۱۰۶)- سپس حالات شقاوتمندان و سعادتمندان را در عبارات فشرده و گویایی چنین شرح می دهد: «اما آنها که شقاوتمند شدند در آتش دوزخ «زفیر» و «شهیق» دارند و ناله و نعره و فریاد سر می دهند» (فَأَمَّا الَّذِینَ شَقُوا فَفِی النَّارِ لَهُمْ فِیها زَفِیرٌ وَ شَهیقٌ).

و این هر دو صدای فریاد و ناله کسانی است که از غم و اندوه ناله سر میدهند، نالهای که تمام وجود آنها را پر میکند و نشانه نهایت ناراحتی و شدت عذاب است.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۷ ص : ۳۷۸

(آیه ۱۰۷) – و اضافه می کند: «آنها جادوانه در آتش خواهند ماند تا زمانی که آسمانها و زمین برپاست» (خالِدِینَ فِیها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ).

«مگر آنچه پروردگارت اراده کند» (إلَّا ما شاءَ رَبُّكَ).

«چرا که خداوند هر کاری را اراده کند انجام میدهد» (إِنَّ رَبَّکَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۸ ص : ۳۷۸

اشاره

(آیه ۱۰۸)- «و اما آنها که سعادتمند شدنـد در بهشت جاودانه خواهند ماند، تا آسـمانها و زمین برپاست» (وَ أَمَّا الَّذِینَ سُـعِدُوا فَفِی الْجَنَّهِ خالِدِینَ فِیها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۷۹ «مگر آنچه پروردگار تو اراده کند» (إلَّا ما شاءَ رَبُّکَ).

«این بخشش و عطیهای است که هر گز از آنان قطع نمی شود» (عَطاءً غَیْرَ مَجْذُودٍ).

اسباب سعادت و شقاوت ص: 329

- سعادت که گم شده همه انسانهاست بطور خلاصه عبارتست از فراهم بودن اسباب تکامل برای یک فرد یا یک جامعه، و نقطه مقابل آن شقاوت و بدبختی است که عبارت از نامساعد بودن شرایط پیروزی و پیشرفت و تکامل است.

ولی باید توجه داشت که پایه اصلی سعادت و شقاوت، اراده و خواست خود انسان است اوست که می تواند وسائل لازم را برای ساختن خویش و حتی جامعهاش فراهم سازد، و اوست که می تواند با عوامل بدبختی و شقاوت به مبارزه برخیزد و یا تسلیم آن شود.

در منطق انبیاء سعادت و شقاوت چیزی نیست که در درون ذات انسان باشد، و حتی نارسائیهای محیط و خانوادگی و وراثت در برابر تصمیم و اراده خود انسان، قابل تغییر و دگرگونی است، مگر این که ما اصل اراده و آزادی انسان را انکار کنیم و او را محکوم شرایط جبری بدانیم و سعادت و شقاوتش را ذاتی و یا مولود جبری محیط و مانند آن بدانیم که این نظر بطور قطع در مکتب انبیاء و همچنین مکتب عقل محکوم است.

جالب این که در روایاتی که از پیامبر صلّی الله علیه و آله و ائمه اهل بیت علیهم السّلام نقل شده، انگشت روی مسائل مختلفی به عنوان اسباب سعادت یا اسباب شقاوت گذارده شده که مطالعه آنها انسان را به طرز تفکر اسلامی در این مسأله مهم، آشنا میسازد و به جای این که برای رسیدن به سعادت و فرار از شقاوت به دنبال مسائل خرافی و پندارها و سنتهای غلط برود به دنبال واقعیات عینی و اسباب حقیقی سعادت خواهد رفت.

امام صادق عليه السّر لام از جدش امير مؤمنان عليه السّر لام چنين نقل مي كند: «حقيقت سعادت اين است كه آخرين مرحله

زندگی انسان با عمل سعادتمندانهای پایان برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۸۰

پذیرد و حقیقت شقاوت این است که آخرین مرحله عمر با عمل شقاوتمندانهای خاتمه یابد».

و نیز پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله می فرماید: «چهار چیز از اسباب سعادت و چهار چیز از اسباب شقاوت است اما آن چهار چیز که از اسباب سعادت است: همسر صالح، خانه وسیع، همسایه شایسته و مرکب خوب است.

و چهار چیز که از اسباب شقاوت است: همسایه بد و همسر بد و خانه تنگ و مرکب بد است».

اگر اسبابی را که برای سعادت و شقاوت در دو حدیث بالا ذکر شده با توجه بر عینیّت همه آنها و نقش مؤثرشان در زندگی بشر با اسباب و نشانههای خرافی که حتی در عصر ما، عصر اتم و فضا گروه زیادی به آن پایبندند مقایسه کنیم به این واقعیت میرسیم که تعلیمات اسلام تا چه حد منطقی و حساب شده است.

هنوز بسیارند کسانی که نعل اسب را سبب خوشبختی، روز سیزده را سبب بدبختی. پریدن از روی آتش را در بعضی از شبهای سال سبب خوشبختی، و آواز خواندن مرغ را سبب بدبختی. پاشیدن آب را پشت سر مسافر سبب خوشبختی و رد شدن زیر نردبان را سبب بدبختی، و حتی آویزان کردن خرمهره را به خود یا به وسیله نقلیه سبب خوشبختی و عطسه را نشانه بدبختی در انجام کار مورد نظر میدانند و امثال این خرافات که در شرق و غرب در میان اقوام و ملل مختلف فراوان است.

و چه بسیار انسانهایی که بر اثر گرفتار شدن به این خرافات از فعالیت در زندگی بازماندهاند و گرفتار مصیبتهای فراوانی شدهاند.

اسلام بر تمام این پندارهای خرافی قلم سرخ کشیده و سعادت و شقاوت انسان را در فعالیتهای مثبت و منفی و نقاط قوت و ضعف اخلاقی و برنامههای عملی و طرز تفکر و عقیده هر کس میداند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۰۹ ص: ۳۸۰

(آیه ۱۰۹)- یکی از نتائج مهمی که از شرح داستانهای اقوام پیشین گرفته می شود همین است که پیامبر و به دنبال او مؤمنان راستین از انبوه دشمنان نهراسند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۸۱

و در شکست قوم بت پرست و ستمگری که با آن رو برو هستند شک و تردیدی به خود راه ندهند و به امدادهای الهی مطمئن باشند.

لـذا به پیامبر خود، میفرماید: «شک و تردیدی در مورد چیزی که اینها پرسـتش میکنند به خود راه مده که اینها (هم از همان راهی میروند که گروهی از پیشینیان رفتند و) پرستش نمیکنند مگر همان گونه که با نیاکانشان از قبل میپرستیدند» بنابر این سرنوشتی بهتر از آنان نخواهند داشت (فَلا تَکُ فِی مِرْیَهٔ مِمَّا یَعْبُدُ هؤُلاءِ ما یَعْبُدُونَ إِلَّا کَما یَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ).

و لذا بلا فاصله می گوید: «ما حتما نصیب و سهم آنها را بدون کم و کاست (از مجازات و عذاب) خواهیم داد» و چنانچه به راه حق باز گردند، نصیب آنها از پاداش ما محفوظ است (وَ إِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِیبَهُمْ غَیْرَ مَنْقُوصِ).

در حقیقت این آیه، این حقیقت را مجسم می کند که آنچه از سرگذشت اقوام پیشین خواندیم، اسطوره و افسانه نبود، و نیز اختصاصی به گذشتگان نداشت، سنتی است ابدی و جاودانی و در باره تمام انسانهای دیروز و امروز و فردا. گرچه به صورتهای مختلفی انجام می گیرد.

سورهٔ هود(۱۱): آیهٔ ۱۱۰ ص: ۳۸۱

(آیه ۱۱۰)- باز برای تسلّی خاطر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله اضافه می کند: اگر قوم تو در باره کتاب آسمانیت یعنی قرآن اختلاف شد» اختلاف و بهانه جویی می کنند، ناراحت نباش زیرا «ما به موسی کتاب آسمانی (تورات) دادیم سپس در آن اختلاف شد» بعضی پذیرفتند و بعضی منکر شدند (وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ فَاخْتُلِفَ فِیهِ).

و اگر می بینی در مجازات دشمنان تو تعجیل نمی کنیم، به خاطر این است که مصالحی از نظر تعلیم و تربیت و هدایت این قوم، چنین ایجاب می کند «و اگر (این مصلحت نبود و) برنامهای که پروردگار تو از قبل در این زمینه مقرر فرموده ایجاب تأخیر نمی کرد، در میان آنها داوری لازم می شد و مجازات دامانشان را می گرفت» (وَ لَوْ لا کَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ). «هر چند آنها (این حقیقت را هنوز باور نکردند و همچنان) نسبت به آن در شک و تردیدند شکّی آمیخته با سوء ظن و

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۸۲

بدبيني» (وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكَ مِنْهُ مُرِيب).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۱۱ ص: ۳۸۲

(آیه ۱۱۱)- در این آیه برای تأکید بیشتر اضافه میکند: «و پروردگارت هر یک از این دو گروه (مؤمنان و کافران) را به پاداش اعمالشان بطور کامل میرساند و اعمال آنها را بیکم و کاست به خودشان تحویل میدهد» (وَ إِنَّ کُلًّا لَمَّا لَیُوَفِّیَنَّهُمْ رَبُّکَ أَعْمالَهُمْ).

و این کار هیچ گونه مشکل و مشقتی برای خداوند ندارد «زیرا او (به همه چیز آگاه است و) از هر کاری که انجام میدهند با خبر میباشد» (إنَّهُ بما یَعْمَلُونَ خَبِیرٌ).

جالب این که می گوید: اعمالشان را به آنها میدهیم و این اشاره دیگری بر مسأله تجسم اعمال است و این که پاداش و کیفر در حقیقت اعمال خود انسان است که تغییر شکل می یابد و به او می رسد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۱۲ ص: ۳۸۲

اشاره

(آیه ۱۱۲)- استقامت کن استقامت! پس از ذکر سرگذشت پیامبران و اقوام پیشین و رمز موفقیت و پیروزی آنها و پس از دلداری و تقویت اراده پیامبر از این طریق در این آیه، مهمترین دستور را به پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله می دهد و می گوید:

«استقامت كن همان گونه كه به تو دستور داده شده است» (فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ).

استقامت کن در راه تبلیغ و ارشاد، استقامت کن در طریق مبارزه و پیکار استقامت کن در انجام وظائف الهی و پیاده کردن تعلیمات قرآن.

ولی این استقامت نه به خاطر خوشایند این و آن باشد و نه از روی تظاهر و ریا، و نه برای کسب عنوان قهرمانی و نه برای بدست آوردن مقام و ثروت و کسب موفقیت و قدرت، بلکه تنها به خاطر فرمان خدا و آن گونه که به تو دستور داده شده است باید باشد. اما این دستور تنها مربوط به تو نیست، هم تو باید استقامت کنی «و همچنین کسانی که با تو به سوی خدا آمدهاند» باید استقامت کنند (وَ مَنْ تابَ مَعَکَ).

استقامتی خالی از افراط و تفریط، و زیاده و نقصان «و طغیان نکنید» (وَ لا تَطْغَوْا). یعنی، استقامتی که در آن طغیان وجود نداشته باشد.

«چرا كه خداوند از اعمال شما آگاه است» (إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

و هیچ حرکت و سکون و سخن و برنامهای بر او مخفی نمیماند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۸۳

آیهای پرمحتوا و طاقت فرسا! ص: 383

در حدیث معروفی از ابن عباس چنین میخوانیم: «هیچ آیهای شدید و مشکلتر از این آیه بر پیامبر صلّی الله علیه و آله نازل نشد و لذا هنگامی که اصحاب از آن حضرت پرسیدند چرا به این زودی موهای شما سفید شده و آثار پیری نمایان، گشته، فرمود: مرا سوره هود و واقعه پیر کرد! و در روایت دیگری میخوانیم: هنگامی که آیه فوق نازل شد پیامبر فرمود:

شمّروا، شمّروا، فمارئی ضاحکا: «دامن به کمر بزنید، دامن به کمر بزنید (که وقت کار و تلاش است) و از آن پس پیامبر هرگز خندان دیده نشد»! دلیل آن هم روشن است، زیرا چهار دستور مهم در این آیه وجود دارد که هر کدام بار سنگینی بر دوش انسان می گذارد.

امروز هم مسؤولیت مهم ما مسلمانان و مخصوصا رهبران اسلامی در این چهار جمله خلاصه می شود استقامت، اخلاص، رهبری مؤمنان و عدم طغیان و تجاوز، و بدون به کار بستن این اصول، پیروزی بر دشمنانی که از هر سو از داخل و خارج ما را احاطه کرده اند و از تمام وسائل فرهنگی و سیاسی و اقتصادی و اجتماعی و نظامی بر ضد ما بهره گیری می کنند امکان پذیر نمی باشد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۱۳ ص : ۳۸۳

اشاره

(آیه ۱۱۳)- تکیه بر ظالمان و ستمگران: این آیه یکی از اساسی ترین برنامههای اجتماعی و سیاسی و نظامی و عقیدتی را بیان می کند، عموم مسلمانان را مخاطب ساخته، و به عنوان یک وظیفه قطعی می گوید: «به کسانی که ظلم و ستم کردهاند، تکیه نکنید» (وَ لا تَرْکَنُوا إِلَی الَّذِینَ ظَلَمُوا). و اعتماد و اتکای کار شما بر اینها نباشد.

«چرا که این امر سبب می شود که عذاب آتش، دامان شما را بگیرد» (فَتَمَسَّکُمُ النَّارُ).

«و غير از خدا هيچ ولتي و سرپرست و ياورى نخواهيد داشت» (وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُوْلِياءَ).

با این حال واضح است که هیچ کس شما را یاری نخواهد کرد «و یاری نمی شوید» (ثُمَّ لا تُنْصَ رُونَ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۸۴

در چه اموری نباید به ظالمان تکیه کرد؟ ص : 384

بدیهی است که در درجه اول نباید در ظلمها و ستمگریهایشان شرکت جست و از آنها کمک گرفت، و در درجه بعد اتکاء بر آنها در آنچه مایه ضعف و ناتوانی جامعه اسلامی و از دست دادن استقلال و خودکفایی و تبدیل شدن به یک عضو وابسته و ناتوان می گردد باید از میان برود که این گونه رکونها جز شکست و ناکامی و ضعف جوامع اسلامی، نتیجهای نخواهد داشت. و اما این که: فی المثل مسلمانان با جوامع غیر مسلمان، روابط تجاری یا علمی براساس حفظ منافع مسلمین و استقلال و ثبات جوامع اسلامی داشته باشند، نه داخل در مفهوم رکون به ظالمین است و نه چیزی است که از نظر اسلام ممنوع بوده باشد و در عصر خود پیامبر صلّی الله علیه و آله و اعصار بعد همواره چنین ارتباطاتی وجود داشته است.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۱۴ ص: ۳۸۴

اشاره

(آیه ۱۱۴)- «نماز» و «صبر»: در این آیه و آیه بعد انگشت روی دو دستور از مهمترین دستورات اسلامی که در واقع روح ایمان و پایه اسلام است گذارده شده نخست فرمان به اقامه نماز داده، می گوید: «نماز را در دو طرف روز، و در اوائل شب برپا دار» (وَ أَقِم الصَّلاةَ طَرَفَي النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ).

ظاهر تعبیر «طَرَفَي النَّهارِ» (دو طرف روز) این است که نماز صبح و مغرب را بیان می کنـد، که در دو طرف روز قرار گرفته و «زلف» منطبق بر نماز عشا میباشد.

سپس برای اهمیت نماز روزانه خصوصا و همه عبادات و طاعات و حسنات عموما چنین می گوید: «حسنات، سیئات را از میان می برند» (إِنَّ الْحَسَناتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئاتِ).

«و این تذکر و یادآوری است برای آنها که توجه دارند» (ذلِکَ ذِکْری لِلذَّاکِرِینَ).

آیه فوق همانند قسمتی دیگر از آیات قرآن تأثیر اعمال نیک را در از میان بردن آثار سوء اعمال بد بیان می کند، کار نیک که از انگیزه الهی سر چشمه گرفته به روح آدمی لطافتی می بخشد که آثار گناه را می تواند از آن بشوید و تیر گیهای گناه را به روشنایی مبدل سازد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۸۵

اهميت فوق العاده نماز - ص: 385

در روایات متعددی که ذیل آیه فوق از پیامبر صلّی الله علیه و آله و ائمه معصومین علیهم السّد الام نقل شده تعبیراتی دیده می شود که از اهمیت فوق العاده نماز در مکتب اسلام پرده بر می دارد.

از على عليه السّر الام نقـل شـده كه مىفرمايـد: بـا رسول خـدا صـلّى اللّه عليه و آله در مسـجد، در انتظـار نمـاز بوديم كه مردى برخاست و عرض كرد: اى رسول خدا! من گناهى كردهام.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله روی از او برگرداند. هنگامی که نماز تمام شد همان مرد برخاست و سخن اول را تکرار کرد پیامبر

صلّی اللّه علیه و آله فرمود: آیا با ما این نماز را انجام نـدادی؟ و برای آن به خوبی وضو نگرفتی؟ عرض کرد: آری! فرمود: این کفاره گناه توست! نماز، انسان را در برابر گناه بیمه می کند، و نیز نماز زنگار گناه را از آیینه دل میزداید.

نماز جوانه های ملکات عالی انسانی را در اعماق جان بشر میرویانید، نماز اراده را قوی و قلب را پاک و روح را تطهیر می کند، و به این ترتیب نماز در صورتی که به صورت جسم بیروح نباشد مکتب عالی تربیت است.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۱۵ ص: ۳۸۵

(آیه ۱۱۵)- به دنبال برنامه انسان ساز نماز و بیان تأثیری که حسنات در زدودن سیئات دارد در این آیه فرمان به «صبر» می دهد، و می گوید: «و شکیبا باش که خدا اجر نیکو کاران را ضایع نمی کند» (وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّه لا یُضِ یعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ). یعنی نیکو کاری بدون صبر و ایستادگی میسر نیست.

واژه «صبر» هرگونه شکیبایی در برابر مشکلات، مخالفتها، آزارها، هیجانها، طغیانها و مصائب گوناگون را شامل می شود. «صبر» یک اصل کلی و اساسی است که در مواردی از قرآن همراه با نماز ذکر شده است شاید به این دلیل که نماز در انسان «حرکت» می آفریند و دستور صبر، مقاومت ایجاد می کند، و این دو یعنی «حرکت» و «مقاومت» هنگامی که دست به دست هم دهند عامل اصلی هرگونه پیروزی خواهند شد.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۱۶ ص: ۳۸۵

(آیه ۱۱۶)- عامل تباهی جامعه ها! برای تکمیل بحثهای گذشته در این آیه و آیه بعد یک اصل اساسی اجتماعی که ضامن نجات جامعه ها از تباهی است برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۸۶

مطرح شده است، و آن این که در هر جـامعهای تـا زمانی که گروهی از اندیشـمندان متعهـد و مسؤول وجود دارد که در برابر مفاسـد سـاکت نمینشـینند، و به مبـارزه بر میخیزنـد، و رهبری فکری و مکتبی مردم را در اختیار دارنـد این جامعه به تباهی و نابودی کشیده نمیشود.

اما آن زمان که بی تفاوتی و سکوت در تمام سطوح حکمفرما شد و جامعه در برابر عوامل فساد بی دفاع ماند، فساد و به دنبال آن نابودی حتمی است.

لذا ضمن اشاره به اقوام پیشین که گرفتار انواع بلاها شدند، می گوید: «چرا در قرون و امتها و اقوام قبل از شما نیکان و پاکان قدر تمند و صاحب فکری نبودند که از فساد در روی زمین جلوگیری کنند» (فَلَوْ لا کانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِکُمْ أُولُوا بَقِیَّةٍ یَنْهَوْنَ عَن الْفَسادِ فِی الْأَرْض).

نقش «اولوا بقیّهٔ» در بقای جوامع آنقدر حساس است که باید گفت: بدون آنها حق حیات از آنان سلب می شود و این همان چیزی است که آیه فوق به آن اشاره دارد.

بعد به عنوان استثناء مي گويد: «مگر افراد اندكي از آنان كه آنها را نجات داديم» (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ).

این گروه اندک هر چند امر به معروف و نهی از منکر داشتند، اما مانند لوط و خانواده کوچکش و نوح و ایمان آورندگان محدودش و صالح و تعداد کمی که از او پیروی کرده بودند، آنچنان کم و اندک بودند که توفیق بر اصلاح کلی جامعه نیافتند. «و به هر حال ستمگران (که اکثریت این جامعه ها را تشکیل می دادند) به دنبال ناز و نعمت و عیش و نوش رفتند و آنچنان مست باده غرور و تنعم و لذات شدند که) دست به انواع گناهان زدند» (وَ اتَّبَعَ الَّذِینَ ظَلَمُوا ما أُثْرِفُوا فِیهِ وَ کانُوا مُجْرِمِینَ). این تنعم و تلذذ بی قید و شرط سر چشمه انواع انحرافاتی است که در طبقات مرفّه جامعه ها به وجود می آید، چرا که مستی شهوت، آنها را از پرداختن به ارزشهای اصیل انسانی و درک واقعیتهای اجتماعی باز می دارد و غرق عصیان و گناه می سازد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۸۷

سورهٔ هود(۱۱): آیهٔ ۱۱۷ ص: ۳۸۷

(آیه ۱۱۷) - سپس برای تأکید این واقعیت، اضافه می فرماید: این که می بینی خداوند این اقوام را به دیار عدم فرستاد به خاطر آن بود که مصلحانی در میان آنها نبودند «و چنین نبود که پروردگارت آبادیها را به ظلم و ستم نابود کند در حالی که اهلش در صدد اصلاح بوده باشند» (وَ ما کانَ رَبُّکَ لِیُهْلِکَ الْقُری بِظُلْم وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ).

یعنی، هرگاه جامعهای ظالم بود اما به خود آمده و در صدد اصلاح باشد چنین جامعهای میماند، ولی اگر ظالم بود و در مسیر اصلاح و پاکسازی نبود، نخواهد ماند.

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۱۸ ص: ۳۸۷

(آیه ۱۱۸)– در این آیه به یکی از سنن آفرینش که در واقع زیر بنای سایر مسائل مربوط به انسان است اشاره شده و آن مسأله اختلاف و تفاوت در ساختمان روح و جسم و فکر و ذوق و عشق انسانها، و مسأله آزادی اراده و اختیار است.

مى فرمايىد: «اگر خدا مى خواست، همه مردم را «امت واحده» قرار مى داد (ولى خداوند چنين كارى را نكرده) و همواره انسانها با هم اختلاف دارند» (وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ).

تا کسی تصور نکنـد تأکیـد و اصـرار پروردگار در اطاعت فرمانش دلیل بر این است که او قادر بر این نبود که همه آنها را در مسیر ایمان و یک برنامه معین قرار دهد.

ولی نه چنین ایمانی فایدهای داشت، و نه چنان اتحاد و هماهنگی، ایمان اجباری که از روی انگیزههای غیر ارادی برخیزد، نه دلیل بر شخصیت است و نه وسیله تکامل، و نه موجب پاداش و ثواب.

اصولاً ارزش و امتیاز انسان و مهمترین تفاوت او با موجودات دیگر داشتن همین موهبت آزادی اراده و اختیار است، همچنین داشتن ذوقها و سلیقه ها و اندیشه های گوناگون و متفاوت که هر کدام بخشی از جامعه را می سازد، و بعدی از ابعاد آن را تأمین می کند.

از طرفی هنگامی که آزادی اراده آمد، اختلاف در انتخاب عقیده و مکتب، طبیعی است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۸۸

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۱۹ ص: ۳۸۸

(آیه ۱۱۹)- لـذا در این آیه میفرمایـد: مردم در پذیرش حق با هم اختلاف دارند «مگر، کسی را که پروردگارت رحم کند»! (إلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ). ولى اين رحمت الهى مخصوص گروه معينى نيست، همه مى تواننىد- به شرط اين كه بخواهنىد- از آن استفاده كننىد «و (خداوند) براى همين پذيرش رحمت آنها را آفريد» (وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ).

آنها که بخواهند در زیر این چتر رحمت الهی قرار بگیرند راه برای آنها باز است رحمتی که از طریق تشخیص عقل و هدایت انبیاء و کتب آسمانی به همه مردم افاضه شده است.

و هرگاه از این رحمت و موهبت استفاده کنند درهای بهشت و سعادت جاویدان به روی آنها گشوده خواهد شد.

در غير اين صورت «فرمان خدا صادر شده است كه جهنم را از سركشان و طاغيان جن و انس پر مىكنم» (وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۲۰ ص: ۳۸۸

(آیه ۱۲۰) – مطالعه سرگذشت پیشینیان چهار اثر دارد: در این آیه و آیات بعد که سوره هود با آن پایان می پذیرد یک نتیجه گیری کلی از مجموع بحثهای سوره بیان شده است و از آنجا که قسمت عمده این سوره داستانهای عبرت انگیز پیامبران و اقوام پیشین بود نخست نتائج گرانبهای ذکر این داستانها را در چهار موضوع خلاصه کرده، می گوید: «ما از هر یک از سرگذشتهای انبیاء برای تو بازگو کردیم تا به وسیله آن، قلبت را آرامش بخشیم» و ارادهات قوی گردد. (وَ کُلًّا نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُل ما نُثَبِّتُ بهِ فُؤادَکَ).

سپس به دومین نتیجه بزرگ بیان این داستانها اشاره کرده، می گوید: «و در این اخبار پیامبران، حقایق و واقعیتهای (مربوط به زندگی و حیات، پیروزی و شکست، عوامل موفقیت و تیره روزی) همگی برای تو آمده است» (وَ جاءَکَ فِی هذِهِ الْحَقُّ). سومین و چهارمین اثر چشمگیر بیان این سرگذشتها آن است که: «برای مؤمنان موعظه و اندرز، تذکر و یادآوری است» (وَ مَوْعِظَهٌ وَ ذِکْری لِلْمُؤْمِنِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۸۹

این آیه بار دیگر تأکید می کند که تواریخ قرآن را نباید سرسری شمرد و یا به عنوان یک سرگرمی از آن برای شنوندگان استفاده کرد چرا که مجموعهای است از بهترین درسهای زندگی در تمام زمینه ها و راهگشایی است برای همه انسانهای «امروز» و «فردا».

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۲۱ ص: ۳۸۹

(آیه ۱۲۱)- سپس به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهد که تو نیز در مقابل سرسختیها و لجاجتهای دشمن همان بگو که بعضی از پیامبران پیشین به این افراد می گفتند: «به آنها که ایمان نمی آورند بگو: هر چه در قدرت دارید انجام دهید (و از هیچ کاری فروگذار نکنید) ما هم آنچه در توان داریم انجام خواهیم داد» (وَ قُلْ لِلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلی مَکانَتِکُمْ إِنَّا عامِلُونَ).

سورهٔ هود(۱۱):آیهٔ ۱۲۲ ص: ۳۸۹

(آیه ۱۲۲)- «و انتظار بکشید! ما هم منتظریم»! (وَ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ). تا ببینیم کدامین پیروز می شوند و کدامین شکست می خورند.

شما در انتظار خام شکست ما باشید و ما در انتظار واقعی عـذاب الهی برای شـما هستیم که یا از دست ما خواهیـد کشیـد و یا

سورهٔ هود(۱۱): آیهٔ ۱۲۳ ص: ۳۸۹

(آیه ۱۲۳)- آخرین آیه این سوره به بیان توحید (توحید علم و توحید افعال و توحید عبادت) می پردازد همان گونه که آیات آغاز این سوره از علم توحید سخن می گفت.

در حقیقت در این آیه انگشت روی سه شعبه از توحید گذاشته شده است.

نخست به توحید علمی پروردگار اشاره کرده، می گوید: «غیب آسمانها و زمین مخصوص خداست» و او است که از همه اسرار آشکار و نهان باخبر است (وَ لِلَّهِ غَیْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

و غیر او علمش محدود و در عین محدودیت از ناحیه تعلیم الهی است، بنابراین علم نامحدود، آن هم علم ذاتی، نسبت به تمام آنچه در پهنه زمین و آسمان قرار دارد، مخصوص ذات پاک پروردگار است.

و از سوی دیگر به توحید افعالی اشاره کرده، می گوید: زمام تمام کارها در کف قـدرت اوست «و همه کارها به سوی او باز می گردد» (وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۹۰

سپس نتیجه می گیرد اکنون که آگاهی نامحدود و قدرت بیپایان، مخصوص ذات پاک اوست و بازگشت هر چیز به سوی او میباشد، بنابراین «تنها او را پرستش کن» (فَاعْبُدْهُ).

«و فقط بر او توكل نما» (وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ).

و این مرحله توحید عبادت است.

و از آنچه نافرمانی و سرکشی و طغیان و گناه است، بپرهیز، چرا که:

«پروردگارت از آنچه انجام میدهید غافل نیست» (وَ مَا رَبُّکَ بِغَافِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

«پایان سوره هود»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۹۱

سوره يوسف [17] ص: ٣٩١

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و دارای ۱۱۱ آیه است

محتوای سوره: ص: 391

اشاره

قبل از ورود در تفسیر آیات این سوره ذکر چند امر لازم است:

1- تمام آیات این سوره جز چند آیه که در آخر آن آمده سرگذشت جالب و شیرین و عبرت انگیز پیامبر خدا یوسف (ع) را بیان میکند ص: 391

و به همین دلیل این سوره به نام یوسف نامیده شده است و نیز به همین جهت از مجموع ۲۷ بـار ذکر نام یوسف در قرآن ۲۵ مرتبه آن در این سوره است، و فقط دو مورد آن در سورههای دیگر (سوره غافر آیه ۳۴ و أنعام آیه ۸۴) میباشد.

محتوای این سوره بر خلاف سوره های دیگر قرآن همگی به هم پیوسته و بیان فرازهای مختلف یک داستان است، که در بیش از ده بخش با بیان فوق العاده گویا، جذاب، فشرده، عمیق و مهیج آمده است.

گرچه داستان پردازان بی هدف، و یا آنها که هدفهای پست و آلودهای دارند سعی کردهاند از این سرگذشت آموزنده یک داستان عشقی محرک برای هوسبازان بسازند و چهره واقعی یوسف و سرگذشت او را مسخ کنند، و حتی در شکل یک فیلم عشقی به روی پرده سینما بیاورند ولی قرآن که همه چیزش الگو و «اسوه» است، در لابلای این داستان عالیترین درسهای عفت و خویشتن داری و تقوا و ایمان و تسلط بر نفس را، منعکس ساخته آنچنان که هر انسانی – هر چند، بارها آن را برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۹۲

خوانده باشد- باز به هنگام خواندنش بی اختیار تحت تأثیر جذبه های نیرومندش قرار می گیرد.

و به همین جهت قرآن نام زیبای «احسن القصص» (بهترین داستانها) را بر آن گذارده است، و در آن برای «اولو الالباب» (صاحبان مغز و اندیشه) عبرتها بیان کرده است.

۲- دقت در آیات این سوره این واقعیت را برای انسان روشنتر میسازد که قرآن در تمام ابعادش معجزه است ص : ۳۹۲

چرا که قهرمانهایی که در داستانها معرفی می کند-قهرمانهای واقعی و نه پنداری- هر کدام در نوع خود بی نظیرند. ابراهیم قهرمان بت شکن با آن روح بلند و سازش ناپذیر در برابر طاغوتیان.

موسى آن قهرمان تربيت يك جمعيت لجوج در برابر يك طاغوت عصيانگر.

یوسف آن قهرمان پاکی و پارسایی و تقوا، در برابر یک زن زیبای هوسباز و حیله گر.

و از این گذشته قدرت بیان وحی قرآنی در این داستان آنچنان تجلی کرده که انسان را به حیرت می اندازد، زیرا این داستان چنانکه می دانیم در پارهای از موارد به مسائل بسیار باریک عشقی منتهی می گردد، و قرآن بی آنکه آنها را درز بگیرد، و از کنار آن بگذرد تمام این صحنه ها را با ریزه کاریهایش طوری بیان می کند که کمترین احساس منفی و نامطلوب در شنونده ایجاد نمی گردد، در متن تمام قضایا وارد می شود اما در همه جا اشعه نیرومندی از تقوا و پاکی، بحثها را احاطه کرده است.

۳- داستان یوسف قبل از اسلام و بعد از آن- ص: ۳۹۲

بدون شک قبل از اسلام نیز داستان یوسف در میان مردم مشهور و معروف بوده است، چرا که در تورات در چهارده فصل از سفر پیدایش (از فصل ۳۷ تا ۵۰) این داستان مفصلا ذکر شده است.

البته مطالعه دقیق این چهارده فصل نشان می دهـ د که آنچه در تورات آمـده تفاوتهای بسیاری با قرآن مجید دارد و مقایسه این

تفاوتها نشان میدهد که تا چه حد آنچه در قرآن آمده پیراسته و خالص و خالی از هر گونه خرافه میباشد. و این که قرآن به پیامبر می گوید: «پیش از این از آن غافل بودی» اشاره به عدم آگاهی پیامبر از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۹۳ واقعیت خالص این سرگذشت عبرت انگیز است.

به هر حال بعد از اسلام نیز این داستان در نوشته های مورخین شرق و غرب گاهی با شاخ و برگهای اضافی آمده است در شعر فارسی نخستین قصه یوسف و زلیخا را به فردوسی نسبت می دهند و پس از او یوسف و زلیخای شهاب الدین عمعق و مسعودی قمی است و بعد از او، یوسف و زلیخای عبد الرحمن جامی شاعر معروف قرن نهم است.

4- چرا بر خلاف سرگذشتهای سایر انبیاء داستان یوسف یک جا بیان شده است؟ ص: 393

یکی از ویژگیهای داستان یوسف این است که همه آن یک جا بیان شده، به خلاف سرگذشت سایر پیامبران که به صورت بخشهای جداگانه در سورههای مختلف قرآن پخش گردیده، این ویژگی به این دلیل است که تفکیک فرازهای این داستان با توجه به وضع خاصی که دارد پیوند اساسی آن را از هم می برد، و برای نتیجه گیری کامل همه باید یک جا ذکر شود. یکی دیگر از ویژگیهای این سوره آن است که داستانهای سایر پیامبران که در قرآن آمده معمولا بیان شرح مبارزاتشان با اقوام

اما در داستان یوسف، سخنی از این موضوع به میان نیامده است بلکه بیشتر بیانگر زندگانی خود یوسف و عبور او از کورانهای سخت زندگانی است که سر انجام به حکومتی نیرومند تبدیل میشود که در نوع خود نمونه بوده است.

۵- فضیلت سوره یوسف-.... ص: ۳۹۳

سرکش و طغیانگر است.

در روایات اسلامی برای تلاوت این سوره فضائل مختلفی آمده است از جمله در حدیثی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم: «هر کس سوره یوسف را در هر روز و یا هر شب بخواند، خداوند او را روز رستاخیز برمیانگیزد در حالی که زیبائیش همچون زیبایی یوسف است و هیچ گونه ناراحتی روز قیامت به او نمی رسد و از بندگان صالح خدا خواهد بود».

بارها گفته ایم روایاتی که در بیان فضیلت سوره های قرآن آمده به معنی خواندن سطحی بدون تفکر و عمل نیست بلکه تلاوتی است مقدمه تفکر، و تفکری است سر آغاز عمل.

> بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۹۴ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱ ص: ۳۹۴

(آیه ۱)- احسن القصص در برابر تو است! این سوره نیز با حروف مقطعه «الف- لام- راء» (الر) آغاز شده است که نشانهای از عظمت قرآن و ترکیب این آیات عمیق و پرمحتوا از ساده ترین اجزاء یعنی حروف الفبا میباشد.

و شایـد به همین دلیـل است که بعـد از ذکر حروف مقطعه بلافاصـله اشاره به عظمت قرآن کرده، می گویـد «اینها آیات کتاب

مبین است» (تِلْکُ آیاتُ الْکِتابِ الْمُبِینِ). کتابی روشـنی بخش و آشـکار کننده حق از باطل و نشان دهنده صراط مستقیم و راه پیروزی و نجات.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٢ ص: ٣٩٤

(آیه ۲)– سپس هدف نزول این آیات را چنین بیان میکند: «ما آن را قرآن عربی فرستادیم تا شما آن را به خوبی درک کنید» (إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُوْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

هدف تنها قرائت و تلاوت و تیمن و تبرک با خواندن آیات آن نیست، بلکه هدف نهایی درک است، درک نیرومند و پرمایه که تمام وجود انسان را به سوی عمل دعوت کند.

تعبیر به «عربی بودن» که در ده مورد از قرآن تکرار شده پاسخی است به آنها که پیامبر را متهم میکردند که او این آیات را از یک فرد عجمی یاد گرفته و محتوای قرآن یک فکر و ارادتی است و از نهاد وحی نجوشیده است.

ضمنا این تعبیرات پی در پی این وظیفه را برای همه مسلمانان به وجود می آورد که همگی باید بکوشند و زبان عربی را به عنوان زبان دوم خود به صورت همگانی بیاموزند از این نظر که زبان وحی و کلید فهم حقایق اسلام است.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۳ ص: ۳۹۴

اشاره

(آیه ۳)– سپس میفرماید: «ما نیکوترین قصه ها را از طریق وحی و فرستادن این قرآن برای تو بازگو میکنیم هر چند پیش از آن، از آن غافـل بودی» (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَـصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هـذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۹۵

بعضى از مفسران معتقدند كه «احسن القصص» اشاره به مجموعه قرآن است. يعنى، خداوند مجموعه اين قرآن كه زيباترين شرح و بيان و فصيحترين و بليغ ترين الفاظ را با عاليترين و عميقترين معانى آميخته كه از نظر ظاهر زيبا و فوق العاده شيرين و گوارا و از نظر باطن بسيار پرمحتواست «احسن القصص» ناميده.

ولى پيونـد آيـات آينـده كه سـرگذشت يوسف را بيان مىكنـد با آيه مورد بحث آنچنان است كه ذهن انسان بيشتر متوجه اين معنى مىشود كه خداوند داستان يوسف را «احسن القصص» ناميده است.

اما بارها گفتهایم که مانعی ندارد این گونه آیات برای بیان هر دو معنی باشد، هم قرآن بطور عموم احسن القصص است و هم داستان یوسف بطور خصوص.

نقش داستان در زندگی انسانها - ص: ۳۹۵

با توجه به این که قسمت بسیار مهمی از قرآن به صورت سرگذشت اقوام پیشین و داستانهای گذشتگان بیان شده است، این سؤال برای بعضی پیش میآید که چرا یک کتاب تربیتی و انسان ساز این همه تاریخ و داستان دارد؟ اما توجه به چند نکته علت حقیقی این موضوع را روشن میسازد:

۱- تاریخ آزمایشگاه مسائل گوناگون زندگی بشر است، و آنچه را که انسان در ذهن خود با دلائل عقلی ترسیم میکند در صفحات تاریخ به صورت عینی باز می یابد.

۲- از این گذشته تاریخ و داستان جاذبه مخصوصی دارد، و انسان در تمام ادوار عمر خود از سن کودکی تا پیری تحت تأثیر این جاذبه فوق العاده است.

دلیل این موضوع شاید آن باشد که انسان قبل از آن که، عقلی باشد حسی است و بیش از آنچه به مسائل فکری میاندیشد در مسائل حسی غوطهور است.

مسائل مختلف زنـدگی هر انـدازه از میـدان حس دور میشوند و جنبه تجرد عقلانی به خود میگیرند سـنگین تر و دیر هضم تر میشوند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۹۶

و از این رو میبینیم همیشه برای جا افتادن استدلالات عقلی از مثالهای حسی استمداد می شود و گاهی ذکر یک مثال مناسب و به جا تأثیر استدلال را چندین برابر می کند و لذا دانشمندان موفق آنها هستند که تسلط بیشتری بر انتخاب بهترین مثالها دارند.

۳- داستان و تاریخ برای همه کس قابل فهم و درک است. به همین دلیل کتابی که جنبه عمومی و همگانی دارد و از عرب بیابانی بی سواد نیمه وحشی گرفته تا فیلسوف بزرگ و متفکر همه باید از آن استفاده کنند حتما باید روی تاریخ و داستانها و مثالها تکیه نماید.

مجموعه این جهات نشان می دهد که قرآن در بیان این همه تاریخ و داستان بهترین راه را از نظر تعلیم و تربیت پیموده است.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۴ ص: ۳۹۶

(آیه ۴)- بارقه امید و آغاز مشکلات: قرآن داستان یوسف را از خواب عجیب و پرمعنی او آغاز میکند، زیرا این خواب در واقع نخستین فراز زندگی پرتلاطم یوسف محسوب می شود.

او یک روز صبح هنگامی که بسیار کم سن و سال بود با هیجان و شوق به سراغ پدر آمد و پرده از روی حادثه تازهای برداشت که در ظاهر چندان مهم نبود.

«هنگامی که یوسف به پـدرش گفت: پدرم! من در خواب یازده ستاره دیدم (که از آسـمان فرود آمدند) و خورشـید و ماه نیز (آنها را همراهی میکردنـد) همگی را دیدم که در برابر من سـجده میکنند» (إِذْ قالَ یُوسُفُ لِأَبِیهِ یا أَبَتِ إِنِّی رَأَیْتُ أَحَدَ عَشَرَ کَوْکَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَیْتُهُمْ لِی ساجِدِینَ).

ابن عباس مفسر معروف اسلامی می گوید: یوسف این خواب را در شب جمعه که مصادف شب قدر، (شعب تعیین سرنوشتها و مقدرات بود) دید.

البته روشن است که منظور از «سجده» در اینجا خضوع و تواضع میباشد و گر نه سجده به شکل سجده معمولی انسانها در مورد خورشید و ماه و ستارگان مفهوم ندارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۹۷

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۵ ص: ۳۹۷

(آیه ۵)- این خواب هیجان انگیز و معنی دار، یعقوب پیامبر را در فکر فرو برد. خورشید و ماه و ستارگان آسمان؟ آن هم یازده ستاره؟ فرود آمدند و در برابر فرزندم یوسف سجده کردند، چقدر پرمعنی است؟ حتما خورشید و ماه، من و مادرش (یا من و خالهاش) میباشیم، و یازده ستاره، برادرانش، قدر و مقام فرزندم آنقدر بالا میرود که ستارگان آسمان و خورشید و ماه سر بر آستانش میسایند، آنقدر در پیشگاه خدا عزیز و آبرومند میشود که آسمانیان در برابرش خضوع می کنند، چه خواب پرشکوه و جالبی؟! لذا با لحن آمیخته با نگرانی و اضطراب اما توأم با خوشحالی به فرزندش چنین «گفت: فرزندم! این خوابت را برای برادرانت بازگو مکن» (قال یا بُنَیَ لا تَقْصُصْ رُؤْیاکَ عَلی إِخْوَتِکَ).

«چرا که آنها برای تو نقشههای خطرناک خواهند کشید» (فَیکِیدُوا لَکَ کَیْداً).

من مى دانم «شيطان براى انسان دشمن آشكارى است» (إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ).

او منتظر بهانهای است که وسوسههای خود را آغاز کند، به آتش کینه و حسد دامن زند، و حتی برادران را به جان هم اندازد.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۶ ص: ۳۹۷

اشاره

(آیه ۶) – ولی این خواب تنها بیانگر عظمت مقام یوسف در آینده از نظر ظاهری و مادی نبود، بلکه نشان می داد که او به مقام نبوت نیز خواهد رسید، چرا که سجده آسمانیان دلیل بر بالا گرفتن مقام آسمانی اوست، و لذا پدرش یعقوب اضافه کرد: «و این چنین پروردگارت تو را برمی گزیند» (وَ کَذلِکَ یَجْتَبِیکَ رَبُّکَ).

«و از تعبير خواب به تو تعليم مي دهد» (وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأُحادِيثِ).

«و نعمتش را بر تو و آل يعقوب تكميل ميكند» (وَ يُتِيُّمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُ وَ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ).

«همان گونه که پیش از این بر پـدرانت ابراهیم و اسـحاق آن (نعمت) را تمـام کرد» (کَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَیْکَ مِنْ قَبْلُ إِبْراهِیمَ وَ إسْحاقَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۹۸

آرى! «پروردگارت عالم است و از روى حكمت كار مىكند» (إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

از درسهایی که این بخش از آیات به ما میدهد درس حفظ اسرار است، که گاهی حتی در مقابل برادران نیز باید عملی شود، همیشه در زنـدگی انسان اسـراری وجود دارد که اگر فاش شود ممکن است آینـده او یا جامعهاش را به خطر اندازد، خویشـتن داری در حفظ این اسرار یکی از نشانههای وسعت روح و قدرت اراده است.

در حدیثی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم: «اسرار تو همچون خون توست که باید تنها در عروق خودت جریان یابد».

رؤیا و خواب دیدن-.... ص: ۳۹۸

خواب و رؤیا بر چند قسم است:

۱- خوابهای مربوط به گذشته زندگی و امیال و آرزوها که بخش مهمی از خوابهای انسان را تشکیل میدهد.

۲- خوابهای پریشان و نامفهوم که معلول فعالیت توهّم و خیال است اگرچه ممکن است انگیزههای روانی داشته باشد.

۳- خوابهایی که مربوط به آینده است و از آن گواهی می دهد.

جالب این که در روایتی از پیامبر صلّی الله علیه و آله چنین میخوانیم: «خواب و رؤیا سه گونه است گاهی بشارتی از ناحیه خداوند است، گاه وسیله غم و اندوه از سوی شیطان، و گاه مسائلی است که انسان در فکر خود میپروراند و آن را در خواب می بیند».

روشن است که خوابهای شیطانی چیزی نیست که تعبیر داشته باشد، اما خوابهای رحمانی که جنبه بشارت دارد حتما باید خوابی باشد که از حادثه مسرت بخش در آینده پرده بردارد.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷ ص: ۳۹۸

(آیه ۷) - از اینجا در گیری برادران یوسف، با یوسف شروع می شود:

نخست اشاره به درسهای آموزنده فراوانی که در این داستان است کرده، می گوید: «به یقین در سر گذشت یوسف و برادرانش، نشانههایی برای سؤال کنندگان بود» (لَقَدْ کانَ فِی یُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آیاتٌ لِلسَّائِلِینَ).

چه درسی از این برتر که گروهی از افراد نیرومند با نقشههای حساب شده ای برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۹۹ که از حسادت سر چشمه گرفته برای نابودی یک فرد ظاهرا ضعیف و تنها، تمام کوشش خود را به کار گیرند، اما به همین کار، بدون توجه او را بر تخت قدرت بنشانند و فرمانروای کشور پهناوری کنند، و در پایان همگی در برابر او سر تعظیم فرود آورند، این نشان می دهد وقتی خدا کاری را اراده کند می تواند آن را، حتی به دست مخالفین آن کار، پیاده کند، تا روشن شود که یک انسان پاک و با ایمان تنها نیست و اگر تمام جهان به نابودی او کمر بندند تا خدا نخواهد تار مویی از سر او کم نخواهند کرد!

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸ ص: ۳۹۹

(آیه ۸)- یعقوب دوازده پسر داشت، که دو نفر از آنها «یوسف» و «بنیامین» از یک مادر بودند، یعقوب نسبت به این دو پسر مخصوصا یوسف محبت بیشتری نشان میداد، زیرا کوچکترین فرزندان او محسوب می شدند و طبعا نیاز به حمایت و محبت بیشتری داشتند، دیگر این که، طبق بعضی از روایات مادر آنها «راحیل» از دنیا رفته بود، و به این جهت نیز به محبت بیشتری محتاج بودند، از آن گذشته مخصوصا در یوسف، آثار نبوغ و فوق العادگی نمایان بود، مجموع این جهات سبب شد که یعقوب آشکارا نسبت به آنها ابراز علاقه بیشتری کند.

برادران حسود بدون توجه به این جهات از این موضوع سخت ناراحت شدند، بخصوص که شاید بر اثر جدایی مادرها، رقابتی نیز در میانشان طبعا وجود داشت، لذا دور هم نشستند «و گفتند: یوسف و برادرش نزد پدر از ما محبوبترند، با این که ما جمعیتی نیرومند و کارساز هستیم» و زندگی پدر را به خوبی اداره می کنیم، و به همین دلیل باید علاقه او به ما بیش از این فرزندان خردسال باشد که کاری از آنها ساخته نیست (إِذْ قالُوا لَیُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلَی أَبِینا مِنَّا وَ نَحْنُ عُصْبَهُّ).

و به این ترتیب با قضاوت یک جانبه خود پدر را محکوم ساختند و گفتند:

«بطور قطع پدر ما در گمراهی آشکاری است»! (إِنَّ أَبانا لَفِی ضَلالٍ مُبِينِ).

البته منظور آنها گمراهی دینی و مذهبی نبود چرا که آیات آینده نشان میدهد آنها به بزرگی و نبوت پدر اعتقاد داشتند و تنها

در زمینه طرز معاشرت به او ایراد می گرفتند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۰۰

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۹ ص: ۴۰۰

(آیه ۹)- نقشه نهایی کشیده شد: حس حسادت، سر انجام برادران را به طرح نقشهای وادار ساخت گرد هم جمع شدند و دو پیشنهاد را مطرح کردند و گفتند: «یا یوسف را بکشید و یا او را به سرزمین دور دستی بیفکنید تا محبت پدر یکپارچه متوجه شما بشود»! (اقْتُلُوا یُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً یَخْلُ لَکُمْ وَجْهُ أَبِیکُمْ).

درست است كه با اين كار احساس گناه و شرمندگي وجدان خواهيد كرد، چرا كه با برادر كوچك خود اين جنايت را روا داشته ايد ولي جبران اين گناه ممكن است، توبه خواهيد كرد «و پس از آن جمعيت صالحي خواهيد شد»! (وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ).

این جمله دلیل بر آن است که آنها با این عمل احساس گناه می کردند و در اعماق دل خود کمی از خدا ترس داشتند. ولی مسأله مهم اینجاست که سخن از توبه قبل از انجام جرم در واقع یک نقشه شیطانی برای فریب وجدان و گشودن راه به سوی گناه است، و به هیچ وجه دلیل بر پشیمانی و ندامت نمی باشد.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۰ ص: ۴۰۰

اشاره

(آیه ۱۰) - ولی در میان برادران یک نفر بود که از همه باهوشتر، و یا باوجدانتر بود، به همین دلیل با طرح قتل یوسف مخالفت کرد و هم با طرح تبعید او در یک سرزمین دور دست که بیم هلا-کت در آن بود، و طرح سومی را ارائه نمود یکی از آنها «گفت: اگر میخواهید کاری بکنید یوسف را نکشید، بلکه او را در نهانگاه چاه بیفکنید (به گونهای که سالم بماند) تا بعضی از راهگذاران و قافلهها او را بر گیرند و با خود ببرند» و از چشم ما و پدر دور شود (قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِی غَیابَتِ الْجُبِّ یَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّیَارَهُ إِنْ کُنْتُمْ فاعِلِینَ).

نقش ویرانگر حسد در زندگی انسانها- ص: 400

درس مهم دیگری که از این داستان می آموزیم این است که چگونه حسد می تواند آدمی را تا سر حد کشتن برادر و یا تولید در دسرهای خیلی شدید برای او پیش ببرد و چگونه اگر این آتش درونی مهار نشود، هم دیگران را به آتش می کشد و هم خود انسان را.

به همین دلیل در احادیث اسلامی برای مبارزه با این صفت رذیله تعبیرات بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۰۱ تکان دهندهای دیده می شود.

به عنوان نمونه: از پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله نقل شـده که فرمود: خداونـد موسـی بن عمران را از حسد نهی کرد و به او

فرمود: «شخص حسود نسبت به نعمتهای من بر بندگانم خشمناک است، و از قسمتهایی که میان بندگانم قائل شدهام ممانعت می کند، هر کس چنین باشد نه او از من است و نه من از اویم».

و در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: «افراد با ایمان غبطه میخورند ولی حسد نمیورزند، ولی مناق حسد میورزد و غبطه نمیخورد».

این درس را نیز می توان از این بخش از داستان فرا گرفت که پـدر و مـادر در ابراز محبت نسـبت به فرزنـدان بایـد فوق العـاده دقت به خرج دهند.

زیرا، گاه میشود یک ابراز علاقه نسبت به یک فرزند، آنچنان عقدهای در دل فرزند دیگر ایجاد می کند که او را به همه کار وا میدارد، آنچنان شخصیت خود را در هم شکسته می بیند که برای نابود کردن شخصیت برادرش، حد و مرزی نمی شناسد. حتی اگر نتواند عکس العملی از خود نشان بدهد از درون خود را می خورد و گاه گرفتار بیماری روانی می شود.

در احادیث اسلامی میخوانیم: روزی امام باقر علیه السّلام فرمود: من گاهی نسبت به بعضی از فرزندانم اظهار محبت می کنم و او را بر زانوی خود می نشانم و قلم گوسفند را به او می دهم و شکر در دهانش می گذارم، در حالی که می دانم حق با دیگری است، ولی این کار را به خاطر این می کنم تا بر ضد سایر فرزندانم تحریک نشود و آنچنان که برادران یوسف، به یوسف کردن نکند.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۱ ص: ۴۰۱

(آیه ۱۱) – صحنه سازی شوم! برادران یوسف پس از آن که طرح نهایی را برای انداختن یوسف به چاه تصویب کردند به این فکر فرو رفتند که چگونه یوسف را از پدر جدا سازند؟ لذا طرح دیگری برای این کار ریخته و با قیافههای حق به جانب و زبانی نرم و آمیخته با یک نوع انتقاد ترحم انگیز نزد پدر آمدند و «گفتند: پدر (چرا تو هرگز یوسف را از خود دور نمی کنی و به ما نمی سپاری؟) چرا ما را نسبت برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۰۲

به برادرمان امین نمیدانی در حالی که ما مسلما خیرخواه او هستیم» (قالُوا یا أَبانا ما لَحکَ لا ِ تَأْمَنَّا عَلی يُوسُهِ فَ وَ إِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ١٢ ص: ۴٠٢

(آیه ۱۲)- بیا دست از این کار که ما را متهم میسازد بردار، به علایوه برادر ما، نوجوان است، او هم دل دارد، او هم نیاز به استفاده از هوای آزاد خارج شهر و سرگرمی مناسب دارد، زندانی کردن او در خانه صحیح نیست، «فردا او را با ما بفرست (تا به خارج شهر آید، گردش کند) از میوههای درختان بخورد و بازی و سرگرمی داشته باشد» (أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً یَرْتَعْ وَ یَلْعَبْ). و اگر نگران سلامت او هستی «ما همه حافظ و نگاهبان برادرمان خواهیم بود» چرا که برادر است و با جان برابر! (وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).

این نقشه از یک طرف پدر را در بن بست قرار می داد که اگر یوسف را به ما نسپاری دلیل بر این است که ما را متهم می کنی، و از سوی دیگر یوسف را برای استفاده از تفریح و سرگرمی و گردش در خارج شهر تحریک می کرد.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۳ ص: ۴۰۲

(آیه ۱۳)- یعقوب در مقابل اظهارات برادران بـدون آن که آنها را متهم به قصد سوء کند «گفت: (اول این که) من از بردن او غمگین می شوم» (قالَ إِنِّی لَیَحْزُنُنِی أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ).

و دیگر این که در بیابانهای اطراف ممکن است گرگان خونخواری باشند «و من می ترسم گرگ فرزند دلبندم را بخورد و شما (سرگرم بازی و تفریح و کارهای خود باشید) و از او غافل بمانید» (وَ أَخافُ أَنْ يَأْكُلُهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۱۴ ص: ۴۰۲

(آیه ۱۴)- البته برادران پاسخی برای دلیل اول پدر نداشتند، زیرا غم و اندوه جدایی یوسف چیزی نبود که بتوانند آن را جبران کنند، و حتی شاید این تعبیر آتش حسد برادران را افروخته تر میساخت.

از سوی دیگر این دلیل پـدر از یک نظر پاسـخی داشت که چنـدان نیاز به ذکر نـداشت و آن این که بالاخره فرزند برای نمو و پرورش، خواه ناخواه از پدر جدا خواهد شد.

لذا اصلا به پاسخ این استدلال نپرداختند، بلکه به سراغ دلیل دوم رفتند که از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۰۳ نظر آنها مهم و اساسی بود و «گفتند: با این که ما گروه نیرومندی هستیم اگر گرگ او را بخورد، ما از زیانکاران خواهیم بود» و هرگز چنین چیزی ممکن نیست (قالُوا لَئِنْ أَکَلَهُ الذِّنْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَهُ إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ).

یعنی، مگر ما مردهایم که بنشینیم و تماشا کنیم گرگ برادرمان را بخورد.

به هر حال به هر حیله و نیرنگی بود، مخصوصا با تحریک احساسات پاک یوسف و تشویق او برای تفریح، توانستند پـدر را وادار به تسلیم کنند، و موافقت او را به هر صورت نسبت به این کار جلب نمایند.

قابل توجه این که همان گونه که برادران یوسف از علاقه انسان مخصوصا نوجوان به گردش و تفریح برای رسیدن به هدفشان سوء استفاده کردند در دنیای امروز نیز دستهای مرموز دشمنان حق و عدالت از مسأله ورزش و تفریح برای مسموم ساختن افکار نسل جوان سوء استفاده فراوان می کنند، باید به هوش بود که ابر قدرتهای گرگ صفت در لباس ورزش و تفریح، نقشههای شوم خود را میان جوانان به نام ورزش و مسابقات منطقهای یا جهانی پیاده نکنند.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۵ ص: ۴۰۳

(آیه ۱۵)- دروغ رسوا! سر انجام برادران آن شب را با خیال خوش خوابیدند که فردا نقشه آنها در باره یوسف عملی خواهد شد. تنها نگرانی آنها این بود که مبادا پدر پشیمان گردد و از گفته خود منصرف شود.

صبحگاه نزد پـدر آمدنـد و او سفارشـهای لازم را در حفظ و نگهداری یوسف تکرار کرد، آنها نیز اظهار اطاعت کردند، پیش روی پدر او را با احترام و محبت فراوان برداشتند و حرکت کردند.

می گویند: پدر تا دروازه شهر آنها را بدرقه کرد و آخرین بار یوسف را از آنها گرفت و به سینه خود چسباند، قطرههای اشک از چشمش سرازیر شد، سپس یوسف را به آنها سپرد و از آنها جدا شد، اما چشم یعقوب همچنان فرزندان را بدرقه می کرد آنها نیز تا آنجا که چشم پدر کار می کرد دست از نوازش و محبت یوسف برنداشتند، اما هنگامی که مطمئن شدند پدر آنها را نمی بیند، یک مرتبه عقده آنها ترکید و تمام کینه هایی را که بر اثر حسد، سالها روی هم انباشته بودند بر سر یوسف برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۰۴

فرو ریختند، از اطراف شروع به زدن او کردند و او از یکی به دیگری پناه می برد، اما پناهش نمی دادند! در روایتی می خوانیم که در این طوفان بلا که یوسف اشک می ریخت و یا به هنگامی که او را می خواستند به چاه افکنند ناگهان یوسف شروع به خندیدن کرد، برادران سخت در تعجب فرو رفتند که این چه جای خنده است، اما او پرده از راز این خنده برداشت و درس بزرگی به همه آموخت و گفت: «فراموش نمی کنم روزی به شما برادران نیرومند با آن بازوان قوی و قدرت فوق العاده جسمانی نظر افکندم و خوشحال شدم، با خود گفتم کسی که این همه یار و یاور نیرومند دارد چه غمی از حوادث سخت خواهد داشت آن روز بر شما تکیه کردم و به بازوان شما دل بستم، اکنون در چنگال شما گرفتارم و از شما به شما پناه می برم، و به من پناه نمی دهید، خدا شما را بر من مسلط ساخت تا این درس را بیاموزم که به غیر او – حتی به برادران - تکیه نکنم». به هر حال قرآن می گوید: «هنگامی که یوسف را با خود بردند و به اتفاق آرا تصمیم گرفتند که او را در مخفی گاه چاه قرار به هر حال قرآن می گوید: «هنگامی که یوسف را با خود بردند و به اتفاق آرا تصمیم گرفتند که او را در مخفی گاه چاه قرار سپس اضافه می کند: در این هنگام «ما به یوسف، وحی فرستادیم (و دلداریش دادیم و گفتیم غم مخور روزی فرا می رسد) که سپس اضافه می کند: در این هنگام «ما به یوسف، وحی فرستادیم (و دلداریش دادیم و گفتیم غم مخور روزی فرا می رسد) که آنها را از همه این نقشه های شوم آگاه خواهی ساخت، در حالی که آنها تو را نمی شناسد» (و أو خونیا إِنَیهِ لَتَبَتِنَهُمْ بِأُمْرِهِمْ هذا وَ

این وحی الهی، وحی نبوت نبود بلکه الهامی بود به قلب یوسف برای این که بداند تنها نیست و حافظ و نگاهبانی دارد. این وحی نور امید بر قلب یوسف پاشید و ظلمات یأس و نومیدی را از روح و جان او بیرون کرد.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۶ ص: ۴۰۴

(آیه ۱۶)- برادران یوسف نقشهای را که برای او کشیده بودند، همان گونه که میخواستند پیاده کردند ولی بالاخره باید فکری برای بازگشت کنند که پدر باور کند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۰۵

طرحی که برای رسیدن به این هدف ریختند این بود، که درست از همان راهی که پدر از آن بیم داشت و پیش بینی میکرد وارد شوند، و ادعا کنند یوسف را گرگ خورده، و دلائل قلابی برای آن بسازند.

قرآن می گویـد: «شب هنگام برادران گریه کنان به سـراغ پدر رفتند» (وَ جاؤُ أَباهُمْ عِشاءً یَبْکُونَ). گریه دروغین و قلابی، و این نشان میدهد که گریه قلابی هم ممکن است و نمی توان تنها فریب چشم گریان را خورد!

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ١٧ ص: ۴٠٥

(آیه ۱۷)- پدر که بی صبرانه انتظار ورود فرزند دلبندش یوسف را می کشید سخت تکان خورد، بر خود لرزید، و جویای حال شد «آنها گفتند: پدر جان ما رفتیم و مشغول مسابقه (سواری، تیراندازی و مانند آن) شدیم و یوسف را (که کوچک بود و توانایی مسابقه را با ما نداشت) نزد اثاث خود گذاشتیم (ما آنچنان سرگرم این کار شدیم که همه چیز حتی برادرمان را فراموش کردیم) و در این هنگام گرگ بی رحم از راه رسید و او را درید»! (قالُوا یا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْ تَبِقُ وَ تَرَكْنا یُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنا فَأَکَلَهُ الذِّنْبُ).

«ولی میدانیم تو هرگز سخنان ما را باور نخواهی کرد، هر چند راستگو باشیم» (وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ كُنَّا صادِقِینَ). چرا که خودت قبلا چنین پیش بینی را کرده بودی و این را بر بهانه، حمل خواهی کرد.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۸ ص: ۴۰۵

اشاره

(آیه ۱۸)- و برای این که نشانه زندهای نیز به دست پـدر بدهنـد، «پیراهن او (یوسف) را با خونی دروغین (آغشـته ساخته، نزد پدر) آوردند» خونی که از بزغاله یا بره یا آهو گرفته بودند (وَ جاؤُ عَلی قَمِیصِهِ بِدَم کَذِبِ).

اما از آنجا که دروغگو حافظه ندارد، برادران از این نکته غافل بودند که لااقل پیراهن یوسف را از چند جا پاره کنند تا دلیل حمله گرگ باشد، آنها پیراهن برادر را که صاف و سالم از تن او به در آورده بودند خون آلود کرده نزد پـدر آوردنـد، پـدر هوشیار پرتجربه همین که چشمش بر آن پیراهن افتاد، همه چیز را فهمید و گفت:

شما دروغ می گویید «بلکه هوسهای نفسانی شما این کار را برایتان آراسته» و این نقشههای شیطانی را کشیده است (بَلْ سَوَّلَتْ لَکُمْ أَنْفُسُکُمْ أَمْراً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۰۶

در بعضی از روایات میخوانیم او پیراهن را گرفت و پشت و رو کرد و صدا زد: پس چرا جای دندان و چنگال گرگ در آن نیست؟ و به روایت دیگری پیراهن را به صورت انداخت و فریاد کشید و اشک ریخت و گفت: این چه گرگ مهربانی بوده که فرزندم را خورده ولی به پیراهنش کمترین آسیبی نرسانده است، و سپس بیهوش شد و بسان یک قطعه چوب خشک به روی زمین افتاد ولی به هنگام وزش نسیم سرد سحرگاهی به صورتش به هوش آمد.

و با این که قلبش آتش گرفته بود و جانش میسوخت اما هرگز سخنی که نشانه ناشکری و یأس و نومیدی و جزع و فزع باشد بر زبان جاری نکرد، بلکه گفت:

«من صبر خواهم کرد، صبری جمیل و زیبا» شکیبایی توأم با شکر گزاری و سپاس خداوند (فَصَبْرٌ جَمِیلٌ).

قلب مردان خدا کانون عواطف است، جای تعجب نیست که در فراق فرزند، اشکهایشان همچون سیلاب جاری شود، این یک امر عاطفی است، مهم آن است که کنترل خویشتن را از دست ندهند یعنی، سخن و حرکتی برخلاف رضای خدا نگوید و نکند.

و سپس گفت: «من از خـدا (در برابر آنچه شـما می گوییـد) یاری میطلبم» (وَ اللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلی ما تَصِ فُونَ). از او میخواهم تلخی جـام صبر را در کـام من شـیرین کنـد و به من تـاب و توان بیشتر دهـد تـا در برابر این طوفان عظیم، خویشـتن داری را از دست ندهم و زبانم به سخن نادرستی آلوده نشود.

نکتهها: ص: ۴۰۶

۱- در برابر یک ترک اولی! ص: ۴۰۶

ابو حمزه ثمالی از امام سجاد علیه السّـ لام نقل می کند که من روز جمعه در مدینه بودم، نماز صبح را با امام سجاد علیه السّلام

خواندم، هنگامی که امام از نماز و تسبیح، فراغت یافت به سوی منزل حرکت کرد و من با او بودم، زن خدمتکار را صدا زد، گفت: مواظب باش، هر سائل و نیازمندی از در خانه بگذرد، غذا به او بدهید، زیرا امروز روز جمعه است.

ابو حمزه می گوید: گفتم هر کسی که تقاضای کمک می کند، مستحق نیست! بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۲، ص: ۴۰۷ امام فرمود: درست است، ولی من از این می ترسم که در میان آنها افراد مستحقی باشند و ما به آنها غذا ندهیم و از در خانه خود برانیم، و بر سر خانواده ما همان آید که بر سر یعقوب و آل یعقوب آمد! سپس فرمود: به همه آنها غذا بدهید (مگر نشیدهاید) برای یعقوب هر روز گوسفندی ذبح می کردند، قسمتی را به مستحقان می داد و قسمتی را خود و فرزندانش می خورد، یک روز سؤال کننده مؤمنی که روزه دار بود و نزد خدا منزلتی داشت، عبورش از آن شهر افتاد، شب جمعه بود بر در خانه یعقوب به هنگام افطار آمد و گفت: به میهمان مستمند غریب گرسنه از غذای اضافی خود کمک کنید، چند بار این سخن را تکرار کرد، آنها شنیدند و سخن او را باور نکردند، هنگامی که او مأیوس شد و تاریکی شب، همه جا را فرا گرفت برگشت، در حالی که چشمش گریان بود و از گرسنگی به خدا شکایت کرد، آن شب را گرسنه ماند و صبح همچنان روزه داشت، در حالی که شکیبا بود و خدا را سپاس می گفت، اما یعقوب و خانواده یعقوب، کاملا سیر شدند، و هنگام صبح مقداری از غذای آنها اضافه مانده بود! سپس امام اضافه فرمود: خداوند به یعقوب در همان صبح، وحی فرستاد که تو ای یعقوب بنده مرا خوار کردی و خشم مرا برافروختی، و مستوجب تأدیب و نزول مجازات بر تو و فرزندانت شدی ... ای یعقوب من دوستانم را زودتر از دشمنانم توبیخ و مجازات می کنم و این به خاطر آن است که به آنها علاقه دارم اقبل توجه این که به دنبال این حدیث میخوانیم که ابو حمزه می گوید از امام سجاد علیه الشلام پرسیدم: یوسف چه موقع آن خواب را دید؟ امام علیه الشلام فرمود: «در همان شب».

از این حدیث به خوبی استفاده می شود که یک لغزش کوچک و یا صریحتر یک «ترک اولی» که گناه و معصیتی هم محسوب نمی شد (چرا که حال آن سائل بر یعقوب روشن نبود) از پیامبران و اولیای حق چه بسا سبب می شود که خداوند، گوشمالی در دناکی به آنها بدهد، و این نیست مگر به خاطر این که مقام والای آنان ایجاب می کند، که همواره مراقب کوچکترین گفتار و رفتار خود باشند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۰۸

۲- دعای گیرای یوسف! ص : ۴۰۸

از امام صادق عليه السّلام نقل شده است كه فرمود:

هنگامی که یوسف را به چاه افکندنـد، جبرئیل نزد او آمـد و گفت: کودک! اینجا چه میکنی؟ در جواب گفت: برادرانم مرا در چاه انداختهاند.

گفت: دوست داری از چاه خارج شوی؟ گفت: با خـداست اگر بخواهـد مرا بیرون می آورد، گفت: خدای تو دسـتور داده این دعا را بخوان تا بیرون آیی، گفت:

كدام دعا؟ گفت: بكو اللّهم انّى اسئلك بانّ لك الحمد لا اله الّا انت المنّان، بديع السّموات و الارض، ذو الجلال و الاكرام، ان تصلّى على محمّد و آل محمّد و ان تجعل لى ممّا انا فيه فرجا و مخرجا:

«پروردگارا! من از تو تقاضا می کنم ای که حمد و ستایش برای تو است، معبودی جز تو نیست، تویی که بر بندگان نعمت می بخشی آفریننده آسمانها و زمینی، صاحب جلال و اکرامی، تقاضا می کنم که بر محمد و آلش درود بفرستی و گشایش و

نجاتی از آنچه در آن هستم برای من قرار دهی».

به هر حال با فرا رسیدن یک کاروان، یوسف از چاه نجات یافت.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۹ ص: ۴۰۸

(آیه ۱۹) - به سوی سرزمین مصر: یوسف در تاریکی وحشتناک چاه که با تنهایی کشندهای همراه بود، ساعات تلخی را گذراند اما ایمان به خدا و سکینه و آرامش حاصل از ایمان، نور امید بر دل او افکند و به او تاب و توان داد که این تنهایی وحشتناک را تحمل کند و از کوره این آزمایش، پیروز به در آید.

چند روز از این ماجرا گذشت خدا می داند، به هر حال «کاروانی سر رسید» (وَ جاءَتْ سَیَّارَةٌ).

و در آن نزدیکی منزل گزید، پیداست نخستین حاجت کاروان تأمین آب است، لـذا «کسـی را که مأمور آب آوردن بود به سراغ آب فرستادند» (فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ).

«مأمور آب، دلو خود را در چاه افکند» (فَأَدْلَى دَلْوَهُ).

یوسف از قعر چاه متوجه شد که سر و صدایی از فراز چاه می آید و به دنبال آن، دلو و طناب را دید که بسرعت پایین می آید، فرصت را غنیمت شمرد و از این برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۰۹

عطیه الهی بهره گرفت و بی درنگ به آن چسبید.

مأمور آب احساس کرد دلوش بیش از اندازه سنگین شده، هنگامی که آن را با قوت بالا کشید، ناگهان چشمش به کودک خردسال ماه پیکری افتاد «فریاد زد: مژده باد، این کودکی است» به جای آب (قالَ یا بُشْری هذا غُلامٌ).

کم کم گروهی از کاروانیان از این امر آگاه شدند ولی برای این که دیگران باخبر نشوند و خودشان بتوانند این کودک زیبا را به عنوان یک غلام در مصر بفروشند، «این امر را به عنوان یک سرمایه نفیس از دیگران مخفی داشتند» (وَ أَسَرُّوهُ بِضاعَةً). و گفتند: این متاعی است که صاحبان این چاه در اختیار ما گذاشتهاند تا برای او در مصر بفروشیم.

و در پایان آیه میخوانیم: «و خداوند به آنچه آنها انجام میدادند آگاه بود» (وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِما یَعْمَلُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۲۰ ص: ۴۰۹

(آیه ۲۰)– «و سر انجام یوسف را به بهای کمی– چند درهم– فروختند» (وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ).

و این معمول است که همیشه دزدان و یا کسانی که به سرمایه مهمی بدون زحمت دست مییابند از ترس این که مبادا دیگران بفهمند آن را فورا میفروشند، و طبیعی است که با این فوریت نمی توانند بهای مناسبی برای خود فراهم سازند.

و در پایان آیه میفرماید: «آنها نسبت به (فروختن) یوسف، بیاعتنا بودند» (وَ کَانُوا فِیهِ مِنَ الزَّاهِدِینَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٢١ ص: ۴٠٩

(آیه ۲۱) - در کاخ عزیز مصر! داستان پرماجرای یوسف با برادران که منتهی به افکندن او در قعر چاه شد به هر صورت پایان پذیرفت، و فصل جدیدی در زندگانی این کودک خردسال در مصر شروع شد.

به این ترتیب که یوسف را سر انجام به مصر آوردند، و در معرض فروش گذاردند و طبق معمول چون تحفه نفیسی بود نصیب

«عزیز مصر» که در حقیقت مقام وزارت یا نخست وزیری فرعون را داشت گردید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۱۰ قرآن می گوید: «و آن کسی که او را از سرزمین مصر خرید [عزیز مصر] به همسرش گفت: مقام وی را گرامی دار (و به چشم بردگان به او نگاه نکن) شاید برای ما سودمند باشد و یا او را به عنوان فرزند انتخاب کنیم» (وَ قالَ الَّذِی اشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِی مَثْواهُ عَسی أَنْ یَنْفَعَنا أَوْ نَتَخِذَهُ وَلَداً).

از این جمله چنین استفاده می شود که عزیز مصر فرزندی نداشت و در اشتیاق فرزند به سر می برد، هنگامی که چشمش به این کودک زیبا و برومند افتاد، دل به او بست که به جای فرزند برای او باشد.

سپس اضافه می کند: «و این چنین یوسف را، در آن سرزمین، متمکن و متنعم و صاحب اختیار ساختیم» (وَ کَهذلِکَ مَکَّنَا لِیُوسُفَ فِی الْأَرْض).

بعد از آن اضافه مینماید که: «و ما این کار را کردیم تا تأویل احادیث را به او تعلیم دهیم» (وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحادِیثِ). منظور از «تأویل احادیث» علم تعبیر خواب است که یوسف از طریق آن میتوانست به بخش مهمی از اسرار آینده آگاهی پیدا کند.

در پایان آیه میفرماید: «خداوند بر کار خود، مسلط و غالب است ولی بسیاری از مردم نمیدانند» (وَ اللَّهُ غالِبٌ عَلی أَمْرِهِ وَ لکِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لا یَعْلَمُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۲۲ ص: ۴۱۰

(آیه ۲۲) – یوسف در این محیط جدید که در حقیقت یکی از کانونهای مهم سیاسی مصر بود، با مسائل تازهای رو برو شد، در یک طرف دستگاه خیره کننده کاخهای رؤیایی و ثروتهای بی کران طاغوتیان مصر را مشاهده می کرد، و در سوی دیگر منظره بازار برده فروشان در ذهن او مجسم می شد، و از مقایسه این دو با هم، رنج و درد فراوانی را که اکثریت توده مردم متحمل می شدند بر روح و فکر او سنگینی می نمود و او در این دوران دائما مشغول به خودسازی، و تهذیب نفس بود، قرآن می گوید: «و هنگامی که او به مرحله بلوغ و تکامل جسم و جان رسید (و آمادگی برای پذیرش انوار وحی پیدا کرد) ما حکم و علم به او دادیم» (وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَهُ آتَیْناهُ حُکْماً وَ عِلْماً).

«و این چنین نیکوکاران را پاداش می دهیم» (و کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۱۱ منظور از «حکم و علم» که در آیه بالا می فرماید ما آن را پس از رسیدن یوسف به حدّ بلوغ جسمی و روحی به او بخشیدیم، یا مقام وحی و نبوت است و یا این که منظور از «حکم»، عقل و فهم و قدرت بر داوری صحیح که خالی از هوی پرستی و اشتباه باشد و منظور از «علم»، آگاهی و دانشی است که جهلی با آن توأم نباشد، و هر چه بود این «حکم و علم» دو بهره ممتاز و پرارزش الهی بود که خدا به یوسف بر اثر پاکی و تقوا و صبر و شکیبایی و توکل داد.

چرا که خداونـد به بنـدگان مخلصـی که در میـدان جهاد نفس بر هوسـهای سـرکش پیروز میشونـد مواهبی از علوم و دانشـها میبخشد که با هیچ مقیاس مادی قابل سنجش نیست.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٢٣ ص: ۴۱۱

(آیه ۲۳)– عشق سوزان همسر عزیز مصر! یوسف با آن چهره زیبا و ملکوتیش، نه تنها عزیز مصر را مجذوب خود کرد، بلکه

قلب همسر عزیز را نیز بسرعت در تسخیر خود در آورد، و عشق او پنجه در اعماق جان او افکند و با گذشت زمان، این عشق، روز به روز داغتر و سوزانتر شد، اما یوسف پاک و پرهیزکار جز به خدا نمی اندیشید و قلبش تنها در گرو «عشق خدا» بود. امور دیگری نیز دست به دست هم داد و به عشق آتشین همسر عزیز، دامن زد.

نداشتن فرزند از یک سو، غوطهور بودن در یک زندگی پرتجمل اشرافی از سوی دیگر، و نداشتن هیچ گونه گرفتاری در زندگی داخلی- آنچنان که معمول اشراف و متنعمان است- از سوی سوم، این زن را که از ایمان و تقوا نیز بهرهای نداشت در امواج وسوسههای شیطانی فرو برد. آنچنان که سر انجام تصمیم گرفت از او تقاضای کامجویی کند.

او از تمام وسائل و روشها برای رسیدن به مقصود خود در این راه استفاده کرد، و با خواهش و تمنا، کوشید در دل او اثر کند آنچنان که قرآن می گوید: «آن زن که یوسف در خانه او بود پیدرپی از او تمنای کامجویی کرد» (وَ راوَدَتْهُ الَّتِی هُوَ فِی بَیْتِها عَنْ نَفْسِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۱۲

سر انجام به نظرش رسید یک روز او را تنها در خلوتگاه خویش به دام اندازد، تمام وسائل تحریک او را فراهم نماید، جالبترین لباسها، بهترین آرایشها، خوشبوترین عطرها را به کار برد، و صحنه را آنچنان بیاراید که یوسف نیرومند را به زانو در آورد.

قرآن می گوید: «او تمام درها را محکم بست و گفت: بیا که من در اختیار توام»! (وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَ قالَتْ هَیْتَ لَکَ). .

شاید با این عمل میخواست به یوسف بفهماند که نگران از فاش شدن نتیجه کار نباشد چرا که هیچ کس را قدرت نفوذ به پشت این درهای بسته نیست.

در این هنگام که یوسف همه جریانها را به سوی لغزش و گناه مشاهده کرد، و هیچ راهی از نظر ظاهر برای او باقی نمانده بود، در پاسخ زلیخا به این جمله قناعت کرد و «گفت: پناه میبرم به خدا» (قالَ مَعاذَ اللَّهِ).

او با ذكر اين جمله كوتاه، هم به يگاني خدا از نظر عقيده و هم از نظر عمل، اعتراف نمود.

سپس اضافه کرد: از همه چیز گذشته، من چگونه می توانم تسلیم چنین خواسته ای بشوم، در حالی که در خانه عزیز مصر زندگی می کنم و در کنار سفره او هستم «او صاحب نعمت من است و مقام مرا گرامی داشته است» (إِنَّهُ رَبِّی أَحْسَنَ مَثْوایَ). آیا این ظلم و ستم و خیانت آشکار نیست؟ «مسلما ستمگران رستگار نخواهند شد» (إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الظَّالِمُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۲۴ ص: ۴۱۲

اشاره

(آیه ۲۴) - در اینجا کار یوسف و همسر عزیز به باریکترین مرحله و حساسترین وضع میرسد، که قرآن با تعبیر پرمعنایی از آن سخن می گوید: «همسر عزیز مصر، قصد او را کرد و یوسف نیز، اگر برهان پروردگار را نمی دید، چنین قصدی می نمود»! (وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لاَ أَنْ رَأَى بُرْهانَ رَبِّهِ).

همسر عزیز تصمیم بر کامجویی از یوسف داشت و نهایت کوشش خود را در این راه به کار برد، یوسف هم به مقتضای طبع بشری و این که جوانی نوخواسته بود، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۱۳

و هنوز همسـری نـداشت، و در برابر هیجـان انگیزترین صـحنههـای جنسـی قرار گرفته بود. هرگـاه برهـان پروردگار یعنی روح

ايمان و تقوا و تربيت نفس و بالاخره مقام «عصمت» در اين وسط حائل نمي شد! چنين تصميمي را مي گرفت.

این تفسیر در حدیثی از امام علی بن موسی الرضا علیه السّ لام در عبارت بسیار فشرده و کوتاهی بیان شده است آنجا که «مأمون» خلیفه عباسی از امام می پرسد: آیا شما نمی گویید پیامبران معصومند؟ فرمود: آری، گفت: پس این آیه قرآن تفسیرش چیست؟ (وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأَى بُرْهانَ رَبِّهِ.

امام فرمود: «همسر عزیز تصمیم به کامجویی از یوسف گرفت، و یوسف نیز اگر برهان پروردگارش را نمی دید، همچون همسر عزیز مصر تصمیم می گرفت، ولی او معصوم بود و معصوم هر گز قصد گناه نمی کند و به سراغ گناه هم نمی رود».

مأمون (از این پاسخ لذت برد) و گفت: آفرین بر تو ای ابو الحسن! اکنون به تفسیر بقیه آیه توجه کنید: قرآن مجید می گوید: «ما این چنین (برهان خویش را به یوسف نشان دادیم) تا بدی و فحشاء را از او دور سازیم» (کَذلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ).

«چرا كه او از بندگان برگزيده و با اخلاص ما بود» (إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ).

اشاره به این که اگر ما امداد غیبی و کمک معنوی را به یاری او فرستادیم، تا از بدی و گناه رهایی یابد، بیدلیل نبود، او بندهای بود که با آگاهی و ایمان و پرهیزکاری و عمل پاک، خود را ساخته بود.

ذكر اين دليل نشان مى دهـد كه اين گونه امـدادهاى غيبى كه در لحظات طوفانى و بحرانى به سـراغ پيامبرانى همچون يوسـف مى شتافته، اختصاصى به آنها نداشته، هر كس در زمره بندگان خالص خدا و «عباد الله المخلصين» وارد شود، او هم لايق چنين مواهبى خواهد بود.

متانت و عفت بیان- ص: 413

از شگفتیهای قرآن که یکی از نشانههای اعجاز آن محسوب می شود، این است که هیچ گونه تعبیر زننده و رکیک و ناموزون و مبتذل و دور از عفت بیان، در آن وجود ندارد، و ابدا متناسب طرز تعبیرات یک فرد عادی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص:

درس نخوانده و پرورش یافته در محیط جهل و نادانی نیست، با این که سخنان هر کس متناسب و همرنگ افکار و محیط اوست.

در میان تمام سرگذشـتهایی که قرآن نقل کرده یک داستان واقعی عشقی، وجود دارد و آن داستان یوسف و همسر عزیز مصر است.

داستانی که از عشق سوزان و آتشین یک زن زیبای هوس آلود، با جوانی ماهرو و پاکدل سخن می گوید.

ولی قرآن در ترسیم صحنه های حساس این داستان به طرز شگفت انگیزی «دقت در بیان» را با «متانت و عفت» به هم آمیخته و بدون این که از ذکر وقایع چشم بپوشد و اظهار عجز کند، تمام اصول اخلاق و عفت را نیز به کار بسته است.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۲۵ ص: ۴۱۴

(آیه ۲۵)- طشت رسوایی همسر عزیز از بام افتاد! مقاومت سرسختانه یوسف، همسر عزیز را تقریبا مأیوس کرد، ولی یوسف که

در این دور مبارزه در برابر آن زن عشوه گر و هوسهای سرکش نفس، پیروز شده بود احساس کرد که اگر بیش از این در آن لغزشگاه بمانید خطرناک است و بایید خود را از آن محل دور سازد و لذا «با سرعت به سوی در کاخ دویید، همسر عزیز نیز بی تفاوت نمانید، چنانکه آیه می گویید: «و هر دو به سوی در، دویدنید (در حالی که همسر عزیز، یوسف را تعقیب می کرد) و پیراهن او را از پشت کشید و پاره کرد» (وَ اسْتَبَقَا الْبابَ وَ قَدَّتْ قَمِیصَهُ مِنْ دُبُرٍ).

ولی هر طور بود، یوسف خود را به در رسانید و در را گشود، ناگهان عزیز مصر را پشت در دیدند، بطوری که قرآن می گوید: «آن دو، آقای آن زن را دم در یافتند» (وَ أَلْفَیا سَیِّدَها لَدَی الْبابِ).

در این هنگام که همسر عزیز از یک سو خود را در آستانه رسوایی دید، و از سوی دیگر شعله انتقامجویی از درون جان او زبانه می کشید با قیافه حق به جانبی رو به سوی همسرش کرد و یوسف را با این بیان متهم ساخت، «صدا زد: کیفر کسی که نسبت به اهل و همسر تو، اراده خیانت کند، جز زندان یا عذاب الیم چه خواهد بود»؟ (قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِکَ سُوءاً إِلَّا أَنْ یُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِیمٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۱۵

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۲۶ ص: ۴۱۵

(آیه ۲۶)- یوسف در اینجا سکوت را به هیچ وجه جایز نشمرد و با صراحت پرده از روی راز عشق همسر عزیز برداشت و «گفت: او مرا با اصرار و التماس به سوی خود دعوت کرد» (قالَ هِیَ راوَدَ تْنِی عَنْ نَفْسِی).

بدیهی است در چنین ماجرا هر کس در آغاز کار به زحمت می تواند باور کند که جوان نوخاسته برده ای بدون همسر، بی گناه باشد، و زن شوهردار ظاهرا با شخصیتی گناه کار، بنابراین شعله اتهام بیشتر دامن یوسف را می گیرد، تا همسر عزیز را! ولی از آنجا که خداوند حامی نیکان و پاکان است، اجازه نمی دهد، این جوان پارسای مجاهد با نفس، در شعلههای تهمت بسوزد، لذا قرآن می گوید: «در این هنگام شاهدی از خاندان آن زن گواهی داد، که (برای پیدا کردن مجرم اصلی، از این دلیل روشن استفاده کنید) اگر پیراهن یوسف از جلو پاره شده باشد، آن زن، راست می گوید و یوسف دروغگو است» (وَ شَهِدَ شاهِدً مِنْ أَهْلِها إِنْ کانَ قَمِیصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلِ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْکاذِبِینَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٢٧ ص: ۴۱۵

(آیه ۲۷)– «و اگر پیراهنش از پشت سر پاره شده است، آن زن دروغ می گوید و یوسف راستگوست» (وَ إِنْ کَانَ قَمِیصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُر فَکَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِینَ).

شهادت دهنده، یکی از بستگان همسر عزیز مصر بود و کلمه «مِنْ أَهْلِها» گواه بر این است، و قاعدتا مرد حکیم و دانشمند و باهوشی بوده است و می گویند این مرد از مشاوران عزیز مصر، و در آن ساعت، همراه او بوده است.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۲۸ ص: ۴۱۵

(آیه ۲۸)- عزیز مصر، این داوری را که بسیار حساب شده بود پسندید، و در پیراهن یوسف خیره شد، «و هنگامی که دید پیراهنش از پشت پاره شده (مخصوصا با توجه به این معنی که تا آن روز دروغی از یوسف نشنیده بود رو به همسرش کرد و)

گفت: این کار از مکر و فریب شما زنان است که مکر شما زنان، عظیم است» (فَلَمَّا رَأَی قَمِیصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ مِنْ کَیْدِکُنَّ إِنَّ کَیْدَکُنَّ عَظِیمٌ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٢٩ ص: ٢١٥

اشاره

(آیه ۲۹)- در این هنگام عزیز مصر از ترس این که، این ماجرای اسف انگیز بر ملا نشود، و آبروی او در سرزمین مصر، بر باد نرود، صلاح این دید که سر و ته قضیه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۱۶

را به هم آورده و بر آن سرپوش نهد، رو به یوسف کرد و گفت: «یوسف تو صرف نظر کن و دیگر از این ماجرا چیزی مگو» (یُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا).

سپس رو به همسرش کرد و گفت: «تو هم از گناه خود استغفار کن که از خطاکاران بودی» (وَ اللهِ تَغْفِرِی لِـتَدَنْبِکِ إِنَّکِ کُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ).

حمایت خدا در لحظات بحرانی- ص: 418

درس بزرگ دیگری که این بخش از داستان یوسف به ما می دهد، همان حمایت وسیع پروردگار است که در بحرانی ترین حالات به یاری انسان می شتابد و به مقتضای «یجعل له مخرجا و یرزقه من حیث لا یحتسب» از طرقی که هیچ باور نمی کرد روزنه امید برای او پیدا می شود و شکاف پیراهنی سند پاکی و برائت او می گردد، همان پیراهن حادثه سازی که یک روز، برادران یوسف را در پیشگاه پدر به خاطر پاره نبودن رسوا می کند، و روز دیگر همسر هوسران عزیز مصر را به خاطر پاره بودن، و روز دیگر همسر هوسران عزیز مصر به کنعان سفر بودن، و روز دیگر نور آفرین دیدههای بی فروغ یعقوب است، و بوی آشنای آن، همراه نسیم صبحگاهی از مصر به کنعان سفر می کند، و پیر کنعانی را بشارت به قدوم مو کب بشیر می دهد! به هر حال خداوند الطاف خفیهای دارد که هیچ کس از عمق آن آگاه نیست، و به هنگامی که نسیم این لطف می وزد، صحنه ها چنان دگر گون می شود که برای هیچ کس حتی هوشمند ترین افراد قابل پیش بینی نیست.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٣٠ ص: ۴١۶

(آیه ۳۰)- توطئه دیگر همسر عزیز مصر: هر چند مسأله اظهار عشق همسر عزیز، با آن داستانی که گذشت یک مسأله خصوصی بود که «عزیز» هم تأکید بر کتمانش داشت، اما از آنجا که این گونه رازها نهفته نمیماند، مخصوصا در قصر شاهان و صاحبان زر و زور، که دیوارهای آنها گوشهای شنوایی دارد، سر انجام این راز از درون قصر به بیرون افتاد، و چنانکه قرآن می گوید: «گروهی از زنان شهر، این سخن را در میان خود گفتگو می کردند و نشر میدادند که همسر عزیز با غلامش سر و سرّی پیدا کرده و او را به سوی خود دعوت می کند» (و قال نِشوَهٌ فِی الْمَدِینَهُ امْرَأَتُ الْعَزِیزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ).

«و آنچنان عشق غلام بر او چیره شده که اعماق قلبش را تسخیر کرده است» بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۱۷

(قَدْ شَغَفَها حُبًّا).

و سپس او را با این جمله مورد سرزنش قرار دادند «ما او را در گمراهی آشکار می بینیم»! (إِنَّا لَنراها فِی ضَلالٍ مُبِینٍ). آنها که این سخن را می گفتند دسته ای از زنان اشرافی مصر بودند که در هوسرانی چیزی از همسر عزیز کم نداشتند، چون دستشان به یوسف نرسیده بود به اصطلاح جانماز آب می کشیدند و همسر عزیز را به خاطر این عشق در گمراهی آشکار می دیدند!

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٣١ ص: ٤١٧

(آیه ۳۱)- «هنگامی که همسر عزیز، از مکر زنان حیله گر مصر، آگاه شد (نخست ناراحت گشت، سپس چارهای اندیشید و آن این بود که) به سراغشان فرستاد و از آنها دعوت کرد و برای آنها پشتی (گرانبها و مجلس باشکوهی) فراهم ساخت و به دست هر کدام چاقویی برای بریدن میوه داد» اما چاقوهای تیز، تیزتر از نیاز بریدن میوه ها! (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَ آتَتْ كُلَّ واحِدَةً مِنْهُنَّ سِكِّیناً).

و این کار خود دلیل بر این است که او از شوهر خود، حساب نمیبرد، و از رسوایی گذشتهاش درسی نگرفته بود.

«در این موقع (به یوسف) گفت: وارد مجلس آنان شو»! تا زنان سرزنش گر، با دیدن جمال او، وی را در این عشقش ملامت نکنند (وَ قالَتِ اخْرُجْ عَلَیْهِنَّ).

زنان مصر که طبق بعضی از روایات ده نفر و یا بیشتر از آن بودند، هنگامی که آن قامت زیبا و چهره نورانی را دیدند، و چشمشان به صورت دلربای یوسف افتاد، صورتی همچون خورشید که از پشت ابر ناگهان ظاهر شود و چشمها را خیره کند، در آن مجلس طلوع کرد چنان واله و حیران شدند که دست از پا و ترنج از دست، نمی شناختند «هنگامی که چشمشان به او افتاد، او را بسیار بزرگ و زیبا شمردند» (فَلَمَّا رَأَیْنَهُ أَکْبَرْنَهُ).

و آنچنان از خود بیخود شدنـد که به جای ترنـج «دسـتهایشان را بریدنـد» (وَ قَطَّعْنَ أَیْدِیَهُنَّ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۱۸

و هنگامی که دیدند، برق حیا و عفت از چشمان جذاب او میدرخشد و رخسار معصومش از شدت حیا و شـرم گلگون شده، «همگی فریاد بر آوردند که نه، این جوان هرگز آلوده نیست، او اصـلا بشر نیست، او یک فرشته بزرگوار آسمانی است» (وَ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلَّا مَلَکُ کَرِیمٌ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٣٢ ص: ۴۱۸

(آیه ۳۲) - در این هنگام زنان مصر، قافیه را بکلی باختند و با دستهای مجروح که از آن خود می چکید و در حالی پریشان همچون مجسمهای بی روح در جای خود خشک شده بودند، نشان دادند که آنها نیز دست کمی از همسر عزیز ندارند. او از این فرصت استفاده کرد و «گفت: این است آن کسی که مرا به خاطر عشقش سرزنش می کردید» (قالَتْ فَذلِکُنَّ الَّذِی لُمُتَّنِی فِیهِ).

همسر عزیز که از موفقیت خود در طرحی که ریخته بود، احساس غرور و خوشحالی می کرد و عـذر خود را موجه جلوه داده بود یکباره تمـام پردههـا را کنـار زد و بـا صـراحت تمـام به گنـاه خود اعـتراف کرد و گفت: «آری من او را به کـام گرفتن از خویش دعوت کردم ولی او خویشتن داری کرد» (وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ).

سپس بی آنکه از این آلودگی به گناه اظهار ندامت کند، و یا لااقل در برابر میهمانان کمی حفظ ظاهر نماید، با نهایت بی پروایی با لحن جدی که حاکی از اراده قطعی او بود، صریحا اعلام داشت، «و اگر او (یوسف) آنچه را که من فرمان می دهم انجام ندهد (و در برابر عشق سوزان من تسلیم نگردد) بطور قطع به زندان خواهد افتاد» (وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَتُسْحَنَنَّ).

نه تنها به زندانش ميافكنم بلكه در درون زندان نيز «مسلما خوار و ذليل خواهد شد» (وَ لَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۳۳ ص: ۴۱۸

(آیه ۳۳)- بعضی در اینجا روایت شگفت آوری نقل کردهاند و آن این که گروهی از زنان مصر که در آن جلسه حضور داشتند به حمایت از همسر عزیز برخاستند و حق را به او دادند و دور یوسف را گرفتند، و هر یک برای تشویق یوسف برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۱۹

به تسلیم شدن یک نوع سخن گفتند: یکی گفت: ای جوان! این همه خویشتن داری و ناز برای چیست؟ چرا به این عاشق دلداده، ترحم نمی کنی؟ مگر تو این جمال دل آرای خیره کننده را نمی بینی؟

دومی گفت: گیرم که از زیبایی و عشق چیزی نمی فهمی، ولی آیا نمی دانی که او همسر عزیز مصر و زن قدر تمند این سامان است؟ فکر نمی کنی که اگر قلب او را به دست آوری، هر مقامی که بخواهی برای تو آماده است؟

سومی گفت: گیرم که نه تمایل به جمال و زیبائیش داری، و نه نیاز به مقام و مالش، ولی آیا نمی دانی که او زن انتقامجوی خطرناکی است؟

طوفان مشكلات از هر سو يوسف را احاطه كرده بود، اما او كه از قبل خود را ساخته بود بى آنكه با زنان هوسباز و هوسران به گفتگو برخيزد رو به درگاه پروردگارا! زندان (با آن همه سختيه ايش) در نظر من محبوبتر است از آنچه اين زنان مرا به سوى آن مىخوانند» (قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَـدْعُونَنِى إِلَيْهِ).

سپس از آنجا که میدانست در همه حال، مخصوصا در مواقع بحرانی، جز به اتکاء لطف پروردگار راه نجاتی نیست، خودش را با این سخن به خدا سپرد و از او کمک خواست، پروردگارا! اگر کید و مکر و نقشههای خطرناک این زنان آلوده را از من باز نگردانی، قلب من به آنها متمایل می گردد و از جاهلان خواهم بود» (وَ إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّی کَیْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَیْهِنَّ وَ أَکُنْ مِنَ الْجاهِلِینَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٣۴ ص: ٤١٩

(آیه ۳۴) - و از آنجا که وعده الهی همیشه این بوده که جهاد کنندگان مخلص را (چه با نفس و چه با دشمن) یاری بخشد، یوسف را در این حال تنها نگذاشت و لطف حق به یاریش شتافت، آنچنان که قرآن می گوید: «پروردگارش این دعای خالصانه او را اجابت کرد» (فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ).

«و مكر و نقشه آنها را از او گرداند» (فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ).

«چرا که او شنوا و داناست» (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). برگزيده تفسير نمونه، ج۲، ص: ۴۲۰ هم نيايشهای بندگان را میشنود و هم از اسرار درون آنها آگاه است، و هم راه حل مشکل آنها را میداند.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٣٥ ص: ٤٢٠

(آیه ۳۵) – زندان به جرم بی گناهی: جلسه عجیب زنان مصر با یوسف در قصر «عزیز» با آن شور و غوغا پایان یافت. بیم رسوایی و افتضاح جنسی خاندان «عزیز» در نظر توده مردم روز به روز بیشتر می شد، تنها چاره ای که برای این کار از طرف عزیز مصر و مشاورانش دیده شد این بود که یوسف را بکلی از صحنه خارج کنند، و بهترین راه برای این کار، فرستادنش به سیاه چال زندان بود، که هم او را به فراموشی می سپرد و هم در میان مردم به این تفسیر می شد که مجرم اصلی، یوسف بوده است! لذا قرآن می گوید: «بعد از آن که آنها آیات و نشانه های (پاکی یوسف) را دیدند تصمیم گرفتند که او را تا مدتی زندانی کنند» (ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآیاتِ لَیسُجُنَّهُ حَتَّی حِینِ).

آری! در یک محیط آلوده، آزادی از آن آلودگان است، نه فقط آزادی که همه چیز متعلق به آنهاست، و افراد پاکدامن و با ارزشی همچون یوسف باید منزوی شوند، اما تا کی، آیا برای همیشه؟ نه، مسلما نه!

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٣۶ ص: ٢٢٠

(آیه ۳۶)- از جمله کسانی که با یوسف وارد زندان شدند، دو جوان بودند چنانکه آیه میفرماید: «و دو جوان، همراه او وارد زندان شدند» (وَ دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَیانِ).

و از آنجا که وقتی انسان نتواند از طریق عادی و معمولی دسترسی به اخبار پیدا کند احساسات دیگر او به کار میافتد، تا مسیر حوادث را جستجو و پیش بینی کند خواب و رؤیا هم برای او مطلبی میشود.

از همین رو یک روز این دو جوان که گفته می شود یکی از آن دو مأمور «آبدار خانه شاه» و دیگری سرپرست غذا و آشپزخانه بود، و به علت سعایت دشمنان و اتهام به تصمیم بر مسموم نمودن شاه، به زندان افتاده بودند، نزد یوسف آمدند و هر کدام خوابی را که شب گذشته دیده بود و برایش عجیب و جالب برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۲۱ می نمود بازگو کرد.

«یکی از آن دو گفت: من در عالم خواب چنین دیدم که انگور را برای شراب ساختن میفشارم»! (قالَ أَحَ لُهُما إِنِّی أَرانِی أَعْصرُ خَمْراً).

«و دیگری گفت: من در خواب دیدم که مقداری نان روی سرم حمل میکنم، و پرندگان (آسمان میآیند و) از آن میخورند» (وَ قالَ الْآخَرُ إِنِّی أَرانِی أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِی خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّیْرُ مِنْهُ).

سپس اضافه كردند: «ما را از تعبير خوابمان آگاه ساز كه تو را از نيكوكاران مىبينيم» (نَبَّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۳۷ ص: ۴۲۱

(آیه ۳۷)- به هر حال یوسف که هیچ فرصتی را برای ارشاد و راهنمایی زندانیان از دست نمی داد، مراجعه این دو زندانی را برای تعبیر خواب غنیمت شمرد و به بهانه آن، حقایق مهمّی را که راهگشای آنها و همه انسانها بود بیان داشت. نخست برای جلب اعتماد آنها در مورد آگاهی او بر تعبیر خواب که سخت مورد توجه آن دو زندانی بود چنین «گفت: من (به زودی و) قبل از آن که جیره غذایی شما فرا رسد شما را از تعبیر خوابتان آگاه خواهم ساخت» (قالَ لا یَأْتِیکُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلَّا نَتُأْتُکُما بِتَأْویلِهِ قَبْلَ أَنْ یَأْتِیکُما).

سپس یوسف با ایمان و خدا پرست که توحید با همه ابعادش در اعماق وجود او ریشه دوانده بود، برای این که روشن سازد چیزی جز به فرمان پروردگار تحقق نمی پذیرد چنین ادامه داد: «این علم و دانش و آگاهی من از تعبیر خواب از اموری است که پروردگارم به من آموخته است» (ذلِکُما مِمَّا عَلَّمَنِی رَبِّی).

و برای این که تصور نکنند که خداوند، بیحساب چیزی به کسی میبخشد اضافه کرد: «من آیین جمعیتی را که ایمان به خدا ندارند و نسبت به سرای آخرت کافرند، ترک کردم» و این نور ایمان و تقوا مرا شایسته چنین موهبتی ساخته است (إِنِّی تَرَکْتُ مِلَّهُ قَوْم لا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ کافِرُونَ).

منظور از این قوم و جمعیت مردم بت پرست مصر یا بت پرستان کنعان است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۲۲

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۳۸ ص: ۴۲۲

(آیه ۳۸) – من باید از این گونه عقاید جدا شوم، چرا که بر خلاف فطرت پاک انسانی است، و به علاوه من در خاندانی پرورش یافتهام که خاندان وحی و نبوت است، «و من از آیین پدران و نیاکانم ابراهیم و اسحاق و یعقوب پیروی کردم» (وَ انَّبَعْتُ مِلَّهُ آبائِی إِبْراهِیمَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ).

بعد به عنوان تأکید اضافه میکند: «برای ما شایسته نیست که چیزی را شریک خدا قرار دهیم» (ما کانَ لَنا أَنْ نُشْرِکَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ). چرا که خاندان ما، خاندان توحید، خاندان ابراهیم بت شکن است.

«اين از مواهب الهي بر ما و بر همه مردم است» (ذلِكُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا وَ عَلَى النَّاسِ).

«ولى (متأسفانه) اكثر مردم اين مواهب الهي را شكر گزارى نمى كننـد» و از راه توحيـد و ايمان منحرف مىشوند (وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لا يَشْكُرُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۳۹ ص: ۴۲۲

(آیه ۳۹)- زندان یا کانون تربیت؟ هنگامی که یوسف با ذکر بحث گذشته، دلهای آن دو زندانی را آماده پذیرش حقیقت توحید کرد رو به سوی آنها نمود و چنین گفت: «ای هم زندانهای من! آیا خدایان پراکنده و معبودهای متفرق بهترند یا خداوند یگانه یکتای قهار و مسلط بر هر چیز» (یا صاحِبی السِّجْنِ أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَیْرٌ أَم اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ).

گویی یوسف میخواهد به آنها حالی کند که چرا شما آزادی را در خواب میبینید چُرا در بیداری نمیبینید؟ چرا به دامن پرستش «الله واحد قهار» دست نمیزنید تا بتوانید این خود کامگان ستمگر را که شما را بی گناه و به مجرد اتهام به زندان میافکنند از جامعه خود برانید.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۴۰ ص: ۴۲۲

(آیه ۴۰)- سپس اضافه کرد: «این معبودهایی که غیر از خدا می پرستید چیزی جز یک مشت اسمهای بی مسمّا که شما و پدرانتان آنها را خدا نامیدهاید، نیست» (ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْماءً سَمَّیْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمْ).

اینها اموری است که «خداونـد دلیل و مـدرکی برای آن نازل نفرموده» بلکه ساخته و پرداخته مغزهای ناتوان شـماست (ما أُنْزُلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۲۳

بدانیـد «حکومت جز برای خـدا نیست» (إِنِ الْحُکْمُ إِلَّا لِلَّهِ) و به همین دلیـل شـما نبایـد در برابر این بتها و طاغوتها و فراعنه سـر تعظیم فرود آورید.

و باز برای تأکید بیشتر اضافه می کند: «خداوند فرمان داده جز او را نپرستید» (أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ).

«اين است آيين و دين پا بر جا و مستقيم» كه هيچ گونه انحرافي در آن راه ندارد (ذلِكُ الدِّينُ الْقَيِّمُ).

یعنی توحید در تمام ابعادش، در عبادت، در حکومت، در فرهنگ و در همه چیز، آیین مستقیم و پا بر جای الهی است.

«ولى (چه مى توان كرد) بيشتر مردم آگاهى ندارند» (وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ).

و به خاطر این عدم آگاهی در بیراهههای شرک سرگردان میشوند و به حکومت غیر «الله» تن در میدهند و چه زجرها و زندانها و بدبختیها که از این رهگذر دامنشان را می گیرد.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۴۱ ص: ۴۲۳

(آیه ۴۱)- سپس رو به سوی دو رفیق زندانی کرد و چنین گفت: «ای دوستان زندانی من! اما یکی از شما (آزاد می شود، و) ساقی شراب برای صاحب خود خواهد شد» (یا صاحِبَیِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُکُما فَیَسْقِی رَبَّهُ خَمْراً).

«اما نفر دیگر به دار آویخته میشود و (آنقـدر میمانـد که) پرندگان آسـمان از سـر او میخورند»! (وَ أَمَّا الْآخَرُ فَيُصْـِلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ).

سپس برای تأکید گفتار خود اضافه کرد: «این امری را که شما در باره آن از من سؤال کردید و استفتاء نمودید حتمی و قطعی است» (قُضِیَ الْأَمْرُ الَّذِی فِیهِ تَسْتَفْتِیانِ).

اشاره به این که این یک تعبیر خواب ساده نیست، بلکه از یک خبر غیبی که به تعلیم الهی یافتهام مایه می گیرد، بنابراین جای تردید و گفتگو ندارد.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۴۲ ص: ۴۲۳

(آیه ۴۲)- اما در این هنگام که احساس می کرد این دو به زودی از او جـدا خواهنـد شـد، برای این که روزنهای به آزادی پیدا کند، و خود را از گناهی که به او برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۲۴

نسبت داده بودنـد تبرئه نمایـد «به یکی از آن دو رفیق زنـدانی که میدانست آزاد خواهـد شـد سـفارش کرد که نزد مالـک و صـاحب اختیار خود (شاه) از من سـخن بگو» تا تحقیق کنـد و بی گناهی من ثابت گردد (وَ قالَ لِلَّذِی ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْکُوْنِی عِنْدَ رَبِّکَ).

اما این «غلام فراموشکار» آنچنان که راه و رسم افراد کم ظرفیت است که چون به نعمتی برسند صاحب نعمت را به دست فراموشی میسپارند بکلی مسأله یوسف را فراموش کرد قرآن می گوید: «شیطان یادآوری از یوسف را نزد صاحبش از خاطر او

برد» (فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ).

و به این ترتیب، یوسف به دست فراموشی سپرده شد «و چند سال در زندان باقی ماند» (فَلَبِثَ فِی السِّجْنِ بِضْعَ سِنِینَ).

در باره سالهای زندان یوسف گفتگوست ولی مشهور این است که مجموع زندان یوسف ۷ سال بوده، ولی بعضی گفتهاند قبل از ماجرای خواب زندانیان ۵ سال در زندان بود و بعد از آن هم هفت سال ادامه یافت. سالهایی پررنج و زحمت اما از نظر ارشاد و سازندگی پربار و پربرکت.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۴۳ ص: ۴۲۴

(آیه ۴۳)– ماجرای خواب سلطان مصر! یوسف سالها در تنگنای زندان به صورت یک انسان فراموش شده باقی ماند، تنها کار او خودسازی، و ارشاد و راهنمایی زندانیان بود.

تا این که یک حادثه به ظاهر کوچک سرنوشت او را تغییر داد، نه تنها سرنوشت او که سرنوشت تمام ملت مصر و اطراف آن را دگرگون ساخت.

پادشاه مصر که می گویند نامش «ولید بن ریّان» بود- و عزیز مصر وزیر او محسوب می شد- خواب ظاهرا پریشانی دید، و صبحگاهان تعبیر کنندگان خواب و اطرافیان خود را حاضر ساخت و چنین «گفت: من در خواب دیدم که هفت گاو لاغر به هفت گاو چاق حمله کرد و آنها را می خورند، و نیز هفت خوشه سبز و هفت خوشه خشکیده را دیدم» که خشکیدهها بر گرد سبزها پیچیدند و آنها را از میان بردند (وَ قالَ الْمَلِکُ إِنِّی أَری سَیْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَیْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۲۵

خُصْرٍ وَ أُخَرَ يابِساتٍ)

.سپسُ رو به آنها کرد و گفت: «ای جمعیت اشراف! در باره خواب من نظر دهید اگر قادر به تعبیر خواب هستید» (یا أَیُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِی فِی رُءْیایَ إِنْ کُنْتُمْ لِلرُّءْیا تَعْبُرُونَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۴۴ ص: ۴۲۵

(آیه ۴۴)- ولی حواشی سلطان بلافاصله «اظهار داشتند که: اینها خوابهای پریشان است و ما به تعبیر این گونه خوابهای پریشان آشنا نیستیم»! (قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَ ما نَحْنُ بِتَأْوِیلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِینَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۴۵ ص: ۴۲۵

(آیه ۴۵)– در اینجا ساقی شاه که سالها قبل از زندان آزاد شده بود به یاد خاطره زندان و تعبیر خواب یوسف افتاد.

همچنان که آیه می گوید: «و یکی از آن دو که نجات یافته بود- و بعد از مدتی به خاطرش آمد- گفت: من شما را از تعبیر این خواب خبر می دهم، مرا (به سراغ استاد ماهر این کار که در گوشه زندان است) بفرستید» تا خبر صحیح دست اول را برای شما بیاورم (وَ قالَ الَّذِی نَجا مِنْهُما وَ ادَّکَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَّبُنُكُمْ بِتَأْوِیلِهِ فَأَرْسِلُونِ).

این سخن وضع مجلس را دگرگون ساخت و همگی چشمها را به ساقی دوختند سر انجام به او اجازه داده شد که هر چه زودتر دنبال این مأموریت برود.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۴۶ ص: ۴۲۶

(آیه ۴۶)- ساقی به زندان و به سراغ دوست قدیمی خود یوسف آمد، همان دوستی که در حق او بیوفایی فراوان کرده بود اما شاید میدانست بزرگواری یوسف مانع از آن خواهد شد که سر گله باز کند.

رو به يوسف كرد و چنين گفت: «يوسف! اى مرد بسيار راستگو! در باره اين خواب اظهار نظر كن كه كسى در خواب ديـده است كه هفت گاو لاغر، هفت گاو چاق را مىخورند، و هفت خوشه سبز و هفت خوشه خشكيده» كه دومى بر اولى پيچيده و آن را نـابوده كرده است (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنـا فِى سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَـأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجافٌ وَ سَبْعِ سُـنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يابساتِ).

«شاید من به سوی این مردم باز گردم، باشد که آنها از اسرار این خواب آگاه شوند» (لَعَلِّی أَرْجِعُ إِلَی النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۲۶

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٤٧ ص: ٤٢۶

(آیه ۴۷) – به هر حال یوسف بی آنکه هیچ قید و شرطی قائل شود و یا پاداشی بخواهد فورا خواب را به عالی ترین صورتی تعبیر کرد، تعبیری گویا و خالی از هر گونه پرده پوشی، و توأم با راهنمایی و برنامه ریزی برای آینده تاریکی که در پیش داشتند، «او چنین گفت: هفت سال پی در پی باید با جدیت زراعت کنید (چرا که در این هفت سال بارندگی فراوان است) ولی آنچه را درو می کنید به صورت همان خوشه در انبارها ذخیره کنید، جز به مقدار کم و جیره بندی که برای خوردن نیاز دارید» (قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِینَ دَأَبًا فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِی سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِیلًا مِمَّا تَأْکُلُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۴۸ ص: ۴۲۶

(آیه ۴۸)- «پس از آن، هفت سال سخت (و خشکی و قحطی) می آید، که آنچه را برای آن سالها ذخیره کردهاید، میخورند» (ثُمَّ یَأْتِی مِنْ بَعْدِ ذلِکَ سَبْعٌ شِدادٌ یَأْکُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ).

ولی مراقب باشید در آن هفت سال خشک و قحطی نباید تمام موجودی انبارها را صرف تغذیه کنید، بلکه باید «مقدار کمی که (برای بذر) ذخیره خواهید کرد» برای زراعت سال بعد که سال خوبی خواهد بود نگهداری نمایید (إِلَّا قَلِیلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۴۹ ص: ۴۲۶

(آیه ۴۹)- اگر با برنامه و نقشه حساب شده این هفت سال خشک و سخت را پشت سر بگذارید دیگر خطری شما را تهدید نمی کند، «سپس سالی فرا میرسد که باران فراوان نصیب مردم میشود» (ثُمَّ یَأْتِی مِنْ بَعْدِ ذَلِکَ عامٌ فِیهِ یُغاثُ النَّاسُ).

«و در آن سال (نه تنها کار زراعت خوب می شود بلکه) مردم عصاره (میوهها و دانههای روغنی را) می گیرنـد» و سال پربرکتی است (وَ فِیهِ یَعْصِرُونَ).

تعبیری که یوسف برای این خواب کرد چقدر حساب شده بود! در حقیقت یوسف یک معبر ساده خواب نبود، بلکه یک رهبر بود که از گوشه زندان برای آینده یک کشور برنامهریزی می کرد و یک طرح چند مادهای حد اقل پانزده ساله به آنها ارائه داد و این تعبیر و طراحی برای آینده موجب شـد که هم مردم مصـر از قحطی کشـنده نجات یابند و هم یوسف از زندان و هم حکومت از دست خودکامگان!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۲۷

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۵۰ ص: ۴۲۷

(آیه ۵۰)- تبرئه یوسف از هر گونه اتهام! تعبیری که یوسف برای خواب شاه مصر کرد اجمالاً به او فهماند که این مرد یک غلام زندانی نیست بلکه شخص فوق العاده ای است که طی ماجرای مرموزی به زندان افتاده است لذا مشتاق دیدار او شد اما نه آنچنان که غرور و کبر سلطنت را کنار بگذارد و خود به دیدار یوسف بشتابد بلکه «پادشاه گفت: او را نزد من آورید!» (وَ قالَ الْمُلِکُ الْتُونِی بهِ).

«ولی هنگامی که فرستاده او نزد یوسف آمد (به جای این که دست و پای خود را گم کند که بعد از سالها در سیاه چال زندان بودن اکنون نسیم آزادی میوزد به فرستاده شاه جواب منفی داد و) گفت: (من از زندان بیرون نمی آیم) به سوی صاحبت بازگرد و از او بپرس آن زنانی که (در قصر عزیز مصر وزیر تو) دستهای خود را بریدند به چه دلیل بود»؟ (فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجعْ إِلی رَبِّکَ فَسْئَلُهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِی قَطَّعْنَ أَیْدِیَهُنَّ).

او نمیخواست ننگ عفو شاه را بپذیرد و پس از آزادی به صورت یک مجرم یا لااقل یک متهم که مشمول عفو شاه شده است زندگی کند. او میخواست نخست بی گناهی و پاکدامنیش کاملا به ثبوت رسد، و سر بلند آزاد گردد.

سپس اضافه نمود اگر توده مردم مصر و حتی دستگاه سلطنت ندانند نقشه زندانی شدن من چگونه و به وسیله چه کسانی طرح شد «اما پروردگار من از نیرنگ و نقشه آن زنان آگاه است» (إِنَّ رَبِّی بِکَیْدِهِنَّ عَلِیمٌ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۵۱ ص: ۴۲۷

(آیه ۵۱) - فرستاده مخصوص به نزد شاه برگشت و پیشنهاد یوسف را بیان داشت، این پیشنهاد که با مناعت طبع و علق همت همراه بود او را بیشتر تحت تأثیر عظمت و بزرگی یوسف قرار داد لـذا فورا به سراغ زنانی که در این مـاجرا شـرکت داشـتند فرسـتاد و آنها را احضار کرد، رو به سوی آنها کرد و «گفت: بگویید ببینم در آن هنگام که شـما تقاضای کامجویی از یوسف کردید جریان کار شما چه بود»؟! (قالَ ما خَطْبُکُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ).

در اینجا وجدانهای خفته آنها یک مرتبه در برابر این سؤال بیدار شد و همگی متفقا به پاکی یوسف گواهی دادند و «گفتند: منزه است خداوند ما هیچ عیب برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۲۸

و گناهي در يوسف سراغ نداريم» (قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ).

همسر عزیز مصر که در اینجا حاضر بود احساس کرد موقع آن فرا رسیده است که سالها شرمندگی وجدان را با شهادت قاطعش به پاکی یوسف و گنهکاری خویش جبران کند، بخصوص این که او بزرگواری بی نظیر یوسف را از پیامی که برای شاه فرستاده بود درک کرد چرا که در پیامش کمترین سخنی از وی به میان نیاورده و تنها از زنان مصر بطور سر بسته سخن گفته است.

یک مرتبه، گویی انفجاری در درونش رخ داد. قرآن می گوید: «همسر عزیز مصر فریاد زد: الآن حق آشکار شد، من پیشنهاد

كامجويى بـه او كردم او راسـتگو اسـت» و من اگر سـخنى در بـاره او گفتهام دروغ بـوده است دروغ! (قـالَتِ امْرَأَهُ الْعَزِيزِ الْـآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۵۲ ص: ۴۲۸

(آیه ۵۲)– همسر عزیز در ادامه سخنان خود چنین گفت: «من این اعتراف صریح را به خاطر آن کردم که (یوسف) بداند در غیابش نسبت به او خیانت نکردم» (ذلِکَ لِیَعْلَمَ أَنِّی لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَیْبِ).

چرا که من بعد از گذشتن این مدت و تجربیاتی که داشته ام فهمیده ام «خداوند نیرنگ و کید خائنان را هدایت نمی کند» (وَ أُنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی کَیْدَ الْخائِنِینَ).

آغاز جزء سيزدهم قرآن مجيد ص: 478

ادامه سوره یوسف ص: ۴۲۸

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۵۳ ص: ۴۲۸

(آیه ۵۳)- باز ادامه داد: «من هرگز نفس سرکش خویش را تبرئه نمیکنم چرا که (میدانم) این نفس اماره ما را به بدیها فرمان میدهد» (وَ ما أُبَرِّئُ نَفْسِی إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ).

«مگر آنچه پروردگارم رحم کند» و با حفظ و کمک او مصون بمانیم (إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّی).

و در هر حال در برابر این گناه از او امید عفو و بخشش دارم «چرا که پروردگارم غفور و رحیم است» (إِنَّ رَبِّی غَفُورٌ رَحِیمٌ).

شکست همسر عزیز مصر که نامش «زلیخا» یا «راعیل» بود در مسیر گناه بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۲۹

باعث تنبه او گردید، و از کردار ناهنجار خود پشیمان گشت و روی به درگاه خدا آورد.

و خوشبخت کسانی که از شکستها، پیروزی میسازند و از ناکامیها کامیابی، و از اشتباهات خود راههای صحیح زندگی را مییابند و در میان تیره بختیها نیکبختی خود را پیدا میکنند.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۵۴ ص: ۴۲۹

(آیه ۵۴)- یوسف خزانه دار کشور مصر می شود! در شرح زندگی پرماجرای یوسف، این پیامبر بزرگ الهی به اینجا رسیدیم که سر انجام پاکدامنی او بر همه ثابت شد و حتی دشمنانش به پاکیش شهادت دادند، و ثابت شد که تنها گناه او که به خاطر آن، وی را به زندان افکندند چیزی جز پاکدامنی و تقوا و پرهیزکاری نبوده است.

در ضمن معلوم شد این زندانی بی گناه کانونی است از علم و آگاهی و هوشیاری، و استعداد مدیریت در یک سطح بسیار عالی.

در دنبال این ماجرا، قرآن می گوید: «و ملک دستور داد او را نزد من آورید، تا او را مشاور و نماینده مخصوص خود سازم» و از علم و دانش و مدیریت او برای حل مشکلاتم کمک گیرم (وَ قالَ الْمَلِکُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی).

نماینده ویژه «ملک» وارد زندان شد و به دیدار یوسف شتافت و اظهار داشت که او علاقه شدیدی به تو پیدا کرده است برخیز

تا نزد او برویم.

یوسف به نزد ملک آمد و با او به گفتگو نشست «هنگامی که ملک با وی گفتگو کرد (و سخنان پرمغز و پرمایه یوسف را که از علم و هوش و درایت فوق العادهای حکایت می کرد شنید، بیش از پیش شیفته و دلباخته او شد و) گفت:

تو امروز نزد ما دارای منزلت عالی و اختیارات وسیع هستی و مورد اعتماد و وثوق ما خواهی بود» (فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيُوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۵۵ ص: ٤٢٩

(آیه ۵۵)– تو باید امروز در این کشور، مصدر کارهای مهم باشی و بر اصلاح امور همت کنی، یوسف پیشنهاد کرد، خزانهدار کشور مصـر باشد و «گفت: مرا در رأس خزانهداری این سـرزمین قرار ده چرا که من هم حافظ و نگهدار خوبی هستم برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۳۰

و هم به اسرار این کار واقفم» (قالَ اجْعَلْنِی عَلی خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ).

یوسف میدانست یک ریشه مهم نابسامانیهای آن جامعه مملو از ظلم و ستم در مسائل اقتصادیش نهفته است، اکنون که آنها به حکم اجبار به سراغ او آمدهاند، چه بهتر که نبض اقتصاد کشور مصر، مخصوصا مسائل کشاورزی را در دست گیرد و به یاری مستضعفان بشتابد، از تبعیضها تا آنجا که قدرت دارد بکاهد، حق مظلومان را از ظالمان بگیرد، و به وضع بیسر و سامان آن کشور پهناور سامان بخشد.

ضمنا تعبیر «إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ» دلیل بر اهمیت «مدیریت» در کنار «امانت» است و نشان میدهد که پاکی و امانت به تنهایی برای پذیرش یک پست حساس اجتماعی کافی نیست بلکه علاوه بر آن آگاهی و تخصص و مدیریت نیز لازم است.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۵۶ ص: ۴۳۰

(آیه ۵۶)– به هر حال حال، خداوند در اینجا می گوید: «و این چنین ما یوسف را بر سرزمین مصر، مسلط ساختیم که هر گونه میخواست در آن تصرف می کرد» (وَ کَذلِکَ مَکَّنَّا لِیُوسُفَ فِی الْأَرْضِ یَتَبَوَّأُ مِنْها حَیْثُ یَشاءُ).

آری «ما رحمت خویش و نعمتهای مادی و معنوی را به هر کس بخواهیم و شایسته بـدانیم میبخشیم» (نُصِ یبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ).

«و ما هر گز پاداش نیکو کاران را ضایع نخواهیم کرد» (وَ لا نُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).

و اگر هم به طول انجامـد سـر انجام آنچه را شایسـته آن بودهاند به آنها خواهیم داد که در پیشـگاه ما هیچ کار نیکی به دسـت فراموشی سپرده نمیشود.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۵۷ ص: ۴۳۰

(آیه ۵۷)– ولی مهم این است که تنها به پاداش دنیا قناعت نخواهیم کرد «و پاداشی که در آخرت به آنها خواهد رسید بهتر و شایسته تر است برای کسانی که ایمان آوردند و تقوا پیشه کردند» (وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَیْرٌ لِلَّذِینَ آمَنُوا وَ کانُوا یَتَّقُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۵۸ ص: ۴۳۰

(آیه ۵۸)- پیشنهاد تازه یوسف به برادران: سر انجام همان گونه که پیش بینی میشد، هفت سال پیدرپی وضع کشاورزی مصر بر اثر بارانهای پربرکت و فراوانی آب نیل کاملا رضایت بخش بود، و یوسف دستور داد مردم مقدار مورد نیاز خود را برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۳۱

از محصول بردارند و بقیه را به حکومت بفروشند و به این ترتیب، انبارها و مخازن از آذوقه پر شد.

این هفت سال پربرکت و وفور نعمت گذشت، و قحطی و خشکسالی چهره عبوس خود را نشان داد، و آنچنان آسمان بر زمین بخیل شد که زرع و نخیل لب تر نکردند، و مردم از نظر آذوقه در مضیقه افتادند و یوسف نیز تحت برنامه و نظم خاصی که توأم با آینده نگری بود غلّه به آنها می فروخت و نیازشان را به صورت عادلانه ای تأمین می کرد.

این خشکسالی منحصر به سرزمین مصر نبود، به کشورهای اطراف نیز سرایت کرد، و مردم «فلسطین» و سرزمین «کنعان» را که در شمال شرقی مصر قرار داشتند فرا گرفت، و «خاندان یعقوب» که در این سرزمین زندگی می کردند نیز به مشکل کمبود آذوقه گرفتار شدند، و به همین دلیل یعقوب تصمیم گرفت، فرزندان خود را به استثنای «بنیامین» که به جای یوسف نزد پدر ماند راهی مصر کند.

آنها با کاروانی که به مصر میرفت به سوی این سرزمین حرکت کردند و به گفته بعضی پس از ۱۸ روز راهپیمایی وارد مصر شدند.

طبق تواریخ، افراد خارجی به هنگام ورود به مصر باید خود را معرفی می کردند تا مأمورین به اطلاع یوسف برسانند، هنگامی که مأمورین گزارش کاروان فلسطین را دادند، یوسف در میان درخواست کنندگان غلات نام برادران خود را دید، و آنها را شناخت و دستور داد، بدون آن که کسی بفهمد آنان برادر وی هستند احضار شوند و آن چنانکه قرآن می گوید: «و برادران یوسف آمدند و بر او وارد شدند او آنها را شناخت، ولی آنها وی را نشناختند» (وَ جاءَ إِخْوَهُ یُوسُفَ فَدَخُلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ).

آنها حق داشتند یوسف را نشناسند، زیرا از یک سو سی تا چهل سال از روزی که او را در چاه انداخته بودند تا روزی که به مصر آمدند گذشته بود، و از سویی دیگر، آنها هرگز چنین احتمالی را نمیدادند که برادرشان عزیز مصر شده باشد. اصلا احتمال حیات یوسف پس از آن ماجرا در نظر آنها بسیار بعید بود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۳۲ به هر حال آنها غلّه مورد نیاز خود را خریداری کردند.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۵۹ ص: ۴۳۲

(آیه ۵۹) – یوسف برادران را مورد لطف و محبت فراوان قرار داد، و در گفتگو را با آنها باز کرد، برادران گفتند: ما، ده برادر از فرزندان یعقوب هستیم، و او نیز فرزند زاده ابراهیم خلیل پیامبر بزرگ خداست، اگر پدر ما را می شناختی احترام بیشتری می کردی، ما پدر پیری داریم که از پیامبران الهی است، ولی اندوه عمیقی سراسر وجود او را در بر گرفته! یوسف فورا پرسید: این همه اندوه چرا؟

گفتند: او پسـری داشت، که بسـیار مورد علاقهاش بود و از نظر سن از ما کوچکتر بود، روزی همراه ما برای شـکار و تفریح به صحرا آمد، و ما از او غافل ماندیم و گرگ او را درید! و از آن روز تاکنون، پدر برای او گریان و غمگین است. بعضی از مفسران چنین نقل کردهاند که عادت یوسف این بود که به هر کس یک بار شتر غلّه بیشتر نمیفروخت، و چون برادران یوسف، ده نفر بودند، ده بار غلّه به آنها داد، آنها گفتند: ما پدر پیری داریم که به خاطر شدت اندوه نمی تواند مسافرت کند و برادر کوچکی که برای خدمت و انس، نزد او مانده است، سهمیهای هم برای آن دو به ما مرحمت کن. یوسف دستور داد و بار دیگر بر آن افزودند، سپس رو کرد به آنها و گفت: در سفر آینده برادر کوچک را به عنوان نشانه همراه خود بیاورید.

در اینجا قرآن می گوید: «و هنگامی که (یوسف) بارهای آنها را آماده ساخت به آنها گفت: آن برادری را که از پـدر دارید نزد من بیاورید» (وَ لَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ قالَ ائْتُونِی بِأَخ لَكُمْ مِنْ أَبِیكُمْ).

سپس اضافه كرد: «آيـا نمىبينيـُد، حُق پيمانه را ادا مُى كنم، و من بهترين ميزبانها هسـتم»؟ (أَ لا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنْزلِينَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۶۰ ص: ۴۳۲

(آیه ۶۰) - و به دنبال این تشویق و اظهار محبت، آنها را با این سخن تهدید کرد که «اگر آن برادر را نزد من نیاورید، نه کیل و غلّهای نزد من خواهید داشت، و نه اصلا به من نزدیک شوید» (فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِی بِهِ فَلا کَیْلَ لَکُمْ عِنْدِی وَ لا تَقْرَبُونِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۳۳

یوسف میخواست به هر ترتیبی شده «بنیامین» را نزد خود آورد، گاهی از طریق اظهار محبت و گاهی از طریق تهدید وارد می شد، ضمنا از این تعبیرات روشن می شود که خرید و فروش غلات در مصر از طریق وزن نبود بلکه به وسیله پیمانه بود و نیز روشن می شود که یوسف به تمام معنی میهمان نواز بود.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۶۱ ص: ۴۳۳

(آیه ۶۱)– برادران در پاسخ او «گفتنـد: ما با پـدرش گفتگو می کنیم (و سـعی خواهیم کرد موافقت او را جلب کنیم) و ما این کار را خواهیم کرد» (قالُوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ وَ إِنَّا لَفاعِلُونَ).

آنها یقین داشتند، می توانند از این نظر در پدر نفوذ کنند و موافقتش را جلب نمایند و باید چنین باشد، جایی که آنها توانستند یوسف را با اصرار و الحاح از دست پدر در آورند چگونه نمی توانند بنیامین را از او جدا سازند؟

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۶۷ ص: ۴۳۳

اشاره

(آیه ۶۲) - در اینجا یوسف برای این که عواطف آنها را به سوی خود بیشتر جلب کند و اطمینان کافی به آنها بدهد، «به کارگزارانش گفت: وجوهی را که آنها (برادران) در برابر غلّه پرداخته اند (دور از چشم آنها) دربارهایشان بگذارید، تا به هنگامی که به خانواده خود بازگشتند (و بارها را گشودند) آن را بشناسند تا شاید بار دیگر به مصر بازگردند» (و قال لِفِتْیانِهِ

اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ فِي رِحالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَها إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

چرا یوسف خود را به برادران معرفی نکرد؟ ص: 433

نخستین سؤالی که در ارتباط با آیات فوق پیش می آیـد این است که چگونه یوسف خود را به برادران معرفی نکرد، تا زودتر او را بشناسد و به سوی پدر بازگردند، و او را از غم و اندوه جانکاه فراق یوسف در آورند؟

بسیاری از مفسران به پاسخ این سؤال پرداخته اند و جوابهایی ذکر کرده اند که به نظر می رسد بهترین آنها این است که یوسف چنین اجازه ای را از طرف پروردگار نداشت، زیرا ماجرای فراق یوسف گذشته از جهات دیگر صحنه آزمایش و میدان امتحانی بود برای یعقوب و می بایست دوران این آزمایش به فرمان پروردگار به آخر برسد، و قبل از آن یوسف مجاز نبود خبر دهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۳۴

به علاوه اگر یوسف بلافاصله خود را به برادران معرفی می کرد، ممکن بود عکس العملهای نامطلوبی داشته باشد از جمله این که آنها چنان گرفتار وحشت شوند که دیگر به سوی او بازنگردند، به خاطر این که احتمال میدادند یوسف انتقام گذشته را از آنها بگیرد.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۶۳ ص: ۴۳۴

(آیه ۶۳) – سر انجام موافقت پدر جلب شد! برادران یوسف با دست پر و خوشحالی فراوان به کنعان بازگشتند، ولی در فکر آینده بودند که اگر پدر با فرستادن برادر کوچک (بنیامین) موافقت نکند، عزیز مصر آنها را نخواهد پذیرفت و سهمیهای به آنها نخواهد داد.

لذا قرآن می گوید: «هنگامی که آنها به سوی پدر باز گشتند گفتند: پدر! دستور داده شده است که در آینده (سهمیهای به ما ندهند و) کیل و پیمانهای برای ما نکنند» (فَلَمَّا رَجَعُوا إِلی أَبِيهِمْ قالُوا یا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْکَیْلُ).

«اکنون که چنین است برادرمان را با ما بفرست تا بتوانیم کیل و پیمانه ای دریافت داریم» (فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ). «و مطمئن باش که او را حفظ خواهیم کرد» (وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۶۴ ص: ۴۳۴

(آیه ۶۴) - پدر که هرگز خاطره یوسف را فراموش نمی کرد از شنیدن این سخن ناراحت و نگران شد، رو به آنها کرده «گفت: آیا من نسبت به این (برادر) به شما اطمینان کنم همان گونه که نسبت به برادرش (یوسف) در گذشته به شما اطمینان کردم» (قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَیْهِ إِلَّا كَما أَمِنْتُكُمْ عَلی أَخِیهِ مِنْ قَبْلُ).

سپس اضافه كرد: «در هر حال خداوند بهترين حافظ و ارحم الراحمين است» (فَاللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۶۵ ص: ۴۳۴

(آیه ۶۵)– سپس برادرها «هنگامی که متاع خود را گشودنـد دیدنـد سرمایه آنها، به آنها بازگردانده شده»! و تمام آنچه را به عنوان بهای غلّه، به عزیز مصر پرداخته بودند، در درون بارهاست! (وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتاعَهُمْ وَجَدُوا بِضاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ).

آنها که این موضوع را سندی قاطع بر گفتار خود مییافتند، نزد پدر آمدند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۳۵ «گفتند: پدر جان! ما دیگر بیش از این چه میخواهیم؟ این سرمایه ماست که به ما باز پس گردانده شده است» (قالُوا یا أَبانا ما نَثْغِی هذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إِلَیْنا).

پدر جان! دیگر جای درنگ نیست، برادرمان را با ما بفرست «ما برای خانواده خود مواد غذایی خواهیم آورد» (وَ نَمِیرُ أَهْلَنا). «و در حفظ برادر خواهیم کوشید» (وَ نَحْفَظُ أَخانا).

«و يک بار شتر هم (به خاطر او) خواهيم افزود» (وَ نَزْدادٌ كَيْلَ بَعِيرٍ).

«و این کار (برای عزیز مصر، این مرد بزرگوار و سخاوتمندی که ما دیدیم) کار ساده و آسانی است» (ذلِکُ کَیْلٌ یَسِیرٌ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۶۶ ص: ۴۳۵

(آیه ۶۶) ولی یعقوب با تمام این احوال، راضی به فرستادن فرزندش بنیامین با آنها نبود، و از طرفی اصرار آنها که با منطق روشنی همراه بود، او را وادار می کرد که در برابر این پیشنهاد تسلیم شود، سر انجام راه چاره را در این دید که نسبت به فرستادن فرزند، موافقت مشروط کند، لذا به آنها چنین «گفت: من هر گز او را با شما نخواهم فرستاد تا پیمان مؤکد الهی بدهید که او را حتما نزد من خواهید آورد مگر این که (بر اثر مرگ و یا عوامل دیگر) قدرت از شما سلب شود» (قالَ لَنْ بُدهید که و را حتما نزد من نواهی الله لَتُأْتَنِی بِه إِلَّا أَنْ یُحاطَ بِکُمْ).

منظور از «مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ» (و ثيقه الهي) همان عهد و پيمان و سوگندي بوده كه با نام خداوند همراه است.

به هر حال برادران یوسف پیشنهاد پـدر را پذیرفتنـد، «و هنگـامی که عهـد و پیمان خود را در اختیار پـدر گذاشـتند (یعقوب) گفت: خداوند شاهد و ناظر و حافظ آن است که ما می گوییم» (فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قالَ اللَّهُ عَلی ما نَقُولُ وَکِیلٌ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۶۷ ص: ۴۳۵

(آیه ۶۷) – سر انجام برادران یوسف پس از جلب موافقت پدر، برادر کوچک را با خود همراه کردند و برای دومین بار آماده حرکت به سوی مصر شدند، در اینجا پدر، نصیحت و سفارشی به آنها کرد «و گفت: فرزندانم! شما از یک در وارد نشوید، بلکه از درهای مختلف وارد شوید» (وَ قالَ یا بَنِیَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبُوابٍ مُتَفَرِّقَهٍ). تا مورد حسد و سعایت حسودان قرار نگیرید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۳۶

و اضافه کرد «من با این دستور نمی توانم حادثه ای را که از سوی خدا حتمی است از شما برطرف سازم» (وَ ما أُغْنِی عَنْکُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ).

و در پایان گفت: «حکم و فرمان از آن خداست» (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ).

«بر او توكل كردهام» (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ).

و «همه متوكلان بايد بر او توكل كنند» و از او استمداد بجويند و كار خود را به او واگذارند (وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۶۸ ص: ۴۳۶

(آیه ۶۸)- برادران حرکت کردنـد و پس از پیمودن راه طولانی میان کنعان و مصر، وارد سرزمین مصر شدند «و هنگامی که طبق آنچه پدر به آنها امر کرده بود (از راههای مختلف) وارد مصر شدند این کار هیچ حادثه الهی را نمی توانست از آنها دور سازد» (وَ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَیْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ما کانَ یُغْنِی عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ).

بلکه تنها فایدهاش این بود «که حاجتی در دل یعقوب بود که از این طریق انجام می شد» (إِنَّا حاجَهً فِی نَفْسِ یَعْقُوبَ قَضاها). اشاره به این که تنها اثرش تسکین خاطر پـدر و آرامش قلب او بود، چرا که او از همه فرزندان خود دور بود، و شب و روز در فکر آنها و یوسف بود، و از گزنـد حوادث و حسـد حسودان و بدخواهان بر آنها می ترسید، و همین اندازه که اطمینان داشت آنها دستوراتش را به کار می بندند دلخوش بود.

سپس قرآن یعقوب را با این جمله مدح و توصیف می کند که: «او از طریق تعلیمی که ما به او دادیم، علم و آگاهی داشت، در حالی که اکثر مردم نمیدانند» (وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْم لِما عَلَّمْناهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۶۹ ص: ۴۳۶

(آیه ۶۹) – طرحی برای نگهداری برادر: سر انجام برادران بر یوسف وارد شدند، و به او اعلام داشتند که دستور تو را به کار بستیم و بـا این که پـدر در آغاز موافق فرستادن برادر کوچک، با ما نبود با اصرار او را راضی ساختیم، تا بـدانی ما به گفته و عهد خود وفاداریم.

یوسف، آنها را با احترام و اکرام تمام پذیرفت، و به میهمانی خویش دعوت کرد، دستور داد هر دو نفر در کنار سفره یا طبق غذا قرار گیرند، آنها چنین برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۳۷

کردند، در این هنگام «بنیامین» که تنها مانده بود گریه را سر داد و گفت: اگر برادرم یوسف زنده بود، مرا با خود بر سر یک سفره مینشاند، چرا که از یک پدر و مادر بودیم.

یوسف رو به آنها کرد و گفت: مثل این که برادر کوچکتان تنها مانده است؟

من برای رفع تنهائیش او را با خودم بر سر یک سفره می نشانم! سپس دستور داد برای هر دو نفر یک اتاق خواب مهیا کردند، باز «بنیامین» تنها ماند، یوسف گفت: او را نزد من بفرستید، در این هنگام یوسف برادرش را نزد خود جای داد، اما دید او بسیار ناراحت و نگران است و دائما به یاد برادر از دسته رفته ش یوسف می باشد، در اینجا پیمانه صبر یوسف لبریز شد و پرده از روی حقیقت برداشت، چنانکه قرآن می گوید: «هنگامی که وارد بر یوسف شدند او برادرش را نزد خود جای داد و گفت: من همان برادرت یوسفم، غم مخور و اندوه به خویش راه مده و از کارهایی که اینها می کنند نگران مباش»! (وَ لَمَّا دَخَلُوا عَلی یُوسُفَ آوی إِلَیْهِ أَخاهُ قالَ إِنِّی أَنَا أَخُوکَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ).

منظور از کارهای برادران که «بنیامین» را ناراحت می کرده است، بیمهریهایی است که نسبت به او و یوسف داشتند، و نقشههایی که برای طرد آنها از خانواده کشیدند.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٧٠ ص: ٤٣٧

(آیه ۷۰) - در این هنگام طبق بعضی از روایات، یوسف به برادرش بنیامین گفت: آیا دوست داری نزد من بمانی؟ او گفت آری ولی برادرانم هر گز راضی نخواهند شد. یوسف گفت: غصه مخور من نقشهای می کشم که آنها ناچار شوند تو را نزد من بگذارند، «سپس هنگامی که بارهای غلات را برای برادران آماده ساخت پیمانه گران قیمت مخصوص را، درون بار برادرش بنیامین گذاشت چون برای هر کدام باری از غلّه می داد (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقایَةَ فِی رَحْلِ أُخِیهِ).

البته این کار در خفا انجام گرفت، و شاید تنها یک نفر از مأموران، بیشتر از آن آگاه نشد، در این هنگام مأموران کیل مواد غذایی مشاهده کردند که اثری از پیمانه مخصوص و گران قیمت نیست، در حالی که قبلا در دست آنها بود: لذا همین که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۳۸

قافله آماده حرکت شد، «ندا دهندهای فریاد زد: ای اهل قافله! شما سارق هستید»! (ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَیَّتُهَا الْعِیرُ إِنَّکُمْ لَسارِقُونَ). برادران یوسف که این جمله را شنیدند، سخت تکان خوردند و وحشت کردند، چرا که هر گز چنین احتمالی به ذهنشان راه نمی یافت که بعد از این همه احترام و اکرام، متهم به سرقت شوند!

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۱ ص: ۴۳۸

(آیه ۷۱)– لذا «رو به آنها کردند و گفتند: مگر چه چیز گم کردهاید»؟ (قالُوا وَ أَقْبُلُوا عَلَيْهِمْ ما ذا تَفْقِدُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۲ ص: ۴۳۸

(آيه ۷۲)– «گفتند: ما پيمانه سلطان را گم كردهايم» و نسبت به شما ظنين هستيم (قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ).

و از آنجا که پیمانه، گران قیمت و مورد علاقه ملک بوده است، «هر کس آن را بیابد و بیاورد، یک بار شتر به او جایزه خواهیم داد» (وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِیرِ).

سپس گوینده این سخن برای تأکید بیشتر گفت: «و من شخصا این جایزه را تضمین می کنم» (وَ أَنَا بِهِ زَعِیمٌ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۳ ص: ۴۳۸

(آیه ۷۳) – برادران که سخت از شنیدن این سخن نگران و دستپاچه شدند، و نمیدانستند جریان چیست؟ رو به آنها کرده «گفتند: به خدا سوگند شما میدانید ما نیامده ایم در اینجا فساد کنیم و ما هیچ گاه سارق نبوده ایم» (قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِی الْأَرْضِ وَ ما کُنَّا سارِقِینَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۴ ص: ۴۳۸

(آیه ۷۴)– در این هنگام مأموران رو به آنها کرده «گفتنـد: اگر شـما دروغ بگوییـد جزایش چیست؟» (قالُوا فَما جَزاؤُهُ إِنْ کُنْتُمْ کاذِبِینَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۵ ص: ۴۳۸

(آیه ۷۵) – و آنها در پاسخ «گفتند: جزایش این است که هر کس پیمانه ملک، در بار او پیدا شود خودش را، توقیف کنید و به جای آن بردارید» (قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِی رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ).

«آرى ما اين چنين ستمكاران را كيفر مىدهيم» (كَذلِكُ نَجْزِى الظَّالِمِينَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۶ ص: ۴۳۸

(آیه ۷۶)– در این هنگام یوسف دستور داد که بارهای آنها را بگشاینـد و یک یک بازرسـی کننـد، منتها برای این که طرح و نقشه اصلی یوسف معلوم نشود، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۳۹

«نخست بارهای دیگران را قبل از بار برادرش (بنیامین) بازرسی کرد و سپس پیمانه مخصوص را از بار برادرش بیرون آورد» (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَحْرَجَها مِنْ وعاءِ أَخِيهِ).

همین که پیمانه در بار بنیامین پیدا شد، دهان برادران از تعجب باز ماند، گویی کوهی از غم و اندوه بر آنان فرود آمد. از یک سو برادر آنها ظاهرا مرتکب چنین سرقتی شده و مایه سرشکستگی آنهاست، و از سوی دیگر موقعیت آنها را نزد عزیز مصر به خطر میاندازد، و از همه اینها گذشته پاسخ پدر را چه بگویند؟

چگونه او باور می کند که برادران تقصیری در این زمینه نداشتهاند؟

سپس قرآن چنین اضافه می کند که: «ما این گونه برای یوسف، طرح ریختیم» (کَهذلِکُ کِهْنا لِیُوسُفَ). تا برادر خود را به گونهای که برادران دیگر نتوانند مقاومت کنند نزد خود نگاه دارد.

مسأله مهم اینجاست که اگر یوسف میخواست طبق قوانین مصر با برادرش بنیامین رفتار کند میبایست او را مضروب سازد و به زندان بیفکند. لذا قبلا از برادران اعتراف گرفت که اگر شما دست به سرقت زده باشید، کیفرش نزد شما چیست؟ آنها هم طبق سنتی که داشتند پاسخ دادند که در محیط ما شخص سارق را در برابر سرقتی که کرده بر میدارند، و یوسف طبق همین برنامه با آنها رفتار کرد، چرا که یکی از طرق کیفر مجرم آن است که او را طبق قانون و سنت خودش کیفر دهند.

به همین جهت قرآن می گوید: «یوسف نمی توانست برادرش را طبق آیین ملک مصر بر دارد» و نزد خود نگهـدارد (مـا کــانَ لِیَأْخُذَ أَخاهُ فِی دِین الْمَلِکِ).

سپس به عنوان یک استثناء می فرماید: «مگر این که خداوند بخواهد: (إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ).

اشاره به این که: این کاری که یوسف انجام داد و با برادران همانند سنت خودشان رفتار کرد طبق فرمان الهی بود، و نقشهای بود برای حفظ برادر، و تکمیل آزمایش پدرش یعقوب، و آزمایش برادران دیگر! برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴۰ و در پایان اضافه می کند: «ما درجات هر کس را بخواهیم بالا می بریم» (نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ). درجات کسانی که شایسته باشند و همچون یوسف از بوته امتحانات، سالم به در آیند.

«و در هر حال برتر از هر صاحب علمي عالمي است» يعني خدا، (وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْم عَلِيمٌ).

و هم او بود که طرح این نقشه را به یوسف الهام کرده بود.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۷ ص: ۴۴۰

(آیه ۷۷)– برادران سر انجام باور کردنـد که برادرشان «بنیامین» دست به سرقت زشت و شومی زده است، و سابقه آنها را نزد

عزیز مصر بکلی خراب کرده است و لـذا برای این که خود را تبرئه کننـد «گفتنـد: اگر او [بنیـامین] دزدی کنـد (چیز عجیبی نیست، چرا که) برادرش (یوسف) نیز قبلا مرتکب دزدی شـده است» که هر دو از یک پدر و مادرند و حساب آنها از ما که از مادر دیگری هستیم جدا است! (قالُوا إِنْ یَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخُ لَهُ مِنْ قَبْلُ).

یوسف از شنیدن این سخن سخت ناراحت شد و «آن را در دل مکتوم داشت، و برای آنها آشکار نساخت» (فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِها لَهُمْ).

چرا که او میدانست آنها با این سخن، مرتکب تهمت بزرگی شدهاند، ولی با پاسخ آنها نپرداخت، همین اندازه سر بسته به آنها «گفت: «شما (از دیدگاه من،) از نظر منزلت بدترین مردمید» (قالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكاناً).

سپس افزود: «و خداوند از آنچه توصیف می کنید، آگاهتر است» (وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ). ط

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۸ ص: ۴۴۰

(آیه ۷۷) – هنگامی که برادران دیدند برادر کوچکشان بنیامین طبق قانونی که خودشان آن را پذیرفتهاند میبایست نزد عزیز مصر بماند و از سوی دیگر با پدر پیمان بستهاند که حدّ اکثر کوشش خود را در حفظ و بازگرداندن بنیامین به خرج دهند، رو به سوی یوسف که هنوز برای آنها ناشناخته بود کردند و «گفتند: ای عزیز مصر! و ای زمامدار بزرگوار، او پدری دارد پیر و سالخورده (که قدرت بر تحمل فراق او را ندارد ما طبق اصرار تو او را از پدر جدا کردیم و او از ما پیمان مؤکد گرفته برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴۱

که به هر قیمتی هست، او را بــازگردانیم، بیا بزرگواری کن) و یکی از ما را به جای او بگیر» (قالُوا یا أَیُّهَا الْعَزِیزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَــیْخاً کَبیراً فَخُذْ أَحَدَنا مَکانَهُ).

«چرا که ما تو را از نیکوکاران میبینیم» (إِنَّا نَراکَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ). و این اولین بار نیست که نسبت به ما محبت فرمودی بیا و محبت خود را با این کار تکمیل فرما.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۷۹ ص: ۴۴۱

(آیه ۷۹)– یوسف این پیشنهاد را شدیدا نفی کرد و «گفت: پناه بر خدا (چگونه ممکن است) ما کسی را جز آن کس که متاع خود را نزد او یـافتهایم بگیریم» هرگز شـنیدهایـد آدم بـا انصـافی، بیگناهی را به جرم دیگری مجازات کنـد؟ (قالَ مَعاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ).

«اگر چنين كنيم مسلما ظالم خواهيم بود» (إِنَّا إِذاً لَظالِمُونَ).

قابل توجه این که یوسف در این گفتار خود هیچ گونه نسبت سرقت به برادر نمی دهـ د بلکه از او تعبیر می کنـ د به کسـی که متاع خود را نزد او یافته ایم، و این دلیل بر آن است که او دقیقا توجه داشت که در زندگی هرگز خلاف نگوید.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۰ ص: ۴۴۱

(آیه ۸۰)- برادران سر افکنده به سوی پدر بازگشتند: برادران آخرین تلاش و کوشش خود را برای نجات بنیامین کردند، ولی تمام راهها را به روی خود بسته دیدند. لذا مأیوس شدند و تصمیم به مراجعت به کنعان و گفتن ماجرا برای پدر را گرفتند، قرآن می گوید: «هنگامی که آنها (از عزیز مصر یا از نجات برادر) مأیوس شدند به گوشهای آمدند و خود را از دگران جدا ساختند و به نجوا و سخنان در گوشی پرداختند» (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا).

به هر حال، «برادر بزرگتر (در آن جلسه خصوصی به آنها) گفت: مگر نمیدانید که پـدرتان از شـما پیمان الهی گرفته است» که بنیامین را به هر قیمتی که ممکن است بازگردانید (قالَ کَبِیرُهُمْ أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَیْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ).

> و شما همان کسانی هستید که: «پیش از این نیز در باره یوسف، کوتاهی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴۲ کردید» و سابقه خود را نزد پدر بد نمودید (وَ مِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِی یُوسُفَ).

«حال که چنین است، من از جای خود- یا از سرزمین مصر- حرکت نمی کنم (و به اصطلاح در اینجا متحصن می شوم) مگر این که پدرم به من اجازه دهد، و یا خداوند فرمانی در باره من صادر کند که او بهترین حاکمان است» (فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّی يَأْذَنَ لِی أَبِی أَوْ يَحْکُمَ اللَّهُ لِی وَ هُوَ خَيْرُ الْحاکِمِينَ).

منظور از این فرمان، یا فرمان مرگ است و یا راه چارهای است که خداوند پیش بیاورد و یا عذر موجهی که نزد پدر بطور قطع پذیرفته باشد.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٨١ ص: ۴۴٢

(آیه ۸۱)- سپس برادر بزرگتر به سایر برادران دستور داد که «شما به سوی پـدر بازگردیـد و بگویید: پدر! فرزندت دست به دزدی زد»! (ارْجِعُوا إِلی أَبِیکُمْ فَقُولُوا یا أَبانا إِنَّ ابْنَکَ سَرَقَ).

«و این شهادتی را که ما میدهیم به همان مقداری است که ما آگاه شدیم» (وَ ما شَهِدْنا إِلَّا بِما عَلِمْنا).

همین اندازه ما دیدیم پیمانه ملک را از بار برادرمان خارج ساختند، که نشان میداد او مرتکب سرقت شده است، و اما باطن امر با خداست.

«و ما از غيب خبر نداشتيم» (وَ ما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۲ ص: ۴۴۲

(آیه ۸۲)– سپس برای اینکه هرگونه سوء ظن را از پـدر دور سازنـد و او را مطمئن کنند که جریان امر همین بوده، نه کم و نه زیاد، گفتند: «برای تحقیق بیشتر از شهری که ما در آن بودیم سؤال کن» (وَ سْئَلِ الْقَرْیَةُ الَّتِی کُنَّا فِیها).

«و همچنین از قافلهای که با آن قافله به سوی تو آمدیم» و طبعا افرادی از سرزمین کنعان و از کسانی که تو بشناسی در آن وجود دارد، می توانی حقیقت حال را بپرس (وَ الْعِیرَ الَّتِی أَقْبَلْنا فِیها).

و به هر حال «مطمئن باش که ما در گفتار خود صادقیم و جز حقیقت چیزی نمی گوییم» (وَ إِنَّا لَصادِقُونَ).

از مجموع این سخن استفاده می شود که مسأله سرقت بنیامین در مصر پیچیده بوده که کاروانی از کنعان به آن سرزمین آمده و از میان آنها یک نفر قصد برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴۳

داشته است پیمانه ملک را با خود ببرد که مأموران ملک به موقع رسیدهاند و پیمانه را گرفته و شخص او را بازداشت کردهاند.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۳ ص: ۴۴۳

(آیه ۸۳) – برادران از مصر حرکت کردند در حالی که برادر بزرگتر و کوچکتر را در آنجا گذاردند، و با حال پریشان و نزار به کنعان بازگشتند و به خدمت پدر شتافتند، پدر که آثار غم و اندوه را در بازگشت از این سفر به عکس سفر سابق – بر چهرههای آنها مشاهده کرد فهمید آنها حامل خبر ناگواری هستند، بخصوص این که اثری از «بن یامین» و برادر بزرگتر در میان آنها نبود، و هنگامی که برادران جریان حادثه را بی کم و کاست، شرح دادند یعقوب برآشفت، رو به سوی آنها کرده «گفت:

هوسهای نفسانی شما، مسأله را در نظرتان چنین منعکس ساخته و تزیین داده است»! (قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَکُمْ أَنْفُسُکُمْ أَمْراً). سپس یعقوب به خویشتن بازگشت و گفت: من زمام صبر را از دست نمیدهم و «شکیبایی نیکو خالی از کفران میکنم» (فَصَبْرٌ جَمیلٌ).

«امیدوارم خداوند همه آنها (یوسف و بن یامین و فرزند بزرگم) را به من بازگرداند» (عَسَی اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِی بِهِمْ جَمِيعاً). «چرا که او دانا و حکیم است» (إنَّهُ هُوَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ).

از درون دل همه آگاه است و از همه حوادثی که گذشته و می گذرد با خبر به علاوه او حکیم است و هیچ کاری را بدون حساب نمی کند.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۴ ص: ۴۴۳

(آیه ۸۴) - در این حال غم و اندوهی سراسر وجود یعقوب را فرا گرفت و جای خالی بن یامین همان فرزندی که مایه تسلی خاطر او بود، وی را به یاد یوسف عزیزش افکند، به یاد دورانی که این فرزند برومند با ایمان باهوش زیبا در آغوشش بود و استشمام بوی او هر لحظه زندگی و حیات تازهای به پدر می بخشید، اما امروز نه تنها اثری از او نیست بلکه جانشین او بن یامین نیز به سرنوشت دردناک و مبهمی همانند او گرفتار شده است، «در این هنگام روی از فرزندان برتافت و گفت: وا اسفا بر یوسف»! (وَ تَوَلَّی عَنْهُمْ وَ قالَ یا أَسَفی عَلی یُوسُفَ).

این حزن و اندوه مضاعف، سیلاب اشک را، بی اختیار از چشم یعقوب برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴۴ جاری می ساخت تا آن حد که «چشمان او از این اندوه سفید و نابینا شد» (وَ ابْیُضَّتْ عَیْناهُ مِنَ الْحُزْنِ).

و اما با این حال سعی می کرد، خود را کنترل کند و خشم را فرو بنشاند و سخنی برخلاف رضای حق نگوید «او مرد با حوصله و بر خشم خویش مسلّط بود» (فَهُوَ کَظِیمٌ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۵ ص: ۴۴۴

(آیه ۸۵)- برادران که از مجموع این جریانها، سخت ناراحت شده بودند، از یک سو وجدانشان به خاطر داستان یوسف معذب بود، و از سوی دیگر به خاطر بن یامین خود را در آستانه امتحان جدیدی میدیدند، و از سوی سوم نگرانی مضاعف پدر بر آنها، سخت و سنگین بود، با ناراحتی و بیحوصلگی، به پدر «گفتند: به خدا سوگند تو آنقدر یاد یوسف می کنی تا در آستانه مرگ قرار گیری یا هلاک گردی» (قالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُّا تَذْكُرُ یُوسُفَ حَتَّی تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِینَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۶ ص: ۴۴۴

(آیه ۸۶)- اما پیر کنعان آن پیامبر روشن ضمیر در پاسخ آنها «گفت: (من شکایتم را به شما نیاوردم که چنین می گویید) من غم و اندوهم را نزد خدا میبرم و به او شکایت می آورم»الَ إِنَّما أَشْکُوا بَتِّی وَ حُزْنِی إِلَی اللَّهِ) «و از خدایم (لطفها و کرامتها و) چیزهایی سراغ دارم که شما نمی دانید»َ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ)

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۷ ص: ۴۴۴

(آیه ۸۷)- بکوشید و مأیوس نشوید که یأس نشانه کفر است» قحطی در مصر و اطرافش از جمله کنعان بیداد می کرد، دگر بار یعقوب فرزندان را دستور به حرکت کردن به سوی مصر و تأمین مواد غذایی می دهد، ولی این بار در سرلوحه خواسته هایش جستجو از یوسف و برادرش بن یامین را قرار می دهد و می گوید:

«فرزندانم برويد و از يوسف و برادرش جستجو كنيد» (يا يَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ).

و از آنجا که فرزندان تقریبا اطمینان داشتند که یوسفی در کار نمانده، و از این توصیه و تأکید پدر تعجب می کردند، یعقوب به آنها گوشزد می کند: «از رحمت برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴۵

الهي هيچ گاه مأيوس نشويد» كه قدرت او مافوق همه مشكلات و سختيهاست (وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ).

«چرا که جز کافران بی ایمان (که از قدرت خدا بی خبرند) از رحمتش مأیوس نمی شوند» (إِنَّهُ لاَ يَیْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْکافِرُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۸ ص: ۴۴۵

(آیه ۸۸)- به هر حال فرزندان یعقوب بارها را بستند و روانه مصر شدند و این سومین مرتبه است که آنها به این سرزمین پرحادثه وارد می شوند.

در این سفر بر خلاف سفرهای گذشته یک نوع احساس شرمندگی روح آنها را آزار میده، چرا که سابقه آنها در مصر و نزد عزیز، سخت آسیب دیده، و شاید بعضی آنها را به عنوان «گروه سارقان کنعان» بشناسند، تنها چیزی که در میان انبوه این مشکلات و ناراحتیهای جانفرسا مایه تسلی خاطر آنهاست، همان جمله اخیر پدر است که میفرمود: از رحمت خدا مأیوس نباشید که هر مشکلی برای او سهل و آسان است.

«پس هنگامی که آنها وارد بر یوسف شدنـد، (با نهایت ناراحتی رو به سوی او کردنـد و) گفتنـد: ای عزیز! ما و خانـدان ما را قحطی و ناراحتی و بلا فراگرفته است» (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَیْهِ قالُوا یا أَیُّهَا الْعَزِیزُ مَسَّنا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ).

«و تنها متاع كم و بىارزشى همراه آوردهايم» (وَ جِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ).

اما با این حال به کرم و بزرگواری تو تکیه کردهایم «و انتظار داریم که پیمانه ما را بطور کامل وفا کنی» (فَأَوْفِ لَنَا الْکَیْلَ). و در این کار «بر ما منت گذار و تصدق کن» (وَ تَصَدَّقْ عَلَیْنا).

و پاداش خود را از ما مگیر، بلکه از خدایت بگیر «چرا که خداوند کریمان و متصدقان را پاداش خیر می دهد» (إِنَّ اللَّهَ یَجْزِی الْمُتَصَدِّقِینَ).

جالب این که برادران یوسف، با این که پدر تأکید داشت در باره یوسف و برادرش به جستجو برخیزید به این گفتار چندان توجه نکردند، و نخست از عزیز مصر تقاضای مواد غذایی نمودند، شاید چندان امیدی به پیدا شدن یوسف نداشتند، و یا فکر کردند تقاضای آزاد ساختن برادر را تحت الشعاع نمایند تا تأثیر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴۶ بیشتری در عزیز مصر داشته باشد.

در روایات میخوانیم که برادران حامل نامهای از طرف پدر برای عزیز مصر بودند که در آن نامه، یعقوب، ضمن تمجید از عدالت و دادگری و محبتهای عزیز مصر، نسبت به خاندانش، و سپس معرفی خویش و خاندان نبوتش، ناراحتیهای خود را به خاطر از دست دادن فرزندش یوسف و فرزند دیگرش بن یامین و گرفتاریهای ناشی از خشکسالی را برای عزیز مصر شرح داده بود.

و در پایان نامه از او خواسته بود که بن یامین را آزاد کند. چرا که هرگز سرقت و مانند آن در خاندان ما نبوده و نخواهد بود. هنگامی که برادرها نامه پـدر را به دست عزیز میدهنـد، نـامه را گرفته و میبوسـد و بر چشـمان خویش میگـذارد، و گریه میکند، آنچنان که قطرات اشک بر پیراهنش میریزد.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۸۹ ص: ۴۴۶

(آیه ۸۹) - در این هنگام که دوران آزمایش به سر رسیده بود و یوسف نیز سخت، بی تاب و ناراحت به نظر میرسید، برای معرفی خویش از اینجا سخن را آغاز نمود، رو به سوی برادران کرد «گفت: هیچ می دانید شما در آن هنگام که جاهل و نادان بودید به یوسف و برادرش چه کردید» (قالَ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِیُوسُفَ وَ أَخِیهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ).

عزیز مصر، گفتارش را با تبسمی پایان داد، این تبسم سبب شد دندانهای زیبای یوسف در برابر برادران کاملا آشکار شود، خوب که دقت کردند دیدند عجب شباهتی با دندانهای برادرشان یوسف دارد.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٩٠ ص: ۴۴۶

(آیه ۹۰)– مجموع این جهات، دست به دست هم داد، از یک سو میبینند عزیز مصر، از یوسف و بلاهایی که برادران بر سر او آوردند و هیچ کس جز آنها و یوسف از آن خبر نداشت سخن می گوید.

از سوی دیگر نامه یعقوب، آنچنان او را هیجان زده می کند که گویی نزدیکترین رابطه را با او دارد.

و از سوی سوم، هر چه در قیافه و چهره او بیشتر دقت می کنند شباهت او را بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴۷

با برادرشان یوسف بیشتر می بینند، اما در عین حال نمی توانند باور کنند که یوسف بر مسند عزیز مصر تکیه زده است، او کجا و اینجا کجا؟! لذا با لحنی آمیخته با تردید «گفتند: آیا تو خود یوسف هستی»؟ (قالُوا أَ إِنَّکَ لَأَنْتَ یُوسُفُ).

لحظه ها با سرعت می گذشت، ولی یوسف نگذارد این زمان، زیاد طولانی شود به ناگاه پرده از چهره حقیقت برداشت، «گفت: آری منم یوسف! و این برادرم بن یامین است»! (قالَ أَنَا یُوسُفُ وَ هذا أَخِی).

ولى براى اين كه شكر نعمت خدا را كه اين همه موهبت به او ارزانى داشته به جا آورده باشد و ضمنا درس بزرگى به برداران بدهد اضافه كرد: «خداوند بر ما منت گذارده هر كس تقوا پيشه كند و شكيبايى داشته باشد (خداوند پاداش او را خواهد داد) چرا كه خدا اجر نيكوكاران را ضايع نمىكند» (قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٩١ ص: 44٧

(آیه ۹۱) - در این لحظات حساس برادران که خود را سخت شرمنده می بینند نمی توانند درست به صورت یوسف نگاه کنند، آنها در انتظار این هستند که ببینند آیا گناه بزرگشان قابل اغماض و بخشش است یا نه، لذا رو به سوی برادر کرده «گفتند: به خدا سو گند خداوند تو را بر ما مقدم داشته است» و از نظر علم و حلم و عقل و حکومت، فضیلت بخشیده (قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرُکَ اللَّهُ عَلَیْنا).

«هر چند ما خطاكار و گنه كار بوديم» (وَ إِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٩٢ ص: 44٧

(آیه ۹۲) – اما یوسف که حاضر نبود این حال شرمندگی برادران مخصوصا به هنگام پیروزیش ادامه یابد، بلافاصله با این جمله به آنها امنیت و آرامش خاطر داد و «گفت: امروز هیچ گونه سرزنش و توبیخی بر شما نخواهد بود» (قالَ لاـ تَثْرِیبَ عَلَیْکُمُ الْیَوْمَ).

فکرتان آسوده، و وجدانتان راحت باشد، و غم و اندوهی از گذشته به خود راه ندهید، سپس برای این که به آنها خاطر نشان کند که نه تنها حق او بخشوده شده است، بلکه حق الهی نیز در این زمینه با این ندامت و پشیمانی قابل بخشش است، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴۸

افزود: «خداوند شما را مى بخشد، چرا كه او ارحم الراحمين است» (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ).

و این دلیل بر نهایت بزرگواری یوسف است که نه تنها از حق خود گذشت، بلکه از نظر حق الله نیز به آنها اطمینان داد که خداوند غفور و بخشنده است.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۹۳ ص: ۴۴۸

(آیه ۹۳) - در اینجا غم و اندوه دیگری بر دل برادران سنگینی می کرد و آن این که پدر بر اثر فراق فرزندانش نابینا شده و ادامه این حالت، رنجی است جانکاه برای همه خانواده، به علاوه دلیل و شاهد مستمری است بر جنایت آنها، یوسف برای حل این مشکل بزرگ نیز چنین گفت: «این پیراهن مرا ببرید و بر صورت پدرم بیفکنید تا بینا شود» (اذْهَبُوا بِقَمِیصِة ی هذا فَأَلْقُوهُ عَلی وَجْهِ أَبِی یَأْتِ بَصِیراً).

«و سپس با تمام خانواده به سوى من بياييد» (وَ أُتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ).

در پارهای از روایات آمده که یوسف گفت: آن کسی که پیراهن شفا بخش من را نزد پدر میبرد باید همان باشد که پیراهن خون آلود را نزد او برده بود لذا این کار به «یهودا» سپرده شد، زیرا او گفت من آن کسی بودم که پیراهن خونین را نزد پدر بردم و گفتم فرزندت را گرگ خورده.

ضمنا آیات فوق این درس مهم اخلاقی و دستور اسلامی را به روشنترین وجهی به ما می آموزد که به هنگام پیروزی بر دشمن، انتقامجو و کینه توز نباشید.

همانطور که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله بعـد از فتـح مکّه به مخالفان گفت: من در باره شـما همان می گویم که برادرم

یوسف در باره برادرانش به هنگام پیروزی گفت: لا تثریب علیکم الیوم: «امروز روز سرزنش و ملامت و توبیخ نیست»!

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۹۴ ص: ۴۴۸

(آیه ۹۴) – سر انجام لطف خدا کار خود را کرد! فرزندان یعقوب در حالی که از خوشحالی در پوست نمی گنجیدند، پیراهن یوسف را با خود برداشته، همراه قافله از مصر حرکت کردند «هنگامی که کاروان (از سرزمین مصر) جدا شد، پدرشان (یعقوب) گفت: من بوی یوسف را احساس می کنم، اگر مرا به نادانی و کم عقلی نسبت ندهید» اما گمان نمی کنم شما این سخنان را باور کنید (وَ لَمَّا فَصَلَتِ الْعِیرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّی لَأَجِدُ رِیحَ یُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴۹

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٩٥ ص: ۴۴٩

(آیه ۹۵)– اطرافیان یعقوب که قاعدتا نوهها و همسران فرزندان او و مانند آنان بودند با کمال تعجب و گستاخی رو به سوی او کردند و با قاطعیت «گفتند:

به خدا سو گند تو در همان گمراهی قدیمت هستی»! (قالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِی ضَلالِكَ الْقَدِیم).

مصر کجا، شام و کنعان کجا؟ آیا این دلیل بر آن نیست که تو همواره در عالم خیالات غوطهوری، و پندارهایت را واقعیت می پنداری، این چه حرف عجیبی است! اما این گمراهی تازگی ندارد، قبلا هم به فرزندانت گفتی بروید به مصر و از یوسفم جستجو کنید! و از اینجا روشن می شود که منظور از ضلالت، گمراهی در عقیده نبوده، بلکه گمراهی در تشخیص مسائل مربوط به یوسف بوده است.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۹۶ ص: ۴۴۹

(آیه ۹۶)- بعد از چندین شبانه روز که معلوم نیست بر یعقوب چه اندازه گذشت، یک روز صدا بلند شد بیایید که کاروان کنعان از مصر آمده است، فرزندان یعقوب برخلاف گذشته شاد و خندان وارد شهر شدند، و با سرعت به سراغ خانه پدر رفتند و قبل از همه «بشیر»- همان بشارت دهنده وصال و حامل پیراهن یوسف- نزد یعقوب پیر آمد و پیراهن را بر صورت او افکند، یعقوب که چشمان بی فروغش توانایی دیدن پیراهن را نداشت، همین اندازه احساس کرد که بوی آشنایی از آن به مشام جانش می رسد.

هیجان عجیبی سر تا پای پیرمرد را فراگرفته است، ناگهان احساس کرد، چشمش روشن شد، همه جا را می بیند و دنیا با زیبائیهایش بار دیگر در برابر چشم او قرار گرفتهاند چنانکه قرآن می گوید: «هنگامی که بشارت دهنده آمد آن (پیراهن) را بر صورت او افکند ناگهان بینا شد»! (فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِیرُ أَلْقاهُ عَلی وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِیراً).

برادران و اطرافیان، اشک شوق و شادی ریختند، و یعقوب با لحن قاطعی به آنها «گفت: آیا نگفتم من از خدا چیزهایی سراغ دارم که شما نمیدانید»؟! (قالَ أَ لَمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۵۰

أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ)

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٩٧ ص: ۴۵٠

(آیه ۹۷) – این معجزه شگفت انگیز برادران را سخت در فکر فرو برد، لحظه ای به گذشته تاریک خود اندیشیدند، و چه خوب است که انسان هنگامی که به اشتباه خود پی برد فورا به فکر اصلاح و جبران بیفتد، همان گونه که فرزندان یعقوب دست به دامن پدر زدند و «گفتند پدر جان از خدا بخواه که گناهان و خطاهای ما را ببخشد» (قالُوا یا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا). «چرا که ما گناهکار و خطاکار بودیم» (إِنَّا کُنَّا خاطِئِینَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۹۸ ص: ۴۵۰

اشاره

(آیه ۹۸)– پیرمرد بزرگوار که روحی همچون اقیانوس وسیع و پرظرفیت داشت بی آنکه آنها را ملامت و سرزنش کند «به آنها وعده داد و «گفت: من به زودی برای شما از پروردگار مغفرت می طلبم» (قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَکُمْ رَبِّی).

در روایات وارد شده که هدفش این بوده است که انجام این تقاضا را به سحرگاهان شب جمعه که وقت مناسبتری برای اجابت دعا و پذیرش توبه است، به تأخیر اندازد.

و امیدوارم او توبه شما را بپذیرد و از گناهانتان صرف نظر کند «چرا که او غفور و رحیم است» (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ). از این دو آیه استفاده می شود که توسّل و تقاضای استغفار از دیگری نه تنها منافات با توحید ندارد، بلکه راهی است برای رسیدن به لطف پروردگار، و گر نه چگونه ممکن بود یعقوب پیامبر، تقاضای فرزندان را دائر به استغفار برای آنان بپذیرد، و به توسل آنها پاسخ مثبت دهد.

پایان شب سیه – ص : 4۵۰

درس بزرگی که آیات فوق به ما میدهد این است که مشکلات و حوادث هر قدر سخت و دردناک باشد و اسباب و علل ظاهری هر قدر، محدود و نارسا گردد و پیروزی و گشایش و فرج هر اندازه به تأخیر افتد، هیچ کدام از اینها نمی توانند مانع از امید به لطف پروردگار شوند، همان خداوندی که چشم نابینا را با پیراهنی روشن میسازد و بوی پیراهنی را از فاصله دور به نقاط دیگر منتقل می کند، و عزیز گمشدهای را پس از سالیان دراز باز می گرداند، دلهای مجروح از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۵۱

فراق را مرهم مینهد، و دردهای جانکاه را شفا میبخشد.

آری! در این تاریخ و سرگذشت این درس بزرگ توحید و خداشناسی نهفته شده است که هیچ چیز در برابر اراده خدا مشکل و پیچیده نیست.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ٩٩ ص: ٤٥١

(آیه ۹۹) – سر انجام کار یوسف و یعقوب و برادران: با فرا رسیدن کاروان حامل بزرگترین بشارت از مصر به کنعان طبق توصیه یوسف باید این خانواده به سوی مصر حرکت کند، مقدمات سفر از هر نظر فراهم گشت، یعقوب را بر مرکب سوار کردند، در حالی که لبهای او به ذکر و شکر خدا مشغول بود.

این سفر- برخلاف سفرهای گذشته- خالی از هرگونه دغـدغه بود، و حتی اگر خود سفر رنجی میداشت، این رنج در برابر آنچه در مقصد در انتظارشان بود قابل توجه نبود که:

وصال کعبه چنان میدواندم بشتاب که خارهای مغیلان حریر می آید! هر چه بود گذشت، و آبادیهای مصر از دور نمایان گشت.

اما همان گونه که روش قرآن است، این مقدمات را که با کمی اندیشه و تفکر روشن می شود، حذف کرده و در این مرحله چنین می گوید: «هنگامی که وارد بر یوسف شدند، یوسف پدر و مادرش را در آغوش فشرد» (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَی یُوسُفَ آوی إِلَيْهِ أَبَوَیْهِ).

سر انجام شیرین ترین لحظه زندگی یعقوب، تحقق یافت و در این دیدار و وصال که بعد از سالها فراق، دست داده بود لحظاتی بر یعقوب و یوسف گذشت که جز خدا هیچ کس نمی داند آن دو چه احساساتی در این لحظات شیرین داشتند.

سپس یوسف «به همگی گفت: در سرزمین مصر قدم بگذارید که به خواست خدا همه، در امنیت کامل خواهید بود» (وَ قالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِینَ).

چرا که مصر در حکومت یوسف امن و امان شده بود.

از این جمله استفاده می شود که یوسف به استقبال پـدر و مـادر تا بیرون دروازه شـهر آمـده بود، و شایـد از جمله «دخلوا علی یوسف» استفاده شود که دستور برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۵۲

داده بود در آنجا خیمه ها برپا کنند و از پدر و مادر و برادران پذیرایی مقدماتی به عمل آورند.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۰۰ ص: ۴۵۲

(آیه ۱۰۰)– هنگامی که وارد بارگاه یوسف شدند، «او پدر و مادرش را بر تخت نشاند» (وَ رَفَعَ أَبَوَیْهِ عَلَی الْعَرْشِ).

عظمت این نعمت الهی و عمق این موهبت و لطف پروردگار، آنچنان برادران و پـدر و مادر را تحت تأثیر قرار داد که «همگی در برابر او به سجده افتادند» (وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً).

البته سجده به معنی پرستش و عبادت، مخصوص خداست لـذا در بعضی از احـادیث میخوانیم که: «سـجود آنهـا به عنوان اطاعت و عبادت پروردگار و تحیت و احترام به یوسف بوده است».

در این هنگام یوسف، رو به سوی پدر کرد «و عرض کرد: پدر جان! این همان تأویل خوابی است که از قبل (در آن هنگام که کودک خردسالی بیش نبودم) دیدم» (وَ قالَ یا أَبَتِ هذا تَأْوِیلُ رُءْیایَ مِنْ قَبْلُ).

مگر نه این است که در خواب دیده بودم خورشید و ماه، و یازده ستاره در برابر من سجده کردند.

ببین همان گونه که تو پیش بینی می کردی «خداوند این خواب را به واقعیت مبدل ساخت» (قَدْ جَعَلَها رَبِّی حَقًّا).

«و (پروردگار) به من لطف و نیکی کرد، آن زمانی که مرا از زندان خارج ساخت» (وَ قَدْ أَحْسَنَ بِی إِذْ أَخْرَجَنِی مِنَ السِّجْنِ). جالب این که در باره مشکلات زنـدگی خود فقط سـخن از زنـدان مصـر میگویـد اما به خاطر برادران، سـخنی از چاه کنعان نگفت! سپس اضافه کرد: خداونـد چقدر به من لطف کرد که «شـما را از آن بیابان کنعان به اینجا آورد بعد از آن که شـیطان در میان من و برادرانم فساد انگیزی نمود» (وَ جاءَ بِکُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِی وَ بَيْنَ إِخْوَتِی).

سر انجام می گوید: همه این مواهب از ناحیه خداست، «چرا که پروردگارم برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۵۳ کانون لطف است و هر چیز را بخواهد لطف می کند» (إِنَّ رَبِّی لَطِیفٌ لِما یَشاءُ).

کارهای بندگانش را تدبیر و مشکلاتشان را سهل و آسان میسازد.

او مىداند چه كسانى نيازمندند، و نيز چه كسانى شايستهاند، «چرا كه او عليم و حكيم است» (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ١٠١ ص: ٤٥٣

(آیه ۱۰۱)- سپس رو به درگاه مالک الملک حقیقی و ولی نعمت همیشگی نموده، به عنوان شکر و تقاضا می گوید: «پروردگارا! بخشی از یک حکومت وسیع به من مرحمت فرمودی» (رَبِّ قَدْ آتَیْتَنِی مِنَ الْمُلْکِ).

«و از علم تعبير خواب به من آموختى» (وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيل الْأَحادِيثِ).

و همین علم ظاهرا ساده چه دگرگونی در زنـدگانی من و جمع کثیری از بندگانت ایجاد کرد، و چه پربرکت است علم! «تویی که آسمانها و زمین را ابداع و ایجاد فرمودی» (فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

و به همین دلیل، همه چیز در برابر قدرت تو خاضع و تسلیم است.

پروردگارا! «تو ولى و ناصر و مدبر و حافظ من در دنيا و آخرتى» (أَنْتَ وَلِيِّى فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ).

«مرا مسلمان و تسليم در برابر فرمانت از اين جهان ببر» (تَوَفَّنِي مُسْلِماً).

«و مرا به صالحان ملحق كن» (وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ).

یعنی من دوام ملک و بقاء حکومت و زندگی مادیم را از تو تقاضا نمی کنم که اینها همه فانیند و فقط دورنمای دل انگیزی دارند، بلکه از تو میخواهم که عاقبت و پایان کارم به خیر باشد، و با ایمان و تسلیم و برای تو جان دهم، و در صف صالحان و شایستگان قرار گیرم.

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ١٠٢ ص: ۴۵٣

(آیه ۱۰۲)- با پایان گرفتن داستان یوسف با آن همه درسهای عبرت و آموزنده، و آن نتائج گرانبها و پربارش آن هم خالی از هرگونه گزافه گویی و خرافات تاریخی، قرآن روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده و می گوید: «اینها از خبرهای غیبی است که به تو وحی می فرستیم» (ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَیْبِ نُوحِیهِ إِلَیْکَ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۵۴ «تو هیچ گاه نزد آنها نبودی در آن هنگام که تصمیم گرفتند و نقشه می کشیدند» که چگونه آن را اجرا کنند (وَ ما کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ یَمْکُرُونَ).

بنابراین تنها وحی الهی است که این گونه خبرها را در اختیار تو گذارده است.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۰۳ ص: ۴۵۴

(آیه ۱۰۳)- با این حال مردم با دیدن این همه نشانه های وحی و شنیدن این اندرزهای الهی می بایست ایمان بیاورند و از راه

خطا بازگردند، ولی ای پیامبر «هر چند تو اصرار داشته باشی (بر این که آنها ایمان بیاورند) اکثرشان ایمان نمی آورند»! (وَ ما أَكْتَرُ النَّاس وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ).

سورهٔ يوسف(١٢): آيهٔ ۱۰۴ ص: ۴۵۴

(آیه ۱۰۴)- سپس اضافه می کند: اینها در واقع هیچ گونه عذر و بهانهای برای عدم پذیرش دعوت تو ندارند زیرا علاوه بر این که نشانههای حق در آن روشن است، «تو هرگز از آنها اجر و پاداشی در برابر آن نخواستهای» که آن را بهانه مخالفت نمایند (وَ ما تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أُجْرِ).

«این دعوتی است عمومی و همگانی و تذکری است برای جهانیان» و سفره گستردهای است برای عام و خاص و تمام انسانها! (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِینَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۰۵ ص: ۴۵۴

(آیه ۱۰۵)- آنها در واقع به این خاطر گمراه شدنـد که چشم باز و بینا و گوش شـنوا ندارنـد به همین جهت «بسـیاری از آیات خدا در آسـمانها و زمین وجود دارد که آنها از کنار آن می گذرند و از آن روی می گردانند» (وَ کَأَیِّنْ مِنْ آیَهٍٔ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ یَمُرُّونَ عَلَیْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ).

همین حوادثی را که همه روز با چشم خود مینگرند: اسرار این نظام شگرف، این طلوع و غروب خورشید، این غوغای حیات و زندگی در گیاهان، پرندگان، حشرات و انسانها، و این زمزمه جویباران، این همهمه نسیم و این همه نقش عجب که بر در و دیوار وجود است، به اندازهای آشکار میباشد که هر کس در آنها و خالقش نیندیشد، همچنان نقش بود بر دیوار!

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۰۶ ص: ۴۵۴

(آیه ۱۰۶) - در این آیه اضافه می کند: «و بیشتر آنها که مدعی ایمان به خدا هستند، مشر کند» و ایمانشان خالص نیست، بلکه آمیخته با شرک است» (وَ مَا یُؤْمِنُ أَکْتَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِکُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۵۵

ممكن است خودشان چنین تصور كنند كه مؤمنان خالصی هستند، ولی رگههای شرك در افكار و كردارشان غالبا وجود دارد و لذا در روایتی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم: «شرك در اعمال انسان مخفی تر است از حركت مورچه».

یک موحمد خالص کسی است که غیر از خمدا، معبودی به هیمچ صورت در دل و جان او نباشمد، گفتارش برای خدا، اعمالش برای خدا، و هر کارش برای او انجام پذیرد، قانونی جز قانون خدا را به رسمیت نشناسد.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۰۷ ص: ۴۵۵

(آیه ۱۰۷) - در این آیه به آنها که ایمان نیاوردهاند و از کنار آیات روشن الهی بیخبر می گذرند و در اعمال خود مشرکند، هشدار میدهد که: «آیا اینها خود را از این موضوع ایمن میدانند که عذاب فراگیر الهی (ناگهان و بدون مقدمه بر آنها نازل شود» و همه آنها را در بر گیرد (أَ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِیَهُمْ غاشِیَةٌ مِنْ عَذابِ اللَّهِ).

و «يا اين كه قيامت ناگهان فرا رســد (و دادگاه بزرگ الهى تشـكيل گردد و به حساب آنها برســند) در حالى كه آنها بىخبر و غافلند» (أَوْ تَأْتِيهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ).

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۰۸ ص: ۴۵۵

(آیه ۱۰۸) - در این آیه پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله مأموریت پیدا می کند که آیین و روش و خط خود را مشخص کند، می فرماید: «بگو: راه و طریقه من این است که همگان را به سوی الله (خداوند واحد یکتا) دعوت کنم» (قُلْ هذِهِ سَبِیلی أَدْعُوا إِلَى اللّهِ).

سپس اضافه می کند: من این راه را بیاطلاع یا از روی تقلید نمی پیمایم، بلکه «از روی آگاهی و بصیرت، خود و پیروانم» همه مردم جهان را به سوی این طریقه میخوانیم (عَلی بَصِیرَهٍٔ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی).

این جمله نشان می دهد که هر مسلمانی که پیرو پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است باید با سخن و عملش دیگران را به راه «اللّه» دعوت کند.

سپس برای تأکید، می گوید: «خداوند (یعنی همان کسی که من به سوی او دعوت می کنم) پاک و منزه است از هر گونه عیب و نقص و شبیه و شریک» (وَ سُبْحانَ اللَّهِ).

باز هم برای تأکید بیشتر می گوید: و من از مشرکان نیستم» و هیچ گونه شریک بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۵۶ و شبیهی برای او قائل نخواهم بود (وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

در واقع این از وظایف یک رهبر راستین است که با صراحت برنامه ها و اهداف خود را اعلام کند.

قرار گرفتن این آیه به دنبال آیات «یوسف» اشارهای است به این که راه و رسم من از راه و رسم یوسف پیامبر بزرگ الهی نیز جدا نیست، او هم همواره حتی در کنج زندان دعوت به «الله الواحد القهّار» می کرد، و غیر او را اسمهای بیمسمایی می شمرد که از روی تقلید از جاهلانی به جاهلان دیگر رسیده است، آری! روش من و روش همه پیامبران نیز همین است.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۰۹ ص: ۴۵۶

(آیه ۱۰۹) و از آنجا که یک اشکال همیشگی اقوام گمراه و نادان به پیامبران این بوده است که چرا آنها انسانند! قرآن مجید یک بار دیگر به این ایراد پاسخ می گوید: «ما هیچ پیامبری را قبل از تو نفرستادیم مگر این که آنها مردانی بودند که وحی به آنها میفرستادیم، مردانی که از شهرهای آباد و مراکز جمعیت برخاستند» (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ إِلَّا رِجالًا نُوحِی إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُری).

آنها نیز در همین شـهرها و آبادیها همچون سایر انسانها زنـدگی میکردنـد، و در میان مردم رفت و آمـد داشـتند و از دردها و نیازها و مشکلاتشان به خوبی آگاه بودند.

سپس اضافه می کند: برای این که اینها بدانند سر انجام مخالفتهایشان با دعوت تو که دعوت به سوی توحید است چه خواهد بود، خوب است بروند و آثار پیشینیان را بنگرند «آیا آنها سیر در زمین نکردند تا ببینند عاقبت اقوام گذشته چگونه بود؟» (أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

که این «سیر در ارض» و گردش در روی زمین، مشاهده آثار گذشتگان، ویرانی قصرها و آبادیهایی که در زیر ضربات عذاب

الهی درهم کوبیده شد بهترین درس را به آنها میدهد، درسی زنده، و محسوس، و برای همگان قابل لمس! و در پایان آیه می فرماید: «و سرای آخرت برای پرهیز کاران مسلما بهتر است» (وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَیْرٌ لِلَّذِینَ اتَّقَوْا). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۵۷

«آیا تعقل نمی کنید و فکر و اندیشه خویش را به کار نمیاندازید» (أَ فَلا تَعْقِلُونَ).

چرا که اینجا سرایی است ناپایدار و آمیخته با انواع مصائب و آلام و دردها، اما آنجا سرایی است جاودانی و خالی از هرگونه رنج و ناراحتی.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۱۰ ص: ۴۵۷

(آیه ۱۱۰) - در این آیه اشاره به یکی از حساسترین و بحرانی ترین لحظات زندگی پیامبران کرده، می گوید: پیامبران الهی در راه دعوت به سوی حق، همچنان پافشاری داشتند و اقوام گمراه و سرکش همچنان به مخالفت خود ادامه می دادند «تا آنجا که پیامبران از آنها مأیوس شدند، و (مردم) گمان بردند که به آنها دروغ گفته شده است، در این هنگام یاری ما به سراغ آنها آمد، آنان را که خواستیم نجات یافتند» (حَتَّی إِذَا اسْتَیْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظُنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ کُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّیَ مَنْ نَشاءُ).

و در پایان آیه میفرماید: «عذاب و مجازات ما از قوم گنهکار و مجرم، بازگردانده نمی شود» (وَ لا ِیُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِینَ).

این یک سنت الهی است، که مجرمان پس از اصرار بر کار خود و بستن تمام درهای هدایت به روی خویشتن و خلاصه پس از اتمام حجت، مجازاتهای الهی به سراغشان می آید و هیچ قدرتی قادر بر دفع آن نیست.

سورهٔ یوسف(۱۲): آیهٔ ۱۱۱ ص: ۴۵۷

(آیه ۱۱۱)- آخرین آیه این سوره محتوای بسیار جامعی دارد، که تمام بحثهایی که در این سوره گذشت بطور فشرده در آن جمع است و آن این که «در سرگذشت آنها (یوسف و برادرانش و انبیاء و رسولان گذشته و اقوام مؤمن و بیایمان) درسهای بزرگ عبرت برای همه اندیشمندان است» (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ).

آیینهای است که می توانند در آن، عوامل پیروزی و شکست، کامیابی و ناکامی، خوشبختی و بـدبختی، سـر بلنـدی و ذلت و خلاصه آنچه در زندگی انسان ارزش دارد و آنچه بیارزش است، در آن ببیند.

ولى تنها «اولى الالباب» و صاحبان مغز و انديشه هستند كه توانايي مشاهده برگزيده تفسير نمونه، ج ٢، ص: ۴۵۸ اين نقوش عبرت را بر صفحه اين آيينه عجيب دارند.

و به دنبال آن اضافه می کند: «آنچه گفته شد یک افسانه ساختگی و داستان خیالی و دروغین نبود» (ما کانَ حَدِیثاً یُفْتَری).

این آیات که بر تو نازل شده و پرده از روی تاریخ صحیح گذشتگان برداشته، ساخته مغز و اندیشه تو نیست، «بلکه (یک وحی بزرگ آسمانی است، که) کتب اصیل انبیای پیشین را نیز تصدیق و گواهی میکند» (وَ لکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ).

به علاوه هر آنچه انسان به آن نیاز دارد، «و شرح هر چیزی» که پایه سعادت انسان است در این آیات آمـده است (وَ تَفْصِـ یلَ کُلِّ شَيْءٍ).

و به همین دلیل «مایه هـدایت (جستجو گران) و مایه رحمت برای همه کسانی است که ایمان می آورند» (وَ هُدیً وَ رَحْمَةً لِقَوْمِ

يُؤْمِنُونَ).

«پایان سوره یوسف»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۵۹

سوره رعد [۱۳] ص: ۴۵۹

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۴۳ آیه است

محتوای سوره رعد: ص : 459

همان گونه که قبلا هم گفته ایم، سوره های مکّی چون در آغاز دعوت پیامبر صلّی الله علیه و آله و به هنگام در گیری شدید با مشرکان نازل شده است غالبا پیرامون مسائل عقیدتی مخصوصا دعوت به توحید و مبارزه با شرک و اثبات معاد سخن می گوید، در حالی که سوره های مدنی که پس از گسترش اسلام و تشکیل حکومت اسلامی نازل گردید، پیرامون احکام و مسائل مربوط به نظامات اجتماعی، طبق نیاز مندیهای جامعه بحث می کند.

این سوره که از سورههای مکی است نیز همین برنامه را تعقیب کرده است و پس از اشاره به حقانیت و عظمت قرآن، به بیان آیات توحید و اسرار آفرینش که نشانههای ذات پاک خدا هستند می پردازد.

سپس به بحث معاد و زندگی نوین انسان و دادگاه عدل پروردگار میپردازد.

و این «مجموعه معرفی مبدأ و معاد» را، با بیان مسؤولیتهای مردم و وظائفشان تکمیل می کند.

دگر بار به مسأله توحید باز می گردد. سپس برای شناخت حق و باطل، مثال میزند، مثالهایی زنده و محسوس، و برای همه قابل درک.

و از آنجا که ثمره نهایی ایمان به توحید و معاد، همان برنامههای سازنده و عملی است به دنبال این بحثها، مردم را به وفای به عهد و صله رحم و صبر و استقامت و انفاق در پنهان و آشکار و ترک انتقامجویی دعوت می کند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۰

و سر انجام دست مردم را می گیرد و به اعماق تاریخ می کشاند و سر گذشت دردناک اقوام یاغی و سرکش گذشته را نشان می دهد.

بنابراین سوره رعد، از عقاید و ایمان شروع می شود، و به اعمال و برنامه های انسان سازی پایان می یابد.

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الرعد(١٣): آية ١ ص: 460

(آیه ۱)- بار دیگر به حروف مقطعه برخورد می کنیم، منتها این سوره تنها سورهای است که در آغاز «الف، لام، میم، راء» (المر) دیده می شود. محتمل است این ترکیب اشاره به این باشد که محتوای سوره «رعد» جامع محتوای هر دو گروه از سورههایی است که با «الم» و «الر» آغاز می شود.

به هر حال نخستین آیه این سوره از عظمت قرآن سخن می گوید: «اینها آیات کتاب بزرگ آسمانی است» (تِلْمکَ آیاتُ الْکِتاب).

«و آنچُه از پروردگارت بر تو نازل شده است حق است» (وَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ).

و جای هیچ گونه شک و تردید در آن دیده نمی شود، چرا که بیان کننده حقایق عینی جهان آفرینش و روابط آن با انسانها می باشد.

«ولى بيشتر مردم ايمان نمى آورند» (وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ).

سورة الرعد(١٣): آية ٢ ص: 460

(آیه ۲)- نشانههای خدا در آسمان و زمین و جهان گیاهان: بعد از بیان حروف مقطعه، به تشریح قسمت مهمی از دلائل توحید و نشانههای خدا در جهان آفرینش می پردازد، و چه زیبا می گوید: «خدا همان کسی است که آسمانها را چنانکه می بینید بدون ستون بر پا داشت» یا آنها را «با ستونهای نامرئی برافراشت» (اللَّهُ الَّذِی رَفَعَ السَّماواتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها).

این آیه پرده از روی یک حقیقت علمی برداشته که در زمان نزول آیات، بر کسی آشکار نبود، چرا که در آن زمان «هیئت بطلمیوس» بر محافل علمی جهان و بر افکار مردم حکومت می کرد، و طبق آن آسمانها به صورت کراتی تو در تو همانند برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۱

طبقات پیاز روی هم قرار داشتند ولی حدود هزار سال بعد از نزول این آیات، علم و دانش بشر به اینجا رسید که افلاک پوست پیازی، بکلی موهوم است و آنچه واقعیت دارد، این است که کرات آسمانی هر کدام در مدار و جایگاه خود، معلق و ثابتند، بی آنکه تکیه گاهی داشته باشند، و تنها چیزی که آنها را در جای خود ثابت می دارد، تعادل قوه جاذبه و دافعه است. این تعادل جاذبه و دافعه به صورت یک ستون نامرئی، کرات آسمان را در جای خود نگه داشته است.

سپس می فرماید: خداوند «بعد (از آفرینش این آسمانهای بیستون که نشانه بارز عظمت قدرت بی انتهای اوست) بر عرش استیلا یافت» و زمام تدبیر جهان را در کف قدرت گرفت (ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَوْش).

بعد از بیان آفرینش آسمانها و حکومت پروردگار بر آنها، سخن از تسخیر خورشید و ماه می گوید: او کسی است که: «خورشید و ماه را مسخر و فرمانبردار و خدمتگذار ساخت» (وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ).

اما این نظام جهان ماده جاودانی و ابدی نیست، «و هر کدام (از این خورشید و ماه) تا سر آمد مشخصی که برای آنها تعیین شده است در مسیر خود به حرکت ادامه میدهند» (کُلُّ یَجْرِی لِأَجَلِ مُسَمَّی).

و به دنبال آن می افزاید که: این آمد و شدها و دگرگونیها بی حساب و کتاب نیست و بدون نتیجه و فایده نمی باشد بلکه «اوست که همه کارها را تدبیر می کند» (یُدَبِّرُ الْأَمْرَ). و برای هر حرکتی حسابی، و برای هر حسابی هدفی در نظر گرفته است. «او آیات خویش را برای شما بر می شمرد و ریزه کاریهای آنها را شرح می دهد تا به لقای پروردگار و سرای دیگر ایمان پیدا کنید» (یُفَصِّلُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ بِلِقاءِ رَبِّکُمْ تُوقِنُونَ).

سورة الرعد(١٣): آية ٣ ص: 461

(آیه ۳)– این آیه، آیات الهی را در عالم بالا نشان میدهد و انسان را به مطالعه زمین و کوهها و نهرها و انواع میوهها و طلوع و غروب خورشید دعوت برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۲

می کند، می گوید: «و او کسی است که زمین را گسترش داد» (وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ). تا برای زندگی انسان و پرورش گیاهان و جانداران آماده باشد.

پس از آن به مسأله پیدایش کوهها اشاره می کند و می فرماید: «خداوند در زمین کوهها قرار داد» (وَ جَعَلَ فِیها رَواسِی). همان کوههایی که در آیات دیگر قرآن «اوتاد» (میخهای) زمین معرفی شده شاید به دلیل این که کوهها از زیر به هم پنجه افکنده اند و همچون زرهی تمام سطح زمین را پوشانده که هم فشارهای داخلی را از درون خنثی کنند و هم نیروی فوق العاده جاذبه ماه و جزر و مد را از بیرون، و به این ترتیب، تزلزل و اضطراب و زلزلههای مداوم را از میان ببرند کره زمین را در

آرامش برای زندگی انسانها نگه دارند. سپس به آبها و نهرهایی که در روی زمین، جریان دارد اشاره کرده، می گوید:

و در آن «نهرهایی» قرار دارد (وَ أَنْهاراً).

سیستم آبیاری زمین به وسیله کوهها، و ارتباط کوهها با نهرها، بسیار جالب است، زیرا بسیاری از کوههای روی زمین، آبهایی را که به صورت برف در آمده در قله خود یا در شکافهای درههایشان ذخیره می کنند که تدریجا آب می شوند و به حکم قانون جاذبه از مناطق مرتفعتر به سوی مناطق پست و گسترده روان می گردند.

بعد از آن به ذکر مواد غذایی و میوههایی که از زمین و آب و تابش آفتاب به وجود می آید و بهترین وسیله برای تغذیه انسان است پرداخته، می گوید: «و از تمام میوهها دو جفت در زمین قرار داد» (وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ).

اشاره به این که میوهها موجودات زندهای هستند که دارای نطفههای نر و ماده میباشند که از طریق تلقیح، بارور میشوند.

اگر «لینه» دانشمند و گیاه شناس معروف سوئدی در اواسط قرن ۱۸ میلادی موفق به کشف زوجیت عمومی و همگانی در جهان گیاهان شد، قرآن مجید در یک هزار و چهار صد سال قبل از آن، این حقیقت را فاش ساخت، و این خود یکی از معجزات علمی قرآن مجید است که بیانگر عظمت این کتاب بزرگ آسمانی میباشد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۳ و از آنجا که زندگی انسان و همه موجودات زنده و مخصوصا گیاهان و میوهها بدون نظام دقیق شب و روز امکان پذیر نیست در قسمت دیگر این آیه، از این موضوع سخن به میان آورده، می گوید: خداوند «به وسیله شب، روز را میپوشاند و پرده بر آن میافکند» (یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ).

چرا که اگر پرده تاریک آرامبخش شب نباشد، نور مداوم آفتاب، همه گیاهان را میسوزاند و اثری از میوهها و بطور کلی از موجودات زنده بر صفحه زمین باقی نمیماند.

و در پایان آیه می فرماید: «در این (موضوعات که گفته شد) آیات و نشانه هایی است برای آنهایی که تفکر می کنند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْم یَتَفَکَّرُونَ).

آرى! آنها در این آیات، قدرت لایزال و حکمت بی پایان آفریدگار را به روشنی می بینند.

سورة الرعد(١٣): آية ٢ ص: 46٣

(آیه ۴)- در این آیه به یک سلسله نکات جالب زمین شناسی و گیاه شناسی که هر کدام نشانه نظام حساب شده آفرینش است

اشاره كرده، نخست مىفرمايد:

«و در زمین قطعات مختلفی وجود دارد که در کنار هم و در همسایگی یکدیگرند» (وَ فِی الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ). دیگر این که: «در همین زمین باغهـا و درختـانی وجـود دارد از انـواع انگور و زراعتهـا و نخلهـا» (وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنـابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخـاً).

و عجب این که این درختان و انواع مختلف آنها، «گاهی از یک پایه و ساقه میرویند و گاه از پایههای مختلف» (صِنْوانٌ وَ غَیْرُ صنْوان).

ممکن است این جمله اشاره به مسأله استعداد درختان برای پیونـد باشـد که گاه بر یک پایه چنـد پیونـد مختلف میزنند و هر کدام از این پیوندها رشد کرده و نوع خاصی از میوه را به ما تحویل میدهد.

و عجيبتر اين كه: «همه آنها از يك آب سيراب مي شوند» (يُشقى بِماءٍ واحِدٍ).

و با این همه «بعضی از این درختان را بر بعض دیگر از نظر میوه برتری برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۴ می دهیم» (وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلی بَعْضِ فِی الْأُكُلِ).

آیا هر یک از این اسرار، دلیل بر وجود یک مبدأ حکیم و عالم که این نظام را رهبری کند نیست.

اینجاست که در پایان آیه میفرماید: «در این امور نشانه هایی است (از عظمت خدا) برای آنها که تعقل و اندیشه میکنند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمِ یَعْقِلُونَ).

سورة الرعد(١٣): آية ٥ ص: 464

(آیه ۵)- تعجب کفار از معاد! در اینجا قرآن به مسأله «معاد» می پردازد، و با ارتباط و پیوستگی خاصی که میان مسأله مبدأ و معاد است، این بحث را تحکیم بخشیده، می گوید: «و اگر (از چیزی) تعجب می کنی، عجیب گفتار آنهاست که می گویند: آیا هنگامی که خاک شدیم بار دیگر آفرینش تازهای پیدا خواهیم کرد»؟! (وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذَا کُنَّا تُراباً أَ إِنَّا لَفِی خَلْقِ بَدِید).

سپس وضع فعلی و سرنوشت آینده این گروه را در سه جمله بیان می کند:

ابتدا مي گويد: «اينها كساني هستند كه به پروردگارشان كافر شدند» (أُولئِكُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ).

چرا که خداوند و ربوبیت او را قبول داشتند، هرگز در قدرت او در مسأله معاد و تجدید حیات انسان تردید نمی کردند.

دیگر این که بر اثر کفر و بی ایمانی و خارج شدن از زیر پرچم آزادگی توحیدی، زنجیرهای بت پرستی، هوی پرستی، ماده پرستی و جهل و خرافات را با دست خود بر گردن خویش نهادهاند همانطور که آیه می فرماید: «و آنان غل و زنجیرها در گردنشان است» (وَ أُولئِکَ الْأَغْلالُ فِی أَعْناقِهِمْ).

«و چنین افرادی (با این وضع و این موقعیت) مسلما اصحاب دوزخند و جاودانه در آن خواهند ماند» و جز این نتیجه و انتظاری در باره آنان نیست (وَ أُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ).

سورة الرعد(١٣): آية 6 ص: 464

(آیه ۶)– در این آیه به یکی دیگر از سخنان غیر منطقی مشرکان پرداخته و می گوید: «آنها به جای این که از خداوند به وسیله

تو تقاضای رحمت کنند، درخواست تعجیل عذاب و کیفر و مجازات مینمایند» (وَ یَسْ ِتَعْجِلُونَکَ بِالسَّیِّئَةِ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۵

قَبْلَ الْحَسَنَةِ)

. آیا آنها فکر می کنند مجازات الهی دروغ است؟ «با این که در گذشته عذابهایی (بر امتهای سرکش پیشین) نازل گردید» که اخبار آن بر صفحات تاریخ و در دل زمین ثبت است (وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثْلاتُ).

سپس اضافه می کند: «پروردگار تو نسبت به مردم- با این که ظلم می کنند- دارای مغفرت است، و (در عین حال) پروردگارت دارای عذاب شدید است» (وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلی ظُلْمِهِمْ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَشَدِیدُ الْعِقابِ).

سورة الرعد(١٣): آية ٧ ص: 460

(آیه ۷)- باز هم بهانه جویی! در اینجا به یکی از ایرادات مشرکان لجوج در زمینه «نبوت» پرداخته، می گوید: «کسانی که کافر شدنـد می گوینـد: چرا معجزه و نشـانهای از پروردگـارش بر او نـازل نشـده است» (وَ یَقُولُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیَـهُ مِنْ رَبِّهِ).

واضح است که یکی از وظایف پیامبر صلّی اللّه علیه و آله، ارائه معجزات به عنوان سند حقانیت و پیوندش با وحی الهی است. ولی مخالفان انبیاء، همواره دارای حسن نیت نبودند یعنی، معجزات را برای یافتن حق نمیخواستند، بلکه به عنوان لجاجت و عدم تسلیم در برابر حق هر زمان پیشنهاد معجزه می کردند و خارق عادت عجیب و غریبی می کردند.

در مقابل این گونه افراد، پیامبران با ذکر این حقیقت که معجزات به دست خداست و به فرمان او انجام می گیرد و ما وظیفه تعلیم و تربیت مردم را داریم، دست ردّ بر سینه این گونه افراد میزدند.

لذا قرآن به دنبال آن میافزاید: ای پیامبر! «تو فقط بیم دهندهای و برای هر قوم و ملتی هادی و رهنمایی هست» (إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْم هادٍ).

در واقع قر آن می گوید: این کافران وظیفه اصلی پیامبر را فراموش کردهانید که مسأله انذار و دعوت به سوی خداست و چنین پنداشتهاند که وظیفه اصلی او اعجاز گری است.

قابل توجه این که تفاوت میان «انذار» و «هدایت» در این است که انذار برای برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۶ آن است که گمراهان از بیراهه به راه آیند، و در متن صراط مستقیم جای گیرند ولی هدایت برای این است که مردم را پس از آمدن به راه به پیش ببرد.

لذا در روایات متعددی از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در کتب شیعه و اهل تسنن نقل شده که، فرمود: «من منذرم و تو هادی ای علی! به وسیله تو هدایت یافته گان هدایت میشوند».

سورة الرعد(١٣): آية ٨ ص: 466

(آیه ۸)- علم بیپایان خدا! در این بخش سخن از علم وسیع پروردگار (علم به نظام آفرینش و علم به اعمال بندگان) و آگاهی او بر همه چیز است.

نخست مي گويد «خداوند از جنينهايي كه هر زن- يا هر حيوان ماده- حمل مي كند آگاه است» (اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنثي).

نه تنها از جنسیت آن، بلکه از تمام مشخصات، استعدادها، ذوقها، و نیروهایی که بالقوه در آن نهفته شده آگاه است. «و (همچنین) آنچه را که رحمها کم می کنند و قبل از موعد مقرر بیرون میریزند» میداند (وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ). «و (همچنین) از آنچه از موعد مقرر افزون نگاه میدارند» نیز باخبر است (وَ ما تَزْدادُ).

سپس قرآن اضافه می کند: «و هر چیز در نزد خدا به مقدار و میزان ثابت و معین است» (وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ).

تـا تصور نشود که این کم و زیادهـا بیحساب و بیدلیل است، همان گونه که اجزای جنین و خون رحم، همه دارای حساب و کتاب است.

سورة الرعد(١٣): آية ٩ ص: 466

(آیه ۹)-این آیه در حقیقت دلیلی است بر آنچه در آیه قبل بیان شد، می گوید: «او (خداوند) از غیب و شهود (پنهان و آشکار) آگاه است» (عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ).

و آگاهی او از غیب و شهود به این دلیل است که: «او بزرگ و متعالی است» و مسّملط بر همه چیز (الْکَبِیرُ الْمُتَعالِ). و به همین دلیل در همه جا حضور دارد، و چیزی از دیدگان علم او پنهان نیست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۷

سورة الرعد(١٣): آية ١٠ ص: 46٧

(آیه ۱۰)- و برای تکمیل این بحث و تأکید بر علم بیپایان او اضافه می کند:

«برای او (خداوند) یکسان است کسانی از شما که پنهانی سخن بگویند، و یا آن را آشکار سازند» او همه را میداند و می شنود (سَواةٌ مِنْکُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ).

«و (نیز برای او تفاوت نمی کنـد) کسانی که مخفیانه در دل شب و در میان پردههای ظلمت گام برمیدارنـد و آنها که آشکارا در روز روشن به دنبال کار خویش میروند» (وَ مَنْ هُوَ مُشْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ).

سورة الرعد(١٣): آية ١١ ص: 467

اشاره

(آیه ۱۱)- محافظان غیبی! در آیه قبل خواندیم که خدا به حکم «عالم الغیب و الشهادهٔ» بودن، از پنهان و آشکار مردم باخبر و همه جا حاضر و ناظر است.

در این آیه اضافه می کنید که خداونید علاوه بر این، حافظ و نگاهبان بندگان خود نیز میباشد: «برای انسان مأمورانی است که پی در پی از پیش رو، و پشت سر او قرار می گیرنید و او را از حوادث حفظ می کننید» (لَـهُ مُعَقِّبـاتٌ مِـنْ بَیْنِ یَـدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ یَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ).

اما برای این که کسی اشتباه نکند که این حفظ و نگاهبانی بیقید و شرط است و انسان میتواند خود را به پرتگاهها بیفکند و

دست به هر ندانم کاری بزند و یا مرتکب هرگونه گناهی که مستوجب مجازات و عذاب است بشود و باز انتظار داشته باشد که خدا و مأموران او حافظ وی باشند اضافه می کند که: «خداوند سرنوشت هیچ قوم و ملتی را تغییر نمی دهد مگر این که آنها تغییراتی در خود ایجاد کنند»! (إِنَّ اللَّهَ لا یُغَیِّرُ ما بِقَوْم حَتَّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ).

و بـاز برای این که این اشـتباه پیش نیایـد که با وجود مأموران الهی که عهـدهدار حفظ انسان هسـتند، مسأله مجازات و بلاهای الهی چه معنی دارد، در پایان آیه اضافه می کنـد که: «و هرگاه خداونـد به قوم و جمعیتی اراده سوء و بدی کند هیچ راه دفاع و بازگشت ندارد» (وَ إِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْم سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ).

«و جز خدا، سرپرستى نخواهند داشت» (وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ).

به همین دلیل هنگامی که فرمان خدا به عذاب و مجازات یا نابودی قوم برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۸ و ملتی صادر شود، حافظان و نگهبانان دور میشوند و انسان را تسلیم حوادث میکنند!

همیشه تغییرات از خود ما است! ص : 468

جمله «إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ» كه در دو مورد از قرآن با تفاوت مختصری آمده است، یک قانون کلی و عمومی را بیان میکند.

این اصل قرآنی که یکی از مهمترین برنامههای اجتماعی اسلام را بیان می کند به ما می گوید هر گونه تغییرات برونی متکی به تغییرات درونی ملتها و اقوام است، و هر گونه پیروزی و شکستی که به قومی رسید از همین جا سر چشمه می گیرد، بنابراین آنها که همیشه برای تبرئه خویش به دنبال «عوامل برونی» می گردند، و قدرتهای سلطه گر و استعمار کننده را همواره عامل بدبختی خود می شمارند، سخت در اشتباهند، چرا که اگر این قدرتهای جهنمی پایگاهی در درون یک جامعه نداشته باشند، کاری از آنان ساخته نیست.

این اصل قرآنی می گوید: برای پایان دادن به بدبختیها و ناکامیها باید دست به انقلابی از درون بزنیم، یک انقلاب فکری و فرهنگی، یک انقلاب ایمانی و اخلاقی، و به هنگام گرفتاری در چنگال بدبختیها باید فورا به جستجوی نقطههای ضعف خویشتن بپردازیم، و آنها را با آب توبه و بازگشت به سوی حق از دامان روح و جان خود بشوییم، تولدی تازه پیدا کنیم و نور و حرکتی جدید، تا در پرتو آن بتوانیم ناکامیها و شکستها را به پیروزی مبدل سازیم.

سورة الرعد(١٣): آية ١٢ ص: 468

(آیه ۱۲)- بخش دیگری از نشانه های عظمت او: قرآن در اینجا بار دیگر به آیات توحید و نشانه های عظمت خدا و اسرار آفرینش می پردازد.

نخست به برق (برقی که در میان قطعات ابر پیدا میشود) اشاره کرده، می گوید: «او کسی است که برق را که مایه ترس و طمع میباشد به شما ارائه میدهد» (هُوَ الَّذِی یُریکُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً).

از یک سو شعاع درخشانش چشمها را خیره می کند و شما را به وحشت میاندازد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۹ اما از آنجا که غالبا همراه آن رگبارهایی به وجود می آید و تشنه کامان بیابان را آب زلال می بخشد و درختان و زراعت را سیراب می کند، آنها را به امید و طمع می کشاند، و در میان این بیم و امید، لحظات حساسی را می گذرانند.

سپس اضافه می کند: «او کسی است که ابرهای سنگین و پربار ایجاد می کند» که قادر به آبیاری زمینهای تشنهاند (وَ یُنْشِتَیُ السَّحابَ الثِّقالَ).

سورة الرعد(١٣): آية ١٣ ص: 499

(آیه ۱۳)- این آیه به صدای «رعد» می پردازد که از برق هرگز جدا نیست، می فرماید: «و رعد تسبیح و حمد خدا می گوید» (وَ یُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ).

آری! این صدای پرطنین جهان طبیعت که تو أم با پدیده برق میباشد و هر دو در خدمت یک هدف هستند، عملا تسبیح خدا می گوید و به تعبیر دیگر: «رعد» زبان گویای «برق» است، که حکایت از نظام آفرینش و عظمت خالق می کند.

نه تنها صدای رعد و سایر اجزای جهان ماده، تسبیح او می گویند که «همگی فرشتگان نیز از ترس و خشیت خدا» به تسبیح او مشغولند (وَ الْمَلائِكَةُ مِنْ خِیفَتِهِ).

آنها از این می ترسند که در انجام فرمان پروردگار و مسؤولیتهایی که در نظام هستی بر عهده آنها گذارده شده کو تاهی کنند و گرفتار مجازات الهی شوند، و می دانیم همیشه وظیفه ها و تکالیف برای آنها که احساس مسؤولیت می کنند ترس آفرین است، ترسی سازنده که شخص را به تلاش و حرکت وا می دارد.

و برای توضیح بیشتر در زمینه رعد و برق اشاره به صاعقه ها کرده، می فرماید:

«خداوند صاعقهها را میفرستد و به هر کس بخواهد به وسیله آن آسیب میرساند» (وَ یُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَیُصِیبُ بِها مَنْ یَشاءُ). ولی با این همه، و با مشاهده آیات عظمت پروردگار و با کوچکی و حقارت قدرت انسان در برابر حوادث، حتی در برابر یک جرقه آسمانی باز هم «گروهی (از بیخبران) در باره خدا به مجادله و ستیز برمیخیزند» (وَ هُمْ یُجادِلُونَ فِی اللَّهِ). «در حالی که خداوند قدرتی بیانتها، و مجازاتی دردناک و کیفری سخت دارد» (وَ هُوَ شَدِیدُ الْمِحالِ).

سورة الرعد(١٣): آية ١٤ ص: 469

(آیه ۱۴) - این آیه به دو مطلب اشاره می کند: نخست این که «دعوت حق از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷۰ آن او (خـدا) است» (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ). یعنی هرگاه او را بخوانیم میشنود، و اجابت می کند، هم آگاهی از دعای بندگان دارد و هم قدرت بر انجام خواسته های آنها.

ديگر اين كه خواندن بتها و تقاضاى از آنها دعوت و دعاى باطل است، زيرا «كسانى را كه مشركان غير از خداوند مىخوانند (و براى انجام خواسته هايشان به آنها پناه مى برند هرگز) به دعوت آنان پاسخ نمى گويند» و دعايشان را اجابت نمى كند (وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ).

سپس- همان گونه که روش قرآن است- برای مجسم ساختن این موضوع عقلانی مثال حسی زیبا و رسایی بیان میکنید و می گوید: «آنها (که غیر خدا را میخوانند) همچون کسی هستند که کفهای (دست) خود را به سوی آب می گشاید تا آب به دهانش برسد، و هرگز نخواهد رسید»! (إِلَّا کَباسِطِ کَفَیْهِ إِلَی الْماءِ لِیَبْلُغَ فاهُ وَ ما هُوَ بِبالِغِهِ).

آیا می توان در کنار چاه نشست و دست به سوی آب دراز کرد و با اشاره، آب را به دهان فرستاد؟ آیا این کار جز از یک

انسان ساده لوح و دیوانه سر میزند؟

در پایان آیه برای تأکید این سخن می گوید: «و دعای کافران (از بتها چیزی) جز (گام برداشتن) در گمراهی نیست» (وَ ما دُعاءُ الْکافِرِینَ إِلَّا فِی ضَلالٍ).

چه ضلالتی از این بالاتر که انسان سعی و کوشش خود را در بیراههای که هرگز او را به مقصد نمیرساند به کار برد.

سورة الرعد(١٣): آية ١٥ ص: 4٧٠

اشاره

(آیه ۱۵)- در این آیه برای این که نشان دهـ د بت پرستان چگونه از کاروان عالم هستی جـ دا گشته و تک و تنها در بیراههها سر گردان شدهاند چنین می فرماید:

«همه کسانی که در آسمانها و زمین هستند از روی اطاعت و تسلیم و یا از روی کراهت و همچنین سایههای آنها، هر صبح و شام، برای خدا سجده میکنند» (وَ لِلَّهِ یَسْجُدُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ کَرْهاً وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ).

منظور از سجده موجودات چیست؟ ص: 470

سجده در این گونه موارد به معنی خضوع و نهایت تواضع و تسلیم است، منتهی گروهی سجده و خضوعشان تنها جنبه تکوینی دارد، یعنی در برابر قوانین عالم هستی و آفرینش خاضعند، ولی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷۱

گروهی علاوه بر سجود تکوینی سجود تشریعی نیز دارند یعنی با میل و اراده خود در برابر خداوند سجده می کنند.

و تعبیر به «طَوْعاً وَ کَرْهاً» ممکن است اشاره به این باشد که مؤمنان از روی میل و رغبت در پیشگاه پروردگار به سجده می افتند و خضوع می کنند، اما غیر مؤمنان هر چند حاضر به چنین سجده ای نیستند تمام ذرات وجودشان از نظر قوانین آفرینش تسلیم فرمان خداست چه بخواهند و چه نخواهند.

سورة الرعد(١٣): آية ١٦ ص: ٤٧١

(آیه ۱۶)- بت پرستی چرا؟ از آنجا که در آیات گذشته بحثهای فراوانی در باره شناخت وجود خدا بود در این آیه به بحث پیرامون اشتباه مشرکان و بت پرستان می پردازد و از چند طریق این بحث را تعقیب می کند.

نخست روى سخن را به پيامبر كرده، مى گويد: «از آنها بپرس پروردگار و مدبر آسمانها و زمين كيست» (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

سپس بی آنکه پیامبر در انتظار پاسخ آنها بنشیند دستور می دهد که خود پاسخ این سؤال را بده، و «بگو: اللّه» (قُلِ اللَّهُ). سپس آنها را با این جمله مورد سرزنش و ملامت قرار می دهد که: «به آنها بگو: آیا غیر خدا را اولیاء و تکیه گاه و معبود خود

سپس ۱ به این جمله مورد سرریس و مارمت فرار می دهند که. «به ۱ به به به این عیر محدا را اولیاء و کمیه کاه و معبود عود قرار داده اید؟ با این که این بتها حتی نسبت به خودشان مالک سود و زیانی نیستند»؟! (قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِیاءَ لا یَمْلِکُونَ

لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا).

سپس با ذکر دو مثال روشن و صریح وضع افراد «موحد» و «مشرک» را مشخص کرده، نخست می گوید: «بگو: آیا نابینا و بینا یکسان است»؟ (قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الْأَعْمی وَ الْبَصِیرُ).

همان گونه که نابینا و بینا یکسان نیست، همچنین کافر و مؤمن، یکسان نیستند، و «بتها» را نمی توان در کنار «اللّه» قرار داد. دیگر این که: «آیا ظلمات و نور یکسانند»!! (أَمْ هَلْ تَسْتَوِی الظَّلُماتُ وَ النُّورُ).

چگونه می توان بتها را که ظلمات محضند در کنار «خدا» که نور مطلق عالم برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷۲ هستی است، قرار داد؟

سپس از راه دیگری بطلان عقیده مشرکان را مؤکدتر میسازد و میگوید: «آیا آنها همتایانی برای خدا قرار دادند به خاطر این که آنان همانند خدا آفرینشی داشتند، و این آفرینشها بر آنها مشتبه شده است» (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَکاءَ خَلَقُوا کَخَلْقِهِ فَتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ).

در حالی که بت پرستان نیز چنین عقیدهای در باره بتها ندارند، آنها نیز خدا را خالق همه چیز میدانند و عالم خلقت را دربست مربوط به او میشمارند.

و لذا بلافاصله مىفرمايد: «بگو: خدا خالق همه چيز است و اوست يگانه و پيروز» (قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ). از آيه فوق استفاده مىشود كه خلقت يك امر دائمى است و فيض هستى بطور دائم از طرف خدا صادر مىشود و هر موجودى لحظه به لحظه از ذات پاكش هستى مى گيرد، بنابراين برنامه آفرينش و تدبير عالم هستى همچون آغاز خلقت همه به دست خداست.

سورة الرعد(١٣): آية ١٧ ص: ٤٧٢

اشاره

(آیه ۱۷) – ترسیم دقیقی از منظره حق و باطل: از آنجا که روش قرآن، به عنوان یک کتاب تعلیم و تربیت، متکی به مسائل عینی است، برای نزدیک ساختن مفاهیم پیچیده به ذهن، انگشت روی مثلهای حسی جالب و زیبا در زندگی روزمره مردم می گذارد، در اینجا نیز برای مجسم ساختن حقایقی که در آیات گذشته پیرامون توحید و شرک، ایمان و کفر، و حق و باطل گذشت، مثل بسیار رسایی بیان می کند.

نخست مي گويد: «خداوند از آسمان آبي را فرو فرستاده است» (أَنْزُلَ مِنَ السَّماءِ ماءً).

آبی حیاتبخش و زندگی آفرین، و سر چشمه نمو و حرکت! «و از هر درّه و رودخانهای به اندازه آنها سیلابی جاری شد» (فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها).

جویبارهای کوچک دست به دست هم میدهند و نهرهایی به وجود می آورند، نهرها به هم می پیوندند و سیلاب عظیمی از دامنه کوهسار سرازیر می گردد، آبها از سر و دوش هم بالا می روند و هر چه را بر سر راه خود ببینند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷۳

برمی دارند و مرتبا بر یکدیگر کوبیده می شوند، در این هنگام کفها از لابلای امواج ظاهر می شوند، آنچنان که قرآن می گوید: «سیل بر روی خود کفی حمل کرد» (فَاحْتَمَلَ السَّیْلُ زَبَداً رابِیاً).

پیدایش کفها منحصر به نزول باران نیست، «و از آنچه (در کورهها) برای به دست آوردن زینت آلات یا وسائل زندگی، آتش روی آن روشن میکنند (تیا ذوب شود) نیز کفهایی مانند (کفهای روی آب) به وجود می آیید» (وَ مِمَّا یُوقِ-دُونَ عَلَیْهِ فِی النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْیَةٍ أَوْ مَتاع زَبَدٌ مِثْلُهُ).

بعـد از بيـان اين مثـال به سـراغ نـتيجه گيرى مىرود، و چنين مىفرمايـد: «اين گـونه خداونـد براى حـق و باطـل، مثـال مىزنـد» (كَذلِكَك يَضْربُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ).

سپس به شرح آن میپردازد و میگویـد: «امـا کفهـا (ی بلنـد آواز و میان تهی) به کنار میرونـد و آبی که برای مردم مفیـد و سودمند است در زمین میماند» (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَیَذْهَبُ جُفاءً وَ أَمَّا ما یَنْفَعُ النَّاسَ فَیَمْکُثُ فِی الْأَرْضِ).

همچنین حق، همیشه مفید و سودمند است همچون آب زلال که مایه حیات است اما باطل بیفایده و بیهوده است، ولی حق همیشه باید بجوشد و بخروشد تا باطل را از خود دور سازد.

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر و دعوت به مطالعه دقیقتر روی این مثال و دیگر مثالهای قرآن، میفرماید: «این چنین خداوند مثالهایی میزند» (کَذٰلِکَ یَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ).

مثال، مسائل را همگانی میسازد ص: ۴۷۳

- بسیاری از مباحث علمی است که در شکل اصلیش تنها برای خواص قابل فهم است، و توده مردم استفاده چندانی از آن نمی برند، ولی هنگامی که با مثال آمیخته، و به این وسیله قابل فهم گردد، مردم در هر حد و پایهای از علم و دانش باشند، از آن بهره می گیرند، بنابراین مثالها به عنوان یک وسیله تعمیم علم و فرهنگ، کاربرد غیر قابل انکاری دارند.

سورة الرعد(١٣): آية ١٨ ص: 474

(آیه ۱۸)– آنها که دعوت حق را اجابت کردند: پس از بیان چهره حق و باطل در ضمن یک مثال رسا و بلیغ در آیه گذشته، در اینجا اشاره به سرنوشت برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷۴

کسانی میشود که دعوت حق را اجابت کردند و به آن گرویدند و هم کسانی که از حق رو گردان شده، به باطل روی آوردند.

نخست می گوید: «برای کسانی که اجابت دعوت پروردگارشان کردند، پاداش نیک و نتیجه سودمند و عاقبت محمود است» (لِلَّذِینَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهمُ الْحُشنی).

سپس می افزاید: «و آنها که اجابت این دعوت پروردگار را نکردند (سرنوشتشان به قدری شوم و رقت بار است که) اگر تمام روی زمین و حتی همانندش مال آنها باشد حاضرند همه اینها را برای نجات از آن سرنوشت شوم بدهند» با این حال از آنها پذیرفته نخواهد شد (وَ الَّذِینَ لَمْ یَسْتَجِیبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتُدَوْا بِهِ).

برای ترسیم عظمت عذاب و کیفر آنها، تعبیری از این رساتر نمی شود که یک انسان مالک همه روی زمین، بلکه دو برابر آن باشد، و همه را بدهد تا خود را رهایی بخشد، و سودی نداشته باشد.

این جمله در حقیقت اشاره به این است که آخرین آرزوی یک انسان که برتر از آن تصور نمی شود، این است که مالک تمام

روی زمین شود، ولی شدت مجازات ستمگران و مخالفان دعوت حق در آن حد و پایه است که حاضرند این آخرین هدف دنیوی بلکه برتر و بالاتر از آن را هم فدا کنند و آزاد شوند.

و به دنبال این بدبختی - عدم پذیرش همه آنچه در زمین است در برابر نجات او - اشاره به بدبختی دیگر آنها کرده، می گوید: «آنها دارای حساب سخت و بدی هستند» (أُولئِکَ لَهُمْ سُوءُ الْحِساب).

یعنی، این گونه اشخاص هم محاسبه سخت و دقیقی را پس میدهند، و هم در حال محاسبه مورد توبیخ و سرزنش قرار می گیرند و هم کیفر آنها بعد از حساب بدون کم و کاست به آنان داده می شود.

در پایان آیه به سومین مجازات و یا نتیجه نهایی مجازات آنان اشاره کرده، میفرماید: «جایگاه آنان دوزخ است و چه بد جایگاهی است» (وَ مَاُواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ). و به جای این که در بستر استراحت بیارمند باید روی شعلههای برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷۵

آتش سوزان قرار گیرند!

سورة الرعد(١٣): آية ١٩ ص: 4٧٥

(آیه ۱۹)- برنامه اولو الالباب: در اینجا ترسیم و تجسیمی از جزئیات برنامههای سازنده طرفداران حق به چشم میخورد که بحث آیات گذشته را تکمیل مینماید نخست به صورت یک استفهام انکاری میفرماید: «آیا کسی که میداند آنچه از پروردگارت بر تو نازل شده حق است، همانند کسی است که نابیناست»؟

(أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى).

این تعبیر اشاره لطیفی است به این که ندانستن این واقعیت به هیچ وجه امکان پذیر نیست مگر این که چشم دل انسان بکلی از کار افتاده باشد.

و لـذا در پایان آیه اضافه می کنـد: «تنها کسانی متـذکر میشوند که اولوا الالباب و صاحبان مغز و اندیشهاند» (إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْباب).

سورة الرعد(١٣): آية ٢٠ ص: 4٧٥

(آیه ۲۰)- سپس به عنوان تفسیر «أُولُوا الْأَلْبابِ» ریز برنامههای طرفداران حق را بیان کرده، و قبل از هر چیز انگشت روی مسأله وفای به عهد و ترک پیمان شکنی گذارده، می گوید: «آنها کسانی هستند که به عهد الهی وفا می کنند و پیمان را نمی شکنند» (الَّذِینَ یُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لا یَنْقُضُونَ الْمِیثاقَ).

«عهد الله» (عهد الهی) معنی وسیعی دارد که شامل عهدهای فطری و پیمانهایی که خدا به مقتضای فطرت از انسان گرفته می شود و هم پیمانهای عقلی یعنی، آنچه را که انسان با نیروی تفکر و عقل از حقایق عالم هستی و مبدأ و معاد درک می کند، هم پیمانهای شرعی یعنی آنچه را که پیامبر صلّی الله علیه و آله از مؤمنان در رابطه با اطاعت فرمانهای خداوند و ترک معصیت و گناه، پیمان گرفته همه را شامل می گردد.

سورة الرعد(١٣): آية ٢١ ص: 4٧٥

(آیه ۲۱)– دومین ماده برنامه آنها، حفظ پیوندها و پاسداری از آنهاست، چنانکه میفرماید: «آنها کسانی هستند که پیوندهایی را که خداوند امر به حفظ آن کرده برقرار میدارند» (وَ الَّذِینَ یَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ).

انسان ارتباطی با خدا، ارتباطی با پیامبران و رهبران، ارتباطی با سایر انسانها اعم از دوست و همسایه و خویشاوند و برادران دینی و همنوعان دارد، و ارتباطی نیز با خودش، همه این پیوندها را باید محترم شمرد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷۶ در حقیقت انسان یک موجود منزوی و جدا و بریده از عالم هستی نیست بلکه سر تا پای وجود او را پیوندها و علاقهها و ارتباطها تشکیل میدهد.

سومین و چهارمین برنامه طرفداران حق آن است که: «آنها از پروردگارشان، خشیت دارند و از بدی حساب (در دادگاه قیامت) می ترسند» (وَ یَخْشُوْنَ رَبَّهُمْ وَ یَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ).

سورة الرعد(١٣): آية ٢٢ ص: 478

(آیه ۲۲)- پنجمین برنامه آنها استقامت است، در برابر تمام مشکلاتی که در مسیر اطاعت و ترک گناه و جهاد با دشمن و مبارزه با ظلم و فساد وجود دارد آن هم صبر و استقامتی برای جلب خشنودی پروردگار، و لذا میفرماید: «آنها کسانی هستند که به خاطر جلب رضایت پروردگارشان صبر و استقامت به خرج دادند» (وَ الَّذِینَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ).

این جمله دلیل روشنی است بر این که صبر و شکیبایی و بطور کلی هرگونه عمل خیر در صورتی ارزش دارد که «ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ» و برای خـدا باشد، و اگر انگیزههای دیگری از قبیل ریاکاری و جلب توجه مردم و یا حتی برای ارضای غرور خود، کاری را انجام دهد بیارزش است.

ششمين برنامه آنها اين است كه «آنها نماز را بر پا مىدارند» (وَ أَقامُوا الصَّلاةَ).

چه چیز مهمتر از این است که انسان هر صبح و شام رابطه و پیوند خود را با خدا تجدید کند، با او به راز و نیاز برخیزد و به یاد عظمت او و مسؤولیتهای خویش بیفتد، و در پرتو این کار، گرد و غبار و زنگار گناه را از دل و جان بشوید.

و به دنبال آن هفتمین برنامه حقجویان را با این عبارت بیان می کند: آنها کسانی هستند که «از آنچه به آنان روزی دادهایم در پنهان و آشکار انفاق می کنند» (وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً).

نماز پیوند انسان را با «خدا» و زکوهٔ پیوند او را با «خلق» محکم می کند.

بالاخره هشتمين و آخرين برنامه آنها اين است كه: «آنها به وسيله حسنات، سيئات خود را از ميان مىبرند» (وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةُ).

> و هر اندازه گناه و لغزش آنها بزرگتر باشد به همان اندازه حسنات بیشتری برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷۷ انجام میدهند، تا وجود خود و جامعه را از لوث گناه با آب حسنات بشویند.

این احتمال نیز در تفسیر آیه وجود دارد که آنها بدی را با بدی تلافی نمی کنند، بلکه سعی دارند اگر از کسی نسبت به آنها بدی برسد، با انجام نیکی در حق وی، او را شرمنده و وادار به تجدید نظر کنند.

و در پایـان آیه پس از ذکر برنـامههـای مختلف گذشـته اشـاره به عـاقبت کار «اولوا الالباب» و اندیشـمندان و طرفـداران حق و عاملان به این برنامهها کرده، میفرماید: «عاقبت نیک سرای دیگر برای آنهاست» (أُولئِکَ لَهُمْ عُقْبَی الدَّارِ).

سورة الرعد(١٣): آية ٢٣ ص: 477

(آیه ۲۳) – این آیه در توضیح این سر انجام نیک و عاقبت خیر می گوید:

سر انجام كار آنها «باغهاى جاويدان بهشت است كه هم خودشان وارد آن مىشونىد و هم پدران و همسران و فرزندان صالح آنها» (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيًاتِهِمْ).

و چیزی که این نعمتهای بزرگ و بیپایان را تکمیل میسازد، این است که «فرشتگان از هر دری بر آنها وارد میشونـد» (وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ باب).

سورة الرعد(١٣): آية ٢٤ ص: 477

(آیه ۲۴)– و به آنها می گویند: «سلام بر شما به خاطر صبر و استقامتتان» (سَلامٌ عَلَیْکُمْ بِما صَبَرْتُمْ).

آن صبرها و استقامتهای شما در راه انجام وظائف و مسؤولیتها و تحمل شدائد و مصائب بوده که این سلامت را به وجود آورد، در اینجا در نهایت امنیت و آرامش خواهید بود.

و در پایان می فرماید: «چه پایان نیک و چه عاقبت خوبی»؟ (فَنِعْمَ عُقْبَی الدَّارِ).

از آیات قرآن و روایات به خوبی استفاده می شود که بهشت درهایی دارد که اشاره به اعمال و کارهایی است که سبب ورود به بهشت می شوند. و جالب این که در قرآن می خوانیم: جهنم «هفت» در دارد، و طبق روایات، بهشت دارای «هشت» در است اشاره به این که طرق وصول به سعادت و بهشت جاویدان از طرق وصول به جهنم بیشتر است، و رحمت خدا بر غضب او پیشی می گیرد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷۸

سورة الرعد(١٣): آية ٢٥ ص: 4٧٨

(آیه ۲۵) - دنیا پرستان تبهکار! از آنجا که نیک و بد همواره در مقایسه با یکدیگر به خوبی روشن می گردد پس از ذکر صفات «اولوا الالباب» در اینجا بخشی از صفات اصلی مفسدان و آنها که عقل و اندیشه واقعی خود را از دست دادهاند بیان می دارد، می گوید: «و آنها که عهد الهی را بعد از محکم کردن می شکنند، و پیوندهایی را که خدا فرمان به برقراری آن داده، قطع می کنند، و در روی زمین افساد می نمایند، لعنت و مجازات سرای دیگر از آنهاست» (وَ الَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِیثاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ أُولِئِکَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ).

در حقیقت تمام مفاسد عقیدتی و علمی آنها در سه جمله فوق، خلاصه شده است:

۱- شکستن پیمانهای الهی که شامل پیمانهای فطری، و پیمانهای عقلی، و پیمانهای تشریعی میشوند.

٢- قطع رابطه ها رابطه با خدا، رابطه با رهبران الهي، رابطه با خلق، و رابطه با خويشتن.

۳- آخرین قسمت که ثمره دو قسمت قبل است، فساد در روی زمین است.

سورة الرعد(١٣): آية ٢٠ ص: 4٧٨

(آیه ۲۶) – در این آیه اشاره به این می کند که روزی و زیادی و کمی آن، به دست خداست: «خداوند روزی را برای هر کس بخواهد وسیع، و برای هر کس بخواهد تنگ قرار می دهد» (اللَّهُ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ وَ یَقْدِرُ).

اشاره به این که آنها به خاطر جلب در آمـد بیشتر در روزی زمین فساد می کننـد، پیونـدهای خـدایی را میبرنـد، و عهد الهی را میشـکنند تا در آمد و بهره بیشتری از زندگی مادی پیدا کنند، توجه به این حقیقت ندارند که روزی و کم و زیاد آن به دست خداست.

سپس اضافه مى كند كه: پيمان شكنان و مفسدان فى الارض «تنها به زندگى دنيا خشنود و خوشحالند در حالى كه زندگى دنيا در برابر آخرت، متاع ناچيزى بيش نيست» (وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنيا وَ مَا الْحَياةُ الدُّنيا فِى الْآخِرَةِ إِلَّا مَتاعٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷۹

سورة الرعد(١٣): آية ٢٧ ص: 479

(آیه ۲۷)- از آنجا که در این سوره بسیاری از بحثها پیرامون توحید و معاد و رسالت پیامبر صلّی الله علیه و آله است، این آیه بار دیگر به سراغ مسأله دعوت پیامبر اسلام میرود و یکی از ایرادات منکران لجوج را بیان کرده، می گوید: «و کافران می گویند:

چرا معجزهای از سوی پروردگارش بر او نازل نشده است» (وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ).

آنها انتظار دارند که پیامبر به صورت یک «خارق العاده گر» در گوشهای بنشیند و هر یک از آنها از در وارد شوند، و هر معجزهای مایل هستند پیشنهاد کنند او هم بلافاصله به آنها ارائه دهد، و تازه آنها اگر مایل نبودند ایمان نیاورند! قرآن در پاسخ آنها می گوید: ای پیامبر! به اینها «بگو: که خداوند هر که را بخواهد گمراه می کند و هر کس که به سوی او باز گردد مشمول هدایتش قرار می دهد» (قُلْ إِنَّ اللَّهَ یُضِلُّ مَنْ یَشاءُ وَ یَهْدِی إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ).

اشاره به این که کمبود شما از ناحیه اعجاز نیست، بلکه کمبود شما از درون وجود خودتان است، لجاجتها، تعصبها، جهالتها، و گناهانی که سد راه توفیق میشود مانع از ایمان شماست.

جمال یار ندارد نقاب و پرده ولی غبار ره بنشان تا نظر توانی کرد.

سورة الرعد(١٣): آية ٢٨ ص: ٤٧٩

(آیه ۲۸) - در این آیه تفسیر بسیار جالبی از «مَنْ أَنابَ» (آنها که به سوی خدا بازگشتهاند) بیان کرده، میفرماید: «اینان کسانی هستند که ایمان آوردهاند و دلهایشان به ذکر خدا مطمئن و آرام است» (الَّذِینَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِکْرِ اللَّهِ). و بعد به عنوان یک قاعده کلی و اصل جاویدان و فراگیر میفرماید: «آگاه باشید با یاد خدا دلها آرامش میگیرد» (أَلا بِذِکْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ).

سورة الرعد(١٣): آية ٢٩ ص: ٤٧٩

اشاره

(آیه ۲۹) و در این آیه با ذکر سرنوشت و پایان کار افراد با ایمان مضمون آیات قبل را چنین تکمیل می کند: «آنهایی که

ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند بهترین زندگی برای آنهاست و سر انجام کارشان بهترین سر انجامها خواهد بود» (الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ طُوبی لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۸۰

ذکر خدا چیست و چگونه است؟ ص: 480

گفتهاند «ذکر دو گونه است: ذکر قلبی و ذکر زبانی و هر یک از آنها دو گونه است یا پس از فراموشی است و یا بدون فراموشی».

و به هر حال در آیه فوق منظور از ذکر خدا که مایه آرامش دلهاست تنها این نیست که نام او را بر زبان آورد و مکرر تسبیح و تهلیل و تکبیر گوید، بلکه منظور آن است که با تمام قلب متوجه او و عظمتش و علم و آگاهیش و حاضر و ناظر بودنش گردد، و این توجه، مبدأ حرکت و فعالیت در وجود او به سوی جهاد و تلاش و نیکیها گردد و میان او و گناه سد مستحکمی ایجاد کند، این است حقیقت «ذکر» که آن همه آثار و برکات در روایات اسلامی برای آن بیان شده است.

در حدیث میخوانیم از وصایایی که پیامبر به علی علیه السّلام فرمود این بود:

«ای علی! سه کار است که این امت طاقت آن را ندارند (و از همه کس ساخته نیست) مواسات با برادران دینی در مال، و حق مردم را از خویشتن دادن، و یاد خدا در هر حال، ولی یاد خدا (تنها) سبحان الله و الحمد لله و لا اله الا الله و الله اکبر نیست، بلکه یاد خدا آن است که هنگامی که انسان در برابر حرامی قرار می گیرد از خدا بترسد و آن را ترک گوید».

سورة الرعد(١٣): آية ٣٠ ص: 4٨٠

اشاره

آیه ۳۰

شأن نزول: ص: 480

ممكن است این آیه را پاسخ به گفتار مشركان كه در سوره فرقان آمده است بدانیم كه در برابر دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله كه می گفت: «برای رحمان سیجده كنید، گفتند: رحمان كیست»؟ ما رحمان را نمی شناسیم! اشیجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ (فرقان/ ۶۰).

تفسير: ص: ۴۸۰

هر کار کنی این لجوجان ایمان نمی آورند! بار دیگر قرآن به بحث نبوت باز می گردد. و قسمت دیگری از گفتگوهای مشرکان و پاسخ آنها را در زمینه نبوت بازگو می کند: نخست می گوید: «همان گونه (که پیامبران پیشین را برای هدایت اقوام گذشته فرستادیم) تو را نیز به میان امتی فرستادیم که قبل از آنها امتهای دیگری آمدند و رفتند» (کَذلِکَ أَرْسَ لْناکَ فِی أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِها أُمَمً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص:

«و هدف این بود که آنچه را بر تو وحی کردهایم بر آنها بخوانی» (لِتَتْلُوَا عَلَیْهِمُ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ). «در حالی که آنها به رحمان کفر میورزند» (وَ هُمْ یَکْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ).

به خداوندی که رحمتش همگان را در بر گرفته و فیض گسترده و عامش کافر و مؤمن و گبر و ترسا را شامل شده است. «بگو: (اگر نمیدانید) رحمان آن خداوندی که فیض و رحمتش عام است، پروردگار من است» (قُلْ هُوَ رَبِّی). «هیچ معبودی جز او نیست، من بر او توکل کردم، و بازگشتم به سوی او است» (لا إِلهَ إِنَّا هُوَ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَ إِلَیْهِ مَتابِ).

سورة الرعد(١٣): آية ٣١ ص: ٤٨١

اشاره

(آیه ۳۱)

شأن نزول: ص: 481

بعضی از مفسران بزرگ گفتهاند: این آیه در پاسخ جمعی از مشرکان «مکّه» نازل شده است، که در پشت خانه کعبه نشسته بودند و به دنبال پیامبر (ص) فرستادند، پیامبر صلّی الله علیه و آله (به امید هدایت آنان) نزد آنها آمد، عرض کردند: اگر دوست داری از تو پیروی کنیم این کوههای مکّه را به وسیله قرآنت عقب بران تا کمی این زمین تنگ و محدود ما گسترش یابد! تو به گمان خود کمتر از داود نیستی که خداوند کوهها را برای او مسخّر کرده بود، یا این که باد را مسخّر ما گردان، همان گونه که مسخّر سلیمان بود، و نیز جدت «قصی» (جد طایفه قریش) را زنده کن، زیرا عیسی (ع) مردگان را زنده می کرد و تو کمتر از عیسی نیستی! در این هنگام آیه نازل شد که شما همه آنچه را می گویید از سر لجاجت است نه برای ایمان آوردن!

تفسير: ص: ۴۸۱

همان گونه که در شأن نزول آمد، این آیه پاسخ به بهانه جویانی است که از سر لجاجت نه برای ایمان آوردن از پیامبر درخواست معجزات اقتراحی می کردند، می فرماید: «حتی اگر به وسیله قرآن کوهها به حرکت در آیند و زمینها، قطعه قطعه شوند، و به وسیله آن با مردگان صحبت شود» باز هم ایمان نخواهند آورد! (وَ لَوْ أَنَّ قُوْآناً سُیِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ کُلِّمَ بِهِ الْمُوْتی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۸۲

«ولى همه اين كارها در اختيار خداست» و هر اندازه لازم بداند انجام مىدهد (بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً).

اما شما طالب حق نیستید و اگر بودید همان مقدار از نشانههای اعجاز که از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله صادر شده برای ایمان آوردن کاملا کافی بود.

سپس اضافه می کند: «آیا کسانی که ایمان آوردهانید نمیداننید که اگر خیدا بخواهد همه مردم را بالاجبار هدایت می کند» (أَ فَلَمْ يَيْأُس الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً).

ولی هرگز او چنین نخواهـد کرد، چرا که این گونه ایمان اجباری بیارزش و فاقد معنویت و تکاملی است که انسان به آن نیاز دارد.

بعد اضافه می کند: «در عین حال کافران همواره مورد هجوم مصائب کوبنده ای به خاطر اعمالشان هستند» (وَ لا یَزالُ الَّذِینَ کَفُرُوا تُصِیبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَهُ). که این مصائب به صورت بلاهای مختلف و همچنین جنگهای کوبنده مجاهدان اسلام بر آنها فرود می آید.

و اگر این مصائب در خمانه آنان فرود نیایـد «به نزدیکی خانه آنها وارد میشود» (أَوْ تَحُلُّ قَرِیباً مِنْ دارِهِمْ). تا عبرت بگیرنـد و تکانی بخورند و به سوی خدا باز گردند.

و اين هشدارها همچنان ادامه خواهد يافت «تا فرمان نهايي خدا فرا رسد» (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ).

این فرمان نهایی ممکن است اشاره به مرگ، یا روز قیامت باشـد و یا به گفته بعضـی «فتـح مکه» که آخرین قـدرت دشـمن را درهم شکست.

و به هر حال وعده خدا قطعي است، «و خداوند هيچ گاه از وعده خود تخلف نخواهد كرد» (إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ).

سورة الرعد(١٣): آية ٣٢ ص: ٤٨٢

(آیه ۳۲) - در این آیه روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، می گوید: تنها تو نیستی که با تقاضاهای گوناگون و پیشنهاد معجزات اقتراحی از طرف این گروه کافر به استهزاء و سخریه کشیده شدهای، این یک سابقه طولانی در تاریخ انبیاء دارد برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۸۳

«و بسیاری از رسولان پیش از تو نیز مورد استهزاء واقع شدند» (وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکُ).

ولى ما اين كافران را فورا مجازات نكرديم، «بلكه به آنها مهلت داديم» (فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا).

شاید بیدار شوند و به راه حق بازگردند و یا حد اقل اتمام حجت کافی بر آنها بشود. چرا که اگر آنها بدکار و گنهکارند مهربانی خداوند و لطف و کرم و حکمت او جایی نرفته است! ولی به هر حال این مهلت و تأخیر به آن معنی نیست که مجازات و کیفر آنان فراموش شود، لذا «پس (از این مهلت) آنها را گرفتیم، دیدی مجازات من چگونه بود»؟! این سرنوشت در انتظار قوم لجوج تو نیز هست (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَکَیْفَ کانَ عِقابِ).

سورهٔ الرعد(۱۳): آیهٔ ۳۳ ص : ۴۸۳

(آیه ۳۳) – چگونه خدا را با بتها قرین میسازید؟! در این آیه بار دیگر به بحث در باره توحید و شرک باز می گردد و مردم را با این دلیل روشن مخاطب میسازد که: «آیا کسی که بالای سر همه ایستاده (و حافظ و نگهبان و مراقب همه است) و اعمال همه را میبیند» همچون کسی است که هیچ یک از این صفات را ندارد؟ (أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلی کُلِّ نَفْسِ بِما کَسَبَتْ). سپس به عنوان تکمیل بحث گذشته و مقدمهای برای بحث آینده، میفرماید: «و آنها برای خدا شریکهایی قرار دادند» (وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَکاءَ).

بلافاصله از چند طریق به آنها پاسخ می دهد.

نخست مى گويد: «بگو: اين شريكها را نام ببريد» (قُلْ سَمُّوهُمْ).

یعنی چگونه یک عده موجودات بینام و نشان و بیارزش و بیاثر را در ردیف پروردگار قادر متعال قرار میدهید؟ دوم این که چگونه چنین شریکی وجود دارد که خداوند که به پندار شما شریک آنهاست از وجودشان هیچ گونه اطلاعی ندارد با این که علمش همه جهان را در برگرفته «آیا به او خبر میدهید از چیزی که وجود آن را در زمین نمیداند» (أَمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۸۴

تُتَبِّئُونَهُ بِما لا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ)

.سوم این که: خود شما هم در واقع در دل، ایمان به چنین چیزی ندارید، «تنها به یک سخن ظاهری تو خالی» که در آن هیچ مفهوم صحیحی نهفته نیست قناعت کردهاید (أَمْ بِظاهِرِ مِنَ الْقَوْلِ).

به همین دلیل این مشرکان هنگامی که در تنگناهای سخت زندگی قرار می گیرند به سراغ «الله» میروند چرا که در دل میدانند کاری از بتها ساخته نیست.

چهارم این که: این مشرکان درک صحیح و درستی ندارند، و چون پیرو هوی و هوس و تقلیدهای کور کورانهاند، قادر به قضاوت عاقلانه و صحیح نیستند، و به همین دلیل به این گمراهی و ضلالت کشیده شدهاند «بلکه در نظر کافران، دروغهایشان زینت داده شده (و بر اثر ناپاکی درون، چنین می پندارند که واقعیتی دارد) و آنها از راه (خدا) باز داشته شدهاند» (بَلْ زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مَکْرُهُمْ وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِیلِ).

«و هر کس را خدا گمراه سازد، راهنمایی برای او وجود نخواهد داشت» (وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ).

«اضلال الهی» به معنی عکس العمل کارهای نادرست و غلط خود انسان است که او را به گمراهیها می کشاند، و از آنجا که این خاصیت را خدا در این گونه اعمال قرار داده، به خدا نسبت داده می شود.

سورة الرعد(١٣): آية ٣٤ ص: ۴٨٤

(آیه ۳۴) – و در این آیه به مجازاتهای دردناک آنها در دنیا و آخرت که طبعا شامل شکست و ناکامی و سیه روزی و آبروریزی و غیر آن میشود، اشاره کرده چنین می گوید: «برای آنها در زندگی دنیا مجازاتی است و مجازات آخرت سخت تر و شدیدتر است» (لَهُمْ عَذابٌ فِی الْحَیاهِ الدُّنیا وَ لَعَذابُ الْآخِرَهِ أَشَقُّ)

.چرا که دائمی و همیشگی و جسمانی و روحانی و توأم با انواع ناراحتیها است: و اگر گمان کنند راه فرار و وسیله دفاعی در برابر آن دارند، سخت در اشتباهند چرا که: «هیچ چیز در برابر خداوند نمیتواند از آنها دفاع کند» (وَ ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ) .برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۸۵

سورة الرعد(١٣): آية ٣٥ ص: 4٨٥

(آیه ۳۵)– بار دیگر در این آیه سخن از معاد و مخصوصا از نعمتهای بهشتی و کیفرهای دوزخی به میان آمده است.

نخست مي گويـد: «توصيف بهشتي كه به پرهيزكاران وعـده داده شـده (اين است كه) نهرهـاي آب از زير درختانش جـاري است» (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

دومین وصف باغهای بهشت این است که: «میوههای آن دائمی و همیشگی است» (أُكُلُها دائِمٌ).

نه همچون میوههای این جهان که فصلی است و هر کدام در فصل خاصی آشکار می شود بلکه گاهی بر اثر آفت و بلا ممکن است در یک سال اصلا نباشد.

و همچنین «سایه آنها» نیز همیشگی است (وَ ظِلُّها).

از این جمله روشن می شود که باغهای بهشت خزان ندارند، و نیز از آن معلوم می شود که تابش نور آفتاب یا همانند آن در بهشت هست.

و در پایان آیه بعد از بیان این اوصاف سه گانه بهشت می گوید: «این است سر انجام پرهیز کاران، ولی سر انجام کافران آتش است»! (تِلْکَ عُقْبَی الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ عُقْبَی الْکافِرِینَ النَّارُ).

در این تعبیر زیبا، نعمتهای بهشتی با لطافت و به تفصیل بیان شده، اما در مورد دوزخیان در یک جمله کوتاه، و خشک و خشن می گوید: «عاقبت کارشان جهنم است»!

سورة الرعد(١٣): آية ٣٤ ص: 483

(آیه ۳۶) – خدا پرستان و احزاب! در این آیه اشاره به عکس العمل متفاوت مردم در برابر نزول آیات قرآن شده است که افراد حقیقت جو و حق طلب چگونه در برابر آنچه بر پیامبر نازل می شد تسلیم و خوشحال بودند و معاندان و افراد لجوج به مخالفت بر می خاستند.

نخست مى گويد: «آنها كه كتاب آسمانى در اختيارشان قرار دادهايم از آنچه بر تو نازل مىشود خوشحالند» (وَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَفْرَحُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ).

یعنی حق طلبان یهود و نصاری و مانند آنها از نزول این آیات بر تو خوشحال بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۸۶ و خشنودند، چرا که از یک سو آن را هماهنگ با نشانههایی که در دست دارند می بینند و از سوی دیگر مایه آزادی و نجات آنها از شرّ خرافات و عالم نمایان یهود و مسیحیت و امثال آنهاست که آنان را به قید و بند کشیده، و از آزادی فکری و تکامل انسانی محروم داشته بودند.

سپس اضافه می کند: «ولی جمعی از احزاب قسمتی از آیاتی را که بر تو نازل شده است انکار می کنند. (وَ مِنَ الْأَحْزابِ مَنْ یُنْکِرُ بَعْضَهُ).

منظور از این گروه همان جمعیت از یهود و نصاری بودهانید که تعصیهای قومی و مذهبی و مانند آن بر آنها غلبه داشته، و در برابر کتب آسمانی خودشان نیز تسلیم نبودنید، آنها در حقیقت «احزاب» و گروههایی بودنید که تنها خط حزبی خودشان را دنبال می کردند.

یا اشاره به مشرکان بوده باشد که آیین و مذهبی نداشتند بلکه احزاب و گروههای پراکندهای بودند که مخالفت با قرآن و اسلام آنها را متحد ساخته بود.

در پایان آیه به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهد که، به مخالفت و لجاجت این و آن اعتنا مکن بلکه در خط اصیل و

صراط مستقیم خود بایست و «بگو: من تنها مأمورم که الله و خدای یگانه یکتا را بپرستم و هیچ شریکی برای او قائل نشوم، فقط به سوی او دعوت می کنم و بـازگشت من (و همگـان) به سوی اوست» (قُـلْ إِنَّمـا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُـدَ اللَّهَ وَ لا أُشْرِکَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَ إِلَيْهِ مَآب).

اشاره به این که، موحد راستین و خدا پرست حقیقی جز تسلیم در برابر همه فرمانهای خدا هیچ خط و برنامهای ندارد.

سورة الرعد(١٣): آية ٣٧ ص: ۴۸۶

(آیه ۳۷) - قرآن همچنان مسائل مربوط به نبوت را دنبال می کند، در این آیه می فرماید: «همان گونه (که بر اهل کتاب و پیامبران پیشین کتاب آسمانی فرستادیم) این قرآن را نیز بر تو نازل کردیم در حالی که مشتمل بر احکام روشن و آشکار است» (وَ کَذلِکَ أَنْزَلْناهُ حُکْماً عَرَبیًا).

منظور از توصیف قرآن به صفت «عربی» این است که احکامش واضح و آشکار و جای سوء استفاده و تعبیرهای مختلف ندارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۸۷

بعد با لحنى تهديد آميز و قاطع، پيامبر صلّى اللّه عليه و آله را مخاطب ساخته، مى گويد:

«و اگر از هوی و هوسهای آنها بعد از آن که آگاهی بر تو آمده پیروی کنی (به کیفر الهی مجازات خواهی شد و) هیچ کس در برابر خدا قدرت حمایت از تو و نگهداریت را نخواهد داشت» (وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِیِّ وَ لا واقِ).

گرچه احتمال انحراف، مسلما در پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با آن مقام عصمت و معرفت و آگاهی وجود نداشته، اما این تعبیر روشن میسازد که خدا با هیچ کس ارتباط خصوصی و به اصطلاح خویشاوندی ندارد، و حتی اگر پیامبر، مقامش والا است به خاطر تسلیم و عبودیت و ایمان و استقامت اوست.

سورة الرعد(١٣): آية ٣٨ ص: ٤٨٧

(آیه ۳۸) – این آیه در حقیقت پاسخی است به ایرادات مختلفی که دشمنان پیامبر صلّی الله علیه و آله داشتند از جمله این که: گروهی می گفتند مگر پیامبر ممکن است از جنس بشر باشد، و همسر اختیار کند و فرزندانی داشته باشد، قرآن به آنها پاسخ می گوید:

این امر تازهای نیست «ما پیش از تو پیامبران بسیاری فرستادیم و برای آنها همسران و فرزندان قرار دادیم» (وَ لَقَدْ أَرْسَ لْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِکَ وَ جَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَ ذُرِّيَّةً).

دیگر این که آنها انتظار دارنـد که هر معجزهای را پیشـنهاد میکننـد و هر چه هوی و هوسـشان اقتضا میکنـد انجام دهی- چه ایمان بیاورند یا نیاورند- ولی آنها باید بدانند: «هیچ پیامبری نمیتواند معجزهای جز به فرمان خداوند بیاورد» (وَ ما کانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِیَ بِآیَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ).

سومین ایراد این بود که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله آمده و احکامی از تورات یا انجیل را دگرگون ساخته.

آیه در آخرین جمله خود به آنها پاسخ می گوید که: «برای هر زمانی حکم و قانونی مقرر شده» تا بشریت به مرحله بلوغ نهایی برسد و آخرین فرمان صادر شود (لِکُلِّ أَجَلِ کِتابٌ). بنابراین جای تعجب نیست که یک روز تورات را نازل کنید، و روز دیگر انجیل را، و سپس قرآن را، چرا که بشریت در زندگی متحول و متکامل خود، نیاز به برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۸۸ برنامههای متفاوت و گوناگونی دارد.

سورة الرعد(١٣): آية ٣٩ ص: ۴۸٨

(آیه ۳۹) – این آیه به منزله تأکید و استدلالی است بر آنچه در ذیل آیه قبل گفته شد و آن این که هر حادثه و هر حکم و فرمانی، زمان معینی دارد و اگر می بینی بعضی از کتاب آسمانی جای بعض دیگر را می گیرند به خاطر آن است که «خداوند هر چیزی را بخواهد محو می کند (همان گونه که به مقتضای اراده و حکمت خویش) اموری را اثبات می نماید، و کتاب اصلی و ام الکتاب نزد اوست» (یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشَاءُ وَ یُشْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ).

سورهٔ الرعد(۱۳): آیهٔ ۴۰ ص : ۴۸۸

اشاره

(آیه ۴۰) – سر انجام به عنوان تأکید بیشتر در مورد مجازاتهایی که پیامبر صلّی الله علیه و آله وعده می داد و آنها انتظارش را می کشیدند و حتی ایراد می کردند که چرا این وعده های تو عملی نمی شود، می فرماید: «و اگر پارهای از آنچه را به آنها وعده دادیم (از پیروزی تو و شکست آنها و رهایی پیروان تو و اسارت پیروان آنها) در دوران حیاتت به تو نشان دهیم و یا تو را پیش از آن که این وعده ها تحقق پذیرد از دنیا ببریم در هر صورت وظیفه تو ابلاغ رسالت است و وظیفه ما گرفتن حساب از آنهاست» (وَ إِنْ ما نُرِیَنَّکَ بَعْضَ الَّذِی نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّیَنَّکَ فَإِنَّما عَلَیْکَ الْبَلاغُ وَ عَلَیْنَا الْحِسابُ).

لوح محو و اثبات و امّ الكتاب- ص : 488

جمله «یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ وَ یُشِبِتُ ...» یک قانون کلی را بیان می کند که در منابع مختلف اسلامی نیز به آن اشاره شده است، و آن این که: تحقق موجودات و حوادث مختلف جهان دو مرحله دارد: یکی مرحله قطعیت که هیچ گونه دگرگونی در آن راه ندارد (و در آیه فوق از آن تعبیر به «ام الکتاب»، کتاب مادر شده است) و دیگری مرحله غیر قطعی به تعبیر دیگر «مشروط» است که در این مرحله دگرگونی در آن راه دارد، و از آن تعبیر به مرحله محو و اثبات می شود.

گاهی نیز از این دو، تعبیر به «لوح محفوظ» و «لوح محو و اثبات» می شود، گویی در یکی از این دو لوح، آنچه نوشته شده است به هیچ وجه دگرگونی در آن راه ندارد و کاملا محفوظ است و اما دیگری ممکن است، چیزی در آن نوشته شود برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۸۹

و سپس محو گردد و به جای آن چیز دیگری نوشته شود.

از امام باقر علیه السّ بلام چنین نقل شده که فرمود: «قسمتی از حوادث حتمی است که حتما تحقق می پذیرد، و قسمت دیگری مشروط به شرائطی است در نزد خدا که هر کدام را صلاح بداند مقدم می دارد و هر کدام را اراده کند محو می کند، و هر

سورة الرعد(١٣): آية ٤١ ص: ٤٨٩

(آیه ۴۱)– انسانها و جامعهها از میان میروند و خدا میماند: از آنجا که در آیات گذشته روی سخن با منکران رسالت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بود در اینجا نیز همان بحث تعقیب شده است.

نخست می گوید: این مغروران لجوج «آیا ندیدند که ما پیوسته به سراغ زمین می آییم و از اطراف (و جوانب) آن کم می کنیم»؟! (أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنَّا نَأْتِی الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها).

روشن است که منظور از «زمین» در اینجا «اهل زمین» است، یعنی، آیا آنها به این واقعیت نمینگرند که پیوسته اقوام و تمدّنها و حکومتها در حال زوال و نابودی هستند؟

و این هشداری است به همه مردم اعم از نیک و بد حتی علماء و دانشمندان که ارکان جوامع بشری هستند و با از میان رفتن یک تن آنها گاهی دنیایی به نقصان می گراید، هشداری است گویا و تکان دهنده! سپس اضافه می کند: «حکومت و فرمان از آن خداست و هیچ کس را یارای ردّ احکام او یا جلوگیری از فرمان او نیست» (وَ اللَّهُ یَحْکُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُکْمِهِ).
«و او سریع الحساب است» (وَ هُوَ سَرِیعُ الْحِسابِ).

سورة الرعد(١٣): آية ٤٢ ص: ٤٨٩

(آیه ۴۲)– در این آیه بحث فوق را ادامه می دهـد و می گویـد: تنهـا این گروه نیسـتند که بـا توطئههـا و مکرهـا به مبـارزه با تو برخاستهاند بلکه «آنها که پیش از این گروه بودند نیز چنین توطئهها و مکرها داشتند» (وَ قَدْ مَکَرَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

اما نقشه هایشان نقش بر آب و توطئه هایشان به فرمان خدا خنثی شد، چرا که او از همه کس به این مسائل آگاهتر است، بلکه «تمام طرحها و نقشه ها از آن برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۹۰

خداست» (فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً).

اوست که از کار و بار هر کس آگاه است و «میداند هر کسی چه کاری میکند» (یَعْلَمُ ما تَکْسِبُ کُلُّ نَفْسٍ). و سپس با لحنی تهدید گونه آنها را از پایان کارشان بر حذر میدارد و میگوید:

«كافران به زودى خواهنـد دانست كه پايـان كار و سـر انجام نيك و بـد در سـراى ديگر از آن كيست»؟ (وَ سَـيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ).

سورة الرعد(١٣): آية ٤٣ ص: ٤٩٠

(آیه ۴۳) - در این آیه - همان گونه که این سوره در آغاز از نام قرآن و کتاب الله شروع شده - با تأکید بیشتری روی معجزه بودن قرآن، سوره رعد را پایان می دهد، می گوید: «این کافران می گویند تو پیامبر نیستی» (وَ یَقُولُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَشَتَ مُرْسَلًا). هر روز بهانه ای می تراشند، هر زمان تقاضای معجزه ای دارند و آخر کار هم باز می گویند تو پیامبر نیستی! در پاسخ آنها «بگو: همین کافی است که دو کس میان من و شما گواه باشد یکی الله و دیگری کسانی که علم کتاب و آگاهی از قرآن نزد آنهاست»! (قُلْ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتاب).

هم خدا می داند که من فرستاده اویم، و هم آنها که از این کتاب آسمانی من یعنی قرآن آگاهی کافی دارند. و این تأکیدی است مجدد بر اعجاز قرآن از جنبههای مختلف.

«پایان سوره رعد»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۹۱

سوره ابراهیم [۱۴] ص: ۴۹۱

اشاره

این سوره دارای ۵۲ آیه است که در «مکّه» نازل شده به استثنای آیات ۲۸ و ۲۹، که طبق گفته بسیاری از مفسران در «مدینه» در باره کشتگان مشرکان در بدر نازل گردیده است.

محتوای سوره: چنانکه از نام سوره پیداست، قسمتی از آن در باره قهرمان توحید ابراهیم بت شکن (بخش نیایشهای او) نازل گردیده است.

بخش دیگری از این سوره اشاره به تاریخ انبیای پیشین همچون نوح، موسی و قوم عاد و ثمود، و درسهای عبرتی که در آنها نهفته است میباشد.

خلاصه این سوره مجموعهای است از بیان اعتقادات و اندرزها و موعظه ها و سرگذشتهای عبرت انگیز اقوام پیشین و بیان هدف رسالت پیامبران و نزول کتب آسمانی.

فضيلت تلاوت اين سوره: ص : 491

از پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله نقل شده است که فرمود: «کسی که سوره ابراهیم و حجر را بخواند، خداوند به تعداد هر یک از آنها که بت میپرستیدند و آنها که بت نمیپرستیدند، ده حسنه به او میبخشد».

همان گونه که بارها گفته ایم پاداشهایی که در باره تلاوت سوره های قرآن وارد شده پاداشی است در برابر خواندن توأم با اندیشه و سپس عمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۱ ص: ۴۹۱

(آیه ۱) – بیرون آمدن از ظلمتها به نور: این سوره همانند بعضی دیگر از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۹۲ سورهای سورههای قرآن با حروف مقطعه شروع شده است. نکتهای که تذکر آن را در اینجا لازم میدانیم این است که از ۲۹ سورهای که با حروف مقطعه آغاز شده، درست در ۲۴ مورد از آنها بلافاصله سخن از قرآن مجید به میان آمده است که نشان می دهد پیوندی میان این دو یعنی حروف مقطعه و قرآن برقرار است، و ممکن است خداوند بخواهد با این بیان روشن کند که این کتاب بزرگ آسمانی با این محتوای پرعظمت که رهبری همه انسانها را به عهده دارد از مواد سادهای به نام «حروف الفبا» تشکیل یافته و این نشانه اهمیت این اعجاز است.

به هر حال بعد از ذكر حروف «الف، لام، راء» (الر).

مىفرمايىد: «اين كتابى است كه بر تو نازل كرديم به اين منظور كه مردم را از گمراهيها به سوى نور خارج كنى» (كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ).

در حقیقت تمام هدفهای تربیتی و انسانی، معنوی و مادی نزول قرآن، در همین یک جمله جمع است: «بیرون ساختن از ظلمتها به نور»! از ظلمت جهل به نور دانش، از ظلمت کفر به نور ایمان، از ظلمت ستمگری و ظلم به نور عدالت، از ظلمت فساد به نور صلاح، از ظلمت گناه به نور پاکی و تقوا، و از ظلمت پراکندگی و تفرقه به نور وحدت.

و از آنجا که سر چشمه همه نیکیها، ذات پاک خداست، و شرط اساسی درک توحید، توجه به همین واقعیت است بلافاصله اضافه میکند: همه اینها «به اذن پروردگارشان (پروردگار مردم) میباشد» (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ).

سپس برای توضیح و تبیین بیشتر هدایت به سوی نور می فرماید: «به سوی راه خداوند عزیز و حمید» (إِلی صِـ راطِ الْعَزِیزِ الْحَمید).

خداوندی که عزتش دلیل قدرت اوست، و حمید بودنش نشانه مواهب و نعمتهای بیپایان او میباشد.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۲ ص: ۴۹۲

(آیه ۲)- در این آیه به عنوان معرفی خداونـد، درسـی از توحیـد بیان کرده، میگوید: «همان خداوندی که آنچه در آسـمان و زمین است از آن اوست» (اللَّهِ الَّذِی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۹۳

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ)

.و در پایان آیه توجه به مسأله معاد- بعد از توجه به مبدأ- داده، می گوید:

«وای بر کافران از عذاب شدید» رستاخیز (وَ وَیْلٌ لِلْکافِرِینَ مِنْ عَذابِ شَدِیدٍ).

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳ ص: ۴۹۳

(آیه ۳)- و در این آیه بلافاصله کافران را معرفی می کند و با ذکر، سه قسمت از صفات آنها وضعشان را کاملا مشخص می سازد بطوری که هر کس در اولین برخورد بتواند آنها را بشناسد.

نخست مى گويد: «آنها كسانى هستند كه زندگى پست اين جهان را بر زندگى آخرت مقدم مىشمرند» (الَّذِينَ يَشْ تَحِبُّونَ الْحَياةُ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ).

و همه چیز حتی ایمان و حق را فدای منافع پست و شهوات و هوسهای خود میسازند.

سپس می گویـد: آنها به این مقـدار هم قانع نیسـتند بلکه علاوه بر گمراهی خودشان سـعی در گمراه ساختن دیگران هم دارند: «آنها (مردم را) از راه خدا باز میدارند» (وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ).

بلکه علاوه بر آن «سعی می کنند آن را دگرگون نشان دهند» (وَ يَبْغُونَها عِوَجاً).

در حقیقت آنها هوسها را زینت میدهند، مردم را تشویق به گناه مینمایند، و از درستی و پاکی میترسانند. و با تمام قوا می کوشند دیگران را همرنگ خود سازند و با افزودن خرافات، و انواع تحریفها، و ابداع سنتهای زشت و کثیف به این هدف روشن است «این افراد (با داشتن این صفات و اعمال) در گمراهی بسیار دوری هستند» (أُولِئِکَ فِی ضَلالٍ بَعِیدٍ). همان گمراهی که بازگشتشان به راه حق بر اثر بعد و دوری مسافت به آسانی امکان پذیر نیست ولی اینها همه محصول اعمال خود آنهاست!

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۴ ص: ۴۹۳

(آیه ۴)- در آیات گذشته سخن از قرآن مجید و اثرات حیاتبخش آن بود، در این آیه همین موضوع در بعد خاصی تعقیب شده و آن وحدت لسان پیامبران و کتب آسمانی آنها با زبان نخستین قومی است که به سوی آنها مبعوث شده اند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۹۴

می فرماید: «و ما هیچ پیامبری را نفرستادیم مگر به زبان قوم خودش» (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ).

زیرا پیامبران در درجه اول با قوم خود، همان ملتی که از میان آنها برخاستهاند، تماس داشتند و نخستین شعاع وحی به وسیله پیامبران بر آنها می تابید، و نخستین یاران و یاوران آنها از میان آنان برگزیده می شدند، بنابراین پیامبر باید به زبان آنها و لغت آنها سخن بگوید «تا حقایق را به روشنی برای آنان آشکار سازد» (لِیُبَیِّنَ لَهُمْ).

لـذا دعوت پیـامبران از طریق تبیین و روشـنگری و تعلیم و تربیت بـا همـان زبـان معمولی و رایـج صورت میگرفته است، نه از طریق یک اثر مرموز و ناشناخته در قلبها.

سپس اضافه می کند: «بعد (از تبیین دعوت الهی برای آنها) خداوند هر کس را بخواهد گمراه می کند و هر کس را بخواهد هدایت می نماید» (فَیُضِلُّ اللَّهُ مَنْ یَشاءُ وَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ).

اشاره به این که هدایت و ضلالت در نهایت امر، کار پیامبران نیست، کار آنها ابلاغ و تبیین است، این خداست که راهنمایی و هدایت واقعی بندگانش را در دست دارد.

ولى براى اين كه تصور نشود معنى اين سخن جبر و الزام و سلب آزادى بشر است، بلافاصله اضافه مى كند: «و او عزيز حكيم است» (وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

به مقتضای عزت و قدرتش، بر هر چیز تواناست، اما به مقتضای حکمتش بیجهت و بیدلیل کسی را هدایت و یا کسی را گمراه نمیسازد، بلکه گامهای نخستین با نهایت آزادی اراده در راه سیر الی الله از ناحیه بندگان برداشته می شود و سپس نور هدایت و فیض حق بر قلب آنها می تابد.

همچنین آنها که با لجاجت و تعصب و دشمنی با حق و غوطهور شدن در شهوات و آلوده شدن به ظلم و ستم، شایستگی همدایت را از خود سلب کردهاند، از فیض هدایت محروم، و در وادی ضلالت، گمراه میشوند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۹۵

و به این ترتیب سر چشمه هدایت و ضلالت به دست خود ماست.

سورة ابراهيم (١٤): آية ٥ ص: 49٥

(آیه ۵)- در این آیه به یکی از نمونههای ارسال پیامبران در مقابل طاغوتهای عصر خود به منظور خارج کردن آنان از ظلمتها به نور اشاره کرده، میفرماید: «و ما موسی را با آیات خود (معجزات گوناگون) فرستادیم و به او فرمان دادیم که قوم خودت

را از ظلمات به سوى نور بيرون آر»! (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظَّلُماتِ إِلَى النُّورِ).

سپس به یکی از مأموریتهای بزرگ موسی اشاره کرده، میفرماید: «ایام الهی و روزهای خدا را به یاد قوم خود بیاور» (وَ ذَكِّرْهُمْ بأَیّام اللَّهِ).

«بِأُيَّام اللَّهِ» تمام روزهایی است که دارای عظمتی در تاریخ زندگی بشر است.

هر روز که فصل تازهای در زندگی انسانها گشوده، و درس عبرتی به آنها داده و ظهور و قیام پیامبری در آن بوده، یا طاغوت و فرعون گردنکشی در آن به قعر درّه نیستی فرستاده شده، خلاصه هر روز که حق و عدالتی بر پا شده و ظلم و بدعتی خاموش گشته، همه آنها از ایام الله است.

در حدیثی از امام باقر علیه السلام میخوانیم که فرمود: «ایام الله، روز قیام مهدی موعود - عج - و روز رجعت و روز قیامت است».

در پایان آیه میفرماید: «در این سخن و در همه ایام الله، آیات و نشانههایی است برای هر انسان شکیبا و پراستقامت و شکرگزار» (إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَبَّارٍ شَکُورٍ).

به این ترتیب افراد با ایمان نه در مشکلات و روزهای سخت دست و پای خود را گم میکنند، و تسلیم حوادث میشوند و نه در روزهای پیروزی و نعمت گرفتار غرور و غفلت می گردند.

سورة ابراهيم(14): آية 6 ص: 495

(آیه ۶) - در این آیه به یکی از آن ایام الله و روزهای درخشان و پرباری که در تاریخ بنی اسرائیل وجود داشته و ذکر آن تذکری برای مسلمانان است، اشاره کرده می گوید: «و (به خاطر بیاورید) هنگامی را که موسی به قوم خود گفت: نعمت خدا را متذکر شوید آن زمان که شما را از چنگال آل فرعون رهایی بخشید» (وَ إِذْ قالَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۹۶ مُوسی لِقَوْمِهِ اذْکُرُوا نِعْمَةً اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ أَنْجاکُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ)

«همانها که شما را به بدترین وجهی عذاب میکردند، پسرانتان را سر میبریدند و زنانتان را (برای خدمت و کنیزی) زنده نگه میداشتند» (یَسُومُونَکُمْ سُوءَ الْعَذابِ وَ یُذَبِّحُونَ أَبْناءَکُمْ وَ یَسْتَحْیُونَ نِساءَکُمْ).

و در طول تاریخ شیوه هر استعمارگری چنین بوده است که قسمتی از نیروهای فعال و پرخاشگر و پرمقاومت را نابود می کردند، یا با انواع اعتیادها و آلودگیها آنها را عملا بی اثر می ساختند، و قسمت دیگری را تضعیف کرده و در مسیر منافع خود به کار می انداختند.

«و در این آزمایش بزرگی از پروردگارتان برای شما بود» (وَ فِی ذٰلِکُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَظِیمٌ).

نه تنها در مورد بنی اسرائیل که در مورد همه اقوام و ملتها، روز رسیدنشان به آزادی و استقلال و کوتاه شدن دست طاغوتها از «ایام اللّه» است.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۷ ص: ۴۹۶

(آیه ۷)– سپس اضافه می کند: «و (این را هم به خاطر بیاورید) که پروردگار شما اعلام کرد اگر شکر نعمتهای مرا به جا آورید من بطور قطع نعمتهای شما را افزون می کنم و اگر کفران کنید عذاب و مجازات من شدید است» (وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكَمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدً).

این آیه ممکن است دنباله کلام موسی به بنی اسرائیل باشد و نیز ممکن است یک جمله مستقل و خطاب به مسلمانان بوده باشد، ولی به هر حال از نظر نتیجه چندان تفاوت ندارد و به عنوان درسی سازنده برای ما در قرآن مجید آمده است.

شکر مایه فزونی نعمت و کفر موجب فناست- بدون شک خداوند در برابر نعمتهایی که به ما میبخشد نیازی به شکر ما ندارد، و اگر دستور به شکر گزاری داده آن هم موجب نعمت دیگری بر ما و یک مکتب عالی تربیتی است.

حقیقت شکر تنها تشکر زبانی نیست، بلکه شکر دارای سه مرحله است نخستین مرحله آن است که به دقت بیندیشیم که بخشنده نعمت کیست؟ این توجه و ایمان و آگاهی پایه اول شکر است، و از آن که بگذریم مرحله زبان فرا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۹۷

میرسد، ولی از آن بالاتر مرحله عمل است، شکر عملی آن است که درست بیندیشیم که هر نعمتی برای چه هدفی به ما داده شده است آن را در مورد خودش صرف کنیم که اگر نکنیم کفران نعمت کردهایم.

و از اینجا رابطه میان «شکر» و «فزونی نعمت» روشن می شود، چرا که هرگاه انسانها نعمتهای خدا را درست در همان هدفهای و اقعی نعمت صرف کردند، عملا ثابت کرده اند که شایسته و لایق اند و این لیاقت و شایستگی سبب فیض بیشتر و موهبت افزونتر می گردد.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۸ ص: ۴۹۷

(آیه ۸)- این آیه تأیید و تکمیلی است برای بحث شکر گزاری و کفران که در آیه قبل گذشت، و آن در ضمن سخنی از زبان موسی بن عمران نقل شده است، می فرماید: «و موسی به بنی اسرائیل یاد آور شد که اگر شما و تمام مردم روی زمین کافر شوید (و نعمت خدا را کفران کنید هیچ زیانی به او نمی رسانید) چرا که او بی نیاز و ستوده است» (وَ قالَ مُوسی إِنْ تَکْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِی الْأَرْض جَمِیعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنِیٌّ حَمِیدً).

در حقیقت شکر نعمت و ایمان آوردن به خدا مایه افزونی نعمت شما و تکامل و افتخار خودتان است و گر نه خداوند آنچنان بینیاز است که اگر تمام کائنات کافر گردند، بر دامان کبریایی او گردی نمینشیند.

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۹ ص: ۴۹۷

(آیه ۹) – سپس به سرنوشت گروههایی از اقوام گذشته در طی چندین آیه میپردازد، همانها که در برابر نعمتهای الهی راه کفران را پیش گرفتند، و در برابر دعوت رهبران الهی به مخالفت و کفر برخاستند و منطق آنان و سر انجام کار آنها را شرح میدهد تا تأکیدی باشد بر آنچه در آیه قبل گفته شد، میفرماید: «آیا خبر کسانی که قبل از شما بودند به شما نرسیده»؟ (أً لَمْ يَاتُو كُمْ نَبَوُّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ).

این جمله ممکن است دنباله گفتار موسمی بوده باشد که در آیه قبل آمده، و ممکن است بیان مستقلی از ناحیه قرآن خطاب به مسلمانان باشد، و از نظر نتیجه تفاوت چندانی ندارد.

سپس اضافه می کند: «اقوامی همچون قوم نوح و عاد و ثمود و آنها که بعد از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۹۸ آنان بودند» (قَوْم نُوح وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ).

«همانها كه جز خدا آنان را نمى شناسد» و از اخبار آنها كسى غير او آگاه نيست (لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ).

سپس به عنوان توضیحی در زمینه سرگذشت آنها میگوید: «پیامبرانشان با دلائل روشن به سوی آنها آمدند ولی آنها (از سر تعجب و انکار) دست بر دهان گذاشتند و گفتند: ما به آنچه شما به خاطر آن فرستاده شده اید کافریم» (جاءَتْهُمْ رُسُیلُهُمْ بِالْبَیّناتِ فَرَدُّوا أَیْدِیَهُمْ فِی أَفْواهِهِمْ وَ قالُوا إِنَّا کَفَرْنا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ).

چرا که «ما در باره آنچه شما ما را به سوی آن دعوت می کنید، شک و تردید داریم» و با این شک و تردید چگونه امکان دارد، دعوت شما را بپذیریم! (وَ إِنَّا لَفِي شَکِّ مِمَّا تَدْعُونَنا إِلَيْهِ مُرِيبٍ).

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۱۰ ص: ۴۹۸

(آیه ۱۰) – آیا در خدا شک است؟ از آنجا که در آیه قبل گفتار مشرکان و کافران را در زمینه عدم ایمانشان که استناد به شک و تردید کرده بودند بیان شده، در این آیه بلافاصله با دلیل روشنی که در عبارت کوتاهی آمده شک آنها را نفی می کند و چنین می گوید: «پیامبرانشان به آنان گفتند: آیا در وجود خدایی که آفریننده آسمانها و زمین است شکی است»؟! (قالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِی اللَّهِ شَکُّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

ممکن است «فاطِرِ» اشاره به شکافتن توده ابتدایی ماده جهان باشد که در علوم روز میخوانیم که مجموع ماده عالم، یک واحد به هم پیوسته بود سپس شکافته شد و کرات آشکار گشت.

به هر حال قرآن در اینجا مانند غالب موارد دیگر برای اثبات وجود خدا و صفات او تکیه بر نظام عالم هستی و آفرینش آسمانها و زمین می کند.

سپس به پاسخ دومین ایراد منکران می پردازد که ایراد به مسأله رسالت پیامبران است، می فرماید: این مسلم است که آفریدگار دانا و حکیم، هر گز بندگانش را بدون رهبر، رها نمی کنند، بلکه «از شما (با فرستادن پیامبران) دعوت می کند تا از گناه و آلودگیها پاکتان سازد و گناهانتان را ببخشد» (یَدْعُوکُمْ لِیَغْفِرَ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۹۹ «و تا موعد مقرّری شما را باقی گذارد»! تا راه تکامل خویش را بپیمایید و حد اکثر بهره لازم را از این زندگی ببرید (وَ یُؤُخِرَکُمْ إِلَی أَجَل مُسَمَّی).

در حقیقت دعوت پیامبران برای دو هدف بوده، یکی آمرزش گناهان و دیگری ادامه حیات تا زمان مقرر که این دو در واقع علت و معلول یکدیگرند، چه این که جامعهای می تواند به حیات خود ادامه دهد که از گناه و ظلم پاک باشد.

ولی با این همه باز کفار لجوج این دعوت حیاتبخش که آمیخته با منطق روشن توحید بود نپذیرفتند و با بیانی که آثار لجاجت و عدم تسلیم در برابر حق از آن میبارید، به پیامبران خود چنین «پاسخ گفتند: شما جز بشری مثل ما نیستید»! (قالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا).

به علاوه «شما میخواهید ما را از آنچه نیاکان ما می پرستیدند بازدارید» (تُرِیدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا کانَ یَعْبُدُ آباؤُنا). از همه اینها گذشته «شما دلیل روشنی برای ما بیاورید» (فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِینٍ).

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۱۱ ص: ۴۹۹

(آیه ۱۱)- تنها بر خدا تو کل کنید! در این آیه و آیه بعد پاسخ پیامبران را از بهانه جوییهای مخالفان لجوج که در آیات

گذشته آمده میخوانیم.

در مقابل ایراد آنها که میگفتند: چرا از جنس بشر هستید، «پیامبرانشان به آنها گفتند: مسلما ما تنها بشری همانند شما هستیم، ولی خدا بر هر کس از بندگانش بخواهد منت میگذارد» و موهبت رسالت را به آنها میبخشد (قالَتْ لَهُمْ رُسُیلُهُمْ اِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ وَ لَکِنَّ اللَّهَ یَمُنُّ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ).

سپس به پاسخ سؤال سوم میپردازد بی آنکه از ایراد دوم پاسخ گوید. گویی ایراد دوم آنها در زمینه استناد به سنت نیاکان آنقدر سست و بی اساس بوده که هر انسان عاقلی با کمترین تامّل جواب آن را می فهمد، به علاوه در آیات دیگر قرآن، پاسخ این سخن داده شده است.

آری! در پاسخ سؤال سوم چنین می گوید که آوردن معجزات، کار ما نیست که به صورت یک خارق العاده گر، گوشهای بنشینیم و هر کس به میل خودش برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۰۰

معجزهای پیشنهاد کند و مسأله خرق عادت تبدیل به یک بازیچه بیارزش شود، بلکه: «ما نمی توانیم معجزهای جز به فرمان خدا بیاوریم» (وَ ما کانَ لَنا أَنْ نَأْتِیَکُمْ بِسُلْطانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ).

به علاوه هر پیامبری حتی بدون تقاضای مردم به اندازه کافی اعجاز نشان میدهد تا سند اثبات حقانیت او گردد.

سپس برای این که پاسخ قطعی به تهدیدهای گوناگون بهانه جویان نیز بدهند با این جمله موضع خود را مشخص میساختند و می گفتنـد: «همه افراد با ایمان بایـد تنها بر خـدا تکیه کنند» همان خدایی که قدرتها در برابر قدرتش ناچیز و بیارزش است (وَ عَلَی اللَّهِ فَلْیَتَوَکَّل الْمُؤْمِنُونَ).

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۱۲ ص: ۵۰۰

(آیه ۱۲)– بعد به استدلال روشنی برای مسأله توکل، پرداخته و میگفتند:

«چرا ما بر «اللّه» تو کل نکنیم (و در همه مشکلات به او پناه نبریم؟ چرا ما از قدرتهای پوشالی و تهدیدها بترسیم) در حالی که او ما را به راههای سعادتمان هدایت کرده» (وَ ما لَنا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَ قَدْ هَدانا سُبُلَنا).

و سپس چنین ادامه میدادند: اکنون که تکیه گاه ما خـداست، تکیه گاهی شـکست ناپـذیر مافوق همه چیز «بطور قطع، ما در برابر تمام آزار و اذیتهای شما ایستادگی و شکیبایی خواهیم کرد» (وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلی ما آذَیْتُمُونا).

و بالاخره گفتار خود را بـا این سـخن پایـان میدادنـد که: «و همه توکـل کننـدگان بایـد تنها بر الله توکل کننـد» (وَ عَلَى اللَّهِ فَلْیَتَوَکَّل الْمُتَوَکِّلُونَ).

منظور از «توکل» این است که در برابر عظمت مشکلات، انسان احساس حقارت و ضعف نکند، بلکه با اتکای بر قدرت بی پایان خداوند، خود را پیروز و فاتح بداند، و به این ترتیب توکل امید آفرین، نیروبخش و تقویت کننده، و سبب فزونی پایداری و مقاومت است.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۱۳ ص: ۵۰۰

(آیه ۱۳)- برنامه و سرنوشت جباران عنید: همان گونه که راه و رسم افراد بی منطق است، هنگامی که به ضعف و ناتوانی گفتار و عقیده خود آگاه شدند، استدلال را رها کرده، و تکیه به زور و قدرت و قلدری می کنند در اینجا نیز بر گزیده تفسیر

نمونه، ج۲، ص: ۵۰۱

می خوانیم هنگامی که پیامبران منطق متین و رسای خود را- که در آیات قبل گذشت- بیان کردنـد. «کافران (لجوج و بهانهجو)، به پیامبران خود گفتند: سوگند یاد می کنیم که شـما را از سرزمینمان خارج میسازیم، مگر این که به آیین ما (و بت پرستی) باز گردید»! (وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّکُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِی مِلَّتِنا).

این مغروران بی خبر، گویی همه سرزمینها را مال خود می دانستند و برای پیامبرانشان حتی به اندازه یک شهروند حق قائل نبودند و لذا می گفتند: «أَرْضِنا» (سرزمین ما!) در حالی که خداوند زمین و تمام مواهبش را برای صالحان آفریده است.

سپس اضافه می کند: «در این حال، پروردگار (به پیامبران دلداری و اطمینان خاطر میداد و) به آنها وحی فرستاد که: ما ظالمان را هلاک می کنیم» (فَأَوْحی إلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ).

بنابراین از این تهدیدها هر گز نترسید و کمترین سستی در اراده آهنین شما راه نیابد.

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۱۴ ص: ۵۰۱

(آیه ۱۴) – و از آنجا که منکران ستمگر، پیامبران را تهدید به تبعید از سرزمینشان می کردند خداوند در مقابل به آنها چنین وعده می دهد که: «و شما را در زمین بعد از (نابودی) آنها سکونت خواهیم داد» (وَ لَنُسْکِنَنَّکُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ).

«ولی این (موفقیت و پیروزی نصیب همه کس نمی شود بلکه) برای کسی است که از مقام (عدالت) من بتر سد (و احساس مسؤولیت کند) و از عذاب من بیمناک باشد» و آن را جدّی تلقی کند (ذلِکَ لِمَنْ خافَ مَقامِی وَ خافَ وَعِیدِ).

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۱۵ ص: ۵۰۱

(آیه ۱۵) – و در این هنگام که پیامبران کارد به استخوانشان رسیده بود و تمام وظیفه خود را در برابر قوم خویش انجام داده بودند و آنها که باید ایمان بیاورند ایمان آورده و بقیه در کفر پافشاری داشتند و مرتبا رسولان را تهدید می کردند، در این موقع آنها از خداوند «تقاضای فتح و پیروزی (بر کفّار) کردند» (وَ اسْتَفْتُحُوا).

خداوند هم دعای این مجاهدان راستین را به هدف اجابت رسانید برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۰۲ «و (سر انجام) هر گردنکش منحرفی نومید و نابود شد» (وَ خابَ کُلُّ جَبَّارٍ عَنِیدٍ).

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۱۶ ص: ۵۰۲

(آیه ۱۶)– سپس به نتیجه کار این جباران عنید از نظر مجازاتهای جهان دیگر در ضمن دو آیه به پنج موضوع اشاره می کند: ۱- «به دنبال این نومیدی و خسران- و یا به دنبال چنین کسی- جهنم و آتش سوزان خواهد بود» (مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ).

٢- «و از آب بدبوى متعفنى نوشانده مىشود»! (وَ يُشقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ).

«صدیمه» چرکی است که میان پوست و گوشت جمع می شود یعنی از یک آب بدبوی متعفن بدمنظره همانند چرک و خون به او می نوشانند.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۱۷ ص: ۵۰۲

(آیه ۱۷) - سوم: این مجرم گناهکار و جبار عنید، هنگامی که خود را در برابر چنین نوشابهای میبیند «به زحمت جرعه جرعه آن را سر می کشد، و هر گز مایل نیست آن را بیاشامد» بلکه به اجبار در حلق او میریزند (یَتَجَرَّعُهُ وَ لا یَکادُ یُسِیغُهُ).

۴- آنقـدر وسائـل عـذاب و شـكنجه و ناراحتى براى او فراهم مى گردد كه «از هر سو مرگ به سوى او مى آيـد ولى با اين همه هر گز نمىميرد» تا مجازات زشتيهاى اعمال خود را ببيند (وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ما هُوَ بِمَيِّتٍ).

۵- و بـا این که تصور می شود مجـازاتی برتر از اینهـا که گفته شـد نیست، بـاز اضافه می کنـد: «و به دنبال آن عـذاب شدیـدی است» (وَ مِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِیظٌ).

و به این ترتیب آنچه از شدت مجازات و کیفر در فکر آدمی بگنجد و حتی آنچه نمی گنجد در انتظار این ستمگران خودخواه و جباران بی ایمان و گنهکار است، و اینها نتیجه و اثر طبیعی اعمال خود انسانهاست، بلکه تجسمی است از کارهای آنان در سرای دیگر که هر عملی به صورت مناسب خود مجسم می شود.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۱۸ ص: ۵۰۲

(آیه ۱۸) - خاکستری بر سینه تندباد! در این آیه مثل بسیار رسایی برای اعمال افراد بی ایمان بیان شده که بحث آیات گذشته را در زمینه عاقبت کار کفار تکمیل کرده، می فرماید: «اعمال کسانی که به پرورد گارشان کافر شدند همچون خاکستری است در مقابل تندباد در یک روز توفانی»! (مَثَلُ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ کَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّیحُ فِی یَوْمٍ عاصِفٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۰۳

منظور از «أَعْمالُهُمْ» همه اعمال آنهاست حتى اعمال ظاهرا خوبشان كه در باطن رنگ شرك و بت پرستى داشت.

همان گونه که خاکستر در برابر تندباد، آن هم در یک روز طوفانی آنچنان پراکنده می شود که هیچ کس قادر بر جمع آن نیست، همین گونه منکران حق «توانایی ندارند که چیزی از اعمالی را که انجام داده اند به دست آورند» و همگی بر باد می رود و دستهایشان خالی می ماند (لا یَقْدِرُونَ مِمَّا کَسَبُوا عَلی شَیْءٍ).

«و این همان گمراهی دور و دراز است» (ذلِکَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِیدُ).

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۱۹ ص: ۵۰۳

(آیه ۱۹)– آفرینش براساس حق است: به دنبال بحث از باطل در آیه قبل و این که همچون خاکستر پراکنده و بیقرار است که دائما با وزش باد از نقطهای به نقطه دیگر منتقل میشود، در این آیه سخن از حق و استقرار آن به میان آمده است.

روى سخن را به پيامبر صلّى الله عليه و آله به عنوان الگويى براى همه حق طلبان جهان كرده، مى گويد: «آيا نديدى كه خداوند آسمانها و زمين را به حق آفريده است؟ (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ).

«حقّ» به معنی «مطابقت و هماهنگی» است. و در اینجا ساختمان عالم آفرینش، آسمان و زمین، همگی نشان می دهد که در آفرینش آنها، نظام و حساب و حکمت و هدفی بوده است، نه خداوند به آفرینش آنها نیاز داشته و نه کمبودی را با آن می خواهد در ذات خود برطرف سازد چرا که او بی نیاز از همه چیز است.

سپس اضافه می کند دلیل بر این که نیازی به شما و ایمان آوردن شما ندارد این است که: «اگر اراده کند شما را میبرد و خلق تازهای (به جای شما) می آورد» (إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَ یَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِیدٍ). خلقی که همه ایمان داشته باشند و هیچ یک از کارهای نادرست شما را انجام ندهند.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۲۰ ص: ۵۰۳

(آیه ۲۰)– «و این کار برای خدا به هیچ وجه مشکل نیست» (وَ ما ذٰلِکَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِیزِ).

شاهد این سخن آن که در سوره نساء آیه ۱۳۱- ۱۳۳ میخوانیم: «اگر شما برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۰۴

کافر شوید (به خدا زیانی نمی رساند) چرا که آنچه در آسمانها و زمین است از آن خداست و خداوند بی نیاز و شایسته ستایش است ... هرگاه بخواهد شما را ای مردم می برد و گروه دیگری می آورد، و خداوند بر این کار تواناست».

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۲۱ ص: ۵۰۴

(آیه ۲۱)- در چند آیه قبل اشارهای به مجازات سخت و دردناک منحرفان لجوج و بیایمان شده بود در اینجا همین معنی را تعقیب و تکمیل می کند.

نخست می گوید: «و در قیامت همه آنها (جباران و ظالمان و کافران اعم از تابع و متبوع، پیرو و پیشوا) در پیشگاه خداوند ظاهر می شوند» (وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِیعاً).

و «در این هنگام ضعفاء (یعنی پیروان نادانی که با تقلید کور کورانه، خود را به وادی ضلالت افکندند) به مستکبران (و رهبران گمراه) می گویند: ما پیروان شما بودیم آیا (اکنون که به خاطر رهبری شما به این همه عذاب و بلا گرفتار شده ایم) حاضرید شما سهمی از عـذاب الهی را بپذیرید و از ما بردارید»؟ (فَقالَ الضُّعَفاءُ لِلَّذِینَ اسْ تَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذاب اللّهِ مِنْ شَیْءٍ).

اما آنها بلافاصله می گویند: «اگر خدا ما را (به سوی نجات از این کیفر و عذاب) هدایت می کرد ما هم شما را راهنمایی می کردیم» (قالُوا لَوْ هَدانَا اللَّهُ لَهَدَیْناکُمْ).

ولى افسوس كه كار از اين حرفها گذشته است، «بر ما يكسان است چه بى تابى و جزع كنيم و چه صبر و شكيبايى، راه نجاتى براى ما وجود ندارد» (سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ).

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۲۲ ص: ۵۰۴

(آیه ۲۲)- گفتگوی صریح شیطان و پیروانش! در این آیه به صحنه دیگری از مجازاتهای روانی جباران و گنهکاران و پیروان شیاطین در روز رستاخیز پرداخته چنین می گوید: «و شیطان هنگامی که کار حساب بندگان صالح و غیر صالح پایان پذیرفت (و هر کدام به سرنوشت و پاداش و کیفر قطعی خود رسیدند) به پیروان خود چنین می گوید: خداوند به شما وعده حق داد و من نیز به شما وعده دادم (وعده ای پوچ و بی ارزش چنانکه خودتان می دانستید) سپس از وعده های خود تخلف جستم» (وَ قالَ الشَّیْطانُ لَمَّا قُضِیَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَ کُمْ وَعُدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُکُمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۰۵

فَأَخْلَفْتُكُمْ)

.و به این ترتیب شیطان نیز با سایر مستکبرانی که رهبران راه ضلالت بودند هم آواز شده و تیرهای ملامت و سرزنش خود را به این پیروان بدبخت نشانه گیری می کند. و بعد اضافه می کند: «من بر شـما تسـلط و اجبار و الزامی نداشتیم، تنها این بود که از شـما دعوت کردم، شما هم با میل و اراده خود پذیرفتید» (وَ ما کانَ لِی عَلَیْکُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْ تُکُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِی).

«بنابراین مرا هرگز سرزنش نکنید، بلکه خویشتن را سرزنش کنید» که چرا دعوت شیطنت آمیز و ظاهر الفساد مرا پذیرفتید (فَلا تَلُومُونِی وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ).

خودتان کردید که لعنت بر خودتان باد! به هر حال «نه من می توانم (در برابر حکم قطعی و مجازات پروردگار) به فریاد شما برسم و نه شما می توانید فریادرس من باشید» (ما أَنَا بِمُصْرِخِکُمْ وَ ما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِیَّ).

«من اكنون (اعلام مىكنم كه) از شـرك شـما در باره خود كه از قبل داشتيد (و اين كه اطاعت مرا هم رديف اطاعت خدا قرار داديد) بيزارم و كافرم» (إنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ).

اکنون فهمیدم که این «شرک در اطاعت» هم مرا بدبخت کرد و هم شما را، همان بدبختی و بیچارگی که راهی برای اصلاح و جبران آن وجود ندارد.

بدانید «برای ستمکاران قطعا عذاب دردناکی است» (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ).

از این آیه به خوبی استفاده می شود که و سوسه های شیطان هر گز اختیار و آزادی اراده را از انسان نمی گیرد بلکه او یک دعوت کننده بیش نیست، و این انسانها هستند که با اراده خودشان دعوت او را می پذیرند.

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۲۳ ص: ۵۰۵

(آیه ۲۳)– در این آیه به دنبال بیان حال جباران عنید و بی ایمان و سرنوشت دردناک آنها، به ذکر حال مؤمنان و سر انجام آنها پرداخته، می گوید: «و آنها را که بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۰۶

ایمان آوردنـد و عمـل صالـح انجام دادنـد به باغهای بهشت وارد می کننـد باغهایی که نهرها از زیر درختانش جاری است» (وَ أُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

«جاودانه به اذن پروردگارشان در آن (باغهای بهشت) میمانند» (خالِدِینَ فِیها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ).

«و تحيت آنان در آنجا سلام است» (تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ).

سلامت از هرگونه ناراحتی و گزند روحی و جسمی.

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۲۴ ص: ۵۰۶

(آیه ۲۴) – شجره طیبه و شجره خبیثه: در اینجا صحنه دیگری از تجسم حق و باطل، کفر و ایمان، طیب و خبیث را ضمن یک مثال جالب و بسیار عمیق و پرمعنی بیان کرده، و بحثهای آیات گذشته را که در این زمینه بود تکمیل می کند.

نخست میفرماید: «آیا ندیدی چگونه خدا مثالی برای کلام پاکیزه زده، و آن را به شجره طیبه و پاکی تشبیه کرده است»؟ (أَ لَمْ تَرَ كَیْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَیِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَیِّبَةٍ).

سپس به ویژگیهای این شجره طیبه (درخت پاکیزه و پربرکت) میپردازد و به تمام ابعاد آن ضمن عبارات کوتاهی اشاره می کند.

۱- موجودی است دارای رشد و نمو «شجره» نه بیروح، و نه جامد و بیحرکت.

۲- این درخت پاک است و «طیب» از هر نظر، میوهاش شکوفه و گلشن و نسیمی که از آن برمیخیزد همه پاکیزه است.

۳- این شجره دارای نظام حساب شدهای است ریشهای دارد و شاخهها و هر کدام مأموریت و وظیفهای دارند.

۴- «اصل و ریشه آن ثابت و مستحکم است» بطوری که توفانها و تند بادها نمی تواند آن را از جا برکند (أَصْلُها ثابِتٌ).

۵- شاخههای این شـجره طیبه در یک محیط پست و محـدود نیست بلکه بلنـد آسـمان جایگاه اوست، این شاخهها سـینه هوا را شکافته و در آن فرو رفته، آری برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۰۷

«شاخههایش در آسمان است» (وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ).

روشن است هر قدر شاخهها برافراشتهتر باشند از آلودگی گرد و غبار زمین دورترند و میوههای پاکتری خواهند داشت.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۲۵ ص: ۵۰۷

(آیه ۲۵)- ششم: این شجره طیبه شجرهای پربار است نه همچون درختانی که میوه و ثمری ندارند بنابراین مولد است و «میوه خود را میدهد» (تُؤْتِی أُکُلَها).

۷- اما نه در یک فصل یا دو فصل، بلکه در هر فصل، یعنی «در هر زمان» که دست به سوی شاخههایش دراز کنی محروم بر نمی گردی (کُلَّ حِینِ).

۸- میوه دادن او نیز بیحساب نیست بلکه مشمول قوانین آفرینش است و طبق یک سنت الهی «و به اذن پروردگارش» این میوه
 را به همگان ارزانی میدارد (بإذْنِ رَبِّها).

اكنون درست بينديشيم و ببينيم اين ويژگيها و بركات را در كجا پيدا مى كنيم؟

مسلما در کلمه توحید و محتوای آن، و در یک انسان موحد و با معرفت.

مردان بزرگ و با ایمان این کلمات طیبه پروردگار، حیاتشان مایه برکت است، مرگشان موجب حرکت، آثار آنها و کلمات و سخنانشان و شاگردان و کتابهایشان و تاریخ پرافتخارشان، و حتی قبرهای خاموششان همگی الهام بخش است و سازنـده و تربیت کننده.

آرى «خداوند براى مردم مثلهايي ميزند شايد متذكر شوند» (وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۲۶ ص: ۵۰۷

(آیه ۲۶) و از آنجا که یکی از بهترین راهها برای تفهیم مسائل استفاده از روش مقابله و مقایسه است بلافاصله نقطه مقابل «شجره طیبه» را چنین بیان می کند: اما «مثل کلمه خبیثه و ناپاک همانند درخت خبیث و ناپاک و بیریشه است که از روی زمین کنده شده (و در برابر طوفانها هر روز به گوشهای پرتاب می شود و) قرار و ثباتی برای آن نیست» (وَ مَثَلُ کَلِمَ فٍ خَبِیثَةٍ رَمِین کنده شده (و در برابر طوفانها هر روز به گوشهای پرتاب می شود و) قرار و ثباتی برای آن نیست» (وَ مَثَلُ کَلِمَ فٍ خَبِیثَةٍ کَبِیثَةٍ اجْتُثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ).

جالب این که در وصف «شجره طیّبه» قرآن با تفصیل سخن می گوید و اما به بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۰۸ هنگام شرح «شجره خبیثه» با یک جمله کوتاه از آن می گذرد.

این یک نوع لطافت بیان است که انسان در مورد ذکر «محبوب» به همه خصوصیات بپردازد اما هنگامی که به ذکر «مبغوض» میرسد با یک جمله کوبنده از آن بگذرد!

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۲۷ ص: ۵۰۸

(آیه ۲۷)- از آنجا که در آیات گذشته در دو مثال گویا، حال «ایمان» و «کفر» و «مؤمن» و «کافر» و بطور کلی «هر پاک» و «ناپاک» تجسم یافت، در این آیه به نتیجه کار و سرنوشت نهایی آنها می پردازد.

نخست مى گويىد: «خداونىد كسانى راكه ايمان آوردهانىد به خاطر گفتار و اعتقاد ثابت و پايداريشان ثابت قدم مىدارد هم در اين جهان و هم در جهان ديگر» و برزخ كه امكان لغزش كم و بيش در آن وجود دارد (يُثَبُّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِى الْآخِرَةِ).

چرا که ایمان آنها یک ایمان سطحی و متزلزل و شخصیت آنها یک شخصیت کاذب و متلون نبوده است.

در اینجا در برابر مشکلات و وسوسه ها، در ایمان و پاکی ثابت میمانند و دامانشان از ننگ آلودگیها مبرّا خواهد بود، و در آنجا در نعمتهای بیپایان خدا جاودان خواهند ماند.

سپس به نقطه مقابـل آنهـا پرداخته، میگویـد: «و خداونـد ظالمان را گمراه میسازد و خـدا هر چه بخواهـد انجام میدهـد» (وَ یُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِینَ وَ یَفْعَلُ اللَّهُ ما یَشاءُ).

بارها گفته ایم هر جا سخنی از هدایت و ضلالت است و به خدا نسبت داده می شود، گامهای نخستین آن از ناحیه خود انسان برداشته شده است، کار خدا همان تأثیری است که در هر عمل آفریده، و نیز کار خدا اعطاء مواهب و نعمتها یا سلب نعمتهاست که به مقتضای شایستگی و عدم شایستگی افراد مقرر می دارد.

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۲۸ ص: ۵۰۸

(آیه ۲۸)– سر انجام کفران نعمتها: در اینجا روی سخن به پیامبر است و در حقیقت ترسیمی از یکی از موارد «شجره خبیثه» در آن به چشم میخورد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۰۹

نخست مىفرمايد: «آيا نديدى كسانى راكه نعمت خدا را تبديل به كفران كردند» (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً). «و سر انجام قوم خود را به دار البوار و سرزمين هلاكت و نيستى فرستادند» (وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ).

اینها همان ریشههای شجره خبیثه و رهبران کفر و انحرافند.

گرچه مفسران گاهی این نعمت را به وجود پیامبر صلّی اللّه علیه و آله تفسیر کردهاند، و گاهی به ائمه اهل بیت علیهم السّلام و کفران کنندگان این نعمت را گاهی «بنی امیه» و «بنی مغیره» و گاهی همه کفار عصر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله معرفی نمودهاند، ولی مسلما مفهوم آیه وسیع است و اختصاص به گروه معینی ندارد و همه کسانی را که نعمتی از نعمتهای خدا را کفران کرده و از آن سوء استفاده کنند شامل می شود.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۲۹ ص: ۵۰۹

(آیه ۲۹)-قرآن سپس «دار البوار» را چنین تفسیر می کند: «جهنم است که در شعله های سوزانش فرو میروند و بدترین قرارگاههاست» (جَهَنَمَ یَصْلَوْنَها وَ بِنْسَ الْقُرارُ).

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۳۰ ص: ۵۰۹

(آیه ۳۰) - در این آیه به یکی از بدترین انواع کفران نعمت که آنها مرتکب می شدند اشاره کرده، می گوید: «و آنها برای خدا شریکهایی قرار دادند تا (مردم را به این وسیله) از راه او گمراه سازند» (وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً لِیُضِلُّوا عَنْ سَبِیلهِ).

و چند روزی در سایه این شرک و کفر و منحرف ساختن افکار مردم از آیین و طریق حق بهرهای از زندگی مادی و ریاست و حکومت بر مردم ببرند.

ای پیامبر! «به آنها بگو: (از این زندگی دنیا و بیارزش مادی) بهره بگیرید اما (بدانید) سر انجام کار شما به سوی آتش (دوزخ) است» (قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ).

با این که نه این زندگی شما زندگی است که بدبختی است و نه این ریاست و حکومت شما ارزشی دارد که تبهکاری و دردسر و مصیبت است.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۱ ص: ۵۰۹

(آیه ۳۱)- عظمت انسان از دیدگاه قرآن: در تعقیب آیات گذشته که از برنامه مشرکان و کسانی که کفران نعمتهای الهی کردند سخن می گفت، در اینجا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۱۰

سخن از برنامه بندگان راستین و نعمتهای بیانتهای اوست که بر مردم نازل شده.

نخست مى گويىد: «به بنىدگان من كه ايمان آوردهانىد بگو: نماز را بر پىاى دارنىد و از آنچه به آنها روزى دادهايم در پنهان و آشكار انفاق كنند» (قُلْ لِعِبادِىَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً).

چرا که ایمان در صورتی ریشهدار است که در عمل متجلّی شود و انسان را از یک سو به خدا نزدیک کند و از سوی دیگر به بندگانش! «پیش از آن که روزی فرا رسد که نه در آن خرید و فروش است و نه دوستی» نه با مال می توانند از کیفر خدا رهایی یابند و نه با پیوندهای مادی! (مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِی یَوْمٌ لا بَیْعٌ فِیهِ وَ لا خِلالٌ).

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۳۲ ص: ۵۱۰

(آیه ۳۲) – سپس به معرفی خدا از طریق نعمتهایش می پردازد، آن گونه معرفی که عشق او را در دلها زنده می کند، و انسان را به تعظیم در برابر عظمت و لطفش وا می دارد زیرا این یک امر فطری است که انسان نسبت به کسی که به او کمک کرده و لطف و رحمتش شامل اوست علاقه و عشق پیدا می کند و این موضوع را ضمن آیاتی چند چنین بیان می دارد: «خداوند همان کسی است که آسمانها و زمین را آفریده است» (اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ).

«و از آسـمان آبی فرستاد که به وسیله آن میوههای مختلف را خارج ساخت و از آنها به شما روزی داد» (وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رزْقاً لَكُمْ).

«و كشتى را مسخّر شما ساخت» (وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ).

هم از نظر مواد ساختمانیش که در طبیعت آفریده است و هم از نظر نیروی محرکش که بادهای منظم سطح اقیانوسهاست. «تا این کشتیها بر صفحه اقیانوسها به فرمان او به حرکت در آیند» (لِتَجْرِیَ فِی الْبُحْرِ بِأَمْرِهِ). و سینه آبها را بشکافند و به سوی ساحل مقصود پیش روند، و انسانها و وسائل مورد نیازشان را از نقطه ای به نقاط دیگر به آسانی حمل کنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۱۱

همچنین «نهرها را در تسخیر شما درآورد» (وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ).

تا از آب حیاتبخش آنها زراعتهایتان را آبیاری کنید، و هم خود و دامهایتان سیراب شوید، و هم در بسیاری از اوقات، صفحه آنها را به عنوان یک جاده هموار مورد بهرهبرداری قرار داده، با کشتیها و قایقها از آنها استفاده کنید، و هم از ماهیان آنها و حتی از صدفهایی که در اعماقشان موجود است، بهره گیرید.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۳ ص: ۵۱۱

(آیه ۳۳)– نه تنها موجودات زمین را مسخّر شما ساخت بلکه «خورشید و ماه را که دائما در کارند سرگشته فرمان شما قرار داد» (وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبِیْن).

نه فقط موجودات این جهان، بلکه حالات عارضی آنها را نیز به فرمان شما آورد، همان گونه که «شب و روز را مسخّر شما ساخت» (وَ سَخَّرَ لَکُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ).

خلاصه انسان از دیدگاه قرآن آن قدر عظمت دارد که همه این موجودات به فرمان «الله» مسخر او گشتهاند یعنی، یا زمام اختیارشان به دست انسان است، و یا در خدمت منافع انسان حرکت میکنند.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۴ ص: ۵۱۱

(آیه ۳۴)– و قسمتی از هر چیزی که از او تقاضا کردید و (از نظر جسم و جان فرد و اجتماع و سعادت و خوشبختی) به آن نیاز داشتید در اختیار شما قرارداد» (وَ آتاکُمْ مِنْ کُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ).

و به این ترتیب «اگر نعمتهای الهی را بخواهید بشمرید هرگز نمی توانید شماره کنید» (وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها).

چرا که نعمتهای مادی و معنوی پروردگار آنچنان سر تا پای وجود و محیط زندگی شما را فراگرفته که قابل احصا نیستند.

اما با این همه لطف و رحمت الهی «باز این انسان ستمگر است و کفران کننده نعمت» (إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ).

نعمتهایی که اگر به درستی از آنها استفاده می کرد می توانست سراسر جهان را گلستان کند.

در حقیقت قرآن می گوید ای انسان! همه چیز به قدر کافی در اختیار توست، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۱۲ اما به شرط این که ظلوم و کفار نباشی، به حق خود قناعت کنی و به حقوق دیگران تجاوز ننمایی!

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۵ ص: ۵۱۲

(آیه ۳۵) - دعاهای سازنده ابراهیم بت شکن: از آنجا که در آیات گذشته از یک سو بحث از مؤمنان راستین و شاکران در برابر نعمتهای خدا در میان بود، به دنبال آن در اینجا گوشهای از دعاها و درخواستهای ابراهیم بنده مقاوم و شاکر خدا را بیان می کند تا سرمشق و الگویی باشد برای آنها که می خواهند از نعمتهای الهی بهترین بهره را بگیرند.

نخست می گویـد: «و (به خـاطر بیاوریـد) زمـانی را که ابراهیم (به پیشـگاه خـدا) عرضه داشت، پروردگـارا! این شـهر «مکّه» را سرزمین امن و امان قرار ده» (وَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً).

چرا که نعمت «امنیت» نخستین شرط برای زندگی و سکونت انسان در یک منطقه است.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۶ ص: ۵۱۲

(آیه ۳۶)- چرا که من میدانم بت پرستی چه بلای بزرگ و خانمانسوزی است، و با چشم خود قربانیان این راه را دیدهام «پروردگارا! این بتها بسیاری از مردم را گمراه ساختهاند» (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاس).

آن هم چه گمراهی خطرناکی که همه چیز خود حتی عقل و خرد خویش را در این راه باختهاند.

خداوندا! من دعوت به توحید تو می کنم، و همه را به سوی تو میخوانم، «پس هر کس از من پیروی کند او از من است، و هر کس نافرمانی من کند (اگر قابل هدایت و بخشش است در باره او محبت کن چرا که) تو بخشنده و مهربانی» (فَمَنْ تَبِعَنِی فَإِنَّهُ مِنِّی وَ مَنْ عَصانِی فَإِنَّکَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

در حقیقت ابراهیم با این تعبیر میخواهد به پیشگاه خداوند چنین عرض کند که حتی اگر فرزندان من از مسیر توحید منحرف گردند، و به بت توجه کنند از من نیستند، و اگر بیگانگان در این خط باشند آنها همچون فرزندان و برادران منند.

این دعای ابراهیم، همه موحدان و مبارزان راه توحید را شامل می شود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۱۳

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۳۷ ص: ۵۱۳

(آیه ۳۷)– سپس دعا و نیایش خود را این چنین ادامه میدهد: «پروردگارا! من بعضی از فرزندانم را در سرزمین بی آب و علفی، در کنار خانهای که حرم تو است ساکن ساختم تا نماز را برپای دارنـد» (رَبَّنا إِنِّی أَسْکُنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکُ الْمُحَرَّم رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاهُ).

پس از آن که خداوند به ابراهیم، پسری از کنیزش «هاجر» داد و نامش را «اسماعیل» گذاشت، حسادت همسر نخستینش «ساره» تحریک شد و نتوانست حضور هاجر و فرزندش را تحمل کند، از ابراهیم خواست که آن مادر و فرزند را به نقطه دیگری ببرد، و ابراهیم طبق فرمان خدا در برابر این درخواست تسلیم شد.

اسماعیل و مادرش هاجر را به سرزمین مکّه که در آن روز یک سرزمین خشک و خاموش و فاقـد همه چیز بود آورد، و در آنجا گذارد، و با آنها خداحافظی کرد و رفت.

سپس ابراهیم دعای خودش را این چنین ادامه میدهد:

خداوندا! اکنون که آنها در این بیابان سوزان برای احترام خانه بزرگ تو مسکن گزیدهاند «تو قلوب گروهی از مردم را به آنها متوجه ساز و مهر آنها را در دلهایشان بیفکن» (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ).

«و آنها را از انواع میوهها (ثمرات مادی و معنوی) بهرهمند کن، شاید شکر نعمتهای تو را ادا کنند» (وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ التَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ).

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۳۸ ص: ۵۱۳

(آیه ۳۸)- و از آنجا که یک انسان موحد و آگاه می داند که علم او در برابر علم خداوند محدود است و مصالح او را تنها خدا می داند، و گاهی مطالبی در درون جان اوست که نمی تواند همه را بر زبان آورد، لذا به دنبال تقاضاهای گذشته چنین عرض می کنـد: «پروردگـارا! تو آنچه را که مـا پنهان میداریم و یا آشـکار میسازیم به خوبی میدانی» (رَبَّنا إِنَّکَ تَعْلَمُ ما نُخْفِی وَ ما نُعْلِنُ).

«و هيچ چيز در زمين و آسمان بر خـدا مخفى نمىمانـد» (وَ ما يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَـيْءٍ فِى الْأَرْضِ وَ لا فِى السَّماءِ). برگزيـده تفسير نمونه، ج٢، ص: ٩١٤

اگر من از فراق فرزند و همسرم غمگین هستم تو میدانی، و اگر قطرههای اشکم آشکارا از چشمم سرازیر می شود تو می بینی. و اگر به هنگام جدایی از همسرم، به من می گوید: الی من تکلنی «مرا به که می سپاری»؟! تو از همه اینها آگاهی، و آینده این سرزمین و آینده آنها که سخت به هم گره خورده است همه در پیشگاه علمت روشن است.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۳۹ ص: ۵۱۴

(آیه ۳۹) – سپس به شکر نعمتهای خداوند که یکی از مهمترین آنها در حق ابراهیم همان صاحب دو فرزند برومند شدن به نام اسماعیل و اسحاق آن هم در سن پیری بود، اشاره کرده، می گوید: «حمد و سپاس خدایی را که در پیری، اسماعیل و اسحاق را به من بخشید» و دعای مرا به اجابت رسانید (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی وَهَبَ لِی عَلَی الْکِبَرِ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ).
«آری! خدای من حتما دعاها را می شنود» (إِنَّ رَبِّی لَسَمِیعُ الدُّعاءِ).

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۴۰ ص: ۵۱۴

(آیه ۴۰)- و باز به تقاضا و نیایش و دعا ادامه می دهد و عرض می کند:

«پروردگارا! مرا برپا کننده نماز قرار ده و از فرزندان من نیز چنین کن» ای خدای من (رَبِّ اجْعَلْنِی مُقِیمَ الصَّلاهِ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی). «پروردگارا! و دعای ما را بپذیر» (رَبَّنا وَ تَقَبَّلْ دُعاءِ).

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۴۱ ص: ۵۱۴

(آیه ۴۱) – و آخرین تقاضا و دعای ابراهیم در اینجا این است که: «پروردگارا! مرا و پـدر و مادرم و همه مؤمنان را در روزی که حساب برپا می شود ببخش و بیامرز» (رَبَّنَا اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ یَوْمَ یَقُومُ الْحِسابُ).

به این ترتیب تقاضاهای هفتگانه ابراهیم از امنیت شروع می شود، و به آمرزش پایان می پذیرد، و جالب این که اینها را نه تنها برای خود می طلبد، که برای دیگران نیز همین تقاضاها را دارد، چرا که مردان خدا هر گز «انحصار طلب» نبوده و نخواهند بود!

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۴۲ ص: ۵۱۴

(آیه ۴۲) – روزی که چشمها از حرکت باز می ایستد: از آنجا که در آیات گذشته سخن از «روز حساب» به میان آمد، به همین مناسبت در اینجا وضع ظالمان و ستمگران را در آن روز مجسم می سازد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۱۵ ضمنا با بیان این بخش از مسائل معاد، بخشهای توحیدی گذشته تکمیل می گردد.

نخست با لحنی تهدید آمیز (تهدیدی نسبت به ظالمان و ستمگران) چنین آغاز می کند: ای پیامبر! گمان مبر که خداوند، از

آنچه ظالمان انجام مي دهند، غافل است» (وَ لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ).

این سخن در حقیقت پاسخی است به سؤال کسانی که می گویند اگر این عالم خدایی دارد، خدایی عادل و دادگر، پس چرا ظالمان را به حال خود رها کرده است؟

قرآن در برابر این سؤال می گوید: خدا هر گز غافل نیست، اگر به فوریت آنها را مجازات نمی کند به خاطر آن است که این جهان میدان و محل آزمایش و پرورش انسانهاست، و این هدف بدون آزادی ممکن نیست.

سپس می گوید: «خدا مجازات آنها را به روزی تأخیر می اندازد که در آن روز، چشمها (از شدت ترس و وحشت) از حرکت می ایستد و به یک نقطه دوخته شده، بی حرکت می مانند» (إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْم تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ).

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۴۳ ص: ۵۱۵

(آیه ۴۳)- مجازاتهای آن روز آنقدر وحشتناک است که این ستمگران، از شدت هول «گردنهای خود را برافراشته، سر به آسمان بلند کرده، و حتی پلکهای چشمهاشان بی حرکت می ماند و دلهایشان (از شدت نگرانی و پریشانی) بکلی تهی می شود» (مُهْطِعِینَ مُقْنِعِی رُوُسِهِمْ لا یَوْتَدُ إَلَیْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءً).

آنها که خود را «عقل کل» می پنداشتند و دیگران را بی خرد می انگاشتند، آنچنان عقل و هوش خود را از دست می دهند که نگاهشان نگاه دیوانگان بلکه مردگان است، نگاهی خشک، بی تفاوت، بی حرکت و پر از ترس و وحشت! به راستی قرآن هنگامی که می خواهد منظره ای را مجسم نماید در کوتاهترین عبارت کاملترین ترسیم ها را می کند که نمونه آن آیه کوتاه بالاست.

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۴۴ ص: ۵۱۵

(آیه ۴۴) - سپس برای این که تصور نشود مجازاتهای الهی به گروه خاصی مربوط است به عنوان یک دستور کلی به پیامبرش می فرماید: «همه مردم را از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۱۶

روزی که عـذاب دردنـاک پروردگـار به سـراغشان می آیـد انـذار کن (هنگـامی که ظالمـان نتائـج وحشـتناک اعمـال خود را می بیننـد، پشـیمان میشونـد و به فکر جبران میافتنـد و) عرض می کننـد: پروردگارا! ما را تا مـدت کوتاه دیگری مهلت ده» (وَ أَنْذِرِ النَّاسَ یَوْمَ یَأْتِیهِمُ الْعَذابُ فَیَقُولُ الَّذِینَ ظَلَمُوا رَبَّنا أَخِّرْنا إِلی أَجَلِ قَرِیبِ).

تا از این مهلت کوتاه استفاده کرده، «دعوت تو را اجابت نماییم و از پیامبرانت پیروی کنیم» (نُجِبْ دَعْوَتَکُ وَ نَتَبعِ الرُّسُلَ). منظور از این روز، روز نزول پـارهای از بلاهـا و مجازاتهای دنیوی است، هماننـد عـذابهایی که بر قوم لوط و قوم عاد و ثمود و قوم نوح و فرعونیان نازل گردید و از میان رفتند.

اما فورا دست رد بر سینه آنها زده می شود و به آنها این پیام تکان دهنده را می دهند: چنین چیزی محال است، دوران عمل پایان گرفت «آیا شماها نبودید که در گذشته سوگند یاد می کردید، هرگز زوال و فنایی برای حیات و قدرت شما نیست» (أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ).

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۴۵ ص: ۵۱۶

(آیه ۴۵)– «شـما همانها نبودیـد که در کاخها و منازل و مساکن کسانی که به خویشـتن سـتم کرده بودند سـکونت جستید» (وَ سَکَنْتُمْ فِی مَساکِنِ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ).

«و برای شما این واقعیت به خوبی آشکار شده بود که ما بر سر آنها چه آوردیم» (وَ تَبَیَّنَ لَکُمْ کَیْفَ فَعَلْنا بِهِمْ). «و برای شما مثالها (ی تکان دهنده از حالات امتهای پیشین) ذکر کردیم» (وَ ضَرَبْنا لَکُمُ الْأَمْثالَ).

اما هیچ یک از این درسهای عبرت در شما مؤثر نیفتاد و همچنان به اعمال ننگین و ظلم و ستم خویش ادامه دادید.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۴۶ ص: ۵۱۶

(آیه ۴۶)- توطئه های ستمگران به جایی نمی رسد: در آیات گذشته به قسمتی از کیفرهای ظالمان اشاره شده، در اینجا نیز نخست اشاره به گوشه ای از کارهای آنها کرده، سپس قسمتی دیگر از کیفرهای سخت و دردناکشان را بیان برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۱۷

می کنـد میفرمایـد: «آنها مکر خود را به کار زدنـد و (تا آنجا که قـدرت داشـتند) به توطئه و شـیطنت پرداختنـد» (وَ قَدْ مَکَرُوا مَکْرَهُمْ).

خلاصه کاری نبود که دشمنان تو برای محو و نابودی اسلام، انجام ندهند.

«و همه مكرها (و توطئههايشان) نزد خدا آشكار است» (وَ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ).

به هر حال نگران مباش، این نیرنگها و نقشهها و طرحهای آنها اثری در تو نخواهـد کرد «هر چنـد مکرشان چنان باشـد که کوهها را از جا بر کند» (وَ إِنْ کَانَ مَکْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ)

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۴۷ ص: ۵۱۷

(آیه ۴۷)– بار دیگر روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، به عنوان تهدید ظالمان و بدکاران میفرماید: «گمان مبر که خداوند وعدهای را که به پیامبران داده مخالفت میکند» (فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ).

چرا كه تخلف از كسى سر مىزند كه يا قادر و توانا نباشد، و يا كيفر و انتقام در قاموس او نيست، ولى «خداوند هم تواناست و هم صاحب انتقام» (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقام).

اين آيه در حقيقت مكمّل آيه اى است كه قبلا داشتيم وَ لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ).

یعنی اگر می بینی ظالمان و ستمگران، مهلتی یافتهانید نه به خاطر غفلت پروردگار از اعمال آنهاست و نه به خاطر آن است که از وعده خود تخلف خواهد کرد، بلکه همه حسابهای آنها را یک روز رسیده و کیفر عادلانه آنها را خواهد داد.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۴۸ ص: ۵۱۷

(آیه ۴۸)- در این آیه اضافه می کند: این مجازات «در روزی خواهد بود که این زمین به زمین دیگری و آسمانها (به آسمانهای دیگری) مبدّل میشود» (یَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَیْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ).

در آن روز همه چیز پس از ویرانی، نو می شود، و انسان با شرایط تازه در عالم نوی گام می نهد، عالمی که همه چیزش با این عالم متفاوت است، و سعتش، نعمتها و کیفرهایش، و در آن روز هر کس هرچه دارد با تمام وجودش «در پیشگاه خداوند

واحد قهار ظاهر مي گردند»! (وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۱۸

«بروز» انسانها در برابر خداوند در قیامت به معنی ظهور تمام وجود انسان و درون و برونش در آن صحنه است. البته تعبیر بروز و ظهور در مقایسه با تفکر ما است، نه با مقایسه به علم خدا! به هر حال توصیف خداوند در این حال به «قهاریت» دلیل بر تسلط او بر همه چیز و سیطره او بر درون و برون همگان می باشد.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۴۹ ص: ۵۱۸

(آیه ۴۹)– در این آیه حـال مجرمـان را به نحو دیگری ترسیم میکنـد، میفرمایـد: «و در آن روز، مجرمـان را بـا هم در غل و زنجیر میبینی» که دستها و گردنهایشان را به هم بسته است (وَ تَرَی الْمُجْرِمِینَ یَوْمَئِذٍ مُقَرِّنِینَ فِی الْأَصْفادِ).

این غل و زنجیرها تجسمی است از پیوند عملی و فکری این گنهکاران در این جهان که دست به دست هم میدادند، و به کمک هم میشتافتند و در طریق ظلم و فساد با یکدیگر رابطه و پیوند و همکاری داشتند و این ارتباط در آنجا به صورت زنجیرهایی مجسم میشود که آنان را به یکدیگر مرتبط میسازد.

سورهٔ ابراهیم (۱۴): آیهٔ ۵۰ ص: ۵۱۸

(آیه ۵۰)- سپس به بیان لباس آنها میپردازد که خود عذاب بزرگی است برای آنان، و می گوید: «لباسهایشان از قطران [ماده چسبنده بد بوی قابل اشتعال] است و صورت آنها را (شعلههای) آتش میپوشاند» (سَرابِیلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ وَ تَغْشی وُجُوهَهُمُ النَّارُ). به این ترتیب به جای لباس، بدنهای آنها را از نوعی ماده سیاه رنگ بدبوی قابل اشتعال میپوشانند، لباسی که هم زشت و بدمنظر است و هم بدبو، و هم خود قابل سوختن و شعلهور شدن و با داشتن این عیوب چهارگانه بدترین لباس محسوب میشود چرا که لباس را برای آن میپوشند که زینت باشد و هم انسان را از گرما و سرما حفظ کند، این لباس به عکس همه لباسها هم زشت است و هم سوزاننده و آتش زننده.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۵۱ ص: ۵۱۸

(آیه ۵۱) - اینها برای آن است، «تا خداوند هر کس را، هر آنچه انجام داده، جزا دهد»! (لِیَجْزِیَ اللَّهُ کُلَّ نَفْسٍ ما کَسَبَتْ). جالب این که نمی گوید: «جزای» اعمالشان را به آنها می دهد، بلکه می گوید: بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۱۹ آنچه را انجام دادهاند به عنوان جزا به آنها خواهند داد و این آیه با این تعبیر خاص دلیل دیگری بر مسأله تجسم اعمال است. و در پایان می فرماید: «خداوند سریع الحساب است» (إِنَّ اللَّهَ سَرِیعُ الْحِسابِ).

کاملا روشن است هنگامی که اعمال انسان از میان نرود و با تغییر چهره به سراغ آدمی بیاید دیگر حسابی از آن سریعتر نخواهد بود، و در واقع حسابش همراه خودش است! در بعضی از روایات میخوانیم: «خداوند به اندازه یک چشم بر هم زدن حساب همه خلایق را میرسد».

اصولا محاسبه پروردگار نیاز به زمان ندارد و آنچه در روایت فوق آمده، در حقیقت برای اشاره به کوتاهترین زمان است.

سورهٔ ابراهیم(۱۴): آیهٔ ۵۲ ص: ۵۱۹

(آیه ۵۲) - و از آنجا که آیات این سوره و همچنین تمامی این قرآن جنبه دعوت به توحید و ابلاغ احکام الهی به مردم و انذار آنها در برابر تخلفاتشان دارد، در آخرین آیه این سوره میفرماید: «این (قرآن) ابلاغ عمومی برای همه مردم است» (هذا بَلاغٌ لِلنَّاس).

«تا همه به وسيله آن انذار شوند» (وَ لِيُنْذَرُوا بِهِ).

«و بدانند او خداى يكتاست» (وَ لِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلَّهُ واحِدٌ).

و منظور اين است كه: «صاحبان مغز و انديشه پند گيرند» (وَ لِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ).

آغاز و ختم سوره ابراهیم-.... ص: ۵۱۹

سوره «ابراهیم» همان گونه که دیدیم از بیان نقش حساس قرآن در خارج ساختن انسان از ظلمات جهل و شرک به نور علم و توحید، آغاز شد، و با بیان نقش قرآن در انذار همه تودهها و تعلیم توحید و تذکر اولوا الالباب پایان می گیرد.

این «آغـاز» و «پایـان» بیانگر این واقعیت است که همه آنچه را میخوانیم در همین قرآن است، و به گفته امیر مؤمنان علی علیه السّلام فیه ربیع القلب و ینابیع العلم «بهار برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۲۰

دلها و سر چشمه علوم و دانشها همه در قرآن است».

و همچنین درمان همه بیماریهای فکری و اخلاقی و اجتماعی و سیاسی را باید در آن جست «فاستشفوه من ادوائکم».

این بیان دلیل بر این است که بر خلاف سیره بسیاری از مسلمانان امروز که به قرآن به عنوان یک کتاب مقدس که تنها برای خواندن و ثواب بردن نازل شده مینگرند کتابی است برای دستور العمل در سراسر زندگی انسانها.

و بالاخره كتابي است كه هم دانشمند را تذكر مي دهد، و هم توده مردم از آن الهام مي گيرند.

فراموش کردن این کتاب بزرگ آسمانی و روی آوردن به مکتبهای انحرافی شرق و غرب یکی از عوامل مؤثر عقب افتادگی و ضعف و ناتوانی مسلمین است.

«پایان سوره ابراهیم» «۱»

(۱) شرح زنـدگانی ابراهیم در دوران قبـل از نبوت، دوران نبوت و مبـارزه بـا بت پرسـتان و دوران هجرت از بابـل، و تلاش و کوشش در سرزمین مصر و فلسطین و مکّه را در «تفسیر نمونه» ذیل آخرین آیه سوره ابراهیم مطالعه فرمایید. [.....] برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۲۱

آغاز جزء چهاردهم قرآن مجید ص: ۵۲۱

سوره حجر [14] ص: 271

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۹۹ آیه است

محتواي سوره: ص: 221

در این سوره آهنگ و لحن سوره های مکی کاملا منعکس است. لذا می توان محتوای این سوره را در هفت بخش خلاصه کرد:

- ۱- آیات مربوط به مبدأ عالم هستی و ایمان به او از طریق مطالعه در اسرار آفرینش.
 - ۲- آیات مربوط به معاد و کیفر بد کاران.
 - ٣- اهميت قرآن و عظمت اين كتاب آسماني.
 - ۴- داستان آفرینش آدم و سرکشی ابلیس و سر انجام کار او.
 - ۵- اشاره به سرگذشت اقوامی همچون قوم لوط و صالح و شعیب.
 - ۶- انذار و بشارت و اندرزهای مؤثر و تهدیدهای کوبنده و تشویقهای جالب.
 - ۷- دعوت از پیامبر به مقاومت و دلداری او در برابر توطئهها.
 - بِسْم اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الحجر(15): آية 1 ص: 221

(آیه ۱)- باز در آغاز این سوره با حروف مقطعه «الف، لام، راء» (الر).

برخورد می کنیم که نمایانگر ترکیب این کتاب بزرگ آسمانی که راهگشای همه انسانها به سوی سعادت میباشد، از حروف ساده الفبا است، همین ماده خامی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۲۲

در اختیار همه افراد بشر حتی کودکان دو سه ساله قرار دارد، و این نهایت درجه اعجاز است که از چنان مصالحی چنین محصول بینظیری ساخته شود.

و لـذا بلافاصـله بعـد از آن میگوید: «اینها آیات کتاب آسـمانی و قرآن آشـکار است» (تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ وَ قُرْآنٍ مُبِینٍ). که بیان کننده حقایق و روشنگر حق از باطل میباشد.

سورة الحجر(15): آية ٢ ص: 222

(آیه ۲)- آرزوهای بیجا! سپس به آنها که در لجاجت و مخالفت با این آیات روشن الهی اصرار میورزند هشدار میدهد روزی فرا میرسد که اینها از نتائج شوم کفر و تعصب کور کورانه و لجاجت خویش پشیمان خواهند شد و، «چه بسا این کافران آرزو می کنند که ای کاش مسلمان بودند» (رُبَما یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کانُوا مُسْلِمِینَ).

ممکن است آیه اشاره به پشیمانی گروههایی از کافران در آن جهان و این جهان باشد، در حالی که در آنجا قدرت بازگشت ندارند! و در اینجا نیز تعصبها و لجاجتها و یا منافع مادّی اجازه نمی دهد که دین اسلام را بپذیرند.

سورة الحجر (15): آية ٣ ص: 222

(آیه ۳)- سپس با لحنی بسیار کوبنده می گوید: ای پیامبر «اینها را به حال خود بگذار (تا همچون چهارپایان) بخورند، و از لذتهای این زندگی ناپایدار بهره گیرند، و آرزوها آنها را از این واقعیت بزرگ غافل سازد ولی به زودی خواهند فهمید» (ذَرْهُمْ یَأْکُلُوا وَ یَتَمَتَّعُوا وَ یُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ).

اینها چون حیواناتی هستند که جز اصطبل و علف، و جز لذت مادی چیزی نمی فهمند و هر حرکتی دارند برای رسیدن به همین هاست.

پردههای غرور و غفلت و آرزوهای دور و دراز چنان بر قلب آنها افتاده، و آنها را به خود مشغول ساخته که دیگر توانایی درک واقعیتی را ندارند.

اما آن گاه که پردههای غفلت و غرور از مقابل چشمانشان کنار رود، و خود را در آستانه مرگ و یا در عرصه قیامت ببینند، میفهمند که چه اندازه در غفلت و تا چه حدّ زیانکار و بدبخت بودهاند.

سورة الحجر(15): آية 4 ص: 222

(آیه ۴) – در این آیه برای این که گمان نکنند این مهلت و تمتع از لذایذ دنیا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۲۳ پایان ناپذیر است، اضافه می کند: «ما هیچ گروهی را در هیچ شهر و آبادی نابود نکردیم مگر این که آنها، اجل معین و زمان تغییر ناپذیری داشتند» (وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْیَةٍ إِلَّا وَ لَها كِتابٌ مَعْلُومٌ).

سورة الحجر(15): آية 5 ص: 223

(آیه ۵)- و «هیچ امت و جمعیتی از اجل معین خود پیشی نمی گیرد، و هیچ یک نیز عقب نخواهد افتاد» (ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ).

سنت الهی همه جا این بوده که به قدر کافی مهلت برای تجدید نظر و بیداری و آگاهی بدهد، حوادث دردناک، و وسائل رحمت را یکی پس از دیگری میفرستد، تهدید می کند، تشویق می کند، اخطار مینماید تا حجت بر همه مردم تمام شود. ولی هنگامی که این مهلت به پایان رسید سرنوشت قطعی دامنشان را خواهد گرفت.

سورة الحجر(15): آية 6 ص: 223

(آیه ۶)- در اینجا نخست به موضع گیریهای خصمانه کفار در مقابل قرآن و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله اشاره کرده، می گوید: «و آنهـا گفتنـد: ای کسـی که قرآن بر تو نازل شـده بطور قطع سوگنـد یاد میکنیم (که تو دیوانهای»! (وَ قالُوا یا أَیُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَیْهِ الذِّکْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ).

و این تعبیر نهایت گستاخی و جسارت آنها را در برابر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله مجسم می کند.

آنها مقیاس را عقل کوچک و ناتوان خودشان قرار میدهند و هر چه در این مقیاس نگنجد در نظر آنها بی عقلی و دیوانگی است! و عجب این که این نابخردان وصله هایی به رهبران الهی می چسباندند که گاهی کاملا با هم ضد و نقیض بود، گاهی آنها را «دیوانه» می خواندند و گاهی «ساحر»، با این که ساحر کسی است که باید از زیرکی و هوشیاری خاصی برخوردار باشد و درست در نقطه ضد دیوانه است.

سورة الحجر(15): آية ٧ ص: 223

(آیه ۷)– آنها نه تنها چنین نسبتهای نابخردانهای به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میدادند بلکه برای بهانه جویی میگفتند: اگر از راستگویانی چرا فرشتگان را برای ما برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۲۴ نمی آوری»! تا تصدیق گفتار تو کنند و ما ایمان بیاوریم (لَوْ ما تَأْتِینا بِالْمَلائِکَةِ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصَّادِقِینَ).

سورة الحجر(15): آية ٨ ص: 224

(آيه ٨)– خداوند به آنها چنين پاسخ مي گويد: «ما ملائكه را جز به حق نازل نمي كنيم» (ما نُنزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ).

«و آنگاه (که فرشتگان نازل شوند و حقیقت برای آنها جنبه شهود و حسی پیدا کند و بعد ایمان نیاورند) دیگر به آنها مهلت داده نخواهد شد» و به عذاب الهی نابود می گردند (وَ ما کانُوا إِذاً مُنْظَرِینَ).

به تعبیر دیگر اعجاز بازیچه نیست، بلکه برای اثبات حق است، و این امر به قـدر کافی برای آنها که خواهان حقنـد ثابت شـده، چرا که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله با در دست داشتن این قرآن و اعجازهای دیگر رسالت خود را به ثبوت رسانده است.

سورة الحجر(15): آية 9 ص: 224

(آیه ۹) - حفظ قرآن از دست بردها: به دنبال بهانه جوییهای کفار و حتی استهزای آنها نسبت به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله این آیه یک واقعیت بزرگ و پراهمیت را به عنوان دلداری به پیامبر از یک سو و اطمینان خاطر همه مؤمنان راستین از سوی دیگر بیان می کند و آن این که: «ما این قرآن را (که مایه تذکر است) نازل کردیم، و ما بطور قطع آن را حفظ خواهیم کرد» (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ).

این گروه اندک و ناتوان که سهل است، اگر همه جباران و زورمندان و سیاستمداران ستمگر و اندیشمند منحرف و رزم آوران جهان دست به دست هم بدهند که نورش را خاموش کنند، توانایی نخواهند داشت، چرا که خداوند حفظ و پاسداری از آن را به عهده گرفته است، محافظت از هر نظر: محافظت از هر گونه تحریف، محافظت از فنا و نابودی و محافظت از سفسطههای دشمنان وسوسه گر.

معروف و مشهور در میان همه دانشمندان شیعه و اهل تسنن این است که:

هیچ گونه تحریفی در قرآن روی نـداده است، و قرآنی که امروز در دست مـاست درست همان قرآنی است که بر پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله نازل شده، و حتی کلمه و حرفی از آن کم و زیاد نگردیده است.

سورة الحجر(15): آية 10 ص: 224

(آیه ۱۰)- لجاجت و انکار محسوسات: در اینجا به عنوان دلداری پیامبر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۲۵ و مؤمنان در برابر مشکلاتی که در دعوت خود با آن مواجه بودنـد اشاره به زندگی انبیای پیشـین و گرفتاریهای آنها در مقابل اقوام گمراه و متعصب میکند.

نخست می گوید: «ما پیش از تو در میان امتهای نخستین نیز پیامبرانی فرستادیم» (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ فِی شِیَعِ الْأُوَّلِينَ).

سورة الحجر(15): آية 11 ص: 225

(آیه ۱۱)- ولی آنها چنان لجوج و سرسخت بودند که «هر پیامبری به سراغشان می آمد او را به باد استهزاء و سخریه می گرفتند» (وَ ما یَأْتِیهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا کانُوا بِهِ یَسْتَهْزَؤُنَ).

این استهزاء و سخریه به خاطر چند امر بود:

- برای شکستن ابهت پیامبران و متفرق ساختن افراد حقجو از گرد آنان.
 - براى ضعف و ناتوانيشان در مقابل منطق نيرومند رسولان الهي.
 - برای این که سرپوشی بر وجدان خفته خود بگذارد، مبادا بیدار شود.
- و سر انجام برای این که می دیدند قبول دعوت پیامبران آنها را در برابر شهواتشان محدود می سازد و آزادیهای حیوانیشان را سلب می کند.

از این جمله استفاده می شود که وظیفه مبلّغان تنها این نیست که مسائلی را به گوش مردم بخوانند، بلکه باید از تمام وسائل سمعی، بصری، برنامه های عملی، قصص، داستانها، ادبیات، شعر و هنر به معنی اصیل و سازنده استفاده کنند تا سخن حق را به دل آنها نفوذ دهند.

سورة الحجر(15): آية 17 ص: 225

(آیه ۱۲)- سپس میفرماید: آری «ما این چنین آیات قرآن را به دلهای این مجرمان میفرستیم»! (کَهذلِکَ نَسْمِلُکُهُ فِی قُلُوبِ الْمُجْرِمِینَ).

سورة الحجر(15): آية ١٣ ص: 225

(آیه ۱۳) - اما با این همه تبلیغ و تأکید و بیان منطقی و ارائه معجزات باز هم این متعصبان استهزاء کننده «به آن ایمان نمی آورند» (لا یُؤْمِنُونَ بهِ).

ولى اين منحصر به آنها نيست «پيش از آنها سنت اقوام اولين نيز چنين بود» (وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّهُ الْأَوَّلِينَ).

سورة الحجر(15): آية ۱۴ ص: 225

(آیه ۱۴)- اینها بر اثر غوطهور شدن در شهوات و اصرار و لجاجت در باطل، کارشان به جایی رسیده که: «اگر دردی را از آسمان به روی آنها بگشاییم و آنها مرتبا به برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۲۶ آسمان صعود و نزول کنند ...» (وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ).

سورة الحجر(15): آية 15 ص: 278

(آیه ۱۵)- «باز می گویند ما را چشم بندی کردهاند» (لَقالُوا إِنَّما سُکِّرَتْ أَبْصارُنا).

«بلکه ما گروهی هستیم که سر تا پا سحر شدهایم» و آنچه می بینیم ابدا واقعیت ندارد! (بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ).

این جای تعجب نیست که انسان به چنین مرحلهای از عناد و لجاج برسد، برای این که روح پاک و فطرت دست نخورده انسان که قادر به درک حقایق و مشاهده چهره اصلی واقعیات است، بر اثر گناه و جهل و دشمنی با حق تدریجا به تاریکی می گراید، البته در مراحل نخستین پاک کردن آن کاملا_امکان پذیر است، اما اگر خدای نکرده این حالت در انسان راسخ شود و به صورت «ملکه» در آید دیگر به آسانی نمی توان آن را شست، و در اینجاست که چهره حق در نظر انسان دگرگون می شود تا آنجا که محکمترین دلائل عقلی، و روشنترین دلائل حسی، در دل او اثر نمی گذارد و کار او به انکار معقولات و محسوسات، هر دو، می رسد.

سورة الحجر(15): آية 16 ص: 276

(آیه ۱۶)- شیاطین با شهاب رانده میشوند! این آیه به بعد اشاره به گوشهای از نظام آفرینش به عنوان دلیلی بر توحید و شناخت خداست و بحثهایی را که در زمینه قرآن و نبوت در آیات گذشته آمد تکمیل می کند.

نخست مي گويد: «ما در آسمان برجهايي قرار داديم» (وَ لَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً).

هنگامی که ما از کره زمین به ماه و خورشید نگاه میکنیم در هر فصل و موقعی از سال آنها را در مقابل یکی از صورتهای فلکی (صورتهای فلکی مجموعه ستارگانی است که شکل خاصی را به خود گرفتهاند) میبینیم و میگوییم خورشید مثلا در برج حمل یا ثور یا میزان و عقرب و قوس است.

سپس اضافه می کند: «ما آن (آسمان و این صورتهای فلکی) را برای بینندگان زینت بخشیدیم» (وَ زَیَّنَّاها لِلنَّاظِرِینَ).

سورة الحجر(15): آية ١٧ ص: 276

(آیه ۱۷) – در این آیه اضافه می کند: «ما این آسمان را از هر شیطان رجیم برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۲۷ و شوم و ملعون محفوظ داشتهایم» (وَ حَفِظْناها مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ رَجِیمٍ).

سورة الحجر(15): آية 18 ص: 227

(آیه ۱۸)– «مگر آن شیطانهایی که هوس استراق سمع و خبرگیری دزدکی کنند، که شهاب آشکار آنها را تعقیب میکند و به عقب میراند» (إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَثْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ).

منظور از «آسمان» آسمان حق و حقیقت است، و شیاطین همان وسوسه گران هستند که می کوشند به این آسمان راه یابند و استراق سمع کننـد و به اغوای مردم بپردازند، اما ستارگان و شهب یعنی، رهبران الهی و دانشـمندان با امواج نیرومند سخن و قلمشان آنها را به عقب میرانند و طرد می کنند.

سورة الحجر(15): آية 19 ص: 227

(آیه ۱۹) - در اینجا به بخشی از آیات آفرینش، و نشانه های عظمت خدا در زمین، می پردازد تا بحث پیشین تکمیل گردد. نخست از خود زمین شروع کرده، می فرماید: «و ما زمین را گسترش دادیم» (وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها). و از آنجا که آفرینش کوهها با آن فوائد زیادی که دارند یکی از نشانههای توحید است، به ذکر آن پرداخته، اضافه میکند: «و ما در زمین کوههای مستقر و ثابتی انداختیم» (وَ أَلْقَیْنا فِیها رَواسِیَ).

این کوهها علاوه بر این که از ریشه به هم پیوسته اند و همچون زرهی زمین را در برابر فشار درونی از لرزشها حفظ می کنند، و علاوه بر این که قدرت توفانها را در هم شکسته و وزش باد و نسیم را به دقت کنترل می نمایند، محل خوبی برای ذخیره آبها به صورت برف و یا چشمه ها می باشند.

سپس به سراغ مهمترین عامل زنـدگی بشـر و همه جانـداران یعنی گیاهـان میرود، میفرمایـد: «و ما در روی زمین از هر چیز (گیاه) موزون رویاندیم» (وَ أَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ).

در کره زمین شاید صدها هزار نوع گیاه داریم با خواص مختلف و آثار متنوع و گوناگون که شناخت هر یک دریچهای است برای شناخت «اللّه» و برگ هر کدام از آنها دفتری است از «معرفت کردگار».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۲۸

سورة الحجر(15): آية 20 ص: 278

(آیه ۲۰)- و از آنجا که وسائل زندگی انسان منحصر به گیاهان و معادن نیست در این آیه به تمام این مواهب اشاره کرده، می گوید: «و ما انواع وسائل زندگی را برای شما در زمین قرار دادیم» (وَ جَعَلْنا لَکُمْ فِیها مَعایِشَ).

نه تنها برای شما بلکه برای همه موجودات زنده، «و کسانی که شما روزی آنها را نمیدهید» و از دسترس شما خارجند (وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ).

آرى! براى همه آنها نيازمنديهايشان را فراهم ساختيم.

سورة الحجر(15): آية 21 ص: 228

(آیه ۲۱)- این آیه در حقیقت به پاسخ سؤالی میپردازد که برای بسیاری از مردم پیدا میشود و آن این که چرا خداوند آنقدر از ارزاق و مواهب در اختیار انسانها نمی گذارد که بینیاز از هر گونه تلاش و کوشش باشند.

مىفرمايىد: «خزائن و گنجينه هاى همه چيز تنها نزد ماست، ولى ما جز به انىدازه معين آن را نازل نمىكنيم» (وَ إِنْ مِنْ شَـيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُوم).

بنابراین چنان نیست که قدرت ما محدود باشد و از تمام شدن ارزاق وحشتی داشته باشیم، بلکه منبع و مخزن و سر چشمه همه چیز نزد ماست، ولی همه چیز این عالم حساب دارد و ارزاق و روزیها نیز به مقدار حساب شدهای از طرف خدا نازل می گردد. کاملا روشن است که تلاش و کوشش برای زندگی علاوه بر این که تنبلی و سستی و دل مردگی را از انسانها دور میسازد و حرکت و نشاط می آفریند، وسیله بسیار خوبی برای اشتغال سالم فکری و جسمی آنهاست، و اگر چنین نبود و همه چیز بی حساب در اختیار انسان قرار داشت معلوم نبود دنیا چه منظرهای پیدا می کرد؟

به عبارت دیگر همان گونه که فقر و نیاز، انسان را به انحراف و بدبختی می کشاند بینیازی بیش از حد نیز منشأ فساد و تباهی است.

سورة الحجر(15): آية 27 ص: 278

(آیه ۲۲)– نقش بـاد و بـاران: در تعقیب بیان قسـمتی از اسـرار آفرینش و نعمتهای خـدا در آیات گذشـته، در این آیه به وزش بادها و نقش مؤثر آنها در نزول برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۲۹

بارانها اشاره کرده، می گوید: «و ما بادها را فرستادیم در حالی که بارور کننـدهانـد» و قطعات ابر را به هم می پیوندنـد و بارور میسازند (وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ).

«و به دنبال آن از آسمان آبی فرو فرستادیم» (فَأَنْزُلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً).

«و به وسیله آن همه شما را سیراب کردیم» (فَأَسْقَیْناکُمُوهُ).

«در حالی که شما توانایی بر حفظ و نگهداری آن نداشتید» (وَ ما أُنْتُمْ لَهُ بِخازِنِینَ).

یعنی شما نمی توانید حتی بعد از نزول باران آن را به مقدار زیاد گرد آوری و حفظ کنید، این خداست که از طریق منجمد ساختن آنها در قله کوهها به صورت برف و یخ، و یا فرستادن آنها به اعماق زمین که بعدا به صورت چشمه ها و کاریزها و چاهها ظاهر می شوند، آنها را گرد آوری و ذخیره می کند.

سورة الحجر(15): آية 23 ص: 279

(آیه ۲۳)- سپس به دنبال بحثهای توحیدی به معاد و مقدمات آن اشاره کرده، می گوید: «و مائیم که زنده می کنیم و (مائیم که) می میرانیم» (وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْیِی وَ نُمِیتُ).

«و وارث (همه روى زمين و تمام اين جهان) مائيم» (وَ نَحْنُ الْوارِثُونَ).

اشاره به مسأله حیات و مرگ که در واقع مهمترین و قطعی ترین مسائل است هم می توانـد مقـدمه برای بحث معاد باشـد و هم تکمیلی برای بحث توحید.

از سوی دیگر وجود مرگ و زندگی خود دلیل بر این است که موجودات این عالم از خود چیزی ندارند و هر چه دارند از ناحیه دیگری است، و سر انجام وارث همه آنها خداست!

سورة الحجر(15): آية 24 ص: 279

(آیه ۲۴)- بعد اضافه می کند: «ما هم پیشینیان شما را دانستیم و هم متأخران را» (وَ لَقَـدْ عَلِمْنَا الْمُسْ تَقْدِمِینَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْ تَقْدِمِینَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْ تَقْدِمِینَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرینَ).

کلمه «مستقدمین» و «مستأخرین» معنی وسیعی دارد که هم شامل پیشگامان و متأخران در زمان میشود، و هم شامل پیشگامان در اعمال خیر، و یا جهاد و مبارزه با دشمنان حق، و یا حتی صفوف نماز جماعت، و مانند اینها.

بنابراین هم خود آنها و هم اعمالشان در برابر علم ما روشن و آشکارند، و از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۳۰ این نظر معاد و رستاخیز و محاسبه اعمال همه آنها کاملا در برابر ما سهل است.

سورة الحجر(15): آية 25 ص: 230

(آیه ۲۵)– و لذا بلافاصله به دنبال این سخن می گوید: «پروردگار تو بطور قطع همه آنها را (به زندگی جدید در رستاخیز باز می گرداند و) جمع و محشور می کند» (وَ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ یَحْشُرُهُمْ).

«چرا كه او هم حكيم است و هم عالم» (إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ).

«حکمت» او ایجاب می کند که مرگ پایان همه چیز نباشد، زیرا اگر زندگی منحصر به همین چند روز حیات این جهان بود آفرینش جهان بیهوده و بیمحتوا میشد، و از خداوند حکیم دور است که یک چنین آفرینش بینتیجهای داشته باشد.

و «علیم» بودنش سبب می شود که در امر معاد و حشر، مشکلی ایجاد نشود، هر ذره خاکی که از انسانی به گوشهای پرتاب شده جمع آوری می کند و حیات جدید به آن می بخشد، و از سوی دیگر پرونده اعمال همگی هم در دل این جهان طبیعت و هم در درون جان انسانها ثبت است. و او از همه اینها آگاه است.

بنابراین حکیم و علیم بودن خدا دلیل فشرده و پرمغزی بر مسأله «حشر» و «معاد» محسوب می شود.

سورة الحجر(15): آية 26 ص: 530

(آیه ۲۶)- آفرینش انسان: به مناسبت آیات گذشته که قسمتهایی از آفرینش خداوند و نظام هستی را بیان می کند، در اینجا به شاهکار بزرگ خلقت یعنی «آفرینش انسان» پرداخته، و طی آیات متعدد و پرمحتوایی، بسیاری از جزئیات این آفرینش را بازگو می کند.

نخست مىفرمايد: «ما انسان را از گل خشكيدهاى (همچون سفال) كه از گل بدبوى (تيره رنگى) گرفته شده بود آفريديم» (وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَاٍ مَسْنُونٍ).

سورة الحجر(15): آية 27 ص: 230

(آيه ۲۷)– «و جنّ را پيش از آن از آتش گرم و سوزان خلق كرديم» (وَ الْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُوم).

سورة الحجر(15): آية 28 ص: 330

(آیه ۲۸)- مجددا به آفرینش انسان باز می گردد و گفتگوی خداونید را با فرشتگان که قبل از آفرینش انسان روی داد، چنین بیان می کند: برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۳۱

و به خاطر بیـاور «هنگامی که پروردگارت به فرشـتگان فرمود: من بشـری را از گل خشـکیدهای که از گل تیره رنگ بـدبویی گرفته شده، میآفرینم» (وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَةِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَاٍ مَشنُونٍ).

سورة الحجر(15): آية 29 ص: 231

(آیه ۲۹)- «و هنگامی که خلقت آن را به پایان و کمال رسانـدم و از روح خود (یک روح شـریف و پاک و با عظمت) در آن دمیدم همگی به خاطر آن سجده کنید» (فَإِذا سَوَّنْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ).

سورة الحجر(15): آية 30 ص: 231

(آیه ۳۰)- آفرینش انسان پایان پذیرفت و آنچه شایسته جسم و جان انسان بود به او داده شد و همه چیز انجام یافت: «در این هنگام همه فرشتگان بدون استثناء سجده کردند» (فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ).

سورة الحجر(15): آية 31 ص: 231

(آیه ۳۱)- تنها کسی که اطاعت این فرمان را نکرد «ابلیس» بود، لذا اضافه می کند: «به جز ابلیس که خوداری کرد از این که همراه سجده کنندگان باشد» (إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ).

سورة الحجر(15): آية 32 ص: 231

(آیه ۳۲)- اینجا بود که ابلیس مورد بازپرسی قرار گرفت و خداوند «فرمود: ای ابلیس! چرا تو با سجده کنندگان نیستی»؟ (قالَ یا إِبْلیسُ ما لَکَ أَلَّا تَکُونَ مَعَ السَّاجِدِینَ).

سورة الحجر(15): آية 33 ص: 231

(آیه ۳۳)- ابلیس که غرق غرور و خودخواهی خویش بود آنچنان که عقل و هوش او را پوشانده بود گستاخانه در برابر پرسش پروردگار به پاسخ پرداخت و «گفت: من هرگز برای بشری که او را از خاک خشکیدهای- که از گل بدبویی گرفته شده- آفریدهای سجده نخواهم کرد» (قالَ لَمْ أَکُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرِ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَاٍ مَسْنُونٍ).

سورة الحجر(15): آية 34 ص: 231

(آیه ۳۴) – او که از اسرار آفرینش بر اثر خودخواهی و غرور بیخبر مانده بود و ناگهان از اوج مقامی که داشت سقوط کرد، دیگر شایسته نبود که او در صف فرشتگان باشد، لذا بلافاصله «خدا به او فرمود: از آن (بهشت یا از آسمانها و یا از صفوف فرشتگان) بیرون رو که تو رجیم و رانده شده درگاه مایی» (قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّکَ رَجِیمٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۳۲

سورة الحجر(15): آية 35 ص: 332

(آیه ۳۵)– و بـدان که این غرورت مایه کفرت شـد و این کفر برای همیشه تو را مطرود کرد، «لعنت و دوری از رحمت خدا تا روز رستاخیز بر تو خواهد بود»! (وَ إِنَّ عَلَیْکَ اللَّعْنَهُ إِلی یَوْم الدِّینِ).

سورة الحجر(15): آية 35 ص: 222

(آیه ۳۶)- ابلیس که در این هنگام خود را رانده درگاه خدا دید، و احساس کرد که آفرینش انسان سبب بـدبختی او شـد، آتش کینه در دلش شعلهور گشت، تا انتقام خویش را از فرزندان آدم بگیرد. لذا «عرض کرد: پروردگارا! اکنون که چنین است مرا تا روز رستاخیز مهلت ده»! (قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِی إِلَی یَوْمِ یُبْعَثُونَ). نه برای این که توبه کند، یا از کرده خود پشیمان باشد و در مقام جبران برآید، بلکه برای این که به لجاجت و عناد و دشمنی و خیره سری ادامه دهد!

سورة الحجر(15): آية 37 ص: 332

(آيه ٣٧)– خداوند هم اين خواسته او را پذيرفت و «فرمود: مسلما تو از مهلت يافتگاني» (قالَ فَإِنَّكُ مِنَ الْمُنْظَرِينَ).

سورة الحجر(15): آية 38 ص: 332

(آیه ۳۸)- ولی نه تـا روز مبعوث شـدن خلاـئق در رسـتاخیز، چنانکه خواسـتهای، بلکه «تا وقت و زمان معینی» (إِلی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوم).

منظور از «يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» پايان اين جهان و برچيده شدن دوران تكليف است.

سورة الحجر(15): آية 39 ص: 232

(آیه ۳۹) - در اینجا ابلیس نیّت باطنی خود را آشکار ساخت هر چند چیزی از خدا پنهان نبود و «عرض کرد: پروردگارا! به خاطر این که مرا گمراه ساختی (و این انسان زمینه بدبختی مرا فراهم ساخت) من نعمتهای مادی روی زمین را در نظر آنها زینت میدهم (و انسانها را به آن مشغول میدارم) و سر انجام همه را گمراه خواهم ساخت» (قالَ رَبِّ بِما أَغُو يُتَنِی لَأُزيِّنَنَّ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ وَ لَأُغُو یَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ).

سورة الحجر(15): آية 40 ص: 232

(آیه ۴۰) - اما او به خوبی می دانست که وسوسه هایش در دل «بندگان مخلص خدا» هرگز اثر نخواهد گذاشت، لذا بلافاصله برای سخن خود استثنایی قائل شد و گفت: «مگر آن بندگان خالص شده تو» که به مرحله عالی ایمان و عمل برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۳۳

پس از تعلیم و تربیت و مجاهده با نفس رسیده باشند (إِلَّا عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ).

سورة الحجر(15): آية 41 ص: 333

(آیه ۴۱) - خداوند به عنوان تحقیر شیطان و تقویت قلب جویندگان راه حق و پویندگان طریق توحید «فرمود: این راه مستقیمی است که بر عهده من است» و سنت همیشگیم (قالَ هذا صِراطٌ عَلَیَّ مُسْتَقِیمٌ).

سورة الحجر(15): آية ٤٢ ص: ٥٣٣

(آیه ۴۲)– که «تو هیچ گونه تسلّط و قدرتی بر بندگان من نداری مگر گمراهانی که شخصا بخواهند از تو پیروی کنند» (إِنَّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْغاوِینَ).

یعنی، در واقع این تو نیستی که می توانی مردم را گمراه کنی، بلکه این انسانهای منحرفند که با میل و اراده خویش دعوت تو را اجابت کرده، پشت سر تو گام برمی دارند.

سورة الحجر(15): آية 47 ص: 273

(آیه ۴۳)- سپس صریحترین تهدیدهای خود را متوجه پیروان شیطان کرده، می گوید: «و جهنم میعادگاه همه آنهاست» (وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِینَ).

گمان نکنند که آنها از چنگال مجازات می توانند فرار کنند و یا به حساب آنها رسیدگی نمی شود.

سورة الحجر(15): آية 44 ص: 233

(آیه ۴۴)– «همان دوزخی که هفت در دارد، و برای هر دری گروهی از پیروان شیطان تقسیم شـدهاند» (لَها سَـبْعَةُ أَبْوابٍ لِکُلِّ بابِ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ).

این درها، در حقیقت درهای گناهانی است که به وسیله آن، افراد وارد دوزخ می شوند، هر گروهی به وسیله ارتکاب گناهی و از دری، همان گونه که درهای بهشت، طاعات و اعمال صالح و مجاهدتهایی است که به وسیله آن بهشتیان وارد بهشت می شوند.

سورة الحجر(15): آية 45 ص: 333

(آیه ۴۵)- نعمتهای هشتگانه بهشت: در آیات گذشته دیدیم که چه سان خداوند نتیجه کار شیطان و یاران و همگامان و پیروان او را شرح داد، و درهای هفتگانه جهنم را به روی آنها گشود.

طبق روش قرآن که از مسأله مقابله و تقارن، برای تعلیم و تربیت، بهره گیری می کند، در این آیات هشت نعمت بزرگ مادی و معنوی به تعداد درهای بهشت برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۳۴

بیان شده است:

۱- در آغاز به یک نعمت مهم جسمانی اشاره کرده، می گوید: «پرهیزکاران در باغهای سرسبز بهشت، و در کنار چشمههای زلال آن خواهند بود» (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ).

ذکر «جنات» و «عیون» به صیغه جمع، اشاره به باغهای متنوع و چشمههای فراوان و گوناگون بهشت است که هر کدام لذت تازهای می آفریند.

سورة الحجر(15): آية 46 ص: 334

(آیه ۴۶) - دوم و سوم: سپس به دو نعمت مهم معنوی که «سلامت» و «امنیت» است اشاره می کند، سلامت از هر گونه رنج و

نــاراحتى، و امنيت از هرگونه خطر، مىگويــد: فرشــتگان الهى به آنهـا خوش آمــد گفته، مىگوينــد: «داخــل اين باغها شويــد با سلامت و امنيت كامل» (ادْخُلُوها بِسَلام آمِنِينَ).

سورة الحجر(15): آية 47 ص: 334

(آیه ۴۷)- چهارم: «ما هرگونه حسد و کینه و عداوت و خیانت را از سینههای آنها می شوییم و بر می کنیم» (وَ نَزَعْنا ما فِی صُدُورِهِمْ مِنْ غِلًّ).

چرا که تا قلب انسان از این «غلّ» شستشو نشود نه سلامت و امنیت فراهم می شود و نه برادری و اخوت.

۵- «در حالى كه همه برادرند» (إِخْواناً).

و نزدیکترین پیوندهای محبت در میان آنها حکمفرماست.

۶- «در حالی که بر سریرها رو بروی یکدیگر قرار گرفتهاند» (عَلی سُوُرِ مُتَقَابِلِینَ).

آنها در جلسات اجتماعیشان گرفتار تشریفات آزار دهنده این دنیا نیستند و مجلسشان بالا و پایین ندارد همه برادرند، همه رو بروی یکدیگر و در یک صف، نه یکی بالای مجلس و دیگری در کفش کن.

سورة الحجر(15): آية ٤٨ ص: 334

(آیه ۴۸) – سپس به هفتمین نعمت مادی و معنوی اشاره کرده، می گوید:

«هرگز خستگی و تعب به آنها نمیرسد» (لا یَمَسُّهُمْ فِیها نَصَبُّ).

و همانند زندگی این دنیا که رسیدن به یک روز آسایش، خستگیهای فراوانی قبل و بعد از آن دارد که فکر آن، آرامش انسان را بر هم میزند، نیست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۳۵

۸- همچنین فکر فنا و نابودی و پایان گرفتن نعمت، آنان را آزار نمیدهد، چرا که «آنها هرگز از این باغهای پرنعمت و سرور اخراج نمیشوند» (وَ ما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِینَ).

سورة الحجر(15): آية ٤٩ ص: 235

(آیه ۴۹)- اکنون ممکن است افراد گنهکار و آلوده در هالهای از غم و اندوه فرو روند که ای کاش ما هم می توانستیم به گوشهای از این موهبت دست یابیم، در اینجا خداوند رحمان و رحیم درهای بهشت را به روی آنها نیز می گشاید، اما به صورت مشروط.

با لحنی مملو از محبت و عالیترین نوازش، روی سخن را به پیامبرش کرده، می گوید: پیامبرم! «بندگانم را آگاه کن که من غفور و رحیمم، گناه بخش و پرمحبتم» (نَبِّئْ عِبادِی أَنِّی أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِیمُ).

سورة الحجر(15): آية 50 ص: 235

(آیه ۵۰)- اما از آنجا که قرآن، همیشه جلو سوء استفاده از مظاهر رحمت الهی را با جملههای تکان دهندهای که حاکی از

خشم و غضب اوست مى گيرد، تا تعادل ميان خوف و رجاء كه رمز تكامل و تربيت است برقرار گردد، بلافاصله اضافه مى كند: كه به بندگانم نيز بگو: كه «عذاب و كيفر من همان عذاب دردناك است» (وَ أَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ).

سورة الحجر(15): آية 11 ص: 235

(آیه ۵۱)- میهمانان ناشناس؟ از این آیه به بعد، قسمتهای آموزندهای را از تاریخ پیامبران بزرگ و اقوام سرکش به عنوان نمونههای روشنی از بندگان مخلص، و پیروان شیطان، بیان میکند.

نخست از داستان میهمانهای ابراهیم شروع کرده، می گوید: «و به آنها (بندگانم) از میهمانهای ابراهیم خبر ده» (وَ نَبُنْهُمْ عَنْ ضَیْفِ إِبْراهِیمَ).

سورة الحجر(15): آية 22 ص: 235

(آیه ۵۲)- این میهمانهای ناخوانده همان فرشتگانی بودند که: «به هنگام وارد شدن بر ابراهیم (به صورت ناشـناس، نخست) بر او سلام گفتند» (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً).

ابراهیم آن گونه که وظیفه یک میزبان بزرگوار و مهربان است برای پذیرایی آنها آماده شد و غذای مناسبی فورا فراهم ساخت، اما هنگامی که سفره غذا گسترده برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۳۶

شـد میهمانهـای ناشـناس دست به غـذا دراز نکردنـد، او از این امر وحشت کرد و وحشت خود را کتمان ننمود، با صـراحت به آنان «گفت: ما از شما بیمناکیم» (قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ).

این ترس به خاطر سنتی بود که در آن زمان و زمانهای بعد و حتی در عصر ما در میان بعضی از اقوام معمول است که هرگاه کسی نان و نمک کسی را بخورد به او گزندی نخواهد رساند و خود را مدیون او میداند و به همین دلیل، دست نبردن به سوی غذا دلیل بر قصد سوء و کینه و عداوت است.

سورة الحجر(15): آية 23 ص: 238

(آیه ۵۳)– ولی چیزی نگذشت که فرشتگان ابراهیم را از نگرانی بیرون آوردند، و «به او گفتند: ترسان مباش، ما تو را به فرزند دانایی بشارت میدهیم» (قالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُکَ بِغُلامٍ عَلِیمٍ).

سورة الحجر(15): آية 34 ص: 338

(آیه ۵۴) – ولی ابراهیم به خوبی میدانست که از نظر موازین طبیعی تولد چنین فرزندی از او بسیار بعید است، هر چند در برابر قدرت خدا هیچ چیزی محال نیست، ولی توجه به موازین عادی و طبیعی تعجب او را برانگیخت، لذا «گفت: آیا چنین بشارتی به من میدهید در حالی که من به سن پیری رسیدهام»؟! (قالَ أَ بَشَّرْتُمُونِی عَلی أَنْ مَشَّنِیَ الْکِبَرُ).

«راستى به چه چيز مرا بشارت مىدهيد»؟ (فَبِمَ تُبَشِّرُونَ).

آیا به امر و فرمان خداست این بشارت شما یا از ناحیه خودتان؟ صریحا بگویید تا اطمینان بیشتر پیدا کنم!

سورة الحجر(15): آية 55 ص: 538

(آیه ۵۵)- به هر حال فرشتگان مجال تردید یا تعجب بیشتری به ابراهیم ندادند، با صراحت و قاطعیت به او «گفتند: که ما تو را به حق بشارت دادیم» (قالُوا بَشَّرْناکَ بِالْحَقِّ).

بشارتی که از ناحیه خدا و به فرمان او بود و به همین دلیل، حق است و مسلم.

و به دنبال آن برای تأکید- به گمان این که مبادا یأس و ناامیدی بر ابراهیم غلبه کرده باشد- گفتند: «اکنون که چنین است از مأیوسان مباش» (فَلا تَکُنْ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۳۷

مِنَ الْقانِطِينَ)

سورة الحجر(15): آية 36 ص: 237

(آیه ۵۶)- ولی ابراهیم به زودی این فکر را از آنها دور ساخت که یأس و نومیدی از رحمت خدا بر او چیره شده باشد، بلکه تنها تعجبش روی حساب موازین طبیعی است، لذا با صراحت «گفت: و چه کسی از رحمت پروردگارش مأیوس میشود جز گمراهان»؟! (قالَ وَ مَنْ یَقْنُطُ مِنْ رَحْمَهِٔ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ).

همان گمراهانی که خدا را به درستی نشناخته و پی به قدرت بیپایانش نبردهاند، خدایی که از ذرهای خاک، انسانی چنین شگرف می آفریند، و از نطفه ناچیزی فرزندی برومند به وجود می آورد، و آتش سوزانی را به گلستانی تبدیل می کند، چه کسی می تواند در قدرت چنین پروردگاری شک کند یا از رحمت او مأیوس گردد؟!

سورة الحجر(15): آية 37 ص: 337

(آیه ۵۷) ولی به هر حال ابراهیم (ع) پس از شنیدن این بشارت، در این اندیشه فرو رفت که این فرشتگان با آن شرایط خاص، تنها برای بشارت فرزند نزد او نیامده اند، حتما مأموریت مهمتری دارند و این بشارت تنها گوشه ای از آن را تشکیل می دهد، لذا در مقام سؤال برآمد و به آنها «گفت: مأموریت شما چیست ای فرستادگان خدا»؟ (قال فَما خَطْبُکُمْ أَیُّهَا الْمُرْسَلُونَ).

سورة الحجر(15): آية 58 ص: 238

(آیه ۵۸)- «گفتند: ما به سوی یک قوم گنهکار فرستاده شدهایم» (قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ).

سورة الحجر(15): آية 59 ص: 537

(آیه ۵۹)- و از آنجا که میدانستند ابراهیم با آن حس کنجکاویش مخصوصا در زمینه این گونه مسائل به این مقدار پاسخ، قناعت نخواهد کرد، فورا اضافه کردند که: این قوم مجرم کسی جز قوم لوط نیست ما مأموریم این آلودگان بی آزرم را درهم بکوبیم و نابود کنیم «مگر خانواده لوط که ما همه آنها را از آن مهلکه نجات خواهیم داد» (إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِینَ).

سورة الحجر(15): آية 60 ص: 237

(آیه ۶۰) - ولی از آنجا که تعبیر به «آل لوط» آن هم با تأکید به «اجمعین» شامل همه خانواده او حتی همسر گمراهش که با مشرکان هماهنگ بود می شد، و شاید ابراهیم نیز از این ماجرا آگاه بود، بلافاصله او را استثناء کردند و گفتند: «بجز برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۳۸

همسرش كه ما مقدر ساختهايم از بازماندگان در شهر محكوم به فنا باشد» و نجات نيابد (إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ).

سورة الحجر(15): آية 61 ص: 238

(آیه ۶۱)- از این آیه به بعد داستان خارج شدن فرشتگان از نزد ابراهیم و آمدن به ملاقات لوط را میخوانیم، نخست می گوید: «هنگامی که فرستادگان خداوند نزد خاندان لوط آمدند» (فَلَمَّا جاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ).

سورة الحجر(15): آية 67 ص: 538

(آیه ۶۲)- لوط «به آنها گفت: شما افرادی ناشناخته اید» (قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ).

مفسران می گویند: این سخن را به این جهت به آنها گفت که آنان به صورت جوانانی خوش صورت و زیبا نزد او آمدند، از یک سو میهمانند و محترم، و از سوی دیگر محیطی است ننگین و آلوده و پر از مشکلات.

سورة الحجر(15): آية 63 ص: 288

(آیه ۶۳) – ولی فرشتگان، زیاد او را در انتظار نگذاردند، با صراحت «گفتند:

ما چیزی را برای تو آوردهایم که آنها در آن تردید داشتند» (قالُوا بَیلْ جِئْناکَ بِما کانُوا فِیهِ یَمْتَرُونَ). یعنی مأمور مجازات دردناکی هستیم که تو کرارا به آنها گوشزد کردهای ولی هرگز آن را جدی تلقی نکردند؟

سورة الحجر(15): آية 64 ص: 538

(آیه ۶۴)– سپس برای تأکید گفتند: «ما واقعیت مسلّم و غیر قابل تردیدی را برای تو آوردهایم» (وَ أَتَیْناکُ بِالْحَقّ).

یعنی، عذاب حتمی و مجازات قطعی این گروه بی ایمان منحرف.

باز براى تأكيد بيشتر اضافه كردند: «ما مسلما راست مى گوييم» (وَ إِنَّا لَصادِقُونَ).

یعنی این گروه تمام پلها را پشت سر خود خراب کردهانید و جایی برای شفاعت و گفتگو در مورد آنها باقی نمانیده است، تا لوط حتی به فکر شفاعت نیفتد و بداند اینها ابدا شایستگی این امر را ندارند.

سورة الحجر(15): آية 65 ص: 538

(آیه ۶۵)- و از آنجا که باید گروه اندک مؤمنان (خانواده لوط بجز همسرش) از این مهلکه جان به سلامت ببرند دستور لازم

را به لوط چنین دادند: «تو شبانه (و اواخر شب هنگامی که چشم مردم گنهکار در خواب است و یا مست شراب برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۳۹

و شهوت) خانوادهات را بردار و از شهر بيرون شو» (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مِنَ اللَّيْلِ).

ولى «تو پشت سر آنها باش» تا مراقب آنان باشي و كسى عقب نماند َ (وَ اتَّبعْ أَدْبارَهُمْ).

ضمنا «هيچ يك از شما نبايد به پشت سرش نگاه كند» (وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ).

«و به همان نقطهای که دستور به شما داده شده است (یعنی سرزمین شام یا نقطه دیگری که مردمش از این آلودگیها پاک بودهاند) بروید» (وَ امْضُوا حَیْثُ تُؤْمَرُونَ)

سورة الحجر(15): آية 66 ص: 539

(آیه ۶۶)- سپس لحن کلام تغییر می یابد و خداوند می فرماید: «ما به لوط چگونگی این امر را وحی فرستادیم که به هنگام طلوع صبح همگی ریشه کن خواهند شد، به گونهای که حتی یک نفر از آنها باقی نماند» (وَ قَضَیْنا إِلَیْهِ ذَلِکَ الْأَمْرُ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِینَ).

سورة الحجر(15): آية 67 ص: 239

(آیه ۶۷) - سپس قرآن داستان را در اینجا رها کرده و به آغاز باز می گردد، و بخشی را که در آنجا ناگفته مانده بود به مناسبتی که بعدا اشاره خواهیم کرد بیان می کند و می گوید: «مردم شهر (از ورود میهمانان تازه وارد لوط آگاه شدند) و به سوی خانه او حرکت کردند، و در راه به یکدیگر بشارت می دادند» (وَ جاءَ أَهْلُ الْمَدِینَهُ یَسْتَبْشِرُونَ).

آنها در آن وادی گمراهی و ننگین خود فکر می کردنـد طعمه لذیـذی به چنگ آوردهانـد، جوانانی زیبا و خوشـرو، آن هم در خانه لوط!

سورة الحجر(15): آية 68 ص: 239

(آیه ۶۸)– «لوط» که سر و صدای آنها را شنید در وحشت عجیبی فرو رفت و نسبت به میهمانان خود بیمناک شد. لـذا در مقابل آنها ایستاد و «گفت: اینها میهمانان منند، آبروی مرا نریزید» (قالَ إِنَّ هؤُلاءِ ضَیْفِی فَلا تَفْضَحُونِ).

سورة الحجر(15): آية 69 ص: 239

(آيه ۶۹)- سپس اضافه كرد: بياييد «و از خدا بترسيد و مرا در برابر ميهمانانم شرمنده نسازيد» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُخْزُونِ).

سورة الحجر(15): آية ٧٠ ص: ٥٣٩

(آیه ۷۰)- ولی آنها چنان جسور و پررو بودند که نه تنها احساس شرمندگی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۴۰ در خویش نمی کردنـد بلکه از لوط پیامبر، چیزی هم طلبکار شده بودند، گویی جنایتی انجام داده، زبان به اعتراض گشودند و «گفتنـد: مگر ما به تو نگفتیم احـدی را از مردم جهـان به میهمانی نپـذیری» و به خانه خود راه نـدهی (قالُوا أَ وَ لَمْ نَنْهَکَ عَنِ الْعالَمِينَ).

سورة الحجر(15): آية ٧١ ص: ٥٤٠

(آیه ۷۱) - به هر حال لوط که این جسارت و وقاحت را دید از طریق دیگری وارد شد، شاید بتواند آنها را از خواب غفلت و مستی انحراف و ننگ، بیدار سازد، رو به آنها کرده گفت: چرا شما راه انحرافی می پویید، اگر منظور تان اشباع غریزه جنسی است چرا از طریق مشروع و ازدواج صحیح وارد نمی شوید «اینها دختران منند (آماده ام آنها را به ازدواجتان در آورم) اگر شما می خواهید کار صحیحی انجام دهید» راه این است (قالَ هؤُلاءِ بَناتِی إِنْ کُنتُمْ فاعِلِینَ).

هدف لوط این بود که با آنها اتمام حجت کند و بگوید: من تا این حد نیز آماده فداکاری برای حفظ حیثیت میهمانان خویش، و نجات شما از منجلاب فساد هستم.

سورة الحجر(15): آية 27 ص: 540

(آیه ۷۲) – اما وای از مستی شهوت، مستی انحراف، و مستی غرور و لجاجت، اگر ذرهای از اخلاق انسانی و عواطف بشری در آنها وجود داشت، کافی بود که آنها را در برابر چنین منطقی شرمنده کند، لااقل از خانه لوط باز گردند و حیا کنند، اما نه تنها منفعل نشدند، بلکه بر جسارت خود افزودند و خواستند دست به سوی میهمانان لوط دراز کنند! اینجاست که خدا روی سخن را به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله کرده، می گوید: «قسم به جان و حیات تو که اینها در مستی خود سخت سرگردانند»! (نَعَمْرُکَ إِنَّهُمْ لَفِی سَکْرَتِهِمْ یَعْمَهُونَ).

سورة الحجر(15): آية 23 ص: 540

(آیه ۷۳) - سرنوشت گنهکاران قوم لوط: در اینجا سخن الهی در باره این قوم اوج می گیرد و در دو آیه فشرده و کوتاه سرنوشت شوم آنها را به صورتی قاطع و کوبنده و بسیار عبرت انگیز بیان می کند، و می گوید: «سر انجام فریاد تکان دهنده و صیحه وحشتناکی به هنگام طلوع آفتاب، همه را فراگرفت» (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّیْحَةُ مُشْرِقِینَ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۴۱ این صیحه ممکن است صدای یک صاعقه عظیم و یا صدای یک زلزله وحشتناک بوده باشد.

سورة الحجر(15): آية 24 ص: 241

(آیه ۷۴)- ولی به این اکتفا ننمودیم بلکه شهر آنها را بکلی زیر و رو کردیم «بالای آن را پایین (و پایین را بالا) قرار دادیم»! (فَجَعَلْنا عالِیَها سافِلَها).

این مجازات نیز برای آنها کافی نبود «به دنبال آن بارانی از سجیل (گلهای متحجر شده) بر سر آنان فرو ریختیم»! (وَ أَمْطُونا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلِ).

نازل شدن این عذابهای سه گانه (صیحه وحشتناک- زیر و رو شدن- بارانی از سنگ) هر کدام به تنهایی کافی بود که قومی

را به هلاکت برسانید، اما برای شدت گناه و جسور بودن آنها در تن دادن به آلودگی و ننگ، و همچنین برای عبرت دیگران، خداوند مجازات آنها را مضاعف کرد.

سورة الحجر(15): آية 25 ص: 241

(آیه ۷۵)- اینجاست که قرآن به نتیجه گیری تربیتی و اخلاقی پرداخته، می گوید: «در این (سرگذشت عبرت انگیز) نشانههایی است برای هوشیاران» (إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ).

آنها که با فراست و هوشیاری و بینش مخصوص خود از هر علامتی جریانی را کشف میکنند و از هر اشارهای حقیقتی و از هر نکتهای، مطلب مهم و آموزندهای را.

سورة الحجر(15): آية 76 ص: 241

(آیه ۷۶)– اما تصور نکنیـد که آثار آنها بکلی از میان رفته، نه «آثار آنها بر سـر راه کاروانیان و گذرکننـدگان همواره ثابت و برقرار است» (وَ إِنَّهَا لَبِسَبِیلٍ مُقِیمٍ).

سورة الحجر(15): آية ٧٧ ص: 241

(آیه ۷۷) - باز هم به عنوان تأکید بیشتر و دعوت افراد با ایمان به تفکر و اندیشه در این داستان عبرت انگیز اضافه می کند که: «در این (داستان) نشانه ای است برای افراد با ایمان» (إِنَّ فِی ذلِ کَ لَآیَه ٔ لِلْمُؤْمِنِینَ). چرا که مؤمنان راستین بافراست و کاملا هوشیارند.

چگونه ممكن است انسان ايمان داشته باشد و اين سرگذشت تكان دهنده را بخواند و عبرتها نگيرد؟!

سورة الحجر(15): آية ٧٨ ص: ٥٤١

(آیه ۷۸)- پایان زندگی دو قوم ستمگر! در اینجا قرآن به دو بخش دیگر از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۴۲ سرگذشت اقوام پیشین تحت عنوان «اصحاب الأیکه» و «اصحاب الحجر» اشاره می کند، و بحثهای عبرت انگیزی را که در آیات پیشین پیرامون قوم لوط بود تکمیل می نماید.

نخست مي گويد: «و اصحاب الايكه مسلما مردمي ظالم و ستمكّر بودند، (وَ إِنْ كَانَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ لَظالِمِينَ).

سورة الحجر(15): آية ٧٩ ص: ٥٤٢

(آیه ۷۹) - «ما از آنها انتقام گرفتیم» (فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ). و در برابر ظلمها و ستمگریها و سرکشیها، مجازاتشان نمودیم. «و (شهرهای ویران شده) این دو (قوم لوط و اصحاب الایکه) بر سر راه (شما در سفرهای شام) آشکار است»! (وَ إِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبین).

«اصحاب الایکه» همان قوم شعیبند که در سرزمینی پر آب و مشجّر در میان حجاز و شام زندگی می کردند.

آنها زندگی مرفه و ثروت فراوانی داشتند و به همین جهت، غرور و غفلت آنها را فرا گرفته بـود و مخصوصا دست به «کم فروشی» و «فساد در زمین» زده بودند.

«شعیب» آن پیامبر بزرگ، آنها را از این کارشان برحذر داشت و دعوت به توحید و راه حق نمود، اما همان گونه که در آیات سوره هود دیدیم، آنها تسلیم حق نشدند و سر انجام بر اثر مجازات دردناکی نابود گشتند.

شرح بیشتر حالات آنها در سوره «شعراء» از آیه ۱۷۶ تا ۱۹۰ آمده است.

سورة الحجر(15): آية 80 ص: 242

(آیه ۸۰)- و اما در مورد «اصحاب الحجر»، همان قوم سرکشی که در سرزمینی به نام «حجر» زندگی مرفهی داشتند و پیامبر بزرگشان «صالح» برای هدایت آنها مبعوث شد، چنین می گوید: «و اصحاب حجر، فرستادگان خدا را تکذیب کردند» (وَ لَقَدْ کَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ).

این نکته قابل توجه است که قرآن در مورد اصحاب الحجر- و همچنین در مورد قوم نوح و قوم شعیب و قوم لوط در آیات سوره شعراء به ترتیب آیه ۱۰۵ و ۱۲۳ و ۱۶۰ و بعضی دیگر از اقوام پیشین- می گوید: آنها «پیامبران» را تکذیب کردند، در حالی که ظاهر امر چنین نشان می دهد که هر کدام یک پیامبر بیشتر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۴۳ نداشتند و تنها او را تکذیب نمودند.

این تعبیر شاید به خاطر آن است که برنامه و هدف پیامبران، آنچنان با یکدیگر پیوستگی دارد که تکذیب یکی از آنها تکذیب همه آنها خواهد بود.

سورة الحجر(15): آية ٨١ ص: ٥٤٣

(آیه ۸۱)- به هر حال قرآن در باره «اصحاب الحجر» چنین ادامه می دهد:

«و ما آیات خود را به آنان دادیم ولی آنها از آن روی گرداندند»! (وَ آتَیْناهُمْ آیاتِنا فَکانُوا عَنْها مُعْرِضِینَ).

تعبیر به «اعراض» (روی گرداندن) نشان می دهد که آنها حتی حاضر نبودند این آیات را بشنوند و یا به آن نظر بیفکنند.

سورة الحجر(15): آية 87 ص: 343

(آیه ۸۲) - اما به عکس در کار زندگی دنیایشان آن قدر سخت کوش بودند که:

«برای خود خانههای امن و امانی در دل کوهها می تراشیدند» (وَ کانُوا یَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُیُوتاً آمِنِینَ).

عجیب است که انسان برای چند روز زندگی دنیا این همه محکم کاری می کند، ولی برای زندگی جاویدان و ابدیش آنچنان سهل انگار است که حتی گاهی حاضر به شنیدن سخن خدا و نظر افکندن در آیات او نیست!

سورة الحجر(15): آية 83 ص: 343

(آیه ۸۳) - خوب، چه انتظاری در باره چنین قومی می توان داشت، جز این که طبق قانون «انتخاب اصلح الهی» و ندادن حق

ادامه حیات به اقوامی که بکلی فاسد و مفسد میشوند، بلای نابود کنندهای بر سر آنها فرود آید و نابودشان سازد، لذا قرآن می گوید: «سر انجام صیحه (آسمانی) صبحگاهان دامانشان را گرفت» (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّیْحَةُ مُصْبِحِینَ). این صیحه صدای صاعقه مرگباری بوده که بر خانههای آنها فرود آمد.

سورة الحجر(15): آية 84 ص: 543

(آیه ۸۴)– نه آن کوههای سر به آسمان کشیده و نه آن خانههای امن و امان و نه اندام نیرومند این قوم سرکش و نه آن ثروت سرشار، هیچ کدام نتوانستند در برابر این عذاب الهی مقاومت کنند، لذا در پایان داستان آنها میفرماید: «و آنچه را به دست آورده بودند، آنان را از عذاب الهی نجات نداد» (فَما أَغْنی عَنْهُمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۴۴

سورة الحجر(15): آية 85 ص: 344

(آیه ۸۵)- از آنجا که گرفتاری همیشگی انسان به خاطر نداشتن یک ایدئولوژی و عقیده صحیح و خلاصه پای بند نبودن به مسأله مبدأ و معاد است، پس از شرح حالات اقوامی همچون قوم لوط و قوم شعیب و صالح که گرفتار آن همه بلا شدند، به مسأله «توحید» و «معاد» باز می گردد و در یک آیه به هر دو اشاره کرده، می فرماید: «ما آسمانها و زمین و آنچه میان آن دو است جز به حق نیافریدیم» (وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ).

این در مورد توحید، سپس در رابطه با معاد می گوید: «ساعت موعود [قیامت] قطعا فرا خواهد رسید» و جزای هر کس به او میرسد! (وَ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةً).

و به دنبال آن به پیامبرش دستور میدهد که در برابر لجاجت، نادانیها، تعصبها، کارشکنیها و مخالفتهای سرسختانه آنان، ملایمت و محبت نشان ده، و «از گناهان آنها صرف نظر کن، و آنها را ببخش، بخششی زیبا» که حتی توأم با ملامت نباشد (فَاصْفَح الصَّفْحَ الْجَمِیلَ).

زیرا تو با داشتن دلیل روشن در راه دعوت و رسالتی که به آن مأموری، نیازی به خشونت نـداری به علاوه خشونت در برابر جاهلان، غالبا موجب افزایش خشونت و تعصب آنهاست.

سورة الحجر(15): آية 86 ص: 344

(آیه ۸۶)- این آیه- بطوری که جمعی از مفسران گفتهاند- در واقع به منزله دلیلی بر لزوم گذشت و عفو و صفح جمیل است، می گوید: «پروردگار تو، آفریننده و آگاه است» (إِنَّ رَبَّکَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِیمُ).

او میدانید که همه مردم یکسان نیستند، او از اسرار درون و طبایع و میزان رشید فکری و احساسات مختلف آنها باخبر است، نباید از همه آنها انتظار داشته باشی که یکسان باشند بلکه باید با روحیه عفو و گذشت با آنها برخورد کنی تا تدریجا تربیت شوند و به راه حق آیند.

سورة الحجر(15): آية 87 ص: 344

(آیه ۸۷)- سپس به پیامبر خود دلـداری میدهـد که از خشونت دشـمنان و انبوه جمعیت آنهـا و امکانات فراوان مادی که در اختیار دارند، هرگز نگران نشود، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۴۵

چرا که خداونـد مواهبی در اختیار او گذارده که هیچ چیز با آن برابری نمی کند می گوید: «و ما به تو سوره حمد و قرآن عظیم دادیم»! (وَ لَقَدْ آتَیْناکَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِی وَ الْقُرْآنَ الْعَظِیمَ).

خداوند به پیامبرش این واقعیت را بازگو می کند که تو دارای چنین سرمایه عظیمی هستی، سرمایهای همچون قرآن به عظمت تمام عالم هستی، مخصوصا سوره حمد که چنان محتوایش عالی است که در یک لحظه کوتاه انسان را به خدا پیوند داده و روح او را در آستانش به تعظیم و تسلیم و راز و نیاز وا میدارد.

سورة الحجر(١٥): آية ٨٨ ص: 445

(آیه ۸۸)- و به دنبال بیان این موهبت بزرگ چهار دستور مهم به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میدهد، نخست می گوید: «هرگز چشم خود را به نعمتهای مادّی که به گروههایی از آنها [کفار] دادهایم میفکن» (لا تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلی ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ). این نعمتهای مادی نه پایدارند، نه خالی از دردسر، حتی در بهترین حالاتش نگاهداری آن سخت مشکل است.

سپس اضافه می کنـد: «و هرگز (به خـاطر این مـال و ثروت و نعمتهای مادی که در دست آنهاست) غمگین مباش» (وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ).

در حدیثی از پیامبر صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «کسی که چشم خود را به آنچه در دست دیگران است بدوزد، همیشه اندوهگین و غمناک خواهد بود و هرگز آتش خشم در دل او فرو نمی نشیند».

دسـتور سومی که به پیامبر میدهد در زمینه تواضع و فروتنی و نرمش در برابر مؤمنان است میفرماید: «و بال (عطوفت) خود را برای مؤمنین فرود آر»! (وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِلْمُؤْمِنِینَ).

این تعبیر کنایه زیبایی از تواضع و محبت و ملاطفت است همانگونه که پرندگان به هنگامی که میخواهند نسبت به جوجههای خود اظهار محبت کنند آنها را زیر بال و پر خود می گیرند، و هیجان انگیزترین صحنه عاطفی را مجسم میسازند، آنها را در مقابل حوادث و دشمنان حفظ می کنند.

سورة الحجر(15): آية 84 ص: 545

(آیه ۸۹)– سر انجام دستور چهارم را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میدهد و می گوید: در برابر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۴۶

اين افراد بي ايمان و ثروتمند محكم بايست «و صريحا بگو: من انذار كننده آشكارم» (وَ قُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ).

سورة الحجر(15): آية ٩٠ ص: 346

(آیه ۹۰)- بگو: من به شما اعلام خطر می کنم که خدا فرموده عذابی بر شما فرو میفرستم «آن گونه که بر تقسیم کنندگان فرستادم» (کَما أَنْزَلْنا عَلَی الْمُقْتَسِمِینَ).

سورة الحجر(15): آية 91 ص: 346

(آیه ۹۱)- «همان تقسیم کنندگانی که قرآن (و آیات الهی) را تجزیه کردند» (الَّذِینَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِینَ).

آنچه به سودشان بود گرفتند و آنچه به زیانشان بود کنار گذاشـتند، ولی مؤمنان راستین هیچ گونه تجزیه و تقسیم و تبعیض در میان احکام الهی قائل نیستند.

سورة الحجر(15): آية 92 ص: 346

(آیه ۹۲) – در این آیه به سرنوشت «مقتسمین» (تجزیه گران) پرداخته، می گویـد: «سو گنـد به پروردگارت که ما بطور قطع از همه آنها سؤال خواهیم کرد» (فَوَ رَبِّکَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أُجْمَعِینَ).

سورة الحجر(15): آية 93 ص: 346

(آیه ۹۳)- «از تمام کارهایی که انجام میدادند» (عَمَّا کانُوا یَعْمَلُونَ).

روشن است که سؤال خداوند برای کشف مطلب پنهان و پوشیدهای نیست، چرا که او از اسرار درون و برون آگاه است. بنابراین سؤال مزبور به خاطر تفهیم به خود طرف است تا به زشتی اعمالش پی ببرد و در حقیقت این پرسشها بخشی از مجازات آنهاست.

سورة الحجر(15): آية 94 ص: 546

(آیه ۹۴) – مکتبت را آشکارا بگو! در این آیه فرمان قاطعی به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله میدهد، می گوید: در برابر هیاهوی مشرکان و مجرمان نه تنها ضعف و ترس و سستی به خود راه مده و ساکت مباش، بلکه، «آشکارا آنچه را مأموریت داری بیان کن» و حقایق دین را با صراحت بر ملا ساز (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ).

«و از مشركان، روى گردان و نسبت به آنها بىاعتنايى كن» (وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ).

و این آغاز «دعوت علنی» اسلام بود بعد از آن که پیامبر صلّی الله علیه و آله سه سال مخفیانه دعوت کرد، و عـده قلیلی از نزدیکان پیامبر به او ایمان آوردند.

سورة الحجر(15): آية 95 ص: 948

(آیه ۹۵)- سپس خداوند برای تقویت قلب پیامبر صلّی الله علیه و آله به او اطمینان می دهد برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۴۷

كه در برابر استهزاء كنندگان از وى حمايت مىكند، مىفرمايد: «ما شرّ استهزاء كنندگان را از تو دفع كرديم» (إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ).

سورة الحجر(15): آية ۹۶ ص: ۵۴۷

(آیه ۹۶)– سپس «الْمُشِتَهْزِئِینَ» را چنین توصیف می کند: «آنها کسانی هستند که با خدا معبود دیگری قرار میدهند، ولی به زودی (از نتیجه شوم کار خود) آگاه خواهند شد (الَّذِینَ یَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ).

ممکن است این تعبیر اشاره به آن باشد که اینها کسانی هستند که افکار و اعمالشان خود مسخره است، چرا که آنقدر نادانند که در برابر خداوندی که آفریننده جهان هستی است معبودی از سنگ و چوب تراشیدهاند، با این حال میخواهند تو را استهزاء کنند!

سورة الحجر(15): آية 97 ص: 547

(آیه ۹۷)– بار دیگر به عنوان دلداری و تقویت هر چه بیشتر روحیه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله اضافه می کند: «و ما میدانیم که سخنان آنها سینه تو را تنگ و ناراحت میسازد» (وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّکَ یَضِیقُ صَدْرُکَ بِما یَقُولُونَ).

روح لطیف تو و قلب حساست، نمی تواند این همه بدگویی و سخنان کفر و شرک آمیز را تحمل کند و به همین دلیل ناراحت می شوی.

سورة الحجر(15): آية ٩٨ ص: ٥٤٧

(آیه ۹۸)– ولی ناراحت مباش برای زدودن آثار سخنان زشت و ناهنجارشان، «پروردگارت را تسبیح و حمد گو! و از سجده کنندگان باش»! (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ کُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ).

چرا که این تسبیح خداونـد اثرات بد گفتار آنها را از دلهای مشـتاقان «اللّه» میزداید، و از آن گذشـته به تو نیرو و توان، نور و صفا بخشد.

لذا در روایات میخوانیم: «هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله غمگین میشد به نماز برمیخاست و آثار این حزن و اندوه را در نماز از دل میشست».

سورة الحجر(15): آية 99 ص: 247

(آیه ۹۹)– و سر انجام آخرین دستور را در این زمینه به او میدهـد که دست از عبادت خـدا در تمام عمر بر مـدار «و همواره پروردگارت را بندگی کن تا یقین (مرگ) تو فرا رسد» (وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتَّی یَأْتِیکَ الْیَقِینُ).

عبادت مکتب عالی تربیت است، اندیشه انسان را بیدار و فکر او را متوجه بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۴۸

بی نهایت می سازد، گرد و غبار گناه و غفلت را از دل و جان او می شوید، صفات عالی انسانی را در وجود او پرورش می دهد، روح ایمان را تقویت و آگاهی و مسؤولیت به انسان می بخشد.

و به همین دلیل ممکن نیست انسان لحظه ای در زندگی از این مکتب بزرگ تربیتی بی نیاز گردد، و آنها که فکر می کنند، انسان ممکن است به جایی برسد که نیازی به عبادت نداشته باشد یا تکامل انسان را محدود پنداشته اند و یا مفهوم عبادت را درک نکر ده اند.

«پایان سوره حجر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۴۹

اشاره

این سوره ۱۲۸ آیه دارد قسمتی از آن در «مکّه» و قسمتی در «مدینه» نازل گردیده است

محتوای سوره: ص: ۵۴۹

در آیات این سوره هم بحثهای خاص سورههای «مکّی» دیده می شود - مانند بحث قاطع از توحید و معاد و مبارزه شدید با شرک و بت پرستی - و هم بحثهای مخصوص سورههای «مدنی» مانند بحث از احکام اجتماعی و مسائل مربوط به جهاد و هجرت.

و بطور کلی محتوای این سوره را امور زیر تشکیل میدهد.

۱- بیش از همه بحث از نعمتهای خداوند در این سوره به میان آمده و آن چنان ریزه کاریهای آن تشریح گردیده که حسّ شکرگزاری هر انسان آزادهای را بیدار می کند.

این نعمتها شامل نعمتهای مربوط به باران، نور آفتاب، انواع گیاهان و میوهها و مواد غذایی دیگر، و حیواناتی که خدمتگزار انسانها هستند و انواع وسائل زندگی و حتی نعمت فرزند و همسر، و خلاصه شامل «انواع طیّبات» می گردد.

۲- بخش دیگری از آن، از دلائل توحید و عظمت خلقت خدا، و معاد بحث می کند.

۳- قسمت دیگری از آن از احکام مختلف اسلامی سخن می گوید.

۴- بخش دیگری از بدعتهای مشرکان سخن به میان آورده. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۵۰

۵- و بالاخره در قسمت دیگری انسانها را از وسوسههای شیطان بر حذر می دارد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۵۵۰

در بعضی از روایات از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نقل شده که فرمود:

«کسی که این سوره را تلاوت کند خداوند او را در برابر نعمتهایی که در این جهان به او بخشیده محاسبه نخواهد کرد».

البته تلاوتي توأم با تفكر و سپس تصميم گيري و عمل، و گام نهادن در طريق شكر گزاري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة النحل(16): آية 1 ص: 550

(آیه ۱) – فرمان عذاب نزدیک است: قسمت مهمی از آیات آغاز این سوره در «مکّه» نازل شده است، در همان ایام که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در گیری شدیدی با مشرکان و بت پرستان داشت، و هر روز در برابر دعوت حیات آفرین و آزادیبخش او به بهانههایی متوسل می شدند، از جمله این که هرگاه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آنها را تهدید به عذاب الهی می کرد بعضی از لجوجان می گفتند: اگر این عذاب و کیفر که می گویی راست است پس چرا به سراغ ما نمی آید؟! و شاید گاهی اضافه

می کردنـد که اگر فرضا عذابی در کار باشد ما دست به دامن بتها میشویم تا در پیشـگاه خدا شـفاعت کنند تا این عذاب را از ما بر دارد.

نخستین آیه این سوره، خط بطلان بر این اوهام کشیده، می گوید: «عجله نکنید فرمان خدا (برای مجازات مشرکان و مجرمان) قطعا فرا رسیده است» (أَتی أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ).

و اگر فکر میکنید بتان شفیعان درگاه اویند سخت در اشتباهید «خداوند منزه و برتر از آن است که آنها برای او شریک میسازند» (سُبْحانَهُ وَ تَعالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

سورة النحل(16): آية 7 ص: 550

(آیه ۲)- و از آنجا که هیچ مجازات و کیفری بدون بیان کافی و اتمام حجت عادلانه نیست، اضافه می کند: «خداوند فرشتگان را بـا روح الهی به فرمـانش بر هر کس از بنـدگانش که بخواهـد نازل میکنـد» (یُنزِّلُ الْمَلائِکَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلی برگزیـده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۵۱

مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ).

و به آنها دستور می دهد که: مردم را انذار کنید (و بگویید:) معبودی جز من نیست» (أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا). بنابراین، تنها «از (مخالفت دستور) من بپرهیزید» و در برابر من احساس مسؤولیت کنید (فَاتَّقُونِ).

منظور از «روح» در این آیه وحی و قرآن و نبوت است که مایه حیات و زندگی انسانهاست.

سورة النحل(16): آية ٣ ص: 251

(آیه ۳)- در اینجا قرآن برای ریشه کن ساختن شرک و توجه به خداوند یکتا از دو راه وارد می شود: نخست از طریق دلائل عقلی به وسیله نظام شگرف آفرینش و عظمت خلقت، و دیگر از طریق عاطفی و بیان نعمتهای گوناگون خداوند نسبت به انسان و تحریک حسّ شکرگزاری او.

در آغاز مي گويد: «خداوند آسمانها و زمين را به حق آفريد» (خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ).

حقانیت آسمانها و زمین هم از نظام عجیب و آفرینش منظم و حساب شده آن روشن است و هم از هدف و منافعی که در آنها وجو د دارد.

و به دنبال آن اضافه می کند: «خدا برتر از آن است که برای او شریک میسازند» (تَعالی عَمَّا يُشْرِ کُونَ).

آیا بتهایی که آنها را شریک او قرار دادهاند هر گز قادر به چنین خلقتی هستند؟

و یا حتی می توانند پشه کوچک و یا ذره غباری بیافرینند!

سورة النحل(16): آية 4 ص: 251

(آیه ۴)- بعد از اشاره به مسأله آفرینش آسمان و زمین و اسرار بیپایان آنها، سخن از خود انسان می گوید، انسانی که به خودش از هر کس دیگر نزدیکتر است، میفرماید: «انسان را از نطفه بیارزشی آفرید، اما سر انجام به جایی رسید که موجودی (متفکر و فصیح و بلیغ و) مدافع از خویشتن و سخنگوی آشکار شد» (خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِیمٌ مُبِینٌ).

سورة النحل(16): آية 5 ص: 551

(آیه ۵)- پس از آفرینش انسان به نعمت مهم دیگری یعنی خلقت برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۵۲

چهار پایان، و فوائد مختلفی که از آنها عاید می شود اشاره کرده، می گوید: «خداوند چهار پایان را آفرید در حالی که در آنها وسیله پوشش برای شماست و منافع دیگر و از گوشت آنها می خورید» (وَ الْأَنْعامَ خَلَقَها لَکُمْ فِیها دِفْءٌ وَ مَنافِعُ وَ مِنْها تَأْکُلُونَ). جالب این که در میان این همه فوائد، قبل از هر چیز مسأله «پوشش» و «مسکن» را مطرح می کند، زیرا بسیاری از مردم (بخصوص بادیه نشینان) هم لباسشان از پشم و مو یا پوست تهیه می شود، و هم خیمه هایشان که آنها را از سرما و گرما حفظ می کند، و به هر حال این دلیل بر اهمیت پوشش و مسکن و مقدم بودن آن بر هر چیز دیگر است.

سورة النحل(16): آية 6 ص: 552

(آیه ۶)– جالب این که تنها به منافع معمولی و عادی این چهار پایان سودمنـد اکتفا نمیکنـد بلکه روی جنبه استفاده روانی از آنها نیز تکیه کرده، می گوید:

«و در این حیوانات برای شما زینت و شکوهی است به هنگامی که آنها را به استراحتگاهشان باز می گردانید، و هنگامی که (صبحگاهان) به صحرا می فرستید» (وَ لَکُمْ فِیها جَمالٌ حِینَ تُریحُونَ وَ حِینَ تَسْرَحُونَ).

این در واقع جمال استغناء و خودکفایی جامعه است، جمال تولید و تأمین فرآورده های مورد نیاز یک ملت است، و به تعبیر گویاتر جمال استقلال اقتصادی و ترک هرگونه وابستگی است!

سورة النحل(16): آية ٧ ص: ٥٥٢

(آیه ۷)- در این آیه به یکی دیگر از منافع مهم بعضی از این حیوانات اشاره کرده، می گوید: «آنها بارهای سنگین شما را (بر دوش خود) حمل می کنند و به سوی شهر و دیاری که جز با مشقت زیاد به آن نمی رسیدید می برند» (وَ تَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَی بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِیهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ).

این نشانه رحمت و رأفت خداونـد است که این چهار پایان را با این قدرت و نیرو آفریده است، و آنها را رام و تسلیم شـما نیز گردانیده «چرا که پروردگار شما رءوف و رحیم است» (إِنَّ رَبَّکُمْ لَرَؤُفُّ رَحِیمٌ).

به این ترتیب این چهار پایان در درجه اول، پوشش و وسائل دفاعی برای انسان در برابر گرما و سرما تولید می کنند، و در درجه بعد از فرآوردههای لبنیاتی آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۵۳

استفاده می شود، و سپس از گوشتشان، و بعد از آثار روانی که در دلها می گذارند، مورد توجه قرار گرفته و سر انجام باربری آنها.

سورة النحل(16): آية 1 ص: 253

(آیه ۸)- آنگاه به سراغ گروه دیگری از حیوانات میرود که برای سواری انسان از آنها استفاده می شود، می فرماید: «خداوند اسبها و استرها و الاغها را آفریـد تا شـما بر آن سوار شوید، و هم مایه زینت شـما باشد» (وَ الْخَیْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِیرَ لِتَرْکَبُوها وَ

زينَةً).

در پایان آیه به مسأله مهمتری اشاره کرده و افکار را به وسائل نقلیه و مرکبهای گوناگونی که در آینده در اختیار بشر قرار می گیرد و بهتر و خوبتر از این حیوانات می تواند استفاده کند متوجه میسازد، و می گوید: «و خداوند چیزها (وسائل نقلیه دیگری) می آفریند که شما نمی دانید» (و یَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ).

سورة النحل(16): آية 9 ص: 253

(آیه ۹)- به دنبال نعمتهای مختلفی که در آیات گذشته بیان شد در اینجا به یکی از نعمتهای بسیار مهم معنوی اشاره کرده، می فرماید: «بر خداست که راه راست و صراط مستقیم را (که هیچ گونه انحراف و کژی در آن نیست) در اختیار بندگان بگذارد» (وَ عَلَی اللَّهِ قَصْدُ السَّبیل).

در این که این راه راست اشاره به جنبه تکوینی یا تشریعی می کند، مفسران تفسیرهای مختلفی دارند، ولی هیچ مانعی ندارد که هر دو جنبه را شامل شود.

به این ترتیب که خداوند از نظر خلقت و آفرینش و تکوین، انسان را مجهز به عقل و استعداد و نیروهای لازم برای پیمودن این صراط مستقیم کرده است.

و از سوی دیگر، خدا پیامبران را با وحی آسمانی و تعلیمات کافی و قوانین مورد نیاز انسان فرستاده است، تا از نظر تشریع، راه را از چاه مشخص کرده و با انواع بیانها او را تشویق به پیمودن این راه کنند و از مسیرهای انحرافی باز دارند.

سپس از آنجا که راههای انحرافی فراوان است، به انسانها هشدار میدهد و می گوید: «بعضی از این راهها منحرف و بیراهه است» (وَ مِنْها جائِرٌ).

و از آنجا که نعمت اختیار و آزادی اراده و انتخاب، یکی از مهمترین عوامل تکامل انسان میباشـد با یک جمله کوتاه به آن اشاره کرده، می گوید: «اگر خدا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۵۴

میخواست همه شما را (به اجبار) به راه راست هدایت می کرد» به گونهای که نتوانید گامی از آن فراتر بگذارید (وَ لَوْ شاءَ لَهَداکُمْ أَجْمَعِینَ).

ولى اين كار را نكرد، چرا كه هدايت اجبارى، نه افتخار است و نه تكامل!

سورة النحل(16): آية 10 ص: 254

(آیه ۱۰)- در این آیه باز به سراغ نعمتهای مادی میرود تا حس شکر گزاری انسانها را برانگیزد، آتش عشق خدا را در دلهایشان بیفروزد، و آنها را به شناخت بیشتر بخشنده این نعمتها دعوت کند.

مي گويد: «او كسى است كه از آسمان آبي فرستاد» (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً).

آبی حیات بخش، زلال، شفاف، و خالی از هر گونه آلودگی «که نوشیدن شما از آن است» (لَکُمْ مِنْهُ شَرابٌ).

«و نیز گیاهان و درختانی از آن به وجود می آید که (حیوانات خود را) در آن به چرا میفرستید» (وَ مِنْهُ شَجَرٌ فِیهِ تُسِیمُونَ).

بدون شک منافع آب باران تنها نوشیدن انسان و روییدن درختان و گیاهان نیست، بلکه شستشوی زمینها، تصفیه هوا، ایجاد رطوبت لازم برای طراوت پوست تن انسان و راحتی تنفس او، و مانند آن همه از فوائد باران است، ولی از آنجا که دو قسمت

یاد شده، از اهمیت بیشتری برخوردار بوده روی آن تکیه شده.

سورة النحل(16): آية 11 ص: 254

(آیه ۱۱)- باز همین مسأله را چنین ادامه می دهد: «خداوند با آن (آب باران) برای شما زراعت و زیتون و نخل و انگور، و از همه میوهها می رویاند» (یُنْبِتُ لَکُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّیْتُونَ وَ النَّخِیلَ وَ الْأَعْنابَ وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ).

«مسلما در آفرینش این (میوه های رنگارنگ و پربرکت و این همه محصولات کشاورزی) نشانه روشنی (از خدا) برای اندیشمندان است» (إِنَّ فِی ذَلِکَ لَآیَةً لِقَوْمِ یَتَفَکَّرُونَ).

سورة النحل(16): آية 12 ص: 554

(آیه ۱۲) – سپس به نعمت تسخیر موجودات مختلف جهان در برابر انسان اشاره کرده، می فرماید: «و (خداوند) شب و روز را برای شما مسخر کرد و همچنین خورشید و ماه را» (وَ سَرِخَرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۵۵

«و ستارگان نيز به فرمان او مسخر شما هستند» (وَ النُّبُجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ).

«مسلما در این امور نشانه هایی است (از عظمت خدا و بزرگی آفرینش) برای آنها که اندیشه میکنند» (إِنَّ فِی ذلِکُ لَآیاتٍ لِقَوْم یَعْقِلُونَ).

سورة النحل(16): آية ١٣ ص : 255

اشاره

(آیه ۱۳)– علاوه بر اینها «مخلوقاتی را که در زمین برای شما آفریده» نیز مسخر فرمان شما ساخت (وَ ما ذَرَأَ لَکُمْ فِی الْأَرْضِ). «مخلوقاتی گوناگون و رنگارنگ» (مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ).

از انواع پوششها، غذاها، همسران پاک، وسائل رفاهی گرفته تا انواع معادن و منابع مفید زیر زمینی و رو زمینی و سایر نعمتها. «در اینها نیز نشانهای است (آشکار) برای مردمی که متذکر میشوند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِقَوْمِ یَذَّکُرُونَ).

چرا تنها زیتون و نخل و انگور؟! ص: ۵۵۵

ممکن است چنین به نظر آیـد که اگر قرآن در آیات فوق از میان انواع میوهها روی زیتون و خرما و انگور تکیه کرده به خاطر وجود آنها در محیط نزول قرآن بوده است، ولی با توجه به جهانی و جاودانی بودن قرآن، و عمق تعبیراتش روشن می شود که مطلب از این فراتر است.

غذاشناسان و دانشمندان به ما می گویند: کمتر میوهای است که برای بدن انسان از نظر غذایی به اندازه این سه میوه، مفید و

مؤثر باشد.

همانها می گویند: «روغن زیتون» برای تولید سوخت بدن ارزش بسیار فراوان دارد، کالری حرارتی آن بسیار بالا است، و از این جهت یک نیرو بخش است و آنها که میخواهند همواره سلامت خود را حفظ کنند، باید به این اکسیر علاقه مند شوند. روغن زیتون دوست صمیمی کید آدمی است، و برای رفع عوارض کلیهها و سنگهای صفراوی و قولنجهای کلیوی و کیدی و

روغن زیتون دوست صمیمی کبد آدمی است، و برای رفع عوارض کلیه ها و سنگهای صفراوی و قولنجهای کلیوی و کبدی و رفع یبوست بسیار مؤثر است.

با پیشرفت دانش پزشکی و غذا شناسی اهمیت دارویی «خرما» نیز به ثبوت رسیده است. در خرما کلسیم وجود دارد که عامل اصلی استحکام استخوانهاست و نیز فسفر وجود دارد که از عناصر اصلی تشکیل دهنده مغز و مانع ضعف اعصاب و خستگی است، قوه بینایی را میافزاید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۵۶

و نیز خرما دارای پتاسیم است که فقدان آن را در بدن علت حقیقی زخم معده میدانند، و وجود آن برای ماهیچهها و بافتهای بدن انسان بسیار پرارزش است.

این سخن امروز در میان غذا شناسان معروف است که خرما از سرطان جلوگیری میکند.

و اما در مورد «انگور» به گفته دانشمندان غذا شناس به قدری عوامل مؤثر دارد که می توان گفت، یک داروخانه طبیعی است. انگور دو برابر گوشت، در بدن حرارت ایجاد می کند، و علاوه بر این ضد سم است، برای تصفیه خون، دفع رماتیسم، نقرس، و زیادی اوره خون، اثر درمانی مسلمی دارد، انگور معده و روده را لایروبی می کند، نشاط آفرین و برطرف کننده اندوه است، اعصاب را تقویت کرده، و ویتامینهای مختلف موجود در آن به انسان نیرو و توان می بخشد.

بنابراین، تکیه کردن قرآن بر این سه نوع میوه بی دلیل نیست، و شاید در آن روز قسمت مهمی از آن بر مردم پوشیده بوده است.

سورة النحل(16): آية 14 ص: 256

(آیه ۱۴) - نعمت کوهها و دریاها و ستارگان: در اینجا به سراغ بخش مهم دیگری از نعمتهای بی پایان خداوند در مورد انسانها میرود و نخست از دریاها که منبع بسیار مهم حیات و زندگی است آغاز کرده، می گوید: «و او کسی است که دریاها را برای شما تسخیر کرده و به خدمت شما گمارد» (وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبُحْرَ).

می دانیم قسمت عمده روی زمین را دریاها تشکیل می دهند، و نیز می دانیم نخستین جوانه حیات در دریاها آشکار شده، و قرار دادن آن در خدمت بشر یکی از نعمتهای بزرگ خدا است.

سپس به سه قسمت از منافع دریاها اشاره کرده، میفرماید: «تا از آن گوشت تازه بخورید» (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا).

گوشتی که زحمت پرورش آن را نکشیدهاید تنها دست قدرت خدا آن را در دل اقیانوسها پرورش داده و رایگان در اختیارتان گذارده است.

دیگر از منافع آن مواد زینتی است که از دریاها استخراج می شود لذا اضافه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۵۷ می کند: «و زیوری برای پوشیدن (مانند مروارید) از آن استخراج کنید» (وَ تَسْتَخْرُ جُوا مِنْهُ حِلْیَةً تَلْبَسُونَها).

یکی از ابعاد معروف چهارگانه روح انسان را حس زیبایی تشکیل میدهد که نقش مؤثری در حیات بشر دارد، لذا باید بطرز صحیح و سالمی- دور از هرگونه افراط و تفریط و اسراف و تبذیر-اشباع گردد. به همین دلیل در اسلام، استفاده از زینت به صورت معقول و خالی از هر گونه اسراف مانند بهره گیری از لباسهای خوب، انواع عطریات، بعضی سنگهای قیمتی و مانند آن- مخصوصا در مورد زنان- که نیاز روحیشان به زینت بیشتر است توصیه شده است، ولی باید خالی از اسراف و تبذیر باشد.

بالاخره سومین نعمت دریاها را حرکت کشتیها به عنوان یک وسیله مهم برای انتقال انسان و نیازمندیهای او، ذکر میکند، و میفرماید: «کشتیها را میبینی که آبها را بر صفحه اقیانوسها میشکافند» (وَ تَرَی الْفُلْکُ مَواخِرَ فِیهِ).

صحنهای که در برابر سرنشینان کشتی به هنگام حرکت بر صفحه اقیانوسها ظاهر می شود چقدر دیدنی است خدا این نعمت را به شما داد تا از آن بهره گیرید «و از فضل او در مسیر تجارت خود از کشتیها استفاده کنید» (وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ).

با توجه به این همه نعمت، حس شکر گزاری را در شما زنده کند، «و شاید شکر نعمتهای او را به جا آورید» (وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

سورة النحل(16): آية 15 ص: 557

(آیه ۱۵) - پس از بیان نعمت دریاها، به سراغ کوههای سخت و سنگین می رود، می گوید: «و در زمین کوههای ثابت و محکمی افکند تا لرزش آن را نسبت به شما بگیرد» و به شما آرامش بخشد (وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ). و از آنجا که کوهها یکی از مخازن اصلی آبها (چه به صورت برف و یخ و چه به صورت آبهای درونی) می باشند بلافاصله بعد از آن، نعمت وجود نهرها را بیان کرده، می گوید: «و (برای شما) نهرهایی قرار دادیم» (وَ أَنْهاراً). و از آنجا که وجود کوهها ممکن است این توهم را به وجود آورد که بخشهای زمین را از یکدیگر جدا می کند، و راهها را می بندد، چنین اضافه می کند: «و (برای بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۵۸

سورة النحل(16): آية 16 ص: 254

شما) راههائي (قرار داد) تا هدايت شويد» (وَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

(آیه ۱۶)- و از آنجا که راه بدون نشانه و علامت و راهنما، انسان را به مقصد نمی رساند بعد از ذکر نعمت «راه» به این «نشانهها» اشاره کرده، می گوید:

«و علاماتي قرار داد» (وَ عَلاماتٍ).

این علامتها انواع زیادی دارد: شکل کوهها و درّهها و بریـدگیهای آنها، فراز و نشـیبهای قطعات مختلف زمین، رنگ خاکها و کوهها، و حتی چگونگی وزش بادها هر یک، علامتی برای پیدا کردن راههاست.

ولی از آنجا که در پارهای از اوقات در بیابانها، در شبهای تاریک، یا هنگامی که انسان شبانه در دل اقیانوسها سفر می کند از این علامات خبری نیست، خداوند علامات آسمانی را به کمک فرستاده تا اگر در زمین علامتی نیست، از علامت آسمان استفاده کنند و گمراه نشوند! لذا اضافه می کند: «و به وسیله ستارگان، مردم هدایت می شوند» (وَ بِالنَّجْم هُمْ یَهْتَدُونَ).

جالب توجه این که: روایات بسیاری از ائمه علیهم السّ لام وارد شده که در آنها «نجم» (ستاره) به پیامبر و «علامات» به امامان تفسیر شده است که اشاره به تفسیر معنوی آیه است.

در حديثي از امام صادق عليه السّلام چنين ميخوانيم: «النّجم رسول الله و العلامات الائمهٔ عليهم السّلام»: «ستاره اشاره به پيامبر

است و علامات امامان عليهم السّلام هستند».

سورة النحل(16): آية 17 ص: 554

(آیه ۱۷) – پس از بیان آن همه نعمتهای بزرگ و الطاف خفی پروردگار، وجدان انسانها را به داوری می طلبد و می گوید: «آیا کسی که می آفریند همچون کسی است که نمی آفریند، آیا متذکر نمی شوید»؟! (أَ فَمَنْ یَخْلُقُ کَمَنْ لا یَخْلُقُ أَ فَلا تَذَکّرُونَ). آیا باید در برابر خالق این همه نعمتها سجده کرد؟ یا موجوداتی که خود مخلوق ناچیزی بیش نیستند و هر گز خلقتی نداشته و ندارند؟ این یک روش مؤثر تربیتی است که قرآن در بسیاری از موارد از آن استفاده کرده است، مسائل را به صورت استفادی طرح، و پاسخ آن را بر عهده وجدانهای بیدار می گذارد، و حس خودجوشی مردم را به کمک می طلبد.

سورة النحل(16): آية 18 ص: 559

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۵۹

(آیه ۱۸)- سر انجام برای این که هیچ کس تصور نکند نعمت خدا منحصر به اینهاست می گوید: «و اگر بخواهید نعمتهای خدا را شماره کنید قادر بر احصای آن نیستید» (وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها).

اکنون این سؤال پیش می آید که پس ما چگونه می توانیم حق شکر او را ادا کنیم؟ آیا با این حال در زمره ناسپاسان نیستیم؟ پاسخ این سؤال را قرآن در آخرین جمله این آیه بیان کرده، می گوید:

«خداوند غفور رحيم است» (إنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ).

آری! خدا مهربانتر و بزرگوارتر از آن است که شما را به خاطر عدم توانایی بر شکر نعمتهایش مؤاخذه یا مجازات کند، همین قدر که بدانید سر تا پای شما غرق نعمت اوست و از ادای حق شکرش عاجزید و عذر تقصیر به پیشگاهش برید، نهایت شکر او را انجام دادهاید.

ورنه سزاوار خداوندیش کس نتواند که به جا آورد!

ولى اينها همه مانع از آن نيست كه ما به مقدار توانايي به احصاي نعمتهايش بپردازيم.

سورة النحل(16): آية 19 ص: 559

(آیه ۱۹)- از آنجا که در آیات گذشته به دو قسمت از مهمترین صفات خدا اشاره شد در اینجا به سومین صفت «معبود حقیقی» اشاره می شود که علم و دانایی است، می گوید: «خداوند می داند آنچه را پنهان می دارید و آنچه را آشکار می سازید» (وَ اللَّهُ یَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَ ما تُعْلِنُونَ).

پس چرا به دنبال بتها میروید که نه کمترین سهمی در خالقیت جهان دارند، نه کوچکترین نعمتی به شـما بخشیدهاند، و نه از اسرار درون و اعمال برون شما آگاهند؟

سورة النحل(16): آية 20 ص: 559

(آیه ۲۰)- بــار دیگر روی مسأله خالقیت تکیـه میکنــد، ولی از آیـه مشـابه آن کـه قبلاـ داشـتیم فراتر میرود و میگویــد: «معبودهایی را که آنها غیر از خــدا میخوانند نه تنها چیزی را خلق نمیکنند بلکه خودشان مخلوقند» (وَ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ یَخْلُقُونَ شَیْئاً وَ هُمْ یُخْلَقُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۶۰

تاكنون بحث در اين بود كه اينها خالق نيستند و به همين دليل لايق عبادت نمى باشند اكنون مى گويـد آنها خود مخلوقنـد، نيازمند و محتاجند.

سورة النحل(16): آية 21 ص: 560

(آیه ۲۱)- از این گذشته، «آنها مردگانی هستند که هرگز استعداد حیات ندارند» (أَمْواتٌ غَیْرُ أَحْیاءٍ).

سپس اضافه می کند: «و این بتها اصلا نمی دانند در چه زمانی (عبادت کنندگانشان) مبعوث خواهند شد» (وَ ما یَشْعُرُونَ أَیَّانَ یُبْعَثُونَ).

اگر پاداش و جزا به دست آنها بود حدّ اقل باید از «رستاخیز بندگان خود» باخبر باشند، با این نادانی چگونه لایق عبادتند؟ و این پنجمین صفتی است که معبود به حق باید داشته باشد و آنها فاقد آنند.

بت و بت پرستی در منطق قرآن مفهوم وسیعی دارد. هر موجود و هر کسی را که تکیه گاه خود در برابر خدا قرار دهیم و سرنوشت خود را دست او بدانیم او بت ما محسوب می شود، به همین دلیل تمام آنچه در آیات فوق آمده در باره کسانی که امروز ظاهرا خدا پرستند اما استقلال یک فرد مؤمن راستین را از دست داده و تکیه گاهی برای خود از بندگان ضعیف انتخاب کرده اند و به صورت وابسته زندگی می کند، شامل می شود.

سورة النحل(16): آية 22 ص: 560

(آیه ۲۲)- به دنبال این استدلالات زنـده و روشن بر نفی صـلاحیت بتها، چنین نتیجه گیری می کند بنابراین «معبود شـما معبود واحدی است» (إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ).

و از آنجا که ایمان به مبدأ و معاد همه جا با یک دیگر قرین و لازم و ملزوم یک دیگرند بلافاصله اضافه می کند: «آنها که ایمان به آخرت ندارند (و طبعا ایمان درستی به مبدأ نیز ندارند) دلهایشان حقیقت را انکار می کند و در برابر حق مستکبرند» (فَالَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْکِرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَکْبِرُونَ).

و گر نه دلائل توحید برای آنها که حق جو و متواضع در مقابل حقیقتند آشکار است، و هم دلائل معاد، ولی خوی استکبار و عدم تسلیم در برابر حق سبب میشود که آنها دائما حالت انکار و نفی به خود بگیرند.

سورة النحل(16): آية 23 ص: 560

(آیه ۲۳)- در این آیه بار دیگر روی علم خدا به غیب و شهود و پنهان برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۶۱ و آشکار مجددا تکیه کرده، میگوید: «قطعا خداوند از آنچه پنهان میدارند و آنچه آشکار میسازند باخبر است» (لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ ما یُسِرُّونَ وَ ما یُعْلِنُونَ).

این جمله در واقع تهدیدی است در برابر کفار و دشمنان حق که خدا از حال آنها هرگز غافل نیست.

آنها مستكبرند و «خداوند مستكبران را دوست نمى دارد» (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْ تَكْبِرِينَ). چرا كه استكبار در برابر حق اولين نشانه بيگانگي از خداست.

سورة النحل(16): آية 24 ص: 261

اشاره

(آیه ۲۴)

شأن نزول: ص : 261

این آیه در باره «مقتسمین» (تبعیض گران) که قبلا در باره آنها بحث شد نازل گردیده است، آنها شانزده نفر بودند که به چهار گروه تقسیم شدند و هر گروه چهار نفری بر سر راه مردم در یکی از جادههای مکه در ایام حج ایستادند تا پیش از آنکه مردم وارد شوند ذهن آنها را نسبت به قرآن و اسلام بدبین سازند، و بگویند محمد صلّی الله علیه و آله دین و آیین تازهای نیاورده بلکه همان افسانههای دروغین پیشینیان است.

تفسير: ص: 261

آنها که بار گناه دیگران را بر دوش می کشند- در آیات گذشته سخن از مستکبران بود و در این آیه منطق همیشگی این گروه بی ایمان منعکس شده است، می گوید: «و هنگامی که به آنها گفته شود پروردگار شما چه چیز نازل کرده است؟ در پاسخ می گویند: (اینها وحی الهی نیست) همان افسانه های دروغین پیشینیان است» (وَ إِذَا قِیلَ لَهُمْ ما ذَا أَنْزُلَ رَبُّکُمْ قالُوا أَساطِیرُ الْقَالِينَ).

جالب این که مستکبران امروز نیز غالبا موذیانه برای فرار از حق و همچنین برای گمراه ساختن دیگران به این تهمت متوسل می شوند، حتی در کتب جامعه شناسی شکل به اصطلاح علمی به آن دادهاند و مذهب را زاییده جهل بشر و تفسیرهای مذهبی را اسطورهها می نامند! اما آنها با مذاهب خرافی و ساختگی هر گز جنگ و ستیز ندارند، مخالفت آنها تنها با مذاهب راستین است که افکار انسانها را بیدار می کند، و زنجیرهای استعمار را درهم می شکند سدّ راه مستکبران و استعمار گران است.

سورة النحل(16): آية 25 ص: 261

(آیه ۲۵)- این آیه نتیجه اعمال این کوردلان را چنین بیان می کند: «اینها باید برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۶۲ روز رستاخیز هم بـار گناهـان خود را بطور کامـل بر دوش بکشـند و هم سـهمـی از گناهـان کسـانی را که بخـاطر جهل گمراه کردهاند»! (لِیَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ کَامِلَةً یَوْمَ الْقِیامَةِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِینَ یُضِلُّونَهُمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ).
«بدانید آنها بدترین و زر و مسؤولیت را بر دوش میکشند» (أَلا ساءَ ما یَزِرُونَ).

چرا که گاهی گفتار آنها سبب گمراهی هزاران نفر میشود، چقدر دشوار است که انسان هم بـار گناهان خود را بر دوش کشـد و هم سـهمی از گناهان هزاران نفر دیگر را، و هرگاه سـخنان گمراه کننده آنها باقی بماند و سـر چشـمه گمراهی نسـلها شود بار آنها نیز بر دوششان سنگینی میکند!

سورة النحل(16): آية 26 ص: 262

(آیه ۲۶)- این آیه به بیان این نکته می پردازد که این اولین بار نیست که مستکبران به رهبران الهی تهمت می زنند و وحی آسمانی را اساطیر اولین می شمارند، بلکه «آنهایی که قبل از اینها بودند نیز از این گونه توطئه ها داشتند، ولی خداوند به سراغ شالوده زندگی آنها رفت و از اساس آن را ویران نمود، و سقف بر سرشان از بالا فرود آمد»! (قَدْ مَكَرَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأْتَی اللَّهُ بُنْیانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَیْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ).

«و عذاب و مجازات الهي از آنجا كه (باور نمى كردنـد و) نمى دانستند به سراغشان آمـد» (وَ أَتَاهُمُ الْعَـذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ).

ریشه کن کردن ساختمان و فرود آمدن سقف، ممکن است اشاره به ساختمان و سقف ظاهری آنها باشد که بر اثر زلزلهها و صاعقهها درهم کوبیده شد و بر سر آنان فرود آمد، و ممکن است کنایه از سازمان و تشکیلات آنها باشد که به فرمان خدا از ریشه برکنده شد، و نابود گشت، ضمنا مانعی ندارد که آیه اشاره به هر دو معنی باشد.

سورة النحل(16): آية 27 ص: 262

(آیه ۲۷)- آنچه گفته شـد عـذاب دنیـای آنـان است ولی مجازاتشـان به همین جـا پایـان نمیگیرد، بلکه «بعـد از این در روز رستاخیز خدا آنها را رسوا میسازد» (ثُمَّ یَوْمَ الْقِیامَهِ یُخْزیهِمْ).

و آنها را مورد سؤال قرار میدهد و می گوید: «شریکانی که شما برای من ساختید (و به آنها عشق میورزیدید) و به خاطر آنها با دیگران دشمنی می کردید، بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۶۳

كجا هستند؟ (وَ يَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ).

در اینجا آنها پاسخی برای این سؤال مسلما ندارند ولی: «کسانی که به آنها علم داده شده (زبان به سخن می گشایند و) می گویند: شرمندگی و رسوایی و بدبختی، امروز بر کافران است» (قالَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْجِزْیَ الْیَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَی الْکافِرِینَ). و این خود یک نوع مجازات و کیفر روانی برای آنهاست.

سورة النحل(16): آية 28 ص: 283

(آیه ۲۸)- این آیه با تعبیری که درس تکان دهندهای برای بیدار کردن غافلان و بیخبران است در توصیف کافران می گوید: آنها «کسانی هستند که فرشتگان مرگ روح آنها را می گیرند، در حالی که به خود ظلم کرده بودند» (الَّذِینَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِکَةُ ظالِمی أَنْفُسِهمْ).

زیرا انسان هر ظلم و ستمی کند در درجه اول به خودش باز می گردد و خانه خویشتن را قبل از خانه دیگران ویران میسازد. اما آنها هنگامی که خود را در آستانه مرگ می بینند و پردههای غرور و غفلت از مقابل چشمانشان کنار می رود «فورا تسلیم مىشوند، (و به دروغ مى گويند:) ما كار بدى انجام نمىداديم»! (فَأَلْقُوُا السَّلَمَ ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ).

آیا دروغ می گویند، به خاطر این که دروغ بر اثر تکرار، صفت ذاتی آنها شده است؟ و یا میخواهند بگویند ما میدانیم این اعمال را انجام داده ایم ولی اشتباه کرده ایم و سوء نیت نداشته ایم، ممکن است هر دو باشد.

ولى بلافاصله به آنها گفته مىشود شما دروغ مى گوييد، اعمال زشت فراوانى انجام داديد «آرى خداوند به آنچه انجام مىداديد (و همچنين از نيتهاى شما) باخبر است» (بَلى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

بنابراین جای انکار کردن و حاشا نمودن نیست! و این ایمان اضطراری هم سودی ندارد.

سورة النحل(16): آية 29 ص: 268

(آیه ۲۹)- «اکنون که چنین است از درهای جهنم وارد شوید در حالی که جاودانه در آن خواهید بود» (فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها).

«چه جای بدی است جایگاه متکبران» (فَلَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَكَبِّرِينَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۶۴

سورة النحل(16): آية 30 ص: 564

(آیه ۳۰)- سرنوشت پاکان و نیکان: در آیات گذشته اظهارات مشرکان در باره قرآن و نتائج آن را خواندیم، اما در اینجا اعتقاد مؤمنان را با ذکر نتائجش میخوانیم:

نخست می گویـد: «و (هنگـامی که) به پرهیزکـاران گفته میشود پروردگـار شـما چه چیز نـازل کرده است؟ میگفتنـد: خیر و سعادت» (وَ قِیلَ لِلَّذِینَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَیْراً).

چه تعبیر رسا و زیبا و جامعی! «خَیْراً» آن هم خیر مطلق، که مفهوم گستردهاش همه نیکیها، سعادتها و پیروزیهای مادی و معنوی را در بر می گیرد.

سپس همان گونه که در آیات گذشته، نتیجه اظهارات مشرکان، به صورت کیفرهای مضاعف دنیوی و اخروی، مادی و معنوی، بیان شده است: «برای کسانی که نیکی کردنـد، در این حورت بیان شـده است: «برای کسانی که نیکی کردنـد، در این دنیا نیکی است» (لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا فِی هذِهِ الدُّنْیا حَسَنَهُ).

قابل توجه این که «حسنه» همانند «خیر» است که انواع حسنات و نعمتهای این جهان را در بر می گیرد.

این پاداشهای دنیای آنهاست، سپس اضافه می کند: «و سرای آخرت از این هم بهتر است، و چه خوبست سرای پرهیز کاران»؟ (وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَیْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِینَ).

سورة النحل(16): آية 31 ص: 364

(آیه ۳۱) – این آیه سرای پرهیزکاران را که قبلا بطور سر بسته بیان شد، توصیف کرده، می گوید: سرای پرهیزکاران «باغهای جاویدان بهشت است که همگی وارد آن می شوند» (جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَها).

«نهرهای جاری از زیر درختانش می گذرد» (تَجْری مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

تنها مسأله باغ و درخت مطرح نیست، بلکه «هر چه بخواهند در آنجا هست» (لَهُمْ فِیها ما یَشاؤُنَ). و در پایان آیه میفرماید: «خداوند پرهیزکاران را چنین پاداش میدهد» (کَذلِکَ یَجْزِی اللَّهُ الْمُتَّقِینَ).

سورة النحل(16): آية 22 ص: 264

(آیه ۳۲)- در آیات گذشته خواندیم که فرشتگان مرگ مشرکان مستکبر را برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۶۵ قبض روح میکنند در حالی که ستمگرند.

اما در اینجا میخوانیم که: پرهیزکاران «کسانی هستند که فرشتگان قبض ارواح، روح آنان را میگیرنـد در حالی که پاک و پاکیزهاند» (الَّذِینَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِکَةُ طَیِّبِینَ). پاکیزه از آلودگی شرک پاکیزه از ظلم و استکبار و هر گونه گناه.

در اینجا فرشتگان «به آنها می گویند: سلام بر شما باد»! (یَقُولُونَ سَرِلامٌ عَلَیْکُمْ). سلامی که نشانه امنیت و سلامت و آرامش کامل است.

سپس می گویند: «وارد بهشت شوید به خاطر اعمالی که انجام میدادید» (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

تعبیر به «تَتَوَقَّاهُمُ» (روح آنها را دریافت میدارند) اشاره است به این که مرگ به معنی فنا و نیستی و پایان همه چیز نیست، بلکه انتقالی است از یک مرحله به مرحله بالاتر.

سورة النحل(16): آية 33 ص: 565

(آیه ۳۳) – بار دیگر به تجزیه و تحلیل، پیرامون طرز فکر و برنامه مشرکان و مستکبران پرداخته و با زبان تهدید می گوید: آنها چه انتظاری می کشند؟ «آیا جز این انتظار دارند که فرشتگان (قبض ارواح) به سراغشان بیایند» درهای توبه بسته شود، پرونده اعمال پیچیده گردد و راه بازگشت باقی نماند؟اَلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِیَهُمُ الْمَلائِکَهُ)

«و یا (این که انتظار میکشند) فرمان پروردگار (دائر به عذاب و مجازات آنها) فرا رسد» آنگاه توبه کنندَوْ یَأْتِیَ أَمْرُ رَبِّکَ) . ولی توبه آنها در آن زمان بیاثر است.

سپس اضافه می کند: تنها این گروه نیستند که این چنین می کنند بلکه، «کسانی که پیش از ایشان بودند نیز چنین کردند» اَذلِکَ فَعَلَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

«خداوند به آنها ستم نکرد ولی آنها پیوسته به خویشتن ستم می کردند» ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَکِنْ کَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) . چرا که آنها در حقیقت تنها نتیجه اعمال خود را باز مییابند.

سورة النحل(16): آية 34 ص: 565

(آیه ۳۴)- باز به نتیجه اعمال آنها میپردازد و میگوید: «سر انجام، سیئات اعمالشان به آنها رسید» (فَأَصابَهُمْ سَیِّئاتُ ما عَمِلُوا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۶۶

«و آنچه را استهزاء می کردند (از وعده های عذاب الهی) بر آنها وارد شد» (وَ حاقَ بِهِمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ).

آیه فوق بـار دیگر این واقعیت را تأکیـد میکنـد که این اعمال انسان است که دامان او را در این جهان و آن جهان میگیرد و در چهرههای مختلف تجسم مییابد و او را رنج و آزار و شکنجه میدهد نه چیز دیگر.

سورة النحل(16): آية 30 ص: 566

(آیه ۳۵)- این آیه به یکی از منطقهای سست و بیاساس مشرکان اشاره کرده، می گوید: «و مشرکان گفتند: اگر خدا میخواست نه ما و نه نیاکان ما هیچ چیز غیر او را عبادت نمی کردیم» و به سراغ بتها نمی رفتیم (وَ قالَ الَّذِینَ أَشْرَکُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَ لا آباؤُنا).

«و چيزى را بدون اذن او تحريم نمي نموديم» (وَ لا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ).

این جمله اشاره به قسمتی از چهارپایانی است که مشرکان در عصر جاهلیت، از پیش خود تحریم کرده بودند. آنها میخواستند چنین استدلال کنند که اگر اعمال ما مورد رضای خدا نیست پس چرا قبلا پیامبرانی نفرستاد و از همان روز اول به نیاکان ما نگفت من به این کار راضی نیستم این سکوت او دلیل بر رضای اوست! لذا در پاسخ میفرماید: «پیشینیان آنها نیز همین کارها را انجام دادند (و به همین بهانه ها متوسل شدند) ولی آیا پیامبران الهی وظیفه ای جز ابلاغ آشکار دارند؟» (کذلِکَ فَعَلَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَی الرُّسُل إِلَّا الْبلاغُ الْمُبِینُ).

و این چنین است راه و رسم همه رهبران راستین که در اصل دعوت هرگز از سخنان دو پهلو استفاده نمی کنند، در بیان حقیقت چیزی فرو گذار نمی نمایند و تمام عواقب این صراحت و قاطعیت را نیز به جان پذیرا هستند.

سورة النحل(16): آية 36 ص: 566

(آیه ۳۶)- به دنبال اعلام این واقعیت که وظیفه پیامبران تنها ابلاغ آشکار است، در این آیه اشاره کوتاه و جامعی به وضع دعوت پیامبران کرده، می گوید: «ما در هر امتی رسولی فرستادیم» (وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِی کُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا). که دعوت ما را به گوش امتها برسانند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۶۷

سپس اضافه مى كنىد محتواى دعوت همه اين رسولان اين بود كه: «خداى يكتا را بپرستيىد و از طاغوت اجتناب كنيىد» (أُنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ).

چرا که اگر پایههای توحید محکم نشود، و طاغوتها از جوامع انسانی و محیط افکار طرد نگردند، هیچ برنامه اصلاحی قابل پیاده کردن نیست.

اکنون ببینیم نتیجه دعوت انبیا به توحید به کجا رسید، در اینجا قرآن می گوید:

«گروهي از آن امتها كساني بودند كه خدا هدايتشان كرد» (فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ).

«و گروهي از آنان ضلالت و گمراهي دامانشان را گرفت» (وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ).

و در پایان آیه برای بیدار کردن گمراهان و تقویت روحیه هدایت یافتگان این دستور عمومی را صادر میکند: «پس در روی زمین سیر کنید (و آثـار گذشـتگان را که بر صفحه زمین و در دل خاک نهفته است بررسـی نماییـد) و ببینیـد سـر انجام کار کسانی که آیات خدا را تکذیب کردند به کجا کشید» (فَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُکَذّبِینَ).

این تعبیر خود دلیل زندهای بر آزادی اراده انسان است، چرا که اگر هدایت و ضلالت اجباری بود، سیر در ارض و مطالعه حالات پیشینیان بیهوده بود.

سورة النحل(16): آية 37 ص: 567

(آیه ۳۷) - در این آیه ضمن دلداری به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله تأکید می کند که، سر انجام کار این گروه گمراه و لجوج به جایی میرسد که: «هر قدر بر هدایت آنها حریص باشی (و تلاش کنی فایدهای ندارد زیرا) خداوند کسی را که گمراه کرد هدایت نمی کند»! (إِنْ تَحْرِصْ عَلی هُداهُمْ فَإِنَّ اللَّه لا یَهْدِی مَنْ یُضِلُّ).

«و برای آنها هیچ یار و یاوری نیست» (وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِینَ).

جمله فوق مخصوص آن گروه است که خیره سری و لجاجت را به حد اعلا رسانده، و آن چنان در استکبار و غرور و غفلت و گناه غرقند که دیگر درهای هدایت به روی آنها گشوده نخواهد شد.

سورة النحل(16): آية 38 ص: 587

اشاره

(آیه ۳۸)

شأن نزول: ص: 267

نقل شده که: مردی از مسلمانان از یکی از مشرکان طلبی داشت، هنگامی که از او مطالبه کرد او در پرداخت دین خود تعلل ورزید، مرد برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۶۸

مسلمان ناراحت شد و ضمن سخنانش چنین سوگند یاد کرد: قسم به چیزی که بعد از مرگ در انتظار او هستم ... (و هدفش قیامت و حساب خدا بود) مرد مشرک گفت:

سو گند به خدا که او هیچ مردهای را زنده نخواهد کرد.

آیه نازل شد و به او و مانند او پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۵۶۸

معاد و پایان گرفتن اختلافها: در تعقیب بحثهایی که در آیات گذشته پیرامون مسأله «توحید» و «رسالت پیامبران» آمد، قرآن در اینجا با ذکر گوشهای از مباحث «معاد»، این بحثها را تکمیل میکند.

نخست می گوید: «و آنها مؤکدا سو گند یاد کردند که خداوند کسانی را که می میرند هر گز مبعوث نمی کند»، و به زندگی جدید باز نمی گرداند (وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَیْمانِهِمْ لا یَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ یَمُوتُ).

این انکار بی دلیل، آن هم انکاری تو أم با قسمهای مؤ کد، نشانهای از نادانی آنها و بی خبریشان بود، لذا قرآن در پاسخ آنها چنین می گوید: «این وعده قطعی خداوند است (که همه مردگان را به حیات جدید باز می گرداند تا نتیجه اعمالشان را ببینند) ولی غالب مردم نمی دانند» و بر اثر ناآگاهی دست به انکار می زنند (بَلی وَعْداً عَلَیْهِ حَقًّا وَ لَکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ).

سورة النحل(16): آية 39 ص: 564

(آیه ۳۹)- سپس به بیان یکی از هدفهای معاد، و بعد از آن به ذکر قدرت خدا بر این کار، میپردازد، تا نشان دهد اگر سر چشمه انکار آنها تصور بی هدف بودن معاد است این اشتباه بزرگی است.

نخست می گویـد: خداونـد مردگان را مبعوث می کند: «تا برای همگان روشن سازد آنچه را که در آن اختلاف داشـتند» (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِی یَخْتَلِفُونَ فِیهِ).

«و تا كسانى كه اين واقعيت را انكار مىكردند بدانند دروغ مىگفتند» (وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كانُوا كاذِبِينَ).

بنابراین، بازگشت به وحدت و پایان گرفتن اختلافات عقیدتی یکی از اهداف معاد را تشکیل میدهد که در آیه فوق به آن اشاره شده است.

سورة النحل(16): آية 40 ص: 564

(آیه ۴۰) - در این آیه به بیان این حقیقت می پردازد که اگر آنها بازگشت انسان برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۶۹ را به زندگی جدید محال می شمرند باید بدانند که قدرت خداوند برتر و بالاتر از اینهاست، «هنگامی که ما چیزی را اراده کنیم فقط به آن می گوییم موجود باش! آن نیز بلافاصله موجود می شود» (إِنَّما قَوْلُنا لِشَیْءٍ إِذَا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ). با چنین قدرت کاملهای که تنها فرمان موجود باش، برای وجود هر چیز کافی است: دیگر چه جای شک و تردید در قدرت خدا بر بازگشت مردگان به زندگی باقی می ماند؟

تعبير به «كن» (موجود باش) نيز از ضيق بيان و عدم گنجايش الفاظ است، والاحتى نياز به جمله «كن» نيست، اراده خدا همان و تحقق يافتن همان.

سورة النحل(16): آية 41 ص: 569

اشاره

(آیه ۴۱)

شأن نزول: ص: 569

در شأن نزول این آیه و آیه بعد چنین نقل کردهاند که گروهی از مسلمانان مانند «بلال» و «عمار یاسر» و «صهیب» و «خبّاب» پس از اسلام آوردن در مکه سخت تحت فشار بودند، و برای تقویت اسلام و رساندن صدای خود به دیگران، پس از هجرت پیامبر صلّی الله علیه و آله به «مدینه» هجرت کردند، در این میان «صیهب» که مرد مسنّی بود به مشرکان مکه چنین پیشنهاد کرد: بیایید اموال مرا بگیرید و بگذارید به «مدینه» بروم، آنها موافقت کردند.

آیه نازل شد و پیروزی او و امثال او را در این جهان و جهان دیگر بازگو کرد.

تفسير: ص: ٥٦٩

پاداش مهاجران- در تعقیب آیات گذشته که از منکران قیامت و مشرکان لجوج سخن می گفت، این آیه از مهاجران راستین و پاکباز سخن می گوید، تا وضع دو گروه در مقایسه با یکدیگر روشن گردد.

نخست می گوید: «آنها که پس از ستم دیدن در راه خدا، هجرت کردند، در این دنیا جایگاه و مقام خوبی به آنها میدهیم» (وَ الَّذِینَ هاجَرُوا فِی اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِی الدُّنْیا حَسَنَهً). چرا که آنها با نهایت اخلاص برای گسترش دعوت اسلام به تمام زندگی خویش پشت پا زدند.

این پاداش دنیای آنهاست «اما پاداش آخرت، اگر بدانند، بسیار بزرگتر است» (وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ).

سورة النحل(16): آية ٤٢ ص: 269

(آیه ۴۲)– سپس در این آیه، این مهاجران راستین و پر استقامت و با ایمان را برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۷۰ با دو صفت توصیف کرده، می گوید: «آنها کسانی هستند که شکیبایی و صبر و استقامت را پیشه خود ساخته، و توکل و تکیه آنها بر پروردگارشان است» (الَّذِینَ صَبَرُوا وَ عَلی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ).

سورة النحل(16): آية ٤٣ ص: 270

(آیه ۴۳)- اگر نمی دانید بپرسید: این آیه بار دیگر به بیان مسائل گذشته در رابطه با اصول دین می پردازد، و به یکی از اشکالات معروف مشرکان پاسخ می گوید:

آنها می گفتند: چرا خداوند فرشته ای را برای ابلاغ رسالت نازل نکرده است- و یا می گفتند چرا پیامبر صلّی الله علیه و آله مجهز به یک نیروی فوق العاده نیست که ما را مجبور به ترک کارهایمان بنماید.

خداونــد در پاسخ آنها می گوید: «و پیش از تو، جز مردانی که به آنها وحی میکردیم، نفرسـتادیم»! (وَ مَا أَرْسَـلْنا مِنْ قَبْلِکَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِی إِلَيْهِمْ).

آری! این مردان از جنس بشر بودند، با تمام غرایز و عواطف انسانی، دردهای آنها را از همه بهتر تشخیص میدادند، و نیازهای آنها را به خوبی درک می کردند، در حالی که هیچ فرشتهای نمی تواند از این امور به خوبی آگاه گردد..

سپس برای تأکید و تأیید این واقعیت اضافه می کند: «اگر این موضوع را نمی دانید (بروید و) از اهل اطلاع بپرسید» (فَشْئُلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ).

سورة النحل(16): آية 44 ص: 270

(آیه ۴۴)- در این آیه می گوید: اگر شما آگاه نیستید از آنها بپرسید که: «از دلائل روشن و کتب» پیامبران پیشین آگاهند! (بِالْبَیِّنَاتِ وَ الزُّ بُر).

به این ترتیب «مسأله تخصص» نه تنها در زمینه مسائل اسلامی و دینی از سوی قرآن به رسمیت شناخته شده، بلکه در همه زمینهها مورد قبول و تأکید است، و روی این حساب بر همه مسلمانان لازم است که در هر عصر و زمان افراد آگاه و صاحب نظر درستکار مورد اطمینان، در همه زمینه ها داشته باشند که اگر کسانی مسائلی را نمی دانند به آنها مراجعه کنند.

سپس روی سخن را به پیامبر کرده، می گوید: «و ما این ذکر (قرآن) را بر تو نازل کردیم تا آنچه به سوی مردم نازل شده است برای آنها تبیین کنی» (وَ أَنْزُلْنا إِلَيْکَ الذِّکْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۷۱ «و تا این که آنها (در این آیات، و وظائفی که در برابر آن دارند) بیندیشند» (وَ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ).

در واقع دعوت و برنامه رسالت تو از نظر اصولی چیز نوظهور و بیسابقه ای نیست همان گونه که بر رسولان پیشین، کتب آسمانی نازل کردیم تا مردم را به وظائفشان در برابر خدا و خلق و خویشتن آشنا سازند بر تو نیز این قرآن را نازل کردیم، تا به تبیین مفاهیم و تعالیم آن بپردازی و اندیشه انسانها را بیدار سازی.

سورة النحل(16): آية 45 ص: 271

(آیه ۴۵)- انواع مجازاتها در برابر انواع گناهان! قرآن در بسیاری از بحثها، مطالب استدلالی را با مسائل عاطفی چنان به هم می آمیزد که بر ترین اثر را در نفوس شنوندگان داشته باشد، آیات گذشته یک بحث منطقی در زمینه نبوت و معاد با مشرکان داشت، ولی در اینجا به تهدید جباران و مستکبران و گنهکاران لجوج می پردازد و آنها را به انواع عذابهای الهی بیم می دهد. نخست می گوید: «آیا توطئه گران (ی که برای خاموش کردن نور حق به انواع نقشه های شوم متوسل شدند) از این ایمن گشتند که ممکن است خداوند آنها را در زمین فرو برد»؟ (أَ فَأَمِنَ الَّذِینَ مَکَرُوا السَّیِّئاتِ أَنْ یَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ).

آیا بعیـد است که زمین لرزه وحشـتناکی رخ دهـد، پوسـته زمین بشـکافد و دهان باز کند و آنها و همه زندگانیشان را در خود فرو برد، همان گونه که در تاریخ اقوام، کرارا اتفاق افتاده است؟

سپس اضافه می کنـد: «و یا این که (هنگامی که آنها در حال غفلتند) عذاب (الهی) از آنجا که انتظارش را ندارند به سراغشان آید» (أَوْ یَأْتِیَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَیْثُ لا یَشْعُرُونَ).

سورة النحل(16): آية 46 ص: 271

(آیه ۴۶)- «و یا به هنگامی که (آنها برای کسب مال بیشتر و در آمد فزونتر) در رفت و آمد هستند (عذاب) دامانشان را بگیرد» (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ).

«در حالى كه قادر به فرار (از چنگال عذاب) نيستند» (فَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ).

سورة النحل(16): آية 47 ص: 271

(آیه ۴۷)- «و یا این که (مجازات الهی یک مرتبه به سراغشان نیاید بلکه) بطور تدریجی و ضمن هشدارهای پیدرپی، آنها را گرفتار سازد»؟ (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلی تَخَوُّفٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۷۲

امروز همسایه آنها گرفتار سانحهای می شود، فردا یکی از بستگانشان و خلاصه هشدارها یکی بعد از دیگری به سراغ آنها می آید اگر بیدار شدند چه بهتر، و گر نه مجازات نهایی آنها را فرو خواهد گرفت.

تدریجی بودن عذاب و مجازات در این گونه موارد برای آن است که هنوز احتمال هدایت در این گروه وجود دارد، و رحمت خداونـد اجـازه نمیدهـد که بـا اینهـا همچون سـایرین رفتار شود «زیرا پروردگار شـما رئوف و رحیم است» (فَإِنَّ رَبَّکُمْ لَرَؤُفُ

سورة النحل(16): آية ٤٨ ص: 272

(آیه ۴۸) - سجده همه مخلوقات و جنبندگان حتی سایه هایشان برای خدا! در اینجا بار دیگر به بحث توحید باز می گردد، نخست می گوید: «آیا آنها (مشرکان توطئه گر) مخلوقات خدا را ندیدند که (چگونه) سایه هایشان از راست و چپ حرکت دارند و با خضوع برای خدا سجده می کنند»؟ (أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلَی ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَیْءٍ یَتَفَیَّوُّا ظِلالُهُ عَنِ الْیَمِینِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ).

سورة النحل(16): آية 49 ص: 272

(آیه ۴۹) - در آیه گذشته تنها سخن از «سجده» سایه ها - با آن مفهوم وسیعش - به میان آمده بود، ولی در این آیه این مسأله را به عنوان یک برنامه عمومی برای همه موجودات مادی و غیر مادی، آسمانی و زمینی بیان کرده، می گوید: «و آنچه در آسمانها و آنچه در زمین از جنبندگان است و همچنین فرشتگان، برای خدا سجده می کنند» (وَ لِلَّهِ یَسْجُدُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی اللَّرْض مِنْ دابَّةٍ وَ الْمَلائِکَةُ).

«و آنها در این راه هیچ گونه استکبار نمیورزند» (وَ هُمْ لا یَشْتَکْبِرُونَ). و در برابر خدا و فرمان او تسلیم محضند.

حقیقت سجده، نهایت خضوع و تواضع و پرستش و تسلیم است، و آن سجده معمولی ما که بر هفت عضو انجام میدهیم مصداقی از این مفهوم عام است، و منحصر به آن نیست.

جمله «وَ هُمْ لا يَسْ تَكْبِرُونَ» اشاره به وضع حال فرشـتگان است، كه آنها در خضوع و سـجده در پیشگاه حق كمترین استكبار به خود راه نمیدهند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۷۳

سورة النحل(16): آية 50 ص: 273

(آیه ۵۰)– لذا بلافاصله بعد از آن به دو قسمت از صفات آنها که تأکیدی است بر نفی استکبار اشاره کرده، می گوید: «آنها از مخالفت پروردگارشان که بر فراز آنها و (حاکم بر آنها) است می ترسند» (یَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ).

«و آنچه را مأموریت دارند به خوبی انجام میدهند» (وَ یَفْعَلُونَ ما یُؤْمَرُونَ).

از این آیه به خوبی استفاده می شود که نشانه نفی استکبار دو چیز است: ترس در برابر مسؤولیتها، و انجام فرمانهای خدا بدون چون و چرا.

سورة النحل(16): آية ۵۱ ص: ۵۷۳

(آیه ۵۱)- دین یکی و معبود یکی! در تعقیب بحث توحید و خداشناسی از طریق نظام آفرینش، در اینجا به نفی شرک می پردازد، تا با تقارن این دو به یکدیگر، حقیقت آشکار تر شود.

در آغاز می گوید: «خدا دستور داده که دو معبود برای خود انتخاب نکنید» (وَ قالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ). «معبود تنها یکی است» (إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ).

وحدت نظام آفرینش و وحدت قوانین حاکم بر آن، خود دلیلی بر وحدت آفریدگار و وحدت معبود است. اکنون که چنین است، «تنها از (کیفر) من بترسید» و از مخالفت فرمان من بیم داشته باشید (فَإِیَّایَ فَارْهَبُونِ).

سورة النحل(16): آية 22 ص: 273

(آیه ۵۲) – و به دنبال این دستور ضمن سه آیه، دلیل توحید عبادت را با چهار بیان مشخص می کند: نخست می گوید: «آنچه در آسمانها و زمین است از آن اوست» (وَ لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

آیا در مقابل کسی که مالک عالم هستی است باید سجده کرد یا بتهای فاقد همه چیز؟

سپس اضافه می کند: نه تنها آسمانها و زمین از آن اوست که «همواره دین و تمام قوانین نیز از ناحیه او میباشد» (وَ لَهُ الدِّینُ واصباً).

و در پایان این آیه میفرماید: با این حال که همه قوانین و دین و اطاعت از آن خداست «آیا از غیر خدا پرهیز میکنید»؟ (أَ فَغَیْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۷۴

مگر بتها می توانند به شما زیانی برسانند؟ یا نعمتی به شما ببخشند؟ که از مخالفتشان بیم دارید و عبادتشان را لازم میشمرید؟!

سورة النحل(16): آية 23 ص: 274

(آيه ۵۳)- «با اين كه آنچه از نعمتها داريد همه از ناحيه خداست» (وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ).

این در حقیقت سومین بیان است برای لزوم پرستش معبود یگانه یعنی «الله» و منظور این است که اگر پرستش بتها به خاطر شکر نعمت است، سر تا پای وجود شما را نعمتهای خدا فراگرفته است.

علاوه بر این: «هنگامی که ناراحتیها، مصائب بلاها و رنجها به سراغ شما می آید (برای رفع آنها) تنها دست تضرع به درگاه او برمیدارید و او را میخوانید» (ثُمَّ إِذا مَسَّکُمُ الضُّرُّ فَإِلَیْهِ تَجْئَرُونَ).

بنابراین، اگر پرستش بتها به خاطر دفع ضرر و حل مشکلات است، آن هم که از ناحیه خداست و این چهارمین بیان برای مسأله توحید عبادت است.

سورة النحل(16): آية ۵۴ ص: ۵۷۴

(آیه ۵۴)– آری! در این گونه موارد خداونـد ندای شـما را میشـنود و به آن پاسخ می گوید و مشـکلاتتان را برطرف میسازد «سپس هنگامی که زیان و رنج را از شما برطرف ساخت گروهی از شما برای پروردگارشان همتا قرار میدهند» و به سراغ بتها میروند (ثُمَّ إِذا کَشَفَ الضُّرَّ عَنْکُمْ إِذا فَرِیقٌ مِنْکُمْ بِرَبِّهِمْ یُشْرِکُونَ).

در حقیقت قرآن به این نکته باریک اشاره می کنید که فطرت توحید در وجود همه شیما هست، ولی در حال عادی، پردههای غفلت و غرور و جهل و تعصب و خرافات آن را می پوشاند.

سورة النحل(16): آية ۵۵ ص: ۵۷۴

(آیه ۵۵) - در این آیه پس از ذکر دلائل منطقی فوق و روشن شدن حقیقت، با لحنی تهدید آمیز چنین می گوید: بگذار «تا نعمتهایی را که به آنها داده ایم کفران کنند و (اکنون) چند روزی از (متاع دنیا) بهرهمند شوید اما به زودی خواهید دانست» نتیجه و پایان کارتان چیست (لِیَکْفُرُوا بِما آتَیْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ).

این درست به آن میماند که انسان شخص متخلف و منحرفی را با دلائل مختلف، نصیحت و ارشاد کند و سر انجام چون امکان دارد این نصایح و اندرزها در برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۷۵

او اثر نکنـد با یک جمله تهدیـدآمیز گفتار خود را پایان میدهـد و می گوید: با توجه به این مطالبی که گفتم باز هم هر چه از دستت برمیآید بکن ولی نتیجه کارت را به زودی خواهی دید.

سورة النحل(16): آية 56 ص: 575

(آیه ۵۶) - در تعقیب بحثهای مستدل پیرامون نفی شرک و بت پرستی، در اینجا به سه قسمت از بدعتها و عادات شوم مشرکان اشاره کرده، می گوید: آنها برای بتهایی که هیچ گونه سود و زیانی از آنها سراغ ندارند، سهمی از آنچه به آنان روزی داده ایم قرار میدهند» (وَ یَجْعَلُونَ لِما لا یَعْلَمُونَ نَصِیباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ).

این سهم، قسمتی از شتران و چهارپایان و بخشی از زراعت بوده که در سوره انعام آیه ۱۳۶ به آن اشاره شده که مشرکان در جاهلیت آنها را مخصوص بتان میدانستند و در راه آنها خرج میکردند.

سپس اضافه می کند: «به خدا سو گند (در دادگاه عدل قیامت) از این دروغها و تهمتها بازپرسی خواهید شد»! (تَاللّهِ لَتُشئُلُنَّ عَمَّا کُنْتُمْ تَفْتَرُونَ).

بنـابراین عمـل زشت و شوم شـما هم زیـان دنیا دارد زیرا قسـمتی از سـرمایههای شـما را میبلعـد و هم زیان مجازات در جهان دیگر.

سورة النحل(16): آية ۵۷ ص: ۵۷۵

(آیه ۵۷)- آنجا که تولید دختر ننگ بود! دومین بیدعت شوم مشرکان این بود که: آنها (در پندار خود) برای خداوند دختران قرار میدهنید منزه است» از این که فرزندی داشته باشید (وَ یَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُرِبْحانَهُ). خداوندی که از هرگونه آلایش جسمانی پاک است.

«ولى براى خودشان آنچه را ميل دارند قائل مىشوند» (وَ لَهُمْ ما يَشْتَهُونَ).

یعنی، هرگز حاضر نبودند همین دختران را که برای خدا قائل شده بودند برای خود نیز قائل شوند و اصلا دختر برای آنها عیب و ننگ محسوب میشد!

سورة النحل(16): آية 58 ص: 575

(آیه ۵۸)- این آیه برای تکمیل مطلب فوق اشاره به سومین عادت زشت و شوم آنها کرده، می گوید: «هنگامی که به یکی از

آنها بشارت داده شود، خمدا دختری به تو داده آن چنان از فرط ناراحتی چهرهاش تغییر میکند که صورتش سیاه میشود»! (وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۷۶ «و مملو از خشم و غضب میگردد» (وَ هُوَ کَظِیمٌ).

سورة النحل(16): آية 59 ص: 278

(آیه ۵۹)–کار به همین جا پایان نمیگیرد او برای نجات از این ننگ و عار که به پنـدار نادرسـتش، دامنش را گرفته «از قوم و قبیله خود به خاطر این بشارت بدی که به او داده شده است متواری می گردد» (یَتَواری مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ).

باز هم دائما در این فکر غوطهور است که «آیا این ننگ را بر خود بپذیرد و دختر را نگهدارد و یا آن را زنده در زیر خاک پنهان سازد»! (أَ یُمْسِکُهُ عَلی هُونٍ أَمْ یَدُسُّهُ فِی التُّراب).

در پایان آیه این حکم ظالمانه و شقاوت آمیز غیر انسانی را با صراحت هر چه بیشتر محکوم کرده، می گوید: «چه بـد حکم می کنند»! (أَلا ساءَ ما یَحْکُمُونَ).

سورة النحل(16): آية 60 ص: 278

اشاره

(آیه ۶۰) – سر انجام ریشه این همه آلودگیها و بدبختیها را چنین معرفی میکند که: اینها همه زاییده عدم ایمان آخرت است و «برای آنها که به سرای آخرت ایمان ندارند صفات زشت است» (لِلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ).

«و براى خداوند صفات عالى است» (وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى).

«و او قادر حكيم است» (وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

فراموش كردن خدا و همچنين فراموش كردن دادگاه عدل او انگيزه همه پستيها و زشتيها و انحرافها و خرافات است.

نقش اسلام در احیای ارزش مقام زن: ص: ۵۷۶

تحقیر و درهم شکستن شخصیت زن، تنها در میان عرب جاهلی نبود، بلکه در میان اقوام دیگر و حتی شاید متمدنترین ملل آن زمان نیز، زن شخصیتی ناچیز داشت، و غالبا با او به صورت یک کالا و نه یک انسان رفتار می شد، البته عرب جاهلی این تحقیر را در اشکال زننده تر و وحشتناکتری انجام می داد.

ولی اسلام ظهور کرد و با این خرافه در ابعاد مختلفش سرسختانه جنگید و خود پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آن قدر به دخترش را بانوی اسلام فاطمه زهرا علیها السّلام احترام می گذاشت که مردم تعجب می کردند، با تمام مقامی که داشت، دست دخترش را می بوسید، و به هنگام مراجعت از سفر نخستین کسی را که دیدار می کرد، دخترش فاطمه بود. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص:

در حدیثی از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم که فرمود: «چه فرزند خوبی است دختر! هم پرمحبت است، هم کمک کار،

هم مونس است و هم پاک و پاک کننده».

در حقیقت این احترام به شخصیت زن سبب آزادی او در جامعه و پایان دادن به دوران بردگی زنان است.

ولی با نهایت تأسف هنوز در جوامع اسلامی، آثاری از همان افکار جاهلی وجود دارد، و هنوز کم نیستند خانوادههایی که از تولد پسر خوشحال و از نوزاد دختر ناراحت میشوند.

حتی در جوامع غربی که تصور می کنند برای زن شخصیت والایی قائلند عملا میبینیم او را آنچنان تحقیر کردهاند که به صورت یک عروسک بیارزش یا وسیلهای برای خاموش کردن آتش شهوت و یا ابزاری برای تبلیغ کالاهایشان در آوردهاند.

سورة النحل(16): آية 61 ص: 277

(آیه ۶۱) – گر حکم شود که مست گیرند ...! بعد از ذکر جنایات وحشتناک مشرکان عرب در زمینه بدعتهای زشت و زنده به گور کردن دختران ممکن است این سؤال برای بعضی پیش آید که چگونه خداوند بندگان گنه کار را با این همه ظلم و جنایت فجیع سریعا کیفر نمی دهد؟! این آیه در مقام پاسخ به همین سؤال است، می گوید: «اگر بنا شود خداوند مردم را به ظلمها و ستمهایی که مرتکب می شوند کیفر دهد، جنبندهای بر پشت زمین باقی نخواهد گذارد»! (وَ لَوْ یُؤاخِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرکَ عَلَیْها مِنْ دَابَّهُ).

و هنگامی که انسانها از میان بروند، فلسفه وجود جنبندگان دیگر، نیز از میان خواهد رفت و نسل آنها قطع میشود.

سپس قرآن به ذكر اين نكته مىپردازد كه خداونـد به همه ظالمان و ستمگران مهلت مىدهـد «و تا اجل مسـمى (زمان معينى) مرگ آنها را به تأخير مىاندازد» (وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلِ مُسَمَّى).

«اما هنگامی که اجل آنها سر رسد، نه ساعتی تأخیر می کننّد، و نه ساعتی پیشی می گیرند» (فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا یَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا یَسْتَقْدِمُونَ). بلکه درست در همان لحظه موعود، مرگ دامانشان را فرا می گیرد و لحظهای پیش و پس نخواهد داشت. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۷۸

سورة النحل(16): آية 67 ص: 278

(آیه ۶۲) – بار دیگر با بیان تازهای بدعتهای زشت و خرافاتی را که عربهای جاهلی داشتند – در زمینه تنفّر از فرزندان دختر و اعتقاد به این که فرشتگان دختران خدایند – محکوم کرده، می گوید: «آنها برای خدا چیزهایی (فرزندان دختر) قرار میدهند که خودشان از آن کراهت دارند»! (وَ یَجْعَلُونَ لِلَّهِ ما یَکْرَهُونَ).

این تناقض عجیبی است، اگر فرشتگان دختران خدایند، پس معلوم می شود دختر چیز خوبی است، چرا شما از فرزندان دختر ناراحت می شوید! و اگر بد است چرا برای خدا قائل هستید؟

«و بـا این حـال آنهـا به دروغ میگوینـد که سـر انجام نیک و پاداش خیر از برای آنهاست» (وَ تَصِفُ أَلْسِـَنتُهُمُ الْكَـذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْني).

با كدام عمل، انتظار چنين پاداشي را دارند؟

لذا بلافاصله مى گويد: «ناچار براى آنها آتش دوزخ است» (لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ). يعنى، نه تنها عاقبت نيكى ندارند، بلكه پايان كارشان جز آتش دوزخ نيست.

«و آنها از پیشگامان در آتشند» (وَ أَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ).

سورة النحل(16): آية 63 ص: 278

(آیه ۶۳) و از آنجا که ممکن است بعد از شنیدن داستان عرب جاهلی برای بعضی این سؤال پیش آید که چگونه ممکن است انسان جگر گوشه خود را با آن قساوت، زنده به زیر خاکها بفرستید؟ در این آیه گویی به پاسخ پرداخته، می گوید:

«به خدا سو گند ما پیش از تو پیامبرانی به سوی امتهای پیشین فرستادیم، ولی شیطان اعمالشان را در نظرشان زینت داد» (تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلی أُمَم مِنْ قَبْلِکَ فَزَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ).

سپس اضافه می کند: گروه مشرکان فعلی نیز دنباله رو همان برنامه های انحرافی امتهای پیشین اند که شیطان اعمالشان را در نظرشان تزیین داده بود و «شیطان امروز ولی و راهنما و سرپرست آنهاست»! (فَهُ وَ وَلِیُهُمُ الْیَ وْمَ). و از رهنمودهای او الهام می گیرند.

«و (به همین جهت) عذاب دردناکی برای آنهاست» (وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ).

سورة النحل(16): آية 64 ص: 278

(آیه ۶۴) – این آیه هدف بعثت پیامبران را بیان می کند تا روشن شود که اگر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۷۹ اقوام و ملتها، هوی و هوسها، و سلیقههای شخصی خود را کنار بگذارند و دست به دامن راهنمایی پیامبران بزنند، اثری از این گونه خرافهها، اختلافها، و اعمال ضد و نقیض باقی نمی ماند، می گوید: «ما قرآن را بر تو نازل نکردیم مگر برای این که آنچه را در آن اختلاف دارند برای آنها روشن کنی» (وَ ما أَنْزَلْنا عَلَیْکُ الْکِتابَ إِلَّا لِتُبَیِّنَ لَهُمُ الَّذِی اخْتَلَفُوا فِیهِ).

(و (این قرآن) مایه هدایت و رحمت است، برای قومی که ایمان می آورند» (وَ هُدیً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ).

سورة النحل(16): آية 65 ص: 279

(آیه ۶۵)- آبها، میوهها، دامها: بار دیگر به بیان نعمتها و مواهب گوناگون پروردگار باز می گردد، که هم تأکیدی است بر مسأله توحید و شناخت خدا، و هم در لابلای آن اشارهای به مسأله معاد است، و هم با ذکر این نعمتها، حس شکرگزاری بندگان را تحریک کرده، آنها را از این طریق به خدا نزدیکتر میسازد.

نخست مى گويد: «خداوند از آسمان آبى فرستاد و زمين را پس از آنكه مرده بود به وسيله آن حيات بخشيد» (وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها).

«در این نشانه روشنی است (از عظمت خدا) برای جمعیتی که گوش شنوا دارند» (إِنَّ فِی ذَلِکَ لَآیَهً لِقَوْم یَسْمَعُونَ). هم نشانهای است از قدرت عظمت آفریدگار، و هم دلیلی است بر امکان معاد و هم نعمت بزرگی است از نعمتهای خداوند.

سورة النحل(16): آية 66 ص: 279

(آیه ۶۶)- بعد از نعمت آب که مسلما نخستین پایه حیات است، به نعمت وجود چهارپایان و مخصوصا ماده غـذایی بسیار

مفیدی مانند شیر که از آنها گرفته میشود اشاره کرده، میگوید: «و در وجود چهارپایان برای شـما درس عبرتی است» (وَ إِنَّ لَکُمْ فِی الْأَنْعام لَعِبْرَةً).

چه عبرتی از این برتر که: «از درون شکم آنها از میان غـذاهای هضم شـده، و خون، شـیر خالص و گوارا به شـما مینوشانیم» (نُسْقِیکُمْ مِمَّا فِی بُطُونِهِ مِنْ بَیْنِ فَرْثٍ وَ دَم لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۸۰

میدانیم که مقدار کمی از غذا مانند بعضی از مواد قندی و همچنین آب از همان دیوارههای معده جذب بدن می شود، اما قسمت عمده، هنگامی که غذای هضم شده منتقل به روده ها شد وارد خون می گردد، و نیز می دانیم که شیر از غدههای مخصوصی که درون پستان است تراوش می کند و مواد اصلی آن از خون و غدههای چربی ساز گرفته می شود.

به این ترتیب این ماده سفید رنگ تمیز خالص، از میان غذاهای هضم شده مخلوط با تفاله ها، و از لابلای خون به دست می آید، و این به راستی عجیب است، سر چشمه ای آن چنان آلوده و تنفر آمیز، اما محصولش این چنین خالص و گوارا و نیروبخش!

سورة النحل(16): آية 67 ص: 580

(آیه ۶۷)- بعد از حیوانات و شیر آنها به بخشی از مواهب گیاهان پرداخته، می گوید: «و خداوند از میوههای درختان نخل و انگور (غذای پربرکتی نصیب شما ساخت که گاه آن را به صورت زیانبار در می آورید و از آن مسکرات (ناپاک) و روزی خوب و پاکیزه می گیرید» (وَ مِنْ تُمَراتِ النَّخِیلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَکَراً وَ رِزْقاً حَسَناً).

«در این نشانه روشنی است برای جمعیتی که اندیشه میکنند» (إِنَّ فِی ذٰلِکُ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ).

سورة النحل(16): آية 64 ص: 580

(آیه ۶۸)- پروردگارت به زنبور عسل وحی فرستاد! در اینجا لحن قرآن به طرز شگفت انگیزی تغییر می یابید و در عین ادامه دادن بحثهای پیشین در زمینه نعمتهای مختلف الهی و بیان اسرار آفرینش، سخن از «زنبور عسل» (نحل) و سپس خود عسل به میان می آورد، اما در شکل یک مأموریت الهی و الهام مرموز که نام «وحی» بر آن گذارده شده است.

نخست می گوید: «و پروردگار تو به زنبور عسل، وحی کرد که خانههایی از کوهها و درختان و داربستهایی که مردم میسازند انتخاب کن» (وَ أَوْحی رَبُّکَ إِلَی النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِی مِنَ الْجِبالِ بُیُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا یَعْرِشُونَ).

«وحی» در اینجا همان فرمان غریزه و انگیزهها و الهام ناخود آگاهی است که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۸۱ خداوند در جانداران مختلف آفریده است.

نخستین مأموریت زنبوران در این آیه مأموریت خانه سازی ذکر شده، و این شاید به خاطر آن است که مسأله مسکن مناسب نخستین شرط زندگی است و به دنبال آن فعالیتهای دیگر امکان پذیر می شود.

سورة النحل(16): آية 69 ص : 581

(آیه ۶۹)- بعد دومین مأموریت زنبور عسل شروع می شود چنانکه قرآن می گوید: ما به او الهام کردیم که: «سپس از تمام ثمرات تناول کن» (ثُمَّ کُلِی مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ).

«و راههایی را که پروردگارت برای تو تعیین کرده به راحتی بپیما» (فَاسْلُکِی سُبُلَ رَبِّکِ ذُلْلًا).

سر انجام آخرین مرحله مأموریت آنها را (به صورت یک نتیجه) این چنین بیان میکند: «از درون زنبوران عسل نوشیدنی مخصوصی خارج میشود که رنگهای مختلفی دارد» (یَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ).

رنگ عسل بر حسب آن که بر چه گل و ثمرهای نشسته و از آن بهره گیری کرده تفاوت می کند.

«در این (شراب حلال) داروی شفابخش مهمی برای مردم است» (فِیهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ).

می دانیم در گلها و گیاهان، داروهای حیات بخشی نهفته شده است و جالب این که دانشمندان از طریق تجربه به این حقیقت رسیده اند که زنبوران به هنگام ساختن عسل آن چنان ماهرانه عمل می کنند که خواص درمانی و دارویی گیاهان کاملا به عسل منتقل شده و محفوظ می ماند! «و در این (ماجرای برنامه زندگی زنبوران عسل و ارمغانی که آنها برای جهان انسانیت می آورند، که هم غذاست، هم شفا و هم درس زندگی) نشانه روشنی (از عظمت و قدرت پروردگار) است برای جمعیتی که می اندیشند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِقَوْم یَتَفَکَّرُونَ).

سورة النحل(16): آية ٧٠ ص: ٥٨١

(آیه ۷۰) – سر چشمه تفاوت روزیها: در اینجا مسأله اثبات خالق یکتا را برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۸۲ تعقیب می کند و آن از طریق دگرگونی و تغییرات نعمتها است که از اختیار انسان بیرون است و نشان می دهد از ناحیه دیگری مقدر می شود.

نخست مى گويد: «و خداوند شما را آفريد» (وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ).

«سپس روح شما را بطور كامل مى گيرد» و مركتان فرا مىرسد (ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ).

هم حیات از ناحیه اوست، و هم مرگ تا بدانید این شما نیستید که آفریننده مرگ و حیاتید.

مقدار طول عمر شما نیز در اختیارتان نیست، بعضی در جوانی یا نزدیک به پیری از دنیا میروند ولی «بعضی از شما به بالاترین و بدترین سالیان عمر (یعنی نهایت پیری) باز می گردند» (وَ مِنْکُمْ مَنْ یُرَدُّ إِلی أَرْذَلِ الْعُمُرِ).

«و نتیجه این عمر طولانی آن خواهـد شد که بعد از علم و دانش و آگاهی چیزی نخواهد دانست» و همه را به دست فراموشـی میسپارد (لِکَیْ لا یَعْلَمَ بَعْدَ عِلْم شَیْئاً).

درست مانند آغاز عمر و سنین کودکی که یک پارچه نسیان بود و فراموشکاری و ناآگاهی، آری «خداوند آگاه و قادر است» (إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ).

همه قدرتها در اختیار اوست و به هر مقدار که صلاح بداند می بخشد و به هر موقع که لازم ببیند می گیرد.

سورة النحل(16): آية ٧١ ص: ٥٨٢

(آیه ۷۱)– در این آیه نیز ادامه می دهد که حتی روزیهای شما به دست شما نیست، «این خداوند است که بعضی از شما را بر بعض دیگری از نظر روزی برتری می دهد» (وَ اللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَکُمْ عَلی بَعْضِ فِی الرِّزْقِ).

«اما آنها که برتری یافتهاند (به خاطر تنگ نظری) حاضر نیستند از آنچه در اختیار دارند به بندگان مملوک خود بدهند (و آنها را در اموال خویش شـریک سازنـد) تــا آنها نیز با ایشان مساوی گردنــد» (فَمَا الَّذِینَ فُضِّلُوا بِرَادِّی رِزْقِهِمْ عَلی ما مَلَکَتْ أَیْمانُهُمْ

فَهُمْ فِيهِ سَواةً).

از این آیه استفاده می شود که مسلمانان در محیط خانواده و در برابر زیر دستان نباید برای خود هیچ گونه فضیلت و امتیازی قائل شوند.

این تفاوت در آمدها از تفاوت استعدادهایی سر چشمه می گیرد که آن هم از بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۲، ص: ۵۸۳ مواهب الهی است، ممکن است در پارهای از موارد اکتسابی باشد ولی در پارهای از موارد نیز قطعا غیر اکتسابی است، بنابراین حتی در یک جامعه سالم از نظر اقتصادی نیز تفاوت در آمدها غیر قابل انکار است، ولی با این حال آنچه پایه اصلی پیروزیها را تشکیل می دهد تلاش و سعی و کوشش آدمی است.

اما نباید تفاوت استعدادها و درآمدها باعث سوء استفاده در راه ایجاد جامعه طبقاتی گردد.

و به همين دليل در پايان آيه ميفرمايد: «آيا آنها نعمت خدا را انكار ميكنند» (أَ فَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ).

اشاره به این که این تفاوتها در صورت طبیعیش (نه صورت مصنوعی و ظالمانه) از نعمتهای خداست که برای حفظ نظام مجتمع بشری و پرورش استعدادهای مختلف ایجاد شده است.

سورة النحل(16): آية 22 ص: 288

(آیه ۷۲)- در این آیه که مانند دو آیه گذشته با کلمه «الله» شروع می شود، و بیانگر نعمتهای خداوند است، اشاره به مواهب او از نظر نیروهای انسانی و معاونان و کمک کاران، و همچنین روزیهای پاکیزه، می کند و این حلقه های سه گانه نعمت را که در این سه آیه ذکر شده تکمیل می نماید.

یعنی، از نظام حیات و مرگ، شروع کرده، سپس تفاوت روزیها و استعدادها را که نظام «تنوع زندگی» است بیان میکند، و با آیه مورد بحث که ناظر به نظام تکثیر مثل بشر، و روزیهای پاکیزه است پایان میگیرد.

مي گويد: «خداوند براي شما از جنس خودتان همسراني قرار داد» (وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً).

همسرانی که هم مایه آرامش روح و جسمند و هم سبب بقاء نسل.

لذا بلافاصله اضافه می کند: «و از همسرانتان برای شما فرزندان و نوهها قرار داد» (وَ جَعَلَ لَکُمْ مِنْ أَزْواجِکُمْ بَنِينَ وَ حَفَدَهً). سپس می فرماید: «و (خداوند) از پاکیزه ها به شما روزی داد» (وَ رَزَقَکُمْ مِنَ الطَّیّباتِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۸۴ و در پایان به عنوان یک نتیجه گیری کلی از این بحث می گوید: آیا آنها با این همه آثار عظمت و قدرت خدا که مشاهده می کنند، و این همه مواهبی که از ناحیه او به آنها ارزانی شده باز سراغ بتها میروند «آیا به باطل ایمان می آورند و نعمت خداوند را انکار می کنند؟» (أَ فَبِالْباطِلِ یُوْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ یَکْفُرُونَ).

سورة النحل(16): آية 23 ص: 584

(آیه ۷۳) - در تعقیب بحثهای توحیدی گذشته، این آیه، به مسأله شرک پرداخته و با لحنی پر از سرزنش و توبیخ می گوید: «آنها غیر از خدا، موجوداتی را میپرستند که هیچ رزقی را برای آنان از آسمانها و زمین در اختیار ندارند» (وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَمْلِکُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ شَیْئاً).

نه تنها مالک چیزی در این زمینه نیستند، بلکه «توانایی (بر خلق و ایجاد و دسترسی به روزیها) نیز ندارند» (وَ لا یَشتَطِیعُونَ).

اشاره به این که مشرکان به این گمان به دنبال پرستش بتها میرفتند که آنها را در سرنوشت و سود و زیان خود، مؤثر می پنداشتند.

سورة النحل(16): آية 24 ص: 584

(آیه ۷۴)- این آیه به عنوان یک نتیجه گیری می گوید: اکنون که چنین است «پس برای خدا امثال (و شبیهها) قائل نشوید» (فَلا تَضْربُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ).

«چرا كه خدا مى داند و شما نمى دانيد» (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ).

جمله «فَلا_ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأُمْثالَ» اشاره به منطقی است که مشرکان عصر جاهلی داشته اند. آنها می گفتند: ما اگر به سراغ بتها می رویم به خاطر این است که ما شایسته پرستش خدا نیستیم باید به سراغ بتها برویم که آنها مقربان درگاه او هستند! خداوند همانند یک پادشاه بزرگ است که وزراء و خاصان او به سراغ او می روند، ولی توده مردم که دسترسی به او ندارند به سراغ حواشی و خاصان و مقربانش خواهند رفت.

قرآن در پاسخ آنها می گوید: «برای خداوند مثال نزنید» یعنی، مثالی که متناسب با افکار محدود و موجودات «ممکن» و مملوّ از نقایص است.

خدایی که شما را دعوت به نیایش و سخن گفتن مستقیم با خودش کرده، و درهای خانهاش را شب و روز به روی شما باز گذارده، این خدا را نباید به پادشاه برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۸۵

جبار مستکبری تشبیه کرد که درون قصرش خزیده و جز عده معدودی، راه به درون خانه او ندارند.

سورة النحل(16): آية 25 ص: 285

(آیه ۷۵)– دو مثال زنده برای مؤمن و کافر! در تعقیب آیات گذشته که از ایمان و کفر و مؤمنان و مشرکان سخن می گفت در این آیه و آیه بعد با ذکر دو مثال زنده و روشن، حال این دو گروه را مشخص می کند:

در نخستین مثال، «مشرکان» را به برده مملوکی که توانایی هیچ چیز را ندارد، و «مؤمنان» را به انسان غنی و بینیازی که از امکانات خود همگان را بهرهمند میسازد تشبیه میکند، و می گوید: «خداوند مثالی زده: برده مملوکی را که قادر بر هیچ چیز نیست»! (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْداً مَمْلُوکاً لا یَقْدِرُ عَلی شَیْءٍ).

آری! بنده بندگان خدا بودن، نتیجهای جز اسارت و محدودیت از هر نظر نخواهد داشت.

و در مقابل آن انسان با ایمانی را مثل زده، میفرماید: «و کسی که از جانب خویش به او رزق حسن (و انواع روزیها و مواهب پاکیزه) بخشیدهایم» (وَ مَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رزْقاً حَسَناً).

«این انسان (آزاده با داشتن امکانات فراوان) پنهان و آشکار از آنچه در اختیار دارد انفاق میکند» (فَهُوَ یُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْراً). «آیا این دو نفر یکسانند؟!» (هَلْ یَشْتَوُونَ). مسلما نه! بنابراین «همه حمد و ستایش مخصوص خداست» (الْحَمْدُ لِلَّهِ).

خداوندی که بندهاش آزاده و پرقدرت و پربخشش است، نه از آن بتها که بندگانشان آن چنان ناتوان و محدود و بیقدرت و اسیرند! «ولی اکثر آنها (مشرکان) نمیدانند» (بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْلَمُونَ).

سورة النحل(16): آية 76 ص: 585

(آیه ۷۶) - دگر بار مثال گویای دیگری برای بندگان بت، و مؤمنان راستین می زند و آنها را به ترتیب به گنگ مادر زادی که در عین حال برده و ناتوان است، و یک انسان آزاده گویا که دائما به عدل و داد دعوت می کند و بر صراط مستقیم قرار دارد تشبیه نموده، می فرماید: «و خداوند دو مرد را مثل زده: که یکی از آنها گنگ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۸۶ مادرزاد است و قادر بر هیچ کاری نیست» (وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَیْنِ أَحَدُهُما أَبْکَمُ لا یَقْدِرُ عَلی شَیْءٍ).

«و او (در عین برده بودن) سرباری است برای مولا و صاحبش» (وَ هُوَ كَلَّ عَلى مَوْلاهُ).

به همين دليل «او را به دنبال هر كارى بفرستد خوب انجام نمىدهد» (أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْر).

به این ترتیب او دارای چهار صفت کاملا منفی است: گنگ مادرزاد بودن، ناتوانی مطلق، سربار صاحبش بودن، و هنگامی که به دنبال کاری فرستاده شود، هیچ گام مثبتی بر نخواهد داشت.

«آیا چنین انسانی با آن کس که (زبان گویا و فصیح دارد، و) مرتبا امر به عـدل و داد میکنـد، و بر جاده صاف، و راه راست قرار دارد، مساوی است»؟! (هَلْ یَشْتَوِی هُوَ وَ مَنْ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیم).

سورة النحل(16): آية 27 ص: 586

(آیه ۷۷) – و از آنجا که غالبا دیدهایم قرآن، بحثهای مربوط به توحید و مبارزه با شرک را با مسائل مربوط به معاد و دادگاه بزرگ قیامت می آمیزد، در اینجا نیز بعد از گفتاری که در آیات قبل در زمینه شرک و توحید گذشت، به سراغ معاد می رود و به پاسخ قسمتی از ایرادات مشرکان – که می گفتند: هنگامی که ما مردیم و ذرات خاک ما در هر گوشهای پراکنده شد، چه کسی از آنها آگاهی دارد که جمع آوریشان کند؟

و سپس پرونده آنها را مورد رسیدگی قرار دهد- پرداخته، نخست می گوید: «غیب آسمانها و زمین را مخصوص خداست» و او همه را میداند (وَ لِلَّهِ غَیْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

سپس اضافه مي كند: «و امر قيامت (به قدري نزديك و آسان است) درست همانند چشم بر هم زدن و يا از آن هم نزديكتر»! (وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْح الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ).

این دو جمله اشارهای است زنده و گویا به قدرت بیانتهای خداوند مخصوصا در زمینه مسأله معاد و رستاخیز انسانها، لذا در پایان آیه می فرماید: «چون خدا بر هر چیزی تواناست» (إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَيْءٍ قَدِیرٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۸۷

سورة النحل(16): آية 28 ص: 288

(آیه ۷۸)- انواع نعمتهای مادی و معنوی: بار دیگر قرآن به عنوان یک درس توحید و خداشناسی به مسأله نعمتهای گوناگون پروردگار باز می گردد، و در این بخش از نعمتها نخست به نعمت علم و دانش و ابزار شناخت اشاره کرده، می گوید: «و خداوند شما را از شکم مادرانتان بیرون فرستاد در حالی که هیچ نمیدانستید» (وَ اللَّهُ أَخْرَ جَکُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ لا تَعْلَمُونَ شَعْنًا).

البته در آن محیط محدود و تاریک و وابسته، این جهل و بیخبری قابل تحمل بود، ولی به هنگامی که در فراخنای این عالم پهناور گام گذاردید، دیگر ادامه آن جهل امکان پذیر نبود، لذا ابزار درک حقایق و شناخت موجودات، یعنی، «گوش و چشم و عقل در اختیار شما گذارد» (وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةُ).

تا حقایق هستی، و این نعمتهای بزرگ را درک کنید، و حس شکر گزاری شما در برابر بخشنده این همه موهبت تحریک گردد «شاید شکر او را به جای آورید» (لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ).

سورة النحل(16): آية ٧٩ ص: ٥٨٧

(آیه ۷۹)- در این آیه اسرار عظمت خدا را در پهنه هستی همچنان ادامه میدهد، و می گوید: «آیا آنها به پرندگانی که بر فراز آسمان حرکت دارند نظر نیفکندند»؟ (أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِی جَوِّ السَّماءِ).

و از آنجا که طبیعت اجسام، جذب شدن به سوی زمین است، حرکت پرندگان در بالای زمین را با عنوان مسخرات (تسخیر شدهها) بیان کرده است.

سپس اضافه می کند: «هیچ کس جز خدا آنها را (این چنین) نگه نمی دارد» (ما یُمْسِکُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ).

درست است که خاصیت طبیعی بالها و عضلاتی که در آن آفریده شده و شکل مخصوص پرندگان و ویژگیهایی که در هوا موجود است، دست به دست هم داده و به پرندگان امکان پرواز میدهند، ولی چه کسی- جز خدای علیم و قدیر- این شکل و خواص را آفریده؟

و در پایان آیه می فرماید: «در این امر نشانه هایی است (از عظمت و قدرت خدا) برای کسانی که ایمان دارند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْم یُوْمِنُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۸۸

یعنی، با چشم کنجکاو و حقیقت جو، این امور را مینگرنـد و به تجزیه و تحلیل آن میپردازنـد و در پرتو آن ایمانشان قویتر و راسختر می گردد.

سورة النحل(16): آية 80 ص: 888

(آیه ۸۰)– در این آیه نیز مسأله بیان نعمتها ادامه یافته، میفرماید:

«و خداوند برای شما از خانه هایتان محل سکونت قرار داد» (وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُیُوتِكُمْ سَكَناً).

و حقا نعمت «مسكن» از مهمترين نعمتهايي است كه تا آن نباشد، بقيه گوارا نخواهد بود.

و به دنبال ذکر خانه های ثابت سخن از خانه های سیّار به میان آورده، می گوید: «و خداوند برای شما از پوست چهارپایان خانه هایی قرار داد» (وَ جَعَلَ لَکُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعام بُیُوتاً).

خانههایی که بسیار سبک و کم وزن است «و به َهنگام کوچ کردن و موقع اقامت به آسانی آن را جابهجا میکنید» (تَسْتَخِفُّونَها یَوْمَ ظَعْنِکُمْ وَ یَوْمَ إِقَامَتِکُمْ).

«علاوه بر این از پشمها و کرکها و موهای این چهارپایان (برای شما) اثاث و متاع و وسائل مختلف زندگی تا زمان معینی قرار داد» (وَ مِنْ أَصْوافِها وَ أَوْبارِها وَ أَشْعارِها أَثاثاً وَ مَتاعاً إِلى حِينِ).

ذكر دو تعبير «أُثاثاً» و «مَتاعاً» پشت سـر هم ممكن است اشاره به اين باشد كه شما مى توانيد از پشم و كرك و موى چهارپايان،

وسائل زیادی برای خانههای خود فراهم سازید و از آن متمتع گردید.

سورة النحل(16): آية 81 ص: 888

(آیه ۸۱)- سایه ها، مسکنها و پوششها: سپس به سراغ یکی دیگر از نعمتهای الهی رفته، می گوید: «و خداوند از آنچه آفریده است سایه هایی برای شما قرار داد» (وَ اللَّهُ جَعَلَ لَکُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالًا).

«و از كوهها، براى شما پناهگاههاى قرار داد» (وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً).

ذکر نعمت «سایهها» و «پناهگاههای کوهستانی» پس از ذکر نعمت «خانهها» و «خیمهها» که در آیه قبل گذشت گویا اشاره به این است که انسانها از سه گروه خارج نیستند: گروهی در شهرها و آبادیها زندگی میکنند و از خانهها بهره می گیرند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۸۹

گروهی دیگر که در سفرند و خیمه با خود دارند از خیمه ها استفاده می کنند، اما خداوند گروه سوم یعنی، مسافرانی که حتی خیمه با خود ندارند، محروم نگذاشته، و در مسیر راه پناهگاههایی برای آنها تهیه دیده است.

سپس در تعقیب این سایبانهای طبیعی و مصنوعی به سراغ پوششهای تن انسان میرود و می گوید: «خداونـد برای شـما پیراهنهایی قرار داد که شما را از گرما حفظ می کند» (وَ جَعَلَ لَکُمْ سَرابِیلَ تَقِیکُمُ الْحَرَّ).

«و (همچنین) پیراهنهایی که به هنگام جنگ، حافظ شماست» (وَ سَرابِیلَ تَقِیکُمْ بَأْسَکُمْ).

البته پوشش و لباس فایدهاش تنها این نیست که انسان را از گرما و سرما حفظ کند، بلکه هم شکوهی است برای انسان و هم در برابر بسیاری از خطراتی که متوجه جسم او میشود لباس یک وسیله دفاعی است.

در پایان آیه به عنوان یک تـذکر و هشـدار می گوید: «این گونه خداوند نعمتش را بر شـما تمام میکند شاید در برابر فرمان او تسلیم شوید» (کَذلِکَ یُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکُمْ لَعَلَّکُمْ تُسْلِمُونَ).

این طبیعی است که انسان با بررسی نعمتهای مختلفی که وجودش را احاطه کرده بیاختیار به یاد آفریننده نعمتها میافتد.

سورة النحل(16): آية 82 ص: 889

(آیه ۸۲)- بعد از ذکر این نعمتهای آشکار و نهان میفرماید: «با این همه اگر آنها روی برتابند (و تسلیم دعوت حق نشوند، نگران مباش) چرا که وظیفه تو فقط ابلاغ آشکار است» (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَیْکَ الْبَلاعُ الْمُبِینُ).

این جمله در حقیقت، برای دلداری پیامبر صلّی الله علیه و آله و تسلی خاطر اوست.

سورة النحل(16): آية 83 ص: 589

(آیه ۸۳) - و برای تکمیل این گفتار اضافه می کند که: «آنان نعمت خدا را می شناسند (و به ابعاد آن آشنا هستند و به عمقش پی بردهاند) ولی با این حال باز انکار می کنند» (یَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ یُنْکِرُونَها).

بنابراین، دلیل کفر آنها را در عدم آگاهی نباید جستجو کرد، بلکه عامل این کفر را در صفات زشت دیگر آنها که سد راه ایمانشان شده است باید یافت. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۹۰

و شايد به همين دليل در پايان آيه اضافه مي كند: «و اكثر آنها كافرند» (وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ).

سورة النحل(16): آية 84 ص: ٥٩٠

(آیه ۸۴)- آنجا که تمام درها به روی بدکاران بسته می شود! در تعقیب آیات گذشته که واکنش نادرست منکران حق را در برابر نعمتهای گوناگون پروردگار بیان می کرد، در اینجا به گوشه ای از مجازاتهای دردناک آنها در جهان دیگر اشاره می کند. نخست می گوید: «و به خاطر بیاورید روزی را که ما از هر امتی گواهی (بر آنها) مبعوث می کنیم» (وَ یَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ کُلِّ أُمَّهُ شَهیداً).

سپس اضافه می کند که در آن دادگاه «اجازه سخن گفتن به کافران داده نمی شود» (ثُمَّ لا یُؤْذَنُ لِلَّذِينَ کَفَرُوا).

آیا ممکن است خداوند اجازه دفاع به مجرمی ندهد؟ آری! در آنجا نیاز به سخن گفتن با زبان نیست! دست و پا و گوش و چشم و پوست بدن و حتی زمینی که انسان بر آن گناه یا ثواب کرده است، گواهی می دهند بنابراین، نوبت به زبان نمی رسد. نه تنها به آنها اجازه سخن گفتن داده نمی شود بلکه «توانایی بر جبران و اصلاح و تقاضای عفو نیز ندارند» (وَ لا هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ). چرا که آنجا که سرای برخورد با نتیجه ها و بازتابهای عمل است نه جای انجام عمل و یا جبران و اصلاح.

سورة النحل(16): آية 80 ص: 990

(آیه ۸۵)- در این آیه اضافه می کند این ظالمان ستم پیشه هنگامی که از مرحله حساب گذشته و در برابر عـذاب الهی قرار گرفتنـد گـاهی تقاضای تخفیف و گاهی تقاضای مهلت می کننـد، اما «هنگامی که ظالمان مجازات را ببیننـد نه به آنها تخفیف عذاب داده می شود و نه مهلت» (وَ إذا رَأَی الَّذِینَ ظَلَمُوا الْعَذابَ فَلا یُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَ لا هُمْ یُنْظُرُونَ).

سورة النحل(16): آية 86 ص: 590

(آیه ۸۶) - در این آیه همچنان، سخن از آینده شوم مشرکان، به خاطر پرستیدن بتها است، می فرماید، در صحنه قیامت که معبودهای ساختگی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۹۱

و انسانهایی که همچون بت پرستش میشدند در کنار پرستش کنندگان قرار می گیرند، «و هنگامی که مشرکان معبودهایی را که همتای خدا قرار دادند میبینند، می گویند:

«پروردگارا! اینها همتایانی هستند که ما به جای تو آنها را میخواندیم»! (وَ إِذَا رَأَی الَّذِینَ أَشْرَكُوا شُـرَکاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنا هَؤُلاءِ شُرَکاؤُنَا الَّذِینَ کُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِکَ).

این معبودان نیز، ما را در این کار وسوسه کردند و در حقیقت شریک جرم ما بودند، بنابراین، سهمی از عذاب و مجازات ما را برای آنها قرار ده.

«و در این هنگام (به فرمان خـدا) معبودان (به سـخن در می آینـد و) آنها می گوینـد: شـما قطعا دروغگو هستیـد»! (فَأَلْقُوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ).

ما نه شریک خدا بودیم و نه شما را وسوسه کردیم و نه محکوم به پذیرش بخشی از مجازاتتان هستیم.

سورة النحل(16): آية 87 ص: 291

(آیه ۸۷) - در این آیه اضافه می کند که بعد از این سخن و شنیدن پاسخ «همگی در پیشگاه خدا اظهار تسلیم می کنند» (وَ أَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ یَوْمَئِةِ لِالسَّلَمَ). و غرور و نخوت و تعصبهای کورکورانه این عابدان نادان با دیدن چهره حق کنار میرود و سر تعظیم در پیشگاهش فرود می آورند و (در این هنگام) تمام آنچه را (نسبت به خدا) دروغ می بستند، گم و نابود می شود»! (وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ).

هم نسبت دروغین شریک خدا بودن، محو و بیرنگ میشود، و هم پندار شفاعت بتها در پیشگاه خدا، بلکه همانها آتشگیرههای دوزخ میشوند و به جان پرستش کنندگانشان میافتند!

سورة النحل(16): آية 88 ص: 291

(آیه ۸۸)- تا اینجا بیان حال مشرکان گمراهی بود که در شرک و انحراف خود غوطهور بودند، بی آنکه دیگری را به این راه بخوانند، سپس حال کسانی را بیان می کند که در عین گمراهی به گمراه ساختن دیگران نیز اصرار دارند، می فرماید: «کسانی که کافر شدند و مردم را از راه خدا باز داشتند، مجازاتی مافوق مجازات کفرشان بر آنها می افزاییم در برابر آنچه فساد می کردند» (الَّذِینَ کَفَرُوا وَ صَدِدُّوا عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ بِما کانُوا یُفْسِدُدُونَ). چرا که عامل فساد در روی زمین و گمراهی خلق خدا، و مانع از پیمودن راه حق شدند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۹۲

در حدیث مشهوری میخوانیم: «هر کس سنت نیکی بگذارد، پاداش کسانی که به آن عمل کنند برای او هست بی آنکه از پاداش آنها کاسته شود، و هر کس سنت بدی بگذارد، گناه همه کسانی که به آن عمل می کنند بر او نوشته می شود، بی آنکه از گناه آنها چیزی کاسته شود».

سورة النحل(16): آية 84 ص: 292

(آیه ۸۹)- سپس به دنبال سخنی که از وجود «گواه» در هر امتی در چند آیه قبل به میان آمد مجددا به سراغ آن بحث با توضیح بیشتری می رود، می گوید: «و به خاطر بیاورید آن روز را که ما از میان هر امتی گواهی از خود آنها بر آنها مبعوث می کنیم» (وَ یَوْمَ نَبْعَثُ فِی کُلِّ أُمَّةٍ شَهِیداً عَلَیْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ).

گرچه این حکم عـام شامـل مسـلمانان و پیـامبر اسـلام صـلّی الله علیه و آله نیز میشود، ولی برای تأکیـد بیشتر خصوصـا آن را مطرح کرده، میفرماید: «و ما تو را شاهد و گواه بر این گروه مسلمانان قرار میدهیم» (وَ جِنْنا بِکَ شَهِیداً عَلی هؤُلاءِ).

و از آنجا که قرار دادن شهید و گواه فرع بر این است که قبلاً برنامه کامل و جامعی در اختیار افراد قرار داده شده باشد، بطوری که حجت بر همگی تمام شود، تا به دنبال آن، مسأله نظارت و مراقبت مفهوم صحیحی پیدا کند، لذا بلافاصله می گوید: «و ما این کتاب آسمانی (قرآن) را بر تو نازل کردیم که بیانگر همه چیز است» (وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ).

«و هم هدایت است و هم رحمت، و هم مایه بشارت برای همه مسلمانان جهان» (وَ هُدَیٌّ وَ رَحْمَةً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ).

سورة النحل(16): آية 9 ص: 292

(آیه ۹۰)- جامعترین برنامه اجتماعی: این آیه نمونهای از جامعترین تعلیمات اسلام در زمینه مسائل اجتماعی، و انسانی و

اخلاقي را بيان مي كند.

در آغاز میگوید: «خداوند فرمان به عدل و احسان میدهد و (همچنین) بخشش به نزدیکان» (إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إیتاءِ ذِی الْقُرْبی).

«عدل» همان قانونی است که تمام نظام هستی بر محور آن می گردد. و به معنی واقعی کلمه آن است که هر چیزی در جای خود باشد بنابراین، هر گونه انحراف، افراط، تفریط، تجاوز از حد، تجاوز به حقوق دیگران بر خلاف اصل بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۹۳

«عدل» است.

اما از آنجا که عدالت با همه قدرت و شکوه و تأثیر عمیقش در مواقع بحرانی و استثنایی به تنهایی کارساز نیست، بلافاصله دستور به احسان را پشت سر آن می آورد.

در حدیثی از علی علیه السّم میخوانیم: «عدل آن است که حق مردم را به آنها برسانی، و احسان آن است که بر آنها تفضل کنی».

بعد از تکمیل این سه اصل مثبت، به سه اصل منفی و منهی می پردازد و می گوید: «خداوند از فحشاء و منکر و ظلم و ستم، نهی می کند» (وَ یَنْهی عَن الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ وَ الْبَغْی).

«فحشاء» اشاره به گناهان پنهانی، «منکر» اشاره به گناهان آشکار، و «بغی» هر گونه تجاوز از حق خویش و ظلم و خود برتربینی نسبت به دیگران است.

و در پایان آیه، به عنوان تأکید مجدد روی تمام این اصول ششگانه میفرماید: «خداونـد به شـما انـدرز میدهد شاید متذکر شوید» (یَعِظُکُمْ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ).

احیای اصول سه گانه عدل و احسان و ایتاء ذی القربی و مبارزه با انحرافات سه گانه فحشاء و منکر و بغی در سطح جهانی، کافی است که دنیایی آباد و آرام و خالی از هر گونه بـدبختی و فساد بسازد، و اگر از ابن مسعود صـحابی معروف نقل شـده که: «این آیه جامعترین آیات خیر و شرّ در قرآن است» به همین دلیل است.

سورة النحل(16): آية 91 ص: 293

اشاره

(آیه ۹۱)

شأن نزول: ص: ۵۹۳

در آن هنگام که جمعیت مسلمانان کم، و دشمنان فراوان بودند، و امکان داشت بعضی از مؤمنان به خاطر همین تفاوت و احساس تنهایی، بیعت خود را با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بشکنند و از حمایت او دست بردارند، آیه نازل شد و به آنها در این زمینه هشدار داد. استحکام پیمانهای شما دلیل بر ایمان شماست! در اینجا به بخش دیگری از مهمترین تعلیمات اسلام پرداخته، نخست می فرماید: «و هنگامی که با خدا عهد بستید به عهد او وفا کنید» (وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۹۴

سپس اضافه مي كند: «و سو گندها را بعد از محكم ساختن نقض نكنيد» (وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها).

«در حالى كه (به نـام خـدا سوگنـد ياد كردهايـد و) خداونـد را كفيل و ضامن بر سوگنـد خود قرار دادهايـد» (وَ قَـدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَـٰكُمْ كَفـلًا).

«چرا كه خداوند از تمام اعمال شما آكاه است» (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ).

مسأله «ایمان» (جمع یمین به معنی سوگند) که در آیه فوق آمده معنی وسیعی دارد که هم تعهداتی را که انسان با سوگند در برابر خداوند کرده، شامل می گردد، و هم تعهداتی را که با تکیه بر قسم در برابر خلق خدا می کند.

و به تعبیر دیگر هرگونه تعهدی که زیر نام خدا و با سوگند به نام او انجام میگیرد در این جمله وارد است.

سورة النحل(16): آية 92 ص: 294

(آیه ۹۲) - و از آنجا که مساله وفای به عهد، یکی از مهمترین پشتوانه ها برای ثبات هر جامعه است در این آیه نیز با لحن توأم با نوعی سرزنش و ملامت، آن را تعقیب کرده، می گوید و شما «همانند آن زن (سبک مغز) نباشید که پشمهای تابیده خود را پس از استحکام وامی تابید» (وَ لا تَکُونُوا کَالَّتِی نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّهُ أَنْکاتًا).

اشاره به داستان زنی است از قریش به نام «رائطه» در زمان جاهلیت که از صبح تا نیم روز، خود و کنیزانش، پشمها و موهایی را که در اختیار داشتند می تابیدند، و پس از آن دستور می داد همه آنها را واتابند و به همین جهت به عنوان «حمقاء» (زن احمق) در میان عرب، معروف شده بود.

سپس اضافه می کند: «در حالی که سوگند (و پیمان) خود را وسیله خیانت و فساد قرار می دهید، به خاطر این که گروهی، جمعیتشان از گروه دیگر بیشتر است» و کثرت دشمن را بهانهای برای شکستن بیعت با پیامبر می شمرید (تَتَّخِذُونَ أَیْمانَکُمْ دَخَلًا بَیْنَکُمْ أَنْ تَکُونَ أُمَّةً هِیَ أَرْبی مِنْ أُمَّةً).

آگاه باشید! «خدا فقط شما را با این وسیله، مورد آزمایش قرار میدهد» (إِنَّما یَبْلُوکُمُ اللَّهُ بِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۹۵

به هر حال «خداوند (نتیجه این آزمایش و) آنچه را در آن اختلاف داشتید در روز قیامت برای شـما آشکار میسازد» و پرده از روی اسرار دلها بر میدارد و هر کس را به جزای اعمالش میرساند (وَ لَیُبَیِّنَنَّ لَکُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ مَا کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ).

سورة النحل(16): آية 93 ص: 295

(آیه ۹۳) - و از آنجا که بحث از آزمایش الهی و تأکید بر ایمان و انجام وظائف، غالبا این توهم را ایجاد می کند که مگر برای خدا مشکل است که همه انسانها را اجبارا به قبول حق وادار سازد، لذا در این آیه به پاسخ این توهم پرداخته می گوید: «و اگر

خدا ميخواست، همه شما را امت واحدى قرار ميداد» (وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً).

«امت واحده» از نظر ایمان و قبول حق، ولی بدیهی است این پذیرش حق نه گامی به سوی تکامل است نه دلیلی بر افتخار پذیرنده آن، لذا سنت خدا این است که همگان را آزاد بگذارد، تا با اختیار خود، راه حق را بپویند.

ولی این آزادی به آن معنی نیست که از ناحیه خدا، هیچ گونه کمکی به پویندگان این راه نمی شود، بلکه آنها که قدم در راه حق می گذارند از این موهبت محروم می گردند و حق می گذارند توفیق خداوند شامل حالشان می شود، و آنها که در راه باطل گام می گذارند از این موهبت محروم می گردند و بر گمراهیشان افزوده می شود.

لذا بلافاصله می گوید: «لکن خدا هر کس را بخواهـد گمراه می کند و هر کس را بخواهد هدایت» (وَ لکِنْ یُضِلُّ مَنْ یَشاءُ وَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ).

اما این هدایت و اضلال الهی هرگز سلب مسؤولیت از شما نمی کند، زیرا گامهای نخستین آن، از خود شماست به همین دلیل اضافه می کند: «و شما بطور قطع در برابر اعمالی که انجام میدادید مسؤولید، و از شما بازپرسی می شود» (وَ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

سورة النحل(16): آية 94 ص: 595

(آیه ۹۴)- سپس برای تأکید بر مسأله وفای به عهد و ایستادگی در برابر سوگندها که از عوامل مهم ثبات اجتماعی است می گوید: «سوگندهایتان را وسیله تقلب و خیانت در میان خود قرار ندهید» (وَ لا تَتَّخِذُوا أَیْمانَکُمْ دَخَلًا بَیْنَکُمْ).

زیرا این امر دو زیان بزرگ دارد اول این که: سبب می شود که «گامی بعد از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۹۶ ثابت گشتن (بر ایمان) متزلزل شود» (فَتَرِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها).

زیان دیگر این که: «و به خاطر بازداشتن (مردم) از راه خدا، آثار سوء آن را بچشید! و برای شما، عذاب عظیمی خواهد بود»! (وَ تَذُوقُوا السُّوءَ بِما صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِیل اللَّهِ وَ لَکُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ).

در حقیقت پیمان شکنیها و تخلف از سوگندها، از یک سو موجب بـدبینی و تنفر مردم از آیین حق و پراکنـدگی صفوف و بیاعتمادی میگردد، تا آنجا که مردم رغبت به پذیرش اسـلام نشان نمیدهند و اگر پیمانی با شـما بستند خود را ملزم به وفای به آن نمیدانند، و این خود مایه ناراحتیهای فراوان و شکست و تلخ کامی در دنیاست.

و از سویی دیگر عذاب الهی را در سرایی دیگر، برای شما به ارمغان می آورد.

سورة النحل(16): آية 95 ص: 598

اشاره

(آیه ۹۵)

شأن نزول: ص: ۵۹۶

در مورد نزول این آیه و دو آیه بعد نقل شده: مردی از اهالی «حضر موت» خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله رسید عرض کرد: ای رسول خدا! همسایه ای به نام «امرؤ القیس» دارم که قسمتی از زمین مرا غصب کرده است.

پیامبر صلّی الله علیه و آله امرؤ القیس را خواست و از او در این زمینه سؤال کرد، او در پاسخ همه چیز را انکار نمود، پیامبر صلّی الله علیه و آله به او پیشنهاد سوگند کرد.

به هنگامی که امرؤ القیس برخواست تا سوگند یاد کند، پیامبر صلّی الله علیه و آله به او مهلت داد-و فرمود: در این باره بیندیش و بعدا سوگند یاد کن.

آن دو بازگشتند و در این حال، دو آیه اول نازل شد- و آنها را از سوگند دروغ و عواقب آن برحذر داشت.

هنگامی که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله این دو آیه را برای آنها خوانـد، امرؤ القیس گفت حق است، من قسـمتی از زمین او را غصب کردهام، ولی نمیدانم چه مقدار بوده است؟

اکنون که چنین است هر مقدار میخواهد (و میداند حق اوست) برگیرد، و معادل آن هم بر آن بیفزاید به خاطر استفادهای که در این مدت از زمین او کردهام.

در این هنگام آیه (۹۷) نازل شد- و به کسانی که عمل صالح تو أم با ایمان دارند بشارت «حیات طیّبه» داد.

تفسير: ص: ۵۹۶

در تعقیب آیات گذشته که از زشتی پیمان شکنی و سوگند دروغ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۹۷

سخن می گفت این آیه تأکیدی بر همان مطلب دارد با این تفاوت که انگیزه پیمان شکنی و سوگند دروغ در آیات قبل مسأله مرعوب شدن در برابر اکثریت عددی بود، و در اینجا انگیزه آن مسأله جلب منافع بی ارزش مادی است.

لذا مى گويد: «و هر گز پيمان الهى را با بهاى كمى مبادله نكنيد» (وَ لا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا). يعنى هر بهايى در برابر آن بگيريد كم و ناچيز است، حتى اگر تمام دنيا را به شما بدهند ارزش يك لحظه وفاى به عهد الهى را ندارد.

س به عنوان دليل اضافه مي كند: «آنچه نزد خداست براى شما بهتر است اگر بدانيد» (إِنَّما عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

سورة النحل(16): آية 96 ص: 297

(آیه ۹۶) - در این آیه دلیل این برتری را چنین بیان می کند: «آنچه نزد شماست سر انجام فانی و نابود می شود، اما آنچه نزد خداست باقی و جاودان می ماند» (ما عِنْدَ کُمْ یَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ).

بیاییـد و سـرمایههای خود را برای خدا و در راه خدا و جلب رضای او به کار اندازید تا مصداق «عِنْدَ اللَّهِ» گردد، و به مقتضای «ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ» باقی و برقرار شود.

سپس اضافه می کنـد: «و مـا کسـانی را که (در راه اطاعت فرمانمان بخصوص ایسـتادگی در برابر سوگنـدها و عهـدها) صبر و استقامت میکنند به بهترین اعمالشان پاداش خواهیم داد» (وَ لَنَجْزِیَنَّ الَّذِینَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما کانُوا یَعْمَلُونَ).

تعبير به «احسن» دليل بر اين است كه اعمال نيك آنها همه يكسان نيست، بعضي خوب است و بعضي خوبتر، ولي خداوند همه

را به حساب خوبتر می گذارد، و پاداش خوبتر را به آنها میدهد، و این نهایت بزرگواری است.

سورة النحل(16): آية 97 ص: 597

(آیه ۹۷) و به دنبال آن به صورت یک قانون کلی نتیجه اعمال صالح تو أم با ایمان را از هر کس و به هر صورت تحقق یابد، در این دنیا و جهان دیگر، بیان می کند، می گوید: «هر کس عمل صالح انجام دهد در حالی که مؤمن باشد، خواه مرد یا زن به او حیات پاکیزه می بخشیم، و پاداش آنها را به بهترین اعمالی که انجام میدادند خواهیم داد» (مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشی وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْیِیَنَّهُ حَیاةً طَیِّبَةً وَ لَنَجْزِیَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما کانُوا یَعْمَلُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۹۸

و به این ترتیب معیار، تنها «ایمان» و «اعمال صالح زاییده آن» است و دیگر هیچ قید و شرطی نه از نظر سن و سال، نه از نظر نثراد، نه از نظر جنسیت و نه از نظر پایه و رتبه اجتماعی در کار نیست.

«حیات طیّبه» یعنی، زندگی پاکیزه از هر نظر، پاکیزه از آلودگیها، ظلمها و خیانتها، عداوتها و دشمنیها، اسارتها و ذلتها و انواع نگرانیها و هرگونه چیزی که آب زلال زندگی را در کام انسان ناگوار میسازد.

سورة النحل(16): آية 98 ص: 598

(آیه ۹۸) - این گونه قرآن بخوان! این آیه طرز استفاده از قرآن مجید و چگونگی تلاوت آن را بیان می کند، زیرا پربار بودن محتوای قرآن به تنهایی کافی نیست، باید موانع نیز از وجود ما و از محیط فکر و جان ما برچیده شود تا به آن محتوای پربار دست یابیم.

لذا نخست مى گويد: «پس هنگامى كه قرآن مىخوانى از شرّ شيطان مطرود شده به خدا پناه بر» (فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيم).

البته منظور تنها ذكر جمله «اعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم» نيست، بلكه بايد اين «ذكر» را تبديل به «فكر» كنيم و اين فكر مقدمه تحقق حالتي در نفس و جان انسان گردد، حالت توجه به خدا، حالت جدايي از هوي و هوسهاي سركشي كه مانع فهم و درك صحيح انسان است و به هنگام خواندن هر آيه به خدا پناه بريم از اين كه وسوسههاي شيطان حجابي ميان ما و كلام حياتبخش خداوند گردد.

و تا چنین حالتی در روح و جان انسان پیدا نشود، درک حقایق قرآن برای او ممکن نیست.

جمال یار ندارد حجاب و پرده ولی غبار ره بنشان تا نظر توانی کرد!

تا نفس مبرّا از نواهی نشود دل آینه نور الهی نشود!

سورة النحل(16): آية 99 ص: 298

(آیه ۹۹)– این آیه در حقیقت دلیلی است بر آنچه در آیه قبل گفته شده بود، میفرماید: «شیطان تسلّطی بر کسانی که ایمان دارند و بر پروردگارشان توکل میکنند ندارد» (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ).

سورة النحل(16): آية 100 ص: 298

(آیه ۱۰۰)- «تنها تسلط او بر کسانی است که او را دوست می دارند و به برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۵۹۹ رهبری و سرپرستی خود انتخابش کرده اند» (إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ).

«و آنها که او را شریک خدا در اطاعت و بندگی قرار دادهاند» (وَ الَّذِینَ هُمْ بِهِ مُشْرِکُونَ). و فرمان شیطان را به جای فرمان خدا واجب الاجرا میدانند! بنابراین سلطه شیطان بر انسانها اجباری و ناخود آگاه نیست بلکه این انسانها هستند که شرائط ورود او را به محیط جان خود فراهم میسازند.

سورة النحل(16): آية 101 ص: 299

اشاره

(آیه ۱۰۱)

شأن نزول: ص: 299

ابن عباس می گوید: مشرکان بهانه جو، هنگامی که آیه ای نازل می شد و دستور سختی در آن بود و سپس آیه دیگری می آمد و دستور آسانتری در آن بود، می گفتند: محمّد اصحاب خود را مسخره می کند امروز به چیزی دستور می دهد و فردا از همان نهی می کند، اینها نشان می دهد که محمّد همه را از پیش خود می گوید نه از ناحیه خدا، در این هنگام آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ٥٩٩

دروغ رسوا! این آیه ایرادهایی را که مشرکان به آیات الهی می گرفتند بیان می کند، نخست می گوید: «هنگامی که آیهای را به آیه دیگر مبدّل کنیم (حکمی را نسخ نماییم) و خدا بهتر می داند چه حکمی را نازل کند، آنها می گویند: تو افترا می بندی! اما بیشترشان (حقیقت را) نمی دانند» (وَ إِذَا بَدَّنْ اللهُ مَکانَ آیَهٔ وَ اللّهُ أَعْلَمُ بِما یُنزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَکْتُرُهُمْ لا یَعْلَمُونَ). آنها نمی دانند که قرآن در پی ساختن یک جامعه انسانی است، جامعهای پیشرو با معنویت عالی. با این حال بدیهی است که این نسخه الهی گاهی نیاز به تبدیل و تعویض دارد.

آری! آنها از این حقایق بیخبرند و از شرایط نزول قرآن، بیاطلاع، و گر نه میدانستند «نسخ» پارهای از دستورات و آیات قرآن، یک برنامه دقیق و حساب شده تربیتی است که بدون آن، هدف نهایی و نیل به تکامل تأمین نمی شود، و دلیل بر تناقض گویی پیامبر صلّی الله علیه و آله و یا افترا بستن به خدا نیست.

سورة النحل(16): آية 102 ص: 299

(آیه ۱۰۲)- این آیه، همین مسأله را تعقیب و تأکید کرده، به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور می دهـد «بگـو: آن را روح

القدس از جانب پروردگارت بر حق نازل کرده است» (قُلْ نَزَّلُهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص:

«روح القدس» یا «روح مقدس» همان پیک وحی الهی، «جبرئیل امین» است، اوست که به فرمان خدا آیات را اعم از ناسخ و منسوخ، بر پیامبر صلّی الله علیه و آله نازل می کند، آیاتی که همه حق است همه واقعیتی را تعقیب می کند و آن واقعیت چیزی جز تربیت انسانها نیست، تربیت که وصول به آن گاهی احکام ناسخ و منسوخ را ایجاب می کند.

به همین دلیل به دنبال آن میفرماید: «هدف این است که افراد با ایمان را در مسیر خود ثابت قدمتر گرداند، و هدایت و بشارتی برای عموم مسلمین است» (لِیُنَبَّتَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ).

به هر حال برای محکم کردن نیروی ایمان و پیمودن راه هدایت و بشارت، گاهی چارهای، جز برنامههای کوتاه مدت و موقت که بعدا جای خود را به برنامه نهایی و ثابت میدهد نیست، و این است رمز وجود ناسخ و منسوخ در آیات الهی.

سورة النحل(16): آية 103 ص: 600

(آیه ۱۰۳) - سپس به بهانه دیگر، و یا صحیحتر، افترای مخالفین به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله اشاره نموده، چنین می گوید: «و ما می دانیم آنها می گویند: این آیات را بشری به او تعلیم می دهد» (وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ یَقُولُونَ إِنَّما یُعَلِّمُهُ بَشَرٌ). قرآن با یک پاسخ دندان شکن خط بطلان بر این ادعاهای بی پایه می کشد و می گوید: اینها توجه ندارد، «زبان کسی که قرآن را به او نسبت می دهند عجمی است، در حالی که این قرآن به زبان عربی فصیح و آشکار (نازل شده) است» (لِسانُ الَّذِی یُلْحِدُونَ إِلَیْهِ أَعْجَمِیٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِیٌّ مُبِینٌ).

از این آیه به خوبی استفاده می شود که اعجاز قرآن تنها در جنبه محتوای آن نیست بلکه الفاظ قرآن نیز در سر حدّ اعجاز است، و کشش و جاذبه و شیرینی و هماهنگی خاصی که در الفاظ و جمله بندیها وجود دارد مافوق قدرت انسانهاست.

سورة النحل(16): آية 104 ص: 600

(آیه ۱۰۴)- سپس با لحنی تهدید آمیز به بیان این حقیقت میپردازد که این اتهامات و انحرافات همه به خاطر رسوخ بی ایمانی در نفوس آنهاست و «کسانی که ایمان به آیات الهی ندارند خداوند آنها را هدایت نمی کند (نه هدایت به صراط مستقیم و نه به راه بهشت و سعادت جاویدان) و برای آنها عذاب دردناکی است» (إِنَّ الَّذِینَ لاً یُؤْمِنُونَ بِآیاتِ اللَّهِ لا یَهْدِیهِمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۰۱

چرا که آنها آنچنان گرفتار تعصب و لجاجت و دشمنی با حقنه که شایستگی همدایت را از دست دادهاند، و جز برای عذاب الیم آمادگی ندارند!

سورة النحل(16): آية 105 ص: 601

(آیه ۱۰۵)– و در این آیـه اضـافه میکنـد: «تنهـا کسـانی (به مردان حـق) دروغ میبندنـد که ایمــان به آیــات الهی ندارنــد، و دروغگویان واقعی آنها هستند» (إِنَّما یَفْتَرِی الْکَذِبَ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْکاذِبُونَ).

و چه دروغی از این بزرگتر که انسان به مردان حق اتهام ببنـدد و میان آنها و انسانهایی که تشـنه حقیقتنـد، سـدّ و مانعی ایجاد

کند.

زشتی دروغ از دیدگاه اسلام- آیه فوق از آیات تکان دهندهای است که در زمینه زشتی دروغ سخن می گوید و دروغگویان را در سر حدّ کافران و منکران آیات الهی قرار میدهد.

اصولاً در تعلیمات اسلام به مسأله راستگویی و مبارزه با کذب و دروغ فوق العاده اهمیت داده شده است. تا جایی که در روایات اسلامی دروغ به عنوان «کلید گناهان» و راستگویی به عنوان «برات بهشت» شمرده شده است.

على عليه السّلام مىفرمايد: «راستگويي دعوت به نيكوكاري ميكند، و نيكوكاري دعوت به بهشت».

و نيز امام عسكرى عليه السّلام مى فرمايد: «تمام پليديها در اتاقى قرار داده شده، و كليد آن دروغ است».

در حدیث دیگری از علی علیه السّ لام میخوانیم که فرمود: «انسان هیچ گاه طعم ایمان را نمیچشد تا دروغ را ترک گوید خواه شوخی باشد یا جدّی».

سورة النحل(16): آية 106 ص: 601

اشاره

(آیه ۱۰۶)

شأن نزول: ص: 601

این آیه در مورد گروهی از مسلمانان نازل گردید که در چنگال مشرکان گرفتار شدند و آنها را مجبور به بازگشت از اسلام و اظهار کلمات کفر و شرک کردند.

آنها «عمار» و پدرش «یاسر» و مادرش «سمیّه» و «صهیب» و «بلال» و «خبّاب» بودند پدر و مادر عمار در این ماجرا سخت مقاومت کردند و کشته شدند، ولی عمار که جوان بود آنچه را مشرکان میخواستند به زبان آورد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۰۲

این خبر در میان مسلمانان پیچید، بعضی غائبانه عمار را محکوم کردند و گفتند: عمار از اسلام بیرون رفته و کافر شده، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: چنین نیست.

چیزی نگذشت که عمار گریه کنان به خدمت رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله آمد، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: مگر چه شده است؟

عرض کرد: ای پیامبر! بسیار بد شده دست از سرم برنداشتند تا نسبت به شما جسارت کردم و بتهای آنها را به نیکی یاد نمودم! پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با دست مبارکش اشک از چشمان عمّ ار پاک می کرد و می گفت: اگر باز تو را تحت فشار قرار دادند، آنچه می خواهند بگو – و جان خود را از خطر رهایی بخش.

در این هنگام آیه نازل گردید و مسائل را در این رابطه روشن ساخت.

بازگشت کنندگان از اسلام (مرتدین) - در تکمیل بحث آیات گذشته که سخن از برنامههای مختلف مشرکان و کفّار در میان بود، در اینجا به گروهی دیگر از کفار یعنی، «مرتدین» و بازگشت کنندگان از اسلام اشاره می کند، می گوید: «کسانی که بعد از ایمان کافر شوند - به جز آنها که تحت فشار و اجبار اظهار کفر کردهاند در حالی که قلبشان مملو از ایمان است - آری چنین اشخاصی که سینه خود را برای پذیرش کفر گشودهاند غضب خدا بر آنهاست و عذاب عظیمی در انتظارشان» (مَنْ کَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِیمانِهِ إِلَّا مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِیمانِ وَ لکِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْکُفْرِ صَدْراً فَعَلَیْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِیمً). در واقع در اینجا اشاره به دو گروه از کسانی است که بعد از پذیرش اسلام راه کفر را پیش می گیرند.

نخست آنها که در چنگال دشمنان بی منطق گرفتار می شوند و تحت فشار و شکنجه آنها اعلام بیزاری از اسلام و وفاداری به کفر می کنند، در حالی که آنچه می گویند تنها با زبان است و قلبشان مالامال از ایمان می باشد، این گروه مسلما مورد عفوند، بلکه اصلا گناهی از آنها سر نزده است، این همان «تقیه» مجاز است که برای حفظ جان و ذخیره کردن نیروها برای خدمت بیشتر در راه خدا در اسلام مجاز برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۰۳

شناخته شده است.

گروه دوم کسانی هستند که به راستی دریچههای قلب خود را به روی کفر و بی ایمانی می گشایند، و مسیر عقیدتی خود را به کلی عوض می کنند، اینها هم گرفتار غضب خدا و هم «عذاب عظیم» او می شوند. چرا که این عمل موجب تزلزل جامعه اسلامی می گردد و یک نوع قیام بر ضد رژیم و حکومت اسلامی محسوب می شود و غالبا دلیل بر سوء نیت است، و سبب می شود که اسرار جامعه اسلامی به دست دشمنان افتد.

سورة النحل(16): آية 107 ص: 603

(آیه ۱۰۷) - این آیه دلیل مرتد شدن آنها را چنین بازگو می کند: «این به خاطر آن است که آنها زندگی دنیا را بر آخرت ترجیح دادند» و به همین جهت بار دیگر در طریق کفر گام نهادند (ذلِکَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَیاهَ الدُّنْیا عَلَی الْآخِرَهِ).
«و خداوند قوم کافر را (که در کفر و انکار اصرار میورزند) هدایت نمی کند» (وَ أَنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِینَ).

و بطور خلاصه هنگامی که آنها اسلام آوردند، موقتا پارهای از منافع مادیشان به خطر افتاد، و از آنجا که به دنیا عشق میورزیدند از ایمان خود پشیمان گشتند و مجددا به سوی کفر بازگشتند.

بدیهی است چنین جمعیتی که از درون وجودشان کششی به سوی ایمان نیست، مشمول هدایت الهی نمی شوند.

سورة النحل(16): آية 108 ص: 603

(آیه ۱۰۸)- این آیه دلیل عدم هدایت آنها را چنین شرح میدهد: «آنها کسانی هستند که خدا بر قلب و گوش و چشمشان مهر نهاده» آن چنان که از دیدن و شنیدن و درک حق محروم ماندهاند (أُولِئِكَ الَّذِینَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَی قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ).

و روشن است «چنین افرادی (بـا از دست دادن تمـام ابزار شـناخت) غافلا<u>ـ</u>ن واقعی هسـتند» (أُولئِـكَ هُمُ الْغـافِلُونَ). زيرا اعمـال

خلاف و انواع گناهان آثار سوئی روی حس تشخیص و درک انسان می گذارد و سر انجام کارش به جایی میرسد که دریچه روح او به روی همه حقایق بسته میشود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۰۴

سورة النحل(16): آية 109 ص: 604

(آیه ۱۰۹)- در این آیه نتیجه کار آنها چنین ترسیم شده است: «ناچار و قطعا آنها در آخرت زیانکارانند» (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِی الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ).

چه زیان و خسرانی از این بدتر که انسان همه امکانات لازم را برای هدایت و سعادت جاویدان در دست داشته باشد، و بر اثر هوی و هوس همه این سرمایهها را از دست بدهد.

سورة النحل(16): آية 110 ص: 604

(آیه ۱۱۰)– و از آنجا که در برابر دو گروه گذشته یعنی آنها که تحت فشار دشمن کلمات کفرآمیز را به عنوان «تقیه» بیان کردند و آنها که با تمام میل به کفر بازگشتند، گروه سومی وجود دارند که همان فریب خوردگانند.

این آیه به وضع آنها اشاره کرده، می گوید: سپس پروردگار تو نسبت به کسانی که بعد از فریب خوردن (به ایمان بازگشتند و) هجرت کردند، سپس جهاد کردند و در راه خدا استقامت نمودند پروردگارت، بعد از انجام این کارها، بخشنده و مهربان است» و آنها را مشمول رحمت خود میسازد (ثُمَّ إِنَّ رَبَّکَ لِلَّذِینَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَعَفُورٌ رَحِیمٌ).

این آیه دلیل روشنی است برای قبول توبه مرتد ملّی.

سورة النحل(16): آية 111 ص: 604

(آیه ۱۱۱)– سر انجام به عنوان یک هشدار عمومی می گوید: «به یاد آورید روزی را که هر کس (در فکر خویشتن است و تنها) به دفاع از خود بر میخیزد» تا خود را از عـذاب و مجـازات دردنـاکش رهـایی بخشـد (یَوْمَ تَأْتِی کُـلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها).

ولی این دست و پاها بیهوده است «و (در آنجا) نتیجه اعمال هر کسی بیکم و کاست به او داده می شود» (وَ تُوَفَّی کُلُّ نَفْسٍ ما عَملَتْ).

(و به آنها ظلم نخواهد شد» (وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ).

سورة النحل(16): آية 117 ص: 605

(آیه ۱۱۲)- آنها که کفران کردند و گرفتار شدند: کرارا گفتهایم که این سوره، سوره نعمتهاست، نعمتهای معنوی و مادی، در این آیه نتیجه کفران نعمتهای الهی را در قالب یک مثال عینی میخوانیم. نخست می گوید: «و خداوند (برای آنها که ناسپاسی نعمت می کنند) مثلی زیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۰۵ زده است: منطقه آبادی را که در نهایت امن و امان بوده» (وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثْلًا قَرْیَةً کانَتْ آمِنَةً).

این آبادی آن چنان امن و امان بود که ساکنانش «با اطمینان در آن زندگی داشـتند» و هرگز مجبور به مهاجرت و کوچ کردن نبودند (مُطْمَئِنَّهً).

علاـوه بر نعمت امنیت و اطمینان، «انواع روزیهای مورد نیازش بطور وافر از هر مکانی به سوی آن میآمـد» (یَأْتِیها رِزْقُها رَغَـداً مِنْ کُلِّ مَکانِ).

«اما سر انجام این آبادی (ساکناش) کفران نعمتهای خـدا کردنـد و خـدا لباس گرسـنگی و ترس را به خاطر اعمالشان بر انـدام آنها پوشانید» (فَکَفَرَتْ بِأَنْعُم اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِما کانُوا یَصْنَعُونَ).

در حقیقت همان گونه که در آغاز، نعمت امنیت و رفاه تمام وجود آنها را پر کرده بود، در پایان نیز بر اثر کفران، فقر و ناامنی به جای آن نشست.

سورة النحل(16): آية 113 ص: 605

(آیه ۱۱۳) – نه تنها نعمتهای مادی آنها در حد کمال بود که از نعمتهای معنوی یعنی وجود فرستاده خدا و تعلیمات آسمانی او نیز برخوردار بودند «و پیامبری از خود آنها به سوی آنها آمد (و آنها را به آیین حق دعوت کرد و اتمام حجت نمود) ولی آنها به تکذیبش پرداختند» (وَ لَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَکَذَّبُوهُ).

«پس در این هنگام عذاب الهی آنها را فرو گرفت، در حالی که آنها ظالم و ستمگر بودند» (فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَ هُمْ ظالِمُونَ).

سورة النحل(16): آية 114 ص: 605

(آیه ۱۱۴)- با مشاهده چنین نمونه های زنده و روشنی شما در راه آن غافلان و ظالمان و کفران کنندگان نعمتهای الهی گام ننهید «شما از آنچه خمدا روزیتان کرده است حلال و پاکیزه بخورید و شکر نعمتهای او را به جا آورید اگر او را میپرستید» (فَکُلُوا مِمَّا رَزَقَکُمُ اللَّهُ حَلالًا طَیِّباً وَ اشْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ).

این داستان احتمالاً مربوط به گروهی از بنی اسرائیل بوده است که در منطقه آبادی میزیستند و بر اثر کفران نعمت گرفتار قحطی و ناامنی شدند.

شاهد این سخن، حدیثی است که از امام صادق علیه السّلام نقل شده که فرمود:

«گروهی از بنی اسرائیل آن قدر زندگی مرفهی داشتند که حتی از مواد غذایی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۰۶ مجبور مجسمه های کوچک می ساختند و گاهی با آن بدن خود را نیز پاک می کردند، اما سر انجام کار آنها به جایی رسید که مجبور شدند همان مواد غذایی آلوده را بخورند و این همان است که خداوند در قرآن فرموده: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْیَهً کانَتْ آمِنَهً مُطْمَئِنَّهً ...» و این هشداری است به همه افراد و ملتهایی که غرق نعمتهای الهی هستند تا بدانند هرگونه اسراف و تبذیر و تضییع نعمتها جریمه دارد جریمهای بسیار سنگین.

این هشداری است به آنها که همیشه نیمی از غذای اضافی خود را به زبالهدانها میریزند.

و هشداری است به آنها که مواد غذایی را در خانهها برای مصرف شخصی و در انبارها برای گرانتر فروختن، آن قدر ذخیره

می کنند که می گندد و فاسد می شود اما حاضر نیستند به نرخ ارزانتر در اختیار دیگران بگذارند! آری! اینها همه در پیشگاه خدا مجازات و جریمه دارد و کمترین مجازات آن سلب این مواهب است.

سورة النحل(16): آية 115 ص: 608

(آیه ۱۱۵) - دروغگویان هرگز رستگار نخواهند شد: از آنجا که در آیات گذشته سخن از نعمتهای پاکیزه الهی و شکر این نعمتها به میان آمده بود این آیه در تعقیب آنها، از محرمات واقعی و محرمات غیر واقعی که از طریق بدعت در آیین خدا تحریم شده بودند، سخن می گوید تا این حلقه تکمیل گردد.

نخست مى گويىد: خداونىد «تنها مردار، خون، گوشت خوك و آنچه را با نام غير خىدا سىر بريىدهاند بر شىما حرام كرده است» (إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ).

اما آلودگی سه مورد اول، امروز بر کسی پوشیده نیست، مردار منبع انواع میکربهاست، و خون نیز از تمام اجزاء بـدن از نظر فعالیت میکربها آلوده تر است، و گوشت خوک نیز عاملی برای چند نوع بیماری خطرناک است.

اما حیواناتی که با نام غیر «الله» ذبح میشوند فلسفه تحریم آن جنبه بهداشتی نیست، بلکه جنبه اخلاقی و معنوی دارد. چرا که از یک سو مبارزهای است با آیین برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۰۷

شرک و بت پرستی و از سوی دیگر توجهی است به آفریننده این نعمتها.

ضمنا از مجموع محتوای این آیه و آیات بعد، این نکته استفاده می شود که اسلام، اعتدال را در استفاده از گوشت توصیه می کند، نه مانند گیاهخواران این منبع غذایی را بکلی تحریم کرده، و نه مانند مردم عصر جاهلیت و گروهی از به اصطلاح متمدنان زمان ما اجازه استفاده از هر نوع گوشتی (حتی سوسمار و خرچنگ و انواع کرمها) را می دهد.

و در پایان آیه همان گونه که روش قرآن در بسیاری از موارد است، موارد استثناء را بیان کرده، می گوید: «اما کسانی که ناچار شوند (از خوردن گوشتهای حرام فی المثل در بیابانی بدون غذا بمانند و جانشان در خطر باشد) در حالی که تجاوز و تعدّی از حدّ ننمایند (خدا آنها را می بخشد چرا که) خدا بخشنده و مهربان است» (فَمَنِ اضْطُرَّ غَیْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

سورة النحل(16): آية 116 ص: 607

(آیه ۱۱۶)- این آیه بحثی را که در زمینه تحریمهای بی دلیل مشرکان که بطور ضمنی قبلا مطرح شده بود با صراحت شرح می دهد و می گوید: «به خاطر دروغی که زبانهای شما توصیف می کند نگویید این حلال است و آن حرام، تا چیزی را به دروغ بر خدا افترا ببندید» (وَ لا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هذا حَلالٌ وَ هذا حَرامٌ لِتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ).

یعنی این یک دروغ آشکار است که تنها از زبان شما تراوش کرده اشیایی را از پیش خود حلال می کنید، و اشیایی را حرام-اشاره به چهارپایانی بوده که بعضی را بر خود تحریم می کردند و بعضی را حلال میدانستند و قسمتی را به بتها اختصاص میدادند.

آیا خداونـد به شـما چنین حقی داده است، که قانونگزاری کنیـد؟ و یا این که افکار خرافی و تقلیدهای کورکورانه، شـما را به چنین بـدعتهایی واداشـته است؟! در پایان آیه به عنوان یک اخطار جـدی می گویـد: «کسانی که به خـدا دروغ و افترا میبندند هیچ گاه رستگار نخواهند شد» (إِنَّ الَّذِینَ یَفْتُرُونَ عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ لا یُفْلِحُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۰۸ اصولا دروغ و افترا مایه بـدبختی و نارستگاری است، در باره هر کس که باشـد تا چه رسـد به این که در باره خداونـد بزرگ صورت گیرد.

سورة النحل(16): آية 117 ص: 608

(آیه ۱۱۷)- این آیه عدم رستگاری را چنین توضیح میدهد: «بهره کمی است (که در این دنیا نصیبشان می شود)، و عذاب در دناکی در انتظار آنان است» (مَتاعٌ قَلِیلٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ).

این متاع قلیل، ممکن است اشاره به جنینهای مرده حیوانات باشد که برای خود حلال میشمردند، و از گوشت آن استفاده می کردند.

سورة النحل(16): آية 118 ص: 608

(آیه ۱۱۸)- در اینجا ممکن است سؤالی، طرح شود که چرا غیر از آن چهار چیز که در بالاً گفته شد، اشیاء دیگری از حیوانات بر قوم یهود حرام بوده است؟

این آیه گویـا به پاسـخ این سؤال پرداخته، می گویـد: «مـا بر یهود (علاوه بر آن چهار مورد) چیزهایی را که قبلا برای تو شـرح دادیم تحریم کردیم» (وَ عَلَی الَّذِینَ هادُوا حَرَّمْنا ما قَصَصْنا عَلَیْکَ مِنْ قَبْلُ).

اشاره به اموری است که در آیه ۱۴۶ سوره انعام آمده: «بر یهودیان هر حیوان ناخنداری را حرام کردیم (اشاره به حیواناتی است که سمّ یکپارچه دارند همچون اسب) و از گاو و گوسفند، پیه و چربیشان را تحریم نمودیم، مگر چربیهایی را که بر پشت آنها قرار داشت، و یا در لابلای امعاء، و دو طرف پهلوها، و یا با استخوان آمیخته بود، این را به خاطر ظلم و ستم آنها، به عنوان کیفر، قرار دادیم و ما راست می گوییم».

در حقیقت این محرمات اضافی جنبه مجازات و کیفر در برابر مظالم و ستمهای یهود داشته، و لذا در پایان آیه اضافه میکند: «و ما به آنها ستم نکردیم ولی آنها به خویشتن ستم روا میداشتند» (وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لکِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ).

سورة النحل(16): آية 119 ص: 608

(آیه ۱۱۹) - در این آیه آن چنان که روش قرآن است، درهای بازگشت را به روی افراد فریب خورده و یا پشیمان می گشاید، و می گوید: «سپس پروردگارت نسبت به آنها که از روی جهل اعمال بد انجام داده اند، سپس بعد از آن توبه کرده اند و اصلاح و جبران نمودند، آری پروردگارت بعد از این توبه و اصلاح، آمرزنده برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۰۹ و مهربان است» (ثُمَّ إِنَّ رَبَّکَ لِلَّذِینَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَهُ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِیمٌ). قابل توجه این که علت ارتکاب گناه را «جهالت» می شمرد، چرا که این گونه افرادند که پس از آگاهی به راه حق باز می گددند.

دیگر این که: مسأله توبه را به توبه قلبی و ندامت درونی محدود نمی کند، بلکه اصلاح و جبران را مکمل توبه می شمارد، تا این فکر غلط را از مغز خود بیرون کنیم که هزاران گناه را با یک جمله «استغفر الله» می توان جبران کرد.

سورة النحل(16): آية 120 ص: 609

(آیه ۱۲۰)- ابراهیم به تنهایی یک امت بود! گفتیم این سوره، سوره بیان نعمتهاست و هدف از آن تحریک حس شکرگزاری انسانهاست، به گونهای که آنها را به شناخت بخشنده این همه نعمت برانگیزد.

در این آیه سخن از یک مصداق کامل بنده شکر گزار خدا، یعنی «ابراهیم» قهرمان توحید، به میان آمده که مخصوصا از این نظر نیز برای مسلمانها عموما و عربها خصوصا الهام آفرین است که او را پیشوا و مقتدای نخستین خود میدانند.

از میان صفات برجسته این مرد بزرگ به پنج صفت اشاره شده است.

۱- در آغاز میگوید «ابراهیم خود امتی بود» (إِنَّ إِبْراهِیمَ کَانَ أُمَّةً).

آری! ابراهیم یک امت بود، یک پیشوای بزرگ بود، یک مرد امت ساز بود، و در آن روز که در محیط اجتماعیش کسی دم از توحید نمیزد او منادی بزرگ توحید بود.

٢- وصف ديگر او (ابراهيم) اين بود كه «بنده مطيع خدا بود» (قانِتاً لِلَّهِ).

۳- «او همواره در خط مستقیم الله و طریق حق، گام میسپرد» (حَنِیفاً).

۴- «او هرگز از مشرکان نبود» و تمام زندگی و فکر و زوایای قلبش را تنها نور «اللّه» پر کرده بوده (وَ لَمْ یَکُ مِنَ الْمُشْرِکِینَ).

سورة النحل(16): آية 121 ص: 609

(آیه ۱۲۱)- پنجم: و به دنبال این ویژگیها سر انجام او مردی بود که: «همه نعمتهای خدا را شکرگزاری میکرد» (شاکِراً لِأَنْعُمِهِ).

و پس از بیان این اوصاف پنج گانه به بیان پنج نتیجه مهم این صفات پرداخته بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۱۰ می گوید: ۱- «خداوند ابراهیم را (برای نبوت و ابلاغ دعوتش) بر گزید» (امجتَباهُ).

۲- «و (خدا) او را به راه راست هدایت کرد» و از هر گونه لغزش و انحراف حفظ نمود (وَ هَداهُ إِلَى صِراطٍ مُشتَقِيم).

چرا که هـدایت الهی به دنبال لیاقتها و شایستگیهایی است که انسان از خود ظاهر میسازد چون بیحساب چًیزی به کسی نمیدهند.

سورة النحل(16): آية 122 ص: 610

(آیه ۱۲۲)- سوم: «و ما در دنیا به او حسنه دادیم» (وَ آتَیْناهُ فِی الدُّنْیا حَسَنَهُ).

از مقام نبوت و رسالت گرفته، تا نعمتهای مادی و فرزندان شایسته و مانند آن.

۴- «و او در آخرت از صالحان است» (وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ).

و این نشانه عظمت مقام صالحان است که ابراهیم با این همه مقام در زمره آنها محسوب می شود، مگر نه این که خود ابراهیم از خدا این تقاضا را کرده بود «رَبِّ هَبْ لِی حُکْماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِینَ»: «خداوندا! نظر صائب به من عطا کن و مرا از صالحان قرار ده» (شعرا/ ۸۳).

سورة النحل(16): آية 123 ص: 610

(آیه ۱۲۳)- پنجم: آخرین امتیازی که خدا به ابراهیم در برابر آن همه صفات برجسته داد این بود که مکتب او نه تنها برای اهل عصرش که برای همیشه، مخصوصا برای امت اسلامی یک مکتب الهام بخش گردید، به گونهای که قرآن می گوید: «سپس به تو وحی فرستادیم که از آیین ابراهیم، آیین خالص توحید، پیروی کن» (ثُمَّ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ أَنِ اتَّبعْ مِلَّهُ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً). بار دیگر تأکید می کند «ابراهیم از مشرکان نبود» (وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ).

سورة النحل(16): آية 124 ص: 614

(آیه ۱۲۴) - با توجه به آیات گذشته سؤالی در اینجا پیش می آید و آن این که اگر آیین اسلام آیین ابراهیم است و مسلمانان در بسیاری از مسائل از سنن ابراهیم پیروی می کنند از جمله احترام روز جمعه، پس چرا یهود شنبه را عید می دانند و تعطیل می کنند؟

این آیه به پاسخ این سؤال می پردازد و می گوید: تحریمهای «روز شنبه (برای یهود) فقط به عنوان یک مجازات بود که در آن هم اختلاف کردند» بعضی آن را پذیرفتند و بکلی دست از کار کشیدند و بعضی هم نسبت به آن بیاعتنایی کردند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۱۱

(إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ).

جریان از این قرار بود که طبق بعضی از روایات، موسی علیه السّدلام بنی اسرائیل را دعوت به احترام و تعطیل روز جمعه کرد که آیین ابراهیم بود، اما آنها به بهانهای از آن سر باز زدند و روز شنبه را ترجیح دادند، خداوند روز شنبه را برای آنها قرار داد، اما توأم با شدت عمل و محدودیتها، بنابراین به تعطیلی روز شنبه نباید استناد کنید، چرا که جنبه فوق العاده و مجازات داشته است، و بهترین دلیل بر این مسأله این است که یهود حتی در این روز انتخابی خود نیز اختلاف کردند، گروهی آن را ارج نهادند و احترام نمودند و گروهی نیز احترام آن را شکستند، و به کسب و کار پرداختند و به مجازات الهی گرفتار شدند

در پایـان آیه میفرمایـد: «و پروردگارت روز قیامت، در آنچه اختلاف داشـتند، میان آنها داوری میکنـد» (وَ إِنَّ رَبَّکَ لَیَحْکُمُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ).

سورة النحل(16): آية 125 ص: 211

(آیه ۱۲۵) - ده دستور مهم اخلاقی در مقابله با مخالفان: در لابلای آیات مختلف این سوره بحثهای گوناگونی گاهی ملایم و گاهی تنـد، با مشـرکان و یهود و بطور کلی با گروههای مختلف به میان آمـد، مخصوصا در آیات اخیر عمق و شـدت بیشتری داشت.

در پایان این بحثها که پایان سوره «نحل» محسوب می شود یک رشته دستورات مهم اخلاقی از نظر برخورد منطقی، و طرز بحث، چگونگی کیفر و عفو، و نحوه ایستادگی در برابر توطئه ها و مانند آن، بیان شده است که می توان آن را به عنوان اصول تاکتیکی و روش مبارزه در مقابل مخالفین در اسلام نامگذاری کرد و به عنوان یک قانون کلی در هر زمان و در همه جا از آن استفاده نمود.

این برنامه به ترتیب زیر در ده اصل خلاصه میشود.

(۱) این آیه ارتباط و پیوندی با آیات «اصحاب السّبت» (آیات ۱۶۳ – ۱۶۶ سوره اعراف) دارد که شرح ماجرای آنها در آن آمده است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۱۲

نخستین گام در دعوت به سوی حق، استفاده از منطق صحیح و استدلالات حساب شده است، و به تعبیر دیگر دست انداختن در درون فکر و اندیشه مردم و به حرکت در آوردن آن و بیدار ساختن عقلهای خفته نخستین گام محسوب می شود.

٢- «و به وسيله اندرزهاى نيكو» (وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ).

یعنی استفاده کردن از عواطف انسانها، چرا که موعظه، و اندرز بیشتر جنبه عاطفی دارد که با تحریک آن می توان تودههای عظیم مردم را به طرف حق متوجه ساخت.

٣- «و با آنها (مخالفان) به طريقي كه نيكوتر است به مناظره پرداز» (وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).

و این سومین گام مخصوص کسانی است که ذهن آنها قبلا از مسائل نادرستی انباشته شده و باید از طریق مناظره ذهنشان را خالی کرد تا آمادگی برای پذیرش حق پیدا کنند.

و در پایان آیه اضافه می کند: «پروردگارت از هر کسی بهتر میداند، چه کسی از راه او گمراه شده است و چه کسانی هدایت یافتهاند» (إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ).

اشاره به این که وظیفه شما دعوت به راه حق است، از طرق سه گانه حساب شده فوق، اما چه کسانی سر انجام هدایت میشوند، و چه کسانی در طریق ضلالت پافشاری خواهند کرد آن را تنها خدا میداند و بس.

سورة النحل(16): آية 126 ص: 617

(آیه ۱۲۶)- چهارم: تاکنون سخن از این بود که در یک بحث منطقی، عاطفی و یا مناظره معقول با مخالفان شرکت کنیم، اما اگر کار از این فراتر رفت و در گیری حاصل شد و آنها دست به تعدی و تجاوز زدند، در اینجا دستور می دهد: «اگر خواستید مجازات کنید فقط به مقداری که به شما تعدی شده کیفر دهید» و نه بیشتر از آن (وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ).

۵- «ولی اگر شکیبایی پیشه کنید (و عفو و گذشت) این کار برای شکیبایان بهتر است» (وَ لَئِنْ صَیْبَرْتُمْ لَهُوَ خَیْرٌ لِلصَّابِرِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۱۳

در بعضی از روایات میخوانیم که این آیه در جنگ «احد» نازل شده، هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله وضع دردناک شهادت عمویش حمزهٔ بن عبد المطلب را دید (که دشمن به کشتن او قناعت نکرده، بلکه سینه و پهلوی او را با قساوت عجیبی دریده، و کبد یا قلب او را بیرون کشیده است، و گوش و بینی او را قطع نموده بسیار منقلب و ناراحت شد و) فرمود: «خدایا! حمد از آن توست و شکایت به تو می آورم، و تو در برابر آنچه می بینم یار و مدد کار مایی».

سپس فرمود: «اگر من بر آنها چیره شوم آنها را مثله میکنم، آنها را مثله میکنم، آنها را مثله میکنم».

در این هنگام آیه فوق نازل شد.

بلافاصله پیامبر عرض کرد:

«اصبر اصبر»: «خدایا! صبر می کنم، صبر می کنم»! با این که این لحظه شاید دردناکترین لحظهای بود که در تمام عمر، بر پیامبر گذشت، ولی باز پیامبر بر اعصاب خود مسلط گشت و راه دوم که راه عفو و گذشت بود انتخاب کرد.

سورة النحل(16): آية 127 ص: 218

(آیه ۱۲۷)- شــشم: این عفو و گذشت و صبر و شکیبایی در صورتی اثر قطعی خواهد گذارد که بدون هیچ چشمداشتی انجام پذیرد یعنی فقط به خاطر خدا باشد، و لذا قرآن اضافه می کند: «شکیبایی پیشه کن و این شکیبایی تو جز برای خدا (و به توفیق پروردگار) نمی تواند باشد» (وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُکَ إِلَّا بِاللَّهِ).

۷- هرگاه تمام این زحمات در زمینه تبلیغ و دعوت به سوی خدا و در زمینه عفو و گذشت و شکیبایی کارگر نیفتاد باز نباید مأیوس و دلسرد شد، و یا بی تابی و جزع نمود، بلکه باید با حوصله و خونسردی هر چه بیشتر همچنان به تبلیغ ادامه داد، لذا در هفتمین دستور می گوید: «بر آنها اندوهگین مباش» (وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ).

۸- با تمام این اوصاف باز ممکن است دشمن لجوج دست از توطئه برندارد و به طرح نقشههای خطرناک بپردازد، در چنین شرایطی موضعگیری صحیح همان برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۱۴

است که قرآن می گوید: «و به خاطر (کارهای) آنها، انـدوهگین و دلسـرد مشو! و از توطئههای آنها، در تنگنا قرار مگیر» (وَ لا تَکُ فِی ضَیْق مِمَّا یَمْکُرُونَ).

چرا که تکیه گاه شما خداست و با استمداد از نیروی ایمان و استقامت و پشتکار و عقل می توانید این توطئه ها را خنثی کنید و نقش بر آب.

سورة النحل(16): آية 128 ص: 214

(آیه ۱۲۸)- آخرین آیه که سوره نحل با آن پایان می گیرد به نهمین و دهمین برنامه اشاره کرده، می گوید: ۹- «خداوند با کسانی است که تقوا را پیشه کنند» (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِینَ اتَّقَوْا).

«تقوا» در همه ابعاد و در مفهوم وسیعش، از جمله تقوا در برابر مخالفان، یعنی حتی در برابر دشمن باید اصول اخلاق اسلامی را رعایت کرد، با اسیران معامله اسلامی نمود، با منحرفان رعایت انصاف و ادب کرد، از دروغ و تهمت پرهیز نمود، و حتی در میدان جنگ همان گونه که در اصول تعلیمات جنگی اسلام وارد شده است باید تقوا و موازین اسلامی حفظ شود: به بی دفاعان نباید حمله کرد، متعرض کودکان و پیران از کار افتاده نباید شد، حتی چهارپایان را نباید از بین برد، مزارع را نباید نباید کرد، آب را نباید به روی دشمن قطع نمود خلاصه تقوا و رعایت اصول عدالت در برابر دوست و دشمن عموما باید انجام گیرد و اجرا شود.

۱۰- «و (خداوند) با كسانى است كه نيكوكارند» (وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ).

احسان و نیکی اگر به موقع و در جای خود انجام پذیرد، یکی از بهترین روشهای مبارزه است، و تاریخ اسلام پر است از مظاهر این برنامه، مثل رفتاری که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با مشرکان «مکّه» بعد از فتح نمود.

دقت در موارد ده گانه برنامه فوق که تمام خطوط اصلی و فرعی برخورد با مخالفان را مشخص می کنـد نشان میدهـد که از تمام اصول منطقی، عاطفی، روانی، تاکتیکی و خلاصه همه اموری که سبب نفوذ در مخالفین می گردد باید استفاده کرد. و اگر مسلمانان در برابر مخالفان خود این برنامه جامع الاطراف را به کار میبستند، شاید امروز اسلام سراسر جهان یا بخش عمده آن را فراگرفته بود.

«پایان سوره نحل»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۱۵

آغاز جزء پانزدهم قرآن مجید ص: 613

سوره اسراء [۱۷] ص: ۶۱۵

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۱۱۱ آیه است

قبل از ورود در تفسیر این سوره توجه به چند نکته لازم است: ص : 613

1- نامهای این سوره: ص: 613

نام مشهور این سوره «بنی اسرائیل» است و نامهای دیگری نیز از قبیل «اسراء» و «سبحان» دارد.

اگر نـام «بنی اسـرائیل» بر آن گـذارده شـده به خاطر آن است که بخش قابل ملاحظهای در آغاز و پایان این سوره پیرامون بنی اسرائیل است.

و اگر به آن «اسراء» گفته می شود به خاطر نخستین آیه آن است که پیرامون اسراء (معراج) پیامبر صلّی الله علیه و آله سخن می گوید، و «سبحان» نیز از نخستین کلمه این سوره گرفته شده است.

۲- محتوای سوره: ص: 613

این سوره بنابر مشهور در مکّه نازل شده و طبعا ویژگیهای سورههای مکّی در آن جمع است، و بطور کلی میتوان گفت آیات این سوره بر چند محور زیر دور میزند.

- ١- دلائل نبوت مخصوصا قرآن و نيز معراج.
- ۲- بحثهائي مربوط به معاد، مسأله كيفر و پاداش و نامه اعمال و نتائج آن.
 - ۳- بخشی از تاریخ پرماجرای بنی اسرائیل.
 - ۴- مسأله آزادی اراده و اختیار. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۱۶
 - ۵- مسأله حساب و كتاب در زندگي اين جهان.
- 9- حق شناسی در همه سطوح، مخصوصا در باره خویشاوندان، و بخصوص پدر و مادر.
- ۷- تحریم «اسراف و تبذیر» و «بخل» و «فرزندکشی» و «زنا» و «خوردن مال یتیمان» و «کم فروشی» و «تکبر» و «خونریزی».

- ۸- بحثهایی در زمینه توحید و خداشناسی.
- ۹- مبارزه با هر گونه لجاجت در برابر حق.
- ۱۰- شخصیت انسان و فضیلت و برتری او بر مخلوقات دیگر.
- ۱۱- تأثیر قرآن برای درمان هرگونه بیماری اخلاقی و اجتماعی.
 - ١٢ اعجاز قرآن و عدم توانایی مقابله با آن.
 - ۱۳ وسوسههای شیطان و هشدار به همه مؤمنان.
 - ۱۴- بخشى از تعليمات مختلف اخلاقى.
- ۱۵- و سر انجام فرازهایی از تاریخ پیامبران به عنوان درسهای عبرتی برای همه انسانها و شاهدی برای مسائل مزبور.

٣- فضيلت تلاوت سوره: ص: 613

در روایات اجر و پاداش فراوانی برای کسی که این سوره را بخواند نقل شده از جمله این که: در روایتی از امام صادق علیه السّلام چنین میخوانیم: «کسی که سوره بنی اسرائیل را هر شب جمعه بخواند از دنیا نخواهد رفت تا این که قائم را درک کند و از یارانش خواهد بود».

کر...j...گفته ایم این پاداشها و فضیلتها هرگز برای خواندن تنها نیست، بلکه خواندنی است که تو أم با تفکر و اندیشه و سپس الهام گرفتن برای عمل بوده باشد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الإسراء(١٧): آية ١ ص: ١٥٥

(آیه ۱)- معراجگاه پیامبر صلّی الله علیه و آله! نخستین آیه این سوره از مسأله «اسـرا» یعنی، سفر شبانه پیامبر صلّی الله علیه و آله از «مسـجد الحرام» به «مسـجد اقصـی» (بیت المقدس) که مقدمهای برای معراج بوده است سـخن می گوید، این سفر که در یک شب و مدت برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۱۷

کوتاهی صورت گرفت حـد اقل در شرایط آن زمان از طرق عادی به هیچ وجه امکانپذیر نبود، و جنبه اعجاز آمیز و کاملا خارق العاده داشت.

نخست می گوید: «منزّه است آن خداوندی که بندهاش را در یک شب از مسجد الحرام به مسجد اقصی – که گردا گردش را پربرکت ساختهایم – برد» (سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی الَّذِی بارَکْنا حَوْلَهُ).

این سیر شبانه خارق العاده «به خاطر آن بود که بخشی از آیات عظمت خود را به او نشان دهیم» (لِنُرِیَهُ مِنْ آیاتِنا).

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله گرچه عظمت خدا را شناخته بود، اما سیر در آسمانها به روح پرعظمت او در پرتو مشاهده آن آیات بیّنات عظمت بیشتری داد تا آمادگی فزونتری برای هدایت انسانها پیدا کند.

و در پایان اضافه می کند: «خداوند شنوا و بیناست» «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

اشاره به این که اگر خداونـد پیامبرش را برای این افتخار برگزید بیدلیل نبود، زیرا او گفتار و کرداری آنچنان پاک و شایسـته

داشت که این لباس بر قامتش کاملا زیبا بود، خداونـد گفتار پیامبرش را شنیده و کردار او را دیـده و لیاقتش را برای این مقام پذیرفته بود «۱».

سورة الإسراء(١٧): آية ٢ ص: 618

(آیه ۲)- از آنجا که نخستین آیه این سوره از سیر پیامبر صلّی الله علیه و آله سخن می گفت، و این گونه موضوعات غالبا از طرف مشرکان و مخالفان مورد انکار واقع می شد که چگونه ممکن است پیامبری از میان ما برخیزد که این همه افتخار داشته باشد لذا قرآن در اینجا اشاره به دعوت موسی و کتاب آسمانی او می کند تا معلوم شود این

(۱) مشهور و معروف در میان دانشمندان اسلام این است که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به هنگامی که در مکّه بود در یک شب از مسجد الحرام به مسجد اقصی در بیت المقدس به قدرت پروردگار آمد، و از آنجا به آسمانها صعود کرد، و آثار عظمت خدا را در پهنه آسمان مشاهده نمود و همان شب به مکّه بازگشت. و نیز مشهور و معروف آن است که این سیر زمینی و آسمانی را با جسم و روح توأما انجام داد.

در زمینه «معراج» مطالب دیگری هست که به خواست خدا در ذیل سوره «نجم» خواهد آمد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۱۸

برنامه رسالت چیز نوظهوری نیست، همچنین مخالفت لجوجانه و سرسختانه مشرکان نیز در تاریخ گذشته مخصوصا تاریخ بنی اسرائیل، سابقه دارد.

آیه می گوید: «و ما به موسی کتاب (آسمانی) دادیم» (وَ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ).

«و آن را مایه هدایت بنی اسرائیل قرار دادیم» (وَ جَعَلْناهُ هُدیً لِبَنِی إِسْرائِیلَ).

بدون شک منظور از «کتاب» در اینجا «تورات» است که خداوند برای هدایت بنی اسرائیل در اختیار موسی (ع) گذاشت.

سپس به هـدف اساســی بعثت پیـامبران از جمله موســی اشــاره می کنــد که به آنهـا گفتیم: «غیر مرا و کیــل و تکیهگاه خود قرار ندهید» (أَلًا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِی وَکِیلًا).

این یکی از شاخههای اصلی توحید است، توحید در عمل که نشانه توحید در عقیده است، کسی که مؤثر واقعی را در جهان هستی تنها خدا میداند به غیر او تکیه نخواهد کرد.

سورة الإسراء(١٧): آية ٣ ص: ١١٨

(آیه ۳)- در این آیه برای این که عواطف بنی اسرائیل را در رابطه با شکرگزاری از نعمتهای الهی مخصوصا نعمت معنوی و روحانی کتاب آسمانی برانگیزد آنها را مخاطب ساخته، می گوید: «ای فرزندان کسانی که با نوح در کشتی حمل کردیم»! (ذُرِّیَّهٔ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوح).

فراموش نكنيد كه: «نوع بنده شكر گزارى بود» (إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً).

شما که فرزندان یاران نوح هستید چرا به همان برنامه نیاکان با ایمانتان اقتدا نکنید؟ چرا در راه کفران گام بگذارید؟!

سورة الإسراء(١٧): آية 4 ص: ١١٨

(آیه ۴)- سپس به ذکر گوشهای از تاریخ پرماجرای بنی اسرائیل پرداخته، می گوید: «و ما در کتاب (تورات) به بنی اسرائیل اعلام کردیم که شما در زمین، دو بـار فساد خواهیـد کرد، و راه طغیان بزرگی را در پیش خواهیـد گرفت» (وَ قَضَ یُنا إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ فِی الْکِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِی الْأَرْضِ مَرَّ تَیْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا کَبِیراً).

منظور از كلمه «الارض» به قرينه آيات بعد سرزمين مقدس فلسطين است كه «مسجد الاقصى» در آن واقع شده است.

سورة الإسراء(١٧): آية ۵ ص: ١٨٥

(آیه ۵)- سپس به شرح این دو فساد بزرگ و حوادثی که بعد از آن به عنوان برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۱۹ مجازات الهی واقع شد پرداخته، چنین می گوید: «هنگامی که نخستین وعده فرا رسد (و شما دست به فساد و خونریزی و ظلم و جنایت بزنید) ما گروهی از بندگان بسیار نیرومند (و رزمنده و جنگجوی) خود را به سراغ شما می فرستیم» تا به کیفر اعمالتان شما را درهم بکوبند (فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَیْکُمْ عِباداً لَنا أُولِی بَأْسٍ شَدِیدٍ).

این قوم جنگجو آن چنان بر شما هجوم میبرنـد که حتی برای یافتن نفراتتان «هر خانه و دیاری را جسـتجو میکننـد» (فَجاسُوا خِلالَ الدِّیار).

«و این یک وعده قطعی و تخلف ناپذیر خواهد بود» (وَ کانَ وَعْداً مَفْعُولًا).

سورة الإسراء(١٧): آية 6 ص: ١٩٩

(آیه ۶)- «سپس (الطاف الهی بار دیگر به سراغ شما می آید و) شما را بر آن (قوم مهاجم) چیره می کنیم» (ثُمَّ رَدَدْنا لَکُمُ الْکَرَّةُ عَلَيْهِمْ).

«و شما را به وسیله اموال و ثروت سرشار و فرزندانی کمک خواهیم کرد» (وَ أَمْدَدْناکُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِینَ). «و نفرات شما را بیشتر (از دشمن) قرار میدهیم» (وَ جَعَلْناکُمْ أَکْثَرَ نَفِیراً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٧ ص: ١٩٩

(آیه ۷)- این گونه الطاف الهی شامل حال شما می شود شاید به خود آیید و به اصلاح خویشتن بپردازید دست از زشتیها بردارید و به نیکیها رو آرید، چرا که:

«اگر نیکی کنید به خود نیکی کردهاید و اگر بدی کنید بازهم به خود میکنید» (إِنْ أَحْسَ نْتُمْ أَحْسَ نْتُمْ لِأَنْفُسِ كُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها).

این یک سنت همیشگی است نیکیها و بدیها سر انجام به خود انسان باز می گردد. ولی مع الاسف نه آن مجازات شما را بیدار می کند و نه این نعمت و رحمت مجدد الهی، باز هم به طغیان می پرازید و راه ظلم و ستم و تعدی و تجاوز را پیش می گیرید و «فساد کبیر» در زمین ایجاد می کنید و برتری جویی را از حد می گذرانید.

سپس وعده دوم الهی فرا میرسد: «و هنگامی که وعده دوم فرا رسد (باز گروهی جنگجو و پیکارگر بر شما چیره میشوند،

آن چنان بلایی به سرتان می آورند که) آثار غم و اندوه از صورتهایتان ظاهر می شود» (فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِیَسُوؤُا وُجُوهَکَمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۲۰

آنها حتى بزرگ معبدتان بيت المقدس را از دست شما مى گيرنـد «و داخل مسجد (الأقصى) مىشوند همانگونه كه بار اول وارد شدند» (وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّهُ).

آنها به این هم قناعت نمی کنند «و آنچه را زیر سلطه خود می گیرند، درهم می کوبند» (وَ لِیُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِیراً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٨ ص: ٢٠٠

(آیه ۸)- با این حال باز درهای توبه و بازگشت شما به سوی خدا بسته نیست باز هم «امید است پروردگارتان به شما رحم کند» (عَسی رَبُّکُمْ أَنْ یَرْحَمَکُمْ).

«و هرگاه (به سوی ما) برگردید ما هم باز می گردیم» (وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا).

و لطف و رحمت خود را به شما باز می گردانیم، و اگر به فساد و برتری جویی گرایید باز هم شما را به کیفر شدید گرفتار خواهیم ساخت.

و تازه این مجازات دنیاست «و جهنم را برای کافران زندان سختی قرار دادیم» (وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْکافِرِینَ حَصِیراً).

دو فساد بزرگ تاریخی بنی اسرائیل: در آیات فوق، سخن از دو انحراف اجتماعی بنی اسرائیل که منجر به فساد و برتری جویی می گردد به میان آمده است، که به دنبال هر یک از این دو، خداوند مردانی نیرومند و پیکارجو را بر آنها مسلط ساخته تا آنها را سخت مجازات کنند و به کیفر اعمالشان برسانند.

آنچه از تاریخ بنی اسرائیل استفاده می شود این است که نخستین کسی که بر آنها هجوم آورد و «بیت المقدس» را ویران کرد، بخت نصّیر پادشاه بابل بود، و هفتاد سال بیت المقدس به همان حال باقی ماند، تا یهود قیام کردند و آن را نوسازی نمودند، دومین کسی که بر آنها هجوم برد قیصر روم اسپیانوس بود که وزیرش «طرطوز» را مأمور این کار کرد، او به تخریب بیت المقدس و تضعیف و قتل بنی اسرائیل کمر بست، و این حدود یکصد سال قبل از میلاد بود.

بنابراین ممکن است دو حادثهای که قرآن به آن اشاره می کند همان باشد که در تاریخ بنی اسرائیل نیز آمده است.

سورة الإسراء(١٧): آية ٩ ص: ٢٠٠

(آیه ۹) – مستقیم ترین راه خوشبختی! در آیات گذشته سخن از بنی اسرائیل برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۲۱ و کتاب آسمانیشان تورات و تخلفشان از این برنامه الهی و کیفرهایشان در این رابطه در میان بود.

از این بحث به «قرآن مجید» کتاب آسمانی مسلمین که آخرین حلقه کتب آسمانی است منتقل شده، می گوید: «این قرآن مردم را به آیینی که مستقیم ترین و پابر جاترین آیینهاست هدایت می کند» (إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ).

یعنی «قرآن به طریقهای که مستقیم ترین و صافترین و پابرجاترین طرق است دعوت می کند».

صافتر و مستقیم تر، از نظر عقائدی که عرضه می کند. صافتر و مستقیم تر، از این نظر که میان ظاهر و باطن، عقیده و عمل، تفکر و برنامه، همگونی ایجاد کرده و همه را به سوی «الله» دعوت می کند.

صافتر و مستقیم تر، از نظر قوانین اجتماعی و اقتصادی و نظامات سیاسی که بر جامعه انسانی حکم فرما میسازد.

و بالاخره صافتر و مستقیم تر از نظر نظام حكومتي كه برپا دارنده عدل است و درهم كوبنده ستم و ستمگران.

سپس از آنجا که موضع گیریهای مردم در برابر این برنامه مستقیم الهی مختلف است، به دو نوع موضع گیری مشخص و نتائج آن اشاره کرده، میفرماید:

«و این قرآن به مؤمنانی که اعمال صالح انجام می دهند مژده می دهد که برای آنان پاداش بزرگی است» (وَ یُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِینَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِیراً).

سورة الإسراء (١٧): آية ١٠ ص: ٢١٩

(آیه ۱۰)- «و (به) آنها که ایمان به آخرت و دادگاه بزرگش ندارند (و طبعا عمل صالحی نیز انجام نمی دهند نیز بشارت می دهد که) عذاب دردناکی برای آنها آماده کرده ایم» (وَ أَنَّ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِیماً).

تعبیر به «بشارت» در مورد مؤمنان دلیلش روشن است، ولی در مورد افراد بی ایمان و طغیانگر در حقیقت یک نوع استهزاء است.

سورة الإسراء(١٧): آية ١١ ص: ٢١٩

(آیه ۱۱) - در این آیه به تناسب بحث گذشته به یکی از علل مهم بی ایمانی که عدم مطالعه کافی در امور است اشاره کرده، چنین می فرماید: «و انسان برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۲۲

همان گونه که نیکیها را طلب میکند (به خاطر دستپاچگی و عدم مطالعه کافی) به طلب بـدیها برمیخیزد» (وَ یَـدُعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَیْر).

«چرا كه انسان ذاتا عجول است» (وَ كَانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا).

در حقیقت «عجول» بودن انسان برای کسب منافع بیشتر و شتابزدگی او در تحصیل «خیر» و منفعت سبب می شود که تمام جوانب مسائل را مورد بررسی قرار ندهد، و چه بسیار که با این عجله، نتواند خیر واقعی خود را تشخیص دهد، بلکه هوی و هوسهای سرکش چهره حقیقت را در نظرش دگرگون سازد و به دنبال شرّ برود.

و در این حال همان گونه که انسان، از خدا تقاضای نیکی می کند، بر اثر سوء تشخیص خود، بدیها را از او تقاضا می کند، و همان گونه که برای نیکی تلاش می کند، به دنبال شر و بدی می رود، و این بلای بزرگی است برای نوع انسانها و مانع عجیبی است در طریق سعادت، و موجب ندامت و خسران! در حدیثی از رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله نقل شده که فرمود: «مردم را عجله هلاک می کند، اگر مردم با تأمل کارها را انجام می دادند کسی هلاک نمی شد».

البته در روایات اسلامی بابی در زمینه «تعجیل (و سرعت) در کار خیر داریم» از جمله در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «خداوند کار نیکی را دوست دارد که در آن شتاب شود».

به هر حال عجله مذموم آن است که به هنگام بررسی و مطالعه در جوانب کار و شناخت صورت گیرد، اما سرعت و عجله ممدوح آن است که بعد از تصمیم گیری لازم، در اجرا درنگ نشود، و لذا در روایات میخوانیم: «در کار خیر، عجله کنید» یعنی بعد از آن که خیر بودن کاری ثابت شد دیگر جای مسامحه نیست.

سورة الإسراء(١٧): آية ١٢ ص: ٢٢٢

(آیه ۱۲) - در این آیه از آفرینش شب و روز و منافع و برکات این دو و وجود حساب و کتاب در عالم سخن می گوید تا هم دلیلی باشد بر توحید و شناخت خدا و بحث گذشته معاد را تکمیل کند و هم شاهدی باشد بر لزوم دقت در عواقب کارها و عدم شتابزدگی می فرماید: «ما شب و روز را دو نشانه (توحید و عظمت خود) قرار دادیم» (وَ جَعَلْنَا اللَّهُ لَ وَ النَّهارَ آیَر تَیْنِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۲۳

«سپس نشانه شب را محو کرده، و نشانه روز را روشنی بخش (به جای آن) قرار دادیم» (فَمَحَوْنا آیَـهُ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَـهُ النَّهارِ مُبْصِرَةً).

و از ایـن کـار دو هـدف داشـتیم، نخست این که « (در پرتـو آن) فضـل پروردگارتـان را بطلبیـد» و به تلاـش زنـدگی برخیزید (لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ).

هدف دیگر این که: «عدد سالها و حساب (کارهای زمان بندی شده خود) را بدانید» (وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ).

تمام جهان هستی بر محور حساب و اعداد می گردد و هیچ یک از نظامات این عالم بدون حساب نیست، طبیعی است انسان که جزئی از این مجموعه است نمی تواند بی حساب و کتاب زندگی کند.

«و ما هر چيز را مشخص و روشن ساختيم» (وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا).

سورة الإسراء(١٧): آية ١٣ ص: ٢٣٦

(آیه ۱۳) - از آنجا که در آیات گذشته سخن از مسائل مربوط به «معاد» و «حساب» در میان بود، در اینجا به مسأله «حساب اعمال انسانها» و چگونگی آن در روز قیامت پرداخته، می گوید: «و هر انسانی اعمالش را به گردنش آویخته ایم»! (وَ کُلَّ إنسانِ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِی عُنْقِهِ).

«طائر» به معنی پرنده است، ولی در اینجا اشاره به چیزی است که در میان عرب معمول بوده که به وسیله پرندگان، فال نیک و بد میزدند. مثلا اگر پرندهای از طرف راست آنها حرکت میکرد آن را به فال نیک میگرفتند، و اگر از طرف چپ حرکت میکرد آن را به فال بد میگرفتند.

قرآن در حقیقت می گوید: فال نیک و بد، و طالع سعد و نحس، چیزی جز اعمال شما نیست که به گردنتان آویخته است و نتائج آن در دنیا و آخرت از شما جدا نمی شود! قرآن سپس اضافه می کند: «و ما روز قیامت کتابی برای او بیرون می آوریم که آن را در برابر خود گشوده می بیند» (وَ نُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیامَةِ کِتاباً یَلْقاهُ مَنْشُوراً).

روشن است که منظور از «کتاب» چیزی جز کارنامه عمل انسان نیست، همان برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۲۴ کارنامهای که در این دنیا وجود دارد و اعمال او در آن ثبت میشود، منتها در اینجا پوشیده و مکتوم است و در آنجا گشوده و باز.

سورة الإسراء(١٧): آية ١٤ ص: ٢٢٩

(آیه ۱۴)- در این هنگام به او گفته می شود: «نامه اعمالت را خودت بخوان»! (اقْرَأْ كِتابَكُ).

«کافی است که خودت امروز حسابگر خویش باشی»! (کَفی بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِـ بِباً). یعنی آنقدر مسائل روشن و آشکار است و شواهد و مدارک زنده که جای گفتگو نیست. و به این ترتیب چیزی نیست که بتوان آن را حاشا کرد.

در حدیثی از امام صادق علیه السّ بلام میخوانیم: «در آن روز انسان آنچه را انجام داده و در نامه عمل او ثبت است همه را به خاطر می آورد گویی همان ساعت آن را انجام داده است! لذا فریاد مجرمان بلند می شود و می گویند: این چه نامهای است که هیچ صغیر و کبیرهای را فروگذار نکرده است»؟

سورة الإسراء(١٧): آية ١٥ ص: ٦٢٩

(آیه ۱۵)- این آیه، چهار حکم اساسی و اصولی را در رابطه با مسأله حساب و جزای اعمال بیان می کند.

۱- نخست می گوید: «هر کسی هدایت شود برای خود هدایت یافته» و نیجهاش عائد خود او می شود (مَنِ اهْتَدی فَإِنَّما یَهْتَدِی لِنَفْسِهِ).

٢- «و آن كس كه گمراه گردد، به زيان خود گمراه شده است» و عواقب شومش دامن خودش را مى گيرد (وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها).

۳- «و هیچ کس بـار گنـاه دیگری را به دوش نمی کشـد» و کسـی را به جرم دیگری مجـازات نمی کننـد (وَ لاـ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ اُخْری).

البته این قانون کلی که «هیچ کس بار گناه دیگری را به دوش نمی کشد» هیچ گونه منافاتی با آنچه در آیه سوره نحل گذشت که می گوید: «گمراه کنندگان بار مسؤولیت کسانی را که گمراه کردهاند نیز بر دوش می کشند» ندارد. زیرا آنها به خاطر اقدام به گمراه ساختن دیگران، فاعل آن گناه محسوب می شوند، و در حقیقت این بار گناهان خودشان است که بر دوش دارند. ۴- سر انجام چهارمین حکم را به این صورت بیان می کند که: «و ما (هیچ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۲۵ شخص و قومی را) مجازات نخواهیم کرد مگر آنکه پیامبری مبعوث کرده باشیم» تا وظائفشان را کاملا تشریح و اتمام حجت کند (وَ ما کُنّا مُعَذّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا).

سورة الإسراء(١٧): آية ١٦ ص: ٢٢٥

(آیه ۱۶) – مراحل چهارگانه مجازات الهی: در تعقیب آیه قبل که خاطر نشان می کرد «هر گز فرد یا گروهی را بدون بعث رسولان و بیان دستورات خود مجازات نمی کنیم» در این آیه همین اصل اساسی به صورت دیگری تعقیب شده است، می گوید: «و هنگامی که بخواهیم شهر و دیاری را هلاک کنیم، نخست اوامر خود را برای مترفین (و ثروتمندان مست شهوت) آنجا بیان می داریم، سپس هنگامی که به مخالفت برخاستند و استحقاق مجازات یافتند آنها را به شدت درهم می کوبیم» و هلاک می کنیم (وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِکَ قَرْیَةً أَمَرْنا مُثْرَفِیها فَفَسَقُوا فِیها فَصَقَّ عَلَیْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِیراً)

.بنابراین خداوند هرگز قبل از اتمام حجت و بیان دستوراتش کسی را مؤاخذه و مجازات نمی کند، بلکه نخست به بیان فرمانهایش می پردازد، اگر مردم از در اطاعت وارد شدند و آنها را پذیرا گشتند چه بهتر که سعادت دنیا و آخرتشان در آن است، و اگر به فسق و مخالفت برخاستند و همه را زیر پا گذاشتند اینجاست که فرمان عذاب در باره آنها تحقق می پذیرد و به دنبال آن هلاکت است.

از آیه استفاده میشود که سر چشمه غالب مفاسد اجتماعی ثروتمندان از خدا بیخبری هستند که در ناز و نعمت و عیش و هوس غرقند.

سورة الإسراء(١٧): آية ١٧ ص: 625

(آیه ۱۷)-این آیه به نمونههایی از مسأله فوق به صورت یک اصل کلی اشاره کرده، می گوید: «و چه بسیار مردمی که در قرون بعد از نوح زندگی می کردند (و طبق همین سنت) هلاک و نابودشان کردیم» (وَ کَمْ أَهْلَکْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ). سپس اضافه می کند: چنان نیست که ظلم و ستم و گناه فرد یا جمعیتی از دیده تیزبین علم خدا مخفی بماند، «همین مقدار کافی است که خدا از گناهان بندگانش آگاه و نسبت به آن بیناست» (وَ کَفی بِرَبِّکَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِیراً بَصِیراً). این که مخصوصا روی «قرون بعد از نوح» تکیه شده، ممکن است به خاطر برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۲۶ آن باشد که زندگی انسانها قبل از نوح بسیار ساده بود و این همه اختلافات مخصوصا تقسیم جوامع به «مترف» و «مستضعف» کمتر وجود داشت و به همین دلیل کمتر گرفتار مجازاتهای الهی شدند.

سورة الإسراء(١٧): آية ١٨ ص: ٦٢٦

(آیه ۱۸)- خطوط زندگی طالبان دنیا و آخرت: از آنجا که در آیات گذشته، سخن از مخالفت گردنکشان در برابر اوامر الهی و سپس هلاکت آنها بود در اینجا به علت واقعی این تمرّد و عصیان که همان حب دنیاست اشاره کرده، می گوید: «کسانی که تنها هدفشان همین زندگی زود گذر دنیای مادی باشد، ما آن مقدار را که بخواهیم به هر کس صلاح بدانیم در

« کساسی که تنها همدفشان همین رسد کی رود کدر دبیای مادی باشد، ما آن مقدار را که بحواهیم به هر کس صلاح بدانیم در همین زنـدگی زود گذر میدهیم سپس جهنّم را برای او قرار خواهیم داد که در آتش سوزانش میسوزد در حالی که مورد سرزنش و دوری از رحمت خداست» (مَنْ کانَ یُرِیدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِیها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِیدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ یَصْ لاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً).

قابل توجه اینکه نمی گوید هر کس به دنبال دنیا برود، به هرچه بخواهد میرسد، بلکه دو قید برای آن قائل می شود، اول این که تنها بخشی از آنچه را میخواهد به آن میرسد، همان مقداری که ما بخواهیم «ما نَشاءُ».

دیگر این که: همه افراد به همین مقدار نیز نمیرسند، بلکه تنها گروهی از آنها به بخشی از متاع دنیا خواهند رسید، آنها که ما بخواهیم «لِمَنْ نُرِیدُ».

و به این ترتیب نه همه دنیاپرستان به دنیا میرسند و نه آنها که میرسند به همه آنچه میخواهند میرسند، زندگی روزمره نیز این دو محدودیت را به وضوح به ما نشان میدهد، چه بسیارند کسانی که شب و روز میدونـد و به جایی نمیرسـند، و چه بسیار کسانی که آرزوهای دور و دراز در این دنیا دارند که تنها بخش کوچکی از آن را به دست می آورند.

قابل توجه این که کیفر این گروه، ضمن این که آتش جهنم شمرده شده است، با دو تعبیر «مَـنْدُمُوماً» و «مَـنْدُحُوراً» تأکید گردیده، که اولی به معنی مورد سرزنش و نکوهش قرار گرفتن و دومی به معنی دور ماندن از رحمت خداست.

در حقیقت آتش دوزخ، کیفر جسمانی آنهاست، و مذموم و مدحور بودن برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۲۷ کیفر روحانی آنها، چرا که معاد هم جسمانی است و هم روحانی و کیفر و پاداش آن نیز در هر دو جنبه است.

سورة الإسراء(١٧): آية ١٩ ص: ٤٢٧

(آیه ۱۹) – سپس به شرح حال گروه دوم میپردازد، با قرینه مقابله، آنچنانکه روش قرآن است، مطلب آشکارتر شود، می فرماید: «اما کسی که آخرت را بطلبد و سعی و کوشش خود را در این راه به کار بندد، در حالی که ایمان داشته باشد، این سعی و تلاش او مورد قبول الهی خواهد بود» (وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَ سَعی لَها سَعْیَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولِئِکَ کانَ سَعْیُهُمْ مَشْکُوراً). بنابراین برای رسیدن به سعادت جاویدان سه امر اساسی شرط است:

۱- اراده انسان آن هم ارادهای که تعلق به حیات ابدی گیرد، و به لذات زود گذر و نعمتهای ناپایدار و هدفهای صرفا مادی تعلق نگیرد.

۲- این اراده به صورت ضعیف و ناتوان در محیط فکر و اندیشه و روح نباشد بلکه تمام ذرات وجود انسان را به حرکت
 وادارد و آخرین سعی و تلاش خود را در این راه به کار بندد.

۳- همه اینها تو أم با «ایمان» باشد، ایمانی ثابت و استوار، چرا که تصمیم و تلاش هنگامی به ثمر میرسد که از انگیزه صحیحی، سر چشمه گیرد و آن انگیزه چیزی جز ایمان به خدا نمی تواند باشد.

سورة الإسراء(١٧): آية ٢٠ ص: ٤٢٧

(آیه ۲۰) - در اینجا ممکن است این توهم پیش آید که نعمتهای دنیا، تنها سهم دنیا پرستان خواهد شد و آخرت طلبان از آن محروم می گردند، آیه به این توهم پاسخ می گوید که: «ما هر یک از این گروه و آن گروه را از اعطای پروردگارت می دهیم و امداد می کنیم» (کُلَّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّکَ).

«چرا که بخشش پروردگارت از هیچ کس ممنوع نیست» و گبر و ترسا و مؤمن و مسلم همه از خان نعمتش وظیفه میخورند (وَ ما کانَ عَطاءُ رَبِّکَ مَحْظُوراً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٢١ ص: 627

اشاره

(آیه ۲۱)- این آیه یک اصل اساسی را در همین رابطه بازگو می کند و آن اینکه: همان گونه که تفاوت تلاشها در این دنیا باعث تفاوت در بهره گیریهاست، در کارهای آخرت نیز همین اصل کاملاـ حاکم است، با این تفاوت که این دنیا محدود برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۲۸

است و تفاوتهایش هم محدود، ولی آخرت نامحدود، و تفاوتهایش نیز نامحدود است، می گوید: «بنگر! چگونه بعضی از آنها را بر بعضی دیگر (بخاطر تفاوت در سعی و کوششان) برتری دادیم، اما آخرت درجاتش بزرگتر و برتریش بیشتر است»! (انْظُرْ کَیْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضِ وَ لَلْآخِرَهُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِیلًا).

آیا دنیا و آخرت با هم تضاد دارند؟ ص: ۶۲۸

در آیات بسیاری، مدح و تمجید از دنیا یا امکانات مادی آن شده است. ولی با این همه اهمیتی که به مواهب و نعمتهای مادی داده شده، تعبیراتی که قویّا آن را تحقیر می کند در آیات قرآن به چشم میخورد.

این تعبیرات دوگانه عینا در روایات اسلامی نیز دیده میشود.

پاسخ این سؤال را با مراجعه به خود قرآن این چنین می توان گفت که:

مواهب جهان مادی که همه از نعمتهای خداست و حتما وجودش در نظام خلقت لازم بوده و هست اگر به عنوان وسیلهای برای رسیدن به سعادت و تکامل معنوی انسان مورد بهرهبرداری قرار گیرد از هر نظر قابل تحسین است.

و اما اگر به عنوان یک هدف و نه وسیله مورد توجه قرار گیرد و از ارزشهای معنوی و انسانی بریده شود که در این هنگام طبعا مایه غرور و غفلت و طغیان و سرکشی و ظلم و بیدادگری خواهد بود، درخور هرگونه نکوهش و مذمت است.

سورة الإسراء(١٧): آية ٢٢ ص: 628

(آیه ۲۲)- توحید و نیکی به پدر و مادر، سر آغاز یک رشته احکام مهم اسلامی: این آیه سر آغازی است برای بیان یک سلسله از احکام اساسی اسلام که با مسأله توحید و ایمان، شروع می شود، توحیدی که خمیر مایه همه فعالیتهای مثبت و کارهای نیک سازنده است.

نخست مي گويد: «هر گز معبود ديگري را با خدا قرار مده» (لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلها آخَرَ).

نمی گوید معبود دیگری را با خدا پرستش مکن، بلکه می گوید: «قرار مده» تا معنی وسیعتری داشته باشد، یعنی نه در عقیده، نه در عمل، نه در دعا و تقاضا و نه در پرستش معبود دیگری را در کنار «الله» قرار مده. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۲۹ سپس به بیان نتیجه مرگبار شرک پرداخته، می گوید: اگر شریکی برای او قائل شوی «نکوهیده و بی یار و یاور خواهی نشست» (فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولًا).

از جمله بالا استفاده می شود که شرک سه اثر بسیار بد در وجود انسان می گذارد:

۱- شرک مایه ضعف و ناتوانی و زبونی و ذلت است.

۲ - شرک، مایه مذمت و نکوهش است، چرا که یک خط و روش انحرافی است در برابر منطق عقل و کفرانی است آشکار در مقابل نعمت پروردگار.

۳- شرک سبب می شود که خداوند مشرک را به معبودهای ساختگیش واگذارد و دست از حمایتش بردارد. در نتیجه «مخذول» یعنی بدون یار و یاور خواهد شد.

سورة الإسراء(١٧): آية ٢٣ ص: ٢٩٩

(آیه ۲۳)- بعد از اصل توحید به یکی از اساسی ترین تعلیمات انسانی انبیاء ضمن تأکید مجدد بر توحید اشاره کرده، می گوید: «و پروردگارت فرمان داده جز او را نپرستیـد و نسـبت به پـدر و مادر نیکی کنید»! (وَ قَضـی رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِیَّاهُ وَ بِالْوالِدَیْنِ إحْساناً).

قرار دادن توحید یعنی اساسی ترین اصل اسلامی در کنار نیکی به پدر و مادر تأکید دیگری است بر اهمیت این دستور اسلامی. سپس به بیان یکی از مصداقهای روشن نیکی به پدر و مادر پرداخته، می گوید:

«هرگاه یکی از آن دو، یا هر دو آنها، نزد تو به سن پیری و شکستگی برسند (آن چنان که نیازمند به مراقبت دائمی تو باشند از هرگونه محبت در مورد آنها دریغ مدار، و کمترین اهانتی به آنان مکن، حتی) سبکترین تعبیر نامؤدبانه یعنی: اف به آنها مگو» (إمَّا یَبْلُغَنَّ عِنْدَکَ الْکِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ کِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفِّ).

«و بر سر آنها فرياد مزن» (وَ لا تَنْهَرْهُما).

بلكه «با گفتار سنجيده و لطيف و بزرگوارانه با آنها سخن بگو» (وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۳۰

سورة الإسراء (١٧): آية ٢٤ ص: 630

(آیه ۲۴)- و نهایت فروتنی را در برابر آنها بنما «و بالهای تواضع خود را در برابرشان از محبت و لطف فرود آر» (وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ).

«و بگو: بـار پروردگـارا! آنهـا را مشـمول رحمت خـویش قرار ده همـان گونه که در کودکی مرا تربیت کردهانـد» (وَ قُـلُ رَبِّ ارْحَمْهُما کَما رَبَّیانِی صَغِیراً).

اگر پدر و مادر آن چنان مسن و ناتوان شوند که به تنهایی قادر بر حرکت و دفع آلودگیها از خود نباشند، فراموش نکن که تو هم در کودکی چنین بودی و آنها از هرگونه حمایت و محبت از تو دریغ نداشتند محبت آنها را جبران نما.

سورة الإسراء(١٧): آية ٢٥ ص: ٣٣٠

اشاره

(آیه ۲۵)- و از آنجا که گاهی در رابطه با حفظ حقوق پـدر و مادر و احترام آنها و تواضعی که بر فرزنـد لازم است ممکن است لغزشـهایی پیش بیاید که انسان آگاهانه یا ناآگاه به سوی آن کشـیده شود در این آیه می گوید: «پروردگار شـما به آنچه در دل و جان شماست از شما آگاهتر است» (رَبُّکُمْ أَعْلَمُ بِما فِی نُفُوسِکُمْ).

چرا که علم او در همه زمینه ها حضوری و ثابت و ازلی و ابدی و خالی از هر گونه اشتباه است در حالی که علوم شما واجد این صفات نیست.

بنابراین اگر بدون قصد طغیان و سرکشی در برابر فرمان خدا لغزشی در زمینه احترام و نیکی به پدر و مادر از شما سر زند و بلافاصله پیشمان شدید و در مقام جبران برآیید مسلما مشمول عفو خدا خواهید شد: «اگر شما صالح باشید (و توبه کار) خداوند توبه کاران را می آمرزد»! (إنْ تَکُونُوا صالِحِینَ فَإِنَّهُ کانَ لِلْأَوَّابِینَ غَفُوراً).

احترام پدر و مادر در منطق اسلام ص: 330

- اسلام در مورد احترام والدین آن قدر تأکید کرده است که در کمتر مسألهای دیده می شود.

به عنوان نمونه به چند قسمت اشاره می کنیم:

الف) در چهار سوره از قرآن مجید نیکی به والدین بلافاصله بعد از مسأله توحید قرار گرفته این هم ردیف بودن بیانگر این است که اسلام تا چه حد برای پدر و مادر احترام قائل است.

ب) اهمیت این موضوع تا آن پایه است که هم قرآن و هم روایات صریحا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۳۱ توصیه می کنند که حتی اگر پدر و مادر کافر باشند رعایت احترامشان لازم است.

ج) شکر گزاری در برابر پدر و مادر در قرآن مجید در ردیف شکر گزاری در برابر نعمتهای خدا قرار داده شده است.

د) قرآن حتی کمترین بی احترامی را در برابر پدر و مادر اجازه نداده است.

ه) با این که جهاد یکی از مهمترین برنامههای اسلامی است، مادامی که جنبه وجوب عینی پیدا نکند یعنی داوطلب به قدر کافی باشد، بودن در خدمت پدر و مادر از آن مهمتر است، و اگر موجب ناراحتی آنها شود، جایز نیست.

و) پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «بترسید از این که عاق پدر و مادر و مغضوب آنها شوید، زیرا بوی بهشت از پانصد سال راه به مشام میرسد، ولی هیچگاه کسانی که مورد خشم پدر و مادر هستند بوی آن را نخواهند یافت».

در حدیث دیگری از امام کاظم علیه السّ لام میخوانیم: «کسی نزد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمد و از حق پدر و فرزند سؤال کرد، فرمود: «باید او را با نام صدا نزند (بلکه بگوید پدرم!) و جلوتر از او راه نرود، و قبل از او ننشیند، و کاری نکند که مردم به پدرش بدگویی کنند» نگویند خدا پدرت را نیامرزد که چنین کردی!

سورة الإسراء(١٧): آية ٢٠ ص: ٣٣١

(آیه ۲۶)- رعایت اعتدال در انفاق و بخشش: در اینجا فصل دیگری از سلسله احکام اصولی اسلام را در رابطه با ادای حق خویشاوندان و مستمندان و در راه ماندگان، و همچنین انفاق را بطور کلی، دور از هرگونه اسراف و تبذیر بیان می کند. نخست می گوید: «و حقّ نزدیکان را بپرداز» (وَ آتِ ذَا الْقُرْبی حَقَّهُ).

«ذَا الْقُرْبي» مفهوم وسیعی دارد و همه خویشاوندان را شامل میشود، گرچه اهل بیت پیامبر از روشنترین مصداقهای آن میباشند و شخص پیامبر از روشنترین افراد مخاطب به این آیه است.

«و (همچنین حق) مستمندان و در راه مانده را» (وَ الْمِسْكِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ).

در عین حال «هر گز دست به تبذیر نیالای» (وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِیراً). و بیش از حد استحقاق به آنها انفاق مکن.

دقت در مسأله اسراف و تبذير تا آن حد است كه در حديثي ميخوانيم: برگزيده تفسير نمونه، ج٢، ص: ٤٣٢

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله از راهی عبور می کرد، یکی از یارانش به نام سعد مشغول وضو گرفتن بود، و آب زیاد میریخت، فرمود: چرا اسراف می کنی ای سعد! عرض کرد: آیا در آب وضو نیز اسراف است؟ فرمود: نعم و ان کنت علی نهر جار «آری! هر چند در کنار نهر جاری باشی».

سورة الإسراء(١٧): آية ٢٧ ص: ٣٣٢

(آیه ۲۷)- این آیه به منزله استدلال و تأکیدی بر نهی از تبذیر است، میفرماید: «تبذیرکنندگان برادران شیاطینند» (إِنَّ الْمُبَذِّرِینَ کانُوا إِخْوانَ الشَّیاطِین). چرا که نعمتهای خدا را کفران میکنند. «و شيطان، در برابر پروردگارش بسيار ناسپاس بود» (وَ كَانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً).

زیرا خداونـد نیرو و تـوان و هـوش و استعداد فوق العـادهای به او داده بود، و او این همه نیرو را در غیر موردش یعنی در طریق اغوا و گمراهی مردم صرف کرد.

سورة الإسراء(١٧): آية ٢٨ ص: ٣٣٦

(آیه ۲۸) – و از آنجا که گاهی مسکینی به انسان رو می آورد و امکاناتی برای پاسخ گویی به نیاز او در اختیارش نیست، این آیه طرز برخورد صحیح با نیازمندان را در چنینی شرایطی بیان کرده، می گوید: «هرگاه از آنان [مستمندان] روی برتابی (به خاطر نداشتن امکانات و) انتظار رحمت پروردگارت را داشته باشی (تا گشایشی در کارت پدید آید و به آنها کمک کنی) با گفتار نرم و آمیخته با لطف با آنها سخن بگو» حتی اگر می توانی وعده آینده را به آنها بده و مأیوسشان نساز (وَ إِمَّا تُعْرِضَنَ عَنْهُمُ ابْیِغاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَیْسُوراً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٢٩ ص: ٣٣٧

(آیه ۲۹) - و از آنجا که رعایت اعتدال در همه چیز حتی در انفاق و کمک به دیگران شرط است در این آیه روی این مسأله تأکید کرده، می گوید: «و هر گز دستت را بر گردنت زنجیر مکن» و ترک انفاق و بخشش منما (وَ لا تَجْعَلْ یَدَکَ مَغْلُولَةً إِلَی عُنُقِکَ).

این تعبیر کنایه لطیفی است از این که دست دهنده داشته باش، و همچون بخیلان که گویی دستهایشان به گردنشان با غل و زنجیر بسته است و قادر به کمک و انفاق نیستند مباش. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۳۳

«و بیش از حدّ (نیز) دست خود را مگشای، تا مورد سرزنش قرار گیری و از کار فرومانی»! (وَ لا تَبْسُطْها کُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٣٠ ص: ٣٣٣

(آیه ۳۰)- در اینجا این سؤال مطرح می شود که اصلا چرا بعضی از مردم محروم و نیازمند و مسکین هستند که لازم باشد ما به آنها انفاق کنیم. آنها انفاق کنیم آیا بهتر نبود خداوند خودش به آنها هر چه لازم بود می داد تا نیازی نداشته باشند که ما به آنها انفاق کنیم. این آیه گویی اشاره به پاسخ همین سؤال است، می فرماید: «خداوند روزیش را بر هر کس بخواهد گشاده می دارد و بر هر کس بخواهد تنگ، چرا که او نسبت به بندگانش آگاه و بیناست» (إِنَّ رَبَّکَ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءٌ وَ یَقْدِرُ إِنَّهُ کانَ بِعِبادِهِ خَبیراً بَصِیراً).

این یک آزمون برای شماست و گر نه برای او همه چیز ممکن است، او میخواهد به این وسیله شما را تربیت کند، و روح سخاوت و فداکاری و از خودگذشتگی را در شما پرورش دهد.

به علاوه بسیاری از مردم اگر کاملاـ بینیاز شونـد راه طغیان و سرکشـی پیش می گیرنـد، و صلاح آنها این است که در حد معینی از روزی باشند، حدی که نه موجب فقر گردد نه طغیان.

از همه اینها گذشته وسعت و تنگی رزق در افراد انسان- به جز موارد استثنائی یعنی از کار افتادگان و معلولین- بستگی به

میزان تلایش و کوشش آنها دارد و این که میفرماید خدا روزی را برای هر کس بخواهد تنگ و یا گشاده میدارد، این خواستن هماهنگ با حکمت اوست و حکمتش ایجاب می کند که هر کس تلاشش بیشتر باشد سهمش فزونتر و هر کس کمتر باشد محرومتر گردد.

سورة الإسراء(١٧): آية ٣١ ص: ٣٣٦

(آیه ۳۱) - شش حکم مهم - در تعقیب بخشهای مختلفی از احکام اسلامی که در آیات گذشته آمد در اینجا به بخش دیگری از این احکام پرداخته و شش حکم مهم را ضمن پنج آیه با عباراتی کوتاه اما پرمعنی و دلنشین شرح می دهد.

۱- نخست به یک عمل زشت- جاهلی که از فجیعترین گناهان بود- اشاره بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۳۴

كرده، مى گويد: «و فرزندان خود را از ترس فقر به قتل نرسانيد» (وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةً إِمْلاقٍ).

روزی آنها بر شما نیست، «آنها و شما را ما روزی می دهیم» (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِیَّاكُمْ).

«چرا که قتل آنها گناه بزرگی بوده و هست» (إِنَّ قَتْلَهُمْ کَانَ خِطْأً کَبِیراً).

از این آیه به خوبی استفاده می شود که وضع اقتصادی اعراب جاهلی آنقدر سخت و ناراحت کننده بوده که حتی گاهی فرزندان دلبند خود را- اعم از پسر و دختر- از ترس عدم توانایی اقتصادی به قتل می رساندند.

البته همین جنایت در شکل دیگری در عصر ما و حتی به اصطلاح در مترقی ترین جوامع انجام می گیرد، و آن اقدام به سقط جنین در مقیاس بسیار وسیع به خاطر جلوگیری از افزایش جمعیت و کمبودهای اقتصادی است.

سورة الإسراء(١٧): آية ٣٢ ص: ٦٣٩

اشاره

(آیه ۳۲)- دوم: گناه بزرگ دیگری که این آیه به آن اشاره می کند مسأله زنا و عمل منافی عفت است می گوید: «و نزدیک زنا نشوید چرا که عمل بسیار زشتی است و راه و روش بدی است» (وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنی إِنَّهُ کانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِیلًا).

نمی گوید زنا نکنید، بلکه می گوید به این عمل شرم آور نزدیک نشوید، این تعبیر اشاره لطیفی به این است که آلودگی به زنا غالبا مقدماتی دارد که انسان را تدریجا به آن نزدیک می کند، «چشم چرانی» یکی از مقدمات آن است، «برهنگی و بی حجابی» مقدمه دیگر، «کتابهای بد آموز» و «فیلمهای آلوده» و «نشریات فاسد» و «کانونهای فساد» هر یک مقدمه ای برای این کار محسوب می شود.

همچنین خلوت با اجنبیه (یعنی بودن مرد و زن نامحرم در یک مکان خالی و تنها) عامل وسوسه انگیز دیگری است. بالاخره ترک ازدواج برای جوانان، و سختگیریهای بی دلیل طرفین در این زمینه همه از عوامل «قرب به زنا» است که در آیه فوق با یک جمله کوتاه از همه آنها نهی می کند، و در روایات اسلامی نیز هر کدام جداگانه مورد نهی قرار گرفته است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۳۵

۱- پیـدایش هرج و مرج در نظام خانواده، و از میان رفتن رابطه فرزنـدان و پدران، رابطهای که وجودش نه تنها سبب شـناخت اجتماعی است، بلکه موجب حمایت کامل از فرزندان می گردد.

زیرا در جامعهای که فرزندان نامشروع و بی پدر فراوان گردند روابط اجتماعی که بر پایه روابط خانوادگی بنیان شده سخت دچار تزلزل می گردد.

از این گذشته از عنصر محبت که نقش تعیین کنندهای در مبارزه با جنایتها و خشونتها دارد محروم میشوند، و جامعه انسانی به یک جامعه کاملا حیوانی تو أم با خشونت در همه ابعاد، تبدیل می گردد.

۲- تجربه نشان داده و علم ثابت کرده است که این عمل باعث اشاعه انواع بیماریهاست و با تمام تشکیلاتی که برای مبارزه با
 عواقب و آثار آن امروز فراهم کردهاند باز آمار نشان میدهد که تا چه اندازه افراد از این راه سلامت خود را از دست داده و
 میدهند.

۳- نباید فراموش کرد که هدف از ازدواج تنها مسأله اشباع غریزه جنسی نیست بلکه اشتراک در تشکیل زندگی و انس روحی و آرامش فکری، و تربیت فرزندان و همکاری در همه شئون حیات از آثار ازدواج است که بدون اختصاص زن و مرد به یکدیگر و تحریم «زنا» هیچ یک از اینها امکان پذیر نیست.

سورة الإسراء(١٧): آية ٣٣ ص: 835

(آیه ۳۳)- سوم: حکم دیگر که این آیه به آن اشاره می کنید احترام خون انسانها و حرمت شدید قتل نفس است می گوید: «و کسی که خداونید خونش را حرام کرده است به قتل نرسانید مگر (آنجا که) به حق باشد» (وَ لاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بالْحَقِّ).

نه تنها قتل نفس بلکه کمترین و کوچکترین آزار یک انسان از نظر اسلام مجازات دارد، و می توان با اطمینان گفت این همه احترام که اسلام برای خون و جان و حیثیت انسان قائل شده است در هیچ آئینی وجود ندارد.

ولی مواردی پیش میآید که احترام خون برداشته میشود، و این در مورد برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۳۶

کسانی است که مرتکب قتل و یا گناهی همانند آن شدهاند، لذا در آیه فوق با جمله «إِلَّا بِالْحَقِّ» این گونه افراد را استثناء می کند.

البته احترام به خون انسانها در اسلام مخصوص مسلمانها نیست، بلکه غیر مسلمانانی که با مسلیمن سر جنگ ندارند و در یک زندگی مسالمت آمیز با آنها به سر میبرند، جان و مال و ناموسشان محفوظ است و تجاوز به آن حرام و ممنوع. سپس به حق قصاص که برای اولیای دم ثابت است اشاره کرده، می گوید:

«و كسى كه مظلوم كشته شود براى ولى او سلطه قرار داديم» سلطه قصاص قاتل (وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً). اما در عين حال «او نبايد (بيش از حق خود مطالبه كند و) در قتل اسراف نمايد چرا كه او مورد حمايت است» (فَلا يُشرِفْ فِي الْقَتْل انَّهُ كَانَ مَنْهُ. . أَ)

آری! اولیای مقتول مادام که در مرز اسلام گام برمیدارند و از حد خود تجاوز نکردهاند مورد نصرت الهی هستند.

این جمله اشاره به اعمالی است که در زمان جاهلیت وجود داشت، و امروزه نیز گاهی صورت می گیرد که احیانا در برابر کشته شدن یک نفر از یک قبیله، قبیله مقتول خونهای زیادی را میریزند و یا این که در برابر کشته شدن یک نفر، افراد

بی گناه و بی دفاع دیگری غیر از قاتل را به قتل می رسانند.

سورة الإسراء(١٧): آية ٣٤ ص: ٥٣۶

(آیه ۳۴)- چهارم: این آیه چهارمین دستور از این سلسله احکام را شرح میدهد نخست به اهمیت حفظ مال یتیمان پرداخته و با لحنی مشابه آنچه در مورد عمل منافی عفت در آیات قبل گذشت می گوید: «و به اموال یتیمان نزدیک نشوید» (وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْیَتِیم).

نه تنها اموال يتيمان را نخوريد بلكه حتى حريم آن را كاملا محترم بشماريد.

ولی از آنجا که ممکن است این دستور دستاویزی گردد برای افراد ناآگاه که تنها به جنبههای منفی مینگرند، و سبب شود که اموال یتیمان را بدون سرپرست بگذارند و به دست حوادث بسپارند، لذا بلافاصله استثناء روشنی برای این حکم ذکر کرده، می گوید: «مگر به طریقی که بهترین شیوهها است» (إِلَّا بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۳۷

بنابراین هرگونه تصرفی در اموال یتیمان که به منظور حفظ، اصلاح، تکثیر و اضافه کردن بوده باشد، مجاز است.

البته این وضع تا زمانی ادامه دارد که به حدّ رشد فکری و اقتصادی برسد آن گونه که قرآن در ادامه آیه مورد بحث از آن یاد می کند: «تا زمانی که به حد بلوغ (و قدرت) برسد» (حَتَّی یَبْلُغَ أَشُدَّهُ).

۵- سپس به مسأله وفای به عهد پرداخته، می گوید: «به عهد خود وفا کنید چرا که از وفای به عهد سؤال می شود» (وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا).

بسیاری از روابط اجتماعی و خطوط نظام اقتصادی و مسائل سیاسی همگی بر محور عهدها و پیمانها دور میزند که اگر تزلزلی در آنها پیدا شود به زودی نظام اجتماع فرو میریزد.

سورة الإسراء(١٧): آية ٣٥ ص: ٣٧٧

(آیه ۳۵)- ششم: آخرین حکم در رابطه با عـدالت در پیمانه و وزن و رعـایت حقـوق مردم و مبـارزه بـا کم فروشـی است، میفرماید: «و هنگامی که با پیمانه چیزی را میسنجید حق آن را اداء کنید» (وَ أَوْفُوا الْکَیْلَ إِذَا کِلْتُمْ).

«و با ميزان و ترازوى صحيح و مستقيم وزن كنيد» (وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيم).

«چرا که این کار به سود شماست، و سر انجامش (از همه) بهتر است» (ذلککَ خَیْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِیلًا).

اصولا حق و عدالت و نظم و حساب در همه چیز و همه جا یک اصل اساسی و حیاتی است، و اصلی است که بر کل عالم هستی حکومت می کند، و هر گونه انحراف از این اصل، خطرناک و بد عاقبت است، مخصوصا کم فروشی سرمایه اعتماد و اطمینان را که رکن مهم مبادلات است از بین می برد، و نظام اقتصادی را به هم می ریزد.

سورة الإسراء(١٧): آية ٣٤ ص: ٣٣٧

(آیه ۳۶)- تنها از علم پیروی کن: در آیات گذشته یک سلسله از اصولی ترین تعلیمات و احکام اسلامی را خواندیم در اینجا به آخرین بخش از این احکام میرسیم که در آن به چند حکم مهم اشاره شده است. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۳۸ ۱- نخست سخن از لزوم تحقیق در همه چیز به میان آورده، می فرماید: «و از آنچه به آن آگاهی نداری پیروی مکن» (وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ).

نه در عمل شخصی خود از غیر علم پیروی کن، و نه به هنگام قضاوت در باره دیگران، نه شهادت به غیر علم بده، و نه به غیر علم اعتقاد پیدا کن.

و در پایان آیه دلیل این نهی را چنین بیان می کند: «زیرا گوش و چشم و دل همه مسئولند» و در برابر کارهایی که انجام دادهاند از انسان سؤال می شود (إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولِئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا).

این مسؤولیتها به خاطر آن است که سخنانی را که انسان بدون علم و یقین می گوید یا به این طریق است که از افراد غیر موثق شنیده، و یا می گوید دیده ام در حالی که ندیده، و یا در تفکر خود دچار قضاوتهای بی مأخذ و بی پایه ای شده که با واقعیت منطبق نبوده است، به همین دلیل از چشم و گوش و فکر و عقل او سؤال می شود که آیا واقعا شما به این مسائل ایمان داشتید که شهادت دادید، یا قضاوت کردید، یا به آن معتقد شدید و عمل خود را بر آن منطبق نمودید؟! نادیده گرفتن این اصل نتیجه ای جز هرج و مرج اجتماعی و از بین رفتن روابط انسانی و پیوندهای عاطفی نخواهد داشت.

سورة الإسراء (١٧): آية ٣٧ ص: 8٣٨

خدا و خویشتن، برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۳۹

(آیه ۳۷)– متکبر مباش! این آیه به مبارزه با کبر و غرور برخاسته و با تعبیر زنده و روشنی مؤمنان را از آن نهی میکند، روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، میگوید:

«و در روی زمین از روی کبر و غرور، گام برمدار» (وَ لا تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً).

«چرا که تو نمی توانی زمین را بشکافی! و طول قامتت به کوهها نمی رسد»! (إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا). اشاره به این که افراد متکبر و مغرور غالبا به هنگام راه رفتن پاهای خود را محکم به زمین می کوبند تا مردم را از آمد و رفت خویش آگاه سازند، گردن به آسمان می کشند تا برتری خود را به پندار خویش بر زمینیان مشخص سازند! هدف قرآن این است که کبر و غرور را بطور کلی، محکوم کند، نه تنها در چهره خاصی یعنی راه رفتن. چرا که غرور سر چشمه بیگانگی از

و اشتباه در قضاوت، و گم کردن راه حق، و پیوستن به خط شیطان، و آلودگی به انواع گناهان است.

برنامه عملی پیشوایان اسلام سرمشق بسیار آموزندهای برای هر مسلمان راستین در این زمینه است.

در سیره پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: هرگز اجازه نمیداد به هنگامی که سوار بود افرادی در رکاب او پیاده راه بروند و نیز میخوانیم: پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بر روی خاک مینشست، و غذای ساده همچون غذای بردگان میخورد، و از گوسفند شیر میدوشید، بر الاغ برهنه سوار میشد.

در حالات على عليه السّلام نيز ميخوانيم كه او براى خانه آب ميآورد و گاه منزل را جارو ميكرد.

و در تاریخ امام مجتبی علیه السّر لام میخوانیم که با داشتن مرکبهای متعدد، بیست مرتبه پیاده به خانه خدا مشرف شد و می فرمود: من برای تواضع در پیشگاه خدا این عمل را انجام میدهم.

سورة الإسراء(١٧): آية ٣٨ ص: ٣٩٩

(آیه ۳۸)– این آیه به عنوان تأکیدی بر تمام احکامی که در مورد تحریم شرک و قتل نفس و زنا و فرزندکشی و تصرف در

مال یتیمان و آزار پـدر و مادر و مانند آن در آیات پیشـین گذشت می گوید: «تمام اینها گناهش نزد پروردگارت منفور است» (کُلُّ ذلِکَ کانَ سَیِّئُهُ عِنْدَ رَبِّکَ مَکْرُوهاً).

از این تعبیر روشن می شود که بر خلاف گفته پیروان مکتب جبر، خـدا هرگز اراده نکرده است گناهی از کسـی سـر بزند، چرا که اگر چنین چیزی را اراده کرده بود با کراهت و ناخشنودی که در این آیه روی آن تأکید شده است سازگار نبود.

سورة الإسراء(١٧): آية ٣٩ ص: ٣٩٩

(آیه ۳۹) - مشرک مشو! باز برای تأکید بیشتر و این که این احکام حکیمانه همگی از وحی الهی سر چشمه می گیرد، اضافه می کند: «اینها از امور حکمت آمیزی است که پروردگارت به تو وحی فرستاده است» (ذلِکَ مِمَّا أَوْحی إِلَيْ کَ رَبُّکَ مِنَ الْحِکْمَةِ).

اشاره به این که احکام هم از طریق حکمت عقلی، اثبات شده است، و هم از طریق وحی الهی، و اصول همه احکام الهی چنین است هر چند جزئیات آن را در برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۴۰

بسیاری از اوقات با چراغ کم فروغ عقل نمی توان تشخیص داد و تنها در پرتو نورافکن نیرومند وحی باید درک کرد.

سپس همانگونه که آغاز این احکام از تحریم شرک شروع شده بود با تأکید بر تحریم شرک آن را پایان داده، می گوید: «و هر گز (برای خداوند یگانه شریکی قائل مباش و) معبود دیگری را در کنار «الله» قرار مده» (وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ).

«که در جهنم افکنده میشوی سرزنش شده، و رانده (درگاه خدا) خواهی بود» (فَتُلْقی فِی جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً).

در حقیقت شرک و دوگانه پرستی، خمیر مایه همه انحرافات و جنایات و گناهان است، لذا بیان این سلسله احکام اساسی اسلام از شرک شروع شد و به شرک نیز پایان یافت.

سورة الإسراء(17): آية 40 ص: 640

(آیه ۴۰)- این آیه به یکی از افکار خرافی مشرکان اشاره کرده و پایه منطق و تفکر آنها را به این وسیله روشن میسازد و آن این که: بسیاری از آنها معتقد بودند که فرشتگان دختران خدا هستند در حالی که خودشان از شنیدن نام دختر، ننگ و عار داشتند و تولد او را در خانه خود مایه بدبختی و سرشکستگی می پنداشتند! قرآن از منطق خود آنها اتخاذ سند کرده، می گوید: «آیا پروردگار شما پسران را تنها در سهم شما قرار داد و خود از فرشتگان دخترانی انتخاب کرد» (أَ فَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِینَ وَ التَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثًا).

بدون شک فرزندان دختر همانند فرزندان پسر از مواهب الهی هستند و هیچ گونه تفاوتی از نظر ارزش انسانی ندارند. ولی هـدف قرآن این است آنها را با منطق خودشان محکوم سازد که شـما چگونه افراد نادانی هستید برای پروردگارتان چیزی قائل میشوید که خود از آن ننگ و عار دارید.

سپس در پایان آیه به صورت یک حکم قاطع می گوید: «شما سخن بسیار بزرگ و کفر آمیزی می گویید» (إِنَّکُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظماً).

سخنی که با هیچ منطقی سازگار نیست و از چندین جهت بی پایه است زیرا: برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۴۱ ۱- اعتقاد به وجود فرزند برای خدا اهانت عظیمی به ساحت مقدس او است، چرا که او نه جسم است نه عوارض جسمانی

دارد، نه نیاز به بقاء نسل.

۲- چگونه شما فرزندان خدا را همه دختر میدانید؟ در حالی که برای دختر پایینترین منزلت را قائلید.

۳- از همه گذشته این عقیده اهانتی به مقام فرشتگان الهی است که فرمانبران حقند و مقربان درگاه او. شما از شنیدن نام دختر وحشت دارید، ولی این مقربان الهی را همه دختر میدانید.

سورة الإسراء (١٧): آية ٤١ ص: ٤٤١

(آیه ۴۱)- چگونه از حق فرار می کنند؟! از آنجا که سخن در آیات گذشته به مسأله توحید و شرک منتهی شد، در اینجا همان مسأله با بیان روشن و قاطعی دنبال میشود.

نخست از لجاجت فوق العاده جمعی از مشرکان در برابر دلائل مختلف توحید سخن به میان آورده، می گوید: «و ما در این قرآن انواع بیانات مؤثر را آوردیم تا آنها متذکر شوند (و در راه حق گام بردارند) ولی (گروهی از کوردلان) جز بر نفرتشان نمی افزاید» (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ لِیَذَّکُرُوا وَ ما یَزیدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً).

در اینجا این سؤال به ذهن می رسد که اگر این بیانات گوناگون نتیجه معکوس دارد، ذکر آنها چه فائده ای خواهد داشت؟! پاسخ این سؤال روشن است و آن این که قرآن برای یک فرد یا یک گروه خاص نازل نشده بلکه برای کل جامعه انسانی است، و مسلما همه انسانها این گونه نیستند، بلکه بسیارند کسانی که این دلائل مختلف را می شنوند و راه حق را باز می یابند، و همین اثر، برای نزول این آیات، کافی است، هر چند کوردلانی از آن نتیجه معکوس بگیرند.

سورة الإسراء(١٧): آية ٤٢ ص: 641

(آیه ۴۲)- این آیه به یکی از دلائل توحید، اشاره می کند که در لسان دانشمندان و فلاسفه به عنوان «دلیل تمانع» معروف شده است.

می گوید: ای پیامبر! «به آنها بگو: اگر با خداوند قادر متعال، خدایان دیگری بود- آنچنان که آنها می پندارند- این خدایان سعی می کردند راهی به خداوند بزرگ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۴۲

صاحب عرش پيدا كنند» و بر او غالب شوند (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا).

زیرا طبیعی است که هر صاحب قدرتی میخواهد قدرت خود را کاملتر و قلمرو حکومت خویش را بیشتر کند و اگر راستی خدایانی وجود داشت این تنازع و تمانع بر سر قدرت و گسترش حکومت در میان آنها در می گرفت.

سورة الإسراء(١٧): آية ٤٣ ص: ٥٤٢

(آیه ۴۳) - و از آنجا که در تعبیرات مشرکان، خداوند بزرگ تا سر حد یک طرف نزاع تنزل کرده است، در این آیه بلافاصله می گوید: «خداوند از آنچه آنها می گویند پاک و منزه است و (از آنچه میاندیشند) بسیار برتر و بالاتر است» (سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمَّا یَقُولُونَ عُلُوًّا کَبیراً).

سورة الإسراء(١٧): آية 44 ص: 647

(آیه ۴۴)- سپس برای اثبات عظمت مقام پروردگار و این که از خیال و قیاس و گمان و وهم مشرکان است، به بیان تسبیح موجودات جهان در برابر ذات مقدسش پرداخته، می گوید: «آسمانهای هفتگانه و زمین و کسانی که در آنها هستند همگی تسبیح خدا می گویند» (تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبُعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِیهِنَّ).

نه تنها آسمانها و زمین، بلکه «هیچ موجودی نیست مگر این که تسبیح و حمد خدا می گوید ولی شما تسبیح آنها را درک نمی کنید» (وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ).

عالم شگرف هستی با آن نظام عجیبش با آن همه رازها و اسرار، با آن عظمت خیره کنندهاش و با آن ریزه کاریهای حیرت زا همگی «تسبیح و حمد» خدا می گویند.

با این حال «او بردبار و آمرزنده است» (إِنَّهُ کانَ حَلِيماً غَفُوراً). و شما را به خاطر شرک و کفرتان فورا مؤاخذه نمی کند، بلکه به مقدار کافی مهلت میدهد و درهای توبه را به روی شما باز می گذارد تا اتمام حجت شود.

سورة الإسراء(١٧): آية ٤٥ ص: ٤٤٢

اشاره

(آیه ۴۵)

شأن نزول: ص: ۶۴۲

این آیه در باره گروهی از مشرکان نازل شده که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را به هنگامی که در شب تلاوت قرآن میکرد و در کنار خانه کعبه نماز میگذارد آزار میدادند، و او را با سنگ میزدند و مانع دعوت مردم به اسلام میشدند. خداوند به لطفش چنان کرد که آنها نتوانند او را آزار دهند- و شاید این از برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۴۳ طریق رعب و وحشتی بود که از پیامبر در دل آنها افکند.

تفسير: ص: ۶۴۳

بی خبران مغرور و موانع شناخت- به دنبال آیات گذشته این سؤال برای بسیاری پیش می آید که با وضوح مسأله توحید به طوری که همه موجوات جهان به آن گواهی می دهند چرا مشرکان این واقعیت را نمی پذیرند؟ چرا آنها این آیات گویا و رسای قرآن را می شنوند و بیدار نمی شوند؟! آیه می گوید: «ای پیامبر! هنگامی که قرآن می خوانی میان تو و آنها که ایمان به آخرت ندارند، حجاب و پوششی نامرئی قرار می دهیم» (وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَیْنَکَ وَ بَیْنَ الَّذِینَ لا یُوْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ حِجاباً مَسْتُوراً).

این حجاب و پرده، همان لجاجت و تعصب و خودخواهی و غرور و جهل و نادانی بود که حقایق قرآن را از دیدگاه فکر و عقل آنها مکتوم میداشت و به آنها اجازه نمی داد حقایق روشنی همچون توحید و معاد و صدق دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و

آله و مانند آن را درک کنند.

اینجاست که می گوییم: اگر کسی بخواهد صراط مستقیم حق را بپوید و از انحراف و گمراهی در امان بماند باید قبل از هر چیز در اصلاح خویشتن بکوشد.

سورة الإسراء(١٧): آية 46 ص: 64

(آیه ۴۶)- این آیه اضافه می کند: «بر دلهایشان پوششهایی و در گوشهایشان سنگینی» قرار دادیم (وَ جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّهُ أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذانِهِمْ وَقْراً).

و لذا «هنگامی که پروردگارت را در قرآن به یگانگی یاد میکنی آنها پشت میکنند و رو بر میگردانند» (وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِی الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلی أَدْبارهِمْ نُفُوراً).

راستی چه عجیب است فرار از حق، فرار از سعادت و نجات، و فرار از خوشبختی و پیروزی و فهم و شعور.

سورة الإسراء(١٧): آية ٤٧ ص: 64٣

(آیه ۴۷) - در این آیه اضافه می کند: «هنگامی که به سخنان تو گوش فرا میدهند، ما بهتر میدانیم برای چه گوش فرا میدهند» (نَحْنُ أَعْلَمُ بِما یَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ یَسْتَمِعُونَ إِلَیْکَ).

«و (همچنین) در آن هنگام که با هم نجوا می کنند» (وَ إِذْ هُمْ نَجْوی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۴۴ «آنگاه که ستمگران (به مؤمنان) می گویند: شما جز از انسانی که افسون شده، پیروی نمی کنید» (إِذْ یَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً).

در حقیقت آنها به منظور درک حقیقت به سراغ تو نمی آیند و سخنانت را با گوش جان نمی شنوند، بلکه هدفشان آن است که بیایند و اخلال کنند، وصله بچسبانند و مؤمنان را-اگر بتوانند-از راه به در برند.

سورة الإسراء (١٧): آية 4٨ ص: 644

اشاره

(آیه ۴۸)

شأن نزول: ص: ۶۴۴

«ابن عباس» می گوید: ابو سفیان و ابو جهل و غیر آنها گاهی نزد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می آمدند و به سخنان او گوش فرا می دادند، روزی یکی از آنها به دیگران گفت: اصلا من نمی فهمم محمّد چه می گوید؟ فقط می بینم لبهای او حرکت می کند ولی ابو سفیان گفت: فکر می کنم بعضی از سخنانش حق است، أبو جهل اظهار داشت او دیوانه است، و ابو لهب اضافه کرد: او کاهن است، دیگری گفت: او شاعر است و به دنبال این سخنان ناموزون و نسبتهای ناروا آیه نازل گشت.

تفسير: ص: ۶۴۴

در این آیه باز روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، ضمن عبارت کوتاهی پاسخ دندانشکنی به این گروه گمراه میدهد و می گوید: «بنگر چگونه برای تو مثل میزنند (یکی ساحرت میخواند دیگری مسحور، یکی کاهن و دیگری مجنون) و از همین رو آنها گمراه شدهاند و قدرت پیدا کردن راه حق را ندارند» (انْظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ الْأَمْثالَ فَضَلُوا فَلا یَسْتَطِیعُونَ سَبیلًا).

نه این که راه ناپیدا باشد و چهره حق مخفی بلکه آنها چشم بینا ندارند، و عقل و خرد خود را به خاطر بغض و جهل و تعصب و لجاج از کار انداختهاند.

سورة الإسراء (١٧): آية ٤٩ ص: ٦٤٤

(آیه ۴۹)- رستاخیز قطعی است! در آیات گذشته سخن از «توحید» و مبارزه با شرک بود، اما در اینجا سخن از «معاد» که در همه جا مکمل مسأله توحید است به میان آمده، و به سه سؤال و یا سه ایراد منکران معاد پاسخ گفته شده است:

«و آنها گفتنـد: آیا هنگامی که ما به استخوانهای پوسیده تبـدیل و پراکنـده شدیم دگر بار آفرینش تازهای خواهیم یافت»؟ (وَ قالُوا أَ إذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِیداً).

این تعبیر نشان می دهـد که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله همواره در دعوت خود سخن از مسأله برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۴۵

«معاد جسمانی» می گفت که این جسم بعد از متلاشی شدن باز می گردد، و گر نه هرگاه سخن تنها از معاد روحانی بود این گونه ایرادهای مخالفان به هیچ وجه معنی نداشت.

سورة الإسراء(١٧): آية ٥٠ ص: 645

(آیه ۵۰)- قرآن در پاسخ آنها می گوید: «بگو: (استخوان پوسیده و خاک شده که سهل است) شما سنگ باشید یا آهن» باز خدا قادر است لباس حیات در تنتان بپوشاند (قُلْ کُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِیداً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٥١ ص: 643

(آیه ۵۱)- «یا هر مخلوقی که در نظر شما از آن هم سخت تر است» و از حیات و زنـدگی دور تر می باشد، باز خدا قادر است شما را به زندگی مجدّد بازگرداند (أَوْ خَلْقاً مِمَّا یَكْبُرُ فِی صُدُوركُمْ).

دومین ایراد آنها این بود که می گفتند: بسیار خوب اگر بپذیریم که این استخوانهای پوسیده و متلاشی شده قابل بازگشت به حیات است چه کسی قدرت انجام این کار را دارد، چرا که این تبدیل را یک امر بسیار پیچیده و مشکل میدانستند «پس آنها مى گويند: چه كسى ما را باز مى گرداند»؟ (فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا).

پاسخ این سؤال را قرآن چنین می گوید: «به آنها بگو: همان کسی که شما را بار اول آفرید» (قُلِ الَّذِی فَطَرَكُمْ أُوَّلَ مَرَّةٍ).

سر انجـام به سومین ایراد آنهـا پرداخته، میگویـد: «پس آنهـا سـر خود را از روی تعجب و انکـَـار به سوی تو تکان میدهنـد و میگویند: چه زمانی این معاد واقع میشود»؟ (فَسَیُنْغِضُونَ إِلَیْکَ رُؤُسَهُمْ وَ یَقُولُونَ مَتی هُوَ).

آنها در حقیقت با این ایراد خود میخواستند این مطلب را منعکس کنند که به فرض این ماده خاکی قابل تبدیل به انسان باشد، و قدرت خدا را نیز قبول کنیم، اما این یک وعده نسیه بیش نیست و معلوم نیست در چه زمانی واقع می شود؟ قرآن در پاسخشان می گوید: «به آنها بگو: شاید زمان آن نزدیک باشد» (قُلْ عَسی أَنْ یَکُونَ قَرِیباً).

و البته نزدیک است چرا که مجموعه عمر این جهان هرچه باشد در برابر زندگی بیپایان در سرای دیگر لحظه زود گذری بیش نیست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۴۶

و از این گذشته، اگر قیامت در مقیاسهای کوچک و محدود ما دور به نظر برسد آستانه قیامت که مرگ است به همه ما نزدیک است چرا که مرگ قیامت صغری است «اذا مات الانسان قامت قیامته»، درست است که مرگ، قیامت کبری نیست ولی یادآور آن است.

سورة الإسراء(١٧): آية ٥٢ ص: 648

(آیه ۵۲) - در این آیه بی آنکه تاریخ دقیقی از قیامت ذکر کند بعضی از خصوصیات آن را چنین بیان می کند: «این بازگشت به حیات «همان روز (ی خواهد بود) که شما را (از قبرهایتان) فرا می خواند، شما هم اجابت می کنید در حالی که حمد او را می گویید» (یَوْمَ یَدْعُوکُمْ فَتَسْتَجِیبُونَ بِحَمْدِهِ).

و آن روز است که فاصله مرگ و رستاخیز یعنی دوران برزخ را کوتاه خواهیـد شـمرد «و میپنداریـد تنها مـدت کوتاهی (در جهان برزخ) درنگ کردهاید» (وَ تَطُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِیلًا).

سورة الإسراء(١٧): آية ٥٣ ص: 648

(آیه ۵۳)- برخورد منطقی با همه مخالفان: از آنجا که در آیات پیشین سخن از مبدأ و معاد و دلائلی بر این دو مسأله مهم اعتقادی در میان بود، در اینجا روش گفتگو و استدلال با مخالفان مخصوصا مشرکان را می آموزد چرا که مکتب هر قدر عالی باشد و منطق قوی و نیرومند ولی اگر با روش صحیح بحث و مجادله توأم نگردد و به جای لطف و محبت، خشونت بر آن حاکم گردد، بی اثر خواهد بود.

لذا آیه می گوید: «و به بندگان من بگو: سخنی را بگویند که بهترین باشد» (وَ قُلْ لِعِبادِی یَقُولُوا الَّتِی هِیَ أَحْسَنُ). بهترین از نظر محتوی، بهترین از نظر طرز بیان، و بهترین از جهت تو أم بودن با فضائل اخلاقی و روشهای انسانی.

«چرا که (اگر قول احسن را ترک گوینـد و به خشونت در کلام و مخاصـمه و لجاج برخیزند) شیطان در میان آنها فساد و فتنه میکند» (إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزُغُ بَيْنَهُمْ).

و فراموش نکنید شیطان در کمین نشسته و بیکار نیست «زیرا شیطان از آغاز دشمن آشکاری برای انسان بوده است» (إِنَّ الشَّيْطانَ کانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۴۷ گاهی مؤمنان تازه کار طبق روشی که از پیش داشتند با هر کس که در عقیده با آنها مخالف بود به خشونت می پرداختند. از این گذشته تعبیرات توهین آمیز مخالفان نسبت به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله که بعضی از آنها در آیات پیشین گذشت مانند مسحور، مجنون، کاهن، شاعر، گاهی سبب می شد که مؤمنان عنان اختیار را از دست بدهند و به مقابله با آنها در یک مشاجره لفظی خشن برخیزند و هرچه می خواهند بگویند.

«قرآن» مؤمنان را از این کار باز میدارد و دعوت به نرمش و لطافت در بیان و انتخاب بهترین کلمات را می کند تا از فساد شیطان بیرهیزند.

سورة الإسراء(١٧): آية ٥٤ ص: 647

(آیه ۵۴)- این آیه اضافه می کند: «پروردگار شما از حال شما آگاهتر است اگر بخواهد شما را مشمول رحمت خویش قرار می دهد، و اگر بخواهد مجازاتتان خواهد کرد» (رَبُّکُمْ أَعْلَمُ بِکُمْ إِنْ یَشَأْ یَرْحَمْکُمْ أَوْ إِنْ یَشَأْ یُعَذِّبْکُمْ).

در پایان آیه روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده و به عنوان دلداری و پیشگیری از ناراحتی فوق العاده پیامبر صلّی الله علیه و آله از عدم ایمان مشرکان میفرماید: «و ما تو را و کیل بر آنها نفرستاده ایم» که ملزم باشی حتما آنها ایمان بیاورند (وَ ما أَرْسَلْناکَ عَلَيْهِمْ وَکِيلًا).

وظیفه تو ابلاغ آشکار و دعوت مجدّانه به سوی حق است، اگر ایمان آوردند چه بهتر و گر نه زیانی به تو نخواهد رسید.

سورة الإسراء(١٧): آية ٥٥ ص: ٤٤٧

(آیه ۵۵)– این آیه سخن را از این فراتر میبرد و میگوید: خدا تنها آگاه از حال شما نیست بلکه: «پروردگارت نسبت به حال همه کسانی که در آسمانها و زمین هستند، از همه آگاهتر است» (وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

سپس اضافه می کند: «و ما بعضی از پیامبران را بر بعضی دیگر فضیلت بخشیدیم و به داود کتاب زبور دادیم» (وَ لَقَدْ فَضَلْنا بَعْضَ النَّبِیِّنَ عَلی بَعْض وَ آتَیْنا داوُدَ زَبُوراً).

این جمله در حقیقت پاسخ به یکی از ایرادات مشرکان است، که با تعبیر تحقیر آمیز میگفتند: آیا خداوند شخص دیگری را نداشت که محمد یتیم را به برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۴۸

نبوّت انتخاب کرد؟ وانگهی چه شد که او سر آمد همه پیامبران و خاتم آنها شد؟! قرآن می گوید: این جای تعجب نیست خداوند از ارزش انسانی هر کس آگاه است و پیامبران خود را از میان همین توده مردم برگزیده، یکی را به عنوان خلیل اللّهی مفتخر ساخت، دیگری را کلیم اللّه، و دیگری را روح اللّه قرار داد، پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله را به عنوان حبیب اللّه برگزید و خلاصه بعضی را بر بعضی فضیلت بخشید، طبق موازینی که خودش می داند و حکمتش اقتضا می کند.

با این که داود دارای حکومت عظیم و کشور پهناوری بود، خداوند این را افتخار او قرار نمیدهد بلکه کتاب زبور را افتخار او می شمرد تا مشرکان بدانند عظمت یک انسان به مال و ثروت و داشتن قدرت و حکومت ظاهری نیست و یتیم و بیمال بودن دلیلی بر تحقیر نخواهد شد.

سورة الإسراء(١٧): آية ٥٦ ص: 648

(آیه ۵۶) - در این آیه باز سخن از مشرکان است و در تعقیب بحثهای گذشته به پیامبر صلّی الله علیه و آله می گوید: «به آنها بگو: معبودهایی را که غیر خدا شایسته پرستش می پندارید بخوانید، آنها نه قدرت دارند مشکلات و گرفتاریها را از شما برطرف سازند و نه دگر گونی در آن ایجاد کنند» (قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا یَمْلِکُونَ کَشْفَ الضُّرِّ عَنْکُمْ وَ لا تَحْوِیلًا). در حقیقت این آیه همانند بسیاری دیگر از آیات قرآن، منطق و عقیده مشرکان را از این راه ابطال می کند که پرستش و عبادت آلهه یا به خاطر جلب منفعت است یا دفع زیان، در حالی که اینها قدرتی از خود ندارند که مشکلی را برطرف سازند و نه حتی مشکلی را جابه جا کنند.

تعبیر به «الَّذِینَ» در این آیه بیانگر آن است که منظور همه معبودهای غیر الله نیست، بلکه معبودهایی همچون فرشتگان و حضرت مسیح (ع) و مانند آنهاست.

سورة الإسراء(١٧): آية ٥٧ ص: 648

(آیه ۵۷)- این آیه در حقیقت دلیلی است برای آنچه در آیه قبل گفته شد، می گوید: میدانید چرا آنها قادر نیستند مشکلی را از دوش شما، بدون اذن پروردگار بردارند برای این که خودشان برای حل مشکلات به در خانه خدا میروند، خودشان سعی دارند به ذات پاک او تقرب جویند و هرچه میخواهند از او برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۴۹

بخواهنـد: «كسانى راكه آنان مىخواننـد، خودشان وسـيلهاى (براى تقرّب) به پروردگارشان مىجوينـد» (أُولئِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ).

«وسیلهای هر چه نزدیکتر» (أَیُّهُمْ أَقْرَبُ).

«و به رحمت او امیدوارند» (وَ یَرْجُونَ رَحْمَتَهُ).

«و از عذاب او مى ترسند» (وَ يَخافُونَ عَذابَهُ).

«چرا که عذاب پروردگارت (چنان شدید میباشد که) همواره درخور پرهیز و وحشت است» (إِنَّ عَذابَ رَبِّکَ کانَ مَحْذُوراً).

سورة الإسراء(17): آية 58 ص: 649

(آیه ۵۸)- تسلیم بهانه جویان نشو! به دنبال بحثهایی که با مشرکان در زمینه توحید و معاد در آیات گذشته خواندیم این آیه آنها را با گفتار بیدار کنندهای اندرز می دهد و پایان و فناء این دنیا را در مقابل دیدگان عقلشان مجسّم می سازد تا بدانند این سرا، سرای فانی است، و سرای بقا جای دیگر است، و خود را برای مقابله با نتائج اعمالشان آماده سازند می گوید: «و هیچ آبادی در روی زمین نیست مگر این که ما آن را قبل از روز قیامت هلاک می کنیم، یا به عذاب شدیدی گرفتارش می سازیم» (وَ إِنْ مِنْ قَرْیَهُ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِکُوها قَبْلَ یَوْم الْقِیامَهُ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِیداً).

بدكاران ستمكّر و طاغيان گردنكش را به وسيله عذاب نابود مىكنيم و ديگران را با مرگ طبيعى و يا حوادثى معمولى. بالاخره اين جهان پايان مىگيرد و همه راه فنا را مىپيماينـد «و اين (يك اصل مسلّم و قطعى است كه) در كتاب الهى [لوح محفوظ] ثبت است» (كانَ ذلِكَ فِى الْكِتابِ مَسْطُوراً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٥٩ ص: ٥٤٩

(آیه ۵۹)- در اینجا این ایراد برای مشرکان باقی میمانید که خوب ما بحثی نیداریم ایمان بیاوریم، اما به این شرط که پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله هر معجزهای را که ما پیشنهاد میکنیم انجام دهد، و در واقع به بهانه جوییهای ما تن در دهد.

قرآن در پاسخ آنها می گوید: «هیچ چیز مانع ما نبود که این گونه معجزات را بفرستیم جز این که پیشینیان آن را تکـذیب کردند» (وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُوْسِلَ بِالْآیاتِ إِلَّا أَنْ کَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۵۰

اشاره به این که: معجزاتی که دلیل صدق پیامبر است به قدر کافی فرستاده شده و اما معجزات اقتراحی و پیشنهادی شما، چیزی نیست که با آن موافقت شود، چرا که پس از مشاهده باز ایمان نخواهید آورد، اگر بپرسند به چه دلیل؟

در پاسخ گفته می شود به دلیل این که امتهای گذشته که آنها هم شرائطی کاملا مشابه شما داشتند نیز چنین پیشنهادهای بهانه جویانهای را کردند، بعدا هم ایمان نیاوردند.

سپس قرآن روی یک نمونه روشن از این مسأله انگشت گذارده، می گوید:

«و ما به قوم ثمود ناقه داديم كه روشنگر بود» (وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً).

همان شتری که به فرمان خدا از کوه سر برآورد، چرا که تقاضای چنین معجزهای را کرده بودند، معجزهای روشن و روشنگر! ولی با این حال آنها ایمان نیاوردند «پس به آن ناقه ستم کردند» و او را به قتل رساندند (فَظَلَمُوا بِها).

اصولاً برنامه ما این نیست که هر کسی معجزهای پیشنهاد کند پیامبر تسلیم او گردد «و ما آیات و معجزات را جز برای تخویف مردم و اتمام حجت نمی فرستیم» (وَ ما نُوْسِلُ بِالْآیاتِ إِلَّا تَخْوِیفاً).

سورة الإسراء(١٧): آية 60 ص: 60٠

اشاره

(آیه ۶۰)- سپس پیامبرش را در برابر سرسختی و لجاجت دشمنان دلداری داده، می گوید: اگر آنها در مقابل سخنانت این چنین لجاجت به خرج میدهند و ایمان نمی آورند مطلب تازهای نیست، «به خاطر بیاور هنگامی را که به تو گفتیم پروردگارت احاطه کامل بر مردم دارد» و از وضعشان کاملا آگاه است (وَ إِذْ قُلْنَا لَکَ إِنَّ رَبَّکَ أَحاطَ بِالنَّاسِ).

همیشه در برابر دعوت پیامبران، گروهی پاکدل ایمان آوردهاند و گروهی متعصب و لجوج به بهانهجویی و کارشکنی و دشمنی برخاستهاند، در گذشته چنین بوده، امروز نیز چنین است.

سپس اضافه می کند: «و ما آن رؤیایی را که به تو نشان دادیم فقط برای آزمایش مردم بود» (وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْیَا الَّتِی أَرَیْناکَ إِلَّا فِتْنَهً لِلنَّاس). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۵۱

«همچنین شـجره معلونه [درخت نفرین شده] را که در قرآن ذکر کردهایم» آن نیز آزمایشی برای مردم است (وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِی الْقُرْآنِ).

در پایان اضافه می کند: «ما آنها را بیم داده (و انذار) می کنیم اما جز طغیان عظیم، چیزی بر آنها نمی افزاید» (وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزيدُهُمْ إِلَّا طُغْیاناً كَبِیراً).

چرا که اگر دل و جان آدمی آماده پذیرش حق نباشد، نه تنها سخن حق در آن اثر نمی گذارد، بلکه غالبا نتیجه معکوس میدهد و به خاطر سرسختی و مقاومت منفی بر گمراهی و لجاجتشان میافزاید- دقت کنید.

رؤیای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و شجره ملعونه: ص : 651

جمعی از مفسران شیعه و اهل سنت نقل کردهاند که: این خواب اشاره به جریان معروفی است که پیامبر صلّی الله علیه و آله در خواب دید میمونهایی از منبر او بالا میروند و پایین میآیند، بسیار از این مسأله غمگین شد، آن چنان که بعد از آن کمتر میخندید- این میمونها را به بنی امیه تفسیر کردهاند که یکی بعد از دیگری بر جای پیامبر صلّی الله علیه و آله نشستند در حالی که از یکدیگر تقلید می کردند و افرادی فاقد شخصیت بودند و حکومت اسلامی و خلافت رسول الله را به فساد کشدند.

اما شجره معلونه- در قرآن ممکن است اشاره به هر گروه منافق و خبیث و مطرود در گاه خدا، مخصوصا گروههایی همانند بنی امیه و یهودیان سنگدل و لجوج و همه کسانی که در خط آنها گام برمیدارند، باشد، و شجره زقوم در قیامت تجسیمی از وجود این شجرات خبیثه مایه آزمایش و امتحان مؤمنان راستین در این جهان

سورة الإسراء(١٧): آية ٦١ ص: ٥٦١

(آیه ۶۱) - در اینجا قرآن به مسأله سرپیچی ابلیس از فرمان خدا مبنی بر سجده برای آدم و سرنوشت شوم او به دنبال این ماجرا اشاره می کند.

مطرح کردن این ماجرا به دنبال بحثهای گذشته پیرامون مشرکان لجوج، در واقع اشاره به این است که نمونه کامل استکبار و کفر و عصیان، شیطان بود، ببینید سرنوشتش به کجا رسید، شما پیروان او نیز همان سرنوشت را خواهید داشت. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۵۲

نخست می گوید: «و یاد آور هنگامی را که به فرشتگان گفتیم: برای آدم سجده کنید و همگی جز ابلیس سجده کردند» (وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ).

این سجده یک نوع خضوع و تواضع به خاطر عظمت خلقت آدم و امتیاز او بر سایر موجودات و یا سجدهای بوده است به عنوان پرستش در برابر خداوند به خاطر آفرینش چنین مخلوق شگرفی.

ابلیس که باد کبر و غرور در سر داشت و خودخواهی و خودبینی بر عقل و هوشش پرده افکنده بود، به گمان این که خاک و گل، که منبع همه برکات و سر چشمه حیات است کم اهمیت تر از آتش است به عنوان اعتراض به پیشگاه خدا چنین «گفت: آیا من برای موجودی سجده کنم که او را از گل آفریدهای» (قالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِیناً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٦٢ ص: ٥٦٢

(آیه ۶۲) - ولی هنگامی که دید بر اثر این استکبار و سرکشی در برابر فرمان خدا از درگاه مقدسش برای همیشه طرد شد: «گفت: به من بگو، این کسی را که بر من برتری دادهای (به چه دلیل بوده است؟) اگر مرا تا روز قیامت زنده بگذاری، همه فرزندانش را، جز عدّه کمی، گمراه و ریشه کن خواهم ساخت» (قالَ أَ رَأَیْتَکُ هذَا الَّذِی کَرَّمْتَ عَلَیَّ لَئِنْ أَخَرْتَنِ إِلی یَـوْمِ الْقِیامَهِ لَأَحْتَنِکَنَّ ذُرِّیَّتَهُ إِلَّا قَلِیلًا).

سورة الإسراء(١٧): آية ٤٣ ص: ٥٦٢

(آیه ۶۳) - در این هنگام برای این که میدان آزمایشی برای همگان تحقق یابد، و وسیلهای برای پرورش مؤمنان راستین فراهم شود - که انسان همواره در کوره حوادث پخته میشود، و در برابر دشمن نیرومند، قوی و قهرمان می گردد - به شیطان امکان بقاء و فعالیت داده شده: «فرمود: برو، هر کس از آنها از تو تبعیت کند پس جهنم کیفر شماست، کیفری است فراوان»! (قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاةً مَوْفُوراً).

به این وسیله اعلام آزمایش کرده و سر انجام پیروزی و شکست در این آزمایش بزرگ الهی را بیان فرموده.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۵۳

سورة الإسراء(١٧): آية 64 ص: 657

(آیه ۴۴) - دامهای ابلیس! در این آیه طرق نفوذ شیطان و اسباب و وسائلی را که در وسوسههای خود به آن متوسل می شود به شکل جالب و گویایی چنین شرح می دهد: «و هر کدام از آنها را می توانی با صدایت تحریک کن» (وَ الله تَفْزِزْ مَنِ الله تَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ).

«و لشكر سواره و پيادهات را بر آنها گسيل دار»! (وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكُ وَ رَجِلِكُ).

شیطان دستیاران فراوانی از جنس خود و از جنس آدمیان دارد که برای اغوای مردم به او کمک میدهند، بعضی سریعتر و نیرومندتر همچون لشکر پیاده! «و در ثروت و فرزندانشان شرکت جوی»! (وَ شارِکْهُمْ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ).

«و آنها را با وعدهها سرگرم كن»! (وَ عِدْهُمْ).

سپس هشدار میدهد که: «ولی شیطان جز فریب و دروغ وعدهای به آنها نمیدهد» (وَ ما یَعِدُهُمُ الشَّیْطانُ إِلَّا غُرُوراً).

سورة الإسراء(١٧): آية 60 ص: 65٣

(آیه ۶۵)– اما بدان «تو هرگز سلطه ای بر بندگان من نخواهی یافت» (إِنَّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ). «و همین قدر کافی است که پروردگارت (ولیّ و) حافظ آنها باشد» (وَ کَفی بِرَبِّکَ وَکِیلًا).

سورة الإسراء(١٧): آية 66 ص: 65

(آیه ۶۶) – با این همه نعمت این همه کفران چرا؟! بحثهایی را که در زمینه توحید و مبارزه با شرک در گذشته داشتیم در اینجا نیز آن را تعقیب می کند، و از دو راه مختلف (راه استدلال و برهان – و راه وجدان و درون) در این موضوع وارد بحث می شود. نخست به توحید استدلالی اشاره کرده، می گوید: «پروردگار شما کسی است که کشتی را در دریا به حرکت در می آورد، حرکتی مداوم و مستمر»! (رَبُّکُمُ الَّذِی یُزْجِی لَکُمُ الْفُلْکَ فِی الْبُحْرِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۵۴ بدیهی است برای حرکت کشتیها در دریا، نظاماتی دست به دست هم داده تا این امر فراهم گردد.

البته مىدانيـد كشتيها هميشه بزرگترين وسـيله نقليه انسانها بوده و هسـتند، هم اكنون كشتيهاى غول پيكرى داريم كه به انـدازه

یک شهر کوچک وسعت و سرنشین دارند.

سپس اضافه می کند: هدف از این برنامه آن است «تا از نعمت او بهرهمند شوید» (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْ لِهِ). برای مسافرتهای خودتان، برای نقل و انتقال مال التجارهها، و برای آنچه به دین و دنیای شما کمک می کند.

چرا كه: «خدا نسبت به شما مهربان است» (إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٤٧ ص: ٥٤٤

(آیه ۴۷)- از این توحید استدلالی- که گوشه کوچکی از نظام آفرینش را که حاکی از مبدأ علم و قدرت و حکمت آفریدگار است نشان می دهد- به استدلال فطری منتقل می شود و می گوید: فراموش نکنید: «هنگامی که ناراحتیها در دریا به شما برسد (و گرفتار طوفان و امواج کوبنده و وحشتناک شوید) تمام معبودهایی را که می خوانید جز خدا از نظر شما گم می شود» (وَ إِذَا مَسَّکُمُ الضُّرُّ فِی الْبُحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِیَّاهُ).

و بایـد گم شود چرا که طوفان حوادث پردههای تقلیـد و تعصب را که بر فطرت آدمی افتاده کنار میزند، و نور فطرت که نور توحید و خداپرستی و یگانه پرستی است جلوه گر میشود.

این یک قانون عمومی است که تقریبا هر کس آن را تجربه کرده است که در گرفتاریها هنگامی که کارد به استخوان می رسد، موقعی که اسباب ظاهری از کار می افتند، و کمکهای مادی ناتوان می گردند، انسان به یاد مبدأ بزرگی از علم و قدرت می افتد که او قادر بر حلّ سخت ترین مشکلات است. اما ایمان و توجه به خدا در صورتی ارزش دارد که دائمی و یابدار باشد.

سپس اضافه می کند: اما شما فراموشکاران «هنگامی که دست قدرت الهی شما را به سوی خشکی نجات داد رو می گردانید و اصولا انسان کفران کننده است» برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۵۵

(فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً).

بـار دیگر پردههـای غرور و غفلت، تقلیـد و تعصب، این نـور الهی را میپوشانـد و گرد و غبـار عصـیان و گنـاه و سـرگرمیهای زندگی مادی، چهره تابناک آن را پنهان میسازد.

سورة الإسراء(١٧): آية ٦٨ ص: ٥٥٥

(آیه ۶۸) – ولی آیا فکر میکنید خداوند در خشکی و قلب صحرا نمی تواند شما را به مجازاتهای شدید مبتلا سازد؟: «پس آیا شما از این ایمنید که به فرمان او زمین بشکافد و شما را در کام خود فرو ببرد»؟ (أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ یَخْسِفَ بِکُمْ جانِبَ الْبَرِّ). و «آیا از این ایمنید که طوفانی از سنگ بر شما ببارد (و شما را در زیر سنگها مدفون سازد عذابی که به مراتب از غرق در دریاها سخت تر است) سپس حافظ و نگهبانی برای خود پیدا نکنید»؟! (أَوْ یُرْسِلَ عَلَیْکُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَکُمْ وَکِیلًا).

سورة الإسراء(١٧): آية ۶۹ ص: ۶۵۵

(آیه ۶۹) - سپس اضافه می کند: ای فراموشکاران آیا گمان کردید این آخرین بار بود که شما نیاز به سفر دریا پیدا کردید؟ «یا این که ایمن هستید که بار دیگر شما را به دریا بازگرداند، و تندباد کوبنده ای بر شما بفرستد، و شما را بخاطر کفرتان غرق

كنىد، سپس دادخواه و خونخواهى در برابر ما پيىدا نكنيىد» (أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أَخْرى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِة فاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٧٠ ص: 655

(آیه ۷۰)- انسان گل سر سبد موجوادت! از آنجا که یکی از طرق تربیت و هدایت، همان دادن شخصیت به افراد است، قرآن مجید به دنبال بحثهایی که در باره مشرکان و منحرفان در آیات گذشته داشت، در اینجا به بیان شخصیت والای نوع بشر و مواهب الهی نسبت به او میپردازد، تا با توجه به این ارزش فوق العاده به آسانی گوهر خود را نیالاید و خویش را به بهای ناچیزی نفروشد، می فرماید: «و ما فرزندان آدم را گرامی داشتیم» (وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِی آدَمَ).

سپس به سه قسمت از مواهب الهی، نسبت به انسانها اشاره کرده، می گوید:

«و ما آنها را (با مرکبهای مختلفی که در اختیارشان قرار دادهایم) در خشکی و دریا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۵۶ حمل کردیم» (وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ).

ديگر اين كه: «آنها را از طيبات روزي داديم» (وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ).

سوم این که: «ما آنها را بر بسیاری از مخلوقات خود فضیلت و برتری دادیم» (وَ فَضَّلْناهُمْ عَلَى كَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلًا).

چرا انسان برترین مخلوق خداست؟ پاسخ این سؤال چندان پیچیده نیست، زیرا میدانیم تنها موجودی که از نیروهای مختلف، مادی و معنوی، جسمانی و روحانی تشکیل شده، و در لابلای تضادها میتواند پرورش پیدا کند، و استعداد تکامل و پیشروی نامحدود دارد، انسان است.

حدیث معروفی که از امیر مؤمنان علی علیه السّم لام نقل شده نیز شاهد روشنی بر این مدعاست، آنجا که میفرماید: «خداوند خلق عالم را بر سه گونه آفرید: فرشتگان و حیوانات و انسان، فرشتگان عقل دارند بدون شهوت و غضب، حیوانات مجموعهای از شهوت و غضبند و عقل ندارند، اما انسان مجموعهای است از هر دو تا کدامین غالب آید، اگر عقل او بر شهوتش غالب شود، از فرشتگان برتر است و اگر شهوتش بر عقلش چیره گردد، از حیوانات پست تر».

سورة الإسراء(١٧): آية ٧١ ص: 656

(آیه ۷۱)- این آیه به یکی دیگر از مواهب الهی نسبت به انسان، و سپس مسؤولیتهای سنگینی را که به موازات این مواهب متوجه او می شود اشاره می کند:

در آغـاز به «مسـأله رهبری» و نقش آن در سـرنوشت انسانهـا پرداخته، می گویـد: «روز قیـامت هر گروهی را با امام و رهبرشان میخوانیم» (یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُناسِ بِإِمامِهِمْ).

یعنی آنها که رهبری پیامبران و جانشینان آنان را در هر عصر و زمان پذیرفتند، همراه پیشوایانشان خواهنـد بود، و آنها که رهبری شیطان و ائمه ضلال و پیشوایان جبّار و ستمگر را انتخاب کردند همراه آنها خواهند بود.

این تعبیر در عین این که یکی از اسباب تکامل انسان را بیان می کند، هشداری است به همه افراد بشر که در انتخاب رهبر فوق العاده دقیق و سختگیر باشند، و زمام فکر و برنامه خود را به دست هر کس نسپرند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۵۷ لذا در دنباله آیه می گوید: آنجا مردم دو گروه می شوند «پس کسانی که نامه اعمالشان به دست راستشان داده می شود آنها (با سرفرازی و افتخار و خوشحالی و سرور) نامه اعمالشان را میخوانند و کوچکترین ظلم و ستمی به آنها نمیشود» (فَمَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ بِیَمِینِهِ فَأُولِئِکَ یَقْرَؤُنَ کِتابَهُمْ وَ لا یُظْلَمُونَ فَتِیلًا).

سورة الإسراء(١٧): آية ٧٢ ص: ٥٥٧

(آیه ۷۲)- «اما کسی که در این جهان (از دیـدن چهره حق) نابینا بوده است، در آخرت نیز نابینا و گمراهتر است» (وَ مَنْ کانَ فِی هذِهِ أَعْمی فَهُوَ فِی الْآخِرَةِ أَعْمی وَ أَضَلُّ سَبِیلًا).

نه در این دنیا راه هدایت را پیدا می کنند و نه در آخرت راه بهشت و سعادت را، چرا که چشم خود را به روی همه واقعیات بستند و از دیدن چهره حق و آیات خداوند و آنچه مایه هدایت و عبرت است و آن همه مواهبی که خداوند به آنها بخشیده بود، خود را محروم ساختند، و از آنجا که سرای آخرت بازتاب و انعکاس عظیمی است از این جهان، چه جای تعجب که این کوردلان به صورت نابینا وارد عرصه محشر شوند؟! نقش رهبری در اسلام - در حدیث معروفی که از امام باقر علیه السّلام نقل شده هنگامی که سخن از ارکان اصلی اسلام به میان می آورد «ولایت» (رهبری) را پنجمین و مهمترین رکن معرفی می نمود در حالی که نماز که معرف پیوند خلق با خلق است و روزه که رمز مبارزه با شهوات است و زکات که پیوند خلق با خلق است و حج که جنبههای اجتماعی اسلام را بیان می کند چهار رکن اصلی دیگر.

سپس امام علیه السّ لام اضافه می کند: «هیچ چیز به اندازه ولایت و رهبری اهمیت ندارد». - چرا که اجرای اصول دیگر در سایه آن خواهد بود.

و نیز به همین دلیل در حدیث معروفی از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نقل شده: «کسی که بدون امام و رهبر از دنیا برود مرگ او مرگ جاهلیت است».

تاریخ نیز بسیار به خاطر دارد که گاهی یک ملت در پرتو رهبری یک رهبر بزرگ و شایسته در صف اول در جهان قرار گرفته، و گاه همان ملت با همان نیروهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۵۸

انسانی و منابع دیگر به خاطر رهبری ضعیف و نالایق آن چنان سقوط کرده که شایـد کسـی باور نکند این همان ملت پیشـرو است.

سورة الإسراء (١٧): آية ٧٣ ص: 654

(آیه ۷۳)- با توجه به بحثی که در آیات گذشته پیرامون شرک و مشرکان بود در اینجا به پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله هشدار می دهد که از وسوسه های این گروه برحذر باشد، مبادا کمترین ضعفی در مبارزه با شرک و بت پرستی به خود راه بدهد، که باید با قاطعیت هر چه تمامتر دنبال گردد.

نخست می گویـد: «نزدیـک بود آنهـا تو را (بـا وسوسههای خود) از آنچه بر تو وحی کردیم بفریبنـد، تا غیر آن را به ما نسبت دهـی و در آن صورت، تو را به دوستی خود برمی گزینند» (وَ إِنْ کادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَیْنا غَیْرَهُ وَ إِذاً لَاتَخَذُوکَ خَلِیلًا).

سورة الإسراء(١٧): آية ٧٤ ص: ٥٥٨

(آیه ۷۴)- «و اگر ما تو را ثابت قدم نمیساختیم (و در پرتو مقام عصمت، مصون از انحراف نبودی) نزدیک بود به آنان تمایل کنی» (وَ لَوْ لا أَنْ تَبَتْناکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا). اما اين تثبيت الهي مانع از آن تمايل شد.

سورة الإسراء(١٧): آية ٧٥ ص: ٥٥٨

اشاره

(آیه ۷۵)– «اگر چنین می کردی ما دو برابر مجازات (مشرکان) در زندگی دنیا، و دو برابر (مجازات آنها) را بعد از مرگ به تو میچشاندیم، سپس در برابر ما یاوری برای خود نمی یافتی»! (إِذاً لَأَذَقْناکَ ضِة عْفَ الْحَیاهِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ عَلَیْنا نَصیراً).

چرا که هر قدر مقام انسان از نظر علم، معرفت و ایمان بالاتر رود، اعمال نیک او به همان نسبت عمق و ارزش بیشتر، و طبعا ثواب فزونتری خواهد داشت. کیفرها و مجازاتها نیز به همین نسبت بالا خواهد رفت

خدایا! مرا به خود وامگذار ص : 658

- در مناب اسلامی میخوانیم هنگامی که سه آیه فوق نازل شد پیامبر صلّی الله علیه و آله عرض کرد: اللّهمّ لا تکلنی الی نفسی طرفهٔ عین ابدا «خدایا! مراحتی به اندازه یک چشم بر هم زدن به خویشتن وامگذار».

این دعای پر معنی پیامبر صلّی الله علیه و آله یک درس مهم را به همه ما میدهد که در هر حال باید به خدا پناه برد و به لطف او متکی بود که پیامبران معصوم نیز بدون یاری برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۵۹

او در لغزشگاهها مصون نخواهند بود، تا چه رسد به ما در برابر این همه وسوسههای شیطانی.

سورة الإسراء(١٧): آية ٧٠ ص: ٥٥٩

اشاره

(آیه ۷۶)

شأن نزول: ص: 659

مشهور این است که این آیه و آیه بعد در مورد اهل مکه نازل شده است که نشستند و تصمیم گرفتند پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را از مکه بیرون کنند و بعدا این تصمیم، فسخ و مبدل به تصمیم بر اعدام پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در مکه گردید و به دنبال آن خانه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله از هر سو محاصره شد، و همانگونه که می دانیم پیامبر صلّی اللّه علیه و آله از این

حلقه محاصره، به طرز اعجاز آمیزی، بیرون آمد و به سوی مدینه حرکت کرد و سر آغاز هجرت گردید.

تفسير: ص: 609

توطئه شوم دیگر؟ در آیات گذشته دیدیم که مشرکان میخواستند از طریق وسوسههای گوناگون در پیامبر صلّی الله علیه و آله آمد و آله نفوذ کنند و او را از جاده مستقیم خویش منحرف سازند که لطف الهی به یاری پیامبر صلّی الله علیه و آله آمد و نقشههاشان نقش بر آب شد.

به دنبال آن ماجرا طرح دیگری برای خنثی کردن دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله ریختند، و آن این که او را از زادگاهش به نقطهای که احتمالا نقطه خاموش و دور افتادهای بود تبعید کنند که آن هم به لطف پروردگار خنثی شد.

آیه می گویـد: «و نزدیک بود آنها تو را از این سرزمین با نقشه و تحریک ماهرانه و حساب شدهای خارج سازند» (وَ إِنْ کادُوا لَیَسْتَفِزُّ ونَکَ مِنَ الْأَرْضِ لِیُخْرِجُوکَ مِنْها).

سپس قرآن به آنها هشدار می دهد که: «و هرگاه چنین می کردند (گرفتار مجازات سخت الهی شده و) پس از تو، جز مدت کمی باقی نمی ماندند» (وَ إِذاً لاَ یَلْبَتُونَ خِلافَکَ إِلَّا قَلِیلًا). و به زودی نابود می شدند زیرا این گناه بسیار عظیمی است که مردم، رهبر دلسوز و نجات بخششان را، از شهر خود بیرون کنند، و به این ترتیب بزرگترین نعمت الهی را کفران نمایند، چنین جمعیتی دیگر حق حیات نخواهند داشت و مجازات نابود کننده الهی به سراغشان خواهد آمد.

سورة الإسراء(١٧): آية ٧٧ ص: ٥٥٩

(آیه ۷۷)- این تنها مربوط به مشرکان عرب نیست: «این سنّت (ما در مورد) پیامبرانی است که پیش از تو فرستادیم و هرگز برای سنّت ما تغییر و دگرگونی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۶۰

نخواهي يافت» (سُنَّةً مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا).

این سنت از یک منطق روشن سر چشمه می گیرد و آن این که چنین قوم ناسپاسی که چراغ هدایت خود را میشکنند سنگر نجات خویش را ویران میکنند.

آری! چنین قومی دیگر لایق رحمت الهی نیستند، و مجازات آنها را فرا خواهد گرفت، و میدانیم خداوند تبعیضی در میان بندگانش قائل نیست، یعنی در مقابل اعمال یکسان با شرائط یکسان مجازات یکسان قائل میشود.

و این است معنی عدم تخلف سنّتهای پروردگار.

سورة الإسراء(١٧): آية ٧٨ ص: 66٠

(آیه ۷۸)- در تعقیب آیات گذشته که از توحید و شرک، و سپس وسوسه ها و توطئه های مشرکان بحث می کرد، در اینجا به مسأله نماز و توجه به خدا و نیایش می پردازد، که عامل مؤثری برای مبارزه با شرک است، و وسیله ای برای طرد هر گونه وسوسه شیطانی از دل و جان آدمی.

نخست می گوید: «نماز را از زوال خورشید (هنگام ظهر) تا نهایت تاریکی شب [نیمه شب] برپادار و همچنین قرآن فجر [نماز

صبح] را، چرا كه قرآن فجر، مشـهود (فرشـتگان شب و روز) است! (أُقِمِ الصَّلاةَ لِـتُدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً).

از این تعبیر به خوبی روشن میشود که بهترین موقع برای ادای نماز صبح همان لحظات آغاز طلوع فجر است.

آیه فوق از آیاتی است که اشاره اجمالی به وقت نمازهای پنجگانه میکند، و با انضمام به سایر آیات قرآن در زمینه وقت نماز و روایات فراوانی که در این رابطه وارد شده، وقت نمازهای پنجگانه دقیقا مشخص میشود.

سورة الإسراء(١٧): آية ٧٩ ص: 660

اشاره

(آیه ۷۹)- بعد از ذکر نمازهای فریضه پنجگانه اضافه می کند: «و پاسی از شب را (از خواب برخیز و) قرآن (و نماز) بخوان» (وَ مِنَ اللَّيْل فَتَهَجَّدْ بهِ).

مفسران معروف اسلامی این تعبیر را اشاره به نافله شب که در فضیلت آن روایات بی شماری وارد شده است دانستهاند. سپس می گوید: «این یک وظیفه اضافی (علاوه بر نمازهای فریضه) برای بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۶۱ توست» (نافِلَةً لَکَ).

بسیاری این جمله را دلیل بر آن دانستهاند که نماز شب بر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله واجب بوده است.

به هر حال در پایان آیه نتیجه این برنامه الهی روحانی و صفابخش را چنین بیان میکند: «امید است پروردگارت تو را به مقامی در خور ستایش برانگیزد»! (عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً).

بدون شک «مقام محمود» مقام بسیار برجسته ای است که ستایش برانگیز است. و از آنجا که این کلمه به طور مطلق آمده، شاید اشاره به این باشد که ستایش همگان را از اولین و آخرین متوجه تو می کند.

روایات اسلامی، «مقام محمود» را به عنوان مقام «شفاعت کبری» تفسیر کرده است، چرا که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بزرگترین شفیعان در عالم دیگر است و آنها که شایسته شفاعت باشند، مشمول این شفاعت بزرگ خواهند شد.

نماز شب یک عبادت بزرگ روحانی- ص : 661

غوغای زندگی روزانه از جهات مختلف، توجه انسان را به خود جلب می کند، و فکر آدمی را به وادیهای گوناگون می کشاند بطوری که جمعیت خاطر و حضور قلب کامل، در آن بسیار مشکل است اما در دل شب و به هنگام سحر و فرونشستن غوغای زندگی مادی، و آرامش روح و جسم انسان در پرتو مقداری خواب، حالت توجه و نشاط خاصی به انسان دست می دهد که بی نظیر است.

به همین دلیل دوستان خدا همیشه از عبادتهای آخر شب، برای تصفیه روح و حیات قلب و تقویت اراده و تکمیل اخلاص، نیرو می گرفتهاند.

امیر مؤمنـان علی علیه السّـلام میفرمایـد: «قیـام شب مـوجب صـحت جسم و خشـنودی پروردگـار و در معرض رحمت او قرار

گرفتن و تمسك به اخلاق پيامبران است».

حتی در بعضی از روایات میخوانیم که این عبادت به قدری اهمیت دارد که جز پاکان و نیکان موفق به آن نمیشوند. در حدیثی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم: «انسان گاهی دروغ می گوید و سبب بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۶۲ محرومیتش از نماز شب میشود، هنگامی که از نماز شب محروم شد از روزی (و مواهب مادی و معنوی) نیز محروم میشود». نماز شب به سه بخش تقسیم میشود:

الف) چهار نماز دو رکعتی که مجموعا هشت رکعت می شود و نامش نافله شب است.

ب) یک نماز دو رکعتی که نامش نافله «شفع» است.

ج) نماز یک رکعتی که نامش نافله «و تر» است، و طرز انجام این نمازها درست همانند نماز صبح است ولی اذان و اقامه ندارد، و قنوت و تر را هر چه طولانی تر کنند بهتر است.

سورة الإسراء(١٧): آية ٨٠ ص: 867

(آیه ۸۰)- این آیه به یکی از دستورات اصولی اسلام که از روح ایمان و توحید، سر چشمه می گیرد اشاره کرده، می گوید: «و بگو: پروردگارا! مرا (در هر کار) با صداقت وارد کن، و با صداقت خارج ساز» (وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِی مُیدْخَلَ صِدْقِ وَ أُخْرِجْنِی مُخْرَجَ صِدْقِ).

هیچ کار فردی و اجتماعی را جز با صدق و راستی آغاز نکنم، همچنین هیچ برنامهای را جز به راستی پایان نـدهم، راستی و صداقت و درستی و امانت، خط اصلی من در همه کارها باشد و آغاز و انجام همه چیز با آن صورت گیرد.

در حقیقت رمز اصلی پیروزی در همین جا نهفته شده است و راه و روش انبیا و اولیای الهی همین بوده که فکر، گفتار و اعمالشان از هر گونه غش و تقلب و خدعه و نیرنگ و هر چه بر خلاف صدق و راستی است پاک بود.

در پایـان آیه به دومین اصـل– که از یک نظر میوه درخت توحیـد، و از نظر دیگر نتیجه ورود و خروجِ صادقانه در کارهاست– اشاره شده است: «و خداوندا! برای من از سوی خودت سلطان و یاوری قرار ده» (وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٨١ ص: 867

(آیه ۸۱) – و از آنجا که به دنبال «صدق» و «توکل» که در آیه قبل به آن اشاره شد، امید به پیروزی قطعی، خود عامل دیگری برای موفقیت است در این آیه به پیامبرش می گوید: «و بگو: حق فرا رسید و باطل مضمحل و نابود شد» (وَ قُلْ جاءَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۳

الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ)

«اصولا طبيعت باطل (همين است كه) مضمحل و نابود شدني است» (إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً).

باطل جولانی دارد ولی دوام و بقایی نخواهد داشت و سر انجام، پیروزی از آن حق و طرفداران و پیروان حق خواهد بود. آیه (جاء الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ» به قیام حضرت مهدی - آیه (جاء الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ» به قیام حضرت مهدی - عج - تفسیر شده است. امام باقر علیه السّ لام فرمود: مفهوم این سخن الهی این است که: «هنگامی که امام قائم علیه السّلام قیام کند دولت باطل برچیده می شود».

در روایت دیگری میخوانیم: مهدی به هنگام تولـد بر بـازویش این جمله نقش بسـته بود: «جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ کانَ زَهُوقاً».

مسلما مفهوم این احادیث انحصار معنی و سیع آیه به این مصداق نیست بلکه قیام مهدی - عج - از روشنترین مصداقهای آن است که نتیجهاش پیروزی نهایی حق بر باطل در سراسر جهان میباشد.

کوتاه سخن این که این قانون کلی الهی و ناموس تخلف ناپذیر آفرینش در هر عصر و زمانی مصداقی دارد، و قیام پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و پیروزیش بر لشکر شرک بت پرستی و همچنین قیام حضرت مهدی- عج- بر ستمگران و جباران جهان از چهرههای روشن و تابناک این قانون عمومی است.

سورة الإسراء(١٧): آية ٨٢ ص: 89٣

(آیه ۸۲) – قرآن نسخه شفابخش: از آنجا که در آیات گذشته، بحث از توحید و حق و مبارزه با شرک و باطل بود، در این آیه به تأثیر فوق العاده قرآن و نقش سازنده آن در این رابطه پرداخته، می گوید: «و از قرآن، آنچه شفا و رحمت است برای مؤمنان، نازل می کنیم» (وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِينَ).

قرآن نسخهای است برای سامان بخشیدن به همه نابسامانیها، بهبودی فرد و جامعه از انواع بیماریهای اخلاقی و اجتماعی. «و ستمگران را جز خسران (و زیان بیشتر چیزی بر آنها) نمی افزاید» (وَ لا یَزِیدُ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۶۴ الظَّالِمِینَ إِلَّا خَساراً)

. چرا که به جای این که از این وسیله هدایت بهره گیرند با حالتی صد در صد منفی به سراغ قرآن می آیند لذا عناد و کفر در جانشان عمق بیشتری پیدا می کند.

سورة الإسراء(١٧): آية ٨٣ ص: 884

(آیه ۸۳) - در این آیه به یکی از ریشهدارترین بیماریهای اخلاقی «انسانهای تربیت نایافته» اشاره کرده، می گوید: «و هنگامی که به این انسان نعمت میبخشیم (غرور و استکبار به او دست میدهد) به پروردگار خود پشت میکند و با حالت تکبر، دور میشود» (وَ إِذَا أَنْعَمْنا عَلَی الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأْی بِجانِبِهِ).

«اما هنگامی که (نعمت را از او سلب کنیم، و حتی) مختصر ناراحتی به او برسد یأس و نومیدی سر تا پای او را فرا می گیرد» (وَ إذا مَسَّهُ الشَّرُّ کانَ يَؤُساً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٨٤ ص: 654

(آیه ۸۴) – در این آیه روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، میفرماید: «بگو: هر کس بر طبق روش و خلق و خوی خود عمل میکند» (قُلْ کُلُّ یَعْمَلُ عَلی شاکِلَتِهِ).

مؤمنانی که از آیات قرآن، شفا می طلبند و رحمت کسب می کنند، و ظالمانی که جز خسارت و زیان، بهرهای از آن نمی گیرند، و انسانهای کم ظرفیتی که در حال نعمت مغرورند و در مشکلات مأیوس و زبون، همه اینها طبق روحیاتشان عمل می کنند، روحیاتی که بر اثر تعلیم و تربیت و اعمال مکرر خود انسان شکل گرفته است و به اعمال انسان شکل و جهت

و در این میـان خداونـد شاهـد و ناظر حال همه است: «آری پروردگار شـما آگاهتر است به کسانی که راهشان (بهتر و) از نظر هدایت پربارتر است» (فَرَبُّکُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدی سَبِیلًا).

سورة الإسراء(١٧): آية ٨٥ ص: 994

(آیه ۸۵)- روح چیست؟ در تعقیب آیات گذشته به پاسخ بعضی از سؤالات مهم مشرکان یا اهل کتاب پرداخته، می گوید: «از تو در باره روح سؤال می کننـد، بگو: روح از فرمان پروردگار من است و به شـما بیش از اندکی علم و دانش داده نشده است» (وَ یَسْئُلُونَکَ عَنِ الرُّوح قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ ما أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْم إِلَّا قَلِیلًا).

از مجموع قرائن موجود در آیه و خارج آن چنین استفاده می شود که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۶۵

پرسش کنندگان از حقیقت روح آدمی سؤال کردند، همین روح عظیمی که ما را از حیوانات جدا میسازد و برترین شرف ماست، و تمام قدرت و فعالیت ما از آن سر چشمه می گیرد و به کمکش اسرار علوم را میشکافیم.

و از آنجا که روح، ساختمانی مغایر با ساختمان ماده دارد و اصول حاکم بر آن غیر از اصول حاکم بر ماده و خواص فیزیکی و شیمیـایی آن است، پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله مـأمور میشود در یـک جمله کوتاه و پرمعنی بگویـد: «روح، از عالم امر اسـت یعنی خلقتی اسرار آمیز دارد».

و چون بهره شما از علم و دانش بسیار کم و ناچیز است، بنابراین چه جای شگفتی که رازهای روح را نشناسید، هر چند از همه چیز به شما نزدیکتر است؟

از امام باقر و امام صادق علیهم السّر لام چنین نقل شده که در تفسیر آیه یَشئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ فرمود: «روح از مخلوقات خداوند است بینایی و قدرت و قوت دارد، خدا آن را در دلهای پیغمبران و مؤمنان قرار میدهد».

البته روح آدمی مراتب و درجاتی دارد، آن مرتبهای از روح که در پیامبران و امامان است مرتبه فوق العاده والایی است، که از آثـارش معصوم بودن از خطا و گناه و نیز آگاهی و علم فوق العاده است و مسـلما چنین مرتبهای از روح از همه فرشـتگان برتر خواهد بود حتی از جبرئیل و میکائیل!- دقت کنید.

سورة الإسراء(١٧): آية ٨٦ ص: 660

(آیه ۸۶)-آنچه داری از برکت رحمت اوست! چند آیه قبل سخن از قرآن بود، در اینجا در همین زمینه سخن می گوید، نخست می فرماید: «و اگر بخواهیم آنچه را بر تو وحی فرستاده ایم، از تو می گیریم» (وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ). «سپس کسی را نمی یابی که در برابر ما از تو دفاع کند» و آن را از ما بازپس گیرد (ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ بِهِ عَلَیْنا وَکِیلًا).

پس این مائیم که این علوم را به تو بخشیدهایم تا رهبر و هادی مردم باشی، و این مائیم که هرگاه صلاح بـدانیم از تو بازپس می گیریم، و هیچ کس را در این رابطه دخل و تصرفی نیست!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۶۶

سورة الإسراء(١٧): آية ٨٧ ص: 666

(آیه ۸۷) - این آیه که به صورت استثناء آمده است، می گوید: اگر ما این علم و دانش را از تو نمی گیریم چیزی نیست: «مگر رحمت پرورد گارت» (إِنَّا رَحْمَهُ مِنْ رَبِّکُ). رحمتی است برای هدایت و نجات خودت و رحمتی است برای هدایات و نجات جهان بشریت و این رحمت در واقع دنباله همان رحمت آفرینش است که ایجاب می کند هر گز روی زمین از حجت الهی خالی نماند.

و در پایان آیه به عنوان تأکید، یا به عنوان بیان دلیل بر جمله سابق می گوید: «که فضل پروردگارت بر تو بزرگ بوده است» (إِنَّ فَضْلَهُ کانَ عَلَیْکَ کَبِیراً).

وجود زمینه این فضل در دل تو که با آب عبادت و تهذیب نفس و جهاد آبیاری شده از یکسو، و نیاز مبرم بندگان به چنین رهبری از سویی دیگر، ایجاب کرده است که فضل خدا بر تو فوق العاده زیاد باشد.

درهای علم را به روی تو بگشاید، از اسرار هدایت انسان آگاهت سازد، و از خطاها محفوظت دارد، تا الگو و اسوهای برای همه انسانها تا پایان جهان باشی.

سورة الإسراء(١٧): آية ٨٨ ص: 666

(آیه ۸۸)- هیچگاه همانند قرآن را نخواهند آورد! با توجه به این که آیات قبل و بعد در ارتباط با مباحث قرآن است، پیوند این آیه که با صراحت از اعجاز قرآن سخن می گوید با آنها نیاز به گفتگو ندارد.

به هر حال خداوند روی سخن را در اینجا به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، می گوید: «بگو:

اگر انسانها و پریان- جن و انس- اتفاق کننـد تا هماننـد این قرآن را بیاورنـد هماننـد آن را نخواهنـد آورد هر چند یکدیگر را کمک کنند» (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ ظَهِيراً).

این آیه با صراحت تمام، همه جهانیان را اعم از کوچک و بزرگ، عرب و غیر عرب، انسانها و حتّی موجودات عاقل غیر انسانی، دانشمندان، فلاسفه، ادباء، مورخان، نوابغ و غیر نوابغ، خلاصه همه را بدون استثناء در همه اعصار دعوت به مقابله با قرآن کرده است و می گوید: اگر فکر می کنید قرآن سخن خدا نیست و ساخته مغز بشر است، شما هم انسان هستید، همانند آن را بیاورید و هرگاه بعد از تلاش و کوشش همگانی، خود را ناتوان یافتید، این بهترین دلیل بر معجزه بودن قرآن است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۶۷

این دعوت به مقابله که در اصطلاح علماء عقائد، «نحدی» نامیده می شود یکی از ارکان هر معجزه است، و هر جا چنین تعبیری به میان آمد به روشنی می فهمیم که آن موضوع، از معجزات است.

سورة الإسراء(١٧): آية ٨٩ ص: 88٧

(آیه ۸۹)- این آیه در واقع بیان یکی از جنبه های اعجاز قرآن یعنی «جامعیت» آن است، می گوید: «ما در این قرآن برای مردم از هر چیز نمونهای آوردیم» و همه معارف در آن جمع است (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِی هذَا الْقُرْآنِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ). «اما بیشتر مردم (در برابر آن از هر کاری) جز انکار ابا داشتند» (فَأبی أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا کُفُوراً).

به راستی این تنوع محتویات قرآن، آن هم از انسانی درس نخوانده، عجیب است، چرا که در این کتاب آسمانی، هم دلائل متین عقلی با ریزه کاریهای مخصوصش در زمینه عقائد آمده، و هم بیان احکام متین و استوار بر اساس نیازمندیهای بشر در همه زمینهها، هم بحثهای تاریخی قرآن در نوع خود بینظیر، هیجان انگیز، بیدار گر، دلچسب، تکان دهنده و خالی از هر گونه خرافه است.

و هم مباحث اخلاقیش که با دلهای آماده همان کار را میکند که باران بهار با زمینهای مرده! مسائل علمی که در قرآن مطرح شده، پرده از روی حقایقی بر میدارد که حد اقل در آن زمان برای هیچ دانشمندی شناخته نشده بود.

خلاصه قرآن در هر وادی گام مینهد، عالیترین نمونه را ارائه میدهد. به همین دلیل اگر جن و انس جمع شوند که همانند آن را بیاورند قادر نخواهند بود.

سورة الإسراء(١٧): آية ٩٠ ص: 86٧

اشاره

(آیه ۹۰)

شأن نزول: ص: 667

در مورد نزول این آیه و سه آیه بعد از آن چنین نقل شده که: «گروهی از مشرکان مکه در کنار خانه کعبه اجتماع کردند و با یکدیگر پیرامون کار پیامبر سخن گفتند، سر انجام چنین نتیجه گرفتند که باید کسی را به سراغ محمّد فرستاد و به او پیغام داد که اشراف قریش آماده سخن گفتن با تواند، نزد ما بیا.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به امیـد این که شایـد نور ایمان در قلب آنها درخشـیدن گرفته و آماده پـذیرش حق شدهاند فورا به سراغ آنها شتافت. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۶۸

اما با این سخنان رو برو شد:

ای محمّد! ما تو را برای اتمام حجت به اینجا خوانده ایم. بگو ببینیم درد تو چیست و چه میخواهی؟! پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: خداوند مرا به سوی شما فرستاده و کتاب آسمانی بر من نازل کرده اگر آن را بپذیرید، در دنیا و آخرت به نفع شما خواهد بود و اگر نپذیرید صبر می کنم تا خدا میان من و شما داوری کند.

گفتند: بسیار خوب، حال که چنین می گویی هیچ شهری تنگتر از شهر ما نیست (اطراف مکه را کوههای نزدیک به هم فرا گرفته) از پروردگارت بخواه این کوهها را عقب بنشاند و نهرهای آب همچون نهرهای شام و عراق در این سرزمین خشک و بی آب و علف جاری سازد.

پیامبر صلّی الله علیه و آله با بی اعتنایی فرمود: من مأمور به این کارها نیستم.

گفتند: پس قطعاتی از سنگهای آسمانی را- آنگونه که گمان میکنی خدایت هر وقت بخواهد میتواند بر سر ما بیفکند- بر ما فرود آر! فرمود: این مربوط به خداست اگر بخواهد میکند.

یکی از آن میان صدا زد: ما با این کارها نیز ایمان نمی آوریم، هنگامی ایمان خواهیم آورد که خدا و فرشتگان را بیاوری و در برابر ما قرار دهی! پیامبر (هنگامی که این لاطائلات را شنید) از جا برخاست تا آن مجلس را ترک کنـد بعضـی از آن گروه به دنبال حضرت حرکت کردند و گفتند: ای محمّد! قوم تو هر پیشنهادی کردند قبول نکردی، به خدا سوگند هر گز به تو ایمان نخواهیم آورد تا به آسمان بالا روی، و چند نفر از ملائکه را پس از بازگشت با خود بیاوری! و نامهای در دست داشته باشی که گواهی بر صدق دعوتت دهد! پیامبر صلّی الله علیه و آله در حالی که قلبش را هالهای از اندوه و غم به خاطر جهل و لجاجت و استکبار این قوم فرا گرفته بود از نزد آنها بازگشت

در این هنگام این آیات نازل شد و به گفتگوهای آنها پاسخ داد».

تفسیر: ص: ۶۶۸

پس از بیان عظمت و اعجاز قرآن در آیات گذشته در اینجا به قسمتی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۶۹ از بهانه جوئیهای لجوجانه مشرکان اشاره میکند که در شش قسمت بیان شده است:

۱- نخست می گویـد: «و آنها گفتنـد: ما هرگز به تو ایمان نمی آوریم مگر این که از این سـرزمین چشـمه پر آبی برای ما خارج کنی»! (وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّی تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ یَنْبُوعاً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٩١ ص: 899

(آیه ۹۱)- دوم: «یا این که باغی از درختان خرما و انگور در اختیار تو باشد که جویبارها و نهرها در لابلای درختانش به جریان اندازی»! (أَوْ تَکُونَ لَکَ جَنَّهُ مِنْ نَخِیلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِیراً).

سورة الإسراء(17): آية ٩٢ ص: 669

(آیه ۹۲)– سوم: «یا آسمان را چنان که میپنداری قطعه قطعه بر سر ما فرود آری» (أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ کَما زَعَمْتَ عَلَيْنا کِسَفاً). ۴– «یا خداوند و فرشتگان را در برابر ما رو در رو بیاوری» (أَوْ تَأْتِیَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِکَةِ قَبِیلًا).

سورة الإسراء(١٧): آية ٩٣ ص: 669

(آیه ۹۳)– پنجم: «یا برای تو خانهای پرنقش و نگار از طلا باشد» (أَوْ یَکُونَ لَکَ بَیْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ).

۶- «یا به آسمان بالا روی! حتی اگر به آسمان روی ایمان نمی آوریم مگر آن که نامهای بر ما فرود آوری که آن را بخوانیم» (أَوْ تَرْقی فِی السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِیِّکَ حَتَّی تُنَزِّلَ عَلَیْنا کِتاباً نَفْرَؤُهُ).

در پایـان این آیـات میخوانیم که خداونـد به پیـامبرش دسـتور میدهـد که در برابر این پیشـنهادهای ضـد و نقیض و بیپایه و گاهی مضحک «بگو: منزه است پروردگارم» از این سخنان بیمعنی (قُلْ سُبْحانَ رَبِّی).

«مگر من جز انسانی فرستاده خدا هستم» (هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا).

و وظیفه پیامبر ارائه معجزه است به مقداری که صدق دعوت او ثابت شود و بیش از این چیزی بر او نیست.

سورة الإسراء(١٧): آية ٩٤ ص: 669

(آیه ۹۴)- بهانه همگونی! در آیات گذشته سخن از بهانه جویی مشرکان در زمینه نبوت پیامبر اسلام بود، و در اینجا به بهانه همگونی اشاره کرده، می گوید: «تنها چیزی که مانع شد مردم بعد از آمدن هدایت ایمان بیاورند این بود که می گفتند: آیا برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۷۰

خدا انساني را به عنوان پيامبر برانگيخته»؟ (وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدي إِلَّا أَنْ قَالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا).

آیا باور کردنی است که این مقام والا و بسیار مهم بر عهده انسانی گذارده شود؟

آیا نباید این رسالت عظیم را بر دوش نوع برتری همچون فرشتگان بگذارند، تا از عهده آن به خوبی برآید، انسان خاکی کجا و رسالت الهی کجا؟ افلاکیان شایسته این مقامند نه خاکیان! این منطق سست و بیپایه مخصوص به یک گروه و دو گروه نبود، بلکه شاید اکثر افراد بی ایمان در طول تاریخ در برابر پیامبران به آن توسل جسته اند.

سورة الإسراء(١٧): آية ٩٥ ص: ٧٧٠

(آیه ۹۵) – قرآن در یک جمله کوتاه و روشن پاسخ پرمعنایی به همه آنها داده می گوید: «بگو: (حتی) اگر در روی زمین فرشتگانی (زندگی می کردند، و) با آرامش گام برمی داشتند، ما از آسمان فرشته ای را به عنوان رسول بر آنها نازل می کردیم» (قُلْ کَانَ فِی الْأَرْضِ مَلائِکَهُ تُم یَمْشُونَ مُطْمَئِنِّینَ لَنَزَّلْنا عَلَیْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَکاً رَسُولًا). یعنی همواره رهبر باید از جنس پیروانش باشد، انسان برای انسانها و فرشته برای فرشتگان.

دلیل این همگونی رهبر و پیروان نیز روشن است، زیرا از یک سو مهمترین بخش تبلیغی یک رهبر بخش عملی اوست. همان الگو بودن و اسوه بودن، و این تنها در صورتی ممکن است که دارای همان غرائز و احساسات، و همان ساختمان جسمی و روحی باشد.

از سوی دیگر رهبر بایـد همه دردها، نیازها، و خواسـتههای پیروان خود را به خوبی درک کند تا برای درمان و پاسـخگویی به آن آماده باشد.

به همین دلیل پیامبران از میان تودههای مردم برخاستهاند.

سورة الإسراء(١٧): آية ٩٤ ص: 6٧٠

(آیه ۹۶) – در تعقیب بحثهای گذشته که در زمینه توحید و نبوت، و گفتگو با مخالفان بود، در اینجا یک نوع اعلام ختم بحث در این مرحله و نتیجه گیری از آن میباشد.

نخست می گوید: اگر آنها دلائل روشن تو را در رابطه با توحید و نبوت و معاد بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۷۱ نپذیرند به آنها اعلام کن و «بگو: همین بس که خدا میان من و شما گواه باشد، چرا که او از حال بندگانش آگاه (و نسبت به کارشان) بیناست» (قُلْ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ إِنَّهُ کانَ بِعِبادِهِ خَبِیراً بَصِیراً).

در حقیقت دو هدف از بیان این عبارت در نظر بوده است نخست این که:

مخالفان متعصب لجوج را تهدید کند که خداوند آگاه و بینا، شاهد و گواه اعمال ما و شماست، گمان نکنید از محیط قدرت او بیرون خواهید رفت، و یا چیزی از اعمالتان بر او مخفی میماند.

ديگر اين كه پيامبر صلّى اللّه عليه و آله بـا بيـان اين عبارت ايمان قاطع خود را به آنچه گفته است ظاهر سازد چرا كه قاطعيت

گوینده در سخن خود، اثر عمیق روانی در شنونده دارد، باشد که این تعبیر محکم و قاطع که توأم با یک نوع تهدید ملایم نیز میباشد در آنها اثر بگذارد قلبشان را تکان دهد و فکرشان را بیدار کند و به راه راست بخواند.

سورة الإسراء(17): آية 97 ص: 671

(آيه ٩٧)- سپس اضافه مي كند: «هر كس را خدا هدايت كند، هدايت يافته واقعى اوست» (وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ).

«و هر کس را (به خاطر اعمالش) گمراه سازد، هادیان و سرپرستانی غیر خدا برای او نخواهی یافت» (وَ مَنْ یُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِهِ).

تنها راه این است که باز هم به سوی او باز گردند و نور هدایت از او بطلبند.

این دو جمله در حقیقت اشاره به این است که تنها استدلالات قوی و کوبنده برای ایمان آوردن کافی نیست، بلکه تا توفیق الهی و شایستگی هدایت در او پیدا نشود محال است ایمان بیاورد.

نطفه پاک بباید که شود قابل فیض ورنه هر سنگ و گلی لؤلؤ و مرجان نشود!

سپس به صورت یک تهدید قاطع و کوبنده صحنهای از صحنههای قیامت را که نتیجه قطعی اعمال آنهاست به آنها نشان داده، می فرماید: «ما آنها را در روز قیامت بر صورتهایشان محشور می کنیم» (وَ نَحْشُرُهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ عَلی وُجُوهِهِمْ).

به جای این که مستقیم و ایستاده راه برونـد فرشـتگان عـذاب آنان را به صورتشان بر زمین میکشـند یا همچون خزنـدگان بر صورت و سینه میخزند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۷۲

و نيز «آنها در حالتي كه نابينا و لال و كر هستند» به آن دادگاه بزرگ وارد مي شوند (عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمَّا).

مواقف و مراحل قیامت مختلف است در بعضی از مراحل و مواقف آنها کور و کر و نابینا هستند، ولی در مراحل دیگری چشمشان بینا و گوششان شنوا و زبانشان باز می شود، تا صحنه های عذاب را ببینند و سرزنشهای سرزنش کنندگان را بشنوند و به ناله و فریاد و اظهار ضعف بپردازند و این خود یک نوع مجازات برای آنهاست.

و نیز مجرمان از دیدن آنچه مایه سرور است و از شنیدن آنچه مایه نشاط و از گفتن آنچه موجب نجات میباشد محرومند و به عکس آنچه که مایه زجر و ناراحتی است میبینند و میشنوند و می گویند.

و در پایان آیه می فرماید: «جایگاه همیشگی آنها دوزخ است» (مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ).

اما گمان نکنید آتشش همچون آتشهای دنیا سر انجام به خاموشی می گراید نه «هر زمان التهاب آن فرو مینشیند شعله تازهای بر آنها میافزائیم» (کُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِیراً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٩٨ ص: ٢٧٢

(آیه ۹۸) - چگونه معاد ممکن است؟ در آیات گذشته دیدیم که چگونه سرنوشت شومی در جهان دیگر در انتظار مجرمان است. سرنوشتی که هر انسان عاقلی را در اندیشه فرو می برد. در اینجا علت این موضوع را به بیان دیگری تشریح می کند. نخست می گوید: «این کیفر آنهاست به خاطر اینکه آیات ما را انکار کردند و گفتند: آیا هنگامی که ما استخوانهای پوسیده، و خاکهای پراکنده شویم، بار دیگر آفرینش تازهای خواهیم یافت»؟ (ذلِکَ جَزاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ کَفَرُوا بِآیاتِنا وَ قالُوا أَ إِذَا کُنَّا عِظاماً وَ رُفَاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِیداً).

سورة الإسراء(١٧): آية ٩٩ ص: ٤٧٢

(آیه ۹۹) – قرآن بلافاصله از این گفتار آنها که مسأله معاد جسمانی را با تعجب مینگریستند و یا آن را غیر ممکن میپنداشتند با بیان روشنی پاسخ داده، می گوید: «آیا نمی دانند خدایی که آسمانها و زمین را آفریده قادر است مثل آنها را برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۷۳

بیافریند»؟ و به زندگی جدید بازشان گرداند (أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ قادِرٌ عَلَی أَنْ یَخْلُقَ مِثْلَهُمْ). ولی آنها نباید عجله کنند این رستاخیز و قیامت اگرچه دیر آید سر انجام می آید «و برای آنان سر آمدی قطعی- که شکی در آن نیست- قرار ده» و تا این زمان موعود فرا نرسد قیامت برپا نخواهد شد (وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لا رَیْبَ فِیهِ).

«اما ظالمان (و ستمگران با شنیدن این آیات نیز به همان راه انحرافی خود ادامه میدهند) و جز راه کفر و انکار را پذیرا نیستند» (فَأَبَی الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً).

سورة الإسراء(17): آية 100 ص: 873

اشاره

(آیه ۱۰۰) و از آنجا که آنها اصرار داشتند پیامبر نباید از جنس بشر باشد گویی یک نوع حسادت و بخل مانع از این می شد که باور کنند ممکن است خدا این موهبت را به انسانی بدهد، لذا در این آیه می فرماید: «به آنها بگو: اگر شما مالک خزائن رحمت پروردگار من بودید مسلما (به خاطر تنگ نظری) امساک می کردید، مبادا انفاق مایه فقر و تنگدستی شما شود» (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَهُ رَبِّی إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْیَهُ الْإِنْفاقِ).
«و انسان طبعا موجود بخیلی است» (و کانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً).

معاد جسمانی- ص: 673

این سه آیه آخر از روشنترین آیات مربوط به اثبات معاد جسمانی است، زیرا تعجب مشرکان از این بود که چگونه ممکن است خداوند استخوانهای پوسیده و خاک شده را بار دیگر به لباس حیات و زندگی بیاراید، پاسخ قرآن نیز در همین رابطه است می گوید: خداوندی که آسمانها و زمین را آفرید، چنین قدرتی را دارد که اجزای پراکنده انسان را جمع آوری کرده، حیات نوین ببخشد.

ضمنا استدلال به عمومیت قدرت خداوند در اثبات مسأله معاد یکی از دلائلی است که قرآن کرارا روی آن تکیه کرده است.

سورة الإسراء(١٧): آية ١٠١ ص: ٥٧٣

(آیه ۱۰۱)- با این همه نشانه ها باز ایمان نیاوردند! در چند آیه پیش از این خواندیم که مشرکان چه تقاضاهای عجیب و غریبی از پیامبر داشتند. در اینجا در حقیقت نمونهای از این صحنه را در امتهای پیشین بیان می کند که برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۴۷۴ چگونه انواع خارق عادات و معجزات را دیدند و باز هم بهانه گرفتند و راه انکار را همچنان ادامه دادند.

نخست مي گويد: «ما به موسى نه آيه و نشانه روشن داديم» (وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ).

این آیات عبارتند از: عصا، ید بیضا، طوفان، ملخ، یک نوع آفت نباتی به نام قمّل، فزونی قورباغه، خون، خشکسالی، کمبود میوهها.

سپس برای تأکید بیشتر اضافه می کند: اگر مخالفانت حتی این موضوع را انکار کنند برای اتمام حجت به آنها «از بنی اسرائیل سؤال کن که در آن زمان که (این آیات) به سراغشان آمد چگونه بودند» (فَسْئَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ إِذْ جاءَهُمْ).

ولى بـا اين حال نه تنها تسليم نشدنـد بلكه موسـى را متهم به ساحر بودن و يا ديوانه بودن كردنـد «پس فرعون به او گفت: من گمان مىكنم اى موسى تو ساحر يا ديوانهاى» (فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً).

این روش همیشگی مستکبران است که مردان الهی را به خاطر نو آوریها، و حرکت بر ضد مسیر جامعههای فاسد، و همچنین نشان دادن خارق عادات متهم به سحر و یا جنون می کردند، تا در افکار مردم ساده دل نفوذ کنند و آنها را از گرد پیامبران پراکنده سازند.

سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٢ ص: ٥٧٤

(آیه ۱۰۲)- ولی موسی در برابر این تهمت نـاروا سـکوت نکرد و بـا قـاطعیت هر چه تمـامتر «گفت: (ای فرعـون) تو به خوبی میدانی که این آیات روشـنی بخش را جز پروردگار آسمانها و زمین نازل نکرده است» (قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أُنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْض بَصائِرَ).

بنابراین تو با علم و اطلاع و آگاهی حقایق را انکار میکنی، تو به خوبی میدانی که اینها از طرف خداست، و منهم میدانم که میدانی! و به همین دلیل چون حق را دانسته انکار میکنی «من فکر میکنم ای فرعون! تو سر انجام هلاک خواهی شد» (وَ إِنِّی لَأَظُنُّکَ یا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً).

سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٣ ص: ٥٧٤

(آیه ۱۰۳) - چون فرعون نتوانست در برابر استدلالهای دندان شکن موسی برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۷۵ مقاومت کند به همان چیزی متوسل شه که همه طاغوتیان بی منطق در تمام قرون و اعصار به آن متوسل می شدند، می فرماید: «پس (فرعون) تصمیم گرفت آنان را از آن سرزمین ریشه کن سازد ولی ما او و تمام کسانی را که با او بودند، غرق کردیم» (فَأَرادَ أَنْ یَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِیعاً).

سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٤ ص: ٥٧٥

(آیه ۱۰۴)– «و بعـد از آن به بنی اسـرائیل گفتیم: در این سـرزمین [مصـر و شـام] سـاکن شویــد» (وَ قُلْنا مِنْ بَعْـدِهِ لِبَنِی إِسْـرائِیلَ اسْکُنُوا الْأَرْضَ).

«اما هنگامی که وعده آخرت فرا رسد همه شما را دسته جمعی (به آن دادگاه عدل) میآوریم» (فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ

سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٥ ص: ٥٧٥

(آیه ۱۰۵)- بار دیگر قرآن به سراغ اهمیت و عظمت این کتاب آسمانی میرود و به پاسخ بعضی از ایرادات و یا بهانه جوئیهای مخالفان می پردازد.

ست مى گويد: «و ما قرآن را بحق نازل كرديم» (وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ).

بلافاصله اضافه مي كند: «و بحق نازل شد» (وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ).

گاهی انسان شروع به کاری می کند اما چون قدرتش محدود است نمی تواند آن را تا به آخر بطور صحیح پیاده کند، اما کسی که از همه چیز آگاه است، و بر همه چیز تواناست، هم آغاز را بطور صحیح شروع می کند و هم انجام را بطور کامل تحقق می بخشد، فی المثل گاهی انسان آب زلالی را از سر چشمه رها می کند، اما چون نمی تواند در مسیر راه آن را از آلود گیها حفظ کند پاک و زلال به دست مصرف کننده نمی رسد، ولی آن کس که از هر نظر بر کار خود مسلط است، هم آن را پاک و زلال از چشمه بیرون می آورد، و هم آن را پاک و زلال در ظرفهای تشنگان و نوشند گان وارد می سازد.

قرآن نیز درست چنین کتابی است که به حق از ناحیه خداوند نازل شده است و در تمام مسیر ابلاغ چه در آن مرحله که واسطه جبرئیل بوده، و چه در آن مرحله که گیرنده پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بود، در همه حال آن را از هر نظر حفظ و حراست فرمود و حتّی با گذشت زمان دست هیچ گونه تحریف به دامانش دراز نشده و نخواهد شد، چرا که خدا پاسداریش را بر عهده گرفته است. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۷۶

بنابراین، این آب زلال وحی الهی از عصر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله تا پایان جهان دست نخورده به همه دلها راه می یابد. و در پایان می فرماید: «و ما تو را جز به عنوان بشارت دهنده نفرستادیم» و حق هیچ گونه تغییر در محتوای قرآن نداری (وَ ما أَرْسَلْناكَ إِنَّا مُبَشِّراً وَ نَذِیراً).

سورة الإسراء (١٧): آية ١٠٦ ص: 6٧٦

(آیه ۱۰۶) - در این آیه به پاسخ یکی از بهانه گیریهای مخالفان که می گفتند:

چرا قرآن یکجا بر پیامبر نازل نشده، و روش نزول آن حتما تـدریجی است پرداخته، میگویـد: «و قرآنی که آیاتش را از هم جـدا کردیم، تـا آن را بـا درنـگ بر مردم بخوانی و آن را بتدریـج نـازل کردیم» (وَ قُوْآنـاً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأُهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزیلًا).

قرآن کتابی است که با حوادث عصر خود یعنی با بیست و سه سال دوران نبوت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و رویدادهایش پیوند و ارتباط ناگسستنی دارد.

مگر ممکن است همه حوادث ۲۳ سال را در یک روز جمع آوری کرد، تا مسائل مربوط به آن یک جا در قرآن نازل شود؟! در ضمن نزول تدریجی مفهومش ارتباط دائمی پیامبر صلّی الله علیه و آله با مبدأ وحی بود ولی نزول دفعی ارتباط پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را بیش از یک بار تضمین نمی کرد.

سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٧ ص: ٥٧۶

(آیه ۱۰۷)– این آیه برای درهم شکستن غرور مخالفان نادان می گوید: «بگو:

خواه به آن ایمان بیاورید، و خواه ایمان نیاورید، کسانی که پیش از آن به آنها دانش داده شده، هنگامی که (این آیات) بر آنـان خوانـده میشود، سـجده کنـان به خـاک میافتنـد» (قُـلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاـ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلَى عَلَيْهِمْ یَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً).

سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٨ ص: ٥٧٦

(آیه ۱۰۸)– در این آیه گفتارشـان را به هنگامی که به سـجده میافتنـد بازگو کرده، میفرمایـد: «آنها میگوینـد: پاک و منزه است پروردگار ما، وعدههای پروردگارمان انجام شدنی است» (وَ یَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ کانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا).

آنها با این سخن نهایت ایمان و اعتقاد خود را به ربوبیت پروردگار و صفات پاک او و هم به وعدههایی که داده است، اظهار میدارند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۷۷

سورة الإسراء(١٧): آية ١٠٩ ص: ٧٧٧

(آیه ۱۰۹)- باز برای تأکید بیشتر و تأثیر آن آیات الهی و این سجده عاشقانه می گوید: «آنها (بیاختیار) به زمین میافتنـد و گریه میکنند و (تلاوت این آیات همواره) بر خشوعشان میافزاید» (وَ یَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ یَبْکُونَ وَ یَزِیدُهُمْ خُشُوعاً). «خشوع» آن حالت تواضع و ادب جسمی و روحی است که انسان در مقابل شخص و یا حقیقتی داشته باشد.

سورة الإسراء(١٧): آية ١١٠ ص: 8٧٧

اشاره

(آیه ۱۱۰)

شأن نزول: ص: 677

چنین نقل شده که پیامبر یک شب در مکه در حال سجده بود و خدا را به نام یا رحمان و یا رحیم میخواند، مشرکان بهانهجو از فرصت استفاده کرده و گفتند: ببینید این مرد (ما را سرزنش میکند که چرا چند خدایی هستیم اما) خودش دو خدا را پرستش میکند. آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۶۷۷

آخرین بهانه ها! به دنبال ایرادهای سست و بی اساس مشرکان، در این آیه به آخرین بهانه های آنها می رسیم، و آن این که: آنها می گفتند چرا پیامبر، خدا را به نامهای متعددی می خواند با این که مدعی توحید است قرآن در پاسخ آنها می گوید: «بگو: شما او را به نام «الله» بخوانید و یا به نام رحمان هر کدام را بخوانید فرق نمی کند برای او نامهای متعدد نیک است» (قُلِ ادْعُوا اللَّهُ أُو ادْعُوا الرَّحْمنَ أَیًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنی).

این کوردلان گاه برای یک شخص، یا یک مکان و مانند آن اسمهای مختلفی می گذارند که هر کدام معرّف گوشهای از زوایای وجود او بود.

آیا با این حال تعجب دارد خدایی که وجودش از هر نظر بینهایت است و منبع و سر چشمه همه کمالایت، نعمتها و تمام نیکیهاست و به تناسب هر کاری که انجام می دهد و هر کمالی که ذات مقدسش دارد نام مخصوص داشته باشد؟! در پایان آیه نظر به گفتگوی مشرکان در مکّه در رابطه با نماز پیامبر صلّی الله علیه و آله و این که می گفتند: او نماز خود را بلند میخواند و ما را ناراحت می کند، این چه عبادتی است؟ این چه برنامهای است؟ به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور می دهد: «نمازت را زیاد بلند مخوان، زیاد هم آهسته مخوان، بلکه میان این دو راه اعتدال را انتخاب کن» (وَ لا تَجْهَرْ بِصَ لاتِکَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغ بَیْنَ ذلِکَ سَبِیلًا). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۶۷۸

آیه می گوید: نه بیش از حد بلند بخوان و فریاد بزن، و نه بیش از حد آهسته که تنها حرکت لبها مشخص شود و صدایی به گوش نرسد.

سورة الإسراء(١٧): آية ١١١ ص: ٥٧٨

(آیه ۱۱۱)- سر انجام به آخرین آیه این سوره میرسیم آیهای که با حمد خداوند سوره را پایان میدهد همان گونه که با تسبیح ذات پاک او سوره آغاز شده بود، و در حقیقت این آیه نتیجهای است بر کل بحثهای توحیدی این سوره و محتوای همه آن مفاهیم توحیدی.

روی سخن را به پیامبر کرده، چنین می گوید: «بگو: حمد و سپاس مخصوص خداوندی است که نه فرزندی برای خود انتخاب کرده و نه شریکی در حکومت و مالکیت جهان دارد، و نه سرپرستی برای حمایت در برابر ذلت و ناتوانی» (وَ قُلِ الْحَمْدُ لُـ لِلّهِ اللّٰذِی لَمْ یَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ وَلِیٌّ مِنَ الذُّلِّ).

و چنین خدایی با چنان صفات از هر چه فکر کنی برتر و بالاتر است بنابراین «او را بزرگدار و به عظمت بیانتهایش آشنا شو» (وَ کَبِّرْهُ تَکْبیراً).

آیه فوق هرگونه کمک کار و شبیه را از خداونـد نفی میکنـد، چه آن کس که پایین تر باشـد (همچون فرزند) و آن کس که همسان باشد (همچون شریک) و آن کس که برتر باشد (همچون ولیّ).

مرحوم «طبرسی» در «مجمع البیان» از بعضی مفسران نقل می کند که این آیه ناظر به نفی اعتقاد انحرافی سه گروه است: نخست مسیحیان و یهود که برای خدا فرزند قائل بودند، و دیگر مشرکان عرب که برای او شریکی می پنداشتند، و لذا در مراسم حبّ می گفتند: لبّیک لا شریک لک، الّا شریکا هو لک! و دیگر ستاره پرستان و مجوس، چرا که آنها برای خدا ولی و حامی قائل

«پایان سوره اسراء» و پایان جلد دوم برگزیده تفسیر نمونه

جلد سوم

پیشگفتار ص: 19

گزیده تفسیر نمونه! بزرگترین سرمایه ما مسلمانان قرآن مجید است. معارف، احکام، برنامه زندگی، سیاست اسلامی، راه به سوی قرب خدا، همه و همه را در این کتاب بزرگ آسمانی می یابیم.

بنابراین، وظیفه هر مسلمان این است که با این کتاب بزرگ دینی خود روز به روز آشناتر شود این از یکسو.

از سوی دیگر آوازه اسلام که بر اثر بیداری مسلمین در عصر ما، و بخصوص بعد از انقلاب اسلامی در سراسر جهان پیچیده است، حس کنجکاوی مردم غیر مسلمان جهان را برای آشنایی بیشتر به این کتاب آسمانی بر انگیخته است، به همین دلیل در حاضر از همه جا تقاضای ترجمه و تفسیر قرآن به زبانهای زنده دنیا میرسد، هر چند متأسفانه جوابگویی کافی برای این تقاضاها نیست، ولی به هر حال باید تلاش کرد و خود را آماده برای پاسخگویی به این تقاضاهای مطلوب کنیم.

خوشبختانه حضور قرآن در زنـدگی مسلمانان جهان و بخصوص در محیط کشور ما روز به روز افزایش پیـدا می کنـد، قاریان بزرگ، حافظان ارجمند، مفسران آگاه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۰

در جامعه امروز ما بحمد الله کم نیستند، رشته تخصصی تفسیر در حوزه علمیه قم به صورت یکی از رشتههای تخصصی مهم در آمده و متقاضیان بسیاری دارد، درس تفسیر نیز از دروس رسمی حوزهها و از مواد امتحانی است، و در همین راستا «تفسیر نمونه» نوشته شد، که تفسیری است سلیس و روان و در عین حال پر محتوا و ناظر به مسائل روز و نیازهای زمان، و شاید یکی از دلایل گسترش سریع آن همین اقبال عمومی مردم به قرآن مجید است.

گر چه برای تهیه این تفسیر به اتفاق گروهی از فضلای گرامی حوزه علمیه قم (دانشمندان و حجج اسلام آقایان: محمد رضا آشتیانی – محمد جعفر امامی – داود الهامی – اسد الله ایمانی – عبد الرسول حسنی – سید حسن شجاعی – سید نور الله طباطبائی – محمود عبد اللهی – محسن قرائتی و محمد محمدی اشتهاردی) در مدت پانزده سال زحمات زیادی کشیده شد، ولی با توجه به استقبال فوق العاده ای که از سوی تمام قشرها و حتی برادران اهل تسنن از آن به عمل آمد، تمام خستگی تهیه آن برطرف گشت و این امید در دل دوستان بوجود آمد که ان شاء الله اثری است مقبول در پیشگاه خدا.

متن فارسی این تفسیر دهها بار چاپ و منتشر شده، و ترجمه کامل آن به زبان «اردو» در (۲۷) جلد نیز بارها به چاپ رسیده است، و ترجمه کامل آن به زبان «عربی» نیز به نام تفسیر «الأمثل» اخیرا در بیروت به چاپ رسید و در نقاط مختلف کشورهای اسلامی انتشار یافت.

ترجمه آن به زبان «انگلیسی» هم اکنون در دست تهیه است که امیدواریم آن هم به زودی در افق مطبوعات اسلامی ظاهر گردد.

بعد از انتشار تفسیر نمونه گروه کثیری خواهان نشر «خلاصه» آن شدند.

چرا که مایل بودند بتوانند در وقت کوتاهتر و با هزینه کمتر به محتوای اجمالی آیات، و شرح فشردهای آشنا شوند، و در بعضی از کلاسهای درسی که تفسیر قرآن مورد توجه است به عنوان متن درسی از آن بهره گیری شود. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۱

این درخواست مکرّر، ما را بر آن داشت که به فکر تلخیص تمام دوره (۲۷) جلدی تفسیر نمونه، در پنج جلد بیفتیم ولی این کار آسانی نبود، مدتی در باره آن مطالعه و برنامه ریزی شد و بررسیهای لازم به عمل آمد تا این که فاضل محترم جناب مستطاب آقای احمد- علی بابائی که سابقه فعالیت و پشتکار و حسن سلیقه ایشان در تهیه «فهرست موضوعی تفسیر نمونه» بر ما روشن و مسلّم بود عهده دار انجام این مهمّ گردید و در مدت سه سال کار مستمر شبانه روزی این مهمّ به وسیله ایشان انجام گردید.

اینجانب نیز با فکر قاصر خود کرارا بر نوشته های ایشان نظارت کردم و در مواردی که نیاز به راهنمایی بود به اندازه توانایی مسائل لایزم را تذکر دادم، و در مجموع فکر می کنم بحمد الله اثری ارزنده و پر بار به وجود آمده که هم قرآن با ترجمه سلیس را در بر دارد و هم تفسیر فشرده و گویایی، برای کسانی که میخواهند با یک مراجعه سریع از تفسیر آیات آگاه شوند، می باشد.

و نام آن برگزیده تفسیر نمونه نهاده شد.

و من به نوبه خود از زحمات بیدریغ ایشان تشکر و قدر دانی میکنم، امیدوارم این خلاصه و فشرده که گزیدهای است از قسمتهای حساس، و حدیث مجملی از آن مفصل، نیز مورد قبول اهل نظر و عموم قشرهای علاقهمند به قرآن گردد و ذخیرهای برای همه ما در «یوم الجزاء» باشد.

قم- حوزه علمیه ناصر مکارم شیرازی ۱۳ رجب ۱۴۱۴ روز میلاد مسعود امیر مؤمنان حضرت علی علیه السّلام مطابق با ۴/ ۱۰/ ۱۳۷۲

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۳

ادامه جزء پانزدهم ص: 23

سوره کهف [۱۸] ص: ۲۳

اشاره

این سوره ۱۱۰ آیه دارد و تمام آن- بجز آیه ۲۸- در «مکّه» نازل شده است

محتوای سوره: ص: 23

این سوره با حمد و ستایش خداوند آغاز میشود، و با توحید و ایمان و عمل صالح پایان می یابد.

محتوای این سوره همچون سایر سورههای «مکی» بیشتر بیان مبدأ و معاد و بشارت و انذار است.

مسأله مهم دیگر این که مسلمانان تما آن روز که توانایی دارند به مبارزه ادامه دهند و در صورت عدم توانایی، همچون «اصحاب کهف» هجرت نمایند.

جالب این که در این سوره به سه داستان اشاره شده (داستان اصحاب کهف، داستان موسی و خضر و داستان ذو القرنین) که بر خلاف غالب داستانهای قرآن در هیچ جای دیگر از قرآن سخنی از اینها به میان نیامده است و این یکی از ویژگیهای این سوره است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 23

در حـدیثی میخوانیم که پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله فرمود: «آیا سورهای را به شـما معرفی کنم که هفتاد هزار فرشـته به هنگام نزولش آن را بدرقه کردند و عظمتش آسمان و زمین را پر کرد؟

یاران عرض کردند: آری فرمود: آن سوره کهف است هر کس آن را روز جمعه بخواند خداوند تا جمعه دیگر او را می آمرزد (و طبق روایتی او را از گناه حفظ می کند) ... و به او نوری می بخشد که به آسمان می تابد و از فتنه د بخ ال محفوظ خواهد ماند.» برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۴

و در حدیثی از امام صادق علیه السّ_ه لام میخوانیم: کسی که در هر شب جمعه سوره کهف را بخواند شهید از دنیا میرود، و با شهدا مبعوث میشود و در روز قیامت در صف شهدا قرار می گیرد.

بارها گفتهایم عظمت سورههای قرآن و آثار معنوی و برکات اخلاقیش به خاطر محتوای آن یعنی ایمان و عمل به آن است. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورة الكهف(١٨): آية ١ ص: 24

(آیه ۱)- آغاز با حمد و ستایش خدا: سوره کهف همچون بعضی دیگر از سورههای قرآن با حمد و ستایش خداوند آغاز شده است، و از آنجا که حمد و ستایش بخاطر کار یا صفت مهم و شایستهای است در اینجا ستایش را در برابر نزول قرآن که خالی از هر گونه اعوجاج و کژی است بیان کرده، می گوید: «حمد خدائی را که این کتاب آسمانی را بر بنده (بر گزیده) اش نازل کرد، و هیچ گونه کژی در آن قرار نداد» (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْکِتابَ وَ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً).

سورة الكهف(١٨): آية ٢ ص: 24

(آیه ۲)- «در حالی که ثابت و مستقیم و نگاهبان (کتابهای آسمانی دیگر) است» (قَیّماً).

این کلمه که به عنوان وصفی برای قرآن آمده، هم تأکیدی است بر استقامت و اعتدال قرآن و خالی بودن از هر گونه ضد و نقیض، و هم اشارهای است به جاودانی بودن این کتاب بزرگ آسمانی و هم الگو بودن برای حفظ اصالتها و اصلاح کژیها و پاسداری از احکام خداوند و عدالت و فضیلت بشر.

این صفت «قیم» در واقع اشتقاقی است از صفت قیومیت پروردگار که به مقتضای آن خداوند حافظ و نگاهبان همه موجودات و اشیاء جهان است.

سپس مى افزايد: «تا (بد كاران را» از عذاب او بترساند» (لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ).

«و مؤمنانی را که (پیوسته) کارهای شایسته انجام میدهند بشارت دهد که پاداش نیکویی برای آنهاست» (وَ یُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِینَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۵

سورة الكهف(١٨): آية ٣ ص: ٢٥

(آیه ۳)- همان بهشت برین «که جاودانه در آن خواهند ماند» (ماکِثِینَ فِیهِ أَبَداً).

سورة الكهف(18): آية 4 ص: 25

(آیه ۴)- سپس به یکی از انحرافات عمومی مخالفان، اعم از نصاری و یهود و مشرکان، اشاره کرده، می گوید: «و (نیز) آنها را که گفتند: خداوند، فرزندی (برای خود) انتخاب کرده است، بیم دهد» (وَ یُنْذِرَ الَّذِینَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً).

هم مسیحیان را به خاطر اعتقاد به این که «مسیح» فرزند خداست، و هم یهود را به خاطر اعتقاد به فرزندی «عزیر» و هم مشرکان را به خاطر این که فرشتگان را دختران خدا می پنداشتند هشدار دهد.

سورة الكهف(18): آية 5 ص: 25

(آیه ۵)- سپس به یک اصل اساسی برای ابطال این گونه ادعاهای پوچ و بیاساس پرداخته، می گوید: «نه آنها (هرگز) به این سخن یقین دارند، و نه پدرانشان!» (ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْم وَ لا لِآبائِهِمْ).

اما «سخن بسيار بزرگى از دهانشان خارج مىشود» (ُكَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ).

خدا و جسم بودن؟ خدا و فرزند داشتن؟ خدا و نیازهای مادی؟ و بالاخره خدا و محدود بودن؟ چه سخنان وحشتناکی؟! ... آری! «آنها فقط دروغ می گویند» (إنْ يَقُولُونَ إلَّا كَذِباً).

سورة الكهف(18): آية 6 ص: 25

(آیه ۶)- غصه مخور جهان میدان آزمایش است: از آنجا که در آیات گذشته سخن از رسالت و رهبری پیامبر صلّی الله علیه و آله بود، در این آیه به یکی از مهمترین شرایط رهبری که همان دلسوزی نسبت به امت است اشاره کرده، می گوید: «گویی میخواهی به خاطر اعمال آنان خود را از غم و اندوه هلاک کنی اگر به این گفتار ایمان نیاورند» (فَلَعَلَکُ باخِعٌ نَفْسَکُ عَلی آثارِهِمْ إِنْ لَمْ یُوْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِیثِ أَسَفاً).

سورة الكهف(١٨): آية ٧ ص: 25

(آیه ۷)- این آیه ترسیمی از وضع این جهان به عنوان یک میدان آزمایش برای انسانها، و توضیحی برای خط سیر انسان در این مسیر است.

نخست می گویـد: «ما آنچه را روی زمین است زینت آن قرار دادیم» (إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَی الْأَرْضِ زِینَهٔ لَها). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۶

جهانی پر زرق و برق ساختیم که هر گوشهای از آن دل را میبرد، دیدگان را به خود مشغول میدارد، و انگیزههای مختلف را در درون آدمی بیدار میکند، تا در کشاکش این انگیزهها و درخشش این زرق و برقها و چهرههای دلانگیز و دلربا، انسان بر کرسی آزمایش قرار گیرد و میزان قدرت ایمان و نیروی اراده و معنویت و فضیلت خود را به نمایش بگذارد.

لذا بالفاصله اضافه مي كند: «تا آنها را بيازماييم كدامينشان بهتر عمل مي كنند»؟ (لِنَبْلُوَهُمْ أَتُيهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا).

این هشداری است به همه انسانها و همه مسلمانها که در این میدان آزمایش الهی فریب زرق و برقها و کثرت عمل را نخورند بلکه بیشتر به حسن عمل بیندیشند.

سورة الكهف(18): آية 8 ص: 26

(آیه ۸)- سپس می گوید: ولی این زرق و برقها پایدار نیست «و ما (سر انجام) قشر روی زمین را خاک بی گیاهی قرار میدهیم»! (وَ إِنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً).

آری! این منظره زیبا که در فصل بهار در دامان صحرا و کوهسار میبینیم به همین حال باقی نمیماند، فصل خزان فرا میرسد برگها پژمرده میشوند، شاخهها عریان میشوند، و آوای حیات به خاموشی میگراید.

زندگی پر زرق و برق انسانها نیز همین گونه است. این نعمتهای گوناگون، این پستها و مقامها و مانند آن نیز جاودانی نیستند، روزی فرا میرسد که به جز یک قبرستان خشک و خاموش از این جامعهها چیزی باقی نمیماند و این درس عبرت بزرگی است.

سورة الكهف(١٨): آية ٩ ص: 26

اشاره

(آیه ۹)

شأن نزول: ص: 26

جمعی از سران قریش، دو نفر از یاران خود را برای تحقیق در باره دعوت پیامبر اسلام علیه السّلام به سوی دانشمندان یهود در مدینه فرستادند، تا ببینند آیا در کتب پیشین چیزی در این زمینه یافت میشود؟

آنها به مدینه آمدند و با علمای یهود تماس گرفتند علماء یهود به آنها گفتند:

شما سه مسأله را از محمّ د صلّی الله علیه و آله سؤال کنید، اگر همه را پاسخ کافی گفت پیامبری است از سوی خدا و گر نه مرد کذّابی است که شما هر تصمیمی در باره او می توانید بگیرید.

نخست از او سؤال کنید: داستان آن گروهی از جوانان که در گذشته دور، از برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۷ قوم خود جمدا شدنمد چه بود؟ زیرا آنها سر گذشت عجیبی داشتند! و نیز از او سؤال کنید: مردی که زمین را طواف کرد و به شرق و غرب جهان رسید که بود و داستانش چه بود؟

و نيز سؤال كنيد: حقيقت روح چيست؟

آنها خدمت پیامبر رسیدند و سؤالات خود را مطرح کردند.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: فردا به شما پاسخ خواهم گفت- ولی انشاء اللّه نفرمود- پانزده شبانه روز گذشت که وحی از ناحیه خدا بر پیامبر نازل نشد، این امر بر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله گران آمد، ولی سر انجام جبرئیل فرا رسید و سوره کهف را از سوی خداوند آورد که در آن داستان آن گروه از جوانان و همچنین آن مرد دنیا گرد بود، به علاوه آیه «یَشِ مُلُونَکُ عَنِ اللّهُ وح ...» را نیز بر پیامبر نازل کرد.

تفسير: ص: ۲۷

آغاز ماجرای اصحاب کهف: در آیات گذشته ترسیمی از زندگی این جهان، و چگونگی این میدان آزمایش انسانها و مسیر زندگی آنان، از نظر گذشت، از آنجا که قرآن مسائل کلی حساس را غالبا در ضمن مثال و یا مثالها و یا نمونههایی از تاریخ گذشته مجسّم میسازد، در اینجا نیز نخست به بیان داستان اصحاب کهف پرداخته و از آنها به عنوان یک «الگو» و «اسوه» یاد می کند.

گروهی از جوانان باهوش و با ایمان که در یک زندگی پر زرق و برق در میان انواع ناز و نعمت به سر میبردند، برای حفظ عقیده خود و مبارزه با طاغوت عصر خویش به همه اینها پشت پا زدند، و به غاری از کوه که از همه چیز تهی بود پناه بردند، و از این راه استقامت و پایمردی خود را در راه ایمان نشان دادند.

نخست مى گويد: «آيا گمان كردى اصحاب كهف و رقيم از آيات عجيب ما بودند»؟! (أُمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً).

ما آیات عجیبتری در آسمان و زمین داریم که هر یک از آنها نمونهای است از عظمت و بزرگی آفرینش، و همچنین در این کتاب بزرگ آسمانی تو آیات عجیب فراوان است، و مسلما داستان اصحاب کهف از آنها شگفتانگیزتر نیست.

سورة الكهف(١٨): آية ١٠ ص: 27

(آیه ۱۰)- سپس می گوید: «زمانی را به خاطر بیاور که آن جوانان به غار پناه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۸ بردند» (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ).

دستشان از همه جا کوتاه شده، رو به درگاه خدا آوردند: «و گفتند: پروردگارا! ما را از سوی خودت رحمتی عطا کن» (فَقالُوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَهً).

«و راه نجاتي براي ما فراهم ساز» (وَ هَيِّيْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً).

راهی که ما را از این تنگنا برهاند، به رضایت و خشنودی تو نزدیک سازد، راهی که در آن خیر و سعادت و انجام وظیفه بوده باشد.

سورة الكهف(18): آية 11 ص: 28

(آیه ۱۱)– ما دعای آنها را به اجابت رساندیم «پس ما (پرده خواب را) در غار بر گوششان زدیم و سالها در خواب فرو رفتند» (فَضَرَبْنا عَلَی آذانِهِمْ فِی الْکَهْفِ سِنِینَ عَدَداً).

سورة الكهف(18): آية 12 ص: 28

(آیه ۱۲)– «سپس آنها را بر انگیختیم تا بـدانیم (و این امر آشکار گردد که) کـدام یک از آن دو گروه، مدت خواب خود را بهتر حساب کردهاند» (ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً).

سورة الكهف(18): آية 13 ص: 28

(آیه ۱۳) – سر گذشت مشروح اصحاب کهف: بعد از بیان اجمالی این داستان، قرآن مجید به شرح تفصیلی آن ضمن چهارده آیه پرداخته و سخن را در این زمینه چنین آغاز می کنید: «ما داستان آنها را بحق برای تو باز گو می کنیم» (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ نَبُهُمْ بالْحَقِّ).

«آنها جوانانی بودند که به پروردگارشان ایمان آوردند و ما بر هدایتشان افزودیم» (إِنَّهُمْ فِثْیَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدًى).

از آیات قرآن بطور اشاره و از تواریخ به صورت مشروح این حقیقت استفاده می شود که اصحاب کهف در محیط و زمانی می زیستند که بت پرستی و کفر، آنها را احاطه کرده بود و یک حکومت جبّار و ستمگر که معمولاً حافظ و پاسدار شرک و کفر و جهل و غارتگری و جنایت است بر سر آنها سایه شوم افکنده بود.

اما این گروه از جوانمردان که از هوش و صداقت کافی بر خوردار بودند به فساد این آیین پی بردند و تصمیم بر قیام گرفتند و در صورت عدم توانایی مهاجرت کردن از آن محیط آلوده.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۹

سورة الكهف(18): آية 14 ص: 29

(آیه ۱۴)– لـذا قرآن به دنبـال بحث گذشـته میگویـد: «و دلهایشان را محکم ساختیم، در آن هنگام که قیام کردنـد و گفتنـد: پروردگار ما پروردگار آسمانها و زمین است» (وَ رَبَطْنا عَلی قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

«هرگز غير او معبودى را نمىخوانيم» (لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً).

كه «اگر چنين كنيم سخنى به گزاف گفته ايم» (لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً).

در واقع این جوانمردان با ایمان برای اثبات توحید و نفی (آلهه) به دلیل روشنی دست زدند، و آن این که ما به وضوح میبینیم که این آسمان و زمین پروردگاری دارد که وجود نظام آفرینش دلیل بر هستی اوست، ما هم بخشی از این مجموعه هستی میباشیم، بنابراین پروردگار ما نیز همان پروردگار آسمانها و زمین است.

سورة الكهف(18): آية 15 ص: 29

(آیه ۱۵)- سپس به دلیل دیگری نیز توسل جستند و آن این که: «این قوم ما معبودهایی جز خدا انتخاب کردهاند» (هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً).

آخر مگر اعتقاد بدون دلیل و برهان ممکن است «چرا آنان دلیل آشکاری برای الوهیت آنها نمی آورند؟» (لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنِ).

آیا پندار و خیال یا تقلید کور کورانه می تواند دلیلی بر چنین اعتقادی باشد؟

این چه ظلم فاحش و انحراف بزرگی است.

«پس چه کسی ظالمتر است از آن کس که به خدا دروغ ببندد» (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِبًا).

این «افترا» هم ستمی است بر خویشتن، چرا که انسان سر نوشت خود را به دست عوامل بدبختی و سقوط سپرده، و هم ظلمی

است بر جـامعهای که این نغمه را در آن سـر میدهـد و به انحراف میکشانـد، و هم ظلمی است به سـاحت قـدس پروردگار و اهانتی است به مقام بزرگ او.

سورة الكهف(18): آية 16 ص: 29

(آیه ۱۶) – این جوانمردان موحد تا آنجا که در توان داشتند برای زدودن زنگار شرک از دلها، و نشاندن نهال توحید در قلبها، تلاش و کوشش کردند، اما آنقدر غوغای بت و بت پرستی در آن محیط بلند بود که نغمههای توحیدی آنها در گلویشان گم شد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۰

ناچار برای نجات خویشتن و یافتن محیطی آماده تر تصمیمی به «هجرت» گرفتند، و لذا در میان خود به مشورت پرداخته با یکدیگر چنین گفتند: «هنگامی که از این قوم بت پرست و آنچه را جز خدا می پرستند کناره گیری کردید (و حساب خود را از آنها جدا نمودید) به غار پناهنده شوید» (وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ ما یَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَی الْکَهْفِ).

«تـا پروردگارتـان رحمتش را بر شـما بگسترانـد و راهی به سوی آرامش و آسایش و نجات از این مشـکل به رویتان بگشایـد» (یَنْشُوْ لَکُمْ رَبُّکُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ یُهَیِّیْ لَکُمْ مِنْ أَمْرِکُمْ مِرْفَقاً).

سورة الكهف(18): آية 17 ص: 30

(آیه ۱۷)– موقعیت دقیق اصحاب کهف: در این آیه و آیه بعد قرآن به ریزه کاریهای مربوط به زندگی عجیب اصحاب کهف در آن غار پرداخته و به شش خصوصیت اشاره کرده است:

۱- دهانه غار رو به شمال گشوده می شد و چون قطعا در نیمکره شمالی زمین بوده است نور آفتاب به درون آن مستقیما نمی تابید چنانکه قرآن می گوید:

«و (اگر در آنجا بودی) خورشید را میدیدی که به هنگام طلوع به سمت راست غارشان متمایل میگردد و به هنگام غروب به سمت چپ (وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ إِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ).

و به این ترتیب نور مستقیم آفتاب که تـداوم آن ممکن است موجب پوسیدگی و فرسودگی شود به بـدن آنها نمی تابید، ولی نور غیر مستقیم به قدر کافی وجود داشت.

٢- «و آنها در محل وسيعى از (آن غار) قرار داشتند» (وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ).

اشاره به این که دهانه غار که معمولاً تنگ است جایگاه آنها نبود، بلکه قسمتهای وسط غار را انتخاب کرده بودنـد که هم از چشم بینندگان دور بود، و هم از تابش مستقیم آفتاب.

در اینجا قرآن رشته سخن را قطع می کند، و به یک نتیجه گیری معنوی میپردازد، چرا که ذکر همه این داستانها برای همین منظور است.

می گوید: «این از آیات خداست، هر کس را خدا هدایت کند، هدایت یافته برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۱ واقعی اوست، و هر کس را گمراه نمایـد هرگز ولی و راهنمـایی برای او نخواهی یـافت» (ذلِکَ مِنْ آیاتِ اللَّهِ مَنْ یَهْـدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ یُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِیًّا مُرْشِداً).

آری! آنها که در راه خمدا گام بگذارنمد و برای او به جهاد برخیزنمد در هر قدمی آنان را مشمول لطف خود میسازد، نه فقط

در اساس کار، که در جزئیات هم لطفش شامل حال آنهاست.

سورة الكهف(18): آية 18 ص: 31

(آیه ۱۸)- سوم: خواب آنها یک خواب عادی و معمولی نبود، اگر به آنها نگاه می کردی، «خیال می کردی آنها بیدارند، در حالی که در خواب فرو رفته بودند»! (وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ).

این حالت استثنایی شاید برای آن بوده که حیوانات موذی به آنان نزدیک نشوند چرا که از انسان بیدار می ترسند و یا به خاطر این که منظره رعبانگیزی پیدا کنند که هیچ انسانی جرئت ننماید به آنها نزدیک شود، و این خود یک سپر حفاظتی برای آنها بوده باشد.

۴- برای این که بر اثر گذشت سالیان دراز از این خواب طولانی، اندام آنها نپوسد: «آنها را به سمت راست و چپ می گرداندیم» تا بدنشان سالم بماند (وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْیَمِین وَ ذاتَ الشِّمالِ).

تا خون بدنشان در یکجا متمرکز نشود، و فشار و سنگینی در یک زمان طولانی روی عضلاتی که بر زمین قرار داشت اثر زبانبار نگذارد.

۵- «و سگ آنها دستهای خود را بر دهانه غار گشوده بود» و نگهبانی میکرد (وَ کَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَیْهِ بِالْوَصِیدِ).

۶- منظره آنها چنان رعبانگیز بـود که «اگر نگاهشـان میکردی از آنـان میگریخـتی و سـر تـا پـای تو از ترس و وحشت پر میشد» (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَیْهِمْ لَوَلَیْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً).

سورة الكهف(18): آية 19 ص: 31

(آیه ۱۹)- بیداری بعد از یک خواب طولانی! به خواست خدا در آیات آینده میخوانیم که خواب اصحاب کهف آنقدر طولانی شد که به ۳۰۹ سال بالغ گردید، و به این ترتیب خوابی بود شبیه به مرگ، و بیداریش همانند رستاخیز، لذا در برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۲

این آیه قرآن می گوید: «و این گونه آنها را بر انگیختیم» (وَ کَذلِکَ بَعَثْناهُمْ).

یعنی همان گونه که قادر بودیم آنها را در چنین خواب طولانی فرو بریم آنها را به بیداری باز گرداندیم.

ما آنها را از خواب بر انگیختیم: «تا از یکدیگر سؤال کنند، یکی از آنها پرسید:

فكر مىكنيد چه مدت خوابيدهايد»؟ (لِيَتَسائلُوا بَيْنَهُمْ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ).

«آنها گفتند: یک روز یا بخشی از یک روز خوابیدهایم» (قالُوا لَبِثْنا یَوْماً أَوْ بَعْضَ یَوْم).

ولى سر انجام چون نتوانستند دقيقا بدانند مدت خوابشان چقدر بوده «گفتند:

پروردگار شما از مدت خوابتان آگاهتر است» (قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ).

ولی به هر حال سخت احساس گرسنگی و نیاز به غذا می کردند چون ذخیره های بدن آنها تمام شده بود، لذا نخستین پیشنهادشان این بود: «سکه نقرهای را که با خود دارید به دست یکی از نفرات خود بدهید و او را به شهر بفرستید، تا برود و ببیند کدامین فروشنده غذای پاکتری دارد، به مقدار روزی و نیاز از آن برای شما بیاورد» (فَابْعَثُوا أَحَدَکُمْ بِوَرِقِکُمْ هذِهِ إِلَی الْمَدِینَةِ فَلْیَنْظُرْ أَیُّها أَزْکی طَعاماً فَلْیَأْتِکُمْ بِرزْقِ مِنْهُ).

«اما باید دقت کند و هیچ کس را از وضع شما آگاه نسازد» (وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لا يُشْعِرَنَّ بِكَمْ أَحَداً).

سورة الكهف(١٨): آية ٢٠ ص: 32

(آیه ۲۰)- «چرا که اگر آنها از وضع شما آگاه شوند و بر شما دست یابند یا سنگسارتان میکنند یا به آیین خویش (آیین بت پرستی) باز می گردانند» (إِنَّهُمْ إِنْ یَظْهَرُوا عَلَیْکُمْ یَرْجُمُوکُمْ أَوْ یُعِیدُوکُمْ فِی مِلَّتِهِمْ). «و در آن صورت هرگز روی نجات و رستگاری را نخواهید دید» (وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً).

سورة الكهف(18): آية 21 ص: 22

(آیه ۲۱)- پایان ماجرای اصحاب کهف: به زودی داستان هجرت این گروه از مردان با شخصیت در آن محیط، در همه جا پیچید، و شاه جبّار سخت برآشفت، لذا دستور داد مأموران مخصوص همه جا را به جستجوی آنها بپردازند، و اگر برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۳

ردّ پایی یافتند آنان را تا دستگیریشان تعقیب کنند، و به مجازات برسانند اما هر چه بیشتر جستند کمتر یافتند.

اکنون به سراغ مأمور خرید غذا برویم و ببینیم بر سر او چه آمد، او وارد شهر شد ولی دهانش از تعجب باز ماند، شکل ساختمانها بکلی دگرگون شده، قیافه ها همه ناشناس، لباسها طرز جدیدی پیدا کرده، و حتّی طرز سخن گفتن و آداب و رسوم مردم عوض شده است، ویرانه های دیروز تبدیل به قصرها و قصرهای دیروز به ویرانه ها مبدل گردیده! او هنوز فکر می کند خوابشان در غار یک روز یا یک نیمه روز بوده است پس این همه دگرگونی چرا! تعجب او هنگامی به نهایت رسید که دست در جیب کرد تا بهای غذایی را که خریده بود بپردازد، فروشنده چشمش به سکهای افتاد که به ۳۰۰ سال قبل و بیشتر تعلق داشت، و شاید نام «دقیانوس» شاه جبار آن زمان بر آن نقش بسته بود، هنگامی که توضیح خواست، او در جواب گفت تازگی این سکه را به دست آورده ام! و خود او نیز متوجه شد که او و یارانش در چه خواب عمیق و طولانی فرو رفته بودند.

این مسأله مثل بمب در شهر صدا كرد، و زبان به زبان در همه جا پیچید.

جمعی از آنها نمی توانستند باور کنند که انسان بعد از مردن به زندگی باز می گردد، اما ماجرای خواب اصحاب کهف دلیل دندان شکنی شد برای آنها که طرفدار معاد جسمانی بودند.

لذا قرآن در این آیه می گوید: «و این چنین مردم را متوجه حال آنها کردیم، تا بدانند که وعده خداوند (در مورد رستاخیز) حق است» (وَ كَذلِكَ أَعْنَوْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقِّ).

«و در پایان جهان و قیام قیامت شکی نیست» (وَ أَنَّ السَّاعَةَ لا رَیْبَ فِیها).

این خواب و بیداری از پارهای جهات از مردن و باز گشتن به حیات، عجیب تر بود، زیرا صدها سال بر آنها گذشت و بدنشان نپوسید، در حالی که نه غذایی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۴

خوردند و نه آبی نوشیدند.

آیا این دلیل بر قدرت خدا بر هر چیز و هر کار نیست؟ حیات بعد از مرگ با توجه به چنین صحنهای مسلما امکان پذیر است. مأمور خرید غذا به سرعت به غار باز گشت و دوستان خود را از ماجرا آگاه ساخت، همگی در تعجب عمیق فرو رفتند، تحمل این زندگی برای آنها سخت و ناگوار بود، از خدا خواستند که چشم از این جهان بپوشند و به جوار رحمت حق منتقل شوند و

چنین شد.

آنها چشم از جهان پوشیدند و جسدهای آنها در غار مانده بود که مردم به سراغشان آمدند.

در اینجا نزاع و کشمکش بین طرفداران مسأله معاد جسمانی و مخالفان آنها در گرفت، مخالفان سعی داشتند که مسأله خواب و بیداری اصحاب کهف به زودی به دست فراموشی سپرده شود، و این دلیل دندان شکن را از دست موافقان بگیرند.

قرآن چنین می گوید: «در آن هنگام که میان خود در باره کار خویش نزاع داشتند گروهی می گفتند: بنایی بر آنان بسازید (تا برای همیشه از نظر پنهان شونـد و از آنها سخن نگوییـد که) پروردگارشـان از وضع آنهـا آگـاهتر است!» (إِذْ یَتَنازَعُونَ بَیْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَیْهِمْ بُنْیاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ).

«ولی آنها که از رازشان آگاهی یافتند (و آن را دلیلی بر رستاخیز دیدند) گفتند:

ما مسجدی در کنار (مدفن) آنها میسازیم» تا خاطره آنان فراموش نشود (قالَ الَّذِینَ غَلَبُوا عَلی أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَیْهِمْ مَسْجِداً). این آیه نشان میدهد که ساختن معبد به احترام قبور بزرگان دین نه تنها حرام نیست، بلکه کار خوب و شایستهای است.

سورة الكهف(18): آية 22 ص: 34

(آیه ۲۲)– این آیه به پارهای از اختلافات اشاره می کند که در میان مردم در مورد اصحاب کهف وجود دارد، از جمله: در باره تعداد آنها می گوید: گروهی از مردم «خواهند گفت: آنها سه نفر بودند که چهارمینشان سگشان بود» (سَیَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ کَلْبُهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۵

«و (گروهي) مي گويند: پنج نفر بودند كه ششمين آنها سگ آنها بود» (وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ).

همه اینها سخنانی بدون دلیل و «انداختن تیر در تاریکی است» (رَجْماً بِالْغَیْبِ).

«و (گروهی) می گویند: آنها هفت نفر بودند و هشتمین آنها سگ آنها بود» (وَ یَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثَامِنُهُمْ کَلْبُهُمْ).

«بكُو: پروردگار من از تعداد آنها آگاهتر است» (قُلْ رَبِّی أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ).

«جز گروه كمى تعداد آنها را نمىدانند» (ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ).

در پایان آیه اضافه می کند: «پس در باره آنها جز با دلیل سخن مگو» (فَلا تُمارِ فِیهِمْ إِلَّا مِراءً ظاهِراً).

یعنی آن چنان با آنها منطقی و مستدل سخن بگو که برتری منطق تو آشکار گردد «و از هیچ کس در باره (تعداد اصحاب کهف) سؤال مکن» (وَ لا تَسْتَفْتِ فِیهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً).

سورة الكهف(18): آية 23 ص: 28

(آیه ۲۳)- این آیه یک دستور کلی به پیامبر صلّی الله علیه و آله میدهـد که: «و هرگز در مورد کـاری نگو: من فردا آن را انجام میدهم» (وَ لا تَقُولَنَّ لِشَیْءٍ إِنِّی فاعِلٌ ذلِکَ غَداً).

سورة الكهف(18): آية 24 ص: 35

(آيه ۲۴)- «مگر اين كه خدا بخواهد» (إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ).

یعنی در رابطه با اخبار آینده و تصمیم بر انجام کارها، حتما جمله «انشاء اللّه» را اضافه کن، چرا که تو هرگز مستقل در تصمیم

گیری نیستی و اگر خدا نخواهد هیچ کس توانایی بر هیچ کار را ندارد.

دیگر این که خبر دادن قطعی برای انسان که قـدرتش محـدود است و احتمـال ظهـور موانع مختلف میرود صـحیح و منطقی نیست، و چه بسا دروغ از آب در آید، مگر این که با جمله «انشاء اللّه» همراه باشد.

سپس در تعقیب این جمله، قرآن میگوید: «هنگامی که یاد خـدا را فراموش کردی (بعـد که متوجه شـدی) پروردگارت را به خاطر بیاور» (وَ اذْکُرْ رَبَّکَ إذا نَسِیتَ).

اشاره به این که اگر به خاطر فراموشی جمله انشاء الله را به سخنانی که از آینده برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۶ خبر میدهی نیفزایی هر موقع به یادت آمد فورا جبران کن و بگو انشاء الله، که این کار گذشته را جبران خواهد کرد. «و بگو: امیدوارم که پروردگارم مرا به راهی روشنتر از این هدایت کند» (وَ قُلْ عَسی أَنْ یَهْدِیَن رَبِّی لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً).

سورة الكهف(18): آية 25 ص: 38

(آیه ۲۵)- خواب اصحاب کهف: از قرائن موجود در آیات گذشته اجمالاً به دست آمد که خواب اصحاب کهف یک خواب بسیار طولانی بود، این موضوع حس کنجکاوی هر شنوندهای را بر میانگیزد و میخواهد دقیقا بداند آنها چند سال در این خواب طولانی بودهاند؟

این آیه شنونده را از تردید بیرون می آورد و می گوید: «آنها در غار خود سیصد سال درنگ کردند و نه سال نیز بر آن افزودند»! (وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِینَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً).

بنابراین مجموع مدت توقف و خواب آنها در غار سیصد و نه سال بود.

سورة الكهف(18): آية 25 ص: 38

(آیه ۲۶)– سپس برای این که به گفتگوهای مختلف مردم در این باره پایان دهد می گوید: «بگو: خداوند از مدت توقف آنها آگاهتر است» (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا).

چرا كه: «غيب آسمانها و زمين از آن اوست» (لَهُ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

کسی که از پنهان و آشکار، در مجموعه جهان هستی با خبر است چگونه ممکن است از مدت توقف اصحاب کهف آگاه نباشد.

«راستى او چه بينا و چه شنواست» (أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ).

به همین دلیل «آنها (ساکنان آسمانها و زمین) هیچ ولی و سرپرستی جز او ندارند» (ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيًّ).

و در پایان آیه اضافه می کند: «و او هیچ کس را در حکم خود شرکت نمیدهد» (وَ لا یُشْرِکُ فِی حُکْمِهِ أَحَداً). در حقیقت این تأکیدی است بر ولایت مطلقه خداوند.

سورة الكهف(١٨): آية 27 ص: 38

(آیه ۲۷)– در این آیه روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، میگوید: «آنچه را از کتاب پروردگارت به تو وحی شـده تلاـوت کن» (وَ اتْـلُ مـا أُوحِـیَ إِلَــُا_کَ مِنْ کِتــابِ رَبِّکَ). و اعتنـا به گفتههـای این و آن که آمیخته به دروغ و خرافـات و مطالب بیاساس برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۷

است مكن، تكيه گاه بحث تو در اين امور تنها بايد وحي الهي باشد.

چرا که «هیچ چیز سخنان او را دگرگون نمی کند» و در گفتار و معلومات او تغییر و تبدیل راه ندارد (لا مُبَدِّلَ لِکَلِماتِهِ). کلام و علم او همچون علم و کلام بندگان نیست که هر روز بر اثر کشف و آگاهی تازهای دستخوش تغییر و تبدیل شود. روی همین جهات در پایان آیه می فرماید: «و هرگز پناهگاهی جز او نمی یابی» (وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً)

جنبههای آموزنده این داستان-.... ص: 37

این ماجرای عجیب تاریخی که قرآن آن را خالی از هر گونه خرافه و مطالب بیاساس و ساختگی آورده است، مانند همه داستانهای قرآن مملو از نکات سازنده تربیتی است.

الف) نخستین درس این داستان همان شکستن سد تقلید و جدا شدن از هم رنگی با محیط فاسد است. اصولا انسان باید «سازنده محیط» باشد نه «سازش کار با محیط» و به عکس آنچه سست عنصران فاقد شخصیت می گویند:

«خواهی نشوی رسوا هم رنگ جماعت شو» افراد با ایمان و صاحبان افکار مستقل می گویند: «همرنگ جماعت شدنت رسوایی است»! ب) «هجرت» از محیطهای آلوده، درس دیگری از این ماجرای عبرتانگیز است.

ج) «تقیه» به معنی سازندهاش درس دیگر این داستان است، و میدانیم تقیّه چیزی جز این نیست که انسان موضع واقعی خود را در جایی که افشاگری بینتیجه است مکتوم دارد تا نیروی خود را برای موقع مبارزه و ضربه زدن بر دشمن حفظ کند.

د) عدم تفاوت در میان انسانها در مسیر اللّه و قرار گرفتن «وزیر» در کنار «چوپان» و حتی سگ پاسبانی که راه آنها را می سپرد، درس دیگری در این زمینه است، تا روشن شود امتیازات دنیای مادّی، و مقامات مختلف آن کمترین تأثیری در جدا کردن صفوف رهروان راه حق ندارد که راه حق راه توحید است و راه توحید راه یگانگی همه انسانهاست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۸

- ه) امدادهای شگفت آور الهی به هنگام بروز بحرانها نتیجه دیگری است که به ما می آموزد.
- و) آنها در این داستان درس «پاکی تغذیه» حتی در سخت ترین شرایط را به ما آموختند، چرا که غذای جسم انسان اثر عمیقی در روح و فکر و قلب او دارد، و آلوده شدن به غذای حرام و ناپاک انسان را از راه خدا و تقوا دور میسازد.
 - ز) لزوم تکیه بر مشیت خدا، و استمداد از لطف او، گفتن «انشاء الله» در خبرهایی که از آینده میدهیم، درس دیگری بود.
 - ح) لزوم بحث منطقی در برخورد با مخالفان درس آموزنده دیگر این داستان است.
- ط) بالاخره مسأله امکان معاد جسمانی و بازگشت انسانها به زندگی مجدد به هنگام رستاخیز درس دیگری است که این ماجرا به ما میدهد.

به هر حال، هدف سرگرمی و داستان سرایی نیست، هدف ساختن انسانهای مقاوم، با ایمان، آگاه و شجاع است، که یکی از طرق آن نشان دادن الگوهای اصیل در طول تاریخ پر ماجرای بشری است.

سورة الكهف(١٨): آية ٢٨ ص: ٣٨

اشاره

(آیه ۲۸)

شأن نزول: ص: 38

جمعی از ثروتمندان مستکبر و اشراف از خود راضی عرب به حضور پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسیدند، و در حالی که اشاره به مردان با ایمانی همچون سلمان، ابو ذر، صهیب، و خباب و مانند آنها می کردند، گفتند: ای محمّد! اگر تو در صدر مجلس بنشینی، و این گونه افراد را از خود دور سازی (و خلاصه مجلس تو مجلسی در خور اشراف و شخصیتها! بشود) ما نزد تو خواهیم آمد ولی چه کنیم که با وجود این گروه جای ما نیست! در این هنگام آیه نازل شد و به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور داد که هرگز تسلیم این سخنان فریبنده تو خالی نشود و همواره با افراد با ایمان و پاکدلی چون سلمانها و أبو ذرها مشد.

به آنان فرمود: حمد خدا را که نمردم تا این که او چنین دستوری به من داد که با امثال شما باشم، «آری! زندگی با شما، و مرگ هم با شما خوش است»!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۹

تفسير: ص: ٣٩

پاکدلان پا برهنه! از جمله درسهایی که داستان اصحاب کهف به ما آموخت این بود که معیار ارزش انسانها پست و مقام ظاهری و ثروتشان نیست. این آیه در حقیقت همین مسأله مهم را تعقیب می کند و به پیامبر صلّی الله علیه و آله چنین دستور می دهد: «با کسانی باش که پروردگار خود را صبح و عصر می خوانند و تنها رضای او را می طلبند» (وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغُداهِ وَ الْعَشِیِّ یُریدُونَ وَجْهَهُ).

سپس به عنوان تأکید ادامه می دهد: «و هرگز به خاطر زیورهای دنیا، چشمان خود را از آنها بر مگیر!» (وَ لا تَعْدُ عَیْناکُ عَنْهُمْ تُریدُ زِینَهٔ الْحَیاهِ الدُّنْیا).

باز برای تأکید افزونتر اضافه میکند: «و از کسانی که قلبشان را از یاد خود غافل ساختیم اطاعت مکن» (وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا).

«همانها که از هوای نفس پیروی کردند» (وَ اتَّبَعَ هَواهُ).

«و (همانها که همه) کارهایشان افراطی است» و خارج از رویّه و توأم با اسرافکاری (و کان امره فرطا). از آنجا که طبع آدمی در لـذتهای مادی همیشه رو به افزون طلبی است، در همه شاخههای هوی و هوس، دائما رو به افراط گام بر میدارد تا خود را هلاک و نابود سازد.

سورة الكهف(١٨): آية ٢٩ ص: 39

(آیه ۲۹)- اهمیت موضوع فوق به قدری است که قرآن در این آیه با صراحت به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله چنین می گوید: «بگو: (این برنامه من است و) این حقیقتی است از سوی پروردگارتان، پس هر کس میخواهد ایمان بیاورد (و این حقیقت را پذیرا شود) و هر کس میخواهد کافر گردد» (وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْیُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْیَكْفُوْ).

اما بدانید این ظلمان دنیا پرست که با زندگی مرفه و پر زرق و برق و زینتهایشان لبخند تمسخر به لباس پشمینه سلمانها و بوذرها میزنند عاقبت شوم و تاریکی دارند چرا که: «ما برای این ستمگران آتشی فراهم کردهایم که سرا پردهاش آنها را از هر سو احاطه کرده است») (إنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِینَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ شُرادِقُها).

آری! آنها در این زندگی دنیا هر گاه تشنه میشدند صدا میزدند، و خدمتکاران انواع نوشابهها را در برابرشان حاضر می کردند «ولی در جهنم هنگامی که تقاضای برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰

آب مىكننىد آبى براى آنها مىآورنىد همچون فلز گىداخته! كه (اگر نزديك صورت شود) صورتها را بريان مىكنىد»! (وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْل يَشْوى الْوُجُوهَ).

«چه بد نوشیدنی است»؟! (بِئْسَ الشَّرابُ).

«و (دوزخ) چه بد جایگاه و محل اجتماعی است»؟! (وَ ساءَتْ مُرْتَفَقاً).

در اینجا در سرا پردههایشان انواع مشروبات وجود دارد، همین که ساقی را صدا می کنند جامهایی از شرابهای رنگارنگ پیش روی آنها حاضر مینمایند، در دوزخ نیز ساقی و آورنده نوشیدنی دارند، اما چه آبی؟ آبی همچون فلز گداخته! آبی به داغی اشک سوزان یتیمان و آه آتشین مستمندان! آری هر چه آنجاست تجسمی است از آنچه اینجاست! (پناه بر خدا).

سورة الكهف(18): آية 30 ص: 40

(آیه ۳۰) و از آنجا که روش قرآن یک روش آموزنده تطبیقی است پس از بیان اوصاف و کیفر دنیا پرستان خود خواه، به بیان حال مؤمنان راستین و پاداشهای فوقالعاده ارزنده آنها می پردازد نخست: بصورت مختصر می گوید: «آنها که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند، ما پاداش نیکو کاران را ضایع نخواهیم کرد» کم باشد یا زیاد، کلی باشد یا جزیی، از هر کس، در هر سن و سال، و در هر شرایط (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ إِنَّا لا نُضِیعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا).

سورة الكهف(18): آية 31 ص: 40

(آیه ۳۱) – سپس پاداشهای آنها را شرح داده، میفرماید: «آنان کسانی هستند که بهشتهای جاویدان از آن آنهاست» (أُولئِکَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنِ).

باغهایی از بهشت «که نهرها از زیر درختان و قصرهایش جاری است» (تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ).

«آنها در آنجا با دستبندهایی از طلا آراستهاند» (یُحَلَّوْنَ فِیها مِنْ أُساوِرَ مِنْ ذَهَبِ).

«و لباسهایی فاخر به رنگ سبز از حریر نازک و ضخیم در بر میکنند» (وَ یَلْبَسُونَ ثِیاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ). «در حالی که بر تختها تکیه کردهاند» (مُتَّکِئینَ فِیها عَلَی الْأَرائِکِ). «چه پاداش خوبی است»؟ (نِعْمَ النَّوابُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱ «و چه جمع نیکویی از دوستان» (وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقاً).

سورة الكهف(١٨): آية ٣٢ ص: ٤١

(آیه ۳۲)- ترسیمی از موضع مستکبران در برابر مستضعفان: در آیات گذشته دیدیم که چگونه دنیا پرستان سعی دارند در همه چیز از آن مردان حق که تهی دستند فاصله بگیرند، و سر انجام کارشان را در جهان دیگر نیز خواندیم.

در اینجا بـا اشـاره به سـر گـذشت دو دوست یا دو برادر که هر کـدام الگویی برای یکی از این دو گروه بودهانـد طرز تفکر و گفتار و کردار و موضع این دو گروه را مشخص می کند.

نخست می گوید: ای پیامبر! «برای آنها مثالی بزن: آن دو مرد، که برای یکی از آنان دو باغ از انواع انگورها قرار دادیم، و گردا گرد آن دو (باغ) را با درختان نخل پوشاندیم و در میانشان زراعت پر برکتی قرار دادیم» (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَیْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَیْنِ مِنْ أَعْنابِ وَ حَفَفْناهُما بِنَخْلِ وَ جَعَلْنا بَیْنَهُما زَرْعاً).

سورة الكهف(18): آية 33 ص: 41

(آیه ۳۳)– «هر دو باغ میوه آورده بود (میوههای فراوان) و چیزی فرو گذار نکرده بود» (کِلْتَا الْجَنَّتَیْنِ آتَتْ أُکُلَها وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَیْئاً).

از همه مهمتر آب که مایه حیات همه چیز مخصوصا باغ و زراعت است، به حـد کافی در دسترس آنها بود چرا که: «میان آن دو (باغ) نهر بزرگی جاری ساخته بودیم» (وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً).

سورة الكهف(18): آية 34 ص: 41

(آیه ۳۴)- به این ترتیب «صاحب این باغ در آمد فراوانی داشت» (وَ کانَ لَهُ ثَمَرٌ).

ولی از آنجا که انسان کم ظرفیت و فاقد شخصیت هنگامی که همه چیز بر وفق مراد او بشود غرور او را می گیرد، و طغیان و سر کشی آغاز می کند که نخستین مرحلهاش مرحله برتری جویی و استکبار بر دیگران است «به همین جهت (صاحب این دو باغ) به دوستش- در حالی که با او گفتگو می کرد- چنین گفت: من از نظر ثروت از تو برتر، و از نظر نفرات نیرومندترم» (فقالَ لِصاحِبِهِ وَ هُوَ یُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْکُ مالًا وَ أَعَزُّ نَفَراً).

سورة الكهف(18): آية 35 ص: 41

(آیه ۳۵)- کم کم این افکار- همان گونه که معمولی است- در او اوج گرفت، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۲ و به جایی رسید که دنیا را جاودان و مال و ثروت و حشمتش را ابدی پنداشت:

«و در حالی که نسبت به خود ستمکار بود در باغ خویش گام نهاد، و (نگاهی به درختان سر سبز که شاخههایش از سنگینی میوه خم شده بود، و خوشههای پر دانهای که به هر طرف مایل گشته بود انداخت و به زمزمه نهری که میغرید و پیش

میرفت و درختان را مشروب می کرد گوش فرا داد، و از روی غفلت و بیخبری) گفت: من گمان نمی کنم هرگز این بـاغ نابود شود» (وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً).

سورة الكهف(18): آية 35 ص: 42

(آیه ۳۶)– باز هم از این فراتر رفت، و از آنجا که جاودانی بودن این جهان با قیام رستاخیز تضاد دارد به فکر انکار قیامت افتاد و گفت: «و باور نمی کنم قیامت بر پا گردد» (وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةُ قائِمَةً).

اینها سخنانی است که گروهی برای دلخوش کردن خود به هم بافتهاند.

سپس اضافه کرد: گیرم که قیامتی در کار باشد، من با این همه شخصیت و مقام «اگر به سراغ پروردگارم باز گردانده شوم (و قیامتی در کار باشد) جایگاهی بهتر از اینجا خواهم یافت» (وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلی رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَیْراً مِنْها مُنْقَلَباً).

او در این خیالات خام غوطهور بود و هر زمان سخنان نامربوط تازهای بر نامربوطهای گذشته میافزود که رفیق با ایمانش به سخن در آمد و گفتنیها را که در آیات بعد میخوانیم گفت.

سورة الكهف(١٨): آية ٣٧ ص: ٤٢

(آیه ۳۷)- این هم پاسخ مستضعفان! در اینجا ردّ بافته های بی اساس آن ثروتمند مغرور و از خود راضی را از زبان دوست مؤمنش می شنویم: او که تا آن موقع دم فرو بسته بود و به سخنان این مرد سبک مغز گوش فرا می داد تا هر چه در درون دارد برون ریزد، سپس یکجا پاسخ دهد، وارد گفتگو شد چنانکه آیه می گوید: «دوست (با ایمان) وی - در حالی که با او گفتگو می کرد - گفت: آیا به خدایی که تو را از خاک، و سپس از نطفه آفرید، و پس از آن تو را مرد کاملی قرار داد، کافر شدی» (قال که صاحِبُه و هُو یُحاوِرُه أَ کَفَرْتَ بِالَّذِی خَلَقَکَ مِنْ تُرابِ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةً ثُمَّ سَوَّاکَ رَجُلًا).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۳

سورة الكهف(18): آية 38 ص: 43

(آیه ۳۸)- سپس این مرد با ایمان برای در هم شکستن کفر و غرور او گفت: «ولی من کسی هستم که الله پروردگار من است» (لکِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّی). «و من هیچ کس را شریک پروردگارم قرار نمی دهم» (وَ لا أُشْرِکُ بِرَبِّی أَحَداً).

سورة الكهف(١٨): آية ٣٩ ص: ٤٣

(آیه ۳۹)- بعد از اشاره به مسأله توحید و شرک که مهمترین مسأله سر نوشت ساز است، مجددا او را مورد سرزنش قرار داده، می گوید: «چرا هنگامی که وارد باغت شدی نگفتی این نعمتی است که خدا خواسته است» چرا همه اینها را از ناحیه خدا ندانستی و شکر نعمت او را بجا نیاوردی؟! (وَ لَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَکَ قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ).

چرا نگفتی «هیچ قوت (و نیرویی) جز از ناحیه خدا نیست» (لا قُوَّهُ إِلَّا بِاللَّهِ).

اینها امکانات و وسائلی است که خـدا در اختیار تو قرار داده، تو از خود هیـچ نداری و بدون او هیچ هستی! سـپس اضافه کرد: «اگر میبینی من از نظر مال و فرزند از تو کمترم» مطلب مهمّی نیست (إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْکَ مالًا وَ وَلَداً).

سورة الكهف(١٨): آية 40 ص: 43

(آیه ۴۰)– «شاید پروردگارم بهتر از باغ تو، به من بدهد» (فَعَسی رَبِّی أَنْ یُؤْتِیَنِ خَیْراً مِنْ جَنَّتِکُ).

نه تنها بهتر از آن چه تو داری به من بدهـد بلکه: «و مجازات حساب شـدهای (صاعقه) از آسـمان بر بـاغ تو فرو فرسـتد، به گونهای که آن را به زمین بی گیاه لغزندهای مبدّل کند» (وَ یُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً).

سورة الكهف(18): آية 41 ص: 43

(آیه ۴۱) – یا به زمین فرمان دهـد تکانی بخورد «و این چشـمه و نهر جوشان در اعماق آن فرو برود، آن چنان که هر گز قدرت جستجوی آن را نداشته باشی» (أَوْ یُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً).

در واقع آن مرد با ایمان و موجّ د رفیق مغرور خود را هشدار داد که بر این نعمتها دل نبندد چرا که هیچ کدام قابل اعتماد نیست.

سورة الكهف(18): آية ٤٢ ص: ٤٣

(آیه ۴۲)- و این هم پایان کارشان: سر انجام گفتگوی این دو نفر پایان گرفت بی آنکه مرد موحد توانسته باشد در اعماق جان آن ثروتمند مغرور و بی ایمان نفوذ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۴

کند، و با همین روحیه و طرز فکر به خانه خود باز گشت غافل از این که فرمان الهی دائر به نابودی باغها و زراعتهای سر سبزش صادر شده است، و باید کیفر غرور و شرک خود را در همین جهان ببیند و سرنوشتش درس عبرتی برای دیگران شود. عذاب الهی نازل شد، به صورت صاعقهای مرگبار، و یا توفانی کوبنده و وحشتناک، و یا زلزلهای ویرانگر و هولانگیز، هر چه بود در لحظاتی کوتاه این باغهای پر طراوت، و درختان سر به فلک کشیده، و زراعت به ثمر نشسته را در هم کوبید و ویران کرد و عذاب الهی به فرمان خدا از هر سو محصولات آن مرد را احاطه کرد «و تمام میوههای آن نابود شد» (و أُحیط بِثَمَرِه). صبحگاهان که صاحب باغ به منظور سر کشی و بهره گیری از محصولات باغ به سوی آن حرکت کرد، همین که نزدیک شد با منظره وحشتناکی رو برو گشت، آب در دهانش خشکید، و آنچه از کبر و غرور بر دل و مغز او سنگینی می کرد یکباره فرو ریخت! گویی از یک خواب عمیق و طولانی بیدار شده است: «او مرتبا دستها را به هم می مالید و در فکر هزینه های سنگینی بود که (در یک عمر از هر طرف فراهم نموده و) در آن خرج کرده بود، در حالی که همه بر باد رفته و بر پایه ها فرو ریخته بود» (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَیْهِ عَلی ما أَنْفَقَ فِیها وَ هِی خاوِیَهٔ عَلی عُرُوشِها).

درست در این هنگام بود که از گفته ها و اندیشه های پوچ و باطل خود پشیمان گشت «و می گفت: ای کاش احدی را شریک پروردگارم نمی دانستم» و ای کاش هرگز راه شرک را نمی پوییدم (وَ یَقُولُ یا لَیْتَنِی لَمْ أُشْرِکْ بِرَبِّی أَحَداً).

سورة الكهف(18): آية 43 ص: 44

(آیه ۴۳)– اسفانگیزتر این که او در برابر این همه مصیبت و بلا، تنهای تنها بود «کسانی را جز خدا نداشت که او را (در برابر این بلای عظیم و خسارت بزرگ) یــاری دهنــد» (وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَـةٌ يَنْصُ رُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) و دوســتانی که به عشق بهره گیری مادی دور او جمع شده بودند همگی او را رها کردند.

و از آنجا که تمام سرمایه او همین بود چیز دیگری نـداشت که به جای آن بنشاند، «و نمیتوانست از خویشـتن یاری گیرد» (وَ ما کانَ مُنْتَصِراً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۵

ولی هر چه بود دیر شده بود، و این گونه بیداری اضطراری که به هنگام نزول بلاهای سنگین، حتی برای فرعونها و نمرودها پیدا می شود، بی ارزش است، و به همین دلیل نتیجه ای به حال او نداشت.

سورة الكهف(18): آية 44 ص: 45

(آیه ۴۴)- «و در این هنگام (بود که این حقیقت بار دیگر به ثبوت پیوست که) ولایت و سر پرستی و قدرت از آن خداست خداوندی که عین حق است» (هُنالِکَ الْوَلاَیَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ).

آری! در اینجا کاملا روشن گشت که همه نعمتها از اوست و هر چه اراده او باشد همان می شود، و جز به اتکاء لطف او کاری ساخته نیست.

آرى! «اوست كه برترين ثواب و بهترين عاقبت را (براى مطيعان) دارد» (هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَ خَيْرٌ عُقْباً).

پس اگر انسان میخواهـد به کسـی دل ببندد و بر چیزی تکیه کند و امید به پاداش کسـی داشـته باشد چه بهتر که تکیه گاهش خدا و دلبستگی، و امیدش به لطف و احسان پروردگار باشد.

سورة الكهف(18): آية 45 ص: 45

(آیه ۴۵)- آغاز و پایان زندگی دنیا در یک تابلو زنده: در آیات گذشته سخن از ناپایداری نعمتهای جهان ماده بود، و از آنجا که درک این واقعیت برای یک عمر طولانی به مدت شصت یا هشتاد سال برای افراد عادی کار آسانی نیست، قرآن در ضمن یک مثال بسیار زنده و گویا این صحنه را کاملا مجسم می کند، تا غافلان مغرور با مشاهده آن- که در عمرشان بارها و بارها تکرار شده و می شود- از این غرور و غفلت بیدار شوند، می گوید: ای پیامبر! «زندگی دنیا را برای آنان به آبی تشبیه کن که از آسمان فرو می فرستیم» (وَ اضْرَبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَیاهِ الدُّنیا کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ).

این قطره های حیات بخش بر کوه و صحرا میریزد «و به وسیله آن گیاهان زمین (سر سبز می شود و) در هم فرو میرود» (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْض).

پوست سخت و پر مقاومت دانه در برابر نرمش باران نرم می شود، و به جوانه گیاه اجازه عبور می دهد، سر انجام جوانه نو رس از دل خاک سر بر می دارد. آفتاب برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۶

می در خشد نسیم می وزد، مواد غذایی زمین کمک می کند، و این جوانه نو رس با نیرو گرفتن از همه این عوامل حیات به رشد و نموّ خود ادامه می دهند آن چنانکه بعد از مدت کو تاهی گیاهان زمین سر بر سر هم می گذارند و در هم فرو می روند.

صفحه کوه و صحرا یک پارچه جنبش و حیات می شود، شکوفه ها و گلها و میوه ها یکی بعد از دیگری زینت بخش شاخه ها می شوند، گویی همه می خندند، فریاد شادی می کشند، به وجد و رقص در آمده اند. ولی این صحنه دلانگیز دیری نمی پاید، بادهای خزان شروع می شود و گرد و غبار مرگ بر سر آنها می پاشد هوا به سردی می گراید، آبها کم می شود «و بعد از مدتی (آن گیاه خرم و سرسبز) می خشکد» (فَأَصْبَحَ هَشِیماً).

آن برگهایی که در فصل بهار آن چنان شاخهها را چسبیده بودند که قدرت هیچ توفانی نمی توانست آنها را جدا کند آن قدر سست و بی جان می شوند که «بادها آن را به هر سو پراکنده می کند» (تَذْرُوهُ الرِّیاحُ).

«آرى خداوند بر هر چيزى توانا بوده و هست» (وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً).

سورة الكهف(١٨): آية 46 ص: 46

(آیه ۴۶) - این آیه موقعیت مال و ثروت و نیروی انسانی را که دو رکن اصلی حیات دنیاست در این میان مشخص کرده، می گوید: «اموال و فرزندان زینت حیات دنیا هستند» (الْمالُ وَ الْبَنُونَ زِینَهُ الْحَیاهِ الدُّنْیا).

شکوفهها و گلهایی میباشند که بر شاخههای این درخت آشکار میشوند، زود گذرند، کم دوامند و اگر از طریق قرار گرفتن در مسیر «اللّه» رنگ جاودانگی نگیرند بسیار بیاعتبارند.

در حقیقت در این آیه انگشت روی دو قسمت از مهمترین سرمایه های زندگی دنیا گذارده شده است که بقیّه به آن وابسته است، «نیروی اقتصادی» و «نیروی انسانی».

سپس اضافه می کند: «باقیات صالحات (یعنی ارزشهای پایدار و شایسته) نزد پروردگارت ثوابش بهتر و امید بخش تر است» (وَ الْباقِیاتُ الصَّالِحاتُ خَیْرٌ عِنْدَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۷

رَبِّكَ ثُواباً وَ خَيْرٌ أَمَلًا).

مفهوم «باقیات صالحات» آن چنان وسیع و گسترده است که هر فکر و ایـده و گفتار و کردار صالح و شایسـتهای که طبعا باقی میماند و اثرات و برکاتش در اختیار افراد و جوامع قرار می گیرد شامل میشود.

سورة الكهف(18): آية 47 ص: 47

(آیه ۴۷) – وای بر ما این چه کتابی است! از آنجا که در آیات گذشته سخن از انسان خود خواه و مغروری به میان آمد که به خاطر غرورش معاد و رستاخیز را انکار کرد به دنبال آن، در اینجا مشروحی از چگونگی قیامت را در سه مرحله مطرح می کند: مرحله قبل از رستاخیز انسانها، و مرحله رستاخیز، و قسمتی از مرحله بعد.

نخست می گوید: به خاطر بیاورید «روزی را که (نظام جهان هستی به عنوان مقدمهای برای نظام نوین در هم فرو میریزد) کوهها را به حرکت در می آوریم، و (همه موانع سطح زمین از میان می رود، به گونهای که) زمین را صاف و همه چیز را در آن نمایان می بینی» (وَ یَوْمَ نُسَیِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَی الْأَرْضَ بارِزَهً).

این قسمت از آیات به حوادثی که در آستانه رستاخیز رخ میدهد اشاره می کند، این حوادث بسیار زیاد است که مخصوصا در سورههای کوتاه آخر قرآن فراوان به چشم میخورد، و به عنوان «اشراط السّاعهٔ» (نشانههای قیامت) نامیده میشود.

بعد اضافه می کند: «ما همه آنها را در این هنگام محشور می کنیم به گونهای که حتی یک نفر را ترک نخواهیم گفت» (وَ حَشَوْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً).

جمله فوق تأکیدی است بر این حقیقت که «معاد» یک حکم عمومی و همگانی است و هیچ کس از آن مستثنی نخواهد بود.

سورة الكهف(18): آية 48 ص: 47

(آیه ۴۸)-این آیه در باره چگونگی رستاخیز انسانها می گوید: «آنها همه در یک صف به پروردگارت عرضه می شونـد» عُرضُوا عَلی رَبِّکَ صَفًّا)

این تعبیر ممکن است اشاره به آن باشد که هر گروهی از مردم که عقیده واحد یا عمل مشابهی دارند در یک صف قرار می گیرند، و یا این که همگی بدون هیچ گونه تفاوت و امتیاز در یک صف قرار خواهند گرفت. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۸

و به آنها گفته می شود: «شما همگی نزد ما آمدید، همان گونه که در آغاز شما را آفریدیم آقَدْ جِنْتُمُونا کَما خَلَقْناکُمْ أَوَّلَ مَوَّهُ) . نه خبری از اموال و ثروتهاست، نه امتیازات و مقامات مادی، و نه یار و یاور، درست همان گونه که در آغاز آفرینش بودید، به همان حالت اول! «اما شما گمان گردید که ما موعدی برایتان قرار نخواهیم داد آل زُعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَکُمْ مَوْعِداً) . و این هنگامی بود که غرور امکانات مادی شما را فرا می گرفت و تمایل به جاودانگی دنیا شما را از فکر آخرت که در فطرت هر انسانی نهفته است غافل می کرد.

سورة الكهف(18): آية ٤٩ ص: 48

(آیه ۴۹) – سپس به مراحل دیگر از این رستاخیز بزرگ پرداخته، می گوید:

«و كتاب [كتابي كه نامه اعمال همه انسانهاست] در آنجا گذارده مي شود» (وَ وُضِعَ الْكِتابُ).

«پس گنهکاران را می بینی که از آنچه در آن است ترسان و هراسانند» (فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ).

در این هنگام فریاد بر می آورند «و می گویند: ای وای بر ما! این چه کتابی است که هیچ عمل کوچک و بزرگی را فرو نگذاشته مگر این که آن را به شمار آورده است» (وَ یَقُولُونَ یا وَیْلَتَنا ما لِهذَا الْکِتابِ لا یُغادِرُ صَغِیرَةً وَ لا کَبِیرَةً إِلَّا أَحْصاها).

علاوه بر این سند کتبی اصولا «همه اعمال خود را حاضر می بینند»! (وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً). خوبیها و بدیها، ظلمها و عدلها، هرزگیها و خیانتها، همه و همه در برابر آنها تجسّم می یابد! در واقع آنها گرفتار اعمال خودشان هستند: «و پروردگارت به هیچ کس ستم نمی کند» (وَ لا یَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً).

آنچه دامن آنها را میگیرد کارهایی است که در این جهان انجام دادهانـد بنا بر این از چه کسی میتواننـد گله کننـد جز از خودشان.

> راستی ایمان به چنین دادگاهی چقدر در تربیت انسان و کنترل شهوات او برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۹ مؤثر است؟ و چقدر آگاهی و بیداری و توجه به مسؤولیتها به انسان میبخشد؟ آیا ممکن است انسان به چنین صحنهای ایمان قاطع داشته باشد باز هم گناه کند؟!

سورة الكهف(18): آية 50 ص: 49

(آیه ۵۰)- شیاطین را اولیای خود قرار ندهید! در آیات مختلف قرآن کرارا از داستان آفرینش آدم و سجده فرشتگان برای او و سر پیچی ابلیس، سخن به میان آمده است، ولی همان گونه که قبلا هم اشاره کردهایم این تکرارها همواره نکتههایی دارد و

در هر مورد نکتهای در نظر بوده است.

و از آنجا که در بحثهای گذشته چگونگی موضع گیری ثروتمندان مستکبر و مغرور، در مقابل تهی دستان مستضعف، و عاقبت کار آنها تجسم یافته بود، در اینجا از مسأله ابلیس و سر پیچی او از سجده بر آدم سخن به میان می آورد تا بـدانیم از آغاز، غرور سر چشمه کفر و طغیان بوده است.

به علاوه این داستان مشخص می کند که انحرافات از وسوسههای شیطانی سر چشمه می گیرد.

نخست می گوید: به یاد آرید «زمانی را که به فرشتگان گفتیم: برای آدم سجده کنید، آنها همگی سجده کردند جز ابلیس» (وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ).

این استثناء ممکن است این توهم را به وجود آورد که ابلیس از جنس فرشتگان بود، در حالی که فرشتگان معصومند، پس چگونه او راه طغیان و کفر را پوئید؟! لذا بلافاصله اضافه می کند: «او از جن بود، سپس از فرمان پروردگارش خارج شد» (کانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْر رَبِّهِ).

او از فرشتگان نبود، ولی به خاطر بندگی و اطاعت و قرب به پروردگار در صف فرشتگان جای گرفت، و حتی شاید معلم آنان بود، اما به خاطر کبر و غرور رانده ترین و منفور ترین موجود در درگاه خدا شد.

سپس می گوید: «آیا با این حال او و فرزندانش را به جای من اولیای خود انتخاب می کنید»؟! (أَ فَتَتَّخِ نُدُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۰

«در حالی که آنها دشمن شما هستند» (وَ هُمْ لَکُمْ عَدُوُّ). دشمنانی سر سخت و قسم خورده که تصمیم به گمراهی و بد بختی همه شما گرفتهاند.

فرمانبرداری از شیطان و فرزندانش به جای اطاعت خدا «چه جایگزین بدی است برای ستمکاران»! (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا).

کـدام عاقـل دشـمن را که از روز نخست، کمر به نـابودیش بسـته، و بر این دشـمنی سوگنـد یـاد کرده، به عنوان ولیّ و رهبر و راهنما و تکیهگاه میپذیرد؟!

سورة الكهف(١٨): آية ٥١ ص: ٥٠

(آیه ۵۱) - این آیه دلیل دیگری بر ابطال این پندار غلط اقامه کرده، می گوید:

«من هرگز آنها [ابلیس و فرزندانش] را به هنگام آفرینش آسمانها و زمین، و نه به هنگام آفرینش خودشان حاضر نساختم» (ما أَشْـهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمـاواتِ وَ الْـأَرْضِ وَ لاـخَلْقَ أَنْفُسِـ هِمْ). تا از آنها در آفرینش جهان کمک بگیریم یا از اسرار خلقت آگاه و مطلع شوند.

بنا بر این کسی که هیچ گونه دخالتی در آفرینش جهان و حتی نوع خود نداشته و از اسرار و رموز خلقت به هیچ وجه آگاه نیست چگونه قابل ولایت یا پرستش است و در پایان اضافه می کند: «و من هیچ گاه گمراه کنندگان را دستیار خود قرار نمی دهم» (وَ مَا کُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً).

یعنی آفرینش بر پایه راستی و درستی و هدایت است، موجودی که برنامهاش اضلال و افساد است در اداره این نظام، جائی نمی تواند داشته باشد.

سورة الكهف(18): آية 22 ص: 50

(آیه ۵۲)- این آیه مجددا هشدار می دهد که به خاطر بیاورید «روزی را که (خداوند) می گوید: همتایانی را که برای من می پنداشتید صدا بزنید» تا به کمک شما بشتابند (وَ یَوْمَ یَقُولُ نادُوا شُرَکائِیَ الَّذِینَ زَعَمْتُمْ).

یک عمر از آنها دم میزدید، و در آستانشان سجده مینمودید، اکنون که امواج عذاب و کیفر اطراف شما را احاطه کرده فریاد بزنید لااقل ساعتی به کمکتان بشتابند.

آنها که گویا هنوز رسوبات افکار این دنیا را در مغز دارند فریاد میزنند و «آنها را میخوانند، ولی (این معبودهای پنداری حتی) پاسخ به ندای آنها نمیدهند» تا بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۱ چه رسد به این که به کمکشان بشتابند (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ یَسْتَجِیبُوا لَهُمْ).

«و در میان این دو گروه کانون هلاکتی قرار دادیم» (وَ جَعَلْنا بَیْنَهُمْ مَوْبِقاً).

سورة الكهف(18): آية 33 ص: 51

(آیه ۵۳) و این آیه سر انجام کار پیروان شیطان و مشرکان را چنین بیان میکند: «و (در آن روز) گنهکاران آتش (دوزخ) را می بینند» (وَ رَأَی الْمُجْرِمُونَ النَّارَ). و آتشی که هرگز آن را باور نکرده بودند در برابر چشمان آنها آشکار می شود. در اینجا به اشتباهات گذشته خود پی می برند: «و یقین می کنند که با آن در می آمیزند» (فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها). «و (نیز به یقین می فهمند که) هیچ گونه راه گریزی از آن نخواهند یافت» (وَ لَمْ یَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً).

نه معبودهای ساختگیشان به فریادشان میرسند، نه شفاعت شفیعان در باره آنها مؤثر است، و نه با کذب و دروغ و یا توسل به «زر» و «زور» می توانند از چنگال آتش دوزخ، آتشی که اعمالشان آن را شعلهور ساخته رهایی یابند.

سورة الكهف(18): آية ۵4 ص: ۵۱

(آیه ۵۴)– گویی تنها منتظر مجازاتند! در اینجا یک نوع نتیجه گیری از مجموع بحثهای گذشته و نیز اشارهای به بحثهای آینده می کند.

نخست می گوید: «و در این قرآن برای مردم هر گونه مثلی را بیان کردیم» (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ). از تاریخ تکان دهنده گذشتگان و از حوادث دردناک زندگی آنها و خاطرههای تلخ و شیرین تاریخ، در گوش مردم فرو خواندیم و آن قدر مسائل را زیر و رو کردیم تا دلهایی که آماده پذیرش است پذیرای حق گردد، و بر سایرین نیز اتمام حجت شود، و جایی برای ابهام باقی نماند.

ولى با اين حال گروهى طغيانگر و سركش هرگز ايمان نياوردند، چرا كه «انسان بيش از هر چيز به مجادله مىپردازد» (وَ كانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا).

سورة الكهف(18): آية ۵۵ ص: ۵۱

(آیه ۵۵)- این آیه می گوید با این همه مثالهای گوناگون و بیانات تکان دهنده و منطقهای متفاوت که باید در هر انسان آمادهای نفوذ کند باز گروه کثیری ایمان نیاوردند: «و چیزی مردم را باز نداشت از این که- وقتی هدایت به سراغشان آمد-برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۲ ایمان بیاورند و از پروردگارشان طلب آمرزش کنند، جز این که (خیره سری کردند، گویی میخواستند) سرنوشت پیشینیان برای آنان بیاید») (وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ یُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدی وَ یَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِیَهُمْ سُنَّهُ الْأَوَّلِینَ).

«يا عذاب الهي در برابرشان قرار گيرد» و با چشم خود آن را ببينند (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ قُبُلًا).

در حقیقت، این آیه اشـاره به آن است که این گروه لجوج و مغرور با میل و اراده خود هرگز ایمان نخواهنـد آورد، تنها در دو حالت ایمان می آورند:

نخست زمانی که عذابهای دردناکی که اقوام پیشین را در بر گرفت آنها را فرو گیرد، دوم آنکه عذاب الهی را با چشم خود مشاهده کنند، که این ایمان اضطراری البته بیارزش خواهد بود.

سورة الكهف(18): آية 36 ص: 22

(آیه ۵۶)- سپس برای دلداری پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در برابر سماجت و لجاجت مخالفان می فرماید: وظیفه تو تنها بشارت و انذار است «ما پیامبران را جز به عنوان بشارت دهنده و انذار کننده نمی فرستیم» (وَ ما نُوْسِلُ الْمُوْسَلِینَ إِلَّا مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ). سپس اضافه می کند این مسأله تازه ای نیست که این گونه افراد به مخالفت و استهزاء بر خیزند، بلکه: «کافران همواره مجادله به باطل می کنند، تا (به گمان خود) حق را به وسیله آن از میان بردارند و آیات ما و مجازاتهایی را که به آنان و عده داده شده است، به باد مسخره گرفتند» (وَ یُجادِلُ الَّذِینَ کَفَرُوا بِالْباطِلِ لِیُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَ اتَّخَذُوا آیاتِی وَ ما أُنْذِرُوا هُزُواً).

در حقیقت این آیه شبیه آیه ۴۲ تا ۴۵ سوره حج است که می گوید: «اگر آنها تو را تکذیب کنند پیش از تو نیز قوم نوح و عاد و ثمود ... پیامبرانشان را تکذیب کردند».

سورة الكهف(18): آية ۵۷ ص: ۵۲

(آیه ۵۷) – در مجازات الهی عجله نمی شود: از آنجا که در آیات پیشین سخن از گروهی از کافران تاریک دل و متعصّب در میان بود، در اینجا همان بحث را تعقیب می کند.

نخست می گوید، «چه کسی ستمکارتر است از آنها که به هنگام تذکّر آیات برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۳ پروردگارشان از آن روی می گردانند و کارهای گذشته خود را به دست فراموشی میسپارند» (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآیاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَ نَسِیَ ما قَدَّمَتْ یَداهُ).

تعبیر به «تـذکر» (یـاد آوری) گویـا اشـاره به این است که تعلیمـات انبیـاء از قبیـل یـاد آوری حقـایقی است که بطور فطری در اعماق روح انسان وجود دارد و کار پیامبران پرده برداشتن از روی آن است.

جالب این که در این آیه از سه طریق به این کور دلان درس بیداری می دهد:

نخست این که: این حقایق بـا فطرت و وجـدان و جان شـما کاملا آشـناست، دیگر این که از سوی پروردگار خودتان آمـده و سوم این که: فراموش نکنید شما خطاهایی انجام دادهاید که برنامه انبیاء برای شستشوی آنهاست.

ولى اين عده با همه اينها هرگز ايمان نمى آورند، «چرا كه ما بر دلهايشان پرده افكندهايم تا نفهمند! و در گوشهايشان سنگينى قرار دادهايم» تا صداى حق را نشنوند (إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً).

«و لذا اگر آنها را به سوى هدايت بخواني هرگز هدايت را پذيرا نخواهند شد» (وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أُبَداً).

سورة الكهف(١٨): آية ٥٨ ص: ٥٣

(آیه ۵۸)- و از آنجا که برنامه تربیتی خداوند نسبت به بندگان چنین است که تا آخرین مرحله به آنها فرصت می دهد و هرگز مانند جباران روزگار فورا اقدام به مجازات نمی کند- بلکه «رحمت واسعه» او همیشه ایجاب می کند که حد اکثر فرصت را به گناهکاران بدهد- در این آیه می گوید: «پروردگار تو آمرزنده و صاحب رحمت است» (وَ رَبُّکُ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ).

«اگر میخواست آنها را به اعمالشان مجازات کند هر چه زودتر عذاب را بر آنها میفرستاد» (لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما کَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ).

«ولمي براي آنها موعدي است كه با فرا رسيدن آن راه فراري نخواهند داشت» (بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا).

غفران او ایجاب می کند که توبه کاران را بیامرزد و رحمت او اقتضا می کند که در عذاب غیر آنها نیز تعجیل نکند شاید به صفوف توبه کاران بپیوندند ولی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۴

عدالت او هم اقتضا می کند وقتی طغیان و سرکشی به آخرین درجه رسید حسابشان را صاف کند.

سورة الكهف(18): آية ۵۹ ص: ۵۴

(آیه ۵۹) و سر انجام برای آخرین تذکر و هشدار در این سلسله آیات، سر نوشت تلخ و دردناک ستمکاران پیشین را یاد آوری کرده، می گوید: «و اینها شهرها و آبادیهایی است که (ویرانههای آنها در برابر چشم شما قرار دارد، و) ما آنها را به هنگامی که مرتکب ظلم و ستم شدند هلاک کردیم، و (در عین حال در عذابشان تعجیل ننمودیم، بلکه) موعدی برای هلاکشان قرار دادیم» (وَ تِلْکُ الْقُری أَهْلَکْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنا لِمَهْلِکِهِمْ مَوْعِداً).

سورة الكهف(١٨): آية 60 ص: 34

(آیه ۶۰) – سرگذشت شگفتانگیز خضر و موسی: جمعی از قریش خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسیدند و از عالمی که موسی علیه السّلام مأمور به پیروی از او شد سؤال کردند، این آیه و چهار آیه بعد از آن نازل شد.

اصولا سه ماجرا در این سوره آمده که هر سه از یک نظر هماهنگ است:

ماجرای اصحاب کهف که قبل از این گفته شد، داستان موسی و خضر، و داستان «ذو القرنین» که بعد از این می آید.

این هر سه ماجرا ما را از افق زنـدگی محدودمان بیرون میبرد و نشان میدهد که نه عالم محدود به آن است که ما میبینیم، و نه چهره اصلی حوادث همیشه آن است که ما در برخورد اول در مییابیم.

در ماجرای موسی و خضر، یا به تعبیر دیگر عالم و دانشمند زمانش، به صحنه شگفتانگیزی بر خورد می کنیم که نشان می دهد: حتی یک پیغمبر اولوا العزم که آگاهترین افراد محیط خویش است باز دامنه علم و دانشش در بعضی از جهات محدود است و به سراغ معلمی می رود که به او درس بیاموزد.

آیه می گوید: «بخاطر بیاور هنگامی را که موسی به دوست خود گفت: من دست از جستجو بر نمی دارم تا به محل تلاقی دو دریا برسم هر چند مدت طولانی به راه خود ادامه دهم» (وَ إِذْ قالَ مُوسی لِفَتاهُ لاَ أَبْرُحُ حَتَّی أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَیْنِ أَوْ أَمْضِیَ حُقُباً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۵

منظور از «فتیه» در اینجا «یوشع بن نون» مرد رشید و شجاع و با ایمان بنی اسرائیل است، «مجمع البحرین» به معنی محل پیوند دو دریاست و منظور محل اتصال خلیج «عقبه» با خلیج «سوئز» است که این دو خلیج به دریای احمر متصل می شوند.

سورة الكهف(18): آية 61 ص: 55

(آیه ۶۱)- «به هر حال هنگامی که به محل تلاقی آن دو دریا رسیدند ماهی خود را (که برای تغذیه همراه داشتند) فراموش کردند» (فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَیْنِهِما نَسِیا حُوتَهُما).

اما عجب این که: «ماهی راه خود را در دریا پیش گرفت» و روان شد (فَاتَّخَذَ سَبِیلَهُ فِی الْبَحْرِ سَرَباً).

این ماهی که ظاهرا به عنوان غذا تهیه کرده بودند ماهی تازهای بوده که زنده شد و در آب پرید و حرکت کرد.

زیرا هستند ماهیانی که بعد از خارج شدن از آب مدت قابل ملاحظهای به صورت نیمه جان باقی میمانند و اگر در این مدت در آب بیفتند حیات عادی خود را از سر می گیرند.

سورة الكهف(١٨): آية ٦٢ ص: ٥٥

(آیه ۶۲)– «هنگامی که (موسی و همسفرش) از آنجا گذشتند (طول سفر و خستگی راه، گرسنگی را بر آنها چیره کرد، موسی به خاطرش آمـد که غذایی به همراه آوردهاند) به یار همسفرش گفت: غذای ما را بیاور که از این سفر، خسته شدهایم» (فَلَمَّا جَاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِینا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً).

سورة الكهف(18): آية 63 ص: 55

(آیه ۶۳) - در این هنگام همسفرش به او «گفت: به خاطر داری هنگامی که ما (برای استراحت) به کنار آن صخره پناه بردیم من (در آنجا) فراموش کردم جریان ماهی را باز گو کنم - و این فقط شیطان بود که آن را از خاطر من برد - و ماهی راهش را به طرز شگفتانگیزی در دریا پیش گرفت» (قالَ أَ رَأَیْتَ إِذْ أَوَیْنا إِلَی الصَّحْرَةِ فَإِنِّی نَسِتیتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِیهُ إِلَّا الشَّیْطانُ أَنْ أَذْکُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِیلَهُ فِی الْبُحْرِ عَجَباً).

سورة الكهف(18): آية 64 ص: 55

(آیه ۶۴) - و از آنجا که این موضوع، به صورت نشانهای برای موسی در رابطه با پیدا کردن آن عالم بزرگ بود: «موسی گفت: این همان چیزی است که ما برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۶

مىخواستىم، و به دنبال آن مىگردىم (قالَ ذلِكُ ما كُنَّا نَبْغ).

«و در این هنگام آنها از همان راه باز گشتند در حالی که پی جوئی می کردند» (فَارْتَدًا عَلی آثارِهِما قَصَصاً).

در اینجا یک سؤال پیش می آید که مگر پیامبری همچون موسی ممکن است گرفتار نسیان و فراموشی شود که قر آن می گوید: «نَسِیا حُو تَهُما» (ماهی شان را فراموش کردند).

پاسخ این است که مانعی ندارد در مسائلی که هیچ ارتباطی به احکام الهی و امور تبلیغی نداشته باشد یعنی در مسائل عادی در

زندگی روزمره گرفتار نسیان شود و این نه از یک پیامبر بعید است، و نه با مقام عصمت منافات دارد.

سورة الكهف(18): آية 62 ص: 58

(آیه ۶۵) – دیدار معلم بزرگ: هنگامی که موسی و یار همسفرش به جای اول، یعنی در کنار صخره و نزدیک «مجمع البحرین» باز گشتند گمشده خود را یافتند «ناگهان بندهای از بندگان ما را یافتند که او را مشمول رحمت خود ساخته، و علم و دانش فراوانی از نزد خود تعلیمش کرده بودیم» (فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَیْناهُ رَحْمَهٔ مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً).

سورة الكهف(١٨): آية 66 ص: ٥٦

(آیه ۶۶) – در این هنگام «موسی (با نهایت ادب و به صورت استفهام) به آن مرد عالم گفت: آیا از تو پیروی کنم تا از آنچه به تو تعلیم داده شده، و مایه رشد و صلاح است به من بیاموزی»؟ (قالَ لَهُ مُوسی هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلی أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً).

سورة الكهف(18): آية 67 ص: 58

(آیه ۶۷) - ولی با کمال تعجب آن مرد عالم به موسی «گفت: تو هر گز توانایی نداری با من شکیبایی کنی» (قالَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِیَ صَبْراً).

سورة الكهف(18): آية 68 ص: 58

(آیه ۶۸)- و بلا فاصله دلیل آن را بیان کرد و گفت: «تو چگونه می توانی در برابر چیزی که از رموزش آگاه نیستی شکیبا باشی»؟ (وَ کَیْفَ تَصْبِرُ عَلی ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً).

این مرد عالم به ابوابی از علوم احاطه داشته که مربوط به اسرار باطن و عمق حوادث و پدیـده ها بوده، در حالی که موسی نه مأمور به باطن بود و نه از آن آگاهی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۷

چندانی داشت. در چنین موردی آن کس که ظاهر را می بینـد عنان صبر و اختیار را از کف میدهـد، و به اعتراض و گاهی به پرخاش بر میخیزد.

سورة الكهف(18): آية 69 ص: ۵۷

(آیه ۶۹) – موسی از شنیدن این سخن شاید نگران شد و از این بیم داشت که فیض محضر این عالم بزرگ از او قطع شود، لذا به او تعهد سپرد که در برابر همه رویدادها صبر کند و «گفت: بخواست خدا مرا شکیبا خواهی یافت و قول می دهم که در هیچ کاری با تو مخالفت نکنم» (قالَ سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَ لا أَعْصِی لَکَ أَمْراً).

باز موسى در اين عبارت نهايت ادب خود را آشكار مىسازد، تكيه برخواست خدا مىكند، به آن مرد عالم نمى گويد من صابرم بلكه مى گويد انشاء الله مرا صابر خواهى يافت.

سورة الكهف(١٨): آية ٧٠ ص: ٥٧

(آیه ۷۰) - ولی از آنجا که شکیبایی در برابر حوادث ظاهرا زنندهای که انسان از اسرارش آگاه نیست کار آسانی نمیباشد بار دیگر آن مرد عالم از موسی تعهد گرفت و به او اخطار کرد و «گفت: پس اگر میخواهی به دنبال من بیایی (سکوت محض باش) از هیچ چیز سؤال مکن تا خودم به موقع آن را برای تو باز گو کنم»! (قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِی فَلا تَسْ عَلْنِی عَنْ شَدَیْ عِ حَتَّی أُحْدِثَ لَکَ مِنْهُ ذِکْراً).

موسی این تعهد مجدد را سپرد و در معیت این استاد به راه افتاد.

سورة الكهف(١٨): آية ٧١ ص: ٥٧

(آیه ۷۱)- معلم الهی و این اعمال زننده؟! «آن دو (موسی و مرد عالم الهی) به راه افتادند تا آنکه سوار کشتی شدند» (فَانْطَلَقا حَتَّى إِذَا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ).

هنگامی که آن دو سوار کشتی شدند خضر «کشتی را سوراخ کرد»! (خَرَقَها).

از آنجا که موسمی از یک سو پیامبر بزرگ الهی بود و بایمد حافظ جان و مال مردم باشد، و امر به معروف و نهی از منکر کند، و از سوی دیگر وجدان انسانی او اجازه نمی داد در برابر چنین کار خلافی سکوت اختیار کند تعهدی را که با خضر داشت به دست فراموشی سپرد، و زبان به اعتراض گشود و «گفت: آیا آن را سوراخ کردی که اهلش را غرق کنی؟ راستی چه کار بدی انجام دادی»! (قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۸

سورة الكهف(١٨): آية ٧٢ ص: ٥٨

(آیه ۷۲)- در این هنگام مرد عالم الهی با متانت خاص خود نظری به موسی افکند و «گفت: نگفتم تو هرگز نمی توانی با من شکیبایی کن»؟! (قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِیَ صَبْراً).

سورة الكهف(18): آية 23 ص: 58

(آیه ۷۳) – موسی که از عجله و شتابزدگی خود که طبعا به خاطر اهمیت حادثه بود پشیمان گشت و به یاد تعهد خود افتاد در مقام عذر خواهی بر آمده رو به استاد کرد و چنین «گفت: مرا در برابر فراموشکاری که داشتم مؤاخذه مکن و بر من به خاطر این کار سخت مگیر» (قال لا تُؤاخِذْنِی بِما نَسِیتُ وَ لا تُرْهِقْنِی مِنْ أَمْرِی عُشِراً) یعنی اشتباهی بود و هر چه بود گذشت تو با بزرگواری خود صرف نظر فرما.

سورة الكهف(١٨): آية ٧٤ ص: ٥٨

(آیه ۷۴) - سفر دریایی آنها تمام شد از کشتی پیاده شدند، «و به راه خود ادامه دادند، در اثناء راه به کودکی رسیدند ولی (آن مرد عالم بیمقدمه) اقدام به قتل آن کودک کرد»! (فَانْطَلَقا حَتَّی إِذا لَقِیا غُلاماً فَقَتَلَهُ).

در اینجما بمار دیگر موسی از کوره در رفت، منظره وحشتناک کشتن یک کودک بی گناه، آن هم بمدون هیچ مجوز گویی غباری از اندوه و نارضائی چشمان او را پوشانید، آن چنان که بار دیگر تعهد خود را فراموش کرد، زبان به اعتراض گشود، و «گفت: آیا انسان بی گناه و پاکی را بی آنکه قتلی کرده باشد کشتی؟!» (قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِیّهٔ بِغَیْرِ نَفْسٍ).
«به راستی که چه کار منکر و زشتی انجام دادی» (لَقَدْ جِئْتَ شَیْئاً نُکْراً).

آغاز جزء شانزدهم قرآن مجید ص: 58

ادامه سوره کهف ص : ۵۸

سورة الكهف(18): آية ٧٥ ص: ٥٨

(آیه ۷۵)- باز آن عالم بزرگوار با همان خونسردی مخصوص به خود جمله سابق را تکرار کرد «گفت: آیا به تو نگفتم تو هرگز توانایی نداری با من صبر کنی» (قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِیَ صَبْراً).

سورة الكهف(18): آية ٧٦ ص: ٥٨

(آیه ۷۶)- موسی (ع) به یاد پیمان خود افتاد، توجهی توأم با شرمساری، چرا که دو بار پیمان خود را- هر چند از روی فراموشی- شکسته بود، و کم کم احساس می کرد که گفته استاد ممکن است راست باشد و کارهای او برای موسی در برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۹

آغاز غیر قابل تحمل است، لذا بار دیگر زبان به عذر خواهی گشود و چنین «گفت:

(این بار نیز از من صرف نظر کن، و فراموشی مرا نادیده بگیر، اما) اگر بعد از این از تو تقاضای توضیحی در کارهایت کردم (و بر تو ایراد گرفتم) دیگر بـا من مصـاحبت نکن چرا که تو از نـاحیه من دیگر معـذور خواهی بود» (قالَ إِنْ سَأَلْتُکَ عَنْ شَـيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِی قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّی عُذْراً).

این جمله حکایت از نهایت انصاف و درونگری موسی می کند، و نشان میدهد که او در برابر یک واقعیت، هر چند تلخ، تسلیم بود

سورة الكهف(١٨): آية ٧٧ ص: ٥٩

(آیه ۷۷) – بعد از این گفتگو و تعهد مجدد «موسی با استاد به راه افتاد، تا به قریهای رسیدند و از اهالی آن قریه غذا خواستند، ولی آنها از میهمان کردن این دو مسافر خودداری کردند» (فَانْطَلَقا حَتَّی إِذَا أَتَیا أَهْلَ قَرْیَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ یُضَیِّفُوهُما). منظور از «قریه» در اینجا شهر «ناصره» یا بندر «ایله» است.

و در هر صورت از آنچه بر سـر موسی و استادش در این قریه آمد میفهمیم که اهالی آن خسیس و دون همت بودهاند، لذا در روایتی از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم که در باره آنها فرمود: «آنها مردم لئیم و پستی بودند».

سپس قرآن اضافه می کنـد: «با این حال آنها در آن آبادی دیواری یافتنـد که میخواست فرود آیـد، آن مرد عالم دست به کار شد تا آن را بر پا دارد» و مانع ویرانیش شود (فَوَجَدا فِیها جِداراً یُرِیدُ أَنْ یَنْقَضَّ فَأَقامَهُ). موسی- که مشاهده کرد خضر در برابر این بی حرمتی به تعمیر دیواری که در حال سقوط است پرداخته مثل این که میخواهد مزد کار بد آنها را به آنها بدهد، و فکر می کرد حد اقل خوب بود استاد این کار را در برابر اجرتی انجام می داد تا وسیله غذایی فراهم گردد- تعهد خود را بار دیگر بکلی فراموش کرد، و زبان به اعتراض گشود اما اعتراضی ملایمتر و خفیفتر از گذشته، و «گفت: می خواستی در مقابل این کار اجرتی بگیری»! (قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَیْهِ أَجْراً).

در واقع موسی فکر می کرد این عمل دور از عدالت است که انسان در برابر برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۰ مردمی که این قدر فرومایه باشند این چنین فدا کاری کند.

سورة الكهف(١٨): آية ٧٨ ص: 6٠

(آیه ۷۸)- اینجا بود که مرد عالم، آخرین سخن را به موسی گفت، زیرا از مجموع حوادث گذشته یقین کرد که موسی، تاب تحمل در برابر اعمال او را ندارد «فرمود: اینک وقت جدایی من و توست! اما به زودی سرّ آنچه را که نتوانستی بر آن صبر کنی برای تو باز گو می کنم» (قالَ هذا فِراقُ بَیْنِی وَ بَیْنِکَ سَأُنتِئُکَ بِتَاْوِیلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَیْهِ صَبْراً).

خبر فراق همچون پتکی بود که بر قلب موسی وارد شد، فراق از استادی که سینهاش مخزن اسرار بود. آری! جدا شدن از چنین رهبری سخت دردناک است، اما واقعیت تلخی بود که به هر حال موسی باید آن را پذیرا شود.

سورة الكهف(١٨): آية ٧٩ ص: 6٠

(آیه ۷۹)- اسرار درونی این حوادث! بعد از آن که فراق و جدایی موسی و خضر مسلّم شد، لازم بود این استاد الهی اسرار کارهای خود را که موسی تاب تحمل آن را نداشت بازگو کند، و در واقع بهره موسی از مصاحبت او فهم راز این سه حادثه عجیب بود که می توانست کلیدی باشد برای مسائل بسیار، و پاسخی برای پرسشهای گوناگون.

نخست از داستان کشتی شروع کرد و گفت: «اما کشتی به گروهی مستمند تعلق داشت که با آن در دریا کار میکردنـد، من خواسـتم آن را معیوب کنم زیرا (میدانسـتم) در پشت سـر آنها پادشاهی سـتمگر است که هر کشتی سالمی را از روی غصـب می گیرد» (أُمَّا السَّفِینَهُ فَکانَتْ لِمَساکِینَ یَعْمَلُونَ فِی الْبُحْرِ فَأْرَدْتُ أَنْ أُعِیبَها وَ کانَ وَراءَهُمْ مَلِکُ یَأْخُذُ کُلَّ سَفِینَهٍ غَصْباً).

و به این ترتیب در پشت چهره ظاهری زننده سوراخ کردن کشتی، هدف مهمی که همان نجات آن از چنگال یک پادشاه غاصب بوده است، وجود داشته، چرا که او هرگز کشتیهای آسیب دیده را مناسب کار خود نمی دید و از آن چشم می پوشید، خلاصه این کار در مسیر حفظ گروهی مستمند بود و باید انجام می شد.

سورة الكهف(١٨): آية 80 ص: 60

(آیه ۸۰)- سپس به بیان راز حادثه دوم یعنی قتل نوجوان پرداخته چنین می گوید: «و اما آن نوجوان پـدر و مادرش با ایمان بودند، و بیم داشتیم که آنان را برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۱

به طغيان و كفر وا دارد» (وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً).

به هر حال آن مرد عالم، اقدام به کشتن این نوجوان کرد و حادثه ناگواری را که در آینده برای یک پدر و مادر با ایمان در فرض حیات او رخ می داد دلیل آن گرفت.

سورة الكهف(18): آية 81 ص: 61

(آیه ۸۱)- و بعد اضافه کرد: «ما چنین کردیم که پروردگارشان فرزندی پاکتر و پر محبت تر به جای او به آنها عطا فرماید» (فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَکاهً وَ أَقْرَبَ رُحْماً).

سورة الكهف(18): آية 82 ص: 61

اشاره

(آیه ۸۲) - در این آیه مرد عالم پرده از روی راز سومین کار خود یعنی تعمیر دیوار بر میدارد و چنین می گوید: «اما دیوار متعلق به دو نوجوان یتیم در شهر بود» و زیر آن گنجی متعلق به آنها وجود داشت و پـدر آنها مرد صالحی بود» (وَ أَمَّا الْجِـدارُ فَكَانَ لِغُلاَمَیْنِ یَتِیمَیْنِ فِی الْمَدِینَهِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُما وَ كَانَ أَبُوهُما صالِحاً).

«پس پروردگار تو میخواست آنها به سر حـد بلوغ برسـند، و گنجشـان را اسـتخراج کننـد» (فَـأَرادَ رَبُّکَ أَنْ يَبْلُغا أَشُـدَّهُما وَ يَشْتَخْرجا کَنزَهُما).

«این رحمتی بود از ناحیه پروردگار تو» (رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ).

و من مأمور بودم به خاطر نیکو کاری پدر و مادر این دو یتیم آن دیوار را بسازم، مبادا سقوط کند و گنج ظاهر شود و به خطر بیفتد.

در پایان برای رفع هر گونه شک و شبهه از موسی، و برای این که به یقین بدانید همه این کارها بر طبق نقشه و مأموریت خاصی بوده است اضافه کرد: «و من این کار را به دستور خودم انجام ندادم» بلکه فرمان خدا و دستور پروردگار بود (وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْری).

آرى! «اين بود سرّ كارهايي كه توانايي شكيبايي در برابر آنها را نداشتي» (ذلِكُ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً).

درسهای داستان خضر و موسی ص: 61

الف) پیدا کردن رهبر دانشمند و استفاده از پرتو علم او به قدری اهمیت دارد که حتی پیامبر اولوا العزمی همچون موسی این همه راه به دنبال او میرود برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۲

و این سر مشقی است برای همه انسانها در هر حد و پایهای از علم و در هر شرائط و سن و سال.

ب) جوهره علم الهي از عبوديت و بندگي خدا سر چشمه مي گيرد.

ج) همواره علم را برای عمل باید آموخت چنانکه موسی به دوست عالمش می گوید: «... مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً» (دانشی به من بیاموز که راهگشای من به سوی هدف و مقصد باشد) یعنی من دانش را تنها برای خودش نمیخواهم بلکه برای رسیدن به هدف می طلبم.

د) در کارها نباید عجله کرد چرا که بسیاری از امور نیاز به فرصت مناسب دارد.

ه) چهره ظاهر و چهره باطن اشیا و حوادث، مسأله مهم دیگری است که این داستان به ما می آموزد، ما نبایـد در مورد رویـدادهای ناخوشاینـد که در زندگیمان پیدا میشود عجولانه قضاوت کنیم، چه بسیارند حوادثی که ما آن را ناخوش داریم اما بعدا معلوم میشود که از الطاف خفیه الهی بوده است.

این همان است که قرآن در آیه ۱۲۲ سوره بقره به آن اشاره کرده است.

و) اعتراف به واقعیتها و موضعگیری هماهنگ با آنها- هنگامی که موسمی سه بار بطور ناخواسته گرفتار پیمان شکنی در برابر دوست عالمش شد در برابر این واقعیت تلخ، لجاجت به خرج نداد، و منصفانه حق را به آن مرد عالم داد، صمیمانه از او جدا شد و برنامه کار خویش را پیش گرفت.

انسان نبایـد تا آخر عمر مشخول آزمایش خویش باشـد و زنـدگی را به آزمایشـگاهی برای آینـدهای که هرگز نمی آید تبدیل کند، هنگامی که چند بار مطلبی را آزمود باید به نتیجه آن گردن نهد.

ز) آثار ایمان پدران برای فرزندان: خضر به خاطر یک پدر صالح و درستکار، حمایت از فرزندانش را در آن قسمتی که میتوانست بر عهده گرفت، یعنی فرزند در پرتو ایمان و امانت پدر میتواند سعادتمند شود و نتیجه نیک آن عائد فرزند او هم بشود.

ح) کوتاهی عمر به خاطر آزار پدر و مادر: جایی که فرزندی به خاطر آن که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۳ در آینده پدر و مادر خویش را آزار می دهد و در برابر آنها طغیان و کفران می کند و یا آنها را از راه الهی به در می برد مستحق مرگ باشد چگونه است حال فرزندی که هم اکنون مشغول به این گناه است، آنها در پیشگاه خدا چه وضعی دارند. ط) مردم دشمن آنند که نمی دانند! بسیار می شود که کسی در باره ما نیکی می کند اما چون از باطن کار خبر نداریم آن را دشمنی می پنداریم، و آشفته می شویم، مخصوصا در برابر آنچه نمی دانیم کم صبر و بی حوصله هستیم. اما داستان فوق به ما می گوید نباید در قضاوت شتاب کرد، باید ابعاد مختلف هر موضوعی را بررسی نمود.

ی) ادب شاگرد و استاد: در گفتگوهایی که میان موسی و آن مرد عالم الهی رد و بـدل شـد نکتههای جالبی پیرامون ادب شاگرد و استاد به چشم میخورد، از جمله:

۱- موسى خود را به عنوان تابع خضر معرفى مىكند «أُتَّبِعُكَ».

۲- در مقام تواضع، علم استاد را بسیار معرفی می کند و خود را طالب فرا گرفتن گوشهای از علم او «مِمَّا عُلِّمْتَ»- دقت کنید.

سورة الكهف(18): آية 83 ص: 63

(آیه ۸۳) – سر گذشت عجیب ذو القرنین! در آغاز بحث در باره اصحاب کهف گفتیم که گروهی از قریش به این فکر افتادند که پیامبر اسلام را به اصطلاح آزمایش کنند، پس از مشاوره با یهود مدینه سه مسأله طرح کردند.

اكنون نوبت داستان ذو القرنين است:

داستان ذو القرنین در باره کسی است که افکار فلاسفه و محققان را از دیر زمان تاکنون به خود مشغول داشته، و برای شناخت او تلاش فراوان کردهاند.

ما نخست به تفسير آيات مربوط به ذو القرنين مى پردازيم، سپس براى شناخت شخص او وارد بحث مى شويم. نخست مى گويد: «از تو در باره ذو القرنين سؤال مى كنند» (وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ).

«بگو: به زودی گوشهای از سر گذشت او را برای شما باز گو می کنم» (قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْکَمْ مِنْهُ ذِكْراً). برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ۶۴

آغاز این آیه نشان میدهد که داستان ذو القرنین در میان مردم قبلا مطرح بوده منتها اختلافات یا ابهاماتی آن را فرا گرفته بود، به همین دلیل از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله توضیحات لازم را در این زمینه خواستند.

سورة الكهف(18): آية 84 ص: 64

(آیه ۸۴)- سپس اضافه می کند: «ما در روی زمین او را تمکین دادیم» (إِنَّا مَکَّنَّا لَهُ فِی الْـأَرْضِ). و قدرت و ثبات و نیرو و حکومت بخشیدیم.

«و اسباب هر چيز را در اختيارش نهاديم» (وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً).

عقل و درایت کافی، مدیریت صحیح، قدرت و قوت، لشکر و نیروی انسانی و امکانات مادی خلاصه آنچه از وسائل معنوی و مادی برای پیشرفت و رسیدن به هدفها لازم بود در اختیار او نهادیم.

سورة الكهف(١٨): آية ٨٥ ص: 64

(آیه ۸۵)- «او هم از این وسائل استفاده کرد» (فَأَتْبَعَ سَبَباً).

سورة الكهف(18): آية 86 ص: 64

(آیه ۸۶)- «تا به غروبگاه آفتاب رسید» (حَتَّی إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ).

«در آنجا احساس کرد که خورشید در چشمه یا دریای تیره و گل آلودی فرو میرود» (وَجَ ِلَها تَغْرُبُ فِی عَیْنٍ حَمِئَهٍ). «و در آنجا گروهی از انسانها را یافت» (وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً). که مجموعهای از انسانهای نیک و بد بودند.

«به ذو القرنين گفتيم: آيـا مىخواهى آنهـا را مجازات كنى و يا طريقه نيكويى را در ميان آنها انتخاب نمايى» (قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً).

سورة الكهف(١٨): آية ٨٧ ص: 64

(آیه ۸۷)– ذو القرنین «گفت: اما کسانی که ستم کردهانـد به زودی آنهـا را مجـازات خواهیم کرد» (قــالَ أُمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ).

«سپس به سوی پروردگارش باز میگردد و خداوند او را عذاب شدیدی خواهد نمود» (ثُمَّ یُرَدُّ إِلٰی رَبِّهِ فَیُعَذِّبُهُ عَذاباً نُکْراً). این ظالمان و ستمگران هم مجازات این دنیا را میچشند و هم عذاب آخرت را.

سورة الكهف(١٨): آية ٨٨ ص: 64

(آیه ۸۸)- «و اما کسی که ایمان آورد، و عمل صالح انجام دهد، پاداشی نیکوتر خواهد داشت» (وَ أُمَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً

فَلَهُ جَزاءً الْحُسْني). بر گزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: 8٥

«و ما دستور آسانی به او خواهیم داد» (وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا يُسْراً).

هم با گفتار نیک با او بر خورد خواهیم کرد، و هم تکالیف سخت و سنگین بر دوش او نخواهیم گذارد، و خراج و مالیات سنگین نیز از او نخواهیم گرفت.

سورة الكهف(18): آية 89 ص: 69

(آیه ۸۹)- «ذو القرنین» سفر خود را به غرب پایان داد سپس عزم شرق کرد آن گونه که قرآن می گوید: «سپس از اسباب و وسائلی که در اختیار داشت مجددا بهره گرفت» (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً).

سورة الكهف(١٨): آية ٩٠ ص: 68

(آیه ۹۰)– «و همچنان به راه خود ادامه داد تا به خاستگاه خورشید رسید» (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ).

«در آنجا مشاهـده کرد که خورشـید بر جمعیتی طلوع میکند که جز آفتاب برای آنها پوششـی قرار نداده بودیم» (وَجَدَها تَطْلُعُ عَلی قَوْم لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً).

این جمعیت در مرحلهای بسیار پایین از زندگی انسانی بودند، تا آنجا که برهنه زندگی میکردند، و یا پوشش بسیار کمی که بدن آنها را از آفتاب نمیپوشانید، داشتند.

سورة الكهف(18): آية 91 ص: 68

(آیه ۹۱)- آری! «این چنین بود کار ذو القرنین، و ما به خوبی میدانیم او چه امکاناتی برای (پیشبرد اهداف خود) در اختیار داشت» (کَذلِکَ وَ قَدْ أَحَطْنا بِما لَدَیْهِ خُبْراً).

سورة الكهف(18): آية 92 ص: 65

(آیه ۹۲) – سد ذو القرنین چگونه ساخته شد؟ در اینجا به یکی دیگر از سفرهای ذو القرنین اشاره کرده، می گوید: «بعد از این ماجرا باز از اسباب مهمی که در اختیار داشت بهره گرفت» (ثُمَّ أَثْبُعَ سَبَباً).

سورة الكهف(١٨): آية ٩٣ ص: 65

(آیه ۹۳)- «همچنان راه خود را ادامه داد تا به میان دو کوه رسید، و در آنجا گروهی غیر از آن دو گروه سابق یافت که هیچ سخنی را نمی فهمیدند» (حَتَّی إِذا بَلَغَ بَیْنَ السَّدَّیْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا یَکادُونَ یَفْقَهُونَ قَوْلًا).

اشاره به این که او به یک منطقه کوهستانی رسید و در آنجا جمعیتی مشاهده کرد که از نظر تمدن در سطح بسیار پائینی بودند، چرا که یکی از روشنترین نشانههای تمدن انسانی، همان سخن گفتن اوست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۶

سورة الكهف(18): آية 94 ص: 68

(آیه ۹۴)- در این هنگام آن جمعیت که از ناحیه دشمنان خونخوار و سر سختی به نام یأجوج و مأجوج در عذاب بودند، مقدم ذو القرنین را که دارای قدرت و امکانات عظیمی بود، غنیمت شمردند، دست به دامن او زدند و «گفتند:

ای ذو القرنین! یأجوج و مأجوج در این سر زمین فساد می کنند، آیا ممکن است ما هزینهای در اختیار تو بگذاریم که میان ما و آنها سـدّی ایجاد کنی» (قالُوا یا ذَا الْقَرْنَیْنِ إِنَّ یَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِـ دُونَ فِی الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَکَ خَرْجاً عَلی أَنْ تَجْعَلَ بَیْنَنا وَ بَیْنَهُمْ سَدًّا).

این گفتار آنها، با این که حد اقل زبان ذو القرنین را نمی فهمیدند ممکن است از طریق علامت و اشاره بوده باشد.

سورة الكهف(18): آية 95 ص: 66

(آیه ۹۵)– اما ذو القرنین در پاسخ آنها «گفت: آنچه پروردگارم در اختیار من گذارده (از آنچه شما پیشنهاد میکنیـد) بهتر است» و نیازی به کمک مالی شما ندارم» (قالَ ما مَکَّنِّی فِیهِ رَبِّی خَیْرٌ).

«مرا با نیرویی یاری کنید، تا میان شما و آنها (قوم مفسد)، سد نیرومندی ایجاد کنم» (فَأَعِینُونِی بِقُوَّهٍ أَجْعَلْ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُمْ رَدْماً).

سورة الكهف(18): آية 96 ص: 66

(آیه ۹۶)– سپس چنین دستور داد: «قطعات بزرگ آهن برای من بیاورید» (آتُونِی زُبَرَ الْحَدِیدِ).

هنگامی که قطعات آهن آماده شد، دستور چیدن آنها را بر روی یکدیگر صادر کرد «تا کاملا میان دو کوه را پوشاند» (حَتَّی إِذا ساوی بَیْنَ الصَّدَفَیْنِ).

سومین دستور ذو القرنین این بود که به آنها «گفت: (مواد آتشزا هیزم و ماننـد آن بیاوریـد و آن را در دو طرف این سـدّ قرار دهید، و با وسائلی که در اختیار دارید) در آن آتش بدمید تا قطعات آهن را، سـرخ و گداخته کرد» (قالَ انْفُخُوا حَتَّی إِذا جَعَلُهُ ناراً).

در حقیقت او میخواست، از این طریق قطعات آهن را به یکدیگر پیوند دهد و سدّ یکپارچهای بسازد، و با این طرح عجیب، همان کاری را که امروز به وسیله جوشکاری انجام میدهند انجام داد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۷

سر انجام آخرین دستور را چنین صادر کرد: «گفت: مس ذوب شده برای من بیاورید تا بر روی این سد بریزم» (قالَ آتُونِی أُفْرْغُ عَلَيْهِ قِطْراً).

و به این ترتیب مجموعه آن سدّ آهنین را با لایهای از مس پوشانید و آن را از نفوذ هوا و پوسیدن حفظ کرد!

سورة الكهف(١٨): آية ٩٧ ص: 67

(آیه ۹۷) – سر انجام چنان سد محکمی ساخت «که آنها [طایفه یأجوج و مأجوج] قادر نبودند از آن بالا روند، و نمی توانستند نقبی در آن ایجاد کنند» (فَمَا اسْطاعُوا أَنْ یَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً).

اشاره

(آیه ۹۸) - در اینجا ذو القرنین با این که کار بسیار مهمی انجام داده بود، و طبق روش مستکبران میبایست به آن مباهات کند و بر خود ببالد، و یا منتی بر سر آن گروه بگذارد، اما چون مرد خدا بود، با نهایت ادب چنین «اظهار داشت: که این از رحمت پروردگار من است» (قالَ هذا رَحْمَةً مِنْ رَبِّی).

اگر علم و آگاهی دارم و به وسیله آن می توانم چنین گام مهمی بر دارم از ناحیه خداست و اگر قدرت و نفوذ سخن دارم آن هم از ناحیه اوست.

سپس این جمله را اضافه کرد که گمان نکنیـد این یک سـدّ جاودانی و ابـدی است نه «هنگامی که وعده پروردگارم فرا رسـد آن را در هم میکوبد» و به یک سر زمین صاف و هموار مبدل میسازد! (فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّی جَعَلَهُ دَکَّاءَ). «و این وعده پروردگارم حق است» (وَ کانَ وَعْدُ رَبِّی حَقًّا).

ذو القرنین در این گفتارش به مسأله فناء دنیا و در هم ریختن سازمان آن در آستانه رستاخیز اشاره می کند.

نكات آموزنده اين داستان تاريخي: ص: 67

در این داستان نکات آموزنده فراوانی است که در واقع هدف اصلی قرآن را تشکیل می دهد.

۱- نخستین درسی که به ما می آموزد این است که در جهان هیچ کاری بدون توسل به اسباب امکان نـدارد، لـذا خـدا برای پیشرفت کار ذو القرنین «اسباب» پیشرفت و پیروزی را به او داد.

۲- هیچ حکومتی نمی تواند بدون تشویق خادمان و مجازات خطا کاران به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۸

پیروزی برسد، این همان اصلی است که ذو القرنین از آن به خوبی استفاده کرد و علی علیه السّیلام در فرمان معروفش به «مالک اشتر» که یک دستور العمل جامع کشور داری است میفرماید: «هیچ گاه نباید نیکو کار و بـد کار در نظر تو یکسان باشند، زیرا این امر سبب میشود که نیکو کاران به کار خود بیرغبت شوند و بد کاران جسور و بی پروا».

۳- تکلیف شاق هر گز مناسب یک حکومت عدل الهی نیست، و به همین دلیل ذو القرنین بعد از آن که تصریح کرد من ظالمان را مجازات خواهم کرد و صالحان را پاداش نیکو خواهم داد، اضافه نمود: «من برنامه سهل و آسانی به آنها پیشنهاد خواهم کرد» تا توانایی انجام آن را از روی میل و رغبت و شوق داشته باشند.

۴- یک حکومت فرا گیر نمی تواند نسبت به تفاوت و تنوع زندگی مردم و شرائط مختلف آنها بیاعتنا باشد.

۵- ذو القرنین حتی جمعیتی را که به گفته قرآن سخنی نمیفهمیدنــد (لاـ یَکـادُونَ یَفْقَهُونَ قَوْلًـا). از نظر دور نــداشت، و با هر وسیله ممکن بود به درد دل آنها گوش فرا داد و نیازشان را بر طرف ساخت.

۶- امنیت، نخستین و مهمترین شرط یک زندگی سالم اجتماعی است، به همین جهت «ذو القرنین» برای فراهم کردن آن پر زحمت ترین کارها را بر عهده گرفت.

۷- درس دیگری که از این ماجرای تاریخی می توان آموخت این است که صاحبان اصلی درد، باید در انجام کار خود شریک

باشند که «آه صاحب درد را باشد اثر» اصولا کاری که با شرکت صاحبان اصلی درد پیش میرود هم به بروز استعدادهای آنها کمک می کند و هم نتیجه حاصل شده را ارج مینهند و در حفظ آن می کوشند چرا که در ساختن آن تحمل رنج فراوان کردهاند.

ضمنا به خوبی روشن می شود که حتی یک ملت عقب افتاده هنگامی که از طرح و مدیریت صحیحی بر خوردار شود می تواند دست به چنان کار مهم و محیر العقولی بزند.

۸- یک رهبر الهی باید بی اعتنا به مال و مادیات باشد، و به آنچه خدا در برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۹
 اختیارش گذارده قناعت کند.

در قرآن مجید کرارا در داستان انبیاء میخوانیم: که آنها یکی از اساسی ترین سخنهایشان این بود که ما در برابر دعوت خود هرگز اجر و پاداش و مالی از شما مطالبه نمی کنیم.

۹- محکم کاری از هر نظر درس دیگر این داستان است.

۱۱- انسان هر قدر قوی و نیرومند و متمکن و صاحب قدرت شود و از عهده انجام کارهای بزرگ بر آید باز هرگز نباید به خود ببالد و مغرور گردد این هم درس دیگری است که ذو القرنین به همگان تعلیم میدهد.

1۲- همه چیز زائل شدنی است و محکمترین بناهای این جهان سر انجام خلل خواهد یافت، هر چند از آهن و پولاد یک پارچه باشد. این آخرین درس در این ماجرا درسی است برای همه آنها که عملا دنیا را جاودانی می دانند، آن چنان در جمع مال و کسب مقام، بی قید و شرط و حریصانه می کوشند که گوئی هر گز مرگ و فنائی وجود ندارد.

يأجوج و مأجوج كيانند؟ ص: 69

در قرآن مجید در دو سوره از یأجوج و مأجوج سخن به میان آمده، یکی در آیات مورد بحث و دیگر در سوره انبیاء آیه ۹۶. آیات قرآن به خوبی گواهی می دهد که این دو نام متعلق به دو قبیله و حشی خونخوار بوده است که مزاحمت شدیدی برای ساکنان اطراف مرکز سکونت خود داشته اند. و مردم قفقاز به هنگام سفر «کورش» به آن منطقه تقاضای جلو گیری از آنها را از وی نمودند، و او نیز اقدام به کشیدن سد معروف ذو القرنین نمود.

سورة الكهف(18): آية 99 ص: 69

(آیه ۹۹) – منزلگاه افراد بی ایمان: به تناسب بحثی که در گذشته از سد ذو القرنین و در هم کوبیدن آن در آستانه رستاخیز به میان آمد، در اینجا به مسائل مربوط به قیام قیامت ادامه داده چنین می گوید: «و در آن روز (که جهان پایان می گیرد) ما آنها را چنان رها می کنیم که در هم موج می زنند» (وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ یَوْمَئِذٍ یَمُوجُ فِی بَعْضِ).

تعبیر به «یَمُوجُ» یا به خاطر فزونی و کثرت انسانها در آن صحنه است و یا به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۷۰

خاطر اضطراب و لرزهای است که به اندام انسانها در آن روز میافتد، گوئی همچون امواج آب پیکر آنها میلرزد.

سپس اضافه می کند: «و در صور [شیپور] دمیده می شود، و ما همه را (حیات نوین می بخشیم و) جمع می کنیم» (وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً).

بدون شک همه انسانها در آن صحنه، جمع خواهند بود، و احدى از اين قانون مستثنا نيست.

از مجموع آیات قرآن به خوبی استفاده می شود که در پایان جهان و آغاز جهان دیگر، دو تحول عظیم انقلابی در عالم رخ می دهد: نخستین تحول، فنای موجودات و انسانها در یک برنامه ضربتی است، و دومین برنامه که معلوم نیست چه اندازه با برنامه نخست فاصله دارد، بر انگیخته شدن مردگان آن هم با یک برنامه ضربتی دیگر است، که از این دو برنامه در قرآن به عنوان «نفخ صور» (دمیدن در شیپور) تعبیر شده است.

سورة الكهف(18): آية 100 ص: 20

(آیه ۱۰۰)- سپس به شرح حال کافران می پردازد، هم عاقبت اعمالشان و هم صفاتی را که موجب آن سرنوشت می گردد بیان کرده، و چنین می گوید: «ما جهنم را در آن روز به کافران عرضه می داریم» (وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ یَوْمَئِذِ لِلْکافِرِینَ عَرْضاً). جهنم با عذابهای رنگارنگ و مجازاتهای مختلف دردناکش در برابر آنها کاملا ظاهر و آشکار می شود که همین مشاهده و ظهورش در برابر آنان خود عذابی است دردناک و جانکاه، تا چه رسد به این که گرفتار آن شوند.

سورة الكهف(18): آية 101 ص: 20

(آیه ۱۰۱)-کافران کیاننـد و چرا گرفتار چنان سـر نوشتی میشونـد؟ در یک جمله کوتاه آنها را چنین معرفی میکند: «همانها که پردهای چشمانشان را از یاد من پوشانده بود» (الَّذِینَ کانَتْ أَعْیُنْهُمْ فِی غِطاءٍ عَنْ ذِکْرِی).

«و (همانها كه گوش داشتند اما) قدرت شنوايي نداشتند» (وَ كَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً).

در حقیقت آنها مهمترین وسیله حقجوئی و درک واقعیات و آنچه عامل سعادت و شقاوت انسان می شود را از کار انـداخته بودند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۷۱

آرى! چهره حق آشكار است، و همه چيز اين جهان با انسان سخن مي گويد تنها يك چشم بينا و يك گوش شنوا لازم است و بس.

سورة الكهف(18): آية 102 ص: 21

(آیه ۱۰۲)-این آیه به یک نقطه انحراف فکری آنها که پایه اصلی انحرافات دیگرشان بوده است اشاره کرده، می گوید: «آیا کافران پنداشتند می توانند بندگانم را به جای من ولیّ و سرپرست خود انتخاب کنند» (أَ فَحَسِبَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنْ یَتَّخِذُوا عِبادِی مِنْ دُونِی أَوْلِیاءَ).

آیا این بندگانی که معبود واقع شدند همچون مسیح و فرشتگان هر قدر مقامشان والا باشد از خود چیزی دارند که بتوانند از دیگران حمایت کنند؟ یا به عکس، خود آنها هم هر چه داشتند از ناحیه خدا بود، حتی خودشان نیز نیازمند به هدایت او بودند این حقیقتی است که آنها فراموشش کردند و در شرک فرو رفتند.

در پایان آیه برای تأکید بیشتر می فرماید: «ما جهنم را برای پذیرایی کافران آماده کردهایم» (إِنَّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْکافِرِینَ نُزُلًا).

سورة الكهف(18): آية 103 ص: 21

(آیه ۱۰۳) - زیانکارترین مردم: این آیه و آیات آینده تا پایان سوره در عین این که توضیحی است برای صفات افراد بی ایمان، یک نوع جمع بندی است برای تمام بحثهایی که در این سوره گذشت مخصوصا بحثهای مربوط به داستان اصحاب کهف و موسی و خضر و ذو القرنین و تلاشهای آنها در برابر مخالفانشان.

نخست به معرفی زیانکارترین انسانها و بـد بخت ترین افراد بشر می پردازد، اما برای تحریک حس کنجکاوی شنوندگان در چنین مسأله مهمی آن را در شکل یک سؤال مطرح می کند و به پیامبر دستور می دهد: «بگو: آیا به شما خبر دهم زیانکارترین مردم کیست»؟! (قُلْ هَلْ نُنَبُئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالًا).

سورة الكهف(18): آية 104 ص: 21

(آیه ۱۰۴)- بلافاصله خود پاسخ می گوید تا شنونده مدت زیادی در سر گردانی نماند: زیانکارترین مردم «کسانی هستند که کوششهایشان در زندگی دنیا گم و نابود شده با این حال گمان می کنند کار نیک انجام می دهند»! (الَّذِینَ ضَلَّ سَ عُیُهُمْ فِی الْحَیاهِ اللَّذِیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً).

مسلما مفهوم خسران تنها این نیست که انسان منافعی را از دست بدهد بلکه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۷۲ خسران واقعی آن است که اصل سرمایه را نیز از کف دهد، چه سرمایهای برتر و بالاتر از عقل و هوش و نیروهای خدا داد و عمر و جوانی و سلامت است؟ همینها که محصولش اعمال انسان است و عمل ما تبلوری است از نیروها و قدرتهای ما. هنگامی که این نیروها تبدیل به اعمال ویرانگر یا بیهودهای شود گوئی همه آنها گم و نابود شدهاند.

اما زیان واقعی و خسران مضاعف آنجاست که انسان سرمایههای مادی و معنوی خویش را در یک مسیر غلط و انحرافی از دست دهد و گمان کند کار خوبی کرده است، نه از این کوششها نتیجهای برده، نه از زیانش درسی آموخته، و نه از تکرار این کار در امان است.

سورة الكهف(18): آية 105 ص: 22

(آیه ۱۰۵)- سپس به معرفی صفات و معتقدات این گروه زیانکار میپردازد و چند صفت که ریشه تمام بد بختیهای آنهاست، بیان میدارد.

نخست مي گويد: «آنها كساني هستند كه به آيات پروردگارشان كافر شدند» (أُولئِكُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ).

آیاتی که چشم و گوش را بینا و شنوا می کند، آیاتی که پردههای غرور را در هم میدرد، و چهره واقعیت را در برابر انسان مجسّم میسازد، و بالاخره آیاتی که نور است و روشنایی، و آدمی را از ظلمات اوهام و پندارها بیرون آورده به سر زمین حقایق رهنمون می گردد.

ديگر اين كه آنها بعد از فراموش كردن خدا به معاد «و لقاى او كافر شدند» (وَ لِقائِهِ).

«لقاء الله» یعنی انسان در قیامت آثار خدا را بیشتر و بهتر از هر زمان دیگر مشاهده میکند، او را با چشم دل آشکارا میبیند، و ایمان او نسبت به خدا یک ایمان شهودی میشود.

آری! تا ایمان به «معاد» در کنار ایمان به «مبدأ» قرار نگیرد و انسان احساس نکند که قدرتی مراقب اعمال اوست روی اعمال خود حساب صحیحی نخواهد کرد، و اصلاح نخواهد شد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۷۳

سپس اضافه می کند: «به خاطر همین کفر به مبدأ و معاد «اعمالشان حبط و نابود شد» (فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ). درست همانند خاکستری در برابر یک توفان عظیم.

و چون آنها عملی که قابل سنجش و ارزش باشد ندارند، «لذا روز قیامت میزانی برای آنان برپا نخواهیم کرد» (فَلا نُقِیمُ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ وَزْناً).

چرا که توزین و سنجش مربوط به جایی است که چیزی در بساط باشد، آنها که چیزی در بساط ندارند چگونه توزین و سنجش داشته باشند؟! لذا در روایت معروفی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «روز قیامت مردان فربه بزرگ جثهای را در دادگاه خدا حاضر می کنند که وزنشان حتی به اندازه بال مگسی نیست». چرا که در این جهان اعمالشان، افکارشان و شخصیتشان همه تو خالی و پوک بود.

سورة الكهف(١٨): آية ١٠٦ ص: ٧٣

(آیه ۱۰۶)– سپس ضمن بیان کیفر آنها سومین عامل انحراف و بـد بختی و زیانشان را بیان کرده، می گوید: «کیفر آنها جهنم است به خاطر آن که کافر شدنـد و آیات من و پیامبرانم را به باد استهزاء و سخریه گرفتند» (ذلِکَ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِما کَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آیاتِی وَ رُسُلِی هُزُواً).

و به این ترتیب آنها سه اصل اساسی معتقدات دینی (مبدأ و معاد و رسالت انبیاء) را انکار کرده و یا بالاتر از انکار آن را به باد مسخره گرفتند.

سورة الكهف(18): آية 107 ص: 23

(آیه ۱۰۷) - مشخصات کفار و زیانکارترین مردم و همچنین سر انجام کارشان به خوبی دانسته شد، اکنون به سراغ مؤمنان و سرنوشتشان میرویم تا با قرینه مقابله، وضع هر دو طرف کاملا مشخص گردد، قرآن در این زمینه می گوید: «کسانی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند باغهای فردوس منزلگاهشان است» (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ کانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْس نُزُلًا).

«الْفِرْدَوْسِ» باغی است که همه نعمتها و تمام مواهب لازم در آن جمع باشد، و به این ترتیب «فردوس» بهترین و برترین باغهای بهشت است.

سورة الكهف(18): آية 108 ص: 23

(آیه ۱۰۸)- و از آنجا که کمال یک نعمت در صورتی خواهد بود که دست زوال به دامن آن دراز نشود بلافاصله اضافه می کند: «آنها جاودانه در این باغهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۷۴

بهشت خواهند ماند» (خالِدِينَ فِيها).

و با این که طبع مشکل پسند و تحول طلب انسان دائما تقاضای دگرگونی و تنوع و تحول می کند ساکنان فردوس «هرگز تقاضای نقل مکان و تحول از آن نخواهند کرد» (لا یَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا). برای این که هر چه میخواهند در آنجا هست حتی تنوع و تکامل.

سورة الكهف(18): آية 109 ص: 24

آیه ۱۰۹– شأن نزول: یهود هنگامی که این سخن الهی را از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله شنیدند که: «وَ ما أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِیلًا شما جز بهره کمی از دانش ندارید» «۱» گفتند:

چگونه چنین چیزی می تواند صحیح باشد؟ در حالی که به ما تورات داده شده است و هر کس تورات به او داده شده، صاحب خیر کثیر است. آیه نازل شد (و ترسیمی از علم بی نهایت خدا و ناچیز بودن علم ما در برابر عمل او نمود).

تفسیر: آنها که امید لقای خدا را دارند! این آیه و آیه بعد در ارتباط با کل مباحث این سوره است، گویی قرآن میخواهد بگوید که آگاهی بر سر گذشت اصحاب کهف، و موسی و خضر، و ذو القرنین در برابر علم بی پایان خدا مطلب مهمی نیست. روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، می گوید: «بگو: اگر دریاها برای نوشتن کلمات پروردگارم مرکب شود، دریاها پایان می یابد پیش از آن که کلمات پروردگارم پایان گیرد، هر چند همانند آن را به آن اضافه کنیم» (قُلْ لَوْ کَانَ الْبُحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبُحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِنْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً).

در حقیقت قرآن در این آیه توجه به این واقعیت میدهد که گمان مبرید عالم هستی محدود به آن است که شما میبینید یا می میدانید یا احساس میکنید، بلکه آن قدر عظمت و گسترش دارد که اگر دریاها مرکب شوند و بخواهند نام آن و صفات و ویژگیهای آنها را بنویسند دریاها پایان مییابند پیش از آن که موجودات جهان هستی را احصا کرده باشند.

قابل توجه این که: آیه فوق در عین این که گسترش بیانتهای جهان هستی را

(۱) سوره اسراء (۱۷)، آیه ۸۵.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۷۵

در گذشته و حال و آینده مجسم میسازد، ترسیمی از علم نامحدود خداوند نیز هست، چرا که میدانیم خدا به همه آنچه در پهنه هستی بوده و خواهد بود احاطه علمی دارد، بلکه علم او از وجود این موجودات جدا نخواهد بود-دقت کنید.

پس به تعبیر دیگر می توان گفت: اگر تمام اقیانو سهای روی زمین مرکب و جوهر شونـد و همه درختان قلم گردند هرگز قادر نیستند آنچه در علم خداوند است رقم بزنند.

سورة الكهف(18): آية 110 ص: 25

(آیه ۱۱۰)- این آیه که آخرین آیه سوره کهف است مجموعهای است از اصول اساسی اعتقادات دینی، «توحید» و «معاد» و «رسالت پیامبر» صلّی اللّه علیه و آله و در واقع همان چیزی است که آغاز سوره کهف نیز با آن بوده است.

و از آنجا که مسأله نبوت در طول تاریخش با انواع غلو و مبالغه همراه بوده است آن را چنین بیان می کند: «بگو: من فقط بشری همچون شما هستم (یگانه امتیازم این است) که بر من وحی می شود» (قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ یُوحی إِلَیَّ).

و با این تعبیر بر تمام امتیازات پنداری شرک آلودی که پیامبران را از مرحله بشریت به مرحله الوهیت بالا میبرد قلم سرخ می کشد.

سپس از میان تمام مسائلی که وحی می شود، انگشت روی مسأله توحید می گذارد و می گوید: بر من وحی می شود «که معبود شما فقط یکی است» (أَنَّما إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ).

در اینجا تنها به مسأله توحید اشاره شده است، زیرا توحید تنها یک اصل از اصول دین نیست بلکه خمیر مایه همه اصول و فروع اسلام است.

اگر در یک مثال ساده تعلیمات دین را از اصول و فروع به دانههای گوهری تشبیه کنیم باید توحید را به آن ریسمانی تشبیه کرد که این دانهها را به هم پیوند میدهد و از مجموع آن گردنبند پر ارزش و زیبایی میسازد.

به همین دلیل در احادیث میخوانیم که: جمله «لا اله الّا اللّه» قلعه محکم پروردگار است و هر کس در آن وارد شود از عذاب و کیفر الهی در امان است.

سومین جمله این آیه اشاره به مسأله رستاخیز می کند و آن را با حرف «فاء» به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۷۶ مسأله توحید پیوند میزند، و می گوید: «بنا بر این هر کس امید لقای پرورد گارش را دارد باید عمل صالح انجام دهد» (فَمَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً).

لقای پروردگار که همان مشاهده باطنی ذات پاک او با چشم دل و بصیرت درون است گر چه در این دنیا هم برای مؤمنان راستین امکانپذیر است اما در قیامت به خاطر مشاهده آثار بیشتر و روشنتر جنبه همگانی و عمومی پیدا میکند.

در آخرین جمله حقیقت عمل صالح را در یک بیان کوتاه چنین باز گو می کند:

«و نباید کسی را در عبادت پروردگارش شریک سازد» (وَ لا یُشْرِکْ بِعِبادَهْ رَبِّهِ أَحَداً).

به تعبیر روشنتر تا حقیقت خلوص و اخلاص، در عمل نیاید رنگ عمل صالح به خود نخواهد گرفت. در حقیقت عمل صالحی که از انگیزه الهی و اخلاص، سر چشمه گرفته و با آن آمیخته شده است گذر نامه لقای پروردگار است! عمل خالص تا آن حدّ در اسلام مورد اهمیت است که در حدیثی از پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «کسی که چهل روز اعمال خود را خالصانه انجام دهد، خداوند چشمههای حکمت و دانش را از قلبش بر زبانش می گشاید».

«پایان سوره کهف»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۷۷

سوره مريم [19] ص: ۷۷

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۹۸ آیه است

محتوای سوره: ص: ۷۷

بطور کلی محتوای این سوره در سه بخش خلاصه می شود:

۱- مهمترین بخش این سوره را قسمتی از سر گذشت زکریا و مریم و حضرت مسیح (ع) و یحیی و ابراهیم قهرمان توحید و فرزندش اسماعیل و ادریس و بعضی دیگر از پیامبران بزرگ الهی، تشکیل میدهد که دارای نکات تربیتی خاصی است.

۲- قسمتی دیگر مسائل مربوط به قیامت و چگونگی رستاخیز و سر نوشت مجرمان و پاداش پرهیز کاران و مانند آن است.

۳- بخش دیگر اشارات مربوط به قرآن و نفی فرزند از خداوند و مسأله شفاعت است که مجموعا برنامه تربیتی مؤثری را برای

سوق نفوس انسانی به ایمان و پاکی و تقوا تشکیل میدهد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۷۷

در حدیثی از امام صادق علیه السّم لام میخوانیم: «هر کس مداومت به خواندن این سوره کند از دنیا نخواهد رفت مگر این که خدا به برکت این سوره او را از نظر جان و مال و فرزند بی نیاز می کند».

این غنا و بی نیازی مسلما بازتابی است از پیاده شدن محتوای سوره در درون جان انسان و انعکاسش در خلال اعمال و رفتار و گفتار او.

> بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۷۸ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۱ ص: ۷۸

(آیه ۱)- بار دیگر در آغاز این سوره به حروف مقطعه بر خورد می کنیم «ک، ه، ی، ع، ص» (کهیعص).

در خصوص حروف مقطعه این سوره دو دسته از روایات در منابع اسلامی دیده می شود:

نخست روایاتی است که هر یک از این حروف را اشاره به یکی از اسما بزرگ خداوند (الْأَسْماءُ الْحُسْنی) میداند «ک» اشاره به کافی و «ه» اشاره به هادی، و «ی» اشاره به ولی، و «ع» اشاره به عالم و «ص» اشاره به هادی، و «ی» اشاره به ولی، و «ع» اشاره به عالم و «ص» اشاره به هادی، و می که در وعده خود صادق است).

دوم روایاتی است که این حروف مقطعه را به داستان قیام امام حسین (ع) در کربلا تفسیر کرده است: «ک» اشاره به «کربلا»، «هاء» اشاره به «هلاک خاندان پیامبر» (ص) و «ی» به «یزید» و «ع» به مسأله «عطش» و «ص» به «صبر و استقامت» حسین و یاران جانبازش.

البته آیات قرآن تاب معانی مختلف را دارد که در عین تنوع منافاتی هم با هم ندارند.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۲ ص: ۷۸

(آیه ۲) – دعای گیرای زکریّا – بعد از ذکر حروف مقطعه، نخستین سخن از داستان زکریا (ع) شروع می شود، می فرماید: «این یادی است از رحمت پروردگار تو نسبت به بندهاش زکریّا ...» (ذِکْرُ رَحْمَتِ رَبِّکَ عَبْدَهُ زَکْرِیّا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۳ ص: ۷۸

(آیه ۳)– «در آن هنگام که (از نداشتن فرزندی، سخت ناراحت و غمناک بود) پروردگارش را در خلوتگاه (عبادت) پنهان خواند ...» (إِذْ نادی رَبَّهُ نِداءً خَفِیًّا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۲ ص: ۷۸

(آیه ۴)- «گفت: پروردگارا! استخوانم (که ستون پیکر من و محکمترین اعضای تن من است) سست شده (قالَ رَبِّ إِنِّی وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّی).

«و شعله پیری تمام سرم را فرا گرفته» (وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۷۹

سپس میافزاید: پروردگارا! «و من هرگز در دعای تو از اجابت محروم نبودهام» (وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَـقِیًّا). تو همواره در گذشته مرا به اجابت دعاهایم عادت دادی و هیچگاه محرومم نساختهای، اکنون که پیر و ناتوان شدهام سزاوارترم که دعایم را اجابت فرمایی و نومید باز نگردانی.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۵ ص: ۷۹

(آیه ۵)- سپس حاجت خود را چنین شرح میدهد: پروردگارا! «من از بستگانم بعد از خودم بیمناکم (که حق پاسداری از آیه ۵)- سپس حاجت خود را چنین شرح میدهد: پروردگارا! «من از بستگانم بعد از خود جانشینی به من ببخش ...» (وَ إِنِّی خِفْتُ الْمَوالِیَ مِنْ وَرائِی وَ کَانَتِ امْرَأَتِی عاقِراً فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًا).

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶ ص: ۷۹

(آیه ۶)– «جانشینی که وارث من و دودمان یعقوب باشد، و او را مورد رضایتت قرار ده!» (یَرِثُنِی وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِیًّا).

به عقیده ما «ارث» در اینجا مفهوم وسیعی دارد که هم ارث اموال را شامل می شود و هم ارث مقامات معنوی را، چرا که اگر افراد فاسدی صاحب اختیار اموال فراوان او می شدند به راستی نگران کننده بود، و نیز اگر رهبری معنوی مردم به دست افراد ناصالح می افتاد آن نیز بسیار مایه نگرانی بود بنا بر این خوف زکریا در هر دو صورت قابل توجیه است.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷ ص: ۷۹

(آیه ۷)- زکرییا به آرزوی خود رسید: این آیه استجابت دعای زکریا را در پیشگاه پروردگار، استجابتی آمیخته با لطف و عنایت ویژه او بیان میکند، و با این جمله شروع می شود «ای زکریا! ما تو را بشارت به پسری می دهیم که نامش یحیی است پسری (بی سابقه) که همنامی برای او پیش از این قرار نداده ایم» (یا زَکَرِیًا إِنَّا نُبَشِّرُکَ بِغُلامٍ اسْمُهُ یَحْیی لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِیًا).

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸ ص: ۷۹

(آیه ۸)- اما زکریا که اسباب ظاهر را برای رسیدن به چنین مطلوبی مساعد نمی دید از پیشگاه پروردگار تقاضای توضیح کرد و «گفت: پروردگارا! چگونه برای من فرزندی خواهد بود؟ در حالی که همسرم نازا و عقیم است و من نیز از شدّت پیری افتاده شدهام» (قالَ رَبِّ أَنَّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ کانَتِ امْرَأَتِی عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْکِبَرِ عِتِیًا).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۸۰

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۹ ص: ۸۰

(آیه ۹)– اما به زودی زکریا در پاسخ سؤالش این پیام را از درگاه خداوند دریافت داشت: «فرمود: مطلب همین گونه است که پروردگار تو گفته و این بر من آسان است» (قالَ کَذلِکَ قالَ رَبُّکَ هُوَ عَلَیَّ هَیِّنٌ).

این مسأله عجیبی نیست که از پیر مردی همچون تو و همسری ظاهرا نازا فرزندی متولد شود «من تو را قبلا آفریدم در حالی که هیچ نبودی» (وَ قَدْ خَلَقْتُکَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَکُ شَیْئاً).

خدایی که توانایی دارد از هیچ، همه چیز بیافریند، چه جای تعجب که در این سنّ و سال و این شرایط فرزندی به تو عنایت کند.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۱۰ ص: ۸۰

(آیه ۱۰) – زکریا با شنیدن سخن فوق بسیار دلگرم و خوشحال شد و نور امید سر تا پای وجودش را فرا گرفت اما از آنجا که این پیام از نظر او بسیار سر نوشت ساز و پر اهمیت بود از خدا تقاضای نشانهای بر این کار کرد و «گفت: پروردگارا! نشانهای برای من قرار ده» (قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِی آیَهًٔ).

بدون شک زکریا به وعده الهی ایمان داشت ولی برای اطمینان بیشتر - همان گونه که ابراهیم مؤمن به معاد تقاضای شهود چهره معاد در این زندگی کرد تا قلبش اطمینان بیشتری یابد - زکریا از خدا تقاضای چنین نشانه و آیتی نمود.

«خدا به او فرمود: نشانه تو آن است که سه شبانه روز تمام (در حالی که زبانت سالم است) قدرت سخن گفتن با مردم را نخواهی داشت» تنها زبانت به ذکر خدا و مناجات با او گردش میکند (قالَ آیَتُکَ أَلَّا تُکَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَیالٍ سَوِیًّا).

این نشانه آشکاری است که انسان با داشتن زبان سالم و قدرت بر هر گونه نیایش با پروردگار، در برابر مردم توانایی سخن گفتن را نداشته باشد.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۱۱ ص: ۸۰

(آیه ۱۱)– «بعد از این (بشارت و این آیت روشن) زکریا از محراب عبادتش به سراغ مردم آمد و با اشاره به آنها چنین گفت: صبح و شام تسبیح پروردگار بگویید» (فَخَرَجَ عَلی قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحی إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِیًّا).

چرا که نعمت بزرگی که خدا به زکریا ارزانی داشته دامنه آن همه قوم را فرا می گرفت و در سر نوشت آینده همه آنها تأثیر داشت. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۸۱

از این گذشته این موهبت که اعجازی محسوب می شد می توانست پایه های ایمان را در دلهای افراد محکم کند.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۱۲ ص: ۸۱

(آیه ۱۲) - صفات برجسته یحیی: در آیات گذشته دیدیم که خداوند چگونه به هنگام پیری زکریا، یحیی را به او مرحمت فرمود، به دنباله آن در این آیه فرمان مهم الهی را خطاب به «یحیی» میخوانیم: «ای یحیی! کتاب خدا را با قوت و قدرت بگیر»! (یا یَحْیی خُذِ الْکِتابَ بِقُوَّةٍ).

منظور از «کتاب» در اینجا «تورات» است. و منظور از گرفتن کتاب با قوت و قدرت آن است که با قاطعیت هر چه تمامتر محتوای آن را اجرا کند، و به تمام آن عمل نماید، و در راه تعمیم و گسترش آن از هر نیروی مادی و معنوی، فردی و اجتماعی، بهره گیرد.

بعد از این دستور، به مواهب دهگانهای که خدا به یحیی داده بود، و یا او به توفیق الهی کسب کرد، اشاره می کند. ۱- «ما فرمان نبوت و عقل و هوش و درایت را در کودکی به او دادیم» (وَ آتَیْناهُ الْحُکْمَ صَبِیًّا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۱۳ ص: ۸۱

(آیه ۱۳)– دوم: «و به او رحمت و محبت (نسبت به بندگان) از سوی خود بخشیدیم» (وَ حَناناً مِنْ لَدُنّا).

۳- «و به او پاکی (روح و جان و پاکی عمل) دادیم» (وَ زَکاهً).

۴- «و او پرهیز کار بود» (وَ کانَ تَقِیًّا). و از آنچه خلاف فرمان پروردگار بود، دوری می کرد.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۱۴ ص: ۸۱

(آیه ۱۴)- پنجم: «او نسبت به پدر و مادرش نیکو کار بود» (وَ بَرًّا بِوالِدَیْهِ)

.۶- «و جبّار (و متكبر) و عصيانگر نبود» (وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّاراً)

.٧- «او معصيت كار و آلوده به گناه نبود» (عَصِيًّا)

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۱۵ ص: ۸۱

اشاره

(آیه ۱۵)– ۸ و ۹ و ۱۰- و چون او جامع این صفات بر جسته و افتخارات بزرگ بود، «سلام بر او، آن روز که تولّد یافت، و آن روز که میمیرد، و آن روز که زنده بر انگیخته میشود» (وَ سَلامٌ عَلَیْهِ یَوْمَ وُلِدَ وَ یَوْمَ یَمُوتُ وَ یَوْمَ یُبْعَثُ حَیًّا)

. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۸۲

جمله فوق نشان می دهـد که: در تاریخ زنـدگی انسان و انتقال او از عالمی به عالم دیگر سه روز سخت وجود دارد، روز گام نهادن به این دنیا «یَوْمَ وُلِدَ»

و روز مرگ و انتقال به جهان برزخ «يَوْمَ يَمُوتُ»

و روز بر انگیخته شدن در جهان دیگر «وَ یَوْمَ یُبْعَثُ حَیًّا»

و از آنجا که این سه روز انتقالی طبیعتا با بحرانهایی رو برو است خداوند سلامت و عافیت خود را شامل حال بندگان خاصش قرار میدهد و آنها را در این سه مرحله توفانی در کنف حمایت خویش می گیرد.

شهادت یحیی! ص: ۸۲

یحیی قربانی روابط نامشروع یکی از طاغوتهای زمان خود شد به این ترتیب که «هرودیس» پادشاه هوسباز فلسطین، عاشق «هیرودیا» دختر برادر خود شد، و تصمیم به ازدواج با او گرفت! پیامبر بزرگ خدا یحیی (ع) صریحا اعلام کرد که این ازدواج نامشروع است و من به مبارزه با چنین کاری قیام خواهم کرد.

آن دختر که یحیی را بزرگترین مانع راه خویش می دید تصمیم گرفت در یک فرصت مناسب از وی انتقام گیرد ارتباط خود را با عمویش بیشتر کرد و زیبایی خود را دامی برای او قرار داد.

روزی به او گفت: من هیچ چیز جز سر یحیی را نمیخواهم! «هرودیس» که دیوانهوار به آن زن عشق میورزید بی توجه به عاقبت این کار تسلیم شد و چیزی نگذشت که سر یحیی را نزد آن زن بد کار حاضر ساختند اما عواقبت دردناک این عمل، سر انجام دامان او را گرفت.

سالاً ر شهیدان امام حسین (ع) می فرمود: «از پستیهای دنیا اینکه سر یحیی بن زکریا را به عنوان هدیه برای زن بد کارهای از زنان بنی اسرائیل بردند».

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۱۶ ص: ۸۲

(آیه ۱۶) – سر آغاز تولد مسیح (ع): بعد از بیان سر گذشت یحیی (ع) رشته سخن را به داستان تولد عیسی (ع) و سر گذشت مادرش مریم می کشاند، چرا که پیوند بسیار نزدیکی در میان این دو ماجرا است.

اگر تولید یحیی از پیدری پیر و فرتوت و مادری نازا عجیب بود، تولید عیسی از مادر بیدون پدر عجیبتر است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۸۳

اگر رسیدن به مقام عقل و نبوت در کودکی، شگفتانگیز است، سخن گفتن در گهواره آن هم از کتاب و نبوت، شگفتانگیزتر است.

و به هر حال هر دو آیتی است از قدرت خداوند بزرگ، یکی از دیگری بزرگتر، و اتفاقا هر دو مربوط به کسانی است که با هم قرابت بسیار نزدیک از جهت نسب داشتند چرا که مادر یحیی خواهر مادر مریم بود، و هر دو زنانی نازا و عقیم بودند و در آرزوی فرزندی صالح به سر می بردند.

آیه می گوید: «و در کتاب آسمانی قرآن از مریم سخن بگو آنگاه که از خانواده خود (به صورت متواضعانه و گمنام) جـدا شده و در یک منطقه شرقی قرار گرفت» (وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مَرْیَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَکاناً شَرْقِیًّا)

او در حقیقت میخواست مکانی خالی و فارغ از هر گونه دغدغه پیدا کند که به راز و نیاز با خدای خود بپردازد.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۱۷ ص: ۸۳

(آیه ۱۷)- در این هنگام، مریم «میان خود و آنان حجابی افکند» تا خلوتگاهش از هر نظر برای عبادت آماده باشد (فَاتَّخَ لَـُتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً)

«در این هنگـام مـا روح خود (یکی از فرشـتگان بزرگ) را به سوی او فرسـتادیم و او در شـکل انسان کامل بیعیب و نقص و خوش قیافهای بر مریم ظاهر شد» (فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا)

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۱۸ ص: ۸۳

(آیه ۱۸)- پیداست که در این موقع مریم از دیدن چنین منظرهای که مرد بیگانه زیبایی به خلوتگاه او راه یافته چه ترس و وحشتی به او دست میدهد؟ لذا بلافاصله «صدا زد: من به خدای رحمان از تو پناه میبرم اگر پرهیز کار هستی» (قالَتْ إِنِّی أَعُوذُ بِالرَّحْمن مِنْکَ إِنْ کُنْتَ تَقِیًا)

.و این نخستین لرزهای بود که سراسر وجود مریم را فرا گرفت.

بردن نام خدای رحمان، و توصیف او به رحمت عامهاش از یک سو، و تشویق او به تقوا و پرهیز کاری از سوی دیگر، همه برای آن بود که اگر آن شخص ناشناس قصد سوئی دارد او را کنترل کند.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۱۹ ص: ۸۳

(آیه ۱۹)– مریم با گفتن این سخن در انتظار عکس العمل آن مرد ناشناس برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۸۴

بود، انتظاری آمیخته با وحشت و نگرانی بسیار، اما این حالت دیری نپایید، ناشناس زبان به سخن گشود و مأموریت و رسالت عظیم خویش را چنین بیان کرد و «گفت:

من فرستاده پروردگار توام»! (قالَ إنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ)

این جمله همچون آبی که بر آتش بریزد، به قلب پاک مریم آرامش بخشید.

ولی این آرامش نیز چنـدان طولانی نشد، چرا که بلا فاصـله افزود: من آمدهام «تا پسـر پاکیزهای (از نظر خلق و خوی و جسم و جان) به تو ببخشم»! (لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا)

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۲۰ ص: ۸۴

(آیه ۲۰)- از شنیدن این سخن لرزش شدیدی وجود مریم را فرا گرفت و بـار دیگر در نگرانی عمیقی فرو رفت و «گفت: چگونه ممکن است من صـاحب پسـری شوم، در حالی که تا کنون انسانی با من تماس نداشته و هر گز زن آلودهای نبودهام»؟! (قالَتْ أَنَّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ وَ لَمْ أَکُ بَغِیًّا).

او در این حال تنها به اسباب عادی می اندیشید.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۲۱ ص: ۸۴

(آیه ۲۱) - اما به زودی توفان این نگرانی مجدد با شنیدن سخن دیگری از پیک پروردگار فرو نشست او با صراحت به مریم «گفت: مطلب همین است که پروردگارت فرموده، این کار بر من سهل و آسان است» (قالَ کَذلِکِ قالَ رَبُّکِ هُوَ عَلَیَّ هَیِّنٌ). تو که خوب از قدرت من آگاهی، تو که میوه های بهشتی را در فصلی که در دنیا شبیه آن وجود نداشت در کنار محراب عبادت خویش دیده ای، تو که میدانی جدت «آدم» از خاک آفریده شد، این چه تعجب است که از این خبر داری؟! سپس افزود: «و ما می خواهیم او را آیه و اعجازی برای مردم قرار دهیم» (وَ لِنَجْعَلُهُ آیَهٔ لِلنَّاسِ).

و ما میخواهیم او را «رحمتی از سوی خود» برای بندگان بنماییم (وَ رَحْمَةً مِنَّا).

و به هر حال «این امری است پایان یافته» و جای گفتگو ندارد (وَ کانَ أَمْراً مَقْضِیًّا).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۸۵

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۲۲ ص: ۸۵

(آیه ۲۲)- مریم در کشاکش سخت ترین طوفانهای زندگی: «سر انجام مریم باردار شد» (فَحَمَلَتْهُ). و آن فرزند موعود در رحم او جای گرفت.

«این امر سبب شد که او (از بیت المقدس) به مکان دور دستی برود» (فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَکاناً قَصِیًّا).

او در این حالت در میان یک بیم و امید، یک حالت نگرانی تو أم با سرور به سر میبرد، گاهی به این میاندیشید که این حمل سر انجام فاش خواهد شد، چه کسی از من قبول می کند زنی بدون داشتن همسر باردار شود، من با این اتهام چه کنم؟ اما از سوی دیگر، احساس می کرد که این فرزند پیامبر موعود الهی است یک تحفه بزرگ آسمانی میباشد، خداوندی که مرا به چنین فرزندی بشارت داده و با چنین کیفیت معجز آسایی او را آفریده چگونه تنهایم خواهد گذاشت؟

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۲۳ ص: ۸۵

(آیه ۲۳)- هر چه بود دوران حمل پایان گرفت، گر چه در این حالت زنان به آشنایان و دوستان خود پناه می برند تا برای تولد فرزند به آنها کمک کنند، ولی چون وضع مریم یک وضع استثنایی بود و هرگز نمی خواست کسی وضع حمل او را ببیند، با آغاز درد زائیدن، راه بیابان را پیش گرفت.

قرآن در این زمینه می گوید: «درد وضع حمل، او را به کنار درخت خرمایی کشاند» (فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ). که تنها بدنهای از آن درخت باقی مانده، یعنی درختی خشکیده بود.

در این حالت، توفانی از غم و اندوه، سراسر وجود پاک مریم را فرا گرفت. به قدری این توفان سخت بود که این بار بر دوشش سنگینی می کرد که بی اختیار «گفت: ای کاش پیش از این مرده بودم و بکلی فراموش می شدم»! (قالَتْ یا لَیْتَنِی مِتُ قَبْلَ هذا وَ کُنْتُ نَسْیًا).

بدیهی است تنها ترس تهمتهای آینده نبود که قلب مریم را میفشرد، مشکلات و مصائب دیگر مانند وضع حمل بدون قابله و دوست و یاور، در بیابانهای تنها، نبودن محلی برای استراحت، آبی برای نوشیدن و غذا برای برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۸۶

خوردن، وسیله برای نگاهداری مولود جدید، اینها همه اموری بود که سخت او را تکان میداد.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۲۴ ص: ۸۶

(آیه ۲۴) – اما این حالت زیاد به طول نیانجامید و همان نقطه روشن امید که همواره در اعماق قلبش وجود داشت درخشیدن گرفت «ناگهان از طرف پایین پایش صدا زد که: غمگین مباش! پروردگارت زیر پای تو چشمه آبی (گوارا) قرار داده است» (فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلًا تَحْزَنِی قَدْ جَعَلَ رَبُّکِ تَحْتَکِ سَریًا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۲۵ ص: ۸۶

(آیه ۲۵)– و نظری به بالای سرت بیفکن چگونه ساقه خشکیده به درخت نخل باروری تبدیل شده که میوهها، شاخههایش را زینت بخشیدهانـد «تکانی به این درخت نخل بـده تا رطب تازه بر تو فرو ریزد» (وَ هُزِّی اِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۲۶ ص: ۸۶

(آیه ۲۶)– از این غذای لذیذ و نیرو بخش «بخور، و (از آن آب گوارا) بنوش» (فَکُلِی وَ اشْرَبِی).

«و چشمت را (به این مولود جدید) روشن دار»! (وَ قَرِّی عَیْناً).

و اگر از آینده نگرانی، آسوده خاطر باش «پس هر گاه بشری دیدی (و از تو در این زمینه توضیح خواست) با اشاره بگو: من برای خدای رحمان روزه گرفتهام (روزه سکوت) و به همین دلیل امروز با احدی سخن نمی گویم» (فَإِمَّا تَرَیِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِی إِنِّی نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُکَلِّمَ الْیَوْمَ إِنْسِیًّا).

بنا بر این، از هر نظر آسوده خاطر باش و غم و اندوه به خاطرت راه نیابد.

از تعبیر آیه چنین بر می آید که نذر روزه سکوت برای آن قوم و جمعیت، کار شناخته شدهای بود، به همین دلیل این کار را بر او ایراد نگرفتند. ولی این نوع روزه در شرع اسلام، مشروع نیست.

از امام على بن الحسين (ع) در حديثي چنين نقل شده: «روزه سكوت حرام است».

از امیر مؤمنان علی (ع) میخوانیم که از پیامبر اسلام (ص) نقل میفرماید:

«باید اولین چیزی که زن پس از وضع حمل میخورد رطب باشد». برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۸۷

و از پارهای از روایات استفاده می شود که بهترین غذای زن باردار و داروی او رطب است.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۲۷ ص: ۸۷

(آیه ۲۷)- مسیح در گاهواره سخن می گوید: «سر انجام مریم در حالی که او (کودکش) را در آغوش گرفته بود، نزد قومش آورد» (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ).

هنگامی که آنها کودکی نوزاد را در آغوش او دیدند، دهانشان از تعجب باز ماند، بعضی که در قضاوت و داوری، عجول بودند گفتند: حیف از آن سابقه درخشان، با این آلودگی! و صد حیف از آن دودمان پاکی که این گونه بد نام شد. «گفتند: ای مریم! کار بسیار عجیب و بدی انجام دادی»! (قالُوا یا مَرْیَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَیْئاً فَرِیًا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۲۸ ص: ۸۷

(آیه ۲۸)- بعضی به او رو کردنـد و گفتنـد: «ای خواهر هارون! پـدر تو آدم بدی نبود، مادرت نیز هرگز آلودگی نداشت» (یا أُخْتَ هارُونَ ما کانَ أَبُوکِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما کانَتْ أُمُّکِ بَغِیًّا).

اینکه آنها به مریم گفتنـد: «ای خواهر هارون»! به جهت این است که هارون مرد پاک و صالحی بود، آن چنان که در میان بنی

اسرائیل ضرب المثل شده بود، هر کس را میخواستند به پاکی معرفی کنند میگفتند: او برادر یا خواهر هارون است.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۲۹ ص: ۸۷

(آیه ۲۹)– در این هنگام، مریم به فرمان خدا سکوت کرد، تنها کاری که انجام داد این بود که: «اشاره به نوزادش عیسی کرد» (فَأَشارَتْ إِلَيْهِ). اما این کار بیشتر تعجب آنها را بر انگیخت.

«به او گفتند: ما چگونه با کودکی که در گاهواره است سخن بگوییم»؟! (قالُوا کَیْفَ نُکَلِّمُ مَنْ کانَ فِی الْمَهْدِ صَبِیًّا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۳۰ ص: ۸۷

(آیه ۳۰) - به هر حال، جمعیت از شنیدن این گفتار مریم نگران و حتی شاید عصبانی شدند آن چنان که طبق بعضی از روایات به یکدیگر گفتند: مسخره و استهزاء او، از انحرافش از جاده عفت، بر ما سخت تر و سنگین تر است! ولی این حالت چندان به طول نیانجامید؟ چرا که آن کودک نوزاد زبان به سخن گشود و «گفت: من بنده خدایم» (قال َ إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۸۸

«او كتاب آسماني به من مرحمت كرده» (آتانِيَ الْكِتابَ).

«و مرا پیامبر قرار داده است» (وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا).

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۳۱ ص: ۸۸

(آیه ۳۱)– «و خداونـد مرا وجودی پر برکت (وجودی مفیـد از هر نظر برای بندگان) در هر جا باشم قرار داده است» (وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَیْنَ ما کُنْتُ).

«و مرا تا زندهام توصيه به نماز و زكات كرده است» (وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا).

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۳۲ ص: ۸۸

(آیه ۳۲)- و نیز «مرا نیکو کار و قدر دان و خیر خواه، نسبت به مادرم» قرار داده است (وَ بَرًّا بِوالِدَتِي).

«و مرا جبّار و شقى قرار نداده است» (وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا).

در روایتی میخوانیم که حضرت عیسی (ع) می گوید: «قلب من نرم است و من خود را نزد خود کوچک میدانم» اشاره به این که نقطه مقابل جبّار و شقی این دو وصف است.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۳۳ ص: ۸۸

(آیه ۳۳) – و سر انجام این نوزاد (حضرت مسیح) می گوید: «و سلام و درود خدا بر من باد آن روز که متولد شدم، و آن روز که می میرم، و آن روز که زنده بر انگیخته می شوم» (وَ السَّلامُ عَلَیَّ یَوْمَ وُلِدْتُ وَ یَوْمَ أُمُوتُ وَ یَوْمَ أُبْعَثُ حَیًّا).

این جمله هم در مورد یحیی آمده و هم در مورد حضرت مسیح (ع)، با این تفاوت که در مورد اول خداوند این سخن را

می گوید و در مورد دوم مسیح (ع) این تقاضا را دارد.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۳۴ ص : ۸۸

(آیه ۳۴) - مگر فرزند برای خدا ممکن است؟! بعد از آن که قرآن مجید در آیات گذشته ترسیم بسیار زنده و روشنی از ماجرای تولد حضرت مسیح (ع) کرد به نفی خرافات و سخنان شرک آمیزی که در باره عیسی گفتهاند پرداخته چنین می گوید: «این است عیسی بن مریم» (ذلِکَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ).

مخصوصا در این عبارت روی فرزند مریم بودن او تأکید می کند تا مقدمهای باشد برای نفی فرزندی خدا. و بعد اضافه مینماید: «این قول حقی است که آنها در آن شک و تردید برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۸۹ می کنند» و هر یک در جادهای انحرافی گام نهادند (قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِی فِیهِ یَمْتَرُونَ).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۳۵ ص: ۸۹

(آیه ۳۵)- در این آیه با صراحت می گوید: «هر گز برای خدا شایسته نبود فرزندی انتخاب کند او منزه و پاک از چنین چیزی است» (ما کانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ).

بلکه «او هر گاه چیزی را (اراده کنـد و) فرمان دهـد به آن می گویـد: موجود باش آن نیز موجود میشود» (إِذا قَضـی أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

اشاره به این که: دارا بودن فرزند- آن چنان که مسیحیان در مورد خدا می پندارند- با قداست مقام پروردگار سازگار نیست، از یک سو لازمه آن جسم بودن و از سوی دیگر محدودیت، و از سوی سوم نیاز خداوند است.

تعبیر «کُنْ فَیکُونُ» ترسیم بسیار زندهای از وسعت قدرت خدا و تسلط و حاکمیت او در امر خلقت است.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۳۶ ص: ۸۹

(آیه ۳۶)- آخرین سخن عیسی بعد از معرفی خویش با صفاتی که گفته شد این است که بر مسأله توحید مخصوصا در زمینه عبادت تأکید کرده، می گوید:

«و خداونـد پروردگـار مـن و شـماست. او را پرسـتش كنيـد ايـن است راه راست» (وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُــدُوهُ هـذا صِـراطٌ مُشتَقِيمٌ).

و به این ترتیب مسیح (ع) از آغاز حیات خود با هر گونه شرک و پرستش خدایان دو گانه و چند گانه مبارزه کرد.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۳۷ ص: ۸۹

(آیه ۳۷)– ولی با این همه تأکیدی که مسیح (ع) در زمینه توحید و پرستش خداوند یگانه داشت «بعد از او گروههایی از میان پیروانش اختلاف کردند» و عقاید گوناگونی مخصوصا در باره مسیح ابراز داشتند (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَیْنِهِمْ).

«وای به حال آنها که راه کفر و شرک را پیش گرفتنـد، از مشاهـده روز عظیم رستاخیز» (فَ<u>وَدْلُ</u> لِلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ مَشْـهَدِ یَـوْمِ

عَظِيم).

تاریخ مسیحیت نیز به خوبی گواهی می دهد که آنها تا چه اندازه بعد از حضرت مسیح (ع) در باره او و مسأله توحید اختلاف کردند.

بعضی گفتند: او خداست که به زمین نازل شده است! عدهای را زنده کرده برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۹۰ و عدهای را میرانده سپس به آسمان صعود کرده است! بعضی دیگر گفتند: او فرزند خداست! و بعضی دیگر گفتند: او یکی از

اقانیم سه گانه (سه ذات مقدس) است، اب و ابن و روح القدس (خدای پدر، خدای پسر و روح القدس)! و بعضی دیگر گفتند: او سومین آن سه نفر است: خداوند معبود است، او هم معبود، و مادرش هم معبود! سر انجام بعضی گفتند: او بنده خداست و فرستاده او.

و از آنجا که انحراف از اصل توحید، بزرگترین انحراف مسیحیان محسوب می شود در ذیل آیه فوق دیدیم که چگونه خداوند آنها را تهدید می کند.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۳۸ ص: ۹۰

(آیه ۳۸)- این آیه وضع آنها را در صحنه رستاخیز بیان کرده، می گوید: «آنها در آن روز که نزد ما می آیند چه گوشهای شنوا و چه چشمهایی بینا پیدا می کنند! ولی این ستمگران، امروز که در دنیا هستند در گمراهی آشکارند» (أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ یَوْمَ یَأْتُونَنا لَکِنِ الظَّالِمُونَ الْیَوْمَ فِی ضَلالٍ مُبِینِ).

اصولاً مشاهده آن دادگاه و آثار اعمال، خواب غفلت را از چشم و گوش انسان میبرد، و حتی کور دلان آگاه و دانا میشوند، ولی چه سود که این بیداری و آگاهی به حال آنها مفید نیست.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۳۹ ص: ۹۰

(آیه ۳۹)- بار دیگر روی سر نوشت افراد بی ایمان و ستمگر در آن روز تکیه کرده، می فرماید: «آنان را از روز حسرت [- روز رستاخیز که برای همه مایه تأسف است] بترسان، در آن هنگام که همه چیز پایان می یابد! و آنها در غفلتند و ایمان نمی آورند»! (وَ أَنْذِرْهُمْ یَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِیَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِی غَفْلَةٍ وَ هُمْ لا یُؤْمِنُونَ).

هم نیکو کاران تاسف میخورند ای کاش بیشتر عمل نیک انجام داده بودند و هم بـد کاران چرا که پردهها کنار میرود و حقایق اعمال و نتائج آن بر همه کس آشکار میشود.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۴۰ ص: ۹۰

(آیه ۴۰)- این آیه به همه ظالمان و ستمگران هشدار می دهد این اموالی که در اختیار آنهاست، جاودانی نیست همان گونه که حیات خود آنها هم جاودانی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۹۱

نمیباشـد، بلکه وارث نهـایی همه اینهـا خـداست، میفرمایـد: «مـا زمین و تمـام کسـانی را که بر آن هسـتند به ارث میبریم و همگی سر انجام به سوی ما باز می گردند» (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها وَ إِلَيْنا يُوْجَعُونَ).

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۴۱ ص: ۹۱

(آیه ۴۱)- منطق گیرا و کوبنـده ابراهیم (ع): در اینجـا از قسـمتی از زنـدگانی قهرمـان توحیـد، ابراهیم خلیل پرده بر میدارد و تأکید میکند که دعوت این پیامبر بزرگ- همانند همه رهبران الهی- از نقطه توحید آغاز شده است.

آيه مي گويد: «در اين كتاب [قرآن] از ابراهيم ياد كن» (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ).

«چرا که او مردی بسیار راستگو و تصدیق کننده (تعلیمات و فرمانهای الهی) و نیز پیامبر خدا بود» (إِنَّهُ کانَ صِدِّیقاً نَبِیًّا).

در واقع بارزترین صفتی که در پیامبران و حاملان وحی الهی لازم است همین معنی میباشد که آنها فرمان پروردگار را بی کم و کاست به بندگان خدا برسانند.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۴۲ ص: ۹۱

(آیه ۴۲) - سپس به شرح گفتگوی او با پدرش «آزر» می پردازد - پدر در اینجا اشاره به عمو است - و چنین می گوید: «در آن هنگام که به پدرش گفت: ای پدر چرا چیزی را پرستش می کنی که نمی شنود و نمی بیند و نمی تواند هیچ مشکلی را از تو حل کند» (إِذْ قالَ لِأَبِیهِ یا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا یَسْمَعُ وَ لا یُبْصِرُ وَ لا یُغْنِی عَنْکَ شَیْئاً)

این بیان کوتاه و کوبنده یکی از بهترین دلایل نفی شرک و بت پرستی است چرا که یکی از انگیزه های انسان در مورد شناخت پروردگار انگیزه سود و زیان است که علمای عقاید از آن تعبیر به مسأله «دفع ضرر محتمل» کردهاند.

او می گوید: چرا تو به سراغ معبودی میروی که نه تنها مشکلی از کار تو نمی گشاید بلکه اصلا قدرت شنوایی و بینائی ندارد.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۴۳ ص: ۹۱

(آیه ۴۳)- پس از آن، ابراهیم با منطق روشنی، او را دعوت می کند که در این امر از وی تبعیت کند می گوید: «ای پدر! علم و دانشی نصیب من شده که نصیب تو نشده، بنا بر این، از من پیروی کن (و سخن مرا بشنو) تا تو را به راه راست هدایت کنم» (یا أَبَتِ إِنِّی قَدْ جاءَنِی مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ یَأْتِکُ فَاتَّبِعْنِی أَهْدِکَ صِراطاً سَوِیًا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۹۲ من از طریق وحی الهی آگاهی فراوانی پیدا کرده ام و با اطمینان می توانم بگویم که راه خطا نخواهم پیمود و تو را به راه خطا هرگز دعوت نمی کنم.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۴۴ ص: ۹۲

(آیه ۴۴)- سپس این جنبه اثباتی را با جنبه نفی و آثاری که بر مخالفت این دعوت مترتب می شود تو أم کرده، می گوید: «پدرم! شیطان را پرستش مکن، چرا که شیطان همیشه نسبت به خداوند رحمان، عصیانگر بوده است» (یا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إِنَّ الشَّيْطانَ کانَ لِلرَّحْمنِ عَصِیًًا).

منظور از عبادت در اینجا به معنی اطاعت و پیروی فرمان است که این خود یک نوع از عبادت محسوب می شود.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۴۵ ص: ۹۲

(آیه ۴۵)- بار دیگر او را متوجه عواقب شوم شرک و بت پرستی کرده، می گوید: «ای پدر! من از این می ترسم که (با این شرک و بت پرستی کرده، می گوید: «ای پدر! من از این می ترسم که (با این شرک و بت پرستی که داری) عذابی از ناحیه خداوند رحمان به تو رسد، در نتیجه از دوستان شیطان باشی، (یا أُبَتِ إِنِّی أَخافُ أَنْ یَمَسَّکَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمن فَتَکُونَ لِلشَّیْطانِ وَلِیًّا).

تعبیر ابراهیم در برابر عمویش «آزر» در اینجا بسیار جالب است از یک سو مرتبا او را با خطاب «یا أُبَتِ» (پدرم) که نشانه ادب و احترام است مخاطب میسازد و از سوی دیگر جمله «أَنْ یَمَشَکَ» نشان میدهد که ابراهیم از رسیدن کوچکترین ناراحتی به آزر ناراحت و نگران است.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۴۶ ص: ۹۲

(آیه ۴۶)- نتیجه دوری از شرک و مشرکان: سخنان منطقی ابراهیم در طریق هدایت پدرش گذشت، اکنون نوبت باز گو کردن پاسخهای آزر است تا از مقایسه این دو با یکدیگر، حقیقت و واقعیت آشکار و روشن شود.

قرآن می گوید: نه تنها دلسوزیهای ابراهیم و بیان پر بارش به قلب آزر ننشست بلکه او از شنیدن این سخنان، سخت برآشفت و «گفت: ای ابراهیم! آیا تو از خدایان من روی گردانی»؟ (قالَ أَ راغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِی یا إِبْراهِیمُ).

«اگر از این کار خودداری نکنی بطور قطع تو را سنگسار خواهم کرد» (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ).

«و اكنون از من دور شو» تا ديگر تو را نبينم (وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا).

زیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۹۳

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۴۷ ص: ۹۳

(آیه ۴۷)- ولی با این همه، ابراهیم همانند همه پیامبران و رهبران آسمانی، تسلّط بر اعصاب خویش را همچنان حفظ کرد، و در برابر این تندی و خشونت شدید، با نهایت بزرگواری «گفت: سلام بر تو» (قالَ سَلامٌ عَلَیْکَ).

این «سلام» ممکن است تودیع و خداحافظی باشد که با گفتن آن و چند جمله بعد، ابراهیم، «آزر» را ترک گفت و ممکن است سلامی باشد که به عنوان ترک دعوی گفته می شود.

سپس اضافه کرد: «من بـه زودی برای تـو از پروردگـارم تقاضـای آمرزش میکنم چراکه او نسـبت به من، رحیم و لطیـف و مهربان است» (سَأَسْتَغْفِرُ لَکَ رَبِّی إِنَّهُ کانَ بِی حَفِیًّا).

در واقع ابراهیم در مقابل خشونت و تهدید آزر، مقابله به ضد نمود.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۴۸ ص: ۹۳

(آیه ۴۸) – سپس چنین گفت: «من از شما (از تو و این قوم بت پرست) کناره گیری می کنم، و همچنین از آنچه غیر از خدا میخوانید» یعنی از بتها (وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

«و تنها پروردگارم را میخوانم، و امید است که دعای من در پیشگاه پروردگارم بیپاسخ نماند» (وَ أَدْعُوا رَبِّی عَسی أَلَّا أَکُونَ بدُعاءِ رَبِّی شَقِیًا).

این آیه از یک سو، ادب ابراهیم را در مقابل آزر نشان میدهد، و از سوی دیگر قاطعیت او را در عقیدهاش مشخص می کند.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۴۹ ص: ۹۳

(آیه ۴۹)- ابراهیم به گفته خود وفا کرد و بر سر عقیده خویش با استقامت هر چه تمامتر باقی ماند، همواره منادی توحید بود، هر چند تمام اجتماع فاسد آن روز بر ضد او قیام کردند، اما او سر انجام تنها نماند، پیروان فراوانی در تمام قرون و اعصار پیدا کرد بطوری که همه خدا پرستان جهان به وجودش افتخار می کنند.

قرآن در این زمینه می گوید: «هنگامی که ابراهیم از آن بت پرستان و از آنچه غیر از الله میپرستیدند کناره گیری کرد، اسحاق و (بعد از اسحاق، فرزندش) یعقوب را به او بخشیدیم، و هر یک از آنها را پیامبر بزرگی قرار دادیم» (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَ ما یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ کُلًّا جَعَلْنا نَبِیًّا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۹۴

این موهبت بزرگ، نتیجه آن استقامتی بود که ابراهیم (ع) در راه مبارزه با بتها و کناره گیری از آن آیین باطل از خود نشان داد

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۵۰ ص: ۹۴

(آیه ۵۰)– علاوه بر این، «ما به آنها از رحمت خود بخشیدیم» (وَ وَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا).

رحمت خاصی که ویژه خالصین و مخلصین و مردان مجاهد و مبارز راه خداست.

و سر انجام «برای این پدر و فرزندانش، نام نیک و زبان خیر و مقام بر جسته (در میان همه امتها) قرار دادیم» (وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صدْق عَلِیًّا).

این در حقیقت پاسخی است به تقاضای ابراهیم که در سوره شعراء آیه ۸۴ آمده است: وَ اجْعَلْ لِی لِسانَ صِۃ دْقٍ فِی الْآخِرِینَ «خدایا! برای من نام نیک در امتهای آینده قرار ده».

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۵۱ ص: ۹۴

(آیه ۵۱)- موسی پیامبری مخلص و برگزیده: این آیه و دو آیه بعد اشاره کوتاهی به موسی (ع) دارد که فرزندی است از دودمان ابراهیم.

نخست روی سخن را به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله کرده، می گوید: «و در این کتاب (آسمانی) از موسی یاد کن» (وَ اذْکُرْ فِی الْکِتاب مُوسی).

سپس پنج قسمت از مواهبی را که به این پیامبر بزرگ مرحمت فرمود باز گو می کند:

۱- او به خاطر اطاعت و بندگی خدا به جایی رسید که، پروردگار او را خالص و پاک ساخت به این ترتیب «که او مخلص بود» (إنَّهُ کانَ مُخْلَصاً).

و مسلما کسی که به چنین مقامی برسد از خطر انحراف و آلودگی مصون خواهد بود چرا که شیطان با تمام اصراری که برای منحرف ساختن بندگان خدا دارد خودش اعتراف می کند که قدرت بر گمراه کردن «مخلصین» ندارد.

٢- «و رسول و پيامبرى والا مقام بود» (وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا).

حقیقت رسالت این است که مأموریتی بر عهده کسی بگذارند و او موظف به تبلیغ و ادای آن مأموریت شود، و این مقامی

است که همه پیامبرانی که مأمور بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۹۵ دعوت بودند داشتند.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۵۲ ص: ۹۵

(آیه ۵۲)- سوم: این آیه اشاره به آغاز رسالت موسی کرده، می گوید: «ما او را از طرف راست کوه طور فرا خواندیم» (وَ نادَیْناهُ مِنْ جانِب الطُّورِ الْأَیْمَن).

در آن شب تاریک و پر وحشتی که با همسرش از بیابانهای «مدین» گذشته و به سوی مصر در حرکت بود به همسرش درد وضع حمل دست داد، و گرفتار سرمای شدیدی شد و به دنبال شعله آتشی در حرکت بود، ناگهان برقی از دور درخشید و ندایی برخاست و به موسی (ع) فرمان رسالت داده شد، و این بزرگترین افتخار و شیرین ترین لحظه در عمر او بود.

۴- علاوه بر این «ما او را نزدیک ساختیم و با او سخن گفتیم» (وَ قَرَّبْناهُ نَجِیًّا).

ندای الهی موهبتی بود و تکلّم با او موهبت دیگر.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۵۳ ص: ۹۵

(آیه ۵۳)– پنجم: و سر انجام «از رحمت خود، برادرش هارون را که او نیز پیامبری بود به او بخشیدیم» تا پشتیبان و یار و همکار او باشد (وَ وَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبيًّا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۵۴ ص: ۹۵

(آیه ۵۴)- اسماعیل پیامبر صادق الوعد: در اینجا سخن از «اسماعیل» بزرگترین فرزند ابراهیم، به میان می آورد، و یاد ابراهیم را با یاد فرزندش اسماعیل، و برنامه های او تکمیل می کند، و پنج صفت از صفات بر جسته او را که می تواند برای همگان الگو باشد بیان می کند.

روى سخن را به پيامبر صلّى الله عليه و آله كرده، مى گويد: «و در اين كتاب (آسمانى) از اسماعيل (نيز) ياد كن» (وَ اذْكُرْ فِى الْكِتاب إِسْماعِيلَ).

«كه او در وعده هايش صادق بود» (إنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ).

«و پیامبر عالی مقامی بود» (وَ کَانَ رَسُولًا نَبِیًّا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۵۵ ص: ۹۵

(آیه ۵۵)– «و او همواره خانواده خود را به نماز و زکات، امر میکرد» (وَ کَانَ یَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاهِ وَ الزَّکاهِ). «و همواره مورد رضایت پروردگارش بود» (وَ کانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِیًا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۵۶ ص: ۹۵

(آیه ۵۶)- اینها پیامبران راستین بودند، اما ... در آخرین قسمت از برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۹۶

یاد آوریهای این سوره، سخن از ادریس پیامبر، به میان آمده است.

نخست می گوید: «و در این کتاب (آسمانی قرآن) از ادریس یاد کن که او صدّیق و پیامبر بود» (وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ إِدْرِیسَ إِنَّهُ کانَ صِدِّیقاً نَبِیًا).

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۵۷ ص: ۹۶

(آیه ۵۷)- سپس به مقام بلند پایه او اشاره کرده، می گوید: «و ما او را به مقام بلندی رساندیم» (وَ رَفَعْناهُ مَکاناً عَلِیًّا). منظور، عظمت مقامات معنوی و درجات روحانی این پیامبر بزرگ است.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۵۸ ص: ۹۶

(آیه ۵۸)- سپس به صورت یک جمع بندی از تمام افتخاراتی که در آیات گذشته پیرامون انبیاء بزرگ و صفات و حالات آنها و مواهبی که خداوند آنان را مشمول آنها و مواهبی که خداوند آنان را مشمول نعمت خود قرار داده بود» (أُولئِکَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ).

«که بعضی از فرزندان آدم بودند، و بعضی از فرزندان کسانی که با نوح در کشتی سوار کردیم و بعضی از دودمان ابراهیم و اسرائیل» (مِنْ ذُرِّیَّهِٔ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوح وَ مِنْ ذُرِّیَّهٔ إِبْراهِیمَ وَ إِسْرائِیلَ).

منظور از «ذریه آدم» در این آیه، ادریس است که طبق مشهور، جد نوح پیامبر بود، و منظور از «ذریه کسانی که با نوح بر کشتی سوار شدند» ابراهیم است، زیرا ابراهیم از فرزندان سام فرزند نوح بوده.

و منظور از «ذریه ابراهیم» اسـحاق و اسـماعیل و یعقوب است، و منظور از «ذریه اسـرائیل»، موسـی و هـارون و زکریا و یحیی و عیسی میباشد.

سپس این بحث را با یاد پیروان راستین این پیامبران بزرگ تکمیل کرده، می گوید: «و از کسانی که هدایت کردیم و بر گزیدیم (افرادی هستند که) وقتی آیات خداونـد رحمان بر آنها خوانـده شود به خاک میافتنـد و سـجده می کنند، و سـیلاب اشکشان سرازیر می شود» (وَ مِمَّنْ هَدَیْنا وَ اجْتَبَیْنا إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُکِیًا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۵۹ ص: ۹۶

(آیه ۵۹)- سپس از گروهی که از مکتب انسان ساز انبیاء جـدا شدنـد و پیروانی ناخلف از آب در آمدنـد سـخن می گویـد و قسمتی از اعمال زشت آنها را بر شمرده، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۹۷

می گوید: «بعد از آنها فرزندان ناشایسته ای روی کار آمدند که نماز را ضایع کردند، و از شهوات پیروی نمودند که به زودی (مجازات) گمراهی خود را خواهند دید» (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا).

این جمله ممکن است اشاره به گروهی از بنی اسرائیل باشد که در طریق گمراهی گام نهاده، پیروی از شـهوات را بر ذکر خدا ترجیح دادند.

و منظور از ضایع کردن نماز در اینجا انجام دادن اعمالی است که نماز را در جامعه ضایع کند.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۰ ص: ۹۷

(آیه ۶۰)-از آنجا که برنامه قرآن در همه جا این است که راه باز گشت به سوی ایمان و حق را باز بگذارد در اینجا نیز بعد از ذکر سرنوشت نسلهای ناخلف چنین می گوید: «مگر آنها که توبه کنند و ایمان آورند و عمل صالح انجام دهند، آنها داخل بهشت می شوند و کمترین ظلمی به آنها نخواهد شد» (إِلَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولِئِکَ یَرِدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا یُظْلَمُونَ شَیْئاً).

بنا بر این، چنان نیست که اگر کسی یک روز در شهوات غوطهور شود برای همیشه مهر یأس و نومیدی از رحمت خدا بر پیشانی او کوفته شود، بلکه تا نفسی باقی است و انسان در قید حیات دنیا است، راه باز گشت و توبه باز است.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۱ ص: ۹۷

(آیه ۶۱)- توصیفی از بهشت! در اینجا که از بهشت و نعمتهای آن یاد شده، نخست بهشت موعود را چنین توصیف می کند: «باغهایی است جاودانی که خداوند رحمان، بندگانش را به آن وعده است، و آنها آن را ندیدهاند» ولی به آن ایمان دارند (جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِی وَعَدَ الرَّحْمنُ عِبادَهُ بِالْغَیْبِ).

«مسلما وعده خدا تحقق يافتني است» (إنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۶۲ ص: ۹۷

(آیه ۶۲)- پس از آن به یکی از بزرگترین نعمتهای بهشتی اشاره کرده، می گوید: «آنها هر گز در آنجا سخن لغو و بیهودهای نمی شنوند» (لا یَسْمَعُونَ فِیها لَغْواً).

نه دروغی، نه دشنامی، نه تهمتی نه زخم زبانی، نه سخریهای و نه حتی سخن بیهودهای.

«و جز سلام در آنجا سخنی نیست» (إِلَّا سَلاماً). سلامی که نشانه یک بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۹۸

محيط امن و امان، يک محيط مملوّ از صفا و صميميت و پاکي و تقوا و صلح و آرامش است.

و به دنبال این نعمت به نعمت دیگری اشاره کرده، می گوید: «هر صبح و شام روزی آنها در بهشت در انتظارشان است» (وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِیها بُکْرَهً وَ عَشِیًا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۶۳ ص: ۹۸

(آیه ۶۳) – پس از توصیف اجمالی بهشت و نعمتهای مادی و معنوی آن، بهشتیان را در یک جمله کوتاه معرفی کرده، می گوید: «این همان بهشتی است که به بندگان پرهیزکار به ارث می دهیم» (تِلْکَ الْجَنَّهُ الَّتِی نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ کانَ تَقِیًّا). و به این ترتیب کلید در بهشت با تمام آن نعمتها که گذشت چیزی جز «تقوا» نیست.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۶۴ ص: ۹۸

آیه ۶۴– شأن نزول: جمعی از مفسران چنین آوردهاند که: چند روزی، وحی قطع شد، و جبرئیل پیک وحی الهی به سراغ پیامبر

نیامد، هنگامی که این مدت سپری گشت و جبرئیل بر پیامبر نازل شد، به او فرمود: چرا دیر کردی؟ من بسیار مشتاق تو بودم، جبرئیل گفت: من به تو مشتاق ترم! ولی من بندهای مأمورم هنگامی که مأمور شوم می آیم و هنگامی که دستور نداشته باشم خودداری می کنم.

تفسیر: بندگانیم جان و دل بر کف! آیه از زبان پیک وحی میگوید: «ما جز به فرمان پروردگار تو نازل نمیشویم» (وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّکَ).

همه چیز از اوست و ما بندگانیم جان و دل بر کف «آنچه پیش روی ما و آنچه پشت سر ما، و آنچه در میان این دو است همه از آن اوست» (لَهُ ما بَیْنَ أَیْدِینا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَیْنَ ذلِکَ). خلاصه آینده و گذشته و حال و اینجا و آنجا و همه جا و دنیا و آخرت و برزخ همه متعلق به ذات پاک پروردگار است.

و این را بدان که: «پروردگارت فراموشکار نبوده و نیست» (وَ ما کانَ رَبُّکَ نَسِیًا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۶۵ ص: ۹۸

(آیه ۶۵)– سپس اضافه می کند: اینها همه به فرمان پروردگار توست «پروردگار آسمانها و زمین و آنچه در میان این دو قرار دارد» (رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۹۹

حال که چنین است و همه خطوط به او منتهی می شود، «پس تنها او را پرستش کن» (فَاعْبُدْهُ). عبادتی تو أم با توحید و اخلاص. و از آنجا که در این راه- راه بندگی و اطاعت و عبادت خالصانه خدا- مشکلات و سختیها فراوان است، اضافه می کند: «و در راه عبادت او صابر و شکیبا باش» (وَ اصْطَبرْ لِعِبادَتِهِ).

و در آخرین جمله می گوید: «آیا مثل و مانندی برای او (خداوند) مییابی»؟ (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِیًّا).

این جمله در حقیقت دلیلی است بر آنچه در جمله قبل آمده، یعنی، مگر برای ذات پاکش شریک و مانندی هست که دست به سوی او دراز کنی و او را پرستش نمائی؟!

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۶ ص: ۹۹

! آیه ۶۶- شأن نزول: این آیه و چهار آیه بعد در مورد «ابی بن خلف» یا «ولید بن مغیره» نازل شده که قطعه استخوان پوسیدهای را در دست گرفته بودند و آن را با دست خود نرم می کردند و در برابر باد می پاشیدند، تا هر ذرهای از آن به گوشهای پراکنده گردد، و می گفتند: محمّد را بنگرید که گمان می کند خداوند ما را بعد از مردن و پوسیده شدن استخوانهایمان مثل این استخوان، بار دیگر زنده می کند، چنین چیزی ابدا ممکن نیست! تفسیر: در آیات گذشته بحثهای قابل ملاحظهای در باره رستاخیز و بهشت و دوزخ به میان آمد. در این آیه گفتار منکران معاد را چنین بازگو می کند «و انسان می گوید: آیا هنگامی که من مردم، در آینده زنده می شوم و سر از قبر بر می دارم»؟! (وَ یَقُولُ الْإِنْسانُ أَ إِذا ما مِتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۶۷ ص: ۹۹

(آیه ۶۷)– بلا فاصله با همان لحن و تعبیر به آن پاسخ می گوید: «آیا انسان (این واقعیت را) به یاد نمی آورد که ما او را پیش از این آفریدیم، و او ابدا چیزی نبود»؟! (أَ وَ لا یَذْکُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ یَکُ شَیْئاً).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۶۸ ص: ۹۹

(آیه ۶۸)- در این آیه با لحن بسیار قاطع، منکران معاد و گنهکاران بی ایمان را تهدید کرده، می گوید: «قسم به پروردگارت که ما همه آنها را با شیاطینی (که آنان را برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۰۰

وسوسه می کردند و یا معبودشان بودند، همه را) محشور می کنیم» (فَوَ رَبِّکَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّياطِينَ).

«سپس همه آنها را گردا گرد جهنم در حالی که به زانو در آمدهاند حاضر می کنیم» (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا).

این آیه نشان می دهد که دادگاه افراد بی ایمان و گنهکار در نزدیکی جهنم است!

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۶۹ ص: ۱۰۰

(آیه ۶۹)- و از آنجا که اولویتها در آن دادگاه عدل منظور می شود در این آیه می گوید: ما اول به سراغ سرکش ترین و یاغی ترین افراد می رویم، «سپس ما از هر گروه و جمعیتی افرادی را که از همه در برابر خداوند رحمان سرکش تر بودند جدا می کنیم» (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ کُلِّ شِیعَةٍ أَیُّهُمْ أَشَدُّ عَلَی الرَّحْمنِ عِتِیًّا).

همان بی شرمانی که حتی مواهب خدای «رحمان» را به دست فراموشی سپردند و در برابر ولی نعمت خود به گستاخی، طغیان و یاغیگری برخاستند، آری اینها از همه به آتش دوزخ سزاوارترند!

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷۰ ص: ۱۰۰

(آیه ۷۰)- باز روی این معنی تأکید کرده، می گوید: «سپس ما به خوبی از کسانی که برای سوختن در آتش اولویت دارند آگاهیم» (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِ-الَّذِینَ هُمْ أَوْلی بِها صِلِیًّا). دقیقا آنها را انتخاب می کنیم و در این انتخاب هیچ گونه اشتباهی رخ نخواهد داد.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷۱ ص: ۱۰۰

(آیه ۷۱)- همه وارد جهنم میشوند! همچنان بحث در ویژگیهای رستاخیز و پاداش و کیفر است نخست به مطلبی که شاید شنیدنش برای غالب مردم شگفتانگیز باشد اشاره کرده، می گوید: «و همه شما (بدون استثنا) وارد جهنّم میشوید» (وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها).

«این امری است حتمی و قطعی بر پروردگارت» (کانَ عَلی رَبِّکُ حَتْماً مَقْضِیًّا).

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷۲ ص: ۱۰۰

(آیه ۷۲)- «سپس آنها را که تقوا پیشه کردند از آن نجات میدهیم، و ظالمان و ستمگران را در حالی که (از ضعف و ذلت)

به زانو در آمدهاند در آن رها می کنیم» (ثُمَّ نُنجِی الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِینَ فِیها جِثِیًّا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۰۱ در تفسیر دو آیه فوق باید بگوییم همه انسانها بدون استثناء، نیک و بد، وارد جهنم می شوند، منتها دوزخ بر نیکان سرد و سالم خواهد بود همان گونه که آتش نمرود بر ابراهیم «یا نار کُونِی بَرْداً وَ سَرِلاماً عَلی إِبْراهِیمَ» «۱» چرا که آتش با آنها سنخیت ندارد گویی از آنان دور می شود و فرار می کند، و هر جا آنها قرار می گیرند خاموش می گردد، ولی دوزخیان که تناسب با آتش دوزخ دارند همچون ماده قابل اشتعالی که به آتش برسد فورا شعله ور می شوند.

در حقیقت مشاهده دوزخ و عذابهای آن، مقدمهای خواهد بود که مؤمنان از نعمتهای خدا داد بهشت حد اکثر لذت را ببرند و دوزخیان نیز از مشاهده سلامت بهشتیان مجازات بیشتری میبینند.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷۳ ص: ۱۰۱

(آیه ۷۳)- به دنبال بحثی که در آیات قبل، پیرامون ظالمان بی ایمان شد، در اینجا گوشه ای از منطق و سر نوشت آنها را شرح می دهد.

میدانیم نخستین گروهی که به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله ایمان آوردند مستضعفان پاکدلی بودند که دستشان از مال و منال دنیا تهی بود.

از آنجا که معیار ارزش در جامعه جاهلی آن زمان- همچون هر جامعه جاهلی دیگر- همان زر و زیور و پول و مقام و هیأت ظاهر بود، ثروتمندان ستمکار بر گروه مؤمنان فقیر، فخر فروشی کرده، می گفتند: نشانه شخصیت ما با ماست، و نشانه شخصیت شما همان فقر و محرومیتنان است! این خود دلیل بر حقانیت ما و عدم حقانیت شماست! چنانکه قرآن می گوید: «و هنگامی که آیات روشن ما بر آنها خوانده شود کافران (مغرور و ستمگر) به کسانی که ایمان آوردهاند می گویند کدامیک از دو گروه ما و شما جایگاهش بهتر، جلسات انس و مشورتش زیباتر، و بذل و بخشش او بیشتر است»؟ (وَ إِذَا تُتُلی عَلَيْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلَّذِینَ آمَنُوا أَیُّ الْفَرِیقَیْنِ خَیْرٌ مَقَاماً وَ أَحْسَنُ نَدِیًا).

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷۴ ص: ۱۰۱

(آیه ۷۴)– ولی قرآن با بیانی کاملا مستدل و در عین حال قاطع و کوبنده، به

(١) سوره انبياء (٢١) آيه ۶۹.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۰۲

آنها چنین پاسخ میگوید: اینها گویا فراموش کردهاند تاریخ گذشته بشر را «و چه بسیار اقوامی را پیش از آنان نابود کردیم که هم مال و ثروتشان از آنها بهتر بود، و هم ظاهرشان آراستهتر» (وَ کَمْ أَهْلَکْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثاً وَ رِءْیاً). آیا پول و ثروت آنها و مجالس پر زرق و برق و لباسهای فاخر و چهرههای زیبایشان توانست جلو عذاب الهی را بگیرد؟

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۷۵ ص: ۱۰۲

(آیه ۷۵)- سپس هشدار دیگری به آنها میدهد، که به آنها بگو: گمان نکنید ای ستمگران بیایمان این مال و ثروت شما مایه

رحمت است، بلکه چه بسا، این دلیل عذاب الهی باشد «بگو: کسی که در گمراهی است (و اصرار بر ادامه این راه دارد) باید خداوند به او مهلت دهد» و این زندگی مرفّه همچنان ادامه یابد (قُلْ مَنْ کانَ فِی الضَّلالَهِ فَاْیَه ِدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا). این همان چیزی است که در بعضی از آیات قرآن – مانند آیه ۱۸۲ و ۱۸۳ سوره اعراف – به عنوان مجازات «استدراج» ذکر شده است. «تا زمانی که وعدههای الهی را با چشم خود ببینند یا عذاب (این دنیا) یا (عذاب) قیامت»! (حَتَّی إِذا رَأُوْا ما یُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذابَ وَ إِمَّا السَّاعَةُ).

«پس (آن روز) خواهنـد دانست، چه کسـی مکـان و مجلسـش بـدتر و لشکرش ناتوانتر است»! (فَسَـيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَـرُّ مَکاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۷۶ ص: ۱۰۲

(آیه ۷۶)- این عاقبت و سر نوشت ستمگران و فریفتگان زرق و برق و لذات دنیاست «و اما کسانی که در راه هدایت گام نهادند خداوند بر هدایتشان می افزاید» (وَ یَزِیدُ اللَّهُ الَّذِینَ اهْتَدَوْا هُدئ).

بدیهی است هدایت درجاتی دارد هنگامی که درجات نخستین آن به وسیله انسان پیموده شود خداوند دست او را می گیرد و به درجات عالی تر می برد.

در پایان آیه به آنها که بر زیورهای زود گذرشان در دنیا تکیه کرده، و آن را وسیله تفاخر بر دیگران قرار دادهانـد پاسخ میدهد: «آثار و اعمال صالحی که از انسان باقی میماند در پیشگاه پروردگار تو ثوابش بیشتر و عاقبتش ارزشـمندتر است» (وَ الْباقِیاتُ الصَّالِحاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَواباً وَ خَیْرٌ مَرَدًّا).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۰۳

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷۷ ص: ۱۰۳

(آیه ۷۷) – یک تفکر خرافی و انحرافی! بعضی از مردم معتقدند که ایمان و پاکی و تقوا با آنها سازگار نیست! و سبب می شود که دنیا به آنها پشت کند، در حالی که با بیرون رفتن از محیط ایمان و تقوا، دنیا به آنها رو خواهد کرد، و مال و ثروت آنها زیاد می شود! در عصر و زمان پیامبر – همچون عصر ما – افراد نادانی بودند که چنین پندار خطرناکی داشتند و یا لا اقل تظاهر به آن می کردند.

قرآن در اینجا- به تناسب بحثی که قبلا پیرامون سر نوشت کفار و ظالمان بیان شد- از این طرز فکر و عاقبت آن سخن می گوید.

نخست میفرماید: «آیا دیدی کسی را که به آیات ما کافر شد، و گفت: مسلما اموال و فرزندان فراوانی نصیبم خواهد شد»! (أَ فَرَأَیْتَ الَّذِی کَفَرَ بِآیاتِنا وَ قالَ لَأُوتَیَنَّ مالًا وَ وَلَداً).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۷۸ ص: ۱۰۳

(آیه ۷۸)- سپس قرآن به آنها چنین پاسخ می گوید: «آیا او از اسرار غیب آگاه شده یا از خدا عهد و پیمانی در این زمینه گرفته است»؟! (أَطَّلَعَ الْغَیْبَ أَم اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً). کسی می تواند چنین پیشگویی کند و رابطهای میان کفر و دارا شدن مال و فرزندان قائل شود که آگاه بر غیب باشد، زیرا ما هیچ رابطهای میان این دو نمی بینیم، و یا عهد و پیمانی از خدا گرفته باشد، چنین سخنی نیز بیمعنی است.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۷۹ ص: ۱۰۳

(آیه ۷۹)- بعد با لحن قاطع اضافه می کند: «این چنین نیست (هرگز کفر و بی ایمانی مایه فزونی مال و فرزند کسی نخواهد شد) ما به زودی آنچه را می گوید، می نویسیم» (کَلَّا سَنَکْتُبُ ما یَقُولُ).

آری! این سخنان بیپایه که ممکن است مایه انحراف بعضی از ساده لوحان گردد همه در پرونده اعمال آنها ثبت خواهد شد. «و ما عـذاب خود را بر او مستمر خواهیم داشت» عذابهایی پی در پی و یکی بالای دیگر (وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا). این مال و فرزندان که مایه غرور و گمراهی است، خود عذابی است مستمر برای آنها!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۰۴

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸۰ ص: ۱۰۴

(آیه ۸۰)- «و آنچه را او می گویـد (از اموال و فرزنـدان) از او به ارث میبریم، و روز قیامت تک و تنها نزد ما خواهـد آمد» (وَ نَرثُهُ ما یَقُولُ وَ یَأْتِینا فَوْداً).

آری! سر انجام همه این امکانات مادی را می گذارد و میرود و با دست تهی در آن دادگاه عـدل پروردگار حاضر میشود، در حالی که نامه اعمالش از گناهان سیاه و از حسنات خالی است.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۸۱ ص: ۱۰۴

(آیه ۸۱)- این آیه به یکی دیگر از انگیزه های این افراد در پرستش بتها اشاره کرده، می گوید: «و آنها غیر از خدا معبودانی برای خود انتخاب کرده اند تا مایه عزّتشان باشد» (وَ اتَّخَ نُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَمهٔ لِیَکُونُوا لَهُمْ عِزَّا). و برای آنها در پیشگاه خدا شفاعت کنند، و در مشکلات یاریشان دهند، اما چه پندار نادرست و خیال خامی؟

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۸۲ ص: ۱۰۴

(آیه ۸۲)- «هرگز چنین نیست (که آنها پنداشتند، نه تنها بتها مایه عزّتشان نخواهنـد بود، بلکه سـر چشـمه ذلت و عذابند، و به همین جهت) به زودی (یعنی در روز رسـتاخیز معبودهـا) منکر عبـادت آنان خواهنـد شـد (و از آنها بیزاری میجوینـد بلکه) بر ضدّشان قیام میکنند» (کَلًا سَیَکْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَ یَکُونُونَ عَلَیْهِمْ ضِدًّا).

در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام نقل شده که: «روز قیامت معبودهایی را که جز خدا انتخاب کردند بر ضدّشان خواهند بود و از آنها و از عبادت کردنشان بیزاری میجویند».

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸۳ ص: ۱۰۴

(آیه ۸۳) - در اینجا از این حقیقت بحث می شود که معبودها نه تنها مایه عزتشان نبودند بلکه مایه بـد بختی و ذلتشان گشتند آیه می گویـد: «آیـا ندیـدی که مـا شـیاطین را به سوی کـافران فرستادیم که آنهـا را در راه غلطشـان تحریـک، بلکه زیر و رو می کند» (أَ لَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّیاطِینَ عَلَی الْکافِرینَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا).

تسلط شیاطین بر انسانها یک تسلط اجباری و ناآگاه نیست، بلکه این انسان است که به شیاطین اجازه ورود به درون قلب و جان خود میدهد.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۸۴ ص: ۱۰۴

(آیه ۸۴)- در این آیه روی سخن را به پیامبر (ص) کرده، می گوید: «پس در باره آنها عجله مکن ما تمام اعمال آنها را دقیقا شماره و احصا می کنیم» (فَلا بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۰۵

تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا). و همه را برای آن روز که دادگاه عدل الهی تشکیل میشود، ثبت و ضبط خواهیم کرد. این احتمال نیز در تفسیر آیه وجود دارد که منظور شمردن ایام عمر، بلکه نفسهای آنهاست، یعنی مدت بقاء عمر آنها کوتاه است و تحت شماره و عدد می باشد.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸۵ ص: ۱۰۵

(آیه ۸۵) - سپس مسیر نهایی «متقین» و «مجرمین» را در عباراتی کوتاه و گویا چنین بیان می کند همه این اعمال را برای روزی ذخیره کرده ایم که: «در آن روز پرهیز کاران را دسته جمعی (با عزت و احترام) بسوی خداوند رحمان، (و پاداشهای او) محشور می کنیم ...» (یَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِینَ إِلَی الرَّحْمن وَفْداً).

امام صادق علیه السّد الام می فرماید: علی علیه السّد الام تفسیر این آیه را از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله جویا شد حضرتش فرمود: «ای علی! وفد حتما به کسانی می گویند که سوار بر مرکبند آنها افرادی هستند که تقوا و پرهیز کاری را پیشه ساختند، خدا آنها را دوست داشت و آنان را مخصوص خود گردانید، و از اعمالشان خشنود شد، و نام متقین بر آنها گذارد».

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸۶ ص: ۱۰۵

(آیه ۸۶)- سپس می گوید: در مقابل، «مجرمان را در حالی که تشنه کامند به سوی جهنم میرانیم» (وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَی جَهَنَمَ وِرْداً). همان گونه که شتران تشنه را به سوی آبگاه میرانند، منتها در اینجا آبی نیست بلکه آتش است.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۸۷ ص: ۱۰۵

(آیه ۸۷) - و اگر تصور کنند که در آنجا از طریق شفاعت می توانند به جایی برسند، باید بدانند که «آنها هر گز مالک شفاعت (در آنجا) نیستند» (لا یَمْلِکُونَ الشَّفاءَ هُ). نه کسی از آنها شفاعت می کند، و به طریق اولی قادر بر آن نیستند که از کسی شفاعت کنند.

«مگر کسی که نزد خداوند رحمان عهد و پیمانی دارد» (إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً).

تنها این دستهاند که مشمول شفاعت شافعان می شوند و یا مقامشان از این هم برتر است و توانایی دارند از گنهکارانی که لایق شفاعتند شفاعت کنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۰۶

منظور از عهد هر گونه رابطه با پروردگار و معرفت و اطاعت او، و همچنین ارتباط و پیوند با مکتب اولیای حق، و هر گونه عمل صالح می باشد.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۸۸ ص: ۱۰۶

(آیه ۸۸)– خدا و فرزند داشتن! از آنجا که در آیات پیشین سخن از شرک و پایان کار مشرکان بود، در پایان بحث به یکی از شاخه های شرک یعنی، اعتقاد به وجود فرزند برای خدا اشاره کرده، و زشتی این سخن را با قاطعترین بیان باز گو میکند «و آنها گفتند: خداوند رحمان فرزندی برای خود انتخاب کرده»! (وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً).

نه تنها مسیحیان عقیده داشتند حضرت «مسیح»، فرزند حقیقی خداست که یهودیان نیز در باره «عزیر» و بت پرستان در باره «فرشتگان» چنین اعتقاد...داشتند و آنها را دختران خدا می پنداشتند.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۸۹ ص: ۱۰۶

(آیه ۸۹)– آنگاه با لحنی کوبنده می گوید: «راستی مطلب زشت و زنندهای گفتید»! (لَقَدْ جِئْتُمْ شَیْئاً إِدًّا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۹۰ ص: ۱۰۶

(آیه ۹۰)- از آنجا که چنین نسبت ناروایی مخالف اصل توحید است، گویی تمام عالم هستی که بر پایه توحید بنا شده است از این نسبت ناروا در وحشت و اضطراب فرو میروند.

لذا اضافه مىكند: «نزديك است آسمانها به خاطر اين سخن از هم متلاشى گردد و زمين شكافته شود و كوهها به شدت فرو ريزد»! (تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا).

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۹۱ ص: ۱۰۶

(آیه ۹۱)- باز برای تأکید و بیان اهمیت موضوع می گوید: «به خاطر این که برای خداوند رحمان فرزندی ادعا کردند» (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمن وَلَداً).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۹۲ ص: ۱۰۶

(آیه ۹۲)– اینها در حقیقت خدا را به هیچ وجه نشناختهاند و گر نه میدانستند «هرگز برای خداوند رحمان، سزاوار نیست که فرزندی برگزیند» (وَ ما یَنْبَغِی لِلرَّحْمن أَنْ یَتَّخِذَ وَلَداً).

انسان فرزند را برای یکی از چند چیز میخواهد:

یا به خاطر این است که برای بقاء نسل خود نیاز به تولید مثل دارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۰۷

یا کمک و یار و یاوری می طلبد یا از تنهایی وحشت دارد. اما هیچ یک از این مفاهیم در باره خدا معنی ندارد، نه قدرتش محدود است، نه حیات او پایان می گیرد، نه ضعف و سستی در وجود او راه دارد و نه احساس تنهایی و نه نیاز.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۹۳ ص: ۱۰۷

(آیه ۹۳)– به همین دلیل در این آیه میگوید: «تمام کسانی که در آسمانها و زمین هستند بنده اویند» و سر بر فرمانش (إِنْ کُلُّ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتِی الرَّحْمنِ عَبْداً).

و با این که همه بندگان جان و دل بر کف او هستند، نیازی به اطاعت و فرمانبرداری آنها ندارد بلکه آنها هستند که نیازمندند.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۹۴ ص: ۱۰۷

(آیه ۹۴)- «او همه آنها را شماره کرده و دقیقا تعداد آنها را میداند» (لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا). یعنی هرگز تصور نکنید که با وجود این همه بندگان چگونه ممکن است حساب آنها را داشته باشد.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۹۵ ص: ۱۰۷

(آیه ۹۵)– «و همه آنها روز رستاخیز تک و تنها در محضر او حاضر میشوند» (وَ کُلُّهُمْ آتِیهِ یَوْمَ الْقِیامَةِ فَرْداً).

بنابراین هم مسیح، هم عزیر، هم فرشتگان و هم تمامی انسانها مشمول این حکم عمومی او هستند با این حال چه نازیباست که فرزندی برای او قائل شویم و چه اندازه ذات پاک او را از اوج عظمت به پایین می آوریم.

سورهٔ مریم(۱۹): آیهٔ ۹۶ ص: ۱۰۷

(آیه ۹۶)- ایمان سر چشمه محبوبیت! در این آیه و دو آیه بعد باز هم سخن از مؤمنان با ایمان و نیز ظالمان و ستمگران بی ایمان، و سخن از قرآن و بشارتها و انذارهای آن است.

نخست مىفرمايد: «مسلما كسانى كه ايمان آوردند و كارهاى شايسته انجام دادهاند خداوند رحمان محبتى براى آنان در دلها قرار مىدهد» (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا).

ایمان و عمل صالح بازتابی دارد به وسعت عالم هستی، و شعاع محبوبیت حاصل از آن تمام پهنه آفرینش را فرا می گیرد، ذات پاک خداوند چنین کسانی را دوست دارد، نزد همه اهل آسمان محبوبند، و این محبت در قلوب انسانهایی که در برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۰۸

زمین هستند پرتو افکن می شود.

روایات متعددی در شأن نزول این آیه از پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله نقل شده است که نشان میدهد نخستین بار این آیه در مورد علی علیه السّد الام به عنوان یک نمونه أتمّ و أکمل است و مانع از تعمیم مفهوم آن در مورد همه مؤمنان با سلسله مراتب، نخواهد بود.

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۹۷ ص: ۱۰۸

(آیه ۹۷) – سپس به «قرآن» که سر چشمه پرورش ایمان و عمل صالح است اشاره کرده می گوید: «ما قرآن را بر زبان تو آسان ساختیم، تا پرهیز کاران را به وسیله آن بشارت دهی، و دشمنان سر سخت و لجوج را انذار کنی» (فَإِنَّما یَسَّوْناهُ بِلِسانِکُ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِینَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا).

سورهٔ مریم (۱۹): آیهٔ ۹۸ ص: ۱۰۸

(آیه ۹۸) – آخرین آیه به عنوان دلداری به پیامبر صلّی الله علیه و آله و مؤمنان – مخصوصا با توجه به این نکته که این سوره در مکه نازل شده و در آن روز مسلمانان سخت تحت فشار بودند – و نیز به عنوان تهدید و هشدار به همه دشمنان عنود و لجوج می گوید: «و چه بسیار اقوام بی ایمان و گنهکاری که قبل از اینها هلاک و نابود کردیم (آن چنان محو و نابود شدند که اثری از آنها باقی نماند) آیا تو ای پیامبر! احدی از آنها را احساس می کنی؟ یا کمترین صدایی از آنان می شنوی »؟ (و کَمْ أَهْلَكْنا قُوْنِ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحِدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً).

یعنی این اقوام ستمگر و دشمنان سر سخت حق و حقیقت آن چنان در هم کوبیده شدند که حتی صدای آهستهای از آنان به گوش نمی رسد.

«پایان سوره مریم»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۰۹

سوره طه [۲۰] ص: ۱۰۹

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۱۳۵ آیه است

محتوای سوره: ص: 109

این سوره نیز همانند سایر سورههای «مکّی» بیشتر سخن از «مبدأ» و «معاد» می گوید.

بخش اول: اشاره کوتاهی به عظمت قرآن و بخشی از صفات جلال و جمال پروردگار است.

و در بخش دوم: که بیش از هشتاد آیه را در بر می گیرد از داستان موسی (ع) سخن می گوید.

در سومین بخش: در باره معاد و قسمتی از خصوصیات رستاخیز سخن می گوید.

در بخش چهارم: سخن از قرآن و عظمت آن است.

و در بخش پنجم: سر گذشت آدم و حوّا را در بهشت و سپس ماجرای وسوسه ابلیس و سر انجام هبوط آنها را در زمین، توصیف می کند.

و بالاخره در آخرین قسمت، نصیحت و اندرزهای بیدار کنندهای، برای همه مؤمنان بیان میدارد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 109

در حدیثی از امام صادق (ع) میخوانیم: «تلاوت سوره طه را ترک نکنید چرا که خدا آن را دوست میدارد و دوست میدارد کسانی را که آن را تلاوت کنند، هر کس تلاوت آن را ادامه دهد خداوند در روز قیامت نامه اعمالش را به دست راستش میسپارد، و بدون حساب به بهشت میرود، و در برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۱۰

آخرت آنقدر پاداش به او میدهد که راضی شود».

البته منظور تلاوتی است که مقدمه اندیشه باشد اندیشهای که آثارش در تمام اعمال و گفتار انسان متجلّی شود.

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱ ص: ۱۱۰

(آیه ۱)- باز در آغاز این سوره با حروف مقطعه، رو برو می شویم، که حسّ کنجکاوی انسان را بر می انگیزد «ط، ه» (طه). در حدیثی از امام صادق (ع) می خوانیم «طه» از اسامی پیامبر است و معنی آن یا طالب الحقّ، الهادی الیه «ای کسی که طالب حقی، و هدایت کننده به سوی آنی» است.

«طه» مرکب از دو حرف رمزی است «طا» اشاره به «طالب الحق» و «ها» اشاره به «هادی الیه» میباشد، میدانیم استفاده از حروف رمزی و علایم اختصاری در زمان گذشته و حال، فراوان بوده است، مخصوصا در عصر ما بسیار مورد استفاده است. و کلمه «طه» مانند «یس» بر اثر گذشت زمان، تدریجا به صورت «اسم خاص» برای پیامبر اسلام (ص) در آمده است، تا آنجا که آل پیامبر (ص) را نیز «آل طه» می گویند، و از حضرت مهدی - عج - در دعای ندبه «یابن طه» تعبیر شده است.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲ ص: ۱۱۰

اشاره

(آیه ۲)

شأن نزول: ص: 110

پیامبر (ص) بعد از نزول وحی و قرآن، بسیار عبادت می کرد، مخصوصا ایستاده به عبادت مشغول می شد، آنقدر که پاهای او متورم می گردید- آیه نازل شد و به پیامبر دستور داد که این همه رنج و ناراحتی بر خود تحمیل نکن.

تفسير: ص: ١١٠

در این آیه روی سخن را به پیامبر کرده، میفرماید: «ما قرآن را بر تو نازل نکردیم که خود را به زحمت بیفکنی» (ما أُنْزَلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقی).

درست است که عبادت از بهترین کارهاست، ولی هر کار حسابی دارد، نبایـد آن قـدر بر خود تحمیل کنی که پاهایت متورم

گردد و نیرویت برای تبلیغ و جهاد کم شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۱۱

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳ ص: ۱۱۱

(آیه ۳)- در این آیه هدف نزول قرآن را چنین شرح میدهد: ما قرآن را «جز برای یادآوری کسانی که از خدا می ترسند» نازل نکردیم (إلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى).

تعبیر «من یخشی» نشان می دهد تا یک نوع احساس مسؤولیت (خشیت و ترس) در آدمی نباشد، پذیرای حقایق نخواهد شد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴ ص: ۱۱۱

(آیه ۴)- سپس به معرفی خداوندی که «نازل کننده قرآن» است میپردازد، تا از طریق شناخت او، عظمت قرآن آشکارتر شود، می گوید: «این قرآن از سوی کسی نازل شده که خالق زمین و آسمانهای بلند و بر افراشته است» (تَنْزِیلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّماواتِ الْعُلی).

در حقیقت این توصیف، اشاره به ابتدا و انتهای نزول قرآن می کند، انتهای آن زمین و ابتدایش آسمانهاست.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵ ص: ۱۱۱

(آیه ۵)- باز به معرفی پروردگار نازل کننـده قرآن ادامه داده، میگوید: او خداوندی است «رحمان که فیض رحمتش همه جا را فرا گرفته، و بر عرش مسلط است» (الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْش اسْتَوى).

جمله فوق کنایه از تسلط پروردگار و احاطه کامل او نسبت به جهان هستی و نفوذ امر و فرمان و تدبیرش در سراسر عالم است.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۶ ص: ۱۱۱

(آیه ۶)- به دنبال «حاکمیت» خدا بر عالم هستی از «مالکیت» او سخن می گوید: «از آن اوست آنچه در آسمانها، و آنچه در زمین، و آنچه میان این دو، و آنچه در زیر خاک (پنهان) است» (لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّری).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷ ص: ۱۱۱

(آیه ۷)- در این آیه به چهارمین رکن یعنی «عالمیت» او اشاره کرده، می گوید: او آن قدر احاطه علمی دارد که «اگر سخن آشکارا بگویی (یا مخفی کنی) او اسرار- و حتی پنهان تر از آن- را نیز میداند» (وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸ ص: ۱۱۱

(آیه ۸)- از مجموع آیات فوق شناخت اجمالی نسبت به نازل کننده قرآن در ابعاد چهار گانه «خلقت» و «حکومت» و «مالکیت» و «علم» حاصل می گردد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۱۲

و شاید به همین جهت است که در این آیه می گوید: «او الله است همان خداوندی که معبودی جز او نیست برای او نامها و صفات نیک است» (اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْني).

«اسماء الحسنی» به معنی نامهای نیک است و بدیهی است که همه نامهای پروردگار نیک است ولی از آنجا که در میان اسماء و صفات خدا بعضی دارای اهمیت بیشتری است، به عنوان «اسماء حسنی» نامیده شده است.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۹ ص: ۱۱۲

(آیه ۹)- آتشی در آن سوی بیابان! از اینجا داستان موسی، پیامبر بزرگ خدا شروع می شود و در بیش از هشتاد آیه بخشهای مهمی از سر گذشت پر ماجرای او تشریح می گردد، تا دلداری و تسلیت خاطری باشد برای پیامبر (ص) و مؤمنان که در آن ایام در مکه، سخت از سوی دشمنان در فشار بودند.

این آیات را می توان به چهار بخش تقسیم کرد:

بخش اول: از آغاز نبوت و بعثت موسى و اولين جرقههاى وحى سخن گفته.

بخش دوم: از دعوت موسى و برادرش هارون نسبت به فرعون و فرعونیان به آیین یکتا پرستى سخن مى گوید.

بخش سوم: از خروج موسی و بنی اسرائیل از مصر و چگونگی نجات آنها از چنگال فرعون و فرعونیان بحث می کند.

بخش چهارم: پیرامون گرایش تند انحرافی بنی اسرائیل از آیین توحید به شرک و پذیرش وسوسههای سامری سخن می گوید. در این آیه روی سخن را به پیامبر کرده، می گوید: «و آیا خبر موسی به تو رسیده است»؟! (وَ هَلْ أَتاکَ حَدِیثُ مُوسی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۰ ص: ۱۱۲

(آیه ۱۰)- سپس می گوید: «در آن زمان که آتشی (از دور) مشاهده کرد و به خانواده خود گفت اندکی مکث کنید که من آتشی دیدم (به سراغ آن بروم) شاید شعلهای از آن برای شما بیاورم و یا به وسیله این آتش راهی پیدا کنم» (إِذْ رَأَی ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّی آنَسْتُ ناراً لَعَلِّی آتیکُمْ مِنْها بِقَبَسِ أَوْ أَجِدُ عَلَی النَّارِ هُدیً).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱ ص: ۱۱۲

(آیه ۱۱)- «پس هنگامی که موسی نزد آتش آمد، صدایی شنید که (او را برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۱۳ مخاطب ساخته) می گوید: ای موسی»! (فَلَمَّا أَتاها نُودِیَ یا مُوسی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۲ ص: ۱۱۳

(آیه ۱۲)– «من پروردگار توام، کفشـهایت را بیرون آر، که تو در سـرزمین مقـدس طوی هستی» (اِنِّی أَنَـا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُویً). موسی با شنیدن این ندای روحپرور: «من پروردگار توام» هیجان زده شد و لذت غیر قابل توصیفی سر تا پایش را احاطه کرد. او مأمور شد تا کفش خود را از پای در آورد، چرا که در سر زمین مقدسی گام نهاده، سر زمینی که نور الهی بر آن جلوه گر است، پیام خدا را در آن می شنود و پذیرای مسؤولیت رسالت می شود، باید با نهایت خضوع و تواضع در این سر زمین گام نهد، این است دلیل بیرون آوردن کفش از پا.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۳ ص: ۱۱۳

(آیه ۱۳)– سپس از همان گوینده این سخن را نیز شنید: «و من تو را برای مقام رسالت بر گزیدهام، پس اکنون به آنچه به تو وحی می شود گوش فرا ده»! (وَ أَنَا اخْتَرْتُکَ فَاسْتَمِعْ لِما یُوحی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۴ ص: ۱۱۳

(آیه ۱۴)- و به دنبال آن نخستین جمله وحی را موسی به این صورت دریافت کرد «من الله هستم، معبودی جز من نیست» (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا).

«اكنون (كه چنين است) تنها مرا عبادت كن» (فَاعْبُدْنِي). عبادتي خالص از هر گونه شرك.

«و نماز را بر پای دار، تا همیشه به یاد من باشی» (وَ أَقِم الصَّلاةَ لِذِكْرِی).

در این آیه پس از بیان مهمترین اصل دعوت انبیاء که مسأله توحید است موضوع عبادت خداوند یگانه به عنوان یک ثمره برای درخت ایمان و توحید بیان شده، و به دنبال آن دستور به نماز، یعنی بزرگترین عبادت و مهمترین پیوند خلق با خالق و مؤثر ترین راه برای فراموش نکردن ذات پاک او داده شده.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۵ ص: ۱۱۳

(آیه ۱۵) - و از آنجا که بعد از ذکر «توحید» و شاخ و برگهای آن، دومین اصل اساسی مسأله «معاد» است در این آیه اضافه می کند: «رستاخیز بطور قطع خواهد آمد، من میخواهم آن را پنهان کنم، تا هر کس در برابر سعی و کوششهایش جزا ببیند» (إِنَّ السَّاعَةُ آتِيَةٌ أَکادُ أُخْفِيها لِتُجْزی کُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۱۴

علت مخفی نگاه داشتن تاریخ قیامت، طبق آیه فوق آن است که «خداونید میخواهید هر کسی را به تلاش و کوششهایش پاداش دهد» و یک نوع آزادی عمل برای همگان پیدا شود.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۶ ص: ۱۱۴

(آیه ۱۶) - در این آیه به یک اصل اساسی که ضامن اجرای همه برنامه های عقیدتی و تربیتی فوق است اشاره کرده، می فرماید: «پس مبادا کسی که به آن ایمان ندارد و از هوسهای خویش پیروی می کند، تو را از آن باز دارد که هلاک خواهی شد»! (فَلا یَصُدَّنَکَ عَنْها مَنْ لا یُؤْمِنُ بِها وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَتَرْدی).

در برابر افراد بیایمان و وسوسهها و کار شکنیهای آنان محکم بایست، نه از انبوه آنها و توطئههایشان وحشت کن، و نه در

حقانیت دعوت و اصالت مکتبت از این هیاهوها شک و تردیدی داشته باش.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۷ ص: ۱۱۴

(آیه ۱۷)- عصای موسی و ید بیضا! بدون شک پیامبران برای اثبات ارتباط خود با خدا نیاز به معجزه دارند و گر نه هر کس می تواند ادعای پیامبری کند.

موسسی (ع) پس از دریافت فرمان نبوت بایـد سـند آن را هم دریافت دارد، لـذا در همان شب پر خاطره، موسـی (ع) دو معجزه بزرگ از خدا دریافت داشت.

قرآن این ماجرا را چنین بیان می کند: «و چه چیز در دست راست توست ای موسی»؟ (وَ ما تِلْکُ بِیَمِینِکُ یا مُوسی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۸ ص: ۱۱۴

(آیه ۱۸)– موسی در پاسخ «گفت: این (قطعه چوب) عصای من است» (قالَ هِیَ عَصایَ).

و از آنجا که مایل بود سخنش را با محبوب خود که برای نخستین بار در را به روی او گشوده است ادامه دهـد، و نیز از آنجا که شاید فکر می کرد تنها گفتن این عصای من است کافی نباشد، بلکه منظور باز گو کردن آثار و فواید آن است، اضافه کرد: «من بر آن تکیه می کنم» (أُتَوَکَّوُا عَلَيْها).

«و برگ درختان را با آن برای گوسفندانم فرو میریزم» (وَ أَهُشُّ بِها عَلی غَنَمِی). «علاوه بر این فواید و نیازهای دیگری نیز در آن دارم» (وَ لِیَ فِیها مَآرِبُ أُخْری). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۱۵

موسى در تعجب عميقى فرو رفته بود، اين چه سؤالى است و من چه جوابى دارم مى گويم.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۹ ص: ۱۱۵

(آیه ۱۹)- ناگهان «به او فرمان داد: ای موسی عصایت را بیفکن»! (قالَ أُلْقِها یا مُوسی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۰ ص: ۱۱۵

(آیه ۲۰)- «موسی فورا (و بـدون فوت وقت) عصا را افکند، ناگهان مار عظیمی شد و شـروع به حرکت کرد» (فَأَلْقاها فَإِذا هِیَ حَتَّهُ تَسْعی).

سورة طه(۲۰): آية ۲۱ ص: ۱۱۵

(آیه ۲۱)- در اینجا «به موسی فرمود: آن را بگیر، و نترس، ما آن را به همان صورت نخستین باز می گردانیم»! (قالَ خُـذْها وَ لا تَخَفْ سَنُعِیدُها سِیرَتَهَا الْأُولی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۲ ص: ۱۱۵

(آیه ۲۲)- سپس به دومین معجزه مهم موسی اشاره کرده به او دستور میدهد: «و دستت را به گریبانت ببر، تا سفید و بیعیب بیرون آید، این نشانه دیگری (از سوی خداوند) است» (وَ اضْمُمْ یَدَکَ إِلی جَناحِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ آیَةً أُخْری).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۳ ص: ۱۱۵

(آیه ۲۳)– در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری از آنچه در آیات قبل بیان شـد میفرمایـد: ما اینها را در اختیار تو قرار دادیم «تا آیات بزرگ خود را به تو نشان دهیم» (لِنُرِیکَ مِنْ آیاتِنَا الْکُبْری).

منظور از «آیات کبری» همان دو معجزه مهمّی است که در بالا آمد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۴ ص: ۱۱۵

(آیه ۲۴)- خواسته های حساب شده موسی: از این به بعد فرمان رسالت به نام موسی صادر می شود، رسالتی بسیار عظیم و سنگین، رسالتی که از ابلاغ فرمان الهی به زورمند ترین و خطرناکترین مردم محیط شروع می شود، می فرماید: «به سوی فرعون برو که طغیان کرده است»! (اذْهَبْ إِلی فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغی).

طغیان یعنی تجاوز از حد و مرز در تمام ابعاد زندگی و به همین جهت به این گونه افراد «طاغوت» گفته میشود.

آری! برای اصلاح یک محیط فاسد و ایجاد یک انقلاب همه جانبه باید از سردمداران فساد و ائمه کفر شروع کرد از آنها که در تمام ارکان جامعه نقش دارند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۱۶

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۵ ص: ۱۱۶

(آیه ۲۵)– موسی (ع) نه تنها از چنین مأموریت سنگینی وحشت نکرد، و حتی کمترین تخفیفی از خداونـد نخواست، بلکه با آغوش باز از آن استقبال نمود، منتهی وسایل پیروزی در این مأموریت را از خدا خواست.

و از آنجا که نخستین وسیله پیروزی روح بزرگ، فکر بلنـد و عقـل توانا و به عبارت دیگر گشادگی سینه است «عرض کرد: پروردگار من! سینه مرا گشاده بدار» (قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۶ ص: ۱۱۶

(آیه ۲۶)- و از آنجا که این راه مشکلات فراوانی دارد که جز به لطف خدا گشوده نمی شود در مرحله دوم از خدا تقاضا کرد که کارها را بر او آسان گرداند و مشکلات را از سر راهش بردارد، عرض کرد «و کار مرا آسان گردان» (وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۷ ص: ۱۱۶

(آیه ۲۷) – سپس موسی تقاضای قدرت بیان هر چه بیشتر کرد و عرضه داشت: «و گره از زبانم بگشا» (وَ احْلُـلْ عُقْـدَهٔ مِنْ لِسانِی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۲۸ ص: ۱۱۶

(آیه ۲۸)– و مخصوصا علت آن را چنین بیان کرد: «تا سخنان مرا درک کنند» (یَفْقَهُوا قَوْلِی).

این جمله در حقیقت، آیه قبل را تفسیر می کند. یعنی، آن چنان فصیح و بلیغ و رسا و گویا سخن بگویم که هر شنوندهای منظور مرا به خوبی درک کند.

سورة طه(٢٠): آية ٢٩ ص: ١١٦

(آیه ۲۹) – و از آنجا که رساندن این بـار سـنگین به مقصـد (بـار رسـالت پروردگـار و رهبری انسانهـا و مبـارزه بـا طاغوتها و جباران) نیاز به یار و یاور دارد، و به تنهایی ممکن نیست، چهارمین تقاضای موسی (ع) از پروردگار این بود: «و خداوندا! وزیر و یاوری از خاندانم برای من قرار ده» (وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۰ ص: ۱۱۶

(آیه ۳۰)- سپس مخصوصا انگشت روی برادر خویش گذاشت و عرضه داشت: «برادرم هارون را» (هارُونَ أَخِی).

هارون، برادر بزرگتر موسی بود و سه سال با او فاصله سنی داشت، قامتی بلنـد و رسا و زبانی گویا و درک عالی داشت سـه سال قبل از وفات موسی، دنیا را ترک گفت.

او نیز از پیامبران مرسل بود، که خداوند از باب رحمتش به موسی بخشید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۱۷

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۱ ص: ۱۱۷

(آیه ۳۱)– سپس موسی هدف خود را از تعیین هارون به وزارت و معاونت چنین بیان می کند: خداوندا! «پشتم را با او محکم کن» (اشْدُدْ بِهِ أَزْرِی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۲ ص: ۱۱۷

(آیه ۳۲) - و برای تکمیل این مقصد، تقاضا می کند: «و او را در کار من شریک گردان» (وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی). هم شریک در مقام رسالت باشد، و هم در پیاده کرده این برنامه بزرگ شرکت جوید، ولی به هر حال او پیرو موسی در تمام برنامهها بود و موسی امام و پیشوای او.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۳ ص: ۱۱۷

(آیه ۳۳)– سر انجام نتیجه خواسته های خود را چنین بیان می کند: «تا تو را بسیار تسبیح گوییم» (کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثیراً).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۴ ص: ۱۱۷

(آیه ۳۴)- «و تو را بسیار یاد کنیم» (وَ نَذْكُرَكَ كَثِیراً).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۵ ص: ۱۱۷

(آیه ۳۵)- چرا که «تو همیشه از حال ما آگاه بودهای» (إِنَّکُ کُنْتَ بِنا بَصِیراً).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۶ ص: ۱۱۷

(آیه ۳۶)- از آنجا که موسی در این تقاضاهای مخلصانهاش نظری جز خدمت بیشتر و کاملتر نداشت، خداوند تقاضای او را در همان وقت اجابت فرمود «به او گفت: آنچه را خواسته بودی به تو داده شد ای موسی»! (قالَ قَدْ أُوتِیتَ سُؤْلَکُ یا مُوسی). در واقع در این لحظات حساس و سرنوشتساز هر چه لازم داشت یکجا از خدا در خواست کرد، و او نیز میهمانش را گرامی داشت و همه خواسته های او را در یک جمله کوتاه با ندایی حیاتبخش اجابت کرده بی آنکه در آن قید و شرط یا چون و چرایی کند.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۷ ص: ۱۱۷

(آیه ۳۷) - چه خدای مهربانی! در اینجا خداوند به یکی دیگر از فصول زندگانی موسی (ع) اشاره می کند که مربوط به دوران کودکی او و نجات اعجاز آمیزش از چنگال خشم فرعونیان است، این فصل گر چه از نظر تسلسل تاریخی قبل از فصل رسالت و نبوت بوده، اما چون به عنوان شاهد برای شمول نعمتهای خداوند، نسبت به موسی (ع) از آغاز عمر، ذکر شده، در درجه دوم اهمیت نسبت به موضوع رسالت می باشد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۱۸

نخست می گوید: «ای موسی! ما بار دیگر نیز بر تو منت گذاردیم، و تو را مشمول نعمتهای خویش ساختیم» (وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَیْکَ مَرَّهٔ أُخْری).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۸ ص: ۱۱۸

(آیه ۳۸)– بعد از ذکر این اجمال به شرح و بسط آن می پردازد، می گوید:

«در آن هنگام که وحی کردیم به مادر تو آنچه باید وحی شود» (إِذْ أَوْحَيْنا إِلَى أُمِّکُ ما يُوحی).

اشاره به این که: تمام خطوطی که منتهی به نجات موسی (ع) از چنگال فرعونیان در آن روز می شد همه را به مادرت تعلیم دادیم:

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۳۹ ص: ۱۱۸

(آیه ۳۹)- فرعون برای جلوگیری از به وجود آمدن فرزندی که پیش بینی کرده بودند از بنی اسرائیل بر میخیزد و دستگاه فرعون را در هم میکوبد، دستور داده بود پسران آنها را به قتل برسانند، و دختران را برای کنیزی و خدمتگزاری زنده نگهدارند.

به هر حال مادر احساس می کند که جان نوزادش در خطر است. در این هنگام خدایی که این کودک را برای قیامی بزرگ نامزد کرده است، به قلب مادر موسی چنین الهام کرد: «او را در صندوقی بیفکن، سپس آن صندوق را به دریا بینداز»! (أَنِ اقْذِفِیهِ فِی التَّابُوتِ فَاقْذِفِیهِ فِی الْیَمِّ).

کلمه «تابوت» به معنی صندوق چوبی است و به عکس آنچه بعضی می پندارند همیشه به معنی صندوقی که مردگان را در آن می نهند نیست.

سپس اضافه می کنـد: «دریـا مأمور است که آن را به ساحل بیفکنـد، تا سـر انجام دشـمن من و دشـمن او وی را بر گیرد» و در دامان خویش پرورش دهد! (فَلْیُلْقِهِ الْیَمُّ بِالسَّاحِل یَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِی وَ عَدُوٌّ لَهُ).

و از آنجا که موسی (ع) باید در این راه پر فراز و نشیب که در پیش دارد در یک سپر حفاظتی قرار گیرد، خداوند پرتوی از محبت خود را بر او میافکند آن چنان که هر کس وی را ببیند دلباخته او میشود، نه تنها به کشتن او راضی نخواهد بود بلکه راضی نمیشود که مویی از سرش کم شود! آن چنانکه قرآن می گوید: «و من محبتی از خودم بر تو افکندم» (وَ أَلْقَیْتُ عَلَیْکُ مَحَبَّهً مِنِّی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۱۹

می گویند: قابله موسی از فرعونیان بود و تصمیم داشت گزارش تولد او را به دستگاه جبّار فرعون بدهد، اما نخستین بار که چشمش در چشم نوزاد افتاد گویی برقی از چشم او جستن کرد که اعماق قلب قابله را روشن ساخت، و رشته محبت او را در گردنش افکند و هر گونه فکر بدی را از مغز او دور ساخت! در پایان این آیه می فرماید: «هدف این بود که در پیشگاه من و در برابر دیدگان (علم) من پرورش یابی» (وَ لِتُصْنَعَ عَلی عَیْنِی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۰ ص: ۱۱۹

(آیه ۴۰)- کاخ فرعون بر گوشهای از شط نیل ساخته شده بود، در حالی که فرعون و همسرش در کنار آب به تماشای امواج مشغول بودند، ناگهان این صندوق مرموز توجه آنها را به خود جلب کرد، به مأموران دستور داد صندوق را از آب بگیرند، هنگامی که در صندوق گشوده شد با کمال تعجب نوزاد زیبایی را در آن دیدند، چیزی که شاید حتی احتمال آن را نمی دادند.

فرعون متوجه شد که این نوزاد باید از بنی اسرائیل باشد که از ترس مأموران به چنین سرنوشتی گرفتار شده است و دستور کشتن او را صادر کرد، ولی همسرش که «نازا» بود سخت به کودک دل بست و شعاع مرموزی که از چشم نوزاد جستن نمود در زوایای قلب آن زن نفوذ کرد، و او را مجذوب و فریفته خود ساخت.

دست به دامن فرعون زد و در حالی که از این کودک به نور چشمان (قُرَّتُ عَیْنِ) تعبیر مینمود، تقاضا کرد از کشتنش صرف نظر شود. و بالاخره موفق شد سخن خود را به کرسی بنشاند.

اما از سوی دیگر کودک گرسنه شده و شیر میخواهد، گریه میکند اشک میریزد. ولی هر دایهای آوردند نوزاد، پستان او را نگرفت.

اكنون بقيه داستان را از زبان قرآن ميخوانيم:

آری! ای موسی ما مقدر کرده بودیم که در برابر دیدگان (علم) ما پرورش بیابی «در آن هنگام که خواهرت (در نزدیکی کاخ فرعون) راه میرفت» (إِذْ تَمْشِی أُخْتُکَ). و به دستور مادر، مراقب اوضاع و سر نوشت تو بود. او به مأموران فرعون «می گفت: آیا زنی را به شما معرفی بکنم که توانایی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۲۰ سر پرستی این نوزاد را دارد»؟ (فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلی مَنْ یَكْفُلُهُ).

و شاید اضافه کرد: این زن شیر پاکی دارد که من مطمئنم نوزاد آن را پذیرا خواهد شد.

مأموران خوشحال شدند به همراه او حركت كردند.

خواهر موسی که خود را به صورت فردی ناشناس و بیگانه، نشان میداد، مادر را از جریان امر آگاه کرد، مادر نیز بی آنکه خونسردی خود را از دست دهد، به دربار فرعون آمد، کودک را به دامن او انداختند کودک بوی مادر را شنید، بویی آشنا، ناگهان پستان او را همچون جان شیرین در بر گرفت و با عشق و علاقه بسیار، مشغول نوشیدن شیر شد، غریو شادی از حاضران برخاست و آثار خشنودی و شوق در چشمان همسر فرعون نمایان شد.

فرعون کودک را به او سپرد، و همسرش تأکید فراوان نسبت به حفظ و حراست او کرد، و دستور داد در فاصلهای کوتاه کودک را به نظر او برساند.

اینجاست که قرآن می گوید: «پس ما تو را به مادرت باز گرداندیم تا چشمش به تو روشن شود، و غم و اندوهی به خود راه ندهد» (فَرَجَعْناکَ إِلَى أُمِّکَ کَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ).

سالها گذشت، و موسی (ع) در میان هالهای از لطف و محبت خداوند و محیطی امن و امان پرورش یافت، کم کم به صورت نوجوانی در آمد.

روزی از راهی عبور می کرد دو نفر را در برابر خود به جنگ و نزاع مشغول دیـد که یکی از بنی اسـرائیل و دیگری از قبطیان (مصـریان و هواخواهان فرعون) بود، موسـی به کمک مظلوم که از بنی اسـرائیل بود شتافت و برای دفاع از او، مشتی محکم بر پیکر مرد قبطی وارد آورد، اما این دفاع از مظلوم به جای باریکی رسید، و همان یک مشت کار قبطی را ساخت.

موسی طبق توصیه بعضی از دوستانش، مخفیانه از مصر بیرون آمد و به سوی مدین شتافت و در آنجا محیطی امن و امان در کنار شعیب پیغمبر که شرح آن به خواست خدا در تفسیر سوره قصص خواهد آمد پیدا کرد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۲۱

اینجاست که قرآن می گوید: «و تو یکی (از فرعونیان) را کشتی (و در اندوه فرو رفتی) اما ما تو را از غم و اندوه رهایی بخشیدیم» (وَ قَتلْتَ نَفْساً فَنَجَیْناکَ مِنَ الْغَمِّ).

و پس از آن «بارها تو را (در كورههاى حوادث) آزموديم» (وَ فَتَنَّاكُ فُتُوناً).

«پس از آن سالیانی در میان مردم مدین توقف نمودی» (فَلَبِثْتَ سِنِینَ فِی أَهْلِ مَدْینَ).

و بعد از پیمودن این راه طولانی و آمادگی روحی و جسمی و بیرون آمدن از کوره حوادث با سر افرازی و پیروزی «سپس در زمانی که برای گرفتن فرمان رسالت مقدّر بود به اینجا آمدی ای موسی!» (ثُمَّ جِئْتَ عَلی قَدَرٍ یا مُوسی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۱ ص: ۱۲۱

(آیه ۴۱)– سپس اضافه می کند: «من تو را برای خودم پرورش دادم و ساختم» (وَ اصْطَنَعْتُکُ لِنَفْسِی).

برای وظیفه سنگین دریافت وحی، برای قبول رسالت، برای همدایت و رهمبری بنمدگانم، تو را پرورش دادم و در کورانهای حوادث آزمودم و نیرو و توان بخشیدم و اکنون که این مأموریت بزرگ بر دوش تو گذارده می شود از هر نظر ساخته شدهای!

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۲ ص: ۱۲۱

(آیه ۴۲)- نخستین برخورد با فرعون جبّار: اکنون که همه چیز رو به راه شده، و تمام وسایل لازم در اختیار موسی قرار گرفته، او و برادرش هارون هر دو را با هم مخاطب ساخته، می گوید: «تو و برادرت با آیات من که در اختیارتان گذاردهام بروید» (اذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بآیاتِی).

آیاتی که هم شامل دو معجزه بزرگ موسی میشود، و هم سایر نشانههای پروردگار و تعلیمات و برنامههایی که خود نیز بیانگر حقانیت دعوت اوست.

و برای تقویت روحیه آنها و تأکید بر تلاش و کوشش هر چه بیشتر، اضافه می کند:

«و در ذکر و یاد من و اجرای فرمانهایم سستی به خرج ندهید» (وَ لا تَنِیا فِی ذِكْرِی).

چرا که سستی و ترک قاطعیت تمام زحمات شما را بر باد خواهد داد، محکم بایستید و از هیچ حادثهای نهراسید، و در برابر هیچ قدرتی، سست نشوید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۲۲

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۳ ص: ۱۲۲

(آیه ۴۳) – بعد از آن، هدف اصلی این حرکت و نقطهای را که باید به سوی آن جهت گیری شود، مشخص ساخته، می گوید: «به سوی فرعون بروید، چرا که او طغیان کرده است» (اذْهَبا إِلی فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغی).

عامل تمام بد بختیهای این سرزمین پهناور اوست، چرا که عامل پیشرفت یا عقبافتادگی، خوشبختی یا بد بختی یک ملت، قبل از هر چیز، رهبران و سردمداران آن ملت است.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۴ ص: ۱۲۲

(آیه ۴۴)– سپس طرز برخورد مؤثر با فرعون را در آغاز کار به این شرح، بیان میفرماید: برای این که بتوانید در او نفوذ کنید و اثر بگذارید «با سخن نرم با او سخن بگویید، شاید متذکر شود یا از خدا بترسد» (فَقُولاً لَهُ قَوْلًا لَهُ عَالَمُ يَتَذَكَّوُ أَوْ يَخْشَى).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۵ ص: ۱۲۲

(آیه ۴۵) – اما با این حال موسی و فرعون از این معنی نگران بودند که ممکن است این مرد قلدر زورمند مستکبر که آوازه خشونت و سر سختی او همه جا پیچیده بود قبل از آن که موسی (ع) و هارون (ع) ابلاغ دعوت کنند، پیش دستی کرده، آنها را از بین ببرد لذا، «گفتند: پروردگارا! از این می ترسیم که بر ما پیشی گیرد (و قبل از بیان حق، ما را آزار دهد) یا طغیان کند» و نپذیرد! (قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۶ ص: ۱۲۲

(آیه ۴۶)- اما خداوند به آنها بطور قاطع «فرمود: شما هر گز نترسید، من خود با شما هستم می شنوم و می بینم» (قال لا تَخافا

إِنَّنِي مَعَكَما أَسْمَعُ وَ أَرى).

بنا بر این با وجود خداوند توانایی که همه جا با شماست و به همین دلیل همه سخنها را می شنود، و همه چیز را می بیند و حامی و پشتیبان شما است، ترس و وحشت معنایی ندارد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۷ ص: ۱۲۲

(آیه ۴۷)- سپس دقیقا چگونگی پیاده کردن دعوتشان را در حضور فرعون در پنج جمله کوتاه و قاطع و پر محتوا برای آنها بیان می فرماید، که یکی مربوط به اصل مأموریت است و دیگری بیان محتوای مأموریت و سومی دلیل و سند و چهارمی تشویق پذیرندگان و سر انجام تهدید مخالفان. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۲۳

نخست مى گويد: «شما به سراغ او برويد و به او بگوييد: ما فرستادگان پروردگار توايم» (فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ).

ديگر اين كه: «بنى اسرائيل را همراه ما بفرست و آنها را اذيت و آزار مكن» (فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ وَ لا تُعَذِّبْهُمْ).

سپس اشاره به دلیل و مدرک خود کرده، می گویـد به او بگوییـد: «ما نشانهای از پروردگارت برای تو آوردهایم» (قَـدْ جِئْناکَ بآیَهٔٔ مِنْ رَبِّکَ).

بنا بر این به حکم عقل لازم است لا اقل در سخنان ما بیندیشی و اگر درست بود بپذیری.

سپس به عنوان تشویق مؤمنان اضافه می کند: «درود بر آنها که از هدایت پیروی می کنند» (وَ السَّلامُ عَلی مَنِ اتَّبَعَ الْهُدی). این جمله ممکن است به معنی دیگری نیز اشاره باشـد و آن این که سـلامت در این جهان و جهان دیگر از ناراحتیها و رنجها و

عذابهای دردناک الهی، و مشکلات زندگی فردی و اجتماعی از آن کسانی است که از هدایت الهی پیروی کنند و این در حقیقت نتیجه نهایی دعوت موسی است.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۸ ص: ۱۲۳

(آیه ۴۸)– سر انجام عاقبت شوم سر پیچی از این دعوت را نیز به او بفهمانید و بگویید: «به ما وحی شده است که عذاب الهی دامان کسانی را که تکذیب آیاتش کرده و از فرمانش سر پیچی نمایند خواهد گرفت»! (إِنَّا قَدْ أُوحِیَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلی مَنْ کَذَّبَ وَ تَوَلَّی).

و این واقعیتی است که باید بی پرده به فرعون گفته می شد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۴۹ ص: ۱۲۳

(آیه ۴۹)– در اینجا قرآن مجید مستقیما به سراغ گفتگوهای موسی و هارون با فرعون میرود.

هنگامی که موسعی در برابر فرعون قرار گرفت، جملههای حساب شده و مؤثری را که خداونـد به هنگام فرمان رسالت به او آموخته بود باز گو کرد که در آیات قبل خواندیم.

سپس هنگامی که فرعون این سخنان را شنید نخستین عکس العملش این برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۲۴ بود «گفت: بگویید ببینم پروردگار شما کیست ای موسی»؟ (قالَ فَمَنْ رَبُّکُما یا مُوسی).

عجیب این که فرعون مغرور و از خود راضی حتی حاضر نشد بگوید پروردگار من که شما مدعی هستید کیست؟ بلکه گفت:

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۰ ص: ۱۲۴

(آیه ۵۰)- موسی بلا فاصله معرفی بسیار جامع و در عین حال کوتاهی از پروردگار کرد «گفت: پروردگار ما همان کسی است که به هر موجودی آنچه لازمه آفرینش او بوده است داده، و سپس او را در مراحل هستی رهبری و هدایت فرموده است» (قالَ رَبُّنَا الَّذِی أَعْطی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی).

در این سخن کوتاه، موسی اشاره به دو اصل اساسی از آفرینش و هستی می کند که هر یک دلیل مستقل و روشنی برای شناسایی پروردگار است.

موسی (ع) میخواهد به فرعون بفهماند که این عالم هستی نه منحصر به تو است و نه منحصر به سر زمین مصر، نه مخصوص امروز است و نه گذشته، این عالم پهناور گذشته و آیندهای دارد که نه من در آن بودهام و نه تو و دو مسأله اساسی در این عالم چشمگیر است، تأمین نیازمندیها و سپس به کار گرفتن نیروها و امکانات در مسیر پیشرفت موجودات، اینها به خوبی می تواند تو را به پروردگار ما آشنا سازد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۱ ص: ۱۲۴

(آیه ۵۱)- فرعون با شنیدن این جواب جامع و جالب، سؤال دیگری، مطرح کرد، «گفت: (اگر چنین است) پس تکلیف پیشینیان ما چه خواهد شد؟» (قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولي).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۲ ص: ۱۲۴

(آیه ۵۲)– موسسی در جواب «گفت: تمام مشخصات اقوام گذشته، نزد پروردگار من در کتابی ثبت است، هیچ گاه پروردگار من (برای حفظ آنها) گمراه نمی شود و نه فراموش می کند» (قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی فِی کِتابٍ لا یَضِلُّ رَبِّی وَ لا یَنْسی). بنا بر این حساب و کتاب آنها محفوظ است، و سر انجام به پاداش و کیفر اعمالشان خواهند رسید.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۳ ص: ۱۲۴

(آیه ۵۳) – و از آنجا که بخشی از سخن موسی (ع) پیرامون مسأله توحید برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۲۵ و شناسایی خدا بود قرآن در اینجا فصل دیگری در همین زمینه بیان میدارد: «همان خداوندی که زمین را برای شما مهد آسایش قرار داد، و راههایی در آن ایجاد کرد، و از آسمان، آبی فرستاد» (الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَکَ لَکُمْ فِیها سُبُلًا وَ أَنْزُلَ مِنَ السَّماءِ ماءً).

«سپس ما به وسیله این آب، انواع گوناگون از گیاهان مختلف را از خاک تیره بر آوردیم» (فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى). در این آیه به چهار بخش از نعمتهای بزرگ خدا اشاره شده است: که اولویتهای زندگی انسان را تشکیل میدهد، قبل از همه چیز، محل سکونت و آرامش لازم است، و به دنبال آن راههای ارتباطی، سپس آب، و فرآوردههای کشاورزی.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۴ ص: ۱۲۵

(آیه ۵۴)- سر انجام اشاره به پنجمین و آخرین نعمت از این سلسله نعمتهای الهی کرده، می گوید: از این فرآوردههای گیاهی «هم خودتان بخورید و هم چهار پایان خود را در آن به چرا ببرید» (کُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعامَکُمْ).

و در پایان به همه این نعمتها اشاره کرده، میفرماید: «در این امور، نشانههای روشنی است برای صاحبان عقل و انـدیشه» (إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِأُولِی النَّهی).

یعنی، عقل و اندیشه های مسؤول می تواند به این واقعیت پی ببرد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۵ ص: ۱۲۵

(آیه ۵۵)- و به تناسب این که در بیان توحیدی این آیات، از آفرینش زمین و نعمتهای آن استفاده شده «معاد» را نیز با اشاره به همین زمین در این آیه بیان کرده، می فرماید: «از آن شما را آفریدیم و در آن باز می گردانیم، و از آن نیز شما را بار دیگر بیرون می آوریم» (مِنْها خَلَقْناکُمْ وَ فِیها نُعِیدُکُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُکُمْ تارَةً أُخْری).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۶ ص: ۱۲۵

(آیه ۵۶) – فرعون خود را برای مبارزه نهایی آماده می کند: در اینجا مرحله دیگری از در گیری موسی (ع) و فرعون منعکس شده است، قرآن مجید، این قسمت را با این جمله شروع می کند: «و ما همه آیات خود را به فرعون نشان دادیم (اما هیچ یک از آنها در دل تیره او اثر نگذاشت) پس همه را تکذیب کرد و از پذیرش آنها امتناع ورزید» (وَ لَقَدْ أَرَیْناهُ آیاتِنا کُلَّها فَکَذَّبَ وَ أَبی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۲۶

این مربوط به معجزاتی است که در آغاز دعوت به فرعون ارائه داد، «معجزه عصا» و «ید بیضا» و «محتوای دعوت جامع آسمانیش».

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۷ ص: ۱۲۶

(آیه ۵۷)- اکنون ببینیم فرعون طغیانگر، مستکبر و لجوج در برابر موسی و معجزات او چه گفت، و او را چگونه- طبق معمول همه زمامداران زورگو- متهم ساخت؟ «گفت: ای موسی! آیا آمدهای که ما را از سر زمین و وطنمان با سحرت بیرون کنی؟!» (قالَ أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِکَ یا مُوسی).

اشاره به این که: ما میدانیم مسأله نبوت و دعوت به توحید، و ارائه این معجزات همگی توطئه برای غلبه بر حکومت و بیرون کردن ما و قبطیان از سر زمین آباء و اجدادمان است.

این تهمت درست همان حربهای است که همه زور گویان و استعمار گران در طول تاریخ داشتهاند که هر گاه خود را در خطر می دیدند، برای تحریک مردم به نفع خود، مسأله خطری که مملکت را تهدید می کرد، پیش می کشیدند مملکت یعنی حکومت این زور گویان و موجودیتش یعنی موجودیت آنها!

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۸ ص: ۱۲۶

(آیه ۵۸)- فرعون سپس اضافه کرد: گمان نکن ما قادر نیستیم هماننـد این سحرهای تو را بیاوریم، «پس یقینا بـدان به همین زودی سحری همانند آن برای تو خواهیم آورد» (فَلَنَاْتِیَنَّکَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ).

و براى اين كه قاطعيت بيشترى نشان دهـد گفت: «هم اكنون تاريخش را معين كن، بايد ميان ما و تو و عدهاى باشد كه نه ما از آن تخلف كنيم و نه تو از آن، آن هم در مكانى كه نسبت به همگان يكسان باشد» (فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لا أَنْتَ مَكاناً سُوىً).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۵۹ ص: ۱۲۶

(آیه ۵۹) ولی موسی بی آنکه خونسردی خود را از دست دهد و از جنجال فرعون هراسی به دل راه دهد با صراحت و قاطعیت «گفت: (من هم آماده ام، هم اکنون روز و ساعت آن را تعیین کنم) میعاد ما و شما روز زینت (روز عید) است، مشروط بر این که مردم همگی به هنگامی که روز بالا می آید در محل جمع شوند» (قالَ مَوْعِدُکُمْ یَوْمُ الزِّینَهِ وَ أَنْ یُحْشَرَ النَّاسُ ضُعی).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۲۷

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۶۰ ص: ۱۲۷

(آیه ۶۰)- به هر حال فرعون بعد از مشاهده معجزات شگفت آور موسی و مشاهده تأثیر روانی این معجزات در اطرافیانش تصمیم گرفت با کمک ساحران به مبارزه با او برخیزد، لذا قرار لازم را با موسی گذارد، «پس آن مجلس را ترک گفت و تمام مکر و فریب خود را جمع کرد و سپس همه را در روز موعود آورد» (فَتَوَلَّی فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ کَیْدَهُ ثُمَّ أَتی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۶۱ ص: ۱۲۷

(آیه ۶۱) – سر انجام روز موعود فرا رسید، موسی (ع) در برابر انبوه جمعیت قرار گرفت، جمعیتی که گروهی از آن ساحران بودند و تعداد آنها به گفته بعضی از مفسران ۷۲ نفر و به گفته بعضی دیگر به چهار صد نفر میرسید و بعضی دیگر نیز تعداد بیشتری گفتهاند.

و گروهی از آنها، فرعون و اطرافیان او را تشکیل میدادند و بالاخره گروه سوم که اکثریت از آن تشکیل یافته بود تودههای تماشاچی مردم بودند.

موسی در اینجا رو به ساحران و یا فرعونیان و ساحران کرد و «به آنان چنین گفت: وای بر شما، دروغ بر خدا نبندید که شما را با مجازات خود، نابود و ریشه کن خواهد ساخت» (قالَ لَهُمْ مُوسی وَیْلَکُمْ لا تَفْتُرُوا عَلَی اللَّهِ کَذِباً فَیُسْحِتَکُمْ بِعَذابٍ). «و شکست و نومیدی و خسران از آن آنهاست که بر خدا دروغ می بندند و به او نسبت باطل می دهند» (وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَری).

منظور موسى از افتراء بر خدا، آن است كه كسى يا چيزى را شريك او قرار داده، معجزات فرستاده خدا را به سحر نسبت دهند و فرعون را معبود و اله خود بپندارند.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۶۲ ص: ۱۲۷

(آیه ۶۲) – این سخن قاطع موسی که هیچ شباهتی به سخن ساحران نداشت، بلکه آهنگش آهنگ دعوت همه پیامبران راستین بود، بر بعضی از دلها اثر گذاشت، و در میان جمعیت اختلاف افتاد، بعضی طرفدار شدت عمل بودند، و بعضی به شک و تردید افتادند و احتمال میدادند موسی پیامبر بزرگ خدا باشد و تهدیدهای او مؤثر گردد، بخصوص که لباس ساده او و برادرش هارون، همان لباس ساده چوپانی بود، و چهره مصمم آنها که علی رغم تنها بودن، ضعف و فتوری برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۲۸

در آن مشاهده نمی گشت، دلیل دیگری بر اصالت گفتار و برنامههای آنها محسوب می شد، لذا قرآن می گوید: «پس آنها در میان خود در باره کارهایشان به نزاع برخاستند، و مخفیانه و در گوشی با هم سخن گفتند» (فَتَنازَعُوا أَمْرُهُمْ بَیْنَهُمْ وَ أَسَرُوا النَّجُوی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۶۳ ص: ۱۲۸

(آیه ۶۳) – ولی به هر حال طرفداران ادامه مبارزه و شدت عمل، پیروز شدند و رشته سخن را به دست گرفتند و از طرق مختلف، به تحریک مبارزه کنندگان با موسی پرداختند.

نخست: «گفتند: اين دو مسلما ساحرند»! (قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ).

بنا بر این، وحشتی از مبارزه با آنها نباید به خود راه داد، چرا که شما بزرگان و سردمداران سحر در این کشور پهناورید. دیگر این که «آنها میخواهنـد شـما را از سـرزمینتان با سـحرشان بیرون کننـد» (یُرِیـدانِ أَنْ یُخْرِجاکُمْ مِنْ أَرْضِـٓ کُمْ بِسِـٓحْرِهِما).

سرزمینی که همچون جان شما عزیز است و به آن تعلق دارید آن هم به شما تعلق دارد.

به علاوه اینها تنها به بیرون کردن شما از وطنتان قانع نیستند، اینها میخواهنـد مقـدسات شـما را هم بازیچه قرار دهند «و آیین عالی و مذهب حق شما را از میان ببرند»! (وَ یَذْهَبا بِطَرِیقَتِکُمُ الْمُثْلی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۶۴ ص: ۱۲۸

(آیه ۶۴) – «اکنون که چنین است (به هیچ وجه به خود تردید راه ندهید، و) تمام نیرو و نقشه خود را جمع کنید ...» (فَأَجْمِعُوا کَیْدَکُمْ).

«و در یک صف (به میدان مبارزه) بیایید» (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا).

چرا که وحدت و اتحاد رمز پیروزی شما در این مبارزه سر نوشت ساز است.

و بالاخره «فلاح و رستگاری، امروز، از آن کسی است که برتری خود را بر (بر حریفش) اثبات نماید» (وَ قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۶۵ ص: ۱۲۸

(آیه ۶۵)- موسی (ع) نیز به میدان می آید- ساحران ظاهرا متحد شدند و عزم را جزم کردند که با موسی به مبارزه برخیزند،

هنگامی که گام به میدان نهادند «گفتند: ای موسی! آیا تو اوّل (عصای خود را) میافکنی یا ما کسانی باشیم که اول برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۲۹

بيفكنيم» (قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِى وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى).

سورة طه(۲۰): آية ۶۶ ص: ۱۲۹

(آیه ۶۶)- ولی موسی بی آنکه عجلهای نشان بدهد، چرا که به پیروزی نهایی خود کاملا اطمینان داشت و حتی قطع نظر از آن در این گونه مبارزهها معمولاً برنده کسی است که پیشقدم نمی شود، لذا به آنها «گفت: شما اول بیفکنید»! (قالَ بَلْ أَلْقُوا).

ساحران نیز پذیرفتند و آنچه عصا و طناب برای سحر کردن با خود آورده بودند یکباره به میان میدان افکندند، و اگر روایتی را که می گویـد: آنها هزاران نفر بودند بپذیریم مفهومش این می شود که در یک لحظه هزاران عصا و طناب که مواد مخصوصـی در درون آنها ذخیره شده بود، به وسط میدان انداختند.

«پس ناگهان طنابها و عصاهایشان به خاطر سحر آنها، چنان به نظر (مردم و) موسی میرسید که دارند حرکت میکنند»! (فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعی).

آری به صورت مارهایی کوچک و بزرگ، رنگارنگ در اشکال مختلف به جنب و جوش در آمدند.

صحنه بسیار عجیبی بود، ساحران که هم تعدادشان زیاد بود و هم طرز استفاده از خواص مرموز فیزیکی و شیمیایی اجسام و مانند آن را به خوبی میدانستند، توانستند آن چنان در افکار حاضران نفوذ کنند که این باور برای آنها پیدا شود که این همه موجودات بیجان، جان گرفتند.

غریو شادی از فرعونیان برخاست، گروهی از ترس و وحشت فریاد زدند و خود را عقب می کشیدند!

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۶۷ ص: ۱۲۹

(آیه ۶۷)- «پس در این هنگام موسی احساس ترس خفیفی در دل کرد» (فَأُوْجَسَ فِی نَفْسِهِ خِیفَةً مُوسی). که نکند مردم تحت تأثیر این صحنه واقع شوند، آن چنان که بازگرداندن آنها آسان نباشد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۶۸ ص: ۱۲۹

(آیه ۶۸)– به هر حال در این موقع، نصرت و یاری الهی به سراغ موسی آمد و فرمان وحی وظیفه او را مشخص کرد، چنانکه قرآن می گوید: «به او گفتیم: ترس به خود راه مده تو مسلما برتری»! (قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ الْأَعْلی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۳۰

و این گونه موسی، قوت قلبش را که لحظات کوتاهی متزلزل شده بود باز یافت.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۶۹ ص: ۱۳۰

(آیه ۶۹)– مجددا به او خطاب شد که: «و آنچه را در دست راست داری بیفکن که تمام آنچه را که آنها ساختهاند می بلعد»!

(وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا).

«چرا که کار آنها تنها مکر ساحر است» (إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ).

«و ساحر هر كجا برود پيروز نخواهد شد» (وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أُتى).

چرا که کار ساحر متکی به نیروی محدود انسانی است، و معجزه از قدرت بیپایان و لا یزال الهی سر چشمه می گیرد، لذا ساحر تنها کارهایی را می تواند انجام دهد که قبلا روی آن تمرین داشته است.

جالب این که: نمی گوید: «عصایت را بیفکن» بلکه می گوید: «آنچه در دست راست داری بیفکن» این تعبیر شاید به عنوان بیاعتنایی به عصا باشد و اشاره به این که عصا مسأله مهمی نیست آنچه مهم است اراده و فرمان خداست که اگر اراده او باشد عصا که سهل است کمتر و کوچکتر از آن هم می تواند چنین قدرت نمایی کند!

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷۰ ص: ۱۳۰

(آیه ۷۰)- پیروزی عظیم موسی (ع): به اینجا رسیدیم که موسی مأمور شد عصای خود را بیفکند. موسی عصای خود را افکند، عصا تبدیل به مار عظیمی شد و تمام اسباب و آلات سحر ساحران را بلعید، غوغا و ولولهای در تمام جمعیت افتاد فرعون، سخت متوحش شد، و اطرافیانش دهانهاشان از تعجب باز ماند.

ساحران که به خوبی سحر را از غیر سحر میشناختند، یقین کردند که این امر، چیزی جز معجزه الهی نیست، و این مرد فرستاده خداست.

لـذا همان گونه که آیه می گویـد: «ساحران همگی به سـجده افتادنـد و گفتند: ما به پروردگار هارون و موسـی ایمان آوردیم» (فَأُلْقِیَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسی).

سورة طه(۲۰): آية ۷۱ ص: ۱۳۰

(آیه ۷۱)- بدیهی است که این عمل ساحران، ضربه سنگینی بر پیکر فرعون برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۳۱ و حکومت جبّار و خود کامه و بیدادگرش وارد ساخت، و تمام ارکان آن را به لرزه در آورد، لذا چارهای جز این ندید که با داد و فریاد و تهدیدهای غلیظ و شدید ته مانده حیثیتی را که نداشت، جمع و جور کند، رو به سوی ساحران کرد و «گفت: آیا پیش از آن که به شما اذن دهم به او ایمان آوردید»؟ (قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَکُمْ).

این جبّرار مستکبر، نه تنها مدعی بود که بر جسم و جان مردم، حکومت دارد بلکه میخواست بگوید قلب شما هم در اختیار من و متعلق به من است، و باید با اجازه من تصمیم بگیرد.

فرعون به این قناعت نکرد، فورا وصلهای به دامان ساحران چسبانید و آنها را متهم کرد و گفت: «او بزرگ شماست، او کسی است که سحر به شما آموخته»، و تمام اینها توطئه است با نقشه قبلی! (إِنَّهُ لَکَبِیرُکُمُ الَّذِی عَلَّمَکُمُ السِّحْرَ).

بدون شک فرعون میدانست و یقین داشت این سخن دروغ است. ولی میدانیم قلدرها و زور گویان، وقتی موقعیت نامشروع خود را در خطر ببینند از هیچ دروغ و تهمتی باک ندارند.

تازه به این نیز قناعت نکرد و ساحران را با شدیدترین لحنی، تهدید به مرگ نمود و گفت: «پس سوگند یاد می کنم که دست و پاهای شما را بطور مخالف قطع می کنم، و بر فراز شاخههای بلند نخل به دار می آویزم و خواهید دانست مجازات من دردنـاكتر و پايـدارتر است» (فَلَأَقطَعَنَّ أَيْـدِيَكَمْ وَ أَرْجُلَكَمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأَصَـلَّبَنَّكَمْ فِى جُـدِذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَـدُّ عَـذاباً وَ أَبْقى).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷۲ ص: ۱۳۱

(آیه ۷۲) – اما ببینیم عکس العمل ساحران در برابر این تهدیدهای شدید فرعون چه بود؟ آنها نه تنها مرعوب نشدند و از میدان بیرون نرفتند، بلکه حضور خود را در صحنه بطور قاطعتری ثابت کردند و «گفتند: به خدایی که ما را آفریده است هرگز تو را بر این دلایل روشنی که به سراغ ما آمده مقدم نخواهیم داشت» (قالُوا لَنْ نُؤْثِرَکَ عَلی ما جاءَنا مِنَ الْبَیِّناتِ وَ الَّذِی فَطَرَنا). «پس تو هر حکمی میخواهی بکن» (فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضِ).

«اما (بدان) تو تنها می توانی در زندگی این دنیا قضاوت کنی» ولی در آخرت برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۳۲ ما پیروزیم و تو گرفتار و مبتلا به شدیدترین کیفرها (إِنَّما تَقْضِی هذِهِ الْحَیاهَ الدُّنْیا).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷۳ ص: ۱۳۲

(آیه ۷۳)– سپس افزودنـد: «مـا به پروردگارمان ایمان آوردیم تا گناهانمان و آنچه را از سـحر بر ما تحمیل کردی ببخشایـد و خدا بهتر و پایدارتر است» (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِیَغْفِرَ لَنا خَطایانا وَ ما أَکْرَهْتَنا عَلَیْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللَّهُ خَیْرٌ وَ أَبْقی). خلاصه این که هدف ما پاک شدن از گناهان گذشته از جمله مبارزه با پیامبر راستین خداست.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷۴ ص: ۱۳۲

(آیه ۷۴) – ساحران سپس چنین ادامه دادند: اگر ما ایمان آورده ایم دلیلش روشن است «چرا که هر کس (بی ایمان و) گنهکار در محضر پروردگار در قیامت بیاید آتش سوزان دوزخ برای اوست» (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ). و مصیبت بزرگ او در دوزخ این است که «نه می میرد و نه زنده می شود» (لا یَمُوتُ فِیها وَ لا یَحْیی). بلکه دائما در میان مرگ و زندگی دست و پا می زند، حیاتی که از مرگ تلختر و مشقت بارتر است.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷۵ ص: ۱۳۲

(آيه ۷۵)- «و هر كس با ايمان نزد او آيـد، و اعمال صالح انجام داده باشـد، چنين كسانى درجات عالى دارنـد ...» (وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷۶ ص: ۱۳۲

(آیه ۷۶)- «باغهای جاویدان بهشت که نهرها از زیر درختانش جاری است، و جاودانه در آن خواهند ماند» (جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها).

«و این است پاداش کسی که (با ایمان و اطاعت پروردگار) خود را پاک و پاکیزه کند» (وَ ذلِکَ جَزاءُ مَنْ تَزَكَّی).

و این ساحران چه خوب خود را پاکیزه ساختند. هنگامی که تصمیم گرفتند، حق را پذیرا شوند و در راه آن عاشقانه ایستادگی کنند و به گفته مفسر بزرگ مرحوم طبرسی، «صبحگاهان کافر بودند و ساحر، اما شامگاهان شهیدان نیکو کار راه حق»!

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷۷ ص: ۱۳۲

(آیه ۷۷) - نجات بنی اسرائیل و غرق فرعونیان: بعد از ماجرای مبارزه موسی با ساحران و پیروزی چشمگیرش بر آنها و ایمان آوردن آن جمعیت عظیم، آیین او رسما وارد افکار مردم مصر شد، هر چند اکثریت «قبطیان» آن را نپذیرفتند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۳۳

بنی اسرائیل تحت رهبری موسی، به اتفاق اقلیتی از مصریان، بطور دائم با فرعونیان در گیر بودند و سالها بر این منوال گذشت و حوادث تلخ و شیرینی روی داد.

در اینجا به آخرین فراز از این ماجراها یعنی برنامه خروج بنی اسرائیل از مصر، اشاره کرده، میفرماید: «و ما به موسی، وحی فرستادیم که بندگانم را شبانه از مصر بیرون ببر» (وَ لَقَدْ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی أَنْ أَسْرِ بِعِبادِی).

بنی اسرائیل آماده حرکت به سوی سرزمین موعود (فلسطین) شدند، اما هنگامی که به کرانه های نیل رسیدند فرعونیان، آگاه گشتند و فرعون با لشکری عظیم آنها را تعقیب کرد، آنها خود را در محاصره دریا و دشمن دیدند.

اما خدا به موسی چنین دستور داد: «راهی خشک برای آنها در دریا بگشا»! (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِیقاً فِی الْبَحْرِ یَبَساً).

راهی که هرگاه در آن گام بگذاری «نه از تعقیب فرعونیان می ترسی، نه از غرق شدن در دریا» (لا تَخافُ دَرَکاً وَ لا تَخْشی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷۸ ص: ۱۳۳

(آیه ۷۸)- و به این ترتیب موسی و بنی اسرائیل وارد جادههایی شدنید که در درون دریا با کنار رفتن آبها پیدا شد، در این هنگام فرعون به همراه لشکریانش به کنار دریا رسید و با این صحنه غیر منتظره و شگفتانگیز رو برو شد «و فرعون لشکریان خود را به دنبال بنی اسرائیل فرستاد و خود نیز وارد همان جادهها شد» (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ).

از این سو آخرین نفر لشکر فرعون وارد دریا شد، و از آن سو آخرین نفر از بنی اسرائیل خارج گردید.

در این هنگام به امواج آب فرمان داده شد به جای نخستین باز گردند.

امواج هماننـد ساختمان فرسودهای که پایه آن را بکشـنند یک باره فرو ریختنـد «پس دریا آنها را در میان امواج خروشان خود پوشاند پوشاندنی کامل» (فَغَشِیَهُمْ مِنَ الْیَمِّ ما غَشِیَهُمْ).

و به این ترتیب، یک قدرت جبّار ستمگر با لشکر نیرومند و قهارش در میان امواج آب غوطهور شدند و طعمه آمادهای برای ماهیان دریا!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۳۴

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۷۹ ص: ۱۳۴

(آیه ۷۹)– آری «فرعون، قوم خود را گمراه ساخت و هرگز هدایتشان نکرد» (وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۰ ص: ۱۳۴

(آیه ۸۰)– تنها راه نجات: در اینجا روی سخن را به بنی اسرائیل بطور کلی و در هر عصر و زمان کرده، و نعمتهای بزرگی را که خداوند به آنان بخشیده است یاد آور میشود، و راه نجات را به آنان نشان میدهد.

نخست می گوید: «ای بنی اسرائیل! ما شما را از چنگال دشمنانتان رهایی بخشیدیم» (یا بَنِی إِسْرائِیلَ قَدْ أَنْجَیْناکُمْ مِنْ عَدُوِّکُمْ). سپس به یکی از نعمتهای مهم معنوی اشاره کرده، می گوید: «ما شما را به میعادگاه مقدسی دعوت کردیم، در طرف راست طور» آن مرکز وحی الهی (وَ واعَدْناکُمْ جانِبَ الطُّورِ الْأَیْمَنَ).

این اشاره به جریان رفتن موسی (ع) به اتفاق جمعی از بنی اسرائیل به میعادگاه طور است، در همین میعادگاه بود که خداوند الواح تورات را بر موسی نازل کرد و با او سخن گفت و جلوه خاص پروردگار را همگان مشاهده کردند.

و سر انجام به یک نعمت مهم مادی که از الطاف خاص خداوند نسبت به بنی اسرائیل سر چشمه می گرفت اشاره کرده، می فرماید: «ما من و سلوی را بر شما نازل کردیم» (وَ نَزَّ لْنا عَلَیْکُمُ الْمَنَّ وَ السَّلُوی).

در آن بیابانی که سرگردان بودید، و غذای مناسبی نداشتید، لطف خدا به یاریتان شتافت و از غذای لذیذ و خوشمزهای به مقداری که به آن احتیاج داشتید در اختیارتان قرار داد و از آن استفاده می کردید.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۱ ص: ۱۳۴

(آیه ۸۱) - در این آیه به دنبال ذکر این نعمتهای سه گانه پر ارزش آنها را چنین مخاطب میسازد: «از روزیهای پاکیزهای که به شما دادیم بخورید، ولی در آن طغیان نکنید، که غضب من بر شما وارد شود» (کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ وَ لا تَطْغَوْا فِیهِ فَیَحِلَّ عَلَیْکُمْ غَضَبی).

طغیان در نعمتها آن است که انسان به جای این که از آنها در راه اطاعت خیدا و طریق سعادت خویش استفاده کنید، آنها را وسیلهای برای گناه، ناسپاسی و کفران برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۳۵

و گردنکشی و اسرافکاری قرار دهد، همان گونه که بنی اسرائیل چنین کردند.

و به دنبال آن میفرماید: «و هر کس غضب من بر او وارد شود سقوط میکند» (وَ مَنْ یَحْلِلْ عَلَیْهِ غَضَبِی فَقَدْ هَوی).

«هوی» در اصل به معنی سقوط کردن از بلنـدی است، که معمولاً نتیجه آن، نابودی است، به علاوه در اینجا اشاره به سقوط مقامی و دوری از قرب پروردگار و رانده شدن از درگاهش نیز میباشد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۲ ص: ۱۳۵

(آیه ۸۲) و از آنجا که همیشه باید هشدار و تهدید با تشویق و بشارت، همراه باشد تا نیروی خوف و رجا را که عامل اصلی تکامل است یکسان بر انگیزد، و درهای بازگشت به روی توبه کاران بگشاید، در این آیه چنین می گوید: «و من کسانی را که توبه کنند و ایمان آورند و عمل صالح انجام دهند و سپس هدایت یابند (و در زیر چتر هدایت رهبران الهی قرار گیرند) می آمرزم» (وَ إِنِّی لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی).

تعبیر به «غفّار» نشان می دهد که خداوند چنین افراد را نه تنها یک بار که بارها مشمول آمرزش خود قرار می دهد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۳ ص: ۱۳۵

(آیه ۸۳)- غوغهای سهامری! در اینجا فراز مهم دیگری از زندگی موسمی (ع) و بنی اسرائیل مطرح شده و آن مربوط به رفتن موسی به اتفاق نمایندگان بنی اسرائیل به میعادگاه طور و سپس گوساله پرستی بنی اسرائیل در غیاب آنهاست.

برنامه این بود که موسی (ع) برای گرفتن احکام تورات، به کوه طور برود، و گروهی از بنی اسرائیل نیز او را در این مسیر همراهی کنند.

ولی از آنجا که شوق مناجات با پروردگار در دل موسی شعلهور بود، قبل از دیگران تنها به میعادگاه پروردگار رسید. در اینجـا وحی بر او نازل شـد: «ای موسـی! چه چیز سـبب شـد که پیش از قومت به اینجا بیایی و در این راه عجله کنی»؟ (وَ ما أَعْجَلَکَ عَنْ قَوْمِکَ یا مُوسی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۴ ص: ۱۳۵

(آیه ۸۴)- و موسمی بلا فاصله «عرض کرد: پروردگارا! آنها به دنبال منند، و من برای رسیدن به میعادگاه و محضر وحی تو، شتاب کردم تا از من خشنود برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۳۶

شوى» (قالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثْرِي وَ عَجِلْتُ إِلَيْكُ رَبِّ لِتَرْضي).

نه تنها عشق مناجات تو و شنیدن سخنت مرا بی قرار ساخته، بلکه مشتاق بودم هر چه زودتر قوانین و احکام تو را بگیرم و به بندگانت برسانم و از این راه رضایت تو را بهتر جلب کنم، آری من عاشق رضای توام و مشتاق شنیدن فرمانت.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۵ ص: ۱۳۶

(آیه ۸۵)- ولی بالاخره در این دیدار، میعاد از سمی شب به چهل شب تمدید شد، و زمینه های مختلفی که از قبل در میان بنی اسرائیل برای انحراف وجود داشت کار خود را کرد، سامری آن مرد هوشیار منحرف میاندار شد، و با استفاده از وسائلی گوسالهای ساخت و جمعیت را به پرستش آن فرا خواند.

بالاخره در آنجا بود که خداونـد به موســـی (ع) در همان میعادگاه «فرمود: ما قوم تو را بعد از تو آزمایش کردیم (ولی از عهده امتحان خوب بیرون نیامدند) و سامری آنها را گمراه کرد» (قالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَکَ مِنْ بَعْدِکَ وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِیُّ).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۶ ص: ۱۳۶

(آیه ۸۶)- موسی با شنیدن این سخن آن چنان برآشفت که تمام وجودش گویی شعلهور گشت، شاید به خود می گفت: سالیان دراز خون جگر خوردم، زحمت کشیدم با هر گونه خطر رو برو شدم تا این جمعیت را به توحید آشنا ساختم، اما افسوس و صد افسوس، با چند روز غیبت من، زحماتم بر باد رفت! لذا بلا فاصله «موسی خشمگین و اندوهناک به سوی قوم خود بازگشت» (فَرَجَعَ مُوسی إلی قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً).

هنگامی که چشمش به آن صحنه بسیار زننده گوساله پرستی افتاد، «فریاد بر آورد ای قوم من! مگر پروردگار شما وعده نیکویی به شما نداد» (قالَ یا قَوْم أَ لَمْ یَعِدْکُمْ رَبُّکُمْ وَعْداً حَسَناً).

این وعده نیکو یا وعدهای بوده که در زمینه نزول تورات و بیان احکام آسمانی در آن، به بنی اسرائیل داده شده بود، یا وعده نجات و پیروزی بر فرعونیان و وارث حکومت زمین شدن، و یا وعده مغفرت و آمرزش برای کسانی که توبه کنند و یا همه این امه د.

سپس افزود: «پس آیا مدت جدایی من از شما به طول انجامیده»؟ (أَ فَطالَ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۳۷ عَلَیْكُمُ الْعَهْدُ).

«يـا با اين عمل زشت خود مىخواستيـد غضب پروردگارتان بر شـما نازل شود كه با وعـده من مخالفت كرديـد» (أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِى).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۷ ص: ۱۳۷

(آیه ۸۷)- بنی اسرائیل که خود را در برابر اعتراض شدیـد موسـی (ع) دیدنـد و متوجه شدنـد به راستی کار بسـیار بدی انجام دادهانـد، در مقام عـذر تراشـی بر آمدنـد و «گفتند: ما به میل و اراده خود از وعده تو تخلّف نکردیم» (قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا).

در واقع این ما نبودیم که به اراده خود گرایش به گوساله پرستی کردیم، «بلکه مقـداری از زیورهای قوم را که با خود داشتیم افکندیم و سامری این چنین القا کرد ...» (وَ لکِنَّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِینَهِٔ الْقَوْمِ فَقَذَفْناها فَکَذلِکَ أَلْقَی السَّامِرِیُّ).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۸ ص: ۱۳۷

(آیه ۸۸)- در هر صورت سامری از زینت آلات که از طریق ظلم و گناه در دست فرعونیان قرار گرفته بود و ارزشی جز این نداشت که خرج چنین کار حرامی بشود، آری از مجموع این زینت آلات «برای آنان مجسمه گوسالهای که صدایی همچون صدای گوساله (واقعی) داشت پدید آورد» (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ).

بنی اسرائیل که این صحنه را دیدند، ناگهان همه تعلیمات توحیدی موسی را به دست فراموشی سپردند و به یکدیگر «گفتند: این خدای شما و خدای موسی است» (فَقالُوا هذا إِلهُکُمْ وَ إِلهُ مُوسی).

و به این ترتیب «او (سامری عهد و پیمانش را با موسی بلکه با خدای موسی) فراموش کرد» و مردم را به گمراهی کشاند (فَنسے).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۸۹ ص: ۱۳۷

(آیه ۸۹) - در اینجا خداوند به عنوان توبیخ و سرزنش این بت پرستان می گوید: «پس آیا آنها نمی بینند که این گوساله پاسخ آنها را نمی دهـد و هیچ گونه ضرری از آنها دفع نمی کند و منفعتی برای آنها فراهم نمی سازد» (أَ فَلا یَرَوْنَ أَلَّا یَرْجِعُ إِلَیْهِمْ قَوْلًا وَ لا یَمْلِکُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً).

یک معبود واقعی حد اقل باید بتواند سؤالات بندگانش را پاسخ گوید آیا تنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۳۸ شنیده شدن صدای گوساله از این مجسمه طلایی، میتواند دلیل پرستش باشد! تازه موجودی که مالک سود و زیان دیگری و حتی خودش نیست، آیا میتواند معبود باشد؟!

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۹۰.... ص: ۱۳۸

(آیه ۹۰) – بدون شک در این قال و غوغا، هارون جانشین موسی (ع) و پیامبر بزرگ خدا دست از رسالت خویش بر نداشت و وظیفه مبارزه با انحراف و فساد را تا آنجا که در توان داشت انجام داد، چنانکه قرآن می گوید: «هارون قبل از آمدن موسی از میعادگاه به بنی اسرائیل این سخن را گفته بود که شما به وسیله آن (گوساله) مورد آزمایش سختی قرار گرفته اید» فریب نخورید و از راه توحید منحرف نشوید (وَ لَقَدْ قالَ لَهُمْ هارُونُ مِنْ قَبْلُ یا قَوْم إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ).

سپس اضافه کرد: «و پروردگار شما مسلما همان خداونـد بخشندهای است که این همه نعمت به شما مرحمت کرده» (وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمنُ).

برده بودید شما را آزاد ساخت، اسیر بودید رهایی بخشید، گمراه بودید هدایت کرد، پراکنده بودید در سایه رهبری یک مرد آسمانی، شما را جمع و متحد نمود، جاهل و گمراه بودید، نور علم بر شما افکند، و به صراط مستقیم توحید هدایتتان نمود. «اکنون که چنین است شما از من پیروی کنید و اطاعت فرمان من نمایید» (فَاتَّبِعُونِی وَ أَطِیعُوا أَمْرِی).

مگر فراموش کردهاید برادرم موسی، مرا جانشین خود ساخته و اطاعتم را بر شما فرض کرده است چرا پیمان شکنی می کنید؟

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۹۱.... ص: ۱۳۸

(آیه ۹۱) ولی بنی اسرائیل چنان لجوجانه به این گوساله چسبیده بودند که منطق نیرومند و دلایل روشن این مرد خدا و رهبر دلسوز در آنها مؤثر نیفتاد، با صراحت اعلام مخالفت با هارون کردند و «گفتند: ما همچنان به پرستش این گوساله ادامه میدهیم تا موسی به سوی ما باز گردد» (قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَیْهِ عاکِفِینَ حَتَّی یَرْجَعَ إِلَیْنا مُوسی).

و به این ترتیب هم فرمان مسلم عقل را از زیر پا گذاشتند، و هم فرمان برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۳۹ جانشین رهبرشان را.

ولی به هر حال، هارون با اقلیتی در حدود دوازده هزار نفر از مؤمنان ثابت قدم از جمعیت جدا شدند در حالی که اکثریت جاهل و لجوج نزدیک بود او را به قتل برسانند.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۹۲.... ص: ۱۳۹

(آیه ۹۲) – سرنوشت دردناک سامری! به دنبال بحثی که موسی (ع) با بنی اسرائیل در نکوهش شدید از گوساله پرستی داشت و در اینجا نخست گفتگوی موسی (ع) را با برادرش هارون (ع) و سپس با سامری منعکس می کند. نخست رو به برادرش هارون کرده «گفت: ای هارون! چرا هنگامی که دیـدی آنها گمراه شدند ...» (قالَ یا هارُونُ ما مَنَعَکَ إِذْ

رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۹۳.... ص: ۱۳۹

(آیه ۹۳)- «از من پیروی نکردی؟ آیا فرمان مرا عصیان نمودی»؟ (أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَیْتَ أَمْرِی).

مگر هنگامی که میخواستم به میعادگاه بروم نگفتم «جانشین من باش و در میان این جمعیت به اصلاح بپرداز و راه مفسدان را

در پیش مگیر».

منظور از جمله «أَلَّا تَتَّبِعَنِ» این است که چرا از روش و سنت من در «شدت عمل» نسبت به بت پرستی پیروی نکردی.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۹۴.... ص: ۱۳۹

(آیه ۹۴)– موسمی با شدت و عصبانیت هر چه تمامتر این سخنان را با برادرش می گفت و بر او فریاد میزد، در حالی که ریش و سر او را گرفته بود و می کشید.

هارون برای این که او را بر سر لطف آورد، و از التهاب او بکاهد «گفت: ای فرزند مادرم! [ای برادرم] ریش و سر مرا مگیر، من (فکر کردم که اگر به مبارزه برخیزم و درگیری پیدا کنم تفرقه شدیدی در میان بنی اسرائیل میافتد، و از این) ترسیدم (به هنگام باز گشت) بگویی تو میان بنی اسرائیل تفرقه افکندی و سفارش مرا (در غیاب من) به کار نبستی»ال یَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْیَتِی وَ لا بِرَأْسِی إِنِّی خَشِیتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَیْنَ بَنِی إِسْرائِیلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِی)

.و به این ترتیب هارون بی گناهی خود را اثبات کرد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۴۰

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۹۵.... ص: ۱۴۰

(آیه ۹۵)- بعد از پایان گفتگو با برادرش هارون و تبرئه او، به محاکمه سامری پرداخت و «گفت: (این چه کاری بود که تو انجام دادی و) چه چیز انگیزه تو بود ای سامری»؟! (قالَ فَما خَطْبُکَ یا سامِرِیُّ).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۹۶.... ص: ۱۴۰

(آیه ۹۶) – او در پاسخ گفت: من مطالبی آگاه شدم که آنها ندیدند و آگاه نشدند» (قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ یَبْصُرُوا بِهِ). «من چیزی از آثار رسول و فرستاده خـدا (موسی) را گرفتم، و سـپس آن را به دور افکنـدم و این چنین نفس من مطلب را در نظرم زینت داد»! و به سوی آیین بت پرستی گرایش کردم. (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَ کَذلِکَ سَوَّلَتْ لِی نَفْسِی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۹۷.... ص: ۱۴۰

(آیه ۹۷) - روشن است که پاسخ و عذر سامری در برابر سؤال موسی (ع) به هیچ وجه قابل قبول نبود، لذا موسی فرمان محکومیت او را در این دادگاه صادر کرد و سه دستور در باره او و گوسالهاش داد «گفت: برو، که بهره تو در زندگی این دنیا این است که (هر کس به تو نزدیک شود) بگویی: با من تماس نگیر» (قالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَکَ فِی الْحَیاهِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ). و به این ترتیب با یک فرمان قاطع، سامری را از جامعه طرد کرد و او را به انزوای مطلق کشانید.

مجازات دوم سامری این بود که موسی (ع) کیفر او را در قیامت به او گوشزد کرد، گفت: «و تو وعده گاهی در پیش داری (وعده عذاب دردناک الهی) که هرگز از آن تخلف نخواهد شد» (وَ إِنَّ لَکَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ).

سومین مجازات این بود که موسی به سامری گفت: «و به این معبودت که پیوسته او را عبادت میکردی نگاه کن و ببین ما آن

را مىسوزانيم و سپس ذرات آن را به دريا مى پاشيم» تا براى هميشه محو و نابود گردد (وَ انْظُرْ إِلَى إِلهِ-كَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَننْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَشْفاً).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۹۸.... ص: ۱۴۰

(آیه ۹۸) – و در این آیه موسی، با تأکید فراوان روی مسأله توحید، حاکمیت خط الله را مشخص کرد و چنین گفت: «معبود شما تنها الله است، همان خدایی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۴۱

معبودی جز او نیست، همان خدایی که علمش همه چیز را فرا گرفته» (إِنَّما إِلهُکُمُ اللَّهُ الَّذِی لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ کُلَّ شَيْءٍ عِلْماً). نه همچون بتهای ساختگی که نه سخنی میشنوند، نه پاسخی میگویند، نه مشکلی میگشایند و نه زیانی را دفع میکنند.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۹۹.... ص: ۱۴۱

(آیه ۹۹)- پس از پایان گرفتن بحثهای مربوط به تاریخ پر ماجرای موسی و بنی اسرائیل یک نتیجه گیری کلی نیز قرآن روی آن مینماید و می گوید: «این چنین اخبار گذشته را برای تو (یکی بعد از دیگری) باز گو می کنیم» (کَذلِکَ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْباءِ ما قَدْ سَبَقَ).

سپس اضافه می کند: «و ما از ناحیه خود قرآنی به تو دادیم» (وَ قَمْدْ آتَیْناکَ مِنْ لَمَدُنَّا ذِكْراً). قرآنی که مملوّست از درسهای عبرت، دلایل عقلی، اخبار آموزنده گذشتگان و مسائل بیدار کننده آیندگان.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۰۰... ص: ۱۴۱

(آیه ۱۰۰)- و به همین جهت در این آیه از کسانی سخن می گوید که حقایق قرآن و درسهای عبرت تاریخ را فراموش می کنند، می گوید: «کسی که از قرآن روی بگرداند در قیامت بار سنگینی (از گناه و مسؤولیت) بر دوش خواهد کشید» (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وِزْراً).

آری! اعراض از قرآن، انسان را به آن چنان بیراههها می کشاند که بارهای سنگینی از انواع گناهان و انحرافات فکری و عقیدتی را بر دوش او مینهد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۰۱... ص: ۱۴۱

(آیه ۱۰۱)- سپس اضافه می کند: «آنها در میان این وزر جاودانه خواهند ماند» (خالِدِینَ فِیهِ). «و این بار سنگین گناه، بد باری است برای آنها در روز قیامت» (وَ ساءَ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ حِمْلًا).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۰۲.... ص: ۱۴۱

(آیه ۱۰۲)– سپس به توصیف روز قیامت و آغاز آن پرداخته، چنین می گوید:

«همان روزی که در صور دمیده میشود، و گنهکاران را با بدنهای کبود و تیره در آن روز جمع میکنیم» (یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّورِ

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۴۱... ص: ۱۴۱

(آیه ۱۰۳) – در این حال مجرمان در میان خود، در باره مقدار توقفشان در عالم برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۴۲ برزخ «آهسته با هم گفتگو می کنند (بعضی می گویند:) شما تنها ده شبانه روز در علام برزخ) توقف کردید» و نمیدانند چقدر طولانی بوده است (یَتَخافَتُونَ بَیْنَهُمْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا عَشْراً).

این آهسته گفتن آنها یا به خاطر رعب و وحشت شدیدی است که از مشاهده صحنه قیامت به آنها دست میدهد و یا بر اثر شدت ضعف و ناتوانی است.

سورهٔ طه (۲۰): آیهٔ ۱۴۲... ص: ۱۴۲

(آیه ۱۰۴)– سپس اضافه می کند: «ما به آنچه می گویند کاملا آگاهتریم» (نَحْنُ أَعْلَمُ بِما یَقُولُونَ). خواه آهسته بگویند یا بلند. «هنگامی که نیکو روش ترین آنها می گوید: شما تنها یک روز درنگ کردید»! (إِذْ یَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِیقَهً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا یَوْماً).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۴۵.... ص: ۱۴۲

(آیه ۱۰۵)– صحنه هولانگیز قیامت: از آنجا که در آیات گذشته، سخن از حوادث مربوط به پایان دنیا و آغاز قیامت بود، در اینجا نیز همین مسأله را پیگیری میکند.

از این آیه چنین بر می آید که مردم از پیامبر (ص) در باره سرنوشت کوهها به هنگام پایان گرفتن دنیا سؤال کرده بودند. لذا می گوید: «و از تو در باره کوهها سؤال می کنند» (وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبالِ).

در پاسخ: «بگو: پروردگار من آنها را از هم متلاشی و تبدیل به سنگریزه کرده سپس بر باد میدهد»! (فَقُلْ یَنْسِفُها رَبِّی نَسْفاً). از مجموع آیات قرآن در مورد سر نوشت کوهها چنین استفاده میشود که آنها در آستانه رستاخیز مراحل مختلفی را طی میکنند:

نخست به لرزه می آیند سپس به حرکت در می آیند.

در سومین مرحله از هم متلاشی میشوند و به صورت انبوهی از شن در می آیند و در آخرین مرحله آن چنان توفان و باد آنها را از جا حرکت می دهد و در فضا می پاشد که همچون پشمهای زده شده به نظر می رسد. (قارعه/ ۵)

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۴۲... ص: ۱۴۲

(آیه ۱۰۶)- این آیه می گوید: با متلاشی شدن کوهها و پراکنده شدن ذرات آن، «خداوند صفحه زمین را به صورت زمینی صاف و مستوی و بی آب و گیاه در برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۴۳ می آورد» (فَیَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۴۷.... ص: ۱۴۳

(آیه ۱۰۷)– «آن چنان که در آن هیچ گونه اعوجاج و پستی و بلندی مشاهده نخواهی کرد» (لا تَری فِیها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۰۸... ص: ۱۴۳

(آیه ۱۰۸)- «در آن روز، همه از دعوت کننده الهی پیروی نموده، و قدرت بر مخالفت او نخواهند داشت» و همگی از قبرها بر میخیزند (یَوْمَئِذِ یَتَّبِعُونَ الدَّاعِیَ لا عِوَجَ لَهُ).

این دعوت کننده هر کس که باشد آن چنان فرمانش نافذ است که هیچ کس قدرت بر تخلف از آن را ندارد.

«و (در این موقع) همه صداها در برابر عظمت پروردگار رحمان خاضع میشود و جز صدای آهسته، چیزی نمیشنوی» (وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمن فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً).

این خاموشی صداها یا به خاطر سیطره عظمت الهی بر عرصه محشر است که همگان در برابرش خضوع می کنند، و یا از ترس حساب و کتاب و نتیجه اعمال و یا هر دو.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۰۹.... ص: ۱۴۳

(آیه ۱۰۹)- از آنجا که ممکن است بعضی گرفتار این اشتباه شوند که ممکن است غرق گناه باشند و به وسیله شفیعانی شفاعت شوند بلافاصله اضافه می کند:

«در آن روز شفاعت هیچ کس سودی نمی دهد، مگر کسانی که خداوند رحمان به آنها اجازه شفاعت داده، و از گفتار آنها (در این زمینه) راضی است» (یَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ رَضِیَ لَهُ قَوْلًا).

اشاره به این که: شفاعت در آنجا بیحساب نیست، بلکه برنامه دقیقی دارد هم در مورد شفاعت کننده، و هم در مورد شفاعت شونده، و تا استحقاق و شایستگی در افراد برای شفاعت شدن وجود نداشته باشد، شفاعت معنی ندارد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۰... ص: ۱۴۳

(آیه ۱۱۰)- و از آنجا که حضور مردم در صحنه قیامت برای حساب و جزا، نیاز به آگاهی خداوند از اعمال و رفتار آنها دارد، در این آیه چنین اضافه می کند:

«خداوند آنچه را (مجرمان) پیش رو دارند و آنچه را (در دنیا) پشت سر گذاشتهاند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۴۴ همه را می داند (و از تمام افعال و سخنان و نیات آنها در گذشته و پاداش کیفری را که در آینده در پیش دارند، از همه با خبر است) ولی آنها به (علم) او احاطه ندارند» (یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا یُجِیطُونَ بِهِ عِلْماً).

و به این ترتیب احاطه علمی خداوند هم نسبت به اعمال آنهاست و هم نسبت به جزای آنها، و این دو در حقیقت دو رکن قضاوت کامل و عادلانه است.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۱.... ص: ۱۴۴

(آیه ۱۱۱)- «و در آن روز همه مردم در برابر خداوند حیّ قیّوم، کاملا خاضع میشوند» (وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَیِّ الْقَیُّوم).

انتخاب صفت «حی و قیوم» از میان صفات خدا در اینجا به خاطر تناسبی است که این دو صفت با مسأله رستاخیز که روز حیات و قیام همگان است دارد.

و در پایان آیه، اضافه می کند: «و مأیوس (و زیانکار) است آن که بار ستمی بر دوش دارد»! (وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً). گویی ظلم و ستم همچون بار عظیمی است که بر دوش انسان سنگینی می کند و از پیشرفت او به سوی نعمتهای جاویدان الهی باز می دارد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۲.... ص: ۱۴۴

(آیه ۱۱۲)- و از آنجا که روش قرآن غالبا بیان تطبیقی مسائل است بعد از ذکر سرنوشت ظالمان و مجرمان در آن روز، به بیان حال مؤمنان پرداخته می گوید: «و اما کسانی که اعمال صالحی انجام دهند، در حالی که ایمان دارند، آنها نه از ظلم و ستمی می ترسند و نه از نقصان حقشان» (وَ مَنْ یَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا یَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً).

اصولاً برای این که عمل صالح بطور مستمر و ریشه دار و عمیق انجام گیرد باید از عقیده پاک و اعتقاد صحیح (ایمان) سیراب گردد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۳.... ص: ۱۴۴

(آیه ۱۱۳) – قرآن در اینجا اشارهای دارد به مجموع آنچه در آیات قبل پیرامون مسائل تربیتی مربوط به قیامت و وعـد و وعید آمده است، می فرماید:

«و این گونه آن را قرآنی عربی [فصیح و گویا] نازل کردیم و انواع تهدیدها را به عبارت و بیانات مختلف بیان نمودیم، شاید آنها تقوا پیشه کننـد یـا برای آنـان تـذکری پدیـد آورد» (وَ کَـذلِکَ أَنْزَلْناهُ قُوْآناً عَرَبِیًّا وَ صَـرَّفْنا فِیهِ مِنَ الْوَعِیـدِ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ أَوْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۴۵

يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً)

. کلمه «عربییا» گر چه به معنی زبان عربی است، ولی در اینجا اشاره به فصاحت و بلاغت قرآن و رسا بودن مفاهیم آن میباشد، زیرا: اصولا ـ زبان عربی – به تصدیق زبان شناسان جهان – یکی از رساترین لغات، و ادبیات آن از قویترین ادبیات است. دیگر این که گاهی قرآن بیانات مختلفی از یک واقعیت دارد، مثلا ـ مسأله وعید و مجازات مجرمان را، گاهی در لباس بیان سرگذشت امتهای پیشین، و گاهی به صورت خطاب به حاضران، و گاهی در شکل ترسیم حال آنها در صحنه قیامت و گاه به لباسهای دیگر بیان می کند.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۴۵.... ص: ۱۴۵

(آیه ۱۱۴)- این آیه اضافه می کند: «پس بلند مرتبه است خداوندی که سلطان بر حقّ است» (فَتَعالَی اللَّهُ الْمَلِکُ الْحَقُّ). و از آنجا که گاه پیامبر صلّی الله علیه و آله به خاطر عشق به فراگیری قرآن و حفظ آن برای مردم به هنگام دریافت وحی عجله می کرد و کاملا مهلت نمی داد تا جبرئیل سخن خود را تمام کند در دنباله این آیه چنین به او تذکر داده می شود: «و نسبت به (تلاوت) قرآن عجله مکن پیش از آن که وحی آن بر تو تمام شود» (وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْل أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ

وَحْيُهُ).

«و بگو: پروردگارا! علم مرا افزون کن» (وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً).

جایی که پیامبر با آن علم سرشار و روح مملو از آگاهی مأمور باشد که تا پایان عمر، از خدا افزایش علم بطلبد، وظیفه دیگران کاملا روشن است، در حقیقت از نظر اسلام، علم هیچ حد و مرزی را نمی شناسد، افزون طلبی در بسیاری از امور مذموم است، ولی در علم ممدوح است، افراط بد است ولی افراط در علم معنی ندارد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۵.... ص: ۱۴۵

(آیه ۱۱۵)– آدم و فریبکاری شیطان! در اینجا از داستان آدم و حوّا و مبارزه و دشمنی ابلیس با آنان سخن می گوید.

شایـد اشـاره به این نکته که مبـارزه حق و باطـل منحصـر به امروز و دیروز و موسـی (ع) و فرعون نیست، از آغاز آفرینش آدم بوده و همچنان ادامه دارد.

نخست از پیمان آدم با خدا سخن می گوید، می فرماید: «پیش از این، از آدم بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۴۶ پیمان گرفته بودیم، اما او فراموش کرد، و عزم استواری برای او نیافتیم»! (وَ لَقَـدْ عَهِـدْنا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِــَى وَ لَمْ نَجِـدْ لَهُ عَزْماً).

منظور از این «عهد» فرمان خدا دایر به نزدیک نشدن به درخت ممنوع است.

بدون شک آدم، مرتکب گناهی نشد بلکه تنها ترک اولایی از او سر زد، اصولا دوران سکونت آدم در بهشت یک دوران آزمایشی برای آماده شدن جهت زندگی در دنیا و پذیرش مسؤولیت تکالیف بود.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۶ ص: ۱۴۶

(آیه ۱۱۶) – سپس به بخش دیگر این داستان اشاره کرده، می گوید: «و به خاطر بیاورید هنگامی را که به فرشتگان گفتیم: برای آدم سجده کنید، آنها نیز همگی سجده کردند جز ابلیس که امتناع ورزید» (وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْ ِجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِئْلِيسَ أَبِي).

و از اینجا به خوبی مقام با عظمت آدم روشن میشود، آدمی که مسجود فرشتگان بود ضمنا عداوت ابلیس با او از نخستین گام آشکار می گردد.

شک نیست که سجده به معنی پرستش مخصوص خداست، و غیر از خدا هیچ کس و هیچ چیز نمی تواند معبود باشد، بنا بر این سجده فرشتگان در برابر خدا بود، منتهی به خاطر آفرینش این موجود با عظمت که:

شایسته ستایش آن آفریدگار است کارد چنین دل آویز نقشی ز ماء و طینی!

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۷.... ص: ۱۴۶

(آیه ۱۱۷)- به هر حال ما در این موقع به آدم اخطار کردیم «پس گفتیم: ای آدم (با این برنامه مسجل شد که) ابلیس دشمن تو و همسرت است (مواظب باشید) مبادا شما را از بهشت بیرون کنـد که به درد و رنـج خواهی افتاد» (فَقُلْنا یا آدَمُ إِنَّ هـذا عَدُوُّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ فَلا یُخْرِجَنَّکُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۸... ص: ۱۴۶

(آیه ۱۱۸) – سپس خداوند آسایش بهشت و درد و رنج محیط بیرون آن را برای آدم چنین شرح میدهد: «تو در اینجا گرسنه نخواهی شد و برهنه نمی شوی» (إِنَّ لَکَ أَلَّا تَجُوعَ فِیها وَ لا تَعْری).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۱۹... ص: ۱۴۶

(آیه ۱۱۹)- «و تو در آن تشنه نخواهی شد و آفتاب سوزان آزارت نمی دهد» (وَ أَنَّكُ لا تَظْمَوُّا فِيها وَ لا تَضْحی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۴۷

در دو آیه فوق به چهار نیاز اصلی و ابتـدایی انسان یعنی نیاز به غـذا و آب و لباس و مسکن (پوشـش در مقابل آفتاب) اشاره شده است.

سورهٔ طه (۲۰): آیهٔ ۱۲۰... ص: ۱۴۷

(آیه ۱۲۰) - اما با این همه شیطان کمر عداوت و دشمنی را با آدم بسته بود، به همین دلیل آرام ننشست «پس شروع به وسوسه آدم کرد و گفت: ای آدم! آیا درخت عمر جاویدان را به تو نشان بدهم (که هر کس از میوه آن بخورد همیشه زنده خواهد بود) آیا راه رسیدن به حکومت و سلطنت همیشگی را میخواهی بدانی»؟! (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ یا آدَمُ هَلْ أَدُلُّکَ عَلی شَجَرَهُ الْخُلْدِ وَ مُلْکِ لا يَبْلی).

در واقع شیطان حساب کرد تمایل آدم به چیست و به اینجا رسید که او تمایل به زندگی جاویدان و رسیدن به قدرت بیزوال دارد، لذا برای کشاندن او به مخالفت فرمان پروردگار از این دو عامل استفاده کرد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۲۱.... ص: ۱۴۷

(آیه ۱۲۱)- سر انجام آنچه نمی بایست بشود شد، «پس (آدم و حوّا) هر دو از آن (درخت ممنوع) خوردند (و به دنبال آن لباسهای بهشتی از اندامشان فرو ریخت) عورتشان آشکار گشت»! (فَأَكلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما).

هنگامی که آدم و حوّا چنین دیدنـد بلا فاصـله «از برگهای (درختان) بهشتی جامه دوختنـد» برای پوشانـدن اندام خود (وَ طَفِقا یَخْصِفانِ عَلَیْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّهِ).

آرى! عاقبت «آدم پروردگارش را نافرمانی کرد و از پاداش او محروم شد» (وَ عَصَى آدَمُ رَبُّهُ فَغُوى).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۲۲... ص: ۱۴۷

(آیه ۱۲۲) – ولی از آنجا که آدم ذاتا پاک و مؤمن بود و در طریق رضای خدا گام بر میداشت، و این خطا که بر اثر وسوسه شیطان دامن او را گرفت جنبه استثنایی داشت، خداونـد او را از رحمت خود برای همیشه دور نساخت، بلکه «بعد از این ماجرا پروردگارش او را برگزید و توبهاش را پذیرا شد و هدایتش کرد» (ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَیْهِ وَ هَدی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۲۳.... ص: ۱۴۷

(آیه ۱۲۳) – با این که توبه آدم پذیرفته شد، اما کاری کرده بود که بازگشت به حال نخستین امکانپذیر نبود و لذا خداوند «به او و حوّا دستور داد: هر دو (و همچنین شیطان همراه شما) از بهشت به زمین فرود آیید» (قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِیعاً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۴۸

«در حالى كه دشمن يكديگر خواهيد بود» (بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ عَدُوٌّ).

اما به شـما اخطار می کنم، راه سـعادت و نجات به رویتان گشوده است «پس هر گاه هـدایت من به سـراغ شـما بیاید هر یک از شما از این هدایت پیروی کند نه گمراه میشود و نه شقاوتمند» (فَإِمَّا یَأْتِیَنَّکُمْ مِنِّی هُدیً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۲۸.... ص: ۱۴۸

(آیه ۱۲۴)- و برای این که تکلیف آنها که فرمان حق را فراموش می کننـد نیز روشن گردد اضافه می کنـد: «و کسـی که از یاد من روی گردان شود، زندگی سخت و تنگی خواهد داشت» (وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَةً ضَنْکاً).

«و در قيامت او را نابينا محشور مي كنيم» (وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى).

اصولاً تنگی زندگی بیشتر به خاطر کمبودهای معنوی و نبودن غنای روحی است، به خاطر عدم اطمینان به آینده و ترس از نابود شدن امکانات موجود، و وابستگی بیش از حد به جهان ماده است، و آن کس که ایمان به خدا دارد و دل به ذات پاک او بسته، از همه این نگرانیها در امان است.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۲۵.... ص: ۱۴۸

(آیه ۱۲۵)- در آنجا «عرض میکند: پروردگارا! چرا مرا نابینا محشور کردی در حالی که قبلاـ بینا بـودم»؟! (قـالَ رَبِّ لِمَ حَشَوْتَنِی أَعْمی وَ قَدْ کُنْتُ بَصِیراً).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۲۶.... ص: ۱۴۸

(آیه ۱۲۶)– بلا فاصله پاسخ میشنود که، «میفرماید: آن گونه که آیات من برای تو آمد، و تو آنها را فراموش کردی، امروز نیز تو فراموش خواهی شد» (قالَ کَذلِکَ أَتَتْکَ آیاتُنا فَنسِـ یتَها وَ کَذلِکَ الْیَوْمَ تُنْسـی). و چشـمت از دیدن نعمتهای پروردگار و مقام قرب او نابینا میگردد.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۲۷.... ص: ۱۴۸

(آیه ۱۲۷)– سر انجام به صورت یک جمع بندی و نتیجه گیری میفرماید:

«و این گونه کسانی را که راه اسراف را پیش گرفتنـد و ایمان به آیات پروردگارشان نیاوردند جزا میدهیم» (وَ کَذلِکَ نَجْزِی مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ یُؤْمِنْ بِآیاتِ رَبِّهِ).

«و عذاب آخرت از اين هم شديدتر و پايدارتر است» (وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَ أَبْقى).

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۲۸.... ص: ۱۴۸

(آیه ۱۲۸) – از تاریخ گذشتگان عبرت بگیرید: از آنجا که در آیات گذشته برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۴۹ بحثهای فراوانی از مجرمان به میان آمد در این آیه به یکی از بهترین و مؤثرترین طرق بیداری که مطالعه تاریخ پیشینیان است اشاره کرده، چنین می گوید: «آیا برای هدایت آنها همین کافی نیست که بسیاری از اقوام گذشته را که در قرون پیشین زندگی می کردند هلاک کردیم» (أَ فَلَمْ یَهْدِ لَهُمْ کَمْ أَهْلَکْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ).

همان کسانی که گرفتار مجازات دردناک الهی شدنـد و «اینها در مساکن (ویران شـده) آنان رفت و آمـد دارنـد» (یَمْشُونَ فِی مَساکِنِهمْ).

اینها در مسیر رفت و آمد خود، به خانههای قوم عاد در سفرهای یمن و مساکن ویران شده قوم ثمود در سفر شام و منازل زیر و رو گشته قوم لوط در سفر فلسطین می گذرند، آثار آنها را می بینند، ولی درس عبرت نمی گیرند.

آرى «در اينها دلايل روشن و آيات فراواني است براي صاحبان عقل و انديشه بيدار» (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهي).

موضوع عبرت گرفتن از تاریخ پیشینیان از مسائلی است که قرآن و احادیث اسلامی زیاد روی آن تکیه کرده است.

در حـدیثی از پیـامبر گرامی اســلام (ص) میخوانیم: «غافلترین مردم کســی است که از دگرگون شــدن دنیا انــدرز نگیرد» و از ورق گردانی لیل و نهار اندیشه نکند.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۲۹.... ص: ۱۴۹

(آیه ۱۲۹) - این آیه در حقیقت پاسخ به سؤالی است که در اینجا مطرح می شود و آن این که چرا خداوند همان برنامهای را که برای مجرمان پیشین ترتیب داد برای این گروه ترتیب نمی دهد، قرآن می گوید: «و اگر سنّت و تقدیر پروردگارت و ملاحظه زمان مقرّر نبود، به زودی عذاب الهی دامان آنها را می گرفت» (وَ لَوْ لا کَلِمَ هُ سَرِ بَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَکَانَ لِزاماً وَ أَجَلٌ مُسَمَّی).

این سنت الهی، اشارهای به فرمان آفرینش دایر به آزادی انسانهاست، زیرا اگر هر مجرمی بلافاصله و بدون هیچ گونه مهلت مجازات شود، ایمان و عمل صالح، تقریبا جنبه اضطراری و اجباری پیدا می کند، و بیشتر به خاطر ترس و وحشت از مجازات فوری خواهد بود، بنا بر این وسیله تکامل که هدف اصلی است نخواهد شد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۵۰ به علاوه اگر حکم شود که همه مجرمان فورا مجازات شوند، کسی در روی زمین زنده نخواهد ماند. (نحل/ ۶۱) بنا بر این، باید مهلتی باشد تا گنهکاران به خود آیند و راه اصلاح در پیش گیرند، و هم فرصتی برای خود سازی، به همه پویندگان راه حق داده شود.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۳۰... ص: ۱۵۰

(آیه ۱۳۰)- سپس روی سخن را به پیامبر (ص) کرده، می گوید: «اکنون (که بنا نیست این بد کاران فورا، مجازات شوند) تو در برابر آنچه آنها می گویند صابر و شکیبا باش» (فَاصْبِرْ عَلی ما یَقُولُونَ).

و برای تقویت روحیه پیامبر (ص) و تسلی خاطر او دستور راز و نیاز با خدا و نماز و تسبیح را میدهد و می گوید: «قبل از طلوع

آفتاب و پیش از غروب آن، همچنین در اثناء شب و اطراف روز تسبیح و حمد پروردگارت را به جا آور تا راضی و خشنود شوی» و قلب تو در برابر سخنان درد آور آنها نـاراحت نشود (وَ سَـبِّحْ بِحَمْ دِ رَبِّکَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِها وَ مِنْ آناءِ اللَّيْل فَسَبِّحْ وَ أَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّکَ تَرْضی).

بدون شک این حمد و تسبیح مبارزهای است با شرک و بت پرستی در عین صبر و شکیبایی در برابر بـد گوییها و سخنان ناهنجار مشرکان.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۳۱.... ص: ۱۵۰

(آیه ۱۳۱) - در اینجا دستوراتی به پیامبر داده شده که در حقیقت منظور از آن عموم مسلمانان است، و تکمیلی است برای بحثی که در زمینه «شکیبایی» در آیه گذشته خواندیم.

نخست می گوید: «و هرگز چشمان خود را به نعمتهای مادی که به گروههایی از آنها (کفار و مخالفان) دادهایم میفکن!» (وَ لا تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلی ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ).

آرى! اين نعمتهاى ناپايدار، «شكوفههاى زندگى دنياست» (زَهْرَهَ الْحَياهِ الدُّنيا). شكوفههايى كه زود مىشكفد و پژمرده مىشود و پرپر مى گردد و بر روى زمين مىريزد، و چند صباحى بيشتر پايدار نمىماند.

در عین حال اینها همه «برای آن است که ما آنان را در آن بیازماییم» برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۵۱ (لِنَفْتِنَهُمْ فِیهِ).

و به هر حال «آنچه پروردگارت به تو روزی داده بهتر و پایدارتر است» (وَ رِزْقُ رَبِّکَ خَیْرٌ وَ أَبْقی).

خداوند انواع مواهب و نعمتها را به تو بخشیده است، ایمان و اسلام، قرآن و آیات الهی، روزیهای حلال و پاکیزه و سر انجام نعمتهای جاودان آخرت این روزیها پایدارند و جاودانی.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۳۲.... ص: ۱۵۱

(آیه ۱۳۲)– در این آیه برای تلطیف روح پیامبر (ص) و تقویت قلب او میفرماید: «و خانواده خود را به نماز دستور ده و خود نیز بر انجام آن شکیبا و پر استقامت بـاش» (وَ أُمُرْ أَهْلَـکَ بِالصَّلاهِ وَ اصْـطَبِرْ عَلَيْها). چرا که این نماز برای تو و خانـدانت مایه پاکی و صفای قلب و تقویت روح و دوام یاد خداست.

سپس اضافه می کند: اگر دستور نماز به تو و خاندانت داده شده است منافع و برکاتش تنها متوجه خود شماست «ما از تو روزی نمیخواهیم بلکه به تو روزی میدهیم» (لا نَشئلُکَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُکَ).

این نماز چیزی بر عظمت پروردگار نمیافزاید، بلکه سرمایه بزرگی برای تکامل شما انسانها و کلاس عالی تربیت است. و در پایان آیه اضافه میکند: «و عاقبت و سر انجام نیک از آن تقواست» (وَ الْعاقِبَةُ لِلتَّقْوی).

آنچه باقی میمانید و سر انجامش مفید و سازنیده و حیاتبخش است همان تقوا و پرهیز کاری است، پرهیز کاران سر انجام پیروزند و بی تقوایان محکوم به شکست.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۵۳.... ص: ۱۵۱

(آیه ۱۳۳)- این آیه به یکی از بهانه جوییهای کفار اشاره کرده، می گوید: «و آنها گفتند: چرا پیامبر معجزهای از سوی پروردگارش (آن چنان که ما میخواهیم) نمی آورد» (وَ قالُوا لَوْ لا يَأْتِينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ).

بلا فاصله به آنها پاسخ می گوید: «آیا خبرهای روشن (اقوام پیشین) که در کتب آسمانی گذشته بوده است برای آنها نیامده»؟ (أَ وَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَیْنَهُ مَا فِی الصَّحُفِ الْأُولی). که پی در پی برای آوردن معجزات بهانهجویی می کردند و پس از مشاهده بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۵۲

معجزات به کفر و انکار ادامه میدادند و عذاب شدید الهی دامنشان را می گرفت، آیا نمیدانند اگر اینها نیز همین راه را بروند همان سرنوشت در انتظارشان است.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۵۴.... ص: ۱۵۲

(آیه ۱۳۴)- به هر حال این بهانه جویان مردمی حق طلب نیستند بلکه دائما در فکر بهانه گیری تازهای میباشند حتی «اگر ما آنها را قبل از نزول این قرآن و آمدن پیامبر اسلام مجازات و هلاک می کردیم در قیامت می گفتند: پروردگارا! چرا پیامبری برای ما نفرستادی، تا از آیات تو پیروی کنیم پیش از آن که ذلیل و رسوا شویم»؟! (وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا فَنَتَبِعَ آیاتِکَ مِنْ قَبْل أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزی).

ولی اکنون که این پیامبر بزرگ با این کتاب با عظمت به سراغ آنها آمده هر روز سخنی می گویند و برای فرار از حق بهانهای می تراشند.

سورهٔ طه(۲۰): آیهٔ ۱۳۵.... ص: ۱۵۲

(آیه ۱۳۵)– به آنها اخطار کن و «بگو: همه ما و شما در انتظاریم» (قُلْ کُلُّ مُتَرَبِّصٌ).

ما انتظار وعدههای الهی را در مورد شما داریم، شما هم در انتظار این هستید که مشکلات و مصائب دامان ما را بگیرد. «اکنون که چنین است در انتظار باشید»! (فَتَرَبَّصُوا).

«اما به زودی خواهید دانست چه کسانی اهل راه مستقیم و آیین حقند و چه کسانی (به منزلگاه حق، و نعمت جاودان الهی) هدایت یافتند» (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِیِّ وَ مَن اهْتَدی).

و با این جمله قاطع و پر معنی گفتگوی خود را با این منکران لجوج و بهانهجو در اینجا پایان میدهد.

«یایان سوره طه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۵۳

آغاز جزء هفدهم قرآن مجيد ص: 153

سوره انبياء [21] ص: 153

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده، و ۱۱۲ آیه است

محتواي سوره: ص : 153

۱- این سوره چنانکه از نامش پیداست، سوره پیامبران است، چرا که نام شانزده پیامبر، بعضی، با ذکر فرازهایی از حالاتشان و بعضی تنها به صورت اشاره در این سوره آمده است- موسی- هارون- ابراهیم- لوط- اسحاق- یعقوب- نوح- داود- سلیمان- ایوب- اسماعیل- ادریس- ذا الکفل- ذا النون (یونس)- زکریا و یحیی.

۲- ویژگی سوره های «مکّی» که از عقاید دینی، مخصوصا از مبدأ و معاد سخن می گوید، کاملا در این سوره منعکس است. ۳- بخش دیگری از این سوره، از پیروزی حق بر باطل، توحید بر شرک و لشکریان عدل و داد بر جنود ابلیس، سخن گفته شده است.

جالب این که این سوره با هشدارهای شدید نسبت به مردم غافل و بیخبر از حساب و کتاب آغاز شده، و پایان آن نیز با هشدارهای دیگری در این زمینه تکمیل می گردد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 153

در حدیثی از پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله چنین نقل شده:

«هر کس سوره انبیاء را بخواند خداوند حساب او را آسان می کند (و در محاسبه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۵۴ اعمالش در روز قیامت سختگیری نخواهد کرد) و هر پیامبری که نام او در قرآن ذکر شده با او مصافحه کرده و سلام می فرستد».

پیداست خواندن مقدمهای است برای اندیشیدن، و اندیشیدن مقدمهای برای ایمان و عمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الأنبياء(٢١): آية ١ ص: ١٥٤

(آیه ۱)- این سوره با یک هشدار نیرومند به عموم مردم آغاز می شود، هشداری تکاندهنده و بیدار کننده، می گوید: «حساب مردم به آنها نزدیک شده، در حالی که آنها در غفلتند و روی گردانند» (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَ هُمْ فِی غَفْلَهُ مُعْرِضُونَ). عمل آنها نشان می دهد که این غفلت و بی خبری سراسر وجودشان را گرفته و گر نه چگونه ممکن است انسان ایمان به نزدیکی حساب، آن هم از حسابگری فوق العاده دقیق، داشته باشد و این چنین همه مسائل را سرسری بگیرد و آلوده هر گونه گناه باشد؟

منظور از نزدیک شدن حساب و قیامت آن است که باقیمانده دنیا در برابر آنچه گذشته کم است، و به همین دلیل رستاخیز نزدیک خواهد بود (نزدیک نسبی) بخصوص این که از پیامبر اسلام (ص) نقل شده که فرمود: «بعثت من و روز قیامت مانند این دو است»! (به انگشت «سبابه» و «وسطی» که در کنار هم قرار دارند اشاره فرمود).

سورة الأنبياء(٢١): آية ٢ ص: ١٥٤

(آیه ۲)- این آیه یکی از نشانه های اعراض و روی گردانی آنها را به این صورت بیان می کند، می فرماید: «هیچ یاد آوری

تازهای از طرف پروردگارشان برای آنها نمی آید، مگر آنکه با بازی (و شوخی) به آن گوش میدهند»! (ما یَأْتِیهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ یَلْعَبُونَ).

در حالی که اگر حتی یک بار به صورت جدّی با آن بر خورد کنند چه بسا مسیر زندگانی آنها در همان لحظه تغییر پیدا می کند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۵۵

سورة الأنبياء(٢١): آية ٣.... ص: ١٥٥

(آیه ۳)- باز برای تأکید بیشتر می گوید: «آنها در حالی هستند که دلهایشان در لهو و بیخبری فرو رفته است» (لاهِیَهٔٔ قُلُوبُهُمْ). زیرا آنها از نظر ظاهر همه مسائل جدی را لعب و بازی و شوخی میپندارند.

و طبیعی است چنین کسانی هرگز راه سعادت را نخواهند یافت.

بعد به گوشهای از نقشههای شیطانی آنها اشاره کرده، میفرماید: «و این ظالمان گفتگوهای در گوشی خود را (که برای توطئه انجام میدهند) پنهان میدارند، و می گویند: آیا این جز یک بشر عادی همچون شماست»؟ (وَ أَسَرُّوا النَّجْوَی الَّذِینَ ظَلَمُوا هَلْ هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ).

حال که او یک بشر عادی بیش نیست لابد این کارهای خارق العاده او و نفوذ سخنش چیزی جز سحر نمی تواند باشد «پس آیا شما به سراغ سحر می روید با این که می بینید»؟ (أَ فَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ).

آنها در این گفتارشان روی دو چیز تکیه داشتند، یکی بشر بودن پیامبر (ص) و دیگری بر چسب سحر، و در آیات بعد برچسبهای دیگری نیز خواهد آمد که قرآن به آنها پاسخ میدهد.

سورة الأنبياء(21): آية 4.... ص: 155

(آیه ۴)– قرآن به صورت کلی به آنها از زبان پیامبر (ص) چنین پاسخ می گوید: (پیامبر) گفت: پروردگارم همه سخنان را، چه در آسمان باشد و چه در زمین میداند و او شنوا و داناست» (قالَ رَبِّی یَعْلَمُ الْقَوْلَ فِی السَّماءِ وَ الْأَرْضِ).

چنین تصور نکنید که سخنان مخفیانه و توطئه های پنهانی شما بر او مخفی باشد، «چرا که او هم شنوا و هم داناست» (وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). او همه چیز را می داند و از همه کار با خبر است، نه تنها سخنان را می شنود، بلکه از اندیشه هایی که از مغزها می گذرد، و تصمیمهایی که در سینه ها پنهان است آگاه است.

سورة الأنبياء(21): آية 5 ص: 155

(آیه ۵)- بعد از ذکر دو قسمت از بهانه جوییهای مخالفان، به چهار قسمت دیگر از آن پرداخته چنین می گوید: «آنها گفتند: (آنچه محمد آورده وحی نیست) بلکه خوابهای آشفته است» که آنها را حقیقت و واقعیت می پندارد! (بَـلُ قالُوا أَضْ فاتُ أَحْلام). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۵۶

و گاه این سخن خود را عوض می کنند و می گویند: او مرد دروغگویی است که این سخنان را «به خدا افترا بسته»! (بَلِ افْتَراهُ). و گاه می گویند: «نه او یک شاعر است» و این آیات مجموعهای از تخیلات شاعرانه اوست (بَلْ هُوَ شاعِرٌ). و در آخرین مرحله می گویند: از همه اینها که بگذریم اگر او راست می گوید که فرستاده خداست «پس باید معجزهای برای ما بیاورد همان گونه که پیامبران پیشین با معجزات فرستاده شدند» (فَلْیَأْتِنا بِآیَةٍ کَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ).

بررسیهای این نسبتهای ضد و نقیض به پیامبر (ص) خود بهترین دلیل بر آن است که آنها حق طلب نبودند، بلکه هدفشان بهانه جویی و به اصطلاح بیرون کردن حریف از میدان به هر قیمت و به هر صورت بوده است.

سورة الأنبياء(21): آية 6 ص: 156

(آیه ۶)- پیامبران همه از نوع بشر بودند: در آیات گذشته شش نمونه از ایرادهای ضد و نقیض دشمنان اسلام به پیامبر (ص) بازگو شده است، در اینجا نیز به پاسخ آنها پرداخته، نخست به پیشنهاد معجزات دلخواه آنان به عنوان بهانه گیری اشاره کرده، می گوید: «تمام شهرها و آبادیهایی که پیش از اینها هلاکشان کردیم (تقاضای این گونه معجزات را کردند، ولی هنگامی که پیشنهادشان عملی شد) هر گز ایمان نیاوردند، آیا اینها ایمان می آورند»؟! (ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْیَهُ أَهْلَکْناها أَ فَهُمْ یُوْمِنُونَ). در ضمن به آنها اخطار می کند که اگر به تقاضای شما در زمینه معجزات اقتراحی پاسخ گفته شود و ایمان نیاورید، نابودی شما حتمی است!

سورة الأنبياء(21): آية 7 ص: 158

(آیه ۷)- این آیه به پاسخ نخستین ایراد آنها در زمینه بشر بودن پیامبر (ص) پرداخته، می گوید: «ما پیش از تو، جز مردانی که به آنان وحی می کردیم، نفرستادیم» همه انسان بودند و از جنس بشر (وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ إِنَّا رِجالًا نُوحِی إِلَيْهِمْ). این یک واقعیت تاریخی است که همگان از آن آگاهند «اگر شما نمیدانید از آگاهان بپرسید» (فَسْئُلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُه نَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۵۷

سورة الأنبياء(21): آية 8 ص: 157

(آیه ۸)- این آیه توضیح بیشتری در مورد بشر بودن پیامبران میدهد، می گوید: «و ما پیامبران را پیکرهایی که غذا نخورند قرار ندادیم و آنها هر گز عمر جاویدان نداشتند» (وَ ما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا یَاْکُلُونَ الطَّعامَ وَ ما کانُوا خالِدینَ). رهبر انسانها باید از جنس خودشان باشد، با همان غرایز، عواطف، احساسها، نیازها، و علاقهها، تا دردهای آنها را لمس کند، و بهترین طریق درمان را با الهام گرفتن از تعلیماتش انتخاب نماید، تا الگو و اسوهای برای همه انسانها باشد و حجت را بر همه تمام کند.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٩ ص: ١٥٧

(آیه ۹)- سپس به عنوان تهدید و هشداری به منکران سر سخت و لجوج چنین می گوید: ما به پیامبرانمان وعده داده بودیم که آنها را از چنگال دشمنان رهائی بخشیم و نقشههای آنها را نقش بر آب کنیم، آری «ما سر انجام به این وعده خود وفا کردیم و صدق آن را آشكار ساختيم، آنها و تمام كساني را كه ميخواستيم نجات داديم و مسرفان را هلاك نموديم»! (ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْناهُمْ وَ مَنْ نَشاءُ وَ أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ).

آری! همان گونه که سنت ما انتخاب کردن رهبران بشر از میان افراد بشر بود، این هم سنت ما بود که در برابر توطئههای مخالفان از آنها حمایت کنیم و اگر اندرزهای پی در پی در آنها مؤثر نیفتاد، صفحه زمین را از لوث وجودشان پاک سازیم.

سورة الأنبياء(21): آية 10 ص: 157

(آیه ۱۰)-این آیه در یک جمله کوتاه و پر معنی، به اکثر ایرادهای مشرکان مجددا پاسخ داده، می گوید: «ما بر شما کتابی نازل کردیم که وسیله بیداری شما در آن است آیا تعقل نمی کنید»؟! (لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَیْکُمْ کِتاباً فِیهِ ذِکْرُکُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ). هر کس آیات این کتاب را که مایه تذکر و بیداری دل و حرکت اندیشه و پاکی جامعههاست بررسی کند به خوبی می داند یک معجزه روشن و جاویدان است، با وجود این معجزه آشکار که از جهات مختلف آثار اعجاز در آن نمایان است-از جهت جاذبه فوق العاده، از جهت محتوا، احکام و قوانین، عقاید و معارف و ...-آیا باز در انتظار ظهور معجزه دیگری هستید؟ البته بیدار کننده بودن قرآن جنبه اجباری و الزامی ندارد، بلکه مشروط است برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۵۸ به این که انسان خودش بخواهد و دریچههای قلبش را به روی آن بگشاید.

سورة الأنبياء(21): آية 11 ص: 158

(آیه ۱۱)- چگونه ستمگران در چنگال عذاب گرفتار شدند؟ در اینجا به دنبال گفتگوهایی که در باره مشرکان و کافران لجوج گذشت سر نوشت آنها را با مقایسه با سر نوشت اقوام پیشین، مشخص می کند.

نخست می گوید: «چه بسیار شهرها و آبادیهای ظالم و ستمگری را در هم شکستیم» (وَ کَمْ قَصَمْنا مِنْ قَوْیَةٍ کانَتْ ظالِمَةً). «و بعد از آنها قوم و جمعیت دیگری را به روی کار (و به میدان آزمایش) آوردیم» (وَ أَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِینَ).

سورة الأنبياء(21): آية 12 ص: 158

(آیه ۱۲)- آنگاه شرح حال آنها را به هنگامی که دامنه عذاب در آبادی آنها گسترده می شد، و وضع بیچارگی آنان را در مقابل مجازات الهی مشخص می کند، می گوید: «پس هنگامی که آنها احساس کردند عذاب الهی می خواهد دامنشان را بگیرد، پا به فرار گذاردند» (فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ).

درست همانند یک لشکر شکست خورده که شمشیرهای برهنه دشمن را پشت سر خود میبینند و به هر سو پراکنده میشوند.

سورة الأنبياء(21): آية ١٣ ص: ١٥٨

(آیه ۱۳) – اما به عنوان توبیخ و سرزنش به آنها گفته می شود: «فرار نکنید و باز گردید به سوی زندگانی پر ناز و نعمتتان! و به سوی کاخها و قصرها و مسکنهای پر زر و زیورتان، شاید (سائلان بیایند و) و از شما تقاضا کنند» (لا تَرْکُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلَی ما أُتْرِفْتُمْ فِیهِ وَ مَساکِنِکُمْ لَعَلَّکُمْ تُشْئُلُونَ).

این عبارت ممکن است اشاره به آن باشد که همواره در این زندگی پر ناز و نعمتی که داشتند سائلان و تقاضا کنندگان بر در خانههایشان رفت و آمد داشتند، با امید می آمدند و محروم باز می گشتند به آنها می گوید: باز گردید و همان صحنههای نفرت انگیز را تکرار کنید، و این در حقیقت یک نوع استهزاء و سرزنش است.

سورة الأنبياء(21): آية 14 ص: 158

(آیه ۱۴)– به هر حال آنها در این هنگام بیدار میشوند، آنچه را قبلا شوخی میپنداشتند به جدیترین صورت در برابر خویش میبینند و فریادشان بلند میشود «میگویند: ای وای بر ما که ظالم و ستمگر بودیم»! (قالُوا یا وَیْلَنا إِنَّا کُنَّا ظالِمِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۵۹

سورة الأنبياء(21): آية 15 ص: 159

(آیه ۱۵) – اما این بیداری اضطراری که در برابر صحنه های جدی عذاب برای هر کس پیدا می شود بی ارزش است، و اثری در تغییر سر نوشت آنها ندارد، لذا قرآن در این آیه اضافه می کند: «و همچنان این سخن را (وای بر ما ظالم و ستمگر بودیم) تکرار می کردند تا آنها را درو کرده و خاموش ساختیم» (فَما زالَتْ تِلْکَ دَعْواهُمْ حَتَّی جَعَلْناهُمْ حَصِیداً خامِدِینَ).

سورة الأنبياء(21): آية 18 ص: 159

(آیه ۱۶) – آفرینش آسمان و زمین بازیچه نیست: از آنجا که در آیات گذشته این حقیقت منعکس بود که ظالمان بی ایمان هدفی برای آفرینش خود جز عیش و نوش قائل نبودند، و در واقع عالم را بی هدف می پنداشتند، قرآن مجید در اینجا برای ابطال این طرز فکر و اثبات وجود هدف با ارزشی برای آفرینش کل جهان مخصوصا انسانها چنین می گوید: «ما آسمان و زمین و آنچه میان آنهاست از روی بازی نیافریدیم» (وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما لاعِبینَ).

این زمین گسترده، این آسمان پهناور، و این همه موجودات متنوع و بدیعی که در صحنه آنهاست نشان میدهد، غرض مهمی در کار بوده است، آری هدف این بوده که از یک سو بیانگر آن آفریننده بزرگ باشند و نشانهای از عظمتش، و از سوی دیگر دلیلی بر «معاد» باشد و گر نه این همه غوغا برای این چند روز معنی نداشت.

سورة الأنبياء(٢١): آية ١٧ ص: ١٥٩

(آیه ۱۷)- این آیه می گوید: اکنون که مسلم شد عالم بی هدف نیست، این هم مسلم است که هدف این آفرینش، سر گرمی خدا به امر خلقت نبوده است که این سر گرمی نامعقولی است «به فرض محال اگر می خواستیم سر گرمی انتخاب کنیم چیزی متناسب خود انتخاب می کردیم» (لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فاعِلِینَ).

این آیه بازگوی دو حقیقت است: نخست این که محال است هدف پروردگار سر گرمی خویشتن باشد.

سپس می گوید: به فرض که هدف سر گرمی بود باید سر گرمی مناسب ذات او باشد، از عالم مجردات و مانند آن، نه عالم محدود ماده.

سورة الأنبياء(٢١): آية ١٨ ص: ١٥٩

(آیه ۱۸)- سپس با لحن قاطعی برای ابطال اوهام بی خردانی که دنیا را برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۶۰

بی هدف یا تنها مایه سر گرمی می پندارند چنین می گوید: این جهان، مجموعهای است از حق و واقعیت، چنین نیست که اساس آن بر باطل بوده باشد «بلکه ما حق را بر سر باطل می کوبیم تا آن را هلاک سازد و این گونه باطل محو و نابود می شود» (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَیَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ).

و در پایان آیه می گوید: «اما وای بر شما از این توصیفی که (از بی هدفی عالم) می کنید» (وَ لَکُمُ الْوَیْلُ مِمَّا تَصِفُونَ). یعنی ما همواره دلایل عقلی و استدلالات روشن و معجزات آشکار خود را در برابر پندارها و اوهام بیهوده گرایان قرار میدهیم، تا در نظر اندیشمندان و صاحبان عقل، این پندارها در هم کوبیده و نابود شود.

سورة الأنبياء(21): آية 19 ص: 160

(آیه ۱۹) - در آیات گذشته سخن از این واقعیت بود که عالم هستی دارای هدف تکاملی حساب شدهای است برای انسانها. و از آنجا که ممکن است این توهم به وجود آید که خدا چه نیازی به ایمان و عبادت ما دارد؟ به پاسخ این سخن میپردازد و می گوید: «و تمام کسانی که در آسمانها و زمین هستند از آن اویند» (وَ لَهُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْاَرْضِ). «و آنها که نزد اویند [فرشتگان] هیچ گاه از عبادتش استکبار نمیورزند، و هر گز خسته نمیشوند» (وَ مَنْ عِنْدَهُ لا یَهْ تَکْبِرُونَ

سورة الأنبياء(21): آية 20 ص: 160

عَنْ عِبادَتِهِ وَ لا يَسْتَحْسِرُونَ).

(آیه ۲۰)- «تمام شب و روز تسبیح می گوینـد و کمترین ضعف و سـستی به خود راه نمیدهنـد» (یُسَـبِّحُونَ اللَّیْلَ وَ النَّهـارَ لا یَفْتُرُونَ).

با این حال او چه نیازی به طاعت و عبادت شما دارد، پس اگر دستور ایمان و عمل صالح و بنمدگی و عبودیت به شما داده، سود و فایدهاش متوجه خود شماست.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٢١ ص: ١٦٠

(آیه ۲۱)- پس از آن که بیهودگی و بیهدفی عالم هستی در آیات گذشته، نفی شد در اینجا به مسأله وحدت معبود و مدیر و مدیر این جهان پرداخته، چنین می گوید: «آیا آنها خدایانی از زمین برگزیدند، خدایانی که می توانند (موجودات زنده را) بیافرینند و در جهان پخش کنند»؟! (أَم اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ یُنْشِرُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۶۱

سورة الأنبياء(21): آية 27 ص: 161

(آیه ۲۲)- این آیه یکی از دلایل روشن نفی «آلهه» و خدایان مشرکان را به این صورت بیان میکند: «اگر در آسمان و زمین،

معبودها و خدایانی جز الله بود هر دو فاسد می شدند» و نظام جهان بر هم می خورد (لَوْ کَانَ فِیهِما آلِهَهُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا). «پس منزّه و پاک است خداوند، پروردگار عرش، از توصیفی که آنها می کنند» (فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا یَصِفُونَ). این نسبتهای ناروا، و این خدایان ساختگی و آلهه پنداری، اوهامی بیش نیستند و دامان کبریایی ذات پاک او با این نسبتهای ناروا آله ده نمی گددد.

دلیلی که برای توحید و نفی آلهه در آیه فوق، آمده است، در عین سادگی و روشنی، یکی از براهین دقیق فلسفی در این زمینه است که دانشمندان از آن، به عنوان «برهان تمانع» یاد می کنند، خلاصه این برهان را چنین می توان بیان کرد:

بدون شک نظام واحدی در این جهان حکمفرماست این هماهنگی قوانین و نظامات آفرینش از این حکایت می کند که از مبدأ واحدی سر چشمه گرفته است چرا که اگر مبدأها متعدد بود و ارادهها مختلف، این هماهنگی هرگز وجود نداشت چرا که هر یک اقتضایی داشت و هر کدام اثر دیگری را خنثی می کرد و سر انجام جهان به فساد می گرایید.

سورة الأنبياء(21): آية 23 ص: 161

(آیه ۲۳)- پس از آن که با استدلالی که در آیه قبل آمد توحید مدبر و اداره کننده این جهان اثبات شد، در این آیه می گوید: او آن چنان حکیمانه جهان را نظم بخشیده که جای هیچ ایراد و گفتگو در آن نیست آری «هیچ کس نمی تواند بر کار او خرده بگیرد (و از آن سؤال کند) در حالی که دیگران چنین نیستند و در افعالشان جای ایراد و سؤال بسیار است» (لا یُشئَلُ عَمًا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُشئَلُونَ).

دو گونه سؤال داریم، یک نوع سؤال توضیحی است که انسان میخواهد نکته اصلی و هدف واقعی کاری را بداند، این گونه سؤال در افعال خدا نیز جایز است.

اما نوع دیگر، سؤال اعتراضی است، که مفهومش این است عمل انجام شده نادرست و غلط بوده مسلما این نوع سؤال در افعال خداوند حکیم معنی ندارد ولی جای این گونه سؤال در افعال دیگران بسیار است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۶۲

سورة الأنبياء(21): آية 24 ص: 182

(آیه ۲۴)– این آیه مشتمل بر دو دلیل دیگر در زمینه نفی شرک است، که با دلیل گذشته مجموعا سه دلیل میشود.

نخست می گوید: «آیا آنها جز خدا معبودانی برای خود انتخاب کردهاند؟

بكو: دليل خود را بياوريد» (أَم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ).

اشاره به این که اگر از دلیل گذشته دایر به این که نظام عالم هستی دلیل بر توحید است صرف نظر کنید لا اقل هیچ گونه دلیلی بر اثبات شرک و الوهیت این خدایان وجود ندارد، انسان عاقل چگونه مطلبی را بیدلیل میپذیرد؟

سپس به آخرین دلیل اشاره کرده، می گویـد: این تنها من و همراهانم نیستیم که سـخن از توحید می گوییم، «این سـخن کسانی است که با من هستند، و سخن کسانی [پیامبرانی] است که پیش از من بودند»! (هذا ذِکْرُ مَنْ مَعِیَ وَ ذِکْرُ مَنْ قَبْلِی).

این همان دلیلی است که دانشمندان عقاید تحت عنوان اجماع و اتفاق پیامبران بر مسأله یگانگی خدا ذکر کردهاند.

و از آنجا که ممکن است گاهی کثرت بت پرستان برای بعضی مانع از پـذیرش توحیـد گردد، چنین اضافه می کنـد: «اما اکثر

آنها حق را نمي دانند لذا از آن روى گردانند» (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ).

همیشه مخالفت کردن اکثریت نادان در بسیاری از جامعه ها دلیلی بوده است، برای اعراض ناآگاهان، و قرآن تکیه بر این اکثریت را شدیدا محکوم کرده است.

سورة الأنبياء(21): آية 25 ص: 162

(آیه ۲۵) - و از آنجا که ممکن است بعضی بی خبران بگویند ما پیامبرانی مانند عیسی (ع) داریم که دعوت به خدایان متعدد کرده است، قرآن در این آیه با صراحت تمام می گوید: «و ما قبل از تو هیچ پیامبری را نفرستادیم مگر این که به او وحی نمودیم که معبودی جز من نیست، پس تنها مرا پرستش کنید» (وَ ما أَرْسَ لْنَا مِنْ قَبْلِکُ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِی إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون).

و به این ترتیب ثابت می شود که نه عیسی و نه غیر او هرگز دعوت به شرک نکرده اند، و این گونه نسبتها تهمت است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۶۳

سورة الأنبياء(21): آية 25 ص: 163

(آیه ۲۶)- فرشتگان بندگان شایسته و فرمانبردار! از آنجا که در آیه قبل سخن از پیامبران الهی و نفی هر گونه شرک در میان بود بحث این آیه در مورد نفی فرزند بودن فرشتگان است.

توضیح این که: بسیاری از مشرکان عرب عقیده داشتند که فرشتگان، فرزندان خدا هستند، قرآن این عقیده خرافی و بیاساس را محکوم کرده و بطلان آن را با دلایل مختلف بیان میکند، نخست می گوید: «و آنها گفتند: خداوند رحمان فرزندی برای خود انتخاب کرده است» (وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً).

اگر منظورشان فرزنـد حقیقی باشـد، که لازمه آن جسم بودن است، و اگر «تبنّی» (فرزنـد خوانـدگی) که در میان عرب معمول بوده است باشد، آن نیز دلیل بر ضعف و احتیاج است.

اما یک وجود ازلی و ابدی و غیر جسمانی و از هر نظر بینیاز، فرزند در مورد او معنی ندارد.

لذا بلا فاصله مى فرمايد: «منزه و پاك است او» از اين عيب و نقص (سُبْحانَهُ).

سپس اوصاف فرشتگان را در شش قسمت بیان می کند که مجموعا دلیل روشنی است بر نفی فرزند بودن آنها:

۱- «آنها بندگان خدا هستند» (بَلْ عِبادٌ).

۲- بندگانی «شایسته و گرامی داشته» (مُکْرَمُونَ).

آنها همچون بندگان گریز پا نیستند که تحت فشار مولی، تن به خدمت میدهند خدا نیز آنها را به خاطر اخلاصشان در عبودیت گرامی داشته و مواهب خویش را به آنها افزایش داده است.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٢٧ ص: ١٦٣

(آیه ۲۷)– سوم: آنها آن قدر مؤدب و تسلیم و سر بر فرمان خدا هستند که «هرگز در سخن گفتن بر او پیشی نمی گیرند» (لا یَشبقُونَهُ بالْقَوْلِ). ۴- و از نظر عمل نيز «آنها تنها فرمان او را اجرا مي كنند» (وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ).

آیا این صفات، صفات فرزندان است یا صفات بندگان؟!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۶۴

سورة الأنبياء(٢١): آية ٢٨ ص: 164

(آیه ۲۸)- سپس به احاطه علمی پروردگار نسبت به آنها اشاره کرده، میفرماید: «خداوند «اعمال امروز و آینده و اعمال گذشته آنها را میداند» (یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ). هم از دنیای آنها آگاه است و هم از آخرتشان، هم قبل از وجودشان و هم بعد از وجودشان.

مسلما فرشتگان از این موضوع آگاهند که خدا یک چنین احاطه علمی به آنها دارد، و همین عرفان، سبب میشود که آنها نه سخنی قبل از او بگویند و نه از فرمانش سر پیچی کنند.

۵- بدون شک آنها که بندگان گرامی و شایسته خدا هستند برای نیازمندان شفاعت میکنند ولی باید توجه داشت: «هرگز شفاعت نمیکنند مگر برای کسی که بدانند خدا از او خشنود است» و اجازه شفاعت او را داده است (وَ لا یَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضی).

جمله فوق پاسخی است به آنها که می گفتند: ما فرشتگان را عبادت می کنیم تا در پیشگاه خدا برای ما شفاعت کنند، قرآن می گوید آنها از پیش خود هیچ کاری نمی توانند بکنند و هر چه می خواهید باید مستقیما از خدا بخواهید حتی اجازه شفاعت شفیعان را.

۶- به خاطر همین معرفت و آگاهی است که: «آنها از ترس او بیمناکنید» و تنها ترس او را به دل راه میدهند (وَ هُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ).

آنها از این نمی ترسند که گناهی انجام داده باشند، بلکه از کو تاهی در عبادت یا ترک اولی بیمناکند.

سورة الأنبياء(21): آية 29 ص: 184

(آیه ۲۹)- روشن است که فرشتگان با این صفات بر جسته و ممتاز و مقام عبودیت خالص هرگز دعوی خدایی نمی کنند، اما اگر فرضا «کسی از آنها بگوید: من معبودی جز خدا هستم ما کیفر او را جهنم میدهیم، آری این چنین ظالمان را کیفر خواهیم داد» (وَ مَنْ یَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّی إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِکَ نَجْزِیهِ جَهَنَّمَ کَذلِکَ نَجْزِی الظَّالِمِینَ).

در حقیقت دعوی الوهیت یک مصداق روشن ظلم بر خویشتن و بر جامعه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۶۵ است و در قانون کلی «کَذلِکَ نَجْزِی الظَّالِمِینَ» درج است.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٣٠ ص: ١٤٥

(آیه ۳۰)- باز هم نشانه های خدا در جهان هستی: در اینجا یک سلسله از نشانه های خداوند در نظام عالم هستی و تدبیر منظم آن بیان گردیده، و تأکیدی است بر بحثهای گذشته، پیرامون دلایل توحید.

نخست مي گويـد: «و آيا كافران نديدند كه آسـمانها و زمين پيوسـته بودند پس ما آنها را باز كرديم»؟! (أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا

أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كَانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما).

ممکن است منظور از به هم پیوستگی آسمان این باشد که در آغاز بارانی نمیبارید و منظور از به هم پیوستگی زمین این که در آن زمان گیاهی نمیرویید، اما خدا هر دو را گشود، از آسمان باران نازل کرد و از زمین انواع گیاهان را رویانید. «و هر چیز زندهای را از آب قرار دادیم» (وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَيْءٍ حَيِّ).

«آيا (با مشاهده اين آيات و نشانهها، باز هم) ايمان نمي آورند» (أَ فَلا يُؤْمِنُونَ).

در مورد پیدایش همه موجودات زنده از آب دو تفسیر مشهور است:

۱- حیات همه موجودات زنده- اعم از گیاهان و حیوانات- به آب بستگی دارد، همین آبی که بالاخره مبدأ آن، بارانی است که از آسمان نازل شده.

دیگر این که «ماء» در اینجا اشاره به آب نطفه است که موجودات زنده معمولاً از آن به وجود می آیند.

جالب این که دانشمندان امروز معتقدند که نخستین جوانه حیات در اعماق دریاها پیدا شده است، به همین دلیل آغاز حیات و زنـدگی را از آب میداننـد، و اگر قرآن آفرینش انسان را از خاک میشمرد، نبایـد فراموش کنیم منظور از خاک همان طین (گل) است که ترکیبی است از آب و خاک.

سورة الأنبياء(21): آية 31 ص: 165

(آیه ۳۱)- این آیه اشاره به قسمت دیگری از نشانه های توحید و نعمتهای بزرگ خداوند کرده، می گوید: «و ما در زمین کوهای ثابت و مستقری ایجاد کردیم تا انسانها را نلرزاند» (وَ جَعَلْنا فِی الْأَرْضِ رَواسِتی أَنْ تَمِیدَ بِهِمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۶۶

کوهها همچون زرهی کره زمین را در بر گرفته اند و این سبب می شود که از لرزشهای شدید زمین که بر اثر فشار گازهای درونی است تا حد زیادی جلوگیری کند.

به علاوه همین وضع کوهها، حرکات پوسته زمین را در مقابل جزر و مد ناشی از ماه به حد اقل میرساند.

از سوی دیگر اگر کوهها نبودنـد سطح زمین همواره در معرض تنـد بادها قرار داشت و آرامشـی در آن دیـده نمیشـد، همان گونه که در کویرها و بیابانهای خشک و سوزان چنین است.

سپس به نعمت دیگری که آن هم از نشانه های عظمت اوست اشاره کرده، می گوید: «و ما در لابلای این کوههای عظیم، دره ها و راههایی قرار دادیم، تا آنها هدایت شوند و به مقصد برسند» (وَ جَعَلْنا فِیها فِجاجاً سُبُلًا لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ).

به راستی اگر این درهها و شکافها نبودند، سلسلههای جبال عظیم موجود در زمین، مناطق مختلف را آن چنان از هم جدا می کردند که پیوندشان از زمین بکلی گسسته می شد، و این نشان می دهد که همه این پدیده ها طبق برنامه و حسابی است.

سورة الأنبياء(21): آية 22 ص: 186

(آیه ۳۲)- و از آنجا که آرامش زمین به تنهایی برای آرامش زندگی انسان کافی نیست بلکه باید از طرف بالا نیز ایمنی داشته باشد در این آیه اضافه می کند:

«و ما آسمان را سقف محفوظی قرار دادیم ولی آنها از آیات و نشانه های توحید که در این آسمان پهناور است روی گردانند»

(وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ).

منظور از آسمان در اینجا جوّی است که گردا گرد زمین را گرفته، و ضخامت آن طبق تحقیقات دانشمندان صدها کیلو متر میباشد، این قشر ظاهرا لطیف که از هوا و گازها تشکیل شده به قدری محکم و پر مقاوت است که هر موجود مزاحمی از بیرون به سوی زمین بیاید نابود می شود، و کره زمین را در برابر بمباران شبانه روزی سنگهای «شهاب» که از هر گلولهای خطرناکترند حفظ می کند.

به علاوه اشعه آفتاب که دارای قسمتهای مرگباری است به وسیله آن تصفیه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۶۷ می شود، و از نفوذ اشعه کشنده کیهانی که از بیرون جو، به سوی زمین سرازیر است جلوگیری می کند.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٣٣ ص: 167

(آیه ۳۳)– و در این آیه به آفرینش شب و روز و خورشید و ماه پرداخته، می گوید: «و اوست که شب و روز و خورشید و ماه را آفرید» (وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ).

و «هر كدام از اينها در مدارى در حركتند» (كُلُّ فِي فَلَكِ يَشْبَحُونَ).

سورة الأنبياء(21): آية 34 ص: 167

(آیه ۳۴)- همه می میرند! در قسمتی از آیات گذشته خواندیم که مشرکان برای تردید در نبوت پیامبر (ص) به مسأله انسان بودن او متوسل می شدند. این آیه اشاره به بعضی دیگر از ایرادات آنهاست: گاه آنها می گفتند سر و صدایی که پیامبر و به گفته آنها این شاعر - به راه انداخته دوامی ندارد و با مرگش همه چیز پایان می یابد. (طور/ ۳۰) و گاه چنین می پنداشتند که چون این مرد معتقد است خاتم پیامبران است باید هر گز نمیرد تا حافظ آیین خویش باشد، بنا بر این مرگ او در آینده دلیلی خواهد بود بر بطلان ادعای او! قرآن در جمله کو تاهی به آنها پاسخ داده، می گوید: «و ما برای هیچ بشری قبل از تو زندگی جاویدان قرار ندادیم» (و ما جَعَلْنا لِبَشَرِ مِنْ قَبْلِکُ الْخُلْد).

این قانون تغییر ناپذیر آفرینش است که هیچ کس زندگی جاویدان ندارد.

وانگهی اینها که از مرگ تو هم اکنون شادی می کننـد «اگر تو بمیری مگر خودشان زندگی جاویدان دارند»؟! (أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُّ الْخالِدُونَ).

بقای شریعت و دین و آیین نیاز به بقای آورنده آن ندارد. ممکن است جانشینان او خط او را ادامه دهند.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٣٥ ص: ١٤٧

(آیه ۳۵)- سپس قانون کلی مرگ را در بـاره همـه نفـوس، بـدون اسـتثناء چنیـن بـاز گـو میکنـد: «هر انسـانی طعم مرگ را میچشد» (کُلُّ نَفْس ذائِقَهُ الْمَوْتِ).

بعد از ذکر قانون عمومی مرگ این سؤال مطرح می شود که هدف از این حیات ناپایدار چیست و چه فایده ای دارد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۶۸

قرآن در دنباله همین سخن می گوید: «و شما را با بدیها و خوبیها آزمایش می کنیم، و سر انجام به سوی ما باز گردانده

مىشويد» (وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ). البته آزمايش به وسيله بلاها سخت تر است.

جایگاه اصلی شما این جهان نیست، بلکه جای دیگر است شما تنها برای دادن امتحانی در اینجا می آیید و پس از پایان امتحان و کسب تکامل لازم به جایگاه اصلی خود که سرای آخرت است خواهید رفت.

سورة الأنبياء(٢١): آية 36 ص: ١٦٨

(آیه ۳۶)- باز در اینجا به بحثهای دیگر در ارتباط با موضع گیری مشرکان در برابر پیامبر اسلام (ص) بر خورد میکنیم، که بیانگر طرز تفکر انحرافی آنها در مسائل اصولی است نخست می گوید: «و هنگامی که کافران تو را می بینند کاری جز مسخره کردن تو ندارند» (وَ إِذَا رَآکَ الَّذِينَ کَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَکَ إِلَّا هُزُواً).

آنها با بیاعتنایی به تو اشاره کرده، میگویند: «آیا این همان کسی است که خدایان و بتهای شما را (به بدی) یاد میکند»؟ (أَ هذَا الَّذِی یَذْکُرُ آلِهَتَکُمْ).

«در حالى كه خود ذكر خداوند رحمان را انكار مىكنند» (وَ هُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كَافِرُونَ).

تعجب در این است که اگر کسی از این بتهای سنگی و چوبی بد گویی کند- نه بد گویی بلکه حقیقت را بیان نماید و بگوید اینها موجودات بیروح و فاقد شعور و بیارزش هستند- تعجب می کنند، اما اگر کسی منکر خداوند بخشنده و مهربانی شود که آثار رحمتش پهنه جهان را گرفته و در هر چیز دلیلی بر عظمت و رحمت اوست برای آنها جای تعجب نیست.

سورة الأنبياء(21): آية 37 ص: 168

(آیه ۳۷)– سپس به یکی دیگر از کارهای زشت و بیرویه این انسانهای بیبنـد و بار اشاره کرده، میفرمایـد: «انسان از عجله آفریده شده» (خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلِ).

در حقیقت تعبیر «خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ» یک نوع تأکید است یعنی آن چنان انسان عجول است که گویی از «عجله» آفریده شده، و تار و پود وجودش از آن تشکیل یافته! و به راستی بسیاری از مردم عادی چنینند هم در خیر عجولند برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۶۹

و هم در شر.

و در پایان آیه اضافه می کند: «ولی عجله نکنید من آیاتم را به زودی به شما نشان خواهم داد» (سَأُرِیکُمْ آیاتِی فَلا تَسْتَعْجِلُونِ). آیات ممکن است اشاره به نشانههای عـذاب و بلاها و مجازاتهایی باشـد که پیامبر (ص) مخالفان را با آن تهدید می کرد و این سبک مغزان کرارا می گفتند: پس چه شد این بلاهایی که ما را با آن می ترسانی.

قرآن می گوید: عجله نکنید، چیزی نمی گذرد که دامانتان را خواهد گرفت.

سورة الأنبياء(21): آية 38 ص: 189

(آیه ۳۸)- باز انگشت روی یکی از تقاضاهای عجولانه آنها گذاشته، میفرماید: «و آنها میگویند: این وعده قیامت اگر راست می گویید کی فرا میرسد؟!» (وَ یَقُولُونَ مَتی هذَا الْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

سورة الأنبياء(٢١): آية ٣٩ ص: ١٦٩

(آیه ۳۹) - این آیه به آنها پاسخ میدهد، و می گوید: «اگر کافران میدانستند زمانی را که نمی توانند شعلههای آتش را از صورت و پشت خود دور سازند، و هیچ کس به یاری آنها نخواهد شتافت» هر گز تعجیل در عذاب نمی کردند، و نمی گفتند: قیامت کی فرا می رسد» (لَوْ یَعْلَمُ الَّذِینَ کَفَرُوا حِینَ لا یَکُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَ لا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ).

سورة الأنبياء(٢١): آية ٤٠ ص: 169

(آیه ۴۰)- و جالب این که این مجازات الهی و آتش سوزان «به صورت ناگهانی به سراغ آنها می آید آن چنانکه مبهوتشان می کند»! (بَلْ تَأْتِیهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ).

«پس (آن چنان غافلگیر و مقهورشان میسازد که) قدرت بر دفع آن را ندارند» (فَلا یَسْتَطِیعُونَ رَدَّها).

حتى اگر تقاضاى مهلت كنند و بر خلاف آنچه تا آن وقت عجله مىكردند در خواست تأخير نمايند «به آنها مهلت داده نمى شود» (وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ).

سورة الأنبياء(21): آية 41 ص: 169

(آیه ۴۱) - در آیات گذشته دیدیم که مشرکان و کفار، پیامبر اسلام (ص) را به باد استهزاء می گرفتند، این آیه به عنوان دلداری پیامبر (ص) و تسلی خاطر او می گوید: این تنها تو نیستی که مورد استهزاء واقع شدهای «پیامبران قبل از تو نیز بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۷۰

مورد استهزاء قرار گرفتند» (وَ لَقَدِ اسْتُهْزِىَ بِرُسُلِ مِنْ قَبْلِكَ).

«ولی سر انجام آنچه را (از عذابهای الهی) به باد مسخره گرفته بودند، دامان استهزا کنندگان را گرفت» (فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزُوُنَ).

بنـا بر این غم و انـدوهی به خود راه مـده و این گونه اعمال جاهلان نبایـد در روح بزرگ تو کمترین اثر بگـذارد و یا در اراده آهنینت خللی وارد کند.

سورة الأنبياء(21): آية ٤٢ ص: ١٧٠

(آیه ۴۲) - در این آیه می گوید: نه تنها در برابر عذاب خدا در قیامت، کسی از شما دفاع نمی کند، در این دنیا نیز همین است «بگو: چه کسی شما را در شب و روز در برابر مجازات خداوند رحمان حفظ و نگهداری می کند»؟! (قُلْ مَنْ یَکْلَؤُکُمْ بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ مِنَ الرَّحْمن).

در واقع اگر خداوند آسمان «جوّ زمین» را سقف محفوظی قرار نداده بود همین به تنهایی کافی بود که شما را شب و روز در معرض بمباران سنگهای آسمانی قرار دهد.

قابل توجه این که: در این آیه به جای «الله»، «رحمن» به کار رفته، یعنی ببینید شما چقدر گناه کردهاید که حتی خداوندی را که کانون رحمت عامه است به خشم آوردهاید. سپس اضافه می کند: «بلکه آنها از یاد پروردگارشان روی گردانند» (بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ).

نه به مواعظ و اندرزهای پیامبران او گوش فرا میدهند، و نه یاد خدا و نعمتهایش دل آنها را تکان میدهد، و نه لحظهای اندیشه خود را در این راه به کار می اندازند.

سورة الأنبياء(21): آية 43 ص: 170

(آیه ۴۳)- باز به عنوان سؤال می پرسد: این کافران ظالم و گنهکار در برابر کیفرهای الهی به چه چیز دل بستهاند؟ «آیا آنها خدایانی دارند که می توانند از آنان در برابر ما دفاع کنند»؟! (أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا).

این خدایان ساختگی آنها «حتی نمی توانند خودشان را یاری دهند و از خویشتن دفاع کنند» (لا یَدِیَتَطِیعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِ هِمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۷۱

«و نه از ناحیه ما (به وسیله رحمت و نیروی معنوی) یاری و همراهی میشوند» (وَ لا هُمْ مِنَّا یُصْحَبُونَ).

سورة الأنبياء(21): آية 44 ص: 171

(آیه ۴۴)- این آیه اشاره به یکی از علل مهم سر کشی و طغیان افراد بی ایمان کرده، می گوید: «ما به این گروه و پدرانشان انواع نعمتها بخشیدیم تا آنجا که عمرهای طولانی پیدا کردند» (بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَ آباءَهُمْ حَتَّی طالَ عَلَیْهِمُ الْعُمُرُ).

اما به جای این که این عمر طولانی و نعمت فراوان حس شکر گزاری را در آنها تحریک کرده و سر بر آستان عبودیت حق بگذارند مایه غرور و طغیانشان شد.

ولى آيا آنها نمى بينند كه اين جهان و نعمتهايش پايدار نيست «آيا نمى بينند كه ما پيوسته به سراغ زمين آمده، و از آن (و اهلش) مىكاهيم؟» (أَ فَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها).

اقوام و قبایـل یکی بعـد از دیگری می آینـد و میرونـد و حتی دانشـمندان و بزرگـان و علمـا که قوام زمین به آنها بود چشم از جهان فرو بستند! «آیا آنها غالبند» یا ما؟! (أَ فَهُمُ الْغالِبُونَ).

سورة الأنبياء(٢١): آية ٤٥ ص: ١٧١

(آیه ۴۵)- سپس این حقیقت را بیاز گو می کنید که وظیفه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آن است که مردم را از طریق وحی آسمانی انذار کند، روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده می گوید:

«به آنها بگو: (من از پیش خود چیزی نمی گویم) تنها به وسیله وحی شما را انذار می کنم» (قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْیِ).

و اگر در دل سخت شما اثر نمی گذارد جای تعجب نیست، و نه دلیلی بر نقصان وحی آسمانی، بلکه به خاطر آن است که «افراد کر، هنگامی که انذار میشوند سخنان را نمی شنوند»! (وَ لا یَشْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إذا ما یُنْذَرُونَ).

گوش شنوا لا نرم است تا سخن خدا را بشنود، نه گوشهایی که آن چنان پردههای گناه و غفلت و غرور بر آنها افتاده که شنوایی حق را بکلی از دست داده است.

سورة الأنبياء(٢١): آية 46 ص: ١٧١

(آیه ۴۶)- به دنبال آیات گذشته که حالت غرور و بیخبری افراد بیایمان را منعکس می کرد در این آیه، می گوید: این بیخبران مغرور که در حالت نعمت بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۷۲

و آرامش هرگز خدا را بنده نیستند «اگر گوشه کوچک و از نسیمی عذاب پروردگارت دامنشان را بگیرد (چنان متوحش می شوند که) فریاد میزنند ای وای بر ما! ما همگی ظالم و ستمگر بودیم»! (وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَهُ مِنْ عَذابِ رَبِّکَ لَیَقُولُنَّ یا وَیْلَنا إِنَّا کُنَّا ظالِمِینَ). ولی چه سود که این بیداری اضطراری هم به حال آنها سودی ندارد.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٤٧ ص: ١٧٢

(آیه ۴۷)- و در این آیه اشاره به حساب و جزای دقیق و عادلانه قیامت می کند تا افراد بی ایمان و ستمگر بدانند به فرض که عذاب این دنیا دامانشان را نگیرد مجازات آخرت حتمی است، و دقیقا تمام اعمالشان مورد محاسبه قرار می گیرد.

مى فرمايد: «و ما ترازوهاى عدل را در روز قيامت بر پا مى كنيم» (وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْم الْقِيامَةِ).

در احادیث اسلامی میخوانیم: میزانهای سنجش در قیامت، پیامبران و امامان و پاکان و نیکانی هستند که در پرونده اعمالشان نقطه تاریکی وجود ندارد.

این ترازوهای سنجش آن چنان دقیق و منظم است که گویی عین عدالت میباشد. و به همین دلیل بلا فاصله اضافه می کند: «پس به هیچ کس در آنجا کمترین ظلم و ستمی نمی شود» (فَلا ـ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً). نه از پاداش نیکو کاران چیزی کاسته می شود، و نه به مجازات بد کاران افزوده می گردد.

اما این نفی ظلم و ستم، مفهومش این نیست که در حساب دقت نمی شود بلکه «اگر به مقدار سنگینی یک دانه خردل (کار نیک و بدی) باشد ما آن را حاضر می سازیم» و مورد سنجش قرار می دهیم (وَ إِنْ کَانَ مِثْقَالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَیْنا بِها). «و همین قدر کافی است که ما حسابگر اعمال بندگان باشیم» (وَ کَفی بِنا حاسِبِینَ).

سورة الأنبياء(21): آية 48 ص: 172

(آیه ۴۸) – شـمهای از داستان پیامبران: از این آیات به بعد فرازهایی از زندگانی پیامبران که آمیخته با نکات بسیار آموزندهای است بیان شـده، که بحثهای گذشته را در زمینه نبوت پیامبر اسلام (ص) و درگیری او با مخالفان، با توجه به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۷۳

اصول مشترکی که حاکم بر آنهاست، روشنتر میسازد.

در این آیه میفرماید: «ما به موسی و هارون فرقان (وسیله تشخیص حق از باطل) بخشیدیم، و نور و یاد آوری برای پرهیز کاران» (وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسی وَ هارُونَ الْفُرْقانَ وَ ضِیاءً وَ ذِكْراً لِلْمُتَّقِینَ).

سورة الأنبياء(21): آية ٤٩ ص: ١٧٣

(آیه ۴۹) - در این آیه «پرهیزکاران» را چنین معرفی میکند: «آنها کسانی هستند که از پروردگارشان در غیب و نهان می ترسند» ترسی آمیخته با احترام و تعظیم (الَّذِینَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَیْبِ).

«و آنان از روز رستاخيز بيم دارند» (وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ).

در واقع پرهیز کاران به روز قیامت بسیار علاقهمندند چون کانون پاداش و رحمت الهی است اما با این حال از حساب و کتاب خدا نیز بیمناکند.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٥٠ ص: ١٧٣

(آیه ۵۰)- این آیه قرآن را در مقایسه با کتب پیشین قرار داده، می گوید:

«و این ذکر مبارکی است که ما آن را (بر شما) نازل کردیم» (وَ هذا ذِکْرٌ مُبارَکُ أَنْزَلْناهُ).

«پس آیا شما آن را انکار می کنید» (أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ).

آیا چنین کتابی، جای انکار دارد! دلایل حقانیتش در خودش نهفته، و نورانیتش آشکار است، و رهروان راهش سعادتمند و پیروز.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٥١ ص: ١٧٣

(آیه ۵۱)- گفتیم در این سوره فرازهای بسیاری از حالات انبیاء آمده است.

در اینجا بخش مهمی از زندگی و مبارزات ابراهیم (ع) با بت پرستان انعکاس یافته، نخست میفرماید: «و ما وسیله رشد و هدایت را از قبل در اختیار ابراهیم گذاردیم، و به (شایستگی) او آگاه بودیم» (وَ لَقَدْ آتَیْنا إِبْراهِیمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ کُنَّا بِهِ عالِمِینَ).

سورة الأنبياء(21): آية 22 ص: 173

(آیه ۵۲)– سپس به یکی از مهمترین برنـامههـای ابراهیم (ع) اشاره کرده، میگویـد: «آن هنگام که به پـدرش (آزر) و قوم او گفت: این مجسـمههای بیروح چیست که شما همواره آنها را پرستش میکنید؟» (إِذْ قالَ لِأَبِیهِ وَ قَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثِیلُ الَّتِی أَنْتُمْ لَها عاکِفُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۷۴

تعبير «لابيه» (پدرش) اشاره به عمويش آزر است زيرا عرب گاه به عمو «اب» مي گويد.

این گفتار ابراهیم در حقیقت استدلال روشنی است برای ابطال بت پرستی زیرا آنچه از بتها میبینیم همین مجسمه و تمثال است، بقیه تخیل است و توهم.

سورة الأنبياء(21): آية 33 ص: 174

(آیه ۵۳) – ولی بت پرستان هیچ گونه جوابی در برابر این منطق گویـا نداشـتند جز این که مطلب را از خود ردّ کننـد و به نیاکانشان ارتباط دهند لذا «گفتند: ما پدران و نیاکان خویش را دیدیم که اینها را پرسـتش میکنند» و ما به سنت نیاکانمان وفا داریم (قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِینَ).

سورة الأنبياء(٢١): آية ٥٤ ص: ١٧٤

(آیه ۵۴)- از آنجا که هیچ دلیلی نداریم که نیاکان عاقلتر و عالمتر از نسلهای بعد باشند، بلکه غالبا قضیه به عکس است چون با گذشت زمان علم و دانشها گسترده تر می شود، ابراهیم بلافاصله به آنها «پاسخ گفت: هم شما و هم پدرانتان بطور قطع در گمراهی آشکاری بودید» (قالَ لَقَدْ کُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُ کُمْ فِی ضَلالٍ مُبِینِ).

سورة الأنبياء(٢١): آية ٥٥ ص: ١٧٤

(آیه ۵۵)- این تعبیر که توأم با انواع تأکیدها و حاکی از قاطعیت تمام است، سبب شد که بت پرستان کمی به خود آمده در صدد تحقیق بر آیند، رو به سوی ابراهیم کرده: «گفتند: آیا مطلب حقّی برای ما آوردهای یا شوخی میکنی»! (قالُوا أَ جِئْتنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِینَ).

سورة الأنبياء(21): آية 36 ص: 174

(آیه ۵۶)– اما ابراهیم صریحا به آنها پاسخ «گفت: (آنچه میگویم جـدی است و عین واقعیت که) پروردگار شـما پروردگار آسمانها و زمین است» (قالَ بَلْ رَبُّکُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

«همان خدایی که آنها را آفریده و من از گواهان این عقیدهام» (الَّذِی فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلی ذلِکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ).

ابراهیم با این گفتار قاطعش نشان داد آن کس شایسته پرستش است که آفریدگار آنها و زمین و همه موجودات است.

سورة الأنبياء(21): آية ٥٧ ص: ١٧٤

(آیه ۵۷)- ابراهیم برای این که ثابت کند این مسأله صد در صد جدی است و او بر سر عقیده خود تا همه جا ایستاده، و نتائج و لوازم آن را هر چه باشد با جان برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۷۵

و دل می پذیرد اضافه کرد: «و به خدا سو گند، در غیاب شما نقشه ای برای نابودی بتهایتان می کشم!» (وَ تَاللَّهِ لَأَکِیدَنَّ أَصْنامَکُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِینَ).

سورة الأنبياء(21): آية 58 ص: 175

(آیه ۵۸) – به هر حال او بی آنکه از خطرات این کار بترسد و یا از توفانی که پشت سر این عمل به وجود می آید هراسی به دل راه دهد در یک فرصت مناسب مردانه وارد میدان شد، و با یک دنیا قهرمانی به جنگ این خدایان پوشالی رفت که آن همه علاقه مند متعصب و نادان داشتند، بطوری که قرآن می گوید: «پس همه آنها را قطعه قطعه کرد، جز بت بزرگی که داشتند»! (فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلَّا کَبِيراً لَهُمْ).

و هدفش این بود «شاید بت پرستان به سراغ او بیایند» و او هم تمام گفتنیها را بگوید (لَعَلَّهُمْ إِلَیْهِ یَرْجِعُونَ).

درست است که ما از لفظ «بت پرستی» بیشتر متوجه بتهای سنگی و چوبی میشویم، ولی از یک نظر بت و بت پرستی مفهوم وسیعی دارد که هر نوع توجه به غیر خدا را، در هر شکل و صورت شامل میشود. و طبق حدیث معروف «هر چه انسان را به خود مشغول و از خدا دور سازد بت اوست»!

سورة الأنبياء(٢١): آية ٥٩ ص: ١٧٥

(آیه ۵۹) – سر انجام بت پرستان وارد بتخانه شدند و با صحنهای رو برو گشتند که هوش از سرشان پرید، به جای آن بتخانه آباد، با تلی از بتهای دست و پا شکسته و به هم ریخته رو برو شدند! فریادشان بلند شد «صدا زدند: چه کسی این بلا را بر سر خدایان ما آورده است»؟! (قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بآلِهَتِنا).

«مسلما او (هر كس بوده) از ظالمان و ستمكران است» (إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ).

او هم به خدایان ما ستم کرده، و هم به جامعه و جمعیت ما و هم به خودش!

سورة الأنبياء(21): آية 60 ص: 170

(آیه ۶۰)– اما گروهی که تهدیـدهای ابراهیم را نسبت به بتها در خاطر داشـتند، و طرز رفتار اهانتآمیز او را با این معبودهای ساختگی میدانستند «گفتند:

ما شنیدیم جوانکی (سخن از بتها می گفت و) از آنها (به بدی) یاد می کرد که نامش ابراهیم است» (قالُوا سَ_مِعْنا فَتَی یَذْکُرُهُمْ یُقالُ لَهُ إِبْراهِیمُ).

ابراهیم طبق بعضی از روایات در آن موقع کاملا جوان بود و احتمالاً سنش از شانزده سال تجاوز نمی کرد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۷۶

سورة الأنبياء(٢١): آية ٦١ ص: ١٧٦

(آیه ۶۱) - اصولا معمول این است هنگامی که جنایتی در نقطهای رخ می دهد برای پیدا کردن شخصی که آن را انجام داده به دنبال ارتباطهای خصومت آمیز می گردند، و مسلما در آن محیط کسی جز ابراهیم آشکارا با بتها گلاویز نبود، و لذا تمام افکار متوجه او شد جمعیت «گفتند: اکنون که چنین است پس (بروید) او را در برابر چشم مردم حاضر کنید تا آنها (که می شناسند و خبر دارند) گواهی دهند» (قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلی أَعْیُن النَّاسِ لَعَلَّهُمْ یَشْهَدُونَ).

سورة الأنبياء(21): آية 67 ص: 178

(آیه ۶۲)- جارچیان در اطراف شهر فریاد زدند که هر کس از ماجرای خصومت ابراهیم و بد گویی او نسبت به بتها آگاه است حاضر شود.

سر انجام محکمه و دادگاه تشکیل شد و زعمای قوم در آنجا جمع بودند بعضی می گویند: خود نمرود نیز بر این ماجرا نظارت داشت.

نخستین سؤالی که از ابراهیم کردند این بود «گفتند: آیا تو این کار را با خدایان ما کردهای؟ ای ابراهیم»! (قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا یا إِبْراهِیمُ).

سورة الأنبياء(٢١): آية ٤٣ ص: ١٧۶

(آیه ۶۳) - برهان دندانشکن ابراهیم: ابراهیم آن چنان جوابی گفت که آنها را سخت در محاصره قرار داد، محاصرهای که قدرت بر نجات از آن نداشتند ابراهیم «گفت: بلکه این کار را این بت بزرگ آنها کرده! از خودشان سؤال کنید اگر سخن می گویند»! (قالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ کانُوا یَنْطِقُونَ).

اصول جرم شناسی می گوید متهم کسی است که آثار جرم را همراه دارد، در اینجا آثار جرم در دست بت بزرگ است. اصلا چرا شما به سراغ من آمدید؟ چرا خدای بزرگتان را متهم نمی کنید»؟

آیا احتمال نمی دهید او آنها را رقیب آینده خود فرض کرده و حساب همه را یک جا رسیده است؟!

سورة الأنبياء (٢١): آية 64 ص: ١٧٦

(آیه ۶۴)– سخنان ابراهیم، بت پرستان را تکان داد، وجدان خفته آنها را بیدار کرد و همچون توفانی که خاکسترهای فراوان را از روی شعلههای آتش بر گیرد و فروغ آن را آشکار سازد، فطرت توحیدی آنها را از پشت پردههای تعصب و جهل و غرور آشکار ساخت. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۷۷

در یک لحظه کوتـاه و زود گـذر از این خواب عمیق و مرگزا بیـدار شدنـد، چنانکه قرآن میگویـد: «پس آنها به وجـدان و فطرتشان باز گشتند و به خود گفتند:

حقا كه شما ظالم و ستمكريد» (فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ).

هم به خویشتن ظلم و ستم کردید و هم بر جامعهای که به آن تعلق دارید و هم به ساحت مقدس پروردگار بخشنده نعمتها.

سورة الأنبياء(21): آية 62 ص: 177

(آیه ۶۵) - ولی افسوس که زنگار جهل و تعصب و تقلید کور کورانه بیشتر از آن بود که با ندای صیقل بخش این قهرمان توحید بکلی زدوده شود.

افسوس که این بیداری روحانی و مقدس چندان به طول نیانجامید، و در ضمیر آلوده و تاریکشان از طرف نیروهای اهریمنی و جهل قیامی بر ضد این نور توحیدی صورت گرفت و همه چیز به جای اول بازگشت، چه تعبیر لطیفی قرآن می کند: «سپس آنها بر سرهاشان واژگونه شدند» (ثُمَّ نُکِسُوا عَلی رُؤُسِهِمْ).

و برای این که از طرف خدایان گنگ و بسته دهانشان عذری بیاورند گفتند:

«تو ميداني اينها هر گز سخن نمي گويند»! (لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ).

اینها همیشه خاموشند و ابهت سکوت را نمیشکنند! و با این عذر پوشالی خواستند ضعف و زبونی و ذلت بتها را کتمان کنند.

سورة الأنبياء(21): آية 66 ص: 177

(آیه ۶۶) - اینجا بود که میدانی برای استدلال منطقی در برابر ابراهیم قهرمان گشوده شد تا شدیدترین حملات خود را متوجه آنها کند، و مغزهایشان را زیر رگباری از سرزنش منطقی و بیدار کننده قرار دهد: «فریاد زد: آیا شما معبودهایی غیر خدا را می می پرستید که نه کمترین سودی به حال شما دارند و نه کوچکترین ضرری» (قالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَنْفَعُکُمْ شَیْئاً وَ لا یَضُرُّکُمْ).

سورة الأنبياء(21): آية 67 ص: 177

(آیه ۶۷)– باز این معلم توحید، سخن را از این هم فراتر برد و با تازیانههای سرزنش بر روح بیدردشان کوبید و گفت: «اف بر شما، و بر این معبودهایی که غیر از اللّه انتخاب کردهاید»! (أُفِّ لَکُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

«آیا هیچ اندیشه نمی کنید، و عقل در سر ندارید»؟ (أَ فَلا تَعْقِلُونَ).

ولى در توبيخ و سرزنششان، ملايمت را از دست نداد مبادا بيشتر لجاجت كنند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۷۸

سورة الأنبياء(21): آية 68 ص: 178

(آیه ۶۸)- آنجا که آتش گلستان می شود: گر چه با استدلال عملی و منطقی ابراهیم، همه بت پرستان محکوم شدند ولی لجاجت و تعصب شدید آنها مانع از پذیرش حق شد، به همین دلیل تصمیم بسیار شدید و خطرناکی در باره ابراهیم گرفتند. قرآن می گوید: «جمعیت فریاد زدند: او را بسوزانید و خدایان خود را یاری کنید اگر کاری از دست شما ساخته است» (قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ فَاعِلِینَ).

امثال این لاطائلات بسیار گفتند و مردم را بر ضد ابراهیم شوراندند آنچنان که به جای چند بار هیزم که برای سوزاندن چندین نفر کافی است هزاران بار بر روی هم ریختند و کوهی از هیزم، و به دنبال آن دریایی از آتش به وجود آوردند.

سورة الأنبياء(21): آية 69 ص: 178

(آیه ۶۹)- به هر حال ابراهیم (ع) در میان هلهله و شادی و غریو فریاد مردم با منجنیق به درون شعلههای آتش پرتاب شد، آن چنان مردم فریاد شادی کشیدند که گویی شکننده بتها برای همیشه نابود و خاکستر شد.

اما خدایی که همه چیز سر بر فرمان اوست، حتی سوزندگی را او به آتش یاد داده، و رمز محبت را او به مادران آموخته، اراده کرد این بنده مؤمن خالص در این دریای آتش سالم بمانید، تا سند دیگری بر اسناد افتخارش بیفزایید، چنانکه قرآن در اینجا می گوید: «به آتش گفتیم: ای آتش! سرد و سالم بر ابراهیم باش»! (قُلْنا یا نارُ کُونِی بَرْداً وَ سَلاماً عَلی إِبْراهِیمَ).

بدون شک فرمان خدا در اینجا فرمان تکوینی بود همان فرمانی که در جهان هستی به خورشید و ماه و زمین و آسمان و آب و آتش و گیاهان و پرندگان میدهد و بدون آن فرمان از هیچ سببی کاری ساخته نیست.

معروف چنین است که آتش آن چنان سرد و ملایم شد که دندان ابراهیم از شدت سرما به هم میخورد.

سورة الأنبياء(21): آية 20 ص: 178

(آیه ۷۰)- و در این آیه به عنوان نتیجه گیری کوتاه و فشرده، میفرماید: «آنها میخواستند ابراهیم را با این نقشه نابود کنند، ولی ما آنها را زیانکارترین مردم قرار برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۷۹

داديم» (وَ أَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ).

ناگفته پیداست که با سالم ماندن ابراهیم در میان آتش، صحنه بکلی دگرگون شد، غریو شادی فرو نشست، دهانها از تعجب

باز ماند، ولی باز هم تعصب و لجاجت مانع از پذیرش حق بطور کامل گردید، هر چند دلهای بیدار بهره خود را از این ماجرا بردند و بر ایمانشان نسبت به خدای ابراهیم افزوده شد.

سورة الأنبياء(21): آية ٧١ ص: ١٧٩

(آیه ۷۱)- هجرت ابراهیم از سرزمین بت پرستان: داستان آتش سوزی ابراهیم و نجات اعجاز آمیزش از این مرحله خطرناک، لرزه بر ارکان حکومت نمرود افکند او اگر با این حال در آن شهر و کشور باقی میماند، با آن زبان گویا و منطق نیرومند و شهامت بی نظیرش مسلما کانون خطری برای آن حکومت جبار و خودکامه بود.

از سوی دیگر ابراهیم در واقع رسالت خود را در آن سر زمین انجام داده، و بذر ایمان و آگاهی را در آن سر زمین پاشیده بود. او بایـد از اینجا به سـر زمین دیگری برود و رسالت خود را در آنجا نیز پیاده کنـد، لذا تصـمیم گرفت تا به اتفاق «لوط»- برادر زادهاش- و همسرش «ساره» و احتمالا گروه اندکی از مؤمنان از آن سر زمین به سوی شام هجرت کند.

آنچنانکه قرآن می گوید: «و ما ابراهیم و لوط را به سوی سر زمینی که برای جهانیان پر برکت ساخته بودیم نجات و رهایی بخشیدیم» (وَ نَجَیْناهُ وَ لُوطاً إِلَی الْأَرْضِ الَّتِی بارَکْنا فِیها لِلْعالَمِینَ).

سورة الأنبياء(21): آية 27 ص: 179

(آیه ۷۲)- این آیه به یکی از مهمترین مواهب خدا به ابراهیم که داشتن فرزندی صالح و نسلی برومند و شایسته است اشاره کرده، میفرماید: «و ما به او اسحاق را بخشیدیم و یعقوب (فرزند اسحاق) را بر او افزودیم» (وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ نافِلَهً). «و همه آنها را مردانی صالح و شایسته و مفید قرار دادیم» (وَ کُلَّا جَعَلْنا صالِحِینَ).

سورة الأنبياء(21): آية 23 ص: 179

(آیه ۷۳)– این آیه به مقام امامت و رهبری این پیامبران بزرگ و بخشی از برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۸۰

صفات و برنامه های مهم و پر ارزش آنها بطور جمعی اشاره می کند.

در اینجا مجموعا «شش قسمت» از این ویژگیها بر شمرده شده که با اضافه کردن توصیف به صالح بودن که از آیه قبل استفاده می شود مجموعا هفت ویژگی را تشکیل می دهد.

نخست مي گويد: «و ما آنها را پيشواياني قرار داديم» (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً).

در مرحله بعد فعلیت و ثمره این مقام را باز گو می کند: «آنها به فرمان ما (مردم را) هدایت می کردند» (یَهْدُونَ بِأُمْرِنا).

نه تنها هـدایت به معنی راهنمایی و ارائه طریق که در نبوت و رسالت وجود دارد، بلکه به معنی دستگیری کردن و رسانـدن به سر منزل مقصود.

سومین و چهـارمین و پنجمین موهبت و ویژگی آنهـا این بود که «و مـا به آنهـا انجـام کارهای نیک و بر پا داشـتن نماز و ادای زکات را به آنها وحی کردیم» (وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاهِ وَ إِیتاءَ الزَّکاهِ).

و در آخرین فراز به مقام «عبودیت» آنها اشاره کرده، می گوید: «و آنها همگی فقط ما را عبادت می کردند» (وَ کانُوا لَنا عابدِینَ).

سورة الأنبياء(٢١): آية ٧٤ ص: ١٨٠

(آیه ۷۴)- نجات لوط از سر زمین آلودگان! از آنجا که لوط از بستگان نزدیک ابراهیم و از نخستین کسانی است که به او ایمان آورد پس از داستان ابراهیم، به بخشی از تلاش و کوشش او در راه ابلاغ رسالت و مواهب پروردگار نسبت به او اشاره می کند: «و لوط را به یاد آور که ما به او حکم (فرمان نبوت و رسالت) و علم دادیم» (وَ لُوطاً آتَیْناهُ حُکْماً وَ عِلْماً).

لوط از پیامبران بزرگی است که هم عصر با ابراهیم بود، و همراه او از سر زمین بابل به فلسطین مهاجرت کرد، و بعدا از ابراهیم جدا شد و به شهر «سدوم» آمده چرا که مردم آن منطقه غرق فساد و گناه، مخصوصا انحرافات و آلودگیهای جنسی بودند، او برای هدایت این قوم منحرف تلاش و کوشش بسیار کرد، اما کمتر در آن کوردلان اثر گذارد.

سر انجام قهر و عذاب شدید الهی آنها را فرا گرفت، و جز خانواده لوط- به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۸۱ استثنای همسرش- همگی نابود شدند.

لذا در دنباله آیه به این موهبت که به لوط ارزانی داشت اشاره کرده، میفرماید: «و ما او را از شهر و دیاری که کارهای پلید و زشت انجام میدادند رهایی بخشیدیم» (وَ نَجَّیْناهُ مِنَ الْقَرْیَةِ الَّتِی کانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ).

«چرا که آنها مردم بدی بودند و از اطاعت فرمان حقّ بیرون رفته بودند» (إِنَّهُمْ کَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِینَ).

سورة الأنبياء(٢١): آية ٧٥ ص: ١٨١

(آیه ۷۵) – سپس به آخرین موهبت الهی در باره «لوط» اشاره کرده، می گوید: «و ما او را در رحمت خاص خویش داخل کردیم» (وَ أَدْخَلْناهُ فِی رَحْمَتِنا). «چرا که او از بندگان صالح بود» (إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ).

سورة الأنبياء(21): آية 26 ص: 181

(آیه ۷۶)- نجات نوح از چنگال متعصبان لجوج: بعد از ذکر گوشهای از داستان ابراهیم و لوط، به ذکر قسمتی از سر گذشت یکی دیگر از پیامبران بزرگ یعنی «نوح» پرداخته، میفرماید: «و به یاد آور نوح را، هنگامی که قبل از آنها (ابراهیم و لوط) پروردگار خود را خواند» و تقاضای نجات از چنگال منحرفان بی ایمان کرد (وَ نُوحاً إِذْ نادی مِنْ قَبْلُ).

این ندای نوح ظاهرا اشاره به نفرینی است که در سوره نوح آیه ۲۶ و ۲۷ نقل شده آنجا که می گوید: «پروردگارا! احدی از این قوم بی ایمان را روی زمین مگذار! چرا که اگر بمانند بندگان تو را گمراه می کنند، و نسل آینده آنها نیز جز کافر و فاجر نخواهد بود»! سپس اضافه می کند: «پس ما دعای او را مستجاب کردیم و او و خانوادهاش را از آن غم و اندوه بزرگ رهایی بخشیدیم» (فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَیْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْکَرْبِ الْعَظِیم).

«اهل» در اینجا معنی وسیعی دارد که هم بستگان مؤمن او را شامل می شود و هم دوستان خاص او را.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٧٧ ص: ١٨١

(آیه ۷۷)- در این آیه اضافه می کند: «ما او را در برابر قومی که آیات ما را تکذیب کردند یاری کردیم» (وَ نَصَدِرْناهُ مِنَ الْقَوْم

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا). برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ١٨٢

«چرا كه آنها قوم بدى بودند، لذا همه آنها را غرق كرديم» (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ).

این جمله بـار دیگر تأکیـدی است بر این حقیقت که مجازاتهـای الهی هرگز جنبه انتقامی نـدارد، بلکه بر اساس انتخاب اصـلح است، به این معنی که حق حیات و اسـتفاده از مواهب زندگی برای گروهی است که در خط تکامل و سـیر الی اللّه باشـند و یا اگر روزی در خط انحراف افتادند بعدا تجدید نظر کرده و باز گردند.

سورة الأنبياء(21): آية 28 ص: 182

(آیه ۷۸)- قضاوت داود و سلیمان: در تعقیب سر گذشتهای مربوط به موسی و هارون و ابراهیم و نوح و لوط در اینجا به بخشی از زندگی داود و سلیمان اشاره می کند، و در آغاز اشاره سر بستهای به ماجرای یک قضاوت و داوری که از ناحیه داود و سلیمان صورت گرفت دارد.

مى فرمايىد: «و داود و سليمان را به ياد آر، هنگامى كه در باره كشتزارى قضاوت مى كردنىد كه گوسفندان قوم شبانه آن را چريده بودند» (وَ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْم).

«و ما شاهد حكم آنها بوديم» (وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ).

داستان بدین قرار بود که: گله گوسفندانی شبانه به تاکستانی وارد میشوند، و برگها و خوشههای انگور را خورده و ضایع میکنند، صاحب باغ شکایت نزد داود میبرد، داود حکم میدهد که در برابر این خسارت بزرگ باید تمام گوسفندان به صاحب باغ داده شود.

سلیمان که در آن زمان کودک بود به پـدر می گویـد: ای پیامبر بزرگ خدا! این حکم را تغییر ده و تعدیل کن! پدر می گوید: چگونه؟

در پاسخ می گوید: گوسفندان باید با صاحب باغ سپرده شوند تا از منافع آنها و شیر و پشمشان استفاده کند، و باغ به دست صاحب گوسفندان داده شود تا در اصلاح آن بکوشد هنگامی که باغ به حال اول باز گشت به صاحبش تحویل داده می شود، و گوسفندان نیز به صاحبش بر می گردد- و خداوند طبق آیه بعد حکم بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۸۳ سلیمان را تأیید کرد.

سورة الأنبياء(21): آية ٧٩ ص: ١٨٣

(آیه ۷۹)- به هر حال در این آیه حکم سلیمان را در این داستان به این صورت تأیید می کند: «پس ما این داوری و حکومت را به سلیمان تفهیم کردیم» و با تأیید ما او بهترین راه حل این مخاصمه را دریافت (فَفَهَمْناها سُلَیْمانَ).

امام مفهوم این سخن آن نیست که حکم داود اشتباه و نادرست بوده، چرا که بلا فاصله اضافه میکند: «ما به هر یک از این دو، آگاهی و شایستگی داوری و علم بخشیدیم» (وَ کُلًّا آتَیْنا حُکْماً وَ عِلْماً).

سپس به یکی دیگر از مواهب و افتخاراتی که خـدا به داود داده بود اشاره کرده، میفرمایـد: «و ما کوهها را مسخر ساختیم که همراه داود تسبیح می گفتند و همچنین پرندگان را» (وَ سَخَوْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ).

اینها در برابر قدرت ما چیز مهمی نیست «و ما این کار را انجام دادیم» (وَ کُنّا فاعِلِینَ).

سورة الأنبياء(٢١): آية 80 ص: ١٨٣

(آیه ۸۰)- در این آیه به یکی دیگر از مواهبی که خـدا به این پیامبر بزرگ داده اشاره کرده، میگویـد: «و ما ساختن زره را به او تعلیم دادیم، تا شـما را در جنگهایتان حفظ کند پس آیا (شـما خدا را بر نعمتهایش) شـکر میکنید»؟ (وَ عَلَّمْناهُ صَـِ نْعَهَ لَبُوسٍ لَکُمْ لِتُحْصِنَکُمْ مِنْ بَأْسِکُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاکِرُونَ).

سورة الأنبياء(٢١): آية ٨١ ص: ١٨٣

(آیه ۸۱)- بادها در فرمان سلیمان! در اینجا به بخشی از مواهبی که خدا به یکی دیگر از پیامبران یعنی سلیمان (ع) داده کرده، می گوید: «و ما بادهای شدید و طوفانزا را مسخر سلیمان ساختیم که تحت فرمان او به سوی سر زمینی که ما آن را مبارک کرده بودیم حرکت می کرد» (وَ لِسُلَیْمانَ الرِّیحَ عاصِفَهٔ تَجْرِی بِأَمْرِهِ إِلی الْأَرْضِ الَّتِی بارَکْنا فِیها).

و این کار عجیب نیست، چرا که «ما به همه چیز آگاه بودیم و هستیم» (وَ کُنَّا بِکُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ).

هم از اسرار عالم هستی و قوانین و نظامات حاکم بر آن آگاهیم، میدانیم چگونه آنها را میتوان تحت فرمان آورد، و هم از نتیجه و سر انجام این کار، و به هر برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۸۴

حال همه چیز در برابر علم و قدرت ما خاضع و تسلیم است.

سورة الأنبياء(21): آية 82 ص: 184

(آیه ۸۲)- این آیه یکی دیگر از مواهب انحصاری سلیمان (ع) را باز گو می کند: «و گروهی از شیاطین (را نیز مسخّر او قرار دادیم، که در دریا) برایش غوّاصی می کردند و کارهایی غیر از این (نیز) برای او انجام میدادند» (وَ مِنَ الشَّیاطِینِ مَنْ یَغُوصُونَ لَهُ وَ یَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِکَ).

«و ما آنها را (از تمرد و سر کشی در برابر فرمان او) نگاه میداشتیم» (وَ کُنَّا لَهُمْ حافِظِینَ).

آنها افرادی با هوش، فعال، هنرمند و صنعتگر با مهارتهای مختلف بودند.

سورة الأنبياء(21): آية 83 ص: 184

(آیه ۸۳)- ایّوب را از گرداب مشکلات رهایی بخشیدیم: در اینجا از سر گذشت آموزنده یکی دیگر از پیامبران بزرگ خدا سخن می گوید او «ایّوب» و دهمین پیامبری است که در سوره انبیاء اشاره به گوشهای از زندگانی او شده است.

«ایوب» سرگذشتی غمانگیز، و در عین حال پر شکوه و با ابهت دارد، صبر و شکیبایی او مخصوصا در برابر حوادث ناگوار عجیب بود، به گونهای که «صبر ایوب» یک ضرب المثل قدیمی است.

مىفرمايىد: «و ايّوب را (به يـاد آور) هنگـامى كه پروردگـارش را خوانـد (و عرضه داشت): بـد حـالى و مشـكلات به من روى آورده و تو مهربانترين مهربانانى»! (وَ أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ).

سورة الأنبياء(21): آية 84 ص: 184

(آیه ۸۴)- این آیه می گوید: «به دنبال این دعای ایّوب، خواستهاش را اجابت کردیم و رنج و ناراحتی او را برطرف ساختیم» (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَکَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرِّ).

«و خانواده او را به او باز گرداندیم، و همانندشان را به آنها افزودیم» (وَ آتَیْناهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ).

«تا رحمتی از ناحیه ما (بر آنها) باشـد و هم یاد آوری و تـذکری برای عبادت کننـدگان پروردگار» (رَحْمَهُ مِنْ عِنْـدِنا وَ ذِکْری لِلْعابِدِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۸۵

تا مسلمانان بدانند مشکلات هر قدر زیاد باشد و گرفتاریها هر قدر فراوان و دشمنان هر قدر فشرده باشند باز با گوشهای از لطف پروردگار همه اینها برطرف شدنی است، نه تنها زیانها جبران می شود بلکه گاهی خداوند به عنوان پاداش صابران با استقامت همانند آنچه از دست رفته نیز بر آن می افزاید.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٨٥ ص: ١٨٥

(آیه ۸۵)- اسماعیل و ادریس و ذا الکفل: قرآن در اینجا اشاره به مقام شکیبایی سه نفر دیگر از پیامبران الهی کرده، می گوید: اسماعیل و ادریس و ذا الکفل را (به یاد آور) که همه آنها از صابران و شکیبایان بودند» (وَ إِسْماعِیلَ وَ إِدْرِیسَ وَ ذَا الْکِفْلِ کُلُّ مِنَ الصَّابِرِینَ).

هر یک از آنها در طول عمر خود در برابر دشمنان و یا مشکلات طاقت فرسای زندگی صبر و مقاومت به خرج دادند و هرگز در برابر این حوادث زانو نزدند و هر یک الگویی بودند از استقامت و پایمردی.

سورة الأنبياء(21): آية 86 ص: 185

(آیه ۸۶)– سپس بزرگترین موهبت الهی را در برابر این صبر و استقامت برای آنان چنین بیان میکند: «و ما آنها را در رحمت خود داخل کردیم، چرا که آنها از صالحان بودند» (وَ أَدْخَلْناهُمْ فِی رَحْمَتِنا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ).

سورة الأنبياء(21): آية 87 ص: 185

(آیه ۸۷)- نجات یونس از آن زندان وحشتناک: این آیه و آیه بعد نیز گوشهای از سر گذشت پیامبر بزرگ «یونس» را بیان کرده، می گوید: «و ذا النون را به یاد آر هنگامی که خشمگین (بر قوم بت پرست و نافرمان خویش) از میان آنها رفت» (وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً).

«او گمان می کرد که ما (زندگی را) بر او تنگ نخواهیم کرد» (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ).

او گمان می کرد تمام رسالت خویش را در میان قوم نافرمانش انجام داده است و حتی ترک اولایی در این زمینه نکرده، در حالی که اولی این بود که بیش از این در میان آنها بماند و صبر و استقامت به خرج دهد و دندان بر جگر بفشارد شاید بیدار شوند و به سوی خدا آیند سر انجام به خاطر همین ترک اولی او را در فشار قرار دادیم، نهنگ عظیمی او برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۸۶

را بلعید «پس او در آن ظلمتهای متراکم صدا زد خداوندا! جز تو معبودی نیست» (فَنادی فِی الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ). «خداونـدا! پـاک و منزهی، من از سـتمکاران بودم»! (سُـبْحانَکَ إِنِّی کُنْتُ مِنَ الظَّالِمِینَ). هم بر خویش سـتم کردم و هم بر قوم خود، می بایست بیش از این، ناملایمات و شداید و سختیها را پذیرا می شدم، تن به همه شکنجه ها می دادم شاید آنها به راه آیند.

سورة الأنبياء(21): آية 88 ص: 188

(آیه ۸۸)- «سر انجام ما دعای او را اجابت کردیم و از غم و اندوه رهائیش بخشیدیم» (فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَ نَجَیْناهُ مِنَ الْغَمِّ). آری «و این گونه ما مؤمنان را نجات میبخشیم» (وَ کَذلِکَ نُنْجِی الْمُؤْمِنِینَ).

این یک برنامه اختصاصی برای یونس نبود، بلکه هر کس از مؤمنان از تقصیر خویش، عذر به درگاه خدا آورد، و از ذات پاکش مدد و رحمت طلبد ما دعایش را مستجاب و اندوهش را بر طرف خواهیم کرد.

سورة الأنبياء(21): آية 84 ص: 186

(آیه ۸۹)- نجات زکریّا از تنهایی: در این آیه و آیه بعد گوشهای از سرگذشت دو شخصیت دیگر از پیامبران بزرگ الهی «زکریا» و «یحیی» را بیان میکند.

نخست می گویـد: «زکریّا را به خاطر بیاور هنگامی که پروردگارش را خوانـد و عرضه داشت: پروردگارا! مرا تنها مگذار، و تو بهترین وارثان هستی» (وَ زَکَرِیًا إِذْ نادی رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِی فَرْداً وَ أَنْتَ خَیْرُ الْوارِثِینَ).

سالها بر عمر زکریا گذشت، و برف پیری بر سرش نشست، اما هنوز فرزندی نداشت، و از سوی دیگر همسری عقیم و نازا داشت.

او در آرزوی فرزندی بود که بتواند برنامه های الهی او را تعقیب کند در این هنگام با تمام قلب به درگاه خدا روی آورد و تقاضای فرزند صالح و برومندی کرد.

سورة الأنبياء(21): آية 90 ص: 186

(آیه ۹۰) - خداوند این دعای خالص و سرشار از عشق به حقیقت را اجابت کرد، و خواسته او را تحقق بخشید آن چنان که می فرماید: «پس ما دعای او را اجابت کردیم و یحیی را به او بخشیدیم» (فَاسْ تَجَبْنا لَهُ وَ وَهَبْنا لَهُ یَحْیی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۸۷

و برای رسیدن به این مقصود «همسر نازای او را اصلاح (و قادر به آوردن فرزند) کردیم» (وَ أَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ).

سپس اشاره به سه قسمت از صفات برجسته این خانواده کرده چنین می گوید: «آنها در انجام کارهای خیر، سرعت می کردند» (إنَّهُمْ کانُوا یُسارعُونَ فِی الْخَیْراتِ).

«و آنها به خاطر عشق به طاعت و وحشت از گناه در همه حال ما را میخواندند» (وَ یَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً).

«و آنها همواره در برابر ما خشوع داشتند» خضوعی آمیخته با ادب و احترام و ترس آمیخته با احساس مسؤولیت (وَ کانُوا لَنا خاشِعِینَ).

ذكر اين صفات سه گانه ممكن است اشاره به اين باشد كه آنها به هنگام رسيدن به نعمت گرفتار غفلتها و غرورهايي كه دامن افراد كم ظرفيت و ضعيف الايمان را به هنگام وصول به نعمت مي گيرد نمي شدند.

سورة الأنبياء(21): آية 91 ص: 187

(آیه ۹۱)– مریم بانوی پاکدامن: در این آیه به مقام مریم و عظمت و احترام او و فرزندش حضرت مسیح (ع) اشاره شده است، می گوید: «و به یاد آور زنی را که دامان خود را پاک نگه داشت» (وَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَوْجَها).

«سپس ما از روح خود در او دمیدیم» (فَنَفَخْنا فِیها مِنْ رُوحِنا).

«و او و فرزندش [مسيح] را نشانه بزرگی برای جهانيان قرار داديم» (وَ جَعَلْناها وَ ابْنَها آيَهُ لِلْعالَمِينَ).

سورة الأنبياء(٢١): آية ٩٢ ص: ١٨٧

(آیه ۹۲) – امت واحده! از آنجا که در آیات گذشته نام گروهی از پیامبران الهی و بخشی از سر گذشت آنها آمده، در اینجا به عنوان یک جمع بندی و نتیجه گیری کلی چنین می گوید: «این (پیامبران بزرگ و پیروانشان) همه امّت واحدی بودند» و پیرو یک هدف (إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَهً).

برنامه آنها یکی و هدف و مقصد آنها نیز یکی بوده است، هر چند با اختلاف زمان و محیط، دارای ویژگیها و روشها و به اصطلاح تاکتیکهای متفاوت بودند. این یگانگی و وحدت برنامهها و هدف، به خاطر آن بوده که همه از یک مبدأ سر چشمه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۸۸

می گرفته، از اراده خداوند واحد یکتا، و لذا بلا فاصله می گوید: «و من پروردگار شما هستم، پس تنها مرا پرستش کنید» (وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ).

در واقع توحید عقیدتی و عملی انبیاء از توحید منبع وحی سر چشمه می گیرد.

سورة الأنبياء(21): آية 93 ص: 188

(آیه ۹۳) - در این آیه اشاره به انحراف گروه عظیمی از مردم از این اصل واحد توحیدی کرده چنین می گوید: «و آنها کار خود را در میان خود به تفرقه و تجزیه کشاندند» (وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَیْنَهُمْ).

کارشان به جایی رسید که در برابر هم ایستادند، و هر گروه، گروه دیگری را لعن و نفرین می کرد و از او برائت و بیزاری می جست، به این نیز قناعت نکردند به روی همدیگر اسلحه کشیدند و خونهای زیادی را ریختند، و این بود نتیجه انحراف از اصل اساسی توحید و آیین یگانه حق.

و در آخر آیه اضافه می کند: «اما همه آنها سر انجام به سوی ما باز می گردند» (کُلِّ إِلَيْنا راجِعُونَ).

این اختلاف که جنبه عارضی دارد بر چیده میشود و باز در قیامت همگی به سوی وحدت میروند.

سورة الأنبياء(21): آية 94 ص: ١٨٨

(آیه ۹۴) – در این آیه نتیجه هماهنگی با «امت واحده» در طریق پرستش پروردگار، و یا انحراف از آن و پیمودن راه تفرقه را چنین بیان میفرماید: «پس هر کس چیزی از اعمال صالح را انجام دهـد در حالی که ایمان داشـته باشـد، تلاش و کوشـش او مورد ناسپاسی قرار نخواهد گرفت» (فَمَنْ یَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا کُفْرانَ لِسَعْیِهِ). و برای تأکید بیشتر اضافه می کند: «و ما اعمال صالح او را قطعا خواهیم نوشت» (وَ إِنَّا لَهُ کاتِبُونَ). این آیه همانند بسیاری دیگر از آیات قرآن، شرط قبولی اعمال صالح را ایمان می شمرد.

سورة الأنبياء(٢١): آية ٩٥ ص: ١٨٨

(آیه ۹۵)–کافران در آستانه رستاخیز: در آیه قبل سخن از «مؤمنان نیکو کار برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۸۹

و صالح العمل» بود و در این آیه، به افرادی اشاره می کنید که در نقطه مقابل آنها قرار دارنید، آنها که تیا آخرین نفس به ضلالت و فساد ادامه می دهنید، می فرمایید: «و حرام است بر شهرهایی که آنها را (به جرم گناهانشان) نابود کردیم (به دنیا باز گردند) آنها هر گز باز نخواهند گشت» (وَ حَرامٌ عَلی قَرْیَهٍ أَهْلَكْناها أَنّهُمْ لا یَرْجِعُونَ).

در حقیقت آنها کسانی هستند که بعد از مشاهده عذاب الهی، یا بعد از نابودی و رفتن به جهان برزخ، پردههای غرور و غفلت از برابر دیدگانشان کنار میرود آرزو می کنند ای کاش برای جبران این همه خطاها بار دیگر به دنیا باز می گشتند ولی قرآن با صراحت می گوید: بازگشت آنها بکلی حرام، یعنی ممنوع است و راهی برای جبران باقی نمانده است.

سورة الأنبياء (21): آية 96 ص: 189

(آیه ۹۶)– به هر حال این بیخبران دائما در غرور و غفلتند، و این بد بختی تا پایان جهان همچنان ادامه دارد.

چنانکه قرآن می فرماید: «تا زمانی که راه بر یأجوج و مأجوج گشوده شود و آنها (در سراسر زمین پخش شوند، و) از هر بلندی و ارتفاعی با سرعت بگذرند» (حَتَّی إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبِ يَنْسِلُونَ).

سورة الأنبياء(21): آية 97 ص: 189

(آيه ٩٧)- و بلا فاصله مي گويد: «و وعده حق [قيامت] نزديك مي شود» (وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ).

«در آن هنگام چشـمهای کافران از وحشت از حرکت باز میمانــد» و خیره خیره به آن صـحنه نگاه میکننــد (فَإِذا هِیَ شاخِصَــ ثُّ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا).

در این هنگام پردههای غرور و غفلت از برابر دیـدگانشان کنار میرود و فریادشان بلند میشود «ای وای بر ما! ما از این صحنه در غفلت بودیم» (یا وَیْلَنا قَدْ کُنَّا فِی غَفْلَةٍ مِنْ هذا).

و چون نمی تواننـد با این عذر، گناه خویش را بپوشانند و خود را تبرئه کنند با صراحت می گویند: «نه، بلکه ما ظالم و ستمگر بودیم»! (بَلْ کُنَّا ظالِمِینَ).

اصولا چگونه ممکن است با وجود این همه پیامبران الهی و کتب آسمانی و این همه حوادث تکان دهنده، و همچنین درسهای عبرتی که روزگار به آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۹۰

می دهد در غفلت باشند، آنچه از آنها سر زده تقصیر است و ظلم بر خویشتن و دیگران.

سورة الأنبياء(21): آية ٩٨ ص: ١٩٠

(آیه ۹۸) - هیزم جهنم! در تعقیب آیات گذشته که از سر نوشت مشرکان ستمگر بحث می کرد در اینجا روی سخن را به آنها کرده و آینده آنها و معبودهایشان را چنین ترسیم می کند: «شما و آنچه را غیر از خدا می پرستید آتشگیره جهنمید»! (إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ).

آتشگیره جهنم و هیزمی که شعلههای آن را تشکیل میدهد خود شما و خدایان ساختگی شماست، و همچون قطعههای هیزم بیارزش یکی پس از دیگری در جهنم پرتاب میشوید! سپس اضافه میکند: «شما وارد بر آن میشوید» (أُنْتُمْ لَها وارِدُونَ). اول بتها را در آتش میافکنند، سپس شما بر آنها وارد میشوید، گویی خدایانتان با آتشی که از وجودشان بر میخیزد از شما پذیرایی میکنند.

سورة الأنبياء(21): آية 99 ص: 190

(آیه ۹۹)– سپس به عنوان نتیجه گیری کلی میفرماید: «اگر این بتها، خـدایانی بودنـد هرگز وارد آتش دوزخ نمیشدند» (لَوْ کانَ هؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها).

ولى بدانيد نه تنها وارد دوزخ مىشوند بلكه «جاودانه در آن خواهند بود» (وَ كُلُّ فِيها خالِدُونَ).

سورة الأنبياء(21): آية 100 ص: 190

(آیه ۱۰۰)- برای توضیح بیشتر پیرامون وضع دردناک، این «عابدان گمراه»، در برابر آن «معبودان بی ارزش» می گوید: «آنها در دوزخ، فریادها و ناله های دردناک دارند» (لَهُمْ فِیها زَفِیلُ).

ممكن است این زفیر و ناله غم انگیز تنها مربوط به عابدان نباشد، بلكه شیاطینی كه معبودشان بودند نیز در این امر با آنها شریك باشند.

جمله بعد، یکی دیگر از مجازاتهای دردناک آنها را باز گو میکند و آن اینکه «آنها در دوزخ چیزی نمی شنوند» (وَ هُمْ فِیها لا یَسْمَعُونَ).

این جمله ممکن است اشاره به این باشد که آنها سخنی که مایه سرور و خوشحالیشان باشد مطلقا نمی شنوند، و تنها مستمع نالههای جانکاه دوزخیان، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۹۱

و فریادهای فرشتگان عذاب هستند.

بعضی گفتهاند منظور این است که اینها صدای هیچ کس را مطلقا نمیشنوند گویی تنها آنها در عذابند و این خود مایه مجازات بیشتری است.

سورة الأنبياء(21): آية 101 ص: 191

(آیه ۱۰۱)- این آیه حالات مؤمنان راستین و مردان و زنان با ایمان را باز گو می کند تا در مقایسه با یکدیگر وضع هر دو مشخص تر شود.

نخست مى گويىد: «كسانى كه به خاطر ايمان و اعمال صالحشان وعده نيك به آنها از قبل دادهايم از اين آتش هولناك و وحشتناك دورند» (إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْني أُولِئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ).

اشاره به این که ما به تمام وعدههایی که به مؤمنان در این جهان دادهایم وفا خواهیم کرد که یکی از آنها دور شدن از آتش دوزخ است.

سورة الأنبياء(21): آية 102 ص: 191

(آیه ۱۰۲) - در این آیه چهار نعمت بزرگ الهی را که شامل حال این گروه سعادتمند است بر می شمرد: نخست این که «آنها صدای آتش را نمی شنوند» (لا یَشمَعُونَ حَسِیسَها).

مؤمنان راستین چون از جهنم دورند هرگز این صداهای وحشتناک به گوششان نمیخورد.

ديگر اين كه: «آنها در آنچه بخواهند و مايل باشند بطور جاودان متنعمند» (وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أُنْفُسُهُمْ خالِدُونَ).

یعنی آنجا محدودیت این جهان را نـدارد، هر نعمت مادی و معنوی که بخواهند بدون اسـتثناء در دسترس آنهاست، آن هم نه یک روز و دو روز بلکه در یک عمر جاویدان!

سورة الأنبياء(21): آية 103 ص: 191

(آیه ۱۰۳) - سوم این که: «فزع اکبر آنها را غمگین نمی کند» (لا یَحْزُنُهُمُ الْفَزُعُ الْأَكْبَرُ).
«فزع اکبر» (وحشت بزرگ) را بعضی اشاره به وحشتهای روز قیامت دانسته اند که از هر وحشتی بزرگتر است.
بالاخره آخرین لطف خدا در باره کسانی که در آیات فوق به آنها اشاره شده برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۹۲
این است که «فرشتگان رحمت به استقبال آنها می شتابند» (و به آنها تبریک و شاد باش می گویند و بشارت می دهند) این همان روزی است که به شما وعده داده می شد» (و تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِکَةُ هذا یَوْمُکُمُ الَّذِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ).

سورة الأنبياء(٢١): آية ١٠٤ ص: ١٩٢

(آیه ۱۰۴) – آن روز که آسمانها در هم پیچیده می شود! در آیه قبل خواندیم، مؤمنان راستین از «فزع اکبر» (وحشت بزرگ) غمگین نمی شوند این آیه توصیفی از آن روز وحشت انگیز کرده است، و در حقیقت علت عظمت این وحشت را مجسم می سازد، می گوید: این امر «روزی، تحقق می یابد که ما آسمان را در هم می پیچیم همان گونه که طومار نامه ها در هم پیچیده می شود»! (یَوْمَ نَطْوِی السَّماءَ کَطَیِّ السِّجِلِّ لِلْکُتُبِ).

در این آیه تشبیه لطیفی نسبت به در نوردیدن طومار عالم هستی در پایان دنیا شده است، در حال حاضر این طومار گشوده شده و تمام نقوش و خطوط آن خوانده می شود و هر یک در جایی قرار دارد، اما هنگامی که فرمان رستاخیز فرا رسد، این طومار عظیم با تمام خطوط و نقوشش، در هم پیچیده خواهد شد.

سپس اضافه می کند: «همان گونه که ما در آغاز آن را ایجاد کردیم باز هم بر می گردانیم» و این کار مشکل و سختی در برابر قدرت عظیم ما نیست (کَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقِ نُعِیدُهُ).

و در پایان آیه میفرماید: «این وعدهای است که ما داده ایم و قطعا آن را انجام خواهیم داد» (وَعْداً عَلَیْنا إِنَّا کُنَّا فاعِلِینَ). از بعضی روایات استفاده میشود که منظور از باز گشت خلق به صورت اول آن است که انسانها بار دیگر پا برهنه و عریان-آن گونه که در آغاز آفرینش بودند- باز می گردند و این یکی از چهرههای بازگشت آفرینش به صورت نخست است.

سورة الأنبياء(21): آية 105 ص: 192

(آیه ۱۰۵) - حکومت زمین از آن صالحان خواهد بود: بعد از آن که در آیات گذشته به قسمتی از پاداشهای اخروی مؤمنان صالح اشاره شد در این آیه و آیه بعد به یکی از روشنترین پاداشهای دنیوی آنها که «حکومت روی زمین» است با بیان شیوایی اشاره کرده، می گوید: «و در زبور بعد از ذکر چنین نوشتیم که سر انجام بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۹۳ بندگان صالح من وارث (حکومت) زمین خواهند شد» (وَ لَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصَّالِحُونَ).

«ارض» به مجموع کره زمین گفته می شود و سراسر جهان را شامل می گردد.

منظور از «زبور» کتاب داود، و «ذکر» به معنی تورات است، و به این ترتیب معنی آیه چنین می شود، «ما، در زبور، بعد از تورات، چنین نوشتیم که این زمین را بندگان صالح ما به ارث خواهند برد».

سؤال دیگری که در اینجا باقی میماند این است که بندگان صالح خدا «عِبادِیَ الصَّالِحُونَ» کیانند؟

کلمه «صالحون» معنی گسترده و وسیعی دارد، که علاوه بر ایمان و توحید همه شایستگیها از آن به ذهن می آید، شایستگی از نظر عمل و تقوا، شایستگی از نظر علم و آگاهی، شایستگی از نظر قدرت و قوت، و شایستگی از نظر تدبیر و نظم و درک اجتماعی.

در بعضی از روایات صریحا این آیه تفسیر به یاران حضرت مهدی- عج- شده است: که بیان یک مصداق عالی و آشکار است، و عمومیت مفهوم آیه را محدود نمیسازد.

نظام آفرینش دلیل روشنی بر پذیرش یک نظام صحیح اجتماعی در آینده، در جهان انسانیت خواهد بود، و این همان چیزی است که از آیه مورد بحث و احادیث مربوط به قیام «مصلح بزرگ جهانی» حضرت مهدی- ارواحنا فداه- استفاده می شود.

سورة الأنبياء(21): آية 106 ص: 193

(آیه ۱۰۶)- این آیه به عنوان تأکید بیشتر می گوید: «در این سخن ابلاغ روشنی است برای گروهی که خدا را (با اخلاص) پرستش میکنند» (إِنَّ فِی هذا لَبَلاغاً لِقَوْم عابِدِینَ).

سورة الأنبياء(21): آية 107 ص: 193

(آیه ۱۰۷)- پیامبر رحمت برای جهانیان: از آنجا که آیات گذشته بشارت حکومت روی زمین را به بنـدگان صالـح می داد و چنین حکومتی مایه رحمت برای همه مردم جهان است در این آیه به رحمت عامّه وجود پیامبر (ص) اشاره کرده، برگزیـده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۹۴

مى گويد: «ما تو را جز براى رحمت جهانيان نفرستاديم» (وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ).

عموم مردم دنیا اعم از مؤمن و کافر همه مرهون رحمت تو هستند، چرا که نشر آیینی را به عهده گرفتی که سبب نجات همگان است.

سورة الأنبياء(21): آية 108 ص: 194

(آیه ۱۰۸)- و از آنجا که مهمترین مظهر رحمت و محکمترین پایه و اساس آن مساله توحید و جلوههای آن است در این آیه چنین می گوید: «به آنها بگو: تنها چیزی که بر من وحی می شود این است که معبود شما معبود واحدی است» (قُلْ إِنَّما يُوحی إِلَى اَنَّما إِلهُ وَاحِدٌ).

«پس آیا شما حاضرید (در برابر همین اصل اساسی توحید) تسلیم شوید» و بتها را کنار بگذارید؟! (فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

در واقع در این آیه، سه نکته بنیادی مطرح شده است، نخست این که پایه اصلی رحمت توحید است توحید در اعتقاد، در عمل، توحید در کلمه، توحید صفوف، و توحید در قانون و در همه چیز.

نکته دیگر این که تمام دعوت پیامبر اسلام (ص) در اصل توحید خلاصه می شود و توحید روحی است که در کالبد تمام دین دمیده شده.

و آخرین نکته این که: مشکل اصلی تمام جوامع و ملل، آلودگی به شرک در اشکال مختلف و بیرون آمدن از شرک و مظاهر آن و بالا زدن آستین برای شکستن بتها است، نه فقط بتهای سنگی و چوبی، که بتها از هر نوع مخصوصا طاغوتهای انسانی!

سورة الأنبياء(21): آية 109 ص: 194

(آیه ۱۰۹)- این آیه می گوید: اگر (با این همه تلاش باز به دعوت و پیام ما توجه نکردند و) روی گردان شوند، بگو: من به همه شما بطور یکسان (از عذاب الهی) اعلام خطر می کنم» (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَواءٍ).

سپس این تهدید را به صورت آشکارتری بیان کرده، می گوید: «و من نمی دانم آیا وعده عذاب که به شما داده شده است نزدیک است یا دور»؟! (وَ إِنْ أَدْرِی أَ قَرِیبٌ أَمْ بَعِیدٌ ما تُوعَدُونَ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۹۵

فكر نكنيد اين وعده دور است، شايد هم نزديك و بسيار هم نزديك باشد.

این عذاب و مجازاتی که در اینجا به آن تهدید شده اند ممکن است عذاب قیامت و یا مجازات دنیا و یا هر دو باشد، در صورت اول علم آن مخصوص خداست و در صورت دوم و سوم ممکن است اشاره به جزئیات و زمان آن باشد که حتی پیامبران از جزئیات آن آگاه نیستند.

سورة الأنبياء(21): آية 110 ص: 193

(آیه ۱۱۰)- این تصور را نیز به مغز خود راه می دهید که اگر تأخیری در مجازات شما شود به خاطر این است که خدا از اعمال و سخنان شما آگاه نیست، نه، او همه را می داند «او هم سخنان آشکار را و هم آنچه را کتمان می کنید می داند» (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ).

اصولاً پنهان و آشکار برای شما که علمتان محدود است مفهوم دارد، اما برای آن کس که علمش بی پایان است غیب و شهود یکی است و سر و علن در آنجا یکسان می باشد.

سورة الأنبياء(٢١): آية ١١١ ص: ١٩٥

(آیه ۱۱۱)- و نیز اگر می بینید مجازات الهی فورا دامن شما را نمی گیرد بواسطه آن نیست که او از کار شما آگاه نباشد «و من نمی دانم شاید این آزمایشی برای شماست» (وَ إِنْ أَدْرِی لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَکُمْ).

«و مایه بهره گیری (از لذائذ این جهان) تا مدّتی» معین، سپس با شدت هر چه تمامتر شما را بگیرد و مجازات کند (وَ مَتاعٌ إِلَی حِین).

در واقع برای تأخیر مجازات الهی در اینجا دو فلسفه بیان شده است: نخست مسأله امتحان و آزمایش است، خدا هر گز در عذاب عجله نمی کند، تا خلق را آزمایش کافی کند و اتمام حجت نماید.

دوم این که افرادی هستند که آزمایش آنها تمام شده و کلمه مجازاتشان قطعی گردیده است، اما برای این که سخت کیفر ببینند نعمت را بر آنها گسترده میسازد تا کاملا غرق نعمت شوند، و درست در همان حال که سخت در لذائند غوطهورند تازیانه عذاب را بر آنها بکوبد تا دردناکتر باشد، و رنج محرومان و ستمدیدگان را به خوبی احساس کنند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۹۶

سورة الأنبياء(21): آية 117 ص: 198

(آیه ۱۱۲)- این آیه که آخرین آیه سوره انبیاء است همچون نخستین آیه این سوره سخن از غفلت مردم بی خبر می گوید، و به عنوان نقل قول از پیامبر (ص) در یک عبارت نفرین مانند ناراحتی او را از این همه غرور و غفلت منعکس می کند و می گوید: پیامبر بعد از مشاهده این همه اعراض و رویگردانی «عرض کرد:

پروردگار من! به حق داوری فرما» و این گروه طغیانگر را طبق قانون عدالتت کیفر ده! (قالَ رَبِّ احْکُمْ بِالْحَقِّ).

در دومین جمله روی سخن را به مخالفان کرده و میگوید: «و پروردگار همه ما خداوند رحمان است و ما از پیشگاه مقدسش در برابر نسبتهای ناروایی که شما به او میدهید استمداد میطلبیم» (وَ رَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ عَلی ما تَصِفُونَ).

«پایان سوره انبیاء»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۹۷

سوره حجّ [22] ص: 197

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۷۸ آیه است

محتوای سوره: ص : 197

این سوره به خاطر بخشی از آیاتش که پیرامون حجّ سخن می گوید به نام «سوره حجّ» نامیده شده است.

و از آنجا که دستور حبّ آن هم با ذکر قسمتی از جزئیات آن، و همچنین دستور جهاد، تناسب با وضع مسلمانان در مدینه دارد، آیات این سوره از جهاتی شبیه سورههای «مدنی» است.

از نظر محتوا مطالب این سوره را به چند بخش می توان تقسیم کرد:

۱- آیات فراوانی از آن در زمینه «معاد» و دلائل منطقی آن، و انذار مردم غافل از صحنههای قیامت، و مانند آن است.

۲- بخش قابل ملاحظه ای نیز از مبارزه با شرک و مشرکان، سخن می گوید.

۳- در بخش دیگر مردم را به بررسی سر نوشت عبرتانگیز گذشتگان و عـذابهای دردناک الهی که بر آنها نازل شد دعوت کرده.

۴- و بخش دیگر پیرامون مسأله حج و سابقه تاریخی آن است.

۵- بخشی از آن پیرامون مبارزه با دشمنان مهاجم، است.

۹ و سـر انجام قسمتی از آن پند و اندرزهایی است در زمینههای مختلف زندگی و تشویق به نماز و زکات و توکل و توجه به خداوند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۹۸

فضيلت تلاوت سوره: ص : 198

در حدیثی از پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله میخوانیم:

«هر کس سوره حج را بخواند خداوند پاداش حج و عمره را به او میدهد به تعداد تمام کسانی که در گذشته و آینده حج و عمره به جا آورده یا خواهند آورد»! بدون شک این ثواب و فضیلت عظیم تنها برای تلاوت لفظی نیست، تلاوتی است اندیشه ساز، و اندیشه ای است عمل پرور.

بِسْم اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الحج(22): آية 1 ص: 198

(آیه ۱)- زلزله عظیم رستاخیر: این سوره با دو آیه تکان دهنده و هیجانانگیز پیرامون رستاخیز و مقدمات آن شروع می شود، آیاتی که بی اختیار انسان را از این زندگی گذرای مادی بیرون می برد، و به آینده هول انگیزی که در انتظار اوست متوجه می سازد.

نخست عموم مردم را بدون استثناء مخاطب ساخته، می گوید: «ای مردم! از پروردگارتان بترسید، و پرهیز کاری پیشه کنید که زلزله رستاخیز، جریان مهم و عظیمی است» (یا أَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمْ إِنَّ زَلْزَلَهُ السَّاعَةِ شَیْءٌ عَظِیمٌ).

خطاب «یا أُیُّهَا النَّاسُ»، دلیل روشنی است بر این که هیچ گونه تفاوت و تبعیضی از نظر نژاد و زبان و اعصار و قرون و مکانها و مناطق جغرافیایی و طوائف و قبائل در آن نیست، و مؤمن و کافر، کوچک و بزرگ، پیر و جوان، مرد و زن امروز و آینـده همه در آن شریکند.

سورة الحج(22): آية 2 ص: 198

(آیه ۲)- این آیه نمونه هایی از بازتاب این وحشت عظیم را در چند جمله بیان کرده، می گوید: «روزی که آن را می بینید [زلزله رستاخیز آن چنان وحشت سرا پای همه را فرا می گیرد که] هر مادر شیردهی، کودک شیر خوارش را فراموش می کند» (یَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ کُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)

. (و هر بارداری (در آن صحنه باشد) جنین خود را سقط می کند» (وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلِ حَمْلَها)

.سومین بازتاب این که: «مردم را به صورت مستان می بینی، در حالی که مست برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۱۹۹

نیستند!» (وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى) .«ولى عذاب خدا شدید است» (وَ لكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِیدٌ)

سورة الحج(22): آية 3 ص: 199

(آیه ۳)- پیروان شیطان! از آنجا که در آیات گذشته ترسیمی از وحشت عمومی مردم به هنگام وقوع زلزله قیامت بود در این آیه حال گروهی از بیخبران را منعکس میکند که چگونه از چنین حادثه عظیمی غافلند.

می گویـد: «گروهی از مردم بـدون هیـچ علم و دانشـی در باره خدا به مجادله بر میخیزند» (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اللَّهِ بِغَیْرِ عِلْم).

گاه در اصل توحید و یگانگی حق و نفی هر گونه شریک جدال می کنند، و گاه در قدرت خدا نسبت به مسأله احیای مردگان و بعث و نشور، و در هر صورت هیچ گونه دلیلی بر گفته های خود ندارند.

سپس اضافه می کند: این گونه افراد که تابع هیچ گونه منطق و دانشی نیستند «از هر شیطان سر کش و متمردی تبعیت می کنند» (وَ یَتَّبُعُ کُلَّ شَیْطانٍ مَرِیدٍ).

نه از یک شیطان که از همه شیطانها! اعم از شیاطین انس و جن که هر یک از آنها برای خود نقشه و برنامه و حیله و دامی دارند.

سورة الحج(22): آية 4 ص: 199

(آیه ۴)- در این آیه می گوید: «بر او نوشته و مقرر شده است که هر کس حلقه اطاعت و ولایتش را بر گردن نهد بطور مسلم گمراهش میسازد و به آتش سوزان راهنمائیش می کند» (کُتِبَ عَلَیْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ یُضِلُّهُ وَ یَهْدِیهِ إِلَی عَذابِ السَّعِیرِ).

سورة الحج(22): آية 5 ص: 199

(آیه ۵)- دلائل معاد در عالم جنین و گیاهان: از آنجا که در آیات گذشته گفتگو از تردید مخالفان در «مبدء» و «معاد» بود در این آیه به دو دلیل محکم و منطقی برای اثبات معاد جسمانی استدلال شده است، یکی از طریق توجه به تحولات دوران جنینی، و دیگری از طریق تحولات زمین به هنگام نمو گیاهان.

نخست همه انسانها را مخاطب ساخته، می گوید: «ای مردم! اگر در رستاخیز شکّ دارید (به این نکته توجه کنید که:) ما شما را از خاک آفریدیم، سپس از نطفه، و بعد، از خون بسته شده و سپس از مضغه [چیزی شبیه گوشت جویده شده] که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۰۰

بعضى داراى شكل و خلقت است و بعضى بدون شكل» (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ).

همه اینها به خاطر آن است «تا برای شما آشکار سازیم» که بر هر چیز قادریم (لِنُبَیِّنَ لَکُمْ).

«و جنینهایی را که بخواهیم تا مدت معینی در رحم (مادران) قرار میدهیم» (وَ نُقِرُّ فِی الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلی أَجَلٍ مُسَـمَّی). تا دوران تکاملی خود را طی کنند، و آنچه را بخواهیم ساقط می کنیم و از نیمه راه از مدار خارجش میسازیم. «از آن پس (یک دوران انقلابی جدید آغاز می شود و) ما شما را به صورت طفل (از شکم مادر) بیرون می فرستیم» (ثُمَّ نُخْرجُکُمْ طِفْلًا).

به این ترتیب دوران زندگی محدود و وابسته شما در شکم مادر پایان میپذیرد، و قدم به محیطی وسیعتر، مملو از نور و صفا و امکانات بسیار فزونتر می گذارید.

باز چرخهای حرکت تکاملی شما متوقف نمی شود، و همچنان سریع در این راه به پیشروی ادامه می دهید «سپس هدف این است که به حدّ رشد و بلوغ (و کمال جسم و عقل) برسید» (ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّ کُمْ).

در اینجا جهل تبدیل به دانایی، و ضعف و ناتوانی تبدیل به قدرت و توانایی و وابستگی مبدل به استقلال میشود.

ولی این چرخ باز متوقف نمی گردد هر چند «در این میان بعضی از شما می میرند و بعضی آن قدر عمر می کنند که به بدترین مرحله زندگی (و پیری) می رسند» (وَ مِنْکُمْ مَنْ یُتَوَفِّی وَ مِنْکُمْ مَنْ یُرَدُّ إِلی أَرْذَلِ الْعُمُرِ).

«آنچنان که بعد از علم و آگاهی، چیزی نمیدانند!» (لِکَیْلا یَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْم شَیْئاً).

این ضعف و ناتوانی و پژمردگی دلیل بر فرا رسیدن یک مرحله انتقالی جدید بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۰۱

است، همان گونه که سستی پیوند میوه با درخت دلیل بر رسیدگی آن و وصول به مرحله جدایی است.

سپس به بیان دلیل دوم که زندگی و حیات گیاهان است پرداخته، می گوید:

«زمین را (در فصل زمستان) خشک و مرده می بینی، اما هنگامی که آب باران بر آن فرو می فرستیم، به حرکت در می آیـد و می رویـد، و از هر نوع گیاهان زیبا می رویانـد» (وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِ-دَهً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِیج).

سورة الحج(22): آية 6 ص: 201

(آیه ۶)– در این آیه و آیه بعـد به عنوان جمع بنـدی و نتیجه گیری کلی، هدف اصـلی از بیان این دو دلیل را ضـمن باز گویی پنج نکته تشریح می کند:

۱- نخست می گوید: «آنچه (در آیات قبل از مراحل مختلف حیات در مورد انسانها و جهان گیاهان) باز گو شد برای این است که (بدانید) خداوند حق است» (ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ).

و چون او حق است نظامی را که آفریده نیز حق است، بنا بر این نمی تواند بیهوده و بی هدف باشد. و چون این جهان بی هدف نیست و از سوی دیگر هدف اصلی را در خود آن نمی یابیم یقین پیدا می کنیم که معاد و رستاخیزی در کار است.

۲- این نظام حاکم بر جهان حیات به ما می گوید: «و اوست که مردگان را زنده می کند» (وَ أَنَّهُ یُحْیِ الْمَوْتی).

همان کسی که لباس حیات بر تن خاک میپوشاند، و نطفه بیارزش را به انسان کاملی مبدل میسازد، و زمینهای مرده را جان میدهد او مردگان را حیات نوین میبخشد.

۳- هـدف ديگر ايـن اسـت كه بدانيـد «خـدا بر هر چيز توانـاست» و چيزى در برابر قـدرت او غير ممكن نيست (وَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

آیا کسی که می تواند خاک بی جان را تبدیل به نطفه کند و آن را در مراحل حیات پیش ببرد قادر نیست که انسان را بعد از مرگ به زندگی جدید باز گرداند؟

سورة الحج(22): آية 7 ص: 202

(آیه ۷)- چهارم: و باز همه اینها برای این است که بدانید: «رستاخیز آمدنی است و شکّی در آن نیست» (وَ أَنَّ السَّاعَةُ آتِيَةٌ لاَ رَیْبَ فِیها).

۵- و اینها همه مقدمهای است برای آخرین نتیجه و آن این که: «خداونـد تمام کسانی را که در قبرها آرمیدهاند زنده می کند» (وَ أَنَّ اللَّهَ یَبْعَثُ مَنْ فِی الْقُبُورِ).

در نتیجه رستاخیز و بعث مردگان نه تنها امکانپذیر است بلکه قطعا تحقق خواهد یافت.

سورة الحج(22): آية 8 ص: 202

(آیه ۸)- باز هم مجادله به باطل: در اینجا نیز سخن از مجادله کنندگانی است که پیرامون مبدء و معاد به جدال بی پایه و بی اساس می پردازند.

نخست می گوید: «گروهی از مردم کسانی هستند که در باره خدا بدون هیچ علم و دانش و هدایت و کتاب روشنی به مجادله بر میخیزند» (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اللَّهِ بِغَیْرِ عِلْم وَ لا هُدیً وَ لا کِتابِ مُنِیرٍ).

در حقیقت بحث و جدال علمی در صورتی میتواند ثمر بخش باشد که متکی به یکی از این دلائل گردد. عقل یا کتاب یا سنّت.

جمله «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» درست همان تعبيري است كه در آيه سوم گذشت. و ظاهرا آيه گذشته ناظر به حال پيروان گمراه و بيخبر است در حالي كه اين آيه ناظر به رهبران اين گروه گمراه ميباشد.

سورة الحج(22): آية 9 ص: 202

(آیه ۹)- سپس در یک عبارت کوتاه و پر معنی به یکی از علل انحراف و گمراهی این رهبران ضلالت پرداخته، می گوید: «آنها با تکبر و بیاعتنایی (نسبت به سخنان الهی و دلائل روشن عقلی) میخواهند مردم را از راه خدا گمراه سازند» (ثانیَ عِطْفِهِ لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیل اللَّهِ).

سپس كيفر شديد آنها را در دنيا و آخرت به اين صورت تشريح مىكند: «بهره آنها در اين دنيا رسوائى و بد بختى است، و در قيامت عذاب سوزنده را به آنها مىچشانيم» (لَهُ فِى الدُّنْيا خِزْيٌ وَ نُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَذابَ الْحَرِيقِ).

سورة الحج(22): آية 10 ص: 202

(آیه ۱۰) - و به او می گوئیم: «این نتیجه چیزی است که دستهایت از پیش برای تو فرستاده است» (ذلِ کَی بِما قَدَّمَتْ یَداکَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۰۳

«و خداوند هر گز به بندگان ظلم و ستم نمی کند» (وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامِ لِلْعَبِيدِ).

نه کسی را بیجهت کیفر میدهد، و نه بر میزان مجازات کسی بدون دلیل میافزاید، و برنامه او عدالت محض و محض عدالت است.

سورة الحج(22): آية 11 ص: 203

(آیه ۱۱)- آنها که بر لب پرتگاه کفرند! در آیات گذشته سخن از دو گروه در میان بود گروه پیروان گمراه، و رهبران گمراه کننده، اما در اینجا سخن از گروه سومی است که همان افراد ضعیف الایمان هستند.

قرآن در توصیف این گروه چنین می گوید: «و بعضی از مردم خدا را تنها با زبان می پرستند» اما ایمان قلبی آنها بسیار سطحی و ضعیف است (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَعْبُدُ اللَّهَ عَلی حَرْفٍ). و با کوچکترین چیزی ایمانشان بر باد فنا میرود.

سپس قرآن به تشریح تزلزل ایمان آنها پرداخته، می گوید: «پس آنها چنانند که اگر (دنیا به آنها رو کند و نفع و) خیری به آنان برسد حالت اطمینان پیدا می کنند! (و آن را دلیل بر حقانیت اسلام می گیرند) اما اگر به وسیله گرفتاریها و پریشانی و سلب نعمت مورد آزمایش قرار گیرند دگر گون می شوند» و به کفر رو می آورند! (فَإِنْ أَصابَهُ خَیْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتُهُ فِتْنَهُ الْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ).

گوئی آنها دین و ایمان را به عنوان یک وسیله نیل به مادیان پذیرفتهاند که اگر این هدف تأمین شد دین را حق می دانند و گر نه بی اساس! و در پایان آیه اضافه می کند: و به این ترتیب «آنها هم دنیا را از دست دادهاند و هم آخرت را» (خَسِتَرَ الدُّنْیا وَ الْآخِهَ ةَ).

و «اين همان خسران و زيان آشكار است» كه انسان هم دينش بر باد رود و هم دنيايش (ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ).

سورة الحج(22): آية 12 ص: 203

(آیه ۱۲)-این آیه به عقیده شرک آلود این گروه مخصوصا بعد از انحراف از توحید و ایمان به خدا اشاره کرده، می گوید: «او جز خدا کسی را میخواند که نه زیانی می تواند به او برساند و نه سودی» (یَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَضُرُّهُ وَ ما لا یَنْفَعُهُ). اگر دلیل معیار حقانیت دین را اقبال و ادبار دنیا می گیرد، پس چرا به سراغ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۰۴ بتهایی می رود که موجوداتی هستند بی خاصیت و فاقد هر گونه اثر در سرنوشت انسانها؟! آری! «این گمراهی بسیار عمیقی است» (ذلِکَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِیدُ).

فاصله آن از خط صراط مستقیم آن چنان زیاد است که امید بازگشتشان به سوی حق بسیار کم است.

سورة الحج(22): آية 13 ص: 204

(آیه ۱۳)- باز مطلب را از این فراتر برده، می گوید: «او کسی را میخواند که زیانش از نفعش نزدیکتر است»! (یَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ).

چرا که این معبودهای ساختگی در دنیا فکر آنها را به انحطاط و پستی و خرافات سوق میدهند، و در آخرت آتش سوزان را برای آنها به ارمغان می آورند.

و در پایان آیه اضافه می کند: «چه بد مولا و یاوری هستند این بتها، و چه بد مونس و معاشری» (لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ).

سورة الحج(22): آية 14 ص: 204

(آیه ۱۴)– و از آنجا که روش قرآن این است که مسائل نیک و بد را در مقایسه با هم بیان میکند تا نتیجه گیری آن کاملتر و روشنتر باشد در این آیه میفرماید:

«خداونـد کسانی را که ایمان آوردنـد و عمل صالـح انجام دادند در باغهایی از بهشت وارد میکند که نهرها از زیر درختانش جاری است» (إِنَّ اللَّهَ یُدْخِلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

برنامه آنها روشن، خط فکری و عملی آنها مشخص، مولای آنها خدا و همدم و مونسشان انبیاء و شهداء و صالحان و فرشتگان خواهند بود.

آرى! «خدا هر چه را اراده كند انجام مىدهد» (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ).

این پاداشهای بزرگ برای او سهل و آسان است، همان گونه که مجازات مشرکان لجوج و رهبران گمراهشان برای او ساده است.

سورة الحج(22): آية 15 ص: 204

اشاره

(آیه ۱۵)

شأن نزول: ص: ۲۰۴

گروهی از قبیله «بنی اسد» و «بنی غطفان» که با پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله پیمان بسته بودند گفتند: ما می ترسیم خدا سر انجام محمّد صلّی اللّه علیه و آله را یاری نکند و در نتیجه رابطه ما با هم پیمانهایمان از یهود قطع شود و آنها به ما مواد غذائی ندهند، آیه نازل شد و به آنها اخطار کرد و آنها را سخت مذمت نمود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۰۵

تفسير: ص: ۲۰۵

رستاخیز پایان همه اختلافات! از آنجا که در آیات گذشته سخن از گروه ضعیف الایمان بود در این آیه نیز چهره دیگری از آنها را ترسیم کرده، می گوید:

«هر کسی گمان میکند که خدا پیامبرش را در دنیا و آخرت یاری نخواهد کرد و (از این نظر عصبانی است، هر کاری از دستش ساخته است بکند) ریسمانی به سقف خانه خود بیاویزد و خود را از حلق آویز، و نفس خود را قطع کند (و تا لبه پرتگاه مرگ پیش رود) ببیند آیا این کار خشم او را فرو مینشاند» (مَنْ کانَ یَظُنُّ أَنْ لَنْ یَنْصُرَهُ اللَّهُ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهُ فَلْیَمْدُدْ

بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُوْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ).

این آیه به یک نکته روانی در ارتباط با افراد کم حوصله و عصبانی و ضعیف الایمان اشاره می کند که آنها وقتی کارشان ظاهرا به بن بست میرسد فورا دستپاچه میشوند و تصمیمهای جنون آمیز می گیرند.

سورة الحج(22): آية 16 ص: 205

(آیه ۱۶) – این آیه اشاره به یک جمع بندی در آیات گذشته کرده، می گوید:

«و این گونه ما قرآن را به صورت آیات بینات و نشانه های روشن نازل کردیم» (وَ کَهذلِکُ أُنْزَلْناهُ آیاتٍ بَیِّناتٍ). دلائلی برای معاد و رستاخیز همچون بررسی دوران جنینی انسان، و رشد گیاهان و زنده شدن زمینهای مرده.

ولی با این همه، داشتن دلائل روشن به تنهایی کافی نیست بلکه آمادگی پذیرش حق نیز لازم است، به همین دلیل در پایان آیه می گوید: «و خداوند هر کس را بخواهد هدایت می کند» (وَ أَنَّ اللَّهَ یَهْدِی مَنْ یُرِیدُ).

سورة الحج(22): آية 17 ص: 205

(آیه ۱۷)- این آیه به شش گروه از پیروان مذاهب مختلف که یک گروه مسلم و مؤمنند، و پنج گروه غیر مسلمان اشاره کرده، می فرماید: «کسانی که ایمان آورده اند، و یهود، و صابئان، و نصارا، و مجوس، و مشرکان، خداوند در میان آنها روز قیامت داوری می کند، و حق را از باطل جدا می سازد» (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هادُوا وَ الصَّابِئِینَ وَ النَّصاری وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِینَ أَشْرَکُوا إِنَّ اللَّهِ یَفْصِلُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ).

مگر نه این است که یکی از نامهای قیامت «یوم الفصل» روز جدایی حق برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۰۶ از باطل است و «یوم البروز» روز آشکار شدن مکتومها، و روز پایان گرفتن اختلافات است.

آرى! خـدا در آن روز به همه اين اختلافات پايان مىدهـد: «چرا كه خداوند از همه چيز آگاه و با خبر است» (إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

سورة الحج(22): آية ١٨ ص: 206

(آیه ۱۸) - همه موجودات جهان در پیشگاه او سجده می کنند: از آنجا که در آیات گذشته سخن از مبدء و معاد بود، این آیه با طرح مسأله توحید و خداشناسی، حلقه مبدء و معاد را تکمیل می کند، پیامبر صلّی الله علیه و آله را مخاطب ساخته، می گوید: «آیا ندیدی تمام کسانی که در آسمانها و تمام کسانی که در زمین هستند برای خدا سجده می کنند، و خورشید و می گوید: «آیا ندیدی تمام کسانی که در آسمانها و تمام کسانی که در زمین هستند برای خدا سجده می کنند، و خورشید و ماه و ستارگان و کوهها و درختان و جنبندگان»؟! (أ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه یَشِجُدُ لَهُ مَنْ فِی الشّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النَّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ).

«و نیز بسیاری از مردم (برای او سجده می کنند) در حالی که بسیاری دیگر (ابا دارند و) مستحق عذابند» (وَ کَثِیرٌ مِنَ النَّاسِ وَ کَثِیرٌ حَقَّ عَلَیْهِ الْعَذابُ).

سپس اضافه می کند: اینها نزد پروردگار بی ارزشند «و هر کس را خدا بی ارزش سازد هیچ کس نمی تواند او را گرامی دارد» و مشمول سعادت و ثواب کند (وَ مَنْ یُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِم). آرى! «خداوند هر كار را بخواهد (و مصلحت بداند) انجام مىدهد» مؤمنان را گرامى و منكران را خوار مىسازد (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ).

با توجه به آنچه در آیه مورد بحث آمده موجودات عالم دارای دو گونه سجودند، «سجود تکوینی» و «سجود تشریعی». خضوع و تسلیم بی قید و شرط آنها در برابر اراده حق و قوانین آفرینش و نظام حاکم بر این جهان همان سجود تکوینی آنهاست که تمام ذرات موجودات را شامل می شود، حتی سلولهای مغز فرعونها و نمرودها و منکران لجوج، و تمام ذرات وجود آنها مشمول این سجود تکوینی هستند.

به گفته جمعی از محققان تمامی ذرات جهان دارای نوعی درک و شعورند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۰۷ و به موازات آن در عالم خود، حمد و تسبیح خدا می گویند، و سجود و صلاهٔ دارند و اگر این نوع درک و شعور را نپذیریم لا اقل تسلیم و خضوع آنها در برابر همه نظامات هستی به هیچ وجه قابل انکار نیست.

اما «سجود تشریعی» همان نهایت خضوعی است که از صاحبان عقل و شعور و درک و معرفت در برابر پروردگار تحقق می یابد.

سورة الحج(22): آية 19 ص: 207

اشاره

(آیه ۱۹)

شأن نزول: ص: 207

«روز جنگ بدر، سه نفر از مسلمانان (علی علیه السّ لام و حمزه، و عبیدهٔ بن حارث بن عبد المطلب) به میدان نبرد آمدند و به ترتیب «ولید بن عتبه» و «عتبهٔ بن ربیعه» و «شیبهٔ بن ربیعه» را از پای در آوردند.

آیه نازل شد و سر نوشت این مبارزان را بیان کرد.

ولى وجود شأن نزول خاص هرگز مانع عموميت مفهوم آيه نمىشود.

تفسير: ص: ۲۰۷

دو گروه متخاصم در برابر هم! در آیات گذشته به گروه مؤمنان و طوائف مختلفی از کفار اشاره شده بود، و مخصوصا آنها را به صورت شش گروه بیان کرد، در اینجا میفرماید: «این دو دسته (مؤمنان و غیر مؤمنان) در باره پروردگارشان به مخاصمه و جدال پرداختند» (هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِی رَبِّهِمْ).

سپس چهار نوع مجازات کافرانی را که دانسته و آگاهانه حق را انکار کردند بیان می کند:

نخست از لباس آنها شروع کرده، می گوید: «پس کسانی که کافر شدند لباسهایی از آتش برای آنها بریده می شود» (فَالَّذِینَ

كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ).

این جمله ممکن است اشاره به آن باشد که واقعا قطعاتی از آتش به صورت لباس برای آنها بریده و دوخته می شود! و یا کنایه از این باشد که آتش دوزخ از هر سو آنها را مانند لباس احاطه می کند.

ديگر اين كه: «مايع سوزان و جوشان حميم دوزخ بر سر آنها ريخته مىشود» (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ).

سورة الحج(22): آية 20 ص: 207

(آیه ۲۰)– و این آب سوزان و جوشان در بدن آنها آن چنان نفوذ می کند که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۰۸ «هم درونشان را ذوب مینماید و هم پوستها و برونشان) را»! (یُصْهَرُ بِهِ ما فِی بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ).

سورة الحج(22): آية 21 ص: 208

(آیه ۲۱)- سوم این که: «تازیانه ها یا گرزهایی از آهن سوزان برای آنها آماده است» (وَ لَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِیدٍ).

سورة الحج(22): آية 27 ص: 208

(آیه ۲۲) - و «هر گاه بخواهند از دوزخ و غم و اندوههای آن خارج شوند آنها را به آن باز می گردانند، و (به آنان گفته می شود) بچشید عذاب سوزان را»! (کُلَّما أَرادُوا أَنْ یَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمِّ أُعِیدُوا فِیها وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِیقِ). و این چهارمین مجازات آنهاست.

سورة الحج(22): آية 23 ص: 208

(آیه ۲۳)- این آیه و آیه بعد حال مؤمنان صالح را بیان می کند تا از طریق مقایسه، وضع هر دو گروه کاملا مشخص شود، و در اینجا پنج نوع پاداش آنها را باز گو کرده، نخست می گوید: «خداوند کسانی را که ایمان آورده و عمل صالح انجام دادهاند در باغهایی از بهشت وارد می کند که از زیر درختانش نهرها جاری است» (إِنَّ اللَّه یُدِخِلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

گروه اول در شعلههای آتش سوزان غوطهورند و اینها در باغهای بهشت در کنار نهرهای جاری آرمیدهاند.

سپس به زینت و لباس آنها پرداخته، می گوید: «آنها با دستبندهایی از طلا و مروارید زینت مییابند و لباسشان در آنجا از حریر است» (یُحَلَّوْنَ فِیها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبِ وَ لُؤْلُوًاً وَ لِباسُهُمْ فِیها حَرِیرٌ).

و این دو پاداش دیگر آنهاست. و اگر در این جهان از پوشیدن این گونه لباسها و زینتها ممنوع بودند به خاطر آن بود که مایه غرور و غفلت می شد و سبب محرومیت گروه دیگر می گشت، ولی در آنجا که این مسائل مطرح نیست این ممنوعیتها برداشته می شود و جبران می گردد.

سورة الحج(22): آية 24 ص: 208

(آیه ۲۴) - و بالاخره چهارمین و پنجمین موهبتی که خدا به آنها ارزانی میدارد و صرفا جنبه روحانی دارد این است که آنها «به سخنان پاکیزه هدایت میشوند» (وَ هُدُوا إِلَی الطَّیِّبِ مِنَ الْقَوْلِ). سخنانی روح پرور، و جملهها برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص.: ۲۰۹

و الفاظی نشاط آفرین و کلماتی پر از صفا و معنویت که روح را در مدارج کمال سیر میدهد.

و همچنین «به سوی راه خداوند حمید و شایسته ستایش هدایت می گردند» (وَ هُدُوا اِِلی صِرَاطِ الْحَمِیدِ). راه شناسایی خدا و نزدیک شدن معنوی و روحانی به قرب جوار او، راه عشق و عرفان.

آری! خداوند مؤمنان را با هدایت کردن به سوی این معانی به آخرین درجه لذات روحانی سوق میدهد.

سورة الحج(22): آية 25 ص: 209

(آیه ۲۵) – مانعان خانه خدا! در آیات گذشته سخن از کفار بطور مطلق در میان بود، ولی در این آیه اشاره به گروه خاصی از آنان شده است که دارای تخلفات و گناهان سنگین مخصوصا در رابطه با «مسجد الحرام» و «مراسم پر شکوه حج» هستند. نخست می گوید: «کسانی که کافر شدند و مردم را از راه خدا، جلوگیری می کنند ...» (إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّه).

همچنین مردم با ایمان را «از (کانون بزرگ توحید) مسجد الحرام باز میدارند، همان مرکزی که آن را برای همه مردم یکسان قرار داده ایم، چه آنها که در آن سرزمین زندگی میکنند و چه آنها که از نقاط دور به سوی آن میآیند» مستحق عذابی در دناکند (وَ الْمَشْجِدِ الْحَرام الَّذِی جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً الْعاکِفُ فِیهِ وَ الْبادِ).

«و هر كس بخواهـد در اين سر زمين از طريق حق منحرف گردد، و دست به ظلم و ستم بيالايـد مـا از عـذاب دردنـاك به او مى چشانيم» (وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ).

در واقع این گروه از کافران علاوه بر انکار حق، مرتکب سه جنایت بزرگ شدهاند:

۱- جلو گیری از راه خدا و ایمان و طاعت او.

۲- جلوگیری از عبادت کنندگان و زوّار خانه خدا و قرار دادن امتیازی برای خود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۱۰ ۳- در این سر زمین مقدس دست به ظلم و گناه و الحاد میزنند.

سورة الحج(22): آية 25 ص: 210

(آیه ۲۶)- دعوت عام برای حجّ! به تناسب بحثی که در آیه گذشته پیرامون مسجد الحرام و زائران خانه خدا آمد در اینجا نخست به تاریخچه بنای کعبه به دست ابراهیم خلیل (ع) و سپس مسأله وجوب حجّ، و فلسفه آن، و بخشی از احکام این عبادت بزرگ اشاره می کند، ابتدا از داستان تجدید بنای کعبه شروع کرده، می گوید: «و (به خاطر بیاور) زمانی را که محل خانه کعبه را برای ابراهیم آماده ساختیم» تا در آن مکان اقدام به بنای خانه کعبه کند (وَ إِذْ بَوَّ أَنَا لِإِبْراهِیمَ مَکانَ الْبَیْتِ).

منظور از «بوّ أنا» این است که خداونـد مکـان خـانه کعبه را که در زمان آدم ساخته شـده بود و در طوفان نوح ویران و آثارش محو گشته بود به ابراهیم (ع) نشان داد، توفانی وزید و خاکها را به عقب برد و پایههای خانه آشکار گشت، یا قطعه ابری آمده و در آنجا سایه افکنـد، و یا به هر وسیله دیگر خداوند محل اصـلی خانه را برای ابراهیم معلوم و آماده ساخت، و او با همیاری

فرزندش اسماعیل آن را تجدید بنا نمود.

سپس اضافه می کند، هنگامی که خانه آماده شد به ابراهیم خطاب کردیم:

این خانه را کانون توحیـد کن، و «چیزی را شـریک من قرار مـده، و خانهام را برای طواف کننـدگان و قیام کننـدگان و رکوع کنندگان و سجود کنندگان پاک کن» (أَنْ لا تُشْرِکْ بِی شَیْئاً وَ طَهِّرْ بَیْتِیَ لِلطَّائِفِینَ وَ الْقائِمِینَ وَ الرُّکَّعِ السُّجُودِ).

در حقیقت ابراهیم (ع) مأمور بود خانه کعبه و اطراف آن را از هر گونه آلودگی ظاهری و معنوی و هر گونه بت و مظاهر شرک پاک و پاکیزه دارد، تا بندگان خدا در این مکان پاک جز به خدا نیندیشند، و مهمترین عبادت این سر زمین را که طواف و نماز است در محیطی پیراسته از هر گونه آلودگی انجام دهند.

سورة الحج(22): آية 27 ص: 210

(آیه ۲۷)- بعد از آماده شدن خانه کعبه برای عبادت کنندگان، خدا به ابراهیم (ع) دستور میدهد: «و مردم را دعوت عمومی به حجّ کن، تا پیاده و سواره بر مرکبهای لاغر از هر راه دوری به سوی تو بیایند» (وَ أَذِّنْ فِی النَّاسِ بِالْحَ جِّ يَأْتُوکَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۱۱

رِجالًا وَ عَلَى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجِّ عَمِيقٍ).

در روایتی میخوانیم: «هنگامی که ابراهیم چنین دستوری را دریافت داشت عرض کرد: خداوندا! صدای من به گوش مردم نمیرسد، اما خدا به او فرمود: «علیک الاذان و علیّ البلاغ! تو اعلام کن و من به گوش آنها میرسانم»

سورة الحج(22): آية 28 ص: 211

(آیه ۲۸)– در این آیه در یک عبارت بسیار فشرده و پر معنی به فلسفههای مختلف حجّ پرداخته، میفرماید: آنها به این سر زمین مقدس بیایند «تا منافع خویش را با چشم خود ببیند» (لِیَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ).

کلمه «منافع» تمام منافع و برکات معنوی و نتایج مادی، فوائد فردی و اجتماعی، فلسفه های سیاسی و اقتصادی و اخلاقی همه را شامل می شود.

آرى! بايد مسلمانان از همه نقاط جهان از ميان تمام قشرها به آنجا رو آورند تا شاهد و ناظر اين منافع باشند.

سپس اضافه می کند: و آنها بیایند و قربانی کنند «و نام خدا را در ایام معینی (که از دهم ذی الحجه شروع و به سیزدهم پایان می یابد) بر چهار پایانی که به آنها روزی داده است (به هنگام ذبح) ببرند» (وَ یَذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِی أَیَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلی ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِیمَهِٔ الْأَنْعام).

اشاره به این که آنها همیشه از جمله به هنگام ذبح قربانی تمام توجهشان به خدا و قبول درگاه اوست و استفاده از گوشت آن تحت الشعاع آن قرار دارد.

قربانی کردن حیوانات در حقیقت رمزی است برای آمادگی برای قربانی شدن در راه خدا، همان گونه که در سر گذشت ابراهیم (ع) و اسماعیل (ع) و قربانی او آمده است، آنها با این عمل اعلام می کنند که در راه او آماده هر گونه ایثارند حتی بذل جان.

به هر حال قرآن با این گفتار برنامه شرک آلود بت پرستان را نفی می کند که به هنگام قربانی نام بتها را میبردند، و این

مراسم توحیدی را به شرک آلوده میساختند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۱۲

و در پایان آیه میفرماید: «پس از گوشت حیوانات قربانی، هم خودتان بخورید و هم بینوایان فقیر را اطعام نمایید» (فَکُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِیرَ).

سورة الحج(22): آية 29 ص: 212

(آیه ۲۹)- بخش مهم دیگری از مناسک حجّ: در تعقیب بحثهایی که پیرامون مناسک حج در آیات پیشین گذشت، در اینجا به بخش دیگری از این مناسک اشاره کرده، نخست چنین می گوید: «بعد از آن باید آلودگیها (و زوائد بدن) را بر طرف سازند» (ثُمَّ لْیُقْضُوا تَفَتَهُمْ).

«و به نذرهای خود وفا کنند» (وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ).

«و بر گرد خانه گرامی کعبه، طواف کنند» (وَ لْيَطُّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ).

منظور از «طواف» در اینجا «طواف نساء» است.

سورة الحج(22): آية 30 ص: 212

(آیه ۳۰)- این آیه به عنوان یک جمع بندی اشاره به بحثهای آیات گذشته کرده، می گوید: برنامه حجّ و مناسک آن «این است» که گفته شد (ذلِک).

بعـد برای تأکید بر اهمیت وظائفی که بیان گردید اضافه میکند: «و هر کس برنامههای الهی را بزرگ بشـمرد و احترام آنها را حفظ کند برای او نزد پروردگارش بهتر است» (وَ مَنْ یُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ).

«حرمات» در اینجا اشاره به «اعمال و مناسک حجّ» است و ممکن است احترام خانه کعبه خصوصا و حرم مکه عموما نیز بر آن افزوده شود.

سپس به تناسب احکام «احرام» به حلال بودن چهار پایان اشاره کرده، می گوید: «و چهار پایان (همچون شتر و گاو و گوسفند) بر شما حلال شده است، مگر آنچه بر شما خوانده می شود» و دستور منعش صادر خواهد گشت (وَ أُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعامُ إِلَّا ما یُتْلی عَلَیْكُمْ).

در پایـان این آیه دو دسـتور دیگر در رابطه بـا مراسم حـج و مبـارزه با سـنتهای جاهلیت بیان کرده، میگویـد: «پس از پلیـدیها (یعنی) از بتها اجتناب کنید» (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ).

دستور دوم این است که: «از سخن باطل و بی اساس بپرهیزید» (وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۱۳ آیه فوق اشاره به کیفیت «لبیک» را که آئینه تمام نمای توحید و یگانه پرستی است آن چنان تحریف کرده بودند که مشتمل بر زننده ترین تعبیرات شرک آلود شده بود.

ولی توجه آیه به اعمال مشرکان مانع از کلی بودن مفهوم آن که پرهیز از هر گونه بت در هر شکل و صورت، و پرهیز از هر گفتار باطل به هر نوع و کیفیت است نمیباشد.

سورة الحج(22): آية 31 ص: 213

(آیه ۳۱)– از آنجا که در آیه قبل تأکید روی مسأله توحید و اجتناب از هر گونه بت و بت پرستی شده بود، در اینجا نیز همین مسأله مهم را دنبال کرده، می گوید:

مراسم حج و گفتن لبیک را در حالی انجام دهید که: «قصد و برنامه شما خالص برای خدا باشد، و هیچ گونه شرکی در آن راه نیابد» (حُنَفاءَ لِلَّهِ غَیْرَ مُشْرِکِینَ بِهِ).

آیه فوق مسأله اخلاص و قصد قربت را به عنوان محرک اصلی در حجّ و عبادات بطور کلی یاد آور میشود، چرا که روح عبادت همان اخلاص است و اخلاص در صورتی است که هیچ گونه انگیزه غیر خدایی و شرک در آن نباشد.

سپس ترسیم بسیار گویا و زندهای از وضع حال مشرکان و سقوط و بد بختی و نابودی آنها می کند و چنین می گوید: «و کسی که شریک برای خدا قرار دهد، گویی از آسمان سقوط کرده، و پرندگان در وسط هوا او را می ربایند (و هر قطعه از گوشت او در منقار پرنده مرده خواری می افتد) و یا (اگر از چنگال آنها به سلامت بگذرد) تند باد او را به جای دور دستی پرتاب می کند» (وَ مَنْ یُشْرِکْ بِاللَّهِ فَکَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّیْرُ أَوْ تَهْوِی بِهِ الرِّیحُ فِی مَکانٍ سَحِیقِ).

در حقیقت آسمان کنایه از «توحید» است و شرک سبب سقوط از این آسمان می گردد، مسلما کسی که از آسمان سقوط می کند، قدرت تصمیم گیری را از دست می دهد، با سرعت و شتابی که هر لحظه فزونی می گیرد به سوی نیستی پیش می رود و سر انجام در چنگال شیطان و هوی و هوسهای سر کش محو و نابود می گردد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۱۴

سورة الحج(22): آية 32 ص: 214

(آیه ۳۲)- این آیه بـار دیگر یـک جمع بنـدی روی مسائل حـج و تعظیم شـعائر الهی کرده، می گویـد: «مطلب چنین است» که گفته شد (ذلِکُ).

«و هر کس شعائر الهی را بزرگ دارد و (به نشانههای آئین خدا و پرچمهای اطاعت او) احترام بگذارد این از تقوای دلهاست» (وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ).

«شعائر الله» به معنی «نشانههای پروردگار» است که شامل سر فصلهای آئین الهی و برنامههای کلی و آنچه در نخستین برخورد با این آیین چشمگیر است و از جمله مناسک حجّ میباشد که انسان را به یاد خدا میاندازد.

کوتاه سخن این که تمام آنچه در برنامههای دینی وارد شده و انسان را به یاد خدا و عظمت آئین او میاندازد شعائر الهی است و بزرگداشت آن نشانه تقوای دلهاست.

سورة الحج(22): آية 33 ص: 214

(آیه ۳۳) – از بعضی از روایات چنین استفاده می شود که گروهی از مسلمانان عقیده داشتند هنگامی که شتری یا یکی دیگر از چهار پایان به عنوان قربانی تعیین می شد و از راههای دور و نزدیک آن را با خود به سوی احرامگاه، و از آنجا به سوی سر زمین مکّه می آوردند، نباید بر آن مرکب سوار شد، و نباید شیر آن را بدوشند و از آن استفاده کنند، و بکلی آن را از خود جدا می پنداشتند، قرآن این تفکر خرافی را نفی کرده، می گوید: «در آن (حیوانات قربانی) منافعی برای شماست تا زمان معینی [روز ذبح آنها] فرا رسد» (لَکُمْ فِیها مَنافِعُ إِلی أَجَلِ مُسَمَّی).

در پایان آیه در مورد سر انجام کار قربانی چنین می گوید: «سپس محل آن خانه قدیمی و گرامی (کعبه) است» (ثُمَّ مَحِلَّها إِلَی الْبَیْتِ الْعَتِیقِ).

و به این ترتیب مادام که حیوانات مخصوص قربانی به محل قربانگاه نرسیدهاند می توان از آنها بهره گرفت و پس از وصول به قربانگاه باید وظیفه قربانی کردن را در باره آنها انجام داد.

سورة الحج(22): آية 34 ص: 214

(آیه ۳۴)- مخبتان را بشارت ده! در ارتباط با آیات گذشته و از جمله دستور قربانی ممکن است این سؤال پیش آیـد که این چگونه عبادتی است که در اسلام برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۱۵

تشریع شده که برای خدا و برای جلب رضای او حیوانات را قربانی کننـد مگر خداونـد نیاز به قربانی دارد؟ و آیا این کار در ادیان دیگر نیز بوده است یا مخصوص مشرکان بوده؟

قرآن برای روشن ساختن این مطلب چنین می گوید: این منحصر به شما نیست که مراسم ذبح و قربانی برای خدا دارید «برای هر امتی قربانگاهی قرار دادیم تا نام خدا را (به هنگام قربانی) بر چهار پایانی که به آنها روزی داده ایم ببرند» (وَ لِکُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَکاً لِیَذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلی ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِیمَةِ الْأَنْعام).

و لذا در پایان آیه می فرماید: «و خدای شما معبود واحدی است» و برنامه او هم برنامه واحدی است (فَإِلهُکُمْ إِلهُ واحِدٌ). اکنون که چنین است: «در برابر (فرمان) او تسلیم شوید» (فَلَهُ أَسْلِمُوا).

«و بشارت ده متواضعان و تسلیم شوندگان (در برابر فرمانهای پروردگار) را» (وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ).

سورة الحج(22): آية 25 ص: 215

(آیه ۳۵)- در این آیه صفات «مخبتین» (تواضع کننـدگان) را در چهـار قسـمت- که دو قسم جنبه معنوی و روانی دارد و دو قسمت جنبه جسمانی- توضیح میدهد:

نخست می گویـد: «همانهـا که چـون نـام خـدا برده میشـود دلهایشـان پر از خـوف (پروردگـار) می گردد» (الَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ).

نه این که از غضب او بیجهت بترسند، و یا در رحمت او شک و تردید داشته باشند، بلکه این ترس به خاطر مسؤولیتهایی است که بر دوش دارند و شاید در انجام آن کوتاهی کردهاند، این ترس به خاطر درک مقام با عظمت خداست.

دیگر این که: «آنها در برابر حوادث دردناکی که در زندگیشان رخ میدهد صبر و شکیبایی پیش می گیرند» (وَ الصَّابِرِینَ عَلی ما أَصابَهُمْ).

عظمت حادثه هر قـدر زیاد و ناراحتی آن هر قـدر سـنگین باشد در برابر آن زانو نمیزنند لب به کفران نمی گشایند و خلاصـه ایستاد گی میکنند و پیش میروند و پیروز میشوند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۱۶

سوم و چهارم این که: «آنها نماز را بر پا میدارنـد و از آنچه به آنها روزی دادهایم انفاق میکننـد» (وَ الْمُقِیمِی الصَّلاةِ وَ مِمَّا زَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ).

از یک سو ارتباطشان با خالق جهان محکم است و از سوی دیگر پیوندشان با خلق خدا مستحکم.

سورة الحج(22): آية 36 ص: 218

(آیه ۳۶)- قربانی برای چیست؟ باز در اینجا سخن از مراسم حج و شعائر الهی و مسأله قربانی است، نخست می گوید: «شترهای چاق و فربه را (در مراسم حج) برای شما از شعائر الهی قرار دادیم» (وَ الْبُدْنَ جَعَلْناها لَکُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ).

آنها از یک سو به شما تعلق دارند، و از سوی دیگر از شعائر و نشانههای خداوند در این عبادت بزرگ هستند، چرا که قربانی حجّ یکی از مظاهر روشن این عبادت است.

سپس اضافه می کند: «در آنها برای شما خیر و برکت است» (لَکُمْ فِیها خَیْرٌ).

از یک سو از گوشت آنها استفاده می کنید و دیگران را اطعام می نمائید و از سوی دیگر به خاطر این ایثار و گذشت و عبادت پروردگار از نتائج معنوی آن بهرهمند خواهید شد و به پیشگاه او تقرب می جوئید.

سپس کیفیت قربانی کردن را در یک جمله کوتاه چنین بیان می کند: «نام خدا را (هنگام قربانی کردن) در حالی که به صف ایستادهاند بر آنها ببرید» (فَاذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَیْها صَوافَّ).

بدون شک ذکر نام خدا به هنگام ذبح حیوانات یا نحر کردن شتر کیفیت خاصی ندارد و هر گونه نام خدا را ببرند کافی است. منظور از واژه «صَوافَّ» این است که دو دست شتر قربانی را از مچ تا زانو در حالی که ایستاده باشد با هم ببندند تا به هنگام نحر، زیاد تکان به خود ندهد و فرار نکند.

طبیعی است هنگامی که مقداری خون از تن او میرود دستهایش سست میشود و به روی زمین میخوابد، و لذا در ذیل آیه میفرماید: «هنگامی که پهلویشان آرام گرفت (و جان دادند) از گوشت آنها بخورید و مستمندان قانع برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۱۷

و فقيران را نيز از آن اطعام كنيد» (فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْقانِعَ وَ الْمُعْتَرَ).

جمله «فَکُلُوا مِنْها» (از آن بخورید) ظاهر در این است که واجب است «حجاج» چیزی از قربانی خود را نیز بخورند، و شاید این برای رعایت مساوات میان آنها و مستمندان باشد.

سر انجام آیه را چنین پایان میدهد: «این گونه ما آنها را مسخّرتان ساختیم تا شکر خدا را به جا آورید» (کَذلِکَ سَخَّوْناها لَکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ).

و راستی این عجیب است حیوانی با آن بزرگی و قدرت و زور آن چنان تسلیم است که اجازه میدهد انسانی پاهای او را محکم ببندد، و او را نحر کند.

سورة الحج(22): آية 37 ص: 217

(آیه ۳۷) - این آیه در واقع پاسخی است به این سؤال که خدا چه نیازی به قربانی دارد؟ و اصولاً فلسفه قربانی کردن چیست؟ مگر این کار نفعی به حال خدا دارد میفرماید: «نه گوشتها و نه خونهای آنها هر گز به خدا نمیرسد» (لَنْ یَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها).

اصولا خدا نیازی به گوشت قربانی ندارد، او نه جسم است نه نیازمند، او وجودی است کامل و بیانتها از هر جهت. «بلکه آنچه به او میرسد تقوا و پرهیزکاری و پاکی اعمال شماست» (وَ لکِنْ یَنالُهُ التَّقْوی مِنْکُمْ).

به تعبیر دیگر: هدف آن است که شما با پیمودن مدارج تقوا در مسیر یک انسان کامل قرار گیرید و روز به روز به خدا

نزدیکتر شوید، قربانی درس ایثار و فدا کاری و گذشت و آمادگی برای شهادت در راه خدا به شما می آموزد، و درس کمک به نیازمندان و مستمندان.

این تعبیر که «خون آنها نیز به خدا نمی رسد» ظاهرا اشاره به اعمال زشت اعراب جاهلی است که هر گاه حیوانی را قربانی می کردند خون آن را بر سر بتها و گاه بر در و دیوار کعبه می پاشیدند، و بعضی از مسلمانان ناآگاه بی میل نبودند که در این برنامه خرافی از آنها تبعیت کنند، آیه فوق نازل شد و آنها را نهی کرد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۱۸

سپس بار دیگر به نعمت تسخیر حیوانات اشاره کرده، می گوید: «این گونه (خداوند) چار پایان را مسخر شما کرد تا خدا را به خاطر این که شما را هدایت کرده بزرگ بشمرید و تکبیر گویید» (کَذلِکَ سَخَّرَها لَکُمْ لِتُکَبِّرُوا اللَّهَ عَلی ما هَداکُمْ).

هدف نهایی این است که به عظمت خدا آشنا شوید، و لذا در پایان آیه می گوید: «و بشارت ده نیکو کاران را» (وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ).

آنها که از این نعمتهای الهی در طریق اطاعت او بهره می گیرند و وظائف خود را به نیکوترین وجه انجام میدهند و مخصوصا از انفاق در راه خدا کوتاهی نمی کنند.

سورة الحج(22): آية 38 ص: 218

(آیه ۳۸) – و از آنجا که مقاومت در برابر خرافات مشرکان که در آیات قبل به آن اشاره شد ممکن است آتش خشم این گروه متعصب و لجوج را بر انگیزد و سبب در گیریهای کوچک و بزرگ شود خداوند در این آیه مؤمنان را به کمک خود دلگرم ساخته، می گوید: «خداوند از کسانی که ایمان آوردهاند دفاع می کند» (إِنَّ اللَّه یُدافِعُ عَن الَّذِینَ آمَنُوا).

بگذار طوائف و قبائل عرب و یهود و نصارا و مشرکان شبه جزیره دست به دست هم بدهند تا مؤمنان را تحت فشار قرار داده و به گمان خود نابود کنند، ولی خداوند و عده دفاع از آنها را داده است، و عده بقای اسلام تا دامنه قیامت! این و عده الهی حکمی است جاری و ساری در تمام اعصار و قرون، مهم آن است که ما مصداق «الَّذِینَ آمَنُوا» باشیم که دفاع الهی به دنبال آن حتمی است.

و در پایان آیه موضع مشرکان و هم مسلکان آنها را در پیشگاه خدا با این عبارت روشن میسازد «خداونـد هیـچ خیانکار کفران کنندهای را دوست ندارد»! (إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ کُلَّ خَوَّانٍ کَفُورٍ). همانها که برای خدا شـریک قرار دادند، و حتی به هنگام گفتن «لبیک» تصریح به نام بتها نمودند.

سورة الحج(22): آية 39 ص: 218

(آیه ۳۹) - نخستین فرمان جهاد: هنگامی که مسلمانان در مکّه بودند مشرکان پیوسته آنها را آزار میدادند، و مرتبا مسلمانان کتک خورده با سرهای شکسته خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میرسیدند و شکایت میکردند (و تقاضای اذن جهاد برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۱۹

داشتند) اما پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به آنها میفرمود: صبر کنید، هنوز دستور جهاد به من داده نشده تا این که هجرت شروع شد و مسلمین از مکّه به مدینه آمدند، خداوند این آیه را که متضمن اذن جهاد است نازل کرد و این نخستین آیهای است که در باره جهاد نازل شده.

در آیه قبل ذکر شد که خداوند وعده دفاع از مؤمنان را داده، در این آیه می گوید: «خداوند به کسانی که جنگ از طرف دشمنان بر آنها تحمیل شده اجازه جهاد داده است، چرا که آنها مورد ستم قرار گرفتهاند» (أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا). سپس این اجازه را با وعده پیروزی از سوی خداوند قادر متعال تکمیل کرده، می فرماید: «و خداوند قدرت بر یاری کردن آنها را دارد» (وَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ).

شما بایـد آنچه در توان داریـد در این عالم اسـباب به کار گیرید و در آنجا که قدرت شـما پایان می گیرد در انتظار یاری خدا باشید، و این همان برنامهای بود که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله در تمام مبارزاتش به کار می گرفت و پیروز می شد.

سورة الحج(22): آية 40 ص: 219

(آیه ۴۰)- فلسفه تشریع جهاد- سپس توضیح بیشتری در باره این ستمدیدگانی که اذن دفاع به آنها داده شده است میدهد، و منطق اسلام را در زمینه این بخش از جهاد روشنتر میسازد، میگوید: «همان کسانی که به ناحق از خانه و شهر خود اخراج شدند» (الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ بِغَیْرِ حَقِّ).

«جز این که می گفتند: پروردگار ما خداوند یکتاست»! (إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ).

سپس یکی از فلسفههای تشریع جهاد را این چنین باز گو می کند: «و اگر خداوند بعضی از مردم را به وسیله بعضی دیگر دفع نکند دیرها و صومعهها، و معابد یهود و نصارا، و مساجدی که نام خدا در آن بسیار برده می شود، ویران می گردد» (وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَ هُمْ بِبَعْضٍ لَهُ لِمِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِیَعٌ وَ صَ لَواتٌ وَ مَساجِدُ یُذْکَرُ فِیهَا اسْمُ اللَّهِ کَثِیراً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص:

اصولاً هر گونه دعوت به خدا پرستی بر ضد جبّارانی است که میخواهند مردم همچون خدا آنها را بپرستند! و لذا اگر آنها فرصت پیدا کنند تمام این مراکز را با خاک یکسان خواهند کرد.

و در پایان آیه بار دیگر وعده نصرت الهی را تکرار و تأکید کرده، می گوید:

«و خداوند کسانی را که یاری او کنند (و از آیین) و مراکز عبادتش دفاع نمایند) یاری می کند» (وَ لَیَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ یَنْصُرُهُ). و بدون شک این وعده خدا انجام شدنی است چرا که «او قوی و قادر و غیر قابل شکست است» (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِیٌّ عَزِیزٌ). مدافعان خط توحید تصور نکنند در این میدان مبارزه حق و باطل، و در برابر انبوه عظیم دشمنان سر سخت تنها و بدون تکیه گاهند.

سورة الحج(22): آية 41 ص: 220

(آیه ۴۱)-این آیه که تفسیری است در مورد یاران خدا که در آیه قبل وعده یاری به آنها داده شده است چنین می گوید: «آنها کسانی هستند که هر گاه در زمین به آنها قدرت بخشیم نماز را بر پا می دارند و زکات را ادا می کنند و امر به معروف و نهی از منکر می نمایند» (الَّذِینَ إِنْ مَکَّنَاهُمْ فِی الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاهُ وَ آتَوُا الزَّکاهُ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْکِرِ). آنها هر گز پس از پیروزی، همچون خود کامگان و جباران، به عیش و نوش و لهو و لعب نمی پردازند، و در غرور و مستی فرو نمی روند، بلکه پیروزیها و موفقیتها را نردبانی برای ساختن خویش و جامعه قرار می دهند ارتباطشان با خدا محکم و با خلق خدا نیز مستحکم است چرا که «صلاهٔ» (نماز) سمبل پیوند با خالق است، و «زکات» رمزی برای پیوند با خلق، و امر به معروف

و نهی از منکر پایههای اساسی ساختن یک جامعه سالم محسوب می شود و در همین چهار صفت برای معرفی این افراد کافی است و در سایه آن سایر عبادات و اعمال صالح و ویژگیهای یک جامعه با ایمان و پیشرفته فراهم است.

در این آیات به دو قسمت مهم از فلسفه های جهاد اشاره شده است.

نخست جهاد «مظلوم» در برابر «ظالم و ستمگر» که حقّ مسلّم طبیعی و فطری و عقلی اوست که تن به ظلم ندهـد، برخیزد و فریاد کند.

دیگر جهاد در برابر طاغوتهایی است که قصد محو نام خدا را از دلها و ویران ساختن معابدی که مرکز بیداری افکار است دارند.

سورة الحج(22): آية 47 ص: 221

(آیه ۴۲)- از آنجا که در آیات گذشته سخن از مشکلات طاقت فرسایی بود که دشمنان اسلام برای مؤمنان فراهم ساخته بودند، در این آیه از یک سو دلداری به پیامبر صلّی الله علیه و آله و مؤمنان می دهد و از سوی دیگر عاقبت شوم کافران را روشن ساخته، می گوید: «و اگر تو را تکذیب کنند (غمگین مباش) چرا که پیش از آنها قوم نوح و عاد و ثمود، پیامبرانشان را تکذیب کردند» (وَ إِنْ یُکَذِّبُوکَ فَقَدْ کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحِ وَ عادٌ وَ ثَمُودُ).

سورة الحج(22): آية 43 ص: 221

(آيه ۴۳)- «و همچنين قوم ابراهيم و قوم لوط» اين دو پيامبر بزرگ را تكذيب نمودند (وَ قَوْمُ إِبْراهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ).

سورة الحج(22): آية 44 ص: 221

(آیه ۴۴)- «و اصحاب مدین (قوم شعیب) و نیز موسی (از سوی فرعونیان) تکذیب شد» (وَ أَصْحابُ مَدْیَنَ وَ کُذِّبَ مُوسی). همان گونه که این مخالفتها و تکذیبها موجب سستی این پیامبران بزرگ در دعوتشان به سوی توحید و حق و عدالت نگشت، مسلما در روح پاک و پر استقامت تو نیز اثر نخواهد گذارد.

ولى اين كافران كور دل تصور نكنند براى هميشه مى توانند به اين برنامههاى ننگين ادامه دهند: «اما من (در گذشته) به كافران مهلت دادم (تا امتحان خود را كاملا بدهند، و بر آنها اتمام حجت شود، و غرق ناز و نعمت گردند) سپس آنها را زير ضربات مجازات گرفتم» (فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ).

«دیدی چگونه (عمل آنها را) انکار نمودم» و چگونه به آنان پاسخ گفتم؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۲۲ (فَکَیْفَ کانَ نَکِیر).

نعمتهای آنها را گرفتم و نقمت و بد بختی به آنها دادم، حیاتشان را گرفتم و مرگ در عوض آن دادم.

سورة الحج(22): آية 45 ص: 222

(آیه ۴۵)- در این آیه، چگونگی مجازات خدا را که در جمله قبل سر بسته بود بطور گسترده بیان کرده، میفرماید: «چه بسیار شهرها و آبادیها که ما آنها را هلاک کردیم در حالی که آنها ظالم و ستمگر بودند» (فَکَأَیِّنْ مِنْ قَرْیَهٍ أَهْلَکْناها وَ هِیَ ظالِمَةً). «پس آنها بر سقفهای خود فرو ریختند» (فَهِیَ خاوِیَةً عَلی عُرُوشِها).

یعنی شدت حادثه به قدری بود که نخست سقفها فرو ریخت و بعد دیوارها به روی سقفها! «و چه بسیار چاههای پر آبی که (صاحبانش نابود و) آبهایش در زمین فرو رفته بود و معطل و بیمصرف ماندند» (وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ) نه کسی از آنها آبی می کشد و نه تشنهای از آن سیراب می گردد.

«و چه بسیار قصرهای پر شکوه و کاخهای سر به آسمان کشیده و به صورت زیبا گچکاری شده» ویران گشتند و صاحبانش به دیار عدم شتافتند (وَ قَصْرِ مَشِیدٍ).

و به این ترتیب هم مساکن پر زرق و برق و مستحکم آنها بیصاحب ماند و هم آبهایی که مایه آبادی زمینهایشان بود.

سورة الحج(22): آية 46 ص: 222

(آیه ۴۶) – سیر در ارض و بیداری دلها: از آنجا که در آیات گذشته، سخن از اقوام ظالم و ستمگری بود که خداوند آنها را به کیفر اعمالشان رسانید و شهر و دیارشان را ویران ساخت، در این آیه به عنوان تأکید روی این مسأله می گوید: «آیا آنها سیر در زمین نکردند تا دلهایی داشته باشند که با آن حقیقت را درک کنند؟ یا گوشهای شنوایی که ندای حق را بشنوند» (أَ فَلَمْ يَسُمَعُونَ بِها).

آری! ویرانه های کاخهای ستمگران و مساکن ویران شده جباران و دنیا پرستان که روزی در اوج قدرت میزیستند، هر یک در عین خاموشی هزار زبان دارند و با هر برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۲۳

زبانی هزاران نکته می گویند.

سپس برای این که حقیقت این سخن آشکارتر گردد، قرآن می گوید: چه بسیارند کسانی که ظاهرا چشم بیان و گوش شنوا دارند اما در واقع کوران و کرانند، «چرا که چشمهای ظاهر نابینا نمی شود، بلکه دلهایی که در سینه ها جای دارد، بینایی را از دست می دهد» (فَإِنَّها لا تَعْمَی الْأَبْصارُ وَ لَکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ).

در حقیقت آنها که چشم ظاهری خویش را از دست میدهند، کور و نابینا نیستند و گاه روشن دلانی هستند از همه آگاه تر، نابینایان واقعی کسانی هستند که چشم قلبشان کور شده و حقیقت را درک نمی کنند! لذا در روایتی از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «بدترین نابینایی، نابینایی دل است»!

سورة الحج(27): آية 47 ص: 223

(آیه ۴۷) - در این آیه چهره دیگری از جهالت و بیخبری کور دلان بیایمان را ترسیم کرده، می گوید: «آنها با عجله از تو تقاضای عذاب می کنند» و می گویند: اگر راست می گویی پس چرا مجازات الهی دامان ما را نمی گیرد؟ (وَ یَشْ تَعْجِلُونَکَ بِالْعَذابِ). در پاسخ به آنها بگو: زیاد عجله نکنید: «خداوند هرگز از وعده خود تخلف نخواهد کرد»! (وَ لَنْ یُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ). برای او یک ساعت و یک روز و یک سال فرق نمی کند: «چرا که یک روز در نزد پروردگار تو هماننـد هزار سال از سالهایی است که شما میشمرید» (وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ کَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ).

سورة الحج(22): آية ٤٨ ص: 223

(آیه ۴۸) - در این آیه بار دیگر روی همان مسألهای که در چند آیه قبل تکیه شده بود تأکید می کند و به کافران لجوج این چنین هشدار می دهد: «چه بسیار شهرها و آبادیها که به آنها مهلت دادم در حالی که ستمگر بودند (مهلت دادم تا این که بیدار شوند و هنگامی که بیدار نشدند باز هم مهلت دادم تا در ناز و نعمت فرو روند) اما ناگهان آنها را زیر ضربات مجازات گرفتم» (وَ كَأَیّنْ مِنْ قَرْیَهٍ أَمْلَیْتُ لَها وَ هِیَ ظالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۲۴

آنها نیز مثل شما از دیر شدن عذاب، شکایت داشتند و مسخره می کردند و آن را دلیل بر بطلان وعده پیامبران می گرفتند. آری! «همه به سوی من باز می گردند» (وَ إِلَیَّ الْمَصِ یرُ) و تمام خطوط به خدا منتهی می شود و همه این اموال و ثروتها می ماند و وارث همه اوست.

سورة الحج(22): آية ٤٩ ص: 224

(آیه ۴۹)- از آنجا که در آیات گذشته سخن از تعجیل کافران در عذاب الهی بود و این مسألهای است که تنها به مشیت ذات پاک خداوند مربوط می شود و حتی پیغمبر صلّی الله علیه و آله را در آن اختیاری نیست، این آیه خطاب به پیامبر چنین می گوید: «بگو:

اى مردم! من تنها براى شما انذار كننده آشكارى هستم» (قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ).

سورة الحج(22): آية 50 ص: 224

(آیه ۵۰)- این آیه و آیه بعد چهرهای از مسأله بشارت و چهرهای از انذار را ترسیم می کند و از آنجا که همواره رحمت واسعه خدا بر عـذاب و کیفرش پیشـی دارد نخست از بشارت، سـخن می گویـد: «پس کسانی که ایمان آوردنـد و عمل صالـح انجام دادند آمرزش خدا و روزی پر ارزشی در انتظار آنهاست» (فَالَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ).

نخست با آب آمرزش و مغفرت الهی شستشو داده و پاک میشوند، خاطری آسوده و وجدانی آرام از این ناحیه پیدا میکنند. سپس مشمول انواع الطاف و نعمتهای ارزشمند او می گردند.

«رِزْقُ کَرِیمٌ» مفهوم وسیعی دارد که تمام نعمتهای گرانبهای معنوی و مادی را شامل میشود.

سورة الحج(22): آية ٥١ ص: 224

(آیه ۵۱)- و در این آیه اضافه می کند: آنها که در (محو) آیات ما تلاش کردند، و چنین می پنداشتند که می توانند بر اراده حتمی ما غالب شوند، اصحاب دوزخند» (وَ الَّذِینَ سَعَوْا فِی آیاتِنا مُعاجِزِینَ أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَحِیم).

سورة الحج(22): آية 22 ص: 224

(آیه ۵۲) - وسوسه های شیاطین در تلاشهای انبیا: از آنجا که در آیات گذشته سخن از تلاش و کوشش مشرکان و کافران برای محو آیین الهی و استهزاء و سخریه آنها نسبت به آن در میان بود، در اینجا هشدار می دهد که این توطئه های برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۲۵

مخالفان برنامه تازهای نیست، همیشه این القائات شیطانی در برابر انبیاء بوده و هست.

نخست چنین می گوید: «و ما هیچ رسول و پیامبری را پیش از تو نفرستادیم مگر این که هر گاه آرزو می کرد (و طرحی برای پیشبرد اهداف الهی خود می کشید) شیطان، القائـاتی در آن طرح می کرد» (وَ ما أَرْسَ لْمنا مِنْ قَثْلِـکُ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ).

اما خداونـد پیامبر خود را در برابر هجوم این القائات شیطانی تنها نمی گذاشت «پس خداوند القائات شیطان را از میان میبرد، سپس آیات خود را استحکام میبخشید» (فَیَنْسَخُ اللَّهُ ما یُلْقِی الشَّیْطانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللَّهُ آیاتِهِ).

و این کار برای خدا آسان است چرا که «خداوند دانا و حکیم میباشد» (وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ). و از همه این توطئهها و نقشههای شوم با خبر است و طرز خنثی کردن آنها را به خوبی میداند.

سورة الحج(22): آية 23 ص: 225

(آیه ۵۳) – ولی همواره این توطئههای شیطانی مخالفان، میدان آزمایشی برای آگاهان و مؤمنان و کافران تشکیل میداد، لذا در این آیه اضافه می کند: این ماجراها «برای این بود که خداوند القای شیطان را آزمونی برای آنها که در قلبشان بیماری است و آنها که سنگدلند قرار دهد» (لِیَجْعَلَ ما یُلْقِی الشَّیْطانُ فِتْنَهً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ).

«و ظالمان (بیدادگر) در عداوت و مخالفت شدیدی دور از حق قرار گرفتهاند» (وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ).

سورة الحج(22): آية 34 ص: 225

(آیه ۵۴) و نیز «هدف از این ماجرا این بود آنها که عالمند و آگاه (حق را از باطل تشخیص دهند، و برنامههای الهی را از القائات شیطانی جدا سازند و در مقایسه با یکدیگر) بدانند که آیین خدا حق است، و از سوی پروردگار تو است، در نتیجه به آن ایمان آورند و دلهایشان در برابر آن خاضع گردد» (وَ لِیَعْلَمَمَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقَّ مِنْ رَبِّکَ فَیُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ).

البته خدا این مؤمنان آگاه و حق طلب را در این مسیر پر خطر تنها نمیگذارد برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۲۶ بلکه «خداونـد افرادی را که ایمـان آوردنـد به سوی صـراط مسـتقیم هـدایت میکنـد» (وَ إِنَّ اللَّهَ لَهـادِ الَّذِینَ آمَنُوا إِلی صِـراطٍ مُسْتَقِیم).

سورة الحج(22): آية ٥٥ ص: 228

(آیه ۵۵)- در تعقیب آیات گذشته که از تلاش و کوشش مخالفان برای محو آیات الهی سخن می گفت در اینجا اشاره به

ادامه این تلاشها از ناحیه افراد متعصب و سر سخت می کند.

نخست می گویـد: «کافران همواره در باره قرآن (و آیین توحیـدی تو) در شک هسـتند، تا آن که روز قیامت بطور ناگهانی فرا رسـد، یا عـذاب روز عقیم [- روزی که قادر به جبران گذشـته نیسـتند] به سـراغشان آیـد» (وَ لا یَزالُ الَّذِینَ کَفَرُوا فِی مِرْدَیَةٍ مِنْهُ حَتَّی تَأْتِیَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ یَأْتِیَهُمْ عَذابُ یَوْم عَقِیم).

بـدیهی است منظور از «کافران» در اینجا همّه آنهًا نیسـتند چرا که بسـیاری در ادامه راه بیدار شدند و به پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله و صفوف پیوستند، منظور سران آنها و افراد لجوج و فوقالعاده متعصب و کینهتوزند که هرگز ایمان نیاوردند.

سورة الحج(22): آية 36 ص: 228

(آیه ۵۶)- سپس به حاکمیت مطلقه پروردگار در روز رستاخیز اشاره، کرده می گوید: «حکومت و فرمانروایی در آن روز مخصوص خداست» (الْمُلْکُ یَوْمَئِذٍ لِلَّهِ).

البته این اختصاص به روز قیامت ندارد، امروز و همیشه حاکم و مالک مطلق خداست، منتهی در صحنه قیامت بیش از هر زمان این حقیقت آشکار می گردد که حاکم و مالک تنها اوست.

و چون مالک حقیقی اوست، حاکم حقیقی هم او خواهد بود، لذا «او در میان همه انسانها (اعم از مؤمن و کافر) حکومت و داوری میکند» (یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ).

و نتیجه آن همان است که قرآن به دنبال این سخن فرموده: «پس آنها که ایمان آوردهاند و عمل صالح انجام دادهاند در باغهای پر نعمت بهشت قرار دارند» باغهایی که همه مواهب در آن جمع است و هر خیر و برکتی که بخواهند در آن موجود است (فَالَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِی جَنَّاتِ النَّعِیم).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۲۷

سورة الحج(22): آية 27 ص: 227

(آیه ۵۷)– «اما آنها که کافر شدند و آیات ما را تکذیب کردند، عذاب خوار کنندهای برای آنهاست» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا فَأُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ).

عذابی که آنها را پست و حقیر می کند و در برابر آن همه گردنکشیها و خود برتر بینیها و استکبار در برابر خلق خدا آنها را به پایینترین مرحله ذلت می کشاند.

سورة الحج(22): آية ٥٨ ص: 227

(آیه ۵۸) – و از آنجا که در آیات گذشته سخن از مهاجرانی به میان آمد که از خانه و کاشانه خود به خاطر نام «الله» و حمایت از آیین او بیرون رانده شدند، در این آیه از آنها به عنوان یک گروه ممتاز یاد کرده، می گوید: «و کسانی که در راه خدا هجرت کردند، سپس شربت شهادت نوشیدند و یا به مرگ طبیعی از دنیا رفتند خداوند به همه آنها روزی نیکویی می دهد (و از نعمتهای ویژهای بر خوردار می کند) چرا که او بهترین روزی دهندگان است» (وَ الَّذِینَ هاجَرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَیْرُزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَیْرُ الرَّازِقِینَ).

بعضی از دانشمندان شأن نزولی برای این آیه ذکر کردهاند که خلاصهاش چنین است: «هنگامی که مهاجران به مدینه آمدند بعضی از آنها به مرگ طبیعی از دنیا رفتند، در حالی که بعضی شربت شهادت نوشیدند، در این هنگام گروهی تمام فضیلت را برای شهیدان قائل شدند، آیه فوق نازل شد و هر دو دسته را مشمول بهترین نعمتهای الهی معرفی کرد، لذا بعضی از مفسران از این تعبیر چنین نتیجه گرفتند که مهم جان دادن در راه خداست چه از طریق شهادت باشد و چه از طریق مرگ طبیعی، هر کس برای خدا و در راه خدا بمیرد مشمول ثواب شهیدان است.

سورة الحج(22): آية ٥٩ ص: 227

(آیه ۵۹) و در این آیه نمونهای از این رزق حسن را باز گو کرده، می گوید:

«خداوند آنها را در محلی وارد می کند که از آن راضی و خشنود خواهند بود» (لَیُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا یَرْضَوْنَهُ).

اگر در این جهان از منزل و مأوای خود به ناراحتی تبعید و اخراج شدند خداوند در جهان دیگر آنها را در منزل و مأوایی جای میدهد که از هر نظر مورد رضایت آنهاست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۲۸

و در پایان می فرماید: «و خداوند دانا و بردبار است» (وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِیمٌ حَلِیمٌ). از اعمال بندگانش با خبر و در عین حال بردبار است و در مجازات و کیفر عجله نمی کند تا مؤمنان در این میدان آزمایش پرورش یابند و آزموده شوند.

سورة الحج(22): آية 60 ص: 228

اشاره

(آیه ۶۰)

شأن نزول: ص: ۲۲۸

در بعضی از روایات آمده است که جمعی از مشرکان مکّه با مسلمانان رو برو شدند در حالی که فقط دو شب به پایان ماه محرم باقی مانده بود، مشرکان به یکدیگر گفتند: یاران محمّد صلّی اللّه علیه و آله در ماه محرم دست به پیکار نمیزنند و جنگ را حرام میدانند و به همین دلیل حمله را آغاز کردند، مسلمانان نخست با اصرار از آنها خواستند که در این ماه حرام جنگ را آغاز نکنند، ولی آنها گوش ندادند، ناچار برای دفاع از خود وارد عمل شدند و مردانه جنگیدند و خداوند آنها را پیروز کرد.

تفسير: ص: ٢٢٨

پیروزمندان کیانند؟ در آیات گذشته سخن از مهاجران فی سبیل الله بود و وعدههای پاداش بزرگی که خداوند در قیامت به آنها داده است. برای این که تصور نشود که وعده الهی، مخصوص آخرت است در این آیه سخن از پیروزی آنها- در سایه لطف الهی- در این جهان می گوید.

می فرماید: «مسأله چنین است و هر کس در برابر ستمی که به او شده به همان اندازه دست به مجازات زند، سپس بر او ظلم شود، خداوند او را یاری خواهد کرد» (ذلِکَ وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْل ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِیَ عَلَیْهِ لَیَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ).

اشاره به این که دفاع در مقابل ظلم و ستم، یک حق طبیعی است و هر کس مجاز است به آن اقدام کند.

و از آنجا که همیشه قصاص و مجازات باید با عفو و رحمت، آمیخته شود تا افرادی که از کار خود پشیمان گشتهاند و سر تسلیم فرود آوردهاند زیر پوشش آن قرار گیرند در پایان آیه میفرماید: «خداوند بخشنده و آمرزنده است» (إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوُّ غَفُورٌ).

این درست به آیات قصاص میماند که از یک طرف به اولیای دم اجازه قصاص میدهد، و از سوی دیگر دستور عفو را به عنوان یک فضیلت (در مورد برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۲۹

کسانی که شایسته عفوند) در کنار آن می گذارد.

سورة الحج(22): آية 61 ص: 229

(آیه ۶۱) و از آنجا که وعده نصرت و یاری هنگامی دلگرم کننده و مؤثر است که از شخص قادر و توانایی بوده باشد، لذا در این آیه گوشهای از قدرت بی پایان خدا را در پهنه عالم هستی چنین باز گو می کند: «این به خاطر آن است که خداوند شب را در روز و روز را در شب داخل می کند» (ذلِ کَ بِأَنَّ اللَّه یُولِ جُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ یُولِ جُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ). دائما از یکی می کاهد و طبق نظام معینی بر دیگری می افزاید، نظامی پایدار و کاملا حساب شده که هزاران بلکه میلیونها سال برقرار است. و در پایان آیه می گوید: «و خداوند شنوا و بیناست» (وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ).

تقاضای کمک مؤمنان را میشنود، و از حال و کار آنها آگاه است و در موقع لزوم، لطفش به یاری آنها میشتابد، همانگونه که از اعمال و نیات دشمنان حق با خبر است.

سورة الحج(22): آية 62 ص: 229

(آیه ۶۲) - در این آیه که در واقع دلیلی است برای آنچه قبلا گذشت، می گوید: «این به خاطر آن است که خداوند حق است، و آنچه را غیر از او میخواننـد باطل است، و خداوند بلند مقام و بزرگ است» (ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِیُّ الْکَبِیرُ).

اگر می بینید لشکریان حق پیروز می شوند، باطل عقب نشینی می کند، لطف خدا به یاری مؤمنان می شتابد و کافران را تنها می گذارد، به خاطر آن است که آنها باطلند و اینان حق، آنها بر خلاف نظام عالم هستی هستند و سرنوشتشان فنا و نیستی است و اینها هماهنگ با قوانین جهان هستی.

سورة الحج(22): آية 67 ص: 229

(آیه ۶۳) - نشانه های خدا در صحنه هستی! در آیات گذشته، سخن از قدرت بی پایان خداوند و حقانیت او بود، در اینجا

نشانههای مختلفی از این قدرت گسترده و حقانیت مطلقه را بیان می کند.

نخست مى گويد: «آيا نديدى كه خداوند از آسمان آبى فرستاد و زمين (خشكيده و مرده) به واسطه آن سبز و خرّم مى گردد»؟! (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ٢٣٠ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً).

زمینی که آثار حیات از او رخت بر بسته بود و چهرهای عبوس و زشت و تیره داشت با نزول قطرات حیات بخش باران، زنـده شد و آثار حیات در آن نمایان گشت و لبخند زندگی در چهره او آشکار.

آري «خداوندي (كه به سادگي اين همه حيات و زندگي مي آفريند) لطيف و خبير است» (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ).

خداونـد به مقتضای لطفش باران را میفرسـتد، و به مقتضای خبیر بودنش انـدازهای برای آن قائل است که اگر از حـد بگذرد سیل است و ویرانی، و اگر کمتر از حد باشد خشکسالی و پژمردگی و این است معنی لطیف بودن و خبیر بودن خداوند.

سورة الحج(22): آية 64 ص: 230

(آیه ۶۴)- نشانه دیگری که برای قدرت بی پایان و حقانیت ذات پاک او می آورد این است که می گوید: «آنچه در آسمانها، و آنچه در زمین است از آن خداست» (لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ).

خالق همه اوست، و مالک همه نیز اوست، و به همین دلیل بر همه چیز توانایی دارد.

و نيز به همين دليل «خداونـد تنها غنى و بىنياز (در عالم هستى) و شايسـته هر گونه حمد و سـتايش است» (وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).

پیونـد این دو صفت (غنیّ و حمید) با هم یک پیوند بسیار حساب شده است، چرا که اولا بسیارند کسانی که غنی هستند اما بخیلنـد و استثمارگر و انحصار طلب و غرق غفلت و غرور، ولی غنی بودن خداونـد توأم است با لطف و بخشـندگی، و جود و سخای او نسبت به بندگان که او را شایسته حمد و ستایش می کند.

سورة الحج(22): آية 65 ص: 230

(آیه ۶۵)- باز به نمونه دیگری از این قدرت بی پایان در زمینه تسخیر موجودات برای انسانها اشاره کرده، می فرماید: «آیا ندیدی که خداوند آنچه را در زمین است مسخر شما کرد» (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه سَرِخَرَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ). و همه مواهب برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۳۱

و امکانات آن را در اختیار شما قرار داد تا هر گونه بخواهید از آن بهره بگیرید.

«و همچنین کشتیها را در حالی که در دریاها به فرمان او به حرکت در می آینـد» و سینه آبها را می شکافند و به سوی مقصدها پیش می روند (وَ الْفُلْکُ تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ).

از این گذشته «خداونـد آسَـمان را در جاًی خود نگه میدارد تا بر زمین جز به فرمان او فرود نیفتـد» (وَ یُمْسِکُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ).

لذا در پایان آیه اضافه می کند: «خداوند نسبت به مردم مهربان و رحیم است» (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفُّ رَحِیمٌ).

سورة الحج(22): آية 66 ص: 231

(آیه ۶۶) – سر انجام در این آیه از قدرت پروردگار در مهمترین مسأله جهان هستی، یعنی مسأله حیات و مرگ سخن می گوید و می فرماید: «و او کسی است که شما را زنده کرد» خاک بی جان بودید لباس حیات بر شما پوشانید (وَ هُوَ الَّذِی أَحْیاکُمْ). «سپس (بعد از طی دوره حیات) شما را می میراند» (ثُمَّ یُمِیتُکُمْ). و به همان خاک که از آن برخاستید باز می گردید. «و دیگر بار (در رستاخیز) حیاتی نوین به شما می بخشد» (ثُمَّ یُحیِیکُمْ). و سر از خاک مرده بر می آورید و آماده حساب و جزا

ی وی اسان (در برابر این همه نعمتهایی که خدا در زمین و آسمان در جسم و جان به او ارزانی داشته) کفران کنران کننده و ناسپاس است» و با دیدن این همه نشانههای روشن، ذات پاک او را انکار می کند (إِنَّ الْإِنْسانَ لَکَفُورٌ).

سورة الحج(22): آية 67 ص: 221

(آیه ۴۷) - هر امتی عبادتی دارد: در بحثهای گذشته گفتگوهایی پیرامون مشرکان داشتیم، از آنجا که مشرکان بطور خصوص و مخالفان اسلام بطور عموم، جر و بحثهایی با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله پیرامون مسائل و احکام تازه اسلام داشتند و نسخ و دگرگونی قسمتهایی از احکام شرایع پیشین را نقطه ضعفی برای شریعت اسلام می پنداشتند در حالی که این دگرگونیها نه تنها ضعف نبود بلکه یکی از برنامههای تکامل ادیان محسوب می شد، لذا در این آیه می فرماید «برای هر امتی عبادتی قرار برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۳۲

داديم تا آن عبادت را (در پيشگاه خدا) انجام دهند» (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ).

آیه گویای این حقیقت است که امتهای پیشین هر کدام برنامهای مخصوص به خود داشتند که در آن شرایط خاص از نظر زمان و مکان و جهات دیگر کاملترین برنامه بوده است، ولی مسلما با دگرگون شدن آن شرایط لازم بود احکام تازه تری جانشین آنها شود.

لذا به دنبال این سخن اضافه می کند: «پس نباید در این امر با تو به نزاع برخیزند» (فَلا یُنازِعُنَّکَ فِی الْأَمْرِ).

به سوی پروردگارت دعوت کن که بر هـدایت مستقیم قرار داری» و راه راست همین است که تو میپویی (وَ ادْعُ اِلی رَبِّکَ إِنَّکَ لَعَلی هُدیً مُسْتَقِیم).

هرگز گفتگوها و ایرادهای بیپایه آنان در روحیه تو کمترین اثری نگذارد که دعوتت به سوی خداست، و مسیر تو هدایت، و راهت مستقیم است!

سورة الحج(22): آية 64 ص: 222

(آیه ۶۸)- «و اگر آنها با تو به جدال برخیزند (و سخنان تو در دل آنها اثر نگذارد در پاسخ آنها) بگو: خدا از اعمالی که شما انجام میدهید آگاهتر است» (وَ إِنْ جادَلُوکَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ).

سورة الحج(22): آية 69 ص: 222

(آیه ۶۹)– «و خداوند روز قیامت در میان شما در آنچه اختلاف داشتید داوری میکند» (اللَّهُ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ). در صحنه قیامت که صحنه بازگشت به توحید و یکپارچگی و بر طرف شدن اختلافات است حقایق را برای همه شما آشکار میسازد.

سورة الحج(22): آية 20.... ص: 222

(آیه ۷۰)- و از آنجا که قضاوت و داوری در قیامت نسبت به اختلافات و اعمال بندگان نیاز به علم و آگاهی وسیعی به همه آنها دارد، در این آیه اشاره به علم بیپایان خدا کرده، چنین می گوید: «آیا نمی دانی که خداوند آنچه را که در آسمانها و زمین است میداند»؟ (أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ ما فِی السَّماءِ وَ الْأَرْضِ).

آرى «همه اينها در كتابى ثبت است» (إِنَّ ذلِكَ فِي كِتابٍ).

کتاب علم بی پایان خداوند، کتاب عالم هستی و جهان علت و معلول، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۳۳

جهانی که چیزی در آن گم نمی شود و نابود نمی گردد.

و لـذا در آخرین جمله میفرمایـد: «این بر خداونـد آسـان است» (إِنَّ ذلِکَ عَلَى اللَّهِ یَسِـیرٌ). چرا که همگی موجودات با تمامی خصوصیاتشان نزد او حضور دارند.

سورة الحج(22): آية 21.... ص: 222

(آیه ۷۱)- باز قرآن سخن از مشرکان و برنامههای غلط آنها می گوید.

و از آنجا که یکی از روشنترین دلائل بطلان شرک و بت پرستی این است که هیچ گونه دلیل عقلی و نقلی بر جواز این عمل دلالت نمیکند، در این آیه میفرماید:

«و آنها غیر از خدا چیزهایی را میپرستند که هیچ گونه دلیلی خداوند برای آن نازل نکرده است» (وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ یُنزِّلْ بهِ سُلْطاناً).

در واقع این ابطال اعتقاد بت پرستان است که معتقـد بودنـد خدا اجازه بت پرستی را به آنها داده، و این بتها شـفیعان درگاه او میباشند.

سپس اضافه می کند: آنها معبودهایی را می پرستند که: «علم و دانشی به حقانیت آنها ندارند» (وَ ما لَیْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ). یعنی نه از طریق دستور الهی، و نه از طریق دلیل عقل هیچ حجت و برهانی برای کار خود مطلقا ندارند.

بدیهی است کسی که در اعتقاد و اعمال خود متکی به دلیل روشنی نیست، ستمگر است، هم به خویش ستم کرده، و هم به دیگران، و به هنگام گرفتار شدن در چنگال مجازات الهی هیچ کس قدرت دفاع از او ندارد، لذا در پایان آیه می گوید: «و برای ستمکاران یاور و راهنمایی نیست» (وَ ما لِلظَّالِمِینَ مِنْ نَصِیرٍ).

سورة الحج(22): آية 27.... ص: 222

(آیه ۷۲)- سپس به عکس العمل بت پرستان در برابر آیات خدا، و شدت لجاجت و تعصب آنها در یک جمله کوتاه اشاره کرده، می گوید: «و هنگامی که آیات روشن ما (که بهره گیری از آن برای هر صاحب عقلی آسان است) بر آنها خوانده

مىشود، در چهره كـافران آثار انكار را به خوبى مشاهـده مىكنى» (وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ).

در حقیقت هنگام شنیدن این آیات بینات، تضادی در میان منطق زنده قرآن و تعصبات جاهلانه آنها پیدا می شود، و چون حاضر به تسلیم در برابر حق نیستند، بی اختیار آثار آن در چهره هاشان به صورت علامت انکار نقش می بندد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۳۴

نه تنها اثر انكار و ناراحتى در چهرههاشان نماينان مىشود، بلكه بر اثر شدت تعصب و لجاج «نزديك است برخيزند و با مشتهاى گره كرده خود به كسانى كه آيات ما را بر آنها مىخوانند حمله كنند»! (يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا). قرآن در برابر اين بىمنطقان به پيامبر صلّى الله عليه و آله دستور مىدهد: «به آنها بگو: آيا (مىخواهيد) من شما را به بدتر از اين خبر دهم! (بدتر از اين) همان آتش سوزنده [دوزخ] است»! (قُلْ أَ فَأُنَبُّكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ).

یعنی اگر به زعم شما این آیات بینات الهی شر است، چون با افکار منحرف و نادرستتان هماهنگ نیست، من، بدتر از این را به شما معرفی می کنم، که همان مجازات دردناک الهی است که در برابر این لجاج و عناد سر انجام دامانتان را خواهد گرفت. همان آتش سوزانی «که خداوند به کافران وعده داده، و بد سر انجامی است» (وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ).

در حقیقت در برابر این آتش مزاجان پرخاشگر که شعلههای عصبیت و لجاج، همواره در درونشان افروخته است، پاسخی جز آتش دوزخ نیست! چرا که همیشه مجازات الهی تناسب نزدیکی با چگونگی گناه و عصیان دارد.

سورة الحج(27): آية 23.... ص: 234

(آیه ۷۳)– معبودانی ضعیفتر از یک مگس! در این آیه ترسیم جالب و گویایی از وضع بتها و معبودهای ساختگی، و ضعف و ناتوانی آنها، بیان میکند، و بطلان اعتقاد مشرکان را به روشنترین وجهی آشکار میسازد.

روی سخن را به عموم مردم کرده، می گوید: «ای مردم! در اینجا مثلی زده شده است گوش به آن فرا دهید» و دقیقا به آن بیندیشید (یا أَیُّهَا النَّاسُ ضُربَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ).

«کسانی را که شما غیر از خدا میخوانید هر گز نمی توانند مگسی بیافرینند هر چند برای این کار اجتماع کنند و دست به دست یکدیگر بدهند» (إِنَّ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ یَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۳۵ همه بتها و همه معبودهای آنها و حتی همه دانشمندان و متفکران و مخترعان بشر اگر دست به دست هم بدهند قادر بر آفرینش مگسی نیستند.

بنابراین چگونه میخواهید شما اینها را هم ردیف پروردگار بزرگی قرار دهید که آفریننده آسمانها و زمین و هزاران هزار نوع موجود زنده در دریاها و صحراها و جنگلها و اعماق زمین است.

سپس اضافه می کنـد: نه تنها قادر نیسـتند مگسـی بیافرینند بلکه از مقابله با یک مگس نیز عاجزند چرا که «اگر مگس چیزی از آنها را برباید نمی توانند آن را باز پس گیرند»! (وَ إِنْ یَسْلُبُهُمُ الذُّبابُ شَیْئاً لا یَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ).

آرى! «هم اين طلب كنندگان ناتوانند و هم آن مطلوبان» هم اين عابدان و هم آن معبودان (ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ).

سورة الحج(22): آية 24.... ص: 225

(آیه ۷۴) - قرآن بعد از بیان مثال زنده فوق، نتیجه گیری می کند که: «خدا را آن گونه که باید بشناسند نشناختند» (ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ).

به قدری در معرفت و شناسایی خدا، ضعیف و ناتوانند که خداوند با آن عظمت را تا سر حد این معبودهای ضعیف و بی مقدار تنزل دادند، و آنها را شریک او شمردند، که اگر کمترین معرفتی در باره خدا داشتند بر این مقایسه خود می خندیدند. و در پایان آیه می فرماید: «خداوند قوی و شکست ناپذیر است» (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِیِّ عَزِیزٌ).

او بر همه چیز قادر و تواناست و هیچ کس را قدرت مقابله با او نیست.

سورة الحج(22): آية 20.... ص: 233

اشاره

(آیه ۷۵)

شأن نزول: ص: 238

بعضی از مشرکان مانند «ولید بن مغیره» (که مغز متفکر آنان محسوب میشد) به هنگام مبعوث شدن پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با تعجب و انکار می گفتند:

اً أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا: «آیا از میان همه ما وحی الهی بر محمّد (این یتیم فقیر و تهی دست امت ما) نازل شده است»؟ آیه نازل شـد و به آنها پاسخ گفت که: انتخاب انبیاء و فرشـتگان برای رسالت روی معیار شایسـتگی و معیار معنویت آنها بوده است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۳۶

تفسير: ص: ۲۳۶

با توجه به این که در آیات گذشته سخن از توحید و شرک و معبودهای پنداری مشرکان در میان بود، و با توجه به این که جمعی از مردم، فرشتگان یا بعضی از پیامبران را برای عبادت برگزیدند، قرآن در این آیه می گوید:

همه رسولان الهی، بندگان سر بر فرمان او هستند «خداوند از فرشتگان، رسولانی بر میگزیند و همچنین از انسانها» (اللهٔ يَصْ طَفِی مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ). از فرشتگان رسولانی همچون جبرئیل، و از انسانها فرستادگانی همچون پیامبران بزرگ الهی. و در پایان آیه اضافه می کند: «خداوند شنوا و بیناست» (إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ).

یعنی چنان نیست که خداوند مانند انسانها از کار رسولانش در غیابشان بیخبر باشد، بلکه در هر لحظه از وضع آنها با خبر است،

سورة الحج(22): آية 26.... ص: 238

(آیه ۷۶)- سپس اشاره به مسؤولیت در ابلاغ رسالت از یک سو و مراقبتهای الهی نسبت به آنها از سوی دیگر کرده، می گوید: «خداوند آنچه را در پیش روی آنها و آنچه پشت سر آنهاست میداند» (یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ).

هم از آینده آنها آگاه است و هم از گذشته و آنچه را پشت سر نهادهاند.

«و همه كارها به خدا باز مي گردد» و همه در برابر او مسؤولند (وَ إِلَى اللَّهِ تُوْجَعُ الْأُمُورُ).

تا مردم بدانند فرشتگان و پیامبران الهی نیز بندگانی هستند سر بر فرمان خدا، و دارای مسؤولیت در پیشگاه او، و از خود چیزی ندارند جز آنچه خدا به آنها داده است، نه این که معبودان و خدایانی باشند در برابر الله.

سورة الحج(22): آية 27.... ص: 238

(آیه ۷۷)- پنج دستور سازنده و مهم! در این آیه و آیه بعد روی سخن را به افراد با ایمان کرده و یک سلسله دستورات کلی و جامع را که حافظ دین و دنیا و پیروزی آنها در تمام صحنه هاست بیان می دارد و با این حسن ختام، «سوره حج» پایان می گیرد. نخست به چهار دستور مهم اشاره کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! رکوع کنید، و سجده به جا آورید، و پرورد گارتان را عبادت کنید، و کار نیک انجام دهید تا رستگار شوید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ارْکَعُوا وَ اللهِ جُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّکُمْ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۳۷ و افْعَلُوا الْخَیْرَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ).

سورة الحج(22): آية 28.... ص: 222

(آیه ۷۸)– سپس پنجمین دستور را در زمینه جهاد صادر کرده، می گوید:

«و در راه خدا جهاد كنيد و حقّ جهادش را ادا نماييد» (وَ جاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ).

«جهاد» در اینجا به معنی هر گونه جهاد و کوشش در راه خدا و تلاش برای انجام نیکیها، و مبارزه با هوسهای سر کش (جهاد اکبر) و پیکار با دشمنان ظالم و ستمگر (جهاد اصغر) است.

«حقّ جهاد» نیز معنی وسیعی دارد که از نظر کیفیت و کمیت و مکان و زمان و سایر جهات از جمله خلوص نیّت، همه را شامل می شود.

و از آنجا ممکن است این تصور پیدا شود، این همه دستورات سنگین که هر یک از دیگری جامعتر و وسیعتر است چگونه بر دوش ما بندگان ضعیف قرار داده شده است؟ در دنباله آیه میفرماید: «او شما را برگزید» (هُوَ اجْتَباکُمْ). و اینها همه دلیل لطف الهی نسبت به شماست. اگر برگزیدگان خدا نبودید این مسؤولیتها بر دوش شما گذارده نمی شد.

و در تعبیر بعد می فرماید: «او کار سنگین و شاقی در دین (اسلام) بر شما نگذارده است» (وَ ما جَعَلَ عَلَیْکُمْ فِی الدِّینِ مِنْ حَرَج). یعنی اگر درست بنگرید اینها تکالیف شاقی نیستند، بلکه با فطرت پاک شما هماهنگ و ساز گارند.

در سُومین تعبیر می گوید: از این گذشته «از آیین پدرتان ابراهیم» پیروی کنید (مِلَّهُ أَبِیكُمْ إِبْراهِیمَ).

سپس تعبیر دیگری در این زمینه دارد می گوید: «او شما را در کتابهای پیشین، مسلمان نامید و همچنین در این کتاب آسمانی»

(هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هذا).

و مسلمان کسی است که این افتخار را دارد که در برابر همه فرمانهای الهی تسلیم است.

سر انجام پنجمین و آخرین تعبیر شوق آفرین را در باره مسلمانان کرده و آنها را به عنوان الگو و اسوه امتها معرفی می کند و می فرماید: «هدف این بوده است که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۳۸

پيامبر صلّى الله عليه و آله شاهد و گواه بر شما باشد و شما هم گواهان بر مردم»! (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاس).

در پایان این آیه بار دیگر وظائف پنجگانه پیشین را در تعبیرات فشرده تری به عنوان تأکید چنین باز گو می کند: «اکنون (که چنین است و شما دارای این امتیازات و افتخارات هستید) نماز را بر پا دارید، زکات را بدهید و به (آیین حق و ذیل عنایت) پروردگار تمسک جویید» (فَأْقِیمُوا الصَّلاةُ وَ آتُوا الزَّکاهُ وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ).

كه «مولى و سر پرست و يار و ياور شما اوست» (هُوَ مَوْلا كُمْ).

«چه مولی و سرپرست خوبی، و چه یار و یاور شایسته ای» (فَنِعْمَ الْمَوْلی وَ نِعْمَ النَّصِيرُ).

یعنی اگر به شـما فرمان داده شده تنها به ذیل عنایت پروردگار تمسک جویید به خاطر آن است که او برترین و بهترین مولی و شایسته ترین یار و یاور است.

«پایان سوره حج»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۳۹

آغاز جزء هجدهم قرآن مجيد ص: 239

سوره مؤمنون [23] ص: 239

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۱۱۸ آیه دارد

محتواي سوره: ص: 239

مجموع مطالب این سوره را می توان به چند بخش تقسیم کرد:

بخش اول- از آیه «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» تا چندین آیه بعد- بیانگر صفاتی است که مایه فلاح و رستگاری مؤمنان است. بخش دوم به نشانههای مختلف خدا شناسی، و آیات آفاقی و انفسی پروردگار در پهنه عالم هستی، اشاره کرده.

در بخش سوم به شرح سر گذشت عبرتانگیز جمعی از پیامبران بزرگ پرداخته است.

در بخش چهارم روی سخن را به مستکبران کرده، و با دلائل منطقی و گاه با تعبیرات تند و کوبنده به آنها هشدار میدهد، تا دلهای آماده به خود آید و راه بازگشت به سوی خدا را پیدا کند.

در بخش پنجم بحثهای فشردهای در باره معاد بیان کرده است.

و در بخش ششم از حاكميت خداوند بر عالم هستى.

در بخش هفتم بـاز هم سـخن از قیـامت، حساب، جزا و پاداش نیکو کاران و کیفر بـد کاران به میان می آورد، و با بیان هـدف آفرینش انسان سوره را پایان میدهد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۴۰

فضيلت تلاوت سوره: ص: 240

در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: «هر کس سوره مؤمنون را بخواند و در هر جمعه آن را ادامه دهد خداوند پایان زندگی او را با سعادت قرار می دهد و جایگاه او در فردوس اعلی (بهشت برین) است، همراه پیامبران و رسولان».

البته این فضیلتها برای خواندن با اندیشه و تصمیم بر عمل است.

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة مؤمنون(23): آية 1 ص: 240

(آیه ۱)- صفات برجسته مؤمنان! در آغاز این سوره به سر نوشت لذت بخش و پر افتخار- مؤمنان پیش از بیان صفات آنها-اشاره شده تا شعلههای شوق و عشق را در دلها برای رسیدن به این افتخار بزرگ زنده کند.

مى فرمايد: «مؤمنان رستگار شدند» (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ). و به هدف نهايي خود در تمام ابعاد رسيدند.

«فلاح و رستگاری» معنی وسیعی دارد که هم پیروزیهای مادی را شامل میشود، و هم معنوی را، و در مورد مؤمنان هر دو بعد منظور است.

سورة مؤمنون(23): آية 2 ص: 240

(آیه ۲)- سپس به بیان این صفات پرداخته و قبل از هر چیز انگشت روی نماز گذارده، می گوید: «آنها که در نمازشان خشوع دارند» (الَّذِینَ هُمْ فِی صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ).

اشاره به این که نماز آنها الفاظ و حرکاتی بیروح و فاقـد معنی نیست، بلکه به هنگام نماز آن چنان حالت توجه به پروردگار و حضور قلب در آنها پیدا میشود که از غیر او جدا می گردند و به او میپیوندند.

در حدیثی میخوانیم که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله مردی را دیـد که در حال نماز با ریش خود بازی میکند، فرمود: «اگر او در قلبش خشوع بود اعضای بدنش نیز خاشع میشد».

اشاره به این که خشوع یک حالت درونی است که در برون اثر می گذارد.

سورهٔ مؤمنون(23): آیهٔ ۳ ص: ۲۴۰

(آیه ۳)– دومین صفتی را که بعد از صفت خشوع در نماز برای مؤمنان بیان برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۴۱ می کند این است که: «و آنها که از لغو و بیهودگی روی گردانند» (وَ الَّذِینَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ).

در واقع تمام حركات و خطوط زندگي آنان هدفي را دنبال ميكند، هدفي مفيد و سازنده چرا كه «لغو» به معني كارها،

سخنان و افكار بي هدف و بدون نتيجه مفيد است.

سورة مؤمنون (23): آية 4 ص: 241

(آیه ۴)- سپس به سومین صفت مؤمنان راستین که جنبه اجتماعی و مالی دارد اشاره کرده، می گوید: «آنها که زکات را انجام میدهند» (وَ الَّذِینَ هُمْ لِلزَّکاهِ فاعِلُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية ۵ ص: 241

(آیه ۵)- چهارمین ویژگی مؤمنان را مسأله پاکدامنی و عفت کامل، و پرهیز از هر گونه آلودگی جنسی قرار داده، چنین می گوید: «و آنها که دامان خود را (از آلوده شدن به (بیعفتی) حفظ می کنند» (وَ الَّذِینَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ).

سورهٔ مؤمنون (۲۳): آیهٔ ۶ ص: ۲۴۱

(آیه ۶)- «و تنها آمیزش جنسی به همسران و کنیزانشان دارند، که در بهره گیری از آنان ملامت نمیشوند» (إِلَّا عَلَی أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَیْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَیْرُ مَلُومِینَ).

سورة مؤمنون(23): آية ٧ ص: 241

(آیه ۷)- از آنجا که غریزه جنسی سرکش ترین غرائز انسان است و خویشتن داری در برابر آن نیاز به تقوا و پرهیزکاری فراوان و ایمان قوی و نیرومند دارد، در این آیه بار دیگر روی همین مسأله تأکید کرده، می گوید: «و کسانی که غیر از این طریق را طلب کنند، تجاوزگرند» (فَمَن ابْتَغی وَراءَ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ العادُونَ).

تعبیر «به محافظت فروج» گویا اشاره به این است که اگر مراقبت مستمر و پی گیر در این زمینه نباشد، بیم آلودگی فراوان است.

سورهٔ مؤمنون (٢٣): آيهٔ ٨ ص: ٢٤١

(آیه ۸)- در این آیه به پنجمین و ششمین صفت برجسته مؤمنان اشاره کرده، می گوید: «و آنها که امانتها و عهد خود را رعایت می کنند» (وَ الَّذِینَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ).

حفظ و ادای امانت و همچنین پایبند بودن به عهد و پیمان در برابر خالق و خلق از صفات بارز مؤمنان است. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۴۲

در مفهوم وسیع «امانت» امانتهای خدا و پیامبران الهی و همچنین امانتهای مردم جمع است، نعمتهای مختلف خدا هر یک امانتی از امانات او هستند، آیین حق، کتب آسمانی، دستور العملهای پیشوایان راه حق و همچنین اموال و فرزندان و پستها و مقامها، همه امانتهای اویند که مؤمنان در حفظ و ادای حق آنها می کوشند.

همچنین حکومت از مهمترین ودیعههای الهی است که باید آن را به اهلش سپرد.

سورة مؤمنون(23): آية ٩ ص: 242

(آیه ۹)- در این آیه آخرین ویژگی مؤمنان را که محافظت بر نمازهاست بیان کرده، می گوید: «و آنها بر نمازشان مواظبت می نمایند» (وَ الَّذِینَ هُمْ عَلی صَلَواتِهِمْ یُحافِظُونَ).

جالب این که: نخستین ویژگی مؤمنان را «خشوع در نماز» و آخرین صفت آنها را «محافظت بر نماز» شمرده است، از نماز شروع می شود و به نماز ختم می گردد چرا که نماز مهمترین رابطه خلق و خالق است که هر گاه با آدابش انجام گیرد زمینه مطمئنی برای همه خوبیها و نیکیها خواهد بود.

سورة مؤمنون(23): آية 10 ص: 242

(آیه ۱۰)- بعد از ذکر این صفات ممتاز، نتیجه نهایی آن را به این صورت بیان میکند: آری! «آنها وارثانند» (أُولئِکَ هُمُ الْوارِثُونَ).

سورة مؤمنون(٢٣): آية ١١ ص: ٢٤٢

(آیه ۱۱)– همان وارثانی «که بهشت برین را به ارث میبرند و جاودانه در آن خواهند ماند» (الَّذِینَ یَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِیها خالدُونَ).

«فردوس» به معنی بهشت برین و برترین باغهای بهشت میباشد، که طبق ظاهر آیات فوق مخصوص مؤمنانی است که دارای صفات بالا هستند به این ترتیب دیگر بهشتیان در مراحل پایین تر قرار دارند.

سورهٔ مؤمنون (۲۳): آیهٔ ۱۲ ص: ۲۴۲

(آیه ۱۲) - مراحل تکامل جنین در رحم مادر: این آیه و قسمتی از آیات آینده، طرق اساسی تحصیل امیان و معرفت را نشان می دهد، نخست دست انسان را گرفته و به کاوش در اسرار درون و «سیر در عالم انفس» وا می دارد، و در آیاتی که بعد از آن خواهد آمد او را به جهان برون و موجودات شگرف عالم هستی توجه می دهد و به «سیر آفاقی» می پردازد.

نخست می گوید: «ما انسان را از چکیده و خلاصهای از گل آفریدیم» (وَ لَقَدْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۴۳ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِینِ).

سورة مؤمنون(23): آية 13 ص: 243

(آیه ۱۳)– «سپس او را نطفه ای در قرارگاه مطمئن [رحم] (ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَكِینِ).

در حقیقت آیه قبل به آغاز وجود همه انسانها اعم از آدم و فرزندان او اشاره می کند که همه به خاک باز می گردند و از گل برخاسته اند، اما در این آیه به تداوم نسل آدم از طریق ترکیب نطفه نر و ماده و قرار گرفتن در قرار گاه رحم توجه می دهد. تعبیر از رحم به «قَرارٍ مَکِینِ» (قرار گاه امن و امان) اشاره به موقعیت خاص رحم در بدن انسان است، در واقع در محفوظترین نقطه بدن که از هر طرف کاملا_ تحت حفاظت است قرار گرفته، ستون فقرات و دنده ها از یک سو، استخوان نیرومند لگن

خاصره از سوی دیگر، پوششهای متعدد شکم از سوی سوم حفاظتی که از ناحیه دستها به عمل می آید از سوی چهارم، همگی شواهد این قرارگاه امن و امان است.

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ۱۴ ص: ۲۴۳

(آیه ۱۴) - بعد به مراحل شگفت آور و بهت آور سیر نطفه در رحم مادر و چهرههای گوناگون خلقت که یکی بعد از دیگری در آن قرارگاه امن و دور از دست بشر ظاهر می شود اشاره کرده، می فرماید: «سپس نطفه را به صورت علقه [خون بسته]، و علقه را به صورت مضغه [چیزی شبیه گوشت جویده شده] و مضغه را به صورت استخوانهایی در آوردیم، و بر استخوانها گوشت پوشاندیم» (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعُلَقَةً مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةً عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً).

جمله «فَکُسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً» یک معجزه علمی است که پرده از روی این مسأله که در آن روز برای هیچ کس روشن نبود بر می دارد، زیرا قرآن نمی گوید: ما مضغه را تبدیل به استخوان و گوشت کردیم، بلکه می گوید: ما مضغه را تبدیل به استخوان کردیم و بر استخوانها لباس گوشت پوشاندیم، اشاره به این که مضغه نخست تبدیل به استخوان می شود و بعد از آن گوشت روی آن را می پوشاند.

و در پایـان آیه به آخرین مرحله که در واقع مهمترین مرحله آفرینش بشـر است بـا یـک تعبیر سـر بسـته و پر معنی اشاره کرده، میفرماید: «سپس ما آن را آفرینش برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۴۴

تازهاى داديم» (ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ).

این همان مرحلهای است که جنین وارد حیات انسانی می شود، که در روایات اسلامی از آن تعبیر به مرحله «نفخ روح» (دمیدن روح در کالبد) شده، و اینجاست که انسان را از همه جهان ممتاز می سازد، و به او شایستگی خلافت خدا در زمین را می دهد. «پس بزرگ و پر برکت است خدایی که بهترین آفرینندگان است» (فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ).

آفرین بر این قدرت نمایی بینظیر که در ظلمتکده رحم این چنین تصویر بدیعی با این همه عجائب و شگفتیها، بر قطره آبی نقش میزند.

آفرین بر آن علم و حکمتی که این همه استعداد و لیاقت و شایستگی را در چنین موجود ناچیزی ایجاد میکنـد آفرین بر او و بر خلقت بینظیرش.

سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۵ ص: ۲۴۴

(آیه ۱۵)- این آیه از مسأله توحید و شناخت مبدء به طرز زیبا و ظریفی به مسأله «معاد» منتقل می شود، و می گوید: این انسان با همه شگفتیهایش تا ابد زنده نمی ماند، زمانی فرا می رسد که این ساختمان عجیب از هم فرو می ریزد و «شما بعد از این زندگی همگی می میرید» (ثُمَّ إِنَّکُمْ بَعْدَ ذلِکَ لَمَیًّتُونَ).

سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۱۶ ص: ۲۴۴

(آیه ۱۶)- ولی برای این که این تصور پیش نیاید که با مردن انسان همه چیز پایان می گیرد پس این آفرینش با این همه شکوه و عظمت برای این چند روز زندگی امری بیهوده بوده است بلا فاصله میافزاید: «سپس در روز قیامت (بار دیگر به زندگی باز مى گرديد و) بر انگيخته مىشويد» البته در سطحى عاليتر و در جهانى وسيعتر و گسترده تر (ثُمَّ إِنَّكَمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 17 ص: 244

(آیه ۱۷) – باز هم نشانه های توحید: پس از ذکر آیات انفسی اکنون به جهان برون و آیات آفاقی میپردازد، و عظمت آفرینش را در آسمان و زمین منعکس میکند می فرماید: «ما بر بالای سر شما هفت راه [طبقات هفتگانه آسمان] قرار دادیم» (وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَکُمْ سَبْعَ طَرائِقَ).

ممکن است این راهها طرق رفت و آمد فرشتگان باشد، و ممکن است مدار برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۴۵ گردش ستارگان آسمان- در باره آسمانهای هفتگانه در جلد اول ذیل آیه ۲۹ سوره بقره سخن گفتهایم.

و از آنجا که تعدّد عوالم و طرق آنها ممکن است این توهم را به وجود آورد که آیا این وسعت و عظمت عالم موجب نخواهد شد که آفریدگار از آنها غافل گردد، در پایان آیه بلا فاصله میفرماید: «و ما (هرگز) از آفرینش (خلق) خود غافل نبودهایم» (وَ ما کُنّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِینَ).

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ۱۸ ص: ۲۴۵

(آیه ۱۸)-این آیه به یکی دیگر از مظاهر قدرت الهی که از برکات آسمانی و زمین محسوب می شود یعنی باران اشاره کرده، می گوید: «و از آسمان آبی به اندازه معین نازل کردیم» (وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ).

نه آن قدر زیاد که زمینها را در خود غرق کند، و نه آنقدر کم که تشنه کامان در جهان گیاهان و حیوانات سیراب نگردند. سپس به مسأله مهمتری در همین رابطه که مسأله ذخیره آبها در منابع زیر زمینی است پرداخته، می گوید: «و آن را در زمین (در جایگاه مخصوصی) ساکن نمودیم و ما بر از بین بردن آن کاملا قادریم» (فَأَسْ کَنَّاهُ فِی الْـأَرْضِ وَ إِنَّا عَلی ذَهابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ).

میدانیم قشر روئین زمین از دو طبقه کاملا مختلف تشکیل یافته خداونـد بزرگ و منان قشر بالا را نفوذپذیر و قشر زیرین را نفوذناپـذیر قرار داده تا آبها در زمین فرو رونـد و در منطقه نفوذناپـذیر مهار شونـد و ذخیره گردنـد، و بعدا از طریق چشـمهها، چاهها و قناتها مورد استفاده واقع شوند، بی آنکه بگندند و تولید مزاحمت کنند یا آلودگی پیدا کنند «۱».

سورة مؤمنون(23): آية 19 ص: 245

(آیه ۱۹) - در این آیه به دنبال نعمت پر برکت باران به محصولاتی که از آن میروید اشاره کرده، می گوید: «سپس به وسیله آن، باغهایی از درختان نخل و انگور برای شما ایجاد کردیم، باغهایی که در آن میوههای بسیار است و از آن میخورید» (فَأَنْشَأْنا لَکُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِیلِ وَ أَعْنابٍ لَکُمْ فِیها فَواکِهُ کَثِیرَةٌ وَ مِنْها تَأْکُلُونَ).

(۱) باید توجه داشت که عبور آبهای آلوده از قشر نفوذپذیر زمین غالبا موجب تصفیه آن می شود!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۴۶

خرما و انگور تنها محصول آنها نیست بلکه این دو محصول عمده و پر ارزش آنهاست و گر نه انواع مختلفی از دیگر نیز

میوهها در آن یافت می شود.

سورة مؤمنون(23): آية 20 ص: 248

(آیه ۲۰)- بعد به یکی دیگر از درختان پر برکتی که از همین آب باران پرورش مییابید اشاره کرده، می گوید: «و (نیز علاوه بر این باغهای نخل و انگور و میوههای دیگر) درختی را که از طور سینا میروید [زیتون] و از آن روغن و نان خورش برای خورندگان فراهم می آید» آفریدیم (وَ شَجَرَةً تَحْرُجُ مِنْ طُورِ سَیْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغِ لِلْآکِلِینَ).

سورة مؤمنون(23): آية 21 ص: 248

(آیه ۲۱)- بعد از بیان گوشهای از نعمتهای پروردگار در جهان گیاهان که به وسیله آب باران پرورش می یابد به بخش مهمی از نعمتها و مواهب او در جهان حیوانات پرداخته، می گوید: «و در چهار پایان برای شما عبرت بزرگی است» (وَ إِنَّ لَکُمْ فِی الْأَنْعام لَعِبْرَهُ).

سپس این عبرت را چنین شرح می دهد: «ما از آنچه در درون آنهاست شما را سیراب می کنیم» (نُشقِیکُمْ مِمَّا فِی بُطُونِها). آری! شیر گوارا این غذای نیرو بخش و کامل را از درون این حیوانات، از لابلای خون و مانند آن بیرون می فرستیم تا بدانید چگونه خداوند قدرت دارد از میان چنین اشیاء ظاهرا آلودهای یک نوشیدنی به این پاکی و گوارایی بیرون فرستد.

سپس اضافه می کند: مسائل عبرتانگیز و برکات حیوانات منحصر به شیر نیست بلکه «برای شما در آنها منافع بسیاری است و از گوشت آنها نیز میخورید» (وَ لَکُمْ فِیها مَنافِعُ کَثِیرَةٌ وَ مِنْها تَأْکُلُونَ).

سورة مؤمنون (23): آية 27 ص: 248

(آیه ۲۲)– از همه اینها گذشته، از چهار پایان به عنوان مرکبهای راهوار در خشکی و از کشتیها برای دریاها استفاده کرده «و بر آنها و کشتیها سوار میشوید»َ عَلَیْها وَ عَلَی الْفُلْکِ تُحْمَلُونَ)

این همه آثار و خواص و فوائد در این حیوانات به راستی مایه عبرت است، هم انسان را به آفریننده این همه نعمت آشنا میسازد و هم حس شکر گزاری را در او بر میانگیزد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۴۷

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ٢٣ ص: ٢٤٧

(آیه ۲۳)– منطق کور دلان مغرور: از آنجا که در آیات گذشته، سخن از توحید و معرفت خداوند و دلائل عظمت او در جهان آفرینش بود، همین مطلب را در این آیه و آیات آینده از زبان پیامبران بزرگ و در لابلای تاریخ آنها بیان می کند.

نخست از نوح نخستین پیامبر اولوا العزم و منادی توحید شروع کرده، می گوید: «و ما نوح را به سوی قومش فرستادیم، پس او به آنها گفت: ای قوم من! خداوند یکتا را بپرستید که جز او معبودی برای شما نیست» (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقالَ یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ).

«آيا (با اين بيان روشن از پرستش بتها) پرهيز نمي کنيد»؟ (أَ فَلا تَتَّقُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 24 ص: 247

(آیه ۲۴)– «جمعیت اشرافی (و مغرور که چشمها را در ظاهر پر میکنند و از درون خالی هستند) از قوم نوح که کافر بودند، گفتنـد: این مرد جز بشـری همچون شـما نیست که میخواهد بر شـما برتری جوید» (فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُرِیدُ أَنْ یَتَفَضَّلَ عَلَیْکُمْ).

و به این ترتیب انسان بودنش را نخستین عیبش دانستند و به دنبال آن متهمش ساختند که او یک فرد سلطهجو است. سپس افزودند: «و اگر خدا میخواست (رسولی بفرستد) فرشتگانی نازل میکرد» (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِکَةً).

و برای تکمیل این استدلال واهی گفتند: «ما هرگز چنین چیزی را از نیاکان پیشین خود نشنیدهایم» که انسانی دعوی نبوّت کند و خود را نماینده خدا بداند! (ما سَمِعْنا بِهذا فِی آبائِنَا الْأَوِّلِینَ).

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ٢٥ ص: ٢٤٧

(آیه ۲۵)- ولی این سخنان بی اساس در روح این پیامبر بزرگ اثر نکرد و نوح همچنان به دعوت خود ادامه می داد و نشانه ای از برتری جویی و سلطه طلبی در کار او نبود، لذا او را به اتهام دیگری متهم ساختند و آن اتهام «جنون و دیوانگی» بود که همه پیامبران الهی و رهبران راستین را در طول تاریخ به آن متهم ساختند، گفتند: «او فقط مردی است که به نوعی جنون مبتلاست، پس مدتی در باره او صبر کنید» تا مرگش فرا رسد و یا از این بیماری رهایی یابد! برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۴۸ (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّهٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّی حِینٍ).

سورة مؤمنون(23): آية 25 ص: 248

(آیه ۲۶)- پایان عمر یک قوم سر کش! در آیات گذشته بخشی از تهمتهای ناروائی را که دشمنان نوح به او زدند خواندیم ولی از آیات دیگر قرآن به خوبی استفاده می شود که اذیت و آزار این قوم سر کش تنها منحصر به این امور نبود بلکه با هر وسیلهای توانستند او را در فشار و سختی قرار دادند و نوح هنگامی که از تلاشهای خود مأیوس شد و جز گروه اندکی ایمان نیاوردند از خدا تقاضای کمک کرد چنانکه در این آیه می خوانیم: «گفت: پروردگارا! مرا در برابر تکذیبهایی که کردند یاری کن» (قال رَبِّ انْصُرْنِی بِما کَذَّبُونِ).

سورة مؤمنون(23): آية 27 ص: 248

(آیه ۲۷) - در اینجا فرمان پروردگار فرا رسید و مقدمات نجات نوح و یاران اندکش و نابودی مشرکان لجوج فراهم شد. «ما به نوح وحی کردیم که: کشتی را در حضور ما مطابق وحی ما بساز» (فَأَوْحَیْنا إِلَیْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْکَ بِأَعْیُنِنا وَ وَحْیِنا). تعبیر «بِأَعْیُننا» (در برابر دیدگان ما) اشاره به این است که تلاش و کوشش تو در این راه در حضور ماست و تحت پوشش حمایت ما.

در ادامه می فرماید: «پس هنگامی که فرمان ما (برای غرق آنان) فرا رسد، و آب از تنور بجوشد (که نشانه فرا رسیدن طوفان است) از هر یک از انواع حیوانات یک جفت (نر و ماده) در کشتی سوار کن» (فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ النَّنُورُ فَاسْ لُکْ فِیها مِنْ کُلِّ رُوْجَیْن اتْنَیْن).

«و همچنین خانوادهات را مگر آنها [همسر و فرزند کافرت] که قبلا وعده هلاکشان داده شده است» (وَ أَهْلَکَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ).

و بـاز اضافه می کنـد: «و دیگر در بـاره سـتمگران (که هم بر خویش سـتم کردنـد و هم بر دیگران) با من سـخنی مگو که آنها همگی غرق خواهند شد» و جای شفاعت و گفتگو نیست (وَ لا تُخاطِبْنِی فِی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 28 ص: 248

(آیه ۲۸)- در این آیه می فرماید: «و هنگامی که تو و همه کسانی که با تو هستند بر کشتی سوار شدید و استقرار یافتید (سپاس خدا را به خاطر این نعمت برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۴۹

بزرگ به جا آور) و بگو: ستایش برای خدایی است که ما را از قوم ستمگر نجات بخشید» (فَإِذَا اسْتَوَیْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَکَ عَلَی الْقُلْکِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی نَجَّانا مِنَ الْقَوْم الظَّالِمِینَ).

سورة مؤمنون(23): آية 24 ص: 249

(آیه ۲۹)– و بعد از حمد و ستایش خدا در برابر نخستین نعمت بزرگ او یعنی نجـات از چنگال ظالمان، از درگاهش چنین تقاضا کن «بگو: پروردگارا! مرا در منزلگاهی پر برکت فرود آر، و تو بهترین فرود آورنـدگانی» (وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِی مُنْزَلًا مُبارَکاً وَ أَنْتَ خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ).

سورة مؤمنون(23): آية 30 ص: 249

(آیه ۳۰) - در این آیه اشاره به مجموع این داستان کرده، می گوید: «در این (ماجرای نوح و پیروزیش بر ستمکاران و مجازات این قوم سر کش به شدیدترین وجه) آیات و نشانه هایی (برای صاحبان عقل و اندیشه) است»! (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ). «و ما بطور مسلم (همگان را) آزمایش می کنیم» (وَ إِنْ کُنَّا لَمُبْتَلِینَ).

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ٣١ ص: ٢٤٩

(آیه ۳۱) - سرنوشت غمانگیز یک قوم دیگر (قوم ثمود): در اینجا به بحث پیرامون اقوام دیگری که بعد از نوح (ع) بر سر کار آمدند پرداخته، و منطق آنها را که هماهنگ منطق کفار پیشین بوده، و همچنین سر نوشت دردناکشان را شرح میدهد، و بحثهایی را که در آیات گذشته ذکر شد تکمیل می کند.

نخست می گوید: «سپس جمعیت دیگری را بعد از آنها به وجود آوردیم» و قوم تازهای به روی کار آمدند (ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرینَ).

سورة مؤمنون(23): آية 22 ص: 249

(آیه ۳۲)- از آنجا که بشر نمی تواند بدون یک رهبر الهی باشد خداوند پیامبر بزرگی را برای نشر دعوت توحید و آیین حق و عدالت به سوی آنها فرستاد چنانکه آیه می گوید: «و در میان آنها رسولی از خودشان فرستادیم که: پروردگار یکتا را بپرستید جز او معبودی برای شما نیست» (فَأَرْسَلْنا فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ).

این همان چیزی بود که نخستین پایه دعوت همه پیامبران را تشکیل میداد این ندای توحید بود که زیر بنای همه اصلاحات فردی و اجتماعی است.

«با این همه از شرک و بت پرستی پرهیز نمی کنید» (أَ فَلا تَتَّقُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۵۰

منظور «قوم ثمود» است که در سر زمینی در شمال حجاز زنـدگی میکردنـد و پیامبر بزرگ الهی «صالـح» برای هـدایت آنها مبعوث شد، آنها کفر ورزیده و راه طغیان پیش گرفتند، سر انجام به وسیله صیحه آسمانی (صاعقهای مرگبار) از میان رفتند.

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٣٣ ص: ٢٥٠

(آیه ۳۳) – به هر حال ببینیم عکس العمل این قوم سر کش در برابر ندای توحیدی این پیامبر بزرگ چه بود؟ قرآن در این آیه می گوید: «ولی اشرافیان (خود خواه) از قوم او که کافر بودند، و دیدار آخرت را تکذیب می کردند، و در زندگی دنیا به آنان ناز و نعمت داده بودیم گفتند: این بشری است مثل شما، از آنچه شما می خورید می خورد، و از آنچه می نوشید می نوشد» پس چگونه می تواند پیامبر باشد؟ (وَ قالَ الْمَلُأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ وَ أَتْرَفْناهُمْ فِی الْحَیاةِ الدُّنیا ما هذا إِلَّا بَشَرُ مِثْلُکُمْ یَا کُلُونَ مِنْهُ وَ یَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ).

آری! چون دعوت این پیامبر بزرگ را مخالف هوسهای خود میدیدند و مزاحم منافع نامشروع و استکبار بیدلیلشان، به ستیزه برخاستند، درست با همان منطقی که سرکشان قوم نوح داشتند.

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ٣٤ ص: ٢٥٠

(آیه ۳۴)– سپس به یکدیگر گفتند: «اگر شـما بشری همانند خودتان را اطاعت کنید بطور قطع زیانکارید»! (وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَکُمْ إِنَّکُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 25 ص: 250

(آیه ۳۵)- سپس به انکار معاد که همیشه قبول آن سدی بر سر راه خود کامگان و هوسرانان است پرداخته و گفتند: «آیا (این مرد) به شما وعده می دهد هنگامی که مردید و خاک و استخوان (پوسیده) شدید باز هم از قبرها بیرون می آیید» و حیات نوینی را آغاز می کنید؟! (أَ یَعِدُکُمْ أِذَا مِتُمْ وَ کُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّکُمْ مُخْرَجُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 36 ص: 204

(آیه ۳۶)- «هیهات! هیهات! از این وعده هایی که به شما داده می شود» وعده های بی اساس و تو خالی! (هَیْهاتَ هَیْهاتَ لِما

تُوعَدُونَ).

اصلا مگر ممکن است انسانی که مرد و خاک شد و ذرات آن به هر سو پراکنده گشت باز هم به زندگی باز گردد؟ چنین چیزی محال است محال!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۵۱

سورة مؤمنون(23): آية 37 ص: 251

(آیه ۳۷) – سپس با این سخن، انکار معاد را تأکید بیشتری کردند که: «مسلما غیر از این زندگی دنیای ما چیزی در کار نیست، پیوسته گروهی از ما می میریم و نسل دیگری جای ما را می گیرد (و بعد از مرگ دیگر هیچ خبری نیست!) و ما هرگز بر انگیخته نخواهیم شد»! (إِنْ هِیَ إِلَّا حَیاتُنَا الدُّنْیا نَمُوتُ وَ نَحْیا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِینَ).

سورة مؤمنون(23): آية 38 ص: 251

(آیه ۳۸) – سر انجام به عنوان یک جمع بندی در اتهامی که نسبت به پیامبرشان داشتند چنین گفتند: «او فقط مردی دروغگوست که بر خدا افترا بسته، و ما هرگز به او ایمان نخواهیم آورد»! (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُےلُ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَه نِدِباً وَ ما نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِینَ).

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ٣٩ ص: ٢٥١

(آیه ۳۹)- هنگامی که غرور و طغیان آنها از حد گذشت و بی شرمی را در انکار رسالت و معجزات و دعوت انسان ساز پیامبرشان به آخرین حد رساندند، و خلاصه بر همه آنها اتمام حجت شد، این پیامبر بزرگ الهی رو به درگاه خدا کرد و «گفت: پروردگارا! مرا در مقابل تکذیبهای آنها یاری کن» (قالَ رَبِّ انْصُرْنِی بِما کَذَّبُونِ).

آنها هر چه توانستند گفتند و هر تهمتی میخواستند زدند، تو مرا کمک فرما.

سورة مؤمنون(23): آية 40 ص: 251

(آیه ۴۰)- پروردگار جهان «به او فرمود: آنها به زودی از کار خود پشیمان خواهنـد گشت» و میوه درخت تلخی را که نشاندهاند خواهند کشت» و میوه درخت تلخی را که نشاندهاند خواهند چشید (قالَ عَمَّا قَلِیلٍ لَیُصْبِحُنَّ نادِمِینَ). اما زمانی پشیمان میشوند که سودی به حالشان ندارد.

سورة مؤمنون(23): آية 41 ص: 251

(آیه ۴۱)- و همین طور شد «ناگهان صیحه آسمانی آنها را به حق زیر ضربات خود فرو گرفت» (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّیْحَةُ بِالْحَقِّ). صاعقهای مرگبار بـا صـدایی وحشت انگیز و مهیب فرود آمـد، همه جـا را تکـان داد و در هم کوبیـد و ویران کرد، و اجساد بیجان آنها را روی هم ریخت، به قدری سـریع و کوبنده بود که حتی قدرت فرار از خانههاشان پیدا نکردند و در درون همان خانههایشان مدفون گشتند.

چنانکه قرآن در پایان این آیات می گوید: «ما آنها را همچون خار و خاشاک برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۵۲ در هم کوبیده شده روی سیلاب قرار دادیم» (فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً).

«دور باد قوم ستمكّر» از رحمت خداوند! (فَبُعْداً لِلْقَوْم الظَّالِمِينَ).

این در حقیقت نتیجه گیری نهایی از کل این آیات است که آنچه در این ماجرا گفته شد از انکار و تکذیب آیات الهی و انکار معاد و رستاخیز سر چشمه می گیرد، و نتیجه دردناک آن، مخصوص جمعیت و گروه معینی نیست، بلکه همه ستمگران را در طول تاریخ شامل میشود.

سورة مؤمنون(23): آية ٤٢ ص: ٢٥٢

(آیه ۴۲) - اقوام سر کش یکی بعد از دیگری هلاک شدند: پس از پایان داستان قوم ثمود، قرآن در اینجا به اقوام دیگری که بعد از آنها پدید آوردیم» (ثُمَّ بعد از آنها و قبل از موسی (ع) روی کار آمدند اشاره کرده، می گوید: «سپس اقوام دیگری را پس از آنها پدید آوردیم» (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِینَ).

چرا که این قانون و سنت خداوند بزرگ است که فیض خود را قطع نمیکند و اگر گروهی مانعی بر سر راه تکامل نوع بشر شدند آنها را کنار زده و این قافله را در مسیرش همچنان پیش میبرد.

سورة مؤمنون(23): آية 43 ص: 252

(آیه ۴۳) – اما این اقوام و طوائف گوناگون هر کدام دارای زمان و اجل معینی بودند و «هیچ امتی بر اجل و سر رسید حتمی خود پیشی نمیگیرد و از آن تأخیر نیز نمیکنند» (ما تَسْ بِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما یَشْتَأْخِرُونَ). بلکه هنگامی که فرمان قطعی پایان حیات آنها صادر میشد از میان میرفتند، نه یک لحظه زودتر و نه دیرتر.

سورة مؤمنون(23): آية 44 ص: 252

(آیه ۴۴)- این آیه ناظر به این حقیقت است که دعوت پیامبران در طول تاریخ هیچ گاه قطع نشده، میفرماید: «ما سپس رسولان خود را یکی پس از دیگری فرستادیم» (ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَثْرا).

این معلمان آسمانی یکی پس از دیگری می آمدند و میرفتند، ولی اقوام سرکش همچنان بر کفر و انکار خود باقی بودند بطوری که «هر زمان رسولی برای (هدایت) قومی می آمد او را تکذیب می کردند» (کُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها کَذَّبُوهُ).

هنگامی که این کفر و تکذیب از حد گذشت و به قدر کافی اتمام حجت شد «ما این امتهای سرکش را یکی پس از دیگری هلاک نمودیم» و از صحنه روزگار برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۵۳

محوشان كرديم (فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً).

آن چنان نابود شدند که تنها نام و گفتگویی از آنها باقی ماند. آری! «ما آنها را احادیثی قرار دادیم» (وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِیثَ). و در پایان آیه، همچون آیات پیشین می گوید: «دور باد (از رحمت خدا) قومی که ایمان نمی آورند» (فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ). آنها نه تنها در این دنیا دور از رحمت خدا بودند که در سرای دیگر نیز از رحمت الهی دورند.

سورة مؤمنون (23): آية 40 ص: 202

(آیه ۴۵) – قیام موسی و نابودی فرعونیان فرا می رسد: تا اینجا سخن در باره اقوامی بود که پیش از موسی (ع) پیامبر اولوا العزم پروردگار روی کار آمدند و رفتند، اما در اینجا اشاره بسیار کوتاهی به قیام موسی و هارون در برابر فرعونیان و سر انجام کار این قوم مستکبر کرده، می فرماید: «سپس موسی و برادرش هارون را با آیات خود و دلیل آشکار و روشن فرستادیم» (ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسی و أخاهُ هارُونَ بِآیاتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِینِ).

منظور از «آیات» معجزاتی است که خداوند به موسی بن عمران داد (آیات نه گانه) و منظور از «سلطان مبین»، منطق نیرومند و دلائل دندان شکن موسی (ع) در برابر فرعونیان است.

سورة مؤمنون(23): آية 46 ص: 253

(آیه ۴۶)– آری! موسمی و برادرش هارون را با این آیات و سلطان مبین فرستادیم «به سوی فرعون و اطرافیان اشرافی و مغرور او» (اِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ).

اشاره به این که ریشه همه فساد، اینها بودند و هیچ کشوری اصلاح نخواهد شد مگر این که سردمدارانش اصلاح شوند. «ولی (فرعون و اطرافیانش) استکبار کردند» و زیر بار آیات حق و سلطان مبین نرفتند (فَاسْتَکْبَرُوا). «و اصولا آنها مردمی برتری جو و سلطه طلب بودند» (وَ کانُوا قَوْماً عالِینَ).

سورة مؤمنون (23): آية ٤٧ ص: 254

(آیه ۴۷)– یکی از نشانههای روشن برتری جویی آنها این بود که «گفتنـد: آیا ما به دو انسان همانند خودمان ایمان بیاوریم در حالی که قوم آنها (بنی اسرائیل) برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۵۴ بندگان و بردگان ما هستند»؟! (فَقالُوا أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْن مِثْلِنا وَ قَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ).

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ۴۸ ص: ۲۵۴

(آیه ۴۸)- با این استدلالات واهی به مخالفت با حق برخاستند «پس موسی و هارون را تکذیب کردنـد و سر انجام همگی هلاک و نابود شدند» و ملک و حکومتشان بر باد رفت (فَکَذَّبُوهُما فَکانُوا مِنَ الْمُهْلَکِینَ).

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٤٩ ص: ٢٥٤

(آیه ۴۹)- و سر انجام به این ترتیب دشمنان اصلی بنی اسرائیل که سد راه دعوت موسی و هارون بودند از میان رفتند، و دوران آموزش و تربیت الهی بنی اسرائیل فرا رسید.

در همین مرحله بود که: «ما به موسی کتاب آسمانی دادیم شاید آنان [بنی اسرائیل] هدایت شوند» (وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ).

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ۵۰ ص: ۲۵۴

(آیه ۵۰)- آیتی دیگر از آیات خدا: در آخرین مرحله از شرح سر گذشت پیامبران اشاره کوتاه و مختصری به حضرت مسیح (ع) و همچنین مادرش مریم کرده، می گوید: «و ما فرزند مریم و مادرش را آیت و نشانهای (از عظمت و قدرت خود) قرار دادیم» (وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْیَمَ وَ أُمَّهُ آیَةً).

سپس به بخشی از نعمتها و مواهب بزرگی که به این مادر و فرزند عطا فرموده اشاره کرده، می گوید: «و آنها را در سر زمین بلندی که دارای آرامش و امنیت و آب جاری بود جای دادیم» (وَ آوَیْناهُما إِلی رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِینِ).

احتمال دارد که جمله فوق اشاره به محل تولید مسیح (ع) در بیابان بیت المقیدس باشید، جایی که خداونید آن را محل امنی برای این مادر و فرزند قرار داد، و آب گوارا در آن جاری ساخت و از درخت خشکیده خرما به او روزی مرحمت کرد. به هر حال آیه دلیلی است بر حمایت مستمر و دائم خداوند نسبت به رسولان خود و کسانی که از آنها حمایت می کردند.

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٥١ ص: ٢٥٤

(آیه ۵۱) - همگی امت واحدید: در آیات پیشین سخن از سر گذشت پیامبران و امتهایشان بود، در این آیه همه پیامبران را مخاطب ساخته، می گوید: «ای پیامبران! از غذاهای پاکیزه بخورید و عمل صالح به جا آورید که من به آنچه شما انجام می دهید آگاهم» (یا أَیُّهَا الرُّسُلُ کُلُوا مِنَ الطَّیِّباتِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّی بِما بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۵۵ تَعْمَلُونَ عَلِیمٌ).

در این آیه از سه جهت برای انجام عمل صالح کمک گرفته شده است: از جهت تأثیر غذای پاک بر صفای قلب، و از جهت تحریک حس شکر گزاری، و از جهت توجه دادن به این که خدا شاهد و ناظر اعمال آدمی است.

سورهٔ مؤمنون(23): آیهٔ ۵۲ ص: ۲۵۵

(آیه ۵۲)- سپس همه پیامبران و پیروان آنها را به توحید و تقوا دعوت کرده، چنین می گوید: «و این امت شما امت واحدی است» (وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً).

و تفاوتهای میان شما و همچنین پیامبرانتان هرگز دلیل بر دو گانگی و چند گانگی نیست.

«و من پروردگار شما هستم، پس از مخالفت فرمان من بپرهیزید» (وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ).

به این ترتیب آیه فوق به وحدت و یگانگی جامعه انسانی، و حذف هر گونه تبعیض و جدایی دعوت می کند، همان گونه که او پروردگار واحد است انسانها نیز امت واحد هستند.

به همین دلیل باید از یک برنامه پیروی کنند همان گونه که پیامبرانشان نیز به آیین واحدی دعوت می کردند.

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٥٣ ص: ٢٥٥

(آیه ۵۳)- این آیه- به دنبال دعوتی که به وحدت و یگانگی در آیه قبل شد- انسانها را از پراکندگی و اختلاف با این عبارت بر حذر میدارد: «اما آنها کارهای خود را در میان خویش به پراکندگی کشاندند و هر گروهی به راهی رفتند» (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ

بَيْنَهُمْ زُبُراً).

و عجب این که: «هر گروه به آنچه نزد خود دارند خوشحالند» و از دیگران بیزار (کُلُّ حِزْبِ بِما لَدَیْهِمْ فَرِحُونَ).

آیه فوق یک حقیقت مهم روانی و اجتماعی را باز گو می کند و آن تعصب جاهلانه احزّاب و گروههاست که هر یک راه و آئینی را برای خود برگزیده، و دریچههای مغز خود را به روی هر سخن دیگری بستهاند این حالت- که از خودخواهی و حبّ ذات افراطی سر چشمه می گیرد- بزرگترین دشمن تبیین حقایق و رسیدن به اتحاد و وحدت امتهاست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۵۶

سورة مؤمنون(23): آية 34 ص: 256

(آیه ۵۴)– لذا در این آیه میگوید: اکنون که چنین است «آنها را در جهل و غفلتشان بگذار تا زمانی» که مرگشان فرا رسد، یا گرفتار عذاب الهی شوند که این قبیل افراد سرنوشتی غیر از این ندارند (فَذَرْهُمْ فِی غَمْرَتِهِمْ حَتَّی حِینِ).

سورة مؤمنون(٢٣): آية ۵۵ ص: ۲۵۶

(آیه ۵۵)- از آنجا که در آیات گذشته سخن از احزاب و گروههای لجوج و متعصب به میان آمد به بعضی دیگر از پندارهای خود بینانه آنان اشاره کرده، می گوید: «آیا آنها گمان می کنند اموال و فرزندانی را که به آنان داده ایم ...» (أَ یَحْسَ بُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِینَ).

سورة مؤمنون(23): آية 35 ص: 258

(آیه ۵۶)- برای این است که: «درهای خیرات را به سرعت به روی آنها بگشاییم»؟! (نُسارِعُ لَهُمْ فِی الْخَیْراتِ).

آیا آنها داشتن اموال سرشار و فرزندان بسیار را دلیل بر حقانیت روش خود می پندارند و نشانه قرب و عظمت در درگاه خدا میدانند؟

نه، هر گز چنين نيست «بلكه آنها نمي فهمند» (بَلْ لا يَشْعُرُونَ).

آنها نمی دانند که این اموال و فرزندان فراوان در حقیقت یک نوع عذاب و مجازات یا مقدمه عذاب و کیفر برای آنهاست، آنها نمی دانند که خدا می خواهد آنها را در ناز و نعمت فرو برد تا به هنگام گرفتار شدن در چنگال کیفر الهی، تحمل عذاب بر آنها دردناکتر باشد.

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٥٧ ص: ٢٥٦

(آیه ۵۷)- بعد از نفی پندارهای این غافلان خود خواه، چگونگی حال مؤمنان و سرعت کنندگان در خیرات را ضمن چند آیه باز گو می کند.

نخست مي گويد: «مسلما كساني كه از خوف پروردگارشان بيمناكند» (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ).

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٥٨ ص: ٢٥٦

(آیه ۵۸)– سپس اضافه می کند: «و آنان که به آیات پروردگارشان ایمان می آورند» (وَ الَّذِینَ هُمْ بِآیاتِ رَبِّهِمْ یُؤْمِنُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية ٥٩ ص: ٢٥٦

(آیه ۵۹)– بعـد از مرحله ایمـان به آیـات پروردگـار، مرحله تنزیه و پـاک شـمردن او از هر گونه شبیه و شـریک فرا میرسـد، میگوید: «و آنها که به پروردگارشان شرک نمیورزند» (وَ الَّذِینَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا یُشْرِکُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۵۷

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ۶۰ ص: ۲۵۷

(آیه ۶۰)- بعد از این، مرحله ایمان به معاد و رستاخیز و توجه خاصی که مؤمنان راستین به این مسأله دارنـد فرا میرسـد، می گوید: «و کسانی که نهایت تلاش و کوشش را در انجام طاعات به خرج میدهند و با این حال دلهایشان هراسناک است از اینکه سر انجام به سوی پروردگارشان باز می گردند» (وَ الَّذِینَ یُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلی رَبِّهِمْ راجِعُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 61 ص: 257

(آیه ۶۱)- بعد از شرح این صفات چهار گانه میفرماید: «چنین کسانی در خیرات سرعت میکنند و از دیگران پیشی می گیرند» و مشمول عنایات ما هستند (أُولئِکَ یُسارِعُونَ فِی الْخَیْراتِ وَ هُمْ لَها سابِقُونَ).

آیات فوق ترسیم جالب و تنظیم کاملا منطقی برای بیان صفات این گروه از مؤمنان پیشگام است، نخست از ترس آمیخته با احترام و تعظیم که انگیزه ایمان به پروردگار و نفی هر گونه شرک است - شروع کرده و به ایمان به معاد و دادگاه عدل خدا که موجب احساس مسؤولیت و انگیزه هر کار نیک است منتهی می گردد و مجموعا چهار ویژگی و یک نتیجه را بیان می کند - دقت کنید.

سورة مؤمنون(23): آية 67 ص: 257

(آیه ۶۲)- از آنجا که صفات برجسته و ویژه مؤمنان که سر چشمه انجام هر گونه کار نیک است و در آیات قبل به آن اشاره شد، این سؤال را بر میانگیزد که اتصاف به این صفات و انجام این اعمال، کار همه کس نیست، و از عهده همه بر نمی آید. در این آیه به پاسخ پرداخته، می گوید: «ما هیچ کس را جز به مقدار توانائیش تکلیف نمی کنیم» و از هر کس به اندازه عقل و طاقتش می خواهیم (وَ لا نُکَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها).

این تعبیر نشان می دهد که وظائف و احکام الهی در حدود توانایی انسانها است، و در هر مورد بیش از میزان قدرت و توانایی باشد ساقط می شود و به تعبیر علمای اصول، این قاعده بر تمام احکام اسلامی حکومت دارد و بر آنها مقدم است.

و بـاز از آنجـا که ممکن است این سؤال پیش آیـد که چگونه این همه انسانهـا اعمالشان از کوچک و بزرگ، مورد حساب و بررسی قرار می گیرد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۵۸

اضافه می کند: «و نزد ما کتابی است که به حق سخن می گوید (و تمام اعمال بندگان را ثبت و باز گو می کند) و به همین دلیل

هيچ ظلم و ستمى بر آنها نمى شود» (وَ لَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ).

این اشاره به نامههای اعمال و پروندههایی است که همه کارهای آدمی در آن ثبت است و نزد خداوند محفوظ است.

سورةمؤمنون(23): آية 67 ص: 258

(آیه ۶۳) ولی از آنجا که بیان این واقعیات تنها در کسانی اثر می کند که مختصر بیداری و آگاهی دارند بلافاصله اضافه می کند: «ولی دلهای آنها از این نامه اعمال (و روز حساب و آیات قرآن) در بی خبری فرو رفته و اعمال (زشت) دیگری جز این دارند که پیوسته آن را انجام می دهند» (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِی غَمْرَةً مِنْ هذا وَ لَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذَلِکَ هُمْ لَها عامِلُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 64 ص: 258

(آیه ۶۴) – اما آنها در این غفلت و بیخبری همچنان باقی میمانند «تا روزی که مترفین را (آنان که غرق ناز و نعمتند) در چنگال عذاب گرفتار سازیم در این هنگام نعره استغاثه آمیز آنها همچون نعره وحوش بیابان بر میخیزد» و از سنگینی عذاب و مجازات دردناک الهی ناله سر میدهند (حَتَّی إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِیهِمْ بِالْعَذابِ إِذا هُمْ یَجْأَرُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 60 ص: 254

(آیه ۶۵)- ولی به آنها خطاب می شود «فریاد نکنیـد و ناله نزنید که شـما امروز از ناحیه ما یاری نخواهید شد»! (لا تَجْأَرُوا الْیَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 66 ص: 258

(آیه ۶۶) – این آیه در حقیقت بیان علت این سر نوشت شوم است، می گوید:

آیا فراموش کردهاید که: «در گذشته آیات من بطور مداوم بر شما خوانده می شد اما (به جای این که از آن، درس بیاموزید و بیدار شوید) اعراض می کردید و به عقب باز می گشتید» (قَدْ کانَتْ آیاتِی تُتْلی عَلَیْکُمْ فَکُنْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ تَنْکِصُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 67 ص: 258

(آیه ۶۷)- نه تنها در برابر شنیدن آیات الهی عقب گرد می کردید، بلکه: «در برابر آن حالت استکبار به خود می گرفتید» (مُسْتَكْبِرینَ بِهِ).

و علاموه بر این «جلسات شب نشینی تشکیل میدادید و (از پیامبر و قرآن و مؤمنان) بـد گویی مینمودیـد» (سامِراً تَهْجُرُونَ). یعنی شبها تا مدت طولانی بیدار برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۵۹

میمانید و همچون بیماران هذیان می گویید و فحش و ناسزا میدهید.

سورة مؤمنون(23): آية ۶۸ ص: ۲۵۹

(آیه ۶۸)- بهانههای رنگارنگ منکران: در تعقیب آیات گذشته که سخن از اعراض و استکبار کفار در برابر پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله بود در اینجما از بهانههایی که ممکن است آنها برای خود در این زمینه بتراشند و پاسخ دندانشکن آن سخن می گوید، ضمنا علل واقعی اعراض آنها را نیز شرح می دهد که در پنج قسمت خلاصه می شود:

نخست مي گويد: «پس آيا آنها در اين گفتار (آيات الهي) تدبر و انديشه نكردند»؟ (أَ فَلَمْ يَدَّبَرُوا الْقَوْلَ).

آری! نخستین عالم بدبختی آنها تعطیل اندیشه و تفکر در محتوای دعوت تو است، که اگر بود مشکلات آنها حل می شد. در دومین مرحله می گوید: «یا این که مطالبی برای آنها آمده است که برای نیاکانشان نیامده»؟! (أَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ یَأْتِ آباءَهُمُ الْأَوَّلَينَ).

یعنی اگر توحید و معاد و دعوت به نیکیها و پاکیها تنها از ناحیه تو بود، ممکن بود بهانه کنند که اینها سخنان نو ظهوری است.

سورة مؤمنون(23): آية 69..... ص: 259

(آیه ۶۹) - در سومین مرحله می گوید: «یا این که آنها پیامبرشان را نشناختند (و از سوابق او آگاه نیستند) لـذا او را انکـار می کنند» (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ).

یعنی اگر این دعوت از ناحیه شخص مرموز یا مشکو کی صورت گرفته بود ممکن بود بگویند نمی توان به ظاهر سخنانش فریب خورد.

ولی اینها سابقه تو را به خوبی می دانند، در گذشته تو را «محمّ د امین» می خواندند به عقل و دانش و امانت تو معترف بودند، پس جایی برای این گونه بهانه ها نیز نیست.

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ٧٠ ص: ٢٥٩

(آیه ۷۰)- در چهارمین مرحله می گوید: «یا این که می گویند: او دیوانه است»؟! (أُمْ یَقُولُونَ بِهِ جِنَّهُ).

یعنی شخص او را به خوبی می شناسیم، اما به عقل و فکر او ایمان نداریم، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۶۰

چه بسا این سخنان را از روی جنون می گوید، چرا که با افکار عمومی محیط هماهنگ نیست.

قرآن بلافاصله برای نفی این بهانهجویی می گوید: «بلکه پیامبر برای آنها حق آورده است» و سخنانش گواه بر این حقیقت است (بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ).

عيب كار اينجاست كه «بيشتر آنها از حق كراهت دارند» و گريزانند! (وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية ٧١ ص: 260

(آیه ۷۱) - در حالی که هیچ لزومی ندارد که حق تابع تمایلات مردم باشد «و اگر حق از هوسهای آنها پیروی کند (و جهان هستی بر طبق تمایل آنها گردش داشت) آسمانها و زمین و همه کسانی که در آنها هستند تباه می شوند»! (وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهُواءَهُمْ لَفَسَ دَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِیهِنَّ). زیرا هوی و هوسهای مردم معیار و ضابطهای ندارد، بلکه در بسیاری از موارد به سوی زشتیها می گراید.

سپس برای تأکید بیشتر روی این موضوع می گوید: «ولی ما قرآنی به آنها دادیم که مایه یاد آوری (و عزّت و شرف) برای

آنهاست، ولى آنها از (آنچه مايه) ياد آوريشان (است) روى گردانند» (بَلْ أَتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 22 ص: 250

(آیه ۷۲) - در پنجمین و آخرین مرحله می گوید: «یا این که تو از آنها اجر و مزد و هزینهای (در برابر دعوتت) میخواهی با این که مزد پروردگارت بهتر، و او بهترین روزی دهندگان است» (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَوْجاً فَخَراجُ رَبِّکَ خَیْرٌ وَ هُوَ خَیْرُ الرَّازِقِینَ). قرآن با بیان گویایی که در این پنج مرحله بیان داشته روشن می سازد که این کور دلان تسلیم حق نیستند و عذرهایی که برای توجیه مخالفت خود ذکر می کنند بهانه های بی اساس بیش نیستند.

سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۷۳ ص: ۲۶۰

(آیه ۷۳)- در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری کلی از آنچه گذشت چنین می گوید: «بطور قطع و یقین تو آنها را به صراط مستقیم دعوت می کنی» (وَ إِنَّکَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيم).

گر چه در بعضی از روایات اسلامی «صراط مستقیم» به ولایت علی علیه السّلام برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۶۱ تفسیر شده ولی این گونه روایات بیان بعضی از مصداقهای روشن است، و هیچ منافات با وجود مصادیق دیگر مانند قرآن و ایمان به مبدء و معاد و تقوی و جهاد ندارد.

سورة مؤمنون(23): آية 24 ص: 281

(آیه ۷۴)- و نتیجه طبیعی این موضوع همان است که در این آیه باز گو میکند: «و کسانی که به آخرت ایمان ندارنـد بطور مسلم از این صراط منحرفند» (وَ إِنَّ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناکِبُونَ).

منظور از «صراط» در این آیه همان صراط مستقیم در آیه قبل است.

از آیات فوق ضمنا بخشی از صفات رهبران راه حق روشن می گردد:

آنها همیشه مردمی بودنـد شـناخته شـده به نیکیها که در ترویـج مکتب حق اصـرار میورزنـد هر چنـد ناخوشایند گروه کثیری باشد.

دیگر این که آنها در برابر دعوت خویش پاداش مادی نمی طلبند.

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٧٥ ص: ٢٦١

(آیه ۷۵) - طرق مختلف بیدار سازی الهی: از آنجا که در آیات گذشته سخن از بهانه های مختلفی بود که منکران حق برای سر پیچی از دعوت پیامبران عنوان می کردند، در اینجا خداوند از طرق اتمام حجت و بیدار سازی آنها سخن می گوید. نخست می فرماید: گاه آنها را مشمول نعمت خود می سازیم تا بیدار شوند «و اگر به آنان رحم کنیم و گرفتاریها و مشکلاتشان را بر طرف سازیم (نه تنها بیدار نمی شوند، بلکه) در طغیانشان لجاجت می ورزند و (در این وادی) سر گردان می مانند»! (وَ لَوْ

رَحِمْناهُمْ وَ كَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 76 ص: 251

(آیه ۷۶) و گاه آنها را با حوادث دردناک گوش مالی می دهیم تا اگر از طریق رحمت و نعمت بیدار نشدند از این راه بیدار شوند، ولی این کار نیز در آنها مؤثر نیست، زیرا «ما آنها را به عذاب و بلا گرفتار ساختیم اما آنها نه در برابر پروردگارشان تواضع و انقیادی نشان دادند و نه به درگاه او توجه و تضرع می کنند» (وَ لَقَدْ أَخَدْناهُمْ بِالْدَذابِ فَمَا اسْ تَکانُوا لِرَبِّهِمْ وَ ما يَتَضَرَّعُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 27 ص: 281

(آیه ۷۷)- به هر حال ما به این رحمتها و نعمتها و مجازاتهای بیدار کننده همچنان ادامه میدهیم و آنها نیز به طغیان و سر کشی و لجاجتشان، «تا هنگامی که دری از عذاب شدید به روی آنها بگشاییم و چنان گرفتار میشوند که ناگهان بکلی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۶۲

مأيوس گردند» (حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بِابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ).

در واقع خداونـد دو نوع مجازات دارد «مجازاتهای تربیتی» و «مجازاتهای پاکسازی و استیصال» هـدف در مجازاتهای قسم اول آن است که در سختی و رنج قرار گیرند و ضعف و ناتوانی خود را دریابند و از مرکب غرور پیاده شوند.

ولی هـدف در قسم دوم که در مـورد افراد غیر قابـل اصـلاح صـورت میگیرد این است که به حکم فرمـان آفرینش ریشه کن شوند.

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٧٨ ص: ٢٦٢

(آیه ۷۸) – قرآن بعد از این بیان، از طریق دیگر وارد می شود و به ذکر نعمتهای الهی برای تحریک حس شکر گزاری آنها پرداخته، می گوید: «و او کسی است که برای شما گوش و چشم و قلب [عقل] ایجاد کرد، اما کمتر شکر او را به جا می آورید» (وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِیلًا ما تَشْکُرُونَ).

تکیه بر این سه موضوع (گوش و چشم و عقل) به خاطر آن است که ابزار اصلی شناخت انسان این سه میباشد، مسائل حسی را غالبا از طریق چشم و گوش درک می کند و مسائل غیر حسی را به وسیله نیروی عقل.

سورة مؤمنون(23): آية ٧٩ ص: 267

(آیه ۷۹)– در این آیه به یکی از مهمترین آیات پروردگار، یعنی خلقت انسان از این زمین خاکی پرداخته، چنین میگویـد: «و او کسی است که شما را در زمین آفرید» (وَ هُوَ الَّذِی ذَرَأَکُمْ فِی الْأَرْضِ).

و چون از زمین آفریـده شـدهاید باز به زمین باز می گردید و دیگر بار بر انگیخته شده «به سوی او جمع و محشور میشوید» (وَ إَلَيْهِ تُحْشَرُونَ).

و اگر در آفرینش خودتان از خاک بیارزش بیندیشید، کافی است که هستی بخش را بشناسید و نیز امکان مسأله معاد را دریابید.

سورة مؤمنون(23): آية 80 ص: 262

(آیه ۸۰)- بعد از ذکر مسأله آفرینش انسان به مسأله مرگ و حیات و آمد و شد شب و روز که از آیات بزرگ پروردگار است پرداخته، چنین می گوید: «و او کسی است که زنده می کند و می میراند و آمد و شد شب و روز از آن اوست، آیا اندیشه نمی کنید»؟! (وَ هُوَ الَّذِی یُحْیِی وَ یُمِیتُ وَ لَهُ اخْتِلافُ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۶۳ و به این ترتیب در آیات سه گانه اخیر از انگیزه شناخت پروردگار شروع کرده و با ذکر بخشی از مهمترین آیات انفسی و آفاقی بحث را پایان می دهد.

سورهٔ مؤمنون(۲۳): آیهٔ ۸۱ ص: ۲۶۳

(آیه ۸۱)– در این آیه اضافه می کند: اینها اندیشه و عقل را رها کرده و کور کورانه از نیاکان خود تقلید می کنند، «آنها همان می گویند که پیشینیانشان می گفتند» (بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الْأَوَّلُونَ).

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٨٢ ص: ٢٦٣

(آیه ۸۲)– «آنهـا (از روی تعجب) میگفتنـد: آیـا هنگـامی که ما مردیم و خاک و اسـتخوان (پوسـیده) شـدیـم آیا بار دیگر بر انگیخته خواهیـم شد»؟! (قالُوا أَ إِذا مِثْنا وَ کُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 83 ص: 252

(آیه ۸۳) – این باور کردنی نیست! «این وعده به ما و پدرانمان از قبل داده شده و این فقط افسانه های پیشینیان است» (لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَ آباؤُنا هذا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ).

سورة مؤمنون(23): آية 84 ص: 252

(آیه ۸۴) – و از آنجا که کفار و مشرکان بیش از همه از مسأله معاد وحشت داشتند و به همین دلیل با انواع بهانه ها و لطائف الحیل میخواستند شانه از زیر بار آن خالی کنند، قرآن نیز مشروحا و بطور مؤکد از معاد سخن می گوید. و جالب این که در هر مورد از خود مشرکان اعتراف می گیرد و سخن آنها را به خودشان باز می گرداند. نخست می گوید: «بگو: زمین و کسانی که در زمینند از آن کیست، اگر شما می دانید»؟! (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِیها إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 85 ص: 253

(آیه ۸۵)- سپس اضافه می کند: آنها بر اساس ندای فطرت و اعتقادی که به خداوند آفریننده هستی دارند «به زودی (در پاسخ تو) می گویند: (مالکیت زمین و آنچه در آن است) همه از آن خداست» (سَیَقُولُونَ لِلَّهِ). ولی تو به آنها «بگو: اکنون که چنین است (و خود شما نیز اعتراف دارید) آیا متذکر نمی شوید» (قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ). با این اعتراف صریح و روشن چگونه زنده شدن انسان را بعد از مرگ بعید می شمرید؟ و از قدرت فراگیر خداوند بزرگ دور می دانید؟

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۶۴

سورة مؤمنون(23): آية 86 ص: 264

(آیه ۸۶)– دگر بار دستور میدهد از آنها سؤال کن و «بگو: چه کسی پروردگار آسمانهای هفتگانه و پروردگار عرش عظیم است»؟! (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَوْشِ الْعَظِیمِ).

سورة مؤمنون(23): آية 87 ص: 754

(آیه ۸۷)– باز آنها روی همان فطرت توحیدی و اعتقادی که به الله به عنوان خالق هستی دارنـد «می گویند: (همه اینها) از آن خداست» (سَیَقُولُونَ لِلَّهِ).

با این اقرار آشکار به آنها «بگو شما (که خود به این واقعیت معترفید) چرا از خدا نمی ترسید» و منکر قیامت و باز گشت مجدد انسان به زندگی میشوید؟! (قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية ٨٨ ص: 264

(آیه ۸۸)- بـار دیگر از آنهـا در باره حاکمیت بر آسـمانها و زمین سؤال کن و «بگو: چه کسـی حکومت همه موجودات را در دست دارد»؟! (قُلْ مَنْ بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَيْءٍ).

«و چه کسی به بیپناهان پناه می دهد و نیاز به پناه دادن ندارد»؟! (وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ).

«اگر راستی از این واقعیتها آگاهید» (إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 84 ص: 254

(آیه ۸۹)- دیگر بار زبان به اعتراف می گشایند و «می گویند: (ملکوت و حاکمیت و حمایت و پناه دادن در این عالم) منحصر به خداست» (سَیَقُولُونَ لِلَّهِ).

«بگو: با این حال چگونه (می گویید پیامبر صلّی اللّه علیه و آله شما را سحر کرده و) مسحور او شدهاید»؟ (قُلْ فَأَنّى تُشحَرُونَ).

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٩٠ ص: ٢۶۴

(آیه ۹۰)– سر انجام به عنوان یک جمع بندی و نتیجه گیری فشرده و کوتاه میفرماید: نه سحر است و نه جادو و نه چیز دیگر، «بله ما حق را برای آنها آوردیم و روشن ساختیم و آنها دروغ می گویند» (بَلْ أَتَیْناهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ).

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٩١ ص: ٢٦٤

(آیه ۹۱)– شـرک جهان را به تباهی میکشد: در آیات گذشته بحثهایی در زمینه معاد و مالکیت و ربوبیت پروردگار بیان شد، در اینجا به مسأله نفی شرک پرداخته، قسمتی از انحرافات مشرکان را مطرح کرده، و به آن پاسخ میگوید.

نخست می فرماید: «خداوند هرگز فرزندی برای خود انتخاب نکرده و معبود برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۶۵ دیگری با او نیست» (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما کانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ).

مسیحیان عیسی را فرزند حقیقی! او میخوانند و مشرکان نیز فرشتگان را دختران خدا میپنداشتند.

سپس به بیان دلیل بر نفی شرک پرداخته، چنین می گوید: «اگر چنین می شد، هر یک از خدایان مخلوقات خود را تدبیر و اداره می کردند» (إذاً لَذَهَبَ کُلُّ إلهٍ بِما خَلَقَ).

و طبعا هر بخشی از عالم با نظام خاصی اداره میشد و این با وحدت نظامی که بر آن حاکم میبینیم سازگار نیست.

به علاوه هر یک از این خدایان برای گسترش قلمرو و حکومت خود سعی داشتند «بعضی بر بعضی دیگر برتری جویند» و این خود سبب دیگری برای از هم گسیختگی نظام جهان می شد (وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلی بَعْض).

و در پایان آیه به عنوان یک نتیجه گیری کلی می فرماید: «منزه است خدا از آنچه انان توصیف می کنند» (سُر بُحانَ اللَّهِ عَمَّا یَصِفُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 92 ص: 268

(آیه ۹۲) - این آیه پاسخ دیگری به این مشرکان بیهوده گو است می گوید:

«خداوند از غيب و شهود (پنهان و آشكار) آگاه است» (عالِم الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ).

او هرگز چیزی را به نام خدایانی که شما ادعا می کنید سراغ ندارد.

مگر ممکن است در عالم خدای دیگری باشد و شما از آن آگاه باشید اما خداوندی که خالق شماست و غیب و شهود جهان را میداند از آن بیخبر باشد؟

و سر انجام با این جمله خط بطلان بر پندارهای خرافی آنها می کشد: «پس خداوند برتر است از آنچه آنها (می گویند و) برای او شریک قائل می شوند» (فَتَعالی عَمَّا یُشْر کُونَ).

این جمله ضمنا تهدیدی برای مشرکان است که خداوند از اسرار درون و برون آنها آگاه است و تمام این سخنان را میداند و به موقع آنان را در دادگاه عدل خویش محاکمه و مجازات خواهد کرد.

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٩٣ ص: ٢٦٥

(آیه ۹۳)- این آیه هدف آیات گذشته را که تهدید کفار و مشرکان لجوج به عذابهای الهی است، تعقیب می کند، می گوید: ای پیامبر! «بگو: پروردگار من! اگر برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۶۶

عذابهایی را که به آنان وعده داده میشود به من نشان دهی» و در زندگیم آن را ببینم (قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 94 ص: 768

(آیه ۹۴)- «پروردگارا! مرا در این عذابها با گروه ستمگر قرار مده» (رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِی فِی الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ). منظور از این عذاب مجازاتهای دنیوی است که خداوند دامنگیر مشرکان ساخت.

سورة مؤمنون(23): آية 95 ص: 768

(آیه ۹۵) - و باز برای تأکید بیشتر روی این موضوع و نفی هر گونه شک و تردید از دشمنان و دلداری و تسلی خاطر به پیامبر صلّی الله علیه و آله و مؤمنان در این آیه اضافه می کند: «و ما قادریم که آنچه را (از عذاب) به آنها وعده می دهیم به تو نشان دهیم» (وَ إِنَّا عَلی أَنْ نُرِیَکَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ).

و چنانکه میدانیم این قدرت پروردگار در صحنههای مختلف بعد از آن تاریخ- از جمله در صحنه جنگ بـدر- به مرحله فعلیت در آمد.

سورة مؤمنون(23): آية 96 ص: 766

(آیه ۹۶)- سپس به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور میدهـد که با این گروه مدارا کن و «بدی را به بهترین راه و روش دفع کن» و پاسخ بدی را به نیکی ده! (ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَةُ).

در این راه عجله و شتابی نداشته باشد و بدان «ما به آنچه (آنها می گویند و) توصیف می کنند آگاهتریم» (نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ).

می دانیم حرکات ناشایست و گفتار خشن و انواع اذیت و آزار آنها تو را ناراحت می کند، اما تو بدی را با نیکی پاسخ ده که این دستور این خود یکی از مؤثر ترین روشها برای بیدار کردن غافلان و فریب خوردگان است ولی ناگفته پیداست که این دستور مخصوص مواردی است که دشمن از آن سوء استفاده نکند.

سورهٔ مؤمنون(٢٣): آيهٔ ۹۷ ص: ۲۶۶

(آیه ۹۷) – ولی در عین حال باز هم خودت را به خدا بسپار «و بگو: پروردگارا! من از وسوسههای شیاطین به تو پناه می برم» (وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِکَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ).

سورة مؤمنون(23): آية 98 ص: 268

(آیه ۹۸) – نه تنها از وسوسه های اغفال کننده آنها، بلکه بگو: «به تو پناه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۶۷ می برم از این که آنها نزد من حاضر شوند» (وَ أَعُوذُ بِکَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ).

و در جلسات من حضور یابند که حضورشان نیز اغوا کننده و زیانبار است.

به این ترتیب همه رهروان راه حق باید بطور مداوم از القائات شیطانی بر حذر باشند و همیشه خود را از این نظر در پناه پروردگار قرار دهند.

سورة مؤمنون(٢٣): آية ٩٩ ص: ٢٦٧

(آیه ۹۹)- تقاضای ناممکن! در تعقیب بحثهایی که در آیات قبل پیرامون سر سختی مشرکان و گنهکاران در مسیر باطلشان گذشت، در اینجا وضع دردناکشان را به هنگامی که در آستانه مرگ قرار می گیرند چنین توصیف می کند: آنها به این راه غلط خود همچنان ادامه می دهند «تا هنگامی که مرگ یکی از آنها فرا رسد» (حَتَّی إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ).

در این هنگام که خود را در حال بریدن از این جهان و قرار گرفتن در جهان دیگر میبیند، پردههای غرور و غفلت از مقابل دیدگانش کنار میرود گویی سر نوشت دردناک خویش را با چشم میبیند، عمر و سرمایههای از دست رفته و کوتاهیهایی را که در گذشته کرده و گناهانی را که مرتکب شده، عواقب شوم آن را مشاهده میکند.

اینجاست که فریاد او بلند می شود و «می گوید: ای پروردگار من! مرا باز گردانید»! (قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ).

سورة مؤمنون(23): آية ١٠٠ ص: 287

(آیه ۱۰۰)- مرا باز گردانید «شاید (گذشته خود را جبران کنم و) عمل صالحی در برابر آنچه ترک گفتم به جا آورم» (لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ).

اما از آنجا که قانون آفرینش چنین اجازه باز گشتی را به هیچ کس، نه نیکو کار و نه بد کار، نمی دهد، به او چنین پاسخ داده می شود: «نه! هرگز» راه باز گشتی وجود ندارد (کَلَّا).

«این سخنی است که او به زبان می گوید» (إنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها).

سخنی که هرگز از اعماق دلش با اراده و آزادی بر نخواسته است و هر وقت امواج بلا فرو بنشیند باز همان برنامه سابق خود را ادامه می دهد.

و در پایان آیه، اشاره بسیار کوتاه و پر معنی به جهان اسرار آمیز برزخ کرده، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۶۸ میگوید: «و در پشت سر آنها تا روزی که بر انگیخته میشوند برزخی وجود دارد» (وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخُ إِلَی یَوْم یُبْعَثُونَ) «۱».

سورة مؤمنون(23): آية 101 ص: 258

(آیه ۱۰۱)- گوشهای از مجازات بد کاران: در آیات گذشته چنانکه دیدیم سخن از جهان برزخ در میان بود، و در اینجا سخن از قیامت و قسمتی از حالات مجرمان در آن جهان است.

نخست چنین می گوید: «پس هنگامی که در صور [شیپور] دمیده شود هیچ یک از پیوندهای خویشاوندی میان آنها در آن روز نخواهد بود و از یکدیگر تقاضای کمک نمی کنند، چون کاری از کسی ساخته نیست (فَإِذَا نُفِـ خَ فِی الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَیْنَهُمْ یَوْمَئِذٍ وَ لا یَتَساءَلُونَ).

طبق آیات قرآن دو بار «نفخ صور» میشود: یک بار به هنگام پایان گرفتن این جهان، و پس از آن تمام کسانی که در آسمانها و زمین هستند میمیرند و مرگ سراسر عالم را فرا خواهد گرفت و پس از نفخ دوم، رستاخیز مردگان آغاز می گردد و انسانها به حیات نوین باز می گردند، و آماده حساب و جزا میشوند.

به هر حال در آیه فوق به دو قسمت از پدیده های قیامت اشاره شده: یکی از کار افتادن نسبهاست، زیرا رابطه خویشاوندی و قبیله ای که حاکم بر نظام زندگی مردم این جهان است سبب می شود که افراد مجرم از بسیاری از مجازاتها فرار کنند، و یا در حل مشکلاتشان از خویشاوندان کمک گیرند، اما در قیامت انسان است و اعمالش، و هیچ کس نمی تواند حتی از برادر و

فرزند و پدرش دفاع كند و يا مجازات او را به جان بخرد.

دیگر این که: آنها چنان در وحشت فرو میروند که از شدت ترس حساب و کیفر الهی از حال یکدیگر به هیچ وجه سؤال نمی کنند، آن روز روزی است که مادر از کودک شیر خوارش غافل می شود، و برادر، برادر خود را فراموش می کند مردم همچون مستان بنظر می رسند ولی مست نیستند، عذاب خدا شدید است!

(۱) واژه «برزخ» در اصل به معنی چیزی است که در میان دو شیء حائل می شود و روی همین جهت به عالمی که میان دنیا و عالم آخرت قرار گرفته برزخ گفته می شود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۶۹

سورة مؤمنون(23): آية 102 ص: 269

(آیه ۱۰۲)- بعد از قیام قیامت، نخستین مسأله، مسأله سنجش اعمال است با میزان مخصوصی که در آن روز برای این کار تعیین شده، گروهی اعمال پر وزنی دارند که ترازوی اعمال را سنگین می کند، در باره این گروه می فرماید: «کسانی که وزنه اعمالشان سنگین است همان رستگارانند» (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِینُهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

بطوری که از روایات مختلف بر می آید میزان سنجش اعمال انسانها و حتی خود انسانها در آن روز پیشوایان بزرگ و انسانهای نمونهاند.

بنا بر این انسانها و اعمالشان را با پیامبران بزرگ و اوصیای آنها مقایسه می کنند، و در این مقایسه روشن می شود که تا چه اندازه به آنها شباهت دارند.

سورة مؤمنون(23): آية ١٠٣ ص: 269

(آیه ۱۰۳)- «و اما آنها که (بر اثر نداشتن ایمان و عمل صالح) وزنه اعمالشان سبک (یا بیوزن) باشـد کسانی هسـتند که سرمایه وجود خود را از دست داده (و زیاد کردند) در جهنم جاودانه خواهند ماند» (وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِینُهُ فَأُولِئِکَ الَّذِینَ خَسِـرُوا أَنْفُسَهُمْ فِی جَهَنَّمَ خالِدُونَ).

آنها بزرگترین سرمایه یعنی هستی خویش را در این بازار تجارت دنیا از دست دادنـد بیآنکه در برابر آن چیز ارزشـمندی به دست آورند.

سورة مؤمنون(23): آية ١٠٤ ص: 269

(آیه ۱۰۴) این آیه بخشی از عذابهای دردناک آنها را چنین شرح میدهد:

«شعلههای گرم و سوزان آتش، همچون شمشیر به صورتهای آنها نواخته می شود» (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ).

«و آنها (از شدت ناراحتی و عذاب) در دوزخ چهرهای عبوس (و در هم کشیده) دارند» (وَ هُمْ فِیها کالِحُونَ). بطوری که لبهایشان از هم باز میماند.

سورة مؤمنون(23): آية 100 ص: 759

(آیه ۱۰۵) - در آیات گذشته سخن از مجازات دردناک دوزخیان بود، و در تعقیب آن گوشهای از گفتگوی پروردگار را با آنها باز گو می کند نخست خداوند آنها را با این سخن عتاب آمیز مخاطب ساخته، می فرماید: «آیا آیات من بر شما خوانده نمی شد پس آن را تکذیب می کردید»؟ (أَ لَمْ تَكُنْ آیاتِی تُتْلی عَلَیْكُمْ فَكُنْتُمْ بِها تُكَذُّبُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۷۰

سورة مؤمنون(23): آية ۱۰۶ ص: ۲۷۰

(آیه ۱۰۶)– آنها در پاسخ این سؤال اعتراف می کنند و «می گویند: (آری چنین است) پروردگارا! بدبختی ما، بر ما چیره شد، و ما قوم گمراهی بودیم» (قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَیْنا شِقْوَ تُنا وَ کُنَّا قَوْماً ضالِّینَ).

سورهٔ مؤمنون(23): آیهٔ ۱۰۷ ص: ۲۷۰

(آیه ۱۰۷)– شایـد با این اعترافات میخواهنـد جلب رحمت پروردگار کننـد لذا بلافاصـله اضافه میکنند: «پروردگارا! ما را از این آتش بیرون ببر» و به دنیا باز گردان تا عمل صالح انجام دهیم (رَبَّنا أُخْرِجْنا مِنْها).

«هر گاه بار دیگر برنامههای سابق را تکرار کردیم ما قطعا ستمگریم» و شایسته عفو تو نخواهیم بود (فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ). آنها این سخن را در حالی می گویند که گویی از این واقعیت بیخبرند که سرای آخرت دار جزاست نه عمل، و باز گشت به دنیا دیگر امکانپذیر نیست.

سورة مؤمنون(23): آية 108 ص: 270

(آیه ۱۰۸)- به همین دلیل با قاطعیت تمام به آنها پاسخ داده می شود خداوند «می گوید: دور شوید (و همچنان در دوزخ بمانید، خاموش شوید) و با من سخن مگوئید»! (قالَ اخْسَؤُا فِیها وَ لا تُکَلِّمُونِ).

سورة مؤمنون(23): آية 109 ص: 270

(آیه ۱۰۹)– سپس دلیل این سخن را چنین بیان می کند: آیا فراموش کردهاید «که گروهی از بندگانم می گفتند: پروردگارا! ما ایمـان آوردیم، مـا را ببخش و بر ما رحم کن، و تو بهترین رحم کننـدگانی»؟! (إِنَّهُ کانَ فَرِیقٌ مِنْ عِبادِی یَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَیْرُ الرَّاحِمِینَ).

سورة مؤمنون(23): آية 110 ص: 274

(آیه ۱۱۰)- «اما شـما آنها را به باد مسخره گرفتید (و آنقدر در این کار اصرار کردید) تا شما را از یاد من غافل کردند و شما به آنان میخندیدید» (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِیًّا حَتَّی أَنْسَوْکُمْ ذِکْرِی وَ کُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَکُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 111 ص: 270

(آیه ۱۱۱)- «ولی من امروز به خاطر آن صبر و استقامت و پایمردی (در مقابل آن همه استهزا و عدم تزلزل در برنامههای الهیشان) آنها را پاداش دادم، آنها پیروز و رستگارند» (إِنِّی جَزَیْتُهُمُ الْیَوْمَ بِما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ).

و اما شما ... شما امروز در بدترین حالات و دردناکترین عذاب گرفتارید و کسی به فریادتان نمیرسد و باید هم چنین باشید که مستحق این کیفرید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۷۱

سورة مؤمنون(23): آية 112 ص: 271

(آیه ۱۱۲)- کوتاهی عمر این جهان: در تعقیب آیات گذشته در اینجا نوعی دیگر از مجازاتهای روانی دوزخیان که به صورت سرزنشهای الهی است مطرح شده نخست می گوید: در آن روز خداوند آنها را مخاطب قرار داده «می گوید: چند سال در روی زمین توقف (و زندگی) کردید»؟ (قالَ کَمْ لَبِئْتُمْ فِی الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِینَ).

سورة مؤمنون(23): آية 113 ص: 271

(آیه ۱۱۳)– اما آنها در این مقایسه زنـدگی دنیا را به قـدری کوتاه میبینند که «در پاسخ میگویند: ما تنها به اندازه یک روز، یا (حتی کمتر از آن) به اندازه بعضی از یک روز، در دنیا توقف داشتیم» (قالُوا لَبِثْنا یَوْماً أَوْ بَعْضَ یَوْم).

در حقیقت عمرهای طولانی در دنیا گویی لحظه های زود گذری هستند در برابر زندگی آخرت، که هم نعمتهایش جاویدان است و هم مجازاتهایش نامحدود.

سپس برای تأکید سخن خود، یا برای این که پاسخ دقیقتری گفته باشند، عرض می کنند: خداوندا! «از آنها که می توانند بشمارند بپرس»! (فَسْئَلِ الْعادِّينَ).

سورة مؤمنون(23): آية 114 ص: 271

(آیه ۱۱۴)- اینجاست که خداوند به عنوان سر زنش و توبیخ به آنها «می گوید:

(آرى) شما مقدار كمى (در دنيا) توقف كرديد اگر مىدانستيد» (قالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

سورة مؤمنون(23): آية 110 ص: 271

(آیه ۱۱۵)- در این آیه از راهی دیگر، راهی بسیار مؤثر و آموزنده برای بیدار ساختن این گروه وارد بحث می شود و می گوید: «آیا گمان کردید که ما شما را بیهوده آفریده ایم، و به سوی ما بازگشت نخواهید کرد»؟! (أَ فَحَسِ بْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّکُمْ إِلَیْنا لا تُرْجَعُونَ).

این جمله کوتاه و پر معنی یکی از زنده ترین دلائل رستاخیز و حساب و جزای اعمال را بیان می کند، و آن این که اگر راستی قیامت و معادی در کار نباشد زندگی دنیا عبث و بیهوده خواهد بود، زیرا زندگی این جهان با تمام مشکلاتی که دارد و با این همه تشکیلات و مقدمات و برنامههایی که خدا برای آن چیده است اگر صرفا برای همین چند روز باشد بسیار پوچ و بیمعنی میباشد.

سورة مؤمنون(23): آية 116 ص : 271

(آیه ۱۱۶) و از آنجا که این گفتار یعنی عبث نبودن خلقت، سخن مهمی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۷۲ است که نیاز به دلیل محکم دارد در این آیه اضافه می کند: «پس برتر است خداوندی که فرمانروای حق است (از این که شما را بی هدف آفریده باشد) معبودی جز او نیست و او پروردگار عرش کریم است» (فَتَعالَی اللَّهُ الْمَلِ-کُ الْحَقُّ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعُوْشِ الْکُرِیم).

سورة مؤمنون(23): آية ١١٧ ص: 277

(آیه ۱۱۷) – رستگاران و نارستگاران: از آنجا که در آیات گذشته سخن از مسأله «معاد» بود در این آیه اشاره به توحید و نفی هر گونه شرک کرده و بحث «مبدء و معاد» را به این وسیله تکمیل کرده، می فرماید: «و هر کس با خدا معبود دیگری را بخواند – و مسلما هیچ دلیلی بر آن نخواهد داشت – حساب او نزد پروردگارش خواهد بود» (وَ مَنْ یَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرُهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ).

آرى! مشركان معاد را با آن دلائل روشن انكار مىكنند اما شرك را با نداشتن هيچ گونه دليل پذيرا مىشوند.

و در پایان آیه می فرماید: «یقینا کافران رستگار نخواهند شد» (إنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ).

چه جالب است که این سوره با «قَدْ أَفْلَـحَ الْمُؤْمِنُونَ» آغاز شـد و با «لا یُفْلِـحُ الْکافِرُونَ» بحثهایش به پایان میرسد، و این است دور نمای زندگی مؤمنان و کافران از آغاز تا انجام.

سورة مؤمنون(23): آية ۱۱۸ ص: ۲۷۲

(آیه ۱۱۸) – در آخرین آیه این سوره شریفه به عنوان یک نتیجه گیری کلی روی سخن را به پیامبر گرامی صلّی اللّه علیه و آله کرده، می گویـد: «بگو: پروردگارا! مرا ببخش، و مشـمول رحمت خود قرار ده و تو بهترین رحم کننـدگانی» (وَ قُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وَ أَنْتَ خَیْرُ الرَّاحِمِینَ).

اکنون که گروهی در بیراهه شرک سرگردانند و جمعی گرفتار ظلم و ستم، تو خود را به خدا بسپار و در پناه لطف و رحمت او قرار ده و از او آمرزش و غفران بطلب.

«پایان سوره مؤمنون»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۷۳

سوره نور [۲۴] ص: ۲۷۳

محتوای سوره: ص : 273

این سوره را در حقیقت می توان سوره پاکـدامنی و عفت و مبـارزه با آلودگیهای جنسـی دانست که در چنـد مرحله پیاده شـده است.

مرحله اول بیان مجازات شدید زن و مرد زنا کار است که در دومین آیه این سوره با قاطعیت تمام مطرح گردیده. مرحله دوم به این امر میپردازد که اجرای این حد شدید مسأله سادهای نیست، و از نظر موازین قضائی اسلام شرط سنگینی دارد.

در مرحله سوم برای این که تصور نشود اسلام تنها به برنامه مجازات گنهکار قناعت می کند به یکی از مهمترین راههای پیشگیری از آلودگیهای جنسی پرداخته، مسأله نهی از چشم چرانی مردان نسبت به زنان و زنان نسبت به مردان و موضوع حجاب زنان مسلمان را پیش کشیده چرا که تا دو مسأله چشم چرانی و بی حجابی ریشه کن نشوند آلودگیها بر طرف نخواهد شد.

مرحله چهارم باز به عنوان یک پیشگیری مهم از آلوده شدن به اعمال منافی عفت دستور ازدواج سهل و آسان را صادر می کند.

مرحله پنجم بخشی از آداب معاشرت اصول تربیت فرزندان نسبت به پدران و مادران را در همین رابطه بیان می کند. مرحله ششم بخشی از مسائل مربوط به توحید و مبدء و معاد و تسلیم بودن برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۷۴ در برابر فرمان پیامبر را ذکر می کند.

ضمنا به مناسبت بحثهای مربوط به ایمان و عمل صالح سخن از حکومت جهانی مؤمنان صالح العمل به میان آمده است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 274

در حدیثی از امام صادق علیه السّر لام میخوانیم: «اموال خود را از تلف و دامان خود را از ننگ بیعفتی حفظ کنید به وسیله تلاوت سوره نور، و زنانتان را در پرتو دستوراتش از انحرافات مصون دارید که هر کس قرائت این سوره را در هر شبانه روز ادامه دهد احدی از خانواده او هرگز تا پایان عمر گرفتار عمل منافی عفت نخواهد شد».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة النور (24): آية 1 ص: 274

(آیه ۱)– میدانیم نام این سوره، سوره نور است به خاطر آیه نور که یکی از چشمگیرترین آیات سوره است.

نخستین آیه این سوره در حقیقت اشاره اجمالی به مجموع بحثهای سوره دارد، می گوید: این «سورهای است که آن را فرو فرستادیم (و عمل به آن را) واجب نمودیم، و در آن آیات روشنی نازل کردیم شاید شما متذکر شوید» (سُورَهُ أَنْزَلْناها وَ فَرَضْناها وَ أَنْزَلْنا فِیها آیاتٍ بَیِّناتٍ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ).

اشاره به این که تمام احکام و مطالب این سوره اعم از عقائمه و آداب و دستورات همه دارای اهمیت فوق العادهای است زیرا

همه از طرف خداوند نازل شده است.

سورة النور (24): آية ٢ ص: 274

(آیه ۲)– بعد از این بیان کلی، به نخستین دستور قاطع و محکم پیرامون زن و مرد زنا کار پرداخته، می گوید: «هر یک از زن و مرد زنا کار را صد تازیانه بزنید» (الزَّانِیَهُ وَ الزَّانِی فَاجْلِدُوا کُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَهٔ جَلْدَهٍٔ).

و براى تأكيد بيشتر اضافه مىكند: «و نبايد رأفت (و محبت كاذب) نسبت به آن دو شما را از اجراى حكم الهى مانع شود اگر به خدا و روز جزا ايمان داريد» (وَ لا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيُوْمِ الْآخِرِ). برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ٢٧٥

سر انجام در پایان این آیه به نکته دیگری برای تکمیل نتیجه گیری از این مجازات الهی اشاره کرده، می گوید: «و باید گروهی از مؤمنان (حضور داشته باشند و) مجازات آن دو را مشاهده کنند» (وَ لْیَشْهَدْ عَذَابَهُما طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ). در واقع این آیه مشتمل بر سه دستور است:

۱- حکم مجازات زنان و مردان آلوده به فحشاء - منظور از زنا آمیزش جنسی مرد و زن غیر همسر و بدون مجوز شرعی است.۲- تأکید بر این که در اجرای این حد الهی گرفتار محبتها و احساسات بیمورد نشوید.

۳- دستور حضور جمعی از مؤمنان در صحنه مجازات است چرا که هدف تنها این نیست که گنهکار عبرت گیرد، بلکه هدف آن است که مجازات او سبب عبرت دیگران هم بشود.

سورة النور(24): آية 3 ص: 275

(آیه ۳)- از آنجا که در آیه قبل سخن از مجازات زن و مرد زنا کار به میان آمد به همین مناسبت سؤالی پیش می آید که ازدواج مشروع با چنین زنان چه حکمی دارد؟

آیه شریفه این سؤال را چنین پاسخ میگوید: «مرد زنا کار جز با زن زنا کار یا مشرک ازدواج نمی کنید و زن زنا کار را جز مرد زنا کار یا مشرک، به ازدواج خود در نمی آورد و این کار بر مؤمنان تحریم شده است»! (الزَّانِی لا یَنْکِحُ إِلَّا زانِیَهُ أَوْ مُشْرِکَهُ وَ الزَّانِیَهُ لا یَنْکِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِکُ وَ حُرِّمَ ذلِکَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ).

آیه هم یک واقعیت عینی را بیان می کنید که آلودگان همیشه دنبال آلودگان میرونید، «هم جنس با هم جنس می کنید پرواز» اما افراد پاک و با ایمان هرگز تن به چنین آلودگیها و انتخاب همسران آلوده نمیدهند.

و هم بیان یک حکم شرعی و الهی است و مخصوصا میخواهد مسلمانان را از ازدواج با افراد زنا کار باز دارد، چرا که بیماریهای اخلاقی همچون بیماریهای جسمی غالبا واگیر دار است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۷۶

سورة النور (24): آية 4 ص: 278

(آیه ۴)- مجازات تهمت: از آنجا که در آیات گذشته مجازات شدیدی برای زن و مرد زنا کار بیان شده بود و ممکن است این موضوع دستاویزی شود برای افراد مغرض و بی تقوا که از این طریق افراد پاک را مورد اتهام قرار دهند، بلافاصله بعد از بیان مجازات شدید زنا کاران، مجازات شدید تهمت زنندگان را بیان می کند.

نخست مى گويىد: «و كسانى كه زنان پاكىدامن را متهم (به عمل منافى عفت) مىكننىد، سپس چهار شاهىد (بر مىدعاى خود) نمى آورند، آنها را هشتاد تازيانه بزنيد»! (وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَهً).

و به دنبال این مجازات شدید، دو حکم دیگر نیز اضافه می کند:

«و هر گز شهادت آنها را نپذیرید» (وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَهُ أَبَداً).

«و آنها همان فاسقانند» (وَ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ).

هرگاه «قـذف» (اتهام ناموســـى) با لفظ صـريح انجام گيرد، به هر زبان و به هر شـکل بوده باشــد حدّ آن همان گونه که در بالا گفته شد هشتاد تازيانه است، و اگر صراحت نداشته باشد مشمول حکم «تعزير» است.

این سختگیری در مورد حفظ حیثیت مردم پاکدامن، منحصر به اینجا نیست در بسیاری از تعلیمات اسلام منعکس است. در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: «هنگامی که مسلمانی برادر مسلمانش را به چیزی که در او نیست متهم سازد ایمان در قلب او ذوب می شود، همانند نمک در آب»!

سورة النور (24): آية ۵ ص: 278

(آیه ۵)- ولی از آنجا که اسلام هرگز راه بازگشت را بر کسی نمی بندد، بلکه در هر فرصتی آلودگان را تشویق به پاکسازی خویش و جبران اشتباهات گذشته می کند، در این آیه می گوید: «مگر کسانی که بعد از آن توبه کنند و جبران نمایند (که خداوند آنها را می بخشد) زیرا خدا آمرزنده و مهربان است» (إِلَّا الَّذِینَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ). و در این صورت هم شهادت آنها در آینده مقبول است، و هم حکم فسق در برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۷۷ تمام زمینه ها و احکام اسلامی از آنها برداشته می شود.

سورة النور (24): آية 6 ص: 277

اشاره

(آیه ۶)

شأن نزول: ص: 277

سعد بن عباده (بزرگ انصار) خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در حضور جمعی از اصحاب چنین عرض کرد: «ای پیامبر خدا! هر گاه نسبت دادن عمل منافی عفت به کسی دارای این مجازات است که اگر آن را اثبات نکند باید هشتاد تازیانه بخورد پس من چکنم اگر وارد خانهام شدم و با چشم خود دیدم مرد فاسقی با همسر من در حال عمل خلافی است، اگر بگذارم تا چهار نفر بیایند و ببیند و شهادت دهند او کار خود را کرده است، و اگر بخواهم او را به قتل برسانم کسی از من بدون شاهد نمی پذیرد و به عنوان قاتل قصاص می شوم، و اگر بیایم و آنچه را دیدم به عنوان شکایت بگویم هشتاد تازیانه بر

پشت من قرار خواهد گرفت»! این آیه و چهار آیه بعد نازل شد و راه حل دقیقی به مسلمانان ارائه داد.

تفسير: ص: ۲۷۷

مجازات تهمت به همسر! در اینجا قرآن یک استثناء و تبصرهای بر حکم قذف بیان کرده به این معنی که اگر شوهری همسر خود را متهم به عمل منافی عفت کند و بگوید او را در حال انجام این کار خلاف با مرد بیگانهای دیدم حد قذف (هشتاد تازیانه) در مورد او اجرا نمی شود، و از سوی دیگر ادعای او بدون دلیل و شاهد نیز در مورد زن پذیرفته نخواهد شد.

در اینجا قرآن راه حلی پیشنهاد می کند که مسأله به بهترین صورت و عادلانه ترین طریق حل می گردد. و آن این که نخست باید شوهر چهار بار شهادت دهد که در این ادعا راستگو است.

چنانكه قرآن مىفرمايىد: «و كسانى كه همسران خود را متهم مىكننىد و گواهانى جز خودشان ندارنىد، هر يك از آنها بايد چهار مرتبه به نام خدا شهادت دهد كه از راستگويان است» (وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهادَهُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ).

سورة النور(24): آية 7 ص: 277

(آيه ۷)- «و در پنجمين بار بگويـد كه لعنت خـدا بر او باد اگر از دروغگويان باشـد» (وَ الْخامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكاذِبينَ).

به این ترتیب شوهر چهار بار این جمله را تکرار می کند: «اشهد بالله انّی لمن بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۷۸ الصّ ادقین فیما رمیتها به من الزّنا» من به خدا شهادت می دهم که در این نسبت زنا که به این زن دادم راست می گویم!» و در مرتبه پنجم می گوید: «لعنت الله علیّ ان کنت من الکاذبین» لعنت خدا بر من باد اگر دروغگو باشم»

سورة النور(24): آية لم ص: 278

(آیه ۸)- در اینجا زن بر سر دو راهی قرار دارد اگر سخنان مرد را تصدیق کند و یا حاضر به نفی این اتهام از خود به ترتیبی که در آیات بعد می آید نشود، مجازات و حدّ زنا در مورد او ثابت می گردد.

«آن زن نیز می تواند کیفر (زنا) را از خود دور کند، به این طریق که چهار بار خدا را به شهادت طلبد که آن مرد در این نسبتی که به او می دهد از دروغگویان است» (وَ یَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْکاذِبِینَ).

سورة النور (24): آية 9 ص: 278

(آیه ۹)– «و در مرتبه پنجم (بگویـد:) غضب خدا بر او باد اگر آن مرد از راسـتگویان باشد» (وَ الْخامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَیْها اِنْ کانَ مِنَ الصَّادِقِینَ).

و به این ترتیب زن در برابر پنج بـار گواهی مرد، دائر به آلودگی او، پنج بار گواهی بر نفی این اتهام میدهـد چهار بار با این

عبارت: «اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزّنا» خدا را به شهادت مي طلبم كه او در اين نسبتي كه به من داده است دروغ مي گويد.»

و در پنجمین بار می گوید: «ان خضب الله علی ان کان من الصّادقین» غضب خدا بر من باد اگر او راست می گوید.» انجام این برنامه که در فقه اسلامی به مناسبت کلمه «لعن» در عبارات فوق «لعان» نامیده شده، چهار حکم قطعی برای این دو همسر در پی خواهد داشت:

نخست این که بدون نیاز به صیغه طلاق فورا از هم جدا میشوند.

دیگر این که برای همیشه این زن و مرد بر هم حرام می گردند، یعنی امکان باز گشتشان به ازدواج مجدد با یکدیگر وجود ندارد.

سوم این که حد قذف از مرد و حد زنا از زن برداشته می شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۷۹ چهارم اینکه فرزندی که در این ماجرا به وجود آمده از مرد منتفی است یعنی به او نسبتی نخواهد داشت، اما نسبتش با زن محفوظ خواهد بود.

سورة النور(24): آية 10 ص: 279

(آیه ۱۰)- در پایان می گوید: «و اگر فضل و رحمت خدا شامل حال شما نبود و این که او توبه پذیر و حکیم است» بسیاری از شما گرفتار مجازات سخت الهی می شدید! (وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَکِیمٌ).

در واقع این آیه یک اشاره اجمالی برای تأکید احکام فوق است، زیرا نشان میدهد که برنامه «لعان» یک فضل الهی است و مشکل مناسبات دو همسر را در این زمینه به نحو صحیحی حل میکند.

سورة النور (24): آية 11 ص: 279

(آیه ۱۱)- داستان پر ماجرای افک (تهمت عظیم) «۱» از مجموع آیات (۱۱- ۱۶) استفاده می شود که شخص بی گناهی را به هنگام نزول این آیات متهم به عمل منافی عفت نموده بودند، و این شایعه در جامعه پخش شده بود.

و نیز گروهی از منافقان به ظاهر مسلمان میخواستند از این حادثه بهره برداری غرض آلودی به نفع خویش و به زیان جامعه اسلامی و متزلزل ساختن و جاهت عمومی پیامبر کنند که این آیات نازل شد و با قاطعیت بی نظیری با این حادثه بر خورد کرد، و منحرفان بد زبان و منافقان تیره دل را محکم بر سر جای خود نشاند.

بدیهی است این احکام در هر محیط و هر عصر و زمان جاری است.

قرآن در این آیه بی آنکه اصل حادثه را مطرح کنید می گویید: «مسلما کسانی که آن تهمت عظیم را مطرح کردنید گروهی (متشکّل و توطئه گر) از شما بودند» (إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْکِ عُصْبَةٌ مِنْکُمْ).

سپس به مؤمنانی که از بروز چنین اتهامی نسبت به شخص پاکدامنی سخت ناراحت شده بودند دلداری میدهد که: «اما گمان نکنید این ماجرا برای شما بد است بلکه خیر شما در آن است» (لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَکُمْ بَلْ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ).

چرا که پرده از روی نیات پلید جمعی از دشمنان شکست خورده و منافقان

(۱) شرح این داستان را در «تفسیر نمونه» ذیل همین آیه مطالعه فرمایید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۸۰

کور دل برداشت، و این بـد سیرتان خوش ظاهر را رسوا ساخت، و چه بسـا اگر این حـادثه نبـود و آنهـا همچنـان ناشـناخته میماندند در آینده ضربه سخت تر و خطرناکتری میزدند.

این ماجرا به مسلمانان درس داد که پیروی از شایعه سازان، آنها را به روزهای سیاه میکشاند باید در برابر این کار به سختی بایستند.

سپس در ادامه این آیه به دو نکته اشاره می کند نخست این که می گوید: «آنها هر کدام سهم خود را از این گناهی که مرتکب شدند دارند» (لِکُلِّ امْرِئِ مِنْهُمْ مَا اکْتَسَبَ مِنَ الْإِثْم).

اشاره به این که مسؤولیت عظیم سردمداران و بنیانگذاران یک گناه هرگز مانع از مسؤولیت دیگران نخواهد بود.

نکته دوم این که: «و از آنان کسی که بخش مهم آن را بر عهده داشت عذاب عظیمی برای اوست» (وَ الَّذِی تَوَلَّی کِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِیمٌ).

سورة النور (24): آية 12 ص: 280

(آیه ۱۲) - سپس روی سخن را به مؤمنانی که در این حادثه فریب خوردند و تحت تأثیر واقع شدند کرده و آنها را شدیدا طی چند آیه مورد سرزنش قرار داده، می گوید: «چرا هنگامی که این (تهمت) را شنیدید مردان و زنان با ایمان نسبت به خود (و کسی که همچون خود آنها بود) گمان خیر نبردند»؟! (لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَیْراً).

یعنی چرا هنگامی که سخن منافقان را در باره افراد مؤمن استماع کردید با حسن ظن به دیگر مؤمنان که به منزله نفس خود شما هستند برخورد نکردید.

«و (چرا) نگفتند این یک دروغی بزرگ و آشکار است» (وَ قالُوا هذا إِفْکُ مُبِینٌ).

شما که سابقه زشت و رسوای این گروه منافقان را می دانستید، چرا ساکت شدید.

سورة النور (24): آية 13 ص: 280

(آیه ۱۳)- تا اینجا سرزنش و ملامت آنها جنبههای اخلاقی و معنوی داشت برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۸۱ که به هر حال جای این نبود که مؤمنان در برابر چنین تهمت زشتی سکوت کنند و یا آلت دست شایعه سازان کور دل گردند. سپس به بعد قضائی مسأله توجه کرده، می گوید: «چرا چهار شاهد برای آن نیاوردند»؟ (لَوْ لا جاؤُ عَلَیْهِ بِأَرْبَعَهِ شُهَداءَ). «اکنون که این گواهان را نیاوردند پس آنها نزد خدا دروغگویانند» (فَإِذْ لَمْ یَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولِئِکَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْکاذِبُونَ). این مؤاخذه و سر زنش نشان می دهد که دستور اقامه شهود چهار گانه و همچنین حد قذف در صورت عدم آن، قبل از آیات «افک» نازل شده بود.

سورة النور (24): آية 14 ص: 281

(آیه ۱۴)- سر انجام تمام این سرزنشها را جمع بندی کرده، می گوید: «و اگر فضل و رحمت الهی در دنیا و آخرت شامل حال

شما نمى شـد به خاطر اين گناهى كه در آن وارد شديد عذاب سختى دامانتان را مى گرفت» (وَ لَوْ لاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ).

سورة النور (24): آية 15 ص: 281

(آیه ۱۵)- این آیه در حقیقت توضیح و تبیین بحث گذشته است که چگونه آنها حتی مؤمنان در این گناه بزرگ بر اثر سهل انگاری غوطهور شدند، می گوید:

به خاطر بیاوریـد «هنگامی را که (به اسـتقبال این دروغ بزرگ میرفتید و) این شایعه را از زبان یکدیگر میگرفتید» (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بَأَلْسِنَتِكُمْ).

«و با دهان خود سخنی می گفتید که به آن علم و یقین نداشتید» (وَ تَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَیْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ).

«و گمان می کردید این مسأله کوچکی است در حالی که در نزد خدا بزرگ است» (وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ).

در حدیثی از امیر مؤمنان علی علیه السّلام میخوانیم: شدیدترین گناهان گناهی است که صاحبش آن را سبک بشمارد.

در واقع این آیه به سه قسمت از گناهان بزرگ آنها اشاره می کند:

«نخست» به استقبال این شایعه رفتن و از زبان یکدیگر گرفتن.

«دوم» منتشر ساختن شایعهای را که هیچ گونه علم و یقین به آن نداشتند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۸۲ «سوم» کوچک شمردن شایعه و به عنوان یک وسیله سر گرمی از آن استفاده کردن.

سورة النور (24): آية 16 ص: 282

(آیه ۱۶) و از آنجا که این حادثه بسیار مهمی بود که گروهی از مسلمانان آن را سبک و کوچک شمرده بودند بار دیگر در این آیه روی آن تکیه کرده، و موجی تازه از سرزنش بر آنها میبارد، و تازیانهای محکمتر بر روح آنها مینوازد، و می گوید: «چرا هنگامی که آن را شنیدید نگفتید: ما حق نداریم که به این سخن تکلم کنیم، خداوندا! منزهی تو، این بهتان بزرگی است»! (وَ لَوْ لاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما یَکُونُ لَنا أَنْ نَتَکَلَّمَ بِهذا سُبْحانَکَ هذا بُهْتانٌ عَظِیمٌ).

در واقع قبلاً تنها به خاطر این ملامت شده بودند که چرا با حسن ظن نسبت به کسانی که مورد اتهام واقع شده بودند نگاه نکردند، اما در اینجا می گوید علاوه بر حسن ظن، شما میبایست هر گز به خود اجازه ندهید که لب به چنین تهمتی بگشایید، تا چه رسد که عامل نشر آن شوید.

سورة النور (24): آية 17 ص: 282

(آیه ۱۷)- اشاعه فحشا ممنوع است: باز در اینجا سخن از «داستان افک» و عواقب شوم و دردناک شایعه سازی و اتهام ناموسی نسبت به افراد پاک است.

نخست مى گويىد: «خداونىد شىما را انىدرز مىدهد كه هرگز چنين كارى را تكرار نكنيد اگر ايمان (به خدا و روز جزا) داريد» (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

یعنی این نشانه ایمان است که انسان به سراغ این گناهان عظیم نرود، در حقیقت جمله مزبور یکی از ارکان توبه را ترسیم

می کند، چرا که تنها پشیمانی از گذشته کافی نیست باید نسبت به عدم تکرار گناه در آینده نیز تصمیم گرفت.

سورة النور (24): آية 18 ص: 282

(آیه ۱۸) – و بعد برای تأکید بیشتر که توجه داشته باشند این سخنان، سخنان عادی معمولی نیست، بلکه این خداوند علیم و حکیم است که در مقام تبیین بر آمده و حقایق سر نوشت سازی را روشن میسازد، می گوید: «و خداوند آیات را برای شما بیان می کند و خداوند دانا و حکیم است» (وَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمُ الْآیاتِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۸۳ به مقتضای علمش از نیازهای شما و عوامل خیر و شرتان آگاه است و به مقتضای حکمتش دستورات و احکامش را با آن هماهنگ میسازد.

سورة النور (24): آية 19 ص: 283

(آیه ۱۹)- بـاز برای محکم کاری، سـخن را از شـکل یک حادثه شخصـی به صورت بیان یک قانون کلی و جامع تغییر داده و می گویـد: «کسـانی که دوست میدارنـد زشتیهـا و گناهـان قبیـح در میـان افراد با ایمان اشاعه یابـد عـذاب دردناکی در دنیا و آخرت دارند» (إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفاحِشَةُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ فِی اللَّنْیا وَ الْآخِرَهِٔ).

این تعبیر مفهوم وسیعی دارد که هر گونه نشر فساد و اشاعه زشتیها و قبائح و کمک به توسعه آن را شامل می شود. و در پایان آیه می فرماید: «و خدا می داند و شما نمی دانید» (وَ اللَّهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ).

او می داند چه کسانی در قلبشان حب این گناه است و کسانی را که زیر نامهای فریبنده به این عمل شوم می پر دازند می شناسـد اما شما نمی دانید و نمی شناسید.

سورة النور (24): آية 20 ص: 283

(آیه ۲۰)- در این آیه که در عین حال آخرین آیات «افک» و مبارزه با «اشاعه فحشا» و «قذف» مؤمنان پاکدامن است، بار دیگر این حقیقت را تکرار و تأکید می کند که: «و اگر فضل و رحمت الهی شامل حال شما نبود و این که خدا مهربان و رحیم است» مجازات سختی دامانتان را می گرفت (وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَوُفُنَّ رَحِیمٌ).

سورة النور (24): آية 21 ص: 283

(آیه ۲۱)- گر چه در اینجا صریحا داستان افک را دنبال نمی کند ولی تکمیلی برای محتوای آن بحث محسوب می شود، هشداری است به همه مؤمنان که هر گاه نخستین وسوسه های اشاعه فحشا یا هر گناه دیگر آشکار می شود، باید همانجا در مقابل آن ایستاد تا آلودگی گسترش پیدا نکند.

نخست روی سخن را به مؤمنان کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! از گامهای شیطان پیروی نکنید، و هر کس از گامهای شیطان پیروی کنـد (به انحراف و گمراهی و فحشا و منکر کشیده می شود) چرا که شیطان دعوت به فحشا برگزیـده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۸۴ و منکر می کند» (یا أَیُهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَبِعُوا خُطُواتِ الشَّیْطانِ وَ مَنْ یَتَبعْ خُطُواتِ الشَّیْطانِ فَإِنَّهُ یَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ). هرگز یک انسان پاکدامن و با ایمان را نمی شود یک مرتبه در آغوش فساد پرتاب کرد، بلکه گام به گام این راه را می سپرد، و سر انجام گرفتار بدترین کبائر می شود، درست به کسی می ماند که زمام خویش را به دست جنایتکاری سپرده او را گام به گام به سوی پرتگاه می برد، تا سقوط کند و نابود گردد، آری این است «خطوات شیطان».

سپس اشاره به یکی از مهمترین نعمتهای بزرگش بر انسانها در طریق هدایت کرده، چنین می گوید: «و اگر فضل و رحمت الهی بر شما نبود احدی از شما هرگز پاک نمی شد، ولی خداوند هر که را بخواهد تزکیه می کند و خدا شنوا و داناست» (وَ لَوْ لَوْ لَافَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ ما زَکی مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَ لَکِنَّ اللَّهَ يُزَکِّی مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ).

از یک سو موهبت عقل را داده، و از سوی دیگر موهبت وجود پیامبر و احکامی که از طریق وحی نازل می گردد ولی از این موهبت گذشته توفیقات خاص او و امدادهای غیبیش که شامل حال انسانهای آماده و مستعد و مستحق می گردد مهمترین عامل پاکی و تزکیه است.

سورة النور(24): آية 27 ص: 284

اشاره

(آیه ۲۲)

شأن نزول: ص: ۲۸۴

این آیه در باره گروهی از صحابه نازل شد که بعد از «داستان افک» سو گند یاد کردند که به هیچ یک از کسانی که در این ماجرا در گیر بودند و به این تهمت بزرگ دامن زدند کمک مالی نکنند، و در هیچ موردی با آنها مواسات ننمایند، آیه نازل شد و آنها را از این شدت عمل و خشونت باز داشت و دستور عفو و گذشت داد.

تفسير: ص: ۲۸۴

مجازات هم حسابی دارد! قرآن می گوید: «و آنها که از میان شما دارای برتری (مالی) و وسعت زندگی هستند نباید سوگند یاد کنند (یا تصمیم بگیرند) که انفاق خود را نسبت به نزدیکان و مستمندان و مهاجران در راه خدا قطع نمایند» (وَ لا یَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْکُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ یُؤْتُوا أُولِی الْقُرْبی وَ الْمَساکِینَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۸۵

وَ الْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

این تعبیر نشان می دهد که جمعی از کسانی که آلوده افک شدند از مهاجران در راه خدا بودند که فریب منافقان را خوردند، و خداوند به خاطر سابقه آنها اجازه نداد که آنان را از جامعه اسلامی طرد کنند و تصمیمهایی که بیش از حد استحقاق باشد در باره آنها بگیرند. سپس برای تشویق و ترغیب مسلمانان به ادامه این گونه کارهای خیر اضافه می کند: «و باید عفو کنند و گذشت نمایند» (وَ لْیَعْفُوا وَ لْیَصْفَحُوا).

«آيـا دوست نمىداريـد خداونـد شـما را بيـامرزد و خداونـد آمرزنـده و مهربان است» (أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

پس همان گونه که شما انتظار عفو الهی را در برابر لغزشها دارید باید در مورد دیگران عفو و بخشش را فراموش نکنید.

آیات فوق در حقیقت ترسیمی از تعادل «جاذبه» و «دافعه» اسلامی است آیات افک و مجازات شدید تهمت زنندگان به نوامیس مردم نیروی عظیم دافعه را تشکیل میدهد، و آیه مورد بحث که سخن از عفو و گذشت و غفور و رحیم بودن خدا می گوید بیانگر جاذبه است!

سورة النور (24): آية 23 ص: 285

(آیه ۲۳) – سپس بار دیگر به مسأله «قذف» و متهم ساختن زنان پاکدامن با ایمان به اتهام ناموسی باز گشته، و بطور مؤکد و قاطع می گوید: «کسانی که زنان پاکدامن و بی خبر (از هر گونه آلودگی) و مؤمن را به نسبتهای ناروا متهم میسازند در دنیا و آخرت از رحمت الهی بدورند و عذاب بزرگی برای آنهاست» (إِنَّ الَّذِینَ یَرْمُونَ الْمُحْصَ ناتِ الْغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِی الدُّنیا و اللَّ خِرَهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِیمٌ).

در واقع سه صفت برای این زنان ذکر شده که هر کدام دلیلی است بر اهمیت ظلمی که بر آنها از طریق تهمت وارد می گردد.

سورة النور (24): آية 24 ص: 285

(آیه ۲۴)- این آیه چگونگی حال این گروه تهمت زنندگان را در دادگاه بزرگ خدا مشخص کرده، می گوید: آنها عذاب عظیمی دارند «در آن روز که زبانهای آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۸۶

و دستها و پاهایشان بر ضد آنان به اعمالی که مرتکب شدند گواهی میدهند» (یَوْمَ تَشْهَدُ عَلَیْهِمْ أَلْسِ َنَتُهُمْ وَ أَیْدِیهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ).

زبان آنها بی آنکه خودشان مایل باشند به گردش در می آید و حقایق را باز گو می کند.

دست و پای آنها نیز به سخن در می آید و حتی طبق آیات قرآن پوست تن آنها سخن می گوید.

آرى! در آنجا كه روز آشكار شدن همه پنهانيهاست ظاهر ميشوند.

سورة النور (24): آية 25 ص: 286

(آیه ۲۵)- سپس می گوید: «آن روز خداونـد جزای واقعی آنها را بی کم و کاست به آنها میدهـد» (یَوْمَئِـ ٓ نِ یُوَفِّیهِمُ اللَّهُ دِینَهُمُ الْحَقَّ).

و در آن روز «مىدانند كه خداوند حقّ آشكار است» (وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ).

اگر امروز، و در این دنیا، در حقانیت پروردگار شک و تردید کنند، یا مردم را به گمراهی بکشانند در آن روز نشانههای عظمت و قدرت و حقانیتش آن چنان واضح میشود که سر سخت ترین لجوجان را وادار به اعتراف می کند.

سورة النور (24): آية 25 ص: 285

(آیه ۲۶)- نوریان مر نوریان را طالبند! ... این آیه در حقیقت تعقیب و تأکیدی بر آیات افک و آیات قبل از آن است و بیان یک سنت طبیعی در جهان آفرینش میباشد که تشریع نیز با آن هماهنگ است.

مى فرمايىد: «زنان ناپاك از آن مردان ناپاكنىد، همان گونه كه مردان ناپاك، به زنان ناپاك تعلّق دارنىد» (الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ).

و در نقطه مقابل نيز «زنان پاک به مردان پاک تعلق دارند، و مردان پاک از آن زنان پاکند» (وَ الطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ للطَّبِّبات).

و در پایان آیه به گروه اخیر یعنی مردان و زنان پاکدامن اشاره کرده، می گوید:

«آنها از نسبتهای نادرستی که به آنان داده میشود مبرّا هستند» (أُولئِکَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ).

و به همین دلیل «آمرزش و مغفرت الهی و همچنین روزی پر ارزش برای برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۸۷ آنهاست» (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ).

سورة النور (24): آية 27 ص: 287

(آیه ۲۷)- بدون اذن به خانه مردم وارد نشوید: در اینجا بخشی از آداب معاشرت و دستورهای اجتماعی اسلام که ارتباط نزدیکی با مسائل مربوط به حفظ عفت عمومی دارد بیان شده است.

نخست می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! در خانه هایی غیر از خانه خود وارد نشوید تا اجازه بگیرید و بر اهل آن خانه سلام کنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُیُوتاً غَیْرَ بُیُوتِکُمْ حَتَّی تَشْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلی أَهْلِها).

«این برای شما بهتر است، شاید متذکر شوید» (ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ لَعَلَّکُمْ تَذَكَّرُونَ).

باید در خانه و محیط زندگی خصوصی افراد امنیت کافی وجود داشته باشد به همین دلیل در تمام قوانین دنیا وارد شدن به خانه اشخاص بدون اجازه آنها ممنوع است در اسلام نیز در این زمینه دستور بسیار مؤکد داده شده و آداب و ریزه کاریهایی در این زمینه وجود دارد که کمتر نظیر آن دیده می شود. از جمله، در حدیثی می خوانیم که: «پیامبر به یکی از یارانش فرمود: به هنگام اجازه گرفتن رو بروی در نایست!» و خود آن حضرت هنگامی که به در خانه کسی می آمد رو بروی در نمی ایستاد بلکه در طرف راست یا چپ قرار می گرفت و می فرمود: السّلام علیکم و به این وسیله اجازه ورود می گرفت.

سورة النور (24): آية 28 ص: 287

(آیه ۲۸)- در این آیه با جمله دیگری این دستور تکمیل میشود: «پس اگر کسی را در آن خانه نیافتیـد وارد آن نشوید تا به شما اجازه داده شود» (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِیها أَحَداً فَلا تَدْخُلُوها حَتَّی یُؤْذَنَ لَکُمْ).

ممکن است منظور از این تعبیر آن باشد که گاه در آن خانه کسانی هستند ولی کسی که به شـما اذن دهد و صاحب اختیار و صاحب البیت باشد حضور ندارد شما در این صورت حق ورود نخواهید داشت.

سپس اضافه می کند «و اگر به شما گفته شود باز گردید (این سخن را پذیرا برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۸۸

شوید و) باز گردید، که برای شما بهتر و پاکیزهترست» (وَ إِنْ قِیلَ لَکُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْکی لَکُمْ).

و هرگز جواب رد، شما را ناراحت نکند، چه بسا صاحب خانه در حالتی است که اُز دیدن شما در آن حالت ناراحت می شود. و از آنجا که به هنگام شنیدن جواب منفی گاهی حس کنجکاوی بعضی تحریک می شود و به فکر این می افتند که از درز در، یا از طریق گوش فرا دادن و استراق سمع مطالبی از اسرار درون خانه را کشف کنند در ذیل همین آیه می فرماید: «و خداوند به آنچه انجام می دهید آگاه است» (وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِیمٌ).

سورة النور (24): آية 29 ص: 288

(آیه ۲۹) – و از آنجا که هر حکم استثنائی دارد که رفع ضرورتها و مشکلات از طریق آن استثناء به صورت معقول انجام می شود در این آیه می فرماید: «گناهی بر شما نیست که وارد خانه های غیر مسکونی بشوید که در آنجا متاعی متعلق به شما وجود دارد» (لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُیُوتاً غَیْرَ مَسْکُونَهٔ فِیها مَتاعٌ لَکُمْ).

و در پایان اضافه مینماید: «و خدا آنچه را آشکار میکنید و پنهان میدارید میداند» (وَ اللَّهُ یَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَکْتُمُونَ). شاید اشاره به این است که گاه بعضی از افراد از این استثنا سوء استفاده کرده و به بهانه این حکم وارد خانههای غیر مسکونی میشوند تا کشف اسراری کنند، و یا در خانههی مسکونی به این بهانه که نمیدانستیم مسکونی است داخل شوند اما خدا از همه این امور با خبر است و سوء استفاده کنندگان را به خوبی میشناسد.

سورة النور (24): آية 30 ص: 288

اشاره

(آیه ۳۰)

شأن نزول: ص: ۲۸۸

از امام باقر علیه السّلام چنین نقل شده است که جوانی از انصار در مسیر خود با زنی رو برو شد. چهره آن زن نظر آن جوان را به خود جلب کرد تا اینکه وارد کوچه تنگی شد باز همچنان به پشت سر خود نگاه می کرد ناگهان صورتش به دیوار خورد و تیزی استخوان یا قطعه شیشهای که در دیوار بود صورتش را شکافت! با خود گفت به خدا سوگند من خدمت پیامبر می روم و این ماجرا را باز گو می کنم، هنگامی که چشم رسول خدا به او افتاد فرمود: چه شده است؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص:

و جوان ماجرا را نقل کرد، در این هنگام جبرئیل، پیک وحی خدا نازل شد و آیه مورد بحث را آورد.

تفسير: ص: ۲۸۹

مبارزه با چشم چرانی و ترک حجاب: پیش از این گفته ایم که این سوره در حقیقت سوره عفت و پاکدامنی و پاکسازی از انحرافات جنسی است، در اینجا احکام نگاه کردن و چشم چرانی و حجاب را بیان میدارد.

نخست می گویـد: «به مؤمنـان بگـو: چشـمهای خـود را (از نگـاه به نامحرمـان) فرو گیرنـد، و عفـاف خود را حفـظ کننـد» (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ).

و از آنجا که گاه به نظر میرسد که چرا اسلام از این کار که با شهوت و خواست دل بسیاری هماهنگ است نهی کرده، در دنباله آیه میفرماید: «این برای آنها پاکیزهتر است» (ذلِکَ أَزْکی لَهُمْ).

سپس به عنوان اخطار برای کسانی که نگاه هوس آلود و آگاهانه به زنان نامحرم میافکننـد و گاه آن را غیر اختیاری قلمـداد میکنند، میگوید: «خداوند از آنچه انجام میدهید آگاه است» (إِنَّ اللَّهَ خَبِیرٌ بِما یَصْنَعُونَ).

سورة النور (24): آية 31 ص: 289

اشاره

(آیه ۳۱) - در این آیه به شرح وظایف زنان در این زمینه می پردازد، نخست به وظایفی که مشابه مردان دارند اشاره کرده، می گوید: «و به زنان با ایمان بگو:

چشمهای خود را (از نگاه هوس آلود) فرو گیرنـد و دامـان خود را حفـظ نماینـد» (وَ قُـلْ لِلْمُؤْمِنـاتِ یَغْضُـ ضْنَ مِنْ أَبْصـارِهِنَّ وَ یَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ).

و به این ترتیب «چشم چرانی» همان گونه که بر مردان حرام است بر زنان نیز حرام میباشد، و پوشاندن عورت از نگاه دیگران، چه از مرد و چه از زن برای زنان نیز همانند مردان واجب است.

سپس به مسأله حجاب كه از ويژگى زنان است ضمن سه جمله اشاره فرموده:

۱- «و آنها نباید زینت خود را آشکار سازند جز آن مقدار که طبیعتا ظاهر است» (وَ لا یُبْدِینَ زِینَتَهُنَّ إِلَّا ما ظَهَرَ مِنْها). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۹۰

بنا بر این زنان حق ندارند زینتهایی که معمولاً پنهانی است آشکار سازند هر چند اندامشان نمایان نشود و به این ترتیب حتی آشکار کردن لباسهای زینتی مخصوصی را که در زیر لباس عادی با چادر می پوشند مجاز نیست، چرا که قرآن از ظاهر ساختن چنین زینتهایی نهی کرده است.

۲ – حکم دیگری که در آیه بیان شده این است که: «و (اطراف) روسری های خود را بر سینه خود افکنند» تا گردن و سینه با آن پوشانده شود (وَ لْیَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلی جُیُوبِهِنَّ).

از این جمله استفاده می شود که زنان قبل از نزول آیه، دامنه روسری خود را به شانه ها یا پشت سر می افکندند، بطوری که گردن و کمی از سینه آنها نمایان می شد، قرآن دستور می دهد روسری خود را بر گریبان خود بیفکنند تا هم گردن و هم آن قسمت از سینه که بیرون است مستور گردد.

۳- در سومین حکم مواردی را که زنان می توانند در آنجا حجاب خود را بر گیرند و زینت پنهان خود را آشکار سازند با این عبارت شرح می دهد:

«و آنها نباید زینت خود را آشکار سازند» (وَ لا یُبْدِینَ زینَتَهُنَّ).

«مگر (در دوازده مورد:) ۱- «برای شوهرانشان» (إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ).

٢- «يا پدرانشان» (أَوْ آبائِهنَّ).

٣- «يا پدر شوهرانشان» (أَوْ آباءِ بُعُولَتِهنَّ).

۴- «يا پسرانشان» (أَوْ أَبْنائِهِنَّ).

۵- «يا پسران همسرانشان» (أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ).

9- «يا برادرانشان» (أُوْ إِخْوانِهِنَّ).

٧- «يا پسران برادرانشان» (أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ).

٨- «يا پسران خواهرانشان» (أَوْ بَنِي أُخُواتِهِنَّ).

٩- «يا زنان هم كيششان» (أَوْ نِسائِهِنَّ).

۱۰ - «يا بردگانشان» كنيزانشان (أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ). برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ٢٩١

١١ «يا مردان سفيهى كه تمايلى به زن ندارند» (أُوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ).

۱۲– «يا كودكاني كه از امور جنسي مربوط به زنان آگاه نيستند» (أَوِ الطِّفْل الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ).

۴- و بالاخره چهارمین حکم را چنین بیان می کند: «آنها به هنگام راه رفتن پاهای خود را به زمین نزنند تا زینت پنهانیشان دانسته شود» و صدای خلخال که بر پا دارند بگوش رسد (وَ لا یَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِیُعْلَمَ ما یُخْفِینَ مِنْ زِینَتِهِنَّ).

آنها در رعایت عفت آن چنان باید دقیق و سختگیر باشند که حتی از رساندن صدای خلخالی که در پای دارند به گوش مردان بیگانه خودداری کنند.

و سر انجام با دعوت عمومی همه مؤمنان اعم از مرد و زن به توبه و بازگشت به سوی خدا آیه را پایان داده، می گوید: «و همگی به سوی خدا باز گردید ای مؤمنان! تا رستگار شوید» (وَ تُوبُوا إِلَی اللَّهِ جَمِیعاً أَیُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

و اگر در گذشته کارهای خلافی در این زمینه انجام دادهایـد اکنون از خطاهای خود توبه کنیـد و برای نجات و فلاح به سوی خدا آیید که رستگاری تنها بر در خانه اوست.

فلسفه حجاب: ص: 291

بدون شک در عصر ما که بعضی نام آن را عصر برهنگی و آزادی جنسی گذاردهاند و افراد غربزده، بیبندوباری زنان را جزئی از آزادی او میدانند سخن از حجاب گفتن برای این دسته ناخوشایند و گاه افسانهای است متعلق به زمانهای گذشته! ولی مفاسد بیحساب و مشکلات و گرفتاریهای روز افزون که از این آزادیهای بیقید و شرط به وجود آمده سبب شده که تدریجا گوش شنوایی برای این سخن پیدا شود.

مسأله این است که آیا زنان (با نهایت معـذرت) بایـد برای بهره کشـی از طریق سـمع و بصـر و لمس- جز آمیزش جنسـی- در اختیار همه مردان باشند و یا باید این امور مخصوص همسرانشان گردد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۹۲

اسلام می گوید: کامیابیهای جنسی اعم از آمیزش و لذت گیریهای سمعی و بصری و لمسی مخصوص به همسران است و غیر از آن گناه، و مایه آلودگی و ناپاکی جامعه میباشد که جمله «ذلِکَ أَزْکی لَهُمْ» در آیات فوق اشاره به آن است.

فلسفه حجاب چیز مکتوم و پنهانی نیست زیرا:

۱- برهنگی زنان که طبعا پیامدهایی همچون آرایش و عشوه گری و امثال آن همراه دارد مردان مخصوصا جوانان را در یک حال تحریک دائم قرار میدهد تحریکی که سبب کوبیدن اعصاب آنها و ایجاد هیجانهای بیمار گونه عصبی و گاه سر چشمه امراض روانی می گردد.

مخصوصا توجه به این نکته که غریزه جنسی نیرومندترین و ریشه دارترین غریزه آدمی است و در طول تاریخ سر چشمه حوادث مرگبار و جنایات هولناکی شده، تا آنجا که گفتهاند: «هیچ حادثه مهمی را پیدا نمی کنید مگر این که پای زنی در آن در میان است»! آیا دامن زدن مستمر از طریق برهنگی به این غریزه و شعلهور ساختن آن بازی با آتش نیست؟ آیا این کار عاقلانهای است؟

۲- آمارهای قطعی و مستند نشان میدهد که با افزایش برهنگی در جهان، طلاق و از هم گسیختگی زندگی زناشویی در دنیا بطور مداوم بالا رفته است، زیرا در «بازار آزاد برهنگی» که عملا زنان به صورت کالای مشترکی (لااقل در مرحله غیر آمیزشی جنسی) در آمدهاند دیگر قداست پیمان زناشویی مفهومی نمی تواند داشته باشد.

۳- گسترش دامنه فحشاء، و افزایش فرزندان نامشروع، از دردناکترین پیامدهای بیحجابی است و دلائل آن مخصوصا در جوامع غربی کاملا نمایان است.

۴- مسأله «ابتـذال زن» و «سـقوط شخصـيت او» در اين ميان نيز حائز اهميت فراوان است هنگامي كه جامعه زن را با اندام برهنه بخواهـد، طبيعي است روز به روز تقاضاي آرايش بيشتر و خود نمايي افزونتر از او دارد، و هنگامي كه زن را از طريق برگزيده تفسير نمونه، ج۳، ص: ۲۹۳

جاذبه جنسیش وسیله تبلغ کالاها و دکور اتاقهای انتظار، و عاملی برای جلب جهانگردان و سیاحان و مانند اینها قرار بدهد، در چنین جامعهای شخصیت زن تا سر حد یک عروسک، یا یک کالای بیارزش سقوط می کند، و ارزشهای والای انسانی او بکلی به دست فراموشی سپرده میشود، و تنها افتخار او جوانی و زیبایی و خود نمائیش میشود.

و به این ترتیب مبدل به وسیلهای خواهد شد برای اشباع هوسهای سر کش یک مشت آلوده فریبکار و انسان نماهای دیو صفت! در چنین جامعهای چگونه یک زن می تواند یا ویژگیهای اخلاقیش، علم و آگاهی و دانائیش جلوه کند، و حائز مقام والائی گردد؟!

سورة النور (24): آية 32 ص: 293

(آیه ۳۲)- ترغیب به ازدواج آسان: از آغاز این سوره تا به اینجا طرق حساب شده مختلفی برای پیشگیری از آلودگیهای جنسی مطرح شده است.

در اینجا به یکی دیگر از مهمترین طرق مبارزه با فحشاء که ازدواج ساده و آسان، و بیریا و بی تکلف است، اشاره شده، زیرا این نکته مسلم است که برای برچیدن بساط گناه، باید از طریق اشباع صحیح و مشروع غرائز وارد شد، آیه شریفه می فرماید: «و مردان و زنان بی همسر را همسر دهید، و همچنین غلامان و کنیزان صالح و درستکارتان را» (وَ أَنْکِحُوا الْأَیامی مِنْکُمْ وَ الصَّالِحِینَ مِنْ عِبادِکُمْ وَ إمائِکُمْ).

بدون شک اصل تعاون اسلامی ایجاب می کند که مسلمانان در همه زمینهها به یکدیگر کمک کنند ولی تصریح به این امر در

مورد ازدواج دلیل بر اهمیت ویژه آن است.

اهمیت این مسأله تبا به آن پایه است که در حدیثی از امیر مؤمنان علی علیه السّ بلام میخوانیم: «بهترین شفاعت آن است که میان دو نفر برای امر ازدواج میانجیگری کنی، تبا این امر به سامان برسد»! و از آنجا که یک عذر تقریبا عمومی و بهانه همگانی برای فراز از زیر بار ازدواج و تشکیل خانواده مسأله فقر و نداشتن امکانات مالی است قرآن به پاسخ آن برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۹۴

پرداخته، می فرماید: از فقر و تنگدستی آنها نگران نباشید و در ازدواجشان بکوشید چرا که «اگر فقیر و تنگدست باشند خداوند آنها را از فضل خود بی نیاز می سازد» (إِنْ یَکُونُوا فُقَراءَ یُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ).

و خداوند قادر بر چنین کاری هست، چرا که «خداوند واسع و علیم است» (وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ).

قدرتش آن چنان وسیع است که پهنه عالم هستی را فرا می گیرد، و علم او چنان گسترده است که از نیات همه کس مخصوصا آنها که به نیت حفظ عفت و پاکدامنی اقدام به ازدواج می کنند آگاه است، و همه را مشمول فضل و کرم خود قرار خواهد داد.

بعد از ازدواج، شخصیت انسان تبدیل به یک شخصیت اجتماعی می شود و خود را شدیدا مسؤول حفظ همسر و آبروی خانواده و تأمین وسائل زندگی فرزندان آینده می بیند، به همین دلیل تمام هوش و ابتکار و استعداد خود را به کار می گیرد و در ؟؟؟ آمدهای خود و صرفه جویی تلاش می کند و در مدت کوتاهی می تواند بر فقر چیره شود و بدون شک امدادهای الهی و نیروهای مرموز معنوی نیز به کمک چنین افراد می آید که برای انجام وظیفه انسانی و حفظ پاکی خود اقدام به ازدواج می کنند.

سورة النور (24): آية 33 ص: 294

(آیه ۳۳) - ولی از آنجا که گاه با تمام تلاش و کوشش که خود انسان و دیگران می کنند وسیله ازدواج فراهم نمی گردد و خواه و ناخواه انسان مجبور است مدتی را با محرومیت بگذراند، مبادا کسانی که در این مرحله قرار دارند گمان کنند که آلودگی جنسی برای آنها مجاز است، و ضرورت چنین ایجاب می کند، لذا بلا فاصله در این آیه دستور پارسایی را هر چند مشکل باشد به آنها داده، می گوید: «و آنها که وسیله ازدواج ندارند باید عفت پیشه کنند، تا خداوند آنان را به فضلش بی نیاز سازد» (وَ لْیَسْتَعْفِفِ الَّذِینَ لا یَجِدُونَ نِکاحاً حَتَّی یُغْیَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۹۵

سپس از آنجا که اسلام به هر مناسبت سخن از بردگان به میان آید عنایت و توجه خاصی به آزادی آنها نشان می دهد، از بحث از دواج، به بحث آزادی بردگان از طریق «مکاتبه» – بستن قرار داد برای کار کردن غلامان و پرداختن مبلغی به اقساط به مالک خود و آزاد شدن – پرداخته می گوید: «و بردگانی که از شما تقاضای مکاتبه (برای آزادی) می کنند با آنها قرار داد ببندید، اگر رشد و صلاح در آنان احساس می کنید» (وَ الَّذِینَ یَبْتَغُونَ الْکِتابَ مِمَّا مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ فَکاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِیهِمْ فِیهِمْ فَحُورًا).

سپس برای این که بردگان به هنگام ادای این اقساط به زحمت نیفتند دستور میدهد که «چیزی از مال خداوند که به شما داده است به آنها بدهید» (وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذِی آتاکُمْ).

هـدف واقعی این است که مسلمانان این گروه مستضعف را تحت پوشش کمکهای خود قرار دهند تا هر چه زودتر خلاصی

يابند.

در دنباله آیه به یکی از اعمال بسیار زشت بعضی از دنیا پرستان در مورد بردگان اشاره کرده، میفرمایید: «کنیزان خود را به خاطر تحصیل متاع زود گذر دنیا مجبور به خود فروشی نکنید، اگر آنها میخواهند پاک بمانند»! (وَ لاَ تُكْرِهُوا فَتیاتِكُمْ عَلَی الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَیاهِ الدُّنیا).

این آیه نشان می دهد که تا چه حد در عصر جاهلیت مردم گرفتار انحطاط و سقوط اخلاقی بودند که حتی بعد از ظهور اسلام نیز بعضا به کار خود ادامه می دادند، تا این که آیه فوق نازل شد و به این وضع ننگین خاتمه داد، اما متأسفانه در عصر ما که بعضی آن را عصر جاهلیت قرن بیستم نام نهاده اند در بعضی از کشورها که دم از تمدن و حقوق بشر می زنند این عمل به شدت ادامه دارد.

در پایان آیه-چنانکه روش قرآن است- برای این که راه باز گشت را به روی گنهکاران نبندد بلکه آنها را تشویق به توبه و اصلاح کند می گوید: «و هر کس آنها را بر این کار اکراه کند (سپس پشیمان گردد) خداوند بعد از اکراه آنها آمرزنده و مهربان است» (وَ مَنْ یُکْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِکْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۹۶

سورة النور (24): آية 34 ص: 298

(آیه ۳۴)- در این آیه- همان گونه که روش قرآن است- به صورت یک جمع بندی اشاره به بحثهای گذشته کرده، می فرماید: «ما بر شما آیاتی فرستادیم که حقائق بسیاری را تبیین می کند» (وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَیْکُمْ آیاتٍ مُبَیِّناتٍ).

و نیز «مثلها و اخباری از کسانی که پیش از شما بودنـد» و سر نوشت آنها درس عبرتی برای امروز شماست» (وَ مَثْلًا مِنَ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ).

«و موعظه و پند و اندرزی برای پرهیز کاران» (وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِینَ).

سورة النور(24): آية 25 ص: 298

(آیه ۳۵)- آیه نور! پیوند و ارتباط این آیه با آیات گذشته از این نظر است که در آیات پیشین سخن از مسأله عفت و مبارزه با فحشاء با استفاده از طرق و وسائل گوناگون بود، و از آنجا که ضامن اجرای همه احکام الهی، مخصوصا کنترل کردن غرائز سر کش، بخصوص غریزه جنسی که نیرومندترین آنهاست بدون استفاده از پشتوانه «ایمان» ممکن نیست، سر انجام بحث را به ایمان و اثر نیرومند آن کشانیده و از آن سخن می گوید.

نخست مىفرمايد: «خداوند نور آسمانها و زمين است» (اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

اگر بخواهیم برای ذات پاک خدا تشبیه و تمثیلی از موجودات حسی این جهان انتخاب کنیم-گر چه مقام با عظمت او از هر شبیه و نظیر برتر است- آیا جز از واژه «نور» می توان استفاده کرد؟! همان خدایی که پدید آورنده تمام جهان هستی است، روشنی بخش عالم آفرینش است، همه موجودات زنده به برکت فرمان او زنده اند، و همه مخلوقات بر سر خوان نعمت او هستند که اگر لحظه ای لطف خود را از آنها باز گیرد همگی در ظلمت فنا و نیستی فرو می روند.

و جالب این که هر موجودی به هر نسبت با او ارتباط دارد به همان اندازه نورانیت و روشنایی کسب می کند:

قرآن نور است چون کلام اوست.

آیین اسلام نور است چون آیین اوست.

پیامبران نورند چون فرستادگان اویند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۹۷

امامان معصوم انوار الهي هستند چون حافظان آيين او بعد از پيامبرانند.

«ایمان» نور است چون رمز پیوند با اوست.

علم نور است چون سبب آشنایی با اوست.

بنا بر اين اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

بلکه اگر نور را به معنی وسیع کلمه به کار بریم یعنی «هر چیزی که ذاتش ظاهر و آشکار و ظاهر کننده غیر باشد» در این صورت به کار بردن کلمه «نور» در ذات پاک او جنبه تشبیه هم نخواهد داشت، چرا که چیزی در عالم خلقت از او آشکار تر نیست، و تمام آنچه غیر اوست از برکت وجود او آشکار است.

و به این ترتیب همه انوار هستی از نور او مایه می گیرد، و به نور ذات پاک او منتهی می شود.

قرآن بعد از بیان حقیقت فوق با ذکر یک مثال زیبا و دقیق چگونگی نور الهی را در اینجا مشخص می کنید و می فرماید: «مثل نور او (خداونید) هماننید چراغ دانی است که در آن چراغی (پر فروغ) باشید، آن چراغ در حبابی قرار گیرد، حبابی شفاف و درخشنده همچون یک ستاره فروزان» (مَثَلُ نُورِهِ کَمِشْکاهٔ فِیها مِصْباحُ الْمِصْباحُ فِی زُجاجَهٔ الزُّجاجَهُ کَأَنَّها کَوْکَبٌ دُرِّیُّ).

و «ایـن چراغ بـا روغنی افروختـه میشـود که از درخت پر برکت زیتـونی گرفته شـده که نه شـرقی است و نه غربی» (یُوقَـدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَکَةٍ زَیْتُونَةٍ لا شَرْقِیّةٍ وَ لا غَرْبیّةٍ).

روغنش آن چنان صاف و خالص است كه «نزديك است بدون تماس با آتش شعلهور شود»! (يَكَادُ زَيْتُها يُضِ يَءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ).

«نورى است بر فراز نورى» (نُورٌ عَلى نُورٍ).

و «خدا هر كس را بخواهد به نور خود هدايت ميكند» (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ).

«و خداوند براى مردم مثلها مىزند» (وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاس).

«و خداوند به هر چیزی داناست» (وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۹۸

توضیح این مثل: نور ایمان که در قلب مؤمنان است دارای همان چهار عاملی است که در یک چراغ پر فروغ موجود است: «مِصْباحٌ» همان شعلههای ایمان است که در قلب مؤمن آشکار می گردد و فروغ هدایت از آن منتشر می شود.

«زُجاجَةً» و حباب قلب مؤمن است که ایمان را در وجودش تنظیم می کند.

و «كَمِشْكاؤٍ» سينه مؤمن و يا به تعبير ديگر مجموعه شخصيت و آگاهي و علوم و افكار اوست كه ايمان وي را از گزند طوفان حوادث مصون مي دارد.

و «شَـجَرَةٍ مُبارَكَهٍ زَيْتُونَةٍ» (ماده انرژیزا) همان وحی الهی است که عصاره آن در نهایت صفا و پاکی میباشد و ایمان مؤمنان به وسیله آن شعلهور و پر بار میگردد.

در حقیقت این نور خمداست، هممان نوری که آسمانها و زمین را روشن ساخته و از کمانون قلب مؤمنان سر بر آورده و تمام وجود و هستی آنها را روشن و نورانی میکند.

دلائلی را که از عقل و خرد دریافتهاند با نور وحی آمیخته میشود و مصداق نُورٌ عَلی نُورٍ می گردد.

و هم در اینجاست که دلهای آماده و مستعد به این نور الهی هـدایت میشونـد و مضـمون «یَهْدِی اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ یَشاءُ» در مورد آنان پیاده میگردد.

و این نور وحی باید از آلودگی به گرایشـهای مادی و انحرافی شـرقی و غربی که موجب پوسـیدگی و کدورت آن میشود بر کنار باشد.

آن چنان صاف و زلال و خالی از هر گونه التقاط و انحراف که بدون نیاز به هیچ چیز دیگر تمام نیروهای وجود انسان را بسیج کند، و مصداق «یکاد زیتُها یُضِیء و لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ» گردد.

سورة النور (24): آية 36 ص: 298

(آیه ۳۶) – تا به اینجا ویژگیها و مشخصات این نور الهی، نور هدایت و ایمان را در لا بلای تشبیه به یک چراغ پر فروغ مشاهده کردیم، اکنون باید دید این چراغ پر نور در کجاست؟ و محل آن چگونه است؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۲۹۹ آیه می فرماید: این چراغ پرفروغ «در خانه هایی قرار دارد که خداوند اذن فرموده دیوارهای آن را بالا برند و مرتفع سازند» تا از دستبرد دشمنان و شیاطین و هوس بازان در امان باشد (فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ).

«و (خانههایی که) ذکر نام خدا در آن برده می شود» و آیات قرآن و حقایق وحی را در آن بخوانند (وَ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ). اما این که منظور از این «بُیُوتٍ» (خانهها) چیست؟ پاسخ آن از ویژگیهایی که در ذیل آیه برای آن ذکر شده است روشن می شود، آنجا که می گوید: «و هر صبح و شام در آنها تسبیح او می گویند» (یُسَبِّحُ لَهُ فِیها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ).

سورة النور (24): آية 27 ص: 299

(آیه ۳۷)- «مردانی که نه تجارت آنها را از یاد خدا و بر پا داشتن نماز و ادای زکات باز میدارد و نه خرید و فروش» (رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقام الصَّلاهِ وَ إِیتاءِ الزَّکاهِ).

«آنها از روزی می ترسند که دلها و دیده ها در آن دگرگون و زیر و رو می شود» (یَخافُونَ یَوْماً تَتَقَلَّبُ فِیهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ). این ویژگیها نشان می دهد که این بیوت همان مراکزی است که: به فرمان پروردگار استحکام یافته و مرکز یاد خداست و حقایق اسلام و احکام خدا از آن نشر می یابد، و در این معنی وسیع و گسترده، مساجد، خانه های انبیاء و اولیا، مخصوصا خانه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و خانه علی علیه السّلام جمع است.

سورة النور (24): آية 38 ص: 299

(آیه ۳۸) – این آیه به پاداش بزرگ این پاسداران نور هدایت و عاشقان حق و حقیقت اشاره کرده، چنین می گوید. «این بخاطر آن است که خداونـد آنها را به بهترین اعمالی که انجام دادهانـد پاداش دهـد و از فضـلش بر پاداش آنها بیفزاید» (لِیجْزِیَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ یَزیدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ).

منظور این است که خداوند تمام اعمال آنها را بر معیار و مقیاس بهترین اعمالشان پاداش می دهد، حتی اعمال کم اهمیت و متوسطشان همردیف بهترین اعمالشان در پاداش خواهد بود! و این جای تعجب نیست، زیرا فیض خداوند برای آنها که شایسته فیض برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۰۰ اوینـد محـدود نیست «خداوند هر کس را بخواهد بیحساب روزی میدهد» و از مواهب بیانتهای خویش بهرهمند میسازد (وَ اللَّهُ یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابِ).

سورة النور (24): آية 39 ص: 300

(آیه ۳۹)- اعمالی همچون سراب! از آنجا که در آیات گذشته سخن از نور خدا، نور ایمان و هدایت، بود، برای تکمیل این بحث، و روشن شدن حال آنها در مقایسه با دیگران، در اینجا از ظلمت کفر و جهل و بی ایمانی، و کافران تاریک دل و منافقان گمراه سخن می گوید.

سخن از کسانی است که در بیابان خشک و سوزان زنـدگی به جای آب به دنبال سـراب میروند، و از تشـنگی جان میدهند، در حالی که مؤمنان در پرتو ایمان چشمه زلال هدایت را یافته و در کنار آن آرمیدهاند.

نخست می گوید: «و کسانی که کافر شدنید اعمالشان همچون سرابی است در یک کویر، که انسان تشنه آن را (از دور) آب می پندارد» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَعْمالُهُمْ کَسَرابِ بِقِیعَهٍٔ یَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً).

«اما هنگامی که به سراغ آن می آید چیزی نمی یابد» (حَتَّی إِذا جاءَهُ لَمْ یَجِدْهُ شَیْئاً).

«و خدا را نزد اعمال خود مى يابد و حساب او را صاف مى كند»! (وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ).

«و خداوند سريع الحساب است»! (وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ).

سورة النور (24): آية 40 ص: 300

(آیه ۴۰) - سپس به مثال دوم می پردازد، می گوید: و «یا (اعمال این کافران) همانند) ظلماتی است در یک اقیانوس پهناور که موج آن را پوشانده و بر فراز آن موج دیگری و بر فراز آن ابری تاریک است» (أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ).

و به این ترتیب «ظلمتهایی است که یکی بر فراز دیگری قرار گرفته»! (ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضِ).

آن چنان که هر کس در میان آن گرفتار شود آن قدر تاریک و ظلمانی است که «اگر دست ُخود را بیرون آورد ممکن نیست آن را ببیند»! (إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۰۱

يَكُدُ يَراها).

آری! نور حقیقتی در زنـدگی انسانها فقط نور ایمان است و بدون آن فضای حیات تیره و تار و ظلمانی خواهد بود، اما این نور ایمان تنها از سوی خـداست «و کسـی که خـدا نوری برایش قرار نـداده نوری برای او نیست» (وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورِ).

سورة النور (24): آية 41 ص: 301

(آیه ۴۱)- همه تسبیح گوی او هستند: در آیات گذشته سخن از نور خدا، نور هدایت و ایمان و ظلمات متراکم کفر و ضلالت بود، و در اینجا از دلائل توحید که نشانههای انوار الهی و اسباب هدایت است، سخن می گوید:

نخست روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، میفرماید: «آیا ندیدی تمام آنان که در آسمانها و زمینند برای خدا

تسبيح مي كنند»؟! (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

«و همچنین پرندگان به هنگامی که بر فراز آسمان بال گستردهاند» مشغول تسبیح او هستند؟! (وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ).

«هر یک از آنها نماز و تسبیح خود را میداند» (کُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَ تَشْبِیحَهُ).

ممكن است منظور از «صلاهٔ» (نماز) در اینجا به معنی دعا باشد.

«و خداوند از تمام اعمالي كه آنها انجام مي دهند با خبر است» (وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ).

سورة النور (24): آية 47 ص: 301

(آیه ۴۲) - و از آنجا که این تسبیح عمومی موجودات دلیلی بر خالقیت پروردگار است و خالقیت او دلیل بر مالکیت او نسبت به مجموعه جهان هستی است، و نیز دلیل بر آن است که همه موجودات به سوی او باز می گردند، اضافه می کند: «و برای خداست مالکیت آسمانها و زمین، و بازگشت تمامی موجودات به سوی اوست» (وَ لِلَّهِ مُلْحَکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِیرُ).

منظور از «تسبیح» و «حمد» همان چیزی است که ما آن را «زبان حال» مینامیم، یعنی مجموعه نظام جهان هستی و اسرار شگفتانگیزی که در هر یک از موجودات این عالم نهفته است، با زبان بیزبانی، با صراحت و بطور آشکار از برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۰۲

قدرت و عظمت خالق خود، و علم و حکمت بی انتهای او سخن می گویند، چرا که هر موجود بدیع و هر اثر شگفت انگیزی، حتی یک تابلو نفیس نقاشی یا یک قطعه شعر زیبا و نغز، حمد و تسبیح ابداع کننده خود می گوید، یعنی از یک سو صفات برجسته او را بیان می دارد (حمد) و از سوی دیگر عیب و نقص را از او نفی می کند (تسبیح) تا چه رسد به این جهان با عظمت و آن همه عجایب و شگفتیهای بی پایانش.

سورة النور (24): آية 43 ص: 302

(آیه ۴۳)- گوشهای دیگر از شگفتیهای آفرینش: باز در اینجا به گوشه دیگری از شگفتیهای آفرینش و علم و حکمت و عظمتی که ماورای آن نهفته است بر خورد می کنیم که همه دلائل توحید ذات پاک اویند.

روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، می گوید: «آیا ندیدی که خداوند ابرهایی را به آرامی میراند، سپس آنها را با هم پیوند میدهد، و بعد متراکم میسازد»؟! (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِی سَحاباً ثُمَّ يُؤلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُکاماً).

پس در این حال دانه های باران را می بینی که از لا بلای ابرها خارج می شونید» و بر کوه و دشت و باغ و صحرا فرو می بارند (فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ).

آری! باران است که زمینهای مرده را زنده می کند، لباس حیات در پیکر درختان و گیاهان میپوشاند، و انسان و حیوانات را سیراب می کند.

سپس به یکی دیگر از پدیدههای شگفتانگیز آسمان و ابرها اشاره کرده، می گوید: «و (خدا) از آسمان، از کوههایی که در آسمان است، دانههای تگرگ را نازل می کند» (وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ).

منظور از کوهها، تودههای عظیم ابر است، که در عظمت و بزرگی بسان کوه است.

تگرگهایی که «هر کس را بخواهد به وسیله آن زیان میرساند» (فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ).

شکوفههای درختان، میوهها و زراعتها، و حتی گاه حیوانها و انسانها از آسیب آن در امان نیستند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۰۳

«و از هر كس بخواهد اين عذاب و ريان را بر طرف ميسازد» (وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ).

آری! اوست که از یک ابر گاهی باران حیات بخش نازل می کند و گاه با مختصر تغییر آن را مبدل به تگرگهای زیان بار و حتی کشنده می کند، و این نهایت قدرت و عظمت او را نشان می دهد که سود و زیان و مرگ و زندگی انسان را در کنار هم چیده بلکه در دل هم قرار داده است! و در پایان آیه به یکی دیگر از پدیده های آسمانی که از آیات توحید است اشاره کرده، می گوید: «نزدیک است درخشندگی برق ابرها، چشمهای انسان را ببرد» (یکاد سنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ).

ابرهایی که در حقیقت از ذرات «آب» تشکیل شده است به هنگامی که حامل نیروی برق می شود، آن چنان «آتشی» از درونش بیرون می جهد که برقش چشمها را خیره، و رعدش گوشها را از صدای خود پر می کند، و گاه همه جا را می لرزاند، این نیروی عظیم در لابلای این بخار لطیف راستی شگفتانگیز است!

سورة النور (24): آية 44 ص: 303

(آیه ۴۴)- در این آیه به یکی دیگر از آیات خلقت و نشانههای عظمت پروردگار که همان خلقت شب و روز و ویژگیهای آنهاست اشاره کرده، میفرماید:

«خداونـد شب و روز را دگرگون میسازد، و در این عبرتی است برای صاحبان بصیرت» (یُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ إِنَّ فِی ذلِکَ لَعِبْرَةً لِأُولِی الْأَبْصارِ).

این دگر گونی- یعنی آمد و شد شب و روز و تغییرات تدریجی آنها- برای انسان جنبه حیاتی دارد، و درس عبرتی است برای «اولی الابصار».

سورة النور (24): آية 45 ص: 303

(آیه ۴۵)- ایـن آیه به یکی از مهمـترین چهرههـای نظـام آفرینش که از روشـنترین دلائـل توحیـد است یعنی مسـأله حیـات در صورتهای متنوعش اشاره کرده، میگوید: «خداوند هر جنبندهای را از آبی آفرید» (وَ اللَّهُ خَلَقَ کُلَّ دَابَّهٍ مِنْ ماءٍ).

منظور از «آب» نطفه است و احتمال دارد اشاره به پیدایش نخستین «موجود» باشد، زیرا هم طبق بعضی از روایات اسلامی اولین موجودی را که خدا برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۰۴

آفریده آب بوده و انسانها را بعدا از آن آب آفرید و هم طبق فرضیههای علمی جدید نخستین جوانه «حیات» در دریاها ظاهر شده، و این پدیده قبل از همه جا بر اعماق یا کنار دریاها حاکم شده است.

و با این که اصل همه آنها به آب باز می گردد با این حال خلقتهای بسیار متفاوت و شگفتانگیزی دارند: «پس گروهی از آنها بر شکم خود راه میروند» (خزندگان) (فَمِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی بَطْنِهِ).

«و گروهی بر روی دو پا راه میروند» انسانها و پرندگان (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِی عَلی رِجْلَيْنِ).

«و گروهی بر روی چهار پا راه میروند» چهار پایان (وَ مِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی أَرْبَع).

تازه منحصر به اینها نیست و حیات چهره های فوق العاده متنوع دارد اعم از موجوداتی که در دریا زندگی می کنند و یا حشرات که هزاران نوع دارند و هزاران صورت لذا در پایان آیه می فرماید: «خداوند هر چه را اراده کند می آفریند» (یَخْلُقُ اللَّهُ ما یَشاءُ). «چرا که خدا بر همه چیز تواناست» (إِنَّ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَيْءٍ قَدِیرٌ).

سورة النور (۲۴): آية ۴۶ ص: ۳۰۴

اشاره

(آیه ۴۶)

شأن نزول: ص: 304

در مورد نزول این آیه و چهار آیه بعد نقل شده: یکی از منافقان با یک مرد یهودی نزاعی داشت، مرد یهودی، منافق ظاهر مسلمان را به داوری پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله خواند، اما منافق زیر بار نرفت، و او را به داوری «کعب بن اشرف یهودی»! دعوت کرد این آیات نازل شد و سخت این گونه اشخاص را مورد سر زنش و مذمت قرار داد.

تفسير: ص: ۲۰۴

ایمان و پذیرش داوری خدا- از آنجا که در آیات گذشته، سخن از ایمان به خدا و دلائل توحید و نشانههای او در جهان تکوین بود، در اینجا سخن از آثار ایمان و بازتابهای توحید در زندگی انسان و تسلیم او در برابر حق و حقیقت است. نخست می گوید: «ما آیات روشن و روشنگری نازل کردیم» (لَقَدْ أَنْزَلْنا آیاتٍ) بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۰۵ مُبَیِّناتٍ). آیاتی که دلها را به نور ایمان و توحید روشن می کند، افکار انسانها را نور و صفا می بخشد و محیط تاریک زندگیشان را عوض می کند.

البته وجود این «آیات مبینات» زمینه را برای ایمان فراهم میسازد، ولی نقش اصلی را هدایت الهی دارد، چرا که «خدا هر کس را بخواهد به صراط مستقیم هدایت میکند» (وَ اللَّهُ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیم).

و میدانیم که اراده خداوند و مشیت او بیحساب نیست، او نور هدایت را به دلهایی میافکند که آماده پذیرش آن هستند.

سورة النور (24): آية 47 ص: 300

(آیه ۴۷) - سپس به عنوان مذمت از گروه منافقان که دم از ایمان میزنند و ایمان در دل آنها پرتو افکن نیست میفرماید: «آنها می گویند: به خدا و پیامبر ایمان داریم و اطاعت می کنیم، ولی بعد از این ادعا، گروهی از آنها روی گردان می شوند، آنها در حقیقت مؤمن نیستند» (وَ یَقُولُونَ آمَنًا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنا ثُمَّ یَتَولَّی فَرِیتٌ مِنْهُم مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ ما أُولئِکَ باللَّهُ مِنِینَ).

این چگونه ایمانی است که از زبانشان فراتر نمی رود؟ و پرتوش در اعمالشان ظاهر نمی گردد؟

سورة النور (24): آية 48 ص: 300

(آیه ۴۸)- بعد به عنوان یک دلیل روشن برای بی ایمانی آنها می فرماید:

«و هنگامی که از آنها دعوت شود که به سوی خـدا و پیامبرش بیایند تا در میان آنان داوری کند، گروهی از آنها روی گردان میشوند» (وَ إِذا دُعُوا إِلَی اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِیَحْکُمَ بَیْنَهُمْ إِذا فَرِیقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ).

سورة النور (24): آية 49 ص: 300

(آیه ۴۹)- برای تأکید بیشتر و روشن شدن شرک و دنیا پرستیشان اضافه میکند: «ولی اگر حق داشته باشند (و داوری به نفع آنان شود) با سرعت و تسلیم به سوی او میآیند» (وَ إِنْ یَکُنْ لَهُمُ الْحَقُّ یَأْتُوا إِلَیْهِ مُذْعِنِینَ).

سورة النور (24): آية ٥٠ ص: 300

(آیه ۵۰) - در این آیه ریشه های اصلی و انگیزه های عدم تسلیم در برابر داوری پیامبر صلّی الله علیه و آله را در سه جمله بیان کرده، می گوید: «آیا در دلهای آنها بیماری است» بیماری نفاق (أَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ).

این یکی از صفات منافقان است که اظهار ایمان می کنند اما بخاطر انحرافی بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۰۶

که در دل از اصل توحید دارند هرگز تسلیم داوری خدا و پیامبر صلّی الله علیه و آله نیستند «یا (اگر بیماری نفاق بر دلهای آنها چیره نشده) به راستی در شک و تردیدند»؟ (أَم ارْتابُوا).

و طبیعی است شخصی که در پذیرش یک آیین مردد است تسلیم لوازم آن نخواهد بود.

يا اين كه اگر نه آن است و نه اين و از مؤمناننـد «آيا به راستى مىترسـيدند كه خـدا و رسولش بر آنها ظلم و سـتم كند»؟! (أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ).

در حالی که این تناقض آشکاری است کسی که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله را فرستاده خدا و بیانگر رسالت او میداند و حکمش را حکم خدا میشمرد ممکن نیست احتمال ظلم و ستم در باره او دهد، مگر امکان دارد خدا به کسی ستم کند؟ مگر ظلم زاییده جهل یا نیاز یا خود خواهی نیست؟ ساحت مقدس خداوند از همه اینها پاک است.

«بلكه در واقع خود اينها ظالم و ستمكّرند» (بَلْ أُولئِكُ هُمُ الظَّالِمُونَ).

آنها نمیخواهند به حق خودشان قانع باشند، و چون میدانند پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله چیزی از حق دیگران به آنها نخواهد داد تسلیم داوری او نمیشوند.

سورة النور (24): آية 31 ص: 308

(آیه ۵۱)– ایمان و تسلیم مطلق در برابر حق: در آیات گذشته عکس العمل منافقان تاریک دل را که در ظلمات متراکم قرار داشتند، در برابر داوری خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دیدیم. در اینجا نقطه مقابل آن یعنی بر خورد مؤمنان را با این داوری الهی تشریح کرده، می گوید: «سخن مؤمنان، هنگامی که به سوی خدا و رسولش دعوت شوند تا میان آنان داوری کند، تنها این است که می گویند: شنیدیم و اطاعت کردیم»! (إِنَّما کانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا).

کسی که خدا را عالم به همه چیز میداند، و بینیاز از هر کس، و رحیم و مهربان به همه بندگان، چگونه ممکن است داوری کسی را بر داوری او ترجیح دهد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۰۷

لذا در پایان آیه می فرماید: «و اینها همان رستگاران واقعی هستند» (وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

کسی که زمام خود را به دست خدا بسپارد، و او را حاکم و داور قرار دهد بدون شک در همه چیز پیروز است، چه در زندگی مادی و چه معنوی.

سورة النور (24): آية 22 ص: 327

(آیه ۵۲)- این آیه همین حقیقت را به صورت کلی تر تعقیب کرده، می فرماید: «و کسانی که اطاعت خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کننـد و از خدا بترسـند و تقوا پیشه نمایند آنها نجات یافتگان و پیروزمندانند» (وَ مَنْ یُطِعِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَخْشَ اللّهَ وَ یَتَقْهِ فَأُولِئِکَ هُمُ الْفائِزُونَ).

سورة النور (24): آية 23 ص: 300

(آیه ۵۳) – لحن این آیه و همچنین شأن نزولی که در بعضی از تفاسیر در مورد آن وارد شدن – نشان می دهد که جمعی از منافقان بعد از نزول آیات قبل و ملامتهای شدید آن از وضع خود سخت ناراحت شدند و خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله آمدند و شدیدا سو گند یاد کردند که ما تسلیم فرمان توایم قرآن در مقام پاسخ بر آمده و با قاطعیت به آنها گفت: «آنها با نهایت تأکید سو گند یاد کردند که اگر به آنها فرمان بدهی (از خانه و اموال خود) بیرون می روند (و جان را در طبق اخلاص گذارده تقدیم می کنند) بگو: سو گند یاد نکنید شما طاعت خالصانه و صادقانه نشان دهید که خدا به آنچه عمل می کنید آگاه است» (وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَیْمانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَیَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا طاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ)

.منظور از «خروج» خمارج شمدن از اموال و زنمدگی و یا همراه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به هر جا رفتن و در خمدمت او بودن است.

سورة النور (24): آية 34 ص: 307

(آیه ۵۴) - در این آیه مجددا روی همین معنی تأکید کرده، می گوید: «به آنها بگو: اطاعت خدا و اطاعت پیامبرش را کنید» (قُلْ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ).

سپس اضافه می کند: در برابر این فرمان از دو حال خارج نیستید «پس اگر سر پیچی کنید و روی گردان شوید پیغمبر مسؤول اعمال خویش است (و وظیفه خود را انجام داده) و شما هم مسؤول اعمال خود هستید» و وظیفه شما اطاعت صادقانه است (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ ما حُمِّلُ وَ عَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۰۸ (اما اگر از او اطاعت کنید، هدایت خواهید شد» (وَ إِنْ تُطِیعُوهُ تَهْتَدُوا).

زیرا او رهبری است که جز به راه خدا و حق و صواب دعوت نمی کند.

«و (در هر حال) بر پيامبر صلّى الله عليه و آله چيزى جز ابلاغ آشكار نيست» (وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ).

او موظف است فرمان خدا را آشکارا به همگان برساند خواه بپذیرند یا نپذیرند پذیرش و عُدم پذیرش این دعوت، سود و زیانش متوجه خود آنها خواهد شد.

سورة النور (24): آية ۵۵ ص: 308

اشاره

(آیه ۵۵)

شأن نزول: ص: 308

«هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله و مسلمانان به مدینه هجرت کردند و انصار با آغوش باز آنها را پذیرا گشتند، تمامی عرب بر ضد آنها قیام کردند و آن چنان بود که آنها ناچار بودند اسلحه را از خود دور نکنند، شب را با سلاح بخوابند و صبح با سلاح بر خیزند. ادامه این حالت بر مسلمانان سخت آمده، بعضی گفتند آیا زمانی فرا خواهد رسید که اطمینان و آرامش بر ما حکم فرما گردد، و جز از خدا از هیچ کس نترسیم؟ آیه نازل شد و به آنها این بشارت را داد که آری چنین زمانی فرا خواهد رسید».

تفسیر: ص: ۳۰۸

حكومت جهانى مستضعفان! از آنجا كه در آيات گذشته، سخن از اطاعت و تسليم در برابر فرمان خدا و پيامبر صلّى الله عليه و آله بود، اين آيه همين موضوع را ادامه داده و نتيجه اين اطاعت را كه همان حكومت جهانى است بيان مى كند، و به صورت مؤكد مى گويد: «خداوند به كسانى كه از شما ايمان آوردهاند و اعمال صالح انجام دادهاند وعده مى دهد كه آنها را قطعا خليفه روى زمين خواهد كرد، همان گونه كه پيشينيان را خلافت روى زمين بخشيد» (وَعَدَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

منظور از «پیشینیان» بنی اسرائیل است، زیرا آنها با ظهور موسی (ع) و در هم شکسته شدن قدرت فرعون و فرعونیان مالک حکومت روی زمین شدند.

«و دین و آیینی را که برای آنها پسندیده، بطور ریشه دار و پا بر جا در صفحه زمین مستقر سازد» (وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضی لَهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۰۹

«و خوف و ترس آنها را، به امنیت و آرامش مبدل خواهد کرد» (وَ لَیْبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً).

و آن چنان میشود که «تنها مرا میپرستند و چیزی را شریک من قرار نخواهند داد» (یَعْبُدُونَنِی لا یُشْرِکُونَ بِی شَیْئاً).

مسلم است بعد از این سیطره حکومت توحید و استقرار آیین الهی و از میان رفتن هر گونه اضطراب و ناامنی و هر گونه شرک «کسانی که بعد از آن کافر شوند فاسقان واقعی آنها هستند» (وَ مَنْ کَفَرَ بَعْدَ ذلِکَ فَأُولِئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ).

از مجموع آیه چنین بر می آید که خداوند به گروهی از مسلمانان که دارای دو صفت «ایمان» و «عمل صالح» هستند سه نوید داده است:

۱- جانشینی و حکومت روی زمین.

۲- نشر آیین حق بطور اساسی و ریشهدار در همه جا.

۳- از میان رفتن تمام اسباب خوف و ترس و وحشت و ناامنی.

و نتیجه این امور آن خواهد شد که با نهایت آزادی خدا را بپرستند و فرمانهای او را گردن نهند و هیچ شریک و شبیهی برای او قائل نشوند و توحید خالص را در همه جا بگسترانند.

این وعده الهی از آن کیست؟ در آیه خواندیم خدا وعده حکومت روی زمین و تمکین دین و آیین و امنیت کامل را به گروهی که ایمان دارند و اعمالشان صالح است داده اما در این که منظور از این گروه از نظر مصداقی چه اشخاصی است؟ بدون شک آیه شامل مسلمانان نخستین می شود و حکومت حضرت مهدی (عج) - که طبق عقیده عموم مسلمانان اعم از شیعه و اهل تسنن سراسر روی زمین را پر از عدل و داد می کند بعد از آن که ظلم و جور همه جا را گرفته باشد – مصداق کامل این آیه است، ولی با این حال مانع از عمومیت و گستردگی مفهوم آیه نخواهد بود.

نتیجه این که در هر عصر و زمان پایههای ایمان و عمل صالح در میان برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۱۰

مسلمانان مستحكم شود، آنها صاحب حكومتي ريشهدار و پر نفوذ خواهند شد.

چنین حکومتی تمام تلاشها و کوششهایش از جنگ و صلح گرفته تا برنامههای آموزشی و فرهنگی و اقتصادی و نظامی، همه در مسیر بندگی خدا، بندگی خالی از هر گونه شرک است.

سورة النور (24): آية 36 ص: 310

(آیه ۵۶)- فرار از چنگال مجازات او ممکن نیست! در آیه گذشته وعده خلافت روی زمین به مؤمنان صالح داده شده بود در این آیه و آیه بعد مردم را برای فراهم کردن مقدمات این حکومت بسیج می کند.

نخست می گوید: «و نماز را بر پا دارید» (وَ أُقِیمُوا الصَّلاة). همان نمازی که رمز پیوند خلق با خالق است، و ارتباط مستمر آنها را با خدا تضمین می کند، و میان آنها و فحشا و منکر حائل می شود.

«و زکات را بدهید» (وَ آتُوا الزَّکاهَ). همان زکاتی که نشانه پیوند با «خلق خدا» است، و وسیله مؤثری برای کم کردن فاصلهها، و سبب استحکام پیوندهای عاطفی است.

«و رسول (خدا) را اطاعت كنيد» (وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ). اطاعتى كه شما را در خط مؤمنان صالح كه شايسته حكومت بر زمينند قرار مىدهد.

«تــا (در پرتــو انجــام این دســتورات) مشــمول رحمت او (خــدا) شویــد» (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ). و شایســته پرچمداری حکومت حق و عدالت گردید.

سورة النور (24): آية 57 ص: 310

(آیه ۵۷) و اگر فکر می کنید ممکن است دشمنان نیرومند لجوج در این راه سنگ بیندازند و مانع تحقق وعده الهی شوند، چنین امری امکان پذیر نیست، چرا که قدرت آنها در برابر قدرت خدا ناچیز است، بنا بر این «گمان مبر که افراد کافر می توانند از چنگال مجازات الهی در پهنه زمین فرار کنند» (لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا مُعْجِزِینَ فِی الْأَرْضِ).

نه تنها در این دنیا از مجازات خدا مصون نیستند «بلکه در آخرت «جایگاهشان آتش است و چه بد جایگاهی است» (وَ مَأْواهُمُ النَّارُ وَ لَبِئْسَ الْمَصِیرُ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۱۱

سورة النور (24): آية 58 ص: 211

(آیه ۵۸)- آداب ورود به جایگاه خصوصی پدر و مادر: از آنجا که مهمترین مسألهای که در این سوره، تعقیب شده مسأله عفت عمومی است در اینجا نیز به یکی از اموری که با این مسأله ارتباط دارد پرداخته و خصوصیات آن را تشریح می کند. نخست می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! باید مملوکهای شما (بردگانتان) و همچنین کودکانتان که به حد بلوغ نرسیده اند در سه وقت از شما اجازه بگیرند» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِیَسْتَأْذِنْکُمُ الَّذِینَ مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ وَ الَّذِینَ لَمْ یَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْکُمْ ثَرَّات).

«قبل از نماز صبح و نیم روز هنگامی که لباسهای (معمولی) خود را بیرون می آورید، و بعد از نماز عشا» (مِنْ قَبْلِ صَلاهِٔ الْفَجْرِ وَ حِینَ تَضَعُونَ ثِیابَکُمْ مِنَ الظَّهِیرَهُِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلاهِٔ الْعِشاءِ).

اين سه وقت «سه وقت خصوصي براي شماست» (ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ).

بدیهی است این دستور متوجه اولیای اطفال است که آنها را وادار به انجام این برنامه کنند، چرا که آنها هنوز به حد بلوغ نرسیدهاند تا مشمول تکالیف الهی باشند.

ضمنا اطلاق آیه، هم شامل کودکان پسر و هم کودکان دختر می شود.

در پایان آیه میفرماید: «گناهی بر شما و بر آنان نیست (که بدون اذن وارد شونهد) و بر گرد یکدیگر بگردید» و با صفا و صمیمیت به یکدیگر خدمت نمایید (لَیْسَ عَلَیْکُمْ وَ لا عَلَیْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَیْکُمْ بَعْضُکُمْ عَلی بَعْضٍ).

آرى «اين چنين خداونـد آيـات را براى شـما تبيين مىكنـد و خداونـد دانا و حكيم است» (كَـذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

سورة النور (24): آية ٥٩ ص: 311

(آیه ۵۹) - در این آیه حکم بالغان را بیان کرده، می گوید: «و هنگامی که اطفال شما به سن بلوغ رسند باید (در همه اوقات) اجازه بگیرند همان گونه که اشخاصی که قبل از آنها بودند اجازه می گرفتند» (وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْ تَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۱۲

کودکان نابالغ طبق آیه قبل تنها در سه وقت موظف به اجازه گرفتن هستند، چون زندگی آنها با زندگی پدران و مادران آنقدر آمیخته است که اگر بخواهند در همه حال اجازه بگیرند مشکل خواهد بود، و از این گذشته احساسات جنسی آنها هنوز بطور کامل بیدار نشده، ولی نوجوانان بالغ طبق این آیه که اذن گرفتن را بطور مطلق برای آنها واجب دانسته موظفند در

همه حال به هنگام ورود بر پدر و مادر اذن بطلبند.

این حکم مخصوص به مکانی است که پـدر و مادر در آنجا استراحت میکنند، و گر نه وارد شدن در اتاق عمومی آنها اجازه گرفتن لازم ندارد.

در پایان آیه برای تأکید و توجه بیشتر میفرماید: «این گونه خداوند آیاتش را برای شما تبیین میکند و خداوند عالم و حکیم است» (کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ).

سورة النور (24): آية 60 ص: 312

(آیه ۶۰) - در این آیه زنان پیر و سالخورده را از حکم حجاب زنان مستثنی کرده، می گوید: «و زنان از کار افتادهای که امیدی به ازدواج ندارنـد گنـاهـی بر آنان نیست که لباسـهای (روئین) خود را بر زمین بگذارنـد در حالی که در برابر مردم خود آرایی نکنند» (وَ الْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ اللَّاتِی لا یَوْجُونَ نِکاحاً فَلَیْسَ عَلَیْهِنَّ جُناحٌ أَنْ یَضَعْنَ ثِیابَهُنَّ غَیْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِینَهٍ).

در واقع برای این استثنا دو شرط وجود دارد:

نخست این که به سن و سالی برسند که معمولا امیدی به ازدواج ندارند، و به تعبیر دیگر جاذبه جنسی را کاملا از دست دادهاند.

دیگر این که در حال بر داشتن حجاب خود را زینت ننمایند.

البته منظور برهنه شدن و بیرون آوردن همه لباسها نیست بلکه تنها کنار گذاشتن لباسهای رویین است که بعضی روایات از آن تعبیر به چادر و روسری کرده است.

و در پایان آیه اضافه می کند که با همه احوال «اگر آنها تعفف کنند و خویشتن را بپوشانند برای آنها بهتر است» (وَ أَنْ یَسْتَعْفِفْنَ خَیْرٌ لَهُنَّ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۱۳

چرا که از نظر اسلام هر قدر زن جانب عفاف و حجاب را رعایت کند پسندیده تر و به تقوا و پاکی نزدیکتر است.

و از آنجا که ممکن است بعضی از زنان سالخورده از این آزادی حساب شده و مشروع سوء استفاده کنند، و احیانا با مردان به گفتگوهای نامناسب بپردازند و یا طرفین در دل افکار آلودهای داشته باشند در آخر آیه به عنوان یک اخطار میفرماید: «و خداوند شنوا و داناست» (وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ).

آنچه را می گویید می شنود و آنچه را در دل دارید و یا در سر می پرورانید می داند.

سورة النور (24): آية 61 ص: 213

(آیه ۶۱) – خانه هایی که غذا خوردن از آنها مجاز است: از آنجا که در آیات سابق سخن از اذن ورود در اوقات معین یا بطور مطلق به هنگام داخل شدن در منزل اختصاصی پدر و مادر بود، این آیه در واقع استثنایی بر این حکم است که گروهی می توانند در شرایط معینی بدون اجازه وارد منزل خویشاوندان و مانند آن شوند و حتی بدون استیذان غذا بخورند.

این در حقیقت حاکی از نهایت صفا و صمیمیتی است که در جامعه اسلامی باید حاکم باشد و تنگ نظری ها و انحصار طلبی ها و خودخواهی ها از آن دور گردد.

نخست مىفرمايد: «بر نابينا و افراد لنگ و بيمار گناهى نيست» كه با شما هم غذا شوند (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ وَ لا عَلَى

الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ).

چرا که طبق صریح بعضی از روایات، اهل مدینه پیش از آن که اسلام را پذیرا شوند افراد نابینا و شل و بیمار را از حضور بر سر سفره غذا منع می کردند و با آنها هم غذا نمی شدند و از این کار نفرت داشتند.

سپس قرآن مجید اضافه می کند: «و بر شما نیز گناهی نیست که از خانه های خودتان [خانه های فرزندان یا همسرانتان که خانه خود شما محسوب می شود بدون اجازه خاصّی] غذا بخورید» (وَ لا عَلی أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُیُوتِكُمْ).

«یا خانههای پدرانتان» (أَوْ بُیُوتِ آبائِکُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۱۴

«یا خانههای مادرانتان» (أَوْ بُیُوتِ أُمَّهاتِكُمْ).

«یا خانههای برادرانتان» (أَوْ بُیُوتِ إِخُوانِكُمْ).

«یا خانههای خواهرانتان» (أَوْ بُیُوتِ إِخُوانِکُمْ).

«يا خانههاي عموهايتان» (أَوْ بُيُوتِ أَعْمامِكُمْ).

«یا خانههای عمههایتان» (أَوْ بُیُوتِ عَمَّاتِكُمْ).

«يا خانههاى دائيهايتان» (أَوْ بُيُوتِ أَخُوالِكُمْ).

«يا خانههاى خالههايتان» (أَوْ بُيُوتِ خالاتِكُمْ).

«یا خانهای که کلیدهایش در اختیار شماست» (أَوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ).

«يا خانههاي دوستانتان» (أَوْ صَدِيقِكُمْ).

و منظور از آن در اینجا دوستان خاص و نزدیکند که رفت و آمد با یکدیگر دارند، و ارتباط میان آنها ایجاب میکند که به منزل یکدیگر بروند و از غذای هم بخورند.

البته در صورت اسراف و تبذير يا نهى صريح يا علم به كراهت در هيچ يك از موارد فوق جايز نيست.

سپس ادامه میدهد: «بر شما گناهی نیست که بطور دسته جمعی یا جدا گانه غذا بخورید» (لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْکُلُوا جَمِیعاً أَوْ أَشْتاتاً).

گویا جمعی از مسلمانان در آغاز اسلام از غذا خوردن تنهایی، ابا داشتند و اگر کسی را برای هم غذا شدن نمییافتند مدتی گرسنه میماندند، قرآن به آنها تعلیم میدهد که غذا خوردن به صورت جمعی و فردی هر دو مجاز است.

بعضی دیگر گفتهاند که: جمعی مقید بودند که اغنیا با فقیران غذا نخورند، و فاصله طبقاتی راحتی بر سر سفره حفظ کنند، قرآن این سنّت غلط و ظالمانه را با عبارت فوق نفی کرد.

سپس به یک دستور اخلاقی دیگر اشاره کرده، میگوید: «پس هنگامی که وارد خانهای شدید بر خویشتن سلام کنید، سلام و تحیتی از سوی خداونـد، سـلامی پر برکت و پاکیزه» (فَإِذا دَخَلْتُمْ بُیُوتاً فَسَـلِّمُوا عَلی أَنْفُسِـکُمْ تَحِیَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۱۵

مُبارَكَةً طَيِّبَةً).

و سر انجام با این جمله آیه را پایان میدهد: «این گونه خداوند آیات (خویش) را برای شما تبیین می کند، شاید اندیشه و تفکر کنید» (کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ).

به هنگام ورود در هر خانهای باید سلام کرد، مؤمنان بر یکدیگر، و اهل منزل بر یکدیگر، و اگر هم کسی نباشد، سلام کردن بر خویشتن، چرا که همه اینها در حقیقت باز گشت به سلام بر خویش دارد. سلام بر خویشتن به این عبارت است: السّـ لام علینا من قبل ربّنا، درود بر ما از سوی پروردگار ما یا السّلام علینا و علی عباد اللّه الصّالحین، درود بر ما و بر بندگان صالح خدا.

سورة النور (24): آية 67 ص: 210

اشاره

(آیه ۶۲)

شأن نزول: ص: 315

در بعضی از روایات میخوانیم که این آیه در مورد «حنظلهٔ بن أبی عیاش» نازل شده است که در همان شب که فردای آن جنگ احد در گرفت میخواست عروسی کند، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با اصحاب و یاران مشغول به مشورت در باره جنگ بود، او نزد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به او اجازه دهد آن شب را نزد همسر خود بماند، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به او اجازه داد.

صبحگاهان به قدری عجله برای شرکت در برنامه جهاد داشت که موفق به انجام غسل نشد، با همان حال وارد معرکه کارزار گردید، و سر انجام شربت شهادت نوشید.

پیامبر صلّی الله علیه و آله در باره او فرمود: «فرشتگان را دیدم که حنظله را در میان زمین و آسمان غسل می دهند»! لذا بعد از آن حنظله به عنوان «غسیل الملائکه» نامیده شد.

تفسير: ص: ٣١٥

پیامبر را تنها نگذارید! در چند آیه قبل، سخن از لزوم اطاعت خدا و پیامبر صلّی الله علیه و آله در میان بود و یکی از شؤون اطاعت آن است که بدون اذن و فرمان او کاری نکنند، لذا در این آیه می فرماید: «مؤمنان واقعی کسانی هستند که ایمان به خدا و رسولش آورده اند و هنگامی که در کار مهمی که حضور جمعیت را ایجاب برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۱۶ می کند با او باشند، بدون اذن و اجازه او به جایی نمی روند» (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا کانُوا مَعَهُ عَلی أَمْرٍ جامِع لَمْ یَذْهَبُوا حَتَّی یَسْتَأْذِنُوهُ).

منظور از «أُمْرٍ جامِعٍ» هر كار مهمى است كه اجتماع مردم در آن لا زم است خواه مسأله مهم مشورتى باشد، خواه مطلبى پيرامون جهاد و مبارزه با دشمن، و خواه نماز جمعه در شرايط فوق العاده، و مانند آن.

در حقیقت این یک دستور انضباطی است که هیچ جمعیت و گروه متشکل و منسجم نمی تواند نسبت به آن بیاعتنا باشد، چرا که در این گونه مواقع گاهی حتی غیبت یک فرد گران تمام می شود و به هدف نهایی آسیب می رساند.

ولی اگر رهبر، غیبت او را مضرّ تشخیص نـداد، به او اجازه میدهـد و در غیر این صورت بایـد بماند و گاهی کار خصوصـی

خود را فدای هدف مهمتر کند.

لـذا در دنبـال این جمله اضـافه می کنـد: «کسـانی که از تو اجـازه می گیرنـد آنها به راستی ایمان به خـدا و رسولش آوردهانـد» ایمانشان تنها با زبان نیست، بلکه با روح و جان مطیع فرمان تواند (إِنَّ الَّذِینَ یَسْتَأْذِنُونَکَ أُولئِکَ الَّذِینَ یُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ). «در این صورت هر گاه از تو برای بعضی از کارهای مهم خود اجازه بخواهند به هر کس از آنها میخواهی (و صلاح می بینی) اجازه ده» (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوکَ لِبَعْض شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ).

و در پایان آیه میفرماید: هنگامی که به آنها اجازه میدهی «برای آنان استغفار کن که خداونـد آمرزنـده و مهربان است» (وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

این تعبیر نشان میدهد که تا میتوانند از گرفتن اجازه خودداری کنند و فدا کاری و ایثار نمایند که حتی پس از اجازه باز عمل آنها ترک اولی است، مبادا حوادث جزئی را بهانه ترک گفتن این برنامههای مهم قرار دهند.

البته این دستور انضباطی مهم اسلامی مخصوص پیامبر و یارانش نبوده است بلکه در برابر تمام رهبران و پیشوایان الهی-اعم از پیامبر و امام و علمائی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۱۷

جانشین آنها هستند- رعایت آن لازم است، چرا که مسأله سرنوشت مسلمین و نظام جامعه اسلامی در آن مطرح میباشد، و حتی علاوه بر دستور قرآن مجید، عقل و منطق نیز حاکم به آن است.

سورة النور (24): آية 63 ص: 317

(آیه ۶۳)– سپس دستور دیگری در ارتباط با فرمانهای پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله بیان کرده، میگوید: صدا کردن پیامبر را در میان خود، مانند صدا کردن یکدیگر قرار ندهید» (لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَیْنَکُمْ کَدُعاءِ بَعْضِکُمْ بَعْضاً).

او هنگامی که شما را برای مسألهای فرا میخواند حتما یک موضوع مهم الهی و دینی است، باید آن را با اهمیت تلقی کنید، و بطور جدی روی آن بایستید، که فرمانش فرمان خدا و دعوتش دعوت پروردگار است.

سپس ادامه میدهد، «خداوند کسانی از شما را که (برای جدا شدن از برنامههای مهم پیامبر) پشت سر دیگران پنهان میشوند، و یکی پس از دیگری فرار میکنند میداند» و میبیند (قَدْ یَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِینَ یَتَسَلَّلُونَ مِنْکُمْ لِواذاً).

«پس آنها که فرمان او را مخالفت میکننـد بایـد بترسـند از این که فتنهای دامنشان را بگیرد، یا عـذاب دردناک به آنها برسـد» (فَلْیَحْذَرِ الَّذِینَ یُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِیبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ یُصِیبَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ).

سورة النور (24): آية 64 ص: 317

(آیه ۶۴)- این آیه که آخرین آیه سوره نور است اشاره لطیف و پر معنایی است به مسأله مبدء و معاد که انگیزه انجام همه فرمانهای الهی است میفرماید:

«آگاه باشید که برای خداست آنچه در آسمانها و زمین است» (أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

خدایی که علم و دانش او همه جهان را در بر می گیرد و «میداند آنچه را شما بر آن هستید» (قَدْ یَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَیْهِ) روش شما، اعمال شما، عقیده و نیت شما، همه برای او آشکار است.

و تمام این امور بر صفحه علم او ثبت است «و آن روز که انسانها به سوی او باز می گردنید آنها را از اعمالی که انجام دادهاند

آگاه میسازد» و نتیجه آن را هر چه باشـد به آنها میدهـد (وَ یَوْمَ یُرْجَعُونَ إِلَیْهِ فَیُنَبِّنُهُمْ بِما عَمِلُوا). برگزیـده تفسـیر نمونه، ج۳، ص: ۳۱۸

«و خدا به هر چیزی داناست» (وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

قابل توجه این که در این آیه سه بار روی علم خدا نسبت به اعمال انسانها تکیه شده است و این به خاطر آن است که انسان هنگامی که احساس کند، کسی بطور دائم مراقب اوست، و ذرهای از پنهان و آشکارش بر او مخفی نمی ماند این اعتقاد و باور اثر تربیتی فوق العاده روی او می گذارد و ضامن کنترل انسان در برابر انحرافات و گناهان است.

«پایان سوره نور»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۱۹

سوره فرقان [24] ص: 319

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۷۷ آیه دارد.

محتواي سوره: ص: 319

این سوره در حقیقت از سه بخش تشکیل می شود:

بخش اول که آغاز این سوره را تشکیل میدهد منطق مشرکان را شدیدا در هم میکوبد، و بهانه جوییهای آنها را مطرح کرده و پاسخ می گوید، و آنها را از عذاب خدا و حساب قیامت و مجازاتهای دردناک دوزخ بیم میدهد، و به دنبال آن قسمتهایی از سر گذشت اقوام پیشین را باز گو میکند.

در بخش دوم برای تکمیل این بحث قسمتی از دلائل توحید و نشانههای عظمت خدا در جهان آفرینش را بیان می کند.

بخش سوم فشرده بسیار جامع و جالبی از صفات مؤمنان راستین «عِبادُ الرَّحْمنِ» و بنـدگان خالص خـداست که در مقایسه با کفار متعصب و بهانه گیر و آلودهای که در بخش اول مطرح بودند، موضع هر دو گروه کاملا مشخص می شود.

این صفات مجموعهای است از اعتقادات، عمل صالح، مبارزه با شهوات، داشتن آگاهی کافی، و تعهد و احساس مسؤولیت اجتماعی.

و نام این سوره از آیه اول آن گرفته شده که از قرآن تعبیر به «فرقان» (جدا کننده حق از باطل) می کند.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 319

در حدیثی از پیامبر صلّی الله علیه و آله چنین آمده است: «کسی که سوره فرقان را بخواند (و به محتوای آن بیندیشد و در اعتقاد و عمل از آن الهام گیرد) روز قیامت مبعوث می شود در حالی که در صف مؤمنان به رستاخیز است، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۲۰

کسانی که یقین داشتند که قیامت فرا میرسد و خداوند مردگان را به زندگی جدید باز می گرداند».

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الفرقان(25): آية 1 ص: 320

(آیه ۱)– برترین معیار شناخت: این سوره با جمله «تَبارَکُ» آغاز میشود که از ماده «برکت» است و میدانیم برکت داشتن چیزی عبارت از آن است که دارای دوام و خیر و نفع کامل باشد.

میفرماید: «زوالناپذیر و پر برکت است کسی که قرآن را بر بندهاش نازل کرد، تا بیم دهنده جهانیان باشد» (تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً).

جالب این که مبارک بودن ذات پروردگار به وسیله نزول فرقان، یعنی قرآنی که جـدا کننـده حق از باطل است معرفی شده، و این نشان میدهـد که برترین خیر و برکت آن است که انسان وسیلهای برای شناخت- شناخت حق از باطل- در دست داشته باشـد! البته مقام عبودیت و بنـدگی خالص است که شایسـتگی نزول فرقان و پـذیرا شـدن معیارهای شـناخت حق از باطل را به وجود مي آورد.

سورة الفرقان(25): آية 2 ص: 324

(آیه ۲)- این آیه، خداونـد را که نـازل کننـده فرقـان است به چهـار صـفت توصـیف میکنـد که یکی در حقیقت پـایه و بقیه نتیجهها و شاخههای آن است.

نخست مي گويـد: «او خـدايي است كه مـالكيت و حكـومت آسـمانها و زمين منحصـر به اوست» (الَّذِي لَهُ مُلْـكُ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ).

آرى! او حاكم بر كل عالم هستى و تمام آسمانها و زمين است، و چيزى از قلمرو حكومت او بيرون نمى باشد.

سپس به نفی عقاید مشرکان یکی پس از دیگری پرداخته، می گوید:

«و (خدایی که) فرزندی برای خود انتخاب نکرد» (وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً).

و به این ترتیب اعتقاد نصاری را به این که حضرت «مسیح» (ع) فرزند خدا برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۲۱ است و یا یهود که «عزیر» را فرزند خدا میدانستند و همچنین اعتقاد مشرکان عرب را نفی مینماید.

سپس مىافزايد: «او شريكى در مالكيت و حاكميت بر عالم هستى ندارد» (وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكُ فِي الْمُلْكِ).

و اگر مشرکان عرب، اعتقاد به وجود شریک یا شریکهایی داشتند، و آنها را در عبادت شریک خدا میپنداشتند. قرآن همه این موهومات را نفی و محکوم می کند.

و در آخرین جمله می گوید: «او تمام موجودات را آفریده (نه تنها آفریده) بلکه تقدیر و تدبیر و اندازه گیری آنها را دقیقا معين كرده است» (وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً).

نه همچون اعتقاد «ثنویّین» که بخشی از موجودات این عالم را مخلوق «یزدان» میدانستند و بخشی را مخلوق «اهریمن»! و به این ترتیب آفرینش و خلقت را در میان یزدان و اهریمن تقسیم می کردند.

سورة الفرقان(25): آية 3 ص: 321

(آیه ۳)- در این آیه بحثی را که در آیات گذشته در مورد مبارزه با شرک و بت پرستی بود را ادامه داده، و مشرکان را در واقع به محاکمه می کشد و برای برانگیختن وجدان آنها، با منطقی روشن و ساده و در عین حال قاطع و کوبنده سخن می گوید، می فرماید: «آنها خدایانی غیر از پروردگار عالم (که اوصافش قبلا گذشت) انتخاب کردند (خدایانی) که مطلقا خالق چیزی نیستند، بلکه خودشان مخلوقند» (وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا یَخْلُقُونَ شَیْئاً وَ هُمْ یُخْلَقُونَ).

وانگهی انگیزه آنها برای پرستش بتها چه می تواند باشد؟ بتهایی که «حتی مالک سود و زیان خود و مالک مرگ و حیات و رستاخیز خویش نیستند» تا چه رسد به دیگران (وَ لا یَمْلِکُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرَّا وَ لا نَفْعاً وَ لا یَمْلِکُونَ مَوْتاً وَ لا حَیاهً وَ لا نُشُوراً). اصولی که برای انسان اهمیت دارد همین پنج امر است: مسأله سود و زیان و مرگ و زندگی و رستاخیز و به راستی اگر کسی مالک اصلی این امور نسبت به ما برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۲۲ باشد شایسته پرستش است.

این بتها نه تنها در این دنیا مشکلی را برای بندگان خود حل نمیکنند که در قیامت نیز کاری از آنها ساخته نیست.

سورة الفرقان(25): آية 4 ص: 322

(آیه ۴)- این آیه به تحلیلهای کفار و یا صحیحتر بهانهجوئیهای آنها، در برابر دعوت پیامبر صلّی الله علیه و آله پرداخته چنین می گوید: «و کافران گفتند: این فقط دروغی است که او ساخته، و گروهی دیگر او را بر این کار یاری دادهاند»! (وَ قالَ الَّذِینَ کَفُرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْکُ افْتَراهُ وَ أَعَانَهُ عَلَیْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ).

ولى قرآن در جواب آنها فقط يك جمله مى گويـد و آن اين كه: «آنها با اين سـخن خود مرتكب ظلم و دروغ و باطل شدنـد» (فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً).

«ظلم» از این نظر که مردی امین و پاک و راستگو همچون پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله را متهم به دروغ و افترا بر خدا با همدستی جمعی از اهل کتاب کردند، و به مردم و خود نیز ستم نمودند، و دروغ و باطل از این نظر که سخن آنها کاملا بیاساس بود، زیرا بارها پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آنها را دعوت به آوردن سورهها و آیاتی همچون قرآن کرده بود و آنها در برابر این تحدی عاجز و ناتوان شده بودند.

سورة الفرقان(25): آية 5 ص: 322

(آیه ۵)- این آیه به یکی دیگر از تحلیلهای انحرافی و بهانههای واهی آنان در مورد قرآن پرداخته، می گوید: «آنها گفتند: (این همان) افسانههای پیشینیان است که وی آن را رو نویس کرده»! (وَ قالُوا أَساطِیرُ الْأُوَّلِینَ اکْتَتَبَها).

او برای رسیدن به این مقصد، همه روز از دیگران بهره گیری می کند «و این کلمات هر صبح و شام بر او املا می شود»! (فَهِیَ تُمْلی عَلَیْهِ بُکْرَهٔ وَ أَصِیلًا).

سورة الفرقان(25): آية 6 ص: 322

(آیه ۶) - در این آیه به عنوان پاسخگویی به این اتهامات بی پایه می فرماید:

«بگو: كسى آن را نازل كرده است كه اسرار آسمانها و زمين را مىداند» (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

اشاره به این که محتوای این کتاب و اسرار گوناگونی که از علوم و دانشها، تاریخ اقوام پیشین، قوانین و نیازهای بشری، و حتی اسراری از عالم طبیعت و اخباری از آینده در آن است نشان میدهد که ساخته و پرداخته مغز بشر نیست، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۲۳

و بـا كمـك اين و آن تنظيم نشـده، بلكه مولود علم كسـي است كه آگـاه از اسـرار آسـمان و زمين است و علم او بر همه چيز احاطه دارد.

ولی با این همه راه بازگشت را به روی این کج اندیشان مغرض و دروغگویان رسوا باز می گذارد و در پایان آیه می گوید: درهای توبه و باز گشت به سوی خدا به روی همه شما باز است «چرا که او آمرزنده و مهربان بوده و هست» (إِنَّهُ کانَ غَفُوراً رَحِیماً).

به مقتضای رحمتش، پیامبران را ارسال و کتب آسمانی را نازل نموده، و به مقتضای غفوریتش گناهان بیحساب شما را در پرتو ایمان و توبه میبخشد.

سورة الفرقان(25): آية 7 ص: 323

آیه ۷- شأن نزول: روزی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در کنار خانه خدا نشسته بود، «عبد اللّه بن ابی امیه مخزومی» در برابر او قرار گرفت و گفت: «ای محمّد! تو چنین می پنداری که رسول پروردگار عالمیانی، اما پروردگار جهانیان و خالق همه مخلوقات شایسته نیست، رسولی مثل تو – انسانی همانند ما – داشته باشد، تو همانند ما غذا می خوری، و همچون ما در بازارها راه می روی!» پیامبر صلّی اللّه علیه و آله عرضه داشت: بار پروردگارا! تو همه سخنان را می شنوی، و به هر چیز عالمی، آنچه را بندگان تو می گویند می دانی (خودت پاسخ آنها را بیان فرما) این آیه و سه آیه بعد از آن نازل شد و به بهانه گیریهای آنها پاسخ داد.

تفسیر: چرا این پیامبر گنجها و باغها ندارد؟ از آنجا که در آیات گذشته بخشی از ایرادهای کفار در باره قرآن مجید مطرح گردید و به آن پاسخ داده شد، در اینجا بخش دیگری را که مربوط به رسالت شخص پیامبر است مطرح کرده و پاسخ می گوید.

مىفرمايىد: «آنها گفتند: چرا اين رسول، غذا مىخورد و در بازارها راه مىرود»؟! (وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِـَى فِى الْأَسْواقِ).

در حالی که او میخواهد هم ابلاغ دعوت الهی کند و هم بر همه ما حکومت نماید! اصولا آنها معتقد بودند افراد با شخصیت نباید شخصا برای رفع حوائج خود بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۲۴

به بازارها گام بگذارند، باید مأموران و خدمتگذاران را به دنبال این کار بفرستند.

سپس افزودنـد: «چرا لا اقل فرشـتهای (از سوی خـدا) بر او فرسـتاده نشده که (به عنوان گواه صدق دعوتش) همراه او، مردم را انذار کند»؟! (لَوْ لا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً).

سورة الفرقان(25): آية 8 ص: 324

(آیه ۸)- بسیار خوب به فرض که قبول کنیم رسول خدا می تواند انسان باشد، ولی آخر چرا یک انسان تهی دست و فاقد مال

و ثروت؟ «چرا گنجی از آسمان برای او انـداخته نمیشود و یا لااقل چرا باغی ندارد که از آن بخورد و امرار معاش کند»؟ (أَوْ یُلْقی إِلَیْهِ کَنْزُ أَوْ تَکُونُ لَهُ جَنَّهُ یَأْکُلُ مِنْها).

و باز به اینها قناعت نکردند و سر انجام با یک نتیجه گیری غلط او را متهم به جنون ساختند چنانکه در پایان همین آیه میخوانیم: «و ستمگران گفتند: (ای مردمی که به او ایمان آوردهاید) شما تنها از یک انسان مجنون و کسی که مورد سحر ساحران قرار گرفته است پیروی می کنید»! (وَ قالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْ حُوراً). چرا که آنها معتقد بودند ساحران می توانند در فکر و هوش افراد دخالت کنند و سرمایه عقل را از آنها بگیرند؟

سورة الفرقان(25): آية 9 ص: 324

(آیه ۹) - این آیه پاسخ همه اینها را در یک جمله کوتاه چنین بیان می کند:

«ببین چگونه برای تو مثلها زدند، و به دنبال آن گمراه شدند، آنچنان که قدرت پیدا کردن راه را ندارند» (انْظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلًا).

این جمله تعبیر گویایی است از این واقعیت که آنها در مقابل دعوت حق و قرآنی که محتوای آن شاهد گویای ارتباطش با خداست به یک مشت سخنان واهی و بیاساس دست زده و میخواهند با این حرفهای بیپایه، چهره حقیقت را بپوشانند.

سورة الفرقان(25): آية 10 ص: 324

(آیه ۱۰)- این آیه همانند آیه قبل روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده- به عنوان تحقیر سخنان آنها، و این که قابل جوابگویی نیست- می فرماید: «زوال ناپذیر و بزرگ است خدایی که اگر بخواهد برای تو بهتر از این قرار می دهد، باغهایی که از زیر درختانش نهرها جاری باشد، (و اگر بخواهد) برای تو قصرهای مجلل قرار برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۲۵

مى دهد» (تَبارَكَ الَّذِي إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً).

مگر باغها و قصرهای دیگران را چه کسی به آنها داده جز خدا؟

اصولا چه کسی این همه نعمت و زیبایی را در این عالم آفریده جز پروردگار! ولی او هرگز نمیخواهد مردم شخصیت تو را در مال و ثروت و قصر و باغ بدانند، و از ارزشهای واقعی غافل شوند.

سورة الفرقان(25): آية 11 ص: 325

(آیه ۱۱) - در اینجا - به دنبال بحثی که از انحراف کفار در مسأله توحید و نبوت پیامبر صلّی الله علیه و آله در آیات قبل بود - سخن از بخش دیگری از انحرافات آنها در زمینه معاد می گوید، و در حقیقت با بیان این بخش روشن می شود که آنها در تمام اصول دین گرفتار تزلزل و انحراف بودند، هم در توحید و هم در نبوت و هم در معاد، که دو قسمت آن در آیات گذشته آمده، و اکنون سومین بخش را میخوانیم.

نخست مى گويد: «بلكه آنها قيامت را تكذيب كردند» (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ).

چرا که اگر کسی ایمان به چنان دادگاه عظیم و پاداش و کیفر الهی داشته باشـد این چنین بیپروا حقـایق را به باد مسـخره

نمی گیرد و با ذکر بهانههای واهی از دعوت پیامبری که دلائل نبوتش آشکار است سر نمی پیچد.

اما قرآن در اینجا به پاسخ استدلالی نپرداخته، چرا که این گروه اهل منطق و استدلال نبودند، بلکه آینده شوم و دردناک آنها را در برابر چشمشان مجسم میسازد.

نخست می گوید: «و ما برای کسی که قیامت را انکار کند آتش سوزانی مهیا کردهایم» (وَ أَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً).

سورة الفرقان(25): آية ١٢ ص: 320

(آیه ۱۲) – سپس توصیف عجیبی از این آتش سوزان کرده، می گوید:

«هنگامی که این آتش آنها را از راه دور ببینـد (چنان به هیجان می آیـد که) صـدای وحشـتناک و خشم آلود او را که با نفس زدن شدید همراه است می شنوند»! (إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَکانٍ بَعِیدٍ سَمِعُوا لَها تَغَیُّظاً وَ زَفِیراً).

این تعبیرات از شدت این عذاب الهی خبر میدهد و نشان میدهد که آتش برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۲۶ سوزان دوزخ همچون حیوان درنده گرسنهای که در انتظار طعمه خویش است انتظار این گروه را میکشد- پناه بر خدا!.

سورة الفرقان(25): آية ١٣ ص: 328

(آیه ۱۳) – این وضع دوزخ است به هنگامی که آنها را از دور می بیند، اما وضع آنها را در آتش دوزخ چنین توصیف می کند: «و هنگامی که در مکان تنگ و محدودی از آن (آتش) در حالی که در غل و زنجیرند افکنده شوند فریاد واویلاشان بلند می شود» (وَ إِذَا أُلْقُوا مِنْها مَکاناً ضَیِّقاً مُقَرِّنِینَ دَعَوْا هُنالِکَ ثُبُوراً).

«دوزخ» مکان وسیعی است اما آنها را در این مکان وسیع آن چنان محدود می کنند که طبق بعضی از روایات وارد شدنشان در دوزخ همچون وارد شدن میخ در دیوار است!

سورة الفرقان(25): آية 14 ص: 328

(آیه ۱۴)- اما به زودی به آنها گفته می شود: «امروز یک بار واویلا نگویید، بلکه بسیار ناله واویلا سر دهید» (لا تَدْعُوا الْیَوْمَ تُبُوراً واحِداً وَ ادْعُوا تُبُوراً کَثِیراً).

و در هر حال این ناله شما به جایی نخواهد رسید و مرگ و هلاکی در کار نخواهد بود، بلکه باید زنده بمانید و مجازاتهای دردناک را بچشید.

سورة الفرقان(25): آية 15 ص: 328

(آیه ۱۵) - سپس روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده دستور میدهد آنها را به یک داوری دعوت کند، میفرماید: «بگو: آیا این (سرنوشت دردناک) بهتر است، یا بهشت جاویدانی که به پرهیز کاران وعده داده شده است؟ بهشتی که هم پاداش اعمال آنها است و هم جایگاه و قرار گاهشان» (قُلْ أَ ذلِکَ خَیْرٌ أَمْ جَنَّهُ الْخُلْدِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ کانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَ مَصِداً).

سورة الفرقان(25): آية 16 ص: 328

(آیه ۱۶)- همان بهشتی که «هر چه بخواهند در آنجا برای آنها فراهم است» (لَهُمْ فِیها ما یَشاؤُنَ).

همان بهشتی که «جاودانه در آن خواهند ماند» (خالِدِینَ).

«این وعدهای است مسلّم که پروردگارت بر عهده گرفته است» (کانَ عَلی رَبِّکَ وَعْداً مَسْؤُلًا).

این گونه سؤالها و داوری طلبیدنها برای بیدار ساختن وجدانهای خفته است که آنها را در برابر یک امر بدیهی و بر سر دو راهی قرار دهند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۲۷

سورة الفرقان(25): آية ١٧ ص: 327

(آیه ۱۷) – محاکمه معبودان و عابدان گمراه: از آنجا که در آیات گذشته، سخن از سرنوشت مؤمنان و مشرکان در قیامت و پاداش و کیفر این دو گروه بود، در اینجا همین موضوع را به شکل دیگری ادامه می دهد و سؤالی را که خداوند از معبودهای «مشرکان» در قیامت می کند همراه جواب آنها به عنوان یک هشدار بیان می فرماید.

نخست می گوید: «و (به یاد آور) روزی را که خداوند همه آنها و معبودهایشان را که غیر از «اللّه» پرستش می کردند جمع و محشور می کند» (وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ وَ ما یَعْبُرُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ). منظور، معبودهای انسانی (همچون مسیح) یا شیطانی (همچون جن) و یا «فرشتگان» است.

«آنگاه به آنها می گوید: آیا شما این بندگان مرا گمراه کردید یا خود آنها راه را گم کردند»؟! (فَیَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِی هؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبیلَ).

سورة الفرقان(25): آية ١٨ ص: 327

(آیه ۱۸)– امـا آنهـا در پاسـخ «میگوینـد: منزهی تو ای پروردگـار! برای ما شایسـته نبود که اولیایی غیر از تو برگزینیم» (قالُوا سُبْحانَکَ ما کانَ یَبْبَغِی لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِکَ مِنْ أَوْلِیاءَ).

نه تنها ما آنها را به سوی خود دعوت نکردیم، بلکه ما به ولایت و عبودیت تو معترف بودیم و غیر از تو را معبود برای خود و دیگران بر نگزیدیم! علت انحراف آنها این بود که: «آنان و پدرانشان را از نعمتها و مواهب دنیا بر خوردار نمودی (آنان به جای این که شکر نعمت را به جا آورند در شهوات و کامجوییها فرو رفتند) تا یاد تو را فراموش کردند» (وَ لَکِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آباءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ).

و به راستی زندگی مرفّه برای جمعیتی که ظرفیت کافی ندارند، و پایههای ایمانشان سست است «غرور آفرین» است. و به همین دلیل «تباه و هلاک گشتند» (وَ کانُوا قَوْماً بُوراً).

سورة الفرقان(25): آية 19 ص: 327

(آیه ۱۹)- در اینجا خداوند روی سخن را به مشرکان کرده، می گوید: ببینید «این معبودان شما را در آنچه می گویید تکذیب

كردند» (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِما تَقُولُونَ). برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ٣٢٨

می گفتید: اینها شما را از راه منحرف کردنید و به سوی عبادت خود دعوت نمودنید در حالی که آنها گفته شما را دروغ می شمرند.

و چون چنین است و خود مرتکب انحراف خویش بوده اید، «اکنون نمی توانید عذاب الهی را بر طرف سازید (و خویش را یاری کنید و) یا از کسی یاری بطلبید» (فَما تَسْتَطِیعُونَ صَرْفاً وَ لا نَصْراً).

«و هر كس از شما ستم كند، عذاب شديد و بزرگى به او مىچشانيم» (وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذاباً كَبِيراً).

سورة الفرقان(25): آية 20 ص: 328

اشاره

(آیه ۲۰)

شأن نزول: ص: 328

جمعی از مفسران در شأن نزول این آیه چنین آوردهاند که جمعی از سران مشرکان خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله آمدند و گفتند: ای محمّد! تو از ما چه میخواهی؟ اگر ریاست می طلبی ما تو را سر پرست خود می کنیم، و اگر علاقه به مال داری از اموال خود برای تو جمع می کنیم، اما هنگامی که دیدند پیامبر تسلیم نشد به بهانه جویی پرداختند و گفتند: تو چگونه فرستاده خدا هستی با این که غذا می خوری و در بازارها توقف می کنی؟! و گفتند: او می خواهد حکمران ما شود، در حالی که روش او مخالف سیره پادشاهان است! آیه نازل شد و این حقیقت را روشن ساخت که روش پیامبر اسلام روش همه پیامبران پیشین است.

تفسير: ص: ٣٢٨

همه پیامبران چنین بودند! در چند آیه قبل یکی از بهانه جوییهای مشرکان آمده بود و جوابی اجمالی و سر بسته برای آن گفته شد، این آیه به همان مطلب باز گشته و پاسخی صریحتر و مشروحتر به آن داده، می گوید: «ما هیچ یک از رسولان را قبل از تو نفرستادیم مگر این که همه آنها (از جنس بشر بودند) غذا میخوردند و در بازارها راه میرفتند» و با مردم حشر و نشر داشتند (وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِینَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَیَا کُلُونَ الطَّعامَ وَ یَمْشُونَ فِی الْأَسْواقِ).

و در عين حال «بعضي از شما را وسيله امتحان بعض ديگر قرار داديم» (وَ جَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضِ فِتْنَةً).

این آزمایش ممکن است از این طریق باشد که انتخاب پیامبران از انسانهایی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۲۹

که از میان توده های جمعیت محروم بر میخیزند خود آزمایش بزرگی است، چرا که گروهی ابا دارند زیر بار همنوع خود بروند بخصوص کسی که از نظر امکانات مادی و یا سن و سال در سطح پایینی قرار داشته باشد. و به دنبال این سخن، همگان را مورد خطاب قرار داده و سؤال می کند: «آیا صبر و شکیبایی پیشه می کنید»؟ (أَ تَصْبِرُونَ). چرا که مهمترین رکن پیروزی در تمام این آزمایشها صبر و استقامت و پایمردی است.

و در پایان آیه به عنوان یک هشدار میفرماید: «پروردگار تو همواره بصیر و بینا بوده و هست» (وَ کانَ رَبُّکَ بَصِیراً).

مبادا تصور کنید چیزی از رفتار شما در برابر آزمونهای الهی از دیده بینا و موشکاف علم خداوند مکتوم و پنهان میماند، او همه را دقیقا میداند و میبیند.

آغاز جزء نوزدهم قرآن مجيد ص: 329

ادامه سوره فرقان ص: 329

سورة الفرقان(25): آية 21 ص: 329

(آیه ۲۱)- ادعاهای بزرگ: در اینجا دو قسمت دیگر از بهانههای مشرکان را مطرح کرده، چنین پاسخ میدهد.

نخست می فرماید: «آنها که امیدی به لقای ما ندارند (و رستاخیز را انکار می کنند)، می گویند: چرا فرشتگان بر ما نازل نمی شوند، و یا پروردگارمان را با چشم خود نمی بینیم» (و قال الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْنَا الْمَلائِکَهُ أَوْ نَری رَبَّنا). این قابل قبول نیست که پیک وحی تنها بر او نازل شود و ما او را نبینیم! بهترین دلیل برای این که این سخنان را به خاطر تحقیق پیرامون نبوت پیامبر نمی گفتند این است که تقاضای مشاهده پروردگار کردند و او را تا سر حد یک جسم قابل رؤیت تنزل دادند، همان تقاضای بی اساسی که مجرمان بنی اسرائیل نیز داشتند، و پاسخ قاطع آن را شنیدند که شرح آن در سوره اعراف آیه ۱۴۳ آمده است.

لذا قرآن در پاسخ این تقاضاها میگوید: «آنها در مورد خود تکبر ورزیدند برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۳۰ و گرفتار غرور و کبر و خود بینی شدند» (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ). «و طغیان کردند، چه طغیان بزرگی»؟ (وَ عَتَوْا عُتُوًّا کَبِیراً).

سورة الفرقان(25): آية 27 ص: 330

(آیه ۲۲)– سپس به عنوان تهدیـد میگویـد: اینها که تقاضا دارند فرشتگان را ببینند، به آرزوی خود میرسـند اما «روزی که فرشتگان را ببینند، روز بشـارت برای مجرمـان نخواهـد بود» چرا که روز مجازات و کیفرهای دردناک اعمال آنهاست (یَوْمَ یَرُوْنَ الْمَلائِکَةَ لا بُشْری یَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِینَ).

آری! در آن روز از دیدن فرشتگان خوشحال نخواهند شد، بلکه چون نشانههای عذاب را همراه مشاهده آنان می بینند به قدری در وحشت فرو می روند که همان جملهای را که در دنیا به هنگام احساس خطر در برابر دیگران می گفتند بر زبان جاری می کنند «و می گویند: ما را امان دهید، ما را معاف دارید» (وَ یَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً).

ولی بدون شک نه این جمله و نه غیر آن اثری در سر نوشت محتوم آنها ندارد.

سورة الفرقان(25): آية 23 ص: 330

(آیه ۲۳)- این آیه وضع اعمال این مجرمان را در آخرت مجسّم ساخته، می گوید: «و ما به سراغ تمام اعمالی که آنها انجام دادند میرویم و همه را همچون ذرات غبار پراکنده در هوا می کنیم»! (وَ قَدِمْنا إِلَى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَ لٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْتُوراً). یعنی، اعمال آنها به قدری بی ارزش و بی اثر خواهد شد که اصلا گویی عملی وجود ندارد.

زیرا چنین که به عمل انسان شکل و محتوا میدهد، نیّت و هدف عمل است، افراد با ایمان، با انگیزه الهی و هدفهای مقدس و پاک به سراغ انجام کارها میروند در حالی که مردم بی ایمان غالبا گرفتار تظاهر، ریا کاری و تقلب و غرور و خود بینی هستند، و همین سبب بی ارزش شدن اعمال آنها می شود.

سورة الفرقان(25): آية 24 ص: 330

(آیه ۲۴)- و از آنجا که قرآن معمولا نیک و بـد را در برابر هم قرار میدهـد تا با مقایسه، وضع هر دو روشن شود، این آیه از بهشتیان سخن می گوید و میفرماید:

«بهشتیان در آن روز قرارگاهشان بهتر و استراحتگاهشان نیکوتر است» (أَصْحابُ الْجَنَّهُ یَوْمَئِذٍ خَیْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِیلًا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۳۱

سورة الفرقان(25): آية 25 ص: 331

(آیه ۲۵)- آسمان با ابرها شکافته میشود! باز در اینجا بحث در باره قیامت و سر نوشت مجرمان در آن روز ادامه می یابد نخست می گوید: روز گرفتاری و اندوه مجرمان «روزی است که آسمان با ابرها از هم می شکافد و فرشتگان پی در پی نازل می شوند»! (وَ یَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمام وَ نُزِّلَ الْمَلائِکَةُ تَنْزیلًا).

این آیه در حقیقت پاسخی است به یکی دیگر از بهانه جوییهای مشرکان، زیرا آنها انتظار داشتند خداوند و فرشتگان، طبق اساطیر و افسانه هایشان، در میان ابرها به سراغشان بیایند و آنها را به سوی حق دعوت کنند، در اسطوره های یهود نیز آمده که گاه خداوند در لا بلای ابرها ظاهر می شد! در مورد شکافته شدن آسمان با ابرها ممکن است بگوییم: از یک سو پرده های جهان ماده از مقابل چشم انسان کنار برود و عالم ماوراء طبیعت را مشاهده کند، و از سوی دیگر کرات آسمانی متلاشی شوند و ابرهای انفجاری آشکار گردند، و در لابلای آنها شکافهایی نمایان باشد، آن روز، روز پایان این جهان و آغاز رستاخیز است، روز بسیار دردناکی است برای مجرمان بی ایمان و ستمکاران لجوج.

سورة الفرقان(25): آية 26 ص: 331

(آیه ۲۶)– سپس به یکی از روشنترین مشخصات آن روز پرداخته، می گوید:

«حكومت حقيقي در آن روز از آن خداوند رحمان است» (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمن).

حتی آنها که در این جهان نوعی حکومت مجازی و محدود و فانی و زود گذر داشتند نیز از صحنه حکومت کنار میروند، و حاکمیت از هر نظر و در تمام جهات مخصوص ذات پاک او میشود.

و به همین دلیل «آن روز روز سختی برای کافران خواهد بود» (وَ کانَ یَوْماً عَلَی الْکافِرِینَ عَسِـیراً). در حالی که برای مؤمنان بسیار سهل و آسان است.

سورة الفرقان(25): آية 27 ص: 331

آیه ۲۷- شأن نزول: در عصر پیامبر صلّی الله علیه و آله دو نفر دوست در میان مشرکان به نام «عقبه» و «ابی» بودند هر زمان عقبه از سفر می آمد غذایی ترتیب می داد و اشراف قومش را دعوت می کرد و در عین حال دوست می داشت به محضر بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۳۲

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله برسد هر چند اسلام را نپذیرفته بود.

روزی از سفر آمد و طبق معمول ترتیب غذا داد و دوستان را دعوت کرد، در ضمن از پیامبر صلّی الله علیه و آله نیز دعوت نمود.

هنگامی که سفره را گستردند و غذا حاضر شد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: من از غذای تو نمیخورم تا شهادت به وحدانیت خدا و رسالت من دهی، «عقبه» شهادتین بر زبان جاری کرد.

این خبر به گوش دوستش «ابی» رسید، گفت: ای عقبه! از آئینت منحرف شدی؟

او گفت: نه به خدا سوگند من منحرف نشدم. من از این شرم داشتم که او از سفره من برخیزد بی آنکه غذا خورده باشد لذا شهادت دادم! ابی گفت: من هر گز از تو راضی نمی شوم مگر این که در برابر او بایستی و سخت توهین کنی! عقبه این کار را کرد و مرتد شد، و سر انجام در جنگ بدر در صف کفار به قتل رسید و رفیقش «ابی» نیز در جنگ احد کشته شد.

این آیه و دو آیه بعد از آن نازل گردید و سر نوشت مردی را که در این جهان گرفتار دوست گمراهش می شود و او را به گمراهی می کشاند شرح داد.

تفسیر: روز قیامت صحنه های عجیبی دارد که بخشی از آن در آیات گذشته آمد و در اینجا بخش دیگری را خاطرنشان می کند، و آن مسأله حسرت فوق العاده ظالمان از گذشته خویش است نخست می فرماید: «و (به خاطر آور) روزی را که ظالم هر دو دست خویش را از شدت حسرت به دندان می گزد، می گوید: ای کاش با (رسول خدا صلّی الله علیه و آله) راهی برگزیده بودم» (وَ یَوْمَ یَعَضُّ الظَّالِمُ عَلی یَدَیْهِ یَقُولُ یا لَیْتَنِی اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِیلًا).

این کار شاید به خاطر این باشد که این گونه اشخاص هنگامی که گذشته خویش را مینگرند خود را مقصر میدانند و تصمیم بر انتقام از خویشتن می گیرند و این نوعی انتقام است تا بتوانند در سایه آن کمی آرامش یابند.

سورة الفرقان(25): آية 28 ص: 322

(آیه ۲۸)- در این آیه اضافه می کند که این ظالم بیدادگر که در دنیایی از برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۳۳ تأسف فرو رفته می گوید: «ای وای بر من! کاش فلان شخص گمراه را دوست خود انتخاب نکرده بودم» (یا وَیْلَتی لَیْتَنِی لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِیلًا).

> که تمام بدبختی من در ترک رابطه با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و قبول رابطه با این دوست گمراه بود. منظور از «فلان» همان شخص است که او را به گمراهی کشانده: شیطان یا دوست بد یا خویشاوند گمراه.

سورة الفرقان(25): آية 29 ص: 333

(آیه ۲۹)- باز ادامه داده، می گوید: «او مرا از یاد آوری (حق) گمراه ساخت بعد از آن که (یاد حق) به سراغ من آمده بود»! (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَن الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي).

و در پایان آیه می گوید: «و شیطان همیشه خوار کننده انسان بوده است» (وَ کانَ الشَّیْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا). چرا که انسان را به بیراههها و مناطق خطر می کشاند و بعد او را سر گردان رها کرده و به دنبال کار خود میرود.

حقیقت خذلان این است که کسی دل به یاری دیگری ببندد ولی او درست در لحظات حساس دست از کمک و یاریش بر دارد.

در حدیثی از امام جواد علیه السّ لام میخوانیم: «از همنشینی بدان بپرهیز که همچون شمشیر برهنهاند، ظاهرشان زیبا و آثارشان بسیار زشت است»!

سورة الفرقان(25): آية 30 ص: 333

(آیه ۳۰)- خدایا، مردم قرآن را ترک کردند! از آن جا که در آیات گذشته انواع بهانه جوییهای مشرکان لجوج و افراد بیایمان مطرح شده بود، این آیه ناراحتی و شکایت پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله را در پیشگاه خدا از کیفیت بر خورد این گروه با قرآن باز گو کرده، می گوید: «پیامبر بر پیشگاه خدا عرضه داشت: پروردگارا! این قوم من قرآن را ترک گفتند و از آن دوری جستند» (وَ قالَ الرَّسُولُ یا رَبِّ إِنَّ قَوْمِی اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً).

این سخن و این شکایت پیامبر صلّی الله علیه و آله امروز نیز همچنان ادامه دارد، که از گروه عظیمی از مسلمانان به پیشگاه خدا شکایت میبرد که این قرآن را به دست فراموشی سپردند، قرآنی که مملوّ از برنامههای زندگی میباشد، این قرآن را رها ساختند و حتی برای قوانین مدنی و جزائیشان دست گدایی به سوی دیگران دراز کردند! برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۳۴ قرآن در میان آنها به صورت یک کتاب تشریفاتی در آمده است، تنها الفاظش را با صدای جالب از دستگاههای فرستنده پخش می کنند، و جای آن در کاشی کاریهای مساجد به عنوان هنر معماری است، برای افتتاح خانه نو، و یا حفظ مسافر، و شفای بیماران، و حد اکثر برای تلاوت به عنوان ثواب از آن استفاده می کنند.

آرى! امروز هم پيامبر صلّى اللّه عليه و آله فرياد مىزند: «خدايا! قوم من قرآن را مهجور داشتند»!

سورة الفرقان(25): آية 31 ص: 334

(آیه ۳۱) – این آیه برای دلداری پیامبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله – که با این موضعگیری خصمانه دشمنان مواجه بود – می فرماید: «و این گونه برای هر پیامبری دشمنی از مجرمان قرار دادیم» (وَ کَذلِکَ جَعَلْنا لِکُلِّ نَبِیِّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِینَ). فقط تو نیستی که با عـداوت سـر سـختانه این گروه رو برو شـدهای، همه پیامبران در چنین شـرایطی قرار داشـتند که گروهی از

فقط نو نیستی که با عـداوب سـر سـحتانه این کروه رو برو شـدهای، همه پیامبران در چنین شـرایطی فرار داشـتند که کروهی ار «مجرمان» به مخالفت آنها بر میخاستند و کمر دشمنی آنان را میبستند.

ولی بدان تو تنها و بدون یاور نیستی «همین بس که خدا هادی و راهنما، و یار و یاور توست» (وَ کَفی بِرَبِّکُ هادِیاً وَ نَصِیراً). نه وسوسههای آنها میتواند تو را گمراه سازد چرا که هادی تو خداست، و نه توطئههای آنها میتواند تو را در هم بشکند چرا که یاورت پروردگار است که علمش برترین علمها و قدرتش ما فوق همه قدرتهاست.

خلاصه تو باید بگویی:

سورة الفرقان(25): آية 27 ص: 334

(آیه ۳۲)– بـاز در این آیه به یکی دیگر از بهـانه جوییهای این مجرمان بهانه جو اشاره کرده، میگویـد: «و کافران گفتنـد: چرا قرآن یکجا بر او نازل نمیشود»؟! (وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً).

اصولاً بهتر بود خود پیامبر صلّی الله علیه و آله نیز از تمام این قرآن یکجا با خبر باشد تا هر چه مردم از او میخواهند و میپرسند فورا پاسخ گوید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۳۵

در دنباله آیه به آنها چنین پاسخ می گوید: «این به خاطر آن است که قلب تو را به وسیله آن محکم داریم و (از این رو) آن را به تدریج بر تو خواندیم» (کَذلِکَ لِنُشَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَوْتِیلًا).

قرآن مجموعهای است از اوامر و نواهی، احکام و قوانین، تاریخ و موعظه، و مجموعهای از استراتژی و تاکتیکهای مختلف در برخورد با حوادثی که در مسیر امت اسلامی به سوی جلو پیش می آمده است.

چنین کتابی که همه برنامه حتی قوانین کلی را از طریق حضور در صحنههای زندگی مردم تبیین و اجرا می کند امکان ندارد قبلاً یکجا تدوین و تنظیم شود، این بدان می ماند که رهبر بزرگی برای پیاده کردن انقلاب تمام اعلامیه ها و بیانیه ها و امر و نهی هایش را که به مناسبتهای مختلف ایراد می شود یکجا بنویسد و نشر دهد، آیا هیچ کس می تواند چنین سخنی را عاقلانه بداند؟!

سورة الفرقان(25): آية 33 ص: 338

(آیه ۳۳)- سپس برای تأکید بیشتر روی پاسخ فوق می فرماید: «آنها هیچ مثلی برای تو نمی آورند (و هیچ بحث و سخنی را برای تضعیف دعوت تو طرح نمی کنند) مگر این که ما حق را برای تو می آوریم، و تفسیری بهتر» و پاسخی دندان شکن که در برابر آن ناتوان شوند! (وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلِ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً).

سورة الفرقان(25): آية 34 ص: 338

(آیه ۳۴) – و از آنجا که این دشمنان کینه توز و مشرکان متعصب و لجوج بعد از مجموعه ایرادات خود چنین استنتاج کرده بودند که محمّد و یارانش با این صفات و این کتاب و این برنامه هایی که دارند بدترین خلق خدایند – العیاذ بالله – و چون ذکر این سخن با کلام فصیح و بلیغی همچون قرآن تناسب نداشت در این آیه خداوند به پاسخ این سخن می پردازد بی آنکه اصل گفتار آنها را نقل کند، می گوید:

تو گمراه نیستی «آنان که بر صورتهایشان به سوی جهنم محشور میشونـد بـدترین محل را دارند و گمراه ترین افرادند» (الَّذِینَ یُحْشَرُونَ عَلی وُجُوهِهِمْ إِلی جَهَنَّمَ أُوْلئِکَ شَرُّ مَکاناً وَ أَضَلُّ سَبِیلًا).

این از یک سو نشانه خواری و ذلّت آنهاست، چرا که آنها در دنیا نهایت کبر برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۳۶ و غرور و خود برتر بینی نسبت به خلق خدا داشتند، و از سوی دیگر تجسّمی است از گمراهیشان در این جهان.

در مقابل گروهی قامتهایی همچون سرو دارند و صورتهای درخشانی همچون ماه، با گامهای بلند بسرعت به سوی بهشت

سورة الفرقان(25): آية 35 ص: 338

(آیه ۳۵) – این همه درس عبرت و این همه بیخبری! در اینجا قرآن مجید برای دلداری پیامبر صلّی الله علیه و آله و مؤمنان از یک سو و تهدید مشرکان بهانهجو از سوی دیگر به تاریخ اقوام گذشته و سر گذشت شوم آنها اشاره کرده، نخست میفرماید: «و ما به موسی، کتاب (آسمانی) دادیم، و برادرش هارون را یاور او قرار دادیم» (وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَیی الْکِتابَ وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِیراً).

سورة الفرقان(25): آية 35 ص: 338

(آیه ۳۶)– ما به آن دو خطاب کردیم «و گفتیم: به سوی این قوم برویـد که آیات ما را تکـذیب کردنـد» (فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ کَذَّبُوا بآیاتِنا).

آنها از یک سو آیات و نشانه های خدا را که در آفاق و انفس و در تمام عالم هستی وجود دارد عملا تکذیب نمودند و از سوی دیگر تعلیمات انبیای پیشین را نیز نادیده گرفته، و آنها را تکذیب نمودند.

ولی بـا تمـام تلاش و کوششـی که موسـی و برادرش انجام دادنـد، و با دیـدن آن همه معجزات عظیم و متنوع و روشن، باز راه کفر و انکار را پیش گرفتند، لذا «ما آنها را شدیدا در هم کوبیدیم و نابود کردیم» (فَدَمَّوْناهُمْ تَدْمِیراً).

سورة الفرقان(25): آية 37 ص: 338

(آیه ۳۷)- همچنین «قوم نوح را هنگامی که رسولان الهی را تکذیب کردند، غرق نمودیم و (سر نوشت) آنها را نشانه روشنی برای عموم مردم قرار دادیم، و برای همه ستمگران عذاب دردناکی فراهم ساختیم» (وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا کَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَ جَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آیَةً وَ أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِینَ عَذاباً أَلِیماً).

سورة الفرقان(25): آية 38 ص: 338

(آیه ۳۸)– همچنین «قوم عاد و ثمود و اصحاب الرس و اقوام بسیار دیگری را که در این میان بودند» هلاک کردیم (وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ الرَّسِّ وَ قُرُوناً بَیْنَ ذلِکَ کَثِیراً).

قوم عاد همان قوم «هود» پیامبر بزرگ خدا هستند، که از سر زمین احقاف (یا برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۳۷ یمن) مبعوث شد، و قوم ثمود، قوم پیامبر خدا «صالح» هستند که از سر زمین وادی القری (میان مدینه و شام) مبعوث گردید، و «اصحاب رس» قومی بودند که درخت صنوبری را- که «یافث» فرزند «نوح» غرس کرده بود- می پرستیدند، آنها دوازده شهر آباد داشتند که بر کنار نهری به نام «رس» بود.

هنگامی که آنها در کفر و بت پرستی فرو رفتند، خداوند پیامبری از بنی اسرائیل به سوی آنها فرستاد اما آنها ایمان نیاوردند، پیامبر برای قلع ماده فساد از خدا تقاضا کرد آن درخت بخشکد آن درخت خشکید. آنها هنگامی که چنین دیدنـد سخت ناراحت شدنـد، و تصمیم بر کشـتن آن پیامبر گرفتند، چاهی عمیق کندند و او را در آن افکندند.

خداوند به خاطر این اعمال زشت، و این ظلم و ستمها آنها را به عذاب شدیدی گرفتار کرد و نابود ساخت.

سورة الفرقان(25): آية 39 ص: 337

(آیه ۳۹)- ولی ما هرگز آنها را غافلگیرانه مجازات نکردیم، بلکه «برای هر یک از آنها مثلها زدیم» (وَ کُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ). به ایرادهای آنها پاسخ گفتیم، همچون پاسخ ایرادهایی که به تو می کنند، اخطار کردیم، انذار نمودیم، و سر نوشت و داستانهای گذشتگان را برای آنها باز گو کردیم.

اما هنگامی که هیچ یک از اینها سودی نداد «هر یک از آنها را در هم شکستیم و هلاک کردیم» (وَ کُلًّا تَبُّرْنا تَثْبِیراً).

سورة الفرقان(25): آية 40 ص: 337

(آیه ۴۰)- و سر انجام در این آیه اشاره به ویرانه های شهرهای قوم لوط می کند که در سر راه مردم حجاز به شام قرار گرفته، و تابلو زنده و گویایی از سر نوشت در دناک این آلودگان و مشرکان است، می فرماید: «آنها [مشرکان مکّه] از کنار شهری که باران شرّ و بد بختی [بارانی از سنگهای نابود کننده] بر سرشان ریخته شد گذشتند آیا آنها (در سفرهایشان به شام) این صحنه را ندیدند» و در زندگی آنها نیندیشیدند؟! (وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَی الْقَرْیَةِ الَّتِی أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَ فَلَمْ یَکُونُوا یَرَوْنَها). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۳۸

آری! این صحنه را دیـده بودنـد، ولی هرگز درس عبرت نگرفتنـد چرا که «آنها به رسـتاخیز ایمان و امید ندارند»! (بَلْ کانُوا لا یَوْجُونَ نُشُوراً).

مرگ را پایان این زندگی میشمرند، و اگر به زندگی پس از مرگ هم معتقد باشند اعتقادی بسیار سست و بی پایه دارند.

سورة الفرقان(25): آية 41 ص: 338

(آیه ۴۱)- این آیه نمونه دیگری از منطق مشرکان و کیفیت بر خورد آنها با پیامبر اسلام و دعوت راستین او را باز گو میکند. نخست می گوید: «آنها هنگامی که تو را می بینند (تنها کاری که انجام می دهند این است که) به باد مسخرهات می گیرند (و می گویند:) آیا این همان کسی است که خدا او را به عنوان پیامبر بر انگیخته است» (وَ إِذَا رَأَوْکَ إِنْ یَتَّخِذُونَکَ إِلَّا هُزُواً أَ هَذَا الَّذِی بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا).

سورة الفرقان(25): آية ٤٢ ص: 338

(آیه ۴۲)– سپس قرآن در ادامه گفتار مشرکان و از زبان آنها چنین نقل می کند:

«اگر ما بر پرستش خـدایانمان استقامت نمی کردیم بیم آن میرفت که ما را گمراه سازد» و ارتباطمان را با آنها قطع کنـد (اِنْ کادَ لَیْضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْ لا أَنْ صَبَرْنا عَلَیْها). ولى قرآن از چنـد راه بـه آنهـا پاسـخ مىگويـد نخست بـا يـك جمله كوبنـده به اين گروه كه اهـل منطق نبودنـد چنين پاسـخ مىددهـد: «هنگـامى كه عـذاب الهى را ببيننـد بزودى مىفهمنـد چه كسـى گمراهـتر بـوده است»؟! (وَ سَـوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبيلًا).

سورة الفرقان(25): آية 43 ص: 338

(آیه ۴۳) - دومین پاسخی که قرآن به سخنان آنها میدهد در این آیه آمده است، روی سخن را به پیامبر کرده، به عنوان دلداری و تسلّی خاطر و هم به عنوان بیان دلیل اصلی عدم پذیرش دعوت پیامبر از سوی آنان میفرماید: «آیا دیدی کسی که معبود خود را هوای نفس خویش بر گزیده»؟! (أَ رَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ).

«آيا با اين حالت تو قادر به هدايت او و دفاع از او هستى»؟! (أَ فَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا).

یعنی، اگر آنها در برابر دعوت تو دست به استهزاء و انکار و انواع مخالفتها برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۳۹ زدند نه خاطر آن بوده که منطق تو ضعیف و دلائل تو غیر قانع کننده و در آئینت جای شک و تردید است بلکه به خاطر این است که آنها پیرو فرمان عقل و منطق نیستند، معبود آنها هوای نفسشان است، و هوی پرستی سر چشمه غفلت و بی خبری و

کفر و بیایمانی است.

سورة الفرقان(25): آية 44 ص: 339

(آیه ۴۴)- بالاخره سومین پاسخی که قرآن به این گروه گمراه میدهد این است که می گوید: «آیا تو گمان می کنی که بیشتر آنها می شنوند یا می فهمند»؟! (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ).

«آنها تنها مانند چهار پایانند، بلکه آنان گمراه ترند»! (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا).

یعنی سخریهها و سخنان زننده و غیر منطقی آنها هرگز تو را ناراحت نکند چون آدمی یا باید خود دارای عقل باشد و آن را به کار گیرد و مصداق «یَعْقِلُونَ» گردد و یا اگر از علم و دانش بر خوردار نیست از دانایان سخن بشنود و مصداق «یَشْمَعُونَ» باشد اما این گروه نه آنند و نه این، و به همین دلیل با چهار پایان تفاوتی ندارند، و روشن است که از چهار پا نمی توان توقعی داشت، جز نعره کشیدن و لگد زدن، و کارهای غیر منطقی انجام دادن.

بلکه اینها از چهار پایان نیز بـد بخت تر و بینواترنـد که آنها امکـان تعقـل و انـدیشه ندارنـد، و اینها دارنـد و به چنـان روزی افتادهاند!

سورة الفرقان(25): آية 45 ص: 339

(آیه ۴۵) - حرکت سایه ها! در اینجا سخن از قسمتهای مهمی از نعمتهای الهی به عنوان بیان اسرار توحید و خدا شناسی است. سخن از نعمت «سایه ها» و سپس اثرات و برکات «شب» و «خواب و استراحت» و «روشنایی» روز و «وزش بادها» و «نزول باران» و «زنده شدن زمینهای مرده» و «سیراب شدن» چهار پایان و انسانهاست.

نخست می گوید: «آیا ندیدی چگونه پروردگارت سایه را گسترده ساخت»؟! (أَ لَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَیْفَ مَدَّ الظِّلَّ). «و اگر میخواست آن را ساكن قرار میداد» سایهای همیشگی و جاودانی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۴۰

(وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً).

این سایه کشیده و گسترده همان سایهای است که بعد از طلوع فجر و قبل از طلوع آفتاب بر زمین حکمفرماست و لذتبخش ترین سایهها و ساعات همان است.

زیرا به دنبال آن میفرماید: «سپس خورشید را بر وجود این سایه گسترده دلیل قرار دادیم» (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَیْهِ دَلِیلًا). اشاره به این که اگر آفتاب نبود مفهوم سایه روشن نمیشد، اصولا سایه از پرتو آفتاب به وجود می آید.

سورة الفرقان(25): آية 46 ص: 34

(آیه ۴۶) - در این آیه می فرماید: «سپس آن را آهسته جمع می کنیم» و نظام سایه و آفتاب را حاکم می سازیم (ثُمَّ قَبَضْ ناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً).

میدانیم هنگامی که خورشید طلوع می کند تدریجا سایه ها بر چیده می شود تا به هنگام ظهر که در بعضی از مناطق سایه بکلی معدوم می شود، و در دیگر مناطق به حد اقل خود می رسد و به این ترتیب سایه ها نه یک دفعه ظاهر می گردند، و نه یک دفعه بر چیده می شوند، و این خود یکی از حکمتهای پروردگار است، چرا که اگر انتقال از نور به ظلمت و بالعکس، ناگهانی صورت می گرفت برای همه موجودات زیان آور بود.

سورة الفرقان(25): آية ٤٧ ص: 340

(آیه ۴۷)- بعد از ذکر نعمت سایهها، به شرح دو نعمت دیگر که کاملا متناسب با آن است پرداخته و گوشه دیگری از اسرار نظام هستی را که بیانگر وجود خداست روشن میسازد، میفرماید: «او کسی است که شب را برای شما لباس قرار داد» (وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ لِباساً).

این پرده ظلمانی نه تنها انسانها که تمام موجودات روی زمین را در خود مستور میسازد و آنها را همچون لباس، محفوظ می دارد و همچون پوششی که انسان به هنگام خواب برای ایجاد تاریکی و استراحت از آن استفاده می کند، او را در بر می گیرد.

بعد اشاره به نعمت خواب کرده، می فرماید: «و خواب را استراحت» قرار داد (وَ النَّوْمَ سُبِاتاً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۴۱

خواب به موقع و به اندازه، تجدید کننده تمام نیروهای بدن است و نشاط آفرین و مایه قدرت، و بهترین وسیله برای آرامش اعصاب است.

در پایان آیه به نعمت «روز» اشاره کرده، می فرماید: «و روز را وسیله حرکت و حیات» قرار داد (وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً). و به راستی روشنایی روز از نظر روح و جسم انسان، حرکت آفرین است همان گونه که تـاریکی، خـواب آور و آرامبخش است.

سورة الفرقان(25): آية 48 ص: 341

(آیه ۴۸)- بعد از بیان این مواهب عظیم که از اساسی ترین پایه های زندگی انسانها است به موهبت بسیار مهم دیگری پرداخته،

مىفرمايد: «او كسى است كه بادها را بشارتگرانى پيش از رحمتش فرستاد، و از آسمان آبى پاك كننده نازل كرديم» (وَ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً).

نقش بادها به عنوان پیش قراولان نزول رحمت الهی بر کسی پوشیده نیست چرا که اگر آنها نبودند هر گز قطره بارانی بر سر زمین خشکی نمیبارید زیرا اگر بادها ابرهای پر بار را از بالای اقیانوسها به سوی زمینهای خشک نرانند، بار دیگر ابرها تبدیل به باران می گردد و در همان دریا فرو میریزد.

همیشه قسمتی از این بادها که در پیشاپیش تودههای ابر در حرکتند و آمیخته با رطوبت ملایمی هستند، نسیم دلانگیزی ایجاد می کنند که از درون آن بوی بـاران به مشـام میرسـد، اینـان همچون بشارت دهنـدهای هسـتند که از قـدوم مسافر عزیزی خبر میدهند.

آب علاوه بر خاصیت حیات بخشی، خاصیت فوقالعاده مهم پاک کننده را دارد، اگر نبود در یک روز سر تا سر جسم و جان و زندگی ما کثیف و آلوده میشد.

به علاوه میدانیم پاکیزه کردن روح از آلودگیها به وسیله غسل و وضو نیز با آب انجام میگیرد پس این مایع حیاتبخش هم پاک کننده روح است و هم جسم.

سورة الفرقان(25): آية ٤٩ ص: 341

(آیه ۴۹)- اما این خاصیت پاک کننده بودن با تمام اهمیتی که دارد در درجه دوم قرار داده شده، لذا در این آیه اضافه می کند: «تا به وسیله آن، سر زمین مرده ای را زنده کنیم» (لِنُحْیِیَ بِهِ بَلْدَهٔ مَیْتاً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۴۲ «و آن (آب حیاتبخش) را به مخلوقاتی که آفریده ایم چهار پایان و انسانهای بسیار – می نوشانیم» (وَ نُدِ قِیَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَ أَناسِیَّ کَثِیراً).

سورة الفرقان(25): آية ٥٠ ص: 34٣

(آیه ۵۰) - در این آیه اشاره به «قرآن» کرده، می گوید: «ما این آیات را به صورتهای گوناگون و مؤثر در میان آنها قرار دادیم تا متذکر شوند (و از آن به قدرت پروردگار پی برند) اما بسیاری از مردم جز انکار و کفر کاری در برابر آن نشان ندادند» (وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَیْنَهُمْ لِیَذَدَّرُوا فَأَبِی أَکْثُرُ النَّاس إِلَّا کُفُوراً).

سورة الفرقان(25): آية 51 ص: 34 ٣٤٢

(آیه ۵۱)- این آیه اشاره به عظمت مقام پیامبر صلّی الله علیه و آله است، میفرماید: «و اگر میخواستیم در هر شـهر و دیاری، بیم دهندهای بر میانگیختیم» ولی این کار لزومی نداشت (وَ لَوْ شِئْنا لَبَعَنْنا فِی کُلِّ قَوْیَةٍ نَذِیراً).

زیرا تمرکز نبوّت در وجود یک فرد باعث وحدت و انسجام انسانها و جلو گیری از هر گونه تفرقه و پراکندگی می شود. این آیه هم دلیلی است بر عظمت مقام پیامبر، و هم لزوم وحدت رهبری و هم سنگین بودن بار مسؤولیت او.

سورة الفرقان(25): آية 22 ص: 34

(آیه ۵۲)- به همین دلیل در این آیه دو دستور مهم را که دو برنامه اساسی پیامبران را تشکیل می دهد بیان می کند، نخست روی سخن را به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله کرده، می فرماید: «بنا بر این از کافران اطاعت مکن» (فَلا تُطِعِ الْکافِرِینَ). در هیچ قدم راه سازش با انحرافات آنها را پیش مگیر که سازشکاری با منحرفان، آفت دعوت به سوی خداست.

و اما دستور دوم این که: «به وسیله قرآن با آنها جهاد بزرگی کن» (وَ جاهِ بدهُمْ بِهِ جِهاداً کَبِیراً). جهادی بزرگ به عظمت رسالت، و به عظمت جهاد تمام پیامبران پیشین، جهادی که تمام ابعاد روح و فکر مردم را در برگیرد و جنبههای مادی و معنوی را شامل شود.

این تعبیر عظمت مقام قرآن را نیز باز گو می کند، چرا که سلاحی است برنده، که قدرت بیان و استدلال و تأثیر عمیق و جاذبیتش ما فوق تصور و قدرت انسانهاست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۴۳

سورة الفرقان(25): آية 23 ص: 343

(آیه ۵۳) – دو دریای آب شیرین و شور در کنار هم! در این آیه باز به استدلال بر عظمت خداوند از طریق بیان نعمتهای او در نظام آفرینش می پردازد، و به تناسب بیان نزول قطرات حیاتبخش باران که در آیات قبل گذشت اشاره به مخلوط نشدن آبهای شیرین و شور کرده، می فرماید: «او کسی است که دو دریا را در کنار هم قرار داد، یکی گوارا و شیرین و دیگر شور و تلخ، و در میان آنها برزخی قرار داد (گویی هر یک به دیگری می گوید:) دور باش و نزدیک نیا» (وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هذا عَذْبُ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرُزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً).

این آیه یکی دیگر از مظاهر شگفتانگیز قدرت پروردگار را در جهان آفرینش ترسیم میکند که چگونه یک حجاب نامرئی، و حائل ناپیدا در میان دریای شور و شیرین قرار میگیرد و اجازه نمیدهد آنها با هم آمیخته شوند.

البته امروز ما این را میدانیم که این حجاب نامرئی همان «تفاوت درجه غلظت آب شور و شیرین» و به اصطلاح تفاوت «وزن مخصوص» آنها است که سبب می شود تا مدت مدیدی به هم نیامیزند.

ضمنا قرار گرفتن این آیه در میان آیات مربوط به «کفر» و «ایمان» ممکن است اشاره و تشبیهی در این امر نیز باشد که گاهی در یک جامعه، در یک شهر، و گاه حتی در یک خانه افرادی با ایمان که همچون آب عذب و فراتند در کنار افراد بی ایمان که همچون آب ملح و اجاجند، با دو طرز تفکر، دو نوع عقیده، و دو نوع عمل پاک و ناپاک، قرار می گیرند، بی آنکه به هم آمیخته شوند.

سورة الفرقان(25): آية 54 ص: 343

(آیه ۵۴) - در این آیه به مناسبت بحث نزول باران و همچنین دریاهای آب شور و شیرین که در کنار هم قرار می گیرند سخن از آفرینش انسان از آب به میان آورده، می گوید: «او کسی است که از آب انسانی را آفرید» (وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً). احتمال دارد که چند معنی در مفهوم آیه جمع باشد یعنی هم بشر نخستین از آب آفریده شده، و هم پیدایش تمام افراد انسان از آب «نطفه» است، و هم آب مهمترین ماده ساختمان بدن انسان را تشکیل می دهد، آبی که از ساده ترین برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۴۴

موجودات این جهان محسوب می شود چگونه مبدء پیدایش چنین خلقت شگرفی شده است؟! این دلیل روشن قدرت اوست. به دنبال آفرینش انسان، سخن از گسترش نسلها به میان آورده، می گوید:

«سپس او را نسب و سبب قرار داد» و نسل او را از این دو طریق گسترش داد (فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً).

منظور از «نسب» پیوندی است که در میان انسانها از طریق زاد و ولید به وجود می آیید، مانند ارتباط پدر و فرزند یا برادران به یکدیگر، اما منظور از «صهر» که در اصل به معنی «داماد» است، پیوندهایی است که از این طریق میان دو طایفه بر قرار می شود، مانند پیوند انسان با نزدیکان همسرش.

در پایان آیه به عنوان تأکید بر مسائل گذشته، میفرماید: «و پروردگار تو همواره توانا بوده و هست» (وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً).

سورة الفرقان(25): آية 55 ص: 344

(آیه ۵۵) - سر انجام در این آیه انحراف مشرکان را از اصل توحید، از طریق مقایسه قدرت بتها با قدرت پروردگار که نمونه های آن در آیات قبل گذشت روشن می سازد، می گوید: «و آنها معبودهایی جز خدا می پرستند که نه سودی به آنها می رساند و نه زیانی» (وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَنْفَعُهُمْ وَ لا یَضُرُّهُمْ).

مسلم است تنها وجود سود و زیان نمی تواند معیار پرستش باشد، ولی قرآن با این تعبیر بیانگر این نکته است که آنها هیچ بهانهای برای این پرستش ندارند چرا که بتها موجوداتی هستند کاملا بیخاصیت و فاقد هر گونه ارزش و تأثیر مثبت یا منفی. در پایان آیه اضافه می کند: «و کافران همیشه در برابر پروردگارشان (در طریق کفر) پشتیبان یکدیگرند» (و کان الْکافِرُ عَلی رَبِّه ظَهراً).

و نیروهایی را که میبایست در مسیر «اللّه» بسیج کنند، بر ضد آیین خدا و پیامبرش و مؤمنان راستین بسیج مینمایند.

سورة الفرقان(25): آية 36 ص: 344

(آیه ۵۶)– پاداش من هدایت شماست! از آنجا که در آیات گذشته سخن از اصرار بت پرستان بر پرستش بتهایی بود که مطلقا سود و زیانی ندارند، در این آیه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۴۵

اشاره به وظیفه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در برابر این متعصبان لجوج کرده، میگویـد: «ما تو را جز به عنوان بشارت دهنده و انذار کننده نفرستادیم» (وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِیراً).

اگر آنها دعوت تو را نپذیرفتند ایرادی بر تو نیست، تو وظیفه خود را که بشارت و انذار است انجام دادی.

این سخن هم وظیفه پیامبر را مشخص می کنـد و هم تسـلّی خاطری برای او است، و هم نوعی تهدید و بیاعتنایی به این گروه گمراه می باشد.

سورة الفرقان(25): آية 27 ص: 343

(آیه ۵۷)– سپس به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور می دهـد که به آنها «بگو: من در برابر آن (ابلاغ آیین خـدا) هیچ گونه پاداشی از شما نمی طلبم» (قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ).

بعد اضافه می کند: «مگر کسی که بخواهد راهی به سوی پروردگارش برگزیند» این پاداش من است (إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى

رَبِّهِ سَبِيلًا).

یعنی تنها اجر و پاداش من هـدایت شـماست، آن هم از روی اراده و اختیار نه اکراه و اجبار، و این تعبیر نهایت لطف و محبت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را نسبت به پیروانش روشن میسازد، چرا که مزد خود را سعادت و خوشبختی آنان میشمرد.

سورة الفرقان(25): آية 58 ص: 343

(آیه ۵۸) - این آیه تکیه گاه اصلی پیامبر را روشن میسازد، میفرماید:

«و توكل بر خداوندى كن كه زنده است و هرگز نمى ميرد» (وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ).

با داشتن این تکیه گاه و پناهگاه نه نیازی به اجر و پاداش آنها داری، و نه وحشتی از ضرر و زیان و توطئه آنان.

و اکنون که چنین است «تسبیح و حمد او به جا آور» از نقصها منزه بشمر، و در برابر همه کمالات او را ستایش کن (وَ سَرِ بِّحْ بِحَمْدِهِ).

سپس اضافه می کند: از کار شکنی و توطئه های دشمنان نگران مباش «همین بس که خداوند از گناهان بندگانش آگاه است» و به موقع حساب آنها را می رسد (وَ کَفی بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِیراً).

سورة الفرقان(25): آية 59 ص: 34 3

(آیه ۵۹)- این آیه بیان قدرت پروردگار در پهنه جهان هستی است و توصیف دیگری است از این تکیه گاه مطمئن، میفرماید: «او کسی است که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۴۶

آسـمانها و زمین و آنچه را در میان آن دو است در شـش روز [شش دوران] آفرید» (الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما فِی سِتَّهِٔ أَیَّام).

«سپس بر عُرش قدرت قرار گرفت» و به تدبیر عالم پرداخت (ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ).

کسی که دارای این قدرت وسیع است می تواند متوکلان بر خود را در برابر هر خطر و حادثهای حفظ کند.

و در پایان آیه اضافه می کند: «او خداوند رحمان است» (الرَّحْمنُ).

کسی که رحمت عامش همه موجودات را در بر گرفته، و مطیع و عاصی و مؤمن و کافر از خوان نعمت بیدریغش بهره می گه ند.

اکنون که خدایی داری بخشنده و قادر و توانا، اگر چیزی میخواهی «از او بخواه که از همه چیز آگاه است» (فَشئَلْ بِهِ خَبِیراً).

سورة الفرقان(25): آية 60 ص: 348

(آیه ۶۰) - از آنجا که در آیات پیشین سخن از عظمت و قدرت خدا بود و هم وسعت رحمت او در این آیه می افزاید: «و هنگامی که به آنها گفته شود برای خداوند رحمان (که سراسر وجود شما غرق رحمت اوست) سجده کنید آنها (از روی کبر و غرور، و یا از سر استهزاء) می گویند: رحمان چیست»؟ (وَ إِذَا قِیلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ). ما اصلا «رحمان» را نمی شناسیم.

«آیا ما برای چیزی سجده کنیم که تو به ما دستور می دهی»؟! (أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا).

ما زیر بار هیچ کس نمی رویم و تابع فرمان این و آن نخواهیم شد!.

«این سخن را می گویند «و بر نفرت و دوریشان از خدا افزوده می شود» (وَ زادَهُمْ نُفُوراً).

سورة الفرقان(25): آية 61 ص: 348

(آیه ۶۱) – این آیه در حقیقت پاسخی است به سؤال آنها که می گفتند:

رحمان چیست؟ هر چند آنها این سخن را از روی سخریه می گفتند اما قرآن پاسخ جدّی به آنها داده، میفرماید: «پر برکت و با عظمت است آن خدایی که در آسمان منزلگاههایی قرار داد» (تَبارَکَ الَّذِی جَعَلَ فِی السَّماءِ بُرُوجاً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۴۷

برجهای آسمانی اشاره به صورتهای مخصوص فلکی است که خورشید و ماه در هر فصل و هر موقعی از سال در برابر یکی از آنان قرار می گیرند مثلا می گویند خورشید در برج «حمل» قرار گرفته، یعنی محاذی «صورت فلکی حمل» میباشد، و یا «قمر» در «عقرب» است، یعنی کره ماه برابر صورت فلکی «عقرب» واقع شده.

به این ترتیب آیه اشاره به منزلگاههای آسمانی خورشید و ماه کرده، و به دنبال آن اضافه میکند: «و در میان آن چراغ روشن و ماه تابانی آفرید» (وَ جَعَلَ فِیها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِیراً).

آیا با این همه نشانههای روشن، با این منازل بدیع و دقیق خورشید و ماه باز او را نمی شناسید و می گویید: «مَا الرَّحْمنُ»؟!

سورة الفرقان(25): آية 67 ص: 347

(آیه ۶۲) - در این آیه بـاز به معرفی پروردگـار عالم ادامه داده و بخش دیگری از نظام هستی را باز گو کرده، میگویـد: «و او همان کسـی است که شب و روز را جانشـین یکدیگر قرار داد، برای آنها که بخواهند متذکر شوند و یا بخواهند شکر گذاری کنند» (وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ یَذَّکَرَ أَوْ أَرادَ شُکُوراً).

نظام بدیعی که اگر نبود، زندگی انسان بر اثر شدت نور و حرارت یا تاریکی و ظلمت به تباهی می کشید، برای آنها که میخواهند خدا را بشناسند دلیل جالبی است.

سورة الفرقان(25): آية 67 ص: 347

(آیه ۶۳) – صفات ویژه بندگان خاص خدا: از این به بعد بحث جامع و جالبی پیرامون صفات ویژه بندگان خاص پروردگار که تحت عنوان «عِبادُ الرَّحْمنِ» آمده، مطرح می شود، و دوازده صفت از صفات ویژه آنان را بیان می کند و در حقیقت تکمیلی است برای آیات گذشته که مشرکان لجوج هنگامی که نام خداوند رحمان برده می شد از سر استهزاء و غرور می گفتند: رحمان چیست؟

جایی که بندگان او این قدر عالی مقام و با شخصیتند عظمت خدای رحمان را بهتر می توان درک کرد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۴۸

نخست می گویـد: «و بنـدگان خاص خداوند رحمان کسانی هسـتند که با آرامش و بی تکبر بر روی زمین راه میروند» (وَ عِبادُ الرَّحْمن الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً). نخستین توصیف نفی کبر و غرور و خود خواهی است که در تمام اعمال انسان و حتی در کیفیت راه رفتن او آشکار می شود زیرا ملکات اخلاقی همیشه خود را در لا بلای اعمال و گفتار و حرکات انسان نشان می دهند، تا آنجا که از چگونگی راه رفتن یک انسان می توان با دقت و مو شکافی به قسمت قابل توجهی از اخلاق او پی برد.

آرى! آنها متواضعند، و تواضع كليد ايمان است.

دومین وصف آنها حلم و بردباری است چنانکه قرآن در ادامه همین آیه می گوید: «و هنگامی که جاهلان آنها را مورد خطاب قرار می دهند (و به جهل و جدال و سخنان زشت می پردازند) در پاسخ آنها سلام می گویند» (وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً). سلامی که نشانه بی اعتنایی تو أم با بزر گواری است، نه ناشی از ضعف، نه سلام تحیت که نشانه محبت و پیوند دوستی است.

سورة الفرقان(25): آية 64 ص: 348

(آیه ۶۴) – در این آیه به سومین ویژگی آنها که عبادت خالصانه پروردگار است پرداخته، میگوید: «و آنها کسانی هستند که شبانگاه برای پروردگارشان سجده و قیام میکنند» (وَ الَّذِینَ یَبِیتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِیاماً).

در ظلمت شب که چشم غافلان در خواب است و جایی برای تظاهر و ریا وجود ندارد خواب خوش را بر خود حرام کرده و به خوشتر از آن ذکر خدا و قیام و سیجود در پیشگاه با عظمت اوست می پردازد، پاسی از شب را به مناجات با محبوب می گذرانند، و قلب و جان خود را با یاد و نام او روشن می کنند.

سورة الفرقان(25): آية 65 ص: 348

(آیه ۶۵)– چهارمین صفت ویژه آنان خوف و ترس از مجازات و کیفر الهی است «و آنها کسانی هستند که پیوسته می گویند: پروردگارا! عـذاب جهنم را از ما بر طرف گردان که عذابش سـخت و شدید و پر دوام است» (وَ الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها کانَ غَراماً).

زیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۴۹

سورة الفرقان(25): آية 66 ص: 344

(آیه ۶۶)– «چرا که جهنم بد جایگاه و بد محل اقامتی است» (إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً).

با این که آنها شبها به یاد خدا هستند و به عبادتش مشغول، و روزها در مسیر انجام وظیفه گام بر میدارند باز هم قلوبشان مملوّ از ترس مسؤولیتهاست، همان ترسی که عامل نیرومندی برای حرکت به سوی انجام وظیفه بیشتر و بهتر است.

سورة الفرقان(25): آية 67 ص: 349

(آیه ۶۷) – سپس به پنجمین صفت ممتاز «عباد الرحمن» که اعتدال و دوری از هر گونه افراط و تفریط در کارها مخصوصا در مسأله انفاق است اشاره کرده، می فرماید: «و آنها کسانی هستند که به هنگام انفاق، نه اسراف می کنند و نه سخت گیری، بلکه در ميان اين دو حد اعتدال را رعايت مي كنند» (وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً).

جالب توجه این که سخن را روی کیفیت انفاق آنان می بُرد-اصل انفاق کردن را مسلّم می گیرد-و می گوید: انفاقی عادلانه و دور از هر گونه اسراف و سخت گیری دارنـد، نه آن چنان بـذل و بخششـی کنند که زن و فرزندشان گرسـنه بمانند، و نه آن چنان سختگیر باشند که دیگران از مواهب آنها بهره نگیرند.

سورة الفرقان(25): آية 68 ص: 349

(آیه ۶۸)- ششمین ویژگی «عباد الرّحمن» توحید خالص است که آنها را از هر گونه شرک و دو گانه و یا چنـد گانه پرستی دور میسازد.

مىفرمايد: «و آنها كسانى هستند كه معبود ديگرى را با خداوند نمىخوانند» (وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلها آخَرَ).

نور توحید سراسر قلب آنها و زندگی فردی و اجتماعیشان را روشن ساخته و تیرگی و ظلمت شرک از آسمان فکر و روح آنها بکلی رخت بربسته است.

هفتمین صفت، پاکی آنها از آلودگی به خون بی گناهان است: «و آنها هر گز انسانی را که خداوند (خونش را) حرام شمرده-جز به حق- به قتل نمی رسانند» (وَ لا یَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ).

از آیه فوق به خوبی استفاده می شود که تمام نفوس انسانی در اصل محترمند و ریختن خون آنها ممنوع است، مگر عواملی پیش آید که این احترام ذاتی را برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۵۰

تحت الشعاع قرار دهد و مجوز ریختن خون گردد.

هشتمين وصف آنها اين است كه: دامان عفتشان هر گز آلوده نمي شود «و زنا نمي كنند» (وَ لا يَزْنُونَ).

آنها بر سر دو راهی کفر و ایمان، ایمان را انتخاب می کنند، و بر سر دو راهی امنیت و ناامنی جانها، امنیت را، و بر سر دو راهی پاکی و آلودگی، پاکی را، آنها محیطی خالی از هر گونه شرک و ناامنی و بیعفتی و ناپاکی با تلاش و کوشش خود فراهم میسازند.

و در پایان آیه برای تأکید هر چه بیشتر اضافه می کند: «و هر کس یکی از این امور را انجام دهد عقوبت و مجازاتش را خواهد دید» (وَ مَنْ یَفْعَلْ ذَلِکَ یَلْقَ أَثَاماً).

سورة الفرقان(25): آية 69 ص: 300

(آیه ۶۹) - از آنجا که این سه گناه نهایت اهمیت را دارد باز در این آیه روی آن تکیه کرده، می گوید: کسانی که مرتکب این امور شونید «عنداب آنها در قیامت مضاعف می گردد، و با خواری، جاودانه در عنداب خواهند مانید» (یُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ یَوْمَ الْقِیامَةِ وَ یَخْلُدْ فِیهِ مُهاناً).

منظور از مضاعف شدن عذاب این است که بر هر یک از گناهان سه گانه که در آیه قبل مذکور است مجازات جدا گانهای خواهد شد که مجموعا عذاب مضاعف است.

از این گذشته گاه یک گناه سر چشمه گناهان دیگر می شود، مانند کفر که سبب ترک واجبات و انجام محرمات می گردد، و این خود موجب مضاعف شدن مجازات الهی است.

سورة الفرقان(25): آية ٧٠ ص: 300

اشاره

(آیه ۷۰)– ولی از آنجا که قرآن مجید هیچ گاه راه بازگشت را به روی مجرمان نمیبندد و گنهکاران را تشویق و دعوت به توبه میکند، در این آیه چنین می گوید:

«مگر كسانى كه توبه كننـد و ايمان آورنـد و عمل صالح انجام دهند كه خداوند (گناهان آنان را) به حسنات مبدّل مىكند، و خداوند همواره آمرزنده و مهربان بوده است» (إِلَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صالِحًا فَأُوْلئِكُ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً). برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ٣٥١

تبدیل سیئات به حسنات: ص: ۳۵۱

در اینجا چند تفسیر است که همه می تواند قابل قبول باشد:

۱- هنگامی که انسان توبه می کند و ایمان به خدا می آورد، سیئات اعمالش در آینده تبدیل به حسنات می شود، اگر در گذشته مرتکب قتل نفس می شد در آینده دفاع از مظلومان و مبارزه با ظالمان را جای آن می گذارد.

۲- دیگر این که خداوند به لطف و کرم و فضل و انعامش بعد از توبه کردن سیئات اعمال او را محو می کند، و به جای آن حسنات می نشاند.

۳- سومین تفسیر این که منظور از سیئات آثار سوئی است که از آن بر روح و جان انسان نشسته، هنگامی که توبه کند و ایمان آورد آن آثار سوء از روح و جانش بر چیده میشود، و تبدیل به آثار خیر میگردد.

سورة الفرقان(25): آية ٧١ ص: ٣٥١

(آیه ۷۱) - این آیه در حقیقت چگونگی توبه صحیح را تشریح کرده، می گوید: «و کسی که توبه کند و عمل صالح انجام دهد، بسوی خدا بازگشت می کند» و پاداش خود را از او می گیرد (وَ مَنْ تابَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتاباً).

یعنی، توبه و ترک گناه بایـد تنهـا به خـاطر زشتی گنـاه نباشـد بلکه علاـوه بر آن انگیزهاش خلوص نیت و بـاز گشت به سوی پروردگار باشد.

سورة الفرقان(25): آية 27 ص: 251

(آیه ۷۲)- نهمین صفت برجسته عباد الرّحمن احترام و حفظ حقوق دیگران است «آنها کسانی هستند که هر گز شهادت به باطل نمی دهند» (وَ الَّذِینَ لا یَشْهَدُونَ الزُّورَ). و در مجالس باطل نیز حضور پیدا نمی کنند.

به این ترتیب عباد الرحمن و بندگان خاص خدا نه شهادت به دروغ میدهند، و نه در مجالس لهو و باطل و گناه حضور مییابند، چرا که حضور در این مجالس علاوه بر امضای گناه، مقدمه آلودگی قلب و روح است. سپس در ذیل آیه به دهمین صفت برجسته آنان که داشتن هدف مثبت در زندگی است اشاره کرده، می گوید: «و آنها هنگامی که با لغو و بیهودگی بر خورد کنند، بزرگوارانه از کنار آن می گذرند» (وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا کِراماً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۵۲

در حقیقت آنها نه در مجلس باطل حضور پیدا می کنند و نه آلوده لغو و بیهودگی می شوند.

سورة الفرقان(25): آية 23 ص: 223

(آیه ۷۳) – یازدهمین صفت این گروه از بندگان خاص خدا، داشتن چشم بینا، و گوش شنوا به هنگام بر خورد با آیات پروردگار است، میفرماید: «و آنها کسانی هستند که هر گاه آیات پروردگارشان به آنها یاد آوری شود کر و کور روی آن نمیافتند»! (وَ الَّذِینَ إِذَا ذُکِّرُوا بِآیاتِ رَبِّهِمْ لَمْ یَخِرُّوا عَلَیْها صُمَّا وَ عُمْیاناً).

مسلما منظور اشاره به عمل کفار نیست، چرا که آنها به آیات الهی اصلا اعتنایی ندارند، بلکه منظور گروه منافقان یا به ظاهر مسلمانان قشری است که چشم و گوش بسته بر آیات خدا میافتند بی آنکه حقیقت آن را درک کنند، و در عمل از آن الهام گیرند.

اصولا درک آگاهانه از مذهب سر چشمه اصلی مقاومت و پایداری و ایستادگی است، چرا که چشم و گوش بستگان را به آسانی می توان فریب داد، و با تحریف مذهب از مسیر اصلی منحرف ساخت، و آنها را به وادی کفر و بی ایمانی و ضلالت کشاند.

سورة الفرقان(25): آية 24 ص: 322

(آیه ۷۴)- یازدهمین ویژگی این مؤمنان راستین آن است که توجه خاصی به تربیت فرزند و خانواده خویش دارند و برای خود در برابر آنها مسؤولیت فوقالعادهای قائلند «و آنها پیوسته (از درگاه خدا میخواهند و) میگویند:

پروردگارا! از همسران و فرزندان ما کسانی قرار ده که مایه روشنی چشم ما گردند»! (وَ الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّیَاتِنا قُرَّهٔ أَعْیُنِ).

بدیهی است منظور این نیست که تنها در گوشهای بنشینند و دعا کنند، بلکه دعا دلیل شوق و عشق درونیشان بر این امر است، و رمز تلاش و کوشش.

و بالاخره دوازدهمین وصف برجسته این بندگان خالص خدا که از یک نظر مهمترین این اوصاف است این که آنها هرگز به این قانع نیستند که خود راه حق را بسپرند بلکه همّتشان آن چنان والاست که میخواهند امام و پیشوای جمعیت مؤمنان باشند و دیگران را نیز به این راه دعوت کنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۵۳

آنها چون زاهدان گوشه گیر و منزوی، تنها گلیم خویش را از آب بیرون نمی کشند، بلکه سعیشان این است که بگیرند غریق را! لذا در پایان آیه میفرماید: آنها کسانی هستند که می گویند: «پروردگارا! ما را امام و پیشوای پرهیزکاران قرار ده» (وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِینَ إماماً).

آری! آنها بندگان خاص رحمانند، و همان گونه که رحمت عام خدا همگان را فرا می گیرد، رحمت این بندگان خدا نیز از جهاتی عام است، علم و فکر و بیان و قلم و مال و قدرتشان پیوسته در مسیر هدایت خلق خدا کار می کند. آنها سر مشقهایی

برای پرهیز کاران محسوب میشوند.

سورة الفرقان(25): آية 25 ص: 323

(آیه ۷۵)- بعد از تکمیل این اوصاف دوازده گانه اشاره به این بندگان خاص خدا با تمام این ویژگیها کرده، و در یک جمع بندی کوتاه پاداش الهی آنان را چنین بیان می کند: «آنها کسانی هستند که درجات عالی بهشت در برابر صبر و استقامتشان به آنها پاداش داده می شود» (اُولئِکَ یُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا).

«صبر» وصف تازهای نیست بلکه ضامن اجرای تمام اوصاف گذشته است و در اینجا مفهوم وسیعی دارد که شکیبایی و استقامت در برابر مشکلات راه اطاعت پروردگار و جهاد و مبارزه با هوسهای سر کش و ایستادگی در مقابل عوامل گناه همه در آن جمع است.

سپس اضافه می کند: «در آن غرفه های بهشتی با تحیت و سلام رو برو می شوند» (وَ یُلَقَوْنَ فِیها تَحِیَّهُ وَ سَلاماً). بهشتیان به یکدیگر تحیت و سلام می گویند و فرشتگان به آنها، و از همه بالاتر خداوند به آنها سلام و تحیت می گوید.

سورة الفرقان(25): آية 26 ص: 353

(آیه ۷۶) – سپس برای تأکید بیشتر می فرماید: «جاودانه در آن خواهند ماند، چه قرارگاه خوب و چه محل اقامت زیبایی»؟ (خالِدِینَ فِیها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً).

سورة الفرقان(25): آية ٧٧ ص: ٣٥٣

(آیه ۷۷)- اگر دعای شما نبود ارزشی نداشتید! این آیه که آخرین آیه سوره فرقان است در حقیقت نتیجهای است برای تمام سوره، و هم برای بحثهایی که در برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۵۴

زمینه اوصاف «عباد الرّحمن» در آیات گذشته آمده است.

روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، می گوید: «بگو: پروردگار من برای شما ارج و وزنی قائل نیست اگر دعای شما نباشد» (قُلْ ما یَعْبَوُّا بِکُمْ رَبِّی لَوْ لا دُعاؤُکُمْ).

بنا بر این آنچه به شما وزن و ارزش و قیمت در پیشگاه خدا میدهد همان ایمان و دعا و توجه به پروردگار و بندگی اوست. سپس میافزاید: «شما تکذیب (آیات پروردگار و پیامبران خدا) کردید، و این تکذیب دامان شما را خواهد گرفت، و از شما جدا نخواهد شد» (فَقَدْ کَذَبْتُمْ فَسَوْفَ یَکُونُ لِزاماً).

یعنی شما در گذشته آیات خدا و پیامبران او را تکذیب کردید اگر به سوی خدا نیایید و راه ایمان و بندگی او را پیش نگیرید هیچ ارزش و مقامی نزد او نخواهید داشت، و کیفرهای تکذیبتان قطعا دامانتان را خواهد گرفت.

(یایان سوره فرقان»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۵۵

تمامی آیات این سوره- جز چهار آیه آخر- در مکّه نازل شده و ۲۲۷ آیه است

محتوای سوره: ص: 355

می دانیم در سوره های مکی که در آغاز دعوت اسلام نازل گردید بیشتر روی اصول اعتقادی، توحید، معاد و دعوت پیامبران خدا و اهمیت قرآن تکیه می شد، و تقریبا تمام بحثهای سوره شعراء پیرامون همین مسائل دور می زند.

در حقیقت می توان محتوای این سوره را در چند بخش خلاصه کرد:

بخش اول طلیعه سوره است که از حروف مقطعه، و سپس عظمت مقام قرآن و تسلّی خاطر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در برابر پا فشاری و خیره سری مشرکان و اشارهای به بعضی از نشانههای توحید و صفات خدا سخن میگوید.

بخش دوم فرازهایی از سرگذشت هفت پیامبر بزرگ و مبارزات آنها را با قومشان، و لجاجتها و خیره سریهای آنان را باز گو میکند که شباهت زیادی با منطق مشرکان عصر پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله داشته و نیز مخصوصا روی عذاب دردناک این اقوام و بلاهای وحشتناکی که بر آنها فرود آمد تکیه شده است که خود تهدید مؤثری برای مخالفان پیامبر اسلام در آن شرایط است.

بخش سوم- که در حقیقت جنبه نتیجه گیری از بخشهای گذشته دارد- پیرامون پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و عظمت قرآن و تکذیب مشرکان و دستوراتی به آن حضرت در زمینه روش دعوت، و چگونگی بر خورد با مؤمنان سخن می گوید، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۵۶

و سوره را با بشارت به مؤمنان صالح و تهدید شدید ستمگران پایان میدهد.

ضمنا نام این سوره از چند آیه آخر که پیرامون شعرای بی هدف سخن می گوید گرفته شده است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 353

در حدیثی از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله چنین میخوانیم:

«كسى كه سوره شعراء را بخواند به عدد كسى كه نوح را تصديق و يا تكذيب كرده است ده حسنه براى او خواهد بود، و همچنين هود، شعيب، صالح و ابراهيم و به عدد تمام كسانى كه تكذيب عيسى و تصديق محمّد صلّى الله عليه و آله كردهاند». البته منظور تلاوتى است كه مقدمه تفكر و سپس اراده و عمل باشد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الشعراء(26): آية 1 ص: 358

(آیه ۱)- باز در آغاز این سوره با نمونه دیگری از حروف مقطعه قرآن رو برو می شویم «طا، سین، میم» (طسم).

روایات متعددی از پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله یا بعضی از صحابه در تفسیر «طسم» نقل شده که همه نشان می دهد این حروف علامتهای اختصاری از نامهای خدا، یا نامهای قرآن، و یا مکانهای مقدس و یا بعضی از درختان بهشتی و مانند آن

است.

این روایات، تفسیری را که در آغاز سوره اعراف در این زمینه نقل کردیم تأیید میکند، و در عین حال با آنچه در آغاز سوره بقره آوردیم که منظور بیـان اعجـاز و عظمت قرآن است که این کلاـم بزرگ از حروف سـاده و کوچـک ترکیب شـده اسـت منافاتی ندارد.

سورة الشعراء(27): آية ٢ ص: 358

(آیه ۲)- این آیه عظمت قرآن را این چنین بیان می کند: «اینها آیات کتاب مبین است» (تِلْکُ آیاتُ الْکِتابِ الْمُبِینِ). توصیف «قرآن» به «مبین» که در اصل از ماده «بیان» است اشاره به آشکار بودن عظمت و اعجاز آن میباشد که هر چه انسان در محتوای آن بیشتر دقت کند به معجزه بودنش آشناتر می شود.

> از این گذشته قرآن بیان کننده «حق» از «باطل» و آشکار کننده راه سعادت برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۵۷ و پیروزی و نجات از گمراهی است.

سورة الشعراء(26): آية 3 ص: 257

(آیه ۳)- سپس به دلداری پیامبر صلّی الله علیه و آله پرداخته، می گوید: «گویی میخواهی جان خود را به خاطر این که آنها ایمان نمی آورند از شدت اندوه بر باد دهی» (لَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ أَلًا یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ).

آری! همه پیامبران الهی این چنین دلسوز بودند مخصوصا پیامبر اسلام که این تعبیر کرارا در قرآن در مورد او آمده است. بعضی از مفسران چنین می گویند که سبب نزول آیه فوق این بود که پیامبر صلّی الله علیه و آله مرتبا اهل مکه را به توحید دعوت می کرد، اما آنها ایمان نمی آورند، پیامبر صلّی الله علیه و آله آنقدر ناراحت شده بود که آثار آن در چهرهاش آشکار بود، آیه فوق نازل شد و پیامبر صلّی الله علیه و آله را دلداری داد.

سورة الشعراء(26): آية 4 ص: 257

(آیه ۴)- این آیه برای اثبات این حقیقت که خداونـد بر هر چیز قادر است حتی میتوانـد همه آنهـا را به اجبار وادار به ایمان کند چنین می گوید: «اگر ما بخواهیم از آسـمان آیهای بر آنها نازل می کنیم که گردنهایشان در برابر آن خاضع گردد» (إِنْ نَشَأْ نُنزِّلْ عَلَیْهِمْ مِنَ السَّماءِ آیَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِینَ).

اشاره به این که ما این قدرت را داریم که معجزه خیره کننده، یا عـذاب شدیـد و وحشـتناکی بر آنها فرو بفرستیم که همگی بیاختیار سر تعظیم در برابر آن فرود آورند و تسلیم شوند، ولی این ایمان اجباری ارزشی ندارد، مهم آن است که آنها از روی اراده و تصمیم و درک و اندیشه در برابر حق خاضع گردند.

سورة الشعراء(26): آية ۵ ص: 327

(آیه ۵)- سپس به موضع گیری مشرکان و کافران در برابر قرآن اشاره کرده، میفرماید: «و هیچ ذکر تازهای از سوی خداوند

مهربان براى آنها نمى آيىد مگر اين كه از آن روى گردان مىشونىد» (وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدِدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ).

تعبیر به «الرَّحْمنِ» اشاره به این است که نزول این آیات از «رحمت عامه» پروردگار سر چشمه میگیرد که همه انسانها را بدون استثناء به سعادت و کمال دعوت میکند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۵۸

و تعبیر به «مُحْدَدَثٍ» (تازه و جدید) اشاره به این است که آیات قرآن یکی پس از دیگری نازل می گردد، و هر کدام محتوای تازهای دارد.

سورة الشعراء(26): آية 6 ص: 354

(آیه ۶)- سپس اضافه می کند: اینها تنها به «اعراض» قناعت نمی کنند، بلکه به مرحله «تکذیب» و از آن بدتر «استهزاء» می رسند، می فرماید: «آنها تکذیب کردند اما به زودی اخبار آنچه را به استهزاء می گرفتند به آنان می رسد» و از مجازات دردناک کار خود با خبر می شوند (فَقَدْ کَذَّبُوا فَسَیَأْتِیهِمْ أَنْبُوا ما کانُوا بِهِ یَشتَهْزِؤُنَ).

منظور از «أُنْبؤُا» در اینجا کیفرهای سختی است که در این جهان و جهان دیگر دامنگیر آنها میشود.

بررسی این آیه و آیه قبل نشان می دهد که انسان به هنگام قرار گرفتن در جادههای انحرافی بطور تصاعدی فاصله خود را از حق بیشتر می کند.

نخست مرحله اعراض و روی گردانـدن و بیاعتنایی نسبت به حق است، اما تـدریجا به مرحله تکـذیب و انکار میرسد، باز از این مرحله فراتر میرود و حق را به باد سخریه می گیرد، و به دنبال آن مجازات الهی فرا میرسد.

سورة الشعراء(26): آية 7 ص: 354

(آیه ۷)- زوجیت در گیاهان: در آیات گذشته سخن از اعراض کافران، از آیات تشریعی یعنی قرآن مجید بود و در اینجا سخن از اعراض آنها نه تنها، گوش جان خود را بر سخنان پیامبر صلّی الله علیه و آله میبستند، بلکه چشمهای خود را نیز از دیدن نشانههای حق در اطراف خود محروم میساختند.

نخست می گویـد: «آیا آنها به زمین نگاه نکردنـد چه بسیار گیاهان از انواع مختلف، نر و ماده، زیبا و جالب و پر فایـده در آن آفریدیم» (أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ کَمْ أَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ زَوْج کَرِیم).

سورة الشعراء(26): آية 1 ص: 354

(آیه ۸)- در این آیه به عنوان تأکید و تصریح بیشتر می فرماید: «در این (خلقت گیاهان ارزشمند) نشانه روشنی (بر وجود خدا) است» (إنَّ فِی ذٰلِکُ لَآیَةً).

اما این کور دلان آن چنان غافل و بیخبرنـد که این گونه آیات الهی را میبیننـد، باز هم در غفلتنـد، چرا که کفر و لجاج در قلب آنها رسوخ کرده. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۵۹

لذا در پایان آیه می فرماید: «اکثر آنها هر گز مؤمن نبودهاند» (وَ ما کانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ).

سورة الشعراء(26): آية 9 ص: 259

(آیه ۹)- در این آیه با تعبیری که هم نشانه تهدید است و هم تشویق، هم بیم است و هم امید، میفرماید: «و پروردگار تو قدرتمند و مهربان است» (وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ).

«عزیز» به معنی قدر تمندی است که شکست ناپذیر است، هم توانایی بر ارائه آیات بزرگ دارد، و هم در هم کوبنده تکذیب کنندگان است، ولی با این حال «رحیم» است و رحمت واسعهاش همه جا را فرا گرفته، و باز گشت جدی به سوی او در یک لحظه کوتاه کافی است که تمام نظر لطف او را متوجه انسان سازد و بر گناهان گذشتهاش قلم عفو کشد.

سورة الشعراء(26): آية ١٠ ص: 259

(آیه ۱۰)- آغاز رسالت موسی علیه السّ لام: گفتیم در این سوره سر گذشت هفت تن از پیامبران بزرگ به عنوان درس آموزندهای برای عموم مسلمانان مخصوصا مسلمانان نخستین بیان شده است.

نخست از موسی (ع) شروع می کند و بخشهای مختلفی از زندگی او و در گیریش را با فرعونیان تا هنگام غرق این قوم ظالم و ستمگر شرح میدهد.

این بحثها گر چه به ظاهر مکرر است، اما دقت در آنها نشان میدهد که در هر مورد روی بخش خاصی از این سر گذشت پر ماجرا تکیه شده است.

فی المثل آیات مورد بحث هنگامی نازل شد که مسلمانان سخت در اقلیت قرار داشتند و دشمنان آنها بسیار قوی و نیرومند، در اینجا لازم است خداوند سرگذشتهای مشابهی را از اقوام پیشین بیان کنند تا بدانند این قدرت عظیم دشمن و ضعف ظاهری آنها هرگز سبب شکست نخواهد شد، تا روحیه آنها قوی گردد و بر استقامت و پا فشاری خود بیفزایند، و جالب این که: بعد از سرگذشت هر یک از این پیامبران هفتگانه جمله «وَ ما کانَ أَکْتُرُهُمْ مُوْمِنِینَ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ) اکثر آنها ایمان نیاوردند و پروردگار تو توانا و رحیم است» تکرار شده، درست همان عبارتی که در آغاز همین سوره در مورد پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله خواندیم. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۶۰

این هماهنگی شاهد زندهای بر این حقیقت است که ذکر این بخش از داستانهای انبیا، به خاطر شرایط خاص روانی و اجتماعی مسلمانان در آن مقطع خاص زمانی و مشابه آن بوده است.

نخست مى گويىد: «و (به خاطر بياور) هنگامى كه پروردگارت موسىي را ندا كرد كه به سراغ آن قوم ستمگر برو» (وَ إِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

سورة الشعراء (26): آية ١١ ص: 360

(آيه ١١)– «قوم فرعون، آيا آنها (از مخالفت فرمان پروردگار) پرهيز نميكنند» (قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ).

این نکته قابل توجه است که تنها صفتی را از فرعونیان که بر آن تکیه کرده ظلم است و میدانیم ظلم معنی جامع و گستردهای دارد که شرک یکی از مصادیق بارز آن است، و استثمار و استعباد بنی اسرائیل با آن همه زجر و شکنجه نیز مصداق دیگری از آن می باشد، از این گذشته آنها با اعمال خلافشان قبل از هر کس بر خودشان ستم می کردند، و به این ترتیب می توان هدف

دعوت انبیاء را در مبارزه با ظلم و ستم در تمام ابعاد خلاصه کرد!

سورة الشعراء(26): آية 12 ص: 360

(آیه ۱۲) - در این هنگام موسی مشکلات عظیم خود را به پیشگاه پروردگار عرض می کند و از او تقاضای قوت و قدرت بیشتر برای تحمل این رسالت عظیم مینماید: «عرض کرد پروردگارا! من از آن بیم دارم که مرا تکذیب کنند» (قالَ رَبِّ إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ).

و با جار و جنجال خود مرا از صحنه بیرون کنند.

موسی (ع) در ذکر این سخن کاملاحق داشت چرا که فرعون و دار و دستهاش آنقدر مسلط بر اوضاع کشور مصر بودند که احدی یارای مخالفت با آنها را نداشت و هر گونه نغمه مخالفی را با شدت و بیرحمی سرکوب می کردند.

سورة الشعراء(26): آية 13 ص: 360

(آیه ۱۳)– به علاوه «سینه من برای انجام این رسالت وسعت کافی ندارد» (وَ یَضِیقُ صَدْرِی).

از این گذشته «زبان من به قدر کافی گویا نیست» (وَ لا یَنْطَلِقُ لِسانِی).

به همین جهت تقاضای من این است: «به (برادرم) هارون نیز رسالت بدهی» برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۶۱ تا به همراه من مأمور ادای این رسالت گردد (فَأَرْسِلْ إِلی هارُونَ).

تا با معاضدت یکدیگر بتوانیم این فرمان بزرگ را در برابر آن ستمگران خیره سر به اجرا در آوریم.

سورة الشعراء (25): آية 14 ص: 311

(آیه ۱۴)- از همه اینها گذشته «آنها بر من (به اعتقاد خودشان) گناهی دارند» (وَ لَهُمْ عَلَیَّ ذَنْبُ). من یکی از این فرعونیان ستمگر را به هنگامی که با یک مرد بنی اسرائیلی مظلوم در گیر بود با ضربه قاطع خود کشتهام.

از این نظر «می ترسم (به عنوان قصاص) مرا به قتل برسانند» و این رسالت عظیم به پایان نرسد (فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ).

موسی ترسی برای شخص خود نداشت بلکه از این بیم داشت که قبل از رسیدن به مقصد از پای در آید، لذا از خداوند تقاضای نیروی بیشتر برای این مبارزه می کند.

سورة الشعراء(26): آية 15 ص: 341

(آیه ۱۵)- خداوند این تقاضای صادقانه موسی را اجابت کرد «فرمود: این چنین نیست» (قالَ کَلَّا). که بتوانند تو را به قتل برسانند و یا سینهات تنگی کند و زبانت گره داشته باشد و گویا نگردد.

دعای تو را در مورد برادرت نیز اجابت کردم و به او هم مأموریت دادم «پس شما هر دو با آیات ما بروید» و فرعون و قوم گمراهش را به سوی من دعوت کنید (فَاذْهَبا بِآیاتِنا).

و فكر نكنيد من از شـما دورم و جريان امر شـما بر ما مخفى است، بلكه «ما با شـما هستيم و به خوبى مطالب را مىشـنويم» (إِنَّا

مَعَكَمْ مُسْتَمِعُونَ).

هرگز شما را تنها نخواهم گذارد و در حوادث سخت یاریتان خواهم کرد با اطمینان خاطر پیش بروید و محکم در این راه گام بردارید.

سورة الشعراء(25): آية 16 ص: 341

(آیه ۱۶)– برخورد منطقی و قاطع با فرعون: در آیات گذشته نخستین مرحله مأموریت موسی (ع) یعنی دریافت وحی و رسالت و تقاضای وسائل نیل به این هدف بزرگ، پایان یافت.

از اینجا به بعد «مرحله دوم» یعنی رو برو شدن با فرعون و گفتگوی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۶۲

سرنوشت ساز که در آن میان انجام گرفت مطرح شده.

نخست به عنوان مقدمه مىفرمايد: «اكنون (كه همه چيز رو براه است) به سراغ فرعون برويد، و به او بگوييد: ما رسول پروردگار جهانيان هستيم» أُتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ)

سورة الشعراء(25): آية ١٧ ص: 322

(آیه ۱۷)– و به دنبال بیان رسالت خود، آزادی بنی اسرائیل را مطالبه کنید و بگویید: «بنی اسرائیل را با ما بفرست» (أَنْ أَرْسِـَـلْ مَعَنا بَنِی إِسْرائِیلَ).

بدیهی است منظور این بوده که زنجیر اسارت و بردگی از آنها بردارد تا آزاد شوند، و بتوانند با آنها بیایند، نه این که تقاضای فرستادن آنها به وسیله فرعون شده باشد.

سورة الشعراء(25): آية ١٨ ص: 322

(آیه ۱۸) - در اینجا فرعون زبان به سخن گشود و با جملههایی حساب شده، و در عین حال شیطنت آمیز برای نفی رسالت آنها کوشید. نخست رو به موسی کرد و چنین «گفت: آیا ما تو را در کودکی در میان (دامان مهر) خود پرورش ندادیم»؟ (قالَ أَ لَمْ نُرَبِّکَ فِینا وَلِیداً).

تو را از آن امواج خروشان و خشمگین «نیل» که وجودت را به نابودی تهدیـد میکرد گرفتیم، دایه ها برایت دعوت کردیم، و از قانون مجازات مرگ فرزندان بنی اسرائیل معافت نمودیم، در محیطی امن و امان در ناز و نعمت پرورش یافتی! و بعد از آن نیز «سالهای متمادی از عمرت در میان ما بودی»! (وَ لَبِشْتَ فِینا مِنْ عُمُرِکَ سِنِینَ).

سورة الشعراء(25): آية 19 ص: 322

(آیه ۱۹)– سپس به ایراد دیگری نسبت به موسی پرداخته، میگوید: «تو آن کار مهم (کشتن یکی از قبطیان و طرفداران ما را انجام دادی» (وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَکُ الَّتِی فَعَلْتَ).

اشاره به این که تو چگونه می توانی پیامبر باشی که دارای چنین سابقهای هستی.

و از همه اینها گذشته «تو کفران نعمتهای ما می کنی» (وَ أُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ).

سالها بر سر سفره ما بودی، نمک خوردی و نمکدان را شکستی!، با چنین برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۶۳ کفران نعمت چگونه می توانی پیامبر باشی؟

در حقیقت میخواست با این منطق و این گونه پرونده سازی موسی را به پندار خود محکوم کند.

سورة الشعراء(25): آية 20 ص: 363

(آیه ۲۰)– موسی بعد از شنیدن سخنان شیطنت آمیز فرعون به پاسخ از هر سه ایراد پرداخت، ولی از نظر اهمیت پاسخ ایراد دوم فرعون را مقدم شمرد و یا اصولا ایراد اول را در خور پاسخ نمی دانست، چرا که پرورش دادن کسی هرگز دلیل آن نمی شود که اگر شخص پرورش دهنده گمراه بود او را به راه راست هدایت نکنند.

به هر حال چنین «گفت: من آن کار را انجام دادم در حالی که از بیخبران بودم» (قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ). موسی (ع) در اینجا یک نوع «توریه» به کار برده و سخنی گفت که ظاهرش این بوده که من در آن زمان راه حق را پیدا نکرده بودم بعدا خداوند راه حق را به من نشان داد و مقام رسالت بخشید، ولی در باطن مقصود دیگری داشت و آن این که من نمی دانستم که این کار مایه این همه درد سر می شود و گر نه اصل کار حق بود و مطابق قانون عدالت!

سورة الشعراء(26): آية 21 ص: 353

(آیه ۲۱)– سپس موسی اضافه می کند: «من به دنبال این حادثه هنگامی که از شما ترسیدم فرار کردم، و خداوند به من علم و دانش بخشید، و مرا از رسولان قرار داد» (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِی رَبِّی حُكْماً وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُرْسَلِینَ).

سورة الشعراء(25): آية 22 ص: 353

(آیه ۲۲)- سپس «موسی» به پاسخ منّتی که فرعون در مورد پرورشش در دوران طفولیت و نوجوانی بر او گذارد پرداخته، و با لحن قاطع و اعتراض آمیزی می گوید: «آیا این منتی است که تو بر من می گذاری که بنی اسرائیل را بنده و برده خود ساختی»؟! (وَ تِلْکَ نِعْمَةٌ تَمُنُها عَلَیَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِی إِسْرائِیلَ).

تا آنجا که به خود اجازه دادی نوزادان پسر را به قتل برسانی، و دختران را برای کنیزی و خدمت زنده بگذاری؟ این ظلم بیحساب تو سبب شد که مادرم برای حفظ جان نوزادش مرا در صندوق بگذارد، و به امواج نیل بسپارد، و خواست

الهي اين بود كه آن كشتي برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ٣٥٤

کوچک در کنار کاخ تو لنگر بیندازد، آری ظلم بیاندازه تو بود که مرا رهین این منت ساخت، و مرا از خانه پاک پدرم محروم ساخت و در کاخ آلوده تو قرار داد!

سورة الشعراء(26): آية 23 ص: 364

(آیه ۲۳) - هنگامی که موسی با لحن قاطع و کوبنده ای سخنان فرعون را پاسخ گفت و او از این نظر درمانده شد، مسیر کلام

را تغییر داد و موسی را که گفته بود من رسول و فرستاده ربّ العالمینم مورد سؤال قرار داد و «فرعون گفت: پروردگار عالمیان چیست»؟ (قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِینَ).

فرعون این سخن را برای تجاهل و تحقیر، مطرح کرد.

سورة الشعراء(26): آية 24 ص: 364

(آیه ۲۴) - ولی موسی همانند همه بحث کنندگان بیدار و آگاه راهی جز این نداشت که مطلب را جدی بگیرد و به پاسخ جدی بپردازد، و از آنجا که ذات خدا از دسترس افکار انسانها بیرون است، دست به دامان آثار او در پهنه آفرینش زند، و از آیات آفاقی سخن به میان آورد «گفت: او پروردگار آسمانها و زمین و آنچه در میان این دو قرار گرفته است میباشد، اگر شما راه یقین میپویید» (قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُمَا إِنْ کُنْتُمْ مُوقِنِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 25 ص: 364

(آیه ۲۵)– اما فرعون با این بیان محکم معلم بزرگ آسمانی، از خواب غفلت بیدار نشد، باز به استهزاء و سخریه ادامه داد، و از روش دیرینه مستکبران مغرور پیروی کرد «رو به اطرافیان خود کرده گفت: آیا نمی شنوید» این مرد چه می گوید؟! (قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ).

پیداست اطراف فرعون را چه افرادی گرفتهاند، اشخاصی از قماش خود او، گروهی از صاحبان زر و زور و همکاران ظلم و ستم.

هدفش این بود که این سخن منطقی و دلنشین موسی در قلب تاریک این گروه کمترین اثری نگذارد، و آن را یک سخن بیمحتوا که مفهومش قابل درک نیست معرفی کند.

سورة الشعراء(25): آية 26 ص: 364

(آیه ۲۶) – ولی بـاز موسـی (ع) به سـخنان منطقی و حسـاب شـده خـود بـدون هیـچ گونه ترس و واهمه ادامه داد و «گفت: او پروردگار شما و پروردگار پدران نخستین شماست» (قالَ رَبُّکُمْ وَ رَبُّ آبائِکُمُ الْأَوَّلِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۶۵ در حقیقت موسی که در مرحله نخست از «آیات آفاقی» شروع کرده بود در مرحله دوم به «آیات انفسی» اشاره کرد.

سورة الشعراء(26): آية 27 ص: 360

(آیه ۲۷)- ولی فرعون به خیره سری همچنان ادامه داد، و از مرحله استهزاء و سخریه پا را فراتر نهاده نسبت جنون و دیوانگی به موسسی داد و «گفت: پیامبری که به سوی شما آمده قطعا مجنون است»! (قالَ إِنَّ رَسُولَکُمُ الَّذِی أُرْسِلَ إِلَیْکُمْ لَمَجْنُونٌ). همان نسبتی که همه جباران تاریخ به مصلحان الهی میدادند.

سورة الشعراء(26): آية 28 ص: 360

(آیه ۲۸)- اما این نسبت ناروا در روح بلند موسی (ع)، اثری نگذاشت و همچنان خط اصلی توحید را از طریق آثار خدا در پهنه آفرینش، در آفاق و انفس، ادامه داد و «گفت: او پروردگار مشرق و مغرب و آنچه در میان این دو است میباشد اگر شما عقل و اندیشه خود را به کار می گرفتید» (قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ ما بَیْنَهُما إِنْ کُنْتُمْ تَعْقِلُونَ).

اگر تو در محدوده کوچکی به نام «مصر» یک حکومت ظاهری داری، حکومت واقعی پروردگار من تمام شرق و غرب جهان و هر چه را میان آنهاست در بر گرفته، و آثارش در همه جا در جبین موجودات میدرخشد.

سورة الشعراء(25): آية 29 ص: 360

(آیه ۲۹) – این منطق نیرومند و شکستناپذیر، فرعون را سخت خشمگین ساخت و سر انجام به حربهای متوسل شد که همه زورمندان بیمنطق به هنگام شکست و ناکامی به آن متوسل میشوند و چنین «گفت: اگر معبودی غیر من انتخاب کنی تو را از زندانیان قرار خواهم داد» (قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَیْرِی لَأَجْعَلَنَکَ مِنَ الْمَسْجُونِینَ).

من این سخنان تو را نمی فهمم، همین می دانم که یک اله و معبود بزرگ وجود دارد و آن منم! و هر کس غیر از این بگوید محکوم به مرگ، یا زندان مرگ آفرین است!

سورة الشعراء(26): آية 30 ص: 360

(آیه ۳۰) - در آیه قبل دیدیم که فرعون سر انجام تکیه بر قدرت و تهدید به زندان و مرگ نمود.

اینجاست که صحنه بر می گردد و موسی (ع) نیز باید روش تازهای در پیش برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۶۶ گیرد که فرعون در این صحنه نیز ناتوان و درمانده شود.

موسی نیز باید تکیه بر قدرت کند قدرتی الهی که از معجزهای چشمگیر سر چشمه می گیرد، رو به سوی فرعون کرد و «گفت: آیا اگر من نشانه آشکاری برای رسالتم ارائه دهم» باز مرا زندان خواهی کرد؟! (قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُکَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ).

سورة الشعراء(26): آية 31 ص: 368

(آیه ۳۱) - فرعون در اینجا سخت در بن بست واقع شد چرا که موسی (ع) اشاره سسبسته ای به یک برنامه فوق العاده کرده و فکر حاضران را متوجه خود ساخته است، اگر فرعون بخواهد سخن او را نادیده بگیرد همه بر او اعتراض می کنند، و می گویند باید بگذاری موسی (ع) کار مهمش را ارائه دهد، اگر توانایی داشته باشد که معلوم می شود، نمی توان با او طرف شد، و الا گزافه گوییش آشکار می گردد، در هر حال نمی توان از این سخن موسی (ع) به سادگی گذشت. ناچار «گفت: اگر راست می گویی آن را بیاور»! (قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصَّادِقِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 32 ص: 368

(آیه ۳۲)- «پس (در این هنگام) موسی عصایی را که به دست داشت افکند، و (به فرمان پروردگار) مار عظیم و آشکاری شد» (فَأَلْقی عَصاهُ فَإِذا هِیَ ثُعْبانٌ مُبِینٌ).

سورة الشعراء(26): آية 33 ص: 368

(آیه ۳۳)– «و سپس دست خود را (در گریبـان فرو برد و) بیرون آورد، ناگهان در برابر بیننـدگان سـفید و روشن بود»! (وَ نَزَعَ یَدَهُ فَإِذا هِیَ بَیْضاءُ لِلنَّاظِرِینَ).

در حقیقت این دو معجزه بزرگ، یکی مظهر بیم بود و دیگری مظهر امید اولی مناسب مقام انذار است، و دومی بشارت.

سورة الشعراء (27): آية 34 ص: 368

(آیه ۳۴) – فرعون از مشاهده این صحنه، سخت جا خورد و در وحشت عمیقی فرو رفت اما برای حفظ قدرت شیطانی خویش که بـا ظهور موســی (ع)، سخت به خطر افتاده بود و همچنین برای حفظ اعتقاد اطرافیان و روحیه دادن به آنها در صــدد توجیه معجزات موسی بر آمد، نخست «به اطرافیان خود چنین گفت:

اين مرد، ساحر آگاه و ماهرى است»! (قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ).

جالب است، همان کسی را که تا چند لحظه قبل مجنونش میخواند، اکنون به عنوان علیم و دانشمند از او نام میبرد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۶۷

سورة الشعراء(27): آية 30 ص: 377

(آیه ۳۵)– سپس برای این که جمعیت را بر ضد او بسیج کند چنین ادامه داد: «او میخواهد شـما را از سـر زمینتان با سحرش بیرون کند»! (یُرِیدُ أَنْ یُخْرِجَکُمْ مِنْ أَرْضِکُمْ بِسِحْرِهِ).

«شما چه (میاندیشید و چه) دستور میدهید»؟! (فَما ذا تَأْمُرُونَ).

این همان فرعونی است که قبلا۔ تمام مصر را ملک مسلم خود میدانست، اکنون آن را ملک مردم می شمرد و به اطرافیان می گوید: شما چه امر می کنید؟

مشورتی بسیار عاجزانه و از موضع ضعف!

سورة الشعراء(26): آية 36 ص: 367

(آیه ۳۶)- بعد از مشورتها سر انجام اطرافیان به فرعون «گفتند: او و برادرش را مهلت ده و مأموران را برای بسیج (بسیج ساحران) به تمام شهرها اعزام کن» (قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَتْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ).

سورة الشعراء(26): آية 37 ص: 367

(آیه ۳۷)– «تا هر ساحر ماهر و کهنه کاری را نزد تو آورند» (یَأْتُوکَ بِکُلِّ سَحَّارٍ عَلِیم).

و گفتند: خوشبختانه در کشور پهناور مصر، اساتید فن سحر بسیارند، اگر موسی ساحُر است ما «سحّار» یعنی ساحران ماهرتر در برابر او قرار میدهیم، و آن قدر ساحران وارد به فوت و فنّ سحر را جمع میکنیم تا راز موسی را افشا کنند!

سورة الشعراء(26): آية 38 ص: 367

(آیه ۳۸)- ساحران از همه جا گرد آمدند! به دنبال پیشنهاد اطرافیان فرعون جمعی از مأموران زبده به شهرهای مختلف مصر روان شدند و در هر جا ساحران ماهر را جستجو کردند، «سر انجام جمعیت ساحران برای وعده گاه روز معین جمع آوری شدند» (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِیقاتِ یَوْم مَعْلُوم). و آنها را برای مبارزه در چنان روزی آماده کردند.

سورة الشعراء(26): آية 39 ص: 367

(آیه ۳۹)- از مردم نیز برای حضور در این میدان مبارزه دعوت شد:

«و به مردم گفته شد: آیا شما در این صحنه اجتماع می کنید»؟ (وَ قِیلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ).

سورة الشعراء (27): آية 40 ص: 377

(آیه ۴۰)- و به مردم گفته شـد: «هـدف این است که اگر ساحران پیروز شونـد (که پیروزی آنها پیروزی خـدایان ماست) ما از آنان پیروی کنیم» (لَعَلَّنا نَتَبُعُ السَّحَرَةُ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۶۸

إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ). و آن چنان صحنه را گرم و داغ نماييم كه دشمن خدايان ما براى هميشه از ميدان بيرون رود.

سورة الشعراء(26): آية 41 ص: 368

(آیه ۴۱)- اینها همه از یکسو، از سوی دیگر «هنگامی که ساحران (نزد فرعون) آمدند (و او را سخت در تنگنا دیدند به این فکر افتادند که برترین بهره گیری را کرده و امتیازهای مهمی از او بگیرند) به فرعون گفتند: آیا برای ما پاداش قابل ملاحظهای خواهد بود اگر پیروز شویم» (فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ).

سورة الشعراء(25): آية 42 ص: 368

(آیه ۴۲)- فرعون که سخت در این بن بست گرفتار و درمانده بود حاضر شد برترین امتیازها را به آنها بدهد، بلا فاصله «گفت: آری (هر چه بخواهید میدهم) به علاوه شما در این صورت از مقربان در گاه من خواهید بود»! (قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ).

سورة الشعراء(26): آية 47 ص: 368

(آیه ۴۳)- هنگامی که ساحران قول و قرارهای خود را با فرعون گذاردند به دنبال تهیه مقدمات کار رفتند، و در خلال مدتی که فرصت داشتند، طنابها و عصاهای بسیار فراهم ساختند که ظاهرا درون آنها را خالی کرده و ماده شیمیایی مخصوصی (همچون جیوه) که در برابر تابش آفتاب سبک و فرّار می شود در آن ریختند.

سر انجام روز موعود فرا رسید، و انبوه عظیمی از مردم در آن صحنه جمع شدند.

«موســــى رو به سوى ساحران كرد و گفت: آنچه را مىخواهيد بيفكنيد» و هر چه داريد به ميدان آوريد (قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ).

سورة الشعراء(26): آية 44 ص: 368

(آیه ۴۴)– ساحران که غرق غرور و نخوت بودند و حد اکثر توان خود را به کار گرفته و به پیروزی خود امیدوار بودند «طنابها و عصاهای خود را افکندند و گفتند: به عزت فرعون ما قطعا پیروزیم»! (فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَ عِصِة یَّهُمْ وَ قالُوا بِعِزَّهُ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ).

در این هنگام عصاها و طنابهای مخصوص به صورت مارهای کوچک برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۶۹ و بزرگ به حرکت در آمدنـد (طه/ ۶۶)، در ایـن هنگام غریـو شـادی از مردم بر خـاست و برق امیـد در چشــمان فرعـون و اطرافیانش درخشیدن گرفت.

سورة الشعراء(25): آية 45 ص: 359

(آیه ۴۵) - اما موسی چندان مهلت نداد که این وضع ادامه یابد همانطور که قرآن می گوید: «سپس موسی عصایش را افکند، ناگهان تمام وسایل دروغین آنها را بلعید» (فَأَلْقی مُوسی عَصاهُ فَإِذا هِیَ تَلْقَفُ ما یَأْفِکُونَ).

در اینجا گروهی پا به فرار گذاشتند، گروهی منتظر بودنـد پایان کار به کجا میرسـد، و جمعی بیهـدف فریاد میکشیدند و دهان ساحران از تعجب باز مانده بود.

سورة الشعراء(26): آية 46 ص: 369

(آیه ۴۶) - در اینجا همه چیز عوض شد، ساحران که تا آن لحظه در خط شیطنت و همکاری با فرعون و مبارزه با موسی (ع) قرار داشتند یک مرتبه به خود آمدند و چون از تمام فنون سحر با خبر بودند، یقین پیدا کردند که این مسأله قطعا سحر نیست، این یک معجزه بزرگ الهی است «پس ناگهان همه آنها به سجده افتادند» (فَأُلْقِیَ السَّحَرَةُ ساجِدِینَ).

سورة الشعراء(25): آية ٤٧ ص: 359

(آیه ۴۷)- و همراه با این عمل که دلیل روشن ایمان آنها بود با زبان نیز «گفتنـد: ما به پروردگار عالمیان ایمان آوردیم»! (قالُوا آمَنًا بِرَبِّ الْعالَمِینَ).

سورة الشعراء(25): آية ٤٨ ص: 369

(آیه ۴۸)- و برای این که جای هیچ ابهام و تردید باقی نماند و فرعون نتواند این سخن را تفسیر دیگری کند، اضافه کردند: «به پروردگار موسی و هارون» (رَبِّ مُوسی وَ هارُونَ).

آرى! در يک لحظه کو تاه از ظلمت مطلق به روشنايي ايمان گام نهادند.

سورة الشعراء(25): آية 49 ص: 369

(آیه ۴۹) – در این هنگام فرعون از یک سو روحیه خود را پاک باخته بود، و از سوی دیگر تمام قدرت و موجودیت خویش را در خطر می دید، و مخصوصا می دانست ایمان آوردن ساحران چه تأثیر عمیقی در روحیه مردم خواهد گذارد و ممکن است گروه عظیمی به پیروی از ساحران به سجده بیفتند، به گمان خود دست به ابتکار تازهای زد رو به ساحران کرد و «گفت: آیا به او ایمان آوردید پیش از آنکه من به شما اجازه دهم» (قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَکُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۷۰ انتظارش این بود که قلب و عقل و فکر مردم نیز به اختیار و اجازه او باشد ولی فرعون به این هم قناعت نکرد، و دو جمله دیگر گفت.

نخست ساحران را متهم ساخت که این یک تبانی و توطئه قبلی است که میان شما و موسی صورت گرفته، توطئهای است بر ضد تمام مردم مصر! گفت: «او بزرگ و استاد شماست که به شما سحر آموخته» و شما همگی سحر را از مکتب او فرا گرفتهاید! (إنَّهُ لَکَبِیرُکُمُ الَّذِی عَلَّمَکُمُ السِّحْرَ).

سپس آنها را تهدید کرده، گفت: اما من به شما اجازه نخواهم داد که در این توطئه پیروز شوید، من این توطئه را در نطفه خفه می کنم! «به زودی خواهید دانست (شما را چنان مجازاتی می کنم که درس عبرتی برای همگان گردد) دستها و پاهای شما را بطور مخالف قطع می کنم (دست راست و پای چپ یا دست چپ و پای راست) و همگی را بدون استثناء به دار می آویزم»! (فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَیْدِیَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِینَ).

سورة الشعراء(26): آية ٥٠ ص: 370

(آیه ۵۰)- اما فرعون در اینجا کور خوانده بود، زیرا ساحران یک لحظه پیش، و مؤمنان این لحظه، آن چنان قلبشان به نور ایمان روشن شده بود که این تهدید فرعون را در حضور جمعیت به طرز بسیار قاطعی پاسخ گفتند و نقشه شیطانی او را نقش بر آب کردند.

«گفتند: هیچ مانعی ندارد (و هیچ گونه زیانی از این کار به ما نخواهد رسید هر کار میخواهی بکن) ما به سوی پروردگارمان باز میگریم» (قالُوا لا ضَیْرَ إِنَّا إِلَی رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ).

سورة الشعراء(25): آية ۵۱ ص: 370

(آیه ۵۱) – سپس افزودند: ما در گذشته گناهانی مرتکب شدهایم و در این صحنه سردمدار مبارزه با پیامبر راستین خدا موسی (ع) شدیم، و در ستیز با حق پیشقدم بودیم، اما «ما امیدواریم که پروردگارمان خطاهای ما را ببخشد چرا که ما نخستین ایمان آورندگان بودیم» (إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطایانا أَنْ کُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِینَ).

ما امروز از هیچ چیز وحشت نداریم، نه از تهدیدهای تو، و نه از دست و پا برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۷۱ زدن در خون بر فراز شاخههای بلند نخل!

سورة الشعراء(26): آية 22 ص: 271

(آیه ۵۲) – سر انجام موسی در آن صحنه سرنوشت ساز پیروز از میدان بیرون آمد. و این زمینه مساعدی را برای این که موسی بتواند در میان آن مردم بماند و به دعوت و تبلیغ بپردازد و اتمام حجت کند فراهم ساخت.

سالیان دراز به این منوال گذشت، و موسی معجزات دیگری به آنها نشان داد.

هنگامی که موسی (ع) حجت را بر آنها تمام کرد، و صفوف مؤمنان و منکران مشخص شد، دستور کوچ دادن بنی اسرائیل به موسی داده شد.

آیه می گوید: «و به موسی وحی کردیم که شبانه بندگانم را (از مصر) کوچ ده، زیرا شما مورد تعقیب هستید» (وَ أَوْحَیْنا إِلَی مُوسی أَنْ أَسْرِ بِعِبادِی إِنَّکُمْ مُتَّبَعُونَ).

سورة الشعراء(26): آية 33 ص: 371

(آیه ۵۳) – موسی (ع) این فرمان را اجرا کرد، و دور از چشم دشمنان شبانه بنی اسرائیل را بسیج کرده فرمان حرکت داد. اما بدیهی است حرکت یک گروه با این عظمت، چیزی نیست که بتوان آن را برای مدت زیادی پنهان نگه داشت، به زودی جاسوسان فرعون، مطلب را به او گزارش دادند، و چنانکه قرآن می گوید: «فرعون (مأمورانی) به شهرها فرستاد تا نیرو جمع کنند» (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِی الْمَدائِنِ حاشِرِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 34 ص: 341

(آیه ۵۴)– ضمنا برای این که زمینه روانی مردم برای این بسیج عمومی آماده شود دستور داد اعلان کنند «اینها گروه اندکی هستند» اندک از نظر تعداد در مقابل فرعونیان و اندک از نظر قدرت (إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِیلُونَ).

بنا بر این در مبارزه با این گروه جای هیچ گونه نگرانی نیست که برنده ماییم.

سورة الشعراء(26): آية ۵۵ ص: 371

(آیه ۵۵)- سپس افزود: ما چقدر حوصله کنیم؟ و تا چه اندازه با این بردگان سر کش مدارا نماییم؟! «اینها ما را به خشم و غضب آوردهاند» (وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ).

فردا مزارع مصر را چه کسی آبیاری می کند؟ بارهای سنگین را در این کشور پهناور چه کسی از زمین بر میدارد؟

سورة الشعراء(26): آية 36 ص: 371

(آیه ۵۶)– به علاوه ما از توطئه این گروه– چه در اینجا باشند و چه بروند– بیمناکیم «و ما همگی آماده پیکاریم» (وَ إِنَّا لَجَمِیعٌ حاذِرُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۷۲

سورة الشعراء(26): آية ۵۷ ص: 377

(آیه ۵۷)– سپس قرآن به ذکر عاقبت کار فرعونیان میپردازد، و بطور اجمال زوال حکومت آنها و زمامداری بنی اسرائیل را بیان میکند، می گوید:

«پس ما آنها را از باغهای سر سبز و چشمههای پر آب بیرون راندیم» (فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ).

سورة الشعراء(26): آية 58 ص: 272

(آیه ۵۸)- «و از گنجها و قصرهای زیبا و مساکن مرفّه» خارج ساختیم (وَ کُنُوزٍ وَ مَقَامٍ کَرِیمٍ).

سورة الشعراء(26): آية ٥٩ ص: ٣٧٢

(آیه ۵۹)– آری «این چنین کردیم و بنی اسرائیل را وارث آنها (فرعونیان) ساختیم» (کَذٰلِکُ وَ أَوْرَثْناها بَنِی إِسْرائیلَ).

سورة الشعراء(26): آية 60 ص: 377

(آیه ۶۰)- عاقبت دردناک فرعونیان! در این آیات آخرین صحنه از این بخش از داستان موسی و فرعون مطرح است، و آن چگونگی نابودی فرعونیان و پیروزی و نجات بنی اسرائیل است.

چنانکه در آیات گذشته خواندیم، فرعون مأموران خود را به شهرهای مصر گسیل داشت، و به اندازه کافی لشکر و نیرو آماده ساخت. و به دنبال آنها حرکت کردند.

چنانکه آیه می گوید: «پس فرعونیان آنها را تعقیب کردند و به هنگام طلوع آفتاب به آنها رسیدند» (فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 61 ص: 377

(آیه ۶۱)– «هنگامی که دو گروه یکدیگر را دیدند، یاران موسی گفتند: بطور قطع ما در چنگال فرعونیان گرفتار شدیم» و راه نجاتی وجود ندارد! (فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسی إِنَّا لَمُدْرَكُونَ).

در پیش روی ما دریا و امواج خروشان آب، و در پشت سر ما دریایی از لشکر خونخوار با تجهیزات کامل، جمعیتی که سخت از ما خشمگینند.

در اینجا لحظات دردناکی بر بنی اسرائیل گذشت، لحظاتی که تلخی آن غیر قابل توصیف است، شاید جمع زیادی در ایمان خود متزلزل شدند.

سورة الشعراء(26): آية 67 ص: 377

(آیه ۶۲) – اما موسی (ع) همچنان آرام و مطمئن بود، و میدانست وعده های خدا در باره نجات بنی اسرائیل و نابودی قوم سرکش تخلف ناپذیر است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۷۳

لـذا بـا یـک دنیـا اطمینـان و اعتمـاد رو به جمعیت وحشـتزده بنی اسـرائیل کرد و «گفت: چنین نیست (آنهـا هرگز بر مـا مسـلط نخواهند شد) چرا که پروردگار من با من است و به زودی مرا هدایت خواهد کرد» (قالَ کَلَّا إِنَّ مَعِی رَبِّی سَیَهْدِینِ).

سورة الشعراء(26): آية 67 ص: 377

(آیه ۶۳) - در این هنگام که شاید بعضی با ناباوری سخن موسی را شنیدند و همچنان در انتظار فرا رسیدن آخرین لحظات زندگی بودند فرمان نهایی صادر شد.

چنانکه قرآن می گوید: «پس ما به موسی وحی کردیم که عصایت را به دریا بزن»! (فَأُوْحَیْنا إِلَی مُوسی أَنِ اضْرِبْ بِعَصاکَ الْبَحْرَ).

موسی (ع) چنین کرد و عصا را به دریا زد، در اینجا صحنه عجیبی نمایان گشت که برق شادی در چشمها و دلهای بنی اسرائیل نمایان گردید: «پس ناگهان دریا شکافته شد (آبها قطعه قطعه شدند) و هر بخشی همچون کوهی عظیم روی هم انباشته گشت»! و در میان آنها جادهها نمایان شد (فَانْفَلَقَ فَکانَ کُلُّ فِرْقٍ کَالطَّوْدِ الْعَظِیم).

منظور از «دریا» در اینجا همان رود عظیم «نیل» است.

سورة الشعراء(26): آية 64 ص: 373

(آیه ۴۴) – فرعون و فرعونیان که از دیدن این صحنه، مات و مبهوت شده بودند و چنین معجزه روشن و آشکاری را می دیدند باز هم از مرکب غرور پیاده نشدند، و به تعقیب موسی و بنی اسرائیل پرداختند و به سوی سر نوشت نهایی خود پیش رفتند، چنانکه قرآن می گوید: «و در آنجا دیگران [لشکر فرعون] را نیز (به دریا) نزدیک ساختیم» (وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِینَ). به این ترتیب فرعونیان نیز وارد جاده های دریایی شدند.

سورة الشعراء(26): آية 60 ص: 373

(آیه ۶۵)- این آیه می گوید: «ما موسی و تمام کسانی را که با او بودند نجات دادیم» (وَ أَنْجَیْنا مُوسی وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 66 ص: 373

(آیه ۶۶) – درست هنگامی که آخرین نفر از بنی اسرائیل از دریا بیرون آمد و آخرین نفر از فرعونیان داخل دریا شد فرمان دادیم آبها به حال اول باز گردند، امواج خروشان یک مرتبه فرو ریختند و سر بر هم نهادند، فرعون و لشکرش را همچون پرهای کاه با خود به هر جا بردند، در هم کوبیده و نابود کردند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۷۴ قرآن در یک عبارت کوتاه این ماجرا را بیان کرده، می گوید: «سپس دیگران را غرق کردیم» (ثُمَّ أُغْرَقُنَا الْآخَرِینَ). و به این ترتیب بردگان اسیر آزاد شدند و جباران مغرور گرفتار و نابود گشتند، تاریخ ورق خورد دوران آن مستکبران پایان گرفت و مستضعفان وارث ملک و حکومت آنها شدند.

سورة الشعراء(24): آية 67 ص: 374

(آیه ۶۷)– آری «در این ماجرا نشانه روشن (و درس عبرت بزرگی) است، اما اکثر آنها ایمان نیاوردنـد» گویی چشـمها بسـته و گوشها کر و قلبها در خواب فرو بسته است (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ). جایی که فرعونیان با دیدن آن صحنه های عجیب ایمان نیاور دند از این قوم مشرک تعجب مکن، و از عدم ایمانشان نگران مباش! تعبیر به «اکثر» (بیشتر) اشاره به این است که گروهی از فرعونیان دست به دامن آیین موسی زدند و به جمع یاران او یو ستند.

سورة الشعراء(26): آية 68 ص: 374

(آیه ۶۸)- این آیه در یک جمله کوتاه و پر معنی به قـدرت و رحمت بیپایان خـدا اشاره کرده، میگویـد: «پروردگار تو هم تواناست و هم مهربان» (وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ).

از «عزت» اوست که هر زمان اراده کند فرمان نابودی اقوام یاغی را صادر می کند، به همان آبی که مایه حیات آنهاست فرمان مرگ آنها را میدهد، و همان دریای نیل که مایه ثروت و قدرت فرعونیان بود قبرستان آنها می شود! و از «رحمت» اوست که در این کار هر گز عجله نمی کند، بلکه سالها مهلت می دهد، معجزه می فرستد، اتمام حجت می کند، و نیز از رحمت اوست که این بردگان ستمدیده را از چنگال آن اربابان قلدر و زور گو رهایی می بخشد.

سورة الشعراء(26): آية 69 ص: 374

(آیه ۶۹)- به دنبال داستان عبرتانگیز موسی و فرعون به سر گذشت الهام بخش ابراهیم (ع) و مبارزاتش با مشرکان می پردازد، و این مطلب را از گفتگوی ابراهیم با عمویش آزر و قوم گمراه آغاز می کند.

نخست مي گويد: «و خبر ابراهيم را بر آنها بخوان» (وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْراهِيمَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۷۵

سورة الشعراء(26): آية ٧٠ ص: 370

(آیه ۷۰)– و از میان تمام اخبار مربوط به این پیامبر بزرگ روی این قسمت تکیه می کند: «هنگامی که به پدر و قومش گفت: شما چه چیز را می پرستید»؟! (إِذْ قالَ لِأَبِیهِ وَ قَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ).

سورة الشعراء(25): آية ٧١ ص: 370

(آیه ۷۱)– آنها بلا فاصله در پاسخ «گفتنـد: ما بتهایی را می پرستیم و همه روز ملازم عبادت آنهاییم» (قالُوا نَعْبُدُ أَصْ ناماً فَنَظَلُّ لَها عاکِفِینَ).

این تعبیر نشان می دهد که آنها نه تنها احساس شرمندگی از کار خود نداشتند بلکه بسیار به کار خود افتخار می کردند.

سورة الشعراء(26): آية 22 ص: 270

(آیه ۷۲)- به هر حال ابراهیم (ع) با شنیدن این سخن آنها را زیر رگبار اعتراضات شدید خود قرار داد و با دو جمله کوبنده آنها را با یک بن بست منطقی رو به رو ساخت. «گفت: آیا آنها سخن شما را می شنوند هنگامی که آنها را میخوانید»؟! (قالَ

هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ).

سورة الشعراء(25): آية 23 ص: 270

(آیه ۷۳) – «یا این که آنها سودی به شما میرسانند یا زیانی میبخشند»؟! (أَوْ یَنْفَعُونَکُمْ أَوْ یَضُرُّونَ). حد اقل چیزی که در معبود لایزم است این است که ندای عابد خویش را بشنود، و در گرفتاریها به یاریش بشتابد. اما در این بتها چیزی که نشان دهد آنها کمترین در ک و شعوری دارند، و یا کمترین تأثیری در سر نوشت انسانها، به چشم نمی خورد.

سورة الشعراء(26): آية 24 ص: 370

(آیه ۷۴) - ولی بت پرستان متعصب در برابر این سؤال منطقی به همان پاسخ قدیمی و تکراری خود پرداختند و «گفتند: (این مسائل مطرح نیست) مهم آن است که ما نیاکان خود را یافتیم که چنین می کنند»! (قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا کَذلِکَ یَفْعَلُونَ). این پاسخ که بیانگر تقلید کور کورانه آنها از نیاکان جاهل و نادانشان بود تنها پاسخی بود که می توانستند به گفته ابراهیم (ع) بدهند، پاسخی که دلیل بطلانش در آن نهفته است.

سورة الشعراء(26): آية 20 ص: 270

(آیه ۷۵) – در این هنگام ابراهیم لبه تیز حمله خود را متوجه بتها کرد و «گفت: آیا این چیزی را که شما پیوسته عبادت می کردید مشاهده نمودید؟!» (قالَ أَ فَرَ أَیْتُمْ مَا کُنْتُمْ تَعْبُدُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۷۶

سورة الشعراء(25): آية 26 ص: 378

(آيه ۷۶)- «هم شما و هم پدران پيشين شما» (أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ).

سورة الشعراء(26): آية ٧٧ ص: 378

(آیه ۷۷)– «همه آنها دشمن منند مگر پروردگار عالمیان» (فَإِنَّهُمْ عَدُوُّ لِی إِلَّا رَبَّ الْعالَمِینَ). آری همه آنها با من دشمنند و من با آنها دشمن آشتیناپذیر.

سورة الشعراء(26): آية 28 ص: 378

(آیه ۷۸)– سپس ابراهیم (ع) به توصیف پروردگار جهانیان و ذکر نعمتهای معنوی و مادی او میپردازد تا با مقایسه با بتها که نه دعای عابدان را میشنوند، و نه سود و زیانی دارند مطلب کاملا روشن شود.

نخست از نعمت آفرینش و هدایت، شروع کرده، می گوید: «او کسی است که مرا آفرید، سپس هم او مرا هدایت می کند»

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ).

سورة الشعراء(26): آية ٧٩ ص: 378

(آیه ۷۹)- پس از بیان نخستین مرحله ربوبیت، یعنی هـدایت بعد از آفرینش، به نعمتهای مادی پرداخته، می گوید: «و او کسی است که مرا غـذا میدهـد و سـیراب میکنـد» (وَ الَّذِی هُـوَ یُطْعِمُنِی وَ یَدْ قِینِ). آری! من همه نعمتها را از او میبینم، پوست و گوشت من، آب و غذای من، همه از برکات اوست.

سورة الشعراء(26): آية 80 ص: 278

(آیه ۸۰)- نه تنها در حال صحّتم مشمول نعمتهای اویم، بلکه «هنگامی که بیمار شوم اوست که مرا شفا میدهد» (وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين).

با این که بیماری نیز گاهی از ناحیه اوست، اما برای رعایت ادب در سخن، آن را به خود نسبت میدهد.

سورة الشعراء(26): آية ٨١ ص: 378

(آیه ۸۱)– سپس از مرحله زندگی دنیا پا را فراتر گذارده، به زندگی جاویدان در سرای آخرت میپردازد تا روشن سازد که من همه جا بر سر خوان نعمت او نشستهام نه فقط در دنیا که در آخرت نیز هم.

می گوید: «و او کسی است که مرا می میراند و بار دیگر زنده می کند» (وَ الَّذِی یُمِیتُنِی ثُمَّ یُحْیِین).

آرى! هم مرك من از اوست و هم بازگشت مجدد به زندگي از ناحيه اوست.

سورة الشعراء(26): آية 82 ص: 378

(آیه ۸۲) و هنگامی که وارد عرصه محشر شوم، چشم امیدم به او دوخته شده چرا که: «او کسی است که طمع دارم گناهم را در روز جزا بیامرزد» (وَ الَّذِی أَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لِی خَطِیئَتِی یَوْمَ الدِّینِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۷۷ بدون شک پیامبران معصومند و گناهی ندارند که بخشوده شود، ولی چنانکه در گذشته هم گفته ایم گاهی حسنات نیکان، گناهان مقربان محسوب می شود، و در مقام والای آنان گاه انجام یک کار خوب نیز قابل باز خواست، چرا که از کار نیکوتری جلوگیری کرده، و لذا ترک اولایش می نامند.

سورة الشعراء(26): آية 87 ص: 377

(آیه ۸۳)- دعاهای پر بـار ابراهیم (ع): در اینجا دعاهای ابراهیم و تقاضاهای او از پیشگاه خـدا شـروع میشود، گویی پس از دعوت آن قوم گمراه به سوی پروردگار، یک باره از آنها بریده و به درگاه خدا روی می آورد.

نخستین تقاضایی که از پیشگاهش می کند این است: «پروردگارا! به من علم و دانش و حق بینی مرحمت فرما و مرا به صالحان ملحق کن» (رَبِّ هَبْ لِی حُکْماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِینَ). آری! ابراهیم (ع) قبل از هر چیز از خدا «شناخت عمیق و صحیح» توأم با حاکمیت تقاضا می کند، چرا که هیچ برنامه عملی بدون چنین زیر بنایی امکانپذیر نیست.

و به دنبال آن ملحق شدن به صالحین را از خدا تقاضا می کند که اشاره به جنبههای عملی و به اصطلاح «حکمت عملی» است، در مقابل تقاضای قبل که ناظر به «حکمت نظری» بود.

از آنجا که نه حکمت دارای حـد معینی است و نه صالـح بودن، او تقاضا میکنـد روز به روز به مراتب بالاتر و والاتر از علم و عمل برسد و پیوسته در این راه گام بر دارد و به پیش برود.

سورة الشعراء(26): آية 34 ص: 377

(آیه ۸۴)- بعد از این دو تقاضا، درخواست مهم دیگری با این عبارت می کند: «خداوندا! برای من در میان امتهای آینده لسان صدق و ذکر خیر قرار ده» (وَ اجْعَلْ لِی لِسانَ صِدْقٍ فِی الْآخِرِینَ).

آن چنان کن که یاد من در خاطره ها بمانید و خط و برنامه من در میان آیندگان ادامه یابید، «اسوه» و الگویی باشم که به من اقتدا کنند، و پایه گذار مکتبی باشم که به وسیله آن راه تو را بیاموزند، و در خط تو حرکت کنند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۷۸

سورة الشعراء(26): آية 85 ص: 378

(آیه ۸۵)- سپس افق دیـد خود را از این دنیـا بر گرفته و متوجه سـرای جـاودانه آخرت میکنـد و به دعـای چهارمی پرداخته، می گوید: «خداوندا! مرا از وارثان بهشت پر نعمت قرار ده» (وَ اجْعَلْنِی مِنْ وَرَثَهِٔ جَنَّهِٔ النَّعِیم).

بهشتی که نعمتهای معنوی و مادی در آن موج میزند، نعمتهایی که نه زوالی دارد، و نه ملالمی، نعمتهایی که برای ما حتی قابل درک نیست!

سورة الشعراء(26): آية 86 ص: 378

(آیه ۸۶)- در پنجمین دعا نظرش را متوجه عموی گمراهش کرده و طبق وعدهای که قبلاً به او داده بود که من برای تو استغفار می کنم چنین می گوید:

خداوند! «پدرم [- عمويم] را بيامرز كه او از گمراهان بود» (وَ اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ).

سورة الشعراء(26): آية 87 ص: 378

(آیه ۸۷) – سر انجام ششمین و آخرین دعای خود را که آن هم پیرامون روز باز پسین است این چنین به پیشگاه خدا عرضه میدارد: خداوندا! «مرا در روزی که (مردم) بر انگیخته میشوند رسوا مکن» (وَ لا تُخْزِنِی یَوْمَ یُبْعَثُونَ).

این تعبیر از ناحیه ابراهیم (ع)، علاوه بر این که درس و سر مشقی است برای دیگران، نشانه نهایت احساس مسؤولیت و اعتماد بر لطف پروردگار است.

سورة الشعراء(25): آية 88 ص: 378

(آیه ۸۸)- در آیه قبل اشاره کوتاهی به روز قیامت و مسأله معاد بود در اینجا ترسیم جامعی از چگونگی روز رستاخیز ضمن چندین آیه بیان شده، و مهمترین متاعی که در آن بازار خریدار دارد و همچنین سر نوشت مؤمنان و کافران و گمراهان و لشکر شیطان باز گو شده است.

نخست می گوید: روز رستاخیز «روزی است که هیچ مال و فرزندانی سودی نمی دهد» (یَوْمَ لا یَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ). در حقیقت این دو سرمایه مهم زندگی دنیا، اموال و نیروهای انسانی در آنجا کمترین نتیجه ای برای صاحبانش نخواهد داشت. بدیهی است منظور مال و فرزندانی نیست که در طریق جلب رضای خدا به کار گرفته شده باشند.

سورة الشعراء(26): آية 84 ص: 378

(آیه ۸۹)- سپس به عنوان استثناء بر این سخن میافزاید: «مگر کسی که به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۷۹ حضور خدا بیاید در حالی که قلب سلیم (سالم از هر گونه شرک و کفر و آلودگی به گناه) داشته باشد» (إِلَّا مَنْ أَتَی اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِیم).

چه تعبیر جامع و جالبی؟ تعبیری که هم ایمان خالص و نیت پاک در آن وجود دارد، و هم هر گونه عمل صالح، چرا که چنین قلب پاکی، ثمرهای جز عمل پاک نخواهد داشت.

سورة الشعراء(26): آية 90 ص: 379

(آیه ۹۰)– سپس به شـرح بهشت و دوزخ پرداخته چنین میگویـد: در آن هنگام «بهشت به پرهیز کاران نزدیک میگردد» (وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 91 ص: 379

(آیه ۹۱)- «و دوزخ برای گمراهان آشکار می شود» (وَ بُرِّزَتِ الْجَحِیمُ لِلْغاوِینَ).

این در حقیقت قبل از ورود آنها به بهشت و دوزخ است که هر یک از این دو گروه منظره جایگاه خود را از نزدیک میبینند: مؤمنان مسرور و گمراهان وحشت زده میشوند، و این نخستین برنامههای پاداش و کیفر آنهاست.

سورة الشعراء(26): آية 92 ص: 379

(آیه ۹۲)- سپس به گفتگوهای سرزنش بار و عتاب آمیزی که در این هنگام با این گروه گمراه می شود پرداخته چنین می گوید: «و به آنها گفته می شود: کجا هستند معبودهایی را که پیوسته عبادت می کردید»؟ (وَ قِیلَ لَهُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ تَعْبُدُونَ).

سورة الشعراء(26): آية 93 ص: 279

(آیه ۹۳)- «معبودهایی غیر از خدا» (مِنْ دُونِ اللَّهِ).

«آیا آنها (در برابر این شداید و سختیها که اکنون با آن رو برو هستید) شما را یاری میکنند»؟! (هَلْ یَنْصُرُونَکُمْ). یا می توانند کسی را به یاری شما دعوت کنند، و «یا کسی به یاری خود آنها می آید»؟ (أَوْ یَنْتَصِرُونَ).

ولی آنها جوابی در برابر این سؤال ندارند و کسی هم چنین انتظاری از آنها ندارد.

سورة الشعراء (26): آية 94 ص: 379

(آیه ۹۴)- «در آن هنگام همه آن معبودان با عابدان گمراه به دوزخ افکنده می شوند» (فَکُبْکِبُوا فِیها هُمْ وَ الْغاؤونَ).

سورة الشعراء(25): آية 95 ص: 379

(آیه ۹۵)- «و همچنین لشکریان ابلیس عموما» (وَ جُنُودُ إِبْلِیسَ أَجْمَعُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۸۰ در حقیقت این سه گروه، بتها، و پرستش کننـدگان بتها، و لشکریان شیطان که دلالان این گناه و انحراف بودنـد، همگی در دوزخ جمع میشوند، اما با این صورت که آنها را یکی پس از دیگری آن میافکنند.

سورة الشعراء(26): آية 96 ص: 380

(آیه ۹۶)- ولی سخن به اینجا پایان نمی گیرد بلکه به دنبال آن صحنهای از نزاع و جدال این سه گروه دوزخی را مجسم میسازد:

«آنها در جهنم به مخاصمه و جدال پرداخته، مي گويند» (قالُوا وَ هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ).

سورة الشعراء(26): آية 97 ص: 380

(آیه ۹۷)- آری! عابدان گمراه می گویند: «به خدا سو گند ما در گمراهی آشکاری بودیم» (تَاللَّهِ إِنْ کُنَّا لَفِی ضَلالٍ مُبِينٍ).

سورة الشعراء(26): آية ٩٨ ص: 380

(آیه ۹۸)– «زیرا شما معبودان دروغین را با پروردگار عالمیان برابر میپنداشتیم»! (إِذْ نُسَوِّیكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 99 ص: 340

(آيه ٩٩)– «اما هيچ كس ما را گمراه نكرد مگر مجرمان» (وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ).

همان مجرمانی که رؤسای جامعه ما بودند و برای حفظ منافع خویش ما را به این راه کشاندند و بد بخت کردند.

سورة الشعراء(26): آية 100 ص: 380

(آیه ۱۰۰)– ولی افسوس که امروز «شفاعت کنندگانی برای ما وجود ندارد» (فَما لَنا مِنْ شافِعِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 101 ص: 380

(آیه ۱۰۱)- «و نه دوست گرم و پر محبتی» که بتواند ما را یاری کند (وَ لا صَدِیقٍ حَمِیمٍ). خلاصه نه معبودان به شفاعت ما میپردازند، آن چنانکه ما در دنیا میپنداشتیم، و نه دوستان قدرت یاری ما را دارند.

سورة الشعراء(26): آية ١٠٢ ص: 380

(آیه ۱۰۲) - اما به زودی متوجه این واقعیت می شوند که نه تأسف در آنجا سودی دارد و نه آنجا دار عمل و جبران است، از این رو، آرزوی بازگشت به دنیا می کنند و می گویند: «ای کاش بار دیگر (به دنیا) باز گردیم و از مؤمنان باشیم» (فَلَوْ أَنَّ لَنا کَرَّهٔ فَنَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۸۱

سورة الشعراء(26): آية 103 ص: 281

(آیه ۱۰۳) - سر انجام در پایان این بخش از سر گذشت ابراهیم همان دو آیه تکان دهنده را که در پایان داستان موسی و فرعون آمده بود و در پایان داستان انبیاء دیگر نیز در همین سوره خواهد آمد، تکرار می فرماید: «در این ماجرا نشانه بزرگی است (بر عظمت و قدرت خدا و سر انجام دردناک گمراهان و پیروزی مؤمنان) اما بیشترشان مؤمن نبودند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهٔ وَ مَا کَانَ أَکْتُرُهُمْ مُؤْمِنِینَ).

سورة الشعراء(27): آية 104 ص: 381

(آیه ۱۰۴)- «و پروردگار تو پیروز و شکستناپذیر و رحیم و مهربان است» (وَ إِنَّ رَبَّکُ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ). تکرار این جمله ها دلداری مؤثری است برای پیامبر صلّی الله علیه و آله و مؤمنان اندک در آن روز، و همچنین اقلیتهای مؤمن در هر عصر و زمان تا از اکثریت گمراه وحشت نکنند و به عزّت و رحمت الهی دلگرم باشند و هم تهدیدی است برای گمراهان و اشارهای است به این که اگر مهلتی به آنها داده می شود، نه از جهت ضعف است بلکه به خاطر رحمت است.

سورة الشعراء(26): آية 100 ص: 381

(آیه ۱۰۵) – قرآن بعد از پایان ماجرای ابراهیم سخن از قوم نوح به عنوان یک ماجرای آموزنده دیگر به میان می آورد. نخست می گوید: «قوم نوح، رسولان را تکذیب کردند» (کَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِینَ).

چرا که همه پیامبران از نظر اصول یکی بودند و تکذیب نوح تکذیب همه رسولان محسوب میشد.

سورة الشعراء(26): آية 106 ص: 381

(آیه ۱۰۶)- سپس به این فراز از زنـدگی او که شبیه فرازهـایی است که در گذشـته از ابراهیم و موسـی نقل شـد اشاره کرده، میگوید: به خاطر بیاور «هنگامی را که برادرشان نوح به آنها گفت: آیا پرهیز کاری پیشه نمیکنید» (اِذْ قالَ لَهُمْ أُخُوهُمْ نُوحٌ أَ لا تَتَّقُونَ).

تعبیر به «برادر» تعبیری است که نهایت پیوند محبت آمیز را بر اساس مساوات و برابری مشخص می کند و به همه رهبران راه حق الهام می بخشد که باید در دعوت خود نهایت محبت و صمیمیت توأم با دوری از هر گونه تفوق طلبی را رعایت کنند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۸۲

تا دلهای رمیده جذب آیین حق گردد.

سورة الشعراء(26): آية 107 ص: 322

(آیه ۱۰۷)- پس از دعوت به تقوا که خمیر مایه هر گونه هـدایت و نجات است اضافه می کنـد: «من برای شـما فرسـتاده امینی هستم» (إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ).

سورة الشعراء(26): آية ١٠٨ ص: ٣٨٢

(آیه ۱۰۸)- «تقوای الهی پیشه کنید و مرا اطاعت نمایید» که اطاعت من اطاعت خداست (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ).

سورة الشعراء(26): آية 109 ص: 322

(آیه ۱۰۹)– دگر بـار نوح به دلیـل دیگری بر حقـانیت خود، تمسک میجویـد، دلیلی که زبان بهانه جویان را کوتاه میسازد، میگوید: «و من از شما در برابر این دعوتم مزدی نمیطلبم» (وَ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ). «اجر و پاداش من تنها بر پروردگار عالمیان است» (إِنْ أَجْرِیَ إِلَّا عَلی رَبِّ الْعالَمِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 110 ص: 322

(آیه ۱۱۰)- بـاز به دنبـال این جمله همـان جملهای را میگویـد که بعـد از تأکیـد بر رسـالت و امـانت خویش بیـان کرده بود، میگوید: «پس تقوای الهی پیشه کنید و مرا اطاعت نمایید» (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُونِ).

سورة الشعراء (26): آية 111 ص: 322

(آیه ۱۱۱)- امـا مشـرکان لجوج و مسـتکبران خیره سـر هنگامی که راههای بهانهجویی را به روی خود مسـدود دیدنـد، به این مسأله چسبیدنـد و «گفتنـد: آیا ما به تو ایمان بیاوریم در حالی که افراد پست و بیارزش از تو پیروی کردهانـد»؟! (قالُوا أَ نُؤْمِنُ لَکَ وَ اتَّبَعَکَ الْأَرْدَلُونَ).

درست است آنها در این تشخیص صائب بودند که پیشوا را باید از طریق پیروان شناخت، ولی اشتباه بزرگشان این بود که آنها مفهوم و معیار شخصیت را گم کرده بودند، آنها معیار سنجش ارزشها را مال و ثروت، لباس و خانه و مرکب زیبا و گران قیمت قرار داده بودند، و از پاکی و تقوا و حق جویی و صفات عالی انسانیت که در طبقات کم در آمد بسیار بود و در اشراف بسیار کم، غافل بودند.

سورة الشعراء(26): آية 112 ص: 322

(آیه ۱۱۲)- ولی نوح آنها را در اینجا فورا خلع سلاح کرد و «گفت: (وظیفه من دعوت همگان به سوی حق و اصلاح جامعه است) من چه میدانم آنها چه کاری داشتهاند»؟! (قالَ وَ ما عِلْمِی بِما کانُوا یَعْمَلُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۸۳ گذشته آنها هر چه بوده گذشته، مهم امروز است که دعوت رهبر الهی را «لبیک» گفتهاند و در مقام خود سازی بر آمدهاند.

سورة الشعراء (26): آية ١١٣ ص: ٣٨٣

(آیه ۱۱۳)- اگر آنها در گذشته کار خوب یا بـدی کردهانـد «حساب آنها تنها با پروردگار من است اگر شـما میفهمیدیـد» و درک و تشخیص میداشتید (إِنْ حِسابُهُمْ إِلَّا عَلی رَبِّی لَوْ تَشْعُرُونَ).

سورة الشعراء(26): آية 114 ص: 383

(آیه ۱۱۴)- آنچه وظیفه من است این است که من پر و بال خود را برای همه حق جویان بگشایم «و من هر گز ایمان آورندگان را طرد نخواهم کرد» (وَ ما أَنَا بِطارِدِ الْمُؤْمِنِينَ).

سورة الشعراء(26): آية 110 ص: 383

(آیه ۱۱۵)- تنها وظیفه من این است که مردم را انذار کنم «من تنها انذار کنندهای آشکارم» (إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِیرٌ مُبِینٌ). هر کس این هشدار مرا بشنود و از راه انحراف به صراط مستقیم، باز گردد پیرو من است، هر که باشد و در هر وضع مادی و شرایط اجتماعی.

سورة الشعراء(26): آية 116 ص: 383

(آیه ۱۱۶)- نجات نوح و غرق مشرکان خود خواه: عکس العمل این قوم گمراه و لجوج در برابر نوح همان بود که همه زور گویان در طول تاریخ داشتند، و آن تکیه بر قدرت و زور و تهدید به نابودی بود «گفتند: ای نوح (بس است) اگر از این سخنان خودداری نکنی (و فضای جامعه ما را با گفتگوهایت تلخ و تاریک سازی) بطور قطع سنگباران خواهی شد»! (قالُوا لَئِنْ لَمْ تُنْتَهِ یا نُوحُ لَتَکُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 117 ص: 383

(آیه ۱۱۷)- «نوح» که میبیند این دعوت مستمر و طولانی با این منطق روشن و با آن همه صبر و شکیبایی جز در عـده قلیلی

تأثیر نگذارده، سر انجام شکایت به در گاه خدا میبرد و ضمن شرح حال خود تقاضای جدایی و نجات از چنگال این ستمگران بی منطق می کند.

«عرض كرد: پروردگارا! قوم من مرا تكذيب كردند» (قالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ).

سورة الشعراء(26): آية 118 ص: 283

(آیه ۱۱۸) - سپس عرض می کند: اکنون که هیچ راهی برای هدایت این گروه بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۸۴ باقی نمانده «پس میان من و آنها جدایی بیفکن» و میان ما خودت داوری کن (فَافْتَحْ بَیْنِی وَ بَیْنَهُمْ فَتْحاً). سپس اضافه می کند: «و من و مؤمنانی را که با من هستند نجات ده» (وَ نَجِّنِی وَ مَنْ مَعِیَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 119 ص: 384

(آیه ۱۱۹) - در اینجا رحمت خداوند به یاری نوح و مجازات دردناکش به سراغ تکذیب کنندگان آمد چنانکه میفرماید: «ما او و تمام کسانی را که با او بودند در آن کشتی که پر (از انسان و انواع حیوانات) بود رهایی بخشیدیم» (فَأَنْجَیْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِی الْفَلْکِ الْمَشْحُونِ).

سورة الشعراء(26): آية 120 ص: 384

(آیه ۱۲۰)- «سپس بقیه را غرق و نابود کردیم» (ثُمَّ أَغْرَقْنا بَعْدُ الْباقِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 121 ص: 384

(آیه ۱۲۱)- و در پایان این سخن، همان می گوید که در پایان ماجرای موسی (ع) و ابراهیم (ع) بیان کرد.

می فرماید: «در ماجرای نوح (و دعوت پیگیر و مستمر او، صبر و شکیبائیش، و سر انجام غرق و نابودی مخالفانش) آیت و نشانه ای است» برای همگان (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً).

«هر چند اكثر آنها ايمان نياوردند» (وَ ما كانَ أَكْتُرُهُمْ مُؤْمِنِينَ).

بنا بر این تو ای پیامبر! از اعراض و سر سختی مشرکان قومت نگران مباش، ایستادگی به خرج ده! که سر نوشت تو و یارانت سر نوشت نوح و یاران اوست، و سر انجام گمراهان همان سر انجام شوم غرق شدگان است.

سورة الشعراء (٢٦): آية ١٢٢ ص: ٣٨٤

(آیه ۱۲۲)– و بدان «پروردگار تو شکستناپذیر و رحیم است» (وَ إِنَّ رَبَّکُ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ).

رحمتش ایجاب می کنـد که به آنها فرصت کافی و مهلت دهد و اتمام حجت کند، و عزتش سـبب میشود که سـر انجام تو را پیروز و آنها را مواجه با شکست نماید.

سورة الشعراء(25): آية 123 ص: 384

(آیه ۱۲۳)- جنایات و اعمال بیرویه قوم عاد: اکنون نوبت به قوم «عاد» و پیامبرشان «هود» میرسد که گوشهای از زندگی و سر نوشت آنها و درسهای عبرتی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۸۵

را که در آن نهفته است ضمن هیجده آیه بیان می کند.

نخست مى فرمايد: «قوم (سركش) عاد فرستادگان خدا را تكذيب كردند» (كَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلِينَ).

گر چه آنها تنها هود را تكذيب كردند اما چون دعوت هود دعوت همه پيامبران بود در واقع همه انبيا را تكذيب كرده بودند.

سورة الشعراء(26): آية 124 ص: 380

(آیه ۱۲۴)- بعد از ذکر این اجمال به تفصیل پرداخته، می گوید: «در آن هنگام که برادرشان هود گفت، آیا تقوا پیشه نمی کنید»؟ (إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ).

او در نهایت دلسوزی و مهربانی همچون یک «برادر» آنها را به توحید و تقوا دعوت کرد و به همین دلیل کلمه «اخ» (برادر) بر او اطلاق شده است.

سورة الشعراء(25): آية 125 ص: 385

(آیه ۱۲۵)- سپس افزود: «من برای شما فرستاده امینی هستم» (إنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ).

سابقه زندگی من در میان شما گواه این حقیقت است که هر گز راه خیانت نپوییدم و جز حق و صداقت در بساط نداشتم.

سورة الشعراء(25): آية 176 ص: 385

(آیه ۱۲۶)- باز تأکید می کند اکنون که چنین است و شما هم به خوبی آگاهید «پس تقوای الهی پیشه کنید و از من اطاعت نمایید» که اطاعتم اطاعت خداست (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُونِ).

سورة الشعراء(25): آية 127 ص: 385

(آیه ۱۲۷)- و اگر فکر می کنید من سودای مال در سر می پرورانم و اینها مقدمه رسیدن به مال و مقامی است بدانید «من (کوچکترین) اجری در برابر این دعوت از شما نمیخواهم» (وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ).

«اجر و پاداش من تنها بر پروردگار عالمیان است» (إِنْ أُجْرِیَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعالَمِينَ).

همه برکات و نعمتها از اوست و من اگر چیزی میخواهم از او میخواهم، که پروردگار همه ما اوست.

سورة الشعراء(26): آية ١٢٨ ص: ٣٨٥

(آیه ۱۲۸) – قرآن در این بخش از سر گذشت هود و قوم عاد بر چهار قسمت برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۸۶

تکیه کرده است: نخست محتوای دعوت هود که در ضمن آیات گذشته خواندیم.

سپس به انتقاد از کژیها و اعمال نادرست آنها پرداخته و سه موضوع را به آنها یاد آوری میکند، میگوید: «آیا شما بر هر مکان مرتفعی نشانهای از روی هوی و هوس میسازید»؟! (أَ تَبْنُونَ بِکُلِّ رِیع آیَةً تَعْبَثُونَ).

این قوم متمکن و ثروتمند برای خود نمایی و تفاخر بر دیگران بناهایی بر نقاط مرتفع کوهها و تپهها، (همچون برج و مانند آن) میساختند که هیچ هدف صحیحی برای آن نبود جز این که توجه دیگران را به آن جلب کنند و قدرت و نیروی خود را به رخ سایرین بکشند.

سورة الشعراء(26): آية 129 ص: 388

(آیه ۱۲۹)- بار دیگر به انتقاد دیگری از آنها پرداخته، می گوید: «شما قصرها و قلعههای زیبا و محکم میسازید، آن چنان که گویی در دنیا جاودانه خواهید ماند» (وَ تَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّکُمْ تَخْلُدُونَ). آری! چنین ساختمانهای غفلتزا و غرور آفرین مسلما مذموم است.

در حدیثی از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله میخوانیم که فرمود: «هر بنایی در روز قیامت وبال صاحب آن است، مگر آن مقدار که انسان از آن ناگزیر است»!

سورة الشعراء(26): آية ١٣٠ ص: 388

(آیه ۱۳۰)- سپس به انتقاد دیگر در رابطه با بیرحمی قوم عاد به هنگام نزاع و جدال پرداخته، می گوید: «شـما به هنگامی که کسی را مجازات می کنید از حد تجاوز کرده و همچون جباران کیفر میدهید» (وَ إِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِینَ).

ممكن است كسى كارى كند كه مستوجب عقوبت باشد، اما هر گز نبايد قدم از جاده حق و عدالت فراتر نهيد.

این سه آیه نشان میدهـد که آن چنان عشق دنیا بر آنها مسلط شـده بود که از راه و رسم بنـدگی خارج شده و در دنیا پرستی غرق بودند.

سورة الشعراء(26): آية 131 ص: 386

(آیه ۱۳۱)– بعد از بیان این انتقادهای سه گانه بار دیگر آنها را به تقوا دعوت کرده، می گوید: «اکنون که چنین است تقوا پیشه کنید و از خدا بترسید و دستور مرا اطاعت نمایید» (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُونِ).

سورة الشعراء(26): آية 132 ص: 388

(آیه ۱۳۲) - سپس به بخش سوم از بیان هود می رسیم که تشریح نعمتهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۸۷ الهی بر بندگان است، تا از این راه، حس شکر گزاری آنها را تحریک کند، شاید به سوی خدا آیند.

و در این زمینه از روش اجمال و تفصیل که برای دلنشین کردن بحثها بسیار مفید است استفاده می کند، نخست روی سخن را به آنها کرده، می گوید: «و از خدایی بپرهیزید که شما را به نعمتهایی که میدانید امداد کرد» و بطور مداوم و منظم آنها را در

اختيار شما نهاد (وَ اتَّقُوا الَّذِي أُمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ).

سورة الشعراء(25): آية ١٣٣ ص: ٣٨٧

(آیه ۱۳۳) – سپس بعد از این بیان کوتاه به شرح و تفصیل آن پرداخته، می گوید: «شما را به چهار پایان و پسران (لایق و برومند) امداد کرد» (أَمَدَّکُمْ بِأَنْعامِ وَ بَنِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 134 ص: 287

(آیه ۱۳۴)- بعد می افزاید: «و باغهای خرم و سر سبز و چشمههای آب جاری» در اختیارتان قرار دادیم (وَ جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ). و به این ترتیب زندگی شما را هم از نظر نیروی انسانی، هم کشاورزی و باغداری، و هم دامداری و وسائل حمل و نقل پربار ساختیم، ولی چه شد که بخشنده این همه نعمتها را فراموش کردید، شب و روز بر سر سفره او نشستید و او را نشناختید.

سورة الشعراء(25): آية 130 ص: 387

(آيه ۱۳۵)- سپس بـه آخرين مرحله از سـخنانش پرداخته و آنهـا را به كيفر الهى تهديـد و انـذار كرده، مىگويـد: اگر كفران كنيد «من بر شما از عذاب روز بزرگ مىترسم» (إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ).

روزی که نتیجه آن همه ظلم و ستم و غرور و استکبار و هوی پرستی و بیگانگی از پُروردگار را با چشم خود خواهید دید.

سورة الشعراء(26): آية 136 ص: 387

(آیه ۱۳۶) – ما را اندرز مده که در ما اثر نمی کند! در آیات پیشین گفتگوهای پر مغز پیامبر دلسوز، «هود» را با قوم سر کش «عاد» دیدیم، اکنون پاسخهای نامعقول و موذیانه آن قوم را بررسی کنیم.

قرآن می گوید: «آنها [– قوم عاد] گفتند: (بیهوده خود را خسته مکن) برای ما تفاوت نمی کند چه ما را انذار کنی یا نکنی» در دل ما کمترین اثری نخواهد گذارد! (قالُوا سَواءٌ عَلَیْنا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۸۸

سورة الشعراء(26): آية ١٣٧ ص: ٣٨٨

(آیه ۱۳۷)– اما آنچه را تو به ما ایراد می کنی جای ایراد نیست «این همان روش (و افسانههای) پیشینیان است» (إِنْ هذا إِلَّا خُلُقُ الْأُوَّلِینَ).

سورة الشعراء(26): آية ١٣٨ ص: ٣٨٨

(آیه ۱۳۸)- و بر خلاف گفته تو «و ما هر گز مجازات نخواهیم شد» نه در این جهان و نه در جهان دیگر! (وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ).

سورة الشعراء(25): آية 139 ص: 388

(آیه ۱۳۹) – و به دنبال این سخن، قرآن سر نوشت دردناک این قوم را چنین بیان میکند: «آنها هود را تکذیب کردند، پس ما هم نابودشان کردیم» (فَکَذَّبُوهُ فَأَهْلَکْناهُمْ).

و در پایان این ماجرا همان دو جمله پر محتوای عبرتانگیزی را می گوید که در پایان داستان نوح و ابراهیم و موسی بیان شد. می فرماید: «در این سر گذشت، آیه و نشانه روشنی است (از قدرت خدا، از استقامت پیامبران، و از سر انجام شومی که دامنگیر سر کشان و جباران گردید) ولی با این همه باز بیشتر آنها ایمان نیاوردند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهُ وَ ما کانَ أَکْتُرُهُمْ مُؤْمِنِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 140 ص: 388

(آیه ۱۴۰)- «و پروردگار تو قدرتمند و شکستناپذیر، و رحیم و مهربان است» (وَ إِنَّ رَبَّکُ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ). به اندازه کافی مدارا می کند، اما به هنگام مجازات چنان محکم می گیرد که مجال فرار برای احدی باقی نمی ماند!

سورة الشعراء(25): آية 141 ص: 388

(آیه ۱۴۱)- پنجمین بخش از داستان انبیا که در این سوره آمده، سر گذشت فشرده و کوتاهی از قوم «ثمود» و پیامبرشان «صالح» است که در سر زمینی به نام «وادی القری» میان «مدینه» و «شام» زندگی مرفهی داشتند.

سر آغاز این داستان کاملا شبیه داستان «قوم عاد» و «نوح» است، و نشان میدهد چگونه تاریخ تکرار می گردد، میفرماید: «قوم ثمود رسولان خدا را تکذیب کردند» (کَذَّبَتْ تَمُودُ الْمُرْسَلِینَ).

سورة الشعراء (26): آية 147 ص: 388

(آیه ۱۴۲)- و بعد از ذکر این اجمال به تفصیل پرداخته، می گوید: «در آن هنگام که برادر دلسوزشان صالح به آنها گفت: آیا پرهیز کاری پیشه نمی کنید»؟! (إِذْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۸۹ قالَ لَهُمْ أُخُوهُمْ صالِحٌ أَ لا تَتَّقُونَ).

سورة الشعراء (25): آية ١٤٣ ص: ٣٨٩

(آیه ۱۴۳)- سپس برای معرفی خویش می گوید: «من برای شما فرستادهای امینم، (إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ) و سوابق من در میان شما شاهد گویای این مدعاست.

سورة الشعراء(26): آية 144 ص: 389

(آیه ۱۴۴)- «بنا بر این تقوا پیشه کنید و از خدا بترسید و مرا اطاعت کنید» که جز رضای خدا و خیر و سعادت شما چیزی برای من مطرح نیست (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُونِ).

سورة الشعراء(25): آية 140 ص: 289

(آیه ۱۴۵)- و به همین دلیل «من مزد و پاداشی در برابر این دعوت از شما نمیطلبم» و چشم داشتی از شما ندارم (وَ ما أَسْئُلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر).

من برای دیگری کاری میکنم و پاداشم بر اوست، آری «اجر و پاداش من تنها بر پروردگار عالمیان است» (إِنْ أُجْرِیَ إِلَّا عَلی رَبِّ الْعالَمِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 146 ص: 389

(آیه ۱۴۶)- سپس در بخش دیگری انگشت روی نقطه های حساس و قابل انتقاد زندگی آنها گذارده، و آنان را در یک محاکمه وجدانی محکوم می کند.

می گوید: «آیا شما تصور می کنید همیشه در نهایت امنیت در نعمتهایی که اینجاست می مانید» (أَ تُثْرَ کُونَ فِی ما هاهُنا آمِنِینَ). آیا چنین می پندارید که این زندگی مادی و غفلتزا جاودانی است، و دست مرگ و انتقام و کیفر گریبانتان را نخواهد گرفت؟!

سورة الشعراء(26): آية 147 ص: 389

(آیه ۱۴۷)- سپس با استفاده از روش اجمال و تفصیل جمله سر بسته گذشته خود را چنین تشریح می کند، می گوید: شما گمان می کنید «در این باغها و چشمهها» ... (فِی جَنَّاتٍ وَ عُیُونِ).

سورة الشعراء(26): آية 148 ص: 389

(آیه ۱۴۸)- «و در این زراعتها و نخلها که میوههای شیرین و شاداب و رسیده دارنـد» برای همیشه خواهیـد مانـد؟ (وَ زُرُوعٍ وَ نَخْل طَلْعُها هَضِیمٌ).

سورة الشعراء(26): آية 149 ص: 389

(آیه ۱۴۹)- سپس به خانه های محکم و مرفّه آنها پرداخته، می گوید: «و شما از کوهها خانه هایی می تراشید و در آن به عیش و نوش می پردازید» (وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُیُوتاً فارِهِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 150 ص: 389

(آیه ۱۵۰)– حضرت صالح بعد از ذکر این انتقادها به بخش سوم از سخنانش برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۹۰ پرداخته، و به آنها هشدار می دهد: «پس از مخالفت فرمان خدا بپرهیزید و مرا اطاعت کنید» (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُونِ)

سورة الشعراء(26): آية 151 ص: 390

(آيه ١٥١)- «و فرمان مسرفان را اطاعت نكنيد» (وَ لا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ).

سورة الشعراء(26): آية 152 ص: 390

(آیه ۱۵۲)- «همانها که در زمین فساد می کنند و هر گز اصلاح نمی کنند» (الَّذِینَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ وَ لا یُصْلِحُونَ). «اسراف» همان تجاوز از حدّ قانون آفرینش و قانون تشریع است و در یک نظام صحیح هر گونه تجاوز از حد موجب فساد و از هم گسیختگی میشود، و به تعبیر دیگر سر چشمه فساد، اسراف است و نتیجه اسراف فساد.

سورة الشعراء(26): آية 153 ص: 390

(آیه ۱۵۳)- لجاجت و سر سختی قوم صالح: در آیات گذشته منطق مستدل و خیر خواهانه صالح را در برابر قوم گمراه شنیدید، اکنون در اینجا، منطق قوم را در برابر او بشنوید.

آنها «گفتند: ای صالح! تو مسحور شدهای و عقل خود را از دست دادهای» لذا سخنان ناموزونی می گویی! (قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرينَ).

سورة الشعراء(26): آية 154 ص: 390

(آیه ۱۵۴)- از این گذشته «تو فقط بشری همچون مایی» (ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا). و هیچ عقلی اجازه نمی دهد از انسانی همچون خودمان اطاعت کنیم! «اگر راست می گویی آیت و نشانهای بیاور» تا ما به تو ایمان بیاوریم (فَأْتِ بِآیَهٍٔ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصَّادِقِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 155 ص: 390

(آیه ۱۵۵) - به هر حال این گروه سر کش، نه به خاطر حق طلبی که به خاطر بهانه جویی تقاضای معجزه کردند، و باید به آنها اتمام حجت می شد، لذا صالح به دستور خداوند «گفت: این ناقهای است که برای او سهمی از آب قریه است، و برای شما سهم روز معینی» (قالَ هذِهِ ناقَهُ لَها شِرْبٌ وَ لَکُمْ شِرْبٌ یَوْم مَعْلُوم).

این «ناقه» یک شتر عادی و معمولی نبوده است و بطرز معجز آسایی از دل کوه بر آمد، و از ویژگیهای آن این بود که یک روز آب آبادی را به خود تخصیص میداد و مینوشید.

سورة الشعراء(26): آية 186 ص: 390

(آیه ۱۵۶)- به هر حال صالح مأمور بود که به آنها اعلام کند این شتر عجیب برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۹۱ و خارق العاده را که نشانهای از قـدرت بیپایان خـداست به حال خود رها کنند، و دستور داد: «کمترین آزاری به آن نرسانید که (اگر چنین کنید) عذاب روز عظیم شما را فرو خواهد گرفت» (وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَیَأْخُذَکُمْ عَذابُ یَوْم عَظِیم).

سورة الشعراء(26): آية ١٥٧ ص: ٣٩١

(آیه ۱۵۷)- البته قوم سر کشی که حاضر به بیداری فریب خوردگان نبودند و آگاهی مردم را مزاحم منافع خود میدانستند، توطئه از میان بردن ناقه را طرح کردند و «سر انجام بر آن (ناقه) حمله نموده (و با یک یا چند ضربه) آن را از پا در آوردند، و سپس از کرده خود پشیمان شدند» چرا که عذاب الهی را در چند قدمی خود احساس می کردند (فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 158 ص: 391

(آیه ۱۵۸)- چون طغیانگری آنها از حد گذشت و عملا نشان دادند که آماده پذیرش حق نیستند اراده خدا بر این قرار گرفت که زمین را از لوث وجودشان پاک کند «در این هنگام عذاب الهی آنها را فرو گرفت» (فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ).

قرآن در پایان این ماجرا همان می گوید که در پایان ماجرای قوم هود و نوح و ابراهیم بیان کرد، میفرماید: «در این سر گذشت (قوم صالح و آن همه پایمردی و تحمل این پیامبر بزرگ و آن منطق شیوا، و نیز سر سختی و لجاجت و مخالفت آن سیه رویان با معجزه بیدارگر و سر نوشت شومی که به آن گرفتار شدند) آیت و درس عبرتی است، اما اکثر آنها ایمان نیاوردند» (إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَةً وَ ما کانَ أَکْنُرُهُمْ مُؤْمِنِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 159 ص: 291

(آیه ۱۵۹)- آری هیچ کس نمی تواند بر قدرت خدا چیره شود همان گونه که این قدرت عظیم مانع رحمت او نسبت به دوستان و حتی نسبت به دشمنان نیست «و پروردگار تو عزیز و رحیم است» (وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ).

سورة الشعراء(26): آية 160 ص: 391

(آیه ۱۶۰)–قوم ننگین و متجاوز! ششمین پیامبری که گوشهای از زندگی او و قوم گمراهش در این سوره آمده حضرت لوط (ع) است.

نخست مى گويد: «قوم لوط فرستادگان خدا را تكذيب كردند» (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ).

سورة الشعراء(26): آية 161 ص: 391

(آیه ۱۶۱)- سپس اشارهای به دعوت حضرت لوط می کند که هماهنگ با برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۹۲ کیفیت دعوت دیگر پیامبران گذشته است می گوید: «در آن هنگام که برادرشان لوط به آنها گفت: آیا تقوا پیشه نمی کنید»؟! (إِذْ قَالَ لَهُمْ أُخُوهُمْ لُوطٌ أَ لا تَتَّقُونَ).

سورة الشعراء(25): آية 167 ص: 397

(آیه ۱۶۲) - لحن گفتار او و دلسوزی عمیق و فوقالعادهاش نشان میداد که همچون یک برادر سخن می گوید. سپس افزود: «من برای شما رسول امینی هستم» (إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ).

آیا تاکنون خیانتی از من دیدهاید؟ و از این به بعد نیز نسبت به وحی الهی و رساندن پیام پروردگار شما قطعا رعایت امانت را خواهم کرد.

سورة الشعراء(25): آية 163 ص: 377

(آیه ۱۶۳)– «اکنون (که چنین است) پرهیز کاری پیشه کنیـد، و از خدا بترسـید و مرا اطاعت نمایید» که رهبر راه سـعادت شــما هستم (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُونِ).

سورة الشعراء (27): آية 184 ص: 392

(آیه ۱۶۴)- فکر نکنید این دعوت، وسیلهای برای آب و نـان است و یـک هـدف مـادی را تعقیب میکنـد، نه، «من کمـترین پاداشـی در برابر این دعوت از شـما نمیخواهم، اجر و پـاداشم تنهـا بر پروردگار عالمیان است» (وَ ما أَسْـئَلُکُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلَّا عَلی رَبِّ الْعالَمِینَ).

سورة الشعراء(25): آية 160 ص: 322

(آیه ۱۶۵) - سپس به انتقاد از اعمال ناشایست و بخشی از انحرافات اخلاقی آنها میپردازد و از آنجا که مهمترین نقطه انحراف آنها، انحراف جنسی و هم جنس گرایی بود روی همین مسأله تکیه کرد و چنین گفت: «آیا شما در میان جهانیان به سراغ جنس ذکور میروید»؟! (أَ تَأْتُونَ الذُّكُرانَ مِنَ الْعالَمِینَ).

یعنی با این که خداوند این همه افراد از جنس مخالف برای شما آفریده و میتوانید با ازدواج صحیح و سالم با آنان زندگی پاک و آرام بخشی داشته باشید، این نعمت پاک و طبیعی خدا را رها کرده، و خود را به چنین کار پست و ننگینی آلوده ساختهاید!

سورة الشعراء (27): آية 186 ص: 377

(آیه ۱۶۶)- سپس افزود: «و همسرانی را که پروردگار برای شما آفریده است رها میکنید»؟ (وَ تَذَرُونَ ما خَلَقَ لَکُمْ رَبُّکُمْ مِنْ أَزْواجِکُمْ).

«بلکه شما قوم تجاوز گری هستید»! (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ).

هرگز نیاز طبیعی، اعم از روحی و جسمی شما را به این کار انحرافی نکشانده برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۹۳ است، بلکه تجاوز و طغیان است که دامانتان را به چنین ننگی آلوده کرده.

سورة الشعراء(25): آية 167 ص: 393

(آیه ۱۶۷) – سر انجام قوم لوط: قوم لوط که سر گرم باده شهوت و غرور بودند به جای این که اندرزهای این رهبر الهی را با جان و دل پذیرا شوند، و خود را از منجلابی که در آن غوطهور بودند رهایی بخشند به مبارزه با او برخاستند، و «گفتند: ای لوط! (بس است، خاموش باش) اگر از این سخنان خودداری نکنی از اخراج شوندگان (این شهر و دیار) خواهی بود» (قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ یا لُوطُ لَتَکُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِینَ).

کار مردم گمراه و آلوده به جایی میرسد که پاکی و تقوا در میان آنها بزرگترین عیب است، و ناپاکی و آلودگی افتخار! از این آیه استفاده میشود که این جمعیت فاسد، گروهی از افراد پاک را که مزاحم اعمال زشت خود میدیدند، قبلا از شهر و آبادی خود بیرون رانده بودند.

سورة الشعراء(26): آية 168 ص: 393

(آیه ۱۶۸)- اما لوط بی آنکه به تهدیدهای آنها اعتنا کند به سخنان خود ادامه داد و گفت: من دشمن اعمال شما هستم» (قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ).

یعنی من به اعتراضهای خودم همچنان ادامه خواهم داد، هر کاری از دست شما ساخته است انجام دهید، من در راه خدا و مبارزه با زشتیها از این تهدیدها پروا ندارم!

سورة الشعراء(26): آية 169 ص: 393

(آیه ۱۶۹) - سر انجام آن همه اندرزها و نصیحتها اثر نگذارد، فساد سراسر جامعه آنها را به لجنزار متعفنی مبدل ساخت، اتمام حجت به اندازه کافی شد.

رسالت لوط (ع) به آخر رسیده است.

در مقام نیایش و تقاضا به پیشگاه خداوند بر آمده چنین عرض کرد:

«پروردگارا! من و خاندانم را از آنچه اینها انجام میدهند رهایی بخش» (رَبِّ نَجِّنِی وَ أَهْلِی مِمَّا يَعْمَلُونَ).

سورة الشعراء(26): آية 170 ص: 393

(آیه ۱۷۰)- خداوند این دعا را اجابت کرد، چنانکه میفرماید: «ما لوط و خاندانش را همگی نجات دادیم» (فَنَجَّیْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ).

سورة الشعراء(26): آية 171 ص: 393

(آیه ۱۷۱)- «جز پیر زنی که در میان آن گروه گمراه باقی ماند» (إِنَّا عَجُوزاً فِی الْغابِرِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۹۴ این پیر زن کسی جز همسر لوط نبود که هرگز به لوط ایمان نیاورد.

سورة الشعراء(25): آية 177 ص: 394

(آیه ۱۷۲)- آری خداوند، لوط و مؤمنان اندک را با او نجات داد، آنها شبانه به فرمان خدا از دیار آلودگان رخت سفر بر بستند، و آنها را که غرق فساد و ننگ بودند به حال خود رها ساختند، در آغاز صبح، فرمان عذاب الهی فرا رسید، زلزله وحشتناکی سر زمین آنها را بکلی زیر و رو کرد.

چنانکه قرآن در اینجا در یک جمله کوتاه میفرماید: «سپس ما آن جمعیت را هلاک و نابود کردیم» (ثُمَّ دَمَّوْنَا الْآخَرینَ).

سورة الشعراء(26): آية 173 ص: 394

(آیه ۱۷۳)- «و بارانی بر آنها فرستادیم» (وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً).

اما چه بارانی، بارانی از سنگ که حتی ویرانه های آنها را از نظرها محو کرد! «چه باران بدی بود باران انذار شدگان» (فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ).

بارانهای معمولی حیاتبخش است و زنده کننده، اما این باران، وحشتناک و نابود کننده بود و ویرانگر.

از آیه ۸۲ سوره هود استفاده می شود که نخست شهرهای قوم لوط زیر و رو شدند، سپس بارانی از سنگریزه متراکم بر آنها فرود آمد.

سورة الشعراء(26): آية 174 ص: 394

(آیه ۱۷۴)- بـاز در پایـان این مـاجرا به همـان دو جملهای میرسـیم که در پایان ماجراهای مشابهش در این سوره در باره پنج پیامبر بزرگ دیگر آمده است، میفرماید: «در این (ماجرای قوم لوط سر نوشت شوم آنها) آیتی است (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً). «اما بیشترشان مؤمن نبودند» (وَ ما کانَ أَکْتُرُهُمْ مُؤْمِنِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 170 ص: 394

(آيه ۱۷۵)– «و پروردگار تو عزيز و رحيم است» (وَ إِنَّ رَبَّكُ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ).

چه رحمتی از این برتر که اقوامی چنین آلوده را فورا مجازات نمی کند و به آنها مهلت کافی برای هدایت و تجدید نظر میدهد.

و نیز چه رحمتی از این برتر که مجازاتش خشک و تر را با هم نمیسوزاند حتی اگر یک خانواده با ایمان در میان هزاران هزار خانواده آلوده باشد آنها را برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۹۵

نجات مىبخشد.

و چه عزت و قدرتی از این بالاتر که در یک چشم بر هم زدن چنان دیار آلودگان را زیر و رو می کند که اثری از آن باقی نمی ماند.

سورة الشعراء(26): آية 178 ص: 393

(آیه ۱۷۶))- «شعیب» و اصحاب «ایکه»! این هفتمین و آخرین حلقه از داستانهای پیامبران است که در این سوره آمده، و آن داستان پیامبر بزرگ خدا «شعیب» و قوم سر کش اوست.

> این پیامبر در سر زمین «مدین» (شهری در جنوب شامات) و «ایکه» (آبادی معروفی نزدیک مدین) زندگی داشت. نخست می گوید: «اصحاب ایکه رسولان (خدا) را تکذیب کردند» (کَذَّبَ أَصْحابُ الْأَیْکَةِ الْمُرْسَلِینَ).

سورة الشعراء(26): آية ١٧٧ ص: ٣٩٥

(آیه ۱۷۷))- سپس به شرح این اجمال پرداخته، می گوید: «هنگامی که شعیب به آنها گفت: آیا تقوا را پیشه نمی کنید»؟ (إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَیْبٌ أَ لا تَتَّقُونَ).

در حقیقت دعوت شعیب از همان نقطه شروع شـد که سایر پیامبران شـروع میکردند دعوت به تقوا و پرهیزگاری که ریشه و خمیر مایه همه برنامههای اصلاحی و دگرگونیهای اخلاقی و اجتماعی است.

سورة الشعراء(25): آية 178 ص: 393

(آیه ۱۷۸))- سپس افزود: «من برای شما رسول امینی هستم» (إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ).

سورة الشعراء(26): آية 179 ص: 390

(آیه ۱۷۹))- «پس تقوا را پیشه کنید و از خدا بپرهیزید و مرا اطاعت نمایید» که اطاعتم اطاعت اوست (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُونِ).

سورة الشعراء(26): آية 180 ص: 390

(آیه ۱۸۰))- ایـن را نیز بدانیـد کـه «من در برابر این دعـوت از شـما اجر و پاداشـی نمیطلبم تنهـا اجر و مزد من بر پروردگـار عالمیان است» (وَ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلَّا عَلی رَبِّ الْعالَمِینَ).

سورة الشعراء(26): آية ١٨١ ص: ٣٩٥

(آیه ۱۸۱))- «شعیب» نیز مانند سایر پیامبرانی که گوشهای از تاریخشان در این سوره قبلا آمده است بعد از دعوت کلی خود به تقوا و اطاعت فرمان خدا، در بخش دوم از تعلیماتش روی انحرافات اخلاقی و اجتماعی آن محیط انگشت گذارد، و آن برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۹۶

را زیر نقد کشید و از آنجا که مهمترین انحراف این قوم مرفه نابسامانیهای اقتصادی، و ظلم فاحش و حق کشی و استثمار بود، بیش از همه روی این مسائل تکیه کرد.

نخست مى گويد: «حق پيمانه را ادا كنيد» و كم فروشى نكنيد (أَوْفُوا الْكَيْلَ). «و ديگران را به خسارت نيفكنيد» (وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرينَ).

سورة الشعراء(26): آية ١٨٢ ص: 398

(آیه ۱۸۲))- «و با ترازوی صحیح، وزن کنید» (وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِیم).

سورة الشعراء(25): آية ١٨٣ ص: 398

(آیه ۱۸۳))- «و حق مردم را کم نگذارید» و بر اشیاء و اجناس مردم، عیب ننهید (وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْیاءَهُمْ). «و در زمین تلاش برای فساد نکنید» (وَ لا تَعْتَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ).

سورة الشعراء(26): آية ۱۸۴ ص: 398

(آیه ۱۸۴))- سپس شعیب در آخرین دستورش در این بخش از سخن، بار دیگر آنها را به تقوا دعوت می کند، و می گوید: «و از خدایی بپرهیزید که شما و اقوام پیشین را آفرید» (وَ اتَّقُوا الَّذِی خَلَقَکُمْ وَ الْجِبِلَّهُ الْأَوَّلِینَ).

شما تنها قوم و جمعیتی نیستید که روی این زمین گام نهادهاید، قبل از شما پدرانتان و اقوام دیگر آمدند و رفتند، گذشته آنها، و آینده خویش را فراموش نکنید.

سورة الشعراء(26): آية 180 ص: 398

(آیه ۱۸۵))- سر نوشت این قوم خیره سر! جمعیت ظالم و ستمگر که خود را در برابر حرفهای منطقی شعیب بی دلیل دیدند برای این که به خودکامگی خود ادامه دهند، سیل تهمت و دروغ را متوجه او ساختند.

نخست همان بر چسب همیشگی را که مجرمان و جباران به پیامبران میزدند به او زدند و «گفتند: تو فقط از افسون شدگانی»! (قالُوا إنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرينَ).

سورة الشعراء(26): آية 186 ص: 398

(آیه ۱۸۶))– به علاوه «تو فقط بشری هستی همچون ما» چه انتظاری داری که ما پیرو تو شویم، اصلا چه فضیلت و برتری بر ما داری؟ (وَ ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا).

«تنها گمانی که در باره تو داریم این است که از دروغگویانی»! (وَ إِنْ نَظُنُّکَ لَمِنَ الْکاذِبِینَ).

سورة الشعراء(25): آية ١٨٧ ص: 398

(آیه ۱۸۷))- بعد از گفتن این سخنان ضد و نقیض که گاهی او را دروغگو و انسانی فرصت طلب که میخواهد با این وسیله بر آنها بر تری جوید، و گاه او را مجنون خواندند، آخرین سخنشان این بود که بسیار خوب «پس اگر راست می گویی بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۹۷

سنگهای آسمانی را بر سر ما فرو ریز» و ما را به همان بلایی که به آن تهدیدمان می کنی مبتلا ساز تا بدانی ما از این تهدیدها

نمى ترسيم! (فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ).

سورة الشعراء(25): آية ١٨٨ ص: 397

(آیه ۱۸۸))- «شعیب» در برابر این سخنان ناموزون، و تعبیرات زشت و زننده، و تقاضای عذاب الهی، تنها پاسخی که داد این بود «گفت: پروردگار من به اعمالی که شما انجام میدهید آگاهتر است» (قالَ رَبِّی أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ). و از میزان استحقاقتان با خبر است هر زمان شما را مستحق مجازات دید عذاب را نازل می کند.

سورة الشعراء (27): آية ١٨٩ ص: ٣٩٧

(آیه ۱۸۹))- ولی به هر حال زمان پاکسازی صفحه زمین از این آلودگان فرا رسید، چنانکه قرآن می گوید: «پس آنها شعیب را تکذیب کردند و به دنبال آن عذاب روز ابر سایه افکن آنها را فرو گرفت»! (فَکَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ یَوْمِ الظُّلَّهِ). و «این عذاب، عذاب روز بزرگی بود» (إِنَّهُ کانَ عَذابَ یَوْمِ عَظِیمٍ).

هفت روز، گرمای سوزانی سر زمین آنها را فرا گرفت، و مطلقًا نسیمی نمیوزید، ناگاه قطعه ابری در آسمان ظاهر شـد و نسیمی وزیدن گرفت، آنها از خانههای خود بیرون ریختند و از شدت ناراحتی به سایه ابر پناه بردند.

در این هنگام صاعقهای مرگبار از ابر برخاست، صاعقهای با صدای گوش خراش، و به دنبال آن آتش بر سر آنها فرو ریخت، و لرزهای بر زمین افتاد، و همگی هلاک و نابود شدند.

سورة الشعراء(26): آية 190 ص: 397

(آیه ۱۹۰))- در پایان این داستان همان را می گوید که در پایان شش داستان گذشته از انبیاء بزرگ آمده بود. میفرماید: «در این سر گذشت (مردم سر زمین «ایکه» و دعوت پر مهر پیامبرشان شعیب، و لجاجتها و سر سختیها و تکذیبهای آنان، و سر انجام نابودی این قوم ستمگر با صاعقه مرگبار) نشانه و درس عبرتی است» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً). «اما اکثر آنها ایمان نیاوردند» (وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 191 ص: 397

(آیه ۱۹۱))- با این حال خداوند رحیم و مهربان به آنها مهلت کافی داد تا به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۹۸ خود آیند و خویشتن را اصلاح کنند، و هنگامی که مستوجب عذاب شدند با قدرت قهارش آنها را گرفت، آری «پروردگار تو شکستناپذیر و رحیم است» (وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ).

نکته: در پایان سرگذشت این هفت پیامبر بزرگ توجه به این نکته لاخرم است که سر گذشت این پیامبران در سورههای دیگری از قرآن نیز آمده است، ولی در هیچ موردی چنین نیست که آغاز دعوت همه آنها هماهنگ، و پایان همه آنها نیز هماهنگ بیان شده باشد.

این هماهنگی قبل از هر چیز انعکاس «توحید» را در دعوت انبیا نشان میدهد، که دارای برنامه واحدی بودند که آغاز و

سورة الشعراء(25): آية 192 ص: 398

(آیه ۱۹۲))- عظمت قرآن در کتب پیشین: بعد از بیان هفت داستان از ماجرای انبیای پیشین و درسهای عبرت انگیزی که در تاریخ آنها نهفته بود بار دیگر قرآن به همان بحثی باز می گردد که سوره با آن آغاز شده بود، بحث عظمت قرآن و حقانیت این کلام مبین الهی، می گوید: «این از سوی پروردگار عالمیان نازل شده است» (وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 193 ص: 398

(آیه ۱۹۳) – لذا اضافه می کند: «آن را روح الامین (از سوی خداوند) نازل کرده است» (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ). اگر آن فرشته وحی آن را از سوی خداوند نیاورده بود، این چنین درخشان و پاک و خالی از آلودگی به خرافات و اباطیل نبود.

سورة الشعراء (26): آية ١٩٤ ص: ٣٩٨

(آیه ۱۹۴)– آری این روح الامین قرآن را «بر قلب تو (از سوی پروردگار نازل کرد) تا از انـذار کننـدگان باشـی» (عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ).

هدف بیان تاریخ گذشتگان به عنوان سر گرمی و داستانسرایی نبوده هدف ایجاد احساس مسؤولیت و بیداری است، هدف تربیت و انسانسازی است.

سورة الشعراء(27): آية 190 ص: 398

(آیه ۱۹۵)- و برای این که جای هیچ گونه عذر و بهانهای برای کسی باقی نماند آن را «به زبان عربی آشکار» نازل کرد (بِلِسانٍ عَرَبِیِّ مُبِین).

البته هدف تکیه روی زبان عرب نیست، بلکه روی صراحت قرآن و روشنایی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۳۹۹ مفاهیم آن است.

سورة الشعراء(26): آية 196 ص: 399

(آیه ۱۹۶) - سپس به یکی دیگر از دلائل حقانیت قرآن اشاره کرده، می گوید:

«وصف این کتاب در کتب پیشینیان نیز آمده است» و از ظهور آن در آینده بشارت دادهاند (وَ إِنَّهُ لَفِی زُبُر الْأَوَّلِینَ).

سورة الشعراء(26): آية 197 ص: 399

(آیه ۱۹۷)- لذا قرآن در اینجا اضافه می کند: «آیا همین نشانه برای آنها کافی نیست که علمای بنی اسرائیل به خوبی از آن آگاهند»؟! (أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ).

روشن است در محیطی که آن همه دانشمندان بنی اسرائیل وجود داشتند و با مشرکان کاملا محشور بودند ممکن نبود چنین سخنی را قرآن به گزاف در باره خودش بگوید، چرا که فورا از هر سو بانگ انکار برمیخاست، این خود نشان میدهد که در محیط نزول آیات به قدری این مسأله روشن بوده که جای انکار نداشته است.

سورة الشعراء(26): آية 198 ص: 399

(آیه ۱۹۸)- اگر قرآن بر عجم نـازل شـده بود ...! در اینجـا نخست به یکی دیگر از بهانههای احتمالی کفار و پیشگیری از آن پرداخته و بحثی را که در آیات گذشته در باره نزول قرآن به زبان عربی مبین آمده است تکمیل میکند.

مى فرمايىد: «و اگر ما اين قرآن را بر بعضى از مردم عجم (غير عرب و غير فصيح) نازل مى كرديم» ... (وَ لَوْ نَزَّ لْناهُ عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ).

سورة الشعراء(26): آية 199 ص: 399

(آیه ۱۹۹)– «و او این آیات را بر آنها میخواند هرگز به وی ایمان نمی آوردند» (فَقَرَأُهُ عَلَيْهِمْ ما کانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ).

یعنی نژادپرستی و تعصبهای قومی آنها به قدری شدید است که اگر قرآن بر فردی غیر عرب نازل می شد، امواج تعصبها مانع از پذیرش آن می گردید، تازه حالا که بر مردی شریف از خانواده اصیل عربی، و با بیانی رسا و گویا، نازل شده، و در کتب آسمانی پیشین نیز بشارت آن آمده، و علمای بنی اسرائیل نیز به آن گواهی داده اند، بسیاری از آنها ایمان نمی آورند، چه رسد اگر پیامبرشان اصلا چنین شرایطی را نداشت.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰۰

سورة الشعراء(26): آية 200 ص: 400

(آیه ۲۰۰)- سپس برای تأکید بیشتر می افزاید: «این گونه ما قرآن را در دلهای مجرمان وارد می کنیم» (کَه ذلِکَ سَمِ لَمُناهُ فِی قُلُوبِ الْمُجْرِمِینَ).

بـا بیـانی رسا، و با زبان مردی که از میان خودشان برخاسـته است و با تمام شـرایطی که پـذیرش آن را سـهل و آسان و مطبوع سازد ولی این دلهای بیمار از پذیرش آن، امتناع میکنند.

سورة الشعراء(26): آية 201 ص: 400

(آيه ٢٠١)- لـذا مىفرمايـد: با اين حال اين قوم لجوج «به آن ايمان نمى آورنـد، تا عـذاب دردناك را با چشم خود ببيننـد» (لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ).

سورة الشعراء(26): آية 202 ص: 400

(آیه ۲۰۲)- آری آنها ایمان نمی آورند «تا عذاب الهی ناگهانی و بطور غافلگیرانه و در حالی که آنها توجه ندارند دامانشان را فرو گیرد» (فَیَأْتِیَهُمْ بَغْتَهً وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ).

بدون شک منظور از این عذاب الهی که آنها را ناگهانی فرو می گیرد، عذابهای دنیا و بلاهای نابود کننده و مجازات «استیصال» است.

سورة الشعراء(26): آية 203 ص: 400

(آیه ۲۰۳) - لذا به دنبال آن می فرماید: در این حال آنها به خود می آیند و از گذشته ننگین خود پشیمان، و از آینده وحشتناک خویش سخت نگران می شوند و «می گویند: آیا به ما مهلت داده می شود» تا ایمان بیاوریم و گذشته خراب خود را آباد سازیم؟! (فَیَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ). اما این تقاضا هر گز پذیرفته نخواهد شد.

سورة الشعراء(26): آية 204 ص: 400

(آیه ۲۰۴)- تهمتی دیگر بر قرآن! از آنجا که آیات گذشته با این جمله ختم شد که مجرمان و گنهکاران، بعد از مشاهده عذاب الهی و هنگامی که در آستانه مرگ قرار می گیرند، تقاضای مهلت و باز گشت برای جبران می کنند، در اینجا از دو راه به آنها پاسخ می گوید.

نخست این که: «آیا برای عذاب ما عجله می کنند» (أَ فَبِعَذابِنا یَشتَعْجِلُونَ).

سورة الشعراء(25): آية 200 ص: 400

(آیه ۲۰۵)- دیگر این که: «به ما خبر ده، اگر (باز هم) سالیانی آنها را از این زندگی بهرهمند سازیم» ... (أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَعْناهُمْ سِنِينَ).

سورة الشعراء(27): آية 206 ص: 400

(آیه ۲۰۶)- «سپس عذابی که به آنها وعده داده شده به سراغشان بیاید» ...

(ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰۱

سورة الشعراء(26): آية 207 ص: 401

(آیه ۲۰۷)- «این تمتع و بهره گیری از دنیا برای آنها سودی نخواهد داشت» (ما أَغْنی عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ).

به فرض که به آنها مهلت جدیدی داده شود- که بعد از اتمام حجت داده نخواهد شد- آیا کاری جز تمتع و بهره گیری بیشتر از مواهب مادی خواهند داشت؟

آیا آنها به جبران گذشته خواهند پرداخت؟ مسلما نه.

سورة الشعراء(26): آية 208 ص: 401

(آیه ۲۰۸) - در اینجا سؤال یا سؤالهایی پیش می آید و آن این که: اصولاً با توجه به علم خداوند به آینده هر قوم و گروه چه نیازی به مهلت است؟

به علاوه با این که امتهای گذشته پی در پی به تکذیب انبیا برخاستند، چرا باز پیامبران پشت سر هم می آینـد و انـذار و تبلیغ می کنند؟

قرآن در پاسخ می گوید: این سنت ما است که «ما هیچ شهر و دیاری را هلاک نکردیم مگر این که انذار کنندگانی برای آنها بود» و پیامبرانی به اتمام حجت و موعظه و اندرز کافی برخاستند (وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْیَةٍ إِلَّا لَها مُنْذِرُونَ).

سورة الشعراء(26): آية 209 ص: 401

(آیه ۲۰۹)- «تا متذکّر شوند» و بیدار گردند، و امکان برای بازگشت داشته باشند (ذِکْری).

و اگر بـدون اتمام حجت، بوسـیله بیم دهنـدگان الهی و بیدار باش رسولان پروردگار، آنها را مجازات می کردیم، ظلم بود، در حالی که «ما هرگز ستمکار نبودیم» و اصلا ظلم و ستم شایسته ما نیست (وَ ما کُنَّا ظالِمِینَ).

این ظلم است که گروهی غیر ظالم را هلاک کنیم، و یا ظالمان را بدون اتمام حجت کافی.

سورة الشعراء(26): آية 210 ص: 401

(آیه ۲۱۰)- سپس به پاسخ یکی دیگر از بهانه ها، یا تهمتهای ناروای دشمنان قرآن می پردازد که می گفتند: محمّد صلّی الله علیه و آله با فردی از جنّ! مربوط است، و او این آیات را تعلیمش می دهد! در حالی که قرآن تأکید می کند این آیات از سوی پروردگار جهانیان نازل شده است.

در اینجا اضافه می کند: «شیاطین و جنیان این آیات را نازل نکردند» (وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّیاطِینُ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰۲

سورة الشعراء(26): آية 211 ص: 407

(آیه ۲۱۱)- سپس به بیان پاسخ این تهمت واهی دشمنان پرداخته، می گوید:

«و برای جنیان و شیاطین، هرگز سزاوار نیست» که چنین کتابی را نازل کنند (وَ ما یَنْبَغِی لَهُمْ).

یعنی محتوای این کتاب بزرگ که در مسیر حق و دعوت به پاکی و عدالت و تقوا و نفی هر گونه شرک است به خوبی نشان می دهد که با افکار شیطانی و القائات شیاطین هیچ گونه شباهت ندارد.

به علاوه «آنها توانایی (بر چنین کاری) ندارند» (وَ ما یَسْتَطِیعُونَ).

اگر آنها چنین قدرتی میداشتند باید سایر کسانی که در محیط نزول قرآن- همانند کاهنان به اعتقاد مشرکان- با شیاطین مربوط بودند بتوانند همانند آن را بیاورند، با این که همگی عاجز ماندند.

سورة الشعراء(26): آية 212 ص: 407

(آیه ۲۱۲)- به علاموه «کاهنان» خود معترف بودنمد که بعمد از تولمد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله، رابطه شیاطینی که با آنها در ارتباط بودند از اخبار آسمانها قطع شد «و آنها از شنیدن (اخبار آسمان) معزول و بر کنارند» (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْع لَمَعْزُولُونَ).

سورة الشعراء(26): آية 213 ص: 407

(آیه ۲۱۳)- اقوام نزدیکت را به اسلام دعوت کن: در تعقیب بحثهایی که در آیات گذشته در زمینه موضع گیریهای مشرکان در برابر اسلام و قرآن آمد، خداوند در اینجا برنامه و خط مشی پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله را در ضمن بیان پنج دستور، در مقابل آنان مشخص می کند.

قبل از هر چیز، شخص پیامبر را دعوت به اعتقاد هر چه راسختر به توحید می کند توحیدی که ریشه و اساس دعوت همه پیامبران را تشکیل میدهد، می گوید: «هیچ معبودی را با خداوند مخوان که از معذّبین خواهی بود»! (فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ).

سورة الشعراء(26): آية 214 ص: 407

(آیه ۲۱۴)- سپس به مرحلهای فراتر از آن پرداخته، چنین دستور می دهد:

«و خویشاوندان نزدیکت را انذار کن» و از شرک و مخالفت فرمان پروردگار بترسان (وَ أَنْذِرْ عَشِیرَ تَکَ الْأَقْرِبِینَ). بدون شک برای دست زدن به یک برنامه انقلابی گسترده باید از حلقه های برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰۳ کوچکتر و فشرده تر شروع کرد.

سورة الشعراء(26): آية 210 ص: 403

(آیه ۲۱۵)– در مرحله سوم دایره وسیعتری مورد توجه قرار گرفته، میفرماید:

«و بال و پر خود را برای مؤمنانی که از تو پیروی میکنند بگستر» (وَ اخْفِضْ جَناحَکُ لِمَنِ اتَّبَعَکُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

سورة الشعراء(26): آية 216 ص: 403

(آیه ۲۱۶)- سپس به چهارمین دستور پرداخته، می گوید: «اگر تو را نافرمانی کنند بگو: من از آنچه شما انجام می دهید بیزارم» (فَإِنْ عَصَوْکَ فَقُلْ إِنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ).

سورة الشعراء(26): آية 217 ص: 403

(آیه ۲۱۷)- سر انجام در پنجمین دستور برای تکمیل برنامههای گذشته به پیامبر صلّی الله علیه و آله چنین می گوید: «و بر خداوند عزیز و رحیم توکل نما» (وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِیزِ الرَّحِیم).

این مخالفتها هرگز تو را دلسرد نکند و کمی دوستان و پیروان در عزم آهنین تو اثر نگذارد، تو تنها نیستی، تکیه گاهت خداوندی است شکستناپذیر و بسیار رحیم و مهربان.

سورة الشعراء(26): آية 218 ص: 403

(آیه ۲۱۸)- «همان خدایی که تو را به هنگامی که بر میخیزی میبیند» (الَّذِی یَراکُ حِینَ تَقُومُ)

سورة الشعراء(25): آية 219 ص: 403

(آیه ۲۱۹)- «و حرکت تو را در میان سجده کنندگان» مشاهده می کند (وَ تَقَلُّبَکَ فِی السَّاجِدِينَ).

سورة الشعراء(26): آية 220 ص: 403

اشاره

(آیه ۲۲۰)- آری «اوست خدای شنوا و دانا» (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

و به این ترتیب بعد از توصیف خداوند به عزیز و رحیم، سه وصف دیگر که امید بخش تر است در این آیات آمده است: خدایی که زحمات پیامبر صلّی الله علیه و آله را می بیند، و از قیام و سجده و حرکت و سکون او با خبر است. خدایی که صدای او را می شنود. و خدایی که از خواسته ها و نیازهای او آگاه است.

انذار بستگان نزدیک (حدیث یوم الدّار): ص: 403

بر اساس آنچه در تواریخ اسلامی آمده، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در سال سوم بعثت مأمور ابلاغ این دعوت شد بستگان نزدیکش را به خانه ابو طالب دعوت کرد، آنها در آن روز حدود چهل نفر بودند، بعد برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰۴ از صرف غذا چنین فرمود: «... من خیر دنیا و آخرت را برای شما آورده ام، و خداوند به من دستور داده است که شما را دعوت به این آیین کنم، کدامیک از شما مرا در این کار یاری خواهد کرد، تا برادر من و وصیّ و جانشین من باشد؟

جمعیت همگی سر باز زدند جز علی علیه السّلام که از همه کوچکتر بود برخاست و عرض کرد: ای پیامبر خدا! من در این راه یار و یاور توام.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دست بر گردن علی علیه السّ_ه لام نهاد و فرمود: «این برادر و وصی و جانشین من در میان شماست، سخن او را بشنوید و فرمانش را اطاعت کنید».

سورة الشعراء (26): آية 271 ص: 404

(آیه ۲۲۱)- در اینجا بـار دیگر به بحث آیـات قبل پیرامون تهمت دشـمنان به پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله در باره این که قرآن

القائات شیاطین است باز می گردد و با بیانی رسا و کوبنده مجددا به آنها پاسخ میدهد. می گوید: «آیا به شما خبر بدهم شیاطین بر چه کسی نازل میشوند»؟! (هَلْ أُنَّبُّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ).

سورة الشعراء(25): آية 222 ص: 404

(آیه ۲۲۲)- «آنها بر هر دروغگوی گنهکار نازل می گردند»؟ (تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ).

سورة الشعراء(26): آية 223 ص: 404

(آیه ۲۲۳)- «شیاطین آنچه را می شنوند (توأم با دروغهای بسیار به دوستان خود) القاء می کننـد و اکثرشان دروغگو هستند» (یُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَکْثَرُهُمْ کاذِبُونَ).

کوتاه سخن این که القائات شیطانی، نشانه های روشنی دارد که با آن نشانه ها می توان آن را باز شناخت، شیطان وجودی است و یرانگر و موذی و مخرب و القائات او در مسیر فساد و تخریب است و مشتریان او دروغگویان گنهکارند، هیچ یک از این امور بر قرآن و آورنده آن تطبیق نمی کند، و کمترین شباهتی با آن ندارد.

سورة الشعراء(25): آية 224 ص: 404

(آیه ۲۲۴)- در این آیه به پاسخ یکی دیگر از تهمتهای کفار به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله که او را شاعر میخواندند میپردازد.

می گوید: خط مشی پیامبر از خط شعرا جداست، شعرا در عالم خیال و پندار حرکت می کنند و او در عالمی مملو از واقع بینی برای نظام بخشیدن به جهان انسانی. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰۵

شعرا غالبا طالب عیش و نوشند، و در بند زلف و خال یار - مخصوصا شاعرانی که در آن عصر و در محیط حجاز میزیستند چنانکه از نمونه اشعارشان پیداست.

و به همين دليل «شعرا (كساني هستند كه) گمراهان از آنها پيروي ميكنند» (وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ).

سورة الشعراء(25): آية 225 ص: 405

(آیه ۲۲۵)- سپس به دنبال آن این جمله را اضافه می کنـد: «آیا ندیـدی که آنها در هر وادی سر گردانند»؟! (أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِی کُلِّ وادٍ یَهیمُونَ).

آنها غرق پندارها و تشبیهات شاعرانه خویشتند، حتی هنگامی که قافیهها آنها را به این سمت و آن سمت بکشاند، در هر وادی سر گردان میشوند.

هنگامی که از کسی راضی و خشنود شوند او را با مدایح خود به اوج آسمانها میبرند، هر چند شیطان لعینی باشد! و هنگامی که از کسی برنجند چنان به هجو او میپردازند که گویی میخواهند او را به اسفل السافلین بکشانند، هر چند موجودی آسمانی و یاک باشد.

سورة الشعراء(26): آية 226 ص: 403

(آیه ۲۲۶)- به علاوه شاعران معمولا مردان بزمند نه جنگاوران رزم، اهل سخنند نه عمل، لذا در این آیه اضافه می کند: «و (آیا نمی بینی که) آنها سخنانی می گویند که عمل نمی کنند» (وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ).

اما پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله سر تا پا عمل است، و حتی دشمنان او وی را به عزم راسخ و استقامت عجیبش و اهمیت دادن به جنبههای عملی مسائل میستایند شاعر کجا و پیامبر اسلام کجا؟

سورة الشعراء(26): آية 227 ص: 403

(آیه ۲۲۷) - ولی از آنجا که در میان شاعران افراد پاک و هدفداری پیدا می شوند که اهل عمل و حقیقتند، و دعوت کننده به راستی و پاکی - هر چند از این قماش شاعران در آن محیط کمتر یافت می شد - قرآن برای این که حق این هنرمندان با ایمان و تلاشگران صادق، ضایع نگردد، با یک استثنا صف آنها را از دیگران جدا کرده، می گوید: «مگر کسانی که ایمان آورده و عمل صالح انجام داده اند» (إلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰۶

شاعرانی که هدف آنها تنها شعر نیست، بلکه در شعر، هدفهای الهی انسانی میجویند، شاعرانی که غرق در اشعار نمیشوند و غافل از خدا، بلکه «خدا را بسیار یاد میکنند» و اشعارشان مردم را به یاد خدا وا میدارد (وَ ذَکَرُوا اللَّهَ کَثِیراً).

«و به هنگامی که مورد سـتم قرار می گیرند (از این ذوق خویش) برای دفاع از خویشـتن (و مؤمنان) به پا میخیزند» (وَ انْتَصَـ رُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا).

و به این ترتیب چهار صفت برای این شاعران با هدف بیان کرده: «ایمان»، «عمل صالح» «بسیار به یاد خدا بودن» و «در برابر ستمها به پا خواستن و از نیروی شعر برای دفع آن کمک گرفتن».

و از آنجا که بیشتر آیات این سوره دلداری به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و مؤمنان اندک آن روز در برابر انبوه دشمنان است، و نیز از آنجا که بسیاری از آیات این سوره در مقام دفاع از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در برابر تهمتهای ناروا نازل شده، سوره را با یک جمله پر معنی و تهدید در آمیز به این دشمنان لجوج پایان داده، می گوید: «آنها که ستم کردند به زودی می دانند که بازگشتشان به کجاست» و سر نوشتشان چگونه است! (وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبِ یَنْقَلِبُونَ).

«پایان سوره شعراء»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰۷

سوره نمل [27] ص: 404

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده، و ۹۳ آیه است

محتوای سوره: ص: 407

محتوای این سوره از نظر کلی همان محتوای سورههای مکی است، از نظر اعتقادی بیشتر روی مبدء و معاد تکیه می کند. و از نظر مسائل عملی و اخلاقی، بخش قابل ملاحظهای از سر گذشت پنج پیامبر بزرگ الهی، و مبارزات آنها با اقوام منحرف بحث می کند، تا هم دلداری و تسلّی خاطر برای مؤمنانی باشد که مخصوصا در آن روز در مکه در اقلیت شدید قرار داشتند، و هم هشداری باشد برای مشرکان لجوج و بیدادگر.

یکی از امتیازات این سوره بیان بخش مهمی از داستان «سلیمان» و «ملکه سبأ» و چگونگی ایمان آوردن او به توحید، و سخن گفتن پرندگانی، همچون هدهد، و حشراتی همچون مورچه، با سلیمان است.

این سوره به خاطر همین معنی، سوره «نمل» (مورچه) نامیده شده، و عجب این که در بعضی از روایات به نام سوره سلیمان آمده است.

ضمنا این سوره از علم بیپایان پروردگار، و نظارت او بر همه چیز در عالم هستی، و حاکمیت او در میان بندگان سخن می گوید.

این سوره با «بشارت» شروع می شود، و با «تهدید» پایان می یابد، بشارتی که قرآن برای مؤمنان آورده، و تهدید به این که خداوند از اعمال شما بندگان غافل نیست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰۸

فضيلت تلاوت سوره: ص: 408

در حدیثی از پیامبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله چنین آمده است: «هر کس سوره طس سلیمان (سوره نمل) را بخواند خداوند به تعداد کسانی که سلیمان را تصدیق و یا تکذیب کردند، و همچنین هود و شعیب و صالح و ابراهیم را، ده حسنه به او میدهد، و به هنگام رستاخیز که از قبرش بیرون می آید، ندای لا اله الّا اللّه سر میدهد».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة النمل(27): آية ١ ص : 40٨

(آیه ۱)- قرآن از سوی حکیم دانایی است: باز در آغاز این سوره به «حروف مقطّعه» قرآن بر خورد می کنیم «طا، سین» (طس).

با توجه به این که بلا فاصله بعد از آن از عظمت قرآن سخن می گوید به نظر میرسد که یکی از اسرار آن این باشد که این کتاب بزرگ و آیات مبین از حروف ساده الفبا تشکیل یافته، و زیبنده ستایش، آن آفریدگاری است که چنین اثر بدیعی را از چنان مواد سادهای به وجود آورده.

سپس مى افزايد: «اين آيات قرآن و كتاب مبين است» (تِلْكُ آياتُ الْقُرْآنِ وَ كِتابٍ مُبِينٍ).

سورة النمل(27): آية 2 ص: 408

(آیه ۲) – در این آیه دو توصیف دیگر برای قرآن بیان شده: قرآنی که «مایه هدایت، و وسیله بشارت برای مؤمنان است» (هُدیً و بُشْری لِلْمُؤْمِنِینَ).

چرا که تا مرحلهای از تقوا و تسلیم و ایمان به واقعیتها در دل انسان نباشد به دنبال حق نمیرود.

سورة النمل(27): آية 3 ص: 408

(آیه ۳)- «همان کسانی که نماز را بر پامی دارند و زکات را ادا می کنند و به آخرت یقین دارند» (الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ یُوقِنُونَ).

و به این ترتیب هم اعتقاد آنها به مبدأ و معاد محکم است، و هم پیوندشان با خدا و خلق. بنا بر این اوصاف فوق اشارهای به اعتقاد کامل و برنامه عملی جامع آنهاست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰۹

سورة النمل(27): آية 4 ص: 409

(آیه ۴)- سپس به بیان حال گروهی که در نقطه مقابل مؤمنان قرار دارند پرداخته و یکی از خطرناکترین حالاتشان را چنین باز گو می کنـد: «کسانی که ایمان به آخرت ندارند اعمال سوئشان را برای آنها زینت میدهیم پس در طریق زندگی حیران و سر گردان میشوند» (إِنَّ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ زَیَّنَا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ یَعْمَهُونَ).

آلودگی در نظر آنها پاکی، زشتیها نزد آنها زیبا، پستیها افتخار، و بد بختیها و سیه روزیها سعادت و پیروزی محسوب میشود. این دگرگونی ارزشها، و به هم ریختن معیارها در نظر انسان، که نتیجهاش سرگردان شدن در بیراهههای زندگی است از بدترین حالاتی میباشد که به یک انسان دست میدهد.

سورة النمل(27): آية ۵ ص: 409

(آیه ۵)- سپس به نتیجه «تزیین اعمال» پرداخته و سر انجام کار چنین کسانی را این گونه بیان می کند: «آنها کسانی هستند که عذابی بد (و شدید و دردناک) دارند) (أُوْلئِکَ الَّذِینَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذابِ).

در دنیا سر گردان و مأیوس و پریشان خواهند بود، و در آخرت گرفتار مجازاتی هولناک.

«و آنها در آخرت زیانکارترین مردمند» (وَ هُمْ فِی الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ).

چه زیانی از این بالاتر که انسان اعمال زشتش را زیبا ببینـد و تمام نیروی خود را برای آن به کار گیرد، اما سر انجام ببیند جز بد بختی و سیه روزی به بار نیاورده است.

سورة النمل(27): آية 6 ص: 409

(آیه ۶)- و در این آیه به عنوان تکمیلی بر اشارات گذشته در زمینه عظمت محتوای قرآن، و مقدمهای برای داستانهای انبیا که بلا فاصله بعد از آن شروع می شود می فرماید: «بطور مسلم این قرآن از سوی حکیم دانایی بر تو القا می شود» (وَ إِنَّکَ لَتَلَقَّی الْقُوْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیم عَلِیم).

گر چه «حکیم» و «علیم» هر دو اشاره به دانایی پروردگار است، ولی «علیم» از آگاهی بیپایان خدا خبر میدهد، و «حکیم» از

حساب و هدفی که در ایجاد این برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱۰ عالم و نازل کردن قرآن به کار رفته است.

سورة النمل(27): آية 7 ص: 410

(آیه ۷) – موسی اینجا به امید قبسی می آید! چنانکه گفتیم در این سوره، بعد از بیان اهمیت قرآن، گوشهای از سر گذشت پنج تن از پیامبران بزرگ و قوم آنها به میان آمده است، و وعده پیروزی مؤمنان و مجازات کافران در آنها به روشنی باز گو شده. نخست از پیامبر اولوا العزم موسی (ع) شروع می کند و مستقیما به سراغ لحظهای که نخستین جرقه وحی در دل او درخشید، و با پیام و سخن الهی آشنا شد، می رود، و می گوید: به خاطر بیاور «هنگامی را که موسی به خانواده خود گفت: من آتشی از دور دیدم»! (إذْ قالَ مُوسی لِأَهْلِهِ إِنِّی آنَشْتُ ناراً).

همین جا توقف کنیـد «من به زودی خبر از آن برای شـما می آورم و یا شـعلهای از آتش، تا گرم شویـد» (سَآتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِیکُمْ بِشِهابِ قَبَسِ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ).

و این در همان شبی بود که با همسرش دختر شعیب در طریق مصر در بیابانی تاریک و ظلمانی گرفتار آمد، راه را گم کرد، و در همین حال درد وضع حمل به همسرش دست داد، موسی احساس نیاز شدیدی به افروختن آتش و استفاده از گرمای آن می کرد، همین که شعله آتش را از دور دید خوشحال شد، و آن را دلیل بر وجود انسان یا انسانهایی گرفت، و گفت می روم، یا برای شما خبری می آورم و یا شعله آتشی که با آن گرم شوید.

سورة النمل(27): آية لم ص: 410

(آیه ۸)- موسی خانوادهاش را در همانجا گذاشت و به آن سو که آتش دیده بوده حرکت کرد «پس هنگامی که نزد آتش رسید، ندایی برخاست که: مبارک باد آن کس که در آتش است، و کسی که در اطراف آن است، و منزه است خداوندی که پروردگار عالمیان است» (فَلَمَّا جاءَها نُودِیَ أَنْ بُورِکَ مَنْ فِی النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها وَ سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ).

منظور از کسی که در آتش است موسی (ع) بوده که به آن شعله آتش که از میان درخت سبز نمایان شده بوده، آنقـدر نزدیک گردیده که گویی در درون آن قرار برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱۱

داشت، و منظور از کسی که اطراف آن قرار دارد فرشتگان مقرب پروردگار است که در آن لحظه خاص، آن سر زمین مقدس را احاطه کرده بودند.

و یا این که به عکس منظور از کسانی که در آتشند فرشتگان الهی میباشند و کسی که در گرد آن قرار دارد موسی (ع).

سورة النمل(27): آية 9 ص: 411

(آیه ۹)- بار دیگر ندایی برخاست و موسی را مخاطب ساخته، گفت:

«اى موسى! من خداوند عزيز و حكيمم» (يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

این جمله برای این بود که هر گونه شک و تردید از موسی، بر طرف شود، و بدانید که این خداونید عالمیان است که با او سخن می گوید نه شعله آتش یا درخت خداوندی که «شکستناپذیر» و «صاحب حکمت و تدبیر» است.

سورة النمل(27): آية 10 ص: 411

(آیه ۱۰)– از آنجا که مأموریت رسالت آن هم در برابر ظالم و جبّاری همچون فرعون نیاز به قـدرت و قوت ظاهری و باطنی و سند حقانیت محکم دارد، در اینجا به موسی (ع) دستور داده شد «و عصایت را بیفکن» (وَ أَلْقِ عَصاکَ).

موسی عصای خود را افکند، ناگاه تبدیل به مار عظیمی شد «هنگامی که موسی نظر به آن افکند، دید با سرعت همچون مارهای کوچک به هر سو میدود و حرکت می کند (ترسید و) به عقب برگشت و حتی پشت سر خود را نگاه نکرد» (فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌ وَلَّی مُدْبِراً وَ لَمْ یُعَقِّبْ).

در اینجا بار دیگر به موسی خطاب شد: «ای موسی! نترس که رسولان در نزد من ترس و وحشتی ندارند» (یا مُوسی لا تَخَفْ إنِّی لا یَخافُ لَدَیَّ الْمُرْسَلُونَ).

یعنی ای موسی! تو در حضور پروردگار بزرگ هستی، و حضور او ملازم با امنیت مطلق است!

سورة النمل(27): آية 11 ص: 411

(آیه ۱۱) – اما در این آیه استثنایی برای جمله «إِنِّی لا یَخافُ لَـدَیَّ الْمُرْسَلُونَ» بیان کرده، می گوید: «مگر کسی که ستم کند سپس (در مقام توبه و جبران بر آید و) بدی را تبدیل به نیکی کند که من غفور و رحیمم»، توبه او را می پذیرم و به او نیز امنیت می بخشم (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّی غَفُورٌ رَحِیمٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱۲

سورة النمل(27): آية 12 ص: 417

(آیه ۱۲) – سپس دومین معجزه موسی (ع) را به او ارائه کرد، فرمود:

«و دستت را در گریبانت داخل کن هنگامی که خارج می شود، سفید و درخشنده است بی آنکه عیبی در آن، باشد» (وَ أَدْخِلْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ).

یعنی این سفیدی ناشی از بیماری «برص» نیست، بلکه نورانیت و درخشندگی و سفیدی جالبی است که خود بیانگر وجود یک معجزه و امر خارق عادت است.

باز برای این که به موسی (ع) لطف بیشتری کند و به منحرفان امکان بیشتری برای هدایت دهد، می گوید: معجزات تو منحصر به این دو نیست، بلکه این دو معجزه «در زمره معجزات نه گانهای است که تو با آنها بسوی فرعون و قومش فرستاده می شوی آنان قومی فاسد و طغیانگرند» و نیاز به راهنمایی دارند، مجهز به معجزات بزرگ فراوان (فیی تِسْعِ آیاتٍ إِلی فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ کَانُوا قَوْماً فاسِقِینَ).

از ظاهر این آیه چنین استفاده می شود که این دو معجزه جزء نه معجزه معروف موسی بوده است نه اضافه بر آن.

سورة النمل(27): آية 13 ص: 417

(آیه ۱۳)- بالاخره موسی (ع) با قویترین سلاح معجزه، مسلح شد، و به سراغ فرعون و فرعونیان آمد و آنها را به سوی آیین

حق دعوت کرد قرآن در این آیه می گوید: «هنگامی که آیات روشنی بخش ما به سراغ آنان آمد گفتند: این سحر آشکاری است» (فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آیاتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِینٌ).

و میدانیم این تهمت تنها در مورد موسی (ع) نبود، بلکه متعصبان لجوج برای توجیه مخالفتهای خود با انبیا تهمت سحر را مطرح می نمودند.

سورة النمل(27): آية 14 ص: 417

(آیه ۱۴) – جالب این که در این آیه قرآن اضافه می کند: این اتهامات به خاطر آن نبود که راستی در شک و تردید باشند، بلکه آنها «معجزات را از روی ظلم و برتری جویی انکار کردند، در حالی که در دل به آن یقین و اطمینان داشتند» (وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَیْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱۳

از این تعبیر به خوبی استفاده میشود که ایمان واقعیتی غیر از علم و یقین دارد، و ممکن است کفر از روی جحود و انکار در عین علم و آگاهی سر زند.

در پایان آیه به عنوان یک درس عبرت با یک جمله کوتاه و بسیار پر معنی به سر انجام شوم فرعونیان و غرق و نابودی آنها اشاره کرده، می گوید:

«پس بنگر سر انجام تبهكاران و مفسدان چگونه بود»؟ (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ).

سورة النمل(27): آية 15 ص: 413

(آیه ۱۵) – حکومت داود و سلیمان: به دنبال نقل گوشهای از داستان موسی (ع) به بحث پیرامون دو تن دیگر از پیامبران بزرگ الهی، «داود» و «سلیمان» می پردازد، که اینها نیز از پیامبران بنی اسرائیل بودند، و تفاوتی که تاریخ آنها با تواریخ پیامبران دیگر دارد این است که اینها بر اثر آمادگی محیط فکری و اجتماعی بنی اسرائیل توفیق یافتند دست به تأسیس حکومت عظیمی بزنند، و آیین الهی را با استفاده از نیروی حکومت، گسترش دهند، لذا از لحن سر گذشت پیامبران دیگر که با مخالفت شدید قوم خود رو برو می شدند در اینجا خبری نیست.

جالب این که قرآن سخن را از مسأله «موهبت علم» که زیر بنای یک حکومت صالح و نیرومند است شروع کرده، می گوید: «و ما به داود و سلیمان علم قابل ملاحظه ای بخشیدیم» (وَ لَقَدْ آتَیْنا داوُدَ وَ سُلَیْمانَ عِلْماً).

روشن است که «علم» در اینجا معنی گسترده و وسیعی دارد که علم توحید و اعتقادات مذهبی و قوانین دینی، و همچنین علم قضاوت، و تمام علومی را که برای تشکیل چنان حکومت وسیع و نیرومندی لازم بوده است در بر می گیرد.

و به دنبال این جمله از زبان داود و سلیمان چنین نقل می کند: «و آنها گفتند:

حمد و ستایش از آن خداوندی است که ما را بر بسیاری از بندگان مؤمنش برتری بخشید» (وَ قالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی فَضَّلَنا عَلی کَثِیرِ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِینَ).

جالب این که بلا فاصله بعد از بیان موهبت بزرگ «علم»، سخن از «شکر» به میان آمده، تا روشن شود هر نعمتی را شکری لا نرم است، و حقیقت شکر آن است که از آن نعمت در همان راهی که برای آن آفریده شده است استفاده شود و این دو برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱۴

پیامبر بزرگ از نعمت علمشان در نظام بخشیدن به یک حکومت الهی حد اکثر بهره را گرفتند.

سورة النمل(27): آية 16 ص: 414

(آیه ۱۶) - در این آیه نخست اشاره به ارث بردن سلیمان از پدرش داود کرده، می گوید: «سلیمان وارث داود شد» (وَ وَرِثَ سُلَیْمانُ داوُدَ). و همه مواهب او را به ارث برد.

سپس قرآن می افزاید: «سلیمان گفت: ای مردم! به ما سخن گفتن پرندگان تعلیم شده» (وَ قالَ یا أَیُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّیْرِ). «و از همه چیز به ما داده شده است، و این فضیلت آشکاری است» (وَ أُوتِینا مِنْ کُلِّ شَیْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِینُ). یعنی تمام وسائلی را که از نظر معنوی و مادی برای تشکیل این حکومت الهی لازم است به ما داده شده است.

سورة النمل(27): آية 17 ص: 414

(آیه ۱۷)- سلیمان در وادی مورچگان! از آیات این سوره، و همچنین از آیات سوره سبأ به خوبی استفاده می شود که داستان حکومت حضرت سلیمان جنبه عادی نداشت، بلکه توأم با خارق عادات و معجزات مختلفی بود.

در حقیقت خداوند قدرت خود را در ظاهر ساختن این حکومت عظیم و قوایی که مسخر آن بود نشان داد.

نخست مى گويد: «لشكريان سليمان از جنّ و انس و پرندگان نزد او جمع شدند» (وَ حُشِّرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ).

آنقدر زیاد بودند که «باید توقف می کردند تا به هم ملحق شوند» (فَهُمْ يُوزَعُونَ).

سورة النمل(27): آية 18 ص: 414

(آیه ۱۸)- به هر حال، سلیمان با این لشکر عظیم حرکت کرد «تا به سر زمین مورچگان رسیدند» (حَ تَّی إِذا أَتَوْا عَلی وادِ النَّمْل).

در اینجا «مورچهای (از مورچگان، همنوعان خود را مخاطب ساخت و) گفت: ای مورچگان! داخل لانههای خود شویـد تا سلیمان و لشکریانش شـما را پایمال نکنند در حالی که نمیفهمند»! (قالَتْ نَمْلَةٌ یا أَیُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساکِنَکُمْ) برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱۵

لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ).

سورة النمل(27): آية 19 ص: 413

(آیه ۱۹)– «سلیمان از شنیدن این سخن مورچه تبسم کرد و خندید» (فَتَبَسَّمَ ضاحِکاً مِنْ قَوْلِها).

در اینجا سلیمان رو به درگاه خدا کرد و چند تقاضا نمود.

نخست این که: «عرضه داشت: پروردگـارا! راه و رسم شـکر نعمتهایی را که بر من و پـدر و مادرم ارزانی داشـتهای به من الهام فرما» (وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْکُرَ نِعْمَتَکَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَیؓ وَ عَلی والِدَیَّ).

تـا بتوانـم با بسـیج همه نیروهایـم این همه نعمتهای عظیم را در راهی که تو فرمان دادهای و مایه خشـنودی توست به کار گیرم و از مسیر حق منحرف نگردم.

ديگر اين كه مرا موفق دار «تا عمل صالحي به جاي آورم كه تو از آن خشنود مي شوي» (وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ).

و بالاخره سومین تقاضایش این بود که عرضه داشت: پروردگارا! «مرا به رحمتت در زمره بنـدگان صالحت داخل گردان» (وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِکَ فِي عِبادِکَ الصَّالِحِينَ).

یعنی هدف نهایی به دست آوردن قدرت، انجام عمل صالح است و عمل صالح نیز مقدمهای است برای جلب خشنودی و رضای خدا که هدف نهایی است.

سورة النمل(27): آية 20 ص: 413

(آیه ۲۰)- داستان هدهد و ملکه سبا: در اینجا به فراز دیگری از زندگی شگفتانگیز سلیمان اشاره کرده، و ماجرای هدهد و ملکه سبا را باز گو میکند.

نخست مي گويد: «سليمان در جستجوى آن پرنده [هدهد] بر آمد» (وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ).

این تعبیر به وضوح بیانگر این حقیقت است که او به دقت مراقب وضع کشور و اوضاع حکومت خود بود و حتی غیبت یک مرغ از چشم او پنهان نمی ماند! بدون شک منظور از پرنده در اینجا همان هدهد است، چنانکه در ادامه سخن، قرآن می افزاید، سلیمان «گفت: مرا چه شده است که هدهد را نمی بینم» (فقال ما لِیَ لا أَرَی الْهُدْهُدَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱۶ «یا این که او از غائبان است» (أَمْ کانَ مِنَ الْغائبینَ).

یعنی آیا او بدون عذر موجهی حضور ندارد و یا با عذر موجهی غیبت کرده است؟

سورة النمل(27): آية 21 ص: 416

(آیه ۲۱)- «سلیمان» برای این که حکم غیابی نکرده باشد، و در ضمن غیبت هدهد روی بقیه پرندگان- تا چه رسد به انسانهایی که پستهای حساسی بر عهده داشتند- اثر نگذارد افزود: «من او را قطعا کیفر شدیدی خواهم داد»! (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدیداً).

«يا او را ذبح مي كنم»! (أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ).

«يا (براى غيبتش) بايد دليل روشني به من ارائه دهد» (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ).

در حقیقت سلیمان (ع) تهدید لازم را در صورت ثبوت تخلف نمود، ضمنا نشان داد که او حتی در برابر پرنده ضعیفی تسلیم دلیل و منطق است و هرگز تکیه بر قدرت و توانائیش نمی کند.

سورة النمل(27): آية 22 ص: 418

(آیه ۲۲)- «چندان درنگ نکرد» که هدهد آمد (فَمَکَثَ غَیْرَ بَعِیدٍ).

بازگشت و با صراحت به سلیمان چنین «گفت: من بر چیزی آگاهی یافتم که تو بر آن آگاهی نداری، من از سر زمین سبا یک خبر قطعی (و دست اول) برای تو آوردهام»؟ (فَقَالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُکَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإِ يَقِينِ).

سورة النمل(27): آية 23 ص: 418

(آیه ۲۳) – هدهد در شرح ماجرا چنین گفت: «من (به سر زمین سبا رفته بودم) زنی را در آنجا یافتم که بر آنها حکومت می کند، و همه چیز را در اختیار دارد مخصوصا تخت عظیمی داشت»! (إِنِّی وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِکُهُمْ وَ أُوتِیَتْ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ وَ لَها عَوْشٌ عَظِیمٌ).

«هدهد» با این سه جمله تقریبا تمام مشخصات کشور سبا و طرز حکومت آن را برای سلیمان باز گو کرد.

سورة النمل(27): آية 24 ص: 418

(آیه ۲۴)- سلیمان از شنیدن این سخن در فکر فرو رفت ولی هدهد به او مجال نداد و مطلب دیگری بر آن افزود گفت: مسأله عجیب و ناراحت کنندهای که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱۷

من در آنجا دیـدم این بـود که: «مشاهـده کردم آن زن و قـوم و ملتش در برابر خورشـید- نه در برابر الله- سـجده میکننـد»! (وَجَدْتُها وَ قَوْمَها یَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

«و شیطان (بر آنها تسلط یافته و) اعمالشان را در نظرشان زینت داده» و افتخار میکنند که در برابر آفتاب سجده مینمایند! (وَ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ).

و به این ترتیب «شیطان آنها را از راه حق باز داشته» (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ).

آنها چنان در بت پرستی فرو رفتهانـد که من باور نمی کنم به آسانی از این راه بر گردنـد «آنها هـدایت نخواهنـد شـد» (فَهُمْ لا یَهْتَدُونَ).

سورة النمل(27): آية 25 ص: 417

(آیه ۲۵)– سپس افزود: «آنها چرا برای خداوندی سجده نمی کنند که آنچه در آسمانها و زمین پنهان است خارج می کند، و آنچه را مخفی میدارید و آنچه را آشکار میسازید میداند» (أَلَّا یَشِجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی یُخْرِجُ الْخَبْءَ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ یَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ).

یعنی چرا برای خداوندی سجده نمی کنند که غیب آسمان و زمین و اسرار نهفته آن را می داند.

سورة النمل(27): آية 25 ص: 417

(آیه ۲۶)- و سر انجام سخن خود را چنین پایان میدهد: «همان خداوندی که معبودی جز او نیست و پروردگار و صاحب عرش عظیم است» (اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیم).

و به این ترتیب روی «توحید عبادت» و «توحید ربوبیت» پروردگار، و نفی هر گونه شرک تأکید کرده و سخن خود را به پایان می برد.

سورة النمل(27): آية 27 ص: 417

(آیه ۲۷)– سلیمان با دقت به سخنان هدهد گوش فرا داد، و در فکر فرو رفت، سپس چنین «گفت: ما تحقیق به عمل می آوریم ببینیم تو راست گفتی یا از دروغگویان هستی»؟! (قالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِینَ).

سلیمان نه هدهد را متهم ساخت و محکوم کرد، و نه سخن او را بی دلیل تصدیق نمود، بلکه آن را پایه تحقیق قرار داد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱۸

سورة النمل(27): آية 28 ص: 418

(آیه ۲۸)- به هر حال سلیمان نامهای بسیار کوتاه و پر محتوا نوشت و به هدهد داد و گفت: «این نامه مرا ببر و بر آنان بیفکن، سپس بر گرد (و در گوشهای توقف کن) ببین آنها چه عکس العملی نشان میدهنـد»؟ (اذْهَبْ بِکِتابِی هـذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ).

سورة النمل(27): آية 29 ص: 418

(آیه ۲۹) – ملکه سبا نامه را گشود و از مضمون آن آگاهی یافت و چون قبلا اسم و آوازه سلیمان را شنیده بود و محتوای نامه نشان می داد که سلیمان تصمیم شدیدی در باره سرزمین سبا گرفته، سخت در فکر فرو رفت، و چون در مسائل مهم مملکتی با اطرافیانش به شور می نشست از آنها دعوت کرد، رو به سوی آنها نموده «گفت: ای اشراف و بزرگان! نامه ارزشمندی به سوی من افکنده شده است»! (قالَتْ یا أَیُّهَا الْمَلُا إِنِّی أُلْقِیَ إِلَیَّ کِتابٌ کَرِیمٌ).

سورة النمل(27): آية 30 ص: 418

(آیه ۳۰)– سپس ملکه سبا به ذکر مضمون نامه پرداخت و گفت: «این نامه از سوی سلیمان است و محتوایش چنین است: به نام خداوند بخشنده مهربان» (إِنَّهُ مِنْ سُلَیْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ).

سورة النمل(27): آية 31 ص: 418

(آیه ۳۱)– توصیهام به شما «این است برتری جویی در برابر من نکنید، و به سوی من آیید و تسلیم حق شوید» (أَلَّا تَعْلُوا عَلَیَّ وَ أَتُونِی مُسْلِمِینَ).

آنچه در دو آیه فوق آمده، الگویی است برای طرز نامه نگاری که با نام خداوند رحمان و رحیم شروع شود و با دو جمله حساب شده جان سخن بیان گردد.

سورة النمل(27): آية 32 ص: 418

(آیه ۳۲)- بعد از ذکر محتوای نامه سلیمان، برای سران ملت خود رو به سوی آنها کرده، چنین «گفت: ای اشراف و صاحب نظران! رأی خود را در این کار مهم برای من ابراز دارید که من هیچ کار مهمی را بیحضور شما و بدون نظر شما انجام ندادهام»! (قالَتْ یا أَیُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِی فِی أَمْرِی ما کُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتَّی تَشْهَدُونِ).

سورة النمل(27): آية 33 ص: 418

(آیه ۳۳)- «اشراف قوم» در پاسخ او چنین «گفتند: ما دارای نیروی کافی و قدرت جنگی فراوان هستیم، ولی تصمیم نهایی با توست، ببین چه دستور برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱۹

مى دهى (قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسِ شَدِيدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِى ما ذا تَأْمُرِينَ).

به این ترتیب هم تسلیم خود را در برابر دستورات او نشان دادند، و هم تمایل خود را به تکیه بر قدرت و حضور در میدان جنگ!

سورة النمل(27): آية 34 ص: 419

(آیه ۳۴) – ملکه هنگامی که تمایل آنها را به جنگ مشاهده کرد، در حالی که خود باطنا تمایل به این کار نداشت برای فرو نشاندن این عطش، و هم برای این که حساب شده با این جریان بر خورد، کند، چنین «گفت: پادشاهان هنگامی که وارد منطقه آبادی شوند آن را به فساد و ویرانی می کشانند»! (قالَتْ إِنَّ الْمُلُوکَ إِذَا دَخَلُوا قَرْیَهً أَفْسَدُوها).

«و عزيزان اهل آن را به ذلت مينشانند» (وَ جَعَلُوا أَعِزَّهُ أَهْلِها أَذِلَّهُ).

سپس برای تأکید بیشتر گفت: «آری این چنین می کنند» (وَ کَذلِکَ یَفْعَلُونَ).

در حقیقت ملکه سبا که خود پادشاهی بود، شاهان را خوب شناخته بود که برنامه آنها در دو چیز خلاصه می شود: «فساد و و یرانگری» و «ذلیل ساختن عزیزان»، چرا که آنها به منافع خود می اندیشند، نه به منافع ملتها و آبادی و سر بلندی آنها و همیشه این دو بر ضد یکدیگرند.

سورة النمل(27): آية 35 ص: 419

(آیه ۳۵) – سپس ملکه افزود: ما باید قبل از هر کار سلیمان و اطرافیان او را بیازماییم و ببینیم به راستی چه کارهاند؟ سلیمان پادشاه است یا پیامبر؟ ویرانگر است یا مصلح؟ ملتها را به ذلت می کشانند یا عزت؟ و برای این کار باید از هدیه استفاده کرد، لذا «من هدیه قابل ملاحظه ای برای آنها می فرستم تا ببینم فرستادگان من چه واکنشی را از ناحیه آنها برای ما می آورند» (وَ إِنِّی مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِیَةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ یَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ).

پادشاهان علاقه شدید به «هدایا» دارند، و نقطه ضعف و زبونی آنها نیز همین جاست، آنها را میتوان با هدایای گرانبها تسلیم کرد، اگر دیـدیم سـلیمان با این هـدایا تسلیم شـد، معلوم میشود «شاه» است! در برابر او میایستیم، و گر نه پیامبر خداست در این صورت باید عاقلانه بر خورد کرد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۲۰

سورة النمل(27): آية 36 ص: 420

(آیه ۳۶)- مرا با مال نفریبید! فرستادگان ملکه سبا با کاروان هدایا، سر زمین یمن را پشت سر گذاشتند و به سوی شام و مقر سلیمان حرکت کردند، به گمان این که سلیمان از مشاهده منظره این هدایا خوشحال می شود، و به آنها شاد باش می گوید، اما

«هنگامی که (فرستاده ملکه سبا) نزد سلیمان آمد (سلیمان نه تنها از آنها استقبال نکرد بلکه) گفت: میخواهید مرا با مال کمک کنید (و فریب دهید) آنچه خدا به من داده بهتر است از آنچه به شما داده است» (فَلَمَّا جاءَ سُرِ لَيْمانَ قالَ أَ تُمِدُّونَنِ بِمالٍ فَما آتانِیَ اللَّهُ خَیْرٌ مِمَّا آتاکُمْ).

مال چه ارزشی در برابر مقام نبوت و علم و دانش و هدایت و تقوا دارد؟

«بلکه شما هستید که به هدایای خود خوشحال می شوید» (بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِیَّتِکُمْ تَفْرَحُونَ).

و به این ترتیب سلیمان، معیارهای ارزش را در نظر آنها تحقیر کرد و روشن ساخت که معیارهای دیگری برای ارزش در کار است.

سورة النمل(27): آية 37 ص: 420

(آیه ۳۷)- سپس برای این که قاطعیت خود را در مسأله «حق و باطل» نشان دهد به فرستاده مخصوص ملکه سبا چنین گفت: «به سوی آنان باز گرد (و این هدایا را نیز با خود ببر اما بدان) ما به زودی با لشکرهایی به سراغ آنها خواهیم آمد که توانایی مقابله با آن را نداشته باشند» (ارْجعْ إلَیْهِمْ فَلَنَا ْتِیَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها).

«و مـا آنهـا را از آن سـر زمین آبـاد با ذلت خارج میکنیم در حالی که کوچک و حقیر خواهنـد بود» (وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّهُ وَ هُمْ صاغِرُونَ).

چرا که در برابر آیین حق، تسلیم نشدند و از در مکر و فریب وارد گشتند.

سورة النمل(27): آية 38 ص: 420

(آیه ۳۸)– در یک چشم بر هم زدن تخت او حاضر است! سر انجام فرستادگان ملکه سبا هدایا و بساط خود را بر چیدند و به سوی کشورشان باز گشتند.

و ماجرا را برای ملکه و اطرافیانش شرح دادند، و بیان داشتند که او به راستی فرستاده خداست و حکومتش نیز یک حکومت الهی است.

لذا ملکه سبا با عدهای از اشراف قومش تصمیم گرفتند به سوی سلیمان بیایند و شخصا این مسأله مهم را بررسی کنند تا معلوم شود سلیمان چه آیینی دارد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۲۱

این خبر از هر طریقی که بود به سلیمان رسید، و تصمیم گرفت قدرت نمایی شگرفی کند تا آنها را بیش از پیش به واقعیت اعجاز خود آشنا، و در مقابل دعوتش تسلیم سازد.

لـذا سـلیمان رو به اطرافیـان خـود کرد و «گفت: ای گروه بزرگـان! کـدامیک از شـما توانـایی دارد تخت او را پیش از آن که خودشان نزد من بیایند و تسلیم شوند برای من بیاورد» (قالَ یا أَیُّهَا الْمَلَوُّا أَیُّکُمْ یَأْتِینِی بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ یَأْتُونِی مُسْلِمِینَ).

سورة النمل(27): آية 39 ص: 421

(آیه ۳۹) - در اینجا دو نفر اعلام آمادگی کردند که یکی از آنها عجیب و دیگری عجیبتر بود.

نخست «عفریتی از جن رو به سوی سلیمان کرد و گفت: من تخت او را پیش از آن که (مجلس تو پایـان گیرد و) از جـای بر

خيزى نزد تو مى آورم» (قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ).

من این کار را با زحمت انجام نمیدهم و در این امانت گران قیمت نیز خیانتی نمیکنم، چرا که «من نسبت به آن توانا و امینم»! (وَ إِنِّی عَلَیْهِ لَقَویٌّ أَمِینٌ).

سورة النمل(27): آية 40 ص: 221

اشاره

(آیه ۴۰)- دومین نفر مرد صالحی بود که آگاهی قابل ملاحظه ای از «کتاب الهی» داشت، چنانکه قرآن در حق او می گوید: «کسی که علم و دانشی از کتاب داشت گفت: من تخت او را قبل از آن که چشم بر هم زنی نزد تو خواهم آورد»! (قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ).

این شخص یکی از نزدیکان با ایمان، و دوستان خاص سلیمان بوده است، و غالبا در تواریخ نام او را «آصف بن برخیا» نوشتهاند، و می گویند وزیر سلیمان و خواهر زاده او بوده است.

و اما در باره «علم کتاب» بسیاری از مفسران و غیر آنها گفته اند این مرد با ایمان از «اسم اعظم الهی» با خبر بود. یعنی آن نام الهی را در درون جان خود پیاده کرده بود و آن چنان از نظر آگاهی و اخلاق و تقوا و ایمان تکامل یافته بود که خود مظهری از آن اسم گشته بود، این تکامل معنوی و روحانی که پرتوی از آن اسم اعظم الهی است قدرت بر چنین خارق عاداتی را در انسان ایجاد می کند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۲۲

و هنگامی که سلیمان با این امر موافقت کرد او با استفاده از نیروی معنوی خود تخت ملکه سبأ را در یک «طرفهٔ العین» نزد او حاضر کرد: «پس هنگامی که سلیمان آن را نزد خود مستقر دیـد (زبـان به شکر پروردگـار گشود و) گفت: این از فضـل پروردگار من است، تا مرا بیازماید که آیا شکر نعمت او را به جا میآورم یا کفران میکنم»؟! (فَلَمَّا رَآهُ مُشِ تَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْل رَبِّی لِیَبْلُونِی أَ أَشْکُرُ أَمْ أَکْفُرُ).

سپس افزود: «و هر کس شکر کند به سود خویش شکر کرده، و هر کسی کفران کند پروردگار من غنی و کریم است» (وَ مَنْ شَکَرَ فَإِنَّما يَشْکُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ کَرِیمٌ).

تفاوت «عِلْمُ مِنَ الْكِتابِ» و «عِلْمُ الْكِتابِ»: ص: 427

در حدیثی از پیامبر صلّی الله علیه و آله چنین آمده است که «ابو سعید خدری» می گوید: من از معنی «الَّذِی عِنْـدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ» از محضرش سؤال کردم فرمود: «او وصیّ برادرم سلیمان بن داود بود.»

عرض كردم: «وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ» (رعد/ ٤٣) از چه كسى سخن مى گويد.

فرمود: «ذاک اخی علیّ بن ابی طالب او برادرم علیّ بن ابی طالب است»! توجه به تفاوت «علم من الکتاب» که علم جزئی را می گوید، و «علم الکتاب» که «علم کلی» را بیان می کند روشن می سازد که میان «آصف» و «علی» علیه السّ الام چه اندازه تفاوت بوده است؟!

سورة النمل(27): آية 41 ص: 427

(آیه ۴۱) - نور ایمان در دل ملکه سبا: سلیمان برای این که میزان عقل و درایت ملکه سبا را بیازماید، و نیز زمینهای برای ایمان او به خداوند فراهم سازد، دستور داد تخت او را که حاضر ساخته بودند دگر گون و ناشناس سازند «گفت: تخت او را برایش ناشناس سازید ببینیم آیا هدایت می شود یا از کسانی خواهد بود که هدایت نمی یابند» و آیا تخت خود را می شناسد یا نمی شناسد؟ (قالَ نَکُرُوا لَها عَرْشَها نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِی أَمْ تَکُونُ مِنَ الَّذِینَ لا یَهْتَدُونَ).

سورة النمل(27): آية 42 ص: 427

(آیه ۴۲)– به هر حال «هنگامی که ملکه سبا وارد شد، (به او) گفته شد: آیا تخت تو این گونه است»؟ (فَلَمَّا جاءَتْ قِیلَ أَ هَکَذا عَوْشُکِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۲۳

«ملكه سبا» زيركانه ترين و حساب شده ترين جوابها را داد و «گفت: گويا خود آن تخت است»! (قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ).

و بلا فاصله افزود: «و ما پیش از این هم آگاه بودیم و اسلام آورده بودیم»! (وَ أُوتِینَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وَ كُنَّا مُسْلِمِینَ).

یعنی، اگر منظور سلیمان از این مقدمه چینی ها این است که ما به اعجاز او پی ببریم ما پیش از این با نشانه های دیگر از حقانیت او آگاه شده بودیم.

سورة النمل(27): آية 43 ص: 423

(آیه ۴۳)– و به این ترتیب سلیمان «او را از آنچه غیر از خدا می پرستید باز داشت» (وَ صَدَّها ما کانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ). هر چند «او قبل از آن از قوم کافر بود» (إِنَّها کانَتْ مِنْ قَوْم کافِرِینَ).

سورة النمل(27): آية 44 ص: 423

(آیه ۴۴)- در این آیه صحنه دیگری از این ماجرا باز گو می شود، و آن ماجرای داخل شدن ملکه سبا در قصر مخصوص سلیمان است.

سلیمان دستور داده بود، صحن یکی از قصرها را از بلور بسازند و در زیر آن، آب جاری قرار دهند.

هنگامی که ملکه سبا به آنجا رسید «به او گفته شد: داخل حیاط قصر شو ِ یلَ لَهَا ادْخُلِی الصَّرْحَ)

«پس هنگامی که ملکه آن صحنه را دیـد، گمان کرد نهر آبی است و ساق پاهای خود را برهنه کرد» تا از آن آب بگذرد در حالی که سخت در تعجب فرو رفته بود که نهر آب در اینجا چه میکند؟َلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ کَشَفَتْ عَنْ ساقَیْها)

.اما سلیمان به او «گفت: که حیاط قصر از بلور صاف ساخته شده» این آب نیست که بخواهد پا را برهنه کند و از آن بگذردالَ إنَّهُ صَوْحٌ مُمَوَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ)

.در اینجا سؤال مهمی پیش می آید و آن این که: سلیمان که یک پیامبر بزرگ الهی بود چرا چنین دم و دستگاه تجملاتی فوق العادهای داشته باشد؟ درست است که او سلطان بود و حکمروا، ولی مگر نمی شد بساطی ساده همچون سایر پیامبران داشته باشد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۲۴ اما چه مانعی دارد که سلیمان برای تسلیم کردن ملکه سبا که تمام قدرت و عظمت خود را در تخت و تاج زیبا و کاخ با شکوه و تشکیلات پر زرق و برق میدانست صحنهای به او نشان دهد که تمام دستگاه تجملاتیش در نظر او حقیر و کوچک شود، و این نقطه عطفی در زندگی او برای تجدید نظر در میزان ارزشها و معیار شخصیت گردد؟! به تعبیر دیگر این هزینه در برابر امنیت و آرامش یک منطقه وسیع و پذیرش دین حق، و جلو گیری از هزینه فوق العاده جنگ، مطلب مهمی نبود.

و لذا هنگامی که ملکه سبا، این صحنه را دید چنین «گفت: پروردگارا! من بر خویشتن ستم کردم»!الَتْ رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی) «و با سلیمان در پیشگاه اللّه، پروردگار عالیمان، اسلام آوردم» أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَیْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ)

.خداوندا! من همراه رهبرم سليمان به درگاه تو آمدم، از گذشته پشيمانم و سر تسليم به آستانت ميسايم.

سورة النمل(27): آية 45 ص: 424

(آیه ۴۵) – صالح در برابر قوم ثمود: بعد از ذکر قسمتی از سر گذشت «موسی» و «داود» و «سلیمان» – در آیاتی که گذشت چهارمین پیامبری که بخشی از زندگی او و قومش در این سوره مطرح می گردد حضرت «صالح» و قوم ثمود است. نخست می فرماید: «و ما به سوی ثمود، برادرشان صالح را فرستادیم که خدای یگانه را بپرستید» (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلی ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ).

تعبیر به «أُخاهُمْ» (برادرشان) که در داستان بسیاری از انبیا آمده اشاره به نهایت محبت و دلسوزی آنان نسبت به اقوامشان می باشد.

به هر حال تمام رسالت و دعوت این پیامبر بزرگ در جمله «أَنِ اعْبُرِدُوا اللَّهَ» خلاصه شده است، آری بنـدگی خدا، که عصاره همه تعلیمات فرستادگان پروردگار است.

سپس می افزاید «آنها در برابر دعوت صالح به دو گروه مختلف تقسیم شدند برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۲۵ و به مخاصمه برخاستند» مؤمنان از یک سو و منکران لجوج از سوی دیگر (فَإِذا هُمْ فَرِیقانِ یَخْتَصِمُونَ).

سورة النمل(27): آية 46 ص: 423

(آیه ۴۶)- صالح برای بیدار ساختن آنها به انـذارشان پرداخت و از عـذابهای دردناک الهی آنها را بر حذر داشت، اما آنها نه تنها پند نگرفتند و بیدار نشدند، بلکه همین مطلب را مستمسکی برای لجاجت خویش ساخته و با اصرار از او خواستند که اگر راست می گویی چرا مجازات الهی دامان ما را فرو نمی گیرد- این مطلب در آیه ۷۷ سوره اعراف صریحا آمده است.

ولى صالح به آنها «گفت: اى قوم من! چرا پيش از تلاش و كوشـش براى جلب نيكيها، براى عذاب و بديها عجله داريد»؟ (قالَ يا قَوْم لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ).

چرا تمام فکر خود را روی فرا رسیدن عذاب الهی متمرکز میکنید، اگر عذاب الهی شما را فرو گیرد، به حیاتتان خاتمه می دهد و مجالی برای ایمان باقی نخواهد ماند، بیایید صدق گفتار مرا در برکات و رحمت الهی که در سایه ایمان به شما نوید می دهد بیازمایید «چرا از پیشگاه خدا تقاضای آمرزش گناهان خویش نمی کنید تا مشمول رحمت او واقع شوید» (لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّکُمْ تُوْحَمُونَ).

سورة النمل(27): آية ٤٧ ص: 423

(آیه ۴۷)- به هر حال این قوم سر کش به جای این که انـدرز دلسوزانه این پیـامبر بزرگ را به گوش جـان بشـنوند و به کار بندند با یک سلسـله سخنان واهی و نتیجه گیریهای بیپایه به مبارزه با او برخاستند، از جمله این که «گفتند: ما هم خودت و هم کسانی را که با تو هستند به فال بد گرفتهایم» (قالُوا اطَّیَرْنا بِکَ وَ بِمَنْ مَعَکَ).

گویا آن سال خشکسالی و کمبود محصول و مواد غذایی بود، آنها گفتند: این گرفتاریها و مشکلات ما همه از قدوم نامیمون تو و یاران توست.

اما او در پاسخ «گفت: فال بـد (و بخت و طالع شـما) در نزد خداست» (قالَ طائِرُ کُمْ عِنْدَ اللَّهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۲۶

اوست که شما را به خاطر اعمالتان گرفتار این مصائب ساخته و اعمال شماست که در پیشگاه او چنین مجازاتی را سبب شده. ایـن در حقیقت یـک آزمـایش بزرگ الهی برای شـماست «آری شـما گروهی هستیـد که آزمـایش میشویـد» (بَـلْ أَنْتُمْ قَـوْمٌ تُفْتُنُونَ).

اینها آزمایشهای الهی است، تا کسانی که شایستگی و قابلیت دارند، از خواب غفلت بیدار شوند، و خود را اصلاح کنند.

سورة النمل(27): آية ٤٨ ص: 428

(آیه ۴۸)- توطئه نه گروهک مفسد در وادی القری در اینجا بخش دیگری از داستان صالح و قومش را میخوانیم که بخش گذشته را تکمیل کرده و پایان میدهد، و آن مربوط به توطئه قتل صالح از ناحیه نه گروهک کافر و منافق و خنثی شدن توطئه آنهاست.

مى گويد: «در آن شهر (وادى القرى) نه گروهك بودند كه (هميشه) فساد در زمين مى كردند و اصلاح نمى كردند» (وَ كانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْض وَ لا يُصْلِحُونَ).

سورة النمل(27): آية ٤٩ ص: 478

(آیه ۴۹) – مسلما با ظهور صالح و آیین پاک و مصلح او، عرصه بر این گروهکها تنگ شد، اینجا بود که طبق این آیه «گفتند: بیایید قسم یاد کنید به خدا که بر او [صالح] و خانوادهاش شبیخون می زنیم (و آنها را به قتل می رسانیم) سپس به ولتی دم او می گوییم: ما هر گز از هلاکت خانواده او خبر نداشتیم و در این گفتار خود صادق هستیم»! (قالُوا تَقاسَ مُوا بِاللَّهِ لَنَبَیَّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِیِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِکَ أَهْلِهِ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ).

سورة النمل(27): آية 50 ص: 478

(آیه ۵۰)- هنگامی که آنها در گوشهای از کوه بر سر راه صالح به معبدش کمین کرده بودند کوه ریزش کرد و صخره عظیمی از بالای کوه سرازیر شد و آنها را در لحظهای کوتاه در هم کوبید و نابود کرد! لذا قرآن می گوید: «آنها نقشه مهمی کشیدند و ما هم نقشه مهمی کشیدیم، در حالی که آنها خبر نداشتند»! (وَ مَکَرُوا مَکْرُاً وَ مَکَرُنا مَکْراً وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ).

سورة النمل(27): آية ٥١ ص: 427

(آیه ۵۱)– سپس میافزاید: «پس بنگر که عاقبت توطئه و مکر آنها چگونه بود که ما همه آنها و تمام قوم و طرفداران آنها را نابود کردیم»؟! (فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ مَکْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ).

سورة النمل(27): آية 22 ص: 427

(آیه ۵۲)– سپس قرآن در مورد چگونگی هلاـکت و سر انجام آنها چنین می گویـد: «پس ببین این خانههای آنهاست که به خاطر ظلم و ستمشان (ساقط شده و) خالی مانده»! (فَتِلْکَ بُیُوتُهُمْ خاوِیَةً بِما ظَلَمُوا).

آرى! آتش ظلم و ستم در آنها افتاد و همه را سوزاند و ويران كرد.

«در این مـاجرا درس عبرت و نشانه روشـنی است (از پایان کار ظالمان و قـدرت پروردگار) برای کسانی که میداننـد» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِقَوْم یَعْلَمُونَ).

سورة النمل(27): آية 33 ص: 427

(آیه ۵۳)- اما در این میان خشک و تر با هم نسوختند و بی گناه به آتش گنهکار نسوخت «ما کسانی را که ایمان آورده، و تقوا پیشه کرده بودند نجات دادیم» و آنها هرگز به سر نوشت شوم بـد کـاران گرفتـار نشدنـد» (وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ کانُوا يَتَّقُونَ).

سورة النمل(27): آية 34 ص: 427

(آیه ۵۴)- انحراف قوم لوط: پنجمین پیامبری که در این سوره به زندگی او اشاره شده است، پیامبر بزرگ خدا حضرت لوط است.

نخست می گوید: «و لوط را به یاد آور هنگامی که به قومش گفت: آیا شما به سراغ کار بسیار زشت و قبیح میروید در حالی که (زشتی و نتایج شوم آن را) می بینید» (وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةُ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ).

منظور از «فاحشه» در اینجا همجنس گرایی و عمل ننگین «لواط» است.

سورة النمل(27): آية ۵۵ ص: 427

(آیه ۵۵)– سپس میافزاید: «آیا شما به جای زنان به سراغ مردان از روی شهوت میروید» (أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَهُ مِنْ دُونِ النِّساءِ).

و برای این که روشن سازد انگیزه این عمل جهالت و نادانی است میافزاید: «بلکه شما قومی جاهل و نادان هستید» (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ).

جهل به خداوند، جهل به هدف آفرینش و نوامیس خلقت و جهل به آثار شوم این گناه ننگین! برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۲۸

آغاز جزء بیستم قرآن مجید ص: 478

ادامه سوره نمل ص: 4۲۸

سورة النمل(27): آية 36 ص: 428

(آیه ۵۶)– آنجا که پاکـدامنی عیب بزرگی است! اکنـون بـبینیم این قوم کـثیف و آلوده در پاسـخ این گفتـار منطقی لوط چه گفتند؟

قرآن می گویـد: «آنها پاسـخی جز این نداشـتند که به یکدیگر گفتند: خاندان لوط را از شـهر و دیار خود بیرون کنید، چرا که اینها افرادی پاکند» و حاضر نیسـتند خود را با ما هماهنگ کنند! (فَما کانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْیَتِکُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ یَتَطَهَّرُونَ).

جوابی که بیانگر انحطاط فکر و سقوط فوقالعاده اخلاقی آنها بود.

آری! در محیط آلودگان، پاکی جرم است و عیب! یوسفهای پاکدامن را به جرم عفت و پارسایی به زندان میافکنند، و خاندان پیامبر بزرگ خدا «لوط» را به خاطر پرهیزشان از آلودگی و ننگ به تبعید تهدید میکنند، اما زلیخاها آزادند و صاحب مقام! و قوم لوط باید در شهر و دیار خود آسوده بمانند!

سورة النمل(27): آية 37 ص: 478

(آیه ۵۷)– در روایات آمده است که لوط حدود سی سال آنها را تبلیغ کرد ولی جز خانوادهاش– آن هم به استثنای همسرش که با مشرکان هم عقیده شد– به او ایمان نیاوردند.

بدیهی است چنین گروهی که امید اصلاحشان نیست جائی در عالم حیات ندارند و باید طومار زندگانیشان در هم پیچیده شود.

لذا در این آیه می گوید: «پس ما لوط و خاندانش را رهایی بخشیدیم به جز همسرش که مقدر کردیم او جزء باقیماندگان باشد» (فَأَنْجَیْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِینَ).

سورة النمل(27): آية ٥٨ ص: 478

(آیه ۵۸)- و پس از بیرون آمدن آنها در موعد معین- در سحرگاه شبی که شهر غرق فساد و ننگ بود- پس از آن که صبحگاهان فرا رسید «بارانی (از سنگ) بر آنها فرستادیم (وَ أَمْطَوْنا عَلَیْهِمْ مَطَراً). که همگی زیر آن مدفون شدند، و این بعد از آن بود که زلزله وحشتناکی سر زمین آنها را بکلی زیر و رو کرد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۲۹ «و چه سخت و ناگوار و بد است باران انذار شدگان» (فَساءَ مَطَوُ الْمُنْذَرِينَ).

سورة النمل(27): آية ٥٩ ص: 429

(آیه ۵۹)- در این آیه بعد از پایان شرح حال پنج پیامبر بزرگ الهی و سر نوشت قوم آنها، روی سخن را به پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله کرده و به عنوان یک نتیجه گیری از گذشته، و مقدمهای برای طرح گفتگو با مشرکان، چنین می فرماید:

«بگو: حمد و ستایش مخصوص خداست» (قُل الْحَمْدُ لِلَّهِ).

ستایش مخصوص خداوندی است که اقوام ننگینی همچون قوم لوط را نابود کرد، مبادا دامنه آلودگیهای آنها سراسر زمین را فرا گیرد.

سپس مى افزايد: «و سلام و درود بر بندگان بر گزيدهاش» (وَ سَلامٌ عَلَى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى).

سلام بر موسى، صالح، لوط، سليمان و داود عليهم السّلام و سلام بر همه انبيا و پيروان راستينشان.

بعـد می گوید: «آیا خداوند (که این همه توانایی و قدرت و موهبت و نعمت دارد) بهتر است یا بتهایی را که آنها شـریک خدا قرار میدهند» و مطلقا مبدأ اثر نیستند؟! (آللَّهُ خَیْرٌ أُمَّا یُشْر کُونَ).

سورة النمل(27): آية 60 ص: 429

(آیه ۶۰)- با این همه باز مشرک میشوید! در آیه قبل- بعد از ذکر بخشهای تکان دهندهای از زندگی پنج پیامبر بزرگ-سؤال کوتاه و پر معنایی مطرح شد که «آیا خداوند با این همه قدرت و توانایی بهتر است یا بتهای بیارزشی که آنها ساختهاند».

از اینجا به بعد به شرح آن سؤال پرداخته و ضمن پنج آیه که با پنج سؤال حساب شده شروع می شود مشرکان را تحت باز پرسی و محاکمه قرار می دهد، و روشنترین دلائل توحید را ضمن اشاره به دوازده نمونه از مواهب بزرگ خداوند بیان می کند. نخست به خلقت آسمانها و زمین و نزول باران و برکات ناشی از آن پرداخته چنین می گوید: آیا بتهایی که معبود شما هستند بهترند «یا کسی که آسمانها و زمین را آفریده و برای شما از آسمان آبی فرستاد پس با آن باغهای زیبا و سرورانگیز برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۳۰

رويانديم» (أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ).

در دنباله آیه روی سخن را به بنـدگان کرده، میگوید: «شـما قدرت نداشتید که درختان این باغهای زیبا را برویانید» (ما کانَ لَکُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها).

کار شما تنها بذرافشانی و آبیاری است، اما کسی که حیات را در دل این بذر آفریده، و به نور آفتاب و قطرات حیاتبخش باران و ذرات خاک فرمان می دهد که این دانه ها را برویانید، تنها خداست.

به تعبیر دیگر: توحید در خلقت (توحید خالق) و توحید در ربوبیت (توحید تدبیر کننده این جهان) پایهای برای «توحید معبود» شمرده شده است.

و لذا در پایان آیه می گوید: «آیا معبود دیگری با خداست» (أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ).

«بلکه آنها گروهی هستند که (از روی نادانی، مخلوقات را) هم طراز (پروردگارشان) قرار میدهند» (بَلْ هُمْ قَوْمٌ یَعْدِلُونَ).

سورة النمل(27): آية 61 ص: 430

(آیه ۶۱) - در دومین سؤال به بحث از موهبت آرامش و ثبات زمین و قرارگاه انسان در این جهان پرداخته، می گوید: آیا معبودهای ساختگی آنها بهتر است «یا کسی که زمین را مستقر و آرام قرار داد، و در میان آن، نهرهای آب جاری، روان ساخت، و برای زمین، کوهای ثابت و پا بر جا ایجاد کرد»؟! تا همچون زرهی قشر زمین را از لرزش نگاه دارند (أَمَّنْ جَعَلَ اللَّارْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِیَ).

و نیز «میان دو دریا (از آب شیرین و شور) مانعی قرار داد» تا با هم مخلوط نشوند (وَ جَعَلَ بَیْنَ الْبَحْرَیْن حاجِزاً).

آیا بتها نقشی در این نظام بدیع و شگفتانگیز دارند؟! حتی بت پرستان چنین ادعایی نمی کنند.

لذا در پایان آیه بار دیگر این سؤال را تکرار می کند که «آیا معبودی با الله هست»؟ (أَ إله مَعَ اللَّهِ).

نه «بلكه بيشترشان نادانند و بيخبر» (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۳۱

سورة النمل(27): آية 62 ص: 431

(آیه ۶۲) - در سومین سؤال، از این سؤالات پنجگانه که مجموعهای از یک باز پرسی و محاکمه معنوی را تشکیل میدهد، سخن از حل مشکلات، و شکستن بن بستها و اجابت دعاهاست.

می گوید: آیا معبودهای بی ارزش شما بهترند «یا کسی که دعای مضطر و درمانده را هنگامی که او را بخواند به اجابت می رساند و گرفتاری و بلا را بر طرف می کند»؟! (أَمَّنْ یُجِیبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعاهُ وَ یَکْشِفُ السُّوءَ).

آری! در آن هنگام که تمام درهای عالم اسباب به روی انسان بسته می شود و از هر نظر درمانده و مضطر می گردد، تنها کسی که می تواند قفل مشکلات را بگشاید نور امید در دلها بپاشد ذات پاک اوست و نه غیر او.

از آنجا که این واقعیت به عنوان یک احساس فطری در درون جان همه انسانهاست، بت پرستان نیز به هنگامی که در میان امواج خروشان دریا گرفتار میشوند تمام معبودهای خود را فراموش کرده، دست به دامن لطف «الله» میزنند همان گونه که قرآن می گوید: «هنگامی که سوار کشتی میشوند خدا را میخوانند در حالی که پرستش را مخصوص او میدانند». (عنکبوت/ ۴۵) سپس می افزاید: نه تنها مشکلات و ناراحتیها را بر طرف میسازد بلکه «شما را خلفای زمین قرار می دهد» (وَ یَجْعَلُکُمْ خُلَفاءَ الْأَرْض).

«آيا (با اين همه) معبودي با خداست»؟ (أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ).

«ولى شما كمتر متذكر مىشويد» (قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ). و از اين دلائل روشن پند و اندرز نمى گيريد.

سورة النمل(27): آية 63 ص: 431

(آیه ۶۳) - در چهارمین سؤال مسأله هـدایت را مطرح کرده، می گویـد: آیا این بتها بهترند «یا کسـی که شـما را در تاریکیهای صحرا و دریا (به وسیله ستارگان) هدایت می کند»؟ (أُمَّنْ یَهْدِیکُمْ فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْر).

«و کسی که بادها را به عنوان بشارت دهنـدگان پیش از نزول رحمتش میفرسـتد» (وَ مَنْ یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْـراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ).

بادهایی که بیانگر نزول بارانند و همانند پیک مخصوص بشارت، پیشاپیش آن حرکت میکنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۳۲

و در پایان آیه، بار دیگر، مشرکان را مخاطب ساخته، می گوید: «آیا معبود دیگری با خداست»؟! (أَ إِلَّهُ مَعَ اللَّهِ).

سپس بی آنکه منتظر جواب آنها باشد اضافه می کند: «خداوند برتر و بالاتر است از آنچه برای او شریک قرار می دهند» (تَعالَی اللَّهُ عَمَّا یُشْرِکُونَ).

سورة النمل(27): آية 64 ص: 422

(آیه ۶۴) - در این آیه پنجمین سؤال را که در مورد مبدأ و معاد است به این صورت مطرح می کند: آیا معبودان شما بهترند «یا کسی که آفرینش را آغاز کرد و سپس آن را اعاده می کند»؟! (أُمَّنْ یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ).

«و کسی که (در میان این آغاز و انجام) شما را از آسمان و زمین روزی میدهد» (وَ مَنْ یَوْزُقُکُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ). «آیا (با این حال باز هم معتقدید که) معبودی با خداست» (أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ).

«به آنها بگو: (اگر چنین اعتقادی دارید) دلیلتان را بیاورید اگر راست می گویید» (قُلْ هاتُوا بُرْهانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

منظور از «رزق آسمان» باران و نور آفتاب و مانند آن است، و منظور از «رزق زمین» گیاهان و مواد غذایی مختلفی است که مستقیما از زمین میروید یا بطور غیر مستقیم از زمین نشأت می گیرد همچون دامها، همچنین معادن و مواد گوناگونی که انسان در زندگی خود از آن بهره می گیرد.

سورة النمل(27): آية 65 ص: 422

(آیه ۶۵)- از آن جما که در آیه قبل سخن از قیامت و رستاخیز به میان آمد در اینجما این مسأله را از جوانب مختلف مورد بررسی قرار میدهد.

نخست به پاسخ سؤالی میپردازد که مشرکان بارها آن را مطرح کرده بودند و میگفتند قیامت کی بر پا میشود؟ میفرماید: «بگو: هیچ کس از کسانی که در آسمان و زمین هستند- جز خدا- از غیب آگاه نیستند، و نمیدانند کی بر انگیخته میشوند» (قُلْ لا یَعْلَمُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَیْبَ إِلَّا اللَّهُ وَ ما یَشْعُرُونَ أَیَّانَ یُبْعَثُونَ).

ولی این منافات با آن ندارد که خداوند بخشی از علم غیب را در اختیار هر کس بخواهد بگذارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۳۳

سورة النمل(27): آية 66 ص: 433

(آیه ۶۶)– سپس در باره عـدم آگاهی مشرکان از قیامت و شک و تردیـد و بیخبریشان میفرماید: «آنها اطلاع صـحیحی در باره آخرت ندارنـد بلکه در اصل آن شک دارنـد بلکه نسـبت به آن نابیناینـد»! (بَلِ ادَّارَکَ عِلْمُهُمْ فِی الْآخِرَهِ بَلْ هُمْ فِی شَـکُ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ).

چرا که نشانههای آخرت در زندگی همین دنیا نمایان است: باز گشت زمین مرده به حیات در فصل بهار، بارور شدن درختانی که در فصل زمستان از کار افتاده بود و مشاهده عظمت قدرت خدا در مجموعه آفرینش، همگی دلیل بر امکان زندگی پس از مرك است، اما آنها همچون نابينايان از كنار اين صحنه ها مي گذرند.

سورة النمل(27): آية 67 ص: 433

(آیه ۶۷) – این آیه منطق منکران رستاخیز را در یک جمله بیان میکنـد «کافران گفتنـد: آیا هنگامی که ما و پـدرانمان خاک شدیم باز هم (از دل خاک) بیرون فرستاده خواهیم شد»؟ (وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَ إِذَا کُنَّا تُراباً وَ آباؤُنا أَ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ).

سورة النمل(27): آية 68 ص: 433

(آیه ۶۸) – سپس آنها می افزایند: «این وعده بی پایه ای است که به ما و پدرانمان از پیش داده شده» و هرگز اثری از آن نمایان نبوده و نیست (لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ).

«اینها جز همان افسانههای پیشینیان نیست»، اینها اوهام و خرافات است (إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ).

بنا بر این نخست از استبعاد شروع می کردند و بعد آن را پایه انکار مطلق قرار میدادند.

ضمنا آنها با این تعبیر میخواستند سخن پیامبر را در مورد قیامت تحقیر کنند و بگویند: این از وعدههای کهنه و بیاساس است که دیگران هم به نیاکان ما دادهاند و مطلب تازهای به نظر نمیرسد که قابل بررسی و مطالعه باشد.

سورة النمل(27): آية 69 ص: 433

(آیه ۶۹)– در آیات گذشته سخن از انکار معاد از سوی کفار متعصب بود.

در اینجا به جای این که دلیلی برای آنها ذکر کند آنها را به مجازاتهای الهی که در پیش دارند تهدید و انذار می کند.

روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، می گوید: «بگو: در روی زمین سیر کنیـد بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۳۴

(و آثار گذشتگان را ببینید) پس بنگرید عاقبت کار مجرمان و گنهکاران به کجا رسید»؟ (قُلْ سِتیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُجْرِمِینَ).

چگونه می گویید این وعدهها به نیاکان ما نیز داده شد و آنها نیز به آن اعتنا نکردند و ضرری هم ندیدند؟

سورة النمل(27): آية 20 ص: 434

(آیه ۷۰)- از توطئههای آنها نگران مباش! از آنجا که پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله از انکار و مخالفت آنها رنج میبرد و به راستی دلش برای آنها میسوخت و عاشق هدایت و بیداری آنها بود و از سوی دیگر، همواره با توطئههای آنها مواجه بود این آیه، پیامبر صلّی الله علیه و آله را دلداری داده، می گوید: «و (از تکذیب و انکار) آنها غمگین مباش» و زیاد غصه آنها را مخور (وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهمْ).

«و سينهات از توطئه آنان تنگ نشود» كه ما پشتيبان و يار و ياور توايم (وَ لا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ).

سورة النمل(27): آية ٧١ ص: 434

(آیه ۷۱) - ولی این منکران لجوج به جای این که از این هشدار پیامبر دلسوز و مهربان و ملاحظه عاقبت کار مجرمان، پند و اندرز گیرند، باز در مقام سخریه و استهزاء بر آمده «و می گویند: اگر راست می گویید این وعده عذاب الهی، کی واقع خواهد شد»؟! (وَ یَقُولُونَ مَتی هذَا الْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

سورة النمل(27): آية 27 ص: 434

(آیه ۷۲) - در اینجا قرآن به پاسخ این گفتار سخریه آمیز آنها با لحنی کاملا واقع بینانه پرداخته، می گوید: «به آنها بگو: شاید بعضی از آنچه را عجله می کنید نزدیک و در کنار شما باشد»! (قُلْ عَسی أَنْ یَکُونَ رَدِفَ لَکُمْ بَعْضُ الَّذِی تَسْتَعْجِلُونَ). چرا عجله می کنید؟ چرا مجازات الهی را کوچک می شمرید؟ چرا به خود رحم نمی کنید؟ آخر عذاب خدا شوخی نیست! احتمال بدهید به خاطر همین سخنانتان قهر و غضب خدا بر سر شما سایه افکنده باشد و به همین زودی بر شما فرود آید و نابودتان کند، این همه سر سختی برای چیست؟

سورة النمل(27): آية 23 ص: 434

(آیه ۷۳)- سپس به بیان این واقعیت می پردازد که اگر خداوند در مجازات شما عجله نمی کند، به خاطر فضل و رحمتش بر شماست، تا برای اصلاح خویش برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۳۵

و جبران گذشته به قدر کافی مهلت داشته باشید.

مى گويىد: «و پروردگار تو نسبت به همه مردم فضل و رحمت دارد، ولى اكثر آنها شكرگزار نيستند» (وَ إِنَّ رَبَّكَ لَمذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ).

سورة النمل(27): آية 24 ص: 435

(آیه ۷۴) – و اگر تصور می کنند تأخیر مجازات آنها به خاطر آن است که خداوند از نیات سوء و اندیشههای زشتی که در سر می پرورانند بی خبر است، اشتباه بزرگی است چرا که: «پروردگار تو آنچه را سینههاشان در خود پنهان می دارد و آنچه را آشکار می کنند به خوبی می داند» (وَ إِنَّ رَبَّکَ لَیَعْلَمُ ما تُکِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما یُعْلِنُونَ).

او به همان اندازه از خفایای درونشان آگاه است که از اعمال برون، و اصولاً پنهان و آشکار و غیب و شهود برای او یکسان است.

سورة النمل(27): آية 20 ص: 430

(آیه ۷۵)– سپس میافزاید: نه تنها خداوند، اسرار درون و برون آنها را میداند، بلکه علم او به قدری وسیع و گسترده است که «هیـچ موجودی در آسـمان و زمین، پنهـان و مکتوم نیست مگر آن که در کتاب آشـکار (علم پروردگار) ثبت است» (وَ ما مِنْ غائبَةٍ فِی السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِی کِتابِ مُبِینِ).

سورة النمل(27): آية 26 ص: 435

(آیه ۷۶) - در آیات گذشته سخن از «مبدء» و «معاد» در میان بود در اینجا با طرح مسأله «نبوت» و حقانیت قرآن، این بحث را تکمیل می کند.

به علاوه در گذشته روی سخن با مشرکان بود، و در اینجا از کفار دیگر همچون یهود و اختلافات آنها سخن می گوید. نخست میفرمایـد «این قرآن، اکثر چیزهایی را که بنی اسـرائیل در آن اختلاف دارنـد برای آنها بیان میکنـد» (إِنَّ هـذَا الْقُرْآنَ یَقُصُّ عَلی بَنِی إِسْرائِیلَ أَکْثَرَ الَّذِی هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ).

بنی اسرائیل در مسائل زیادی با هم اختلاف داشتند، در مورد «مریم» و «عیسی» و در مورد پیامبری که بشارتش در تورات داده شده، و همچنین در بسیاری از احکام دینی و مذهبی با یکدیگر اختلافاتی داشتند قرآن آمد و در این زمینه حق مطلب را ادا کرد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۳۶

سورة النمل(27): آية 27 ص: 438

(آیه ۷۷)- و از آنجا که مبارزه با هر گونه اختلاف، مایه هدایت و رحمت است در این آیه به صورت یک اصل کلی می فرماید: «قرآن، هدایت و رحمت است برای مؤمنان» (وَ إِنَّهُ لَهُدئ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ).

آری! هدایت و رحمت است از نظر اختلاف زدایی، و مبارزه با خرافات.

سورة النمل(27): آية 28 ص: 438

(آیه ۷۸)– و از آنجا که گروهی از بنی اسرائیل در برابر حقایقی که قرآن باز گو کرده بود باز مقاومت به خرج دادند و تسلیم نشدنـد، در این آیه میافزایـد: «پروردگار تو میان آنها (در روز قیامت) به حکم خود داوری میکنـد، و او توانا و داناست» (إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ بِحُکْمِهِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْعَلِیمُ).

سورة النمل(27): آية 29 ص: 438

(آیه ۷۹)- و از آنجا که این سخنان علاوه بر بیان عظمت قرآن و تهدید بنی اسرائیل، وسیلهای برای آرامش و آسودگی خاطر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است در این آیه میافزاید: «بنا بر این بر خداوند توکل و تکیه کن» (فَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ). توکل بر خدایی که عزیز است و شکستناپذیر، و به هر چیز عالم و آگاه.

بر او توكل كن و از مخالفتهاى آنها نترس «چرا كه تو بر حق آشكار هستى» (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ).

سورة النمل(27): آية 80 ص: 438

(آیه ۸۰)- در اینجا این سؤال مطرح می شود اگر قرآن حق آشکار است، پس چرا این همه با آن مخالفت می کنند، آیات بعد در واقع جوابگوی این سؤال است.

می گوید: اگر آنها این حق مبین را پذیرا نمی شوند، و سخنان گرم تو در قلب سرد آنها اثر نمی کند جای تعجب نیست «چرا

كه تو نمى توانى سخنت را به گوش مردگان برسانى»! (إِنَّكَ لا تُشمِعُ الْمَوْتي).

مخاطب تو زندگاننـد، آنها که روحی زنـده و بیـدار و حق طلب دارند، نه مردگان زنده نما که تعصب و لجاجت و اسـتمرار بر گناه، فکر و اندیشه آنها را تعطیل کرده است.

«حتى كسانى كه (زندهاند اما) گوشـهاى آنها كر است نمىتوانى سـخن خود را به آنها برسانى، (مخصوصا) هنگامى كه پشت كنند و از تو دور شوند» (وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۳۷

سورة النمل(27): آية 81 ص: 427

(آیه ۸۱)- باز اگر آنها به جای گوش شنوا چشم بینایی داشتند، در این صورت گر چه صدا به گوش آنها نمی رسید، اما ممکن بود با علامت و اشاره صراط مستقیم را پیدا کنند، اما افسوس که آنها نابینا هم هستند «و تو نمی توانی نابینایان را از گمراهیشان باز گردانی» و هدایت کنی (وَ ما أَنْتَ بِهادِی الْعُمْیِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ).

و به این ترتیب تمام راههای درک حقیقت به روی آنها بسته است، قلبهایشان مرده، گوشهاشان کر و چشمهاشان نابیناست. «تو فقط می توانی سخن خود را به گوش کسانی برسانی که آماده پذیرش ایمان به آیات ما هستند و در برابر حق تسلیمند» (إِنْ تُشمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآیاتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ).

سورة النمل(27): آية 28 ص: 437

(آیه ۸۲)– از آنجا که در آیات گذشته سخن از استعجال کفار در مورد عذاب و یا تحقق رستاخیز بود.

در اینجا اشاره به قسمتی از حوادثی که در آستانه رستاخیز صورت می گیرد کرده، و سر نوشت دردناک این منکران لجوج را مجسم میسازد.

می گوید: «و هنگامی که فرمان عذاب فرا میرسد (و آنها در آستانه رستاخیز قرار می گیرند) جبنبدهای را از زمین، برای آنان خارج می کنیم که با آنها سخن می گوید، و سخنش این است که مردم به آیات ما (خدا) ایمان نمی آوردند» (وَ إِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآیاتِنا لا یُوقِنُونَ).

«دَابَّهُ الْأَرْضِ» در روایات متعددی بر شخص امیر مؤمنان علی علیه السّ لام تطبیق شده است و با در نظر گرفتن احادیث فراوان می تنوان از آن مفهوم کلی تری را استفاده کرد که بر هر یک از پیشوایان بزرگ که در آخر زمان قیام و حرکت فوقالعاده می کنند و حق و باطل و مؤمن و کافر را از هم مشخص می سازند منطبق می شود.

سورة النمل(27): آية 83 ص: 437

(آیه ۸۳)- سپس به یکی دیگر از نشانههای رستاخیز اشاره کرده، می گوید:

به خاطر بیاور «روزی را که ما از هر امتی گروهی را از کسانی که آیات ما را تکذیب میکردند محشور میکنیم، و آنها را نگه میداریم تا به یکدیگر ملحق شوند» (وَ یَوْمَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۳۸ نَحْشُرُ مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ یُکَذِّبُ بِآیاتِنا فَهُمْ یُوزَعُونَ). بسیاری از بزرگان این آیه را اشاره به مسأله رجعت و بازگشت گروهی از بـد کاران و نیکو کاران به همین دنیا در آستانه رستاخیز میدانند.

سورة النمل(27): آية 84 ص: 438

(آیه ۸۴)- «تا زمانی که (به پای حساب) می آیند، (به آنان) می گوید: آیا آیات مرا تکذیب کردید و در صدد تحقیق بر نیامدید»؟ (حَتَّی إِذا جاؤُ قالَ أَ کَذَّبُتُمْ بِآیاتِی وَ لَمْ تُحِیطُوا بِها عِلْماً).

«شما چه اعمالي انجام مي داديد»؟ (أَمَّا ذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

گوینده این سخن خداوند است و منظور از آیات، معجزات پیامبران و یا فرمانهای الهی و یا همه اینهاست.

سورة النمل(27): آية 85 ص: 438

(آیه ۸۵)- بدیهی است این مجرمان در مقابل هیچ یک از این دو سؤال پاسخی ندارند که بدهند لذا در این آیه اضافه می کند: «و فرمان عذاب الهی به خاطر ظلم و ستمشان در مورد آنها صادر می شود و آنها سخنی ندارند که بگویند»! (وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ).

این عـذاب به معنی عذاب دنیاست هر گاه آیه را به معنی رجعت «۱» بدانیم، و به معنی عذاب آخرت است اگر آیه را به معنی قیامت بدانیم.

سورة النمل(27): آية 85 ص: 438

(آیه ۸۶) – حرکت زمین، یک معجزه علمی قرآن! بار دیگر در اینجا به مسأله مبدأ و معاد و نشانههای قدرت و عظمت خداوند در عالم هستی، و همچنین حوادث رستاخیز پرداخته چنین می گوید: «آیا ندیدند که ما شب را برای آرامش آنها قرار دادیم» (أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ).

«و روز را روشنی بخش» (وَ النَّهارَ مُبْصِراً).

«در این امور نشانهها و دلائل روشنی است (از قدرت و حکمت پروردگار) برای کسانی که آماده پذیرش ایماننـد» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْم یُؤْمِنُونَ).

(۱) «رجعت» از عقایـد معروف شیعه است و تفسیرش در یک عبارت کوتاه چنین است: بعد از ظهور حضـرت مهدی (عج) و در آسـتانه رسـتاخیز گروهی از «مؤمنان خالص» و «کفار و طاغیان بسیار شرور» به این جهان باز می گردند، گروه اول مدارجی از کمال را طی میکنند، و گروه دوم کیفرهای شدیدی می.بینند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۳۹

سورة النمل(27): آية 87 ص: 439

(آیه ۸۷) - این آیه به رستاخیز و مقدمات آن میپردازد و میگوید: «و (به خاطر بیاورید) روزی را که در صور دمیده می شود و تمام کسانی که خدا بخواهد، و همگی با خضوع در پیشگاه او حاضر می شوند» (وَ یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ وَ کُلِّ أَتَوْهُ داخِرِینَ). از مجموعه آیات قرآن استفاده می شود که دو یا سه بار «نفخ صور» می شود:

یک بار در پایان دنیا و آستانه رستاخیز، که وحشت همه را فرا می گیرد.

بار دوم همگی با شنیدن آن قالب تهی میکنند و میمیرند.

بار سوم به هنگام بعث و نشور و قیام قیامت است که با نفخ صور همه مردگان به حیات باز می گردند و زندگی نوینی را آغاز میکنند.

ولی ظاهر آیه نشان می دهد که در اینجا اشاره به نفخه اولی است که در پایان جهان صورت می گیرد.

سورة النمل(27): آية 88 ص: 439

(آیه ۸۸)– این آیه اشاره به یکی دیگر از آیات عظمت خداونـد در پهنه عالم هستی کرده، می گویـد: «و کوهها را می بینی و آنها را ساکن و جامد می پنداری در حالی که مانند ابر در حرکتند» (وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ). «این صنع و آفرینش خداوندی است که همه چیز را متقن آفریده» (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِی أَثْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ).

کسی که این همه حساب و نظم در برنامه آفرینش اوست «مسلما از کارهایی که شما انجام میدهید آگاه است» (إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ).

آیه فوق از قبیل آیات توحید و نشانه های عظمت خداوند در همین دنیا است و به «حرکت کره زمین» که برای ما محسوس نیست اشاره می کند.

سورة النمل(27): آية 84 ص: 439

(آیه ۸۹)- در آیات گذشته سخنی از اعمال بندگان و آگاهی خداوند نسبت به آن در میان بود و در این آیه سخن از پاداش عمل و ایمنی آنها از فزع روز قیامت است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۴۰

می فرماید: «کسانی که حسنه و کار نیکی انجام دهند پاداشی بهتر از آن خواهند داشت و آنها از وحشت در آن روز در امان خواهند بود» (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَع يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ).

«حسنه» در اینجا مفهوم وسیعی دارد که همه اعمال نیک را در بر می گیرد، از جمله ایمان به خدا و پیامبر اسلام و ولایت ائمه علیهم السّلام که در رأس هر کار نیک قرار دارد و مانع از آن نیست که اعمال صالح دیگر نیز در آیه جمع باشد.

سورة النمل(27): آية 9 ص: 44

(آیه ۹۰) – سپس به نقطه مقابل این گروه پرداخته، می گوید: «و کسانی که «سیئه» و کار بدی انجام دهند به رو در آتش افکنده می شوند»! (وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَکُبَتْ وُجُوهُهُمْ فِی النَّارِ).

و جز این توقعی نمی توانند داشته باشند «آیا جزایی جز آنچه عمل می کردید خواهید داشت»؟! (هَرِلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ).

آنها هنگامی که مواجه با حق میشدند، صورت خود را بر می گرداندند و با همان صورت از گناه استقبال می کردند اکنون باید گرفتار چنین مجازاتی شوند.

سورة النمل(27): آية 91 ص: 44

(آیه ۹۱) – آخرین مأموریت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در سه آیه آخر این سوره، روی سخن را به پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله کرده و حقایقی را باز گو می کند که در واقع بیانگر این واقعیت است که به آنها بگو: من وظایف خودم را انجام می دهم، چه شما مشرکان لجوج ایمان بیاورید و چه نیاورید.

نخست مىفرمايد: «من مأمورم پروردگار اين شهر (مقدّس مكّه) را عبادت كنم»! (إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ).

این شهر مقدّسی که تمام افتخار شما و موجودیتتان در آن خلاصه میشود، شهر مقدسی که خدا آن را با برکاتش به شما ارزانی داشته ولی شما به جای شکر نعمتش، کفران میکنید.

آری! من مأمورم «پروردگاری را (عبادت کنم) که این شهر را حرمت نهاده» (الَّذِی حَرَّمَها).

اما تصور نکنید که فقط این سر زمین ملک خداست بلکه «همه چیز (در عالم برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۴۱ هستی) به او تعلق دارد» (وَ لَهُ کُلُّ شَيْءٍ).

و دومین دستور که به من داده شده این است: «و من مأمورم که از مسلمین باشم» تسلیم مطلق در برابر فرمان پروردگار و نه غیر او (وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِینَ).

و به این ترتیب دو مأموریت اصلی خود را که «پرستش خداوند یگانه» و «تسلیم مطلق در برابر فرمان» اوست بیان میدارد.

سورة النمل(27): آية 92 ص: 441

(آیه ۹۲) – سپس ابزار وصول به این دو هدف را چنین بیان می کند: «و (من مأمورم) قرآن را تلاوت کنم» (وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُوْآنَ). از فروغ آن شعله گیرم، و از چشمه آب حیاتبخش جرعه ها بنوشم، و در همه برنامه ها بر راهنمایی آن تکیه کنم، آری این وسیله من است! و به دنبال آن اضافه می کند: تصور نکنید ایمان آوردن شما سودی به حال من و یا از آن بالاتر سودی برای خداوند بزرگ دارد، نه «پس هر کس هدایت شود برای خود هدایت می یابد» (فَمَنِ اهْتَدی فَإِنَّما یَهْتَدِی لِنَفْسِهِ).

و تمام منافع هدایت چه در این جهان و چه در جهان دیگر عائد خود او می شود.

«و هر کس گمراه شود» (وزر و وبالش به گردن خود اوست) بگو: من فقط از انـذار کننـدگان و بیم دهنـدگانم و عواقب شوم آن دامن مرا نمی گیرد» (وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ).

سورة النمل(27): آية ٩٣ ص: 441

(آیه ۹۳) – و سر انجام در آخرین آیه به پیامبر دستور میدهد که خدا را در برابر این همه نعمتهای بزرگ مخصوصا نعمت هدایت، حمد و ستایش کن میفرماید: «بگو: حمد و ستایش مخصوص ذات خداست» (وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ).

این حمد و ستایش هم به نعمت قرآن باز می گردد، هم هدایت الهی و هم می تواند مقدمهای برای جمله بعد باشد که

مي گويد: «به زودي آياتش را به شما نشان مي دهد تا آن را بشناسيد» (سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها).

این تعبیر اشاره به آن است که با گذشت زمان و پیشرفت علم و دانش و خرد برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۴۲

آدمی، هر روز پرده از آیات جدید و اسرار تازهای از عالم هستی برداشته می شود، و روز به روز به عظمت قدرت و عمق حکمت پروردگار آشناتر می شوید، و این ارائه آیات هر گز قطع نمی شود و در طول عمر بشر همچنان ادامه دارد.

اما اگر با این همه، باز راه خلاف و انحراف بپیمایید، بدانید: «پروردگار شما هرگز از کارهایی که انجام میدهید غافل نیست» (وَ ما رَبُّکَ بِغافِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

و اگر کیفر شما را تأخیر می اندازد به خاطر لطفش به بندگان است.

«پایان سوره نمل»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۴۳

سوره قصص [۲۸] ص: ۴۴۳

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۸۸ آیه است

محتوای سوره: ص: 443

این سوره در شرایطی که مؤمنین در چنگال دشمنان نیرومندی گرفتار بودند، دشمنانی که هم از نظر جمعیت و تعداد، و هم قدرت و قوت بر آنها برتری داشتند، نازل شده است. این اقلیت مسلمان، چنان تحت فشار آن اکثریت بودند، که جمعی از آینده اسلام بیمناک و نگران به نظر میرسیدند.

از آنجا که این حالت شباهت زیادی به وضع بنی اسرائیل در چنگال فرعونیان داشت، بخشی از محتوای این سوره را داستان «موسی» و «بنی اسرائیل» و «فرعونیان» تشکیل می دهد، بخشی که در حدود نیمی از آیات این سوره را در بر می گیرد.

و مخصوصا در آغازش نوید حکومت حق و عدالت را برای مستضعفین و بشارت در هم شکستن شوکت ظالمان را باز گو میکند، بشارتی آرام بخش و قدرت آفرین.

بخش دیگری از این سوره داستان «قارون» آن مرد ثروتمند مستکبر را که تکیه بر علم و ثروت خود داشت باز گو می کند که بر اثر غرور، سر نوشتی همچون سر نوشت فرعون پیدا کرد او در آب فرو رفت و این در خاک.

و میان این دو بخش درسهای زنده و ارزندهای از توحید و معاد، و اهمیت قرآن، و وضع حال مشرکان در قیامت، و مسأله هدایت و ضلالت، و پاسخ به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۴۴

بهانه جوییهای افراد ضعیف، آمده است که در حقیقت نتیجهای است از بخش اول و مقدمهای است برای بخش دوم.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 444

در حـدیثی از پیامبر اسـلام صـلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «کسـی که سوره قصـص را بخوانـد به تعداد هر یک از کسانی که

موسی را تصدیق یا تکذیب کردند ده حسنه به او داده خواهد شد، و فرشتهای در آسمانها و زمین نیست مگر این که روز قیامت گواهی بر صدق او میدهد».

بدیهی است این همه اجر و پاداش از آن کسانی است که این سوره را میخوانند و میاندیشند و برنامه عمل خویش قرار میدهند.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة القصص(28): آية 1 ص: 444

(آیه ۱)- «طا، سین، میم» (طسم). این چهاردهمین بار است که با «حروف مقطعه» در آغاز سورههای قرآن رو به رو می شویم، مخصوصا «طسم» سومین و آخرین بار است.

در مورد «طسم» از روایات متعددی بر می آید که این حروف علامتهای اختصاری از صفات خدا، و یا مکانهای مقدسی می باشد، اما در عین حال مانع از آن تفسیر معروف که بارها بر روی آن تأکید کرده ایم نخواهد بود که خداوند می خواهد این حقیقت را بر همه روشن سازد که این کتاب بزرگ آسمانی که سر چشمه انقلابی بزرگ در تاریخ بشر گردید و برنامه کامل زندگی سعاد تبخش انسانها را در بر دارد از وسیله ساده ای همچون حروف «الفباء» تشکیل یافته که هر کودکی می تواند به آن تلفظ کند، این نهایت عظمت است که آن چنان محصول فوق العاده با اهمیتی را از چنین مواد ساده ای ایجاد کند که همگان آن را در اختیار دارند.

سورة القصص(28): آية 7 ص: 444

(آیه ۲)- و شاید به همین دلیل بلا فاصله بعد از این حروف مقطعه سخن از عظمت قرآن به میان آورده، می گوید: «این (آیات با عظمت) آیات کتاب مبین (قرآن) است» (تِلْمکَ آیاتُ الْکِتابِ الْمُبِینِ). کتابی که هم خود روشن است و هم روشنگر راه سعادت انسانها.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۴۵

سورة القصص(28): آية 3 ص: 443

(آیه ۳) – قرآن بعد از ذکر این مقدمه کوتاه وارد بیان سر گذشت «موسی» و فرعون شده، می گوید: «ما به حق بر تو (بخشی) از داستان موسی و فرعون را میخوانیم برای گروهی که ایمان می آورند» (نَتْلُوا عَلَیْمِکُ مِنْ نَبَهِ مُوسی وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

آری! هـدف اصـلی از این آیـات مؤمناننـد و این تلاوت به خاطر آنها و برای آنها صورت گرفته، مؤمنانی که میتواننـد از آن الهام گیرند و راه خود را به سوی هدف در میان انبوه مشکلات بگشایند.

سورة القصص(28): آية 4 ص: 445

(آیه ۴)– سپس به تفصیل آن پرداخته، می گوید: «فرعون (استکبار و سلطه گری و) برتری جویی در زمین کرد» (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِی الْأَرْض).

او بنده ضعیفی بود که بر اثر جهل و نادانی شخصیت خود را گم کرد و تا آنجا پیشرفت که دعوی خدایی نمود.

به هر حال او برای تقویت پایههای استکبار خود به چند جنایت بزرگ دست زد.

نخست: «اهل آن [سر زمین] را به گروههای مختلفی تقسیم نمود» (وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً).

چرا که حکومت یک اقلیت ناچیز بر یک اکثریت بزرگ جز با برنامه «تفرقه بینداز و حکومت کن» امکان پذیر نیست! آنها همیشه از «توحید کلمه» و «کلمه توحید» وحشت داشته و دارند، آنها از پیوستگی صفوف مردم به شدت می ترسند.

آری! فرعون مخصوصا مردم مصر را به دو گروه مشخص تقسیم کرد:

«قبطیان» که بومیان آن سر زمین بودند، و تمام وسائل رفاهی و کاخها و ثروتها و پستهای حکومت در اختیار آنان بود.

و «سبطیان» یعنی مهاجران بنی اسرائیل که به صورت بردگان و غلامان و کنیزان در چنگال آنها گرفتار بودند.

دومین جنایت او استضعاف گروهی از مردم آن سر زمین بود قرآن می گوید: برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۴۶

«آن چنان این گروه را به ضعف و ناتوانی کشانید که پسران آنها را سر میبرید و زنان آنها را (برای خدمت) زنده نگه می داشت» (یَشْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ یُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ یَشْتَحْیِی نِساءَهُمْ).

فرعونیان برای تضعیف بنی اسرائیل این نقشه را طرح کرده بودند که نسل ذکور آنها را که می توانست قیام کند و با فرعونیان بجنگد بر اندازند، و تنها دختران و زنان را که به تنهایی قدرت بر قیام و مبارزه نداشتند برای خدمتکاری زنده بگذارند.

و در آخرین جمله این آیه به صورت یک جمع بندی و نیز بیان علت می فرماید: «او بطور مسلم از مفسدان بود» (إِنَّهُ کانَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ).

طبیعی است افراد برتری جو و خود پرست تنها حافظ منافع خویشند، و هرگز حفظ منافع شخصی، با حفظ منافع جامعه که نیاز به عدالت و فدا کاری و ایثار دارد هماهنگ نخواهد بود، و بنا بر این هر چه باشد نتیجهاش فساد است در همه ابعاد زندگی.

سورة القصص(28): آية 5 ص: 446

(آیه ۵)- در این آیه و آیه بعد خداوند پرده از روی اراده و مشیت خود در مورد مستضعفان برداشته و پنج امر را در این زمینه بیان میکند که با هم پیوند و ارتباط نزدیک دارند.

۱- «ما میخواهیم بر مستضعفان زمین منت نهیم» و آنها را مشمول مواهب خود نماییم (وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْ عِفُوا فِی الْأَرْض).

٢- «و (ما مىخواهيم) آنها را پيشوايان قرار دهيم» (وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهُ).

٣- «و آنها را وارثان (حكومت جباران) قرار دهيم» (وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ).

سورة القصص(28): آية 6 ص: 446

(آیه ۶)- چهارم: آنها را نیرومند، قوی و صاحب قدرت «و حکومتشان را در زمین پا بر جا سازیم» (وَ نُمَکِّنَ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ). ۵- «و به فرعون و هامان و لشکریانشان آنچه را از آنها [بنی اسرائیل] بیم داشتند نشان دهیم» (وَ نُرِیَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما

مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ).

این بشارتی است در زمینه پیروزی حق بر باطل و ایمان بر کفر. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۴۷

این بشارتی است برای همه انسانهای آزاده و خواهان حکومت عدل و داد و بر چیده شدن بساط ظلم و جور.

نمونهای از تحقق این مشیت الهی، حکومت بنی اسرائیل و زوال حکومت فرعونیان بود.

و نمونه كاملترش حكومت پيامبر اسلام صلّى الله عليه و آله و يارانش بعد از ظهور اسلام بود.

و نمونه گسترده تر آن ظهور حکومت حق و عدالت در تمام کره زمین به وسیله حضرت مهدی- عج- است.

البته حکومت جهانی حضرت مهدی (عج) در آخر کار هرگز مانع از حکومتهای اسلامی در مقیاسهای محدودتر پیش از آن از طرف مستضعفان بر ضد مستکبران نخواهد بود، و هر زمان شرایط آن را فراهم سازند وعده حتمی و مشیت الهی در باره آنها تحقق خواهد یافت و این پیروزی نصیبشان می شود.

سورة القصص(28): آية 7 ص: 447

(آیه ۷)- در آغوش فرعون! از اینجا قرآن مجید، برای ترسیم نمونه زندهای از پیروزی مستضعفان بر مستکبران وارد شرح داستان موسی و فرعون می شود.

نخست می گوید: «ما به مادر موسی وحی فرستادیم (و الهام کردیم) که موسی را شیر ده و هنگامی که بر او ترسیدی او را در دریا بیفکن»! (وَ أَوْحَیْنا إلی أُمِّ مُوسی أَنْ أَرْضِعِیهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَیْهِ فَأَلْقِیهِ فِی الْیَمِّ).

«و ترس و اندوهي به خود راه مده» (وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي).

«چرا که ما قطعا او را به تو باز می گردانیم، و او را از رسولان قرار خواهیم داد» (إنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ).

این آیه کوتاه مشتمل بر دو امر، و دو نهی، و دو بشارت است که مجموعا خلاصهای است از یک داستان بزرگ و پر ماجرا که فشردهاش چنین است:

دستگاه فرعون برنامه وسیعی برای کشتن «نوزادان پسر» از بنی اسرائیل ترتیب داده بود، و حتی قابله های فرعونی مراقب زنان بار دار بنی اسرائیل بودند.

در این میان یکی از این قابله ها با مادر موسی رابطه دوستی داشت- حمل برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۴۸

موسی مخفیانه صورت گرفت و چندان آثاری از حمل در مادر نمایان نبود- هنگامی که احساس کرد تولد نوزاد نزدیک شده به سراغ دوست قابلهاش فرستاد و گفت: ماجرای من چنین است فرزندی در رحم دارم و امروز به محبت و دوستی تو نیازمندم. هنگامی که موسی تولد یافت از چشمان او نور مرموزی درخشید، و برقی از محبت در اعماق قلب قابله فرو نشست.

زن قابله گفت: حتی راضی نیستم مویی از سر او کم شود، با دقت از او حفاظت کن، من فکر می کنم دشمن نهایی ما سر انجام او باشد! قابله از خانه مادر موسی بیرون آمد، بعضی از جاسوسان حکومت او را دیدند و تصمیم گرفتند وارد خانه شوند، خواهر موسی ماجرا را به مادر خبر داد، مادر در میان این وحشت شدید نوزاد را در پارچهای پیچید و در تنور انداخت، مأموران وارد شدند در آنجا چیزی جز تنور آتش ندیدند! خداوند آتش را برای او برد و سلام کرده است ممان خدایی که آتش نمرودی را برای ابراهیم سرد و سالم ساخت - دست کرد و نوزادش را سالم بیرون آورد.

اما باز مادر در امان نبود، چرا که مأموران در حرکت و جستجو بودند.

در اینجا یک الهام الهی قلب مادر را روشن ساخت به سراغ یک نجار مصری آمد، نجاری که او نیز از قبطیان و فرعونیان بود! از او درخواست کرد صندوق کوچکی برای او بسازد.

شاید صبحگاهانی بود که هنوز مردم مصر در خواب بودند و هوا کمی روشن شده بود، مادر نوزاد خود را همراه صندوق به کنار رود نیل آورد، پستان در دهان نوزاد گذاشت، و آخرین شیر را به او داد، سپس او را در آن صندوق مخصوص که همچون یک کشتی کوچک قادر بود بر روی آب حرکت کند گذاشت و آن را روی امواج نهاد.

در اخبار آمده: فرعون دختری داشت که از بیماری شدیدی رنج میبرد، دست به دامن اطبا زد نتیجهای نگرفت، به کاهنان متوسل شد آنها گفتند: که ای برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۴۹

فرعون! ما پیش بینی می کنیم که از درون این دریا انسانی به این کاخ گام مینهد که اگر از آب دهانش به بدن این بیمار بمالند بهبودی می یابد! فرعون و همسرش آسیه در انتظار چنین ماجرایی بودند که ناگهان روزی صندوقچهای را که بر امواج در حرکت بود، نظر آنها را جلب کرد، دستور داد مأموران فورا به سراغ صندوق بروند.

صنـدوق مرموز در برابر فرعون قرار گرفت، هنگـامی که چشم همسـر فرعون به چشم کودک افتاد، برقی از آن جسـتن کرد، و همگـی مهر او را در دل گرفتند، و هنگامی که آب دهان این نوزاد مایه شفای بیمار شد این محبت فزونی گرفت.

سورة القصص(28): آية 8 ص: 449

(آیه ۸)– قرآن می گویـد: «سـپس خانـدان فرعون، موسـی را (از روی امواج نیل) بر گرفتنـد تا (سـر انجام) دشـمن آنان و مایه اندوهشان گردد»! (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِیَکُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً).

و در پایان آیه اضافه می کند: «مسلما فرعون و هامان و لشکریان آن دو خطا کار بودند» (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما کانُوا خاطِئِینَ).

چه خطایی از این برتر که راه حق و عدالت را گذارده پایههای حکومت خود را بر ظلم و جور و شرک بنا نموده بودند؟ و چه خطایی از این روشنتر که آنها هزاران طفل را سر بریدند تا «کلیم اللّه» را نابود کنند، ولی خداوند او را به دست خودشان سپرد و گفت: بگیرید و این دشمنتان را پرورش دهید و بزرگ کنید!

سورة القصص (28): آية 9 ص: 449

(آیه ۹)- از این آیه استفاده می شود که مشاجره و در گیری میان فرعون و همسرش و احتمالاً بعضی از اطرافیان آنها بر سر این نوزاد در گرفته بود، چرا که قرآن می گوید: «همسر فرعون گفت: این نور چشم من و تو است، او را نکشید، شاید برای ما مفید باشد، یا او را به عنوان پسر انتخاب کنیم»! (وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَیْنِ لِی وَ لَکَ لا تَقْتُلُوهُ عَسی أَنْ یَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً). فرعون دریافته بود که این نوزاد از بنی اسرائیل است و خواهان اجرای قانون جنایت بارش در باره نوزادان بنی اسرائیل در این مورد شد! برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۵۰

اما «آسیه» همسر فرعون که نوزاد پسری نداشت و قلب پاکش کانون مهر این نوزاد شده بود در مقابل همه آنها ایستاد و از آنجا که در این گونه کشمکشهای خانوادگی غالبا پیروزی با زنان است او در کار خود پیروز شد.

و اگر داستان شفای دختر فرعون نیز به آن افزوده شود دلیل پیروزی «آسیه» در این درگیری روشنتر خواهد شد.

ولی قرآن با یک جمله کوتاه و پر معنی در پایان آیه می گوید: «آنها نمیدانستند» چه می کنند (وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ). آری! آنها نمیدانستند که فرمان نافذ الهی و مشیت شکستناپذیر خداوند بر این قرار گرفته است که این نوزاد را در مهمترین کانون خطر پرورش دهد، و هیچ کس را یارای مخالفت با این اراده و مشیت نیست!

سورة القصص(28): آية 10 ص: 400

(آیه ۱۰)- بازگشت موسی به آغوش مادر: گفتیم مادر موسی (ع) فرزندش را به امواج نیل سپرد، اما بعد از این ماجرا توفانی شدید در قلب او وزیدن گرفت، نزدیک بود فریاد کشد و از جدایی فرزند ناله سر دهد اما لطف الهی به سراغ او آمد. چنانکه قرآن می گوید: «قلب مادر موسی از همه چیز (جز یاد فرزندش) تهی گشت، و اگر دل او را (به وسیله ایمان و امید) محکم نکرده بودیم، نزدیک بود این مطلب را افشا کند» (وَ أَصْ بَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسی فارِغاً إِنْ کادَتْ لَتُبَدِی بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلی قَلْبِها لِتَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ).

سورة القصص(28): آية 11 ص: 450

(آیه ۱۱)- مادر بر اثر این لطف پروردگار آرامش خود را باز یافت، ولی میخواهد از سر نوشت فرزندش با خبر شود، لـذا مادر موسی «به خواهر او گفت:

حال او را پي گيري كن» (وَ قالَتْ لِأَخْتِهِ قُصِّيهِ).

خواهر موسی دستور مادر را انجام داد «و از دور ماجرا را مشاهده کرد» (فَبَصُرتَ بِهِ عَنْ جُنُبٍ). او دید که صندوق نجات موسی را فرعونیان از آب می گیرند، از صندوق بیرون آورده در آغوش دارند.

«در حالى كه آنها (از وضع اين خواهر) بيخبر بودند» (وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ).

سورة القصص(28): آية ١٢ ص: 450

(آیه ۱۲) - به هر حال اراده خداوند به این تعلق گرفته بود که این نوزاد به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۵۱ زودی به مادرش بر گردد و قلب او را آرام بخشد، لذا میفرماید: «ما همه زنان شیرده را از قبل بر او تحریم کردیم» (وَ حَرَّمْنا عَلَیْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ).

طبیعی است نوزاد شیر خوار چند ساعت که می گذرد، گرسنه می شود، مأموران حرکت کردند و دربدر دنبال دایه می گردند، اما عجیب این که پستان هیچ دایه ای را نمی گیرد.

این همان تحریم تکوینی الهی بود که همه دایه ها را بر او حرام کرده بود.

کودک پی در پی گریه میکند و سر و صدای او درون قصر فرعون میپیچد و قلب ملکه را به لرزه در می آورد.

مأموران بر تلاش خود میافزایند ناگهان در فاصله نه چندان دور به دختری بر خورد میکنند که «میگوید: من خانوادهای را میشناسم که میتوانند این نوزاد را کفالت کنند و خیر خواه او هستند آیا میخواهید شما را راهنمایی کنم»؟ (فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْل بَیْتٍ یَکْفُلُونَهُ لَکُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ).

من زنی از بنی اسرائیل را میشناسم که پستانی پر شیر و قلبی پر محبت دارد مأموران خوشحال شدند و مادر موسی را به قصر

فرعون بردند، نوزاد هنگامی که بوی مادر را شنید سخت پستانش را در دهان فشرد، برق خوشحالی از چشمها جستن کرد. وقتی موسی پستان مادر را قبول کرد هامان، وزیر فرعون گفت من فکر می کنم تو مادر واقعی او هستی، چرا در میان این همه زن تنها پستان تو را پذیرفت! مادر گفت: ای پادشاه! به خاطر این است که من زنی خوشبو هستم، و شیرم بسیار شیرین است. حاضران این سخن را تصدیق کردند و هر کدام هدیه و تحفه گران قیمتی به او دادند.

آرى! او بايد از شير پاكى همچون شير مادرش تغذيه كند تا بتواند بر ضد ناپاكيها قيام كند و با ناپاكان بستيزد.

سورة القصص(28): آية 13 ص: 451

(آیه ۱۳) - و به این ترتیب «ما موسی را به مادرش باز گرداندیم تا چشمش برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۵۲ روشن شود و غم و اندوهی در دل او باقی نماند، و بداند وعده الهی حق است اگر چه اکثر مردم نمیدانند» (فَرَدَدْناهُ إِلَى أُمِّهِ كَیْ تَقَرَّ عَیْنُها وَ لا تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقَّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ).

سورة القصص (28): آية ١٤ ص: ٤٥٢

(آیه ۱۴) - موسی در طریق حمایت از مظلومان: در اینجا با سومین بخش از سر گذشت پر ماجرای موسی (ع) رو به رو می شویم که در آن مسائلی مربوط به دوران بلوغ او و پیش از آن که از «مصر» به «مدین» برود، و انگیزه هجرت او مطرح شده است.

نخست می گوید: «و هن... اسیکه (موسی) نیرومند و کامل شد، حکمت و دانش به او دادیم و این گونه نیکو کاران را جزا می دهیم» (وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوی آتَیْناهُ حُکْماً وَ عِلْماً وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ).

منظور از این علم و حکمت، وحی و نبوت نیست، بلکه همان آگاهی و روشن بینی و قدرت بر قضاوت صحیح، و مانند آن است که خدا به عنوان پاکدامنی و درستی و نیکو کاری به موسی داد.

سورة القصص(28): آية 15 ص: 457

(آیه ۱۵)- به هر حال موسی «در موقعی که اهـل شـهر در غفلت بودنـد وارد شـهر شـد» (وَ دَخَلَ الْمَدِینَـةُ عَلی حِینِ غَفْلَـةٍ مِنْ أَهْلِها).

این شهر به احتمال قوی پایتخت مصر بوده است.

به هر حال موسی وارد شهر شد و در آنجا با صحنهای رو برو گردید «دو نفر مرد را دید که سخت با هم گلاویز شدهاند و مشغول زد و خورد هستند که یکی از آنها از شیعیان و پیروان موسی بود و دیگری از دشمنانش» (فَوَجَدَ فِیها رَجُلَیْنِ یَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِیعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ).

هنگامی که مرد بنی اسرائیلی چشمش به موسی افتاد «از موسی (که جوانی نیرومنـد و قوی پنجه بود) علیه دشـمنش تقاضای کمک کرد» (فَاسْتَغاثَهُ الَّذِی مِنْ شِیعَتِهِ عَلَی الَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ).

موسی (ع) به یاری او شتافت تا او را از چنگال این دشمن ظالم ستمگر که بعضی گفتهاند یکی از طباخان فرعون بود و میخواست مرد بنی اسرائیلی را برای برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۵۳ حمل هیزم به بیگاری کشد نجات دهد «در اینجا موسی مشتی محکم بر سینه مرد فرعونی زد اما همین یک مشت کار او را ساخت و بر زمین افتاد و مرد» (فَوَکَزَهُ مُوسی فَقَضی عَلَیْهِ).

بدون شک موسی قصد کشتن مرد فرعونی را نداشت لذا بلا فاصله موسی «گفت: این از عمل شیطان بود، چرا که او دشمن گمراه کننده آشکاری است» (قالَ هذا مِنْ عَمَل الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُقٌّ مُضِلًّ مُبِينٌ).

او میخواست دست مرد فرعونی را از گریبان بنی اسرائیلی جدا کند، هر چند گروه فرعونیان مستحق بیش از این بودند، اما در آن شرایط اقدام به چنین کاری مصلحت نبود.

سورة القصص(28): آية 16 ص: 453

(آیه ۱۶) – سپس قرآن از قول موسی چنین می گوید: «او گفت: پروردگارا! من به خویشتن ستم کردم، مرا ببخش، پس خداوند او را بخشید، که او غفور رحیم است» (قالَ رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی فَاغْفِرْ لِی فَعَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِیمُ). مسلما موسی در اینجا گناهی مرتکب نشد، بلکه در واقع ترک اولائی از او سر زد که نمی بایست چنین بی احتیاطی کند.

سورة القصص (28): آية ١٧ ص: 453

(آیه ۱۷)– موسی «عرض کرد: پروردگارا! به شکرانه نعمتی که به من دادی (و مرا در چنگال دشمنان گرفتار نساختی) هرگز پشتیبان مجرمان نخواهم بود» (قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَیَّ فَلَنْ أَکُونَ ظَهِیراً لِلْمُجْرِمِینَ).

منظورش از این جمله این بود که من هرگز با فرعونیان مجرم و گنهکار همکاری نخواهم کرد بلکه در کنار ستمدیدگان بنی اسرائیل خواهم بود.

سورة القصص(28): آية 18 ص: 453

(آیه ۱۸)- موسی مخفیانه به سوی مدین حرکت میکند! در اینجا با چهارمین صحنه این سر گذشت پر ماجرا رو برو میشویم. مسأله کشتن یکی از فرعونیان بسرعت در مصر منعکس شد و شاید نام موسی هم در این میان بر سر زبانها بود.

در این آیه میخوانیم: «به دنبال این ماجرا، موسی در شهر، ترسان بود و هر لحظه در انتظار حادثهای، و در جستجوی اخبار» (فَأَصْبَحَ فِی الْمَدِینَةِ خائِفاً یَتَرَقَّبُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۵۴

«ناگهان (با صحنه تازهای رو برو شـد و دید) همان بنی اسرائیلی که دیروز از او یاری طلبیده بود فریاد می کشد و از او کمک میخواهد» و با قبطی دیگری گلاویز شده است (فَإِذَا الَّذِی اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْس یَسْتَصْرِخُهُ).

اما «موسی به او گفت: تو به وضوح، انسان جاهل و گمراهی هستی»! (قالَ لَهُ مُوسی إِنَّکَ لَغَوِیٌّ مُبِینٌ). هر روز با کسی گلاویز میشوی و درد سر می آفرینی؟

سورة القصص (28): آية 19 ص: 454

(آیه ۱۹)– ولی به هر حال مظلومی بود که در چنگال ستمگری گرفتار شـده بود– خواه در مقـدمات تقصـیر کرده باشد یا نه–

میبایست موسی به یاری او بشتابد و تنهایش نگذارد «اما هنگامی که خواست با کسی که دشمن هر دوی آنها بود درگیر شود و با قدرت مانع او گردد (فریادش بلند شد) گفت: ای موسی! میخواهی مرا بکشی همان گونه که دیروز انسانی را کشتی»؟! (فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ یا مُوسی أَ تُرِیدُ أَنْ تَقْتُلَنِی کَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْس).

از قرار معلوم «تو فقط میخواهی جباری در روی زمین باشی، و نمیخواهی از مصلحان باشی»! (إِنْ تُرِیدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِی الْأَرْض وَ ما تُریدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِینَ).

این جمله نشان میدهد که موسی قبلا نیت اصلاح طلبی خود را چه در کاخ فرعون و چه در بیرون آن، اظهار کرده بود.

سورة القصص(28): آية 20 ص: 454

(آیه ۲۰)- ماجرا به فرعون و اطرافیان او رسید و تکرار این عمل را تهدیدی بر وضع خود گرفتند، جلسه مشورتی تشکیل دادند و حکم قتل موسی صادر شد.

در این هنگام یک حادثه غیر منتظره موسی را از مرگ حتمی رهایی بخشید و آن این که: «مردی از نقطه دور دست شهر (از مرکز فرعونیان و کاخ فرعون) بسرعت خود را به موسی رساند و گفت: ای موسی! این جمعیت برای کشتن تو به مشورت نشسته اند، فورا از شهر خارج شو که من از خیر خواهان توام» (وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَ یی الْمَدِینَهُ یَشِعی قالَ یا مُوسی إِنَّ الْمَلَأَ یَاتُمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ فَاخْرُجُ إِنِّی لَکَ مِنَ النَّاصِحِینَ).

این مرد ظاهرا همان کسی بود که بعدا به عنوان «مؤمن آل فرعون» معروف برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۵۵ شد، می گویند: نامش «حزقیل» و از خویشاوندان نزدیک فرعون بود.

سورة القصص (28): آية 21 ص: 450

(آیه ۲۱)- موسی این خبر را کاملا جدی گرفت، به خیر خواهی این مرد با ایمان ارج نهاد، و به توصیه او «از شهر خارج شد در حالی که ترسان بود و هر لحظه در انتظار حادثهای»! (فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً یَتَرَقَّبُ).

تمـام قلب خود را متوجه پروردگار کرد و برای حل این مشـکل بزرگ دست به دامن لطف او زد و «گفت: پروردگار من! مرا از این قوم ظالم رهایی بخش» (قالَ رَبِّ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْم الظَّالِمِینَ).

سورة القصص(28): آية 27 ص: 454

(آیه ۲۲) – موسی تصمیم گرفت که به سوی سر زمین «مدین» که شهری در جنوب شام و شمال حجاز بود و از قلمرو مصر و حکومت فرعونیان جدا محسوب می شد برود، او در این سفر سخت، تنها یک سرمایه بزرگ همراه داشت، سرمایه ایمان و توکل بر خدا! لذا «هنگامی که متوجه جانب مدین شد گفت: امیدوارم که پروردگارم مرا به راه راست هدایت کند»! (وَ لَمَّا تَوَجَّهُ تِلْقَاءَ مَدْیَنَ قَالَ عَسی رَبِّی أَنْ یَهْدِیَنی سَواءَ السَّبِیل).

سورة القصص(28): آية 23 ص: 455

(آیه ۲۳)- یک کار نیک درهای خیرات را به روی موسی گشود! در اینجا در برابر «پنجمین صحنه» از این داستان قرار می گیریم، و آن صحنه ورود موسی به شهر مدین است.

گفتهاند: این جوان پاکباز هشت روز در راه بود، آنقدر راه رفت که پاهایش آبله کرد. و برای رفع گرسنگی از گیاهان و برگ درختان استفاده مینمود.

کم کم دور نمای «مدین» در افق نمایان شد، و موجی از آرامش بر قلب او نشست، نزدیک شهر رسید، اجتماع گروهی نظر او را به خود جلب کرد، به زودی فهمید اینها شبانهایی هستند که برای آب دادن به گوسفندان اطراف چاه آب اجتماع کردهاند. «هنگامی که موسی در کنار چاه آب مدین قرار گرفت گروهی از مردم را در آنجا دید که (چار پایان خود را از آب چاه) سیراب می کنند» (وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْیَنَ وَجَدَ عَلَیْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ یَشْقُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۵۶

«و در کنار آنها دو زن را دیـد که گوسـفندان خود را مراقبت میکنند» اما به چاه نزدیک نمیشوند (وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأْتَیْنِ تَذُودانِ).

وضع این دختران با عفت که در گوشهای ایستادهاند و کسی به داد آنها نمیرسد و یک مشت شبان گردن کلفت تنها در فکر گوسفندان خویشند، و نوبت به دیگری نمیدهند، نظر موسی را جلب کرد، نزدیک آن دو آمد و «گفت: کار شما چیست»؟! (قالَ ما خَطْبُکُما).

چرا پیش نمی روید و گوسفندان را سیراب نمی کنید؟ برای موسی این تبعیض و ظلم و ستم قابل تحمل نبود، او مدافع مظلومان بود و به خاطر همین کار از وطن آواره گشته بود.

دختران در پاسخ او «گفتند: ما گوسفندان خود را سیراب نمی کنیم تا چوپانان همگی حیوانات خود را آب دهند و خارج شوند» و ما از باقیمانده آب استفاده می کنیم (قالَتا لا نَسْقِی حَتَّی یُصْدِرَ الرِّعاءُ).

و برای این که این سؤال برای موسی بیجواب نمانید که چرا پیدر این دختران عفیف آنها را به دنبال این کار میفرستد؟ افزودند: «پدر ما پیر مرد مسنّی است» پیرمردی شکسته و سالخورده (وَ أَبُونا شَیْخٌ کَبِیرٌ).

سورة القصص(28): آية 24 ص: 456

(آیه ۲۴) – موسی از شنیدن این سخن سخت ناراحت شد، جلو آمد دلو سنگین را گرفت و در چاه افکند، دلوی که می گویند چندین نفر میبایست آن را از چاه بیرون آورد، و «گوسفندان آن دو را سیراب کرد» (فَسَقی لَهُما).

«سپس به سایه روی آورد و به درگاه خدا عرض کرد: خدایا! هر خیر و نیکی بر من فرستی به آن نیازمندم» (ثُمَّ تَوَلَّی إِلَی الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّی لِما أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَیْرٍ فَقیرٌ). آری! او خسته و گرسنه و در آن شهر غریب و تنها بود.

سورة القصص(28): آية 25 ص: 456

(آیه ۲۵)- اما کار خیر را بنگر که چه قدرت نمایی می کند؟ یک قدم برای خدا برداشتن فصل تازهای در زندگانی موسی می گشاید، و یک دنیا برکات مادی و معنوی برای او به ارمغان می آورد، گمشدهای را که می بایست سالیان دراز به دنبال برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۵۷

آن بگردد در اختیارش می گذارد.

و آغاز این برنامه زمانی بود که ملاحظه کرد «یکی از آن دو دختر که با نهایت حیا گام بر میداشت (و پیدا بود از سخن گفتن با یک جوان بیگانه شرم دارد به سراغ او آمد، و تنها این جمله را) گفت: پدرم از تو دعوت می کند تا پاداش و مزد آبی را که از چاه برای گوسفندان ما کشیدی به تو بدهد»! (فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِی عَلَی اسْتِحیاءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِی یَدْعُوکَ لِیَجْزِیکَ أَجْرَ ما سَقَیْتَ لَنا).

برق امیدی در دل او جستن کرد گویا احساس کرد با مرد بزرگی رو برو خواهد شد، مرد حق شناسی که حتی حاضر نیست زحمت انسانی، حتی به اندازه کشیدن یک دلو آب بدون پاداش بماند.

آری! آن پیر مرد کسی جز شعیب پیامبر خدا نبود.

موسی حرکت کرد و به سوی خانه شعیب آمد، طبق بعضی از روایات دختر برای راهنمایی از پیش رو حرکت می کرد و موسی از پشت سرش، باد بر لباس دختر میوزید و ممکن بود لباس را از اندام او کنار زند، حیا و عفت موسی (ع) اجازه نمی داد چنین شود، به دختر گفت: من از جلو می روم بر سر دو راهیها و چند راهیها مرا راهنمایی کن.

موسی وارد خانه شعیب شد و ماجرای خود را برای او باز گو کرد.

قرآن مى گويد: «هنگامى كه موسى نزد او آمد [شعيب] آمد و سر گذشت خود را شرح داد گفت: نترس، از قوم ظالم نجات يافتى» (فَلَمَّا جاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْم الظَّالِمِينَ).

موسی به زودی متوجه شد استاد بزرگی پیدا کرده است. شعیب نیز احساس کرد شاگرد لایق و مستعدی یافته.

سورة القصص (28): آية 26 ص: 457

(آیه ۲۶)- موسی در خانه شعیب: این ششمین صحنه از زندگی موسی در این ماجرای بزرگ است.

موسی بعد از آن که سر گذشت خود را برای شعیب باز گو کرد، یکی از دخترانش زبان به سخن گشود و با این عبارت کوتاه و پر معنی به پدر پیشنهاد برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۵۸

استخدام موسى براى نگهدارى گوسفندان كرد «گفت: اى پدر! اين جوان را استخدام كن، چرا كه بهترين كسى كه مى توانى استخدام كنى آن فرد است كه قوى و امين باشـد» او هم امتحان نيرومنـدى خود را داده هم پـاكى و درسـتكارى را (قـالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ).

مهمترین شرایط مدیریت به صورت کلی در این جمله کوتاه خلاصه شده است-قدرت و امانت.

سورة القصص(28): آية 27 ص: 458

(آیه ۲۷) - در اینجا شعیب از پیشنهاد دخترش استقبال کرد، رو به موسی نموده چنین «گفت: من میخواهم یکی از این دو دخترم را به همسری تو در آورم به این شرط که هشت سال برای من کار کنی»! (قالَ إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أُنْکِحَکُ إِحْدَی ابْنَتَیَّ هاتَیْنِ عَلَی أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمانِیَ حِجَج).

سپس افزود: «و اگر هشت سال را به ده سال تکمیل کنی محبتی کردهای» اما بر تـو واجب نیست! (فَاإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِکَ). و به هر حال «من نمىخواهم كار را بر تو مشكل بگيرم، و ان شاء الله به زودى خواهى ديـد كه من از صالحانم» (وَ ما أَرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ).

سورة القصص(28): آية 28 ص: 458

(آیه ۲۸) – موسی به عنوان موافقت و قبول این عقد «گفت: این قرار دادی میان من و تو باشد» (قالَ ذلِکُ بَیْنِی وَ بَیْنَکُ). البته «هر کدام از این دو مدت (هشت سال یا ده سال) را انجام دهم ظلمی بر من نخواهد بود و در انتخاب آن آزادم» (أَیّمَا الْأَجَلَیْنِ قَضَیْتُ فَلا عُدُوانَ عَلَیً).

و برای محکم کاری و استمداد از نام پروردگار افزود: «و خـدا بر آنچه ما میگوییم شاهـد و گواه است» (وَ اللَّهُ عَلی ما نَقُولُ وَکِیلُ).

و به همین سادگی موسی داماد شعیب شد!

سورة القصص (28): آية 29 ص: 458

(آیه ۲۹)- نخستین جرقه وحی! در اینجا به هفتمین صحنه از این داستان میرسیم: هیچ کس دقیقا نمی داند در این ده سال بر موسی چه گذشت اما بدون شک این ده سال از بهترین سالهای عمر موسی بود. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۵۹ بدیهی است موسی به این قانع نیست که تا پایان عمر شبانی کند- هر چند محضر شعیب برای او بسیار مغتنم بود- او باید به یاری قوم خود بشتابد که در زنجیر اسارت گرفتارند و در جهل و نادانی و بی خبری غوطه و رند.

به هر حال قرآن می گوید: «هنگامی که موسی مدت خود را به پایان رسانید و همراه خانوادهاش (از مدین به سوی مصر) حرکت کرد، از جانب طور آتشی دید»! (فَلَمَّا قَضی مُوسَی الْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً).

«به خانوادهاش گفت: درنگ کنید که من آتشی دیدم (میروم) شاید خبری از آن برای شما بیاورم، یا شعلهای از آتش، تا با آن گرم شوید» (قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّی آنَسْتُ ناراً لَعَلِّی آتِیكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ).

از ذیل آیه استفاده می شود که او راه را گم کرده بود، و شبی بود سرد و ناراحت کننده.

سورة القصص(28): آية 30 ص: 459

(آیه ۳۰)- «هنگامی که به سراغ آتش آمد (دید آتشی است نه همچون آتشهای دیگر خالی از حرارت و سوزندگی، یک پارچه نور و صفا، در همین حال که موسی سخت در تعجب فرو رفته بود) ناگهان از ساحل راست وادی در آن سر زمین بلند و پر برکت از میان یک درخت ندا داده شده که: ای موسی! منم خداوند پروردگار عالمیان» (فَلَمَّا أَتاها نُودِیَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ اللَّهُ مَنِ فِی الْبُقْعَهِ الْمُبارَکَهِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ یا مُوسی إِنِّی أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ).

سورة القصص(28): آية 31 ص: 459

(آیه ۳۱)– اما با توجه به مأموریت بزرگ و سنگینی که موسی بر عهده دارد باید معجزاتی بزرگ به تناسب آن از سوی خدا

در اختیارش قرار داده شود که به دو قسمت مهم آن در این آیات اشاره شده است.

نخست این که: به موسی ندا داده شد که «عصایت را بیفکن (و موسی عصا را افکند) هنگامی که به آن نگاه کرد دید همچون ماری است که با سرعت و شدت حرکت می کند، موسی (ترسید و) به عقب برگشت و حتی پشت سر خود را نگاه نکرد»! (وَ أَنْ عَصاکَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جَانٌ وَلَى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ).

در این هنگام بار دیگر موسی ندا را شنید که به او می گوید: «ای موسی! بر گرد بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۶۰ و نترس تو در امان هستی»! (یا مُوسی أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِینَ).

سورة القصص(28): آية 32 ص: 460

(آیه ۳۲)– معجزه نخستین، آیتی از وحشت بود، سپس به او دستور داده می شود که به سراغ معجزه دیگرش برود که آیتی از نور و امید است و مجموع آن دو ترکیبی از «انذار» و «بشارت» خواهد بود، به او فرمان داده شد:

«دست خود را در گریبانت کن (و بیرون آور) هنگامی که خارج می شود سفید و درخشنده است، بدون عیب و نقص» (اسْلُکْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ).

مشاهده این خارق عادات عجیب، در آن شب تاریک و در آن بیابان خالی، موسی را سخت تکان داد، و برای این که آرامش خویش را باز یابد دستور دیگری به او داده شد.

دستور این بود: «و دستهایت را بر سینهات بگذار تا ترس و وحشت از تو دور شود» (وَ اضْمُمْ إِلَیْکَ جَناحَکَ مِنَ الرَّهْبِ). سپس همان ندا به موسی گفت: «این دو [معجزه عصا و ید بیضا] برهان روشن از پروردگارت بسوی فرعون و اطرافیان اوست که آنها قوم فاسقی هستند» (فَذانِکَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّکَ إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ).

سورة القصص(28): آية 33 ص: 460

(آیه ۳۳)- در اینجا موسی (ع) به یاد حادثه مهم زندگیش در مصر افتاد، حادثه کشتن مرد ظالم قبطی و بسیج نیروهای فرعونی برای تلافی خون او.

لـذا در اینجا «عرض میکند: پروردگارا! من از آنها یک نفر را کشـتهام، می ترسم (به تلافی خون او) مرا به قتل برسانند» و این مأموریت ناتمام بماند (قالَ رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ).

سورة القصص(28): آية 34 ص: 460

(آیه ۳۴)– از این گذشته من تنها هستم و زبانم آنقـدر فصیح نیست، «و برادرم هارون را نیز با من بفرست که زبانش از من گویاتر است، تا مرا یاری و تصـدیق کند، من از این بیم دارم که تنها بمانم و تکذیبم کنند» و این کار بزرگ به انجام نرسد (وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۶۱

سورة القصص(28): آية 35 ص: 461

(آیه ۳۵) – خداونـد نیز دعوت او را اجابت کرد، و به او اطمینان کافی داد و فرمود: «ما بازوان تو را به وسیله برادرت (هارون) محکم میکنیم» (قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ).

«و برای شما (در تمام مراحل) سلطه و برتری قرار می دهیم» (وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً).

كاملا مطمئن باشيد «آنها به بركت آيات ما هرگز به شما دست نمي يابند» (فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما بِآياتِنا).

بلكه «شما و پيروانتان غالب و پيروزيد» (أَنْتُما وَ مَنِ اتََّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ).

سورة القصص(28): آية 36 ص: 461

(آیه ۳۶)– موسی در برابر فرعون: در اینجا با هشتمین صحنه از این ماجرای بزرگ رو به رو میشویم.

موسمی (ع) فرمان نبوت و رسالت را در آن شب تاریک و در آن سر زمین مقدس از خداوند دریافت نمود، به مصر آمد و برادرش هارون را با خبر ساخت، هر دو به سراغ فرعون رفتند.

چنانکه قرآن می گوید: «هنگامی که موسی با معجزات روشن ما به سراغ آنها آمد، آنها گفتند: این چیزی جز سحر نیست که به دروغ (به خدا) بسته شده است»! (فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسی بِآیاتِنا بَیِّناتِ قالُوا ما هذا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَریً).

«ما هرگز چنین چیزی را در نیاکان خود نشنیده ایم»! (وَ ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأُوَّلِينَ).

آنها به حربه سحر متوسل شدند همان حربهای که همه جباران و گمراهان در طول تاریخ در برابر معجزات انبیا به آن متوسل می شدند.

سورة القصص(28): آية 37 ص: 461

(آیه ۳۷)- اما «موسی (در پاسخ آنها با لحن تهدید آمیزی چنین) گفت:

پروردگار من از حال کسانی که هـدایت را از نزد او برای مردم می آورند آگاهتر است، و همچنین از کسانی که سـر انجام دنیا و آخرت از آنهاست» (وَ قالَ مُوسی رَبِّی أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدی مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ).

اشاره به این که خدا به خوبی از حال من و حقانیت دعوت من آگاه است، هر برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۶۲ چند شما مرا متهم به دروغ کنید.

از اين گذشته مطمئن باشيد اگر من دروغگو باشم ظالم هستم «و ظالمان هرگز رستگار نخواهند شد» (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ).

سورة القصص(28): آية 38 ص: 462

(آیه ۳۸)– در اینجا با نهمین صحنه از این تاریخ پر ماجرا و آموزنده مواجه میشویم.

آوازه پیروزی موسی (ع) بر ساحران و ایمان ساحران در سراسر مصر پیچید و موقعیت حکومت فرعونیان سخت به خطر افتاد باید افکار عمومی را به هر قیمتی که هست از این مسأله منحرف ساخت و یک سلسله مشغولیات ذهنی که بتواند مردم را اغفال و تحمیق کند فراهم ساخت.

فرعون در این زمینه به مشورت نشست، و در نتیجه فکرش به چیزی رسید که در این آیه آمده است: «فرعون گفت: ای جمعیت اشراف! من خدایی جز خودم برای شما سراغ ندارم»! (وَ قالَ فِرْعَوْنُ یا أَیُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرِی).

خدای زمینی مسلما منم! و اما خدای آسمان دلیلی بر وجود او در دست نیست، ولی من احتیاط را از دست نمی دهم و به تحقیق می پر دازم! سپس رو به وزیرش هامان کرد گفت: «ای هامان! برایم آتشی بر گل بیفروز» و آجرهای محکمی بساز (فَأُوْقِدْ لِی یا هامانُ عَلَی الطِّین).

«و براى من برج بلنـدى ترتيب ده تا از خـداى موسى خبر گيرم هر چند من گمان مىكنم او از دروغگويان است»! (فَاجْعَلْ لِى صَرْحاً لَعَلِّى أُطَّلِحُ إِلى إِلهِ مُوسى وَ إِنِّى لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ).

هنگامی که ساختمان به اتمام رسید، روزی فرعون با تشریفاتی به آنجا آمد، و شخصا از برج عظیم بالا رفت.

معروف است تیری به کمان گذاشت به آسمان پرتاب کرد تیر بر اثر اصابت به پرندهای، و یا طبق توطئه قبلی خودش خون آلود بازگشت فرعون از آنجا پایین آمد و به مردم گفت: بروید و فکرتان راحت باشد خدای موسی را کشتم! حتما گروهی از ساده لوحان و مقلدان چشم و گوش بسته حکومت وقت این برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۶۳ خبر را باور کردند و در همه جا پخش نمودند، و از آن سر گرمی تازهای برای اغفال مردم مصر ساختند.

سورة القصص(28): آية 39 ص: 463

(آیه ۳۹) – قرآن سپس به استکبار فرعون و فرعونیان و عدم تسلیم آنها در برابر «مبدأ» و «معاد» – که ریشه جنایات آنها نیز از انکار همین دو اصل سر چشمه می گرفت – پرداخته چنین می گوید: «فرعون و لشکریانش به ناحق در زمین استکبار کردند (و خدا را که آفریننده بزرگ زمین و آسمان است انکار نمودند) و گمان کردند که (قیامتی در کار نیست، و) به سوی ما باز گردانده نمی شوند» (و اسْتَکْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَیْنا لا یُرْجَعُونَ).

سورة القصص(28): آية 40 ص: 463

(آیه ۴۰)– اما ببینیم سر انجام این کبر و غرور به کجا رسید، قرآن می گوید:

«ما او و لشكريانش را گرفتيم و آنها را در دريا پرتاب كرديم»! (فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيُمِّ).

آری! مرگ آنها را به دست عامل حیاتشان سپردیم، و نیل را که رمز عظمت و قدرت آنها بود به گورستانشان مبدل ساختیم! و در پایان آیه روی سخن را به پیامبر اسلام کرده، میفرماید: «پس ببین عاقبت کار ظالمان چگونه بود»؟ (فَانْظُوْ کَیْفَ کانَ عاقِبهٔ الظَّالِمِینَ).

سورة القصص(28): آية 41 ص: 463

(آیه ۴۱)- بعد میافزاید: «و آنان [فرعونیان] را پیشوایانی قرار دادیم که به آتش (دوزخ) دعوت میکنند و روز رستاخیز یاری نخواهند شد» (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً یَدْعُونَ إِلَی النَّارِ وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ لا یُنْصَرُونَ).

همان گونه که در این جهان ائمه ضلال بودند، در آنجا نیز پیشوایان دوزخند.

سورة القصص(28): آية 47 ص: 463

(آیه ۴۲)– باز برای تأکید بیشتر، قرآن چهره آنها را در دنیا و آخرت، چنین ترسیم میکند: «و در این دنیا نیز لعنتی بدنبال آنان قرار دادیم و روز قیامت از زشت رویانند» (وَ أَتْبَعْناهُمْ فِی هذِهِ الدُّنیا لَعْنَةً وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِینَ).

لعنت خدا که همان طرد از رحمت است، و لعنت فرشتگان و مؤمنان که نفرین است، هر صبح و شام و هر وقت و بیوقت نثار آنها میشود.

سورة القصص(28): آية ٤٣ ص: 45٣

(آیه ۴۳) - در اینجا به دهمین صحنه یعنی آخرین بخش از آیات مربوط برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۶۴

به داستان پر ماجرای موسی (ع) میرسیم، که سخن از نزول احکام، و تورات می گوید: یعنی زمانی که دوران «نفی طاغوت» پایان گرفته، و دوران سازندگی و اثبات آغاز می شود.

نخست می فرماید: «و ما به موسی کتاب آسمانی دادیم بعد از آن که اقوام قرون نخستین را هلاک کردیم (کتابی که) برای مردم بصیرت آفرین بود، و مایه هدایت و رحمت تا متذکر شوند» (وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَیی الْکِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَکْنَا الْقُرُونَ الْأُولی بَصائِرَ لِلنَّاس وَ هُدیً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ).

سورة القصص(28): آية 44 ص: 464

(آیه ۴۴)- سپس به بیان این حقیقت می پردازد که آنچه را در باره موسی و فرعون با تمام ریزه کاریهای دقیق آن بیان کردیم، خود دلیلی است بر حقانیت قرآن تو، چرا که تو در این صحنه ها هر گز حاضر نبودی و این ماجرا را با چشم ندیدی بلکه این لطف خدا بود که این آیات را برای هدایت مردم بر تو نازل کرد.

می گوید: «و تو در جانب غربی نبودی هنگامی که ما فرمان نبوت را به موسی دادیم، و تو از شاهدان (این ماجراها) محسوب نمی شدی» (وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِیِّ إِذْ قَضَیْنا إِلی مُوسَی الْأَمْرَ وَ ما کُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِینَ).

سورة القصص(28): آية 45 ص: 464

(آیه ۴۵) - سپس می افزاید: «ولی ما اقوامی را در اعصار مختلف خلق کردیم، و زمانهای طولانی بر آنها گذشت» که آثار انبیا از دلهایشان محو شد پس تو را با کتاب آسمانیت فرستادیم (وَ لَکِنَّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ).

«تو هرگز در میان مردم مـدین اقامت نداشتی تا (از وضع آنان آگاه باشــی و) آیات ما را برای آنها [مشـرکان مکّه] بخوانی» (وَ ما کُنْتَ ثاوِیاً فِی أَهْلِ مَدْیَنَ تَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِنا).

«ولى ما بوديم كه تو را فرستاديم» و اين آيات را در اختيارت قرار داديم (وَ لَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ).

سورة القصص(28): آية 46 ص: 464

(آیه ۴۶)- باز برای تأکید همین معنی می افزاید: «تو در کنار طور نبودی زمانی که ما ندا دادیم» و فرمان نبوّت را به نام موسی صادر کردیم (وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَیْنا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۶۵ «ولی این رحمتی از سوی پروردگارت بود (که این اخبار را در اختیار تو نهاد) تا به وسیله آن قومی را انـذار کنی که پیش از تو هیچ انذار کنندهای برای آنها نیامده است شاید متذکر شوند» (وَ لکِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَثْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ).

سورة القصص(28): آية 47 ص: 480

(آیه ۴۷)- هر روز به بهانهای از حق می گریزند! از آنجا که در آیات گذشته سخن از ارسال پیامبر صلّی الله علیه و آله به عنوان انذار کننده و بیم دهنده بود در این آیه به لطفی که بر وجود پیامبر صلّی الله علیه و آله مترتب است اشاره کرده، می گوید: «هر گاه ما (پیش از فرستادن پیامبری) آنها را به خاطر اعمالشان مجازات می کردیم، می گفتند: پروردگارا! چرا رسولی برای ما نفرستادی تا آیات تو را پیروی کنیم و از مؤمنان باشیم» اگر به خاطر این نبود مجازات آنها به جهت اعمال و کفرشان حتی نیاز به ارسال پیامبر نداشت (و لَوْ لا أَنْ تُصِیبَهُمْ مُصِیبَهُ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ فَیَقُولُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَیْنا رَسُولًا فَنَتَبعَ آیاتِکَ وَ نَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ).

در حقیقت آیه اشاره به این نکته است که راه حق روشن است، و هر عقلی حاکم به بطلان شرک و بت پرستی است، و زشتی بسیاری از اعمال آنها همچون مظالم و ستمها از مستقلات حکم عقل میباشد.

سورة القصص(28): آية 48 ص: 480

(آیه ۴۸)- سپس به بهانه جوئیهای آنها اشاره می کند که آنها بعد از ارسال رسل نیز دست از بهانه گیری بر نداشتند، و باز به راههای انحرافی خود ادامه دادند.

می گویـد: «پس هنگامی که حق از نزد ما برای آنها آمـد گفتند: چرا به این پیامبر مثل همان چیزی که به موسـی داده شد اعطا نگردیده است»؟! (فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْ لا أُوتِیَ مِثْلَ ما أُوتِیَ مُوسی).

چرا عصای موسی در دست او نیست؟ چرا ید بیضا ندارد؟ چرا دریا برای او شکافته نمی شود؟ چرا دشمنانش غرق نمی شوند؟ چرا و چرا؟! ...

قرآن به پاسخ این بهانه جوییها پرداخته، می گوید: «مگر (بهانه جویانی همانند اینها) معجزاتی را که در گذشته به موسی داده شده انکار نکردند»؟! (أَ وَ لَمْ یَکْفُرُوا بِما أُوتِیَ مُوسی مِنْ قَبْلُ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۶۶

«گفتنــد: این دو (موســی و هارون) دو نفر ساحرند که دست به دست هم دادهاند (تا ما را گمراه کنند) و گفتند: ما به هر کدام از آنها کافریم»! قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا وَ قالُوا إِنَّا بِکُلِّ کافِرُونَ.

سورة القصص(28): آية ٤٩ ص: 486

(آیه ۴۹)- به هر حال مشرکان لجوج اصرار داشتند که چرا پیامبر اسلام صلی الله علیه و سلّم معجزاتی همچون موسی نداشته است؟ و از سوی دیگر نه به گفته ها و گواهی تورات در باره علائم پیامبر صلی الله علیه و سلّم اعتماد می کردند، و نه به قرآن مجید و آیات پرعظمتش.

لذا قرآن، روی سخن را به پیامبر صلی الله علیه و سلّم کرده، و می گوید: «بگو: اگر شما راست می گویید (که این دو کتاب از سوی خدا نیست) کتابی روشنتر و هدایت بخشتر از آنها از سوی خدا بیاورید تا من از آن پیروی کنم قُلْ فَأْتُوا بِکِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللّهِ هُوَ أَهْدی مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ.

اگر چیزی در دست پیامبر اسلام جز این قرآن نبود برای اثبات حقانیت دعوتش کفایت می کرد، ولی آنها حق طلب نیستند بلکه مشتی بهانه جو یانند.

سورة القصص(28): آية 50 ص: 466

(آیه ۵۰) - سپس اضافه می کند: «اگر این پیشنهاد تو را نپذیرند بدان که آنان از هوسهای خود پیروی می کنند»! فَإِنْ لَمْ یَسْتَجِیبُوا لَکَ فَاعْلَمْ أَنَّما یَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ.

«و آیا گمراهتر از آن کسی که پیروی هوای نفس خویش کرده و هیچ هـدایت الهی را نپـذیرفته کسـی پیـدا میشود»؟ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَواهُ بِغَیْرِ هُدیً مِنَ اللَّهِ.

«مسلما خُداوند قوم ستمكر را هدايت نمي كند»! إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

در روایات متعددی آیه فوق به کسانی تفسیر شده است که امام و رهبر الهی را نپذیرفتهاند و تنها به آرای خویش تکیه می کنند.

این روایات در حقیقت از قبیل مصداق روشن است و به تعبیر دیگر انسان نیازمند به هدایت الهی است، این هدایت گاهی در کتاب آسمانی منعکس میشود، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۶۷

و گاه در وجود پیامبر و سنّت او، و گاه در اوصیای معصومش، و گاه در منطق عقل و خرد.

مهم آن است که انسان در خط هدایت الهی باشد و نه هوای نفس، تا بتواند از این انوار هدایت بهرهمند گردد.

سورة القصص (28): آية ٥١ ص: 467

اشاره

آیه ۵۱

شأن نزول ص: 467

: در مورد نزول این آیه و چهار آیه بعد از آن روایات گوناگونی نقل شده که قدر مشترک همه آنها ایمان آوردن گروهی از علمای یهود و نصاری و افراد پاکدل به آیات قرآن و پیامبر اسلام صلی الله علیه و سلّم است.

از جمله: از «سعید بن جبیر» نقل شده که: این آیات در باره هفتاد نفر از کشیشهای مسیحی نازل شده که «نجاشی» آنها را برای تحقیق از «حبشه» به «مکّه» فرستاد، هنگامی که پیامبر اسلام صلی الله علیه و سلّم سوره یس را برای آنها تلاوت کرد اشک شوق ریختند و اسلام آوردند.

حق طلبان اهل کتاب به قرآن تو ایمان می آورند! از آنجا که در آیات گذشته سخن از بهانه هایی بود که مشرکان برای عدم تسلیم در مقابل حقایق قرآن مطرح می کردند، در اینجا از دلهای آماده ای سخن می گوید که با شنیدن این آیات، حق را پیدا کرده و به آن سخت وفادار ماندند، و جان و دل تسلیم آن شدند، در حالی که قلبهای تاریک جاهلان متعصب کمترین اثری از خود نشان نداد! می فرماید: «و ما آیات قرآن را یکی بعد از دیگری برای آنها آوردیم شاید متذکر شوند» و لَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ.

سورة القصص(28): آية 25 ص: 487

(آیهٔ ۵۲) – ولی «کسانی که قبلا ـ کتاب آسمانی به آنها داده ایم (از یهود و نصاری) به آن [قرآن] ایمان می آورند» الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ یُؤْمِنُونَ. چرا که آن را هماهنگ با نشانه هایی می بینند که در کتب آسمانی خود یافته اند.

سورة القصص(28): آية 23 ص: 467

(آیه ۵۳)– سپس میافزاید: «و هنگامی که (این آیات) بر آنها خوانده می شود می گویند: به آن ایمان آوردیم، اینها مسلما حق است، و از سوی پروردگار ما است، و إِذا یُتْلی عَلَیْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۶۸ سپس اضافه می کند: نه تنها امروز تسلیم سخنان پروردگاریم که «ما پیش از این هم مسلمان بودیم» (إِنَّا کُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِینَ).

سورة القصص(28): آية 34 ص: 468

(آیه ۵۴)– سپس قرآن به پاداش عظیم این گروه تقلید شکن و حق طلب پرداخته چنین می گوید: «آنها کسانی هستند که اجر و پاداششان را به خاطر صبر و شکیبائیشان دو بار دریافت میدارند»! (أُولئِکَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَیْنِ بِما صَبَرُوا).

یک بار به خاطر ایمان به کتاب آسمانی خودشان که به راستی نسبت به آن وفادار و پایبند بودند، و یک بار هم به خاطر ایمان آوردن به پیامبر اسلام، پیامبر موعودی که کتب پیشین از او خبر داده بود.

سپس به یک رشته از اعمال صالح آنها که هر یک از دیگری ارزنده تر است اشاره می کند این اعمال عبارتند از «دفع سیئات به وسیله حسنات» «انفاق از نعمتهای الهی» و «بر خورد بزرگوارانه با جاهلان» که به انضمام «صبر و شکیبایی» که در جمله قبل آمد، چهار صفت ممتاز می شود.

نخست مي گويد: «آنها به وسيله نيكيها، بديها را دفع ميكنند» (وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةُ).

ديگر اين كه: «از آنچه به آنان روزى دادهايم انفاق ميكنند» (وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ).

نه تنها از اموال و ثروتشان که از علم و دانش و نیروی فکری و جسمی و وجاهت اجتماعیشان که همه مواهب و روزیهای الهی است در راه نیازمندان میبخشد.

سورة القصص(28): آية 55 ص: 468

(آیه ۵۵)- و بالاخره آخرین امتیاز عملی آنان این است که: «هر گاه سخن لغو و بیهودهای را بشنوند از آن روی می گردانند» (وَ إذا سَمِعُوا اللَّغُوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ).

هرگز «لغو» را با «لغو» پاسخ نمی گویند، و جهل را با جهل جواب نمیدهند، بلکه به بیهوده گویان «می گویند: اعمال ما از آن ماست و اعمال شما از آن خودتان»! (وَ قالُوا لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ).

سپس می افزاید: آنها با جاهلان بیهوده گو و کسانی که با سخنان موذیانه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۶۹

سعى مى كنند اعصاب افراد با ايمان و نيكو كار را در هم بريزند، وداع مى گويند و گفتارشان اين است: «سلام بر شما ما طالب جاهلان نيستيم»! (سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ).

ما نه اهل زشت گویی و جهل و فسادیم، و نه خواهان آن، ما خواهان دانشمندان روشن ضمیر و علمای عامل و مؤمنان راستین هستیم.

آری! این بزرگوارانند که می توانند رسالت ایمان را در خود پذیرا شوند و در برابر انواع ناملایمات برای رسیدن به سر منزل ایمان مقاومت به خرج دهند.

سورة القصص(28): آية 36 ص: 469

(آیه ۵۶)- هـدایت تنها به دست خداست! این آیه پرده از روی این حقیقت بر میدارد که: «تو نمی توانی کسی را که دوست داری هـدایت کنی، ولی خداوند هر کس را بخواهد هدایت می کند، و او از هدایت یافتگان آگاهتر است» (إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَخْبَبْتَ وَ لَکِنَّ اللَّه یَهْدِی مَنْ یَشاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ).

منظور از هدایت در اینجا «ارائه طریق» نیست، چرا که ارائه طریق کار اصلی پیامبر صلّی الله علیه و آله است و بدون استثناء راه را به همه نشان می دهد، بلکه منظور از هدایت در اینجا «ایصال به مطلوب» و رسانیدن به سر منزل مقصود است.

به هر حال این آیه یک نوع دلـداری برای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است که به این واقعیت توجه کند نه اصرار بر شرک از ناحیه گروهی از بت پرسـتان مکّه بیدلیل است، و نه ایمان مخلصانه مردم حبشه یا نجران و امثال سلمانها و بحیراها. و هرگز از عدم ایمان گروه اول نگرانی به خود راه ندهد.

سورة القصص(28): آية 37 ص: 469

(آیه ۵۷)- در این آیه سخن از کسانی می گوید که در دل به حقانیت اسلام معترف بودند ولی روی ملاحظات منافع شخصی، حاضر به قبول ایمان نبودند میفرماید: «آنها گفتند: ما اگر هدایت را همراه تو پذیرا شویم (و از آن پیروی کنیم) ما را از سر زمینمان می ربایند»! (وَ قالُوا إِنْ نَتَبع الْهُدی مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا).

این سخن را کسانی می گوینـد که قدرت پروردگار را ناچیز میشـمرند و نمیدانند چگونه او یارانش را یاری و دشـمنانش را در هم میشکند.

لذا قرآن در پاسخ آنها چنین می گوید: «آیا ما حرم امنی در اختیار آنها قرار برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۷۰ ندادیم که ثمرات هر چیزی (از هر شهر و دیاری) به سوی آن آورده میشود رزقی است از جانب ما»؟! أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً یُجْبی إلَیْهِ ثَمَراتُ کُلِّ شَیْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا.

«ولى بيشترشان نمى دانند» وَ لَكِنَّ أُكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ.

خداوندی کم هسرزمین شورهزار و سنگلاخ بی آب و درختی را حرم امن قرار داد، و آنچنان دلها را متوجه آن ساخت که بهترین محصولات از نقاط مختلف جهان را به سوی آن می آورند، قدت خود را به خوبی نشان داده است.

بنابراین چگونه ممکن است خداوند بعد از اسلام شما را از آن محروم سازد، دل قوی دارید و ایمان بیاورید.

سورة القصص (28): آية 58 ص: 470

(آیه ۵۸)- دلبستگیهای دنیا شما را نفریبد! در آیات گذشته سخن از این بود که بعضی از کفّار متوسل به این عذر می شدند که اگر ما ایمان بیاوریم، عرب به ما حمله می کند و ما را از سرزمینمان بیرون می راند.

در اینجا دو پاسخ دیگر به آن داده شده است.

نخست می فرماید: به فرض که شما ایمان را نپذیرفتید و در سایه کفر و شرک زندگی مرفّه و مادّی پیدا کردید، اما فراموش نکنید: «ما بسیاری از شهرهایی را که مست و مغرور نعمت و زندگی مرفّه بودند نابودشان کردیم» وَ کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَوْيَةٍ بَطِرَتْ مَعیشَتَها.

آری! غرور نعمت آنها را به طغیان دعوت کرد، و طغیان سر چشمه ظلم و بیدادگری شد، و ظلم ریشه زندگانی آنها را به آتش کشید.

«پس این خمانهها و دیار آنهاست که بعمد از آنان جز ممدت قلیلی کسمی در آن سکونت نکرد، فَتِلْکُ مَساکِنُهُمْ لَمْ تُسْ ِکَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِیلًا.

آری! شهرها و خانههای ویران آنها همچنان خالی و خاموش و بدون صاحب مانده است و اگر کسانی به سراغ آن آمدند افراد کم و در مدت کوتاهی بود.

«و ما وارث آنها بوديم»! وَ كُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ.

جمله فوق اشارهای است به مالکیت حقیقی خداوند نسبت به همه چیز، که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۷۱ اگر مالکیت اعتباری بعضی اشیا را موقتا به بعضی انسانها واگذار کند، چیزی نمی گذرد که همه زائل می گردد و او وارث همگان خواهد بود.

سورة القصص(28): آية ٥٩ ص: ٤٧١

(آیه ۵۹)- این آیه در حقیقت جواب سؤال مقدری است و آن این که: اگر چنین است که خداوند طغیانگران را نابود می کند، پس چرا مشرکان مکّه و حجاز که طغیانگری را به حد اعلا رسانیده بودند و جهل و جنایتی نبود که مرتکب نشوند با عذابش نابود نکرد.

قرآن می گوید: «و پروردگار تو هرگز شهرها و آبادیها را هلاک نمی کرد تا این که در کانون و مرکز آنها پیامبری بفرستد که آیات ما را بر آنان بخواند» وَ ما کانَ رَبُّکَ مُهْلِکَ الْقُری حَتَّی یَبْعَثَ فِی أُمِّها رَسُولًا یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِنا.

آرى، تا اتمام حجت نكنيم و پيامبران را با دستورات صريح نفرستيم مجازات نخواهيم كرد.

تازه بعد از اتمام حجت مراقب اعمال آنها هستیم، اگر ظلم و ستمی از آنها سر زد و مستوجب عذاب شدند مجازاتشان می کنیم

«و ما هرگز شهرهای را هلاک نمی کردیم مگر آن که اهلش ظالم و ستمگر باشند» وَ ما کُنَّا مُهْلِکِی الْقُری إِلَّا وَ أَهْلُها ظالِمُونَ.

سورة القصص (28): آية 60 ص: 471

(آیه ۶۰) – این آیه پاسخ سومی است برای گفتار بهانه جویانی که می گفتند:

اگر ایمان بیاوریم عرب بر ما هجوم می کند و زندگانی ما را به هم میریزد.

قرآن می گوید: آنچه به شما داده شده، متاع زندگی دنیا و زینت آن است» وَ ما أُوتِیتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَمَتاعُ الْحَیاؤِ الدُّنیا وَ زِینَتُها. «ولی آنچه نزد خداست (از نعمتهای بیپایان جهان دیگر، و مواهب معنویش در این دنیا) بهتر و پایدارتر است» وَ ما عِنْهَدَ اللَّهِ خَیْرٌ وَ أَبْقی.

چرا که تمام نعمتهای مادی دنیا دارای عوارض ناگوار و مشکلات گوناگونی است و هیچ نعمت مادی خالص از ضرر و خطر یافت نمی شود.

به علاموه نعمتهایی که در نزد خود است به خاطر جاودانگی آنها و زود گذر بودن مواهب این دنیا قابل مقایسه با متاع دنیا نیست، بنابراین هم بهتر و هم پایدارتر است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۷۲

به این ترتیب در یک مقایسه ساده هر انسان عاقلی میفهمد که نباید آن را فدای این کرد، لذا در پایان آیه میفرماید: «آیا اندیشه نمی کنید»؟! (أَ فَلا تَعْقِلُونَ).

سورة القصص(28): آية 61 ص: 477

(آیه ۶۱)– در آیات گذشته سخن از کسانی بود که به خاطر تمتع و بهره گیری از نعمتهای دنیا کفر را بر ایمان و شرک را بر توحید ترجیح دادهاند، در اینجا وضع این گروه را در قیامت در برابر مؤمنان راستین مشخص میکند.

نخست با یک مقایسه که به صورت استفهام مطرح شده، وجدان همگان را به داوری می طلبد و می گوید: «آیا کسی که به او وعده نیک داده ایم، و به آن خواهد رسید همانند کسی است که متاع زندگی دنیا به او داده ایم سپس روز قیامت (برای حساب و جزا) از احضار شدگان خواهد بود»؟ (أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَيناً فَهُوَ لاقِیهِ کَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَیاةِ اللَّنْیا ثُمَّ هُو یَوْمَ الْقِیامَةِ مِنَ الْمُحْضَرینَ).

سورة القصص (28): آية 67 ص: 477

(آیه ۶۲) - و به دنبال این سخن، صحنه های رستاخیز را در برابر کفار مجسّم می کند صحنه هایی که از تصورش مو بر بدن راست می شود و اندام را به لرزه در می آورد.

می گوید: «روزی را (به خاطر بیاورید) که خداونید آنها را نیدا میدهد و می گوید: کجا هستند همتایانی که برای من می پنداشتید»؟! (وَ یَوْمَ یُنادِیهِمْ فَیَقُولُ أَیْنَ شُرَکائِیَ الَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ).

این سؤال یک نوع سر زنش و مجازات است.

سورة القصص(28): آية 63 ص: 473

(آیه ۶۳) – اما به جای این که آنها به پاسخ پردازند معبودهایشان به سخن در می آیند و از آنها اظهار تنفر و بیزاری می کنند، زیرا می دانیم معبودان گاه بتهای سنگ و چوبی بودند، و گاه مقدسینی همچون فرشتگان و مسیح، و گاه جن و شیاطین، در اینجا گروه سوم به سخن می آیند که سخن آنها را در این آیه می خوانیم:

«گروهی (از معبودان) که فرمان عذاب در باره آنها مسلم شده، می گویند:

پروردگارا! ما اینها [عابدان] را گمراه کردیم (آری) ما آنها را گمراه کردیم همان گونه که خودمان گمراه شدیم (ولی آنها به میل خویش به دنبال ما آمدند) ما (از آنها) به سوی تو بیزاری میجوییم، آنان در حقیقت ما را نمی پرستیدند بلکه هوای نفس بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۷۳

خود را پرستش مىكردنىد! (قىالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنا هؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنا هُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ).

سورة القصص(28): آية 64 ص: 473

(آیه ۶۴)– به دنبال سؤالی که از آنها در باره معبودهایشان می شود و آنها در پاسخ عاجز می مانند، به آنان «گفته می شود: شما معبودهایتان را (که شریک خدا می پنداشتید) بخوانید» تا به یاری شما بر خیزند! (وَ قِیلَ ادْعُوا شُرَکاءَکُمْ).

آنها با این که میدانند در آنجا کاری از دست معبودان ساخته نیست، بر اثر شدت وحشت و یا به خاطر اطاعت فرمان خدا دست تقاضا به سوی معبودانشان دراز می کنند و «آنها را به کمک میخوانند» (فَدَعَوْهُمْ).

ولى پيداست «جوابي به آنها نمي دهند» و دعوت آنها را لبيك نمي گويند (فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ).

در این هنگام است که «عذاب الهی را در برابر چشم خود می بینند» (وَ رَأُوُا الْعَذابَ).

«و آرزو می کنند که ای کاش هدایت یافته بودند» (لَوْ أَنَّهُمْ کَانُوا یَهْتَدُونَ).

چرا که هر دست و پایی در آنجا کننـد جز ناکامی و رسوایی نتیجهای نخواهـد داشت، چون تنها راه نجات ایمان و عمل صالح بوده که آنها فاقد آنند.

سورة القصص(28): آية 65 ص: 473

(آیه ۶۵)- به دنبال سؤال از معبودهای آنها، سؤال دیگری از عکس العمل آنان در برابر پیامبران می شود، می فرماید: «و روزی را (به خاطر بیاورید) که خداوند آنها را ندا می دهد و می گوید: چه پاسخی به پیامبران (من) گفتید»؟! (وَ یَوْمَ یُنادِیهِمْ فَیَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِینَ).

و مسلما آنها پاسخی ندارند، آیا بگویند دعوت آنها را اجابت کردیم که این دروغ است و دروغ در آن صحنه خریدار ندارد؟ یا بگویند تکذیبشان کردیم، به آنها تهمت زدیم، ساحرشان نامیدیم مجنونشان خواندیم؟! بر ضد آنها دست به پیکار مسلحانه زدیم. هر چه بگویند مایه بد بختی و رسوایی است!

سورة القصص (28): آية 66 ص: 473

(آیه ۶۶)– لـذا در این آیه میفرمایـد: «در آن روز همه اخبـار بر آنهـا پوشـیده میمانـد» و هیـچ پاسـخی برای گفتن در اختیار

ندارند (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ). بر گزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ٤٧۴

«حتى نمى توانند از يكديگر سؤالى كنند» و پاسخى از هم بشنوند فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ.

و به این ترتیب همه خبرها بر آنها پوشیده میشود، هیچ پاسخی در برابر این سؤال کمه جواب پیامبران را چه دادید پیدا نمی کنند.

سورة القصص(28): آية 67 ص: 474

(آیه ۶۷) – و از آنجا که روش قرآن این است که همیشه درها را به روی کافران و گنهکاران باز می گذارد تا در هر مرحلهای از فساد و آلودگی باشند بتوانند به راه حق برگردند، در این آیه می افزاید: «اما کسی که توبه کند و ایمان آورد و عمل صالح انجام دهد امید است از رستگاران باشد» فَأَمَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَعَسی أَنْ یَکُونَ مِنَ الْمُفْلِحِینَ.

سورة القصص(28): آية 68 ص: 474

(آیه ۶۸)– این آیه در حقیقت دلیلی است بر نفی شرک و بطلان عقیده مشرکان، میفرماید: «و پروردگار تو هر چه را بخواهد خلق میکند، و (هر چه را بخواهد) برمیگزیند» وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ یَخْتارُ.

آفرینش به دست اوست و تدبیر و اختیار و گزینش نیز به اراده و فرمان اوست.

«آنها در برابر او اختيارى ندارند» ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ.

اختیار آفرینش با اوست، اختیار شفاعت به دست او، و اختیار ارسال پیامبران نیز به اراده اوست، خلاصه اختیار همه چیز بستگی به مشیت ذات پاک او دارد. با این حال چگونه آنه راه شرک می پویند و چگونه به سوی غیر خدا می روند؟! لذا در پایان آیه می فرماید: «منزه است خداوند و برتر و بالاتر است از همتایانی که برای او قائل می شوند» سُبْحانَ اللَّهِ وَ تَعالی عَمَّا یُشْرِ کُونَ.

سورة القصص(28): آية 69 ص: 474

(آیه ۶۹) – این آیه که سخن از علم گسترده خداوند می گوید در حقیقت تأکیدی است و یا دلیلی است برای آنچه در آیه قبل از اختیار و مشیت گسترده خداوند بیان شد.

می فرماید: «و پروردگار تو می داند آنچه را سینه هاشان پنهان می دارد، و آنچه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۷۵ را که آشکار می کنند، وَ رَبُّکَ یَعْلَمُ ما تُکِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما یُعْلِنُونَ.

این احاطه او بر همه چیز دلیلی است بر اختیار او نسبت به همه چیز و ضمنا تهدیدی است برای مشکان که گمان نکنند خدا از نیات و توطئههای آنها آگاه نیست.

سورة القصص(28): آية ٧٠ ص: 473

(آیه ۷۰)- این که در حقیقت، حکم نتیجه گیری و توضیح برای آیات گذشته در زمینه نفی شرک دارد، چهار وصف از اوصاف الهی را منعکس می کند که همه فرع بر خالقیت و مختار بودن اوست.

نخست مي گويد: «و او خدايي است كه معبودي جز وي نيست، وَ هُوَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ.

بنابراین آنها که به بهانه شفاعت و مانند آن دست به دامن بتها میزنند، سخت در اشتباهند.

ديگر اين كه تمام نعمتها چه در اين جهان و چه در آن جهان همه از ناحيهٔ اوست، و اين لازمه خالقيت مطلقهٔ او ميباشد، لذا ميافزايد: «هر حمد و ستايشي براي اوست در اين جهان و جهان ديگر» لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولِي وَ الْآخِرَةِ.

سوم این که: «حاکمیت (نیز) از آن اوست، وَ لَهُ الْحُكْمُ.

بدیهی است وقتی خالق و مختار او باشد، حاکمیت تکوین و تشریع نیز در اختیار او خواهد بود.

چهارم این که: «و همه شما (برای حساب و پاداش و کیفر) به سوی او باز گردانده می شوید» وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

اوست که شما را آفریده، و اوست که از اعمال شما آگاه است و اوست که حاکم یوم الجزاء میباشد، بنابراین حساب و جزای شما نیز به دست او خواهد بود.

سورة القصص(28): آية ٧١ ص: 473

(آیه ۷۱)- نعمت بزرگ روز و شب: در اینجا سخن از بخش عظیمی از مواهب الهی می گوید که هم دلیلی است بر مسأله توحید و نفی شرک و از این نظر بحث گذشته را تکمیل می کند - و هم نمونهای است از نعمتهای خداوند که به خاطر آن شایسته حمد و ستایش است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۷۶

نخست به نعمت بزرگ نور و روشنایی روز که مایه هر جنبش و حرکت است اشاره کرده، میفرماید: «بگو: به من خبر دهید اگر خداوند شب را تا قیامت بر شما جاودان سازد آیا معبودی جز خدا می تواند روشنایی برای شما بیاورد؟ آیا نمی شنوید»؟! (قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَیْکُمُ اللَّیْلَ سَرْمَداً إِلی یَوْم الْقِیامَةِ مَنْ إِلهٌ غَیْرُ اللَّهِ یَأْتِیکُمْ بِضِیاءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ).

سورة القصص(28): آية 27 ص: 478

(آیه ۷۲)- این آیه سخن از نعمت «ظلمت و تاریکی» به میان می آورد، می فرماید: «بگو: به من خبر دهید اگر خداوند روز را تا قیامت بر شما جاودان کند چه معبودی غیر از الله است که شبی برای شما بیاورد تا در آن آرامش یابید؟ آیا نمی بینید»؟! (قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَیْکُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلی یَوْمِ الْقِیامَةِ مَنْ إِلهٌ غَیْرُ اللَّهِ یَاْتِیکُمْ بِلَیْلٍ تَسْکُنُونَ فِیهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ).

سورة القصص(28): آية 23 ص: 476

(آیه ۷۳) و در این آیه که در حقیقت نتیجه گیری از دو آیه قبل است می فرماید: «و از رحمت الهی است که برای شما شب و روز قرار داد، تا از یک سو در آن آرامش پیدا کنید، و از سوی دیگر برای تأمین زندگی و بهره گیری از فضل خداوند تلاش کنید، و شاید شکر نعمت او را به جا آورید» (وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ لِتَشْ کُنُوا فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ).

آرى! گستردگى دامنه رحمت خدا ايجاب مىكند كه تمام وسائل حيات شما را تأمين كند.

سورة القصص(28): آية 24 ص: 476

(آیه ۷۴)– بار دیگر پس از ذکر گوشهای از دلائل توحید و ابطال شـرک به سراغ همان سؤالی میرود که در آیات گذشته نیز مطرح شده بود.

مى فرمايىد: «روزى را (بـه خـاطر بياوريــد) كـه خداونــد آنهـا را نــدا مى دهــد و مى گويــد كجاينـد شــريكانى كـه براى من مى پنداشتيد»؟! (وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ).

سورة القصص(28): آية 28 ص: 478

(آیه ۷۵) - در این آیه می فرماید: در آن روز «از هر امتی گواهی بر می گزینیم» (وَ نَزَعْنا مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ شَهِیداً). سپس به مشرکان بی خبر و گمراه «می گوییم: دلیل خود را (بر شرکتان) بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۷۷ بیاورید»؟! (فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَکُمْ).

اینجاست که همه مسائل آفتابی میشود «و آنها میدانند که حق برای خداست» (فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ).

«و تمام آنچه را افترا مى بستند از (نظر) آنها گم خواهد شد»! (وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ).

این گواهان به قرینه آیات دیگر قرآن، همان پیامبرانند که هر پیامبری گواه امت خویش است، و پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله که خاتم انبیاست گواه بر همه انبیا و امتها.

سورة القصص(28): آية 26 ص: 477

(آیه ۷۶)- ثروتمند خود خواه بنی اسرائیل: سر گذشت عجیب موسی و مبارزه او با فرعون در بخشی از آیات این سوره مشروحا گذشت.

در این بخش از آیات این سوره سخن از در گیری دیگر بنی اسرائیل با مردی ثروتمند و سر کش از خودشان به نام قارون به میان می آورد.

معروف است که او از بستگان نزدیک موسی (ع) بود، و از نظر اطلاعات و آگاهی از تورات معلومات قابل ملاحظهای داشت، نخست در صف مؤمنان بود، ولی غرور ثروت او را به آغوش کفر کشید و به قعر زمین فرستاد، او را به مبـارزه با پیامبر خـدا وادار نمود و مرگ عبرتانگیزش درسی برای همگان شد.

نخست می گوید: «قارون از قوم موسی بود اما بر آنها ستم و ظلم کرد» (إِنَّ قارُونَ کانَ مِنْ قَوْم مُوسی فَبَغی عَلَيْهِمْ).

علت این بغی و ظلم آن بود که ثروت سرشاری به دست آورده بود.

قرآن می گویـد: «ما آنقـدر اموال و ذخائر و گنج به او دادیم که حمل خزائن او برای یک گروه زورمند، مشـکل بود» (وَ آتَیْناهُ مِنَ الْکُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِی الْقُوَّةِ).

ببینیم بنی اسرائیل به قارون چه گفتند؟

قرآن می گوید: «به خاطر بیاور زمانی را که قومش به او گفتند: این همه خوشحالی (آمیخته با غرور و غفلت و تکبر) نداشته باش که خدا شادی کنندگان مغرور را دوست نمیدارد» (إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ الْفَرِحِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۷۸

سورة القصص(28): آية ٧٧ ص: 478

(آیه ۷۷)- بعد از این نصیحت، چهار اندرز پرمایه و سرنوشت ساز دیگر به او میدهند که مجموعا یک حلقه پنج گانه کامل را تشکیل میدهد.

نخست مي گويند: «در آنچه خدا به تو داده است سراي آخرت را جستجو كن، وَ ابْتَغ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ.

اشاره به این که مال و ثروت بر خلاف پندار بعضی از کجاندیشان، چیز بدی نیست، مهم آن است که ببینیم در چه مسیری به کار میافتند. و قارون کسی بود که با داشتن آن اموال عظیم، قدرت کارهای خیر اجتماعی فراوان داشت ولی چه سود که غرورش اجازهٔ دیدن حقایق را به او نداد.

در نصيحت دوم افزودند: «و سهم و بهرهات را از دنيا فراموش مكن» وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا.

این یک واقعیت است که هر انسان سهم و نصیب محدودی از دنیا دارد، یعنی اموالی که جذب بـدن او، یا صـرف لباس و مسکن او میشود مقدار معینی است، و مازاد بر آن به هیچ وجه قابل جذب نیست.

مگر یک نفر چقدر می تواند غذا بخورد؟ چه اندازه لباس بپوشد؟ چند مسکن و چند مرکب می تواند داشته باشد؟ و به هنگام مردن چند کفن با خود می تواند ببرد؟ پس بقیه خواه و ناخواه سهم دیگران است و انسان امانت دار آنها! و چه زیبا فرمود: امیر مؤمنان علی علیه السّ بلام: «ای فرزند آدم! هر چه بیش از مقدار خوراکت به دست می آوری خزانه دار دیگران در مورد آن خواهی بود»! سومین اندرز این که: «همان گونه که خدا به تو نیکی کرده است تو هم نیکی کن» و أُحْسِنْ کَما أُحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْکَ.

و به تعبیر دیگر همان گونه که خدا به تو بخشیده است به دیگران ببخش.

بالاخره چهـارمین انـدرز این کمه: نکنـد که این امکانات مادی تو را بفریبـد و آن را در راه فساد و افساد به کار گیری! «هرگز فساد در زمین مکن که خدا مفسدان را دوست ندارد» وَ لا تَبْغ الْفَسادَ فِی الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ الْمُفْسِدِینَ.

این نیز یک واقعیت است که بسیاری از ثروتمندان ب ایمان گاه بر اثر جنون برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۷۹

افزون طلبی و گاه برای برتری جویی دست به فساد میزنند جامعه را به محرومیت و فقر می کشانند همه چیز را در انحصار خود می گیرند.

سورة القصص(28): آية 28 ص: 479

(آیه ۷۸)– اکنون نوبت آن رسیده است که ببینیم مرد یاغی و ستمگر بنی اسرائیل به این واعظان دلسوز چه پاسخ گفت؟ قارون با همان حالت غرور و تکبری که از ثروت بیحسابش ناشی میشد چنین «گفت: من این ثروت را به وسیله دانشی که نزد من است به دست آوردهام»! قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلی عِلْم عِنْدِی.

این مربوط به شما نیست که من با ثروتم چگونه معامله کنم! در اینجا قرآن پاسخ کوبندهای به قارون- و قارونها- میدهد که «آیا او نمیدانست خداوند اقوامی را قبل از او هلاک کرد که از او نیرومندتر (و آگاهتر) و ثروتمندتر بودند»؟. أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَکَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً.

تو می گویی آنچه داری از طریق علم و دانشت داری، اما فراموش کردی که از تو عالمتر و نیرومندتر و ثروتمندتر فراوان بودند، آیا توانستند از چنگال مجازات الهی رهایی یابند؟ و در پایان آیه با یک جمله کوتاه و پرمعنی هشدار دیگری به او میدهد و میفرماید: به هنگام نزول عذاب الهی «مجرمان از گناهانشان سؤال نمیشوند» وَ لا یُشِئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ اصلا مجالی برای پرسش و پاسخ نیست، عذابی است قاطع و دردناک و کوبنده و ناگهانی.

یعنی امروز آگاهان بنی اسرائیل به قارون نصیحت می کنند و مجال اندیشه و پاسخ به او میدهند اما هنگامی که اتمام حجت شد و عذاب الهی فرا رسید، دیگر مجالی برای اندیشه یا سخنان ناموزون و کبر آلود نیست، عذاب الهی همان و نابودی همان!

سورة القصص(28): آية 29 ص: 479

(آیه ۷۹)- جنون نمایش ثروت! معمولاً ثروتمندان مغرور گرفتار انواعی از جنون میشوند، یک شاخه آن «جنون نمایش ثروت» است، آنها از این که ثروت برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۸۰

خود را به رخ دیگران بکشند لذت می برند، از این که سوار مرکب راهوار گران قیمت خود شوند و از میان پا برهنه ها بگذرند و گرد و غبار بر صورت آنها بیفشانند و تحقیرشان کنند احساس آرامش خاطر می کنند! به هر حال قارون از این قانون مستثنی نبود، بلکه نمونه بارز آن محسوب می شد، قرآن در یک جمله آن را بیان کرده، می فرماید: «پس قارون با تمام زینت خود در برابر قومش (بنی اسرائیل) ظاهر شد» (فَخَرَجَ عَلی قَوْمِهِ فِی زِینَتِهِ).

در اینجا-طبق معمول- مردم دو گروه شدند: اکثریت دنیا پرست که این صحنه خیر کننده قلبشان را از جا تکان داد و آه سوزانی از دل کشیدند و آرزو که ای کاش به جای قارون بودند، حتی یک روز، و یک ساعت، و یک لحظه! چه زندگی شیرین و جذابی چه عالم نشاطانگیز و لذت بخشی؟

چنانكه قرآن مى گويىد: «كسانى كه طالب زنىدگى دنيا بودنىد گفتنىد: اى كاش ما هم مثل آنچه به قارون داده شده است داشتيم»! (قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ).

«بـه راسـتى كه او بهره عظيمى (از نعمتهـا) دارد»! (إِنَّهُ لَــذُو حَ_ظً عَظِيمٍ). آفرين بر قـارون و بر اين ثروت سـرشارش! چه جـاه و جلالى؟

در حقیقت در اینجما کوره عظیم امتحان الهی داغ شد، از یک سو قارون در وسط کوره قرار گرفته، و بایـد امتحان خیرهسـری خود را بدهد، و از سوی دیگر دنیا پرستان بنی اسرائیل در گردا گرد این کوره قرار گرفتهاند.

سورة القصص (28): آية 80 ص: 480

(آیه ۸۰)- ولی در مقابل این گروه عظیم گروه اندکی عالم و اندیشمند، پرهیزگار و با ایمان که افق فکرشان از این مسائل برتر و بالاتر بود در آنجا حاضر بودند، کسانی که شخصیت را با معیار زر و زور نمی سنجیدند، کسانی که این مغزهای پوک را تحقیر می کردند آری گروهی از آنها در آنجا بودند.

چنانکه قرآن می گوید: «و کسانی که علم و آگاهی به آنها داده شده بود صدا زدند: وای بر شما! (چه می گویید؟) ثواب و پاداش الهی برای کسانی که ایمان آوردهاند و عمل صالح انجام میدهند بهتر است» (وَ قالَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَیْلَکُمْ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۸۱

ثُوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً).

و سپس افزودند: «اما جز صابران آن را دريافت نمي كنند» (وَ لا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ).

سورة القصص (28): آية 81 ص: 481

(آیه ۸۱) – قارون با این عمل، طغیان و سر کشی خود را به اوج رسانید، ولی در تواریخ و روایات در اینجا ماجرای دیگری نقل شده است که نشانه نهایت بی شرمی قارون است و آن این که: روزی موسی (ع) به قارون گفت: خداوند به من فرمان داده که زکات مالت را بگیرم، قارون سر باز زد، و برای تبرئه خویش به مبارزه با موسی (ع) برخاست و جمعی از ثروتمندان بنی اسرائیل را نیز با خود همراه ساخت.

یک فکر شیطانی به نظرش رسید، گفت: باید به سراغ زن بد کارهای از فواحش بنی اسرائیل بفرستیم تا به سراغ موسی برود و او را متهم کند که با او سر و سرّی داشته! به سراغ آن زن فرستادند او نیز این پیشنهاد را پذیرفت، این از یکسو.

از سوی دیگر قارون به سراغ موسی آمد و گفت: خوب است بنی اسرائیل را جمع کنی و دستورات خداوند را بر آنها بخوانی، موسی پذیرفت و آنها را جمع کرد.

گفت: خداوند به من دستور داده که جز او را پرستش نکنید، صله رحم به جا آورید و چنین و چنان کنید، و در مورد مرد زنا کار دستور داده است اگر زنای محصنه باشد، سنگسار شود! در اینجا گفتند: حتی اگر خود تو باشی! گفت: آری! حتی اگر خود من باشم! در اینجا وقاحت را به آخرین درجه رساندند و گفتند: ما می دانیم که تو خود مرتکب این عمل شده ای و فورا به دنبال آن زن بد کاره فرستادند.

موسی (ع) رو به او کرد و گفت: به خدا سو گندت می دهم حقیقت را فاش بگو! زن بد کاره با شنیدن این سخن تکان سختی خورد، لرزید و منقلب شد و گفت: اکنون که چنین می گویی من حقیقت را فاش می گویم، اینها از من دعوت کردند تو را متهم کنم، ولی گواهی می دهم که تو پاکی و رسول خدایی! برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۸۲ سپس دو کیسه پولی را که به او داده بودند نشان داد و گفتنیها را گفت.

موسی (ع) به سجده افتاد و گریست، در اینجا بود که فرمان مجازات قارون زشت سیرت توطئه گر صادر شد.

چنانکه قرآن مجید می گوید: «ما او و خانهاش را در زمین فرو بردیم» (فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ).

عجبا! فرعون در امواج نیـل فرو میرود، و قـارون در اعمـال زمین، آبی که مایه حیات است مأمور نابودی فرعونیان میشود، و زمینی که مهد آرامش است گورستان قارون و قارونیان.

مسلم است که در آن خانه، قارون تنها نبود، او و اطرافیانش، او و هم سنگرانش.

﴿و گروهی نداشت که او را در برابر عذاب الهی یاری کنند، و خود نیز نمی توانست خویشتن را یاری دهد»! (فَما کانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما کانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ).

سورة القصص (28): آية 28 ص: 482

(آیه ۸۲)- این آیه دگرگونی عجیب تماشاچیان دیروز را که از مشاهده جاه و جلال قارون به وجد و سرور آمده بودند منعکس می کند که به راستی عجیب و آموزنده است، می گوید: «و آنها که دیروز آرزو داشتند که به جای او باشند (آنگاه که صحنه فرو رفتن او و ثروتش را به قعر زمین دیدند) می گفتند: وای بر ما! گویی خدا روزی را بر هر کس از بندگانش

بخواهـد گسترش مىدهـد و بر هر كس بخواهـد تنگ مىگيرد» و كليـد آن تنها در دست اوست (وَ أَصْيِبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ).

لـذا در مقام شـكر اين نعمت بر آمدنـد و گفتند: «اگر خداوند بر ما منت نگذارده بود، ما را هم به قعر زمين فرو ميبرد»! (لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا).

«ای وای! مثل این که کافران هرگز رستگار نمیشونـد» (وَیْکَاَنَّهُ لا یُفْلِـئُ الْکافِرُونَ). الان حقیقت را با چشم خود میبینیم، و نتیجه غرور و غفلت و سر انجام کفر و شهوت را.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۸۳

سورة القصص(28): آية 83 ص: 483

(آیه ۸۳)- نتیجه سلطه جویی و فساد در ارض: بعد از ذکر ماجرای تکان دهنده ثروتمند جنایتکار یعنی قارون، در این آیه بیانی آمده است که در حقیقت یک نتیجه گیری کلی از این ماجراست، میفرماید: آری «این سرای آخرت را (تنها) برای کسانی قرار میدهیم که اراده برتری جویی در زمین و فساد را ندارند» (تِلْمکَ الدَّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً).

آنچه سبب محرومیت انسان از مواهب سرای آخرت می شود در حقیقت همین دو است «برتری جویی» (استکبار) و «فساد در زمین» که همه گناهان در آن جمع است.

لذا قرآن در پایان آیه می فرماید: «و عاقبت نیک برای پرهیز کاران است» (وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِینَ).

«عاقبت» به مفهوم وسیع کلمه، سر انجام نیک، پیروزی در این جهان، بهشت و نعمتهایش در جهان دیگر است.

سورة القصص(28): آية 34 ص: 483

(آیه ۸۴) – بعد از ذکر این واقعیت که سرای آخرت و نعمتهایش از آن سلطه جویان و مستکبران نیست بلکه مخصوص پرهیز کاران متواضع و حق طلب است، در این آیه به بیان یک قانون کلی – که آمیزهای است از «عدالت» و «تفضل» در مورد پاداش و کیفر – پرداخته، می گوید: «کسی که کار نیکی انجام دهد برای او پاداشی بهتر از آن است» (مَنْ جاء بِالْحَسَنَة فَلَهُ خَیْرٌ مِنْها). این همان مرحله «تفضل» الهی در باره نیکو کاران است یعنی خداوند همچون مردم تنگ چشم نیست که به هنگام رعایت عدالت، سعی می کنند مزد و پاداش درست به اندازه عمل باشد او گاهی چندین برابر از لطف بی کرانش پاداش عمل را می دهد و حد اقل آن ده برابر است.

سپس به ذکر مجازات بـد کاران پرداخته، می گوید: «و به کسانی که کارهای بد انجام دهند، مجازات بد کاران جز (به مقدار) اعمالشان نخواهد بود» (وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلَّا ما کانُوا يَعْمَلُونَ).

و این مرحله «عدل» پروردگار است، چرا که ذرهای بیش از آنچه انجام دادهاند کیفر نمیشوند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۸۴

سورة القصص(28): آية 80 ص: 484

(آیه ۸۵)- شأن نزول: هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله به قصد هجرت از «مکّه» به سوی مدینه می آمد به سر زمین «جحفه» که رسید، به یاد موطنش «مکّه» افتاد، آثار این شوق که با تأثر و اندوه آمیخته بود در چهره مبارکش نمایان گشت. در اینجا پیک وحی خدا جبرئیل نازل شد و پرسید آیا به راستی به شهر و زادگاهت اشتیاق داری؟

پیامبر فرمود: آری! جبرئیل عرض کرد: خداونـد این پیام را برای تو فرسـتاده: «إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرادُّکَ إِلَی مَعادٍ) آن کس که این قرآن را بر تو فرض کرده است تو را به سر زمین اصلیت باز می گرداند.» و میدانیم این وعده بزرگ سر انجام تحقق یافت.

بنا بر این آیه فوق یکی از پیشگوئیهای اعجاز آمیز قر آن است که چنین خبری را بطور قطع و بدون هیچ قید و شرط بیان کرده و بعد از مدت کوتاهی تحقق یافت.

تفسیر: وعده بازگشت به حرم امن خدا- در شأن نزول آمد که این آیه طبق مشهور در سر زمین «جحفه» در مسیر پیامبر صلّی الله علیه و آله به سوی مدینه نازل شد، او میخواهد به «یشرب» برود و آن را «مدینهٔ الرسول» کند، اما با این حال عشق و دلبستگی او به مکه سخت او را آزار میدهد.

اینجاست که نور وحی به قلب پاکش می تابد و بشارت بازگشت به سر زمین مألوف را به او می دهد، و می گوید: «همان کسی که قرآن را بر تو فرض کرد تو را به جایگاه و زادگاهت باز می گرداند» (إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرادُّکَ إِلی مَعادٍ).

غم مخور همان خدایی که موسی را در طفولیت به مادرش باز گرداند، همان خدایی که او را بعد از یک غیبت ده ساله از مصر به زادگاه اصلیش باز گردانید، همان خدا تو را با قدرت و قوت تمام به مکه باز می گرداند، و چراغ توحید را با دست تو در این سرزمین مقدس بر می افروزد.

سپس میافزاید در برابر خیره سری مخالفان سر سخت «بگو: پروردگار من از همه بهتر میداند چه کسی هدایت را (از سوی او) آورده، و چه کسی در ضلال مبین است» (قُلْ رَبِّی أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدی وَ مَنْ هُوَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ).

راه هدایت روشن است و گمراهی آنها آشکار، آنها بیهوده خود را خسته برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۸۵ میکنند، خدا به خوبی میداند و دلهای حق طلب نیز از این واقعیت آگاه است.

سورة القصص(28): آية 86 ص: 485

(آیه ۸۶)- این آیه به یکی دیگر از بزرگترین نعمتهای پروردگار به پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله پرداخته، و میگویـد: «تو هرگز این امید را نداشتی که این کتاب (بزرگ آسـمانی) به تو القاء گردد، لکن رحمت پروردگار تو چنین ایجاب کرد» (وَ ما کُنْتَ تَوْجُوا أَنْ یُلْقی إِلَیْکَ الْکِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ).

سپس مىافزايد: اكنون به شكرانه اين نعمت بزرگ «هرگز از كافران پشتيبانى مكن» (فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ).

سورة القصص(28): آية 87 ص: 485

(آیه ۸۷) - دو آیه پایان این سوره تأکیدی است بر مسأله توحید با تعبیرها و استدلالات گوناگون، توحیدی که خمیر مایه تمام مسائل دینی است.

در این دو آیه چهار دستور به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله داده شده و چهار توصیف از پروردگار به عمل آمده است، و مجموع

بحثهایی را که در آیات این سوره آمده تکمیل می کند.

نخست مى گويد: «نبايد (كفار) تو را از آيات خداوند بعد از آن كه بر تو نازل شد باز دارند» (وَ لا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ).

گر چه نهی متوجه کفار است، اما مفهومش عدم تسلیم پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در برابر کار شکنیها و توطئههای آنهاست. و به این ترتیب به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور می دهد هنگامی که آیات الهی نازل شد باید با قاطعیت روی آن بایستی و به سوی مقصد با قدمهای محکم پیش بروی که خدا همراه تو و پشتیبان تو است.

به دنبال این دستور که جنبه نفی داشت، دستور دوم را که جنبه اثبات دارد صادر کرده، و می گویـد «و به سوی پروردگارت دعوت کن» (وَ ادْعُ إلی رَبِّکُ).

خداوندی که مالک تو و صاحب اختیار توست، و مربی و پرورش دهنده تو می باشد.

سومین دستور بعـد از دعوت به سوی اللّه، نفی هر گونه شـرک و بت پرستی است، میگوید: «و قطعا از مشـرکان مباش» (وَ لا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِکِینَ).

که راه توحید آشکار است و نورانی، و رهروان آن بر صراط مستقیمند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۸۶

سورة القصص(28): آية 88 ص: 489

(آیه ۸۸)- بالاخره چهارمین دستور، تأکید مجددی است بر نفی هر گونه شرک، میفرماید: «و هیچ معبود دیگری را با خدا مخوان» (وَ لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ).

این دستورهای پی در پی که هر کدام دیگری را تأکید می کند، اهمیت مسأله توحید را در برنامههای اسلامی روشن می سازد. به دنبال این دستورات چهار گانه، توصیفهای چهار گانهای از خدا می کند، که آنها نیز تأکید پی در پی در مسأله توحید است. نخست می گوید: «هیچ معبودی جز او نیست» (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ).

«همه چيز جز ذات پاک او فاني و نابود مي شود» (ُكُلُّ شَيْءٍ هالِكُ إِلَّا وَجْهَهُ).

و هنگامی که دانستیم تنها چیزی که در این عالم باقی میماند ذات پاک خداست روشن میشود هر چیز به نحوی با ذات پاک او پیوند و ارتباط داشته باشد از آن نظر فنا و هلاک برای او نیست.

«حكم و حاكميت (در جهان تكوين و تشريع) مخصوص ذات پاك اوست» (لَهُ الْحُكْمُ).

«و همه به سوى او باز گردانده مىشويد» (وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

توصیفهای سه گانه اخیر می تواند دلیلی بر اثبات توحید و ترک هر گونه بت پرستی باشد که در توصیف اول آمده است.

«پایان سوره قصص»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۸۷

سوره عنكبوت [29] ص: 487

محتوای سوره: ص : 487

بطور کلی می توان گفت بحثهای این سوره در چهار بخش خلاصه می شود:

۱- بخش آغاز این سوره که پیرامون مسأله «امتحان» و «وضع منافقان» است و این دو پیوند ناگسستنی با هم دارند.

۲- بخش دیگری که در حقیقت برای دلـداری پیامبر صلّی الله علیه و آله و مؤمنان اندک نخستین از طریق بیان گوشههایی از
 سر نوشت پیامبران بزرگی همچون نوح و ابراهیم و لوط و شعیب است.

۳- بخش دیگری از توحید، نشانه های خدا در عالم آفرینش، و مبارزه با شرک، سخن می گوید.

۴-قسمت دیگری از این سوره بر محور ضعف و ناتوانی معبودهای ساختگی، و عابدان «عنکبوت صفت» آنها و همچنین عظمت قرآن و دلائل حقانیت پیامبر اسلام و لجاجت مخالفان و نیز یک سلسله مسائل تربیتی همچون نماز، نیکی به پدر و مادر، و اعمال صالح دور میزند.

نامگذاری این سوره به «سوره عنکبوت» از آیه ۴۱ آن گرفته شده که بت پرستان را که تکیه بر غیر خدا می کنند تشبیه به عنکبوت می کند که تکیه گاهش، تارهای سست و بی بنیاد است. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۸۸

فضیلت تلاوت سوره: از پیامبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله چنین آمده است: «هر کس سوره عنکبوت را بخواند به تعداد تمام مؤمنان و منافقان، ده حسنه برای او نوشته می شود».

مخصوصا درباره تلاوت سوره عنکبوت و روم در ماه رمضان در شب بیست و سوم، فضیلت فوق العاده ای وارد شده است تا آنجا که در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام می خوانیم: «هر کس سوره عنکبوت و روم را در ماه رمضان شب بیست و سوم تلاوت کند به خدا سوگند اهل بهشت است، و من هیچ کس را از این مسأله استثنا نمی کنم، و نمی ترسم که خداوند در این سوگند قاطع من گناهی بر من بنویسد، و مسلما این دو سوره در پیشگاه خدا بسیار ارج دارد».

بدون شک محتوای پر بار این دو سوره و درسهای مهم توحیدی آن، و برنامههای سازنده عملی که در این سوره ارائه شده است کافی است که هر انسانی را که اهل اندیشه و الهام و عمل باشد به بهشت جاویدان سوق دهد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة العنكبوت(29): آية 1 ص: 488

(آیه ۱)- باز در آغاز این سوره به حروف مقطّعه «الف- لام- میم» (الم). بر خورد می کنیم که تاکنون بارها تفسیر آن را بیان کرده ایم.

سورة العنكبوت(29): آية 7 ص: 488

(آیه ۲)- آزمایش الهی یک سنت جاویدان: بعد از ذکر حروف مقطعه به یکی از مهمترین مسائل زندگی بشر که مسأله شداید و فشارها و آزمونهای الهی است اشاره کرده، می گوید: «آیا مردم گمان کردند همین اندازه که اظهار ایمان کنند (و شهادت به توحید و رسالت پیامبر دهند) به حال خود واگذارده خواهند شد و آنها امتحان نمی شوند»؟! (أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ

يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ).

سورة العنكبوت(29): آية 3 ص: 488

(آیه ۳)- بعد بلا فاصله به ذکر این حقیقت میپردازد که امتحان یک سنّت همیشگی و جاودانی الهی است، امتحان مخصوص شما جمعیت مسلمانان نیست، سنتی است که در تمام امتهای پیشین جاری بوده است، میفرماید: «ما کسانی را که قبل از آنها بودند آزمایش کردیم» (وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۸۹

آنها را نیز در کورههای سخت امتحان افکندیم، آنها نیز همچون شما در فشار دشمنان بیرحم و جاهل و بیخبر و متعصب و لجوج قرار داشتند.

باید هم چنین باشد چرا که در مقام ادعا هر کس می تواند خود را برترین مؤمن، بالاترین مجاهد، و فداکارترین انسان معرفی کند، باید وزن و قیمت و ارزش این ادعاها از طریق آزمون روشن شود.

آرى «بايـد خـدا بدانـد چـه كسـانى راسـت مى گوينـد، و چـه كسـانى دروغگـو هسـتند» (فَلَيَعْلَمَ نَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَـدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكُهُ الَّذِينَ صَـدَدُقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ).

بدیهی است خدا همه اینها را میداند، منظور از «علم» در اینجا ظهور آثار و شواهد عملی است، یعنی باید علم خدا درباره مردم عملادر خارج پیاده شود، و تحقق عینی یابد، و هر کس آنچه را در درون دارد بیرون ریزد، تا ثواب و جزا و کیفر مفهوم داشته باشد.

سورة العنكبوت(29): آية 4 ص: 489

(آیه ۴)- فرار از حوزه قدرت خدا ممکن نیست! در آیات گذشته سخن از آزمایش عمومی مؤمنان بود، و این آیه تهدید شدیدی برای کفار و گنهکاران است، تا گمان نکنند اگر مؤمنان را تحت فشار قرار دادند و مجازاتهای الهی فورا دامان آنها را فرو نگرفت خدا از آنها غافل است.

مىفرمايىد: «آيىا كسانى كه سيئات را انجام مىدهنىد گمان كردنىد بر ما پيشى خواهنىد گرفت (و از چنگال كيفر ما رهايى خواهند يافت؟) چه بد قضاوتى كردند»! (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا ساءَ ما يَحْكُمُونَ).

مهلت الهی آنها را مغرور نکند که این نیز برای آنها آزمونی است و فرصتی برای توبه و بازگشت.

سورة العنكبوت(29): آية 5 ص: 489

(آیه ۵)- سپس بار دیگر به سراغ برنامه های مؤمنان و اندرز به آنها می رود می گوید: «هر کس امید لقاء پروردگار دارد (باید آنچه در توان دارد از اطاعت فرمان او مضایقه نکند) زیرا زمانی را که خداوند تعیین کرده (سر انجام) فرا می رسد» (مَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ). آری! این وعده الهی تخلف ناپذیر است.

و از این گذشته خداوند سخنان شما را می شنود و از اعمال و نیات شما آگاه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۹۰ است که «او شنوا و داناست» (وَ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ).

لقـای پروردگـار در قیامت، نه یک ملاقات حسـی است که یک لقای روحانی و یک نوع شـهود باطنی است، چرا که در آنجا

پردههای ضخیم عالم ماده از مقابل چشم جان انسان کنار میرود، و حالت شهود به انسان دست میدهد.

سورة العنكبوت(29): آية 6 ص: 490

(آیه ۶)- این آیه در حقیقت تعلیلی است برای آنچه در آیه قبل گذشت، می گوید: این که دستور داده شده مؤمنان به «لقاء الله» آنچه در توان دارند فرو گذار نکنند به خاطر این است که «هر کسی جهاد و تلاش و کوششی کند (و تحمل مصائب و مشکلاتی نماید) در حقیقت برای خود جهاد کرده است، چرا که خدا از همه جهانیان بی نیاز است» (وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما یُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِیٌّ عَنِ الْعَالَمِینَ).

برنامه آزمون الهی، جهاد با هوای نفس، و مبارزه با دشمنان سر سخت برای حفظ ایمان و پاکی و تقوا، به سود خود انسان است.

سورة العنكبوت(29): آية 7 ص: 490

(آیه ۷)- این آیه توضیح و تکمیلی است برای آنچه بطور سر بسته در آیه قبل تحت عنوان «جهاد» آمده بود، در اینجا حقیقت جهاد را شکافته و چنین باز گو می کند: «کسانی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند گناهان آنها را می پوشانیم» (وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنَکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئاتِهِمْ).

بنا بر این نخستین فایده این جهاد بزرگ (ایمان و عمل صالح) تکفیر و پوشاندن گناهان است که عائد خود انسان میشود، همانگونه که ثواب آن هم از آن خودشان میباشد.

چنانکه قرآن در پایان آیه می گوید: «و ما بطور قطع آنها را به بهترین اعمالی که انجام دادند پاداش میدهیم» (وَ لَنجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ).

سورة العنكبوت(29): آية لا ص: 490

اشاره

(آیه ۸)

شأن نزول: ص: 490

«بعضی از مردانی که در مکّه بودند ایمان و اسلام را پذیرفتند هنگامی که مادران آنها از این مسأله آگاه شدند تصمیم گرفتند که غذا نخورند، آب ننوشند، تا فرزندانشان از اسلام باز گردند! گر چه هیچ کدام از این مادران به گفته خود وفا نکردند و اعتصاب غذا را شکستند، ولی آیه نازل شد و خط مشی روشنی در برخورد با پدر و مادر در زمینه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۹۱

مسأله ايمان و كفر به دست همگان داد.

تفسير: ص: 491

برترین توصیه نسبت به پـدر و مادر: یکی از مهمترین آزمایشـهای الهی مسأله «تضاد» خط ایمان و تقوا، با پیوندهای عاطفی و خویشاوندی است، قرآن در این زمینه تکلیف مسلمانان را به روشنی بیان کرده است.

نخست به عنوان یک قانون کلی- که از ریشه های عواطف و حق شناسی سر چشمه می گیرد- می فرماید: «و ما به انسان توصیه کردیم نسبت به پدر و مادرش نیکی کند» (وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حُسْناً).

بنا بر این هر کس شایسته نام انسان است باید در برابر پدر و مادر حق شناس باشد، و احترام و تکریم و نیکی به آنها را در تمام عمر فراموش نکند، هر چند با این اعمال هرگز نمی تواند دین خود را به آنها ادا کند.

سپس برای این که کسی تصور نکند که پیوند عاطفی با پدر و مادر می تواند بر پیوند انسان با خدا و مسأله ایمان حاکم گردد، با یک استثنا صریح مطلب را در این زمینه روشن کرده، می فرماید: «و اگر آن دو (پدر و مادر) تلاش و کوشش کنند و به تو اصرار ورزند که برای من شریکی قائل شوی، که به آن علم نداری، از آنها اطاعت مکن» (وَ إِنْ جاهَداک لِتُشْرِک بِی ما لَیْسَ لَک بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما).

و در پایان آیه میافزاید: «باز گشت همه شما به سوی من است پس من شما را از اعمالی که انجام میدادید آگاه میسازم» (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَنْبُئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). و پاداش و کیفر آن را بی کمو کاست در اختیارتان خواهم گذاشت.

این جمله در حقیقت تهدیدی است برای کسانی که راه شرک را میپویند، و کسانی که دیگران را به این راه دعوت میکنند.

سورة العنكبوت(29): آية 9 ص: 491

(آیه ۹)- این آیه بار دیگر حقیقتی را که قبلا در مورد کسانی که ایمان و عمل صالح دارند بیان شد، تکرار و تأکید کرده، می فرماید: «کسانی که ایمان آورده اند و عمل صالح انجام می دهند آنها را در زمره صالحان داخل خواهیم کرد» (وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنَدْخِلَنَهُمْ فِی الصَّالِحِینَ).

اصولا عمل انسان به انسان رنگ می دهد، عمل صالح انسان را از نظر روحی برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۹۲ به رنگ خود در می آورد و در زمره «صالحان» وارد می کند، و عمل سوء در زمره بدان و «ناصالحان».

سورة العنكبوت(29): آية 10 ص: 497

(آیه ۱۰) - در پیروزیها شریکند اما در مشکلات نه! از آنجا که در آیات گذشته بحثهای صریحی از «مؤمنان صالح» و «مشرکان» آمده بود در این آیه به گفتگو پیرامون گروه سوم یعنی «منافقان» می پردازد، می گوید: «و از مردم کسانی هستند که می گویند: به خدا ایمان آورده ایم! اما هنگامی که در راه خدا شکنجه و آزار می بینند، آزار مردم را همچون عذاب الهی می شمارند» و از آن سخت و حشت می کنند (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِیَ فِی اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَهُ النَّاسِ کَعَذابِ اللَّهِ). «ولی هنگامی که پیروزی از سوی پروردگارت (برای شما) بیاید، می گویند:

ما هم با شما بودیم» و در این پیروزی شریکیم (وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَیَقُولُنَّ إِنَّا کُنَّا مَعَکَمْ). آیا اینها گمان میکنند خدا از اعماق قلبشان با خبر نیست؟

«آیا خداوند به آنچه در سینه های جهانیان است آگاهتر نیست»؟ (أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ).

سورة العنكبوت(29): آية 11 ص: 497

(آیه ۱۱)- در این آیه باز برای تأکید بیشتر می افزاید: «بطور قطع خداوند مؤمنان را می شناسد، و نیز بطور یقین خداوند منافقان را نیز می شناسد» (وَ لَیَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ لَیَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِینَ).

اگر ساده لوحانی فکر می کنند می توانند با اخفای حقایق از قلمرو علم خدا دور بمانند سخت در اشتباهند.

«منافقین» معنی وسیعی دارد و افراد ضعیف الایمانی را که با مختصر فشاری تغییر عقیده میدهند نیز شامل میشود.

سورة العنكبوت(29): آية 12 ص: 492

(آیه ۱۲)- این آیه به یک نمونه از منطقهای سست و پوچ مشرکان اشاره کرده، می گوید: «کافران به مؤمنان گفتند: شما بیایید از راه و آیین ما پیروی کنید و (اگر گناهی داشته باشید) ما گناه شما را به دوش می گیریم» (وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلَّذِینَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِیلَنا وَ لُنُحْمِلْ خَطایاکُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۹۳

امروز نیز بسیاری از وسوسه گران را میبینیم که هنگام دعوت به یک عمل خلاف می گویند اگر گناهی دارد به گردن ما! در حالی که میدانیم هیچ کس نمی تواند گناه دیگری را به گردن بگیرد، چرا که خداوند عادل است و کسی را به جرم دیگری مجازات نمی کند.

لـذا در جمله بعـد بـا صـراحت مي گويـد: «آنهـا هر گز چيزي از خطاهـا و گناهـان اينها را بر دوش نخواهنـد گرفت، آنها دروغ مي گويند» (وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ).

سورة العنكبوت(29): آية 13 ص: 493

(آیه ۱۳) - سپس برای این که تصور نشود این دعوت کنندگان به کفر و شرک و بت پرستی و ظلم، در برابر این عملشان مجازاتی ندارند در این آیه میافزاید، «آنها بارهای سنگین گناهانشان را بر دوش می کشند، و بارهای دیگری را اضافه بر بارهای سنگین خودشان»! (وَ لَیَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالُهُمْ وَ أَثْقالُهُمْ وَ أَثْقالُهُمْ).

این بار گناه اضافی همان بار گناه اضلال و اغوا کردن و تشویق دیگران به گناه است، همان بار سنت بد گذاردن.

و در پایـان آیه میافزایـد: «آنهـا بطـور قطـع در روز قیـامت از افتراهـا و دروغهـایی که میبسـتند سؤال میشونـد» و بایـد خود جوابگوی آن باشند (وَ لَیُسْئَلُنَّ یَوْمَ الْقِیامَةِ عَمَّا کانُوا یَفْتَرُونَ).

سورة العنكبوت(29): آية 14 ص: 493

(آیه ۱۴)– اشارهای به سـر گذشت نوح و ابراهیم: از آنجا که بحثهای گذشـته سـخن از آزمایش عمومی انسانها بود از اینجا به

بعد بخشهایی از آزمایشهای سخت انبیا و اقوام پیشین را منعکس می کند.

نخست از اولین پیامبر اولوا العزم یعنی نوح (ع) شروع می کند و در عبارتی کوتاه آن بخش از زندگانیش را که بیشتر متناسب وضع مسلمانان آن روز بود بازگو می کند.

مى گويد: «و ما نوح را به سوى قومش فرستاديم و او در ميان آنها هزار سال- مگر پنجاه سال- درنگ كرد» (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً). برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ۴۹۴

شب و روز مشغول تبلیغ و دعوت به سوی توحید بود، یعنی ۹۵۰ سال! به سوی خدا فرا خواند، و از این تلاش پی گیر خسته نشد اما با این همه جز گروه اندکی ایمان نیاوردند- حدود هشتاد نفر طبق نقل تواریخ یعنی بطور متوسط هر دوازده سال یک نفر!.

بنا بر این شما در راه دعوت به سوی حق و مبارزه با انحرافات خسته نشوید که برنامه شما در مقابل برنامه نوح (ع) سهل و آسان است.

ولى ببينيد پايان اين قوم ستمگر و لجوج به كجا رسيد: «سر انجام طوفان عظيم آنها را فرو گرفت، در حالى كه ظالم و ستمگر بودند» (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ).

سورة العنكبوت(29): آية 15 ص: 494

(آیه ۱۵)- در این آیه میافزاید: «ما او و سر نشینان کشتی را رهایی بخشیدیم، و آن را آیتی برای جهانیان قرار دادیم» (فَأَنْجَيْناهُ وَ أَصْحابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ).

سورة العنكبوت(29): آية 16 ص: 494

(آیه ۱۶) – سپس به دنبال ماجرای فشرده نوح (ع) و قومش به سراغ داستان ابراهیم (ع) دومین پیامبر بزرگ اولوا العزم میرود و می فرماید: «ما ابراهیم را (نیز فرستادیم) هنگامی که به قومش گفت: خدای یگانه را پرستش کنید و از او بپرهیزید که این برای شما بهتر است اگر بدانید» (وَ إِبْراهِیمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ). چرا که دنیایتان را از آلودگیهای شرک و گناه و بد بختی نجات می دهد، و آخرت شما نیز سعادت جاویدان است.

سورة العنكبوت(29): آية 17 ص: 494

(آیه ۱۷) - سپس ابراهیم (ع) به دلائل بطلان بت پرستی میپردازد و با چند تعبیر مختلف که هر کدام متضمن دلیلی است، آیین آنها را شدیدا محکوم می کند.

نخست می گوید: «شما غیر از خدا فقط بتهایی (از سنگ و چوب) را می پرستید» (إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً).

مجسمه هایی بی اراده، بی عقل و شعور و فاقد همه چیز که چگونگی منظره آنها خود دلیل گویایی بر بطلان عقیده بت پرستی است.

بعد از این فراتر می رود و می گوید: نه تنها وضع این بتها نشان می دهد که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۹۵ معبود نیستند، بلکه شما نیز می دانید که «دروغی به هم می بافید» و نام معبود را بر این بتها می گذارید (وَ تَخْلُقُونَ إِفْکاً).

سپس به دلیل سومی میپردازد که پرستش شما نسبت به این بتها یا به خاطر منافع مادی است و یا سر نوشتتان در جهان دیگر، و هر کدام باشد باطل است، چرا که «آنهایی را که غیر از خدا پرستش میکنید، مالک هیچ رزقی برای شما نیستند» (إِنَّ الَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا یَمْلِکُونَ لَکُمْ رِزْقاً).

شما خود قبول داریـد که بتها خالق نیسـتند، بلکه خالق، خـداست بنا بر این روزی دهنده نیز اوست «پس روزی را تنها نزد خدا بطلبید» (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ).

و چون روزی دهنده اوست «او را پرستش کنید و شکر او را به جا آورید» (وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْکُرُوا لَهُ).

و اگر زندگی سرای دیگر را میطلبید بدانید «که بسوی او بازگشت داده میشوید» و نه به سوی بتها! (إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

بتها نه در اینجا منشأ اثری هستند و نه آنجا.

سورة العنكبوت(29): آية 18 ص: 495

(آیه ۱۸) - سپس ابراهیم (ع) به عنوان تهدید، و همچنین بی اعتنایی نسبت به آنها، می گوید: «اگر شما (مرا) تکذیب کنید (جای تعجب نیست) امتهایی پیش از شما نیز (پیامبرانشان را) تکذیب کردند» و به سر نوشت دردناکی گرفتار شدند (وَ إِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّمُ مِنْ قَبْلِكُمْ).

«وظیفه رسول و فرستاده خدا جز ابلاغ آشکار نیست» خواه پذیرا شوند یا نشوند (وَ ما عَلَی الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاُغُ الْمُبِینُ). منظور از امتهای پیشین، قوم نوح و اقوامی بودند که بعد از آنها روی کار آمدند.

سورة العنكبوت(29): آية 19 ص: 495

(آیه ۱۹)- در اینجا قرآن داستان ابراهیم را موقتا رها کرده و بحثی را که ابراهیم در زمینه توحید و بیان رسالت خویش داشت به وسیله ذکر دلیل بر معاد تکمیل میکند.

می گوید: «آیا این منکران معاد، ندیدنـد چگونه خداونـد آفرینش را آغاز می کنـد سپس آن را باز می گردانـد»؟ (أَ وَ لَمْ یَرَوْا کَیْفَ یُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۹۶

در پایان آیه به عنوان تأکید می افزاید: «این کار برای خدا سهل و آسان است» (إِنَّ ذٰلِکَ عَلَى اللَّهِ یَسِیرٌ).

چرا که تجدید حیات در برابر ایجاد روز نخست مسأله ساده تری محسوب می شود، گر چه ساده و مشکل در برابر کسی که قدرتش بی انتهاست مفهومی ندارد.

سورة العنكبوت(29): آية 20 ص: 498

(آیه ۲۰)- قرآن همچنان بحث معاد را تعقیب می کند و در این آیه مردم را به «سیر آفاقی» در مسأله معاد دعوت می کند در حالی که آیه قبل، بیشتر جنبه «سیر انفسی» داشت.

مى فرمايد: «بگو: در زمين بگرديد و بنگريد خداوند چگونه آفرينش را آغاز كرده است؟ سپس خداوند (به همين گونه) جهان آخرت را ايجاد مىكند» (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ).

چرا که او با خلقت نخستین، قدرتش را بر همگان ثابت کرده است، آری «خداوند بر هر چیز تواناست» (إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَـیْءٍ

قَدِيرٌ).

هم این آیه و هم آیه قبل از آن، امکان معاد را از طریق وسعت قدرت خداوند اثبات می کند.

سورة العنكبوت(29): آية 21 ص: 498

(آیه ۲۱)- سپس به ذکر یکی از مسائل مربوط به معاد میپردازد، و آن مسأله رحمت و عذاب است می گوید: «او در قیامت هر کس را بخواهد (و لایق ببیند) مورد رحمت قرار می دهد، و به سوی او بازگشت می کنید» (یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ وَ یَرْحَمُ مَنْ یَشاءُ وَ إِلَیْهِ تُقْلَبُونَ).

با این که رحمت الهی بر غضبش پیشی گرفته اما در اینجا نخست سخن از عذاب می گوید بعد رحمت، چرا که در مقام تهدید است.

سورة العنكبوت(29): آية 22 ص: 498

(آیه ۲۲) - در تکمیل این بحث که عذاب و رحمت به دست خداست، و باز گشت همه به سوی اوست، می افزاید: اگر تصور کنید می توانید از قلمرو حکومت خداوند بیرون روید و چنگال مجازات گریبان شما را نگیرد، سخت در اشتباهید چرا که «شما نمی توانید بر اراده خداوند چیره شوید و از دست قدرت او در زمین یا آسمان فرار کنید» (وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۹۷

و اگر تصور کنید سر پرست و یاوری از شـما دفاع میکند، آن هم اشـتباه محض است زیرا «برای شـما جز خدا، ولی و یاوری نیست» (وَ ما لَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرِ).

و به این ترتیب قرآن تمام درهای فرار از چنگال مجازات الهی را به روی این مجرمان میبندد.

سورة العنكبوت(29): آية 23 ص: 497

(آیه ۲۳)- لـذا در این آیه بطور قاطع میفرمایـد: «و کسانی که به آیات خـدا و لقای او کافر شدند از رحمت من مأیوسـند» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِ اللَّهِ وَ لِقائِهِ أُولئِکَ یَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِی).

سپس برای تأکید می افزاید: «و برای آنها عذاب در دناکی است» (وَ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ).

اين «عذاب اليم» لازمه مأيوس شدن از رحمت خداست.

سورة العنكبوت(29): آية 24 ص: 497

(آیه ۲۴) - طرز پاسخ مستکبران به ابراهیم (ع) حال نوبت آن است که ببینیم این قوم گمراه در برابر دلائل سه گانه ابراهیم (ع) در زمینه توحید و نبوت و معاد چه گفتند؟ آنها قطعا پاسخ منطقی نداشتند و لذا مانند همه زورمندان قلدر بیمنطق تکیه بر قدرت شیطانیشان کردند، و فرمان قتل او را صادر نمودند.

چنانکه قرآن می گویـد: «اما جواب قوم او [ابراهیم] جز این نبود که گفتنـد: او را بکشـید یا بسوزانید»! (فَما کانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا

أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ).

سر انجام پیشنهاد اول پذیرفته شد چون معتقد بودند بدترین نوع اعدام همان سوزاندن به آتش است.

در اینجا سخنی در مورد چگونگی آتش سوزی ابراهیم به میان نیامده است، همین اندازه در دنباله آیه میخوانیم: «ولی خداوند او را از آتش رهایی بخشید» (فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ).

شرح ماجرای آتش سوزی در سوره انبیا آیه ۶۸- ۷۰ آمده است.

در پایان می افزاید: «در این ماجرا نشانه هایی است برای کسانی که ایمان می آورند» (إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۹۸

سورة العنكبوت(29): آية 25 ص: 498

(آیه ۲۵)- به هر حال ابراهیم (ع) از آن آتش عظیم به صورت خارق العادهای به لطف پروردگار رهایی یافت، ولی نه تنها دست از بیان هدفهای خود بر نداشت بلکه شتاب و سرعت و حرارت بیشتری به آن داد.

ابراهیم «گفت: شما غیر از خدا بتهایی برای خود انتخاب کردهای که مایه دوستی و محبت میان شما در زندگی دنیا باشد سپس روز قیامت از یکدیگر بیزاری میجویید و یکدیگر را لعن می کنید و جایگاه شما آتش است و هیچ یار و یاوری برای شما نخواهد بود» (وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةً بَیْنِکُمْ فِی الْحَیاةِ الدُّنیا ثُمَّ یَوْمَ الْقِیامَةِ یَکْفُر بَعْضُ کُمْ بِبَعْضٍ وَ یَلْعَنُ بَعْضُکُمْ بَعْضاً وَ مَاْواکُمُ النَّارُ وَ مَا لَکُمْ مِنْ نَاصِرِینَ).

پرستش برای هر قوم و قبیلهای به اصطلاح رمز وحدت بود و نیز پیوندی میان آنها و نیاکانشان ایجاد می کرد. از این گذشته سران کفار پیروان خود را دعوت به پرستش بتها می کردند و این حلقه اتصالی بین «سران» و «پیروان» بود.

ولی در قیامت همه این پیوندهای پوچ و پوسیده و پوشالی از هم گسسته میشود و هر یک گناه را به گردن دیگری میاندازد.

سورة العنكبوت(29): آية 26 ص: 498

(آیه ۲۶)- در این آیه اشاره به ایمان لوط و هجرت ابراهیم می کند، می گوید:

«و لوط به او [ابراهيم] ايمان آورد» (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ).

«لوط» خود از پیامبران بزرگ خدا بود- می گویند: پسر خواهر ابراهیم بود- و از آنجا که پیروی یک فرد بزرگ به منزله پیروی یک است، خداوند در اینجا مخصوصا از ایمان لوط آن شخصیت والای معاصر ابراهیم سخن می گوید: تا روشن شود اگر دیگران ایمان نیاوردند مهم نبود.

سپس مىافزايد: «و (ابراهيم) گفت: من بسوى پروردگارم هجرت مىكنم كه او صاحب قدرت و حكيم است» (وَ قالَ إِنِّى مُهاجِرٌ إِلى رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

ابراهیم (ع) از سر زمین بابل- به اتفاق لوط و همسرش ساره- به سوی سر زمین شام، مهد انبیا و توحید، حرکت کرد، تا بتواند در آنجا دعوت توحید را وسعت بخشد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۹۹

سورة العنكبوت(29): آية 27 ص: 499

(آیه ۲۷)- در این آیه سخن از مواهب چهار گانهای است که خداوند بعد از این هجرت بزرگ به ابراهیم داد.

نخست فرزندان لایق و شایسته بود، فرزندانی که بتوانند چراغ ایمان و نبوت را در دودمان او روشن نگهدارند، می گوید: «و (در اواخر عمر) اسحاق و یعقوب را به او بخشیدیم» (وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ).

ديگر اين كه: «نبوّت و كتاب آسماني را در دودمانش قرار داديم» (وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ).

سوم اين كه: «و پاداش او را در دنيا داديم» (وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنيا).

این پاداش ممکن است اشاره به امور مختلفی باشد: مانند نام نیک و لسان صدق در میان همه امتها، چرا که همه به ابراهیم (ع) به عنوان یک پیامبر عظیم الشأن احترام می گذارند، به وجود او افتخار می کنند و شیخ الانبیایش می نامند.

آبادی سر زمین مکه به دعای او یکی دیگر از این پاداشها است.

چهارم این که: «او در آخرت از صالحان است» (وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ). و این یک مجموعه کامل از افتخارات را تشکیل می دهد.

سورة العنكبوت(29): آية 28 ص: 499

(آیه ۲۸)- آلوده دامنان خیره سر! بعد از بیان گوشهای از ماجرای ابراهیم (ع) به سراغ ذکر بخشی از سر گذشت پیامبر هم عصرش لوط (ع) پرداخته، میفرماید: «و لوط را فرستادیم (به خاطر بیاور) هنگامی که به قومش گفت: شما عمل بسیار زشتی انجام میدهید که هیچ یک از مردم جهان پیش از شما آن را انجام نداده است» (وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةُ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ).

«الْفاحِشَةً» در اینجا کنایه از «همجنس گرایی» است.

سورة العنكبوت(29): آية 29 ص: 499

(آیه ۲۹)– «لوط» (ع) این پیامبر بزرگ سپس مقصد خود را فاش تر بیان ساخت و گفت: «آیا شـما به سـراغ مردان میروید»؟! (أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ).

«و آيا راه (تداوم نسل انسان) را قطع مي كنيد»؟! (وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ).

«و در مجلستان اعمال ناپسند انجام می دهید» (وَ تَأْتُونَ فِی نادِیكُمُ الْمُنْكَرَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۰۰

اکنون ببینیم پاسخ این قوم گمراه و ننگین در برابر سخنان منطقی حضرت لوط (ع) چه بود.

قرآن مى گويىد: «اما پاسخ قومش جز اين نبود كه گفتند: اگر راست مى گويى عـذاب الهى را براى ما بياور» (فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا اثْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ).

سورة العنكبوت(29): آية 30 ص: 500

(آیه ۳۰)- در اینجا بود که لوط (ع) دستش از همه جا کوتاه شد، رو به درگاه خدا آورد و با قلبی آکنده از غم و اندوه

«عرض کرد: پروردگارا! مرا در برابر این قوم تبهکار یاری فرما» (قالَ رَبِّ انْصُرْنِی عَلَی الْقَوْم الْمُفْسِدِینَ).

قومی که روی زمین را به فساد و تباهی کشیدهانید، اخلاق و تقوا را بر باد دادهانید، عفت پاکیدامنی را پشت سر انیداختهانید، شرک و بت پرستی را با فساد اخلاق و ظلم و ستم آمیختهاند و نسل انسان را به فنا و نیستی تهدید کردهاند.

سورة العنكبوت(29): آية 30 ص: 500

(آیه ۳۱) – و این هم سر نوشت آلودگان! سر انجام دعای لوط مستجاب شد، فرشتگانی که مأمور عذاب بودند قبل از آن که به سر زمینی که ابراهیم (ع) در آن بود برای ادای رسالتی دیگر، یعنی به سر زمینی که ابراهیم (ع) در آن بود برای ادای رسالتی دیگر، یعنی بشارت ابراهیم (ع) به تولد فرزندان رفتند.

آیه می گوید: «و هنگامی که فرستادگان ما (از فرشتگان) بشارت (تولد فرزند) برای ابراهیم آوردند، گفتند: ما اهل این شهر و آبادی را [و به شهرهای قوم لوط اشاره کردنـد] هلاک خواهیم کرد، چرا که اهل آن ستمگرند» (وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُرِلُنا إِبْراهِیمَ بِالْبُشْری قالُوا إِنَّا مُهْلِکُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْیَةِ إِنَّ أَهْلَها کانُوا ظالِمِینَ).

سورة العنكبوت(29): آية 32 ص: 500

(آیه ۳۲)- هنگامی که ابراهیم این سخن را شنید نگران لوط پیامبر بزرگ خدا شد و «گفت: در این آبادی لوط است»! (قالَ إنَّ فِيها لُوطاً).

سرنوشت او چه خواهد شد؟! اما فورا در پاسخ او «گفتند: (نگران مباش) ما به کسانی که در آن هستند آگاه تریم» (قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِیها). ما هرگز تر و خشک را با هم نمی سوزانیم و برنامه ما کاملا دقیق و حساب شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۰۱

و افزودنـد: «او و خانوادهاش را نجات مىدهيم جز همسـرش كه در ميان قوم (گنهكار) باقى خواهـد مانـد»! (لَنَنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ).

سورة العنكبوت(29): آية 33 ص: 201

(آیه ۳۳)-گفتگوی فرشتگان با ابراهیم در اینجا پایان گرفت و آنها روانه دیار لوط (ع) شدند.

قرآن می گویـد: «هنگامی که فرستادگان ما نزد لوط آمدنـد از دیـدن آنها بد حال و دلتنگ شد» (وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُـلُنا لُوطاً سِیءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً).

آنها به صورت جوانانی خوش قیافه بودند، و آمدن چنین میهمانانی در چنان محیط آلودهای، ممکن بود برای لوط موجب درد سر و احتمالا آبرو ریزی نزد میهمانان شود.

ولی میهمانان که ناراحتی او را درک کردند به زودی خود را معرفی نموده و او را از نگرانی بیرون آوردند: «گفتند: نترس، و غمگین مباش (کاری از این بیشرمان ساخته نیست و به زودی همگی نابود خواهند شد) ما تو و خانوادهات را نجات خواهیم داد، جز همسرت که در میان قوم باقی میماند» و هلاک میشود (وَ قالُوا لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوکَ وَ أَهْلَکَ إِلَّا امْرَأَتَکَ کَانَتْ مِنَ الْغابِرینَ).

سورة العنكبوت(29): آية 34 ص: 201

(آیه ۳۴)- بعد برای این که سر نوشت این گروه آلوده به ننگ را در برنامه مأموریت خود روشنتر سازند افزودند: «ما بر اهل این شهر و آبادی عـذابی از آسـمان به خاطر فسق و گناهشان فرو خواهیم ریخت»! (إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلی أَهْلِ هـذِهِ الْقَرْیَـةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما کانُوا یَفْسُقُونَ).

سورة العنكبوت(29): آية 30 ص: 201

(آیه ۳۵) - در اینجا چگونگی عذاب دردناک آنها توضیح داده نشده، همین اندازه میفرماید: «ما از آن آبادیها (از ویرانههای در هم ریخته و شهرهای بلا دیده و نابود شده) آنها درس عبرت و نشانه روشنی برای کسانی که اندیشه می کنند باقی گذاردیم» (وَ لَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آیَةً بِیَّنَهً لِقَوْم یَعْقِلُونَ).

ولی در آیه ۸۴ سوره اعراف و همچنین آیه ۸۲ سوره هود آمده است که نخست زلزله شدیدی شهرهای آنها را بکلی زیر و رو کرد و سپس بارانی از سنگهای آسمانی بر آنها فرو ریخت.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۰۲

سورة العنكبوت(29): آية 36 ص: 202

(آیه ۳۶)- هر گروه ستمگر به نوعی مجازات شدند: بعد از داستان لوط و قومش نوبت به اقوام دیگری همچون «قوم شعیب» و «عاد» و «ثمود» و «فرعون» میرسد.

نخست مى گويد: «ما به سوى مدين برادرشان شعيب را فرستاديم» (وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً).

تعبير به برادر، اشاره به نهايت محبت اين پيامبران نسبت به امتهايشان و عدم سلطه جويي آنها است.

«مدین» شهری است در جنوب غربی «اردن» که امروز به نام «معان» خوانده می شود، در شرق «خلیج عقبه» قرار گرفته، و حضرت شعیب و قومش در آنجا میزیستند.

«شعیب» ماننـد سایر پیـامبران بزرگ خـدا دعوت خود را از اعتقـاد به مبـدأ و معاد که پایه و اساس هر دین و آیین است آغاز کرد، «گفت: ای قوم من! خدا را بپرستید و به روز قیامت امیدوار باشید» (فَقالَ یا قَوْم اعْبُدُوا اللَّهَ وَ ارْجُوا الْیَوْمَ الْآخِرَ).

اعتقاد به این دو اصل مسلما در تربیت و اصلاح انسان تأثیر فوق العادهای خواهد داشت.

دستور سوم «شعیب» یک دستور جامع عملی بود که تمام برنامههای اجتماعی را در بر می گیرد گفت: «سعی در فساد در زمین مکنید» (وَ لا تَعْثَوْا فِی الْأَرْض مُفْسِدِینَ).

«فساد» مفهوم وسیعی دارد که هر گونه نابسامانی و ویرانگری و انحراف و ظلم را در بر می گیرد و نقطه مقابل آن صلاح و اصلاح است.

سورة العنكبوت(29): آية 307 ص: 202

(آیه ۳۷) - اما آن گروه به جای این که انـدرزهای این مصلح بزرگ را به گوش جان بشـنوند در مقام مخالفت بر آمده «او را

تكذيب كردند» (فَكَذَّ بُوهُ).

«و به این سبب زلزله آنها را فرا گرفت»! (فَأَخَذَ تُهُمُ الرَّجْفَةُ).

«و بامدادان در خانههای خود به رو افتاده و مرده بودند»! (فَأَصْبَحُوا فِی دارِهِمْ جاثِمِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۰۳

سورة العنكبوت(29): آية 30 ص: 203

(آیه ۳۸) – این آیه سخن از قوم «عاد» و «ثمود» می گوید، بی آنکه از پیامبر آنها (هود و صالح)، و گفتگوهایشان با این دو قوم سر کش سخنی به میان آورد، چرا که اقوامی بودند شناخته شده و داستان پیامبرشان در آیات دیگر قرآن کرارا آمده است. می فرماید: «ما طایفه عاد و ثمود» را هلاک کردیم (وَ عاداً وَ تُمُودَ).

سپس میافزاید: «و مساکن (ویران شده) آنان برای شما آشکار است» و ویرانههای شهرهایشان در سر زمین حجر و یمن بر سر راهتان (وَ قَدْ تَبَیَّنَ لَکُمْ مِنْ مَساکِنِهِمْ).

سپس به علت اصلی بـد بختی آنها اشاره کرده، می گوید: «شیطان اعمالشان را برای آنها آراسته بود، از این رو آنان را از راه (خدا) باز داشت» (وَ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِیلِ).

«در حالى كه بينا بودند» (وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ).

فطرت آنها بر توحید و تقوا بود، و پیامبران الهی نیز بقدر کافی راه را به آنها نشان داده بودند.

سورة العنكبوت(29): آية 30 ص: 203

(آیه ۳۹) – این آیه از سه نفر از گردنکشان که هر کدام نمونه بارزی از یک قدرت شیطانی بودند نام برده، می گوید: «و قارون و فرعون و هامان را نیز» هلاک کردیم (وَ قارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ).

قارون مظهر ثروت توأم با غرور و خود خواهی و غفلت، فرعون مظهر قدرت استکباری توأم با شیطنت، و هامان الگویی برای معاونت از ظالمان مستکبر بود.

سپس میافزاید: «موسی با دلائل روشن به سراغ این سه آمد» و حجت را بر آنها تمام کرد (وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مُوسی بِالْبَیِّناتِ). «اما آنها راه استکبار و غرور و سر کشی را در زمین پیش گرفتند» (فَاسْتَكْبَرُوا فِی الْأَرْض).

ولی «آنها (با این همه) نتوانستند بر خـدا پیشـی گیرنـد» و از چنگال قـدرت او فرار کننـد (وَ ما کانُوا سابِقِینَ). برگزیده تفسـیر نمونه، ج۳، ص: ۵۰۴

زیرا آنها نتوانستند از قلمرو قدرت خدا با امکاناتی که در اختیار داشتند بگریزند، و از عذاب الهی رهایی یابند، بلکه در همان لحظهای که خداوند اراده کرد آنها را با ذلت و زبونی به دیار عدم فرستاد.

سورة العنكبوت(29): آية 40 ص: 204

(آیه ۴۰)- در این آیه می فرماید: «پس ما هر یک از آنها را به گناهش گرفتیم» (فَکُلًا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ).

«بر بعضى از آنها توفانى شديد و كوبنده توأم با سنگريزه فرستاديم» (فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً). منظور از اين گروه، قوم

عاد است.

«و بعضى ديگر را صيحه آسمانى فرو گرفت» (وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ).

و این عذابی بود که بر قوم ثمود، و بعضی اقوام دیگر نازل گردید.

«و بعضى ديگر از آنها را در زمين فرو برديم» (وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ).

این مجازاتی بود که در مورد قارون تحقق یافت و بالاخره «بعضی دیگر را غرق کردیم» (وَ مِنْهُمْ مَنْ أُغْرَقْنا).

این اشاره به فرعون و هامان و اتباع آنهاست.

در پایان آیه برای تأکید این واقعیت که اینها همه گرفتار عکس العمل کارهای خویش شدند و محصولی را درو می کردند که بذر آن را خودشان پاشیده بودند که بر خویشتن ستم می کردند» (وَ ما کانَ اللَّهُ لِیَظْلِمَهُمْ وَ لَکِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ).

آری! مجازاتهای این جهان و جهان دیگر باز تاب و تجسمی است از اعمال انسانها، در آنجا که تمام راههای اصلاح و باز گشت را به روی خود ببندند.

سورة العنكبوت(29): آية 41 ص: 204

(آیه ۴۱)- تکیه گاههای سست همچون لانه عنکبوت! در آیات گذشته سر نوشت دردناک و غمانگیز مشرکان مفسد و مستکبران لجوج و ظالمان بیدادگر و خود خواه بیان شد، به همین تناسب در اینجا مثال جالب و گویایی برای کسانی که غیر خدا را معبود و ولی خود قرار می دهند بیان کرده، می فرماید: «مثل کسانی که غیر از خدا را اولیای خود بر گزیدند، مثل عنکبوت است که خانهای برای خود انتخاب کرده، در حالی که سست ترین خانه ها، خانه عنکبوت است، اگر برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۰۵

مىدانستند»! (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ).

ولى آنها كه بر ايمان و توكل بر خدا تكيه مىكنند تكيه بر سدّ پولادين دارند.

ذکر این نکته نیز در اینجا ضروری است: خانه عنکبوت و تارهای او با این که ضرب المثل در سستی میباشد خود از عجایب آفرینش است که دقت در آن انسان را به عظمت آفریدگار آشناتر میکند.

اگر به خانه های سالم عنکبوت دقت کنیم منظره جالبی همچون یک خورشید با شعاعهایش بر روی پایه های خصوصی از تارها مشاهده می کنیم البته این خانه برای عنکبوت خانه مناسب و ایده آلی است ولی در مجموع سست تر از آن تصور نمی شود، و این چنین است معبود هایی که غیر از خدا می پرستند.

سورة العنكبوت(29): آية ٤٢ ص: ٥٠٥

(آیه ۴۲) - در این آیه هشدار تهدید آمیزی به این مشرکان غافل و بیخبر میدهد، می گوید: «خداوند آنچه را آنها غیر از او میخوانند میداند» (إِنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ ما یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ).

شرك آشكار آنها، و شرك مخفى و پنهانشان، هيچ يك بر خدا پوشيده نيست.

«و اوست قادر شكست نا پذير و حكيم على الاطلاق» (وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

اگر مهلت به آنها میدهد، نه به خاطر آن است که نمیداند یا قدرتش محدود است، بلکه حکمت او ایجاب میکند که فرصت کافی دهد تا بر همه اتمام حجت شود، و آنها که شایسته هدایتند، هدایت گردند.

سورة العنكبوت(29): آية 43 ص: 205

(آیه ۴۳)- این آیه گویا اشاره به ایرادی است که دشمنان پیامبر صلّی الله علیه و آله در برابر این مثالها به او می کردند و می گفتند: چگونه ممکن است خدایی که آفریننده زمین و آسمان است به عنکبوت و مگس و حشرات و مانند اینها مثال بزند. قرآن در پاسخ آنها می گوید: «و اینها مثالهایی است که ما برای مردم می زنیم و جز عالمان آن را درک نمی کنند» (وَ تِلْکَ اللَّمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما یَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ).

سورة العنكبوت(29): آية 44 ص : 505

(آیه ۴۴) - در این آیه اضافه می کند: «خداوند آسمانها و زمین را به حق برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۰۶ آفریده و در این نشانه عظیمی است برای افراد با ایمان» (خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِی ذَلِکَ لَآیَهً لِلْمُؤْمِنِینَ). باطل و بیهوده در کار او راه نـدارد، اگر مثال به عنکبوت و خانه سـست و بی بنیادش می زند، روی حساب است، و اگر موجود کوچکی را برای تمثیل برگزیده برای بیان حق است، و گر نه او آفریننده بزرگترین کهکشانها و منظومههای آسمانی است.

سورة العنكبوت(29): آية 45 ص: 206

(آیه ۴۵)- نماز باز دارنده از زشتیها و بدیها: بعد از پایان بخشهای مختلفی از سر گذشت اقوام پیشین و پیامبران بزرگ و بر خورد نا مطلوب آنها با این رهبران الهی، و پایان غمانگیز زندگی آنها، روی سخن را- برای دلداری و تسلی خاطر و تقویت روحیه و ارائه خط مشی کلی و جامع- به پیامبر کرده دو دستور به او میدهد.

نخست می گویـد: «آنچه را از کتاب آسـمانی (قرآن) به تو وحی شـده تلاوت کن» (اتْلُ ما أُوحِیَ إِلَیْکَ مِنَ الْکِتابِ). بخوان و در زندگیت به کار بند.

بعد از بیان این دستور که در حقیقت جنبه آموزش دارد، به دستور دوم میپردازد که شاخه اصلی پرورش است، میگوید: «و نماز را بر پا دار» (وَ أَقِم الصَّلاَةَ).

سپس به فلسفه بزرگ نماز پرداخته، می گوید: «زیرا نماز (انسان را) از زشتیها و منکرات باز میدارد» (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ).

طبیعت نماز از آنجا که انسان را به یاد نیرومندترین عامل باز دارنده یعنی اعتقاد به مبدأ و معاد می اندازد دارای اثر باز دارندگی از فحشاء و منکر است.

البته نهی از فحشا و منکر سلسله مراتب و درجات زیادی دارد و هر نمازی به نسبت رعایت شرایط دارای بعضی از این درجات است.

امام صادق عليه السيلام مى فرمايد: «كسى كه دوست دارد ببيند آيا نمازش مقبول در گاه الهى شده يا نه؟ بايد ببيند آيا اين

نماز، او را از زشتیها و منکرات باز داشته یا نه؟ به همان مقدار که بازداشته نمازش قبول است»! برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۰۷

در دنباله آیه اضافه می فرماید: «ذکر خدا از آن هم برتر و بالاتر است» (وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ).

ظاهر جمله فوق این است که بیان فلسفه مهمتری برای نماز میباشد، یعنی یکی دیگر از آثار و برکات مهم نماز که حتی از نهی از فحشا و منکر نیز مهمتر است آن است که انسان را به یاد خدا میاندازد که ریشه و مایه اصلی هر خیر و سعادت است، و حتی عامل اصلی نهی از فحشا و منکر نیز همین «ذکر الله» میباشد، در واقع برتری آن به خاطر آن است که علت و ریشه محسوب می شود.

و از آنجا که نیات انسانها و میزان حضور قلب آنها در نماز و سایر عبادات بسیار متفاوت است در پایان آیه میفرماید: «و خدا میداند چه کارهایی را انجام میدهید» (وَ اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ).

چه اعمالی را که در پنهان انجام میدهید یا آشکار، چه نیاتی را که در دل دارید، و چه سخنانی که بر زبان جاری میکنید.

آغاز جزء ۲۱ قرآن مجید ص: ۵۰۷

ادامه سوره عنكبوت ص: 207

سورة العنكبوت(29): آية 46 ص: 200

(آیه ۴۶)- برای بحث بهترین روش را بر گزینید: در آیات گذشته بیشتر سخن از نحوه بر خورد با «بت پرستان» لجوج و جاهل بود که به مقتضای حال با منطقی تند، با آنها سخن می گفت، و در اینجا سخن از مجادله با «اهل کتاب» است که باید به صورت ملایمتر باشد.

نخست مىفرمايد: «با اهـل كتـاب جز به روشـى كه از همه بهتر است مجـادله نكنيـد» (وَ لاـ تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِـيَ أَحْسَنُ).

منظور در اینجا بحث و گفتگوهای منطقی است، یعنی الفاظ شما مؤدّبانه، لحن سخن دوستانه، محتوای آن مستدل، آهنگ صدا خالی از فریاد و جنجال و هر گونه خشونت و هتک احترام، همه باید در همین شیوه و روش انجام گیرد.

البته همین اصل کلی در بحث و مجادله اسلامی در مواردی ممکن است حمل بر ضعف و زبونی شود، و یا طرف مقابل آنچنان مست و مغرور باشد که این برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۰۸

طرز بر خورد انسانی، بر جرأت و جسارتش بیفزایـد لذا در دنباله آیه به صورت یک اسـتثنا میفرماید: «مگر کسانی از آنها که مرتکب ظلم و ستم شدند» (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ).

همانها که بر خود و دیگران ظلم کردند و بسیاری از آیات الهی را کتمان نمودند تا مردم به اوصاف پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله آشنا نشوند.

و در آخر آیه یکی از مصداقهای روشن «مجادله به احسن» را که می تواند الگوی زندهای برای این بحث باشد به میان آورده، می فرماید: «بگویید ما به تمام آنچه از سوی خدا بر ما و شما نازل شده است ایمان داریم، معبود ما و شما یکی است، و در برابر او تسلیم هستیم» (وَ قُولُوا آمَنًا بِالَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْنا وَ أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُنا وَ إِلهُنا وَ أَلهُنَا وَ أَنْزِلَ إِلَیْنَا وَ أَنْزِلَ إِلَیْنَا وَ أَیْوَلُوا آمَنًا بِالَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْنا وَ أَنْزِلَ إِلَیْکُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُنا وَ إِلهُنا وَ أَلهُ مُعْلِمُونَ).

سورة العنكبوت(29): آية 47 ص: 208

(آیه ۴۷)- این آیه به عنوان تأکید بر اصول چهارگانهای که در آیه قبل آمد، میفرماید: «و این گونه کتاب [قرآن] را بر تو نازل کردیم» (وَ کَذلِکَ أَنْزُلْنا إِلَیْکَ الْکِتابَ).

آری! این قرآن بر اساس وحدت معبود، وحدت دعوت همه پیامبران راستین تسلیم بیقید و شرط در برابر فرمان حق، و مجادله با بهترین شیوهها نازل شده.

سپس مى افزايد: «كسانى كه كتاب (آسمانى) به آنها داده ايم (و به راستى به آن پايبند و معتقدند) به اين كتاب ايمان مى آورند» (فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ).

چرا که هم نشانههای آن را در کتب خود یافتهاند، و هم محتوایش را از نظر اصول کلی هماهنگ با محتوای کتب خود می بینند.

بعد می افزاید: «و گروهی از اینها (از اهل مکه و مشرکان عرب) نیز به آن ایمان می آورند» (وَ مِنْ هؤُلاءِ مَنْ یُؤْمِنُ بِهِ). و در پایان در مورد کافران هر دو گروه می گوید: «آیات ما را جز کافران انکار نمی کنند» (وَ ما یَجْحَدُ بِآیاتِنا إِلَّا الْکافِرُونَ). آنها به خاطر لجاجت و تعصب و تقلید کور کورانه از نیاکان، و یا برای حفظ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۰۹ منافع نامشروع زود گذر به انکار بر می خیزند.

سورة العنكبوت(29): آية 48 ص: 509

(آیه ۴۸) – سپس به یکی دیگر از نشانه های روشن حقانیت دعوت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله که تأکیدی است بر محتوای آیه گذشته اشاره کرده، می گوید: «تو هر گز پیش از این کتابی را نمی خواندی، و با دست خود چیزی نمی نوشتی مبادا دشمنانی که در صدد (تکذیب و) ابطال سخنان تو هستند شک و تردید کنند» و بگویند آنچه را او آورده نتیجه مطالعه کتب پیشین و نسخه برداری از آنهاست (وَ ما کُنْتَ تَتُلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ). تو هر گز به مکتب نرفتی و خط ننوشتی، اما با اشاره وحی الهی، مسأله آموز صد مدرّس شدی!

سورة العنكبوت(29): آية 49 ص: 509

(آیه ۴۹)- در این آیه نشانه های دیگری برای حقانیت قرآن بیان کرده، می گوید: «این کتاب آسمانی مجموعهای است از آیات بینات که در سینه های صاحبان علم قرار می گیرد» (بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ).

تعبیر به «آیاتٌ بیّناتٌ» بیانگر این واقعیت است که نشانه های حقانیت قرآن در خود آن به چشم میخورد و در پیشانی آیات می در خشد.

از این گذشته، طرفداران این آیات و طالبان و دلدادگان آن، کسانی هستند که بهرهای از علم و آگاهی دارند، هر چند دستشان تهی و پایشان برهنه است.

در پایان آیه اضافه می کند: «و آیات ما را جز ستمگران (از روی عناد) انکار نمی کنند» (وَ ما یَجْحَدُ بِآیاتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ). چرا که نشانههای آن روشن است و در کتب پیشین نیز آمده است.

سورة العنكبوت(29): آية ٥٠ ص: ٥٠٩

(آیه ۵۰) – آیا معجزه قرآن کافی نیست؟! کسانی که بر اثر لجاجت و اصرار در باطل، حاضر نبودند به هیچ قیمتی در برابر بیان مستدل و منطقی قرآن تسلیم شوند. دست به بهانه جویی تازهای زدند. چنانکه قرآن در این آیه می گوید: آنها از روی سخریه و استهزا «گفتند: چرا معجزاتی (همچون معجزات موسی و عیسی) از سوی پروردگارش بر او نازل نشده است»؟ (وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آیاتٌ مِنْ رَبِّهِ).

چرا او عصای موسی و ید بیضا و دم مسیحا ندارد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۱۰

قرآن برای پاسخگویی به این بهانه جویان لجوج، از دو راه وارد میشود.

نخست مى گويد: به آنها «بگو: (معجزه كار من نيست كه با تمايلات شما انجام گيرد) معجزات همه نزد خداست» (قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ).

او میداند چه معجزهای در چه زمانی و برای چه اقوامی متناسب است.

و بكو: «من فقط انذار كننده و بيم دهنده آشكارم» (وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ).

سورة العنكبوت(29): آية ۵۱ ص: ۵۱۰

(آیه ۵۱)- پاسخ دیگر این که: «آیا همین انـدازه برای آنهـا کـافی نیست که مـا این کتـاب آسـمانی را بر تو نازل کردیم که پیوسته بر آنها تلاوت میشود» (أَ وَ لَمْ یَکْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ یُتْلی عَلَیْهِمْ).

آنها تقاضای معجزات جسمانی میکنند، در حالی که قرآن برترین معجزه معنوی است. معجزهای جاویدان، که شب و روز آیاتش بر آنها خوانده میشود.

و در پایان آیه برای تأکید و توضیح بیشتر می گوید: «در این کتاب آسمانی هم رحمت بزرگی نهفته است و هم تذکر گویایی، برای کسانی که ایمان می آورند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَرَحْمَهً وَ ذِكْری لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

آری! قرآن هم رحمت است و هم وسیله یادآوری، اما برای گروه با ایمان ُبرای آنها که درهای قلب خود را به روی حقیقت گشودهاند.

سورة العنكبوت(٢٩): آية ٥٢ ص: ٥١٠

(آیه ۵۲)- و از آنجا که هر مدعی نیاز به شاهد و گواه دارد در این آیه میفرماید: «بگو: همین بس که خدا میان من و شما گواه است» (قُلْ کَفی بِاللَّهِ بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ شَهِیداً).

بدیهی است هر قدر آگاهی شاهد و گواه بیشتر باشد ارزش شهادت او بیشتر است، لذا در جمله بعد اضافه می کند: خدایی گواه من است که تمام «آنچه را در آسمانها و زمین است میداند» (یَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

ممکن است این گواهی، گواهی عملی باشد زیرا وقتی خداوند معجزه بزرگی همچون قرآن را در اختیار پیامبرش قرار میدهد سند حقانیت او را امضا کرده است.

علاوه بر گواهی عملی فوق، در آیات متعددی از قرآن مجید گواهی قولی نیز داده شده. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۱۱

و نیز ممکن است منظور گواهی و شهادت خداوند باشد در کتب آسمانی پیشین که علمای اهل کتاب به خوبی از آن آگاهی داشتند.

در پایـان آیه به عنوان یـک هشـدار و تهدیـد میفرمایـد: «و کسـانی که به باطل ایمان آوردنـد و به اللّه کافر شدنـد زیانکاران واقعی هستند» (وَ الَّذِینَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ کَفَرُوا بِاللَّهِ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ).

چه خسرانی از این بالاتر که انسان تمام سرمایههای وجود خود را در برابر هیچ از دست بدهد آنگونه که مشرکان دادند!

سورة العنكبوت(29): آية ٥٣ ص: ٥١١

(آیه ۵۳) - در این آیه به سومین بهانه جوییهای آنها اشاره کرده، می گوید:

«آنها در مورد عـذاب عجله می کننـد و با سـرعت آن را از تو می طلبنـد» (وَ یَش تَعْجِلُونَکُ بِالْعَـذابِ). آنها می گویند اگر عذاب الهی حق است و دامن کفار را می گیرد پس چرا به سراغ ما نمی آید؟! قر آن در پاسخ این سخن سه جواب می دهد.

نخست مى گويد: «اگر موعد مقررى تعيين نشده بود عذاب الهى فورا به سراغشان مى آمد» (وَ لَوْ لا ـ أَجَ لُ مُسَ مَّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ).

این زمان معین برای آن است که هدف اصلی یعنی بیداری یا اتمام حجت بر آنها حاصل گردد.

ديگر اين كه آنها كه اين سخن را مى گويند چه اطمينانى دارند كه هر لحظه عذاب الهى دامنشان را نگيرد؟ چرا كه «اين عذاب نا گهانى و بدون مقدمه، و در حالى كه آنها نمىدانند و توجه ندارند به سراغشان مى آيد» (وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَـهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ).

گرچه موعد عذاب در واقع معین و مقرر است ولی مصلحت این است که آنها از این آگاه نباشند و بدون مقدمه فرا رسد.

سورة العنكبوت(29): آية 24 ص: 211

(آیه ۵۴)- بالاخره سومین پاسخ را قرآن در این بیان آیه کرده، می گوید: «آنها در برابر تو در مورد عذاب عجله می کنند در حالی که جهنم هم اکنون کافران را احاطه کرده است»! (یَشِ تَعْجِلُونَکَ بِالْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَةٌ بِالْکافِرِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۱۲

اگر عـذاب دنیا تأخیر بیفتد عذاب آخرت صد در صد قطعی است آنچنان مسلم است که قرآن به صورت یک امر فعلی از آن یاد می کند و می گوید: «جهنم گویی هم اکنون آنها را احاطه کرده است»!

سورة العنكبوت(29): آية ۵۵ ص: ۵۱۲

(آیه ۵۵)- سپس میافزاید: «آن روز که عذاب الهی از بالای سر و از پایین پا، آنها را فرا می گیرد، و به آنها می گوید: بچشید آنچه را که عمل می کردید، روز سخت و دردناکی است (یَوْمَ یَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ یَقُولُ ذُوقُوا ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

سورة العنكبوت(29): آية 56 ص: 512

اشاره

(آیه ۵۶)

شأن نزول: ص: 212

این آیه در باره مؤمنانی نازل شده که در مکّه تحت فشار شدید کفار بودند، بطوری که توانایی بر ادای وظایف اسلامی خود نداشتند. به آنها دستور داده شد از آن سرزمین هجرت کنند.

تفسير: ص: ۵۱۲

هجرتی بایـد کرد! از آنجا که در آیات گذشته سخن از موضعگیریهای مختلف مشرکان در برابر اسـلام و مسـلمانان بود در اینجا به وضع خود مسـلمانان پرداخته و مسؤولیت و وظیفه آنها را در برابر یکی از مشـکلاتی که در ارتباط با کفار دارند یعنی مشکل اذیت و آزار و محدودیت و فشار آنها را بیان میکند.

می فرماید: «ای بندگان من که ایمان آورده اید (و هم اکنون برای انجام وظایف دینی خود تحت فشار دشمن هستید) سرزمین من وسیع است (به جای دیگر هجرت کنید و) مرا بپرستید» (یا عِبادِیَ الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِی واسِعَهُ فَإِیّایَ فَاعْبُدُونِ) . چرا که هدف آفرینش انسان بندگی خداست. هر گاه این هدف اساسی و نهایی زیر پا بماند راهی جز هجرت نیست.

سورة العنكبوت(29): آية ۵۷ ص: ۵۱۲

(آیه ۵۷) – از آنجا که یکی از عذرهای کسانی که در بلاد شرک می ماندند و حاضر به هجرت نبودند این بود که ما می ترسیم از دیار خود بیرون برویم و خطر مرگ به وسیله دشمنان، یا گرسنگی، یا عوامل دیگر ما را تهدید کند به علاوه به فراق بستگان و خویشاوندان و فرزندان و شهر و دیار خود مبتلا شویم، قرآن در این آیه به عنوان یک پاسخ جامع به آنها می گوید: سر انجام همه انسانها می میرند، و «هر کسی مرگ را می چشد، سپس به سوی ما باز گردانده می شوید» (کُلُّ نَفْسٍ ذائِقَهُ الْمَوْتِ ثُمَّ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۱۳

إلَيْنا تُرْجَعُونَ).

گمان نکنید مرگ پایان همه چیز است، چرا که «همه شما به سوی ما باز می گردید» به سوی پروردگار بزرگ، و به سوی نعمتهای بیپایانش.

سورة العنكبوت(29): آية 58 ص: 213

(آیه ۵۸) - این آیه به گوشهای از پاداشهای مؤمنان اشاره کرده، میفرماید:

«و کسانی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند آنها را در غرفه هایی از بهشت جای می دهیم که نهرها از زیر آن جاری

است» (وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

امتیاز دیگر غرفههای بهشتی این است که همچون منازل و قصرهای این جهان نیست که هنوز انسان دمی در آن نیاسوده است بانگ «الرحیل» زده میشود بلکه «آنها جاودانه در آن خواهند ماند» (خالِدِینَ فِیها).

و در پایان آیه اضافه می کند: «چه خوب است پاداش آنها که برای خدا عمل می کنند» (نِعْمَ أُجْرُ الْعامِلِينَ).

سورة العنكبوت(29): آية ٥٩ ص: ٥١٣

(آیه ۵۹)- این آیه مهمترین اوصاف مؤمنان عامل را به این صورت بیان میکند: «آنها کسانی هستند که در برابر مشکلات صبر و استقامت به خرج میدهند، و بر پروردگارشان توکل میکنند» (الَّذِینَ صَبَرُوا وَ عَلی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ).

از زن و فرزند و دوستان و بستگان و خانه و کاشانه خود جدا میشوند و صبر می کنند.

مرارتهای غربت و سختیهای آوارگی از وطن را میچشند و شکیبا هستند.

و اگر درست بیندیشیم ریشه همه فضائل انسانی همین «صبر» و «توکل» است: صبر عامل استقامت در برابر موانع و مشکلات است، و توکل انگیزه حرکت در این راه پرنشیب و فراز.

سورة العنكبوت(29): آية 60 ص: 213

(آیه ۶۰)– در این آیه در پاسخ کسانی که به زبان حال یا زبان قال می گفتند:

اگر ما از شهر و دیار خود هجرت کنیم چه کسی به ما روزی میدهد؟

می گوید: غم روزی را نخورید و ننگ ذلت و اسارت را نپذیرید، روزی رسان خداست، نه تنها شما که «بسیارند جنبندگانی که حتی نمی توانند روزی خود را برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۱۴

حمل کننـد (و هرگز ذخیره غـذایی در لانه خود ندارنـد، و هر روز نوروزی نو میخواهند) اما خدا آنها را (گرسـنه نمیگذارد و) روزی میدهد، و همو شما را نیز روزی میبخشد» (وَ کَأَیِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ یَرْزُقُها وَ إِیَّاکُمْ).

در پایان آیه تأکید می کند: «و او شنوا و داناست» (وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

سخن همه شما را می شنود، و حتی زبان حال شما و همه جنبدگان را میداند از نیازهای همه به خوبی باخبر است و چیزی از دایره علم بیپایان او پنهان نیست.

سورة العنكبوت(29): آية 61 ص: 214

(آیه ۶۱) - در دل خدا می گویند و با زبان بت! در آیات گذشته روی سخن با مشرکانی بود که حقانیت اسلام را درک کرده بودند اما به خاطر ترس از قطع روزی خود حاضر به قبول ایمان و هجرت نبودند در اینجا روی سخن را به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله - و در واقع به همه مؤمنان - کرده دلائل توحید را از طریق «خلقت» و «ربوبیت» و «فطرت» بیان می کند، و به آنها خاطرنشان می سازد که سر نوشت آنها به دست خدایی است که در «آفاق» و «انفس» آثار او را می یابند، نه به دست بتها که بتها هیچ نقشی در این میان ندارند.

نخست به مسأله خلقت آسمان و زمين اشاره كرده و از اعتقادات باطني آنها كمك گرفته، مي گويـد: «اگر از آنها سؤال كني

چه کسی آسمانها و زمین را آفریده؟

و (چه کسی) خورشید و ماه را مسخر (فرمان خویش در طریق منافع بنـدگان کرده؟) همه یک زبان پاسخ میگویند: اللّه» (وَ لَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ).

زیرا مسلم است نه بت پرستان و نه غیر آنها هیچ کس نمی گوید خالق زمین و آسمان و تسخیر کننده خورشید و ماه یک مشت سنگ و چوبی است که به دست انسان ساخته و پرداخته شده است.

در پایان آیه، بعد از ذکر این دلیل روشن می گوید: «با این حال چگونه آنها (از عبادت خداوند خالق متعال به عبادت یک مشت بتهای سنگی و چوبی) بازگردانده می شوند»؟ (فَأَنَّی یُؤْفَکُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۱۵

گویی قدرت بر تصمیم گیری ندارند و بی اراده به سوی بت پرستی کشیده می شوند!

سورة العنكبوت(29): آية 67 ص: 215

(آیه ۶۲) – سپس برای تأکید همین معنی که هم خالق اوست و هم رازق اوست، اضافه می کند: «خداوند روزی را برای هر کس از بندگانش بخواهد گسترده می کند و (برای هر کس بخواهد) محدود و تنگ میسازد» (اللَّهُ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ یَقْدِرُ لَهُ).

و اگر چنین تصور کننـد که خـدا قـدرت دارد، ولی از حال آنها آگاه نیست این اشـتباه بزرگی است، چرا که «خداونـد به همه چیز داناست» (إنَّ اللَّهَ بکُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

مگر ممکن است کسی خالق و مدبر باشد و لحظه به لحظه فیض او به موجودات برسد و در عین حال از وضع آنها آگاه نباشد؟ این قابل تصور نیست.

سورة العنكبوت(29): آية 63 ص: 215

(آیه ۶۳) - در مرحله دوم سخن از «توحید ربوبی» و نزول سر چشمه اصلی ارزاق از ناحیه خداست، میفرماید: «اگر از آنها سؤال کنی چه کسی از آسمان آبی نازل کرد پس زمین را بعد از مردن به وسیله آن زنده کرد همه یک زبان می گویند: الله»! (وَ لَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَیَقُولُنَّ اللَّهُ).

این اعتقاد باطنی بت پرستان است که حتی از اظهار آن با زبان ابا نداشتند، زیرا آنها هم «خالق» را خدا میدانستند و هم «ربّ و مدبر جهان» را.

بعد مى افزايد: «بگو: حمد و ستايش مخصوص خداست» (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ).

حمد و سپاس برای کسی است که همه نعمتها از ناحیه اوست.

و از آنجا که گفتگوهای مشرکان از یکسو، و گفتارها و اعمالشان از سوی دیگر با هم تناقض داشت، در پایان آیه میافزاید: «بلکه بیشترشان درک نمیکنند» (بَلْ أَکْتَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ).

و گر نه انسان عاقل فهمیده چگونه ممکن است خالق و رازق و مدبر جهان را خدا بداند، و در برابر بتها که هیچ تأثیری در سرنوشت آنان ندارند سجده کند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۱۶

سورة العنكبوت(29): آية 64 ص: 216

(آیه ۴۴)- و برای این که اندیشه آنها را از افق زندگی محدود فراتر برد و جهان وسیعتری در برابر دید عقل آنها بگشاید در این آیه چگونگی زندگی دنیا را در مقایسه با زندگی جاویدان سرای دیگر در یک عبارت کوتاه و بسیار پر معنی چنین بیان می کند: «این زندگی دنیا جز لهو و لعب چیزی نیست» جز سرگرمی و بازی مطلبی در آن یافت نمی شود (وَ ما هذِهِ الْحَیاةُ الدُّنیا إلَّا لَهُوًّ وَ لَعِبٌ).

«و سراى آخرت زندگى واقعى است اگر آنها مىدانستند» (وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةُ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ).

بدیهی است قرآن هرگز نمیخواهد با این تعبیر ارزش مواهب الهی را در این جهان نفی کند، بلکه میخواهد با یک مقایسه صریح و روشن ارزش این زندگی را در برابر آن زندگی مجسم سازد، علاوه بر این به انسان هشدار دهد که «اسیر» این مواهب نباشد، بلکه «امیر» بر آنها گردد، و هرگز ارزشهای اصیل وجود خود را با آنها معاوضه نکند.

سورة العنكبوت(29): آية 60 ص: 216

(آیه ۶۵) - در مرحله سوم به سراغ فطرت و سرشت انسانی و تجلی نور توحید در بحرانی ترین حالات، در درون جان انسانها میرود و ضمن مثال بسیار گویایی می فرماید: «هنگامی که بر کشتی سوار می شوند خدا را با اخلاص کامل می خوانند (و غیر او از نظرشان محو می شود) اما هنگامی که آنها را از طوفان و گرداب رهایی می بخشد و به خشکی می رساند باز مشرک می شوند»! (فَإذا رَکِبُوا فِی الْفُلْکِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَی الْبُرِّ إِذا هُمْ یُشْرِکُونَ).

آری! شداید و طوفانها زمینه ساز شکوفایی فطرت آدمی است، چرا که نور توحید در درون جان همه انسانها نهفته است. تعلیمات غلط و غفلت و غرور، مخصوصا به هنگام سلامت و وفور نعمت، پرده هایی بر آن می افکند، اما طوفانهای حوادث این پرده ها را می درد و آن نقطه نورانی آشکار می شود.

سورة العنكبوت(29): آية 66 ص: 216

(آیه ۶۶)- در این آیه بعد از ذکر این همه استدلالات بر توحید و خدا پرستی مخالفان را با تهدیدی شدید و کوبنده مواجه ساخته، می گوید: «آنها آیات ما را انکار کنند (و نعمتهای ما را نادیده بگیرند) و چند روزی از لذات زود گذر بهره ببرند، اما به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۱۷

زودى خواهنـد فهميـد» كه عـاقبت كفر و شـرك آنهـا به كجا خواهـد رسـيد؟ و آنها را به چه سـرنوشت شومى گرفتار خواهد ساخت؟ (لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

سورة العنكبوت(29): آية 67 ص: 210

اشاره

شأن نزول: ص: 217

«گروهی از مشرکان گفتند: ای محمّد! اگر ما داخل در دین تو نمی شویم تنها به خاطر این است که می ترسیم مردم ما را بربایند (و بسرعت نابود کنند) چون جمعیت ما کم است و جمعیت مشرکان عرب بسیارند، به محض این که به آنها خبر رسد که ما وارد دین تو شده ایم بسرعت ما را می ربایند، و خوراک یک نفر از آنها هستیم! در اینجا آیه أَ وَ لَمْ یَرَوْا ... نازل شد و به آنها پاسخ گفت.»

تفسير: ص: ۵۱۷

در آیات گذشته نیز به این بهانه مشرکان به صورت دیگری اشاره شده بود که ما می ترسیم اگر اظهار ایمان کنیم و به دنبال آن هجرت نماییم زندگی ما مختل گردد که قرآن از طرق مختلف به آنها پاسخ گفت.

در این آیه قرآن از طریق دیگری به آنها پاسخ داده، میفرماید: «آیا ندیدند که ما (برای آنها حرم امنی) قرار دادیم» سر زمین پاک و مقدس مکّه (أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً).

«در حالی که مردم را در اطراف آنان (در بیرون این حرم) می ربایند»؟

(وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ). همه جا غارت است و كشتار، اما اين سر زمين همچنان امن و امان باقى مانده است.

«آيا (با اين حال) به باطل ايمان مي آورند و نعمت خدا را كفران مي كنند»؟! (أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ).

سورة العنكبوت(29): آية 68 ص: 217

(آیه ۶۸)- پس از ذکر این دلیل روشن در این آیه چنین نتیجه گیری و جمع بندی می کند: «چه کسی ستمکارتر از آن کس است که بر خدا دروغ بسته یا حق را پس از آن که به سراغش آمده تکذیب نماید»؟ (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَوْ کَذَباً اللَّهِ کَذِباً أَوْ کَذَب بالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ).

ما دلایل آشکاری برای شما اقامه کردیم که جز «الله» شایسته پرستش نیست برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۱۸ اما شما بر خدا دروغ می بندید و شریکانی برای او می تراشید.

شرک خمیر مایه همه مفاسد اجتماعی است و ستمهای دیگر در واقع از آن سر چشمه می گیرد، هوی پرستی، مقام پرستی، و دنیا پرستی هر کدام نوعی از شرک است.

ولى بدانيد عاقبت شومى در انتظار مشركان است «آيا جايگاه كافران در دوزخ نيست»؟ (أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَىً لِلْكَافِرِينَ).

سورة العنكبوت(29): آية 69 ص: 518

(آیه ۶۹)- این آیه که در عین حال آخرین آیه سوره عنکبوت است واقعیت مهمی را بیان می کند که عصارهای از تمام این سوره و هماهنگ با آغاز آن است.

می فرماید: راه خدا گرچه مشکلات فراوان دارد، مشکل از نظر شناخت حق، مشکل از نظر وسوسههای شیاطین جن و انس،

مشكل از نظر مخالفت دشمنان سر سخت و بى رحم، و مشكل از نظر لغزشهاى احتمالى اما در اينجا يك حقيقت است كه به شما در برابر اين مشكلات نيرو و اطمينان مى دهـد و حمايت مى كنـد و آن اين كه: «آنها كه در راه ما (با خلوص نيّت) جهاد كنند قطعا به راههاى خود هدايتشان خواهيم كرد، و خداوند با نيكوكاران است» (وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُرِ بُلَنا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ).

تعبیر به «جهاد» تعبیر وسیع و مطلقی است و هر گونه جهاد و تلاشی را که در راه خدا و برای او و به منظور وصول به اهداف الهی صورت گیرد شامل می شود، خواه در طریق کسب معرفت باشد، یا جهاد با نفس، یا مبارزه با دشمن یا صبر بر طاعت، یا شکیبایی در برابر وسوسه معصیت، یا در مسیر کمک به افراد مستضعف، و یا انجام هر کار نیک دیگر.

کسانی که در این راهها به هر شکل و هر صورت برای خدا مجاهده کنند مشمول حمایت و هدایت الهی هستند.

بنا بر این هر گونه شکست و ناکامی نصیب ما شود معلول یکی از دو چیز است: یا در جهاد کوتاهی کردهایم، و یا اخلاص در کار ما نبوده است.

«پایان سوره عنکبوت»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۱۹

سوره روم [۳۰] ص: ۵۱۹

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۶۰ آیه است

محتواي سوره: ص: ۵۱۹

مطالب این سوره را در هفت بخش می توان خلاصه کرد.

۱- پیشگویی از پیروزی رومیان بر ایرانیان در جنگی که در آینده درگیر میشد.

۲- گوشهای از طرز فکر و چگونگی حالات افراد بی ایمان.

۳- بخش مهمی از آیات عظمت خداوند در آسمان و زمین و در وجود انسانها.

۴- سخن از توحید فطری بعد از بیان دلائل آفاقی و انفسی.

۵- بازگشت به شرح و تبیین حالات افراد بی ایمان و گنهکار، و ظهور فساد در زمین بر اثر گناهان آنها.

۶- اشارهای به مسأله مالكيت و حق ذي القربي و نكوهش از رباخواري.

٧- بازگشت مجددی به دلائل توحید و نشانه های حق و مسائل مربوط به معاد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 219

علاوه بر حدیثی که از امام صادق علیه السّ لام در فضیلت سوره عنکبوت نقل شد، در حدیث دیگری از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله چنین آمده: «هر کس سوره روم را بخواند پاداشی معادل ده حسنه به تعداد هر فرشتهای که در میان آسمان و زمین تسبیح خدا می گوید خواهد داشت و آنچه را در روز و شب از دست داده جبران خواهد کرد». برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۲۰ بدیهی است کسی که محتوای این سوره را در روح و جان خود جای دهـد و مراقبت پروردگار را در هر لحظه در خود ببیند، تقوای الهی چنان قلبش را پر می کند که شایسته چنین پاداش بزرگی است.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الروم(٣٠): آية ١ ص: ٥٢٠

اشاره

(آیه ۱)

شأن نزول: ص: ۵۲۰

آیات نخستین این سوره بدین سبب نازل شد که در آن هنگام که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در «مکّه» بود، و مؤمنان در اقلیت قرار داشتند، جنگی میان ایرانیان و رومیان در گرفت، و در این نبرد ایرانیان پیروز شدند.

مشرکان «مکّه» این را به فال نیک گرفتند و دلیل بر حقانیت شرک خود دانستند! آیات نخستین این سوره نازل شد و قاطعانه گفت: گرچه ایرانیان در این نبرد پیروز شدنـد اما چیزی نمی گذرد که از رومیان شکست خواهنـد خورد و حتی حـدود زمان این پیشگویی را نیز بیان داشت.

این پیشگویی قاطع قرآن که از یک سو نشانه اعجاز این کتاب آسمانی و اتکا آورنده آن به علم بیپایان پروردگار به عالم غیب است، و از سوی دیگر نقطه مقابل تفأل مشرکان بود، مسلمانان را طوری دلگرم ساخت که حتی می گویند: بعضی از آنان با مشرکان روی این مسأله شرطبندی مهمی کردند!-آن روز هنوز حکم تحریم این گونه شرط بندیها نازل نشده بود.

تفسير: ص: ۵۲۰

یک پیشگویی عجیب! این سوره جزء ۲۹ سورهای است که با حروف مقطعه آغاز می شود «الف، لام، میم» (الم).

تنها چیزی که در اینجا جلب توجه می کند این است که بر خلاف بسیاری از سوره هایی که با حروف مقطعه آغاز می شود و پشت سر آن سخن از عظمت قرآن است در اینجا بحثی از عظمت قرآن نمی یابیم، بلکه سخن از شکست رومیان و پیروزی مجدد آنها در آینده است، ولی با دقت روشن می شود که این بحث نیز بیان عظمت قرآن است، چرا که این خبر غیبی مربوط به آینده از نشانه های اعجاز برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۲۱

و عظمت این کتاب آسمانی محسوب میشود.

سورة الروم(٣٠): آية ٢ ص: ٥٢١

(آیه ۲)- بعد از ذکر حروف مقطعه می فرماید: «رومیان مغلوب شدند» (غُلِبَتِ الرُّومُ).

سورة الروم(٣٠): آية ٣ ص: ٥٢١

(آیه ۳)- «و این شکست در سرزمین نزدیکی واقع شد» (فِی أَدْنَی الْأَرْضِ).

منظور از «ادنی الارض» (سرزمین نزدیک) سرزمین ایرانیان بوده است یعنی در محلی واقع شد که نزدیکترین نقطه میان ایران و روم بود.

سپس اضافه می کند: «و آنها (رومیان) بعد از مغلوبیت به زودی غلبه خواهند کرد» (وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ).

سورة الروم(٣٠): آية ٢ ص: ٥٢١

(آیه ۴)- سپس حدود سالهای آن را با این عبارت بیان می کند: «در چند سال»! (فِی بِضْع سِنِینَ).

و اگر می بینید خداوند از آینده خبر می دهد، به خاطر آن است که «همه کارها از آن خداست چه قبل و چه بعد» از این شکست و پیروزی (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ).

عبـارت فوق میخواهـد این نکته را روشن سـازد که قادر بالـذّات و مالک علی الاطلاق اوست و هر کس هر چیزی دارد از او دارد.

سپس مىافزايىد: اگر امروز كه روميان شكست خوردنىد مشركان خوشحال شدنىد «در آن روز مؤمنان (به خاطر پيروزى ديگرى) خوشحال خواهند شد»! (وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرُحُ الْمُؤْمِنُونَ).

سورة الروم(30): آية 5 ص: 221

(آیه ۵)- آری! خوشحال می شوند «به سبب یاری خداوند» (بِنَصْرِ اللَّهِ).

خداوند «هر كه را بخواهد يارى مىكند، و او صاحب قدرت و رحيم است»! (يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ).

مسلمانان در آن روز از جهات مختلفی خوشحال شدند:

از پیروزی اهل کتاب بر مجوسیان که صحنهای از غلبه خدا پرستی بر شرک بود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۲۲ از پیروزی معنوی به خاطر ظهور اعجاز قرآن. و از پیروزی مقارن آن که احتمالاً «صلح حدیبیه» یا یکی دیگر از فتوحات مسلمین بود.

سورة الروم(30): آية 6 ص: 222

(آیه ۶)- باز هم برای تأکید بیشتر می فرماید: «این وعده ای است که خدا داده است» (وَعْدَ اللَّهِ).

«و خداونـد هرگز از وعـدهاش تخلف نخواهـد كرد، هر چنـد بيشتر مردم نمىداننـد» (لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْـدَهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ).

و علت عـدم آگاهی مردم عـدم معرفتشان نسبت به خـدا و علم و قـدرت اوست آنها خدا را به درستی نشـناختند، و لذا از این

حقیقت که او محال است از وعدهاش تخلف کند درست آگاه نیستند، چرا که تخلف از وعده یا به خاطر جهل است و یا به خاطر ضعف و ناتوانی است و هیچ یک در خدا راه ندارد.

سورة الروم(30): آية ٧ ص: 222

اشاره

(آيه ۷)- سپس مىافزايـد: اين مردم كوتـاه بين «تنها ظاهرى از زنـدگى دنيا را مىبيننـد و از آخرت و پايان كارها بىخبرنـد»! (يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ).

انسان «ظاهر بین» انفاق را سبب خسران و زیان میشمرد، در حالی که این «موحد» تجارتی پرسود میداند.

آن یکی ربا خواری را مایه افزایش در آمد، و این یکی مایه وبال و بدبختی و زیان.

آن یکی جهاد را مایه افزایش در آمد، و این یکی مایه وبال و بدبختی و زیان.

آن یکی جهاد را مایه دردسر و شهادت را به معنی نابودی و این یکی جهاد را رمز سر بلندی و شهادت را حیات جاویدان می شمرد.

اگر آنها باطن و درون این زندگی دنیا را نیز می دانستند برای شناخت آخرت کافی بود، چرا که دقت کافی در این زندگی زود گذر نشان می دهد که حلقه ای است از یک سلسله طولانی، و مرحله ای است از یک مسیر بزرگ، همان گونه که دقت در زندگی دوران جنینی نشان می دهد که هدف نهایی خود این زندگی نیست، بلکه این یک مرحله مقدماتی برای زندگی گسترده ای است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۲۳

اعجاز قرآن از دریچه علم غیب! ص: ۵۲۳

یکی از طرق اثبات اعجاز قرآن خبرهای غیبی قرآن است که یک نمونه روشن آن در همین آیات مورد بحث آمده، در طی چند آیه با انواع تأکیدات از پیروزی بزرگ یک ارتش شکست خورده در چند سال بعد خبر میدهد، و آن را به عنوان یک وعده تخلفناپذیر الهی معرفی می کند.

تاریخ به ما می گوید که هنوز نه سال نگذشته بود که: رومیان در نبرد جدیدی بر ایرانیان پیروز شدند، و مقارن همان زمان مسلمانان با صلح حدیبیه (و طبق روایتی در جنگ بدر) پیروزی چشمگیری بر دشمنان پیدا کردند.

سورة الروم(30): آية ٨ ص: 220

(آیه ۸)- آیه قبل سخن از ظاهربینانی بود که تنها افق فکرشان به محدوده دنیا و جهان ماده تعلق دارد، و از قیامت و عالم ماوراء طبیعت بیخبرند.

در این آیه و آیات آینده به ذکر مطالب متنوعی پیرامون مبدأ و معاد میپردازد نخست به صورت یک استفهام اعتراض آمیز می گوید: «آیا آنها در درون جان خویش تفکر نکردند که خداوند آسمان و زمین و آنچه را در میان این دو است جز به حق نيافريده؟ و براى آن اجل و پايان معينى قرار داده است» (أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِ هِمْ ما خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلِ مُسَمَّى).

یعنی اگر آنها درست بیندیشند و به وجدان خود و داوری عقلشان مراجعه کنند به خوبی از این دو امر آگاه می شوند که: جهان بر اساس حق آفریده شده، و نظاماتی بر آن حاکم است که دلیل بر وجود عقل و قدرت کامل در خالق این جهان است. و دیگر این که: این جهان رو به زوال و فنا می رود و از آنجا که خالق حکیم ممکن نیست بیهوده آن را آفریده باشد دلیل بر این است که جهان دیگری که سرای بقا است بعد از این جهان می باشد، و گر نه آفرینش این جهان مفهوم نداشت. لذا در پایان آیه اضافه می کند: «بسیاری از مردم به لقای پروردگارشان کافرند» (وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَکافِرُونَ). و یا این که با زبان، منکر نیستند اما عملشان آن چنان آلوده و ننگین است که نشان می دهد آنها اعتقادی به معاد ندارند، چرا که اگر معتقد بودند نباید این چنین فاسد و مفسد باشند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۲۴

سورهٔ الروم(٣٠): آيهٔ ٩ ص: ۵۲۴

(آیه ۹) – عاقبت بمدکاران! از آنجا که تعبیر به «اجل مسمی» بیانگر این حقیقت است که به هر حال زنمدگی این جهان دوام و بقایی نمدارد و این هشمداری است به همه دنیا پرستان، در این آیه میفرماید: «آیا در زمین گردش نکردنمد تا بنگرنمد عاقبت کسانی که قبل از آنها بودند» به کجا کشیده شد (اً وَ لَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقبهٔ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

«آنهـا نیرومنـدتر از اینـان بودنـد و زمین را (برای زراعت و آبادی) بیش ًاز اینان دگرگون ساختنـد و آباد کردنـد» (کانُوا أَشَـدٌ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها).

«و پیامبرانشان با دلایل آشکار به سراغشان آمدند» (وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ). اما آنها خیرهسری کردند، و در برابر حق تسلیم نشدند و کیفر خود را دیدند.

«خداوند هر گز به آنان ستم نكرد، آنها به خودشان ستم مى كردند»! (فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).

سورة الروم(30): آية 10 ص: 224

(آیه ۱۰)- این آیه آخرین مرحله کفر آنها را بیان کرده، می گوید: «سپس سر انجام کسانی که اعمال بد انجام دادند به جایی رسید که آیات خدا را تکذیب کردند، و (از آن بدتر) به استهزا و مسخره کردن آن بر خاستند» (ثُمَّ کانَ عاقِبَهُ الَّذِینَ أَساؤُا السُّوای أَنْ کَذَّبُوا بِآیاتِ اللَّهِ وَ کانُوا بِها یَسْتَهْزِؤُنَ).

آری! گناه و آلودگی همچون بیماری خوره به جان انسان میافتد، و روح ایمان را میخورد و از بین میبرد، و کار به جایی میرسد که سر از تکذیب آیات الهی در میآورد و به مرحلهای میرسد که دیگر هیچ وعظ و اندرز و انذاری مؤثر نیست و جز تازیانه عذاب دردناک الهی راهی باقی نمیماند!

سورة الروم(٣٠): آية ١١ ص: ٥٢٤

(آیه ۱۱)- سر نوشت مجرمان در قیامت: در آیات گذشته سخن از تکذیب کنندگانی به میان آمد که آیات خدا را به باد

مسخره می گرفتنـد، و در اینجـا بـا بیان گوشهای از مباحث معاد و سـر نوشت مجرمان در قیامت بحثهایی را که پیش از این در باره معاد در آیات قبل گفته شد تکمیل می کند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۲۵

نخست مىفرمايىد: «خداونىد آفرينش را آغاز نموده سپس اعاده مىكنىد، و بعىد به سوى او بازگردانىده مىشويىد» (اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

در آیه یک استدلال کوتاه و پر معنی برای مسأله معاد بیان شده که در آیات دیگر قرآن نیز به عبارات دیگری آمده است، و آن این که: «همان کسی که قدرت بر آفرینش نخستین داشت قدرت بر معاد هم دارد، و قانون عدالت و همچنین حکمت خداوند ایجاب میکند که این آفرینش مجدد تحقق یابد».

سورهٔ الروم(۳۰): آیهٔ ۱۲ ص: ۵۲۵

(آیه ۱۲)- این آیه وضع مجرمان را چنین مجّسم می کند: «آن روز که قیامت بر پا می شود مجرمان در نومیدی و غم و اندوه فرو می روند» (وَ یَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ یُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ).

چرا که نه ایمان و عمل صالحی با خود به عرصه محشر آوردهاند، نه یار و یاوری دارند و نه امکان بازگشت به دنیا و جبران گذشته وجود دارد.

سورة الروم(٣٠): آية ١٣ ص: ٥٢٥

(آیه ۱۳) – لذا در این آیه می افزاید: «آنها شفیعانی از معبودانشان ندارند» (وَ لَمْ یَکُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَکائِهِمْ شُفَعاءُ). به همین جهت «نسبت به معبودهایی که آنها را شریک خدا قرار داده بودند کافر می شوند» و از آنها تنفر و بیزاری می جویند (وَ کانُوا بِشُرَکائِهِمْ کافِرینَ).

سورة الروم(٣٠): آية ١٤ ص: ٥٢٥

(آیه ۱۴)– سپس به گروههای مختلف مردم در آن روز اشاره کرده، می گوید: «روزی که قیامت بر پا می شود مردم از هم جدا می گردند» (وَ یَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ یَوْمَئِذٍ یَتَفَرَّقُونَ).

سورة الروم(٣٠): آية ١٥ ص: ٥٢٥

(آیه ۱۵)– «پس گروهی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند آنها در باغی از بهشت متنعم و شاد و مسرور خواهند بود، آن چنان که آثار شادی در چهرههایشان هویدا می گردد» (فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَهُمْ فِی رَوْضَهٍ یُحْبَرُونَ).

سورة الروم(30): آية 16 ص: 220

(آيه ۱۶)- «و اما آنان كه به آيات ما و لقاى آخرت كافر شدنـد، در عذاب الهى احضار مىشوند» (وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ فَأُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ).

سورة الروم(30): آية ١٧ ص: ٥٢٦

(آیه ۱۷) - تسبیح و حمد در همه حال برای خداست: بعد از بحثهای فراوانی که در آیات گذشته در مورد مبدأ و معاد و بخشی از پاداش مؤمنان و کیفر مشرکان آمد در این آیه به تسبیح و حمد پروردگار و تنزیه و تقدیس او از هر گونه شرک و نقص و عیب پرداخته، می فرماید: «منزّه است خداوند به هنگامی که شام می کنید و هنگامی که صبح می کنید» (فَشُ بُحانَ اللَّهِ حِینَ تُصْبِحُونَ).

سورة الروم(٣٠): آية ١٨ ص: ٥٢٦

(آیه ۱۸)- «و حمد و ستایش مخصوص ذات پاک اوست در آسمان و زمین (منزه است) به هنگام عصر، و هنگامی که وارد ظهر می شوید» (وَ لَهُ الْحَمْدُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِیًّا وَ حِینَ تُظْهِرُونَ).

به این ترتیب در دو آیه فوق چهار وقت برای «تسبیح» پروردگار بیان شده:

آغاز شب طلوع صبح عصرگاهان و به هنگام زوال ظهر.

سورة الروم(٣٠): آية ١٩ ص: ٥٢٦

یعنی «صحنه معاد» و «صحنه پایان دنیا» که یکی خروج «زنده از مرده» است و دیگری «مرده از زنده» مرتبا در برابر چشم شما تکرار می شود، بنا بر این چه جای تعجب که در پایان جهان همه موجودات زنده بمیرند و در رستاخیز همه انسانها به زندگی جدیدی باز گردند؟! اما «خروج حیّ از میت» در مورد زمینهای مرده برای همه روشن است که در فصل زمستان زمین به صورت مرده در می آید، اما در فصل بهار با تعادل هوا و فرو ریختن قطرات حیا تبخش باران جنبشی در زمین پیدا می شود، و این صحنه معاد است که در این جهان می بینیم.

و اما در مورد خارج ساختن «مرده از زنده» آن هم چیز پوشیده و پنهانی نیست و اما در مورد بیرون آمدن موجود «زنده از مرده» گرچه طبق مسلمات علم برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۲۷

امروز در حال حاضر حد اقل در آزمایشهای بشری و مشاهدات روزمره موردی دیده نشده است. ولی مسلما در آغاز که این کره خاکی یک پارچه آتش بود، موجود زندهای وجود نداشت، بعدا در شرایط خاصی که علم هنوز آن را به درستی کشف نکرده است موجودات زنده از مواد بیجان با یک جهش بزرگ متولد شدند، اما این موضوع در شرایط فعلی کره زمین در آنجا که در دسترس علم و دانش بشر است دیده نمی شود.

اما آنچه برای ما محسوس و کاملاقابل لمس و درک است این است که موجودات مرده دائما جزء اندام موجودات زنده می شوند و لباس حیات در تن می پوشانند، آب و غذایی که ما می خوریم موجود زنده ای نیست، اما جزء بدن ما که شد تبدیل به یک موجود زنده می شود، و سلولهای تازهای بر سلولهای بدن ما افزوده می گردد.

بنا بر این می توان گفت: دائما در نظام عالم طبیعت زندگی از دل مرگ و مرگ از دل زندگی بیرون می آید به همین دلیل خدایی که آفریننده طبیعت است قادر به احیای مردگان در جهان دیگر می باشد.

سورة الروم(30): آية 20 ص: 227

(آیه ۲۰)- آیات خدا در آفاق و انفس! در اینجا نکات جالبی از دلائل توحید و نشانه های پروردگار را در نظام عالم هستی بازگو کرده، و بحثهای گذشته را تکمیل مینماید.

نخست به سراغ آفرینش انسان که اولین و مهمترین موهبت الهی بر اوست میرود و می گوید: «یکی از نشانه های او این است که شما را از خاک آفرید، سپس شما انسانهایی شدید که در روی زمین منتشر گشتید» (وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ).

در این آیه به دو نشانه عظمت الهی اشاره شده: یکی آفرینش انسان از خاک که ممکن است اشاره به آفرینش نخستین انسان یعنی آدم بوده باشد، یا آفرینش همه انسانها از خاک چرا که مواد غذایی تشکیل دهنده وجود انسان، همه مستقیما یا بطور غیر مستقیم از خاک گرفته می شود. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۲۸

دوم: تکثیر نسل انسان و انتشار فرزندان آدم در سراسر روی زمین است.

سورة الروم(30): آية 21 ص: 228

(آیه ۲۱)- این آیه نیز بخش دیگری از آیات انفسی را که در مرحله بعد از آفرینش انسان قرار دارد مطرح کرده، میفرماید: «و از نشانههای او این که همسرانی از جنس خودتان برای شما آفرید تا در کنار آنها آرامش یابید» (وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً لِتَسْکُنُوا إِلَيْها).

و از آنجا که ادامه این پیوند در میان همسـران، نیاز به یک جاذبه و کشـش قلبی و روحانی دارد به دنبال آن اضافه میکند: «و در میان شما مودّت و رحمت قرار داد» (وَ جَعَلَ بَیْنَکُمْ مَوَدَّهً وَ رَحْمَهً).

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر میفرماید: «در این نشانههایی است برای گروهی که تفکّر میکنند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ).

و از اینجا می توان نتیجه گرفت آنها که پشت پا به این سنت الهی میزنند وجود ناقصی دارند، چرا که یک مرحله تکاملی آنها متوقف شده مگر آن که به راستی شرایط خاص و ضرورتی ایجاب تجرّد کند.

سورة الروم(٣٠): آية ٢٢ ص: ٥٢٨

(آیه ۲۲)- این آیه معجونی از آیات آفاقی و انفسی است: نخست به مسأله خلقت آسمانها و زمین اشاره کرده، می گویـد: «از نشانههای بزرگ خدا آفرینش آسمانها و زمین است» (وَ مِنْ آیاتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

آسمانها با آن همه کرات، با آن همه منظومهها و کهکشانها، آسمانهایی که اندیشه بلند پرواز انسان از درک عظمت آن عاجز و فکر از مطالعه آن خسته میشود و هر قدر علم و دانش انسان پیش میرود نکتههای تازهای از عظمتش آشکار می گردد. سپس سخن را به یکی از آیات بزرگ انفسی منتقل ساخته، می گوید:

«و اختلاف زبانها و رنگهای شما» نیز از آیات عظمت اوست! (وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ).

که برای سازمان یافتن اجتماع بشر خداوند صداها و رنگها را مختلف قرار داده است و همچنین زبانها و نژادها را. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۲۹

قرآن در پایان آیه می گوید: «در این امور نشانه هایی است برای عالمان و اندیشمندان» (إِنَّ فِی ذَلِکَ لَآیاتٍ لِلْعالِمِینَ). چرا که آنها بیش از هر کس از این اسرار آگاه می شوند.

سورة الروم(٣٠): آية ٢٣ ص: ٥٢٩

(آیه ۲۳)– باز هم نشانههای عظمت او در برون و درون: به دنبال بحثهای گذشته پیرامون آیات پروردگار در آفاق و انفس در اینجا به گفتگو پیرامون بخش دیگری از این آیات بزرگ میپردازد.

نخست پدیده «خواب» را به عنوان یک پدیده مهم آفرینش و نموداری از نظام حکیمانه آفریننده آن مورد توجه قرار داده، می گوید: «و از نشانههای او خواب شما در شب و روز است، و تلاش و کوشش شما برای بهره گیری از فضل پروردگار» و تأمین معاش (وَ مِنْ آیاتِهِ مَنامُکُمْ بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُکُمْ مِنْ فَصْلِهِ).

و در پایان می افزاید: «در این امور نشانه هایی است برای آنها که گوش شنوا دارند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمِ یَسْمَعُونَ). این موهبت بزرگ الهی سبب می شود که جسم و روح انسان به اصطلاح سرویس شود، و با بروز حالت خواب که یک نوع وقفه و تعطیل کار بدن است آرامش و رفع خستگی حاصل گردد، و انسان حیات و نشاط و نیروی تازه ای پیدا کند.

مسلما اگر خواب نبود روح و جسم انسان بسیار زود پژمرده و فرسوده میشد، و بسیار زود پیری و شکستگی به سراغ او میآمد.

سورة الروم(٣٠): آية ٢٤ ص: ٥٢٩

(آیه ۲۴) - این آیه که پنجمین قسمت از آیات عظمت خدا را بیان می کند باز به سراغ آیات آفاقی می رود، و مسأله باران و رعد و برق و حیات زمین را پس از مرگ مورد توجه قرار داده، می گوید: «و از نشانه های خدا این است که برق را که هم مایه ترس است هم مایه امید، به شما نشان می دهد» (وَ مِنْ آیاتِهِ یُرِیکُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً).

«ترس» از خطرات ناشی از برق که گاه به صورت «صاعقه» در می آید و «امید» از نظر نزول باران که غالبا بعد از رعد و برق به صورت رگبار فرو می ریزد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۳۰

سپس مى افزايد: «و از آسمان آبى نازل مى كند كه زمين را بعد از مرگش حيات مى بخشد» (وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها).

در پایان آیه به عنوان تأکید میافزاید: «در این امور آیات و نشانه هایی است برای جمعیتی که تعقل و اندیشه میکنند» (إِنَّ فِی ذَلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْم یَعْقِلُونَ).

آنها هستند که میفهمند در این برنامه حساب شده دست قدرتی در کار است و هرگز نمی تواند معلول تصادفها و ضرورتهای کور و کر باشد.

سورة الروم(٣٠): آية ٢٥ ص: ٥٣٠

(آیه ۲۵)– در این آیه بحث از آیات آفاقی را در زمینه تدبیر نظام آسمان و زمین و ثبات و بقای آنها ادامه داده، میفرماید: «و از آیات او این است که آسمان و زمین به فرمان او بر پاست» (وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ).

یعنی نه تنها آفرینش آسمانها که در آیات قبل به آن اشاره شد آیتی است که بر پایی و ادامه نظام آنها نیز آیتی دیگر میباشد، چه این که این اجرام عظیم در گردش منظم خود احتیاج به امور زیادی دارد که مهمترین آنها محاسبه پیچیده تعادل نیروی جاذبه و دافعه است.

و در پایان این آیه با استفاده از زمینه بودن «توحید» برای «معاد» بحث را به این مسأله منتقل ساخته، میفرماید: «سپس هنگامی که شما را (در قیامت) از زمین فرا خواند ناگهان همه خارج میشوید» و در صحنه محشر حضور مییابید (ثُمَّ إِذا دَعاکُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ).

سورة الروم(30): آية 27 ص: 330

(آیه ۲۶)- توحید مالکیت خداوند: در آیات گذشته بحثهایی پیرامون «توحید خالقیت» و «توحید ربوبیت» آمده بود، و این آیه، از یکی از شاخههای توحید که «توحید مالکیت» است سخن می گوید، می فرماید: «تمام کسانی که در آسمانها و زمین هستند از آن او می باشند» (وَ لَهُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

و چون همه از آن اویند «همگی در برابر او خاضع و مطیعند» (کُلُّ لَهُ قانِتُونَ).

یعنی از نظر قوانین آفرینش زمام امر همه در دست اوست و همه خواه ناخواه تسلیم قوانین او در جهان تکوینند.

دلیل این «مالکیت» همان خالقیت و ربوبیت اوست: کسی که در آغاز برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۳۱

موجودات را آفریده و تدبیر آنها را بر عهده دارد، مسلما مالک اصلی نیز باید او باشد، نه غیر او.

سورة الروم(30): آية 27 ص: 231

(آیه ۲۷) و از آنجا که در سلسله آیاتی که گذشت و نیز بعدا خواهد آمد مسائل مربوط به مبدأ و معاد همچون تار و پود یک پارچه در هم انسجام یافته، در این آیه باز به مسأله معاد بر می گردد و می گوید: «او کسی است که آفرینش را آغاز می کند سپس آن را باز می گرداند، و این کار برای او آسانتر می باشد»! (وَ هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ). قرآن در این آیه با کوتاهترین استدلال، مسأله امکان معاد را اثبات کرده است، می گوید: شما معتقدید آغاز آفرینش از اوست، باز گشت مجدد که از آن آسانتر است چرا از او نباشد؟

توجه به یک نکته در اینجا ضروری است که تعبیر به آسان بودن و سخت بودن از دریچه فکر ماست، و الا برای وجودی که بی نهایت است «سخت» و «آسان» هیچ تفاوتی ندارد.

و شاید به همین دلیل بلافاصله در ذیل آیه میفرماید: «و برای اوست توصیف برتر در آسمانها و زمین» (وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

چرا که هر وصف کمالی در آسمان و زمین در باره هر موجودی تصور کنیـد از علم، قدرت، مالکیت، عظمت، وجود و کرم،

مصداق اتم و اکمل آن نزد خدا است، چرا که همه محدودش را دارند، و او نامحدودش را، اوصاف همه عارضی است و اوصاف او ذاتی و او منبع اصلی همه کمالات است.

سر انجام در پایان آیه به عنوان تأکید یا به عنوان یک دلیل، می گوید:

«و اوست توانمند و حكيم» (وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

عزیز است و شکستناپذیر اما در عین قدرت نامحدودش کاری بیحساب انجام نمیدهد، و همه افعالش بر طبق حکمت است.

سورة الروم(30): آية 28 ص: 231

(آیه ۲۸)– بعد از بیان قسمتی دیگر از دلائل توحید و معاد در آیات گذشته به ذکر دلیلی بر نفی شرک به صورت بیان یک مثال پرداخته، می گوید: «خداوند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۳۲

مثالی از خودتان برای شما زده است، (ضَرَبَ لَکُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِکُمْ).

و آن مثال این است که اگر بردگان و مملوکهایی در اختیار شـما باشد «آیا این بردههای شـما در روزیهایی که به شـما دادهایم شریک شما میباشند»؟! (هَلْ لَکُمْ مِنْ ما مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ مِنْ شُرَکاءَ فِی ما رَزَقْناکُمْ).

«آن چنان که هر دو با هم کاملا مساوی باشید» (فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءً).

و از تصرف مستقل و بدون اجازه آنان بیم داشته باشید آن گونه که در مورد شرکای آزاد، خود بیم دارید» (تَخافُونَهُمْ کَخِیفَتِکُمْ أَنْفُسَکُمْ).

یا آن چنان که شما حاضر نیستید بدون اجازه آنها دخل و تصرفی در اموالتان کنید.

وقتی در مورد بردگانتان که «ملک مجازی» شما هستند این چنین امری را نادرست و غلط میدانید، چگونه مخلوقات را که ملک حقیقی خدا هستند شریک او میپندارید؟ یا پیامبرانی همچون مسیح، یا فرشتگان خدا، یا مخلوقاتی همچون جن، و یا بتهای سنگی و چوبی را همتایان خدا می شمرید؟ این چه قضاوت زشت و دور از منطقی است؟! و در دنباله آیه برای تأکید می فرماید: «این چنین آیات خود را برای کسانی که تعقّل می کنند شرح می دهیم» (کَذلِکَ نُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْم یَعْقِلُونَ).
آری! با ذکر مثالهای روشن از متن زندگی خود شما حقایق را بازگو می کنیم تا اندیشه خود را به کار اندازید.

سورة الروم(٣٠): آية ٢٩ ص: ٥٣٢

(آیه ۲۹) - ولی این آیات بینات و این گونه مثالهای واضح و روشن برای صاحبان اندیشه است، نه ظالمان هموی پرست بیدانشی که پرده های جهل و نادانی بر قلب آنها فرو افتاده، و خرافات و تعصبات جاهلی فضای فکر آنها را تیره و تار کرده. لذا در این آیه می افزاید: «ظالمان از هوی و هوسهای خویش بدون علم و آگاهی پیروی می کنند» و تابع هیچ منطقی نیستند (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۳۳

اینها را خداوند به خاطر اعمالشان در وادی ضلالت افکنده است «و چه کسی میتواند آنها را که خدا گمراه کرده هدایت کند»؟! (فَمَنْ یَهْدِی مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ).

و مسلم است کسانی را که خمدا رهایشان سازد و به خویشتن واگذار کند «برای آنها هیچ یار و یاوری نخواهد بود» (وَ ما لَهُمْ

سورة الروم(٣٠): آية ٣٠ ص: ٥٣٣

(آیه ۳۰)- تا اینجا بحثهای فراوانی پیرامون توحید و خدا شناسی از طریق مشاهده نظام آفرینش داشته ایم.

و به دنبال آن در این آیه سخن از توحید فطری است یعنی همان مسأله را از طریق درون و مشاهده باطنی و درک ضروری وجدانی تعقیب کرده، می فرماید:

«پس روی (دل) خود را متوجه آیین پاک و خالص پروردگار کن»! (فَأُقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّین حَنِیفاً).

چرا که «این فطرتی است که خداوند انسانها را بر آن آفریده، دگرگونی در آفرینش خدا نیست» (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْها لا تَبْرِیلَ لِخَلْقِ اللَّهِ). و از نخستین روزی که انسان قدم به عالم هستی می گذارد این نور الهی در درون جان او شعلهور است.

«اين است دين و آيين محكم و استوار» (ذلِكُ الدِّينُ الْقَيِّمُ).

«ولى اكثر مردم نمى دانند» (وَ لكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ).

«دین حنیف» یعنی دینی که از تمام کجیها و از انحراف و خرافات و گمراهیها به سوی راستی و درستی متمایل شده است.

سورة الروم(٣٠): آية ٣١ ص: ٥٣٣

(آیه ۳۱) – در این آیه چنین می افزاید: این توجیه شما به دین حنیف خالص و فطری «در حالی است که شما باز گشت به سوی پروردگار می کنید» (مُنِیبِینَ إِلَیْهِ).

اصل و اساس وجود شما بر توحید است و سر انجام باید به سوی همین اصل باز گردید.

و به دنبال دستور «انابه» و باز گشت، دستور به «تقوا» میدهد که جامع همه اوامر و نواهی الهی است، میفرماید: «و از (مخالفت فرمان) خداوند بپرهیزید» (وَ اتَّقُوهُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۳۴

سپس از میان تمام اوامر تکیه و تأکید بر موضوع نماز کرده، می گوید: «و نماز را بر پا دارید» (وَ أُقِیمُوا الصَّلاةَ). چرا که نماز در تمام ابعادش مهمترین برنامه مبارزه با شرک و مؤثرترین وسیله تقویت پایههای توحید و ایمان به خداست.

لـذا از میان تمام نواهی نیز روی «شـرک» تکیه میکند، میگوید: «و از مشـرکان نباشـید» (وَ لاَ تَکُونُوا مِنَ الْمُشْـرِکِینَ). چرا که شرک بزرگترین گناه و اکبر کبائر است.

سورة الروم(٣٠): آية ٣٢ ص: ٥٣٤

اشاره

(آیه ۳۲) – در این آیه یکی از نشانه ها و پیامدهای شرک را در عبارتی کوتاه و پر معنی بیان کرده، میگوید: از مشرکان نباشید «از کسانی که دین خود را پراکنده ساختند، و به دسته ها و گروهها تقسیم شدند» (مِنَ الَّذِینَ فَرَّقُوا دِینَهُمْ وَ کانُوا شِیَعاً).

و عجب این که بـا تمام تضادّ و اختلافی که داشـتند «هر گروهی به آنچه نزد آنهاست (دلبسـته و) خوشـحالند»! (کُلَّ حِزْبِ بِما لَدَیْهِمْ فَرحُونَ).

آری! یکی از نشانه های شرک پراکندگی و تفرقه است، چرا که معبودهای مختلف منشأ روشهای متفاوت، و سر چشمه جداییها و پراکندگیهاست.

توحید یک جاذبه نیرومند درونی! ص : 334

بدون شک همان گونه که دلائل عقلی و منطقی به انسان جهت میدهد در درون جان او نیز کششـها و جاذبههایی وجود دارد که برای او تعیین جهت میکند.

فلسفه وجودی آنها همین است که در مسائل حیاتی انسان همیشه نمی تواند به انتظار عقل و منطق بنشیند، چرا که این کار گاهی سبب تعطیل هدفهای حیاتی می شود، مثلا اگر انسان برای خوردن غذا، یا آمیزش جنسی، بخواهد از منطق «لزوم بدل ما یتحلل» و «لزوم تداوم نسل از طریق توالد و تناسل» الهام بگیرد و طبق آن حرکت کند، باید مدتها پیش از این نوع او منقرض شده باشد، ولی غریزه و جاذبه جنسی از یکسو و اشتها به تغذیه از سوی دیگر او را به سوی این هدف می کشاند، و هر قدر هدفها حیاتی تر و عمومی تر باشد این جاذبه ها نیرومند تر است! ولی باید توجه داشت که این کششها و جاذبه ها بر دو گونه است: بعضی ناآگاه است یعنی نیاز به وساطت عقل و شعور ندارد، همان گونه که حیوان بدون نیاز بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳،

به تفکر به سوی غذا و جنس مخالف جذب می شود.

اما گاهی تأثیر آن به صورت آگاهانه است یعنی این جاذبه درونی در عقل و اندیشه اثر می گذارد و او را وادار به انتخاب طریق می کند.

قسم اول را «غریزه» و قسم دوم را «فطرت» می نامند- دقت کنید.

خدا گرایی و خدا پرستی به صورت یک فطرت در درون جان همه انسانها قرار دارد.

شواهد گوناگونی در دست داریم که فطری بودن «خدا گرایی» بلکه مذهب را در تمام اصولش روشن می کند:

۱- دوام اعتقاد مذهبی و ایمان به خدا در طول تاریخ پر ماجرای بشر خود نشانهای بر فطری بودن آن است، چرا که اگر عادت بود نه جنبه عمومی و همگانی داشت، و نه دائمی و همیشگی بود.

۲- مشاهدات عینی در دنیای امروز نشان می دهد با تمام تلاش و کوششی که بعضی از رژیمهای استبدادی جهان برای محو مذهب و آثار مذهبی از طرق مختلف به خرج دادهاند نتوانستهاند مذهب را از اعماق این جوامع ریشه کن سازند.

۳- کشفیات اخیر روانکاوان و روانشناسان در زمینه ابعاد روح انسانی شاهد دیگری بر این مدعا است، آنها می گویند: بررسی در باره ابعاد روح انسان نشان می دهد که یک بعد اصیل آن «بعد مذهبی» یا به تعبیر آنها «قدسی» و «یزدانی» است، و گاه این بعد مذهبی را سر چشمه ابعاد سه گانه دیگر یعنی بعد «راستی» (علم) و «نیکویی» و «زیبایی» دانستهاند.

«حس راستی» سر چشمه انواع علوم و دانشها و انگیزه کنجکاوی مستمر و پیگیر در شناخت جهان هستی است.

«حس نیکی» انسان را به سوی مفاهیم اخلاقی همچون عدالت و شهامت و فداکاری و مانند آن جذب می کند.

«حس زیبایی» انسان را به سوی هنرهای اصیل، زیباییها، ادبیات و مسائل ذوقی جذب می کند، و گاه سر چشمه تحولهایی در

زندگی فرد و جامعه می شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۳۶

«حس مذهبی» یعنی ایمان به یک مبدأ متعالی و پرستش و نیایش او.

۴- پناه بردن انسان در شداید و سختیها به یک نیروی مرموز ماورای طبیعی و تقاضای حل مشکلات و فرو نشستن طوفانهای سخت زندگی از درگاه او، نیز گواه دیگری بر اصالت این جاذبه درونی و الهام فطری است که- به انضمام سایر شواهدی که گفتیم- می تواند ما را به وجود چنین کشش نیرومندی در درون وجودمان به سوی خدا واقف سازد.

سورة الروم(٣٠): آية ٣٣ ص: ٥٣٦

(آیه ۳۳) - این آیه در حقیقت استدلال و تأکیدی است بر بحث گذشته در زمینه فطری بودن توحید و شکوفا شدن این نور الهی در شداید و سختیها.

می فرماید: «هنگامی که مختصر ضرری به انسانها برسد پروردگارشان را می خوانند، و به سوی او انابه می کنند. (وَ إِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرُّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِیبِینَ إلَیْهِ).

ولی آن چنان کم ظرفیت و کوتاه فکر و اسیر تعصب و تقلید کورکورانه از نیاکان مشرک خود هستند که به مجرد این که حوادث سخت بر طرف میشود و نسیم آرامش میوزد و «خداوند رحمتی از سوی خودش به آنها میچشاند گروهی از آنان نسبت به پروردگارشان مشرک میشوند» (ثُمَّم إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ).

تکیه روی «مُنِیبِینَ إِلَیْهِ» اشاره لطیفی به این معنی میباشد که پایه و اساس در فطرت انسان توحید و خدا پرستی است و شرک امر عارضی است که وقتی از آن قطع امید می کند خواه ناخواه به سوی ایمان و توحید باز می گردد.

سورة الروم(30): آية 34 ص: 336

(آیه ۳۴) - در این آیه به عنوان تهدید به این افراد کم ظرفیت مشرک که به هنگام نیل به نعمتها خدا را به دست فراموشی می سپارند می گوید: بگذار «نعمتهایی را که ما به آنها داده ایم کفران کنند» و هر کار از دستشان ساخته است انجام دهند (لِیَکْفُرُوا بِما آتَیْناهُمْ).

«پس (تا می توانید از این نعمتهای زود گذر دنیا) بهره گیرید» (فَتَمَتَّعُوا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۳۷ «اما به زودی (نتیجه شوم اعمال خویش را) خواهید دانست» (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ).

سورة الروم(30): آية 30 ص: 327

(آیه ۳۵) - در این آیه برای محکوم ساختن این گروه مشرک، سخن را در قالب استفهام آمیخته با توبیخ در آورده، می گوید: «آیا ما دلیل محکمی بر آنان فرستادیم که از شرکشان سخن می گوید» و آن را موجّه می شمارد؟ (أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ).

سورة الروم(٣٠): آية ٣٤ ص: ٥٣٧

(آیه ۳۶)- این آیه که ترسیم دیگری از طرز فکر و روحیه این جاهلان کم ظرفیت است چنین می گوید: «و هنگامی که رحمتی به مردم بچشانیم خوشحال و مغرور می شوند، و هر گاه بلا و رنج و دردی به خاطر اعمالی که انجام داده اند به آنها برسد ناگهان مأیوس و نومید می گردند» (وَ إِذَا أَذَقُنَا النَّاسَ رَحْمَهُ فَرِحُوا بِها وَ إِنْ تُصِ بُهُمْ سَیّئَهُ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ إِذَا هُمْ رَضُونَ).

در حالی که مؤمنان راستین کسانی هستند که نه به هنگام نعمت گرفتار غرور و غفلت میشوند و نه به هنگام مصیبت، گرفتار یأس و نومیدی، نعمت را از خدا میدانند و شکر به درگاه او میبرند، و مصیبت را آزمون و امتحان، و یا نتیجه اعمال خویش محسوب میدارند و صبر میکنند و رو به درگاه او میآورند.

سورة الروم(30): آية 37 ص: 337

(آیه ۳۷) - این آیه همچنان از «توحید ربوبیت» سخن می گوید، و به تناسب بحثی که در آیات گذشته آمده بود که بعضی از کم ظرفیتان با روی آوردن نعمت، مغرور و با مواجه شدن بلا، مأیوس می شوند، چنین می فرماید: «آیا ندیدند که خداوند روزی را برای هر کس بخواهد گسترده (و برای هر کس بخواهد) تنگ می سازد» (أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنَّ اللَّهَ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ وَ یَقْدرُ).

درست است که عالم، عالم اسباب است ولی در عین حال این یک قاعده کلی و همیشگی نیست، چرا که گاه افراد بسیار جدی و لایقی را می بینیم که هر چه می دوند به جایی نمی رسند، و به عکس گاه افراد کم دست و پا را مشاهده می کنیم که درهای روزی از هر سو به روی آنها گشوده است! این استثناها گویا برای این است که خداوند نشان دهد با تمام تأثیری که در برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۳۸

عالم اسباب آفریده، نباید در عالم اسباب گم شوند، و نباید فراموش کنند که در پشت این دستگاه، دست نیرومند دیگری است که آن را می گرداند.

لذا در پایان آیه می گوید: «در این نشانه هایی است از قدرت و عظمت خدا برای قومی که ایمان می آورند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْم یُؤْمِنُونَ).

سورة الروم(30): آية 38 ص: 388

(آیه ۳۸)- و از آنجا که هر نعمت و موهبتی، وظایف و مسؤولیتهایی را همراه می آورد، در این آیه روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، می گوید: چون چنین است «پس حق بستگان و نزدیکان را ادا کن، و همچنین (حق) مسکینان و در راهماندگان را» (فَآتِ ذَا الْقُرْبی حَقَّهُ وَ الْمِسْکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ).

تعبیر به «حَقَّهُ» بیانگر این واقعیت است که آنها در اموال انسان شریکند و اگر چیزی انسان میپردازد حق خود آنها را ادا میکند.

و در پایان آیه برای تشویق نیکوکاران، و ضمنا بیان شرط قبولی انفاق میفرماید: «این کار برای کسانی که تنها رضای خدا را میطلبند بهتر است» (ذلِکَ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یُریدُونَ وَجْهَ اللَّهِ).

«و كسانى كه چنين كار نيكى را انجام مىدهند رستگارانند» (وَ أُولِئِكُ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

با توجه به این که «وجه الله» به معنی ذات پاک پروردگار است، این آیه نشان میدهد که تنها مسأله انفاق و پرداختن حق خویشاوندان و دیگر صاحبان حقوق کافی نیست، مهم آن است که با اخلاص و نیت پاک توأم بوده و از هر گونه ریا و خودنمایی و منت و تحقیر و انتظار پاداش خالی باشد.

سورة الروم(٣٠): آية ٣٩ ص: ٥٣٨

(آیه ۳۹) - در این آیه به تناسب بحثی که از انفاق خالص در میان بود به دو نمونه از انفاقها که یکی برای خداست، و دیگری به منظور رسیدن به مال دنیا اشاره کرده، میفرماید: «آنچه به عنوان ربا میپردازید تا در اموال مردم فزونی یابد، نزد خدا فزونی نخواهد یافت، و آنچه را به عنوان زکات میپردازید و تنها رضای خدا را میطلبید (مایه برکت است و) کسانی که چنین میکنند دارای پاداش مضاعفند» (وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ رِباً لِیَرْبُوا فِی أَمُوالِ النَّاسِ فَلا یَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ زَکاهٔ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۳۹

تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ).

«ربا» در اصل به معنی افزایش است و در اینجا منظور هدایایی است که بعضی از افراد برای دیگران- مخصوصا صاحبان مال و ثروت- میبرند، به این منظور که پاداشی بیشتر و بهتر از آنها دریافت دارند.

بدیهی است در این گونه هدایا نه استحقاق طرف در نظر گرفته می شود، و نه شایستگیها و اولویتها، بلکه تمام توجه به این است که این هدیه به جایی داده شود که بتواند مبلغ بیشتری را صید کند! و طبیعی است این چنین هدایا که جنبه اخلاص در آن نیست از نظر اخلاقی و معنوی فاقد ارزش می باشد.

سورة الروم(30): آية 40 ص: 279

(آیه ۴۰)- در این آیه بار دیگر به مسأله مبدأ و معاد که موضوع اساسی در بسیاری از آیات این سوره بود باز می گردد، و خدا را با چهار وصف، توصیف می کند تا هم اشارهای به توحید و مبارزه با شرک باشد، و هم دلیلی بر معاد، می فرماید:

«خداوند همان کسی است که شما را آفرید، سپس روزی داد، بعد میمیراند و بعد زنده میکند» (اللَّهُ الَّذِی خَلَقَکُمْ ثُمَّ رَزَقَکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یُحْیِیکُمْ).

«آیا هیچ یک از شریکانی که شما برای خدا ساخته اید توانایی بر چیزی از این کارها دارد»؟ (هَلْ مِنْ شُـرَ کائِکُمْ مَنْ یَفْعَلُ مِنْ ذلِکُمْ مِنْ شَيْءٍ).

«منزه است خدا، و برتر است از آنچه آنها شریک برای او قرار میدهند» (سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِ كُونَ).

مسلم است هیچ یک از مشرکان، معتقد نبودند که آفرینش به وسیله بتها صورت گرفته، یا این که روزی آنها به دست بتهاست، و یا پایان عمرشان.

بنا بر این پاسخ این سؤالات منفی است و استفهام، استفهام انکاری میباشد.

جمله «سُرِبْحانَهُ وَ تَعالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» اين حقيقت را بازگو مىكنـد كه آنها مقام پروردگار را فوق العاده پايين آوردند كه در كنار بتها و معبودان ساختگى قرار مىدهند.

سورة الروم(30): آية 41 ص: 279

(آیه ۴۱)– سر چشمه فساد، اعمال خود مردم است! در آیات گذشته، سخن از شرک در میان بود و میدانیم ریشه اصلی تمام برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۴۰

مفاسد فراموش کردن اصلی توحید و روی آوردن به شرک است، لذا در اینجا سخن از ظهور فساد در زمین به خاطر اعمال مردم به میان آورده، می گوید: «فساد در خشکی و دریا به خاطر کارهایی که مردم انجام داده اند آشکار شده است» (ظَهَرَ الْفَسادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما کَسِبَتْ أَیْدِی النَّاسِ). هر جا فسادی ظاهر شود بازتاب اعمال مردم است چرا که هر کار نادرست عکس العمل نامطلوبی دارد.

سپس مىفرمايىد: «خىدا مىخواھىد نتيجە بعضى از اعمالشان را بە آنان بچشاند، شايد بە سوى حق باز گردند»! (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

سورة الروم(30): آية 47 ص: 340

(آیه ۴۲) - در این آیه برای این که مردم شواهد زنده ای را در مسأله ظهور فساد در زمین به خاطر گناه انسانها با چشم خود ببینند، دستور «سیر در ارض» را می دهد و به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می فرماید: «بگو: شما در روی زمین به گردش بپردازید (حال امتهای پیشین را جستجو کنید، و اعمال و سر نوشت آنها را مورد بررسی قرار دهید) ببینید عاقبت کسانی که قبل از شما بودند به کجا رسید»؟! (قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلُ).

قصرها و کاخهای ویران شده آنها را بنگرید، خزائن به تاراج رفته آنها را تماشا کنید، جمعیت نیرومند پراکنده شده آنها را مشاهده نمایید، و سر انجام قبرهای در هم شکسته و استخوانهای پوسیده آنها را بنگرید.

آرى «بيشترشان مشرك بودند» (كانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ). و شرك ام الفساد و مايه تباهي آنها شد.

سورة الروم(30): آية 47 ص: 340

(آیه ۴۳) – و از آنجا که پند گرفتن و بیدار شدن، و سپس بازگشتن به سوی خدا، همیشه مفید و مؤثر نیست، در این آیه روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده چنین می گوید: «صورت خود را به سوی دین و آیین مستقیم و پا بر جا (آیین توحید خالص) قرار ده، پیش از آن که روزی فرار رسد که هیچ کس قدرت ندارد آن روز را از خدا باز گرداند (و برنامه الهی را تعطیل کند) و در آن روز مردم گروه گروه می شوند و صفوف از هم جدا می گردد» گروهی در بهشت و گروهی در دوزخ (فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ الْقَیِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَاْتِی یَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ یَوْمَئِذٍ یَصَّدَعُونَ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۴۱ این که خطاب را متوجه پیامبر صلّی الله علیه و آله می کند، برای این است که دیگران حساب کار خویش را برسند.

سورة الروم(30): آية 44 ص: 241

(آیه ۴۴)- این آیه در حقیقت شرحی است برای این جدایی صفوف در قیامت، میفرماید: «هر کسی کافر شد کفرش بر زیان خود اوست» و وبالش دامنگیر او (مَنْ کَفَرَ فَعَلَیْهِ کُفْرُهُ). «و اما آنها که عمل صالحی انجام دادند (پاداش الهی را) به سود خودشان آماده و مهیا میسازند» (وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِ هِمْ يَمْهَدُونَ).

سورة الروم(30): آية 45 ص: 241

(آیه ۴۵) - در این آیه در مورد مؤمنان توضیح میدهد که نه تنها اعمال خود را در آنجا میبینند، بلکه خدا مواهب بیشتری که شایسته فضل و کرم اوست به آنها میبخشد، می گوید: «هدف این است که (خداوند) کسانی را که ایمان آوردهاند، و عمل صالح انجام دادهاند از فضلش پاداش دهد» (لِیَجْزِیَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ).

مسلما اين فضل الهي شامل حال كافران نمي شود، «چرا كه خدا كافران را دوست ندارد» (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ).

سورة الروم(30): آية 46 ص: 241

(آیه ۴۶) - در این سوره، بخش قابل ملاحظه ای از دلائل توحید و نشانه های پروردگار در هفت آیه بیان شده که هر کدام با جمله «وَ مِنْ آیاتِهِ» آغاز می شود. شش قسمت آن را قبلا به صورت پی در پی خواندیم، و این آیه آخرین آنها می باشد.

و از آن جا که در آیه قبل سخن از ایمان و عمل صالح بود، بیان دلائل توحیدی تأکیدی نیز بر آن میباشد.

مىفرمايـد: «و از آيـات (عظمت و قـدرت) خـدا اين است كه بادهـا را به عنوان بشارتگرانى مىفرسـتد» (وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُؤسِـلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ).

آنها در پیشاپیش باران حرکت میکنند، قطعات پراکنده ابر را با خود برداشته به هم میپیوندند، و به سوی سرزمینهای خشک و تشنه میبرند، صفحه آسمان را میپوشانند و با دگرگون ساختن درجه حرارت جو، ابرها را آماده ریزش باران میکنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۴۲

در دنباله آیه میخوانیم: «خدا میخواهد بدین سبب شما را از رحمت خود بچشاند، تا کشتیها به فرمانش حرکت کنند، و شما از فضل و رحمت او بهره گیرید و شاید شکر گزاری کنید» (وَ لِیُذِیقَکُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِیَ الْفُلْکُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ).

آری! بادها هم وسیله تولید نعمتهای فراوان در زمینه کشاورزی و دامداری هستند، و هم وسیله حمل و نقل، و سر انجام سبب رونق امر تجارت است.

آری! آنها بشارت دهندگانی هستند در جهات مختلف.

سورة الروم(30): آية ٤٧ ص: ٥٤٢

(آیه ۴۷) - در این آیه سخن از فرستادن پیامبران الهی است، در حالی که آیه بعد از آن بار دیگر به نعمت وزش بادها بر می گردد، ممکن است قرار گرفتن این آیه در میان دو آیه که در باره نعمت وجود بادها سخن می گوید جنبه معترضه داشته باشد. و ممکن است ذکر مسأله نبوّت در کنار این بحثها برای تکمیل مسائل مربوط به مبدأ و معاد باشد.

به هر حال آیه چنین می گوید: «ما قبل از تو پیامبرانی را به سوی قومشان فرستادیم»َ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ) .«آنها دلائل روشن و آشکار (از معجزات و منطق عقل) برای این اقوام آوردند»َجاؤُهُمْ بِالْبَیِّناتِ) .گروهی ایمان آوردنـد، و گروهی به مخالفت بر خاسـتند اما هنگامی که انـدرزها و هشدارها سودی نداد «ما از مجرمان انتقام گرفتیم»اَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِینَ أَجْرَمُوا)

.و مؤمنان را یاری کردیم «و همواره این حق بر ما بوده است که مؤمنان را یاری کنیم» کانَ حَقًّا عَلَیْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِینَ)

سورة الروم(30): آية 48 ص: 242

(آیه ۴۸)- این آیه بـار دیگر به توضیح نعمت وزش بادهـا پرداخته، چنین میگویـد: «خداونـد همـان کسـی است که بادها را میفرستد تا ابرهایی را به حرکت در آورند» (اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً).

«سپس ابرها را در پهنه آسمان آن گونه که بخواهد می گستراند» (فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۴۳

آنها را به صورت قطعاتی در آورده «و متراکم میسازد» (وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً).

«اینجاست که دانه های باران را می بینی که از لابلای آنها خارج می شوند» (فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ).

آری! یکی از نقشهای مهم، هنگام نزول باران بر عهده بادها گذاشته شده است.

و در پایان آیه میافزاید: «پس هنگامی که این باران حیاتبخش را به هر کس از بندگانش بخواهمد برساند، ناگهان آنها خوشحال و مسرور میشوند» (فَإِذا أُصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ).

سورة الروم(30): آية ٤٩ ص: ٥٤٣

(آیه ۴۹)- «و قطعا پیش از آن که بر آنان نازل شود، مأیوس بودند» (وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ یُنَزَّلَ عَلَیْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِینَ). این یأس و آن بشارت را کسانی به خوبی درک می کنند که همچون عربهای بیابانگرد حیات و زندگیشان پیوند بسیار نزدیکی با همین قطرههای باران دارد.

سورة الروم(30): آية ٥٠ ص: ٥٤٣

(آیه ۵۰)– در این آیه روی سخن را به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله کرده، می گوید: «به آثار رحمت الهی بنگر که چگونه زمین را بعد از مردنش زنده می کند» (فَانْظُوْ إِلی آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ کَیْفَ یُحْیِ الْأَوْضَ بَعْدَ مَوْتِها).

تعبیر به «رحمت الهی» در مورد باران، اشاره به آثار پر برکت آن از جهات مختلف است.

سپس بـا توجه به پیونـدی که مبـدأ و معـاد در مسائل مختلف دارنـد در پایان آیه میافزایـد: «چنین کسی (که زمین مرده را با نزول بـاران زنـده کرد) زنـده کننـده مردگانی (در قیامت) است، و او بر همه چیز تواناست» (إِنَّ ذلِکَ لَمُحْیِ الْمَوْتی وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَيْءٍ قَدِیرٌ).

سورة الروم(٣٠): آية ٥١ ص: ٥٤٣

(آیه ۵۱)- از آنجا که در آیات گذشته، سخن از بادهای پربرکتی در میان بود که پیشقراولان بارانهای رحمتزا هستند، در

این آیه اشاره به بادهای زیانبار کرده، می گویـد: «و اگر ما بادی بفرستیم (داغ و سوزان یا سـرد و خشک و یا توأم با سـموم) و بر اثر آن، زراعت و باغ خود را زرد و پژمرده ببینند (مأیوس شده و) پس از آن راه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۴۴ کفران پیش می گیرند» و به این راه همچنان ادامه میدهند (وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا رِیحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًا لَظَلُوا مِنْ بَعْدِهِ یَکْفُرُونَ).

آنها افراد ضعیف و کم ظرفیتی هستند و آن چنانند که قبل از آمدن باران مأیوس و بعد از نزول آن، بسیار شادند، و اگر روزی باد سمومی بوزد و زندگی آنان موقتا گرفتار مشکلاتی گردد، فریادشان بلند میشود و زبان به کفر می گشایند.

به عکس مؤمنان راستین که از نعمت خدا شادند و شکر گزار و در مصائب و مشکلات صبورند و شکیبا، دگر گونیهای زندگی مادی هرگز در ایمان آنها، کمترین خللی وارد نمی کند، و همچون کوردلان ضعیف الایمان با وزش یک باد مؤمن و با وزش باد دیگر کافر نمی شوند.

سورة الروم(30): آية ۵۲ ص: ۵۴۴

(آیه ۵۲)– در این آیه و آیه بعد به تناسب بحثی که در آیه قبل آمد، مردم را به چهار گروه تقسیم می کند:

گروه مردگان، یعنی آنها که هیچ حقیقتی را درک نمیکنند هر چند ظاهرا زندهاند.

و گروه ناشنوایان که آمادگی برای شنیدن سخن حق ندارند.

و گروهی که از دیدن چهره حق محرومند.

و سر انجام گروه مؤمنان راستین که دلهایی دانا، و گوشهایی شنوا، و چشمهایی بینا دارند.

نخست می گوید: «تو نمی توانی سخنان حق خود را به گوش مردگان برسانی» و اندرزهای تو در دل آنان که دلمردهانید اثر ندارد (فَإنَّکَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتی).

و نیز «تو نمی توانی سخنت را به گوش کران برسانی مخصوصا هنگامی که روی می گردانند و پشت می کنند» (وَ لاـ تُشِمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَوْا مُدْبِرِينَ).

سورة الروم(٣٠): آية ٥٣ ص: ٥٤٤

(آیه ۵۳)– و همچنین «تو نمی توانی نابینایان را از گمراهیشان هدایت کنی» (وَ ما أُنْتَ بِهادِ الْعُمْیِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ).

«تنها سخنان حقت را می توانی به گوش کسانی برسانی که به آیات ما ایمان می آورنـد و در براُبر حق تسـلیمند» (إِنْ تُشـمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآیاتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۴۵

قرآن غیر از «حیات» و «مرگ» مادی و جسمانی و همچنین «شنوایی» و «بینایی» ظاهری، نوع برتری از حیات و مرگ و دیـد و شنود، قائل است که ریشه اصلی سعادت یا بدبختی انسان در آن است. و این آیات از آن سخن می گوید.

سورة الروم(30): آية 34 ص: 545

(آیه ۵۴) - در این آیه به یکی دیگر از دلائل توحید که دلیل فقر و غنا است اشاره می کند و بحثهایی را که در سر تا سر این سوره، پیرامون توحید آمده تکمیل می نماید، می گوید: «خداوند همان کسی است که شما را (در حالی که ضعیف و ناتوان بودید) آفرید، سپس بعد از ناتوانی، سپس بعد از ناتوانی، قوت بخشید (و دوران جوانی و شکوفایی نیروها آمد) و باز بعد از

قدرت ضعف و پیری قرار داد» (اللَّهُ الَّذِی خَلَقَکَمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً). آری «او هر چه بخواهد می آفریند و دانا و تواناست» (یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ هُوَ الْعَلِیمُ الْقَدِیرُ).

در آغاز آن چنان ضعیف و ناتوان بودید که حتی قدرت نداشتید مگسی را از خود دور کنید یا آب دهان خویش را نگه دارید، این از نظر جسمانی، و از نظر فکری به مصداق «لا تَعْلَمُونَ شَیْئاً هیچ چیز نمیدانستید» حتی پدر و مادر مهربانی را که دائما مراقب شما بودند نمی شناختید.

ولی کم کم دارای رشد و قدرت شدید، اندامی نیرومند و فکری قوی و عقلی توانا و درکی وسیع پیدا کردید.

و با این حال نمی توانستید این قدرت را نگه دارید و درست همانند انسانی که از دامنه کوه بلندی به فراز قلّه رسیده از طرف دیگر سراشیبی را شروع کردید، و باز به قعر درّه ضعف و ناتوانی جسمی و روحی رسیدید.

این دگرگونیها و فراز و نشیبها، بهترین دلیل بر این حقیقت است که نه آن قوت از شما بود، و نه آن ضعف، بلکه هر دو از ناحیه دیگری بود.

آخرین جمله آیه که اشاره به علم و قدرت خداست، هم بشارت است و هم انذار که خدا از همه اعمال و نیّات شما آگاه است و نیز توانایی بر پاداش و کیفر شما دارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۴۶

سورة الروم(30): آية ۵۵ ص: ۵۴۶

(آیه ۵۵)- در اینجا بـار دیگر به مسأله رسـتاخیز باز می گردد و صـحنه دردناک دیگری از حال مجرمان را در آن روز مجسّـم میسازد.

مى گويـد: «و روزى كه قيامت بر پا شود، مجرمان سو گنـد ياد مى كننـد كه جز ساعتى (در عالم برزخ) درنگ نكردند»! (وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ).

آرى «اين چنين از درك حقيقت باز گردانده مي شوند» (كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ).

سورة الروم(30): آية 36 ص: 346

(آیه ۵۶)– این آیه پاسخ مؤمنـان آگاه را به سـخنان مجرمان ناآگاهی که از وضع برزخ و قیامت اطلاع درستی ندارنـد بازگو میکند.

مىفرمايىد: «ولى كسانى كه علم و ايمان به آنها داده شده، مى گويند: شما به فرمان خدا تا روز قيامت (در عالم برزخ) درنگ كرديىد، و اكنون روز رستاخيز است، اما شما نمىدانستيىد» (وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ الْبُعْثِ فَهذا يَوْمُ الْبُعْثِ وَ لَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ).

مقدم داشتن «علم» بر «ایمان» به خاطر آن است که علم پایه ایمان است.

سورهٔ الروم(٣٠): آيهٔ ۵۲ ص: ۵۴۶

(آیه ۵۷)– به هر حال هنگامی که مجرمان خود را با واقعیات دردناک روز قیامت رو برو میبیننـد در مقام عـذر خواهی و توبه

بر مي آيند، ولي قرآن مي گويد:

«در آن روز عـذر خواهى ظالمان سودى به حالشان نـدارد و توبه آنان نيز پذيرفته نيست» (فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ يُشْتَعْتَبُونَ).

یکی از عذرهای آنها این است که گناهان خود را به گردن سردمداران کفر و نفاق بیندازند.

و گاه در مقام عذر خواهی سعی می کنند انحراف خود را به گردن شیطان بیندازند و او را بر وسوسههایش ملامت کنند.

سورة الروم(٣٠): آية ٥٨ ص: ٥٤٦

(آیه ۵۸)– این آیه در حقیقت اشارهای است به کل مطالبی که در این سوره بیان شــد میفرماید: «ما برای مردم در این قرآن از هر گونه مثال و مطلبی بیان کردیم» (وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاس فِی هذَا الْقُوْآنِ مِنْ کُلِّ مَثَل).

وعد و وعید، امر و نهی، بشارت و انذار، آیات آفاقی و انفسی، دلائل مبدأ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۴۷

و معاد و اخبار غیبی، و خلاصه از هر چیز که در نفوس انسانها ممکن است اثر مثبت بگذارد بیانی داشتیم.

در حقیقت، قرآن بطور کلی، و سوره روم که اکنون در مراحل پایان آن هستیم بالخصوص مجموعهای است از مسائل بیـدار کننده برای هر قشر و گروه و برای هر طرز فکر و عقیده.

ولی با این حال گروهی هستند که هیچ یک از این امور در قلوب تاریک و سیاهشان اثری نمی گذارد، «و اگر آیهای برای آنها بیاوری کافران می گوینـد: شـما اهل باطل هستیـد» و اینها سـحر و جادوست! (وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآیَهُ لِیَتُولَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُعْطُلُه نَ).

تعبیر به «مبطلون» تعبیر جامعی است که همه برچسبها و نسبتهای ناروای مشرکان به انبیا و طرفداران حق را در بر می گیرد.

سورة الروم(30): آية ٥٩ ص: ٥٤٧

(آیه ۵۹)- این آیه دلیل مخالفت این گروه را به روشنی بیان می کند، می گوید: این نفوذناپذیری و لجاجت بی حد و حساب و دشمنی با هر حقیقت، به خاطر آن است که آنها حس تشخیص و درک خود را بر اثر کثرت گناه و لجاجت از دست داده اند، و ابدا چیزی درک نمی کنند، آری «این چنین خداوند بر دلهای کسانی که علم و آگاهی ندارند مهر می نهد» (کذلِک یَطْبَعُ اللَّهُ عَلی قُلُوبِ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ).

قابل توجه این که در آیات گذشته، علم پایه ایمان شناخته شده، و در این آیه جهل پایه کفر و عدم تسلیم در برابر حق.

سورة الروم(30): آية 60 ص: 240

(آیه ۶۰) - این آیه که آخرین آیه سوره روم است، دو دستور مهم و یک بشارت بزرگ به پیامبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله می دهد، تا او را در این مبارزه پی گیر و مستمر در برابر این لجوجان جاهل، و بی خردان سر سخت، به استقامت دعوت کند.

نخست می گویـد: «اکنون که چنین است (در برابر همه حوادث، همه آزارها و کارشکنیها و نسبتهای نـاروا) شـکیبایی و صبر پیشه کن» (فَاصْبِرْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۴۸

که شکیبایی و صبر و استقامت کلید اصلی پیروزی است.

و برای این که پیامبر را در این راه دلگرمتر کند می افزاید: «وعده خدا بطور مسلم حق است» (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّ).

دومین دستور، دستور به تسلط بر اعصاب و حفظ متانت و آرامش، و به اصطلاح از جا در نرفتن در این مبارزه سخت و پی گیر است، می فرماید: «و هرگز نباید کسانی که ایمان و یقین ندارنـد تو را خشـمگین و عصـبانی کننـد» (وَ لا یَـشِـتَخِفَّنَکُ الَّذِینَ لا یُوقِئُونَ).

وظیفه تو بردباری و تحمل و حوصله هر چه بیشتر و حفظ متانتی که شایسته یک رهبر در برابر این گونه افراد است، میباشد. این سوره با وعده پیروزی مؤمنان بر دشمنان آغاز شد، و با وعده پیروزی نیز پایان می گیرد، ولی شرط اصلی آن را صبر و استقامت شمرده است.

«پایان سوره روم»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۴۹

سوره لقمان [31] ص: 249

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۳۴ آیه است

محتوای سوره: ص: ۵۴۹

بطور کلی محتوای این سوره در پنج بخش خلاصه می شود:

بخش اول بعد از ذکر حروف مقطعه اشاره به عظمت قرآن و هـدایت و رحمت بودن آن برای مؤمنانی که واجد صـفات ویژه هستند میکند.

بخش دوم از نشانه های خدا در آفرینش آسمان و برپا داشتن آن بدون هیچ گونه ستون، و آفرینش کوهها در زمین، و جنبندگان مختلف، و نزول باران و پرورش گیاهان سخن می گوید.

بخش سوم قسمتی از سخنان حکمت آمیز لقمان آن مرد الهی را به هنگام اندرز فرزندش نقل می کند.

در بخش چهارم بار دیگر به دلائل توحید باز می گردد، و سخن از تسخیر آسمان و زمین و نعمتهای وافر پروردگار و نکوهش از منطق بت پرستانی که تنها بر اساس تقلید از نیاکان در این وادی گمراهی افتادند، سخن می گوید.

و نیز از علم گسترده و بیپایان خدا با ذکر مثال روشنی پرده بر میدارد.

بخش پنجم اشاره کوتاه و تکان دهندهای به مسأله معاد و زندگی پس از مرگ دارد، به انسان هشدار میدهد که مغرور به زندگی این دنیا نشود.

این مطلب را با ذکر گوشهای از علم غیب پروردگار که از همه چیز در ارتباط با برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۵۰ انسان از جمله لحظه مرگ او و حتی جنینی که در شکم مادر است آگاه است تکمیل کرده و سوره را پایان می دهد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۵۵۰

در حدیثی از پیامبر صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «کسی که سوره لقمان را بخواند لقمان در قیامت رفیق و دوست اوست، و به عدد کسانی که کار نیک یا بد انجام دادهاند (به حکم امر به معروف و نهی از منکر در برابر آنها) ده حسنه به او داده می شود».

و در حدیث دیگری از امام باقر علیه السّ لام میخوانیم: «کسی که سوره لقمان را در شب بخواند، خداوند سی فرشته را مأمور حفظ او تا به صبح در برابر شیطان و لشکر شیطان میکند، و اگر در روز بخواند این سی فرشته او را تا به غروب از ابلیس و لشکرش محافظت می نمایند».

این همه فضیلت و ثواب و افتخار برای خواندن یک سوره قرآن به خاطر آن است که تلاوت مقدمهای است برای اندیشه و فکر و آن نیز مقدمهای است برای عمل و تنها با لقلقه لسان نباید این همه فضیلت را انتظار داشت.

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ لقمان(٣١): آيهٔ ١ ص : ٥٥٠

(آیه ۱)- این سوره، با ذکر عظمت و اهمیت قرآن آغاز می شود، و بیان حروف مقطعه در ابتدای آن نیز اشاره لطیفی به همین حقیقت است، که این آیات که از حروف ساده الفبا ترکیب یافته، چنان محتوائی بزرگ و عالی دارد که سر نوشت انسانها را بکلی دگرگون می سازد «الف، لام، میم» (الم).

سورة لقمان(٣١): آية ٢ ص: ٥٥٠

(آیه ۲)- لذا بعد از ذکر «حروف مقطعه» می گوید: «این آیات کتاب حکیم است» کتابی پر محتوا و استوار (تِلْمکَ آیاتُ الْکِتاب الْحکِیم).

توصیف «الْکِتابِ» به «الْحَکِیمُ» یا بخاطر استحکام محتوای آن است، چرا که هرگز باطل به آن راه نمی یابد، و هر گونه خرافه را از خود دور میسازد.

و یا به معنی آن است که این قرآن همچون دانشمند حکیمی است که در عین خاموشی با هزار زبان سخن می گوید، تعلیم می دهد، اندرز می گوید، تشویق بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۵۱

می کند، انذار مینماید، داستانهای عبرتانگیز بیان می کند، و خلاصه به تمام معنی دارای حکمت است، و این سر آغاز، تناسب مستقیمی دارد با سخنان «لقمان حکیم» که در این سوره از آن بحث به میان آمده.

سورة لقمان(٣١): آية ٣ ص: ٥٥١

(آیه ۳)- این آیه هدف نهائی نزول قرآن را با این عبارت بازگو می کند: این کتاب حکیم «مایه هدایت و رحمت برای نیکو کاران است» (هُدیً وَ رَحْمَهٔ لِلْمُحْسِنِينَ).

«هدایت» در حقیقت مقدمهای است برای «رحمت پروردگار»، چرا که انسان نخست در پرتو نور قرآن حقیقت را پیدا می کند و به آن معتقد می شود، و در عمل خود آن را به کار می بندد، و به دنبال آن مشمول رحمت واسعه و نعمتهای بی پایان پروردگار می گردد.

سورة لقمان(٣١): آية ٢ ص: ٥٥١

(آیه ۴)- این آیه محسنین را با سه وصف، توصیف کرده، می گوید: همانان که نماز را بر پا میدارند، و زکات را میپردازند و آنها به آخرت یقین دارند» (الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ یُوقِنُونَ).

پیوند آنها با خالق از طریق نماز، و با خلق خدا از طریق زکات، قطعی است و یقین آنها به دادگاه قیامت انگیزه نیرومندی است برای پرهیز از گناه و برای انجام وظایف.

سورة لقمان(٣١): آية ٥ ص: ٥٥١

(آیه ۵)- و این آیه عاقبت و سر انجام کار «محسنین» را چنین بیان می کند:

«آنها بر طريق هدايت از پروردگارشانند، و آنانند رستگاران» (أُولئِکَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

سورة لقمان(31): آية 6 ص: 251

اشاره

(آیه ۶–)

شأن نزول: ص: ۵۵۱

این آیه در باره «نضر بن حارث» نازل شده است.

او مرد تاجری بود و به ایران سفر می کرد، و در ضمن، داستانهای ایرانیان را برای قریش بازگو مینمود، و می گفت: اگر محمّد برای شما سر گذشت عاد و ثمود را نقل می کند، من داستانهای رستم و اسفندیار، و اخبار کسری و سلاطین عجم را باز می گویم! آنها دور او را گرفته، استماع قرآن را ترک می گفتند.

بعضی دیگر گفتهاند که این قسمت از آیات در باره مردی نازل شده که کنیز برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۵۲ خوانندهای را خریداری کرده بود و شب و روز برای او خوانندگی می کرد و او را از یاد خدا غافل میساخت.

تفسير: ص: ۵۵۲

اشاره

غنا یکی از دامهای بزرگ شیاطین! در اینجا سخن از گروهی است که درست در مقابل گروه «محسنین» و «مؤمنین» قرار دارند که در آیات گذشته مطرح بودند.

سخن از جمعیتی است که سرمایه های خود را برای بیهودگی و گمراه ساختن مردم به کار می گیرد، و بدبختی دنیا و آخرت را

برای خود میخرد! نخست میفرمایید: «و بعضی از مردم، سخنان باطل و بیهوده را خریداری می کنند تا (خلق خدا را) از روی جهل و نادانی، از راه خدا گمراه سازند» (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ). «و آیات خدا را به استهزاء و سخریه گیرند» (وَ یَتَّخِذَها هُزُواً).

و در پایان آیه اضافه می کند: «عذاب خوار کننده از آن این گروه است» (أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ).

«لهو الحدیث» مفهوم وسیع و گستردهای دارد که هر گونه سخنان یا آهنگهای سر گرم کننده و غفلتزا که انسان را به بیهودگی یا گمراهی می کشاند در بر می گیرد، خواه از قبیل «غنا» و الحان و آهنگهای شهوتانگیز و هوس آلود باشد، و خواه سخنانی که نه از طریق آهنگ، بلکه از طریق محتوا انسان را به بیهودگی و فساد، سوق می دهد.

تحريم غنا: ص: ۵۵۲

بدون شک غنا بطور اجمال از نظر مشهور علما حرام است و شهرتی در حدّ اجماع و اتفاق دارد.

از مجموع کلمات فقهای اسلام استفاده می شود که: «غنا» آهنگهایی است که متناسب مجالس فسق و فجور و اهل گناه و فساد می باشد، و قوای شهوانی را در انسان تحریک می نماید.

این نکته نیز قابل توجه است که گاه یک «آهنگ» هم خودش غنا و لهو و باطل است و هم محتوای آن، به این ترتیب که اشعار عشقی و فسادانگیز را با آهنگهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۵۳

مطرب بخوانند، و گاه تنها آهنگ، غناست به این ترتیب که اشعار پر محتوا یا آیات قرآن و دعا و مناجات را به آهنگی بخوانند که مناسب مجالس عیّاشان و فاسدان است، و در هر دو صورت حرام می باشد.

نکته دیگر اینکه آنچه در بالا گفتیم مربوط به خوانندگی است، و اما استفاده از آلات موسیقی و حرمت آن بحث دیگری دارد که از موضوع این سخن خارج است.

سورة لقمان(31): آية 7 ص: 253

(آیه ۷)- این آیه به عکس العمل این گروه در برابر آیات الهی اشاره کرده، و در واقع آن را با عکس العملشان در برابر لهو الحدیث مقایسه می کند و می گوید:

«و هنگامی که آیات ما بر او خوانده می شود مستکبرانه روی بر می گرداند، گویی آن را نشنیده، گویی اصلا گوشهایش سنگین است» و هیچ سخنی را نمی شنود (وَ إِذَا تُتْلی عَلَيْهِ آیاتُنا وَلَی مُشتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ یَسْمَعْها كَأَنَّ فِی أُذُنَیْهِ وَقْراً). و در پایان، کیفر دردناک چنین کسی را این گونه بازگو می کند: «او را به عذابی دردناک بشارت ده»! (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِیمٍ).

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۸ ص: ۵۵۳

(آیه ۸)- در این آیه به شرح حال مؤمنان راستین باز می گردد که در آغاز این مقایسه از آنان شروع شد، در پایان نیز به آنان ختم می گردد، می فرماید: «کسانی که ایمان آوردهاند و عمل صالح انجام دادهاند، باغهای پر نعمت بهشت از آن آنها است» (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيم).

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۹ ص: ۵۵۳

(آیه ۹)- مهمتر اینکه این باغهای پر نعمت بهشتی، برای آنها جاودانه است «همیشه در آن خواهند ماند» (خالِدِینَ فِیها). «این وعده حتمی الهی است» و عده ای تخلفناپذیر (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا).

و خداوند نه وعده دروغین میدهد، و نه از وفای به وعدههای خود عاجز است، چرا که «اوست عزیز و حکیم» شکستناپذیر و دانا (وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ).

سورهٔ لقمان(٣١): آيهٔ ١٠ ص: ٥٥٣

(آیه ۱۰)- این آفرینش خداست، دیگران چه آفریدهاند؟ این آیه از دلائل توحید که یکی دیگر از اساسی ترین اصول اعتقادی است سخن می گوید.

نخست به پنج قسمت از آفرینش پروردگار که پیوند ناگسستنی با هم دارند برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۵۴

اشاره می کند، این موارد عبارتند از: آفرینش آسمان، و معلق بودن کرات در فضا و نیز آفرینش کوهها برای حفظ ثبات زمین، و سپس آفرینش جنبندگان، و بعد از آن آب و گیاهان که وسیله تغذیه آنهاست.

مى فرمايد: «خداوند آسمانها را بدون ستونى كه قابل رؤيت باشد آفريد» (خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْر عَمَدٍ تَرَوْنَها).

این تعبیر اشاره لطیفی است به قانون جاذبه و دافعه که همچون ستونی بسیار نیرومند اما نامرئی کرات آسمانی را در جای خود نگه داشته بنیا بر این، جمله فوق یکی از معجزات علمی قرآن مجید است که شرح بیشتر آن را در ذیل آیه ۲ سوره رعد (در جلد دوم) آوردیم.

سپس در باره فلسفه آفرینش کوهها می گوید: «خداوند در زمین کوههایی افکند تا شما را مضطرب و متزلزل نکند» (وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ).

حال که نعمت آرامش آسمان به وسیله ستون نامرئیش، و آرامش زمین به وسیله کوهها تأمین شد نوبت به آفرینش انواع موجودات زنده و آرامش آنها میرسد که در محیطی آرام بتوانند قدم به عرصه حیات بگذارند، می گوید: «و در روی زمین از هر جنبندهای منتشر ساخت» (وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دابَّهٍٔ).

اما پیداست که این جنبندگان نیاز به آب و غذا دارند، لذا در جملههای بعد به این دو موضوع اشاره کرده، می گوید: «و از آسمان آبی فرستادیم و به وسیله آن (در روی زمین) انواع گوناگونی از جفتهای گیاهان پرارزش رویاندیم» (وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ زَوْج کَرِیم).

سفرهای است گسترده با غـذاهای متنوع در سـر تـا سـر روی زمین که هر یک از آنها از نظر آفرینش، دلیلی است بر عظمت و قدرت پروردگار.

این آیه بـار دیگر به «زوجیت در جهـان گیاهـان» اشاره میکنـد که آن نیز از معجزات علمی قرآن است، چرا که در آن زمان، زوجیت (وجود جنس نر و ماده) در جهان گیاهان بطور گسترده ثابت نشده بود، و قرآن از آن پرده برداشت.

سورة لقمان(٣١): آية ١١ ص: ٥٥٤

(آیه ۱۱)– بعد از ذکر عظمت خداوند در جهان آفرینش، و چهرههای برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۵۵

مختلفی از خلقت روی سخن را به مشرکان کرده و آنها را مورد باز خواست قرار میدهـد، میگویـد: «این آفرینش خداست، اما به من نشان دهید معبودان غیر او چه چیز را آفریدهاند»؟! (هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِی ما ذا خَلَقَ الَّذِینَ مِنْ دُونِهِ).

مسلما آنها نمی توانستند ادعا کنند هیچ یک از مخلوقات این جهان مخلوق بتها هستند، بنا بر این آنها به توحید خالقیت معترف بودنـد، بـا این حـال چگونه می توانسـتند شـرک در عبـادت را توجیه کننـد، چرا که توحیـد خـالقیت دلیل بر توحیـد ربوبیت و یگانگی مدبر عالم، و آن هم دلیل بر توحید عبودیت است.

لذا در پایان آیه، عمل آنها را منطبق بر ظلم و ضلال شمرده، می گوید: «ولی ظالمان در گمراهی آشکارند» (بَلِ الظَّالِمُونَ فِی ضَلالٍ مُبِین).

می دانیم «ظلم» معنی گستر ده ای دارد که شامل قرار دادن هر چیز در غیر محل خودش می شود، و از آنجا که مشرکان عبادت و گاه تدبیر جهان را در اختیار بتها می گذاشتند مرتکب بزرگترین ظلم و ضلالت بودند.

سورهٔ لقمان(٣١): آيهٔ ١٢ ص: ۵۵۵

(آیه ۱۲) – به تناسب بحثهای گذشته پیرامون توحید و شرک و اهمیت و عظمت قرآن و حکمتی که در این کتاب آسمانی به کار رفته، در این آیه و چند آیه بعد از آن، سخن از «لقمان حکیم» و بخشی از اندرزهای مهم این مرد الهی در زمینه توحید و مبارزه با شرک به میان آمده، این اندرزهای دهگانه که در طی شش آیه بیان شده هم مسائل اعتقادی را به طرز جالبی بیان می کند، و هم اصول وظایف دینی، و هم مباحث اخلاقی را.

در این که «لقمان» که بود؟ در حدیثی از پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله چنین میخوانیم: «به حق می گویم که لقمان پیامبر نبود، ولی بندهای بود که بسیار فکر می کرد، ایمان و یقینش عالی بود، خدا را دوست می داشت، و خدا نیز او را دوست داشت، و نعمت حکمت بر او ارزانی فرمود ...».

آیه می فرماید: «ما به لقمان حکمت دادیم (و به او گفتیم:) شکر خدا را بجای آور، هر کس شکر گزاری کند، تنها به سود خویش شکر کرده، و هر کس کفران کند (زیانی به خدا نمی رساند) چرا که خداوند، بی نیاز و ستوده است» (وَ لَقَدْ آتَیْنا لُقْمانَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۵۶

الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ).

حکمتی که قرآن از آن سخن می گوید و خداوند به لقمان عطا فرموده بود «مجموعهای از معرفت و علم، و اخلاق پاک و تقوا و نور هدایت» بوده است.

«لقمان» به خاطر داشتن این حکمت به شکر پروردگارش پرداخت او هدف نعمتهای الهی و کاربرد آن را میدانست، و درست آنها را در همان هدفی که برای آن آفریده شده بودند به کار میبست، و اصلا حکمت همین است: «به کار بستن هر چیز در جای خود» بنا بر این «شکر» و «حکمت» به یک نقطه باز می گردند.

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۳ ص: ۵۵۶

(آیه ۱۳)- بعد از معرفی لقمان و مقام علم و حکمت او به نخستین اندرز وی که در عین حال مهمترین توصیه به فرزندش

مى باشد اشاره كرده، مى فرمايد:

به خاطر بیاور «هنگامی را که لقمان به فرزندش- در حالی که او را موعظه میکرد- گفت: پسرم! چیزی را همتای خـدا قرار مده که شرک ظلم بزرگی است» (وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ لِاثْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِکْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

چه ظلمی از این بالاتر که هم در مورد خدا انجام گرفته که موجود بیارزشی را همتای او قرار دهند، و هم در باره خویشتن که از اوج عزت عبودیت پروردگار به قعر درّه ذلت پرستش غیر او سقوط کنند!

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۴ ص: ۵۵۶

(آیه ۱۴)- احترام پدر و مادر: این آیه و آیه بعد در حقیقت جملههای معترضهای است که در لابلای اندرزهای لقمان از سوی خداوند بیان شده است، که ارتباط روشنی با سخنان لقمان دارد، زیرا در این دو آیه، بحث از نعمت وجود پدر و مادر و زحمات و خدمات و حقوق آنهاست و قرار دادن شکر پدر و مادر در کنار شکر «الله».

به علاوه تأکیدی بر خالص بودن اندرزهای لقمان به فرزندش نیز محسوب می شود چرا که پـدر و مـادر با این علاقه وافر و خلوص نیّت ممکن نیست جز خیر و صلاح فرزند را در اندرزهایشان بازگو کنند.

نخست مىفرمايد: «و ما به انسان در باره پدر و مادرش سفارش كرديم» (وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ). برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ۵۵۷

آنگاه به زحمات فوق العاده مادر اشاره کرده، می گوید: «مادرش او را با ناتوانی روی ناتوانی حمل کرد» و به هنگام بارداری هر روز رنج و ناراحتی تازهای را متحمّل می شد. (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنِ).

مادران در دوران بارداری گرفتار و هن و سستی میشوند، چرا که شیره جان و مغز استخوانشان را به پرورش جنین خود اختصاص میدهند، و از تمام مواد حیاتی وجود خود بهترینش را تقدیم او میدارند.

حتی این مطلب در دوران رضاع و شیر دادن نیز ادامه می یابد، چرا که «شیر، شیره جان مادر است».

لذا به دنبال آن مىافزايد: «و دوران شير خوارگى او در دو سال پايان مىيابد» (وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ).

همان گونه که در جای دیگر قرآن نیز اشاره شده است: «مادران فرزندانشان را دو سال تمام شیر میدهند» (بقره/ ۲۳۳) البته منظور دوران کامل شیر خوارگی است هر چند ممکن است گاهی کمتر از آن انجام شود.

سپس می گوید: توصیه کردم که: «برای من و برای پدر و مادرت شکر به جا آور» (أَنِ اشْکُرْ لِی وَ لِوالِدَیْکَ).

شکر مرا به جا آور که خالق و منعم اصلی تو هستم و چنین پـدر و مادر مهربانی به تو دادهام و هم شـکر پـدر و مادرت را که واسطه این فیض و عهدهدار انتقال نعمتهای من به تو میباشند.

و در پایان آیه با لحنی که خالی از تهدید و عتاب نیست می فرماید: «بازگشت (همه شما) به سوی من است» (إِلَیَّ الْمَصِیرُ). آری! اگر در اینجا کو تاهی کنید در آنجا تمام این حقوق و زحمات و خدمات مورد بررسی قرار می گیرد و مو به مو حساب می شود.

سورة لقمان(31): آية 15 ص: 257

(آیه ۱۵)– و از آنجا که توصیه به نیکی در مورد پـدر و مـادر، ممکن است این توهّم را برای بعضـی ایجاد کنـد که حتی در

مسأله عقائد و كفر و ايمان، بايد با آنها برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ۵۵۸

مماشات کرد، در این آیه میافزاید: «و هرگاه آن دو، تلایش کنند که تو چیزی را همتای من قرار دهی که از آن (حد اقل) آگاهی نداری (بلکه میدانی باطل است) از ایشان اطاعت مکن» (وَ إِنْ جاهَ داکَ عَلَی أَنْ تُشْرِکَ بِی ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطعْقُما).

هرگز نباید رابطه انسان با پدر و مادرش، مقدم بر رابطه او با خدا باشد، و هرگز نباید عواطف خویشاوندی حاکم بر اعتقاد مکتبی او گردد.

باز از آنجا که ممکن است، این فرمان، این توهّم را به وجود آورد که در برابر پدر و مادر مشرک، باید شدت عمل و بی حرمتی به خرج داد، بلافاصله اضافه می کند که عدم اطاعت آنها در مسأله کفر و شرک، دلیل بر قطع رابطه مطلق با آنها نیست بلکه در عین حال «با آن دو، در دنیا به طرز شایسته ای رفتار کن» (وَ صاحِبْهُما فِی الدُّنْیا مَعْرُوفاً).

از نظر دنیا و زندگی مادی با آنها مهر و محبت و ملاطفت کن، و از نظر اعتقاد و برنامههای مذهبی، تسلیم افکار و پیشنهادهای آنها مباش، این درست نقطه اصلی اعتدال است که حقوق خدا و پدر و مادر، در آن جمع است.

لـذا بعـدا میافزایـد: «و از راه کسانی پیروی کن که توبه کنان به سوی من آمدهاند» راه پیامبر و مؤمنان راستین (وَ اتَّبعْ سَبِیلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ).

«سپس بازگشت همه شما به سوی من است و من شما را از آنچه (در دنیا) عمل می کردید آگاه می کنم» و بر طبق آن پاداش و کیفر میدهم (ثُمَّ إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَّبُئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۶ ص: ۵۵۸

(آیه ۱۶)- دومین اندرز لقمان در باره حساب اعمال و معاد است که حلقه «مبدأ» و «معاد» را تکمیل می کند.

می گوید: «پسرم! اگر به اندازه سنگینی دانه خردلی (کار نیک یابد) باشد، و در دل سنگی یا در (گوشهای از) آسمانها و زمین قرار گیرد، خداوند آن را (در دادگاه قیامت) می آورد (و حساب آن را می رسد چرا که) خداوند دقیق و آگاه است» (یا بُنَیَّ إِنَّها إِنْ تَکُ مِثْقَالَ حَبَّهُ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَکُنْ فِی صَحْرَهُ أَوْ فِی السَّماواتِ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۵۹ أَوْ فِی السَّماواتِ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۵۹ أَوْ فِی اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ لِطِیفٌ خَبِیرٌ).

«خردل» گیاهی است که دارای دانههای سیاه بسیار کوچکی است که در کوچکی و حقارت ضرب المثل میباشد.

اشاره به این که اعمال نیک و بد هر قدر کوچک و کم ارزش، و هر قدر مخفی و پنهان باشد، همانند خردلی که در درون سنگی در اعماق زمین، یا در گوشهای از آسمانها مخفی باشد، خداوند لطیف و خبیر که از تمام موجودات کوچک و بزرگ و صغیر و کبیر در سراسر عالم هستی آگاه است آن را برای حساب، و پاداش و کیفر حاضر می کند، و چیزی در این دستگاه گم نمی شود! توجه به این آگاهی پروردگار از اعمال انسان، خمیر مایه همه اصلاحات فردی و اجتماعی است و نیروی محرک قوی به سوی خیرات و باز دارنده مؤثر از شرور و بدیهاست.

سورة لقمان(31): آية 17 ص: 259

(آیه ۱۷)- بعد از تحکیم پایههای مبدأ و معاد که اساس همه اعتقادات مکتبی است به مهمترین اعمال یعنی مسأله نماز

پرداخته، مي گويد: «پسرم! نماز را برپا دار» (يا بُنَيَّ أُقِم الصَّلاةَ).

چرا که نماز مهمترین پیوند تو با خالق است، نماز قلب تو را بیدار و روح تو را مصفّا، و زندگی تو را روشن میسازد.

آثار گناه را از جانت میشوید، نور ایمان را در سرای قلبت پرتو افکن میدارد، و تو را از فحشا و منکرات باز میدارد.

بعـد از برنامه نماز به مهمترین دسـتور اجتماعی یعنی امر به معروف و نهی از منکر پرداخته، می گویـد: «و (مردم را) به نیکیها و معروف دعوت کن و از منکرات و زشتیها بازدار» (وَ أُمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْکَرِ).

و بعد از این سه دستور مهم عملی به مسأله صبر و استقامت که در برابر ایمان همچون سر نسبت به تن است، پرداخته، می گوید: «و در برابر مصائبی که به تو میرسد شکیبا باش که این از کارهای مهم (هر انسانی) است» (وَ اصْبِرْ عَلی ما أَصابَکَ إِنَّ ذلِکَ مِنْ عَزْم الْأُمُورِ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۶۰

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۱۸ ص: ۵۶۰

(آیه ۱۸)– سپس لقمان به مسائل اخلاقی در ارتباط با مردم و خویشتن پرداخته، نخست تواضع و فروتنی و خوشروئی را توصیه کرده، می گوید: «با بیاعتنائی از مردم روی مگردان» (وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّکَ لِلنَّاس).

«و مغرورانه بر زمين راه مرو» (وَ لا تَمْش فِي الْأَرْض مَرَحاً).

«چرا که خداوند هیچ متکبر مغروری را دوست ندارد» (إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ کُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ).

و به این ترتیب لقمان حکیم در اینجا از دو صفت بسیار زشت و ناپسند که مایه از هم پاشیدن روابط صمیمانه اجتماعی است اشاره می کند: یکی تکبر و بیاعتنائی، و دیگر غرور و خود پسندی که هر دو در این جهت مشتر کند که انسان را در عالمی از توهّم و پندار و خود برتربینی فرو می برند، و رابطه او را از دیگران قطع می کنند.

در حدیثی از پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «کسی که از روی غرور و تکبر، روی زمین راه رود زمین، و کسانی که در زیر زمین خفتهاند، و آنها که روی زمین هستند، همه او را لعنت میکنند»!

سورة لقمان(٣١): آية ١٩ ص: ٥٥٠

(آیه ۱۹)- در این آیه دو برنامه دیگر اخلاقی را که جنبه اثباتی دارد- در برابر دو برنامه گذشته که جنبه نفی داشت- بیان کرده، می گوید: پسرم! «در راه رفتن اعتدال را رعایت کند» (وَ اقْصِدْ فِی مَشْیِکَ).

«از صدای خود بکاه» و هر گز فریاد مزن (وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِکُ).

«چرا كه زشت ترين صداها صداى خران است»! (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ).

در واقع در این دو آیه از دو صفت، نهی و به دو صفت، امر شده: «نهی» از «خود برتر بینی»، و «خود پسندی»، که یکی سبب می شود انسان نسبت به بندگان خدا تکبر کند، و دیگری سبب می شود که انسان خود را در حد کمال پندارد، و در نتیجه درهای تکامل را به روی خود ببندد هر چند خود را با دیگری مقایسه نکند.

و «امر» به رعایت اعتدال در «عمل» و «سخن»، زیرا تکیه روی اعتدال در راه برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۶۱ رفتن یا آهنگ صدا در حقیقت به عنوان مثال است. و به راستی کسی که این صفات چهـار گـانه را دارد انسـان موفق و خوشـبخت و پیروزی است، در میـان مردم محبوب، و در پیشگاه خدا عزیز است.

از رسول خدا صلّى الله عليه و آله نقل شده: «بيشترين چيزى كه سبب مىشود امت من به خاطر آن وارد بهشت شوند تقواى الهى و حسن خلق است».

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۲۰ ص: ۵۶۱

(آیه ۲۰)- تکیه گاه مطمئن! بعد از پایان اندرزهای دهگانه لقمان در زمینه مبدأ و معاد و رسم زندگی، قرآن برای تکمیل آن به سراغ بیان نعمتهای الهی میرود تا حس شکر گزاری مردم را بر انگیزد، شکری که سر چشمه «معرفهٔ الله» و انگیزه اطاعت فرمان او می شود.

روی سخن را به همه انسانها کرده، می گوید: «آیا ندیدید خداوند آنچه را در آسمانها و زمین است مسخر فرمان شما کرد» که در مسیر منافع و سود شما حرکت کند؟ (أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ).

سپس میافزاید: «خداوند نعمتهای خود را- اعم از نعمتهای ظاهر و باطن- بر شما گسترده و افزون ساخت» (وَ أَسْ بَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً).

و در پایان آیه از کسانی سخن می گوید که نعمتهای بزرگ الهی را که از درون و برون، انسان را احاطه کرده، کفران می کنند، و به جدال و ستیز در برابر حق برمیخیزند، می فرماید: «بعضی از مردم هستند که در باره خداوند بدون هیچ دانش و هدایت و کتاب روشنی، مجادله می کنند» (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اللَّهِ بِغَیْرِ عِلْم وَ لا هُدیً وَ لا کِتابِ مُنِیرٍ).

و به جای این که بخشنده آن همه نعمتهای آشکار و نهان را بشناسند، رو به سوی شرک و انکار، از سر جهل و لجاجت می آورند.

در حقیقت این گروه لجوج نه خود دانشی دارند، و نه به دنبال راهنما و رهبری هستند، و نه از وحی الهی استمداد میجویند، و چون راه هدایت در این سه امر منحصر است لذا با ترک آن به وادی گمراهی و وادی شیاطین کشیده شدهاند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۶۲

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۲۱ ص: ۵۶۲

(آیه ۲۱)- این آیه به منطق ضعیف و سست این گروه گمراه اشاره کرده، می گوید: «هنگامی که به آنها گفته شود، از آنچه خداونـد نـازل کرده پیروی کنیـد، می گوینـد: نه، ما از چیزی پیروی می کنیم که پـدران خود را بر آن یافتهایم»! (وَ إِذَا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَیْهِ آباءَنا).

و از آنجا که پیروی از نیاکان جاهل و منحرف، جزء هیچ یک از طرق سه گانه هدایت آفرین فوق نیست، قرآن از آن به عنوان راه شیطانی یاد کرده، می فرماید: «آیا اگر حتی شیطان آنها را دعوت به عذاب آتش فروزان کند» باز هم تبعیت می کنند؟! (أَ وَ لَوْ کَانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ).

سورة لقمان(31): آية 22 ص: 262

(آیه ۲۲) – سپس به بیان حال دو گروه مؤمن خالص و کفار آلوده پرداخته، آنها را در مقایسه با یکدیگر و مقایسه با آنچه در مورد پیروان شیطان و مقلدان کور و کر نیاکان بیان کرده، مورد توجه قرار داده، می گوید: «کسی که روی خود را تسلیم خدا کند در حالی که نیکو کار باشد، به دستگیره محکمی چنگ زده» و به تکیه گاه مطمئنی تکیه کرده است (وَ مَنْ یُشِلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْمُوْوَةِ الْوُثْقی).

چنگ زدن به دستگیره محکم، تشبیه لطیفی از این حقیقت است که انسان برای نجات از قعر درّه ماذیگری و ارتقا به بلندترین قلّههای معرفت و معنویت و روحانیت نیاز به یک وسیله محکم و مطمئن دارد این وسیله چیزی جز ایمان و عمل صالح نیست، غیر آن، همه پوسیده و پاره شدنی و مایه سقوط و مرگ است، علاوه بر این آنچه باقی میماند این وسیله است، و بقیه همه فانی و نابود شدنی! لذا در پایان آیه میفرماید: «و عاقبت همه کارها به سوی خداست» (وَ إِلَی اللَّهِ عاقِبَهُ الْأُمُورِ).

در حدیثی از امام علی بن موسی الرضا علیه السّلام از پیامبر گرامی اسلام چنین آمده:

«بعد از من فتنه ای تاریک و ظلمانی خواهد بود تنها کسانی از آن رهایی می یابند که به عروهٔ الوثقی چنگ زنند، عرض کردند: ای رسول خدا! عروهٔ الوثقی چیست؟

فرمود: ولايت سيد اوصيا است. برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ٥٥٣

عرض كردند: يا رسول الله سيد اوصيا كيست؟

فرمود: امير مؤمنان.

عرض كردند: امير مؤمنان كيست؟

فرمود: مولای مسلمانان و پیشوای آنان بعد از من.

باز برای این که پاسخ صریحتری بگیرند، عرض کردند: او کیست؟

فرمود: برادرم على بن أبى طالب عليه السلام.

روایات دیگری نیز در همین زمینه که منظور از «عروهٔ الوثقی» دوستی اهل بیت علیهم السّ لام یا دوستی آل محمد صلّی الله علیه و آله یا امامان از فرزندان حسین علیه السّلام است نقل شده.

بارها گفتهایم که این تفسیرها بیان مصداقهای روشن است، و منافات با مصادیق دیگری همچون توحید و تقوا و مانند آن ندارد.

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۲۳ ص: ۵۶۳

(آیه ۲۳) – سپس به بیان حال گروه دوم پرداخته، می گوید: «و کسی که کافر شود (و این حقایق روشن را انکار کند) کفر او تو را غمگین نسازد» (وَ مَنْ کَفَرَ فَلا یَحْزُنْکَ کُفْرُهُ). چرا که تو وظیفهات را به خوبی انجام داده ای، اوست که بر خویشتن ظلم و ستم می کند.

و نیز نگران مباش که گروهی در دنیا با این که کفر میورزند و ظلم و ستم میکنند، از نعمتهای الهی متنعمند، و گرفتار مجازات نیستند، زیرا دیر نشده است «باز گشت همه آنها به سوی ماست و ما آنها را از اعمالشان (و نتایج شوم آن) آگاه میسازیم» (اِلَیْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنبَّئُهُمْ بِما عَمِلُوا).

نه تنها از اعمالشان آگاهیم که از نیات و اسرار درون دلهایشان نیز با خبریم «زیرا خداونـد به آنچه درون سینههاست آگاه

است» (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ).

سورة لقمان(31): آية 24 ص: 268

(آیه ۲۴) - سپس می افزاید: بهره آنها از زندگی دنیا تو را شگفت زده نکند، «ما اندکی از متاع دنیا در اختیار آنان می گذاریم (و متاع هر چه باشد، کم و ناچیز است) سپس آنها را به تحمل عذاب شدیدی وادار می سازیم، عذابی مستمر و دردناک (نُمَتَّعُهُمْ قَلِیلًا ثُمَّ نَضْطَرُّ هُمْ إِلی عَذابِ غَلِیظٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۶۴

این تعبیر ممکن است اشاره به آن باشد که آنها تصور نکنند، در این جهان از قبضه قدرت خداوند خارجند، خود او میخواهد آنها را برای آزمایش و اتمام حجت و مقاصدی دیگر آزاد بگذارد.

سورة لقمان(٣١): آية ٢٥ ص: ٥٥٤

(آیه ۲۵) - ده وصف از اوصاف پروردگار: در این آیه و پنج آیه بعد از آن مجموعهای از صفات خداوند بیان شده است که در حقیقت ده صفت عمده یا ده اسم از اسماء الحسنی را بیان می کند:

غني، حميد، عزيز، حكيم، سميع، بصير، خبير، حق، على و كبير.

این از یک نظر، و از سوی دیگر در این آیه از «خالقیت» خداوند سخن می گوید و در آیه دوم از «مالکیت مطلقه» در آیه سوم از «علم بیانتهایش» بحث می کند و در آیه چهارم و پنجم از «قدرت نامتناهیش».

و در آخرین آیه نتیجه می گیرد کسی که دارای این صفات است «حق» است و غیر از او همه باطل و هیچ و پوچند.

نخست مىفرمايد: «و هرگاه از آنان سؤال كنى چه كسى آسمانها و زمين را آفريده است مسلما مى گويند: الله» (وَ لَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ).

این تعبیر از یک سو دلیل بر این است که مشرکان هرگز منکر توحید خالق نبودند، و از سوی دیگر دلیل بر فطری بودن توحید و تجلی این نور الهی در سرشت همه انسانهاست.

سپس مى گويد: حال كه آنها به توحيد خالق معترفند «بگو: الحمد لله (كه خود شما معترفيد) ولى بيشتر آنان نمى دانند» كه عبادت بايد منحصر به خالق جهان باشد (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ).

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۲۶ ص: ۵۶۴

(آیه ۲۶)- سپس به مسأله «مالکیت» حق می پردازد چرا که بعد از ثبوت خالقیت نیاز به دلیل دیگری بر مالکیت او نیست، می فرماید: «آنچه در آسمانها و زمین است از آن خداست» (لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

بدیهی است آن کس که «خالق» و «مالک» است مدبر امور جهان نیز میباشد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۶۵

و كسى كه چنين است از همه چيز بىنياز و شايسته هر گونه ستايش است به همين دليل در پايان آيه مىافزايد: «خداوند غنى و حميد است» (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).

او غنیّ علی الاطلاق، و حمیـد از هر نظر است، چرا که هر موهبتی در جهان است به او باز می گردد، و هر کس هر چه دارد از او دارد.

سورة لقمان(31): آية 27 ص: 565

(آیه ۲۷) - این آیه ترسیمی از علم بی پایان خداست، که با ذکر مثالی بسیار گویا و رسا مجسّم شده است، می گوید: «و اگر همه درختان روی زمین قلم شود، و دریا برای آن مرکّب گردد، و هفت دریاچه به آن افزوده شود اینها همه تمام می شود ولی کلمات خدا پایان نمی گیرد، خداوند عزیز و حکیم است» (وَ لَوْ أَنَّ مَا فِی الْأَرْضِ مِنْ شَـَجَرَهُ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَـ بْعَهُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ کَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ).

از آنجا که مخلوقات گوناگون این جهان هر کدام بیانگر ذات پاک خدا و علم و قدرت اویند، به هر موجودی «کلمهٔ الله» اطلاق شده، و به همین مناسبت «کلمات الله» به معنی علم و دانش پروردگار به کار رفته است.

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۲۸ ص: ۵۶۵

(آیه ۲۸)- بعد از ذکر علم بیپایان پروردگار، سخن از قدرت بیانتهای او به میان آورده، میفرماید: «آفرینش و بر انگیختن (و زندگی دوباره) همه شما (در قیامت) همانند یک فرد بیش نیست، خداوند شنوا و بیناست» (ما خَلْقُکُمْ وَ لا بَعْتُکُمْ إِلَّا کَنَفْسٍ واحِدَهٔ إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ).

سورهٔ لقمان(۳۱): آیهٔ ۲۹ ص: ۵۶۵

(آیه ۲۹) – این آیه تأکید و بیان دیگری است برای قدرت واسعه خداوند، روی سخن را به پیامبر کرده، می گوید: «آیا ندیدی که خداوند شب را در روز، و روز را در شب داخل می کند»؟ (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ یُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ). و نیز آیا ندیدی که خداوند «خورشید و ماه را (در مسیر منافع انسانها) مسخّر ساخته»؟ (وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ).

«و هر كـدام تا سـر آمـد معينى به حركت خود ادامه مىدهند» (كُلُّ يَجْرِى إِلَى أَجَلٍ مُسَيمًّى). برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ۵۶۶

و اين كه «خداوند به آنچه انجام مى دهيد آگاه است»؟ (وَ أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).

سورة لقمان(31): آية 30 ص: 566

(آیه ۳۰)– و در این آیه به صورت یک نتیجه گیری جامع و کلی میفرماید:

«اينها همه دليل بر آن است كه خداونـد حق است، و آنچه غير از او مىخواننـد باطل است، و خداونـد بلند مقام و بزرگ مرتبه است» (ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ).

مجموع بحثهایی که در آیات قبل پیرامون خالقیت و مالکیت و علم و قـدرت بیانتهای پروردگار آمـده بود، این امور را اثبات کرد که «حق» تنها اوست و غیر او زائل و باطل و محدود و نیازمند است، و «علیّ و کبیر» که از هر چیز برتر و از توصیف بالاتر است ذات پاک او میباشد.

سورة لقمان(31): آية 31 ص: 568

(آیه ۳۱) - در این آیه سخن از دلیل نظم به میان می آید، و در آیه بعد سخن از توحید فطری است و مجموعا بحثهایی را که در آیات قبل آمد تکمیل می کند.

مى گويىد: «آيا نديىدى كشتيها بر (صفحه) درياها به فرمان خدا، و به (بركت) نعمت او حركت مىكنند»؟! (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ).

هدف این است: «تا بخشی از آیاتش را به شما نشان دهد» (لِیُرِیکُمْ مِنْ آیاتِهِ).

آری «در اینها نشانههایی است برای کسانی که بسیار شکیبا و َشکر گزارند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَبَّارٍ شَکُورٍ). بدون شک حرکت کشتیها بر صفحه اقیانوسها نتیجه مجموعهای از قوانین آفرینش است.

سورة لقمان(31): آية 32 ص: 568

(آیه ۳۲) - در گرداب بلا! بعد از بیان نعمت حرکت کشتیها در دریاها که هم در گذشته و هم امروز، بزرگترین و مفیدترین و سیله حمل و نقل انسانها و کالاها بوده است، اشاره به یکی از چهرههای دیگر همین مسأله کرده، می گوید: «و هنگامی که (در سفر دریا) موجی همچون ابرها آنان را بپوشاند (و بالا رود و بالای سرشان قرار گیرد) خدا را با اخلاص میخوانند» (وَ إِذَا غُشِیَهُمْ مَوْجٌ کَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِینَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۶۷

یعنی امواج عظیم دریا آن چنان بر میخیزد، و اطراف آنها را احاطه میکند که گویی ابری بر سر آنان سایه افکنده است، سایهای وحشتناک و هولانگیز.

اینجاست که انسان با تمام قدرتهای ظاهری که برای خویش جلب و جذب کرده، خود را ضعیف و ناچیز و ناتوان می بیند. و اینجاست که توحید خالص همه قلب او را احاطه می کند، و دین و آئین و پرستش را مخصوص او می داند.

سپس اضافه می کند: «اما وقتی آنها را به خشکی رسانید و نجات داد، بعضی راه اعتدال را پیش می گیرنید» و به ایمان خود وفادار میمانند، در حالی که بعضی دیگر فراموش کرده راه کفر را پیش می گیرند (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَی الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ). و در پایان آیه به گروه دوم اشاره کرده، می فرماید: «ولی آیات ما را هیچ کس جز پیمان شکنان ناسپاس انکار نمی کنند» (وَ ما

و در پایان آیه به کروه دوم آشاره کرده، می فرماید: «ولی آیات ما را هیچ کس جز پیمان شکنان ناسپاس انگار نمی کنند» (و . یَجْحَدُ بِآیاتِنا إِلَّا کُلُّ خَتَّارٍ کَفُورٍ).

سورهٔ لقمان(٣١): آيهٔ ٣٣ ص: ٥٥٧

(آیه ۳۳) - در این آیه به صورت یک جمع بندی از مواعظ و اندرزهای گذشته، و دلائل توحید و معاد، همه انسانها را به خدا و روز قیامت توجه می دهد، سپس از غرور ناشی از دنیا و شیطان بر حذر می دارد، بعد به وسعت دامنه علم خداوند و شمول آن نسبت به همه چیز می پردازد.

مى فرمايىد: «اى مردم! تقواى الهى پيشه كنيىد و بترسيىد از روزى كه نه پدر كيفر (اعمال) فرزندش را تحمل مى كند و نه فرزند چيزى از كيفر (اعمال) پىدرش را» (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ اخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِى والِــَدُ عَنْ وَلَدِهِ وَ لا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَهْنَاً)

در حقیقت دستور اول، توجه به مبدأ است، و دستور دوم توجه به معاد.

دستور اول، نیروی مراقبت را در انسان زنـده میکند، و دستور دوم احساس پاداش و کیفر را، و بدون شک کسی که این دو دستور را به کار بندد کمتر آلوده گناه و فساد میشود.

به هر حال در آن روز هر کس چنان به خود مشغول است و در پیچ و خم برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۶۸ اعمال خویش گرفتار که به دیگری نمی پردازد، حتی پـدر و فرزنـد که نزدیکترین رابطه ها را با هم دارنـد هیـچ کـدام به فکر دیگری نیستند.

در پایان آیه انسانها را از دو چیز برحذر میدارد، میفرماید: «به یقین وعده الهی حق است. پس مبادا زندگی دنیا شما را بفریبد، و مبادا (شیطان) فریبکار شما را به (کرم) خدا مغرور سازد»! (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقُّ فَلا تَغُرَّنَّکُمُ الْحَیاهُ الدُّنیا وَ لا یَغُرَّنَّکُمْ بِاللَّهِ الْنُعُورُ).

سورة لقمان(۳۱): آية ۳۴ ص: ۵۶۸

(آیه ۳۴) – وسعت علم خداوند! در آخرین آیه این سوره به تناسب بحثی که پیرامون روز رستاخیز در آیه قبل به میان آمده، سخن از علومی به میان می آورد که مخصوص پروردگار است می گوید: «آگاهی از زمان قیام قیامت مخصوص خداست» (إِنَّ اللَّه عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ).

«و اوست که باران را نازل می کند» و از تمام جزئیات نزول آن آگاه است (وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ).

و نيز «آنچه را كه در رحمها (ى مادران) است مىداند» (وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحام).

«و هیچ کس نمی داند فر دا چه به دست می آورد» (وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً).

«و هیچ کس نمی داند در چه سر زمینی می میرد»؟ (وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْض تَمُوتُ).

«خداوند عالم و آگاه است» (إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

گویی مجموع این آیه پاسخ به سؤالی است که در زمینه قیامت مطرح میشود همان سؤالی که بارها مشرکان قریش از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کردند و گفتند: «مَتی هُوَ روز قیامت کی خواهد بود». (اسراء/ ۵۱) «پایان سوره لقمان»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۶۹

سوره سجده [۳۲] ص: ۵۶۹

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۳۰ آیه است

نامهای این سوره: ص : 569

نام این سوره در بعضی از روایات و در لسان مشهور مفسران «سوره سجده» یا «الم سجده» است، و گاه برای مشخص ساختن آن از سوره حم سجده آن را به نام «سجده لقمان» میخوانند، چرا که بعد از سوره لقمان قرار گرفته است.

در بعضی از روایات نیز از آن به «الم تنزیل» یاد شده است.

محتواي سوره: ص: ۵۶۹

این سوره به حکم آنکه از سوره های «مکّی» است خطوط اصلی سوره های مکی یعنی بحث از «مبدأ» و «معاد» و «بشارت» و «انذار» را قویا تعقیب می کند و روی هم رفته در آن چند بخش جلب توجه می کند.

١- قبل از هر چيز سخن از عظمت قرآن است.

۲- سپس بحثی پیرامون نشانه های خداوند در آسمان و زمین دارد.

۳- بحث دیگری پیرامون آفرینش انسان از «خاک» و «آب نطفه» و «روح الهی» و اعطای وسائل فراگیری علم و دانش می باشد.

۴- بعد از آن از رستاخیز و حوادث قبل از آن یعنی مرگ سخن می گوید.

۵ و ۶- بحثهای مؤثر و تکان دهندهای از بشارت و انذار دارد.

به این ترتیب هـدف اصـلی سوره تقویت مبانی ایمان به مبدأ و معاد و ایجاد موج نیرومندی از حرکت به سوی تقوا، و بازداری از سرکشی و طغیان است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۷۰

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۵۷۰

در حدیثی از پیامبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله چنین آمده است: «کسی که سوره الم تنزیل و تبارک را بخواند مانند آن است که شب قدر را احیا گرفته باشد».

در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّر الام چنین نقل شده: «هر کس سوره سجده را در هر شب جمعه بخواند خداوند نامه اعمال او را به دست راست او می دهد، و گذشته او را می بخشد، و از دوستان محمد صلّی الله علیه و آله و اهل بیت او خواهد بود».

بدون شک تلاوتی که سر چشمه اندیشه، و اندیشهای که مبدأ تصمیم گیری و حرکت بوده باشد، میتواند آن چنان انسان را بسازد که مشمول این همه فضیلت و افتخار گردد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة السجده (32): آية 1 ص: 370

(آیه ۱)- عظمت قرآن، و مبدأ و معاد: باز در این سوره با حروف مقطعه «الف، لام، میم» (الم). رو به رو می شویم و این پانزدهمین بار است که در آغاز سوره های قرآنی این گونه حروف را می یابیم.

بحثی که در باره اهمیت قرآن بلافاصله بعد از این حروف آمده است بار دیگر بیانگر این حقیقت است که «الم» اشاره به عظمت قرآن و قدرت نمایی عظیم پروردگار است که چنین کتاب بزرگ و پر محتوا که معجزه جاویدان محمد صلّی اللّه علیه و آله است از حروف ساده «الفبا» به وجود آورده است.

سورة السجده (22): آية 2 ص: 270

(آیه ۲)– می فرماید: «این کتابی است که از سوی پروردگار جهانیان نازل شده و شک و تردیدی در آن نیست» (تَنْزِیلُ الْکِتابِ لا رَیْبَ فِیهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ).

این آیه در واقع پاسخ به دو سؤال است، گویی نخست از محتوای این کتاب آسمانی سؤال می شود، در پاسخ می گوید: محتوای آن حق است و جای کمترین شک و تردید نیست، سپس سؤال در باره ابداع کننده آن به میان می آید، در پاسخ می گوید: این کتاب از سوی «رَبِّ الْعالَمِینَ» است.

سورة السجده (37): آية 3 ص: 370

(آیه ۳)– سپس به تهمتی که بارها مشرکان و منافقان بی ایمان به این کتاب برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۷۱

بزرگ آسمانی بسته بودند اشاره کرده، میفرماید: «آنها میگویند: (محمّد) اینها را به دروغ به خداست بسته است» و از ناحیه پروردگار جهانیان نیست (أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ).

در پاسخ ادعای بی دلیل آنها می گوید: این افترا نیست، «بلکه سخن حقی است از سوی پروردگارت» (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ). و دلیل حقانیت آن در خود آن آشکار و نمایان است.

سپس به هـدف نزول آن پرداخته، می گویـد: «هدف این بوده که گروهی را انذار کنی که پیش از تو هیچ انذار کنندهای برای آنها نیامده است، شاید (پند گیرند و) هدایت شوند» (لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِیرِ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ).

منظور از «نذیر» در اینجا پیامبر بزرگی است که دعوت خود را آشکارا و توأم با معجزات و در محیطی وسیع و گسترده آشکار سازد، و میدانیم چنین انذار کنندهای در جزیره عربستان و در میان قبائل «مکّه» قیام نکرده بود.

سورة السجده (22): آية 4 ص: 271

(آیه ۴)- بعد از بیان عظمت قرآن و رسالت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به یکی دیگر از مهمترین پایههای عقائد اسلامی یعنی توحید و نفی شرکت پرداخته چنین می گوید: «خداوند کسی که آسمانها و زمین و آنچه را در میان این دو است در شش روز [شش دوران] آفرید» (اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما فِی سِتَّهُ أَیّام).

بعد از مسأله آفرینش به مسأله «حاکمیت خداوند» بر عالم هستی پرداخته، می گوید: «سپس خداوند بر عرش قدرت قرار گرفت» و بر کل عالم هستی حکومت کرد (ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْش).

قرار گرفتن خداوند بر عرش به این معنی است که او هم خالق جهان هستی است، و هم حاکم بر کل عالم.

و در پایان آیه با اشاره به مسأله توحید «ولایت» و «شفاعت» مراحل توحید را کامل کرده، می فرماید: «جز او ولی و شفیعی برای شما نیست» (ما لَکُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیِّ وَ لا شَفِیع). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۷۲

با این دلیل روشن چرا بیراهه میروید و دست به دامّن بتها میزنید؟ «آیا متذکر نمیشوید»؟! (أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ).

در حقیقت مراحل سه گانه توحید که در آیه فوق منعکس است هر کدام دلیلی بر دیگری محسوب می شود، توحید خالقیت دلیل بر توحید ولی و شفیع و معبود.

سورة السجده (37): آية ۵ ص: 377

(آیه ۵)– در این آیه نخست به توحید پروردگار و سپس به مسأله «معاد» اشاره میکند، و به این ترتیب سه شاخه توحید که در آیات گذشته بیان شده (توحید خالقیت و حاکمیت و عبودیت) در اینجا با ذکر توحید ربوبیت– یعنی تدبیر جهان هستی تنها به وسیله خداوند– تکمیل میگردد.

مى فرمايد: «خداوند امور اين جهان را از مقام قرب خود به سوى زمين تدبير مى كند» (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ). و مى افزايد: «سپس تدبير امور در روزى كه مقدار آن هزار سال از سالهايى است كه شما مى شماريد به سوى او باز مى گردد» (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْم كَانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَهٍ مِمَّا تَعُدُّونَ).

منظور از این روز، روز قیامت است یعنی خداوند این جهان را با تدبیر خاصی نظم بخشیده، ولی در پایان جهان این تدبیر را بر میچیند و به دنبال آن طرحی نوین و جهانی وسیعتر ابداع می گردد، یعنی پس از پایان این دنیا جهان دیگر آغاز میشود.

سورة السجده(32): آية 6 ص: 272

(آیه ۶)- مراحل شگفتانگیز آفرینش انسان: این آیه تأکیدی است بر بحثهای توحیدی که در آیات قبل گذشت و در چهار مرحله خلاصه می شد (توحید خالقیت، حاکمیت ولایت و ربوبیت) می فرماید: کسی که با این صفات گفته شد «او خداوندی است که از پنهان و آشکار با خبر است و شکست ناپذیر و مهربان است» (ذلِکَ عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ).

سورة السجده (32): آية ٧ ص: 377

(آیه ۷)- این آیه اشارهای به نظام احسن آفرینش بطور عموم، و سر آغازی برای بیان خلقت انسان و مراحل تکامل او بطور خصوص است، می فرماید: «او برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۷۳

همان كسى است كه هر چه را آفريد نيكو آفريد» (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ).

و به هر چیز آنچه نیاز داشت داد و بنای کاخ عظیم خلقت را بر «نظام احسن» یعنی بر چنان نظمی استوار کرد که از آن کاملتر تصور نمی شد.

دهندهای که به گل نکهت و به گل جان داد به هر که آنچه سزا دید حکمتش آن داد!

قرآن سپس با ذکر این مقدمه «آفاقی» وارد بحث «انفسی» میشود و همان گونه که در بحث آیات آفاقی از چند شاخه توحید سخن گفت در اینجا نیز از چند موهبت بزرگ در مورد انسانها سخن می گوید.

نخست می فرماید: خداوند «آغاز آفرینش انسان را از گل قرار داد» (وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِینٍ). تا هم عظمت و قدرت خود را نشان دهد و هم به این انسان هشدار دهد که تو از کجا آمدهای و به کجا خواهی رفت.

پیداست این آیه سخن از آفرینش «آدم» می گوید، نه همه انسانها، چرا که ادامه نسل او در آیه بعد مطرح است، و ظاهر این آیه دلیل روشنی است بر خلقت مستقل انسان که بدون واسطه از گل صورت گرفته است.

سورة السجده (327): آية 8 ص: 278

(آیه ۸)- این آیه به آفرینش نسل انسان و چگونگی تولد فرزندان آدم در مراحل بعد اشاره کرده، می گوید: «سپس نسل او را از عصارهای از آب ناچیز و بیقدر آفرید» (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ).

سورة السجده(32): آية 9 ص: 373

(آیه ۹)- این آیه اشارهای است به مراحل پیچیده تکامل انسان در عالم رحم، و همچنین مراحلی که آدم به هنگام آفرینش از خاک طی نمود، میفرماید:

«سپس (اندام) او را موزون ساخته» (ثُمَّ سَوَّاهُ).

«و از روح خویش در وی دمید»! (وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ).

«و براى شما گوش و چشمها و دلها قرار داد» (وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ).

«اما کمتر شکر (نعمتهای) او را به جا می آورید» (قَلِیلًا ما تَشْکُرُونَ).

در آغاز که نطفه منعقد می شود تنها دارای یک نوع «حیات نباتی» است، بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۷۴

یعنی فقط تغذیه و رشد و نمو دارد، ولی از حس و حرکت که نشانه «حیات حیوانی» است و همچنین قوه ادراکات که نشانه «حیات انسانی» است در آن خبری نیست.

اما تکامل نطفه در رحم به مرحلهای میرسد که شروع به حرکت میکند و تدریجا قوای دیگر انسانی در آن زنده میشود، و این همان مرحلهای است که قرآن از آن تعبیر به نفخ روح میکند.

اضافه «روح» به «خدا» به اصطلاح «اضافه تشریفی» است، یعنی یک روح گرانقدر و پر شرافت که سزاوار است روح خدا نامیده شود در انسان دمیده شد.

سورة السجده (٣٢): آية ١٠ ص: ٥٧٤

(آیه ۱۰)- ندامت و تقاضای بازگشت! قرآن در اینجا بحث گویائی را در باره «معاد» آغاز می کند، سپس حال «مجرمان» را در جهان دیگر بازگو می کند، و مجموعا تکمیلی است برای بحثهای گذشته که پیرامون «مبدأ» سخن می گفت، زیرا می دانیم بحث از «مبدأ» و «معاد» در قرآن مجید غالبا توأم با یکدیگر است.

نخست می گوید: «آنها گفتند: آیا هنگامی که ما (مردیم و خاک شدیم و) در زمین گم شدیم، آفرینش تازهای خواهیم یافت»؟! (وَ قالُوا أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقِ جَدِيدٍ).

تعبیر به «گم شدن در زمین» اشاره به این است که انسان پس از مردن خاک می شود، همانند سایر خاکها، و هر ذرهای از آن بر اثر عوامل طبیعی و غیر طبیعی به گوشهای پرتاب می شود، و دیگر چیزی از او باقی به نظر نمی رسد تا آن را در قیامت دوباره بازگردانند.

ولی آنها در حقیقت منکر قـدرت خداونـد بر این کار نیسـتند «بلکه آنان لقای پروردگارشان را انکار میکنند» و میخواهند با انکار معاد، آزادانه به هوسرانی خویش ادامه دهند (بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ کافِرُونَ).

در واقع این آیه شباهت زیادی با آیات نخستین سوره قیامت دارد آنجا که می گوید: «آیا انسان گمان می کند ما استخوانهای پراکنده او را جمع نخواهیم کرد! ما حتی قادریم (خطوط) سر انگشتان او را به نظام نخستین باز گردانیم! ولی هدف انسان این است که ایامی را که در این دنیا در پیش دارد (با انکار قیامت) به گناه بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۷۵

و فجور بگذرانـد لـذا سؤال می کنـد روز قیامت کی خواهد بود»؟ (قیامت/ ۳- ۶) بنا بر این آنها از نظر استدلال لنگ نیسـتند، بلکه شهوات آنها حجابی بر قلبشان افکنده، و نیات سوئشان مانع قبول مسأله معاد است.

سورة السجده (32): آية 11 ص: 275

(آیه ۱۱)- این آیه پاسخ آنها را از طریق دیگری بیان می کند، می گوید: تصور نکنید شخصیت شما به همین بدن جسمانی شماست، بلکه اساس شخصیتتان را روح شما تشکیل می دهد، و او محفوظ است «بگو: فرشته مرگ که بر شما مأمور شده (روح) شما را می گیرد، سپس به سوی پروردگارتان بازگردانده می شوید» (قُلْ یَتَوَفَّاکُمْ مَلَکُ الْمَوْتِ الَّذِی وُکِّلَ بِکُمْ ثُمَّ إِلی رَبِّکُمْ تُرْجَعُونَ).

در یک جمع بندی می توان چنین گفت که دو آیه فوق به منکران معاد چنین پاسخ می دهد که: اگر مشکل شما پراکندگی اجزای جسمانی است که خودتان قدرت خدا را قبول دارید و منکر آن نیستید، و اگر مشکل اضمحلال و نابودی شخصیت انسان بر اثر این پراکندگی است آن نیز درست نیست چرا که پایه شخصیت انسان بر روح قرار گرفته.

سورة السجده (32): آية 12 ص: 275

(آیه ۱۲) – سپس وضع همین مجرمان کافر و منکران معاد را که در قیامت با مشاهده صحنههای مختلف آن از گذشته خود سخت نادم و پشیمان می شوند چنین مجسّم کرده، می گوید: «و اگر ببینی مجرمان را هنگامی که در پیشگاه پروردگارشان سر به زیر افکنده می گویند: پروردگارا! آنچه وعده کرده بودی دیدیم و شنیدیم (ما پشیمانیم) ما را بازگردان تا کار شایستهای انجام دهیم، ما به (قیامت) یقین داریم» در تعجب فرو خواهی رفت (وَ لَوْ تَری إِذِ الْمُجْرِمُ ونَ ناکِسُوا رُؤُسِ هِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبِّنا أَبْصَوْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ).

به راستی تعجب میکنی که آیـا این افراد سـر به زیر و نـادم همان مغروران سـرکش و چموش هسـتند که در دنیا در برابر هیچ حقیقتی سر فرود نمیآوردند.

منظور از «مجرمان» در اینجا، کافران و بخصوص منکران قیامتند.

سورهٔ السجده (۳۲): آیهٔ ۱۳ ص: ۵۷۵

(آیه ۱۳) - و از آنجا که این همه اصرار و تأکید برای پذیرش ایمان، ممکن است این توهم را ایجاد کند که خداوند توانائی ندارد نور ایمان را در قلب آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۷۶

پرتو افکن کنـد، در این آیه میافزایـد: «و اگر میخواستیم به هر انسانی هـدایت لازمش را (از روی اجبار بدهیم) میدادیم» (وَ لَوْ شِئْنا لَآتَیْنا کُلَّ نَفْس هُداها).

مسلما ما چنین قدرتی داریم، ولی ایمانی که از طریق اجبار و الزام ما تحقق یابد ارزش چندانی ندارد، اراده ما بر این تعلق گرفته که نوع انسان «مختار» باشد.

لـذا در پایـان آیه میفرمایـد: «ولی (من آنهـا را آزاد گـذاردهام و) سـخن و وعـدهام حق است که دوزخ را (از افراد بیایمان و گنهکار) از جن و انس همگی پر کنم»! (وَ لکِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّی لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِینَ).

آری! آنها با سوء اختیار خود این راه را طی کردهاند و مستحق مجازاتند، و ما هم اراده قاطع داریم بر این که دوزخ را از آنان پر کنیم.

سورة السجده (37): آية 14 ص: 378

(آیه ۱۴) – لـذا در ایـن آیـه میگویـد: مـا به این دوزخیـان خـواهیم گفت: «بچشید (عـذاب جهنم را) به خـاطر این که دیـدار امروزتان را فراموش کردید، ما نیز شما را فراموش کردیم»! (فَذُوقُوا بِما نَسِیتُمْ لِقاءَ یَوْمِکُمْ هذا إِنَّا نَسِیناکُمْ). «و بچشید عذاب جاودان را به خاطر اعمالی که انجام میدادید» (وَ ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

بار دیگر از این آیه استفاده می شود که فراموش کردن دادگاه عدل قیامت سر چشمه اصلی بد بختیهای آدمی است، و در این صورت است که خود را در برابر قانون شکنیها و مظالم آزاد می بیند، و نیز از این آیه به خوبی روشن می شود که مجازات ابدی در برابر اعمالی است که انسان انجام می دهد و نه چیز دیگر.

سورة السجده (37): آية 15 ص: 376

(آیه ۱۵)– پاداشهای عظیمی که هیچ کس از آن آگاه نیست! میدانیم روش قرآن این است که بسیاری از حقایق را در مقایسه با یکدیگر بیان میکند، تا کاملا مفهوم و دلنشین گردد.

در اینجا نیز بعد از شرحی که در باره مجرمان و کافران در آیات پیشین بیان شد به صفات بر جسته مؤمنان راستین میپردازد، و اصول عقیدتی و برنامههای عملی آنها را بطور فشرده ضمن دو آیه با ذکر هشت صفت، بیان میدارد.

نخست می فرماید: «تنها کسانی به آیات ما ایمان می آورند که هر وقت این برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۷۷

آیات به آنان یادآوری شود به سجده میافتند، و تسبیح و حمد پروردگارشان را به جا میآورند و تکبر نمیکنند» (إِنَّما يُؤْمِنُ بِآیاتِنَا الَّذِینَ إِذا ذُکِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لا یَسْتَکْبِرُونَ) «۱».

در این آیه چهار قسمت از صفات آنها بیان شده:

۱- به محض شنیدن آیات الهی به سجده میافتند.

همین ویژگی در بعضی دیگر از آیات قرآن به عنوان یکی از برجسته ترین صفات انبیا ذکر شده است، چنانکه خداوند در باره گروهی از پیامبران بزرگ می گوید: «هنگامی که آیات خداوند رحمان بر آنان خوانده می شد به خاک می افتادند و سجده می کردند و گریه شوق سر می دادند» (مریم/ ۵۸) ۲ و ۳- نشانه دوم و سوم آنها «تسبیح» و «حمد» پروردگار است، از یک سو خدا را از نقائص پاک و منزه می شمرند، و از سوی دیگر او را به خاطر صفات کمال و جمالش، حمد و ستایش می نمایند. ۴- وصف دیگر آنها تواضع و فروتنی و ترک هر گونه استکبار است.

سورة السجده(32): آية 16 ص: 277

(آیه ۱۶) - سپس به وصف پنجم آنها اشاره کرده، می گوید: «پهلوهایشان از بسترها در دل شب دور می شود» «۲» و به پا می خیزند و رو به در گاه خدا می آورند (تَتَجافی جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجع).

آری! آنها به هنگامی که چشم غافلان در خواب است و آرامش و خاموشی همه جا را فراگرفته و خطر آلودگی عبادت و ریا کمتر وجود دارد و بهترین شرایط حضور قلب فراهم است، با تمام وجودشان رو به درگاه معبود می آورند و آنچه در دل دارند با او در میان می گذارند. و در وصف ششم و هفتم میافزاید: «آنها پروردگار خود را با بیم و امید میخوانند» (یَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً). نه از غضب و عذاب او ایمن میشوند، و نه از رحمتش مأیوس میگردند،

(١) اين آيه سجده واجب دارد.

(۲) این تعبیر کنایه از بر خاستن از خواب و پرداختن به نماز شب و عبادت پروردگار در دل شب است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۷۸

چرا که غلبه خوف بر امید، انسان را به یأس و سستی میکشاند. و غلبه رجا و طمع انسان را به غرور و غفلت وا میدارد، و این هر دو دشمن حرکت تکاملی انسان در سیر او به سوی خداست.

آخرین و هشتمین ویژگی آنها این است که: «و از آنچه به آنها روزی دادهایم انفاق میکنند» (وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ). نه تنها از اموال خویش به نیازمندان میبخشند که از علم و دانش، نیرو و قدرت، رأی صائب و تجربه و اندوختههای فکری خود، از نیازمندان مضایقه ندارند.

سورة السجده (371): آية ١٧ ص: ٥٧٨

(آیه ۱۷) - در این آیه به پاداش عظیم و مهم مؤمنان راستین که دارای نشانه های مذکور در دو آیه قبل هستند پرداخته، با تعبیر جالبی که حکایت از اهمیت فوق العاده پاداش آنان می کند، می فرماید: «هیچ کس نمی داند چه پاداشهای مهمی که مایه روشنی چشمهاست برای آنها نهفته شده»! (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْیُنٍ).

«این پاداش کارهایی است که انجام میدادند» (جَزاءً بِما کانُوا یَعْمَلُونَ).

در حدیثی میخوانیم که پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله می گوید: «خدا میفرماید: من برای بندگان صالحم نعمتهائی فراهم کردهام که هیچ چشمی ندیده، و هیچ گوشی نشنیده، و بر فکر کسی نگذشته است»!

سورة السجده (32): آية ١٨ ص: ٥٧٨

(آیه ۱۸)- این آیه مقایسهای را که در آیات گذشته بود بطور صریحتر روشن میسازد می گوید: «آیا کسی که با ایمان باشد همانند کسی است که فاسق است؟! نه هرگز این دو برابر نیستند» (أَ فَمَنْ کَانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کَانَ فاسِقاً لا یَشتَوُونَ).

در این آیه، «فاسق» در مقابل «مؤمن» قرار گرفته، و این دلیل بر آن است که فسق، مفهوم گستردهای دارد که هم کفر را شامل می شود، و هم گناهان دیگر را.

سورة السجده (32): آية 19 ص: 278

(آیه ۱۹)- این آیه، این عدم مساوات را به صورت گسترده تری بیان کرده، می فرماید: «اما آنها که ایمان آوردند و کارهای شایسته انجام دادند باغهای بهشت جاویدان از آن آنها خواهد بود» (أُمَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۷۹ جَنَّاتُ الْمَأْوی)

.سپس میافزاید «این (جنات مأوی) وسیله پذیرایی (خداوند) از آنهاست به پاداش آنچه انجام میدادند» (نُزُلًا بِما كانُوا یَعْمَلُونَ).

سورة السجده(32): آية 20 ص: 279

(آیه ۲۰)- و در این آیه به نقطه مقابل آنها پرداخته، میگوید: «اما کسانی که فاسق شدنـد (و از اطاعت خـدا سـر باز زدنـد) جایگاه همیشگی آنها آتش (دوزخ) است» (وَ أَمَّا الَّذِینَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النَّارُ).

آنها برای همیشه در این جایگاه وحشتناک زندانی و محبوسند به گونهای که:

«هر زمان بخواهند از آن خارج شوند به آن بازگردانده می شوند» (کُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها).

«و به آنان گفته می شود: بچشید عذاب آتشی را که پیوسته انکار می کردید» (وَ قِیلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَدابَ النَّارِ الَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تُکَذِّبُونَ).

بار دیگر در اینجا می بینیم که عذاب الهی در برابر «کفر و تکذیب» قرار گرفته و ثواب و پاداش او در برابر «عمل».

اشاره به اینکه «ایمان» به تنهائی کافی نیست، بلکه بایـد انگیزه بر عمل باشـد ولی «کفر» به تنهائی برای عـذاب کافی است هر چند عملی همراه آن نباشد.

سورة السجده(32): آية 21 ص: 279

(آیه ۲۱) – مجازاتهای تربیتی: به دنبال بحثی که پیرامون گنهکاران و مجازات دردناک آنها در آیات قبل گذشت، در اینجا به یکی از الطاف خفی الهی در مورد آنان که همان مجازاتهای خفیف دنیوی و بیدار کننده است اشاره می کند، تا معلوم شود خدا هر گز نمی خواهد بنده ای گرفتار عذاب جاویدان شود، به همین دلیل از تمام وسائل بیدار کننده برای نجات آنها استفاده می کند.

مى فرمايد: «به آنان از عذاب نزديك (عذاب اين دنيا) پيش از عذاب بزرگ (آخرت) مى چشانيم، شايد باز گردند» (وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

مسلما «عذاب ادنی» معنی گستردهای دارد که احتمالاتی را در بر می گیرد.

از جمله این که منظور مصائب و درد و رنجهاست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۸۰

یا قحطی و خشکسالی شدید هفت سالهای که مشرکان در مکّه به آن گرفتار شدند، تا آنجا که مجبور گشتند از لاشه مردارها تغذیه کنند! یا ضربه شدیدی است که بر پیکر آنها در جنگ «بدر» وارد شد.

و اما «عذاب اکبر» به معنی عذاب روز قیامت است که از هر مجازاتی بزرگتر و دردناکتر است.

سورة السجده (32): آية 22 ص: 580

(آیه ۲۲)- و از آنجا که هر گاه هیچ یک از وسائل بیدار کننده، حتی مجازات الهی سود ندهد راهی جز انتقام پروردگار از این گروه که ظالمترین افرادند وجود ندارد. در این آیه میفرماید: «چه کسی ستمکارتر است از آن کس که آیات پروردگارش به او یاد آوری شده و او از آن روی گردانده است» (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآیاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها). «مسلما ما از اين مجرمان بي ايمان انتقام خواهيم گرفت» (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ).

اینها در حقیقت کسانی هستند که نه مواهب و نعمتهای الهی در آنها مؤثر افتاده، و نه عذاب و بلای هشدار دهنده او، بنا بر این ظالمتر از اینها کسی نیست، و اگر از آنها انتقام گرفته نشود از چه کسی انتقام گرفته شود؟!

سورة السجده (37): آية 23 ص: ٥٨٠

(آیه ۲۳) - در اینجا اشاره کوتاه و زود گذری به داستان «موسی» و «بنی اسرائیل» می کند تا پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و مؤمنان نخستین را تسلّی و دلداری دهد.

نخست مي گويد: «ما به موسى، كتاب آسماني داديم» (وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ).

«و شك نداشته باش كه او، آيات الهي را دريافت داشت» (فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ).

«و ما آن (كتاب آسماني موسى، تورات) را وسيله هدايت بني اسرائيل قرار داديم» (وَ جَعَلْناهُ هُديُّ لِبَنِي إِسْرائِيلَ).

سورة السجده (٣٢): آية ٢٤ ص: ٥٨٠

(آیه ۲۴) - در این آیه به افتخاراتی که نصیب بنی اسرائیل در سایه استقامت و ایمان شد اشاره می کند، تا درسی برای دیگران باشد، می فرماید: «و از آنها امامان برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۸۱

و پیشوایانی قرار دادیم، که به فرمان ما امر هـدایت خلق خـدا را بر عهـده گرفتنـد زیرا آنها شـکیبائی کردند و به آیات ما یقین داشتند» (وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَ کانُوا بِآیاتِنا یُوقِنُونَ).

در اینجما رمز پیروزی و شرط پیشوایی و امامت را دو چیز شمرده: یکی ایمان و یقین به آیات الهی، دیگر صبر و استقامت و شکیبائی.

سورة السجده (32): آية 25 ص: 381

(آیه ۲۵) - و از آنجا که بنی اسرائیل - همچون سایر امم - بعد از این پیشوایان راستین باز دست به اختلاف زدند راههای مختلفی را پیمودند و منشأ تفرقه در میان مردم شدند، در این آیه با لحن تهدید آمیزی می گوید: «پروردگار تو میان آنها در روز قیامت در مورد اختلافاتی که داشتند داوری می کند»، و هر کس را به سزای اعمالش می رساند (إِنَّ رَبَّکَ هُوَ یَفْصِلُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَهُ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ).

آری! سر چشمه اختلاف همیشه آمیختن «حق» با «هوی و هوسها» است، و از آنجا که قیامت روزی است که هوی و هوسها در آن بیرنگ و محو می شود.

اینجاست که خداوند با فرمان خود به اختلافات پایان میدهد، و این یکی دیگر از فلسفههای معاد است.

سورة السجده (32): آية 26 ص: 381

(آیه ۲۶)- آیات گذشته با تهدیم مجرمان بی ایمان آمیخته بود، و این آیه توضیح و تکمیلی بر این تهدیمد است، می فرمایمد:

«آیا همین برای هـدایت آنها کافی نیست که افراد زیادی از مردمی که در قرون پیش از آنها زنـدگی داشـتند هلاک کردیم و آنها را به کیفر اعمالشان رساندیم»؟ (أَ وَ لَمْ یَهْدِ لَهُمْ کَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ).

«اینها در مساکن ویران شده آنان راه میروند» و آثار آن اقوام نفرین شده را با چشم خود میبینند (یَمْشُونَ فِی مَساکِنِهِمْ). لـذا در پایان آیه میافزایـد: «در این نشانههائی است (از قدرت خداوند و مجازات دردناک مجرمان) آیا نمیشنوند»؟ (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ أَ فَلا یَشْمَعُونَ).

سورة السجده (32): آية 27 ص: 581

(آیه ۲۷)- در این آیه به یکی از مهمترین نعمتهای الهی که مایه آبادی همه سرزمینها و وسیله حیات همه موجودات زنده است اشاره می کند تا روشن شود همان گونه که خداوند قدرت بر ویران ساختن سر زمین تبهکاران دارد، قدرت بر برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۸۲

آباد کردن زمینهای ویران و مرده، و اعطای همه گونه موهبت را به بندگانش دارد.

مىفرمايد: «آيا نديدند كه ما آب را به سوى زمينهاى خشك مىرانيم، و به وسيله آن زراعتهايى مىرويانيم كه هم چارپايانشان از آن مىخورند، و هم خودشان تغذيه مىكنند؟ آيا نمىبينند»؟ (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُدُرُجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَ فَلا يُبْصِرُونَ).

سورة السجده(32): آية 28 ص: 582

(آیه ۲۸)- و از آنجا که آیات گذشته مجرمان را تهدید به انتقام، و مؤمنان را بشارت به امامت و پیشوایی و پیروزی میداد، در اینجا کفار از روی غرور و نخوت این سؤال را مطرح می کنند که این وعده ها و وعیدها کی عملی خواهد شد؟ چنانکه قرآن می فرماید: «آنان می گویند: اگر راست می گویید این پیروزی شما کی خواهد بود»؟! (وَ یَقُولُونَ مَتی هذَا الْفَتْحُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

سورة السجده(32): آية 29 ص: ٥٨٢

(آیه ۲۹)– قرآن بلافاصله به آنها پاسخ می گوید و به پیامبر دستور می دهد:

«بگو: روز پیروزی (فرا میرسد، اما در آن روز) ایمان آوردن سودی به حال کافران نخواهد داشت، و به آنها هیچ مهلت داده نمی شود»! (قُلْ یَوْمَ الْفَتْح لا یَنْفَعُ الَّذِینَ کَفَرُوا إِیمانُهُمْ وَ لا هُمْ یُنْظَرُونَ).

یعنی اگر منظورتان این است که صدق وعده های الهی را که از زبان پیامبر شنیده اید ببینید و ایمان بیاورید، آن روز دیگر دیر شده است، و ایمان برای شما هیچ فایده ای ندارد.

سورة السجده (32): آية 30 ص: ٥٨٢

(آیه ۳۰)– سر انجام در آخرین آیه با یک تهدیـد گویا و پر معنی سـخن را پایان داده، می گویـد: ای پیامبر! «اکنون که چنین

است از آنها روی بگردان و منتظر باش، آنها نیز منتظرند» (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ).

حالا که نه بشارت در آنها اثر می کند و نه انذار، نه اهل منطقند تا با مشاهده آثار الهی در پهنه آفرینش، او را بشناسند و غیر او را پرستش نکننـد و نه وجـدانی بیـدار دارنـد که از درون جان به نغمه توحیـد گوش فرا دهنـد، از آنها روی بگردان. تو منتظر رحمت خدا باش و آنها منتظر عذاب او، که آنها فقط لایق عذابند! «پایان سوره سجده»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۸۳

سوره احزاب [33] ص: ۵۸۳

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۷۳ آیه است

محتوای سوره: ص : ۵۸۳

این سوره یکی از پربارترین سورههای قرآن مجید است، و مسائل متنوع و بسیار مهمی را در زمینه اصول و فروع اسلام تعقیب می کند.

بحثهایی را که در این سوره آمده است می توان به هفت بخش تقسیم کرد:

بخش اول سر آغاز سوره است که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله را به اطاعت خداوند و ترک تبعیت از کافران و پیشنهادهای منافقان دعوت می کند.

بخش دوم به پارهای از خرافات زمان جاهلیت مانند مسأله «ظهار» که آن را وسیله طلاق و جدائی زن و مرد از هم میدانستند، و همچنین مسأله پسر خواندگی (تبنّی) اشاره کرده و قلم بطلان بر آنها میکشد.

بخش سوم که مهمترین بخش این سوره است مربوط به جنگ احزاب و حوادث تکان دهنده آن، و پیروزی اعجاز آمیز مسلمین بر کفار است.

بخش چهارم مربوط به همسران پیامبر است که باید در همه چیز الگو و اسوه برای زنان مسلمان باشند.

بخش پنجم به داستان «زینب» دختر «جحش» که روزی همسر پسر خوانده پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله «زید» بود و از او جدا شد اشاره می کند.

بخش ششم از مسأله حجاب سخن می گوید و همه زنان با ایمان را به رعایت این دستور اسلامی توصیه می کند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۸۴

بخش هفتم که آخرین بخش را تشکیل میدهد، اشارهای به مسأله مهم «معاد» دارد، و راه نجات در آن عرصه عظیم و همچنین مسأله امانت داری بزرگ انسان یعنی مسأله تعهد و تکلیف و مسؤولیت او را شرح میدهد.

از آنجا که بخش مهمی از این سوره به ماجرای «جنگ احزاب» (خندق) می پردازد این نام برای آن انتخاب شده است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۵۸۴

در حدیثی از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «کسی که سوره احزاب را تلاوت کند و به خانواده خود تعلیم دهد از عذاب قبر در امان خواهد بود».

و از امام صادق علیه السّ لام نقـل شـده: «كسـی كه سوره احزاب را بسـیار تلاوت كنـد در قیامت در جوار پیامبر و خانـدان او خواهد بود».

البته این گونه فضائل و افتخارات برای تلاوتی است که مبدأ اندیشه گردد و اندیشهای که افق فکر انسان را چنان روشن سازد که پرتوش در اعمال او ظاهر گردد.

بِسْم اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الأحزاب(٣٣): آية ١ ص: ٥٨٤

اشاره

(آیه ۱)

شأن نزول: ص: ۵۸۴

در مورد نزول این آیه و دو آیه بعد، گفته اند: این آیات در مورد «ابو سفیان» و بعضی دیگر از سران کفر و شرک نازل شده که بعد از جنگ «احد» از «پیامبر اسلام» صلّی الله علیه و آله امان گرفتند و وارد مدینه شدند و خدمت رسول خدا صلّی الله علیه و آله و آله امان گرفتند و وارد مدینه شدند و خدمت رسول خدا صلّی الله علیه و آله آمدند و عرض کردند: «ای محمّد! بیا و از بدگویی به خدایان ما صرف نظر کن، و بگو آنها برای پرستش کنندگانشان شفاعت می کنند.»

این پیشنهاد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را ناراحت کرد، عمر بر خاست و گفت: اجازه ده تا آنها را از دم شمشیر بگذرانم! پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «من به آنها امان دادم چنین چیزی ممکن نیست» اما دستور داد آنها را از مدینه بیرون کنند. این آیات نازل شد و به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور داد که به این گونه پیشنهادها اعتنا نکند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۸۵

تفسير: ص: ۵۸۵

تنها از وحی الهی پیروی کن! از خطرناکترین پرتگاههایی که بر سر راه رهبران بزرگ قرار دارد مسأله پیشنهادهای سازشکارانهای است که از ناحیه مخالفان مطرح می گردد.

مشرکان «مکّه» و منافقان «مدینه» بارها کوشیدند که با طرح پیشنهادهای سازشکارانه پیامبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله را از خط «توحید» منحرف سازند.

امـا نخستین آیات سوره احزاب نازل شـد و به توطئه آنها پایان داد و پیامبر صـلّـی اللّه علیه و آله را به ادامه روش قاطعانهاش در

خط توحید بدون کمترین سازش دعوت نمود.

این آیات مجموعا چهار دستور مهم به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می دهد:

دستور اول: در زمینه تقوا و پرهیز کاری است که زمینه ساز هر برنامه دیگری میباشد، میفرماید: «ای پیامبر! تقوای الهی پیشه کن» (یا أَتُیهَا النَّبِیُّ اتَّق اللَّه).

حقیقت «تقوا» همان احساس مسؤولیت درونی است و تا این احساس مسؤولیت نباشد انسان به دنبال هیچ برنامه سازندهای حرکت نمی کند.

دستور دوم: نفى اطاعت كافران و منافقان است، مىفرمايد: «و از كافران و منافقان اطاعت مكن»! (وَ لا ـ تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ).

و در پایان این آیه برای تأکید این موضوع می گوید: «خداوند عالم و حکیم است» (إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلِیماً حَکِیماً). اگر فرمان ترک پیروی آنها را به تو میدهد روی علم و حکمت بی پایان اوست.

به هر حال، بعد از تقوا و احساس مسؤولیت، نخستین وظیفه، شستشوی صفحه دل از اغیار و ریشه کن نمودن خارهای مزاحم از این سر زمین است.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢..... ص: ٥٨٥

(آیه ۲)- در سومین دستور مسأله بـذر افشـانی توحیـد و تبعیت از وحی الهی را مطرح کرده، می گویـد: «و از آنچه از سـوی پروردگارت به تو وحی میشود پیروی کن» (وَ اتَّبعْ ما یُوحی إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ).

و مراقب باش و بـدان «كه خداونـد به آنچه انجام مىدهيـد آگاه است» (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً). برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ۵۸۶

بنا بر این نخست باید دیو را از درون جان بیرون راند تا فرشته در آید.

باید طاغوت زدایی کرد تا حکومت الله و نظام الهی جانشین آن گردد.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣.... ص: ٥٨٦

(آیه ۳)- و از آنجا که در ادامه این راه مشکلات فراوان است و تهدید و توطئه و کارشکنی بسیار زیاد، چهارمین دستور را به این صورت صادر میکند:

«و بر خدا توكل كن» و از توطئههايشان نترس! (وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ).

«و همین بس که خداونـد ولی و حافظ و مدافع (انسان) باشد» (وَ کَفی بِاللَّهِ وَکِیلًا). اگر هزار دشـمن قصد هلاکت تو را دارند، چون من دوست و یاور توام از دشمنان باکی نداشته باش.

گر چه مخاطب در این آیات شخص پیامبر است، ولی پیداست که دستوری است برای همه مؤمنان، و همه مسلمانان جهان در هر عصر و هر زمان.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢.... ص: ٥٨٦

(آیه ۴)- ادعاهای بیهوده! در تعقیب آیات گذشته که به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور میداد تنها از وحی الهی تبعیت کند نه از کافران و منافقان، در اینجا نتیجه تبعیت از آنها را منعکس می کند که پیروی از آنان انسان را به یک مشت خرافات و اباطیل و انحرافات دعوت مینماید که سه مورد آن در این آیه بیان شده است.

نخست مىفرمايد: «خداوند براى هيچ كس دو دل در درونش نيافريده»! (ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلِ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ).

جمله فوق معنی عمیقی دارد و آن این که انسان یک قلب بیشتر ندارد و در این قلب جز عشق یک معبود نمی گنجد، آنها که دعوت به شرک و معبودهای متعدد می کنند، باید قلبهای متعددی داشته باشند تا هر یک را کانون عشق معبودی سازند! لذا در حدیثی از امیر مؤمنان علی علیه السّلام در تفسیر این آیه میخوانیم که فرمود:

«دوستی ما و دوستی دشمن ما در یک قلب نمی گنجد چرا که خدا برای یک انسان دو قلب قرار نداده است که با یکی دوست بدارد و با دیگری برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۸۷

دشمن، دوستان ما در دوستی ما خالصند همان گونه که طلا در کوره خالص می شود هر کس می خواهد این حقیقت را بداند، قلب خود را آزمایش کند اگر چیزی از محبت دشمنان ما در قلبش با محبت ما آمیخته است از ما نیست و ما هم از او نیستیم». بنا بر این قلب واحد، کانون اعتقاد واحدی است و آن هم برنامه عملی واحدی را اجرا می کند چرا که انسان نمی تواند حقیقتا معتقد به چیزی باشد اما در عمل از آن جدا شود.

قرآن سپس به خرافه دیگری از عصر جاهلیت می پردازد و آن خرافه «ظهار» است، آنها هنگامی که از همسر خود ناراحت می شدند و می خواستند نسبت به او اظهار تنفر کنند به او می گفتند: «انت علی کظهر امّی تو نسبت به من مانند پشت مادر منی»! و با این گفته او را به منزله مادر خود می پنداشتند و این سخن را به منزله طلاق! قرآن در دنباله این آیه می گوید: «خداوند هر گز همسرانتان را که مورد ظهار قرار می دهید مادران شما قرار نداده» و احکام مادر را، در مورد آنان مقرر نکرده است (وَ ما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللَّائِی تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ).

اسلام این برنامه جاهلی را امضا نکرد، بلکه برای آن مجازاتی قرار داد و آن این که: شخصی که این سخن را می گوید حق ندارد با همسرش نزدیکی کند تا این که کفاره لازم را بپردازد، و اگر کفاره نداد و به سراغ همسر خود نیز نیامد همسر می تواند با توسل به «حاکم شرع» او را وادار به یکی از دو کار کند یا رسما و طبق قانون اسلام او را طلاق دهد و از او جدا شود، و یا کفاره دهد و به زندگی زناشویی همچون سابق ادامه دهد.

سپس به سومین خرافه جاهلی پرداخته، می گوید: «و (نیز، خداوند) فرزند خوانده های شما را، فرزند حقیقی شما قرار نداده است» (وَ ما جَعَلَ أَدْعِیاءَكُمْ أَبْناءَكُمْ).

توضیح اینکه: در عصر جاهلیت معمول بوده که بعضی از کودکان را به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۸۸ عنوان فرزند خود انتخاب می کردند، و آن را پسر خود میخواندند و به دنبال این نامگذاری تمام حقوقی را که یک پسر از پدر داشت برای او قائل می شدند از پدر خواندهاش ارث می برد و پدر خوانده نیز وارث او می شد، و تحریم زن پدر یا همسر فرزند در مورد آنها حاکم بود.

اسلام، این مقررات غیر منطقی و خرافی را به شدت نفی کرد.

لنذا قرآن بعد از این جمله میافزاید: «این سخن شماست که به دهان خود می گویید» سخنی باطل و بی پایه (ذلِکُمْ قَوْلُکُمْ بأَفْواهِکُمْ).

می گویید فلان کس پسر من است، در حالی که در دل میدانید قطعا چنین نیست، این امواج صوتی فقط در فضای دهان شما

می پیچد و خارج می شود، و هرگز از اعتقاد قلبی سر چشمه نمی گیرد.

اينها سخنان باطلى بيش نيست «اما خداونـد حق را مى گويـد و او به راه راست هـدايت مىكند» (وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ).

سخن حق به سخنی گفته می شود که با واقعیت عینی تطبیق کند، یا اگر یک مطلب قراردادی است هماهنگ با مصالح همه اطراف قضیه باشد، و می دانیم مسأله ناپسند «ظهار» در عصر جاهلیت، و یا «پسر خواندگی» که حقوق فرزندان دیگر را تا حد زیادی پایمال می کرد نه واقعیت عینی داشت و نه قراردادی حافظ مصلحت عموم بود.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٥ ص: ٥٨٨

(آیه ۵)- سپس قرآن برای تأکید بیشتر و روشن ساختن خط صحیح و منطقی اسلام چنین می افزاید: «آنها را به نام پدرانشان بخوانید که این کار نزد خدا عادلانه تر است» (ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ).

و برای رفع بهانه ها اضافه می کند: «و اگر پـدرانشان را نمی شناسید آنها برادران دینی و موالی شـما هستند» (فَاإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإِخْوانُكُمْ فِی الدِّینِ وَ مَوالِیكُمْ).

یعنی عدم شناخت پدران آنها دلیل بر این نمی شود که نام شخص دیگری را به عنوان «پدر» بر آنها بگذارید، بلکه می توانید آنها را به عنوان برادر دینی یا دوست برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۸۹

و هم پيمان خطاب كنيد.

ولی از آنجا که گاه انسان بر اثر عادت گذشته، یا سبق لسان، و یا اشتباه در تشخیص نسب افراد، ممکن است کسی را به غیر پدرش نسبت دهد و این از حوزه اختیار انسان بیرون است، خداوند عادل و حکیم، چنین کسی را مجازات نخواهد کرد.

لـذا در ذیل آیه میافزاید: «اما گناهی بر شـما نیست در خطاهایی که از شـما سـر میزند» و بیتوجه آنها را به نام دیگران صدا میزنید (وَ لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ فِیما أَخْطَأْتُمْ بهِ).

«ولى آنچه را از روى عمد و اختيار مى گوييد» مورد حساب قرار خواهد داد (وَ لكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ).

«و خداوند، آمرزنده و رحیم است» (وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً). گذشته ها را بر شما می بخشد، سهو و نسیان و اشتباه و خطا را مورد عفو قرار می دهد.

سورة الأحزاب(٣٣): آية 6 ص: ٥٨٨

(آیه ۶) - این آیه به مسأله مهم دیگری یعنی ابطال نظام «مؤاخات» می پردازد.

توضیح اینکه: هنگامی که مسلمانان از مکه به مدینه هجرت کردند و اسلام پیوند و رابطه آنها را با بستگان مشرکشان که در مکه بودند بکلی برید پیامبر صلّی الله علیه و آله به فرمان الهی، مسأله عقد اخوت و پیمان برادری را در میان آنها بر قرار ساخت. به این ترتیب که میان «مهاجران» و «انصار» (دو به دو) پیمان اخوت و برادری منعقد شد، و آنها همچون دو برادر حقیقی از یکدیگر ارث می بردند، ولی این یک حکم موقت و مخصوص به این حالت فوق العاده بود.

آیه نازل شد و «نظام مؤاخات» را بطوریکه جانشین نسب شود ابطال کرد و حکم ارث و مانند آن را مخصوص خویشاوندان حقیقی قرار داد. منتهی در این آیه قبل از ذکر این نکته، به دو حکم دیگر، یعنی «اولویّت پیامبر صلّی الله علیه و آله نسبت به مؤمنین»، و «بودن زنان پیامبر صلّی الله علیه و آله به منزله مادر» به عنوان مقدمه، ذکر شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۹۰ می فرماید: «پیامبر نسبت به مؤمنان از خودشان سزاوار تر است» (النّبِیّ أَوْلی بِالْمُؤْمِنِینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ). یعنی، پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله در مسائل اجتماعی و هم فردی و خصوصی، هم در مسائل مربوط به حکومت، و هم قضاوت و دعوت، از هر انسانی نسبت به خودش سزاوار تر است، و اراده و خواست او، مقدم بر اراده و خواست وی می باشد.

البته پیامبر صلّی اللّه علیه و آله معصوم است و نماینده خدا جز خیر و صلاح جامعه و فرد را در نظر نمی گیرد. «و همسران او مادران آنها [مؤمنان] محسوب میشوند» (وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ).

البته مادر معنوی و روحانی، همان گونه که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله پدر روحانی و معنوی امت است.

این ارتباط و پیوند معنوی، تنها تأثیرش مسأله «حفظ احترام» و «حرمت ازدواج» با زنان پیامبر بود، یعنی مسلمانان حق داشتند، با دختران پیامبر ازدواج کنند، و نیز مسأله محرمیّت و نگاه کردن به همسران پیامبر برای هیچ کس جز محارم آنها مجاز نبود.

با این که پیامبر صلّی الله علیه و آله به منزله پدر، و همسران او به منزله مادران مؤمنین هستند، هیچگاه از آنها ارث نمیبرند، چگونه می توان انتظار داشت که پسر خواندهها وارث گردند.

سپس مىافزايد: «و خويشاوندان نسبت به يكديگر، از مؤمنان و مهاجران، در آنچه خدا مقرّر داشته است اولى هستند» (وَ أُولُوا الْأَرْحام بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضِ فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ).

ولی با این حال برای این که راه را بکلی به روی مسلمانان نبندد و بتوانند برای دوستان و کسانی که مورد علاقه آنها هستند چیزی به ارث بگذارند- هر چند از طریق وصیت نسبت به ثلث مال باشد- در پایان آیه اضافه می کند: «مگر این که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۹۱

بخواهید نسبت به دوستانتان نیکی کنید» و سهمی از اموال خود را به آنها بدهید (إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً). و در آخرین جمله برای تأکید همه احکام گذشته، یا حکم اخیر، میفرماید: «این حکم در کتاب (الهی) نوشته شده است» (کانَ ذلِکَ فِی الْکِتابِ مَسْطُوراً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٧ ص: ٥٩١

(آیه ۷)- پیمان محکم الهی: از آنجا که در آیه قبل اختیارات وسیع و گسترده پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله بیان شد، در اینجا وظائف سنگین پیامبر صلّی الله علیه و آله و سایر پیامبران بزرگ را بیان می کند، زیرا می دانیم همواره اختیارات توأم با مسؤولیتهاست.

نخست میفرماید: به خاطر بیاور «هنگامی را که از پیامبران پیمان گرفتیم و (همچنین) از تو و از نوح و ابراهیم و موسی و عیسی بن مریم، و ما از همه آنان پیمان محکمی گرفتیم» که در ادای مسؤولیت تبلیغ و رسالت کوتاهی نکنند! (وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِیِّینَ مِیثاقَهُمْ وَ مِنْکُ وَ مِنْ نُوحِ وَ إِبْراهِیمَ وَ مُوسی وَ عِیسَی ابْنِ مَرْیَمَ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِیثاقاً غَلِیظاً).

به این ترتیب نخست تمام پیامبران را در مسأله میثاق مطرح می کند، سپس از پنج پیامبر اولوا العزم نام میبرد که در آغاز آنها شخص پیامبر اسلام به خاطر شرافت و عظمتی که دارد آمده است. این پیمان مؤکد همان ادا کردن مسؤولیت تبلیغ و رسالت و رهبری و هدایت مردم در تمام زمینه ها و ابعاد است. و نیز موظف بودند یکدیگر را تأیید نمایند، و پیامبران پیشین، امتهای خود را برای پذیرش پیامبران بعد آماده سازند، همانگونه که پیامبران بعد باید دعوت پیامبران پیشین را تصدیق و تأکید نمایند.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٨ ص: ٥٩١

(آیه ۸)- در این آیه هـدف از بعثت انبیاء و پیمان مؤکدی را که از آنها گرفته شده است چنین بیان میکند: «هدف این است که خداوند از صدق راستگویان پرسش کند و برای کافران عذاب دردناک آماده ساخته است» (لِیَسْئَلَ الصَّادِقِینَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْکافِرِینَ عَذاباً أَلِیماً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۹۲

منظور از «الصَّادِقِينَ» مؤمنانی میباشند که در میدان حمایت از آیین خدا، و جهاد و ایستادگی در برابر مشکلات، و بذل جان و مال، صداقت و راستگویی خود را به ثبوت رساندهاند.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٩ ص: ٥٩٢

(آیه ۹)- آزمایش بزرگ الهی در میدان احزاب: این آیه و چندین آیه بعد از آن که مجموعا هفده آیه را تشکیل می دهد پیرامون یکی از بزرگترین آزمونهای الهی در مورد «مؤمنان» و «منافقان» و امتحان صدق گفتار آنها در عمل سخن می گوید. این آیات از یکی از مهمترین حوادث تاریخ اسلام، یعنی جنگ احزاب، که در سال پنجم هجری واقع شد بحث می کند. جنگ «احزاب» چنانکه از نامش پیداست مبارزه همه جانبهای از ناحیه عموم دشمنان اسلام و گروههای مختلفی بود که با پیشرفت این آیین منافع نامشروعشان به خطر می افتاد.

نخستین جرقه جنگ از ناحیه گروهی از یهود «بنی نضیر» روشن شـد که به مکّه آمدنـد و طایفه «قریش» را به جنگ با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله تشویق کردند و به آنها قول دادند تا آخرین نفس در کنارشان بایستند، سپس به سراغ قبیله «غطفان» رفتند، و آنها را نیز آماده کارزار کردند.

این قبائل از هم پیمانان خود مانند قبیله «بنی اسد» و «بنی سلیم» نیز دعوت کردند، و چون همگی خطر را احساس کرده بودند، دست به دست هم دادند تا کار اسلام را برای همیشه یکسره کنند.

مسلمانان به فرمان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به شور نشستند و قبل از هر چیز با پیشنهاد سلمان فارسی، اطراف مدینه را خندقی کندند- و به همین جهت یکی از نامهای این جنگ، جنگ خندق است.

لحظات بسیار سخت و خطرناکی بر مسلمانان گذشت منافقین در میان لشکر اسلام سخت به تکاپو افتاده بودند، جمعیت انبوه دشمن و کمی لشکریان اسلام در مقابل آنها- تعداد لشکر کفر را ده هزار، و لشکر اسلام را سه هزار نفر برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۹۳

نوشته اند- و آمادگی آنها از نظر تجهیزات جنگی آینده سخت و دردناکی را در برابر چشم مسلمانان مجسم می ساخت. ولی خدا می خواست در اینجا آخرین ضربه بر پیکر کفر فرود آید وصف منافقین را نیز از صفوف مسلمین مشخص سازد. سر انجام این غزوه به پیروزی مسلمانان تمام شد، طوفانی سخت به فرمان خدا وزیدن گرفت، خیمه و خرگاه و زندگی کفار را در هم ریخت، رعب و وحشت شدیدی در قلب آنها افکند، و نیروهای غیبی فرشتگان را به یاری مسلمانان فرستاد.

قـدرت نماییهـای شـگرفی همچون قـدرتنمایی امیر مؤمنان علی علیه السّـلام در برابر «عمرو بن عبـد ود» بر آن افزوده شـد، و مشرکان بیآنکه بتوانند کاری انجام دهند پا به فرار گذاردند.

آیات هفده گانه نازل شد و با تحلیلهای کوبنده و افشاگرانه خود به عالیترین وجه از این حادثه مهم برای پیروزی نهایی اسلام و کوبیدن منافقان بهره گیری کرد.

قرآن این ماجرا را نخست در یک آیه خلاصه می کند سپس در شانزده آیه دیگر به بیان خصوصیات آن می پردازد.

می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! نعمت بزرگ خدا را بر خود به یاد آورید در آن هنگام که لشکرهایی (عظیم) به سراغ شما آمدند» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اذْکُرُوا نِعْمَةً اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ جاءَتْکُمْ جُنُودٌ).

«ولی ما باد و طوفان سختی بر آنها فرستادیم و لشکریانی که آنها را نمیدیدید» و به این وسیله آنها را در هم شکستیم (فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها).

«و خداونـد همیشه به آنچه انجام میدهیـد (و کارهایی که هر گروه در این میـدان بزرگ انجام دادنـد) بینا بوده است» (وَ کانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیراً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٠ ص: ٥٩٣

(آیه ۱۰)-این آیه که ترسیمی از وضع بحرانی جنگ احزاب، و قدرت عظیم جنگی دشمنان، و نگرانی شدید بسیاری از مسلمان است چنین می گوید: به خاطر بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۹۴

بیاورید «زمانی را که آنها از طرف بالا و پایین (شهر) بر شما وارد شدند (و مدینه را محاصره کردند) و هنگامی را که چشمها از شدت وحشت خیره شده و جانها به لب رسیده بود، و گمانهای گوناگون بدی به خدا میبردید» (إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا)

سورة الأحزاب(٣٣): آية ١١ ص: ٥٩٤

(آیه ۱۱)– اینجا بود که کوره امتحان الهی سخت داغ شد، چنانکه در این آیه میگوید: «آنجا بود که مؤمنان آزمایش شدند و تکان سختی خوردند» (هُنالِکَ ابْتُلِیَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِیداً).

طبیعی است هنگامی که انسان گرفتار طوفانهای فکری میشود، جسم او نیز از این طوفان بر کنار نمیمانـد، و در اضـطراب و تزلزل فرو میرود.

آری! فولاد را در کوره داغ میبرند تا آبدیده شود، مسلمانان نخستین نیز باید در کوره حوادث سخت قرار گیرند تا آبدیده و مقاوم شوند.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٢ ص: ٥٩٤

(آیه ۱۲)- منافقیان و ضعیف الایمانها در صحنه احزاب گفتیم کوره امتحان جنگ احزاب داغ شد، و همگی در این امتحان بزرگ درگیر شدند.

در اینجا مسلمانان به گروههای مختلفی تقسیم شدند: جمعی مؤمنان راستین بودند، گروهی خواص مؤمنان، جمعی افراد

ضعیف الایمان، جمعی منافق، جمعی منافق لجوج و سر سخت، گروهی در فکر خانه و زندگی خویشتن و در فکر فرار بودند، جمعی سعی داشتند دیگران را از جهاد باز دارند و گروهی تلاش می کردند رشته اتحاد خود را با منافقین محکم کنند. در این آیه گفتگوی منافقان و بیماردلان منعکس شده است.

مىفرمايىد: «و (نيز) به خاطر بياوريد هنگامى را كه منافقان و بيماردلان مىگفتند: خدا و پيامبرش چيزى جز وعدههاى دروغين به ما ندادهاند»! (وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً).

در تاریخ جنگ احزاب چنین آمده است که، در اثنای حفر خندق که برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۹۵

مسلمانان هر یک مشغول کندن بخشی از خندق بودند روزی به قطعه سنگ سخت و بزرگی بر خورد کردند که هیچ کلنگی در آن اثر نمی کرد، خبر به پیامبر صلّی الله علیه و آله دادند، پیامبر صلّی الله علیه و آله شخصا وارد خندق شد، و در کنار سنگ قرار گرفت و کلنگی را به دست گرفت و نخستین ضربه محکم را به مغز سنگ فرود آورد، قسمتی از آن متلاشی شد و برقی از آن جستن کرد، پیامبر صلّی الله علیه و آله تکبیر پیروزی گفت، مسلمانان نیز همگی تکبیر گفتند.

بار دوم ضربه شدید دیگری بر سنگ فرو کوفت قسمت دیگری در هم شکست و برقی از آن جستن نمود پیامبر تکبیر گفت و مسلمانان نیز تکبیر گفتند.

سر انجام پیامبر سومین ضربه را بر سنگ فرود آورد و برق جستن کرد، و باقیمانده سنگ متلاشی شد، حضرت صلّی اللّه علیه و آله باز تکبیر گفت و مسلمانان نیز صدا به تکبیر بلند کردند، سلمان از این ماجرا سؤال کرد.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «در میان برق اول سر زمین حیره و قصرهای پادشاهان ایران را دیدم، و جبرئیل به من بشارت داد داد که امت من بر آنها پیروز میشوند! و در برق دوم قصرهای سرخفام شام و روم نمایان گشت، و جبرئیل به من بشارت داد که امت من بر آنها نیز پیروز خواهند شد! در برق سوم قصرهای صنعا و یمن را دیدم و جبرئیل باز به من خبر داد که امتم بر آنها نیز پیروز خواهند شد، بشارت باد بر شما ای مسلمانان»! منافقان نگاهی به یکدیگر کردند و گفتند: چه سخنان عجیبی؟ و چه حرفهای باطل و بی اساسی؟ او از مدینه دارد سر زمین حیره و مدائن کسری را می بیند، و خبر فتح آن را به شما می دهد، در حالی که هم اکنون شما در چنگال یک مشت عرب گرفتارید (و حالت دفاعی به خود گرفته اید) و حتی نمی توانید به بیت الحذر بروید (چه خیال باطل و پندار خامی؟!).

آیه فوق نازل شد و گفت که این منافقان و بیمار دلان می گویند خدا و پیغمبرش جز فریب و دروغ وعدهای به ما نداده است، (آنها از قدرت بیپایان پروردگار بیخبرند.)

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۹۶

سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٣ ص: ٥٩۶

(آیه ۱۳) – در این آیه به شرح حال گروه خطرناکی از همین منافقان بیمار دل که نسبت به دیگران خباثت و آلودگی بیشتری داشتند پرداخته، می گوید: «و (نیز) به خاطر بیاورید هنگامی را که گروهی از آنها گفتند: ای اهل یثرب! (ای مردم مدینه)! اینجا جای توقف شما نیست، به خانه های خود باز گردید» (وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ یا أَهْلَ یَثْرِبَ لا مُقامَ لَکُمْ فَارْجِعُوا).

و به این ترتیب میخواستند جمعیت انصار را از لشکر اسلام جدا کنند این از یکسو، از سوی دیگر «و گروهی از آنان از پیامبر اجازه بـاز گشت میخواسـتند و میگفتنـد: خـانههای ما بیحفاظ است، در حالی که بیحفاظ نبود آنها فقط میخواسـتند (از جنگ) فرار كنند» (وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُونَنا عَوْرَةٌ وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً).

«يثرب» نـام قـديمي مـدينه است، پيش از آنكه پيـامبر صلّى الله عليه و آله به آنجـا هجرُت كنـد، بعـد از آن كمكم نام مـدينهٔ الرسول (شهر پيغمبر) بر آن گذارده شد كه مخفف آن همان «مدينه» بود.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٤ ص: ٥٩٦

(آیه ۱۴)- این آیه به سستی ایمان این گروه اشاره کرده، می گوید: «آنها چنان بودند که اگر دشمنان از اطراف مدینه بر آنان وارد می شدند و پیشنهاد باز گشت به سوی شرک به آنان می کردند می پذیرفتند، و جز مدّت کمی (برای انتخاب این راه) درنگ نمی کردند» (وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَ ما تَلَبَّتُوا بِها إِلَّا يَسِيراً).

پیداست مردمی که این چنین ضعیف و بی پاشنهاند نه آماده پیکار با دشمنند و نه پذیرای شهادت در راه خدا.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٥ ص: ٥٩۶

(آیه ۱۵)- سپس قرآن، این گروه منافق را به محاکمه می کشد و می گوید:

«آنها قبلاً با خدا عهد و پیمان بسته بودند که پشت به دشمن نکنند، و (بر سر عهد خود در دفاع از توحید و اسلام و پیامبر بایستند، مگر آنها نمیدانند که) عهد الهی مورد سؤال قرار خواهد گرفت» و در برابر آن مسؤولند (وَ لَقَدْ کَانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا یُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَ کَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۹۷

اصولاً هر کسی ایمان می آورد و با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بیعت می کند این عهد را با او بسته که از اسلام و قرآن تا سر حدّ جان دفاع کند.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٦ ص: ٥٩٧

(آیه ۱۶)- بعد از آنکه خداوند نیّت منافقان را افشا کرد که منظورشان حفظ خانه هایشان نیست، بلکه فرار از صحنه جنگ است، با دو دلیل به آنها پاسخ می گوید.

نخست به پیامبر میفرماید: «بگو: اگر از مرگ یا کشته شدن فرار کنید این فرار سودی به حال شما نخواهد داشت و در آن هنگام جز بهره کمی از زندگانی نخواهید گرفت» (قُلْ لَنْ یَنْفَعَکُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِیلًا).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٧ ص: ٥٩٧

(آیه ۱۷)- دیگر اینکه مگر نمی دانید تمام سر نوشت شما به دست خداست، و هرگز نمی توانید از حوزه قدرت و مشیت او فرار کنید.

می فرماید: ای پیامبر! به آنها «بگو: چه کسی می تواند شما را در برابر اراده خدا حفظ کند اگر او بدی یا رحمتی را برای شما اراده کند»! (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِی یَعْصِمُکُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِکُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِکُمْ رَحْمَةً).

«و آنها جز خدا هیچ سر پرست و یاوری برای خود نخواهند یافت» (وَ لا یَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَّا وَ لا نَصِیراً).

بنا بر این اکنون که همه مقدرات شما به دست اوست فرمان او را در زمینه جهاد که مایه عزت و سر بلندی در دنیا و در پیشگاه خداست به جان بپذیرید، و حتی اگر شهادت در این راه به سراغ شما آید با آغوش باز از آن استقبال کنید.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٨ ص: ٥٩٧

(آیه ۱۸)– سپس به وضع گروهی دیگر از منافقین که از میدان جنگ احزاب کناره گیری کردنـد و دیگران را نیز دعوت به کناره گیری مینمودند اشاره کرده، می گوید: «خداوند آن گروهی از شـما را که کوشـش داشـتند مردم را از جنگ منصـرف سازند میداند» (قَدْ یَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِینَ مِنْکُمْ).

«و همچنین کسانی را که به برادرانشان می گفتند به سوی ما بیایید» و دست از این پیکار خطرناک بردارید! (وَ الْقَـائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۵۹۸

همان کسانی که اهل جنگ و پیکار نیستند «و جز مقـدار کمی (آن هم از روی اکراه و یا ریا) به سـراغ جنگ نمیروند» (وَ لا یَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِیلًا).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ١٩ ص: ٥٩٨

(آیه ۱۹) - در این آیه می افزاید: انگیزه تمام این کارشکنیها این است که:

«آنها در همه چيز نسبت به شما بخيلند» (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ).

نه تنها در بندل جان در میدان نبرد که در کمکهای مالی برای تهیه وسائل جنگ، و در کمکهای بدنی برای حفر خندق، و حتی در کمکهای فکری نیز بخل میورزند، بخلی توأم با حرص و حرصی روز افزون! بعد از بیان بخل آنها و مضایقه از هر گونه ایشار گری، به بیان اوصاف دیگری از آنها که تقریبا جنبه عمومی در همه منافقان در تمام اعصار و قرون دارد پرداخته چنین می گوید: «پس هنگامی که (لحظات) ترس (و بحرانی) پیش می آید، می بینی آن چنان به تو نگاه می کنند و چشمهایشان در حدقه می چرخد که گویی می خواهند قالب تهی کنند»! (فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَیْتَهُمْ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ تَدُورُ أَعْیُنْهُمْ کَالَّذِی یُغْشی عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ).

آنها چون از ایمان درستی برخوردار نیستند و تکیه گاه محکمی در زنـدگی ندارنـد، هنگامی که در برابر حادثه سـختی قرار گیرند کنترل خود را بکلی از دست میدهند، گویی میخواهند قبض روحشان کنند.

سپس مىافزايد: «اما همينها هنگامى كه حالت خوف و ترس فرو نشست، زبانهاى تند و خشن خود را با انبوهى از خشم و عصبانيت بر شما مى گشايند (و سهم خود را از غنائم مطالبه مى كنند) در حالى كه در آن نيز حريص و بخيلند» (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْر).

در پایان آیه به آخرین توصیف آنها که در واقع ریشه همه بـدبختیهایشان میباشد اشاره کرده، میفرماید: «آنها (هرگز) ایمان نیاوردهاند» (أُولِئِکَ لَمْ یُؤْمِنُوا).

«و به همین دلیل خداوند اعمالشان را حبط و نابود کرد» (فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ). چرا که اعمالشان هرگز توأم با انگیزه الهی و اخلاص نبوده است.

«و این کار بر خدا آسان است» (وَ کانَ ذلِکَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٠ ص: ٥٩٩

(آیه ۲۰)- این آیه ترسیم گویاتری از حالت جبن و ترس این گروه است، می گوید: «آنها (به قدری وحشتزده شدهاند که) گمان می کنند هنوز لشکر احزاب نرفته اند» (یَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ یَذْهَبُوا).

كابوس وحشتناكى بر فكر آنها سايه افكنده، گويى سربازان كفر مرتبا از مقابل چشمانشان رژه مىروند، شمشيرها را برهنه كرده و نيزهها را به آنها حواله مىكنند! سپس اضافه مىكند: «و اگر برگردند (از ترس آنان) دوست مىدارند در ميان اعراب باديه نشين پراكنده (و پنهان) شوند» (وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِى الْأَعْراب).

آری! بروند و در آنجا بمانند «و (مرتبا) از اخبار شما جویا گردند» (یَشِیَلُونَ عَنْ أَنْبائِکُمْ). لحظه به لحظه از هر مسافری جویای آخرین خبر شوند، مبادا احزاب به منطقه آنها نزدیک شده باشند، و سایه آنها به دیوار خانه آنها بیفتد! و این منت را بر سر شما بگذارند که همواره جویای حال و وضع شما بودیم! و در آخرین جمله میافزاید: «و اگر در میان شما باشند جز اندکی پیکار نمی کنند» (وَ لَوْ کَانُوا فِیکُمْ مَا قَاتُلُوا إِلَّا قَلِیلًا).

نه از رفتن آنها نگران باشید، نه از وجودشان خوشحال، که افرادی بیارزش و بیخاصیتند و نبودنشان از بودنشان بهتر!

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢١ ص: ٥٩٩

(آیه ۲۱)- نقش مؤمنان راستین در جنگ احزاب: تاکنون از گروههای مختلف و برنامههای آنها در غزوه «احزاب» سخن به میان آمد.

قرآن مجید در پایان این سخن از «مؤمنان راستین» و روحیه عالی و پایمردی و استقامت و سایر ویژگیهای آنان در این جهاد بزرگ، سخن می گوید.

و مقدمه این بحث را از شخص پیامبر اسلام که پیشوا و بزرگ و اسوه آنان بود شروع می کند، می گوید: «برای شما در (زندگی) رسول خدا (و عملکرد او در میدان احزاب) سرمشق نیکویی بود برای آنها که امید به (رحمت) خدا و روز رستاخیز دارند و خدا را بسیار یاد می کنند» (لَقَدْ کَانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ کَانَ یَرْجُوا اللَّهَ وَ الْیَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَکَرَ اللَّهَ کَثِیراً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۰۰

بهترین الگو برای شما نه تنها در این میدان که در تمام زندگی، شخص پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است.

این ناخدای بزرگ به هنگامی که سفینهاش گرفتار سخت ترین طوفانها، می شود کمترین ضعف و سستی و دستپاچگی به خود راه نمی دهد، او هم ناخداست هم لنگر مطمئن این کشتی، هم چراغ هدایت است، و هم مایه آرامش و راحت روح و جان سرنشینان.

جمله «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَـِنَةٌ» مفهومش اين است كه براى شـما در پيامبر صلّى الله عليه و آله تأسى و پيروى خوبى است، مىتوانيد با اقتدا كردن به او خطوط خود را اصلاح و در مسير «صراط مستقيم» قرار گيريد.

این نکته نیز قابل توجه است که علی علیه السّ لام می فرماید: «هر گاه آتش جنگ، سخت شعلهور می شد ما به رسول اللّه پناه می بردیم و هیچ یک از ما به دشمن نزدیکتر از او نبود».

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٢ ص: 600

(آیه ۲۲)- بعد از ذکر این مقدمه به بیان حال مؤمنان راستین پرداخته، می گوید: «هنگامی که مؤمنان، لشکریان احزاب را دیدند (نه تنها تزلزلی به دل راه ندادند بلکه) گفتند: این همان است که خدا و رسولش به ما وعده فرموده (و طلایه آن آشکار گشته) و خدا و رسولش راست گفتهاند، و این ماجرا جز بر ایمان و تسلیم آنها نیفزود» (وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ مَا زَادَهُمْ إِلَّا إِیماناً وَ تَسْلِیماً).

این وعده اشاره به سخنی است که قبلا_پیامبر صلّی الله علیه و اله گفته بود که به زودی قبائل عرب و دشمنان مختلف شما دست به دست هم میدهند و به سراغ شما می آیند، اما بدانید سر انجام پیروزی با شماست.

به آنها گفته شده بود که شما در بوته های آزمایش سختی آزموده خواهید شد، و آنها با مشاهده احزاب متوجه صدق گفتار خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله شدند و بر ایمانشان افزود.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٣ ص: 600

(آیه ۲۳)- این آیه اشاره به گروه خاصی از مؤمنان است که در تأسّی به برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۰۱ پیامبر صلّی الله علیه و آله از همه پیشگامتر بودند، و بر سر عهد و پیمانشان با خدا یعنی فداکاری تا آخرین نفس و آخرین قطره خون ایستادند.

می فرماید: «در میان مؤمنان مردانی هستند که بر سر عهدی که با خدا بستند صادقانه ایستادهاند، بعضی پیمان خود را به آخر بردند (و در راه او شربت شهادت نوشیدند) و بعضی دیگر در انتظارند» (مِنَ الْمُؤْمِنِینَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّه عَلَیْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضی نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْتَظِرُ).

«و هرگز تغییر و تبدیلی در عهد و پیمان خود ندادند» (وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِیلًا).

به عکس منافقان و یا مؤمنان ضعیف الایمان که طوفان حوادث آنها را به این طرف و آن طرف میافکند، و هر روز فکر شوم و تازهای در مغز ناتوان خود میپروراندند.

آیه چنان مفهوم وسیعی دارد که تمام مؤمنان راستین را در هر عصر و هر زمان شامل می شود، چه آنها که جامه شهادت در راه خدا بر تن پوشیدند و چه آنها که بدون هیچ گونه تزلزل بر سر عهد و پیمان با خدای خویش ایستادهاند و آماده جهاد و شهادتند.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٠ ص: ٢٠١

(آیه ۲۴) - این آیه نتیجه و هدف نهایی عملکردهای مؤمنان و منافقان را در یک جمله کوتاه چنین بازگو می کند: «هدف این است که خداوند صادقان را به خاطر صدقشان پاداش دهد، و منافقان را هر گاه بخواهد عذاب کند و یا (اگر توبه کنند) ببخشد و توبه آنها را بپذیرد، چرا که خداوند آمرزنده و مهربان است» (لِیَجْزِیَ اللَّهُ الصَّادِقِینَ بِصِ مُقْهِمْ وَ یُعَذِّبَ الْمُنافِقِینَ إِنْ شَاءَ أَوْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ إِنَّ اللَّهَ کَانَ غَفُوراً رَحِیماً).

نه صدق و راستی و وفاداری مؤمنان مخلص بدون پاداش میماند، و نه سستیها و کارشکنیهای منافقان بدون کیفر.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٥ ص: 601

(آیه ۲۵)- این آیه که آخرین سخن را در باره جنگ احزاب می گوید و به این بحث خاتمه می دهد در عبارتی کوتاه جمع بندی روشنی از این ماجرا کرده در جمله اول می فرماید: «خدا کافران را با دلی پر از خشم باز گرداند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۰۲

بى آنكه نتيجهاى از كار خود گرفته باشند» (وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً).

در جمله بعد مىافزايد: «و خداوند (در اين ميدان) مؤمنان را از جنگ بىنياز ساخت» و پيروزى را نصيبشان كرد (وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ).

آن چنان عواملی فراهم کرد که بی آنکه احتیاج به در گیری وسیع و گستردهای باشد و مؤمنان متحمل خسارات و ضایعات زیادی شوند جنگ پایان گرفت، زیرا از یکسو طوفان شدید و سردی اوضاع مشرکان را به هم ریخت، و از سوی دیگر رعب و ترس و وحشت را که آن هم از لشکرهای نامرئی خدا است بر قلب آنها افکند، و از سوی سوم ضربهای که «علی بن ابی طالب علیه السّیلام» بر پیکر بزر گترین قهرمان دشمن «عمرو بن عبد ود» وارد ساخت و او را به دیار عدم فرستاد، سبب فرو ریختن پایههای امید آنها شد، دست و پای خود را جمع کردند و محاصره مدینه را شکستند و ناکام به قبائل خود باز گشتند.

و در آخرین جمله می فرماید: «خداوند قوی و شکستناپذیر است» (وَ کانَ اللَّهُ قَوِیًّا عَزِیزاً).

ممكن است كساني «قوى» باشند اما «عزيز» و شكست ناپذير نباشند يعني شخص قويتري بر آنان پيروز شود، ولي تنها «قوي و شكستناپذير» در عالم خداست كه قوت و قدرتش بيانتهاست.

پیامـدهای جنگ احزاب: جنگ احزاب نقطـه عطفی در تاریخ اسـلام بـود و تـوازن نظـامی و سیاسـی را برای همیشـه بـه نفع مسلمانان بهم زد، بطور خلاصه می توان پیامدهای پر بار این جنگ را در چند جمله بیان کرد:

الف) ناكام ماندن آخرين تلاش دشمن و در هم شكسته شدن برترين قدرت نهايي آنها.

ب) رو شدن دست منافقین و افشا شدن کامل این دشمنان خطرناک داخلی.

- ج) جبران خاطره دردناک شکست احد.
- د) ورزیدگی مسلمانان، و افزایش هیبت آنان در قلوب دشمنان. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۰۳
- ه) بالا رفتن سطح روحیه و معنویت مسلمین به خاطر معجزات بزرگی که در آن میدان مشاهده کردند.
 - و) تثبیت موقعیت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در داخل و خارج مدینه.
 - ز) فراهم شدن زمینه برای تصفیه مدینه از شرّ یهود بنی قریظه.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٠ ص: ٥٠٣

(آیه ۲۶)- غزوه بنی قریظه یک پیروزی بزرگ دیگر! در مدینه سه طایفه معروف از یهود زندگی می کردند: «بنی قریظه»، «بنی النضیر» و «بنی قینقاع».

هر سه گروه با پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله پیمان بسته بودند که با دشمنان او همکاری و به نفع آنها جاسوسی نکنند. ولی طایفه «بنی قینقاع» در سال دوم هجرت و طایفه «بنی نضیر» در سال چهارم هجرت، هر کدام به بهانهای پیمان خود را شکستند و به مبارزه رویاروی با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دست زدند، سر انجام مقاومت آنها در هم شکست و از مدینه بیرون

رانده شدند.

بنا بر این در سال پنجم هجرت که غزوه «احزاب» رخ داد، تنها طایفه «بنی قریظه» در مدینه باقی مانده بودند، که به مشرکان عرب پیوستند و به روی مسلمانان شمشیر کشیدند.

پس از پایان غزوه احزاب، جبرئیل به فرمان خدا بر پیغمبر وارد شد، و گفت:

چرا سلاح بر زمین گذاردی؟ فرشتگان آماده پیکارند، هم اکنون باید به سوی «بنی قریظه» حرکت کنی، و کار آنها یکسره شود.

منادی از طرف پیامبر صلّی اللّه علیه و آله صدا زد که پیش از خواندن نماز عصر به سوی بنی قریظه حرکت کنید، مسلمانان بسرعت آماده جنگ شدند و تازه آفتاب غروب کرده بود که قلعههای محکم بنی قریظه را در حلقه محاصره خود در آوردند. بیست و پنج روز این محاصره به طول انجامید و بعدا همگی تسلیم شدند، گروهی به قتل رسیدند و پیروزی بزرگ دیگری بر پیروزی مسلمانان افزوده شده این آیه و آیه بعد، پس از حصول این پیروزی نازل شد، و خاطره این ماجرا را به صورت برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۰۴

یک نعمت و موهبت بزرگ الهی شرح داد.

نخست مىفرمايد: «و خداوند گروهى از اهل كتاب [يهود] را كه از آنان [مشركان عرب] حمايت كردند از قلعههاى محكمشان پايين كشيد» (وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ).

از اینجا روشن می شود که یهود قلعه های خود را در کنار مدینه در نقطه مرتفعی ساخته بودند و بر فراز برجهای آنها به دفاع از خویشتن مشغول می شدند.

سپس مى افزايد: «و خداوند در دلهاى آنها ترس و رعب افكند» (وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ).

و سـر انجام کارشان به جایی رسـید که «گروهی را به قتل میرساندیـد و گروهی را اسـیر میکردیـد» (فَرِیقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِـرُونَ فَریقاً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٧ ص: 6.4

(آیه ۲۷)– «و زمینها و خانهها و اموال آنها را در اختیار شما گذارد» (وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِیارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ).

و در پایان آیه میفرماید: «همچنین زمینی (در اختیار شما قرار داد) که هرگز در آن گام ننهاده بودید» (وَ أَرْضًا لَمْ تَطَؤُها).

ظاهرا این جمله اشاره به باغات و اراضی مخصوصی است که در اختیار «بنی قریظه» بود واحـدی حق ورود به آن را نـداشت،

چرا که یهود در حفظ و انحصار اموال خود سخت می کوشیدند.

«و خداوند بر هر چیزی قادر و تواناست» (وَ کانَ اللَّهُ عَلَى کُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً).

پیامدهای غزوه بنی قریظه: پیروزی بر این گروه ستمگر و لجوج نتایج پر باری برای مسلمانان داشت از جمله:

الف) پاک شدن جبهه داخلی مدینه و آسوده شدن خاطر مسلمان از جاسوسهای یهود.

ب) فرو ریختن پایگاه مشرکان عرب در مدینه و قطع امید آنان از شورشی از درون.

ج) تقویت بنیه مالی مسلمین به وسیله غنایم این جنگ. زیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۰۵

د) هموار شدن راه پیروزیهای آینده، مخصوصا فتح خیبر! ه) تثبیت موقعیت حکومت اسلامی در نظر دوست و دشمن در داخل

و خارج مدينه.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٨ ص: 603

اشاره

(آیه ۲۸)

شأن نزول: ص: 608

همسران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بعد از پارهای از غزوات که غنائم سرشاری در اختیار مسلمین قرار گرفت تقاضاهای مختلفی از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در مورد افزایش نفقه یا لوازم گوناگون زندگی داشتند.

طبق نقل بعضی از تفاسیر، «ام سلمه» از «پیامبر» صلّی اللّه علیه و آله کنیز خدمتگزاری تقاضا کرد و «میمونه» حلهای خواست، و «زینب» بنت جحش پارچه مخصوص یمنی و «حفصه» جامه مصری، «جویریه» لباس مخصوص خواست، و «سوده» گلیم خیبری! خلاصه هر کدام در خواستی نمودند.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله که می دانست تسلیم شدن در برابر این گونه درخواستها که معمولا پایانی ندارد چه عواقبی برای «بیت نبوت» در بر خواهد داشت، از انجام این خواسته ها سر باز زد و یک ماه تمام از آنها کناره گیری نمود، تا این که این آیه و سه آیه بعد از آن نازل شد و با لحن قاطع و در عین حال تو أم با رأفت و رحمت به آنها هشدار داد که اگر زندگی پر زرق و برق دنیا می خواهید می توانید از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله جدا شوید و به هر کجا می خواهید بروید، و اگر به خدا و رسول خدا و روز جزا دل بسته اید و به زندگی ساده و افتخار آمیز خانه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله قانع هستید بمانید و از پاداشهای بزرگ پرورد گار بر خوردار شوید.

تفسير: ص: ۶۰۵

یا سعادت جاودان یا زرق و برق دنیا! فراموش نکردهاید که در آیات نخست این سوره خداوند تاج افتخاری بر سر زنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله زده و آنها را به عنوان «امّ المؤمنین» (مادر مؤمنان) معرفی نموده، بدیهی است همیشه مقامات حساس و افتخار آفرین، وظائف سنگینی نیز همراه دارد، چگونه زنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می توانند ام المؤمنین باشند ولی فکر و قلبشان در گرو زرق و برق دنیا باشد؟

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله پادشاه نیست که حرمسرائی داشته باشد پر زرق و برق، و زنانش غرق جواهرات گرانقیمت و وسائل تجملاتی باشند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۰۶

در این آیه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را مخاطب ساخته، می گوید: «ای پیامبر! به همسرانت بگو: اگر شما زنـدگی دنیـا را میخواهیـد، و طالب زینت آن هستیـد، بیاییـد هـدیهای به شـما دهم، و شـما را به طرز نیکویی رها سازم» بی آنکه خصومت و مشاجرهاى در كـار باشــد (يــا أَيُّهَـِا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الـدُّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ أَمَتُعْكَنَّ وَ أَسَرِّحْكَنَّ سَراحاً جَمِيلًا).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٢٩ ص: 6.6

(آیه ۲۹)– در این آیه میافزاید: «اما اگر شـما خدا و پیامبرش و سـرای آخرت را میخواهید (و به زندگی ساده از نظر مادی و احیانـا محرومیتهـا قـانع هستیـد) پس خداونـد برای نیکو کاران شـما پاداش عظیمی آماده ساخته است» (وَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةُ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْکُنَّ أَجْراً عَظِیماً).

بنـا بر این تنهـا اظهـار عشق و علاقه به خـدا و سـرای دیگر و پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله کافی نیست، برنامههای عملی نیز باید هماهنگ با آن باشد.

و به این ترتیب خداوند تکلیف همسران پیامبر صلّی الله علیه و آله را که باید الگو و اسوه زنان با ایمان باشند برای همیشه روشن ساخت.

گرچه مخاطب در این سخنان، همسران پیامبرند، ولی محتوای آیات و نتیجه آن، همگان را شامل می شود، مخصوصا کسانی که در مقام رهبری خلق و پیشوایی و تأسی مردم قرار گرفته اند.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٠ ص: 6.6

(آیه ۳۰) - سپس در این آیه به بیان موقعیت زنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در برابر کارهای نیک و بد، و همچنین مقام ممتاز و مسؤولیت سنگین آنها، با عباراتی روشن پرداخته، می گوید: «ای همسران پیامبر! هر کدام از شما گناه آشکار و فاحشی مرتکب شود عذاب او دو چندان خواهد بود، و این برای خدا آسان است» (یا نِساءَ النَّبِیِّ مَنْ یَأْتِ مِنْکُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَیِّنَةٍ یُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَیْن وَ کانَ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیراً).

شما در خانه وحی و مرکز نبوت زندگی میکنید، دیگران به شما نگاه میکنند و اعمالتان سر مشقی است برای آنها، بنا بر این گناهتان در پیشگاه خدا عظیمتر است برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۰۷

چرا که هم ثواب و هم عذاب بر طبق معرفت و میزان آگاهی، و همچنین تأثیر آن در محیط داده می شود.

آغاز جزء 22 قرآن مجيد ص: 607

ادامه سوره احزاب ص: ۶۰۷

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣١ ص: 607

(آیه ۳۱)- اما در نقطه مقابل نیز «و هر کس از شما در برابر خـدا و پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله خضوع و اطاعت کنـد و عمل صالحی به جا آورد پاداش او را دو چندان خواهیم داد، و روزی پرارزشی را برای او فراهم ساخته یم» (وَ مَنْ یَقْنُتْ مِنْکُنَّ لِلّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُوْ تِها أَجْرَها مَرَّ تَیْنِ وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً کَرِیماً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٢ ص: 6.٧٧

(آیه ۳۲) - همسران پیامبر باید چنین باشند! در آیات گذشته سخن از موقعیت و مسؤولیت سنگین همسران پیامبر صلّی الله علیه و آله می دهد. و آله بود، این موضوع همچنان ادامه می یابد و طی آیاتی هفت دستور مهم به همسران پیامبر صلّی الله علیه و آله می دهد. نخست در مقدمه کوتاهی می فرماید: «ای همسران پیامبر! شما همچون یکی از زنان معمولی نیستید اگر تقوا پیشه کنید» (یا نِساءَ النَّبِیِّ لَشْتُنَّ کَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَیْتُنَّ).

شما به خاطر انتسابتان به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دارای موقعیت خاصی هستید که می توانید سر مشقی برای همه زنان باشید، چه در مسیر تقوا و چه در مسیر گناه.

و به دنبال این مقدمه - که آنان را برای پذیرش مسؤولیتها آماده میسازد و به آنها شخصیت میدهد - نخستین دستور را در زمینه عفت صادر میکند و مخصوصا به سراغ یک نکته باریک میرود تا مسائل دیگر در این رابطه خود به خود روشن گردد، می فرماید: «پس بگونهای هوس انگیز سخن نگویید که بیماردلان در شما طمع کنند» (فَلا تَخْضَ عْنَ بِالْقَوْلِ فَیَطْمَعَ الَّذِی فِی قَلْبهِ مَرَضٌ).

بلکه به هنگام سخن گفتن، جدی و خشک و بطور معمولی سخن بگویید، نه همچون زنان کم شخصیت که سعی دارند با تعبیرات تحریک کننده که گاه تو أم با ادا و اطوار مخصوصی است که افراد شهوتران را به فکر گناه میافکند سخن بگویید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۰۸

در پایان آیه دومین دستور را این گونه شرح میدهد: «شـما باید به صورت شایستهای (که مورد رضای خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و توأم با حق و عدالت باشد) سخن بگویید» (وَ قُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٣ ص: 6٠٨

(آیه ۳۳) – سپس سومین دستور را که آن نیز در زمینه رعایت عفت است چنین بیان می کند: «و شما در خانههای خود بمانید و همچون جاهلیّت نخستین (در میان مردم) ظاهر نشوید» و اندام و وسائل زینت خود را در معرض تماشای دیگران قرار ندهید (وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِیَّهُ الْأُولی).

منظور از «جاهلیّت اولی» همان جاهلیتی است که مقارن عصر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بوده، و بطوری که در تواریخ آمده در آن موقع زنان حجاب درستی نداشتند، و دنباله روسریهای خود را به پشت سر میانداختند بطوری که گلو و قسمتی از سینه و گردنبند و گوشوارههای آنها نمایان بود، و به این ترتیب قرآن همسران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را از این گونه اعمال باز می دارد.

بدون شک این یک حکم عام است، و تکیه آیات بر زنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به عنوان تأکید بیشتر است.

بالاخره دستور چهارم و پنجم و ششم را به این صورت بیان میفرماید: شما زنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله «نماز را بر پا دارید، و زکات را بپردازید و خدا و رسولش را اطاعت کنید» (وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِینَ الزَّکاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ).

این دستورات سه گانه نیز نشان می دهد که احکام فوق مخصوص به زنان پیامبر صلّی الله علیه و آله نیست، بلکه برای همگان است هر چند در مورد آنان تأکید بیشتری دارد.

در پایان آیه میافزاید: «خداوند فقط میخواهد پلیدی و گناه را از شما اهل بیت دور کند و کاملا شما را پاک سازد» (إِنَّما

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

تعبیر به «انّما» که معمولاً برای حصر است، دلیل بر این است که این موهبت ویژه خاندان پیامبر صلّی الله علیه و آله است. جمله «یرید» اشاره به اراده تکوینی پروردگار است یعنی معصومان به خاطر برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۰۹ تأییدات الهی و اعمال پاک خویش، چنان هستند که در عین داشتن قدرت و اختیار برای گناه کردن به سراغ گناه نمی روند. روایات بسیار زیادی که در منابع اهل سنت و شیعه وارد شده شمول همه خاندان پیامبر صلّی الله علیه و آله را نفی می کند و می گوید: مخاطب در آیه فوق و منظور از «اهل بیت» منحصرا پنج نفرند: پیامبر صلّی الله علیه و آله، علی علیه السّلام، و فاطمه علیها السّلام و حسن و حسین علیهما السّلام.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٤ ص: 6٠٩

اشاره

(آیه ۳۴) - در این آیه «هفتمین» و آخرین وظیفه همسران پیامبر بیان شده و هشداری است به همه آنان برای استفاده کردن از بهترین فرصتی که در اختیار آنان برای آگاهی بر حقایق اسلام قرار گرفته، میفرماید: «و آنچه را در خانههای شما از آیات خداوند و حکمت و دانش خوانده میشود، یاد کنید» و خود را در پرتو آن بسازید که بهترین فرصت را در اختیار دارید (وَ اذْکُونَ ما یُتْلی فِی بُیُوتِکُنَّ مِنْ آیاتِ اللَّهِ وَ الْحِکْمَةِ).

سر انجام در پایان آیه می فرماید: «خداوند لطیف و خبیر است» (إنَّ اللَّهَ کانَ لَطِیفاً خَبِیراً).

اشاره به این که او از دقیقترین و بـاریکترین مسائـل بـاخبر و آگـاه است، و نیّ_یات شـما را به خوبی میدانـد، و از اسـرار درون سینههای شما باخبر است.

جاهلیت قرن بیستم! ص: 609

جمعی از مفسران در تفسیر «الجاهلیّهٔ الاولی» در آیات مورد بحث گرفتار شکّ و تردید شدند گویی نتوانستند باور کنند که بعد از ظهور اسلام، نوعی دیگر جاهلیت در جهان پا به عرصه وجود خواهد گذاشت که جاهلیت عرب قبل از اسلام در مقابل آن موضوع کم اهمیتی خواهد بود.

ولی امروز این امر برای ما که شاهد مظاهر جاهلیت وحشتناک قرن بیستم هستیم کاملا حلّ شده است، و باید آن را به حساب یکی از پیشگوئیهای اعجاز آمیز قرآن مجید گذارد.

اگر عرب در عصر جاهلیت اولی، جنگ و غارتگری داشت، و فی المثل چندین بار بازار عکاظ صحنه خونریزیهای احمقانه گردید که چند تن کشته شدند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۱۰

در جاهلیت عصر ما جنگهای جهانی رخ می دهد که گاه بیست میلیون نفر در آن قربانی و بیش از آن مجروح و ناقص الخلقه می شوند! اگر در جاهلیت عرب زنان، «تبرج به زینت» می کردند، و روسریهای خود را کنار می زدند به گونهای که مقداری از سینه و گلو و گردنبند و گوشواره آنها نمایان می گشت، در عصر ما کلوپهایی تشکیل می شود به نام کلوپ برهنگان- که

نمونه آن در انگلستان معروف است- که با نهایت معذرت افراد در آن برهنه مادرزاد می شوند، رسوائیهای پلاژهای کنار دریا و استخرها و حتی معابر عمومی نگفتنی است.

اگر در جاهلیت عرب، «زنان آلوده ذوات الاعلام» بودند که پرچم بر در خانه خود میزدند تا افراد را به سوی خود دعوت کنند!، در جاهلیت قرن ما افرادی هستند که در روزنامههای مخصوص مطالبی را در این زمینه مطرح می کنند که قلم از ذکر آن جدا شرم دارد، و جاهلیت عرب بر آن صد شرف دارد.

خلاصه چه گوییم از وضع مفاسدی که در تمدن مادی ماشینی منهای ایمان عصر ما وجود دارد که ناگفتنش بهتر است، و نباید این تفسیر را با آن آلوده کرد.

آنچه گفتیم فقط مشتی از خروار برای نشان دادن زندگی کسانی بود که از خدا فاصله می گیرند، و با داشتن هزاران دانشگاه و مراکز علمی و دانشمندان معروف، در منجلاب فساد غوطهورند، و حتی گاهی همین مراکز علمی و دانشمندانشان در اختیار همان فجایع و مفاسد قرار می گیرند.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٥ ص: ٦١٠

اشاره

(آیه ۳۵)

شأن نزول: ص: 610

هنگامی که «اسماء بنت عمیس» همسر «جعفر بن ابی طالب» با شوهرش از «حبشه» بازگشت به دیدن همسران پیامبر صلّی الله علیه و آله آمد، یکی از نخستین سؤالاتی که مطرح کرد این بود: آیا چیزی از آیات قرآن در باره زنان نازل شده است؟ آنها در پاسخ گفتند: نه! «اسماء» به خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله آمد، عرض کرد: «ای رسول خدا جنس زن گرفتار خسران و زیان است! پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: چرا؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۱۱

عرض کرد: به خاطر این که در اسلام و قرآن فضیلتی در باره آنها همانند مردان نیامده است.

اینجا بود که آیه نازل شد و به آنها اطمینان داد که زن و مرد در پیشگاه خدا از نظر قرب و منزلت یکسانند.

تفسير: ص: 611

شخصیت و ارزش مقام زن در اسلام- به دنبال بحثهایی که در باره وظائف همسران پیامبر صلّی الله علیه و آله در آیات گذشته ذکر شده در این آیه سخنی جامع و پرمحتوا در باره همه زنان و مردان و صفات بر جسته آنها بیان شده است، و ضمن بر شمردن ده وصف از اوصاف اعتقادی و اخلاقی و عملی آنان، پاداش عظیم آنها را در پایان آیه بر شمرده است. می گوید: «مردان مسلمان و زنان مسلمان» (إنَّ الْمُسْلِمِینَ وَ الْمُسْلِماتِ).

«و مردان مؤمن و زنان مؤمنه» (وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنِاتِ).

اشاره به این که اسلام همان اقرار به زبان است که انسان را در صف مسلمین قرار میدهد، و مشمول احکام آنها می کند، ولی ایمان تصدیق به قلب و دل است و اعمالی که به دنبال آن می آید.

«و مردانی که مطیع فرمان خدا هستند و زنانی که از فرمان حق اطاعت میکنند» (وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ).

سپس به یکی دیگر از مهمترین صفات مؤمنان راستین، یعنی حفظ زبان پرداخته، می گوید: «و مردان راستگو و زنان راستگو» (وَ الصَّادِقِینَ وَ الصَّادِقِینَ وَ الصَّادِقاتِ).

و از آنجا که ریشه ایمان، صبر و شکیبایی در مقابل مشکلات است، و نقش آن در معنویات انسان همچون نقش «سر» است در برابر «تین» پنجمین وصف آنها را این گونه بازگو می کند: «و مردان صابر و شکیبا و زنان صابر و شکیبا» (وَ الصَّابِرِینَ وَ الصَّابِراتِ).

از طرفی میدانیم یکی از بدترین آفات اخلاقی، کبر و غرور و حب جاه است، و نقطه مقابل آن «خشوع»، لذا در ششمین توصیف میفرماید: «و مردان با خشوع و زنان با خشوع» (وَ الْخاشِعینَ وَ الْخاشِعاتِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۱۲ گذشته از حب جاه، حب مال، نیز آفت بزرگی است، و اسارت در چنگال آن، اسارتی است دردناک، و نقطه مقابل آن انفاق و کمک کردن به نیازمندان است، لذا در هفتمین توصیف می گوید: «و مردان انفاق گر و زنان انفاق کننده» (وَ الْمُتَصَدِّقِینَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ).

سه چیز است که اگر انسان از شر آن در امان بماند از بسیاری از شرور و آفات اخلاقی در امان است، زبان و شکم و شهوت جنسی، به قسمت اول در چهارمین توصیف اشاره شد، اما به قسمت دوم و سوم در هشتمین و نهمین وصف مؤمنان راستین اشاره کرده، می گوید: «و مردانی که روزه میدارند و زنانی که روزه میدارند» (وَ الصَّائِمِینَ وَ الصَّائِماتِ).

«و مردانی که دامان خود را از آلودگی به بیعفتی حفظ میکننـد، و زنـانی که عفیـف و پاکنـد» (وَ الْحـافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافظات).

سر انجام به دهمین و آخرین صفت که تداوم تمام اوصاف پیشین بستگی به آن دارد پرداخته، می گوید: «و مردانی که بسیار به یاد خدا هستند، و زنانی که بسیار یاد خدا می کنند» (وَ الذَّاکِرِینَ اللَّهَ کَثِیراً وَ الذَّاکِراتِ).

آری! آنها با یاد خدا در هر حال و در هر شرایط، پردههای غفلت و بیخبری را از قلب خود کنار میزنند، وسوسهها و همزات شیاطین را دور میسازند و اگر لغزشی از آنان سر زند، فورا در مقام جبران بر می آیند.

در پایان آیه، پاداش بزرگ این گروه از مردان و زنانی را که دارای ویژگیهای ده گانه فوق هستند چنین بیان میکند: «خداوند برای آنها مغفرت و پاداش عظیمی فراهم ساخته است» (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِیماً).

نخست با آب مغفرت گناهان آنها را- که موجب آلودگی روح و جان آنها است- میشوید، سپس پاداش عظیمی که عظمتش را جز او کسی نمی داند در اختیارشان می نهد.

سورة الأحزاب(33): آية 35 ص: 617

شأن نزول: ص: 612

این آیه در مورد داستان ازدواج زینب بنت جحش (دختر عمّه پیامبر گرامی اسلام) با زید بن حارثه برده آزاد شده پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نازل برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۱۳

شده است.

قبل از زمان بعثت و بعد از آن که خدیجه با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله ازدواج کرد خدیجه بردهای به نام «زید» خریداری نمود که بعـدا آن را به پیـامبر صلّی اللّه علیه و آله بخشـید و حضـرت او را آزاد فرمود، و چون طائفهاش او را از خود راندنـد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نام «فرزند خود» بر او نهاد.

هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله تصمیم گرفت برای «زید» همسری برگزیند از «زینب بنت جحش» که دختر «امیه» دختر «عبد المطلب» (دختر عمّهاش) بود برای او خواستگاری نمود «زینب» نخست چنین تصور می کرد که پیامبر صلّی الله علیه و آله می خواهد او را برای خود انتخاب کند، خوشحال شد و رضایت داد، ولی بعدا که فهمید خواستگاری از او برای «زید» است، سخت ناراحت شد و سر باز زد، برادرش «عبد الله» نیز با این امر به سختی مخالفت نمود.

در اینجا بود که آیه نازل شد و به امثال زینب و عبد الله هشدار داد که آنها نمی توانند هنگامی که خدا و پیامبرش کاری را لازم میدانند مخالفت کنند، آنها که این مسأله را شنیدند در برابر فرمان خدا تسلیم شدند.

اما این ازدواج دیری نپایید و بر اثر ناسازگاریهای اخلاقی میان طرفین، منجر به طلاق شد.

سپس پیامبر صلّی اللّه علیه و آله برای جبران این شکست زینب در ازدواج، او را به فرمان خدا به همسری خود برگزید.

تفسير: ص: ١٦٣

میدانیم روح اسلام «تسلیم» است، آن هم «تسلیم بی قید و شرط در برابر فرمان خدا» این معنی در آیات مختلفی از قرآن با عبارات گوناگون منعکس شده است، از جمله در این آیه می فرماید: «هیچ مرد و زن با ایمانی حق ندارد هنگامی که خدا و پیامبرش مطلبی را لازم بدانند اختیاری از خود در برابر فرمان خدا داشته باشند» (وَ ما کانَ لِمُوْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهُ إِذَا قَضَی اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ یَکُونَ لَهُمُ الْخِیَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ). آنها باید اراده خود را تابع اراده حق کنند، همان گونه که سر تا پای وجودشان وابسته به اوست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۱۴

این درست به آن میماند که یک طبیب ماهر به بیمار بگوید در صورتی به درمان تو میپردازم که در برابر دستوراتم تسلیم محض شوی، و از خود ارادهای نداشته باشی، این نهایت دلسوزی طبیب را نسبت به بیمار نشان می دهد و خدا از چنین طبیبی برتر و بالاترست.

لذا در پایان آیه به همین نکته اشاره کرده، میفرماید: «کسی که نافرمانی خدا و پیامبرش را کند گرفتار گمراهی آشکاری شده است» (وَ مَنْ یَعْص اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِیناً).

راه سعادت گم می کند و به بیراهه و بدبختی کشیده میشود.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٧ ص: ٦١٩

(آیه ۳۷) - سپس به داستان معروف «زید» و همسرش «زینب» که یکی از مسائل حساس زندگانی پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله - که در آیات پیشین گذشت دارد - پرداخته، می گوید: «به خاطر بیاور زمانی را که به کسی که خداوند به او نعمت داده بود، و تو نیز به او نعمت بخشیده بودی می گفتی همسرت را نگاهدار و از خدا بپرهیز» و پیوسته این امر را تکرار می کردی! (وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِ وَ أَنْعُمْتَ عَلَیْهِ أَمْسِتَکُ عَلَیْکَ زَوْجَکَ وَ اتَّق اللَّهُ).

منظور از «نعمت خداوند» همان نعمت هدایت و ایمان است که نصیب «زید بن حارثه» کرده بود، و نعمت پیامبر صلّی الله علیه و آله این بود که وی را آزاد کرد و همچون فرزند خویش گرامیش داشت.

از این آیه استفاده می شود که میـان زیـد و زینب، مشـاجرهای در گرفته بود و این مشـاجره ادامه یـافت و در آسـتانه جـدایی و طلاق قرار گرفت، و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرارا و مستمرا او را نصیحت میکرد و از جدایی و طلاق باز میداشت.

بعد می افزاید: «تو در دل چیزی را پنهان می داشتی که خداوند آن را آشکار می کند، و از مردم می ترسیدی در حالی که خداوند سنزاوار تر است که از او بترسی»! (وَ تُخْفِی فِی نَفْسِ کَ مَا اللَّهُ مُبْدِیهِ وَ تَخْشَی النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُ أَنْ تَخْشَاهُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۱۵

مسأله ترس از خدا نشان میدهد که این ازدواج به عنوان یک وظیفه انجام شده که باید به خاطر پروردگار ملاحظات شخصی را کنار بگذارد تا یک هدف مقدس الهی تأمین شود، هر چند به قیمت زخم زبان کوردلان تمام گردد.

لذا در دنباله آیه می فرماید: «هنگامی که زید نیازش را از آن زن به سر آورد (و از او جدا شد) ما او را به همسری تو در آوردیم، تا مشکلی برای مؤمنان در ازدواج با همسران پسر خوانده هایشان - هنگامی که از آنها طلاق بگیرند - نباشد» (فَلَمَّا قَضَی زَیْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناکَها لِکَیْ لا یَکُونَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ حَرَجٌ فِی أَزْواجِ أَدْعِیائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً).

و این کاری بود که میبایست انجام بشود «و فرمان خدا انجام شدنی است» (وَ کانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا).

بنا بر این، ازدواج الهی، یک مسأله اخلاقی و انسانی بود و نیز وسیله مؤثری برای شکستن دو سنّت غلط جاهلی حرمت ازدواج با همسر مطلقه پسر خوانده، و قبح ازدواج با همسر مطلقه یک غلام و برده آزاد شده.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٨ ص: ١٥٥

(آیه ۳۸)- این آیه در تکمیل بحثهای گذشته چنین می گوید: «هیچ گونه سختی و حرجی بر پیامبر در آنچه خدا برای او واجب کرده است نیست» (ما کانَ عَلَی النَّبِیِّ مِنْ حَرَجٍ فِیما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ).

آنجا که خداونـد فرمانی به او میدهـد، ملاحظه هیچ امری در برابر آن جایز نیست و بدون هیچ چون و چرا باید به مرحله اجرا درآید.

اصولا سنت شکنی و بر چیدن آداب و رسوم خرافی و غیر انسانی همواره با سر و صدا تو أم است، و پیامبران هر گز نباید به این سر و صداها اعتنا کنند.

لذا در جمله بعد مىفرمايد: «اين سنت الهى در مورد پيامبران در امم پيشين نيز جارى بوده است» (سُينَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ). تنها تو نیستی که گرفتار این مشکلی، بلکه همه انبیا به هنگام شکستن سنتهای غلط گرفتار این ناراحتیها بودهاند. و در پایان آیه برای تثبیت، قاطعیت در این گونه مسائل بنیادی میفرماید: برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۴۱۶ «فرمان خدا همواره روی حساب و برنامه دقیقی است و باید به مرحله اجرا در آید» (وَ کانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٣٩ ص: 618

(آیه ۳۹)- مبلّغان راستین کیانند؟ به تناسب بحثی که در آیه قبل در باره پیامبران گذشت این آیه به یکی از مهمترین برنامه های عمومی انبیا اشاره کرده، می فرماید: پیامبران پیشین «کسانی بودند که تبلیغ رسالتهای الهی می کردند و از او می ترسیدند و از هیچ کس جز خدا واهمه نداشتند» (الَّذِینَ یُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ یَخْشَوْنَهُ وَ لا یَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ).

تو نیز در تبلیغ رسالتهای پروردگار نباید کمترین وحشتی از کسی داشته باشی! اصولاً کار پیامبران در بسیاری از مراحل شکستن سنتهای غلط است و اگر بخواهند کمترین ترس و وحشتی به خود راه بدهند در انجام رسالت خود پیروز نخواهند شد قاطعانه باید پیش روند، حرفهای ناموزون بدگویان را به جان خریدار شوند و بیاعتنا به جوسازیها به برنامههای خود ادامه دهند چرا که همه حسابها به دست خداست.

لـذا در پایان آیه میفرمایـد: «همین بس که خداونـد (حافظ اعمال بندگان و) حسابگر (و جزا دهنده آنها) است» (وَ کَفی بِاللَّهِ حَسِیباً).

هم حساب ایثار و فداکاری پیامبران را در این راه نگه میدارد و پاداش میدهد و هم سخنان ناموزون و یاوه سرایی دشمنان را محاسبه و کیفر میدهد.

این آیه دلیل روشنی است بر اینکه شرط اساسی برای پیشرفت در مسائل تبلیغاتی قاطعیت و اخلاص و عـدم وحشت از هیچ کس جز از خداست.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٤٠ ص: 618

(آیه ۴۰) - مسأله خاتمیت: این آیه آخرین سخنی است که خداوند در ارتباط با مسأله ازدواج پیامبر صلّی الله علیه و آله با «همسر مطلقه زید» برای شکستن یک سنت غلط جاهلی، بیان می دارد، و ضمنا حقیقت مهم دیگری را - که مسأله خاتمیت است - در ذیل آن بیان می کند، می فرماید: «محمد پدر هیچ یک از مردان شما نبوده و نیست» (ما کان مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ).

نه «زید» و نه دیگری، و اگر یک روز نام پسر محمّد بر او گذاردند این تنها یک برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۱۷ عادت و سنّت بود که با ورود اسلام و نزول قرآن بر چیده شد نه یک رابطه طبیعی و خویشاوندی.

سپس مىافزايد: «ولى (او) رسول خدا و ختم كننده و آخرين پيامبران است» (وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ).

بنا بر این صدر آیه ارتباط نسبی را بطور کلی قطع می کند، و ذیل آیه ارتباط معنوی ناشی از رسالت و خاتمیت را اثبات مینماید، و از اینجا پیوند صدر و ذیل روشن میشود.

و البته خداونـد عالم و آگاه همه آنچه را در این زمینه لازم بوده در اختیار او گـذارده، از اصول و فروع و کلیات و جزئیات در تمام زمینهها، و لذا در پایان آیه میفرماید: «و خداوند به همه چیز آگاه است» (وَ کانَ اللَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٤١ ص: ٤١٧

(آیه ۴۱)- رحمت و درود خدا و فرشتگان راهگشای مؤمنان: از آنجا که در آیات گذشته سخن از وظائف سنگین پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله در مقام تبلیغ رسالت بود، در اینجا برای فراهم آوردن زمینه این تبلیغ و گسترش دامنه آن در تمام محیط بخشی از وظائف مؤمنان را بیان می کند، روی سخن را به همه آنها کرده چنین می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! خدا را فراوان یاد کنید» (یا آیُهَا الَّذِینَ آمَنُوا اذْکُرُوا اللَّه ذِکْراً کَثِیراً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٤٢ ص: ٤١٧

(آیه ۴۲)- «و صبح شام او را تسبیح و تنزیه نمایید» (وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِیلًا).

آری! چون عوامل غفلت در زندگی مادی بسیار فراوان و تیرهای وسوسه شیاطین از هر سو به طرف انسان پرتاب می گردد برای مبارزه با آن راهی جز «ذکر کثیر» در همه حال نیست.

«ذكر كثير» به معنى واقعى كلمه يعنى «توجه با تمام وجود به خداوند» نه تنها با زبان و لقلقه لسان.

امام صادق علیه السّلام فرمود: «هر کس بسیار یاد خدا کند خداوند او را در سایه لطف خود در بهشت برین جای خواهد داد». برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۱۸

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٤٣ ص: 618

(آیه ۴۳) - این آیه در حقیقت نتیجه و علت غایی ذکر و تسبیح مداوم است، میفرماید: «او کسی است که بر شما درود و رحمت میفرستد، و فرشتگان او نیز (برای شما تقاضای رحمت میکنند) تا شما را از ظلمات (جهل و شرک و کفر) بیرون آورد و به سوی نور (ایمان و علم و تقوا) رهنمون شود» (هُوَ الَّذِی یُصَلِّی عَلَیْکُمْ وَ مَلائِکَتُهُ لِیُخْرِجَکُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ). «چرا که او نسبت به مؤمنان رحیم و مهربان است» (وَ کانَ بِالْمُؤْمِنِینَ رَحِیماً).

و به همین دلیل هدایت و رهبری آنها را بر عهده گرفته و فرشتگانش را نیز مأمور امداد آنها نموده است.

آری! این آیه بشارتی است بزرگ برای همه سالکان راه حق و به آنها نوید می دهد که از جانب معشوق کششی نیرومند است، تا کوشش عاشق بیچاره به جایی برسد! آری! این رحمت خاص خداست که مؤمنان را از ظلمات اوهام و شهوات و وساوس شیطانی بیرون می آورد و به نور یقین و اطمینان و تسلط بر نفس رهنمون می گردد که اگر رحمت او نبود این راه پرپیچ و خم هر گز پیموده نمی شد.

سورة الأحزاب(٣٣): آية 44 ص: ١٨٨

(آیه ۴۴)- در این آیه مقام مؤمنان و پاداش آنها را به عالیترین وجه و در کوتاهترین عبارت ترسیم کرده، می گوید: «تحیت فرشتگان الهی به آنها در (روز قیامت) روزی که او را دیدار می کنند سلام است» (تَحِیَّتُهُمْ یَوْمَ یَلْقَوْنَهُ سَلامٌ).

این سلامی است که نشانه سلامت از عذاب و از هر گونه درد و رنج و ناراحتی است، سلامی است تو أم با آرامش و اطمینان. بعد از این تحیّت که در حقیقت مربوط به آغاز کار است اشاره به پایان کار آنها کرده، می فرماید: «خداوند برای آنها پاداش

پرارزشي فراهم ساخته است» (وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٤٥ ص: ١٨٨

(آیه ۴۵)– تو چراغ فروزانی! در اینجا روی سخن به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله است ولی نتیجه آن برای مؤمنان و به این ترتیب آیات گذشته را که پیرامون بخشی از برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۱۹

وظایف مؤمنان بحث می کرد تکمیل می کند.

در این آیه و آیه بعد پنج توصیف برای پیامبر صلّی الله علیه و آله آمده، و در دو آیه بعد از آن بیان پنج وظیفه است که همه به یکدیگر مربوط و مکمل یکدیگر میباشند.

نخست مىفرمايد: «اى پيامبر! ما تو را به عنوان شاهد و گواه فرستاديم» (يا أُيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً).

او از یکسو گواه اعمال امت است، چرا که اعمال آنها را میبیند و از سوی دیگر شاهد و گواه بر انبیای پیشین است که آنها خود گواه امت خویش بودند و از سوی سوم وجود تو با اوصاف و اخلاقت، با برنامههای سازندهات، با سوابق درخشانت و با عملکرد شاهد و گواه بر حقانیت مکتبت، و شاهد و گواه بر عظمت و قدرت پروردگار است.

سپس به توصیف دوم و سوم پرداخته، می فرماید: «ما تو را بشارت دهنده و انذار کننده» قرار دادیم (وَ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً).

بشارت دهنده نیکوکاران به پاداش بی پایان پروردگار، به سلامت و سعادت جاودان، به پیروزی و موفقیت پر افتخار.

و انذار کننده کافران و منافقان از عذاب دردناک الهی، از خسارت تمام سرمایههای وجودی، و از سقوط در دامان بدبختی در دنیا و آخرت.

سورة الأحزاب(٣٣): آية 46 ص: 619

(آیه ۴۶)- این آیه به چهارمین و پنجمین وصف پیامبر اشاره کرده، می گوید:

«ما تو را دعوت کننده به سوی الله به فرمان او (قرار دادیم) و هم چراغ روشنی بخش» (وَ داعِیاً إِلَی اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِیراً). او چراغ روشنی است که خودش گواه خویش است، تاریکیها و ظلمات را میزداید، و چشمها و دلها را به سوی خود متوجه می کند، و همانگونه که «آفتاب آمد دلیل آفتاب» وجود او نیز دلیل حقانیت اوست.

وجود پیامبر صلّی الله علیه و آله مایه آرامش، و فرار دزدان دین و ایمان و پرورش و نموّ روح ایمان و اخلاق، و خلاصه مایه حیات و جنبش و حرکت است، و تاریخ زندگی او شاهد و گواه زنده این موضوع است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۲۰

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٤٧ ص: ٥٢٠

(آیه ۴۷)- همان طور که گفتیم در این آیه و آیه بعد بیان پنج وظیفه از وظائف مهم پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله به دنبال بیان اوصاف پنج گانه است.

نخست می فرماید: «به مؤمنان بشارت ده که برای آنها از سوی خدا فضل و پاداش بزرگی است» (وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبيراً). اشاره به اینکه مسأله «تبشیر» پیامبر صلّی الله علیه و آله تنها محدود به پاداش اعمال نیک مؤمنان نمی شود، بلکه خداوند آن قدر از فضل خود به آنها می بخشد که موازنه میان عمل و پاداش را بکلی بر هم می زند.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٤٨ ص: 620

(آیه ۴۸)- بعد از آن به دستور دوم و سوم پرداخته، می گوید: «و از کافران و منافقان اطاعت مکن» (وَ لاـ تُطِعِ الْکافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ).

بدون شک رسول خدا صلّی الله علیه و آله هر گز اطاعتی از کافران و منافقان نداشت، اما اهمیت موضوع به قدری است که به عنوان تأکید برای شخص پیامبر صلّی الله علیه و آله و هشدار و سر مشقی برای دیگران، روی این موضوع مخصوصا تکیه می کند، چه این که از خطرات مهمی که بر سر راه رهبران راستین قرار دارد به سازش و تسلیم کشیده شدن در اثناء مسیر است.

سپس در چهـارمین و پنجمین دسـتور چنین میگویـد: «اعتنایی به آزارهای آنها مکن، بر خـدا توکل نما و همین بس که خـدا حامی و مدافع توست» (وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفی بِاللَّهِ وَكِیلًا).

این قسمت از آیه نشان میدهد که آنها برای تسلیم ساختن پیامبر صلّی اللّه علیه و آله او را سخت در فشار قرار داده بودند، و انواع آزارها چه از طریق زخم زبـان و بـدگویی و جسارت، و چه از طریق آزار بـدنی، و چه محاصـره اقتصادی نسبت به او و یارانش روا میداشتند.

تاریخ می گویـد پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله و مؤمنان نخستین همچون کوه در مقابل انواع آزارها ایسـتادگی به خرج دادنـد و هرگز ننگ تسلیم و شکست را نپذیرفتند، و سر انجام در اهداف خود پیروز شدند.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٤٩ ص: ٢٠٠

(آیه ۴۹)- گوشهای از احکام طلاق و جدایی شایسته: قسمتهای مختلف برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۲۱

آیات این سوره (احزاب) به صورت مجموعه های گوناگونی است که بعضی خطاب به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و بعضی خطاب به همه مؤمنان میباشد.

در این آیه روی سخن به همه اهل ایمان است، میفرماید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! هنگامی که با زنان با ایمان ازدواج کردید، و قبل از همبستر شدن طلاق دادید عدّهای برای شما بر آنها نیست که بخواهید حساب آن را نگاه دارید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذَا نَکَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْل أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَما لَکُمْ عَلَیْهِنَّ مِنْ عِدَّهٔ تَعْتَدُّونَها).

در اینجا خداونـد استثنائی برای حکم عدّه زنان مطلّقه بیان فرموده که اگر طلاق قبل از دخول واقع شود نگاه داشـتن عده لازم نیست، و از این تعبیر به دست می آید که قبل از این آیه، حکم عده بیان شده بوده است.

سپس به حکم دیگری از احکام زنانی که قبل از آمیزش جنسی طلاق گرفتهاند میپردازد- که در سوره بقره نیز به آن اشاره شده است- میفرماید: «آنها را (با هدیه مناسبی) بهرهمند سازید» (فَمَتَّعُوهُنَّ).

بدون شک پرداختن هدیه مناسب به زن در جایی واجب است که مهری برای او تعیین نشده باشد.

در این که مقدار این «هدیه» چه اندازه باید باشد؟ قرآن مجید در آیه ۲۳۶ سوره بقره آن را اجمالا بیان کرده و فرموده است:

«هدیهای مناسب و متعارف آن کس که توانایی دارد به اندازه توانائیش و آن کس که تنگدست است به اندازه خودش». آخرین حکم آیه مورد بحث این است که زنان مطلّقه را «بطرز شایستهای رهایشان کنید» و به صورت صحیحی از آنها جدا شوید (وَ سَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِیلًا).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٥٠ ص : 621

(آیه ۵۰)- با این زنان می توانی ازدواج کنی! بعد از ذکر پارهای از احکام مربوط به طلاق دادن زنان در آیه قبل، در اینجا روی سخن را به شخص پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، و موارد هفتگانهای را که ازدواج با آنها برای پیامبر مجاز بوده شرح می دهد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۲۲

۱- نخست می گوید: «ای پیامبر! ما همسران تو را که مهر آنها را پرداخته ای برای تو حلال کردیم» (یا أَیُهَا النَّبِیُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَکَ أَزْواجَکَ اللَّاتِی آتَیْتَ أُجُورَهُنَّ).

منظور از این زنان به قرینه جمله های بعد زنانی هستند که با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رابطه خویشاوندی نداشتند و با او ازدواج کردند، زیرا مرسوم بوده است که به هنگام ازدواج با غیر خویشاوندان مهریه را نقدا پرداخت می کردند، به علاوه تعجیل در پرداختن مهر، مخصوصا در موردی که همسر نیاز به آن داشته باشد، بهتر است، ولی به هر حال این کار جزء واجبات نیست، و با توافق طرفین ممکن است مهر به صورت ذمه در عهده زوج کلا یا بعضا بماند.

٢- «و كنيزانى را كه از طريق غنائم و انفال، خدا به تو بخشيده است» (وَ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ).

۳- «و دختران عموی تو و دختران عمه ها و دختران دائی تو و دختران خاله هایی که با تو مهاجرت کرده انـد» اینها نیز بر تو حلالند (وَ بَناتِ عَمِّکَ وَ بَناتِ عَمَّاتِکَ وَ بَناتِ خالِکَ وَ بَناتِ خالاتِکَ اللَّاتِی هاجَرْنَ مَعَکَ).

انحصار در این چهار گروه روشن است، ولی قید مهاجرت به خاطر آنست که در آن روز هجرت دلیل بر ایمان بوده، و عدم مهاجرت دلیل بر کفر و یا به خاطر این است که هجرت امتیاز بیشتری به آنها میدهد و هدف در آیه بیان زنان با شخصیت و با فضیلت است که مناسب همسری پیامبر صلّی الله علیه و آله میباشند.

۴- «و هرگاه زن با ایمانی خود را به پیامبر ببخشـد (و هیـچ گونه مهری برای خود قائل نشود) اگر پیامبر بخواهـد میتواند با او ازدواج کند» (وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها).

«اما چنین ازدواجی تنها برای تو مجاز است نه برای سایر مؤمنان» (خالِصَةً لَکُ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ).

«ما میدانیم برای آنها در مورد همسران و کنیزانشان چه حکمی مقرر داریم» و مصالح آنها چه ایجاب میکرده است؟ (قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِی أَزْواجِهِمْ وَ ما مَلَکَتْ أَیْمانُهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۲۳

بنا بر این اگر در مسائل مربوط به ازدواج برای آنها در بعضی موارد محدودیتی قائل شدهایم روی مصالحی بوده است که در زندگی آنها و تو حاکم بوده، و هیچ یک از این احکام و مقررات بیحساب نیست.

سپس می افزاید: «این به خاطر آن است که مشکل و حرجی (در ادای رسالت) بر تو نبوده باشد» (لِکَیْلا یَکُونَ عَلَیْکَ حَرَجٌ). و بتوانی در انجام این وظیفه مسؤولیتهای خود را ادا کنی.

«و خداوند آمرزنده و رحيم است» (وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً).

جمله اخیر اشاره به فلسفه این احکام مخصوص پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله است، این جمله می گوید: پیامبر صلّی

الله علیه و آله شرائطی دارد که دیگران ندارنـد و همین تفاوت سبب تفاوت در احکام شـده است. یعنی، هـدف این بوده که قسمتی از محدودیتها و مشکلات از دوش پیامبر صلّی الله علیه و آله از طریق این احکام برداشته شود.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٥١ ص: ٦٢٣

اشاره

(آیه ۵۱)

شأن نزول: ص: 623

در تفسیر آیه ۲۸ و ۲۹ همین سوره و بیان شأن نزول آنها گفتیم که جمعی از همسران پیامبر – بنا بر آنچه مفسران نقل کرده اند – به پیامبر صلّی الله علیه و آله عرض کردند که بر نفقه و هزینه زندگی ما بیفزا از این گذشته در چگونگی تقسیم اوقات زندگی پیامبر صلّی الله علیه و آله در میان آنها نیز با هم رقابتهایی داشتند که پیغمبر صلّی الله علیه و آله را با آن همه گرفتاری و اشتغالات مهم در مضیقه قرار می داد، هر چند آن حضرت کوشش لازم را در زمینه عدالت در میان آنها رعایت می کرد.

آیه نازل شد و پیامبر را در تقسیم اوقاتش در میان آنها کاملا آزاد گذاشت.

تفسير: ص: ٤٢٣

رفع یک مشکل دیگر از زندگی پیامبر صلّی الله علیه و آله یک رهبر بزرگ الهی همچون پیامبر صلّی الله علیه و آله آن هم در زمانی که در کوره حوادث سخت گرفتار است، و توطئههای خطرناکی از داخل و خارج برای او میچینند، نمی تواند فکر خود را زیاد مشغول زندگی شخصی و خصوصیش کند، باید در زندگی داخلی خود دارای آرامش نسبی باشد تا بتواند به حل انبوه مشکلاتی که از هر سو او را احاطه کرده است با فراغت خاطر بپردازد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۲۴ در عین حال گاه اختلاف میان همسران و رقابتهای زنانه متداول آنها، طوفانی در درون خانه پیامبر صلّی الله علیه و آله بر میانگیخته، و فکر او را به خود مشغول میداشته است.

اینجاست که خداوند یکی دیگر از ویژگیها را برای پیامبرش قائل شده، و برای همیشه به این ماجراها و کشمکشها پایان داد، و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را از این نظر آسوده خاطر و فارغ البال کرد.

و چنانکه در آیه میخوانیم فرمود: (موعـد) هر یک از این زنان را بخواهی میتوانی به تأخیر اندازی و هر کدام را بخواهی نزد خود جای دهی» (تُرْجِی مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِی إِلَیْکَ مَنْ تَشاءُ).

می دانیم یکی از احکام اسلام در مورد همسران متعدد آن است که شوهر اوقات خود را در میان آنها بطور عادلانه تقسیم کند، و از این موضوع در کتب فقه اسلامی به عنوان «حق قسم» تعبیر می کنند. یکی از خصایص پیامبر صلّی الله علیه و آله این بود که به خاطر شرائط خاص زندگی، رعایت حق قسم به حکم این آیه از او ساقط بود هر چند او با این حال حتی الامکان مساوات و عدالت را رعایت می کرد.

سپس میافزاید: «و هرگاه بعضی از آنها را که بر کنار ساختهای بخواهی نزد خود جای دهی گناهی بر تو نیست» (وَ مَنِ ابْتَغَیْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَیْکُ).

و به این ترتیب نه تنها در آغاز، اختیار با توست، در ادامه کار نیز این تخییر بر قرار است.

«این حکم الهی برای روشنی چشم آنها و این که غمگین نشوند و همه آنها راضی به آنچه در اختیارشان می گذاری گردند نزدیکتر است» (ذلِکَ أَدْنی أَنْ تَقَرَّ أَعْیُنُهُنَّ وَ لا یَحْزَنَّ وَ یَرْضَیْنَ بِما آتَیْتَهُنَّ کُلُّهُنَّ).

چرا که این یک حکم عمومی در باره همه آنهاست که از ناحیه خدا برای مصالح مهمی تشریع شده، بنا بر این آنها باید با رضا و رغبت به آن تن دهند.

در پایان آیه مطلب را با این جمله ختم می کند: «خدا آنچه را در قلوب شماست می داند، و خداوند (از همه اعمال و مصالح بندگان باخبر) است، و در برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۲۵

عين حال حليم است» و در كيفر آنها عجله نمى كند (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً).

آری! خدا میداند شما در برابر کدامین حکم قلبا رضا و تسلیم دارید، و در برابر کدامین ناخشنود هستید.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٥٢ ص: 6٢٥

(آیه ۵۲)- یک حکم مهم دیگر در ارتباط با همسران پیامبر در این آیه حکم دیگری از احکام مربوط به همسران پیامبر صلّی الله علیه و آله بیان شده، می فرماید:

«بعد از این دیگر زنی بر تو حلال نیست، و نمی توانی همسرانت را به همسران دیگری مبدّل کنی [بعضی را طلاق دهی و همسر دیگری به جای او برگزینی] هر چند جمال آنها مورد توجه تو واقع شود، مگر آنچه که به صورت کنیز در ملک تو در آید، و خداوند ناظر و مراقب بر هر چیز است» و با این حکم فشار قبایل عرب را در اختیار همسر از آنان از تو برداشتیم (لا یَجَدُلُ لَمکَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَ لا اَنْ تَبَدَدً لَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ وَ لَوْ أَعْجَبَکَ حُدْ نُهُنَّ إِلَّا ما مَلکَتْ یَمِینُکَ وَ کانَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ رَقَساً).

سورة الأحزاب(33): آية 57 ص: 623

اشاره

(آیه ۵۳)

شأن نزول: ص: 625

هنگامی که رسول خدا با «زینب بنت جحش» ازدواج کرد، ولیمه نسبتا مفصلی به مردم داد.

انس که خادم مخصوص پیامبر صلّی الله علیه و آله بود می گوید: پیامبر صلّی الله علیه و آله به من دستور داد که اصحابش را به غذا دعوت کنم، من همه را دعوت کردم، دسته دسته می آمدند و غذا می خوردند و از اتاق خارج می شدند، تا این که عرض کردم: ای پیامبر خدا! کسی باقی نمانده که من او را دعوت نکرده باشم، فرمود: اکنون که چنین است سفره را جمع کنید، سفره را برداشتند و جمعیت پراکنده شدند، اما سه نفر همچنان در اتاق پیامبر صلّی الله علیه و آله ماندند و مشغول بحث و گفتگه به دند.

آیه نازل شد و دستورات لازم را بیان کرد و نیز از بعضی قرائن استفاده می شود که گاهی همسایگان و سایر مردم طبق معمول برای عاریت گرفتن اشیائی نزد بعضی از زنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می آمدند برای حفظ حیثیت همسران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آیه نازل شد و به مؤمنان دستور داد که هرگاه می خواهند چیزی از آنها بگیرند از پشت پرده بگیرند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۲۶

در روایت دیگری آمده است که بعضی از مخالفان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله گفتند: به خدا سوگند هرگاه او چشم از جهان بپوشد ما با همسران او ازدواج خواهیم کرد! آیه نازل شد و ازدواج با زنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را بعد از او بکلی ممنوع ساخت، و به این توطئه نیز پایان داد.

تفسير: ص: ۶۲۶

بـاز روی سـخن در این آیه به مؤمنـان است و بخشـی دیگر از احکام اسـلام مخصوصا آنچه مربوط به آداب معاشـرت با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و خانواده نبوت بوده است ضمن جملههای کوتاه و گویا و صریح بیان می کند.

نخست می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! هرگز در اتاقهای پیامبر سر زده داخل نشوید، مگر این که برای صرف غذا به شما اجازه داده شود، (آن هم مشروط به این که به موقع وارد شوید) نه این که از مدتی قبل بیایید و در انتظار وقت غذا بنشینید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُیُوتَ النَّبِیِّ إِلَّا أَنْ یُؤْذَنَ لَکُمْ إِلی طَعام غَیْرَ ناظِرِینَ إِناهُ).

مسلما این حکم اختصاص به پیامبر ندارد، در هیچ مورد بدون اجازه نباید وارد خانه کسی شد. به علاوه به هنگامی که دعوت به طعام میشوند باید وقت شناس باشند و مزاحمت بیموقع برای صاحب خانه فراهم نکنند.

سپس به دومین حکم پرداخته، می گوید: «ولی هنگامی که دعوت شدید وارد شوید، و هنگامی که غذا خوردید پراکنده شوید» (وَ لکِنْ إِذا دُعِیتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا).

در سومین حکم میفرماید: پس از صرف غذا «مجلس انس و گفتگو (در خانه پیامبر و هیچ میزبان دیگری) تشکیل ندهید» (وَ لا مُشتَأْنِسِینَ لِحَدِیثٍ).

البته ممكن است ميزبان خواهان چنين مجلس انسي باشد در اين صورت مستثناست.

سپس علت این حکم را چنین بیان می کند: «این کار پیامبر را آزار میداد، اما او از شما شرم می کرد، ولی خداوند از بیان حق شرم نمی کند و ابا ندارد» (إِنَّ ذلِکُمْ کانَ يُؤْذِی النَّبِیَّ فَيَشِیَتَحْیِی مِنْکُمْ وَ اللَّهُ لا یَشِیَّتَحْیِی مِنَ الْحَقِّ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۲۷

البته پیامبر خدا نیز از بیان حق در مواردی که جنبه شخصی و خصوصی نداشت هیچ ابا نمی کرد ولی بیان حق اشخاص از ناحیه خودشان زیبا نیست اما از ناحیه کسان دیگر جالب و زیباست.

سپس چهارمین حکم را در زمینه «حجاب» چنین بیان میدارد: «و هنگامی که چیزی از متاع و وسائل زندگی از همسران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بخواهید از پشت حجاب (پرده) بخواهید» (وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئُلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابِ).

روشن است قرار گرفتن همسران پیامبر در معرض دید مردم (هر چند با حجاب اسلامی باشد) کار خوبی نبود لذا دستور داده شده که از پشت پرده یا پشت در بگیرند.

قرآن بعد از این دستور فلسفه آن را چنین بیان می فرماید: «این برای پاکی دلهای شما و آنان بهتر است» (ذلِکُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِکُمْ وَ قُلُوبهنَّ).

پنجمین حکم را به این صورت بیان می فرماید: «شما حق ندارید رسول خدا را آزار دهید» (وَ ما کانَ لَکُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ). گرچه عمل ایذائی در خود این آیه منعکس است ولی مفهوم آیه عام است و هر گونه اذیت و آزار را شامل می شود.

سر انجام ششمین و آخرین حکم را در زمینه حرمت ازدواج با همسران پیامبر بعد از او چنین بیان می کند: «شما هر گز حق ندارید که همسران او را بعد از او به همسری خویش در آورید که این کار در نزد خدا عظیم است» (وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِیماً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٥٤ ص: ٤٢٧

(آیه ۵۴)– این آیه به مردم شدیدا هشدار داده، می گوید: «اگر چیزی را آشکار کنید یا پنهان دارید خداوند از همه امور آگاه است» (إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ کانَ بِکُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً).

گمان نکنید خدا از برنامههای ایذائی شما نسبت به پیامبرش با خبر نیست، چه آنها که بر زبان جاری کردند و چه آنها که در دل تصمیم داشتند همه را به خوبی میداند، و با هر کس متناسب کار و نیتش رفتار میکند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۲۸

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٥٥ ص: ۶۲۸

اشاره

(آیه ۵۵)

شأن نزول: ص: ۶۲۸

بعد از نزول آیه حجاب (آیه گذشته) پدران و فرزندان و بستگان همسران پیامبر صلّی الله علیه و آله خدمتش عرض کردند: ای رسول خدا! ما نیز با آنها از پشت پرده سخن گوییم؟

آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت که این حکم شامل شما نمی شود.

تفسير: ص: ۶۲۸

مواردی که از قانون حجاب مستثنا است از آنجا که در آیه گذشته حکم مطلقی در باره حجاب در مورد همسران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمده بود و اطلاق این حکم این توهّم را به وجود می آورد که محارم آنها نیز موظف به اجرای آن هستند و تنها از پشت پرده باید با آنها تماس بگیرند، آیه نازل شد و حکم این مسأله را شرح داد.

مىفرمايىد: «بر آنان [همسران پيامبر] گناهى نيست كه با پدران، فرزندان، برادران، فرزندان برادران، فرزندان خواهران خود، و زنان مسلمان، و بردگان خود» بـدون حجاب تماس داشته باشد (لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِى آبائِهِنَّ وَ لا أَبْنائِهِنَّ وَ لا إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ أَخُواتِهِنَّ وَ لا نِسائِهِنَّ وَ لا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ).

و به تعبیر دیگر محارم آنها که منحصر در این شش گروهند مستثنا میباشند.

و در پایان آیه همسران پیامبر صلّی الله علیه و آله را مخاطب ساخته، می گوید: «تقوا را پیشه کنید که خداونـد بر هر چیزی آگاه است» و هیچ چیز بر او مخفی و پنهان نیست (وَ اتَّقِینَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلی کُلِّ شَيْءٍ شَهِیداً).

چه این که حجاب و پرده، و مانند اینها همه وسائلی برای حفظ از گناه بیش نیست، ریشه اصلی همان تقواست که اگر نباشد حتی این وسائل نیز سودی نخواهد بخشید.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٥٥ ص: ٢٢٨

(آیه ۵۶) – سلام و درود بر پیامبر صلّی الله علیه و آله: به دنبال بحثهایی که در آیات گذشته پیرامون حفظ حرمت پیامبر صلّی الله علیه و الله علیه و آله و عدم ایذاء او آمده در اینجا نخست سخن از علاقه خاص خداوند و فرشتگان نسبت به پیامبر صلّی الله علیه و آله می گوید، و بعد در این زمینه دستور به مؤمنان می دهد، و سپس عواقب در دناک و شوم آزار دهندگان پیامبر صلّی الله علیه و آله را مطرح می سازد و در آخرین مرحله گناه بزرگ کسانی را که از طریق تهمت مؤمنان را ایذاء برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۲۹

كنند بازگو مىكند.

نخست مىفرمايد: «خداوند و فرشتگان بر پيامبر رحمت و درود مىفرستند» (إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ).

مقام پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آن قدر والاست که آفریدگار عالم هستی و تمام فرشتگانی که تدبیر این جهان به فرمان حق بر عهده آنها گذارده شده است بر او درود می فرستند، اکنون که چنین است شما نیز با این پیام جهان هستی هماهنگ شوید، «ای کسانی که ایمان آورده اید! بر او درود بفرستید و سلام بگویید و در برابر فرمان او تسلیم باشید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ مَا لَمُوا تَسْلِیماً).

او یک گوهر گرانقدر عالم آفرینش است، و اگر به لطف الهی در دسترس شما قرار گرفته مبادا ارزانش بشمرید، مبادا ارج و مقام او را در پیشگاه پروردگار و در نزد فرشتگان همه آسمانها فراموش کنید.

قابل توجه این که در باره کیفیت صلوات بر پیامبر صلّی الله علیه و آله در روایات بی شماری که از طرق اهل سنت و اهل بیت رسیده صریحا آمده است که «آل محمّد» را به هنگام صلوات بر «محمّد» بیفزایید.

به این صورت: «اللهم صلّ على محمّد و آل محمّد».

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٥٧ ص: 679

(آیه ۵۷) – این آیه در حقیقت نقطه مقابل آیه گذشته را بیان می کند، می گوید: «کسانی که خدا و پیامبرش را ایذاء می کنند خداوند آنها را در دنیا و آخرت از رحمت خود دور میسازد و برای آنان عذاب خوار کنندهای آماده کرده است» (إِنَّ الَّذِینَ یُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِیناً).

منظور از «ایـذاء پروردگار» همان کفر و الحاد است که خـدا را به خشم می آورد و اما ایـذاء پیامبر اسـلام صـلّی اللّه علیه و آله مفهوم وسیعی دارد، و هر گونه کاری که او را آزار دهد شامل می شود.

حتى از رواياتى كه در ذيل آيه وارد شده چنين استفاده مىشود كه آزار خاندان پيامبر صلّى اللّه عليه و آله مخصوصا على عليه السّلام و دخترش فاطمه زهرا عليها السّلام نيز مشمول همين آيه بوده است. برگزيده تفسير نمونه، ج٣، ص: ۶٣٠ رسول خدا فرمود: «فاطمه پارهاى از تن من است هر چه او را آزار دهد مرا مىآزارد».

شبیه همین معنی در باره علی علیه السّلام نیز از پیامبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله نقل شده است.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٥٨ ص: ٣٣٠

(آیه ۵۸)- این آیه از ایذاء مؤمنان سخن می گوید و برای آن بعد از ایذاء خدا و پیامبر صلّی الله علیه و آله اهمیت فوق العاده ای قائل می شود، می فرماید: «و کسانی که مردان و زنان با ایمان را به خاطر کاری که انجام نداده اند آزار می دهند، متحمل بهتان و گناه آشکاری شده اند» (وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَیْرِ مَا اکْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِیناً). چرا که مؤمن از طریق ایمان پیوندی با خدا و پیامبرش دارد، و به همین دلیل در اینجا در ردیف خدا و پیامبرش قرار گرفته

در حدیثی که «امام علی بن موسمی الرضا» از جدش پیامبر نقل کرده چنین آمده است: «کسمی که مرد یا زن مسلمانی را بهتان زند یا در باره او سخنی بگوید که در او نیست خداوند او را در قیامت روی تلی از آتش قرار میدهد تا از عهده آنچه گفته بر آید»!

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٥٩ ص: ٥٣٠

اشاره

(آیه ۵۹)

شأن نزول: ص: 630

آن ایام زنان مسلمان به مسجد میرفتند و پشت سر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نماز میگذاردند، هنگام شب موقعی که برای نماز مغرب و عشاء میرفتند بعضی از جوانان هرزه و اوباش بر سر راه آنها مینشستند و با مزاح و سخنان ناروا آنها را آزار می دادند و مزاحم آنان می شدند.

آیه نازل شد و به آنها دستور داد حجاب خود را بطور کامل رعایت کنند تا به خوبی شناخته شوند و کسی بهانه مزاحمت پیدا

تفسير: ص: ۶۳۰

اخطار شدید به مزاحمان و شایعه پراکنان! به دنبال نهی از ایذاء رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله و مؤمنان در آیات گذشته، در اینجا روی یکی از موارد ایذاء تکیه کرده و برای پیشگیری از آن از دو طریق اقدام میکند.

در قسمت اول می گوید: «ای پیامبر! به همسران و دخترانت و زنان مؤمنین بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۳۱

بگو: جلبابها [روسـرىهاى بلند] خود را بر خويش فرو افكنند اين كار براى اين كه شناخته شوند و مورد آزار قرار نگيرند بهتر است» و اگر تـاكنون خطـا و كوتـاهى از آنهـا سـر زده توبه كننــد (يـا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَ بَناتِكَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُــدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنِي أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ).

هدف این است که زنان مسلمان در پوشیدن حجاب سهل انگار و بی اعتنا نباشند مثل بعضی از زنان بی بند و بار که در عین داشتن حجاب آن چنان بی پروا و لاابالی هستند که غالبا قسمتهایی از بدنهای آنان نمایان است و همین معنی توجه افراد هرزه را به آنها جلب می کند.

و از آنجا که نزول این حکم، جمعی از زنان با ایمان را نسبت به گذشته پریشان میساخت، در پایان آیه میافزاید: «خداوند همواره آمرزنده و مهربان است» (وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً).

هر گاه از شما تاکنون در این امر کوتاهی شده چون بر اثر جهل و نادانی بوده است خداوند شما را خواهد بخشید، توبه کنید و به سوی او باز گردید، و وظیفه عفت و پوشش را به خوبی انجام دهید.

سورة الأحزاب(٣٣): آية 6٠ ص: ٣٦١

اشاره

(آیه ۶۰)

شأن نزول: ص: 631

گروهی از منافقین در مدینه بودند و انواع شایعات را پیرامون پیامبر صلّی الله علیه و آله به هنگامی که به بعضی از غزوات میرفت در میان مردم منتشر میساختند، گاه میگفتند: پیامبر کشته شده، و گاه میگفتند: اسیر شده، مسلمانانی که توانایی جنگ را نداشتند و در مدینه مانده بودند سخت ناراحت میشدند، شکایت نزد پیامبر صلّی الله علیه و آله آوردند.

آیه نازل شد و سخت این شایعه براکنان را تهدید کرد.

تفسير: ص: 641

به دنبال دستوری که در آیه پیش به زنان با ایمان داده شد به بعد دیگر این مسأله یعنی فعالیتهای موذیانه اراذل و اوباش پرداخته، می گوید: «اگر منافقان و کسانی که در قلبشان بیماری است و نیز کسانی که اخبار دروغ در مدینه پخش می کنند دست از کارشان بر ندارند ما تو را بر ضد آنان می شورانیم (و با یک حمله عمومی تو را بر آنها مسلط خواهیم ساخت) سپس جز مدت کوتاهی نمی توانند در بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۳۲

كنـار تـو در ايـن شـهر بماننـد»! (لَئِـنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنـافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُـوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُـونَ فِى الْمَدِينَـةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلَّا قَلِيلًا).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٦١ ص: ٦٣٦

(آیه ۶۱)- و هنگامی که از این شـهر رانده شدند و از تحت حمایت حکومت اسلامی طرد گشتند «از همه جا طرد میشوند، و هر جا یافته شوند گرفته خواهند شد و به سختی به قتل خواهند رسید»! (مَلْعُونِینَ أَیْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتُلُوا تَقْتِیلًا).

اشاره به این که بعد از این حمله عمومی در هیچ جا در امان نخواهند بود، و آنها را با دقت جستجو و پیدا می کنند و به دیار عدم فرستاده می شوند.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٦٢ ص: ٣٣٦

(آیه ۶۲) – سپس در این آیه میافزاید: این دستور تازهای نیست، «این سنتی است الهی و همیشگی که در اقوام پیشین بوده است» که هر گاه گروههای خرابکار بی شرمی و توطئه را از حد بگذرانند فرمان حمله عمومی به آنها صادر می شود (سُینَّهٔ اللَّهِ فِی الَّذِینَ خَلُوْا مِنْ قَبْلُ).

و چون این حکم یک سنت الهی است هرگز دگرگون نخواهد شد چرا که «برای سنت خداوند تبدیل و تغییری نمی یابی» (وَ لَنْ تَجدَ لِسُنَّهُِ اللَّهِ تَبْدِیلًا).

این تعبیر در حقیقت جمدی بودن این تهدید را مشخص می کند که بدانند مطلب کاملا قطعی و ریشهدار است و تغییر و تبدیل در آن راه ندارد، یا باید به اعمال ننگین خود پایان دهند و یا در انتظار چنین سر نوشت دردناکی باشند.

این حکم مانند سایر احکام اسلامی اختصاص به زمان و مکان و اشخاصی ندارد.

اگر به راستی سمپاشی و توطئه از حـد بگـذرد و به صورت یک جریان در آیـد، و جامعه اسـلامی را با خطرات جـدی رو برو سازد حکومت اسـلامی میتواند دستور آیات فوق را که به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله داده شده است به اجرا در آورد، و مردم را برای در هم کوبیدن ریشههای فساد بسیج کند؟!

سورة الأحزاب(٣٣): آية 67 ص: 627

(آیه ۶۳) – میپرسند: قیامت کی بر پا میشود؟ آیات گذشته سخن از توطئههای منافقان و اشرار می گفت، در اینجا به یکی دیگر از برنامههای مخرب آنها اشاره شده است که گاه به عنوان استهزاء و یا به منظور ایجاد شک و تردید در قلوب بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۳۳

ساده دلان این سؤال را مطرح می کردند که قیامت با آن همه اوصافی که محمّد از آن خبر میدهد کی بر پا میشود؟

مى فرمايد: «مردم از تو پيرامون زمان قيام قيامت سؤال مى كنند» (يَسْئَلُكُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ).

سپس به آنها چنین پاسخ می گوید: «بگو: (ای پیامبر!) آگاهی بر این موضوع تنها نزد خداست» و هیچ کس جز او از این موضوع آگاه نیست (قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ). حتی پیامبران مرسل و فرشتگان مقرب نیز از آن بیخبرند. و به دنبال آن میافزاید: «چه میدانی؟ شاید قیام قیامت نزدیک باشد» (وَ ما یُدْرِیکَ لَعَلَّ السَّاعَةُ تَکُونُ قَرِیباً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية 64 ص: 878

(آیه ۶۴)– سپس به تهدید کافران و گوشهای از مجازات دردناک آنها پرداخته، میفرماید: «خداوند کافران را از رحمت خود دور ساخته و برای آنان آتش سوزانندهای فراهم کرده است» (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْکافِرِینَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِیراً).

سورة الأحزاب(٣٣): آية 64 ص: ٣٣٦

(آیه ۶۵)– «آنها جاودانه در این آتش سوزان خواهنـد مانـد و سـر پرست و یاوری نخواهند یافت» (خالِدِینَ فِیها أَبَداً لا یَجِدُونَ وَلِیًّا وَ لا نَصِیراً).

تفاوت میان «ولیّ» و «نصیر» در اینجاست که «ولیّ» انجام تمام کار را بر عهده می گیرد ولی «نصیر» کسی است که انسان را کمک میدهد تا به مقصود خود برسد، اما این کافران در قیامت نه ولیی دارند و نه نصیری.

سورة الأحزاب(٣٣): آية 66 ص: 878

(آیه ۶۶)- سپس قسمت دیگری از عذاب دردناک آنها را در قیامت بیان کرده، میفرماید: «روزی را به خاطر بیاور که صورتهای آنها در آتش دوزخ دگرگون میشود» (یَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِی النَّارِ).

ایـن دگرگـونی یـا از نظر رنـگ چهرههـاست که گـاه سـرخ و کبـود میشـود و گـاه زرد و پژمرده، و یـا از نظر قرار گرفتن بر شعلههای آتش است که گاه این سمت صورت آنها بر آتش قرار می گیرد، و گاه سمت دیگر (نعوذ باللّه).

اینجاست که فریادهای حسرت بارشان بلنـد میشود و «میگویند: ای کاش ما خدا و پیامبرش را اطاعت کرده بودیم» (یَقُولُونَ یا لَیْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۳۴

که اگر اطاعت می کردیم چنین سر نوشت دردناکی در انتظار ما نبود.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٤٧ ص: ٣٣٤

(آیه ۶۷)- «و می گویند: پروردگارا! ما از رؤسا و بزرگترهای خود اطاعت کردیم پس آنها ما را گمراه ساختند» (وَ قالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا).

سورة الأحزاب(٣٣): آية ۶۸ ص: ۶۳۴

(آیه ۶۸)- در اینجا این دوزخیان گمراه به هیجان میآیند و مجازات شدید گمراه کنندگان خود را از خمدا میخواهنمد و

می گویند: «پروردگارا! آنها را دو چندان عذاب کن» عذابی بر گمراهیشان و عذابی بر گمراه کردن ما! (رَبَّنا آتِهِمْ ضِة عْفَیْنِ مِنَ الْعَذاب).

«و آنها را لعن كن لعن بزرگى»! (وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً).

مسلما آنها مستحق عذاب و لعن هستند ولى «عذاب مضاعف» و «لعن كبير» به خاطر تلاش و كوششى است كه براى گمراه كردن ديگران داشتهاند.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٦٩ ص: ٦٣٤

(آیه ۶۹) – چه نسبتهای ناروا به موسی (ع) دادند؟ به دنبال بحثهایی که پیرامون احترام مقام پیامبر صلّی الله علیه و آله و ترک هر گونه ایذاء نسبت به آن حضرت در آیات گذشته آمد، در اینجا روی سخن را به مؤمنان کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! مانند کسانی نباشید که موسی را اذیت و آزار کردند، اما خدا او را از همه نسبتهای ناروا مبرّا و پاک نمود، و او در پیشگاه خدا آبرومند و بزرگ منزلت بود» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَکُونُوا کَالَّذِینَ آذَوْا مُوسی فَبَرَّ أَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا و کانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجیهاً).

انتخاب موسی از میان تمام پیامبرانی که مورد ایـذاء قرار گرفتند به خاطر آن است که موذیان بنی اسـرائیل بیش از هر پیامبری او را آزار دادند.

منظور از ایذاء موسی (ع) در اینجا یک حکم کلی و جامع است زیرا بنی اسرائیل از جنبههای مختلف موسی (ع) را ایذاء کر دند، ایذاءهائی که بی شباهت به آزار بعضی از مردم مدینه نسبت به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله نبود مانند پخش شایعات و نقل اکاذیب و نسبت ناروایی که به همسر پیامبر صلّی الله علیه و آله دادند که شرح آن در تفسیر سوره نور ذیل آیات ۱۱ تا ۲۰ گذشت. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۳۵

از این آیه می توان استفاده کرد که هر گاه کسی در پیشگاه خدا وجیه و صاحب قدر و منزلت باشد خدا به دفاع از او در برابر افراد موذی که نسبتهای ناروا به او می دهند می پردازد.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٧٠ ص: ٣٦٥

(آیه ۷۰)- سخن حق بگویید تا اعمالتان اصلاح شود: این آیه به دنبال بحثهایی که در باره شایعه پراکنان و موذیان بدزبان گذشت دستوری صادر می کند که در حقیقت درمان این درد بزرگ اجتماعی است، می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! تقوای الهی پیشه کنید، و سخن حق بگویید ...» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِیداً).

«قول سدید» سخنی است که همچون یک سد محکم جلو امواج فساد و باطل را می گیرد.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٧١ ص: ٣٣٥

(آیه ۷۱)– این آیه نتیجه «قول سدید» و سخن حق را چنین بیان می فرماید:

«تا كارهاى شما را اصلاح كند و گناهانتان را بيامرزد» (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ).

در حقیقت تقوا پایه اصلاح زبان و سر چشمه گفتار حق است، و گفتار حق یکی از عوامل مؤثر اصلاح اعمال، و اصلاح

اعمال سبب آمرزش گناهان است، چرا که «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ اعمال نيک گناهان را از بين ميبرند». (هود/ ١١۴). در پايان آيه ميافزايد: «و هر کس اطاعت خدا و رسولش کند به رستگاري (و پيروزي) عظيمي دست يافته است» (وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً).

چه رستگاری و پیروزی از این برتر و بالاتر که اعمال انسان پاک گردد، و گناهانش بخشوده شود و در پیشگاه خدا رو سفید گردد؟!

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٧٢ ص: 633

(آیه ۷۲) – حمل امانت الهی بزرگترین افتخار بشر: این آیه و آیه بعد که آخرین آیات سوره احزاب است مسائل مهمی را که در این سوره در زمینه ایمان، عمل صالح، جهاد، ایثار، عفت، ادب، و اخلاق آمده است تکمیل می کند، و نشان برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۳۶

مى دهد كه انسان چگونه داراي موقعيت بسيار ممتازي است كه مي تواند حامل رسالت عظيم الهي باشد.

نخست بزرگترین و مهمترین امتیاز انسان را بر تمام جهان خلقت بیان فرموده، می گوید: «ما امانت (تعهد، تکلیف، و ولایت الهیه) را بر آسمانها و زمین و کوهها عرضه داشتیم» (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ).

«اما آنها (موجودات عظیم و بزرگ عالم خلقت) از حَمل آن سر بر تافتند و از آن هراسیدند) (فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنُها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها). بدیهی است ابا کردن آنان از سر استکبار نبود بلکه ابا کردن آنها توأم با اشفاق یعنی ترس و هراس آمیخته با توجه و خضوع به د.

«اما انسان (این اعجوبه عالم آفرینش جلو آمد و) آن را بر دوش کشید»! (وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ).

ولى افسوس كه «او بسيار ظالم و جاهل بود» چون قدر اين مقام عظيم را نشناخت و به خود ستم كرد! (إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا). «امانت الهى» همان قابليت تكامل به صورت نامحدود، آميخته با اراده و اختيار، و رسيدن به مقام انسان كامل و بنده خاص خدا و پذيرش ولايت الهيه است.

اما منظور از «عرضه داشتن» این امانت به آسمانها و زمین و کوهها همان مقایسه نمودن است یعنی هنگامی که این امانت، با استعداد آنها مقایسه شد آنها به زبان حال و استعداد عدم شایستگی خویش را برای پذیرش این امانت بزرگ اعلام کردند. به این ترتیب آسمانها و زمین و کوهها همه با زبان حال فریاد کشیدند که حمل این امانت از عهده ما خارج است.

ولی انسان آن چنان آفریده شده بود که می توانست تعهد و مسؤولیت را بر دوش کشد، و ولایت الهیه را پذیرا گردد، و در جاده عبودیت و کمال به سوی معبود لایزال سیر کند، و این راه را با پای خود و با استمداد از پروردگارش بسپرد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۳، ص: ۶۳۷

البته این پذیرش یک پذیرش قراردادی و تشریفاتی نبوده، بلکه پذیرشی است تکوینی بر حسب عالم استعداد.

اما توصیف انسان به «ظلوم» و «جهول» به خاطر فراموش کاری غالب انسانها و ظلم کردن بر خودشان و عـدم آگاهی از قدر و منزلت آدمی است، همان کاری که از آغاز در نسل آدم به وسیله «قابیل» و خط قابلیان شروع شد و هم اکنون نیز ادامه دارد.

سورة الأحزاب(٣٣): آية ٧٣ ص: ٣٣٧

(آیه ۷۳) – این آیه در حقیقت بیان علت عرضه این امانت به انسان است، بیان این واقعیت است که افراد انسان بعد از حمل این امانت بزرگ الهی به سه گروه تقسیم شدند: منافقان، مشرکان و مؤمنان، می فرماید: «هدف این بوده که خداوند، مردان منافق و زنان منافق، و مردان مشرک و زنان مشرک را عذاب کند و کیفر دهد، و نیز خداوند بر مردان با ایمان و زنان با ایمان رحمت فرستد و خداوند آمرزنده و مهربان است» (لِیُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِینَ وَ الْمُشْرِکِینَ وَ الْمُشْرِکِینَ وَ الْمُشْرِکاتِ وَ یَتُوبَ اللَّهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنِینَ وَ اللَّهُ عَفُوراً رَحِیماً).

«پایان سوره احزاب»

جلد چهارم

پیشگفتار ص: 19

گزیده تفسیر نمونه! بزرگترین سرمایه ما مسلمانان قرآن مجید است. معارف، احکام، برنامه زندگی، سیاست اسلامی، راه به سوی قرب خدا، همه و همه را در این کتاب بزرگ آسمانی مییابیم.

بنابر این، وظیفه هر مسلمان این است که با این کتاب بزرگ دینی خود روز به روز آشناتر شود این از یکسو.

از سوی دیگر آوازه اسلام که بر اثر بیداری مسلمین در عصر ما، و بخصوص بعد از انقلاب اسلامی در سراسر جهان پیچیده است، حس کنجکاوی مردم غیر مسلمان جهان را برای آشنایی بیشتر به این کتاب آسمانی برانگیخته است، به همین دلیل در حاضر از همه جا تقاضای ترجمه و تفسیر قرآن به زبانهای زنده دنیا میرسد، هر چند متأسفانه جوابگویی کافی برای این تقاضاها نیست، ولی به هر حال باید تلاش کرد و خود را آماده برای پاسخگویی به این تقاضاهای مطلوب کنیم.

خوشبختانه حضور قرآن در زنـدگی مسلمانان جهان و بخصوص در محیط کشور ما روز به روز افزایش پیـدا می کنـد، قاریان بزرگ، حافظان ارجمند، مفسران آگاه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۰

در جامعه امروز ما بحمد الله کم نیستند، رشته تخصصی تفسیر در حوزه علمیه قم به صورت یکی از رشتههای تخصصی مهم در آمده و متقاضیان بسیاری دارد، درس تفسیر نیز از دروس رسمی حوزهها و از مواد امتحانی است، و در همین راستا «تفسیر نمونه» نوشته شد، که تفسیری است سلیس و روان و در عین حال پر محتوا و ناظر به مسائل روز و نیازهای زمان، و شاید یکی از دلایل گسترش سریع آن همین اقبال عمومی مردم به قرآن مجید است.

گر چه برای تهیه این تفسیر به اتفاق گروهی از فضلای گرامی حوزه علمیه قم (دانشمندان و حجج اسلام آقایان: محمد رضا آشتیانی – محمد جعفر امامی – داود الهامی – اسد الله ایمانی – عبد الرسول حسنی – سید حسن شجاعی – سید نور الله طباطبائی – محمود عبد اللهی – محسن قرائتی و محمد محمدی اشتهاردی) در مدت پانزده سال زحمات زیادی کشیده شد، ولی با توجه به استقبال فوق العاده ای که از سوی تمام قشرها و حتی برادران اهل تسنن از آن به عمل آمد، تمام خستگی تهیه آن بر طرف گشت و این امید در دل دوستان بوجود آمد که ان شاء الله اثری است مقبول در پیشگاه خدا.

متن فارسی این تفسیر دهها بار چاپ و منتشر شده، و ترجمه کامل آن به زبان «اردو» در (۲۷) جلد نیز بارها به چاپ رسیده است، و ترجمه کامل آن به زبان «عربی» نیز به نام تفسیر «الأمثل» اخیرا در بیروت به چاپ رسید و در نقاط مختلف کشورهای اسلامی انتشار یافت.

ترجمه آن به زبان «انگلیسی» هم اکنون دردست تهیه است که امیدواریم آن هم به زودی در افق مطبوعات اسلامی ظاهر

گر دد.

بعد از انتشار تفسیر نمونه گروه کثیری خواهان نشر «خلاصه» آن شدند.

چرا که مایل بودند بتوانند در وقت کوتاهتر و با هزینه کمتر به محتوای اجمالی آیات، و شرح فشردهای آشنا شوند، و در بعضی از کلاسهای درسی که تفسیر قرآن مورد توجه است به عنوان متن درسی از آن بهره گیری شود. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۱

این درخواست مکرّر، ما را بر آن داشت که به فکر تلخیص تمام دوره (۲۷) جلدی تفسیر نمونه، در پنج جلد بیفتیم ولی این کار آسانی نبود، مدتی در باره آن مطالعه و برنامهریزی شد و بررسیهای لازم به عمل آمد تا این که فاضل محترم جناب مستطاب آقای احمد علی بابائی که سابقه فعالیت و پشتکار و حسن سلیقه ایشان در تهیه «فهرست موضوعی تفسیر نمونه» بر ما روشن و مسلّم بود عهده دار انجام این مهم گردید و در مدت سه سال کار مستمر شبانه روزی این مهم به وسیله ایشان انجام گدید.

اینجانب نیز با فکر قاصر خود کرارا بر نوشته های ایشان نظارت کردم و در مواردی که نیاز به راهنمایی بود به اندازه توانایی مسائل لازم را تذکر دادم، و در مجموع فکر می کنم بحمد الله اثری ارزنده و پربار به وجود آمده که هم قرآن با ترجمه سلیس را در بردارد و هم تفسیر فشرده و گویایی، برای کسانی که میخواهند با یک مراجعه سریع از تفسیر آیات آگاه شوند، می باشد.

و نام آن برگزیده تفسیر نمونه نهاده شد.

و من به نوبه خود از زحمات بیدریغ ایشان تشکر و قدردانی میکنم، امیدوارم این خلاصه و فشرده که گزیدهای است از قسمتهای حساس، و حدیث مجملی از آن مفصل، نیز مورد قبول اهل نظر و عموم قشرهای علاقهمند به قرآن گردد و ذخیرهای برای همه ما در «یوم الجزاء» باشد.

قم- حوزه علمیه ناصر مکارم شیرازی ۱۳ رجب ۱۴۱۴ روز میلاد مسعود امیر مؤمنان حضرت علی علیه السّلام مطابق با ۴/ ۱۰/ ۱۳۷۲

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۳

ادامه جزء 22 ص: 23

سوره سبأ [34] ص: 23

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۵۴ آیه است

محتوای سوره: ص: 23

بحثهای این سوره- که به مناسبت شرح سرگذشت قوم «سبأ» به نام «سبا» نامیده شده- ناظر به پنج مطلب است: ۱- «مسأله توحید» و قسمتی از نشانههای خداوند در عالم هستی، و صفات پاک او از جمله «توحید» «ربوبیّت» و «الوهیّت». ۲- «مسأله معاد» که از همه مسائل در این سوره بیشتر مطرح شده.

۳- «مسأله نبوت انبیای پیشین و مخصوصا پیامبر اسلام» و پاسخ به بهانه جوئیهای دشمنان در باره او، و بیان پارهای از معجزات انبیای سلف.

۴- بیان بخشی از نعمتهای بزرگ خداوند و سرنوشت شکرگزاران و کفران کنندگان، ضمن بیان گوشهای از زندگی سلیمان و قوم سبا.

۵- دعوت به تفكر و انديشه و ايمان و عمل صالح.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 23

در حديثي از پيامبر اسلام صلّى اللّه عليه و اله چنين ميخوانيم:

«کسی که سوره سبأ را بخواند در قیامت تمام انبیا و رسولان رفیق و همنشین او خواهند بود، و همگی با او مصافحه می کنند». در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّ لام چنین نقل شده است: «کسی که دو سورهای را که با حمد آغاز می شود (سوره سبأ و فاطر) در یک شب بخواند، تمام آن برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۴

شب را در حفظ و حراست الهی خواهد بود، و اگر آن دو را در روز بخواند هیچ مکروهی به او نمی رسد، و آن قدر از خیر دنیا و آخرت به او داده می شود که هر گز به قلبش خطور نکرده، و فکر و آرزویش به آن نرسیده است»! مسلما این پاداشهای عظیم نصیب کسانی نمی شود که تنها به خواندن و لقلقه زبان قناعت کنند، بلکه خواندن باید مقدمه ای باشد برای اندیشیدن که آن نیز انگیزه عمل است.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ ١ ص: 24

(آیه ۱)- او مالک همه چیز و عالم به همه چیز است: پنج سوره از سورههای قرآن مجید با حمد پروردگار شروع می شود که در سه سوره، حمد و ستایش خداوند به خاطر آفرینش آسمان و زمین و موجودات دیگر است (سوره سبأ، فاطر، و انعام).

و در یک سوره (سوره کهف) این حمد و ستایش به خاطر نزول قرآن بر قلب پاک پیامبر صلّی اللّه علیه و اله میباشد.

در حالى كه در سوره حمد تعبير جامعي شده كه همه اين امور را در بر مي گيرد «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ».

به هر حال سخن در آغاز سوره «سبأ» از حمد و سپاس خداست به خاطر مالکیت و حاکمیت او در دنیا و آخرت.

مى فرمايىد: «حمد مخصوص خداونىدى است كه تمام آنچه در آسمانها و زمين است از آن اوست» (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْض).

«و نیز حمد و سپاس برای او در سرای آخرت است» (وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ).

چرا که هر نعمتی، و هر فایده و برکتی، و هر خلقت موزون و شگرف و عجیبی، همه تعلق به ذات پاک او دارد.

بنابر این هر کس در این عالم مـدح و ستایشـی از چیزی کنـد این حمـد و سـتایش سـر انجام به ذات پاک او بر می گردد، و به گفته شاعر: برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۵

به جهان خرّم از آنم که جهان خرّم از اوست عاشقم بر همه عالم، که همه عالم از اوست و در پایان آیه می افزاید: «و او حکیم

و خبير است» (وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ).

بر اساس حکمت بالغه اوست که این نظام عجیب بر جهان حکومت می کند، و بر اساس علم و آگاهی اوست که هر چیز به جای خود قرار گرفته، و هر موجودی آنچه را که نیاز دارد در اختیار دارد.

این حمد نه تنها از زبان انسانها و فرشتگان است که از تمام ذرات جهان هستی نیز زمزمه حمد و تسبیح او به گوش هوش میرسد، هیچ موجودی نیست جز این که حمد و تسبیح او می گوید.

سورهٔ سبإ (٣٤): آيهٔ ٢ ص: ٢٥

(آیه ۲)- ایـن آیه به شـرح گـوشهای از علم بیپایـان پروردگـار به تنـاسب توصیف خداونـد به «حکیم» و «خـبیر» در آیه قبل پرداخته، چنین می گویـد: «آنچه را در زمین فرو میرود و آنچه را از آن خـارج میشود میدانـد» (یَعْلَمُ ما یَلِــُجُ فِی الْأَرْضِ وَ ما یَخْرُجُ مِنْها).

آری! او از تمام قطرات باران و امواج سیلاب که در اعماق زمین فرو میروند و به طبقه نفوذ ناپذیر میرسند و در آنجا متمرکز و برای انسانها ذخیره میشوند آگاه است.

او از دانههای گیاهان که در زمین فرو میروند و روزی به درخت سرسبز یا گیاه پر طراوتی تبدیل می گردند با خبر است. از ریشههای درختان به هنگامی که در جستجوی آب و غذا به اعماق زمین پیشروی میکنند.

از امواج الکتریسته، از گازهای مختلف و ذرات هوا که به داخل زمین نفوذ میکنند، و نیز از گنجها و دفینهها و اجساد مردگان اعم از انسانها و غیر انسانها که در این زمین گسترده دفن میشوند، آری از همه اینها با خبر است.

همچنین از گیاهانی که از زمین خارج میشوند، از انسانها که از آن برخاستهاند، از چشمههایی که از آن میجوشد، از گازهایی که از آن بر میخیزد، از برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۶

آتشفشانهایی که از آن زبانه می کشد، و خلاصه از تمام موجوداتی که از اعماق زمین بیرون میریزند، اعم از آنچه ما میدانیم و نمیدانیم، او از همه آنها مطلع و آگاه است.

سپس میافزاید: «او از آنچه از آسمان نـازل میشود و یـا به آسـمان بالاـ میرود باخبر است» (وَ ما یَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما یَعْرُجُ فِیها).

از دانه های باران، از اشعه حیات بخش خورشید، از امواج نیرومند وحی و شرایع آسمانی، از فرشتگانی که برای ابلاغ رسالت یا انجام مأموریتهای دیگر به زمین نزول می کنند، از اشعه کیهانی که از ماوراء جوّ به زمین نازل می شود، از شهابها و سنگریزه های سرگردان فضا که به سوی زمین جذب می شوند، او از همه اینها مطلع است.

و نیز از اعمال بندگان که به آسمان عروج می کند، از فرشتگانی که پس از ادای رسالت خود به آسمان باز می گردند، از شیاطینی که برای استراق سمع به آسمانها میروند، از بخارهایی که از دریا بر می خیزد و بر فراز آسمان ابرها را تشکیل میدهد، از آهی که از دل مظلومی بر می خیزد و به آسمان صعود می کند، آری از همه اینها آگاه است.

و در پایان می افزاید: «اوست مهربان و آمرزنده» (وَ هُوَ الرَّحِیمُ الْغَفُورُ).

سورهٔ سبإ (٣٤): آيهٔ ٣ ص: ٢۶

(آیه ۳)- به پروردگار سوگند قیامت خواهد آمد! آیات گذشته در عین این که از توحید و صفات خدا سخن می گفت زمینه ساز مسأله معاد بود، زیرا بحث معاد جز از طریق علم بی پایان حق حل نمی شود.

لذا آيه مي گويد: «و كافران گفتند: (اين دروغ است كه قيامتي در پيش داريم) هر گز قيامت به سراغ ما نمي آيد»! (وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ).

آنها میخواستند از این طریق آزادی عمل پیدا کنند و هر کاری از دستشان ساخته است- به این امید که حساب و کتاب و عدل و دادی در کار نیست- انجام دهند.

اما از آنجا که دلائل قیامت روشن است قرآن با یک جمله قاطع و به صورت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۷ بیان نتیجه به پیامبر صلّی اللّه علیه و اله می گوید: «بگو: آری، به پروردگارم سوگند که قیامت به سراغ همه شـما خواهد آمد» (قُلْ بَلی وَ رَبِّی لَتَأْتِیَنَّکُمْ).

تکیه روی کلمه «ربّ» به خاطر این است که قیامت از شؤون ربوبیّت است، چگونه ممکن است خداوند مالک و مربی انسانها باشد و آنها را در مسیر تکامل پیش ببرد اما نیمه کاره رها کند و با مرگ همه چیز پایان گیرد! و از آنجا که یکی از اشکالات مخالفان معاد این بوده که به هنگام خاک شدن بدن انسان، و پراکنده شدن اجزای آن در اطراف زمین، چه کسی می تواند آنها را بشناسد و جمع کند و به آنها را بشناسد و جمع کند و به زندگی نوین باز گرداند؟ از سوی دیگر چه کسی می تواند آنها را بشناس و درون و برون زندگی نوین باز گرداند؟ از سوی دیگر چه کسی می تواند حساب این همه اعمال بندگان را در نهان و آشکار و درون و برون نگاه دارد و به موقع به این حسابها برسد؟ لذا در دنباله آیه اضافه می کند: «او از تمام امور پنهانی باخبر است و به اندازه سنگینی ذرهای در تمام آسمانها و نه در زمین از حوزه علم بی پایان او بیرون نخواهد بود» (عالِمِ الْغَیْبِ لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّهٔ فِی النَّرْض).

«و نه کوچکتر از ذره، و نه بزرگتر از آن، مگر این که همه اینها در کتاب مبین ثبت و ضبط است» (وَ لا أَصْ غَرُ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتابِ مُبِينِ).

سورة سبإ(34): آية 4 ص: 27

(آیه ۴)- سپس ضمن دو آیه هدف قیام قیامت را بیان می کند، و یا به تعبیر دیگر دلیل بر لزوم چنین عالمی را بعد از جهان کنونی در برابر منکران شرح داده، می فرماید: «هدف این است آنها را که ایمان آوردهاند و عمل صالح انجام دادهاند پاداش دهد» (لیَجْزِیَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ).

آرى «براى آنها مغفرت و روزى پرارزشى است» (أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ).

آیا اگر مؤمنان صالح العمل به پاداش خود نرسند اصل عدالت که از اساسی ترین اصول خلقت است تعطیل نمی گردد؟

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ۵ ص: ۲۷

(آیه ۵)- و از آنجا که بخش دیگر عدالت در مورد مجازات گنهکاران و مجرمان است در این آیه میافزاید: «و کسانی که سعی در (تکذیب) آیات ما برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۸

داشتند، و گمان کردنـد از حوزه قـدرت ما می تواننـد بگریزند، عذابی بد و دردناک خواهند داشت» (وَ الَّذِینَ سَـعَوْا فِی آیاتِنا

مُعاجِزِينَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ).

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ 6 ص: 28

(آیه ۶)- عالمان، دعوت تو را حق می دانند: در آیات گذشته سخن از بی خبران کوردلی بود که قاطعانه معاد را با آن همه دلائل، انکار می کردند.

به همین مناسبت در این آیه سخن از عالمان و اندیشمندانی می گوید که به تصدیق آیات الهی و تشویق دیگران به پذیرش آن می پردازند، می فرماید: «کسانی که به ایشان علم داده شده، آنچه را از سوی پروردگارت بر تو نازل شده حق میدانند که به راه خداوند عزیز و حمید هدایت می کند» (وَ یَرَی الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ هُوَ الْحَقَّ وَ یَهْدِی إِلی صِهراطِ الْعَرْیز الْحَمِیدِ).

(الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) همه دانشمندان و انديشمندان را در هر عصر و هر زمان و مكان در بر مي گيرد.

امروز کتابهای مختلفی از سوی دانشمندان غربی و شرقی در باره اسلام و قرآن تألیف یافته که در آنها اعترافات بسیار گویا و روشنی بر عظمت اسلام و صدق آیه فوق دیده میشود.

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ٧ ص: ۲۸

(آیه ۷)- در این آیه بار دیگر به مسأله قیامت و رستاخیز باز می گردد و بحثهای گذشته را به صورت دیگری تکمیل می کند، می فرماید: «و کافران گفتند:

آیا مردی را به شما نشان دهیم که خبر میدهد هنگامی که همگی خاک شدید و ذرات بدن شما از یکدیگر جدا شد و هر یک در گوشهای قرار گرفت (و یا شاید جزء بدن حیوان یا انسان دیگری شد) بار دیگر به آفرینش تازهای باز می گردید»؟! (وَ قَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا هَلْ نَدُلُّکُمْ عَلی رَجُلِ یُنَبِّئُکُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ کُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّکُمْ لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ).

به نظر می رسد اصرار آنها بر مسأله انکار معاد از دو امر سر چشمه گرفته، نخست این که: چنین می پنداشتند معادی که پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله مطرح می کرد (معاد جسمانی) مطلبی است آسیب پذیر! دیگر این که اعتقاد به معاد و یا حتی قبول احتمالی آن به هر حال در انسان برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۹

ایجاد مسؤولیت و تعهد می کند، و این مطلبی بود که برای سردمداران کفر سخت خطرناک محسوب می شد.

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ٨ ص: ٢٩

(آیه ۸)- و عجب این که آنها این سخن را دلیل بر دروغگویی و یا جنون گویندهاش می گرفتند، و می گفتند: «آیا او بر خدا دروغ بسته؟ یا نوعی جنون دارد»؟

(أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّهُ). و گر نه آدم راستگو و عاقل چگونه ممكن است لب به چنین سخنی بگشاید؟! ولی قرآن به طرز قاطعی به آنها چنین پاسخ می گوید: چنین نیست نه او دیوانه است و نه دروغگو «بلکه آنها که ایمان به آخرت ندارند (هم اکنون) در عذاب و گمراهی دوری هستند» (بَلِ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِی الْعَذَابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِیدِ). چه گمراهی از این آشکارتر که انسان منکر معاد شود.

به راستی اگر زندگی محدود به همین چند روز عمر دنیا بود تصور مرگ برای هر انسانی کابوس وحشتناکی می شد به همین دلیل منکران معاد همیشه در یک نوع نگرانی جانکاه و عذاب الیم به سر می برند در حالی که مؤمنان به معاد مرگ را دریچهای به سوی جهان بقا، و وسیلهای برای شکسته شدن قفس و آزادی از این زندان می شمرند.

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ ۹ ص: 29

(آیه ۹) – سپس به دلیل دیگری پیرامون معاد، دلیلی تو أم با تهدید غافلان لجوج، پرداخته چنین می گوید: «آیا به آنچه پیش رو و پشت سر آنان از آسمان و زمین قرار گرفته نگاه نکردند»؟ (أَ فَلَمْ یَرَوْا إِلَی ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ). این آسمان با این همه اختران ثابت و سیار و همچنین این زمین با تمام موجودات زنده و برکات و مواهبش، گویاترین دلیل بر قدرت آفریدگار است.

این همان «برهان قدرت» است که در آیات دیگر قرآن در برابر منکران معاد به آن استدلال شده از جمله در آیه ۸۲ سوره یس و آیه ۹۹ سوره اسراء.

در ضمن، این جمله مقدمهای است برای تهدید این گروه متعصب تیره دل که اصرار دارند چشم به روی همه حقایق ببندند، لذا به دنبال آن می فرماید: «اگر ما برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۰

بخواهیم به زمین دستور میدهیم پیکر آنها را در خود فرو برد» زلزلهای ایجاد شود، زمین شکاف بردارد و در میان آن دفن گردند! (إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ).

«و یا (اگر بخواهیم) فرمان میدهیم قطعات سنگهای آسمانی بر آنها فرو بارد» و خودشان و خانه و زندگیشان را در هم بکوبد (أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ).

آری «در این موضوع، نشانه روشنی است (بر قـدرت خداونـد و توانـایی او بر همه چیز، اما برای هر بنـدهای که به سوی خـدا بازگردد» و فکر و اندیشه خود را به کار گیرد (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِکُلِّ عَبْدٍ مُنِیبِ).

ما که از هر سو در قبضه قدرت او قرار داریم چگونه می توانیم توانائیش را بر معاد انکار کنیم! و یا چگونه می توانیم از حوزه حکومت او فرار نمائیم.

سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۱۰ ص: ۳۰

(آیه ۱۰)- مواهب بزرگ خدا بر داود! از آنجا که در آیه قبل سخن از «عبد منیب» و بنده توبه کار بود و میدانیم این توصیف در بعضی از آیات قرآن (ص/ ۲۴) برای داود پیامبر ذکر شده است چه بهتر که گوشهای از حال این پیامبر بزرگ و فرزندش سلیمان به عنوان یک الگو بازگو شود و بحث گذشته تکمیل گردد.

ضمنا هشداری باشد برای همه کسانی که نعمتهای خدا را به دست فراموشی میسپرند و به هنگامی که بر اریکه قدرت مینشینند خدا را بنده نیستند.

آیه می گوید: «ما به داود از فضل خود نعمتی بزرگ بخشیدیم» (وَ لَقَدْ آتَیْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلًا).

بعد از این اشاره سر بسته به شرح آن می پردازد و قسمتی از فضائل معنوی و بخشی از فضیلتهای مادی داود را بدین گونه شرح می دهد: ما گفتیم «ای کوهها! با داود هم صدا شوید و همچنین شما ای پرندگان با او هم آواز گردید» و هر گاه او ذکر و

تسبيح خدا مي گويد زمزمه را سر دهيد (يا جِبالُ أُوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ).

در روایتی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: «داود به سوی دشت و بیابان خارج شد، و هنگامی که زبور را تلاوت می کرد هیچ کوه و سنگ و پرندهای نبود مگر این که با او هم صدا می شد». بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۱ بعد از ذکر این فضیلت معنوی به ذکر یک فضیلت مادّی پرداخته، می گوید:

«و ما آهن را براى او نرم كرديم» (وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ).

ظاهر آیه این است که، نرم شدن آهن در دست داود به فرمان الهی و به صورت اعجاز انجام می گرفت.

در حدیثی آمده است که خداوند به داود وحی فرستاد «تو بنده خوبی هستی جز این که از بیت المال ارتزاق میکنی، داود چهل روز گریه کرد (و از خدا راه حلی خواست) خداوند آهن را برای او نرم کرد، و هر روز زرهی میساخت ... و به این وسیله از بیت المال بینیاز شد».

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ١١ ص: ٣١

(آیه ۱۱)– این آیه شرحی برای زره ساختن داود و فرمان بسیار پر معنی پروردگار در این زمینه است، میگوید: ما به او گفتیم «زرههای کامل بساز، و حلقههای آنها را به اندازه و متناسب کن» (أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَ قَدِّرْ فِی السَّرْدِ).

در واقع خداوند به داود دستوری میدهد که باید سرمشقی برای همه صنعتگران و کارگران با ایمان جهان باشد، دستور محکم کاری و رعایت دقت در کیفیت و کمیت در مصنوعات، آن چنان که مصرف کنندگان به خوبی و راحتی بتوانند از آن استفاده کنند، و از استحکام کامل برخوردار باشد.

و در پایان آیه داود و خانـدانش را مخاطب ساخته، می گویـد: «عمل صالـح به جا آورید که من نسبت به آنچه انجام میدهید بصیر و بینا هستم» (وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّی بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ).

هدف ساختن زره و کسب در آمد نیست، هدف عمل صالح است، و اینها وسیلهای است در آن مسیر که هم داود از آن بهره می گرفت و هم خاندان و قومش.

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ ۱۲ ص: 31

(آیه ۱۲) - حشمت سلیمان و مرگ عبرت انگیز او! به دنبال بحث از مواهبی که خدا به داود داده بود سخن را به فرزندش سلیمان می کشاند، و از سه موهبت بزرگ - که از عوامل مهم اداره یک کشور پهناور است - بحث می کند، می فرماید: «و برای سلیمان باد را مسخّر ساختیم که صبحگاهان مسیر یک ماه را می پیمود و عصر گاهان مسیر یک ماه را»! (وَ لِسُلَیْمانَ الرِّیحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۲

جالب این که برای پدر جسم خشن و فوق العاده محکمی یعنی آهن را مسخّر میکند و برای فرزند موجود بسیار لطیف! ولی هر دو کار سازنده و اعجاز آمیزند.

در این که بـاد چگونه دسـتگاه سـلیمان (کرسـی یـا فرش او را) به حرکت در می آورد، بر ما روشن نیست، همین قـدر میدانیم هیچ چیز در برابر قدرت خدا مشکل و پیچیده نمیباشد.

سپس به دومین موهبت الهی نسبت به سلیمان اشاره کرده، می گوید: «و برای او چشمه مس (مذاب) را روان ساختیم»! (وَ أَسَلْنا

لَهُ عَيْنَ الْقِطْر).

چگونگی این امر نیز دقیقا بر ما روشن نیست، همین اندازه میدانیم که از الطاف الهی در باره این پیامبر بزرگ بود. و بالأخره به بیان سومین موهبت پروردگار نسبت به سلیمان یعنی تسخیر گروه عظیمی از جن پرداخته، چنین میگویـد: «و گروهی از جن پیش روی او به اذن پروردگار برایش کار میکردند» (وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ یَعْمَلُ بَیْنَ یَدَیْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ).

«و هرگاه کسی از آنها از فرمان ما سرپیچی میکرد او را با آتش سوزان مجازات میکردیم» (وَ مَنْ یَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُـذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِیرِ).

سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۱۳ ص: ۳۲

(آیه ۱۳) - در این آیه به بخشی از کارهای مهم تولیدی گروه جن که به فرمان سلیمان انجام می دادند اشاره کرده، چنین می گوید: «سلیمان هر چه می خواست از معبدها، و تمثالها، و ظرفهای بزرگ غذا که همچون حوضهای بزرگ بود، و دیگهای عظیم ثابت برای او تهیه می کردند» (یَعْمَلُونَ لَهُ ما یَشاءُ مِنْ مَحارِیبَ وَ تَماثِیلَ وَ جِفانٍ کَالْجَوابِ وَ قُدُورٍ راسِیاتٍ).

که بخشی از آنها مربوط به مسائل معنوی و عبادی بود، و بخشی با نیازهای جسمانی انسانها و جمعیت عظیم لشکریان و کارگزارانش تناسب داشت.

در پایان آیه، بعد از ذکر این مواهب خداوند خطاب به دودمان حضرت داود کرده، میفرماید: «ای آل داود! شکر گزاری کنید» (اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُکْراً).

«اما عده كمى از بندگان من شكر گزارند»! (وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ).

منظور از شکر گزاری در اینجا «شکر در عمل» است یعنی استفاده از مواهب بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۳

در مسیر همان اهدافی که به خاطر آن آفریده و اعطا شدهاند، و مسلم است کسانی که مواهب الهی را عموما در جای خود به کار گیرند اندکی بیش نیستند.

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ ۱۴ ص: 33

(آیه ۱۴) - این آیه که در عین حال آخرین سخن پیرامون «سلیمان» در اینجا است، از مرگ عجیب و عبرت انگیز این پیامبر بزرگ خدا سخن می گوید، و این واقعیت را روشن میسازد که پیامبر با آن عظمت، و حکمرانی با آن قدرت و ابهت، چگونه به آسانی جان به جان آفرین سپرد.

میفرماید: «هنگامی که مرگ را برای سلیمان مقرر کردیم کسی مردم را از مرگ او آگاه نساخت، مگر جنبندهای از زمین که عصای او را میخورد» تا عصا شکست و پیکر سلیمان فرو افتاد (فَلَمَّا قَضَیْنا عَلَیْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلی مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّهُ الْأَرْضِ تَأْکُلُ مِنْسَأَتَهُ).

لـذا بعـد از آن مىافزايـد: «هنگامى كه سـليمان فرو افتاد جنيان فهميدند كه اگر از غيب آگاه بودند در عذاب خواركننده باقى نمىماندند» (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ).

یعنی تا آن زمان گروه جن از مرگ سلیمان آگاه نبودند و فهمیدند که اگر از اسرار غیب آگاه بودند در این مدت در زحمت و رنج کارهای سنگین باقی نمیماندند.

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ١٥ ص: ٣٣

(آیه ۱۵) – تمدن درخشانی که بر اثر کفران بر باد رفت! بعد از بیان نعمتهای مهمی که خداوند به داود و سلیمان ارزانی داشتند، و قیام این دو پیامبر به وظیفه شکر گزاری، سخن از قوم دیگری به میان می آورد که در نقطه مقابل آنها قرار داشتند، قومی بودند که خدا انواع نعمتها را به آنها بخشید، ولی راه کفران را در پیش گرفتند، و آنها «قوم سبا» بودند.

قرآن مجید سرگذشت عبرت انگیز آنها را ضمن پنج آیه بیان کرده، نخست می گوید: «برای قوم سبا در محل سکونتشان نشانه ای (از قدرت الهی) بود» (لَقَدْ کَانَ لِسَبَإٍ فِی مَسْکَنِهِمْ آیَةً).

معروف این است که «سبا» نام پدر اعراب «یمن» است، ولی ممکن است سبا بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۴

در ابتدا نام کسی بوده، سپس تمام فرزندان و قوم او به آن نام نامیده شدهاند، و بعد این اسم به سرزمین آنها نیز منتقل گردیده. سپس قرآن به شـرح این آیت الهی که در اختیـار قـوم سـبا قرار داشت پرداخته چنین می گویـد: «دو بـاغ (بزرگ) بود از طرف راست و چپ» (جَنَّتانِ عَنْ یَمِینِ وَ شِمالٍ).

ماجرا چنین بود که قوم سبا توانستند با سدّ عظیمی که در میان کوههای مهم آن ناحیه بر پا ساختنـد سیلابهای فراوانی را در پشت آن سد عظیم ذخیره کنند، و به این ترتیب سرزمینهای وسیع و گستردهای را زیر کشت درآورند.

سپس میافزایـد: ما به آنها گفتیم «از روزی پروردگارتان بخوریـد و شکر او را به جا آوریـد» (کُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّکُمْ وَ اشْکُرُوا لَهُ).

«شهری است پاکیزه و پروردگاری آمرزنده و مهربان» (بَلْدَةٌ طَیِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ).

از نظر نعمتهای مادی هوایی پاک و نسیمی فرح افزا داشت، و سرزمینی حاصلخیز و درختانی پربار و اما از نظر نعمت معنوی غفران خداونـد شامـل حال آنها بود، از تقصـیر و کوتاهی آنها صـرف نظر میکرد، و آنها را مشـمول عـذاب و سـرزمینشان را گرفتار بلا نمیساخت.

سورهٔ سبإ (۳۴): آيهٔ ۱۶ ص: ۳۴

(آیه ۱۶) - اما این ناسپاس مردم از بوته آزمایش سالم بیرون نیامدند لندا میفرماید: «آنها از خدا روی گردان شدند» (فَأَعْرَضُوا).

نعمتهای خدا را ناچیز شمردند، عمران و آبادی و امنیت را ساده انگاشتند، از یاد حق غافل شدند، و مست نعمت گشتند. اینجا بود که شلاق مجازات بر پیکر آنها نواخته شد، چنانکه قرآن می گوید:

«پس ما سیل وحشتناک و بنیان کن را بر آنها فرستادیم» و سرزمین آباد آنها به ویرانهای مبدّل شد (فَأَرْسَلْنَا عَلَیْهِمْ سَیْلَ الْعَرِمِ). سپس قرآن وضع بازپسین این سرزمین را چنین توصیف می کند: «ما دو باع وسیع و پرنعمت آنها را به دو باغ بیارزش با میوههای تلخ و درختان بیمصرف برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۵

شوره گز و اندكى از درخت سدر مبدل ساختيم» (وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ). تو خود حدیث مفصل بخوان از این مجمل، که چه بر سر آنها و سرزمین آبادشان آمد!

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ١٧ ص: ٣٥

(آیه ۱۷)- در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری با صراحت می گوید: «این کیفر را به خاطر کفرانشان به آنها دادیم» (ذلِکَ جَزَیْناهُمْ بما کَفَرُوا).

اما برای این که تصور نشود این سرنوشت مخصوص به این گروه بود، بلکه عمومیت آن نسبت به همه کسانی که دارای اعمال مشابهی هستند مسلم است چنین میافزاید: «و آیا جز کفران کننده را کیفر میدهیم»؟ (وَ هَلْ نُجازِی إِلَّا الْکَفُورَ).

سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۱۸ ص: ۳۵

(آیه ۱۸)– چنان آنها را متلاشی کردیم که ضرب المثل شدند! در این آیه شرح و تفصیل بیشتری پیرامون قوم سبأ میدهد، به گونهای که برای هر شنونده درسی است بسیار مهم و آموزنده.

می فرماید: سرزمین آنها را تا آن حد آباد کردیم که نه تنها شهرهایشان را غرق نعمت ساختیم بلکه «میان آنها و سرزمینهایی را که برکت به آن داده بودیم شهرها و آبادیهایی آشکار قرار دادیم» (وَ جَعَلْنا بَیْنَهُمْ وَ بَیْنَ الْقُرَی الَّتِی بارَکْنا فِیها قُریً ظاهِرَهُ). در حقیقت در میان آنها و سرزمین مبارک آبادیهای متصل و زنجیرهای وجود داشت، و فاصله این آبادیها به اندازهای کم بود که از هر یک دیگری را می دیدند.

- و این است معنی «قری ظاهرهٔ» آبادیهای آشکار.

منظور از «سرزمینهای مبارک» «صنعاء» یا «مأرب» میباشد که هر دو در منطقه یمن واقع شده است.

ولی از آنجا که تنها عمران کافی نیست، و شرط مهم و اساسی آن «امنیت» است اضافه می کند: «ما در میان این آبادیها فاصلههای مناسب و نزدیک مقرّر کردیم» (وَ قَدَّرْنا فِیهَا السَّیْرَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۶

و به آنها گفتیم: «در میان این قریهها شبها و روزها در امنیت کامل مسافرت کنید» (سِیرُوا فِیها لَیالِیَ وَ أَیّاماً آمِنِینَ).

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ 19 ص: 38

(آیه ۱۹) – اما این مردم ناسپاس گرفتار غرور و غفلت شدند، از مسیر حق منحرف شده و به دستورات الهی بیاعتنا گردیدند. از جمله تقاضاهای جنون آمیز آنها این بود که از خداوند تقاضا کردند در میان سفرهای آنها فاصله افکند، «پس گفتند: پروردگارا! میان سفرهای ما دوری بیفکن» تا بینوایان نتوانند دوش به دوش اغنیا سفر کنند! (فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَیْنَ أَسْفارِنا). منظورشان این بود که در میان این قریههای آباد فاصلهای بیفتد و بیابانهای خشکی پیدا شود، به این جهت که اغنیا و ثروتمندان مایل نبودند افراد کم درآمد همانند آنها سفر کنند، و به هر جا میخواهند بیزاد و توشه و مرکب بروند! گویی سفر از افتخارات آنها و نشانه قدرت و ثروت بود.

به هر حال «آنها (با این عملشان) به خودشان ستم کردند» (وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ).

آری! اگر فکر می کردند به دیگران ستم می کردند در اشتباه بودند، خنجری برداشته بودند و سینه خود را می شکافتند. چه تعبیر جالبی! قرآن به دنبال این جمله که در باره سرنوشت دردناک آنها بیان می کند، می گوید: چنان آنها را مجازات کردیم، و زندگیشان را در هم پیچیدیم که «آنها را سر گذشت و داستان و اخباری برای دیگران قرار دادیم»! (فَجَعَلْناهُمْ أُحادیثَ).

آری! از آن همه زندگانی با رونق و تمدّن درخشان و گسترده چیزی جز اخباری بر سر زبانها، و یادی در خاطرهها، و سطوری

بر صفحات تاریخها باقی نماند، «و آنها را سخت متلاشی و پراکنده ساختیم» (وَ مَزَّقْناهُمْ کُلُّ مُمَزَّقٍ).

چنان سرزمین آنها ویران گشت که برای ادامه زندگی مجبور شدند هر گروهی به سویی روی آورند آن چنان که پراکندگی آنها به صورت «ضرب المثل» در آمـد که هرگاه میخواسـتند بگویند فلان جمعیت سـخت متلاشـی شدند، میگفتند: «تفرّقوا ایادی سبا» همانند قوم سبا و نعمتهای آنها پراکنده شدهاند»! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۷

و در پایان آیه میفرماید: «در این ماجرا نشانههای عبرتی است برای هر صبر کننده شکرگزار» (إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَ_ّ بَّارٍ شَکُور).

این به خاطر آن است که آنها به واسطه صبر و استقامتشان مرکب سرکش هوی و هوس را مهار میکنند و در برابر معاصی پر قدرتند، و به خاطر شکرگزاریشان در طریق اطاعت خدا آماده و بیدارند به همین دلیل به خوبی عبرت میگیرند.

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ 20 ص: 27

(آیه ۲۰)- هیچ کس مجبور به پیروی وسوسه های شیطان نیست! در اینجا یک نوع نتیجه گیری کلی از داستان «قوم سبا» کرده، می فرماید: «به یقین ابلیس گمان خود را در بـاره آنهـا (و هر جمعیتی که از ابلیس پیروی کننـد) محقق یافت»! (وَ لَقَـدْ صَـدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ).

«پس آنان همگی از او پیروی کردند جز گروه اندکی از مؤمنان» (فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

یـا به تعبیر دیگر پیش بینی ابلیس که بعـد از سـرپیچی از سـجده برای آدم و طرد شـدن از درگـاه کبریـایی خداونـد گفت: «به عزتت سوگند که همه آنها را جز بندگان مخلصت گمراه خواهم کرد» در باره این گروه درست از آب درآمد. (نمل/ ۱۹)

سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۲۱ ص: ۳۷

(آیه ۲۱)- در این آیه در رابطه با وسوسه های ابلیس و کسانی که در حوزه نفوذ او قرار می گیرند، و آنها که بیرون از این حوزهاند، به دو مطلب اشاره می کند، نخست می گوید: «شیطان سلطهای بر آنها نداشت» و کسی را به پیروی خود نمی تواند مجبور کند (وَ ما کانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ).

قرآن در جای دیگر از گفتار خود شیطان نقل می کند: «من سلطهای بر شما نداشتم جز این که شما را دعوت کردم و شما هم دعوت مرا اجابت نمودید. (ابراهیم/ ۲۲).

ولی پیداست بعد از اجابت دعوت او از ناحیه افراد بی ایمان و هوی پرست او آرام نمی نشیند و پایه های سلطه خود را بر وجود آنان مستحکم می کند.

لذا در دنباله آیه میافزاید: «هدف (از آزادی ابلیس در وسوسههایش) این بود، که مؤمنان به آخرت از افراد بیایمان و کسانی که در شکّند شناخته شوند» (إِلَّا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۸

لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكِّ)

.و در پایان آیه به عنوان یک هشدار به همه بنـدگان میگویـد: «و پروردگار تو حافظ همه چیز و نگاهبان آن است» (وَ رَبُّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ حَفِیظٌ).

تا پیروان شیطان تصور نکنند چیزی از اعمال و گفتار آنها در این جهان از بین میرود یا خداوند آن را فراموش میکند.

سورهٔ سبإ (۳۴): آیهٔ ۲۲ ص: ۳۸

(آیه ۲۲)- بخش قابل ملاحظهای از آیات این سوره پیرامون مبدأ و معاد و اعتقادات حق سخن می گوید، و از پیوند آنها مجموعهای از معارف راستین حاصل می شود.

در اینجا مشرکان را به محاکمه میکشد، با ضربات کوبنده سؤالات منطقی آنها را به زانو در میآورد، و بیپایه بودن منطق پوسیده آنها را در زمینه شفاعت بتها آشکار میسازد.

می فرماید: «به آنها بگو: کسانی را که غیر از خـدا (معبود خود) می پندارنـد بخوانید» (قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ). اما بدانید آنها هرگز دعای شما را اجابت نمی کنند و گرهی از کارتان نمی گشایند.

سپس به دلیل این سخن پرداخته، می گوید: این به خاطر آن است که «این معبودهای ساختگی نه مالک ذرهای در آسمان و زمینند، و نه شرکت و نصیبی در خلقت و مالکیت آنها دارند، و نه هیچ یک از آنها یاور خداوند در آفرینش بودهاند»! (لا یَمْلِکُونَ مِثْقَالَ ذَرَّهٍٔ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ وَ ما لَهُمْ فِیهِما مِنْ شِرْکٍ وَ ما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِیرٍ).

واجب الوجود یکی است، و بقیه همه ممکن الوجود و وابسته به اویند، که اگر لحظهای نظر لطفش از آنها برداشته شود راهی دیار عدم میشوند «اگر نازی کند یک دم، فرو ریزند قالبها»!

سورهٔ سبإ(۳۴): آیهٔ ۲۳ ص: ۳۸

(آیه ۲۳) - در اینجا فورا این سؤال به ذهن می آید که اگر چنین است پس مسأله «شفاعت» شفیعان چه می شود؟ در این آیه به پاسخ این سؤال پرداخته، چنین می گوید: اگر شفیعانی در در گاه بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۹ خدا وجود دارند آن هم به اذن و فرمان اوست، زیرا: «هیچ شفاعتی نزد او جز برای کسانی که اذن داده فایده ندارد» (وَ لا تَنْفَحُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ).

بنابر این، بهانه بت پرستان برای پرستش بتها که می گفتند: «اینها شفیعان ما نزد خدایند»! (یونس/ ۱۸) به این وسیله قطع می شود، چرا که خدا هر گز اجازه شفاعتی به آنها نداده است.

بعد از این جمله چنین می گوید: در آن روز اضطراب و وحشتی بر دلها چیره می شود هم شفاعت کنندگان و هم شفاعت شوندگان غرق در اضطراب می شوند، و در انتظار این هستند که ببینند خداوند به چه کسانی اجازه شفاعت می دهد؟

و در باره چه کسانی؟ و این حالت اضطراب و نگرانی همچنان ادامه می یابـد «تا زمانی که فزع و اضطراب از دلهای آنها زایل گردد» و فرمان از ناحیه خدا صادر شود (حَتَّی إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ).

اینجاست که هر دو گروه رو به یک دیگر می کنند و از هم «می پرسند (یا مجرمان از شافعان می پرسند) پروردگار شما چه دستوری داد»؟ (قالُوا ما ذا قالَ رَبُّکُمْ).

در پاسخ «می گویند: خداوند حق را بیان کرد» (قالُوا الْحَقَّ).

و «حق» چیزی جز اجازه شفاعت در باره آنها که رابطه خود را بکلی از درگاه خدا قطع نکردهاند نمی باشد.

و در پایان آیه اضافه می کند: «و اوست خداوند بلند مقام و بزرگ مرتبه» (وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ).

در حقیقت آنها می گویند: چون خداوند علی و کبیر است هر دستوری میدهد عین واقعیت و هر واقعیتی منطبق بر دستور اه ست.

سورهٔ سبإ (۳۴): آيهٔ ۲۴ ص: ۳۹

(آیه ۲۴) - در این آیه از طریق دیگری برای ابطال عقائد مشرکان وارد می شود و مسأله «رازقیّت» را بعد از مسأله «خالقیّت» عنوان می کند، می گوید: «بگو:

چه کسی شما را از آسمانها و زمین روزی میدهد» و برکات آن را در اختیارتان میگذارد؟! (قُلْ مَنْ یَوْزُقُکُمْ مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْض). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۰

بدیهی است هیچ کس از آنها نمی توانست بگویـد این بتهای سـنگی و چوبی باران را از آسـمان نازل می کننـد، گیاهان را از زمین میرویانند.

جالب این که بدون آن که در انتظار پاسخ آنها باشد بلا فاصله می فرماید:

«بكو: الله» (قُل اللَّهُ).

در پایان آیه اشاره به مطلبی می کند که خود می تواند پایه دلیلی را تشکیل دهد، دلیلی واقع بینانه و تو أم با نهایت انصاف و ادب، به گونهای که طرف از مرکب لجاج و غرور پایین آید، و به اندیشه و فکر بپردازد، می گوید: «مسلما ما یا شما بر هدایت یا ضلالت آشکاری هستیم»! (وَ إِنَّا أَوْ إِیَّاکُمْ لَعَلی هُدیً أَوْ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ).

اشاره به این که عقیده ما و شـما با هم تضاد روشـنی دارد، بنابر این ممکن نیست هر دو حق باشد، چرا که جمع بین نقیضـین و ضدین امکان ندارد.

سورهٔ سبإ (٣٤): آيهٔ ٢٥ ص: 4٠

(آیه ۲۵)- این آیه باز همان استدلال را به شکل دیگری- و با همان لحن منصفانهای که خصم را از مرکب لجاجت و غرور فرود آورد- ادامه میدهد، می گوید: «بگو: شما مسؤول گناهان ما نیستید، و ما نیز در برابر اعمال شما مسؤول نخواهیم بود» (قُلْ لا تُشئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا وَ لا نُشئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

عجیب این که در اینجا پیامبر صلّی اللّه علیه و اله مأمور است در مورد خودش تعبیر به «جرم» کند، و در مورد مخالفان تعبیر به کارهایی که انجام میدهند! و به این ترتیب این حقیقت را روشن سازد که هر کس باید پاسخگوی اعمال و کردار خویش باشد، چرا که نتایج اعمال هر انسانی چه زشت و چه زیبا به خود او میرسد.

سورهٔ سبإ (۳۴): آيهٔ ۲۶ ص: ۴۰

(آیه ۲۶)- این آیه در حقیقت بیان نتیجه دو آیه قبل است، زیرا هنگامی که به آنها اخطار کرد که یکی از ما دو گروه بر حق و دیگری بر باطلیم، و نیز اخطار کرد که هر کدام از ما مسؤول اعمال خویشتن هستیم، به بیان این حقیقت می پردازد که چگونه به وضع همگی رسیدگی می شود.

می فرماید: «به آنها بگو: پروردگار ما همه ما را در روز رستاخیز جمع می کند، سپس در میان ما به حق داوری می کند» و ما را از یکدیگر جدا می سازد، تا هدایت شدگان از گمراهان بازشناخته شوند، و هر کدام به نتیجه اعمالشان برسند برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۱

(قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ).

اگر می بینید امروز همه با هم آمیخته اند و هر کسی ادعا می کند من بر حقم و اهل نجاتم، این وضع برای همیشه ادامه پیدا نخواهد کرد، و روز جدایی صفوف سر انجام فراخواهد رسید، چرا که «ربوبیت» پروردگار چنین اقتضا می کند که «سره» از «ناسره» و «خالص» از «ناخالص» و «حق» از «باطل» سر انجام جدا شوند، و هر کدام در بستر خویش قرار گیرند.

اکنون بیندیشید در آن روز چه خواهید کرد؟ و در کدامین صف قرار خواهید گرفت؟ و آیا پاسخی برای سؤالات پروردگار در آن روز آماده کردهاید؟

در پایان آیه برای این که روشن سازد این کار قطعا شدنی است می افزاید:

«اوست داور و جدا كننده آگاه» (وَ هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ).

این دو نام که از اسماء الحسنی الهی است، یکی اشاره به قدرت او بر مسأله جداسازی صفوف می کند، و دیگری به علم بی پایان او، چرا که جدا ساختن صفوف حق و باطل از یکدیگر بدون این دو ممکن نیست.

سورهٔ سبإ (۳۴): آیهٔ ۲۷ ص: ۴۱

(آیه ۲۷)- در این آیه که پنجمین فرمان به پیامبر صلّی الله علیه و اله میباشد بار دیگر به مسأله توحید که سخن را از آن آغاز کرده بود باز می گردد و با این مسأله بحث را خاتمه میدهد.

مىفرمايىد: «بگو: كسانى راكه به عنوان شريك به خداونىد ملحق ساختهايىد به من ارائه دهيىد» (قُـلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ).

لذا به دنبال این جمله با یک کلمه خط بطلان بر همه این اوهام کشیده می گوید: «نه هر گز چنین نیست»! (کَلَّا).

اینها هرگز ارزش معبود بودن را ندارند، و در این پندارهای شما چیزی از واقعیت نیست، بس است بیدار شوید.

و سر انجام برای تأکید و تحکیم این سخن می گوید: «بلکه تنها اوست خداوند عزیز و حکیم» (بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ).

عزت و شکست ناپذیریش ایجاب می کند که در حریم ربوبیتش کسی راه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۲

نیابد، و حکمتش اقتضا می کند که این قدرت را به جا صرف کند.

سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۲۸ ص: ۲۲

(آیه ۲۸)- تو مبعوث برای همه جهانیان هستی! این آیه سخن از نبوت پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله می گوید، و آیات بعد از آن پیرامون معاد بحث می کند.

نخست به وسعت دعوت پیامبر صلّی الله علیه و اله و عمومیت نبوت او به همه انسانها اشاره کرده، می گوید: «و ما تو را نفرستادیم مگر برای همه مردم جهان در حالی که همگان را به پاداشهای بزرگ الهی بشارت میدهی، و از عذاب الهی انذار می کنی، ولی بیشتر مردم از این معنی بی خبرند» (وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا کَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لَکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ).

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ٢٩ ص: ٤٢

(آیه ۲۹)– از آنجا که در آیات قبل به این معنی اشاره شده بود که خداونـد همه مردم را در روز رستاخیز جمع کرده و میان

آنها داوری می کند، در این آیه سؤالی از ناحیه منکران معاد به این صورت نقل می کند: «آنها می گویند: اگر راست می گویید این وعده رستاخیز در چه زمانی است»؟! (وَ یَقُولُونَ مَتی هذَا الْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ٣٠ ص: ٤٢

(آیه ۳۰) - ولی قرآن همواره از پاسخ صریح به این مطلب و تعیین زمان وقوع رستاخیز خودداری می کند و تأکید می کند این از اموری است که علم آن مخصوص خداست، و احدی جز او از آن آگاه نیست.

این آیه همین معنی را با عبارت دیگری بازگو کرده، میفرماید: «بگو: وعده شما روزی خواهد بود که نه ساعتی از آن تأخیر خواهید کرد، و نه ساعتی بر آن پیشی خواهید گرفت» (قُلْ لَکُمْ مِیعادُ یَوْم لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً وَ لا تَسْتَقْدِمُونَ).

این مخفی ماندن تاریخ قیام قیامت - حتی بر شخص پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله - به خاطر آن است که خداوند میخواهد مردم یک نوع آزادی عمل تو أم با حالت آماده باش دائمی داشته باشند، چرا که اگر تاریخ قیامت تعیین می شد هر گاه زمانش دور بود همه در غفلت و غرور و بی خبری فرو می رفتند، و هرگاه زمانش نزدیک بود ممکن بود آزادی عمل را از دست بدهند و اعمالشان جنبه اضطراری پیدا کند، و در هر دو صورت هدفهای تربیتی انسان عقیم می ماند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۳

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ٣١ ص: ٤٣

(آیه ۳۱)- به تناسب بحثی که در آیات گذشته پیرامون موضعگیری مشرکان در برابر مسأله معاد بود در اینجا بعضی از صحنههای دردناک معاد را برای آنها مجسم میسازد تا به سر انجام کار خویش واقف گردند.

نخست می گوید: «کافران گفتند: ما هرگز به این قرآن و کتابهای آسمانی دیگری که قبل از آن بوده ایمان نخواهیم آورد» (وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنِ وَ لا بِالَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ).

انکار ایمان نسبت به کتب انبیای پیشین شاید به این منظور بوده که قرآن روی این مطلب تکیه می کند که نشانه های پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله در تورات و انجیل به وضوح آمده است، آنها برای نفی نبوّت پیامبر اسلام کتب آسمانی دیگر را نیز نفی می کنند.

سپس به وضع آنها در قیامت پرداخته روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و اله کرده، میگوید: «اگر ببینی هنگامی که این ستمگران در پیشگاه پروردگارشان (برای حساب و دادرسی) نگه داشته شدهاند در حالی که هر کدام گناه خود را به گردن دیگری میاندازد» از وضع آنها تعجّب می کنی (وَ لَوْ تَری إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ یَوْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَی بَعْضِ الْقَوْلَ). در این حال «مستضعفان به مستکبران می گویند: اگر شما نبودید ما مؤمن بودیم» (یَقُولُ الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا لَوْ لا أَنْتُمْ لَکُنَّا مُؤْمِنِینَ).

آنها میخواهند به این وسیله تمام گناهان خویش را بر گردن این «مستکبران» بیرحم بیندازند، هر چند در دنیا حاضر نبودند چنین برخورد قاطعی با آنها داشته باشند.

سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۳۲ ص: ۴۳

(آیه ۳۲) – ولی مستکبران خاموش نمی مانند و «در پاسخ به مستضعفین می گویند: آیا ما شما را از طریق هدایت باز داشتیم بعد از آن که هدایت به سراغ شما آمد» و به قدر کافی اتمام حجت شد و پیامبران گفتنی ها را گفتند (قالَ الَّذِینَ اللهِ تَکْبَرُوا لِلَّذِینَ اللهٔ تَکْبَرُوا لِلَّذِینَ اللهٔ تَکْبَرُوا لِلَّذِینَ اللهٔ اللهٔ عَن الْهُدی بَعْدَ إِذْ جاءَکُمْ).

نه ما مسؤول نیستیم، «بلکه خود شما گنهکار بودید» (بَلْ کُنْتُمْ مُجْرِمِینَ).

که با داشتن آزادی اراده تسلیم سخنان بی اساس ما شدید، به کفر و الحاد روی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۴ آوردید و سخنان منطقی انبیا را به دست فراموشی سپردید.

سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۳۳ ص: ۴۴

(آیه ۳۳)- «و مستضعفان به مستکبران می گویند: وسوسه های فریبکارانه شما در شب و روز (مایه گمراهی ما شد) هنگامی که به ما دستور می دادید که به خداوند کافر شویم و همتایانی برای او قرار دهیم»! (وَ قالَ الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا بَلْ مَکْرُ اللَّیْل وَ النَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَکْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً).

درست است که ما در پذیرش آزاد بودیم و مقصر و گنهکار، ولی شما هم به عنوان عامل فساد مسؤولید و گنهکار، بلکه سنگ اول به دست ناپاک شما گذاشته شد، بخصوص این که همواره از موضع قدرت با ما سخن می گفتید.

لذا هر دو گروه از کرده خود پشیمان میشوند، مستکبران از گمراه ساختن دیگران و مستضعفان از پذیرش بیقید و شرط این وسوسههای شوم، «اما هنگامی که عـذاب الهی را میبیننـد نـدامت خود را کتمان میکننـد (مبادا بیشتر رسوا شونـد) و ما غل و زنجیر بر گردن کافران مینهیم» (وَ أَسَرُّوا النَّدامَةُ لَمَّا رَأُوُا الْعَذابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِی أَعْناقِ الَّذِینَ کَفَرُوا).

آری! آنها هر وقت در دنیا به اشتباه خود پی میبردند و نادم میشدند شجاعت اظهار ندامت را نداشتند، و همین خصیصه اخلاقی خود را در قیامت نیز به کار می گیرند اما چه سود؟

به هر حال اینها نتیجه اعمال خودشان است که از پیش فراهم ساختهاند «آیا آنها جزایی جز اعمالی که انجام می دادند دارند»؟! (هَلْ یُجْزَوْنَ إِلَّا ما کانُوا یَعْمَلُونَ).

آری! این اعمال و کردار کفار و مجرمین است که به صورت زنجیرهای اسارت بر گردن و دست و پای آنها گذارده می شود.

سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۳۴ ص: ۴۴

(آیه ۳۴)- از آنجا که در آیات گذشته سخن از اغواگری مستکبران بود در اینجا گوشهای از این اغواگری را منعکس می سازد، می گوید: «و ما هر گز در هیچ شهر و دیاری پیامبر انذار کنندهای نفرستادیم مگر این که مترفین (همان متنعمان مغرور و مست نعمت) می گفتند: ما به آنچه شما به آن فرستاده شده اید کافریم» بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۵ و آنچه را نامش پیام الهی می نهید قبول نداریم (وَ ما أَرْسَلْنا فِی قَرْیَةٍ مِنْ نَذِیرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ کافِرُونَ). نه تنها در برابر انبیا که در برابر هر قدم اصلاحی از ناحیه هر دانشمند مصلح و عالم مجاهدی برداشته شود این گروه سر به مخالفت بر می دارند.

سورة سبإ(34): آية 34 ص: 43

(آیه ۳۵) – مال و فرزند دلیل قرب به خدا نیست! این آیه به منطق پوشالی آنها که در هر زمانی برای اثبات برتری خود به آن متوسل می شدند و به اغفال عوام می پرداختند اشاره کرده، می گوید: «و آنها گفتند: ما از همه ثروتمندتر و پر اولادتریم» (وَ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً).

خداونـد به مـا محبت دارد هم اموال فراوان در اختیـار مـا نهـاده، و هم نیروی انسانی بسـیار، و این دلیل بر لطف او در حق ما و نشانه مقام و موقعیت ما در نزد اوست «و ما (نور چشمیها) هرگز مجازات نخواهیم شد»! (وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ).

اگر ما مطرود درگاه او بودیم این همه نعمت چرا به ما میداد؟ خلاصه آبادی دنیای ما دلیل روشنی بر آبادی آخرت ماست!

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ 37 ص: 43

(آیه ۳۶)- این آیه این منطق پوشالی و عوام فریبانه را به عالیترین وجهی پاسخ میدهد و درهم می کوبد، روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و اله کرده، میفرماید: «به آنها بگو: پروردگار من روزی را برای هر کس بخواهد گسترش میدهد، و (برای هر کس بخواهد) سخت می گیرد» (قُلْ إِنَّ رَبِّی یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ وَ یَقْدِرُ).

و اینها همه طبق مصالحی است که برای آزمون خلق و نظام زندگی انسان لازم میداند و ربطی به قدر و مقام در درگاه خدا ندارد.

بنابر این هرگز نبایـد وسـعت روزی را دلیل بر سـعادت، و تنگی روزی را دلیل بر شـقاوت شـمرد «اما اکثر مردم از این واقعیت بیخبرند» (وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ). البته اکثریت ناآگاه و بیخبر چنین هستند.

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ 37 ص: 43

(آیه ۳۷) - سپس با صراحت بیشتری همین معنی را تعقیب کرده، می گوید:

«هرگز چنان نیست که اموال و اولادتان شما را نزد ما مقرّب سازد» (وَ ما أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْـدَنا زُلْفي). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۶

این سخن بدان معنی نیست که انسان دست از تلاش و کوشش لازم برای زندگی بردارد، بلکه هدف این است که داشتن امکانات اقتصادی و نیروی انسانی فراوان هرگز معیار ارزش معنوی انسانها در پیشگاه خدا نمی شود.

سپس به معیار اصلی ارزشهای انسانها و آنچه مایه تقرب به درگاه خدا می شود پرداخته و به صورت یک استثنا می گوید: «مگر کسانی که ایمان آورند و عمل صالح انجام دهند که برای آنها در برابر اعمالشان پاداش مضاعف است، و در غرفه های بهشتی در نهایت امنیت به سر می برند» (إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِکَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَ هُمْ فِی الْغُرُفاتِ آمِنُونَ). بنابر این تمام معیارها به این دو امر باز می گردد «ایمان» و عمل «صالح».

اینجاست که قرآن با صراحت بینظیرش قلم بطلان بر تمام پندارهای انحرافی و خرافی در زمینه عوامل قرب به پروردگار کشیده.

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ 38 ص: 48

(آیه ۳۸)- در این آیه گروه مقابل آنها را توصیف کرده، می گوید: «اما آنها که برای انکار و ابطال آیات ما تلاش و کوشش

می کننـد (نه خود ایمان دارنـد و نه اجازه میدهند دیگران در راه حق گام نهند) در حالی که چنین میپندارند که میتوانند از چنگال قـدرت ما فرار کننـد، آنها در عذاب دردناک روز قیامت احضار میشوند» (وَ الَّذِینَ یَشِعَوْنَ فِی آیاتِنا مُعاجِزِینَ أُولئِکَ فِی الْعَذابِ مُحْضَرُونَ).

آنها همان کسانی هستند که با استفاده از اموال و اولاد و نفرات خود به تکذیب انبیا پرداخته و به وسوسه خلق خدا مشغول شدند.

سورهٔ سبإ (٣٤): آيهٔ ٣٩ ص: 4۶

(آیه ۳۹)- بیزاری معبودان از عابدان: بار دیگر در اینجا به پاسخ گفتار آنها که اموال و اولاد خود را دلیل بر قرب خویش در در گاه خداوند می پنداشتند باز می گردد، و به عنوان تأکید می گوید: «بگو: پروردگار من روزی را برای هر کس از بندگانش بخواهد گسترده یا محدود می کند» (قُلْ إِنَّ رَبِّی یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ یَقْدِرُ لَهُ).

سپس میافزاید: «آنچه را در راه خدا انفاق کنید خداوند جای آن را پر میکند و او بهترین روزی دهندگان است» (وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ برگزيده تفسير نمونه، ج۴، ص: ۴۷

وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

.در روایتی از پیغمبر صلّی الله علیه و اله میخوانیم: «کسی که یقین به عوض و جانشین داشته باشد در انفاق کردن سخاوتمند خواهد بود».

اما مسأله مهم این است که انفاق از اموال حلال و مشروع باشد که خدا غیر آن را قبول نمی کند و برکت نمی دهد.

گر چه محتوای این آیه تأکید بر مطلب گذشته است ولی از دو جهت تازگی دارد:

نخست این که آیه ۳۷ که مفهومش همین مفهوم بود بیشتر ناظر به اموال و اولاد کفار بود در حالی که این آیه ناظر به مؤمنان است.

دیگر این که آیه قبل وسعت و تنگی معیشت را در باره دو گروه مختلف بیان می کرد در حالی که این آیه ممکن است اشاره به دو حالت مختلف از یک انسان باشد که گاه روزیش گسترده و گاه تنگ و محدود است.

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ٤٠ ص: ٤٧

(آیه ۴۰)- و از آنجا که این گروه از ثروتمندان ظالم و طاغی در زمره مشرکان بودند و ادعا می کردند که ما فرشتگان را می پرستیم و آنها شفیعان ما در قیامت هستند، قرآن به پاسخ این ادعای بی اساس نیز پرداخته چنین می گوید: «و به خاطر بیاور روزی را که خداوند همه آنها (چه عبادت کنندگان و چه عبادت شوندگان) را محشور می کند، سپس فرشتگان را مخاطب ساخته می گوید: آیا اینها شما را عبادت می کردند»؟! (وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ جَمِیعاً ثُمَّ یَقُولُ لِلْمَلائِکَهُ أَ هؤلاءِ إِیَّاکُمْ کانُوا یَعْبُدُونَ). هدف از سؤال فوق این است که از بیان فرشتگان حقایق گفته شود، تا این گروه عبادت کننده سر افکنده و شرمنده شوند، و بدانند آنها از عمل اینها کاملا بیزارند.

سورة سبإ(34): آية 41 ص: 47

(آیه ۴۱)– اکنون ببینیم «فرشتگان» در پاسخ سؤال پروردگار چه می گویند؟

آنها جامعترین و مؤدبانه ترین پاسخ را انتخاب کرده چنین «عرض می کنند: منزهی تو ای پروردگار!» از این نسبتهای ناروا که به ساحت مقدست دادهاند (قالُوا سُبْحانَکَ).

ما به هیچ وجه با این گروه ارتباط نداشته ایم «تنها تو ولیّ ما هستی نه آنها» برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۸ (أَنْتَ وَلِیُّنا مِنْ دُونِهِمْ).

آنها ما را پرستش نمی کردند «بلکه جن را می پرستیدند و اکثرشان به جنیان ایمان داشتند» (بَلْ کانُوا یَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَکْتَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ).

منظور از «جن» شیطان و سایر موجودات خبیثی است که بت پرستان را به این عمل تشویق می کردند، بنابر این مراد از عبادت جن همان اطاعت و پیروی از فرمان و پذیرش وسوسههای آنهاست.

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ ٤٢ ص: ٤٨

(آیه ۴۲)- به این ترتیب امید مشرکان در آن روز به نومیدی کامل تبدیل می شود و به وضوح این حقیقت برای آنها روشن می گردد که معبودان آنها کوچکترین گرهی از کارشان نخواهند گشود، بلکه از آنان متنفر و بیزارند.

لذا در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری پر معنی می گوید: «پس امروز هیچ یک از شـما نسـبت به دیگری مالک سود و زیانی نیست» (فَالْیُوْمَ لا یَمْلِکُ بَعْضُکُمْ لِبَعْض نَفْعاً وَ لا ضَرًّا).

بنابر این نه فرشتگان که ظاهرا معبود آنها بودند می توانند شفاعتی کنند، و نه آنها نسبت به یکدیگر می توانند کمکی انجام دهند.

اینجاست که «به این ظالمان می گوییم: بچشید عذاب آتشی را که آن را تکذیب می کردید» (وَ نَقُولُ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِی کُنْتُمْ بِها تُکَذِّبُونَ).

سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۴۳ ص: ۴۸

(آیه ۴۳)- با کدام منطق آیات ما را انکار می کنند؟

آیات گذشته از وضع مشرکان و افراد بی ایمان در قیامت سخن می گفت، در اینجا بار دیگر به وضع آنها در این دنیا پرداخته عکس العمل آنان را در برابر شنیدن قرآن بازگو می کند، تا روشن شود آن سرنوشت شوم در قیامت معلول این موضعگیری غلط در مقابل آیات الهی در دنیاست.

نخست می گوید: «هنگامی که آیات روشنگر ما بر آنها خوانده می شود می گویند: این مرد فقط می خواهد شما را از آنچه نیاکانتان پرستش می کردند باز دارد» (وَ إِذَا تُتْلَی عَلَيْهِمْ آیاتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هـذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِیدُ أَنْ يَصُدِّدُكُمْ عَمَّا کانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۹

این نخستین عکس العمل آنها در برابر این «آیات بینات» است که به منظور تحریک حس عصبیت در این قوم متعصب مطرح می کردند.

مى گويند: اين (قرآن) جز دروغ بزرگى كه به خدا بسته شده چيز ديگرى نيست»! (قالُوا ما هذا إِلَّا إِفْكَ مُفْتَرَىً). و بالأخره سومين اتهامى را كه به پيامبر صلّى الله عليه و اله بستند تهمت «سحر» بود، چنانكه در پايان آيه مىخوانيم: «كسانى كه كافر شدنـد هنگامى كه حق به سراغشان آمـد گفتنـد: اين چيزى جز سحر آشكار نيست»! (وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ).

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ۴۴ ص: ۴۹

(آیه ۴۴) - قرآن در این آیه بر تمام ادعاهای آنها خط بطلان می کشد، هر چند ناگفته بطلانش روشن است، تمام ادعاهای و اهی آنها را با یک جمله پاسخ می دهد، می گوید: «ما قبلا چیزی از کتابهای آسمانی را به آنها نداده ایم که آن را بخوانند (و بر اساس آن به انکار دعوت تو بپردازند) و قبل از تو هیچ پیامبری برای آنها نیز نفرستادیم» (وَ ما آتَیْناهُمْ مِنْ کُتُبٍ یَدْرُسُونَها وَ ما أَرْسَلْنا إِلَیْهِمْ قَبْلَکَ مِنْ نَذِیرِ).

اشاره به این که این ادعاها از کسی قابل طرح است که قبلا پیامبری به سراغ او آمده و کتاب آسمانی برای او آورده و محتوای دعوت تازه را با آن مخالف میبیند و به تکذیب بر میخیزد.

اما کسی که تنها به اتکا فکر خود- بدون هیچ گونه وحی آسمانی- و با نداشتن بهرهای از علم، خرافاتی به هم بافته حق ندارد چنین قضاوت کند.

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ 45 ص: 69

(آیه ۴۵) – در این آیه این گروه سرکش را با بیانی مؤثر و گویا مورد تهدید قرار داده، چنین می گوید: «کسانی که قبل از اینها بودند نیز آیات الهی را تکذیب کردند» (وَ کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

«در حالی که اینها (از نظر قوت و قدرت حتی) به یک دهم آنچه به اقوام پیشین دادیم نمیرسند» (وَ ما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَیْناهُمْ).

اما ببینید سرنوشت آنها به کجا رسید؟ آری «آنها رسولان مرا تکذیب کردند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۰ پس بنگرید مجازات من نسبت به آنها چگونه بود»؟! (فَکَذَّبُوا رُسُلِی فَکَیْفَ کانَ نَکِیرِ).

شهرهای ویران شده آنها در زیر ضربات کوبنده مجازات الهی در نزدیکی شما و در مسیرتان به سوی شام قرار دارد، آنها را آیینه عبرت بگیرید، که نه سنّت الهی تغییر پذیر است و نه شما از آنها برترید!

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ 46 ص: 50

(آیه ۴۶)- انقلاب فکری ریشه هر انقلاب اصیل: در این آیه و آیات آینده که بحثهای اواخر این سوره را تشکیل میدهد بار دیگر به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله دستور میدهد که آنها را با دلائل مختلف به سوی حق دعوت کند، و از گمراهی باز دارد.

نخست به خمیر مایه همه تحولات و دگرگونیهای اجتماعی و اخلاقی و سیاسی و اقتصادی و فرهنگی اشاره کرده، و در جملههایی بسیار کوتاه و پرمحتوا می گوید: «به آنها بگو: من تنها شما را به یک چیز اندرز میدهم، و آن این که برای خدا

قيام كنيد دو نفر، دو نفر، با يك نفر، يك نفر، سپس انديشه كنيد» (قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواجِدَهَ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَ فُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا).

یعنی در همه چیز، در زندگی معنوی، در زندگی مادی، در مسائل مهم، در مسائل کوچک، و خلاصه در هر کار باید نخست اندیشه کرد، ولی از همه مهمتر، اندیشه برای پیدا کردن پاسخ این چهار سؤال است:

از کجا آمده ام؟ آمدنم بهر چه بود؟ به کجا میروم؟ و اکنون در کجا هستم؟

«این دوست و همنشین شما (محمّد) هیچ گونه انحراف فکری و جنون ندارد» (ما بِصاحِبِکُمْ مِنْ جِنَّهٍُ).

بلكه «او فقط بيم دهنده شماست در برابر عذاب شديد الهي» (إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَى عَذابِ شَدِيدٍ).

آیه فوق عصاره دین و خمیر مایه تکامل و پیشرفت انسان را همین اندیشه و تفکر میداند.

سورهٔ سبإ(34): آيهٔ 47 ص: 50

(آیه ۴۷)- در آیه قبل سخن از دعوت به تفکر، و نفی هر گونه عدم تعادل روحی از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بود. در این آیه سخن از عدم مطالبه اجر و مزد در برابر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۱

می گوید: «بگو: هر اجر و پاداشی از شما خواستم برای شماست» (قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ).

«اجر و پاداش من تنها بر خداوند است» (إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ).

من شما را دعوت به تفکر کردم، اکنون بیندیشید، چه چیز سبب شده که من شما را از عذاب شدید الهی انذار کنم؟ چه سود مادّی از این کار عائد من می شود؟

من اصولا از شما اجر و پاداشی نخواسته ام، و اگر می بینید من در بعضی از سخنانم که از سوی پروردگار آورده ام به شما گفته ام: «من از شما پاداشی نمی طلبم جز دوستی خویشاوندانم» (شوری/ ۲۳). این نیز سودش به خود شما بازگشت می کند چرا که مودّت ذی القربی بازگشت به مسأله «امامت و ولایت» و «تداوم خط نبوّت» است که آن نیز برای ادامه هدایت شما ضروری

و در پایان آیه میفرماید: «و او بر هر چیز شاهد و گواه است» (وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِیدٌ).

اگر من پاداشم را از او میخواهم به خاطر آن است که او از همه اعمال و نیات من آگاه است.

سورهٔ سبإ (٣٤): آيهٔ ۴۸ ص: ۵۱

(آیه ۴۸)- با توجه به آنچه پیرامون حقانیت دعوت پیامبر صلّی الله علیه و اله گفته شد، در این آیه می گوید: قرآن واقعیتی است انکار ناپذیر که از ناحیه خدا بر قلب پیامبر القا شده است «بگو: پروردگار من حق را میافکند که او علّام الغیوب است و از تمام اسرار نهان آگاه است» (قُلْ إِنَّ رَبِّی یَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُیُوبِ).

منظور افكندن «حق» يعنى كتب آسمانى و وحى الهى بر قلوب انبيا و فرستادگان پروردگار است. و اين بى شباهت به حديث معروف (العلم نـور يقـذفه الله فى قلب من يشاء) علم نـورى است كه خداونـد به دلهاى كسانى كه بخواهـد و شايسته بـبيند مىافكند» نيست.

سورهٔ سبإ(۳۴): آيهٔ ۴۹ ص: ۵۱

(آیه ۴۹)- سپس برای تأکید بیشتر می افزاید: «بگو: حق آمد و باطل (کاری از آن ساخته نیست و) نمی تواند آغاز گر چیزی باشد و نه تجدید کننده آن» (قُلْ جاءَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۲

الْحَقُّ وَ مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ)

.و به این ترتیب در برابر حق هیچ گونه نقشی نخواهد داشت، نه یک نقش جدید و آغاز گر و نه یک نقش تکراری چرا که نقشههایش نقش بر آب است و درست به همین دلیل نمی تواند نور حق را بپوشاند و اثر آن را از خاطرهها بزداید.

سورهٔ سبإ (٣٤): آيهٔ ۵۰ ص: ۵۲

(آیه ۵۰) – سپس برای این که روشن سازد که آنچه می گوید از سوی خداست، و هر هدایتی از ناحیه اوست، و در وحی الهی هر گز خطایی رخ نمی دهد، می افزاید: «بگو: اگر من گمراه شوم از ناحیه خویشتن گمراه می شوم، و اگر هدایت یابم به وسیله آنچه پروردگارم به من وحی می کند هدایت می یابم» (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلی نَفْسِی وَ إِنِ اهْتَدَیْتُ فَبِما یُوحِی إِلَیَّ رَبِّی). یعنی من نیز اگر به حال خود بمانم گمراه می شوم، چرا که پیدا کردن راه حق از میان انبوه باطلها جز به مدد پروردگار ممکن نیست، و نور هدایتی که هیچ گمراهی در آن راه ندارد نور وحی اوست.

به هر حال جایی که پیامبر با تمام علم و آگاهیش بدون هدایت الهی به جایی نرسد تکلیف دیگران روشن است. و در پایان آیه می افزاید: «او شنوا و نزدیک است» (إنَّهُ سَمِیعٌ قَریبٌ).

مبادا فکر کنید سخنان ما و شما را نمی شنود!

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ۵۱ ص: ۵۲

(آیه ۵۱)- آنها راه فرار ندارند: در اینجا با توجه به بحثهایی که پیرامون مشرکان لجوج در آیات پیشین گذشت، روی سخن را بار دیگر به پیامبر صلّی الله علیه و اله کرده، حال این گروه را به هنگام گرفتاری در چنگال عذاب الهی مجسّم میسازد که چگونه آنها پس از گرفتاری به فکر ایمان میافتند اما ایمانشان سودی نخواهد داشت.

می فرماید: «اگر ببینی هنگامی که فریادشان بلند می شود اما نمی توانند فرار کنند، و از چنگال عذاب الهی بگریزند، و آنها را از مکان نزدیکی می گیرند، و گرفتار می سازند از بیچار گی آنها تعجب خواهی کرد (وَ لَوْ تَری إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَ أُخِ ذُوا مِنْ مَکانِ قَرِیبِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۳

این فریاد و فزع و بیتابی مربوط به دنیا و عذاب استیصال، و یا لحظه جان دادن است، چرا که در آخرین آیه همین سوره می گوید: «میان آنها و آنچه مورد علاقه آنها بود جدایی افکنده می شود، همان گونه که قبل از آن در باره گروههای دیگری از کفار این عمل انجام گرفت».

منظور از جمله «أُخِ ذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ» اين است كه اين افراد بى ايمان و ستمگر نه تنها نمى تواننـد از حوزه قـدرت خـدا فرار كنند بلكه خدا آنها را از جايى گرفتار مىكند كه بسيار به آنها نزديك است!

سورهٔ سبإ (٣٤): آيهٔ ۵۳ ص: ۵۳

(آیه ۵۲) – در این آیه حال آنها را به هنگام گرفتار شدن در چنگال مجازات الهی بیان کرده، میفرماید: «آنها می گویند: ما به آن (قرآن و آورندهاش و مبدأ و معاد) ایمان آوردیم» (وَ قالُوا آمَنًا بِهِ).

«ولى چگونه آنها مى توانند از آن فاصله دور دسترسى به آن پيدا كنند»؟! (وَ أَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ).

آری! با فرارسیدن مرگ و عذاب استیصال درهای بازگشت بکلی بسته می شود، و میان انسان و جبران خلاف کاریهای گذشته گویی سد محکمی ایجاد می گردد، به همین دلیل اظهار ایمان در آن هنگام گویی از نقطه دور دستی انجام می گیرد. اصولا چنین ایمانی که جنبه اضطراری دارد، ارزشی ندارد.

سورهٔ سبإ (٣٤): آيهٔ ۵۴ ص: ۵۳

(آیه ۵۳)- آنها چگونه می توانند در این لحظه ای که همه چیز پایان گرفته در مقام جبران خطاهای خویش بر آیند و ایمان بیاورند «در حالی که پیش از آن (در همان حالتی که در نهایت اختیار و آزادی اراده بودند) به آن کافر شدند»؟! (وَ قَدْ کَفُرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ).

نه تنها کافر شدنـد بلکه انواع اتهامـات را به پیـامبر اسـلام و تعلیمـات او بسـتند و «در بـاره جهان غیب (عالم ماوراء طبیعت، و قیامت و نبوت پیامبر) داوریهای نادرستی میکردند و از نقطه دوردستی نسـبتهایی به آن میدادند» (وَ یَقْذِفُونَ بِالْغَیْبِ مِنْ مَکانٍ بَعِیدِ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۴

سورهٔ سبإ(٣٤): آيهٔ ۵۵ ص: ۵۴

(آیه ۵۴) - سپس می افزاید: «سر انجام میان آنها و آنچه مورد علاقه آنان بود (بوسیله مرگ) جدایی افکنده می شود، همان گونه که با گروههای مشابه آنها از قبل چنین عمل شد» (وَ حِیلَ بَیْنَهُمْ وَ بَیْنَ ما یَشْتَهُونَ کَما فُعِلَ بِأَشْیاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ). در یک لحظه در دناک تمام اموال و ثروتها، تمام کاخها و مقامها، و تمام آرزوهای خود را می بینند که از آنها جدا می شود، آنهایی که سخت به یک در هم و دینار چسبیده بودند و دل از کمترین امکانات مادی بر نمی کندند چه حالی خواهند داشت در آن لحظه که باید با همه آن یکباره و داع گویند، و چشم بپوشند، و به سوی آیندهای تاریک و وحشتناک گام بردارند؟ بالأخره در آخرین جمله می گوید: علت همه این مسائل آن است که «آنها پیوسته در حال شک و تردید به سر می بردند» و طبعا چنین سرنوشتی در انتظار آنها بود (إِنَّهُمْ کانُوا فِی شَکِّ مُرِیبِ).

«پایان سوره سبأ»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۵

سوره فاطر [34] ص: ۵۵

اشاره

این سوره در «مکه» نازل شده و ۴۵ آیه است

محتوای سوره: ص : ۵۵

این سوره- به خاطر سر آغاز آن که با عنوان «فاطر» و «ملائکه» شروع می شود- گاه سوره «فاطر» و گاه سوره «ملائکه» نامیده شده و آیات آن را در پنج بخش می توان خلاصه کرد.

۱- بخش مهمی پیرامون نشانه های عظمت خداوند در عالم هستی و دلائل توحید سخن می گوید.

۲- بخش دیگری از آن از ربوبیت پروردگار و خالقیت و رازقیت او و آفرینش انسان از خاک و مراحل تکامل او بحث می کند.

۳- بخش دیگر پیرامون معاد و نتایج اعمال در آخرت، و رحمت گسترده الهی در این جهان، و سنّت تخلف ناپذیر او در باره مستکبران است.

۴- قسمتی به مسأله رهبری انبیا و مبارزه پی گیر و مستمرشان با دشمنان لجوج و سرسخت و دلداری پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله در این زمینه میباشد.

۵- سر انجام بخشی از آن بیان مواعظ و اندرزهای الهی در زمینه های مختلف است.

بعضى از مفسران تمام اين سوره را در يک حلقه خلاصه کردهاند و آن مسأله قاهريت خداوند در تمام زمينههاست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۶

فضيلت تلاوت سوره: ص: 36

علاموه بر روایتی که در آغاز سوره سبأ خواندیم در حدیثی از پیامبر صلّی الله علیه و اله آمده است: «هر کس سوره فاطر را بخواند در روز قیامت سه در از درهای بهشت، او را به سوی خود دعوت می کند که از هر کدام میخواهی وارد شو»! با توجه به این که میدانیم درهای بهشت همان عقائد و اعمال صالحی است که سبب وصول به بهشت می شود، ممکن است این روایت اشاره به ابواب سه گانه اعتقاد به توحید، معاد و رسالت پیامبر صلّی الله علیه و اله باشد.

چنانکه قبلا هم گفته ایم قرآن برنامه عمل است، و تلاوت آن سر آغازی است برای تفکر و ایمان، و آن نیز وسیله ای است برای عمل به محتوای آن و این همه پاداشهای عظیم نیز از همین جا و با همین شرائط تحقق می یابد - دقت کنید. بسم الله الرّحمن الرّحیم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۱ ص: ۵۶

(آیه ۱)- گشاینده درهای بسته اوست! آغاز این سوره با حمد پروردگار شروع می شود، حمد و ستایش او به خاطر آفرینش جهان پهناور هستی.

مى فرمايىد: «حمىد مخصوص خداوندى است كه خالق آسىمانها و زمين است» و همه نعمتها و مواهب هستى از وجود ذى جود او سر چشمه مى گيرد (الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

«فاطر» از ماده «فطور» به معنی شکافتن است، و از آنجا که آفرینش موجودات همانند شکافته شدن ظلمت عدم، و بیرون آمدن نور هستی است، این تعبیر در مورد خلقت و آفرینش به کار میرود. و از آنجا که تدبیر این عالم از سوی پروردگار- به حکم این که عالم، عالم اسباب است- بر عهده فرشتگان گذارده شده، بلا فاصله از آفرینش آنها و قدرتهای عظیمی که پروردگار در اختیارشان گذارده سخن میگوید.

خداوندی که «فرشتگان را رسولانی قرار داد که دارای بالهای دو گانه و سه گانه و چهار گانهاند» (جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِی أَجْنِحَةٍ مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ).

رسالت در اینجا در معنی وسیع و گستردهای به کار رفته که هم «رسالت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۷

تشریعی» یعنی همان پیام آوردن از سوی خدا برای انبیا را شامل میشود و هم «رسالت تکوینی» را یعنی به عهده گرفتن مأموریتهای مختلف در جهان آفرینش.

سپس میافزاید: «خداوند هر چه بخواهد در آفرینش میافزاید چرا که او بر هر چیزی قادر و تواناست» (یَزِیدُ فِی الْخَلْقِ ما یَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ).

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۲ ص: ۵۷

(آیه ۲)- بعد از بیان خالقیت پروردگار و رسالت فرشتگان که واسطه فیضاند سخن از رحمت او به میان می آورد که زیر بنای تمام عالم هستی است.

می فرماید: «آنچه را خداوند از رحمت برای مردم بگشاید کسی نمی تواند جلو آن را بگیرد» (ما یَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَهُ ِ فَلا مُمْسکَ لَها).

«و آنچه را باز دارد و امساک کند کسی بعد از او قادر به فرستادن آن نیست» (وَ ما یُمْسِکْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ).

«چرا که او قدرتمندی است شکست ناپذیر و در عین حال حکیم و آگاه» (وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ).

خلاصه این که تمام خزائن رحمت نزد اوست و هر کس را لایق ببیند مشمول آن میسازد.

سورهٔ فاطر (٣٥): آيهٔ ٣ ص: ٥٧

(آیه ۳)- در این آیه به مسأله «توحید عبادت» بر اساس «توحید خالقیت و رازقیت» اشاره کرده، می فرماید: «ای مردم! نعمت خداوند را بر خودتان به یاد آورید» (یا أَیُّهَا النَّاسُ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ).

درست فكر كنيد: اين همه مواهب و بركات، و اين همه امكانات حياتى كه در اختيار شما قرار گرفته و در آن غوطهوريد منشأ اصلى و سر چشمه آنها كيست؟! «آيا خالقى غير از خدا، از آسمان و زمين به شما روزى مىدهـــد»؟ (هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَوْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْض).

اکنون که میدانید سر چشمه همه این برکات اوست، پس بدانید «معبودی جز او وجود ندارد» و عبادت و پرستش تنها شایسته ذات پاک اوست (لا إلهَ إِلَّا هُوَ).

«با این حال چگونه (از طریق حق) به سوی باطل منحرف می شوید» و به جای الله در برابر بتها سجده می کنید! (فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۸

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۴ ص: ۵۸

(آیه ۴)- در بخش دوم از آیات این سوره به دنبال سخنی که پیرامون توحید خالقیت و رازقیت بود، روی سخن را نخست به پیامبر صلّی الله علیه و اله و بعد به عموم مردم کرده برنامه های عملی آنها را به دنبال برنامه های عقیدتی گذشته تشریح می کند.

نخست به پیغمبر درس استقامت در مسیر راهش میدهد که مهمترین درس برای او همین است، میفرماید: «اگر تو را تکذیب کنند (غم مخور، این چیز تازهای نیست) پیامبران قبل از تو نیز مورد تکذیب قرار گرفتند» (وَ إِنْ یُکَذِّبُوکَ فَقَدْ کُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَثِلِکَ). آنها نیز در این راه مقاومت کردند.

مهم این است که «همه کارها به سوی خدا باز می گردد» و او ناظر بر همه چیز و حساب کننده همه کارهاست (وَ إِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ).

او هرگز زحمات تو را در این راه نادیده نمی گیرد، همان گونه که تکذیبهای این مخالفان لجوج را بی کیفر نمی گذارد.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۵ ص: ۵۸

(آیه ۵)- سپس به بیان مهمترین برنامه انسانها پرداخته، می گوید: «ای مردم! وعده خداوند حق است» (یا أَیُهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقُّ).

قیامت و حساب کتاب و میزان و مجازات و کیفر و جنت و نار وعدههایی است تخلف ناپذیر از سوی خداوند قادر حکیم. با توجه به این وعده حق «مبادا زندگی دنیا شما را بفریبد، و مبادا شیطان مغرور کننده شما را فریب دهد» و به عفو و کرم خدا مغرور سازد (فَلا تَغُرَّنَکُمُ الْحَیاهُ الدُّنیْا وَ لا یَغُرَّنَکُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ).

آری! عوامل سرگرم کننده، و زرق و برقهای دل فریب این جهان میخواهد تمام قلب شما را پرکند، و از آن وعده بزرگ الهی غافل سازد مراقب آنها باشید.

سورهٔ فاطر(30): آیهٔ ۶ ص: ۵۸

(آیه ۶)- ایـن آیه هشـداری است به همه مؤمنـان در ارتبـاط بـا مسـأله وسـوسههـای شـیطان که در آیه قبـل مطرح شـده بـود، می گوید: «شـیطان بطور مسلم دشمن شماست، شما نیز او را دشمن خود بدانید» (إِنَّ الشَّیْطانَ لَکُمْ عَدُوُّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوَّا). عداوت او از نخستین روز آفرینش آدم شروع شد.

در دنباله آیه برای تأکید بیشتر می افزاید: «او فقط حزبش را برای این دعوت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۹ می کند که اهل آتش سوزان جهنّم باشند» (إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ).

شیطان حزب خود را به آلودگی و گناه، به پلیدیهای شهوات، به شرک و طغیان و ستم و سر انجام به آتش جهنم دعوت می کند.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۷ ص: ۵۹

(آیه ۷)- در این آیه سر انجام کار «حزب الله» و عاقبت دردناک «حزب شیطان» را این چنین بیان می کند: «کسانی که کافر شدند عذاب دردناک از آن آنهاست، و کسانی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند مغفرت و پاداش بزرگ دارند» (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ). طبق این آیه کفر به تنهایی موجب عذاب است ولی ایمان بدون عمل مایه نجات نخواهد بود.

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۸ ص: ۵۹

(آیه ۸)- از آنجا که در آیات گذشته مردم به دو گروه تقسیم شدند در این آیه یکی از ویژگیهای مهم این دو گروه را که در واقع سر چشمه سایر برنامههای آنهاست بیان کرده، می گوید: «آیا کسی که زشتی عملش در نظر او زینت داده شده، و آن را زیبا می بیند» همانند کسی است که واقعیات را آن گونه که هست زشت و زیبا درک می کند؟ (أَ فَمَنْ زُیِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً).

در حقیقت این مسأله کلید همه بدبختیهای اقوام گمراه و لجوج است که اعمال زشتشان به خاطر هماهنگ بودن با شهوات و قلبهای سیاهشان در نظرشان زیباست.

اما چه کسی اعمال سوء بدکاران را در نظرشان جلوه می دهد؟

بدون شک عامل اصلی، هوای نفس و شیطان است، اما چون خدا این اثر را در اعمال آنها آفریده می توان آن را به خدا نیز نسبت داد، زیرا انسانها هنگامی که گناهی را مرتکب می شوند در آغاز از عمل خود ناراحت می شوند، اما هر قدر آن را تکرار می کنند از ناراحتی آنها کاسته می شود. تدریجا به مرحله بی تفاوتی می رسند، و اگر باز هم تکرار کنند زشتیها در نظرشان زیبا می شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۶۰

سپس قرآن به بیان علت تفاوت این دو گروه پرداخته، میافزاید: «خداونـد هر کس را بخواهـد گمراه میکنـد و هر کس را بخواهد هدایت مینماید» (فَإِنَّ اللَّهَ یُضِلُّ مَنْ یَشاءُ وَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ).

روشن است این مشیت الهی توأم با حکمت اوست و به هر کس آنچه لایق است میدهد.

لـذا در پایان آیه میفرمایـد: «مبادا بر اثر شدت تأسف و حسـرت بر وضع آنها جان خود را از دست دهی» (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُ کَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ).

اما چرا حسرت نخوری؟ «برای این که خداونـد از اعمال آنها آگاه است» و آنچه را شایسـته آنند به آنها میدهد (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ).

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۹ ص: ۶۰

(آیه ۹) - در این آیه با توجه به بحثهایی که قبلا پیرامون هدایت و ضلالت و ایمان و کفر گذشت به بیان کوتاه و روشنی پیرامون مبدأ و معاد میپردازد و اثبات «مبدأ» را با اثبات «معاد» در یک دلیل جالب قرین کرده، میفرماید: «خداوند همان کسی است که بادها را فرستاد تا ابرهایی را به حرکت در آورند» (وَ اللَّهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً).

«پس ما این ابرها را به سوی سرزمین مرده و خشکی میرانیم» (فَسُقْناهُ إِلَى بَلَدٍ مَيَّتٍ).

«سپس به وسیله آن زمین را بعد از مردنش زنده میکنیم» (فَأَحْیَیْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها).

«آرى! زنده شدن مردگان بعد از مرگ نيز همين گونه است»! (كَذلِكَ النُّشُورُ).

نظام حساب شده ای که بر حرکت بادها، و سپس حرکت ابرها، و بعد از آن نزول قطره های حیات بخش باران، و به دنبال آن

زنده شدن زمینهای مرده حاکم است، خود بهترین دلیل و گواه بر این حقیقت است که دست قدرت حکیمی در پشت این دستگاه قرار دارد و آن را تدبیر می کند.

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۱۰ ص: ۶۰

(آیه ۱۰)- به دنبال این بحث توحیدی، به اشتباه بزرگ مشرکان که عزت خویش را از بتها میخواستند، اشاره کرده، می فرماید: «کسانی که عزت می خواهند برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۶۱

(از خدا بطلبند چرا كه) تمام عزت از آن خداست» (مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةُ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً).

از آنجا که تنها ذات پاک اوست که شکست ناپذیر است، لذا تمام عزت از آن اوست، و هر کس عزتی کسب می کند از برکت دریای بیانتهای اوست.

در حالات امام حسن مجتبی علیه السّ لام میخوانیم که در ساعات آخر عمرش هنگامی که یکی از یاران به نام «جنادهٔ بن ابی سفیان» از او اندرز خواست نصایح ارزنده و مؤثری برای او بیان فرمود که از جمله این بود: «هر گاه بخواهی بدون داشتن قبیله «عزیز» باشی و بدون قدرت حکومت و هیبت داشته باشی، از سایه ذلت معصیت خدا به در آی و در پناه عزت اطاعت او قرار گیر»! سپس راه وصول به «عزت» را چنین تشریح می کند: «سخنان پاکیزه و عقاید پاک به سوی او صعود می کند» (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلُمُ الطَّبِّتُ).

«و عمل صالح را او بالا مى برد» (وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ).

«الكلم الطّيّب» به اعتقادات صحيح نسبت به مبدأ و معاد و آيين خداوند تفسير شده است.

سپس به نقطه مقابل آن پرداخته، می گوید: «و کسانی که نقشه سوء می کشند عذاب شدیدی برای آنهاست» (وَ الَّذِینَ یَمْکُرُونَ السَّیِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِیدٌ).

«و تلاش و كوشش آلوده و ناپاك و فاسد آنها نابود مى گردد» و به جايى نمىرسد (وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ).

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۱۱ ص: ۶۱

(آیه ۱۱)– با توجه به این که در آیات گذشته سخن از مسأله توحید و معاد و صفات خدا در میان بود، در این آیه نخست به آفرینش انسان در مراحل مختلف اشاره کرده، می گوید: «خداوند شما را از خاک آفرید» (وَ اللَّهُ خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ). «سپس از نطفه» (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ).

«بعد از آن شما را به صورت همسران یکدیگر در آورد» (ثُمَّ جَعَلَکُمْ أَزْواجاً).

مسلم است که انسان از خاک است هم از این نظر که جدّ انسانها، آدم از خاک آفریده شده، و هم از این نظر که تمام موادی که جسم انسان را تشکیل میدهد و یا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۶۲

انسان از آن تغذیه می کند، و یا نطفه او از آن منعقد می شود همه سر انجام به موادی که در خاکها نهفته است منتهی می شود. سپس وارد چهارمین و پنجمین مرحله حیات انسان شده، موضوع «بارداری مادران» و «وضع حمل» آنها را پیش کشیده، می گوید: «هیچ جنس ماده ای باردار نمی شود و وضع حمل نمی کند مگر به علم پروردگار» (وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثِی وَ لا تَضَعُ إِلَّا علمه).

خاک بی جان و مرده کجا و انسان زنده عاقل و هوشیار و پرابتکار کجا؟! نطفه بی ارزش که از چند قطره آب متعفن تشکیل شده کجا و انسانی رشید و زیبا و مجهز به حواس مختلف و دستگاههای گوناگون کجا؟! بعد به مرحله «ششم» و «هفتم» این برنامه شگرف در حلقه دیگر پرداخته و به مراحل مختلف عمر و فزونی و کاستی آن بر اثر عوامل مختلف اشاره کرده، می گوید:

«و هیچ انسانی عمر طولانی نمی کند، یا از عمرش کاسته نمی شود مگر این که در کتاب (علم خداوند) ثبت است» و از قوانین و برنامه هایی تبعیت می کند که حاکم بر آنها علم و قدرت اوست (وَ ما یُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا یُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِی کِتابٍ). و سر انجام آیه را با این جمله پایان می دهد: «همه اینها بر خداوند آسان است» (إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ).

آفرینش این موجود عجیب و همچنین مسائل مربوط به جنسیت، و زوجیت، و بارداری، و وضع حمل، و افزایش و کاستی عمر، چه از نظر قدرت، و چه از نظر علم و محاسبه همه برای او سهل و ساده است، و اینها گوشهای از آیات انفسی هستند که از یک سو ما را به مبدأ عالم هستی مربوط و آشنا می کنند و از سوی دیگر دلائل زندهای بر مسأله امکان معاد محسوب می شوند. یک سلسله عوامل طبیعی در افزایش یا کوتاهی عمر دخالت دارند که بسیاری از آنها برای بشر تا کنون شناخته شده است، همانند تغذیه صحیح، کار و حرکت مداوم، دوری از هیجانات مداوم، و داشتن ایمان قوی که بتواند انسان را در ناملایمات زندگی آرامش و قدرت بخشد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۶۳

ولی علاوه بر اینها عواملی وجود دارد که در روایات اسلامی روی آن تأکید شده است، به عنوان نمونه به دو روایت زیر توجه فر مایید:

الف) پیغمبر گرامی صلّی الله علیه و اله میفرماید: «انفاق در راه خدا و صله رحم خانهها را آباد و عمرها را طولانی می کند». ب) امام باقر علیه السّلام میفرماید: «نیکو کاری و انفاق پنهانی فقر را بر طرف ساخته، و عمر را افزون می کند».

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۱۲ ص: ۶۳

(آیه ۱۲) - دریای آب شیرین و شور یکسان نیستند! در این آیه به بخش دیگری از آیات آفاقی که نشانههای عظمت و قدرت اویند در مورد آفرینش دریاها و برخی برکات و فوائد آنها اشاره کرده، میفرماید: «دو دریا یکسان نیستند، این یکی گوارا و شیرین و برای نوشیدن خوشگوار است، و آن دیگر شور و تلخ» (وَ ما یَشِتَوِی الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ).

با آن که هر دو، روز نخست به صورت قطرات باران شیرین و گوارا از آسمان بر زمین نازل شدهاند، و هر دو از یک ریشه مشتقند، اما در دو چهره کاملا مختلف با فوائد متفاوت ظاهر گشتهاند.

و عجیب این که: «از هر دو گوشت تازه میخورید» (وَ مِنْ کُلِّ تَأْکُلُونَ لَحْماً طَرِیًّا).

«و از هر دو وسائل زینتی برای پوشیدن استخراج میکنید» (وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها).

به علاوه از هر دو می توانید برای نقل و انتقالات خود و متاعها بهره بگیرید لـذا «کشتیها را می بینی که از هر طرف دریاها را می شکافند و پیش می روند، تا از فضل خداوند بهره گیرید و شاید حق شکر او را ادا کنید» (وَ تَرَی الْفُلْکَ فِیهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ).

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۱۳ ص: ۶۳

(آیه ۱۳)- باز در اینجا به قسمت دیگری از آیات توحید و نعمتهای بیپایان پروردگار اشاره میکند تا ضمن آگاهی دادن به انسان حسّ شکرگزاری آنان را در مسیر شناخت معبود حقیقی برانگیزد، میفرماید: «او شب را در روز داخل میکند برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۶۴

و روز را در شب» (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ).

بعد به مسأله تسخیر خورشید و ماه اشاره کرده، می گوید: «و خورشید و ماه را مسخّر (شما) کرده» (وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ). چه تسخیری از این برتر و بالاـتر که همه آنها در مسیر منافع انسان حرکت می کننـد، و سـر چشـمه انواع برکات در زنـدگی بشرند.

اما این خورشید و ماه در عین این که بطور کاملا منظم در مسیر خود می گردند و خدمتگزار لایق و خوبی برای انسانند نظامی که حاکم بر آنهاست جاودانی نیست.

لذا به دنبال بحث تسخیر می افزاید: «هر یک تا سر آمد معینی به حرکت خود ادامه می دهد» (کُلِّ یَجْرِی لِأَجَلِ مُسَمَّی). سپس به عنوان نتیجه گیری از این بحث توحیدی می فرماید: «این است خداوند، پروردگار شما» (ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ). خداوندی که نظام نور و ظلمت و حرکات حساب شده خورشید و ماه را با تمام برکاتشان مقرّر فرموده است.

«حاكميت در عالم مخصوص اوست» (لَهُ الْمُلْكُ).

«و معبودهایی را که شـما جز او میخوانید حتی حاکمیت و مالکیت (به اندازه) پوست نازکی که روی هسته خرما کشیده شده (در سرتاسر عالم هستی) ندارند» (وَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما یَمْلِکُونَ مِنْ قِطْمِیرِ).

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۱۴ ص: ۶۴

(آیه ۱۴)- سپس میافزاید: «اگر آنها را (برای حل مشکلات خود) بخوانید هرگز صدای شما را نمی شنوند» (إِنْ تَدْعُوهُمْ لا یَسْمَعُوا دُعاءَکُمْ).

چرا که قطعاتی از سنگ و چوب بیش نیستند جمادند و بی شعور! «و به فرض که (ناله و اصرار و الحاح شما را) بشنوند هرگز توانایی پاسخگویی به نیازهای شما ندارند» (وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَکُمْ).

چرا که روشن شد حتی به اندازه پوست نازک هسته خرمایی مالک سود و زیانی در جهان هستی نیستند.

و از این بالاتر «روز قیامت که می شود آنها پرستش و شرک شما را منکر می شوند» (وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ یَکْفُرُونَ بِشِرْ کِکُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۶۵

و می گویند: خداوندا! اینها پرستش ما نمی کردند بلکه هوای نفس خویش را در حقیقت می پرستیدند.

در پایان آیه برای تأکید بیشتر میفرماید: «هیچ کس مانند خداوندی که از همه چیز آگاه است تو را با خبر نمیسازد» (وَ لا یُنَبُّئُکَ مِثْلُ خَبیر).

اگر می گوید: بتها در قیامت پرستش شما را انکار می کنند، و از شما بیزاری می جویند، تعجب نکنید، زیرا کسی از این موضوع خبر می دهد که از تمام عالم هستی و ذرّه ذرّه آن آگاه است.

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۱۵ ص: ۶۵

(آیه ۱۵)- در تعقیب دعوت مؤکدی که در آیات گذشته به سوی توحید و مبارزه با هر گونه شرک و بت پرستی آمده بود ممکن است این توهم برای بعضی پیش آید که خداوند چه نیازی به پرستش ما دارد؟

در اين آيه مىفرمايد: «اى مردم! شما نيازمند به خدا هستيد و خداوند از هر نظر بىنياز و شايسته حمد و ستايش است» (يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).

آری! بینیاز حقیقی و قائم بالندات در تمام عالم هستی یکی است و او خدا است، همه انسانها بلکه همه موجودات سر تا پا نیازمند و فقر و وابسته به آن وجود مستقل که اگر لحظهای ارتباطشان قطع شود هیچند و پوچ.

این ما هستیم که از طریق عبادت و اطاعت او، راه تکامل را می پیماییم و به آن مبدأ بی پایان فیض در پرتو عبودیتش لحظه به لحظه نزدیکتر می شویم.

بنابر این او هم «غنی» است و هم «حمید» یعنی در عین بینیازی آنقدر بخشنده و مهربان است که شایسته هر گونه حمد و سپاسگزاری است.

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۱۶ ص: ۶۵

(آیه ۱۶)- در این آیه برای تأکید همین فقر و نیاز انسانها به او میفرماید: «اگر بخواهد شما را میبرد و خلق جدیدی را می آورد» (إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَ یَأْتِ بِخَلْقِ جَدِیدٍ). او نه نیازی به طاعت شما دارد و نه بیمی از گناهانتان.

سورهٔ فاطر(30): آیهٔ ۱۷ ص: ۶۵

(آیه ۱۷)- و در این آیه باز به عنوان تأکید مجدد می فرماید: «و این کار برای خدا ناممکن نیست» (وَ ما ذلِکَ عَلَی اللَّهِ بِعَزِیزٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۶۶

آرى! او هر چه را اراده كند به آن فرمان مىدهد موجود باش آن نيز بلافاصله موجود مىشود.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۱۸ ص: ۶۶

(آیه ۱۸)- این آیه به پنج «نکته» در ارتباط با آیات قبل اشاره می کند:

نخست این که در آیات گذشته آمده بود که «اگر خدا بخواهد شما را میبرد و قوم دیگری را به جای شما می آورد» این سخن ممکن است برای بعضی این سؤال را به وجود آورد که مخاطبین این آیه همه از افراد گنهکار نیستند، آیا ممکن است مؤمنان صالح نیز گرفتار عواقب گناهان دیگران شوند و محکوم به فنا گردند؟

اینجاست که میفرماید: «و هیچ گنهکاری بار گناه دیگری را بر دوش نمیکشد» (وَ لاَ تَزِرُ وازِرَهُ وِزْرَ أُخْری).

این جمله از یک سو ارتباط به عـدل خداونـد دارد که هر کس را در گرو کـار خـود میشـمرد، و از سـوی دیگر به شـدت مجازات روز رستاخیز اشاره دارد.

در جمله دوم همین مسأله را به صورت دیگری مطرح می کند، می گوید:

«و اگر شخص سنگین باری، دیگری را برای حمل گناهان خود بخواند (پاسخ منفی به دعوت او میدهد و) چیزی از آن را بر دوش نخواهد گرفت هر چند از نزدیکان او باشد» (وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلی حِمْلِها لا یُحْمَلْ مِنْهُ شَیْءٌ وَ لَوْ کانَ ذا قُرْبی). بالأخره در سومین جمله پرده از این حقیقت بر میدارد که انـذارهای پیـامبر صـلّی الله علیه و اله تنهـا در دلهـای آمـاده اثر میگـذارد، میفرماید: «تو فقط کسانی را بیم میدهی که از پروردگار خود در پنهانی می ترسـند و نماز را بر پا میدارند» (إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ).

تا در دلی خوف خدا نباشد، و در نهان و آشکار احساس مراقبت یک نیروی معنوی بر خود نکند، و با انجام نماز که قلب را زنده میکند و به یاد خدا وا میدارد به این احساس درونی مدد نرساند، انذارهای انبیا و اولیا بیاثر خواهد بود.

در جمله چهارم باز به این حقیقت بر می گردد که خـدا از همگان بینیاز است، میافزایـد: «و هر کس پاکی (و تقوا) پیشه کند نتیجه آن به خودش باز می گردد» (وَ مَنْ تَزَكَّی فَإِنَّما يَتَزَكَّی لِنَفْسِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۶۷

و سر انجام در پنجمین و آخرین جمله هشدار میدهد که اگر نیکان و بدان به نتائج اعمال خود در این جهان نرسند مهم نیست چرا که «بازگشت (همگان) به سوی خداست» و سر انجام حساب همه را خواهد رسید! (وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِیرُ).

سورة فاطر(35): آية 19 ص: 67

(آیه ۱۹) - نور و ظلمت یکسان نیست! به تناسب بحثهایی که پیرامون ایمان و کفر در آیات گذشته بود، در اینجا چهار مثال جالب برای مؤمن و کافر ذکر می کند که آثار «ایمان» و «کفر» به روشنترین وجه در آن مجسّم شده است.

در نخستین مثال «کافر» و «مؤمن» را به «نابینا» و «بینا» تشبیه کرده، می گوید:

«هر گز کور و بینا مساوی نیستند» (وَ ما یَسْتَوِی الْأَعْمی وَ الْبَصِیرُ).

ایمان به انسان در جهان بینی، و اعتقاد، و عمل، و تمام زنـدگی روشـنایی و آگاهی میدهد، اما کفر ظلمت است و تاریکی، و در آن نه بینش صحیحی از کل عالم هستی است، و نه از اعتقاد درست و عمل صالح خبری.

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۲۰ ص: ۶۷

(آیه ۲۰) - و از آن جاکه چشم بینا به تنهایی کافی نیست باید روشنایی و نوری نیز باشد، تا انسان با کمک این دو عامل موجودات را مشاهده کند، در این آیه می افزاید: «و نه تاریکیها با نور برابرند» (وَ لَا الظُّلُماتُ وَ لَا النُّورُ).

چرا که تاریکی منشأ گمراهی و عامل سکون و رکود است، اما نور و روشنایی منشأ حیات و زنـدگی و حرکت و جنبش و رشد و نمو و تکامل است.

سورهٔ فاطر(30): آیهٔ ۲۱ ص: ۶۷

(آیه ۲۱) – سپس می افزاید: «و هرگز سایه (آرام بخش) با باد داغ و سوزان یکسان نیستند» (وَ لَا الظِّلُ وَ لَا الْحَرُورُ). مؤمن در سایه ایمانش در آرامش و امن و امان به سر می برد، اما کافر به خاطر کفرش در ناراحتی و رنج می سوزد.

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۲۲ ص: ۶۷

(آیه ۲۲)- و سر انجام در آخرین تشبیه می گوید: «و هرگز زنـدگان و مردگـان یکسـان نیسـتند»! (وَ مـا یَشِـتَوِی الْأَحْیـاءُ وَ لَا

الْأَمْواتُ).

مؤمنان زندگانند، و دارای تلاش و کوشش و حرکت و جنبش، اما کافر همچون چوب خشکیدهای است که نه طراوتی، نه برگی، نه گلی و نه سایه دارد و جز برای سوزاندن مفید نیست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۶۸

و در پایان آیه میفزاید: «خداوند پیام خود را به گوش هر کس بخواهد میرساند» (إِنَّ اللَّهَ یُشمِعُ مَنْ یَشاءُ). تا دعوت حق را به گوش جان بشنود، و به ندای منادیان توحید لبیک گوید.

«و تو نمی توانی سخن خود را به گوش آنان که در گور خفته اند برسانی»! (وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِی الْقُبُورِ). فریاد تو هر قـدر رسا، و سـخنانت هر اندازه دلنشـین، و گویا باشد، مردگان و کسانی که بر اثر اصـرار در گناه و غوطهور شدن در تعصب و عناد و ظلم و فساد روح انسانی خود را از دست داده اند مسلما آمادگی برای پذیرش دعوت تو ندارند.

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۲۳ ص: ۶۸

(آیه ۲۳)- بنابر این از عدم ایمان آنها نگران مباش، و بیتابی مکن، وظیفه تو ابلاغ و انذار است «تو تنها بیم دهندهای» (إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ).

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۲۴ ص: ۶۸

(آیه ۲۴)- اگر کوردلان ایمان نیاورند عجیب نیست در آیات گذشته به اینجا رسیدیم که افرادی هستند همچون مردگان و نابینایان که سخنان انبیا در دل آنان کمترین اثری ندارد، به دنبال آن در اینجا برای این که پیامبر صلّی الله علیه و اله را در این زمینه دلداری دهد، می فرماید: «ما تو را به حق برای بشارت و انذار فرستادیم، و هیچ امتی در گذشته نبود مگر این که انذار کنندهای داشت» (إِنَّا أَرْسَلْناکَ بِالْحَقِّ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ إِنْ مِنْ أُمَّهٍ إِلَّا خَلا فِیها نَذِیرً).

تو ندای خود را به گوش آنان برسان، به پاداشهای الهی بشارت ده، و از کیفرهای پروردگار آنها را بترسان، خواه پذیرا شوند یا بر سر عناد و لجاج بایستند.

سورهٔ فاطر(30): آیهٔ ۲۵ ص: ۶۸

(آیه ۲۵) - در این آیه می افزاید: «اگر تو را تکذیب کنند (عجیب نیست و غمگین مباش) زیرا کسانی که قبل از آنها بودند نیز (پیامبرانشان را) تکذیب کردند، در حالی که فرستادگان آنها با معجزات و دلائل روشن، و کتابهای محتوی پند و اندرز، و کتابهای آسمانی مشتمل بر احکام و قوانین روشنی بخش، به سراغشان آمدند» (وَ إِنْ یُکَلَدِّبُوکَ فَقَدْ کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبُیِّنَاتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْکِتابِ الْمُنِیرِ).

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۲۶ ص: ۶۸

(آیه ۲۶) - در این آیه به کیفر دردناک این گروه اشاره کرده، میفرماید: چنان برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۶۹ نبود که آنها از کیفر الهی مصون بمانند، و دائما به تکذیبهای خود ادامه دهند، «سپس، کافران را گرفتم» و سخت مجازات

كردم (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا).

جمعی را گرفتار طوفان ساختیم، گروهی را گرفتار تندباد ویرانگر، و جمعی را بوسیله صیحه آسمانی و صاعقه و زلزله درهم کوبیدیم! سپس در پایان برای تأکید و بیان عظمت و شدت مجازات آنها می گوید:

«مجازات من نسبت به آنها چگونه بود»؟! (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ).

این درست به آن میماند که شخصی عمل مهمی را انجام میدهد و بعد از حاضران سؤال میکند کار من چگونه بود؟

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۲۷ ص: ۶۹

(آیه ۲۷)- این همه نقش عجب بر در و دیوار وجود! در اینجا بار دیگر به مسأله توحید باز می گردد، و صفحه تازهای از کتاب تکوین را در برابر دیدگان انسانها می گشاید، تا پاسخی دندان شکن به مشرکان لجوج و منکران سرسخت توحید باشد. نخست می گوید: «آیا ندیدی خداوند از آسمان آبی نازل کرد و بوسیله آن میوه هایی به وجود آوردیم با الوان مختلف» (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلُوانُها).

آری! میبینید که از آب و زمین واحد یکی بیرنگ و دیگری تنها دارای یک رنگ این همه رنگهای مختلفی از میوههای گوناگون، گلهای زیبا، برگها و شکوفهها، در چهرههای مختلف به وجود آمده است.

«الوان» ممکن است به معنی رنگهای ظاهری میوهها باشد و ممکن است کنایه از تفاوت در طعم و ساختمان و خواص گوناگون آنها بوده باشد.

در دنباله آیه به تنوع طرقی که در کوهها وجود دارد، و سبب شناخت جادهها از یکدیگر می شود اشاره کرده، می گوید: «و از کوهها نیز جادههایی آفریده شده به رنگ سفید و سرخ، با رنگهایی متفاوت و (گاه) به رنگ کاملا سیاه» (وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِیضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِیبُ سُودٌ).

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۲۸ ص: ۶۹

(آیه ۲۸)- در این آیه مسأله تنوع الوان را در انسانها و جانـداران دیگر مطرح کرده، میگویـد: «از انسانها و جنبنـدگان و چهار پایان نیز (افرادی آفریده شده که) برگزیده تفسیر نِمونه، ج۴، ص: ۷۰

رنگهای متفاوتی دارند» (وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانْهُ).

آری! انسانها با این که همه از یک پـدر و مادرند دارای نژادها و رنگهای کاملا متفاوتند، بعضی سفید همچون برف، بعضی سیاه همچون مرکب، حتی در یک نژاد نیز تفاوت در میان رنگها بسیار است.

گذشته از چهره ظاهری، رنگهای باطنی آنها، و خلق و خوهای آنها، و استعداد و ذوقهایشان، کاملا متنوع و مختلف است. پس از بیان این نشانههای توحیدی در پایان به صورت یک جمع بندی می گوید: «آری مطلب چنین است» (کَذلِکَ).

و از آنجا که بهره گیری از این آیات بزرگ آفرینش بیش از همه برای بندگان خردمند و دانشمند است در دنباله آیه می فرماید: «تنها بندگان عالم و دانشمندند که از خدا می ترسند» (إِنَّما یَخْشَی اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ).

آری! از میان تمام بندگان، دانشمندانند که به مقام عالی خشیت یعنی «ترس از مسؤولیت تو أم با درک عظمت مقام پروردگار» نائل می گردند، این حالت «خشیت» مولود سیر در آیات آفاقی و انفسی و آگاهی از علم و قدرت پروردگار، و هدف آفرینش

است.

در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام در تفسیر همین آیه میخوانیم: «منظور از علما کسانی هستند که اعمالشان آنها هماهنگ با سخنانشان باشد کسی که گفتارش با کردارش هماهنگ نباشد عالم نیست».

و در پایان آیه به عنوان یک دلیل کوتاه بر آنچه گذشت می فرماید: «خداوند توانای شکست ناپذیر و آمرزنده است» (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ).

«عزت» و قدرت بی پایانش سر چشمه خوف و خشیت اندیشمندان است، و «غفوریتش» که نشانه رحمت بی انتهای اوست سبب رجاء و امید آنان است، و به این ترتیب این دو نام مقدس، بندگان خدا را در میان خوف و رجاء نگه می دارد، و می دانیم حرکت مداوم به سوی تکامل بدون اتصاف به این دو وصف ممکن نیست.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۲۹ ص: ۷۰

(آیه ۲۹)- معامله پرسود با پروردگار! از آنجا که در آیه قبل به مقام خوف برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۷۱ و خشیت عالمان اشاره شده بود در این آیه به مقام «امید و رجاء» آنها اشاره کرده، میفرماید: «کسانی که کتاب الهی را تلاوت می کنند، و نماز را بر پا میدارند، و از آنچه به آنها روزی داده ایم در پنهان و آشکار انفاق می کنند، آنها امید تجارتی دارند که نابودی و فساد و کساد در آن نیست» (إِنَّ الَّذِینَ یَتْلُونَ کِتابَ اللَّهِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرَّا وَ عَلائِیَةً یَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ).

بدیهی است که «تلاوت» در اینجا به معنی قرائت سرسری و خالی از تفکر و اندیشه نیست، خواندنی است که سر چشمه فکر باشد، فکری که سر چشمه عمل صالح گردد، عملی که از یک سو انسان را به خدا پیوند دهد که مظهر آن نماز است، و از سوی دیگر به خلق خدا ارتباط دهد که مظهر آن انفاق است.

این انفاق گاهی مخفیانه صورت می گیرد تا نشانه اخلاص کامل باشد «سرّا».

و گاه آشکارا تا مشوق دیگران گردد و تعظیم شعائر شود «علانیه».

آری! علمی که چنین اثری دارد مایه رجاء و امیدواری است.

سورة فاطر (35): آية 30 ص: ٧١

(آیه ۳۰)- این آیه هدف این مؤمنان راستین را چنین بیان می کند: «آنها (این اعمال صالح را انجام می دهند) تا خداوند اجر و پاداششان را بطور کامل بپردازد، و از فضلش بر آنها بیفزاید که او آمرزنده و شکور است» (لِیُوَفِّیهُمْ أُجُورَهُمْ وَ یَزِیدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَکُورٌ).

این جمله در حقیقت اشاره به نهایت اخلاص آنهاست که در اعمال نیک خود جز به پاداش الهی نظر ندارند، و خداوند علاوه بر پاداش معمولی که آن خود گاهی صدها یا هزاران برابر عمل است از فضل خود بر آنان میافزاید، و مواهبی، از فضل گستردهاش به آنها میبخشد.

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۳۱ ص: ۷۱

(آیه ۳۱) – از آنجا که در آیات گذشته سخن از مؤمنان پاکدلی در میان بود که آیات کتاب الهی را تلاوت می کنند و به کار میبندند، در این آیه از این کتاب آسمانی و دلائل صدق آن و همچنین حاملان واقعی کتاب سخن می گوید، و بحثی را که در آیات پیشین پیرامون توحید بود با این بحث که پیرامون نبوت است تکمیل کرده، می فرماید: «و آنچه از کتاب بر تو وحی فرستادیم حق است، و آنچه را در کتب برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۷۲

پیشین آمده تصدیق می کند، خداوند نسبت به بندگانش آگاه و بیناست» (وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکُ مِنَ الْکِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِیرٌ بَصِیرٌ).

جمله (إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِ يَرٌ) بيانگر علت حقانيت قرآن و هماهنگي آن با واقعيتها و نيازهاست، چرا که از سوي خداوندي نازل شده که بندگان خود را به خوبي ميشناسد و نسبت به نيازهايشان بصير و بيناست.

«خبیر» به معنی آگاهی از بواطن و عقائد و نیات و ساختمان روحی انسان، و «بصیر» به معنی بینایی نسبت به ظواهر و پدیدههای جسمانی اوست.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۳۲ ص: ۷۲

(آیه ۳۲) – وارثان حقیقی میراث انبیا: این آیه به موضوع مهمی در این رابطه – یعنی حاملان این کتاب بزرگ آسمانی، همان کسانی که بعد از نزول قرآن بر قلب پاک پیامبر صلّی الله علیه و اله این مشعل فروزان را در آن زمان و قرون و اعصار دیگر حفظ و پاسداری نمودند – اشاره کرده، می فرماید: «سپس این کتاب آسمانی را به گروهی از بندگان برگزیده خود به ارث دادیم» (ثُمَّ أَوْرَ ثُنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا).

منظور از «کتاب» در اینجا قرآن مجید است.

«ارث» به چیزی گفته می شود که بدون داد و ستد و زحمت به دست می آید، و خداوند این کتاب بسیار بزرگ را این گونه در اختیار مسلمانان قرار دارد.

سپس به یک تقسیمبندی مهم در این زمینه پرداخته، میگوید: «از میان آنها عدهای به خویشتن ستم کردند، و گروهی راه میانه را در پیش گرفتند، و این فضیلت بزرگی است» (فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِیَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَیْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ).

خداوند پاسداری این کتاب آسمانی را بعد از پیامبرش بر عهده این امت گذاشته، امتی که برگزیده خداست، ولی در میان این امت گروههای مختلفی یافت میشوند: بعضی به وظیفه بزرگ خود در پاسداری از این کتاب و عمل به احکامش کوتاهی کرده، و در حقیقت بر خویشتن ستم نمودند.

گروهی دیگر تا حـد زیادی به این وظیفه پاسـداری و عمل به کتاب قیام نمودهاند، هر چند لغزشـها و نارسائیهایی در کار خود نیز داشتهاند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۷۳

و بالأخره گروه ممتازی وظائف سنگین خود را به نحو احسن انجام داده، و در این میدان مسابقه بزرگ بر همگان پیشی گرفته اند که در رأس این گروه امامان معصوم علیهم السّلام قرار دارند.

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۳۳ ص: ۷۳

(آیه ۳۳)- آنجا که نه غمی است، نه رنجی، و نه درماندگی! این آیات در حقیقت نتیجهای است برای آنچه در آیات گذشته آمده بود، میفرماید: پاداش پیشگامان در خیرات و نیکیها «باغهای جاویدان بهشت است که همگی در آن وارد میشوند» (جَنَّاتُ عَدْنِ یَدْخُلُونَها).

سپس به سه بخش از نعمتهای بهشتی که بعضی جنبه مادی دارد و ظاهری، و بعضی جنبه معنوی و باطنی، و قسمتی نیز ناظر به نفی و طرد هر گونه مانع و مزاحم است اشاره کرده، می گوید: «این پیشگامان در خیرات در آن بهشت جاویدان به دستبندهایی از طلا و مروارید آراسته اند و لباسشان در آنجا حریر است»! (یُحَلَّوْنَ فِیها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُواً وَ لِباسُهُمْ فِیها حَریر).

آنها در این دنیا به زرق و برقها بیاعتنایی کردنـد، در بنـد لباسـهای فاخر نبودند، خداوند به جبران اینها در جهان دیگر بهترین لباسها و زیورها را بر آنها میپوشاند.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۳۴ ص: ۷۳

(آیه ۳۴)- بعد از ذکر این نعمت مادی به نعمت معنوی خاصی اشاره کرده، میفرماید: «آنها می گویند: حمد (و ستایش) برای خداوندی است که اندوه را از ما بر طرف ساخته» (وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ).

سپس این مؤمنان بهشتی میافزایند: «پروردگار ما آمرزنده و سپاسگزار است» (إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَکُورٌ).

با وصف غفوریتش اندوه سنگین لغزشها و گناهان را بر طرف ساخته، و با وصف شکوریتش مواهب جاودانی که هرگز سایه شوم غم بر آنها نمیافتد به ما ارزانی داشته.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۳۵ ص: ۷۳

(آیه ۳۵) – سر انجام به سراغ آخرین نعمت که نبودن عوارض ناراحتی و عوامل مشقت و خستگی و رنج و تعب است رفته، از قول آنها می گوید: ستایش برای «آن کسی است که با فضل خود ما را در این سرای اقامت (جاویدان) جای داد برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۷۴

كه نه در آنجا رنجى به ما مىرسـد و نه سـستى و وامانـدگى»! (الَّذِى أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْ لِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ).

و به این ترتیب در آنجا نه عوامل مشقتبار جسمانی وجود دارد، نه از اسباب رنج روحی خبری است.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۳۶ ص: ۷۴

(آیه ۳۶) - معمولا ـ قرآن در کنار «بشارتها» به «انـذارها» میپردازد تا دو عامل خوف و رجا را که انگیزه حرکت تکاملی است تقویت کند. لذا در اینجا سخن از مجازاتهای مادی و معنوی است.

نخست میفرماید: «آنها که راه کفر را پیش گرفتند آتش دوزخ برای آنهاست» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ).

همان گونه که بهشت دار مقام و سرای جاویدان است، دوزخ نیز برای این گروه جایگاه ابدی است.

سپس مى افزايد: «هرگز فرمان مرگ آنها صادر نمى شود تا بميرند» و از اين رنج و الم رهايى يابند (لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا).

مرگ برای این گونه اشخاص یک دریچه نجات است، اما با جمله گذشته این دریچه بسته شده، باقی می ماند دریچه دیگر و آن این که زنده بمانند و مجازاتشان تدریجا تخفیف یابد، و یا تحمل آنها را بیفزاید تا نتیجه آن تخفیف درد و رنج باشد، این دریچه را نیز با جمله دیگری می بندد، می گوید: «چیزی از عذاب دوزخ از آنها تخفیف داده نخواهد شد» (وَ لا یُخَفَّفُ عَنْهُمْ مَنْ عَذَابِها).

و در پایان آیه به عنوان تأکید بر قاطعیت این وعید الهی میفرماید: «این گونه هر کفران کنندهای را جزا میدهیم»! (کَذلِکَ نَجْزِی کُلَّ کَفُورِ).

آری! جزای کفران کننده سوختن در عذاب دردناک آتش است، آتشی که با دست خود افروخته و هیزمش را افکار و اعمال و وجود او تشکیل میدهد.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۳۷ ص: ۷۴

(آیه ۳۷) - ما را بازگردانید تا عمل صالح انجام دهیم! این آیه به قسمت دیگری از عذاب دردناک آنها پرداخته، و انگشت روی بعضی از نکات حساس در این زمینه گذارده، می گوید: «آنها در دوزخ فریاد میزنند: برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۷۵

پروردگارا! ما را خارج کن تا عمل صالحی به جا بیاوریم غیر از آنچه انجام میدادیم» (وَ هُمْ یَصْطَرِخُونَ فِیها رَبَّنا أُخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَیْرَ الَّذِی کُنَّا نَعْمَلُ).

آری! آنها با مشاهده نتایج اعمال سوء خود در ندامت عمیقی فرو میروند، و تقاضای بازگشت به دنیا می کنند برای انجام اعمال صالح.

به هر حال در برابر این تقاضا یک پاسخ قاطع از سوی خداوند به آنها داده میشود، میفرماید: «آیا شما را به اندازهای که هر کس اهل تذکر است در آن متذکر میشود عمر ندادیم»؟! (أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما یَتَذَکَّرُ فِیهِ مَنْ تَذَکَّرَ).

«و (آیا) بیم دهنده الهی به سراغ شما نیامد»؟! (وَ جاءَ كُمُ النَّذِيرُ).

اكنون كه چنين است و تمام وسائل نجات در اختيارتان بوده و از آن بهره نگرفتيـد بايـد در همين جـا گرفتار باشـيد «اكنون بچشيد كه براى ستمگران ياورى نيست»! (فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ).

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۳۸ ص: ۷۵

(آیه ۳۸)- در این آیه به تقاضایی که کفّار در دوزخ برای بازگشت به دنیا دارند پاسخ داده، می گوید: «خداوند غیب آسمانها و زمین را میداند، چنین خدایی مسلما از آنچه در درون دلهاست آگاه است» (إِنَّ اللَّهَ عالِمُ غَیْبِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِیمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)

. آری! او میداند اگر به درخواست دوزخیان پاسخ مثبت گفته شود و باز به دنیا برگردند همان اعمال گذشته را ادامه خواهند داد

علاوه بر این، آیه هشداری است به همه مؤمنان که در اخلاص نیّات خویش بکوشند و جز خدا کسی را در نظر نداشته باشند.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۳۹ ص: ۷۵

(آیه ۳۹)- به دنبال بحثهایی که در آیات گذشته پیرامون سرنوشت کفار و مشرکان آمده بود، در اینجا از طریق دیگری آنها را مورد بازخواست قرار داده، بطلان طریقه آنها را با دلائل آشکاری روشن میسازد.

نخست مي گويد: «او كسى است كه شما را جانشينان در زمين قرار داد» (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْض).

او عقل و شعور و فکر و هوش داده، و طریقه استفاده کردن از این امکانات را برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۷۶

به شما انسانها آموخته است، با این حال چگونه ولی نعمت اصلی خود را فراموش کردید.

این جمله، هشداری است به همه انسانها که بدانند دوران آنها ابدی و جاودانی نیست، همان گونه که آنها جانشین اقوام دیگر شدند پس از چند روزی آنها نیز میروند و اقوام دیگری جانشین آنها خواهند شد.

به همين دليل بلا فاصله مي گويد: «پس هر كس كافر شود كفر او به زيان خودش خواهد بود» (فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ).

«و كفر كافران در نزد پروردگارشان چيزى جز خشم و غضب نمىافزايد» (وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً). خشم الهي به معنى بر چيدن دامنه رحمت و دريغ داشتن لطف از كسانى است كه مرتكب اعمال زشتى شدهاند.

و به هر حال «كفرشان چيزى جز زيان و خسران به آنان نمىافزايد» (وَ لا يَزيدُ الْكافِرينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَساراً).

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۴۰ ص: ۷۶

(آیه ۴۰) - این آیه پاسخ قاطع دیگری به مشرکان میدهد و به آنها خاطر نشان میسازد که اگر انسان از چیزی تبعیت میکند یا به آن دل میبندد باید دلیلی از عقل بر آن داشته باشد، یا دلیلی از نقل قطعی، شما که هیچ یک از این دو را در اختیار ندارید تکیه گاهی جز فریب و غرور نخواهید داشت.

مىفرمايىد: «بگو: ايىن معبودانى را كه جز خىدا مىخوانيىد به من نشان دهيىد چه چيزى از زمين را آفريىدهانىد»! (قُـلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ).

«يا اين كه در آفرينش آسمان شريكند»؟! (أَمْ لَهُمْ شِرْكُ فِي السَّماواتِ).

با این حال پرستش آنها چه دلیلی دارد؟! معبود بودن فرع بر خالق بودن است، حال که ثابت شد هیچ دلیل عقلی برای مدعای شما نیست، آیا دلیلی از نقل در اختیار دارید؟ «آیا کتابی (آسمانی) در اختیار آنها گذارده ایم و آنها دلیل روشنی از آن بر کار خود دارند»؟ (أَمْ آتَیْناهُمْ کِتاباً فَهُمْ عَلی بَیْنَهُ مِنْهُ).

نه آنها هیچ دلیل و بینه و برهان روشنی از کتب الهی در اختیار ندارند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۷۷ پس سرمایه آنها چیزی جز مکر و فریب نیست «بلکه این ستمگران به یکدیگر جز وعدههای دروغین نمیدهند» (بَلْ إِنْ یَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُوراً).

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۴۱ ص: ۷۷

(آیه ۴۱)- آسمانها و زمین با دست قدرت او برپاست! در این آیه سخن از حاکمیت خدا بر مجموعه آسمانها و زمین است، و در حقیقت بعد از نفی دخالت معبودهای ساختگی در جهان هستی به اثبات توحید خالقیت و ربوبیت پرداخته، می فرماید:

«خداوند آسمانها و زمین را نگاه می دارد تا از نظام خود منحرف نشوند» (إِنَّ اللَّه یُمْسِکَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا). نه تنها آفرینش در آغاز با خداست که نگهداری و تدبیر و حفظ آنها نیز به دست قدرت اوست، بلکه آنها هر لحظه آفرینش جدیدی دارند و فیض هستی لحظه به لحظه به آنها می رسد، که اگر لحظه ای رابطه آنها با آن مبدأ بزرگ قطع شود راه فنا و نیستی را پیش می گیرند.

اگر نازی کند یکدم فرو ریزند قالبها!

سپس به عنوان تأکید می افزاید: «و هرگاه منحرف گردند، کسی جز او نمی تواند آنها را نگاه دارد» (وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَ كَهُما مِنْ أَحَدِ مِنْ بَعْدِهِ).

نه بتهای ساختگی شما، نه فرشتگان، و نه غیر آنها، هیچ کس قادر بر این کار نیست.

در پایان آیه برای این که راه توبه را به روی مشرکان گمراه نبنـدد و اجازه بازگشت در هر مرحله به آنها دهـد میفرمایـد: «او بردبار و غفور است» (إنَّهُ کانَ حَلِيماً غَفُوراً).

به مقتضای حلمش در مجازات آنها تعجیل نمی کند و به مقتضای غفوریتش توبه آنها را با شرائطش در هر مرحله که باشد پذیرا می شود.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۴۲ ص: ۷۷

اشاره

(آیه ۴۲)

شأن نزول: ص: ۷۷

«مشرکان عرب هنگامی که می شنیدند بعضی از امتهای پیشین همچون یهود، پیامبران الهی را تکذیب کردند، و آنها را به شهادت رساندند، می گفتند: ولی ما چنین نیستم! اگر فرستاده الهی به سراغ ما بیاید ما هدایت پذیرترین امتها خواهیم بود! ولی همانها هنگامی که آفتاب عالمتاب اسلام از افق برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۷۸

سرزمینشان طلوع کرد و پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله همراه بزرگترین کتاب آسمانی به سراغشان آمد نه تنها نپذیرفتند بلکه در مقام تکذیب و مبارزه و انواع مکر و فریب برآمدند.

این آیه و دو آیه بعد نازل شد و آنها را بر این ادعاهای تو خالی و بیاساس مورد ملامت و سرزنش قرار داد.

تفسیر: ص: ۷۸

استکبار و حیله گری، سر چشمه بدبختیهای آنها بود در آیات پیشین سخن از مشرکان و سرنوشت آنها در دنیا و آخرت در میان بود. در این آیه می فرماید: «آنها با نهایت تأکید سوگند یاد کردند اگر انذار کننده ای به سراغشان بیاید بطور مسلم از همه امتها هدایت یافته تر خواهند بود» (وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَیْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِیرٌ لَیَکُونُنَّ أَهْدی مِنْ إِحْدَی الْأُمَم).

آری! آنها هنگامی که تماشاگر صفحات تاریخ گذشته بودند، بسیار تعجب می کردند و همه گونه ادعا در باره خود داشتند و لافها میزدند.

اما هنگامی که «محک تجربه آمـد به میان» و کوره امتحان سخت داغ شد و خواسته آنها عملی شد نشان دادند که آنها نیز از همان قماشند، بطوریکه قرآن در دنباله همین آیه فرموده: «پس هنگامی که انـذار کننـده الهی آمد جز فرار و فاصـله گرفتن از حق چیزی بر آنها نیفزود»! (فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِیرٌ ما زادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً).

این تعبیر نشان می دهد که آنها قبلا نیز بر خلاف ادعاهایشان طرفدار حق نبودند، قسمتی از آیین ابراهیم را که در میان آنها وجود داشت محترم نمی شمردند.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۴۳ ص: ۷۸

(آیه ۴۳)- این آیه توضیحی است بر آنچه در آیه قبل گذشت، می گوید:

دوری آنها از حق «به خاطر این بود که طریق استکبار در زمین را پیش گرفتند» و هرگز حاضر نشدند در برابر حق تسلیم شوند (اسْتِکْباراً فِی الْأَرْض).

و نیز به خاطر آن بود که «حیله گریهای زشت و بد را» پیشه کردند (وَ مَكْرَ السَّيِّئ).

«ولى اين حيله گريهاى سوء تنها دامان صاحبانش را مى گيرد» (وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ).

او را در برابر خلق خدا رسوا و بینوا، و در پیشگاه الهی شرمسار می کند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۷۹

در حقیقت این آیه میگویـد: آنها تنها به دوری کردن از این پیامبر بزرگ الهی قناعت نکردند، بلکه برای ضـربه زدن به او از تمام توان و قدرت خود کمک گرفتند، و انگیزه اصلی آن کبر و غرور و عدم خضوع در مقابل حق بود.

در دنباله آیه این گروه مستکبر مکار و خیانتکار را با جمله پر معنی و تکان دهندهای تهدید کرده، می گوید: «آیا آنها انتظاری جز این دارند که گرفتار همان سرنوشت پیشینیان شوند»؟! (فَهَلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِینَ).

این جمله کوتاه اشارهای دارد به تمام سرنوشتهای شوم اقوام گردنکش و طغیانگری همچون قوم نوح، و عاد، و ثمود، و قوم فرعون که هر کدام به بلای عظیمی گرفتار شدند.

سپس برای تأکید بیشتر میافزاید: «هرگز برای سنت الهی تغییر و تبدیلی نمییابی، و هرگز برای سنت الهی دگرگونی نخواهی یافت» (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِیلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِیلًا).

نوسان و دگرگونی سنتها در باره کسی تصور می شود که آگاهی محدودی دارد، ولی پروردگاری که عالم و حکیم و عادل است سنتش در باره آیندگان همان است که در باره پیشینیان بوده است، سنتهایش ثابت و تغییر ناپذیر است.

سورهٔ فاطر(۳۵): آیهٔ ۴۴ ص: ۷۹

(آیه ۴۴) - در این آیه این گروه مشرک و مجرم را به پیگیری آثار گذشتگان و سرنوشتی که به آن گرفتار شدند دعوت می کند، تا آنچه را از تاریخ در باره آنها شنیدهاند با چشم در سرزمینهای متعلق به آنها، و در لابلای آثارشان ببینند، می فرماید:

«آیـا سـیر در زمین نکردنـد تـا بنگرنـد عاقبت کار کسانی که پیش از آنها بودنـد چه شـد»؟! (أَ وَ لَمْ یَسِـیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

اگر اینها چنین تصور میکننـد که از آنان نیرومندترند سـخت در اشـتباهند، چرا که «آنها از اینها قویتر و پر قدرت تر بودند» (وَ کانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً).

به علاوه انسانها هر قدر نیرومند و قوی باشند قدرت آنها در برابر قدرت خداوند صفر است، چرا که «نه چیزی در آسمان، نه در زمین، از حوزه قدرت او فرار برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۸۰

نخواهد كرد، و او را عاجز و ناتوان نخواهد ساخت» (وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ). زيرا «او دانا و تواناست» (إنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً).

نه چیزی از نظرش مخفی و پنهان میماند، و نه کاری در برابر قدرتش مشکل است، و نه کسی بر او چیره میشود.

سورهٔ فاطر (۳۵): آیهٔ ۴۵ ص: ۸۰

(آیه ۴۵)- اگر لطف او نبود جنبنده ای بر پشت زمین نبود! این آیه که آخرین آیه سوره «فاطر» است بحثهای تند و تهدیدهای شدید گذشته این سوره را با بیان لطف و رحمت پروردگار بر مردم روی زمین پایان می دهد، همان گونه که این سوره را با گشایش رحمت خدا بر مردم آغاز کرد.

آیه قبل که مجرمان بی ایمان را تهدید به سرنوشت پیشینیان می کرد این سؤال را برای بسیاری از آنها و دیگران مطرح می سازد که اگر سنت الهی در باره همه گردنکشان چنین است پس چرا این قوم مشرک و سرکش مکّه را مجازات نمی کند؟! در پاسخ این سؤال می فرماید: «اگر خداوند همه مردم را به خاطر اعمالی که انجام داده اند مجازات کند (و هیچ مهلتی برای اصلاح و تجدید نظر و خودسازی به آنان ندهد) جنبنده ای را بر پشت زمین باقی نخواهد گذاشت» (و لَوْ یُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما کَسَ بُوا ما تَرکَ عَلی ظَهْرِها مِنْ دَابَّهُ).

آن چنان مجازاتهای پی در پی نازل می شد و صاعقه ها و زلزله ها و طوفانها گنهکاران ظالم را در هم می کوبید که زمین جای زندگی برای کسی نبود.

«ولى خداونـد (به لطف و كرمش) آنهـا را تا زمان معينى به تأخير مىانـدازد» و به آنها فرصت براى توبه و اصـلاح مىدهـد (وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إلى أَجَل مُسَمَّى).

اما این حلم و فرصت الهی حسابی دارد، تا زمانی است که اجل آنها فرا نرسیده باشد، «اما هنگامی که اجل آنها فرارسد (هر کس را به مقتضای عملش جزا می دهد چرا که) خداوند نسبت به بندگانش بصیر و بیناست» هم اعمال آنها را می بیند و هم از نیات آنها با خبر است (فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ کانَ بِعِبادِهِ بَصِیراً).

«پایان سوره فاطر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۸۱

سوره يس [٣٦] ص: ٨١

این سوره در «مکه» نازل شده و ۸۳ آیه دارد

محتوای سوره: ص: 81

در این سوره چهار بخش عمده مخصوصا دیده می شود:

١- نخست سخن از رسالت پيامبر اسلام صلّى اللّه عليه و اله و قرآن مجيد و هدف از نزول اين كتاب بزرگ آسماني است.

۲- بخش دیگر از رسالت سه نفر از پیامبران الهی، و چگونگی دعوت آنها به سوی توحید و مبارزه پی گیر و طاقتفرسای آنها با شرک سخن می گوید.

۳- بخشی از این سوره که از آیه ۳۳ شروع می شود و تا آیه ۴۴ ادامه دارد مملو از نکات جالب توحیدی، و بیان گویا از آیات و نشانه های عظمت پروردگار در عالم هستی است.

۴- بخش مهم دیگری از این سوره در مسائل مربوط به «معاد» و دلائل گوناگون آن و چگونگی حشر و نشر، و سؤال و جواب در روز قیامت، و پایان جهان، و بهشت و دوزخ سخن می گوید، و در لابلای این بحثها آیاتی تکان دهنده برای بیداری و هشیاری غافلان و بیخبران آمده است که اثری نیرومند در دلها و جانها دارد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 81

سوره «یس» در احادیث به عنوان «قلب قرآن» نامیده شده است.

در حدیثی از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «هر چیز قلبی دارد، و قلب قرآن یس است». برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۸۲

در حدیثی از امام صادق علیه السّلام نیز همین معنی آمده است و در ذیل آن میافزاید: «هر کس آن را در روز پیش از آن که غروب شود بخواند در تمام طول روز محفوظ و پر روزی خواهد بود، و هر کس آن را در شب پیش از خفتن بخواند خداوند هزار فرشته را بر او مأمور می کند که او را از هر شیطان رجیم و هر آفتی حفظ کنند ...» و به دنبال آن فضائل مهم دیگری نیز بیان می فرماید.

این عظمت به خاطر محتوای عظیم این سوره است.

محتوایی بیدارگر ایمان بخش و مسؤولیت آفرین و تقوازا که وقتی انسان در آن اندیشه کند و این اندیشه در اعمال او پرتوافکن گردد خیر دنیا و آخرت را برای او به ارمغان می آورد.

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۱ ص: ۸۲

(آیه ۱)- سر آغاز «قلب قرآن» این سوره همانند ۲۸ سوره دیگر قرآن مجید با حروف مقطعه آغاز می شود، و این بار دو حرف «یا- سین» (یس). آیه اول سوره را تشکیل می دهد.

در خصوص سوره «یس» در روایتی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم که فرمود:

«یس نام رسول خداست و دلیل بر آن این است که بعد از آن می فرماید تو از مرسلین و بر صراط مستقیم هستی».

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۲ ص: ۸۲

(آیه ۲)– به دنبال این حروف مقطعه– هماننـد بسیاری از سورههایی که با حروف مقطعه آغاز شـده– سـخن از قرآن مجیـد به میان میآورد، منتها در اینجا به آن سوگند یاد کرده، میگوید: «سوگند به قرآن حکیم» (وَ الْقُرْآنِ الْحَکِیم).

گویی قرآن را موجودی زنده و عاقل و رهبر و پیشوا معرفی می کند که می تواند درهای حکمت را به روی انسانها بگشاید.

البته خداونـد نیازی به سوگنـد نـدارد، ولی سوگنـدهای قرآن همواره دارای دو فایـده مهم است: نخست تأکید روی مطلب، و دیگر بیان عظمت چیزی که به آن سوگند یاد میشود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۸۳

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۳ ص: ۸۳

(آیه ۳)- این آیه چیزی را که سوگند آیه قبل به خاطر آن بوده است بازگو میکند، میفرماید: «مسلما تو از رسولان خداوند هستی» (إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ).

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۴ ص: ۸۳

(آیه ۴)- رسالتی که توأم با حقیقت است و «بودن تو بر صراط مستقیم» (عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ).

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۵ ص: ۸۳

(آیه ۵)- سپس می افزاید: این قرآنی است که «از ناحیه خداوند عزیز و رحیم نازل شده» (تَنْزِیلَ الْعَزِیزِ الرَّحِیمِ). عزّت و رحمتش که یکی مظهر «انـذار» و دیگری مظهر «بشـارت» است با هم آمیخته و این کتاب بزرگ آسـمانی را در اختیار انسانها گذارده است.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶ ص: ۸۳

(آیه ۶) - این آیه هدف اصلی نزول قرآن را این گونه شرح می دهد:

قرآن را بر تو نازل كرديم «تا قومى را انـذار كنى كه پدران آنها انذار نشدند و به همين دليل آنها در غفلت فرو رفتهاند» (لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ).

قرآن نازل شد تا مردم غافل را هوشیار، و خواب زدگان را بیدار سازد.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۷ ص: ۸۳

(آیه ۷)- سپس قرآن به عنوان یک پیشگویی در باره سران کفر و سردمداران شرک می گوید: «فرمان و وعده الهی بر اکثر آنها تحقق یافته و به همین دلیل ایمان نمی آورند» (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلی أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ).

حقیقت این است که انسان در صورتی اصلاح پذیر و قابل هدایت است که فطرت توحیدی خود را با اعمال زشت و اخلاق آلودهاش بکلی پایمال نکرده باشد و گر نه تاریکی مطلق بر قلب او چیره خواهد شد و تمام روزنههای امید برای او بسته می شود.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۸ ص: ۸۳

(آیه ۸)- این آیه ادامه توصیف این گروه نفوذ ناپذیر است، در نخستین توصیف آنها می گوید: «ما در گردنهای آنها غلهایی قرار دادیم که تا چانههای آنها ادامه دارد، و سرهای آنها را به بالا نگاه داشته است» (إِنَّا جَعَلْنا فِی أَعْناقِهِمْ أَغْلالًا فَهِیَ إِلَی الْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ).

چه جالب است تشبیهی که از حال بت پرستان لجوج خصوصا سران آنها به برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۸۴ چنین انسانهایی شده، آنها طوق «تقلید» و زنجیر «عادات و رسوم خرافی» را بر گردن و دست و پای خود بستهاند و غلهای آنها آنقدر پهن و گسترده است که سر آنها را بالا نگاهداشته و از دیدن حقایق محروم ساخته، آنها اسیرانی هستند که نه قدرت فعالیت و حرکت دارند و نه قدرت دید! آیه فوق هم می تواند ترسیمی از حال این گروه بی ایمان در دنیا باشد، و هم بیان حال آنها در آخرت که تجسمی است از مسائل این جهان.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۹ ص: ۸۴

(آیه ۹)- این آیه توصیف دیگری از همین افراد است، و ترسیم گویایی از عوامل نفوذ ناپذیری آنها، میفرماید: «و ما در پیش روی آنها سدی قرار دادیم و در پشت سرشان سدی» (وَ جَعَلْنا مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا).

آنها در میان این دو سد چنان محاصره شدهاند که نه راه پیش دارند و نه راه بازگشت! و در همین حال «چشمانشان را پوشاندهایم لذا نمی بینند» (فَأَغْشَیْناهُمْ فَهُمْ لا یُبْصِرُونَ).

و چنین است حال مستکبران خودخواه و خودبین، و مقلدان کور و کر، و متعصبان لجوج در برابر چهره حقایق!

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۰ ص: ۸۴

(آیه ۱۰)- به همین دلیل در این آیه صریحا می گوید: «برای آنها یکسان است، چه آنها را انذار کنی، یا نکنی، ایمان نمی آورند»! (وَ سَواةً عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ).

گفتار تو هر قدر نافذ، و وحی آسمانی هر قدر مؤثر باشد، تا در زمینه آماده وارد نشود تأثیر نخواهد گذاشت.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۱ ص: ۸۴

(آیه ۱۱)- چه کسانی انذار تو را میپذیرند؟ در آیات گذشته سخن از گروهی در میان بود که به هیچ وجه آمادگی پذیرش انذارهای الهی را ندارند، اما در اینجا از گروه دیگری که درست در نقطه مقابل آنها قرار گرفتهاند سخن میگوید، تا با مقایسه با یکدیگر- همان گونه که روش قرآن در بحث است- مسأله روشنتر شود.

می فرماید: «تو تنها کسی را انذار می کنی که از ذکر پیروی کند، و از خداوند برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۸۵ رحمان در پنهان بترسد» و از طریق برهان و استدلال او را بشناسد (إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِیَ الرَّحْمنَ بِالْغَیْبِ). کسی که گوش شنوا و قلب آماده دارد.

«و کسی که چنین است او را بشارت به مغفرت و پاداش پر ارزش ده» (فَبَشَّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ).

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۲ ص: ۸۵

(آیه ۱۲) – سپس به تناسب بحثی که در آیات گذشته پیرامون اجر و پاداش پر ارزش مؤمنان و پذیرندگان انذارهای انبیا آمده بود در این آیه به مسأله «معاد و رستاخیز و ثبت و ضبط اعمال برای حساب و جزا» اشاره کرده، میفرماید: «ما مردگان را زنده می کنیم» (إِنَّا نَحْنُ نُحْی الْمَوْتی).

«و تمام آثار آنها را مي نويسيم» (وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ).

بنابر این چیزی فروگذار نخواهد شد مگر این که در نامه اعمال برای روز حساب محفوظ خواهد بود.

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر می افزاید: «و ما همه چیز را در کتاب آشکار احصا کرده ایم» (وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَ ثِناهُ فِی إِمامٍ مُبِین).

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۳ ص: ۸۵

(آیه ۱۳) – سرگذشت «اصحاب القریه» برای آنها عبرتی است در تعقیب بحثهایی که در زمینه قرآن و نبوت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و مؤمنان راستین و منکران لجوج گذشت در اینجا نمونهای از وضع امتهای پیشین در همین زمینه مطرح شده، و در ضمن این آیه و چندین آیه بعد که مجموعا هجده آیه را تشکیل میدهد سرگذشتی از چند تن از پیامبران پیشین را بیان می کند، تا هم هشداری باشد برای مشرکان مکه، و هم تسلی و دلداری باشد برای پیامبر و مؤمنان اندک آن روز، به هر حال تکیه بر این سرگذشت در قلب این سوره که خود قلب قرآن است به خاطر شباهت تمامی است که با موقعیت مسلمانان آن روز دارد.

نخست مىفرمايد: «و براى آنها اصحاب قريه را مثال بزن هنگامى كه فرستادگان خدا به سوى آنها آمدند» (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ). برگزيده تفسير نمونه، ج۴، ص: ۸۶

«قریه» مفهوم گستردهای دارد که هم شهرها را شامل می گردد و هم روستاها را، هر چند در زبان فارسی معمولی تنها به روستا اطلاق می شود.

مشهور در میان مفسران این است که منظور از «قریه» در اینجا «انطاکیه» یکی از شهرهای شامات بوده است.

از آیات این سوره بر می آید که اهل این شهر بت پرست بودند و این رسولان برای دعوت آنها به سوی توحید و مبارزه با شرک آمده بودند.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۱۴ ص: ۸۶

(آیه ۱۴)– سپس قرآن بعد از این بیان اجمالی و سر بسته، به شرح ماجرا پرداخته، چنین می گوید: «در آن زمان که دو نفر از

رسولان را به سوى آنها فرستاديم، اما آنها رسولان ما را تكذيب كردند، لذا براى تقويت آن دو، شخص سومى ارسال نموديم، آنها همكى گفتند: ما فرستادگان به سوى شما از طرف پروردگاريم» (إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ).

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۵ ص: ۸۶

(آیه ۱۵)- اکنون ببینیم آن قوم گمراه در مقابل دعوت رسولان چه واکنشی نشان دادند، قرآن می گوید: همان بهانهای را که بسیاری از کافران سرکش در برابر پیامبران الهی پیش کشیدند مطرح نمودند «آنان (در جواب) گفتند: شما بشری همانند ما نیستید و خداوند رحمان چیزی نازل نکرده، شما فقط دروغ می گویید»! (قالُوا ما أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا وَ ما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَیْءِ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَکْذِبُونَ).

اگر بنا بود فرستادهای از طرف خدا بیاید باید فرشته مقربی باشد نه انسانی همچون ما، و همین را دلیل برای تکذیب رسولان و انکار نزول فرمان الهی پنداشتند.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۱۶ ص: ۸۶

(آیه ۱۶)– به هر حال این پیامبران از مخالفت سرسختانه آن قوم گمراه مأیوس نشدند و ضعف و سستی به خود راه ندادند، و در پاسخ آنها چنین «گفتند:

پروردگار ما میداند که ما قطعا فرستادگان او به سوی شما هستیم» (قالُوا رَبُّنا یَعْلَمُ إِنَّا إِلَیْکُمْ لَمُرْسَلُونَ).

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۷ ص: ۸۶

(آیه ۱۷)– «و بر عهده ما چیزی جز ابلاغ رسالت بطور آشکار و روشن نیست» (وَ ما عَلَیْنا إِلَّا الْبَلاُغُ الْمُبِینُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۸۷

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۸ ص: ۸۷

(آیه ۱۸)- ولی این کوردلان در برابر آن منطق روشن و معجزات تسلیم نشدند، بلکه بر خشونت خود افزودند، و از مرحله تکذیب پا فراتر نهاده به مرحله تهدید و شدت عمل گام نهادند «گفتند: ما شما را به فال بد گرفته ایم» وجود شما شوم است و مایه بدبختی شهر و دیار ما! (قالُوا إِنَّا تَطَیَّرُنا بِکُمْ).

ممكن است مقارن آمدن این پیامبران الهی بعضی مشكلات در زندگی مردم آن دیار بر اثر گناهانشان و یا به عنوان هشدار الهی حاصل شده باشد، باز به این هم قناعت نكردند، بلكه با تهدیدی صریح و آشكار نیات شوم و زشت خود را ظاهر ساختند، و گفتند: «اگر از این سخنان دست برندارید مسلما شما را سنگسار خواهیم كرد، و مجازات دردناكی از ما به شما خواهد رسید»! (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْ جُمَنَّكُمْ وَ لَیَمَسَّنُكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِیمٌ).

ممكن است ذكر «عذاب اليم» اشاره به اين باشد كه سنگسار نمودن شما را آنقدر ادامه مي دهيم تا مايه مرك شما شود.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۱۹ ص: ۸۷

(آیه ۱۹)- اینجا بود که رسولان الهی با منطق گویای خود به پاسخ هذیانهای آنها پرداختند، و «گفتند: شومی شما از خودتان است اگر درست بیندیشید به این حقیقت واقف خواهید شد» (قالُوا طائِرُکُمْ مَعَکُمْ أَ إِنْ ذُکِّرْتُمْ).

اگر بدبختی و تیره روزی و حوادث شوم محیط جامعه شـما را فراگرفته، و برکات الهی از میان شما رخت بر بسته، عامل آن را در درون جان خود، در افکار منحط و اعمال زشت و شومتان جستجو کنید، نه در دعوت ما.

و سر انجام آخرین سخن این فرستادگان پروردگار به آنان این بود که: «شما گروهی اسرافکارید» (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ).

اگر توحید را انکار کرده، به شرک روی می آورید، دلیل آن اسراف و تجاوز از حق است، و اگر جامعه شما گرفتاًر سرنوشت شوم شده است سبب آن نیز اسراف در گناه و آلودگی به شهوات است.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۲۰ ص: ۸۷

(آیه ۲۰)- مجاهدی جان بر کف! در اینجا بخش دیگری از مبارزات رسولانی که در این داستان به آنها اشاره شده، آمده است، و آن مربوط به حمایت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۸۸

حساب شده و شجاعانه مؤمنان اندک از آنهاست که در برابر اکثریت کافر و مشرک و لجوج ایستادند و تا سر حد جان از پیامبران الهی دفاع کردند.

نخست میفرماید: «و مردی (با ایمان) از نقطه دور دست شهر با سرعت و شتاب (به سراغ گروه کافران) آمد و گفت: ای قوم من! از فرستادگان خدا پیروی کنید» (وَ جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِینَةِ رَجُلٌ یَشعی قالَ یا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِینَ).

این مرد که نامش را «حبیب نج ار» ذکر کردهاند هنگامی که به او خبر رسید، در قلب شهر مردم بر این پیامبران الهی شوریدهاند، و شاید قصد شهید کردن آنها را دارند، سکوت را مجاز ندانست، با سرعت و شتاب خود را به مرکز شهر رسانید و آنچه در توان داشت در دفاع از حق فروگذار نکرد.

تعبیر به «رجل» به صورت ناشناخته، شاید اشاره به این نکته است که او یک فرد عادی بود، قدرت و شوکتی نداشت، و در مسیر خود تک و تنها بود، تا مؤمنان عصر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در آغاز اسلام که عده قلیلی بیش نبودند سرمشق بگیرند و بدانند حتی یک نفر مؤمن تنها نیز دارای مسؤولیت است و سکوت برای او جائز نیست.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۱ ص : ۸۸

(آیه ۲۱)–اکنون ببینیم این مؤمن مجاهد به چه منطق و دلیلی برای جلب توجه همشهریانش متوسل گشت؟

نخست از این در وارد شد: «از کسانی پیروی کنید که از شما اجر و مزدی (در برابر دعوت خود) نمیخواهند» (اتَّبِعُوا مَنْ لا یَسْئَلُکُمْ أَجْراً).

این خود نخستین نشانه صدق آنهاست که هیچ منفعت مادی در دعوتشان ندارند، نه از شما مالی میخواهند، و نه جاه و مقام، و نه حتی تشکر و سپاسگزاری، و این همان چیزی است که بارها در آیات قرآن در مورد انبیای بزرگ به عنوان نشانهای از اخلاص روی آن تکیه شده، تنها در سوره «شعرا» پنج بار جمله «و ما اسئلکم علیه من اجر» تکرار گردیده است. سپس میافزاید: به علاوه «این رسولان (چنانکه از محتوای دعوت و سخنانشان بر می آید) افرادی هدایت یافتهاند» (وَ هُمْ مُهْتَدُونَ).

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۲۲ ص: ۸۸

(آیه ۲۲) - سپس به دلیل دیگری می پردازد و به سراغ اصل توحید که برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۸۹

عمده ترین نکته دعوت این رسولان بوده است می رود و می گوید: «من چرا کسی را پرستش نکنم که مرا آفریده است»؟ (وَ ما لِیَ لا أَعْبُدُ الَّذِی فَطَرَنِی).

فطرت سلیم می گوید: کسی شایسته پرستش است که خالق و مالک و بخشنده مواهب باشد نه این بتها که هیچ کاری از آنان ساخته نیست.

و به دنبال آن هشدار می دهد که مراقب باشید «همه شما سر انجام تنها به سوی او باز می گردید» (وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

یعنی نه تنها سر و کار شما در زنـدگی این جهان بـا اوست که در جهـان دیگر نیز تمام سـرنوشت شـما در دست قـدرت او میباشد، آری به سراغ کسی بروید که در هر دو جهان سرنوشت شما را به دست گرفته.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۲۳ ص: ۸۹

(آیه ۲۳)- و در سومین استدلال خود به وضع بتها پرداخته، و اثبات عبودیت را برای خداوند با نفی عبودیت از بتها تکمیل می کند، می گوید: «آیا غیر از خداوند معبودانی را انتخاب کنم که اگر خداوند رحمن بخواهد زیانی به من برساند شفاعت آنها کمترین فایده ای برای من نخواهد داشت، و مرا از مجازات او هر گز نجات نخواهند داد» (أَتَّخِ لَدُ مِنْ دُونِهِ آلِهَ لَمُ إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرِّ لا تُغْن عَنِّی شَفاعَتُهُمْ شَیْناً وَ لا یُنْقِذُونِ).

باز در اینجا از خودش سخن می گوید تا جنبه تحکّم و آمریت نداشته باشد، و دیگران حساب کار خود را برسند.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۲۴ ص: ۸۹

(آیه ۲۴)– سپس این مؤمن مجاهد برای تأکید و توضیح بیشتر افزود: «هر گاه من چنین بتهایی را پرستش کنم و آنها را شریک پروردگار قرار دهم در گمراهی آشکار خواهم بود» (إِنِّی إِذاً لَفِی ضَلالٍ مُبِینِ).

کدام گمراهی از این آشکارتر که انسان عاقل و با شعور در برابر این موجودات بی شعور زانو زند و آنها را در کنار خالق زمین و آسمان قرار دهد.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۲۵ ص: ۸۹

(آیه ۲۵) – این مؤمن تلاشگر و مبارز پس از این استدلالات و تبلیغات مؤثر و گیرا با صدای رسا در حضور جمع اعلام کرد: همه بدانید «من به پروردگار شما ایمان آوردهام» و دعوت این رسولان را پذیرا شدهام (إِنِّی آمَنْتُ بِرَبِّکُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۹۰ «بنابر این سخنان مرا بشنوید» (فَاسْمِعُونِ). و بدانید من به دعوت این رسولان مؤمنم و گفتار مرا به کار بندید که به سود شماست.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۲۶ ص: ۹۰

(آیه ۲۶)- اما ببینیم عکس العمل این قوم لجوج در برابر این مؤمن پاکباز چه بود؟ قرآن سخنی از آن به میان نمی آورد، ولی از لحن آیات بعد استفاده می شود که آنها بر او شوریدند و شهیدش کردند.

قرآن این حقیقت را با جمله جالب و سر بسته ای بیان کرده، می گوید: «به او گفته شد وارد بهشت شو»! (قِیلَ ادْخُلِ الْجَنَّهُ). این تعبیر نشان می دهد که شهادت این مرد مؤمن همان، و داخل شدن او در بهشت همان.

البته روشن است منظور از بهشت در اینجا بهشت برزخی است، چرا که هم از آیات و هم از روایات استفاده می شود که بهشت جاویدان در قیامت نصیب مؤمنان خواهد شد همان گونه که دوزخ نیز در مورد بدکاران چنین است.

به هر حال روح پاک این مرد به آسمانها، در جوار قرب رحمت الهی و در نعیم بهشتی، شتافت، و در آنجا تنها آرزویش این بود که «گفت: ای کاش قوم من میدانستند» (قالَ یا لَیْتَ قَوْمِی یَعْلَمُونَ). و این چنین مؤمن، عاشق هدایت مردم است و از گمراهی آنان رنج میبرد.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۲۷ ص: ۹۰

(آیه ۲۷)– ای کاش میدانستند که: «پروردگارم مرا مشمول آمرزش و عفو خویش قرار داد و در صف گرامیان جای داد» (بِما غَفَرَ لِی رَبِّی وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُکْرَمِینَ).

ای کاش چشم حق بینی داشتند و آنچه را در پشت این پرده است ببینند یعنی تا این همه نعمت و اکرام و احترام خدا را بنگرند و بدانند در مقابل اهانتهای آنها خداوند چه لطفی در حق من فرموده است، ای کاش می دیدند و ایمان می آوردند اما افسوس! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۹۱

آغاز جزء ۲۳ قرآن مجید ص: ۹۱

۱دامه سوره یس ص: ۹۱

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۲۸ ص: ۹۱

(آیه ۲۸)- دیدیم که مردم شهر «انطاکیه» چگونه به مخالفت با پیامبران الهی قیام کردند اکنون ببینیم سر انجام کارشان چه شد.؟

قرآن در این زمینه می گوید: «ما بر قوم او بعد از (شهادت) وی هیچ لشکری از آسمان نفرستادیم، و اصولاً سنت ما چنین نیست که برای نابود ساختن این اقوام سرکش متوسل به این امور شویم» (وَ ما أَنْزَلْنا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ وَ ما کُنَّا مُنْزِلِینَ).

ما نیاز به این امور نداریم، تنها یک اشاره کافی است که همه آنها را خاموش سازیم و به دیار عدم بفرستیم و تمام زندگی

آنها را در هم بكوبيم.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۲۹ ص: ۹۱

(آیه ۲۹)- سپس می افزاید: «تنها یک صیحه آسمانی تحقق یافت، صیحه ای تکان دهنده و مرگبار، ناگهان همگی خاموش شدند»! (إِنْ کانَتْ إِلَّا صَیْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ خامِدُونَ).

یک صیحه، آن هم در یک لحظه زود گذر، بیش نبود، فریادی بود که همه فریادها را خاموش کرد، و تکانی بود که همه را بی حرکت ساخت!

بسوزند چوب درختان بیبر سزا خود همین است مر بیبری را!

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۳۰ ص: ۹۱

(آیه ۳۰)- در این آیه با لحنی بسیار گیرا و مؤثر برخورد تمام سرکشان تاریخ را با دعوت پیامبران خدا یک جا مورد بحث قرار داده، می گوید: «وا حسرتا بر این بندگان که هیچ پیامبری برای هدایت آنها نیامد مگر این که او را به باد استهزا گرفتند» (یا حَسْرَةً عَلَی الْعِبادِ ما یَأْتِیهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا کانُوا بِهِ یَشْتَهْزِؤُنَ).

بیچاره و محروم از سعادت آنها گروهی که نه تنها گوش هوش به ندای رهبران ندهند، بلکه به استهزا و سخریه آنها برخیزند.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۳۱ ص: ۹۱

(آیه ۳۱) – غفلت دائم: در این آیه با توجه به بحثی که در آیه قبل در باره غفلت مستمر گروه عظیمی از مردم جهان در طول اعصار و قرون پیشین از آنها را (بر اثر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۹۲

طغيان و ظلمشان) به هلاكت رسانديم»؟! (أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ).

اینها نخستین گروه نیستند، اقوام سرکش دیگری در این جهان زندگی می کردند، و سرنوشت دردناک آنها که بر صفحات تاریخ ثبت است و آثار غم انگیزشان که در ویرانههای شهرهای آباد آنها بر جای مانده در برابر چشم آنها قرار دارد، آیا این مقدار برای درس عبرت کافی نیست؟! در پایان آیه می افزاید: «آنها هر گز به سوی ایشان بازگشت نمی کنند» (أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا یَرْجِعُونَ). یعنی مصیبت بزرگ اینجاست که امکان بازگشت به دنیا و جبران گناهان و بدبختیهای گذشته را ندارند، چنان پلها در پشت سر آنان ویران گشته که بازگشتشان هر گز ممکن نیست!

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۳۲ ص: ۹۲

(آیه ۳۲) – در این آیه میافزاید: «همه آنها بـدون اسـتثنا در روز قیـامت نزد مـا حاضـر میشونـد» (وَ إِنْ کُحلُّ لَمَّا جَمِیـعٌ لَمَدَیْنا مُحْضَرُونَ).

یعنی اینطور نیست که اگر هلاک شدنـد و نتوانسـتند به این جهـان بازگردنـد مسأله تمام است، نه مرگ در حقیقت آغاز کار

است نه پایان، به زودی همگی در عرصه محشر برای حساب گردآوری میشوند، و بعد از آن مجازات دردناک الهی، مجازاتی مستمر و پی گیر در انتظار آنهاست.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۳۳ ص: ۹۲

(آیه ۳۳) – این هم نشانه های دیگر: از آنجا که بحث در آیات گذشته پیرامون مبارزه فرستادگان پروردگار با شرک و بت پرستی بود، همچنین در آیه قبل اشارهای به مسأله معاد شده بود در اینجا نشانه هایی از توحید و معاد را تو أما بیان می کند تا وسیله ای باشد برای بیداری منکران و ایمان به مبدأ و معاد.

نخست از احیای زمینهای مرده و برکاتی که از آن عائد انسانها می شود بحث کرده، می فرماید: «زمینهای مرده برای آنها نشانه آشکاری است (از مبدأ و معاد) ما آن را زنده کردیم، و دانه هایی از آن خارج ساختیم و آنها از آن تغذیه می کنند» (وَ آیَهٌ لَهُمُ الْاَرْضُ الْمَیْتَهُ أَحْیَیْناها وَ أَخْرَجْنا مِنْها حَبًّا فَمِنْهُ یَأْکُلُونَ).

مسأله حیات و زندگی از مهمترین دلائل توحید است و با تمام پیشرفتهای علمی هنوز کسی به درستی نمیداند تحت تأثیر چه عواملی در روز نخست زیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۹۳

موجودات بی جان تبدیل به سلولهای زنده شده است؟

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۳۴ ص: ۹۳

(آیه ۳۴) – این آیه توضیح و تشریحی بر آیه قبل است و چگونگی حیات زمینهای مرده را بیان می کند، میفرماید: «و ما در آن باغهایی از آن جاری ساختیم» (وَ جَعَلْنا فِیها جَنَّاتٍ مِنْ نَخِیلٍ وَ أَعْنابٍ وَ فَجَّرْنا فِیها مِنَ الْعُیُونِ).

در آیه قبل سخن از دانه های غذایی در میان بود، اما در اینجا از میوه های نیرو بخش و مغذی سخن می گوید که دو نمونه بارز و کامل آنها «خرما» و «انگور» است که هر یک غذایی کامل محسوب می شود.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۳۵ ص: ۹۳

(آیه ۳۵)– این آیه هدف آفرینش این درختان پر بار را چنین بیان می کند:

«غرض این است که از میوه آن بخورند، در حالی که دست آنها در ساختمان آن کمترین دخالتی نداشته، آیا شکر خدا را به جا نمی آورند»! (لِیَأْکُلُوا مِنْ تَمَرِهِ وَ ما عَمِلَتْهُ أَیْدِیهِمْ أَ فَلا یَشْکُرُونَ).

آری! میوههایی که به صورت غذای کامل بر شاخسار درختان ظاهر می شود بی آنکه کمترین نیازی به پختن و یا تغییرات دیگر داشته باشد به مجرد چیدن از درخت قابل استفاده است، و این نهایت لطف و عظمت پروردگار را در باره انسانها نشان می دهد.

هدف آن است که حس حق شناسی و شکر گزاری انسانها را تحریک کنید تا از طریق شکر گزاری قیدم در مرحله معرفت پروردگار بگذارند، که شکر منعم نخستین گام معرفت کردگار است.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۳۶ ص: ۹۳

(آیه ۳۶)- این آیه سخن از تسبیح و تنزیه پروردگار می گوید، خط بطلان بر شرک مشرکان که در آیات گذشته از آن سخن بود می کشد، و راه توحید و یکتا پرستی را به همگان نشان می دهد، می فرماید: «منزه است کسی که تمام زوجها را آفرید، از آنچه زمین می رویاند، و از خود آنان، و از آنچه نمی دانند»! (سُر بُحانَ الَّذِی خَلَقَ الْاَزْواجَ کُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِتِ هِمْ وَ مِمَّا لا یَعْلَمُونَ).

بدیهی است خداوند نیاز به این ندارد که خویشتن را تسبیح و تنزیه کند، این برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۹۴ تعلیمی است برای بیمودن خط تکامل.

این آیه یکی دیگر از آیاتی است که محدود بودن علم انسان را بیان میکند و نشان میدهد که در این جهان حقایق بسیاری است- از جمله «زوجیّت» در موجودات جهان- که از علم و دانش ما پوشیده است.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۳۷ ص: ۹۴

(آیه ۳۷)- هر یک از خورشید و ماه آیتی هستند: در اینجا بخش دیگری از نشانههای عظمت خدا را در جهان هستی بیان می کند.

نخست مى فرمايد: «شب براى آنها آيه و نشانهاى است» از عظمت خدا (وَ آيَهُ لَهُمُ اللَّيْلُ).

در حالی که نـور آفتـاب همه جـا را فراگرفته و سـپاه ظلمت به عقب رانـده شـده «مـا نـور آفتـاب و روز را از آن بر میداریم، ناگهان تاریکی همه آنها را فرا می گیرد» (نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ).

دقت در این تعبیر این نکته را بازگو میکند که طبیعت اصلی کره زمین تاریکی است، نور و روشنایی صفتی است عارضی که از منبع دیگری به او داده میشود، همچون لباس که بر تن کسی بپوشاننـد که هرگاه آن لباس را بیرون آورد رنگ طبیعی تن آشکار میشود!

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۳۸ ص: ۹۴

(آیه ۳۸)– سومین نشانهای که بعد از آیت شب به آن اشاره شده آیت نور و روشنایی و آفتاب است، می گوید: «و خورشید نیز (برای آنها آیتی است) که پیوسته به سوی قرار گاهش در حرکت است»! (وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرِّ لَها).

این آیه به وضوح حرکت خورشید را بطور مستمر بیان میکند، اما در این که منظور از این حرکت چیست. جدیدترین تفسیر همان است که اخیرا دانشمندان کشف کردهاند و آن حرکت خورشید با مجموعه منظومه شمسی در وسط کهکشان ما به سوی یک سمت معین و ستاره دور دستی که آن را ستاره «وگا» نامیدهاند می باشد.

به هر حال حرکت دادن خورشید این کره بسیار عظیمی که یک میلیون و دویست هزار مرتبه از کره زمین بزرگتر است آن هم با حرکت حساب شده در این برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۹۵

فضای بیکران از هیچ کس میسر نیست جز از خداوندی که قدرتش فوق همه قدرتها و علم و دانشش بیانتهاست. و به همین جهت در پایان آیه میفرماید: «این تقدیر خداوند قادر و داناست» (ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیم).

در تعبیرات این آیه اشارهای است پر معنی به نظام سال شمسی که از حرکت خورشید در برجها حاصل می گردد و به زندگی بشر نظم و برنامه میدهد.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۳۹ ص: ۹۵

(آیه ۳۹) – لـذا در این آیه برای تکمیـل این بحث از حرکت مـاه و منازل آن که نظام بخش ایام ماه است، سـخن می گویـد، و میفرمایـد: «و مـا برای ماه منزلهایی قرار دادیم، و به هنگامی که این منزلها را طی کرد سـر انجام به صورت شاخه کهنه قوسـی شکل و زرد رنگ خرما در می آید»! (وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّی عادَ کَالْعُرْ جُونِ الْقَدِیم).

منظور از «منازل» همان منزلگاههای دویست و هشتگانهای است که ماه قبل از «محاق» و تاریکی مطلق طی می کند.

این نظام عجیب به زندگی انسانها نظم میبخشد، و یک تقویم طبیعی آسمانی است که با سواد و بیسواد توانایی خواندن آن را دارد.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۴۰ ص: ۹۵

(آیه ۴۰) – در این آیه سخن از ثبات و دوام این نظم سال و ماه، و شب و روز، است، پروردگار آن چنان برنامهای برای آنها تنظیم کرده که کمترین دگرگونی در وضع آنها پیدا نمی شود و تاریخ بشر به خاطر همین ثبات کاملا تنظیم می گردد.

میفرمایـد: «نه برای خورشـید سـزاوار است که به ماه رسـد، و نه شب بر روز پیشـی میگیرد، و هر کدام از آنها در مسـیر خود شناورند»! (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلِّ فِی فَلَکِ یَشْبَحُونَ).

میدانیم خورشید دوران خود را در برجهای دوازده گانه در یک سال طی میکند، در حالی که کره ماه منزلگاههای خویش را در یک ماه طی میکند.

بنابر این حرکت دورانی ماه در مسیرش دوازده بار از حرکت خورشید در مدارش سریعتر است، لذا میفرماید: خورشید هرگز در حرکت خود به پای ماه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۹۶

نمى رسد تا حركت يك ساله خود را در يك ماه انجام دهد و نظام ساليانه بر هم خورد.

از آنچه گفتیم روشن میشود که منظور از حرکت خورشید در این بحث حرکت آن بحسب حس ما است.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۴۱ ص: ۹۶

(آیه ۴۱) – حرکت کشتیها در دریاها نیز آیتی است! در آیات پیشین سخن از نشانههای پروردگار در آفرینش آفتاب و ماه و شب و روز و همچنین زمین و برکات زمین بود، و در این آیه سخن از دریاها و بخشی از نعمتها و مواهب دریا یعنی حرکت کشتیهای تجاری و مسافربری بر صحنه آنها میباشد.

لـذا نخست مىفرمايد: «اين نيز براى آنها آيت و نشانهاى است از عظمت پروردگار كه ما فرزندانشان را در كشتيهايى كه مملو (از وسائل زندگى) است حمل كرديم» (وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ).

حرکت کشتیها که بزرگترین و مهمترین وسیله حمل و نقل بشر میباشد، و کاری که از آنها ساخته است هزاران برابر مرکبهای دیگر است، نتیجه خواص ویژه آب و وزن مخصوص اجسامی که کشتی از آن ساخته شده، و خاصیت بادها (در کشتیهای بادبانی) و انرژی اتمی (در کشتیهایی که با نیروی اتم کار می کند) میباشد.

و همه اینها قوا و نیروهایی است که خدا مسخّر انسان ساخته و هر یک از آنها و نیز مجموعه آنها آیتی از آیات الهی است.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۴۲ ص: ۹۶

(آیه ۴۲)- و برای این که توهم نشود که تنها مرکب خداداد کشتیهاست در این آیه میافزاید: «و ما برای آنها مرکبهای دیگری مانند آن آفریدیم» (وَ خَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما یَرْکَبُونَ).

مركبهايي كه در خشكي يا در هوا و فضا راه ميرود، و انسانها و وسائل آنها را بر دوش خود حمل ميكند.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۴۳ ص: ۹۶

(آیه ۴۳)- این آیه برای روشنتر ساختن این نعمت بزرگ حالتی را که از دگرگون شدن این نعمت به وجود می آید بیان می کنید، می گوید: «و اگر بخواهیم آنها را غرق می کنیم، آن چنان که نه فریادرسی داشته باشند، و نه نجات داده شوند» برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۹۷

(وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَ لا هُمْ يُنْقَذُونَ).

به یک موج عظیم فرمان می دهیم کشتی آنها را واژگون کند! یا به یک گرداب مأموریت می دهیم آنها را در کام خود فرو بلعد! یا به یک طوفان دستور می دهیم آنها را مانند یک پر کاه بردارد و در وسط امواج پرتاب کند! این ماییم که این نظام را تداوم می بخشیم، تا آنها بهره گیرند، و اگر گهگاه حوادثی از این قبیل می فرستیم برای این است که اهمیت نعمتی را که در آن غرقند بدانند.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۴۴ ص: ۹۷

(آیه ۴۴)- و سر انجام در این آیه برای تکمیل سخن فوق می افزاید: «مگر باز هم رحمت ما شامل حال آنها شود، و تا زمان معینی (که پایان زندگی آنهاست) از این زندگی بهره گیرند» (إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَ مَتاعًا إِلی حِینِ).

آرى! با هیچ وسیلهای آنها نمی توانند نجات یابند جز این که نسیم رحمت ما بوزد و لطف ما به یاری آنها بشتابد.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۴۵ ص: ۹۷

(آیه ۴۵)- از آنجا که در آیات گذشته سخن از بحثهای مهمی از آیات پروردگار در پهنه جهان هستی بود، در اینجا عکس العمل کفار لجوج را در برابر آیات الهی، و همچنین دعوت پیامبر صلّی الله علیه و آله و انذار به عذاب پروردگار بیان می کند. نخست می فرماید: «و هنگامی که به آنها گفته می شود از آنچه پیش رو و پشت سر شماست از عذابهای الهی بپرهیزید، تا مشمول رحمت الهی شوید» اعراض می کنند و روی گردان می شوند (وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَیْنَ أَیْدِیکُمْ وَ ما خَلْفَکُمْ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ).

منظور از «ما بین ایدیکم» مجازاتهای دنیاست که نمونهای از آن در آیات قبل ذکر شده، و منظور از «ما خلفکم» مجازاتهای

آخرت است که در پشت سر دارند، و تعبیر به «پشت سر» به خاطر آن است که هنوز نیامده، گویی پشت سر انسان در حرکت است، و سر انجام روزی به او میرسد و دامانش را می گیرد، و منظور از پرهیز کردن از این مجازاتها این است که عوامل آن را ایجاد نکنند و به تعبیر دیگر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۹۸ کاری نکنند که مستوجب این عقوبات گردد.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۴۶ ص: ۹۸

(آیه ۴۶) - در این آیه بار دیگر روی همین معنی تأکید می کند و لجاجت و پافشاری این کوردلان را در نادیده گرفتن آیات الهی و تعلیمات پیامبران مشخص ساخته، می فرماید: «هیچ آیه ای از آیات پروردگارشان برای آنها نمی آید مگر این که از آن روی گردان می شوند» (وَ ما تَأْتِیهِمْ مِنْ آیَهٍٔ مِنْ آیَهٍٔ مِنْ آیاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا کانُوا عَنْها مُعْرِضِینَ).

نه بیان آیات انفسی در آنها مؤثر است، و نه شرح آیات آفاقی، نه تهدید و انذار، و نه بشارت و نوید به رحمت الهی، آنها به کورانی میمانند که نزدیکترین اشیاء اطراف خود را مشاهده نمی کنند و حتی نور آفتاب را از ظلمت و تاریکی شب فرق نمی نهند!

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۴۷ ص: ۹۸

(آیه ۴۷) - سپس قرآن انگشت روی یکی از موارد مهم لجاجت و اعراض آنها گذارده، می گوید: «و هنگامی که به آنها گفته شود از آنچه خدا به شما روزی کرده است (در راه او) انفاق کنید کافران به مؤمنان می گویند: آیا ما کسی را اطعام کنیم که اگر خدا می خواست او را سیر می کرد، شما تنها در گمراهی آشکارید»! (وَ إِذَا قِیلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَکُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلَّذِینَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ یَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِی ضَلالٍ مُبِینِ).

این همان منطق بسیار عوامانهای است که در هر عصر و زمان از ناحیه افراد خودخواه و بخیل مطرح می شود که می گویند: اگر فلانی فقیر است لابد کاری کرده که خدا می خواهد فقیر بماند، و اگر ما غنی هستیم لا بد عملی انجام داده ایم که مشمول لطف خدا شده ایم، بنابر این نه فقر آنها و نه غنای ما هیچ کدام بی حکمت نیست! غافل از این که جهان میدان آزمایش و امتحان است، خداوند یکی را با تنگ دستی آزمایش می کند، و دیگری را با غنا و ثروت، و گاه یک انسان را در دو زمان با این دو، در بوته امتحان قرار می دهد که آیا به هنگام فقر، امانت و مناعت طبع و مراتب شکر گزاری را به جا می آورد؟ یا همه را زیر پا می گذارد، و به هنگام غنا بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۹۹

از آنچه در اختیار دارد در راه او انفاق می کند یا نه!

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۴۸ ص: ۹۹

(آیه ۴۸)- صیحه های رستاخیز! به دنبال ذکر منطق سست و بهانه جویانه کفار در مورد انفاقها که در آیات قبل گذشت، در اینجا سخن را از استهزای آنها نسبت به قیام قیامت شروع می کند، و منطق پوسیده آنها را در مورد انکار معاد با جواب قاطع درهم می کوبد.

به علاوه بحثهایی را که در طی آیات پیشین در زمینه توحید بیان شد با بحثهای معاد تکمیل کرده، میفرماید: «آنها می گویند:

اگر راست می گویید این وعدهای را که شما میدهید کی خواهد آمد»؟! (وَ یَقُولُونَ مَتی هذَا الْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ). این که شما نمی توانید تاریخی برای قیام قیامت تعیین کنید دلیل بر این است که در گفتار خود صادق نیستید!

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۴۹ ص: ۹۹

(آیه ۴۹)- این آیه به این سؤال تو أم با سخریه یک پاسخ محکم و جدی داده، می گوید: قیام قیامت و پایان این جهان برای خدا مسأله پیچیده، و کار مشکلی نیست: «آنها جز این انتظار نمی کشند که یک صیحه عظیم آسمانی فرارسد و آنان را ناگهان فرو گیرد در حالی که مشغول جنگ و جدال (در مورد دنیای خویش) هستند»! (ما یَنْظُرُونَ إِلَّا صَدِیْحَةً واحِدَةً تَأْخُدُهُمْ وَ هُمْ یَخِصِّمُونَ).

همین یک فریاد عظیم آسمانی کافی است که همه را در یک لحظه کوتاه، هر کدام در همان مکان و همان حالتی که هستند قبض روح کند، و زندگی پر غوغای مادی آنها که معرکه دعواها و میدان جنگ دائمی آنان است جای خود را به دنیایی خاموش و خالی از هر سر و صدا بدهد.

در روایات اسلامی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله آمده است که: «این صیحه آسمانی آن چنان غافلگیرانه است که دو نفر در حالی که پارچهای را گشودهاند و مشغول معاملهاند پیش از آن که آن را برچینند و بپیچند جهان پایان می یابد! و کسانی هستند که در آن لحظه لقمه غذا از ظرف برداشته اما پیش از آن که به دهان آنها برسد صیحه آسمانی فرا می رسد و جهان پایان می یابد! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۰۰

کسانی هستند که مشغول تعمیر و گل مالی حوضند تا چهار پایان را سیراب کنند پیش از آنکه چهار پایان سیراب شوند قیامت بر پا می شود»! به هر حال قرآن با این تعبیر کوتاه و قاطع به آنها هشدار می دهد که قیامت بطور ناگهانی و غافلگیرانه بر پا می شود، و ثانیا موضوع پیچیده ای نیست که آنها در امکانش به بحث و مخاصمه برخیزند، با یک صیحه همه چیز پایان می گیرد و دنیا به آخر می رسد.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۵۰ ص: ۱۰۰

(آیه ۵۰)– لـذا در این آیه میگویـد: این مسأله به قـدری سـریع و برق آسـا و غـافلگیرانه است که «حتی توانایی بر وصـیت و سفارش نخواهند داشت، و حتی فرصت مراجعت به سوی خانواده و منزلهای خود را پیدا نمیکنند»! (فَلا یَسْتَطِیعُونَ تَوْصِیَةً وَ لا إلی أَهْلِهِمْ یَرْجِعُونَ).

معمولا هنگامی که حادثهای به انسان دست میدهد و انسان احساس می کند پایان عمرش نزدیک شده، سعی می کند هر جا هست خود را به منزل و مأوای خویش برساند، و در میان همسر و فرزندانش قرار گیرد، سپس کارهای نیمه تمام و سرنوشت بازماندگان خود را از طریق وصیت بر عهده این و آن بگذارد و سفارش آنها را به دیگران بکند.

اما مگر صیحه پایان دنیا به کسی مجال میدهد؟ و یا به فرض این که مجالی باشد مگر کسی زنده می ماند که توصیه های انسان را بشنود؟

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۵۱ ص: ۱۰۰

(آیه ۵۱) - سپس به مرحله دیگر که مرحله حیات بعد از مرگ است اشاره کرده، می گوید: «و بار دیگر در صور دمیده می شود، پس ناگهان همه آنها از قبرها بیرون آمده، شتابان به سوی (دادگاه) پروردگارشان رهسپار می شوند» (وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ).

خاکها و استخوانهای پوسیده به فرمان پروردگار لباس حیات در تن می پوشند، و از قبر سر بر می آورند، و برای محاکمه و حساب در آن دادگاه عجیب حاضر می گردند، همان گونه که با یک «صیحه» همگی مردند با یک «نفخه» (دمیدن در صور) جان می گیرند و زنده می شوند، نه مرگ آنها برای خدا مشکلی دارد، و نه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۰۱ احیای آنها.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۵۲ ص: ۱۰۱

(آیه ۵۲)- سپس میافزاید: در این هنگام منکران رستاخیز و معاد «می گویند: ای وای بر ما! چه کسی ما را از خوابگاهمان برانگیخت»؟! (قالُوا یا وَیْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا).

«این همـان چیزی است که خداونـد رحمن وعـده داده است، و فرسـتادگان او راست گفتنـد»! (هـذا ما وَعَـدَ الرَّحْمنُ وَ صَـدَقَ الْمُرْسَلُونَ).

آری! صحنه آن چنان گویا و وحشت انگیز است که انسان همه مسائل باطل و خرافی را به دست فراموشی می سپرد، و جز اعتراف صریح به واقعیتها راهی نمی یابد، قبرها را به خوابگاهی تشبیه می کند، و رستاخیز را به بیدار شدن از خواب، چنانکه که در حدیث معروف نیز وارد شده است: «همان گونه که می خوابید، می میرید و همان گونه که از خواب بر می خیزید، زنده می شوید».

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۵۳ ص: ۱۰۱

(آیه ۵۳)- سپس برای توضیح چگونگی سرعت وقوع این نفخ صور، می فرماید: «آن صیحه واحدی بیش نیست، فریادی عظیم بر می خیزد، ناگهان همگی نزد ما حاضر می شوند» (إِنْ کانَتْ إِلَّا صَیْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ جَمِیعٌ لَدَیْنا مُحْضَرُونَ).

بنابر این برای احیای مردگان و برخاستن آنها از قبرها و حضورشان در دادگاه عـدل پروردگار زمان زیادی لازم نیست، همان گونه که برای مرگ انسانها زمان طولانی لازم نبود، صیحه اول فریاد مرگ است، و صیحه دوم فریاد زنـدگی و حیات و حضور در دادگاه عدل پروردگار!

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۵۴ ص: ۱۰۱

(آیه ۵۴) - در اینجا بحث پیرامون چگونگی حساب در محشر را سر بسته گذارده و از آن میگذرد، و به تشریح سر انجام کار مؤمنان صالح و کافران طالح پرداخته، چنین میگوید: «امروز به هیچ کس ذرّهای ستم نمیشود» (فَالْیَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَیْئاً). نه از پاداش کسی کاسته میشود، و نه کیفر کسی افزون میگردد، و حتی به قدر یک سر سوزن کم و زیاد و بیدادگری و ظلم و ستم وجود ندارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۰۲

سپس به بیانی میپردازد که در حقیقت دلیل روشن و زندهای برای عدم وجود ظلم در آن دادگاه بزرگ است میفرماید:

«شما جز آنچه را عمل مي كرديد جزا داده نمي شويد» (وَ لا تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۵۵ ص: ۱۰۲

(آیه ۵۵)- بهشتیان غرق در مواهب مادی و معنوی! در اینجا به گوشهای از پاداشهای مؤمنان پرداخته، و قبل از هر چیز روی مسأله آرامش خاطر انگشت گذارده، می گوید: «بهشتیان امروز به نعمتهای خدا مشغولند» که از هر اندیشه ناراحت کننده بر کنار میباشند (إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْیَوْمَ فِی شُغُلِ).

«و در نهایت سرور و شادی به سر میبرند» (فاکِهُونَ).

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۵۶ ص: ۱۰۲

(آیه ۵۶)- بعد از نعمت آرامش خاطر که خمیر مایه همه نعمتها، و شرط استفاده از همه مواهب است، به شرح نعمتهای دیگر پرداخته، چنین می گوید: «آنها و همسرانشان در سایههای لذت بخش، بر تختها، در خلوتگاهها تکیه کردهاند» (هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ فِی ظِلالٍ عَلَی الْأَرائِکِ مُتَّکِؤُنَ).

«ازواج» به معنی همسران بهشتی، و یا همسران با ایمانی است که در این دنیا داشتند.

تعبیر به «ظلال» (سایهها) نشان میدهـد که در آنجا نیز آفتابی وجود دارد ولی نه آفتابی آزار دهنـده آری! آنها در سایه مطبوع درختان بهشتی نشاط و سرور دیگری دارند.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۵۷ ص: ۱۰۲

(آیه ۵۷)- علاوه بر این «برای آنها میوه بسیار لذت بخشی است، و هر چه بخواهند در اختیار آنها خواهد بود» (لَهُمْ فِیها فاکِهَةً وَ لَهُمْ ما یَدَّعُونَ).

و به این ترتیب آنچه امروز در فکر انسان بگنجد و آنچه از فکر او خطور نکند از انواع مواهب و نعمتها در آنجا آماده و مهیاست، و پذیرایی خداوند از میهمانان خود در بالاترین سطح ممکن انجام میشود.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۵۸ ص: ۱۰۲

(آیه ۵۸) – اما مهمتر از همه همان مواهب معنوی است که در این آیه به آن اشاره کرده، می فرماید: «برای آنها سلام و تهنیت الهی است، این سخنی است از ناحیه پروردگار رحیم و مهربان آنها» (سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِیمٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۰۳

این ندای روح افزا و نشاط بخش و مملوّ از مهر و محبت او چنان روح انسان را در خود غرق می کند، و به او لذت و شادی و معنویت می بخشد، که با هیچ نعمتی برابر نیست، آری شنیدن ندای محبوب، ندایی آمیخته با محبت، و آکنده از لطف، سر تا پای بهشتیان را غرق سرور می کند، که یک لحظه آن بر تمام دنیا و آنچه در آن است برتری دارد. و چنان آنها را مجذوب می کند که از همه چیز جز او غافل می شوند، و همه نعمتهای بهشتی را در آن حال به دست فراموشی می سپارند.

سورهٔ پس (۳۶): آیهٔ ۵۹ ص: ۱۰۳

(آیه ۵۹)– چرا پرستش شیطان می کنید؟! بخشی از سرگذشت شوق انگیز و پر افتخار بهشتیان در آیات قبل گذشت، و در اینجا به قسمتی از سرنوشت دوزخیان و بندگان شیطان اشاره می کند.

نخست این که در آن روز با خطابی تحقیر آمیز مخاطب میشوند و به آنها گفته میشود: «جدا شوید امروز ای گنهکاران»! (وَ امْتازُوا الْیُوْمَ أَیُّهَا الْمُجْرِمُونَ).

شما بودیـد که در دنیـا خود را در صفوف مؤمنـان جا زده بودیـد و گاه به رنگ آنها در میآمدیـد، و از حیثیت و اعتبارشان استفاده میکردید، امروز صفوف خود را از آنها جدا سازید، و در چهره اصلی خود ظاهر شوید!

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۰ ص: ۱۰۳

(آیه ۶۰) - این آیه به ملامتها و سرزنشهای پر معنی خداوند نسبت به مجرمان در روز قیامت اشاره کرده، چنین می گوید: «آیا با شما عهد نکردم ای فرزندان آدم که شیطان را پرستش و اطاعت مکنید که او دشمن آشکار شماست»؟

(أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ).

این اخطار بطور مکرر بر زبان رسولان الهی جاری شد، از سوی دیگر این پیمان در عالم «تکوین» به زبان اعطای عقل به انسان نیز گرفته شده است، چرا که دلائل عقلی به روشنی گواهی میدهد انسان نباید فرمان کسی را اطاعت کند که از روز نخست کمر به دشمنی او بسته او را از بهشت بیرون کرده و سوگند به اغوای فرزندانش خورده است.

از سوی سوم با سرشت و فطرت الهی همه انسانها بر توحید، و انحصار اطاعت برای ذات پاک پروردگار نیز این پیمان از انسان گرفته شده است، و به این برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۰۴

ترتیب نه با یک زبان که با چندین زبان این توصیه الهی تحقق یافته و این عهد و پیمان سرنوشت ساز امضا شده است.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۶۱ ص: ۱۰۴

(آیه ۶۱) - در این آیه برای تأکید بیشتر و بیان آنچه وظیفه فرزندان آدم است میفرماید: آیا من به شما عهد نکردم که: «مرا بپرستید و از من اطاعت کنید که راه مستقیم همین است» (وَ أَنِ اعْبُدُونِی هذا صِراطٌ مُشْتَقِیمٌ).

از یک سو پیمان گرفته که اطاعت شیطان نکنند، چرا که او دشمنی و عداوت خود را از روز نخست آشکار ساخته.

و در مقابل پیمان گرفته که از او اطاعت کنند، و دلیلش را این قرار میدهد که «صراط مستقیم همین است» و این در حقیقت بهترین محرک انسانهاست.

ضمنا از این تعبیر استفاده می شود که این جهان سرای اقامت نیست، چرا که راه را به کسی ارائه می دهند که از گذرگاهی عبور می کند و مقصدی در پیش دارد.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۶۲ ص: ۱۰۴

(آیه ۶۲)- باز برای شناسایی هر چه بیشتر این دشمن قدیمی خطرناک می افزاید: «او گروه زیادی از شما را گمراه کرد، آیا

انديشه نكرديد»؟! (وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكَمْ جِبِلًا كَثِيراً أَ فَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ).

آیا نمی بینید چه بدبختیهایی شیطان بر سر پیروان خود آورده؟ آیا تاریخ پیشینیان را مطالعه نکردید تا ببینید بندگان او به چه سرنوشت شوم و دردناکی گرفتار شدند؟

پس چرا دشمنی را که امتحان عداوت خود را بارها و بارها داده است جدّی نمی گیرید؟ باز با او طرح دوستی میریزید، و حتی او را رهبر و ولی و راهنمای خویش انتخاب می کنید.

و به گفته شاعر:

كجا بر سر آيم از اين عار و ننگ كه با او به صلحيم و با حق به جنگ؟

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۶۳ ص: ۱۰۴

(آیه ۶۳) – آیات گذشته بخشی از سرزنشهای خداوند و گفتگوهای او را به مجرمان در قیامت بازگو کرد، در اینجا همین معنی را در بخش دیگری ادامه میدهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۰۵

آری! در آن روز در حالی که آتش سوزان و شعلهور جهنم در برابر دیـدگان مجرمان قرار گرفته به آن اشاره کرده خطاب به مجرمان می گوید: «این همان دوزخی است که به شما وعده داده میشد»! (هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ).

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۴ ص: ۱۰۵

(آیه ۶۴)– پیامبران الهی یکی بعد از دیگری آمدند و شما را از چنین روز و چنین آتشی بر حذر داشتند، ولی شما همه را به شوخی و مسخره گرفتید.

«امروز در آن وارد شویـد، و بـا آتش سـوزان آن بسوزیـد کـه ایـن جزای کفری اسـت کـه داشتیـد» (اصْــلَوْهَا الْهَـوْمَ بِمـا کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ).

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۶۵ ص: ۱۰۵

(آیه ۶۵) - سپس به گواهان روز قیامت اشاره می کند، گواهانی که جزء پیکر خود انسانند و جایی برای انکار سخنان آنها نیست، می فرماید: «امروز بر دهان آنها مهر می نهیم، و دستهای آنها با ما سخن می گوید و پاهای آنها کارهایی را که انجام می دهند» (الْیَوْمَ نَخْتِمُ عَلی أَفْواهِهِمْ وَ تُکَلِّمُنا أَیْدِیهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما کانُوا یَکْسِبُونَ).

آری! در آن روز، دیگر اعضای انسان تسلیم تمایلات او نیستند، آنها حساب خود را از کل وجود انسان جدا کرده تسلیم پروردگار می شوند، و بر آستان مقدس او سر فرود می آورند، و حقایق را با شهادت خود آشکار می سازند، و چه دادگاه عجیبی است که گواه آن اعضای پیکر خود انسان است، همان ابزاری است که گناه را با آن انجام داده! البته گواهی اعضا مربوط به کفّار و مجرمان است لذا در حدیثی از امام باقر علیه السّ لام می خوانیم: «اعضای پیکر انسان بر ضدّ مؤمن گواهی نمی دهد، بلکه گواهی بر ضدّ کسی می دهد که فرمان عذاب بر او مسلّم شده، و اما مؤمن نامه اعمالش را به دست راست او می دهند (و خودش آن را می خواند) همان گونه که خداوند متعال فرموده: «آنها که نامه اعمالشان به دست راستشان داده شده (با سرفرازی و افتخار) نامه اعمال خود را می خوانند و کمترین ستمی به آنها نخواهد شد».

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۶۶ ص: ۱۰۵

(آیه ۶۶)- در این آیه اشاره به یکی از عـذابهایی میکنـد که ممکن است خداوند در همین دنیا این گروه مجرم را به آن مبتلا سازد، عذابی دردناک و وحشتزا، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۰۶

مى فرمايد: «و اگر بخواهيم چشمانشان را محو مى كنيم»! (وَ لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيَنِهِمْ).

و در این حال وحشتی فوق العاده آنها را فرا می گیرد، «سپس برای عبور از راه، میخواهند بر یکدیگر پیشی بگیرند، اما چگونه می توانند ببینند»؟ (فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ فَأَنَّی یُبْصِرُونَ).

آنها حتى از پيـدا كردن راه خانه خود عاجز خواهنـد ماند، تا چه رسد به اين كه راه حق را پيدا كنند و در صـراط مسـتقيم قدم بگذارند!

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۷ ص: ۱۰۶

(آیه ۶۷)- مجازات دردناک دیگر این که: «اگر بخواهیم آنها را در جای خود مسخ می کنیم (به مجسمه هایی بی روح و فاقد حرکت یا اشکال حیوانی افلیج تبدیل می نماییم) به گونه ای که نتوانند راه خود را ادامه دهند و یا به عقب بازگردند» (وَ لَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلی مَکانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِیًّا وَ لا یَرْجِعُونَ).

روشن است که دو آیه فوق مربوط به عذابهای دنیاست.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۸ ص: ۱۰۶

(آیه ۶۸) - در این آیه به وضع انسان در پایان عمر از نظر ضعف و ناتوانی عقل و جسم اشاره می کند تا هم هشداری باشد به آنها که برای انتخاب راه هدایت امروز و فردا می کنند، و هم پاسخی باشد به کسانی که تقصیرات خود را به گردن کمی عمر می افکنند، و هم دلیلی باشد بر قدرت خداوند که او همان گونه که می تواند یک انسان نیرومند را به ضعف و ناتوانی یک نوزاد بازگرداند، قادر است بر مسأله معاد، و همچنین نابینا ساختن مجرمان و از حرکت بازداشتن آنها.

مىفرمايد: «هر كس را كه طول عمر دهيم در آفرينش واژگونه مىكنيم، آيا انديشه نمىكنند»؟ (وَ مَنْ نُعَمِّرُهُ نُنَكِّسُهُ فِى الْخَلْقِ أَ فَلا يَعْقِلُونَ).

به راستی روزهایی فرا میرسد بسیار دردناک که عمق ناراحتی آن را به زحمت میتوان تصور کرد.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۶۹ ص: ۱۰۶

(آیه ۶۹) - او شاعر نیست، او اندار کننده زندگان است! گفتیم در این سوره بحثهای زنده و جامعی پیرامون اصول اعتقادی توحید، معاد، نبوت مطرح شده، و در مقطعهای متفاوتی سخن را از یکی به دیگری منتقل میسازد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۰۷

در آیات گذشته بحثهای مختلفی پیرامون توحید و معاد مطرح بود، در این آیه و آیه بعد به بحث نبوت باز می گردد، و یکی از رائجترین اتهاماتی را که برای پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله مطرح می کردند عنوان کرده پاسخ دندان شکنی و جاذبه و نفوذ قرآن در دلها برای همه کس محسوس بود، و زیباییهای لفظ و معنی و فصاحت و بلاغت آن قابل انکار نبود، حتی خود مشرکان چنان مجذوب آهنگ و بیان قرآن می شدند که گاه شبانه بطور مخفیانه به نزدیکی منزلگاه پیامبر صلّی اللّه علیه و اله می آمدند تا زمزمه تلاوت او را در دل شب بشنوند.

اینجا بود که برای توجیه این پدیده بزرگ، و اغفال مردم از این وحی آسمانی، زمزمه شعر و شاعری پیامبر صلّی الله علیه و آله آله را در همه جا سر دادند، که این خود اعترافی بود ضمنی به نفوذ فوق العاده قرآن! اما چرا شایسته پیامبر صلّی الله علیه و آله نیست که شاعر باشد بخاطر این که خط «وحی» از خط «شعر» کاملا جداست، زیرا:

۱- معمولاً سر چشمه شعر تخیل و پندار است، در حالی که وحی از مبدأ هستی سر چشمه می گیرد و بر محور واقعیتها می گردد.

۲- شعر از عواطف متغیر انسانی می جوشد، و دائما در حال دگرگونی است، در حالی که وحی بیانگر حقایق ثابت آسمانی می باشد.

۳- لطف شعر در بسیاری از موارد در اغراق گوئیها و مبالغههای آن است، تا آنجا که گفتهاند: «احسن الشّعر اکذبه بهترین شعر دروغ آمیزترین آن است»! در حالی که در وحی جز صداقت چیزی نیست.

۴-سر انجام به تعبیر زیبای یکی از مفسران: «شعر» مجموعه شوقهایی است که از زمین به آسمان پرواز می کند، اما «وحی» مجموعه حقائقی است که از آسمان به زمین نازل می گردد، و این دو خط کاملا متفاوت است! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۰۸

البته شاعرانی که در خط اهداف مقدسی گام بر میدارند و از عوارض نامطلوب شعر، خود را بر کنار میسازند حساب جداگانهای دارند.

قرآن در برابر نفی شعر از پیامبر صلّی اللّه علیه و اله اضافه می کند: «این آیات چیزی جز وسیله بیداری و قرآن آشکار نیست» (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِینٌ).

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۷۰ ص: ۱۰۸

(آیه ۷۰)- «هـدف از آن این است که افرادی را که زنـدهاند انذار کند، و (بر کافران اتمام حجت شود) تا فرمان عذاب بر آنها مسلّم گردد» (لِیُنْذِرَ مَنْ کانَ حَیًّا وَ یَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْکافِرِینَ).

آری! این آیات «ذکر» است و مایه یادآوری و وسیله بیداری، این آیات «قرآن مبین» است که حق را بدون هیچ گونه پرده پوشی با قاطعیت و صراحت بیان میکند، و به همین دلیل عامل بیداری و حیات و زندگی است.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۷۱ ص: ۱۰۸

(آیه ۷۱)- منافع سرشار چهار پایان برای شما: بار دیگر قرآن مجید به مسأله توحید و شرک باز می گردد، و ضمن برشمردن قسمتی از نشانه های عظمت خدا در زندگی انسانها، و رفع نیازمندیهای آنها از سوی خدا، به ضعف و ناتوانی و بینوایی بتها اشاره کرده، در یک مقایسه روشن، حقانیت خط توحید، و بطلان خط شرک را آشکار میسازد.

نخست می گوید: «آیا آنها ندیدند که از آنچه با قدرت خود به عمل آوردهایم چهار پایانی برای آنها آفریدیم که آنان مالک آن هستند» (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ).

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۲ ص: ۱۰۸

(آیه ۷۲)- و برای این که به خوبی بتوانند از این چهار پایان بهره گیرند «آنها را رام ایشان ساختیم» (وَ ذَلَّلْناها لَهُمْ).

این حیوانات زورمند پر قدرت که گاه بطور نادر، به فرمان خدا سر به عصیان و طغیان بر می دارند، چنان خطرناک می شوند که دهها نفر در مقابل آنان عاجز می شود، ولی در حالت عادی گاهی یک قطار شتر را به ریسمانی بسته و به دست کودکی چند ساله می سپارند.

«پس هم از آنها مرکب راهوار برای خود فراهم میسازند، و هم از آنها تغذیه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۰۹ میکنند» (فَمِنْها رَکُوبُهُمْ وَ مِنْها یَأْکُلُونَ).

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۷۳ ص: ۱۰۹

(آیه ۷۳)- منافع آنها به همین جا ختم نمی شود، بلکه «برای آنان منافع دیگر در این حیوانات و نوشیدنیهای گوارایی است» (وَ لَهُمْ فِیها مَنافِعُ وَ مَشارِبُ).

تعبیر به «مشارب» اشاره به شیرهایی است که از چهار پایان مختلف گرفته میشود، و قسمت مهمی از مواد غذایی انسان از آن و فراوردههای آن تأمین می گردد.

«آیا با این حال شکر این نعمتها را به جا نمی آورند»؟! شکری که وسیله معرفت الله و شناخت ولی نعمت است (أَ فَلا يَشْكُرُونَ).

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۴ ص: ۱۰۹

(آیه ۷۴)– لذا در این آیه به تشریح حال مشرکان پرداخته چنین می گوید:

«آنها غیر از خـدا معبودانی برای خویش برگزیدند به این امید که از سوی آنها یاری شوند» و مورد حمایت بتان قرار گیرند (وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ).

چه خیال خام و فکر باطلی؟ که این موجودات ضعیف را که هیچ قدرتی بر دفاع از خویشتن ندارند تا چه رسد به دیگران، در کنار خالق زمین و آسمان و بخشنده آن همه مواهب قرار دهند، و در حوادث مشکل زندگی از آنان یاری طلبند؟

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۵ ص: ۱۰۹

(آیه ۷۵)- لذا در این آیه میافزاید: «آنها قادر به نصرت و یاری عبادت کنندگان خویش نیستند، و این عابدان در قیامت لشکر آنها خواهند بود و همگی در آتش دوزخ حضور مییابند» (لا یَشتَطِیعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ). چه دردناک است که این پیروان در آن روز به صورت لشکریانی پشت سر بتها قرار گیرند، و همگی در دادگاه عـدل خـدا حضور یابند- حاضر ساختن افراد بی آنکه خودشان تمایل داشته باشند نشانه حقارت آنها است- و بعد از آن همگی به دوزخ فرستاده شوند، بی آنکه بتوانند گرهی را از کار لشکر خود بگشایند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۱۰

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۶ ص: ۱۱۰

(آیه ۷۶)– سر انجام در این آیه به عنوان دلداری پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و تقویت روحیه او در برابر این همه کار شکنیها و فتنه انگیزیها و افکار و اعمال خرافی، میفرماید:

«اکنون که چنین است سخنان آنها تو را غمگین نکند (که گاهی تو را شاعر میخوانند و گاهی ساحر و گاه تهمتهای دیگری میبندند) چرا که آنچه را آنها در دل مخفی میدارند و یا با زبان آشکار میسازند همه را ما میدانیم» (فَلا یَحْزُنْکُ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما یُسِرُّونَ وَ ما یُعْلِنُونَ).

نه نیات آنها بر ما پوشیده است، و نه توطئههای مخفیانه آنها، و نه تکذیبها و شیطنتهای آشکارشان، همه را میدانیم و حساب آنها را برای روز حساب نگه میداریم و تو را از شر آنها در این جهان نیز در امان خواهیم داشت.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۷ ص: ۱۱۰

اشاره

(آیه ۷۷)

شأن نزول: ص: 110

مردی از مشرکان به نام «ابیّ بن خلف» یا «امیهٔ بن خلف» و یا «عاص بن وائل» قطعه استخوان پوسیدهای را پیدا کرد و گفت: با این دلیل محکم به مخاصمه با محمد بر میخیزم، و سخن او را در باره معاد ابطال می کنم آن را برداشت و نزد پیامبر اسلام آمد (و شاید مقداری از آن را در حضور پیامبر نرم کرد و به روی زمین ریخت) و گفت چه کسی می تواند این استخوانهای پوسیده را از نو زنده کند (و کدام عقل آن را باور می کند).

این آیه و شش آیه بعد از آن که مجموعا هفت آیه را تشکیل میدهد نازل شد، و پاسخ منطقی و دندان شکنی به او و هم فکران او داد.

تفسير: ص: ١١٠

آفرینش نخستین دلیل قاطعی است بر معاد این سوره از قرآن مجید با مسأله نبوت آغاز شد، و با هفت آیه منسجم که قویترین

بیانات را در باره معاد در بردارد پایان می یابد.

نخست دست انسان را می گیرد و به آغاز حیات خودش در آن روز که نطفه بی ارزشی بیش نبود می برد، و او را به اندیشه وا می دارد، می گوید: «آیا انسان ندید که ما او را از نطفه آفریدیم و او (آن چنان قوی و نیرومند و صاحب قدرت و شعور و نطق شد که حتی به مجادله در برابر پروردگارش برخاست و) مخاصمه کننده آشکاری شد»؟! (أَ وَ لَمْ یَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِیمٌ مُبِینٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۱۱

آری! این موجود ضعیف و ناتوان آن چنان قوی و نیرومند شد که به خود اجازه داد به پرخاشگری در برابر دعوت «الله» برخیزد، و گذشته و آینده خویش را به دست فراموشی بسپارد، و مصداق روشن «خصیم مبین» شود.

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۸ ص: ۱۱۱

(آیه ۷۸)- برای بیخبری او همین بس که «او مثلی برای ما زد (و به پندار خودش دلیل دندان شکنی پیدا کرد) و در حالی که آفرینش نخستین خود را به دست فراموشی سپرده گفت: چه کسی می تواند این استخوانها را زنده کند در حالی که پوسیده است»؟! (وَ ضَرَبَ لَنا مَثْلًا وَ نَسِیَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ یُحْیِ الْعِظامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ).

منظور از ضرب المثل در اینجا بیان استدلال و ذکر مصداق به منظور اثبات یک مطلب کلی است.

جالب این که قرآن مجید با جمله کوتاه «و نسی خلقه» تمام پاسخ او را داده است هر چند پشت سر آن توضیح بیشتر و دلائل افزونتر نیز ذکر کرده.

می گوید: اگر آفرینش خویش را فراموش نکرده بودی هر گز به چنین استدلال واهی و سستی دست نمیزدی، ای انسان فراموشکار! به عقب بازگرد، و آفرینش خود را بنگر، چگونه نطفه ناچیزی بودی، و هر روز لباس تازهای از حیات بر تن تو پوشانید، تو دائما در حال مرگ و معاد هستی، از جمادی مردی نامی شدی، و از جهان نباتات نیز مردی، از حیوان سرزدی، از عالم حیوان نیز مردی، انسان شدی. اما توی فراموشکار همه اینها را به طاق نسیان زدی حال می پرسی چه کسی این استخوان پوسیده را زنده می کند؟! این استخوان هر گاه کاملا بپوسد تازه خاک می شود، مگر روز اول خاک نبودی؟

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۷۹ ص: ۱۱۱

(آیه ۷۹)– لذا بلافاصله به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله دستور می دهد که به این خیرهسر مغرور و فراموشکار «بگو: کسی او را زنده می کند که در روز نخست او را ایجاد کرد» (قُلْ یُحْیِیهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ).

و اگر فکر می کنید این استخوان پوسیده وقتی که خاک شد و در همه جا پراکنده گشت چه کسی می تواند آن اجزا را بشناسد و از نقاط مختلف گرد آوری برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۱۲

کند؟ پاسخ آن نیز روشن است «او از هر مخلوقی آگاه است» و تمام ویژگیهای آنها را میداند (وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ). کسی که دارای چنین «علم» و چنان «قدرتی» است مسأله معاد و احیای مردگان مشکلی برایش ایجاد نخواهد کرد.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۸۰ ص: ۱۱۲

(آیه ۸۰)- رستاخیز انرژیها! در ادامه بحث پیرامون مسأله امکان معاد میفرماید: «همان کسی که برای شما از درخت سبز آتش

آفریـد و شـما به وسـیله آن آتش میافروزیـد» قادر است که بر این استخوانهای پوسـیده بار دیگر لباس حیات بپوشانـد (الَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ).

در این جما تفسیر دقیقی وجود دارد که به کمک دانشهای امروز بر آن دست یافتهایم که مما نمام آن را رستاخیز انرژیها گذاردهایم. – البته تفسیرهای دیگر را نیز ردّ نمی کنیم.

توضیح این که: یکی از کارهای مهم گیاهان مسأله «کربن گیری» از هوا، و ساختن «سلولز نباتی» است. این سلولز یاختههای درختان و گیاهان- گاز کربن- را از هوا گرفته و آن را تجزیه می کنند، اکسیژن آن را آزاد ساخته، و کربن را در وجود خود نگاه میدارد، و سپس آن را با آب ترکیب کرده و چوب درختان را از آن میسازد.

ولی مسأله مهم این است که طبق گواهی علوم طبیعی هر ترکیب شیمیایی که انجام مییابید یا باید تو أم با جذب انرژی اصلی باشد و یا آزاد کردن آن- دقت کنید.

بنـابر این هنگـامی که درختـان به عمـل کربنگیری مشـغولند، طبق این قانون احتیاج به وجود یک انرژی دارنـد، و در اینجا از گرما و نور آفتاب به عنوان یک انرژی فعال استفاده میکنند.

به این ترتیب به هنگام تشکیل چوبهای درختان مقداری از انرژی آفتاب نیز در دل آنها ذخیره می شود و به هنگامی که چوبها را به اصطلاح می سوزانیم همان انرژی ذخیره شده آفتاب آزاد می گردد، زیرا بار دیگر «کربن» با «اکسیژن» هوا ترکیب شده و گاز کربن را تشکیل می دهد، و اکسیژن و ئیدروژن (مقداری آب) برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۱۳ آزاد می گردد.

و این که می گویند همه انرژیها در کره زمین به انرژی آفتاب باز می گردد یکی از چهرههایش همین است.

اینجاست که به «رستاخیز انرژیها» می رسیم، و می بینیم نور و حرارتی که در این فضا پراکنده می شود و برگ درختان و چوبهای آنها را نوازش و پرورش می دهد هر گز نابود نشده است، بلکه تغییر چهره داده، و دور از چشم ما انسانها در درون ذرات چوب و شاخه و برگ درختان پنهان شده است، و هنگامی که یک شعله آتش به چوب خشکیده می رسد، رستاخیز آنها شروع می شود، و تمام آنچه از انرژی آفتاب در درخت پنهان بود در آن لحظه «حشر و نشورش» ظاهر می گردد، بی آنکه حتی به اندازه روشنایی یک شمع در یک زمان کوتاه از آن کم شده باشد! - باز هم دقت کنید.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۸۱ ص: ۱۱۳

(آیه ۸۱)- او مالک و حاکم بر همه چیز است! بعد از ذکر دلائل معاد از طریق توجه دادن به آفرینش نخستین، و آفرینش آتش از درخت سبز این آیه مسأله را از طریق سومی تعقیب می کند و آن از طریق قدرت بی پایان خداست.

می فرماید: «آیا کسی که آسمانها و زمین را (با آن همه عظمت و عجایب و نظامات شگفتانگیز آفریده) توانایی ندارد که همانند این انسانهای خاک شده را بیافریند؟ (و آنها را به حیات و زندگی جدیدی بازگرداند) آری می تواند، و او آفریننده آگاه و داناست» (أَ وَ لَیْسَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلی أَنْ یَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلی وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِیمُ).

سورهٔ یس(۳۶): آیهٔ ۸۲ ص: ۱۱۳

(آیه ۸۲) این آیه تأکیدی است بر آنچه در آیات قبل گذشت، تأکیدی است بر این حقیقت که هر گونه ایجادی در برابر

اراده و قدرت او سهل و آسان است، ایجاد آسمانهای عظیم، و کره خاکی، با ایجاد یک حشره کوچک برای او یکسان است. می فرماید: «فرمان او این است که هر گاه چیزی را اراده کند به آن می گوید:

موجود باش! آن هم موجود می شود» همان گونه که خدا خواسته (إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۱۴ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ)

.همه چیز به یک اشاره و فرمان او بسته است و کسی که دارای چنین قدرتی است آیا جای این دارد که در احیاء مردگان به وسیله او تردید شود؟

آری! تعلق اراده او به چیزی همان، و موجود شدن آن همان است! و تعبیر به «امر» و «قول» و جمله «کن» همه توضیحی است برای مسأله خلق و ایجاد، و بیانگر تحقق سریع اشیا بعد از تعلق اراده الهی.

سورهٔ یس (۳۶): آیهٔ ۸۳ ص: ۱۱۴

اشاره

(آیه ۸۳)– این آیه که آخرین آیه سوره «یس» است به صورت یک نتیجه گیری کلی در مسأله مبدأ و معاد این بحث را به طرز زیبایی پایان میدهد.

می گوید: «پس منزه است خداوندی که ملکوت همه چیز در دست قدرت اوست و همه شما به سوی او باز می گردید» (فَسُبْحانَ الَّذِی بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

نكتهها: ص: 114

اشاره

در اینجا نظر خوانندگان عزیز را به مباحث ششگانه زیر که بحث فشردهای پیرامون مسائل معاد است، جلب می کنیم:

۱- اعتقاد به معاد یک امر فطری است ص: ۱۱۴

اگر انسان برای فنا آفریده شده بود باید عاشق «فنا» باشد، و از مرگ- هر چند مرگ به موقع- و در پایان عمر لذت برد، در حالی که می بینیم قیافه مرگ به معنی نیستی برای انسان در هیچ زمانی خوشایند نبوده، سهل است، با تمام وجودش از آن می گریزد! کوشش برای باقی نگهداشتن جسم مردگان از طریق مومیایی کردن و ساختن مقابر جاویدانی همچون اهرام مصر، و دویدن دنبال آب حیات، و اکسیر جوانی، و آنچه مایه طول عمر است، دلیل روشنی از عشق سوزان انسان به مسأله بقا است. اگر ما برای فنا آفریده شدیم این علاقه به بقا چه مفهومی می تواند داشته باشد؟ جزیک علاقه مزاحم و حد اقل بیهوده و بی مصرف! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۱۵

فراموش نکنید ما بحث معاد را بعد از پذیرش وجود خداوند حکیم و دانا دنبال می کنیم، ما معتقدیم هر چه او در وجود ما آفریده روی حساب است، بنابر این عشق به بقا نیز باید حسابی داشته باشد، و آن هماهنگی با آفرینش و جهان بعد از این عالم

است.

به تعبیر دیگر اگر دستگاه آفرینش در وجود ما عطش را آفرید، دلیل بر این است که آبی در خارج وجود دارد، همچنین اگر غریزه جنسی و علاقه به جنس مخالف در انسان وجود دارد نشانه این است که جنس مخالفی در خارج هست، و گر نه جاذبه و کشش بدون چیزی که به آن مجذوب گردد با حکمت آفرینش سازگار نیست.

از سوی دیگر هنگامی که تاریخ بشر را از زمانهای دوردست و قدیمیترین ایام بررسی میکنیم نشانههای فراوانی بر اعتقاد راسخ انسان به زندگی پس از مرگ می یابیم.

آثاری که امروز از انسانهای پیشین - حتی انسانهای قبل از تاریخ - در دست ما است، مخصوصا طرز دفن مردگان، کیفیت ساختن قبور، و حتی دفن اشیائی همراه مردگان، گواه بر این است که در درون وجدان ناآگاه آنها اعتقاد به زندگی بعد از مرگ نهفته بوده است.

یکی از روانشناسان معروف می گوید: «تحقیقات دقیق نشان می دهد که طوائف نخستین بشر دارای نوعی مذهب بودهاند، زیرا مردگان خود را به طرز مخصوص به خاک می سپر دند و ابزار کارشان را در کنارشان می نهادند، و به این طریق عقیده خود را به وجود دنیای دیگر به ثبوت می رساندند.

اینها نشان می دهـد که این اقوام زنـدگی پس از مرگ را پـذیرفته بودنـد، هر چنـد در تفسـیر آن راه خطا می پیمودنـد، و چنین می پنداشتند که آن زندگی درست شبیه همین زندگی است.

به هر حال این اعتقاد قدیمی ریشهدار را نمی توان ساده پنداشت و یا صرفا نتیجه یک تلقین و عادت دانست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۱۶

از سوی سوم وجود محکمه درونی به نام «وجدان» گواه دیگری بر فطری بودن معاد است.

هر انسانی در برابر انجام کار نیک در درون وجدانش احساس آرامش میکند، آرامشی که گاه با هیچ بیان و قلمی قابل توصیف نیست.

و به عکس در برابر گناهان، مخصوصا جنایات بزرگ، احساس ناراحتی میکند، تا آنجا که بسیار دیده شده دست به خودکشی میزند و یا خود را تسلیم مجازات و چوبه دار میکند، و دلیل آن را رهائی از شکنجه وجدان میداند.

با این حال انسان از خود می پرسد: چگونه ممکن است عالم کوچکی همچون وجود من دارای چنین دادگاه و محکمهای باشد، اما عالم بزرگ از چنین وجدان و دادگاهی تهی باشد؟

و به این ترتیب فطری بودن مسأله معاد و زندگی پس از مرگ از طرق مختلف بر ما روشن میشود.

از راه عشق عمومي انسانها به بقاء.

از طریق وجود این ایمان در طول تاریخ بشر.

و از راه وجود نمونه کوچک آن در درون جان انسان.

۲- بازتاب معاد در زندگی انسانها ص: ۱۱۶

اعتقاد به عالم پس از مرگ و بقای آثار اعمال آدمی، و جاودانگی کارهای او اعم از خیر و شر، اثر بسیار نیرومندی بر فکر و اعصاب و عضلات انسانها می گذارد و به عنوان یک عامل مؤثری در تشویق به نیکیها و مبارزه با زشتیها می تواند مؤثر شود. اثراتی که ایمان به زندگی پس از مرگ می تواند در اصلاح افراد فاسد و منحرف و تشویق افراد فداکار و مجاهد و ایثار گر

بگذارد به مراتب بیش از اثرات دادگاهها و کیفرهای معمولی است چرا که مشخصات دادگاه رستاخیز با دادگاههای معمولی بسیار متفاوت است، در آن دادگاه نقر وجود دارد، و نه زر و زور برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۱۷ روی فکر ناظرانش اثر می گذارد، نه ارائه مدارک دروغین در آن فایدهای دارد، و نه تشریفات آن نیازمند به طول زمان است. قرآن مجید می گوید: «از روزی بپرهیزید که هیچ کس بجای دیگری جزا داده نمی شود و نه شفاعتی از او پذیرفته خواهد شد و نه غرامت و بدل، و نه کسی به یاری او می آید». (بقره ۴۸) و نیز می گوید: «هر کس از آنها که ظلم و ستم کرده، اگر تمامی روی زمین را در اختیار داشته باشد، در آن روز همه را برای نجات خویش می دهد، و هنگامی که عذاب الهی را می بینند پشیمانی خود را مکتوم می دارند (مبادا رسواتر شوند) و در میان آنها به عدالت داوری می شود و ستمی بر آنها نخواهد رفت». (یونس/ ۹۴) و نیز می خوانیم: «هدف این است که خداوند هر کس را به آنچه انجام داده جزا دهد چرا که خداوند سریع الحساب است». (ابراهیم/ ۵۱) به قدری حساب او سریع و قاطع است که طبق بعضی از روایات: «خداوند در یک چشم به می زدن حساب همه را می رسد!» به همین دلیل در قرآن مجید سر چشمه بسیاری از گناهان فراموش کردن روز جزا ذکر شده، آنجا که می فرماید: «بچشید آتش دوزخ را به خاطر اینکه ملاقات امروز را فراموش کردید». (الم سجده/ ۱۴) حتی از پارهای از تعبیرات استفاده می شود که انسان اگر گمانی در باره قیامت داشته باشد نیز از انجام بسیاری از اعمال خلاف خودداری

چنانکه در باره کم فروشان می فرماید: «آیا آنها گمان نمی کنند که برای روز بزرگی مبعوث می شوند». (مطففین/ ۴) حماسه های جاویدانی که مجاهدان اسلام در گذشته و امروز در میدانهای جهاد می آفرینند، و گذشت و ایثار و فداکاری عظیمی که بسیاری از مردم در زمینه دفاع از کشورهای اسلامی و حمایت از محرومان و مستضعفان نشان می دهند، همه بازتاب اعتقاد به زندگی جاویدان سرای دیگر است، مطالعات دانشمندان و تجربیات مختلف نشان داده که این گونه پدیده ها در مقیاس وسیع و گسترده جز از برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۱۸

طریق عقیده ای که زندگی پس از مرگ در آن جای ویژه ای دارد امکان پذیر نیست.

سربازی که منطقش این است: «قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ» بگو:

مي كند.

شما دشمنان در باره ما چه می اندیشید؟ جز رسیدن به یکی از دو خیر و سعادت و افتخار» (یا پیروزی بر شما و یا رسیدن به افتخار شهادت) (توبه/ ۵۲) قطعا سربازی است شکست ناپذیر.

چهره مرگ که برای بسیاری از مردم جهان وحشت انگیز است، و حتی از نام آن و هر چیز که آن را تـداعی کند می گریزند، برای عقیـدهمنـدان به زنـدگی پس از مرگ نه تنها نازیبا نیست، بلکه دریچهای به جهانی بزرگ، شکستن قفس و آزاد شـدن روح انسان، گشوده شدن درهای زندان تن، و رسیدن به آزادی مطلق است.

اصولا مسأله معاد بعد از مبدأ، خط فاصل فرهنگ خداپرستان و مادیین است، چرا که دو دیدگاه مختلف در اینجا وجود دارد: دیدگاهی که مرگ را فنا و نابودی مطلق می بیند، و با تمام وجودش از آن می گریزد، چرا که همه چیز با آن پایان می گیرد. و دیـدگاهی که مرگ را یـک تولـد جدیـد و گـام نهـادن به عالمی وسیع و پهناور و روشن، و پر گشودن در آسـمان بیکران می شمرد.

طبیعی است که طرفداران این مکتب نه تنها از مرگ و شهادت در راه هدف ترس و وحشتی به خود راه نمی دهند، بلکه با الهام گرفتن از مکتب امیر مؤمنان علی علیه السّ لام که می فرماید: «به خدا سوگند فرزند ابی طالب علاقهاش به مرگ بیشتر است از کودک شیرخوار به پستان مادر» از مرگ در راه هدف استقبال می کنند.

و به همین دلیل هنگامی که ضربه شمشیر جنایتکار روزگار «عبد الرحمن بن ملجم» بر مغز مبارکش فرو نشست فرمود: «فزت و ربّ الکعبهٔ به خدای کعبه، پیروز و رستگار و راحت شدم!» کوتاه سخن اینکه ایمان به معاد از انسان ترسو و بیهدف، آدم شجاع و با شهامت و هدفداری می آفریند که زندگیش مملو از حماسهها و ایثارها و پاکی و تقواست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۱۹

٣- دلائل عقلي معاد ص: ١١٩

اشاره

گذشته از دلائل نقلی فراوانی که برای معاد در قرآن مجید آمده است و شامل صدها آیه در این زمینه می شود دلائل عقلی روشنی نیز بر این امر وجود دارد که بطور فشرده در اینجا قسمتی از آن یاد آوری می شود:

الف- برهان حكمت: ص : 119

اگر زنـدگی این جهـان را بـدون جهـان دیگر در نظر بگیریم پـوچ و بیمعنی خواهـد بـود، درست به این میمانـد که زنـدگی دوران جنینی را بدون زندگی این دنیا فرض کنیم.

اگر قانون خلقت این بود که تمام جنینها در لحظه تولد خفه می شدند و می مردند چقدر دوران جنینی بی مفهوم جلوه می کرد؟ همچنین اگر زندگی این جهان بریده از جهان دیگر تصور شود این سر در گمی وجود خواهد داشت.

زیرا چه لزومی دارد که ما هفتاد سال یا کمتر و بیشتر در این دنیا در میان مشکلات دست و پا زنیم؟ مدتی خام و بی تجربه باشیم «و تا پخته شود خامی، عمر تمام است!» مدتی به دنبال تحصیل علم و دانش باشیم هنگامی که از نظر معلومات به جایی رسیدیم برف پیری بر سر ما نشسته! تازه برای چه زندگی می کنیم؟ خوردن مقداری غذا و پوشیدن چند دست لباس و خوابیدن و بیدار شدنهای مکرر و ادامه دادن این برنامه خسته کننده تکراری را دهها سال؟! آیا به راستی این آسمان گسترده، این زمین پهناور و این همه مقدمات و مؤخرات و این همه استادان و مربیان و این همه کتابخانههای بزرگ و این ریزه کاریهایی که در آفرینش ما و سایر موجودات به کار رفته، همه برای همان خوردن و نوشیدن و پوشیدن و زندگی مادی

اینجاست که آنها که معاد را قبول ندارند، اعتراف به پوچی این زندگی میکنند و گروهی از آنها اقدام به خودکشی و نجات از این زندگی پوچ و بیمعنی را مجاز و یا مایه افتخار میشمرند! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۲۰

چگونه ممکن است کسی به خداوند و حکمت بی پایان او ایمان داشته باشد و زندگی این جهان را بی آنکه مقدمهای برای زندگی جاویدان جهان دیگر باشد قابل توجه بشمرد؟

قرآن مجید می گوید: «آیا گمان کردید بیهوده آفریده شدهاید و به سوی ما باز نمی گردید؟» (مؤمنون/ ۱۱۵) یعنی اگر بازگشت به سوی خدا نبود زندگی این جهان عبث و بیهوده بود.

آری در صورتی زندگی این دنیا مفهوم و معنی پیدا می کند و با حکمت خداوندی سازگار می شود که این جهان را مزرعه ای برای جهان دیگر و تجارتخانه ای برای آن سرا برای جهان دیگر و تجارتخانه ای برای آن سرا بدانیم، همانگونه که امیر مؤمنان علی علیه السّ لام در کلمات پرمحتوایش در نهج البلاغه فرمود: «این دنیا جایگاه صدق و

راستی است برای آن کس که با آن به راستی رفتار کند و خانه تندرستی است برای آن کس که از آن چیزی بفهمد، و سرای بینیازی است برای آن کس که از آن توشه برگیرد، و محل اندرز است، برای آنکه از آن اندرز گیرد، مسجد دوستان خداست، نمازگاه فرشتگان پروردگار و محل نزول وحی الهی و تجارتخانه اولیاء حق است».

کوتاه سخن اینکه مطالعه و بررسی وضع این جهان به خوبی گواهی میدهد بر اینکه عالم دیگری پشت سر آن است: «شما نشئه اولی و آفرینش خود را در این دنیا دیدید چرا متذکر نمی شوید که از پی آن جهان دیگری است؟» (واقعه/ ۶۲)

ب- برهان عدالت: ص: ۱۲۰

دقت در نظام هستی و قوانین آفرینش نشان می دهد که همه چیز آن حساب شده است.

در سازمان تن ما آنچنان نظام عادلانهای حکمفرماست که هرگاه کمترین تغییر و ناموزونی رخ می دهد سبب بیماری یا مرگ می شود، حرکات قلب ما، گردش خون ما، پرده های چشم ما و جزء جزء سلولهای تن ما مشمول همان نظام دقیق است که در کل عالم حکومت می کند. آیا انسان می تواند یک وصله ناجور در این عالم پهناور باشد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص:

درست است که خداوند به انسان آزادی اراده و اختیار داده تا او را بیازماید و در سایه آن مسیر تکامل را طی کند، ولی اگر انسان از آزادی سوء استفاده کرد، چه می شود؟ اگر ظالمان و ستمگران، گمراهان و گمراه کنندگان با سوء استفاده از این موهبت الهی به راه خود ادامه دادند عدل خداوند چه اقتضا می کند؟

درست است که گروهی از بدکاران در این دنیا مجازات میشوند و به کیفر اعمال خود- یا لااقل قسمتی از آن- میرسند، اما مسلما چنان نیست که همه مجرمان، همه کیفر خود را ببینند، و همه پاکان و نیکان به پاداش اعمال خود در این جهان برسند، آیا ممکن است این دو گروه در کفّه عدالت پروردگار یکسان باشند؟

به گفته قرآن مجید: «آیا کسانی را که در برابر قانون خدا به حق و عدالت تسلیمند همچون مجرمان قرار دهیم، چگونه حکم می کنید؟» (قلم/ ۳۵ و ۳۶) و در جای دیگر می فرماید: «آیا ممکن است پرهیز گاران را همچون فاجران قرار دهیم؟» (ص/ ۲۸) به هر حال تفاوت انسانها در اطاعت فرمان حق جای تردید نیست همان گونه که عدم کفایت دادگاه «مکافات این جهان» و «محکمه وجدان» و «عکس العملهای گناهان» برای برقراری عدالت نیز به تنهایی کافی به نظر نمی رسد، بنابر این باید قبول کرد که برای اجرای عدالت الهی لازم است محکمه و دادگاه عدل عامی باشد که سر سوزن کار نیک و بد در آنجا حساب شود و گر نه اصل عدالت تأمین نخواهد شد.

بنابر این باید پذیرفت که قبول عدل خدا مساوی است با قبول وجود معاد و رستاخیز، قرآن مجید می گوید: «ما ترازوهای عدالت را در روز قیامت در میان آنها به عدالت حکم می شود و ظلم و ستمی بر آنها نخواهد شد». (یونس/ ۵۴)

ج- برهان هدف: ص: ۱۲۱

بر خلاف پندار مادیین، در جهان بینی الهی، برای آفرینش انسان هدفی بوده است که در تعبیرات فلسفی از آن به «تکامل» و در لسان قرآن و حدیث گاهی از آن به قرب به خدا و یا عبادت و بندگی تعبیر شده است: «من جنّ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۲۲ و انس را نیافریـدم مگر به این منظور که مرا پرسـتش کننـد» و در سـایه عبـادت و بنـدگی کامل شونـد و به حریم قرب من راه یابند. (ذاریات/ ۵۶) آیا اگر مرگ پایان همه چیز باشد این هدف بزرگ تأمین میگردد؟

بدون شک پاسخ این سؤال منفی است.

باید جهانی بعد از این جهان باشد و خط تکامل انسان در آن ادامه یابد، و محصول این مزرعه را در آنجا درو کند، و حتی در جهان دیگر نیز این سیر ادامه یابد تا هدف نهایی تأمین شده باشد.

خلاصه اینکه تأمین هدف آفرینش بدون پذیرش معاد ممکن نیست و اگر ارتباط این زندگی را از جهان پس از مرگ قطع کنیم همه چیز شکل معما به خود می گیرد و پاسخی برای چراها نخواهیم داشت.

د- برهان نفي اختلاف: ص: ١٢٢

بی شک همه ما از اختلافاتی که در میان مکتبها و مذهبها در این جهان وجود دارد رنج می بریم، و همه آرزو می کنیم روزی این اختلافات برچیده شود در حالی که همه قرائن نشان می دهد که این اختلافات در طبیعت زندگی این دنیا حلول کرده، و حتی از دلائلی استفاده می شود که بعد از قیام حضرت مهدی – عج – آن بر پا کننده حکومت واحد جهانی هر چند بسیاری از اختلافات حل خواهد شد ولی باز اختلاف مکتبها به کلی برچیده نمی شود، و به گفته قرآن مجید: «یهود و نصارا تا دامنه قیامت به اختلافاتشان باقی خواهند ماند.» (مائده / ۱۴) ولی خداوندی که همه چیز را به سوی و حدت می برد سر انجام به اختلافات پایان خواهد داد، و چون با وجود پرده های ضخیم عالم ماده این امر بطور کامل در این دنیا امکان پذیر نیست، می دانیم در جهان دیگری که عالم بروز و ظهور است سر انجام این مسأله عملی خواهد شد، و حقایق آنچنان آفتابی می گردد که اختلاف مکتب و عقیده به کلی برچیده می شود.

جالب اینکه در آیات متعددی از قرآن مجید روی این مسأله تکیه شده است، در یک جا میفرماید: «خداوند در روز قیامت در میان آنها داوری میکند در آنچه با برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۲۳

هم اختلاف داشتند». (بقره/ ۱۱۳) و در جای دیگر میفرماید: «آنها سوگند مؤکد یاد کردند که خداوند کسانی را که میمیرند هرگز زنده نمی کند، ولی چنین نیست. این وعده قطعی خداست (که همه آنها را زنده کند) ولی اکثر مردم نمی دانند هدف این است که آنچه را در آن اختلاف داشتند برای آنها روشن سازد تا کسانی که منکر شدند بدانند دروغ می گفتند». (نحل/ ۳۸ و ۳۹)

4- قرآن و مسأله معاد ص: ۱۲۳

بعـد از مسـأله توحیـد که اساسـی ترین مسـأله در تعلیمات انبیاء است مسأله معاد با ویژگیها و آثار تربیتی و فرهنگیش در درجه اوّل قرار دارد، لذا در بحثهای قرآنی بیشترین آیات را بعد از توحید و خداشناسی به خود اختصاص داده است.

مباحث قرآنی معاد گاه به صورت استدلالهای منطقی است و گاه به صورت بحثهای خطابی و تلقینات مؤثر و کوبنده که گاه از شنیدن آن مو بر بدن انسان راست می شود، و لحن صادقانه کلام چنان است که همچون استدلالات در اعماق جان و روح انسان نفوذ می کند.

در بخش اوّل، یعنی استدلالات منطقی، قرآن بیشتر روی موضوع امکان معاد تکیه میکند، چرا که منکران غالبا آن را محال میپنداشتند، و معتقد بودند معاد آن هم به صورت «معاد جسمانی» که مستلزم بازگشت اجسام پوسیده و خاک شده به حیات

و زندگی نوین است، امکان پذیر نیست.

در این بخش، قرآن از طرق کاملاً گوناگون و متنوع وارد می شود، و طرقی که همه به یک جا ختم می گردد و آن مسأله «امکان عقلی معاد» است.

گاه زندگی نخستین را در نظر انسان مجسم می کند، و در یک عبارت کوتاه و گویا و روشن می گوید:

«همان گونه که شـما را از آغاز آفریـد باز می گردید». (اعراف/ ۲۹) گاه زنـدگی و مرگ گیاهان، و رسـتاخیز آنها را که همه سال با چشم میبینیم برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۲۴

مجسم کرده و در پایان آن می گوید: رستاخیز شما نیز همین گونه است.

«ما از آسمان آب پر برکتی فرستادیم و به وسیله آن باغهای سرسبز رویاندیم و دانههای درو شده ... و به وسیله آن سرزمین مرده ای را زنده کردیم، رستاخیز (شما) نیز همین گونه است؟» (ق/ ۹ تا ۱۱) در جای دیگر می گوید: «خداوند همان کسی است که بادها را فرستاد تا ابرها را به حرکت در آورند و آن را به سوی سرزمین مرده راندیم و به وسیله آن زمین را بعد از مرگش حیات بخشیدیم، رستاخیز نیز چنین است!» (فاطر/ ۹) گاه مسأله قدرت خداوند را در آفرینش آسمانها و زمین مطرح کرده، می گوید:

«آیا نمی دانند خداوندی که آسمانها و زمین را آفرید و از آفرینش آنها خسته نشد قادر است که مردگان را زنده کند؟ آری او بر هر چیز تواناست». (احقاف/ ۳۳) و گاه رستاخیز انرژیها و بیرون پریدن آتش از درون درخت سبز را به عنوان نمونهای از قدرت او، و قرار گرفتن آتش در دل آب، مطرح کرده، می گوید:

«آن خدایی مردگان را لباس حیات می پوشاند که از درخت سبز برای شما آتش آفرید!» (یس/ ۸۰) گاه زندگی جنینی را در نظر انسان مجسم می سازد و می گوید: «ای مردم! اگر در رستاخیز شک دارید فراموش نکنید که ما شما را از خاک آفریدیم، سپس از نطفه، و بعد از علقه (خون بسته شده) سپس از مضغه (پاره گوشتی همچون گوشت جویده شده) که بعضی دارای شکل و خلقت است و بعضی بی شکل. هدف این است که ما برای شما روشن سازیم (که بر هر چیز قادریم) و جنینهایی را که بخواهیم تا مدت معینی در رحم مادران نگاه می داریم، سپس شما را به صورت طفلی به عالم دنیا می فرستیم». (حجّ/ ۵) و بالاخره گاه شبح رستاخیز را در خوابهای طولاینی – خوابهایی که برادر مرگ است بلکه از جهاتی خود مرگ باشد – مانند خواب سیصد و نه ساله اصحاب کهف نشان می دهد، و بعد از شرح جالب و زیبایی پیرامون خواب و بیداری آنها می فرماید: «این چنین مردم را متوجه حال آنها کردیم تا بدانند و عده رستاخیز برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۲۵

خداوند حق است و در قیام قیامت تردیدی نیست». (کهف/ ۲۱) این شش راه مختلف است که در لا به لای آیات قرآن برای بیان امکان معاد مطرح شده است.

علاموه بر این داستان مرغان چهار گانه ابراهیم (بقره/ ۲۶۰) و سرگذشت عزیر (بقره/ ۲۵۹) و داستان کشتهای از بنی اسرائیل (بقره/ ۷۳) که هر کدام یک نمونه تاریخی برای این مسأله است شواهد و دلائل دیگری است که قرآن در این زمینه ذکر می کند.

کوتاه سخن اینکه ترسیمی که قرآن مجید از معاد و چهرههای آن و مقدمات و نتایج آن دارد، و دلائل گویایی که در این زمینه مطرح کرده است به قدری زنده و قانع کننده است که هر کس کمترین بهرهای از وجدان بیدار داشته باشد تحت تأثیر عمیق آن قرار می گیرد.

منظور از معاد جسمانی این نیست که تنها جسم در جهان دیگر بازگشت می کند، بلکه هدف این است که روح و جسم تواما مبعوث می شود، و به تعبیر دیگر بازگشت روح مسلم است، گفتگو از بازگشت جسم است.

جمعی از فلاسفه پیشین تنها به معاد روحانی معتقد بودند، و جسم را مرکبی میدانستند که تنها در این جهان با انسان است، و بعد از مرگ از آن بینیاز میشود، آن را رها میسازد و به عالم ارواح میشتابد.

ولی عقیده علمای بزرگ اسلام این است که معاد در هر دو جنبه روحانی و جسمانی صورت می گیرد. در اینجا بعضی مقید به خصوص جسم سابق نیستند، و می گویند: خداوند جسمی را در اختیار روح می گذارد، و چون شخصیت انسان به روح اوست این جسم جسم او محسوب می شود! در حالی که محققین معتقدند همان جسمی که خاک و متلاشی گشته، به فرمان خدا جمع آوری می شود، و لباس حیات نوینی بر آن می پوشاند، و این برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۲۶

عقیدهای است که از متون آیات قرآن مجید گرفته شده است.

شواهـد معـاد جسـمانی در قرآن مجیـد آن قـدر زیـاد است که بطور یقین می توان گفت: آنهـا که معاد را منحصـر در روحانی میدانند کمترین مطالعهای در آیات فراوان معاد نکردهاند و گر نه جسمانی بودن معاد در آیات قرآن به قدری روشن است که جای هیچ گونه تردید نیست.

همین آیاتی که در آخر سوره یس خواندیم به وضوح بیانگر این حقیقت است چرا که مرد عرب بیابانی تعجبش از این بود که این استخوان پوسیده را که در دست دارد چه کسی میتواند زنده کند؟

و قرآن با صراحت در پاسخ او می گوید: «بگو: همین استخوان پوسیده را خدایی که روز نخست آن را ابداع و ایجاد کرد زنده می کند».

تمام تعجب مشرکان و مخالفت آنها در مسأله معاد بر سر همین مطلب بود که: «چگونه وقتی ما خاک شدیم و خاکهای ما در زمین گم شد، دوباره لباس حیات در تن می کنیم؟» (الم سجده/ ۱۰) آنها می گفتند: «چگونه این مرد به شما و عده می دهد وقتی که مردید و خاک شدید بار دیگر به زندگی بازمی گردید». (مؤمنون/ ۳۵) آنها به قدری از این مسأله تعجب می کردند که اظهار آن را نشانه جنون و یا دروغ بر خدا می پنداشتند.

کافران گفتند: «مردی را به شما نشان دهیم که به شما خبر میدهد هنگامی که کاملا خاک و پراکنده شدید دیگر بار آفرینش جدیدی مییابید». (سبأ/۷ و ۸) به همین دلیل عموما استدلالات قرآن در باره امکان معاد بر محور همین معاد جسمانی دور میزند، و بیانات ششگانهای که در فصل قبل گذشت همه شاهد و گواه این مدعاست.

بعلاوه قرآن کرارا خاطر نشان می کند که شما در قیامت از قبرها خارج می شوید (یس/ ۵۱- قمر/ ۷) قبرها مربوط به معاد جسمانی است.

> داستان مرغهای چهار گانه ابراهیم، و همچنین داستان عزیر و زنده شدن او برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۲۷ بعد از مرگ، و ماجرای مقتول بنی اسرائیل، همه با صراحت از معاد جسمانی سخن می گوید.

توصیفهای زیادی که قرآن مجید از مواهب مادی و معنوی بهشت کرده، همه نشان میدهد که معاد هم در مرحله جسم و هم در مرحله روح تحقق می پذیرد، و گر نه حور و قصور و انواع غذاهای بهشتی و لذائذ مادی در کنار مواهب معنوی معنی ندارد.

به هر حال ممکن نیست کسی کمترین آگاهی از منطق و فرهنگ قرآن داشته باشد و معاد جسمانی را انکار کند، و به تعبیر دیگر انکار معاد جسمانی از نظر قرآن مساوی است با انکار اصل معاد! علاوه بر این دلائل نقلی، شواهد عقلی نیز در این زمینه وجود دارد که اگر بخواهیم وارد آن شویم سخن به درازا میکشد.

9- بهشت و دوزخ ص: ۱۲۷

بسیاری چنین می پندارند که عالم پس از مرگ کاملا شبیه این جهان است، منتهی در شکلی کاملتر و جالبتر.

ولی قرائن زیادی در دست داریم که نشان میدهد فاصله زیادی از نظر کیفیت و کمیت میان این جهان و آن جهان است، حتی اینکه اگر این فاصله را به تفاوت میان عالم کوچک جنین با این دنیای وسیع تشبیه می کنیم باز مقایسه کاملی به نظر نمی رسد.

طبق صریح بعضی از روایات در آنجا چیزهایی است که چشمی ندیده و گوشی نشنیده، و حتی از فکر انسانی خطور نکرده است.

قرآن مجید می گوید: «هیچ انسانی نمی داند چه چیزهایی که مایه روشنی چشم است برای او پنهان نگهداشته شده». (سجده/ ۱۷) نظامات حاکم بر آن جهان نیز با آنچه در این عالم حاکم است کاملا تفاوت دارد. در اینجا افراد به عنوان شهود در دادگاه حاضر می شوند ولی در آنجا دست برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۲۸

و پا و حتی پوست تن شهادت می دهد. (یس/ ۶۵- فصّلت/ ۲۱) به هر حال آنچه در باره جهان دیگر گفته شود تنها شبحی از دور در نظر ما مجسم می کند، و اصولا الفبای ما و فرهنگ فکری ما در این جهان قادر به توصیف حقیقی آن نیست و از اینجا به بسیاری از سؤالات در زمینه بهشت و دوزخ و چگونگی نعمتها و عذابهایش پاسخ داده خواهد شد.

همین قدر میدانیم بهشت کانون انواع مواهب الهی اعم از مادی و معنوی است، و دوزخ کانونی است از شدیدترین عذابها در هر دو جهت.

اما در مورد جزئیات این دو، قرآن اشاراتی دارد که ما به آن مؤمن هستیم اما تفصیل آن را تا کسی نبیند نمیداند! «پایان سوره یس»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۲۹

سوره صافّات [37] ص: 129

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده، و ۱۸۲ آیه است

محتواي سوره: ص: 129

بطور کلی محتوای این سوره در پنج بخش خلاصه میشود.

بخش اول: بحثی پیرامون گروههائی از ملائکه و فرشتگان خداوند، و در مقابل آنها گروهی از شیاطین سرکش و سرنوشت

آنها را مطرح میسازد.

بخش دوم: از کفار، و انکارشان نسبت به نبوت و معاد، و عاقبت کار آنها در قیامت سخن می گوید، و گرفتاری تمام آنها در چنگال عذاب الهی، و نیز بخشی از نعمتهای مهم بهشتی و لذات و زیبائیها و شادکامیهای بهشتیان را شرح میدهد.

بخش سوم: قسمتی از تاریخ انبیای بزرگی، مانند «نوح» و «ابراهیم» و «اسحاق» و «موسی» و «هارون» و «الیاس» و «لوط» و «یونس» را به صورت فشرده و در عین حال بسیار مؤثر و نافذ بازگو می کند، ولی بحث در باره «ابراهیم» قهرمان بت شکن، مشروحتر آمده است.

بخش چهارم: از یکی از انواع شرک که می توان آن را «بدترین نوع شرک» دانست. یعنی اعتقاد به رابطه خویشاوندی میان خداوند و جن و خداوند و فرشتگان بحث می کند.

و سر انجام بخش پنجم که آخرین بخش این سوره است، و در چند آیه کوتاه مطرح شده، پیروزی لشکر حق را بر لشکر کفر و شرک و نفاق، و گرفتار شدن آنها را در چنگال عذاب الهی، ضمن تنزیه و تقدیس پروردگار بیان میدارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۳۰

فضيلت تلاوت سوره ص: 130

: در حدیثی از پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و اله آمده است:

«کسی که سوره صافات را بخواند به عدد هر جن و شیطانی ده حسنه به او داده می شود، و شیاطین متمرد از او فاصله می گیرند، و از شرک پاک می شود و دو فرشته ای که مأمور حفظ او هستند در قیامت در باره او شهادت می دهند که به رسولان خداوند ایمان داشته است».

و در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّ بلام چنین میخوانیم: «کسی که سوره صافات را در هر روز جمعه بخواند از هر آفتی محفوظ میماند، و هر بلائی در زندگی دنیا از او دفع می گردد، خداوند وسیعترین روزی را در اختیارش می گذارد، و او را در مال و فرزندان و بدن، گرفتار زیانهای شیطان رجیم و گردنکشان عنود نمیسازد، و اگر در آن روز و شب از دنیا برود خداوند او را شهید مبعوث می کند، و شهید می میراند، و او را در بهشت با شهدا هم درجه می سازد».

هدف از تلاوت، اندیشه و سپس اعتقاد و بعد از آن عمل است، و بدون شک کسی که تلاوت این سوره را با این کیفیت انجام دهد هم از شر شیاطین محفوظ خواهد ماند، هم از شرک پاک می گردد، و با داشتن اعتقاد صحیح و اعمال صالح در زمره شهیدان قرار خواهد گرفت.

ضمنا نامگذاری این سوره به نام «صافّات» به مناسبت آیه اول آن است.

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الصافات(37): آية 1 ص: 130

(آیه ۱)- فرشتگانی که آماده انجام مأموریتند: این سوره نخستین سوره از قرآن مجید است که اولین آیات آن با سوگندها شروع می شود، سوگندهائی اندیشه انگیز، که فکر انسان را همراه خود به جوانب مختلف این جهان می کشاند.

درست است که خداوند از همه راستگویان راستگوتر است، و نیازی به سوگند ندارد، ولی توجه به دو نکته مشکل سوگند را

در تمام آیات قرآن که از این به بعد گهگاه با آن سر و کار داریم حل خواهد کرد.

نخست این که: همیشه سوگند به امور پر ارزش و مهم یاد میکنند، بنابر این برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۳۱

سو گندهای قرآن دلیل بر عظمت و اهمیت اموری است که به آنها سو گند یاد شده.

دیگر این که سوگند همیشه برای تأکید است، و دلیل بر این است که اموری که برای آن سوگند یاد شده از امور کاملا جدی و مؤکد است.

> به هر حال در آغاز این سوره به نام سه گروه برخورد می کنیم که به آنها سو گند یاد شده است. نخست می فرماید: «قسم به آنها که صف کشیدهاند و صفوف خود را منظم ساختهاند»! (وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا).

سورة الصافات(37): آية 2 ص: 131

(آیه ۲)– «همانها که قویا نهی میکنند و باز میدارند» (فَالزَّاجِراتِ زَجْراً).

سورة الصافات(37): آية 3 ص: 131

(آیه ۳)– «و آنها که پی در پی تلاوت ذکر می کنند» (فَالتَّالِیاتِ ذِكْراً).

معروف و مشهور آن است که توصیفات فوق اوصافی است برای گروههائی از فرشتگان.

گروههائی که برای انجام فرمان الهی در عالم هستی به صف ایستاده و آماده فرمانند.

گروههائی از فرشتگان که انسانها را از معاصی و گناه باز میدارند، و وسوسههای شیاطین را در قلوب آنها خنثی می کنند، و یا مأمور ابرهای آسمانند و آنها را به هر سو میرانند و آماده آبیاری سرزمینهای خشک می کنند.

و بالاخره گروههائی از فرشتگان که آیات کتب آسمانی را به هنگام نزول وحی بر پیامبران میخوانند.

سورة الصافات(37): آية 4 ص : 131

(آیه ۴)- اکنون ببینیم این سوگندهای پر محتوا سوگند به صفوف فرشتگان و انسانها برای چه منظوری بوده است؟ آیه شریفه این مطلب را روشن ساخته، میگوید: «معبود شما مسلما یکتاست» (إِنَّ إِلهَکُمْ لَواحِدٌ).

سوگند به آن مقدساتی که گفته شد بتها همه بر بادند، و هیچ گونه شریک و شبیه و نظیری برای پروردگار نیست.

سورة الصافات(37): آية 5 ص: 131

(آیه ۵)- سپس می افزاید: «همان پروردگار آسمانها و زمین و آنچه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۳۲ در میان آن دو قرار دارد، و پروردگار مشرقها»! (رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَیْنَهُمَا وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ).

خورشید آسمان در هر روز از سال از نقطه ای غیر از نقطه روز قبل و بعد طلوع می کند، و فاصله این نقاط با یکدیگر آنقدر منظم و دقیق است که نظم «مشارق شمس» بر قرار میاشد. در طلوع و غروب ستارگان دیگر نیز همین نظام حکمفرماست.

سورة الصافات(37): آية 6 ص: 132

(آیه ۶)- پاسداری آسمان از نفوذ شیاطین! در آیات گذشته سخن از صفوف مختلف فرشتگان الهی بود و در اینجا از نقطه مقابل آنها، یعنی گروههای شیاطین و سرنوشت آنها، سخن می گوید، و می تواند مقدمهای باشد برای ابطال اعتقاد جمعی از مشرکان که شیاطین و جن را معبود خود قرار می دادند.

نخست مي گويد: «ما آسمان نزديك [پائين] را با ستارگان آراستيم» (إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَهُ الْكُواكِب).

به راستی منظره ستارگان آسمان آنقدر زیباست که هرگز چشم از دیدن آن خسته نمی شود، بلکه خستگی را از تمام وجود انسان بیرون می کند هر چند این مسائل در عصر و زمان ما برای شهر نشینانی که در دود کارخانه ها غوطه ورند، و طبعا آسمانی تاریک و سیاه دارند چندان مفهوم نیست، ولی روستانشینان هنوز می توانند ناظر این گفته قرآنی یعنی تزیین آسمان با ستارگان درخشان باشند.

سورة الصافات(37): آية 7 ص: 132

(آیه ۷)– در این آیه به محفوظ بودن صحنه آسمان از نفوذ شیاطین اشاره کرده، می گوید: «ما آن را از هر شیطان خبیث و عاری از خیر و نیکی حفظ کردیم» (وَ حِفْظاً مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ مارِدٍ).

سورة الصافات(37): آية 8 ص: 132

(آیه ۸)- سپس می افزاید: «آنها نمی توانند به (سخنان) فرشتگان عالم بالا گوش فرا دهند (و هرگاه چنین کنند) از هر سو هدف (تیرهای شهاب) قرار می گیرند»! (لا یَشَمَّعُونَ إِلَی الْمَلَإِ الْأَعْلی وَ یُقْذَفُونَ مِنْ کُلِّ جانِبٍ).

سورة الصافات(37): آية ٩ ص: ١٣٢

(آیه ۹)- آری «آنها به شدت به عقب رانده می شوند (و از صحنه آسمان طرد می گردند) و برای آنان مجازاتی دائم است» (دُحُوراً وَ لَهُمْ عَذَابٌ واصِبٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۳۳

اشاره به این که نه تنها شیاطین از نزدیک شدن به عرصه آسمان منع و طرد می شوند بلکه سر انجام گرفتار عذاب دائم نیز می گردند.

سورة الصافات(37): آية 10 ص: 133

(آیه ۱۰)- در این آیه به گروهی از شیاطین سرکش و جسور اشاره میکند که قصد صعود به عرصه بلند آسمان میکند، می فرماید: «مگر آنها که در لحظه ای کوتاه برای استراق سمع به آسمان نزدیک شوند که شهاب ثاقب آنها را تعقیب میکند» و میسوزاند (إلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةُ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ).

«شهاب» در اصل به معنی شعلهای است که از آتش افروخته زبانه می کشد، و به شعلههای آتشینی که در آسمان به صورت خط ممتد دیده می شود نیز می گویند. می دانیم اینها ستاره نیستند، بلکه شبیه ستارگانند، قطعات سنگهای کوچکی هستند که در فضا پراکندهاند، و هنگامی که در حوزه جاذبه زمین قرار گیرند به سوی زمین جذب می شوند، و بر اثر سرعت و شدت برخورد آنها با هوای اطراف زمین مشتعل و برافروخته می شوند.

«ثاقب» به معنی نافید و سوراخ کننیده است، و در اینجا اشاره به این است که به هر موجودی اصابت کند آن را سوراخ کرده و آتش میزند.

سورة الصافات(37): آية 11 ص: 133

(آیه ۱۱)- آنها که هرگز حق را پذیرا نمیشوند! قرآن همچنان مسأله رستاخیز و مخالفت منکران لجوج را تعقیب می کند و به دنبال بحث گذشته از قدرت خداوند و خالق آسمان و زمین بر همه چیز میفرماید: «از آنها بپرس آیا آفرینش (و معاد) آنان سخت تر است یا آفرینش فرشتگان» و آسمانها و زمین (فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا).

آرى «ما آنها را از گل چسبندهاى آفريديم»! (إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ).

گویا مشرکان که منکر معاد بودنـد بعد از شنیدن آیات گذشته در مورد آفرینش آسـمان و زمین و فرشـتگان اظهار داشـتند، آفرینش ما از آن مهمتر است.

قرآن در پاسخ آنها می گوید: آفرینش انسانها در مقابل آفرینش زمین و آسمان پهناور و فرشتگانی که در این عوالم هستند چیز مهمی نیست، چرا که مبدأ آفرینش برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۳۴

انسان یک مشت خاک چسبنده بیش نبوده است.

زیرا مبدأ آفرینش انسان نخست «خاک» بود سپس با «آب» آمیخته شد، کم کم به «صورت لجن بـدبوئی» در آمـد و بعـد به صورت «گل چسبندهای» شد و با این بیان میان تعبیرات گوناگون در آیات قرآن مجید جمع می شود.

سورة الصافات(37): آية 12 ص: 134

(آیه ۱۲)– سپس میافزاید: «تو از (انکار آنها نسبت به معاد) تعجب میکنی ولی آنها (معاد را) مسخره میکنند» (بَلْ عَجِبْتَ وَ یَشْخُرُونَ).

تو آنقدر با قلب پاکت مسأله را واضح میبینی که از انکار آن در شگفتی فرو میروی، و اما این ناپاک دلان آنقدر آن را محال می شمرند که به استهزا بر میخیزند.

سورة الصافات(37): آية 13 ص: 134

(آیه ۱۳) - عامل این زشتکاریها تنها نادانی و جهل نیست، بلکه لجاجت و عناد است، لذا «هنگامی که به آنها یادآوری شود (یادآوری دلائل معاد و مجازات الهی) هر گز متذکر نمی گردند» و همچنان به راه خویش ادامه میدهند (وَ إِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ).

سورة الصافات(37): آية 14 ص: 134

(آیه ۱۴)– حتی از این بالاتر «هرگاه معجزهای (از معجزات تو) را ببینند (نه تنها به سخریه و استهزا میپردازند بلکه) دیگران را نیز به مسخره کردن وا میدارند»! (وَ إِذَا رَأَوْا آیَةً یَشْتَسْخِرُونَ).

سورة الصافات(37): آية 15 ص: 134

(آیه ۱۵)- «و می گویند: این فقط سحر آشکاری است» و نه چیز دیگر! (وَ قالُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ).

سورة الصافات(37): آية 16 ص: 134

(آیه ۱۶) – آیا ما و پدرانمان زنده می شویم؟ قرآن همچنان گفتگوهای منکران معاد و پاسخ به آنها را ادامه می دهد. نخست استبعاد منکران رستاخیز را به این صورت منعکس می کند: آنها می گفتند: «آیا هنگامی که ما مردیم و خاک و استخوان شدیم بار دیگر برانگیخته خواهیم شد»؟! (أَ إِذا مِتْنا وَ کُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ).

سورة الصافات(37): آية 17 ص: 134

(آیه ۱۷) – و از این بالاتر این که «و آیا پدران نخستین ما نیز برانگیخته می شوند»؟! (أَ وَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ).
همانها که جز مشتی استخوان پوسیده، یا خاکهای پراکنده وجودشان باقی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۳۵
نمانده است، چه کسی می تواند این اجزای متفرق را جمع کند؟ و چه کسی می تواند لباس حیات بر آنان بپوشاند؟
اما این کوردلان فراموش کرده بودند که روز نخست همه خاک بودند، و از خاک آفریده شدند، اگر در قدرت خدا شک داشتند باید بدانند خداوند یک بار قدرت خود را به اینها نشان داده بود، و اگر در قابلیت خاک مردد بودند، آن هم یک بار به ثبوت رسیده بود.

سورة الصافات(37): آية ١٨ ص: ١٣٥

(آیه ۱۸)– سپس قرآن به کوبنده ترین پاسخها در برابر آنها پرداخته، به پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و اله میفرماید: «به آنها بگو: آری (همه شما، و نیاکانتان مبعوث میشوید) در حالی که ذلیل و خوار و کوچک خواهید بود»؟! (قُلْ نَعَمْ وَ أَنْتُمْ داخِرُونَ).

سورة الصافات(37): آية 19 ص: 135

(آیه ۱۹) – گمان می کنید زنده کردن شما و همه پیشینیان برای خداوند قادر و توانا کار مشکلی است، و عمل مهم سنگینی میباشد؟ نه «تنها یک صیحه عظیم (از ناحیه مأمور پروردگار زده می شود) ناگهان همه (از قبرها برمی خیزند، و جان می گیرند و با چشم خود صحنه محشر را که تا آن روز تکذیب می کردند) نگاه می کنند»! (فَإِنَّما هِیَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ یَنْظُرُونَ).

سورة الصافات(37): آية 20 ص: 135

(آیه ۲۰)- اینجاست که ناله این مشرکان مغرور و خیرهسر که نشانه ضعف و زبونی و بیچارگی آنهاست بر میخیزد، «و می گویند: ای وای بر ما این روز جزاست»! (وَ قالُوا یا وَیْلَنا هذا یَوْمُ الدِّینِ).

آری! هنگامی که چشمشان به دادگاه عدل الهی، و شهود و قضات این دادگاه، و علائم و نشانههای مجازات میافتد بیاختیار ناله و فریاد سر میدهند و با تمام وجود اعتراف به حقانیت رستاخیز می کنند، اعترافی که نمی تواند هیچ مشکلی را برای آنها حل کند.

سورة الصافات(37): آية 21 ص: 135

(آیه ۲۱)- اینجاست که از ناحیه خداوند یا فرشتگان او به آنها خطاب می شود آری «امروز همان روز جدائی است که شما آن را تکذیب می کردید» (هذا یَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تُکَذِّبُونَ). جدائی حق از باطل، جدائی صفوف بدکاران از برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۳۶

نیکوکاران، و روز داوری پروردگار بزرگ.

طبیعت این دنیا آمیزش و اختلاط حق و باطل است، در حالی که طبیعت رستاخیز جدائی این دو از یکدیگر میباشد.

سورة الصافات(37): آية 22 ص: 138

(آیه ۲۲)– سپس خداونـد به فرشـتگانی که مأمور کوچ دادن مجرمان به دوزخنـد فرمان میدهد: «ظالمان و هم ردیفان آنها و آنچه را میپرستیدند جمع آوری کنید» (احْشُرُوا الَّذِینَ ظَلَمُوا وَ أَزْواجَهُمْ وَ ما کانُوا یَعْبُدُونَ).

سورة الصافات(37): آية 23 ص: 136

(آیه ۲۳)– آری آنچه را «جز خـدا (میپرستیدنـد) حرکت دهیـد و به سوی دوزخ هدایتشان کنید»! (مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَی صِراطِ الْجَحِیم).

آری! یک روز به سوی «صراط مستقیم» هدایت شدند ولی پذیرا نگشتند، اما امروز باید به «صراط جحیم» هدایت شوند و مجبورند بپذیرند! این سرزنشی است گرانبار که اعماق روح آنها را میسوزاند.

سورة الصافات(37): آية 24 ص: 178

(آیه ۲۴)- دانستیم که فرشتگان مجازات، ظالمان و همفکران آنها را به ضمیمه بتها و معبودان دروغین یک جا کوچ میدهند و به سوی جاده جهنم هدایت میکنند.

در ادامه این سخن قرآن می گوید: در این هنگام خطاب صادر می شود «آنها را متوقف سازید چون باید مورد بازپرسی قرار گیرند» (وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ).

آرى! در اين كه پيرامون چه چيز سؤال مىشود؟ در روايت معروفى كه از طرق اهل سنت و شيعه نقل شده آمده است كه از «ولايت على عليه السّلام سؤال مىشود».

ولی این یک مصداق روشن است، چرا که در آن روز از همه چیز سؤال می شود، از عقائد، از توحید، و ولایت، از گفتار و کردار، و از نعمتها و مواهبی که خدا در اختیار انسان گذارده است.

سورة الصافات(37): آية 25 ص: 138

(آیه ۲۵)- به هر حال این دوزخیان بینوا که به مسیر جهنم هدایت می شوند دستشان از همه جا بریده و کوتاه می گردد، در این هنگام به آنها گفته می شود شما که در دنیا در مشکلات به هم پناه می بردید، و از یکدیگر کمک می گرفتید «چرا در اینجا از هم یاری نمی طلبید»؟! (ما لَکُمْ لا تَناصَرُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۳۷

آری! تمام تکیه گاههائی که در دنیا برای خود می پنداشتید همه در اینجا ویران گشته است، نه از یکدیگر می توانید کمک بگیرید، و نه معبودهایتان به یاری شما می شتابند، که آنها خود نیز بیچاره و گرفتارند.

سورة الصافات(37): آية 26 ص: 137

(آیه ۲۶) - در این آیه می افزاید: «بلکه آنها در آن روز در برابر فرمان خدا تسلیم و خاضعند» و قدرت هیچ گونه اظهار وجود تا چه رسد به مخالفت ندارند (بَلْ هُمُ الْیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ).

سورة الصافات(37): آية 27 ص: 137

(آیه ۲۷) – اینجاست که آنها به سرزنش یکدیگر بر میخیزند و هر یک اصرار دارد گناه خویش را به گردن دیگری بیندازد، دنباله روان، رؤسا و پیشوایان خود را، و در این حال «رو به یکدیگر کرده و از هم میپرسند ...» (وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ یَتَساءَلُونَ).

سورة الصافات(37): آية 28 ص: 137

(آیه ۲۸)- پیروان گمراه به پیشوایان گمراه کننده خود «می گویند: (شما رهبران گمراهی بودید که به ظاهر) از طریق خیرخواهی و نیکی وارد شدید» اما جز فریب چیزی در کارتان نبود! (قالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْیَمِینِ).

ما که به حکم فطرت طالب نیکیها و پاکیها و سعادتها بودیم دعوت شما را لبیک گفتیم، آری تمام گناهان ما به گردن شما است، ما جز حسن نیت و پاکدلی سرمایهای نداشتیم و شما دیو سیرتان دروغگو نیز جز فریب و نیرنگ چیزی در بساط نداشتید!

سورة الصافات(37): آية 29 ص: 137

(آیه ۲۹)- به هر حال پیشوایان آنها نیز سکوت نخواهند کرد و در پاسخ «می گویند: شما خودتان اهل ایمان نبودید» تقصیر ما چیست! (قالُوا بَلْ لَمْ تَکُونُوا مُؤْمِنِینَ).

اگر مزاج شـما آماده انحراف نبود، اگر شـما خود طالب شـر و شیطنت نبودید، کجا به سراغ ما میآمدید؟ چرا به دعوت انبیا و

نیکان و پاکان پاسخ نگفتید؟

و همین که ما یک اشارت کردیم با سر دویدید؟ پس معلوم میشود عیب در خود شماست، بروید و خودتان را ملامت کنید!

سورة الصافات(37): آية 30 ص: 137

(آیه ۳۰)– دلیل ما روشن است «ما هیچ گونه سلطهای بر شما نداشتیم» برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۳۸ و زور و اجباری در کار نبود! (وَ ما کانَ لَنا عَلَیْکُمْ مِنْ سُلْطانٍ).

«بلکه خود شما قومی طغیانگر و متجاوز بودید» و خلق و خوی ستمگری شما باعث بدبختیتان شد (بَلْ کُنْتُمْ قَوْماً طاغِینَ).

و چه دردناک است که انسان ببیند رهبر و پیشوای او که یک عمر دل به او بسته بود موجبات بدبختی او را فراهم کرده است، سپس از او بیزاری می جوید.

حقیقت این است که هر کدام از این دو گروه از جهتی راست می گویند.

سورة الصافات(37): آية 31 ص: 128

(آیه ۳۱) - لذا این گفتگوها به جایی نمی رسد، و سر انجام این پیشوایان گمراه به این واقعیت اعتراف می کنند، می گویند: «اکنون فرمان پروردگارمان بر همه ما مسلّم شده (و حکم عذاب در باره همه صادر گردیده) و همگی از عذاب او می چشیم» (فَحَقَّ عَلَیْنا قَوْلُ رَبِّنا إِنَّا لَذائِقُونَ).

شما طاغی بودید و سرنوشت طغیانگران همین است، و ما هم گمراه و گمراه کننده.

سورة الصافات(37): آية 32 ص: 128

(آیه ۳۲)- «ما شما را گمراه کردیم همان گونه که خود گمراه بودیم» (فَأَغْوَیْناکُمْ إِنَّا کُنَّا غاوِینَ). بنابر این چه جای تعجب که همگی در این مصائب و عذابها شریک باشیم؟

سورة الصافات(37): آية 33 ص: 128

(آیه ۳۳)– سرنوشت این پیشوایان و آن پیروان: به دنبال بیان مخاصمه پیروان و پیشوایان گمراه در قیامت در کنار دوزخ که در آیات گذشته آمد، در این آیه سرنوشت هر دو گروه را یک جا بیان کرده، و عوامل بدبختی آنها را شرح می دهد که هم بیان درد است و هم ذکر درمان.

نخست مىفرمايــد: «همــه آنهـا [پيشوايــان و پيروان گمراه] در آن روز در عـــذاب الهى مشتركنــد» (فَــإِنَّهُمْ يَوْمَئِــَـذٍ فِى الْعَــذابِ مُشْتَركُونَ).

البته اشتراک آنها در اصل عذاب مانع تفاوتها و اختلاف درکات آنها در دوزخ و عذاب الهی نیست، چرا که مسلما کسی که مایه انحراف هزاران انسان شده است هرگز در مجازات، همسان یک فرد عادی گمراه نخواهد بود.

سورة الصافات(37): آية 34 ص: 128

(آیه ۳۴) - سپس برای تأکید بیشتر می افزاید: «ما این گونه با مجرمان رفتار برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۳۹ میکنیم» (إِنَّا کَذلِکَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِینَ).

این سنّت همیشگی ماست، سنتی که از قانون عدالت نشأت گرفته است.

سورة الصافات(37): آية 35 ص: 139

(آیه ۳۵) – در این آیه به بیان ریشه اصلی بدبختی آنها پرداخته، می گوید:

«آنها چنان بودند که وقتی کلمه توحید و لا اله الا الله به آنان گفته میشد استکبار میکردند» (إِنَّهُمْ کانُوا إِذا قِیلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلَّا). اللَّهُ یَشْتَكْبرُونَ).

آری! ریشه تمام انحرافات آنها تکبر و خود بر تر بینی، و زیر بـار حق نرفتن و بر سـر سـنتهای غلـط و تقالیـد باطـل اصـرار و لجاجت ورزیدن، و به همه چیز غیر از آن با دیده تحقیر نگریستن بود.

سورة الصافات(37): آية 37 ص: 139

(آیه ۳۶)- ولی آنها برای این گناه بزرگ خود عذری بدتر از گناه می آوردند «و پیوسته می گفتند: آیا ما خدایان و بتهای خود را به خاطر شاعر دیوانهای رها کنیم»؟! (وَ یَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِکُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ).

شاعرش می نامیدند چون سخنانش آن چنان در دلها نفوذ داشت و عواطف انسانها را همراه خود می برد که گوئی موزونترین اشعار را می سراید، در حالی که گفتارش ابدا شعر نبود، و مجنونش می خواندند به خاطر این که رنگ محیط به خود نمی گرفت، و در برابر عقائد خرافی انبوه متعصبان لجوج ایستاده بود، کاری که از نظر توده های گمراه یک نوع انتحار و خود کشی جنون آمیز است، در حالی که بزرگترین افتخار پیغمبر صلّی الله علیه و اله همین بود که تسلیم این شرائط نشد!

سورة الصافات(37): آية 37 ص: 139

(آیه ۳۷) – سپس قرآن برای نفی این سخنان بی اساس و دفاع از مقام وحی و رسالت پیامبر صلّی اللّه علیه و اله می افزاید: «چنین نیست، او حق آورده و پیامبران پیشین را تصدیق کرده است» (بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ).

محتوای سخنان او از یک سو، و هماهنگی آن با دعوت انبیا از سوی دیگر دلیل صدق گفتار اوست.

سورة الصافات(37): آية 38 ص: 139

(آیه ۳۸)- «اما شما (ای مستکبران کوردل و گمراهان بدزبان) بطور مسلم عذاب دردناک الهی را خواهید چشید» (إِنَّکُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيم).

سورة الصافات(37): آية 39 ص: ١٣٩

(آیه ۳۹) - ولی گمان نکنید که خداوند انتقامجو است و میخواهد انتقام برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۴۰

پیامبرش را از شما بگیرد چنین نیست شما «جز به آنچه انجام میدادید کیفر داده نمیشوید» (وَ ما تُجْزَوْنَ إِلَّا ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). در حقیقت همان اعمال شماست که در برابر شما مجسم میشود و با شما میماند و شما را شکنجه و آزار میدهد.

سورة الصافات(37): آية 40 ص: 140

(آیه ۴۰) – این آیه که در حقیقت مقدمهای است برای بحثهای آینده یک گروه را استثنا کرده، می گوید: «جز بندگان مخلص پروردگار (کسانی که خدا آنها را خالص کرده است) که از همه این کیفرها به دور و برکنارند» (إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِینَ). آری! تنها این گروهند که به اعمالشان جزا داده نمی شوند، بلکه خدا با فضل و کرم با آنها رفتار می کند و بی حساب پاداش می گیرند.

سورة الصافات(37): آية 41 ص: 140

(آیه ۴۱)- گوشهای از نعمتهای بهشتی: در آیه قبل سخن از (عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِةِ ینَ) به میان آمد، در اینجا مواهب و نعمتهای بیشماری را که خداوند به آنها ارزانی می دارد، بیان می کند که می توان آن را در هفت بخش خلاصه کرد. نخست می گوید: «برای آنان [بندگان مخلص] روزی معین و ویژهای است» (أُولئِکَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ).

این جمله اشاره به مواهب معنوی و لذات روحانی و درک جلوه های ذات پاک حق، و سرمست شدن از باده طهور عشق اوست، همان لذتی که تا کسی نبیند نمی داند.

سورة الصافات(37): آية 47 ص: 140

(آیه ۴۲) - سپس به بیان نعمتهای دیگر بهشتی پرداخته، آن هم نعمتهایی که با نهایت احترام به بهشتیان داده می شود، می گوید: «میوهها (ی گوناگون پر ارزش) و آنها گرامی داشته می شوند ...» (فَواکِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ). و به صورت میهمانهای عزیزی با نهایت احترام از آنها پذیرائی می شود.

سورة الصافات(37): آية 43 ص: 140

(آیه ۴۳)- از نعمت میوههای رنگارنگ و احترام و گرامی داشت که بگذریم سخن از جایگاه آنها به میان می آید، میفرماید: جایگاه آنها «در باغهای (سرسبز) و پر نعمت بهشت است» (فِی جَنَّاتِ النَّعِیمِ).

> هر نعمتی بخواهند در آنجا هست و هر چه اراده کنند در برابر آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۴۱ حاضر است.

سورة الصافات(37): آية 44 ص: 141

(آیه ۴۴)- و از آنجا که یکی از بزرگترین لذات انسان بهره گرفتن از مجلس انس با دوستان یکرنگ و با صفاست، در چهارمین مرحله به این نعمت اشاره کرده، می گوید: «بهشتیان در حالی که بر تختها رو به روی یکدیگر تکیه زدهاند» (عَلی

سورة الصافات(37): آية 45 ص : 141

(آیه ۴۵)- در پنجمین مرحله از بیان مواهب بهشتیان، سخن از نوشابه و شراب طهور آنهاست، میفرماید: «و گرداگردشان قدحهای لبریز از شراب طهور را می گردانند» (یُطافُ عَلَیْهِمْ بِکَأْسِ مِنْ مَعِینٍ).

این ظرفها در گوشهای قرار نگرفته که آنها تقاضای جامی از آن کنند، بلکه به مقتضای تعبیر (یُطافُ عَلَیْهِمْ) گرد آنها می گردانند!

سورة الصافات(37): آية 46 ص: 141

(آیه ۴۶)- سپس به توصیفی از آن شراب طهور پرداخته، می گوید: «شرابی سفید و درخشنده و لذت بخش برای نوشندگان» (بَیْضاءَ لَذَّهٔ لِلشَّارِبِینَ).

شرابی پاک، خالی از رنگهای شیطانی، سفید و شفاف.

سورة الصافات(37): آية 47 ص: 141

(آیه ۴۷)- از آنجا که نام شراب و پیمانه و مانند اینها ممکن است مفاهیم دیگری در اذهان تداعی کند بلافاصله در این آیه با ذکر جمله کوتاه و گویائی همه این مفاهیم را از ذهن شنوندگان می شوید و می گوید: «شرابی که نه در آن مایه تباهی عقل است، و نه از آن مست می شوند» (لا فِیها غَوْلٌ وَ لا هُمْ عَنْها یُنْزَفُونَ).

و جز هوشیاری و نشاط و لذت روحانی چیزی در آن نیست.

سورة الصافات(37): آية ٤٨ ص: ١٤١

(آیه ۴۸)- و سر انجام در ششمین مرحله به همسران پاک بهشتی اشاره کرده، می گوید: «نزد آنها همسرانی است که جز به شوهران خود عشق نمیورزند، به غیر آنان نگاه نمی کنند و چشمان درشت و زیبا دارند» (وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِینٌ).

سورة الصافات(37): آية ٤٩ ص: ١٤١

(آیه ۴۹)- در این آیه توصیف دیگری برای همین همسران بهشتی بیان کرده و پاکی و قداست آنها را با این عبارت بیان می کند: «گویی (از لطافت و سفیدی) همچون تخم مرغهایی هستند که (در زیر بال و پر مرغ) پنهان مانده» و دست انسانی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۴۲

هر كَز آن را لمس نكرده است! (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ).

مواهب گوناگونی که در باره بهشتیان در آیات گذشته ذکر شد مجموعهای از مواهب مادی و معنوی است، گر چه حقیقت نعمتهای بهشتی آن گونه که هست از اهل دنیا مکتوم خواهد بود، جز این که بروند و ببینند و دریابند!

سورة الصافات(37): آية 50 ص: 142

(آیه ۵۰)– جستجو از دوست جهنّمی! بنـدگان مخلص پروردگـار که طبق آیـات گذشـته غرق انواع نعمتهـای معنوی و مادی بهشـتند، ناگهان بعضـی از آنها به فکر گذشـته خود و دوسـتان دنیا میافتند، همان دوسـتانی که راه خود را جدا کردند و جای آنها در جمع بهشتیان خالی است، میخواهند بدانند سرنوشت آنها به کجا رسید.

آری! در حالی که آنها غرق گفتگو هستند و از هر دری سخنی می گویند «بعضی رو به بعضی دیگر کرده می پرسند ...» (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلی بَعْض یَتَساءَلُونَ).

سورة الصافات(37): آية 51 ص: 142

(آیه ۵۱)– ناگهان «یکی از آنها (خاطراتی در نظرش مجسم میشود رو به سوی دیگران کرده و) میگویـد: من همنشینی (در دنیا) داشتم ...»! (قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّی کانَ لِی قَرِینٌ).

سورة الصافات(37): آية 22 ص: 142

(آیه ۵۲)- متأسفانه او به انحراف کشیده شده و در خط منکران رستاخیز قرار گرفت، «او پیوسته می گفت: آیا (به راستی) تو این سخن را باور کردهای ...»

(يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ).

سورة الصافات(37): آية 33 ص: 142

(آیه ۵۳)- «که وقتی ما مردیم و به خاک و استخوان مبدّل شدیم (بار دیگر) زنده می شویم و جزا داده خواهیم شد» من که این سخنان را باور ندارم! (أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَدِینُونَ).

ای دوستان! کاش می دانستم الآن او کجاست؟ و در چه شرائطی است؟

آه جای او در میان ما خالی است!

سورة الصافات(37): آية 54 ص: 142

(آیه ۵۴) - سپس «می افزاید: (ای دوستان!) آیا شما می توانید از او خبری بگیرید»! (قالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ).

سورة الصافات(37): آية 55 ص: 142

(آیه ۵۵)- «اینجاست که نگاهی (به سوی دوزخ) می کند ناگهان او را در برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۴۳ میان دوزخ می بیند»! (فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِی سَواءِ الْجَحِیم).

سورة الصافات(37): آية 36 ص: 143

(آیه ۵۶)- او را مخاطب ساخته «می گوید: به خدا سو گند نزدیک بود مرا (نیز) به هلاـکت بکشانی»! (قالَ تَاللَّهِ إِنْ کِـدْتَ لَتُرْدِین).

سورة الصافات(37): آية 57 ص: 143

(آیه ۵۷)- چیزی نمانیده بود که وسوسه های تو در قلب صاف من اثر بگذارد، و مرا به همان خط انحرافی که در آن بودی وارد کنی «و اگر (لطف الهی یار من نشده بود و) نعمت پروردگارم نبود من نیز از احضار شدگان (در دوزخ) بودم»! (وَ لَوْ لا نِعْمَةُ رَبِّی لَکُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرینَ).

این توفیق الهی بود که رفیق راه من شد، و این دست لطف هدایتش بود که مرا نوازش داد و رهبری کرد.

سورة الصافات(37): آية 58 ص: 143

(آیه ۵۸)- سپس به یاران خود می گوید: ای دوستان! «آیا ما هر گز نمی میریم» و در بهشت جاودانه خواهیم بود؟ (أَ فَما نَحْنُ بِمَيِّتِينَ).

سورة الصافات(37): آية 59 ص: 143

(آیه ۵۹)- «و جز همان مرگ اول مرگی به سراغ ما نخواهـد آمـد، و ما هرگز عذاب نخواهیم شد» (إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ).

سورة الصافات(37): آية 60 ص: 143

(آیه ۶۰)- به هر حال این گفتگو را با یک جمله پر معنی و بسیار احساس انگیز و مؤکد به انواع تأکیدات پایان داده، می گوید: «راستی این همان پیروزی بزرگ است» (إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ).

چه پیروزی و رستگاری از این برتر که انسان غرق نعمت جاودانی و حیات ابدی و مشمول انواع الطاف الهی باشد؟

سورة الصافات(37): آية 61 ص: 143

(آیه ۶۱) و سر انجام خداوند بزرگ با یک جمله کوتاه و بیدار کننده و پر معنی به این بحث خاتمه داده، میفرماید: «برای مثل این باید، عمل کنند گان عمل کنند» و به خاطر این مواهب تلاشگران بکوشند (لِمِثْلِ هذا فَلْیَعْمَلِ الْعامِلُونَ).

چه تعبیر زیبائی! می گوید: تلاشگران برای این چنین هدفی باید تلاش کنند، برای بهشتی مملو از لذات روحانی، و پر از نعمتهای جسمانی که شراب طهورش انسان را در نشئهای ملکوتی فرو میبرد، و همنشینی دوستان باصفایش غمی بر دل نمی گذارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۴۴

سورة الصافات(37): آية 67 ص: 144

(آیه ۶۲)- گوشهای از عذابهای جانکاه دوزخیان: بعد از بیان نعمتهای روح بخش و پر ارزش بهشتی، به بیان عذابهای دردناک و غم انگیز دوزخی می پردازد، و آن چنان ترسیمی از آن می کند که در مقایسه با نعمتهای پیشین در نفوس مستعد عمیقا اثر می گذارد و آنها را از هر گونه زشتی و ناپاکی باز می دارد.

نخست میفرمایـد: «آیـا این (نعمتهـای جاویـدان بهشتی بهتر است یـا درخت (نفرت انگیز) زقوم»؟! (أَ ذلِکَ خَیْرٌ نُزُلًا أَمْ شَـجَرَهُ الزَّقُوم).

واژه «شجره» همیشه به معنی «درخت» نیست گاه به معنی گیاه نیز می آید، و قرائن نشان می دهد که منظور از آن در اینجا «گیاه» است.

سورة الصافات(37): آية 67 ص: 144

(آیه ۶۳)– سپس قرآن به بعضی از ویژگیهای این گیاه پرداخته، می گویـد: «ما آن را مایه درد و رنـج ظالمان قرار دادیم» (إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِینَ).

اشاره به این که آنها هنگامی که نام «زقوم» را شنیدند به سخریه و استهزا پرداختند و از این رو وسیلهای برای آزمایش این ستمگران شد.

سورة الصافات(37): آية 64 ص: 144

(آیه ۶۴) - سپس می افزاید: «آن درختی است که در قعر جهنم می روید» (إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِی أَصْلِ الْجَحِیمِ). ولی این ظالمان مغرور به سخریه ادامه دادند و گفتند: مگر ممکن است گیاه یا درختی از قعر جهنم بروید؟ آتش کجا و درخت و گیاه کجا؟

گویا آنها از این نکته غافل بودند که اصولی که بر زندگی آن جهان (آخرت) حاکم است با این جهان بسیار تفاوت دارد.

سورة الصافات(37): آية 65 ص: 144

(آیه ۶۵)- سپس می افزاید: «شکوفه آن مانند سرهای شیاطین است»! (طَلْعُها کَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّیاطِینِ). این تشبیه برای بیان نهایت زشتی و چهره تنفر آمیز آن است.

سورة الصافات(37): آية 66 ص: 144

(آيه ۶۶)- سر انجام قرآن مي گويد: آنها [مجرمان] از آن ميخورند و شكمها را از آن پر ميكنند»! (فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْها فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ).

این همان فتنه و عـذابی است که در آیـات قبل به آن اشاره شـد، خوردن از این گیاه دوزخی با آن بوی بـد و طعم تلـخ با آن شیرهای که تماسش با بدن مایه سوزندگی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۴۵ و تورم است، آن هم خوردن به مقدار زیاد، عذابی است دردناک.

سورة الصافات(37): آية 67 ص: 145

(آیه ۶۷)– بدیهی است خوردن از این غذای ناگوار و تلخ تشنگی آور است، «سپس روی آن آب داغ متعفنی مینوشند» (ثُمَّمَ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ).

سورة الصافات(37): آية ۶۸ ص: ۱۴۵

(آیه ۶۸)– آن غذای دوزخیان، و این هم نوشابه آنان، اما بعد از این پذیرائی به کجا میروند، قرآن می گوید: «سپس بازگشت آنها به سوی جهنم است»! (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ).

سورة الصافات(37): آية 69 ص: 145

(آیه ۶۹)– در این آیه قرآن دلیل اصلی گرفتاری دوزخیان را در چنگال این مجازاتهای دردناک در دو جمله کوتاه و پر معنی بیان میکند، میگوید: «چراکه آنها پدران خود را گمراه یافتند» (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آباءَهُمْ ضَالِّینَ).

سورة الصافات(37): آية ٧٠ ص: 145

(آیه ۷۰)- اما «با این حال بسرعت به دنبال آنان کشانده می شوند» (فَهُمْ عَلَى آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ).

اشاره به این که چنان دل و دین بر تقلید نیاکان باختهانید که گوئی آنها را بسرعت و بیاختیار به دنبالشان میدواننید و این اشاره به نهایت تعصب و شیفتگی آنها به خرافات نیاکان است.

سورة الصافات(37): آية 71 ص: 145

(آیه ۷۱)- اقوام گمراه پیشین: از آنجا که مسائل گذشته در رابطه با مجرمان و ظالمان اختصاص به مقطع خاصی از زمان و مکان ندارد قرآن به تعمیم و گسترش آن می پردازد، و ضمن چند آیه کوتاه و فشرده زمینه را برای شرح احوال بسیاری از امتهای پیشین- که اطلاع بر احوالشان سند گویائی برای مباحث گذشته است- فراهم میسازد.

نخست مىفرمايد: «قبل از آنها بيشتر پيشينيان گمراه شدند» (وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُوَّلِينَ).

سورة الصافات(37): آية 27 ص: 145

(آیه ۷۲)– سپس اضافه میکند: گمراهی آنها به خاطر نداشتن رهبر و راهنما نبود، «ما در میان آنها انذار کنندگانی فرستادیم» (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا فِیهِمْ مُنْذِرِینَ).

پیامبرانی کـه آنهـا را از شـرک و کفر و ظلـم و بیـدادگری و تقلیـد کورکـورانه از دیگران بیـم میدادنـد، و آنهـا را به

مسؤوليتهايشان آشنا ميساختند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۴۶

سورة الصافات(37): آية 27 ص: 146

(آیه ۷۳) – سپس در یک جمله کوتاه و پر معنی می گوید: «اکنون بنگر عاقبت انذار شوندگان و این اقوام لجوج گمراه به کجا رسید»؟ (فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُنْذَرِینَ).

سورة الصافات(37): آية 24 ص: 146

(آیه ۷۴) – و در این آیه به عنوان یک استثنا می فرماید: «مگر بندگان مخلص خدا» (إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِینَ). در واقع این جمله اشاره به آن است که عاقبت این اقوام را بنگر که چگونه آنها را به عذاب دردناکی گرفتار کردیم، و هلاک نمودیم، جز بندگان با ایمان و مخلص که از این مهلکه جان سالم به در بردند.

سورة الصافات(37): آية 25 ص: 146

(آیه ۷۵)- گوشهای از داستان نوح: از اینجا شرح داستان نه نفر از پیامبران بزرگ خدا آغاز می شود که در آیات پیشین بطور سر بسته به آن اشاره شده بود، نخست از «نوح» شیخ الانبیا و نخستین پیامبر اولوا العزم شروع می کند، و قبل از هر چیز به دعای پر سوز او هنگامی که از هدایت قومش مأیوس شد اشاره کرده، می فرماید: «و نوح ما را خواند (و ما دعای او را اجابت کردیم) و چه خوب اجابت کننده ای هستیم» (وَ لَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِیبُونَ).

این دعـا ممکن است اشاره به همان دعایی باشـد که در سوره نوح آیه ۲۶ و ۲۷ آمـده است «نوح گفت: پروردگارا! احدی از کافران را بر روی زمین مگذار، چرا که اگر آنها را به حال خود واگذاری بندگانت را گمراه میکنند ...»

سورة الصافات(37): آية 76 ص: 146

(آیه ۷۶)- و لذا در این آیه بلا فاصله می فرماید: «و او و خاندانش را از اندوه بزرگ رهایی بخشیدیم» (وَ نَجَیْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْکَرْبِ الْعَظِیم).

این انـدوه بزرگ ممکن است اشـاره به سـخریههـای قوم کافر و مغرور، و آزارهای زبانی آنها و هتاکی و توهین نسبت به او و پیروانش باشد، و یا اشاره به تکذیبهای پی در پی این قوم لجوج.

سورة الصافات(37): آية ٧٧ ص: ١٤٦

(آیه ۷۷)- سپس می افزاید: «و فرزندانش را همان بازماندگان (روی زمین) قرار دادیم» (وَ جَعَلْنا ذُرِّیَتَهُ هُمُ الْباقِینَ).

سورة الصافات(37): آية 28 ص: 148

(آیه ۷۸)– به علاوه ذکر خیر و ثناء جمیل «و نام نیک او را در میان امتهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۴۷ بعد باقی نهادیم» (وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِی الْآخِرِينَ).

از او به عنوان یک پیامبر مقاوم و شجاع و دلسوز و مهربان یاد می کنند، و او را «شیخ الانبیاء» مینامند.

سورة الصافات(37): آية 29 ص: 147

(آیه ۷۹)– «سلام و درود باد بر نوح در میان جهانیان» (سَلامٌ عَلَى نُوحِ فِي الْعَالَمِينَ).

سورة الصافات(37): آية 80 ص: 147

(آیه ۸۰)- و برای آن که این برنامه برای دیگران الهام بخش گردد، می افزاید: «ما این گونه نیکو کاران را پاداش می دهیم»! (إِنَّا کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ).

سورة الصافات(37): آية 81 ص: 147

(آیه ۸۱)- «چرا که او از بندگان با ایمان ما بود» (إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ).

در حقیقت مقام عبودیت و بندگی و همچنین ایمان توأم با احسان و نیکوکاری که در دو آیه اخیر آمده، دلیل اصلی لطف خداوند نسبت به نوح و نجاتش از اندوه بزرگ و سلام و درود الهی بر او بود که اگر این برنامه از ناحیه دیگران نیز تعقیب شود مشمول همان رحمت و لطفند چرا که الطاف پروردگار جنبه شخصی و خصوصی ندارد.

سورة الصافات(37): آية 82 ص: 147

(آیه ۸۲) - در این آیه با جملهای کوتاه و کوبنده سرنوشت آن قوم ظالم و شرور و کینه توز را بیان کرده، می گوید: «سپس دیگران [دشمنان او] را غرق کردیم» (ثُمَّ أُغْرَقُنُا الْآخَرِینَ).

از آسمان سیلاب آمد، و از زمین آب جوشید، و سر تا سر کره زمین به اقیانوس پر تلاطمی مبدل شد! کاخهای بیدادگران را درهم کوبید، و جسدهای بیجانشان بر صفحه آب باقی ماند!

سورة الصافات(37): آية 87 ص: 147

(آیه ۸۳)- طرح جالب بت شکنی ابراهیم! به دنبال گوشههایی از تاریخ پر ماجرای نوح در اینجا بخش قابل ملاحظهای از زندگی ابراهیم را ذکر می کند.

نخست ماجرای ابراهیم را به این صورت با ماجرای نوح پیونـد داده، میفرمایـد: «و از پیروان نوح ابراهیم بود» (وَ إِنَّ مِنْ شِـ یَعَتِهِ لَإِبْراهیمَ).

او در همان خط توحید و عدل، در همان مسیر تقوا و اخلاص که سنت نوح بود گام بر میداشت، که انبیا همه مبلغان یک مکتب و استادان یک دانشگاهند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۴۸

سورة الصافات(37): آية 34 ص: 148

(آیه ۸۴)- بعد از بیان این اجمال به تفصیل آن پرداخته، میفرماید:

به خاطر بیاور «هنگامی را که با قلب سلیم به پیشگاه پروردگارش آمد» (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِیم).

جالبترین تفسیر را برای «قلب سلیم» امام صادق علیه السّ بلام بیان فرموده در آنجا که میخوانیم: «قلب سلیم قلبی است که خدا را ملاقات کند در حالی که هیچ کس جز او در آن نباشد».

در باره اهمیت قلب سلیم همین بس که قرآن مجید آن را تنها سرمایه نجات روز قیامت شمرده، چنانکه در سوره شعراء آیه ۸۸ و ۸۸ از زبان همین پیامبر بزرگ ابراهیم (ع) میخوانیم: «روزی که اموال و فرزندان سودی به حال انسان نمیبخشند، جز کسی که با قلب سلیم در پیشگاه خداوند حضور یابد».

سورة الصافات(37): آية 85 ص: 148

(آیه ۸۵)– آری! ابراهیم با قلب سلیم و روح پاک و ارادهای نیرومند و عزمی راسخ مأمور مبارزه با بت پرستان شد، و از پدر (عمو) و قوم خودش آغاز کرد، چنانکه قرآن می گوید: به خاطر بیاور «هنگامی را که به پدر و قومش گفت: اینها چیست که می پرستید»؟! (إذْ قالَ لِأَبِیهِ وَ قَوْمِهِ ما ذا تَعْبُدُونَ).

حیف نیست انسان با آن شرافت ذاتی و عقل و خرد در مقابل مشتی سنگ و چوب بیارزش تعظیم کند؟ عقلتان کجاست؟!

سورة الصافات(37): آية 86 ص: 148

(آیه ۸۶)– سپس این تعبیر را که توأم با تحقیر آشکار بتها بود با جمله دیگری تکمیل کرد و گفت: «آیا غیر از خدا (که بر حق است) به سراغ این معبودان دروغین میروید»؟ (أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِیدُونَ).

سورة الصافات(37): آية 87 ص: 148

(آیه ۸۷)– سر انجام سخنش را با جمله کوبنده دیگری در این مقطع پایان داد و گفت: «شما در باره پروردگار عالمیان چه گمان میبرید»؟! (فَما ظَنُّکُمْ بِرَبِّ الْعالَمِینَ).

روزی او را میخورید، مواهب او سراسر وجود شما را احاطه کرده، با این حال موجودات بیارزشی را همردیف او قرار دادهاید.

سورة الصافات(37): آية 88 ص: ١٤٨

(آیه ۸۸)- در تواریخ و تفاسیر آمده است که بت پرستان بابل هر سال مراسم برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۴۹ عید مخصوصی داشتند غذاهائی در بتخانه آماده می کردند و در آنجا می چیدند به این پندار که غذاها متبرک شود، سپس دسته جمعی به بیرون شهر میرفتند و در پایان روز باز میگشتند و برای نیایش و صرف غذا به بتخانه می آمدند. لذا هنگامی که در شب از او دعوت به شرکت در این مراسم کردند «او نگاهی به ستارگان افکند» (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِی النَّجُوم).

سورة الصافات(37): آية 84 ص: 149

(آیه ۸۹)- «پس گفت: من بیمارم» و با شما به مراسم جشن نمی آیم! (فَقالَ إِنِّی سَقِیمٌ). و به این ترتیب عذر خود را خواست!

سورة الصافات(37): آية 90 ص: 149

(آیه ۹۰)- «آنها از او روی برتافته و به او پشت کردند» و بسرعت دور شدند (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ).

سورة الصافات(37): آية 91 ص: 149

(آیه ۹۱) – به این ترتیب ابراهیم (ع) تنها در شهر ماند و بت پرستان شهر را خالی کرده و بیرون رفتند، ابراهیم نگاهی به اطراف خود کرد، برق شوق در چشمانش نمایان گشت، لحظاتی را که از مدتها قبل انتظارش را می کشید فرا رسید، باید یک تنه برخیزد و به جنگ بتها برود، و ضربه سختی بر پیکر آنان وارد سازد، ضربهای که مغزهای خفته بت پرستان را تکان دهد و بیدار کند.

قرآن می گوید: او وارد بتخانه شد «مخفیانه نگاهی به معبودانشان کرد و از روی تمسخر گفت: چرا (از این غذاها) نمی خورید»! (فَراغَ إلی آلِهَتِهمْ فَقالَ أَ لا تَأْكُلُونَ).

سورة الصافات(37): آية 92 ص: 149

(آیه ۹۲)– سپس افزود: اصلا «چرا سخن نمی گوئید»؟ چرا لال و دهن بسته هستید! (ما لَکُمْ لا تَنْطِقُونَ).

سورة الصافات(37): آية 93 ص: 149

(آیه ۹۳)- «سپس به سوی آنها رفت (آستین را بالا_زد تبر را به دست گرفت) و ضربهای محکم با دست راست بر پیکر آنها فرود آورد» و جز بت بزرگ، همه را درهم شکست (فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ).

و چیزی نگذشت که از آن بتخانه آباد و زیبا ویرانهای وحشتناک ساخت.

سورة الصافات(37): آية 94 ص: 149

(آیه ۹۴)- بت پرستان به شهر بازگشتند و به سراغ بتخانه آمدند، چه منظره وحشتناک و بهت آوری! لحظاتی چنـد مات و مبهوت، خیره خیره به آن ویرانه نگاه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۵۰

کردنید. سپس سکوت جمای خود را به خروش و نعره و فریاد داد ... چه کسی این کمار را کرده؟ کمدام ستمگر؟! و چیزی

نگذشت که به خاطرشان آمد جوان خداپرستی در این شهر وجود دارد، به نام ابراهیم «آنها با سرعت به او روی آوردنـد» (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ).

سورة الصافات(37): آية 95 ص: 150

(آیه ۹۵)– نقشههای مشرکان شکست میخورد: سر انجام ابراهیم را به همین اتهام به دادگاه کشاندند. او را مورد سؤال قرار داده و از او خواستند توضیح دهد.

قرآن شرح این ماجرا را در سوره انبیا بیان کرده و در اینجا تنها به یک فراز حساس آن قناعت می کند و آن آخرین سخن ابراهیم با آنان در زمینه باطل بودن بت پرستی است می گوید: ابراهیم «گفت: آیا چیزی را می پرستید که با دست خود می تراشید»؟! (قالَ أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ). آیا هیچ آدم عاقلی مصنوع خود را پرستش می کند؟

سورة الصافات(37): آية 96 ص: 150

(آیه ۹۶)- معبود بایـد خالق انسان باشـد نه مخلوق او، اکنون درست بنگرید و معبود حقیقی را پیدا کنید: «خداوند هم شـما را آفریده، و هم بتهائی را که میسازید» (وَ اللَّهُ خَلَقَکُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ).

آسمان و زمین همه مخلوق اویند و زمان و مکان همه از اوست، باید سر بر آستان چنین خالقی نهاد و او را پرستش و نیایش کرد.

این دلیلی است بسیار قوی و دندان شکن که هیچ پاسخی در مقابل آن نداشتند.

سورة الصافات(37): آية 97 ص: 150

(آیه ۹۷) ولی میدانیم زورگویان و قلدران هرگز با منطق و استدلال آشنا نبودهاند، و چون پیشرفت این منطق توحیدی را مزاحم منافع خویش میدند با منطق زور و سرنیزه و آتش به میدان آمدند، تکیه بر قدرت خویش کردند «گفتند: بنای مرتفعی برای او بسازید (و در میان آن آتش بیفروزید) و او را در جهنمی از آتش بیفکنید»! (قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْیاناً فَأَلْقُوهُ فِی الْجَحِیم).

سورة الصافات(37): آية ٩٨ ص: ١٥٠

(آیه ۹۸)- در اینجا قرآن به ریزه کاریها و جزئیات این مسأله که در سوره انبیا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۵۱ آمده است اشاره نمی کند، تنها در یک جمع بندی فشرده و جالب پایان این ماجرا را چنین بیان می کند: «آنها طرحی برای نابودی ابراهیم ریخته بودند، ولی ما آنان را پست و مغلوب ساختیم» (فَأَرادُوا بِهِ کَیْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِینَ).

سورة الصافات(37): آية 99 ص: 151

(آیه ۹۹)– ابراهیـم (ع) از این مهلکه به ســلامت بیرون آمــد، و چــون رســالت خــود را در بابـل پایــان یــافته میـدیــد تصــمیم بر

مهاجرت به اراضی مقدس شام گرفت «و گفت: من به سوی پروردگارم میروم، او مرا هدایت خواهد کرد» (وَ قالَ إِنِّی ذاهِبٌ إِلی رَبِّی سَیَهْدِینِ).

بدیهی است خداوند مکانی ندارد اما مهاجرت از محیط آلوده به محیط پاک و سرزمین انبیا مهاجرت به سوی خداست.

سورة الصافات(37): آية 100 ص: 151

(آیه ۱۰۰) و در اینجا نخستین تقاضایش از خدا که در آیات فوق منعکس است تقاضای فرزند صالح بود، فرزندی که بتواند خط رسالت او را تنداوم بخشد، و برنامه های نیمه تمامش را به پایان برسانند، اینجا بود که عرض کرد: «پروردگارا! به من از صالحان [فرزندان صالح] ببخش» (رَبِّ هَبْ لِی مِنَ الصَّالِحِینَ).

خداوند نیز این دعا را مستجاب کرد، و فرزندان صالحی همچون «اسماعیل» و «اسحاق» به او مرحمت فرمود.

سورة الصافات(37): آية 101 ص: 151

(آیه ۱۰۱)- ابراهیم در قربانگاه! در اینجا سخن از اجابت این دعای ابراهیم به میان آورده، می گوید: «پس ما او [ابراهیم] را به نوجوانی بردبار و صبور بشارت دادیم» (فَبَشَّرْناهُ بِغُلام حَلِیم).

در واقع سه بشارت در این جمله جمع شده است بشارت تولد فرزندی پسر، و بشارت رسیدن او به سنین نوجوانی، و بشارت به صفت والای حلم.

سورة الصافات(37): آية 107 ص: 151

(آیه ۱۰۲)– سر انجام فرزند موعود ابراهیم طبق بشارت الهی متولد شد، و قلب پدر را روشن ساخت، دوران طفولیت را پشت سر گذاشت و به سن نوجوانی رسید.

در اینجا قرآن می گوید: «پس هنگامی که با او به مقام سعی و کوشش رسید» (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْیَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۵۲

یعنی به مرحلهای رسید که می توانست در مسائل مختلف زندگی همراه پدر تلاش و کوشش کند و او را یاری دهد.

به هر حال به گفته جمعی از مفسران، فرزندش در آن وقت سیزده ساله بود که ابراهیم خواب عجیب شگفت انگیزی می بیند که بیانگر شروع یک آزمایش بزرگ دیگر در مورد این پیامبر عظیم الشأن است، در خواب می بینـد که از سوی خداوند به او دستور داده شد تا فرزند یگانهاش را با دست خود قربانی کند و سر ببرد.

ابراهیم که بارها از کوره داغ امتحان الهی سرفراز بیرون آمده بود، این بار نیز باید دل به دریا بزند و سر بر فرمان حق بگذارد. ولی باید قبل از هر چیز فرزند را آماده این کار کند، رو به سوی او کرد و «گفت:

پسرم! من در خواب دیدم که تو را ذبح می کنم، نظر تو چیست»؟! (قالَ یا بُنَیَّ إِنِّی أَری فِی الْمَنامِ أَنِّی أَذْبَهُ کَ فَانْظُرْ ما ذا تَری).

فرزندش که نسخهای از وجود پدر ایثارگر بود و درس صبر و استقامت و ایمان را در همین عمر کوتاهش در مکتب او خوانده بود، با آغوش باز و از روی طیب خاطر از این فرمان الهی استقبال کرد، و با صراحت و قاطعیت «گفت: پدرم هر دستور داری

اجرا كن» (قالَ يا أُبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ).

و از ناحیه من فکر تو راحت باشد که «به خواست خدا مرا از صابران خواهی یافت» (سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِینَ). این تعبیرات پدر و پسر چقدر پر معنی است از یک سو پدر با صراحت مسأله ذبح را با فرزند سیزده ساله مطرح می کند و برای او شخصیت مستقل و آزادی اراده قائل می شود، از سوی دیگر فرزند هم می خواهد پدر در عزم و تصمیمش راسخ باشد. و به این ترتیب هم پدر و هم پسر نخستین مرحله این آزمایش بزرگ را با پیروزی کامل می گذرانند.

سورة الصافات(37): آية 103 ص: 152

(آیه ۱۰۳)- در این میان چهها گذشت؟ قرآن از شرح آن خودداری کرده، و تنها روی نقاط حساس این ماجرای عجیب انگشت می گذارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۵۳

بعضی نوشتهاند: فرزند فداکار برای این که پدر را در انجام این مأموریت کمک کند، گفت: پدرم ریسمان را محکم ببند تا هنگام اجرای فرمان الهی دست و پا نزنم، می ترسم از پاداشم کاسته شود! پدر جان! کارد را تیز کن و با سرعت بر گلویم بگذران تا تحملش بر من (و بر تو) آسانتر باشد! پدرم! قبلال پیراهنم را از تن بیرون کن که به خون آلوده نشود، چرا که بیم دارم چون مادرم آن را ببیند عنان صبر از کفش بیرون رود.

آنگاه افزود: سلامم را به مادرم برسان و اگر مانعی ندیدی پیراهنم را برایش ببر که باعث تسلی خاطر و تسکین دردهای اوست، چرا که بـوی فرزنـدش را از آن خواهـد یـافت، و هرگاه دلتنـگ شـود آن را در آغـوش میفشـارد و سـوز درونش را تخفیف خواهد داد.

لحظه های حساسی فرارسید ابراهیم که مقام تسلیم فرزند را دید او را در آغوش کشید، و هر دو در این لحظه به گریه افتادند. قرآن همین اندازه در عبارتی کوتاه و پر معنی می گوید: «هنگامی که هر دو تسلیم شدند و ابراهیم جبین او را بر خاک نهاد ...» (فَلَمًا أَسْلَما وَ تَلَّهُ لِلْجَبِین).

ابراهیم صورت فرزند را بر خاک نهاد و با سرعت و قدرت کارد را بر گلوی فرزند گذارد در حالی که روحش در هیجان فرو رفته بود، اما کارد برنده در گلوی لطیف فرزند کمترین اثری نگذارد!

ابراهیم در حیرت فرو رفت بار دیگر کارد را به حرکت درآورد ولی باز کارگر نیفتاد.

آری! ابراهیم «خلیل» می گوید: ببر! اما خداوند «جلیل» فرمان میدهد نبر! و کارد تنها گوش بر فرمان او دارد.

سورة الصافات(37): آية 104 ص: 153

(آیه ۱۰۴)- اینجاست که قرآن با یک جمله کوتاه و پر معنی به همه انتظارها پایان داده، می گوید: در این هنگام «او را ندا دادیم که: ای ابراهیم!» (وَ نادَیْناهُ أَنْ یا إِبْراهِیمُ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۵۴

سورة الصافات(37): آية 105 ص: 154

(آیه ۱۰۵)– «آن رؤیا را تحقق بخشیدی» و به مأموریت خود عمل کردی (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْیا).

«ما این گونه نیکو کاران را جزا می دهیم» (إِنَّا کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ).

هم به آنها توفیق پیروزی در امتحان میدهیم، و هم نمی گذاریم فرزند دلبندشان از دست برود.

سورة الصافات(37): آية 106 ص: 154

(آيه ١٠۶)- سپس مي افزايد: «اين مسلما همان امتحان آشكار است» (إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ).

ذبح کردن فرزنـد با دست خود، آن هم فرزنـدی برومنـد و لایق، برای پـدری که یک عمر در انتظار چنین فرزندی بوده، کار ساده و آسانی نیست.

و از آن عجیب تر تسلیم مطلق این نوجوان در برابر این فرمان بود، که بـا آغوش بـاز و بـا اطمینـان خاطر به لطف پروردگار به استقبال ذبح شتافت.

سورة الصافات(37): آية ١٠٧ ص: ١٥٤

(آیه ۱۰۷) - اما برای این که برنامه ابراهیم ناتمام نماند، و در پیشگاه خدا قربانی کرده باشد و آرزوی ابراهیم برآورده شود، خداوند قوچی بزرگ فرستاد تا به جای فرزند قربانی کند و سنتی برای آیندگان در مراسم «حج» و سرزمین «منی» از خود بگذارد، چنانکه قرآن می گوید: «ما ذبح عظیمی را فدای او کردیم» (وَ فَدَیْناهُ بِذِبْح عَظِیم).

یکی از نشانه های عظمت این ذبح آن است که با گذشت زمان سال به سال وسعت بیشتری یافته، و الآن در هر سال بیش از یک میلیون به یاد آن ذبح عظیم ذبح می کنند و خاطرهاش را زنده نگه می دارند.

سورة الصافات(37): آية ١٠٨ ص: ١٥٤

(آیه ۱۰۸)- نه تنها خداونـد پیروزی ابراهیم را در این امتحـان بزرگ در آن روز سـتود، بلکه خاطره آن را جاویـدان ساخت، چنانکه در این آیه می گوید: «و نام نیک او را در امتهای بعد باقی نهادیم» (وَ تَرَكْنا عَلَیْهِ فِی الْآخِرِینَ).

سورة الصافات(37): آية 109 ص: 154

(آیه ۱۰۹)- «سلام بر ابراهیم» آن بنده مخلص و پاکباز (سَلامٌ عَلی إِبْراهِیمَ).

سورة الصافات(37): آية 110 ص: 154

اشاره

(آیه ۱۱۰)- آری «این گونه نیکو کاران را پاداش می دهیم» (کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ). پاداشی به عظمت دنیا، پاداشی جاودان در سراسر زمان، پاداشی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۵۵

در خور سلام و درود خداوند بزرگ!

ذبيح الله كيست؟ ص: ١٥٥

آنچه با ظواهر آیات مختلف قرآن هماهنگ است این است که ذبیح «اسماعیل» بوده است. روایات بسیاری نیز در منابع اسلامی آمده است که نشان میدهد ذبیح «اسماعیل» بوده است نه اسحاق.

سورة الصافات(37): آية 111 ص: 155

(آیه ۱۱۱)- ابراهیم بنده مؤمن خدا: این آیه و دو آیه بعد آخرین آیاتی است که ماجرای ابراهیم و فرزندانش را در اینجا تعقیب و تکمیل می کند.

نخست مى گويد: «او از بندگان با ايمان ماست» (إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ).

در حقیقت این جمله دلیلی است بر آنچه گذشت و این واقعیت را بیان می کند که اگر ابراهیم همه هستی و وجود خویش و حتی فرزند عزیزش را یک جا در طبق اخلاص گذارد و فدای راه معبود خویش کرد به خاطر ایمان عمیق و قویش بود.

سورة الصافات(37): آية 117 ص: 155

(آیه ۱۱۲)- سپس به یکی دیگر از مواهب خدا به ابراهیم سخن می گوید: می فرماید: «ما او را به اسحاق نَبِیًّا مِنَ الصَّالِحِینَ).

سورة الصافات(37): آية 113 ص: 155

(آیه ۱۱۳)- و در این آیه، سخن از برکتی در میان است که خدا به ابراهیم و فرزندش اسحاق ارزانی داشت، میفرماید: «ما به او و اسحاق برکت دادیم» (وَ بارَکْنا عَلَیْهِ وَ عَلی إِسْحاقَ).

برکت در همه چیز، در عمر و زندگی، در نسلهای آینده، در تاریخ و مکتب و در همه چیز.

اما برای این که توهم نشود که این برکت در خاندان ابراهیم جنبه نسب و قبیلهای دارد بلکه در ارتباط با مذهب و مکتب و ایمان است، در آخر آیه میافزاید: «و از دودمان آن دو، افرادی بودند نیکوکار و افرادی (که به خاطر عدم ایمان) آشکارا به خود ستم کردند» (وَ مِنْ ذُرِّیَتِهِما مُحْسِنٌ وَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِینٌ).

و به این ترتیب آیه فوق به گروهی از یهود و نصاری که افتخار می کردند ما از برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۵۶ فرزنـدان انبیا هستیم پاسـخ می گویـد که پیونـد خویشاوندی به تنهائی افتخار نیست، مگر این که در سایه پیوند فکری و مکتبی قرار گیرد.

سورة الصافات(37): آية 114 ص: 186

(آیه ۱۱۴)- مواهب الهی بر موسی و هارون: در اینجا به گوشهای از الطاف الهی نسبت به «موسی» و برادرش «هارون» اشاره شده، نخست می گوید: «ما به موسی و هارون منت بخشیدیم» و آنها را مرهون نعمتهای خود ساختیم (وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلی مُوسی وَ

سورة الصافات(37): آية 110 ص: 108

(آیه ۱۱۵)– در نخستین مرحله می فرماید: و آن دو و قومشان را از اندوه بزرگ نجات دادیم» (وَ نَجَیْناهُما وَ قَوْمَهُما مِنَ الْکَرْبِ الْعَظِیم).

چه انـدوهی از این بزرگتر که بنی اسـرائیل در چنگال فرعونیان جبار و خونخوار گرفتار بودند؟ پسـرانشان را سـر میبریدند، و زنانشان را به خدمتکاری و مردان را به بردگی و بیگاری وا میداشتند.

سورة الصافات(37): آية 116 ص: 158

(آیه ۱۱۶)- در مرحله دوم میفرماید: «و آنها (موسی و هارون و بنی اسرائیل) را یاری کردیم تا (بر دشمنان خود) پیروز شدند» (وَ نَصَرْناهُمْ فَکانُوا هُمُ الْغالِبِینَ).

در آن روز که لشکر خونخوار فرعونی با قدرت و نیروی عظیم و در پیشاپیش آنها شخص فرعون به حرکت درآمد، بنی اسرائیل قومی ضعیف و ناتوان و فاقد مردان جنگی و سلاح کافی بودند، اما دست لطف خدا به یاری آنها آمد، فرعونیان را در میان امواج دفن کرد، و آنها را از غرقاب رهائی بخشید و کاخها و ثروت و باغها و گنجهای فرعونیان را به آنها سپرد.

سورة الصافات(37): آية 117 ص: 156

(آیه ۱۱۷) - در سومین مرحله به مواهب معنوی که خدا به این قوم از بنـد رسـته عنایت فرمود اشاره کرده، می گوید: «ما به آن دو کتاب روشنگر دادیم» (وَ آتَیْناهُمَا الْکِتابَ الْمُسْتَبِینَ).

آری «تورات» کتاب مستبین یعنی کتاب روشنگر بود، و به تمام نیازمندیهای دین و دنیای بنی اسرائیل در آن روز پاسخ می گفت، همان گونه که در آیه ۴۴ سوره مائده نیز میخوانیم: «ما تورات را نازل کردیم که هم در آن هدایت بود و هم نور و روشنائی».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۵۷

سورة الصافات(37): آية ١١٨ ص: ١٥٧

(آیه ۱۱۸)- در مرحله چهارم باز به یکی دیگر از مواهب معنوی- موهبت هدایت به صراط مستقیم- اشاره کرده، می گوید: «و آن دو را به راه راست هدایت نمودیم» (وَ هَدَیْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ).

همان راه راست و خالی از هر گونه کجی و اعوجاج که راه انبیا و اولیا است، و خطر انحراف و گمراهی و سقوط در آن وجود ندارد.

سورة الصافات(37): آية 119 ص: 157

(آیه ۱۱۹)- در پنجمین مرحله به سراغ تـداوم مکتب و بقای نام نیک آنها رفته، می گویـد: «و نام نیکشان را در اقوام بعد باقی گذاردیم» تا به عنوان دو اسوه شناخته شوند، و مردم جهان از روش و تاریخ آنان الهام گیرند (وَ تَرَکْنا عَلَیْهِما فِی الْآخِرِینَ).

سورة الصافات(37): آية 120 ص: 157

(آیه ۱۲۰) - در ششمین مرحله سخن از سلام و درود خداوند بر موسی و هارون است میفرماید: «سلام بر موسی و هارون» (سَلامٌ عَلی مُوسی وَ هارُونَ).

سلامی که رمز سلامت در دین و ایمان، در اعتقاد و مکتب، و در خط و مذهب است.

سلامی که بیانگر نجات و امنیت از مجازات و عذاب این جهان و آن جهان است.

سورة الصافات(37): آية 121 ص: 157

(آیه ۱۲۱)-و در هفتمین و آخرین مرحله به جزا و پاداش بزرگ خود به آنها پرداخته، می گوید: آری! «ما این چنین نیکو کاران را پاداش می دهیم» (إِنَّا کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ).

اگر آنها به این افتخارات نائل شدند بی دلیل نبود، آنها محسن بودند، مؤمن و مخلص و فداکار و نیکوکار، و چنین کسانی باید مشمول این همه پاداش شوند.

سورة الصافات(37): آية 127 ص: 157

(آیه ۱۲۲) – سر انجام در این آیه به همان دلیلی اشاره می کند که در داستان ابراهیم و نوح قبل از آن آمد، می گوید: «آن دو (موسی و هارون) از بندگان مؤمن ما بودند» (إِنَّهُما مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ).

ایمان است که روح انسان را چنان روشن و نیرومند میسازد که به سراغ احسان و نیکوکاری و پاکی و تقوا میرود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۵۸

سورة الصافات(٣٧): آية ١٢٣ ص: ١٥٨

(آیه ۱۲۳)- پیامبر خدا الیاس در برابر مشرکان: چهارمین سرگذشتی که از انبیاء پیشین در این سوره آمده است سرگذشت فشردهای از «الیاس» است، میفرماید: «و الیاس از رسولان (ما) بود» (وَ إِنَّ إِلْیاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ).

سورة الصافات(37): آية 124 ص: 158

(آیه ۱۲۴)– سپس برای شرح این اجمال به تفصیل پرداخته، می گوید:

به خاطر بياور «هنگامي را كه به قومش گفت: آيا تقوا پيشه نميكنيد»؟ (إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ لا تَتَّقُونَ).

سورة الصافات(37): آية 128 ص: 158

(آیه ۱۲۵) - در این آیه با صراحت بیشتری از این مسأله سخن می گوید: «آیا بت بعل را میخوانید و بهترین آفرید گارها را رها می سازید»؟! (أَ تَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِینَ).

گفتهاند این بت طلائی به قدری بزرگ بود که طولش به بیست زراع میرسید! و چهار صورت داشت، و خدمه او بالغ بر چهار صد نفر بود!

سورة الصافات(37): آية 126 ص: 158

(آیه ۱۲۶)- به هر حال «الیاس» این قوم بت پرست را سخت نکوهش کرد، و ادامه داد: «خدائی (را رها می کنید) که پروردگار شما و پروردگار نیاکان شماست» (اللَّهَ رَبَّکُمْ وَ رَبَّ آبائِکُمُ الْأَوَّلِينَ).

مالک و مربی همه شما او بوده و هست، هر نعمتی دارید از اوست، و حل هر مشکلی با دست قدرت او میسر است، غیر از او نه سر چشمه خیر و برکتی وجود دارد و نه دفع کننده شر و آفتی.

سورة الصافات(37): آية 127 ص: 158

(آیه ۱۲۷)– اما این قوم خیرهسر و خودخواه گوش به اندرزهای مستدل، و هدایتهای روشن این پیامبر بزرگ الهی فرا ندادند، «و به تکذیب او برخاستند» (فَکَذَّبُوهُ).

خداوند هم مجازات آنها را در یک جمله کوتاه بیان کرده، میفرماید: «ولی به یقین همگی (در دادگاه عـدل الهی) احضار می شوند» (فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ).

و به کیفر اعمال زشت و شوم خود خواهند رسید.

سورة الصافات(37): آية 128 ص: 158

(آیه ۱۲۸) – ولی ظاهرا گروه اندکی از پاکان و نیکان و خالصان به الیاس ایمان آوردند، برای آنکه حق آنها فراموش نگردد، بلا فاصله می فرماید: «مگر بندگان برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۵۹ مخلص خدا» (إلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ).

سورة الصافات(37): آية 129 ص: 159

(آیه ۱۲۹)- در قسمت اخیر این داستان همان مسائل چهار گانهای را که در سرگذشتهای پیامبران دیگر- موسی و هارون و ابراهیم و نوح- آمده بود به خاطر اهمیتی که دارد تکرار شده است.

نخست می فرماید: «ما نام نیک او را در میان امتهای بعد باقی گذاردیم» (وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِی الْآخِرینَ).

امتهای دیگر زحمات این انبیاء بزرگ را که در پاسـداری خط توحید، و آبیاری بذر ایمان منتهای تلاش و کوشـش را به عمل آوردند، هرگز فراموش نخواهند کرد، و تا دنیا برقرار است یاد و مکتب آنها نیز جاویدان است.

سورة الصافات(37): آية 130 ص: 159

(آیه ۱۳۰) - در مرحله دوم می افزاید: «سلام بر الیاسین» (سَلامٌ عَلی إِلْ یاسِینَ).

سورة الصافات(37): آية 131 ص: 159

(آیه ۱۳۱)- در مرحله سوم می فرماید: «ما این گونه نیکو کاران را پاداش می دهیم» (إِنَّا کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ).

سورة الصافات(37): آية 132 ص: 159

(آیه ۱۳۲) - و در مرحله چهارم ریشه اصلی همه اینها را که «ایمان» است طرح کرده، می گوید: «مسلما او (الیاس) از بندگان مؤمن ماست» (إنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ).

«ایمان» و «عبودیت» سر چشمه احسان و احسان عامل قرار گرفتن در صف مخلصین و مشمول سلام خدا شدن است.

سورة الصافات(37): آية 133 ص: 159

(آیه ۱۳۳) – سرزمین بلازده این قوم در برابر شماست! پنجمین پیامبری که در این سوره، نامش به میان آمده «لوط» است، که طبق صریح قرآن همزمان و معاصر با ابراهیم (ع) بوده است.

نخست مى گويد: «و لوط از رسولان (ما) است» (وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ).

سورة الصافات(37): آية 134 ص: 159

(آیه ۱۳۴)- و بعد از بیان این اجمال طبق روش اجمال و تفصیل که قرآن دارد به شرح قسمتی از ماجرای او پرداخته، می گوید: به خاطر بیاور «زمانی را که او و خاندانش را همگی نجات دادیم» (إِذْ نَجَیْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۶۰

سورة الصافات(37): آية 135 ص: 160

(آیه ۱۳۵)– «مگر (همسرش) پیر زنی که از بازماندگان بود» و به سرنوشت آنان گرفتار شد» (إِلَّا عَجُوزاً فِی الْغابِرِينَ).

سورة الصافات(37): آية 136 ص: 160

(آیه ۱۳۶) - «سپس بقیه را نابود کردیم» (ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخرینَ)

.جملههای کوتاه فوق اشاراتی به تاریخ پر ماجرای این قوم است که شرح آن در سورههای «هود» و «شعرا» و «عنکبوت» گذشت.

سورة الصافات(37): آية 137 ص: 160

(آیه ۱۳۷)- و از آنجا که همه اینها مقدمهای است برای بیدار کردن غافلان مغرور در پایان این سخن اضافه میکند: «و شما پیوسته صبحگاهان از کنار (ویرانههای شهرهای) آنها می گذرید ...» (وَ إِنَّكُمْ لَتُمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ)

سورة الصافات(37): آية 138 ص: 160

(آیه ۱۳۸)- «و (همچنین) شبانگاه (نیز از آنجا عبور می کنید) آیا نمی اندیشید»؟ (وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ)

این تعبیر به خاطر آن است که شهرهای قوم لوط در مسیر کاروانهای مردم حجاز به سوی شام قرار داشت، و اینها در سفرهای روزانه و شبانه خود از کنار آن عبور می کردند اگر گوش شنوا داشتند فریاد دلخراش و جانکاه این قوم گنهکار بلادیده را می شنیدند.

آرى! درس عبرت بسيار است اما عبرت گيرندگان كمند.

سورة الصافات(37): آية 139 ص: 160

(آیه ۱۳۹) - یونس در بوته امتحان: این ششمین و آخرین سرگذشت انبیا و اقوام پیشین است که در این سوره آمده سرگذشت «یونس» و قوم توبه کارش.

نخست همچون داستانهای گذشته سخن از مقام رسالت او به میان آورده، می گوید: «و یونس از رسولان (ما) است» (وَ إِنَّ یُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ)

. یونس (ع) همانند سایر انبیا دعوت خود را از توحید و مبارزه با بت پرستی شروع کرد، و سپس با مفاسدی که در محیط رائج بود به مبارزه پرداخت، اما آن قوم در برابر دعوت او تسلیم نشدند.

تنها گروه اندکی که شاید از دو نفر تجاوز نکردند عابد و عالمی به او ایمان آوردند.

یونس آنقدر تبلیغ کرد که تقریبا از آنها مأیوس شد و به آنها نفرین کرد، به او برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۶۱ وحی آمد که در فلان زمان عذاب الهی نازل می شود، هنگامی که موعد عذاب نزدیک شد یونس همراه مرد عابد از میان آنها بیرون رفت در حالی که خشمگین بود، تا به ساحل دریا رسید در آنجا یک کشتی پر از جمعیت و بار را مشاهده کرد، و از آنها خواهش نمود که او را نیز همراه خود ببرند.

سورة الصافات(37): آية 140 ص: 161

(آیه ۱۴۰)- این همان است که قرآن در این آیه به آن اشاره کرده، می گوید: به خاطر بیاور «هنگامی را که به سوی کشتی پر (از جمعیت و بار) فرار کرد» (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْکِ الْمَشْحُونِ)

سورة الصافات(37): آية 141 ص: 161

(آیه ۱۴۱)- به هر حال یونس سوار بر کشتی شد، طبق روایات ماهی عظیمی سر راه را بر کشتی گرفت، دهان باز کرد گوئی غـذائی میطلبد، سرنشینان کشتی گفتند: به نظر میرسد گناهکاری در میان ماست!- که باید طعمه این ماهی شود، و چارهای جز استفاده از قرعه نیست- در اینجا قرعه افکندنـد قرعه به نـام یونس در آمـد! قرآن در اینجا با یک جمله کوتاه به این ماجرا اشاره کرده، می گوید: «و با آنها قرعه افکند (و قرعه به نام او افتاد) پس مغلوب شد»! (فَساهَمَ فَکانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ)

سورة الصافات(37): آية 142 ص: 161

(آیه ۱۴۲)– به هر حال قرآن می گویـد: او را به دریا افکندند «و ماهی عظیمی او را بلعید، در حالی که مستحق سرزنش بود»! (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ).

مسلم است این ملامت و سرزنش به خاطر ارتکاب گناه کبیره یا صغیرهای نبود، بلکه علت آن تنها ترک اولائی بود که از او سر زد، و آن عجله در ترک قوم خویش و هجرت از آنان بود.

در روایتی آمـده است که: «خداونـد به آن ماهی وحی فرسـتاد که هیچ اسـتخوانی را از او مشکن، و هیچ پیوندی را از او قطع مکن»!

سورة الصافات(37): آية 143 ص: 161

(آیه ۱۴۳)- یونس خیلی زود متوجه ماجرا شد، و با تمام وجودش رو به درگاه خدا آورد، و از ترک اولای خویش استغفار کرد.

در اینجا ذکر معروف و پر محتوایی از قول یونس نقل شده که در آیه ۸۷ سوره انبیا آمده، و در میان اهل عرفان به ذکر «یونسیّه» معروف است: «فنادی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۶۲

فی الظّلمات ان لا اله الّا انت سبحانک انّی کنت من الظّالمین او در میان ظلمتهای متراکم فریاد زد که معبودی جز تو نیست، منزهی تو، من از ظالمان و ستمکاران بودم»! اکنون ببینم آیه در این زمینه چه می گوید؟ در یک جمله کوتاه می گوید: «و اگر او از تسبیح کنندگان نبود ...» (فَلَوْ لا أَنَّهُ کانَ مِنَ الْمُسَبِّحِینَ).

سورة الصافات(37): آية 144 ص: 167

(آیه ۱۴۴)- «تـا روز قیامت در شکم ماهی باقی میمانـد»! (لَلَبِثَ فِی بَطْنِهِ إِلَی یَوْمِ یُبْعَثُونَ). و این زنـدان موقت تبـدیل به یک زنـدان دائم میشد، و آن زنـدان دائم مبدل به گورستان او میگشت!

سورة الصافات(37): آية 140 ص: 167

(آیه ۱۴۵)- سپس خداوند میفرماید: «ما او را در یک سرزمین خشک و خالی از درخت و گیاه افکندیم، در حالی که بیمار بود» (فَنَبَذْناهُ بالْعَراءِ وَ هُوَ سَقِیمٌ).

ماهی عظیم در کنار ساحل خشک و بی گیاهی آمد، و به فرمان خدا لقمهای را که از او زیاد بود بیرون افکند، اما پیداست این زندان عجیب سلامت جسم یونس را بر هم زده بود، بیمار و ناتوان از این زندان آزاد شد.

سورة الصافات(37): آية 146 ص: 167

(آیه ۱۴۶)– باز در اینجا لطف الهی به سراغ او آمد، چرا که بدنش بیمار و آزرده، و اندامش خسته و ناتوان بود، آفتاب ساحل او را آزار میداد، پوششی لطیف لازم بود تا بدنش در زیر آن بیارامد.

قرآن در اینجا میگویـد: «ما بوته کدوئی بر او رویاندیم» تا در سایه برگهای پهن و مرطوبش آرامش بیابد (وَ أَنْبَتْنا عَلَیْهِ شَـَجَرَةً مِنْ یَقْطِین).

سورة الصافات(37): آية 147 ص: 167

(آیه ۱۴۷)- «یونس» را در اینجا رها می کنیم و به سراغ قومش میرویم.

هنگامی که یونس با حالت خشم و غضب قوم را رها کرد، و مقدمات خشم الهی نیز بر آنها ظاهر شد، تکان سختی خوردند و به خود آمدند، اطراف عالم و دانشمندی را که در میان آنها بود گرفتند، و با رهبری او در مقام توبه بر آمدند، گریه سر دادند و مخلصانه از گناهان خویش و تقصیراتی که در باره پیامبر خدا یونس داشتند توبه کردند.

در اینجا پردههای عذاب کنار رفت و حادثه بر کوهها ریخت، و جمعیت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۶۳

مؤمن توبه كار به لطف الهي نجات يافتند.

هنگامی که یونس بعد از این ماجرا به سراغ قومش آمد. در تعجب فرو رفت که چگونه آنها در روز هجرتش همه بت پرست بودند ولی اکنون همه موحد خدا پرست شدهاند؟

قرآن در اینجا می گوید: «و او را بـه سـوی جمعیّـت یکصـد هزار نفری- یـا بیشـتر- فرسـتادیم»! (وَ أَرْسَـلْناهُ إِلَى مِائَـهُ أَلْـفٍ أَوْ يَزيدُونَ).

سورة الصافات(37): آية 148 ص: 163

اشاره

(آیه ۱۴۸)- «آنها ایمان آوردند، از این رو تا مدت معلومی آنان را از مواهب زندگی بهرهمند ساختیم» (فَآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إِلَی حِین).

البته ایمان اجمالی و توبه آنها قبلا بود، ولی ایمان آنها بطور تفصیل به خدا و پیامبرش یونس و تعلیمات و دستورات او هنگامی صورت گرفت که «یونس» به میان آنها بازگشت.

درسهای بزرگ: ص: ۱۶۳

می دانیم طرح این سرگذشتها در قرآن مجید همه برای هدفهای تربیتی است چرا که قرآن کتاب داستان نیست کتاب انسانسازی و تربیت است.

از این سرگذشت عجیب پندهای بزرگی می توان گرفت:

الف) این ماجرا نشان میدهـد که چگونه یک قوم گنهکار و مستحق عـذاب می توانند در آخرین لحظات مسیر تاریخ خود را

عوض کنند، و به آغوش پر مهر و رحمت الهی بازگردند و نجات یابند.

ب) این ماجرا نشان میدهد که ایمان به خدا و توبه از گناه علاوه بر آثار و برکات معنوی مواهب ظاهری دنیا را نیز متوجه انسان میسازد، عمران و آبادی می آفریند، و مایه طول عمر و بهره گیری از مواهب حیات می شود.

ج) قدرت خداوند آنقدر وسیع و گسترده است که چیزی در برابر آن مشکل نیست، تا آن حد که می تواند انسانی را در دهان و شکم جانور عظیم و وحشتناکی سالم نگهدارد، و سالم بیرون فرستد.

سورة الصافات(37): آية 149 ص: 163

(آیه ۱۴۹)- تهمتهای زشت و رسوا: بعد از ذکر شش داستان از سرگذشت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۶۴

انبیاء پیشین و درسهای آموزندهای که در هر یک نهفته بود موضوع سخن را تغییر داده، به مطلب دیگری که به مشرکان عرب سخت ارتباط داشته می پردازد.

مسأله این است که جمعی از مشرکان عرب به خاطر انحطاط فکری و نداشتن هیچ گونه علم و دانش خدا را با خود قیاس می کردند و برای او فرزند و گاهی همسر قائل بودند.

نخست مىفرمايىد: «از آنــان بپرس: آيا پروردگارت دخترانى دارد و پســران از آن آنهاست»؟! (فَاسْـيَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّكَ الْبَناتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ).

چگونه آنچه را برای خود نمی پسندید برای خدا قائل هستید! این سخن طبق عقیده باطل آنهاست که از دختر سخت متنفر بودند و به پسر سخت علاقمند، و گر نه پسر و دختر از نظر انسانی و در پیشگاه خدا از نظر ارزش یکسانند و معیار شخصیت هر دو پاکی و تقواست.

سورة الصافات(37): آية 150 ص: 164

(آیه ۱۵۰)- سپس به دلیل حسی مسأله پرداخته، باز به طریق استفهام انکاری می گوید: «آیا ما فرشتگان را مؤنث آفریدیم و آنها ناظر بودند»؟ (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِناثاً وَ هُمْ شاهِدُونَ).

بدون شک جواب آنها در این زمینه منفی بود، چه این که هیچ کدام نمی توانستند حضور خود را به هنگام خلقت فرشتگان ادعا کنند.

سورة الصافات(37): آية 151 ص: 164

(آیه ۱۵۱)- بار دیگر به دلیل عقلی که از مسلمات ذهنی آنها گرفته شده باز می گردد و می گوید: «بدانید آنها با این تهمت بزرگشان می گویند:» (أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ).

سورة الصافات(37): آية 152 ص: 164

(آیه ۱۵۲)– «خداوند فرزند آورده، ولی آنها به یقین دروغ می گویند»! (وَلَدَ اللَّهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ).

سورة الصافات(37): آية 153 ص: 164

(آیه ۱۵۳)– در اینجا بار دیگر خداوند آنها را مورد عتاب و سرزنش قرار داده، میفرماید: «آیا دختران را بر پسران ترجیح داده است»؟! (أَصْطَفَى الْبُناتِ عَلَى الْبَنِينَ).

سورة الصافات(37): آية 154 ص: 164

(آیه ۱۵۴)- «شما را چه شده است؟ چگونه حکم می کنید»؟! هیچ میفهمید بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۶۵ چه می گوئید؟ (ما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ).

سورة الصافات(37): آية 180 ص: 180

(آیه ۱۵۵)– آیا وقت آن نرسیده است که از این لا طائلات و خرافات زشت و رسوا دست بردارید؟ «آیات متذکر نمی شوید»؟ (أَ فَلا تَذَكَّرُونَ).

این سخنان به قدری باطل و بی پایه است که اگر آدمی یک ذره عقل و درایت داشته باشد و اندیشه کند باطل بودن آن را درک می نماید.

سورة الصافات(37): آية 186 ص: 188

(آیه ۱۵۶)- بعد از ابطال ادعای خرافی آنها با یک دلیل حسی و یک دلیل عقلی، به سومین دلیل میپردازد که دلیل نقلی است، می گوید: اگر چنین چیزی که شما می گوئید صحت داشت باید اثری از آن در کتب پیشین باشد «یا شما دلیل روشنی در این باره دارید»؟! (أَمْ لَکُمْ سُلْطانٌ مُبِینٌ).

سورة الصافات(37): آية 187 ص: 188

(آیه ۱۵۷)– اگر دارید (پس کتابتان را بیاورید اگر راست می گوئید»! (فَأْتُوا بِکِتابِکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ) .در کدام کتاب؟ در کدام نوشته؟ و در کدام وحی آسمانی چنین چیزی آمده، و بر کدام پیامبر نازل شده است؟!

سورة الصافات(37): آية 180 ص: 180

(آیه ۱۵۸) - در این آیه به یکی دیگر از خرافات مشرکان عرب می پردازد، و آن نسبتی است که میان «خدا» و «جن» قائل بودند! سخن را از صورت «خطاب» در آورده و به صورت «غائب» مطرح می کند، گوئی آنها چنان بی ارزشند که بیش از این شایستگی و لیاقت رویاروئی در سخن را ندارند، می فرماید: «آنها [مشرکان] میان او [خداوند] و جن (خویشاوندی و) نسبتی قائل شدند»! (وَ جَعَلُوا بَیْنَهُ وَ بَیْنَ الْجَنَّهُ نَسَباً).

منظور از «نسب» هر گونه نسبت و رابطه است، هر چند جنبه خویشاوندی نداشته باشد، و میدانیم که جمعی از مشرکان عرب

جن را می پرستیدند و آنها را شریک خدا می پنداشتند، و به این ترتیب رابطهای میان آنها و خداوند قائل بودند.

به هر حال قرآن مجید این عقیده خرافی را سخت انکار کرده، می گوید: «در حالی که جنیان به خوبی میدانند که این بت پرستان در دادگاه الهی احضار میشوند» (وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۶۶

سورة الصافات(37): آية 159 ص: 169

(آيه ۱۵۹)- بعد ميافزايد: «منزه است خداوند از آنچه توصيف مي كنند» (سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ).

سورة الصافات(37): آية 160 ص: 166

(آیه ۱۶۰)– هیچ توصیفی شایسته ذات مقدس پروردگار نیست «مگر (آنچه) بندگان مخلص خدا» از روی آگاهی در مورد او دارند (إلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ).

بندگانی که از هر گونه شرک و هوای نفس و جهل و گمراهی مبرا هستند، و خدا را جز به آنچه خودش اجازه داده توصیف نمی کنند.

آری! باید به سراغ سخنان پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و خطبههای نهج البلاغه علی علیه السّلام و دعاهای پر مغز امام سجاد در صحیفه سجادیه رفت، و در پرتو توصیفهای این بندگان مخلص خدا، خدا را شناخت.

سورة الصافات(37): آية 161 ص: 168

(آیه ۱۶۱)-ادعاهای دروغین! در آیات پیشین سخن از معبودهای مختلف مشرکین به میان آمد، قرآن همین مسأله را تعقیب کرده، نخست این بحث را به میان می آورد که وسوسه های شما بت پرستان در دلهای پاکان و نیکان اثری ندارد، و تنها قلوب آلوده و ارواح دوزخی و متمایل به فساد شماست که خود را تسلیم این وسوسه ها می سازد، می فرماید: «شما و آنچه را پرستش می کنید ...» (فَإِنَّکُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ).

سورة الصافات(37): آية 162 ص: 168

(آیه ۱۶۲)– «هرگز نمی توانید کسی را (با آن) فریب دهید» و با فتنه و فساد از خداوند منحرف سازید (ما أُنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ).

سورة الصافات(37): آية 167 ص: 168

(آیه ۱۶۳)- «مگر آنها که در آتش دوزخ وارد می شوند»! (إِلَّا مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ).

سورة الصافات(37): آية 164 ص: 166

(آیه ۱۶۴)– بعد از این سه آیه که مسأله اختیار انسانها را در برابر فتنه جوئی و اغواگری بت پرستان روشن میسازد، ضمن سه آیه دیگر از مقام والای فرشتگان خدا سخن می گوید، همان فرشتگانی که بت پرستان آنها را دختران خدا می پنداشتند، و جالب این که سخن را از زبان خود آنها بیان کرده، می گوید:

«و هيچ يک از ما نيست جز آنکه مقام معلومي دارد» (وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ).

سورة الصافات(37): آية 160 ص: 166

(آیه ۱۶۵)– «و ما همگی (برای اطاعت فرمان خداوند به صف ایستادهایم» برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۶۷ و چشم بر امر او داریم (وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ).

سورة الصافات(37): آية 186 ص: 187

(آیه ۱۶۶)- «و ما همه تسبیح گوی او هستیم»، و او را از آنچه لایق ذات پاکش نیست منزه می شمریم (وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ). آری! ما بنـدگانیم که جـان و دل بر کف داریم، همواره چشم بر امر، و گوش بر فرمانش سپردهایم، مـا کجا و فرزنـدی خـدا کجا؟

در حقیقت آیات سه گانه فوق به سه قسمت از صفات فرشتگان اشاره می کند: نخست این که هر کدام رتبه و منزلتی دارند که از آن تجاوز نمی کنند.

> دیگر این که آنها دائما آماده اطاعت فرمان خدا در عرصه آفرینش و اجرای اوامر او در پهنه عالم هستی هستند. سوم این که آنها پیوسته تسبیح خدا می گویند و او را از آنچه لایق مقامش نیست منزه می شمرند.

سورة الصافات(37): آية 167 ص: 167

(آیه ۱۶۷)- سپس در چهار آیه دیگر به یکی از عـذرهای ناموجه این مشـرکان در ارتباط با همین مسأله بت پرستی و مطالب دیگر اشاره کرده و پاسخ میدهد، میفرماید: «آنها پیوسته میگفتند:» (وَ إِنْ کَانُوا لَیَقُولُونَ).

سورة الصافات(37): آية 168 ص: 168

(آیه ۱۶۸)- «اگر یکی از کتابهای پیشینیان نزد ما بود» (لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ).

سورة الصافات(37): آية 169 ص: 167

(آيه ۱۶۹)- «به يقين ما بندگان مخلص خدا بوديم» (لَكُنَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ).

این همه از بندگان مخلص و آنان که خدایشان خالص کرده است سخن مگوی، و پیامبران بزرگی همچون نوح و ابراهیم و موسسی و غیر آنها را به رخ ما مکش، ما هم اگر مشمول لطف خدا شده بودیم و یکی از کتب آسمانی بر ما نازل می شد، در زمره این بندگان مخلص بودیم!

سورة الصافات(37): آية 170 ص: 167

(آیه ۱۷۰)- این آیه می گوید این آرزوی آنها هم اکنون جامه عمل به خود پوشیده و بزرگترین کتاب آسمانی خدا «قرآن مجید» بر آنان نازل شده، اما این دروغ پردازان پر ادعا «به آن کافر شدند (و از در مخالفت و انکار و دشمنی درآمدند) برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۶۸

ولى به زودى (نتيجه كار خود را) خواهند دانست» (فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

سورة الصافات(37): آية 171 ص: 168

(آیه ۱۷۱) - حزب الله پیروز است! به دنبال بحثهای گوناگونی که پیرامون مبارزات انبیای بزرگ و کارشکنیهای مشرکان بی ایمان طی آیات این سوره آمده است، اکنون که به آخرین آیات سوره نزدیک می شویم مهمترین مسأله را در این رابطه بیان می کند، و آن خبر از پیروزی نهائی لشکر خدا بر لشکر شیطان و دشمنان حق است، تا مؤمنان در هر عصر و زمان به این وعده بزرگ الهی دلگرم شوند و برای ادامه مبارزه با لشکر باطل آماده و مقاوم گردند.

می فرماید: «وعده قطعی ما برای بندگان فرستاده ما از پیش مسلّم شده ...»

(وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتْنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ).

سورة الصافات(37): آية 177 ص: 168

(آيه ۱۷۲)- «كه آنان يارى شدگانند» (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ).

سورة الصافات(37): آية 173 ص: 168

(آیه ۱۷۳)- «و لشکر ما (در تمام صحنه ها) پیروزند» إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ) . چون عبارت صریح و گویا، و چه وعده روح پرور و امید بخشی؟!

سورة الصافات(37): آية 174 ص: 168

(آیه ۱۷۴)- سپس در ادامه این آیات، هم برای دلـداری پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و مؤمنان و تأکیـد بر پیروزی، و هم تهدید مشرکان بیخبر می گوید: «از آنها [کافران] روی بگردان تا زمان معیّنی» که فرمان جهاد فرارسد (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّی حِینِ).

سورة الصافات(37): آية 170 ص: 168

(آیه ۱۷۵) – سپس این جمله را با تهدید دیگری تأکید کرده، میفرماید: «وضع آنها را بنگر (چه بیمحتواست) اما به زودی (نتیجه اعمال خود را) میبینند» (وَ أَبْصِ رُهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ). به زودی پیروزی تو و مؤمنان، و شکست ذلت بار خود را در این دنیا، و مجازات الهی را در جهان دیگر خواهند دید.

سورة الصافات(37): آية 176 ص: 168

(آیه ۱۷۶))- و از آنجا که این خیرهسران بی شرم پیوسته این سخن را تکرار می کردند که وعده عذاب الهی چه شد؟ و اگر راست می گوئی چرا معطلی؟ قرآن با لحنی تهدید آمیز در پاسخ آنها می گوید: «آیا اینها برای عذاب ما عجله می کنند»؟ (أَ فَبِعَذابِنا یَشْتَعْجِلُونَ).

گاه می گویند: این وعده الهی چه شد؟ و گاه می گویند این پیروزی کی بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۶۹ خواهد آمد؟

سورة الصافات(37): آية 177 ص: 169

(آیه ۱۷۷))- «اما هنگامی که عذاب ما در آستانه خانه هایشان فرود آید انذار شدگان صبحگاه بدی خواهند داشت» (فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ).

این تعبیر نزول عـذاب را در متن زنـدگی آنهـا و مبـدل شـدن کـانون آرامش آنهـا را به کـانونی از وحشت و اضـطراب نشـان میدهد.

سورة الصافات(37): آية 178 ص: 169

(آیه ۱۷۸))- به آنها اعتنا مکن! گفتیم آیات آخر این سوره در حقیقت وسیلهای است برای دلداری پیامبر و مؤمنان راستین و تهدیدی است برای کفار لجوج.

این آیه بار دیگر با لحنی تهدیـد آمیز میفرمایـد: «از آنها روی بگردان (و آنان را به حال خود واگذار) تا زمان معیّنی» (وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّی حِینٍ).

سورة الصافات(37): آية 179 ص: 169

(آیه ۱۷۹))- «و وضع کارشان را ببین، آنها نیز به زودی (نتیجه اعمال خود را) می بینند»! (وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ یُبْصِرُونَ). این تکرار به خاطر تأکید است که آنها بدانند این یک مسأله قطعی است که به زودی مجازات و شکست و ناکامی خود را خواهند دید، و به نتائج مرارت بار اعمالشان گرفتار می شوند و پیروزی مؤمنان نیز قطعی و مسلم است.

سورة الصافات(37): آية 180 ص: 169

(آیه ۱۸۰))- سپس سوره با سه جمله پر معنی در باره «خداوند» و «پیامبران» و «جهانیان» پایان می یابد.

مىفرمايد: «منزه است پروردگار تو، پروردگار عزّت (و قدرت) از آنچه آنان [مشـركان و جاهلان] توصـيف مىكنند» (سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ).

گاه فرشتگان را دختران او مینامند، گاه در میان او و جن نسبتی قائل میشوند، و گاه موجودات بیارزشی همچون قطعات سنگ و چوب را همردیف او قرار میدهند.

سورة الصافات(37): آية 181 ص: 169

(آیه ۱۸۱))- و در جمله دوم همه پیامبران را مورد لطف بیپایان خویش قرار داده، می گوید: «و سلام بر رسولان» (وَ سَرلامٌ عَلَی الْمُرْسَلِینَ).

> سلامی که نشانه سلامت و عافیت از هرگونه عذاب و کیفر روز قیامت، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۷۰ سلامی که امان در برابر شکستها و دلیل بر پیروزی بر دشمنان است.

سورة الصافات(37): آية 187 ص: 170

(آیه ۱۸۲)) - و سر انجام سخن را با حمد الهی پایان داده، می گوید: «و حمد و ستایش مخصوص خداوندی است که پروردگار جهانیان است» (وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ).

سه آیه اخیر می تواند اشاره و مروری اجمالی بر تمام مسائل این سوره باشد، چرا که بخش مهمی از این سوره پیرامون توحید و مبارزه با انواع شرک بود، و آیه اول با تسبیح و تنزیه خداوند از توصیفهای مشرکان، همه را بازگو می کند.

بخش دیگری از این سوره بیان گوشه هائی از حالات هفت پیامبر بزرگ بود، آیه دوّم اشارهای به آنهاست.

و بالاخره بخش دیگری از نعمتهای الهی، مخصوصا انواع نعمتهای بهشتی، و پیروزی جنود الهی بر لشکر کفر سخن می گفت، و حمد و ستایش خدا در پایان کار اشارهای به همه اینهاست.

در روایات متعددی میخوانیم: «کسی که میخواهد در روز قیامت اجر و پاداش او با پیمانه بزرگ و کامل داده شود باید آخرین سخنش در هر مجلسی که مینشیند این بوده باشد: سبحان ربّک ربّ العزّهٔ عمّا یصفون و سلام علی المرسلین و الحمد للّه ربّ العالمین».

«پایان سوره صافّات»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۷۱

سوره ص [38] ص: ۱۷۱

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۸۸ آیه است

محتوای سوره: ص : 171

این سوره در حقیقت مکملی برای سوره «صافات» است، و استخوان بندی مطالبش شباهت زیادی با استخوان بندی سوره «صافات» دارد.

محتوای این سوره را در پنج بخش می توان خلاصه کرد:

بخش اول: از مسأله توحید و مبارزه با شرک و مسأله نبوت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله و سرسختی و لجاجت دشمنان

مشرک در برابر این دو امر سخن می گوید.

بخش دوم: گوشه هائی از تاریخ نه نفر از پیامبران خدا را منعکس ساخته، و بالخصوص از «داود» و «سلیمان» و «ایوب» بحث بیشتری دارد.

بخش سوم: از سرنوشت کفار طاغی و یاغی در قیامت و تخاصم و جنگ و جدال آنها در دوزخ سخن می گوید، و به مشرکان و افراد بی ایمان نشان می دهد که پایان کار آنها به کجا خواهد رسید.

چهارمین بخش: از آفرینش انسان و مقام والای او و سجده کردن فرشتگان برای آدم سخن می گوید.

پنجمین بخش تهدیدی است برای همه دشمنان لجوج، و تسلی خاطری است برای پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله و بیان این واقعیت که او در دعوت خود هیچ گونه اجر و مزدی از کسی نمی طلبد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۷۲

فضيلت تلاوت سوره: ص: 172

در فضیلت این سوره- که به خاطر آغازش به نام سوره «ص» نامیده شده- در روایتی از پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و اله میخوانیم: «کسی که سوره «ص» را بخواند به اندازه هرکوهی که خدا مسخر داود فرموده بود حسنه به او می دهد، و از آلوده شدن و اصرار بر گناه صغیر و کبیر حفظ می کند».

و در حدیث دیگری از امام باقر علیه السّ لام چنین آمده: «کسی که سوره «ص» را در شب جمعه بخواند از خیر دنیا و آخرت آنقدر (از سوی خداوند) به او بخشیده می شود که به هیچ کس داده نشده، جز پیامبران مرسل، و فرشتگان مقرب، و خدا او و تمام کسانی را که از خانواده اش مورد علاقه او هستند وارد بهشت می کند، حتّی خدمتگذاری که به او خدمت می کرده». البته منظور تلاوتی است اندیشه برانگیز، و تصمیم آفرین، اندیشه و تصمیمی که انگیزه عمل گردد، و محتوای سوره را در

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱ ص: ۱۷۱

زندگی انسان پیاده کند.

اشاره

(آیه ۱)-

شأن نزول: ص: ۱۷۱

از امام باقر علیه السّ لام نقل شده که: «ابو جهل» و جماعتی از قریش نزد ابو طالب عموی پیامبر صلّی اللّه علیه و اله آمدند و گفتند: فرزند برادرت ما را آزار داده، و خدایان ما را نیز ناراحت ساخته است! او را بخوان و به او دستور ده دست از خدایان ما بردارد تا ما هم ناسزا به خدای او نگوئیم! ابو طالب کسی را خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و اله فرستاد، هنگامی که پیامبر

صلَّى اللَّه عليه و اله وارد خانه شد ابو طالب سخنان آنها را براى پيامبر صلَّى اللَّه عليه و اله شرح داد.

پیامبر صلّی الله علیه و اله در جواب فرمود: «آیا آنها حاضرند جملهای را با من موافقت کنند و در سایه آن بر تمام عرب پیشی گیرند و حکومت کنند»؟! ابو جهل گفت: بله موافقیم، منظورت کدام جمله است؟

پیغمبر صلّی اللّه علیه و اله فرمود: «تقولون لا اله الّا اللّه بگوئیـد معبودی جز اللّه نیست»! و این بتها را که مایه بـدبختی و ننگ و عقب افتادگی شماست دور بریزید.

هنگامی که حضار این جمله را شنیدند آن چنان وحشت کردند که انگشتها در برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۷۳ گوش گذاردند و با سرعت خارج شدند، و می گفتند: چنین چیزی را تا کنون نشنیده ایم، این یک دروغ است. اینجا بود که آیات آغاز سوره «ص» نازل شد.

تفسير: ص: ١٧٣

باز در نخستین آیه این سوره به یکی از حروف مقطعه برخورد می کنیم «ص» (ص). و همان گفتگوهای پیشین در تفسیر این حروف مقطعه مطرح می شود.

اما جمعی از مفسران در اینجا مخصوصا روی علامت اختصاری بودن «ص» نسبت به «اسماء الله» یا غیر آن تکیه کردهاند، چرا که بسیاری از اسماء الله با «ص» شروع می شود مانند «صادق» و «صمد» و «صانع» و یا اشاره به جمله «صدق الله» است که در یک حرف خلاصه شده است.

سپس می فرماید: «سوگند به قرآنی که دارای ذکر است» که تو بر حقی و این کتاب، معجزه الهی است (وَ الْقُرْآنِ ذِی الذِّكْرِ). قرآن هم خودش ذکر است و هم دارای ذکر.

«ذکر» به معنی یاد آوری و زدودن زنگار غفلت از صفحه دل، یاد خدا، یاد نعمتهای او، یاد دادگاه بزرگ رستاخیز، و یاد هدف خلقت انسان است.

سورهٔ ص(38): آیهٔ ۲ ص: ۱۷۳

(آیه ۲)- در این آیه می گوید: اگر می بینی آنها در برابر این آیات روشنگر و قرآن بیدار کننده تسلیم نمی شوند نه به خاطر این است که پردهای بر این کلام حق افتاده «بلکه کافران گرفتار غرور و اختلافند» (بَلِ الَّذِینَ کَفَرُوا فِی عِزَّهُ وَ شِقاقٍ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳ ص: ۱۷۳

(آیه ۳)- سپس برای بیدار ساختن این مغروران غافل دست آنها را گرفته، به گذشته تاریخ بشر میبرد، و سرنوشت اقوام مغرور و متکبر و لجوج را به آنها نشان میدهد، شاید عبرت گیرند، می گوید: «چه بسیار اقوامی که قبل از آنها بودند و ما آنها را (به خاطر تکذیب پیامبران و انکار آیات الهی و ظلم و گناه) هلاک کردیم» (کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ).

«و به هنگام نزول عـذاب فریـاد میزدنـد (و کمـک میخواسـتند) ولی وقت نجـات گذشـته بود»! (فَنادَوْا وَ لاَتَ حِینَ مَناصٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۷۴ آن روز که پیامبران الهی و اولیای حق آنها را اندرز دادند و از عاقبت شوم اعمالشان بر حذر داشتند نه تنها گوش شنوا نداشتند بلکه به استهزا و سخریه و آزار مؤمنان و حتی قتل آنها پرداختند، و فرصتها از دست رفت و پلهای پشت سر ویران گشت، و در حالی عذاب استیصال برای نابودی آنها نازل شد که درهای توبه و بازگشت همه بسته شده بود و فریادهای استغاثه آنها به جایی نرسید!

سورهٔ ص(38): آیهٔ ۴ ص: ۱۷۴

اشاره

(آیه ۴)–

شأن نزول: ص: ۱۷۴

در باره این آیه و سه آیه بعد نقل شده: هنگامی که رسول خدا دعوتش را آشکار کرد سران قریش نزد ابو طالب آمدند و گفتند: ای ابو طالب! فرزند برادرت ما را سبک مغز میخواند، و به خدایان ما ناسزا می گوید، جوانان ما را فاسد نموده، و در جمعیت ما تفرقه افکنده است، اگر این کارها به خاطر کمبود مالی است ما آنقدر مال برای او جمع آوری می کنیم که ثروتمند ترین مرد قریش شود، و حتّی حاضریم او را به ریاست بر گزینیم.

ابو طالب این پیام را به رسول الله صلّی الله علیه و اله عرض کرد.

پیامبر صلّی اللّه علیه و اله فرمود: «اگر آنها خورشید را در دست راست من و ماه را در دست چپ من بگذارند من به آن تمایل ندارم، ولی (به جای این همه وعدهها) یک جمله، با من موافقت نمایند تا در سایه آن بر عرب حکومت کنند، و غیر عرب نیز به آئین آنها در آیند و آنها سلاطین بهشت خواهند بود»! ابو طالب این پیام را به آنها رسانید، آنها گفتند: حاضریم به جای یک جمله ده جمله را بپذیریم (کدام جمله منظور تو است؟).

پیامبر صلّی الله علیه و اله به آنها فرمود: «گواهی دهید که معبودی جز اللّه نیست و من رسول خدا هستم».

آنها (از این سخن سخت وحشت کردند و) گفتند: ما ۳۶۰ خـدا را رها کنیم تنها به سـراغ یک خدا برویم؟ چه چیز عجیبی؟! (آن هم خدایی که هرگز دیده نمیشود!).

در اینجا آیات مزبور نازل شد!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۷۵

تفسير: ص: ۱۷۵

آیا به جای این همه خدا، یک خدا را بپذیریم؟! افراد مغرور و خودخواه هم نفوذ ناپذیرند و هم «مطلق گرا» چیزی را جز آنچه با افکار محدود و ناقصشان درک کردهاند به رسمیت نمی شناسند. لذا هنگامی که پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله پرچم توحید را در مکّه برافراشت و بر ضد بتهای کوچک و بزرگ که عدد آنها بالغ بر ۳۶۰ بت می شد قیام کرد «تعجب می کردند که چرا پیامبر انذار کنندهای از میان آنها برخاسته است»؟ (وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ).

تعجب آنها از این بود که محمد صلّی الله علیه و اله یک نفر از خود آنهاست.

آنها این امتیاز بزرگ را به عنوان یک نقطه تاریک در دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و اله تلقی میکردنـد و از آن تعجب داشتند.

گاه از این مرحله نیز فراتر رفتند «و کافران گفتند: این ساحر دروغگویی است»! (وَ قالَ الْکافِرُونَ هذا ساحِرٌ کَذَّابٌ).

نسبت دادن سحر به پیامبر صلّی الله علیه و اله به خاطر مشاهده معجزات غیر قابل انکار و نفوذ خارق العاده او در افکار بود و نسبت دادن کذب به او به خاطر این بود که بر خلاف سنتهای خرافی و افکار منحطی که جزء مسلمات آن محیط محسوب می شد قیام کرد و دعوی رسالت از سوی خدا داشت.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۵ ص: ۱۷۵

(آیه ۵)- هنگامی که پیامبر دعوت توحیدی خود را آشکار نمود نگاه به یکدیگر می کردند و می گفتند: بیائید چیزهای ناشنیده بشنوید «آیا او به جای این همه خدایان یک خدا قرار داده؟ این راستی چیز عجیبی است»؟! (أَ جَعَلَ الْآلِهَةُ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ).

آری گاه غرور و خودخواهی و مطلق نگری و فساد محیط آن چنان بینش و قضاوت انسان را تغییر میدهـد که از واقعیتهای روشن تعجب میکند در حالی که به خرافات و پندارهای واهی سخت پایبند است.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶ ص: ۱۷۵

(آیه ۶)– «سرکردگان آنها (هنگامی که از مراجعه به ابو طالب و میانجیگری او مأیوس و ناامید شدند از نزد او بیرون آمدند، و گفتند:) بروید و خدایانتان را برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۷۶

محكم بچسبيـد، اين چيزى است كه خواسـتهانـد» شـما را با آن گمراه كنند (وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ).

سران بت پرستان میخواستند با این سخن، روحیه متزلزل پیروان خود را تقویت کننـد، و از سـقوط هر چه بیشتر اعتقاداتشان جلوگیری به عمل آورند اما چه تلاش بیهودهای؟!

سورهٔ ص(38): آیهٔ ۷ ص: ۱۷۶

(آیه ۷)- سپس برای اغفال مردم و یـا قانع ساختن خویش گفتنـد: «ما هرگز چنین چیزی در آخرین آیین نشـنیدهایم، این تنها یک آیین ساختگی است»! (ما سَمِعْنا بِهذا فِی الْمِلَّهُ الْآخِرَهُ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ).

اگر ادعای توحید و نفی بتها واقعیتی داشت باید پدران ما با آن عظمت و شخصیت! آن را درک کرده باشند، و ما از آنها شنیده باشیم، اما این یک گفتار دروغین و بیسابقه است!

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸ ص: ۱۷۶

(آیه ۸)– در آیات گذشته سخن از موضع گیری منفی مخالفان در برابر خط توحید و رسالت پیامبر اسلام بود، در اینجا نیز این سخن ادامه دارد.

مشرکان مکه هنگامی که منافع نامشروع خود را در خطر دیدند، و آتش کینه و حسد در دل آنها شعلهور شد، برای اغفال مردم و قانع کردن خویش در مورد مخالفت با پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله، به منطقهای سست گوناگونی دست میزدند، از جمله از روی تعجب و انکار می گفتند: «آیا از میان همه ما قرآن تنها بر او [محمّد] نازل شده»؟! (أَ أُنْزِلَ عَلَیْهِ اللّه کُو مِنْ بَیْنِنا). از میان این همه پیرمردان پرسن و سال، این همه پولداران ثروتمند و سرشناس آیا کسی پیدا نشد که خدا قرآنش را بر او نازل کند، جز محمّد یتیم تهیدست؟! قرآن در دنباله آیه میفرماید درد آنها چیز دیگری است، «آنها در حقیقت در اصل وحی من تردید دارند» (بَلْ هُمْ فِی شَکِّ مِنْ ذِکْری).

ایراد به شخص محمد صلّی الله علیه و اله بهانهای بیش نیست، بلکه سر چشمه آن هوی و هوسها و حب دنیا و حسادتهاست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۷۷

و سر انجام آنها را با این جمله تهدید می کند: «آنها هنوز عذاب مرا نچشیدهاند» (بَلْ لَمَّا یَذُوقُوا عَذابِ). که این گونه جسورانه در برابر فرستاده خدا ایستادهاند، و با این سخنان واهی به جنگ در برابر وحی الهی برخاستهاند.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۹ ص: ۱۷۷

(آیه ۹)– سپس در پاسخ آنها میافزاید: «مگر خزائن رحمت پروردگار توانا و بخشندهات نزد آنهاست» تا به هر کس میل دارند بدهند؟ (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَهِ رَبِّکَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۰ ص: ۱۷۷

(آیه ۱۰)- باز در این آیه همین معنی را از طریق دیگری تعقیب کرده، می گوید: «یـا این که مـالکیت و حاکمیت آسـمانها و زمین و آنچه میان این دو است از آن آنهاست؟ (اگر چنین است) با هر وسـیله ممکن به آسمانها بروند» و جلو نزول وحی را بر قلب پاک محمّد بگیرند! (أَمْ لَهُمْ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما فَلْیَرْتَقُوا فِی الْأَسْبابِ).

این سخن در حقیقت تکمیلی است بر بحث گذشته، در آنجا می گفت:

«خزائن رحمت پروردگار در دست شما نیست که به هر کس که با تمایلات هوس آلودتان هماهنگ است ببخشید» حال می گوید: اکنون که این خزائن به دست شما نیست و فقط در اختیار خداست، تنها راهی که در پیش دارید این است که به آسمانها بروید و مانع نزول او شوید، و خود می دانید که از این کار نیز سخت عاجز و ناتوانید!

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۱ ص: ۱۷۷

(آیه ۱۱)- در این آیه در مقام تحقیر این مغروران سبک مغز و فخر فروش می گوید: «اینها لشکر کوچک شکست خوردهای از احزابند»! (جُنْدٌ ما هُنالِکَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزاب).

آن روز پیروزیهای بدر و احزاب و حنین پیش نیامده بود، ولی قرآن با قاطعیت گفت: «این دشمنان سرسخت لشکر کوچکی هستند که دچار شکست خواهند شد».

امروز هم قرآن همین بشارت را به مسلمانان جهان که از هر سو در محاصره قدرتهای متجاوز و ستمگر قرار گرفتهاند میدهد که اگر همچون مسلمانان نخستین برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۷۸

بر سر عهد و پیمان خدا بایستند او نیز وعده خودش را در زمینه شکست جنود احزاب تحقق خواهد بخشید.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۲ ص: ۱۷۸

(آیه ۱۲)- تنها یک صیحه آسمانی کارشان را یکسره می کند! در تعقیب آیه قبل که از شکست مشرکان در آینده خبر می داد، و آنها را لشکر کوچکی از احزاب مغلوب معرفی می کرد، در اینجا گروهی از این احزاب را که تکذیب پیامبران کردنـد و به سرنوشت شومی گرفتار شدند معرفی می کند.

مى گويىد: «قبل از آنها قوم نوح و عاد [قوم هود] و فرعون صاحب قىدرت (پيامبران ما را) تكـذيب كردنـد» (كَـذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوح وَ عادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتادِ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۳ ص: ۱۷۸

(آیه ۱۳)– «و (نیز) قوم ثمود و قوم لوط و اصحاب الأیکه [قوم شعیب] اینها احزابی بودند» که به تکذیب پیامبران برخاستند (وَ تَمُودُ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحابُ الْأَیْکَةِ أُولئِکَ الْأَحْزابُ).

آری! اینها شـش گروه از احزاب جاهلی و بت پرست بودنـد که بر ضـد پیامبران بزرگی قیام کردنـد. اما سـر انجام عذاب الهی دامانشان را گرفت.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۲ ص: ۱۷۸

(آیه ۱۴)- «هر یک (از این گروهها) رسولان را تکذیب کردند و عذاب الهی در باره آنها تحقق یافت» (إِنْ کُلُّ إِلَّا کَهَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقاب).

و تاریخ نشان میدهـد که چگونه هر گروهی از آنهـا به بلائی جان سپردنـد و در مـدت کوتاهی شـهر و دیارشان به ویرانهای تبدیل شد، و نفراتشان به جسدهائی بیروح!

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۵ ص: ۱۷۸

(آیه ۱۵) – آیا این مشرکان مکه با این کارهای خود سرنوشتی بهتر از آنها می توانند داشته باشند؟ در حالی که اعمال آنها همان اعمال است و سنت خداوند همان سنت؟! لذا در این آیه به عنوان یک تهدید قاطع و کوبنده می گوید: «اینها (با این اعمال است و سنت خداوند همان را انتظار نمی کشند که هیچ مهلت و بازگشتی برای آن وجود ندارد» و همگی را نابود می سازد (وَ ما یَنْظُرُ هؤُلاءِ إِلَّا صَیْحَةً واحِدَةً ما لَها مِنْ فَواقِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۷۹

این صیحه ممکن است همانند صیحه هایی باشد که بر اقوام پیشین فرود آمد، صاعقه ای وحشتناک، یا زمین لرزه ای پر صدا، که زندگی آنها را درهم کوبید.

و نیز ممکن است اشاره به «صیحه عظیم پایان جهان» باشد که از آن تعبیر به «نفخه صور اول» می شود.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۷۹ ص: ۱۷۹

(آیه ۱۶) – این آیه به یکی دیگر از سخنان کفار و منکران – که از روی سخریه و استهزا می گفتنـد – اشاره کرده، می گویـد: «آنها (از روی خیرهسری) گفتند:

پروردگارا! بهره ما را (از عذابت هرچه زودتر) قبل از روز حساب به ما بده»! (وَ قالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ). این کوردلان مغرور آن چنان مست باده غرور بودند که حتی عذاب الهی و دادگاه عدلش را به باد مسخره می گرفتند.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۷ ص: ۱۷۹

(آیه ۱۷)– از زندگی داود درس بیاموز! به دنبال بحثهائی که در آیات گذشته پیرامون کارشکنیهای مشرکان و بت پرستان، و نسبتهای ناروای آنان به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله آمده بود، قرآن در اینجا برای دلـداری پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و مؤمنان اندک آن روز داستان داود را مطرح میکند.

نخست می گویـد: «در برابر آنچه می گویند شـکیبا باش، و به خاطر بیاور بنده ما داود صاحب قدرت را که او بسـیار توبه کننده بود»! (اصْبِرْ عَلَى ما يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ).

نیروی جسمانیش در حدی بود که در میدان جنگ بنی اسرائیل با «جالوت» جبار ستمگر با یک ضربه نیرومند به وسیله سنگی که از فلاخن رها کرد جالوت را از بالای مرکب به روی خاک افکند، و در خون خود غلطاند.

و از نظر قدرت سیاسی، حکومتی نیرومند داشت که با قدرت تمام در برابر دشمنان می ایستاد، حتی گفته اند در اطراف محراب عبادت او هزاران نفر شب تا به صبح به حال آماده باش بودند! از نظر نعمتها خداوند انواع نعم ظاهری و باطنی را به او ارزانی داشته بود، خلاصه این که داود مردی بود نیرومند در جنگها، در عبادت، در علم و دانش و در برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص:

حكومت، و هم صاحب نعمت فراوان.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۸ ص: ۱۸۰

(آیه ۱۸)- سپس طبق روش اجمال و تفصیل که در قرآن مجید به هنگام ذکر مسائل مختلف معمول است، بعد از بیان اجمالی نعمتهای خداوند بر داود، به شرح قسمتی از آن پرداخته، چنین می گوید: «ما کوهها را مسخّر او ساختیم که هر شامگاه و صبحگاه با او (خدا را) تسبیح می گفتند»! (إِنَّا سَخُرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِیِّ وَ الْإِشْراقِ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۱۹ ص: ۱۸۰

(آیه ۱۹) - نه تنها کوهها که «پرندگان را نیز دسته جمعی مسخّر او کردیم» تا همراه او تسبیح خدا گویند (وَ الطَّیْرَ مَحْشُورَةً). همه این پرندگان و کوهها مطیع فرمان داود و همصدا با او و «بازگشت کننده به سوی او بودند» (کُلُّ لَهُ أَوَّابُ).

این تسبیح توأم با صدای ظاهری و همراه با نوعی درک و شعور بوده که در باطن ذرات عالم است و تمامی موجودات جهان از یک نوع عقل و شعور بر خوردارند، و هنگامی که صدای دل انگیز این پیامبر بزرگ را به وقت مناجات می شنیدند با او همصدا می شدند، و غلغله تسبیح آنها در هم می آمیخت.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۰ ص: ۱۸۰

(آیه ۲۰)- این آیه همچنان به ذکر نعمتهای خداوند بر داود ادامه داده، میفرماید: «و حکومت او را استحکام بخشیدیم» (وَ شَدَدْنا مُلْکَهُ).

آن چنان که همه سرکشان و طاغیان و دشمنان از او حساب میبردند.

علاوه بر اين «دانش به او داديم» (وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةُ).

آخرین نعمت بزرگ خدا بر داود این بود که میفرماید: ما به او «علم قضاوت و داوری عادلانه» دادیم (وَ فَصْلَ الْخِطابِ). این احتمال در تفسیر این جمله وجود دارد که خداونـد منطق نیرومنـدی که از فکر بلنـد، و عمق انـدیشه، حکایت می کرد در اختیار داود گذارد، نه تنها در مقام داوری که در همه جا سخن آخر و آخرین سخن را بیان می کرد.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۱ ص: ۱۸۰

(آیه ۲۱)– آزمون بزرگ داود! به دنبال آیات گذشته که صفات ویژه «داود» و مواهب بزرگ خدا را بر او بیان می کرد قرآن ماجرائی را که در یک برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۸۱

دادرسی برای داود پیش آمد شرح میدهد.

نخست خطاب به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله کرده، می گوید: «آیا داستان شاکیان هنگامی که از محراب (داود) بالا رفتند به تو رسیده است»؟! (وَ هَلْ أَتاکَ نَبَأُ الْخَصْم إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۲ ص: ۱۸۱

(آیه ۲۲) – با این که «داود» محافظین و مراقبین فراوانی در اطراف خود داشت، طرفین نزاع از غیر راه معمولی از دیوار محراب و قصر او بالا رفتند، و ناگهان در برابر او ظاهر گشتند، چنانکه قرآن در ادامه این بحث می گوید: «در آن هنگام که (بیمقدمه) بر داود وارد شدند و او از دیدن آنها وحشت کرد» زیرا فکر می کرد قصد سوئی در باره او دارند (إِذْ دَخَلُوا عَلی داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ).

اما آنها به زودی وحشت او را از بین بردنـد و «گفتند: نترس، دو نفر شاکی هستیم که یکی از ما بر دیگری سـتم کرده» و برای دادرسی نزد تو آمدیم (قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغی بَعْضُنا عَلی بَعْضِ).

«اكنون در ميان ما به حق داورى كن، و ستم روا مدار، و ما را به راه راست هدايت كن» (فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ لا تُشْطِطْ وَ اهْدِنا إلى سَواءِ الصِّراطِ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۳ ص: ۱۸۱

(آیه ۲۳) – مسلما نگرانی و وحشت داود در اینجا کم شد، ولی شاید این سؤال هنوز برای او باقی بود که بسیار خوب، شما قصد سوئی ندارید، و هدفتان شکایت نزد قاضی است، ولی آمدن از این راه غیر معمول برای چه منظوری بود؟ اما آنها مجال زیادی به داود ندادند و یکی برای طرح شکایت پیشقدم شد گفت: «این برادر من است، او نود و نه میش دارد، و من یکی بیش ندارم اما او اصرار می کند که این یکی را هم به من واگذار! و در سخن بر من غلبه کرده است» (إِنَّ هذا أَخِی لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِیَ نَعْجَةً واحِدَةً فَقَالَ أَكْفِلْنِیها وَ عَزَّنِی فِی الْخِطاب).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۴ ص: ۱۸۱

(آیه ۲۴)- در اینجا داود پیش از آن که گفتار طرف مقابل را بشنود- چنانکه ظاهر آیات قرآن است- رو به شاکی کرد و «گفت: مسلما او با درخواست یک میش تو برای افزودن آن به میشهایش بر تو ستم نموده»! (قالَ لَقَدْ ظَلَمَکَ بِسُؤالِ نَعْجَتِکَ إلی نِعاجِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۸۲

اما این تازگی ندارد «و بسیاری از شریکان (و دوستان) به یکدیگر ستم میکنند» (وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ الْخُلَطاءِ لَیَبْغِی بَعْضُ هُمْ عَلی بَعْض).

«مكّر كسانى كه ايمان آورده و اعمال صالح انجام دادهاند» (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ).

«اما عده آنها كم است» (وَ قَلِيلٌ ما هُمْ).

آری! آنها که در معاشرت و دوستی حق دیگران را بطور کامل رعایت کنند و کمترین تعدی بر دوستان خود روا ندارند کمند، تنها کسانی می توانند حق دوستان و آشنایان را بطور کاملا عادلانه ادا کنند که از سرمایه ایمان و عمل صالح بهره کافی داشته باشند.

به هر حال چنین به نظر می رسد که طرفین نزاع با شنیدن این سخن قانع شدند، و مجلس داود را ترک گفتند.

ولی داود در اینجا در فکر فرو رفت و با این که می دانست قضاوت عادلانه ای کرده چه این که اگر طرف ادعای شاکی را قبول نداشت حتما اعتراض می کرد، سکوت او بهترین دلیل بر این بوده که مسأله همان است که شاکی مطرح کرده، ولی با این حال آداب مجلس قضا ایجاب می کند که داود در گفتار خود عجله نمی کرد، بلکه از طرف مقابل شخصا سؤال می نمود سپس داوری می کرد، لذا از این کار خود سخت پشیمان شد.

همان طور كه قرآن مي گويد: «و داود دانست كه ما او را (با اين ماجرا) آزموده ايم» (وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتنَّاهُ).

در مقام استغفار برآمد «و از پروردگارش طلب آمرزش نمود و به سجده افتاد و توبه کرد» (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ راکِعاً وَ أَنابَ). تعبیر به «راکعا» در آیه مورد بحث یا به خاطر آن است که رکوع به معنی سجده نیز در لغت آمـده، و یا رکوع مقدمهای است برای سجده.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۵ ص: ۱۸۲

(آیه ۲۵)- به هر حال خداونـد او را مشـمول لطف خود قرار داد و لغزش او را در این ترک اولی بخشـید چنانکه قرآن در این

آیه می گوید: «ما این عمل را بر او بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۸۳ بخشیدیم» (فَغَفَرْنا لَهُ ذلِکَ).

«و او نزد ما دارای مقام والا و سر انجامی نیکوست» (وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفی وَ حُسْنَ مَآبِ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۶ ص: ۱۸۳

(آیه ۲۶) – حکم به عدالت کن و از هوای نفس پیروی منما! به دنبال داستان داود، و به عنوان آخرین سخن، وی را مخاطب ساخته و ضمن بیان مقام والای او، وظائف و مسؤولیتهای سنگین وی را با لحنی قاطع و تعبیراتی پر معنا شرح داده، میفرماید: «ای داود! ما تو را خلیفه (و نماینده خود) در زمین قرار دادیم پس در میان مردم بحق داوری کن، و از هوای نفس پیروی مکن که تو را از راه خدا منحرف سازد، کسانی که از راه خداوند گمراه شوند عذاب شدیدی به خاطر فراموش کردن روز حساب دارند» (یا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناکَ خَلِیفَةً فِی الْأَرْضِ فَاحْکُمْ بَیْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَبعِ الْهَوی فَیْضِ لَکَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِینَ یَضِ لُونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِینَ یَضِ لُونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِینَ یَضِ لَّونَ سَبِیلِ اللَّهِ لَهُ مَ عَذَابٌ شَدِیدٌ بِما نَسُوا یَوْمَ الْحِسابِ).

محتوای این آیه که از مقام والای داود و وظیفه مهم او سخن می گوید نشان میدهد که افسانه های دروغینی که در باره ازدواج او با همسر «اوریا» به هم بافته اند تا چه اندازه بی پایه است «۱».

این آیه نشان می دهد که حکومت در زمین باید از حکومت الهی نشأت گیرد و هر حکومتی از غیر این طریق باشد حکومتی است ظالمانه و غاصبانه.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۷ ص: ۱۸۳

(آیه ۲۷) - سپس به دنبال بحث از سرگذشت داود و خلافت الهی او در زمین، سخن از هدفدار بودن جهان هستی به میان می آورد تا جهت حکومت بر زمین که جزئی از آن است مشخص گردد، می فرماید: «و ما آسمان و زمین و آنچه را در میان این دو است بیهوده نیافریدیم، این گمان کافران است، وای بر کافران از آتش» دوزخ! (وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما باطِلًا ذلِکَ ظَنُّ الَّذِینَ کَفَرُوا فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مِنَ النَّار).

مسأله مهمي كه تمام حقوق از آن سر چشمه مي گيرد هدفدار بودن خلقت

(۱) شرح بیشتر این ماجرا را در «تفسیر نمونه» ذیل آیه ۲۱ سوره ص مطالعه فرمایید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۸۴

است، هنگامی که در جهان بینی خود این مطلب را پذیرفتیم که این عالم وسیع از ناحیه خداوند بزرگ بیهوده آفریده نشده، بلافاصله به دنبال هدف آن میرویم، هدفی که در کلمه های کوتاه و پر محتوای «تکامل» و «تعلیم» و «تربیت» خلاصه می شود، و از آنجا نتیجه می گیریم که حکومتها نیز باید در همین خط گام بردارند، پایه های تعلیم و تربیت را محکم کنند و مایه تکامل معنوی انسانها شوند.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۸ ص: ۱۸۴

(آیه ۲۸)- در این آیه اضافه می کند: «آیا (ممکن است) کسانی را که ایمان آوردهاند و کارهای شایسته انجام دادهاند همچون مفسدان در زمین قرار دهیم»؟! (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِینَ آِمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ کَالْمُفْسِدِینَ فِی الْأَرْضِ).

«يا پرهيزكاران را همچون فاجران قرار دهيم»؟ (أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ).

نه بی هدفی در خلقت ممکن است، و نه مساوات صالحان و طالحان، چرا که گروه اول در مسیر اهداف آفرینش گام بر می دارند و به سوی مقصد پیش می روند، اما گروه دوم در جهت مخالف قرار گرفته اند.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۲۹ ص: ۱۸۴

(آیه ۲۹) - در این آیه به مطلبی اشاره می کند که در حقیقت تأمین کننده هدف آفرینش است، می فرماید: «این کتابی پر برکت است که بر تو نازل کرده ایم، تا در آیات آن تدبر کنند، و خردمندان متذکر شوند» (کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْکَ مُبارَکٌ لِيَدَّبُّوا آیاتِهِ وَ لِیَتَذَکَّرَ أُولُوا الْأَلْباب).

تعلیماتش جاویدان، و دستوراتش عمیق و ریشهدار، و برنامههایش حیاتبخش و راهبر انسان در طریق هدف آفرینش است. هـدف از نزول این کتـاب بزرگ این نبوده که تنهـا به تلاـوت و لقلقه زبـان قناعت کننـد بلکه هـدف این بوده که آیاتش سـر چشمه فکر و اندیشه، و مایه بیداری وجدانها گردد و آن نیز به نوبه خود حرکتی در مسیر عمل بیافریند.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳۰ ص: ۱۸۴

(آیه ۳۰)- سلیمان از نیروی رزمی خود سان می بیند قرآن همچنان بحث گذشته را پیرامون داود ادامه می دهد و در این آیه، خبر از بخشیدن فرزند برومندی همچون «سلیمان» به او می دهد که ادامه دهنده حکومت و رسالت او بود، می گوید: «ما سلیمان را به داود بخشیدیم، چه بنده برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۸۵

خوبى! زيرا همواره به سوى خدا بازگشت مىكرد» و به ياد او بود (وَ وَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ).

این تعبیر که نشان دهنده عظمت مقام سلیمان است شاید برای ردّ اتهامات بیاساس و زشتی است که در مورد تولد سلیمان از همسر «اوریا» در تورات تحریف یافته آمده است و در عصر نزول قرآن در آن محیط شایع بوده.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳۱ ص: ۱۸۵

(آیه ۳۱)- از این آیه داستان اسبهای سلیمان شروع می شود که تفسیرهای گوناگونی برای آن شده که بعضا از سوی ناآگاهان بوده.

قرآن مى گويد: «به خاطر بياور هنگامى را كه عصر گاهان اسبان چابك تندرو را بر او عرضه داشـتند» (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِـّ يُّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳۲ ص: ۱۸۵

(آیه ۳۲) - سلیمان در اینجا برای این که تصور نشود که علاقه او به این اسبهای پر قدرت جنبه دنیا پرستی دارد، «گفت: من

این اسبان را به خاطر یاد پروردگارم دوست دارم» و میخواهم از آنها در جهاد استفاده کنم (فَقالَ إِنِّی أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَیْرِ عَنْ ذِکْر رَبِّی).

سلیمان که از مشاهده این اسبهای چابک و آماده برای جهاد و پیکار با دشمن خرسند شده بود همچنان آنها را نگاه میکرد و چشم به آنها دوخته بود «تا از دیدگانش پنهان شدند» (حَتَّی تَوارَتْ بِالْحِجاب).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳۳ ص: ۱۸۵

(آیه ۳۳) – صحنه آنقدر جالب و زیبا و برای یک فرمانده بزرگ همچون سلیمان نشاط آور بود که او دستور داد: «بار دیگر آنها را نزد من باز گردانید» (رُدُّوها عَلَیً).

به هنگامی که مأمورانش این فرمان را اطاعت کردنـد و اسـبها را باز گرداندند سـلیمان شـخصا آنها را مورد نوازش قرار داد «و دست به ساقها و گردنهای آنها کشید» (فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ).

و به این وسیله هم مربیان آنها را تشویق کرد، و هم از آنها قدردانی نمود، زیرا معمول است هنگامی که میخواهند از مرکبی قدردانی کنند دست بر سر و صورت و یال و گردن، یا بر پایش میکشند، و چنین ابراز علاقهای در برابر وسیله مؤثری که برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۸۶

انسان را در هدفهای والایش کمک می کند از پیغمبر بزرگی همچون سلیمان تعجب آور نیست.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳۴ ص: ۱۸۶

(آیه ۳۴)- آزمایش سخت سلیمان و حکومت گسترده او قرآن همچنان قسمت دیگری از سرگذشت سلیمان را بازگو می کند، و نشان میدهد که انسان به هر پایهای از قدرت برسد باز از خود چیزی ندارد، و هر چه هست از ناحیه خداست، مطلبی که توجه به آن پردههای غرور و غفلت را از مقابل چشم انسان کنار میزند.

نخست در باره یکی از آزمایشهائی سخن می گوید که خدا در باره سلیمان کرد، آزمایشی که با «ترک اولی» همراه بود، و به دنبال آن سلیمان به درگاه خدا روی آورد و از این «ترک اولی» توبه کرد.

قرآن می گوید: «ما سلیمان را آزمودیم و بر کرسی او جسدی افکندیم، سپس به درگاه خداوند توبه کرد، و به سوی او بازگشت» (وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَیْمانَ وَ أَلْقَیْنا عَلی کُرْسِیِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ).

توضیح این که: «سلیمان» آرزو داشت فرزندان برومند شجاعی نصیبش شود که در اداره کشور و مخصوصا جهاد با دشمنان به او کمک کنند، او دارای همسران متعدد بود با خود گفت: من با آنها همبستر می شوم تا فرزندان متعددی نصیبم گردد، و به هدفهای من کمک کنند، ولی چون در اینجا غفلت کرد و «انشاء الله» – همان جملهای که بیانگر اتکای انسان به خدا در همه حال است – نگفت در آن زمان هیچ فرزندی از همسرانش تولد نیافت، جز فرزندی ناقص الخلقه، همچون جسدی بی روح که آن را آوردند و بر کرسی او افکندند! سلیمان سخت در فکر فرو رفت، و ناراحت شد که چرا یک لحظه از خدا غفلت کرده، و بر نیروی خودش تکیه کرده است، توبه کرد و به درگاه خدا بازگشت.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳۵ ص: ۱۸۶

(آیه ۳۵)– قرآن در این آیه مسأله توبه سلیمان را که در آخرین جمله آیه قبل آمده بود به صورت مشروحتری بازگو کرده، می فرماید: «گفت: پروردگارا! مرا ببخش» (قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۸۷

«و ملک و حکومتی به من عطاکن که بعد از من سزاوار هیچ کس نباشد که تو بسیار بخشندهای» (وَ هَبْ لِی مُلْکاً لا یَنْبَغِی لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِی إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهَّابُ).

او از خداونید یک نوع حکومت میخواست که تو أم با معجزات ویژهای بوده باشد. زیرا میدانیم هر پیامبری معجزه مخصوص به خود داشته و این برای پیامبران عیب و نقصی محسوب نمی شود که برای خود تقاضای معجزه ویژهای کنند.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳۶ ص: ۱۸۷

(آیه ۳۶) – سپس قرآن همان گونه که گفتیم این مطلب را بیان می کنید که خیدا تقاضای سلیمان را پذیرفت و حکومتی با امتیازات ویژه و مواهبی بزرگ در اختیار او گذارد که آنها را می توان در پنج موضوع خلاصه کرد.

۱- تسخیر بادها به عنوان یک مرکب راهوار، چنانکه میفرماید: «پس ما باد را مسخّر او ساختیم تا مطابق فرمانش به نرمی حرکت کند، و به هرجا او اراده نماید برود» (فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّیحَ تَجْرِی بِأَمْرِهِ رُخاءً حَیْثُ أَصابَ).

جزئیات این وسیله مرموز بر ما روشن نیست، ما همین قدر میدانیم که این از جمله خوارق عاداتی بود که در اختیار پیامبران قرار می گرفت.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳۷ ص: ۱۸۷

(آیه ۳۷)- دومین موهبت خداوند به سلیمان (ع) مسأله تسخیر موجودات سرکش و قرار دادن آن در اختیار او برای انجام کارهای مثبت بود.

چنانکه می گوید: «و شیاطین را (مسخر او ساختیم) و هر بنّا و غوّاصی از آنها را» سر بر فرمان او نهادیم (وَ الشَّیاطِینَ کُلَّ بَنّاءٍ وَ غَوَّاص). تا گروهی در خشکی هر بنایی میخواهد برای او بسازند و گروهی در دریا به غواصی مشغول باشند.

و به این ترتیب شیاطین که طبیعتشان تمرد و سرکشی است آن چنان مسخر او شدند که در مسیر سازندگی و استخراج منابع گرانبها قرار گرفتند.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳۸ ص: ۱۸۷

(آیه ۳۸)- سومین موهبت خداوند به سلیمان مهار کردن گروهی از نیروهای مخرب بود، زیرا به هر حال در میان شیاطین افرادی بودند که به عنوان یک نیروی مفید و سازنده قابل استفاده به حساب نمی آمدند، و چارهای جز این نبود که آنها در بند باشند، تا جامعه از شر مزاحمت آنها در امان بماند، چنانکه قرآن می گوید: بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۸۸ «و گروه دیگری (از شیاطین) را در غل و زنجیر (تحت سلطه او) قرار دادیم» (وَ آخَرِینَ مُقَرَّنِینَ فِی الْأَصْفادِ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۳۹ ص: ۱۸۸

(آیه ۳۹)– چهارمین موهبت خداوند به سلیمان اختیارات فراوانی بود که دست او را در اعطا و منع باز می گذارد.

چنانکه آیه می گوید: به او گفتیم: «این عطای ماست به هر کس میخواهی (و صلاح میبینی) ببخش و از هر کس میخواهی امساک کن و حسابی بر تو نیست» تو امین هستی (هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَیْرِ حِسابٍ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۰ ص: ۱۸۸

(آیه ۴۰)- پنجمین و آخرین موهبت خداوند بر سلیمان مقامات معنوی او بود که خدا در سایه شایستگیهایش به او مرحمت کرده بود.

چنانکه آیه می فرماید: «و برای او [سلیمان] نزد ما مقامی ارجمند و سر انجامی نیکوست» (وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفی وَ حُسْنَ مَآبِ). تعبیر به «حسن مآب» که خبر از عاقبت نیک او می دهد ممکن است اشاره به نسبت ناروائی باشد که در تورات آمده که سلیمان به خاطر ازدواج با بت پرستان سر انجام به آئین بت پرستی تمایل پیدا کرد! و حتی دست به ساختن بتخانهای زد! قرآن با این تعبیر خط بطلان بر تمام این اوهام و خرافات می کشد.

نکته: از جمله مسائلی که در لابلای داستان سلیمان عینیت یافته این است که: داشتن یک حکومت نیرومند با امکانات مادی فراوان و اقتصاد گسترده و تمدن درخشان هرگز منافاتی با مقامات معنوی و ارزشهای الهی و انسانی ندارد.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۱ ص: ۱۸۸

(آیه ۴۱)- زندگی پر ماجرای ایوب و مقام صبرش: ایوب سومین پیامبر است که در این سوره گوشهای از زندگی او مطرح شده، و پیامبر بزرگ ما موظف گردید سرگذشت او را به یاد آورد، و برای مسلمانان بازگو کند تا از مشکلات طاقت فرسا نهراسند و از لطف و رحمت خدا هرگز مأیوس نشوند.

نام یا سرگذشت ایوب در چندین سوره از قرآن در ردیف پیامبران دیگر آمده که مقام نبوت او را تثبیت و تبیین میکند، بر خلاف تورات کنونی که او را در زمره پیامبران نشمرده بلکه بندهای متمکن و نیکوکار دارای اموال و فرزندان برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۸۹

بسیار میداند.

نخست می گوید: «و به خاطر بیاور بنده ما ایوب را هنگامی که پروردگارش را خواند (و گفت: پروردگارا!) شیطان مرا به رنج و عذاب افکنده است» (وَ اذْکُرْ عَبْدَنا أَیُّوبَ إِذْ نادی رَبَّهُ أَنِّی مَسَّنِیَ الشَّیْطانُ بِنُصْبِ وَ عَذابِ).

از این آیه مقام والای ایوب در پیشگاه خدا به عنوان «عبدنا» (بنده ما) به خوبی استفاده می شود، و دیگر این که اشاره سر بسته ای است به گرفتاریهای شدید و طاقت فرسا و درد و رنج فراوان ایوب.

شخصی از امام صادق علیه السّلام سؤال کرد: بلائی که دامنگیر ایوب شد برای چه بود؟

امام علیه السّلام در پاسخ او فرمود: خداوند برای این که اخلاص ایوب را بر همگان روشن سازد، و او را الگوئی برای جهانیان قرار دهد که به هنگام «نعمت» و «رنج» هر دو شاکر و صابر باشند به شیطان اجازه داد که بر دنیای او مسلط گردد.

شیطان از خدا خواست اموال سرشار ایوب، زراعت و گوسفندانش و همچنین فرزندان او از میان بروند، آفات و بلاها در مدت کوتـاهی آنهـا را از میان برد، ولی نه تنها از مقام شـکر ایوب کاسـته نشـد بلکه افزوده گشت! او از خـدا خواست که این بار بر بدن ایوب مسلط گردد، و آن چنان بیمار شود که از شدت درد و رنجوری به خود بپیچد و اسیر و زندانی بستر گردد. این نیز از مقام شکر او چیزی نکاست.

ولی جریانی پیش آمد که قلب ایوب را شکست و روح او را سخت جریحه دار ساخت، و آن این که جمعی از راهبان بنی اسرائیل به دیدنش آمدند و گفتند: تو چه گناهی کردهای که به این عذاب الیم گرفتار شده ای ؟! ایوب باز رشته صبر را از کف نداد، تنها رو به در گاه خدا آورد و جمله های بالا_ (آیه شریفه) را بیان نمود و چون از عهده امتحانات الهی به خوبی بر آمده بود خداوند درهای رحمتش را بار دیگر به روی این بنده صابر و شکیبا گشود، و نعمتهای از دست رفته را یکی پس از دیگری و حتی بیش از آن را به او ارزانی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۹۰

داشت، تا همگان سر انجام نیک صبر و شکیبائی و شکر را دریابند».

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۲ ص: ۱۹۰

(آیه ۴۲)– در میان تمام ناراحتیها و رنجها آنچه بیشتر روح ایوب را آزار میداد مسأله شماتت دشمنان بود.

اما سر انجام ایوب از بوته داغ این آزمایش الهی سالم به درآمد، و فرمان رحمت خدا از اینجا آغاز شد که به او دستور داد: «پای خود را بر زمین بکوب! این چشمه آبی برای شستشو و نوشیدن است» (ارْکُضْ بِرِجْلِکُ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَ شَرابٌ). چشمهای خنک و گوارا و شفابخش از بیماریهای «برون» و «درون».

توصیف آب به خنک بودن شاید اشارهای باشد به تأثیر مخصوص شستشو با آب سرد برای بهبود و سلامت تن، همان گونه که در طب امروز نیز ثابت شده است.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۳ ص: ۱۹۰

(آیه ۴۳)- نخستین و مهمترین نعمت الهی که عافیت و بهبودی و سلامت بود به ایوب بازگشت، نوبت بازگشت مواهب و نعمتهای دیگر رسید، و در این زمینه قرآن می گوید: «و خانوادهاش را به او بخشیدیم» (وَ وَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ).

«و همانند آنها را بر آنان افزوديم» (وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ).

«تا رحمتی از سوی ما باشد، و تذکری برای اندیشمندان» (رَحْمَهً مِنَّا وَ ذِكْری لِأُولِی الْأَلْبابِ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۴ ص: ۱۹۰

(آیه ۴۴)- تنها مشکلی که برای ایوب مانده بود سو گندی بود که در مورد همسرش خورده بود و آن این که تخلفی از او دید و در آن حال بیماری سو گند یاد کرد که هرگاه قدرت پیدا کند یک صد ضربه یا کمتر بر او بزند، اما بعد از بهبودی میخواست به پاس وفاداریها و خدماتش او را ببخشد، ولی مسأله سو گند و نام خدا در میان بود.

خداوند این مشکل را نیز برای او حل کرد می فرماید: به او گفتیم «بسته ای از ساقه های گندم (یا مانند آن) را برگیر، و با آن (همسرت را) بزن و سوگند خود را مشکن»! (وَ خُذْ بِیَدِکَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لا تَحْنَتْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۹۱ و بالاخره در پایان این داستان می فرماید: «ما او را شکیبا یافتیم، چه بنده خوبی که بسیار بازگشت کننده (به سوی خدا) بود» (إنَّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ).

«فرج بعد از شدت» نکته مهمی است که در این ماجرا نهفته است هنگامی که امواج حوادث و بلا از هر سو انسان را در فشار قرار می دهد، نه تنها نباید مأیوس و نومید گشت، بلکه باید آن را نشانه و مقدمهای بر گشوده شدن درهای رحمت الهی دانست، چنانکه امیر مؤمنان علی علیه السّ لام می فرماید: «به هنگامی که سختیها به اوج خود می رسد فرج نزدیک است، و هنگامی که حلقه های بلا تنگتر می شود راحتی و آسودگی فرا می رسد».

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۵ ص: ۱۹۱

(آیه ۴۵)– شـش پیامبر بزرگ دیگر: در تعقیب آیات گذشـته در اینجا نام شش تن دیگر از بزرگترین پیامبران الهی را برده، و اوصاف برجسته آنها را که می تواند الگو و اسوه برای همه انسانها باشد بطور فشرده بیان میدارد.

نخست روى سخن را به پيامبر اسلام صلّى الله عليه و اله كرده، مى گويد: «به خاطر بياور بندگان ما ابراهيم و اسحاق و يعقوب را» (وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ).

بندگی خدا یعنی وابستگی مطلق به او، یعنی در برابر اراده او از خود ارادهای نداشتن، و در همه حال سر بر فرمان او نهادن. بندگی خدا یعنی بینیازی از غیر او و تنها چشم بر لطف او دوختن، این همان اوج تکامل انسان و برترین شرف و افتخار اوست.

سپس اضافه می کند: «صاحبان دستها (ی نیرومند) و چشمها» ی بینا (أُولِی الْأَیْدِی وَ الْأَبْصارِ).

خداوند این پیامبران را به داشتن «درک و تشخیص و بینش قوی» و «قوت و قدرت کافی» برای انجام کار توصیف کرده است. این الگوئی است برای همه رهروان راه حق که بعد از مقام عبودیت و بندگی خدا با این دو سلاح برنده مسلح گردند. بنابر این دست و چشم در اینجا به معنی دو عضو مخصوص نیست، بلکه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۹۲ کنایه از دو صفت «علم و قدرت» است.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۶ ص: ۱۹۲

(آیه ۴۶)- در چهارمین توصیف از آنان می گوید: «ما آنها را با خلوص ویژهای خالص کردیم» (إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ). «و آن یادآوری سرای آخرت بود» (ذِکْرَی الدَّارِ).

افق دید آنها در زندگی چند روزه این دنیا و لذات آن محدود نمی شد، آنها در ماورای این زندگی زود گذر سرای جاویدان با نعمتهای بیپایانش را می دیدند، و همواره برای آن تلاش و کوشش داشتند.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۷ ص: ۱۹۲

(آیه ۴۷)- در توصیف پنجم و ششم آنها می فرماید: «و آنها نزد ما از برگزیدگان و نیکانند» (وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْدِ طَفَیْنَ الْاَحْیار).

ایمان و عمل صالح آنها سبب شده که خدا آنان را از میان بندگان برگزیند و به منصب نبوت و رسالت مفتخر سازد.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۸ ص: ۱۹۲

(آیه ۴۸)- بعد از اشاره به مقامات برجسته سه پیامبر فوق، نوبت به سه پیامبر بزرگ دیگر میرسد، میفرماید: «و به یادآور اسماعیل و الیسع و ذا الکفل را که همه از نیکان بودند» (وَ اذْکُرْ إِسْماعِیلَ وَ الْیَسَعَ وَ ذَا الْکِفْلِ وَ کُلِّ مِنَ الْأَخْیارِ).

هر یک از آنها الگو و اسوهای در صبر و استقامت و اطاعت فرمان خدا بودند، مخصوصا اسماعیل که آماده شد جان خود را فدای راه او کند و به همین دلیل «ذبیح الله» نامیده شد.

توجه به زندگی آنان برای پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله و همه مسلمین الهام بخش است، و روح تقوا و فداکاری و ایثار را در آنها زنده میکند، و در برابر مشکلات و حوادث سخت مقاوم میسازد.

در میان این سه پیامبر «اسماعیل» از همه معروفتر و شناخته تر است اما در باره «الیسع» آیه ۸۶ سوره انعام نشان میدهد که او از دودمان ابراهیم، و از پیامبران بزرگ الهی بوده است.

و اما «ذا الكفل» مشهور اين است كه از پيامبران بوده، و ذكر نام او در رديف نام پيامبران در سوره انبياء آيه ۸۵ گواه بر اين معنى است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۹۳

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۴۹ ص: ۱۹۳

(آیه ۴۹)– این وعده برای پرهیزکاران است: از اینجا فصل دیگری از آیات این سوره آغاز میشود که پرهیزکاران و متقین را با گردنکشان طاغی مقایسه کرده، و سرنوشت هر دو گروه را در قیامت شرح میدهد.

نخست به عنوان یک جمع بندی از سرگذشت انبیای پیشین و نکات آموزنده زندگی آنها میفرماید: «این یک یادآوری است» (هذا ذِکْرٌ).

آری! هدف از بیان فرازهایی از تاریخ پرشکوه آنان داستانسرائی نبود، هدف ذکر و تذکر بود.

هدف بیدار ساختن اندیشه ها، بالا بردن سطح معرفت و آگاهی، و افزودن نیروی مقاومت و پایداری در مسلمانانی است که این آیات برای آنها نازل شده است.

سپس مسأله را از صورت خصوصی و بیان زنـدگی انبیا در آورده، شـکل کلی به آن میدهـد، سـرنوشت متقین را بطور عموم مورد بحث قرار داده، میفرماید:

«و برای پرهیز کاران فرجام نیکوئی است» (وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِینَ لَحُسْنَ مَآبٍ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۵۰ ص: ۱۹۳

(آیه ۵۰)- بعد از این جمله کوتاه و سر بسته که خوبی حال آنها را اجمالاً ترسیم می کند، با استفاده از روش اجمال و تفصیل-که روش قرآن است- به شـرح آن پرداخته، می گوید: بـاز گشت آنهـا به «باغهـای جاویـدان بهشت که درهـایش به روی آنان گشوده است» (جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبُوابُ).

تعبیر به «مفتّحهٔ لهم الابواب» اشاره به آن است حتی زحمت گشودن درها برای بهشتیان وجود ندارد، گوئی بهشت در انتظار آنهاست، و هنگامی که چشمشان به آنان میافتد آغوش باز می کند و آنها را به درون دعوت می کند!

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۵۱ ص: ۱۹۳

(آیه ۵۱)– سپس آرامش و احترام خاص بهشتیان را به این صورت بیان می کند: «در حالی که در آن بر تختها تکیه کردهاند، و میوه های بسیار و نوشیدنیها در اختیار آنان است» هر زمان آن را می طلبند، فورا نزدشان حاضر می شود (مُتَّکِئِینَ فِیها یَدْعُونَ فِیها بِفاکِهَ اِ کَثِیرَ اِ وَ شَرابِ).

سورهٔ ص(۲۸): آیهٔ ۵۲ ص: ۱۹۳

(آیه ۵۲)- بعد از آن سخن از همسران پاک بهشتی به میان آورده، می گوید: بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۹۴ «و نزد آنان همسرانی است که تنها چشم به شوهرانشان دوختهاند، و هم سن و سالند» (وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ).

سورهٔ ص(٣٨): آيهٔ ٥٣ ص: ١٩۴

(آیه ۵۳) – سپس به تمام هفت نعمت بزرگ بهشتیان که در آیات قبل آمده بود اشاره کرده، می گوید: «این چیزی است که برای روز حساب به شما وعده داده می شود» (هذا ما تُوعَدُونَ لِیَوْمِ الْحِسابِ). وعدهای تخلف ناپذیر و نشاط انگیز، وعدهای از سوی خداوند بزرگ.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۵۴ ص: ۱۹۴

(آیه ۵۴) - و برای تأکید بر جاودانگی این مواهب میافزاید: «این رزق و روزی ماست، (عطائی است) که هرگز پایان نمی گیرد و فنائی برای آن متصور نیست» (إِنَّ هذا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ).

بنابر این غم زوال و نابودی که همچون سایه شومی بر نعمتهای این جهان افتاده در آنجا وجود ندارد، و حتی کاستی در آن ظاهر نمی شود.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۵۵ ص: ۱۹۴

(آیه ۵۵)- و این هم کیفر طاغیان! بعد از بیان نعمتهای هفتگانه و مواهب بیدریغ پروردگار برای پرهیزکاران در اینجا با استفاده از روش مقابله و مقایسه که قرآن زیاد آن را به کار می گیرد سرنوشت شوم و کیفرهای گوناگون طاغیان و سرکشان را در برابر خداوند بر میشمرد.

نخست می گوید: «این (پاداش پرهیز کاران است) و برای طغیانگران بدترین محل بازگشت است»! (هذا وَ إِنَّ لِلطَّاغِینَ لَشَرَّ مَآب).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۵۶ ص: ۱۹۴

(آیه ۵۶)– سپس با استفاده از روش اجمال و تفصیل به شرح این جمله سر بسته پرداخته، می گوید: این بازگشت شوم و مرجع

سوء «همان دوزخ که در آن وارد می شوند (و به آتش آن می سوزند) و چه بستر بدی است» (جَهَنَّمَ یَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ). بستر جایگاه استراحت است، و باید از هر نظر مناسب حال و موافق طبع باشد، اما چگونه خواهد بود وضع کسانی که بسترشان آتش جهنم می باشد؟!

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۵۷ ص: ۱۹۴

(آیه ۵۷)- سپس به انواع دیگری از عذابهای آنها پرداخته، می گوید: «این نوشابه حمیم و غساق [دو مایع سوزان و تیره] است که باید از آن بچشند» (هذا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۹۵

فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ غَسَّاقً)

«حمیم» به معنی آب داغ و سوزان که یکی از نوشابه های دوزخیان است می باشد، و «غساق» به قطراتی که از پوست تن دوزخیان (و جراحات بدن آنها) بیرون می آید تفسیر شده است.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۵۸ ص: ۱۹۵

(آیه ۵۸)- باز به انواع دیگری از عذابهای دردناک آنها اشاره کرده، می گوید: «و جز اینها، کیفرهای دیگری همانند آن دارند» (وَ آخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْواجُ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۵۹ ص: ۱۹۵

(آیه ۵۹)– سپس آخرین مجازات آنها را که همنشینان بد با زبانی مملوّ از سرزنش است مطرح ساخته، می گوید: هنگامی که رؤسای ضلال وارد دوزخ میشونـد و با چشم خود میبیننـد که پیروان را نیز به سـمت دوزخ میآورند به یکدیگر می گویند: «این گروهی است که همراه شما وارد دوزخ میشوند» اینها همان سران گمراهیند (هذا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَکُمْ).

«خوشامد بر آنها مباد»! (لا مَرْحَباً بِهِمْ).

«همگی در آتش خواهند سوخت» (إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۰ ص: ۱۹۵

(آیه ۶۰) به هر حال این صدا به گوش پیروان میرسد و از ناخوشامد گفتن رؤسای ضلالت سخت خشمگین می گردند، رو به سوی آنها کرده، «می گویند: بلکه خوشامد بر شما مباد که این عذاب را شما برای ما فراهم ساختید، چه بد قرار گاهی است اینجا»؟! (قالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِکُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ).

هدف پیروان از این تعبیر این است که آنها میخواهند بگویند هر چه هست این حسن را دارد که شما رؤسای ضلالت نیز در این امر با ما مشترکید، و این مایه تشفی قلب ماست.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۱ ص: ۱۹۵

(آیه ۶۱) ولی با این حال پیروان به این سخن راضی نمیشوند، چرا که رؤسای ضلالت را که عامل اصلی جرم بودند از خود مستحقتر میدانند لذا رو به درگاه خدا کرده «می گویند: پروردگارا! هر کس این عذاب را برای ما فراهم ساخته عذابی مضاعف در آتش دوزخ بر او بیفزا» (قالُوا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِی النَّارِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۹۶ عذابی به خاطر گمراهی خودشان و عذابی به خاطر گمراه کردن ما.

آری! این است سر انجام کسانی که با هم پیمان دوستی بستند و در راه انحراف و ضلالت بیعت کردنـد که وقتی نتایج شوم اعمال خود را میبینند به مخاصمت و دشمنی و نفرین بر یکدیگر بر میخیزند.

قابل توجه این که در این آیات ذکر نعمتهای پرهیزکاران تنوع بیشتری از ذکر مجازاتها و عذابهای طغیانگران دارد (در قسمت اول به هفت موهبت و در قسمت دوم به پنج عذاب اشاره شده) این شاید به خاطر پیشی گرفتن رحمت خدا بر غضب اوست «یا من سبقت رحمته غضبه»!

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۲ ص: ۱۹۶

(آیه ۶۲)- مخاصمه اصحاب دوزخ! در اینجا گفتگوهای دوزخیان را چنین ادامه داده، میفرماید: سردمداران ضلالت هنگامی که به اطراف خود در دوزخ مینگرند «می گویند: چرا مردانی را که ما از اشرار میشمردیم (در اینجا) نمی بینیم»؟! (وَ قَالُوا ما لَنا لا نَری رِجالًا کُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ).

آری! افرادی همچون «بوجهلها» و «بولهبها» هنگامی که میبینند اثری از «عمار یاسرها» «خبابها» و «صهیبها» و «بلالها» در دوزخ نیست، به خود می آیند و از یکدیگر این سؤال را می کنند: پس این افراد چه شدند؟

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۳ ص: ۱۹۶

(آیه ۶۳)- «آیا ما آنان را به مسخره گرفتیم یا (به اندازهای حقیرند که) چشمها آنها را نمی بیند» (أَتَّخَذْناهُمْ سِ خُرِیًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ).

آری! ما این مردان بزرگ و با شخصیت را به باد مسخره می گرفتیم، و گاه حتی از این مرحله نیز پائین تر می شمردیم و آنها را افراد حقیری می دانستیم که اصلا به چشم نمی آمدند، اما آنها مقربان در گاه خدا بودند و الآن بهشت جایگاهشان است. قابل توجه این که یکی از عوامل عدم درک واقعیتها جدی نگرفتن مسائل و استهزا و شوخی با حقایق است، همیشه باید با تصمیم جدی به بررسی واقعیتها پرداخت تا حقیقت روشن گردد.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۴ ص: ۱۹۶

(آیه ۶۴) – سپس به عنوان یک خلاصه گیری از گفتگوهائی که میان دوزخیان برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۹۷ واقع می شود و تأکید بر آنچه گذشت می فرماید: «این یک واقعیت است گفتگوهای خصمانه دوزخیان» (إِنَّ ذلِ-کَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ).

دوزخیان در این جهان نیز گرفتار تخاصم و نزاعنـد و روح پرخاشـگری و نزاع و جـدال بر آنها حاکم است، و هر روز با کسـی درگیر و گلاویز میشوند، و در قیامت آنچه در درون داشتند ظاهر میگردد، و در جهنم به جان هم میافتند. جالب این که بهشتیان بر سریرها و تختها تکیه زده، به گفتگوهای دوستانه مشغولند در حالی که دوزخیان در حال جنگ و جدالند که آن خود موهبتی است بزرگ، و این عذابی است دردناک!

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۵ ص: ۱۹۷

(آیه ۶۵) – من یک بیم دهندهام! از آنجا که تمام بحثهای گذشته همه جنبه انذار و تهدید برای مشرکان و سرکشان و ظالمان دارد، در اینجا همین مسأله را تعقیب کرده، می گوید: «بگو: من تنها یک بیم دهندهام»! (قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ).

درست است که پیامبر صلّی اللّه علیه و اله بشارت دهنده نیز میباشد، ولی چون بشارت برای مؤمنان است، و انـذار برای مشرکان و مفسدان، و در اینجا روی سخن با گروه اخیر است، تنها تکیه بر انذار شده است.

سپس مىافزايد: «و هيچ معبودى جز خداوند يگانه قهّار نيست» (وَ ما مِنْ إِلهِ إِلَّا اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ).

تکیه بر قهر او نیز به همین منظور است، تا کسی به لطف او مغرور نگردد، و از قهر او خود را ایمن نشمرد، و در گرداب کفر و گناه غوطهور نشود.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۶ ص: ۱۹۷

(آیه ۶۶)– و بلاـ فاصله به عنوان ذکر دلیـل برای توحیـد الوهیت و عبادت پروردگار میافزایـد: «پروردگار آسـمانها و زمین و آنچه میان آن دو است، پروردگار عزیز و غفّار» (رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُمَا الْعَزِیزُ الْغَفَّارُ).

در این آیه سه وصف از اوصاف خداوند بیان شده نخست مسأله «ربوبیت» او نسبت به تمام عالم هستی است، دوم و سوم توصیف او به «عزیز» و «غفار» میباشد که دلیل دیگری بر «الوهیت» اوست، چرا که تنها کسی شایسته پرستش است که علاوه بر «ربوبیت» قدرت بر مجازات نیز دارد، و علاوه بر قدرت بر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۹۸ مجازات، درهای رحمت و مغفرت او نیز گشوده است.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۷ ص: ۱۹۸

(آیه ۶۷) – سپس در جملهای کوتاه و تکان دهنده خطاب به پیامبر صلّی اللّه علیه و اله کرده، میفرماید: «بگو: این (قرآن) خبری بزرگ است» (قُلْ هُوَ نَبَأً عَظِیمٌ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۸ ص: ۱۹۸

(آیه ۶۸)- «که شما از آن روی گردانید» (أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۶۹ ص: ۱۹۸

(آیه ۶۹) - سپس به عنوان مقدمهای برای ذکر ماجرای آفرینش آدم، و ارزش والای وجود انسان تا آن حد که فرشتگان همگی در برابر او سجده کردند، میفرماید: «من از ملأ اعلی (و فرشتگان عالم بالا) به هنگامی که (در باره آفرینش آدم)

مخاصمه مي كردند خبر ندارم» (ما كانَ لِي مِنْ عِلْمِ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۰ ص: ۱۹۸

(آیه ۷۰)– آگاهی من تنها از طریق وحی است، و «تنها چیزی که به من وحی می شود این است که من انـذار کننـده آشـکاری هستم» (إِنْ یُوحی إِلَیَّ إِلَّا أَنَّما أَنَا نَذِیرٌ مُبِینٌ).

گر چه فرشتگان، جدال و مخاصمهای با پروردگار نداشتند، ولی همین اندازه که به خداوند عرض کردند: «آیا میخواهی کسی را بیافرینی که فساد و خونریزی کند»؟ به این گفتگوها «مخاصمه» اطلاق شده است. که یک اطلاق مجازی است.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۱ ص: ۱۹۸

(آیه ۷۱)- تکبر کرد و رانده درگاه خدا شد! از این آیه به بعد توضیحی است بر «مخاصمه ملأ اعلی» و «ابلیس» و گفتگو در باره آفرینش «آدم».

نخست میفرماید: «به خاطر بیاور هنگامی را که پروردگارت به فرشتگان گفت: من بشری را از گل می آفرینم» (إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِٔ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۲ ص: ۱۹۸

(آیه ۷۲)– اما برای این که تصور نشود که بعد وجود انسانی همان بعد خاکی است در این آیه میافزاید: «هنگامی که آن را نظام بخشیدم، و از روح خود در آن دمیدم برای او به سجده افتید» (فَإِذا سَوَّ یْتُهُ وَ نَفَحْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۳ ص: ۱۹۸

(آیه ۷۳) - به این ترتیب آفرینش انسان پایان پذیرفت، «روح خدا» و «گل برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۱۹۹ تیره» به هم آمیختند، و موجودی عجیب و بی سابقه که قوس صعودی و نزولیش هر دو بی انتها بود آفرینش یافت، و موجودی با استعداد فوق العاده که می توانست شایسته مقام «خلیفهٔ اللهی» باشد، قدم به عرصه هستی گذاشت «در آن هنگام همه فرشتگان سجده کردند» (فَسَجَدَ الْمَلائِکَهُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۴ ص: ۱۹۹

(آیه ۷۴)– «جز ابلیس که تکبّر کرد و از کافران بود» (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ کَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ).

آری! بـدترین بلای جـان انسان نیز همین کبر و غرور است که او را از درک حقایق محروم میسازد، و به تمرد و سرکشی وا میدارد، و از صف مؤمنان که صف بندگان مطیع خداست بیرون میافکند، و در صف کافران که صف یاغیان و طاغیان است قرار میدهد.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۵ ص: ۱۹۹

(آیه ۷۵)– اینجا بود که ابلیس از سوی خداوند مورد مؤاخذه و بازپرسی قرار گرفت.

«فرمود: ای ابلیس! چه چیز مانع تو از سجده کردن بر مخلوقی که با قـدرت خود آفریـدم گردید»؟ (قالَ یا اِبْلِیسُ ما مَنَعَکُ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِیَدَیَّ).

تعبیر به «یدی» (دو دست) در اینجا کنایه از قدرت است.

سپس مى افزايد: «آيا تكبر كردى يا از برترينها بودى»؟ برتر از اين كه فرمان سجود به تو داده شود (أَسْ تَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ).

بدون شک احدی نمی تواند ادعا کند که قدر و منزلتش ما فوق این است که برای خدا سجده کند.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۶ ص: ۱۹۹

(آیه ۷۶) – اما ابلیس با نهایت تعجب شق دوم را انتخاب کرد، و معتقد بود برتر از آن است که چنین دستوری به او داده شود، لـذا با کمال جسارت به مقام استدلال در مخالفتش با فرمان خدا برآمد و «گفت: من از او (آدم) بهترم، مرا از آتش آفریدهای و او را از گل»! (قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارِ وَ خَلَقْتُهُ مِنْ طِین).

در حقیقت او با این سخن میخواست هم حکمت خدا را نفی کند و هم امر او را- نعوذ بالله- بیمأخذ بشمرد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۰۰

تمام اشتباه ابلیس در این بود که پنداشت، آتش اشرف از خاک است و هرگز نباید به موجود اشرف دستور داد که در برابر غیر اشرف سجده کند! و تمام اشتباه ابلیس در این دو مقدمه اخیر بود.

زیرا آدم تنها از خاک نبود، بلکه عظمتش از آن روح الهی بود که در آن دمیده شد، و گر نه خاک کجا و این همه افتخار و استعداد و تکامل کجا؟! دوم این که: خاک نه تنها کمتر از آتش نیست، بلکه به مراتب برتر از آن است، تمام زندگی و حیات و منابع حیاتی از خاک بر میخیزد، گیاهان و گلها و تمام موجودات زنده از خاک مدد می گیرند.

در حالی که آتش با تمام اهمیتی که در زندگی دارد هرگز به پای آن نمیرسد، و تنها ابزاری است برای استفاده کردن از منابع خاکی، آن هم ابزاری خطرناک و ویرانگر.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۷ ص: ۲۰۰

(آیه ۷۷)- اینجا بود که میبایست این موجود پلید از صفوف ملأ اعلی و فرشتگان عالم بالا اخراج گردد، لذا خداوند به او خطاب کرد و «فرمود:

> از آسمانها (و صفوف ملائكه) خارج شو كه تو رانده درگاه منی»! (قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ). اینجا جای پاکان و مقربان است، نه جای آلودگان و سرکشان و تاریک دلان.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۸ ص: ۲۰۰

(آیه ۷۸)– و سپس افزود: «و مسلما لعنت من بر تو تا روز قیامت خواهد بود» و همیشه مطرود از رحمت من خواهی بود (وَ إِنَّ عَلَیْکَ لَعْنَتِی إِلی یَوْم الدِّینِ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۷۹ ص: ۲۰۰

(آیه ۷۹)- مهم این است که انسان هنگامی که از اعمال زشت خود نتیجه شومی می گیرد بیدار شود، و به فکر جبران بیفتد، اما چیزی خطرناکتر از آن نیست که همچنان بر مرکب غرور و لجاج سوار گردد، و به مسیر خود به سوی پرتگاه ادامه دهد و این همان سرنوشت شومی بود که دامن «ابلیس» را گرفت.

اینجا بود که «حسد» تبدیل به «کینه» شد، کینهای سخت و ریشهدار.

چنانکه قرآن می گوید: «عرض کرد: پروردگارا! مرا تا روزی که انسانها برانگیخته میشونـد مهلت ده» (قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِی اِلی یَوْم یُبْعَثُونَ). مهلتی که از برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۰۱

فرزندان آدم انتقام گیرم، و همه را به گمراهی بکشانم.

در حقیقت او میخواست تا آخرین فرصت ممکن به اغوای فرزندان آدم بپردازد، چرا که روز رستاخیز پایان دوران تکلیف است، و دیگر وسوسه و اغوا مفهومی ندارد، علاوه بر این با این درخواست مرگ را از خود دور کند، و تا قیامت زنده بماند، هر چند همه جهانیان از دنیا بروند.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۰ ص: ۲۰۱

(آیه ۸۰)– در اینجا مشیّت الهی– به دلائلی که به زودی اشاره خواهیم کرد– اقتضا نمود که این خواسته ابلیس بر آورده شود، اما نه بطور مطلق، که به صورت مشروط، چنانکه آیه شریفه میفرماید: «گفت: تو از مهلت داده شدگانی» (قالَ فَإِنَّکُ مِنَ الْمُنْظَرِينَ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۱ ص: ۲۰۰

(آیه ۸۱)- ولی نه تا روز رستاخیز و مبعوث شدن خلایق بلکه «تا روز و زمان معینی» (إِلی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ). این تعبیر اشاره به پایان این جهان است چرا که در آن روز همه موجودات زنده میمیرند، و تنها ذات پاک خداونـد میمانـد. (قصص/ ۸۸)

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۲ ص: ۲۰۰

(آیه ۸۲)- اینجا بود که ابلیس مکنون خاطر خود را آشکار ساخت، و هـدف نهائیش را از تقاضای عمر جاویدان نشان داد، و «گفت: به عزّتت سوگند که همه آنان را گمراه خواهم کرد»! (قالَ فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ).

سو گند به «عزت» نشان میدهد که او نهایت پافشاری را در تصمیم خویش داشته و دارد، و تا آخرین نفس بر سر گفتار خود ایستاده است.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۳ ص: ۲۰۰

(آیه ۸۳) - ولی متوجه این واقعیت بود که گروهی از بندگان خاص خدا به هیچ قیمتی در منطقه نفوذ و حوزه وسوسه او قرار نمی گیرند، لذا ناچار آنها را از گفتار بالا استثنا کرد و گفت: «مگر بندگان مخلص تو از میان آنها»! (إِلَّا عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ).

همانها که در راه معرفت و بندگی تو از روی اخلاص و صدق و صفا گام بر میدارند، تو نیز آنها را پذیرا شدهای، خالصشان کردهای، و در حوزه حفاظت خود قرار دادهای. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۰۲

سؤال: چرا خداوند درخواست شیطان را در باره ادامه حیاتش پذیرفت، و چرا فورا نابودش نکرد؟! پاسخ این است که عالم دنیا میدان آزمایش و امتحان است- آزمایشی که وسیله پرورش و تکامل انسانهاست- و میدانیم آزمایش جز در برابر دشمنان سرسخت و طوفانها و بحرانها امکان پذیر نیست.

البته اگر شیطان هم نبود هوای نفس و وسوسه های نفسانی انسان را در بوته آزمایش قرار می داد، اما با وجود شیطان این تنور آزمایش داغتر شد، چرا که شیطان عاملی است از برون و هوای نفس عاملی است از درون!

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۴ ص: ۲۰۲

(آیه ۸۴)- آخرین سخن در بـاره ابلیس! چنـد آیه آخر سـوره ص در حقیقت خلاـصهای است از تمـام محتـوای این سـوره و نتیجهای است برای بحثهای مختلفی که در این سوره آمده است.

نخست در پاسخ ابلیس- که تهدید کرد تمام انسانها را به جز «مخلصین» اغوا می کند- خداوند «فرمود: به حق سو گند، و حق می گویم» (قالَ فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ).

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۵ ص: ۲۰۲

(آیه ۸۵)- «که جهنم را از تو و هر کـدام از آنان که از تو پیروی کنـد، پر خواهم کرد» (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکُ وَ مِمَّنْ تَبِعَکُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ).

این تأکیدات برای این است که کسی کمترین تردید و شکی در این باره به خود راه ندهد که برای شیطان و پیروانش راه نجاتی نیست و ادامه خط آنها «دار و البوار» منتهی می گردد.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۶ ص: ۲۰۲

(آیه ۸۶)- سپس در پایان روی سخن را به پیامبر کرده و چهار مطلب مهم را در عباراتی کوتاه بیان میکند، در مرحله اول میفرماید: «بگو: من از شما هیچ اجر و پاداشی نمیطلبم» (قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرِ).

و به این ترتیب به بهانههای بهانه جویان پایان می دهد، و روشن می سازد که من تنها طالب نجات و سعادت شما هستم، پاداش من تنها بر خداست، همان گونه که در آیات دیگری از قرآن مجید از قبیل آیه ۴۷ سوره سبأ به آن تصریح شده است بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۰۳

«إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ».

این خود یکی از دلائل صدق پیامبر صلّی اللّه علیه و اله است.

در مرحله دوم مي گويد: «و من از متكلفين نيستم» (وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ).

سخنانم مقرون به دلیل و منطق است، و هیچ گونه تکلفی در آن وجود ندارد، عباراتم روشن و سخنانم خالی از هرگونه ابهام و پیچیدگی است.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۷ ص: ۲۰۳

(آیه ۸۷) - در مرحله سوم هـدف اصـلی این دعوت بزرگ و نزول این کتـاب آسـمانی را بیـان کرده، میفرمایـد: «این (قرآن) تذکری برای همه جهانیان است» (إنْ هُوَ إلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِینَ).

آرى! مهم آن است كه مردم از غفلت به درآيند و به تفكر و انديشه پردازند.

سورهٔ ص(۳۸): آیهٔ ۸۸ ص: ۲۰۳

(آیه ۸۸)– و در چهارمین و آخرین مرحله مخالفان را با عباراتی کوتاه و پر معنی تهدیـد کرده، می گویـد: «و خبر آن را بعد از مدتی میشنوید»! (وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِینِ).

ممکن است شما این سخنان را جدی نگیرید، اما به زودی صدق گفتار من آشکار خواهد شد، هم در این جهان در میدانهای نبرد اسلام و کفر، در منطقه نفوذ اجتماعی و فکری، در مجازاتهای الهی، و هم در عالم دیگر و مجازاتهای دردناک خدا خواهید دید، خلاصه تازیانه الهی آماده است و به زودی بر گرده مستکبران و ظالمان فرود خواهد آمد.

«پایان سوره ص»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۰۵

سوره زمر [٣٩] ص: ۲۰۵

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۷۵ آیه است

محتواي سوره: ص: 205

این سوره از چند بخش مهم تشکیل یافته است:

۱- چیزی که بیش از همه در سراسر این سوره منعکس است مسأله دعوت به توحید خالص میباشد، توصیه در تمام ابعاد و شاخههایش و تعبیراتش در این زمینه آن چنان مؤثر است که قلب انسان را به سوی اخلاص میکشاند و جذب میکند.

۲- مسأله دیگر مسأله «معاد» و دادگاه بزرگ عدالت خداست، مسأله ثواب و جزا، غرفه های بهشتی، و سایبانهای آتشین دوزخی، مسأله ترس و وحشت روز قیامت، و آشکار شدن نتایج اعمال، و ظاهر شدن خود آنها در آن صحنه بزرگ.

این مسائل که بر محور معاد دور میزند آن چنان با مسائل توحیدی آمیخته است که گوئی تار و پود یک پارچه را تشکیل میدهد.

۳- بخش دیگری از این سوره که تنها قسمت کوتاهی از آن را اشغال می کند اهمیت قرآن مجید است.

۴- بخش دیگری که آن هم نسبتا کوتاه است بیان سرنوشت اقوام پیشین و مجازات دردناک الهی نسبت به تکذیب کنندگان آیات حق می باشد.

۵- بالاخره بخشی از این سوره نیز پیرامون مسأله توبه و باز بودن درهای بازگشت به سوی خداست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۰۶

این سوره به نام سوره «زمر» معروف است که از آیه ۷۱ و ۷۳ این سوره گرفته شده.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۲۰۶

در حدیثی از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله میخوانیم: «کسی که سوره زمر را قرائت کند خداوند امیدش را (از رحمت خود) قطع نخواهد کرد، و پاداش کسانی را که از خدا می ترسند به او عطا می کند».

و در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّ بلام چنین نقل شده: «کسی که سوره زمر را تلاوت کند خداوند شرف دنیا و آخرت به او میدهد، و بدون داشتن مال و قبیله قدرت و عزت به او میبخشد، آن چنان که هر کس او را ببیند از او حساب می برد، و بدن او را بر آتش دوزخ حرام می کند».

مقایسه فضیلت های فوق با محتوای این سوره به خوبی نشان می دهد که این پاداشها از آن کسانی است که «تلاوت» را مقدمهای برای «اندیشه» و «اندیشه» را وسیلهای برای «ایمان و عمل» قرار می دهند.

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الزمر(٣٩): آية ١ ص: ٢٠۶

(آیه ۱)- این سوره با دو آیه در باره نزول قرآن مجید آغاز شده که در یک آیه مبدأ نزول قرآن یعنی ذات پاک خدا مطرح است، و در آیه دیگر محتوا و هدف قرآن.

نخست مي گويد: «اين كتابي است كه از سوى خداوند عزيز و حكيم نازل شده است» (تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ).

سورة الزمر (٣٩): آية ٢ ص: ٢٠۶

(آیه ۲)– سپس به محتوای این کتاب آسمانی و هـدف آن پرداخته، میگویـد: «ما این کتاب را به حق بر تو نازل کردیم» (إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْکُ الْکِتابَ بِالْحَقِّ).

چیزی جز «حق» در آن نیست، و مطلبی جز «حق» در آن مشاهده نمی کنی از همین رو حق طلبان به دنبال آن میروند و تشنه کامان وادی حقیقت در جستجوی محتوای آنند.

و از آنجا که هدف از نزول آن دادن دین خالص به انسانهاست در پایان آیه میافزاید: «پس خدا را پرستش کن و دین خود را برای او خالص گردان» برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۰۷

(فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ).

«دین» مجموعه حیات معنوی و مادی انسان را در بر می گیرد، و بنـدگان خالص خـدا بایـد تمام شؤن زنـدگی خود را برای او خالص گردانند.

سورة الزمر (٣٩): آية ٣ ص: ٢٠٧

(آیه ۳) - در این آیه بار دیگر روی مسأله «اخلاص» تأکید کرده، می گوید:

«آگاه باشيد كه دين خالص از آن خداست»! (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ).

این عبارت تاب دو معنی دارد:

نخست این که: آنچه را خدا می پذیرد تنها دین خالص و تسلیم بی قید و شرط در برابر فرمان اوست.

دیگر این که: دین و آئین خالص را تنها از خدا باید گرفت، چرا که هر چه ساخته و پرداخته افکار انسانهاست نارساست، و آمیخته با خطا و اشتباه است.

این آیه در حقیقت بیان دلیل برای آیه قبل است، در آنجا می گوید: خدا را روی اخلاص عبادت کن، و در اینجا می افزاید: بدانید خدا تنها عمل خالص را می پذیرد.

سپس به ابطال منطق سست و واهی مشرکان که راه اخلاص را رها کرده و در بیراهه شرک سرگردان شدهاند پرداخته، چنین می گوید: «و آنها که غیر خدا را اولیای خود قرار دادند و دلیلشان این بود که: اینها را نمی پرستیم مگر به خاطر این که ما را به خداوند نزدیک کنند، خداوند روز قیامت میان آنان در آنچه اختلاف داشتند داوری می کند» و آنجاست که فساد و تباهی اعمال و افکارشان بر همگان آشکار می شود (وَ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیاءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِیُقرِّبُونا إِلَی اللَّهِ زُلْفی إِنَّ اللَّهَ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ فِی ما هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ).

این آیه در حقیقت تهدیدی است قاطع برای مشرکان که در روز قیامت که روز بر طرف شدن اختلافات و آشکار شدن حقائق است در میان آنها داوری می کند، و آنان را به کیفر اعمالشان میرساند، علاوه بر این که در صحنه محشر در برابر همگان رسوا می شوند.

قرآن مجید مخصوصا روی این نکته تأکید می کند که انسان بدون هیچ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۰۸ واسطه ای می تواند با خدای خود تماس گیرد.

نه او از ما دور است، و نه ما از او دوریم، تا نیازی به واسطه باشد، او از هر کس دیگر به ما نزدیکتر است، در همه جا حضور دارد، و در درون قلب ما جای اوست.

بنابر این پرستش واسطه ها - خواه فرشتگان و جن و مانند آنها باشند، و خواه پرستش بتهای سنگی و چوبی - یک عمل بی اساس و دروغین است، به علاوه کفران نعمتهای پروردگار محسوب می شود، چرا که بخشنده نعمت سزاوار پرستش است نه این موجودات بی جان یا سراپا نیاز.

لذا در پایان آیه می گوید: «خداوند آن کس را که دروغگو و کفران کننده است هرگز هدایت نمی کند» (إِنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی مَنْ هُوَ کاذِبٌ کَفَّارٌ).

چرا که خود مقدمات بسته شدن درهای هدایت را فراهم ساخته است.

سورهٔ الزمر (٣٩): آيهٔ ۴ ص: ۲۰۸

(آیه ۴)- او حاکم بر همه چیز است، چه نیازی به فرزند دارد؟

مشرکان علاوه بر این که بتها را واسطه و شفیعان نزد خدا میدانستند عقیده دیگری در باره بعضی از معبودان خود مانند فرشتگان داشتند که آنها را دختران خدا می پنداشتند.

آیه شریفه به پاسخ این پندار زشت پرداخته، می گوید: «اگر (به فرض محال) خدا میخواست فرزندی انتخاب کند از میان مخلوقاتش آنچه را میخواست بر می گزید» (لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفی مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ).

«منزه است (از این که فرزندی داشته باشد) او خداوند یکتای پیروز است» (سُبْحانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ).

آیه در صدد بیان این مطلب است که فرزند لابد برای «کمک» یا «انس روحی» است، به فرض محال که خداوند نیاز به چنین چیزی داشت فرزند لزومی نداشت، بلکه از میان مخلوقات شریف خود کسانی را بر می گزید که این هدف را تأمین کنند چرا فرزند انتخاب کند؟

ولی از آنجا که او واحد و یگانه و قاهر و غالب بر همه چیز و ازلی و ابدی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۰۹ است نه نیـازی به کمـک کسـی دارد، و نه وحشـتی در او تصور میشود که از طریق انس گرفتن بـا چیزی بر طرف گردد و نه احتیاج به ادامه نسل دارد، بنابر این او منزه و پاک است از داشتن فرزند خواه فرزند حقیقی باشد و یا فرزند انتخابی.

سورهٔ الزمر(٣٩): آيهٔ ۵ ص: ۲۰۹

(آیه ۵)- سپس برای تثبیت این واقعیت که خـدا هیچ نیازی به مخلوقات ندارد، و نیز برای بیان نشانه هائی از توحید و عظمتش می فرماید: «آسمانها و زمین را به حق آفرید» (خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ).

حق بودن آنها دلیل بر این است که هـدفی بزرگ در کار بوده که آن چیزی جز تکامل موجودات، و در پیشاپیش آنها انسان، و سپس منتهی شدن به رستاخیز نیست.

بعـد از بیـان این آفرینش بزرگ به گوشهای از تـدبیر عجیب و تغییرات حسـاب شـده و نظامـات شـگرف حـاکم بر آنها اشاره کرده، می گوید: «شب را بر روز می پیچد و روز را بر شب» (یُکَوِّرُ اللَّیْلَ عَلَی النَّهارِ وَ یُکَوِّرُ النَّهارَ عَلَی اللَّیْلِ).

نکته لطیفی که در این تعبیر قرآنی، نهفته این است که زمین کروی است و به دور خود گردش می کنید و بر اثر این گردش، نوار سیاه شب و نوار سفید روز دائما گرد آن می گردند، گوئی از یکسو نوار سفید بر سیاه و از سوی دیگر نوار سیاه بر سفید پیچیده می شود.

به هر حال قرآن مجید در مورد نظام «نور» و «ظلمت» پیدایش شب و روز تعبیرات گوناگونی دارد که هر کدام به نکتهای اشاره می کند و از زاویه خاصی به آن مینگرد.

سپس به گوشه دیگری از تدبیر و نظم این جهان پرداخته، می گوید:

«و خورشید و ماه را مسخر فرمان خویش قرار داد که هر کدام تا سر آمد معینی به حرکت خود ادامه میدهند» (وَ سَمِخُرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَل مُسَمَّى).

نه خورشید در حرکتی که به گرد خود دارد، یا حرکتی که با مجموع منظومه شمسی به سوی نقطه خاصی از کهکشان پیش میرود کمترین بینظمی از خود نشان میدهد، و نه ماه در حرکت خود به دور زمین و به دور خودش، و در همه حال

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۱۰

سر بر فرمان او دارند، «مسخر قوانین آفرینش» اویند، تا سر آمد عمرشان به وضع خود ادامه میدهند.

در پایان آیه به عنوان تهدید مشرکان در عین گشودن راه بازگشت و لطف و عنایت میفرماید: «آگاه باشید که او قادر و آمرزنده است»! (أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ).

به مقتضای عزت و قدرت بیانتهایش هیچ گنهکار و مشرکی نمیتواند از چنگال عذابش بگریزد، و به مقتضای غفاریتش پرده بر روی عیوب و گناهان توبه کاران میافکند و آنها را در سایه رحمتش قرار میدهد.

سورة الزمر(٣٩): آية 6 ص: ٢١٠

(آیه ۶)– همه شما را از نفس واحمدی آفرید: باز در اینجا سخن از آیات عظمت آفرینش خداونمد و بیان قسمت دیگری از نعمتهای گوناگون او در مورد انسانهاست.

نخست از آفرینش انسان سخن می گوید، می فرماید: «او شما را از یک نفس آفرید، و همسرش را از (باقیمانده گل) او خلق کرد» (خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسِ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها).

آفرینش همه انسانها از «نفس واحد» اشاره به مسأله آفرینش آدم جد نخستین ماست، که این همه افراد بشر با تنوع خلقت، و خلق و خوی متفاوت، و استعدادها و ذوقهای مختلف، همه به یک ریشه باز می گردد که آن «آدم» است.

تعبیر به «ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها» در واقع اشاره به این است که خدا آدم را آفرید سپس همسرش را از باقیمانده گل او خلق کرد. لازم به یادآوری است که آفرینش همسر آدم از اجزای وجود خود آدم نبوده بلکه از باقیمانده گل او صورت گرفته است، چنانکه در روایات اسلامی به آن تصریح شده.

بعد از آن به مسأله آفرینش چهار پایان که از وسائل مهم زندگی انسانهاست- از یک سو برای تغذیه خود از شیر و گوشت آنها استفاده می کنند، و از سوی دیگر از پوست و پشم آنها لباس و انواع وسائل زندگی میسازند، و از سوی سوم به عنوان مرکب و وسیله حمل و نقل از آنها بهره می گیرند- اشاره کرده، می فرماید: «و برای برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۱۱ شما هشت زوج از چهار پایان ایجاد کرد» (و أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعام ثَمانِیَهُ أَزْواج).

منظور از «هشت زوج» گوسفند و بز نر و ماده، شتر و گاو نر و ماده است.

سپس به حلقه دیگری از حلقه های آفرینش پروردگار که تطورات خلقت جنین بوده باشـد پرداخته، میگویـد: «او شـما را در شکـم مادرانتان آفرینشی بعد از آفرینش دیگر در میان تاریکیهای سه گانه میبخشد» (یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقِ فِی ظُلُماتٍ ثَلاثٍ).

ظلمتهای سه گانه اشاره به ظلمت شکم مادر، و ظلمت رحم، و مشیمه (کیسه مخصوصی که جنین در آن قرار گرفته است) میباشد که در حقیقت سه پرده ضخیم است که بر روی جنین کشیده شده.

سید الشهدا، امام حسین علیه السّر لام در دعای معروف «عرفه» به هنگام برشمردن نعمت و قدرت خداوند به پیشگاه او چنین عرض می کند: «آغاز آفرینش مرا از قطرات ناچیز منی قرار دادی، سپس مرا در ظلمتهای سه گانه، در میان گوشت و پوست و خون ساکن نمودی، آفرینش مرا آشکار نساختی، و در آن مخفیگاه به تطورات خلقتم ادامه دادی، و هیچیک از امور حیاتی مرا به من واگذار نکردی، سپس مرا به دنیا کامل و سالم منتقل ساختی».

در پایان آیه و بعد از ذکر حلقه های سه گانه توحیدی پیرامون خلقت انسان، و چهارپایان، و تطورات جنین، می گوید: «این است خداوند، پروردگار شما که حکومت (عالم هستی) از آن اوست، هیچ معبودی جز او نیست پس چگونه از راه حق منحرف می شوید»؟! (ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ).

گوئی انسان را بعـد از مشاهده این آثار بزرگ توحیدی به مقام شـهود ذات پروردگار رسانده، سـپس به ذات مقدسـش اشاره کرده، میگوید: «این است خداوند و معبود و پروردگار شما»

با صد هزار جلوه برون آمدی که من با صد هزار دیده تماشا کنم تو را

سورة الزمر(٣٩): آية ٧ ص: ٢١١

(آیه ۷)– بعد از ذکر این نعمتهای بزرگ پروردگار، در این آیه به مسأله «شکر و کفران» پرداخته و جوانب آن را مورد بررسی قرار میدهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۱۲

نخست می گوید: نتیجه کفران و شکر شما به خودتان باز می گردد «اگر کفران کنید، خداوند از شما بی نیاز است» و همچنین اگر شکر نعمت او را به جا آورید نیازی به آن ندارد (إِنْ تَکْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِیٌّ عَنْکُمْ).

سپس می افزاید: این غنا و بی نیازی پروردگار مانع از آن نیست که شما را مکلف به شکر و ممنوع از کفران سازد، چرا که «تکلیف» خود لطف و نعمت دیگری است، آری «او هر گز کفران را برای بندگانش نمی پسندد، و اگر شکر او را به جا آورید آن را برای شما می پسندد» (وَ لا یَرْضی لِعِبادِهِ الْکُفْرَ وَ إِنْ تَشْکُرُوا یَرْضَهُ لَکُمْ).

بعد از بیان این دو مطلب به مسأله سومی در این رابطه می پردازد، و آن «مسؤولیت هر کس در برابر عمل خویش است» چرا که مسأله «تکلیف» بدون این معنی کامل نمی شود، می فرماید: «و هیچ گنهکاری گناه دیگری را بر دوش نمی کشد»! (وَ لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری).

و از آنجا که تکلیف بدون کیفر و پاداش معنی ندارد، در مرحله چهارم به مسأله معاد اشاره کرده، می گوید: «سپس بازگشت همه شـما به سوی پروردگارتان است، و او شـما را از آنچه انجام میدادیـد آگاه میسازد» (ثُمَّ إِلی رَبِّکُمْ مَرْجِعُکُمْ فَیُتَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

و چون مسأله محاسبه و جزا بدون علم و آگاهی از اسرار نهان امکان پذیر نیست، آیه را با این جمله پایان میدهد: «چرا که او به آنچه در سینههاست آگاه است» (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ).

و به این ترتیب مجموعهای از فلسفه تکلیف و خصوصیات آن، و همچنین مسؤولیت انسانها و مسأله جزا و پاداش و کیفر را در جملههایی کوتاه و منسجم بیان میدارد.

سورهٔ الزمر (٣٩): آيهٔ ٨ ص: ٢١٢

(آیه ۸)- در آیات گذشته سخن از توحید استدلالی و معرفت پروردگار از طریق مطالعه آیات عظمت او در آفاق و انفس بود. در اینجا از توحید فطری سخن به میان میآورد و روشن میسازد آنچه را که انسان از طریق عقل و خرد و مطالعه نظام آفرینش درک می کند به صورت فطری در اعماق جانش وجود دارد که در طوفانهای حوادث، خود را نشان می دهد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۱۳

می فرماید: «و هنگامی که انسان را زیانی رسد (نور توحید در قلبش درخشیدن می گیرد) پروردگار خود را می خواند در حالی که به سوی او باز می گردد» و از گناه و غفلت خود پشیمان است (وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرُّ دَعا رَبَّهُ مُنیباً إِلَیْهِ).

«اما هنگامی که نعمتی از خود به او عطا کنـد، آنچه را به خاطر آن قبلا خـدا را میخوانـد از یاد میبرد» (ثُمَّ إِذا خَوَّلُهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِیَ ما کانَ یَدْعُوا إِلَیْهِ مِنْ قَبْلُ).

«و برای خداونـد همتایانی قرار میدهد تا (علاوه بر گمراهی خویش) مردم را از راه او منحرف سازد» (وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِۃ لَّ عَنْ سَبيلِهِ).

منظور از «انسان» در اینجا انسانهای عادی و تربیت نایافته در پرتو تعلیمات انبیاء است، و گر نه دست پروردگان مردان حق همچون خود آنان در «سرّاء» و «ضرّاء» در ناراحتیها و راحتیها، در ناکامیها و کامیابیها همواره به یاد او هستند، و دست به دامن لطف او دارند.

در پایـان آیه این گونه افراد را بـا تهدیـدی صـریح و قـاطع مخـاطب سـاخته، میگویـد: «به او بگو: از کفرت بهره گیر (و چند روزی را به غفلت و غرور طی کن اما بدان) که از دوزخیانی» (قُلْ تَمَتَّعْ بِکُفْرِکَ قَلِیلًا إِنَّکَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ). مگر چنین انسان کوته فکر گمراه و گمراه کننده سرنوشتی غیر از این میتواند داشته باشد.

سورهٔ الزمر(٣٩): آيهٔ ٩ ص: ٢١٣

(آیه ۹)– آیا عالمان و جاهلان یکسانند؟ در این آیه از روش مقایسه– که روش شناخته شده قرآن برای تفهیم مسائل مختلف است– استفاده کرده، می گوید:

آیا چنین کسی با ارزش است «یا کسی که در ساعات شب به عبادت مشغول است، و در حال سجده و قیام، از عذاب آخرت می ترسد و به رحمت پروردگارش امیدوار است» (أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةً رَبِّهِ). آن انسان مشرک و فراموشکار و متلون و گمراه و گمراه کننده کجا و این انسان بیدار دل و نورانی که با خوف و رجاء خدا را

میخواند، کجا؟! تکیه روی ساعـات شب به خاطر آن است که در آن ساعات حضور قلب بیشتر و آلودگی به ریا از هر زمان کمتر است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۱۴

در دنباله آیه پیامبر را مخاطب ساخته، میفرماید: «بگو: آیا کسانی که میدانند با کسانی که نمیدانند یکسانند»؟! (قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ).

نه، يُكسان نيستند «تنها خردمندان متذكر مي شوند» (إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ).

گر چه سؤال فوق سؤالی است وسیع و گسترده ولی اشارهای است به سؤال قبل یعنی آیا کسانی که میدانند آن مشرکان لجوج و کوردل با این مؤمنان پاک و روشن ضمیر و مخلص نابرابرند با کسانی که از این واقعیت روشن آگاه نیستند مساویند؟ این جمله جزء شعارهای اساسی اسلام است که عظمت مقام علم و عالمان را در برابر جاهلان روشن میسازد، و معلوم میشود این دو گروه نه در پیشگاه خدا یکسانند، و نه در نظر خلق آگاه، نه در دنیا در یک صف قرار دارند، و نه در آخرت، نه در ظاهر یکسانند و نه در باطن.

علم در این آیه و آیات دیگر قرآن به معنی دانستن یک مشت اصطلاحات یا روابط مادی در میان اشیاء، و به اصطلاح «علوم رسمی» نیست، بلکه منظور از آن معرفت و آگاهی خاصی است که انسان را به «قنوت» یعنی اطاعت پروردگار، و ترس از دادگاه او و امید به رحمت خدا دعوت می کند، این است حقیقت علم، و علوم رسمی نیز اگر در خدمت چنین معرفتی باشد علم است، و اگر مایه غرور و غفلت و ظلم و فساد در ارض شود «قیل و قالی» بیش نیست.

سورهٔ الزمر(٣٩): آيهٔ ١٠ ص: ٢١٤

(آیه ۱۰)- خطوط اصلی برنامه بندگان مخلص: در حقیقت آیات گذشته که مقایسهای میان مشرکان مغرور و مؤمنان مطیع فرمان خدا و نیز میان عالمان و جاهلان شده بود، در اینجا خطوط اصلی برنامههای بندگان راستین و مخلص را ضمن «هفت دستور» که در طی چند آیه آمده و هر آیه با خطاب «قل» شروع می شود بیان شده است.

نخست از تقوا شروع می کند و به پیامبر صلّی الله علیه و اله دستور می دهد: «بگو: ای بندگان برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۱۵

من كه ايمان آوردهايد! از (مخالفت پروردگارتان بپرهيزيد» (قُلْ يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ).

آری! تقوا که همان خویشتن داری در برابر گناه، و احساس مسؤولیت و تعهد در پیشگاه حق است نخستین برنامه بندگان مؤمن خدا و معیار شخصیت و کرامت انسان در پیشگاه پروردگار است.

در دومین دستور به مسأله «احسان و نیکوکاری» در این دنیا که دار عمل است پرداخته، و از طریق بیان نتیجه احسان، مردم را به آن تشویق و تحریص میکند، میفرماید: «برای کسانی که در این دنیا نیکی کردهاند پاداش نیکی است» (لِلَّذِینَ أَحْسَمِ نُوا فِی هَذِهِ الدُّنْیا حَسَنَهُ).

آری! نیکو کاری بطور مطلق در این دنیا در گفتار، در عمل، در طرز اندیشه و تفکر نسبت به دوستان، و نسبت به بیگانگان، نتیجهاش برخورداری از پاداش عظیم در هر دو جهان است که نیکی جز نتیجه نیک نخواهد داشت.

در حقیقت تقوا یک عامل بازدارنده است، و احسان یک عامل حرکت آفرین که مجموعا «ترک گناه» و «انجام فرائض و مستحبات» را شامل می شود.

سومین دستور تشویق به «هجرت» از مراکز شرک و کفر و آلوده به گناه است می گوید: «و زمین خداونـد وسیع است» اگر تحت فشار سران کفر بودید مهاجرت کنید (وَ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً).

که در حقیقت پاسخی است به بهانه جویان سست ارادهای که می گفتند: ما در سرزمین مکه به خاطر سیطره حکومت مشرکان قادر به انجام وظایف الهی خود نیستیم، قرآن می گوید: سرزمین خدا محدود به مکه نیست، مکه نشد مدینه، دنیا پهناور است، به جای دیگر نقل مکان کنید.

این به خوبی نشان میدهـد که فشار و خفقان محیط در آنجا که امکان هجرت وجود دارد به هیـچ وجه در پیشـگاه خـدا عـذر نیست.

و از آنجا که هجرت معمولاً همراه با مشکلات فراوانی در جنبههای مختلف زنـدگی است چهارمین دستور را در باره صبر و استقامت به این صورت بیان میکند: برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۱۶

«صابران اجر و پاداش خود را بي حساب دريافت مي دارند» (إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابِ).

تعبیر «بغیر حساب» نشان می دهد که صابران با استقامت برترین اجر و پاداش را در پیشگاه خدا دارند، و اهمیت هیچ عملی به پایه صبر و استقامت نمی رسد.

سورة الزمر (٣٩): آية ١١ ص: ٢١۶

(آیه ۱۱) - در پنجمین دستور سخن از مسأله اخلاص، و توحید خالص از هر گونه شائبه شرک، به میان آمده، اما در اینجا لحن کلام عوض میشود و پیامبر صلّی اللّه علیه و اله از وظائف و مسؤولیتهای خودش سخن می گوید، میفرماید: «بگو: من مأمورم که خدا را پرستش کنم در حالی که دینم را برای او خالص کرده باشم» (قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ).

سورة الزمر (٣٩): آية ١٢ ص: ٢١٦

(آیه ۱۲)- سپس به ششمین دستور اشاره کرده، می افزاید: «و مأمورم که نخستین مسلمان باشم»! (وَ أُمِرْتُ لِـَأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ).

سورهٔ الزمر (٣٩): آيهٔ ١٣ ص: ٢١۶

(آیه ۱۳)- هفتمین و آخرین دستور که مسأله خوف از مجازات پروردگار در روز قیامت است نیز با همین لحن عنوان شده، میفرمایـد: «بگو: من اگر نافرمـانی پروردگـارم کنم از عـذاب روز بزرگ (قیـامت) می ترسم» (قُلْ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَـ بْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْم عَظِیم).

تا این حقیَقت رَوشن شود که پیامبر صلّی اللّه علیه و اله نیز بندهای از بندگان خدا است، او نیز مأمور به پرستش خالصانه است و از کیفر الهی خائف میباشد، و این خود نشانه روشنی بر عظمت و حقانیت اوست.

سورهٔ الزمر (٣٩): آيهٔ ۱۴ ص: ۲۱۶

(آیه ۱۴) – بعد از ذکر برنامه هفت ماده ای آیات فوق (تقوا، احسان، هجرت، صبر، اخلاص، تسلیم، و خوف) از آنجا که مسأله اخلاص مخصوصا در برابر انگیزه های مختلف شرک ویژگی خاصی دارد بار دیگر برای تأکید به سراغ آن رفته، و با همان لحن می فرماید: «بگو: تنها خدا را می پرستم در حالی که دینم را برای او خالص می کنم» (قُلِ اللَّه أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِینِی).

سورة الزمر(٣٩): آية ١٥ ص: ٢١۶

(آیه ۱۵)– «شما هر کس را جز او میخواهید بپرستید» (فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۱۷ مِنْ دُونِهِ)

.سپس میافزاید: «بگو: این راه، راه زیانکاران است چرا که) زیانکاران واقعی آنانند که سرمایه وجود خویش و بستگانشان را در روز قیامت از دست دادهاند»! (قُلْ إِنَّ الْخاسِرِینَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِیهِمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ).

نه از وجود خویش بهرهای گرفتند، و نه از سرمایه عمر نتیجهای، نه خانواده و فرزندانشان وسیله نجات آنها هستند و نه مایه آبرو و شفاعت در پیشگاه حق، تازه در برابر از دست دادن این سرمایههای عظیم، سخت ترین و دردناکترین عذاب را برای خود فراهم ساختهاند.

«آگاه باشيد زيان آشكار همين است»! (ألا ذلكك هُوَ الْخُشرانُ الْمُبِينُ).

سورة الزمر (٣٩): آية ١٦ ص: ٢١٧

(آیه ۱۶) - در این آیه یکی از چهره های زیان آشکار آنها را این گونه توصیف می کند: «برای آنها از بالای سرشان سایبانهائی از آتش، و در زیر پایشان نیز سایبانهائی» از آتش است! (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ).

و به این ترتیب آنها از هر طرف با شعلههای آتش محاصره شدهاند، چه خسرانی از این بالاتر؟ و چه عذابی از این دردناکتر؟! این در حقیقت تجسمی از حالات دنیای آنهاست که جهل و کفر و ظلم به تمام وجودشان احاطه کرده بود، و از هر سو آنها را می یوشاند.

سپس برای تأکید و عبرت میافزاید: «این چیزی است که خداوند با آن بندگانش را می ترساند، ای بندگان من! از نافرمانی من بپرهیزید»! (ذلِکَ یُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ یا عِبادِ فَاتَّقُونِ).

تعبیر به «عباد» (بنـدگان) اشاره به این است که اگر خداونـد تهدیدی به عذاب میکند آن هم به خاطر لطف و رحمت اوست، تا بندگان حق گرفتار چنین سرنوشت شومی نشوند.

سورهٔ الزمر(٣٩): آيهٔ ١٧ ص: ٢١٧

(آیه ۱۷) – بنـدگان حقیقی خـدا: باز در اینجا، قرآن از روش مقایسه بهره گیری کرده، و در مقابل مشرکان متعصب و لجوجی که سـرنوشتی جز آتش دوزخ ندارنـد سـخن از بنـدگان خـاص و حقیقت جوی پروردگار به میان آورده، میگویـد: و کسانی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۱۸

كه از عبادت طاغوت پرهيز كردنـد و به سوى خـدا بازگشـتند بشارت از آن آنهاست» (وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها وَ أَنابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرى).

«اجتنـاب از طـاغوت» دوری از هر گونه شـرک و بت پرستی و هوی پرستی و شـیطان پرستی و تسـلیم در برابر حاکمان جبّار و سلطه گران سـتمکار را فرا می گیرد و «أَنـابُوا إِلَی اللَّهِ» جامع روح تقوا و پرهیزکاری و ایمان است، و البته چنین کسانی در خور بشار تند.

سپس برای معرفی این بندگان ویژه می گوید: «پس بندگان مرا بشارت ده» (فَبَشِّرْ عِبادِ).

سورهٔ الزمر(٣٩): آيهٔ ١٨ ص: ٢١٨

(آیه ۱۸)- «همان کسانی که سخنان را می شنوند، و از نیکوترین آنها پیروی می کنند» (الَّذِینَ یَشْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ). «آنها کسانی هستند که خدا هدایتشان کرده و آنها خردمندانند» (أُولِئِکَ الَّذِینَ هَداهُمُ اللَّهُ وَ أُولِئِکَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ). این دو آیه که به صورت یک شعار اسلامی درآمده، آزاد اندیشی مسلمانان، و انتخابگری آنها را در مسائل مختلف به خوبی نشان می دهد.

سورهٔ الزمر (۳۹): آیهٔ ۱۹ ص: ۲۱۸

(آیه ۱۹)- و از آنجا که پیامبر صلّی الله علیه و اله به هـدایت گمراهان و مشرکان سـخت علاقه داشت، و از انحراف آنها که

گوش شنوا در برابر حقایق نداشتند رنج میبرد این آیه به او از طریق بیان این حقیقت که این عالم، عالم آزادی و امتحان است، و گروهی سر انجام مستوجب آتشند دلداری داده، می گوید: «آیا تو می توانی کسی را که فرمان عذاب الهی در باره او قطعی شده رهایی بخشی، آیا تو می توانی کسی را که در درون آتش است برگیری و نجات دهی؟ (أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَهُ الْعَذَابِ أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِی النَّارِ).

بدیهی است قطعی شدن فرمان عذاب در باره این گروه جنبه اجباری نداشته، بلکه به خاطر اعمالی است که مرتکب شدهاند.

سورة الزمر (٣٩): آية ٢٠ ص: ٢١٨

(آیه ۲۰)- اما برای شادی قلب پیامبر صلّی الله علیه و اله و امیدواری مؤمنان، در این آیه چنین می گوید: «ولی آنها که تقوای الهی پیشه کردند غرفههایی در بهشت دارند که برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۱۹

بر فراز آنها غرفه هاى ديگرى بنا شده» (لكن الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْتِيَّةٌ).

اگر دوزخیان در میان پردههای آتش قرار دارنـد، بهشتیان غرفههایی دارند بر فراز غرفهها، و قصـرهایی بر فراز قصـرها، چرا که دیدن منظره گلها و آبها و نهرها و باغها از فراز غرفهها لذت بخش و دلپذیرتر است.

این غرفه های زیبای بهشتی با نهرهائی که از زیر آن جاری می شود تزیین شده لذا در دنباله آیه می فرماید: «و از زیر آنها نهرها جاری است» (تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

آرى «اين وعده الهي است، و خداوند در وعده خود تخلّف نمي كند» (وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعادَ).

سورة الزمر(39): آية 21 ص: 219

(آیه ۲۱)- در این آیه بـار دیگر قرآن به دلائـل توحیـد و معاد باز میگردد، و بحثهایی را که در آیات گذشـته پیرامون کفر و ایمان بود تکمیل میکند.

روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و اله کرده، به عنوان سرمشقی برای همه مؤمنان، میفرماید: «آیا ندیدی که خداوند از آسمان آبی فرستاد و آن را بصورت چشمه هائی در زمین وارد نمود»؟! (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزُلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكُهُ يَنابِيعَ فِی الْأَرْض).

قطرههای حیاتبخش باران از آسمان نازل میشود، قشر «نفوذ پـذیر» زمین آنها را به درون میپـذیرد و تا به قشـر «نفوذ ناپذیر» میرسد آنها را متوقف میسازد و ذخیره میکند، سپس بصورت چشمهها و قناتها و چاهها بیرون میفرستد.

بعد میافزاید: «سپس با آن زراعتی را خارج میسازد که رنگهای مختلف دارد» (ثُمَّ یُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أُلْوانُهُ).

هم انواع آن مختلف است، همچون گندم و جو و برنج و ذرت، و هم کیفیتهای آن متفاوت است، و هم رنگ ظاهری آن، بعضی سبز تیره، بعضی سبز کمرنگ، بعضی دارای برگهای پهن و گسترده، و بعضی برگهای باریک و لطیف و همچنین ...! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۲۰

بعد به مراحل دیگر حیات این گیاه پرداخته، می گوید: «بعد آن گیاه خشک میشود به گونهای که آن را زرد و بیروح می بینی»! (ثُمَّ یَهِیجُ فَتَراهُ مُصْفَرًا).

تنـد باد از هر سو میوزد، و آن را که سـست شـده است از جا میکنـد «سـپس آن را درهم شکسـته و خرد میکند» (ثُمَّ يَجْعَلُهُ

حُطاماً).

«در این مثال تذکری است برای خردمندان» از ناپایداری دنیا (إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِكْری لِأُولِی الْأَلْباب).

تـذكرى است از نظام حسابشـده و با عظمت عالم هستى و ربوبيت پروردگار در اين صـحنه عظيم، و نيز تـذكرى است از پايان زندگى و خاموش شدن شعلههاى حيات، و سپس مسأله رستاخيز، و تجديد حيات مردگان.

سورة الزمر (٣٩): آية ٢٢ ص: ٢٢٠

(آیه ۲۲) - به دنبال این درس بزرگ توحید و معاد به مقایسهای در میان مؤمن و کافر پرداخته تا این حقیقت را روشن سازد که قرآن و وحی آسمانی نیز همچون دانه های باران است که بر سرزمین دلها نازل می شود، همان گونه که تنها زمینهای آماده از قطرات حیاتبخش باران منتفع می شود تنها دلهائی از آیات الهی بهره می گیرد که در سایه لطف او و خودسازی آمادگی و گسترش پیدا کرده است.

مىفرمايىد: «آيا كسى كه خدا سينهاش را براى اسلام گشاده است و بر فراز مركبى از نور الهى قرار گرفته» همچون كوردلان گمراه است؟! (أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلام فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ).

سپس میافزاید: «وای بر آنها که قلبهائی سخت در برابر ذکر خدا دارند» (فَوَیْلُ لِلْقاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِکْرِ اللَّهِ).

نه مواعظ سودمند در آن مؤثر است، نه انذار و بشارت، نه آیات تکاندهنده قرآن آن را به حرکت در می آورد.

آرى «آنها در گمراهي آشكاري هستند» (أُولئِكُ فِي ضَلالٍ مُبِين).

به دلهائی که در برابر نور حق و هدایت انعطافی از خود نشان نمی دهد، و نرم و تسلیم نمی گردد، و نور هدایت در آن نفوذ نمی کند «قلبهای قاسیه» یا قساو تمند گفته می شود، و در فارسی از قساوت به سنگدلی تعبیر می کنیم. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۲۱

در روایتی میخوانیم که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله فرمود: «نشانه شرح صدر توجه به سرای جاوید، و جدا شدن از سرای غرور، و آماده گشتن برای استقبال از مرگ پیش از نزول آن است».

سورة الزمر(٣٩): آية ٢٣ ص: ٢٢١

اشاره

(آیه ۲۳)

شأن نزول: ص: 221

نقل کردهاند که: روزی جمعی از صحابه پیامبر صلّی الله علیه و اله که ملالت خاطری پیدا کرده بودند عرض کردند: ای رسول خدا! چه می شد حدیثی برای ما بیان می کردی تا زنگار ملالت از دلهای ما بزداید؟ در اینجا آیه نازل شد و قرآن را به عنوان «أَحْسَنَ الْحَدِیثِ» معرفی کرد.

در آیات گذشته سخن از بندگانی در میان بود که مطالب را می شنوند و بهترین آنها را برمی گزینند، در اینجا به همین مناسبت سخن از قرآن به میان می آید تا ضمن تکمیل بحثهای گذشته حلقه های توحید و معاد را با ذکر دلائل «نبوت» تکامل بخشد. نخست می گوید: «خداوند بهترین سخن را نازل کرده است» (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِیثِ).

سپس به شرح مزایای قرآن پرداخته و ضمن بیان سه توصیف امتیازات بزرگ این کتاب آسمانی را شرح داده، میفرماید: «کتابی است که آیاتش (در لطف و زیبائی و عمق و محتوا) همانند یکدیگر است» (کِتاباً مُتشابِهاً).

منظور از «متشابه» در اینجا کلامی است که قسمتهای مختلف آن با یکـدیگر همرنگ و هماهنگ میباشـد، هیچ گونه تضاد و اختلافی در میان آن نیست، خوب و بد ندارد.

این درست بر خلاف کلمات انسانهاست که هر قدر در آن دقت شود هنگامی که گسترده و وسیع گردد خواه ناخواه اختلافات و تناقضها و تضادهائی در آن پیدا می شود، بررسی آثار نویسندگان معروف و بزرگ اعم از نثر و نظم نیز گواه زنده این مطلب است.

سپس می افزاید: ویژگی دیگر این کتاب این است که: «آیاتی مکرر دارد» با تکراری شوق انگیز (مَثانِیَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۲۲

این تعبیر ممکن است اشاره به تکرار مباحث مختلف داستانها، سرگذشتها، مواعظ و اندرزها بوده باشد، اما تکراری که هرگز ملالت آور نیست، بلکه شوق انگیز است و نشاط آفرین، و این یکی از اصول مهم فصاحت است.

بعد از این توصیف به آخرین ویژگی قرآن در این بحث یعنی مسأله نفوذ عمیق و فوق العاده آن پرداخته، میگوید: «از شنیدن آیاتش لرزه بر اندام کسانی که از پروردگارشان می ترسند میافتد برون و درونشان نرم و متوجه ذکر خدا می شود» (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِینَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِینُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلی ذِکْرِ اللَّهِ).

چه ترسیم جالب و زیبائی از نفوذ عجیب آیات قرآن در دلهای آماده، نخست در آن خوف و ترسی ایجاد می کند، خوفی که مایه بیداری و آغاز حرکت است، و ترسی که انسان را متوجه مسؤولیتهای مختلفش میسازد.

در مرحله بعد حالت نرمش و پذیرش سخن حق به او میبخشد و به دنبال آن آرامش مییابد.

در حدیثی از پیامبر صلّی اللّه علیه و اله نقل شده که فرمود: «هنگامی که بـدن بنـدهای از خوف خـدا لرزان شود گناهش فرو میریزد همان گونه که برگ خشک از درختان».

در پایان آیه، بعد از بیان این اوصاف می گوید: «این هدایت الهی است که هر کس را بخواهد با آن راهنمایی می کند» (ذلِکَ هُدَی اللَّهِ یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءً).

درست است که قرآن برای هـدایت همگـان نازل شـده اما تنها حق طلبان و حقیقت جویان و پرهیزگاران از نور هـدایتش بهره میگیرنـد، و آنها که تاریکی تعصب و لجاجت بر روح آنها حکم فرماست نه تنها بهرهای از آن نمیگیرنـد، بلکه بر اثر عناد و دشمنی بر ضلالتشان افزوده میشود.

لذا در دنبال این سخن میفرماید: «و هر کس را خداوند گمراه سازد راهنمائی برای او نخواهد بود» (وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هاد).

ضلالتي كه پايههاي آن به دست خود او گذارده شده، و زير بنايش بوسيله اعمال نادرستشان استحكام يافته، و به همين دليل

كمترين منافاتي با اصل اختيار و آزادي اراده انسانها ندارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۲۳

سورة الزمر (٣٩): آية ٢٤ ص: ٢٢٣

(آیه ۲۴) - در این آیه گروه ظالمان و مجرمان را با گروه مؤمنانی که وضع حالشان قبلا بیان شد مقایسه می کند، تا در این مقایسه و قعیتها بهتر روشن گردد، می فرماید: «آیا کسی که با صورت خود عذاب دردناک (الهی) را در روز قیامت دور می سازد» همانند کسی است که هر گز آتش دوزخ به او نمی رسد (أَ فَمَنْ یَتَّقِی بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ یَوْمَ الْقِیامَةِ).

حال ظالمان دوزخی در آن روز به گونهای است که بایـد بـا صورت از خود دفـاع کننـد، چرا که دست و پـای آنها در غل و زنجیر است.

سپس در پایان آیه میافزایـد: در آن روز «به ظالمان گفته میشود: بچشـید آنچه را به دست میآوردیـد» و انجام میدادید! (وَ قِیلَ لِلظَّالِمِینَ ذُوقُوا ما کُنْتُمْ تَکْسِبُونَ).

آری! فرشتگان عـذاب این واقعیت دردنـاک را برای آنهـا بیـان میکننـد که اینها همان اعمال شـماست که در کنار شـما قرار گرفته، و آزارتان میدهد.

سورة الزمر(٣٩): آية ٢٥ ص: ٢٢٣

(آیه ۲۵)- آنچه تاکنون گفته شد اشاره کوتاهی بود به عذابهای دردناک آنان در قیامت و در این آیه سخن از عذاب دنیای آنها می گوید، مبادا تصور کنند که در این زندگی دنیا در امان خواهند بود، میفرماید: «کسانی که قبل از آنها بودند نیز. (آیات ما را) تکذیب نمودند، و عذاب (الهی) از جائی که فکر نمی کردند به سراغشان آمد» (کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَیْثُ لا یَشْعُرُونَ).

سورة الزمر(٣٩): آية ٢٤ ص: ٢٢٣

(آیه ۲۶)- در این آیه نشان میدهد که عذاب دنیوی آنها تنها جنبه جسمانی نداشته، بلکه کیفر روانی نیز بوده است، میفرماید: «خداوند خواری را در زندگی این دنیا به آنها چشانید» (فَأَذاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْیَ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا).

آری! اگر انسان گرفتار مصیبتی شود اما آبرومنـد و سر بلنـد جان بسـپارد مهم نیست، مهم آن است که با خواری و ذلت جان دهد، و با بی آبروئی و رسوائی گرفتار چنگال عذاب شود.

ولى با اين همه «عـذاب آخرت شديدتر است اگر مىدانسـتند» (وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). برگزيده تفسير نمونه، ج٠، ص: ٢٢٢

تعبیر به «اکبر» (بزرگتر) کنایه از شدت و سختی عذاب است.

سورة الزمر (٣٩): آية ٢٧ ص: ٢٢٤

(آیه ۲۷)– قرآنی که هیچ کژی در آن نیست: در اینجا همچنان بحث از قرآن مجید و ویژگیهای آن است و بحثهای گذشته را در این زمینه تکمیل میکند.

نخست از مسأله جامعیت قرآن چنین سخن می گوید: «ما برای مردم در این قرآن از هر نوع مثلی زدیم» (وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِی هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَل).

از سرگذشت دردناک ستمگران و سرکشان پیشین، از عواقب هولناک گناه، از انواع پندها و اندرزها، از اسرار خلقت و نظام آفرینش، از احکام و قوانین متقن، خلاصه هر چه برای هدایت انسانها لازم بود در لباس امثال برای آنها شرح دادیم. «شاید متذکر شوند» و از راه خطا به راه راست بازگردند (لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ).

سورهٔ الزمر(٣٩): آيهٔ ٢٨ ص: ٢٢٤

(آیه ۲۸)- سپس به توصیف دیگری از قرآن پرداخته، می گوید: «قرآنی است فصیح و خالی از هر گونه کجی و نادرستی» (قُوْآناً عَرَبِيًّا غَیْرَ ذِی عِوَج).

در پایان آیه می گوید: هدف از نزول قرآن با این همه اوصاف این بوده است که «شاید آنها (مردم) پرهیزکاری پیشه کنند» (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

سورة الزمر (٣٩): آية ٢٩ ص: ٢٢٤

(آیه ۲۹)– سپس قرآن به ذکر مثالی از این امثال پرداخته و سرنوشت موحد و مشرک را در قالب مثلی گویا و زیبا چنین ترسیم میکند: «خداوند مثالی زده است:

مردی را که مملوک شریکانی است که در باره او پیوسته با هم به مشاجره مشغولند» (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِیهِ شُرَکاءُ مُتَشاکِسُونَ). و هر کدام او را به کاری دستور میدهد.

و از آن بدتر این که برای تأمین نیازهای زندگی این یکی او را به دیگری حواله می دهد، و آن دیگر به این، و از این نظر نیز محروم و بیچاره و بینوا و سرگردان است «و مردی که تنها تسلیم یک نفر است» (وَ رَجُلًا سَلَماً لِرَجُلِ).

خط و برنامه او مشخص، صاحب اختیار او معلوم است، نه گرفتار تردیـد است و نه سـرگردانی، نه تضاد و نه تناقض، با روحی آرام گام برمیدارد.

«آيا اين دو يكسانند»؟! (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا).

و این گونه است حال «مشرک» و «موحد»: مشرکان در میان انواع تضادها برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۲۵

و تناقضها غوطهورند، هر روز دل به معبودی میبندند، اما موحدان دل در گرو عشق خدا دارند، از تمام عالم او را برگزیدهاند. و در پایان آیه میافزاید: «حمد مخصوص خداست» (الْحَمْدُ لِلَّهِ).

«ولى بیشتر آنان نمى دانند» (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ). و با وجود اين دلائل روشن به خاطر حبّ دنيا و شهوات سركش به حقيقت راه نمى برند.

سورة الزمر (٣٩): آية ٣٠ ص: ٢٢٥

(آیه ۳۰)– به دنبال بحثی که در آیات گذشته پیرامون توحید و شرک بود در این آیه سخن از نتایج توحید و شرک در صحنه قیامت می گوید.

نخست از مسأله «مرگ» که دروازه قیامت است شروع می کند، و عمومیت قانون مرگ را نسبت به همه انسانها روشن ساخته، می گوید: «تو می میری، و آنها نیز خواهند مرد»! (إِنَّکَ مَیِّتُ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ).

آری «مرگ » از مسائلی است که همه انسانها در آن یکسانند.

بعضی از مفسران گفتهاند: دشمنان پیامبر صلّی اللّه علیه و اله انتظار مرگ او را می کشیدند و خوشحال بودند که سر انجام او خواهد مرد! قرآن در این آیه به آنها پاسخ می گوید که اگر پیامبر بمیرد آیا شما زنده میمانید؟

سورة الزمر (٣٩): آية ٣١ ص: ٢٢٥

(آیه ۳۱)– سپس بحث را به دادگاه قیامت برده، مخاصمه بندگان را در صحنه محشر مجسّم می کند، و میفرماید: «سپس شما روز قیامت نزد پروردگارتان مخاصمه می کنید» (ثُمَّ إِنَّكُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ).

آیات بعد نشان میدهد که این مخاصمه در میان پیامبران و مؤمنان از یک سو، و مشرکان و مکذبان از سوی دیگر خواهد بود.

آغاز جزء ۲۴ قرآن مجید ص: ۲۲۵

ادامه سوره زمر ص: ۲۲۵

سورهٔ الزمر (٣٩): آيهٔ ٣٢ ص: ٢٢٥

(آیه ۳۲) – سخن از حضور مردم در صحنه قیامت و مخاصمه در آن دادگاه بزرگ بود، در اینجا نیز همان بحث را ادامه می دهد، و مردم را به دو گروه «مکذبان» و «مصدّقان» تقسیم می کند.

گروه اول دارای دو وصفند، چنانکه میفرماید: «پس چه کسی ستمکارتر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۲۶

است از آن کسی که بر خدا دروغ ببندد و سخن راست را هنگامی که به سراغ او آمده تکذیب کند» (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ کَذَبَ عَلَی اللَّهِ وَ کَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ).

افراد بی ایمان و مشرک بسیار دروغ بر خدا می بستند، گاه فرشتگان را دختران او میخواندند، گاه عیسی را پسر او می گفتند، گاه بتها را شفیعان در گاه او می دانستند، و گاه احکام دروغینی در زمینه حلال و حرام جعل می کردند و به او نسبت می دادند، و مانند اینها.

و اما سخن صدقی که به سراغ آنها آمد و تکذیب کردند همان وحی آسمانی قرآن مجید بود.

و در پایان آیه در یک جمله کوتاه کیفر این گونه افراد را چنین بیان می کند: «آیا در جهنم جایگاهی برای کافران نیست»؟! (أُ لَیْسَ فِی جَهَنَّمَ مَثْویً لِلْکافِرینَ).

هنگامی که نام «جهنم» برده می شود بقیه عذابهای دردناک نیز در آن خلاصه شده است.

سورة الزمر (٣٩): آية ٣٣ ص: ٢٢۶

(آیه ۳۳) - در باره گروه دوم نیز دو توصیف ذکر کرده، می فرماید: «اما کسی که سخن راست بیاورد، و کسی که آن را تصدیق کند آنان پرهیزکارانند» (وَ الَّذِی جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).

به این ترتیب سخن از کسانی است که هم آورنده صدقند و هم عمل کننده به آن، سخن از آنهاست که مکتب وحی و سخن حق پروردگار را در عالم نشر داده، و خود به آن مؤمن هستند و عمل می کنند، اعم از پیامبران و امامان معصوم و تبیین کنندگان مکتب آنها.

سورة الزمر (٣٩): آية ٣٤ ص: ٢٢۶

(آیه ۳۴) - در این آیه سه پاداش بزرگ برای این گروه بیان میدارد: نخست میفرماید: «آنچه بخواهند نزد پروردگارشان برای آنان موجود است و این است جزای نیکوکاران» (لَهُمْ ما یَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِکَ جَزاءُ الْمُحْسِنِینَ).

گستردگی مفهوم این آیه به قـدری است که تمـام مواهب معنوی و نعمتهـای مادی را شامل می شود، آنچه در تصور و وهم ما بگنجد یا نگنجد؟

سورة الزمر (٣٩): آية ٣٥ ص: ٢٢۶

(آیه ۳۵)- دومین و سومین پاداش آنان را به این صورت بیان می کند: «تا بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۲۷ خداوند بدترین اعمالی را که انجام داده اند (در سایه ایمان و صداقت آنها) بیامرزد و آنها را به بهترین اعمال که انجام می دادند پاداش دهد» (لِیُکَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِی عَمِلُوا وَ یَجْزِیَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِی کانُوا یَعْمَلُونَ).

چه تعبیر جالبی! از یکسو این تقاضا را دارند که بدترین اعمالشان در سایه لطف الهی پوشانده شود، و با آب توبه این لکهها از دامانشان پاک گردد، و از سوی دیگر تقاضایشان این است که خداوند بهترین اعمالشان را معیار پاداش قرار دهد و همه اعمال آنها را به حساب آن بپذیرد! و خداوند نیز با تعبیری که در این آیات بیان فرموده درخواست آنان را پذیرفته است، بدترین را می بخشد، و بهترین را معیار پاداش قرار می دهد.

سورة الزمر (39): آية 36 ص: 227

اشاره

(آیه ۳۶_

شأن نزول: ص: 227

نقل کردهانـد که: بت پرسـتان مکه پیامبر صـلّی اللّه علیه و اله را از خشم و غضب بتها بر حـذر میداشـتند، و میگفتند: از آنها

بدگوئی مکن، و بر خلاف آنها اقدام منما که تو را دیوانه میکنند و آزار میرسانند! (آیه نازل شد و به آنها پاسخ گفت).

تفسير: ص: ۲۲۷

«خدا» کافی است! به دنبال تهدیدهائی که خداوند در آیات گذشته نسبت به مشرکان بیان فرمود، و وعدههائی که به پیامبرش داده است در این آیه سخن از تهدیدهای کفار به میان می آورد و می گوید: «آیا خداوند برای (نجات و دفاع از) بندهاش (در برابر دشمنان) کافی نیست؟ اما آنها تو را از غیر او می ترسانند» (أَ لَيْسَ اللَّهُ بِکافٍ عَبْدَهُ وَ یُخَوِّفُونَکَ بِالَّذِینَ مِنْ دُونِهِ).

خداوندی که قدرتش برتر از همه قدرتهاست و از نیازها و مشکلات بندگانش به خوبی آگاه است و نسبت به آنها نهایت لطف و مرحمت را دارد چگونه ممکن است بندگان با ایمانش را در برابر طوفان حوادث و موج عداوت دشمنان تنها بگذارد؟ هنگامی که او پشتیبان بندهاش باشد،

اگر تیغ عالم بجنبد ز جای نبرد رگی چون نخواهد خدای!

و هنگامی که بخواهد کسی را یاری کند،

هزار دشمنم ار می کنند قصد هلاک گرم تو دوستی از دشمنان ندارم باک

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۲۸

چه رسد به بتها که موجوداتی بیارزش و بیخاصیتند.

این آیه نویدی است برای همه پویندگان راه حق و مؤمنان راستین مخصوصا در محیطهائی که در اقلیت قرار دارند و از هر سو مورد تهدیدند.

در دنباله این آیه و آیه بعد اشاره به مسأله «هدایت» و «ضلالت» و تقسیم مردم به دو گروه «گمراه» و «هدایت یافته» و این که همه اینها از ناحیه خدا است می کند، تا روشن شود تمامی بندگان نیازمند در گاه اویند، و بی خواست او چیزی در عالم رخ نمی دهد، می فرماید: «و هر کس را خداوند گمراه کند هیچ هدایت کنندهای ندارد» (وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ).

سورهٔ الزمر(٣٩): آيهٔ ٣٧ ص: ٢٢٨

اشاره

(آیه ۳۷)- «و هر کس را خدا هدایت کند هیچ گمراه کنندهای نخواهد داشت» (وَ مَنْ یَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ).

بدیهی است نه آن ضلالت بیدلیل است، و نه این هدایت بیحساب، بلکه هر یک تداومی است بر خواست خود انسان و تلاش او.

و چه بیخبرند کسانی که رابطه این گونه آیات را از آیات دیگر قرآن بریده و آن را گواه بر مکتب جبر گرفتهاند، گوئی نمیدانند که آیات قرآن یکدیگر را تفسیر میکنند.

بلکه در ذیل همین آیه شاهد گویائی بر این معنی است، چرا که میفرماید:

«آیا خداوند توانا و دارای مجازات نیست»؟ (أَ لَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقام).

مى دانيم انتقام از ناحيه خداوند به معنى مجازات در برابر اعمال خلافى است كه انجام شده، اين نشان مى دهد كه اضلال او جنبه مجازات دارد، و عكس العمل اعمال خود انسانهاست، و طبعا هدايت او نيز جنبه پاداش و عكس العمل اعمال خالص و پاك و مجاهده در طريق «الله» دارد.

هدایت و ضلالت از سوی خداست! ص: ۲۲۸

هدایت در لغت به معنی دلالت و راهنمائی تو أم با لطف و دقت است و آن را به دو شعبه تقسیم کردهاند: «ارائه طریق» و «ایصال به مطلوب» و به تعبیر دیگر «هدایت تشریعی» و «هدایت تکوینی». برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۲۹

توضیح این که: گاه انسان راه را به کسی که طالب آن است با دقت تمام و لطف و عنایت نشان میدهد، اما پیمودن راه و رسیدن به مقصود بر عهده خود اوست.

ولی گاه دست طالب راه را می گیرد و علاوه بر ارائه طریق او را به مقصد میرساند.

البته نقطه مقابل آن «اضلال» است.

یک نگاه اجمالی به آیات قرآن به خوبی روشن میسازد که قرآن هدایت و ضلالت را فعل خدا میشمرد، و هر دو را به او نسبت میدهد.

مطالعه سطحی این آیات و عـدم درک معنی عمیق آنها سـبب شده است که گروهی در تفسـیر آنها به «ضـلالت» بیفتند و زیر آوارهای مکتب «جبر» مدفون گردند.

اما دقیقترین تفسیری که با همه آیات همدایت و ضلالت سازگار است و همه آنها را به خوبی تفسیر می کند این است که بگوئیم:

هدایت تشریعی به معنی ارائه طریق، جنبه عمومی و همگانی دارد و هیچ قید و شرطی در آن نیست، چنانکه در آیه ۳ سوره دهر آمده: «ما راه را به انسان نشان دادیم خواه شکر گزاری کند یا کفران» و در آیه ۵۱ سوره آل عمران میخوانیم: «تو همه انسانها را به صراط مستقیم دعوت میکنی» بدیهی است دعوت پیامبر مظهر دعوت خداست چرا که هر چه او دارد از خدا دارد.

و در باره جمعی از منحرفان و مشرکان در آیه ۲۳ سوره نجم آمده است:

«هدایت الهی از سوی پروردگار به سراغ آنها آمد».

اما هدایت تکوینی به معنی ایصال به مطلوب و گرفتن دست بندگان و گذراندن آنها از تمام پیچ و خمهای راه، و حفظ و حمایت از آنها تا رساندن به ساحل نجات که موضوع بحث بسیاری دیگر از آیات قرآن است هر گز بی قید و شرط نمی باشد، این هدایت مخصوص گروهی است که اوصاف آنها در قرآن بیان شده و اضلال که نقطه مقابل آن است نیز مخصوص گروهی است که اوصاف آنان نیز بیان گشته. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۳۰

قرآن مجید در یک جا سر چشمه ضلالت را فسق و خروج از اطاعت و فرمان الهی شمرده شده. (بقره/ ۲۶) در جای دیگر تکیه روی مسأله ظلم شده و آن را زمینه ساز ضلالت معرفی کرده. (بقره/ ۲۵۸) و در جای دیگر کفر به عنوان زمینه ساز گمراهی ذکر شده. (بقره/ ۲۶۴) باز در آیه دیگر اسراف و دروغگوئی را عامل گمراهی شمرده است. (غافر/ ۲۸) نتیجه این که قرآن ضلالت الهی را مخصوص کسانی می شمرد که دارای این اوصافند: «کفر»، «ظلم»، «فسق»، «دروغ»، «اسراف» و «کفران».

آیا کسانی که دارای این اوصافند شایسته ضلالت و گمراهی نیستند؟! این در زمینه مسأله ضلالت، و اما در مورد «هدایت» نیز شرائط و اوصافی در قرآن بیان شده که نشان میدهد آن هم بدون علت، و بر خلاف حکمت الهی نیست.

در یک جا پیروی فرمان خدا، و جلب خشنودی او، زمینه ساز هدایت الهی شمرده شده است. (مائده/ ۱۶) در جای دیگر توبه و انابه عامل استحقاق هدایت شمرده شده است. (رعد/ ۲۷) و در آیه دیگر جهاد آن هم جهاد مخلصانه و در راه خدا به عنوان شرطی شرط اصلی هدایت ذکر شده است. (عنکبوت/ ۶۹) و بالاخره در آیه دیگر پیمودن مقداری از راه هدایت به عنوان شرطی برای ادامه این راه به لطف خداوند ذکر شده است. (محمد/ ۱۷) نتیجه این که تا از سوی بندگان توبه و انابهای نباشد، تا پیرو فرمان او نباشند تا جهاد و تلاش و کوششی صورت نگیرد، و تا گامهای نخستین را در مسیر حق برندارند، لطف الهی شامل حال آنان نمی شود، دست آنان را نمی گیرد و ایصال به مطلوب نمی کند.

آیا شمول هدایت نسبت به کسانی که دارای این اوصافند بیحساب است و یا دلیل بر جبری بودن هدایت محسوب می شود! ملاحظه می کنید آیات قرآن در این زمینه بسیار روشن و گویاست، منتهی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۳۱

کسانی که نتوانسته یا نخواستهاند جمع بندی صحیحی از آیات هدایت و ضلالت کنند گرفتار چنان اشتباه خطرناکی شدهاند، و «چون ندیدند حقیقت، ره افسانه زدند» باید گفت زمینه این «ضلالت» را نیز خودشان فراهم ساختهاند! به هر حال مشیت الهی که در آیات هدایت و ضلالت روی آن تکیه شده، هر گز به معنی مشیت بی دلیل و خالی از حکمت نیست، بلکه در هر مورد شرائط خاصی دارد که آن را هماهنگ با حکیم بودن او می کند.

سورة الزمر (٣٩): آية ٣٨ ص: ٢٣١

(آیه ۳۸)- آیا معبودان شما توانائی بر حل مشکلی دارند؟ از آنجا که در آیات پیشین سخن از عقیده انحرافی مشرکان و عواقب شوم آن بود، در اینجا از دلائل توحید سخن می گوید تا بحث گذشته را با ذکر دلیل تکمیل کند.

نخست می فرماید: «و اگر از آنها بپرسی چه کسی آسمانها و زمین را آفریده؟

حتما مي گويند: خدا!» (وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ).

چرا که هیچ وجدان و خردی نمی پذیرد که این عالم وسیع و پهناور با آن همه عظمت، مخلوق موجودی زمینی باشد تا چه رسد به بتهای بی روح و فاقد عقل و شعور، و به این ترتیب قرآن آنها را به داوری عقل و حکم وجدان و فطرت می برد، تا نخستین پایه توحید را که مسأله خالقیت آسمان و زمین است در قلوب آنها محکم کند.

در مرحله بعد سخن از مسأله سود و زیان و تأثیر در منافع و مضار انسان به میان می آورد، تا ثابت کند بتها هیچ نقشی در این زمینه ندارند، می افزاید: «بگو: آیا هیچ در باره معبودانی که غیر از خدا می خوانید اندیشه می کنید که اگر خدا زیانی برای من بخواهد آیا آنها می توانند جلو رحمت او را بر طرف سازند؟ و یا اگر رحمتی برای من بخواهد آیا آنها می توانند جلو رحمت او را بگیرند»؟! (قُلْ أَ فَرَأَیْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرادَنِیَ اللَّهُ بِضُرِّ هَلْ هُنَّ کاشِ فَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِی بِرَحْمَهُ هَلْ هُنَّ مُمْسِ کاتُ رَحْمَته).

اکنون که نه «خالقیت» از آن آنهاست و نه «قدرت بر سود و زیانی» دارند پرستش آنها چه معنی دارد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۳۲

اینجاست که به عنوان یک نتیجه گیری کلی و نهائی میفرماید: «بگو: خدا مرا کافی است، و همه متوکلان تنها بر او توکل

مي كنند» (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكَّلُونَ).

این سخن که مشرکان خالقیت آسمان و زمین را مخصوص خداوند میدانستند کرارا در آیات قرآن آمده است.

این امر نشان میدهد که مطلب نزد آنها کاملا مسلم بوده است، و این خود بهترین سندی است بر ابطال شرک چرا که «توحید خالقیت و مالکیت و ربوبیت» عالم هستی خود بهترین دلیل بر «توحید عبودیت» است، و نتیجه آن توکل بر ذات پاک خدا و چشم برگرفتن از غیر اوست.

سورة الزمر (٣٩): آية ٣٩ ص: ٢٣٢

(آیه ۳۹) – در این آیه آنهائی را که در برابر منطق عقـل و وجـدان تسـلیم نیسـتند بـا یک تهدیـد الهی و مؤثر مخاطب ساخته، می فرماید: به آنها «بگو:

ای قوم من! شما هر چه در توان دارید انجام دهید، من نیز به وظیفه خود عمل می کنم، اما به زودی خواهید دانست» (قُلْ یا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلی مَکانَتِکُمْ إِنِّی عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ).

سورة الزمر (٣٩): آية 4٠ ص: ٢٣٢

(آیه ۴۰)- خواهید دانست «چه کسی عـذاب خوار کننـدهای (در دنیـا) به سـراغش میآیـد و (سـپس) عـذابی جاویـدان (در آخرت) بر او وارد می گردد» (مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ).

و به این ترتیب آخرین سخن را به آنها می گوید که یا تسلیم منطق عقل و خرد شوید و به ندای وجدان گوش فرا دهید و یا در انتظار دو عذاب دردناک باشید:

عذابی در دنیا که باعث خواری و رسوائی است، و عذابی در آخرت که جاودانی و همیشگی است، و اینها همان عذابهائی است که با دست خود فراهم کرده اید، و آتشی است که هیزم آن را خودتان جمع کرده و افروخته اید.

سورهٔ الزمر (٣٩): آيهٔ ۴۱ ص: ٢٣٢

(آیه ۴۱)- بعد از ذکر دلائل توحید، و بیان سرگذشت مشرکان و موحدان، در این آیه این حقیقت را توضیح می دهد که پذیرش و عدم پذیرش شما سود و زیانش متوجه خودتان است، و اگر پیامبر صلّی اللّه علیه و اله در این زمینه اصرار می ورزد نه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۳۳

به خاطر نفعي است كه عائد او شود، بلكه صرفا انجام وظيفه الهي است، ميفرمايد:

«ما این کتاب (آسمانی) را برای مردم به حق نازل کردیم» (إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْکَ الْکِتابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ).

«هر کس هـدایت را پـذیرد به نفع خود اوست، و هر کس گمراهی را برگزیند تنها به زیان خود گمراه می گردد» (فَمَنِ اهْتَدی فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها).

«و تو مأمور اجبار آنها به هدایت نیستی» وظیفه تو تنها ابلاغ و انذار است (وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ).

سورة الزمر (٣٩): آية ٤٢ ص: ٢٣٣

(آیه ۴۲) - سپس برای این که روشن سازد همه چیز انسانها و از جمله حیات و مرگشان به دست خداست می گوید: «خداوند ارواح را به هنگام مرگ قبض می کند» (اللَّهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِها).

«و ارواحی را که نمردهاند نیز به هنگام خواب» می گیرد (وَ الَّتِی لَمْ تَمُتْ فِی مَنامِها).

و به این ترتیب «خواب» برادر «مرگک» است و شکل ضعیفی از آن.

بعـد میافزایـد: «سپس ارواح کسانی را که فرمان مرگ آنها را صادر کرده نگه میدارد (به گونهای که هرگز از خواب بیـدار نمیشونـد) و ارواح دیگری را (که بایـد زنـده بماننـد) باز میگردانـد تا سـر آمدی معین» (فَیُمْسِکُ الَّتِی قَضـی عَلَیْهَا الْمَوْتَ وَ یُرْسِلُ الْأُخْری إِلی أَجَلِ مُسَمَّی).

آرى «در اين امر نشانه هاى روشنى است براى كسانى كه انديشه مىكنند» (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

سورهٔ الزمر (٣٩): آيهٔ ٤٣ ص: ٢٣٣

(آیه ۴۳)- از آنجا که در آیه قبل حاکمیت «الله» بر وجود انسان و تدبیر او از طریق نظام مرگ و حیات و خواب و بیداری مسلم شد در این آیه سخن از انحراف مشرکان در مسأله شفاعت به میان می آورد تا به آنها ثابت کند مالک شفاعت همان مالک مرگ و حیات آدمی است، نه بتهای فاقد شعور، می فرماید:

«آيا آنها غير از خدا شفيعاني گرفتهاند» (أُم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ).

می دانیم که یکی از بهانه های معروف بت پرستان در مورد پرستش بتها برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۳۴ این بود که می گفتند: «ما آنها را به خاطر این می پرستیم که شفیعان ما نزد الله بوده باشند».

ولى از آنجا كه شفاعت اولا فرع بر درك و شعور است و ثانيا فرع بر قدرت و مالكيت و حاكميت، در دنباله آيه در پاسخ آنها چنين مىفرمايد: به آنها «بگو: آيا (از آنها شفاعت مىطلبيد) هر چند مالك چيزى نباشند، و درك و شعورى براى آنها نباشد»؟ (قُلْ أَ وَ لَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَ لا يَعْقِلُونَ).

اگر شفیعان خود را فرشتگان و ارواح مقدسه میدانید آنها از خود چیزی ندارند، هر چه دارند از ناحیه خداست، و اگر از بتهای سنگی و چوبی شفاعت میطلبید آنها علاوه بر عدم مالکیت کمترین عقل و شعوری ندارند.

سورة الزمر (39): آية 44 ص: 234

(آیه ۴۴)- لذا در این آیه اضافه می کند: «بگو: تمام شفاعت از آن خداست» (قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً).

زیرا «حاکمیت آسمانها و زمین از آن اوست، و سپس همه شما به سوی او باز گردانده می شوید» (لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ تُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

و به این ترتیب آنها را بکلی خلع سلاح می کند، چرا که توحیدی که بر کل عالم حاکم است می گوید: شفاعت نیز جز به اذن پروردگار ممکن نیست.

سورهٔ الزمر (۳۹): آیهٔ ۴۵ ص: ۲۳۴

(آیه ۴۵)– آنها که از نام خدا وحشت دارند! باز هم در اینجا سخن از توحید و شرک است و یکی از چهرههای بسیار زشت و

زننده مشرکان و منکران معاد را در برخورد با توحید منعکس ساخته، میفرماید: «و هنگامی که خداوند به یگانگی یاد میشود دلهای کسانی که به آخرت ایمان ندارند مشمئز (و متنفر) می گردد، اما هنگامی که از معبودهای دیگر یاد میشود، آنان خوشحال میشوند» (وَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ إِذَا دُکِرَ اللَّهُ وَحْدِهُ الله مَی گیرد و از پاکیها و نیکیها بیگانه میشود که از شنیدن نام حق ناراحت و از شنیدن باطل مسرور و شاد می گردد.

نقطه مقابل آنها مؤمنانی هستند که از شنیدن نام خداوند یگانه چنان مجذوب نام مقدسش می شوند که حاضرند هر چه دارند نثار راه او کنند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۳۵

سورة الزمر (٣٩): آية ٤٦ ص: ٢٣٥

(آیه ۴۶) - هنگامی که سخن به اینجا می رسد که این گروه لجوج و این جاهلان مغرور حتی از شنیدن نام خداوند یگانه متنفر و بیزارند به پیامبرش دستور می دهد که از آنها روی بگرداند، و رو به سوی درگاه خدا آورد، با لحنی که حاکی از ایمان عمیق و سرشار از عشق اوست با او سخن گوید، و شکایت این گروه را به درگاه او برد، تا هم قلب خود را که آکنده از اندوه است آرامش بخشد، و هم از این راه تکانی به آن ارواح خفته غافل دهد.

مى فرمايد: «بگو: خداوندا! اى آفريننده آسمانها و زمين، و آگاه از اسرار نهان و آشكار، تو در ميان بندگانت در آنچه اختلاف داشتند داورى خواهى كرد» (قُـلِ اللَّهُمَّ فـاطِرَ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ عالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِى ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

آرى! روز قيامت اين گمراهان لجوج به اشتباه خود پي ميبرند و آنجاست که به فکر جبران ميافتند، اما چه سود؟!

سورة الزمر (٣٩): آية ٤٧ ص: ٢٣٥

(آیه ۴۷)- در این آیه می گوید: «اگر ستمکاران تمام آنچه را روی زمین است مالک باشند و همانند آن نیز بر آن افزوده شود، حاضرند همه را فیدا کنند تا از عذاب شدید روز قیامت رهائی یابند» اما چنین چیزی ممکن نیست (وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذابِ یَوْمَ الْقِیامَةِ).

سپس می افزاید: «و از سوی خدا برای آنها اموری ظاهر می شود که هرگز گمان نمی کردند» (وَ بَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ).

و عذابهائی را با چشم خود میبینند که هرگز به فکر آنها خطور نمی کرد!

سورة الزمر (٣٩): آية ٤٨ ص: 235

(آیه ۴۸)- این آیه توضیح یا تکمیل برای مطلبی است که در آیه قبل گذشت میفرماید: در آن روز «اعمال بدی را که انجام دادهاند برای آنها آشکار میشود» (وَ بَدا لَهُمْ سَیِّئاتُ ما کَسَبُوا).

«و آنچه را استهزا كردند بر آنها واقع مى گردد» (وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ).

سورة الزمر (٣٩): آية ٤٩ ص: ٢٣٥

(آیه ۴۹) - در سختیها به یاد خدا هستند، اما ...! باز در اینجا موضوع سخن، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۳۶ افراد بی ایمان و ظالمانند، و چهره دیگری از چهرههای زشت آنها را منعکس می کند.

نخست می فرماید: «هنگامی که انسان را زیانی (و درد و رنج و فقری) رسد، ما را (برای حل مشکلش) می خواند» (فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرُّ دَعانا).

اما آن هم موقتی است «سپس هنگامی که از جانب خود به او نعمتی دهیم (و درد و رنجش را بر طرف سازیم لطف و عطای ما را به دست فراموشی میسپارد، و) می گوید: این نعمت را به خاطر کاردانی خودم به من دادهاند» (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْم).

این غافلان بی خبر میچ فکر نمی کنند که آن علم و دانش نیز موهبتی از سوی خداست.

سپس قرآن در پاسخ این افراد خودبین و کم ظرفیت که چون به نعمتی رسند به زودی خود را گم می کننـد چنین می گویـد: «ولی این (نعمت) وسیله آزمایش (آنها) است ولی بیشترشان نمیدانند» (بَلْ هِیَ فِتْنَهُ وَ لَکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ).

هدف این است که با بروز حوادث سخت، و به دنبال آن رسیدن به نعمتهای بزرگ، آنچه را در درون دارند آشکار کنند.

سورة الزمر (39): آية ٥٠ ص: 238

(آیه ۵۰)- در این آیه میافزاید: «این سخن را کسانی که قبل از آنها بودند گفتند (آنها نیز ادعا می کردند که نعمتهای ما زائیده علم و لیاقت ماست) ولی آنچه را به دست می آوردند برای آنها سودی نداشت» (قَدْ قالَهَا الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَما أَغْنی عَنْهُمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ).

آری! قارونهای مغرور اموالشان را مولود لیاقت خودشان میپنداشتند و مواهب الهی را بر خویش فراموش کرده، و تنها چشم به اسباب ظاهری دوخته بودند.

سورة الزمر(٣٩): آية ٥١ ص: ٢٣۶

(آیه ۵۱) - «سپس بدیهای اعمالشان به آنها رسید» (فَأَصابَهُمْ سَیِّناتُ ما کَسَبُوا). و هر کدام به نوعی از عذابهای الهی، طوفان، سیلاب، زمین لرزه، و صیحههای آسمانی، گرفتار شدند، و از میان رفتند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۳۷ بعد میافزاید: این سرنوشت منحصر به آنها نبود «و ظالمان این گروه [اهل مکّه] نیز به زودی گرفتار بدیهای اعمالی که انجام دادهاند خواهند شد، و هر گز نمی توانند از چنگال عذاب الهی بگریزند» (وَ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْ هُولًاءِ سَیُصِ یَبُهُمْ سَیِّئاتُ ما کَسَبُوا وَ ما هُمْ بِمُعْجِزِینَ).

بلکه از آنها نیز فراتر میرود و همه ستمگران مغرور و بیخبر از خدا را در تمام اعصار و قرون شامل میشود.

سورهٔ الزمر(٣٩): آيهٔ ۵۲ ص: ۲۳۷

(آیه ۵۲)– قرآن در پاسخ این سخن که میگفتنـد: نعمتهـای مـا مولود آگاهی و توانائی خود ماست به آنها گوشـزد کرد که

سری به تاریخ گذشتگان بزنید و ببینید همین سخن را دیگران گفتند و به چه مصائب و عذابهائی گرفتار شدند- این یک جواب تاریخی است.

سپس در این آیـه بـه یـک جـواب عقلی پرداخته، میگویـد: «آیـا آنهـا ندانسـتند که خداونـد روزی را برای هرکس بخـواهد گسترده یا تنگ میسازد»؟! (أَ وَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ وَ یَقْدِرُ).

چه بسیارند افراد شایسته ای که در زندگی محروم و منزوی هستند، و چه بسیار افراد ضعیف و ناتوانی که از هر نظر متنعمند، اگر پیروزیهای مادی همگی در سایه تلاش و کوشش خود افراد و لیاقتهای آنها به دست می آمد نباشید شاهد چنین صحنه هائی باشیم.

لذا در پایان آیه می افزاید: «در این، آیات و نشانه هایی است برای گروهی که ایمان می آورند» (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ).

نشانه هائي براي ذات پاک خدا همان گونه که امير مؤمنان على عليه السّلام فرمود:

«عرفت الله بفسخ العزائم و حلّ العقود و نقض الهمم من خدا را بوسيله بر هم خوردن تصميمها، گشوده شدن گرهها و درهم شكستن ارادهها شناختم».

اینها نشانههایی است از ضعف و ناتوانی انسان تا خود را گم نکند و گرفتار غرور و خودبینی نگردد.

سورة الزمر (٣٩): آية ٥٣ ص: ٢٣٧

(آیه ۵۳) – خداوند همه گناهان را می آمرزد: به دنبال تهدیدهای مکرری که بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۳۸ در آیات گذشته در مورد مشرکان و ظالمان آمده بود در اینجا راه بازگشت را توأم با امیدواری به روی همه گنهکاران می گشاید زیرا هدف اصلی از همه این امور تربیت و هدایت است نه انتقامجوئی و خشونت، با لحنی آکنده از نهایت لطف و محبت آغوش رحمتش را به روی همگان باز کرده و فرمان عفو آنها را صادر نموده، می فرماید: «به آنها بگو: ای بندگان من که بر خود اسراف و ستم کرده اید از رحمت خداوند نومید نشوید که خدا همه گناهان را می آمرزد زیرا که او آمرزنده و مهربان است» (قُلْ یا عِبادِی الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ یَغْفِرُ اللَّدُنُوبَ جَمِیعاً).

دقت در تعبیرات این آیه نشان می دهد که از امید بخش ترین آیات قرآن مجید نسبت به همه گنهکاران است، و گستردگی آن به حدی است که طبق روایتی امیر مؤمنان علی علیه السّلام فرمود: «در تمام قرآن آیهای وسیعتر از این آیه نیست».

این وعده غفران مشروط بر این است که: بعد از ارتکاب گناه به خود آیند، و تغییر مسیر دهند، رو به سوی درگاه خدا آورند، در برابر فرمانش تسلیم باشند و با عمل، صداقت خود را در این توبه و انابه نشان دهند.

سورهٔ الزمر (٣٩): آيهٔ ۵۴ ص: ۲۳۸

(آیه ۵۴)- در این آیه راه ورود در این دریای بی کران رحمت الهی را به همه مجرمان و گنهکاران نشان می دهـ د، می فرمایـد: «و به درگاه پروردگارتان باز گردید» و مسیر زندگی خود را اصلاح کنید (وَ أَنِیبُوا إِلَی رَبِّکُمْ).

«و در برابر او تسلیم شوید (و فرمانش را به گوش جان بشنوید و پذیرا گردید) پیش از آن که عذاب (الهی) به سراغ شما آید، سپس از سوی هیچ کس یاری نشوید»! (وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ).

سورة الزمر(٣٩): آية ٥٥ ص: ٢٣٨

(آیه ۵۵)- بعد از پیمودن مرحله انابه و اسلام سخن از مرحله سوم که مرحله «عمل» است به میان آورده، می افزاید: «و از بهترین دستوراتی که از سوی پروردگارتان بر شما نازل شده پیروی کنید، پیش از آن که عذاب (الهی) ناگهان به سراغ شما آید در حالی که از آن خبر ندارید» (وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَهً وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۳۹

و به این ترتیب مسیر وصول به رحمت خدا سه گام بیشتر نیست:

گام اول توبه و پشیمانی از گناه و روی آوردن به سوی خداست.

گام دوم ایمان و تسلیم در برابر فرمان او، و گام سوم عمل صالح است.

سورة الزمر (٣٩): آية ٥٦ ص: ٢٣٩

(آیه ۵۶)- آن روز پشیمانی بیهوده است: در آیات گذشته دستور مؤکدی برای توبه و اصلاح و جبران اعمال گذشته آمده بود، در اینجا در تعقیب آن می گوید: این دستورها برای آن است «مبادا کسی (روز قیامت) بگوید: افسوس بر من از کوتاهیهائی که در اطاعت فرمان خدا کردم! و از مسخره کنندگان (آیات او) بودم»! (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ یا حَشِرَتی عَلی ما فَرَّطْتُ فِی جَنْب اللَّهِ وَ إِنْ کُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرینَ).

آری! هنگامی که انسان وارد عرصه محشر میشود و نتیجه تفریطها، و مسامحه کاریها و خلافکاریها، و شوخی گرفتن جمدیها را در برابر چشم خود میبیند، اندوهی سنگین توأم با ندامتی عمیق بر قلب او سایه میافکند، و این حالت درونی خود را بر زبان آورده و به صورت جملههای فوق بیان میدارد.

سورة الزمر(39): آية 37 ص: 239

(آیه ۵۷)- سپس میافزاید: «یا بگوید: اگر خداوند مرا هدایت می کرد از پرهیز کاران بودم» (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدانِی لَکُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِینَ).

این سخن را گویـا زمـانی میگویـد که او را به پای میزان حساب میآورنـد، گروهی را میبینـد که با دست پر از حسـنات به سوی بهشت روانه میشوند، او نیز آرزو میکند در صف آنان باشد و همراه آنان به سوی نعمتهای الهی برود.

سورة الزمر (٣٩): آية ٥٨ ص: ٢٣٩

(آیه ۵۸)- باز می افزاید: «یا هنگامی که عذاب الهی را می بیند بگوید: ای کاش بار دیگر (به دنیا) باز می گشتم و از نیکو کاران بودم»؟! (أَوْ تَقُولَ حِینَ تَرَی الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِی کَرَّةً فَأَکُونَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ).

و این هنگامی است که او را به سوی دوزخ میبرنـد و چشـمش به آتش سوزان و منظره عـذاب دردناک آن میافتـد، آهی از دل بر میکشد و آرزو میکند ای کاش به او اجازه داده میشد تا به دنیا باز گردد.

سورة الزمر (٣٩): آية ٥٩ ص: ٢٣٩

(آیه ۵۹)– قرآن در برابر این سه گفتار دوم چنین پاسخ می گوید: برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۴۰

«آری آیات من به سراغ تو آمد اما آن را تکذیب کردی، و تکبر نمودی، و از کافران بودی» (بَلی قَدْ جاءَتْکَ آیاتِی فَکَذَّبْتَ بِها وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْکافِرِینَ).

یعنی این که می گوئی «اگر هدایت الهی به سراغ من آمده بود از پرهیزکاران بودم» هدایت الهی چیست؟ جز این همه کتب آسمانی و فرستادگان خدا و آیات و نشانههای حق در آفاق و انفس؟

همه این آیات را دیدی و شنیدی عکس العمل تو در مقابل آن چه بود؟

تکذیب و استکبار و کفر! از میان این سه عمل «استکبار» ریشه اصلی است و به دنبال آن «تکذیب آیات الهی» و نتیجه آن «کفر و بی ایمان» است.

سورة الزمر (٣٩): آية 6٠ ص: ٢٤٠

(آیه ۶۰)- از آنجا که در آیات گذشته سخن از مشرکان دروغ پرداز و مستکبری بود که در روز قیامت از کرده خود پشیمان می شوند و تقاضای بازگشت به این جهان می کنند- تقاضائی بی حاصل و غیر قابل قبول- در اینجا در ادامه همین سخن می گوید: «و روز قیامت کسانی را که بر خدا دروغ بستند می بینی که صور تهایشان سیاه است»! (وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ تَرَی الَّذِینَ کَذَبُوا عَلَی اللَّه اللْه اللَّه اللِّه اللَّه اللَه اللَّه اللَّه اللَّه اللَّه اللَّه اللَّه اللَّه اللّه اللّه ا

سپس مىافزايد: «آيا در جهنم جايگاهى براى مستكبران نيست»؟! (أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوِيَّ لِلْمُتَكَبِّرِينَ).

سورهٔ الزمر(٣٩): آيهٔ ۶۱ ص: ۲۴۰

(آیه ۶۱) – در این آیه سخن از نقطه مقابل این گروه یعنی گروه پرهیزکاران و سعادت آنها در قیامت در میان است، میفرماید: «و خداوند کسانی را که تقوا پیشه کردند با رستگاری رهایی میبخشد» (وَ یُنَجِّی اللَّهُ الَّذِینَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ).

سپس این فلاح و پیروزی را با این دو جمله کوتاه و پر معنی توضیح می دهد:

«هيچ بدى به آنها نمى رسد و هر گز غمگين نخواهند شد» (لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ).

در جهانی زندگی میکنند که جز نیکی و پاکی و وجد و سرور چیزی وجود ندارد، این تعبیر کوتاه در حقیقت تمام مواهب الهی را در خود جمع کرده است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۴۱

سورة الزمر(٣٩): آية ۶۲ ص: ۲۴۱

(آیه ۶۲) - این آیه بار دیگر به مسأله توحید و مبارزه با شرک باز می گردد و گفتگوهائی را که با مشرکان داشت ادامه داده، می فرماید: «خداونـد آفریـدگار همه چیز است و حافظ و نـاظر بر همه اشیا است» (اللَّهُ خـالِقُ کُـلِّ شَـيْءٍ وَ هُوَ عَلَى کُلِّ شَـيْءٍ وَ كُلِلِّ اللَّهُ خَالِقُ کُـلِّ شَـيْءٍ وَ هُوَ عَلَى کُلِّ شَـيْءٍ وَ كُيلٌ).

جمله اول اشاره به «توحید خالقیت» است و جمله دوم اشاره به «توحید ربوبیت».

مسأله توحيد خالقيت چيزي است كه حتى مشركان غالبا به آن معترف بودهاند.

ولی آنهـا در توحیـد ربوبیت گرفتـار انحراف شـده بودنـد گـاه حافـظ و نگهبـان و مـدبر کارهای خود را بتها میدانسـتند و در مشکلات به آنها پناه میبردند.

سورة الزمر (٣٩): آية ٤٣ ص: ٢٤١

(آیه ۶۳)- این آیه با ذکر توحید مالکیت خداوند بحث توحیدی آیه قبل را تکمیل کرده، می گوید: «کلیدهای آسمانها و زمین از آن اوست» (لَهُ مَقالِیدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

این تعبیر معمولا کنایه از مالکیت و یا سلطه بر چیزی است، چنانکه می گوئیم: کلید این کار به دست فلانی است.

قرآن بعد از این جمله چنین نتیجه گیری می کند: «و کسانی که به آیات خداوند کافر شدند زیانکارانند» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِ اللَّهِ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ).

چرا که منبع اصلی و سر چشمه واقعی همه خیرات و برکات را رها کرده و در بیراههها سرگردان شدهاند، از کسی که تمام کلیدهای آسمانها و زمین به دست اوست روی بر تافته و به سراغ موجودات ناتوانی رفتهاند که مطلقا کاری از آنها ساخته نست.

سورة الزمر (٣٩): آية 64 ص: ٢٤١

(آیه ۴۴)- از مجموع آنچه در باره شاخههای توحید در آیات گذشته ذکر شد به خوبی می توان نتیجه گرفت که توحید در عبادت یک حقیقت غیر قابل انکار است، تا آنجا که هیچ انسان فهمیده و عاقلی نباید به خود اجازه دهد که در برابر بتها سجده کند، لذا به دنبال آن با لحنی قاطع و تشدد آمیز می گوید: «بگو: آیا به من بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۴۲ دستور می دهید که غیر خدا را بپرستم ای جاهلان»؟! (قُلْ أَ فَعَیْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِی أَعْبُدُ أَیُّهَا الْجاهِلُونَ).

این سخن مخصوصا با توجه به این که کفار و مشرکان گاهی پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله را دعوت می کردند که خدایان آنها را احترام و پرستش کند، و یا حد اقل از عیبجوئی و انتقاد نسبت به بتها بپرهیزد مفهوم عمیقتری پیدا می کند، و با صراحت اعلام می دارد که مسأله توحید و نفی شرک مطلبی نیست که بتوان بر سر آن معامله و سازش کرد، شرک باید در تمام چهرههایش درهم کوبیده شود و از صفحه جهان محو گردد!

سورة الزمر(39): آية 50 ص: 242

(آیه ۶۵)– اگر مشرک شوی اعمالت بر باد میرود! قرآن همچنان مسائل مربوط به شرک و توحید را که در آیات قبل از آن سخن بود تعقیب میکند.

نخست با لحن قاطع خطر شرك را بازگو كرده، مىفرمايد: «به تو و همه پيامبران پيشين وحى شده كه اگر مشرك شوى تمام اعمالت تبـاه مىشود و از زيانكـاران خواهى بود» (وَ لَقَـدْ أُوحِىَ إِلَيْ كَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرينَ). به این ترتیب شرک دو پیامد خطرناک دارد حتی در مورد پیامبران الهی اگر به فرض محال مشرک شوند.

نخست مسأله حبط اعمال است، و دوم گرفتار خسران و زیان زندگی شدن.

اما «حبط اعمال» به معنی محو آثار و پاداش عمل به خاطر شرک است چرا که شرط قبولی اعمال اعتقاد به اصل توحید است و بدون آن هیچ عملی پذیرفته نیست.

و اما زیانکار شدن آنها به خاطر این است که بزرگترین سرمایههای خود را که عقل و خرد و عمر گرانبهاست در این بازار بزرگ تجارت دنیا از دست داده و «جز حسرت و اندوه متاعی نخریدند»!

سورة الزمر(39): آية 66 ص: 242

(آیه ۶۶)– در این آیه باز برای تأکید بیشتر میافزاید: «بلکه تنها خداوند را عبادت کن و از شکرگزاران باش» (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَ کُنْ مِنَ الشَّاکِرینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۴۳

يعنى معبود تو بايد منحصرا ذات پاك «الله» باشد.

سورة الزمر (٣٩): آية ٤٧ ص: ٢٤٣

(آیه ۶۷) - در این آیه به بیان دیگری برای نفی شرک پرداخته، ریشه اصلی انحراف آنها را ذکر کرده، می گوید: «آنها خدا را آن گونه که شایسته است نشناختند» (وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ). و به همین دلیل نام مقدس او را تا آنجا تنزل دادند که هم ردیف بتها قرار دادند.

آری! سر چشمه شرک عدم معرفت صحیح در باره خداوند است، کسی که بداند او وجودی است بیپایان و نامحدود از هر نظر و از سوی دیگر آفرینش همه موجودات از ناحیه اوست و حتی در بقای خود هر لحظه به فیض وجود او نیازمندند و از سوی سوم تدبیر عالم هستی و گشودن گره تمام مشکلات و همه ارزاق به دست با قدرت اوست، و حتی اگر شفاعتی هم انجام گیرد به اذن و فرمان او خواهد بود، معنی ندارد رو به سوی دیگری آرد.

اصلا چنین وجودی با این صفات، دو گانگی برای او محال است زیرا دو وجود نامحدود از جمیع جهات عقلا غیر ممکن است - دقت کنید.

سپس برای بیان عظمت و قدرت او از دو تعبیر کنائی زیبا استفاده کرده، می گوید: «در حالی که تمام زمین در روز قیامت در قبضه اوست و آسمانها پیچیده در دست او» (وَ الْأَرْضُ جَمِیعاً قَبْضَتُهُ یَوْمَ الْقِیامَةِ وَ السَّماواتُ مَطْوِیَّاتٌ بِیَمِینِهِ).

کسی که طوماری را درهم پیچیده و در دست راست گرفته کاملترین تسلط را بر آن دارد، مخصوصا انتخاب «یمین» (دست راست) به خاطر آن است که غالب اشخاص کارهای مهم را با دست راست انجام میدهند و قوت و قدرت بیشتری در آن احساس می کنند.

کوتاه سخن این که: همه این تشبیهات و تعبیرات کنایه از سلطه مطلقه پروردگار بر عالم هستی در جهان دیگر است، تا همگان بدانند در عالم قیامت نیز کلید نجات و حل مشکلات در کف قدرت خداوند است، تا به بهانه شفاعت و مانند آن به سراغ بتها و معبودهای دیگر نروند.

البته در این دنیا نیز زمین و آسمان به همین صورت در قبضه قدرت او است. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۴۴

ولی در آن روز قـدرت خداونـد از هر زمان آشـکارتر است و همگی به روشـنی در مییابند که همه چیز از آن او و در اختیار اوست.

به هر حال بعد از بیانات فوق در آخر آیه در یک نتیجه گیری فشرده و گویا میفرماید: «خداوند منزه و بلند مقام است از شریکهایی که برای او میپندارند» (سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمَّا یُشْرِکُونَ).

اگر انسانها با مقیاسهای کوچک اندیشههای خود در باره ذات پاک او قضاوت نمی کردند هر گز به بیراهههای شرک و بت پرستی نمیافتادند.

سورة الزمر(٣٩): آية ٦٨ ص: ٢٤٤

(آیه ۶۸) – «نفخه صور» و مرگ و حیات عمومی بندگان: در آیه قبل سخن از قیامت در میان آمد، در این آیه همین مسأله را با ذکر بسیاری از خصوصیات تعقیب می کند، نخست از پایان دنیا شروع کرده، می فرماید: «و در صور دمیده می شود پس همه کسانی که در آسمانها و زمین هستند می میرند، مگر کسانی که خدا بخواهد» (وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ).

البته از روایات به خوبی استفاده می شود که این گروه باقیمانده نیز سر انجام می میرند به گونه ای که در سرتاسر عالم هستی موجودی زنده نخواهد بود، جز خداوند «حی لا یموت».

سپس بار دیگر در صور دمیـده میشود، ناگهان همگی به پا میخیزند و در انتظار (حساب و جزا) هسـتند»! (ثُمَّ نُفِخَ فِیهِ أُخْری فَإِذَا هُمْ قِیامٌ یَنْظُرُونَ).

از این آیه به خوبی استفاده می شود که در پایان جهان و آغاز رستاخیز دو حادثه ناگهانی رخ می دهد: در حادثه اول همه موجودات زنده فورا می میرند، و در حادثه دوم که با فاصلهای صورت می گیرد همه انسانها ناگهان زنده می شوند، و به پا می خیزند و در انتظار حسابند.

سورة الزمر(٣٩): آية ۶۹ ص: ۲۴۴

(آیه ۶۹) – آن روز که زمین به نور خدا روشن میشود! در این آیه بحثهای مربوط به قیامت همچنان ادامه می یابد. نخست می فرماید: «و زمین در (آن روز) به نور پروردگارش روشن می شود» برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۴۵ (وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها).

در این که منظور از این «اشراق» و روشنائی به نور الهی چیست؟ تفسیرهای مختلفی گفته شده است که مهمتر از همه دو تفسیر زیر است:

۱- جمعی گفتهاند: منظور از نور رب، حق و عدالت است که خداوند صفحه زمین را در آن روز با آن نورانی میکند.

۲- مفسر عالیقدر نویسنده «المیزان» می گوید: مراد از روشن شدن زمین به نور پروردگار که از خصوصیات روز قیامت است همان انکشاف غطاء و کنار رفتن پردهها و حجابها و ظاهر شدن حقایق اشیاء و اعمال انسانها از خیر و شر و اطاعت و عصیان و حق و باطل می باشد، سپس به آیه ۲۲ سوره ق بر این معنی استدلال کرده است: (لَقَدْ کُنْتَ فِی غَفْلَهُ مِنْ هذا فَکَشَفْنا عَنْکَ غِطاءَکَ فَبَصَ رُکَ الْیُوْمَ حَدِیدً) «تو در غفلت از این موضوع بودی، ما پرده را از برابر چشمت کنار زدیم و امروز چشمت به

خوبی می بیند»! درست است که این اشراق الهی در آن روز همه چیز را شامل می شود ولی ذکر خصوص زمین در این میان به خاطر آن است که هدف اصلی بیان حال مردم روی زمین در آن روز است.

بدون شک این آیه مربوط به قیامت است و اگر می بینیم در بعضی از روایات اهل بیت علیهم السّ لام به قیام حضرت مهدی-عج- تفسیر شده در حقیقت نوعی تطبیق و تشبیه است، و تأکیدی بر این معنی است که به هنگام قیام حضرت مهدی- عج-دنیا نمونه ای از صحنه قیامت خواهد شد، و عدل و داد به وسیله آن امام به حق، در روی زمین تا آن جا که طبیعت دنیا می پذیرد حکمفرما خواهد شد.

در جمله دوم این آیه سخن از نامه اعمال است می گوید: «و نامههای اعمال را پیش مینهند» و به آن رسیدگی می کنند (وَ وُضِعَ الْکِتابُ).

نامههایی که تمامی اعمال انسان کوچک و بزرگ در آن جمع است.

در جمله بعـد که سـخن از گواهـان است میافزایـد: «و پیـامبران و گواهـان را حاضـر میسازنـد» (وَ جِیءَ بِالنَّبِیّنَ وَ الشُّهَـداءِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۴۶

پیامبران احضار می شوند تا از ادای رسالت خود به مجرمان سخن گویند، همان گونه که در آیه ۶ سوره اعراف میخوانیم: «وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِینَ» ما از رسولان بطور قطع سؤال خواهیم کرد».

و «گواهان» برای این که در آن محکمه عدل گواهی دهند، درست است که خداوند از همه چیز آگاه است، ولی برای تأکید مراتب عدالت حضور شهود لازم است.

چهارمین جمله می گوید: «و میان آنها به حق داوری می شود» (وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْحَقِّ).

و در پنجمین جمله می افزاید: «و به آنان ستم نخواهد شد» (وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ).

بدیهی است هنگامی که حاکم، خدا باشد، در چنین دادگاهی ظلم و بیدادگری مفهومی ندارد.

سورة الزمر(٣٩): آية ٧٠ ص: ٢۴۶

(آیه ۷۰)- و ششمین جمله در این آیه این سخن را تکمیل کرده، می گوید:

«و به هر کس آنچه انجام داده است بی کم و کاست داده می شود» (وَ وُفِّیَتْ کُلُّ نَفْسِ ما عَمِلَتْ).

نه جزا و پاداش و کیفر اعمالشان که خود اعمالشان به آنها داده می شود! و چه پاداش و کیفری از این برتر که عمل انسان بطور کامل به او تحویل داده شود.

چه کسی می تواند این برنامه های عدالت را دقیقا اجرا کند کسی که علم او به همه چیز احاطه دارد لذا در هفتمین و آخرین جمله می فرماید: «و او نسبت به آنچه انجام می دادند از همه آگاهتر است» (وَ هُوَ أَعْلَمُ بِما یَفْعَلُونَ).

حتى نيازي به شهود نيست كه او از همه شهود اعلم است، اما لطف و عدالتش ايجاب ميكند كه گواهان را احضار كند.

سورة الزمر (٣٩): آية ٧١ ص: ٢۴۶

(آیه ۷۱)– آنها که گروه گروه، وارد دوزخ می شوند: قرآن همچنان بحثهای معاد را ادامه می دهد، و آنچه را به صورت اجمال در آیات گذشته در مورد پاداش و کیفر مؤمنان و کافران آمده بطور تفصیل بیان می کند. نخست از دوزخیان شروع می کند و می گوید: «و کسانی که کافر شدند گروه بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۴۷ گروه به سوی جهنم رانده می شوند»! (وَ سِیقَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِلی جَهَنَّمَ زُمَراً).

سپس میافزاید: این امر ادامه پیدا می کند تا «وقتی به دوزخ میرسند درهای آن گشوده می شود و نگهبانان دوزخ (از روی ملاحت) به آنها می گویند: آیا رسولانی از میان شما به سویتان نیامدند که آیات پروردگارتان را برای شما بخوانند و از ملاقات این روز شما را بر حذر دارند»؟! (حَتَّی إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبُوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ یَأْتِکُمْ رُسُلٌ مِنْکُمْ یَتُلُونَ عَلَیْکُمْ آیاتِ رَبِّکُمْ وَ یُنْذِرُونَکُمْ لِقاءَ یَوْمِکُمْ هذا).

از این تعبیر به خوبی استفاده می شود که درهای جهنم قبل از ورود آنها بسته است درست همانند درهای زندانها هنگامی که نزدیک آن می رسند ناگهان به روی آنان گشوده می شود و این مشاهده ناگهانی و حشت بیشتری در آنها ایجاب می کند، اما قبل از هر چیز در زیر رگبار ملامت خازنان دوزخ قرار می گیرند که به آنها می گویند تمام اسباب هدایت برای شما فراهم بود. با این حال چگونه این تیره روزی دامان شما را گرفت.

به هر حال آنها با یک جمله کوتاه و درد آلود به آنها پاسخ داده «میگویند: آری (پیامبران آمدند و آیات الهی را بر ما خواندند، و ما مخالفت کردیم) ولی فرمان عذاب الهی بر کافران مسلم شده است» (قالُوا بَلی وَ لکِنْ حَقَّتْ کَلِمَهُ الْعَذابِ عَلَی الْکافِرینَ).

به این ترتیب آنها اعتراف می کنند که راه تکذیب انبیا و انکار آیات الهی را پیش گرفتند و طبعا سرنوشتی بهتر از این نخواهند داشت.

سورة الزمر (39): آية ٧٢ ص: ٢٤٧

(آیه ۷۲)- پس از این گفتگوی کوتاه در آستانه جهنم «به آنان گفته می شود: از درهای جهنم وارد شوید، جاودانه در آن بمانید، چه بد جایگاهی است جایگاه متکبران»؟! (قِیلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ).

درهای جهنم- چنانکه قبلا هم اشاره کردهایم- ممکن است به معنی درهائی باشد که بر حسب اعمال انسانها تنظیم شده است و هر گروهی را به تناسب عمل خود به دوزخ میبرند، همان گونه که درهای بهشت نیز چنین است. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۴۸

جالب این که فرشتگان عذاب از میان تمام اوصاف رذیله انسان که او را به دوزخ میبرد روی مسأله «تکبر» تکیه می کنند، اشاره به این که سر چشمه اصلی کفر و انحراف و گناه بیش از همه کبر و غرور و عدم تسلیم در برابر حق است.

و به همین دلیل در روایتی از امام صادق و امام باقر علیهما السّ_یلام میخوانیم: «کسـی که به مقـدار ذرهای کبر، در قلبش وجود داشته باشد داخل بهشت نمیشود»!

سورهٔ الزمر(٣٩): آيهٔ ٧٣ ص: ٢٤٨

(آیه ۷۳) – و این جمعیت گروه گروه وارد بهشت میشوند! قرآن در آخرین آیات این سوره همچنان بحثهای مربوط به معاد را ادامه میدهد، و چون در آیات پیشین سخن از چگونگی ورود کافران به جهنم بود در اینجا سخن از چگونگی ورود مؤمنان پرهیزکار در بهشت است، تا به قرینه مقابله مسائل روشنتر و آشکارتر گردد. نخست می گوید: «و کسانی که تقوای الهی پیشه کردند گروه گروه به سوی بهشت برده می شوند» (وَ سِتیقَ الَّذِینَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّهِ زُمَراً).

کلمه «زمر» که به معنی گروههای کوچک است نشان میدهد که بهشتیان در گروههای مختلف که نشانگر سلسله مراتب مقامات معنوی آنهاست به سوی بهشت میروند.

«تا این که آنها به بهشت میرسند در حالی که درهای آن از قبل برای آنها گشوده شده است، و (در این هنگام) نگهبانان آن [فرشتگان رحمت] به آنها می گویند: سلام بر شما! گوارایتان باد این نعمتها داخل بهشت شوید و جاودانه بمانید»! (حَتَّی إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنتُها سَلامٌ عَلَیْکُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِینَ).

جالب این که در مورد دوزخیان می گوید هنگامی که به دوزخ میرسند درهایش گشوده می شود، ولی در مورد بهشتیان می گوید درهایش از قبل گشوده شده، و این اشاره به احترام و اکرام خاصی است که برای آنها قائلند.

در مورد دوزخیان خوانـدیم که نخستین سـخن فرشـتگان عذاب ملامت و سـرزنش سـخت به آنهاست. برگزیده تفسـیر نمونه، ج۴، ص: ۲۴۹

ولی در مورد بهشتیان نخستین سخن «سلام و درود و احترام و اکرام» است.

سورة الزمر(٣٩): آية ٧٤ ص: ٢٤٩

(آیه ۷۴) - در این آیه چهار جمله کوتاه و پر معنی که حاکی از نهایت خشنودی و رضایت خاطر بهشتیان است از آنها نقل می کند: «آنها می گویند: حمد و ستایش مخصوص خداوندی است که به وعده خویش در باره ما وفا کرد» (وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی صَدَقَنا وَعْدَهُ).

در جملههای بعد می افزاید: «و زمین (بهشت) را میراث ما قرار داد و به ما بخشید» (وَ أَوْرَ ثَنَا الْأَرْضَ).

منظور از زمین در اینجا زمین بهشت است، و تعبیر به «ارث» به خاطر آن است که این همه نعمت در برابر زحمت کمی به آنها داده شده، و می دانیم میراث چیزی است که انسان برای آن معمولا زحمتی نکشیده است، و یا از این نظر است که هر انسانی مکانی در بهشت دارد و محلی در دوزخ هر گاه به خاطر اعمالش دوزخی شود مکان بهشتی او را به دیگران می سپارند و هر گاه بهشتی شود مکان دوزخیش برای دیگران باقی می ماند.

در جمله سوم آزادی کامل خود را در استفاده از بهشت وسیع پروردگار چنین بیان میکنند: «ما هر جا از بهشت را بخواهیم منزلگاه خود قرار میدهیم» (نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ).

بالاخره در آخرین جمله می گویند: «چه نیکوست پاداش عمل کنندگان» به دستورات پروردگار (فَنِعْمَ أُجُرُ الْعامِلِينَ). اشاره به این که این مواهب وسیع را به «بها» میدهند، به «بهانه» نمیدهند، ایمان و عمل صالح لازم است تا در پرتو آن چنین

شایستگی حاصل شود.

سورة الزمر(39): آية ٧٥ ص: 249

(آیه ۷۵)- سر انجام در آخرین آیه سوره زمر، پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و اله را مخاطب ساخته، می گوید: در آن روز «فرشتگان را میبینی که بر گرد عرش خدا حلقه زدهانید (و طواف می کننید) و با ستایش پروردگارشان تسبیح می گویند» (وَ

تَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ).

اشاره به وضع فرشتگان در اطراف عرش خداوند به خاطر این است که برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۵۰ آمادگی آنها را برای اجرای اوامر الهی بیان کند.

لذا به دنبال آن می گوید: «و در میان بندگان به حق داوری می شود» (وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْحَقِّ).

و از آنجا که این امور نشانه های ربوبیت پروردگار، و دلائل شایستگی ذات پاکش برای هر گونه حمد و سپاس است در آخرین جمله میافزاید: در آن روز «گفته خواهد شد حمد مخصوص خدا پروردگار جهانیان است» (وَ قِیلَ الْحَمْدُ لُـ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمینَ).

گوینده این سخن فرشتگان و بهشتیان و پرهیز کارانند چرا که حمد و سپاس الهی برنامه همه صاحبان عقل و فکر و همه خاصان و مقربان است.

«پایان سوره زمر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۵۱

سوره مؤمن «غافر» [44] ص: 251

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۸۵ آیه است

محتوای سوره: ص : 251

سوره مؤمن نخستین سوره از «حوامیم» «۱» است. و محتوای آن را می توان در شش بخش خلاصه کرد:

بخش اول: توجهی است به خداوند و قسمتی از اسماء حسنای او، مخصوصا آنچه خوف و رجاء را در دلها بر میانگیزد.

بخش دوم: تهدیدهایی است نسبت به کافران جبار پیرامون عذابهای این جهان، و عذابهای قیامت با ذکر خصوصیات و جزئیات آن.

بخش سوم: پس از مطرح کردن داستان موسی (ع) و فرعون سخن را به مؤمن آل فرعون سوق می دهد و بخش وسیعی از سوره را به شرح گفتگوهای این مرد هوشمند شجاع با فرعونیان اختصاص می دهد.

بخش چهارم: مسأله توحید و شرک را که مهمترین مسأله زندگی انسان است به میان آورده، و قسمتی از نشانههای توحید و دلائل بطلان شرک را مطرح میکند.

بخش پنجم: ضمن دعوت پیامبر به صبر و شکیبایی خلاصهای از آنچه در بخشهای دیگر این سوره گذشت و ذکر گوشهای از نعمتهای الهی، سوره را پایان میدهد.

(۱) حوامیم هفت سوره از قرآن است که با «حم» شروع می شود و پشت سر هم قرار گرفته و همه از سوره های مکّی است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۵۲ نامگذاری سوره به «مؤمن» به خاطر بخشی است که در باره مؤمن آل فرعون بیان می کند، همان طور که نامگذاری آن به «غافر» به خاطر آغاز سومین آیه آن است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 252

از پیامبر صلّی الله علیه و اله نقل شده که فرمود: «الحوامیم تاج القرآن سورههای (هفتگانه) حم تاج قرآن است»! و در حدیثی از امام صادق علیه السّیلام میخوانیم: «سورههای حامیم گلهای قرآن است، خدا را سپاس گوئید و با حفظ و تلاوت این سورهها او را شکر گذارید، هر بندهای که از خواب برخیزد و سورههای حامیم بخواند از دهانش (در قیامت) بوی عطر دل انگیزی بهتر از مشک و عنبر خارج می شود، و خداوند خواننده این سورهها را رحمت می کند و نیز همسایگان و دوستان و آشنایان و تمام یاران نزدیک و دور او را مشمول رحمت خویش قرار می دهد، و در قیامت عرش و کرسی و فرشتگان مقرب خدا برای او استغفار می کنند».

روشن است این فضائل بزرگ پیوندی با آن محتوای برجسته دارد، محتوایی که هرگاه در زندگی انسان در بعد «اعتقادی» و «عملی» او پیاده شود بدون شک مستحق این فضائل عظیم است، و اگر در این روایات سخن از تلاوت به میان آمده، منظور تلاوتی است که مقدمهای برای ایمان و عمل باشد.

بِسْم اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۱ ص: ۲۵۲

(آیه ۱)- در آغاز این سوره نیز به «حروف مقطعه» برخورد می کنیم که در اینجا از نوع تازهای از آن است: «حا-میم» (حم). در بعضی از روایات دو حرف آغاز این سوره به نامهای خدا که با این دو حرف آغاز می شود تفسیر شده است، چنانکه در حدیثی از امام صادق علیه السّلام به «حمید» و «مجید» تفسیر گردیده است.

بعضی نیز «ح» را به نامهایی مانند «حمید» و «حلیم» و «حنان» و «م» را به نامهایی مانند «ملک» و «مالک» و «مجید» تفسیر کردهاند.

این احتمال نیز وجود دارد که «ح» اشاره به «حاکمیت» و «م» اشاره به برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۵۳ «مالکیت خداوند» بوده باشد.

روشن است که این تفسیرها با هم منافاتی ندارد و ممکن است همه در معنی آیه جمع باشد.

سورهٔ غافر(٤٠): آيهٔ ٢ ص: ٢٥٣

(آیه ۲)- اوصافی امید بخش! در این آیه- همان گونه که روش قرآن است- بعد از ذکر «حروف مقطعه» سخن از عظمت مقام «قرآن» به میان می آورد، اشاره به این که این کتاب با این همه عظمت از حروف ساده الفبا ترکیب یافته، بنائی چنان عظیم از مصالحی چنین کوچک، و این خود دلیل بر اعجاز آن است.

مىفرمايد: «اين كتابى است كه از سوى خداوند قادر و دانا نازل شده است» (تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ).

عزت و قدرتش موجب شده که احدی نتواند با آن برابری کند، و علمش سبب گردیده که محتوای آن در اعلی درجه کمال،

و فراگیر همه نیازهای انسانها در طریق تکامل باشد.

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۳ ص: ۲۵۳

(آیه ۳)- این آیه خدا را به پنج وصف دیگر از صفات بزرگش که بعضی امید آفرین و بعضی خوف آفرین است توصیف کرده، می گوید: «خداوندی که آمرزنده گناه» است (غافِرِ الذَّنْبِ).

«و پذیرنده توبه» (وَ قابِل التَّوْب).

«دارای مجازات سخت» (شَدِیدِ الْعِقاب).

«و صاحب نعمت فراوان» است (ذِي الطَّوْلِ).

«هیچ معبودی جز او نیست» (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ).

«و بازگشت (همه شما) به سوی اوست» (إلَيْهِ الْمَصِيرُ).

آرى! كسى كه واجد اين اوصاف است فقط او شايسته عبوديت و مالك پاداش و كيفر است.

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۴ ص: ۲۵۳

(آیه ۴)- بعد از ذکر نزول قرآن از سوی خداوند و توصیف او به صفاتی که انگیزه خوف و رجا است سخن از گروهی به میان می آورد که در برابر این آیات الهی به مجادله و پرخاشگری بر می خیزند، و سرنوشت این گروه را ضمن جمله هایی بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۵۴

کوتاه و کوبنده روشن ساخته، میفرماید: «تنها کسانی در آیات الهی مجادله میکنند که (از روی عناد) کافر شدهاند» (ما یُجادِلُ فِی آیاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِینَ کَفَرُوا).

درست است که این گروه احیانا نیرو و جمعیت و قدرتی دارند، ولی «مبادا رفت و آمدهای آنان در شهرها (و قدرت نمائیهایشان) تو را بفریبد»! (فَلا یَغْرُرْکَ تَقَلَّبُهُمْ فِی الْبِلادِ).

هدف آیه فوق این است که به پیامبر صلّی الله علیه و اله و مؤمنان آغاز اسلام که غالبا از قشر محروم بودند گوشزد کند مبادا امکانات مالی، و قدرت سیاسی و اجتماعی کافران جبار را دلیلی بر حقانیت، و یا قدرت واقعی آنها بدانند، دنیا این گونه اشخاص را زیاد به خاطر دارد، و تاریخ نشان می دهد که تا چه اندازه در برابر مجازاتهای الهی ضعیف و ناتوان بودند، همانند برگهای پژمرده پائیزی در برابر تندباد خزان.

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۵ ص : ۲۵۴

(آیه ۵)- لـذا در این آیه سرنوشت بعضی از اقوام گمراه و سرکش پیشین را در عباراتی کوتاه و کوبنده به این گونه بیان می کند: «پیش از آنها قوم نوح و اقوامی که بعد از ایشان بودند (پیامبرانشان را) تکذیب کردند» (کَونَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ).

آری! آنها احزابی بودنـد که دست به دست هم دادنـد و به تکـذیب پیـامبران الهی که دعوتشـان بـا منـافع نامشـروع و هوی و هوسهای آنها هماهنگ نبود برخاستند. سپس می افزاید: به این مقدار نیز قناعت نکردند «و هر امتی در پی آن بود که توطئه کند و پیامبرش را بگیرد» و آزار دهد (وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ).

باز به این هم اکتفا نکردند «و برای محو حق به مجادله باطل دست زدند» و برای گمراه ساختن مردم اصرار ورزیدند (وَ جادَلُوا بِالْباطِل لِیُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ).

اما این امور برای همیشه ادامه نیافت و به موقع «من آنها را گرفتم (و سخت مجازات کردم) ببین که مجازات من چگونه بود»؟! (فَأَخَذْتُهُمْ فَكَیْفَ کانَ عِقابِ).

ویرانههای شهرهای آنها در مسیر مسافرتهای شما به چشم میخورد، و سرنوشت شوم و عاقبت سیاه و تاریکشان بر صفحات تاریخ و سینههای برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۵۵

صاحب دلان ثبت است، بنگرید و عبرت گیرید.

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۶ ص: ۲۵۵

(آیه ۶)- این آیه علاوه بر مجازات دنیوی، به مجازات آنها در سرای دیگر اشاره کرده، می گوید: «و این گونه فرمان پروردگارت در باره کسانی که کافر شدند مسلّم شده که آنها همه اهل آتشند» (وَ کَذلِکَ حَقَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّار).

ظاهر معنی آیه وسیع و گسترده است و کافران لجوج را از همه اقوام شامل میشود، و بدیهی است مسلم شدن فرمان پروردگار در باره این قوم به دنبال گناهان مستمر و اعمال خلافی است که با اراده خود انجام دادند.

سورهٔ غافر(٤٠): آيهٔ ٧ ص: ٢٥٥

(آیه ۷)- حاملان عرش الهی پیوسته به اهل ایمان دعا می کنند لحن آیات پیشین نشان میداد که این آیات هنگامی نازل شده که مسلمانان در اقلیت و محرومیت بودند، و دشمنان در اوج قدرت.

و به دنبال آن آیات بعد در حقیقت برای این نازل شده که به مؤمنان راستین بشارت دهد که شما هر گز تنها نیستید.

می فرماید: «فرشتگانی که حاملان عرشند و آنها که در گرداگرد آن (طواف می کنند) تسبیح و حمد پروردگارشان را می گویند و به او ایمان دارند و برای مؤمنان استغفار می کنند» (الَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ یَشْتَغْفِرُونَ لِلَّذِینَ آمَنُوا).

گفتار آنها این است که می گویند: «پروردگارا! رحمت و علم تو همه چیز را فراگرفته (تو از گناهان بندگانت با خبری و نسبت به آنها رحیمی خداوندا!) آنها را که توبه کردهاند و راه تو را پیروی میکنند بیامرز و آنها را از عذاب دوزخ نگاه دار» (رَبَّنا وَسِعْتَ کُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَکَ وَ قِهِمْ عَذابَ الْجَحِيم).

این آیه از یک سو به مؤمنان می گوید تنها شما نیستید که عبادت خداوند می کنید، و تسبیح و حمد او را می گویید، قبل از شما مقربترین فرشتگان خداوند و حاملان و طواف کنندگان عرش خدا حمد و تسبیحش می گویند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۵۶

از سوی دیگر به کفار هشدار میدهد که ایمان آوردن یا نیاوردن شما مهم نیست، خدا نیازی به ایمان کسی ندارد.

و از سوی سوم به مؤمنان آگاهی میدهـد که شـما در این جهان تنها نیستید- هر چند در محیط زندگی خود در اقلیت باشـید-نیرومندترین قدرتهای غیبی عالم پشتیبان شما و دعاگوی شما هستند.

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۸ ص: ۲۵۶

(آیه ۸)- در این آیه در ادامه دعاهای حاملان عرش در باره مؤمنان میافزاید: «پروردگارا! آنها را در باغهای جاویدان بهشت که به آنها وعده فرمودهای وارد کن» (رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِی وَعَدْتَهُمْ).

«و همچنین از پدران و همسران و فرزندانشان هر کدام که صالح بودند» (وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ). چرا «که تو توانا و حکیمی» (إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ).

وعده الهی که در این آیات به آن اشاره شده همان وعدهای است که بارها خداوند به وسیله پیامبران به مردم داده است. تقسیم مؤمنان به دو گروه بیانگر این واقعیت است که گروهی در ردیف اول قرار دارند، و در پیروی اوامر خداوند کاملا کوشا هستند، اما گروه دیگری در این حد نیستند امام به خاطر پیروی نسبی از گروه اول و انتسابشان به آنها نیز مشمول دعای فی شتگانند.

سورهٔ غافر(٤٠): آيهٔ ٩ ص: ٢٥٦

(آیه ۹) - سپس آنها در چهارمین دعایشان در حق مؤمنان چنین می گویند:

«و آنها را از بدیها نگاهدار که هر کس را در آن روز از بدیها نگاهداری مشمول رحمتت ساختهای» (وَ قِهِمُ السَّيِّئاتِ وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ).

و بالأخره دعای خود را با این جمله پر معنی پایان میدهند: «و این است همان رستگاری عظیم» (وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ). چه فوز و نجاتی از این برتر که گناهان انسان بخشوده شود، عـذاب و بـدیها از او دور گردد، مشـمول رحمت الهی شود، و در بهشت جاویدانش قدم بگذارد و بستگان مورد علاقهاش نیز به او ملحق گردند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۵۷

سورهٔ غافر (40): آیهٔ ۱۰ ص: ۲۵۷

(آیه ۱۰)- ما به گناه خود معترفیم آیا راه جبرانی هست؟

در آیات گذشته سخن از شمول «رحمت» الهی نسبت به مؤمنان بود، و در اینجا سخن از چگونگی «غضب» پروردگار بر افراد بی ایمان است، تا با قرینه مقابله هر دو بحث روشنتر گردد.

نخست مىفرمايد: «كسانى راكه كافر شدند روز قيامت صدا مىزنند كه عداوت و خشم پروردگار نسبت به شما از عداوت و خشم شما به خودتان بيش مىگرفتيـد» (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا خشم شما به خودتان بيشـتر است چراكه دعوت به سوى ايمـان مىشديـد ولى راه كفر را پيش مىگرفتيـد» (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ).

چه کسی آنها را چنین ندا می کند؟ ظاهر این است که فرشتگان عذاب برای ملامت و سرزنش و رسوا کردن آنها چنین ندائی سر میدهند، در حالی که فرشتگان رحمت همواره آماده اکرام و احترام مردم با ایمان و صالح میباشند. منظور از خشم و عداوت کفار نسبت به خودشان این است که آنها بزرگترین دشمنی را در حق خود در دنیا انجام دادهاند، آیا دشمنی با خویشتن از این شدیدتر می شود که انسان به خاطر پیروی هوای نفس و بهره گیری از متاع چند روزه دنیا راه سعادت جاویدان را به روی خویش ببندد و درهای عذاب ابدی را بگشاید.

سورهٔ غافر(٤٠): آيهٔ ١١ ص: ٢٥٧

(آیه ۱۱)- به هر حال مجرمان با مشاهده اوضاع و احوال قیامت و آگاهی بر خشم خداوند نسبت به آنها از خواب غفلت طولانی خویش بیدار می شوند و در فکر چاره افتاده «می گویند: پرورد گارا! ما را دو بار میراندی و دو بار زنده کردی (و ما در این مرگ و حیاتها همه چیز را فهمیدیم) اکنون به گناهان خود اعتراف می کنیم، پس آیا راهی برای خارج شدن (از دوزخ و بازگشت به دنیا و جبران ما فات) وجود دارد؟! (قالُوا رَبَّنا أُمَتَّنَا اثْنَتَیْنِ وَ أُحْیَیْتَنَا اثْنَتَیْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلی خُرُوجٍ مِنْ سَبِیلٍ). آری! در آنجا پردههای غرور و غفلت کنار می رود، و چشم حقیقت بین انسان باز می شود، لذا چاره ای جز اعتراف به گناه ندارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۵۸

منظور از دو بـار میرانـدن، مرگ در پایـان عمر و مرگ در پایـان برزخ است، و منظور از دو مرتبه احیا، احیای برزخی و احیای در قیامت است.

به این ترتیب ما یک حیات جسمانی داریم و یک حیات برزخی، در پایان عمر از حیات جسمانی می میریم، و در پایان این جهان از حیات برزخی و نیز دارای دو حیات به دنبال این دو مرگ هستیم: حیات برزخی، و حیات روز قیامت.

سورهٔ غافر (40): آیهٔ ۱۲ ص: ۲۵۸

(آیه ۱۲) – اما ناگفته پیداست که پاسخ این تقاضای کافران که از دوزخ بیرون آیند و به دنیا برگردند تا به گمان خود گذشته تاریک را جبران نمایند منفی است و منفی بودن آن به قدری روشن است که حتی در آیات مورد بحث سخنی از آن به میان نیامده، تنها در این آیه مطلبی ذکر می کند که به منزله دلیل آن است، می فرماید:

«این به خاطر آن است که وقتی خداونـد به یگانگی خوانـده میشـد انکار میکردیـد و اگر برای او همتایی میپنداشـتند ایمان می آورید» (ذلِکُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِیَ اللَّهُ وَحْدَهُ کَفَرْتُمْ وَ إِنْ یُشْرَکْ بِهِ تُؤْمِنُوا).

آری! هر جا سخن از توحید و پاکی و تقوا و فرمان حق بود چهره درهم میکشیدید، و هر جا از کفر و نفاق و شرک و آلودگی سخن به میان میآمد خوشحال و شادان میشدید، و به همین دلیل سرنوشتی غیر از این ندارید.

در پایان آیه برای آن که این تاریکدلان مشرک را برای همیشه مأیوس کند، میفرماید: «اکنون داوری مخصوص خداوند بلند مرتبه و بزرگ است» و شما را مطابق عدل خود کیفر میدهد (فَالْحُکْمُ لِلَّهِ الْعَلِیِّ الْکَبِیرِ).

جز او قاضیی و دادخواه و دادرسی در این محکمه نیست، و چون او «علیّ» و «کبیر» است نه مغلوب کسی می گردد، نه توصیهای در او مؤثر میشود، و هیچ راه فراری در برابر حکمش وجود ندارد.

سورهٔ غافر(٤٠): آيهٔ ١٣ ص: ٢٥٨

(آیه ۱۳)– تنها خمدا را بخوانیمد هر چند کافران نپسندند این آیه و دو آیه بعد استدلالی است بر توحید و وحدانیت خداوند و

ربوبیت او، و نفی شرک و بت پرستی.

نخست می گوید: «او کسی است که آیاتش را به شما نشان میدهد» (هُوَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۵۹ الَّذِی یُریکُمْ آیاتِهِ)

.همان آیات و نشانه های آفاقی و انفسی که تمام عالم هستی را پر کرده است.

سپس به بیان یکی از این آیات پرداخته، میافزاید: «او از آسمان برای شما روزی (پر ارزشی) میفرستد» (وَ یُنَزِّلُ لَکُمْ مِنَ السَّماءِ رزْقاً).

دانه های حیات بخش باران، نور آفتاب که زنده کننده تمام موجودات است، و هوائی که مایه حیات همه حیوانات و گیاهان می باشد همه از آسمان نازل می شود.

و در پایان آیه میافزاید: با وجود این همه آیات در پهنه جهان هستی چشمهای نابینا و قلوبی که حجاب بر آنها افکنده شده چیزی نمی بینند «تنها کسانی متذکر می شوند که به سوی خدا باز گردند» و قلب و جان خود را از آلودگیها بشویند. (وَ ما یَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ یُنِیبُ).

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۱۴ ص: ۲۵۹

(آیه ۱۴) - در این آیه چنین نتیجه گیری می کند: «اکنون (که چنین است) خدا را بخوانید و دین خود را برای او خالص کنید» (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ).

برخیزید و با تیشه ایمان به جان بتهای مشرکان بیفتید، و همه را از صفحه فکر و فرهنگ و اجتماع خود محو کنید. البته این کار شما کافران لجوج و متعصب را سخت ناراحت میکند ولی ترس و هراسی به خود راه ندهید، آئین خود را خالص کنید «هر چند کافران ناخشنود باشند» (وَ لَوْ کَرِهَ الْکافِرُونَ).

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۱۵ ص: ۲۵۹

(آیه ۱۵)- این آیه خدا را با چند وصف مهم از اوصافش توصیف کرده، می گوید: «او درجات (بندگان صالح) را بالا میبرد» (رَفِیعُ الدَّرَجاتِ).

او در علمش بلند مرتبه است، و در قدرتش نیز بلند مرتبه، تمام اوصاف کمال و جمالش آن قدر مرتفع و بالاست که همای بلند پرواز و دانش بشری هرگز به اوج آن نمی رسد.

سپس مى افزايد: «او صاحب عرش است» (ذُو الْعَرْشِ).

سر تا سر عالم هستی تحت قدرت و حکومت اوست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۶۰

در سومین توصیف می گوید: «روح (مقدس) را به فرمانش بر هر کسی از بندگانش که بخواهد القاء می کند» (یُلْقِی الرُّوحَ مِنْ أَمْرهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ).

این روح همان قرآن و مقام نبوت و وحی است که مایه حیات دلها و همانند روح در پیکر انسانی است.

جالب ایـن که در آیـات پیشـین سـخن از نزول بـاران و ارزاق جسـمانی در میـان بـود و در اینجـا سـخن از نزول وحی و رزق روحانی است. اکنون ببینیم هدف از القای «روح القدس» بر پیامبران چیست؟ و آنها این راه پر نشیب و فراز و طولانی و پر مشقت را برای چه هدفی تعقیب می کنند؟

در آخرین جمله آیه به این سؤال پاسخ داده شده، می گوید: «هدف این است «تا (مردم را) از روز ملاقات [روز رستاخیز] بیم دهد»! (لِیُنْذِرَ یَوْمَ التَّلاقِ).

روزی که بندگان با پروردگارشان از طریق شهود باطنی ملاقات می کنند.

روزی که گذشتگان و آیندگان همه با هم تلاقی دارند.

روز ملاقات پیشوایان حق و باطل با پیروانشان.

روز لقای مستضعفین و مستکبرین و ملاقات ظالم و مظلوم.

روز دیدار انسانها و فرشتگان.

و بالأخره روز تلاقى انسان با اعمال و گفتار و كردارش و با دادگاه عدل خداوند.

سورهٔ غافر (٤٠): آيهٔ ١٦ ص: ٢۶٠

(آیه ۱۶) - روز تلاقی! این آیه و چند آیه بعد از آن توضیح و تفسیری است برای «یوم التلاق» که از نامهای قیامت است، و در آیه قبل به آن اشاره شد.

نخست میفرماید: روز تلاقی «روزی که همه آنان آشکار میشوند» (یَوْمَ هُمْ بارِزُونَ). و تمام پردهها و حجابها کنار میرود و اسرار درون همگان آشکار میگردد.

در دومین توصیف از آن روز میافزاید: «چیزی از مردم بر خدا پنهان نخواهد ماند» (لا یَخْفی عَلَی الَّهِ مِنْهُمْ شَیْءً).

در این جهان و امروز نیز چیزی بر خداوند عالم و قادر مخفی نیست، ولی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۶۱

ظهور اشیاء در آن روز از تأکید بیشتری برخوردار است، جایی که دیگران نیز از اسرار هم آگاه شوند در مورد خداوند مسأله نیاز به بحث و گفتگو ندارد.

سومین ویژگی آن روز حاکمیت مطلقه پروردگار است، چنانکه در دنباله آیه میفرماید: در آن روز گفته میشود: «حکومت امروز برای کیست»؟ (لِمَنِ الْمُلْکُ الْیَوْمَ).

و در پاسخ می گویند: «برای خداوند یکتای قهّار است» (لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ).

این سؤال و جواب از سوی فرد خاصی عنوان نمی شود سؤالی است که از سوی خالق و مخلوق، فرشته و انسان، مؤمن و کافر و از تمام ذرات وجود و در دیوار عالم هستی بـدون اسـتثنا مطرح است، و همگی نیز با زبان حال به آن پاسخ می گویند، یعنی به هر جا بنگری آثار حاکمیت او نمایان است و بر هر چه نگاه کنی نشانههای قاهریت او در آن ظاهر است.

به زمزمه هر ذرهای گوش فرادهی «لمن الملک» می گوید، و در پاسخ «لله الواحد القهّار» از آن می شنوی.

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۷ ص: ۲۶۱

(آیه ۱۷)– ویژگی چهارم آن روز این است که روز پاداش و کیفر است، چنانکه در آیه شریفه میفرماید: «امروز هرکسی در برابر کاری که انجام داده جزا داده میشود» (الْیَوْمَ تُجْزی کُلُّ نَفْسِ بِما کَسَبَتْ).

آری! آن ظهور و بروز و آن احاطه علمی خداوند و حاکمیت و مالکیت و قهاریت او همه دلیلی است روشن بر این حقیقت بزرگ و امید بخش و بیم آفرین.

ويژگى پنجم همان است كه در جمله بعد مىافزايد: «امروز هيچ ظلم و ستمى (بر هيچ كس) نخواهد بود» (لا ظُلْمَ الْيَوْمَ).

چگونه ممکن است ظلم و ستمی تحقق یابد در حالی که ظلم یا به خاطر جهل است که او بر همه چیز احاطه علمی دارد. یا به خاطر عجز است که او قاهر و مالک و حاکم بر همه چیز است.

ششمین و آخرین ویژگی سرعت محاسبه اعمال بندگان است، چنانکه در پایان آیه میفرماید: «خداوند سریع الحساب است» (إنَّ اللَّهَ سَریعُ الْحِساب). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۶۲

سرعت حسابش در آنجا به قدری است که در حدیث آمده است: «خداوند حساب همه بندگان را در یک چشم بر هم زدن می رسد»

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۸ ص: ۲۶۲

(آیه ۱۸)- روزی که جانها به لب میرسد! این آیه همچنان ادامه توصیف قیامت است.

نخست مي گويد: «آنها را از روز نزديك بترسان» (وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ).

اگر درست بنگریم مجموعه عمر دنیا در برابر عمر قیامت لحظه زود گذری بیش نیست، و چون هیچ تاریخی از سوی خداوند برای آن به کسی حتی به پیامبران اعلام نشده است باید همیشه آماده استقبال از آن بود.

دومين توصيف اين كه: «در آن روز (از شدت هول و ترس) دلها به گلوگاه مىرسد»! (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ).

در توصیف سوم می گوید: «تمامی وجود آنها مملو از اندوه می گردد» اما توانایی اظهار آن را ندارند (کاظِمِینَ).

اگر انسان گرفتار اندوه و غم جانکاهی شود اما بتواند فریاد کند ممکن است کمی آرام گیرد، اما افسوس که در آنجا حتی جای فریاد و نعره زدن نیست، آنجا پیشگاه داوری حق و محضر عدل پروردگار، و حضور جمیع خلایق است، فریاد چه سودی دارد؟! چهارمین توصیف این که: «برای ستمکاران دوستی وجود ندارد» (ما لِلظَّالِمِینَ مِنْ حَمِیم).

آن گروه از دغل دوستان که همچون مگسان گرد شیرینی به هنگام قدرت اطراف آنها را گرفته بودند، همه گرفتار کار خویشند، و به دیگری نمی پردازند، آری در آن روز نه دوستی برای انسان وجود دارد و نه غمخواری برای درد دل کردن. در پنجمین توصیف می فرماید: «و نه شفاعت کنندهای که شفاعتش پذیرفته شود» (وَ لا شَفِیع یُطاعُ).

چرا که شفاعت شافعان راستین مانند انبیا و اولیاء نیز به اذن پروردگار است، و به این ترتیب قلم بطلان بر پندار بت پرستان می کشد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۶۳

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۱۹ ص: ۲۶۳

(آیه ۱۹) - در ششمین مرحله یکی از اوصاف خدا را بیان می کند که در ضمن توصیفی برای چگونگی قیامت است، می گوید: «خدا چشمهایی را که به خیانت گردش می کند می داند، و آنچه را در سینه ها پنهان می دارند» می داند (یَعْلَمُ خائِنَهُ الْأَعْیُنِ وَ ما تُخْفِی الصُّدُورُ).

آری! خـدائی که از حرکات مخفیانه چشـمها و اسـرار درون سـینهها آگاه است در آن روز در باره خلایق دادرسـی و قضاوت میکند.

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۲۰ ص: ۲۶۳

(آیه ۲۰)- در هفتمین توصیف از قیامت که آن نیز به صورت توصیف خداوند مطرح شده، میفرماید: «خداوند به حق داوری می کند» (وَ اللَّهُ یَقْضِی بِالْحَقِّ).

«و معبودهایی را که غیر از او میخوانند هیچ گونه داوری ندارند» (وَ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا یَقْضُونَ بِشَیْءٍ).

آری! آن روز مقام داوری مخصوص به خداست، و او هم جز به حق داوری نمی کند.

سر انجام به عنوان تأكيد بر آنچه در اين آيات گذشت سخن را با اين جمله پايان مىدهد: «خداوند شنوا و بيناست» (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

بلکه بینائی و شنوائی به معنی واقعی کلمه، یعنی حضور همه مسموعات و مبصرات و تمام شنیدنیها و دیدنیها نزد او منحصر به ذات پاک خداست، و این تأکیدی است بر علم و آگاهی او بر همه چیز، و داوری او به حق چرا که تا کسی سمیع و بصیر مطلق نباشد داور حق نخواهد بود.

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۲۱ ص: ۲۶۳

(آیه ۲۱)- عاقبت دردناک پیشینیان ستمگر را بنگرید! از آنجا که روش قرآن در بسیاری از آیات این است که بعد از ذکر کلیات در مورد مسائل حساس و اصولی آن را با مسائل جزئی و محسوس می آمیزد، در اینجا نیز بعد از گفتگوهای گذشته پیرامون مبدأ و معاد مردم را به مطالعه حالات پیشینیان و از جمله وضع فرعون و فرعونیان دعوت می کند.

نخست می فرماید: «آیا آنها روی زمین سیر نکردند تا ببینند عاقبت کسانی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۶۴ پیش از آنان بودند چگونه بود»؟! (أَ وَ لَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الَّذِینَ کانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ).

این تاریخ مدون نیست که در اصالت و صحت آن تردید شود، این تاریخ زندهای است که با زبان بیزبانی فریاد میکشد، و تاریخ واقعی را بیکم و کاست شرح میدهد.

سپس می افزاید: «آنها کسانی بودند که در قوت و قدرت و به وجود آوردن آثار مهمی در زمین از اینها نیرومندتر بودند» (کانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثاراً فِی الْأَرْض).

آن چنان حکومت قوی و لشکریان عظیم و تمدن مادی درخشان داشتند که زندگی مشرکان مکّه در برابر آنها بازیچهای بیش نیست! و در پایان آیه سرنوشت این اقوام سرکش را در یک جمله کوتاه چنین بازگو میکند: «ولی خداوند آنها را به گناهانشان گرفت و در برابر عذاب او مدافعی نداشتند»! (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ ما کانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ).

نه کثرت نفرات آنها مانع از عذاب الهی شد، و نه قدرت و شوکت و مال و ثروت بیحسابشان.

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۲۲ ص: ۲۶۴

(آیه ۲۲) - در این آیه آنچه را بطور اجمال قبلا گفته است شرح داده، می فرماید: «این (مجازات دردناک الهی) بخاطر این بود

كه فرستادگان آنها پيوسته با دلائل روشن به سراغشان مى آمدنـد و آنها همه را انكار مى كردنـد» (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا).

چنان نبود که آنها غافل و بیخبر باشند، و یا کفر و گناهشان ناشی از عدم اتمام حجت گردد، نه رسولان آنها پی در پی می آمدند اما آنها هرگز در برابر اوامر الهی تسلیم نشدند.

«اینجا بود که خداوند آنها را گرفت و کیفر داد» (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ).

«زيرا او قوى و مجازاتش شديد است» (إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ).

در جای رحمت «ارحم الراحمین» است، و در جای خشم و غضب بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۶۵

«اشد المعاقبين

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۲۳ ص: ۲۶۵

(آیه ۲۳)– به دنبال اشارهای که در آیات قبل پیرامون سرنوشت دردناک اقوام پیشین آمده بود در اینجا به شرح یکی از این ماجراها پرداخته، و انگشت روی داستان موسی و فرعون و هامان و قارون می گذارد.

نخست می فرماید: «ما موسی را با آیات خود و دلیل روشن فرستادیم ...»

(وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينِ).

تعبیر به «آیات» اشاره به «معجزات موسی» و «سلطان مبین» به معنی منطق نیرومند و دلائل دندان شکنی است که موسی در برابر فرعونیان داشت.

به این ترتیب موسی (ع) مأمور بود به ظلم حاکمان بیدادگر، و شیطنت سیاستمداران خائن، و تعدّی ثروتمندان مستکبر پایان دهد و جامعهای بر اساس عدالت و داد از نظر سیاسی و فرهنگی و اقتصادی بسازد.

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۲۴ ص: ۲۶۵

(آیه ۲۴)– آری! ما موسی را فرستادیم «به سوی فرعون و هامان و قارون، اما آنها گفتند: او ساحری بسیار دروغگوست»! (إِلی فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ قارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ).

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۲۵ ص: ۲۶۵

(آیه ۲۵)- این آیه بخشی از طرحهای شیطانی آنها را بازگو کرده، می گوید:

«پس هنگامی که حق از نزد ما به سراغ آنها آمـد (به جای این که آن را مغتنم بشـمرند به مقابله برخاسـتند، و) گفتند: پسـران کسـانی را که بـا موسـی ایمان آوردهانـد به قتل برسانیـد، و زنانشان را (برای اسارت و خـدمت) زنـده بگذاریـد»! (فَلَمَّا جاءَهُمْ بالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ).

این تعبیر نشان می دهد که مسأله قتل فرزندان پسر و زنده نگهداشتن دختران تنها در دوران قبل از تولد موسی (ع) نبوده، بلکه بعد از قیام و نبوت او نیز این کار تکرار شد.

و این یک نقشه شوم و مستمر حکومتهای شیطانی است که نیروهای فعال را به نابودی می کشانند و نیروهای غیر فعال را برای

بهره کشی زنده نگه می دارند.

قرآن در پایان آیه میافزاید: «اما نقشه کافران جز در گمراهی نیست» (وَ ما کَیْدُ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۶۶ الْکافِرینَ إِنَّا فِی ضَلالٍ)

تیرهایی است که در تاریکی جهل و ضلال پرتاب میکنند و به سنگ میخورد. و از آنجایی که هرگز باور ندارند، فاجعهها دامنگیرشان میشود، این مشیت الهی است که نیروهای حق سر انجام بر نیروی باطل غلبه کنند.

سورهٔ غافر (40): آیهٔ ۲۶ ص: ۲۶۶

(آیه ۲۶) - درگیری و نزاع میان موسی (ع) و پیروانش از یک سو، و فرعون و طرفدارانش از سوی دیگر بالا گرفت. قرآن می گوید: «فرعون گفت: بگذارید موسی را بکشم و او پروردگارش را بخواند» تا نجاتش دهد! (وَ قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِی أَقْتُلْ مُوسی وَ لْیَدْعُ رَبَّهُ).

از این تعبیر استفاده می شود که اکثریت مشاوران که مانع قتل موسی بودند یا لا اقل بعضی از آنان به این امر استدلال می کردند که با توجه به کارهای خارق العاده موسی ممکن است نفرینی کند و خدایش عذاب بر ما نازل کند، اما فرعون مغرور می گوید: من او را می کشم هر آنچه بادا باد! سپس فرعون برای توجیه تصمیم قتل موسی دو دلیل برای اطرافیانش؟ می کند: یکی جنبه به اصطلاح دینی و معنوی دارد، و دیگر جنبه دنیوی و مادی می گوید: «من از این می ترسم که آیین شما را عوض کند!» و دین نیاکانتان را بر هم زند! (إنِّی أَخافُ أَنْ یُبَدِّلَ دِینَکُمْ).

«يا اين كه فسادى بر روى زمين آشكار سازد» (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ).

و اگر امروز سکوت کنم و بعد از مدتی اقدام به مبارزه با موسی نمایم هواخواهان بسیاری پیدا میکند و درگیری شدیدی به وجود میآید که مایه خونریزی و فساد و ناآرامی در سطح کشور خواهد بود، بنابر این مصلحت این است که هر چه زودتر او را به قتل برسانم.

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۲۷ ص: ۲۶۶

(آیه ۲۷)– اکنون ببینیم موسی (ع) که ظاهرا در آن مجلس حضور داشت چه عکس العملی نشان داد؟

آیه شریفه می گوید: «موسی گفت: من به پروردگارم و پروردگار شما پناه میبرم از هر متکبری که به روز حساب ایمان نمی آورد»! (وَ قالَ مُوسی إِنِّی عُذْتُ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۶۷

بِرَبِّى وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ)

این گفتار موسی (ع) به خوبی نشان می دهد افرادی که دارای دو ویژگی «تکبر» و «عدم ایمان به روز قیامت» باشند آدمهای خطرناکی محسوب می شوند.

و باید از چنین افرادی به خدا پناه برد!

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۲۸ ص: ۲۶۷

(آیه ۲۸)- آیا کسی را به خاطر دعوت به سوی خدا می کشند؟

از اینجا فراز دیگری از تاریخ موسی (ع) و فرعون شروع می شود که در قرآن مجید تنها در این سوره مطرح شده است و آن داستان «مؤمن آل فرعون» است، که از نزدیکان فرعون بود دعوت موسی (ع) را به توحید پذیرفت ولی ایمان خود را آشکار نمی کرد، هنگامی که مشاهده کرد با خشم شدید فرعون جان موسی (ع) به خطر افتاده مردانه قدم پیش نهاد و با بیانات مؤثر خود توطئه قتل او را بر هم زد.

چنانكه آيه مىفرمايىد: «و مرد مؤمنى از آل فرعون كه ايمان خود را كتمان مىكرد گفت: آيا مىخواهيىد مردى را بكشيد به خاطر اين كه مىگويىد: پروردگار من الله است»؟! (وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللَّهُ).

«در حالی که معجزات و دلائل روشنی از سوی پروردگارتان با خود آورده است» (وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ).

آیا شما می توانید معجزات او را مانند معجزه «عصا» و «ید بیضا» انکار کنید؟

خوب فکر کنید، دست به کار عجولانه و شتاب زدهای نزنید، و در عاقبت کار خود درست بیندیشید و گر نه پشیمان خواهید شد.

از همه اینها گذشته از دو حال خارج نیست: «اگر او دروغگو باشد دروغش دامن خودش را خواهد گرفت، و اگر راستگو باشد لا اقل بعضی از عذابهایی را که وعده میدهد دامن شما را خواهد گرفت» (وَ إِنْ یَکُ کاذِباً فَعَلَیْهِ کَذِبُهُ وَ إِنْ یَکُ صادِقاً یُصِبْکُمْ بَعْضُ الَّذِی یَعِدُکُمْ).

سپس افزود: «خداوند کسی را که اسرافکار و بسیار دروغگوست هدایت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۶۸ نمی کند» (إِنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ کَذَّابٌ).

اگر موسمی راه تجاوز و اسراف و دروغ را پیش گرفته باشد مسلما مشمول هدایت الهی نخواهد شد، و اگر شما چنین باشید شما نیز از هدایتش محروم خواهید گشت.

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۲۹ ص: ۲۶۸

(آیه ۲۹) - مؤمن آل فرعون به این مقدار هم قناعت نکرد و باز ادامه داد، با لحنی دوستانه و خیرخواهانه آنها را مخاطب ساخته، چنین گفت: «ای قوم من! امروز حکومت (در این سرزمین پهناور مصر) از آن شماست، و از هر نظر غالب و پیروزید (این نعمتهای فراوان را کفران نکنید) اگر عذاب الهی به سراغ ما آید چه کسی ما را یاری خواهد کرد»؟! (یا قَوْمِ لَکُمُ الْمُلْکُ الْمُلْکُ الْیُوْمَ ظاهِرِینَ فِی الْأَرْضِ فَمَنْ یَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا).

این سخنان ظاهرا در «اطرافیان فرعون» بی اثر نبود، آنها را ملایم ساخت، و از خشمشان فرو کاست.

ولى «فرعون گفت: من جز آنچه را معتقدم به شما ارائه نمي دهم» (قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلَّا ما أَرى).

«و (بدانید) شما را جز به راه صحیح راهنمایی نمی کنم» دستور همان قتل موسی است (وَ ما أَهْدِیكُمْ إِلَّا سَبِیلَ الرَّشادِ).

و چنین است حال همه جبّاران و طاغوتها در طول تاریخ، و در گذشته و امروز که همیشه رأی صواب را رأی خود می پندارند.

سورهٔ غافر (40): آیهٔ ۳۰ ص: ۲۶۸

(آیه ۳۰)- من به شما اخطار می کنم! مردم مصر به حکم این که در آن زمان نیز نسبتا متمدن و با سواد بودند گفتگوهای

مورخان را در باره اقوام پیشین، اقوامی همچون قوم نوح و عاد و ثمود که سرزمین آنها غالبا فاصله زیادی از آنها نداشت شنیده بودند، و از سرنوشت دردناک آنها کم و بیش خبر داشتند.

لذا مؤمن آل فرعون بعد از آن که با نقشه قتل موسی به مخالفت پرداخت و با مقاومت سر سختانه فرعون رو برو شد که دستور قبـل را مجـددا تأییـد کرد به این فکر افتـاد که این بـار دست این قوم سـرکش را گرفته و به اعماق تاریـخ پیشـینیان ببرد، شاید برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۶۹

بیدار شوند و در تصمیم خود تجدید نظر کنند. آیه می گوید: «آن مرد با ایمان گفت:

اى قوم من! من بر شـما از روزى همانند روز (عذاب) اقوام پيشـين بيمناكم» (وَ قالَ الَّذِى آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزاب).

سورهٔ غافر(٤٠): آيهٔ ٣١ ص: ٢٦٩

(آیه ۳۱)– سپس به شرح این سخن پرداخت و گفت: «و از عادتی همچون عادت قوم نوح و عاد و ثمود و کسانی که بعد از آنها بودند» از شرک و کفر و طغیان بیمناکم (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحِ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِینَ مِنْ بَعْدِهِمْ).

آیا دلیلی دارید که این گونه عـذابهای الهی دامانتان را نخواهد گرفت؟ مگر آنها چه کرده بودند که آن چنان گرفتار شدند؟ جز این که در برابر دعوت پیامبران الهی ایستادند و گاهی پیامبران را کشتند، و یا تکذیب کردند؟

ولى بدانيد هر چه بر سر شما آيد از ناحيه خود شماست «چرا كه خداوند ظلم و ستمى بر بندگانش نمىخواهد» (وَ مَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ).

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۳۲ ص: ۲۶۹

(آیه ۳۲)– سپس افزود: «ای قوم! من بر شـما از روزی می ترسم که مردم یکـدیگر را صـدا میزننـد» از هم یـاری میطلبنـد و صدایشان به جایی نمیرسد! (وَ یا قَوْم إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ یَوْمَ التَّنادِ).

«یوم التّناد» مفهومش «روز ندا دادن یکدیگر» است، و این تعبیر نشانه نهایت عجز و بیچارگی است در زمانی که کارد به استخوان میرسد، و افرادی که دستشان از همه جا بریده یکدیگر را صدا میکنند و فریادشان به جایی نمیرسد.

در این جهان نیز «یوم التّناد» فراوان است، روزهایی که عـذاب الهی نازل میشود، بحرانها و حوادث سـخت همه را تحت فشار قرار میدهد، و پناهگاهی میجویند اما پناهگاهی وجود ندارد، و همه فریاد میکشند!

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۳۳ ص: ۲۶۹

(آیه ۳۳)- این آیه در تفسیر یوم التناد می گوید: «روزی که روی می گردانید و فرار می کنید، اما هیچ پناهگاه و نگهدارندهای در برابر عذاب الهی برای شما نیست» (یَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِینَ ما لَکُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ).

«آرى! كسى راكه خدا (بر اثر اعمالش) گمراه ساخته هدایت كنندهای برای او نیست» (وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۷۰

آنها در این دنیا از طریق هـدایت گمراه میشونـد و در حجابی از جهل و ضـلالت فرو میروند، و در آخرت از طریق بهشت و

نعمتهای الهی گمراه خواهند شد.

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۳۴ ص: ۲۷۰

(آیه ۳۴) – متکبران جبّار از درک صحیح محرومند: در یک بررسی اجمالی در آیات گذشته و آینده چنین به نظر میرسد که «مؤمن آل فرعون» برای نفوذ در قلب تیره فرعون و فرعونیان و زدودن زنگار کبر و کفر از آنها سخنان خود را در پنج شکل و مقطع مطرح کرد:

«مقطع اول» سخنان دو جانبه و احتياط آميز و دعوت آن قوم كافر طغيانگر به پرهيز از ضرر محتمل بود.

در «مقطع دوم» آنها را به سیر و مطالعه در احوال اقوام پیشین دعوت می کند.

در «مقطع سوم» قسمتی از تاریخ خودشان را متذکر می شود، که چندان فاصله از آنها ندارد و آن مسأله نبوّت «یوسف» است که از اجداد موسی بود، و طرز برخورد آنها با دعوت او را مطرح می کند.

مي گويد: «و پيش از اين، يوسف با دلائل روشن براي هدايت شما آمد» (وَ لَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ).

«اما شما همچنان در دعوت او شكّ و ترديد داشتيد» (فَما زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ).

نه از این جهت که دعوت او پیچیدگی داشت، و نشانه ها و دلائل او کافی نبود، بلکه به خاطر ادامه خود کامگیها، سرسختی نشان دادید.

سپس برای این که خود را از هرگونه تعهد و مسؤولیت خلاص کنید و به خودکامگی و هوسرانی خویش ادامه دهید «تا زمانی که (یوسف) از دنیا رفت گفتید: هرگز خداونـد بعـد از او رسولی مبعوث نخواهـد کرد» (حَتَّی إِذا هَلَکَ قُلْتُمْ لَنْ یَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا).

و به خاطر این روش نادرستتان مشمول هـدایت الهی نشدید، آری «این گونه خداوند هر اسرافکار تردید کننده وسوسه گر را گمراه می کند» (کَذلِکَ یُضِلُّ اللَّهُ مَنْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۷۱

هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ)

. شما از یک سو راه اسراف و تجاوز از حدود الهی را پیش گرفتید، و از سوی دیگر در همه چیز شک و تردید و وسوسه نمودید، و این دو کار سبب شد که خداوند دامنه لطفش را از شما برگیرد، و شما را در وادی ضلالت رها سازد.

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۳۵ ص: ۲۷۱

(آیه ۳۵) - این آیه به معرفی «مسرفان مرتاب» پرداخته، می گوید: «همانها که در آیات خدا بی آنکه دلیلی برایشان آمده باشد به مجادله بر می خیزند» (الَّذِینَ یُجادِلُونَ فِی آیاتِ اللَّهِ بِغَیْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ). بی آنکه هیچ دلیل روشنی از عقل و نقل برای سخنان خود داشته باشند.

سپس برای نشان دادن زشتی این عمل میافزاید: این گونه جدال بی اساس در مقابل حق «خشم عظیمی نزد خداوند و نزد آنان که ایمان آوردهاند به بار می آورد» (کَبْرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِینَ آمَنُوا).

چرا که «جدال به باطل» و موضعگیری بی دلیل و بی منطق در برابر آیات الهی هم مایه گمراهی مجادله کنندگان، و هم اسباب ضلالت دیگران است. و در پایان آیه به دلیل عدم تسلیم آنها در مقابل حق اشاره کرده، می فرماید:

«این گونه خداوند بر دل هر متکبّر جبّاری مهر مینهد»! (کَذلِکَ یَطْبَعُ اللَّهُ عَلی کُلِّ قَلْبِ مُتَکَبّرٍ جَبّارٍ).

لجاجتها و عناد در برابر حق پردهای ظلمانی بر فکر انسان میاندازد و حس تشخیص را از او می گیرد.

سورهٔ غافر(٤٠): آيهٔ 37 ص: 271

(آیه ۳۶)- میخواهم به آسمان روم تا از خدای موسی خبر گیرم! گر چه سخنان «مؤمن آل فرعون» این اثر را گذاشت که فرعون را از تصمیم قتل موسی بازداشت، ولی نتوانست فرعون را از مرکب غرور پایین آورد.

«فرعون گفت: ای هامان! برای من بنـای مرتفعی بسـاز شایـد به وسائلی دست یابم» (وَ قالَ فِرْعَوْنُ یا هامانُ ابْنِ لِی صَـرْحاً لَعَلِّی أَبْلُغُ الْأَسْبابَ).

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۳۷ ص: ۲۷۱

(آیه ۳۷)- «وسائل (صعود به) آسمانها تا از خدای موسی آگاه شوم، هر چند گمان می کنم او دروغگو باشد» (أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسى وَ إِنِّى برگزيده تفسير نمونه، ج۴، ص: ۲۷۲

لَأَظُنُّهُ كَاذِباً)

. آرى «اين چنين اعمال بـد فرعون در نظرش آراسـته جلوه كرد و از راه حق بازداشـته شد» (وَ كَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَن السَّبيل).

«اما توطئه و مكر فرعون جز به زيان و نابودى نمى انجامد» (وَ مَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبابِ).

ظاهر این است فرعون به عنوان چند هدف دست به چنین کاری زد:

۱- او میخواست وسیلهای برای اشتغال فکری مردم و انصراف ذهن آنها از مسأله نبوت موسی و قیام بنی اسرائیل فراهم آورد.
 ۲- او میخواست از این طریق کمک مادی و اقتصادی به تودههای زحمت کش کند، و کاری هرچند موقت برای بی کاران فراهم سازد تا کمی مظالم او را فراموش کنند و وابستگی مردم از نظر اقتصادی به خزینه او بیشتر گردد.

۳- برنامه این بود که بعد از پایان بنا بر فراز آن رود و نگاهی به آسمان کند و احتمالاً تیری در کمان گذارد و پرتاب کند و باز گردد، و برای تحمیق مردم بگوید:

خدای موسی هر چه بود تمام شد! به سراغ کار خود بروید، و فکرتان راحت باشد!

سورهٔ غافر(٤٠): آيهٔ ٣٨ ص: 272

قالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْم اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ).

(آیه ۳۸)- از من پیروی کنید تا راه راست را به شما نشان دهم گفتیم «مؤمن آل فرعون» سخنان خود را در چند مقطع بیان کرد، در اینجا چهارمین مقطع از سخنان او آمده که مقصود خود را از طریق دیگری دنبال می کند، و آن توجه دادن به «ناپایداری زندگی دنیا» و «مسأله معاد و حشر و نشر» است و توجه به آنها بدون شک تأثیر عمیقی در تربیت انسانها دارد. نخست می گوید: «و کسی که ایمان آورده بود صدا زد: ای قوم من! از من پیروی کنید تا من شما را به راه حق ارشاد کنم» (وَ

سورهٔ غافر (40): آیهٔ ۳۹ ص: ۲۷۲

(آیه ۳۹) - سپس افزود: «ای قوم من! (به این دنیا دل نبندید که) این زندگی دنیا متاع زود گذری است، و آخرت سرای همیشگی و ابدی شماست» (یا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَیاهُ الدُّنْیا مَتاعُ وَ إِنَّ الْآخِرَهُ هِی دارُ الْقَرارِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۷۳گیرم که با هزار مکر و فسون، ما پیروز شویم و حق را پشت سر اندازیم، دست به انواع ظلم و ستم دراز کنیم، و دامان ما به خونهای بی گناهان آغشته شود، مگر عمر ما در این جهان چه اندازه خواهد بود؟

سورهٔ غافر (40): آیهٔ 40 ص: ۲۷۳

(آیه ۴۰) – مسأله تنها فانی بودن این دنیا و باقی بودن سرای آخرت نیست، مهم مسأله حساب و جزاست: «هر کس عمل بـدی انجام دهـد فقـط به انـدازه آن به او کیفر داده می شود، اما کسی که عمل صالحی انجام دهـد خواه مرد یا زن – در حالی که مؤمن باشـد آنان وارد بهشت می شونـد و روزی بی حسابی به ایشان داده خواهـد شـد» (مَنْ عَمِلَ سَرِیَّنَهُ فَلا یُجْزی إِلَّا مِثْلَها وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثی وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولِئِکَ یَدْخُلُونَ الْجَنَّهُ یُوزَقُونَ فِیها بِغَیْرِ حِسابٍ).

او در این سخنان حساب شدهاش از یکسو اشاره به عدالت خداوند در مورد مجرمان می کند.

و از دیگر سوم اشاره به فضل بیانتهای او که در مقابل یک عمل صالح پاداش بیحساب به مؤمنان داده میشود.

و از سوی سوم لزوم توأم بودن ایمان و عمل صالح را یادآور می شود.

و از سوی چهارم مساوات مرد و زن در پیشگاه خداوند و در ارزشهای انسانی را مطرح می کند.

به هر حال او با این سخن کوتاه خود این واقعیت را بیان می کند که متاع این جهان گرچه ناچیز است و ناپایدار، ولی می تواند وسیله رسیدن به پاداش بیحساب گردد، چه معاملهای از این پرسودتر؟!

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۴۱ ص: ۲۷۳

(آیه ۴۱)– آخرین سخن! در پنجمین و آخرین مرحله، «مؤمن آل فرعون» پردهها را کنار زد، و بیش از آن نتوانست ایمان خود را مکتوم دارد، آنچه گفتنی بود گفت.

از قرائن بر می آید که آن قوم لجوج و مغرور متقابلا از مزایای شرک سخن گفتند، و او را به بت پرستی دعوت نمودند. لذا او فریاد زد و گفت: «ای قوم! چرا من شما را به سوی نجات دعوت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۷۴ می کنم اما شما مرا به سوی آتش میخوانید»؟! (وَ یا قَوْمِ ما لِی أَدْعُوکُمْ إِلَی النَّجاهِ وَ تَدْعُونَنِی إِلَی النَّارِ). من سعادت شما را می طلبم، و شما بدبختی مرا، من شما را به شاهراه هدایت می خوانم و شما مرا به بیراهه می خوانید.

سورهٔ غافر (٤٠): آیهٔ ۴۲ ص: ۲۷۴

(آیه ۴۲)- آری «شما مرا دعوت می کنید که به خدای یگانه کافر شوم و شریکهایی که به آن علم ندارم برای او قرار دهم، در حالی که من شما را به سوی خداوند عزیز غفّار دعوت می کنم» (تَدْعُونَنِی لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أُشْرِکَ بِهِ ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ).

تعبیر به «عزیز» و «غفار» از یک سو اشاره به این مبدأ بزرگ بیم و امید است و از سوی دیگر اشارهای به نفی الوهیت بتها و فراعنه که نه عزتی در آنان است و نه عفو و گذشتی!

سورهٔ غافر(٤٠): آيهٔ ٤٣ ص: ۲۷۴

(آیه ۴۳)- سپس افزود: «قطعا آنچه مرا به سوی آن میخوانید نه دعوتی در دنیا دارد و نه در آخرت» (لا جَرَمَ أَنَّما تَـدْعُونَنِی إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِی اللَّـٰنِیا وَ لا فِی الْآخِرَةِ).

این بتها هرگز رسولانی به سوی مردم نفرستادهاند تا آنها را به سوی خود دعوت کنند و نه در آخرت می توانند حاکمیت بر چیزی داشته باشند و به همین دلیل، باید بدانید «تنها بازگشت ما در قیامت به سوی خداست» (وَ أَنَّ مَرَدَّنا إِلَی اللَّهِ). اوست که رسولان خود را برای هدایت انسانها فرستاده، و اوست که آنها را در برابر اعمالشان پاداش و کیفر می دهد. و نیز باید بدانید که «اسرافکاران و متجاوزان اهل دوزخند» (وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ).

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۴۴ ص: ۲۷۴

(آیه ۴۴)- و در آخرین سخنش با تهدیدی پر معنی گفت: «به زودی آنچه را من امروز به شما می گویم به خاطر خواهید آورد» (فَسَتَذْكُرُونَ ما أَقُولُ لَكُمْ).

و هنگامی که آتش خشم و غضب الهی دامانتان را در این جهان و آن جهان بگیرد به برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۷۵ صدق گفتار من پی میبرید.

اما افسوس که آن زمان دیر است، اگر در آخرت باشـد راه بازگشت وجود نـدارد، و اگر در دنیا باشـد به هنگام نزول عـذاب تمام درهای توبه بسته میشود.

سپس افزود: «و من تمام كارهاى خود را به خداونـد يگانه يكتا واگـذار مىكنم كه او نسبت به بنـدگانش بيناست» (وَ أُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ).

و به همین دلیل نه از تهدیدهای شما می ترسم، و نه کثرت و قدرت شما و تنهایی من مرا به وحشت می افکند.

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۴۵ ص: ۲۷۵

(آیه ۴۵)- خداوند هم این بنده مؤمن مجاهد را تنها نگذاشت، چنانکه در این آیه میخوانیم: «خداوند او را از نقشههای شوم و سوء آنها نگه داشت» (فَوَقاهُ اللَّهُ سَیِّئاتِ ما مَکَرُوا).

ولى در مقابل «عذابهاى شديدى بر آل فرعون نازل گرديد» (وَ حاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ).

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۴۶ ص: ۲۷۵

(آیه ۴۶)- عذاب و مجازات الهی همهاش دردناک است، اما تعبیر به «سوء العذاب» در آیه قبل نشان میدهد که خداوند عذاب دردناکتری برای این گروه انتخاب فرمود این همان چیزی است که در این آیه به آن اشاره کرده، میفرماید:

مجازات دردناک آنها «همان آتش است که هر صبح و شام بر آن عرضه می شوند» (النَّارُ یُعْرَضُونَ عَلَیْها غُدُوَّا وَ عَشِیًّا). «و روزی که قیامت بر پا می گردد (دستور می دهد) آل فرعون را در شدید ترین عذاب وارد کنید» (وَ یَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذاب).

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۴۷ ص: ۲۷۵

(آیه ۴۷)- محاجّه ضعفا و مستکبران در دوزخ! از آنجا که مؤمن آل فرعون در پایان سخنانش جمعیت فرعونیان را به مسأله قیامت و عذاب دوزخ توجه داد، قرآن رشته سخن را در همین زمینه به دست گرفته و دنبال می کند، و صحنههایی از گفتگوی پرخاشگرانه دوزخیان را در دل آتش منعکس میسازد.

نخست می فرماید: «به خاطر بیاور هنگامی را که آنها در آتش دوزخ محاجه و گفتگو می کنند، پس ضعفا به مستکبران می گویند: ما پیروان شما بودیم، آیا اکنون برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۷۶

سهمى از عذاب و نصيبى از آتش دوزخ را به جاى ما پذيرا مىشويد»؟ (وَ إِذْ يَتَحاجُّونَ فِى النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ).

منظور از «ضعفا» کسانی هستند که علم کافی و استقلال فکری نداشتند، چشم و گوش بسته به دنبال سردمداران کفر حرکت می کردند که قرآن از آنها به عنوان مستکبران یاد کرده است.

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۴۸ ص: ۲۷۶

(آیه ۴۸)- به هر حال مستکبران در پاسخ این سخن سکوت نمی کنند اما جوابی می گویند که از نهایت ضعف و زبونی آنها حکایت دارد، چنانکه در آن (آتش) هستیم زیرا خداوند در میان بندگانش به عدالت حکم کرده است»! (قالَ الَّذِینَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلُّ فِیها إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَیْنَ الْعِبادِ).

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۴۹ ص: ۲۷۶

(آیه ۴۹)- اینجا که دست آنها از هر وسیلهای کوتاه می شود رو به سوی خازنان دوزخ و مأموران عذاب می کنند «و این دوزخیان به خازنان جهنم می گویند:

شمـا از پروردگارتان بخواهيـد يک روز عـذاب را از ما بردارد» (وَ قالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَهِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذاب).

آنها میدانند که مجازات الهی بر طرف شدنی نیست، تنها تقاضایشان این است که یک روز عذاب الهی از آنان برداشته شود یک روز تخفیف بگیرند نفسی تازه کنند، و اندکی بیاسایند، و به همین قانع هستند!

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۵۰ ص: ۲۷۶

(آیه ۵۰)- ولی مراقبان دوزخ «می گویند: آیا پیامبران شما دلائل روشن برایتان نیاوردند»؟ و آیا بقدر کافی برای شما اتمام

حجت نشد؟ (قالُوا أَ وَ لَمْ تَكَ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ).

در پاسخ «می گویند: آری» (قالُوا بَلی).

خازنان دوزخ به «آنان می گویند: پس هر چه میخواهید (خدا را) بخوانید ولی دعای کافران (به جایی نمیرسد و) جز در ضلالت نیست» (قالُوا فَادْعُوا وَ ما دُعاءُ الْکافِرِینَ إِلَّا فِی ضَلالٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۷۷

شما خود معترفید که پیامبران الهی با دلائل روشن آمدند، اما به آنها اعتنا نکردید و کافر شدید، بنابر این هر چه دعا کنید سودی ندارد.

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۵۱ ص: ۲۷۷

(آیه ۵۱) – ما مؤمنان را یاری میدهیم! از آنجا که در آیات پیشین سخن از «مؤمن آل فرعون» آن مرد مجاهد و مبارز کم نظیر و حمایت خداوند از او مطرح بود، در اینجا به عنوان یک قانون کلی حمایت خویش را از پیامبران و مؤمنان در دنیا و آخرت بیان میدارد.

مىفرمايد: «ما بطور مسلم رسولان خود و كسانى را كه ايمان آوردهاند در زندگى دنيا و روز قيامت كه گواهان بر پا مىخيزند يارى مىدهيم» (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ).

حمایتی که بیقید و شرط است و به همین جهت انواع پیروزیها را به دنبال دارد، اعم از پیروزی در منطق و بیان، یا پیروزی در جنگها، یا فرستادن عـذاب الهی بر مخالفان و نابود کردن آنان و یا امـدادهای غیبی که قلب را تقویت و روح را به لطف الهی نیرومند و قوی میسازد.

مقصود از «اشهاد» فرشتگان و پیامبران و مؤمنانند که گواهان اعمال انسانها میباشند.

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۵۲ ص: ۲۷۷

(آیه ۵۲) - اما آن روز روز رسوایی و بدبختی کافران و ظالمان است، چنانکه در این آیه میافزاید: «همان روزی که عذر خواهی ظالمان سودی به حالشان نمی بخشد، و لعنت خدا مخصوص آنهاست، و خانه و جایگاه بد نیز به آنها تعلق دارد» (یَوْمَ لا یَنْفَعُ الظَّالِمِینَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ).

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۵۳ ص: ۲۷۷

(آیه ۵۳) – سپس قرآن یکی از موارد یاری رسولان و پیروزی آنها را در پرتو حمایت الهی بر دشمنان عنوان کرده، می گوید: «و ما به موسی هـدایت بخشـیدیم و بنی اسـرائیل را وارثان کتاب آسـمانی (تورات) قرار دادیم» (وَ لَقَـدْ آتَیْنا مُوسَـی الْهُـدی وَ أَوْرَثْنا بَنِی إِسْرائِیلَ الْکِتابَ).

هدایتی که خداوند به موسی ارزانی داشت معنی گستردهای دارد که هم مقام نبوت و وحی را شامل میشود، و هم کتاب آسمانی یعنی تورات، و هم برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۷۸

هدایتهایی که در مسیر انجام رسالتش به او داده شد، و معجزاتی که در اختیار او قرار گرفت.

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۵۴ ص: ۲۷۸

(آیه ۵۴) - در این آیه میافزاید: این کتاب آسمانی «مایه هدایت و تذکّر برای صاحبان عقل بود» (هُدِی وَ ذِکْری لِأُولِی الْأَلْباب).

تفاوت «هـدایت» و «ذکری» در این است که هدایت در آغاز کار است، اما «تذکر» به عنوان یادآوری در برابر مسائلی است که انسان قبلا شنیده و به آن ایمان آورده اما از صفحه خاطرش محو شده است، و به تعبیر دیگر کتب آسمانی هم آغاز گر هدایت است هم تداوم بخش آن.

ولى هم در آغاز، و هم در ادامه كار، بهره واقعى را «اولوا الالباب» و صاحبان مغز و انديشه مىبرند، نه نابخردان لجوج و نه متعصبان چشم و گوش بسته.

سورهٔ غافر (40): آیهٔ ۵۵ ص: ۲۷۸

(آیه ۵۵) - در این آیه سه دستور مهم به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله میدهد که در حقیقت دستوراتی است عمومی و همگانی هر چند مخاطب شخص پیامبر صلّی اللّه علیه و اله است. نخست می گوید: «پس صبر و شکیبایی پیشه کن که وعده خدا حق است» (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقِّ).

در برابر عناد و لجاجت دشمنان و کارشکنی آنان صبر کن.

در مقابل نادانی جمعی از دوستان و سستی و سهل انگاری و احیانا آزار آنان صبر کن.

و در برابر تمایلات نفس و هوسهای سرکش و خشم و غضب نیز شکیبایی نما.

تمام پیروزیهایی که نصیب پیامبر و مسلمانان نخستین شد در سایه همین صبر و استقامت بود، و امروز نیز بـدون آن غلبه بر دشمنان فراوان و مشکلات زیاد ممکن نیست.

در دستور دوم مىفرمايد: «و براى گناهت استغفار كن» (وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ).

مسلم است پیامبر به خاطر مقام عصمت مرتکب گناهی نمی شد، ولی چنانکه گفته این گونه تعبیرات در قرآن مجید در مورد پیغمبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله و سایر انبیاء علیهم السّلام اشاره به گناهان نسبی است. چرا که یک لحظه غفلت و حتی یک ترک برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۷۹

اولی در مورد آنها سزاوار نیست، و باید از همه این امور برکنار باشند و هرگاه از آنها سر زند، از آن استغفار میکنند. در آخرین دستور میفرمایـد: «و هر صبح و شـام تسبیـح و حمـد پروردگـارت را به جـا آور» (وَ سَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّکَ بِالْعَشِــیِّ وَ الْإِبْکار).

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۵۶ ص: ۲۷۹

(آیه ۵۶)– در آیات گذشته خداوند پیامبر صلّی اللّه علیه و اله را به صبر و شکیبایی در مقابل مخالفان و نغمههای ناموزون و توطئههای شوم آنها دعوت می کرد، در اینجا انگیزه مجادله و ستیزه جوئیهای آنان را در مقابل حق شرح میدهد.

می گوید: «کسانی که بدون منطق و دلیلی که از سوی خدا برای آنها آمده باشد در آیات الهی مجادله می کنند، در سینه هاشان

جز تكبر نيست» (إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ).

و به این ترتیب آیه گواه زندهای بر این حقیقت است که سر چشمه اصلی این گونه مجادله ها، کبر و غرور و خود محوری است.

سپس مىافزايد: «آنها هرگز به منظور خود نخواهند رسيد» (ما هُمْ بِبالِغِيهِ).

هـدف آنان این است که خود را بزرگ ببینند، فخر بفروشـند و بر جامعه حکومت کنند، اما جز ذلت و زیر دست بودن بهرهای نخواهند گرفت.

در پایان آیه به پیامبر صلّی اللّه علیه و اله دستور میدهد که از شرّ این گونه افراد مغرور و خودخواه و بی منطق به خدا پناه ببرد، می فرماید: «اکنون که چنین است به خدا پناه ببر که او شنوا و بیناست» (فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

هم سخنان بی اساس آنها را میشنود و هم توطئهها و اعمال زشتشان را میبیند.

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۵۷ ص: ۲۷۹

(آیه ۵۷)- و از آنجا که یکی از موارد مهم مجادله کفار در برابر پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله مسأله معاد و زنده شدن انسانها بعد از مرگ بود، در این آیه با یک بیان روشن مسأله معاد را متذکر شده، میفرماید: «آفرینش آسمانها و زمین از آفرینش انسانها مهمتر و بالاـتر است، ولی بیشتر مردم نمیدانند» (لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا یَعْلَمُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۸۰

کسی که توانایی دارد این کرات عظیم و کهکشانهای وسیع و گسترده را با آن همه عظمت بیافریند، و اداره و تـدبیر کند چگونه از احیای مردگان عاجز و ناتوان خواهد بود؟

در این آیه یکی دیگر از عوامل «مجادله» باطل را ذکر کرده که آن «جهل» است، در حالی که در آیات قبل مسأله «کبر» مطرح شده بود، و این هر دو رابطه نزدیک با هم دارند، چرا که سر چشمه «کبر» «جهل و نادانی» و عدم شناخت قدر خود یا مقدار علم و دانایی خویشتن است.

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۵۸ ص: ۲۸۰

(آیه ۵۸)– در این آیه در یک مقایسه روشن وضع حال این متکبران جاهل را در مقابل مؤمنان آگاه، روشن ساخته، می گویـد: «نابینا و بینا هرگز مساوی نیستند».

(وَ مَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ).

«همچنین کسانی که ایمان آوردهاند و عمل صالح انجام دادهاند، با بدکاران» یکسان نخواهند بود (وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ لَا الْمُسِیءُ).

اما شما بر اثر خودخواهي و جهل «كمتر متذكر ميشويد» (قَلِيلًا ما تَتَذَكَّرُونَ).

نابینـا همان آدم نادان و بیخبری است که پردههای کبر و غرور بر چشـمانش افتاده، و اجازه درک حقایق را به او نمیدهـد، و بینا کسی است که در پرتو نور علم و استدلالات منطقی، حق را مشاهده میکند، آیا این دو با هم برابرند؟!

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۵۹ ص: ۲۸۰

(آیه ۵۹) - در این آیه با قاطعیت و صراحت خبر از وقوع قیامت داده، می گوید: «ساعت (روز قیامت) بطور مسلم خواهد آمد، و شک و تردیدی در آن نیست، ولی بیشتر مردم ایمان نمی آورند» (إِنَّ السَّاعَةُ لَا رَیْبَ فِیها وَ لَکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یُؤْمِنُونَ).

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۶۰ ص: ۲۸۰

(آیه ۶۰)– مرا بخوانید تا اجابت کنم! از آنجا که در آیات گذشته تهدیداتی نسبت به افراد بیایمان و متکبر و مغرور آمده بود، در اینجا آن را با لطف و مهربانی می آمیزد، و آغوش رحمتش را به روی توبه کنندگان می گشاید.

> نخست می گوید: «پروردگار شما گفته است: مرا بخوانید تا (دعای) شما را برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۸۱ بپذیرم» (وَ قالَ رَبُّکُمُ ادْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ).

«دعا» خود یک نوع عبادت است، چرا که در ذیل آیه واژه عبادت بر آن اطلاق شده و در ضمن تهدید شدیدی نسبت به کسانی که از دعا کردن ابا دارند، می گوید: «کسانی که از عبادت من تکبر میورزند به زودی با ذلّت وارد دوزخ میشوند» (إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِی سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرینَ).

در روایتی از امام صادق علیه السّ لام آمده است که: «نزد خدا مقامی است که جز با دعا و تقاضا نمی توان به آن رسید، و اگر بنده ای دهان خود را از دعا فرو بندد و چیزی تقاضا نکند چیزی به او داده نخواهد شد، پس از خدا بخواه تا به تو عطا شود، چرا که هر دری را بکوبید و اصرار کنید سر انجام گشوده خواهد شد».

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۶۱ ص: ۲۸۱

(آیه ۶۱) - و از آنجا که دعا و تقاضای از خدا فرع بر معرفت خداوند است در این آیه از حقایقی سخن می گوید که سطح معرفت آدمی را بالا میبرد، و یکی از شرائط دعا را که امید به اجابت است افزایش میدهد.

مىفرمايد: «خداوند كسى است كه شب را براى شما آفريد تا در آن بياساييد» (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ).

چرا که تـاریکی شب از یـک سو موجب تعطیل قهری برنامههای روزانه است، و از سوی دیگر خود تاریکی آرام بخش و مایه استراحت تن و اعصاب و روح است، و نور مایه جنبش و حرکت.

لذا به دنبال آن مى افزايد: «و روز را بينا و روشنى بخش» قرار داد (وَ النَّهارَ مُبْصِراً).

تا محیط زندگی انسانها را روشن سازد و برای هر گونه فعالیت آماده کند.

سپس اضافه می کند: «خداوند نسبت به مردم صاحب فضل و کرم است، ولی بیشتر مردم شکر گزاری نمی کنند» (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْل عَلَی النَّاسِ وَ لَکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ).

اما اگر انسان چشمی بینا و قلبی دانا داشته باشد که خوان نعمت بیدریغ الهی را که همه جا گسترده است ببیند، و باران رحمت بیحسابش را که همه جا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۸۲

رسیده است مشاهده کند، بیاختیار زبان به شکر و ثنای او میگشاید و خود را در مقابل این همه عظمت و رحمت کوچک و مدیون می بیند.

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۶۲ ص: ۲۸۲

(آیه ۶۲) – این آیه از توحید ربوبیت پروردگار شروع کرده و به توحید خالقیت و ربوبیت ختم میکند، میفرماید: آن کس که این همه نعمتها را بر شما ارزانی داشته «این است خداوند، پروردگار شما» (ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ).

همان خداوندي كه «آفريننده همه چيز است» (خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ).

«هيچ معبودي جز او نيست» (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ).

در حقیقت وجود نعمتهای فراوان الهی دلیل بر ربوبیت و مدبریت اوست.

و خالق همه چیز بودن دلیل دیگری بر یگانگی او در ربوبیت است، چرا که خالق موجودات مالک و مربی آنهاست، زیرا لحظه به لحظه فیض وجود از ناحیه او بر همه موجودات عالم هستی افاضه می شود.

و در پایـان آیه میافزایـد: «با این حال چگونه از راه حق منحرف میشویـد»؟ (فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ). و چرا از پرسـتش خداونـد یگانه یکتا به سوی بتها روی میآورید؟!

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۶۳ ص: ۲۸۲

(آیه ۶۳) - در این آیه به عنوان توضیح و تأکید مطالب گذشته می فرماید:

«كسانى كه آيات خـدا را انكار مىكردند اين گونه از طريق حق باز گردانده مىشوند» (كَذلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ).

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۶۴ ص: ۲۸۲

(آیه ۶۴) – این است پروردگار شما: قرآن همچنان بحث از مواهب بزرگ الهی و شمول آن نسبت به بندگان را ادامه می دهد، تا هم شناخت بیشتری به آنها عطا کند، و هم امید افزونتری تا در پرتو آن به مقام دعا برآیند و از اجابت برخوردار شوند. می فرماید: «خداوند همان کسی است که زمین را برای شما جایگاه مطمئن و آرامی قرار داد» (اللَّهُ الَّذِی جَعَلَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً).

هماهنگ با ساختمان روح و جسم انسان، دارای منابع گوناگون، مشتمل بر همه وسائل مورد نیاز انسان، بسیار گسترده و مباح و رایگان. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۸۳

سپس مى افزايد: «و آسمان را همچون سقفى» بالاى سرتان قرار داد (وَ السَّماءَ بِناءً).

منظور از «آسمان» در اینجا بیشتر همان جوّ و هوای فشردهای است که گرداگرد زمین را فراگرفته، و همچون خیمهای بر تمام کره زمین کشیده شده است.

این خیمه بزرگ الهی هم از شدت تابش نور آفتاب می کاهد که اگر نبود اشعه آفتاب، و همچنین اشعه مرگبار کیهانی، موجود زندهای را بر زمین نمی گذاشت، و به همین دلیل مسافران فضایی مجبورند دائما در برابر این پرتوها از لباسهای مخصوص سنگین و گران قیمتی استفاده کنند.

به علاءه این خیمه جلو سقوط سنگهای آسمانی را که پیوسته به کره زمین جذب میشوند می گیرد، و آنها را در نخستین

برخورد به خاطر سرعت و فشاری که دارند آتش میزند تا خاکستر آنها آرام بر زمین بنشیند.

سپس از آیات آفاقی به آیات انفسی پرداخته، می گوید: «و او (کسی است که) شما را صورتگری کرد، و صورتتان را نیکو آفرید» (وَ صَوَّرَکُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَکُمْ).

قامتی موزون و راست، با صورتی زیبا و دلپذیر، در نهایت نظم استحکام و همین ساختمان ویژه به انسان امکان می دهد که به انواع کارها و صنایع ظریف یا سنگین دست زند، و با داشتن اعضای مختلف به راحتی زندگی کند و از مواهب حیات بهره گیرد.

و سر انجام در بیان چهارمین و آخرین نعمت از این سلسله، موضوع روزیهای پاکیزه را مطرح کرده، میفرماید: «و او شما را از طیبات روزی داد» (وَ رَزَقَکُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ).

«طیّبات» معنی بسیار گستردهای دارد که هر چیز پاکیزه اعم از غذا، لباس، همسران، خانهها، مرکبها، حتی سخنان پاکیزه را شامل می شود.

در پایـان آیـه بعـد از بیـان ایـن چهـار نعمت بزرگ- که نیمی از آن به آسـمان و زمین بر میگردد، و نیمی از آن به انسانهـا-میفرماید: «این است خداوند پروردگار شما» (ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۸۴ و چون چنین است «جاوید و پر برکت است خداوندی که پروردگار عالمیان است» (فَتبارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ).

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۶۵ ص: ۲۸۴

(آیه ۶۵) - این آیه مسأله توحید عبودیت را از طریق دیگر تعقیب می کند، و آن طریق انحصار حیات به معنی واقعی به خداوند است، می فرماید: «اوست زنده واقعی» (هُوَ الْحَيُّ).

چرا که حیاتش از ذات اوست و متکی به غیر نیست، حیاتی است که در آن مرگ راه ندارد و جاودانه است، تنها خداوند چنین است، و همه موجودات زنده غیر از او حیاتی آمیخته به مرگ دارند، و این حیات محدود و موقت را از ذات پاک خداوند می گیرند.

روشن است کسی را باید پرستش کرده که زنده است و دارای حیات مطلق، لذا به دنبال آن میافزاید: «هیچ معبودی جز او وجود ندارد» (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ).

«و اكنون كه چنين است تنها او را بخوانيد، و دين خود را براى او خالص كنيد» (فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ).

و هر چه غیر اوست کنار بگذارید که همه فانی میشوند.

و آیه را با این جمله پایان میدهد: «حمد و ستایش مخصوص خداوندی است که پروردگار جهانیان است» (الْحَمْدُ لُلِّهِ رَبِّ الْعالَمینَ).

این جمله در حقیقت تعلیمی است برای بنـدگان که خـدا را به خـاطر نعمتهـایی که در آیات قبل اشاره شـد، نعمتهایی که تمام وجود انسان را فراگرفته، مخصوصا نعمت حیات و زندگی، حمد و ستایش کنند، و شکر و سپاس گویند.

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۶۶ ص: ۲۸۴

(آیه ۶۶)- در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری از بحثهای توحیدی گذشته و برای مأیوس ساختن مشرکان و بت پرستان

روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و اله کرده، میفرماید: «بگو: من نهی شدهام از این که معبودهایی که شما غیر از خدا میخوانید پرستش کنم، چرا که بیّنات و دلائل روشن از سوی پروردگارم برای من آمده است» (قُلْ إِنِّی نُهِیتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جاءَنِی الْبَیِّناتُ مِنْ رَبِّی).

> نه تنها نهی شدهام که غیر او را نپرستم بلکه: «مأمورم تنها در برابر پروردگار برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۸۵ عالمیان تسلیم باشم» (وَ أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِینَ).

این که می گوید: «من چنین مأموریت یافته ام و من چنین نهی شده ام» یعنی شما خودتان حساب خویش را برسید، بی آنکه حس لجاجتشان را تحریک کند.

سورهٔ غافر(٤٠): آيهٔ ۶۷ ص: ۲۸۵

(آیه ۶۷) – مراحل هفت گانه خلقت انسان: بار دیگر در ادامه آیات توحیدی به بخشی از «آیات انفسی» پرداخته مراحل تطور خلقت انسان را از خاک، و دوران جنینی، و دوران حیات در دنیا تا هنگام مرگ، در هفت مرحله بیان می کنید، تا هم عظمت قدرت و ربوبیت او روشن شود و هم مواهب و نعمتهایش بر بندگان.

مى فرمايد: «او كسى است كه شما را از خاك آفريد، سپس از نطفه، سپس از علقه (خون بسته شده) سپس شما را بصورت طفلى (از شكم مادر) بيرون مى فرستد، بعد به مرحله كمال قوّت خود مى رسيد و بعد از آن پير مى شويد و (در اين ميان) گروهى از شما پيش از رسيدن به اين مرحله مى ميرند و در نهايت به سر آمد عمر خود مى رسيد و شايد تعقّل كنيد» (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابِ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهُ ثُمَّ مِنْ عَلَقَهُ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفِّى مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَجُلًا مُسَمَّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

به این ترتیب نخستین مرحله، مرحله تراب و خاک است که اشاره به آفرینش آدم جد نخستین ما از خاک میباشد، و یا خلقت همه انسانها از خاک، چرا که مواد غذایی که وجود انسان و حتی نطفه او را تشکیل میدهد اعم از مواد حیوانی و گیاهی همه از خاک مایه می گیرد.

مرحله دوم مرحله نطفه است که مربوط به همه انسانها جز آدم و همسرش حواست.

مرحله سوم مرحلهای است که نطفه تکامل یافته، و نمو قابل ملاحظهای نموده، و به صورت یک قطعه خون بسته در آمده است.

بعد از این، مرحله «مضغه» (چیزی شبیه به گوشت جویده شده) و مرحله ظهور اعضاء، مرحله حس و حرکت است که قرآن در اینجا سخنی از این سه مرحله به میان نیاورده هر چند در آیات دیگر به آن اشاره کرده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۸۶

در اینجا چهارمین مرحله را مرحله تولد جنین ذکر می کند، و مرحله پنجم را مرحله تکامل قدرت و قوت جسمی که بعضی آن را را کمتر یا بیشتر گفتهاند، البته را سن سی سالگی می دانند که در آن حد اکثر نمو قوای جسمانی حاصل می شود و بعضی آن را کمتر یا بیشتر گفتهاند، البته ممکن است در افراد متفاوت باشد و قرآن از آن تعبیر به «بلوغ اشد» کرده است.

از آن به بعد مرحله عقب گرد و از دست دادن نیروها آغاز می شود و تدریجا دوران پیری که مرحله ششم است فرا می رسد. سر انجام پایان عمر که آخرین مرحله است فرا رسیده و انتقال از این سرا، به سرای جاویدان تحقق می یابد. آیا با این همه تغییرات و تطوّرات منظم، و حساب شده، باز هم جای تردید در قدرت و عظمت مبدأ عالم هستی و الطاف و مواهب او وجود دارد؟

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۶۸ ص: ۲۸۶

(آیه ۶۸) - در این آیه سخن از مهمترین مظاهر قدرت پروردگار یعنی مسأله حیات و مرگ به میان می آورد، همان دو پدیدهای که با تمام پیشرفت علوم بشری هنوز جزء معمّاهای ناگشوده است، می فرماید: «او کسی است که زنده می کند و می میراند» (هُوَ الَّذِی یُحْیی وَ یُمِیتُ).

جالب این که از موجودات زنده تک سلولی گرفته، تا حیوانات غول پیکر و از اعماق اقیانوسهای تاریک و ظلمانی گرفته، تا پرندگانی که بر اوج آسمانها پرواز می کنند، از گیاه ذرهبینی بسیار کوچکی که در لابلای امواج اقیانوس شناور است، تا درختانی که دهها متر طول قامت دارند، هریک دارای نوعی حیات و شرائطی مخصوص به خود می باشند و به همین نسبت مرگهای آنها نیز متفاوت است، و بدون شک چهرههای حیات متنوع ترین چهرههای جهان خلقت و اعجاب انگیز ترین آنهاست.

اما قابل توجه این که هیچ یک از این مسائل مهم و پیچیده در برابر قدرت او سختی و مشکلی ندارد، و به محض اراده و فرمانش صورت می گیرد.

لذا در پایان آیه میفرماید: «و هنگامی که کاری مقرّر کند تنها به آن میگوید: برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۸۷ موجود باش! بیدرنگ موجود میشود»! (فَإِذا قَضی أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۶۹ ص: ۲۸۷

(آیه ۶۹)– سرنوشت ستیزه جویان مغرور: باز هم در اینجا سخن از کسانی است که در آیات الهی به مجادله بر میخیزند. نخست می گوید: «آیا ندیدی کسانی را که در آیات خدا مجادله می کنند چگونه از راه حق منحرف می شوند» (أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ یُجادِلُونَ فِی آیاتِ اللَّهِ أَنَّی یُصْرَفُونَ).

این مجادله و گفتگوهای توأم با لجاجت و عناد، این تقلیدهای کورکورانه و تعصبهای بیپایه سبب می شود که آنها از صراط مستقیم به بیراهه کشیده شوند، چرا که حقایق تنها در پرتو روح حق جویی آشکار می گردد.

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۷۰ ص: ۲۸۷

(آیه ۷۰)– سپس به توضیح بیشتر در باره آنها پرداخته، میافزاید: «همان کسانی که کتاب (آسـمانی) و آنچه رسولان خود را بدان فرستادهایم تکذیب کردند» (الَّذِینَ کَذَّبُوا بِالْکِتابِ وَ بِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا).

و در پایان آیه آنها را با این سخن تهدید می کند: «آنان به زودی (نتیجه شوم کار خود را) میفهمند» (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷۱ ص: ۲۸۷

(آیه ۷۱)- «آن هنگام که غلها و زنجیرها بر گردن آنها قرار گرفته و با این غل و زنجیر آنها را می کشند» (إِذِ الْأَغْلالُ فِی أَعْناقِهِمْ وَ السَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ).

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۷۲ ص: ۲۸۷

(آيه ۷۲)- «به درون آب جوشان، و سپس در آتش دوزخ سوزانده ميشوند»! (فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ).

سورهٔ غافر (40): آیهٔ ۷۳ ص: ۲۸۷

(آیه ۷۳) – علاموه بر این عـذابهای جسـمانی آنها را با یک سلسـله عـذابهای دردناک روحی مجازات می کننـد، از جمله همان است که در این آیه به آن اشاره کرده، میفرمایـد: «سـپس به آنها گفته میشود: کجاینـد آنچه را همتای خدا قرار میدادید»؟! (ثُمَّ قِیلَ لَهُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ تُشْرکُونَ).

سورهٔ غافر (40): آیهٔ ۷۴ ص: ۲۸۷

(آیه ۷۴)– همان معبودهایی را که «جز خدا پرستش می کردید» (مِنْ دُونِ اللَّهِ). تا از شما شفاعت کنند و از میان این عذابهای دردناک و امواج متلاطم آتش برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۸۸

دوزخ رهایی بخشند، مگر بارها نگفتید که ما اینها را به خاطر آن پرستش می کنیم که شفیعان ما باشند؟ پس کجا رفت شفاعتشان؟! ولی آنها با سر افکندگی و سرشکستگی در پاسخ «می گویند: همه از نظر ما پنهان و گم شدند» (قالُوا ضَلُّوا عَنَّا). سپس آنها می بینند که اصل اعتراف به عبودیت بتها داغ ننگی بر پیشانیشان است، لذا در مقام انکار بر می آیند و می گویند: «ما اصلا قبل از این چیزی پرستش نمی کردیم»! (بَلْ لَمْ نَکُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَیْئاً).

اینها اوهام و خیالاتی بیش نبودند که ما آنها را واقعیتهایی میپنداشتیم، اما امروز برای ما روشن شده که آنها اسمهایی بیمسمی و الفاظی بیمعنی و مفهومند که پرستش آنها جز ضلالت و گمراهی و بیهودگی هیچ نبود، بنابر این آنها یک واقعیت غیر قابل انکار را بازگو میکنند.

در پایان آیه می فرماید: «این گونه خداوند کافران را گمراه می سازد» (کَذلِکَ یُضِلُّ اللَّهُ الْکافِرِینَ).

کفر و لجاجت آنها پرده و حجابی بر قلب و فکر آنها میشود، لـذا راه مستقیم حق را گـذارده، در بیراهه گام مینهنـد و در قیامت نیز از راه بهشت محروم شده به بیراهه دوزخ کشیده میشوند، آری این چنین خداوند کافران را گمراه میسازد.

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷۵ ص: ۲۸۸

(آیه ۷۵)- این آیه به علت گرفتاریهای این گروه در این همه بلا و مصیبت و عذاب اشاره کرده، می گوید: «این عذابها به خاطر آن است که به ناحق در زمین شادی می کردید و از روی غرور و مستی (شهوات) به خوشحالی می پرداختید»! (ذلِکُمْ بِما کُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِی الْاَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ وَ بِما کُنْتُمْ تَمْرَحُونَ).

از مخالفت با پیامبران و کشتن مؤمنان و در فشار گذاردن محرومان و مستضعفان لذت میبردید، اکنون باید کفاره آن همه

شادی بیجا و غرور و غفلت و مستی شهوت را در میان این غل و زنجیرها، و در لابلای شعلههای آتش بدهید.

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۷۶ ص: ۲۸۸

(آیه ۷۶)- این جاست که به آنها خطاب می شود که: «وارد شوید از درهای جهنم، و جاودانه در آن بمانید» (ادْخُلُوا أَبُوابَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۸۹ «و چه بد است جایگاه متکبران» (فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ).

این جمله تأکید مجددی است بر این که سر چشمه اصلی بدبختهای آنها همان کبر و غرور بوده است.

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۷۷ ص: ۲۸۹

(آیه ۷۷)- باز هم صبر کن: به دنبال بحثهای گذشته در زمینه کارشکنیهای کفار و کبر و غرور و تکذیب آنها نسبت به آیات الهی در این آیه و آیه بعد، پیامبر صلّی الله علیه و اله را دلداری داده، امر به صبر و استقامت در مقابل این مشکلات می کند. نخست می فرماید: «اکنون که چنین است صبر کن که وعده خدا حق است» (فَاصْبِرُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقِّ).

هم وعده پیروزی که به تو داده شده، و هم وعده مجازات دردناک مستکبران مغرور و تکذیب کننده، هر دو حق است و بدون شک تحقق مییابد.

سپس برای اینکه دشمنان حق چنین تصور نکنند که اگر در مجازاتشان تأخیری رخ دهد می توانند از چنگال کیفر و عذاب الهی بگریزند اضافه می کند:

«و هر گاه قسمتی از مجازاتهایی را که به آنها وعده دادهایم در حال حیاتت به تو ارائه دهیم، و یا تو را (پیش از آن که آنان گرفتـار عـذاب شونـد) از دنیا ببریم (مهم نیست) چرا که همه آنان را تنها بسوی ما باز می گرداننـد» و ما به وعـدههای خود در باره آنان عمل خواهیم کرد (فَإِمَّا نُرِیَنَّکَ بَعْضَ الَّذِی نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّیَنَّکَ فَإِلَیْنا یُرْجَعُونَ).

وظیفه تو تنها ابلاغ آشکار و اتمام حجت بر همگان است، تا دلهای بیدار در پرتو تبلیغ تو روشن گردد، و برای مخالفان نیز جای عذر و بهانهای باقی نماند، تو به هیچ چیزی جز به انجام این وظیفه، دلبستگی نداشته باش!

سورهٔ غافر(40): آیهٔ ۷۸ ص: ۲۸۹

(آیه ۷۷)- باز برای مزید تسلی خاطر و دلداری پیامبر اشاره به وضع مشابه پیامبران پیشین می کند، که آنها نیز گرفتار چنین مشکلاتی بودند ولی همچنان به راه خود ادامه دادند، و پیروزی را در آغوش گرفتند، میفرماید: «ما پیش از تو رسولانی فرستادیم، سرگذشت گروهی دیگر را برای تو بیان فرستادیم، سرگذشت گروهی دیگر را برای تو بیان ننمودیم» (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِکَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَیْکَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَیْکَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص:

هر کـدام بـا صـحنههـایی از این قبیـل و مشـکلاتی طـاقت فرسا دست به گریبان بودنـد، و در مقابل آنها اقوام لجوج و متکبر و مغرور فراوان قرار داشتند، ولی سر انجام آیین حق پیروز گشت و ظالمان و مجرمان مغلوب شدند.

اخبار متعدّدی در منابع مختلف اسلامی وارد شده که پیامبران الهی ۱۲۴ هزار نفر بودند.

و از آنجا که مشرکان و کافران بهانهجو و لجوج هر روز در برابر انبیای الهی تقاضای معجزه دلخواه خود را داشتند، و مشرکان زمان پیامبر صلّی اللّه علیه و اله نیز همین شیوه را تکرار می کردند، قرآن در دنباله این سخن اضافه می کند: «هیچ پیامبری حق نداشت و نمی توانست معجزه ای جز به فرمان خدا بیاورد»! (وَ ما کانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ بِآیَهٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ).

اصولا همه معجزات در اختيار خداست، و بازيچه دست كفار نمي تواند باشد.

سپس با لحنی جدّی و تهدید آمیز به کسانی که می گفتند اگر راست می گویی چرا عذاب الهی به سراغ ما نمی آید هشدار می دهد که: «هنگامی که فرمان الهی (برای مجازات این منکران لجوج) صادر شود در میان آنها به حق داوری خواهد شد، و پیروان باطل در آن هنگام زیان خواهند کرد» (فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِیَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنالِکَ الْمُبْطِلُونَ).

در آن روز درهای توبه بسته میشود و رهروان راه باطل به روشنی میبینند که تمام سرمایههای هستی خود را از کف داده و متاعی نخریدند.

سورهٔ غافر(٤٠): آيهٔ ٧٩ ص: ٢٩٠

(آیه ۷۹)- منافع گوناگون چهار پایان: بار دیگر به نشانه های قدرت خداوند و مواهب گسترده اش نسبت به انسانها باز می گردد، و گوشه دیگری از آن را شرح می دهد، تا هم به عظمت او آشناتر شوند، و هم حسّ شکر گزاری را که وسیلهای برای معرفت الله است در آنها برانگیزد.

می فرماید: «خداوند همان کسی است که چهار پایان را برای شما آفرید، تا بر آنها سوار شوید، و از آنها تغذیه کنید» (اللّهٔ الّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْکَبُوا مِنْها وَ مِنْها تَأْکُلُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۹۱

بعضی از آنها تنها برای تغذیه مورد استفاده قرار می گیرند همچون گوسفند، و بعضی هم برای سواری و هم برای تغذیه مانند شتر که هم کشتی بیابانهای خشک و سوزان است و هم وسیلهای برای تغذیه آدمیان!

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۸۰ ص: ۲۹۱

(آیه ۸۰)- از این گذشته استفاده های فراوان دیگری نیز از آنها می شود، همان گونه که آیه شریفه به آن اشاره کرده، می فرماید: «و برای شما در آنها منافع بسیاری (جز اینها) است» (وَ لَکُمْ فِیها مَنافِعُ).

از شیر و پشم و پوست و سایر اجزای آنها استفاده می کنید و حتی فضولات بـدن آنها نیز در کشاورزی و غیره قابل استفاده است.

سپس میافزاید منظور دیگر از آفرینش آنها این بوده: «تا بوسیله آنها به مقصدی که در دل دارید برسید» (وَ لِتَبْلُغُوا عَلَیْها حاجَهً فِی صُدُورکُمْ).

تعبیر فوق می تواند اشاره به استفاده های تفریحی، هجرت و سیاحت، مسابقه ها و گاه کسب ابهت و مانند آن باشد.

و از آنجا که اینها همه وسیله مسافرت در خشکی هستند، در پایان آیه میافزاید: «و بر آنها (چهار پایان) و بر کشتیها سوار میشوید» (وَ عَلَیْها وَ عَلَی الْفُلْکِ تُحْمَلُونَ).

در کشتیها خاصیتی آفرید که با تمام ثقل و سنگینی بر روی آب باقی بمانید، و جریان بادها را آن چنان منظم قرار داده که می توان از آنها در مسیرهای معینی پیوسته استفاده کرد و «با آن به دیدار آشنا رسید».

سورهٔ غافر(۴۰): آیهٔ ۸۱ ص: ۲۹۱

(آیه ۸۱)- در این آیه برای تأکید و گرفتن اقرار از همگان میفرماید: «و خدا آیاتش را همواره به شما نشان میدهد، پس (بگویید) کدامیک از آیات خدا را میتوانید انکار کنید»؟! یُرِیکُمْ آیاتِهِ فَأَیَّ آیاتِ اللَّهِ تُنْکِرُونَ)

آیا آیات و نشانه های او را در «آفاق» می توانید انکار کنید یا آیات او را در انفس؟

به راستی با این که آیات و نشانههای او برای همگان روشن است چرا گروهی راه انکار را پیش می گیرند؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۹۲

سورهٔ غافر (40): آیهٔ ۸۲ ص: ۲۹۲

(آیه ۸۲)– آخرین آیات سوره مؤمن در حقیقت یک نوع نتیجه گیری از بحثهای گذشته است.

نخست می گویـد: آیا آنها در زمین سـیر نکردند تا ببینند عاقبت کسانی که قبل از آنها میزیسـتند چگونه شد»؟! (أَ فَلَمْ یَسِـیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

همان كسانى «كه از نظر تعداد نفرات از آنها بيشتر، و از نظر قوت و آثارشان در زمين از آنها فزونتر بود» (كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثاراً فِي الْأَرْض).

کثرت نفرات آنها را از قبورشان می توان شناخت، و قدرت و آثارشان را در زمین از آنچه از آنها به یادگار مانده! تعبیر به «آثارا فی الارض» ممکن است اشاره به پیشرفت گسترده کشاورزی آنها باشد- چنانکه در آیه ۹ سوره روم آمده- و یا اشاره به ساختمانهای عظیم و بناهای محکم اقوام پیشین در دل کوهها و بر صحنه دشتها- چنانکه در آیه ۱۲۸ و ۱۲۹ سوره شعرا بیان شده است.

ولی به هر حال «نیروهایی را که به دست می آورنـد هرگز (به هنگـام وزش طوفان بلا و عـذاب الهی) نتوانست آنها را بینیاز سازد و نجات دهد» (فَما أَغْنی عَنْهُمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ). بلکه تمام این قدرتها در لحظاتی کوتاه درهم کوبیده شدند.

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۸۳ ص: ۲۹۲

(آیه ۸۳) - در این آیه به چگونگی برخورد آنها با پیامبران و معجزات و دلائل روشن انبیا اشاره کرده، می گوید: «هنگامی که رسولان آنها با معجزات و دلائل روشن به سراغ آنها آمدند (از آنان روی گرداندند، و) تنها به معلوماتی که خود داشتند دل بستند و خوشحال بودند» و غیر آن را هیچ شمردند (فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْم).

و همین امر سبب شد تا «آنچه را از عذاب و تهدیدهای الهی به باد استهزا می گرفتند بر سر آنان فرود آید» (وَ حاقَ بِهِمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزُوُنَ).

یعنی با اتکای به علوم محدود بشری، خواه در معارف عقلی و اعتقادات یا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۹۳ در دنیا و یا شبهات واهی که آن را علم میپنداشتند، علومی را که از سر چشمه وحی صادر شده بود نفی میکردند و به باد استهزا میگرفتند، و به علوم اندک خوشحال بودند و خویشتن را بکلی از انبیا بینیاز میدیدند.

سورهٔ غافر (۴۰): آیهٔ ۸۴ ص: ۲۹۳

(آیه ۸۴) – قرآن نتیجه این خودخواهی و غرور را در این آیه و آیه بعد چنین بیان کرده: «پس هنگامی که شدت عذاب ما را دیدند (عذابی که برای ریشه کن کردن آنها نازل شده بود و فرمان قطعی پروردگار را در زمینه نابودیشان به همراه داشت، از کرده خود پشیمان شدند، خود را موجودی ضعیف و ناتوان دیدند و رو به درگاه حق آوردند و فریادشان بلند شد و) گفتند: اکنون به خداوند یگانه ایمان آوردیم، و نسبت به معبودهایی که شریک او می شمردیم کافر شدیم»! (فَلَمَّا رَأُوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنًا باللَّهِ وَحْدَهُ وَ کَفَوْنا بِما کُنَّا بِهِ مُشْرِکِینَ).

سورة غافر(40): آية 80 ص: 294

(آیه ۸۵)- «اما هنگامی که عـذاب ما را مشاهده کردند ایمان آنها به حالشان سودی نداشت» (فَلَمْ یَکُ یَنْفَعُهُمْ إِیمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا). چرا که به هنگام نزول «عذاب استیصال» درهای توبه بسته میشود.

این حکم مخصوص افراد یا اقوام معینی نیست، بلکه چنانکه قرآن در دنبال همین سخن می گوید: «این سنت الهی است که در مورد بندگان گذشته نیز اجرا شده است» (سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ فِی عِبادِهِ).

سپس آیه را با این جمله پایان میدهد: «و در آن هنگام (که عذاب الهی دامانشان را فرو گرفت) خسران و زیان کافران آشکار شد» (وَ خَسِرَ هُنالِکَ الْکافِرُونَ).

آن روز فهمیدند که سرمایهای جز مشتی غرور و پندار نداشتند، و آنچه را آب حیات خیال میکردند سرابی بیش نبود.

و به این ترتیب سوره مؤمن که با توصیف حال کافران مغرور آغاز شده بود، با پایان زندگی دردناک آنها خاتمه می یابد! «پایان سوره مؤمن»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۹۵

سوره فصّلت [41] ص: 298

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۵۴ آیه است

محتواي سوره: ص : 295

محتوای این سوره را می توان در چند بخش خلاصه کرد:

۱- توجه به قرآن و بحثهای فراوانی پیرامون آن.

۲- توجه به آفرینش آسمان و زمین، مخصوصا آغاز آفرینش جهان از ماده گازی شکل (دخان) و مراحل پیدایش کره زمین و
 کوهها و گیاهان و حیوانات.

۳- اشاراتی به سرگذشت اقوام مغرور و سرکش پیشین، از جمله قوم عاد و ثمود، و سرنوشت دردناک آنها و اشاره کوتاهی به داستان موسی (ع).

۴- انـذار و تهدید مشـرکان و کافران مخصوصا با ذکر آیات تکان دهندهای در باره قیامت و گواهی اعضای بدن حتی پوسـت

تن انسان، و توبیخ شدید پروردگار نسبت به آنها به هنگامی که در برابر عذاب الهی قرار می گیرند.

۵- پارهای از دلائل رستاخیز و قیامت و خصوصیات و ویژگیهای آن.

۶- سر انجام سوره را با بحث جالب و کوتاهی پیرامون «آیات آفاقی و انفسی پروردگار» و بازگشتی بر مسأله معاد پایان می بخشد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 295

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام میخوانیم: «هر کس که «حم سجده» را بخواند خداوند به تعداد هر حرفی از آن ده حسنه به او عطا می کند».

در حدیث دیگری نقل شده که: پیامبر صلّی الله علیه و اله هیچ شب به خواب نمی رفت مگر بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۹۶

این که سوره «تبارک» و «حم سجده» را میخواند.

نامگذاری این سوره به «فصِّ لمت» از آیه سوم آن گرفته شده، و به «حم سجده» از این جهت است که بـا «حم» آغاز می شود و آیه ۳۷ آن آیه سجده است.

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة فصلت (41): آية 1 ص: 298

(آیه ۱)- باز هم عظمت قرآن: در روایات اسلامی آمده است که رسول خدا صلّی الله علیه و اله پیوسته بتهای مشرکان را مذمت می کرد، و قرآن را بر آنها میخواند تا به راه توحید باز گردند، اما آنها می گفتند: این شعر محمد است، و بعضی می گفتند:

این «کهانت» است (کهانت غیب گوییهایی بود که گروهی به ادعای خود ارتباط با جنیان داشتند) و بعضی می گفتند: اینها خطبههای زیبایی است که او میخواند (و نامش را «قرآن» گذاشته است).

روزی «ابو جهل» به «ولید بن مغیره» گفت: ای «ابا عبد شمس» اینهایی را که محمد می گوید: چیست؟

گفت: بگذارید سخنانش را بشنوم، گفت: ای محمّد! چیزی از اشعارت را برای من بخوان! فرمود: شعر نیست، بلکه کلام خداست که پیامبران و رسولانش را با آن می فرستاده.

گفت: هر چه هست بخوان! رسول خدا صلّی الله علیه و اله قرائت سوره حم سجده را آغاز کرد، هنگامی که به آیه «فَإِنْ أَغْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَهً مِثْلَ صَاعِقَهً عادٍ وَ ثَمُودَ» (آیه ۱۳ همین سوره) رسید، «ولید» از شنیدن آن لرزید و مو بر تنش راست شد، از جا برخواست و به سوی خانه خود رفت و به سراغ قریش نیامد! این روایت به خوبی نشان می دهد که تا چه حد آیات این سوره پر جاذبه و تکان دهنده است، تا آنجا که در اندیشمند متعصب عرب چنین عکس العملی را بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۹۷

بجا می گذارد.

به تفسیر آیات باز گردیم.

باز در آغاز این سوره به «حروف مقطعه» برخورد می کنیم: «حا- میم» (حم).

که برای دومین بار در آغاز سوره های قرآن خودنمایی می کند، که بعضی «حم» را نام سوره و یا «ح» را اشاره به «حمید» و «م» را اشاره به «مجید» که دو نام از نامهای بزرگ خداوند است دانستهاند.

سورهٔ فصلت(٤١): آيهٔ ٢ ص: ٢٩٧

(آیه ۲)- سپس اشاره به عظمت قرآن کرده، می گوید: «این کتابی است که از سوی خداونـد رحمن و رحیم نازل شده است» (تَنْزِیلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِیم).

«رحمت عامه» خداوند و «رحمت خاصه» او دست به دست هم دادهاند و نزول این آیات را سبب شده است.

سورة فصلت(41): آية 3 ص: 297

(آیه ۳)- بعد از بیان اجمالی فوق در باره قرآن به بیان تفصیلی پرداخته، و اوصاف پنج گانهای برای این کتاب آسمانی بیان می کند، اوصافی که ترسیم روشن و گویایی از چهره اصلی قرآن در بر دارد.

نخست می گوید: «کتابی که آیاتش هر مطلبی را در جای خود بازگو کرده» (کِتابٌ فُصِّلَتْ آیاتُهُ). و شرح و تفصیل تمام نیازمندیهای انسان را در تمام زمینه ها ذکر نموده است.

«در حالى كه فصيح و گوياست» (قُرْآناً عَرَبِيًّا).

«برای جمعیتی که آگاهند» (لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ).

سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۴ ص: ۲۹۷

(آیه ۴)- «قرآنی که بشارت دهنده و بیم دهنده است» (بَشِیراً وَ نَذِیراً).

نیکان را بشارت می دهد و مجرمان را تهدید می کند.

«ولى بيشتر آنها روى گردان شدند از اين رو چيزى نمىشنوند» (فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ).

به این ترتیب نخستین امتیاز این کتاب بزرگ آسمانی این است که مسائل مختلف مورد نیاز بشر در آن تبیین و تشریح شـده است، ولی افسوس که متعصبان لجوج گوش شنوا ندارند، گویی کرند و هیچ نمیشنوند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۹۸

سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۵ ص: ۲۹۸

(آیه ۵)- اما عکس العمل منفی این کوردلان به همین جا ختم نمی شد، بلکه تلاش و کوشش داشتند که پیامبر صلّی الله علیه و اله را از دعوت خود مأیوس سازند، و به او ثابت کنند که در مقابل دعوت تو گوش شنوایی در این دیار نیست، و بیهوده تلاش مکن! آیه شریفه می گوید: «آنها گفتند: قلبهای ما در برابر دعوت تو در پوششهایی قرار گرفته، و گوشهای ما سنگین است، و میان ما و تو حجابی وجود دارد»! (وَ قَالُوا قُلُوابُنا فِی أَکِنَّهُ مِمَّا تَدْعُونا إِلَیْهِ وَ فِی آذانِنا وَقُرٌ وَ مِنْ بَیْنِنا وَ بَیْنِکَ حِجابً).

حال كه چنين است كار به كار ما نداشته باش «تو به دنبال عمل خود باش، ما هم براى خود عمل مىكنيم» (فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ).

این نهایت وقاحت و بی شرمی و نادانی است که انسان با تمام وجودش این چنین از حق گریزان باشد.

سورهٔ فصلت (٤١): آيهٔ ۶ ص: ۲۹۸

(آیه ۶)- مشرکان چه کسانی هستند؟ این آیه همچنان سخن از مشرکان و کافران می گوید، و در حقیقت پاسخی است به گفتاری که از آنها در آیات قبل نقل شده، و دفع هر گونه توهم و اشتباه در زمینه دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و اله.

مىفرمايد: «بگو: من تنها انسانى مثل شـما هسـتم و اين حقيقت پيوسته بر من وحى مىشود كه معبود شما فقط يكى است» (قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَىَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ).

نه مدعی فرشته بودنم، و نه انسانی از یک نژاد برتر و نه خداوند و نه فرزند خدا هستم بلکه انسانی همچون شما هستم با این تفاوت که پیوسته فرمان توحید به من وحی میشود.

سپس ادامه می دهد: «اکنون که چنین است تمام توجه خویش را به این معبود یکتا کنید و (از شرک و گناه) توبه و استغفار نمایید» (فَاسْتَقِیمُوا إِلَیْهِ وَ اسْتَغْفِرُوهُ).

سپس به عنوان هشدار و اعلام خطر میافزاید: «وای بر مشرکان» (وَ وَیْلٌ لِلْمُشْرِكِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۲۹۹

سورة فصلت (٤١): آية ٧ ص: ٢٩٩

(آیه ۷)- این آیه به معرفی مشرکان پرداخته، و جملهای را در این زمینه بازگو میکند که منحصر به این آیه است میفرماید: «همان کسانی که زکات را ادا نمیکنند و نسبت به آخرت کافرند» (الَّذِینَ لا یُؤْتُونَ الزَّکاهَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ کافِرُونَ).

منظور از ترک زکات، ترک انفاقی است که نشانه عدم ایمان آنها به خداست و به همین دلیل در ردیف عدم ایمان به معاد ذکر شده، و یا ترک زکات تو أم با انکار وجوب آن است.

در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام آمده است: «خداوند بزرگ برای فقیران در اموال اغنیا فریضهای قرار داده که جز با اداء آن شایسته ستایش نیستند، و آن زکات است که به وسیله آن خون خود را حفظ میکنند و نام مسلمان بر آنها گذارده می شود».

سورة فصلت(٤١): آية ٨ ص: ٢٩٩

(آیه ۸)- در این آیه به معرفی گروهی که در نقطه مقابل این مشرکان بخیل و بیایمان قرار دارند، و جزای آنها، پرداخته می گوید: «کسانی که ایمان آوردند و اعمال صالح انجام دادند اجر و پاداشی جاودانی و قطع ناشدنی دارند» (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونِ).

سورة فصلت(41): آية 9 ص: 299

(آیه ۹)- دورانهای آفرینش آسمانها و زمین: در اینجا نمونهای از آیات آفاقی و نشانههای عظمت و علم و قدرت خدا در آفیش زمین و آسمان و آغاز خلقت موجودات را ذکر می کند و به پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و اله دستور می دهد کافران و مشرکان را مخاطب ساخته و از آنها سؤال کند آیا خداوندی را که مبدأ این عوالم پهناور و گسترده است هرگز می توانند انکار کنند؟ تا از این طریق وجدان و عقل و هوش آنها را بیدار کند.

مىفرمايد: «بگو: آيا شـما به آن كسى كه زمين را در دو روز آفريد كافر هستيد»؟! (قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْن).

«و برای او شبیه و نظیرهایی قائل می شوید» (وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً).

«او پروردگار جهانیان است» (ذلِکُ رَبُّ الْعالَمِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۰۰

آیا کسی که این جهان را هم اکنون تدبیر می کند، او خالق این آسمان و زمین نیست؟

سورهٔ فصلت (۴۱): آیهٔ ۱۰ ص: ۳۰۰

(آیه ۱۰) - در این آیه به آفرینش کوهها، و معادن و برکات زمین، و مواد غـذایی پرداخته، میفرمایـد: «او در زمین کوههایی قرار داد و برکات و منافعی در آن آفریـد، و مواد غـذایی مختلف آن را مقـدر فرمود، اینها همه در چهار روز بود» (وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَکَ فِیها وَ قَدَّرَ فِیها أَقُواتَها فِی أَرْبَعَهُ أَیَّام).

«این مواد غذایی درست به اندازه نیاز نیاز مندان و تقاضا کنندگان است» (سَواءً لِلسَّائِلِینَ).

به این ترتیب خداوند نیازمندیهای همه نیازمندان را پیش بینی کرده، و برای همه آنها آنچه لازم بوده است آفریده.

تعبیر «بارک فیها» اشاره به معادن و منابع زیر زمینی و روی زمینی و درختان و نهرها و منابع آب است که مایه برکت و استفاده همه موجودات زنده زمین میباشد.

سورة فصلت(٤١): آية 11 ص: 300

(آیه ۱۱)- بعد از پایان سخنان مربوط به آفرینش زمین و مراحل تکاملی آن به بحث از آفرینش آسمانها پرداخته، میفرماید: «سپس اراده آفرینش آسمان نمود- در حالی که به صورت دود بود- در این هنگام به آسمان و زمین فرمود: به وجود آیید و شکل گیرید، چه از روی طاعت و چه اکراه» (ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ اثْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً). «آنها گفتند: ما از روی طاعت و امتثال فرمان می آییم» (قالتا أَتَیْنا طائِعینَ).

سورهٔ فصلت (۴۱): آیهٔ ۱۲ ص: ۳۰۰

(آیه ۱۲)– «در این هنگام خداوند آنها را به صورت هفت آسمان در دو روز آفرید و کامل کرد» (فَقَضاهُنَّ سَـ بُعَ سَـماواتٍ فِی یَوْمَیْن).

«و در هر آسمان آنچه را میخواست امر و فرمان داد» (وَ أَوْحی فِی کُـلِّ سَرِماءٍ أَمْرُها). و موجودات و مخلوقات مختلف را در آنها آفرید و به آنها نظام بخشید.

«و آسمان پایین را با چراغهایی [ستارگان] زنیت بخشیدیم، و (با شهابها از رخنه شیاطین) حفظ کردیم» (وَ زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا

بِمَصابِيحَ وَ حِفْظاً). برگزيده تفسير نمونه، ج۴، ص: ٣٠١

آرى «اين است تقدير خداوند توانا و دانا» (ذلِكُ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيم).

۱- جمله «وَ هِيَ دُخانٌ» (آسمانها در آغاز به صورت دود بود) نشان میدهد که آغاز آفرینش آسمانها از توده گازهای گسترده و عظیمی بوده است، و این با آخرین تحقیقات علمی در مورد آغاز آفرینش کاملا هماهنگ است.

۲- جمله «خداوند به آسمان و زمین فرمود به شکل خود در آیید» به این معنی نیست که واقعا سخنی با لفظ گفته شده باشد، بلکه گفته خداوند همان فرمان تکوینی، و اراده او بر امر آفرینش است، و تعبیر به «طوعا او کرها» (از روی اطاعت یا اکراه) اشاره به این است که اراده قطعی خداوند به شکل گرفتن آسمانها و زمین تعلق یافته بود و در هر صورت می بایست آن مواد به چنین صورت مطلوبی در آیند بخواهند یا نخواهند.

۳- جمله «فَقَضاهُنَّ سَـ بُعَ سَـ ماواتٍ فِی یَوْمَیْنِ» (آنها را به صورت هفت آسمان در دو روز آفرید) اشاره به وجود دو دوران در آفرینش آسمانهاست که هر دورانی از آن میلیونها یا میلیاردها سال به طول انجامیده، و هر دوران به نوبه خود به ادوار دیگری تقسیم میشود، این دو دوران ممکن است دوران تبدیل گازهای فشرده به مایع و مواد مذاب، و دوران تبدیل مواد مذاب به جامد بوده باشد.

۴- عدد «سبع» (هفت) ممکن است در اینجا «عدد تکثیر» باشد یعنی آسمانهای فراوان و کرات بی شماری آفریدیم، و نیز ممکن است «عدد تعداد» باشد، یعنی عدد آسمانها درست هفت است، با این قید که تمام آنچه از کواکب و ستارگان ثوابت و سیارات را می بینیم طبق گواهی جمله بعد در این آیه جزء آسمان اول است، به این ترتیب عالم آفرینش از هفت مجموعه بزرگ تشکیل یافته که تنها یک مجموعه آن در برابر دیدگان انسانها قرار گرفته است.

۵- جمله «وَ زَیَّنَا السَّماءَ اللَّذُنیا بِمَصابِیحَ» (آسمان پایین را به چراغهای روشن ستارگان زینت بخشیدیم) دلیل بر این است که همه ستارگان زینت بخش آسمان اول میباشند و نه تنها زینت، بلکه در شبهای تاریک برای گمشدگان بیابانها برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۰۲

چراغهایی هستند که هم با روشنایی خود راهنمایی میکنند، و هم سمت و جهت حرکت را معین میسازند.

سورهٔ فصلت(٤١): آيهٔ ١٣ ص: ٣٠٢

(آیه ۱۳) – از صاعقهای همچون صاعقه عاد و ثمود بترسید! به دنبال گفتار مؤثری که در زمینه توحید و شناسایی خداوند در آیات قبل آمد، در اینجا مخالفان لجوج را که این همه نشانههای روشن و آیات بینات را نادیده می گیرند شدیدا انذار کرده و به آنان هشدار داده، می گوید: «اگر با این همه دلائل روی گردان شوند به آنها بگو: من شما را به صاعقهای همچون صاعقه قوم عاد و ثمود تهدید می کنم» (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةً عادٍ وَ ثَمُودَ).

از آن بترسید که همان صاعقههای مرگبار و آتشزا و درهم کوبنده به سراغ شما بیاید و به زندگی ننگین شما خاتمه دهد.

سورة فصلت(٤١): آية ١٤ ص: ٣٠٢

(آیه ۱۴)– سپس در این آیه میافزاید: «در آن هنگام که رسولان از پیش رو و پشت سر (و از هر سو) به سراغشان آمدند (و آنان را دعوت کردند) که جز خداوند را نپرستید» (إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ). یعنی پیامبران الهی از تمام وسائل هدایت و تبلیغ استفاده کردند، و از هر دری وارد شدند تا در دل این سیاه دلان نفوذ کنند. اما ببینیم آنها در برابر تلاش عظیم و گسترده این رسولان الهی چه پاسخی گفتند؟! میفرماید: «آنها گفتند: اگر پروردگار ما میخواست فرشتگانی نازل می کرد» تا دعوت او را به ما ابلاغ کنند نه انسانهایی همانند خود ما (قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِکَةً).

اكنون كه چنين است «پس ما بطور مسلم به آنچه شما به آن فرستاده شدهايد كافريم» و اصلا اينها را از سوى خداوند نمى دانيم (فَإِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ).

سورهٔ فصلت (٤١): آيهٔ ١٥ ص: ٣٠٢

(آیه ۱۵)- در اینجا- چنانکه روش قرآن است- بعد از ذکر اجمال به تفصیل برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۰۳ در بـاره عـاد و ثمود پرداخته، میگویـد: «امـا قوم عـاد به نـاحق در زمین تکبر ورزیدنـد (تـا آنجـا که) گفتنـد: چه کسـی از ما نیرومندتر است»؟! (فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ وَ قالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّهُ).

اما قرآن در پاسخ این ادعا می گوید: «آیا آنها نمی دانستند خداوندی که آنان را آفریده از آنها قویتر است»؟! (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً).

نه تنها خالق آنها که خالق تمام آسمانها و زمین است.

در پایان آیه می افزاید: «و آنها (بر اثر این پندار بی اساس) پیوسته آیات ما را انکار می کردند» (وَ کانُوا بِآیاتِنا یَجْحَدُونَ).

سورهٔ فصلت (٤١): آيهٔ ۱۶ ص: ۳۰۳

(آیه ۱۶) – آری! انسان بی مایه و کم ظرفیت هنگامی که مختصر قدرتی در خود احساس کند سر به طغیان بر می دارد، و حتی گاه از بی خردی به مبارزه با قدرت خدا بر می خیزد، و خداوند بزرگ چقدر ساده و آسان با یک اشاره عوامل حیاتشان را به عامل مرگشان تبدیل می کند، چنانکه در همین ماجرای عاد در این آیه اضافه می کند: «سر انجام تند بادی شدید و پر صدا و هول انگیز و سرد و سخت، در روزه ایی شوم و پر غبار، بر آنها فرستادیم، تا عذاب خوار کننده را در زندگی دنیا به آنها بچشانیم» (فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ رِیحاً صَرْصَراً فِی أَیَّام نَحِساتٍ لِنُذِیقَهُمْ عَذابَ الْخِزْیِ فِی الْحَیاةِ اللَّنیا).

این تند باد عجیب چنانکه در آیات دیگر قرآن آمده چنان آنها را از زمین بلند می کرد و زمین می کوبید، همچون تنههای درخت خرما که از ریشه کنده شده باشد.

هفت شب و هشت روز میوزید، و تمام زندگی این قوم جبّرار خودخواه مغرور را درهم می کوبید، و جز ویرانهای از آن قصرهای پر شکوه و زندگی مرفّه و اموال سرشار باقی نماند.

در پایان آیه می گوید: تازه این عذاب دنیا است، «و عذاب آخرت از آن هم خوار کننده تر است» (وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى). و از همه سخت تر این که: هیچ کس به یاری آنها نمی شتابد «و از هیچ سو یاری نمی شوند» (وَ هُمْ لا یُنْصَرُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۰۴

سورهٔ فصلت(٤١): آيهٔ ١٧ ص: 304

(آیه ۱۷)– سرنوشت قوم سرکش ثمود: بعد از توضیحی که در آیات گذشته پیرامون قوم عاد آمد در این آیه و آیه بعد از قوم ثمود سخن به میان آورده، می گوید:

«اما ثمود را هدایت کردیم (پیامبرمان صالح را با دلائل روشن به سوی آنها فرستادیم) ولی آنها نابینایی و گمراهی را بر هدایت ترجیح دادند»! (وَ أَمَّا ثُمُودُ فَهَدَیْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمی عَلَی الْهُدی).

«لذا صاعقه عذاب خوار كننده به خاطر اعمالي كه انجام مي دادند دامان آنها را فرو گرفت» (فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ).

سورهٔ فصلت(41): آیهٔ ۱۸ ص: 304

(آیه ۱۸)- ولی از آنجا که گروهی هر چند اندک به صالح ایمان آورده بودند و ممکن است کسانی سؤال کنند: پس سرنوشت آنها در میان موج وحشتناک صاعقه چه شد؟ آیا آنها نیز به آتش دیگران سوختند؟ قرآن در این آیه میافزاید: «و کسانی را که ایمان آوردند و پرهیزکار بودند نجات بخشیدیم» (وَ نَجَیْنَا الَّذِینَ آمَنُوا وَ کانُوا یَتَّقُونَ).

بعضى از مفسّران گفتهاند: تنها ۱۱۰ نفر به صالح ایمان آوردند.

این گروه را ایمان و تقوایشان نجات داد، و آن گروه طاغی را کفر و اعمال سوئشان گرفتار عذاب الهی ساخت.

سورهٔ فصلت (٤١): آيهٔ ١٩ ص: 304

(آیه ۱۹)– در آیات پیشین سخن از مجازات دنیوی کفار مغرور و ظالمان مجرم بود، اما در اینجا از عذاب آخرت آنها سخن می گوید.

نخست مىفرمايىد: «به خاطر بياوريىد روزى راكه دشمنان خىدا را جمع كرده به سوى دوزخ مىبرند» (وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ).

و برای این که صفوف آنها به هم پیوسته باشد «صفوف پیشین را نگه میدارند» تا صفهای بعد به آنها ملحق شوند (فَهُمْ یُوزَعُونَ).

سورة فصلت(٤١): آية 20 ص: 304

(آیه ۲۰)- «وقتی به آن میرسند گوشها و چشمها و پوستهای تنشان به آنچه میکردند گواهی میدهد»! (حَتَّی إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ).

از پارهای روایات بر می آید که همه اعضای تن به نوبه خود اعمالی را که برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۰۵ انجام دادهاند گواهی می دهند.

چه شاهدان عجیبی! که عضو پیکر خود انسانند، و شهادتشان به هیچ وجه قابل انکار نیست، چرا که در همه صحنه ها حاضر و ناظر بوده، و به فرمان الهی به سخن آمده اند! جمله «حَتَّی إِذا ما جاؤُها» نشان می دهد که دادگاه آنها در کنار جهنّم بر پا می شود.

سورة فصلت(41): آية 21 ص: 300

(آیه ۲۱)- به هر حال آن روز، روز رسوایی بزرگ است، روزی است که تمام وجود انسان به سخن در آمده تمامی اسرار او را فاش می کنند، و تمام گنهکاران را در وحشت عمیقی فرو می برد، اینجاست که «آنها به پوستهای تنشان می گویند: چرا شما بر ضدّ ما گواهی دادید»؟ (وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَیْنا).

ما که سالیان دراز شما را نوازش دادیم، از سرما و گرما حفظ کردیم، شستشو و نظافت و پذیرایی نمودیم، شما چرا این چنین؟! آنها در پاسخ «می گویند: همان خدایی که هر موجودی را به نطق در آورده، ما را به سخن در آورده است» (قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ).

خداوند مأموریت افشاگری را در این روز و این دادگاه بزرگ بر عهده ما گذارده، و ما چارهای جز اطاعت فرمان او نداریم. سپس ادامه میدهند: «و او شما را نخستین بار آفرید، و بازگشتتان به سوی اوست» (وَ هُوَ خَلَقَکُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۲۲ ص: ۳۰۵

(آیه ۲۲)-و باز میافزایند: «شما اگر گناهانتان را مخفی می کردید نه به خاطر این بود که از شهادت گوش و چشمها و پوستهای تنتان بیم داشتید» بلکه شما باور نمی کردید روزی اینها بر ضد شما گواهی دهند (وَ ما کُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ یَشْهَدَ عَلَیْکُمْ سَمْعُکُمْ وَ لا أَبْصارُکُمْ وَ لا جُلُودُکُمْ).

«بلکه (مخفی کاری شما به خاطر این بود که) گمان می کردید خداوند بسیاری از اعمالی را که انجام میدهید نمی داند» (وَ لکِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا یَعْلَمُ کَثِیراً مِمَّا تَعْمَلُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۰۶

غافل از این که هم خداوند در همه جا شاهد و ناظر بر اعمال شماست، و از اسرار درون و برون شما آگاه است، و هم مأموران مراقبت او همه جا با شما هستند، آیا هرگز می توانید پنهان از چشم و گوش و حتی پوست تنتان عملی انجام دهید؟

سورة فصلت(41): آية 23 ص: 306

(آیه ۲۳) - در این آیه که ادامه سخنان اعضای تن انسان است، می افزاید:

«این گمان بدی بود که در باره پروردگارتان داشتید، و همان موجب هلاکت شـما گردید، و سر انجام از زیانکاران شدید» (وَ ذلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ أَرْداکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِینَ).

آیات فوق به خوبی گواهی میدهد که گمان بد در باره خداوند به قدری خطرناک است که گاه موجب هلاکت و عذاب ابدی انسان می گردد به عکس، حسن ظن در باره خداوند موجب نجات در دنیا و آخرت است.

سورهٔ فصلت(٤١): آيهٔ ۲۴ ص: 308

(آیه ۲۴)– همنشینان بد: در تعقیب بحثی که در آیات گذشته پیرامون سرنوشت دشمنان خدا (أَعْداءُ اللَّهِ) آمد در این آیه و آیه بعد به دو قسمت از مجازات دردناک آنها در آخرت و دنیا اشاره میکند.

نخست خداونـد میفرمایـد: «اگر آنها صبر و شکیبایی کننـد (یا نکننـد) آتش دوزخ قرارگاهشان است» و رهایی از آن امکان

يذير نيست (فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوِي لَهُمْ).

سپس برای تأکید این مطلب میافزاید: «و اگر آنها تقاضای رضایت و عفو پروردگار کنند (به جایی نمیرسد و) مورد عفو قرار نمی گیرند» (وَ إِنْ یَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِینَ).

سورة فصلت(٤١): آية ٢٥ ص: 308

(آیه ۲۵) – سپس به مجازات دردناک دنیوی آنها اشاره کرده، می فرماید: «ما برای آنها همنشینانی (زشت سیرت) قرار دادیم، که زشتیها را از پیش رو و پشت سر آنها در نظرشان جلوه دادند» (وَ قَیَضْنا لَهُمْ قُرَناءَ فَزَیَّنُوا لَهُمْ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ). همین معنی به صورت گویاتری در آیات ۳۶ و ۳۷ سوره زخرف آمده آنجا که می فرماید: «بر آنها که از یاد خداوند رحمان روی گردان شوند شیاطین را مسلّط بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۰۷

می سازیم که همواره با آنان قرین هستند، این شیاطین آنها را از راه حق باز می دارند در حالی که گمان می کنند هدایت بافته اند».

سپس مىافزايد: به سبب اين وضع اسفبار «فرمان عذاب الهى در باره آنها تحقق يافت، و به سرنوشت اقوام گمراهى از جن و انس كه قبل از آنها بودند گرفتار شدند» (وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ). سر انجام آيه را با اين جمله پايان مىدهد «آنها مسلما زيانكار بودند» (إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ).

سورة فصلت(٤١): آية 26 ص: 300

(آیه ۲۶) – جنجال کنید تا صدای دل نواز قرآن را نشنوند! به تناسب بحثهایی که در باره بعضی اقوام پیشین، در آیات گذشته آمد، و نیز به تناسب همنشینان بد سیرتی که حقایق را در نظر انسان وارونه جلوه می دهند در اینجا گوشهای از انحراف و بد اندیشی مشرکان عصر پیامبر صلّی الله علیه و اله را مجسم ساخته، می گوید: «و کافران گفتند: گوش به این قرآن فرا ندهید و به هنگام تلاوت آن جنجال کنید شاید غالب شوید»! (وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَعْلِبُونَ). این یک روش قدیمی برای مبارزه در برابر نفوذ حق است که امروز نیز به صورت گسترده تر و خطرناکتری ادامه دارد که برای

این یک روش قدیمی برای مبارزه در برابر نفوذ حق است که امروز نیز به صورت گسترده تر و خطرناکتری ادامه دارد که برای منحرف ساختن افکار مردم و خفه کردن صدای منادیان حق و عدالت، محیط را آن چنان پر از جنجال می کنند، که هیچ کس صدای آنها را نشنود.

گاه با جار و جنجال و سوت و صفیر.

گاه با داستانهای خرافی و دروغین.

گاه با افسانههای عشقی و هوس انگیز.

گاه از مرحله سخن نیز فراتر رفته، مراکز سرگرمی و فساد، و انواع فیلمهای مبتـذل، و مطبوعات بی محتوای سـرگرم کننـده، و بازیهـای دروغیـن سیاسـی و هیجانهـای کـاذب، و خلاـصه هر چیزی که افکـار مردم را از محـور حـق منحرف سـازد به وجـود می آورند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۰۸

سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۲۷ ص: ۳۰۸

(آیه ۲۷) – این آیه به مجازات شدید این گونه افراد اشاره کرده، می فرماید:

«بطور مسلم به كافران (و در صف مقدم آنها، افرادى كه مردم را از شنيدن آيات الهي باز ميداشتند) عذاب شديدي مي چشانيم» (فَلَنْذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً).

این عذاب ممکن است در دنیا به صورت اسارت و کشته شدن به دست لشکریان ظفرمند اسلام باشد، و یا در آخرت، و یا هر دو.

> «و آنها را به بدترین اعمالی که انجام می دادند کیفر می دهیم» (وَ لَنَجْزِیَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِی کانُوا یَعْمَلُونَ). چه عملی بدتر از کفر و شرک، و انکار آیات الهی، و مانع شدن مردم از شنیدن سخنان حق است؟

سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۲۸ ص: ۳۰۸

(آیه ۲۸)- سپس برای تأکید بیشتر می افزاید: «این آتش کیفر دشمنان خداست» آتش سوزان جهنم! (ذلِکَ جَزاءُ أَعْداءِ اللّهِ النَّارُ).

اما نه آتشی موقتی و زود گذر بلکه «سرای جاویدشان در آن خواهد بود» (لَهُمْ فِیها دارُ الْخُلْدِ).

آرى! اين عذاب شديد و دردناك «كيفرى است به خاطر اين كه آيات ما را انكار مى كردند» (جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ).

سورهٔ فصلت (۴۱): آیهٔ ۲۹ ص: ۳۰۸

(آیه ۲۹)- از آنجا که انسان وقتی به بلائی مبتلا می شود مخصوصا اگر بلای سخت و سنگینی باشد به فکر مسبب اصلی می افتد، تا او را پیدا کند و انتقام خود را از او بگیرد، گاه می خواهد اگر دستش برسد عامل اصلی را قطعه قطعه کند، لذا آیه شریفه به چنین حالتی که برای کفار در دوزخ پیدا می شود اشاره کرده، می فرماید:

«و كافران مى گوينـد: پروردگارا! آنهايى را كه از جن و انس ما را گمراه كردنـد به ما نشان ده تا آنها را زير پاى خود نهيم (و لگـدمالشان كنيم!) تـا از پست ترين مردم باشـند»! (وَ قـالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنـا أَرِنَـا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ). همان كسانى كه به ما مى گفتند: گوش به سخنان محمد ندهيد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۰۹

سورة فصلت(٤١): آية ٣٠ ص: ٣٠٩

(آیه ۳۰) - نزول فرشتگان بر مؤمنان با استقامت: میدانیم روش قرآن برای تبیین مطالب این است که امور متضاد را در برابر هم قرار میدهد تا با مقایسه با یکدیگر وضع آنها به خوبی روشن گردد، و از آنجا که در آیات گذشته سخن از منکران لجوجی در میان بود که بر کفر پافشاری داشتند، در اینجا سخن از مؤمنانی است که در ایمانشان راسخ و پا برجا هستند، و خداوند به هفت پاداش و موهبت که برای آنها قرار داده اشاره می کند.

نخست می گوید: «به یقین کسانی که گفتند: پروردگار ما خداوند یگانه است، سپس استقامت کردند فرشتگان الهی بر آنها نازل می شوند که نترسید و غمگین مباشید» (إِنَّ الَّذِینَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَیْهِمُ الْمَلائِکَةُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا). نه از حوادث بیمناک آینده نگران باشید و نه از گناهان گذشته خود غمی به دل راه دهید.

بسیارند کسانی که دم از عشق «الله» میزنند، ولی در عمل استقامت ندارند، افرادی سست و ناتوانند که وقتی در برابر طوفان شهوات قرار می گیرند با ایمان و داع کرده، و در عمل مشرک می شوند، و هنگامی که منافعشان به خطر می افتد همان ایمان ضعیف و مختصر را نیز از دست می دهند.

البته نباید فراموش کرد که «استقامت» همچون «عمل صالح» میوه درخت «ایمان» است زیرا ایمان هنگامی که عمق و نفوذ کافی پیدا کند انسان را دعوت به استقامت خواهد کرد، همان گونه که استقامت در مسیر حق نیز بر عمق ایمان می افزاید، و این دو تأثیر متقابل دارند.

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و اله آمده که شخصی خدمتش عرض کرد:

«دستوری به من ده که به آن چنگ زنم و در دنیا و آخرت اهل نجات شوم».

پيغمبر صلّى اللّه عليه و اله فرمود: «قل ربّى اللّه ثمّ استقم بكّو: پروردگار من اللّه است و بر اين گفته خود بايست.»

پس از نخستین و دومین بشارت در مورد عـدم «خوف» و «حزن» که به آن اشاره شـد. در سومین مرحله می گوینـد: «و بشارت باد بر شما به آن بهشتی که به شما برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۱۰

وعده داده شده است» (وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ).

سورهٔ فصلت (۴۱): آیهٔ ۳۱ ص: ۳۱۰

(آیه ۳۱)- و در چهارمین بشارت میافزاینـد: «ما یاران و مـددکاران شـما در زنـدگی دنیا و آخرت هستیم» (نَحْنُ أَوْلِیاؤُکُمْ فِی الْآخِرَةِ) الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ فِی الْآخِرَةِ)

.هرگز شما را تنها نمی گذاریم در نیکیها به شما کمک می کنیم و از لغزشها شما را حفظ مینماییم تا وارد بهشت شوید.

در پنجمین بشارت می گویند: «و در بهشت برای شـما هر چه دلتان بخواهد از مواهب و نعمتها فراهم است» و هیچ قید و شرطی در کار نیست (وَ لَکُمْ فِیها ما تَشْتَهِی أَنْفُسُکُمْ)

.ششمین بشارت این که نه تنها نعمتهای مادی و آنچه دلخواه شماست به شما میرسد، بلکه «آنچه (از مواهب معنوی) طلب کنید به شما داده میشود» (وَ لَکُمْ فِیها ما تَدَّعُونَ)

سورة فصلت(٤١): آية ٣٢ ص: ٣١٠

(آیه ۳۲) و بالأخره هفتمین و آخرین مژدهای که به آنها میدهند این است که شما میهمان خدا در بهشت جاویدان او هستید و همه این نعمتها «به عنوان پذیرایی یک میزبان از یک میهمان گرامی از سوی پروردگار غفور و رحیم به شما ارزانی داشته می شود» (نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِیم).

نکته: این که فرشتگان در چهارمین بشارت به مؤمنان با استقامت می گویند:

«ما دوستان شـما در دنیا و آخرت هستیم» دلیل بر آن است که این مژدهها را به هنگامی که آنها در دنیا زنـدهانـد از فرشـتگان

می شنوند، اما نه بشارتی با زبان و الفاظ، بلکه بشارتهایی که مؤمنان با گوش جان می شنوند، و در مشکلات و گرفتاریها در اعماق دل احساس میکنند و آرامش می یابند. و در پرتگاهها و لغزشگاهها به آنها ثبات قدم می دهد.

سورهٔ فصلت(٤١): آيهٔ ٣٣ ص: ٣١٠

(آیه ۳۳)- بدی را با نیکی دفع کن! در آیات گذشته سخن از کسانی در میان بود که مردم را از شنیدن آیات قرآن نهی می کردند، ولی در اینجا از نقطه مقابل آنها که گفتارشان بهترین گفتار است سخن می گوید، می فرماید: «چه کسی خوش گفتار تر است از آن کس که دعوت به سوی خدا می کند و عمل صالح انجام می دهد بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۱۱ و می گوید: من از مسلمانانم»؟ و با تمام وجودم اسلام را پذیرفتهام (وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَی اللَّهِ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ قالَ إِنَّنِی مِنَ الْمُسْلِمِینَ).

این آیه با صراحت، بهترین گوینـدگان را کسانی معرفی کرده که دارای این سه وصفند: دعوت به اللّه، عمل صالح، و تسلیم در برابر حق.

سورهٔ فصلت (۴۱): آیهٔ ۳۴ ص: ۳۱۱

(آیه ۳۴)- بعد از بیان دعوت به سوی خداوند و اوصاف داعیان الی الله، روش دعوت را شـرح داده، می گوید: «هر گز نیکی و بدی یکسان نیست» (لا تَشتَوی الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ).

در حالی که مخالفان حق سلاحی جز بدگویی و افترا و سخریه و استهزاء و انواع فشارها و ستمها ندارند، باید سلاح شما پاکی و تقوا و سخن حق و نرمش و محبت باشد.

گر چه «حسنه» و «سیّنه» مفهوم وسیعی دارد، تمام نیکیها و خوبیها و خیرات و برکات در مفهوم حسنه جمع است، همان گونه که هر گونه انحراف و زشتی و عذاب در مفهوم سیئه خلاصه شده است، ولی در آیه مورد بحث آن شاخهای از «حسنه» و «سیئه» که مربوط به روشهای تبلیغی است منظور میباشد.

سپس برای تکمیل این سخن می افزاید: «بدی را با نیکی دفع کن» (ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ).

به وسیله حق باطل را دفع کن، و با حلم و مدارا، جهل و خشونت را، و با عفو و گذشت به مقابله با خشونتها برخیز، هرگز بدی را با بدی، و زشتی را با زشتی پاسخ مگوی، که این روش انتقامجویان است و موجب لجاجت و سرسختی منحرفان می گردد. در پایان آیه به فلسفه عمیق این برنامه در یک جمله کوتاه اشاره کرده، می فرماید: «ناگاه (خواهی دید) همان کس که میان تو و او دشمنی است گویی دوست گرم و صمیمی است»! (فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکُ وَ بَیْنَهُ عَداوَةٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ).

سورة فصلت(41): آية 35 ص: 311

(آیه ۳۵)- از آنجا که چنین برخوردی با مخالفان کار ساده و آسانی نیست، و رسیدن به چنین مقامی نیاز به خودسازی عمیق اخلاقی دارد، در این آیه مبانی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۱۲

اخلاقی این گونه برخورد بـا دشـمنان را در عبـارتی کوتـاه و پر معنی بیـان کرده، میفرمایـد: «اما جز کسانی که دارای صبر و استقامتند به این مقام نمیرسند» (وَ ما یُلَقَّاها إِلَّا الَّذِینَ صَبَرُوا). «و جز کسانی که بهره عظیمی (از ایمان و تقوا) دارند به آن نائل نمی گردند» (وَ ما یُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظً عَظِیم). آری! انسان مدتها باید خودسازی کند تا بتواند بر خشم و غضب خویش چیره گردد باید در پرتو ایمان و تقوا آنقدر روح او وسیع و قوی شود که به آسانی از آزار دشمنان متأثر نگردد.

سورهٔ فصلت (٤١): آيهٔ 37 ص: ٣١٢

(آیه ۳۶) و از آنجا که بر سر راه وصول به این هدف بزرگ موانعی وجود دارد و وسوسههای شیطانی در اشکال مختلف انسانها را مانع می شود، در این آیه شخص پیامبر صلّی الله علیه و اله را به عنوان الگو مخاطب ساخته، می گوید: «و هر گاه وسوسههایی از شیطان در این مسیر متوجه تو گردد، از خدا پناه بخواه که او شنونده و داناست» (وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّکَ مِنَ الشَّيْطانِ نَنْ ّغُ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

در این گونه مواقع معمولا خطوراتی از ذهن می گذرد، و یا افراد به اصطلاح مصلحت اندیش توصیه هایی از این قبیل می کنند: «مردم را جز با زور نمی توان اصلاح کرد» «خون را با خون باید شست» و مانند اینها، و با این وسوسه ها می خواهند مقابله به مثل را در همه جا توصیه کنند، و بدی را به بدی پاسخ گویند.

قرآن می گوید: مبادا گرفتار این وسوسه ها شوید، و جز در موارد خاص و استثنایی تکیه بر خشونت کنید. البته آیه فوق مفهوم وسیعی دارد و می گوید: «در برابر همه وسوسه های شیطانی باید به خدا پناه برد.»

سورهٔ فصلت (٤١): آيهٔ ٣٧ ص: ٣١٢

(آیه ۳۷) - فقط برای خدا سجده کنید! از این آیه به بعد فصل تازهای در این سوره، در زمینه توحید و معاد، و بیان نبوت و عظمت قرآن است، و در حقیقت مصداقی است روشن از «دعوت الی الله» در برابر مشرکان که دعوت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۱۳

به سوی بت می کردند.

نخست از مسأله توحید شروع کرده، از طریق آیات آفاقی مردم را به سوی خدا دعوت مینماید، میفرماید: «و از نشانه های او، شب و روز و خورشید و ماه است» (وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ).

شب مایه آرامش، و روشنایی روز وسیله جنبش و حرکت است، و این دو توأما چرخهای زندگی انسانها را به گردش منظم و متناوبی در می آورند.

خورشید منبع همه برکات مادی در منظومه ماست، نور و گرما و حرکت و جنبش و نزول بارانها، و روییدن گیاهان، همه از پرتو وجود اوست.

ماه نیز روشنی بخش شبهای تار، و چراغ پر فروغ و زیبای رهروان بیابانها و گمشـدگان صـحراهاست، و با جزر و مـد خود نیز برکات فراوانی می آفریند.

ولی به خاطر همین برکات، گروهی در مقابل این دو کوکب پر فروغ آسمان سجده میکردنـد و آنها را پرستش مینمودند، آنها در عالم اسباب، متوقف مانده، بی آنکه مسبب الاسباب را ببینند.

لذا قرآن بعد از این بیان بلا فاصله می گوید: «برای خورشید و ماه سجده نکنید، برای خدایی که آفریننده آنهاست سجده کنید

اگر مىخواهيد او را عبادت نماييد» (لا تَشجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) «١». شما چرا به سراغ سر چشمه اين بركات نمىرويد؟ چرا سر بر آستان او نمىساييد؟ چرا موجوداتى را مىپرستيد كه خود اسير قوانين آفرينشاند.

سورهٔ فصلت(٤١): آيهٔ ٣٨ ص: ٣١٣

(آیه ۳۸) – سپس می افزاید: اگر این دلیل منطقی در فکر آنها اثر نگذاشت و باز هم به سراغ بتها و معبودهای مجازی رفتند و معبود حقیقی را به دست فراموشی سپردند، هرگز نگران نباش «و اگر (از عبادت پروردگار) تکبّر کنند، کسانی که نزد پروردگار تو هستند شب و روز برای او تسبیح می گویند و (هیچ گاه) خسته نمی شوند» (فَإِنِ اسْ تَكْبَرُوا فَالَّذِینَ عِنْهَدَ رَبِّکَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْل وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَشَأَمُونَ).

(١) اين آيه سجده واجب دارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۱۴

اگر گروهی نادان و جاهل و بیخبر در برابر ذات پاکش سجده نکنند مسألهای نیست این عالم وسیع پر است از فرشتگان مقرب که دائما در حال رکوع و سجود و حمد و تسبیحند، تازه نیازی به عبادت آنها نیز ندارد، آنها نیازمند عبادت اویند، چرا که هر افتخار و کمالی برای ممکنات است در سایه عبودیت اوست.

سورهٔ فصلت (41): آیهٔ ۳۹ ص: ۳۱۴

(آیه ۳۹)– بار دیگر به آیات توحید که زمینه ساز مسأله معاد است باز می گردد.

مىفرمايىد: «و از آيىات او اين است كه زمين را خشك (و بىجان) مى بينى، اما هنگامى كه آب (باران) را بر آن مىفرستيم به جنبش در مىآيد، و نموّ مىكند» (وَ مِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ).

زمینی خشک و مرده و بیحرکت کجا، و این همه آثار حیات و جلوههای گوناگون آن کجا! سپس از این مسأله روشن توحیدی یعنی مسأله «حیات» که هنوز اسرارش برای بزرگترین دانشمندان کشف نشده با یک انتقال سریع و جالب به مسأله معاد پرداخته، می گوید: «همان کس که آن (زمین مرده) را زنده کرد مردگان را نیز (در قیامت) زنده می کند»! (إِنَّ الَّذِی أَحْیاها لَمُحْی الْمَوْتی).

آرى «او بر همه چيز تواناست» (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

دلائل قدرتش در همه جا نمایان است و همه سال نشانههای آن را با چشم خود میبینید، با این حال چگونه در مسأله معاد تردید می کنید؟

سورهٔ فصلت(٤١): آيهٔ ٤٠ ص: 314

(آیه ۴۰)- تحریف گران آیات حق! بعد از بیان آیات الهی و نشانه های پروردگار در آیات پیشین، اکنون سخن از تهدید کسانی است که نشانه های توحید را تحریف می کنند، و به اغفال و گمراه ساختن مردم می پردازند، می گوید: «کسانی که آيات ما را تحريف مي كنند بر ما پوشيده نخواهند بود» (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا).

ممکن است با مغالطه و سفسطه مردم را بفریبند، و ممکن است بر این عمل زشت و ننگین خود پرده بیفکنند و خود را از انظار مردم مستور دارند، اما هرگز برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۱۵

نمي توانند كمترين عمل خود را از ما پنهان نمايند.

قرآن مجازات همه آنها را در ادامه این بحث با یک مقایسه روشن بیان کرده، می گوید: «آیا کسی که در آتش افکنده می شود بهتر است یا کسی که در سایه ایمان در نهایت امن و امان در قیامت قدم به عرصه محشر می گذارد»؟! (أَ فَمَنْ یُلْقی فِی النَّارِ خَیْرٌ أَمْ مَنْ یَأْتِی آمِناً یَوْمَ الْقِیامَةِ).

آنها که با ایجاد شک و فساد عقائد و ایمان مردم را به آتش کشیدند، باید در آن روز طعمه آتش شوند و آنها که در سایه ایمان محیط امن و امانی برای جامعه بشری آفریدند باید در قیامت در نهایت امنیت به سر برند، مگر در آن روز همه اعمال ما تجسم نمی یابد؟

و از آنجا که وقتی از همدایت کسمی مأیوس شونمد او را به حال خود رها می کننمد، می گوینمد: هر کاری میخواهی بکن، در ادامه این آیه آنها را مخاطب ساخته، می گوید: «هرچه میخواهید انجام دهید»! (اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ).

اما بدانید «که خدا به آنچه انجام می دهید بیناست» (إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

بدیهی است این امر به معنی آزادی عمل آنها، و یا الزام به انجام هر کار نیست، بلکه تهدیدی است نسبت به آنها که هیچ حرف حقی در گوششان فرو نمی رود.

سورهٔ فصلت (٤١): آيهٔ ۴۱ ص: ٣١٥

(آیه ۴۱)- این آیه سخن را از توحید و معاد به قرآن و نبوت می کشاند، و باز به صورت هشدار به کافران لجوج و بی منطق می فرماید: «آنها که به این ذکر [قرآن] هنگامی که به سراغشان آمد کافر شدند» نیز بر ما مخفی نخواهند ماند (إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِالذِّکْرِ لَمَّا جاءَهُمْ).

و بعد برای بیان عظمت قرآن میافزاید: «و این کتابی است قطعا شکست ناپذیر ...» (وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ).

کتابی است که هیچ کس نمی تواند همانند آن را بیاورد و بر آن غلبه کند، کتابی است بی نظیر، منطقش محکم و گویا، استدلالاتش قوی و نیرومند، تعبیراتش منسجم و عمیق، تعلیماتش ریشه دار و پر مایه، و احکام و دستوراتش هماهنگ با برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۱۶

نیازهای واقعی انسانها در تمام ابعاد زندگی.

سورهٔ فصلت(٤١): آيهٔ ٤٢ ص: 318

(آیه ۴۲)- سپس به توصیف مهم و گویایی در باره عظمت این کتاب آسمانی پرداخته، می گوید: «هیچ گونه باطلی، نه از پیش رو، نه از پشت سر، به سراغ قرآن نمی آید»! (لا یَأْتِیهِ الْباطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ).

یعنی نه تناقضی در مفاهیم آن است.

نه چیزی از کتب و علوم پیشین بر ضد آن میباشد، و نه اکتشافات علمی آینده با آن مخالفت خواهد داشت.

نه کسی می تواند حقایق آن را ابطال کند، و نه در آینده منسوخ می گردد.

نه در معارف و قوانین و اندرزها و خبرهایش خلافی وجود دارد و نه خلافی بعدا کشف می شود.

نه آیه و حتی کلمهای از آن کم شده، و نه چیزی بر آن افزون می شود، و به تعبیر دیگر دست تحریف کنندگان از دامان بلندش کوتاه بوده و هست.

چرا که «از سوی خداوند حکیم و حمید نازل شده است» (تَنْزِیلٌ مِنْ حَکِیم حَمِیدٍ).

خداوندی که افعالش روی حکمت و در نهایت کمال و درستی است و لذًا شایسته هر گونه حمد و ستایش میباشد.

سورهٔ فصلت (۴۱): آیهٔ ۴۳ ص: ۳۱۶

(آیه ۴۳)- از آنجا که کفار مکّه شدیدترین مبارزه را با آیین اسلام و شخص پیامبر صلّی الله علیه و اله آغاز کرده بودند و آیات گذشته از الحاد آنها در دلائل توحید و کفر و تکذیبشان نسبت به آیات الهی خبر میداد، در این آیه به عنوان تسلی خاطر پیامبر صلّی الله علیه و اله و آموختن درس استقامت و پایمردی به همه مسلمین که در فشار دشمنان قرار می گیرند، میفرماید: «آنچه به ناروا در باره تو می گویند همان است که در باره پیامبران قبل از تو نیز گفته شده» (ما یُقالُ لَکَ إِلّا ما قَدْ قِیلَ لِلرُّسُل مِنْ قَبْلِکَ).

اگر مجنون و ساحرت میخوانند، به پیامبران بزرگ پیشین همین نسبتها را دادند، و اگر دروغگویت مینامند آنها نیز از این نسبت در امان نبودند، خلاصه نه دعوت تو به سوی آیین توحید و حق مطلب تازهای است، و نه تهمت و تکذیب برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۱۷

آنها، محکم بایست و به این سخنان اعتنا مکن.

سپس در پایان آیه میافزاید: «پروردگار تو هم دارای مغفرت و آمرزش و هم دارای مجازات دردناک است» (إِنَّ رَبَّکَ لَمذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقابِ أَلِيم).

رحمت و آمرزش براًی آنها که پذیرا شوند، و عذاب الیم برای آنها که تکذیب کنند و تهمت زنند و به مخالفت برخیزند.

سورهٔ فصلت(41): آیهٔ ۴۴ ص: 317

(آیه ۴۴) - قرآن همدایت است و درمان: در این آیه سخن از بهانه جویی این افراد لجوج به میان آورده و پاسخ یکی از بهانههای عجیب را مطرح می کند و آن این که آنها می گفتند: چرا قرآن به زبان عجم نازل نشده است تا ما برای آن اهمیت بیشتری قائل باشیم و غیر عرب نیز از آن بهره گیرند.

اینجاست که قرآن در پاسخ آنها می گوید: «هر گاه آن را قرآنی عجمی قرار میدادیم حتما می گفتند: چرا آیاتش روشن نیست»؟ چرا پیچیده است؟ و ما از آن سر در نمی آوریم! (وَ لَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آیاتُهُ).

سپس اضافه می کردند: راستی عجیب است «قرآنی عجمی از پیغمبری عربی»؟ (أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ).

یا می گفتند: «کتابی است عجمی برای امّتی عربی»؟

خلاصه آنها بیمار دلانی هستند که هر طرحی ریخته شود و هر برنامهای پیاده گردد به آن ایرادی می کنند، و بهانهای می تراشند. سپس قرآن خطاب به پیامبر صلّی الله علیه و اله میافزاید: «بگو: این (کتاب آسمانی) برای کسانی که ایمان آوردهانـد (مایه) هدایت و درمان است» (قُلْ هُوَ لِلَّذِینَ آمَنُوا هُدیً وَ شِفاءً).

«اما کسانی که ایمان نمی آورند در گوشهایشان سنگینی است» و آن را درک نمی کنند (وَ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ فِی آذانِهِمْ وَقْرٌ). «و گویی نابینا هستند و آن را نمی بینند» (وَ هُوَ عَلَیْهِمْ عَمًی).

«آنها (همچون کسانی هستند که گویی) از راه دور صدا زده میشوند»! (أُولئِکَ يُنادَوْنَ مِنْ مَکانٍ بَعِيدٍ). برگزيده تفسير نمونه، ج۴، ص: ۳۱۸

و معلوم است چنین کسانی نه می شنوند و نه می بینند!

سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۴۵ ص: ۳۱۸

(آیه ۴۵) - در این آیه برای تسلی خاطر پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و مؤمنان نخستین میفرماید: از انکار و لجاجت و بهانه جویی این قوم خیرهسر نگران مباش، این سابقه طولانی دارد «ما به موسی کتاب آسمانی دادیم سپس در آن اختلاف شـد» بعضی پذیرا گشتند و بعضی از در انکار در آمدند (وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ فَاخْتُلِفَ فِیهِ).

و اگر مشاهده می کنی ما در مجازات این دشمنان لجوج تعجیل نمی کنیم به خاطر این است که مصالح تربیتی ایجاب می کند آنها آزاد باشند، و تا آنجا که ممکن است اتمام حجت شود، «و اگر فرمانی از ناحیه پروردگارت در این زمینه صادر نشده بود (که باید به آنان مهلت داد تا اتمام حجّت شود) در میان آنها داوری می شد» و به کیفر می رسیدند! (وَ لَوْ لا کَلِمَهُ مُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِی بَیْنَهُمْ).

این فرمان الهی بر اساس مصالح هدایت انسانها و اتمام حجت بوده، و این سنت در میان تمام اقوام گذشته جاری شده و در باره قوم تو نیز جاری است.

«ولى آنها هنوز در باره آن شكّى تهمت انگيز دارند»! (وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مِنْهُ مُرِيبٍ).

سورة فصلت(٤١): آية 46 ص: 318

(آیه ۴۶) - در این آیه یک قانون کلی که قرآن بارها روی آن تأکید کرده در ارتباط با اعمال انسانها بیان می کند، و تکمیلی است بر بحث گذشته در زمینه بهره گیری مؤمنان از قرآن، و محروم ماندن افراد بی ایمان از این سر چشمه فیض الهی. می فرماید: «هر کس عمل صالحی انجام دهد سودش برای خود اوست، و هر کسی بدی کند به خویشتن بدی کرده، و پروردگارت هر گز به بندگان ستم نمی کند» (مَنْ عَمِلَ صالحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وَ ما رَبُّکَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِیدِ). بنابر این اگر آنها به این کتاب و این آیین بزرگ ایمان نیاورند نه به خداوند زیانی می رسانند، و نه به تو، چرا که خوبیها و بدیها همه به صاحبانش باز می گردد.

تعبیر به «ظلّام» (بسیار ظلم کننده) در اینجا و در بعضی دیگر از آیات قرآن برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۱۹ ممکن است اشاره به این باشد که مجازات بی دلیل از سوی خداوند بزرگ همیشه مصداق ظلم بسیار خواهد بود، چرا که از او هرگز چنین انتظاری نیست بخصوص این که او بندگان فراوانی دارد اگر بر هر کس مختصر ستمی کند مصداق «ظلّام» خواهد

آغاز جزء ۲۵ قرآن مجید ص: ۳۱۹

ادامه سوره فصلت ص: 219

سورهٔ فصلت (٤١): آيهٔ ٤٧ ص: ٣١٩

(آیه ۴۷) – اسرار همه چیز نزد اوست: در آیه قبل سخن از بازگشت اعمال نیک و بد به صاحبان آنها بود که اشاره ضمنی به مسأله ثواب و جزای روز قیامت داشت.

در اینجا این سؤال برای مشرکان مطرح می شد که این قیامت که می گویی کی خواهد آمد؟! قرآن نخست در پاسخ این سؤال می گوید: «علم به قیامت (و لحظه وقوع آن) تنها به خدا باز می گردد» (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ). هیچ پیامبر مرسل و فرشته مقربی نیز از آن آگاه نست.

سپس می افزاید: نه تنها آگاهی بر زمان قیام قیامت مخصوص خداست، علم به اسرار این عالم و موجودات پنهان و آشکارش نیز از آن اوست «هیچ میوهای از غلاف خود خارج نمی شود، و هیچ زنی باردار نمی گردد، و وضع حمل نمی کند مگر به علم او» (وَ ما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمامِها وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثی وَ لا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ).

نه در عالم گیاهان و نه در عالم حیوان و انسان نطفهای منعقد نمی شود و بارور نمی گردد و تولد نمی یابد مگر به فرمان خداوند بزرگ و به مقتضای علم و حکمت او.

سپس می افزاید: این گروه که قیامت را انکار می کنند، یا به باد استهزاء می گیرند، «در آن روز که (قیامت بر پا می شود) آنها را ندا می دهد: کجا هستند شریکانی که برای من می پنداشتید! می گویند: (پروردگارا!) ما عرضه داشتیم که هیچ بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۲۰

گواهي بر گفتههاي خود نداريم» (وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي قالُوا آذَنَّاكَ ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ).

آنچه می گفتیم سخنان بیاساس و بیپایه بود، امروز بهتر از هر زمان میفهمیم که چه اندازه این ادعاها باطل و بیاساس بوده است.

سورهٔ فصلت (۴۱): آیهٔ ۴۸ ص: ۳۲۰

(آیه ۴۸)- و در این حال می بیننـد «همه معبودانی را که قبلا میخواندند محو و گم می شوند» (وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا یَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ).

اصلا صحنه قیامت آن چنان برای آنها وحشتناک است که خاطره بتها نیز از نظرشان محو و نابود می شود.

آری «در آن روز میدانند که هیچ گریزگاهی ندارند» (وَ ظُنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِیصٍ).

سورة فصلت(٤١): آية ٤٩ ص: ٣٢٠

(آیه ۴۹)- این انسانهای کم ظرفیت! به تناسب بحثی که در آیات گذشته در باره مشرکان و سرنوشت آنها بیان شده بود، در اینجا ترسیمی از حال این انسانهای ضعیف و بی ایمان شده. نخست مىفرمايد: «انسان هرگز از تقاضاى نيكى (و نعمت) خسته نمىشود» (لا يَسْأُمُ الْإِنْسانُ مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ).

هرگز تنور حرص او از گرمی نمیافتد، هر چه بیشتر پیدا می کند باز بیشتر میخواهد، و هر چه به او بدهند باز سیر نمی شود. «اما (اگر دنیا به او پشت کند، نعمتهای او زائل گردد، و) شر و بدی به او رسد بسیار مأیوس و نومید می شود» (وَ إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ وَيُؤُسُ قَنُوطٌ).

منظور از «انسان» در اینجا «انسان تربیت نایافته» ای است که قلبش به نور معرفت الهی و ایمان پروردگار، و احساس مسؤولیت در روز جزا روشن نشده.

سورهٔ فصلت(٤١): آيهٔ ٥٠ ص: ٣٢٠

(آیه ۵۰)- در این آیه به یکی دیگر از حالات نامطلوب انسانهای دور مانده از علم و ایمان یعنی حالت غرور و از خود راضی بودن اشاره کرده، میفرماید:

«و هر گـاه او را (انسـان) رحمتی از سوی خود، بعـد از ناراحتی که به او رسـیده بچشانیم، میگویـد: این به خاطر شایسـتگی و استحقاق من بوده است» (وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۲۱

رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هذا لِي)

.این بینوای مغرور فراموش می کند که اگر لطف خدا نبود به جای این نعمت باید گرفتار بلا شود.

در دنباله آیه میافزاید: این غرور سر انجام او را به انکار آخرت میکشاند و میگوید: «من باور ندارم قیامتی در کار باشد» (وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةُ قائِمَةً).

و به فرض که قیامتی در کار باشد «هر گاه من به سوی پروردگارم باز گردم پاداشهای نیک و مواهب بسیار از برای من نزد او آماده است» (وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلَی رَبِّی إِنَّ لِی عِنْدَهُ لَلْحُدِینی). خدایی که در دنیا مرا این چنین گرامی داشته حتما در آخرت بهتر از این پذیرایی خواهد کرد! ولی خداوند این افراد مغرور و خیره سر را در پایان این آیه چنین تهدید می کند که: «ما به زودی کافران را از اعمالی که انجام داده اند آگاه خواهیم کرد، و از عذاب شدید به آنها می چشانیم» (فَلَنْنَبِّئَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِما عَمِلُوا وَ لَنُذِیقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابِ غَلِیظٍ).

سورة فصلت(٤١): آية ٥١ ص: ٣٢١

(آیه ۵۱)- در این آیه سومین حالتی را که برای این گونه انسانها به هنگام اقبال و ادبار دنیای مادی رخ می دهـ بازگو می کند که حالت فراموشکاری به وقت نعمت، و جزع و فزع به هنگام مصیبت است.

مى فرمايىد: «و هر گاه به انسان (غافل و بىخبر) نعمت دهيم روى مى گردانىد، و با حال تكبّر از حق دور مى شود» (وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ).

«ولی هر گاه مختصر نـاراحتی به او رسـد تقاضای فراوان و مسـتمّر (برای برطرف شـدن آن) دارد» (وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَـذُو دُعاءٍ عَریض).

آری! چنین است انسان فاقد ایمان و تقوا که دائما به این حالات گرفتار است، به هنگام روی آوردن نعمتها «حریص» و «مغرور» و «فراموشکار» و به هنگام پشت کردن نعمتها «مأیوس» و نومید و «پرجزع».

ولی در مقابل، مردان حق و پیروان راستین مکتب انبیا آن چنان پرظرفیت و پرمایهانید که نه روی آوردن نعمتها آنها را دگرگون میسازد، و نه ادبار دنیا ضعیف برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۲۲ و ناتوان و مأیوس.

سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۵۲ ص: ۳۲۲

(آیه ۵۲) - در این آیه آخرین سخن را با این افراد لجوج در میان می گذارد، و اصل عقلی معروف دفع ضرر محتمل را با بیانی روشن برای آنها تشریح می کند، خطاب به پیامبر کرده، می فرماید: «بگو: به من خبر دهید اگر این قرآن از سوی خداوند باشد و شما به آن کافر شوید، چه کسی گمراهتر خواهد بود از آن کس که در مخالفت دور و گمراهی شدید قرار دارد»؟! (قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ کانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ کَفَوْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِی شِقاقٍ بَعِیدٍ).

این همان سخنی است که ائمه دین علیهم السّلام در برابر افراد لجوج در آخرین مرحله مطرح می کردند چنانکه در حدیثی میخوانیم: امام صادق علیه السّلام به «ابن ابی العوجاء» مادی و ملحد عصر خود فرمود: «اگر مطلب این باشد که تو می گویی (و خدا و قیامتی در کار نباشد) که مسلما چنین نیست، هم ما اهل نجاتیم و هم تو، ولی اگر مطلب این باشد که ما می گوییم، و حق نیز همین است، ما اهل نجات خواهیم بود و تو هلاک می شوی».

سورهٔ فصلت(۴۱): آیهٔ ۵۳ ص: ۳۲۲

(آیه ۵۳) – نشانه های حق در جهان بزرگ و کوچک: در این آیه و آیه بعد که سوره فصّلت با آن پایان می گیرد، به دو مطلب مهم که در حقیقت یک نوع جمع بندی از بحثهای این سوره است اشاره شده آیه اول در باره توحید (با قرآن) سخن می گوید و آیه دوم در باره معاد.

مىفرمايىد: «ما به زودى آيات و نشانههاى خود را در آفاق و اطراف جهان، و همچنين در درون جان خود آنها، به آنان، نشان مىدهيم، تا براى آنها روشن شود كه خداوند حق است» (سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ).

«آیات آفاقی» همچون آفرینش خورشید و ماه و ستارگان با نظام دقیقی که بر آنها حاکم است، و آفرینش انواع جانـداران و گیاهان و کوهها و دریاها با عجائب و شگفتیهای بیشـمارش، و موجودات گوناگون اسرار آمیزش، که هر زمان اسرار تازهای از خلقت آنها کشف میشود. هر یک آیه و نشانهای است بر حقانیت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۲۳

ذات پاک او! و «آیات انفسی» همچون آفرینش دستگاههای مختلف جسم انسان و نظامی که بر ساختمان حیرت انگیز مغز و حرکات منظم قلب و عروق و بافتها و استخوانها، و انعقاد نطفه و پرورش جنین در رحم مادران، و از آن بالا تر اسرار و شگفتیهای روح انسان می باشد. که هر گوشهای از آن کتابی است از معرفت پروردگار و خالق جهان! و در پایان این آیه این بیان لطیف و جالب را با جمله زیبا و پرمعنای دیگری تکمیل کرده، می افزاید: «آیا کافی نیست که پروردگارت بر هر چیز شاهد و گواه است» (أً وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدً).

چه شهادتی از این برتر و بالاتر که با خط تکوین قدرت خویش را بر پیشانی همه موجودات نوشته است، بر صفحه برگهای در ختان، در لابلای گلبرگها، در میان طبقات اسرار آمیز مغز، و بر روی پردههای ظریف چشم، بر صفحه آسمان و بر قلب زمین، و خلاصه بر همه چیز نشانههای توحید خود را نوشته و گواهی تکوینی داده است.

سورة فصلت (٤١): آية ٥٤ ص: ٣٢٣

(آیه ۵۴)– آخرین آیه این سوره، سر چشمه اصلی بدبختیهای این گروه مشرک و فاسد و ظالم را بیان کرده، می گوید: «آگاه باشید که آنها از لقای پروردگارشان (و رستاخیز) در شک و تردیدند» (أَلا إِنَّهُمْ فِی مِرْیَهٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ).

و چون ایمان به حساب و جزا ندارنـد دست به هر جنایتی میزننـد «و آگاه باشـید که خداونـد به همه چیز احاطه دارد» (أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ).

همه اعمال و گفتار و نیات آنها در پیشگاه علمش روشن است، و تمام آن برای دادگاه بزرگ قیامت ثبت و ضبط خواهد شد. در حقیقت جمله اخیر پاسخی است به بعضی از شبهات کفّار در مورد معاد، از جمله این که: چگونه ممکن است این خاکهای پراکنده و به هم آمیخته شده از هم جدا گردد؟ و از این گذشته چه کسی آگاه از نیات و اعمال و گفتار همه انسانها در طول تاریخ بشر است.

قرآن در پاسخ همه این سؤالات می گوید: خدایی که به همه چیز احاطه دارد بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۲۴ تمام این مسائل برای او روشن است، و دلیل بر احاطه علمی او بر همه چیز تدبیر او نسبت به همه اشیاء است، چگونه ممکن است مدبر عالم از وضع جهان بی خبر باشد؟! منظور از «احاطه پروردگار» به همه چیز وابستگی همه موجودات در ذاتشان به وجود مقدس اوست.

به تعبیر دیگر در عالم هستی یک وجود اصیل و قائم به ذات بیش نیست، و بقیه موجودات امکانیه همه متکی و وابسته به او هستند که اگر یکدم این ارتباط از میان برداشته شود همه فانی و معدوم میشوند.

«پایان سوره فصّلت»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۲۵

سوره شوری [47] ص: 2۲۵

اشاره

این سوره ۵۳ آیه دارد و همه آن- جز چند آیه که محل گفتگوست- در «مکّه» نازل شده است

محتوای سوره: ص: 325

این سوره بحثهای مختلفی دارد که بطور خلاصه چنین است:

بخش اول: که مهمترین بخش این سوره را تشکیل میدهد بحث پیرامون وحی و ارتباط خداوند با پیامبران از این طریق مرموز است.

بخش دوم: اشاراتی است پر معنی به دلائل توحید، و آیات خداوند در آفاق و انفس که بحث وحی را تکمیل می کند. بخش سوم: اشاراتی به مسأله معاد و سرنوشت کفار در قیامت دارد.

بخش چهارم: یک سلسله مباحث اخلاقی است.

نامگذاری این سوره به این نام به خاطر آیه ۳۸ است که مسلمانان را دعوت به مشورت در امور می کند.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 323

در حدیثی از امام صادق علیه السّ بلام میخوانیم: «کسی که سوره شوری را بخواند روز قیامت با صورتی سفید و درخشنده همچون آفتاب محشور می شود، تا به پیشگاه خدا می آید، می فرماید: بنده من! قرائت سوره حم، عسق را تداوم دادی، در حالی که پاداش آن را نمی دانستی، اما اگر می دانستی چه پاداشی دارد هیچ گاه از قرائت آن خسته نمی شدی، ولی من امروز پاداش تو را به تو خواهم داد، سپس دستور می دهد او را وارد بهشت کنند و غرق در نعمتهای ویژه بهشتی».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۲۶

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الشوري(٤٢): الآيات ١ الى ٢ ص: ٣٢٦

(آیه ۱ و ۲)- باز در دو آیه اول این سوره با «حروف مقطعه» رو برو می شویم، حروف مقطعه ای که در یکی از مفصلترین اشکال منعکس شده، یعنی پنج حرف «حا، میم-عین، سین، قاف» (حم-عسق).

«حم» در آغاز هفت سوره قرآن مجید است منتها در خصوص سوره شوری «عسق» نیز بر آن افزوده شده است.

سورة الشوري(٤٢): آية ٣ ص: ٣٢٦

(آیه ۳)- بعد از حروف مقطعه، طبق معمول سخن از وحی و قرآن شروع می شود، می فرماید: «این گونه خداوند عزیز و حکیم به تو و پیامبرانی که قبل از تو بودند وحی می کند» (کَذلِکَ یُوحِی إِلَیْکَ وَ إِلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکَ اللَّهُ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ).

سر چشمه وحی همه جا یکی است، و آن علم و قدرت پروردگار است، و محتوای وحی نیز در اصول و کلیات نسبت به تمام پیامبران یکی است.

عزت و قدرت شکست ناپذیر او ایجاب می کند که توانایی بر وحی و محتوای عظیم آن را داشته باشد، و حکمت او ایجاب می کند که وحی الهی از هر نظر حکیمانه و هماهنگ با نیازهای تکامل انسانها باشد.

سورة الشوري(42): آية 4 ص: 328

(آیه ۴)- سپس می افزاید: «آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است از آن اوست، و او بلند مرتبه و بزرگ است» (لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَلِیُّ الْعَظِیمُ).

مالکیت او نسبت به آنچه در آسمان و زمین است ایجاب میکند که از مخلوقات خود و سرنوشت آنها بیگانه نباشند و نیازهای آنها را از طریق وحی بر آنها نازل کند.

سورة الشورى (٤٢): آية ٥ ص: ٣٢٦

(آیه ۵)- در این آیه می افزاید: «نزدیک است آسمانها (به خاطر نسبتهای ناروای مشرکان) از بالا متلاشی شوند» (تَکادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ). سپس در دنباله آیه میافزاید: «و فرشتگان پیوسته تسبیح و حمد برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۲۷ پروردگارشان را به جا میآورنـد و برای کسانی که در زمین هسـتند اسـتغفار میکننـد» (وَ الْمَلائِكَةُ یُسَبِّحُونَ بِحَدْ دِ رَبِّهِمْ وَ

پروو يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ).

رابطه این جمله با جمله قبل چنین است که فرشتگان حامل این وحی بزرگ آسمانی پیوسته حمد و تسبیح خدا به جا می آورند. و او را به هر کمالی می ستایند، و از هر نقصی منزه می شمرند، و چون در محتوای این وحی بزرگ یک سلسله تکالیف و وظائف الهی است، و احیانا ممکن است برای مؤمنان لغزشهایی پیش آید، می گوید آنها به یاری مؤمنان می شتابند. و برای لغزشهای آنها از خدا طلب آمرزش می کنند.

در پایان این آیه به دو وصف دیگر از اوصاف پروردگار که آن هم در زمینه غفران و رحمت است و تناسب نزدیکی با مسأله وحی و محتوای آن در مورد وظائف مؤمنان دارد اشاره کرده، میفرماید: «آگاه باشید خداوند آمرزنده و مهربان است» (أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ).

و به این ترتیب مجموعه کاملی از اسمای حسنای خداونید را در رابطه با مسأله وحی بیان میکنید، و در ضمن اشاره لطیفی است بر اجابت دعای فرشتگان در مورد استغفار برای مؤمنان.

سورة الشورى(47): آية 6 ص: 327

(آیه ۶)- به تناسب اشارهای که در آیات گذشته به مسأله شرک شده، در این آیه به نتیجه کار مشرکان و انتهای مسیرشان پرداخته، می گوید: «کسانی که غیر خدا را ولیّ خود بر گزیدند خداوند حساب همه اعمال آنها را نگه می دارد، و از نیاتشان آگاه است» (وَ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیاءَ اللَّهُ حَفِیظٌ عَلَیْهِمْ). تا به موقع حساب آنها را برسد و کیفر لازم را به آنها بدهد. سپس روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و اله کرده، می گوید: «تو مأمور نیستی که آنها را مجبور به قبول حق کنی» (وَ ما أَنْتَ عَلَیْهِمْ بِوَکِیلِ).

وظیفه تو تنها ابلاغ رسالت، و رسانیدن پیام خدا به همه بندگان است.

سورة الشوري(42): آية 7 ص: 227

(آیه ۷)- قیامی از «امّ القری»! بـار دیگر به مسأله وحی باز می گردد، و اگر در آیات قبل از اصل وحی سـخن در میان بود در اینجا سخن از هدف نهایی وحی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۲۸

است، میفرماید: «و این گونه قرآنی عربی [فصیح و گویا] را بر تو وحی کردیم تا امّ القری [مکّه] و مردم پیرامون آن را انذار کنی» (وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ قُرْآناً عَرَبِیًا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُری وَ مَنْ حَوْلَها).

«و آنهـا را از روزی که همه خلایق در آن روز جمع میشونـد و شک و تردیـدی در آن نیست بترسانی» (وَ تُنْـذِرَ یَوْمَ الْجَمْعِ لا رَیْبَ فِیهِ).

از آن روز که مردم به دو گروه تقسیم میشوند «گروهی در بهشتند، و گروهی در آتش سوزان دوزخ» (فَرِیقٌ فِی الْجَنَّهِ وَ فَرِیقٌ فِی السَّعِیر). روزی که به خاطر اجتماع عموم انسانها رسوائیش بسیار دردناک و شدید است.

سورة الشوري(47): آية لا ص: 328

(آیه ۸)- از آنجا که آیه قبل بیانگر تقسیم مردم به دو گروه بود، در این آیه میافزاید: «و اگر خدا میخواست همه آنها را امت واحدی قرار میداد» (وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً).

و به حکم اجبار هدایت می کرد اما ایمان اجباری چه ارزشی دارد؟ و چگونه می تواند معیار کمال انسانی گردد؟ تکامل واقعی آن است که انسان با اراده خویش، و در نهایت اختیار و آزادی طی کند.

این بزرگترین امتیازی است که خداوند به او داده، و راه تکامل را به صورت نامحدود به روی او گشوده است، این سنت غیر قابل تغییر الهی است.

سپس به مسأله مهم دیگری در این رابطه میپردازد و توصیف گروهی را که اهل بهشت و سعادتند در برابر گروهی که به دوزخ فرستاده میشوند با این عبارت بیان میکند: «ولی خداوند هر که را بخواهد در رحمت خود وارد میکند، و برای ظالمان ولی و یاوری نیست» (وَ لکِنْ یُدْخِلُ مَنْ یَشاءُ فِی رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِیًّ وَ لا نَصِیرِ).

سورة الشوري(٤٢): آية ٩ ص: ٣٢٨

(آیه ۹)- ولیّ مطلق خداست: از آنجا که در آیه قبل این واقعیت بیان شده که هیچ ولیّ و یاوری جز خداوند نیست، در اینجا برای تأیید این واقعیت و نفی ولایت غیر خدا دلائل زندهای مطرح می کند.

نخست در لباس تعجب و انكار مىفرمايد: «آيا آنها غير خدا را ولتى خود قرار برگزيده تفسير نمونه، ج۴، ص: ٣٢٩ دادند»؟ (أُم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ).

با اين كه «وليّ تنها خداست» (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ).

پس اگر میخواهند برای خود ولی و سرپرستی برگزینند باید خدا را برگزینند.

سپس به دلیل دیگری پرداخته، می گوید: «اوست که مردگان را حیات میبخشد» (وَ هُوَ یُحْیِ الْمَوْتی).

و چون معاد و رستاخیز به دست اوست، و بزرگترین نگرانی انسان چگونگی زندگی او بعد از مرگ است، بنابر این باید دست به دامن والای او زد و نه غیر او.

> سپس به ذکر دلیل سومی پرداخته، می گوید: «و اوست که بر هرچیزی تواناست» (وَ هُوَ عَلَی کُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). اشاره به این که شرط اصلی «ولیّ» دارا بودن قدرت است و قادر حقیقی اوست.

سورة الشورى(47): آية 10 ص: 229

(آیه ۱۰) و در این آیه چهارمین دلیل ولایت او را به این صورت شرح میدهد: «و در هر چیز اختلاف کنید داوری و حکمش با خداست، و تنها اوست که می تواند به اختلافات شما پایان دهد (وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِیهِ مِنْ شَیْءٍ فَحُکْمُهُ إِلَی اللَّهِ). آری! یکی از شؤون ولایت آن است که بتواند به اختلافات کسانی که تحت ولایت او هستند با داوری صحیحش پایان دهد. بعد از ذکر این دلائل مختلف بر انحصار مقام ولایت در ذات پاک خداوند از قول پیامبرش صلّی الله علیه و اله می گوید: «این است خداوند پروردگار من» با این اوصاف کمالیه (ذلِکُمُ اللَّهُ رَبِّی).

و به همین دلیل من او را ولی و یاور خود برگزیـدهام «بر او توکل کردم و به سوی او (در مشکلات و گرفتاریها و لغزشـها) باز میگردم» (عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَ إِلَیْهِ أُنِیبُ).

سورة الشوري (47): آية 11 ص: 329

(آیه ۱۱)– این آیه می تواند دلیل پنجمی بر ولایت مطلقه پروردگار باشد، یا دلیلی بر مقام ربوبیت و شایستگی او برای توکل و انابه، می فرماید: «او آفریننده برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۳۰

آسمانها و زمين است» (فاطِرُ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

البته منظور از آسمانها و زمین در اینجا تمام آسمانها و زمین و موجوداتی است که در آنها و میان آنها وجود دارد.

سپس به توصیف دیگری از افعال او پرداخته، میگوید: «و از جنس شما همسرانی برای شما قرار داد و جفتهایی از چهارپایان آفرید و شما را به این وسیله [بوسیله همسران] زیاد می کند» (جَعَلَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً وَ مِنَ الْأَنْعامِ أَزْواجاً یَذْرَؤُکُمْ فِیهِ). وجود همسران از یک سو مایه آرامش روح و جان انسان هستند، و از سوی دیگر مایه بقاء نسل و تکثیر مثل و تداوم وجود او. در توصیف سومی که در این آیه ذکر شده، می فرماید: «هیچ چیز همانند او نیست» (لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ).

این جمله در حقیقت پایه اصلی شناخت تمام صفات خداست که بدون توجه به آن به هیچ یک از اوصاف پروردگار نمی توان پی برد، زیرا خطرناکترین پرتگاه «تشبیه» است که خدا را در وصفی از اوصاف شبیه مخلوقاتش بدانند این امر سبب می شود که به درّه شرک سقوط کنند.

به تعبیر دیگر او وجودی است بیپایان و نامحدود از هر نظر و هرچه غیر اوست، محدود و متناهی است از هر نظر، از نظر عمر، قدرت، علم، حیات، اراده، فعل، و خلاصه همه چیز، و این همان خط «تنزیه» و پاک شمردن خداوند از نقائص ممکنات است. و در پایان آیه و بیان اوصاف دیگر ذات مقدسش می گوید: «و او شنوا و بیناست» (وَ هُوَ السَّمِیعُ الْبُصِیرُ).

آرى! او هم خالق است، و هم مدبر، هم شنواست و هم بينا، و در عين حال شبيه و نظير و مانند ندارد.

سورة الشورى(٤٢): آية ١٢ ص: ٣٣٠

(آیه ۱۲)- در این آیه سخن از سه قسمت دیگر از صفات فعل و ذات برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۳۱ پروردگار است که هر کدام مسأله ولایت و ربوبیت او را در بعد خاصی نشان می دهد.

نخست مىفرمايد: «كليدهاى آسمانها و زمين از آن اوست» (لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

بنابر این هر کس هر چه دارد از اوست، و هر چه میخواهد باید از او بخواهد، نه تنها «کلیدها» بلکه «خزائن» آسمانها و زمین نیز از آن اوست.

در توصیف بعد که در حقیقت نتیجهای است برای توصیف قبل، می افزاید:

«روزی را برای هر کس بخواهـد گسترش میدهـد و (برای هر کس بخواهد) تنگ و محدود میسازد» (یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ وَ یَقْدِرُ).

از آنجا که خزائن عالم در دست اوست تمام رزق و روزیها نیز در قبضه قدرت او قرار دارد، و بر طبق مشیتش که از حکمت او سر چشمه می گیرد و مصالح بندگان در آن ملحوظ است آن را تقسیم می کند. و از آنجا كه بهرهمند ساختن همه موجودات زنده از روزیها نیاز به علم و آگاهی از مقدار احتیاجات و محل و سایر خصوصیات آنها دارد، در آخرین توصیف اضافه می كند: «او به همه چیز داناست» (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِیمٌ).

و به این ترتیب در چهار آیه فوق یازده وصف دیگر از اوصاف کمالیه پروردگار (اعم از اوصاف ذات و اوصاف فعل) بیان شده است.

سورة الشوري(٤٢): آية ١٣ ص : ٣٣١

(آیه ۱۳)- آیین تو عصاره آیین همه انبیاست! از آنجا که بسیاری از بحثهای این سوره در برابر مشرکان است، در اینجا این حقیقت را روشن میسازد که دعوت اسلام به توحید دعوت تازهای نیست.

مى فرمايد: «خداونىد آيينى را براى شما تشريع كرد كه به نوح (نخستين پيامبر اولوا العزم) توصيه كرده بود» (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّين ما وَصَّى بِهِ نُوحاً).

«همچنین آنچه را بر تو وحی فرستادیم، و ابراهیم و موسی و عیسی را به آن سفارش کردیم» (وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ وَ ما وَصَّیْنا بِهِ إِبْراهِیمَ وَ مُوسی وَ عِیسی).

و به این ترتیب آنچه در شرایع همه انبیا بوده در شریعت توست و «آنچه خوبان همه دارند تو تنها داری»! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۳۲

لذا در دنباله آیه به عنوان یک دستور کلی به همه این پیامبران بزرگ میافزاید: به همه آنها توصیه کردیم که: «دین را برپا دارید و در آن تفرقه ایجاد نکنید» (أَنْ أَقِیمُوا الدِّینَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِیهِ).

و به دنبال آن میافزاید: هر چند «بر مشرکان گران است آنچه شما آنان را به سویش دعوت میکنید!» (کَبُرَ عَلَی الْمُشْرِکِینَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَیْهِ).

آنها بر اثر جهل و تعصب سالیان دراز آن چنان به شرک و بت پرستی خو گرفتهانـد و در اعماق وجودشان حلول کرده که دعوت به توحید مایه وحشت آنهاست.

ولی بـا ایـن حـال همـانگـونه کـه گزینش پیـامبران به دست خـداست، هـدایت مردم نیز به دست اوست «خداونـد هر کس را بخواهد بر می گزیند، و کسی را که به سوی او بازگردد هدایت می کند» (اللَّهُ یَجْتَبِی إِلَیْهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَهْدِی إِلَیْهِ مَنْ یُنیبُ).

در این آیه تنها به پنج تن از پیامبران خدا اشاره شده (نوح و ابراهیم و موسی، عیسی و محمد صلّی اللّه علیه و اله) چرا که پیامبران اولوا العزم یعنی صاحبان دین و آیین جدید تنها این پنج تن هستند، و در حقیقت آیه اشارهای است به انحصار پیامبران صاحب شریعت در این پنج نفر.

سورة الشوري(٤٢): آية ١٤ ص : 332

(آیه ۱۴)- و از آنجا که یکی از دو رکن دعوت انبیای اولوا العزم عدم تفرقه در دین است و مطمئنا همه آنها روی این مسأله تبلیغ کردند، این سؤال پیش می آید پس سر چشمه این همه اختلافات مذهبی از کجاست؟

این آیه به پاسخ این سؤال پرداخته، سر چشمه اصلی اختلافات دینی را چنین بیان می کند: «آنها راه تفرقه را پیش نگرفتند مگر بعـد از آنکه (اتمام حجت بر آنها شـد، و) علم و آگاهی کافی به آنها رسـید، و این تفرقه جویی به خاطر حب دنیا و ریاست و ظلم و حسد و عداوت بود» (وَ ما تَفَرَّقُوا إِنَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ).

به این ترتیب سر چشمه اختلافهای مذهبی جهل و بیخبری نبود، بلکه بغی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۳۳ و ظلم و انحراف از حق و اعمال نظرهای شخصی بود.

«دانشمندان دنیا طلب» و «عوامهای متعصب و کینه توز» دست به دست هم دادند و این اختلافات را بنیان نهادند.

این آیه پاسخ روشنی است به آنها که می گویند مذهب در میان بشر ایجاد اختلاف کرده، و خونریزیهای فراوانی در طول تاریخ به بار آورده است.

سپس قرآن میافزاید: «اگر فرمانی از سوی پروردگار تو صادر نشده بود که آنها تا سر آمد معینی زنده و آزاد باشند خداوند در میان آنها داوری میکرد» طرفداران باطل را نابود میساخت و پیروان حق را پیروز (وَ لَوْ لا کَلِمَةٌ سَـبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ).

آری! دنیا سرای آزمون و پرورش و تکامل است، و این بدون آزادی عمل امکان پذیر نیست، این فرمان تکوینی خداوند است که از آغاز خلقت انسان بوده و دگرگونی در آن راه ندارد، این طبیعت زندگی دنیاست، ولی از امتیازات سرای آخرت حل تمام این اختلافات و رسیدن انسانیت به یکپارچگی کامل است.

و در آخرین جمله به توضیح حال کسانی میپردازد که بعد از این گروه بر سر کار آمدند، گروهی که عهد پیامبران را درک نکردند، میفرماید: «کسانی که بعد از آنها وارثان کتب آسمانی شدند از آن در شک و تردیدند، شکی توأم با بدبینی و سوء ظن»! (وَ إِنَّ الَّذِینَ أُورِثُوا الْکِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِی شَکِّ مِنْهُ مُرِیبِ).

سورة الشوري(42): آية 15 ص: 333

(آیه ۱۵) – آن گونه که مأمور شده ای استقامت کن! از آنجا که در آیات قبل مسأله تفرقه امتها بر اثر بغی و ظلم و انحراف مطرح شده، در این آیه به پیامبر صلّی الله علیه و اله دستور می دهد که برای حل اختلافات و احیای آیین انبیا بکوشد، و در این راه نهایت استقامت را به خرج دهد.

مىفرمايد: «پس به همين خاطر تو نيز (انسانها را به سوى اين آيين واحد الهي) دعوت كن» (فَلِذلِكَ فَادْعُ).

سپس دستور به استقامت در این راه داده، می گوید: «و آن چنان که مأمور شدهای استقامتنما» (وَ اسْتَقِمْ کَما أُمِرْتَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۳۴

و از آنجا که هوی و هوسهای مردم در این مسیر از موانع بزرگ راه است، در سومین دستور میافزاید: «و از هوی و هوسهای آنها پیروی مکن» (وَ لا تَتَبعْ أَهْواءَهُمْ).

چرا که هر گروهی تو را به تمایلات و منافع شخصی خود دعوت میکنند، همان دعوتی که سر انجامش تفرقه و پراکندگی و نفاق است.

و چون هر دعوتی نقطه شروعی دارد، نقطه شروع آن را خود پیـامبر صـــلّـی اللّه علیه و اله قرار میدهــد، و در چهارمین دســتور میـفرماید: «بگو: من ایـمان آوردهام به هر کتابی که از سوی خدا نازل شده است» (وَ قُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللّهُ مِنْ کِتابِ).

من در میان کتب آسمانی فرق نمی نهم، همه را به رسمیت می شناسم، و از آنجا که برای ایجاد وحدت رعایت «اصل عدالت» ضرورت دارد، در پنجمین دستور آن را مطرح کرده، می فرماید بگو: «من مأمورم که در میان همه شما عدالت کنم» (وَ أُمِرْتُ

لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ).

چه در قضاوت و داوریها، چه در حقوق اجتماعی و مسائل دیگر.

به دنبال این پنج دستور، به جهات مشترک همه اقوام که آن هم در پنج قسمت خلاصه شده، اشاره کرده، میفرماید: «خدا پروردگار ما و شماست» (اللَّهُ رَبُّنا وَ رَبُّکُمْ).

«نتيجه اعمال ما از آن ماست و اعمال شما از آن شما» (لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ).

«خصومت شخصى در ميان ما نيست» (لا حُجَّةً بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ).

از این گذشته سر انجام، همه ما در یک جا جمع می شویم و «خداوند ما و شما را در یکجا (قیامت) جمع می کند» (اللّهٔ یَجْمَعُ نَتْنَا).

و قاضى همه ما در آن روز يكى است آرى «بازگشت (همه) به سوى اوست» (وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ).

به این ترتیب هم خدای ما یکی است، و هم سر انجام ما یکجاست و هم قاضی دادگاه و مرجع امورمان و از این گذشته همه در برابر اعمالمان مسؤولیم، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۳۵

و هیچ یک امتیازی بر دیگری جز به ایمان و عمل پاک نداریم.

سورة الشوري(47): آية 16 ص: 233

(آیه ۱۶) – از آنجا که در آیات گذشته این سخن به میان آمد که پیامبر صلّی اللّه علیه و اله مأمور بود ضمن احترام به محتوای کتب آسمانی عدالت را در میان همه مردم اجرا کند و هر گونه خصومت و محاجه با آنها را ترک کند، در اینجا برای تکمیل این سخن و این که حقانیت پیامبر اسلام نیاز به دلیل ندارد، می فرماید: «آنها که در باره خداوند یکتا به محاجه بر می خیزند بعد از آن که دعوت او از سوی مردم پذیرفته شد دلیل آنها نزد پروردگارشان باطل و بی اساس است» (وَ الَّذِینَ یُحَاجُّونَ فِی اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِیبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ).

«و خشم و غضب پروردگار بر آنهاست» (وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ). چون از روی علم و عمد به مخالفت خود ادامه می دهند. «و عذاب شدید الهی نیز (در قیامت) از آن آنهاست» (وَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِیدٌ).

چرا که لجاجت و عناد ثمرهای جز این ندارد.

منظور از جمله «من بعد ما استجیب له» (بعد از آن که دعوت او اجابت شد) پذیرش توده های مردم پاک دل و بی غرض می باشد که با الهام از فطرت الهی و مشاهده محتوای وحی و معجزات گوناگون پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله سر تسلیم در برابر او فرود آوردند.

سورة الشوري(42): آية 17 ص: 333

(آیه ۱۷) – شتاب نکنید، قیامت می آید! در این آیه به یکی از دلائل توحید و قدرت پروردگار – که در عین حال متضمن اثبات نبوت است – در مقابل احتجاج کننـدگان بی منطق پرداخته، می گویـد: «خداوند همان کسی است که کتاب آسمانی را به حق نازل کرد و همچنین میزان را» (اللَّهُ الَّذِی أَنْزَلَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِیزانَ).

«حق» کلمه جامعی است که معارف و عقائد حقّه، و همچنین اخبار صحیح و برنامههای هماهنگ با نیازهای فطری و اجتماعی

را و آنچه از این قبیل است شامل می شود.

همچنین «میزان» در معنی کنائی به هر گونه معیار سنجش، و قانون صحیح بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۳۶

الهی، و حتی شخص پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله و امامان راستین علیهم السّلام که وجودشان معیار تشخیص حق از باطل است اطلاق میگردد و میزان روز قیامت نیز نمونهای است از این معنی.

به این ترتیب خداوند کتابی بر پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله نازل کرده است که هم حق است، و هم میزان ارزیابی ارزشها. و از آنجا که نتیجه همه این مسائل، مخصوصا بروز و ظهور کامل حق و عدالت و میزان در قیامت است در پایان آیه می گوید: «تو چه میدانی شاید ساعت (قیام رستاخیز) نزدیک باشد»؟! (وَ ما یُدْرِیکَ لَعَلَّ السَّاعَةُ قَرِیبٌ).

همان قیامتی که وقتی بر پا شود همگان در دادگاه عدلش حضور مییابند، و در برابر میزان سنجشی که حتی به اندازه سنگینی یک دانه خردل و کوچکتر از آن را دقیقا میسنجند قرار می گیرد.

سورة الشوري(٤٢): آية ١٨ ص: ٣٣٤

(آیه ۱۸)- سپس به موضع گیری کفار و مؤمنان در برابر آن پرداخته، می گوید: «آنها که به قیامت ایمان ندارند در باره آن شتاب می کنند» و می گویند: این قیامت کی خواهد آمد؟! (یَشْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِها).

آنها هرگز به خاطر عشق به قیامت و رسیدن به لقای محبوب، این سخن را نمی گویند، بلکه از روی استهزاء و مسخره و انکار چنین تقاضایی دارند.

«ولى آنها كه ايمان آوردهانـد پيوسـته با خوف و هراس مراقب آن هسـتند، و مىداننـد آن حق است و خواهـد آمـد» (وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ).

و از اینجا روشن می شود که ایمان به قیامت و دادگاه بزرگ عدل الهی مخصوصا با توجه به این معنی که هر لحظه احتمال وقوع آن می رود چه تأثیر تربیتی عمیقی در مؤمنان دارد.

و در پایان آیه به عنوان یک اعلام عمومی، میفرماید: «آگاه باشید کسانی که در قیامت تردید میکنند (و با لجاج و عناد در مورد آن به محاجّه میپردازند) در گمراهی عمیقی هستند» (أَلا إِنَّ الَّذِینَ یُمارُونَ فِی السَّاعَةِ لَفِی ضَلالٍ بَعِیدٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۳۷

چرا که نظام این جهان خود دلیلی است بر این که مقدمهای است برای جهان دیگر، که بدون آن، آفرینش این جهان، لغو و بیمعنی است، نه با حکمت خداوند سازگار است و نه با عدالت او.

سورة الشوري(٤٢): آية ١٩ ص: ٣٣٧

(آیه ۱۹)- از آنجا که در آیات قبل بحثی از عذاب شدید خداوند به میان آمد، و نیز تقاضایی از ناحیه منکران معاد مطرح شده بود که چرا قیامت زودتر بر پا نمی شود؟ این آیه برای آمیختن آن «قهر» با «لطف» و برای پاسخگویی به شتاب کردن بی معنی منکران معاد می فرماید: «خداوند نسبت به بندگانش لطف (و آگاهی) دارد» (اللَّهُ لَطِیفٌ بِعِبادِهِ).

اگر در مجازات جاهلان مغرور تعجیل نمی کند آن هم از لطف اوست.

سپس یکی از مظاهر بزرگ لطف عمیمش را- که روزی گسترده اوست- مطرح کرده، می گویـد: «هرکس را بخواهـد روزی

مىدهد» (يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ).

منظور این نیست که گروهی از روزی او محرومند، بلکه منظور توسعه روزی است در باره هر کس بخواهد.

در آیه ۲۷ از همین سوره نیز میخوانیم: گستردگی و محدودیت روزی او روی حساب معینی است، چرا که «اگر خداوند روزی را برای همه گسترده سازد در زمین طغیان خواهند کرد».

روشن است که «روزی» در اینجا هم ارزاق معنوی را شامل می شود و هم مادی را، هم جسمانی و هم روحانی.

و در پایان آیه میافزاید: «او قوی و شکست ناپذیر است» (وَ هُوَ الْقَوِیُّ الْعَزِیزُ).

اگر وعده روزی و لطف به بندگان می دهد قادر بر انجام این امر می باشد و به همین دلیل هرگز در وعده های او تخلف نیست.

سورة الشوري(٤٢): آية 20 ص: 337

(آیه ۲۰)- مزرعه دنیا و آخرت! در این آیه با یک تشبیه زیبا، مردم جهان را در برابر روزیهای پروردگار و چگونگی استفاده از آن، به کشاورزانی تشبیه می کند که گروهی برای آخرت کشت می کنند، و گروهی برای دنیا، و نتیجه هر یک از این دو زراعت را مشخص می کند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۳۸

مىفرمايىد: «كسى كه زراعت آخرت را طالب باشىد به او بركت مىدهيم و بر محصولش مىافزاييم» (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَرْدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ).

«و آنها که فقط برای دنیا کشت کننـد (و تلاش و کوشـشان برای بهره گیری از این متاع زود گـذر و فانی باشـد) تنها کمی از آنچه را میطلبند به آنها میدهیم اما در آخرت هیچ نصـیب و بهرهای نخواهند داشت» (وَ مَنْ کَانَ یُرِیدُ حَرْثَ الدُّنْیا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِی الْآخِرَةِ مِنْ نَصِیبِ).

به این ترتیب نه دنیا پرستان به آنچه میخواهند میرسند و نه طالبان آخرت از دنیا محروم میشوند، اما با این تفاوت که گروه اول با دست خالی به سرای آخرت میروند و گروه دوم با دستهای پر! تشبیه جالب و کنایه زیبایی است: انسانها همگی زارعند و این جهان مزرعه ماست اعمال ما بذرهای آن و امکانات الهی بارانی است که بر آن میبارد اما این بذرها بسیار متفاوت است. بعضی محصولش نامحدود، جاودانی و درختانش همیشه خرّم و سرسبز و پر میوه، اما بعضی دیگر محصولاتش بسیار کم، عمرش کوتاه و زود گذر و میوههایی تلخ و ناگوار دارد.

سورة الشوري(٤٢): آية ٢١ ص: ٣٣٨

(آیه ۲۱)- از آنجا که در آیه ۱۳ همین سوره سخن از تشریع دین از ناحیه پروردگار به وسیله پیامبران اولوا العزم بود در ادامه آن در این آیه برای نفی تشریع دیگران، و این که هیچ قانونی در برابر قانون الهی رسمیت ندارد، و اصولا حق قانونگذاری مخصوص خداست میفرماید: «آیا آنها معبودانی دارند که دین و آیینی بیاذن خداوند برای آنان تشریع کردهاند» (أَمْ لَهُمْ شُرَکاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّینِ ما لَمْ یَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ).

به دنبال آن با لحنى تهديد آميز به تشريع كنندگان باطل هشدار داده مى گويد:

«هر گاه فرمان حتمی خداوند دائر به مهلت دادن به این گونه اشخاص نبود در میان آنها داوری می شد» دستور عذابشان صادر می گشت و مجالی به آنها نمی داد (وَ لَوْ لا کَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ). در عین حال آنها نباید این حقیقت را فراموش کنند که «برای ظالمان عذاب برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۳۹ در دناکی است» (وَ إِنَّ الظَّالِمِینَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ).

سورة الشوري(٤٢): آية 27 ص: 339

(آیه ۲۲) - سپس به توضیح کوتاهی در باره «عذاب ظالمین» و توضیح بیشتری در باره «پاداش مؤمنان» در مقابل آنها، پرداخته، می گوید: در آن روز «ستمگران را می بینی که از اعمالی که انجام داده اند سخت بیمناکند، اما (چه فایده که) مجازات اعمالشان آنها را فرو می گیرد» (تَرَی الظَّالِمِینَ مُشْفِقِینَ مِمَّا کَسَبُوا وَ هُوَ واقِعٌ بِهِمْ).

«و اما كسانى كه ايمان آوردهانـد و عمل صالـح انجام دادهانـد در بهترين و سـرسبزترين باغهاى بهشت جاى دارنـد» (وَ اللَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي رَوْضاتِ الْجَنَّاتِ).

اما فضل الهى در باره مؤمنان صالح العمل به همين جا ختم نمىشود، آنها چنان مشغول الطاف او هستند كه «هر چه بخواهند نزد پروردگارشان براى آنها فراهم است» (لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ).

و به این ترتیب هیچ موازنهای بین «عمل» و «پاداش آنها» وجود ندارد، بلکه پاداششان از هر نظر نامحدود است.

و از آن جالبتر تعبیر «عنـد ربّهم» (نزد پروردگارشان) میباشـد که بیانگر لطف بیحساب خداوند در باره آنهاست، چه موهبتی از این بالاتر که به مقام قرب خدا راه یابند؟

بىجهت نيست كه در پايان آيه مى گويد: «اين است فضل بزرگ» (ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ).

سورة الشوري(47): آية 23 ص: 239

اشاره

(آیه ۲۳)

شأن نزول: ص: 329

در تفسیر مجمع البیان شأن نزولی برای آیات ۲۳ تا ۲۶ این سوره از پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و اله نقل شده است که حاصلش چنین است:

«هنگامی که پیامبر وارد مدینه شد و پایههای اسلام محکم گردید، انصار گفتند ما خدمت رسول خدا صلّی اللّه علیه و اله میرسیم و عرض میکنیم: اگر مشکلات مالی پیدا شد این اموال ما بدون هیچ گونه قید و شرط در اختیار تو قرار دارد. هنگامی که این سخن را خدمتش عرض کردند آیه (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۴۰ إلّا الْمَوَدَّةُ فِی الْقُرْبی)

نــازل شــد، و پیــامبر صــلّــى اللّه علیه و اله بر آنها تلاوت کرد، آنها با خوشــحالــى و رضا و تســلیم از محضـرش بیرون آمدنــد، اما منافقان گفتنــد: این سـخنــى است که او بر خدا افترا بســته، و هدفش این است که ما را بعد از خود در برابر خویشاوندانش ذلیل كند، آيه بعد نازل شد (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً)، و به آنها پاسخ گفت، پيامبر صلّى الله عليه و اله به سراغ آنان فرستاد و آيه را بر آنها تلاوت كرد، گروهى پشيمان شدند و گريه كردند و سخت ناراحت گشتند آيه سوم نازل گرديد: (وَ هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةُ عَنْ عِبادِهِ).

پیامبر به سراغ آنها فرستاد و آنها را بشارت داد که توبه خالصانه آنان مقبول در گاه خداست.

تفسير: ص: ۳۴۰

مودت اهل بیت علیهم السّر لام پاداش رسالت است: به دنبال آیه قبل که پاداش مؤمنان را بیان می کرد در این آیه، برای بیان عظمت این پاداش بزرگ می افزاید: «این همان چیزی است که خداوند بندگانش را که ایمان آورده اند و عمل صالح انجام داده اند به آن نوید می دهد» (ذلک الَّذِی یُبَشِّرُ اللَّهُ عِبادَهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ).

بشارت میدهد تا رنجهای طاعت و بندگی و مبارزه با هوای نفس و جهاد در برابر دشمنان بر آنها سخت نیاید.

و از آنجا که ابلاغ این رسالت از سوی پیامبر بزرگوار اسلام صلّی اللّه علیه و اله گاه این توهّم را ایجاد می کرد که او چه اجر و پاداشی در برابر رسالت خود از مردم میطلبد به دنبال این سخن به پیامبر دستور میدهد: «بگو: من هیچ پاداشی از شما بر رسالتم درخواست نمی کنم جز دوست داشتن نزدیکانم [اهل بیتم]» (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةُ فِی الْقُرْبی).

دوستی ذوی القربی بازگشت به مسأله ولایت و قبول رهبری ائمه معصومین علیهم السّر الام از دودمان پیامبر صلّی الله علیه و اله می کنید که در حقیقت تبداوم خط رهبری پیامبر صلّی الله علیه و اله و ادامه مسأله ولایت الهیه است و پر واضح است که قبول این ولایت و رهبری همانند نبوت پیامبر صلّی الله علیه و اله سبب سعادت خود انسانهاست و نتیجهاش به برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۴۱

خود آنها بازگشت میکند.

«احمد بن حنبل» در «فضائل الصحابه» با سند خود از سعید بن جبیر از عامر چنین نقل می کند: «هنگامی که آیه «قُلْ لا أَسْئُلُكُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی» نازل شد اصحاب عرض کردند: ای رسول خدا! خویشاوندان تو که مودت آنها بر ما واجب است کیانند؟

فرمود: «على و فاطمه و دو فرزند آن دو، و اين سخن را سه بار تكرار فرمود»!

سورة الشوري(47): آية 24 ص: 341

(آیه ۲۴)– این آیه ادامه آیه قبل در زمینه رسالت و اجر رسالت، و مودت ذی القربی و اهل بیت است.

مىفرمايىد: آنها اين وحى الهى را پـذيرا نمىشونـد «آيا مىگوينـد: او بر خدا دروغ بسـته» و اينها زائيده فكر خود اوست كه به خدا نسبت مىدهد؟ (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً).

«در حالى كه اگر خـدا بخواهـد بر قلب تو مهر مىنهد و» اگر خلاف بگويى قدرت اظهار اين آيات را از تو مى گيرد (فَإِنْ يَشَـإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلى قَلْبِكَ).

این در حقیقت اشاره به استدلال منطقی معروفی است که اگر کسی دعوی نبوت کنـد و معجزات و آیـات بینـات بر دست و

زبان او ظاهر شود، و مورد حمایت و نصرت الهی قرار گیرد، اما او بر خدا دروغ بندد حکمت خداوند ایجاب می کند که آن معجزات و حمایتش را از او بگیرد، و رسوایش سازد.

سپس برای تأکید این مطلب می افزاید: «و خداوند باطل را محو می کند، و حق را به فرمانش محقق و پا برجا می سازد» (وَ یَمْحُ اللَّهُ الْباطِلَ وَ یُحِقُّ الْحَقَّ بِکَلِماتِهِ).

این وظیفه خداوند است که براساس حکمتش حق را آشکار و باطل را رسوا سازد، با این حال چگونه اجازه میدهد کسی بر او دروغ بندد؟

و اگر تصور شود که ممکن است پیامبر پنهان از علم خدا دست به چنین کاری زند اشتباه بزرگی است «چرا که او به آنچه در درون دلهاست آگاه است» (إنَّهُ عَلِيمٌ بذاتِ الصُّدُورِ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۴۲

سورة الشوري(42): آية 25 ص: 342

(آیه ۲۵) – و از آنجا که خداوند راه بازگشت را همواره به روی بندگان باز می گذارد کرارا در آیات قرآن بعد از مذمت از اعمال زشت مشرکان و گنهکاران به مسأله گشوده بودن درهای توبه اشاره کرده در اینجا نیز پس از گفتار سابق می افزاید:

(و او کسی است که توبه را از بندگانش پذیرا می شود، و گناهان را می بخشد» (وَ هُوَ الَّذِی یَقْبَلُ التَّوْبَةُ عَنْ عِبادِهِ وَ یَعْفُوا عَنِ السَّتُنات).

اما اگر تظاهر به توبه کنید، ولی در خفا کاری دیگر انجام دهید، تصور نکنید که از دیده تیزبین علم پروردگار مخفی خواهد ماند، نه «او آنچه را انجام میدهید میداند» (وَ یَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ).

سورة الشوري(42): آية 25 ص: 342

(آیه ۲۶) - در این آیه پاداش بزرگ مؤمنان و عذاب دردناک کافران را در جمله هایی کوتاه بیان کرده، می فرماید: خداوند «درخواست کسانی را که ایمان آورده اند و عمل صالح انجام داده اند اجابت می کند» (وَ یَسْ تَجِیبُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ).

«بلکه از فضل خود بر ایشان میافزاید» و حتی مطالبی را که درخواست نکردهاند به آنها میبخشد (وَ یَزِیدُهُمْ مِنْ فَضْ لِهِ). و این نهایت لطف و مرحمت خداوند در باره مؤمنان است.

«اما برای کافران عذاب شدیدی است» (وَ الْکافِرُونَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِیدٌ).

جمعی از مفسران معتقدند که این چهار آیه (آیه ۲۳ تا ۲۶) - در مدینه نازل شده است، و شأن نزولی که در آغاز تفسیر این آیات نقل کردیم گواه بر این معنی است، روایاتی که اهل بیت علیهم السّد الام را به علی علیه السّد الام و فاطمه علیها السّدام و دو فرزند آنها امام حسن و امام حسین علیهما السّد الام تفسیر می کند نیز مناسب همین معنی است، زیرا می دانیم ازدواج علی علیه السّد الام و بانوی اسلام در مدینه انجام گرفت، و تولد امام حسن و امام حسین علیهما السّد مر سالهای سوم و چهارم هجری طبق نقل معروف - بوده است.

سورة الشوري(47): آية 27 ص: 342

اشاره

(آیه ۲۷)

شأن نزول: ص: 242

از «خباب بن ارت» صحابی معروف نقل شده که این آیه در باره ما نازل شد، و این به خاطر آن بود که ما به اموال فراوان طوایف «بنی قریظه» و «بنی نضیر» و «بنی قینقاع» از یهود نظر افکندیم، و آرزو داشتیم که ای برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۴۳

کاش ما هم چنین اموالی داشتیم، آیه نازل شد و به ما هشدار داد که اگر خداوند روزی را برای بندگانش گسترده کند طغیان خواهند کرد.

تفسير: ص: ۲۴۳

مرفّهین طغیانگر! پیوند این آیه با آیات گذشته ممکن است از این نظر باشد که در آیه قبل آمده بود که خداوند درخواست مؤمنان را اجابت میکند، و به دنبال آن این سؤال پیش می آید که پس چرا در میان آنها گروهی فقیرند، و هر چه درخواست میکنند به جائی نمی رسد؟

مىفرمايد: «هر گاه خداوند روزى را براى بندگانش وسعت بخشد در زمين طغيان و سركشى و ستم مىكنند» (وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْض).

«و لذا به مقداری که میخواهد (و مصلحت میبیند) روزی را نازل میکند» (وَ لَکِنْ یُنَزِّلُ بِقَدَرِ ما یَشاءُ).

و به این ترتیب مسأله تقسیم روزی بر اساس حساب دقیقی است که پروردگار در باره بندگان دارد «چرا که او نسبت به بندگانش آگاه و بیناست» (إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِیرٌ بَصِ یرٌ). او پیمانه و ظرفیت وجودی هرکس را می داند و طبق مصلحت او به او روزی می دهد نه چندان می دهد که طغیان کنند و نه چندان که از فقر فریادشان بلند شود.

سورة الشوري(٤٢): آية ٢٨ ص: ٣٤٣

(آیه ۲۸)- درست است که خداوند روزی را با حساب نازل می کند تا بندگان طغیان نکنند اما چنان نیست که آنها را محروم و ممنوع سازد، لذا در این آیه می افزاید: «و او کسی است که باران نافع را بعد از آن که مردم مأیوس شدند نازل می کند و دامنه رحمت خویش را می گستراند» (وَ هُوَ الَّذِی یُنَزِّلُ الْغَیْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَ یَنْشُرُ رَحْمَتُهُ).

و بايد هم چنين باشد «چرا كه او ولتى و سرپرستى است شايسته ستايش» (وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ).

این آیه در عین این که بیان نعمت و لطف پروردگار است از آیات و نشانه های توحید نیز سخن می گوید، چرا که نزول باران نظام بسیار دقیق و حساب شده ای دارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۴۴

سورة الشوري (٤٢): آية ٢٩ ص: ٣٤٤

(آیه ۲۹) – و باز به همین مناسبت در این آیه از یکی از مهمترین آیات علم و قدرت پروردگار سخن به میان آورده، می گوید: «و از آیات و نشانههای اوست آفرینش آسمانها و زمین و آنچه از جنبندگان در آنها خلق و پراکنده ساخته است» (وَ مِنْ آیاتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِیهِما مِنْ دابَّهٍٔ).

و در پایان آیه می فرماید: «او هر گاه بخواهد قادر بر جمع کردن آنهاست» (وَ هُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ).

منظور از «جمع کردن تمام جنبندگان» در این آیه را بسیاری از مفسران به معنی جمع برای حساب و جزای اعمال در قیامت دانسته اند این احتمال نیز وجود دارد که منظور از «جمع» نقطه مقابل «بث» (پراکندن) باشد، به این معنی که «بث» اشاره به آفرینش و گسترش انواع موجودات زنده و جنبندگان است، سپس می فرماید هرگاه خدا بخواهد آنها را «جمع» کرده و نابود یا منقرض می سازد.

همان گونه که در طول تاریخ تا کنون بسیاری از انواع جنبندگان در روی زمین گسترش عجیبی پیدا کرده، و در زمانی بعد از آن منقرض و جمع شدهاند، هم گسترش آنها به دست خداست و هم جمع آنها.

سورة الشوري(47): آية 30 ص: 344

(آیه ۳۰)- از آنجا که در آیات گذشته سخن از رحمت خدا در میان بود و این سخن طبعا این سؤال را بر میانگیزد که این مصائبی که ما با آن دست به گریبانیم از کجاست؟

آیه شریفه به این سؤال پاسخ می گوید: «هر مصیبتی به شما رسد به خاطر اعمالی است که انجام دادهاید» (وَ ما أُصابَكُمْ مِنْ مُصِیبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَیْدِیكُمْ).

تازه این تمام مجازات اعمال ناروای شما نیست چرا که «بسیاری را نیز عفو می کند» (وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرِ).

به این ترتیب یکی از فلسفههای حوادث دردناک و مشکلات زندگی مجازات الهی و کفاره گناهان است.

در حدیثی از امیر مؤمنان علی علیه السّلام نقل شده که فرمود: «بلاها برای ظالم برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۴۵ تأدیب است، و برای مؤمنان امتحان، و برای پیامبران درجه، و برای اولیاء کرامت و مقام است».

سورة الشوري(٤٢): آية ٣١ ص: ٣٤٥

(آیه ۳۱)- به هر حال ممکن است افرادی تصور کنند که می توانند از این قانون حتمی و سنت اجتناب ناپذیر الهی بگریزند، لذا آیه شریفه می فرماید: «شما هرگز نمی توانید از چنگال قدرت خداوند در زمین فرار کنید» در آسمانها نیز جایی برای شما نیست (وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ فِی الْأَرْض).

چگونه شما می توانید از حیطه قدرت و حاکمیت او بگریزید در حالی که تمام عالم هستی عرصه حکومت بلا منازع پروردگار

است.

و اگر تصور كنيـد كسـى مىتواند به كمك شـما بشـتابد بدانيد «غير از خداوند هيچ ولى و ياورى براى شـما نيست» (وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرِ).

در حقیقت این آیه ضعف و ناتوانی انسان را مجسم می کند و آیه قبل عدالت و رحمت پروردگار را.

سورة الشوري(٤٢): آية ٣٢ ص: ٣٤٥

(آیه ۳۲)- وزش بادهای منظم و حرکت کشتیها از آیات اوست بار دیگر به بیان نشانههای پروردگار و دلائل توحیـد پرداخته، و بحثی را که در این زمینه در آیات قبل آمده ادامه میدهد.

در اینجا به سراغ مطلبی میرود که انسانها در زندگی مادی خود با آن بسیار سر و کار دارند، مخصوصا ساحل نشینان و مسافران دریاها، می گوید: «از آیات و نشانههای خداوند کشتیهایی است همچون کوهها که بر صفحه دریاها به حرکت در می آید» (وَ مِنْ آیاتِهِ الْجَوارِ فِی الْبَحْرِ کَالْأَعْلام).

سورة الشوري(47): آية 33 ص: 348

(آیه ۳۳)– سپس برای تأکید بیشتر میافزاید: «اگر خداوند اراده کند باد را ساکن میسازد تا کشتیها بر پشت دریا ساکن و متوقف شوند»! (إِنْ یَشَأْ یُسْکِن الرِّیحَ فَیَظْلَلْنَ رَواکِدَ عَلی ظَهْرِهِ).

و در پایان آیه برای نتیجه گیری اضافه می کند: «در این نشانه هایی است برای هرکس که دارای مقام صبر و شکر است» (إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَبَّارِ شَکُورِ).

آری! در این حرکت بادها، و جریان کشتیها، و آفرینش دریاها، و نظام برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۴۶

و هماهنگی مخصوصی که بر این امور حکمفرماست نشانههای گوناگونی برای ذات پاک اوست.

تکیه بر دو وصف «صبّار» و «شکور» مجموعا ترسیم گویایی از حقیقت ایمان است، چرا که مؤمن در مشکلات و گرفتاریها صبور و در نعمتها شکور است.

لذا در حدیثی از پیامبر صلّی الله علیه و اله میخوانیم: «ایمان دو نیمه است، نیمی از آن صبر، و نیمی از آن شکر است».

سورة الشوري(42): آية 34 ص: 348

(آیه ۳۴)- باز در این آیه برای مجسم ساختن عظمت این نعمت الهی میافزاید: «یا (اگر بخواهد) این کشتیها را به خاطر اعمالی که مسافران و سرنشینانش مرتکب شدهاند نابود و هلاک میسازد» (أَوْ یُوبِقْهُنَّ بِما کَسَبُوا).

ولى با اين حال لطف خداوند شامل حال انسان است «و بسيارى را مىبخشد» (وَ يَعْفُ عَنْ كَثِيرِ).

که اگر نبخشد هیچ کس جز معصومین و خاصان و پاکان از مجازات الهی مصون و برکنار نخواهند بود.

سورة الشوري(47): آية 30 ص: 346

(آیه ۳۵)- «تا کسانی که در آیات ما مجادله می کنند (و به مخالفت و انکار بر میخیزند) بدانند هیچ پناهگاهی (جز ذات پاک خداوند) ندارند» (وَ یَعْلَمَ الَّذِینَ یُجادِلُونَ فِی آیاتِنا ما لَهُمْ مِنْ مَحِیصِ).

چرا که آگاهانه به مخالفت برخاسته، و از روی عداوت و لجاج به ستیزه جویی ادامه میدهند، آنها از عفو و رحمتش ممنوعند.

سورة الشوري(٤٢): آية 37 ص: 348

(آیه ۳۶) - در این آیه روی سخن را به همگان کرده، می گوید: «پس آنچه به شما عطا شده متاع زود گذر زندگی دنیای فانی است» (فَما أُوتِیتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَمَتاعُ الْحَیاهِ الدُّنیا).

مبادا شما را فریب دهد و غافل سازد، و تصور کنید همیشه در اختیار شما است، برقی است میجهد و به زودی خاموش می شود، شعلهای است در برابر باد و حبابی است بر سطح آب، و غباری است در مسیر طوفان.

«ولی پاداشها و مواهبی که نزد خداست بهتر و پایدارتر است برای کسانی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۴۷ ایمان آوردهاند و بر پروردگارشان توکل میکنند» (وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَیْرٌ وَ أَبْقی لِلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَلی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ).

اگر بتوانید این متاع زود گذر را با آن سرمایه جاودان مبادله کنید تجارتی پرسود نصیب شما شده، و موفقیتی است بی نظیر! لـذا در حـدیثی از پیغمبر گرامی اسـلام صـلّی اللّه علیه و اله میخوانیم: «به خـدا سوگنـد دنیا در برابر آخرت مثل این است که یکی از شما انگشت خود را به دریا زند و سپس بیرون آورد، باید دید چه مقدار آب دریا را با آن برداشته است»؟!

سورة الشوري(47): آية 37 ص: 347

(آیه ۳۷)- بعد از وصف ایمان و توکل در باره مؤمنان به هفت قسمت از برنامههای عملی آنها اشاره می کند، برنامهای که بیانگر ارکان یک جامعه سالم با حکومت صالح و قدرتمند است.

نخستین وصف را از پـاک سازی شـروع میکنـد، میفرمایـد: پاداش الهی و آنچه نزد خـداست «برای کسانی (بهتر و پایـدارتر است) که از گناهان بزرگ و اعمال زشت اجتناب میورزند» (وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ کَبائِرَ الْإِثْم وَ الْفَواحِشَ).

در روایات اهل بیت علیهم السّد لام «کبائر» به این صورت تفسیر شده: «گناهان کبیره گناهانی است که خداوند مجازات آتش برای آن مقرّر داشته است».

به این ترتیب نخستین نشانه های ایمان و تو کل پر هیز و اجتناب از گناهان کبیره است.

در توصیف دوم که آن نیز جنبه پاکسازی دارد در باره تسلط بر نفس به هنگام خشم و غضب که بحرانی ترین حال انسان است سخن می گوید، می فرماید:

«و هنگامی که خشمگین شوند عفو میکنند» (وَ إِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ).

نه تنها در موقع غضب زمام اختیار از کفشان ربوده نمی شود، و دست به اعمال زشت و جنایات نمی زنند، بلکه با آب عفو و غفران قلب خود و دیگران را از کینه ها شستشو می دهند و این صفتی است که جز در پرتو ایمان راستین و توکل بر حق پیدا نمی شود.

در حدیثی از امام باقر علیه السّلام میخوانیم: «کسی که به هنگام شوق و علاقه، و به برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۴۸

هنگام ترس و وحشت، و هنگام خشم و غضب مالک نفس خویشتن باشد خداوند بدن او را بر آتش دوزخ حرام می کند»

سورة الشوري(42): آية 38 ص: 348

(آیه ۳۸) - در این آیه به سومین تا ششمین اوصاف آنها اشاره کرده، میفرماید: «و آنها که دعوت پروردگارشان را اجابت کرده، و فرمانهای او را از جان و دل پذیرفتهاند» (وَ الَّذِینَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ).

«و نماز را بر يا داشتهاند» (وَ أَقامُوا الصَّلاةَ).

«و کار آنها به طریق شوری و مشورت در میان آنها صورت می گیرد» (وَ أَمْرُهُمْ شُوری بَیْنَهُمْ).

«و از آنچه به آنها روزی دادهایم، در راه خداوند انفاق میکنند» (وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ).

در آیه قبل سخن از پاک سازی وجودشان از گناهان و غلبه بر خشم و غضب بود، اما در این آیه سخن از بازسازی وجودشان در جنبههای مختلف است که از همه مهمتر اجابت دعوت پروردگار و تسلیم در برابر فرمان اوست.

سورة الشوري(٤٢): آية ٣٩ ص: ٣٤٨

(آیه ۳۹) - در توصیف دیگر که هفتمین توصیف مؤمنان راستین است می فرماید: «و کسانی که هر گاه ستمی به آنان رسد تسلیم ظالم نمی شوند و از دیگران یاری می طلبند» (وَ الَّذِینَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْیُ هُمْ یَنْتَصِرُونَ).

هم مظلوم موظف به مقاومت در برابر ظالم و فریاد برآوردن است، و هم مؤمنان دیگر موظف به پاسخگویی او هستند.

این برنامه مثبت و سازنده به ظالمان هشدار می دهد که اگر دست به ستم بیالایند مؤمنان ساکت نمی نشینند، و در برابر آنها به پا می خیزند، و هم به مظلومان اعتماد می بخشد که اگر استغاثه کنند دیگران به یاری آنها می شتابند.

سورة الشوري(٤٢): آية 40 ص: 348

(آیه ۴۰) – ولی از آنجا که یاری کردن یکدیگر نباید از مسیر عدالت خارج شود، و به انتقامجویی، و کینه توزی، و تجاوز از حد منتهی گردد، در این آیه فورا آن را مشروط ساخته، می افزاید: توجه داشته باشید «کیفر بدی، مجازاتی همانند آن است» (وَ جَزاءُ سَیِّئَةً مِثْلُها). زیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۴۹

البته کار ظالم باید «سیّئه» و بدی نامیده شود، اما کیفر او مسلما «سیّئه» نیست، و اگر در آیه از آن تعبیر به «سیّئه» شده، به خاطر این است که مجازات، آزار و ایذاء است و آزار و ایذاء ذاتا بد است، هر چند به هنگام قصاص و کیفر ظالم کار خوبی محسوب می شود.

ولی به هر حال این تعبیر می توانـد مقـدمهای باشـد برای دسـتور عفو که در جمله بعـد آمده، گویی میفرماید: مجازات هر چه باشد یک نوع آزار است، و اگر طرف پشیمان شده باشد شایسته عفو است.

در این گونه موارد عفو کنیـد چرا که «هر کس عفو و اصـلاح کنـد اجر و پاداش او برخـداست» (فَمَنْ عَفا وَ أَصْـلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه).

و در پایان آیه میفرماید: «خداوند قطعا ظالمان را دوست ندارد» (إِنَّهُ لا یُحِبُّ الظَّالِمِینَ).

عفو و مجازات هر کـدام جـای ویژهای دارد، عفو در جـایی است که انسـان قـدرت بر انتقـام دارد، و اگر میبخشـد از موضع

ضعف نیست، این عفو سازنده است.

و کیفر و انتقام و مقابله به مثل در جایی است که هنوز ظالم از مرکب شیطان پیاده نشده، مظلوم پایههای قدرت خود را محکم نکرده، و عفو از موضع ضعف است، اینجاست که باید اقدام به مجازات کند.

سورة الشوري(٤٢): آية 41 ص : 349

(آیه ۴۱)- یاری طلبیدن عیب نیست، ظلم کردن عیب است باز برای تأکید آیات گذشته، در زمینه انتصار، و مجازات ظالم، و عفو و گذشت در موارد مناسب می فرماید: «و کسی که بعد از مظلوم شدن یاری بطلبد ایرادی بر او نیست» (وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولِيُّکَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ). چرا که انتصار و استمداد، حق مسلم هر مظلومی است، و یاری مظلومان وظیفه هر انسان آزاده و بیداری است.

سورة الشوري(٤٢): آية ٤٢ ص: 349

(آیه ۴۲)– «تنها ایراد و مجازات بر کسانی است که به مردم ستم میکنند، و در زمین بنا حق ظلم روا میدارنـد» (إِنَّمَا السَّبِیلُ عَلَی الَّذِینَ یَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ یَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۵۰ آنها علاوه بر کیفر و مجازات در دنیا، «در آخرت نیز عذاب دردناکی در انتظارشان است» (أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ).

سورة الشوري(٤٢): آية ٤٣ ص: ٣٥٠

(آیه ۴۳) - در این آیه باز به سراغ مسأله صبر و شکیبایی و عفو می رود تا بار دیگر بر این حقیقت تأکید کند که حق انتقام گیری و قصاص و کیفر برای مظلوم در برابر ظالم هرگز مانع از مسأله گذشت و عفو و بخشش نیست، می فرماید: «اما کسانی کیری و قصاص و کیفر برای مظلوم در برابر ظالم هرگز مانع از کارهای پر ارزش است» (وَ لَمَنْ صَ بَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِ-کَ لَمِنْ عَرْمِ اللَّامُورِ).

تعبیر به «عزم الا مور» ممکن است اشاره به این باشد که این از کارهایی است که خداوند به آن فرمان داده و هرگز نسخ نمی شود و یا از کارهایی است که انسان باید نسبت به آن عزم راسخ داشته باشد.

سورة الشوري(٤٢): آية ٤٤ ص: ٣٥٠

(آیه ۴۴)– آیا راه بازگشتی وجود دارد؟ در آیات گذشته سخن از ظالمان و بیدادگران و متجاوزان بود در اینجا به سر انجام کار این گروه و گوشههایی از مجازاتهای آنان اشاره می کند.

نخست آنها را از گمراهانی میشمرد که هیچ ولی و سرپرستی ندارند، میفرماید: «کسی را که خدا گمراه کند ولی و یاوری بعد از او نخواهد داشت» (وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ وَلِیِّ مِنْ بَعْدِهِ).

نه هدایت جنبه اجباری دارد، نه ضلالت، بلکه نتیجه مستقیم اعمال انسانهاست، گاه انسان کاری انجام میدهد که خدا توفیقش را از او سلب کرده و نور هدایت را از قلب او می گیرد، و او را در ظلمات گمراهی رها میسازد. به هر حال این یکی از دردناکترین مجازاتهای این ظالمان است.

سپس میافزاید: «ظالمان را در روز قیامت میبینی که وقتی عذاب الهی را مشاهده میکنند (سخت پشیمان میشوند، و) میگویند: آیا راهی به سوی بازگشت (و جبران این بدبختیها) وجود دارد»؟! (وَ تَرَی الظَّالِمِینَ لَمَّا رَأُوُا الْعَذَابَ یَقُولُونَ هَلْ إِلی مَرَدًّ مِنْ سَبِیلِ). ولی این تقاضا با پاسخ منفی رو برو خواهد شد.

سورة الشوري(47): آية 40 ص: 300

(آیه ۴۵)- این آیه سومین مجازات این گروه را چنین بیان می کند: «در آن روز بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۵۱ آنها را می بینی که بر آتش عرضه می شوند، در حالی که از شدت خواری خاشعند، و زیر چشمی و مخفیانه به آن نگاه می کنند» (وَ تَراهُمْ یُعْرَضُونَ عَلَیْها خاشِعِینَ مِنَ اللَّلِّ یَنْظُرُونَ مِنْ طَوْفٍ خَفِیًّ).

این ترسیمی است از حالت کسی که شدیدا از چیزی می ترسد و نمیخواهد آن را با تمام چشمش ببیند و در عین حال نمی تواند از آن غافل بماند، ناچار پیوسته مراقب آن است اما با گوشه چشم! آخرین مجازاتی که در اینجا بیان شده شنیدن ملامت و سرزنش در دناک مؤمنان است، چنانکه در پایان آیه آمده است: «و کسانی که ایمان آورده اند می گویند: زیانکاران واقعی آنها هستند که سرمایه های جان و خانواده خود را در روز قیامت از دست داده، و زیان کرده اند» (و قال الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ الْخاسِرینَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِیهمْ یَوْمَ الْقِیامَهُ).

چه زیانی از این بالاتر که انسان هستی خویشتن را از دست دهد، و سپس همسر و فرزند و بستگان خود را، و در درون عذاب الهی گرفتار آتش حسرت و فراق نیز بشود.

سپس مىافزايند: اى اهل محشر! همه «بدانيد كه ظالمان (آن روز) در عذاب دائمند» (أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذابٍ مُقِيمٍ). توجه به اين نكته لازم است كه منظور از آن كافران است.

سورة الشوري(47): آية 46 ص : 251

(آیه ۴۶) – این آیه نیز گواه بر این حقیقت است که می گوید: «آنها جز خدا اولیا و یاورانی ندارنـد که آنان را یاری کننـد» و عذاب الهی را از آنها دفع نمایند (وَ ما کانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِیاءَ یَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

آنها رشتههای ارتباط خود را با بنـدگان خالص با انبیا و اولیا بریدهاند، لذا در آنجا یار و یاوری ندارند، قدرتهای مادی نیز در آنجا همه از کار میافتد، و به همین دلیل تک و تنها در برابر عذاب الهی قرار می گیرند.

و برای تأکید این معنی در پایان آیه میافزاید: «هر کس را خداوند گمراه سازد برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۵۲ راه نجاتی برای او نیست» (وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ سَبِیلِ).

سورة الشوري(42): آية 47 ص: 222

(آیه ۴۷)- از آنجا که در آیات گذشته گوشهای از مجازات دردناک و هول و وحشت کافران و ظالمان منعکس شده، در اینجا روی سخن را به همه مردم کرده، به آنها هشدار میدهد پیش از آنکه گرفتار چنان سرنوشت شومی شوند دعوت پروردگارشان را اجابت کرده به راه حق باز آیند.

می فرمایـد: «دعوت پروردگار خویش را اجابت کنیـد پیش از آن که روزی فرا رسد که دیگر بازگشتی برای آن در برابر اراده پروردگار نیست» (اسْتَجِیبُوا لِرَبِّکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ).

و اگر تصور کنید در آن روز پناهگاهی جز سایه لطف او، و مدافعی جز رحمت او وجود دارد اشتباه است، چرا که «در آن روز برای شما نه ملجأ و پناهی است (که در برابر عذاب الهی پناهتان دهد) و نه یار و یاوری» که از شما دفاع کند (ما لَکُمْ مِنْ مَلْجَإٍ یَوْمَئِذٍ وَ ما لَکُمْ مِنْ نَکِیرٍ).

سورة الشوري(47): آية ٤٨ ص: 322

(آیه ۴۸) - در این آیه روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و اله کرده، به عنوان دلداری از آن حضرت میفرماید: با این همه «اگر روی گردان شوند (غمگین مباش) ما تو را حافظ آنان (و مأمور اجبارشان) قرار نداده ایم» (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَما أَرْسَ لْناکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً).

«وظيفه تو تنها ابلاغ رسالت است» خواه پذيرا شوند يا نشوند (إِنْ عَلَيْكُ إِلَّا الْبلاغُ).

تو باید رسالت الهی خود را به نحو کامل ابلاغ، و بر آنها اتمام حجت کنی، دلهای آماده آن را میپذیرد هر چند گروه زیادی بیخبر اعراض کنند، تو مسؤولیتی در این زمینه نداری.

سپس ترسیمی از حال این جمعیت بی ایمان و اعراض کننده کرده، می گوید:

«و هنگامی که ما رحمتی از سوی خود به انسان بچشانیم به آن دلخوش می شود» (وَ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِها). «و هنگامی که بلایی به خاطر اعمالی که انجام داده اند به آنها رسد (به کفران برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۵۳ می پردازند) چرا که انسان بسیار کفران کننده است» (وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَیِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ کَفُورٌ).

نه نعمتهای الهی از طریق انگیزه شکر منعم او را بیدار و به شکرگزاری و معرفت و اطاعت او وا میدارد، نه مجازاتهایی که به خاطر گناهان دامنگیرش میشود او را از خواب غفلت بیدار میکند، و نه دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و اله در او اثر میگذارد.

سورة الشوري(47): آية 49 ص: 253

(آیه ۴۹) - فرزندان همه هدایای او هستند: در این آیه برای نشان دادن این واقعیت که هرگونه نعمت و رحمت در این عالم از سوی خداست، و کسی از خود چیزی ندارد، به یک مسأله کلی و یک مصداق روشن آن اشاره کرده، میفرماید:
«مالکیت و حاکمیت آسمانها و زمین از آن خداست هر چه را بخواهد میآفریند» (لِلَّهِ مُلْمَکُ السَّماواتِ وَ الْمَأَرْضِ یَخْلُقُ ما نشاءُ).

نمونه روشنی از این واقعیت که هیچ کس از خود چیزی ندارد، و هر چه هست از ناحیه اوست این که: «به هر کس اراده کند دختر می بخشد و به هر کس بخواهد پسر» (یَهَبُ لِمَنْ یَشاءُ إِناثاً وَ یَهَبُ لِمَنْ یَشاءُ الذُّکُورَ).

سورة الشوري(47): آية 50 ص: 253

(آیه ۵۰)- «یـا (اگر بخواهـد) پسـر و دخـتر- هردو- به آنهـا میدهـد، و هر کس را بخواهـد عقیم و بیفرزنـد می گـذارد» (أَوْ یُزَوِّجُهُمْ ذُکْراناً وَ إِناثاً وَ یَجْعَلُ مَنْ یَشاءُ عَقِیماً). و به این ترتیب مردم به چهار گروه تقسیم می شوند: آنهایی که تنها پسر دارند و در آرزوی دختری هستند، و آنها که دختر دارند و در آرزوی پسری، و آنها که هر دو را دارند، و گروهی که فاقد هر گونه فرزندند و قلبشان در آرزوی آن پر می کشد. تعبیر به «یهب» (می بخشد) دلیل روشنی است که هم دختران هدیه الهی هستند و هم پسران، و فرق گذاشتن میان این دو از دیدگاه یک مسلمان راستین صحیح نیست، هر دو «هبه» او می باشند.

به هر حال نه تنها در موضوع تولـد فرزندان که در همه چیز مشـیت خداوند حاکم مطلق است، و او قادری است آگاه و حکیم که علم و قدرتش با هم قرین برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۵۴ است، لذا در پایان آیه میافزاید: «او دانا و قادر است» (إِنَّهُ عَلِیمٌ قَدِیرٌ).

سورة الشوري(٤٢): آية ٥١ ص: 354

اشاره

(آیه ۵۱)

شأن نزول: ص: 344

جمعی از یهود خدمت پیامبر صلّی الله علیه و اله آمدند و عرض کردند:

چرا تو با خداوند سخن نمی گویی؟ و به او نگاه نمی کنی؟ اگر پیامبری همان گونه که موسی (ع) با او سخن گفت و به او نگاه کرد تو نیز چنین کن، ما هر گز به تو ایمان نمی آوریم مگر این که همین کار را انجام دهی، پیامبر صلّی الله علیه و اله فرمود: موسی هر گز خدا را ندید، اینجا بود که آیه نازل شد و چگونگی ارتباط پیامبران را با خداوند متعال تشریح کرد.

تفسير: ص: ۳۵۴

طرق ارتباط پیامبران با خداونـد- همان گونه که در آغاز این سوره گفتیم در این سوره تکیه خاصـی روی مسأله وحی و نبوت شده است، سوره با مسأله وحی آغاز شد، و با مسأله وحی پایان می یابد.

و از آنجا که در آیات گذشته از نعمتهای الهی سخن در میان بود اینجا از مهمترین نعمتهای پروردگار و پربارترین مواهب او برای جهان انسانیت که همان مسأله وحی و ارتباط انبیاء با خداست سخن می گوید.

نخست مىفرمايىد: «شايسته هيچ انسانى نيست كه خىدا با او سىخن بگويىد (و با او رو برو گردد، چرا كه او منزه از جسم و جسمانيت است) مگر از طريق وحى و الهام مرموز به قلب او» (وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً).

«يا شنيدن سخنان پروردگار از پشت حجاب» (أَوْ مِنْ وَراءِ حِجاب).

«و یا از طریق فرستادن رسولی» که پیام الهی را به او ابلاغ کند (أَوْ یُرْسِلَ رَسُولًا).

«در این هنگام (فرستاده الهی) به فرمان پروردگار آنچه را خدا میخواهد (به پیامبرش) وحی میکند» (فَیُوحِیَ بِإِذْنِهِ ما یَشاءُ).

آری! راهی برای سخن گفتن خداوند با بندگان جز این سه راه نیست «چرا که او بلند مقام و حکیم است» (إِنَّهُ عَلِیٌّ حَکِیمٌ). و بالاتر از آن است که دیده شود یا با زبان سخن گوید، و تمام افعالش حکیمانه است.

این آیه در حقیقت پاسخی است روشن به افرادی که به خاطر بی خبری برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۵۵ ممکن است توهم کنند مسأله وحی دلیل بر این است که پیامبران خدا را می بینند، و با او سخن می گویند.

سورة الشوري(٤٢): آية ٥٢ ص: ٣٥٥

(آیه ۵۲) – قرآن روحی است از جانب خمدا: به دنبال بحث کلی و عمومی که در باره وحی در آیه قبل آمد در اینجا از نزول وحی بر شخص پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و اله سخن گفته، میفرماید: «همان گونه (که بر پیامبران پیشین، از طرق مختلف وحی فرستادیم) بر تو نیز روحی را به فرمان خود وحی کردیم» (وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا).

منظور از «روح» در اینجا قرآن مجید است که مایه حیات دلها و زندگی جانهاست.

در دنباله آیه میافزاید: «تو پیش از این از کتاب و ایمان آگاه نبودی، ولی ما آن را نوری قرار دادیم که به وسیله آن هر کس از بنـدگان خویش را بخواهیم هـدایت میکنیم» (ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ وَ لَکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا).

این لطف خدا بود که شامل حال تو شد، و این وحی آسمانی بر تو نازل گشت و ایمان به تمام محتوای آن پیدا کردی. در پایان آیه میافزاید: «بطور مسلّم تو به سوی راه مستقیم مردم را هدایت می کنی» (وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ). نه تنها قرآن نوری برای توست که نوری برای همگان است، و وسیله هدایتی برای جهانیان به سوی صراط مستقیم، این یک موهبت عظیم الهی است برای رهروان راه حق و آب حیاتی است برای همه تشنه کامان.

سورة الشوري(42): آية 53 ص: 255

اشاره

(آیه ۵۳) – سپس به عنوان تفسیری بر «صراط مستقیم» می افزاید: «راه خداوندی که تمام آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است از آن اوست» (صِراطِ اللَّهِ الَّذِی لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْاَرْضِ). چه راهی صافتر از راهی است که به خالق عالم هستی می رسد؟

آخرین جمله این آیه که در عین حال آخرین جمله سوره شوری است در برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۵۶ حقیقت دلیلی است برای این معنی که راه مستقیم تنها راهی است که به سوی خدا میرود، میفرماید: «آگاه باشید که همه کارها تنها به سوی خدا باز میگردد» (أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِیرُ الْأُمُورُ).

این جمله در عین حال بشارتی است برای پرهیزگاران، و تهدیدی است برای ظالمان و گنهکاران که بازگشت همه آنها به سوی خداست.

و نیز دلیلی است بر این که وحی باید تنها از سوی خدا باشد، چرا که بازگشت همه اشیاء و تدبیر آنها به سوی اوست.

پيامبر اسلام صلَّى اللَّه عليه و اله قبل از نبوَّت چه آئيني داشت؟ ص: 368

باید بگوییم پیامبر صلّی اللّه علیه و اله شخصا برنامه خاصی از سوی خداوند داشته که بر طبق آن عمل می کرده، و در حقیقت آیین مخصوص خودش بود، تا زمانی که اسلام بر او نازل گشت.

شاهد این سخن حدیثی است که در نهج البلاغه آمده، که می گوید: «خداوند از آن زمان که رسول خدا از شیر باز گرفته شد بزر گترین فرشتهای را قرین وی ساخت، تا شب و روز او را به راههای مکارم، و طرق اخلاق نیک سوق دهد».

مأموریت چنین فرشتهای دلیل بر وجود یک برنامه اختصاصی است.

«پایان سوره شوری»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۵۷

سوره زخرف [43] ص: 257

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۸۹ آیه است

محتوای سوره: ص: 327

مباحث این سوره را می توان در هفت بخش خلاصه کرد:

بخش اول: از اهمیت قرآن مجید و نبوت پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله سخن می گوید.

بخش دوم: قسمتی از دلائل توحید را در «آفاق» و نعمتهای گوناگون خداوند را بر انسانها بر میشمرد.

بخش سوم: همین حقیقت را از طریق مبارزه با شرک و نفی نسبتهای ناروا به خداوند و مبارزه با تقلیدهای کورکورانه، تکمیل می کند.

در بخش چهارم: برای مجسم ساختن این حقایق قسمتی از سرگذشت انبیای پیشین و اقوام آنها را نقل می کند.

در بخش پنجم: مسأله معاد و پاداش مؤمنان و سرنوشت شوم کفار مطرح شده و با تهدیدها و انذارهای قوی مجرمان را هشدار میدهد.

بخش ششم: ناظر به ارزشهای باطلی است که حاکم بر افکار افراد بی ایمان بوده و هست که به خاطر این ارزشهای بی اساس در ارزیابی خود در باره مسائل مهم زندگی گرفتار انواع اشتباه می شوند.

بخش هفتم: از مواعظ و اندرزهای مؤثر و پربار برای تکمیل کردن بخشهای دیگر سخن می گوید. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۵۸

نام سوره از آیه ۳۵ گرفته شده که از ارزشهای مادی و «زخرف» (طلا و مانند آن) سخن می گوید.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 258

در حدیثی از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله میخوانیم: «کسی که سوره زخرف را تلاوت کند از کسانی است که روز قیامت به این خطاب مخاطب می شود: ای بندگان من! امروز نه ترسی بر شماست، و نه غمی، بدون حساب وارد بهشت شوید». این بشارت بزرگ و فضیلت بی حساب تنها با تلاوت خالی از اندیشه و ایمان و عمل حاصل نمی شود، چرا که تلاوت مقدمه ای است برای اندیشه، و «ایمان» و «عمل» ثمره ای از آن است.

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الزخرف(٤٣): آية ١ ص: ٣٥٨

(آیه ۱)- در آغاز این سوره باز با «حروف مقطعه» «حاء، میم» (حم).

رو برو می شویم، این چهارمین سورهای است که با «حم» آغاز شده، که در باره آن قبلا بحث کردهایم.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٢ ص: ٣٥٨

(آیه ۲) - در دومین آیه به قرآن مجید سوگند یاد کرده، می فرماید: «سوگند به کتاب مبین» و روشنگر (وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ). سوگند به این کتابی که حقایقش آشکار، و مفاهیمش روشن، و دلائل صدقش نمایان، و راههای هدایتش واضح و مبین است.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٣ ص: ٣٥٨

(آیه ۳)– که «ما آن را قرآنی عربی قرار دادیم تا شما آن را درک کنید» (إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

عربی بودن قرآن یا به معنی نزول آن به زبان عرب است که از گسترده ترین زبانهای جهان برای بیان حقایق می باشد. و یا به معنی «فصاحت» آن است- چرا که یکی از معانی عربی همان «فصیح» است- اشاره به این که آن را در نهایت فصاحت قرار دادیم تا حقایق به خوبی از لابلای کلمات و جمله هایش ظاهر گردد، و همگان آن را به خوبی درک کنند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۵۹

سورة الزخرف(٤٣): آية 4 ص: ٣٥٩

(آیه ۴)- سپس به بیان اوصاف سه گانه دیگری در باره این کتاب آسمانی پرداخته، می گوید: «و آن در ام الکتاب [لوح محفوظ] نزد ما بلند پایه و استوار است»! (وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَدَیْنا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ).

«امّ الکتاب» (کتاب مادر) به معنی کتابی است که اصل و اساس همه کتب آسمانی میباشد. این همان کتاب «علم پروردگار» است که نزد اوست و همه حقایق عالم و همه حوادث آینده و گذشته و همه کتب آسمانی در آن درج است و هیچ کس به آن راه ندارد جز آنچه را که خدا بخواهد افشا کند.

این توصیف بزرگی است برای قرآن که از علم بی پایان حق سر چشمه گرفته و اصل و اساسش نزد اوست. و به همین دلیل در توصیف دوم و سوم می گوید: این کتاب در نزد ما والامقام، حکمت آموز، مستحکم، متین و حساب شده است «لعلیّ حکیم».

سورة الزخرف(٤٣): آية ٥ ص: ٣٥٩

(آیه ۵)- در این آیه منکران، و اعراض کنندگان از قرآن، را مخاطب ساخته، می گوید: «آیا این ذکر [قرآن] را (که مایه بیداری و یادآوری شماست) از شما بازگیریم به خاطر این که قومی اسرافکارید»؟! (أَ فَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِینَ).

درست است که شما در دشمنی و مخالفت با حق، چیزی فروگذار نکردهاید، ولی لطف و رحمت خداوند به قدری وسیع و گسترده است که اینها را مانع بر سر راه خود نمی بیند، باز هم این کتاب را پی در پی بر شما نازل می کند، تا دلهایی که اندک آمادگی دارند، تکان بخورند و به راه آیند، و این است مقام رحمت عامه و رحمانیت پروردگار که دوست و دشمن را در بر می گیرد.

سورة الزخرف(٤٣): آية 6 ص: 259

(آیه ۶)- سپس به عنوان شاهد و گواه بر آنچه گفته شد، و هم تسلّی و دلداری پیامبر صلّی الله علیه و اله و در ضمن تهدیدی برای منکران لجوج، در عبارتی کوتاه و محکم میفرماید: «چه بسیار از پیامبران را که برای هدایت در میان اقوام پیشین فرستادیم» (وَ کَمْ أَرْسَلْنا مِنْ نَبِیِّ فِی الْأَوَّلِینَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٧ ص: ٣٥٩

(آیه ۷) - «ولی هیچ پیامبری به سراغشان نمی آمد مگر این که او را استهزا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۶۰ می کردند» (وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ).

این مخالفتها و سخریهها هرگز مانع لطف الهی نبود، این فیضی است که از ازل تا به ابـد ادامه یافته، وجودی است که بر همه بندگان میکند.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٨ ص: ٣٥٠

(آیه ۸)- اما برای این که تصور نکنند که لطف بی حساب خداوند مانع مجازات آنها در پایان کار خواهد شد- که مجازات نیز خود، مقتضای حکمت اوست- این آیه می افزاید: «ولی ما کسانی را که نیرومندتر از آنها بودند هلاک کردیم» (فَأَهْلَكْنا أَشَدً مِنْهُمْ بَطْشاً).

«و داستان پیشینیان گذشت» (وَ مَضی مَثَلُ الْأُوّلِینَ).

در آیاتی که قبلاً بر تو نازل کردهایم، نمونههای زیادی از این اقوام سرکش و طغیانگر مطرح شدهاند، و شرح حال آنها بر تو نازل گردیده اقوامی با امکانات و ثروت و نفرات و لشگر و استعداد فراوان همچون فرعون و فرعونیان و قوم عاد و ثمود.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٩ ص: ٣٦٠

(آیه ۹)- بخشی از دلائل توحید: از اینجا بحث پیرامون توحید و شرک شروع می شود، نخست از فطرت و سرشت انسانها برای

اثبات توحید کمک می گیرد، میفرماید: «هر گاه از آنها بپرسی چه کسی آسمانها و زمین را آفریده مسلما می گویند: خداوند قادر و دانا آنها را آفریده است» (وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ١٠ ص: ٣٥٠

(آیه ۱۰)- سپس به پنج قسمت از نعمتهای بزرگ خدا که هر یک نمونهای از نظام آفرینش و آیتی از آیات خداست اشاره می کند.

نخست از زمین شروع کرده، میفرماید: «همان کسی که زمین را محل آرامش شما قرار داد» (الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ مَهْداً). و میدانیم نعمت آرامش و امنیت پایه اصلی بهره گیری از نعمتهای دیگر است.

و برای بیان نعمت دوم می افزاید: «او برای شما در زمین راههایی قرار داد تا هدایت شوید» و به مقصد برسید (وَ جَعَلَ لَکُمْ فِیها سُبُلًا لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ).

میدانیم: تقریبا سراسر خشکیها را چین خوردگیهای بسیار فراگرفته و کوههای برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۶۱ بزرگ و کوچک و تپههای مختلف آن را پوشانده است، و جالب این که در میان بزرگترین سلسله جبال دنیا غالبا بریدگیهایی وجود دارد که انسان می تواند راه خود را از میان آنها پیدا کند، و کمتر اتفاق میافتد که این کوهها بکلی مایه جدایی بخشهای مختلف زمین گردند، و این یکی از اسرار نظام آفرینش و از مواهب الهی بر بر بندگان است.

از این گذشته بسیاری از قسمتهای زمین به وسیله راههای دریایی به یکدیگر مربوط میشوند که این خود نیز در عمومیت مفهوم آیه وارد است.

سورة الزخرف(٤٣): آية ١١ ص: ٣٦١

(آیه ۱۱)- سومین موهبت را که مسأله نزول آب بـاران و احیـای زمینهـای مرده است در این آیه به این صورت مطرح میکند «همان کسی که از آسمان آبی فرستاد بمقدار معیّن» (وَ الَّذِی نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ).

«و به وسیله آن سرزمین مردهای را حیات بخشیدیم» (فَأَنْشَوْنا بِهِ بَلْدَهُ مَیْتاً).

«و همین گونه (که زمینهای مرده با نزول باران زنده میشوند شما نیز بعد از مرگ زنده، و از قبرها) خارج خواهید شد» (کَذلِکَ تُخْرَجُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ١٢ ص: ٣٦١

(آیه ۱۲) - در چهارمین مرحله بعد از ذکر نزول باران و حیات گیاهان به آفرینش انواع حیوانات اشاره کرده، می گوید: «همان کسی که همه زوجها را آفرید» (وَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْواجَ کُلَّها).

تعبیر به «ازواج» (زوجها) کنایه از انواع حیوانات است، به قرینه گیاهان که در آیات قبل آمد.

و میدانیم قانون زوجیت، قانون حیات در همه جانداران میباشد و افراد نادر و استثنایی مانع از کلیت قانون نیست.

در پنجمین مرحله که آخرین نعمت را در این سلسله بیان می کنید سخن از مرکبهایی است که خداونید برای پیمودن راههای دریایی و خشکی در اختیار بشر گذارده، می فرمایید: «و برای شما از کشتیها و چهار پایان مرکبهایی قرار داد که بر آن سوار

مى شويد» (وَ جَعَلَ لَكَمْ مِنَ الْفُلْكِ وَ الْأَنْعامِ مَا تَرْكَبُونَ).

این یکی از مواهب و اکرامهای خداوند نسبت به نوع بشر است که در انواع برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۶۲ دیگر از موجودات زنده دیده نمی شود.

سورة الزخرف(٤٣): آية ١٣ ص: ٣٦٢

(آیه ۱۳)-این آیه هدف نهایی آفرینش این مراکب را چنین بازگو میکند: «تا بر پشت آنها به خوبی قرار گیرید سپس هنگامی که بر آنها سوار شدید، نعمت پروردگارتان را متذکّر شوید و بگویید: پاک و منزه است کسی که این را مسخّر ما ساخت، و گر نه ما توانایی تسخیر آن را نداشتیم» (لِتَشْ تَوُوا عَلی ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْکُرُوا نِعْمَهُ رَبِّکُمْ إِذَا اسْتَوَیْتُمْ عَلَیْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِی سَخّرَ لَنا هذا وَ ما کُنَّا لَهُ مُقْرِنِینَ).

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ۱۴ ص: ٣٦٢

(آیه ۱۴) - در این آیه گفتار مؤمنان راستین را به هنگام سوار شدن بر مرکب این گونه تکمیل می کند: «و ما به سوی پروردگارمان باز می گردیم» (وَ إِنَّا إِلَى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ).

این جمله اشارهای به مسأله معاد است چرا که همیشه توجه به آفریدگار و مبدأ، انسان را متوجه معاد نیز میسازد.

و نیز اشارهای است به این معنی که مبادا هنگام سوار شدن و تسلّط بر این مرکبهای راهوار مغرور شوید، و در زرق و برق دنیا فرو روید، بلکه به یاد انتقال بزرگتان از این جهان به جهان دیگر باشید.

سورة الزخرف(٤٣): آية ١٥ ص: ٣٦٢

(آیه ۱۵)- چگونه ملائکه را دختران خدا میخوانید؟

بعد از تحکیم پایه های توحید از طریق بر شمردن نشانه های خداوند در نظام هستی و نعمتها و مواهب او، در اینجا به نقطه مقابل آن یعنی مبارزه با شرک و پرستش غیر خدا پرداخته نخست به سراغ یکی از شاخه های آن یعنی پرستش فرشتگان می رود و می فرماید: «آنها برای خداوند از میان بندگانش جزئی قرار دادند» (وَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً).

تعبیر به «جزء» هم بیانگر این است که آنها فرشـتگان را فرزندان خدا میشـمردند زیرا همیشه فرزند جزئی از وجود پدر و مادر است که به صورت نطفه از آنها جدا میشود.

و نیز بیان کننده پذیرش عبودیت آنهاست چرا که فرشتگان را جزئی از معبودان در مقابل خداوند تصور می کردند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۶۳

سپس مىافزايد: «انسان كفران كننده آشكارى است» (إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ).

به جای این که سر بر آستان خالق و ولی نعمت خود بساید راه کفران پیش گرفته به سراغ مخلوقاتش میرود.

سورة الزخرف(٤٣): آية ١٦ ص: ٣٦٣

(آیه ۱۶) - در این آیه برای محکوم کردن این تفکر خرافی از ذهنیات و مسلمات خود آنها استفاده می کند، چرا که آنها جنس مرد را بر زن ترجیح می دادند، و اصولا دختر را ننگ خود می شمر دند، می فرماید: «آیا از میان مخلوقاتش دختران را برای خود انتخاب کرده و پسران را برای شما برگزیده است» (أُم اتَّخَذَ مِمَّا یَخْلُقُ بَناتٍ وَ أَصْفاکُمْ بِالْبَنِینَ).

به پندار شما مقام دختر پایین تر است، چگونه خود را بر خدا ترجیح میدهید؟ سهم او را دختر، و سهم خود را پسر می پندارید؟!

سورة الزخرف(٤٣): آية ١٧ ص: ٣٥٣

(آیه ۱۷)- باز همین مطلب را به بیان دیگری تعقیب کرده، می گوید: «در حالی که هرگاه یکی از آنها را به همان چیزی که برای خداوند رحمان شبیه قرار داده [به تولد دختر] بشارت دهند صورتش (از فرط ناراحتی) سیاه می شود، و خشمگین می گردد»! (وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمن مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَ هُوَ كَظِیمٌ).

این تعبیر به خوبی حاکی از تفکر خرافی مشرکان ابله در عصر جاهلیت در مورد تولد فرزند دختر است که چگونه از شنیدن خبر ولادت دختر ناراحت میشدند در عین حال فرشتگان را دختران خدا میدانستند!

سورة الزخرف(٤٣): آية ١٨ ص: ٣٥٣

(آیه ۱۸)- باز در ادامه این سخن میافزاید: «آیا کسی را که در لابلای زینتها پرورش مییابد، و به هنگام جدال قادر به تبیین مقصود خود نیست» فرزند خدا میخوانید (أَ وَ مَنْ يُنَشَّؤُا فِی الْجِلْیَةِ وَ هُوَ فِی الْجِصام غَیْرُ مُبِینِ).

در اینجا قرآن دو صفت از صفات زنان را که در غالب آنها دیده می شود و از جنبه عاطفی آنان سر چشمه می گیرد مورد بحث قرار داده، نخست علاقه شدید آنها به زینت آلات، و دیگر عدم قدرت کافی بر اثبات مقصود خود به هنگام مخاصمه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۶۴

و جر و بحث به خاطر حیا و شرم.

سورة الزخرف(٤٣): آية ١٩ ص: 354

(آیه ۱۹)- در این آیه مطلب را با صراحت بیشتری مطرح کرده، می فرماید:

«آنها فرشتگان را که بندگان خداوند رحمانند مؤنث پنداشتند» و دختران خدا معرفی کردند (وَ جَعَلُوا الْمَلائِکَةُ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمن إناثاً).

سپس به صورت استفهام انکاری در پاسخ آنها میفرماید: «آیا آنها شاهد آفرینش (فرشتگان) بودند» (أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ). و در پایان آیه میافزاید: «گواهی آنها (بر این عقیده بیاساس در نامههای اعمالشان) نوشته میشود و (از آن) باز خواست خواهند شد»! (سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَ يُشنَلُونَ).

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ٢٠ ص: ٣۶۴

(آیه ۲۰) – آنها دلیلی جز تقلید از نیاکان جاهل ندارند؟

در آیات گذشته نخستین پاسخ منطقی به عقیده خرافی بت پرستان که فرشتگان را دختران خدا می پنداشتند داده شد در اینجا همین معنی را پی گیری کرده، به ابطال این خرافه زشت از طرق دیگری می پردازد، نخست یکی از دلائل واهی آنها را بطور فشرده همراه با جواب آن نقل کرده، می گوید: «آنان گفتند: اگر خداوند رحمان می خواست ما آنها را هر گز پرستش نمی کردیم» این خواست او بوده است که ما به پرستش آنان پرداخته ایم! (وَ قالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْناهُمْ).

این تعبیر ممکن است به این معنی باشد که آنها معتقد به جبر بودند، و می گفتند هر چه از ما صادر می شود به اراده خداوند است، و هر کاری انجام می دهیم مورد رضایت اوست.

و در پایان آیه با این جمله کوتاه به این استدلال واهی بت پرستان پاسخ می گوید: «آنها به چنین چیزی که ادعا می کنند علم ندارند، و جز دروغ چیزی نمی گویند» (ما لَهُمْ بِذلِکَ مِنْ عِلْم إِنْ هُمْ إِلَّا یَخْرُصُونَ).

آنها حتی به مسأله جبر و یا رضایت خداونـد به اعمالشان علم و ایمان ندارنـد بلکه ماننـد بسیاری از هوی پرسـتان و مجرمان دیگر هسـتند که برای تبرئه خویشـتن از گنـاه و فسـاد موضوع جبر را پیش میکشـند و میگوینـد: دست تقـدیر ما را برگزیـده تفسیر نمونه، ج۲، ص: ۳۶۵

به این راه کشانیده!

سورة الزخرف(٤٣): آية ٢١ ص: ٣٦٥

(آیه ۲۱) - در این آیه به دلیل دیگری که ممکن است آنها به آن استدلال کنند اشاره کرده، می گوید: «یا این که ما کتابی را پیش از این کتاب به آنها داده ایم و آنها به آن تمسّک می جویند»؟! (أَمْ آتَیْناهُمْ کِتاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِکُونَ). یعنی آنها برای اثبات این ادعا باید یا به دلیل عقل متمسک شوند، یا به نقل، در حالی که نه دلیلی از عقل دارند، و نه دلیلی از نقل، تمام دلائل عقلی دعوت به توحید کردند.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٢ ص: 360

(آیه ۲۲)- در این آیه به بهانه اصلی آنان اشاره کرده که آن هم در واقع خرافهای بیش نیست که پایه خرافه دیگری شده است، میفرماید: «بلکه آنها میگویند: ما نیاکان خود را بر مذهبی یافتیم و ما نیز به آثار آنها هدایت شده ایم» (بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلی أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلی آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ).

در حقیقت آنها دلیلی جز «تقلید کورکورانه» از پدران و نیاکان خود نداشتند و عجب این که خود را با این تقلید هدایت یافته می پنداشتند، در حالی که در مسائل اعتقادی و زیر بنایی فکری هیچ انسان فهمیده و آزادهای نمی تواند متکی بر تقلید باشد آن هم به صورت تقلید «جاهل از جاهل».

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ٢٣ ص: ٣٦٥

(آیه ۲۳)- در اینجا بحث آیات گذشته را در زمینه بهانه اصلی مشرکان برای بت پرستی که مسأله تقلید نیاکان بود ادامه داده، می گوید: این تنها ادعای مشرکان عرب نیست، «همین گونه ما در هیچ شهر و دیاری پیش از تو پیغمبری انـذار کننـده

نفرسـتاديـم مگر اين كه ثروتـمنـدان مست و مغرور گفتند: ما پدران خود را بر مذهبـی يافتيـم، و ما به آثار آنان اقتدا میكنيـم» (وَ كَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِی قَرْیَهٍ مِنْ نَذِیرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلی أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلی آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٤ ص: ٣٦٥

(آیه ۲۴)– این آیه پاسخی را که انبیای پیشین به آنها میدادند به وضوح بیان میکند، میگوید: «پیامبرشان به آنان گفت: آیا اگر من آئینی روشنتر و هدایت کننده تر از آنچه پدرانتان را بر آن یافتید آورده باشم» باز هم آن را انکار میکنید؟! (قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدی مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَیْهِ آباءَكُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۶۶

این مؤدبانه ترین تعبیری است که می توان در مقابل قومی لجوج و مغرور بیان کرد که عواطف آنها به هیچ وجه جریحه دار نشود و این گونه تعبیرات قرآنی، ادب در بحث و محاجّه را مخصوصا در مقابل جاهلان مغرور به ما می آموزد.

ولى با اين همه به قدرى آنها غرق در جهل و تعصب و لجاج بودند كه اين گفتار حساب شده و مؤدبانه نيز در آنها مؤثر واقع نشد، آنها فقط در پاسخ انبيائشان «گفتند: ما به آنچه شما به آن مبعوث هستيد كافريم»! (قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٥ ص: ٣۶۶

(آیه ۲۵)- بدیهی است چنین قوم طغیانگر و لجوج و بی منطقی شایسته بقا و حیات نیست، و دیر یا زود باید عذاب الهی نازل گردد و این خار و خاشاکها را از سر راه بردارد، آیه شریفه می فرماید: «لذا ما از آنها انتقام گرفتیم» و سخت مجازاتشان کردیم (فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ).

گروهی را با طوفان، و گروهی را با زلزله ویرانگر، و جمعی را با تندباد و صاعقه، و خلاصه هر یک از آنها را با فرمانی هلاک کردیم.

و در پایان آیه برای این که مشرکان مکه نیز عبرت گیرنـد روی سـخن را به پیامبر صـلّی اللّه علیه و اله کرده، می گویـد: «پس بنگر پایان کار تکذیب کنندگان چگونه بود»؟! (فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُکَذِّبِینَ).

جمعیت مشرکان لجوج مکه نیز باید در انتظار چنین سرنوشت شومی باشند!

سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٤ ص: ٣۶۶

(آیه ۲۶)- توحید سخن جاویدان انبیاء: در اینجا اشاره کوتاهی به سرگذشت ابراهیم و ماجرای او با قوم بت پرست بابل شده است، تا بحث نکوهش تقلید را که در آیات قبل آمده بود تکمیل کند، زیرا اولا ابراهیم (ع) بزرگترین نیای عرب بود که همه او را محترم می شمردند، هنگامی که او پردههای تقلید را می درد اینها نیز اگر راست می گویند باید به او اقتدا کنند.

ثانیا: بت پرستانی که ابراهیم در مقابل آنها قیام کرد به همین استدلال واهی (پیروی از پدران) تکیه می کردند، و ابراهیم هرگز آن را از آنها نپذیرفت.

نخست می فرماید: «به خطر بیاور هنگامی که ابراهیم به پدرش [عمویش برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۶۷ آزر] و قوم بت پرستش گفت من از آنچه شما می پرستید بیزارم»! (وَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ لِأَبِیهِ وَ قَوْمِهِ إِنَّنِی بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٧ ص: ٣٦٧

(آیه ۲۷)- و از آنجا که بسیاری از بت پرستان خدا را نیز پرستش می کردند ابراهیم بلافاصله او را استثناء کرده، می گوید: «مگر آن خدایی که مرا آفریده که او هدایتم خواهد کرد» (إِلَّا الَّذِی فَطَرَنِی فَإِنَّهُ سَیَهْدِینِ).

او در این عبارت کوتاه هم استدلالی برای انحصار عبودیت به پروردگار ذکر میکند زیرا معبود کسی است که خالق و مدبر است، و همه قبول داشتند که خالق خداست و هم اشاره به مسأله هدایت تکوینی و تشریعی خداست که قانون لطف آن را ایجاب میکند.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٨ ص: 327

(آیه ۲۸)- ابراهیم نه تنها در حیات خود طرفدار اصل توحید و مبارزه با هر گونه بت پرستی بود، بلکه تمام تلاش و کوشش خود را به کار گرفت که (کلمه توحید همیشه در جهان باقی و برقرار بماند.

چنانکه آیه شریفه می گوید: «او آن (کلمه توحید را کلمه باقیه در فرزندان و اعقاب خود قرار داد تا به سوی خدا باز گردند» (وَ جَعَلَها کَلِمَةً باقِیَةً فِی عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ).

جالب این که امروز تمام ادیانی که در کره زمین دم از توحید میزنند از تعلیمات توحیدی ابراهیم (ع) الهام می گیرند، و سه پیامبر بزرگ الهی «موسی» (ع) و «عیسی» (ع) و محمد صلّی الله علیه و اله از دودمان او هستند، و این دلیل صدق پیشگویی قرآن در این زمینه است.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٢٩ ص: ٣٦٧

(آیه ۲۹) - این آیه در حقیقت پاسخ به این سؤال است: با این حال چگونه خداوند مشرکان مکه را عذاب نمی کند؟ مگر در آیه ۲۹) - این آیه در خواندیم «ما از اقوام گذشته که انبیا را تکذیب کردند انتقام گرفتیم»؟! در پاسخ می گوید: «بلکه این گروه [مشرکان مکّه] و پدران آنها را از مواهب دنیا بهرهمند ساختم تا حق و فرستاده آشکار الهی به سراغ آنان آمد» (بَلْ مَتَّعْتُ هؤُلاءِ وَ آباءَهُمْ حَتَّی جاءَهُمُ الْحَقُّ وَ رَسُولٌ مُبِینٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۶۸

ما تنها به حكم عقل به بطلان شرك و بت پرستى و حكم وجدانشان به توحيد قناعت نكرديم، و براى اتمام حجت آنها را مهلت داديم تا اين كتاب آسمانى كه سراسر حق است، و اين پيامبر بزرگ صلّى الله عليه و اله براى هدايت آنان قيام كند.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٠ ص : ٣٦٨

(آیه ۳۰) – ولی عجب این که: «هنگامی که حق (قرآن) به سراغ آنها آمد (به جای این که به اصلاح و جبران خطاهای گذشته خویش پردازند گروه کثیری به مخالفت برخاستند و) گفتند: این سحر است و ما نسبت به آن کافریم» (وَ لَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ قالُوا هذا سِحْرٌ وَ إِنَّا بِهِ کافِرُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٣١ ص : ٣٥٨

(آیه ۳۱)- چرا قرآن بر یکی از ثروتمندان نازل نشده؟

در آیات قبل سخن از بهانه جوئیهای مشرکان در برابر دعوت پیامبران بود، در اینجا به یکی دیگر از بهانههای واهی و بیاساس آنان اشاره کرده، میفرماید:

«و گفتنـد: چرا این قرآن بر مرد بزرگ و (ثروتمنـدی) از این دو شـهر (مکّه و طائف) نازل نشده است»؟! (وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُوْآنُ عَلَى رَجُلِ مِنَ الْقَوْيَتَيْنِ عَظِيم).

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ٣٢ ص: ٣٦٨

(آیه ۳۲) – قرآن مجید برای کوبیدن این طرز تفکر زشت و خرافی پاسخهای دندان شکنی میدهد و دیدگاه الهی و اسلامی را کاملا مجسم می کنند»؟! (أَ هُمْ يَقْسِـ مُونَ رَحْمَتَ رَبِّکَ). تا به هر کس بخواهند نبوت بخشند، و کتاب آسمانی بر او نازل کنند.

از این گذشته اگر تفاوت و اختلافی از نظر سطح زندگی در میان انسانها وجود دارد هر گز دلیل تفاوت آنها در مقامات معنوی نیست، بلکه: «ما معیشت آنها را در حیات دنیا در میانشان تقسیم کردیم و بعضی را برای بعضی برتری دادیم تا یکدیگر را مسخر کرده» و با هم تعاون نمایند (نَحْنُ قَسَمْنا بَیْنَهُمْ مَعِیشَتَهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنیا وَ رَفَعْنا بَعْضَ هُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِیَتَّخِذَ بَعْضًا سُخْریًا).

آنها فراموش کردهاند که زندگی بشر یک زندگی دسته جمعی است، و اداره این زندگی جز از طریق تعاون و خدمت متقابل امکان پذیر نیست.

«و رحمت پروردگارت از تمام آنچه جمع آوری میکننـد (از مـال و جـاه و مقام) برتر و بهتر است» (وَ رَحْمَتُ رَبِّکَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ). برگزيده تفسير نمونه، ج۴، ص: ۳۶۹

بلکه تمام این مقامها و ثروتها در برابر رحمت الهی و قرب پروردگار به اندازه بال مگسی وزن و قیمت ندارد.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٣ ص: ٣٥٩

(آیه ۳۳)– قصرهای با شکوه با سقفهای نقرهای! (ارزشهای دروغین) قرآن همچنان بحث پیرامون نظام ارزشی اسلام و عدم معیار بودن مال و ثروت و مقامات مادی را ادامه میدهد.

نخست مىفرمايد: «اگر (تمكن كفّار از مواهب مادى) سبب نمىشد كه همه مردم امت واحد (گمراهى) شوند ما براى كسانى كه به (خداوند) رحمن كافر مىشدند خانه هايى قرار مىداديم با سقفهايى از نقره و نردبانهايى كه از آن بالا روند» (وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَ مَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٤ ص: ٣٦٩

(آیه ۳۴)– سپس میافزاید: علاوه بر این «برای خانههای آنان درها و تختهایی قرار میدادیم که بر آن تکیه کننـد» (وَ لَبُیُوتِهِمْ أَبُواباً وَ سُرُراً عَلَيْها يَتَّكِؤُنَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٥ ص: ٣٦٩

(آیه ۳۵)- باز به این هم اکتفا نکرده می افزاید: علاوه بر همه اینها «انواع وسائل تجملی و زینت آلات» برای آنها قرار می دادیم (وَ زُخْرُفاً).

تـا زنـدگـی مـادی و پر زرق و برقشان از هر نظر تکمیل گردد، قصـرهایی مجلل و چنـد اشـکوبه با سـقفهایی از نقره، و درها و تختهای متعدد، و انواع وسائل زینتی، و هرگونه نقش و نگار آن چنانکه مطلوب و مقصود و معبود دنیا پرستان است.

سپس مىافزايـد: «امـاً همه اينهـا متـاع زنـدگـى دنياى مادى است و آخرت نزد پروردگارت از آن پرهيزگاران است» (وَ إِنْ كُلُّ ذلِكَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ).

کوتاه سخن این که سرمایههای مادی و این وسائل تجملاتی دنیا به قدری در پیشگاه پروردگار بیارزش است که میبایست تنها نصیب افراد بیارزش همچون کفّار و منکران حق باشد، و اگر مردم کم ظرفیت و دنیا طلب به سوی بیایمانی و کفر متمایل نمی شدند خداوند این سرمایهها را تنها نصیب این گروه منفور و مطرود برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۷۰ می کرد، تا همگان بدانند مقیاس ارزش و شخصیت انسان این امور نیست.

و از اینجا روشن می شود که نه بهره مند بودن گروهی از کفار و ظالمان از این مواهب مادی دلیل بر شخصیت آنهاست، و نه محروم بودن مؤمنان از آن، و نه استفاده از این امور در حد معقول، به صورت یک ابزار، ضرری به ایمان و تقوای انسان می زند، و این است تفکر صحیح اسلامی و قرآنی.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٤ ص: ٣٧٠

(آیه ۳۶)- همنشین شیاطین! از آنجا که در آیات پیشین سخن از دنیا پرستانی بود که همه چیز را بر معیارهای مادی ارزیابی می کنند، در اینجا از یکی از آثار مرگبار دلبستگی به دنیا که بیگانگی از خداست سخن می گوید، میفرماید:

«و هر کس از یـاد خـدا روی گردان شـود شـیطانی را به سـراغ او میفرسـتیم، پس همـواره قرین اوست»! (وَ مَنْ یَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمن نُقَیِّضْ لَهُ شَیْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرینٌ).

آری! غفلت از ذکر خدا و غرق شدن در لذات دنیا، و دلباختگی به زرق و برق آن، موجب می شود که شیطانی بر انسان مسلّط گردد و همواره قرین او باشد، و رشته ای در گردنش افکنده، «می برد هرجا که خاطر خواه اوست»!

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ٣٧ ص: ٣٧٠

(آیه ۳۷) - سپس به دو امر مهم که شیاطین در باره این غافلان انجام می دهند.

اشاره كرده، مىفرمايد: «و آنها [شياطين] اين گروه را از راه خدا باز مىدارند» (وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ).

هر وقت اراده بازگشت کنند سنگی بر سر راه آنها میافکنند و مانعی ایجاد میکنند تا هرگز به صراط مستقیم باز نگردند. و آن چنان طریق گمراهی را در نظر آنها زینت میدهند که: «گمان میکنند هدایت یافتگان حقیقی آنها هستند»! (وَ یَحْسَ بُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٨ ص: ٣٧٠

(آیه ۳۸)- خلاصه این وضع همچنان ادامه پیدا می کند انسان غافل و بی خبر در گمراهی خویش، و شیاطین در اضلال او تا هنگامی که پرده ها کنار می رود، و چشم حقیقت بین او باز می شود، «تا زمانی که نزد ما حاضر می شود (می بیند ولی و قرینش همچنان با اوست، همان کسی که عامل همه بدبختیهای او بوده! فریاد می زند و) می گوید: ای کاش میان من و تو فاصله مشرق و مغرب بود! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۷۱

چه بد قرین و همنشینی هستی تو»! (حَتَّی إِذا جاءَنا قالَ یا لَیْتَ بَیْنِی وَ بَیْنَکُ بُعْدَ الْمَشْرِقَیْنِ فَبِئْسَ الْقَرِینُ). آری! صحنه قیامت نجسمی است گسترده از صحنههای این جهان و قرین و دوست و رهبر اینجا با آنجا یکی است.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٣٩ ص: ٣٧١

(آیه ۳۹) – ولی این آرزو هرگز به جائی نمیرسد، و میان آنها و شیاطین هرگز جدائی نمیافتد، لذا در این آیه میافزاید: «هرگز این گفتگو و ندامت امروز به حال شما سودی ندارد، چرا که شما ظلم کردید، و در نتیجه همه در عذاب مشترکید» (وَ لَنْ یَنْفَعَکُمُ الْیَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّکُمْ فِی الْعَذابِ مُشْتَرِکُونَ).

باید عذاب این همنشین سوء را با عذابهای دیگر برای همیشه ببینید.

و به این ترتیب امید آنها را در مورد جدایی از شیاطین برای همیشه مبدل به یأس می کند و چه طاقت فرساست تحمل این همنشینی؟!

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ٤٠ ص: ٣٧١

(آیه ۴۰) - در اینجا قرآن این گروه را به حال خود می گذارد و روی سخن را به سوی پیامبر صلّی الله علیه و اله کرده از غافلان کوردلی که پیوسته او را تکذیب می کردند، و از قماش همان گروهی بودند که در آیات قبل از آنها سخن گفته شد، بحث کرده، می فرماید: «آیا تو می توانی سخن خود را به گوش کران برسانی؟ یا کوران و کسانی را که در گمراهی آشکاری هستند هدایت کنی» (أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِی الْعُمْیَ وَ مَنْ کانَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ).

سورة الزخرف(43): آية 41 ص: 271

(آیه ۴۱) - در تعقیب آیات گذشته که از کفار لجوج و هدایت ناپذیر و ستمگر سخن می گفت در اینجا روی سخن را، به پیامبر گرمی اسلام صلّی الله علیه و اله کرده، این گروه را شدیدا تهدید و پیامبر صلّی الله علیه و اله را تسلّی و آرامش خاطر می بخشد می فرماید: «هر گاه تو را از میان آنها ببرم، حتما از آنها انتقام خواهم گرفت و مجازاتشان می کنیم»! (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِکَ فَانَّقِمُونَ).

منظور از بردن پیامبر صلّی اللّه علیه و اله از میان آن قوم، وفات پیامبر صلّی اللّه علیه و اله است.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٢ ص: ٣٧١

(آیه ۴۲)- سپس می افزاید: اگر هم زنده بمانی «و آنچه را از عذاب به آنان وعده داده ایم به تو نشان دهیم باز ما بر آنها مسلط

هستيم» برگزيده تفسير نمونه، ج ٢، ص: ٣٧٢ (أَوْ نُرِيَنَكَ الَّذِي وَعَدْناهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ).

به هر حال آنها در چنگال قدرت ما هستند چه در میان آنها باشی و چه نباشی، و مجازات و انتقام الهی در صورت ادامه کارهایشان حتمی است.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٣ ص: ٣٧٢

(آیه ۴۳)– بعد از این هشدارها به پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و اله دستور میدهد: «پس آنچه را بر تو وحی شده محکم بگیر که تو بر صراط مستقیم قرار داری»! (فَاسْتَمْسِکْ بِالَّذِی أُوحِیَ إِلَیْکَ إِنَّکَ عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیم).

کمترین اعوجاج و کجی در کتاب و برنامه تو نیست، و عـدم پذیرش گروهی از آنان دلیل بر نفی حقانیت تو نخواهد بود تو با نهایت جدیت به راه خویش ادامه بده، بقیه با ماست.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٤ ص: ٣٧٢

(آیه ۴۴)– سپس میافزاید «این (قرآنی که بر تو وحی شده) مایه یادآوری تو و قوم توست» (وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ). هدف از نزول آن بیدار ساختن انسانها و آشنا نمودن آنها به وظائفشان است.

«و بزودی مورد سؤال قرار خواهید گرفت» که با این برنامه الهی و این وحی آسمانی چه کردید؟! (وَ سَوْفَ تُشْئُلُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٥ ص: ٣٧٢

(آیه ۴۵)– سپس برای نفی بتپرستی و ابطال عقائـد مشرکین به دلیل دیگری پرداخته، میگویـد: «از رسولانی که قبل از تو فرستادیم بپرس، آیا غیر از خداوند رحمن، معبودهایی برای پرستش آنها قرار دادیم»؟! (وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رُسُلِنا أَ جَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً یُغبَدُونَ).

اشاره به این که تمام انبیای الهی دعوت به توحید کردهاند، و همگی بطور قاطع بت پرستی را محکوم نمودهاند، بنابر این پیامبر اسلام در مخالفتش با بتها کار بی سابقهای انجام نداده، بلکه سنت همیشگی انبیا را احیا نموده است.

سورة الزخرف(٤٣): آية 46 ص: ٣٧٢

(آیه ۴۶) - فرعونیان مغرور و پیمان شکن: در اینجا به گوشهای از ماجرای پیغمبر خدا «موسی بن عمران» و برخورد او با «فرعون» اشاره شده، تا پاسخی باشد به گفتار بی اساس مشرکان که «اگر خدا میخواست پیامبری بفرستد چرا مردی را از ثروتمندان مکّه و طائف برای این مأموریت بزرگ انتخاب نکرد»؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۷۳

می فرماید: «ما موسی را با آیات و نشانه های خود به سوی فرعون و اطرافیان و درباریان او فرستادیم» (وَ لَقَـدْ أَرْسَـلْنا مُوسی بِآیاتِنا إلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ).

«پس موسى به آنها گفت: من فرستاده پروردگار جهانيانم» (فَقالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٧ ص: ٣٧٣

قرآن می گوید: «هنگامی که موسی با آیات ما به سراغ آنها آمد همگی از آن میخندیدند» (فَلَمَّا جاءَهُمْ بِآیاتِنا إِذا هُمْ مِنْها یَضْحَکُونَ).

این نخستین برخورد همه طاغوتها و جاهلان مستکبر در برابر رهبران راستین است، جدی نگرفتن دعوت و دلائل آنها.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٨ ص: ٣٧٣

(آیه ۴۸)- اما ما برای اتمام حجت، آیات خود را یکی بعد از دیگری فرستادیم «و هیچ آیهای و معجزهای به آنها نشان نمی دادیم مگر این که از دیگری بزرگتر و مهمتر بود» (وَ ما نُرِیهِمْ مِنْ آیَهٍٔ إِلَّا هِیَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها).

و به این ترتیب بعد از معجزه «عصا» و «ید بیضا» معجزات «طوفان» و «جراد» و «قمل» و «ضفادع» و غیر اینها را به آنها نشان دادیم.

سپس مىافزايىد: «آنها را به عـذابها (و مجازاتهاى هشـدار دهنده) گرفتار نموديم شايد (بيدار شوند و) به راه حق باز گردند» (وَ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ٤٩ ص: ٣٧٣

(آیه ۴۹) – چنانکه در این آیه میخوانیم: «آنها گفتند: ای ساحر! پروردگارت را به عهدی که با تو کرده است بخوان (تا ما را از این درد و رنج و بلا و مصیبت رهایی بخشد، و) مطمئن باش که ما راه هدایت را پیش خواهیم گرفت»! (وَ قالُوا یا أَیُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّکَ بِما عَهِدَ عِنْدَکَ إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ).

چه تعبیر عجیبی! از یک سو ساحرش میخوانند، و از سوی دیگر برای رفع بلا دست به دامنش میزنند! و از سوی سوم به او وعده قبول هدایت میدهند! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۷۴

آری! سبک مغزان مغرور هنگامی که بر اریکه قدرت مینشینند چنین است منطقشان و راه و رسمشان.

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ۵۰ ص: ٣٧٤

(آیه ۵۰)- ولی به هر حال موسی به خاطر این تعبیرات نیش دار و موهن هرگز دست از هدایت آنها برنداشت، و از خیره سری آنها مأیوس و خسته نشد، همچنان به کار خود ادامه داد بارها دعا کرد تا طوفان بلاها فرو نشیند و فرو نشست.

اما چنانکه آیه شریفه می گوید: «هنگامی که عذاب را از آنها بر طرف میساختیم آنها پیمانهای خود را میشکستند و به لجاجت و انکار خود ادامه میدادند» (فَلَمَّا کَشَفْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ).

اینها همه درسهایی است زنده و گویا برای مسلمانان و تسلیت خاطری است برای شخص پیامبر صلّی الله علیه و اله که از لجاجت و سرسختی مخالفان هرگز خسته نشوند.

و نیز هشداری است به دشمنان لجوج و سرسخت که آنها هرگز از فرعون و فرعونیان قویتر و قدرتمندتر نیستند، سر انجام کار

سورة الزخرف(٤٣): آية ٥١ ص: ٣٧٤

(آیه ۵۱)- اگر پیامبر است چرا دستبند طلا ندارد؟

منطق موسی از یک سو، و معجزات گوناگونش از سوئی دیگر افکار تودههای مردم را نسبت به فرعون متزلزل ساخت. اینجا بود که فرعون با سفسطه بازی و مغلطه کاری میخواست جلو نفوذ موسی را در افکار مردم مصر بگیرد، چنانکه قرآن می گوید: «فرعون در میان قوم خود ندا داد و گفت: ای قوم من! آیا حکومت مصر از آن من نیست؟ و این نهرها تحت فرمان من جریان ندارد؟ (و از قصر و مزارع و باغهای من نمی گذرد؟) آیا نمی بینید؟» (و نادی فِرْعَوْنُ فِی قَوْمِهِ قالَ یا قَوْم أَ لَیْسَ لِی

ولى موسى چه دارد؟ هيچ، يك عصا و يك لباس پشمينه!

مُلْكُ مِصْرَ وَ هٰذِهِ الْأُنْهَارُ تَجْرى مِنْ تَحْتِي أَ فَلا تُبْصِرُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٢ ص: ٣٧٤

(آیه ۵۲)- سپس می افزاید: «بدون شک من از این فرد که مقام و نژادی پست دارد، و هرگز نمی تواند فصیح سخن بگوید بر ترم» (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِی هُوَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۷۵

مَهِينٌ وَ لا يَكادُ يُبِينُ)

.و به این ترتیب دو افتخار بزرگ برای خود (حکومت مصر، و مالکیت نیل) و دو نقطه ضعف برای موسی (فقر، و لکنت زبان) بیان کرد.

در حالی که موسی هرگز در آن زمان لکنت زبان نـداشت، چرا که به هنگام بعثت عرضه داشت: «وَ احْلُلْ عُقْـدَهُ مِنْ لِسانِی» خداوندا! گره را از زبان من بگشا» (طه/ ۲۷) و مسلما دعایش مستجاب شد و قرآن نیز گواه بر آن است.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٣ ص: ٣٧٥

(آیه ۵۳)– سپس فرعون به دو بهانه دیگر متشبث شده گفت: «پس چرا دستبندهائی از طلاـ به او داده نشـده؟ یا این که چرا فرشتگان همراه او نیامدهاند» تا گفتار او را تصدیق کنند؟! (فَلَوْ لا أُلْقِیَ عَلَیْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِکَةُ مُقْتَرِنِینَ). می گویند فرعونیان عقیده داشتند که رؤسا باید با دستبند و گردن بند طلا خود را زینت کنند.

اما پیامبران الهی با کناره گیری از این مسائل مخصوصا میخواستند این ارزشهای کاذب و دروغین را ابطال کنند، و ارزشهای اصیل انسانی یعنی علم و تقوا و پاکی را جانشین آن سازند.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٤ ص: ٣٧٥

(آیه ۵۴) - در این آیه قرآن به نکته لطیفی اشاره می کند، و آن این که: فرعون از واقعیت امر چندان غافل نبود، و به بی اعتباری این ارزشها کم و بیش توجه داشت، ولی «او قوم خود را (تحمیق کرد، و عقول آنها را) سبک شمرد در نتیجه از وی اطاعت

كردند»! (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ).

اصولاً راه و رسم همه حکومتهای جبار و فاسد این است که برای ادامه خود کامگی باید مردم را در سطح پائینی از فکر و اندیشه نگهدارند، و با انواع وسائل آنها را تحمیق کنند.

چرا که بیدار شدن ملتها و آگاهی و رشد فکری ملتها بزرگترین دشمن حکومتهای خودکامه و شیطانی است که با تمام قوا با آن مبارزه می کننـد! جالب این که آیه فوق را با این جمله تکمیل و پایان می دهد «آنها قومی فاسق برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۷۶

بودند» (إنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ).

اشاره به این که این قوم گمراه اگر فاسق و خارج از اطاعت فرمان خدا و حکم عقل نبودند تسلیم چنین تبلیغات و ترهاتی نمی شدند.

آرى! آنها فاسقاني بودند كه از فاسقى تبعيت مي كردند.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٥ ص: ٣٧٦

(آیه ۵۵)- این بود جنایات فرعون و فرعونیان و مغلطه کاریهایشان در مقابل فرستاده الهی موسی اما اکنون ببینیم بعد از آن همه وعظ و ارشاد و اتمام حجتها از طرق گوناگون، و عدم تسلیم آنها در مقابل حق، سر انجام کار آنها به کجا رسید؟! می فرماید: «اما هنگامی که ما را (با اعمالشان) به خشم آوردند از آنها انتقام گرفتیم، و همه را غرق کردیم»! (فَلَمَّا آسَ فُونا انتقام منه مُ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِینَ).

خداوند مخصوصا از میان تمام مجازاتها مجازات غرق را برای آنها انتخاب نمود، چرا که تمام عزت و شوکت افتخار و قدرتشان با همان رود عظیم نیل و شاخههای بزرگ و فراوانش بود که فرعون از میان تمام منابع قدرتش روی آن تکیه می کرد.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٥ ص: ٣٧٦

(آیه ۵۶) - در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری از مجموع این سخن میفرماید: «ما آنها را پیشگامان (در عـذاب) و عبرتی برای آیندگان قرار دادیم» (فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَ مَثْلًا لِلْآخِرِینَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٧ ص: ٣٧٤

اشاره

(آیه ۵۷)

شأن نزول: ص: ۳۷۶

رسول خدا روزی برای گروهی از سران قریش سخن گفت، «نضر بن حارث» به مقابله برخاست، پیامبر صلّی اللّه علیه و اله با دلائل منطقی (پیرامون بطلان بت پرستی) او را محکوم ساخت، سپس این آیه را بر آنها خواند «شما و آنچه غیر از خدا می پرستید هیزم جهنم خواهید بود و همگی در آن وارد می شوید».

بعد از این ماجرا «عبد الله بن زبعری» آمد و به آن جمع پیوست، «ولید بن مغیره» به «عبد الله» گفت: «نضر بن حارث» در مقابل محمّد درمانده شد.

«عبد اللّه» گفت: به خدا سوگند اگر من او را می دیدم پاسخش را می دادم، از او (محمد صلّی اللّه علیه و اله) بپرسید آیا درست است که همه معبودان با عابدانشان در دوزخند؟

اگر چنین است ما فرشتگان را می پرستیم، و یهود «عزیز» را و نصاری «عیسی بن برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۷۷ مریم» را (چه عیبی دارد که ما با فرشتگان و پیامبرانی چون عزیز و مسیح باشیم!) این سخن را خدمت پیامبر صلّی الله علیه و اله گفتند، رسول اللّه فرمود: «آری! هر کس دوست داشته باشد که معبود واقع شود او هم با عابدانش در دوزخ خواهد بود، این بت پرستان در حقیقت شیاطین را می پرستیدند، و هر چیز را که شیطان به آنها دستور میداد».

اینجا بود که آیه ۱۰۱ سوره انبیا نازل شد و نیز آیه مورد بحث (وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْیَمَ مَثلًا ...) نازل گردید.

تفسير: ص: ٣٧٧

کدام معبودان در دوزخند؟ قرآن در اینجا پیرامون مقام عبودیت حضرت مسیح و نفی گفتار مشرکان در باره الوهیت او و بتها سخن می گوید که تکمیلی است برای بحثهایی که در آیات گذشته پیرامون دعوت موسمی و مبارزه او با بت پرستان فرعونی آمد.

نخست می فرماید: «هنگامی که در باره فرزند مریم مثلی زده شد قوم تو از آن می خندیدند» و روی گردان می شدند (وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْیَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُکَ مِنْهُ یَصِدُّونَ).

منظُور از مثال همان است که مشرکان به عنوان استهزاء به هنگام شنیدن آیه شریفه «إِنَّکُمْ وَ ما تَعْبُرُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَمَدِبُ عَظِيرًم» شما و آنچه را غیر از خدا می پرستید هیزم دوزخید» (انبیا/ ۹۸) گفتند و آن این بود که عیسی بن مریم نیز معبود واقع شده و به حکم این آیه باید در دوزخ باشد چه بهتر که ما و بتهایمان نیز همسایه عیسی باشیم! گفتند و خندیدند و مسخره کردند!

سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٨ ص: ٣٧٧

(آیه ۵۸) – سپس «گفتند: آیا خدایان ما بهتر است یا او [مسیح]»؟ (وَ قالُوا أَ آلِهَتُنا خَیْرٌ أَمْ هُوَ). ولی بدان آنها حقیقت را میدانند «و این مثل را جز از روی جدال برای تو نزدهاند» (ما ضَرَبُوهُ لَکَ إِلَّا جَدَلًا). «بلکه آنها گروهی کینه توز و پرخاشگرند»، و برای جلوگیری از حق به باطل متوسل میشوند (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۷۸

سورة الزخرف(٤٣): آية ٥٩ ص: ٣٧٨

(آیه ۵۹)– بلکه «او [مسیح] فقط بندهای بود که ما نعمت به او بخشیدیم» و او را به نبوّت و رهبری خلق مبعوث کردیم (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ).

«و او را نمونه و الگوئی برای بنی اسرائیل قرار دادیم» (وَ جَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِی إِسْرائِيلَ).

او در تمام عمرش به مقام عبودیت پروردگار اعتراف داشت، و همه را به عبودیت او دعوت کرد، و همان گونه که خودش می گوید: «مادام که در میان امّت بود اجازه انحراف از مسیر توحید به کسی نداد»، بلکه خرافه الوهیت مسیح یا تثلیث را بعد از او به وجود آوردند.

سورة الزخرف(٤٣): آية 6٠ ص: ٣٧٨

(آیه ۶۰) - در این آیه برای این که توهم نکنند خدا نیازی به عبودیت و بندگی آنها دارد که اصرار بر ایمانشان میکند می فرماید: «اگر ما بخواهیم به جای شما فرشتگانی در زمین قرار میدهیم که جانشین شما باشند» (وَ لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْکُمْ مَلائِکَةً فِی الْأَرْض یَخْلُفُونَ).

فرشتگانی که سر بر فرمان حق دارند، و جز اطاعت و بندگی او کاری را نمیشناسند.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٦١ ص: ٣٧٨

(آیه ۶۱)- این آیه اشاره به یکی از ویژگیهای حضرت مسیح است میفرماید: «او (عیسی) سبب آگاهی بر روز قیامت است» (وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ).

یا از این جهت که تولد او بدون پدر دلیلی است بر قدرت بی پایان خداوند که مسأله زندگی بعد از مرگ در پرتو آن حل می شود.

و یا از این نظر که نزول حضرت مسیح از آسمان طبق روایات متعدد اسلامی در آخر زمان صورت می گیرد و دلیل بر نزدیک شدن قیام قیامت است.

به هر حال به دنبال آن می فرماید: قیام قیامت قطعی و وقوع آن نزدیک است «و هرگز شک و تردید از ناحیه آن به خود راه ندهید» (فَلا تَمْتَرُنَّ بها).

نه از نظر عقیده، و نه از نظر عمل همچون غافلان از قیامت رفتار نکنید.

«و از من پیروی کنید که این راه مستقیم است» (وَ اتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِیمٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۷۹

سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٧ ص: ٣٧٩

(آیه ۶۲) – ولی شیطان میخواهد پیوسته شما را در غفلت و بیخبری نگهدارد، به هوش باشید «شیطان شما را (از راه خدا و از توجه به سرنوشتتان در رستاخیز) باز نـدارد، چرا که او دشـمن آشـکاری برای شـماست» (وَ لا یَصُدَّنَکُمُ الشَّیْطانُ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوُّ مُبینً).

او عـداوت و دشـمنی خود را از روز نخست یـک بار به هنگام وسوسه پـدر و مادرتان آدم و حوا و اخراج آنها از بهشت نشان

داد، و بار دیگر به هنگامی که سوگند یاد نمود که همه فرزندان آدم جز «مخلصین» را گمراه خواهد ساخت.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٣ ص: ٣٧٩

(آیه ۶۳) در آیات گذشته به گوشهای از ویژگیهای زندگی حضرت مسیح اشاره شد در اینجا می فرماید: «هنگامی که عیسی با در دست داشتن بینات (معجزات و آیات الهی) آمد، گفت: من برای شما حکمت آوردهام و (آمدهام) تا بعض اموری را که در آن پیوسته اختلاف دارید برای شما تبیین کنم» (وَ لَمَّا جاءَ عِیسی بِالْبَیِّناتِ قالَ قَدْ جِئْتُکُمْ بِالْجِکْمَةِ وَ لِأُبَیِّنَ لَکُمْ بَعْضَ الَّذِی تَخْتَلِفُونَ فِیهِ).

«حکمت» به تمام عقائد حق، و برنامههای صحیح زندگی- که انسان را از هر گونه انحراف در ایمان و عمل باز می دارد، و به تهذیب نفس و اخلاق او می پردازد- اطلاق شده است.

این حکمت علاوه بر اینها هدف دیگری نیز به دنبال دارد و آن برطرف ساختن اختلافاتی است که وجود آنها نظام جامعه را به هم میریزد، و مردم را سرگردان و بیچاره می کند، و لذا حضرت مسیح در متن سخنانش روی این مسأله تکیه می نماید. و در پایان آیه می افزاید: «اکنون (که چنین است و محتوای دعوت من این است) تقوای الهی پیشه کنید و مرا اطاعت نمائید» (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُونِ).

سورة الزخرف(٤٣): آية 64 ص: ٣٧٩

(آیه ۶۴)– سپس برای این که هرگونه ابهامی را در زمینه عبودیت خود بر طرف سازد می گوید: «بطور قطع خداوند پروردگار من و پروردگار شماست» (إنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ).

> من نیز در تمام وجود و هستیم همانند شما نیازمند به خالق و مدبری هستم، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۸۰ او مالک من و راهنمای من است.

و برای تأکید بیشتر اضافه می کند: «اکنون (که چنین است) او را پرستش کنید» (فَاعْبُدُوهُ). چرا که غیر او لایق پرستش نیست، همه مربوبند و او ربّ است.

باز هم سخن خود را با جمله دیگری تأکید میکند تا جای هیچ بهانهای باقی نماند می گوید: «این است صراط مستقیم» (هذا صِراطً مُسْتَقِیمٌ).

آری! راه راست همان راه عبودیت و بندگی پروردگار است، راهی است که انحراف و اعوجاج در آن نیست.

سورة الزخرف(٤٣): آية 60 ص: 380

(آیه ۶۵)- اما عجب این که با این همه تأکیدات باز هم «گروههایی از میان آنها (در باره مسیح) اختلاف کردند» (فَاخْتَلُفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَیْنِهِمْ).

بعضی او را خدا می پنداشتند که به زمین نازل شده! بعضی دیگر فرزند خدایش میخواندند.

بعضی او را یکی از اقنومهای سه گانه (سه ذات مقدس اب و ابن و روح القدس) میدانستند.

تنها گروهی که در اقلیت بودند او را بنده خدا و فرستاده او میشمردند، ولی سر انجام عقیده اکثریت غالب شد مسأله تثلیث و

خدایان سه گانه، جهان مسیحیت را فرا گرفت.

در پایان آیه آنها را به عذاب دردناک روز قیامت تهدید کرده، میفرماید: «وای بر کسانی که ستم کردند (و از صراط مستقیم منحرف شدند، وای بر آنها) از عذاب روز دردناک» (فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْ عَذابِ یَوْم أَلِیم).

آری! روز قیامت روز دردناکی است، طول حسابش دردناک، عذاب و مجازاتش دردناک، حسرت و اندوهش دردناک، رسوائی و فضیحتش نیز دردناک است.

سورة الزخرف(٤٣): آية 66 ص: 380

(آیه ۶۶) - در انتظار چه هستید جز عذاب آخرت؟ در آیات پیشین سخن از بت پرستان لجوج، و همچنین منحرفان و مشرکان امّت عیسی بود، و در اینجا پایان کار آنها را مجسم کرده، میفرماید: «اینها چه چیزی را انتظار میکشند، جز برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۸۱

این که ناگهان قیامت به سراغ آنها آید در حالی که متوجه نیستند»؟! (هَلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةُ أَنْ تَأْتِیَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ). این سؤال در حقیقت بیان حال واقعی این گونه افراد است، مثل این که در مقام مذمت فردی که گوش به نصیحت هیچ ناصح مشفقی فرا نمی دهد و عوامل نابودی خود را به دست خویش فراهم میسازد می گوییم: او تنها در انتظار مرگ خویش است!

سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٧ ص: ٣٨١

(آیه ۶۷) – سپس از حالت دوستانی که در مسیر گناه و فساد، و یا زرق و برق دنیا، دست مودت به هم می دهند پرده برداشته، می گوید: «دوستان در آن روز دشمن یکدیگرند مگر پرهیز کاران»! (الْأَخِلَاءُ یَوْمَئِذِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِینَ). تبدیل شدن این گونه دوستیها به عداوت در آن روز طبیعی است، چرا که هر کدام از آنها دیگری را عامل بدبختی و بیچار گی خود می شمرد، تنها پرهیز کارانند که پیوند دوستی آنها جاودانی است، چرا که بر محور ارزشهای جاودانی دور می زند، و نتایج پر بارش در قیامت آشکار تر می شود.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٨ ص: ٣٨١

(آیه ۶۸)– این آیه در حقیقت تفسیری است برای اوصاف و حالات «متقین» و بیانی است از سرنوشت پرافتخار آنها. در آن روز خداونـد به آنها می گوید: «ای بندگان من! امروز نه ترسـی بر شـماست، و نه اندوهگین میشوید» (یا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَیْکُمُ الْیَوْمَ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ).

چه پیام جالبی! پیامی بدون واسطه از سوی خداوند، پیامی که با بهترین توصیفها آغاز می شود، ای بندگان خدا! پیامی که مهمترین نگرانی انسان را در آن روز پرنگرانی زائل می کند، پیامی که هرگونه غم و اندوه از گذشته را از دل می زداید، آری این پیام دارای چهار مزیت بالاست.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٦٩ ص: ٣٨١

(آیه ۶۹) – در این آیه این پرهیزکاران و بنـدگان گرامی را با دو جمله دیگر مشخصتر ساخته، میفرمایـد: «همان کسانی که به آیات ما ایمان آوردند و (در برابر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۸۲ فرمان و دستور ما) تسلیم بودند» (الَّذِینَ آمَنُوا بِآیاتِنا وَ کانُوا مُشلِمِینَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٠ ص: ٣٨٢

(آیه ۷۰)- آنچه دل بخواهمه و چشم از دیمه نش لمذت برد ...! در اینجا پاداش بنمه گان خالص خدا و مؤمنان صالحی را که در آیات قبل توصیف آنها به میان آمده بود بیان می کند، و بهشت جاویدان را با هفت نعمت ارزنده به آنها نوید می دهد. نخست می فرماید: از سوی خداوند بزرگ و منان به آنها خطاب می شود «وارد بهشت شوید» (ادْخُلُوا الْجَنَّةُ).

به این ترتیب پذیرایی کننده واقعی از آنها خداست.

سپس به نخستین نعمت اشاره کرده، میافزاید: «شما و همسرانتان» (أَنْتُمْ وَ أَزْواجُكُمْ).

روشن است بودن در کنار همسران با ایمان و مهربان هم برای مردان لذت بخش است و هم برای زنانشان که اگر در اندوه دنیا شریک بودند در شادی آخرت نیز شریک باشند.

سپس اضافه می کند: «همگی غرق سرور و شادی باشید و «در نهایت شادمانی وارد بهشت شوید»! (تُحْبَرُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٧١ ص: ٣٨٢

(آیه ۷۱)- و در بیان سومین نعمت می فرماید: «ظرفها (ی غذا) و جامهای طلائی (شراب طهور) را گرداگرد آنها می گردانند» (یُطافُ عَلَیْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبِ وَ أَکْوابِ).

آنها در بهترین ظروف، و از بهترین غذا، در نهایت آرامش و آسایش و صفا، و بدون هیچ دردسر پذیرایی میشوند.

در مرحله چهارم و پنجم به دو نعمت دیگر اشاره می کنـد که تمام نعمتهای مادی و معنوی جهان در آن جمع است میفرمایـد: «و در بهشت آنچه دلها میخواهند و چشمها از آن لذت میبرد موجود است» (وَ فِیها ما تَشْتَهِیهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْیُنُ).

«و در بهست ، و در بهست ، و در بهست هنگامی است که جاودانی باشد، در ششمین توصیف، بهشتیان را از این نظر آسوده خاطر به هر حال از آنجا که ارزش نعمت هنگامی است که جاودانی باشد، در ششمین توصیف، بهشتیان را از این نظر آسوده خاطر ساخته، می فرماید: «شما برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۸۳

جاودانه در آن خواهید ماند» (وَ أَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٢ ص: ٣٨٣

(آیه ۷۲) - در اینجا برای این که روشن شود این همه نعمتهای بهشتی را به «بها» می دهند و به «بهانه» نمی دهند می افزاید: «این بهشتی است که شما وارث آن می شوید به خاطر اعمالی که انجام می دادید» (وَ تِلْکَ الْجَنَّهُ الَّتِی أُورِ ثُتُمُوها بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). اشاره به این که اعمال شما پایه اصلی نجات شماست، ولی آنچه دریافت می دارید در مقایسه با اعمالتان آنقدر برتری دارد که گویی همه را رایگان از فضل الهی به دست آورده اید!

سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٣ ص: ٣٨٣

(آیه ۷۳) - در آخرین و هفتمین نعمت سخن از میوه های بهشتی است که از بهترین نعمتهای الهی میباشد، میفرماید: «برای شما در بهشت میوه های فراوانی است که از آنها تناول می کنید» (لَکُمْ فِیها فاکِهَةٌ کَثِیرَةٌ مِنْها تَأْکُلُونَ).

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ٧٤ ص: ٣٨٣

(آیه ۷۴)– آرزو داریم بمیریم و از عـذاب راحت شویم! در اینجـا سـرنوشت مجرمـان و کـافران در قیـامت تشـریح شـده تا در مقایسه با سرنوشت شوق انگیزی که مؤمنان فرمانبردار پروردگار داشتند هر دو بعد مطلب روشنتر گردد. نخست میفرماید: «مجرمان در عذاب دوزخ جاودانه خواهند ماند» (إِنَّ الْمُجْرِمِینَ فِی عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٥ ص: ٣٨٣

(آیه ۷۵) - ولی از آنجا که ممکن است «عذاب دائم» با گذشت زمان تخفیف یابد، و تدریجا از شدت آن کاسته گردد آیه شریفه میافزاید: «هر گز عذاب آنها تخفیف نمی یابد (و هیچ گونه راه نجاتی برای آنان نیست) و در آنجا از همه چیز مأیوسند» (لا یُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِیهِ مُنْلِسُونَ).

و به این ترتیب عذاب آنها هم از نظر زمان دائمی است، و هم از نظر شدت.

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ٧٤ ص: ٣٨٣

(آیه ۷۶)- در این آیه این نکته را خاطر نشان میسازد که این عذاب دردناک الهی چیزی است که آنها خود برای خویش فراهم ساختهاند، میفرماید:

«ما به آنها ستمى نكردهايم ولى آنها خود ستمكار بودهانـد» (وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ). برگزيـده تفسير نمونه، ج۴، ص: ۳۸۴

آری! قرآن سر چشمه اصلی همه سعادتها و شقاوتها را خود انسان و اعمال او می شمرد نه مسائل پنداری که گروهی برای خود درست کردهاند.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٧ ص: ٣٨٤

(آیه ۷۷)– سپس به بیان گوشه دیگری از بیچارگی آنها پرداخته، می گوید:

«آنها فریاد می کشند: ای مالک دوزخ (ای کاش) پروردگارت ما را بمیراند» تا از این عذاب دردناک آسوده شویم! (وَ نادَوْا یا مالِکُ لِیَقْض عَلَیْنا رَبُّکَ).

با این که هر کس از مرگ می گریزد و خواهان ادامه حیات است، اما گاهی چنان مصائب بر انسان فشار می آورد که از خدا تمنای مرگ می کند، و این چیزی است که اگر در دنیا برای بعضی واقع شود در آنجا برای مجرمان جنبه عمومی دارد و همگی تمنای مرگ می کنند.

اما چه سود که مالک دوزخ به آنها پاسخ «می گوید: شما در اینجا ماندنی هستید» و نجاتی حتی از طریق مرگ وجود ندارد

(قالَ إِنَّكَمْ مَاكِثُونَ).

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ٧٨ ص : ٣٨٤

(آیه ۷۸)– در این آیه که در حقیقت علتی است برای خلود آنها در آتش دوزخ می گویـد: «ما حق را برای شـما آوردیـم، ولی اکثر شما از حق کراهت دارید» و در برابر آن تسلیم نیستید (لَقَدْ جِئْناکُمْ بِالْحَقِّ وَ لَکِنَّ أَکْثَرَکُمْ لِلْحَقِّ کارِهُونَ).

تعبیر به «حق» معنی گستردهای دارد که همه حقایق سرنوشت ساز را شامل می شود هر چند در درجه اول مسأله توحید و معاد و قرآن قرار دارد.

این تعبیر در حقیقت اشاره به این است که شما تنها با پیامبران الهی مخالف نبودید اصلا شما مخالف حق بودید، و این مخالفت، عذاب جاویدان را برای شما به ارمغان آورد.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٧٩ ص: ٣٨٤

(آیه ۷۹) - در این آیه گوشهای از کراهت و بیزاری آنها را از حق و طرفداری آنها را از باطل منعکس ساخته، میفرماید: «بلکه آنها تصمیم محکمی (بر توطئه) گرفتند ما نیز اراده محکم و تغییر ناپذیری (در باره آنها) داریم» (أُمْ أَبْرُمُوا أَمْراً فَاإِنَّا مُبْرِمُونَ). آنها توطئه ها چیدند تا نور اسلام را خاموش کنند، و پیامبر صلّی الله علیه و اله را به قتل رسانند، و از هر طریقی بتوانند ضربه بر مسلمین وارد کنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۸۵

ما نیز اراده کردهایم آنها را در این جهان و جهان دیگر سخت کیفر دهیم.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٠ ص: ٣٨٥

(آیه ۸۰)- این آیه در حقیقت بیان یکی از علل توطئه گریهای آنهاست، میفرماید: «آیا آنها میپندارند که ما اسرار پنهانی و سخنان در گوشی آنها را نمی شنویم»؟ (أَمْ یَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ).

ولی چنین نیست، هم ما میشنویم، و هم «رسولان و (فرشتگان) ما نزد آنان حاضرند و (نجوای آنها را) مینویسند» (بَلی وَ رُسُلُنا لَدَیْهِمْ یَکْتُبُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٨١ ص: ٣٨٥

(آیه ۸۱) – از آنجا که در آیات گذشته، مخصوصا در آغاز سوره گفتگو از مشرکان عرب و اعتقادشان به وجود فرزند برای خدا در میان بود. در اینجا از طریق دیگری برای نفی این عقاید باطل وارد شده می فرماید: به آنها که دم از وجود فرزندی برای خدا در میان بود، در اینجا از طریق دیگری برای خداوند رحمن فرزندی باشد من نخستین کسی بودم که به او احترام می گذاردم و از وی اطاعت می کردم» (قُلْ إِنْ کَانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أُوَّلُ الْعابِدِینَ).

زیرا از همه شما ایمان و اعتقادم به خدا بیشتر و معرفت و آگاهیم فزونتر است، و من قبل از شما به فرزند او احترام میگذاردم از وی اطاعت می کردم.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٢ ص: ٣٨٥

(آیه ۸۲)– بعد از این سخن به دلیل روشنی بر نفی این ادعاهای واهی پرداخته، میفرماید: «منزه است پروردگار آسمانها و زمین، پروردگار عرش از توصیفی که آنها میکنند» (سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَوْشِ عَمَّا یَصِفُونَ). کسی که مالک و مدبر آسمانها و زمین است و پروردگار عرش عظیم میباشد، چه نیازی به فرزند دارد؟

سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٣ ص: ٣٨٥

(آیه ۸۳) - سپس به عنوان بیاعتنائی و تهدید این لجوجان که خود نوعی دیگر از روش بحث با این قماش افراد است میافزاید: «اکنون (که چنین است) آنها را به حال خود واگذار تا در باطل غوطهور باشند، و سرگرم بازی! تا روزی را که به آنها و عده داده شده است ملاقات کنند» و میوه های تلخ اعمال و افکار زشت و ننگین خود را بچینند (فَذَرْهُمْ یَخُوضُوا وَ یَلْعَبُوا حَتَّی یُلاقُوا یَوْمَهُمُ الَّذِی یُوعَدُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۸۶

این همان یـوم موعودی است که در سوره بروج آیه ۲ به آن سوگنـد یاد شـده است: «وَ الْیَوْمِ الْمَوْعُودِ» سوگند به روز موعود [روز رستاخیز]»

سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٤ ص: ٣٨۶

(آیه ۸۴) – این آیه و آیه بعد ادامه سخن پیرامون مسأله توحید است که از یک نظر نتیجهای است برای آیات قبل و از یک نظر دلیلی برای تحکیم و تکمیل آن و در آن هفت توصیف برای خداوند آمده است که همه در تحکیم مبانی توحید مؤثر است. نخست در مقابل مشرکان که برای آسمان و زمین اله و معبود جداگانه قائل بودند و حتی خدای دریا، خدای صحرا، خدای جنگ و خدای صلح، و خدایان مختلفی مطابق انواع موجودات در پندار خود ساخته بودند، میفرماید: «او کسی است که در آسمان معبود» (وَ هُوَ الَّذِی فِی السَّماءِ إِلهٌ وَ فِی الْأَرْضِ إِلهٌ).

سپس در توصيف دوم و سوم مي افزايد: «او حكيم و عليم است» (وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ).

تمام کارهایش روی حساب و حکمت است، و از همه چیز آگاه و با خبر، و به این ترتیب اعمال بندگان را به خوبی میداند و بر طبق حکمتش آنها را پاداش و کیفر میدهد.

سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٥ ص: ٣٨۶

(آیه ۸۵)- در چهارمین و پنجمین توصیف، از برکات فراوان و دائم وجود او و مالکیتش نسبت به آسمانها و زمین سخن می گوید، می فرماید: «پر برکت و زوال ناپذیر است کسی که مالک آسمانها و زمین و آنچه میان آن دو است می باشد» (وَ تَبارَکَ اللَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما).

و بالاخره در ششمین و هفتمین توصیف میافزاید: «آگاهی از قیام قیامت مخصوص ذات اوست، و همگی به سوی او باز گردانده میشوید» (وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

بنابر این اگر خیر و برکتی میخواهید از او بخواهید نه از بتها چرا که سرنوشت شما در قیامت به دست اوست، و مرجع شما در

آن روز تنها خداست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۸۷

سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٤ ص: ٣٨٧

(آیه ۸۶) - چه کسی قادر بر شفاعت است؟ در اینجا همچنان سخن در باره ابطال عقیده شرک و سر انجام تلخ مشرکان است، و با دلائل دیگری بطلان اعتقاد آنها را آشکار میسازد، نخست میفرماید: اگر آنها به گمان شفاعت به سراغ این معبودان میروند باید بدانند که «معبودانی که آنها غیر از خدا میخوانند مالک و قادر بر هیچ گونه شفاعتی نیستند» (وَ لا یَمْلِکُ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةُ).

ولی از آنجا که در میان معبودان آنها فرشتگان و ماننـد آنان وجود داشـتند در ذیل آیه آنها را اسـتثنا کرده، میفرمایـد: «مگر کسانی که شهادت به حق دادهاند» (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ).

ولی چنان نیست که آنها برای هرکس، هر چند بت پرست و مشرک و منحرف از آیین توحید باشد شفاعت کنند، بلکه «آنها به خوبی میدانند» برای چه کسی اجازه شفاعت دارند (وَ هُمْ یَعْلَمُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٧ ص: ٣٨٧

(آیه ۸۷)- سپس از معتقدات خود مشرکان گرفته، به آنها پاسخ دندان شکن داده، می گوید: «و اگر از آنها سؤال کنی چه کسی آنها را آفریده است؟ بطور مسلم می گویند: الله»! (وَ لَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَیَقُولُنَّ اللَّهُ).

لذا در پایان آیه به عنوان ملامت و سرزنش می گوید: «اکنون (که چنین است) چگونه از عبادت خدا به سوی غیر او باز گردانده و منحرف می شوند»؟! (فَأَنَّي يُؤْفَكُونَ).

سورة الزخرف(٤٣): آية ٨٨ ص: ٣٨٧

(آیه ۸۸)- این آیه از شکایت پیامبر در پیشگاه خدا از این قوم لجوج و بی منطق سخن گفته، می فرماید: «آنها چگونه از شکایت پیامبر (در پیشگاه خداوند) که می گوید: پروردگارا! اینها قومی هستند که ایمان نمی آورند» غافل می شوند؟ (وَ قِیلِهِ یا رَبِّ إِنَّ هُوُلاءِ قَوْمٌ لا یُؤْمِنُونَ).

او می گوید: من شب و روز با آنها سخن گفتم، از طریق بشارت و انذار وارد شدم، سرگذشت دردناک اقوام پیشین را برای آنها بر شمردم، و آنچه گفتنی بود، گفتم اما با این همه سخنان گرم من در قلب سرد آنها اثر نگذاشت و ایمان نیاوردند، تو میدانی و آنها.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۸۸

سورهٔ الزخرف(٤٣): آيهٔ ٨٩ ص: ٣٨٨

(آیه ۸۹)– و در آخرین آیه به او دستور میدهد: «اکنون (که چنین است) از آنها روی برگردان» (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ).

در عین حال روی گردانی تو به معنی قهر و جدائی توأم با خشونت و پرخاشگری نباشد بلکه «به آنها بگو: سلام بر شما» (وَ قُلْ سَلامٌ).

نه سلامي به عنوان دوستي و تحيت، بلكه به عنوان جدائي و بيگانگي.

این سلام در حقیقت شبیه سلامی است که در آیه ۶۳ سوره فرقان آمده است: «وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً» هنگامی که جاهلان آنها را (با سخنان زشت خود) مورد خطاب قرار دهند در پاسخ آنها می گویند: سلام» سلامی که نشانه بی اعتنایی تو أم با بزرگواری است.

با این حال آنها را با جملهای پرمعنی تهدید می کند، تا گمان نکنند این جدائی و وداع دلیل بر آن است که خدا کاری با آنها ندارد، میفرماید: «اما به زودی خواهند دانست» (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

آری! خواهند دانست چه آتش سوزان و عذاب دردناکی با لجاجتهای خود برای خویشتن فراهم ساختهاند؟! «پایان سوره زخرف»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۸۹

سوره دخان [44] ص: 389

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده، و ۵۹ آیه است

محتوای سوره: ص: 389

بخشهای این سوره را می توان در هفت بخش خلاصه کرد:

۱- آغاز سوره از حروف مقطعه و سپس بیان عظمت قرآن مجید است، با این اضافه که نزول آن را در شب قدر برای اولین بار بیان می کند.

۲- در بخش دیگر از توحید و یگانگی خدا و بیان بعضی از نشانههای عظمت او در جهان هستی سخن می گوید.

۳- بخش مهمی از این سوره سرنوشت کفار، و انواع کیفرهای دردناک آنهاست.

۴- در بخش دیگری برای بیدار ساختن این غافلان قسمتی از سر گذشت موسی و بنی اسرائیل در مقابل فرعونیان و شکست سخت آنها، و نابودی و هلاکتشان، گفتگو می کند.

۵- مسأله قیامت و عذابهای دردناک دوزخیان و پاداشهای جالب و روحپرور پرهیزکاران قسمت دیگری از آیات این سوره را تشکیل میدهد.

۶- همچنین هدف از آفرینش و خلقت آسمان و زمین موضوع دیگری است که در این سوره مطرح شده است.

۷- سر انجام، سوره را با بیان عظمت قرآن همان گونه که آغاز شده بود پایان می دهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۹۰ و از آنجا که در آیه دهم این سوره سخن از «دخان مبین» به میان آمده این سوره به عنوان سوره «دخان» نام گرفته است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 390

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و اله آمده است:

«کسی که سوره دخان را شب و روز جمعه بخواند خداوند خانهای در بهشت برای او بنا می کند».

در حدیث دیگری از امام باقر علیه السّ لام چنین نقل شده: «کسی که سوره دخان را در نمازهای فریضه و نافله بخواند خداوند او را در زمره کسانی که روز قیامت در امنیت به سر میبرند مبعوث می کند و او را در سایه عرشش قرار میدهد، و حساب را بر او آسان می گیرد و نامه اعمالش را به دست راستش میدهد».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الدخان(44): آية 1 ص: 390

(آیه ۱)- نزول قرآن در شبی پربرکت: در ابتدای این سوره نیز همانند چهار سوره گذشته و دو سوره آینده که مجموعا هفت سوره را تشکیل میدهد با حروف مقطعه «حا- میم» (حم). رو به رو میشویم.

سورة الدخان(44): آية 7 ص: 390

(آیه ۲) - در دومین آیه به قرآن مجید سوگند یاد کرده، می فرماید: «قسم به این کتاب آشکار» (وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ). کتابی که محتوایش روشن، معارفش آشکار، تعلیماتش زنده، احکامش سازنده، و برنامه هایش حساب شده است.

سورة الدخان(44): آية ٣ ص: 390

(آیه ۳)- اما ببینیم این سوگند برای چه منظوری ذکر شده است؟ آیه شریفه این حقیقت را روشن ساخته، می گوید: «بطور مسلم ما قرآن را (که سند حقانیت پیامبر اسلام است) در شبی پر برکت نازل کردیم» (إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ).

شب پر برکتی که مقدرات جهان بشریت با نزول قرآن رنگ تازهای به خود رفت، شبی که سرنوشت خلایق و مقدرات یکسان در آن رقم زده میشود، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۹۱

آری! قرآن در شبی سرنوشت ساز، در شب قدر بر قلب پاک پیامبر نازل شد.

اما هـدف اصلى از نزول آن چه بود؟ همان است كه در ذيل آيه به آن اشاره شـده، مىفرمايـد: «ما همواره انذار كننده بوديم» (إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ).

این یک سنت همیشگی ماست که فرستادگان خود را برای بیم دادن ظالمان و مشرکان مأموریت میدهیم، و فرستادن پیامبر اسلام با این کتاب مبین نیز آخرین حلقه از این سلسله است.

سورة الدخان(44): آية 4 ص: 391

(آیه ۴)- این آیه توصیف و توضیحی است برای شب قدر، می گوید: شب قدر شبی است که «در آن هر امری از امور بر طبق حکمت الهیه تفصیل و تبیین می شود» (فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیم). این بیان هماهنگ با روایات بسیاری است که می گوید: در شب قدر مقدرات یک سال همه انسانها تعیین می گردد، و ارزاق، و سر آمد عمرها، و امور دیگر، در آن شب تفریق و تبیین

سورة الدخان(44): آية ۵ ص: 391

(آیه ۵)– در این آیه برای تأکید بر این معنی که قرآن از ناحیه خداست میفرماید: آری نزول قرآن در شب قدر «فرمانی بود از سوی ما ما (محمد را) فرستادیم» (أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِینَ).

سورة الدخان(44): آية 6 ص: 391

(آیه ۶)– سپس برای بیـان علت اصـلی نزول قرآن و ارسـال پیامبر و مقـدرات شب قـدر میافزایـد: همه اینها «به خاطر رحمتی است از سوی پروردگارت» (رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ).

آرى! رحمت بي كران او ايجاب مي كند كه بندگان را به حال خود رها نكند، و برنامه و راهنما براي آنها بفرستد.

و در ذیل همین آیه و آیات بعد اوصاف هفتگانهای برای خداوند می شمرد که همگی بیانگر مقام توحید اوست می فرماید: «او سمیع و علیم است» (إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ).

تقاضای بندگان را می شنود و به اسرار درون دلهای آنها آگاه است.

سورة الدخان(44): آية ٧ ص: 391

(آیه ۷)– سپس در بیان سومین توصیف میفرماید: «خداوندی که پروردگار آسمانها و زمین و آنچه در میان آن دو قرار گرفته است میباشد، اگر شما برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۹۲

يقين داريد» (رَبِّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ).

از آنجا که بسیاری از مشرکان به خدایان و ارباب متعددی قائل بودند، و برای هر نوع از انواع موجودات ربی می پنداشتند. در این آیه با جمله «رَبِّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما» خط بطلان بر همه می کشد و اثبات می کند که پروردگار همه موجودات عالم یکی است.

سورة الدخان(44): آية ٨ ص: 392

(آیه ۸)- در چهارمین و پنجمین و ششمین توصیف میفرماید: «هیچ معبودی جز او نیست زنده می کند و میمیراند» (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ یُحْیی وَ یُمِیتُ).

و در هُفتمین و آخرین توصیف میافزاید: «او پروردگار شما و پروردگار پدران نخستین شماست» (رَبُّکُمْ وَ رَبُّ آبائِکُمُ الْأُوَّلِينَ).

حیات و مرگ شما به دست اوست، و پروردگار شما و پدرانتان و همه جهانیان اوست. بنابر این معبودی جز او نمی تواند وجود داشته باشد، آیا کسی که نه مقام ربوبیت دارد، و نه مالک حیات و مرگ است، می تواند معبود واقع شود؟

(آیه ۹)- آن روز که دودی کشنده همه آسمان را فرا می گیرد: ص : ۳۹۲

از آنجا که در آیات گذشته سخن از این در میان بود که اگر آنها طالب یقین باشند اسباب تحصیل یقین فراوان و فراهم است، در این آیه میافزاید: آنها جویای یقین و طالب حق نیستند، «بلکه آنها در شکّند و با حقایق بازی میکنند»! (بَلْ هُمْ فِی شَکُ یُلْعُبُونَ).

اگر آنها در حقانیت این کتاب آسمانی و نبوت تو تردید دارند به خاطر این نیست که مسأله پیچیدهای است، بلکه از این جهت است که آن را جدّی نمی گیرند، و به شوخی با آن برخورد می کنند.

سورة الدخان(44): آية 10 ص: 392

(آیه ۱۰)– در این آیه به تهدید این منکران لجوج و سرسخت پرداخته، و در حالی که روی سخن را به پیامبر کرده، می گوید: «پس منتظر روزی باش که آسمان دود آشکاری پدید آورد»! (فَارْتَقِبْ یَوْمَ تَأْتِی السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِینِ).

سورة الدخان(44): آية 11 ص: 322

(آیه ۱۱)- دودی که «تمام مردم را فرا می گیرد»! (یَغْشَی النَّاسَ).

و سپس به آنها گفته می شود: «این عذاب دردناک الهی است»! (هذا عَذابٌ أَلِیمٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۹۳ منظور از «دخان مبین» همان دود غلیظی است که در پایان جهان و در آستانه قیامت صفحه آسمان را می پوشانـد، و نشانه فرا رسیدن لحظات آخر دنیا و سر آغاز عذاب الیم الهی برای ظالمان و مفسدان است.

سورة الدخان(44): آية ١٢ ص: ٣٩٣

(آیه ۱۲)- وحشت و اضطراب تمام وجود آنها را فرا می گیرد، و پردههای غفلت از مقابل چشمشان کنار میرود، و به اشتباه بزرگ خود واقف میشوند رو به درگاه خدا می آورند و می گویند: «پروردگارا! عذاب را از ما بر طرف کن که ایمان می آوریم»! (رَبَّنَا اکْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ).

سورة الدخان(44): آية 13 ص: 393

(آیه ۱۳) ولی او دست رد بر سینه این نامحرمان زده، میفرماید: «اینها چگونه و از کجا متذکر میشوند (و از راه خود باز می گردند) با این که رسول آشکار (با معجزات و دلائل روشن) به سراغ آنها آمد»؟! (أَنَّی لَهُمُ الذِّكْری وَ قَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مُبینٌ).

رسولی که هم خودش آشکار بود و هم تعلیمات و برنامهها و دلائل و معجزاتش همه مبین و واضح بود.

سورة الدخان(44): آية ١٤ ص: ٣٩٣

(آیه ۱۴)– اما آنها به جای این که سر بر فرمان او نهند و به خداوند یگانه ایمان آورند و دستوراتش را به جان پذیرا شوند «از او روی گردان شدنـد و گفتنـد: او دیـوانهای اسـت کـه دیگران این مطـالب را به او القـا کردهانـد»! (ثُمَّ تَـوَلُّوْا عَنْهُ وَ قـالُوا مُعَلَّمٌ

سورة الدخان(44): آية 10 ص: 393

(آیه ۱۵)- سپس میافزاید: «ما کمی عذاب را از شما بر طرف میسازیم (ولی عبرت نمی گیرید و) بار دیگر به کارهای خود باز می گردید» (إِنَّا کاشِفُوا الْعَذابِ قَلِیلًا إِنَّکُمْ عائِدُونَ).

سورة الدخان(44): آية 16 ص: 393

(آیه ۱۶)- و در این آیه میفرماید: ما از آنها انتقام میگیریم «در آن روز که آنها را با قدرت خواهیم گرفت آری ما انتقام گیرندهایم» (یَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْکُبْری إِنَّا مُنْتَقِمُونَ).

سورة الدخان(44): آية 17 ص: 393

(آیه ۱۷) - در تعقیب آیات گذشته که از سرکشی مشرکان عرب و عدم تسلیم آنها در مقابل حق سخن می گفت، در اینجا به نمونهای از امم پیشین که آنها نیز همین برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۹۴

مسیر را طی کردند و سر انجام به عذابی دردناک و شکستی فاحش مبتلا شدند، اشاره می کند، تا هم تسلی خاطری باشد برای مؤمنان و هم تهدیدی برای منکران لجوج. و آن داستان موسی و فرعون است، میفرماید: «ما پیش از اینها قوم فرعون را آزمودیم» (وَ لَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ).

«و در این هنگام) رسول بزرگواری به سراغشان آمد» (وَ جاءَهُمْ رَسُولٌ کَرِیمٌ).

سورة الدخان(44): آية ١٨ ص: 394

(آیه ۱۸)– موسمی با لحنی بسیار مؤدّبانه و دلپـذیر و آکنده از محبت آنها را مخاطب قرار داد و گفت: امور «بندگان خدا را به من واگذارید که من فرستاده امینی برای شما هستم» (أَنْ أَدُّوا إِلَیَّ عِبادَ اللَّهِ إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ).

سورة الدخان(44): آية 19 ص: 394

(آیه ۱۹) – سپس موسی بعد از دعوت آنها به اطاعت خداوند یا آزاد ساختن بنی اسرائیل می گوید: مأموریت دیگر من این است که به شما بگویم: «در برابر خداوند تکبر نورزید (و حدّ خویش نگهدارید) که من برای شما دلیل روشنی (بر گفته های خود) آورده ام» (وَ أَنْ لا تَعْلُوا عَلَی اللَّهِ إِنِّی آتِیکُمْ بِسُلْطانٍ مُبِینِ).

هم معجزات آشكار، و هم دلائل منطقي روشن.

سورة الدخان(44): آية 20 ص: 394

(آیه ۲۰)- و از آنجا که مستکبران دنیا پرست هر کس را در جهت مخالف منافع نامشروع خود ببیننـد از هیـچ گونه تهمت و ناسـزا، و حتی قتل و اعدام، فرو گذار نمی کنند، موسـی به عنوان پیشـگری میافزاید: «و من به پروردگار خود و پروردگار شما پناه میبرم از این که مرا- متهم یا- سنگسار کنید» (وَ إِنِّی عُذْتُ بِرَبِّی وَ رَبِّکُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ).

این تعبیر ممکن است اشاره به این باشد که من از تهدیدهای شما باک ندارم، و تا آخرین نفس ایستادهام و خدا حافظ و نگاهبان من است.

سورة الدخان(44): آية 21 ص: 394

(آیه ۲۱)- در این آیه آخرین سخنش را به آنها می گوید که: «اگر به من ایمان نمی آورید لا اقل مرا رها کنید، و کناره گیری کنید» و مزاحم ایمان آوردن مردم نشوید (وَ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِی فَاعْتَزِلُونِ).

ولی مگر ممکن است جباران مغرور که قدرت شیطانی و منافع نامشروعشان را در خطر میبینند خاموش بنشینند و چنین پیشنهادی را بپذیرند؟

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۹۵

سورة الدخان(44): آية 27 ص: 393

(آیه ۲۲)- موسی از تمام وسائل هدایت برای نفوذ در دلهای تاریک این مجرمان استفاده کرد، ولی هیچ اثری در فرعونیان نبخشید، لذا مأیوس شد و چارهای جز نفرین به آنها ندید، چرا که قوم فاسدی که هیچ امیدی به هدایتشان نباشد از نظر نظام آفرینش حق حیات ندارند.

لـذا آیه شـریفه می گویـد: «پس موسـی به پیشـگاه پروردگارش عرضه داشت که اینها قومی مجرم و گنهکارنـد» (فَـدَعا رَبَّهُ أَنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ).

چه نفرین مؤدبانهای؟ نمی گوید خداوندا! آنها را چنین و چنان کن، بلکه همین اندازه می گوید: خداوندا! اینها گروهی مجرمند که امیدی به هدایتشان باقی نمانده.

سورة الدخان(44): آية 23 ص: 393

(آیه ۲۳)- خداوند نیز دعای موسی را اجابت کرد، و به عنوان مقدمه نزول عذاب بر فرعونیان و نجات بنی اسرائیل به او دستور داده شد: «بنـدگان مرا شبانه حرکت ده که شـما (از طرف فرعـون و لشـکریانش) تعقیب میشویـد»! (فَأَسْرِ بِعِبـادِی لَیْلًـا إِنَّکُمْ مُثَّبَعُونَ).

اما نگران نباش، لازم است آنها شما را تعقیب کنند تا به سرنوشتی که در انتظار آنهاست گرفتار آیند.

سورة الدخان(44): آية 24 ص: 295

(آیه ۲۴)– سپس می افزاید: هنگامی که از دریا همگی به سلامت گذشتید «دریا را آرام و گشاده بگذار» و بگذر (وَ اتْرُکِ

الْبَحْرَ رَهْواً).

منظور از دریا در این آیات همان رود عظیم نیل است.

طبیعی است که موسی و بنی اسرائیل مایل بودند هنگامی که خود از دریا گذشتند بار دیگر آبها سر بر هم بگذارند و این فاصله عظیم را پر کنند، ولی به آنها دستور داده شد که به هنگام گذشتن از دریای نیل عجله نکنید، بگذارید فرعون و لشکریانش تا آخرین نفر وارد شوند، چرا که فرمان مرگ و نابودی آنها به امواج خروشان نیل داده شده است! لذا در پایان آیه میافزاید: «آنها لشکری غرق شده خواهند بود» (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۹۶

سورة الدخان(44): آية 25 ص: 398

(آیه ۲۵)- باغها و گنجها را گذاردند و رفتند! اکنون ببینیم بعد از غرق فرعون و فرعونیان چه ماجراهای عبرت انگیزی تحقق یافت. قرآن در آیات بعد میراث عظیم آنها را که به بنی اسرائیل رسید طیّ پنج موضوع که فهرست تمام زندگی آنهاست بیان کرده، نخست می فرماید: «چه بسیار باغها و چشمهها که از خود به جا گذاشتند و رفتند»! (کَمْ تَرَکُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ). باغها، و چشمهها، دو سرمایه از جالبترین و ارزنده ترین اموال آنها بود.

سورة الدخان(44): آية 27 ص: 398

(آیه ۲۶) – سپس می افزاید: «و زراعتها، و قصرهای جالب و زیبا و پرارزش» (وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ کَرِیمٍ). و این دو سرمایه مهم دیگر آنها بود، زراعتهای عظیمی که در بستر نیل در سرتاسر مصر از آن استفاده می کردند و همچنین قصرها و مساکن آباد که یکی از مهمترین وسائل زندگی انسان مسکن مناسب است.

سورة الدخان(44): آية 27 ص: 398

(آیه ۲۷)- و از آنجا که غیر از امور مهم چهارگانه فوق وسائل تنعم فراوان دیگری داشتند، به همه آنها نیز در یک جمله کوتاه اشاره کرده، می گوید:

«و نعمتهای فراوان دیگری که در آن متنعم بودند و در ناز و نعمت زندگی میکردند» (وَ نَعْمَهٍٔ کَانُوا فِيها فاکِهِينَ).

سورة الدخان(44): آية 28 ص: 398

(آیه ۲۸)- سپس می افزاید: آری «این چنین بود (ماجرای آنها) و ما همه اینها (و سرمایهها و ما ترک فرعونیان) را میراث برای اقوام دیگری قرار دادیم»! (کَذلِکَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرینَ).

آیه فوق و آیه همانند آن در سوره «شعراء» نشان میدهد که بنی اسرائیل بعد از غرق فرعونیان به سرزمین مصر بازگشتند، و وارث میراث فراعنه شدند و در آنجا حکومت کردند.

سورة الدخان(44): آية 29 ص: 398

(آیه ۲۹)- در این آیه می فرماید: «پس نه آسمان بر آنها گریست و نه زمین، و نه به هنگام نزول بلا به آنها مهلتی داده شد»! (فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ).

> گریه نکردن آسمان و زمین بر آنها ممکن است کنایه از حقارت آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۹۷ و عدم وجود یار و یاور و دلسوز برای آنها باشد.

سورة الدخان(44): آية 30 ص: 397

(آیه ۳۰)- بنی اسرائیل در بوته آزمایش: در آیات گذشته سخن از غرق و هلاکت فرعونیان و نابودی قدرت و شوکت آنها و انتقال آن به دیگران بود، در اینجا از نقطه مقابل آن یعنی از نجات و رهائی بنی اسرائیل چنین سخن می گوید: «ما بنی اسرائیل را از عذاب خوار کننده رهائی بخشیدیم» (وَ لَقَدْ نَجَیْنا بَنِی إِسْرائِیلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِینِ).

از شکنجههای سخت و طاقت فرسای جسمی و روحی که تا اعماق جان آنها نفوذ می کرد.

سورة الدخان(44): آية 31 ص: 377

(آیه ۳۱)- آری! خداوند این قوم مظلوم را در پرتو قیام الهی موسی بن عمران از چنگال این ظالمان سفاک تاریخ رهائی بخشید، لذا به دنبال آن میافزاید:

«از (چنگال) فرعون» (مِنْ فِرْعَوْنَ).

«چرا که او مردی متکبر و از اسرافکاران و متجاوزان بود»! (إِنَّهُ کانَ عالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ).

سورة الدخان(44): آية 27 ص: 397

(آیه ۳۲)- در این آیه به یکی دیگر از مواهب خداوند به بنی اسرائیل اشاره کرده، میگوید: «ما آنها را از روی علم خویش بر جهانیان (در آن عصر و زمان) برتری دادیم و برگزیدیم» (وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلی عِلْمٍ عَلَی الْعالَمِینَ).

ولى آنها قدر اين نعمتها را ندانستند و كفران كردند و مجازات شدند.

و به این ترتیب آنها «امت برگزیده عصر خویش» بودند، زیرا منظور از «عالمین» مردم جهان در آن عصر و زمان است نه در تمام قرون و اعصار.

سورة الدخان(44): آية 33 ص: 397

(آیه ۳۳) - در این آیه به بعضی از مواهب دیگر که خدا به آنها داده بود اشاره کرده، میفرماید: «ما آیات و نشانههایی از عظمت و قدرت خویش به آنان دادیم که در آن آزمایش آشکاری بود» (وَ آتَیْناهُمْ مِنَ الْآیاتِ ما فِیهِ بَلؤُا مُبِینٌ).

و این اخطاری است به همه امتها و ملتها در مورد پیروزیها و مواهبی که از لطف الهی به دست می آورند، که دام امتحان در این هنگام سخت است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۳۹۸

سورة الدخان(44): آية 34 ص: 398

(آیه ۳۴) - جز همین مرگ چیزی در کار نیست! بعد از ترسیم صحنهای از زندگی فرعون و فرعونیان و عاقبت کفر و انکارشان در آیات گذشته، بار دیگر سخن از مشرکان به میان می آورد، و تردید آنها را در مسأله معاد - که در آغاز سوره آمده بود - به شکل دیگری بازگو می کند: «اینها چنین می گویند» (إِنَّ هؤُلاءِ لَیَقُولُونَ).

سورة الدخان(44): آية 30 ص: 398

(آيه ٣٥)- «مرگ ما جز همان مرگ اول نيست، و ما هرگز بار ديگر زنده نخواهيم شد» (إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولي وَ ما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ).

و آنچه محمد صلّی اللّه علیه و اله پیرامون معاد و حیات بعد از مرگ و پاداش و کیفر و بهشت و دوزخ می گوید: هیچ کدام واقعیت ندارد، اصلا حشر و نشری در کار نیست!

سورة الدخان(44): آية 37 ص: 398

(آیه ۳۶) – سپس سخن آنها را نقل می کند که برای اثبات مدعای خود به دلیل واهی و بیاساسی دست زده و می گفتند: «اگر راست می گویید (که بعد از مرگ، حیاتی در کار است) پس پدران ما را زنده کنید و نزد ما بیاورید» تا بر صدق گفتار شما گواهی دهند! (فَأْتُوا بِآبائِنا إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

سورة الدخان(44): آية 37 ص: 398

(آیه ۳۷)- آنها بهترند یا قوم «تبّع»! سرزمین یمن که در جنوب جزیره عربستان قرار دارد از سرزمینهای آباد و پربرکتی است که در گذشته مهد تمدن درخشانی بوده است، پادشاهانی بر آن حکومت می کردند که «تبع» نام داشتند، به خاطر این که مردم از آنها «تبعیت» می کردند، و یا از این نظر که یکی بعد از دیگری روی کار می آمدند.

در اینجا به دنبال بحثی که پیرامون مشرکان مکّه و لجاجت و انکار آنها نسبت به معاد آمده با اشاره به سرگذشت «قوم تبع» آنها را تهدید میکند که نه تنها عذاب الهی در قیامت در انتظارشان است که در این دنیا نیز سرنوشتی همچون قوم گنهکار و کافر تبع پیدا خواهند کرد.

مىفرمايىد: «آيا آنها بهترنىد، يا قوم تبع، و كسانى كه پيش از آنان بودند؟! ما آنها را هلاك كرديم، چرا كه آنها مجرم بودند» (أَ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبِّعٍ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْناهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ).

سورة الدخان(44): آية 38 ص: 398

(آیه ۳۸) – سپس بار دیگر به مسأله معاد باز می گردد و با استدلال لطیفی این بر گزیده تفسیر نمونه، ج ۴، ص: ۳۹۹ واقعیت را اثبات کرده، می گوید: «ما آسمانها و زمین و آنچه را در میان این دو است بیهوده و بی هدف نیافریدیم» (وَ ما خَلَقُنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما لاعِبِینَ). اگر به گفته شما مرگ نقطه پایان زندگی است این آفرینش لعب و لغو و بیهوده خواهد بود.

سورة الدخان(44): آية 39 ص: 399

(آیه ۳۹) – سپس برای تأکید این سخن می افزاید: «ما آن دو را جز به حق نیافریدیم» (ما خَلَقْناهُما إِلَّا بِالْحَقِّ). حقّ بودن این دستگاه ایجاب می کند که هدف معقولی داشته باشد، و آن بدون وجود جهان دیگر ممکن نیست. «ولی غالب آنها (این حقایق را) نمی دانند» (وَ لَکِنَّ أَکْثَرُهُمْ لاَ یَعْلَمُونَ).

چرا که اندیشه و فکر خود را به کار نمی گیرند، و گر نه دلائل مبدأ و معاد واضح و آشکار است.

سورة الدخان(44): آية 40 ص: 399

(آیه ۴۰)- روز جدائیها! در آیات گذشته در مورد مسأله معاد از طریق «حکمت آفرینش این جهان» برای وجود رستاخیز استدلال شده بود، آیه شریفه از این استدلال چنین نتیجه گیری می کند که: «یوم الفصل و روز جدائیها وعده گاه همه آنهاست» (إِنَّ یَوْمَ الْفَصْلِ مِیقاتُهُمْ أَجْمَعِینَ).

سورة الدخان(44): آية 41 ص: 399

(آیه ۴۱)– سپس به شرح کوتاهی در باره این روز جدائی پرداخته، می گوید:

«در همان روزی که (هیچ کس به فریاد دیگری نمیرسد و) هیچ دوستی کمترین کمکی به دوستش نمیکند، و از هیچ سو یاری نمیشوند»! (یَوْمَ لا یُغْنِی مَوْلًی عَنْ مَوْلًی شَیْئاً وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ).

آری! آن روز، روز فصل و جدائی است، روزی است که انسان از همه چیز جز عملش جدا می شود، و مولی به هر معنی که باشد- دوست، سرپرست، ولی نعمت، خویشاوند، همسایه، یاور، و مانند آن- توانائی حل کوچکترین مشکلی را از مشکلات قیامت برای کسی ندارد.

سورة الدخان(44): آية 47 ص: 399

(آیه ۴۲)- تنها یک گروه مستثنا هستند همان گونه که این آیه می گوید: «مگر کسی که خیدا او را مورد رحمت قرار داده است، چرا که او توانا و رحیم است» (إِلَّا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۰۰

مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

بدون شک این رحمت الهی بیحساب نیست و تنها شامل مؤمنانی می شود که دارای عمل صالحند.

سورة الدخان(44): آية 43 ص: 400

(آیه ۴۳) - درخت زقّوم! در اینجا توصیف وحشتناک و تکان دهندهای از عذابهای دوزخی منعکس شده که بحث آیات قبل را در مورد «یوم الفصل» و روز رستاخیز تکمیل می کند.

مى فرمايد: «مسلّما درخت زقّوم ...» (إِنَّ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ).

سورة الدخان(44): آية 44 ص: 400

(آیه ۴۴)- «غذای گنهکاران است»! (طَعامُ الْأَثِیم).

اینها هستند که از این گیاه تلخ و بدبو و بد طعم و کشنده میخورند.

سورة الدخان(44): آية 45 ص: 400

(آیه ۴۵)- سپس میافزاید: «همانند فلز گداخته در شکمها میجوشد»! (کَالْمُهْلِ یَغْلِی فِی الْبُطُونِ).

سورة الدخان(44): آية 46 ص: 400

(آیه ۴۶)- «جوششی همچون آب سوزان» (کَغَلْیِ الْحَمِیم).

هنگامی که گیاه زقوم وارد شکم آنها میشود، حرارت فوق العادهای ایجاد کرده، و همچون آبی جوشان غلیان پیدا می کند، و به جای این که این غذا مایه قوت و قدرت گردد بدبختی و عذاب و درد و رنج می آفریند.

سورة الدخان(44): آية 47 ص: 400

(آیه ۴۷)- سپس میفرماید: به مأموران دوزخ خطاب میشود: «این (کافر پرگناه) را بگیرید، و به میان دوزخ پرتابش کنید»! (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَواءِ الْجَحِيم).

سورة الدخان(44): آية 48 ص: 400

(آیه ۴۸)- باز به یکی دیگر از مجازاتهای دردناک آنها اشاره کرده، می گوید:

«سپس (به مأموران دوزخ دستور داده می شود، که) بر سر او، از عذاب سوزان بریزید» (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذابِ الْحَمِیمِ). به این ترتیب هم از درون می سوزند و هم از بیرون تمام وجودشان را آتش فرا می گیرد، و در وسط آتش نیز آب سوزان بر آنها می ریزند.

سورة الدخان(44): آية 49 ص: 400

(آیه ۴۹)- و بعد از این همه عذابهای دردناک جسمانی مجازات جانکاه روانی آنها شروع می شود به این مجرم گناهکار سرکش و بی ایمان گفته می شود: برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۰۱

«بچش که (به پندار خود) بسیار قدرتمند و محترم بودی» (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ).

آری! این تو بودی که با آن همه غرور هر جنایتی را مرتکب شدی، اکنون بچش نتیجه اعمالت را که در برابر چشمان تو

مجسم شده است، و همان گونه که جسم و جان مردم را سوزاندی اکنون درون و برونت در آتش قهر الهی و با آب سوزان میسوزد.

سورة الدخان(44): آية 50 ص: 401

(آیه ۵۰)- در این آیه میافزاید: به آنها خطاب میشود: «این همان چیزی است که پیوسته در باره آن شک و تردید می کردید» (إِنَّ هذا ما کُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ).

چقدر در آیات مختلف قرآن با انواع دلائل، واقعیت و حقانیت این روز به شما گوشزد شد.

افسوس که گوش شنوا نداشتید!

سورة الدخان(44): آية ٥١ ص: 401

(آیه ۵۱)– پرهیزکاران و انواع نعمتهای بهشتی: از آنجاکه در آیات گذشته کیفرهای دردناک دوزخیان مطرح بود در اینجا مواهب و پاداشهای بهشتیان را میشمرد تا از قرینه مقابله اهمیت هریک از این دو آشکارتر گردد.

این پاداشها در هفت قسمت خلاصه شده:

نخست این که: «پرهیزکاران در جایگاه امن و امانی هستند» (إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی مَقامِ أَمِینٍ).

بنابر این هیچ گونه ناراحتی و ناامنی به آنها نمیرسد، و در امنیت کامل از ً آفات و بلاها، از غم و اندوهها، از شیاطین و طاغوتها به سر میبرند.

سورة الدخان(44): آية 22 ص: 401

(آیه ۵۲)– سپس به ذکر نعمت دوم پرداخته، می گوید: آنها «در میان باغها و چشمهها به سر میبرند» و جایگاه آنها از هر سو با درختان و چشمهها احاطه شدهِی جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ)

سورة الدخان(44): آية 33 ص: 401

(آیه ۵۳) - در مرحله سوم به لباسهای زیبای آنها اشاره کرده، میافزاید: «آنها لباسهایی از حریر نازک و ضخیم میپوشند، و در برابر یکدیگر (بر تختها) جای دارند» (یَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَقابِلِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۰۲ البته در بهشت گرما و سرمای شدیدی وجود ندارد تا به وسیله پوشیدن لباس دفع شود، بلکه اینها اشاره به لباسهای متنوع و گوناگون بهشتی است.

سورة الدخان(44): آية 54 ص: 40٢

(آیه ۵۴)– در مرحله چهارم نوبت به همسران آنها میرسد، می گوید: «آری این چنینند بهشتیان، و آنها را با حور العین تزویج می کنیم»! (کَذلِکَ وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورِ عِینِ).

سورة الدخان(44): آية ۵۵ ص: 40٢

(آیه ۵۵)– سپس به ذکر پنجمین نعمت بهشتیان پرداخته، میافزاید: «آنها در آنجا هر نوع میوهای را بخواهند در اختیارشان قرار می گیرد و در نهایت امنیت به سر میبرند» (یَدْعُونَ فِیها بِکُلِّ فاکِهَهٔ آمِنِینَ).

سورة الدخان(44): آية 50 ص: 407

(آیه ۵۶)- جاودانگی بهشت و نعمتهای بهشتی ششمین موهبت الهی بر متقین است، چرا که آنچه فکر انسان را به هنگام وصال ناراحت می کند بیم فراق است، لذا می فرماید: «آنها هیچ مرگی جز همان مرگ اول (که در دنیا چشیدند) نخواهند چشید»! (لا یَذُوقُونَ فِیهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ أِلَّا الْمَوْتَ أَلُّا الْمَوْتَ أَلُّا الْمَوْتَ أَلُّا اللهَوْتَهُ اللهُوتِ اللهِ اللهُ اللهُ

سر انجام هفتمین و آخرین نعمت را در این سلسله چنین بیان می کند:

«و خداوند آنها را از عذاب دوزخ حفظ كرده است» (وَ وَقاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيم).

كمال اين نعمتها در اين است كه احتمال عذاب و فكر مجازات، بهشتيان را به خود مشغول نمي دارد و نگران نمي كند.

اشاره به این که اگر پرهیزکاران لغزشهایی هم داشتهاند خدا به لطف و کرمش آنها را بخشیده، و به آنها اطمینان داده است که از این نظر نگرانی به خود راه ندهند.

سورة الدخان(44): آية ٥٧ ص: 40٢

(آیه ۵۷) - در این آیه اشاره به تمام این نعمتهای هفتگانه کرده، به صورت یک جمع بندی می گوید: همه اینها «به عنوان فضل و بخششی از سوی پروردگار تو است و این فوز عظیم و پیروزی بزرگی است» که شامل حال پرهیزکاران می شود (فَضْلًا مِنْ رَبِّکَ ذَلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ).

درست است که پرهیز کاران حسنات بسیاری در دنیا انجام دادهاند، ولی مسلما پاداش عادلانه آن اعمال ناچیز این همه نعمت بی پایان و جاودانی نیست این فضل خداست که این همه پاداش را در اختیار آنها گذارده.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۰۳

سورة الدخان(44): آية 58 ص: 403

(آیه ۵۸)-گفتیم: «سوره دخان» با بیان عظمت و عمق آیات قرآن شروع شده است، و با این آیه که آن هم بیانگر تأثیر عمیق آیات قرآن است پایان می گیرد، تا آغاز سوره با انجامش هماهنگ باشد.

مىفرمايد: «ما آن [قرآن] را بر زبان تو آسان ساختيم شايد آنان متذكّر شوند» (فَإِنَّما يَشَرْناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

با این که محتوایش فوق العاده عمیق و ابعادش بسیار گسترده است، ساده، روان، همه کس فهم و قابل استفاده برای همه قشرهاست.

سورة الدخان(44): آية ٥٩ ص : 40٣

(آیه ۵۹) – ولی از آن جاکه با همه این اوصاف باز گروهی در برابر کلام حق تسلیم نمی شوند در آخرین آیه آنها را مورد تهدید قرار داده، می گوید: اگر با این همه آنها پذیرا نشوند «پس تو منتظر باش، آنها نیز منتظرند»! (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ). تو منتظر وعده های الهی در زمینه پیروزی بر کفار باش، و آنها منتظر شکست باشند.

«پایان سوره دخان»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۰۵

سوره جاثيه [45] ص: 4.4

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده، و دارای ۳۷ آیه است

محتوای سوره: ص: 405

محتوای این سوره را می توان در هفت بخش خلاصه کرد:

۱- عظمت قرآن مجيد و اهميت آن.

۲- بیان گوشهای از دلائل توحید در برابر مشرکان.

۳- ذکر پارهای از ادعاهای «طبیعی مسلکان» و پاسخ قاطع به آن.

۴- اشاره كوتاهي به سرنوشت بعضي از اقوام پيشين همچون بني اسرائيل.

۵- تهدید شدید نسبت به گمراهانی که اصرار و پافشاری بر عقائد انحرافی خود دارند.

۶- دعوت به عفو و گذشت در عین قاطعیت و عدم انحراف از مسیر حق.

٧- اشارات گویایی به حوادث تکان دهنده قیامت.

نام این سوره «جاثیه» است به تناسب آیه ۲۸ این سوره- جاثیه یعنی کسی که به زانو در آمده- و اشاره به وضع بسیاری از مردم در صحنه قیامت در دادگاه عدل الهی است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 403

در حدیثی از پیامبر صلّی الله علیه و اله میخوانیم: «کسی که سوره جاثیه را بخواند (و البته در آن اندیشه کند و در زندگی خود به کار بندد) خداوند عیوب او را روز قیامت میپوشاند و ترس و وحشت او را به آرامش مبدل میسازد».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۰۶

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الجاثية(45): آية 1 ص: 408

(آیه ۱)- همه جا نشانه های اوست: این سوره ششمین سوره ای است که با حروف مقطعه «حا- میم» (حم). آغاز شده است.

مفسّر معروف «طبرسی» در آغاز این سوره می گوید: بهترین سخن این است که گفته شود «حم» نام این سوره است و نامگذاری این سوره به «حم» اشاره به این است که این قرآن که سراپا اعجاز است از حروف الفبا تشکیل شده.

سورة الجاثية(٤٥): آية ٢ ص: 409

(آیه ۲)- و شاید به همین دلیل بلافاصله از عظمت قرآن یاد کرده، می گوید: «این کتاب از سوی خداوند عزیز و حکیم نازل شده است» (تَنْزِیلُ الْکِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِیزِ الْحَکِیم).

«عزیز» به معنی قدرتمند و شکست ناپذیر، و «حکیم» به معنی کسی است که از اسرار همه چیز آگاه است و تمام افعالش روی حساب و حکمت میباشد.

سورة الجاثية(٤٥): آية ٣ ص: 406

(آیه ۳)- سپس به بیان آیات و نشانههای عظمت خدا در آفاق و انفس پرداخته، می گوید: «در آسمانها و زمین نشانههای فراوانی است برای آنها که اهل ایمانند و طالب حقند» (إِنَّ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِلْمُؤْمِنِینَ).

عظمت آسمانها از یک سو، و نظام شگفت انگیز آنها- که میلیونها سال می گذرد و برنامههای آنها بدون کمترین انحراف و دگرگونی ادامه مییابد-از سوی دیگر، و ساختمان زمین و عجائب آن از سوی سوم هر یک آیتی از آیات خداست.

سورة الجاثية (45): آية 4 ص: 405

(آیه ۴)- پس از این آیات آفاقی به آیات انفسی پرداخته، می گوید: «و در آفرینش شما و جنبندگانی که در سراسر زمین پراکنده ساخته نیز نشانههایی است برای جمعیتی که اهل یقینند» (وَ فِی خَلْقِکُمْ وَ مَا یَبُثُّ مِنْ دَابَّهٍ آیاتٌ لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ). آری! هر یک به نوبه خود آیت و نشانهای از علم و حکمت و قدرت بی پایان مبدأ آفرینش است.

سورة الجاثية(45): آية 5 ص: 406

(آیه ۵)- در این آیه از سه موهبت بزرگ که هر یک نقش مهمی در حیات برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۰۷ انسان و موجودات زنده دیگر دارد، و هر یک آیتی از آیات خداست، نام میبرد:

مسأله «نور» و «آب» و «هوا».

مىفرمايد: «در آمد و شد شب و روز، و رزقى را كه خداوند از آسمان نازل كرده و به وسيله آن زمين را بعد از مرگش حيات بخشيده، و همچنين در وزش بادها، نشانههايى است براى جمعيتى كه تعقل و انـديشه مىكننـد» (وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ تَصْرِيفِ الرِّياح آياتٌ لِقَوْم يَعْقِلُونَ).

مسأله نظام «نور و ظلمت» و آمـد و شـد شب و روز که هر یک با نظام خاصـی جانُشـین و خلیفه دیگری میشود بسـیار حساب شده و شگفت انگیز است.

در مرحله دوم از رزق حیاتبخش آسمانی، یعنی بـاران، سـخن به میـان آمـده که نه در لطـافت طبعش کلاـمی است، و نه در

قدرت احیا گریش سخنی، و همه جا نشانه زندگی و طراوت و زیبائی است.

و در مورد سوم سخن از وزش بادها است بادهایی که هوای پر اکسیژن زنده را جابهجا می کنند، و در اختیار جانداران می گذارند، هوای آلوده به کربن را برای تصفیه به دشتها و جنگلها و صحراها می فرستند، و پس از تصفیه به شهرها و آبادیها می برند، و عجب این که این دو دسته از موجودات زنده یعنی «حیوانات» و «گیاهان» درست بر ضد هم عمل می کنند، اولی اکسیژن را می گیرد و آکسیژن می دهد تا تعادل در نظام حیات برقرار گردد، و با گذشت زمان ذخیره هوای مفید زمین نابود نشود.

وزش بادهایی که علاوه بر این، تلقیح گر گیاهان، و بارور کننده آنها، و افشاننده انواع بـذرها در سـرزمینهای مختلف، و پرورش دهنده مراتع طبیعی و جنگلها، و موج آفرین در دل اقیانوسـهاست، موجی که به دریا حیات و حرکت میبخشد، و آب را از عفونت و فساد حفظ میکند، و نیز همین بادها کشتیها را بر صفحه اقیانوسها به حرکت در میآورند.

سورة الجاثية(45): آية 6 ص: 407

(آیه ۶)- سپس در این آیه به عنوان یک جمع بندی نسبت به بحثهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۰۸

گذشته، و بیان عظمت و اهمیت آیات قرآن، میفرماید: «اینها آیات الهی است که ما آن را به حق بر تو تلاوت میکنیم» (تِلْکَ آیاتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَیْکَ بِالْحَقِّ).

به راستی اگر آنها به این آیات ایمان نیاورند به چه چیز ایمان خواهند آورد؟

و لـذا در پایان آیه میافزایـد: «پس این گروه کافر به کدام سخن بعد از سخن خدا و آیاتش ایمان می آورند»؟! (فَبِأَیِّ حَدِیثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آیاتِهِ یُؤْمِنُونَ).

آری! به راستی قرآن مجید آن چنان محتوائی از نظر استدلال و براهین توحیدی و همچنین از نظر پند و اندرز دارد که هر دلی کمترین آمادگی در آن باشد، او را به سوی خدا و پاکی و تقوا دعوت می کند، هرگاه این آیات بینات در کسی اثر نبخشد هرگز امیدی به هدایت او نیست.

سورة الجاثية(٤٥): آية ٧ ص : 40.

(آیه ۷)- وای بر دروغگوی گنهکار! آیات گذشته نشان میداد که گروهی هستند که سخنان الهی با انواع دلائل توحیدی و مواعظ و اندرزها را می شنوند ولی در آنها اثر نمی کند، در اینجا از این گروه و عواقب اعمال آنها بطور مشروح سخن می گوید.

نخست مى فرمايد: «واى بر هر دروغگوى گنهكار»! (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم).

«افّاک» به معنی کسی است که بسیار دروغ می گوید، و گاه به کسی که دروغ بزرگ می گوید هر چند زیاد هم نباشد گفته شده

از این آیه به خوبی روشن می شود که موضع گیری خصمانه در برابر آیات الهی کمار کسانی است که سر تا پا آلوده گناه و کذب و دروغند، نه پاک نهادان راستگو.

سورة الجاثية(٤٥): آية ٨ ص: 40.

(آیه ۸)- سپس به چگونگی موضع گیریهای آنها اشاره کرده، می افزاید:

«پیوسته آیات الهی را که بر او تلاوت می شود می شنود اما بر اثر تکبر همواره اصرار بر مخالفت دارد گوئی اصلا آن را نشنیده» (یَسْمَعُ آیاتِ اللَّهِ تُتْلی عَلَیْهِ ثُمَّ یُصِرُّ مُسْتَكْبراً كَأَنْ لَمْ یَسْمَعْها).

و در پایان آیه آنها را شدیدا به کیفر سختی تهدید کرده، می گوید: «چنین کسی را به عـذاب دردناک بشارت ده»! (فَبَشِّرْهُ بِعَذاب أَلِیم).

> همان گونه که او دل پیامبر و مؤمنان را به درد آورده ما نیز او را به عذاب برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۰۹ دردناکی مبتلا میسازیم.

سورة الجاثية(45): آية 9 ص: 409

(آیه ۹)- سپس می افزاید: «و هر گاه (این مستکبر لجوج) چیزی از آیات ما را بداند و از آن آگاه شود آن را به باد استهزا می گیرد» (وَ إِذا عَلِمَ مِنْ آیاتِنا شَیْنًا اتَّخَذَها هُزُواً).

او همه آیات ما را- چه آنها را که دانسته و چه آنها را که ندانسته- به استهزا و سخریه می گیرد! و این نهایت جهل و بی خبری است که انسان چیزی را انکار یا مسخره کند که اصلا نفهمیده است، و این بهترین دلیل لجاج و عناد آنهاست.

و در پایان آیه مجازات این گروه را چنین بیان می کند: «برای آنها عذاب خوار کنندهای است» (أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ).

سورة الجاثية(٤٥): آية 10 ص: 409

(آیه ۱۰)– این آیه «عذاب مهین» را چنین شرح می دهد: «پشت سرشان دوزخ است» (مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ).

تعبیر به پشت سر، با این که دوزخ جلو آنها قرار دارد، و در آینده به آن میرسند، ممکن است از این نظر باشد که آنها اقبال به دنیا کرده، و آخرت و عذاب الهی را نادیده گرفته و پشت سر انداختهاند.

و به هر حال در دنباله آیه می افزاید: اگر آنها گمان می کنند اموال سرشار، و بتها و خدایان ساختگیشان، گرهی از کار آنها می گشاید سخت در اشتباهند، چرا که «هر گز آنچه را به دست آوردند آنها را (از عذاب الهی) نجات نمی بخشد و نه اولیائی که غیر از خدا برای خود بر گزیدند» مایه نجاتشان خواهند بود (وَ لا یُغْنِی عَنْهُمْ ما کَسَ بُوا شَیْئاً وَ لا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلااءً).

و چون هیچ راه فرار و نجاتی نیست باید در آتش قهر و غضب الهی بمانند «و عذاب بزرگی برای آنهاست» (وَ لَهُمْ عَـذابٌ عَظِیمٌ).

آنها آیات الهی را کوچک شمردند، خداونـد عذاب آنها را بزرگ میکند، آنها بزرگی فروختند خدا نیز عذاب عظیم به آنها میدهد.

سورة الجاثية(٤٥): آية ١١ ص: 409

(آیه ۱۱)- به دنبال بحثهائی که در باره عظمت آیات الهی در آیههای گذشته برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۱۰ آمده در اینجا همین معنی را تعقیب کرده، می گوید: «این (قرآن) مایه هدایت است» (هذا هُدیً).

حق را از باطل جدا می سازد، صحنه زندگی انسان را روشن می کند، و دست رهروان راه حق را گرفته به سر منزل مقصود می رساند.

«و کسانی که به آیات پروردگارشان کافر شدنـد عـذابی سـخت و دردناک دارند» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِیمٌ).

سورة الجاثية(٤٥): آية ١٢ ص: 410

(آیه ۱۲)- همه از بهر تو سرگشته و فرمانبردار! سپس رشته سخن را به بحث توحید که در آیات نخستین این سوره مطرح شده می کشاند و درسهای مؤثری از توحید و خداشناسی به مشرکان میدهد.

گاه در عواطف آنها چنگ زده، می گوید: «خداوند همان کسی است که دریا را برای شما مسخّر کرد تا کشتیها به فرمانش در آن حرکت کننـد، و بتوانیـد از فضل او بهره گیرید و شاید شکر نعمتهایش را به جا آورید» (اللَّهُ الَّذِی سَـخَّرَ لَکُمُ الْبُحْرَ لِتَجْرِیَ الْفُلْکُ فِیهِ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَصْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ).

سورة الجاثية(٤٥): آية ١٣ ص: 41٠

(آیه ۱۳)- بعد از بیان نعمت کشتیها که تماس نزدیکی با زندگی روز مره انسانها دارد به مسأله تسخیر سایر موجودات بطور کلی پرداخته، می گوید: «و آنچه را در آسمانها و آنچه را در زمین است همه را از ناحیه خودش مسخّر شما ساخت» (وَ سَخّرَ لَکُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مِنْهُ).

با توجه به این که همه مواهب از ناحیه اوست و خالق و مـدبر و پروردگار همه، ذات پاک او میباشـد پس چرا انسان به سـراغ غیر او رود؟ و سر بر آستان مخلوقات ضعیف بگذارد؟ و از معرفت منعم حقیقی غافل بماند؟

لذا در پایان آیه میافزاید: «در این، نشانههای مهمی است برای کسانی که تفکر و اندیشه میکنند» (إِنَّ فِی ذلِکُ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ).

در آیه قبل از عواطف انسانها استفاده می شد، و در اینجا از عقول و اندیشه های آنها، چه خدای مهربانی که با هر زبان ممکن با بندگانش سخن می گوید، گاه با زبان دل، و گاه با زبان فکر، و هدف در همه اینها یک چیز بیش بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۱۱

نیست، و آن بیداری انسانهای غافل و به حرکت در آوردن آنها در سیر الی الله است.

سورة الجاثية(45): آية 14 ص: 411

(آیه ۱۴) – سپس به ذکر یک دستور اخلاقی در برخورد با کفار می پردازد تا بحثهای منطقی سابق را به این وسیله تکمیل کند روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و اله کرده، می فرماید: «به مؤمنان بگو: کسانی را که امید به ایام الله (روز رستاخیز) ندارند مورد عفو قرار دهند، و نسبت به آنها سخت نگیرند» (قُلْ لِلَّذِینَ آمَنُوا یَغْفِرُوا لِلَّذِینَ لا یَرْجُونَ أَیّامَ اللّهِ).

ممکن است آنها بر اثر دور بودن از مبادی ایمان و تربیت الهی برخوردهای خشن و نامطلوب، و تعبیرات زشت و زنندهای داشته باشند، شما باید با بزرگواری و سعه صدر با این گونه اشخاص برخورد کنید، مبادا بر لجاجت خود بیفزایند، و فاصله آنها از حق بیشتر شود.

ولی برای این که این گونه افراد از این بزرگواری و عفو و گذشت سوء استفاده نکنند در پایان آیه میافزاید: «این به خاطر آن است که (خداوند در آن روز) هر قومی را به اعمالی که انجام میدادند جزا دهد» (لِیَجْزِیَ قَوْماً بِما کانُوا یَکْسِبُونَ).

سورة الجاثية(٤٥): آية ١٥ ص: 411

(آیه ۱۵)– میفرماید: «کسی که عمل صالحی به جا آورد به سود خود به جا آورده است، و کسی که کار بدی انجام دهد به زیان خود اوست، سپس همه شما به سوی پروردگارتان بازگردانده میشوید» و نتیجه اعمال خود را مییابید (مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ).

این تعبیر که در آیات قرآن کرارا و با عبارات مختلف آمده است پاسخی است به آنها که می گویند اطاعت و عصیان ما برای خدا چه سود و زیانی دارد؟

و این چه اصراری است که در زمینه اطاعت و نهی از معصیت او می شود؟! این آیات می گوید: همه اینها سود و زیانش متوجه خود شماست، این شما هستید که در پرتو اعمال صالح تکامل می یابید، و این شما هستید که بر اثر جرم و گناه سقوط کرده در پرتگاه غضب و بعد از رحمت او گرفتار لعنت ابدی می شوید.

سورة الجاثية(٤٥): آية 16 ص: 411

(آیه ۱۶)- این همه موهبت به بنی اسرائیل دادیم ولی ...! در تعقیب بحثهایی که در آیات گذشته پیرامون انواع نعمتهای خداوند و شکر گزاری و عمل صالح آمده، بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۱۲

در اینجا نمونهای از زندگی اقوام بعضی اقوام پیشین را که مشمول نعمتهای خداوند شدند اما کفران کردند شرح میدهد.

مىفرمايىد: «ما به بنى اسرائيل كتاب آسمانى و حكومت و نبوّت داديم، و از روزيهاى پاكيزه به آنها عطا كرديم، و آنان را بر جهانيان (هم عصر خود) برترى بخشيديم» (وَ لَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلَى الْعالَمينَ).

در این آیه مجموعا پنج موهبت را که خداوند به بنی اسرائیل عطا کرده، بیان می کند.

نخست مسأله کتاب آسمانی یعنی «تورات» است، که مبیّن معارف دینی و حلال و حرام و طرق هدایت و سعادت بود.

دوم مقام حكومت و قضاوت.

سومین نعمت الهی بر آنها مقام «نبوت» بود که خداوند انبیای بسیاری را از آنها برگزید.

در روایتی آمده است: «عدد انبیای بنی اسرائیل بالغ بر هزار نفر میشد» و در روایت دیگری انبیای بنی اسرائیل چهار هزار نفر ذکر شده است.

چهارمین موهبت مواهب مادی و روزیهای پاکیزه است.

و پنجمین موهبت، برتری و قدرت بلا منازع آنها بود.

سورة الجاثية (45): آية 17 ص: 417

(آیه ۱۷)- در این آیه به ششمین موهبت بزرگی که خدا به این قوم حق نشناس داد اشاره کرده، می گوید: «و ما دلائل روشنی (از امر نبوت و شریعت) در اختیار آنها گذاردیم» (وَ آتَیْناهُمْ بَیِّناتٍ مِنَ الْأَمْرِ).

با وجود این مواهب بزرگ و دلائل بیّن و روشن جایی برای اختلاف وجود نـداشت، ولی این کفران کنندگان به زودی دست به اختلاف زدند.

چنانکه قرآن در دنباله همین آیه می گوید: «پس آنها اختلاف نکردند مگر بعد از آنکه علم و آگاهی به سراغشان آمد و سر چشمه این اختلاف همان حب ریاست و برتری جوئی بود» (فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْیاً بَیْنَهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۱۳

قرآن در پایـان آیه آنها را با این عبارت هشـدار میدهـد: «پروردگار تو روز قیامت در میان آنها در باره آنچه اختلاف نمودند داوری میکند» (إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ).

و به این ترتیب با کفران نعمت و ایجاد اختلاف هم عظمت و قدرت خود را در دنیا از دست دادند و هم مجازات آخرت را برای خود خریدند.

سورة الجاثية(45): آية 18 ص: 413

(آیه ۱۸)- بعد از بیان مواهبی که خداوند به بنی اسرائیل داده بود و کفران کردند، سخن از موهبت عظیمی به میان می آورد که به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله و مسلمین ارزانی داشت، می فرماید: «سپس ما تو را بر شریعت و مسیری به سوی آیین حق قرار دادیم» (ثُمَّ جَعَلْناکَ عَلی شَرِیعَهُ مِنَ الْأَمْرِ).

و از آنجا که این مسیر، مسیر نجات و پیروزی است به دنبال آن به پیامبر صلّی اللّه علیه و اله دستور میدهد «پس از آن پیروی کن» (فَاتَّبعْها).

و نیز از آنجا که نقطه مقابل آن چیزی جز پیروی از هوی و هوس جاهلان نیست، در آخر آیه میافزاید: «و از هوی و هوسهای کسانی که آگاهی ندارند پیروی مکن» (وَ لا تَتَبعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ).

سورة الجاثية(45): آية 19 ص: 413

(آیه ۱۹)- این آیه در حقیقت علتی است برای نهی از تسلیم شدن در برابر پیشنهاد مشرکان میگوید: «آنها هرگز نمی توانند تو را در برابر خداوند بی نیاز کنند» و از عذابش برهانند (إِنَّهُمْ لَنْ یُغْنُوا عَنْکَ مِنَ اللَّهِ شَیْئاً).

هر گاه از آئین باطل آنها پیروی کنی و عذاب الهی دامان تو را بگیرد هرگز نمی توانند به کمک تو بشتابند، گرچه روی سخن در این آیات به پیامبر است ولی منظور همه مؤمنان می باشند.

سپس مى افزايد: «و ظالمان يار و ياور (و دوست و ولى) يكديگرند» (وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضِ).

همه از یک قماشند و در یک مسیر و سر و ته یک کرباس و همگی ضعیف و ناتوانند! اما گمان نکن که تو و افراد با ایمان که اکنون در اقلیت هستید یار و یاوری برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۱۴ نداريد «خداوند يار و ياور پرهيز كاران است» (وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ).

درست است آنها ظاهرا جمعیتی عظیم و قـدرت و ثروت قابل ملاحظهای دارنـد ولی در برابر قدرت بیانتهای حق ذرّه ناچیزی بیش نیستند.

سورة الجاثية(٤٥): آية 20 ص: 414

(آیه ۲۰)- در این آیه به عنوان تأکید بر آنچه گذشت و دعوت به پیروی از این آیین الهی می گوید: «این قرآن و شریعت وسیله بینائیها برای مردم و مایه هدایت و رحمت برای گروهی است که اهل یقین هستند» (هذا بَصائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدیً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْم یُوقِنُونَ).

این تعبیر زیبائی است که از عظمت و تأثیر و عمق این کتاب آسمانی حکایت میکنـد برای آنها که رهرو راهند و جسـتجوگر حق.

سورة الجاثية(45): آية 21 ص: 414

(آیه ۲۱) - حیات و مرگ این دو گروه یکسان نیست! در تعقیب آیات گذشته که سخن از دو گروه «مؤمنان» و «کافران»، یا «پرهیز کاران» و «مجرمان» در میان بود در این آیه این دو را در یک مقایسه اصولی در برابر هم قرار داده، می گوید: «آیا کسانی که مرتکب سیئات شدند گمان کردند آنها را همچون کسانی قرار می دهیم که ایمان آورده و عمل صالح انجام داده اند که حیات و مرگشان یکسان باشد»؟! (أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ اجْتَرَحُوا السَّیِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ کَالَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً مَحْیاهُمْ وَ مَما تُهُمْ)

. «چه بد داوری می کنند»! (ساءَ ما یَحْکُمُونَ)

. آیه می گوید: این یک پندار غلط است که تصور کنند ایمان و عمل صالح، یا کفر و گناه، تأثیری در زندگی انسان نمی گذارد، چنین نیست زندگی و مرگ این دو گروه کاملا با هم متفاوت است.

سورة الجاثية(٤٥): آية 27 ص: 414

(آیه ۲۲)- این آیه در حقیقت تفسیر و تعلیلی است برای آیه قبل، می فرماید: «و خداوند آسمانها و زمین را به حق آفریده است» (وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ).

«و هـدف آن است که هر کس در برابر اعمالی که انجام داده است جزا داده شـود، و به آنها ظلم و سـتمی نخواهـد شـد» (وَ لِتُـجْزی کُلُّ نَفْس بِما کَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ). برگزيده تفسير نمونه، ج۴، ص: ۴۱۵

سراسر عالم نشان می دهد که آفریننده این جهان آن را بر محور حق قرار داده، و در همه جا حق و عدالت حاکم است. با این حال چگونه ممکن است مؤمنان صالح العمل و مجرمان بی ایمان را یکسان قرار دهد.

سورة الجاثية(45): آية 23 ص: 413

(آیه ۲۳)- این آیه نیز توضیح و تعلیل دیگری است برای عـدم مساوات کافران و مؤمنان، میفرماید: «آیا دیـدی کسـی را که معبود خود را هوای نفس خویش قرارداده»؟! (أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ).

و فرمان خدا را رها کرده، و به دنبال خواست دل و هوای نفس افتاد و اطاعت آن را بر اطاعت حق مقدم شمرد.

«و خداوند او را با آگاهی (بر این که شایسته هدایت نیست) گمراه ساخته» (وَ أَضَلُّهُ اللَّهُ عَلی عِلْم).

«و بر گـوش و قلبش مهر زده، و بر چشـمش پردهای افکنـده است» تـا در وادی ضـلالت همواره سرگردان بمانـد (وَ خَتَمَ عَلی سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلی بَصَرِهِ غِشاوَةً).

«با این حال چه کسی می تواند غیر از خدا او را هدایت کند» (فَمَنْ یَهْدِیهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ).

«آیا متذکر نمی شوید»؟ (أَ فَلا تَذَکَّرُونَ). و تفاوت چنین کسی را با آنها که در پرتو نور حق راه خود را یافته اند نمی فهمید؟ راستی چه بت خطرناکی است هوی پرستی که تمام درهای رحمت و طرق نجات را به روی انسان می بندد، و چه گویا و پرمعنی است حدیثی که از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و اله نقل شده: «هرگز در زیر آسمان معبودی مبغوضتر نزد خدا از هوای نفس، پرستش نشده است»! چرا که بتهای معمولی موجوداتی بی خاصیتند، ولی بت هوی و هوس اغوا کننده، و سوق دهنده به سوی انواع گناه و انحراف است.

سورة الجاثية(٤٥): آية 24 ص: 413

(آیه ۲۴) - عقاید دهریین: در اینجا بحث دیگری پیرامون منکران توحید برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۱۶

است، منتها تنها از گروه خاصی از آنها یعنی «دهریین» نام میبرد که مطلقا وجود صانع حکیم را در عالم هستی انکار می کردند، در حالی که اکثر مشرکان ظاهرا به خدا ایمان داشتند و بتها را شفیعان در گاه او میدانستند.

میفرمایـد: «و آنها گفتند چیزی جز همین زندگی ما در دنیا در کار نیست، گروهی از ما میمیرند و گروهی زنده میشوند» و جای آنها را می گیرند، و نسل بشر همچنان تداوم مییابد (وَ قالُوا ما هِیَ إِلَّا حَیاتُنَا الدُّنْیا نَمُوتُ وَ نَحْیا).

«و چیزی جز دهر و گذشت روزگار ما را هلاک نمیکند» (وَ ما یُهْلِکُنا إِلَّا الدَّهْرُ).

جمله نخست ناظر به انكار معاد است و جمله بعد ناظر به انكار مبدأ.

قرآن مجید در پاسخ این بیهوده گویان جمله کوتاه و پرمحتوائی بیان کرده که در موارد دیگری از قرآن نیز به چشم میخورد، میفرمایـد: «آنها به این سـخن (که میگوینـد معادی نیست و مبدأ جهان نیز دهر است) یقین ندارند، بلکه تنها گمان بیپایهای دارند» (وَ ما لَهُمْ بِذلِکَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ).

سورة الجاثية(٤٥): آية ٢٥ ص: 416

(آیه ۲۵) - در این آیه به یکی از بهانه جوئیهای بیاساس این گروه در مورد معاد اشاره کرده، می گوید: «و هنگامی که آیات بینات و آشکار ما بر آنها خوانده می شود تنها دلیلی که در برابر آن دارند این است که می گویند: اگر راست می گوئید، پدران ما را زنده کنید و بیاورید» تا بر صدق گفتار شما گواهی دهند (وَ إِذَا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ ما کانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

آری! این تنها دلیل آنها بود، دلیلی سست و واهی، چرا که خداونـد قـدرت خویش را بر احیـای مردگان از طرق مختلف به

سورة الجاثية(٤٥): آية 25 ص: 418

(آیه ۲۶) - در آن دادگاه عـدل همه به زانو در می آیند! در اینجا پاسخ دیگری به سخن دهریین که منکر مبدأ و معاد بودند داده، می فرماید: «بگو: خداوند شـما را زنده می کند، سپس می میراند سپس (بار دیگر حیات می بخشد و) برای حساب در روز قیامت، روزی که در آن شک و تردیدی نیست جمع آوری می کند» (قُلِ اللَّهُ یُحْیِیکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یَجْمَعُکُمْ إِلی یَوْمِ الْقِیامَةِ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۱۷

لا رَيْبَ فِيهِ)

. آنها نه خدا را قبول داشتند و نه روز جزا را، و محتوای این آیه در حقیقت استدلال برای هر دو قسمت است، چرا که روی مسأله حیات نخستین تکیه شده، از سوی دیگر، کسی که قادر بر حیات نخستین است چگونه قادر بر اعاده آن نیست. و از آنجا که بسیاری از مردم در این دلائل تأمل و دقت نمی کنند در پایان آیه می افزاید: «ولی اکثر مردم نمی دانند» (وَ لَکِنَّ اَلنَّاس لا یَعْلَمُونَ).

سورة الجاثية(45): آية 27 ص: 417

(آیه ۲۷)- این آیه دلیل دیگری بر مسأله معاد است که شبیه آن را در آیات دیگر قرآن خواندهایم، میفرماید: «مالکیت و حاکمیت آسمانها و زمین از آن خداست» (وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

او که مالک و حاکم بر تمام پهنه عالم هستی است، مسلما قدرت بر احیای مردگان را دارد، و چنین کاری در برابر قدرت او هرگز مشکل نیست.

او این جهان را مزرعهای برای قیامت، و تجارتخانه پرسودی برای عالم پس از مرگ، قرار داده است، لذا در پایان آیه میافزاید: «و آن روز که قیامت بر پا شود اهل باطل زیان میبینند» (وَ یَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ یَوْمَئِذٍ یَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ).

حیات و عقل و هوش و مواهب زنـدگی سـرمایههای انسان است باطل گرایان آنها را با متاع زود گذری که نسبت به آن هیچ ارزشـمند نیست مبادله میکنند، و روز رستاخیز که تنها قلب سلیم و ایمان و عمل صالح به کار میآید زیانکار بودن خود را با چشم مشاهده میکنند.

سورة الجاثية (45): آية 28 ص: 417

(آیه ۲۸)– این آیه صحنه قیامت را به طرز بسیار گویائی ترسیم کرده، می گوید: «در آن روز هرامتی را می بینی (که از شدت ترس و وحشت) بر زانو نشسته» (وَ تَری کُلَّ أُمَّةٍ جائِيةً).

سپس دومین صحنه از صحنه های قیامت را به این صورت بیان می کند که:

«هرامتی به سوی کتابش خوانـده میشود (و به آنها میگویند:) امروز جزای آنچه را انجام میدادید به شـما میدهند» (کُلُّ أُمَّةٍ تُدْعی إِلی کِتابِهَا الْیَوْمَ تُجْزَوْنَ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۱۸

این کتاب همان نامه اعمالی است که تمام نیکیها و بدیها، زشتیها و زیبائیهای گفتار و کردار انسانها در آن ثبت است.

تعبیر «کُلَّ أُمَّهٍ تُدْعی إِلی کِتابِهَا» نشان میدهـد که علاوه بر نامه اعمالی که برای هر انسانی جـداگانه موجود است هر امتی نیز نامه اعمالی متعلق به جمع و گروه خود دارد.

سورة الجاثية(٤٥): آية 29 ص: 418

(آیه ۲۹)- بار دیگر از سوی خداوند به آنها خطاب می شود و به عنوان تأکید می گوید: «این کتاب ما است که به حق با شما سخن می گوید» و اعمال شما را بازگو می کند! (هذا کِتابُنا یَنْطِقُ عَلَیْکُمْ بِالْحَقِّ).

آن روز که شما هر چه میخواستید انجام میدادید هرگز باور نمیکردید که اعمالتان در جایی ثبت شود، ولی «ما آنچه را انجام میدادید مینوشتیم» (إِنَّا کُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

سورة الجاثية (45): آية 30 ص: 418

(آیه ۳۰)- در این آیه مرحله نهائی دادرسی قیامت را بیان می کند، آنجا که هرگروهی به نتیجه اعمال خود میرسند. می فرماید: «اما کسانی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند پروردگارشان آنها را در رحمت خود وارد می کند» (فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَیُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِی رَحْمَتِهِ).

و در پایان آیه می فرماید: «این پیروزی آشکار است» (ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِینُ).

سورة الجاثية(٤٥): آية 31 ص: 418

(آیه ۳۱) - در این آیه سرنوشت گروه دیگری را که نقطه مقابل این گروهند یادآور شده، میفرماید: «و اما کسانی که کافر شدند (به آنها گفته میشود) مگر آیات من بر شما خوانده نمی شد و شما استکبار می کردید (و تسلیم حق نمی شدید) و قومی مجرم و گناهکار بودید» (وَ أَمَّا الَّذِینَ کَفَرُوا أَ فَلَمْ تَکُنْ آیاتِی تُتْلی عَلَیْکُمْ فَاسْتَکْبَرْتُمْ وَ کُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِینَ).

قابل توجه این که در این آیه تنها سخن از کفر است، و اما اعمال سوء به عنوان یک عامل دخول به عـذاب الهی ذکر نشـده، این به خاطر آن است که مسأله کفر به تنهایی موجب عذاب است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۱۹

سورة الجاثية(٤٥): آية ٣٢ ص: 419

(آیه ۳۲) – آن روز که اعمال سوء انسان آشکار می شود! این آیه توضیحی است بر مسأله استکبار کافران در برابر آیات الهی و دعوت انبیا که در آیه قبل به صورت اجمالی بیان شده بود، می فرماید: «هنگامی که گفته می شد و عده الهی حق است و در قیامت هیچ شکّی نیست شما می گفتید: ما نمی دانیم قیامت چیست؟ ما تنها گمانی در این باره داریم و به هیچ وجه یقین نداریم» (وَ إِذا قِیلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقَّ وَ السَّاعَةُ لا رَیْبَ فِیها قُلْتُمْ ما نَدْرِی مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنَّا وَ ما نَحْنُ بِمُسْتَیْقِنِینَ).

آغاز جزء 26 قرآن مجيد ص: 419

سورة الجاثية(45): آية 33 ص: 419

(آیه ۳۳)- این آیه از مجازات و کیفر آنها سخن می گوید، کیفری که شباهت با مجازاتهای قراردادی دنیای ما ندارد، می فرماید: «در آنجا سیّئات اعمالشان برای آنها آشکار می شود» (وَ بَدا لَهُمْ سَیّئاتُ ما عَمِلُوا).

زشتیها و بدیها تجسّم مییابند، جان میگیرند، و در برابر آنها آشکار میشوند، و همدم و همنشین آنها هستند و دائما آزارشان میدهند! «و سر انجام آنچه را استهزا می کردند آنها را فرا می گیرد» (وَ حاقَ بِهِمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ).

سورة الجاثية(45): آية 34 ص: 419

(آیه ۳۴) – و از همه دردناکتر این که از سوی خداونـد رحمن و رحیم به آنها خطاب میگردد: «و گفته میشود: امروز شـما را فراموش میکنیم همان گونه که شما دیدار امروزتان را فراموش کردید»! (وَ قِیلَ الْیَوْمَ نَنْساکُمْ کَما نَسِیتُمْ لِقاءَ یَوْمِکُمْ هذا). در دنباله آیه میافزاید: به آنها گفته میشود: «و جایگاه شما دوزخ است»! (وَ مَأْواکُمُ النَّارُ).

و اگر گمان می کنید کسی به یاری شما می شتابد قاطعانه به شما می گوئیم «هیچ یار و یاوری برای شما نیست» (وَ ما لَکُمْ مِنْ ناصِرِینَ).

سورة الجاثية(45): آية 35 ص: 419

(آیه ۳۵)- اما چرا و به چه دلیل شما گرفتار چنین سرنوشتی شدید؟ «این به خاطر آن است که آیات خدا را به سخریه گرفتید و زندگی دنیا شما را مغرور کرد» برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۲۰

(ذلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا).

و در پایان آیه بار دیگر آنچه را که در آیه قبل آمده بود به تعبیر دیگری تکرار و تأکید کرده، می گوید: «پس امروز آنها از آتش دوزخ خارج نمی شوند، و هیچ گونه عذری از آنها پذیرفته نیست» (فَالْیَوْمَ لا یُخْرَجُونَ مِنْها وَ لا هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ).

در آنجا سخن از مأوی و جایگاه ثابت آنها بود و در اینجا سخن از عـدم خروج آنها از دوزخ است، در آنجا میفرمود یاوری ندارند، و در اینجا می گوید عذری از آنها از دوزخ است، در آنجا میفرمود یاوری ندارند، و در اینجا می گوید عذری از آنها پذیرفته نمی شود، و در نتیجه راه نجاتی برای آنها نیست.

سورة الجاثية(٤٥): آية 37 ص: 420

(آیه ۳۶) - در پایان این سوره برای تکمیل بحث توحید و معاد که بیشترین مباحث این سوره را در بر می گرفت، ضمن دو آیه وحدت ربوبیت و عظمت خداوند و قدرت و حکمت او را بیان کرده و پنج وصف از صفات خدا را منعکس میسازد، نخست می گوید: «پس تمام حمد و ستایش مخصوص خداست» (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ).

چرا که او «پروردگار همه آسمانها، و پروردگار زمین، و پروردگار همه جهانیان است» (رَبِّ السَّمـاواتِ وَ رَبِّ الْـأَرْضِ رَبِّ

الْعالَمِينَ).

سورة الجاثية(45): آية 37 ص: 424

(آیه ۳۷)- بعد از توصیف ذات پاک او به مقام «حمد» و «ربوبیت» در سومین توصیف می افزاید: «و برای اوست کبریا و عظمت و علق و رفعت در آسمانها و زمین» (وَ لَهُ الْكِبْرِیاءُ فِی السَّماواتِ وَ الْلَّأَرْضِ). چرا که آثار عظمتش در پهنه آسمان و سراسر زمین و تمام جهان آشکار است.

و بالاخره در چهارمین و پنجمین توصیف می گوید: «او قادر شکست ناپذیر و حکیم علی الاطلاق است» (وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ). به این ترتیب سوره جاثیه که با توصیف خداوند به «عزیز و حکیم» آغاز شده با همین اوصاف پایان می یابد، و سراسر محتوای آن نیز گواه بر عزّت و حکمت بی پایان اوست.

«پایان سوره جاثیه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۲۱

سوره احقاف [46] ص: 421

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۳۵ آیه است

محتوای سوره: ص: 421

این سوره اهداف زیر را تعقیب می کند:

١- بيان عظمت قرآن.

۲- مبارزه قاطع بر ضد هرگونه شرک و بت پرستی.

۳- توجیه مردم در مسأله معاد و دادگاه عدل پروردگار.

۴- ضمنا به عنوان هشدار به مشركان و مجرمان گوشهاى از داستان قوم عاد را كه ساكن سرزمين «احقاف» بودند بيان مىدارد- نام سوره نيز از همين جا گرفته شده است.

۵- اشاره به گسترش و عمومیت دعوت پیامبر اسلام، تا آنجا که غیر از انسانها یعنی طایفه جن را نیز شامل میشود.

۶- تشویق مؤمنان و انذار کافران و ایجاد مبادی خوف و رجاء.

٧- دعوت پيامبر اسلام به صبر و استقامت.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 421

در حدیثی از امام صادق علیه السّر لام میخوانیم: «هر کس سوره احقاف را هر شب، یا هر جمعه، بخواند خداوند وحشت دنیا را از او بر میدارد، و از وحشت روز قیامت نیز در امان میدارد».

بدیهی است این گونه حسنات و درجات تنها به خاطر تلاوت الفاظ نیست بلکه تلاوتی است سازنده و بیدارگر در مسیر ایمان و تقوا، و محتوای سوره احقاف به راستی چنین اثری را دارد، اگر انسان طالب حقیقت و آماده عمل باشد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۲۲

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الأحقاف(46): آية ١ ص: 42٢

(آیه ۱)- آفرینش این جهان بر اساس حق است: این سوره آخرین سوره از سوره های هفتگانه «حم» است که مجموعا «حوامیم» نام دارد. و در آیه اول این سوره نیز به حروف مقطعه «حا- میم» (حم). برخورد می کنیم.

در تفسیر این حروف همین قدر می گوئیم که این آیات تکان دهنده و حرکت آفرین و پرمحتوای قرآن از حروف ساده الفبا، از «حا و میم» و مانند آن، ترکیب یافته، و در عظمت خداوند همین بس که چنان ترکیب عظیمی را از چنین مفردات سادهای به وجود آورده.

سورة الأحقاف(46): آية 7 ص: 427

(آیه ۲)- و شایـد به همین جهت بلا فاصـله میافزاید: «این کتاب از سوی خداوند عزیز و حکیم (قادر و توانا) نازل شده است» (تَنْزِیلُ الْکِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِیزِ الْحَکِیم).

این همان تعبیری است که در آغاز سه سوره از سورههای «حم» مؤمن- جاثیه و احقاف، آمده است.

مسلم است قدرتی شکست ناپذیر و حکمتی بی کران لازم است تا چنین کتابی را نازل کند.

سورة الأحقاف(46): آية ٣ ص: 427

(آیه ۳)- سپس از کتاب «تدوین» به کتاب «تکوین» پرداخته، و از عظمت و حقانیت آسمانها و زمین سخن می گوید، می فرماید: «ما آسمانها و زمین و آنچه را میان این دو است جز به حق برای سر آمد معینی نیافریدیم» که با فرار رسیدن آن دنیا فانی می شود (ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلِ مُسَمَّی).

نه در کتاب آسمانیش کلمهای بر خلاف حق است، و نه در مجموعه عالم خلقتش چیزی ناموزون و مخالف حق یافت می شود.

اما با این که قرآن حق است، و آفرینش جهان نیز حق «کافران لجوج از آنچه انـذار شدهاند روی گردانند» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۲۳

از یک سو آیات قرآن پی در پی آنها را انـذار و بیم می دهـد که دادگاه بزرگی در پیش دارید، و از سوی دیگر جهان آفرینش با نظامات خاص خود نیز هشدار می دهد که حسابی در کار است، اما این غافلان بی خبر نه به این توجهی می کنند، و نه به آن.

سورة الأحقاف(46): آية 4 ص: 423

(آیه ۴)- گمراهترین مردم! در آیات گذشته سخن از آفرینش آسمانها و زمین در میان بود که همه اینها از خداوند عزیز و حکیم است، و برای تکمیل این بحث روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و اله کرده، میفرماید: «به آنان (مشرکان) بگو: این معبودهایی را که غیر از خدا پرستش میکنید به من نشان دهید چه چیزی از زمین را آفریدهاند»؟! (قُلْ أَ رَأَیْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَرُونِی ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْض).

«يا شركتى در آفرينش آسمانها (و مالكيت و تدبير آنها) دارند»؟ (أَمْ لَهُمْ شِرْكُ فِي السَّماواتِ).

هنگامی که شما قبول دارید بتها هیچ گونه دخالتی در آفرینش ندارند با این حال چگونه برای حل مشکلات یا جلب برکات دست به دامن این موجودات بیخاصیت و فاقد عقل و شعور میزنید؟! و اگر فرضا میگویید آنها شرکتی در امر خلقت و آفرینش داشتهاند «کتابی آسمانی پیش از این، یا اثر علمی از گذشتگان برای من بیاورید (که دلیل صدق گفتار شما باشد) اگر راست می گوئید» (ائتُونِی بِکِتابٍ مِنْ قَبْلِ هذا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

سورة الأحقاف(46): آية 5 ص: 423

(آیه ۵)- سپس برای بیان عمق گمراهی این مشرکان میافزاید: «چه کسی گمراهتر است از آنها که موجوداتی غیر از خدا را پرستش میکنند که اگر تا قیامت هم آنان را بخوانند پاسخشان نمی گویند»؟ (وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ یَهِ دُعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا یَسْتَجِیبُ لَهُ إِلَی یَوْم الْقِیامَهِ).

نه تنها پاسخ آنها را نمی دهند، اصلا سخنانشان را نمی شنوند «و از دعا و ندای آنها غافلند»! (وَ هُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۲۴

سورة الأحقاف(46): آية 6 ص: 424

(آیه ۶) – و از آن اسفبارتر این که: «هنگامی که مردم مشرک در قیامت محشور می شوند معبودهای آنها دشمنان آنها خواهند بود حتی عبادت آنها را انکار می کنند»! (وَ إِذَا حُشِرَ النَّاسُ کانُوا لَهُمْ أَعْداءً وَ کانُوا بِعِبادَتِهِمْ کافِرِینَ).

معبودهایی که عقل دارند رسما به دشمنی بر میخیزند، حضرت مسیح از عابدان خود بیزاری میجوید، و فرشتگان نیز تبری میجویند، حتی شیاطین و جن نیز اظهار تنفر میکنند، و آنها که بیعقل بودند خداوند حیات و عقل به آنها میبخشد تا به سخن در آیند و مراتب دشمنی و نفرت خود را از این عابدان اظهار کنند.

سورة الأحقاف(46): آية 7 ص: 424

(آیه ۷)- بگو: من پیامبر نو ظهوری نیستم! قرآن همچنان از وضع مشرکان گفتگو میکند، و به چگونگی برخورد آنها با آیات الهی اشاره کرده، می گوید:

«و هنگامی که آیات روشن ما بر آنها خوانده می شود کافران در مورد حقی که به سوی آنها آمده است می گویند: این سحر آشکار است» (وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آیاتُنا بَیِّنَاتٍ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ هذا سِحْرٌ مُبِینٌ).

آنها نفوذ سریع و عمیق و جاذبه عجیب قرآن را در اعماق دلها با یک تفسیر انحرافی به عنوان «سحر آشکار» مطرح می کنند که خود اعتراف ضمنی روشنی است به تأثیر فوق العاده قرآن در قلوب انسانها! «حق» در آیه فوق اشاره به همان «آیات قرآن»

سورة الأحقاف(46): آية 1 ص: 424

(آیه ۸)- ولی آنها تنها به این تهمت قناعت نمی کنند «بلکه (پا را از آن فراتر نهاده، با صراحت) می گویند: این آیات را بر خدا افترا بسته» (أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ).

در اینجا خداوند به پیامبرش دستور می دهد که با دلیل روشنی به آنها پاسخ گوید، می فرماید: به آنها «بگو: اگر من آن را به دروغ به خدا نسبت داده باشم (لازم است که مرا رسوا کند) و شما نمی توانید در برابر خداوند از من دفاع کنید» (قُلْ إِنِ افْتَرَیْتُهُ فَلا تَمْلِکُونَ لِی مِنَ اللَّهِ شَیْئاً).

چگونه ممکن است خداوند این «آیات بینات» و این معجزه جاودانی را بر بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۲۵

دست دروغگویی ظاهر سازد؟! این از حکمت و لطف خداوند دور است.

سپس به عنوان تهدید می افزاید: «اما خداوند بهتر از هر کس کارهایی را که شما در آن وارد می شوید می داند» و به موقع شما را سخت کیفر می دهد (هُوَ أَعْلَمُ بِما تُفِیضُونَ فِیهِ).

و در جمله بعد به عنوان تأكيد بيشتر توأم با برخوردي مؤدبانه ميافزايد:

«همين بس كه خداوند گواه ميان من و شما باشد» (كَفي بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ).

او صدق دعوت من، و تلاش و کوششهایم را در ابلاغ رسالت میداند، و دروغ و افترا و کارشکنی شما را نیز میبیند، و همین برای من و شما کافی است.

و برای این که راه بازگشت را نیز به آنها نشان دهد در پایان آیه می افزاید: «او آمرزنده و مهربان است» (وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ). توبه کاران را می بخشد، و آنها را مشمول رحمت واسعه خود می سازد.

سورة الأحقاف(46): آية 9 ص: 423

(آیه ۹) - در این آیه می افزاید: «بگو: من پیامبر نو ظهوری نیستم» که با سایر پیامبران متفاوت باشم (قُلْ ما کُنْتُ بِدُعاً مِنَ الرُّسُل).

«و نمى دانم با من و شما چه خواهد شد»؟ (وَ ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَ لا بِكُمْ).

«من تنها از آنچه بر من وحی میشود پیروی میکنم» (إِنْ أَتَّبُعُ إِلَّا ما يُوحی إِلَيَّ).

«و من جز بیم دهنده آشکاری نیستم» (وَ ما أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ).

سورة الأحقاف(46): آية ١٠ ص: 420

(آیه ۱۰)- در این آیه برای تکمیل آنچه در آیات قبل آمده می افزاید: «بگو:

به من خبر دهید اگر این قرآن از سوی خدا باشد و شما به آن کافر شوید، در حالی که شاهدی از بنی اسرائیل بر آن شهادت دهد، و او ایمان بیاورد و شما تکبر کنید و تسلیم نشوید (چه کسی از شما گمراهتر خواهد بود؟!) مسلما خداوند قوم ظالم را هدایت نمی کند» (قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ کانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ کَفَوْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ عَلی مِثْلِهِ فَآمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ

لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

این شاهد بنی اسرائیلی دانشمند معروف یهود «عبد الله بن سلام» بود که در مدینه ایمان آورد و به مسلمین پیوست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۲۶

سورة الأحقاف(45): آية ١١ ص: 476

اشاره

(آیه ۱۱)

شأن نزول: ص: 476

هنگامی که اسلام از طرف قشرهای فقیر و بادیه نشین و تهیدست بسرعت مورد استقبال قرار گرفت چرا که هم منافع نامشروعی نداشتند که به خطر بیفتد، و هم مغز آنها از باد غرور انباشته نبود، و هم قلبهائی پاکتر از قشر مرفّه و عیّاش و هوسباز داشتند.

مغروران مستکبر گفتند: این چه آئینی است که پیروانش انبوهی بادیه نشین فقیر و تهیدست و کنیزان و بردگانند؟ اگر مکتب معقولی بود هرگز نباید افراد سطح پائین و منحط اجتماع از آن استقبال کنند اما ما که در سطح بالا قرار داریم و چشم و چراغ جامعه هستیم عقب بمانیم! این آیه و سه آیه بعد از آن نازل شد و به آنها پاسخ داد.

تفسير: ص: 476

شرط پیروزی، ایمان و استقامت است- قرآن همچنان اعمال و گفتار کافران و انحرافات آنها را مورد بحث و بررسی و نکوهش قرار میدهد، نخست به این گفتار غرور آمیز و دور از منطق آنها اشاره کرده، می گوید: «کافران در باره مؤمنان چنین گفتند: اگر ایمان و اسلام چیز خوبی بود هرگز آنها بر ما پیشی نمی گرفتند»! (وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلَّذِینَ آمَنُوا لَوْ کانَ خَیْراً ما سَبَقُونا إلَیْهِ).

اینها یک مشت افراد فقیر و بی سر و پا، روستائی و برده و کم معرفتند! چگونه ممکن است آنها حق را بفهمند و به آن اقبال کنند، ولی ما چشم و چراغهای این جامعه از آن غافل و بی خبر بمانیم؟! لذا در پایان آیه با این تعبیر لطیف به آنها پاسخ داده، می گوید: «چون خود آنها به وسیله قرآن هدایت نشدند به زودی می گویند: این یک دروغ قدیمی است»! (وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْکٌ قَدِیمٌ).

يعني آنها نخواستهاند به وسيله قرآن هدايت شوند، نه اين كه هدايت قرآن كمبودي داشت.

سورة الأحقاف(46): آية 17 ص: 478

(آیه ۱۲)- سپس به دلیل دیگری برای اثبات حقانیت قرآن و نفی تهمت مشرکان که میگفتند: این یک دروغ قدیمی است پرداخته، می گوید: از نشانه های صدق این کتاب بزرگ این است که: «پیش از آن، کتاب موسی که پیشوا و رحمت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۲۷

بود (نشانههای آن را بیان کرده) و این کتاب هماهنگ با نشانههای تورات است» (وَ مِنْ قَبَلِهِ کِتابُ مُوسی إِماماً وَ رَحْمَ لَهُ وَ هذا کِتابٌ مُصَدِّقٌ).

با این حال چگونه می گوئید این یک دروغ قدیمی است؟! و به دنبال آن می افزاید: این در حالی است که این کتاب آسمانی «به زبان عربی و فصیح و گویاست» که همگان از آن بهره مند شوند (لِساناً عَرَبِیًّا).

و در پایـان آیه هـدف نهـائی از نزول قرآن را در دو جمله کوتاه به این صورت شـرح میدهـد: «هـدف این بوده که ظالمان را انذار و نیکو کاران را بشارت دهد» (لِیُنْذِرَ الَّذِینَ ظَلَمُوا وَ بُشْری لِلْمُحْسِنِینَ).

سورة الأحقاف(46): آية ١٣ ص: 427

(آیه ۱۳) – این آیه در حقیقت تفسیری است برای «محسنین» (نیکو کاران) که در آیه قبل آمده بود، میفرماید: «کسانی که گفتند: پروردگار ما الله است، سپس استقامت کردند، نه ترسی برای آنهاست و نه اندوهگین میشوند» (إِنَّ الَّذِینَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ).

بنابر این «محسنین» کسانی هستند که از نظر اعتقادی در خط توحید، و از نظر عمل در خط استقامت و صبرند.

سورة الأحقاف(46): آية 14 ص: 427

(آیه ۱۴)- و در این آیه مهمترین بشارت را به موحدان نیکو کار میدهد و میفرماید: «آنها اهل بهشتند و جاودانه در آن میمانند» (أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ خالِدِینَ فِیها).

«این به پاداش اعمالی است که انجام میدادند» (جَزاءً بِما کانُوا یَعْمَلُونَ).

سورة الأحقاف(46): آية 15 ص: 427

(آیه ۱۵)- ای انسان! به مادر و پدر نیکی کن این آیه و آیات آینده در حقیقت توضیحی است در باره دو گروه «ظالم» و «محسن» که در آیات قبل به سرنوشت آنها اجمالا اشاره شده است.

نخست به وضع «نیکو کاران» پرداخته، و از مسأله نیکی به پـدر و مـادر و شـکر زحمـات آنهـا که مقـدمهای است برای شـکر پروردگار شـروع کرده، میفرمایـد: «ما انسان را توصـیه کردیم که در باره پـدر و مادرش نیکی کنـد» (وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ اِحْساناً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۲۸

سپس به دلیل لزوم حق شناسی در برابر مادر پرداخته، می گویـد: «مادر، او را با اکراه و ناراحتی حمل می کنـد، و با ناراحتی بر زمین می گـذارد، و دوران حمل و از شـیر باز گرفتنش سـی ماه است» (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ کُرْهاً وَ وَضَ عَتْهُ کُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَـهْ اً).

«مادر» در طول این سمی ماه بزر گترین ایشار و فداکاری را در مورد فرزندش انجام میدهد و اینکه قرآن در اینجا تنها از

ناراحتیهای مادر سخن به میان آورده و سخنی از پدر در میان نیست نه به خاطر عدم اهمیت آن است، چرا که پدر نیز در بسیاری از این مشکلات شریک مادر است، ولی چون مادر سهم بیشتری دارد بیشتر روی او تکیه شده است.

ضمنا از این تعبیر قرآنی می توان استفاده کرد که هر قدر از مقدار حمل کاسته شود باید بر مقدار دوران شیر خواری افزود، به گونهای که مجموعا سی ماه تمام را شامل گردد.

سپس می افزاید: حیات انسان همچنان ادامه می یابد «تا زمانی که به کمال قدرت نیروی جسمانی رسد، و به مرز چهل سالگی وارد شود» (حَتَّی إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِینَ سَنَةً).

در حدیثی آمده است: «شیطان دستش را به صورت کسانی که به چهل سالگی برسند و از گناه توبه نکنند می کشد و می گوید پدرم فدای چهرهای باد که هرگز رستگار نمی شود»! و در جبین این انسان نور رستگاری نیست!.

قرآن در دنباله این سخن میافزاید: این انسان لایق و با ایمان هنگامی که به چهل سالگی رسید سه چیز را از خدا تقاضا می کند: نخست «می گوید: پروردگارا! به من الهام ده و توفیق بخش تا شکر نعمتی را که به من و پدر و مادرم ارزانی داشتی به جا آورم» (قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْکُرَ نِعْمَتَکَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَیَّ وَ عَلی والِدَیَّ).

در دومین تقاضا عرضه میدارد: خداوندا! به من توفیق ده «تا عمل صالح به جا آورم، عملی که تو از آن خشنود باشی» (وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ).

و بالاخره در سومین تقاضایش عرض می کند: خداوندا! «صلاح برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۲۹ و درستکاری را در فرزندان و دودمان من تداوم بخش» (وَ أَصْلِحْ لِی فِی ذُرِّیَتِی).

و در پایان آیه دو مطلب را اعلام میدارد که هر کدام بیانگر یک برنامه عملی مؤثر است، می گوید: پروردگارا! «من (در این سن و سال) به سوی تو باز می گردم و توبه می کنم» (إِنِّی تُبْتُ إِلَيْکَ).

به مرحلهای رسیدهام که باید خطوط زندگی من تعیین گردد، و تا به آخر عمر همچنان ادامه یابد.

ديگر اين كه مي گويد: «و من از مسلمين هستم» (وَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

سورة الأحقاف(45): آية 18 ص: 429

(آیه ۱۶)- این آیه بیان گویائی است از اجر و پاداش این گروه از مؤمنان شکر گزار صالح العمل و توبه کار که به سه پاداش مهم در آن اشاره شده است.

نخست می فرماید: «آنها کسانی هستند که ما بهترین اعمالشان را قبول می کنیم» (أُولئِکَ الَّذِینَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا). یعنی خداونـد بهـترین اعمـال آنهـا را معیـار پـذیرش قرار میدهـد و حـتّی اعمـال درجـه دو، و کـم اهمیت آنهـا را به فضـل و رحمتش، به حساب اعمال درجه یک می گذارد.

موهبت دوم پاکسازی آنهاست، می گوید: «و ما از گناهانشان می گذاریم» (وَ نَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ).

«در حالی که در میان بهشتیان جای دارند» (فِی أَصْحابِ الْجَنَّةِ).

و این سومین موهبت الهی نسبت به آنهاست که آنان را با این که لغزشهایی داشتهاند شستشو داده، در کنار نیکان و پاکانی جای می دهد که از مقربان درگاه اویند.

و در پایان آیه برای تأکید بر این نعمتها که گفته شد، می افزاید: «این وعده صدقی است که پیوسته به آنها داده شده است»

(وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ).

سورة الأحقاف(45): آية 17 ص: 429

(آیه ۱۷)– پایمال کننـدگان حقوق پـدر و مادر: در آیات قبل سـخن از مؤمنانی در میان بود که در پرتو ایمان و عمل صالح و شکر نعمتهای حق، و توجه به برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۳۰

حقوق پدر و مادر و فرزندان، به مقام قرب الهی راه مییابند، و مشمول الطاف خاص او میشوند. در اینجا سخن از کسانی است که در نقطه مقابل آنها قرار دارند، افرادی بی ایمان و حق نشناس و عاق پدر و مادر.

مى فرمايىد: «و آن كسى كه به پىدر و مادرش مى گويىد: اف بر شىما! آيىا به من وعىده مى دهيىد كه من (روز قيامت) مبعوث مى شوم؟ در حالى كه قبل از من اقوام زيادى بودنىد» و مردنىد و هر گز مبعوث نشدنىد! (وَ الَّذِى قالَ لِوالِدَيْهِ أُفِّ لَكُما أَ تَعِدانِنِى أَنْ أُخْرَجَ وَ قَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِى).

اما پدر و مادر مؤمن در مقابل این فرزند خیرهسر تسلیم نمیشدند «آنها فریاد میکشند و خدا را به یاری میطلبند که وای بر تو (ای فرزند!) ایمان بیاور که وعده خدا حق است» (وَ هُما یَشتَغِیثانِ اللَّهَ وَیْلَکَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقُّ).

اما او همچنان به لجاجت و خیره سری خود ادامه میدهد، و با تکبر و بیاعتنائی «می گوید: اینها چیزی جز افسانههای پیشینیان نیست»! (فَیَقُولُ ما هذا إِلَّا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ).

این که می گویید معاد و حساب و کتابی در کار است از خرافات و داستانهای دروغین اقوام گذشته است، و من هرگز در برابر آن تسلیم نخواهم شد.

آری! پـدر و مادر دلسوز او هر چه تلاش و کوشش می کننـد تا این فرزند دلبند گرفتار عذاب دردناک الهی نشود او همچنان در کفر خود پا فشاری می کند و سر انجام ناچار او را رها می کنند.

سورة الأحقاف(46): آية ١٨ ص: 430

(آیه ۱۸)- همان گونه که در آیات گذشته پاداش مؤمنان صالح العمل بیان شده، در اینجا سر انجام کار کافران جسور و خیرهسر را نیز بیان کرده، میفرماید:

«آنها كسانى هستند كه فرمان عـذاب الهى در باره آنان مسـجل شـده، و همراه اقوام كافر از جن و انس كه قبل از آنها بودند گرفتـار مجـازات دردنـاك مىشونـد و اهـل دوزخنـد» (أُولِيْـكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِى أُمَمٍ قَـدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْس).

«چرا که آنها همه از زیانکاران بودند» (إِنَّهُمْ کانُوا خاسِرِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۳۱ چه زیانی از این بدتر که تمام سرمایههای وجود خود را از دست دادند و خشم و غضب خدا را برای خود خریدند.

سورة الأحقاف(46): آية ١٩ ص: 431

(آیه ۱۹)- در این آیه نخست به تفاوت درجات و مراتب هر یک از این دو گروه اشاره کرده، می گوید: «و برای هر کدام از آنها درجاتی است بر طبق اعمالی که انجام دادهاند» (وَ لِکُلِّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا). چنان نیست که بهشتیان یا دوزخیان همه در یک درجه باشند، بلکه آنها نیز به تفاوت اعمالشان، و به تناسب خلوص نیّت و میزان معرفتشان، مقامات متفاوتی دارند، و اصل عدالت، دقیقا در اینجا حاکم است.

سپس مىافزايد: «هدف اين است كه خداوند اعمال آنها را بىكم و كاست به آنان تحويل دهد» (وَ لِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمالَهُمْ).

این تعبیر اشاره دیگری است به مسأله «تجسم اعمال» که در آنجا اعمال آدمی با او خواهد بود، اعمال نیکش مایه رحمت، و آرامش اوست، و اعمال زشتش مایه بلا و ناراحتی و رنج و عذاب.

و در پایان به عنوان تأکید می گوید: «و به آنها هیچ ستمی نخواهد شد» (وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ). چرا که اعمال خودشان را دریافت میدارند.

سورة الأحقاف(46): آية 20 ص: 431

(آیه ۲۰)- زهد و ذخیره برای آخرت: این آیه همچنان بحث آیات گذشته را پیرامون مجازات کافران و مجرمان ادامه می دهد و گوشه هایی از عذابهای جسمانی و روحی آنها را بازگو کرده، می فرماید: «آن روز که کافران را بر آتش عرضه می کنند (به آنها گفته می شود:) از طیبات و لذائند در زندگی دنیای خود استفاده کردید و از آن بهره گرفتید اما امروز عذاب ذلت بار به خاطر استکباری که در زمین بنا حق کردید و به خاطر گناهانی که انجام می دادید جزای شما خواهد بود»! (وَ یَوْمَ یُعْرَضُ الَّذِینَ کَفُرُوا عَلَی النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَیِّباتِکُمْ فِی حَیاتِکُمُ الدُّنیا وَ اسْ تَمْتَعْتُمْ بِها فَالْیُوْمَ تُجْزَوْنَ عَیذابَ الْهُونِ بِما کُنْتُمْ تَسْ تَکْبِرُونَ فِی الْأَرْضِ بِعَیْر الْحَقِّ وَ بِما کُنْتُمْ تَشْ تَشْ تَشْ تَدُبِرُونَ فِی الْأَرْضِ بِعَیْر الْحَقِّ وَ بِما کُنْتُمْ تَشْ تُشْ تُشْ تُشْ مُنْ فَیْ کَیْر الْحَقِّ وَ بِما کُنْتُمْ تَشْ تَفْسُقُونَ).

آری! شما غرق در لذّات بودید، و به خاطر آزادی بی قید و شرط در این برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۳۲ قسمت «معاد» را انکار کردید تا دستتان کاملا باز باشد.

این عرضه داشتن بر آتش خود یک نوع عذاب دردناک و هولناک است که دوزخیان قبل از ورود در آتش تمام قسمتهای جهنم را از بیرون با چشم خود می بینند و سرنوشت شوم خویش را مشاهده می کنند و زجر می کشند.

سورة الأحقاف(45): آية 21 ص: 422

(آیه ۲۱) - قوم عاد و تند باد مرگبار! از آنجا که قرآن مجید بعد از ذکر قضایای کلی به بیان مصداقهای قابل ملاحظه آن میپردازد تا آن کلیات را پیاده کند، در اینجا نیز بعد از شرح حال مستکبران سرکش و هوسران به ذکر داستان قوم عاد که نمونه واضحی از آن است میپردازد.

می گوید: «و (برای این مشرکان مکه) سرگذشت (هود) برادر قوم عاد را یاد آوری کن» (وَ اذْكُرْ أُخا عادٍ).

سپس میافزاید: «در آن هنگام که قومش را در سرزمین احقاف انـذار کرد، در حـالی کـه پیـامبران بسـیاری قبـل از او در گذشـتههای دور و نزدیک آمدنـد و به انـذار این اقوام پرداختنـد» (إِذْ أَنْـذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقافِ وَ قَدْ خَلَتِ النَّنُدُرُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ).

اکنون ببینیم محتوای دعوت این پیامبر بزرگ چه بود قرآن میافزایـد: به آنها گفت: «جز خداونـد یگانه را نپرستید» (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ).

سپس آنها را تهدید کرده، گفت: «من بر شما از عذاب روز بزرگی میترسم» (إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمِ عَظِيمٍ).

سورة الأحقاف(46): آية 27 ص: 427

(آیه ۲۲)– اما این قوم لجوج سرکش در برابر این دعوت الهی ایستادگی کردنـد، و به هود «گفتند: آیا تو به سوی ما آمدهای که ما را با دروغهایت از خدایانمان برگردانی» (قالُوا أَ جِئْتنا لِتَأْفِکَنا عَنْ آلِهَتِنا).

«پس اگر راست می گوئی عذابی را که به ما وعده می دهی بیاور»! (فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ).

سورة الأحقاف(46): آية 23 ص: 422

(آیه ۲۳)- ولی «هود» در پاسخ این تقاضای نابخردانه چنین «گفت: علم و آگاهی تنها نزد خداونـد است» (قالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّه).

اوست که میداند در چه زمان، و با چه شرائطی عذاب استیصال نازل کند نه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۳۳ به تقاضای شما مربوط است، و نه به میل و اراده من.

سپس افزود: وظیفه اصلی من این است که «آنچه را به آن فرستاده شدم به شما ابلاغ کنم» (وَ أُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ). «ولی من شما را گروهی می بینم که پیوسته در جهل و نادانی اصرار دارید» (وَ لَکِنِّی أَراکُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ).

ریشه بدبختی شما نیز همین جهل است جهلی توام با لجاجت و کبر و غرور که به شما اجازه مطالعه دعوت فرستادگان خدا را نمی دهد.

سورة الأحقاف(46): آية 24 ص: 433

(آیه ۲۴) - سر انجام نصایح مؤثر و رهبریهای برادرانه «هود» در آن سنگدلان تأثیر نگذاشت، و به جای پذیرش حق سخت در عقیده باطل خود لجاجت کردند، و پا فشاری نمودند، و حتی «هود» را با این سخن تکذیب می کردند که اگر راست می گویی پس عذاب موعودت چه شد؟

اکنون که اتمام حجت به قدر کافی شده، حکمت الهی ایجاب می کند که «عذاب استیصال» همان عذاب ریشه کن کننده را بر آنها بفرستد.

ناگهان مشاهده کردند ابری در افق ظاهر گشت، و در آسمان بسرعت گسترده شد.

«هنگامی که این ابر را مشاهده کردند که به سوی درّهها و آبگیرهای آنها رو میآورد (خوشحال شدند، و) گفتند: این ابری است باران زا!» (فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضاً مُشتَقْبِلَ أَوْدِیَتِهِمْ قالُوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا).

ولى به زودى به آنها گفته شد: اين ابر باران زا نيست «بلكه اين همان عذاب وحشتناكى است كه براى آمدنش شتاب مى كرديد» (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ).

«این تندباد شدیدی است که در آن عذاب دردناکی است» (رِیحٌ فِیها عَذابٌ أَلِیمٌ).

ظاهرا گوینده این سخن خداوند بزرگ است، یا حضرت هود به هنگامی که فریادهای شوق و شادی آنها را شنید این سخن را به آنها گفت.

سورة الأحقاف(46): آية 25 ص: 433

(آیه ۲۵) – آری! تند بادی است ویرانگر که «همه چیز را به فرمان برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۳۴ پروردگارش درهم می کوبد و نابود می کند» (تُدَمِّرُ کُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها).

منظور از «همه چیز» انسانها و چهار پایان و اموال آنهاست.

زیرا در جمله بعد میافزاید: «پس آنها صبح کردند در حالی که چیزی جز مساکن و خانه های آنها به چشم نمی خورد» (فَأَصْبَحُوا لا یُری إِلَّا مَساکِنْهُمْ).

و این نشان می دهـد که مساکن آنها سالم بود، اما خودشان هلاک شدنـد، و اجساد و اموالشان نیز به وسیله تند باد به بیابانهای دور دست، و یا در دریا افکنده شد.

و در پایان به این حقیقت اشاره می کنید که این سرنوشت مخصوص این قوم گمراه نبود، بلکه «ما این گونه قوم مجرم را کیفر می دهیم» (کَذلِکَ نَجْزِی الْقَوْمَ الْمُجْرِمِینَ).

این هشداری است به همه مجرمان و گنهکاران و کافران لجوج و خودخواه که شما نیز اگر همین مسیر را طی کنید سرنوشتی بهتر از آن نخواهید داشت.

سورة الأحقاف(46): آية 27 ص: 434

(آیه ۲۶)- شما هرگز از قوم عاد قویتر نیستید! این آیه و دو آیه بعد نتیجه گیری از آیات گذشته است که در مورد مجازات دردناک قوم عاد سخن می گفت.

مشركان مكّه را مخاطب ساخته، مىفرمايد: «ما به آنها [قوم عاد] قدرتى داديم كه به شما نـداديم» (وَ لَقَـدْ مَكَّنَاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَاكُمْ فِيهِ).

هم از نظر قدرت جسمانی از شما نیرومندتر بودند، و هم از نظر مال و ثروت و امکانات مادی از شما تواناتر.

با این حال در برابر طوفان مجازات الهی تاب مقاومت نیاوردند تا چه رسد به شما.

سپس مىافزايد: «ما براى آنها گوش و چشم و قلب قرار داديم» (وَ جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَ أَبْصاراً وَ أَفْئِدَةً).

آنها از نظر درک و دید و تشخیص واقعیتها نیز قوی و نیرومند بودند، و از این وسائل خداداد در تأمین مقاصد مادی خود کاملا بهره می گرفتند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۳۵

«ولى نه گوش و نه چشم و نه عقولشان آنها را به هنگام نزول عـذاب الهى به هـيـچ وجه سودى نبخشـيد، چرا كه پيوسـته آيات خدا را انكار مىكردند» (فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لا أَبْصارُهُمْ وَ لا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللَّهِ). و سر انجام آنچه «استهزا مىكردند بر آنها وارد شد» (وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ).

سورة الأحقاف(46): آية 27 ص: 435

(آیه ۲۷)- سپس برای تأکید بر این مطلب، و پنـد و انـدرز بیشتر، مشرکان مکّه را مخاطب ساخته، می گویـد: نه تنها قوم عاد بلکه «ما اقوام سرکشی را که در اطراف شما زندگی می کردند هلاک کردیم» (وَ لَقَدْ أَهْلَكْنا ما حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُری).

اقوامی که سرزمین آنها از شما چندان دور نیست و تقریبا در گرداگرد جزیره عرب جایگاهشان بود.

بعد اضافه می کند: «ما آیات خود را به صورتهای گوناگون (برای آنها) بیان کردیم، شاید باز کردند» (وَ صَرَّفْنَا الْآیاتِ لَعَلَّهُمْ

سورة الأحقاف(46): آية 28 ص: 430

(آیه ۲۸)– در این آیه، آنها را مورد سرزنش قرار داده و با این بیان شدیدا محکوم میکند: «پس چرا معبودانی را که غیر خدا برگزیدنـد به گمـان این که آنهـا را به خـدا نزدیک میکننـد در آن لحظات سـخت و حساس به یاری آنها نشـتافتند»؟! (فَلَوْ لا نَصَرَهُمُ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْباناً آلِهَةً).

راستی اگر این معبودان بر حق بودند پس چرا پیروان خود را در آن مواقع حساس یاری نکردند، و از چنگال عذابهای هولناک نجاتشان ندادند؟

سپس مىافزايد: نه تنها به آنان كمكى نكردند «بلكه از ميان آنها گم شدند» (بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ).

موجوداتی این چنین بیعرضه و بیارزش که مبدأ هیچ اثری نیستند، و به هنگام حادثه گم و گور میشونید، چگونه شایسته پرستش و عبودیتند؟! و در پایان آیه میگوید: «این بود (نتیجه) دروغ آنها، و آنچه را افترا میبستند»! (وَ ذلِکَ إِفْکُهُمْ وَ ما کَانُوا یَفْتَرُونَ).

این هلاکت و بدبختی، این عذابهای دردناک، و این گم شدن معبودان در برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۳۶ زمان حادثه، نتیجه دروغها و پندارها و افتراهای آنها بود.

سورة الأحقاف(46): آية 29 ص: 436

اشاره

(آیه ۲۹)

شأن نزول: ص: 476

در مورد نزول این آیه و سه آیه بعد از آن، در روایتی آمده است که: رسول خدا صلّی الله علیه و اله از مکه به سوی بازار عکاظ در طائف آمد، و «زید بن حارثه» با او بود، به این منظور که مردم را به سوی اسلام دعوت کند، اما احدی به دعوت او پاسخ نگفت، ناچار به سوی مکه بازگشت تا به محلی رسید که آنجا را وادی جن مینامیدند، در دل شب به تلاوت قرآن پرداخت، جمعی از طایفه جن از آنجا می گذشتند، قرائت قرآن پیامبر صلّی الله علیه و اله را شنیدند، هنگامی که تلاوت حضرت پایان یافت آنها ایمان آوردند و به عنوان مبلغانی به سوی قوم خود رفتند، و آنان را به سوی اسلام دعوت کردند، گروهی از آنها ایمان آوردند و با هم به محضر آن حضرت رسیدند، و آن حضرت صلّی الله علیه و اله تعلیمات اسلام را به آنها یاد داد، اینجا بود که این چهار آیه و آیات سوره جن نازل گردید.

طایفه جن ایمان می آورند! در اینجا بحث فشردهای پیرامون ایمان آوردن گروهی از طائفه جن به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله و کتاب آسمانی او آمده است.

در حقیقت داستان «قوم عاد هشداری برای مشرکان مکه بود و داستان ایمان طایفه «جن» هشدار دیگری است.

نخست مىفرمايىد: «به خاطر بيـاور موقعى كه گروهى از جن را به سوى تو متوجه سـاختيم كه به قرآن گوش فرا دهنـد» (وَ إِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ).

سپس میافزاید: «هنگامی که در برابر قرآن حضور یافتند (و آیات روح پرور آن را شنیدند) به یکدیگر گفتند خاموش باشید و بشنوید» (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا).

و این موقعی بود که پیامبر در دل شب یا به هنگام قرائت نماز صبح آیات قرآن را تلاوت میفرمود.

سر انجام نور ایمان در دل آنها تابیدن گرفت، و حقانیت آیات قرآن را در درون جان خود لمس کردند، لذا «هنگامی که تلاوت قرآن پایان یافت همچون مبلغانی به برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۳۷

سوى قوم خود رفتنـد و آنهـا را انـذار كردنـد» و از حقيقـتى كه نصـيبشان شـده بود آگـاه ساختنـد (فَلَمَّا قُضِـىَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ).

سورة الأحقاف(46): آية 30 ص: 477

(آیه ۳۰)- این آیه بیانگر چگونگی دعوت این گروه از قوم خود به هنگام بازگشت به سوی آنهاست، دعوتی منسجم، حساب شده، کوتاه و پر معنا، «گفتند:

اى قوم! ما كتابى را استماع كرديم كه بعد از موسى از آسمان نازل شده است» (قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى).

این کتاب اوصافی دارد، نخست این که: «کتابهای آسمانی قبل از خود را تصدیق می کند» و محتوای آن هماهنگ با محتوای آنهاست، و نشانههایی که در کتب پیشین آمده است در آن به خوبی دیده می شود (مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ).

وصف دیگر این که همگان را «به سوی حق هدایت مینماید» (یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ). به گونهای که هر کس عقل و فطرت خویش را به کار گیرد نشانههای حقانیت را به روشنی در آن مییابد.

و آخرين وصف اين كه: «به سوى راه مستقيم» دعوت مىكند (وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ).

سورة الأحقاف(46): آية 31 ص: 477

(آیه ۳۱)- سپس افزودنـد: «ای قوم ما! دعوت کننـده الهی را اجـابت کنیـد، و به او ایمان آوریـد» (یا قَوْمَنا أَجِیبُوا داعِیَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بهِ).

كه دو پاداش بزرگ به شما ارزاني ميدارد: «گناهانتان را ميبخشد، و شما را از عذاب اليم پناه ميدهد» (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ).

سورة الأحقاف(46): آية 27 ص: 477

(آیه ۳۲) - در این آیه آخرین سخن مبلغان جنّ را چنین بازگو می کند: آنها به قوم خود گفتند: «و هر کس دعوت داعی الهی را پاسخ نگوید نمی تواند از چنگال عذاب الهی در زمین فرار کند» (وَ مَنْ لا یُجِبْ داعِیَ اللّهِ فَلَیْسَ بِمُعْجِزٍ فِی الْأَرْضِ).
«و یاور و سرپرستی غیر از خدا برای او نخواهد بود» (وَ لَیْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِیاءُ).

و لذا «این گروه در گمراهی آشکارند» (أُولئِکَ فِی ضَلالٍ مُبِینِ).

چه گمراهی از این بدتر و آشکارتر که انسان به ستیزه جوئی با حق و پیامبر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۳۸ خدا، و حتی با خدا برخیزد که نه در تمام عالم هستی جز او پناهگاهی وجود دارد و نه انسان می تواند از محیط کشورش بگریزد و به جای دیگری فرار کند.

سورة الأحقاف(46): آية 37 ص: 478

(آیه ۳۳) – در آخرین آیات گذشته که از زبان مبلغان جن نقل شد اشاره به مسأله «معاد» آمده بود.

از سوی دیگر سوره «احقاف» در بخشهای نخست از مسأله توحید و عظمت قرآن مجید و اثبات نبوت پیامبر اسلام سخن می گوید.

و در آخرین بخش از این سوره مسأله «معاد» را پیش می کشد، و به این ترتیب اصول سه گانه اعتقادی را تکمیل می کند. نخست می فرماید: «آیا آنها نمی دانند خداوندی که آسمانها و زمین را آفریده، و از آفرینش آنها هر گز خسته و ناتوان نشده، قادر است که مردگان را زنده کند آری او بر هر چیز تواناست»؟! (أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ یَعْیَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرِ عَلی أَنْ یُحْیِیَ الْمَوْتی بَلی إِنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ).

این دلیلی است دندان شکن بر مسأله «امکان معاد».

سورة الأحقاف(46): آية 34 ص: 478

(آیه ۳۴) - در این آیه صحنهای از مجازات دردناک مجرمان و منکران معاد را مجسم کرده، میفرماید: «روزی را به خاطر بیاورید که کافران را بر آتش عرضه می کنند» (وَ یَوْمَ یُعْرَضُ الَّذِینَ کَفَرُوا عَلَی النَّارِ).

آری! گـاه دوزخ را بر کـافران عرضـه میکننـد، و گـاه کـافران را بر دوزخ! هنگـامی که کـافران را بر آتش عرضه میکننـد و شعلههای سوزان و کوه پیکر و وحشتناک آن را میبینند به آنها گفتند میشود: «آیا این حق نیست» (أَ لَیْسَ هذا بِالْحَقِّ).

آیا امروز هم می توانید رستاخیز و دادگاه عدل خدا و پاداش و کیفر او را انکار کنید، و بگوئید این از افسانههای خرافی پیشینیان است؟! آنها که چارهای جز اعتراف ندارند «می گویند: آری سو گند به پروردگارمان» (قالُوا بَلی وَ رَبِّنا). که این حق است و جای شک و تردید در آن نیست، ما گمراه بودیم که آن را نا حق می پنداشتیم. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۳۹ در این هنگام خداوند یا مأمور عذاب الهی «می گوید: پس بچشید عذاب را به خاطر آنچه انکار می کردید» (قالَ فَندُوقُوا الْعَذابَ بما کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ).

و به این ترتیب در آن روز همه حقایق را با چشم خود میبینند و اعتراف میکنند، اعتراف و اقراری که سودی به حال آنها ندار د.

اشاره

(آیه ۳۵)- همچون پیامبران اولوا العزم شکیبا باش! در آخرین آیه سوره «احقاف» با توجه به آنچه در مورد معاد و کیفر کافران در آیات قبل گذشت به پیامبر خود دستور میدهد: «پس صبر کن همان گونه که پیامبران اولوا العزم صبر و شکیبائی کردند» (فَاصْبِرْ کَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْم مِنَ الرُّسُلِ).

تنها تو نیستی که با مخالفت و عداوت این قوم مواجه شدهای، همه پیامبران اولوا العزم با این مشکلات رو برو بودند و استقامت کردند.

تعبیر «من الرّسل» اشاره به گروه خاصی از پیامبران بزرگ است که صاحب شریعت بودهاند، همانها که در آیه ۷ سوره احزاب نیز به آنان اشاره شده: «به خاطر بیاور هنگامی را که از پیامبران پیمان گرفتیم، و از تو و از نوح و ابراهیم و موسی و عیسی بن مریم، از همه آنها پیمان محکمی گرفتیم».

روایات فراوانی در منابع شیعه و اهل سنت نیز در این زمینه نقل شده است که پیامبران اولوا العزم همین پنج تن بودند. سپس قرآن در دنبال این سخن میافزاید: «در باره آنها (کافران) عجله و شتاب مکن» (وَ لا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ).

چرا که قیامت به زودی فرا میرسد و آنچه را در باره آن شتاب داشتند با چشم خود میبینند، سخت مجازات میشوند و به اشتباهات خود پی میبرند.

به قدری عمر دنیا در برابر آخرت کوتاه است که: «هنگامی که آنها وعده هایی که به آنها داده می شد می بینند احساس می کنند که گویا در دنیا جز ساعتی از یک روز توقف نداشتند»! (کَأَنَّهُمْ یَوْمَ یَرَوْنَ ما یُوعَدُونَ لَمْ یَلْبَثُوا إِلَّا ساعَهً مِنْ نَهارٍ). بعد به عنوان هشدار به همه انسانها می افزاید: «این ابلاغی است» برای همه (بَلاغُ). برای تمام کسانی که از خط عبودیت پروردگار خارج شدند، برای کسانی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۴۰

غرق در زندگی زود گذر دنیا و شهوات آن گشتند، و بالاخره ابلاغی است برای همه ساکنان این جهان ناپایدار.

و در آخرین جمله ضمن یک استفهام پر معنی و تهدیـد آمیز میفرماید: «آیا جز قوم فاسق هلاک میشوند»؟ (فَهَلْ یُهْلَکُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ).

پیامبر اسلام اسطوره صبر و استقامت بود! ص: 440

زندگی پیامبران بزرگ خدا مخصوصا پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله بیانگر مقاومت بی حد و حصر آنها در برابر حوادث سخت و مشکلات طاقت فرسا است، و با توجه به این که مسیر حق همیشه دارای این گونه مشکلات است رهروان راه حق باید از آنها در این مسیر الهام بگیرند.

ما معمولا از نقطه روشن تاریخ اسلام به روزهای تاریک پیشین مینگریم، و این نگرش که از آینده به گذشته است واقعیتها را طور دیگری مجسم می کند، ما باید خود را در آن روز تصور کنیم که پیامبر صلّی الله علیه و اله تک و تنها بود، هیچ نشانهای از پیروزی در افق زندگی او به چشم نمیخورد. دشمنان لجوج برای نابودی او کمر بسته بودند، و حتّی خویشاوندان نزدیکش در صف اول این مبارزه قرار داشتند! آن چنان او را در محاصره اجتماعی و اقتصادی و سیاسی قرار دادنـد که تمام راهها به روی او و پیروان انـدکش بسته شـد، بعضـی از گرسنگی تلف شدند، و بعضی را بیماری از پای درآورد.

روزهایی بر پیامبر گذشت که توصیف آن با بیان و قلم مشکل است، هنگامی که برای دعوت مردم به سوی اسلام به «طائف» آمد نه تنها دعوتش را اجابت نگفتند بلکه آنقدر سنگ بر او زدند که خون از پاهایش جاری شد.

افراد نادان را تحریک کردند که فریاد زنند و او را دشنام دهند، ناچار به باغی پناه برد در سایه درختی نشست، و با خدای خودش این چنین راز و نیاز کرد:

«خداوندا! ناتوانی و نارسائی خودم و بیحرمتی مردم را به پیشگاه تو شکایت میکنم، ای کسی که از همه رحیمان رحیمتری، تو پروردگار مستضعفین و پروردگار منی، مرا به که وا میگذاری؟ به افراد دور دست که با چهره درهم کشیده برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۴۱

با من رو برو شوند؟ یا به دشمنانی که زمام امر مرا به دست گیرند؟ پروردگارا! همین اندازه که تو از من خشنود باشی مرا کافی است».

گاه ساحرش خواندند، و گاه دیوانهاش خطاب کردند.

گاه خاکستر بر سرش ریختند، و گاه سنگبارانش می کردند، آن چنان که از بدن مبارکش خون میریخت.

اما با تمام این احوال همچنان به صبر و شکیبایی و استقامت ادامه داد.

و سر انجام میوه شیرین این درخت را چشید، آیین او نه تنها جزیره عربستان، که شرق و غرب عالم را در برگرفت، و امروز بانگ اذان که فریاد پیروزی او است هر صبح و شام از چهار گوشه دنیا، و در تمام پنج قاره جهان، به گوش میرسد.

و اين است معنى «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْم مِنَ الرُّسُلِ».

«پایان سوره احقاف»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۴۳

سوره محمّد [47] ص: 443

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۳۸ آیه دارد

محتوای سوره: ص: 443

بطور کلی محتوای این سوره را می توان در چند بخش خلاصه کرد:

١- مسأله ايمان و كفر و مقايسه حال مؤمنان و كافران در اين جهان و جهان ديگر.

۲- بحثهای گویا و صریحی پیرامون مسأله جهاد و پیکار با دشمنان و دستور در باره اسیران جنگی.

۳- قسمت دیگری شرح حال منافقان است که به هنگام نزول این آیات در مدینه فعالیتهای تخریبی زیادی داشتند.

۴- بخش دیگر از مسأله «سیر در زمین» و بررسی سرنوشت اقوام پیشین به عنوان یک درس عبرت سخن می گوید.

۵- در قسمتی از آیات سوره مسأله آزمایش الهی مطرح است.

۶- در قسمتی دیگر از مسأله «انفاق» که آن نیز نوعی جهاد است سخن به میان آمده.

۷- در بعضی از آیات سوره به همین مناسبت مسأله صلح با کفار (صلحی که مایه شکست و ذلت باشد) مطرح و از آن نهی شده است.

این سوره به خاطر آیه دوم آن- که نام پیامبر اسلام در آن ذکر شده- برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۴۴ سوره محمد نام دارد و نام دیگرش سوره «قتال» (سوره جنگ) است، و در واقع مسأله جهاد و جنگ با دشمنان اسلام مهمترین موضوعی است که بر این سوره سایه افکنده.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 444

از امام صادق علیه السّلام نقل شده که فرمود: «هر کس سوره محمد صلّی اللّه علیه و اله را بخواند هرگز شک و تردید در دین به خود راه نمی دهد، و هرگز ترسی از سلطانی نخواهد داشت، و همواره به خود راه نمی دهد، و هرگز ترسی از سلطانی نخواهد داشت، و همواره تا آخر عمرش از شرک و کفر محفوظ و در امان خواهد بود، و هنگامی که می میرد خداوند هزار فرشته را مأمور می کند که در قبرش نماز بخوانند و ثواب نمازهایشان از آن اوست، و این هزار فرشته همچنان با او هستند تا در عرصه محشر در محل امن و امانی او را متوقف کنند، و پیوسته در امان خدا و محمد صلّی اللّه علیه و اله است».

روشن است آنها که محتوای این آیات را در جان خود پیاده کنند و در پیکار با دشمنان سر سخت و بیرحم و بی منطق، تردید و تزلزل به خود راه ندهند، هم پایههای دین و ایمانشان قوی می شود، و هم ترس و ذلّت و فقر از آنها برچیده خواهد شد، و هم در قیامت در جوار رحمت الهی متنعمند.

بسم الله الرّحمن الرّحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ١ ص: 444

(آیه ۱)– مؤمنان پیرو حقنـد و کافران پیرو باطل: این آیه و دو آیه بعد از آن در حقیقت مقدمهای است برای یک دسـتور مهم جنگی که در آیه چهارم داده شده است.

در آیه نخست وضع حال کافران، و در آیه دوم وضع حال مؤمنان را بیان کرده، و در آیه سوم آن دو را با هم مقایسه می کند، تا با روشن شدن این خطوط آمادگی برای پیکار مکتبی با دشمنان بیرحم و ستمگر حاصل شود.

نخست می فرماید: «کسانی که کافر شدند و (مردم را) از راه خدا باز داشتند خداوند اعمالشان را به نابودی می کشاند و گم می کند» (الَّذِینَ کَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۴۵ سَبِیل اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ)

این اشاره به سردمداران کفر و مشرکان مکه است.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ٢ ص: 443

(آیه ۲)- این آیه توصیفی است از وضع مؤمنان که در نقطه مقابل آن کفار قرار دارند، می فرماید: «و کسانی که ایمان آوردند و عمل صالح انجام دادند، و به آنچه بر محمد نازل شده- که حق است و از سوی پروردگار است- نیز ایمان آوردند خداوند گناهانشان را می بخشد و کارشان را (در دنیا و آخرت) اصلاح می کند» (وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ آمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلی مُحَمَّدٍ وَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ کَفَّرَ عَنْهُمْ سَیِّئاتِهِمْ وَ أَصْلَحَ بالَهُمْ).

سورة محمد(٤٧): آية ٣ ص: 443

(آیه ۳)– در این آیه نکته اصلی این پیروزی و آن شکست را در یک مقایسه فشرده و گویـا بیان کرده، میفرمایـد: «این به خـاطر آن است که کـافران از باطل پیروی کردنـد، و مؤمنان از حقی که از سوی پروردگارشان بود پیروی کردنـد» (ذلِکَ بِأَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا اتَّبَعُوا الْباطِلَ وَ أَنَّ الَّذِینَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ).

«حق» یعنی واقعیتهای عینی که از همه بالاـتر ذات پـاک پروردگـار است، و به دنبـال آن حقـائق مربوط به زنـدگی انسـان، و قوانینی که حاکم بر رابطه او با خدا، و رابطه آنها با یکدیگر است.

«باطل» یعنی پندارها، خیالها، نیرنگها، افسانههای خرافی، کارهای بیهوده و بیهدف، و هر گونه انحراف از قوانین حاکم بر عالم هستی.

آری! مؤمنان پیروی از حق می کنند، به همان معنی که گفته شد و کفار از باطل، و همین دلیل بر پیروزی آنها و شکست اینهاست.

و در پایان آیه می افزاید: «این گونه خداوند برای مردم مثلهای زندگیشان را بیان می کند» (کَذلِکَ یَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثالَهُمْ). یعنی همین گونه که خطوط زنـدگی مؤمنـان و کفـار، و اعتقـادات و برنـامههـای عملی و نتائـج کـار آنها را در این آیات بیان فرموده، سرنوشت حیات و عاقبت کار آنها را مشخص میسازد.

سورة محمد(٤٧): آية 4 ص: 443

(آیه ۴)- در میدان نبرد قاطعیت لازم است: همان گونه که قبلا گفتیم آیات بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۴۶ گذشته مقدمهای بود برای آماده ساختن مسلمانان برای بیان یک دستور مهم جنگی که در این آیه مطرح شده است،

مى فرمايىد: «و هنگامى كه با كافران (جنايت پيشه) در ميىدان جنگ رو برو شديىد (با تمام قىدرت به آنها حمله كنيىد و) گردنهايشان را بزنيد»! (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ).

بدیهی است گردن زدن کنایه از قتل است، بنابر این ضرورتی ندارد که جنگجویان کوشش خود را برای انجام خصوص این امر به کار برند.

بدیهی است هنگامی که انسان با دشمنی خونخوار در میدان نبرد رو برو میشود اگر با قاطعیت هر چه بیشتر حملات سخت و ضربات کوبنده بر دشمن وارد نکند خودش نابود خواهد شد، و این دستور یک دستور کاملا منطقی است.

سپس مى افزايد: این حملات كوبنده باید همچنان ادامه یابد «تا به اندازه كافی دشمن را درهم بكوبید (و به زانو در آورید) در این هنگام اسیران را محكم ببندید» (حَتَّی إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ).

آیه فوق بیانگر یک دستور حساب شده جنگی است که پیش از درهم شکستن قطعی مقاومت دشمن نباید اقدام به گرفتن

اسیران کرد، چرا که پرداختن به این امر گاهی سبب تزلزل موقعیت مسلمانان در جنگ خواهد شد، و پرداختن به امر اسیران و تخلیه آنها در پشت جبهه آنها را از وظیفه اصلی باز میدارد.

در جمله بعد حکم اسیران جنگی را بیان می کند که بعد از خاتمه جنگ باید در مورد آنها اجرا شود، میفرماید: «سپس یا منت بر آنها گذارید (و بدون عوض آزادشان کنید) و یا در برابر آزادی از آنها فدیه [غرامت] بگیرید» (فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداءً)
«۱»

(۱) و به این ترتیب اسیر جنگی را نمی توان بعد از پایان جنگ به قتل رساند، بلکه رهبر مسلمین طبق مصالحی که در نظر می گیرد آنها را گاه بدون عوض، گاه با عوض، آزاد می سازد، و این عوض در حقیقت یک نوع غرامت جنگی است که دشمن باید بپردازد.

البته حکم سومی در این رابطه نیز در اسلام هست که اسیران را به صورت بردگان در آورند، ولی آن یک دستور الزامی نمی باشد، بلکه در صورتی است که رهبر مسلمین در شرائط و ظروف خاصی آن را لازم ببیند، و شاید به همین دلیل در متن قرآن صریحا نیامده، و تنها در روایات اسلامی منعکس است. [.....]

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۴۷

سپس در دنباله آیه میافزاید: این وضع باید همچنان ادامه یابد، و دشمنان را باید همچنان بکوبید، و گروهی را به اسارت در آورید «تا جنگ بارهای سنگین خود را بر زمین نهد» (حَتَّی تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها).

تنها وقتی دست بکشید که توان مقابله دشمن را درهم شکسته باشید، و آتش جنگ خاموش گردد.

سپس اضافه می کند: آری «برنامه این است» (ذلِکُ).

«و اگر خدا میخواست خودش آنها را مجازات می کرد» (وَ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ).

از طریق صاعقههای آسمانی، زلزلهها، تند بادها، و بلاهای دیگر، ولی در این صورت میدان آزمایش تعطیل میشد، «اما (خدا) میخواهد بعضی از شما را با بعضی دیگر بیازماید» (وَ لکِنْ لِیَبْلُوَا بَعْضَکُمْ بِبَعْض).

این در حقیقت فلسفه جنگ و نکته اصلی در گیری حق و باطل است، در این پیکارها صفوف مؤمنان واقعی و آنها که اهل عملند از اهل سخن جدا میشوند، و هدف اصلی زندگی دنیا که آزمودگی و پرورش قدرت ایمان و ارزشهای دیگر انسانی است تأمین می گردد.

در آخر آیه از شهیدانی که در این پیکارها جان شیرین خود را از دست میدهند، و حق بزرگی بر جامعه اسلامی دارند، سخن به میان آورده، می گوید:

«كسانى كه در راه خدا كشته شدند خداوند اعمالشان را هرگز نابود نمىكند» (وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلُّ أَعْمالَهُمْ).

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ۵ ص: 44٧

(آیه ۵)- در آیه قبل به یکی از مواهب الهی بر شهیدان اشاره شد، در این آیه به دو موهبت دیگر اشاره کرده، می گوید: «خداوند آنها را هدایت می کند» (سَیَهْدِیهمْ).

هدایت به مقامات عالیه، و فوز بزرگ، و رضوان الله.

ديگر اين كه: «وضع حال آنها را اصلاح مينمايد» (وَ يُصْلِحُ بالَهُمْ).

آرامش روح و اطمینان خاطر و نشاط معنویت و روحانیت به آنها میبخشد، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۴۸ و هماهنگ با صفا و معنویت فرشتگان الهی که با آنها همدمند میسازد.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ۶ ص: 448

(آیه ۶)- و آخرین موهبت این که: «آنها را در بهشت جاویدانش که اوصافش را برای آنان بازگو کرده است وارد میکند» (وَ یُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَّفَها لَهُمْ).

نه تنها اوصاف کلی بهشت برین و روضه رضوان را برای آنها بیان کرده، بلکه اوصاف و نشانههای قصرهای بهشتی آنها را نیز مشخص میسازد به گونهای که وقتی وارد بهشت میشوند یکسر به سوی قصرهای خویش میروند!

سورهٔ محمد(47): آیهٔ ۷ ص : 448

(آیه ۷)- اگر خدا را یاری کنید شما را یاری می کند: این آیه همچنان ادامه تشویق مؤمنان به مسأله پیکار با دشمنان حق است، می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید اگر خدا را یاری کنید شما را یاری می کند، و گامهایتان را استوار می دارد» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ یَنْصُرُ کُمْ وَ یُثَبِّتْ أَقْدامَکُمْ).

تکیه بر مسأله «ایمان» اشاره به این است که یکی از نشانه های ایمان راستین پیکار با دشمنان حق است.

یاری کردن خدا به معنی یاری کردن آیین او، یاری کردن پیامبر او، و شریعت و تعلیمات اوست.

اما ببینیم وعدهای را که خداوند در برابر دفاع از آیینش به مجاهدان داده، چیست؟

می گوید: «شما را یاری می کند» در قلب شما نور ایمان و در روح شما تقوا، در اراده شما قدرت، در فکر شما آرامش میافکند.

از سوی دیگر فرشتگان را به یاری شما میفرستد، حوادث را به نفع شما تغییر مسیر میدهد، قلوب مردم را به شما متمایل میکند. آری! یاری خدا جسم و جان و درون و برون را احاطه میکند.

سورة محمد(٤٧): آية ٨ ص: 448

(آیه ۸)- و از آنجا که گاهی نیروی متراکم دشمن و انبوه جمعیت و انواع تجهیزات او، فکر مجاهدان راه حق را به خود مشغول میدارد، آیه شریفه میافزاید:

«و كسانى كه كافر شدند مرك بر آنان! و اعمالشان نابود باد» (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۴۹

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ٩ ص : ٤٤٩

(آیه ۹) - این آیه علت سقوط آنها و نابودی اعمالشان را چنین بیان می کند:

«این به خاطر آن است که آنها از آنچه خدا نازل کرده است کراهت داشتند، لذا خداوند اعمالشان را حبط و نابود کرده است» (ذلِکَ بِأَنَّهُمْ کَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ).

خداونـد آیین توحیـد را نازل فرمود، دسـتور به حق و عـدالت و پاکی و تقوا داد اما آنها همه را پشت سـر افکندند، و به ظلم و فساد روی آوردند.

آری! هنگامی که آنها از این امور نفرت داشتند طبعا گامی در این مسیر بر نمیداشتند و تمام تلاشها و کوششهایشان در مسیر باطل بود، و طبیعی است که چنین اعمالی حبط و نابود گردد.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ۱۰ ص: 449

(آیه ۱۰)- و از آنجا که قرآن مجید در بسیاری از موارد نمونه های حسی را به ظالمان سرکش ارائه می دهد در اینجا نیز آنها را به مطالعه احوال اقوام گذشته دعوت کرده، می فرماید: «آیا در زمین سیر نکردند تا ببینند عاقبت کسانی که قبل از آنها بودند چگونه بود؟ (همانها که راه کفر و طغیان را پیش گرفتند و) خداوند آنها را در هم کوبید و هلاک کرد» (أَ فَلَمْ یَسِتیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ).

سپس برای این که آنها گمان نکنند سرنوشت دردناکی که برای امتهای طغیانگر پیشین بود جنبه خصوصی داشت میافزاید: «و برای مشرکان و کافران نیز امثال این مجازاتها خواهد بود» (وَ لِلْکافِرِینَ أَمْثالُها).

آنها انتظار نداشته باشند که با انجام اعمال مشابه آنها از کیفرهای مشابه مصون و بر کنار بمانند، بروند آثار گذشتگان را بنگرند و آینده خود را در آئینه زندگی آنان ببینند.

سورة محمد(47): آية 11 ص: 449

(آیه ۱۱)- این آیه به ذکر دلیل حمایت همه جانبه پروردگار از مؤمنان و نابودی کافران طغیانگر پرداخته، می گوید: «این به خاطر آن است که خداوند مولی و سرپرست مؤمنان است اما کافران مولائی ندارند» (ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْکافِرِینَ لا مَوْلی لَهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۵۰

روشن است کسانی که تحت ولایت و عنایت مخصوص ذات پاک خداوند باشند هم در مشکلات یاری می شوند، و هم ثبات قدم دارند، و سر انجام به مقصود خود نائل می شوند، اما آنها که از زیر این پوشش خارجند اعمالشان حبط و نابود و عاقبت کارشان هلاکت است.

سورهٔ محمد(47): آیهٔ ۱۲ ص: 450

(آیه ۱۲)– سرنوشت مؤمنان و کفار: از آنجا که آیات گذشته پیرامون پیکار مستمر حق و باطل و ایمان و کفر سخن می گفت در اینجا در یک مقایسه روشن سرنوشت مؤمنان و کفار را تشریح می کند، تا روشن شود که این دو گروه تنها در زندگی دنیا متفاوت نیستند بلکه در آخرت نیز فوق العاده با هم متفاوتند می فرماید:

«خداونـد كسـانى راكه ايمـان آوردنـد و عمل صالـح انجام دادنـد وارد باغهائى از بهشت مىكنـد كه نهرها از زير (درختان و قصرهايش) جارى است» (إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ). «در حالى كه كافران از متاع زود گذر اين دنيا بهره مى گيرند، و همچون چهار پايان مىخورند و سر انجام آتش دوزخ جايگاه آنهاست»! (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الْأَنْعامُ وَ النَّارُ مَثْوىً لَهُمْ).

درست است که هر دو گروه در دنیا زندگی می کنند و از مواهب آن بهرهمند می شوند، ولی تفاوت اینجاست که مؤمنان هدفشان انجام اعمال صالح است.

و كافران تمام هدفشان همين خوردن و خوابيدن و بهره بردن از لذات حيات است.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ١٣ ص: ٤٥٠

(آیه ۱۳) - در این آیه برای تکمیل این هدف، مقایسه ای در میان مشرکان مکه و بت پرستان پیشین می کند و با عبارتی گویا آنها را شدیدا مورد تهدید قرار می دهد و در ضمن روی بعضی از جرائم بزرگ آنها که دلیلی بر جواز جنگ با آنها است تکیه کرده، می فرماید: «و چه بسیار شهرهایی که از شهری که تو را بیرون کرد نیرومند تر بودند، ما همه آنها را نابود کردیم و هیچ یاوری نداشتند» (وَ کَأَیّنْ مِنْ قَرْیَهٔ هِیَ أَشَدُّ قُوَّهً مِنْ قَرْیَةِ هِیَ أَشَدُّ قُوَّهً مِنْ قَرْیَتِکَ الَّتِی أَخْرَجَتْکَ أَهْلَکْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ).

کسانی که آنقدر جسور شدهاند که بزرگترین فرستاده الهی را از مقدّسترین برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۵۱ شهرها بیرون می کنند گمان نبرند همیشه این وضع ادامه خواهد یافت، خداوندی که قوم عاد و ثمود و فراعنه و لشکر ابرهه را به آسانی درهم کوبید درهم شکستن آنها نیز برای او بسیار ساده است.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ۱۴ ص: ۴۵۱

(آیه ۱۴)- این آیه از مقایسه دیگری بین «مؤمنان» و «کفار» سخن می گوید، از دو گروه متفاوت در همه چیز که یکی دارای ایمان و عمل صالح است و دیگری دارای یک زندگی به تمام معنی حیوانی، از دو گروهی که یکی در زیر چتر ولایت پروردگار قرار گرفته، و دیگری بیمولی و سر پرست.

می فرماید: «آیا کسی که دلیل روشنی از سوی پروردگارش دارد، همانند کسی است که زشتی اعمالش در نظرش آراسته شده، و از هوای نفسشان پیروی می کنند»؟! (أَ فَمَنْ کَانَ عَلی بَیِّنَهٔ مِنْ رَبِّهِ کَمَنْ زُیِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ).

گروه اول از شناخت صحیح و یقین و دلیل و برهان قطعی برخوردارند، اما گروه دوم بر اثر پیروی از هوی و هوسهای سرکش گرفتار سوء تشخیص و عـدم درک واقعیت و تاریکی مسـیر و هـدف شـده، در ظلمات اوهام سـرگردانند، هرگز این دو گروه یکسان نیستند.

«بیّنه» به معنی دلیل آشکار است و در اینجا اشاره به قرآن و معجزات پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله و دلائل عقلی دیگر است.

سورة محمد(47): آية 15 ص: 451

(آیه ۱۵)- توصیف دیگری از بهشت: این آیه همچنان توصیفی است برای سرنوشت دو گروه کافر و مؤمن که یکی دارای اعمال صالح و دیگری اعمال زشت و ننگینی است که در نظرش آراسته شده.

در این آیه از شـش نوع مواهب بهشتیـان، و دو نوع کیفرهـای سـخت و دردنـاک دوزخیان، پرده برداشـته و عاقبت کار این دو

گروه را مشخص می کند.

نخست مىفرمايد: «توصيف بهشتى كه به پرهيزكاران وعده داده شده چنين است: در آن نهرهايى است از آب صاف كه بدبو نشده» (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنِ).

سپس می افزاید: «و نهرهایی از شیر که طعم آن دگرگون نگشته است» برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۵۲ (وَ أَنْهارٌ مِنْ لَبَن لَمْ يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ).

اصولاً آنجا جای فساد و تباهی نیست و مواد غذائی بهشتی با گذشت زمان دگر گون نمی شود.

بعد به سراغ سومین قسمت از نهرهای بهشتی رفته، می گوید: «و نهرهایی از شراب (طهور) که مایه لذت نوشندگان است»! (وَ أَنْهارٌ مِنْ خَمْر لَذَّهٍ لِلشَّارِبِينَ).

خمر و شراب بهشتی هیچ گونه ارتباطی با خمر و شراب آلوده دنیا ندارد، همان گونه که در سوره صافات آیه ۴۷ آمده است، می فرماید: «آن خمر و شراب نه مایه فساد عقل است و نه موجب مستی می شود».

و جز هوشیاری و نشاط و لذت روحانی چیزی در آن نیست.

و بالاخره چهارمین و آخرین قسمت از نهرهای بهشتی را به این صورت بیان می کند: «و نهرهایی از عسل مصفاست» (وَ أَنْهارٌ مِنْ عَسَل مُصَفَّی).

علاوه بر این نهرهای گوناگون- که هر کدام به منظوری آفریده شده- در پنجمین موهبت از انواع میوههای بهشتی سخن به میان آورده، میافزاید: «و برای آنها در بهشت از تمام انواع میوهها موجود است» (وَ لَهُمْ فِیها مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ).

و بالاخره در ششمین موهبت که بر خلاف مواهب مادی قبلی، جنبه معنوی و روحانی دارد، می گویـد: و برای آنها «آمرزشــی است از سوی پروردگارشان» (وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ).

اكنون ببينيم گروه مقابل آنها چه سرنوشتي خواهند داشت؟

در دنباله آیه می فرماید: آیا این گروه همانند کسانی هستند که در آتش دوزخ جاویدانند، و از آب جوشان و سوزانی نوشانیده می شوند که امعاء آنها را از هم متلاشی می کند»؟! (کَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِی النَّارِ وَ سُقُوا ماءً حَمِیماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ).

تعبیر به «سقوا» (نوشانیده میشوند) بیانگر این واقعیت است که آب سوزان حمیم را به زور، و نه به دلخواه، به آنها مینوشانند که به جای سیراب شدن در آن آتش سوزان، امعاء آنها را متلاشی می کند و همانطور که طبیعت دوزخ است باز به حال اول بر می گردد چرا که در آنجا مرگی نیست!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۵۳

سورهٔ محمد(47): آیهٔ ۱۶ ص: ۴۵۳

(آیه ۱۶) – در اینجا ترسیمی از وضع منافقان در برخوردشان با وحی الهی و آیات و سخنان پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و مسأله جنگ و مبارزه با دشمنان اسلام کرده، می گوید:

«گروهى از آنان (نزد تو مى آيند) به سخنانت گوش فرا مى دهند، اما هنگامى كه از نزد تو خارج مى شونىد به كسانى كه (خداوند به آنها) علم و دانش بخشيده (از روى استهزاء) مى گويند: (اين مرد) الآن چه گفت»؟! (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ما ذا قالَ آنِفاً). تعبیر آنها در مورد شخص پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و سخنان پر محتوای آن حضرت به قدری زشت و زننده و تحقیر آمیز بود که نشان میداد آنها اصلا به وحی آسمانی ایمان نیاوردهاند.

ولى قرآن در پايان آيه پاسخ دندان شكنى به آنها گفته، مىفرمايد: سخنان پيامبر صلّى الله عليه و اله نامفهوم نبوده و پيچيدگى خاصى ندارد، بلكه «آنها كسانى هستند كه خداوند بر قلبهايشان مهر نهاده و از هوى و هوسهايشان پيروى كردهاند» لذا چيزى از آن نمىفهمند! (أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ).

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ۱۷ ص : 453

(آیه ۱۷)– نقطه مقابل آنها مؤمنان راستین هستند که آیه شریفه در باره آنها می گوید: «و کسانی که هدایت یافتهاند خداوند بر هدایتشان می افزاید، و روح تقوا و پرهیز کاری به آنها می بخشد» (وَ الَّذِینَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدیً وَ آتاهُمْ تَقْواهُمْ).

آری! آنها نخستین گامهای هدایت را شخصا برداشته، و عقل و خرد و فطرت خویش را در این راه به کار گرفتهاند، سپس خداوند طبق وعدهای که داده است مجاهدان راهش را هدایت و راهنمائی بیشتر میکند.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ۱۸ ص : 453

(آیه ۱۸)- نشانههای رستاخیز ظاهر شده! در این آیه به عنوان هشداری به آن گروه بی ایمان استهزاء کننده، می فرماید: «آیا آنها [کافران] جز این انتظاری دارند که قیامت ناگهان فرا رسد (آنگاه ایمان آورند) در حالی که هم اکنون نشانههای آن آمده است، اما هنگامی که بیاید تذکر (و ایمان) آنها سودی نخواهد داشت»! (فَهَلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةُ أَنْ تَأْتِیَهُمْ بَغْتَهُ فَقَدْ جاء أَشْراطُها فَأَنَّی لَهُمْ إِذا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۵۴

آری! آنها آن موقعی که باید ایمان بیاورند و مفید است سر سختی و لجاجت به خرج میدهند، و در برابر حق تسلیم نمیشوند، ولی آن زمان که حوادث هولناک آغاز قیامت جهان را به لرزه در میآورد این گونه افراد به وحشت میافتند، و اظهار خضوع و ایمان میکنند، که هیچ سودی به حالشان ندارد.

سورة محمد(٤٧): آية ١٩ ص: ٤٥٤

(آیه ۱۹)- این آیه به عنوان نتیجه گیری از گفتگوهایی که در آیات قبل پیرامون ایمان و کفر و سرنوشت مؤمنان و کافران آمده بود، میفرماید: «پس بدان که معبودی جز الله نیست» (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ).

یعنی روی خط توحید محکم بایست که داروی شفا بخش و بهترین وسیله نجات همین توحید است که آثار آن در آیات قبل بیان شد.

به دنبال این مسأله عقیدتی باز به سراغ مسأله تقوا و پاکی از گناه رفته، میافزاید: «و برای گناه خود و مردان و زنان با ایمان استغفار کن» (وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِکَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ).

پیداست پیامبر صلّی الله علیه و اله به حکم مقام عصمت هر گز مرتکب گناهی نشده، این گونه تعبیرها یا اشاره به مسأله «ترک اولی» و «حسنات الابرار سیّئات المقرّبین» است، و یا سرمشقی است برای مسلمانان.

و در ذیل آیه به عنوان بیان علت میفرماید: «خداوند محل حرکت و قرار گاه شما را میداند» (وَ اللَّهُ یَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْواكُمْ).

از ظاهر و آشکار و درون و برون سرّ و نجوای شما با خبر است، به همین دلیل باید به سوی او بروید و از درگاه او طلب عفو کنید.

سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۲۰.... ص: ۴۵۴

(آیه ۲۰)- از نام جهاد نیز وحشت دارنـد! در اینجا موضع گیریهای مختلف «مؤمنان» و «منافقان» را در برابر فرمان جهاد روشن می سازد، می فرمایـد: «کسانی که ایمان آوردهانـد می گوینـد: چرا سورهای نازل نمی شود»؟! (وَ یَقُولُ الَّذِینَ آمَنُوا لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَهُّ).

سورهای که در آن فرمان جهاد باشد، و تکلیف ما را در برابر دشمنان سنگدل و خونخوار و بیمنطق روشن سازد، سورهای که آیاتش نور هدایت بر قلب ما بپاشد، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۵۵

و روح و جان ما را با فروغش روشن نماید.

این وضع حال مؤمنان راستین.

«اما (منافقان) هنگامی که سوره واضح و روشنی نازل می گردد که در آن سخنی از جنگ است، منافقان بیمار دل را می بینی که همچون کسی که در آستانه مرگ قرار گرفته (با نگاهی مات و مبهوت، و چشمانی که حدقه آنها از کار ایستاده) به تو نگاه می کنند»! (فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَ لُه وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْکَ نَظَرَ الْمَغْشِ یَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ).

میدان جهاد برای مؤمنان میدان اظهار عشق به محبوب و میدان پایداری و مقاومت و پیروزی است، و در چنین میدانی ترس معنی ندارد.

اما برای «منافقان» میدان مرگ و نابودی و بدبختی است، میدان شکست و جدائی از لذات دنیاست، میدانی است تاریک و ظلمانی، با آیندهای وحشتناک و مبهم! در پایان آیه در یک جمله کوتاه می گوید: وای بر آنها که «مرگ و نابودی برای آنان سزاوار ترست» (فَأُولی لَهُمْ).

سورة محمد(47): آية 21 ص: 450

(آیه ۲۱)- در این آیه می افزاید: ولی اگر آنها اطاعت کنند، و از فرمان جهاد سر پیچی ننمایند این «اطاعت و سخن سنجیده برای آنان بهتر است» (طاعَةً وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ).

سپس می افزاید: «اگر آنها هنگامی که برنامه ها محکم می شود و فرمان جهاد قطعیت می یابد به خدا راست گویند و از در صدق و صفا در آیند برای آنها بهتر است» (فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَیْراً لَهُمْ).

هم در این دنیا باعث سر بلندی آنهاست، و هم در آخرت به پاداش بزرگ و فوز عظیم نائل میشوند.

سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۲۲ ص: ۴۵۵

(آیه ۲۲) - در این آیه می افزاید: «اگر (از این دستورها) روی گردان شوید، جز این انتظار می رود که در زمین فساد و قطع پیونـد خویشاونـدی کنیـد» (فَهَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَکُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: زیرا اگر از قرآن و توحید روی گردان شوید قطعا به سوی جاهلیت باز می گردید، و برنامههای جاهلی چیزی جز «فساد در زمین»، «قتل و غارت و خونریزی»، «کشتن خویشاوندان و دختران» نبود.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ٢٣ ص : 458

(آیه ۲۳) - در این آیه سرنوشت نهائی این گروه منافق و بهانه جوی مفسد را چنین بیان میکند: «آنها کسانی هستند که خداوند از رحمت خویش دورشان ساخته، پس گوشهایشان را کر و چشمهایشان را کور نموده است»، نه حقیقتی را می شنوند و نه واقعیتی را می بینند (أُولئِکَ الَّذِینَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمی أَبْصارَهُمْ).

آنها جهاد اسلامی را که بر معیار حق و عدالت است قطع رحم و فساد فی الارض میپندارند، اما آن همه جنایاتی را که در جاهلیت مرتکب شدند و خونهای بی گناهانی را که در دوران حکومتشان ریختند مطابق با حق و عدالت! لعنت خدا بر آنها باد که نه گوش شنوا دارند و نه چشم بینا!

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ۲۴ ص: 456

(آیه ۲۴) - در این آیه به ذکر علت واقعی انحراف این قوم نگون بخت پرداخته، می گوید: «آیا آنها در آیات قرآن تمدبّر نمی کنند (تا حقیقت را در یابند و وظائف خود را انجام دهند) یا بر دلهای آنها قفل نهاده شده است»؟! (أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها).

و به این ترتیب باید قرآن مجید در متن زندگی مسلمانان قرار گیرد و آن را قدوه و اسوه خویش قرار دهند دستوراتش را مو به مو اجرا کنند، و تمام خطوط زندگی خویش را با آن هماهنگ سازند.

اما بهره گیری از قرآن نیاز به یک نوع خود سازی دارد، هر چنـد خود قرآن نیز به خود سازی کمک میکنـد، چرا که اگر بر دلها قفلها باشد، قفلهائی از هوی و هوس، کبر و غرور، لجاجت و تعصب، اجازه ورود نور حق به آن نمیدهد.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ۲۵ ص : 4۵۶

(آیه ۲۵)– چرا در قرآن تدبر نمی کنند؟! قرآن همچنان به بحث پیرامون منافقان و موضع گیریهای مختلف آنها ادامه می دهد، می فرماید: «کسانی که بعد از روشن شدن حق بازگشتند و پشت کردند، شیطان اعمال زشتشان را در نظرشان برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۵۷

زینت داده، و آنها را به آرزوهای دور و دراز فریفته است» (إِنَّ الَّذِینَ ارْتَدُّوا عَلی أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمُ الْهُدَی الشَّیْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلی لَهُمْ).

سورة محمد(٤٧): آية ٢٦ ص: ٤٥٧

(آیه ۲۶)– آیه شریفه علت این تسویلات و تزیینات شیطانی را چنین شـرح میدهد: «این به خاطر آن است که آنها به کسانی

كه از نزول وحى الهى (به پيامبر اسـلام) ناراحت بودنـد گفتند: ما در بعضـى از امور از شـما پيروى مىكنيم» (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْض الْأَمْرِ).

کار منافق همین است که به دنبال افراد سر خورده و مخالف می گردد، و اگر در تمام جهات با او قدر مشترک نداشته باشد به همان مقدار که وجوه مشترک موجود است همکاری، بلکه اطاعت می کند.

منافقان مدینه نیز به سراغ یهود آمدند، یهود «بنی نضیر» و «بنی قریظه» که پیش از بعثت پیامبر از مبلغان اسلام بودند، اما بعد از ظهورش به خاطر حسد و کبر و به خطر افتادن منافعشان ظهور اسلام را ناخوشایند دانستند، و از آنجا که مخالفت با پیامبر اسلام و توطئه ضد او قدر مشترکی در میان منافقان و یهود بود قول همکاری به آنها دادند.

در پایان آیه آنها را با عبارتی کوتاه تهدید کرده، می گوید: «خداوند مخفی کاریها و اسرار آنها را میداند» (وَ اللّهُ يَعْلَمُ إِسْرارَهُمْ).

هم از کفر باطنی آنها و نفاقشان آگاه است، و هم از توطئه چینها با کمک یهود، و به موقع آنها را مجازات خواهد کرد.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ۲۷ ص : 457

(آیه ۲۷)- این آیه در حقیقت توضیحی است برای این تهدید سر بسته میفرماید: «پس حال آنها چگونه خواهد بود هنگامی که فرشتگان مرگ روحشان را قبض می کنند در حالی که بر صورت و پشت آنها میزنند» (فَکَیْمِفُ إِذَا تَـوَفَّتُهُمُ الْمَلائِکَةُ يَضُربُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ).

به صورت آنها می کوبند، برای این که رو به سوی دشمنان خدا رفتهاند، و بر پشت آنها میزنند به خاطر این که به آیات الهی و پیامبرش پشت کردند.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ۲۸ ص : ۴۵۷

(آیه ۲۸)- در این آیه باز به بیان علت این عذاب الهی در آستانه مرگ آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۵۸ پرداخته، می گوید: «این عذاب و کیفر به خاطر آن است که آنها از آنچه خداوند را به خشم می آورد پیروی کردند، و آنچه را موجب خشنودی اوست کراهت داشتند، لذا خداوند اعمالشان را حبط و نابود کرد» (ذلِکَ بِأَنَّهُمُ اثَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ وَ کَرِهُوا رضُوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ).

چرا که شرط قبولی اعمال و هر گونه تلاش و کوشش رضای خداست.

سورة محمد(47): آية 29 ص: 458

(آیه ۲۹)- منافقان را از لحن گفتارشان می توان شناخت: در اینجا باز هم به بخشی دیگر از صفات و نشانههای منافقین اشاره می کند و مخصوصا بر این معنی تأکید دارد که اینها تصور نکنند برای همیشه می توانند چهره درونی خود را از پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و مؤمنان مکتوم دارند.

نخست می گوید: «آیا کسانی که در دلهایشان بیماری است گمان کردند خدا کینه هایشان را (نسبت به پیامبر و مؤمنان) آشکار نمی کند» (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ).

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ٣٠ ص: ٤٥٨

(آیه ۳۰) – لذا در آیه شریفه می افزاید: «و اگر ما بخواهیم آنها را به تو نشان می دهیم، تا آنها را با قیافه هایشان بشناسی»! (وَ لَوْ نَشاءُ لَأَرَیْناکَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بسِیماهُمْ).

در چهرههای آنها علامتی می گذاریم که با مشاهده آن علامت از نفاقشان آگاه شوی، و به رأی العین آنها را ببینی. سپس میافزاید: «هر چند می توانی آنها را از طرز سخنانشان بشناسی» (وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِی لَحْنِ الْقَوْلِ).

يعنى اين منافقان بيمار دل را از كنايهها و نيشها و تعبيرات موذيانه و منافقانهشان مي توان شناخت.

در حدیث معروفی از «ابو سعید خدری» نقل شده است که می گوید: «منظور از لحن القول بغض علیّ بن ابی طالب علیه السّلام است، و ما منافقان را در عصر پیامبر صلّی الله علیه و اله از طریق عداوت با علی علیه السّلام می شناختیم.»

امروز هم شناختن منافقان از لحن قول و موضع گیریهای خلافشان در مسائل برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۵۹

مهم اجتماعی، و مخصوصا در بحرانها یا جنگها کار مشکلی نیست و با کمی دقت از گفتار و رفتارشان شناسائی میشوند.

در پایان آیه می افزاید: «خداوند اعمال همه شما را می داند» (وَ اللَّهُ یَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ).

هم اعمال مخفی و آشکار مؤمنان، و هم اعمال منافقان را، به فرض که بتواننـد چهره اصـلی خود را از مردم پنهان دارند آیا از خدا که در ظاهر و باطن و خلوت و جلوت با آنهاست می توانند مکتوم دارند؟!

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ٣١ ص: ٤٥٩

(آیه ۳۱) - در این آیه برای تأکید بیشتر و نشان دادن طرق شناخت مؤمنان از منافقان می افزاید: «ما همه شما را قطعا می آزمائیم، تا معلوم شود مجاهدان واقعی و صابران از میان شما کیانند» و مجاهد نماها و سست عنصران منافق کیان؟! (وَ لَنَبْلُوَنَّکُمْ حَتَّی نَعْلَمَ الْمُجاهِدِینَ مِنْکُمْ وَ الصَّابِرِینَ).

و در ذیل آیه می فرماید: علاوه بر این «اخبار شما را می آزماییم» (وَ نَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ).

به این ترتیب خداوند هم اعمال انسانها را می آزماید و هم گفتار و اخبار آنها را.

و این نخستین بار نیست که خداوند به مردم اعلام می کند که شما را می آزمائیم تا صفوفتان از هم مشخص شود، و مؤمنان راستین از ضعیف الایمانها و منافقان شناخته شوند، در آیات فراوانی از قرآن مسأله ابتلاء و امتحان مطرح شده است- مسائل مربوط به آزمایش الهی در ذیل آیه ۱۵۵ سوره بقره و همچنین در آغاز سوره عنکبوت مشروحا آمده است.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ٣٢ ص: ٤٥٩

(آیه ۳۲)- بعد از بحثهای گوناگونی که پیرامون وضع منافقان در آیات گذشته بیان شد، در اینجا پیرامون جمع دیگری از کفار بحث میکند، و میفرماید:

«کسانی که کافر شدند و (مردم را) از راه خدا باز داشتند و بعد از روشن شدن هدایت برای آنان (باز) به مخالفت با رسول (خدا) برخاستند، هرگز زیانی به خدا نمیرسانند، و (خداوند) اعمالشان را نابود می کند» حتی اگر کار خیری هم انجام برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۶۰ دادهانـد چون بـا ایمـان قرین نبوده حبـط میشود (إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ صَـ لُّـوا عَنْ سَبِیـلِ اللَّهِ وَ شَـاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْـدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمُ الْهُدی لَنْ یَضُرُّوا اللَّهَ شَیْئاً وَ سَیُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ).

این گروه ممکن است همان مشرکان مکّه باشند، و یا کفار یهود مدینه، و یا هر دو.

سورهٔ محمد(۴۷): آیهٔ ۳۳ ص: ۴۶۰

(آیه ۳۳) - در این آیه روی سخن را به مؤمنان کرده، و بعد از بیان خطوط منافقین و کفار، خط آنها را نیز چنین تبیین می کند: «ای کسانی که ایمان آورده اید! اطاعت کنید خدا را و اطاعت کنید رسول خدا را، و اعمال خود را باطل مسازید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ لا تُبْطِلُوا أَعْمالَکُمْ).

لحن آیه نشان میدهد که در میان مؤمنان آن روز نیز افرادی بودهاند که در مسأله اطاعت خداوند و رسول و حفظ اعمالشان از باطل شدن کوتاهی داشتهاند که خداوند با این آیه به آنها اخطار میکند.

سورة محمد(٤٧): آية 34 ص: 460

(آیه ۳۴)- آنها که در حال کفر بمیرند هر گز بخشوده نخواهند شد! این آیه توضیح و تأکیدی است برای آنچه در آیات قبل پیرامون کفار آمده بود، و در ضمن راه بازگشت را به آنها که مایل باشند نشان میدهد، میفرماید:

«كسانى كه كافر شدند و (مردم را نيز) از پيمودن راه خدا باز داشـتند سـپس در همان حال كفر از دنيا رفتند خدا هرگز آنها را نخواهد بخشيد»! (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ).

چرا که بـا مرگ درهـای تـوبه بسـته میشـود، اینهـا بـار سـنگین کفر خودشـان و اضـلال و گمراهی دیگران را هر دو بر دوش میکشند، چگونه امکان دارد خداوند آنها را ببخشد؟

سورة محمد(٤٧): آية ٣٥ ص: 460

(آیه ۳۵) - صلح بی جا و ذلت بار! در تعقیب آیات گذشته پیرامون مسأله جهاد این آیه به یکی از نکات مهم پیرامون «جهاد» اشاره می کند و آن این که افراد سست و ضعیف الایمان برای فرار از زیر بار جهاد و مشکلات میدان جنگ غالبا مسأله صلح را مطرح می کنند، مسلما صلح بسیار خوب است اما در جای خود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۶۱

از این رو می فرماید: «پس اکنون (که دستورهای گذشته را شنیدید) هر گز سست نشوید و (دشمنان را) به صلح (ذلت بار) دعوت نکنید در حالی که شما برترید» (فَلا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلْم وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ).

یعنی حالا که نشانه های پیروزی و برتری شما آشکار شده چگونه با پیشنهاد صلح که مفهومش عقب نشینی و شکست است پیروزیهای خود را عقیم می گذارید؟ این در حقیقت صلح نیست، این تسلیم و سازشی است که از سستی و زبونی سر چشمه می گیرد، این یک نوع عافیت طلبی زشتی است که عواقب دردناک و خطرناک به بار می آورد.

و در پایان آیه برای تقویت روحیه مسلمانان مجاهد میافزاید: «و خداوند با شماست، و (چیزی از ثواب) اعمالتان را کم نمی کند» (وَ اللَّهُ مَعَکُمْ وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ).

کسی که خمدا با اوست همه عوامل پیروزی را در اختیار دارد، هرگز احساس تنهائی نمی کنمد، ضعف و سستی به خود راه

نمی دهد، به نام صلح، تسلیم دشمن نمی شود، و فر آورده های خونهای شهیدان را در لحظات حساس به باد نمی دهد.

سورة محمد(٤٧): آية 35 ص: 451

(آیه ۳۶)– گفتیم سوره «محمّد» سوره «جهاد» است، از مسأله جهاد آغاز شده و با مسأله جهاد پایان می گیرد.

در آخرین آیات این سوره نیز به یکی دیگر از مسائل زندگی انسانها در این رابطه میپردازد، و برای تشویق و تحریک هر چه بیشتر مسلمانان در زمینه اطاعت خداوند عموما و مسأله جهاد خصوصا بیارزش بودن زندگی دنیا را مطرح می کند، میفرماید: «زندگی دنیا تنها بازی و سرگرمی است» (إِنَّمَا الْحَیاهُ الدُّنیا لَعِبُّ وَ لَهْوًّ).

«لعب» (بازی) به کارهائی گفته می شود که دارای یک نوع نظم خیالی برای وصول به یک هدف خیالی است، و «لهو» (سرگرمی) به هر کاری گفته می شود که انسان را به خود مشغول داشته و از مسائل اصولی منحرف سازد.

و به راستی زندگی دنیا «بازی» و «سرگرمی» است.

به دنبال آن میافزاید: «و اگر ایمان آورید و تقوا پیشه کنید خداوند پاداشهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۶۲ شما را (به نحو کامل و شایسته) میدهد، و (در برابر آن) اموال شما را نمیطلبد» (وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَ لا یَشئَلْکُمْ أَمْوالَکُمْ).

و اگر مقدار ناچیزی از اموالتان به عنوان زکات و حقوق شرعی دیگر گرفته می شود آن هم برای خود شما مصرف می گردد، برای نگهداری یتیمان و مستمندان و در راه ماندگان شما، و برای دفاع از امنیت و استقلال کشورتان و برقراری نظم و آرامش و تأمین نیازمندیها و عمران و آبادی شهر و دیار شماست.

بنابر این همین مقـدار نیز برای خود شـماست که خدا و پیامبرش از همگان بینیازند، و به این ترتیب تناقضـی بین مفهوم آیه و آیات انفاق و زکات و مانند آن وجود ندارد.

سورة محمد(٤٧): آية ٣٧ ص: 46٢

(آیه ۳۷) - در این آیه برای نشان دادن میزان دلبستگی غالب مردم به اموال و ثروتهای شخصی میافزاید: «هر گاه اموال شما را مطالبه کند، و حتی اصرار ورزد بخل می کنید، بلکه (از آن بالاتر) کینه ها و خشم شما را آشکار میسازد»! (إِنْ یَشِیَلُکُمُوها فَیُحْفِکُمْ تَبْخَلُوا وَ یُخْرِجْ أَضْغَانَکُمْ).

و به این ترتیب با این تازیانه ملامت روح خفته انسانها را بیدار میسازد، تا زنجیر اسارت و بردگی اموال را از گردن خویش بردارند و آن چنان شوند که در راه دوست از همه چیز بگذرند، و همه را بر پای او نثار کنند، در عوض ایمان و تقوا و رضا و خشنودی او را بطلبند.

سورهٔ محمد(٤٧): آيهٔ ٣٨ ص: 46٢

(آیه ۳۸)- اگر سر پیچی کنید این رسالت را به گروه دیگری می دهد! آخرین آیه سوره محمّد صلّی الله علیه و اله تأکید دیگری است بر آنچه در آیات گذشته پیرامون مسائل مادی و دلبستگیهای مردم به آن و انفاق در راه خدا آمده است.

می فرماید: «آری! شما همان گروهی هستید که برای انفاق در راه خدا دعوت می شوید، بعضی از شما (این فرمان الهی را

اطاعت می کنند در حالی که بعضی) بخل میورزند» (ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَمِنْکَمْ مَنْ یَبْخَلُ). در اینجا این سؤال مطرح میشود که در آیات قبل گفته شد خداوند اموال شـما را مطالبه نمی کند چگونه در این آیه دستور به انفاق در راه خدا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۶۳

داده شده است؟

ولى دنباله خود آيه در حقيقت به اين سؤال از دو راه پاسخ مىدهد.

نخست می گوید: «و هر کسی (که در انفاق) بخل ورزد نسبت به خود بخل کرده است» (وَ مَنْ یَبْخُلْ فَإِنَّما یَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ). چرا که نتیجه انفاقها هم در دنیا به خود شما باز می گردد، زیرا فاصلههای طبقاتی کم می شود، آرامش و امنیت در جامعه حکم فرما می گردد، محبت و صفا و صمیمیت جای کینه و عداوت را می گیرد این پاداش دنیوی شماست.

و هم در آخرت در برابر هم درهم و دیناری مواهب و نعمتهائی به شما ارزانی میدارد که هرگز به فکر بشری خطور نکرده است، بنابر این هر قدر بخل کنید به خودتان بخل کرده اید! به تعبیر دیگر مسأله انفاق در اینجا بیشتر ناظر به انفاق برای جهاد است و واضح است که هر گونه کمک به پیشرفت امر جهاد ضامن حفظ موجودیت و استقلال و شرف یک جامعه است. پاسخ دیگر این که: «و خداوند بی نیاز است و شما همه نیازمندید» (وَ اللَّهُ الْغَنِیُّ وَ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ).

او هم از انفاق شما بینیاز است، و هم از اطاعتتان، این شما هستید که در دنیا و آخرت نیاز به لطف و رحمت و پاداش او دارید.

اصولا موجودات امکانیه و ما سوی الله سر تا پا فقر و نیازند، و غنی بالذّات تنها خداست، آنها حتی در اصل وجودشان دائما وابسته به اویند، و لحظه به لحظه از منبع لا یزال فیض وجود او مدد می گیرند که اگر یک لحظه از آنها قطع فیض کند هستی همه بر باد می رود «و فرو ریزند قالبها»! آخرین جمله هشداری است به همه مسلمانان که قدر این نعمت بزرگ و موهبت عظیم را بدانید که خداوند شما را پاسدار آئین پاکش قرار داد تا حامیان دین و یاوران پیامبر او باشید «و هر گاه سرپیچی کنید، خداوند گروه دیگری را جای شما می آورد پس آنها مانند شما نخواهند بود» و سخاو تمندانه در راه خدا انفاق برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۶۴

مى كنند (وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ).

آری! اگر شما این رسالت عظیم را نادیده بگیرید، خداوند قوم دیگری را بر میانگیزد قومی که در ایثار و فداکاری و بذل جان و مال و انفاق فی سبیل الله به مراتب از شما برتر و بالاتر باشند! این تهدید بزرگی است که نظیر آن در آیه ۵۴ سوره مائده نیز آمده است:

«ای کسانی که ایمان آورده اید! هر کس از شما از آیین خود باز گردد (به خدا زیانی نمی رساند) خداوند در آینده جمعیتی را می آورد که آنها را دوست دارد و آنها نیز خدا را دوست دارند، در برابر مؤمنان متواضع، و در برابر کافران نیرومند و شکست ناپذیرند، مردانی که در راه خدا جهاد می کنند و هر گز از سرزنش کنندگان هراسی به خود راه نمی دهند» اکثر مفسران نقل کرده اند که: بعد از نزول این آیه جمعی از اصحاب رسول خدا صلّی الله علیه و اله عرض کردند: «این گروهی که خداوند در این آیه به آنها اشاره کرده کیانند»؟! در این هنگام پیامبر دست بر پای سلمان و طبق روایتی بر شانه سلمان و زد و فرمود: «منظور این مرد و قوم اوست، سوگند به آن کس که جانم به دست اوست، اگر ایمان به ثریا بسته باشد گروهی از مردان فارس آن را به چنگ می آورند»! حدیث دیگری از امام صادق علیه السّلام نقل شده که مکمل حدیث فوق است.

فرمود: «به خدا سوگند که خداوند به این وعده خود وفا کرده و گروهی را از غیر عرب بهتر از آنها جانشین آنها فرمود».

«پایان سوره محمّد»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۶۵

سوره فتح [48] ص: 468

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۲۹ آیه است

محتوای سوره: ص : 465

این سوره چنانکه از نامش پیداست پیام آور فتح و پیروزی است، پیروزی بر دشمنان اسلام، پیروزی چشمگیر و قاطع خواه پیروزی مربوط به فتح مکه باشد یا صلح حدیبیه یا فتح خیبر یا پیروزی بطور مطلق.

موقعی که پیامبر صلّی الله علیه و اله از حدیبیه به سوی مدینه می آمد مرکبش از حرکت بـاز ایسـتاد، و در همین حال چهره مبارکش غرق سرور و شادمانی بی سابقهای گشت و فرمود: هم اکنون آیات سوره فتح بر من نازل شد.

در یک بررسی می توان گفت که این سوره از هفت بخش تشکیل یافته است.

۱- سوره بـا مسأله بشارت فتـح آغاز مىشود، و آيات انجام آن نيز به همين مسأله مربوط است، و تأكيـد بر تحقق خواب پيامبر صلّى الله عليه و اله دائر به وارد شدن به مكه و انجام مناسك عمره است.

۲- بخش دیگری از سوره حوادث مربوط به «صلح حدیبیه» و «نزول سکینه» و آرامش بر دلهای مؤمنان و مسأله «بیعت رضوان» را بازگو می کند.

۳- در بخش دیگری از مقام پیامبر و هدف والای او سخن می گوید.

۴- در قسمت دیگری، از کار شکنی های منافقان و نمونه هائی از عذر های واهیشان در مورد عدم شرکت در میدان جهاد پرده بر می دارد.

۵- در بخش دیگر قسمتی از تقاضاهای نابجای منافقان را منعکس میسازد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۶۶

۶- سپس کسانی را که از شرکت در میدان جهاد معذورند معرفی می کند.

۷- و بالاخره در بخشی نیز از ویژگیهای پیروان خط مکتبی پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله و صفات مخصوص آنها سخن
 می گوید.

فضيلت تلاوت سوره: ص : 466

در حدیثی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم: «اموال و همسران و آنچه را در ملک شماست با قرائت «انّا فتحنا» از تلف حفظ کنید.

کسی که پیوسته آن را تلاوت کند روز قیامت منادی صدا میزند آن چنان که همه خلائق می شنوند: تو از بندگان مخلص منی، او را به بندگان صالحم ملحق سازید، و در باغهای پر نعمت بهشت او را وارد کنید، و از نوشابه مخصوص بهشتیان

سيرابش نمائيد».

ناگفته پیداست این همه فضیلت و افتخار با تلاوت خالی از اندیشه و عمل حاصل نمی شود، بلکه هدف اصلی از تلاوت، تطبیق اعمال و خلق و خوی خویش بر مفاد این آیات است.

بِسْم اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الفتح(48): آية ١ ص: 468

اشاره

(آیه ۱)- فتح المبین! در نخستین آیه این سوره بشارت عظیمی به پیامبر صلّی الله علیه و اله داده شده است، بشارتی که طبق بعضی از روایات نزد پیامبر صلّی الله علیه و اله محبوبتر از تمام جهان بود، میفرماید: «ما برای تو پیروزی آشکاری فراهم ساختیم! ...» (إِنَّا فَتَحْنَا لَکَ فَتْحاً مُبِیناً).

منظور از این فتح پیروزی عظیمی است که از «صلح حدیبیه» نصیب مسلمانان شد.

اما برای روشن شدن تفسیر این آیات باید قبل از هر چیز فشردهای از داستان حدیبیه را در اینجا بیاوریم که به منزله شأن نزول آن است.

داستان صلح حديبيه: ص: ۴۶۶

در سال ششم هجرت ماه ذی القعده پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و اله به قصد عمره به سوی مکه حرکت کرد و همه مسلمانان را تشویق به شرکت در این سفر نمود، اما گروهی خودداری کردند، ولی جمع کثیری از مهاجران و انصار برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۶۷

و اعراب بادیه نشین در خدمتش عازم مکه شدند.

این جمعیت که در حدود یک هزار و چهار صد نفر بودند همگی لباس احرام بر تن داشتند و جز شمشیر که اسلحه مسافران محسوب می شد هیچ سلاح جنگی با خود برنداشتند.

هنگامی که پیامبر به «عسفان» در نزدیکی مکه رسید با خبر شد که قریش تصمیم گرفته اند از ورود او به مکه جلوگیری نمایند، تا این که پیامبر صلّی الله علیه و اله به «حدیبیه» رسید پیامبر صلّی الله علیه و اله به «عمر» پیشنهاد فرمود که به مکه رود و اشراف قریش را از هدف این سفر آگاه سازد، عمر گفت: بهتر این است که «عثمان» به این کار مبادرت ورزد، عثمان به سوی مکه آمد و چیزی نگذشت که در میان مسلمانان شایع شد او را کشته اند، در اینجا پیامبر صلّی الله علیه و اله تصمیم به شدت عمل گرفت و در زیر درختی که در آنجا بود با یارانش تجدید بیعت کرد که به نام «بیعت رضوان» معروف شد، و با آنان عهد بست که تا آخرین نفس مقاومت کنند، ولی چیزی نگذشت که عثمان سالم بازگشت و به دنبال او قریش «سهیل بن عمرو» را برای مصالحه خدمت پیامبر صلّی الله علیه و اله فرستاد.

بعد از گفتگوهای زیاد پیمان صلحی منعقد شد. این پیمان در حقیقت یک پیمان عدم تعرض همه جانبه بود که به جنگهای

مداوم و مکرر بین مسلمانان و مشرکان موقتا پایان می داد.

«متن پيمان صلح» از اين قرار بود كه پيامبر صلّى الله عليه و اله به على عليه السّـ لام دستور داد «بنويس: بسم الله الرّحمن الرّحيم».

«سهیل بن عمرو» که نماینده مشرکان بود گفت: من با چنین جملهای آشنا نیستم، بنویس بسمک اللّهمّ! پیامبر صلّی الله علیه و الله فرمود: «بنویس: بسمک اللّهمّ»! سپس فرمود: بنویس این چیزی است که محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله با سهیل بن عمرو مصالحه کرده! «سهیل» گفت: ما اگر تو را «رسول اللّه» می دانستیم با تو جنگ نمی کردیم، تنها اسم خودت، و اسم پدرت را بنویس. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۶۸

پیغمبر صلّی اللّه علیه و اله فرمود: مانعی ندارد، بنویس: «این چیزی است که «محمّد بن عبد اللّه» با سهیل بن عمرو صلح کرده که ده سال متارکه جنگ شود تا مردم امنیت خود را باز یابند.

علاوه بر این همه آزادند هر کس میخواهد در پیمان محمّد وارد شود و هر کس میخواهد در پیمان قریش.

ازین گذشته محمّهد امسال بـاز میگردد و وارد مکه نمیشود، امـا سـال آینـده مـا به مـدت سه روز از مکه بیرون میرویم و یارانش بیایند اما بیش از سه روز توقف نکنند.

در اینجا پیامبر صلّی اللّه علیه و اله دستور داد شترهای قربانی را که به همراه آورده بودند در همانجا قربانی کنند، سرهای خود را بتراشند و از احرام به در آیند. اما این امر برای جمعی از مسلمانان سخت ناگوار بود.

ولی پیغمبر شخصا پیشگام شد، و شتران قربانی را نحر فرمود، و از احرام بیرون آمد، و به مسلمانان تفهیم نمود که این استثنائی است در قانون احرام و قربانی که از سوی خداوند قرار داده شده است.

مسلمین هنگامی که چنین دیدند تسلیم شدند و دستور پیامبر صلّی الله علیه و اله دقیقا اجرا شد و از همانجا آهنگ مدینه کردند، اما کوهی از غم و اندوه بر قلب آنها سنگینی می نمود، چرا که ظاهر قضیه یک ناکامی و شکست بود ولی خبر نداشتند که در پشت داستان صلح حدیبیه چه پیروزیهائی برای مسلمانان و آینده اسلام نهفته است، و در همین هنگام بود که سوره فتح نازل شد و بشارت فتح عظیمی را به پیامبر گرامی اسلام داد.

به دنبال صلح حدیبیه مشرکین با مسلمانان ارتباط یافتند و اسلام در قلوب آنها جایگزین شد و در عرض سه سال گروه عظیمی اسلام آوردند، و جمعیت مسلمانان با آنها فزونی گرفت.

سورة الفتح (48): آية 2 ص: 468

(آیه ۲)- نتایج بزرگ فتح المبین! در این آیه و آیه بعد قسمتی از نتایج پر برکت «فتح مبین» (صلح حدیبیه) که در آیه قبل آمده است تشریح شده. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۶۹

مىفرمايىد: هىدف اين بود «تا خداونىد گناهان گذشته و آينىدهاى را كه به تو نسبت مىدادنىد ببخشىد (و حقانيت تو را ثابت نموده) و نعمتش را بر تو تمام كنىد و به راه راست هىدايتت فرمايىد» (لِيَغْفِرَ لَمكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِراطاً مُشتَقِيماً).

سورة الفتح (48): آية 3 ص: 469

(آیه ۳)- «و پیروزی شکست ناپذیری نصیب تو کند» (وَ یَنْصُرَکُ اللَّهُ نَصْراً عَزیزاً).

و به این ترتیب خداوند چهار موهبت عظیم در سایه این فتح مبین نصیب پیامبرش کرد: مغفرت، تکمیل نعمت، هدایت و نصرت.

پاسخ به یک سؤال مهم: ص: 469

با این که پیامبر به حکم مقام عصمت از هر گناهی پاک است منظور از این جمله چیست؟

برای پی بردن به جامعترین پاسخ، مهم این است که ما رابطه «فتح حدیبیه» را با مسأله «آمرزش گناه» پیدا کنیم که کلید اصلی پاسخ به سؤال فوق در آن نهفته است.

بـا دقت در حوادث و رویـدادهای تـاریخی به این نتیجه میرسـیم: هنگامی که مکتبی راستین ظاهر میشود و قـد بر میافرازد، وفاداران به سنن خرافی که موجودیت خود را در خطر می بینند هر گونه تهمت و نسبت ناروا به آن می بندند.

اگر این مکتب در مسیر پیشرفت خود مواجه به شکست شود، دستاویزی محکم برای اثبات نسبتهای ناروا به دست مخالفان میافتد، و فریاد می کشند نگفتیم چنین است، نگفتیم چنان است؟

اما هنگامی که به پیروزی نائل گردد و برنامههای خود را از بوته آزمایش موفق بیرون آورد، تمام نسبتهای ناروا نقش بر آب می شود، و تمام «نگفتیمها» می دهد! مخصوصا در مورد می شود، و تمام «نگفتیمها» می دهد! مخصوصا در مورد پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله این نسبتهای ناروا و گناهان پنداری بسیار فراوان بود، او را جنگ طلب، آتش افروز، بی اعتنا به سنتهای راستین، غیر قابل تفاهم، و مانند آن می شمردند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۷۰

صلح حدیبیّه به خوبی نشان داد که آئین او بر خلاف آنچه دشمنان می پندارند یک آئین پیشرو و الهی است.

او به خانه خدا احترام می گذارد، هر گز بی دلیل به قوم و جمعیتی حمله نمی کند، او اهل منطق و حساب است او به راستی همه انسانها را به سوی محبوبشان «الله» دعوت می کند، و اگر دشمنانش جنگ را بر او تحمیل نکنند او طالب صلح و آرامش است. به این ترتیب فتح حدیبیه تمام گناهانی که قبل از این ماجرا و حتی در آینده ممکن بود به او نسبت دهند همه را شست، و چون خداوند این پیروزی را نصیب پیامبر صلّی الله علیه و اله نمود می توان گفت خداوند همه آنها را شستشو کرد.

نتیجه این که این گناهان، گناهان واقعی نبود، بلکه گناهانی بود پنداری و در افکار مردم و در باور آنها، چنانکه در آیه ۱۴ سوره شعرا در داستان موسی (ع) میخوانیم که موسی به پیشگاه خدا عرضه داشت: «فرعونیان بر من گناهی دارند که می ترسم به جرم آن گناه مرا بکشند» در حالی که گناه او چیزی جز یاری فرد مظلومی از بنی اسرائیل و کوبیدن ستمگری از فرعونیان نبود.

سورة الفتح (48): آية 4 ص: 474

(آیه ۴)- نزول سکینه بر دلهای مؤمنان! آنچه در آیات گذشته خواندیم مواهب بزرگی بود که خدا در پرتو فتح مبین (صلح حدیبیّه) نصیب پیامبر صلّی اللّه علیه و اله کرد، اما در این آیه از موهبت عظیمی که بر همه مؤمنان مرحمت فرموده بحث می کند، می فرماید: «او کسی است که آرامش را در دلهای مؤمن نازل کرد تا ایمانی بر ایمانشان بیفزایند» (هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ السَّکِینَةَ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِینَ لِیَزْدادُوا إِیماناً مَعَ إِیمانِهِمْ).

چرا سكينه و آرامش بر دل آنها فرود نيايـد در حالى كه «لشـكريان آسـمانها و زمين از آن خـداست، و خداونـد دانا و حكيم است» (وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً).

«سکینه» در اصل از ماده «سکون» به معنی آرامش و اطمینان خاطری است برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۷۱

که هر گونه شک و تردید و وحشت را از انسان زائل میکند و او را در طوفان حوادث ثابت قدم میدارد.

این آرامش ممکن است جنبه عقیدتی داشته باشد، و تزلزل اعتقاد را بر طرف سازد، یا جنبه عملی، به گونهای که ثبات قدم و مقاومت و شکیبائی به انسان بخشد، البته تعبیرات خود آیه در اینجا بیشتر ناظر به معنی اول است.

سورة الفتح(48): آية ۵ ص: 471

(آیه ۵)- نتیجه دیگر فتح المبین! نقل کردهاند هنگامی که بشارت «فتح مبین» و «اتمام نعمت» و «هدایت» و «نصرت» به پیغمبر اسلام صلّی الله علیه و اله در آیات نخست این سوره داده شد بعضی از مسلمانان که از حوادث «حدیبیه» دلتنگ بودند عرض کردند: «گوارا باد بر تو این همه مواهب الهی ای رسول خدا! خداوند آنچه را به تو داده و می دهد بیان کرده، به ما چه خواهد داد؟» در اینجا آیه نازل شد و به مؤمنان بشارت داد که برای آنها نیز پاداشهای بزرگی فراهم شده.

قرآن همچنان در ارتباط با صلح «حدیبیه» و بازتابهای مختلف آن در افکار مردم، و نتایج پر بار آن سخن می گوید، و سرنوشت هر گروه را در این بوته آزمایش بزرگ مشخص میسازد.

نخست مىفرمايىد: «هـدف ديگر (از اين فتـح مبين) اين بود كه مردان و زنـان با ايمان را در باغهائى (از بهشت) وارد كنـد كه نهرها از زير (درختانش) جارى است» (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

در حالی که «جاودانه در آن میمانند»، و این نعمت بزرگ هرگز از آنان سلب نمیشود (خالِدِینَ فِیها).

«و گناهانشان را مى بخشد» (وَ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ).

«و این نزد خدا رستگاری بزرگی است»! (وَ کانَ ذلِکَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِیماً).

به این ترتیب خداوند در برابر آن چهار موهبتی که به پیامبرش در فتح المبین داد، دو موهبت عظیم نیز به مؤمنان ارزانی داشت: بهشت جاویدان با تمام نعمتهایش، و عفو و گذشت از لغزشهای آنها، علاوه بر سکینه و آرامش روحی که در این دنیا به آنها بخشید، و مجموعه این سه نعمت، فوز عظیم و پیروزی بزرگی است برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۷۲ برای کسانی که از این بوته امتحان سالم بیرون آمدند.

سورة الفتح(48): آية 6 ص: 477

(آیه ۶)- ولی در برابر این گروه، گروه منافقان و مشرکان بی ایمان بودند که در این آیه سرنوشتشان این گونه ترسیم شده: «و (نیز هدف دیگر این است که خداونـد) مردان و زنان منافق، و مردان و زنان مشرک را که به خدا گمان بد می برند مجازات كند» (وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ).

آرى! منافقان و مشركان به هنگام حركت پيامبر صلّى اللّه عليه و اله و مؤمنان از مدينه گمان داشتند كه اين گروه هرگز سالم به مدينه باز نخواهد گشت.

سپس به توضیح این عـذاب و مجازات پرداخته و تحت چهار عنوان آن را شـرح داده، می گویـد: آری «حوادث ناگواری (که برای مؤمنان انتظار میکشند) تنها بر خودشان نازل می شود» (عَلَیْهِمْ دائِرَهُ السَّوْءِ).

ديگر اين كه: «خداوند بر آنان غضب كرده» (وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ).

«و (نیز خداوند آنان را) از رحمت خود دورشان ساخته» (وَ لَعَنَهُمْ).

«و جهنم را برای آنها (از هم اکنون) آماده کرده، و چه بد سر انجامی است» (وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً).

سورة الفتح(48): آية ٧ ص: 47٢

(آیه ۷)- در این آیه بار دیگر به عظمت قـدرت خداونـد اشاره کرده، میگویـد: «لشـکریان آسـمانها و زمین از آن خداست و خداوند شکست ناپذیر و حکیم است» (وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ کانَ اللَّهُ عَزِیزاً حَکِیماً).

این سخن یک بار در ذیل مقامات و مواهب اهل ایمان آمد، و یک بار هم در اینجا در ذیل مجازات منافقان و مشرکان، تا روشن شود خداوندی که تمام جنود آسمان و زمین تحت فرمانش قرار دارند هم قدرت بر آن دارد هم توانائی بر این، هر گاه دریای رحمتش موج زند شایستگان را هر جا باشند شامل می شود، و هر گاه آتش قهر و غضبش زبانه کشد مجرمی را قدرت فرار از آن نیست.

سورة الفتح(48): آية 8 ص: 477

(آیه ۸)- تحکیم موقعیت پیامبر صلّی الله علیه و اله و وظائف مردم در برابر او گفتیم صلح حدیبیه از سوی بعضی از ناآگاهان شدیدا مورد انتقام قرار گرفت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۷۳

و حتى تعبيراتى در برابر پيامبر صلّى الله عليه و اله گفتند كه خالى از بىحرمتى نسبت به آن حضرت نبود مجموع اين حوادث ايجاب مىكرد كه موقعيت يا عظمت پيامبر صلّى الله عليه و اله بار ديگر مورد تأكيد قرار گيرد.

لذا این آیه پیامبر صلّی اللّه علیه و اله را مخاطب قرار داده، می گوید: «به یقین ما تو را گواه (بر اعمال آنها) و بشارت دهنده، و بیم دهنده فرستادیم» (إِنَّا أَرْسَلْناکَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً). گواه بر تمام امت اسلام بلکه به یک معنی گواه بر همه امتها.

سورة الفتح(48): آية 9 ص: 473

(آیه ۹)- در این آیه پنج دستور مهم به عنوان نتیجه و هدفی برای اوصاف پیشین پیامبر صلّی الله علیه و اله بیان شده که دو دستور در باره «اطاعت» و «دفاع» و «تعظیم» مقام پیامبر صلّی الله علیه و اله است.

مىفرمايىد: هـدف اين است «تا (شـما مردم) به خدا و رسولش ايمان بياوريد، و از او دفاع كنيد و او را بزرگ داريد، و خدا را صبح و شام تسبيح گوييد» (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ وَ تُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا).

سورة الفتح (٤٨): آية 10 ص: 473

(آیه ۱۰) - در این آیه اشاره کوتاهی به مسأله «بیعت رضوان» میکند - که در آیه ۱۸ همین سوره بطور مشروحتر آمده است می گوید: «کسانی که با تو بیعت میکنند (در حقیقت) تنها با خدا بیعت میکنند و دست خدا بالای دست آنهاست» (إِنَّ الَّذِینَ یُبایِعُونَ اللَّهَ یَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَیْدِیهِمْ).

سپس مىافزايد: «پس هر كس پيمان شكنى كند تنها به زيان خود پيمان شكسته است» (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ). «و آن كس كه نسبت به عهدى كه با خدا بسته وفا كند، به زودى، پاداش عظيمى به او خواهد داد» (وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً).

در این آیه، قرآن مجید به همه بیعت کنندگان هشدار میدهد که اگر بر سر پیمان و عهد خود بمانند پاداش عظیمی خواهند داشت، اما اگر آن را بشکنند زیانش متوجه خود آنهاست، تصور نکنند به خدا ضرری میرسانند.

سورة الفتح (48): آية 11 ص: 473

(آیه ۱۱)- عذر تراشی متخلفان! بعد از ذکر سرنوشت منافقان و مشرکان در آیات قبل، در اینجا وضع متخلفان و بازماندگان ضعیف الایمان را بازگو میکند، تا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۷۴

حلقات این بحث تکمیل گردد.

میفرماید: «به زودی متخلفان از اعراب بادیه نشین (عذر تراشی کرده) می گویند: (حفظ) اموال و خانوادههای ما، ما را به خود مشغول داشت (و نتوانستیم در سفر حدیبیه تو را همراهی کنیم) برای ما طلب آمرزش کن»! (سَیَقُولُ لَکَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَ أَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنا).

«آنها به زبان خود چیزی می گوینـد که در دل ندارنـد» (یَقُولُونَ بِأَلْسِـٓ نَتِهِمْ ما لَیْسَ فِی قُلُوبِهِمْ). آنها حتی در توبه خود صادق نیستند.

ولی به آنها «بگو: چه کسی می تواند در برابر خداوند از شما دفاع کند هر گاه زیانی برای شما بخواهد و یا اگر نفعی اراده کند» مانع گردد (قُلْ فَمَنْ یَمْلِکُ لَکُمْ مِنَ اللَّهِ شَیْئاً إِنْ أَرادَ بِکُمْ ضَرًّا أَوْ أَرادَ بِکُمْ نَفْعاً).

آرى «خداوند به همه كارهايي كه انجام مي دهيد آگاه است» (بَلْ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً).

او به خوبی میداند که این عذر و بهانه ها واقعیت ندارد آنچه واقعیت دارد شک و تردید و ترس و ضعف ایمان شماست.

سورة الفتح(48): آية 12 ص: 474

(آیه ۱۲)– سپس برای توضیح بیشتر پرده ها را کاملا۔ کنار زده میافزاید: «ولی شما گمان کردید پیامبر و مؤمنان هرگز به خانواده های خود باز نخواهند گشت» (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً).

آری! علت عدم شرکت شما در این سفر تاریخی مسأله اموال و زن و فرزند نبود، بلکه عامل اصلی سوء ظنی بود که به خدا داشتید، و با محاسبات غلط خود چنین فکر می کردید که این سفر، سفر پایانی عمر پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و مؤمنان است و باید از آن کناره گیری کرد.

«و این (پندار غلط) در دلهای شما زینت یافته بود و گمان بد کردید» (وَ زُیِّنَ ذٰلِکَ فِی قُلُوبِکَمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ).

چرا که فکر می کردید خداوند پیامبرش را به این سفر فرستاده، و آنها را به چنگال دشمنان سپرده و از آنها حمایت نخواهد کرد! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۷۵

«و سر انجام (در دام شیطان افتادید و) هلاک شدید»! (وَ کُنْتُمْ قَوْماً بُوراً).

چه هلاـکتی از این بـدتر که از شـرکت در این سـفر تـاریخی، و بیعت رضوان و افتخـارات دیگر محروم شدیـد، و به دنبال آن رسوائی بزرگ بود، و در آینده عذاب دردناک آخرت است.

سورة الفتح(48): آية 13 ص: 475

(آیه ۱۳) – از آنجا که این موضعگیریهای غلط گاه از عدم ایمان سر چشمه می گرفت در این آیه می گوید: «آن کسی که به خدا و پیامبرش ایمان نیاورده (سرنوشتش دوزخ است) چرا که ما برای کافران آتش فروزان آماده کردهایم» (وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنا لِلْکافِرِینَ سَعِیراً).

سورة الفتح (٤٨): آية ١٤ ص: ٤٧٥

(آیه ۱۴) – و سر انجام برای اثبات قدرت خداوند بر مجازات کافران و منافقان می فرماید: «مالکیّت و حاکمیّت آسمانها و زمین از آن خداست، هر کس را بخواهد و خداوند آمرزنده و رحیم است» (وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً).

سورة الفتح(48): آية 15 ص: 475

(آیه ۱۵) – متخلفان آماده طلب! هنگامی که پیامبر صلّی اللّه علیه و اله از «حدیبیه» باز می گشت به فرمان خدا مسلمانان شرکت کننـد، و غنـائم جنگی کننـده در حـدیبیه را بشـارت به «فتـح خیـبر» داد و تصـریح فرمـود که در این پیکـار فقـط آنهـا شـرکت کننـد، و غنـائم جنگی مخصوص آنهاست.

اما این دنیا پرستان ترسو همین که از قرائن فهمیدند پیامبر صلّی الله علیه و اله در این جنگی که در پیش دارد قطعا پیروز می شود و غنائم فراوانی به دست سپاه اسلام خواهد افتاد، از فرصت استفاده کرده، خدمت پیامبر صلّی الله علیه و اله آمدند، و اجازه شرکت در میدان «خیبر» خواستند! غافل از این که آیات قرآن از قبل نازل شده بود، و سرّ آنها را فاش ساخته بود.

چنانکه در آیه میخوانیم: «هنگامی که شما برای به دست آوردن غنائمی حرکت کنید متخلفان (حدیبیه) می گویند: بگذارید ما هم در پی شما بیائیم» و در این جهاد شرکت کنیم (سَیتَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغانِمَ لِتَأْخُدُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۷۶

قرآن در پاسخ این گروه سودجو و فرصت طلب می گوید: «آنها میخواهند کلام خدا را تغییر دهند» (یُرِیدُونَ أَنْ یُبَدِّلُوا کَلامَ اللَّه).

سپس می افزاید: «به آنها بگو: شما هر گز نباید به دنبال ما بیائید» و حق ندارید در این میدان شرکت کنید (قُلْ لَنْ تَتَبِعُونا). این سخنی نیست که من از پیش خود بگویم «این گونه خداوند از قبل گفته (و ما را از آینده شما با خبر ساخته) است»

(كَذلِكَمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ).

خداونـد دسـتور داده «غنائم خيبر» مخصوص «اهل حـديبيه» باشـد و احـدى با آنها در اين امر شـركت نكنـد! ولى اين متخلفان بىشـرم و پر ادعا، باز از ميـدان در نمىرونـد و شـما را متهم به حسادت مىكننـد «و به زودى مىگوينـد: (مطلب چنين نيست) بلكه شما نسبت به ما حسد مىورزيد»! (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنا).

و به این ترتیب آنها حتی بطور ضمنی پیامبر صلّی اللّه علیه و اله را تکذیب می کنند، و ریشه منع آنها را از شرکت در «غزوه خیبر» حسادت می شمرند! قرآن در آخرین جمله می گوید: «ولی آنها جز اندکی نمی فهمند»! (بَلْ کانُوا لا یَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِیلًا). آری! ریشه تمام بدبختیهای آنها جهل و نادانی و بی خبری است که همیشه دامنگیر آنها بوده است، جهل در مورد خداوند، و عدم معرفت مقام پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و بی خبری از سرنوشت انسانها، و عدم توجه به ناپایداری ثروت دنیا.

سورة الفتح(48): آية 18 ص: 478

(آیه ۱۶) – در ادامه همین بحث و گفتگو بـا متخلفـان «حـدیبیه» آیه شـریفه پیشـنهادی به آنها کرده، و راه بازگشت را به روی آنها چنین میگشاید و میفرماید:

«به متخلفان از اعراب (بادیه نشین) بگو: به زودی از شما دعوت می شود که به سوی قومی نیرومنـد و جنگجو بروید، و با آنها پیکار کنید تا اسلام بیاورند» (قُلْ لِلْمُخَلَّفِینَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلی قَوْم أُولِی بَأْسِ شَدِیدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ یُسْلِمُونَ).

«پس اگر اطاعت کنید خداوند پاداش نیکی به شما میدهد، و اگر سُرپیچی کنید- همانگونه که در گذشته نیز سر پیچی کردید- خداوند شما را با عذاب برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۷۷

دردناكى كيفر مىدهد» (فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا كَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً).

باید امتحان صداقت خود را در میدان سخت و سهمگین دیگری بدهید، و گر نه از میدانهای سخت اجتناب کردن، و در میدانهای راحت و پر غنیمت شرکت نمودن به هیچ وجه ممکن نیست.

این قوم جنگجو و پر قدرت که در این آیه به آنها اشاره کرده چه جمعیتی بودند؟

جمله «تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ یُشِلِمُونَ» (با آنها پیکار کنید تا اسلام بیاورند) دلیل بر این است که اهل کتاب نبودند، زیرا آنها را مجبور به پذیرش اسلام نمی کنند، بلکه مخیر میان اسلام آوردن یا پذیرش شرائط اهل ذمه و همزیستی مسالمت آمیز با مسلمانان و پرداخت جزیه می کنند، تنها مشرکان و بت پرستان هستند که چیزی جز اسلام از آنان پذیرفته نمی شود، زیرا اسلام بت پرستی را به عنوان یک «دین» نمی شناسد، و اجبار در ترک بت پرستی جایز است.

و با توجه به این که در عصر پیامبر صلّی اللّه علیه و اله بعـد از ماجرای حـدیبیه غزوه مهمی با مشرکان جز «فتح مکه» و غزوه «حنین» وجود نداشت، آیه فوق می تواند اشاره به آنها باشد، مخصوصا غزوه حنین که مردان جنگجوی سخت کوشی از طایفه هوازن و بنی سعد در آن شرکت داشتند.

سورة الفتح (48): آية 17 ص: 477

(آیه ۱۷)- بعد از نزول آیه قبل و تهدید متخلفان به «عذاب الیم» جمعی از معلولین یا بیماران خدمت پیامبر صلّی الله علیه و اله آمدند و عرض کردند: ای رسول خدا! تکلیف ما در این میان چیست؟ در اینجا این آیه نازل شد و حکم آنها را چنین بازگو

كرد: «بر نابينا و لنگ و بيمار گناهى نيست» اگر در ميدان جهاد شركت نكنند (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْأَعْرِجِ وَرَجٌ كَرَجٌ وَ لا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ).

تنها جهاد نیست که مشروط به قدرت و توانائی است، تمام تکالیف الهی یک سلسله شرائط عمومی دارد که از جمله آنها «توانائی و قدرت» است و در آیات قرآن کرارا به این معنی اشاره شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۷۸

البته این گروه گر چه از شرکت در میدان جهاد معافند اما آنها نیز باید به مقدار توان خود برای تقویت قوای اسلام و پیشبرد اهداف الهی آن بکوشند.

و شاید جمله اخیر آیه مورد بحث نیز اشاره به همین معنی باشد که میفرماید: «و هر کس خدا و رسولش را اطاعت نماید او را در باغهائی (از بهشت) وارد میکند که نهرها از زیر (درختانش) جاری است، و آن کس که سر پیچی کند او را به عـذاب دردناکی گرفتار میسازد»! (وَ مَنْ یُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ یُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ مَنْ یَتَوَلَّ یُعَذِّبْهُ عَذاباً أَلِیماً).

سورة الفتح (٤٨): آية ١٨ ص : 4٧٨

(آیه ۱۸) – خشنودی خدا از شرکت کنندگان در بیعت رضوان گفتیم در ماجرای حدیبیه سفرائی میان «پیامبر» صلّی الله علیه و اله و «قریش» رد و بدل شد، از جمله پیامبر صلّی الله علیه و اله «عثمان بن عفان» را به عنوان نماینده نزد مشرکان مکه فرستاد قریش عثمان را موقتا توقیف کردند، و به دنبال آن در بین مسلمانان شایع شد که عثمان کشته شده پیامبر صلّی الله علیه و اله فرمود: من از اینجا حرکت نمی کنم تا با این گروه پیکار کنم.

سپس به زیر درختی که در آنجا بود آمـد، و بـا مردم تجدیـد بیعت کرد، و از آنهـا خواست که در پیکار با مشـرکان کوتاهی نکنند، و کسی پشت به میدان جهاد نکند.

این بیعت به عنوان «بیعت رضوان» (بیعت خشنودی خداوند) معروف شد، و لرزه بر اندام مشرکان انداخت و نقطه عطفی در تاریخ اسلام بود.

قرآن در اینجا از این ماجرا سخن میگوید، میفرماید: «خداوند از مؤمنان– هنگامی که در زیر آن درخت با تو بیعت کردند– راضی و خشنود شد» (لَقَدْ رَضِیَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ).

هدف از این «بیعت» انسجام هر چه بیشتر نیروها، تقویت روحیه، تجدید آمادگی رزمی، سنجش افکار، و آزمودن میزان فداکاری دوستان وفادار بود.

و خداونـد به این مؤمنـان فـداکار چهار پاداش بزرگ داد که از همه مهمتر رضایت و خشـنودی او بود، همان گونه که در آیه ۷۲ سوره توبه نیز میخوانیم:

«وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» و رضا و خشنودی خداوند از همه نعمتهای بهشتی برتر است». برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۷۹ سپس میافزاید: «خدا آنچه را در درون دلهایشان (از صداقت و ایمان و آمادگی و وفاداری نسبت به این پیمان) نهفته بود میدانست، از این رو آرامش را بر دلهایشان نازل کرد» (فَعَلِمَ ما فِی قُلُوبِهِمْ فَأَنْزُلَ السَّکِینَهُ عَلَیْهِمْ).

آن چنان آرامشی که در میان انبوه دشمنان در میان سلاحهای آماده آنها ترس و وحشتی به دل راه نمی دادند. و این دومین موهبت الهی نسبت به آنها بود.

و در پایان این آیه به سومین موهبت اشاره کرده، می فرماید: «و پیروزی نزدیکی به عنوان پاداش نصیب آنها فرمود» (وَ أَثَابَهُمْ

فَتْحاً قَريباً).

آری! این فتح- که به گفته اکثر مفسران «فتح خیبر» بود- سومین پاداش الهی برای این مؤمنان ایثارگر بود. و تعبیر به «قریبا» (به زودی) تأییدی است بر این که منظور «فتح خیبر» است.

سورة الفتح(48): آية 19 ص: 479

اشاره

(آیه ۱۹)- چهارمین نعمتی که به دنبال بیعت رضوان نصیب مسلمانان شد غنائم فراوان مادی بود چنانکه در این آیه میفرماید: پاداش دیگر «غنائم بسیاری که آن را به دست می آورند» (وَ مَغانِمَ کَثِیرَةً یَأْخُذُونَها).

این تعبیر می تواند تمام غنائم جنگهای اسلامی را که بعد از فتح خیبر رخ داد در بر گیرد.

و از آنجا که بایـد مسـلمانان به این وعـده الهی کاملا اطمینان کننـد در آخر آیه میافزاید: «و خداوند شـکست ناپذیر و حکیم است» (وَ کانَ اللَّهُ عَزیزاً حَکِیماً).

اگر به شما دستور داد که در حدیبیه صلح کنید بر اساس حکمت بود، و اگر به شما وعده فتح قریب و غنائم فراوان می دهد این توانائی را دارد که به وعده های خود جامه عمل بپوشاند.

به این ترتیب مسلمانان ایثارگر در سایه بیعت رضوان پیروزی دنیا و آخرت را به دست آوردنـد، در حالی که منافقان بیخبر و ضعیف الایمانهای ترسو در آتش حسرت سوختند؟

بیعت و خصوصیات آن: ص: 479

قرائن نشان می دهـ د که بیعت از ابـداعات مسـلمین نیست، بلکه سـنتی بوده که قبل از اسـلام در میان عرب رواج داشـته است، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۸۰

و به همین دلیل در آغاز اسلام که طایفه «اوس» و «خزرج» در موقع حج از مدینه به مکه آمدند و با پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله در عقبه بیعت کردند برخورد آنها با مسأله بیعت برخورد با یک امر آشنا بود، بعد از آن پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و اله نیز در فرصتهای مختلف با مسلمانان تجدید بیعت کرد که یک مورد از آن همین «بیعت رضوان» در حدیبیه بود، و از آن گسترده تر بیعتی بود که بعد از فتح مکه انجام گرفت که در تفسیر «سوره ممتحنه» شرح آن به خواست خدا خواهد آمد. اما چگونگی «بیعت» بطور کلی از این قرار بوده که بیعت کننده دست به دست بیعت شونده می داده و با زبان حال یا قال اعلام اطاعت و وفاداری می نمود، و گاه در ضمن بیعت شرائط و حدودی برای آن قائل می شد، مثلا بیعت تا پای مال، تا سر حد

پیامبر اسلام بیعت زنان را نیز می پذیرفت، اما نه از طریق دست دادن، بلکه چنانکه در تواریخ آمده، دستور می داد ظرف بزرگی از آب حاضر کنند، او دست خود را در یک طرف ظرف فرو می برد، و زنان بیعت کننده در طرف دیگر.

سورة الفتح(48): آية 20 ص: 480

(آیه ۲۰)- باز هم برکات صلح حدیبیه! قرآن همچنان بحثهای مربوط به «صلح حدیبیه» و وقایع بعد از آن را بازگو میکند، و برکات و فوائدی را که از این رهگذر عائد مسلمانان شد شرح میدهد.

نخست مىفرمايىد: «خداونىد غنائم فراوانى به شما وعده داده كه آنها را به دست مىآوريد، ولى اين يكى را زودتر براى شما فراهم ساخت» (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ).

لحن آیه نشان می دهد که منظور از غنائم فراوان در اینجا تمام غنائمی است که خداوند نصیب مسلمانان کرد، چه در کوتاه مدت و چه در دراز مدت.

سپس به یکی دیگر از الطاف خداوندی نسبت به مسلمانان در این ماجرا اشاره کرده، میافزاید: «و دست تعدی مردم [دشمنان] را از شما بازداشت» (وَ کَفَّ أَیْدِیَ النَّاسِ عَنْکُمْ).

این لطف بزرگی بود که آنها با کمی نفرات و نداشتن ابزار جنگی کافی آن هم برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۸۱ در نقطهای دور از وطن و بیخ گوش دشمن، مورد تهاجم قرار نگرفتند، و چنان رعب و وحشتی از آنان در دل دشمنان افکند که از هر گونه اقدام و حمله خودداری کردند.

سپس در ادامه آیه به دو نعمت بزرگ دیگر از مواهب الهی اشاره کرده، میفرماید: «و (هدف این بود که این وقایع) نشانهای (بر حقانیت دعوت تو) برای مؤمنان باشد، و خداوند شما را به راه راست هدایت کند» (وَ لِتَکُونَ آیَهُ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ یَهْدِیکُمْ صِراطاً مُشْتَقِیماً).

سورة الفتح(48): آية 21 ص: 481

(آیه ۲۱) - در این آیه بشارت بیشتری به مسلمانان داده، می گوید: «و نیز غنائم و فتوحات دیگری (نصیبتان می کند) که شما توانائی آن را ندارید ولی قدرت خدا به آن احاطه دارد، و خداوند بر همه چیز تواناست» (وَ أُخْری لَمْ تَقْدِرُوا عَلَیْها قَدْ أَحاطَ اللَّهُ بِها وَ کانَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیراً).

ممكن است اين وعده غنيمت و پيروزيها اشاره به فتح «مكّه» و غنائم «حنين» و يا فتوحات و غنائمي كه بعد از پيغمبر صلّي الله عليه و اله نصيب امت اسلامي شد- مانند فتح ايران و روم و مصر- و يا اشاره به همه آنها باشد.

این آیه از اخبار غیبی و پیشگوئیهای قرآن مجید در باره حوادث آینده است، این پیروزیها در مدت کوتاهی به وقوع پیوست و عظمت این آیات را روشن ساخت.

سورة الفتح (٤٨): آية 27 ص: 481

(آیه ۲۲)- قرآن همچنان ابعاد دیگری از ماجرای عظیم «حدیبیه» را بازگو میکند، و به دو نکته مهم در این رابطه اشاره میکند.

نخست این که: تصور نکنید اگر در سرزمین «حدیبیه» در گیری میان شما و مشرکان مکه رخ می داد، مشرکان برنده جنگ می شدند، چنین نیست «و اگر کافران (در سرزمین حدیبیه) با شما پیکار می کردند به زودی فرار می کردند، سپس ولیّ و

ياورى نمى يافتند» (وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً).

سورة الفتح(48): آية 23 ص: 481

(آیه ۲۳)- این منحصر به شما نیست «این سنّت الهی است که در گذشته نیز بوده است، و هرگز برای سنّت الهی تغییر و تبدیلی نخواهی یافت» (سُنَّهُ اللَّهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهُ اللَّهِ تَبْدِیلًا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۸۲

این یک قانون همیشگی الهی است که اگر مؤمنان در امر جهاد ضعف و سستی نشان ندهند، و با قلبی پاک و نیتی خالص به مبارزه با دشمنان برخیزند، خدا آنها را پیروز میکند.

نکته مهمی که این آیات تعقیب می کند این است که قریش ننشینند و بگویند افسوس که ما قیام نکردیم و این گروه اندک را درهم نکوبیدیم، افسوس که صید به خانه آمد و از آن غفلت کردیم، افسوس و افسوس!

سورة الفتح (٤٨): آية 24 ص: 482

(آیه ۲۴)- نکته دیگری که در این آیات تبیین شده این است که می فر ماید:

«او کسی است که دست آنها [کفار] را از شما و دست شما را از آنان در دل مکّه کوتاه کرد، بعد از آن که شما را بر آنها پیروز ساخت، و خداوند به آنچه انجام می دهید بیناست» (وَ هُوَ الَّذِی کَفَّ أَیْدِیَهُمْ عَنْکُمْ وَ أَیْدِیَکُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَکَّهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَیْهِمْ وَ کَانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیراً).

به راستی این ماجرا مصداق روشن «فتح المبین» بود همان توصیفی که قرآن برای آن برگزیده، جمعیتی محدود بدون تجهیزات کافی جنگی وارد سرزمین دشمن شوند، دشمنی که بارها به مدینه لشکر کشی کرده، و تلاش عجیبی برای درهم شکستن آنها داشته، ولی اکنون که قدم در شهر و دیار او گذاردهاند چنان مرعوب شود که پیشنهاد صلح کند.

سورة الفتح (48): آية 25 ص: 482

(آیه ۲۵) - در این آیه به نکته دیگری در ارتباط با مسأله صلح حدیبیه و فلسفه آن اشاره کرده، میفرماید: «آنها (دشمنان شما) کسانی هستند که کافر شدند، و شما را از (زیارت) مسجد الحرام و رسیدن قربانیهایتان به محل قربانگاه باز داشتند» (هُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ صَدُّوکُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرام وَ الْهَدْیَ مَعْکُوفاً أَنْ یَبْلُغَ مَحِلَّهُ).

یک گناه آنها کفرشان بود، و گناه دیگر این که شما را از مراسم عمره و طواف خانه خمدا باز داشتند و اجازه ندادنمد که شترهای قربانی را در محلش یعنی مکه قربانی کنید.

این گناهان ایجاب می کرد که خداوندی آنها را به دست شما کیفر دهد بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۸۳ و سخت مجازات کند.

اما چرا چنین نکرد در ذیل آیه دلیل آن را روشن ساخته، میفرماید: «و هر گاه مردان و زنان با ایمانی در این میان بدون آگاهی شما زیر دست و پا، از بین نمیرفتند که از این راه عیب و عاری نا آگاهانه به شما میرسید» خداوند هر گز مانع این جنگ نمی شد و شما را بر آنها مسلط میساخت تا کیفر خود را ببینند (وَ لَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَوُهُمْ فَتُصِیبَکُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَیْرِ عِلْم).

این آیه اشاره به گروهی از مردان و زنان مسلمان است که به اسلام پیوستند ولی به عللی قادر به مهاجرت نشده، و در مکه مانده بودند.

سپس برای تکمیل این سخن میافزاید: «هـدف این بود که خدا هر کس را میخواهد در رحمت خود وارد کند» (لِیُدْخِلَ اللَّهُ فِی رَحْمَتِهِ مَنْ یَشاءُ).

آرى! خدا مى خواست مؤمنان مستضعف «مكه» مشمول رحمت او باشند، و صدمهاى به آنها نرسد.

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر می افزاید: «و اگر مؤمنان و کفار (در مکّه) از هم جدا می شدند (و بیم از میان رفتن مؤمنان مکه نبود ما) کافران را عذاب دردناکی می کردیم» و آنها را با دست شما سخت کیفر می دادیم (لَوْ تَزَیَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِیماً).

درست است که خداونـد می توانست از طریق اعجـاز این گروه را از دیگران جـدا کنـد، ولی سنت پروردگـار- جز در موارد استثنائی- انجام کارها از طریق اسباب عادی است.

از روایات متعددی که از طرق شیعه و اهل سنت ذیل این آیه نقل شده، استفاده می شود که منظور از آن، افراد با ایمانی بودند که در صلب کفار قرار داشتند، خداوند به خاطر آنها این گروه کفار را مجازات نکرد.

سورة الفتح(48): آية 25 ص: 483

(آیه ۲۶)- تعصب و حمیت جاهلیت بزرگترین سدّ راه کفار! در اینجا باز مسائل مربوط به ماجرای «حدیبیه» تعقیب می شود، و صحنههای دیگری از این ماجرای عظیم را مجسم می کند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۸۴

نخست به یکی از مهمترین عوامل باز دارنده کفّار از ایمان به خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و تسلیم در مقابل حق و عدالت اشاره کرده، می گوید: به خاطر بیاورید «هنگامی را که کافران در دلهای خود خشم و نخوت جاهلیت داشتند» (إِذْ جَعَلَ الَّذِینَ کَفَرُوا فِی قُلُوبهمُ الْحَمِیَّةَ حَمِیَّةً الْجاهِلِیَّةِ).

و به خاطر آن مانع ورود پیامبر صلّی اللّه علیه و اله و مؤمنان به خانه خیدا و انجام مراسم عمره و قربانی شدنید، و گفتنید: اگر اینها که در میدان جنگ پدران و برادران ما را کشتهاند وارد سرزمین و خانههای ما شوند و سالم باز گردند، عرب در باره ما چه خواهد گفت؟ و چه اعتبار و حیثیتی برای ما باقی میماند؟

آنها با این عمل هم احترام خانه خدا و حرم امن او را شکستند، و هم سنتهای خود را زیر پا گذاشتند، و هم پرده ضخیمی میان خود و حقیقت کشیدند.

سپس میافزاید: «و (در مقابل) خداوند آرامش و سکینه خود را بر فرستاده خویش مؤمنان نازل فرمود» (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِینَتَهُ عَلی رَسُولِهِ وَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ).

این آرامش که مولود ایمان و اعتقاد به خداوند، و اعتماد بر لطف او بود، آنها را به خونسردی و تسلط بر نفس دعوت کرد، تا آنجا که برای حفظ اهداف بزرگ خود حاضر شدند جمله «بسم الله الرّحمن الرّحیم» را- که رمز اسلام در شروع کارها بود- بردارند، و به جای آن «بسمک اللّهم» - که از یادگارهای دوران گذشته عرب بود - در آغاز صلحنامه حدیبیه بنگارند و حتی لقب «رسول الله» را از کنار نام گرامی «محمد» صلّی الله علیه و اله حذف کنند. و حاضر شدند که بر خلاف عشق و علاقه سوزانی که به زیارت خانه خدا و مراسم عمره داشتند از همان «حدیبیه» به سوی مدینه باز گردند، و شترهای خود را بر خلاف

سنت حج و عمره در همانجا قربانی کنند، و بدون انجام مناسک از احرام به در آیند.

آری! فرهنگ جاهلیت دعوت به «حمیت» و «تعصب» و «خشم جاهلی» می کند، ولی فرهنگ اسلام به «سکینه» و «آرامش» و «تسلط بر نفس».

سپس می افزاید: «و (خداونید) آنها را به حقیقت تقوا ملزم ساخت، و آنان از هر کس شایسته تر و اهل آن بودنید» (وَ أَلْزَمَهُمْ کَلِمَهُ التَّقْوی وَ کَانُوا أَحَقَّ بِها وَ أَهْلَها). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۸۵

در پایان آیه می فرماید: «و خداوند به همه چیز داناست» (وَ کَانَ اللَّهُ بِکُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً).

او هم نیات سوء کفار را میداند، و هم پاکدلی مؤمنان راستین را، در اینجا سکینه و تقوا نازل میکند، و در آنجا حمیت جاهلیت را مسلّط میسازد.

سورة الفتح (48): آية 27 ص: 485

(آیه ۲۷)- رؤیای صادقه پیامبر صلّی الله علیه و اله! این آیه نیز فراز دیگری از فرازهای مهم داستان «حدیبیه» را ترسیم می کند، ماجرا این بود:

پیامبر صلّی اللّه علیه و اله در مدینه خوابی دید که به اتفاق یارانش برای انجام مناسک «عمره» وارد مکّه میشوند، و این خواب را برای یاران بیان کرد، همگی شاد و خوشحال شدند، اما چون جمعی تصور می کردند تعبیر و تحقق این خواب در همان سال واقع خواهد شد، هنگامی که مشرکان راه ورود به مکّه را در حدیبیه به روی آنها بستند، گرفتار شک و تردید شدند، که مگر رؤیای پیامبر هم ممکن است نادرست از آب درآید؟

پیامبر صلّی اللّه علیه و اله در پاسخ این سؤال فرمود: مگر من به شما گفتم این رؤیا همین امسال تحقق خواهد یافت؟ این آیه در همین رابطه در طریق بازگشت به مدینه نازل شد و تأکید کرد که این خواب، رؤیای صادقه بوده و چنین مسألهای حتمی و قطعی و انجام شدنی است.

مىفرمايد: «خداوند آنچه را به پيامبرش در عالم خواب نشان داد راست گفت» (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ).

سپس میافزاید: «بطور قطع همه شما به خواست خدا وارد مسجد الحرام میشوید در نهایت امنیت، و در حالی که سرهای خود را تراشیده، یا (ناخنهای خود را) کوتاه کردهاید، و از هیچ کس ترس و وحشتی ندارید» (لَتَدْخُلُنَّ الْمَشْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِینَ مُحَلِّقِینَ رُؤُسکُمْ وَ مُقَصِّرینَ لا تَخافُونَ).

«ولى خداوند چيزهائي را ميدانست كه شما نميدانستيد» و در اين تأخير حكمتي بود (فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا).

«و قبل از آن، فتح نزدیکی (برای شما) قرار داده است» (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِکَ فَتْحاً قَرِیباً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۸۶ تعبیر به «فَتْحاً قَرِیباً» تناسب بیشتری با فتح خیبر دارد، زیرا فاصله کمتری با تحقق عینی این خواب داشت «فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِکَ فَتْحاً قَرِیباً».

آیه مورد بحث یکی از اخبار غیبی قرآن، و از شواهد آسمانی بودن این کتاب، و از معجزات پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و اله است که با این قاطعیت و تأکید هم خبر از ورود به مسجد الحرام و انجام مراسم عمره در آینده نزدیک میدهد، و هم فتح قریب و پیروزی نزدیکی قبل از آن، و چنانکه میدانیم این هر دو پیشگوئی به وقوع پیوست.

سورة الفتح(48): آية 28 ص: 486

(آیه ۲۸)- در این آیه و آیه بعد که آخرین آیات سوره فتح است به دو مسأله مهم دیگر در ارتباط با «فتح المبین» یعنی «صلح حدیبیه» اشاره می کند که یکی مربوط به عالمگیر شدن اسلام است، و دیگری اوصاف یاران پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله و ویژگیهای آنان، و وعده الهی را نسبت به آنها بازگو می کند.

نخست می گویـد: «او کسـی است که رسولش را با هدایت و دین حق فرسـتاد، تا آن را بر همه ادیان پیروز کند، و کافی اسـت که خدا گواه این موضوع باشد» (هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً). این وعدهای است صریح و قاطع، از سوی خداوند قادر متعال، در رابطه با غلبه اسلام بر همه ادیان.

یعنی اگر خداوند از طریق رؤیای پیامبر صلّی اللّه علیه و اله به شما خبر پیروزی داده که با نهایت امنیت وارد مسجد الحرام می شوید، و مراسم عمره را به جا می آورید بی آنکه کسی جرأت مزاحمت شما را داشته باشد، و نیز اگر خداوند بشارت «فتح قریب» (پیروزی خیبر) را می دهد تعجب نکنید، اینها اول کار است سر انجام اسلام عالمگیر می شود و بر همه ادیان پیروز خواهد گشت.

در این که منظور از این پیروزی پیروزی منطقی است یا پیروزی نظامی؟ باید بگوییم: کلمه «لیظهره» دلیل بر غلبه خارجی است، و به همین دلیل می توان گفت:

علاوه بر مناطق بسیار وسیعی که امروز در شرق و غرب و شمال و جنوب عالم در برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۸۷ قلمرو اسلام قرار گرفته، و هم اکنون بیش از چهل کشور اسلامی با جمعیتی حدود یک میلیارد نفر زیر پرچم اسلام قرار دارند، و زمانی فرا خواهد رسید که همه جهان رسما در زیر این پرچم قرار می گیرد، و این امر به وسیله قیام حضرت مهدی - عج - تکمیل می گردد.

سورة الفتح(48): آية 29 ص: 487

(آیه ۲۹)- در این آیه به ترسیم بسیار گویائی از اصحاب و یاران خاص پیامبر صلّی الله علیه و اله و آنها که در خط او بودند از لسان تورات و انجیل بیان کرده که هم افتخار و مباهاتی است برای آنها که در «حدیبیه» و مراحل دیگر پایمردی به خرج دادند، و هم درس آموزندهای است برای همه مسلمانان در تمام قرون و اعصار.

در آغاز مى فرمايد: «محمد (ص) فرستاده خداست» (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ).

سپس به توصیف یارانش پرداخته و اوصاف ظاهر و باطن و عواطف و افکار و اعمال آنها را طی پنج صفت چنین بیان میکند: «و کسانی که با او هستند در برابر کفار سر سخت و شدیدند» (وَ الَّذِینَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَی الْکُفَّارِ).

و در دومین وصف می گوید: «و در میان خود مهربانند» (رُحَماءُ بَیْنَهُمْ).

در حقیقت عواطف آنها در این «مهر» و «قهر» خلاصه می شود، اما نه جمع میان این دو در وجود آنها تضادی دارد، و نه قهر آنها در برابر دشمن و مهر آنها در برابر دوست سبب می شود که از جاده حق و عدالت قدمی بیرون نهند.

در سومین صفت که از اعمال آنها سخن می گوید، میافزاید: «پیوسته آنها را در حال رکوع و سجود میبینی» و همواره به عبادت خدا مشغولند (تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً).

این تعبیر عبادت و بندگی خدا را که با دو رکن اصلیش «رکوع» و «سجود» ترسیم شده، به عنوان حالت دائمی و همیشگی آنها ذکر می کند، عبادتی که رمز تسلیم در برابر فرمان حق، و نفی کبر و خود خواهی و غرور، از وجود ایشان است.

در چهارمین توصیف که از نیت پاک و خالص آنها بحث می کند، می فرماید:

«آنها همواره فضل خدا و رضاى او را مىطلبند» (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْواناً).

نه برای تظاهر و ریا قدم بر می دارند، و نه انتظار پاداش از خلق خدا دارند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۸۸ بلکه چشمشان تنها به رضا و فضل او دوخته شده.

و در پنجمین و آخرین توصیف از ظاهر آراسته و نورانی آنها بحث کرده می گوید: «نشانه آنها در صورتشان از اثر سجده نمایان است» (سِیماهُمْ فِی وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ).

قرآن بعد از بیان همه این اوصاف می افزاید: «این توصیف آنان در تورات است (ذلِکَ مَثَلُهُمْ فِی التَّوْراهِٰ).

این حقیقتی است که از پیش گفته شده و توصیفی است در یک کتاب بزرگ آسمانی که پیش از هزار سال قبل نازل شده است.

ولی نباید فراموش کرد که تعبیر «وَ الَّذِینَ مَعَهُ» (و کسانی که با او هستند) سخن از افرادی می گوید که در همه چیز با پیامبر صلّی الله علیه و آله بودند، در فکر و عقیده و اخلاق و عمل، نه تنها کسانی که همزمان با او بودند هر چند خطشان با او متفاوت بود.

سپس به توصیف آنها در یک کتاب بزرگ دیگر آسمانی یعنی «انجیل» پرداخته، چنین می گوید: «و توصیف آنها در انجیل، همانند زراعتی است که جوانه های خود را خارج ساخته، سپس به تقویت آن پرداخته تا محکم شده و بر پای خود ایستاده است و به قدری نمو و رشد کرده که زارعان را به شگفتی وا می دارد» (وَ مَثْلُهُمْ فِی الْإِنْجِیلِ کَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَـطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوی عَلی سُوقِهِ یُعْجِبُ الزُّرُّاعَ).

در حقیقت اوصافی که در تورات برای آنها ذکر شده اوصافی است که ابعاد وجود آنها را از نظر عواطف و اهداف و اعمال و صورت ظاهر بیان می کند و اما اوصافی که در انجیل آمده بیانگر حرکت و نمو و رشد آنها در جنبههای مختلف است- دقت کنید.

آرى! آنها انسانهائي هستند با صفات والاكه آني از «حركت» باز نمي ايستند.

همواره اسلام را با گفتار و اعمال خود در جهان نشر میدهند و روز به روز خیل تازهای بر جامعه اسلامی میافزایند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۸۹

سپس در دنباله آیه میافزاید: این اوصاف عالی، این نمو و رشد سریع، و این حرکت پر برکت، به همان اندازه که دوستان را به شوق و نشاط میآورد سبب خشم کفار میشود «این برای آن است که کافران را به خشم آورد» (لیَغِیظَ بِهِمُ الْکُفَّارَ).

و در پایان آیه میفرمایـد: « (ولی) کسانی از آنها را که ایمان آورده و کارهای شایسـته انجام دادهاند خداوند وعده آمرزش و اجر عظیمی داده است» (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِیماً).

بدیهی است اوصافی که در آغاز آیه گفته شد ایمان و عمل صالح در آن جمع بود، بنابر این تکرار این دو وصف اشاره به تداوم آن است، یعنی خداوند این وعده را تنها به آن گروه از یاران محمد صلّی الله علیه و اله داده که در خط او باقی بمانند، و ایمان و عمل صالح را تداوم بخشند، و گر نه کسانی که یک روز در زمره دوستان و یاران او بودند، و روز دیگر از او جدا شدند و راهی بر خلاف آن را در پیش گرفتند، هرگز مشمول چنین وعدهای نیستند.

«پایان سوره فتح»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۹۱

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۱۸ آیه دارد

محتوای سوره: ص: 491

در این سوره مسائل بسیار مهمی در ارتباط با شخص پیامبر و جامعه اسلامی نسبت به یکدیگر مطرح شده است.

بخشهای مختلف این سوره را این گونه می توان خلاصه کرد:

بخش اول: آیات آغاز سوره است که آداب برخورد با پیشوای بزرگ اسلام پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و اله، و اصولی را که مسلمانان در محضر او باید به کار بندند، بیان می کند.

بخش دوم: مشتمل بر یک سلسله اصول مهم «اخلاق اجتماعی» است.

بخش سوم: دستوراتی است که مربوط به چگونگی مبارزه با اختلافات و درگیریهایی است که احیانا در میان مسلمانان روی می دهد.

بخش چهارم: از معیار ارزش انسان در پیشگاه خدا و اهمیت مسأله تقوا سخن می گوید.

بخش پنجم: روی این مسأله تأکید دارد که ایمان تنها به گفتار نیست بلکه باید علاوه بر اعتقاد قلبی، آثار آن در اعمال انسانی و در جهاد با اموال و نفوس آشکار گردد.

و بالاخره آخرین قسمت این سوره از علم خداوند و آگاهی او از همه اسرار نهان عالم هستی و اعمال انسانها سخن می گوید که در حقیقت به منزله ضامن اجراست برای تمام بخشهائی که در این سوره آمده است. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۹۲ نامگذاری این سوره به سوره «حجرات» به تناسب آیه چهارم این سوره است که این کلمه در آن به کار رفته و تفسیر آن را به زودی خواهیم دانست.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 492

در حدیثی از پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و اله میخوانیم:

«هر کس سوره «حجرات» را بخواند به عدد تمام کسانی که خدا را اطاعت یا عصیان کردهاند ده حسنه به او داده می شود»! و در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّ لام آمده است: «هر کس سوره حجرات را در هر شب یا هر روز بخواند از زائران محمد صلّی اللّه علیه و اله خواهد بود».

بدیهی است این همه حسنات به عدد مطیعان و عاصیان در صورتی است که اعمال هر یک از این دو را که در آیات این سوره منعکس است دقیقا در نظر بگیرد، و در آن بیندیشد، و مسیر خود را بر اولی منطبق و از دومی جدا سازد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الحجرات(٤٩): آية ١ ص: ٤٩٢

اشاره

(آیه ۱)

شأن نزول: ص : 492

در مورد نزول نخستین آیه این سوره نقل شده که:

پیامبر صلّی اللّه علیه و اله به هنگام حرکت به سوی «خیبر» میخواست کسی را به جای خود در «مدینه» نصب کند، عمر شخص دیگری را پیشنهاد کرد آیه نازل شد و دستور داد بر خدا و پیامبر پیشی مگیرید.

تفسير: ص: ۴۹۲

چنانکه در محتوای سوره اشاره کردیم در این سوره یک رشته از مباحث مهم اخلاقی و دستورات انضباطی نازل شده که آن را شایسته نام «سوره اخلاق» می کند، در آغاز سوره به دو قسمت از این دستورات اشاره شده است:

نخست تقدم نیافتن بر خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و اله، و دیگری در محضر پیامبر صلّی اللّه علیه و اله سر و صدا و قال و غوغا راه نینداختن.

در مورد اول مىفرمايىد: «اى كسانى كه ايمان آوردهايد! چيزى را بر خدا و رسولش مقدّم نشمريد (و پيشى مگيريد) و تقواى الهى پيشه كنيىد، كه خداونىد شنوا و دانياست» (يا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۹۳

منظور از مقدم نداشتن چیزی در برابر خدا و پیامبر پیشی نگرفتن بر آنها در کارها، و ترک عجله و شتاب در مقابل دستور خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و اله است.

سورة الحجرات(49): آية ٢ ص: 493

اشاره

(آیه ۲–

شأن نزول: ص: 493

گروهی از طایفه «بنی تمیم» و اشراف آنها وارد مدینه شدند هنگامی که داخل مسجد پیامبر صلّی اللّه علیه و اله گشتند صدا را

بلند کرده، از پشت حجرههائی که منزلگاه پیامبر صلّی الله علیه و اله بود فریاد زدند: «یا محمّد اخرج الینا ای محمد! بیرون بیا». این سر و صداها و تعبیرات نا مؤدبانه، پیامبر صلّی الله علیه و اله را ناراحت ساخت هنگامی که بیرون آمد گفتند: آمدهایم تا با تو مفاخره کنیم! اجازه ده تا «شاعر» و «خطیب» ما افتخارات قبیله «بنی تمیم» را بازگو کند، پیامبر اجازه داد.

نخست خطیب آنها برخاست و از فضائل خیالی طائفه «بنی تمیم» مطالب بسیاری گفت.

پیامبر به «ثابت بن قیس» «۱» فرمود: پاسخ آنها را بده، او برخاست خطبه بلیغی در جواب آنها ایراد کرد.

سپس «شاعر» آنها برخاست و اشعاری در مدح این قبیله گفت که «حسان بن ثابت» شاعر معروف مسلمان پاسخ کافی به او داد

در این موقع پیامبر صلّی اللّه علیه و اله برای جلب قلب آنها دستور داد هدایای خوبی به آنها دادند آنها تحت تأثیر مجموع این مسائل واقع شدند و به نبوّت پیامبر صلّی اللّه علیه و اله اعتراف کردند.

تفسير: ص: 493

این آیه اشاره به دستور دوم کرده، می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! صدای خود را فراتر از صدای پیامبر نکنید و در برابر او بلند سخن نگوئید (و داد و فریاد نزنید) آن گونه که بعضی از شما در برابر بعضی بلند صدا می کنند مبادا اعمال شما نابود گردد در حالی که نمی دانید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا

(۱) «ثابت بن قیس» خطیب انصار و خطیب پیامبر صلّی اللّه علیه و اله بود، همان گونه که «حسان بن ثابت» شاعر حضرت بود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۹۴

أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ). پیامبر صلّی اللّه علیه و اله که جای خود دارد این کار در برابر پدر و مادر و استاد و معلم نیز مخالف احترام و ادب است. بدیهی است اگر این گونه اعمال به قصد توهین به مقام شامخ نبوت باشد موجب کفر است و بدون آن ایذاء و گناه. در صورت اول، علت حبط و نابودی اعمال روشن است زیرا کفر علت حبط (از بین رفتن ثواب عمل نیک) می شود. و در صورت دوم نیز مانعی ندارد که چنین عمل زشتی باعث نابودی ثواب بسیاری از اعمال گردد.

سورة الحجرات(٤٩): آية ٣ ص: 494

(آیه ۳)- این آیه برای تأکید بیشتر روی این موضوع پاداش کسانی را که به این دستور الهی عمل می کنند، و انضباط و ادب را در برابر پیامبر صلّی الله علیه و اله رعایت مینمایند چنین بیان می کند: «آنها که صدای خود را نزد رسول خدا کوتاه می کنند همان کسانی هستند که خداوند دلهایشان را برای تقوا خالص نموده برای آنان آمرزش و پاداش عظیمی است» (إِنَّ اللَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصُواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولِئِکَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقُوی لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِیمٌ).

سورة الحجرات(٤٩): آية 4 ص: 494

(آیه ۴)- این آیه برای تأکید بیشتر، اشاره به نادانی و بیخردی کسانی میکند که این دستور الهی را پشت سر میافکنند، و چنین میفرماید: « (ولی) کسانی که تو را از پشت حجرهها بلند صدا میزنند بیشترشان نمیفهمند»! (إِنَّ الَّذِینَ یُنادُونَکَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ).

اصولاً هر قدر سطح عقل و خرد انسان بالاتر می رود بر ادب او افزوده می شود، زیرا «ارزشها» و «ضد ارزشها» را بهتر درک می کند.

سورة الحجرات(٤٩): آية ٥ ص: 494

اشاره

(آیه ۵)- در این آیه برای تکمیل این معنی میافزاید: «اگر آنها صبر میکردند تا خود به سراغشان آیی، برای آنها بهتر بود» (وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۹۵

درست است که عجله و شتاب گاه سبب می شود که انسان زودتر به مقصود خود برسد، ولی شکیبائی و صبر در چنین مقامی مایه رحمت و آمرزش و اجر عظیم است، و مسلما این بر آن برتری دارد.

و از آنجا که افرادی نا آگاهانه قبلا مرتکب چنین کاری شده بودند، و با نزول این دستور الهی طبعا به وحشت میافتادند، قرآن به آنها نیز نوید میدهد که اگر توبه کنند مشمول رحمت خداوند میشوند، لذا در پایان آیه میفرماید: «و خداوند آمرزنده و رحیم است» (وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

نکتهها: ص: ۴۹۵

۱ - ادب برترین سرمایه است: ص: ۴۹۵

در اسلام اهمیت زیادی به مسأله رعایت آداب، و برخورد تو أم با احترام و ادب با همه کس، و هر گروه، وارد شده است. علی علیه السّلام می فرماید: «رعایت ادب همچون لباس نو، فاخر و زینتی است».

و در جای دیگر می فرماید: «ادب انسان را از افتخارات پدران و نیاکان بی نیاز می کند».

اصولاً دین مجموعه ای است از آداب: ادب در برابر خدا، ادب در مقابل پیامبر صلّی الله علیه و اله و پیشوایان معصوم علیهم السّلام، ادب در مقابل استاد و معلم، و پدر و مادر، و عالم و دانشمند.

۲- انضباط اسلامی در همه چیز و همه جا: ص: 490

مسأله مدیریت و فرماندهی بدون رعایت انضباط هرگز به سامان نمی رسد و اگر کسانی که تحت پوشش مدیریت و رهبری قرار دارند بخواهند بطور خود سرانه عمل کنند شیرازه کارها به هم می ریزد، هر قدر هم رهبر و فرمانده لایق و شایسته باشند. بسیاری از شکستها و ناکامیها که دامنگیر جمعیتها و گروهها و لشکرها شده از همین رهگذر بوده است، و مسلمان نیز طعم تلخ تخلف از این دستور را بارها در زمان پیامبر صلّی الله علیه و اله یا بعد از او چشیده اند که روشنترین آنها داستان شکست

احد به خاطر بی انضباطی گروه اندکی از جنگجویان بود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۹۶

سورة الحجرات(٤٩): آية 6 ص: 498

اشاره

(آیه ۶)

شأن نزول: ص: 496

نقل شده که: آیه (یا أَیُهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ جاءَکُمْ ...) در باره «ولید بن عقبه» نازل شده است که پیامبر صلّی الله علیه و اله او را برای جمع آوری زکات از قبیله «بنی المصطلق» اعزام داشت.

هنگامی که اهل قبیله با خبر شدند که نماینده رسول الله صلّی الله علیه و اله می آید با خوشحالی به استقبال او شتافتند، ولی از آنجا که میان آنها و «ولید» در جاهلیت خصومت شدیدی بود تصور کرد آنها به قصد کشتنش آمدهاند.

خدمت پیامبر صلّی الله علیه و اله بازگشت (بی آنکه تحقیقی در مورد این گمان کرده باشد) و عرض کرد: آنها از پرداخت زکات خودداری کردند! (و میدانیم امتناع از پرداخت زکات یک نوع قیام بر ضد حکومت اسلامی تلقی می شد، بنابر این مدعی بود آنها مرتد شده اند!).

پیامبر صلّی الله علیه و اله سخت خشمگین شد، و تصمیم گرفت با آنها پیکار کند، آیه نازل شد (و به مسلمانان دستور داد که هر گاه فاسقی خبری آورد در باره آن تحقیق کنید).

تفسیر: ص: ۴۹۶

به اخبار فاسقان اعتنا نکنید! در آیات گذشته سخن از وظائف مسلمانان در برابر رهبر و پیشوایان پیامبر صلّی الله علیه و اله بود، در اینجا ادامه وظائف امت در برابر این رهبر بزرگ است و می گوید هنگامی که اخباری را خدمت او می آورند باید از روی تحقیق باشد.

نخست می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! اگر شخص فاسقی خبری برای شما بیاورد در باره آن تحقیق کنید» (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإِ فَتَبَیَّنُوا).

سپس به علت آن اشاره کرده، می افزاید: «مبادا (در صورت عمل کردن بدون تحقیق) به گروهی از روی نادانی آسیب برسانید، و از کرده خود پشیمان شوید»! (أَنْ تُصِیبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلی ما فَعَلْتُمْ نادِمِینَ).

همان گونه که اگر پیامبر صلّی الله علیه و اله به گفته «ولید بن عقبه» عمل می فرمود و با طایفه «بنی المصطلق» به عنوان یک قوم مرتد پیکار می کرد فاجعه و مصیبت دردناکی به بار می آمد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۹۷ جمعی از علمای علم اصول برای «حجیت خبر واحد» به این آیه استدلال کردهاند، چرا که آیه می گوید: تحقیق و تبیّن در خبر «فاسق» لازم است، و مفهوم آن این است که اگر شخص «عادل» خبری دهد بدون تحقیق می توان پذیرفت.

سورة الحجرات(49): آية 7 ص: 497

(آیه ۷)- در این آیه برای تأکید مطلب مهمی که در آیه گذشته آمد، میافزاید: «و بدانید رسول خدا در میان شماست، هر گاه در بسیاری از امور از شما اطاعت کند به مشقّت خواهید افتاد» (وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِیكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ یُطِیعُكُمْ فِی كَوْشِرٍ مِنَ الْـأَمْرِ لَعَنْتُمْ).

او رهبر است و نسبت به شما از هر کس مهربانتر، برای تحمیل افکار خود به او فشار نیاورید که این به زیان شماست.

در دنباله آیه به یکی دیگر از مواهب بزرگ الهی به مؤمنان اشاره کرده، میفرمایـد: «ولی خداونـد ایمان را محبوب شـما قرار داده، و آن را در دلهایتان زینت بخشیده» (وَ لکِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَیْکُمُ الْإِیمانَ وَ زَیِّنَهُ فِی قُلُوبِکُمْ).

«و (به عكس) كفر و فسق و گناه را منفورتان قرار داده است» (وَ كَرَّهَ إلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ).

در پایـان آیه به صورت یـک قاعـده کلی و عمومی میفرمایـد: «کسـانی که دارای این صـفاتند (ایمـان در نظرشـان محبوب و مزین، و کفر و فسق و عصیان در نظرشان منفور است) هدایت یافتگانند» (أُولئِکَ هُمُ الرَّاشِدُونَ).

یعنی اگر این موهبت الهی (عشق به ایمان و نفرت از کفر و گناه) را حفظ کنید، و این پاکی و صفای فطرت را آلوده نسازید، رشد و هدایت، بی شک در انتظار شماست.

سورة الحجرات(٤٩): آية لا ص: 497

(آیه ۸)- در این آیه این حقیقت را روشن میسازد که این محبوبیت ایمان و منفور بودن کفر و عصیان از مواهب بزرگ الهی بر بشر است.

مى فرمايـد: « (و اين براى شـما به عنوان) فضل و نعمتى از سوى خـداست و خداوند دانا و حكيم است» (فَضْ لَمَا مِنَ اللَّهِ وَ نِعْمَةً وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

آگاهی و حکمت او ایجاب می کند که عوامل رشد و سعادت را در شما برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۹۸ بیافریند، و آن را با دعوت انبیا هماهنگ و تکمیل سازد، و سر انجام شما را به سر منزل مقصود برساند.

بدون شک علم خداوند به نیاز بندگان، و حکمت او در زمینه تکامل و پرورش مخلوقات، ایجاب می کند که این نعمتهای بزرگ معنوی، یعنی محبوبیت ایمان و منفور بودن کفر و عصیان را به آنها مرحمت کند.

بنابر این عشق به ایمان، و تنفر از کفر، در دل همه انسانها بدون استثنا وجود دارد، و اگر کسانی این زمینه ها را ندارند از ناحیه تربیتهای غلط و اعمال خودشان است، خدا در دل هیچ کس «حب عصیان» و «بغض ایمان» را نیافریده است.

سورة الحجرات(٤٩): آية ٩ ص : 498

شأن نزول: ص: 498

در شأن نزول این آیه و آیه بعـد آمده است که میان دو قبیله «اوس» و «خزرج» اختلافی افتاد، و همان سبب شد که گروهی از آن دو به جان هم بیفتند و با چوب و کفش یکدیگر را بزنند؟

آیه نازل شد و راه برخورد با چنین حوادثی را به مسلمانان آموخت.

تفسیر: ص: ۴۹۸

مؤمنـان برادر یکدیگرنـد- قرآن در اینجـا به عنوان یـک قـانون کلی و عمومی برای همیشه و همهجـا میگویـد: «و هر گاه دو گروه از مؤمنان با هم به نزاع و جنگ پردازند آنها را آشتی دهید» (وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتُلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما).

این یک وظیفه حتمی برای همه مسلمانان است که از نزاع و درگیری و خونریزی میان مسلمین جلو گیری کنند، و برای خود در این زمینه مسؤولیت قائل باشند، نه به صورت تماشاچی مانند بعضی بیخبران بیتفاوت از کنار این صحنهها بگذرند. این نخستین وظیفه مؤمنان در برخورد با این صحنههاست.

سپس وظیفه دوم را چنین بیـان میکنـد: «و اگر یکی از آن دو بر دیگری تجـاوز کنـد با گروه متجاوز پیکار کنیـد، تا به فرمان خدا بازگردد» (فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ).

بدیهی است که اگر خون طائفه باغی و ظالم در این میان ریخته شود بر گردن برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۴۹۹ خود اوست، و به اصطلاح خونشان هدر است، هر چند مسلمانند.

به این ترتیب، اسلام جلو گیری از ظلم و ستم را هر چند به قیمت جنگ با ظالم تمام شود لازم شمرده و بهای اجرای عدالت را از خون مسلمانان نیز بالاتر دانسته است، و این در صورتی است که مسأله از طرق مسالمت آمیز حل نشود.

سپس به بیان سومین دستور پرداخته، می گوید: «و هر گاه (طایفه ظالم) بازگشت (و زمینه صلح فراهم شد) در میان آن دو طبق عدالت صلح برقرار سازید» (فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ).

یعنی تنها به درهم شکستن قدرت طایفه ظالم قناعت نکنید، بلکه این پیکار باید زمینه ساز صلح باشد، و مقدمهای برای ریشه کن کردن عوامل نزاع و درگیری و گر نه با گذشتن زمان کوتاه یا طولانی بار دیگر که ظالم در خود احساس توانائی کنـد بر میخیزد و نزاع را از سر میگیرد.

و از آنجا که تمایلات گروهی، گاهی افراد را به هنگام قضاوت و داوری به سوی یکی از «دو طایفه متخاصم» متمایل می سازد، و بی طرفی داوران را نقض می کند قرآن در چهارمین و آخرین دستور به مسلمانان هشدار داده، می فرماید: «و عدالت پیشه کنید خداوند عدالت پیشه گان را دوست می دارد» (وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ).

سورة الحجرات(٤٩): آية 10 ص: 499

(آیه ۱۰)– در این آیه برای تأکید این امر و بیـان علت آن میافزایـد: «مؤمنان برادر یکدیگرنـد، پس دو برادر خود را صـلح و آشتی دهید» (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً فَأَصْلِحُوا بَیْنَ أَخَوَیْکُمْ).

و از آنجا که در بسیاری از اوقات «روابط» در این گونه مسائل جانشین «ضوابط» می شود، بار دیگر هشدار داده و در پایان آیه می افزاید: «و تقوای الهی پیشه کنید باشد که مشمول رحمت او شوید» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ).

و به این ترتیب یکی از مهمترین مسؤولیتهای اجتماعی مسلمانان در برابر یکدیگر و در اجرای عدالت اجتماعی با تمام ابعادش روشن می شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۰۰

اهمیت اخوت اسلامی: ص: ۵۰۰

جمله «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَهُ » كه در آيات فوق آمده، يكي از شعارهاي اساسي و ريشهدار اسلامي است.

روی این اصل مهم اسلامی مسلمانان از هر نژاد و هر قبیله، و دارای هر زبان و هر سن و سال، با یکدیگر احساس عمیق برادری میکنند، هر چند یکی در شرق جهان زندگی کند، و دیگری در غرب.

در مراسم «حج» که مسلمین از همه نقاط جهان در آن کانون توحید جمع می شوند این علاقه و پیوند و همبستگی نزدیک کاملا محسوس است و صحنه ای است از تحقق عینی این قانون مهم اسلامی.

به تعبیر دیگر اسلام تمام مسلمانها را به حکم یک خانواده میداند، و همه را خواهر و برادر یکدیگر خطاب کرده، نه تنها در لفظ و در شعار که در عمل و تعهدهای متقابل نیز همه خواهر و برادرند.

در روایات اسلامی نیز روی این مسأله تأکید فراوان شده، به عنوان نمونه از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و اله در باره حقوق سی گانه مؤمن بر برادر مؤمنش نقل شده که فرمود:

«مسلمان بر برادر مسلمانش سی حق دارد که برائت ذمه از آن حاصل نمی کند مگر به ادای این حقوق یا عفو کردن برادر مسلمان او:

لغزشهای او را ببخشد، در ناراحتیها نسبت به او مهربان باشد، اسرار او را پنهان دارد، اشتباهات او را جبران کند، عذر او را بپذیرد، در برابر بدگویان از او دفاع کند، همواره خیر خواه او باشد، دوستی او را پاسداری کند، پیمان او را رعایت کند، در حال مرض از او عبادت کند، در حال مرگ به تشییع او حاضر شود.

دعوت او را اجابت کند، هدیه او را بپذیرد، عطای او را جزا دهد، نعمت او را شکر گوید، در یاری او بکوشد، ناموس او را حفظ کند، حاجت او را بر آورد، برای خواستهاش شفاعت کند، و عطسهاش را تحیت گوید.

گمشدهاش را راهنمائی کند، سلامش را جواب دهد، گفته او را نیکو شمرد انعام او را خوب قرار دهد، سو گندهایش را تصدیق کند، دوستش را دوست دارد و با او دشمنی نکند، در یاری او بکوشد خواه ظالم باشد یا مظلوم: اما یاری او در برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۰۱

حالی که ظالم باشد به این است که او را از ظلمش باز دارد، و در حالی که مظلوم است به این است که او را در گرفتن حقش کمک کند. او را در برابر حوادث تنها نگذارد، آنچه را از نیکیها برای خود دوست دارد برای او دوست بدارد، و آنچه از بدیها برای خود نمی خواهد برای او نخواهد».

سورة الحجرات(٤٩): آية ١١ ص : ٥٠١

اشاره

(آیه ۱۱)

شأن نزول: ص: 201

مفسران نقل کردهاند: جمله «لا یَشِخُرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ» در باره «ثابت بن قیس» (خطیب پیامبر صلّی الله علیه و اله) نازل شده است که گوشهایش سنگین بود، و هنگامی که وارد مسجد میشد کنار دست پیامبر صلّی الله علیه و اله برای او جائی باز می کردند، تا سخن حضرت را بشنود روزی وارد مسجد شد در حالی که مردم از نماز فراغت پیدا کرده، و جای خود نشسته بودند، او جمعیت را میشکافت و می گفت: جا بدهید! تا به یکی از مسلمانان رسید، و او گفت همین جا بنشین! او پشت سرش نشست، اما خشمگین شد، هنگامی که هوا روشن گشت «ثابت» به آن مرد گفت: کیستی؟ او نام خود را برد و گفت فلان کس هستم.

«ثابت» گفت: فرزند فلان زن؟! و در اینجا نام مادرش را با لقب زشتی که در جاهلیت میبردند یاد کرد.

آن مرد شرمگین شد و سر خود را به زیر انداخت.

آیه نازل شد و مسلمانان را از این گونه کارهای زشت نهی کرد.

و گفته اند: جمله «وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ» در باره «امّ سلمه» نازل گردید که بعضی از همسران پیامبر صلّی الله علیه و اله او را به خاطر لباس مخصوصی که پوشیده بود، یا به خاطر کوتاهی قدش مسخره کردند، آیه نازل شد و آنها را از این عمل بازداشت.

تفسير: ص: ٥٠١

استهزا، عیبجوئی و القاب زشت ممنوع! از آنجا که قرآن مجید در این سوره به ساختن جامعه اسلامی بر اساس معیارهای اخلاقی پرداخته، پس از بحث در باره وظائف مسلمانان در مورد نزاع و مخاصمه گروههای مختلف اسلامی در اینجا به شرح قسمتی از ریشههای این اختلافات پرداخته تا با قطع آنها اختلافات نیز برچیده شود، و درگیری و نزاع پایان گیرد.

در این آیه در زمینه مسائل اخلاق اجتماعی به سه حکم اسلامی به ترتیب بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۰۲

عدم سخریه، ترک عیبجوئی و تنابز به القاب اشاره کرده، میفرماید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! نباید گروهی از مردان شما گروه دیگر را مسخره کند» (یا أُیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا یَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْم).

چه این که «شاید آنها (که مورد سخریه قرار گرفتهاند) از اینها بهتر باشند» (عَسی أَنْ یَکُونُوا خَیْراً مِنْهُمْ).

همچنین «و نه زنانی زنان دیگر را (نبایـد مسـخره کننـد) شاید آنان بهتر از اینان باشـند» (وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسـی أَنْ یَکَنَّ خَیْراً مِنْهُنَّ).

در اینجا مخاطب مؤمنانند، اعم از مردان و زنان، قرآن به همه هشدار میدهد که از این عمل زشت بپرهیزند، چرا که سر چشمه استهزا و سخریه همان حسن خود برتر بینی و کبر و غرور است که عامل بسیاری از جنگهای خونین در طول تاریخ بوده.

سپس در دومین مرحله می فرماید: «و یکدیگر را مورد طعن و عیبجوئی قرار ندهید» (وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ). و بالاخره در مرحله سوم می افزاید: «و با القاب زشت و ناپسند یکدیگر را یاد نکنید» (وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ).

بسیاری از افراد بیبند و بار در گذشته و حال اصرار داشته و دارند که بر دیگران القاب زشتی بگذارند و از این طریق آنها را تحقیر کنند، شخصیتشان را بکوبند، و یا احیانا از آنان انتقام گیرند، و یا اگر کسی در سابق کار بدی داشته سپس توبه کرده و کاملا پاک شده باز هم لقبی که بازگو کننده وضع سابق باشد بر او بگذارند.

اسلام صریحا از این عمل زشت نهی می کند، و هر اسم و لقبی را که کوچکترین مفهوم نامطلوبی دارد و مایه تحقیر مسلمانی است ممنوع شمرده.

در حدیثی آمده است که روزی «صفیّه» دختر «حی بن اخطب» (همان زن یهودی که بعد از ماجرای فتح خیبر مسلمان شد و به همسری پیغمبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله در آمد) روزی خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و اله آمد در حالی که اشک میریخت، پیامبر صلّی اللّه علیه و اله از برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۰۳

ماجرا پرسید، گفت: عایشه مرا سرزنش می کند و می گوید: «ای یهودی زاده»! پیامبر صلّی الله علیه و اله فرمود: «چرا نگفتی پدرم هارون است، و عمویم موسی، و همسرم محمد!» در اینجا بود که این آیه نازل شد.

به همین جهت در پایان آیه میافزاید: «بسیار بد است که بر کسی پس از ایمان نام کفر آمیز بگذارید» (بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإیمان).

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر می فرماید: «و آنها که توبه نکنند (و از این اعمال دست بر ندارند) ظالم و ستمگرند» (وَ مَنْ لَمْ یَتُبْ فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

چه ظلمی از این بدتر که انسان با سخنان نیش دار، و تحقیر و عیبجوئی، قلب مردم با ایمان را که مرکز عشق خداست بیازارد.

سورة الحجرات(49): آية ١٢ ص: ٥٠٣

اشاره

(آیه ۱۲)

شأن نزول: ص: 203

مفسران نقـل كردهانـد: جمله «وَ لاـ يَغْتَبْ بَعْضُ كُمْ بَعْضًا» در بـاره دو نفر از اصـحاب رسـول الله صـلّى الله عليه و اله است كه

رفیقشان «سلمان» را غیبت کردند، زیرا او را خدمت پیامبر فرستاده بودند تا غذائی برای آنها بیاورد، پیامبر سلمان را سراغ «اسامهٔ بن زید» که مسؤول «بیت المال» بود فرستاد.

«اسامه» گفت: الآن چیزی ندارم، آن دو نفر از «اسامه» غیبت کردند و گفتند:

او بخل ورزیده و در باره «سلمان» گفتند: اگر او را به سراغ چاه سمیحه (که چاه پر آبی بود) بفرستیم آب آن فروکش خواهد کرد! سپس خودشان به راه افتادند تا نزد «اسامه» بیایند، و در باره موضوع کار خود تجسس کنند.

پیامبر صلّی اللّه علیه و اله فرمود: من آثار خوردن گوشت را در دهان شما می بینم.

عرض کردند: ای رسول خدا ما امروز مطلقا گوشت نخوردهایم! فرمود: آری گوشت «سلمان» و «اسامه» را میخوردید. آیه نازل شد و مسلمانان را از غیبت نهی کرد.

تفسير: ص: ٥٠٣

در این آیه نیز در زمینه مسائل اخلاقی اجتماعی سه حکم اسلامی به ترتیب: اجتناب از گمان بـد، تجسـس و غیبت، بیان شـده است.

نخست مى فرمايد: «اى كسانى كه ايمان آورده ايد! از بسيارى از گمانها برگزيده تفسير نمونه، ج۴، ص: ۵۰۴ بپرهيزيد، چرا كه بعضى از گمانها گناه است»! (يا أَنُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ).

منظور از این نهی، نهی از ترتیب آثـار است. یعنی هر گـاه گمـان بـدی نسبت به مسـلمانی در ذهن شـما پیـدا شـد، در عمل کوچکترین اعتنایی به آن نکنید، طرز رفتار خود را دگرگون نسازید و مناسبات خود را با طرف تغییر ندهید.

لذا در روایات دستور داده شده که اعمال برادرت را بر نیکوترین وجه ممکن حمل کن، تا دلیلی بر خلاف آن قائم شود، و هرگز نسبت به سخنی که از برادر مسلمانت صادر شده گمان بد مبر، مادام که می توانی محمل نیکی برای آن بیابی! سپس در دستور بعد مسأله «نهی از تجسس» را مطرح کرده، می فرماید:

«و (هرگز در کار دیگران) تجسس نکنید» (وَ لا تَجَسَّسُوا).

و بالا خره در سومین و آخرین دستور - که در حقیقت معلول و نتیجه دو برنامه قبل است - میفرماید: «و هیچ یکی از شما دیگری را غیبت نکند» (وَ لا یَغْتَبْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً).

و به این ترتیب گمان بد سر چشمه تجسس، و تجسس موجب افشای عیوب و اسرار پنهانی، و آگاهی بر این امور سبب غیبت می شود که اسلام از معلول و علت همگی نهی کرده است.

سپس برای این که قبح و زشتی این عمل را کاملا مجسم کند آن را در ضمن یک مثال گویا ریخته، می گوید: «آیا کسی از شما دوست دارد که گوشت برادر مرده خود را بخورد»؟! (أَ یُحِبُّ أَحَدُکُمْ أَنْ یَأْکُلَ لَحْمَ أَخِیهِ مَیْتاً).

به يقين «همه شما از اين امر كراهت داريد» (فَكَرهْتُمُوهُ).

آری آبروی برادر مسلمان همچون گوشت تن اوست، و ریختن این آبرو به وسیله غیبت و افشای اسرار پنهانی همچون خوردن گوشت تن اوست، و تعبیر به «میتا» به خاطر آن است که «غیبت» در غیاب افراد صورت می گیرد، که همچون مردگان قادر بر دفاع از خویشتن نیستند.

و این ناجوانمردانه ترین ستمی است که ممکن است انسان در باره برادر خود برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۰۵

روا دارد.

و از آنجا که ممکن است افرادی آلوده به بعضی از این گناهان سه گانه باشند و با شنیدن این آیات متنبه شوند، و در صدد جبران برآیند در پایان آیه راه را به روی آنها گشوده، میفرماید: «و تقوای الهی، پیشه کنید (و از خدا بترسید) که خداوند یار توبه پذیر و مهربان است» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِیمٌ).

نخست باید روح تقوا و خدا ترسی زنده شود، و به دنبال آن توبه از گناه صورت گیرد، تا لطف و رحمت الهی شامل حال انسان شود.

نکتهها: ص: ۵۰۵

1- امنیت کامل و همه جانبه اجتماعی: ص: ۵۰۵

دستورهای ششگانهای که در دو آیه فوق مطرح شده هر گاه بطور کامل در یک جامعه پیاده شود آبرو و حیثیت افراد جامعه را از هر نظر بیمه می کند.

انسان چهار سرمایه دارد که همه آنها باید در دژهای این قانون قرار گیرد و محفوظ باشد: جان، مال، ناموس و آبرو.

تعبیرات آیات فوق و روایات اسلامی نشان می دهد که آبرو و حیثیت افراد همچون مال و جان آنهاست، بلکه از بعضی جهات مهمتر است! اسلام می خواهد در جامعه اسلامی امنیت کامل حکمفر ما باشد نه تنها مردم در عمل و با دست به یکدیگر هجوم نکنند، بلکه از نظر زبان مردم، و از آن بالاتر از نظر اندیشه و فکر آنان نیز در امان باشند، و هر کس احساس کند که دیگری حتی در منطقه افکار خود تیرهای تهمت را به سوی او نشانه گیری نمی کند، و این امنیتی است در بالاترین سطح که جز در یک جامعه مذهبی و مؤمن امکان پذیر نیست.

پیغمبر گرامی صلّی الله علیه و اله در حدیثی میفرماید: «خداوند خون و مال و آبروی مسلمان را بر دیگران حرام کرده، و همچنین گمان بد در باره او بردن».

۲- تجسس نکنید! ص: ۵۰۵

دیدیم قرآن با صراحت تمام تجسس را در آیه فوق منع نموده، و از آنجا که هیچ گونه قید و شرطی برای آن قائل نشده نشان میدهد که برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۰۶

جستجو گری در کار دیگران و تلایش برای افشاگری اسرار آنها گناه است، ولی قرائنی که در داخل و خارج آیه است نشان می دهد که این حکم مربوط به زندگی شخصی و خصوصی افراد است، و در زندگی اجتماعی تا آنجا که تأثیری در سرنوشت جامعه نداشته باشد نیز این حکم صادق است.

اما روشن است آنجا که ارتباطی با سرنوشت دیگران و کیان جامعه پیدا می کنید مسأله شکل دیگری به خود می گیرد، لذا شخص پیغمبر صلّی الله علیه و اله مأمورانی برای جمع آوری اطلاعات قرار داده بود که از آنها به عنوان «عیون» تعبیر می شود، تا آنچه را ارتباط با سرنوشت جامعه اسلامی در داخل و خارج داشت برای او گرد آوری کنند.

و نیز به همین دلیل حکومت اسلامی می تواند مأموران اطلاعاتی داشته باشد، یا سازمان گستردهای برای گرد آوری اطلاعات

تأسیس کند، و آنجا که بیم توطئه بر ضد جامعه، و یا به خطر انداختن امنیت و حکومت اسلامی میرود به تجسس برخیزند، و حتی در داخل زندگی خصوصی افراد جستجوگری کنند.

ولی این امر هرگز نباید بهانهای برای شکستن حرمت این قانون اصیل اسلامی شود، و افرادی به بهانه مسأله «توطئه» و «اخلال به امنیت» به خود اجازه دهند که به زندگی خصوصی مردم یورش برند، نامههای آنها را باز کنند، تلفنها را کنترل نمایند و وقت و بیوقت به خانه آنها هجوم آورند.

خلاصه این که مرز میان «تجسس» و «به دست آوردن اطلاعات لازم برای حفظ امنیت جامعه» بسیار دقیق و ظریف است، و مسؤولین اداره امور اجتماع باید دقیقا مراقب این مرز باشند، تا حرمت اسرار انسانها حفظ شود، و هم امنیت جامعه و حکومت اسلامی به خطر نیفتد.

۳- غیبت از بزرگترین گناهان است: ص: ۵۰۶

گفتیم سرمایه بزرگ انسان در زندگی حیثیت و آبرو و شخصیت اوست، و هر چیز آن را به خطر بیندازد مانند آن است که جان او را به خطر انداخته باشد، بلکه گاه ترور شخصیت از ترور شخص مهمتر محسوب می شود، و اینجا است که گاه گناه آن از قتل نفس نیز سنگین تر است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۰۷

یکی از فلسفههای تحریم غیبت این است که این سرمایه بزرگ بر باد نرود، و حرمت اشخاص درهم نشکند.

نکته دیگر این که غیبت، بـد بینی می آفریند، پیوندهای اجتماعی را سـست می کند، سـرمایه اعتماد را از بین میبرد، و پایههای تعاون و همکاری را متزلزل میسازد.

از اینها گذشته «غیبت» بذر کینه و عداوت را در دلها می باشد، و گاه سر چشمه نزاعهای خونین و قتل و کشتار می گردد. در حدیثی آمده است: روزی پیامبر صلّی الله علیه و اله با صدای بلند خطبه خواند و فریاد زد: «ای گروهی که به زبان ایمان آورده اید و نه با قلب! غیبت مسلمانان نکنید، و از عیوب پنهانی آنها جستجو ننمائید، زیرا کسی که در امور پنهانی برادر دینی خود جستجو کند خداوند اسرار او را فاش می سازد، و درون خانهاش رسوایش می کند»! و در حدیث دیگری آمده است که خداوند به موسی و حی فرستاد: «کسی که بمیرد در حالی که از غیبت توبه کرده باشد آخرین کسی است که وارد بهشت می شود و کسی که بمیرد در حالی که اصرار بر آن داشته باشد اولین کسی است که وارد دوزخ می گردد»! و نیز در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و اله میخوانیم: «تأثیر غیبت در دین مسلمان از خوره در جسم او سریعتر است»! تمام این تأکیدات و عبارات تکان دهنده به خاطر اهمیت فوق العاده ای است که اسلام برای حفظ آبرو، و حیثیت اجتماعی مؤمنان قائل است، و نیز به خاطر تأثیر مخربی است که غیبت در وحدت جامعه، و اعتماد متقابل و پیوند دلها دارد.

سورة الحجرات(٤٩): آية ١٣ ص: ٥٠٧

اشاره

(آیه ۱۳)– تقوا بزرگترین ارزش انسانی! در آیات گذشته روی سخن به مؤمنان بود و مسائل متعدّدی که یک «جامعه مؤمن» را با خطر رو برو میسازد بازگو کرد و از آن نهی فرمود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۰۸ در حالی که در آیه مورد بحث مخاطب کل جامعه انسانی است و مهمترین اصلی را که ضامن نظم و ثبات است بیان می کند، و میزان واقعی ارزشهای انسانی را در برابر ارزشهای کاذب و دروغین مشخص میسازد.

مىفرمايىد: «اى مردم! ما شـما را از يك مرد و زن آفريىديم، و شـما را تيرهها و قبيلهها قرار داديم تا يكـديگر را بشناسـيد» اينها ملاك امتياز نيست (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرِ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا).

منظور از آفرینش مردم از یک مرد و زن همان بازگشت نسب انسانها به «آدم» و «حوّا» است، بنابر این چون همه از ریشه واحدی هستند معنی ندارد که از نظر نسب و قبیله بر یکدیگر افتخار کنند و اگر خداوند برای هر قبیله و طائفهای ویژگیهایی آفریده برای حفظ نظم زندگی اجتماعی مردم است، چرا که این تفاوتها سبب شناسائی است. و بدون شناسایی افراد نظم در جامعه انسانی حکمفرما نمی شود.

به هر حال قرآن مجید بعد از آن که بزرگترین مایه مباهات و مفاخره عصر جاهلی یعنی نسب و قبیله را از کار می اندازد، به سراغ معیار واقعی ارزشی رفته می افزاید: «گرامی ترین شما نزد خداوند با تقواترین شماست» (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ). به این ترتیب قلم سرخ بر تمام امتیازات ظاهری و مادی کشیده، و اصالت و واقعیت را به مسأله تقوا و پرهیز کاری و خدا ترسی می دهد، و می گوید: برای تقرب به خدا و نزدیکی به ساحت مقدس او هیچ امتیازی جز تقوا مؤثر نیست.

و از آنجا که تقوا یک صفت روحانی و باطنی است که قبل از هر چیز بایـد در قلب و جان انسان مستقر شود، و ممکن است مدعیان بسیار داشته باشد و متصفان کم، در آخر آیه میافزاید: «خداوند دانا و آگاه است» (إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ).

پرهیزکاران را به خوبی میشناسد، و از درجه تقوا و خلوص نیت و پاکی و صفای آنها آگاه است، آنها را بر طبق علم خود گرامی میدارد و پاداش میدهد مدعیان دروغین را نیز میشناسد و کیفر میدهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۰۹

نكتهها: ص: ٥٠٩

۱- ارزشهای راستین و ارزشهای کاذب! ص: ۵۰۹

بدون شک هر انسانی فطرتا خواهان این است که موجود با ارزش و پر افتخاری باشد، و به همین دلیل با تمام وجودش برای کسب ارزشها تلاش می کند.

ولی شناخت معیار ارزش، با تفاوت فرهنگها کاملا متفاوت است، و گاه ارزشهای کاذب جای ارزشهای راستین را می گیرد. گروهی ارزش واقعی خویش را در انتساب به قبیله معروف و معتبری میدانند.

مخصوصا در میان اقوام جاهلی افتخار به انساب و قبائل، رایجترین افتخار موهوم بود، تا آنجا که هر قبیلهای خود را «قبیله برتر» و هر نژادی خود را «نژاد والاـتر» میشمرد، که متأسفانه هنوز رسوبات و بقایای آن در اعماق روح بسیاری از افراد و اقوام وجود دارد.

گروه دیگری مسأله مال و ثروت و داشتن کاخ و قصر و خدم و حشم و امثال این امور را نشانه ارزش میدانند. و به همین ترتیب هر گروهی در مسیری گام بر میدارند و به ارزشی دل میبندند و آن را معیار میشمرند.

اما از آنجا که این امور همه اموری است متزلزل و برون ذاتی و مادی و زود گذر، یک آئین آسمانی همچون اسلام هرگز نمی تواند با آن موافقت کند، لذا خط بطلان روی همه آنها کشیده، و ارزش واقعی انسان را در صفات ذاتی او مخصوصا تقوا و پرهیز کاری و تعهد و پاکی او میشمرد حتی برای موضوعات مهمی، همچون علم و دانش، اگر در مسیر ایمان و تقوا و ارزشهای اخلاقی، قرار نگیرد اهمیت قائل نیست.

در کتاب «آداب النفوس» طبری آمده که پیامبر صلّی اللّه علیه و اله در سرزمین «منی» در حالی که بر شتری سوار بود رو به سوی مردم کرد و فرمود: «ای مردم بدانید! خدای شما یکی است و پدرتان یکی، نه عرب بر عجم برتری دارد و نه عجم بر عرب، نه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۱۰

> سیاهپوست بر گندمگون و نه گندمگون بر سیاهپوست، مگر به تقوا آیا من دستور الهی را ابلاغ کردم؟ همه گفتند: آری! فرمود: این سخن را حاضران به غائبان برسانند»

۲- حقیقت تقوا: ص: ۵۱۰

از آیات قرآن به خوبی استفاده می شود که «تقوا» همان احساس مسؤولیت و تعهدی است که به دنبال رسوخ ایمان در قلب بر و جود انسان حاکم می شود و او را از «فجور» و گناه باز می دارد، به نیکی و پاکی و عدالت دعوت می کند، اعمال آدمی را خالص و فکر و نیت او را از آلودگیها می شوید.

بعضی از بزرگان برای تقوا سه مرحله قائل شدهاند:

١- نگهداري نفس از عذاب جاويدان از طريق تحصيل اعتقادات صحيح.

۲- پرهيز از هر گونه گناه اعم از ترک واجب و فعل معصيت.

۳- خویشتنداری در برابر آنچه قلب آدمی را به خود مشغول میدارد و از حق منصرف میکند، و این تقوای خواص بلکه خاص الخاص است.

سورة الحجرات(٤٩): آية ١٤ ص: ٥١٠

اشاره

(آیه ۱۴)

شأن نزول: ص: 310

بسیاری از مفسران شأن نزولی برای این آیه و آیه بعد ذکر کردهاند که خلاصهاش چنین است: جمعی از طایفه «بنی اسد» در یکی از سالهای قحطی و خشکسالی وارد مدینه شدند، و به امید گرفتن کمکی از پیامبر صلّی الله علیه و اله شهادتین بر زبان جاری کردند، و به پیامبر صلّی الله علیه و اله گفتند: «طوائف عرب بر مرکبها سوار شدند و با تو پیکار کردند، ولی ما با زن و فرزندان نزد تو آمدیم، و دست به جنگ نزدیم» و از این طریق میخواستند بر پیامبر صلّی الله علیه و اله منت بگذارند. این آیه و آیه بعد نازل شد- و به آنها خاطر نشان کرد که اسلام آنها ظاهری است، و ایمان در اعماق قلبشان نیست.

فرق «اسلام» و «ایمان»: در آیه گذشته، سخن از معیار ارزش انسانها یعنی «تقوا» در میان بود، و از آنجا که «تقوا» ثمره شجره «ایمان» است، آن هم ایمانی که در اعماق جان نفوذ کند، در اینجا به بیان حقیقت «ایمان» پرداخته، چنین می گوید: «عربهای بادیه نشین گفتند: ایمان آورده ایم! به آنها بگو: شما ایمان برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۱۱

نياورده ايـد ولى بگوئيـد اسـلام آورده ايم، ولى هنوز ايمان وارد قلب شـما نشده است»! (قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنًا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمَّا يَدْخُل الْإيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ).

طبق این آیه تفاوت «اسلام» و «ایمان» در این است که «اسلام» شکل ظاهری قانونی دارد، و هر کس شهادتین را بر زبان جاری کند در سلک مسلمانان وارد می شود، و احکام اسلام بر او جاری می گردد.

ولى ايمان يك امر واقعى و باطنى است و جايگاه آن قلب آدمى است، نه زبان و ظاهر او.

این همان چیزی است که در عبارت گویائی در بحث «اسلام و ایمان» آمده است، «فضیل بن یسار» می گوید: از امام صادق علیه السّد الام شنیدم فرمود: «ایمان با اسلام شریک است، اما اسلام با ایمان شریک نیست (و به تعبیر دیگر هر مؤمنی مسلمان است ولی هر مسلمانی مؤمن نیست) ایمان آن است که در دل ساکن شود، اما اسلام چیزی است که قوانین نکاح و ارث و حفظ خون بر طبق آن جاری می شود».

سپس در ادامه آیه میافزاید: «و اگر از خـدا و رسولش اطاعت کنید (ثواب اعمالتان را بطور کامل میدهد) و چیزی از پاداش کارهای شما را فرو گذار نمیکند» (وَ إِنْ تُطِیعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لا یَلِتْکُمْ مِنْ أَعْمالِکُمْ شَیْئاً).

چرا كه «خداوند آمرزنده مهربان است» (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

جملههای اخیر در حقیقت اشاره به یک اصل مسلم قرآنی است که شرط قبولی اعمال «ایمان» است، می گوید: اگر شما ایمان قلبی به خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و اله داشته باشید- که نشانه آن اطاعت از فرمان خدا و رسول اوست-اعمال شما ارزش می یابد، و خداوند حتی کوچکترین حسنات شما را می پذیرد، و پاداش می دهد، و حتی به برکت این ایمان گناهان شما را می بخشد که او غفور و رحیم است.

سورة الحجرات(٤٩): آية ١٥ ص: ٥١١

(آیه ۱۵) – و از آنجا که دست یافتن بر این امر باطنی یعنی ایمان کار آسانی نیست در این آیه به ذکر نشانههای آن میپردازد، نشانههائی که به خوبی مؤمن را از مسلم، و صادق را از کاذب، و آنها را که عاشقانه دعوت پیامبر صلّی الله علیه و اله را پذیرفتهاند، از برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۱۲

آنها که برای حفظ جان و یا رسیدن به مال دنیا اظهار ایمان می کنند جدا می سازد.

مىفرمايىد: «مؤمنان واقعى تنها كسانى هستند كه به خدا و رسولش ايمان آوردهانىد، سپس هرگز شك و ريبى به خود راه نـداده، و بـا اموال و جانهاى خود در راه خـدا جهاد كردهانـد» (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَ جاهَـدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ).

آرى! نخستين نشانه ايمان عـدم ترديـد و دو دلى در مسـير اسـلام است، نشانه دوم جهاد با اموال، و نشانه سوم كه از همه برتر

است جهاد با انفس (جانها) است.

و لذا در پایان آیه می افزاید: «چنین کسانی راستگویانند» و روح ایمان در وجودشان موج می زند (أُولئِکُ هُمُ الصَّادِقُونَ). این معیار را که قرآن برای شناخت «مؤمنان راستین» از «دروغگویان متظاهر به اسلام» بیان کرده، معیاری است روشن و گویا برای هر عصر و زمان، برای جدا سازی مؤمنان واقعی از مدعیان دروغین، و برای نشان دادن ارزش ادعای کسانی که همه جا دم از اسلام می زنند و خود را طلبکار پیامبر صلّی الله علیه و اله می دانند ولی در عمل آنها کمترین نشانه ای از ایمان و اسلام دیده نمی شود.

سورة الحجرات(٤٩): آية ١٦ ص: ٥١٢

اشاره

(آیه ۱۶)

شأن نزول: ص: ۵۱۲

جمعی از مفسران گفته اند که: بعد از نزول آیات گذشته گروهی از اعراب خدمت پیامبر صلّی الله علیه و اله آمدند و سوگند یاد کردند که در ادعای ایمان صادقند، و ظاهر و باطن آنها یکی است، آیه نازل شد (و به آنها اخطار کرد که نیازی به سوگند ندارد خدا درون و برون همه را می داند).

تفسير: ص: ۵۱۲

منت نگذارید که مسلمان شده اید! در آیات گذشته نشانه های مؤمنان راستین بیان شده بود و چنانکه در شأن نزول ذکر شد جمعی از مدعیان اصرار داشتند که حقیقت ایمان در قلب آنها مستقر است، قرآن به آنها و به تمام کسانی که همانند آنها هستند اعلام می کند که نیازی به اصرار و سو گند نیست، در مسأله «ایمان» و «کفر» سر و کار شما با خدائی است که از همه چیز با خبر است.

مخصوصا با لحنی عتاب آمیز در آیه مورد بحث می گوید: به آنها «بگو: آیا خدا را از ایمان خود با خبر میسازید؟ در حالی که خداوند تمام آنچه را در آسمانها برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۱۳

و زمين است مى داند» (قُلْ أَ تُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْض).

و برای تأکید بیشتر میافزاید: «و خداوند از همه چیز آگاه است» (وَ اللَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ).

ذات مقدس او عین علم است، و علمش عین ذات اوست، و به همین دلیل علمش ازلی و ابدی است.

سورة الحجرات(٤٩): آية ١٧ ص: ٥١٣

(آیه ۱۷)- سپس به گفتگوی اعراب بادیه نشین باز می گردد که اسلام خود را به رخ پیامبر می کشیدند، و می گفتند: ما با تو از در تسلیم آمدیم در حالی که بسیاری از قبائل عرب از در جنگ آمدند.

قرآن در پاسخ آنها مي گويد: «آنها بر تو منت مينهند كه اسلام آوردهاند»! (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا).

به آنها «بكو: اسلام خود را بر من منّت نكّذاريد» (قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَىَّ إسْلامَكُمْ).

«بلکه خداوند بر شما منّت مینهد که شما را به سوی ایمان هدایت کرد اگر (در ادعای ایمان) راستگو هستید»! (بَلِ اللّهُ یَمُنُّ عَلَیْکُمْ أَنْ هَداکُمْ لِلْإیمانِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

منت بر دو گونه است: اگر جنبه عملی داشته باشد (به معنی بخشش نعمت گرانقدر) ممدوح است، و منّتهای الهی از این قبیل است، ولی اگر جنبه لفظی داشته باشد، مانند منت بسیاری از انسانها عملی است زشت و ناپسند.

«ایمان» قبل از هر چیز درک تازهای از عالم هستی به انسان میدهد، حجابها پردههای خود خواهی و غرور را کنار میزند، افق دید انسان را می گشاید، و شکوه و عظمت بیمانند آفرینش را در نظر او مجسم می کند.

اینجاست که انسان باید هر صبح و شام شکر نعمت ایمان را به جا آورد و بعد از هر نماز و هر عبادت سر به سجده بگذارد، و خدا را بر این همه توفیق سپاس گوید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۱۴

سورة الحجرات(٤٩): آية ١٨ ص: ٥١٤

(آیه ۱۸) - در این آیه که آخرین آیه سوره حجرات است باز هم آنچه را در آیه قبل آمده تأکید کرده، میفرماید: «خداوند غیب آسمانها و زمین را میداند، و نسبت به آنچه انجام میدهید بیناست» (إِنَّ اللَّه یَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بَصِۃ یرٌ بِما تَعْمَلُونَ).

اصرار نداشته باشید که حتما مؤمن هستید، و نیازی به سوگند نیست، او در زوایای قلب شما حضور دارد، و از آنچه در آن می گذرد کاملا_ با خبر است. او از تمام اسرار اعماق زمین و غیب آسمانها آگاه است، بنابر این چگونه ممکن است از درون دل شما بی خبر باشد؟

«پایان سوره حجرات»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۱۵

سوره ق [۵۰] ص : ۵۱۵

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده، و دارای ۴۵ آیه است

محتواي سوره: ص: 215

محور بحثهای این سوره مسأله «معاد» است و در مسائل مربوط به معاد انگشت روی امور زیر می گذارد.

- ۱- انكار و تعجب كافران از مسأله معاد (معاد جسماني).
- ۲- استدلال بر مسأله معاد از طریق توجه به نظام آفرینش، و مخصوصا احیای زمینهای مرده به وسیله نزول باران.
 - ٣- استدلال بر مسأله معاد از طريق توجه به خلقت نخستين.
 - ۴- اشاره به مسأله ثبت اعمال و اقوال براى «يوم الحساب».
 - ۵- مسائل مربوط به مرگ و انتقال از این جهان به سرای دیگر.
 - ۶- گوشهای از حوادث روز قیامت و اوصاف بهشت و دوزخ.
 - ٧- اشاره به حوادث تكان دهنده پايان جهان.

در این میان اشاراتی کوتاه و مؤثر به وضع اقوام طغیانگر پیشین و سرنوشت دردناک و شوم آنها- مانند قوم فرعون، عاد، لوط، شعیب، و تبع- نیز دستوراتی برای توجه به خدا و ذکر او به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله داده شده است. و اشاره کوتاهی به عظمت قرآن در آغاز و پایان سوره به چشم میخورد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 215

از روایـات اسـلامی اسـتفاده میشود که پیامبر صـلّی اللّه علیه و اله اهمیت فراوانی برای این سوره قائل بود، تا آنجا که هر روز جمعه آن را در خطبه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۱۶

نماز جمعه قرائت میفرمود.

و نیز در حدیثی از امام باقر علیه السّ لام آمده است: «کسی که پیوسته در نمازهای فریضه و نافله سوره «ق» را بخواند خداوند روزی او را گسترده می کند، و نامه اعمالش را به دست راستش میدهد، و حساب او را در قیامت آسان میسازد».

نیاز به یاد آوری ندارد که این همه افتخار و فضیلت تنها با خواندن الفاظ حاصل نمی شود، بلکه خواندن الفاظ سر آغازی است برای بیداری اندیشه ها و آن نیز وسیله ای است برای عمل صالح و هماهنگی با محتوای سوره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱ ص: ۵۱۶

(آیه ۱)- در اینجا بار دیگر در آغاز این سوره به بعضی از «حروف مقطعه» برخورد می کنیم و آن حرف «قاف» (ق). است. چنانکه قبلاً نیز گفته ایم یکی از تفسیرهای قابل توجه «حروف مقطعه» این است که «قرآن» با آن همه عظمت از مواد ساده ای همچون حروف «الفبا» تشکیل یافته، و این نشان می دهد که ابداع گر و نازل کننده قرآن مجید علم و قدرت بی پایان داشته که از چنین ابزار ساده ای چنان ترکیب عالی آفریده است.

برخي از مفسران نيز «ق» را اشاره به بعضي از اسماء الله مانند «قادر» و «قيوم» دانستهاند.

از جمله اموری که گواهی میدهـد ذکر این حرف از حروف مقطعه برای بیان عظمت قرآن است این که بلافاصـله بعـد از آن می فرماید: «سوگند به قرآن مجید» که قیامت و رستاخیز حق است (وَ الْقُوْآنِ الْمَجِیدِ).

«مجید» از ماده «مجد» به معنی «شرافت گسترده» است قرآن عظمت و شرافتی بیپایان دارد ظاهرش زیبا، محتوایش عظیم، دستوراتش عالی، و برنامههایش آموزنده و حیات بخش است.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲ ص: ۵۱۶

(آیه ۲) سپس به بیان پارهای از ایرادهای بی اساس کفار و مشرکان عرب برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۱۷ پرداخته، از میان آنها به دو ایراد اشاره کرده، نخست می گوید: «آنها تعجب کردند که پیامبری انذارگر، از میان خودشان آمده، و کافران گفتند: این چیز عجیبی است»؟! (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الْکافِرُونَ هذا شَیْءٌ عَجِیبٌ).

این ایرادی است که قرآن بارها به آن و پاسخ آن اشاره کرده، و تکرار آن نشان میدهد که از ایرادهای اصلی کفار بوده که همواره آن را تکرار می کردند.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳ ص: ۵۱۷

(آیه ۳)- بعد از این ایراد به رسالت پیامبر صلّی الله علیه و اله و اینکه چگونه از جنس بشر است؟ ایراد دیگری به محتوای دعوت او داشتند و انگشت روی مسألهای می گذاردند که برای آنها از هر نظر عجیب و غریب بود.

آنها می گفتنـد: «آیا هنگامی که مردیم و خاک شـدیم (دوباره به زندگی باز می گردیم) این بازگشتی بعید است»! (أَ إِذا مِثْنا وَ کُنّا تُراباً ذلِکَ رَجْعٌ بَعِیدٌ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴ ص: ۵۱۷

(آیه ۴)- تنها در اینجا نیست که این ایراد را به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله کردند، بارها گفتند، و بارها پاسخ شنیدند و باز هم از روی لجاجت تکرار کردند.

به هر حال قرآن مجید در اینجا از چند راه به آنها پاسخ می گوید:

نخست: به علم بی پایان خداوند اشاره کرده، می فرماید: «ما می دانیم آنچه را زمین از بدن آنها می کاهد و نزد ما کتابی است که همه چیز در آن محفوظ است» (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنا کِتابٌ حَفِیظٌ).

اگر اشکال و ایراد شما به خاطر این است که استخوانهای آدمی میپوسد، و گوشت او خاک میشود، و جزء زمین می گردد و ذراتی از آن نیز تبدیل به بخار و گازهای پراکنده در هوا می گردد، چه کسی میتواند آنها را جمع آوری کند؟ و اصلا چه کسی از آنها با خبر است؟

پاسخش معلوم است: خداوندی که علم او به تمام اشیاء احاطه دارد تمام این ذرات را می شناسد، و به هنگام لزوم همه را جمع آوری می کند، همان گونه که ذرات پراکنده آهن را در میان تلی از غبار با یک قطعه آهن ربا می توان جمع آوری کرد، جمع آوری ذرات پراکنده هر انسان برای خدا از این هم آسانتر است.

و اگر ایراد آنها این است که حساب اعمال انسان را چه کسی برای معاد برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۱۸ و رستاخیز نگه می دارد پاسخش این است که همه اینها در لوح محفوظ ثبت است، اصولا چیزی در این عالم گم نمی شود، حتی اعمال شما باقی می ماند، هر چند تغییر شکل می دهد.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۵ ص: ۵۱۸

(آیه ۵)- سپس به پاسخ دیگری میپردازد که بیشتر جنبه روانی دارد، میگوید: «بلکه آنها حق را هنگامی که به سراغشان آمد تکذیب کردند» (بَلْ کَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ).

یعنی آنها آگاهانه منکر حق شدهاند، و گر نه گرد و غباری بر چهره حق نیست، و چنانکه در آیات بعد می آید آنها صحنه معاد را با چشم خود مکرر در این دنیا می بینند و جای شک و تردید ندارد.

لذا در پایان آیه میافزاید: «از این رو پیوسته در کار پراکنده خود متحیرند» (فَهُمْ فِی أَمْرٍ مَرِیجِ).

گاه پیامبر صلّی اللّه علیه و اله را مجنون میخوانند، گاه کاهن، و گاه شاعر.

گاه می گویند: «بشری به او تعلیم می دهد»! و

این پراکنده گوئیها نشان میدهد که حق را دریافتهاند، و به دنبال بهانه جوئی هستند و لذا هرگز روی یک حرف نمیایستند.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۶ ص: ۵۱۸

(آیه ۶)- لحظهای به آسمان بنگرید! قرآن همچنان بحث «دلائل معاد» را دنبال می کنید، گاه از طریق قیدرت بی انتهای حق و گاه از وجود صحنه های معاد در همین دنیا کمک می گیرد.

نخست توجه منکران را به آفرینش آسمانها جلب کرده، می گوید: «آیا به آسمان بالای سرشان نگاه نکردند که چگونه ما آن را بنا کردهایم (بی آنکه ستون و پایهای داشته باشد) و چگونه آن را (به وسیله ستارگان) زینت بخشیدهایم، و هیچ شکاف و شکستی در آن نیست»! (أَ فَلَمْ یَنْظُرُوا إِلَی السَّماءِ فَوْقَهُمْ کَیْفَ بَنَیْناها وَ زَیَّنَاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ).

منظور از نگاه کردن در اینجا نگاهی توأم با اندیشه و تفکر است که انسان را به قدرت عظیم خالق این آسمان پهناور و شگفتیهایش آشنا سازد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۱۹

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۷ ص: ۵۱۹

(آیه ۷)- سپس به عظمت آفرینش زمین پرداخته، میافزاید: «و زمین را گسترش دادیم و در آن کوههائی عظیم و استوار افکندیم، و از هر نوع گیاه بهجت انگیز در آن رویاندیم» (وَ الْمَأْرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَیْنا فِیها رَواسِتی وَ أَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ زَوْجٍ بَهِیج).

آری! آفرینش زمین از یک سو، گسترش آن (بیرون آمدن از زیر آب) از سوی دیگر، پیدایش کوهها که ریشههای آن به هم پیوسته و همچون زرهی زمین را در برابر فشارهای درونی و برونی و جزر و مدهای حاصل از جاذبه ماه و خورشید حفظ می کند، از سوی سوم، و پیدایش انواع گیاهان با آن همه عجائب و زیبائیها از سوی چهارم همگی دلیل بر قدرت بیپایان اوست.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۸ ص: ۵۱۹

(آیه ۸)- در این آیه نتیجه گیری کرده، می گوید: همه اینها را آفریدیم «تا وسیله بینائی و یاد آوری برای هر بنده توبه کاری باشد»! (تَبْصِرَةً وَ ذِكْری لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِیبِ). آری! کسی که قدرت بر آفرینش آسمانها با آن همه عظمت و زیبائی، و زمین با این همه نعمت و جمال و نظم و حساب دارد، چگونه نمی تواند مردگان را بار دیگر لباس حیات بپوشاند، و قیامتی بر پا کند؟

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۹ ص: ۵۱۹

(آیه ۹)- در این آیه پایه استدلال دیگری را مینهد و میگوید: «و از آسمان آبی پر برکت نازل کردیم و به وسیله آن باغها و دانههایی را که درو میکنند رویاندیم» (وَ نَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَکاً فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِیدِ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۰ ص: ۵۱۹

(آیه ۱۰)- سپس می افزاید: «و (همچنین) نخلهای بلند قامت که میوه های متراکم دارند» (وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِیدٌ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۱ ص: ۵۱۹

(آیه ۱۱) - در پایان این بخش می گوید: «همه اینها برای روزی بخشیدن به بندگان است، و به وسیله باران زمین مرده را زنده کردیم (آری) زنده شدن مردگان (و خروج آنها از قبرها) نیز همین گونه است»! (رِزْقاً لِلْعِبادِ وَ أَحْیَیْنا بِهِ بَلْمَدَةً مَیْتاً کَهٰذلِکَ الْخُرُوجُ).

و به این ترتیب ضمن یاد آوری نعمتهای عظیمش به بندگان، و تحریک حس برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۲۰ شکر گزاری آنها در مسیر شناخت او، به آنها یادآور می شود که شما نمونه معاد را همه سال در برابر چشمان خود در همین جهان می بینید، زمینهای مرده و خشک و خالی از هر گونه آثار زندگی بر اثر نزول قطرات باران به حرکت در می آیند، و غوغای رستاخیز را سر می دهند، از هر گوشه که گیاهی می روید «وحده لا شریک له» می گوید! این جنبش عظیم و حرکت به سوی حیات و زندگی در عالم گیاهان بیانگر این واقعیت است که آفریدگار عالم می تواند موجودات مرده را بار دیگر حیات بخشد چرا که «وقوع» چیزی اقوی دلیل بر «امکان» آن است.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۲ ص: ۵۲۰

(آیه ۱۲) – تنها تو نیستی که گرفتار دشمنی! قرآن همچنان ادامه بحثهای مربوط به معاد از دریچههای مختلف را دنبال می کند، نخست برای دلداری پیامبر صلّی الله علیه و اله میفرماید: فقط تو نیستی که این گروه کافر تو و محتوای دعوتت را خصوصا در باره معاد – تکذیب کردند «پیش از آنان قوم نوح و اصحاب الرّاس و قوم ثمود (پیامبرانشان را) تکذیب کردند» (کَذَّبَتْ قَبْلُهُمْ قَوْمُ نُوح وَ أَصْحابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ).

«قوم ثمود» همان قوم صالح پیامبر بزرگ خداست، که در سرزمین «حجر» در شما حجاز زندگی داشتند، و در مورد «اصحاب الرّسّ»، بسیاری عقیده دارند که آنها طائفهای بودند که در سرزمین «یمامه» میزیستند و پیامبری به نام «حنظله» داشتند که او را تکذیب کردند و سر انجام در چاهش افکندند.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۳ ص: ۵۲۰

(آیه ۱۳)– سپس می افزاید: «و هم چنین قوم عاد و فرعون و قوم لوط» (وَ عادٌ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوانُ لُوطٍ). منظور از برادران «لوط» همان قوم لوط است چرا که قرآن از این پیامبران بزرگ به عنوان برادر یاد کرده است.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۴ ص: ۵۲۰

(آیه ۱۴) - «و نیز اصحاب الایکه [قوم شعیب] و قوم تبع» که در سرزمین یمن زندگی می کردند (وَ أَصْحابُ الْأَیْکَهِ وَ قَوْمُ تَبَعِ). «ایکه» به معنی درختان فراوان و درهم پیچیده، و یا به تعبیر دیگر بیشه مانند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۲۱ است، و اصحاب الایکه گروهی از قوم شعیب هستند که در غیر شهر «مدین» زندگی می کردند، شهری که دارای درختان بسیار بود.

سپس به تمام این اقوام هشت گانه اشاره کرده، می گوید: «هر یک از آنها فرستادگان الهی را تکذیب کردند، و وعده عذاب من در باره آنها تحقق یافت» (کُلُّ کَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِیدِ).

این اقوام هم پیامبرانشان را تکذیب کردند، و هم مسأله توحید و معاد را، و سر انجام به سرنوشت دردناکی گرفتار شدند، بعضی گرفتار طوفان شدند، بعضی سیلاب، بعضی دیگر صاعقه، و بعضی زلزله، و یا غیر آن و سر انجام میوه تلخ تکذیب را چشیدند.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۵ ص: ۵۲۱

(آیه ۱۵)- در این آیه به ذکر یکی دیگر از دلائل امکان رستاخیز پرداخته، می گوید: «آیا ما از آفرینش نخستین عاجز ماندیم» که قادر بر آفرینش رستاخیز نباشیم؟! (أَ فَعَیِینا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ).

سپس میافزایـد: آنها در آفرینش نخستین تردید ندارند، زیرا خالق انسانها را خدا میدانند «ولی آنها (با این همه دلائل روشن) باز در آفرینش جدید تردید دارند» (بَلْ هُمْ فِی لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِیدٍ).

در حقیقت آنها بر اثر هوای نفس و تعصب و لجاجت گرفتار تناقضند، از یکسو خالق انسانها را در آغاز خداوند می دانند که همه را از خاک آفریده، اما از سوی دیگر وقتی به مسأله آفرینش مجدد انسانها از خاک می رسند آن را مطلبی عجیب و باور ناکردنی می شمرند، در حالی که هر دو مثل یکدیگرند.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۶ ص: ۵۲۱

(آیه ۱۶)- کمترین سخنان شما را هم مینویسند! در اینجا بخش دیگری از مسائل مربوط به معاد مطرح میشود و آن مسأله ثبت و ضبط اعمال انسانها برای روز حساب است.

نخست از علم بی پایان خدا و احاطه علمی او به انسانها سخن گفته، می فرماید: «ما انسان را آفریدیم و وسوسه های نفس او را می دانیم» (وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۲۲

منظور از کلمه «توسوس» در اینجا این است که وقتی خداوند از خطورات قلبی آنها و وسوسههای زود گذری که از فکر آنها می گذرد آگاه است مسلما از تمام عقائد و اعمال و گفتار آنها با خبر می باشد، و حساب همه را برای روز حساب نگه می دارد.

آری! او خالق است، و خلقتش دائم و مستمر، و ما در جمیع حالات وابسته به وجود او هستیم، با این حال چگونه ممکن است او از ظاهر و باطن ما بیخبر باشد؟! و در ذیل آیه برای روشنتر ساختن مطلب میافزاید: «و ما به او از رگ قلبش نزدیکتریم» (وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ).

این همان است که در جای دیگر می گوید: «بدانید خداوند بین انسان و قلب او حائل می شود، و همه شما نزد او در قیامت جمع خواهید شد». (انفال/ ۲۴) البته همه اینها تشبیه است و قرب خداوند از این هم برتر و بالاتر است، هر چند مثالی از اینها رساتر در محسوسات پیدا نمی شود.

توجه به این واقعیت انسان را بیدار می کند، و به مسؤولیت سنگین و پرونده دقیق او در دادگاه عدل الهی آشنا میسازد، و از انسان بیخبر و بی تفاوت، موجودی هوشیار و سر به راه و متعهد و با تقوا به وجود می آورد.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۷ ص: ۵۲۲

(آیه ۱۷) – در این آیه میافزاید: به خاطر بیاورید «هنگامی را که دو فرشته راست و چپ که ملازم انسان هستند اعمال او را دریافت میدارند» (إِذْ یَتَلَقَّی الْمُتَلَقِّیانِ عَنِ الْیَمِینِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِیدٌ).

یعنی علاوه بر احاطه علمی خداوند به ظاهر و باطن انسان، دو فرشته نیز مأمور حفظ و نگاهداری حساب اعمال اویند که از طرف راست و چپ از او مراقبت می کنند، پیوسته با او هستند و لحظهای جدا نمی شوند، تا از این طریق اتمام حجت بیشتری شود، و تأکیدی باشد بر مسأله نگاهداری حساب اعمال.

در روایات اسلامی آمده است که: «فرشته سمت راست، نویسنده حسنات است، و فرشته سمت چپ نویسنده سیئات، و فرشته اول فرمانده فرشته دوم برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۲۳

است، هنگامی که انسان عمل نیکی انجام دهد، فرشته سمت راست ده برابر مینویسد، و هنگامی که عمل بدی از او سر زند، و فرشته سمت چپ میخواهد آن را بنویسد، فرشته اول می گوید: عجله مکن. لذا او هفت ساعت به تأخیر می اندازد، اگر پشیمان شد و توبه کرد چیزی نمی نویسد، و اگر توبه نکرد تنها یک گناه برای او می نویسد»

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۸ ص: ۵۲۳

(آیه ۱۸) – این آیه باز روی مسأله فرشتگان ثبت اعمال تکیه کرده، می گوید:

«انسان هیچ سخنی را بر زبان نمی آورد مگر این که همان دم فرشته ای مراقب و آماده برای انجام مأموریت (و ضبط آن) است» (ما یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ).

در آیه گذشته سخن از ثبت تمامی اعمال آدمی بود، و در این آیه روی خصوص الفاظ و سخنان او تکیه می کند، و این به خاطر اهمیت فوق العاده و نقش مؤثری است که گفتار در زندگی انسانها دارد، تا آنجا که گاهی یک جمله مسیر اجتماعی آنها را به سوی خیر یا شر تغییر می دهد.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۱۹ ص: ۵۲۳

(آیه ۱۹)- قیامت و چشمهای تیز بین! در اینجا باز صحنههای دیگری از مسائل مربوط به «معاد» منعکس است: صحنه «مرگک»

صحنه «نفخ صور» و صحنه «حضور در محشر».

نخست مى فرمايد: «و سر انجام سكرات (و بيخودى در آستانه) مرك به حق فرا مى رسد» (وَ جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ).

«سکره مرگ» حالتی است شبیه به «مستی» که بر اثر فرا رسیدن مقدمات مرگ، به صورت هیجان و انقلاب فوق العادهای به انسان دست میدهد، و گاه بر عقل او چیره می گردد، و او را در اضطراب و نا آرامی شدیدی فرو میبرد. چرا که روح سالیان دراز با این تن خو گرفته و پیوند داشته است.

على عليه السّلام ترسيم زنده و گويائي از لحظه مرگ و سكرات آن دارد، ميفرمايد:

«سکرات مرگ، تو أم با حسرت از دست دادن آنچه داشتند بر آنها هجوم می آورد، اعضای بدنشان سست می گردد، و رنگ از صورتهایشان می پرد کم کم مرگ در آنها نفوذ کرده، میان آنها و زبانشان جدائی می افکند، در حالی که او در میان برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۲۴

خانواده خویش است، با چشمش می بیند و با گوشش می شنود و عقل و هوشش سالم است، اما نمی تواند سخن بگوید! در این می اندیشد که عمرش را در چه راه فانی کرده؟ و روزگارش را در چه راهی سپری نموده است؟! به یاد ثروتهائی می افتد که در تهیه آن چشم بر هم گذارده، و از حلال و حرام و مشکوک جمع آوری نموده، و تبعات و مسؤولیت گرد آوری آن را بر دوش می کشد، در حالی که هنگام جدائی و فراق از آنها رسیده است او به دست بازماندگان می افتد، آنها از آن متنعم می شوند و بهره می گیرند اما مسؤولیت و حسابش بر اوست»؟

سپس قرآن ادامه می دهد: به کسی که در حال سکرات مرگ است گفته می شود: «این همان چیزی است که تو از آن می گریختی»! (ذلِکَ ما کُنْتَ مِنْهُ تَحِیدُ).

آری! مرگ واقعیتی است که غالب افراد از آن می گریزند، به خاطر این که آن را «فنا» میدانند، نه دریچهای به عالم «بقاء» یا به خاطر علائق و پیوندهای شدیدی که با دنیا و مواهب مادی دارند و نمی توانند از آن دل بر کنند، و یا به خاطر تاریکی نامه اعمالشان! هر چه هست از آن گریزانند، اما چه سود که این سرنوشتی است که در انتظار همگان است، و احدی را توان فرار از آن نیست.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲۰ ص: ۵۲۴

(آیه ۲۰)– سپس به مسأله نفخ صور پرداخته، میفرماید: «و در صور دمیده میشود و آن روز روز تحقق وعمده وحشتناک است» (وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ ذلِکَ یَوْمُ الْوَعِیدِ).

منظور از «نفخ صور» در اینجا همان نفخ دوم است که نفخه «قیام» و «جمع» و «حضور» است، نفخهای است که در آغاز «رستاخیز» انجام می گیرد، و با آن، همه انسانها زنده می شوند، و از قبرها برخاسته، برای حساب و جزا در محضر عدل الهی حاضر می شوند.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲۱ ص: ۵۲۴

(آیه ۲۱)- در این آیه وضع انسانها را به هنگام ورود در محشر چنین بیان می کند: «و (در آن روز) هر انسان وارد محشر می شود، در حالی که همراه او برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۲۵ حركت دهنده و گواهي است» (وَ جاءَتْ كُلَّ نَفْسِ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ).

درست همچون دادگاههای این جهان که مأموری همراه شخص متهم است و شاهدی بر اعمال او، شهادت میدهد.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲۲ ص: ۵۲۵

(آیه ۲۲) - در اینجا به مجرمان، یا به همه انسانها، خطاب می شود که: «تو از این صحنه (و دادگاه بزرگ) غافل بودی، و ما پرده را از چشم تو کنار زدیم، و امروز چشمت کاملا تیز بین است»! (لَقَدْ کُنْتَ فِی غَفْلَه ِ مِنْ هذا فَکَشَفْنا عَنْ کَ غِطاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیُوْمَ حَدِیدً).

آری! پردههای جهان ماده: آمال و آرزوها، عشق و علاقه به دنیا، زن و فرزند و مال و مقام، هوسهای سرکش و حسادتها، تعصب و جهل و لجاجت به تو اجازه نمی داد که امروز را از همان زمان بنگری، با این که نشانه های معاد و رستاخیز روشن بود و دلائل آن آشکار! امروز گرد و غبار غفلت فرو نشسته، حجابهای جهل و تعصب و لجاج کنار رفته، پرده های شهوات و آمال و آرزوها دریده شده، حتی آنچه در پرده غیب مستور بوده ظاهر گشته است.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲۳ ص: ۵۲۵

(آیه ۲۳)- همنشینان انسان از فرشتگان و شیاطین: باز در اینجا صحنه دیگری از معاد ترسیم شده، صحنه تکان دهندهای که فرشته قرین انسان، محکومیت او را بر ملا میسازد، و فرمان خداوند برای مجازات او صادر می شود.

نخست می فرماید: «فرشته همنشین او می گوید: این نامه اعمال اوست که نزد من حاضر و آماده است» و از تمام کارهای کوچک و بزرگ او در سراسر عمر پرده بر می دارد (وَ قالَ قَرِینُهُ هذا ما لَدَیَّ عَتِیدٌ).

منظور از «قرین» در اینجا فرشته ای است که در دنیا همراه انسان و مأمور ضبط اعمال اوست، و در دادگاه عدل الهی گواهی می دهد.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲۴ ص: ۵۲۵

(آیه ۲۴)- سپس خداونـد دو فرشـته مـأمور ثبت اعمـال را مخـاطب ساخته، فرمان میدهـد: «هر کافر متکبر لجوج را در جهنم افکنید» (أَلْقِیا فِی جَهَنَّمَ کُلَّ کَفَّارٍ عَنِیدٍ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۲۶

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲۵ ص: ۵۲۶

(آیه ۲۵) - در این آیه به چنـد وصف از اوصاف زشت و مـذموم این کافران عنیـد اشاره کرده، می گویـد: «همان کسـی که به شدت مانع خیر است و متجاوز، و در شک و تردید است» حتی دیگران را به تردید میافکند (مَنَّاعِ لِلْخَیْرِ مُعْتَدٍ مُرِیبٍ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲۶ ص: ۵۲۶

(آیه ۲۶)– باز در ادامه اوصاف این گروه عنیـد میافزایـد: «همان کسـی که معبود دیگری با خـدا قرار داده» و راه شـرک و دو گانگـی را پیش گرفته است (الَّذِی جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ).

آرى «او را در عذاب شديد بيفكنيد» (فَأَلْقِياهُ فِي الْعَذابِ الشَّدِيدِ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲۷ ص: ۵۲۶

(آیه ۲۷) – این آیه پرده از روی ماجرای دیگری از سرنوشت این گروه کافر لجوج بر میدارد، و آن مخاصمه و بحثی است که با شیطان در قیامت دارند، آنها تمام گناهان خویش را به گردن شیاطین اغواگر میافکنند، میفرماید: «و همنشینش (از شیاطین) می گوید: پروردگارا! من او را به طغیان وا نداشتم (و به اجبار در این راه نیاوردم او خودش با میل و اراده خویش این راه را بر گزید) و او در گمراهی دور و درازی بود» (قالَ قَرِینُهُ رَبَّنا ما أَطْغَیْتُهُ وَ لَکِنْ کَانَ فِی ضَلالٍ بَعِیدٍ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲۸ ص: ۵۲۶

(آیه ۲۸)- گر چه در این آیات تنها سخن از دفاع شیطان به میان آمده و سخنی از اعتراض کفار بر شیطان دیده نمی شود، ولی به قرینه سایر آیات قرآن که آنها در قیامت با هم جر و بحث می کنند و به قرینه آیه مورد بحث گفتار طرفین اجمالا روشن می شود، زیرا در این آیه می خوانیم: خدا «فرمود: نزد من جدال و مخاصمه نکنید، من پیشتر به شما هشدار داده ام» و اتمام حجت کرده ام (قال لا تَخْتَصِمُوا لَدَیَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَیْکُمْ بِالْوَعِیدِ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲۹ ص: ۵۲۶

(آیه ۲۹)- سپس برای تأکید بیشتر میافزاید: «سخن من تغییر ناپذیر است، و من هرگز به بندگانم ستم نخواهم کرد» (ما یُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَیَّ وَ ما أَنَا بِظَلَّام لِلْعَبِیدِ).

این آیات دلیل بر اختیار و آزادی اراده بندگان است، نه شیطان مجبور است شیطنت کند، و نه کافران مجبورند راه کفر و عناد و راه شیطان را پیش گیرند و نه سرنوشت قطعی و خارج از اراده برای کسی مقرر شده است.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۰ ص: ۵۲۶

(آیه ۳۰)- در این آیه به فراز کوتاه و تکان دهندهای از حوادث قیامت اشاره برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۲۷

کرده، می گویـد: به خاطر بیاورید «روزی را که به جهنم می گوئیم: آیا پر شدهای؟! و او می گوید: آیا افزون بر این هم هست»! (یَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِیدٍ).

این آیه به خوبی نشان میدهد که دوزخیان بسیارند و جهنم منظره هولناک و وحشتناکی دارد و تهدید الهی جدی است، و به گونهای است که فکر در باره آن لرزه بر اندام هر انسانی میافکند.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۱ ص: ۵۲۷

(آیه ۳۱) – با توجه به این که بحثهای این سوره غالبا بر محور مسأله معاد و اموری که در ارتباط با آن است دور میزند و با توجه به این که در آیات گذشته از چگونگی افکندن کفار لجوج در جهنم و شدت عذاب آنها و صفاتی که آنها را به دوزخ می کشد سخن به میان آمد، در اینجا صحنه دیگری را ترسیم می کند، صحنه داخل شدن پرهیز کاران به بهشت با احترام کامل، و اشاره به انواع نعمتهای بهشتی و صفاتی که انسان را در صف بهشتیان قرار می دهد، تا در مقایسه با یکدیگر حقایق روشنتر گردد.

نخست میفرمایید: «و در آن روز بهشت را به پرهیزکاران نزدیک میکننید و فاصلهای از آنان ندارد»! (وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِینَ غَیْرَ بَعِیدٍ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۲ ص: ۵۲۷

(آیه ۳۲)– سپس در شرح اوصاف بهشتیان می گوید: «این چیزی است که به شما وعده داده می شوید و برای کسانی است که به سوی خدا باز می گردند، و پیمانها و احکام او را حفظ می کنند» (هذا ما تُوعَدُونَ لِکُلِّ أَوَّابِ حَفِیظٍ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۳ ص: ۵۲۷

(آیه ۳۳)- در ادامه این اوصاف در این آیه به دو وصف دیگر آنها اشاره می کند- که در حقیقت توضیح و تفسیری است برای اوصاف گذشته- می فرماید:

«آن کسی که از خداونـد رحمان در نهان بترسد و با قلبی پر انابه در محضـر او حاضـر شود» (مَنْ خَشِــیَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ وَ جاءَ بِقَلْبِ مُنِيبِ).

آنها نه فقط در حضور جمع که در تنهائی و خلوت نیز مرتکب گناهی نمیشوند.

این خوف و خشیت سبب می شود که قلب آنها «منیب» باشد، دائما متوجه برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۲۸ -

خدا گردد، و به طاعت او اقبال كند، و از هر گناه و لغزشى توبه نمايد، و اين حال را تا پايان عمر ادامه دهد و با همين حالت وارد عرصه محشر گردد.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۴ ص: ۵۲۸

(آیه ۳۴) - سپس می افزاید: کسانی که دارای این چهار صفتند هنگامی که بهشت به آنها نزدیک می شود، فرشتگان الهی به عنوان احترام و اکرام به آنها می گویند: «به سلامت وارد بهشت شوید» (ادْخُلُوها بِسَلامٍ). سلامت از هر گونه بدی و ناراحتی و آفت و بلا و کیفر و عذاب، سلامت کامل از نظر جسم و جان.

سپس برای آرامش خاطر آنها اضافه می کند: «امروز، روز جاودانگی است» جاودانی نعمتها، و جاودانی بهشت با تمام مواهبش (ذلِکَ یَوْمُ الْخُلُودِ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۵ ص: ۵۲۸

(آیه ۳۵) - و به دنبال این دو موهبت - بشارت سلامت، و بشارت جاودانگی در بهشت - خداوند منان دو بشارت دیگر به آنها می دهد که مجموعا چهار بشارت است همانند چهار وصفی که آنها داشتند، می فرماید: «هر چه بخواهند در آنجا برای آنها هست» (لَهُمْ ما یَشاؤُنَ فِیها).

و علاوه بر آن «نزد ما نعمتهای بیشتری است» که به فکر هیچ کس نمیرسد (وَ لَدَیْنا مَزِیدٌ). تعبیری از این زنده تر و رساتر و دل انگیزتر تصور نمی شود.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۲۶ ص: ۵۲۸

(آیه ۳۶)- بعد از پایان گرفتن گفتگو پیرامون بهشت و دوزخ، صفات بهشتیان و دوزخیان، و درجات و درکات آنها، برای نتیجه گیری کامل از این بحث، مجرمان را مورد توجه قرار داده، میفرماید: «چه بسیار اقوامی را که پیش از آنها هلایک کردیم، اقوامی که از آنها قویتر بودند، و شهرها (و کشورها) را گشودند» اما بر اثر کفر و ظلم و بیدادگری و گناه نابود شدند (و کَمْ أَهْلَکْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِی الْبِلادِ).

«آیا هیچ راه فراری (از عذاب الهی برای این گونه افراد) وجود دارد»؟ (هَلْ مِنْ مَحِیصِ).

آیه به کفّار لجوج معاصر پیامبر صلّی اللّه علیه و اله هشدار میدهد که سری به تاریخ گذشتگان بزنند و آثار آنها را بر صفحات تاریخ و صفحه روی زمین بنگرند، ببینند برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۲۹

خداوند با اقوام سرکشی که پیش از آنها بودند چه کرد؟ اقوامی که از آنها پر جمعیت تر و با قدرت تر بودند، آنگاه به آینده خود بیندیشند.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۷ ص: ۵۲۹

(آیه ۳۷)- در این آیه برای تأکید بیشتر میافزاید: «قطعا در این (سرگذشت پیشینیان) تذکر است، برای آن کس که عقل دارد، یا گوش فرا دهد در حالی که حاضر باشد»! (إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِكْری لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَی السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِیدٌ).

منظور از «قلب» در اینجا و در دیگر آیات قرآن که بحث از درک مسائل میکند همان «عقل» و شعور و ادراک است.

مجموع آیه چنین معنی می دهد، دو گروه می توانند از این مواعظ، پند و اندرز گیرند، نخست آنها که دارای ذکاوت و عقل و هوشند، و خود مستقلا می توانند مسائل را تحلیل کنند، و دیگر کسانی که در این حد نیستند اما می توانند «مستمع» خوبی برای دانشمندان باشند، و با حضور قلب به سخنان آنها گوش فرا دهند و حقایق را از طریق ارشاد و راهنمائی آنها فرا گیرند.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۸ ص: ۵۲۹

(آیه ۳۸)– آفریدگار آسمانها و زمین قادر بر احیای مردگان است در تعقیب آیات گذشته و دلائل مختلفی که در باره معاد در آن آن به پیامبر صلّی اللّه علیه و اله دستور صبر و شکیبائی و تسبیح و حمد پروردگار میدهد، تا کار شکنیهای مخالفان را از این طریق تحمل و خنثی کند.

نخست میفرماید: «و ما آسمانها و زمین و آنچه را در میان آن است در شـش روز [شش دوران] آفریدیم، و هیچ گونه رنج و سختی به ما نرسید»! (وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما فِی سِتَّهِ أَیّام وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبِ). بدیهی است کسی که قدرتش محدود است اگر بخواهد کاری انجام دهد که بیش از توان او باشد خسته و درمانده و وامانده می شود، ولی در مورد وجودی که قدرتش نامحدود و توانائیش بی نهایت است این امور مفهومی ندارد.

بنابر این چنین کسی توانائی دارد که انسان را بعد از مردن بار دیگر به حیات باز گرداند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۳۰

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۳۹ ص: ۵۳۰

(آیه ۳۹)- بعد از ذکر دلائل مختلف معاد و ترسیم صحنه های مختلفی از قیامت چون به هر حال گروهی تسلیم حق نیستند و لجاجت و پا فشاری بر باطل دارند پیامبر صلّی الله علیه و اله را مخاطب قرار داده، می گوید: «در برابر آنچه آنها می گویند شکیبا باش» (فَاصْبِرْ عَلی ما یَقُولُونَ).

چرا که تنها با نیروی صبر و استقامت می توان بر این مشکلات پیروز شد، و توطئه های دشمن را درهم شکست، و نسبتهای ناروای آنها را در مسیر حق تحمل کرد.

و از آنجا که صبر و استقامت نیاز به پشتوانهای دارد، و بهترین پشتوانه یاد خدا و ارتباط با مبدأ علم و قدرت جهان آفرین است در دنبال این دستور میافزاید:

«و پیش از طلوع آفتاب و پیش از غروب تسبیح و حمـد پروردگارت را به جا آور» (وَ سَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّکَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴۰ ص: ۵۳۰

(آیه ۴۰)– همچنین «در بخشی از شب او را تسبیح کن و بعد از سجدهها» (وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ أَدْبارَ السُّجُودِ).

این یاد مداوم و تسبیح مستمر همچون قطرههای حیاتبخش باران بر سرزمین قلب و جان تو میریزد، و آن را سیراب می کند، دائما به تو نشاط و حیات میبخشد و به استقامت در مقابل مخالفان لجوج دعوت می کند.

تسبیح خداوند در این مواقع چهار گانه اشاره به نمازهای پنجگانه روزانه و بعضی از نوافل پر فضیلت است، به این ترتیب که «قَبْلَ طُلُوع الشَّمْسِ» اشاره به نماز صبح است، زیرا آخر وقت آن طلوع آفتاب میباشد.

«وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ» اشاره به نماز ظهر و عصر است، چرا که آخر وقت هر دو غروب آفتاب است.

«وَ مِنَ اللَّيْ لِ» نماز مغرب و عشا را بيان مى كند، «وَ أَدْبارَ السُّجُودِ» نظر به نافله هاى مغرب دارد كه بعد از مغرب به جا آورده مى شود.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴۱ ص: ۵۳۰

(آیه ۴۱)- با صبیحه رستاخیز همه زنده می شوند: در این آیه همانند سایر آیات این سوره تکیه بر مسأله معاد و رستاخیز شده و باز گوشه دیگری از آن را برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۳۱

مطرح می کند، و آن مسأله نفخ صور و خروج مردگان از قبر است.

مى فرمايىد: «و گوش فرا ده و منتظر روزى باش كه منادى از مكانى نزديك نىدا مى دهىد» (وَ اسْ تَمِعْ يَوْمَ يُنادِ الْمُنادِ مِنْ مَكانٍ

قَرِيبٍ).

یعنی این صدا آن چنان در فضا پخش می شود که گویی بیخ گوش همه است.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴۲ ص: ۵۳۱

(آیه ۴۲)– «روزی که همگان صیحه رستاخیز را به حق میشنوند، آن روز، روز خروج (از قبرها) است»! (یَوْمَ یَسْمَعُونَ الصَّیْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِکَ یَوْمُ الْخُرُوجِ).

مخاطب در «و استمع» (گوش فرا ده) گر چه شخص پیامبر صلّی اللّه علیه و اله است ولی مسلما مقصود همه انسانها هستند. و منظور از «گوش فرادادن» یا انتظار کشیدن است، زیرا کسانی که در انتظار حادثهای به سر میبرند که با صدای وحشتناکی شروع می شود دائما گوش فرا می دهند، و منتظرند. و یا منظور گوش فرا دادن به این سخن الهی است، و معنی چنین می شود: «این سخن را بشنو که پروردگارت در باره صبحه رستاخیز می گوید».

این منادی همان «اسرافیل» است که در «صور» می دمد، و در آیات قرآن نه با نام بلکه با تعبیرات دیگری به او اشاره شده است.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴۳ ص: ۵۳۱

(آیه ۴۳) – و برای این که روشن شود حاکم در این دادگاه بزرگ کیست؟ میافزاید: «مائیم که زنده میکنیم و میمیرانیم و بازگشت تنها به سوی ماست» (إِنَّا نَحْنُ نُحْیِی وَ نُمِیتُ وَ إِلَیْنَا الْمَصِیرُ).

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴۴ ص: ۵۳۱

(آیه ۴۴)- سپس برای توضیح بیشتر در باره بازگشت مردم به سوی خداوند میفرماید: «روزی که زمین بسرعت از روی آنها کافته میشود و (از قبرها) خارج می گردند» (یَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً).

و در پایان آیه میافزاید: «و این جمع کردن (مردم در قیامت) برای ما آسان است» (ذلِکُ حَشْرٌ عَلَیْنا یَسِیرٌ).

روشن است خداوندی که آفریننده آسمانها و زمین و آنچه در میان آن دو است حشر و نشور مردگان برای او کار سادهای می باشد.

سورهٔ ق(۵۰): آیهٔ ۴۵ ص: ۵۳۱

(آیه ۴۵) - و در این آیه که آخرین آیه این سوره است بار دیگر به پیامبرش در برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۳۲ مقابل مخالفان سرسخت و لجوج تسلی و دلداری می دهد و می فرماید: «ما به آنچه آنها می گویند آگاهتریم» (نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ).

«و تو مأمور اجبار آنها (به ایمان) نیستی» (وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارِ).

وظیفه تو تنها ابلاغ رسالت، و دعوت به سوی حق و بشارت و انـذار است «پس به وسـیله قرآن، کسـانی را که از عـذاب من می ترسند متذکر ساز» (فَلَـکُـوْ بِالْقُوْآنِ مَنْ یَخافُ وَعِیدِ). اشاره به این که قرآن برای انـذار و بیـدار ساختن افراد مؤمن کافی است هر صفحهای از آن یاد آور قیامت، و آیات مختلفش بازگو کننـده سـرنوشت پیشـینیان و توصیفهایش از مواهب بهشتی و عذابهای دوزخی و حوادثی که در آسـتانه رسـتاخیز و در دادگاه عدل الهی واقع میشود بهترین پند و اندرز برای همگان است.

«پایان سوره ق»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۳۳

سوره ذاریات [۵۱] ص: ۵۳۳

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۶۰ آیه است

محتوای سوره: ص: ۵۳۳

محور بحث در این سوره در درجه اول، مسائل مربوط به معاد و رستاخیز و پاداش و کیفر مؤمنان و مجرمان است، و بطور کلی می توان گفت مباحث این سوره بر پنج محور زیر دور می زند:

۱- قسمت مهمی از آن را مباحث معاد تشکیل میدهد یعنی آغاز و پایان سوره با معاد است.

۲- بخش دیگری از این سوره نیاظر به مسأله توحید و آییات و نشانههای خیدا در نظام آفرینش است که طبعا بحثهای معاد را تکمیل میکند.

۳- در بخش دیگر، از داستان فرشتگانی که میهمان ابراهیم (ع) شدند و مأمور درهم کوبیدن شهرهای قوم لوط بودند بحث می کند.

۴- آیات دیگری از این سوره اشارات کوتاهی به داستان موسی (ع) و قوم عاد و ثمود و قوم نوح دارد.

۵- و بالاخره قسمت دیگری از این سوره، مبارزه اقوام متعصب و لجوج را با انبیاء گذشته بازگو کرده، و پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و اله را که در برابر مخالفین سر سخت قرار داشت از این طریق دلداری میدهد، و دعوت به استقامت می کند.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۵۳۳

در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام آمده است: «هر کس سوره ذاریات را در روز یا شب بخواند خداوند وضع زندگی و معیشت او را اصلاح برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۳۴

می کند، روزی وسیعی به او میدهد، و قبر او را با چراغی روشن میسازد که تا روز قیامت میدرخشد»! کرارا گفته ایم تنها لقلقه زبان برای رسیدن به این همه پاداش عظیم کافی نیست بلکه هدف تلاوتی است اندیشه برانگیز، و اندیشه ای عمل آفرین! ضمنا نامگذاری سوره به «ذاریات» به تناسب نخستین آیه این سوره است.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الذاريات(٥١): آية ١ ص: ٥٣٤

(آیه ۱)- سوگند به طوفانها و ابرهای باران زا! بعد از سوره «و الصّافات» این دومین سورهای است که با سوگندهای مکرّر آغاز می شود، سوگندهائی پر معنی و تفکر آفرین، سوگندهائی بیدار کننده و آگاهی بخش.

جالب این که محتوای این سوگندها ربط خاصی با مباحث رستاخیز دارد، و با ظرافت و زیبائی مخصوصی این بحث مهم را از جوانب گوناگون تعقیب می کند.

حقیقت این است که سوگندهای قرآن که تعداد آن زیاد است یکی از چهرههای اعجاز این کتاب آسمانی و از زیباترین و درخشنده ترین فرازهای آن است که شرح هر کدام در جای خود خواهد آمد.

در آغاز این سوره خداوند به پنج موضوع مختلف سوگند یاد کرده است.

نخست می فرماید: «سوگند به بادهائی که (ابرها را) به حرکت در می آورند» (وَ الذَّارِیاتِ ذَرْواً). و گرد و غبارها و بذر گیاهان و نطفههای گلها را در روی زمین به هر سو می پراکنند.

سورة الذاريات(٥١): آية ٢ ص: ٥٣٤

(آیه ۲)– سپس میافزاید: «سوگند به آن ابرها که بار سنگینی (از باران را) با خود حمل میکنند» (فَالْحامِلاتِ وِقْراً).

سورة الذاريات (٥١): آية ٣ ص: ٥٣٤

(آیه ۳)- «و سوگند به کشتیهائی که (بر رودخانههای عظیم و صفحه دریاها) به آسانی به حرکت در می آیند» (فَالْجارِیاتِ یُشراً).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۳۵

سورهٔ الذاریات(۵۱): آیهٔ ۴ ص: ۵۳۵

(آیه ۴)- «و سو گند به فرشتگانی که کارها را تقسیم می کنند» (فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً).

به این ترتیب سخن از بادها، سپس ابرها، و بعد از آن نهرها، و سر انجام روئیدن گیاهان است که تناسب نزدیکی با مسأله معاد که بعد از آن آمده دارد، زیرا میدانیم که یکی از دلائل امکان معاد مسأله زنده کردن زمینهای مرده به وسیله نزول باران است که بارها در قرآن با عبارات مختلف ذکر شده است.

سورة الذاريات(٥١): آية ٥ ص: ٥٣٥

(آیه ۵)- بعد از ذکر این چهار سوگند- که همه بیانگر اهمیت مطلبی است که بعد از آن می آید- می فرماید: «آنچه به شما وعده داده شده قطعا راست است» (إنَّما تُوعَدُونَ لَصادِقٌ).

سورة الذاريات(٥١): آية 6 ص: 330

(آیه ۶)- و بار دیگر به عنوان تأکید می افزاید: «و بی شک (رستاخیز و) جزای اعمال واقع شدنی است» (وَ إِنَّ الدِّینَ لَواقِعٌ). «دین» در اینجا به معنی جزاست، و اصولا یکی از نامهای قیامت «یوم الدّین» (روز جزا) است و از آن روشن می شود که منظور از وعده های واقع شدنی در اینجا و عده های مربوط به قیامت و حساب و پاداش و کیفر و بهشت و دوزخ و سایر امور مربوط به معاد است، بنابر این جمله اول تمام و عده های قیامت را شامل می شود، و جمله دوم تأکیدی است بر مسأله جزا.

سورة الذاريات(۵۱): آية ٧ ص: ٥٣٥

(آیه ۷)- سوگند به آسمان و چین و شکنهای زیبایش! این آیه همچون آیات گذشته با سوگند شروع می شود، نخست می فرماید:

«سو گند به آسمان که دارای چین و شکنهای زیباست» (وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُکِ).

سورة الذاريات(۵۱): آية ۸ ص: ۵۳۵

(آیه ۸)- این آیه به جواب قسم یعنی مطلبی که به خاطر آن سوگند یاد شده است پرداخته، میافزاید: «همه شما (در باره قیامت) در گفتاری مختلف و گوناگون هستید» (إِنَّكُمْ لَفِی قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ). پیوسته ضد و نقیض می گوئید، و همین تناقض گوئی دلیل بر بی پایه بودن سخنان شماست.

در مورد معاد، گاه می گوئید: ما اصلا باور نمی کنیم که استخوانهای پوسیده زنده شوند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۳۶ و گاه می افزایید: پـدران و نیاکان ما را بیاوریـد تا گواهی دهند بعد از مرگ قیامت و رسـتاخیزی در کار است تا قبول کنیم! و در مورد پیامبر اسلام صلّی الله علیه و اله گاه می گوئید: دیوانه است، گاه شاعرش میخوانید، گاه ساحرش مینامید.

همچنین در مورد قرآن گاه آن را «اساطیر الاولین» (افسانهها و خرافات پیشینیان) مینامید گاهی شعرش میخوانید، و گاه سحر، و گاه دروغ! این تعبیر در حقیقت استدلالی است بر بطلان ادعاهای مخالفان در مورد توحید و معاد و پیامبر و قرآن- هر چند تکیه اصلی این آیات به قرینه آیاتی که بعدا می آید روی مسأله معاد است.

سورهٔ الذاریات(۵۱): آیهٔ ۹ ص: ۵۳۶

(آیه ۹) - در این آیه علت این انحراف از حق را بیان کرده، می فرماید:

« (تنها) كسى از ايمان به آن منحرف مى شود كه از قبول حق، سرباز مى زند» و گر نه دلائل زندگى بعد از مرگ آشكار است (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ).

با توجه به این که در آیات قبل سخن از رستاخیز در میان بود معلوم است که منظور اصلی انحراف از این عقیده است، و نیز از آنجا که در آیه گذشته سخن از گفتگوهای ضد و نقیض کافران در میان بود معلوم می شود منظور در اینجا کسانی است که از منطق و دلیل روشن منحرف می شوند.

بنـابر این مجموع آیه چنین معنی میدهـد: کسـانی از ایمان به معاد منحرف میشونـد که از مسـیر دلیل عقل و منطق حق طلبی منحرف گشتهاند.

سورة الذاريات(٥١): آية ١٠ ص: ٥٣٦

(آیه ۱۰)– در این آیه دروغگویان و دروغ پردازان را شدیدا مورد مذمت و تهدید قرار داده، می گوید: «کشته باد دروغگویان» و مرگ بر آنها! (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ).

منظور از «خرّاصون» کسانی هستند که غرق جهل و نادانی خویشند، و برای فرار از زیر بار حق هر روز بهانه و سخن بیاساسی را عنوان می کنند.

اصولاً قضاوتهائی که مدرک روشنی ندارند و بر پایه حدس و تخمین و گمانهای بیاساس است کاری است گمراه کننده و مستحق نفرین و عذاب.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۳۷

سورة الذاريات(٥١): آية ١١ ص: ٥٣٧

(آیه ۱۱)– سپس به معرفی این دروغگویان پرداخته، میافزایـد: «همانها که در جهل و غفلت فرو رفتهاند» (الَّذِینَ هُمْ فِی غَمْرَةٍ ساهُونَ).

سورة الذاريات(٥١): آية ١٢ ص: ٥٣٧

(آیه ۱۲)– «و (از این رو) پیوسته سؤال میکنند: روز جزا چه موقع است» و قیامت کی خواهد آمد؟ (یَشْئُلُونَ أَیَّانَ یَوْمُ الدِّینِ). این سخن به آن میماند که بیماری از طبیب مرتبا سؤال کند پایان عمر من چه روزی خواهد بود؟

هر کس این سؤال را بیاساس میداند، و می گوید مهم این است که بدانی مرگ حق است تا خود را درمان کنی مبادا گرفتار «مرگ زودرس» شوی.

سورة الذاريات(٥١): آية ١٣ ص: ٥٣٧

(آیه ۱۳)- ولی با این حال قرآن به آنها پاسخ کوبندهای داده، می گوید:

(آرى) همان روزى است كه آنها را بر آتش مي سوزانند»! (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ).

سورهٔ الذاريات(۵۱): آيهٔ ۱۴ ص: ۵۳۷

(آیه ۱۴)- و به آنها گفته می شود: «بچشید عذاب خود را، این همان چیزی است که برای آن شتاب داشتید» (ذُوقُوا فِتْنَتَکُمْ هذَا الَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ).

سورة الذاريات(٥١): آية ١٥ ص: ٥٣٧

(آیه ۱۵)– پاداش سحر خیزان نیکو کار! در تعقیب آیات گذشته که سخن از دروغگویان جاهل و منکران قیامت و رستاخیز و

عـذاب آنهـا در میان بود، در اینجا از مؤمنان پرهیزکار و اوصاف و پاداش آنها سـخن می گویـد، تا در مقایسه با یکـدیگر - آن چنان که روش قرآن است - حقائق روشنتر شود.

مى فرمايد: «به يقين پرهيز كاران در باغهاى بهشت و در ميان چشمه ها قرار دارند» (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ).

درست است که باغ طبیعتا دارای نهرهای آب است، اما لطفش در این است که چشمهها از درون خود باغ بجوشد، و درختان را دائما مشروب کند، این امتیازی است که باغهای بهشت دارد، نه یک نوع چشمه که انواع مختلفی از چشمهها در آن موجود است.

سورة الذاريات(٥١): آية ١٦ ص: ٥٣٧

(آیه ۱۶) – سپس به نعمتهای دیگر بهشتی اشاره کرده و به صورت سر بسته برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۳۸ می گوید: «و آنچه پروردگارشان به آنها بخشیده دریافت میدارند» (آخِذِینَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ).

يعني آنها با نهايت ميل و اشتياق و كمال رضا و رغبت و خشنودي اين مواهب الهي را پذيرا ميشوند.

و در دنبال آیه می افزاید: این پاداشهای عظیم بی جهت نیست «زیرا آنها پیش از آن (در سرای دنیا) از نیکو کاران بودند» (إِنَّهُمْ کانُوا قَبْلَ ذلِکَ مُحْسِنِینَ).

احسان و نیکو کاری که در اینجا آمده معنی وسیعی دارد که هم اطاعت خدا را شامل میشود و هم انواع نیکیها به خلق خدا.

سورة الذاريات(٥١): آية ١٧ ص: ٥٣٨

(آیه ۱۷)- از این به بعد به توضیح چگونگی نیکو کار بودن آنها پرداخته، سه وصف را از میان اوصاف آنها بیان می کند. نخست این که: «آنها کمی از شب را میخوابیدند» (کانُوا قَلِیلًا مِنَ اللَّیْلِ ما یَهْجَعُونَ).

یعنی همه شب، بخشی را بیدار بودند و به عبادت و نماز شب میپرداختند و شبهائی را که تماما در خواب باشند و عبادت شبانه از آنها بکلی فوت شود کم بوده است.

سورة الذاريات(٥١): آية ١٨ ص: ٥٣٨

(آیه ۱۸) – دومین وصف آنها را چنین بیان می کند: «و در سحر گاهان استغفار می کردند» (وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ). در آخر شب که چشم غافلان در خواب است، و محیط از هر نظر آرام، قال و غوغای زندگی مادی فرو نشسته، و عواملی که فکر انسان را به خود مشغول دارد خاموش است بر میخیزند، و به درگاه خدا می روند، در پیشگاه معبود به راز و نیاز می پردازند، نماز می خوانند، و مخصوصا از گناهان خود استغفار می کنند.

سورة الذاريات(۵۱): آية ۱۹ ص: ۵۳۸

(آیه ۱۹)- سپس به سومین وصف پرهیز کاران بهشتی اشاره کرده، می افزاید: «و در اموال آنها حقّی برای سائل و محروم بود» (وَ فِی أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُوم).

تعبیر به «حقّ» در اینجا یا به خاطر این است که خداوند بر آنها لازم شمرده برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۳۹ است – مانند زکات و خمس و سایر حقوق واجب شرعی – و یا آنها خود بر خویشتن الزام کردهاند و تعهد نمودهاند و می توان گفت که فرق نیکو کاران با دیگران آن است که آنها این حقوق را ادا می کنند در حالی که دیگران مقید به آن نیستند. در روایاتی که از منابع اهل بیت علیهم السّلام رسیده تأکید شده که منظور از «حق معلوم» چیزی غیر از زکات واجب است. در فرق میان «سائل» و «محروم» جمعی گفتهاند: «سائل» کسی است که از مردم تقاضای کمک می کند، ولی «محروم» شخص آبرومندی است که برای معیشت خود نهایت تلاش و کوشش را به خرج می دهد اما دستش به جائی نمی رسد و کسب و کار و زندگیش به هم پیچیده است و با این حال خویشتنداری کرده، از کسی تقاضای کمک نمی کند.

به هر حال این تعبیر اشاره به این نکته است که هرگز منتظر ننشینید نیازمندان نزد شما آیند و تقاضای کمک کنند، بر شماست که جستجو کنید و افراد آبرومند محروم را پیدا کنید، و به آنها کمک نموده، گره مشکلاتشان را بگشائید و آبرویشان را حفظ نمایید.

سورة الذاريات(۵۱): آية ۲۰ ص: ۵۳۹

(آیه ۲۰)- نشانه های خدا در وجود شماست آیا نمی بینید؟

در تعقیب آیات پیشین که پیرامون مسأله معاد و صفات دوزخیان و بهشتیان سخن می گفت در اینجا سخن از نشانه های خدا در زمین و در وجود خود انسان است، تا از یکسو به مسأله توحید و شناخت خدا و صفات او که مبدأ حرکت به سوی همه خیرات است آشنا شوند، و از سوی دیگر به قدرت او بر مسأله معاد و زندگی پس از مرگ، چرا که خالق حیات در روی زمین و این همه عجائب و شگفتیها قادر بر تجدید حیات نیز می باشد.

نخست مىفرمايد: «و در زمين آياتى براى جويندگان يقين است» (وَ فِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ).

به راستی نشانههای حق و قدرت بی پایان و علم و حکمت نا محدود خدا در بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۴۰ همین کره خاکی آنقدر فراوان است که عمر هیچ انسانی برای شناخت همه آنها کافی نیست.

بد نیست در اینجا به گوشهای از سخنان یکی از دانشمندان معروف جهان که در این زمینه مطالعات زیادی دارد گوش فرا دهیم.

کرسی موریسین می گوید: «در تنظیم عوامل طبیعی منتهای دقت و ریزه کاری به کار رفته است، مثلا اگر قشر خارجی کره زمین ده پا ضخیمتر از آنچه هست میبود اکسیژن- یعنی ماده اصلی حیات- وجود پیدا نمی کرد، یا هر گاه عمق دریاها چند پا بیشتر از عمق فعلی بود آن وقت کلیه اکسیژن و کربن زمین جذب می شد و دیگر امکان هیچ گونه زندگی نباتی و یا حیوانی در سطح خاک باقی نمی ماند».

و در جای دیگر می گوید: «تنها بیست و یک در صد از هوای اطراف زمین اکسیژن است ... اگر مقدار اکسیژن موجود در هوا به جای بیست و یک در صد بنجاه در صد بود تمام مواد سوختنی این عالم محترق می شد، و اگر جرقهای به درختی در جنگلی می رسید، تمام جنگل بطور کامل می سوخت»!

سورة الذاريات(۵۱): آية ۲۱ ص: ۵۴۰

(آیه ۲۱) - در این آیه می افزاید: «و در وجود خود شما» نیز آیاتی است (وَ فِی أَنْفُسِكُمْ).

«آیا (چشم باز نمی کنید و این همه آیات و نشانهای آشکار حق را) نمی بینید»؟! (أَ فَلا تُبْصِرُونَ).

بدون شک انسان اعجوبه عالم هستی است و آنچه در عالم کبیر است در این عالم صغیر نیز وجود دارد، بلکه عجایبی در آن است که در هیچ جای جهان نیست.

دستگاههائی که در بدن انسان است مانند قلب و کلیه و ریه و مخصوصا دهها هزار کیلو متر! رگهای درشت و باریک و حتی مویرگهائی که با چشم دیده نمی شود، و مسؤول آبرسانی و تغذیه و تهویه «ده میلیون میلیارد» سلول تن انسان هستند، و حواس مختلفی مانند بینائی و شنوائی و حواس دیگر هر کدام آیتی عظیم از آیات اوست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۴۱ و از همه مهمتر معمای «حیات» که اسرار آن همچنان ناشناخته مانده، و ساختمان روح و عقل انسان است که عقول همه انسانها از درک آن عاجز است.

و لذا پیغمبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و اله فرمود: «كسى كه خویش را بشناسد خدای خویش را شناخته است».

سورهٔ الذاريات(۵۱): آيهٔ ۲۲ ص: ۵۴۱

(آیه ۲۲)- در این آیه به سومین بخش از نشانه های عظمت پروردگار و قدرت او بر معاد اشاره کرده، می فرماید: «و روزی شما در آسمان است، و آنچه به شما وعده داده می شود» (وَ فِی السَّماءِ رِزْقُکُمْ وَ ما تُوعَدُونَ).

مفهوم «رزق» هم باران را شامل می شود، هم نور آفتاب را که از آسمان به سوی ما می آید و نقش آن در حیات و زندگی فوق العاده حساس است، و همچنین هوا را که مایه حیات همه موجودات زنده است.

چیزی که مانع بصیرت آدمی می شود، همان حرص برای روزی است خداونـد در این آیه به انسان اطمینان می دهـد که روزی او تضمین شده است، تا بتواند با خیال راحت به شگفتیهای جهان هستی بنگرد.

به هر حال سه آیه فوق ترتیب لطیفی دارد: آیه نخست از عوامل وجود انسان در کره زمین سخن می گوید، و آیه دوم از خود وجود انسان، و آیه سوم از عوامل دوام و بقاء او.

سورة الذاريات(٥١): آية ٢٣ ص: ٥٤١

(آیه ۲۳) - لذا برای تأکید مطلب در این آیه سو گند یاد کرده، می گوید:

«سوگند به پروردگار آسمان و زمین که این مطلب حق است، همان گونه که شما سخن میگوئید» (فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ).

کار به جائی رسیده است که خداوند با آن عظمت و قدرتش برای اطمینان دادن به بندگان شکاک و دیر باور و ضعیف النفس و حریص سوگند یاد می کند که آنچه به شما در زمینه رزق و روزی و وعدههای ثواب و عقاب قیامت وعده داده شده همه حق است، و هیچ شک و تردیدی در آن نیست.

سورة الذاريات(۵۱): آية ۲۴ ص: ۵۴۱

(آیه ۲۴)- میهمانان ابراهیم (ع): از این به بعد گوشههائی از سرگذشت انبیا و اقوام پیشین برای تأکید و تأیید مطالب گذشته

مطرح می شود، و نخستین فراز آن برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۴۲

سر گذشت فرشتگانی است که برای عذاب قوم لوط در شکل آدمیان بر ابراهیم (ع) ظاهر شدند، و او را بشارت به تولد فرزندی دادند با این که ابراهیم به سن پیری رسیده بود و همسرش نیز مسن و نازا بود.

از یکسو عطا کردن این فرزنـد برومند در این سن و سال به این پدر و مادر پیر و فرتوت تأکیدی است برای آنچه در باره مقدر بودن سایر روزیها که در آیات گذشته آمد.

و از سوی دیگر دلیلی است بر قدر و توانائی حق، و آیتی است از آیات خدا شناسی که در آیات گذشته از آن بحث شده است.

و از سوی سوم بشارتی است برای اقوام با ایمان که مشمول حمایت حق هستند، همان گونه که آیات بعد که سخن از عذاب هولناک قوم لوط می گوید هشدار و تهدیدی است برای مجرمان بی ایمان.

نخست روی سخن را به پیامبر کرده، میفرماید: «آیا خبر مهمانهای بزرگوار ابراهیم به تو رسیده است»؟! (هَلْ أَتَاکَ حَدِیثُ ضَیْفِ إِبْراهِیمَ الْمُكْرَمِینَ).

سورة الذاريات(٥١): آية ٢٥ ص: ٥٤٢

(آیه ۲۵)– سپس به شرح حال آنها پرداخته، می گوید: «در آن زمان که بر او وارد شدند و گفتند: سلام بر تو! او گفت: سلام بر شما که جمعیتی نا شناختهاید»! (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ).

سورة الذاريات(٥١): آية ٢٦ ص: ٥٤٢

(آیه ۲۶)- به هر حال ابراهیم میهمان نواز و پر سخاوت، برای پذیرائی میهمانان خود فورا دست به کار شد، «پس پنهانی به سوی خانواده خود رفت و گوساله فربه (و بریان شدهای را برای آنها) آورد» (فَراغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِینٍ).

چرا ابراهیم چنین کرد؟ برای این که ممکن بود اگر میهمانان متوجه شوند مانع از چنین پذیرائی پر هزینهای گردند.

اما چرا ابراهیم برای میهمانهای معدود که به گفته بعضی سه نفر و حد اکثر دوازده نفر بودند غذای فراوان و مفصل تهیه کرد، این به خاطر آن است که معمولا اشخاص سخاوتمند هر گاه میهمانی برای آنها فرا رسد تنها به اندازه میهمانان غذا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۴۳

تهیه نمی کنند، بلکه غذائی فراهم میسازند که علاوه بر میهمانان تمام کسانی که برای آنان کار می کنند در آن شریک و سهیم باشند، و حتی همسایگان و نزدیکان و اطرافیان دیگر را هم در نظر می گیرند.

سورة الذاريات(٥١): آية ٢٧ ص: ٥٤٣

(آیه ۲۷)- ابراهیم شخصا این غذا را برای میهمانان آورد «و نزدیک آنها گذارد» (فَقَرَّبَهُ إِلَیْهِمْ). ولی با تعجب دید که آنها دست به سوی غذا نمیبرند «گفت: آیا شما غذا نمیخورید»؟! (قالَ أَ لا تَأْكُلُونَ).

سورة الذاريات(۵۱): آية ۲۸ ص: ۵۴۳

(آیه ۲۸)- ابراهیم تصور می کرد آنها از جنس بشرند و هنگامی که دید دست به سوی غذا نمی برند «از آنان احساس وحشت کرد» (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِیفَةً).

زیرا در آن زمان و امروز هم در میان بسیاری از اقوام- که پایبند به اخلاق سنتی هستند- هر گاه کسی از غذای دیگری بخورد به او آزاری نمیرسانـد و خیانتی نمی کنـد. و اگر میهمان دست به غـذا نبرد این گمان پیـدا میشـد که او برای کار خطرناکی آمده است.

در اینجا میهمانـان- همان گونه که در آیه ۷۰ سوره هود آمـده است- «به او گفتنـد: نترس» ما رسولان و فرشـتگان پروردگار توایم (قالُوا لا تَخَفْ).

سپس مى افزايد: «و او را بشارت به تولد پسرى دانا دادند» (وَ بَشَّرُوهُ بِغُلامِ عَلِيمٍ).

بدیهی است فرزند به هنگام تولد «عالم» نیست، اما ممکن است استعدادی در او باشد که در آینده عالم و دانشمند بزرگی شود، و منظور در اینجا همین است.

و مشهور این است که این فرزند «اسحاق» بوده است.

سورة الذاريات(٥١): آية ٢٩ ص: ٥٤٣

(آیه ۲۹)– «در این هنگام همسرش جلو آمد در حالی که (از خوشحالی و تعجب) فریاد میکشید به صورت خود زد و گفت: (آیا پسری خواهم آورد در حالی که) پیر زنی نازا هستم» (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِی صَرَّةٍ فَصَکَّتْ وَجْهَها وَ قالَتْ عَجُوزٌ عَقِیمٌ).

سورة الذاريات(۵۱): آية ۳۰ ص: ۵۴۳

(آیه ۳۰)– ولی قرآن در این آیه پاسخ فرشتگان را به او نقل می کند: «گفتند: برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۴۴ پروردگارت چنین گفته است و او حکیم و داناست» (قالُوا کَذلِکَ قالَ رَبُّکِ إِنَّهُ هُوَ الْحَکِیمُ الْعَلِیمُ).

گر چه تو پیر زن فرتوتی هستی و شوهرت نیز چنین است، اما هنگامی که فرمان پروردگار تو صادر شود و ارادهاش به چیزی تعلق گیرد بدون تردید تحقق مییابد

آغاز جزء ۲۷ قرآن مجید ص: ۵۴۴

ادامه سوره ذاریات ص: ۵۴۴

سورة الذاريات(۵۱): آية ۳۱ ص: ۵۴۴

(آیه ۳۱)– شهرهای بلا دیده قوم لوط آیت و عبرتی است: در تعقیب ماجرای ورود فرشتگان بر ابراهیم و بشارت دادن به او در باره تولد اسحاق بحث از گفتگویی است که میان «ابراهیم» و «فرشتگان» در باره قوم «لوط» در گرفت.

توضیح این که: ابراهیم پس از تبعید به شام، به دعوت مردم به سوی خداوند و مبارزه با هر گونه شرک و بت پرستی ادامه میداد، حضرت «لوط» که از پیامبران بزرگ بود در عصر او میزیست و احتمالاً از سوی او مأموریت یافت که برای تبلیغ و هدایت گمراهان به یکی از مناطق شام (یعنی شهرهای سدوم) سفر کند، او در میان قوم گنهکاری آمد که آلوده به شرک و گناهان بسیاری بودند، و از همه زشت تر گناه همجنس بازی و لواط بود سر انجام گروهی از فرشتگان مأمور هلاک این قوم شدند اما قبلا نزد ابراهیم آمدند.

ابراهیم از وضع میهمانان فهمید اینها به دنبال کار مهمی میروند، و تنها برای بشارت تولد فرزند نزد او نیامدهاند، چرا که برای چنین بشارتی یک نفر کافی بود، و یا به خاطر عجلهای که در حرکت داشتند احساس کرد مأموریت مهمی دارند. لذا در آیه مورد بحث می گوید: ابراهیم «گفت: مأموریت شما چیست ای فرستادگان» خدا؟ (قالَ فَما خَطْبُکُمْ أَیُّهَا الْمُرْسَلُونَ).

سورة الذاريات(٥١): آية ٣٢ ص: ٥٤٣

(آیه ۳۲)– فرشتگان پرده از روی مأموریت خود برداشته، و به ابراهیم «گفتند: ما به سوی قوم مجرمی فرستاده شدهایم» (قالُوا إِنَّا أُرْسِـ لْنا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِینَ). قومی که علاوه بر فساد عقیـده گرفتار انواع آلودگیها و گناهان مختلف برگزیـده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۴۵

زشت و ننگینی هستند

سورهٔ الذاريات(۵۱): آيهٔ ٣٣ ص: ۵۴۵

(آیه ۳۳) – سپس افزودند: ما مأموریت داریم «تا بارانی از سنگ گل بر آنها بفرستیم» (لِنُوْسِلَ عَلَیْهِمْ حِجارَهٔ مِنْ طِینٍ). تعبیر به «حِجارَهٔ مِنْ طِینٍ» (سنگی از گل) همان چیزی است که در آیه ۸۲ سوره هود به جای آن «سجیل» آمده است، و در مجموع شاید اشاره به این معنی است که برای نابود کردن این قوم مجرم حتی نیازی به نازل کردن صخره های عظیم از آسمان نبود، بلکه بارانی از ریگهای کوچک و نه چندان محکم و مانند دانه های باران بر آنها فرو بارید.

سورة الذاريات(٥١): آية ٣٤ ص: ٥٤٥

(آیه ۳۴)– سپس افزودند: «سنگهائی که از ناحیه پروردگارت برای اسرافکاران نشان گذاشته شده است» (مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکَ لِلْمُسْرِفِينَ).

سورة الذاريات(٥١): آية ٣٥ ص: ٥٤٥

(آیه ۳۵)- قرآن در اینجا دنباله ماجرای این رسولان پروردگار را- که نزد حضرت لوط آمدند و به عنوان میهمانانی بر او وارد شدند، و قوم بی شرم به گمان این که آنها جوانانی زیبا روی از جنس بشرند به سراغ آنها آمدند، اما به زودی به اشتباه خود پی بردند، و چشمان همه آنها نابینا شد- رها کرده و دنباله سخن را از سوی خداوند بازگو می کند.

مىفرمايد: «ما مؤمنانى راكه در شـهرها (ى قوم لوط) زندگى مىكردند (قبل از نزول عذاب) خارج كرديم» (فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

سورة الذاريات(٥١): آية ٣٦ ص: ٥٤٥

(آیه ۳۶)- «ولی (در تمام این مناطق) جز یک خانواده با ایمان نیافتیم»! (فَما وَجَدْنا فِیها غَیْرَ بَیْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِینَ).

آری! ما هرگز خشک و تر را با هم نمیسوزانیم و عدالت ما اجازه نمیدهد مؤمن را گرفتار سرنوشت کافر کنیم، حتی اگر در میان میلیونها نفر بی ایمان و مجرم، یک فرد با ایمان و پاک باشد نجاتش میدهیم.

این همان مطلبی است که در سوره حجر آیه ۵۹ و ۶۰ به این صورت آمده:

«مگر خاندان لوط که همگی آنها را نجات خواهیم داد، به جز همسرش که مقدّر داشتیم از بازماندگان (در شهر، و هلاک شوندگان) باشد»! برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۴۶

البته این بخش از ماجرای قوم لوط در سورههای مختلف قرآن با عبارات مختلف بیان شده که همه آنها یک حقیقت را بازگو می کند، ولی از آنجا که ممکن است به یک حادثه از زوایای مختلف نگاه کرد و در هر نگاه بعدی از آن را مشاهده نمود، در قرآن مجید نیز حوادث تاریخی غالبا به همین صورت مطرح و تکرار شده است، و در مقام تربیت گاه لازم می شود که روی یک مسأله مهم بارها تکیه شود، تا تأثیر عمیق در ذهن خواننده بگذارد.

به هر حال خداوند شهرهای این قوم آلوده را با زمین لرزهای سخت و ویرانگر زیر و رو کرد سپس بارانی از سنگهای آسمانی بر آنها فرو بارید و اثری از آنها نماند، حتی جسدهای پلیدشان زیر آوارها و سنگهای آسمانی مدفون گشت، تا عبرتی باشد برای آیندگان و برای همه افراد بی ایمان و مجرمان آلوده.

سورة الذاريات(۵۱): آية ۳۷ ص: ۵۴۶

(آیه ۳۷)- و لذا در این آیه می افزاید: «و در آن (شهرهای بلا دیده) نشانه ای روشن برای کسانی که از عذاب دردناک می ترسند به جای گذاردیم» (وَ تَرَكْنا فِیها آیَهٔ لِلَّذِینَ یَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِیمَ).

این تعبیر به خوبی نشان میدهـد که از این آیات و نشانههای خدا تنها کسانی پند می گیرند که آمادگی پذیرش در وجودشان باشد، و احساس مسؤولیت کنند.

سورة الذاريات(۵۱): آية ۳۸ ص: ۵۴۶

(آیه ۳۸)- این همه درس عبرت در تاریخ پیشینیان: قرآن در اینجا در تعقیب داستان قوم لوط و عاقبت دردناکی که بر اثر گناهان بسیار زشت و ننگین پیدا کردند اشاره به سرگذشت چند قوم دیگر از اقوام پیشین میکند.

نخست می فرماید: «و در (زنـدگی) موسـی نیز (نشـانه و درس عـبرتی بـود) در آن هنگـامی که او را به دلیلی آشـکار به سوی فرعون فرستادیم» (وَ فِی مُوسی إِذْ أَرْسَلْناهُ إِلی فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مُبِینٍ).

«سلطان» چیزی است که مایه تسلط گردد، و منظور در اینجا معجزه یا دلیل و منطق نیرومنـد عقلی یا هر دو است که «موسـی» (ع) در برابر فرعون از آن استفاده کرد.

سورة الذاريات(۵۱): آية ٣٩ ص: ۵۴۶

(آیه ۳۹)- اما فرعون نه تسلیم معجزات بزرگ موسی (ع) که گواه ارتباطش با برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۴۷ خدا بود شد، و نه در مقابل دلائل منطقی او سر تعظیم فرود آورد، بلکه به خاطر غرور و تکبری که داشت «با تمام وجودش از وى روى برتافت و گفت: (اين مرد) يا ساحر است يا ديوانه»! (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَ قالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ).

جالب این که جباران زورگو در تهمتها و نسبتهای دروغین که به انبیاء بزرگ میدادنید گرفتار سر در گمی و تناقض گوئی عجیبی بودند، گاه آنها را ساحر میخواندند، و گاه مجنون، با این که «ساحر» باید انسان هوشیاری باشد که با استفاده از ریزه کاریها و مسائل روانی و خواص مختلف اشیا کارهای اعجاب انگیزی را انجام دهد و مردم را اغفال نماید، در حالی که مجنون نقطه مقابل آن است.

سورة الذاريات(٥١): آية 4٠ ص: ٥٤٧

(آیه ۴۰)– اما قرآن از نتیجه کار فرعون جبار و اعوانش چنین خبر می دهد:

«از این رو ما او و لشکریانش را گرفتیم و به دریا افکندیم، در حالی که در خور سرزنش بود»َأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِی الْیَمِّ وَ هُوَ مُلِیمٌ)

سورة الذاريات(٥١): آية ٤١ ص: ٥٤٧

(آیه ۴۱)- سپس به سرنوشت اجمالی قوم «عاد» پرداخته، چنین می گوید:

«در سرگذشت قوم عاد نیز (آیتی است) در آن هنگام که تند بادی بیباران بر آنها فرستادیم» (وَ فِی عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ).

عقیم بودن بادها زمانی است که ابرهای بارانزا با خود حمل نکند، گیاهان را تلقیح ننماید، و فایده و برکتی نداشته باشد، و جز هلاکت و نابودی چیزی همراه نیاورد.

سورة الذاريات(٥١): آية ٤٢ ص: ٥٤٧

(آیه ۴۲)– سپس به توصیف تند بادی که بر قوم عاد مسلط شد پرداخته، میافزاید: «بر هیچ چیز نمی گذشت مگر این که آن را همچون استخوانهای پوسیده میساخت» (ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيم).

این تعبیر نشان میدهد که تند باد قوم عاد یک تند باد معمولی نبود، بلکه علاوه بر تخریب و درهم کوبیدن و به اصطلاح فشارهای فیزیکی، دارای سوزندگی و مسمومیتی بود که اشیاء گوناگون را میپوساند.

این بود اشاره کوتاهی به سرنوشت قوم نیرومند و ثروتمند «عاد» که در سرزمین «احقاف» (منطقهای میان عمان و حضر موت) میزیستند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۴۸

سورة الذاريات(٥١): آية ٤٣ ص: ٥٤٨

(آیه ۴۳)- بعد از آنها نوبت به قوم «ثمود» میرسد و در باره آنها می فرماید:

«و نیز در سرگذشت قوم ثمود (عبرتی است) در آن هنگام که به آنها گفته شد:

مدتى كوتاه بهرهمند باشيد» و سپس منتظر عذاب (وَ فِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ).

منظور از «حَــِتَّی حِینٍ» همــان سه روز مهلتی است که در آیه ۶۵ سوره هود به آن اشــاره شــده است: «آنها شتری را که به عنوان اعجاز آمده بود از پای درآورند و پیامبرشان صالح به آنها گفت: سه روز در خانههایتان بهره گیرید (و بعد از آن منتظر عذاب الهی باشید) این وعدهای است تخلفناپذیر».

سورة الذاريات(۵۱): آية ۴۴ ص: ۵۴۸

(آیه ۴۴)- آری «آنها از فرمان پروردگارشان سر باز زدند و صاعقه آنان را فرا گرفت، در حالی که (خیره خیره) نگاه می کردند» بی آنکه قدرت دفاع داشته باشند (فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ).

این جمله اشاره به تمام سرپیچیهائی است که آنها در طول دعوت صالح داشتند، مانند بت پرستی و ظلم و ستم و از پای در آوردن ناقهای که معجزه «صالح» بود، نه فقط سرپیچیهایی که در طول این سه روز انجام دادند و به جای توبه و انابه به در گاه خدا در غفلت و غرور فرو رفتند.

سورهٔ الذاریات(۵۱): آیهٔ ۴۵ ص: ۵۴۸

(آیه ۴۵) – سر انجام آخرین جملهای که در بـاره این قـوم سـرکش میفرمایـد این است که: «چنــان بر زمین افتادنـد که تــوان برخاستن نداشتند و نتوانستند از کسی یاری طلبند» (فَمَا اسْتَطاعُوا مِنْ قِیام وَ ما کانُوا مُنْتَصِرِینَ).

آری! صاعقه چنان آنها را غافلگیر کرد و بر زمین کوبید که نه خود یارای برخاستن و دفاع از خویشتن داشتند، و نه قدرت ناله و فریاد و کمک طلبیدن، و در همین حال جان دادند، و سرگذشتشان درس عبرتی برای دیگران شد.

سورة الذاريات(۵۱): آية 46 ص: ۵۴۸

(آیه ۴۶)- در این آیه اشاره کوتاهی به سرنوشت پنجمین قوم یعنی قوم نوح کرده، میفرماید: «همچنین قوم نوح را پیش از آنها هلاک کردیم، چرا که قوم فاسقی بودند» (وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ).

> «فاسق» به کسی می گویند که از محدوده فرمان خداوند قُدم بیرون گذارد، برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۴۹ و آلوده به فکر و ظلم یا سایر گناهان شود.

سورة الذاريات(٥١): آية ٤٧ ص: ٥٤٩

(آیه ۴۷)- پیوسته آسمانها را گسترش می دهیم! قرآن بار دیگر به مسأله آیات عظمت خداوند در عالم آفرینش می پردازد و در حقیقت بحثهائی را که در آیات ۲۰ و ۲۱ همین سوره در باره آیات او در زمین و وجود انسان گذشت تکمیل می کند، و در ضمن دلیلی بر قدرت خداوند بر مسأله معاد و زندگی پس از مرگ است. نخست می فرماید: «و ما آسمان را با قدرت بنا کردیم، و همواره آن را وسعت می بخشیم» (وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ).

سورة الذاريات(٥١): آية ٤٨ ص: ٥٤٩

(آیه ۴۸)- «و زمین را گستردیم و چه خوب گسترانندهای هستیم»! (وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ).

نشانههای این قدرت عظیم هم در عظمت آسمانها و هم در نظام خاصی که بر آنها حاکم است به خوبی آشکار میباشد.

با توجه به کشفیات اخیر دانشمندان در مسأله «گسترش جهان» معنای آیه روشن است و آن این که خداوند آسمانها را آفریده و دائما گسترش میدهد.

علم امروز می گوید: نه تنها کره زمین، بر اثر جذب مواد آسمانی تـدریجا فربه و سنگین تر می شود، بلکه آسمانها نیز در گسترشند، یعنی ستارگانی که در یک کهکشان قرار دارند بسرعت از مرکز کهکشان دور می شوند، حتی سرعت این گسترش را در بسیاری از مواقع اندازه گیری کرده اند.

سورة الذاريات(٥١): آية ٤٩ ص: ٥٤٩

(آیه ۴۹)– بعد از آفرینش آسمانها و زمین نوبت به موجودات مختلف آسمانی و زمین و انواع گیاهان و حیوانات میرسد آیه مورد بحث میفرماید:

«و از هر چيز دو جفت آفريديم شايد متذكر شويد» (وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

«مِنْ کُلِّ شَيْءٍ» (از هر چیزی) می تواند اشاره به این حقیقت باشد که تمام اشیای جهان از ذرات مثبت و منفی ساخته شده، و امروز از نظر علمی مسلم است که «اتمها» از اجزاء مختلفی تشکیل یافته اند، از جمله اجزائی که دارای بار الکتریسته منفی هستند، و «الکترون» نامیده می شوند، و اجزائی که دارای بار برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۵۰

الكتريسته مثبت هستند و «پروتون» نام دارد.

سورة الذاريات(۵۱): آية ۵۰ ص: ۵۵۰

(آیه ۵۰)- در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری از بحثهای توحیدی گذشته میافزاید: «پس به سوی خدا بگریزید که من از سوی او برای شما بیم دهندهای آشکارم» (فَفِرُّوا إِلَی اللَّهِ إِنِّی لَکُمْ مِنْهُ نَذِیرٌ مُبِینٌ).

تعبیر به «فرار» در اینجا تعبیر جالب و لطیفی است، معمولا «فرار» در جائی گفته می شود که انسان از یک سو با موجود یا حادثه وحشتناکی رو برو شده، و از سوی دیگر پناهگاهی در نقطه ای سراغ دارد، لذا با سرعت تمام از محل حادثه دور می شود و به نقطه امن و امان روی می آورد، شما نیز از شرک و بت پرستی که عقیده و حشتناکی است بگریزید و به توحید خالص که منطقه امن و امان واقعی است روی آرید.

از زشتیها، بدیها، بیایمانی، تاریکی جهل، و عذاب جاویدان بگریزید، و در آغوش رحمت حق و سعادت جاویدان قرار گیرید.

سورهٔ الذاریات(۵۱): آیهٔ ۵۱ ص: ۵۵۰

(آیه ۵۱)- باز برای تأکید بیشتر، روی مسأله یکتاپرستی تکیه کرده، میفرماید: «و با خدا معبود دیگری قرار ندهید که من برای شما از سوی او بیم دهندهای آشکارم» (وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ إِنِّی لَکُمْ مِنْهُ نَذِیرٌ مُبِینٌ).

سورة الذاريات(۵۱): آية ۵۲ ص: ۵۵۰

(آیه ۵۲) - در آیه ۳۹ همین سوره خواندیم که فرعون در برابر دعوت موسی (ع) به سوی خداوند یکتا و ترک ظلم و بیدادگری، موسی را متهم ساخت که او «ساحر» یا «مجنون» است، این نسبت که از سوی مشرکان به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله را آزرده می ساخت. و آله نیز داده می شد برای مؤمنان اندک نخستین، بسیار گران بود، و روح پاک پیامبر صلّی الله علیه و آله را آزرده می ساخت. آیه برای دلداری پیامبر صلّی الله علیه و آله و مؤمنان می گوید: تنها تو نیستی که هدف این تیرهای زهرآگین تهمت قرار گرفته ای «این گونه است که هیچ پیامبری قبل از اینها به سوی قومی فرستاده نشد مگر این که گفتند: او ساحر است یا دیوانه» (کذلِکَ ما أَتَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ).

آنها را «ساحر» میخواندند زیرا در برابر معجزات چشمگیرشان پاسخی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۵۱ منطقی نداشـتند، و «مجنون» خطاب می کردنـد چرا کـه همرنـگ محیط نبودنـد و در برابر امتیازات مـادی سـر تسـلیم فرود نمی آوردند.

سورة الذاريات(٥١): آية ٥٣ ص: ٥٥١

(آیه ۵۳)- سپس میافزاید: «آیا (این قوم کافر و معاند) یکدیگر را به آن سفارش می کردند» که همه چنین تهمتی بزنند (أَ تَواصَوْا بهِ).

آن چنان هماهنگ و یکنواخت عمل می کنند که گوئی همگی در ماوراء تاریخ مجلسی تشکیل داده، و به مشاوره نشسته، و به یکدیگر توصیه نمودهاند که انبیاء را عموما متهم به سحر و جنون کنند، تا از نفوذ اعتبار آنها در توده مردم کاسته شود. سپس میافزاید: «بلکه آنها قومی طغیانگرند» (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ).

این اثر روح طغیانگری است که برای بیرون کردن مردان حق از صحنه به هر دروغ و تهمتی متوسل میشوند.

سورة الذاريات(٥١): آية ٥٤ ص: ٥٥١

(آیه ۵۴)– باز برای تسلّی خاطر و دلداری بیشتر به پیامبر صلّی الله علیه و آله می فرماید:

«اکنون (که این قوم طاغی و سرکش حاضر به شنیدن حق نیستند) از آنها روی بگردان» (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ).

و مطمئن باش که تو وظیفه خود را بطور کامل انجام دادهای، و «هرگز در خور ملامت نخواهی بود» (فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ).

اگر آنها حق را نپذیرند غم مخور که دلهای شایسته ای در انتظار آن است.

این جمله در حقیقت یاد آور آیات دیگری است که نشان می دهد پیامبر آن قدر دلسوز بود که گاه از عدم ایمان آنها نزدیک بود دق کند، چنانکه در آیه ۶ سوره کهف می خوانیم: «گوئی می خواهی خود را از غم و اندوه به خاطر اعمال آنها هلاک کنی چرا که آنها به این قرآن ایمان نیاورده اند».

سورة الذاريات(٥١): آية ٥٥ ص: ٥٥١

(آیه ۵۵)- مفسران گفتهاند: هنگامی که آیه فوق نازل شد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و مؤمنان اندوهگین شدنـد و تصور

کردند که این آخرین سخن در برابر مشرکان است، وحی آسمانی قطع شده، و عذاب الهی به زودی فرا میرسد، ولی چیزی نگذشت که این آیه نازل شد و به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور داد: «و پیوسته تذکر و اندرز ده، زیرا تذکّر مؤمنان را سود می بخشد» (وَ ذَکِّرْ فَإِنَّ الذِّکْری تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۵۲ اینجا بود که همگی احساس آرامش کردند.

اشاره به این که دلهای آمادهای در گوشه و کنار در انتظار سخنان توست، اگر گروهی به مخالفت در برابر حق برخاستهاند گروه دیگری از جان و دل مشتاق آنند، و گفتار دلنشین تو تأثیر خود را در نفوس آنان میگذارد.

سورة الذاريات(٥١): آية ٥٦ ص: ٥٥٢

(آیه ۵۶)- هدف خلقت انسان از دیدگاه قرآن: از مهمترین سؤالاتی که هر کس از خود می کند این است که «ما برای چه آفریده شده ایم»؟ و «هدف آفرینش انسانها و آمدن به این جهان چیست»؟

آیه مورد بحث به این سؤال مهم و همگانی با تعبیرات فشرده و پرمحتوایی پاسخ می گویـد، و بحثی را که در آیه قبل پیرامون تـذکر و یادآوری به مؤمنان بیان شـد تکمیل میکنـد، چرا که این از مهمترین اصولی است که پیامبر صـلّی الله علیه و آله باید آن را تعقیب کند، ضمنا معنی فرار به سوی خدا را که در آیه ۵۰ همین سوره آمده بود روشن میسازد.

مى فرمايىد: «من جن و انس را نيافريىدم جز براى اين كه عبادتم كننىد» و از اين راه تكامل يابنىد و به من نزديك شونىد (وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ).

سورة الذاريات(٥١): آية ٥٧ ص: ٥٥٢

(آیه ۵۷)– من نیازی به آنها نـدارم و «هرگز از آنها روزی نمیخواهم، و نمیخواهم مرا اطعام کنند»! (ما أُرِیدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ ما أُرِیدُ أَنْ یُطْعِمُونِ).

سورة الذاريات(٥١): آية ٥٨ ص: ٥٥٢

(آيه ۵۸)- «خداوند روزي دهنده، و صاحب قوت و قدرت است» (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ).

اندكى تأمل در مفهوم آيات قرآن در زمينه هدف خلقت نشان مىدهد كه هدف اصلى همان «عبوديت» است كه در آيه فوق به آن اشاره شده، و مسأله «علم و دانش» و «امتحان و آزمايش» اهدافى هستند كه در مسير عبوديت قرار مى گيرند، و «رحمت واسعه خداوند» نتيجه اين عبوديت است.

بدین ترتیب روشن می شود که ما همه برای عبادت پروردگار آفریده شده ایم، اما مهم این است که بدانیم حقیقت «عبادت» جست؟

آیا تنها انجام مراسمی مانند رکوع و سجود و قیام و قعود و نماز و روزه منظور برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۵۳ است؟ یا حقیقتی است ماورای اینها؟ هر چند عبادات رسمی نیز همگی واجد اهمیتند.

«عبودیت» - آن گونه که در متون لغت آمده - اظهار آخرین درجه خضوع در برابر معبود است، و به همین دلیل تنها کسی می تواند معبود باشد که نهایت انعام و اکرام را کرده است و او کسی جز خدا نیست.

بنابر این عبودیت نهایت اوج تکامل یک انسان و قرب او به خداست.

عبودیت کامل آن است که انسان جز به معبود واقعی یعنی کمال مطلق نیندیشد، جز در راه او گام بر ندارد، و هر چه غیر اوست فراموش کند، حتی خویشتن را! و این است هدف نهائی آفرینش بشر که خدا برای وصول به آن میدان آزمایشی فراهم ساخته و علم و آگاهی به انسان داده، و نتیجه نهائیش نیز غرق شدن در اقیانوس «رحمت» اوست.

سورة الذاريات(۵۱): آية ۵۹ ص: ۵۵۳

(آیه ۵۹)- اینها نیز در عذاب الهی سهیمند: این آیه و آیه بعد که آخرین آیات سوره «ذاریات» است در حقیقت یک نوع نتیجه گیری از آیات مختلف این سوره است، مخصوصا آیاتی که پیرامون سرنوشت اقوام پیشین همچون قوم فرعون و قوم لوط و عاد و ثمود سخن می گوید، همچنین آیات گذشته که از هدف آفرینش سخن می گفت.

مى گويد: «و براى كسانى كه ستم كردند، سهم بزرگى از عذاب است همانند سهم يارانشان» از اقوام ستمگر پيشين (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوب أَصْحابِهِمْ).

«بنابر این عجله نکنند» (فَلا یَشْتَعْجِلُونِ). و پی در پی نگویند اگر عذاب الهی حق است چرا به سراغ ما نمی آید؟

تعبیر به «ظلم» در باره این گروه به خاطر آن است که «شرک» و کفر بزرگترین ظلم است، زیرا حقیقت ظلم این است که چیزی را در غیر محل شایسته قرار دهند، و مسلما بت را به جای خدا قرار دادن مهمترین مصداق ظلم محسوب می شود، و به برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۵۴

همین دلیل آنها هم مستحق همان سرنوشتی هستند که اقوام مشرک پیشین داشتند.

سورة الذاريات(٥١): آية 6٠ ص: ٥٥٢

(آیه ۶۰) - در آخرین آیه این سوره تهدید به عذاب دنیا را با تهدید به عذاب آخرت تکمیل کرده، می گوید: «پس وای بر کسانی که کافر شدند از روزی که به آنها وعده داده می شود» (فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ یَوْمِهِمُ الَّذِی یُوعَدُونَ).

همان گونه که این سوره از مسأله معاد و رستاخیز آغاز شد، با تأکید بر همین مسأله پایان می گیرد.

«پایان سوره ذاریات»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۵۵

سوره طور [۵۲] ص: ۵۵۵

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۴۹ آیه است

محتواي سوره: ص: ۵۵۵

این سوره نیز از سوره هائی است که سنگینی بحثهای آن روی مسأله معاد و سرنوشت نیکان و پاکان از یکسو، و بدان و

مجرمان در آن روز عظیم از سوی دیگر است.

و روی هم رفته می توان محتوای این سوره را به شش بخش تقسیم کرد.

۱- آیات نخستین سوره که با سوگندهای پی در پی شروع می شود بحث از عذاب الهی و نشانه های قیامت و آتش دوزخ و کیفر کافران می کند (آیه ۱ تا ۱۶).

۲- بخش دیگری از این سوره نعمتهای بهشتی و مواهب الهی را در قیامت که در انتظار پرهیز کاران است مشروحا برمی شمرد،
 و یکی را پس از دیگری مورد توجه قرار می دهد، و در حقیقت به غالب نعمتهای بهشتی در این بخش از سوره اشاره شده
 است (آیه ۱۷ تا ۲۸).

۳- در بخش دیگری از این سوره از نبوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله سخن می گوید، و اتهاماتی را که دشمنان برای او ذکر می کردند برمی شمرد، و بطور فشرده به آن پاسخ می دهد (آیه ۲۹ تا ۳۴).

۴- در بخش دیگر سخن از توحید است، و با استدلالی روشن این مسأله را تعقیب می کند (آیه ۳۵ تا ۴۳).

۵- در بخش دیگر سوره باز به مسأله معاد و پارهای از مشخصات روز قیامت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۵۶ باز می گردد (آیه ۴۴ تا ۴۷).

۶- سر انجام در آخرین بخش سوره که دو آیه بیشتر نیست با دستوراتی به پیامبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله در زمینه صبر و استقامت و تسبیح و حمد پروردگار و وعده حمایت او از سوی خداوند بحثهای گذشته را پایان میبخشد. نامگذاری این سوره به «طور» به تناسب نخستین آیه آن است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۵۵۶

در حدیثی آمده که پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: «هر کس سوره طور را بخواند بر خداست که او را از عذابش ایمن سازد، و او را در بهشتش متنعم دارد».

و در حدیث دیگری از امام باقر علیه السّلام میخوانیم: «کسی که سوره طور را تلاوت کند خداوند، خیر دنیا و آخرت را برای او جمع می کند».

روشن است که این همه اجر و پاداش عظیم در دنیا و آخرت از آن کسانی است که این «تلاوت» را وسیلهای برای «تفکر»، و آن را نیز به نوبه خود وسیلهای در راه «عمل» قرار دهند.

بِسْم اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الطور (۵۲): آية ١ ص: ۵۵۶

(آیه ۱)- این سوره یکی دیگر از سورههائی است که با سوگند شروع میشود، سوگندهائی برای بیان یک واقعیت مهم یعنی مسأله قیامت و معاد و رستاخیز و محاسبه اعمال انسانها.

مى فرمايد: «سوگند به كوه طور» (وَ الطُّورِ).

«طور» در لغت به معنی «کوه» است، ولی با توجه به این که این کلمه در ده آیه از قرآن مجید مطرح شده که در نه مورد سخن از «طور سینا» همان کوهی که در آنجا وحی بر موسی نازل می شد به میان آمده، معلوم می شود که در آیه مورد بحث نیز

منظور همان معنی است.

سورة الطور (٥٢): آية ٢ ص: ٥٥٦

(آیه ۲)- «و سوگند به کتابی که نوشته شده است ...» (وَ کِتابِ مَسْطُورٍ).

به تناسب سوگندی که قبل از آن آمده این تعبیر یا اشاره به تورات است و یا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۵۷ همه کتب آسمانی.

سورة الطور (۵۲): آية ٣ ص: ۵۵٧

(آیه ۳)- «در صفحه ای گسترده» (فِی رَقِّ مَنْشُورِ).

در این آیه نیز سوگند به کتابی خورده شده که بر صفحهای از بهترین صفحات نگاشته شده و در عین حال باز و گسترده است و نه پیچیده!

سورة الطور (۵۲): آية 4 ص: ۵۵۷

(آيه ۴)- «و سو گند به بيت المعمور» (وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُور).

«بیت المعمور» را بعضی به «کعبه» و خانه خدا در زمین تفسیر کردهاند که به وسیله زوار و حاجیان همواره معمور و آباد است، و میدانیم نخستین خانهای است که برای عبادت، در روی زمین ساخته و آباد شده است.

سورة الطور (۵۲): آية ۵ ص: ۵۵۷

(آيه ۵)- «و سقف برافراشته» (وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوع).

منظور از «سقف مرفوع» آسمان است، چرا که در آیه ۳۲ سوره انبیاء میخوانیم: «ما آسمان را سقف محفوظی قرار دادیم». تعبیر به «سقف» ممکن است از این نظر باشد که ستارگان و کرات آسمانی آن چنان سراسر آسمان را پوشاندهاند و به سقفی میمانند، و نیز ممکن است اشاره به «جوّ اطراف زمین» باشد که قشر فشردهای از هوا همچون سقف محکمی اطراف آن را فراگرفته و آن را در برابر هجوم سنگهای آسمانی و اشعه زیانبار کیهانی به خوبی حفظ می کند.

سورة الطور (۵۲): آية 6 ص: ۵۵۷

(آیه ۶)– «و (سوگند به) دریای مملوّ و برافروخته»! (وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ).

«مسجور» به معنی «برافروخته» است چنانکه در آیه ۷۱ و ۷۲ سوره مؤمن میخوانیم: «آنها را در آب سوزان میکشند، سپس در آتش مشتعل خواهند شد».

این دریای برافروخته یا همین اقیانوسهای کره زمین ما است که در آستانه قیامت، برافروخته می شود و سپس منفجر می گردد. و یـا دریـائی از مـواد مـذاب کـه در دل کره زمیـن اسـت و ممکن است آیه فـوق قسم به هر دو باشـد، چرا که هر دو از آیـات

خداوند و شگفتیهای بزرگ این جهان است.

قابل توجه این که در ارتباط مفهوم این پنج سوگند با یکدیگر چنین به نظر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۵۸

می رسد که سه سوگند نخست رابطه نزدیکی با یکدیگر دارند چرا که همه از وحی و خصوصیات آن سخن می گویند «کوه طور» محل نزول وحی بود، و «کتاب مسطور» نیز اشاره به کتاب آسمانی است، خواه تورات باشد یا قرآن، و «بیت المعمور» محل رفت و آمد فرشتگان و پیک وحی خداست.

و اما دو سوگند دیگر از آیات «تکوینی» سخن می گوید- در برابر سه سوگند نخست که از آیات «تشریعی» سخن می گفت-این دو سوگند یکی اشاره به مهمترین نشانه توحید یعنی آسمان با عظمت است، و دیگری به یکی از نشانههای مهم معاد که در آستانه رستاخیز رخ می دهد.

بنابر این «توحید»، «نبوت» و «معاد» در این پنج سو گند جمع است.

سورة الطور (۵۲): آية ٧ ص: ۵۵۸

(آیه ۷)- سپس در اینجا قرآن به بیان موضوعی که سوگندهای فوق به خاطر آن یاد شده اشاره کرده، میفرماید: «عذاب پروردگارت واقع میشود» (إِنَّ عَذابَ رَبِّکَ لَواقِعٌ).

سورة الطور (۵۲): آية ٨ ص: ۵۵٨

(آیه ۸)- «و چیزی از آن مانع نخواهد بود» (ما لَهُ مِنْ دافِع).

کو تاه سخن این که: سوگندهای پنج گانه که بر محور قدرت خداوند در عالم «تکوین» و «تشریع» دور می زند بیانگر این است که چنین کسی به خوبی قادر است مردگان را بار دیگر به زندگی و حیات بازگرداند، و قیامت را برپا کند، این همان چیزی است که سوگندها به خاطر آن یاد شده، همانگونه که در دو آیه فوق خواندیم.

سورة الطور (22): آية ٩ ص: 258

(آیه ۹)- در آیات گذشته اشاره سر بستهای به عـذاب الهی در قیامت شده بود، در اینجا که توضیح و تفسیری بر این معنی است بعضی از ویژگیهای روز قیامت را بازگو می کند، و سپس کیفیت عذاب تکذیب کنندگان را.

می فرماید: این عذاب الهی «در آن روزی است که آسمان (کرات آسمانی) به شدت به حرکت در می آید» (یَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً).

بدین ترتیب در آستانه قیامت نظام حاکم بر کرات آسمانی بر هم میریزد آنها از مدارات خود منحرف میشوند، و به هر سو رفت و آمد میکنند، سپس درهم برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۵۹

نور دیـده میشونـد، و به جای آنها آسـمانی نو به فرمان خـدا بر پا میشود، چنانکه آیه ۱۰۴ سوره انبیاء می گویـد: «روزی که آسمان را همچون طومار در هم میپیچیم».

و در آیه ۴۸ سوره ابراهیم میخوانیم: «روزی که این زمین به زمینی دیگر و آسمانها به آسمان دیگری تبدیل میشود».

سورة الطور (۵۲): آية ۱۰ ص: ۵۵۹

(آیه ۱۰)- سپس می افزاید: «و (روزی که) کوهها از جا کنده و متحرک می شوند»! و به شهادت آیات دیگر قرآن سپس متلاشی می گردند (وَ تَسِیرُ الْجِبالُ سَیْراً).

اینها همه اشاره به آن است که این دنیا و تمام پناهگاههای آن در هم کوبیده میشود، جهانی نو، با نظاماتی نوین جای آن را می گیرد و انسان در برابر نتایج اعمال خویش، قرار خواهد گرفت.

سورة الطور (۵۲): آية 11 ص: ۵۵۹

(آیه ۱۱)- لذا در این آیه می افزاید: چون چنین است «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان»! (فَوَیْلٌ یَوْمَئِذِ لِلْمُکَذِّبِینَ). آری! در حالی که وحشت و اضطراب ناشی از دگرگونی جهان، همگان را فرا گرفته، وحشت عظیمتری به سراغ «مکذّبین» می آید که همان عذاب الهی است چرا که «ویل» اظهار تأسف و اندوه است بر وقوع یک حادثه نا مطلوب.

سورة الطور (۵۲): آية ۱۲ ص: ۵۵۹

(آیه ۱۲)- سپس به معرفی این مکذّبین پرداخته، میفرماید: «همانها که در سخنان باطل به بازی مشغولند» (الَّذِینَ هُمْ فِی خَوْض یَلْعَبُونَ).

آیات قرآن را «دروغ»، و معجزات پیامبر صلّی الله علیه و آله را «سحر» میخوانند، و آورنده آن را «مجنون» میشمرند، همه حقایق را به بازی گرفته، و به سخریه و استهزا در برابر آنها میپردازند.

«خوض» به معنی ورود در سخنان باطل است، و در اصل به معنی وارد شدن در آب و عبور از آن است.

سورة الطور (۵۲): آية ۱۳ ص: ۵۵۹

(آیه ۱۳)– بار دیگر برای معرفی آن روز و بیان سرنوشت این مکذبان به توضیح دیگری پرداخته، میافزایـد: «در آن روز که آنها را به زور به سوی آتش دوزخ میرانند»! (یَوْمَ یُدَعُّونَ إِلی نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۶۰

سورة الطور (۵۲): آية ۱۴ ص: ۵۶۰

(آیه ۱۴)- به آنها می گویند: «این همان آتشی است که آن را انکار می کردید»! (هذِهِ النَّارُ الَّتِی کُنْتُمْ بِها تُکَذِّبُونَ).

سورة الطور (۵۲): آية ۱۵ ص: ۵۶۰

(آیه ۱۵)- و نیز به آنها گفته می شود: «آیا این سحر است یا شما نمی بینید»؟

(أَ فَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ).

شما پیوسته در دنیا می گفتید: آنچه محمد آورده سحر است، او از طریق ساحری پرده بر چشمهای ما افکنده تا حقایق را نبینیم، عقل ما را میرباید و اموری را به نام «معجزه» به ما معرفی می کند، و سخنانی را به عنوان «وحی الهی» برای ما میخواند، اما اینها همه بی اساس است، و چیزی جز سحر نیست.

لذا روز قیامت به عنوان سرزنش و توبیخ به هنگامی که آتش دوزخ را با چشم میبینند و حرارت آن را لمس میکنند به آنها گفته می شود: «آیا اینها سحر است؟ یا پرده بر چشم شما افکنده شده»؟!

سورة الطور (۵۲): آية ۱۶ ص: ۵۶۰

(آیه ۱۶) - همچنین به آنها گفته می شود: «در آن (آتش) وارد شوید، و بسوزید، می خواهید صبر کنید، یا نکنید، برای شما یکسان است» (اصْلَوْها فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَواءٌ عَلَیْکُمْ).

«چرا که تنها به اعمالتان جزا داده می شوید» (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

آری! این اعمال خودتان است که به سوی شما بازگشته، و پاپیچ شما شده است، بنابر این جزع و فزع و آه و ناله و بی تابی تأثیری ندارد.

این آیه تأکید مجددی است بر مسأله «تجسم اعمال» و بازگشت آن به سوی انسان و نیز تأکید مجددی است بر مسأله عدالت پروردگار، چرا که آتش جهنم هر قدر سوزان باشد و مجازات آن دردناک چیزی جز نتیجه اعمال خود انسانها و اشکال تبدّل یافته آن نیست.

سورة الطور (۵۲): آية ۱۷ ص: ۵۶۰

(آیه ۱۷) - پاداش پرهیز کاران! به دنبال بحثهائی که در آیات قبل، پیرامون کیفرهای مجرمان و عذابهای دردناک آنها گذشت در اینجا به نقطه مقابل آنها یعنی مواهب فراوان و پاداشهای بی کران مؤمنان و پرهیز کاران اشاره می کند، تا در یک مقایسه روشن موقعیت هر کدام واضحتر شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۶۱

نخست می گوید: «ولی پرهیز کاران در میان باغهای بهشت و نعمتهای فراوان جای دارند» (إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنَّاتٍ وَ نَعِیمٍ). تعبیر به «متقین» (پرهیز کاران) به جای «مؤمنین» به خاطر آن است که این عنوان هم ایمان را در بردارد، و هم جنبه های عمل صالح را، بخصوص این که «تقوا» در یک مرحله مقدمه و پایه ایمان است.

سورة الطور (۵۲): آية ۱۸ ص: ۵۶۱

(آیه ۱۸)– سپس به تأثیر این نعمتهای بزرگ بر روحیه بهشتیان اشاره کرده، میگویـد: «و از آنچه پروردگارشان به آنها داده شاد و مسرورند» و سخنان شیرین و دلپذیر در این باره میگویند (فاکِهِینَ بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ).

آری! از خوشحالی در پوست نمی گنجند، پیوسته با هم مزاح می کنند، و دلهای آنها از هر گونه اندوه و غم تهی است، و آرامش فوق العادهای را احساس می کنند.

بخصوص این که: خدا به آنها اطمینان خاطر در برابر مجازات داده «و آنان را از عذاب دوزخ نگاهداشته است» (وَ وَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِیم). این جمله دو معنی می تواند داشته باشد: نخست بیان نعمت مستقلی در مقابل نعمتهای دیگر پروردگار، دیگر این که: دنباله کلام سابق باشد یعنی بهشتیان از دو چیز مسرورند، نخست به خاطر نعمتهائی که خداوند به آنها داده، و دیگر به خاطر عذابهائی که از آنها دور ساخته است.

سورة الطور (۵۲): آية 19 ص: ۵۶۱

(آیه ۱۹) – بعد از این اشاره اجمالی و سر بسته، به نعمتها و سرور و شادمانی پرهیزکاران در بهشت به شرح آنها پرداخته، چنین می گوید به آنها گفته می شود:

«بخوريد و بياشاميد گوارا»! (كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً).

«اینها در برابر اعمالی است که انجام می دادید»! (بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

تعبیر به «هنیئا» (گوارا) اشاره به این است، که خوردنیها و نوشیدنیهای بهشتی هیچ گونه عوارض نامطلوبی را به دنبال ندارد، و همچون نعمتهای این جهان نیست که گاه مختصر کم و زیاد در آن، بیماری و ناراحتی به دنبال می آورد.

> مسلم است نعمتهای بهشتی ذاتا گواراست، اما این که فرشتگان به بهشتیان برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۶۲ می گویند گوارا باد خود لطف و گوارائی دیگری است.

سورة الطور (۵۲): آية ۲۰ ص: ۵۶۲

(آیه ۲۰)- سپس به نعمت دیگری اشاره کرده، میفرماید: «این در حالی است که بر تختهای صف کشیده در کنار هم تکیه می کنند» (مُتَّکِئِینَ عَلی سُرُرِ مَصْفُوفَةٍ).

و از لذت انس با دوستان و مؤمنان دیگر بهره فراوان می گیرند که این لذتی است معنوی ما فوق بسیاری از لذتها. سپس می افزاید: «و حور العین را به همسری آنها در می آوریم» (وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِینٍ).

سورة الطور (۵۲): آية ۲۱ ص: ۵۶۲

(آیه ۲۱) – آیات فوق بخشی از نعمتهای «مادی» و «معنوی» بهشتیان را بازگو کرد، ولی به این اکتفا نمی کند، و بخش دیگری از مواهب معنوی و مادی را نیز بر آن می افزاید: «کسانی که ایمان آوردند و فرزندانشان به پیروی از آنها ایمان اختیار کردند فرزندانشان را (در بهشت) به آنها ملحق می کنیم، و از (پاداش) عملشان چیزی نمی کاهیم» (وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّیَتُهُمْ فِرْ قَمَلِهِمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَیْءٍ).

این نیز خود یک نعمت بزرگ است که انسان، فرزنـدان با ایمان و مورد علاقهاش را در بهشت در کنار خود ببیند، و از انس با آنها لذت برد، بی آنکه از اعمال او چیزی کاسته شود.

این گونه افراد اگر از نظر عمل کوتاهی و تقصیراتی داشته باشند، خداوند به احترام پدران صالح، آنها را میبخشد و ترفیع مقام میدهد، و به درجه آنان میرساند، و این موهبتی است بزرگ برای پدران و فرزندان.

و در پایان آیه میافزاید: «و هر کس در گرو اعمال خویش است» (کُلُّ امْرِيٍّ بِما کَسَبَ رَهِینٌ).

یعنی اعمال هر کسی ملازم و همراه اوست، و هرگز از او جدا نمی شود، خواه عمل نیک باشد یا بد! بنابر این تعجب ندارد که

از اعمال پرهیز کاران و پاداش آنها چیزی کاسته برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۶۳

نشود، چرا که این اعمال همه جا با انسان است، و اگر خداونـد لطف و تفضـلی در باره فرزنـدان متقین میکنـد، و آنها را به پرهیزکاران در بهشت ملحق میسازد این به معنی آن نیست که از پاداش اعمال آنها چیزی کاسته شود.

سورة الطور (۵۲): آية 27 ص: ۵۶۳

(آیه ۲۲) - در آیات گذشته به نه بخش از مواهب بهشتیان اشاره شد، و در ادامه آنها به پنج قسمت دیگر اشاره می کند، به گونهای که از مجموع به خوبی استفاده می شود آنچه لایزمه آرامش و آسایش و لذت و سرور و شادی است، برای آنها در بهشت فراهم است.

نخست به دو قسمت از غذای بهشتیان اشاره کرده، می فرماید: «و همواره از انواع میوهها و گوشتها - از هر نوع که بخواهند - در اختیارشان می گذاریم» (وَ أَمْدَدْناهُمْ بِفاکِهَةٍ وَ لَحْم مِمَّا یَشْتَهُونَ).

«أَمْدَدْناهُمْ» به معنی ادامه و افزایش اعطاء است، یعنی میوهها و غذاهای بهشتی آن چنان نیست که با تناول کردن کمبودی پیدا کنند، و یا مثل میوههای دنیا که در فصول سال نوسان زیادی دارد تغییری در آن حاصل شود، بلکه همیشگی و جاودانی و مستمر است.

تعبیر «مِمَّا یَشْـتَهُونَ» (از آنچه بخواهنـد) نشان میدهد که بهشتیان در انتخاب نوع و کمیت و کیفیت این میوهها و غذاها، کاملا آزادند، هر آنچه بخواهند در اختیار دارند.

البته غذاهای بهشتی منحصر به این دو نیست ولی اینها دو غذای مهمند.

مقدم داشتن «فاکههٔ» (میوهها) بر «لحم» (گوشتها) اشارهای است به برتری «میوهها» بر «گوشتها».

سورة الطور (۵۲): آية ۲۳ ص: ۵۶۳

(آیه ۲۳)- سپس به مشروبات گوارای بهشتیان اشاره کرده، میافزاید: «آنها در بهشت جامهای پر از شراب طهور را که نه بیهوده گوئی در آن است و نه گناه از یکدیگر می گیرند» (یَتَنازَعُونَ فِیها کَأْساً لا لَغْوُ فِیها وَ لا تَأْثِیمٌ).

شرابی است گوارا و لـذتبخش، نشاط آفرین و روحپرور، خالی از هر گونه تخدیر و فساد عقل، و به دنبال آن بیهوده گوئی و گناه هرگز نیست، بلکه سراسر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۶۴

هوشیاری و لذت جسمی و روحانی است.

جمله «یتنازعون» اشاره به آن است که بهشتیان به عنوان شوخی و مزاح و افزایش سرور و انبساط جامهای «شـراب طهور» را از دست یکدیگر میکشند و مینوشند.

سورة الطور (۵۲): آية ۲۴ ص: ۵۶۴

(آیه ۲۴)- سپس به چهارمین نعمت که نعمت وجود خدمتگذاران بهشتی است پرداخته، می گویـد: «و پیوسته بر گردشان نوجوانانی برای (خـدمت) آنـان گردش می کننـد که همچون مرواریـدهای درون صدفنـد»! (وَ یَطُوفُ عَلَیْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ کَأَنَّهُمْ لُؤُلُؤٌ مَکْنُونٌ).

«مروارید در درون صدف» به قدری تازه و شفاف و زیباست که حد ندارد هر چند در بیرون صدف نیز قسمت زیادی از زیبائی خود را حفظ می کند ولی گرد و غبار هوا و آلودگی دستها هر چه باشد از صفای آن می کاهد، خدمتگذاران بهشتی آنقدر زیبا و سفید چهره و با صفا هستند که گوئی مرواریدهائی در صدفند! گر چه در بهشت نیازی به خدمتکار نیست، و هر چه بخواهند در اختیار آنها قرار می گیرد، ولی این خود احترام و اکرام بیشتری برای بهشتیان است.

در حدیثی آمده است که از رسول اکرم صلّی اللّه علیه و آله سؤال کردنـد اگر خدمتگذار همچون مروارید در صدف باشد، مخدوم یعنی مؤمنان بهشتی چگونهاند فرمود:

«برتری مخدوم بر خدمتگذار در آنجا همچون برتری ماه در شب چهارده بر سایر کواکب است».

سورة الطور (۵۲): آية ۲۵ ص: ۵۶۴

(آیه ۲۵) – و آخرین نعمت در این سلسله همان نعمت آرامش کامل و اطمینان خاطر از هر گونه عـذاب و کیفر است، چنانکه در این آیه میفرماید: «در این هنگام رو به یکـدیگر کرده (از گذشته) سؤال میکننـد» و آن را بـا وضع بهشت مقایسه کرده لذت می برند (وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ یَتَساءَلُونَ).

سورة الطور (22): آية 26 ص: 264

(آیه ۲۶)- «می گویند: ما در میان خانواده خود ترسان بودیم» مبادا گناهان آنها دامن ما را بگیرد (قالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ).

با این که در میان خانواده خود زندگی می کردیم و باید احساس امنیت کنیم برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۶۵ باز ترسان بودیم، از این بیم داشتیم که حوادث ناگوار زنـدگی و عـذاب الهی هر لحظه فرا رسد. از این بیم داشتیم که فرزندان و خانواده ما راه خطا پیش گیرند، و در وادی ضلالت، گمراه و سرگردان شوند.

و ازین بیم داشتیم که دشمنان سنگدل، ما را غافلگیر سازند و عرصه را بر ما تنگ کنند.

سورة الطور (۵۲): آية ۲۷ ص: ۵۶۵

(آيه ۲۷)– «اما خداونـد بر ما منت نهاد (و رحمت واسـعه او شامل حال ما شـد) و از عذاب كشـنده ما را حفظ كرد»! (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا وَ وَقانا عَذابَ السَّمُوم).

آری! پروردگار مهربان، ما را از زندان دنیا با تمام وحشتهایش نجات بخشید، و در کانون نعمتهایش، یعنی بهشت، جای داد.

سورة الطور (۵۲): آية ۲۸ ص: ۵۶۵

(آیه ۲۸)– بهشتیان در آخرین سخنی که از آنها در اینجا نقل شده به این واقعیت اعتراف میکنند که نیکوکار و رحیم بودن خدا را در آنجا از هر زمان دیگر، بیشتر احساس میکنند.

مى گوينـد: «ما از پيش او را مىخوانـدىم (و مىپرستيـدىم) كه اوست نيكوكـار و مهربـان»! (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْـِلُ نَـدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ

الرَّحِيمُ).

ولی در اینجما به واقعیت و عمق این صفات بیشتر پی میبریم که چگونه در مقابل اعممال ناچیز ما این همه نیکی کرده، و در برابر آن همه لغزشها ما را مشمول رحمتش ساخته است.

سورة الطور (۵۲): آية ۲۹ ص: ۵۶۵

اشاره

(آیه ۲۹)

شأن نزول: ص: 865

در مورد نزول این آیه و پنج آیه بعد در روایتی آمده است قریش در «دار النّدوه» «۱» اجتماع کردند، تا برای جلوگیری از دعوت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله که خطر بزرگی برای منافع نامشروع آنها محسوب می شد چاره ای بیندیشند. یکی از مردان قبیله «بنی عبد الدار» گفت: ما باید منتظر باشیم که او بمیرد، زیرا به هر حال او شاعر است و به زودی از دنیا خواهد رفت، همان گونه که «زهیر»

(۱) «دار الندوهٔ» خانه «قصیی بن کلاب» جد معروف عرب بود، که برای مشاوره در امور مهم در آن جمع می شدند و به مشورت می پرداختند، این خانه در کنار خانه خدا قرار داشت، و در آن به سوی «کعبه» باز می شد، و مرکزیت آن برای مجالس مشاوره از زمان خود قصی بن کلاب بود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۶۶

و «نـابغه» و «اعشـی» (سه نفر از شـعرای جـاهلیت) از دنیا رفتنـد (و بساطشان برچیـده شـد و بساط محمّـد نیز با مرگش برچیـده خواهد شد) این را گفتند و پراکنده شدند، آیات مورد بحث نازل گشت و به آنها پاسخ گفت.

تفسير: ص: ۵۶۶

در آیات گذشته، قسمتهای قابل توجهی از نعمتهای بهشتی و پاداشهای پرهیز کاران آمده بود، و در اینجا بخشی از عذابهای دردناک دوزخیان.

نخست مىفرمايد: حال كه چنين است «پس تذكر ده» (فَذَكُّرْ).

چرا که دلهای حقطلبان با شنیدن این سخنان، آماده تر می شود، و هنگام آن رسیده است که سخنان حق را برای آنها بیان کنی. سپس به ذکر اتهامات و نسبتهای ناروائی که دشمنان لجوج و معاند به پیامبر صلّی الله علیه و آله می دادند پر داخته، می فرماید: «به لطف پروردگارت (و به برکت نعمتهایش) تو کاهن و مجنون نیستی»! (فَما أَنْتَ بِنِعْمَهُ رَبِّکَ بِکاهِنِ وَ لا مَجْنُونٍ).

قریش برای پراکنده ساختن مردم از اطراف پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله این تهمتها را به او میبستند، و عجب این که به تضاد این دو وصف نیز واقف نبودند، زیرا کاهنان افراد هوشیاری بودند، بر خلاف مجنون، و جمع این دو افترا در آیه فوق شاید اشاره به همین پراکنده گوئی آنها باشد.

سورة الطور (۵۲): آية 30 ص: ۵۶۶

(آیه ۳۰)- سپس به سومین اتهام پرداخته- که آن نیز با صفات گذشته در تضاد است- میفرماید: «بلکه آنها می گویند: او شاعری است که ما انتظار مرگش را می کشیم» (أَمْ یَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَیْبَ الْمَنُونِ).

تا او زنده است اشعارش رونقی دارد و مردم را به سوی خود جذب می کند، کمی صبر کنید تا مرگش فرا رسد و دفتر شعرش، همچون طومار عمرش، پیچیده شود، و در طاق نسیان قرار گیرد، آن روز ما راحت خواهیم شد!

سورة الطور (۵۲): آية 31 ص: ۵۶۶

(آیه ۳۱)- به هر حال آنها به این دلخوش می کردند که حوادثی پیش آید و طومار عمر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در هم پیچیده شود، و آنها به گمان خود از این مشکل بزرگی که دعوت آن حضرت در سراسر جامعه آنان به وجود آورده بود رهائی یابند.

قرآن با یک جمله پرمعنی و تهدیدآمیز به این کوردلان معاند پاسخ میدهد برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۶۷ و میفرماید: «بگو: انتظار بکشید که من هم با شما انتظار میکشم»! شما انتظار مرگ مرا و من انتظار نابودی شما را با عذاب الهی! (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِینَ).

سورة الطور (۵۲): آية ۳۲ ص: ۵۶۷

(آیه ۳۲)- سپس آنها را مورد شدیدترین سرزنشها قرار داده، می گوید: «آیا عقلهایشان آنان را به این اعمال دستور میدهد یا قومی طغیانگرند»؟ (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ).

این گونه تهمتها و افترائات فرمان عقل آنها نیست، بلکه سر چشمه همه آنها روح عصیان و طغیانگری است که بر این افراد غالب است.

سورة الطور (22): آية 33 ص: 287

(آیه ۳۳)- بـار دیگر به یکی دیگر از تهمتهـای آنهـا که در حقیقت چهـارمین تهمت در این سلسـله اتهامات محسوب میشود اشاره کرده، میافزاید: «یا میگویند: قرآن را به خدا افترا بسته، ولی آنان ایمان ندارند» (أَمْ یَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا یُؤْمِنُونَ).

سورة الطور (۵۲): آية 34 ص: ۵۶۷

(آیه ۳۴) - ولی قرآن مجید پاسخ دندان شکنی به آنها داده، می فرماید: «اگر راست می گویند (که این کلام بشر است، و ساخته

و پرداخته فكر انسان پس آنها نيز) سخنى همانند آن بياورند» (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صادِقِينَ).

شما هم انسانید و به گفته خود دارای هوش سرشار، و قدرت بیان، و آگاهی و تسلط بر انواع سخن، چرا گویندگان و متفکران شما قادر نیستند سخنی همانند آن بیاورند؟! جمله «فلیأتوا» (پس بیاورند ...) به اصطلاح امر تعجیزی است، و هدف آن است که عجز و ناتوانی آنها را از مقابله به مثل در برابر قرآن روشن سازد، و این همان چیزی است که در علم کلام و عقائد از آن تعبیر به «تحدّی» می کنند، یعنی دعوت مخالفان به معارضه و مقابله به مثل در برابر معجزات.

این یکی از آیاتی است که به روشنی اعجاز قرآن را روشن می کند، و مفهوم آن مخصوص معاصران پیامبر نیست، بلکه تمام کسانی که در همه قرون و اعصار می گویند قرآن سخن بشر است، و بر خدا افترا بسته شده، آنها نیز مخاطب به این بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۶۸

خطابند که اگر راست می گویند سخنی همانند آن بیاورند.

این نـدای قرآن در این آیه و آیات مشابه همواره بلند بوده است، و در طی چهارده قرن که از بعثت پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله می گذرد کسی نتوانسته است به آن پاسخ مثبت گوید و این عجز عمومی گواه زنده اصالت این وحی آسمانی است.

سورة الطور (52): آية 35 ص: 558

(آیه ۳۵)- راستی حرف حساب شما چیست؟! قرآن همچنان ادامه بحث استدلالی گذشته در برابر منکران قرآن و نبوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و قدرت پروردگار را با یازده سؤال پی در پی ادامه میدهد، نخست از مسأله آفرینش شروع کرده، می گوید: «یا آنها بی هیچ آفریده شده اند یا خود خالق خویشتند»؟! (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَیْرِ شَیْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ).

این عبارت کوتاه و فشرده در حقیقت اشاره به «برهان معروف علّیت» است که در فلسفه و کلام برای اثبات وجود خداوند آمده است، و آن این که عالمی که در آن زندگی می کنیم بدون شک حادث است زیرا دائما در حال تغییر است، و آنچه در حال تغییر و دگرگونی است در معرض حوادث است، و چیزی که در معرض حوادث است محال است قدیم و ازلی باشد.

اکنون این سؤال پیش می آید که اگر حادث است از سه حال بیرون نیست: ۱- بدون علت به وجود آمده است.

. و . ۲- خود علت خویشتن است.

٣- اين جهان مخلوق خداوند واجب الوجود است كه هستيش از درون ذات پاك اوست.

باطل بودن دو احتمال نخست معلوم است، زیرا وجود معلول بـدون علت محال است، و گر نه هر چیز در هر شـرائطی بایـد به وجود آید، در حالی که چنین نیست.

احتمال دوم که چیزی خودش را به وجود آورد نیز محال است، زیرا مفهومش این است که قبل از وجودش موجود باشد، و این اجتماع نقیضین است.

> بنابر این راهی جز قبول احتمال سوم یعنی خالقیت واجب الوجود بر گزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۶۹ باقی نمیماند.

سورة الطور (22): آية 36 ص: 268

(آیه ۳۶)– این آیه به سؤال دیگری که در بـاره ادعـائی که در مرحله پائینتر قرار دارد پرداخته، میگویـد: «آیا آنها آسـمانها و زمین را آفریدهاند»؟ (أُمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ).

اگر بی علت به وجود نیامدهاند، و نیز خود علت خویش نبودهاند، آیا آنها واجب الوجود و خالق آسمانها و زمینند؟ و اگر مبدأ عالم هستی نیستند آیا خداونـد امر خلقت آسـمان و زمین را به آنها واگذارده؟ و به این ترتیب مخلوقی هستند که خود فرمان خلقت دارند؟

مسلما آنها هرگز نمی توانند چنین ادعای باطلی کنند، لذا در دنباله همین سخن میافزاید: «بلکه آنها (جویای) یقین نیستند» (بَلْ لا یُوقِنُونَ).

آری آنها دنبال بهانهای برای فرار از ایمانند.

سورة الطور (۵۲): آية ۳۷ ص: ۵۶۹

(آیه ۳۷)– و اگر مـدعی این امور نیسـتند و در امر خلقت نصـیبی ندارنـد «آیـا خزائن پروردگـارت نزد آنهاست»؟ (أَمْ عِنْـدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّکَ).

تا هر كس را بخواهند «نعمت نبوت و علم و دانش» يا ارزاق ديگر بخشند، و از هر كس بخواهند دريغ دارند. «يا بر همه چيز عالم سيطره دارند»؟! (أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ).

آنها هرگز نمی توانند ادعا کنند که خزینه دار پروردگارند، و نه سلطهای بر امر تدبیر این جهان دارند، چرا که ضعف و زبونی آنها در برابر یک حادثه، یک بیماری و حتی یک حشره ناچیز، و همچنین نیاز آنها به ابتدائی ترین وسائل زندگی، بهترین دلیل بر نفی این قدرتها از آنهاست، تنها هوای نفس و جاه طلبی و خودخواهی و تعصب و لجاج است که آنها را به انکار حقایق کشیده.

«مصیطرون» اشاره به «ارباب انواع» است که جزء خرافات پیشینیان میباشد، آنها معتقد بودند که هر نوع از انواع جهان اعم از انسان و انواع حیوانات و گیاهان و غیر آنها دارای مدبر و مربی خاصی است که آن را ربّ النوع آن مینامیدند، و خدا را «ربّ الأرباب» خطاب می کردند، این عقیده شرک آمیز از نظر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۷۰

اسلام مردود است، و در آیات قرآن تدبیر همه جهان از آن خدا معرفی شده و او را «ربّ العالمین» میخوانیم.

سورة الطور (۵۲): آية 38 ص: ۵۷۰

(آیه ۳۸)- مسلم است نه منکران نبوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و مشرکان عصر جاهلیت، و نه غیر آنها، مدعی هیچ یک از امور پنجگانه فوق نبودند، لذا در این آیه به مرحله دیگری پرداخته، می گوید: «آیا نردبانی دارند که (به آسمان بالا میروند) و به وسیله آن اسرار وحی را می شنوند»؟! (أَمْ لَهُمْ سُلَّمُ یَشْتَمِعُونَ فِیهِ).

و از آنجا که ممکن بود آنها مدعی آگاهی از اسرار آسمان شوند قرآن بلافاصله از آنها مطالبه دلیل کرده، می گوید: «هر کسی از آنها این ادعا را دارد (و می گوید:

> اسرار الهی را از طریق صعود به آسمان میشنوم) دلیل روشنی بیاورد» (فَلْیَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطانٍ مُبِینٍ). مسلما اگر چنین ادعائی داشتند از حدود حرف تجاوز نمی کرد و هرگز دلیلی بر این مطلب نداشتند.

سورة الطور (۵۲): آية 39 ص: ۵۷۰

(آیه ۳۹) - سپس می افزاید: آیا این نسبت ناروا را که به فرشتگان می دهند و می گویند: آنها دختران خدا هستند قابل قبول است؟ «آیا سهم خدا دختران است و سهم شما پسران» که فرشتگان را دختران خدا می نامید! (أُمْ لَهُ الْبُناتُ وَ لَکُمُ الْبُنُونَ). اشاره به این که یکی از اعتقادات و افکار باطل آنها این بود که از دختران به شدت تنفر داشتند، و اگر با خبر می شدند که همسرشان دختری آورده چهره آنها از شدت اندوه و شرم سیاه می شد، ولی با این حال فرشتگان را دختران خدا می خواندند! بدیهی است دختر و پسر از نظر ارزش انسانی با هم تفاوتی ندارند، و تعبیر آیه فوق از قبیل استدلال به عقیده باطل طرف مخالف بر ضد خود اوست.

سورة الطور (۵۲): آية 40 ص: ۵۷۰

(آیه ۴۰)- سپس از این مرحله نیز تنزل کرده به ذکر یکی دیگر از اموری که امکان دارد وسیله بهانهجوئی آنها شود اشاره کرده، میفرماید: «آیا تو از آنها پاداشی (در مقابل ابلاغ رسالت) میطلبی که در زیر بار گران آن قرار دارنـد»! (أَمْ تَسْئُلُهُمْ أَجْراً برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۷۱

فَهُمْ مِنْ مَغْرَمِ مُثْقَلُونَ)

سورة الطور (۵۲): آية ۴۱ ص: ۵۷۱

(آیه ۴۱) – دگر بار آنها را مورد سؤال قرار داده، می گوید: «آیا اسرار غیب نزد آنهاست، و از روی آن مینویسند»؟ (أُمْ عِنْدَهُمُ الْغَیْبُ فَهُمْ یَکْتُبُونَ).

اینها ادعا می کنند پیامبر شاعری است که در انتظار مرگ او و از هم پاشیدن شیرازه زندگی او هستیم، و با مرگش همه چیز پایان می گیرد و دعوتش به بوته فراموشی می افتد.

آنها از كجا مىدانند كه بعد از وفات پيامبر زندهاند؟ اين غيب را چه كسى به آنها گفته؟

سورة الطور (۵۲): آية ٤٢ ص: ٥٧١

(آیه ۴۲)- سپس به بیان احتمال دیگری پرداخته، می گوید: «آیا میخواهند نقشه شیطانی برای تو بکشند؟ ولی بدانند خود کافران در دام این نقشه ها گرفتار میشوند» و طرح خداوند بالاتر از طرح آنهاست! (أَمْ یُرِیدُونَ کَیْداً فَالَّذِینَ کَفَرُوا هُمُ الْمَکِیدُونَ).

آیه فوق مطابق این تفسیر همانند آیه ۵۴ سوره آل عمران است که می گوید:

«وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ و (يهود و دشمنان مسيح، براى نابودى او و آئينش) نقشه كشيدند و خداونـد (براى حفظ او و آئينش) چارهجوئى كرد و خداوند بهترين چارهجويان است».

سورة الطور (۵۲): آية ٤٣ ص: ۵۷۱

(آیه ۴۳)- و بالاخره در آخرین پرسش از آنها میپرسد: آیا آنها خیال میکننـد حامی و یاوری دارنـد»؟ یا معبودی غیر خـدا دارند»؟ که قول یاری به آنها داده (أُمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَیْرُ اللَّهِ).

سپس مى افزايد: «منزه است خدا از آنچه همتاى او قرار مى دهند» (سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

بنابر این هیچ کس قادر به حمایت از آنها نیست.

به این ترتیب آنها را در برابر یک بازپرسی عجیب و یک رشته سؤالات زنجیرهای یازده گانه قرار می دهد، و مرحله به مرحله آنها را به عقبنشینی و تنزل از ادعاها وا می دارد، و سپس تمام راههای فرار را به روی آنها می بندد، و در برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۷۲

بن بست كامل قرار مىدهد.

سورة الطور (۵۲): آية 44 ص: ۵۷۲

(آیه ۴۴) - به دنبال بحثی که در آیات گذشته با مشرکان و منکران لجوج آمد، بحثی که برای هر انسان حقطلبی حقیقت را روشن میساخت، در اینجا پرده از روی تعصب و لجاجت آنها برداشته، می گوید: «آنها (چنان لجوجند که) اگر ببینند قطعه سنگی از آسمان (برای عذابشان) سقوط می کند می گویند: (اشتباه می کنید، این سنگ نیست) این ابر متراکمی است» که بر زمین فرو می ریزد! (وَ إِنْ یَرَوْا کِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً یَقُولُوا سَحابٌ مَرْ کُومٌ).

کسانی که این قدر لجوج باشند که حقایق حسی را منکر شوند و سنگهای آسمانی را به ابرهای متراکم تفسیر کنند، با این که همه کس ابر را به هنگامی که نزدیک به زمین می شود دیده که چیزی جز مجموعه بخار نیست، چگونه این بخار لطیف متراکم می شود و تبدیل به سنگ می گردد؟

این افراد تکلیفشان در برابر حقایق معنوی روشن است.

سورة الطور (۵۲): آية 45 ص: ۵۷۲

(آیه ۴۵)- لذا در این آیه میافزاید: «حال که چنین است آنها را رها کن (و برای هدایت این گروه لجوج پافشاری منما) تا روز مرگ خود را ملاقات کنند» و عذابهای الهی را که در انتظارشان است با چشم خود ببینند (فَذَرْهُمْ حَتَّی یُلاقُوا یَوْمَهُمُ الَّذِی فِیهِ یُصْعَقُونَ).

جمله «ذرهم» (آنها را رها کن) امری است تهدید آمیز و منظور از آن ترک اصرار بر تبلیغ این گونه افراد غیر قابل هدایت است بنابر این نه منافات با ادامه تبلیغ در سطح عموم از سوی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دارد و نه منافاتی با فرمان جهاد.

سورة الطور (۵۲): آية 46 ص: ۵۷۲

(آیه ۴۶) - سپس به معرفی این روز پرداخته، می گوید: «روزی که نقشه های آنها سودی به حالشان نخواهد داشت، و (تمام راههای فرار به روی آنها بسته می شود، و از هیچ سو) یاری نمی شوند» (یَوْمَ لا یُغْنِی عَنْهُمْ کَیْدُهُمْ شَیْئاً وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ). آری! هر کس می میرد قیامت صغرای او برپا می شود و سر آغازی است برای پاداش و کیفرها که بخشی جنبه برزخی دارد و بخش دیگری در قیامت کبری یعنی برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۷۳

قیامت عمومی انسانها دامانشان را می گیرد، و در هیچ یک از این دو مرحله نه چارهجوئیها مؤثر است، و نه در برابر اراده الهی یار و یاوری وجود دارد.

سورة الطور (22): آية 47 ص: 278

(آیه ۴۷) - در این آیه می افزاید: «آنها تصور نکنند که فقط عذاب برزخ و قیامت در کار است بلکه «برای ستمگران عذابی قبل از آن است در (همین جهان) ولی بیشترشان نمی دانند» (وَ إِنَّ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا عَذاباً دُونَ ذلِکَ وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ).

آری! آنها در همین دنیا باید در انتظار عذابهائی همچون عذابهای اقوام پیشین باشند، مانند صاعقهها، زلزلهها، سنگهای آسمانی و خشکسالی و قحطی و یا کشته شدن به دست توانای رزمندگان سپاه توحید- همان گونه که در جنگ بدر نسبت به گروهی از سران شرک اتفاق افتاد، مگر این که بیدار شوند و توبه کنند و به سوی خدا باز آیند.

جمله «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» اشاره به اين است كه آنها غالبا از عذابهائي كه در دنيا و آخرت در انتظارشان است بي خبرند و مفهومش اين است كه اقليتي از آنها از اين معنى آگاهند، و در عين حال بر اثر لجاجت و عناد در مخالفت خود اصرار مي ورزند.

سورة الطور (22): آية 48 ص: 278

(آیه ۴۸)– در این آیه پیامبر را در مقابل این همه کارشکنیها و تهمتها و ناسزاها دعوت به صبر و استقامت میکند، میفرماید: «در راه ابلاغ حکم پروردگارت صبر و استقامت کن» (وَ اصْبِرْ لِحُکْم رَبِّکَ).

اگر تو را کاهن و مجنون و شاعر میخوانند صبر کن، و اگر آیات قرآن را افتراهائی میپندارند که به خدا بسته شده است شکیبائی نما، و اگر در برابر این همه براهین منطقی باز به لجاج و عناد ادامه میدهند استقامت به خرج ده، مبادا دلسرد و یا ضعیف و ناتوان شوی.

«زيرا تو در حفاظت كامل ما قرار دارى» (فَإِنَّكُ بِأَعْيُنِنا).

ما همه چیز را می بینیم و از همه چیز با خبریم و تو را تنها نخواهیم گذارد.

و از آنجا که راز و نیاز با خدا، و نیایش و عبادت او، و تسبیح و تقدیس ذات برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۷۴ پاک او، به انسان آرامش و نیرو می بخشد به دنبال دستور صبر می فرماید:

«و هنگامی که بر میخیزی پروردگارت را تسبیح و حمد گوی» (وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ حِینَ تَقُومُ).

چه در سحرگاه برای نماز شب، و چه بعد از خواب برای ادای فریضه، و چه بعد از قیام از هر مجلس باشد.

آری! روح و جانت را به تسبیح و حمد خدا نور و صفا ببخش، زبانت را به ذکر او خوشبو کن، از یاد او مدد بگیر، و برای مبارزه با کارشکنیهای دشمن آماده شو! در حدیثی آمده است پیامبر صلّی اللّه علیه و آله هنگامی که از مجلس برمیخاست می فرمود: «سبحانک اللّهمّ و بحمدک اشهد ان لا اله الّا انت، استغفرک و اتوب الیک».

بعضی عرض کردند: ای رسول خدا! این چه کلماتی است که می گوئی فرمود: «اینها کلماتی است که جبرئیل به من آموخته و کفاره چیزی است که در مجالس واقع می شود».

سورة الطور (52): آية ٤٩ ص: 374

(آیه ۴۹)– سپس در آخرین آیه می افزاید: همچنین «به هنگام شب او را تسبیح کن و به هنگام پشت کردن ستارگان» و طلوع صبح (وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبَارَ النُّنُجُوم).

زیرا عبادت و تسبیح و حمد خدا در دل شب، و در آغاز طلوع فجر، لطف و صفای دیگری دارد، و از تظاهر و ریا دورتر است، و آمادگی روزانه تعطیل است استراحت شبانه به انسان و آمادگی روزانه تعطیل است استراحت شبانه به انسان آرامش بخشیده، قال و غوغا فرو نشسته، و در حقیقت همزمان با وقتی است که پیامبر به معراج رفت، و در مقام «قاب قوسین» در آن خلوتگه راز قرار گرفت و با خدای خود به راز و نیاز پرداخت.

«پایان سوره طور»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۷۵

سوره نجم [33] ص: ۵۷۵

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۶۲ آیه دارد

محتوای سوره: ص: ۵۷۵

این سوره به گفته بعضی نخستین سورهای است که پیامبر بعد از علنی کردن دعوت خود آن را آشکارا و با صدای بلند در حرم مکه تلاوت کرد، و مشرکان به آن گوش دادند، و همه مؤمنان آن روز و حتی مشرکان سجده کردند! به هر حال این سوره به خاطر «مکی» بودنش بحثهائی از اصول اعتقادی مخصوصا «نبوت» و «معاد» دارد، و با تهدیدهای کوبنده و انذارهای مکرر به بیداری کفار می پردازد.

محتوای این سوره را در هفت بخش می توان خلاصه کرد:

۱- در آغاز سوره بعد از سوگند پرمعنائی، از حقیقت وحی سخن می گوید و تماس مستقیم پیامبر صلّی الله علیه و آله را با پیک وحی «جبرئیل» روشن میسازد، و ساحت مقدس پیامبر صلّی الله علیه و آله را از این که چیزی جز وحی الهی بگوید مبرا می کند.

۲- در بخش دیگری از این سوره از معراج پیامبر سخن گفته، و گوشههائی از آن را با عباراتی کوتاه و پرمعنی مجسم می کند.
 ۳- سپس به خرافات مشرکان در زمینه بتها، و عبادت فرشتگان، و امور دیگری که جز از روی هوی و هوس نبود، پرداخته و آنها را سخت در این رابطه نکوهش می کند، و از پرستش آنها برحذر می دارد.

۴- در بخش دیگری راه توبه را به روی این منحرفین و عموم گنهکاران باز برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۷۶ میکند، و آنها را به مغفرت واسعه حق نوید میدهد، و تأکید میکند که هر کس مسؤول اعمال خویش است و هیچ کس بار گناه دیگری را بر دوش نمیکشد.

۵- برای تکمیل این اهداف در بخش دیگری از این سوره گوشه هائی از مسأله «معاد» را منعکس میسازد، و دلیل روشنی

برای این مسأله از آنچه در نشئه دنیا وجود دارد اقامه می کند.

۶- مطابق معمول اشاراتی به سرنوشت دردناک اقوام پیشین که در طریق دشمنی با حق پافشاری و لجاج و عناد داشتند، می کند.

۷- و سر انجام سوره را با امر به سجده و عبادت برای پروردگار پایان میبخشد.

ضمنا نامگذاری این سوره به «النجم» به خاطر نخستین آیه آن است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۵۷۶

در حدیثی از رسول الله صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «هر کس سوره «النّجم» را بخواند خداوند به عدد هر یک از کسانی که به پیامبر ایمان آوردند و کسانی که او را انکار کردند ده حسنه به او عطا می کند».

مسلما چنین پاداشهای عظیمی از آن کسانی است که تلاوت این سوره را وسیلهای برای اندیشیدن، و سپس عمل، قرار دهند، و تعلیمات مختلف این سوره در زندگی آنها پرتوافکن شود.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة النجم(53): آية 1 ص: 578

(آیه ۱)-قابل توجه این که سوره پیشین (سوره طور) با کلمه «النّجوم» (ستارگان) پایان یافت، و این سوره با کلمه «النّجم» (ستاره) آغاز می شود که خداوند به آن سوگند یاد کرده، می فرماید: «سوگند به ستاره هنگامی که افول می کند» (وَ النَّجْمِ إِذَا هَوِي).

ظاهر آیه آنچنان که اطلاق واژه «النّجم» اقتضا می کند سوگند به همه ستارگان آسمان است که از نشانههای بارز عظمت خداوند، و از اسرار بزرگ جهان آفرینش و از مخلوقات فوق العاده عظیم پروردگار است.

تکیه بر غروب آنها، در حالی که طلوع آنها بیشتر جلب توجه میکند به خاطر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۷۷ آن است که غروب ستارگان دلیل بر حـدوث آنهـا میباشـد و نیز دلیـل است بر نفی عقیـده سـتارهپرسـتان همان گونه که در داستان ابراهیـم (ع) آمده است.

سورة النجم(53): آية ٢ ص: 277

(آیه ۲)- اما ببینیم این سوگند برای چه یاد شده است؟ آیه مورد بحث چنین توضیح میدهد: «که هرگز دوست شما [محمّد صلّی اللّه علیه و آله] منحرف نشده و مقصد را گم نکرده است» (ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی). او همیشه در مسیر حق گام برمی دارد، و در گفتار و کردارش کمترین انحرافی نیست.

سورة النجم(53): آية 3 ص: 277

(آیه ۳)- سپس برای تأکید این مطلب، و اثبات این که آنچه می گوید از سوی خداست، می افزاید: «و هر گز از روی هوای

نفس سخن نمى گويد» (وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى).

این تعبیر شبیه استدلالی است برای آنچه در آیه قبل در زمینه نفی ضلالت و غوایت آمده، چرا که سر چشمه گمراهیها غالبا پیروی از هوای نفس است.

سورة النجم(53): آية 4 ص: 577

(آیه ۴)- سپس با صراحت تمام می گوید: «آنچه می گوید چیزی جز وحی که بر او نازل شده نیست» (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی). او از خودش چیزی نمی گوید، و قرآن ساخته و پرداخته فکر او نیست، همه از ناحیه خداست، و دلیل این ادعا در خودش نهفته است، بررسی آیات قرآن نیز گواهی می دهد که هر گزیک انسان هر قدر عالم و متفکر باشد- تا چه رسد به انسان درس نخواندهای که در محیطی مملو از جهل و خرافات پرورش یافته-قادر نیست سخنانی چنین پرمحتوا بیاورد که بعد از گذشتن قرنها الهام بخش مغزهای متفکران است، و می تواند پایه ای برای ساختن اجتماع صالح، سالم، مؤمن و پیشرو گردد.

ضمنا این سخن تنها در مورد آیات قرآن نیست، بلکه به قرینه آیات گذشته سنت پیامبر صلّی الله علیه و آله را نیز شامل می شود چرا که این آیه با صراحت می گوید: او از روی هوی سخن نمی گوید هر چه می گوید وحی است.

حدیث جالب زیر شاهد دیگری بر این مدعاست.

«سیوطی» که از دانشمندان معروف اهل سنت است در تفسیر «در المنثور» چنین نقل می کند: «روزی رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله دستور داد درهای خانههائی که به داخل برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۷۸

مسجد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله گشوده می شد (جز در خانه علی علیه السّیلام) بسته شود، این امر به مسلمانان گران آمد تا آنجا که «حمزه» عموی پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله از این کار گله کرد که چگونه در خانه عمویت و ابو بکر و عمر و عباس را بستی، اما در خانه پسر عمویت را بازگذاردی؟ (و او را بر دیگران ترجیح دادی).

هنگامی که پیامبر صلّی الله علیه و آله متوجه شد که این امر بر آنها گران آمده است مردم را به مسجد دعوت فرمود، و خطبه بینظیری در تمجید و توحید خداوند ایراد کرد.

سپس افزود: «ای مردم! من شخصا درها را نبستم و نگشودم، و من شما را از مسجد بیرون نکردم، و علی را ساکن ننمودم (آنچه بود وحی الهی و فرمان خدا بود) سپس این آیات را تلاوت کرد: (وَ النَّجْم إِذَا هَوی ... إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی».

این حدیث که بیانگر مقام والای امیر مؤمنان علی علیه السّ لام در میان تمام امت اسلامی بعد از شخص پیامبر است، نشان میدهد که نه تنها گفتههای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بر طبق وحی است بلکه اعمال و کردار او نیز چنین است.

سورة النجم(٥٣): آية ٥ ص: ٥٧٨

(آیه ۵)- نخستین دیدار دوست! در تعقیب آیات گذشته که سخن از نزول وحی بر پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله می گفت در اینجا سخن از معلم وحی است.

مى فرمايد: «آن كس كه قدرت عظيمى دارد او را تعليم داده است» (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى).

سورة النجم(٥٣): آية 6 ص: ٥٧٨

(آیه ۶)- باز برای تأکید بیشتر می افزاید: «همان کسی که توانائی فوق العاده دارد او سلطه یافت» (دُو مِرَّةٍ فَاسْتَوی).

سورة النجم(33): آية ٧ ص: ٥٧٨

(آیه ۷)- این تعلیم را به او داد «در حالی که در افق اعلی قرار داشت» (وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلی).

سورة النجم(53): آية 8 ص: 578

(آیه ۸)- «سپس نزدیکتر و نزدیکتر شد ...» (ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّی).

سورة النجم(53): آية 9 ص: 578

(آیه ۹)- «تا آنکه فاصله میان او (با پیامبر) به اندازه دو کمان یا کمتر بود»! (فَکانَ قابَ قَوْسَیْن أَوْ أَدْنی).

سورة النجم(53): آية 10 ص: 578

(آیه ۱۰)– «در اینجا خداوند آنچه را وحی کردنی بود به بندهاش وحی نمود»! (فَأَوْحی إِلَی عَبْدِهِ مَا أَوْحی) .برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۷۹

سورة النجم(53): آية 11 ص: 579

(آیه ۱۱)- «قلب (پاک او) در آنچه دید هر گز دروغ گفت»! (ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأَی).

سورة النجم(٥٣): آية ١٢ ص: ٥٧٩

(آیه ۱۲)- «آیا با او در باره آنچه (با چشم خود) دیده مجادله می کنید»؟

(أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى).

در روایات وارد شده، منظور از این آیات شهود باطنی خاصی نسبت به ذات پاک خداست که برای پیامبر صلّی الله علیه و آله در این صحنه روی داد و در معراج بار دیگر تکرار شد و رسول الله فوق العاده تحت تأثیر جذبه معنوی این دیدار قرار گرفت. طبق این تفسیر قرآن نزول وحی را بر پیامبر صلّی الله علیه و آله چنین شرح می دهد: خداوند شدید القوی و پرقدرت، پیامبر صلّی الله علیه و آله را تعلیم فرمود، در حالی که او به صورت کامل و در حد اعتدال درآمد و در افق اعلی قرار گرفت. سپس نزدیک شد، و نزدیکتر شد، آن چنان که میان او و پروردگارش به اندازه دو قوس بیشتر نبود، و در همین جا بود که آنچه وحی کردنی بود خداوند به بنده اش وحی کرد.

و از آنجا که برای جمعی این شهود باطنی سنگین می آمد تأکید می کند که قلب پیامبر صلّی الله علیه و آله آنچه را دیده به حق و راستی دیده است و نباید شما در برابر این سخن با او به مجادله برخیزید. تفسیر این آیات به شهود باطنی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نسبت به خداوند صریحتر و با روایات اسلامی موافقتر، و برای پیامبر فضیلتی است برتر، و مفهومی است لطیفتر.

از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله پرسیدند: «آیا پروردگارت را هر گز دیدهای»؟! در پاسخ فرمود: «رأیته بفؤادی من او را با چشم دل دیدهام»! و در نهج البلاغه در صدر خطبه «ذعلب یمانی» آمده است که از آن حضرت سؤال کرد: «آیا هر گز پروردگارت را ای امیر مؤمنان دیدهای»؟! در پاسخ فرمود: «أ فأعبد ما لا اراه؟ ... آیا کسی را که نمی بینم پرستش کنم؟! ولی چشمها با مشاهده حسی هر گز او را ندیده اما دلها با حقیقت ایمان او را دریافته است».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۸۰

سورة النجم(23): آية 13 ص: 280

(آیه ۱۳)– دومین دیدار! این آیات همچنان ادامه بحثهای آیات گذشته در باره مسأله وحی و ارتباط پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با خداوند و شهود باطنی اوست.

مى فرمايد: «و بار ديگر نيز او را مشاهده كرد» (وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَهُ أُخْرى).

تعبیر به «نزلهٔ اخری» نشانگر این است که پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله در یک «شهود باطنی دیگر» به هنگام معراج بر فراز آسمانها ذات پاک خدا را مشاهده کرد، و به تعبیر دیگر خداوند بار دیگر بر قلب پاک او نزول فرمود و شهود کامل تحقق یافت، در محلی که منتها الیه قرب الی الله از سوی بندگان است، در کنار سدرهٔ المنتهی، در آنجا که «جنهٔ المأوی» قرار دارد، در حالی که «سدرهٔ المنتهی» را حجابهائی از نور پوشانده بود.

دیده قلب پیامبر صلّی الله علیه و آله در این شهود هرگز به غیر حق نیفتاد، و جز او ندید، و در همانجا بود که نشانههای عظمت خداوند را در آفاق و انفس نیز مشاهده کرد.

سورة النجم(53): آية 14 ص: 580

(آیه ۱۴)- و این شهود «نزد سدرهٔ المنتهی» روی داد (عِنْدَ سِدْرَهِٔ الْمُنْتَهی).

در باره «سدرهٔ المنتهی» هر چند در قرآن مجید توضیحی نیامده، ولی در اخبار و روایات اسلامی توصیفهای گوناگونی پیرامون آن آمده است این تعبیرات نشان می دهد که هر گز منظور درختی شبیه آنچه در زمین می بینیم نبود، بلکه اشاره به سایبان عظیمی است در جوار قرب رحمت حق که فرشتگان بر برگهای آن تسبیح می کنند و امتهائی از نیکان و پاکان در سایه آن قرار دارند.

سورة النجم(53): آية 15 ص: 580

(آیه ۱۵)- همان «که جنهٔ المأوی (و بهشت برین) در آنجاست» (عِنْدَها جَنَّهُ الْمَأْوى).

«جنّهٔ المأوی» به معنی بهشتی است که محل سکونت است و منظور از آن بهشت برزخی است که ارواح شهدا و مؤمنان موقتا به آنجا میروند.

سورة النجم(53): آية 16 ص: 580

(آیه ۱۶)- «در آن هنگام که چیزی [نور خیره کنندهای] سدرهٔ المنتهی را پوشانده بود» (إِذْ یَغْشَی السِّدْرَهُ ما یَغْشی).

سورة النجم(53): آية 17 ص: 580

(آیه ۱۷)- اینها واقعیاتی بود که پیامبر مشاهده کرده و «چشم او هرگز منحرف نشد و طغیان نکرد» آنچه دید واقعیت بود (ما زاغ الْبَصَرُ وَ ما طَغی).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۸۱

سورة النجم(٥٣): آية ١٨ ص: ٥٨١

اشاره

(آیه ۱۸)– «او پارهای از آیات و نشانه های بزرگ پروردگارش را دید» (لَقَدْ رَأَی مِنْ آیاتِ رَبِّهِ الْکُبْری).

نکتهها: ص: ۵۸۱

۱- هدف معراج، ص: ۵۸۱

رسیدن پیامبر صلّی الله علیه و آله به شهود باطنی از یکسو، و دیدن عظمت خداوند در پهنه آسمانها با همین چشم ظاهر از سوی دیگر بوده است، که هم در آخرین آیه مورد بحث در اینجا «لَقَدْ رَأَی مِنْ آیاتِ رَبِّهِ الْکُبْری» و هم در آیه ۱ سوره اسراء «لِنُرِیَهُ مِنْ آیاتِنا تا برخی از آیات خود را به او نشان دهیم». به آن اشاره شده است و نیز به مسائل زیاد و مهمی از فرشتگان و بهشتیان و دوزخیان و ارواح انبیا آگاهی یافت که در طول عمر مبارکش الهام بخش او در تعلیم و تربیت خلق خدا بود.

۲- گوشهای از گفتگوهای خداوند با پیامبرش در شب معراج: ص: ۵۸۱

در کتب حدیث روایتی از امیر مؤمنان علی علیه السّ لام از پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله در این زمینه آمده است که بسیار مشروح و طولانی است، و ما گوشه هائی از آن را در اینجا می آوریم.

در آغاز حدیث میخوانیم که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در شب معراج از پروردگار سبحان چنین سؤال کرد: «یا ربّ ایّ الاعمال افضل؟ پروردگارا! کدام عمل افضل است؟».

خداوند متعال فرمود: «هیچ چیز نزد من برتر از توکل بر من و رضا به آنچه قسمت کردهام نیست، ای محمّد! آنها که به خاطر من یکدیگر را دوست دارند محبتم شامل حال آنهاست، و کسانی که به خاطر من مهربانند، و به خاطر من پیوند دوستی دارند آنها را دوست دارم، و نیز محبتم برای کسانی که توکل بر من می کنند فرض و لازم است، و برای محبت من حد و حدود، و مرز و نهایتی نیست»! در فراز دیگری آمده است: «ای احمد! همچون کودکان مباش که سبز و زرد و زرق و برق را دوست

دارند، و هنگامی که غذای شیرین و دلپذیری به آنها میدهند مغرور میشوند، و همه چیز را به دست فراموشی میسپارند». پیامبر صلّی الله علیه و آله در اینجا عرضه داشت: «پروردگارا! مرا به عملی هدایت کن که موجب قرب به درگاه توست». برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۸۲

فرمود: «شب را روز، و روز را شب قرار ده»! عرض کرد: «چگونه»؟! فرمود: «چنان کن که خواب تو نماز باشد، و هرگز شکم خود را کاملا سیر مکن».

در فراز دیگری آمده است: «ای احمد! محبت من محبت فقیران و محرومان است، به آنها نزدیک شو، و در کنار مجلس آنها قرار گیرد، تا من به تو نزدیک شوم، و ثروتمندان دنیاپرست را از خود دور ساز، و از مجالس آنها بر حذر باش»! در فراز دیگر می فرماید: «ای احمد! زرق و برق دنیا و دنیاپرستان را مبغوض بشمر، و آخرتت و اهل آخرت را محبوب دار».

عرض می کند: «پروردگارا! اهل دنیا و آخرت کیانند»؟

فرمود: «اهل دنیا کسانی هستند که زیاد میخورند، و زیاد میخندند و میخوابند، و خشم می گیرند، و کمتر خشنود می شوند، نه در برابر بدیها از کسی عندر میخواهند، و نه اگر کسی از آنها عندر طلبد می پذیرند، در اطاعت خدا تنبل، و در معاصی شجاعند، آرزوهای دور و دراز دارند، و در حالی که اجلشان نزدیک شده هر گز به حساب اعمال خود نمی رسند، و نفعشان برای مردم کم است، افرادی پرحرف، فاقد احساس مسؤولیت، علاقه مند به خورد و خوراکند.

اهل دنیا نه در نعمت، شکر خدا به جا می آورند، و نه در مصائب صبورند.

خدمات فراوان در نظر آنها کم است (و خدمات کم خودشان بسیار!) خود را به انجام کاری که انجام ندادهاند ستایش می کنند، و چیزی را مطالبه می کنند که حق آنها نیست.

پیوسته از آرزوهای خود سخن می گویند، و عیوب مردم را خاطر نشان میسازند و نیکیهای آنها را پنهان»! عرض کرد: «پروردگارا! آیا دنیاپرستان غیر از این عیبی هم دارند»؟

فرمود: «ای احمد! عیب آنها این است که جهل و حماقت در آنها فراوان است، برای استادی که از او علم آموختهاند تواضع نمی کنند، و خود را عاقل برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۸۳

می دانند اما در نزد آگاهان، نادان و احمقند».

سپس به اوصاف اهل آخرت و بهشتیان پرداخته چنین ادامه می دهد:

«آنها مردمی با حیا هستند، جهل آنها کم، منافعشان بسیار، مردم از آنها در راحتنـد و خود از دست خویش در تعب، و سخنانشان سنجیده است.

پیوسته حسابگر اعمال خویشند، و از همین جهت خود را به زحمت میافکنند، چشمهایشان به خواب میرود اما دلهایشان بیدار است، چشمشان می گرید، و قلبشان پیوسته به یاد خداست.

هنگامی که مردم در زمره غافلان نوشته شوند آنها از ذاکران نوشته میشوند.

در آغاز نعمتها حمد خدا می گویند، و در پایان شکر او را به جا می آورند، دعایشان در پیشگاه خدا مستجاب، و تقاضایشان مسموع است، و فرشتگان از وجود آنها مسرورند ... مردم (غافل) در نزد آنها مردگان، و خداوند نزد آنها حیّ و قیّوم و کریم است (همتشان آن چنان عالی است که به غیر او نظر ندارند) ... مردم در عمر خود یکبار می میرند اما آنها به خاطر جهاد با نفس و مخالفت هوی هر روز هفتاد بار می میرند (و حیات نوین می یابند)! ...

هنگامی که برای عبادت در برابر من میایستند همچون بنیان مرصوص و سدّی فولادینند، و در دل آنها توجیهی به مخلوقات

به عزّت و جلالم سوگند که من آنها را حیات و زندگی پاکیزهای میبخشم، و در پایان عمر، خودم قبض روح آنها می کنم، و درهای آسمان را برای پرواز روح آنها می گشایم، تمام حجابها را از برابر آنها کنار میزنم، و دستور می دهم بهشت، خود را برای آنها بیارائید! ای احمد! عبادت ده جزء دارد که نه جزء آن طلب حلال است، هنگامی که غذا و نوشیدنی تو حلال باشد تو در حفظ و حمایت منی ...».

و در فراز دیگری آمده است: «ای احمد! آیا می دانی کدام زندگی گواراتر و پر دوامتر است»؟

عرض کرد: «خداوندا! نه» برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۸۴

فرمود: «زندگی گوارا آن است که صاحب آن لحظهای از یاد من غافل نماند، نعمت مرا فراموش نکند، از حق من بی خبر نباشد، و شب و روز رضای مرا بطلبد.

اما زنـدگی بـاقی آن است که برای نجـات خود عمـل کنـد، و دنیـا در نظرش کوچـک باشـد، و آخرت بزرگ، رضای مرا بر رضای خویشـتن مقدم بشـمرد، و پیوسته خشنودی مرا بطلبد، حق مرا بزرگ دارد و توجه به آگاهی من نسبت به خودش داشته باشد.

در برابر هر گناه و معصیتی به یاد من بیفتد، و قلبش را از آنچه ناخوش دارم پاک کند، شیطان و وساوس شیطانی را مبغوض دارد، و ابلیس را بر قلب خویش مسلط نسازد و به او راه ندهد.

هنگامی که چنین کند محبت خاصی در قلبش جای میدهم، آن چنان که تمام دلش در اختیار من خواهد بود، و فراغت و اشتغال و هم و غم و سخنش از مواهبی است که من به اهل محبتم میبخشم! چشم و گوش و قلب او را می گشایم، تا با گوش قلبش حقایق غیب را بشنود و با دلش جلال و عظمت را بنگرد»! و سر انجام این حدیث نورانی با این جملههای بیدار کننده یایان می گیرد:

«ای احمد! اگر بندهای نماز تمام اهل آسمانها و زمین را به جا آورد، و روزه تمام اهل آسمانها و زمین را انجام دهد، همچون فرشتگان غذا نخورد و لباس (فاخری) در تن نپوشد (و در نهایت زهد و وارستگی زندگی کند) ولی در قلبش ذرهای دنیا پرستی یا ریاست طلبی یا عشق به زینت دنیا باشد در سرای جاویدانم در جوار من نخواهد بود! و محبتم را از قلب او بر می کنم! سلام و رحمتم بر تو باد، و الحمد لله ربّ العالمین».

این سخنان عرشی که روح انسان را با خود به اوج آسمانها میبرد، و در معراج الهی سیر میدهد و به آستانه عشق و شهود میکشد تنها قسمتی از حدیث قدسی است.

افزون بر این ما اطمینان داریم که غیر از آنچه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در سخنانش برای ما برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۸۵

بازگو کرده، اسرار و گفتگوها و رموز و اشاراتی میان او و محبوبش، رد و بدل شده که نه گوشها توانائی شنیدن آن را دارد و نه افکار عادی قدرت درکش را، و به همین دلیل در درون جان پاک پیامبر صلّی الله علیه و آله برای همیشه مکتوم مانـده و جز خاصانش از آن آگاه نشدهاند.

سورة النجم(53): آية 19 ص: 585

(آیه ۱۹)- این بتها زائیده هوای نفس شماست! پس از بیان بحثهای مربوط به توحید، وحی، معراج و آیات عظمت خداوند یگانه در آسمانها به بطلان شرک و عقائد خرافی مشرکان در زمینه بتها می پردازد.

مى فرمايىد: بعد از آن كه عظمت خداونىد و آيات بزرگ او را دانستيىد «به من خبر دهيىد آيا بتهاى لات و عزى ...» (أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى).

سورة النجم(33): آية 20 ص: 385

(آیه ۲۰)- «و (همچنین بت) منات که سومین آنهاست» آیا دختران خدا هستند و منشأ سود و زیان برای شما میباشند؟! (وَ مَناهَٔ الْنَّالِثَةَ الْلُخْری).

این سه بت در میان عرب از اهمیت و شهرت خاصی برخوردار بودند.

سورة النجم(٥٣): آية ٢١ ص: ٥٨٥

(آیه ۲۱)- «آیا سهم شما پسر است و سهم او دختر»؟! (أَ لَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنثى). در حالى كه به زعم شما دختران كم ارزشترند و حتى هنگامي كه مي شنويد همسر شما دختر آورده از شدت اندوه و خشم سياه مي شويد!

سورة النجم(53): آية 22 ص: 585

(آیه ۲۲)- «اگر چنین باشد این تقسیمی ناعادلانه است» که میان خود و خدا قائل شدید! (تِلْکُ إِذاً قِسْمَهٌ ضِیزی). چرا که سهم خدا را پست تر از سهم خود میدانید! به این ترتیب قرآن افکار منحط و خرافی آنها را به باد استهزا می گیرد که شما از یکسو دختران را زنده به گور می کنید و عیب و ننگ میدانید، و از سوی دیگر فرشتگان را دختران خدا میدانید، نه تنها خودشان را می می رستید که مجسمه های بی روح آنها نیز به صورت بتها در نظر شما این همه احترام دارد. و از اینجا روشن می شود که حد اقل بسیاری از بتهای سنگی و چوبی که مورد پرستش عرب واقع می شد به زعم آنها مجسمه های فرشتگان بود فرشتگانی که آنها را «ربّ النوع» و مدیر و مدبر عالم هستی می دانستند و نسبت آنها را با خدا نسبت دختر و پدر می پنداشتند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۸۶

از اینجا معلوم می شود که قرآن هرگز نمی خواهد اعتقاد عرب جاهلی را در مورد تفاوت دختر و پسر بپذیرد، بلکه می خواهد مسلمات طرف را به رخ او بکشد و الا نه دختر و پسر در منطق اسلام از نظر ارزش انسانی تفاوتی دارند، و نه فرشتگان دختر و پسر دارند و نه اصلا آنها فرزندان خدا هستند، و نه خدا اصولا فرزندی دارد.

سورة النجم(٥٣): آية ٢٣ ص: ٥٨٦

(آیه ۲۳) - در این آیه، قرآن با قاطعیت می گوید: «اینها فقط نامهائی است که شما و پدرانتان بر آنها گذاشته اید (نامهائی بی محتوا و اسمهائی بی مسمی) و هر گز خداوند دلیل و حجتی بر آن نازل نکرده است» (إِنْ هِیَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّیْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ).

نه دلیلی از عقل بر آن دارید، و نه دلیلی از طریق وحی الهی، و جز یک مشت اوهام و خرافات و الفاظ تو خالی چیزی نیست. و در پایان می افزاید: «آنها فقط از گمانهای بی اساس و هوای نفس پیروی می کنند» و این موهومات همه زائیده پندار و هوی است (إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ ما تَهْوَی الْأَنْفُسُ).

«در حالی که هدایت از سوی پروردگارشان برای آنها آمده است» (وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدی).

اما چشم می بندند و به آن پشت می کنند، و در ظلمات این اوهام غوطهور می شوند.

اصولاً هوای نفس خود بزرگترین و خطرناکترین بتهاست و سر چشمه پیدایش بتهای دیگر، و مایه گرمی بازار بت پرستی است.

سورة النجم(٥٣): آية ٢٤ ص: ٥٨٦

(آیه ۲۴)- قرآن همچنان خرافه بت پرستی را تعقیب و محکوم می کند.

نخست به آرزوهای بیاساس بت پرستان و انتظاراتی که از بتها داشتند پرداخته، می گوید: «آیا آنچه انسان تمنا دارد به آن میرسد»؟! (أَمْ لِلْإِنْسانِ ما تَمَنَّی).

آیا ممکن است این اجسام بیروح و بیارزش به شفاعت او در پیشگاه خدا برخیزند؟ و یا در مشکلات و گرفتاریها در دنیا و آخرت به او پناه بدهند؟

برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۸۷

سورة النجم (53): آية 25 ص: 587

(آيه ۲۵)- «در حالي كه آخرت و دنيا از آن خداست» (فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولِي).

عالم اسباب بر محور اراده او می چرخد، و هر موجودی هر چه دارد از برکت وجود اوست، شفاعت از ناحیه او و حل مشکلات نیز به دست قدرت اوست.

و به این ترتیب قرآن مشرکان را بکلی از شفاعت بتها و حل مشکلات به وسیله آنها مأیوس و نومید می کند.

گسترش دامنه آرزوها! آرزو و تمنا از محدود بودن قدرت انسان و توانائی او سر چشمه می گیرد زیرا هر گاه به چیزی علاقه داشت و به آن نرسید شکل آرزو و تمنا به خود می گیرد.

البته آرزوهای انسان گاهی صادق است و از روح بلند او سر چشمه می گیرد و عاملی است برای حرکت و تلاش و جهاد و سیر تکاملی او، مثل این که انسان آرزو می کند در علم و دانش و تقوا و شخصیت و آبرو سر آمد جهانیان باشد.

ولی بسیار می شود که این آرزوها کاذب است، و مایه غفلت و بی خبری و تخدیر و عقب ماندگی است، مثل آرزوی رسیدن به عمر جاویدان، و خلود در زمین، و در اختیار گرفتن تمام اموال و ثروتها، و حکومت بر همه انسانها و موهومات دیگری از این قبیل.

و به همین دلیل در روایات اسلامی تشویق شده که مردم به سراغ آرزوهای خیر بروند، در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «کسی که تمنای چیزی کند که موجب رضای خداست از دنیا بیرون نمی رود مگر به آن برسد».

سورة النجم(33): آية 25 ص: ۵۸۷

(آیه ۲۶)- شفاعت هم به اذن اوست! در این آیه برای تأکید بیشتر روی همین مسأله میافزاید: «و چه بسیار فرشتگان آسمانها که شفاعت آنها هیچ سودی نمی بخشد، مگر پس از آن که خدا برای هر کس بخواهد و راضی باشد اجازه (شفاعت) دهد» (وَ کَمْ مِنْ مَلَکٍ فِی السَّماواتِ لا تُغْنِی شَفاعَتُهُمْ شَیْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ یَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یَرْضی).

جائی که فرشتگان آسمان با آن همه عظمت، حتی به صورت جمعی قادر برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۸۸ بر شفاعت نیستند، جز به اذن و رضای پروردگار، از این بتهای بیشعور و فاقد هر گونه ارزش چه انتظاری دارید؟

سورة النجم(53): آية 27 ص: 588

(آیه ۲۷) – قرآن همچنان موضوع آیات قبل را در زمینه نفی عقائد مشرکان تعقیب کرده، نخست می فرماید: «کسانی که به آخرت ایمان ندارند فرشتگان را دختر (خدا) نامگذاری می کنند» (إِنَّ الَّذِینَ لا یُوْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ لَیُسَمُّونَ الْمَلائِکَهُ تَسْمِیَهُ الْاُنْثی). آری! این سخن زشت و شرم آور تنها از کسانی سر می زند که به حساب و جزای اعمال معتقد نیستند که اگر عقیده داشتند این چنین جسورانه سخن نمی گفتند، سخنی که کمترین دلیلی بر آن ندارند، بلکه دلائل عقلی نشان می دهد نه خداوند فرزندی دارد نه فرشتگان دخترند.

سورة النجم(23): آية 28 ص: 288

(آیه ۲۸)– سپس به یکی از دلائل روشن بطلان این نامگذاری اشاره کرده، میافزاید: «آنها هرگز به این سخن دانشی ندارند، بلکه از گمان بی پایه پیروی می کننـد با اینکه گمان هرگز انسان را بی نیاز از حق نمی کنـد» (وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً).

انسان متعهد و معتقد هرگز سخنی را بدون علم و آگاهی نمی گوید، و نسبتی را به کسی بیدلیل نمیدهد، تکیه بر گمان و پندار کار شیطان و انسانهای شیطان صفت است، و قبول خرافات و موهومات نشانه انحراف و بیعقلی است.

البته گمانهائی که معقول و موجه است و غالبا مطابق واقع و مبنای کار عقلا در زندگی روزمره می باشد، مانند شهادت شهود در محکمه و دادگاه، یا «قول اهل خبره» و یا «ظواهر الفاظ» و امثال آن داخل در این آیات نیست، این گونه گمانها در حقیقت یک نوع علم عرفی است نه گمان.

سورة النجم(٥٣): آية ٢٩ ص: ٥٨٨

(آیه ۲۹) – سپس برای این که روشن کند این گروه اهل استدلال و منطق نیستند، و حب دنیا و فراموش کردن یاد خدا آنها را در لجنزار این موهومات و خرافات غوطهور ساخته، می افزاید: «حال که چنین است از کسی که از یاد ما روی می گرداند، و جز زندگی مادی دنیا را نمی طلبد اعراض کن و به آنها اعتنا برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۸۹

مكن كه شايسته سخن نيستند! (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الدُّنيا).

«ذکر خدا» مفهوم گستردهای دارد که هر گونه توجه به خدا را چه از طریق قرآن، و دلیل عقل، و چه از طریق سنت، و یاد

قیامت شامل می گردد.

شاید نیاز به تذکر نداشته باشد که امر به اعراض از این گروه هر گز منافاتی با تبلیغ رسالت که وظیفه اصلی پیامبر صلّی الله علیه و آله است ندارد. چرا که تبلیغ و انذار و بشارت مخصوص مواردی است که حد اقل احتمال تأثیر وجود داشته باشد، آنجا که یقین به عدم تأثیر است نباید نیروها را به هدر داد، و بعد از اتمام حجت باید اعراض کرد.

سورة النجم(53): آية 30 ص: 589

(آیه ۳۰)- در این آیه برای اثبات انحطاط فکری این گروه میافزاید: «این آخرین حدّ آگاهی آنهاست»! (ذلِکَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْم).

و در پایان می گوید: «پروردگار تو کسانی را که از راه او گمراه شدهاند بهتر میشناسد و (همچنین) هدایت یافتگان را از همه بهتر میشناسد» (إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدی).

جمله «ذلِکَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» می تواند اشاره به خرافاتی همچون بت پرستی و فرشتگان را دختران خدا دانستن باشد، یعنی نهایت آگاهی این گروه همین موهومات است. یا اشاره به دنیا پرستی و اسارت آنها در چنگال مادیات، یعنی نهایت فهم و شعورشان این است که به خواب و خور و عیش و نوش و متاع فانی و زود گذر و زرق و برق دنیا قناعت کردهاند.

در دعای معروفی که در اعمال ماه شعبان از پیغمبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله نقل شده میخوانیم: «خداوندا! دنیا را بزرگترین مشغولیات فکری ما و نهایت علم و آگاهی ما قرار مده».

پایان آیه اشاره به این حقیقت است که خداوند هم گمراهان را به خوبی می شناسد و هم هدایت یافتگان را، یکی را مشمول غضبش و دیگری را مشمول لطفش می سازد، و در قیامت هر کدام را بر طبق اعمالشان جزا خواهد داد.

سورة النجم(53): آية 31 ص: 589

(آیه ۳۱) – از آنجا که در آیات گذشته سخن از علم خداوند نسبت به برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۹۰ گمراهان و هدایت یافتگان بود، در این آیه در ادامه همین سخن میافزاید:

«و برای خداست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است» (وَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْض).

مالکیت مطلقه در عالم هستی از آن اوست، و نیز حاکمیت مطلقه از آن او، و به همین دلیل تدبیر عالم هستی نیز به دست اوست، و چون چنین است جز او شایسته عبودیت و شفاعت نیست.

هدف بزرگ او از این آفرینش گسترده این است که انسان یعنی گل سر سبد عالم هستی را با برنامههای تکوینی و تشریعی و تعلیم و تربیت انبیا در مسیر تکامل پیش برد.

لـذا در پایـان آیه به عنوان نتیجه این مـالکیت میفرمایـد: غرض این است «تـا بـدکاران را به کیفر کارهـای بـدشان برسانـد، و نیکوکاران را در برابر اعمال نیکشان پاداش دهد» (لِیَجْزِیَ الَّذِینَ أَساؤًا بِما عَمِلُوا وَ یَجْزِیَ الَّذِینَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَی).

سورة النجم(53): آية 32 ص: 590

(آیه ۳۲)– سپس به توصیف این گروه نیکوکار پرداخته، چنین می گویـد: «آنها کسانی هسـتند که از گناهان بزرگ و اعمال ز زشت دوری میکنند، جز گناهان صغیره» که گاه آلوده آن میشوند (الَّذِینَ یَجْتَنِبُونَ کَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ).

قرائن موجود در آیه گواهی میدهد که «لمم» به معنی گناهانی است که احیانا از انسان سر میزند، سپس متوجه میشود و آن را ترک می گوید.

به علاوه در جمله بعد قرآن مي گويد: «آمرزش پروردگار تو گسترده است» (إنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ).

این نیز دلیلی است بر این که گناهی از او سر زده که نیاز به غفران پروردگار دارد، نه تنها قصد و نیت و نزدیک شدن به گناه بی آنکه آن را مرتکب شده باشد.

به هر حال منظور این است که نیکوکاران ممکن است لغزشی داشته باشند، ولی گناه بر خلاف طبع و سجیه آنهاست، روح و قلب آنها همواره پاک است و آلودگیها جنبه عرضی دارد، و لـذا به محض ارتکاب گناه پشیمان میشونـد و از خـدا تقاضای بخشش میکنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۹۱

در دنباله آیه برای تأکید عدالت پروردگار، در مسأله پاداش و کیفر از علم بیپایان او که همه بندگان و اعمالشان را فرا می گیرد سخن می گوید.

مى فرمايد: «او نسبت به شما از همه آگاهتر است، از آن هنگام كه شما را از زمين آفريد، و در آن موقع كه به صورت جنينهائي در شكم مادرانتان بوديد» (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ).

آفرینش انسان از زمین یا به اعتبار خلقت نخستین او از طریق حضرت آدم است که از خاک آفریده شده، و یا به اعتبار این است که تمام مواد تشکیل دهنده وجود انسان از زمین گرفته شده، که از طریق تغذیه در ترکیببندی نطفه، و سپس در مراحل پرورش جنین مؤثر است، و در هر حال هدف این است که خداوند از همان زمان که ذرات وجود شما در لابلای خاکهای زمین بود و از آن روز که نطفه ناچیزی در رحم مادر در درون پردههای ظلمانی رحم بودید از تمام جزئیات وجود شما آگاه بوده است، با این حال چگونه ممکن است از اعمال شما بی خبر باشد؟! این تعبیر ضمنا مقدمهای است برای سخن بعد که می فرماید: «پس خودستائی نکنید (و از پاک بودن خود سخن مگوئید، چرا که) او پرهیز کاران را بهتر می شناسد» (فَلا تُزَکُّوا می فَرماید: «پس خودستائی نکنید (و از پاک بودن خود سخن مگوئید، چرا که) او پرهیز کاران را بهتر می شناسد» (فَلا تُزکُّوا

نه نیازی به معرفی شما دارد، و نه شرح اعمال نیکتان، او هم از اعمال شما آگاه است، و هم از میزان خلوص نیتتان، و حتی شما را از خودتان بهتر میشناسد.

«كبائر الاثم» چيست؟ ص: ٥٩١

هر گناهی که یکی از شرائط زیر را داشته باشد کبیره محسوب می شود:

الف- گناهانی که خداوند وعده عذاب در باره آن داده است.

ب- گناهانی که در نظر اهل شرع و لسان روایات با عظمت یاد شده.

ج- گناهانی که در منابع شرع بزرگتر از گناهی شمرده شده که جزء کبائر است.

د- و بالاخره گناهانی که در روایات معتبر تصریح به کبیره بودن آن شده است.

در روایات اسلامی تعداد کبائر مختلف ذکر شده، در بعضی تعداد آنها هفت برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۹۲

گناه (قتل نفس، عقوق والدین، رباخواری، بازگشت به دار الکفر بعد از هجرت، نسبت زنا به زنان پاکدامن دادن، خوردن مال یتیم و فرار از جهاد).

و در بعضی دیگر تعداد آنها ده و در بعضی نوزده گناه و در بعضی تعداد بسیار بیشتری دیده میشود.

در حدیثی از امام باقر علیه السّ لام در تفسیر آیه مورد بحث آمده است: «هیچ کس از شما نباید به فزونی نماز و روزه و زکات و مناسک حج و عمره افتخار کند زیرا خداوند پرهیزکاران شما را از همه بهتر میشناسد».

سورة النجم(33): آية 33 ص: 292

اشاره

(آیه ۳۳)

شأن نزول: ص: 292

در مورد این آیه نقل شده: «ولید بن مغیره» به سوی پیامبر صلّی الله علیه و آله آمد و به اسلام نزدیک شد، بعضی از مشرکان او را سرزنش کرده، گفتند:

آئین بزرگان ما را رها کردی، آنها را گمراه شمردی، و گمان کردی آنها در آتش دوزخند! او گفت: راستی من از عذاب خدا می ترسم! شخص سرزنش کننده گفت: اگر چیزی از اموالت را به من دهی و به سوی شرک باز گردی من عذاب تو را بر گردن می گیرم! ولید بن مغیره این کار را کرد، ولی مالی را که بنا بود بپردازد جز قسمت کمی از آن را نپرداخت! آیه نازل شد و ولید را به خاطر روی گرداندن از ایمان نکوهش کرد.

تفسير: ص: ٥٩٢

در آیات گذشته سخن از این بود که خداوند بدکاران را در برابر اعمال بدشان کیفر میدهد و نیکوکاران را پاداش، چون ممکن است بعضی تصور کنند میشود کسی را به گناه دیگری کیفر داد، یا گناه دیگری را بر گردن گرفت آیه در مقام نفی این توهم برآمده، و این اصل مهم اسلامی را که نتیجه اعمال هر کس فقط به خود او باز می گردد تشریح می کند. نخست می فرماید: «آیا دیدی آن کس را که (از اسلام – یا از انفاق) روی گردان شد» (أَ فَرَأَیْتَ الَّذِی تَوَلَّی).

سورة النجم(33): آية 34 ص: 292

(آیه ۳۴)- «و کمی عطا کرد و از (پرداخت مال) بیشتر امساک نمود» به گمان این که دیگری می تواند بار گناهان او را بر

دوش گیرد (وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدى). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۹۳

سورة النجم(53): آية 35 ص: 593

(آیه ۳۵)- «آیا نزد او علم غیب است و می بینـد» که دیگران می تواننـد گناهان او را بر دوش گیرنـد؟! (أَ عِنْـدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ یَری).

چه کسی از قیامت آمده و برای آنها خبر آورده است که افراد می توانند رشوه گیرند و گناه دیگران را بر گردن نهند؟!

سورة النجم (53): آية 37 ص: 593

(آیه ۳۶)- بعد از این اعتراض شدید قرآن به بیان یک اصل کلی که در سایر آئینهای آسمانی نیز بوده است، پرداخته، چنین می گوید: کسی که با این وعدههای خیالی دست از انفاق (یا ایمان) برداشته، و می خواهد خود را با پرداختن مختصر مالی از کیفر الهی رهائی بخشد «آیا از آنچه در کتب موسی نازل گردیده با خبر نشده است»؟! (أَمْ لَمْ یُنَبَّأْ بِما فِی صُحُفِ مُوسی).

سورة النجم(53): آية 37 ص: 593

(آیه ۳۷) – «و (همچنین آنچه) در کتب ابراهیم، همان کسی که وظیفه خود را بطور کامل ادا کرد» (وَ إِبْراهِیمَ الَّذِی وَفَّی). همان پیامبر بزرگی که به تمام عهد و پیمانهای الهی وفا کرد، حق رسالت او را ادا نمود، و برای تبلیغ آئین او از هیچ مشکل و تهدید و آزاری نهراسید، همان کسی که در راه خدا تن را به آتش سپرد و قلبش را به خدا، و فرزندش را به قربانی، و اموالش را به برادران و یاران.

سورة النجم(٥٣): آية ٣٨ ص: ٥٩٣

(آیه ۳۸)– آیا با خبر نشده است که در تمام این کتب آسمانی این حکم نازل شده «که هیچ کس بار گناه دیگری را بر دوش نمی گیرد»؟! (أَلًا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری).

سورة النجم(٥٣): آية ٣٩ ص: ٥٩٣

(آیه ۳۹)- سپس برای توضیح بیشتر می افزاید: آیا خبر ندارد در این کتب آسمانی آمده است «که برای انسان بهرهای جز سعی و کوشش او نیست»؟! (وَ أَنْ لَیْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعی).

سورة النجم(53): آية 40 ص: 593

(آیه ۴۰)- و آیا خبر ندارد «که تلاش او به زودی دیده می شود»؟! (وَ أَنَّ سَعْیَهُ سَوْفَ یُری).

نه تنها نتیجههای این سعی و تلاش- چه در مسیر خیر باشد یا شر- بلکه خود اعمال او، در آن روز در برابرش آشکار میشود، همان گونه که در آیه ۳۰ سوره برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۹۴

آل عمران می فرماید: «روزی که هر کس اعمال نیکی را که انجام داده حاضر می بیند».

سورة النجم(53): آية 41 ص: 594

(آیه ۴۱)- «سپس (در برابر عملش) به او جزای کافی داده خواهد شد» (ثُمَّ یُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفی).

منظور از «جزاء اوفی» جزائی است که درست به اندازه عمل باشد، البته این منافات با تفضّل الهی در مورد اعمال نیک به ده برابر، یا صدها، و هزاران برابر ندارد.

در آیات فوق اشاره به سه اصل از اصول مسلم اسلامی شده، که در کتب آسمانی پیشین نیز به عنوان اصول مسلمی شناخته شده است:

الف- هر كس مسؤول گناهان خويش است.

ب- بهره هر کس در آخرت همان سعی و کوشش اوست.

ج- خداوند به هر کس در برابر عملش جزای کامل می دهد.

و به این وسیله قرآن خط بطلان بر بسیاری از اوهام و خرافات که عوام مردم دارند، و یا احیانا در بعضی از مذاهب به صورت یک عقیده درآمده است می کشد.

سورة النجم(53): آية ٤٢ ص: 594

(آیه ۴۲) – تمام خطوط به او منتهی می شود! قرآن در ادامه بحثهای گذشته پیرامون مسأله جزای اعمال می فرماید: آیا انسان خبر ندارد که در صحف موسی و ابراهیم آمده است «که همه امور به پرورد گارت منتهی می گردد» (وَ أَنَّ إِلَی رَبِّکَ الْمُنتَهی). نه تنها حساب و ثواب و جزا و کیفر در آخرت به دست قدرت اوست که در این جهان نیز سلسله اسباب و علل به ذات پاک او منتهی می گردد، تمام تدبیرات این جهان از تدبیر او نشأت می گیرد، و بالاخره تکیه گاه عالم هستی و ابتدا و انتهای آن ذات یاک خداست.

در بعضى از روايات در تفسير اين آيه از امام صادق عليه السّلام چنين مىخوانيم:

«هنگامی که سخن به ذات خدا میرسد سکوت کنید».

یعنی در باره ذات او سخن نگوئید که عقلها در آنجا حیران است و به جائی نمی رسد، و اندیشه در ذات نامحدود برای عقول محدود غیر ممکن است، چرا که برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۹۵

هر چه در اندیشه گنجد محدود است و خداوند محال است محدود گردد.

این تفسیر با آنچه گفتیم منافات ندارد و هر دو می تواند در معنی آیه جمع باشد.

سورة النجم(٥٣): آية ٤٣ ص: ٥٩٥

(آیه ۴۳) – سپس برای روشن ساختن حاکمیت او در امر ربوبیت، و منتهی شدن همه امور این جهان به ذات پاک او، میافزاید:

و نيز آمده است «اوست كه خنداند و گرياند» (وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكُ وَ أَبْكى).

سورة النجم(٥٣): آية 44 ص: ٥٩٥

(آیه ۴۴)- «و اوست که میراند و زنده کرد» (وَ أَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَ أَحْیا).

سورة النجم(٥٣): آية 45 ص: 595

(آیه ۴۵)– «و اوست که دو زوج نر و ماده را آفرید» (وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ اللَّـكَرَ وَ الْأُنثى).

سورة النجم (٥٣): آية 46 ص: ٥٩٥

(آیه ۴۶)- «از نطفهای هنگامی که خارج میشود» و در رحم میریزد (مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنی).

چند آیه فوق در حقیقت بیان جامع و توضیح جالبی است برای مسأله انتهای همه امور به ربوبیت و تدبیر پروردگار، زیرا می گوید: مرگ و حیات شما به دست اوست، تداوم نسلها از طریق آفرینش زوجین نیز به تدبیر اوست همچنین تمام حوادثی که در طول زندگی انسان رخ می دهد از ناحیه اوست، او می گریاند یا می خنداند، می میراند یا زنده می کند، و به این ترتیب سر رشته زندگی از آغاز تا انجام، همه به ذات پاکش منتهی می گردد.

در حدیثی مفهوم خنده و گریه در این آیه توسعه داده شده و در تفسیر آن چنین می گوید: «خداوند آسمان را با باران می گریاند، و زمین را با گیاهان میخنداند»!

سورة النجم(53): آية 47 ص: 595

(آیه ۴۷)– بعـد از ذکر اموری که مربوط به ربوبیت و تـدبیر پروردگار است به امر معاد پرداخته میگوید: آیا انسان خبر ندارد که در کتب پیشین آمده «که بر خداست ایجاد عالم دیگر» تا عدالت اجرا گردد! (وَ أَنَّ عَلَیْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْری).

سورة النجم(٥٣): آية ٤٨ ص: ٥٩٥

(آیه ۴۸)- سپس می افزاید: «و این که اوست که (بندگان را) بی نیاز کرد و سرمایه باقی بخشید» (وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنی وَ أَقْنی). خداوند نه تنها در جنبههای مادی نیاز مندیهای انسان را با لطف عمیمش برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۹۶ بر طرف ساخته، سرمایههای مستمری در اختیار او گذارده، که در زندگی معنوی نیز احتیاجات انسانها را در امر تعلیم و تربیت و تکامل از طریق اعزام رسولان، و انزال کتب آسمانی، و عطای مواهب معنوی مرتفع ساخته است.

سورة النجم(53): آية 49 ص: 598

(آیه ۴۹)– سر انجام در این آیه میفرماید: آیا انسان نمیداند که در کتب پیشین آمده «که اوست پروردگار ستاره شعرا»؟! (وَ

أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى).

تکیه بر خصوص «ستاره شعرا» – علاوه بر این که این ستاره درخشنده ترین ستارگان آسمان است که معمولا به هنگام سحر در کنـار صورت فلکی «جوزا» در آسـمان ظـاهر میشود و کاملا جلب توجه میکنـد – به خاطر این است که گروهی از مشـرکان عرب آن را میپرستیدند، قرآن میگوید: چرا شعرا را میپرستید؟ آفریدگار و پروردگار آن را بپرستید.

سورة النجم(53): آية 50 ص: 598

(آیه ۵۰)-این همه درس عبرت کافی نیست؟ در آیات گذشته ده مطلب در طی دو فراز ذکر شده بود، فراز اول ناظر به مسؤولیت هر کس در مقابل اعمالش میباشد، و فراز دوم در باره منتهی شدن تمام خطوط به پروردگار سخن می گوید، و در اینجا که تنها به ذکر یک مطلب می پردازد سخن از مجازات و هلاکت دردناک چهار قوم از اقوام ستمگر پیشین است که هشداری است برای آنها که از دستورات گذشته سرپیچی می کنند و به مبدأ و معاد ایمان ندارند.

نخست مىفرمايد: آيا انسان خبر نـدارد كه در كتب پيشـين آمـده است «كه خداونـد قوم عاد نخستين را هلاك كرد»؟! (وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الْأُولى).

توصیف قوم عاد به «الاولی» (نخستین) یا به خاطر قدمت این قوم است و یا به خاطر آن است که در تاریخ، دو قوم «عاد» وجود داشتهاند و قوم معروف که پیامبرشان حضرت هود (ع) بود همان عاد نخستین است.

سورة النجم(53): آية 51 ص: 598

(آیه ۵۱) - سپس می افزاید: «و همچنین قوم ثمود را (بر اثر طغیانشان هلاک کرد) و کسی از آنها را باقی نگذارد» (وَ تُمُودَ فَما أَبْقی).

سورة النجم(٥٣): آية ٥٢ ص: ٥٩٦

(آیه ۵۲) – سپس در باره قوم نوح می فرماید: «و نیز قوم نوح را پیش از آنها» هلاک کرد (وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۹۷

«چرا که آنان از همه ظالمتر و طغیانگرتر بودنـد» (إِنَّهُمْ کانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغی). چرا که پیامبرشان نوح در مـدتی طولانی تر از تمام انبیاء به تبلیغ آنان پرداخت، با این حال جز تعـداد کمی به دعوت او پاسـخ نگفتنـد، و در شـرک و بت پرستی و تکذیب و آزار نوح پافشاری و سرسختی فوق العادهای داشتند، چنانکه شرح آن به خواست خدا در تفسیر سوره نوح خواهد آمد.

سورة النجم(53): آية 53 ص: 597

(آیه ۵۳)– قوم لوط چهارمین قومی هستند که به آنها اشاره کرده، می گوید:

«و نیز شهرهای زیر و رو شده (قوم لوط) را فرو کوبید» (وَ الْمُؤْتَفِكَةُ أَهْوی).

در ظاهر زلزله شدیـدی این آبادیها را به آسـمان پرتاب کرد و واژگون ساخت و بر زمین کوبید، و طبق روایات جبرئیل آنها را

به قوت خداداد از زمین برکند و وارونه کرد و بر زمین افکند.

سورة النجم (٥٣): آية ٥٤ ص: ٥٩٧

(آیه ۵۴) - سپس «آنها را با عذاب سنگین پوشانید» (فَغَشَّاها ما غَشَّی).

آری! بارانی از سنگهای آسمانی بر آنها فرو ریخت و سراسر این شهرهای زیر و رو شده را زیر آواری از سنگ مدفون ساخت.

سورة النجم(53): آية 55 ص: 597

(آیه ۵۵) - در پایان این بحث به مجموعه نعمتهائی که در آیات گذشته آمده است، اشاره کرده و در شکل یک استفهام انکاری می فرماید: «در کدامیک از نعمتهای پروردگارت تردید داری» (فَبأَیِّ آلاءِ رَبِّکَ تَتَماری).

آیا در نعمت حیات، یا اصل نعمت آفرینش، و یا این نعمت که خداوند کسی را به جرم دیگری مجازات نمی کند و خلاصه آنچه در کتب پیشین آمده و در قرآن نیز تأکید شده است شک و تردید داری؟

درست است که مخاطب در این آیه شخص پیامبر صلّی الله علیه و آله است. ولی مفهوم آن همگان را شامل می شود، بلکه هدف اصلی از آن بیشتر افراد دیگرند.

سورة النجم(53): آية 55 ص: 597

(آیه ۵۶)- به دنبال آیات گذشته که سخن از هلاکت اقوام پیشین به خاطر ستمگری و طغیان آنها می گفت، در اینجا روی سخن را به مشرکان و کفار و منکران دعوت پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، می گوید: «این (پیامبر یا قرآن) بیم دهندهای از بیم دهندگان پیشین است» (هذا نَذِیرٌ مِنَ النُّذُرِ الْاُولی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۹۸

این که می گوید: پیامبر (یا قرآن) از نوع انـذار کنندگان نخستین است، مفهومش این است که رسالت محمد صـلّی اللّه علیه و آله و کتاب آسمانیش قرآن موضوع بیسابقهای نیست، شبیه آن در گذشته بسیار بوده است، چرا مایه تعجب شماست

سورة النجم(53): آية 57 ص: 598

(آیه ۵۷)–آنگاه برای این که مشرکان و کافران به خطری که در پیش دارنـد توجه بیشتر کننـد، میافزاید: «آنچه باید نزدیک شود نزدیک شده است» و قیامت فرا میرسد (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ).

نامگذاری قیامت به این نام علاوه بر آیه مورد بحث در آیه ۱۸ سوره غافر نیز آمده است، و تعبیری است گویا و بیدار کننده، همین مفهوم را به صورت دیگری در آیه ۱ سوره قمر میخوانیم: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَ هُ قیامت نزدیک شده است» و به هر حال نزدیکی قیامت با توجه به کوتاهی عمر دنیا قابل درک است به خصوص این که هر کس میمیرد، قیامت صغرایش برپا می شود.

سورة النجم (٥٣): آية ٥٨ ص: ٥٩٨

(آیه ۵۸)– سپس میافزاید: مهم این است که «هیچ کس جز خدا نمی تواند در آن روز سختیهای آن را برطرف سازد» (لَیْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ کاشِفَةٌ).

حاکم و مالک و صاحب قدرت در آن روز (و همیشه) خداست، اگر نجات میخواهید دست به دامن لطف او زنید، و اگر آرامش میطلبید در سایه ایمان به او قرار گیرید.

سورة النجم(53): آية 59 ص: 598

(آیه ۵۹)- در این آیه می افزاید: «آیا از این سخن تعجب می کنید» (أَ فَمِنْ هذَا الْحَدِیثِ تَعْجَبُونَ).

این جمله ممکن است اشاره به مسأله رستاخیز باشد که در آیات قبل آمده، یا اشاره به قرآن، چرا که در آیات دیگر از آن تعبیر به «حدیث» شده و یا سخنانی که در باره هلاک اقوام پیشین گفته شد و یا همه اینها.

سورة النجم(53): آية 60 ص: 598

(آیه ۶۰)- سپس می گوید: «و میخندید و نمی گریید»؟ (وَ تَضْحَكُونَ وَ لا تَبْكُونَ).

سورة النجم(33): آية 61 ص: 598

(آیه ۶۱) – «و پیوسته در غفلت و هوسرانی به سر می برید»؟! (وَ أَنْتُمْ سامِدُونَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۴، ص: ۵۹۹ در حالی که اینجا نه جای خنده است و نه جای غفلت و بی خبری، جای گریه بر فرصتهای از دست رفته، طاعات ترک شده، و معاصی و گناهانی است که از شما سر زده است، جای بیداری و جبران اموری است که از دست رفته، و بالاخره جای توبه و انابه و بازگشت به سایه لطف خداست.

سورة النجم(53): آية 67 ص: 599

(آیه ۶۲) - همه برای او سجده کنید! در آخرین آیه این سوره، و به دنبال بحثهای فراوانی که پیرامون اثبات توحید و نفی شرک بیان شد، می گوید: «اکنون که چنین است برای خدا سجده کنید و او را بپرستید» (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا) «۱».

اگر میخواهید در صراط مستقیم حق گام بردارید تنها برای او که تمام خطوط عالم هستی به ذات پاکش منتهی می گردد سجده کنید، و اگر میخواهید به سرنوشت دردناک اقوام پیشین که بر اثر شرک و کفر و ظلم و ستم در چنگال عذاب الهی گرفتار شدند گرفتار نشوید تنها او را عبادت کنید.

جالب توجه این که در روایات زیادی نقل شده است که وقتی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به هنگام تلاوت این سوره به این آیه رسید همه مؤمنان و کافرانی که آن را شنیدند به سجده افتادند.

و این نخستین بـار نیست که قرآن در قلـوب منکران نیز اثر میگـذارد و آنهـا را بیاختیـار مجـذوب خود میکنـد چنـانکه در داسـتان ولیـد بن مغیره آمـده است که وقتی آیـات سوره «فصّ لمت» را شـنید هنگـامی که پیـامبر صـلّی الله علیه و آله این آیه را تلاوت فرمود: «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْـذَرْتُكَمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةً عادٍ وَ ثَمُودَ» «٢» از جا برخاست لرزیـد و مو بر تنش راست شد، به خانه آمد به گونهای که مشرکان پنداشتند او کاملا مجذوب آئین محمد صلّی اللّه علیه و آله شده است.

پایان سوره نجم و جلد چهارم برگزیده تفسیر نمونه

(١) اين آيه سجده واجب دارد.

(۲) ترجمه: «اگر آنها روی گردان شوند، بگو: من شما را از صاعقهای همانند صاعقه عاد و ثمود می ترسانم!» فصّلت/ ۱۳.

جلد پنجم

پیشگفتار ص: ۲۱

گزیده تفسیر نمونه! بزرگترین سرمایه ما مسلمانان قرآن مجید است. معارف، احکام، برنامه زندگی، سیاست اسلامی، راه به سوی قرب خدا، همه و همه را در این کتاب بزرگ آسمانی مییابیم.

بنابر این، وظیفه هر مسلمان این است که با این کتاب بزرگ دینی خود روز به روز آشناتر شود این از یکسو.

از سوی دیگر آوازه اسلام که بر اثر بیداری مسلمین در عصر ما، و بخصوص بعد از انقلاب اسلامی در سراسر جهان پیچیده است، حس کنجکاوی مردم غیر مسلمان جهان را برای آشنایی بیشتر به این کتاب آسمانی برانگیخته است، به همین دلیل در حاضر از همه جا تقاضای ترجمه و تفسیر قرآن به زبانهای زنده دنیا میرسد، هر چند متأسفانه جوابگویی کافی برای این تقاضاها نیست، ولی به هر حال باید تلاش کرد و خود را آماده برای پاسخگویی به این تقاضاهای مطلوب کنیم.

خوشبختانه حضور قرآن در زنـدگی مسلمانان جهان و بخصوص در محیط کشور ما روز به روز افزایش پیـدا می کنـد، قاریان بزرگ، حافظان ارجمند، مفسران آگاه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۲

در جامعه امروز ما بحمد الله کم نیستند، رشته تخصصی تفسیر در حوزه علمیه قم به صورت یکی از رشته های تخصصی مهم در آمده و متقاضیان بسیاری دارد، درس تفسیر نیز از دروس رسمی حوزه ها و از مواد امتحانی است، و در همین راستا «تفسیر نمونه» نوشته شد، که تفسیری است سلیس و روان و در عین حال پرمحتوا و ناظر به مسائل روز و نیازهای زمان، و شاید یکی از دلایل گسترش سریع آن همین اقبال عمومی مردم به قرآن مجید است.

گر چه برای تهیه این تفسیر به اتفاق گروهی از فضلای گرامی حوزه علمیه قم (دانشمندان و حجج اسلام آقایان: محمد رضا آشتیانی – محمد جعفر امامی – داود الهامی – اسد الله ایمانی – عبد الرسول حسنی – سید حسن شجاعی – سید نور الله طباطبائی – محمود عبد اللهی – محسن قرائتی و محمد محمدی اشتهاردی) در مدت پانزده سال زحمات زیادی کشیده شد، ولی با توجه به استقبال فوق العاده ای که از سوی تمام قشرها و حتی برادران اهل تسنن از آن به عمل آمد، تمام خستگی تهیه آن برطرف گشت و این امید در دل دوستان بوجود آمد که ان شاء الله اثری است مقبول در پیشگاه خدا.

متن فارسی این تفسیر دهها بار چاپ و منتشر شده، و ترجمه کامل آن به زبان «اردو» در (۲۷) جلد نیز بارها به چاپ رسیده است، و ترجمه کامل آن به زبان «عربی» نیز به نام تفسیر «الأمثل» اخیرا در بیروت به چاپ رسید و در نقاط مختلف کشورهای اسلامی انتشار یافت.

ترجمه آن به زبان «انگلیسی» هم اکنون در دست تهیه است که امیدواریم آن هم به زودی در افق مطبوعات اسلامی ظاهر

گر دد.

بعد از انتشار تفسیر نمونه گروه کثیری خواهان نشر «خلاصه» آن شدند.

چرا که مایل بودند بتوانند در وقت کوتاهتر و با هزینه کمتر به محتوای اجمالی آیات، و شرح فشردهای آشنا شوند، و در بعضی از کلاسهای درسی که تفسیر قرآن مورد توجه است به عنوان متن درسی از آن بهره گیری شود. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۳

این درخواست مکرّر، ما را بر آن داشت که به فکر تلخیص تمام دوره (۲۷) جلدی تفسیر نمونه، در پنج جلد بیفتیم ولی این کار آسانی نبود، مدتی در باره آن مطالعه و برنامهریزی شد و بررسیهای لازم به عمل آمد تا این که فاضل محترم جناب مستطاب آقای احمد علی بابائی که سابقه فعالیت و پشتکار و حسن سلیقه ایشان در تهیه «فهرست موضوعی تفسیر نمونه» بر ما روشن و مسلّم بود عهده دار انجام این مهم گردید و در مدت سه سال کار مستمر شبانه روزی این مهم به وسیله ایشان انجام گدید.

اینجانب نیز با فکر قاصر خود کرارا بر نوشته های ایشان نظارت کردم و در مواردی که نیاز به راهنمایی بود به اندازه توانایی مسائل لازم را تذکر دادم، و در مجموع فکر می کنم بحمد الله اثری ارزنده و پربار به وجود آمده که هم قرآن با ترجمه سلیس را در بردارد و هم تفسیر فشرده و گویایی، برای کسانی که میخواهند با یک مراجعه سریع از تفسیر آیات آگاه شوند، می باشد.

و نام آن برگزیده تفسیر نمونه نهاده شد.

و من به نوبه خود از زحمات بیدریغ ایشان تشکر و قدردانی میکنم، امیدوارم این خلاصه و فشرده که گزیدهای است از قسمتهای حساس، و حدیث مجملی از آن مفصل، نیز مورد قبول اهل نظر و عموم قشرهای علاقهمند به قرآن گردد و ذخیرهای برای همه ما در «یوم الجزاء» باشد.

قم– حوزه علمیه ناصر مکارم شیرازی ۱۳ رجب ۱۴۱۴ روز میلاد مسعود امیر مؤمنان حضرت علی علیه السّلام مطابق با ۴/ ۱۰/ ۱۳۷۲

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۵

ادامه جزء 27 ص: 25

سوره قمر [34] ص: 25

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۵۵ آیه است

محتوای سوره: ص: 25

این سوره به خاطر مکی بودنش بحثهایی از مبدأ و معاد دارد، و مخصوصا بیانگر کیفرهای گروهی از اقوام پیشین است که بر اثر لجاجت و عناد و پیمودن راه کفر و ظلم و فساد یکی، پس از دیگری، به عذابهای کوبنده الهی گرفتار و هلاک شدند. و به دنبال هر یک از این سرگذشتها جمله وَ لَقَدْ یَسَّوْنَا الْقُوْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ما قرآن را برای تذكر، آسان ساختیم آیا کسی هست که متذکر شود» تکرار می کند تا درسی باشد برای مسلمین و کفار.

و بطور کلی محتوای این سوره را در چند بخش می توان خلاصه کرد:

۱- آغاز سوره که از مسأله نزدیکی قیامت و موضوع «شق القمر» و اصرار مخالفان در انکار آیات الهی سخن می گوید.

۲- در بخش دیگر از نخستین قوم سرکش و متمرد و لجوج یعنی «قوم نوح» و مسأله طوفان بصورت فشردهای بحث میکند.

۳- بخش دیگر داستان قوم «عاد» و عذاب دردناک آنها را شرح می دهد.

۴- در چهارمین بخش سخن از قوم «ثمود» و مخالفت آنها با پیامبرشان «صالح»، و همچنین «معجزه ناقه» و بالاخره مجازات آنها با «صیحه آسمانی» است. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۶

۵- سپس به سراغ قوم «لوط» میرود، و ضمن اشاره گویا و فشردهای به کفر و انحراف اخلاقی آنها، به قسمتی از عذاب دردناکشان اشاره می کند.

۶- در بخش دیگر سخن بسیار کوتاهی از «آل فرعون» و مجازات آنها آمده است.

۷- و در آخرین بخش مقایسه ای میان این اقوام و مشرکان مکّه و مخالفان پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله کرده، آینده خطرناکی را که در صورت ادامه این راه در پیش دارند بازگو می کند، و سوره را با شرح قسمتی از مجازات مجرمان در قیامت و پاداشهای عظیم پرهیزکاران پایان می دهد.

نامگذاری سوره به «قمر» به مناسبت نخستین آیه سوره است که از «شق القمر» بحث می کند.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 26

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام میخوانیم: «هر کس سوره «اقتربت» را یک روز در میان بخواند روز قیامت در حالی برانگیخته می شود که صورتش همچون ماه در شب بدر است، و هر کس آن را هر شب بخواند افضل است، و در قیامت نور و روشنائی صورتش بر سایر خلایق برتری دارد».

مسلما این درخشندگی صورت در صحنه قیامت نشانه ایمان قوی و راستینی است که در سایه تلاوت این سوره و تفکر و سپس عمل به آن حاصل شده است نه تلاوت خالی از اندیشه و عمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة القمر (54): آية 1 ص: 28

(آیه ۱)- ماه شکافته شد! در آیه نخست، از دو حادثه مهم سخن به میان آمده: یکی نزدیک شدن قیامت است که عظیمترین دگر گونی را در عالم آفرینش همراه دارد و سر آغازی است برای زندگی نوین در جهان دیگر، جهانی که عظمت و گستردگی آن برای ما زندانیان عالم دنیا قابل درک و توصیف نیست.

و حادثه دیگر معجزه بزرگ «شق القمر» است که هم دلیلی است بر قدرت خداونـد بزرگ بر هر چیز و هم نشانهای است از صدق دعوت پیغمبر گرامیش. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۷

مى فرمايد: «قيامت نزديك شد و ماه از هم شكافت»! (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ).

قابل توجه این که سوره گذشته (سوره نجم) با جمله هائی پیرامون نزدیکی قیامت پایان گرفت أَزِفَتِ الْآزِفَهُ و این سوره با همین معنی آغاز می شود و این تأکیدی است بر این موضوع که قیامت نزدیک است. گرچه در مقیاس عمر دنیا ممکن است هزاران سال طول بکشد، اما توجه به مجموع عمر این جهان از یکسو، و با توجه به این که تمام عمر دنیا در برابر قیامت لحظه زود گذری بیش نیست منظور از این تعبیر روشن می شود.

ذکر این دو حادثه با هم، به خاطر آن است که اصولاً ظهور پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله که آخرین پیامبر الهی است خود از نشانههای نزدیکی قیامت است.

از سوی دیگر شکافتن ماه خود دلیلی است بر امکان به هم ریختن نظام کواکب و نمونه کوچکی است از حوادث عظیمی که در آستانه رستاخیز در این جهان رخ می دهد، چرا که تمامی کواکب و ستارگان و زمین در هم می ریزند و عالمی نو به جای آنها ایجاد می شود.

طبق روایات مشهور که بعضی ادعای تواتر آن را نیز کردهاند مشرکان نزد رسول خدا صلّی الله علیه و آله آمدند و گفتند: اگر راست می گوئی و تو پیامبر خدائی ماه را برای ما دو پاره کن! فرمود: اگر این کار را انجام دهم ایمان می آورید؟ عرض کردند: آری – و آن شب، شب چهاردهم ماه بود – پیامبر صلّی الله علیه و آله از پیشگاه پروردگار تقاضا کرد آنچه را خواستند به او بدهد ناگهان ماه به دو پاره شد، و رسول الله آنها را یک یک صدا می زد و می فرمود: ببینید! بنابر این نه با توجه به خود آیه و قرائن موجود در آن، و نه از نظر روایات، و اقوال مفسران، موضوع شقّ القمر قابل انکار نیست.

سورة القمر(۵4): آية ٢ ص: 27

(آیه ۲)- سپس قرآن میافزاید: «و هرگاه نشانه و معجزهای را (بر صدق دعوت تو) ببینند روی گردانده، می گویند: این سحری مستمر است»! (وَ إِنْ یَرَوْا آیَهٔ برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۸ یُعْرِضُوا وَ یَقُولُوا سِحْرٌ مُشْتَمِرٌّ)

. تعبیر «مستمر» اشاره به این است که آنها معجزات مکرّری از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله دیده بودند که شق القمر ادامه آن بود، آنها همه را بر تداوم سحر حمل می کردند، و آن را «سحری مستمر» می پنداشتند، هر چند این تهمت بهانهای بود برای عدم تسلیم در مقابل حق.

سورة القمر (۵4): آية ٣ ص: ٢٨

(آیه ۳) - در این آیه به دلیل مخالفت آنها و همچنین به نتیجه شوم این مخالفت، اشاره کرده، می افزاید: «آنها (آیات خدا را) تکذیب کردند، و از هوای نفسشان پیروی نمودند، و هر امری قرارگاهی دارد» (وَ کَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ وَ کُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ). سر چشمه مخالفت آنها و تکذیب پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله یا تکذیب معجزات و دلائل او، و همچنین تکذیب رستاخیز و قیامت، پیروی از هوای نفس، تعصبها و لجاجتها و خود خواهیها بود.

جمله «وَ کُحلُّ أَمْرٍ مُشْتَقِرُّ» اشاره به این حقیقت است که هیچ چیز در این عالم از میان نمی رود، و هر کار نیک و بدی ثابت و باقی می ماند تا انسان جزای آن را ببیند. و چیزی نمی گذرد که چهره زیبای حق آشکار، و چهره زشت و منفور باطل نیز ظاهر می گردد، و این یک سنت الهی در عالم هستی است.

سورة القمر (۵4): آية 4 ص: ۲۸

(آیه ۴)- به دنبال بحثی که در آیات قبل پیرامون جمعی از کفار- که پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله را تکذیب کردند و در برابر هیچ معجزهای سر تسلیم فرود نمی آوردند- آمد، در اینجا تشریح بیشتری در باره این گونه افراد و همچنین سرنوشت دردناک آنها در قیامت آمده است.

نخست می فرماید: چنان نیست که این گروه بی خبر باشند بلکه «به اندازه کافی برای بازداشتن از بدیها اخبار (انبیا و امتهای پیشین) به آنان رسیده است» (وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِیهِ مُزْدَجَرٌ).

بنابر این کمبودی در تبلیغ داعیان الهی نبوده، «هر چه هست از قامت ناساز بیاندام خود آنهاست» نه گوش شنوائی دارند، نه روح حق طلبی، و نه این مقدار از برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۹

تقوا که آنها را دعوت به تحقیق و تدبر در آیات الهی کند.

سورة القمر (۵4): آية ۵ ص: 29

(آیه ۵)- سپس میافزاید: «این آیت حکمت بالغه الهی است اما انذارها (برای افراد لجوج) فایده نمیدهد» (حِکْمَةً بالِغَةً فَما تُغْن النَّذُرُ).

سورة القمر (۵۴): آية 6 ص: 29

(آیه ۶) - در این آیه می فرماید: «اکنون (که این بیگانگان از حق ابدا آمادگی پذیرش را ندارند آنها را به حال خود واگذار و) از آنان روی بگردان» و به سراغ دلهای آماده رو فَتَوَلَّ عَنْهُمْ).

«روزی را به یاد آور که دعوت کننـده الهی مردم را به امر وحشـتناکی دعوت میکنـد» دعوت به حساب اعمال (یَوْمَ یَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُکُرٍ).

سورة القمر (۵۴): آية ٧ ص: 29

(آیه ۷) – در این آیه به توضیح بیشتری در همین زمینه پرداخته می گوید:

«آنان در حالی که چشمهایشان از شدت وحشت به زیر افتاده، همچون ملخهای پراکنده از قبرها خارج میشوند»! (خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ).

نسبت «خشوع» به «چشمها» به خاطر آن است که صحنه آن قدر هولناک است که تاب تماشای آن را ندارند، لذا چشم از آن برمی گیرند و به زیر می اندازند.

و تشبیه به «ملخهای پراکنده» به تناسب این است که توده ملخها برخلاف بسیاری از پرندگانی که به هنگام حرکت دسته جمعی با نظم و ترتیب خاصی حرکت می کنند هرگز نظم و ترتیبی ندارند، به علاوه آنها همچون ملخها در آن روز موجوداتی ضعیف و ناتوانند و چنان وحشت زده می شوند که مانند مستها بی توجه به هر طرف رو می آورند و به یکدیگر می خورند.

سورة القمر (۵4): آية 1 ص: 29

(آیه ۸)- سپس می افزاید: «هنگامی که آنها به دنبال این دعوت از قبرها خارج می شوند از شدت و حشت «به سوی این دعوت کننده گردن می کشند» (مُهْطِعِینَ إِلَی الدَّاع).

اینجاست که وحشت از حوادث سخت آن روز سراپای آنها را فرا می گیرد، لـذا در دنباله آیه میافزایـد: «کافران می گوینـد: امروز روز سخت و دردناکی است»! (یَقُولُ الْکافِرُونَ هذا یَوْمٌ عَسِرٌ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۰

و به راستی روز سختی است، چرا که خداوند نیز بر این معنی صحه گذارده و در آیه ۲۶ سوره فرقان میفرماید: و کانَ یَوْماً عَلَی الْکافِرِینَ عَسِیراً و آن روز روز سختی برای کافران خواهد بود» چرا که تمام عوامل ترس و وحشت مجرمان و کافران را احاطه می کند.

ولی از این تعبیر استفاده میشود که آن روز برای مؤمنان روز سختی نیست!

سورة القمر (۵۴): آية ٩ ص: ٣٠

(آیه ۹)- ماجرای قوم نوح درس عبرتی بود! سنت قرآن بر این است که در بسیاری از موارد بعد از انذار کفار و مجرمان شرحی از سرگذشت اقوام پیشین و عاقبت دردآلود آنها را بیان می کند، تا به اینها بفهماند که اگر به راه نادرست خویش ادامه دهند سرنوشتی بهتر از آنان ندارند.

در اینجا نیز به دنبال بحثی که در آیات گذشته آمد اشارات کوتاه و در عین حال پر معنی به سرگذشت پنج قوم سرکش از اقوام پیشین میکند که نخستین آنها قوم نوح (ع) است.

مى فرمايد: «پيش از آنها قوم نوح (پيامبر خود را) تكذيب كردند» (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوح).

آرى! «بنده ما (نوح) را تكذيب كرده و گفتند: او ديوانه است! و (سپس با انواع آزارها از ادامه رسالتش) بازداشته شد» فَكُذُّبُوا عَبْدَنا وَ قالُوا مَجْنُونٌ وَ ازْدُجِرَ).

گاه «به او می گفتند: اگر دست از کار خود برنداری سنگسارت می کنیم» (شعراء/ ۱۱۶) و گاه گلوی او را چنان می فشردند که بی هوش به زمین می افتاد، اما هنگامی که به هوش می آمد می گفت: «خداوندا! قوم مرا ببخش که نمی دانند».

سورة القمر (۵4): آية 10 ص: 30

(آیه ۱۰)– سپس میافزاید: هنگامی که نوح از هدایت آنها بکلی مأیوس گشت «به درگاه پروردگار عرضه داشت: من مغلوب (این قوم طغیانگر) شدهام انتقام مرا از آنها بگیر» (فَدَعا رَبَّهُ أَنِّی مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ).

آنها هرگز در دلیل و حجت و برهان بر من غلبه نکردهاند ولی از طریق ظلم و جنایت و تکذیب و انکار، و انواع زجر و فشار بر من غلبه کردند، این قوم دیگر برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۱

شایسته بقا نیستند از آنها انتقام بگیر و مرا بر آنها پیروزکن.

سورة القمر (۵۴): آية ۱۱ ص: ۳۱

(آیه ۱۱)- سپس اشاره گویا و تکان دهندهای به کیفیت عذاب آنها کرده، میفرماید: «در این هنگام درهای آسمان را با آبی فراوان و پی در پی گشودیم» (فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ).

تعبیر به گشودن درهای آسمان تعبیر بسیار زیبایی است که به هنگام نزول بارانهای شدیـد به کار میرود، همان گونه که در فارسی نیز می گوئیم: گوئی درهای آسمان باز شده و هر چه آب است فرو میبارد.

سورة القمر(۵4): آية ۱۲ ص: ۳۱

(آیه ۱۲)– نه تنها از آسمان آب زیادی فرو ریخت که از زمین هم آب جوشید، چنانکه در آیه آمده: «و زمین را شکافتیم و چشمههای زیادی بیرون فرستادیم (وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُیُوناً).

«و این دو آب به اندازه مقدر با هم درآمیختند» و دریای وحشتناکی شد (فَالْتَقَی الْمَاءُ عَلی أَمْرِ قَدْ قُدِرَ).

از سراسر زمین آب جوشیدن گرفت و چشمه ها سربر آوردند و از تمامی آسمان آب باریدن گرفت و به هم پیوستند و دریائی عظیم و طوفان تشکیل دادند.

سورة القمر (54): آية ١٣ ص: ٣١

(آیه ۱۳) - در اینجا قرآن دنباله مسأله طوفان را رها ساخته - چرا که آنچه باید گفته شود در جملههای قبل جمع است - و به سراغ کشتی نجات نوح رفته، می فرماید: «و او را بر مرکبی از الواح و میخهائی ساخته شده سوار کردیم» (وَ حَمَلْناهُ عَلی ذاتِ أَلُواحٍ وَ دُسُرٍ).

سورة القمر (۵۴): آية ۱۴ ص: ۳۱

(آیه ۱۴)– سپس خداوند به عنایت خاصش نسبت به کشتی نجات نوح اشاره کرده، میفرماید: «مرکبی که زیر نظر ما حرکت میکرد» (تَجْرِی بِأَعْیُنِنا).

سپس می افزاید: تمام اینها «پاداشی بود برای کسی که [- نوح] مورد انکار قرار گرفته بود» و کیفری برای کسانی که او را تکذیب کردند و کافر شده بودند (جَزاءً لِمَنْ کانَ کُفِرَ).

آری! نوح هماننـد همه انبیـا از مواهب بزرگ الهی و از نعمتهـای عظیم او بود که بیخبران کفرانش کردنـد، و به آئینش کافر شدند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۲

سورة القمر (34): آية 15 ص: 32

(آیه ۱۵)- سپس به عنوان نتیجه گیری از این مـاجرای عظیم میفرمایـد: «و ما این ماجرا را به عنوان نشانهای در میان امتها باقی گذاردیم، آیا کسی هست که پند گیرد» (وَ لَقَدْ تَرَكْناها آیَهٔ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ).

و به راستی که همه گفتنیها در همین ماجرا گفته شده، و آنچه باید انسانی بیدار بفهمد از آن میفهمد.

سورة القمر (۵4): آية ۱۶ ص: ۳۲

(آیه ۱۶)- و در این آیه به عنوان یک سؤال تهدید آمیز و پر معنی نسبت به کافرانی که همان راه کفار زمان نوح را میسپرند می گوید: اکنون بنگرید «عذاب و انذارهای من چگونه بود»؟ (فَکَیْفَ کانَ عَذابِی وَ نُذُرِ).

آیا واقعیت داشت یا داستان و افسانه بود؟!

سورة القمر (۵۴): آية ۱۷ ص: ۳۲

(آیه ۱۷)- و سر انجام در این آیه بر این حقیقت تأکید می کند که: «ما قرآن را برای تذکر آسان ساختیم، آیا کسی هست که متذکر شود»؟ وَ لَقَدْ یَسَّوْنَا الْقُوْآنَ لِللِّهُ کُرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرِ).

آری! این قرآن، هیچ پیچیدگی ندارد، و شرائط تأثیر، در آن جمع است، الفاظش شیرین و جذاب، تعبیراتش زنده و پر معنی، انذارها و بشارتهایش صریح و گویا، داستانهایش واقعی و پر محتوا، دلائلش قوی و محکم، منطقش شیوا و متین، خلاصه آنچه لازمه تأثیر گذاردن یک سخن است در آن جمع است، و به همین دلیل هر زمان دلهای آماده با آن تماس یابد، مجذوب آن می شود و در طول تاریخ اسلام نمونههای عجیب و شگفتانگیزی از تأثیر عمیق قرآن در دلهای آماده دیده می شود، که شاهد گویای این امر است.

سورة القمر (۵۴): آية ۱۸ ص: ۳۲

(آیه ۱۸)- سرنوشت قوم عاد! قوم دیگری که سرگذشت آنها در این سوره به دنبال سرگذشت فشرده قوم نوح آمده، «قوم عاد» است، که قرآن به عنوان هشداری به کافران و مجرمان بطور فشرده به آن اشاره کرده، میگوید: «قوم عاد (نیز پیامبر خود را) تکذیب کردند» (کَذَبَتْ عادٌ).

هر قدر پیامبر آنها، هود بر تبلیغات خود می افزود، و از راههای مختلف برای بیدار ساختن آنها تلاش می کرد، آنها بر خیره سری و لجاجت خود می افزودند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۳

و غرور ناشی از ثروت و امکانات مادی و غفلت ناشی از غرق بودن در شهوات، گوش شنوا و چشم بینا را از آنها گرفته بود. سر انجام خداونـد آنها را با عـذاب دردناکی مجازات کرد، لـذا در دنباله آیه بصورت سـر بسـته میفرمایـد: بنگریـد «عـذاب و انذارهای من چگونه بود»؟ (فَکَیْفَ کانَ عَذابِی وَ نُذُرِ).

سورة القمر (۵4): آية ١٩ ص: ٣٣

(آیه ۱۹)– سپس به شرح این اجمال پرداخته، میافزاید: «ما تند باد وحشتناک و سردی را در یک روز شوم مستمر بر آنان فرستادیم ...» (إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِی يَوْم نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ).

سورة القمر (۵4): آية ۲۰ ص: 33

(آیه ۲۰)– سپس در توصیف این تندباد می فرماید: «مردم را همچون تنه های نخل ریشه کن شده از جا بر می کند» و به هر سو

پرتاب مىنمود تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلِ مُنْقَعِرٍ.

«اعجاز» جمع «عجز» به معنی قسمت عقب یا پائین چیزی است، و تشبیه آنها به قسمت پائین نخلها به خاطر آن است که به گفته بعضی باد به قدری شدید بود که نخست دست و سرهای آنها را کند و با خود برد، و بعد بقیه بدنهایشان همچون نخل بی شاخ و برگ، از زمین کنده شده به هر گوشه و کنار پراکنده می گشت.

سورة القمر (۵۴): آية ۲۱ ص: ۳۳

(آیه ۲۱)- سپس قرآن به عنوان هشدار می گوید: «پس (ببینید) عذاب و انذارهای من چگونه بود»؟! (فَکَیْفَ کانَ عَذابِی وَ نُذُر).

ما با اقوام دیگر که راه تکذیب و کبر و غرور و گناه و عصیان را پوئیدند چنین رفتار کردیم، شما در باره خود چه میاندیشید که راه آنها را ادامه میدهید؟

سورة القمر (۵۴): آية ۲۲ ص: 33

(آیه ۲۲)– و باز در پایان این ماجرا میافزاید: «ما قرآن را برای تـذکر آسان ساختیم، آیا کسـی هست که متذکر شود»؟ وَ لَقَدْ یَسَّوْنَا الْقُوْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرِ.

آیا گوش شنوائی در برابر این ندای الهی، و این هشدارها و انذارها وجود دارد؟

قابل توجه این که جمله «فَکَیْفَ کانَ عَیِذابِی وَ نُـذُرِ». در مورد قوم عاد دو بار تکرار شده یکی در آغاز بیان این سرگذشت، و یکی هم در پایان آن، این تفاوت برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۴

شاید از این جهت است که عذاب این گروه از دیگران شدیدتر و وحشتناکتر بود، هر چند عذابهای الهی همه شدید می باشد.

مسأله توجه به سعد و نحس ایام - که در ارتباط با حوادثی است که در آن واقع شده - علاوه بر این که غالبا انسان را به یک سلسله حوادث تاریخی آموزنده رهنمون می شود، عاملی است برای توسل و توجه به ساحت قدس الهی، و استمداد از ذات پاک پروردگار، و لذا در روایات متعددی می خوانیم: در روزهائی که نام نحس بر آن گذارده شده می توانید با دادن صدقه، و یا خواندن دعا، و استمداد از لطف خداوند، و قرائت بعضی از آیات قرآن، و توکل بر ذات پاک او، به دنبال کارها بروید و پروز و موفق باشید.

سورة القمر (۵4): آية 23 ص: 34

(آیه ۲۳) - سر انجام دردناک قوم ثمود! سومین قومی که شرح زندگی آنها بطور فشرده به عنوان درس عبرتی در تعقیب بحثهای گذشته در این سوره مطرح شده است «قوم ثمود» است - که در سرزمین «حجر» در شمال حجاز زندگی داشتند، و پیامبرشان «صالح» نهایت کوشش را در هدایت آنها کرد اما به جائی نرسید.

نخست مى فرمايد: «طايفه ثمود (نيز) انذارهاى الهى را تكذيب كردند» (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ).

سورة القمر (۵۴): آية ۲۴ ص: ۳۴

(آیه ۲۴)– سپس به علت تکذیب آنها پرداخته، میافزاید: «و گفتند: آیا ما از بشری از جنس خود پیروی کنیم؟ اگر چنین کنیم در گمراهی و جنون خواهیم بود» (فَقالُوا أَ بَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ).

آری! کبر و غرور و خودبینی و خودخواهی حجاب بزرگ آنها در برابر دعوت انبیا بود، آنها می گفتند: صالح فردی مانند ما است، دلیلی ندارد که ما از او پیروی کنیم! او چه امتیازی بر ما دارد که رهبر باشد، و ما پیرو و تابع او؟! این همان اشکالی است که امتهای گمراه غالبا به انبیا داشتند که آنها افرادی از جنس ما هستند و به همین دلیل نمی توانند پیامبر الهی باشند.

سورة القمر (۵4): آية ۲۵ ص: 34

(آیه ۲۵)– سپس افزودنـد: به فرض که وحی الهی بر انسانی نازل شود «آیا از میان ما تنها بر او وحی نازل شده» (أَ أُلْقِیَ الذِّکْرُ عَلَیْهِ مِنْ بَیْنِنا). با این که افرادی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۵

سرشناس تر و معروفتر و ثروتمند تر از او پیدا می شود.

در حقیقت گفته های قوم ثمود شباهت زیادی با گفته های مشرکان مکّه داشت که گاهی ایراد می کردند: «چرا این پیامبر غذا می خورد و در بازارها راه می رود؟ چرا فرشته ای نازل نشده که همراه او انذار کند»؟ (فرقان/۷) سپس در پایان آیه می گوید: آنها همین موضوع را دلیل بر کذب پیامبرشان «صالح» گرفتند و گفتند: «او آدم بسیار دروغگوی هوسبازی است»! (بَلْ هُوَ کَذَّابٌ أَشِرٌ). چرا که می خواهد بر ما حکومت کند، و همه چیز را در قبضه خود بگیرد، و بر طبق هوسهایش رفتار کند.

سورة القمر (۵۴): آية ۲۶ ص: ۳۵

(آیه ۲۶)- قرآن در پاسخ آنها می گوید: «ولی فردا میفهمند چه کسی دروغگوی هوسباز است»؟ (سَیَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْکَذَّابُ الْأَشِرُ).

همان زمان که عذاب الهی فرا رسد و آنها را در هم کوبد و تبدیل به یک مشت خاک و خاکستر شوند، و سپس مجازات بعد از مرگ نیز دامانشان را بگیرد میفهمند این گونه نسبتها شایسته چه کسی بوده است؟ و قبائی است برای قامت چه شخصی؟!

سورة القمر (۵۴): آية ۲۷ ص: ۳۵

(آیه ۲۷)- سپس به داستان «ناقه» که به عنوان معجزه و سند گویای صدق دعوت صالح (ع) فرستاده شده بود اشاره کرده، می افزاید: به صالح وحی کردیم که «ما ناقه را برای آزمایش آنها می فرستیم، در انتظار پایان کار آنها باش و صبر کن» (إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ).

«ناقه» یعنی همان شتر مادهای که به عنوان معجزه صالح فرستاده شد مسلما یک ناقه معمولی نبود، بلکه دارای ویژگیهای خارق العادهای بود، از جمله این که طبق روایت مشهوری این ناقه از دل صخرهای از کوه برآمد، تا معجزه گویائی در برابر منکران لجوج باشد.

سورة القمر (۵4): آية ۲۸ ص: ۳۵

(آیه ۲۸)- روشن است که قوم ثمود در اینجا در برابر آزمایش بزرگی قرار گرفتند، لذا در این آیه می افزاید: «و (به صالح گفتیم) به آنها خبر ده که آب (قریه) باید در میان آنها تقسیم شود (یک روز سهم ناقه، و یک روز برای آنها) و هر یک در برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۶

نوبت خود بايد حاضر شود» (وَ نَبَنَّهُمْ أَنَّ الْماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبِ مُحْتَضَرٌ).

گرچه قرآن در این زمینه توضیحی بیش از این نداده، ولی بسیاری از مفسران گفتهاند: ناقه صالح روزی که نوبت او بود تمام آب را مینوشید.

ولی بعضی دیگر گفتهاند: وضع و هیئت آن طوری بود که وقتی کنار آب می آمد حیوانات دیگر فرار می کردنـد و نزدیک نمی شدند، و لذا چارهای جز این نبود که یک روز آب را در اختیار ناقه قرار دهند، و روز دیگر را در اختیار خودشان.

سورة القمر (۵۴): آية ۲۹ ص: 38

(آیه ۲۹)- به هر حال این قوم سرکش و خود خواه و لجوج تصمیم گرفتنـد «ناقه» را از پای درآورند، در حالی که «صالح» به آنها اخطار کرده بود که اگر آزاری به ناقه برسانند در فاصله کوتاهی عذاب دامانشان را خواهد گرفت «اما آنها (بدون اعتنا به این امر) یکی از یاران خود را صدا زدند، و او به سراغ این کار آمد، (و ناقه را) پی کرد» (فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطی فَعَقَرَ).

سورة القمر (۵۴): آية ۳۰ ص: ۳۶

(آیه ۳۰)– این آیه به عنوان مقدمهای برای ذکر عذاب وحشتناک این قوم سرکش می گوید: «پس (بنگرید) عذاب و انذارهای من چگونه بود»؟! (فَکَیْفَ کانَ عَذابِی وَ نُذُرِ).

سورة القمر (۵۴): آية ۳۱ ص: ۳۶

(آیه ۳۱)- و سپس می افزاید: «ما فقط یک صیحه [- صاعقه عظیم] بر آنها فرستادیم، و به دنبال آن همگی به صورت گیاه خشکی در آمدند که صاحب چهارپایان (برای حیوانات خود در آغل) جمع آوری می کند»! (إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيم الْمُحْتَظِرِ).

تعبیری که در این آیه در باره عذاب قوم ثمود آمده است بسیار عجیب و پر معنی است، چرا که خداوند برای نابودی این قوم سرکش هر گز لشکریانی از آسمان و زمین نفرستاد، تنها با یک صیحه آسمانی، یک صاعقه گوشخراش، یک موج عظیم انفجار- که همه چیز را در مسیر خود در شعاع وسیعی در هم کوبید و خرد کرد- کار آنها را ساخت! درک این معنی برای گذشتگان مشکل بود، اما برای ما که امروز از تأثیر امواج ناشی از انفجار آگاه هستیم که چگونه همه چیز را در مسیر خود متلاشی و خرد بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۷

می کند آسان است، البته صاعقه عذاب الهی با این انفجارهای بشری قابل مقایسه نیست و از اینجا روشن می شود که این صاعقه عظیم چه بلائی بر سر این قوم خیره سر آورد؟

سورة القمر (۵4): آية ٣٢ ص: ٣٧

(آیه ۳۲) - در این آیه و پایان این سرگذشت دردناک و عبرت انگیز بار دیگر میفرماید: «ما قرآن را برای تذکر و بیداری انسانها آسان نمودیم آیا پند گیرندهای پیدا میشود»؟! (وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ). تعبیراتش زنده و روشن، داستانهایش گویا، و انذارها و تهدیدهایش تكان دهنده و بیدارگر است.

سورة القمر (۵۴): آية 33 ص: 37

(آیه ۳۳) – قوم لوط به سرنوشت شومتری مبتلا شدند! در اینجا اشارات کوتاه و تکان دهندهای به داستان قوم لوط و عذاب وحشتناک این جمعیت ننگین و گمراه دیده میشود، و این چهارمین قسمت از سرگذشت اقوام پیشین در این سوره است. نخست می گوید: «قوم لوط انذارها (ی پی در پی پیامبرشان) را تکذیب کردند» (کَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ).

سورة القمر (۵۴): آية ۳۴ ص: ۳۷

(آیه ۳۴)- سپس در یک جمله کوتاه به گوشهای از عذاب آنها و نجات خانواده حضرت لوط اشاره کرده، می گوید: «ما بر آنها تندبادی که ریگها را به حرکت در می آورد فرستادیم» و همه را هلاک کردیم (إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِباً).
«جز خاندان لوط را که سحرگاهان از (آن سرزمین بلا) رهائی بخشیدیم» (إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَیْناهُمْ بِسَحَرٍ).
در آیات دیگر قرآن نیز هنگامی که عذاب قوم لوط را می شمرد علاوه بر زلزلهای که شهرهای آنها را زیر و رو کرد سخن از باران سنگ می گوید، چنانکه در آیه ۸۲ سوره هود می خوانیم: «هنگامی که فرمان ما فرا رسید آن شهر و دیار را زیر و رو

سورة القمر (۵4): آية 30 ص: 37

کردیم و بارانی از سنگ از گلهای متحجر و متراکم بر آن نازل نمودیم».

(آیه ۳۵) - در این آیه برای تأکید می فرماید: نجات خاندان لوط «نعمتی بود از ناحیه ما، آری این گونه کسی را که شکر کند پاداش می دهیم» (نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا کَذلِکَ نَجْزی مَنْ شَکَرَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۸

سورة القمر (۵4): آية 37 ص: 38

(آیه ۳۶) و در این آیه این حقیقت را بازگو می کند که لوط قبلا اتمام حجت کرده «و آنها را از مجازات ما بیم داد، ولی آنها اصرار بر مجادله و القای شک داشتند» (وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنا فَتَمارَوْا بِالنَّذُرِ).

سورة القمر (۵4): آية 37 ص: 38

(آیه ۳۷)- آنها به القاء شبهات عقیدتی در میان مردم قناعت نکردند بلکه در زشتکاری و وقاحت و بی شرمی کار را به جائی

رسانیدنـد، که وقـتی فرشـتگان مـأمور عـذاب به صورت جوانـانی خوش منظر به عنوان میهمـان وارد خـانه لوط شدنـد این قوم بیشـرم به سراغ آنها آمدند و چنانکه آیه مورد بحث میگوید: «آنها از لوط خواستند میهمانانش را در اختیارشان بگذارد»! (وَ لَقَدْ راوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ).

«لوط» به قدری از این مسأله ناراحت شد که حد نداشت و مصرا از آنها خواهش کرد دست از این رسوائی و آبروریزی بردارند، و حتی طبق آیه ۷۱ سوره حجر به آنها وعده داد دختران خود را به ازدواج آنها (در صورت توبه از این اعمال) در آورد، و این نهایت مظلومیت این پیامبر بزرگ را در میان این گروه بی شرم و بی ایمان و فاقد همه چیز نشان می دهد.

ولی چیزی نگذشت که این گروه مهاجم نخستین مجازات خود را دریافت داشتند، چنانکه خداونـد در دنبـاله همین آیه میفرمایـد: «ولی چشـمانشان را نابینا و محو کردیم (و گفتیم:) بچشـید عذاب و انذارهای مرا» (فَطَمَشِنا أَعْیُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذابِی وَ نُذُر).

آری! اینجا بود که دست قدرت خداوند از آستین عدالت بیرون آمد و به گفته بعضی به جبرئیل فرمان داد که گوشهای از شهپرش را بر چشم آنها بکلی صاف و همانند صور تشان شد!

سورة القمر (۵۴): آية ۳۸ ص: ۳۸

(آیه ۳۸)– عاقبت عـذاب نهـائی فرا رسـید، و بـا زلزلهای ویرانگر که بـا نخسـتین شـعاع صبحگاهی آن سـرزمین را تکـان داد شهرهایشان زیر و رو شد، بدنها قطعه قطعه و متلاشی و زیر آوارها فرو رفت، باران شدیدی از سنگ بر آنها فرو ریخت، و آثار ویرانههای آنها را نیز محو کرد! چنانکه آیه مورد بحث به صورت برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۹

سر بسته و فشرده به این معنی اشاره کرده، می گوید: «سر انجام صبحگاهان و در اول روز عذابی پایدار و ثابت به سراغشان آمد» (وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ).

آری! در لحظاتی کوتاه همه چیز پایان گرفت و اثری از آنها باقی نماند.

سورة القمر (۵4): آية ٣٩ ص: ٣٩

(آیه ۳۹)- سپس در این آیه می افزاید، بار دیگر به آنها گفته شد: «پس بچشید عذاب و انذارهای مرا» (فَذُوقُوا عَذابِی وَ نُذُرِ). تا دیگر در انذارهای پیامبران شک و تردید نکنید.

سورة القمر (۵۴): آية ۴۰ ص: ۳۹

(آیه ۴۰)- و بالاخره در این آیه برای چهارمین بار در این سوره این جمله پر معنی و بیدارگر را تکرار می کند: «ما قرآن را برای یادآوری آسان ساختیم، آیا کسی هست که (پند گیرد و) متذکر شود» (وَ لَقَدْ یَسَّوْنَا الْقُوْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ). قوم لوط پند نگرفتند، نه از انذارها، و نه از عذاب مقدماتی و هشدار دهنده، آیا دیگران که آلوده همان گناهانند از شنیدن این آیات قرآن به خود می آیند و پشیمان می شوند و توبه می کنند؟!

سورة القمر (۵4): آية ۴1 ص: 39

(آیه ۴۱)- آیا شما از اقوام گذشته برترید؟! پنجمین و آخرین قومی که در این سلسله آیات به آنان اشاره می شود قوم فرعون است، ولی از آنجا که سرگذشت این قوم بطور مشروح در سوره های مختلف قرآن آمده در اینجا تنها اشاره کوتاه و فشرده ای به داستان عبرت انگیز آنها شده است.

مى فرمايد: «و (همچنين) انذارها و هشدارها (يكى پس از ديگرى) به سراغ آل فرعون آمد» (وَ لَقَدْ جاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّنُدُرُ). منظور از «آل فرعون» تنها خاندان و بستگان او نيست، بلكه پيروان او را بطور عموم شامل مى شود.

سورة القمر (۵4): آية ٤٢ ص: ٣٩

(آیه ۴۲)- این آیه از واکنش «آل فرعون» در برابر دو پیامبر بزرگ الهی (موسی و هارون) و انذارهای آنها پرده برداشته، می گوید: «آنها تمام آیات ما را تکذیب کردند» (کَذَّبُوا بِآیاتِنا کُلِّها).

آری! این مغروران خود خواه، و این جباران خود کامه و بیدادگر، همه آیات الهی را بدون استثنا انکار کردند، همه را دروغ یا سحر یا حوادث اتفاقی شمردند! برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰

انسان اگر حقیقت جو باشد دیدن یکی از این معجزات با اخطار قبلی و سپس برطرف شدن بلا به وسیله دعای پیامبر خدا برای او کافی است، ولی هنگامی که انسان بر سر دنده لجاجت قرار می گیرد اگر تمام آسمان و زمین آیت خدا شود مؤثر نیست تنها عذاب الهی باید فرا رسد و مغزهائی را که پر از باد غرور است درهم بکوبد.

چنانکه در پایان آیه میخوانیم: «و ما آنها را گرفتیم و مجازات کردیم، گرفتن شخصی (که هرگز مغلوب نمیشود) قدرتمند و توانا» (فَأَخَذْناهُمْ أَخْذَ عَزِيز مُقْتَدِرِ).

تعبیری که در ذیل این داستان آمده، در سرگذشتهای دیگر نظیر ندارد این به خاطر آن است که فرعونیان بیش از همه به قدرت و عزت خود می بالیدند، و همه جا سخن از نیروی حکومت آنها بود، اما خداوند می گوید: ما آنها را گرفتیم، گرفتن عزیز مقتدر تا معلوم شود، این قدرت و عزت پوشالی در مقابل عزت و قدرت خدا هیچ و پوچ است، و عجب این که همان رود عظیم نیل که سر چشمه تمام ثروت و قدرت و آبادی و تمدن آنها بود مأمور نابودی آنها شد، و عجیبتر این که قبل از آن موجودات کوچکی همچون ملخ، قورباغه، قمل (یک نوع حشره) بر آنها مسلط گشت و آنان را به ستوه آورد و بیچاره کرد.

سورة القمر (۵۴): آية ۴۳ ص: ۴۰

(آیه ۴۳)- بعد از بیان داستان اقوام پیشین و عذاب و کیفر امتهای سرکش و مجرم، در این آیه مشرکان مکّه را مخاطب ساخته می گوید: «آیا کفار شما بهتر از آنانند یا برای شما امان نامهای در کتب آسمانی نازل شده است» (أَ کُفَّارُکُمْ خَیْرٌ مِنْ أُولئِکُمْ أَمْ لَکُمْ بَراءَةٌ فِی الزُّبُر).

میان شما و قوم فرعون و قوم نوح و لوط و ثمود چه تفاوتی است؟ اگر آنها به خاطر کفر و طغیان و ظلم و گناه گرفتار طوفانها و زلزلهها و صاعقهها شدند چه دلیلی دارد که شما به چنین سرنوشتی مبتلا نشوید؟!

سورة القمر (۵۴): آية ۴۴ ص: ۴۰

(آیه ۴۴)- «یـا می گوینـد: ما جماعتی متحـد و نیرومنـد و پیروز هستیم» و از مخالفانمان انتقام می گیریم (أُمْ یَقُولُونَ نَحْنُ جَمِیعٌ مُنْتُصِرٌ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱

سورة القمر (۵4): آية 43 ص: 41

(آیه ۴۵) - سپس به عنوان یک پیشگوئی قاطع برای ردّ سخنان آنها، میافزاید آنها بدانند: «به زودی جمعشان شکست میخورد و پا به فرار می گذارند» (سَیُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ یُوَلُّونَ الدُّبُرَ).

این پیشگوئی در میدان بدر و سایر جنگهای اسلامی جامه عمل به خود پوشید، و سر انجام جمعیت قدرتمند کفار متلاشی شدند و فرار کردند.

سورة القمر (۵4): آية 47 ص: 41

(آیه ۴۶) - در این آیه می افزاید: تنها شکست و ناکامی در دنیا بهره آنها نیست «بلکه رستاخیز موعد آنهاست و مجازات قیامت هولناک تر و تلختر است» (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهی وَ أَمَرُّ).

و به این ترتیب آنها باید هم در انتظار شکست تلخی در این دنیا باشند، و هم شکست تلختر و وحشتانگیزتر در آخرت.

سورة القمر(54): آية 47 ص: 41

(آیه ۴۷)- این آیه همچنان ادامه بحث آیات قبل پیرامون کیفیت حال مشرکان و مجرمان در قیامت است، آیه قبل این حقیقت را بیان کرد که روز قیامت میعاد آنهاست و آن روز مصیبتبار و تلخی است.

این آیه به بیان علت این امر پرداخته، می گوید: «مجرمان در گمراهی و شعلههای آتشند» (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِی ضَلالٍ وَ سُعْرٍ).

سورة القمر(۵4): آية 48 ص: 41

(آیه ۴۸)- «در آن روز که در آتش دوزخ به صورتشان کشیده می شود (و به آنها گفته می شود:) بچشید آتش دوزخ را» دوزخی که پیوسته آن را انکار می کردید و دروغ و افسانه می پنداشتید (یَوْمَ یُسْحَبُونَ فِی النَّارِ عَلی وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ). در روایتی از امام صادق علیه السّ لام نقل شده: در جهنّم «درّهای است به نام سقر که جایگاه متکبران است، و هر گاه نفس بکشد دوزخ را می سوزاند»!

سورة القمر (۵۴): آية ٤٩ ص: 41

(آیه ۴۹) – و از آنجا که ممکن است خیال شود که این عذابها با آن معاصی هماهنگ نیست، در این آیه میافزاید: «ما هر چیز را به اندازه آفریدیم» (إِنَّا کُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ).

آری! هم عذابهای دردناک آنها در این دنیا روی حساب است، و هم برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲

مجازاتهای شدید آنها در آخرت، نه تنها مجازاتها که هر چیزی را خدا آفریده روی حساب و نظام حسابشدهای است.

سورة القمر (۵۴): آية ۵۰ ص: ۴۲

(آیه ۵۰)- سپس می فرماید: نه تنها اعمال ما از روی حکمت است، بلکه تو أم با نهایت قدرت و قاطعیت نیز می باشد، زیرا «فرمان ما یک امر بیش نیست (و چنان با سرعت انجام می گیرد) همچون یک چشم بر هم زدن»! (وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِ لَـهُ كَلَمْحِ بالْبُصَر).

بنابر این آن روز که فرمان برپا شدن قیامت را صادر می کنیم با یک چشم بر هم زدن همه چیز در مسیر رستاخیز قرار می گیرد، و حیات نوین در کالبدها دمیده می شود.

همچنین آن روز که اراده کنیم مجرمان را به وسیله صاعقهها و صیحههای آسمانی یا زمین لرزهها و طوفانها و تندبادها مجازات کنیم یک فرمان بیشتر لازم نیست.

توجه به این نکته لازم است که فرمان او همه جا یک کلمه است که از یک چشم بر هم زدن نیز سریعتر میباشد ولی محتوای فرمان متفاوت است که با توجه به سنّت تدریجی بودن عالم ماده و خاصیت و طبیعت حرکت، زمان به خود میپذیرد.

سورة القمر (۵4): آية ۵۱ ص: ۲۲

(آیه ۵۱)-این آیه بـار دیگر مجرمـان و کفـار را مخـاطب سـاخته و تـوجه آنهـا را به سـرنوشت اقوام پیشـین معطوف میدارد، می گویـد: «ما کسانی را که در گذشـته شبیه شـما بودند هلاک کردیم، آیا کسـی هست که (متذکر شود و) پند گیرد» (وَ لَقَدْ أَهْلَكْنا أَشْیاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِر).

این آیه بار دیگر این حقیقت را تأکید میکند که وقتی اعمال و رفتار و اعتقادات شما با آنها یکی است، دلیلی ندارد که شما سرنوشتی جز سرنوشت آنها داشته باشید، بیدار شوید و پند گیرید.

سورة القمر (۵4): آية ۵۲ ص: ۲۲

(آیه ۵۲) - سپس به این اصل اساسی اشاره می کند که با مرگ اقوام پیشین اعمال آنها نابود نشد، بلکه «هر کاری را انجام دادند در نامههای اعمالشان ثبت است» (وَ کُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِی الزُّبُرِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۳ همین گونه اعمال شما نیز ثبت و ضبط می شود، و برای یوم الحساب محفوظ است.

سورة القمر (۵4): آية ۵۳ ص: ۴۳

(آیه ۵۳) – سپس برای تأکید بیشتر می افزاید: «و هر کار کوچک و بزرگی نوشته شده است» (وَ کُلُّ صَغِیرٍ وَ کَبِیرٍ مُسْتَطَرٌ). بنابر این حساب اعمال در آن روز یک حساب جامع و کامل است، چنانکه وقتی نامه اعمال مجرمان به دست آنها داده می شود «فریاد بر می آورند: که ای وای بر ما! این چه کتابی است که هیچ عمل کوچک و بزرگی نیست مگر آن را شماره کرده»! (کهف/ ۴۹)

سورة القمر (۵۴): آية ۵۴ ص: ۴۳

(آیه ۵۴) – و از آنجا که سنت قرآن مجید بر این است که صالحان و طالحان و نیکان و بدان را در مقایسه با یکدیگر معرفی می کند، چرا که در مقایسه تفاوتها چشمگیرتر و آشکارتر است در اینجا نیز بعد از ذکر سرنوشت کافران مجرم اشاره کوتاهی به سرنوشت مسرت بخش و روح پرور پرهیزکاران کرده، می فرماید:

«پرهیزکاران در باغها و نهرهای بهشتی (و فضای گسترده و فیض وسیع خداوند) جای دارند» (إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنَّاتٍ وَ نَهَرِ).

سورة القمر (۵۴): آية ۵۵ ص: 43

(آیه ۵۵)- این آیه که آخرین آیه سوره «قمر» است توضیح بیشتری برای جایگاه متقین داده، چنین می گوید: «در جایگاه صدق نزد خداوند مالک مقتدر» قرار دارند (فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِیکٍ مُقْتَدِرٍ).

چه توصیف جالبی در این آیه از جایگاه پرهیزکاران شده است! دو ویژگی دارد که همه امتیازات در آن جمع است.

نخست این که آنجا جایگاه صدق است و هیچ گونه باطل و بیهودگی در آن راه ندارد، سراسر حق است و تمام وعدههای خداوند در باره بهشت در آنجا عینیت پیدا می کند، و صدق آنها آشکار می شود.

دیگر این که: در جوار و قرب خداست، همان چیزی که از کلمه «عند» (نزد) استفاده می شود که اشاره به نهایت قرب و نزدیکی معنوی است نه جسمانی، آن هم نسبت به خداوندی که هم مالک است و هم قادر، هر گونه نعمت و موهبتی در برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۴

قبضه قدرت و در فرمان حکومت و مالکیت اوست، و به همین دلیل در پذیرائی این میهمانان گرامی فروگذار نخواهد کرد، و تنها خودش میداند چه مواهبی برای آنها آماده ساخته است.

در این دو آیه که سخن از مواهب و پاداشهای بهشتیان است نخست از مواهب مادی آنها که باغهای وسیع و نهرهای جاری است سخن می گوید، سپس از پاداش بزرگ معنوی آنها که حضور در پیشگاه قرب ملیک مقتدر است، تا انسان را مرحله به مرحله آماده کند، و روح او را به پرواز در آورد.

آغاز و پایان سوره قمر: قابل توجه این که سوره قمر با وحشت و اضطراب و هشدار به نزدیک شدن قیامت آغاز شده، و با آرامش مطلقی که برای مؤمنان راستین در جایگاه صدق در نزد ملیک مقتدر بیان فرموده پایان می گیرد، و چنین است راه و رسم تربیت که از اضطراب و وحشت شروع می شود، و به آرامش کامل منتهی می گردد، افکار پریشان را جمع می کند، هوسهای سرکش را رام می نماید، خوف و اضطراب درونی از عوامل فنا و نابودی و ضلال را برطرف می سازد و در جوار ابدیت پروردگار و در پیشگاه رحمت و قرب او غرق آرامش و سکینه و اطمینان می کند.

و به راستی توجه به این که خداوند مالک بیمنازع و حاکم بیمانع در سرتاسر عالم هستی است، و توجه به این که او مقتدر است و قدرتش در همه چیز نافذ است به انسان آرامش بی نظیری می بخشد.

«پایان سوره قمر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۵

سوره الرّحمن [55] ص: 45

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۷۸ آیه است

محتوای سوره: ص: 45

این سوره بطور کلی بیانگر نعمتهای مختلف معنوی و مادی خداوند است که بر بندگان خود ارزانی داشته، و آنها را غرق در آن ساخته است بطوری که می توان نام این سوره را «سوره رحمت» یا «سوره نعمت» گذارد، و به همین دلیل با نام مبارک «الرّحمن» که رحمت واسعه الهی را بازگو می کند آغاز شده، و با جلال و اکرام خداوند پایان گرفته است، و ۳۱ بار جمله «فَبأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ» که به وسیله آن از بندگانش اقرار بر نعمتهای خود می گیرد در آن ذکر شده.

مى توان محتواى اين سوره را به چند بخش تقسيم كرد:

بخش اول که مقدمه و آغاز سوره است از نعمتهای بزرگ خلقت، تعلیم و تربیت، حساب و میزان، وسائل رفاهی انسان، و غذاهای روحی و جسمی او سخن می گوید.

بخش دوم توضیحی است بر مسأله چگونگی آفرینش انس و جنّ.

بخش سوم بیانگر نشانهها و آیات خداوند در زمین و آسمان است.

در بخش چهارم از نعمتهای دنیوی فراتر رفته، سخن از نعمتهای جهان دیگر است که نعمتهای بهشتی اعم از باغها، چشمهها، میوهها، همسران زیبا و با وفا، و انواع لباسها، توضیح داده شده است.

و بالاخره در بخش پنجم این سوره اشاره کوتاهی به سرنوشت مجرمان برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۶

و قسمتی از مجازاتهای دردناک آنها آمده است.

تکرار آیه «فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَ ذِّبانِ» آن هم در مقطعهای کوتاه جاذبه خیره کنندهای به سوره داده، لذا جای تعجب نیست که در حدیثی از پیغمبر گرامی صلّی الله علیه و آله نقل شده است که فرمود: لکلّ شیء عروس و عروس القرآن سورهٔ الرّحمن جلّ ذکره برای هر چیز عروسی است، و عروس قرآن سوره الرّحمن است».

فضيلت تلاوت سوره: ص: 46

از آنجا که این سوره حس شکرگزاری را در انسانها به عالیترین وجهی برمیانگیزد، فضیلتهای فراوانی برای تلاوت آن در روایات آمده است، البته تلاوتی که در اعماق روح انسان نفوذ کند و مبدأ حرکت گردد نه مجرد لقلقه زبان.

از جمله در حدیثی از رسول خدا میخوانیم: «هر کس سوره الرّحمن را بخواند خداوند به ناتوانی او (در ادای شکر نعمتها) رحم میکند، و حق شکر نعمتهایی را که با او ارزانی داشته خودش ادا میکند».

و در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّ لام آمده است: «هر کس سوره الرّحمن را بخواند و هنگامی که به آیه «فَبأَی آلاءِ رَبِّکُما تُکَدِّبانِ» میرسد بگوید: «لا بشیء من آلائک ربّ اکذّب خداوندا! هیچ یک از نعمتهای تو را انکار نمی کنم» اگر این تلاوت در شب باشد و در همان روز بمیرد نیز شهید خواهد بود»! بیشم اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورة الرحمن(۵۵): آية 1 ص: 46

(آیه ۱)- سر آغاز نعمتهای الهی: از آنجا که این سوره بیانگر انواع نعمتها و مواهب بزرگ الهی است با نام مقدس «رحمن» که رمزی از رحمت واسعه اوست آغاز می شود، چرا که اگر صفت «رحمانیت» او نبود این چنین خوان نعمت را برای دوست و دشمن نمی گستراند.

لذا مىفرمايد: «خداوند رحمان» (الرَّحْمنُ).

سورة الرحمن(55): آية ٢ ص: 49

(آیه ۲)- «قرآن را تعلیم فرمود» (عَلَّمَ الْقُرْآنَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۷

و به این ترتیب نخستین و مهمترین نعمت را همان «تعلیم قرآن» بیان می کند.

و جالب این که نعمت «تعلیم قرآن» را حتی قبل از مسأله «خلقت انسان» و «تعلیم بیان» ذکر کرده، در حالی که از نظر ترتیب طبیعی باید نخست اشاره به مسأله آفرینش انسان، و بعد نعمت تعلیم بیان، و سپس نعمت تعلیم قرآن شود، اما عظمت قرآن ایجاب کرده که بر خلاف این ترتیب طبیعی نخست از آن سخن گوید.

این آیه در ضمن پاسخی است به مشرکان عرب که وقتی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نام «رحمن» را بیان کرد و آنها را دعوت به سجده برای خداوند رحمن نمود آنها به عنوان بهانه جوئی گفتند: «وَ مَا الرَّحْمنُ رحمن چیست»؟ (فرقان/ ۶۰).

قرآن می گوید خداوند رحمن کسی است که قرآن را تعلیم فرموده، انسان را آفریده، و تعلیم بیان به او کرده است.

به هر حال نام «رحمن» بعد از نام «الله» گسترده ترین مفهوم را در میان نامهای پروردگار دارد، زیرا می دانیم خداوند دارای دو رحمت است: «رحمت عام» و «رحمت خاص» نام «رحمن» اشاره به «رحمت عام» اوست که همگان را شامل می شود، و نام «رحیم» اشاره به «رحمت خاص» اوست که مخصوص اهل ایمان و طاعت است، و شاید به همین دلیل نام «رحمن» بر غیر خدا هرگز اطلاق نمی شود - مگر این که با کلمه «عبد» همراه باشد - ولی وصف «رحیم» به دیگران نیز گفته می شود، چرا که هیچ کس دارای رحمت عام جز او نیست، اما رحمت خاص هر چند به صورت ضعیف در میان انسانها و موجودات دیگر نیز وجود داد د.

در این که خداوند قرآن را به چه کسی تعلیم کرده؟ از آنجا که این سوره بیانگر رحمتهای الهی به جن و انس است و لذا ۳۱ بار بعد از ذکر بخشهایی از این نعمتها از آنها سؤال می کند «کدامیک از نعمتهای پروردگارتان را انکار می کنید» مناسب است که بگوئیم خدا این قرآن را به وسیله پیامبر بزرگش محمد صلّی الله علیه و آله به جن و انس تعلیم فرمود.

سورة الرحمن(۵۵): آية ٣ ص: ٤٧

(آیه ۳)- بعد از ذکر نعمت بی مثال قرآن به مهمترین نعمت در سلسله بعد پرداخته، می فرماید: «انسان را آفرید» (خَلَقَ الْإِنْسانَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۸

مسلما منظور از «انسان» در اینجا نوع انسان است نه حضرت «آدم» و گستردگی نعمت «بیان» که بعد از آن می آید نیز شاهدی بر عمومیت معنی انسان است. ذکر نام انسان بعد از قرآن نیز قابل دقت است، چرا که قرآن مجموعه اسرار هستی به صورت تدوین است، و انسان خلاصه این اسرار به صورت تکوین است، و هر کدام نسخهای از این عالم بزرگ و پهناور!

سورة الرحمن(55): آية 4 ص: 48

(آیه ۴)- این آیه به یکی از مهمترین نعمتها بعد از نعمت آفرینش انسان، اشاره کرده، میافزاید: «به او بیان را آموخت» (عَلَّمَهُ الْبَیانَ).

«بیان» از نظر مفهوم لغت معنی گستردهای دارد، و به هر چیزی گفته می شود که مبین و آشکار کننده چیزی باشد، بنابر این نه فقط نطق و سخن را شامل می شود که حتی کتابت و خط و انواع استدلالات عقلی و منطقی که مبین مسائل مختلف و پیچیده است همه در مفهوم بیان جمع است، هر چند شاخص این مجموعه همان «سخن گفتن» است.

اگر نقش «بیان» را در تکامل و پیشرفت زندگی انسانها، و پیدایش و ترقی تمدنها در نظر بگیریم یقین خواهیم کرد که اگر این نعمت بزرگ نبود انسان هر گز نمی توانست تجربیات و علوم خود را به سادگی از نسلی به نسل دیگر منتقل سازد، و باعث پیشرفت علم و دانش و تمدن و دین و اخلاق گردد، و اگر یک روز این نعمت بزرگ از انسانها گرفته شود جامعه انسانی بسرعت راه قهقرا را پیش خواهد گرفت، و هر گاه بیان را به معنی وسیع آن که شامل خط و کتابت و حتی انواع هنرها می شود تفسیر کنیم نقش فوق العاده مهم آن در زندگی انسانها روشنتر می گردد.

سورة الرحمن(55): آية 5 ص: 48

(آیه ۵)- سپس به سراغ چهارمین نعمت بزرگ از مواهب خداوند رحمن رفته، می گوید: «خورشید و ماه با حساب منظمی می گردند» (الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ).

اصل وجود خورشید از بزرگترین نعمتها برای انسان است، چرا که بدون نور و حرارت حاصل از آن زندگی در منظومه شمسی غیر ممکن است، نمو و رشد برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۹

گیاهان و تمام مواد غذائی، بارش بارانها، وزش بادها، همه به برکت این موهبت الهی است.

ماه نیز به سهم خودش نقش مهمی را در حیات انسان ایفا می کند، علاوه بر این که چراغ شبهای تاریک اوست، جاذبه آن که سر چشمه جزر و مد در اقیانوسهاست عاملی است برای بقاء حیات در دریاها و مشروب ساختن بسیاری از سواحل که رودخانهها در مجاورت آن به دریا می ریزند.

و افزون بر همه اینها نظام ثابت حرکت ماه به دور زمین و حرکت زمین به دور خورشید که سبب پیدایش منظم شب و روز سال و ماه و فصول مختلف است، سبب نظم زنـدگی انسانها و برنامه ریزی برای امور تجاری و صنعتی و کشاورزی است که اگر این سیر منظم نبود زندگی بشر هرگز نظام نمی یافت.

نه تنها حرکت این کرات آسمانی نظام بسیار دقیقی دارد، بلکه مقدار جرم و جاذبه آنها و فاصلهای که از زمین، و از یکدیگر دارند همه روی حساب و «حسبان» است، و بطور قطع هر کدام از این امور به هم بخورد اختلالات عظیمی در منظومه شمسی و به دنبال آن در نظام زندگی بشر رخ می دهد.

این نکته نیز قابل توجه است که خورشید هر چند در وسط منظومه شمسی ظاهرا بدون حرکت ثابت مانده است، ولی نباید

فراموش کرد که آن هم به اتفاق تمام سیارات و اقمارش در دل کهکشانی که به آن تعلق دارد به سوی نقطه معینی (ستاره معروف وگا) در حرکت است و این حرکت نیز نظم و سرعت معینی دارد.

سورة الرحمن(٥٥): آية 6 ص: 49

(آیه ۶) - در پنجمین موهبت بزرگ از آسمان به زمین نظر می افکند، و می فرماید: «و گیاه و درخت برای او سجده می کنند» (وَ النَّجُمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ).

«نجم» گاه به معنی ستاره می آید، و گاه به معنی گیاهان بدون ساقه و در اینجا به قرینه «شجر» (درخت) منظور معنی دوم یعنی گیاهان بدون ساقه است.

می دانیم تمام مواد غذائی انسانها در اصل از گیاهان گرفته می شود، با این تفاوت که قسمتی را انسان مستقیما مصرف می کند، و قسمت دیگری صرف تغذیه حیواناتی می شود که جزء مواد غذائی انسانهاست، این معنی حتی در مورد برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۰

حیوانات دریائی نیز صادق است، زیرا آنها نیز از گیاهان بسیار کوچکی تغذیه میکنند که میلیونها میلیون از آن در هر گوشه و کنار دریا در پرتو نور آفتاب میروید و در لابلای امواج در حرکت است.

به این ترتیب «نجم» انواع گیاهان کوچک و خزنده مانند بوته کدو، خیار و امثال آنها و «شجر» انواع گیاهان ساقه دار مانند غلات و درختان میوه و غیر آن را شامل می شود.

و تعبیر «یسجدان» (این دو سجده می کنند) اشاره به تسلیم بیقید و شرط آنها در برابر قوانین آفرینش، و در مسیر منافع انسانهاست.

در ضمن اشاره به اسرار توحیدی آنها نیز هست، چرا که در هر برگ و هر دانه گیاهی آیات عجیبی از عظمت و علم پروردگار وجود دارد.

سورة الرحمن(55): آية ٧ ص: 50

(آیه ۷)- آسمان را برافراشت و برای هر چیز میزانی قرار داد! این آیه به ششمین نعمت که نعمت آفرینش آسمان است اشاره کرده، می فرماید: «و (خداوند) آسمان را برافراشت» (وَ السَّماءَ رَفَعَها).

«آسمان» در این آیه خواه به معنی «جهت بالا» باشد یا «کواکب آسمانی» و یا «جو زمین» هر کدام باشد موهبتی است بزرگ و نعمتی است بینظیر، چرا که بدون آن زندگی کردن برای انسان محال است و یا ناقص.

آری! نور و روشنائی که مایه گرما و هدایت و حیات و حرکت است از سوی آسمان می آید، باران از طریق آسمان می بارد، و نزول وحی نیز از آسمان است.

سپس به سراغ نعمت هفتم رفته، میفرماید: «و (خداوند) میزان و قانون (در آن) گذاشت» (وَ وَضَعَ الْمِیزانَ).

«میزان» به معنی هر گونه وسیله سنجش است، سنجش حق از باطل، سنجش عدالت از ظلم و ستم، و سنجش ارزشها و سنجش حقوق انسانها در مراحل و مسیرهای مختلف اجتماعی.

«میزان» هر قانون تکوینی و دستور تشریعی را شامل می شود، چرا که همه وسیله سنجشند.

سورة الرحمن(55): آية لا ص: 51

(آیه ۸)- در این آیه نتیجه گیری جالبی از این موضوع کرده، می افزاید هدف از قرار دادن میزان در عالم هستی این است: «تا در میزان طغیان نکنید» و از مسیر عدالت منحرف نشوید (أَلَّا تَطْغَوْا فِی الْمِیزانِ).

چه تعبیر جالبی که از کل عالم هستی به انسان منتقل می شود، و قوانین حاکم بر آن عالم کبیر را با قوانین حاکم بر زندگی انسان و عالم صغیر هماهنگ می شمرد، و این است حقیقت توحید که اصول حاکم همه جا یکی است.

سورة الرحمن(٥٥): آية ٩ ص: ٥١

(آیه ۹)- بار دیگر روی مسأله عدالت و وزن تکیه کرده، می گوید: «و وزن را بر اساس عدالت برپا دارید و میزان را کم نکنید» (وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ).

این آیه روی مسأله وزن به معنی خاص آن تکیه کرده، و دستور میدهد که در سنجش و وزن اشیا به هنگام معامله چیزی کم و کسر نگذارند.

اهمیت میزان به هر معنی در زنـدگی و حیات انسان چنان است که هر گاه همین مصـداق محـدود و کوچکش یعنی «ترازو» را یک روز از زندگی حذف کنیم برای مبادله اشیاء گرفتار چه دردسرها و هرج و مرجها، دعوا و نزاعها خواهیم شد.

از آنچه گفتیم روشن می شود این که در بعضی از روایات «میزان» به وجود «امام» علیه السّلام تفسیر شده به خاطر آن است که وجود مبارک امام معصوم وسیله ای است برای سنجش حق از باطل و معیاری است برای تشخیص حقایق، و عامل مؤثری است برای هدایت.

همچنین تفسیر میزان به «قرآن مجید» نیز ناظر به همین معنی است.

سورة الرحمن(٥٥): آية 10 ص: ٥١

(آیه ۱۰)- سپس از آسمان به زمین می آید و با اشاره به هشتمین نعمت، می فرماید: «زمین را برای خلایق آفرید» (وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنام).

قرائن موجود و خطابهای سوره که متوجه انس و جن است نشان میدهد که منظور از «انام» در اینجا همان انس و جن است.

سورة الرحمن(55): آية 11 ص: 51

(آیه ۱۱)- در این آیه به سراغ نهمین و دهمین نعمت که بخشی از مواد غذائی انسان را تشکیل میدهد رفته، می گوید: «در آن (زمین) میوهها و نخلهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۲ پرشکوفه است» (فِیها فاکِهَةً وَ النَّخْلُ ذاتُ الْأَكْمام).

سورة الرحمن(55): آية 12 ص: 52

(آیه ۱۲) - و سر انجام از یازدهمین و دوازدهمین مواهبش بدین گونه سخن می گوید: «و دانههائی که همراه با ساقه و برگی است که بصورت کاه در می آید و (همچنین) گیاهان خوشبو» (وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرَّیْحانُ).

دانههای غذائی خوراک انسان، و برگهای تر و خشکش خوراک حیواناتی است که در خدمت انسان، و از شیر و گوشت و پوست و پشم آنها بهره میگیرد، و به این ترتیب چیزی از آن بیفایده و دور ریختنی نیست.

و از سوی دیگر گیاهان خوشبو و گلها را نیز در زمین آفریده که مشام جسم و جان را معطر میکند، و روح را آرامش و نشاط میبخشد، و به این وسیله نعمتهایش را بر انسان تمام کرده است.

سورة الرحمن(۵۵): آية ۱۳ ص: ۵۲

(آیه ۱۳)– پس از ذکر نعمتهای گونـاگون مادی و معنوی در این آیه جن و انس را مخاطب ساخته، میگویـد: «پس کـدامین نعمتهای پروردگارتان را تکذیب میکنید»؟! (فَبَأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

نعمتهائی که هر یک نشانه روشنی از قدرت و لطف و مهر پروردگار است، چگونه ممکن است اینها را تکذیب کرد؟! این استفهام، استفهام تقریری است که در مقام اقرار گرفتن می آورند، و لذا در روایتی که در آغاز سوره خواندیم به ما دستور داده شده است که بعد از ذکر این جمله عرضه داریم: «لا بشیء من آلائک ربّ اکذّب پروردگارا! ما هیچ یک از نعمتهای تو را تکذیب نمی کنیم».

سورة الرحمن(۵۵): آية ۱۴ ص: ۵۲

(آیه ۱۴)- آفرینش انسان از خاکی همچون سفال! خداوند بعد از ذکر نعمتهای گذشته از جمله آفرینش انسان به صورت سر بسته، در اینجا نخست به شرحی پیرامون آفرینش انس و جن می پردازد شرحی که هم نشانه قدرت عظیم اوست و هم درسهای عبرتی برای همگان در بر دارد.

مى فرمايد: «انسان را از گل خشكيدهاى همچون سفال آفريد» (خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَارِ). برگزيده تفسير نمونه، ج٥، ص: ٥٣

از آیات مختلف قرآن و تعبیرات گوناگونی که در باره مبدأ آفرینش انسان آمده به خوبی استفاده می شود که انسان در آغاز خاک بوده (حج/۵) سپس با آب آمیخته شده، و به صورت گل درآمده (انعام/۲) و بعد به صورت «گل بدبو» (لجن) درآمد (حجر/ ۲۸) سپس حالت «چسبندگی» پیدا کرد (صافات/ ۱۱) و بعدا به صورت «خشکیده» درآمد، و حالت «صلصال کالفخّار» به خود گرفت-آیه مورد بحث.

این مراحل از نظر بعد زمانی چه اندازه طول کشید؟ و انسان در هر مرحلهای چقدر توقف کرد؟ و این حالتهای انتقالی تحت چه عواملی به وجود آمد؟ اینها مسائلی است که از علم و دانش ما مخفی است، و تنها خدا میداند و بس.

سورة الرحمن(۵۵): آية ۱۵ ص: ۵۳

(آیه ۱۵)– سپس به آفرینش «جنّ» پرداخته، می گوید: «و جنّ را از شعلههای مختلط و متحرک آتش آفرید» (وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِج مِنْ نارِ). باز در اینجا دقیقا برای ما روشن نیست که آفرینش «جن» از این آتشهای رنگارنگ چگونه بوده است؟ همان گونه که خصوصیات دیگر آن نیز از طریق وحی صادق یعنی قرآن مجید و وحی آسمانی برای ما ثابت شده است، محدود بودن معلومات ما در برابر مجهولات هر گز به ما اجازه نمی دهد که این حقایق را انکار کنیم یا نادیده بگیریم، بعد از آن که از طریق وحی اثبات گردد، هر چند علم به آن راهی نیابد «۱».

سورة الرحمن(۵۵): آية ۱۶ ص: ۵۳

(آیه ۱۶)- باز به دنبال نعمتهائی که در آغاز آفرینش انسان بوده این جمله را تکرار میکند: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید» (فَبَأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۱۷ ص: ۵۳

(آیه ۱۷)- در این آیه به بیان یکی دیگر از نعمتهای الهی پرداخته، می گوید: «او پروردگار دو مشرق و پروردگار دو مغرب است» (رَبُّ الْمَشْرِقَیْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَیْنِ).

درست است که خورشید در هر روزی از ایام سال از نقطهای طلوع و در

(۱) به خواست خدا شرح بیشتر در باره آفرینش «جن» و خصوصیات این مخلوق در تفسیر سوره جن خواهد آمد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۴

نقطهای غروب می کند، و به این ترتیب به تعداد روزهای سال مشرق و مغرب دارد، ولی با توجه به حد اکثر «میل شمالی» آفتاب، و «میل جنوبی» آن، در حقیقت دو مشرق و دو مغرب دارد، و بقیه در میان این دو میباشد.

این نظام که مبدأ پیدایش فصول چهارگانه سال با برکات فراوانی است در حقیقت تأکید و تکمیلی است برای آنچه در آیات قبل آمده، آنجا که سخن از حساب سیر خورشید و ماه در میان است، و همچنین سخن از وجود میزان در آفرینش آسمانها، و در مجموع هم بیانگر نظام دقیق آفرینش و حرکت زمین و ماه و خورشید میباشد، و هم اشارهای است به نعمتها و برکاتی که از این رهگذر عاید انسان می شود.

سورة الرحمن(۵۵): آية ۱۸ ص: ۵۴

(آیه ۱۸)– به هر حال بعـد از ذکر این نعمت باز جن و انس را مخاطب ساخته، میگویـد: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟! (فَبَأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية 19 ص: ۵۴

(آیه ۱۹)- دریاها با ذخائر گرانبهایشان! در ادامه شرح نعمتهای پروردگار سخن از دریاها به میان می آورد، اما نه همه دریاها بلکه کیفیت خاصی در پارهای از دریاها که هم پدیدهای است عجیب و نشانهای است از قدرت بی پایان حق، و هم وسیلهای

است برای پدید آمدن بعضی از متاعهای مورد استفاده انسانها.

می فرماید: «دو دریای مختلف (شور و شیرین، گرم و سرد) را در کنار هم قرار داد در حالی که با هم تماس دارند» (مَرَجَ الْبَحْرَیْن یَلْتَقِیانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۲۰ ص: ۵۴

(آیه ۲۰) - در میان آن دو، برزخی است که یکی بر دیگری غلبه نمی کند» و به هم نمی آمیزند (بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ). منظور از این دو دریا به گواهی آیه ۵۳ سوره فرقان دو دریای آب «شیرین» و «شور» است، آنجا که می فرماید: «او کسی است که دو دریا را در کنار هم قرار داد یکی گوارا و شیرین است و دیگری شور و تلخ، و در میان آنها برزخی قرار داد تا با هم مخلوط نشوند».

رودخانه های عظیم آب شیرین هنگامی که به دریاها و اقیانوسها میریزند برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۵ معمولاً دریائی از آب شیرین در کنار ساحل تشکیل میدهند آب شور را به عقب میرانند و عجب این که تا مدت زیادی این دو آب شیرین و شور به خاطر تفاوت درجه غلظت به هم آمیخته نمی شوند و هزاران کیلومتر راه را به همان صورت می بیمایند.

سورة الرحمن(55): آية 21 ص: 55

(آیه ۲۱)- بـار دیگر بنـدگان را مخـاطب سـاخته و در برابر این نعمتهـا از آنها سؤال کرده، میفرمایـد: «پس کـدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟! (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(٥٥): آية ٢٢ ص: ٥٥

(آیه ۲۲)- سپس در ادامه همین سخن می افزاید: «از آن دو (دریا) لؤلؤ و مرجان خارج می شود»! (یَخْرُجُ مِنْهُمَ اللَّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ).

سورة الرحمن(55): آية 23 ص: 55

(آیه ۲۳)– «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟! (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

«لؤلؤ» مروارید دانه شفاف و قیمتی است که در درون صدف در اعماق دریاها پرورش مییابد، و هر قدر درشت تر باشد گرانبها تر است.

و «مرجان» موجود زندهای است شبیه شاخه کوچک درخت که در اعماق دریاها میروید، و تا مدتها دانشمندان آن را نوعی «گیاه» می پنداشتند، ولی بعدا روشن شد که نوعی حیوان است.

بهترین نوع مرجان زینتی «مرجان سرخ رنگ» است و هر قدر سرختر باشد قیمتی تر است.

سورة الرحمن(55): آية 24 ص: 55

(آیه ۲۴)- باز در ادامه همین بخش از نعمتها به مسأله کشتیها که در حقیقت بزرگترین و مهمترین وسیله حمل و نقل بشر در گذشته و حال بوده است اشاره کرده، میفرماید: «و برای اوست کشتیهای ساخته شده که در دریا به حرکت در میآینـد و همچون کوهی هستند»! (وَ لَهُ الْجَوارِ الْمُنْشَآتُ فِی الْبَحْرِ کَالْأَعْلام).

جالب این که در عین تعبیر به «منشئات» که حکایت از مصنوع بودن کشتی به وسیله انسان می کنید می فرماید «و له» (از برای خداست) اشاره به این که مخترعان و سازندگان کشتی از خواص خداداد که در مصالح مختلفی که در کشتیها برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۶

به کار میرود استفاده میکنند همچنین از خاصیت سیّال بودن آب دریاها، و نیروی وزش بادها بهره میگیرند، و خداست که در آن مواد، و در دریا و باد این خواص و آثار را آفریده.

سورة الرحمن(۵۵): آية ۲۵ ص: ۵۶

(آیه ۲۵)- و بـار دیگر این سؤال پر معنی را تکرار کرده، میفرمایـد: «پس کـدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنیـد»؟ (فَبَأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۲۶ ص: ۵۶

(آیه ۲۶)– ما همه فانی و بقا بس تو را است! باز در ادامه شـرح نعمتهای الهی در اینجا میافزایـد: «همه کسانی که روی آن [-زمین] هستند فانی میشوند» (کُلُّ مَنْ عَلَیْها فانٍ).

اما چگونه «مسأله فنا» می تواند در زمره نعمتهای الهی قرار گیرد؟ ممکن است از این نظر باشد که این فنا به معنی فنای مطلق نیست، بلکه دریچهای است به عالم بقا و دالان و گذرگاهی است که شرط وصول به سرای جاویدان عبور از آن است.

و یا از این نظر که ذکر نعمتهای فراوان گذشته ممکن است مایه غفلت و غرق شدن گروهی در زندگی دنیا و انواع خوردنیها و نوشیدنیها و لؤلؤ و مرجان و مرکبهای را هوارش گردد، لـذا یادآوری میکنـد که این دنیا جای بقا نیست، و این تـذکر خود نعمتی است بزرگ.

سورة الرحمن(55): آية 27 ص: 56

(آیه ۲۷)– در این آیه میافزایـد «تنهـا ذات ذو الجلاـل و گرامی پروردگـارت بـاقی میمانـد» (وَ یَبْقی وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِکْرام).

«وجه» از نظر لغت به معنی صورت است که به هنگام مقابله با کسی با آن مواجه و رو برو میشویم، ولی هنگامی که در مورد خداوند به کار میرود منظور ذات پاک او است.

اما «ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ» كه توصیفی است برای «وجه» اشاره به صفات جمال و جلال خداست، زیرا ذو الجلال از صفاتی خبر می دهـ د كه خداونـد «اجل» و برتر از آن است (صفات سلبیه) و «اكرام» به صفاتی اشاره می كنـد كه حسن و ارزش چیزی را ظاهر میسازد و آن «صفات ثبوتیه» خداوند مانند علم و قدرت و حیات اوست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۷

بنـابر این معنی آیه روی هم رفته چنین میشود تنهـا ذات پاک خداونـدی که متصف به صـفات ثبوتیه و منزه از صـفات سـلبیه

است در این عالم باقی و برقرار میماند.

سورة الرحمن(55): آية 28 ص: 57

(آیه ۲۸)– بار دیگر خلایق را مخاطب ساخته، میفرمایـد: «پس کـدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟! (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(55): آية 29 ص: 57

(آیه ۲۹)- محتوای این آیه در واقع نتیجهای است از آیات قبل، زیرا میفرماید: «تمام کسانی که در آسمانها و زمین هستند همواره (نیازهای خود را) از او تقاضا میکنند» (یَسْئَلُهُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

چرا چنین نباشـد؟ در حـالی که همه فانینـد و او بـاقی و اگر لحظهای نظر لطفش را از کائنات برگیرد «فرو ریزنـد قالبها»! با این حال مگر کسـی جز او هست که اهل آسـمانها و زمین از وی تقاضا کنند؟! سـپس میافزاید: «و او (خداوند) هر روز در شأن و کاری است» (کُلَّ یَوْم هُوَ فِی شَأْنٍ).

آری! خلقت او دائم و مستمر است، و پاسخگوئی او به نیازهای سائلان و نیازمندان نیز چنین است، و هر روز و هر زمان طرح تازهای ابداع می کند.

یک روز اقوامی را قدرت میدهد، روز دیگری آنها را بر خاک سیاه مینشاند، یک روز سلامت و جوانی میبخشد، روز دیگر ضعف و ناتوانی میدهد، یک روز غم و اندوه را از دل میزداید، روز دیگر مایه اندوهی می آفریند، خلاصه هر روز طبق حکمت و نظام احسن، پدیده تازه و آفرینش و حادثه جدیدی دارد.

توجه به این حقیقت، از یکسو نیاز مستمر ما را به ذات پاک او روشن می کنـد، و از سوی دیگر پردههای یأس و نومیـدی را از دل کنار میزند.

و از سوی سوم غرور و غفلت را درهم میشکند.

سورة الرحمن(۵۵): آية 30 ص: ۵۷

(آیه ۳۰)- و بـاز به دنبال این نعمت مستمر و پاسـخگوئی به نیازهای همه مخلوقات و اهل آسـمانها و زمین تکرار می کنـد که «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار می کنید»؟! (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۸

سورة الرحمن(۵۵): آية 31 ص: ۵۸

(آیه ۳۱)- نعمتهائی که تاکنون در آیات این سوره مطرح شده مربوط به این جهان بوده است، ولی در اینجا از محاسبه قیامت و بعضی دیگر از خصوصیات معاد سخن می گوید که در عین تهدید بودن برای مجرمان وسیله تربیت و آگاهی و بیداری و هم وسیله تشویق و دلگرمی مؤمنان است، و به همین جهت نعمت محسوب می شود، لذا بعد از ذکر هر کدام همان سؤال را که

در باره نعمتهاست تکرار می کند.

نخست می فرماید: «به زودی به حساب شما می پردازیم ای دو گروه انس و جن»! (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَیُّهَ النَّقَلانِ).

آری! در آن روز خداونـد عـالم قـادر دقیقا همه اعـمال و گفتار و نیات انس و جن را مورد بررسـی و حساب دقیق قرار داده، و کیفر و پاداش مناسب را برای آنها تعیین میکند.

سورة الرحمن(55): آية 22 ص: 58

(آیه ۳۲)- بعد از ذکر این معنی باز این سؤال را تکرار میفرماید: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید» (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(55): آية 33 ص: 58

(آیه ۳۳)- در تعقیب آیه قبل که از مسأله حساب دقیق الهی سخن می گفت باز جن و انس را مخاطب ساخته، می گوید: «ای گروه جن و انس! (هر گاه به راستی میخواهید از مجازات و کیفر الهی بر کنار مانید) اگر می توانید از مرزهای آسمانها و زمین بگذرید (و از حیطه قدرت او خارج شوید) پس بگذرید ولی هر گز نمی توانید مگر با نیروئی» الهی و فوق العاده اما چنین نیروئی در اختیار شما نیست (یا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْ تَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بسُلْطانِ).

به این ترتیب شما هرگز یـارای فرار از دادگاه عـدل خـدا و پیامـدهای آن را نداریـد، هر جا برویـد ملک خـداست، و هر کجا باشیـد محل حکومت اوست، آری این موجود ضعیف و ناتوان کجا میتوانـد از عرصه قدرت خداوند بگریزد همان گونه که امیر مؤمنان علی علیه السّلام در دعای روح پرور کمیل عرضه میدارد:

«و لا یمکن الفرار من حکومتک پروردگارا! فرار از حکومت تو ممکن نیست»! برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۹ البته به نظر میرسد که این آیه مربوط به فرار از چنگال عدالت الهی در قیامت باشد، و مؤید آن بعضی از اخبار است که در منابع اسلامی در این زمینه نقل شده از جمله در حدیثی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم: «روز قیامت خداوند بندگان را در محل واحدی جمع می کند و به فرشتگان آسمان پائین وحی میفرستد فرود آیید، آنها- که دو برابر جمعیت روی زمین از جن و انس هستند- فرود می آیند، سپس اهل آسمان دوم که آنها نیز دو برابر همه می باشند فرود می آیند، و به همین ترتیب فرشتگان هفت آسمان فرود می آیند و همچون هفت حجاب گرداگرد انس و جن را احاطه می کنند، اینجاست که منادی صدا می زند: ای جمعیت جن و انس اگر می توانید از اقطار آسمانها و زمین بگذرید، اما هر گز نمی توانید جز با قدرت الهی و در اینجا می بینند اطراف آنها را هفت گروه عظیم از فرشتگان فرا گرفته اند- و راهی برای فرار از چنگال عدالت نیست.»

سورة الرحمن(۵۵): آية 34 ص: ۵۹

(آیه ۳۴)– باز در اینجا دو گروه را مخاطب ساخته، می گویـد: «پس کـدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار می کنیـد»؟! (فَبِأَیّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

درست است که تهدیمد فوق به ظاهر در مسیر مجازات و کیفر است، ولی از آنجا که ذکر آن هشداری است به همه انسانها، و

عاملی است برای اصطلاح و تربیت، طبعا لطف و نعمتی محسوب می شود، و اصولا وجود حساب در هر دستگاه نعمت بزرگی است چرا که به خاطر آن سرهای همه به حساب خواهد آمد!

سورة الرحمن(۵۵): آية 35 ص: ۵۹

(آیه ۳۵) - این آیه برای تأکید آنچه در آیه قبل دائر بر عدم قدرت انس و جن بر فرار از چنگال عدالت آمده، می افزاید: «شعله هائی از آتش بی دود، و دودهائی متراکم بر شما فرستاده می شود (و آن چنان شما را از هر سو احاطه می کنند که راهی برای فرار نیست) و نمی توانید از کسی یاری بطلبید» (یُوْسَلُ عَلَیْکُما شُواظٌ مِنْ نارِ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ).

از یکسو فرشتگان شما را احاطه کردهاند و از سوی دیگر شعلههای گرم و سوزان آتش و دودهای تیره و تار و خفقان آور اطراف محشر را فرا می گیرد و راهی برای گریز نیست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۰

سورة الرحمن(55): آية 36 ص: 60

(آیه ۳۶)– باز میفرماید: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟! (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ). تعبیر به نعمت در اینجا نیز به خاطر همان لطفی است که در آیه قبل به آن اشاره شد.

سورة الرحمن(۵۵): آية 37 ص: 60

(آیه ۳۷) - در تعقیب آیات گذشته که بعضی از حوادث رستاخیز را بازگو میکرد، در اینجا همچنان ادامه همان بحث و ذکر خصوصیات دیگری از صحنه قیامت، و چگونگی حساب، و مجازات، و کیفر است.

نخست مىفرمايد: «در آن هنگام كه آسمان شكافته شود، و همچون روغن مذاب گلگون گردد» حوادث هولناكى رخ مىدهد كه تاب تحمل آن را نخواهيد داشت (فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ).

از مجموع آیات «قیامت» به خوبی استفاده می شود که در آن روز نظام کنونی جهان بکلی در هم می ریزد، و حوادث بسیار هولناکی در سرتاسر عالم رخ می دهد، کواکب و سیارات و زمین و آسمان دگرگون می شوند، و مسائلی که تصور آن امروز برای ما مشکل است واقع می گردد، از جمله چیزی است که در آیه فوق آمده که کرات آسمانی از هم می شکافد و به رنگ سرخ و به صورت مذاب همچون روغن در می آید.

سورة الرحمن(۵۵): آية 38 ص: 60

(آیه ۳۸) - و از آنجا که اعلام وقوع این حوادث هولناک در صحنه قیامت، و یا قبل از آن هشداری است به همه مجرمان و مؤمنان، و لطفی است از الطاف الهی، بعد از آن، همان جمله سابق را تکرار فرموده، می گوید: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار می کنید»؟! (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۳۹ ص: ۶۰

(آیه ۳۹) - در این آیه از حوادث تکوینی قیامت، به وضع انسان گنهکار در آن روز، پرداخته، می افزاید: «در آن روز هیچ کس از انس و جن از گناهش سؤال نمی شود» (فَیَوْمَئِذٍ لا یُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ).

چرا سؤال نمی کنند؟ برای این که همه چیز روشن است، و در چهره انسانها همه چیز خوانده می شود. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۱

قیامت یک روز بسیار طولانی است، و انسان از مواقف و گذر گاههای متعددی باید بگذرد و در هر صحنه و موقفی باید مدتی بایستد، در بعضی از این مواقف مطلقا سؤالی نمی شود.

و در بعضی از مواقف مهر بر دهان انسان گذارده می شود و اعضای بدن به شهادت بر می خیزند. و در بعضی، از انسانها دقیقا پرسش می شود.

خلاصه هر صحنهای شرایطی دارد.

سورة الرحمن(۵۵): آية 40 ص: 61

(آیه ۴۰)- و باز در تعقیب آن همگان را مخاطب ساخته، می گویـد «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را تکذیب می کنید»؟! (فَبَأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(55): آية 41 ص: 61

(آیه ۴۱)- آری در آن روز سؤال نمی شود، بلکه «مجرمان از چهرههایشان شناخته می شوند» (یُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِیماهُمْ). گروهی دارای چهرههای بشاش نورانی و درخشانند که بیانگر ایمان و عمل صالح آنهاست، و گروهی دیگر صورتهائی سیاه و تاریک و زشت و عبوس دارند که نشانه کفر و گناه آنهاست، چنانکه در آیات ۳۹ تا ۴۱ سوره عبس می خوانیم: «در آن روز چهرههائی تاریک، که سیاهی مخصوصی آن را پوشانیده».

سپس می افزاید: «و آنگاه آنها را از موهای پیش سر، و پاهایشان می گیرند» و به دوزخ می افکنند! (فَیُوْخَدُ بِالنَّواصِی وَ الْأَقْدامِ). گرفتن مجرمان با موی پیش سر، و پاها، ممکن است به معنی حقیقی آن باشد که مأموران عذاب این دو را می گیرند و آنها را از زمین برداشته، با نهایت ذلت به دوزخ می افکنند، و یا کنایه از نهایت ضعف و ناتوانی آنها در چنگال مأموران عذاب الهی است، که این گروه را با خواری تمام به دوزخ می برند، و چه صحنه در دناک و وحشتناکی است آن صحنه!

سورة الرحمن(۵۵): آية ٤٢ ص: ٦١

(آیه ۴۲)- باز از آنجا که یادآوری این مسائل در زمینه معاد هشدار و لطفی است به همگان میافزاید: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را تکذیب میکنید»؟! (فَبأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۲

سورة الرحمن(55): آية ٤٣ ص: 62

(آیه ۴۳)- در این آیه میفرماید: «این همان دوزخی است که مجرمان پیوسته آن را انکار میکردند» (هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِی یُکَذُّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ).

سورة الرحمن(55): آية 44 ص: 27

(آیه ۴۴)– بـاز در توصـیف جهنـم و عـذابهای دردنـاک آن میافزایـد: مجرمـان «امروز در میـان آن و آب سـوزان در رفت و آمدند» (یَطُوفُونَ بَیْنَها وَ بَیْنَ حَمِیم آنٍ).

آنها از یکسو در میان شعلههای سوزان جهنم میسوزند و تشنه میشوند و تمنای آن میکنند و از سوی دیگر آب جوشان به آنها میدهند (یا بر آنها میریزند) و این مجازاتی است دردناک.

از آیات ۷۱ و ۷۲ سوره مؤمن استفاده می شود که چشمه سوزان حمیم در کنار جهنم است که نخست دوزخیان را در آن می برند و سپس در آتش دوزخ می افکنند.

سورة الرحمن(55): آية 45 ص: 67

(آیه ۴۵)- باز به دنبال این هشدار و اخطار شدید بیدار کننده که لطفی است از ناحیه خداوند، میفرماید: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟! (فَبأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(55): آية 47 ص: 27

(آیه ۴۶) – این دو بهشت در انتظار خائفان است! در اینجا دوزخیان را به حال خود رها کرده، به سراغ بهشتیان میرود، و از نعمتهای دلپذیر و بینظیر و شوق انگیز بهشت قسمتهائی را بر میشمرد، تا در مقایسه با کیفرهای شدید و دردناک دوزخیان اهمیت هر کدام روشنتر گردد.

میفرماید: «برای کسی که از مقام پروردگارش بترسد دو باغ بهشتی است» (وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ).

خوف از پروردگار سر چشمه های مختلفی دارد: گاه همان اعمال ناپاک و افکار آلوده است، و گاه برای مقربان، به خاطر قرب به ذات پاکش کمترین ترک اولی و غفلت مایه وحشت آنهاست، و گاه بدون همه اینها هنگامی که تصور آن ذات نامحدود و عظمت بی انتها را می کنند در مقابل او احساس حقارت کرده و حالت خوف به آنها دست می دهد، این خوفی است که از نهایت معرفت پروردگار حاصل می شود و مخصوص عارفان و مخلصان در گاه اوست.

سورة الرحمن(۵۵): آية ٤٧ ص: 63

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۳

(آیه ۴۷)- باز به دنبال این نعمت بزرگ همگان را مخاطب ساخته، می گوید: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار می کنید؟! (فَبَأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۴۸ ص: 63

(آیه ۴۸)– سپس در توصیف این دو بهشت می افزاید: «دارای انواع نعمتها و درختان پرطراوت است» (ذَواتا أَفْنانٍ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ٤٩ ص: 63

(آیه ۴۹)- و به دنبال این نعمت باز همان سؤال تکرار می شود که: «کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار می کنید»؟! (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(55): آية 50 ص: 37

(آیه ۵۰)- از آنجا که یک باغ سرسبز و خرّم و پرطراوت، علاوه بر درختان، باید چشمههای آب جاری داشته باشد در این آیه میافزاید: «در آن دو (بهشت) دو چشمه همیشه جاری است» (فِیهِما عَیْنانِ تَجْرِیانِ).

سورة الرحمن(55): آية 51 ص: 32

(آیه ۵۱)- باز در برابر این نعمت همان سؤال مطرح می شود: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار می کنید» (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبان).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۲ ص: ۶۳

(آیه ۵۲) - در این آیه که نوبت به میوههای این دو باغ بهشتی میرسد، میفرماید: «در آن دو از هر میوهای دو نوع وجود دارد» هر یک از دیگری بهتر (فِیهما مِنْ کُلِّ فاکِهَةٍ زَوْجانِ).

نوعی که در دنیا نمونه آن را دیدهاید، و نوعی که هرگز شبیه و نظیر آن را در این جهان ندیدهاید.

سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۳ ص: ۶۳

(آیه ۵۳)– باز میافزاید: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟! (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۴ ص: ۶۳

(آیه ۵۴) - در آیات پیشین سه قسمت از ویژگیهای این دو باغ بهشتی مطرح شد، اکنون به ویژگی چهارم پرداخته، میفرماید: «این در حالی است که آنها بر فرشهائی تکیه کردهاند با آسترهائی از دیبا و ابریشم» (مُتَّکِئِینَ عَلی فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ). این تعبیر نشانه آرامش کامل روح بهشتیان است.

در اینجا گران قیمت ترین پـارچهای که در دنیـا تصور می شود آستر این فرشـها ذکر شـده، اشـاره به این که قسـمت روئین آن چیزی است که از لطافت و زیبائی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۴

و جذابیت در وصف نمی گنجد.

و بالاخره در پنجمین نعمت به چگونگی نعمتهای این باغ بهشتی اشاره کرده، می گوید: «و میوههای رسیده آن دو باغ بهشتی در دسترس است» (وَ جَنَی الْجَنَّیْنِ دانِ).

آری! زحمتی که معمولا در چیدن میوههای دنیا وجود دارد در آنجا به هیچ وجه نیست.

سورة الرحمن(55): آية 55 ص: 64

(آیه ۵۵)– و باز همگان را در اینجا مخاطب ساخته، می گویـد: «پس کـدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنیـد»؟ (فَبِأَیّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبان).

سورة الرحمن(55): آية 56 ص: 64

(آیه ۵۶)- همسران زیبای بهشتی: در آیات گذشته پنج قسمت از مواهب و ویژگیهای این دو باغ بهشتی عنوان شده بود، در اینجا ششمین نعمت را بازگو می کند و آن همسران پاک بهشتی است، میفرماید: «در آن باغهای بهشتی زنانی هستند که جز به همسران خود عشق نمیورزند» (فِیهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ).

«و هيچ انس و جن پيش از اينها با آنها تماس نگرفته است» (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جَانُّ).

بنابر این آنها دوشیزهاند، و دست نخورده، و پاک از هر نظر.

از «أبو ذر» نقل شده است كه: «همسر بهشتى به شوهرش مى گويد: سو گند به عزت پرورد گارم كه در بهشت چيزى را بهتر از تو نمىيابم، سپاس مخصوص خداوندى است كه مرا همسر تو، و تو را همسر من قرار داد».

سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۷ ص: ۶۴

(آیه ۵۷)- باز در تعقیب این نعمت بهشتی تکرار میکند: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟ (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۸ ص: 64

(آیه ۵۸)- سپس به توصیف بیشتری از این همسران بهشتی پرداخته، می گوید: «آنها همچون یاقوت و مرجانند»! (کَاأَنَّهُنَّ الْیاقُوتُ وَ الْمَرْجانُ).

به سرخی و صفا و درخشندگی «یاقوت» و به سفیدی و زیبائی شاخه «مرجان» که هنگامی که این دو رنگ (یعنی سفید و سرخ شفاف) به هم آمیزند زیباترین رنگ را به آنها میدهند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۵

سورة الرحمن(۵۵): آية ۵۹ ص: ۶۵

(آیه ۵۹)– بار دیگر به دنبال این نعمت بهشتی میفرمایـد: «پس کـدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنیـد»؟ (فَبِأَیِّ آلاءِ

سورة الرحمن(55): آية 60 ص: 65

(آیه ۶۰) و در پایان این بحث می گوید: «آیا جزای نیکی جز نیکی است»؟

(هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ).

آیا آنها که در دنیا کار نیک کردهاند جز پاداش نیک الهی انتظاری در باره آنها میرود؟

«احسان» چیزی برتر از عدالت است، زیرا عدالت این است که انسان آنچه بر عهده اوست بدهد، و آنچه متعلق به اوست بگیرد، ولی احسان این است که انسان بیش از آنچه وظیفه اوست انجام دهد، و کمتر از آنچه حق اوست بگیرد.

سورة الرحمن(55): آية 61 ص: 63

(آیه ۶۱)– باز در اینجا از بنـدگان اقرار میگیرد که: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟ (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

چرا که این قانون یعنی جزای احسان به احسان خود نعمتی است بزرگ از ناحیه خداوند بزرگ، و نشان می دهد که پاداش او در برابر اعمال بندگان نیز در خور کرم اوست نه در خور اعمال آنها، تازه اگر آنها عملی دارند و اطاعتی می کنند آن هم به توفیق و لطف خداست و برکاتش نیز به خودشان می رسد.

سورة الرحمن(۵۵): آية ۶۲ ص: ۶۵

(آیه ۶۲) - دو بهشت دیگر با اوصاف شگفت آورش! در ادامه بحث گذشته که پیرامون دو بهشت خائفان با ویژگیهای والا سخن می گفت در اینجا از دو بهشت سخن می گوید که در مرحله پایینتر و طبعا برای افرادی است که در سطح پائینتری از ایمان و خوف از پروردگار قرار دارند، و به تعبیر دیگر هدف بیان وجود سلسله مراتب به تناسب ایمان و عمل صالح است. نخست می فرماید: «و پایین تر از آنها دو باغ بهشتی دیگر است» (وَ مِنْ دُونِهما جَنَّتانِ).

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله میخوانیم که در تفسیر این آیه فرمود:

«دو بهشت که بنای آنها و هر چه در آنهاست از نقره است، و دو بهشت است که بنای آنها و هر چه در آنهاست از طلاست». برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۶

تعبير به طلا و نقره ممكن است اشاره به تفاوت ارزش مواهب آنها باشد.

لذا در حدیث دیگری از پیامبر صلّی الله علیه و آله آمده است: «دو بهشت از طلا است برای مقربان، و دو بهشت از نقره برای اصحاب الیمین».

سورة الرحمن(۵۵): آية ۶۳ ص: ۶۶

(آیه ۶۳)– سپس میافزاید: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید» (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية 64 ص: 68

(آیه ۶۴)- بعد به پنج ویژگی این دو بهشت- که بعضی با آنچه در باره دو بهشت سابق گفته شد شباهت دارد و بعضی متفاوت است- پرداخته، می گوید: «هر دو خرّم و سرسبزند» (مُدْهامَّتانِ).

سورة الرحمن(55): آية 65 ص: 66

(آیه ۶۵)– باز در اینجا اضافه میکند: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟ (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(55): آية 66 ص: 66

(آیه ۶۶) - در این آیه به توصیف دیگری پرداخته، می گوید: «در آنها دو چشمه جوشنده است ِیهما عَیْنانِ نَضَّاخَتانِ)

سورة الرحمن(55): آية 67 ص: 66

(آیه ۶۷)- دگر بار از جن و انس میپرسد: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟! (فَبِأَیِّ آلاَـهِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۶۸ ص: ۶۶

(آیه ۶۸)– این آیه در باره میوههای این دو بهشت چنین می گوید: «در آنها میوههای فراوان و درخت خرما و انار است» (فیهِما فاکِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۶۹ ص: ۶۶

(آیه ۶۹)- باز همان سؤال را تکرار کرده، میفرماید: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟ (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۷۰ ص: 69

(آیه ۷۰)- باز هم همسران بهشتی! در ادامه شرح نعمتهای دو بهشتی که در آیات سابق آمده است در اینجا نیز به قسمتهای دیگری از این مواهب اشاره شده است.

نخست می فرماید: «و در آن باغهای بهشتی زنانی نیکو خلق و زیبایند» (فِیهِنَّ خَیْراتٌ حِسانٌ). زنانی که جمع میان «حسن سیرت» و «حسن صورت» کردهاند.

در روایاتی که در تفسیر این آیه وارد شده صفات نیک بسیاری برای همسران بهشتی شمرده شده که می تواند اشارهای به صفات عالی زنان دنیا نیز باشد، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۷ و الگوئی برای همه زنان محسوب شود، از جمله خوش زبان بودن، نظافت و پاکی، آزار نرسانیدن، نظری به بیگانگان نداشتن و مانند آن.

سورة الرحمن(٥٥): آية ٧١ ص: 67

(آیه ۷۱)- و به دنبال ذکر این نعمت باز میافزاید: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟ (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبان).

سورة الرحمن(55): آية 27 ص: 67

(آیه ۷۲)- سپس در ادامه توصیف این زنان بهشتی اضافه می کند: «حوریانی که در خیمه های بهشتی مستورند» (حُرورٌ مَقْصُوراتٌ فِی الْخِیام).

«حور» جمع «حوراء» و «احور» به کسی می گویند که سیاهی چشمش کاملا مشکی و سفیدی آن کاملا شفاف است، و گاه به زنان سفید چهره نیز اطلاق شده است.

سورة الرحمن(55): آية 23 ص: 67

(آیه ۷۳)- و بار دیگر همان سؤال پر معنی را تکرار کرده، می گویـد: «پس کـدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنیـد»؟ (فَبَأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(55): آية 24 ص: 67

(آیه ۷۴) – این آیه توصیف دیگری است در باره حوریان بهشتی، می فرماید:

«هيچ، جن و انس پيش از اين با آنها تماس نگرفته» و دوشيزهاند (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جَانٌّ).

البته چنانکه از آیات دیگر قرآن استفاده می شود زنان و مردانی که در این دنیا همسر یکدیگرند هرگاه هر دو با ایمان و بهشتی باشند در آنجا به هم ملحق می شوند، و با هم در بهترین شرائط و حالات زندگی می کنند.

و حتى از روايات استفاده مىشود كه مقام اين زنان برتر از حوريان بهشت است به خاطر عبادات و اعمال صالحى كه در اين جهان انجام دادهاند.

سورة الرحمن(۵۵): آية ۷۵ ص: ۶۷

(آیه ۷۵)– سپس میافزاید: «پس کدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟ (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ).

سورة الرحمن(۵۵): آية ۷۶ ص: ۶۷

(آیه ۷۶) - در آخرین توصیفی که در این آیات از نعمتهای بهشتی کرده، می گوید: «این در حالی است که بهشتیان بر تختهائی تکیه زدهاند که با بهترین و زیباترین پارچههای سبز رنگ پوشانده شده است» (مُتَّکِئِینَ عَلی رَفْرُفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِیِّ حِسانٍ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۸

سورة الرحمن(55): آية ٧٧ ص: 68

(آیه ۷۷)- سپس برای آخرین بـار (و سـی و یکمین مرتبه) این سـؤال را از انس و جن و از تمـام افراد میکنـد: «پس کـدامین نعمتهای پروردگارتان را انکار میکنید»؟

(فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ).

نعمتهای معنوی، یا نعمتهای مادی، نعمتهای این جهان، یا نعمتهای بهشتی؟ نعمتهائی که سر تا پای وجود شما را فرا گرفته و دائما غرق در آنید، و گاه بر اثر غرور و غفلت همه آنها را به دست فراموشی میسپرید، و از بخشنده این همه نعمتها و کسی که در انتظار نعمتهایش در آینده هستید غافل میشوید؟

كداميك را منكريد؟

سورة الرحمن(55): آية ٧٨ ص: 68

(آیه ۷۸)- و در آخرین آیه این سوره می فرماید: «پر برکت و زوال ناپذیر است نام پروردگار صاحب جلال و بزرگوار تو» (تَبارَکَ اسْمُ رَبِّکَ ذِی الْجَلالِ وَ الْإِکْرام).

این تعبیر به خاطر آن است که در این سوره انواع نعمتهای الهی، در زمین و آسمان، در خلقت بشر، و در دنیا و آخرت آمده است، و از آنجا که اینها همه از وجود پر برکت پروردگار افاضه می شود، مناسبترین تعبیر همان است که در این آیه آمده است.

جالب این که این سوره با نام خداونـد «رحمن» آغاز شـد، و با نام پروردگار ذو الجلال و الاکرام پایان می گیرد، و هر دو هماهنگ با مجموعه محتوای سوره است.

«پایان سوره الرّحمن»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۹

سوره واقعه [36] ص: 69

اشاره

این سوره «در مکّه» نازل شده و دارای ۹۶ آیه است

محتوای سوره: ص : 69

در «تاریخ القرآن» از «ابن ندیم» نقل شده که سوره «واقعه» چهل و چهارمین سورهای است که بر پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و

آله نازل شده قبل از آن سوره «طه» و بعد از آن «شعرا» بوده است.

این سوره- همان گونه که از لحن آن پیداست، و مفسران نیز تصریح کردهاند- در مکّه نازل شده است، هر چند بعضی گفتهاند آیه ۸۱ و ۸۲ در مدینه نازل گردیده، ولی دلیلی برای این گفته در دست نیست، و نشانهای در آیات مزبور بر این ادعا و جه د ندارد.

سوره واقعه چنانکه از نامش پیداست از قیامت و ویژگیهای آن سخن می گوید، و این معنی در تمام آیات ۹۶ گانه سوره مسأله اصلی است، اما از یک نظر می توان محتوای سوره را در هشت بخش خلاصه کرد:

- ۱- آغاز ظهور قیامت و حوادث سخت و وحشتناک مقارن آن.
- ۲- گروه بندی انسانها در آن روز و تقسیم آنها به «اصحاب الیمین»، «اصحاب الشمال» و «مقربین».
 - بحث مشروحی از مقامات «مقربین» و انواع پاداشهای آنها در بهشت.
 - ۴- بحث مشروحی در باره «اصحاب اليمين» و انواع مواهب الهی بر آنها.
- ۵- بحثی در باره «اصحاب الشمال» و مجازاتهای دردناک آنها در دوزخ. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۷۰
- ۶- ذکر دلائل مختلفی پیرامون مسأله معاد از طریق بیان قدرت خداوند، و خلقت انسان از نطفه ناچیز، و تجلّی حیات در
 گیاهان، و نزول باران.
 - ۷- ترسیمی از حالت احتضار و انتقال از این جهان به جهان دیگر.
 - ۸- نظر اجمالی دیگری روی پاداش و کیفر مؤمنان و کافران.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۷۰

در باره تلاوت این سوره روایات زیادی در منابع اسلامی ذکر شده است، از جمله در حدیثی از رسول خدا میخوانیم: «کسی که سوره واقعه را بخواند نوشته می شود که این فرد از غافلان نیست».

چرا که آیات سوره آن قدر تکان دهنده و بیدار کننده است که جائی برای غفلت انسان باقی نمی گذارد.

در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم «هر کس سوره واقعه را در هر شب جمعه بخواند خداوند او را دوست دارد و او را نزد همه مردم محبوب می کند، و هر گز در دنیا ناراحتی نمی بیند، و فقر و فاقه و آفتی از آفات دنیا دامنگیرش نمی شود، و از دوستان امیر مؤمنان علی علیه السّلام خواهد بود».

روشن است که تنها نمی توان با لقلقه زبان این همه برکات را در اختیار گرفت، بلکه بایـد به دنبال تلاوت، فکر و انـدیشه، و به دنبال آن حرکت و عمل باشد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الواقعة(56): آية 1 ص: 20

(آیه ۱)- واقعه عظیم! مسائل مربوط به قیامت در قرآن مجید معمولاً با ذکر حوادث عظیم و انقلابی و کوبنده در آغاز آن توأم است، و این در بسیاری از سورههای قرآن که بحث از قیامت می کند کاملاً به چشم میخورد در سوره واقعه که بر محور معاد دور میزند نیز همین معنی کاملاً در نخستین آیاتش مشهود است. در آغاز مىفرمايد: «هنگامى كه واقعه عظيم (قيامت) واقع شود» (إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ).

سورة الواقعة(56): آية 7 ص: ٧٠

(آیه ۲)- «هیچ کس نمی تواند آن را انکار کند» (لَیْسَ لِوَقْعَتِها کاذِبَهُ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۷۱ چرا که حوادث پیش از آن به قدری عظیم و شدید است که آثار آن در تمام ذرات جهان آشکار می شود.

سورة الواقعة(56): آية ٣ ص: ٧١

(آیه ۳)- به هر حال رستاخیز نه تنها با دگرگونی کائنات تو أم است بلکه انسانها هم دگرگون می شوند همان گونه که در آیه مورد بحث می فرماید: گروهی را پائین می آورد و گروهی را بالا می برد»! (خافِضَةٌ رافِعَةٌ).

سورة الواقعة(56): آية 4 ص: 21

(آیه ۴)- سپس به توصیف بیشتری در این زمینه پرداخته می گوید: «در آن هنگام که زمین به شدت به لرزه در می آید» (إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا).

سورة الواقعة (٥٦): آية ۵ ص: ٧١

(آیه ۵)- این زلزله به قدری عظیم و شدید است که «کوهها درهم کوبیده می شود» (وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا).

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۶ ص: ۷۱

(آیه ۶)- «و به صورت غبار پراکنده در می آید» (فکانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا).

اکنون باید اندیشید که آن زلزله و انفجار تا چه حد سنگین است که می تواند کوههای عظیم را که در صلابت و استحکام ضرب المثل است آن چنان متلاشی کند که تبدیل به غبار پراکنده کند، و فریادی که از این انفجار عظیم بر می خیزد از آن هم وحشتناک تر است.

سورة الواقعة (56): آية ٧ ص: ٧١

(آیه ۷)– بعد از بیان وقوع این واقعه عظیم و رستاخیز بزرگ به چگونگی حال مردم در آن روز پرداخته، و قبل از هر چیز آنها را به سه گروه تقسیم کرده، می گوید: «و شما (در آن روز) سه گروه خواهید بود» (وَ کُنْتُمْ أَزْواجًا ثَلاثَةً).

سورة الواقعة(56): آية 8 ص: 21

(آیه ۸)- در مورد دسته اول می فرماید: « (نخست) سعاد تمندان برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۷۲ و خجستگان (هستند) چه سعاد تمندان و خجستگانی»! (فَأَصْحابُ الْمَیْمَنَهُ ما أَصْحابُ الْمَیْمَنَهُ).

منظور از «أَصْدِحابُ الْمَيْمَنَهُ» كسانى هستند كه نامه اعمالشان را به دست راستشان مىدهند و این امر در قیامت رمز و نشانهاى براى مؤمنان نیكوكار و سعادتمند و اهل نجات است، چنانكه بارها در آیات قرآن به آن اشاره شده.

تعبیر به «ما أَصْ حابُ الْمَیْمَنَهِ» (چه گروه سعادتمندی؟) برای بیان این حقیقت است که حد و نهایتی برای خوشبختی و سعادت آنها متصور نیست.

سورة الواقعة (56): آية 9 ص: 22

(آيه ۹)- سپس به ذكر گروه دوم پرداخته، مىافزايد: «گروه ديگر شقاوتمندان و شوماننـد چه شقاوتمندان و شومانى» (وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ).

گروهی بدبخت و تیره روز و بیچاره و بینوا که نامههای اعمالشان را به دست چپشان میدهند که خود نشانه و رمزی است برای تیره بختی و جرم و جنایت آنها.

تعبير به «ما أَصْحابُ الْمَشْنَمَةِ» نيز در اينجا نهايت بدبختي و شقاوت آنها را منعكس ميسازد.

سورة الواقعة (56): آية ١٠ ص: ٧٢

(آیه ۱۰)– سر انجام گروه سوم را چنین توصیف می کند: «و پیشگامان، پیشگامند» (وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ).

«سابقون» کسانی هستند که نه تنها در ایمان پیشگامند، که در اعمال خیر و صفات و اخلاق انسانی نیز پیشقدمند، آنها «اسوه» و «قدوه» مردمند، و امام و پیشوای خلقند، و به همین دلیل مقربان درگاه خداوند بزرگند.

و اگر در روایات اسلامی گاه «سابقون» به چهار نفر «هابیل» و «مؤمن آل فرعون» و «حبیب نجار» که هر کدام در امت خود پیشگام بودند، و همچنین امیر مؤمنان علیّ بن ابی طالب علیه السّ لام که نخستین مسلمان از مردان بود تفسیر شده، در حقیقت بیان مصداقهای روشن آن است، و به معنی محدود ساختن مفهوم آیه نیست.

سورة الواقعة (۵۶): آية ۱۱ ص: ۷۲

(آيه ١١)- «آنها مقربانند» (أُولئِكُ الْمُقَرَّبُونَ).

سورة الواقعة (56): آية ١٢ ص: ٧٢

(آیه ۱۲)– سپس در یک جمله کوتاه مقام والای مقربان را روشن ساخته، می گوید: مقربان «در باغهای پر نعمت بهشت» جای دارند (فِی جَنَّاتِ النَّعِیمِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۷۳

تعبیر «جَنَّاتِ النَّعِیم» انواع نعمتهای مادی و معنوی بهشت را شامل می شود.

سورة الواقعة(56): آية ١٣ ص: ٧٣

(آیه ۱۳)– این آیه به چگونگی تقسیم نفرات آنها در امم گذشته و این امت اشاره کرده، می گوید: «گروه زیادی (از آنها) از امتهای نخستینند» (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِینَ).

سورة الواقعة (۵۶): آية ۱۴ ص: ۷۳

(آیه ۱۴)- «و (گروه) اندکی از امت آخرین» (وَ قَلِیلٌ مِنَ الْآخِرینَ).

طبق دو آیه فوق گروه زیادی از مقربان از امتهای پیشینند، و تنها کمی از آنها از امت محمّد صلّی اللّه علیه و آله میباشند.

سورة الواقعة (56): آية 15 ص: 23

(آیه ۱۵)- نعمتهای بهشتی که در انتظار مقربان است! در اینجا انواع نعمتهای بهشتی را که نصیب گروه سوم یعنی مقربان می شود بازگو می کند، نعمتهائی که هر یک از دیگری دل انگیزتر و روح پرورتر است، نعمتهائی که می توان آنها را در هفت بخش خلاصه کرد.

نخست مىفرمايد: آنها «بر تختهائى كه صف كشيده و به هم پيوسته است قرار دارند» (عَلى سُرُرِ مَوْضُونَةٍ).

سورة الواقعة (٥٦): آية ١٦ ص: ٧٣

(آیه ۱۶) – «در حالی که بر آن تکیه زده و رو به روی یکدیگرند» و مجلسی پر از انس و سرور دارند (مُتَّکِئِینَ عَلَیْها مُتَقابِلِینَ). در قرآن مجید کرارا از تختهای بهشتی و مجالس دسته جمعی بهشتیان توصیفهای جالبی شده که نشان میدهد یکی از مهمترین لذات آنها همین جلسات انس و انجمنهای دوستانه است، اما موضوع سخن آنها و نقل محفلشان چیست؟ کسی به درستی نمیداند.

سورة الواقعة (56): آية ١٧ ص: ٧٣

(آیه ۱۷)– سپس از دومین موهبت آنها سخن گفته، میفرماید: «نوجوانانی جاودان (در شکوه و طراوت) پیوسته گرداگرد آنان می گردند» و در خدمت آنها هستند (یَطُوفُ عَلَیْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ).

سورة الواقعة (۵۶): آية ۱۸ ص: ۷۳

(آیه ۱۸)– این نوجوانان زیبا «با قدحها و کوزهها و جامهای (پر از شـراب طهور که) از نهرهای جاری بهشتی» برداشته شده در اطراف آنها می گردند و آنان را سیراب میکنند (بِأَکْوابٍ وَ أَبارِیقَ وَ کَأْسٍ مِنْ مَعِینٍ).

سورة الواقعة (56): آية 19 ص: 23

(آیه ۱۹) – اما نه شرابی که عقل و هوش را ببرد و مستی آورد، بلکه هنگامی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۷۴ که بهشتیان آن را مینوشند «از آن دردسر نمی گیرند و نه مست میشوند» (لا یُصَدَّعُونَ عَنْها وَ لا یُنْزِفُونَ). تنها یک حالت نشئه روحانی توصیف ناپذیر به آنها دست میدهد که تمام وجودشان را در لذتی بی نظیر فرو می برد!

سورة الواقعة(56): آية 20 ص: 24

(آیه ۲۰)- سپس به چهارمین و پنجمین قسمت از نعمتهای مادی مقربان در بهشت اشاره کرده، می گوید: «و میوههایی از هر نوع که انتخاب کنند» به آنها تقدیم می کنند (وَ فاکِهَةٍ مِمَّا یَتَخْیَرُونَ).

سورة الواقعة(56): آية 21 ص: 24

(آیه ۲۱)- «و گوشت پرنده از هر نوع که مایل باشند» (وَ لَحْم طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ).

مقدم داشتن میوه بر گوشت، به خاطر آن است که از نظر تغذیه بهتر و عالیتر است، به علاوه میوه قبل از غذا لطف دیگری دارد.

البته از بعضی دیگر از آیات قرآن استفاده می شود که شاخه های درختان بهشتی کاملا در دسترس بهشتیان است، بطوری که به آسانی می توانند از هرگونه میوه ای شخصا تناول کنند این معنی، در باره غذاهای دیگر بهشتی نیز مسلمان صادق است، ولی شک نیست، که وقتی خدمتکارانی آن چنان غذاهائی این چنین را برای آنها بیاورند لطف و صفای دیگری دارد، و یک نوع احترام و اکرام بیشتر نسبت به بهشتیان و رونق و صفای افزونتر برای مجالس انس آنهاست.

سورة الواقعة (56): آية 22 ص: 24

(آیه ۲۲)- سپس به ششمین نعمت که همسران پاک و زیبا است اشاره کرده، می گوید: «و همسرانی از حور العین دارند» (وَ حُورٌ عِینٌ).

سورة الواقعة (۵۶): آية ۲۳ ص: ۷۴

(آيه ٢٣)- «همچون مرواريد در صدف پنهان»! (كَأَمْثالِ اللُّؤْلُوِ الْمَكْنُونِ).

آنها از چشم دیگران کاملا مستورند، نه دستی به آنها رسیده، و نه چشمی بر آنها افتاده است!

سورة الواقعة (56): آية 24 ص: 24

(آیه ۲۴)- بعد از ذکر این شش موهبت جسمانی می افزاید: «اینها همه پاداشی است در برابر اعمالی که انجام می دادند» (جَزاءً بِما کانُوا یَعْمَلُونَ).

تا تصور نشود این نعمتهای بی شمار بهشتی بی حساب به کسی داده می شود، و یا ادعای ایمان و عمل صالح برای نیل به آنها کافی است نه، عمل مستمر برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۷۵

و خالص لازم است تا این الطاف نصیب انسان شود.

سورة الواقعة (56): آية 25 ص: 28

(آیه ۲۵)- هفتمین و آخرین نعمت آنها که جنبه معنوی دارد این است که: در آن (باغهای بهشتی) نه لغو و بیهودهای می شنوند، نه سخنان گناه آلود» (لا یَشمَعُونَ فِیها لَغْواً وَ لا تَأْثِیماً).

نه در آنجا دروغ و تهمت و افترا وجود دارد، و نه استهزا و غیبت، نه کلمات نیش دار، نه تعبیرات گوش خراش، نه سخنان لغو و بیهوده و بی اساس، هر چه هست در آنجا لطف و صفا و زیبائی و متانت و ادب و پاکی است و چه عالی است محیطی که سخنان آلوده در آن نباشد.

سورة الواقعة (56): آية 26 ص: 28

(آیه ۲۶)- سپس می افزاید: «تنها چیزی که در آنجا می شنوند سلام است سلام»! (إِلَّا قِیلًا سَلاماً سَلاماً).

سلام و درود خداونـد و ملائکه مقربین او، و سلام و درود خودشان به یکـدیگر، در آن جلسات پرشور و پر صـفا که لبریز از دوستی و محبت است.

سورة الواقعة (56): آية 27 ص: 28

(آیه ۲۷) – مواهب و نعمتهای اصحاب الیمین! بعد از بیان مواهب معنوی و مادی مقربان، نوبت به «اصحاب الیمین» می رسد، همان جمعیت سعادتمندی که نامه اعمالشان به علامت پیروزی در امتحانات الهی به دست راستشان داده می شود، و در اینجا به شش نعمت از نعم خداوند اشاره می کند که با مقایسه به نعمتهای مقربان که در هفت بخش آمده بود یک مرحله پایینتر است. نخست برای بیان بلندی مقام آنها می فرماید: «و اصحاب یمین و خجستگان چه اصحاب یمین و خجستگانی»؟! (و أُصْدحابُ الْیَمِین).

و این برترین توصیف است که از آنها شده، زیرا این تعبیر در مواردی به کار میرود که اوصاف کسی در بیان نگنجد و به هر حال این تعبیر بیانگر مقام والای اصحاب الیمین است.

سورة الواقعة (56): آية 28 ص: 28

(آیه ۲۸)- این آیه به نخستین موهبت این گروه اشاره کرده، می گوید: «آنها در سایه درختان سدر بیخار قرار دارنـد» (فِی سِدْرِ مَخْضُودٍ).

سورة الواقعة (55): آية 29 ص: 28

(آیه ۲۹)– دومین موهبت این است که آنها «در سایه درخت طلح پر برگئ» برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۷۶ به سر می برند! (وَ طَلْح مَنْضُودٍ).

«طلح» درختی است سبز و خوشرنگ و خوشبو، جمعی گفتهاند همان درخت موز است که برگهای بسیار پهن و سبز و زیبا، و میوهای شیرین و گوارا دارد.

بعضی از مفسران گفتهاند با توجه به این که درخت سدر برگهائی بسیار کوچک و درخت موز برگهائی بسیار پهن و بزرگ و گسترده دارند ذکر این دو درخت اشاره لطیفی به تمام درختان بهشتی است که در میان این دو قرار دارد.

سورة الواقعة(56): آية 30 ص: 26

(آیه ۳۰)- سومین نعمت بهشتی را چنین بیان می کند: «و سایه کشیده و گسترده» (وَ ظِلِّ مَمْدُودٍ).

بعضی این سایه گسترده را به حالتی شبیه بین الطلوعین تفسیر کردهانـد که سایه همه جـا را فرا گرفته است و در حـدیثی در روضه کافی این معنی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله نقل شده است.

غرض این است که حرارت آفتاب هرگز بهشتیان را متألم و ناراحت نمی کند، و دائما در سایه های مطبوع و گسترده و روحافزا به سر می برند.

سورة الواقعة(56): آية 31 ص: 78

(آیه ۳۱) - در مرحله چهارم به آبهای بهشتی اشاره کرده، می فرماید:

بهشتیان «در کنار آبشارها» که منظره فوق العاده زیبا و دل انگیزی دارد به سر میبرند» (وَ ماءٍ مَسْکُوبِ).

سورة الواقعة (56): آية 27 ص: 78

(آیه ۳۲)- و البته آن درختها و آن همه آب جاری دائم انواع میوهها را نیز همراه دارد، و لـذا در پنجمین نعمت میافزایـد: «و میوههای فراوان» (وَ فاکِهَهٍٔ کَثِیرَةٍ).

سورة الواقعة (۵۶): آية 33 ص: ۷۶

(آيه ٣٣)- «كه هر كز قطع و ممنوع نمى شود» (لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ).

آرى! همچون ميوههاى اين جهان نيست كه محدود به فصول معيني باشد.

سورة الواقعة (۵۶): آية ۳۴ ص: ۷۶

(آیه ۳۴) - سپس به نعمت دیگری اشاره کرده، می افزاید: «و همسرانی بلند مرتبه» (وَ فُرُشِ مَرْفُوعَةٍ).

سورة الواقعة (56): آية 30 ص: 78

(آیه ۳۵)- سپس به اوصاف دیگری از همسران بهشتی پرداخته، می گوید:

«ما آنها را آفرينش نويني بخشيديم» (إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً).

این جمله ممکن است اشاره به همسران مؤمنان در این دنیا باشد که خداوند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۷۷

آفرینش تازهای در قیامت به آنها میدهد، و همگی در نهایت جوانی و طراوت و جمال و کمال ظاهر و باطن وارد بهشت می شوند که طبیعت بهشت طبیعت تکامل و خروج از هرگونه نقص و عیب است.

سورة الواقعة (56): آية 36 ص: 27

(آیه ۳۶)- سپس می افزاید: «و همگی را دوشیزه قرار دادیم» (فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً).

و شاید این وصف همیشه برای آنها باقی باشد، چنانکه بسیاری از مفسران به آن تصریح کردهاند و در روایات نیز به آن اشاره شده یعنی با آمیزش، وضع آنها دگرگون نمیشود.

سورة الواقعة(56): آية 37 ص: 27

(آیه ۳۷)- و در اوصاف آنها باز میافزاید: «زنانی که تنها به همسرشان، عشق میورزنـد و خوش زبان و فصیح و هم سن و سالند» (عُرُباً أَتْراباً).

سورة الواقعة(56): آية 38 ص: 27

(آیه ۳۸) - سپس می افزاید: «اینها همه برای اصحاب یمین است» (لِأَصْحابِ الْيَمِینِ). و این تأکیدی است مجدد بر اختصاص این مواهب (ششگانه) به آنها.

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۳۹ ص: ۷۷

(آیه ۳۹)- «که گروهی از امتهای نخستینند» (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ).

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۴۰ ص : ۷۷

(آیه ۴۰)- «و گروهی از امتهای آخرین» (وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرینَ).

و به این ترتیب گروه عظیمی از اصحاب الیمین از امتهای گذشته هستند و گروه عظیمی از امت اسلام، چرا که در میان این امت صالحان و مؤمنان، بسیارند، هر چند پیشگامان آنها در قبول ایمان نسبت به پیشگامان امم سابق با توجه به کثرت آن امتها و پیامبرانشان کمترند.

سورة الواقعة (56): آية 41 ص: 27

(آیه ۴۱)–کیفرهای دردناک اصحاب شمال! در تعقیب مواهب عظیم گروه مقربان و گروه اصحاب الیمین به سراغ گروه سوم و عذابهای دردناک و وحشتناک آنان میرود تا در یک مقایسه وضع حال سه گروه روشن گردد.

مى فرمايد: «و اصحاب شمال، چه اصحاب شمالى» (وَ أَصْحابُ الشِّمالِ ما أَصْحابُ الشِّمالِ).

همانها که نامه اعمالشان به دست چپشان داده می شود که رمزی است برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۷۸

برای آنان که گنهکار و آلوده و ستمگرند و اهل دوزخ، و همان گونه که در توصیف مقربان و اصحاب الیمین گفتیم این تعبیر برای بیان نهایت خوبی یا بدی حال کسی است، فی المثل می گوئیم سعادتی به ما رو کرد، چه سعادتی؟ یا مصیبتی رو کرد؟

چه مصیبتی؟!

سورة الواقعة (56): آية ٤٢ ص: ٧٨

(آیه ۴۲) - سپس به سه قسمت از کیفرهای آنها اشاره کرده، می گوید: آنها «در میان بادهای کشنده و آب سوزان قرار دارند» (فِی سَمُومِ وَ حَمِیمِ).

سورة الواقعة (56): آية ٤٣ ص : ٧٨

(آیه ۴۳)- «و در سایه دودهای متراکم و آتش زا» (وَ ظِلِّ مِنْ یَحْمُوم).

باد سوزان کشنده از یکسو، و آب جوشان مرگبار از سوی دیگر، و سایه دود داغ و خفه کننده از سوی سوم، آنها را چنان گرفتار میسازد که تاب و توان را از آنان می گیرد، و اگر هیچ مصیبت دیگری جز این سه مصیبت را نداشته باشند برای کیفر آنها کافی است.

سورة الواقعة (56): آية 44 ص: 28

(آیه ۴۴)- سپس برای تأکید می افزاید: سایه ای که «نه خنک است و نه آرامبخش» (لا بارِدٍ وَ لا کَرِیم).

سایبان گاه انسان را از آفتاب حفظ می کند، و گاه از باد و باران و یا منافع دیگری در بر دارد، ولی اُین سایبان هیچ یک از این فوائد را ندارد. پیداست سایهای که از دود سیاه و خفه کننده است جز شر و زیان چیزی از آن انتظار نمیرود.

گرچه کیفرهای دوزخیان انواع و اقسام مختلف و وحشتناکی دارد ولی ذکر همین سه قسمت کافی است که انسان بقیه را از آن حدس بزند.

سورة الواقعة (۵۶): آية ۴۵ ص: ۷۸

(آیه ۴۵)– سپس دلائل گرفتاری اصحاب شمال را به این سرنوشت شوم و وحشتناک در سه جمله خلاصه می کند: نخست این که «آنها پیش از این (در عالم دنیا) مست و مغرور نعمت بودند» (إِنَّهُمْ کانُوا قَبْلَ ذلِکَ مُتْرَفِینَ). «مترف» به کسی می گویند که فزونی نعمت او را غافل و مغرور و مست کرده و به طغیان واداشته است. درست است که همه «اصحاب الشمال» در زمره «مترفین» نیستند، ولی هدف برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۷۹ قرآن سردمداران آنهاست.

همان گونه که امروز هم میبینیم فساد جامعههای بشری از گروه متنعمین مست و مغرور است که عامل گمراهی دیگران نیز میباشند، سر نخ تمام جنگها و خونریزیها و انواع جنایات، و مراکز شهوات، و گرایشهای انحرافی، به دست این گروه است، و به همین جهت قرآن قبل از هر چیز انگشت روی آنها می گذارد.

سورة الواقعة(56): آية 46 ص: 29

(آیه ۴۶) – سپس به دومین گناه آنها اشاره کرده، می افزاید: «و بر گناهان بزرگ اصرار می ورزیدند» (وَ کانُوا یُصِ رُّونَ عَلَی الْحِنْثِ الْعَظِیم).

بنابر این ویژگی اصحاب شمال تنها انجام گناه نیست، بلکه اصرار بر گناهان عظیم است، چرا که گناه ممکن است، احیانا از اصحاب یمین نیز سر زند، ولی آنها هرگز بر آن اصرار نمیورزند، هنگامی که متذکر میشوند فورا توبه میکنند.

سورة الواقعة(56): آية ٤٧ ص: ٧٩

(آیه ۴۷)- سومین عمل خلاف آنها این بود که: می گفتند: هنگامی که مردیم و خاک و استخوان شدیم، آیا برانگیخته خواهیم شد»؟ (وَ کانُوا یَقُولُونَ أَ إِذَا مِتْنَا وَ کُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ).

بنابر این انکار قیامت که خود سر چشمه بسیاری از گناهان است یکی دیگر از اوصاف اصحاب الشمال میباشد.

سه گناهی که در آیات سه گانه فوق به آن اشاره شده در حقیقت می تواند اشاره به نفی اصول سه گانه دین از ناحیه اصحاب شمال باشد: در آخرین آیه تکذیب رستاخیز بود، و در آیه دوم انکار توحید، و در آیه نخست که سخن از «مترفین» می گفت اشارهای به تکذیب انبیاء است.

سورة الواقعة(56): آية 48 ص: 29

(آیه ۴۸)- آنها به این هم قناعت نمی کردند و برای اظهار تعجب بیشتر می گفتند: «یا نیاکان نخستین ما» که هیچ اثری از آنها باقی نمانده برانگیخته می شوند؟ (أَ وَ آباؤُنَا الْأُوَّلُونَ). همانها که شاید هر ذرهای از خاکشان به گوشهای افتاده است یا جزء بدن موجود دیگری شده است؟

سورة الواقعة (۵۶): آية ۴۹ ص: ۷۹

(آیه ۴۹)– سپس قرآن به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله دستور میدهـد که در پاسخ آنها «بگو: (نه فقط شـما و پدرانتان بلکه) اولین و آخرین ...» (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِینَ وَ الْآخِرِینَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۸۰

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۵۰ ص: ۸۰

(آیه ۵۰)- «همگی در موعد روز معینی (روز رستاخیز) گردآوری میشوند» (لَمَجْمُوعُونَ إِلَی مِیقاتِ یَوْم مَعْلُوم).

از این آیه به خوبی استفاده میشود که معاد و رستاخیز همه انسانها در یک روز همراه َهم انجام می گیرد، و همین معنی در آیات دیگر قرآن نیز آمده است.

شایـد نیاز به تذکر نداشـته باشد که منظور از معلوم بودن قیامت، معلوم بودن نزد پروردگار است و گر نه هیچ کس حتی انبیاء مرسلین و ملائکه مقربین از وقت آن آگاه نیست.

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۵۱ ص: ۸۰

(آیه ۵۱)- بخش دیگری از مجازاتهای این مجرمان گمراه! از این به بعد همچنان ادامه بحثهای مربوط به کیفرهای «اصحاب الشمال» است، نخست آنها را مخاطب ساخته، چنین می گوید: «سپس شما ای گمراهان تکذیب کننده»! (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَیُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ).

سورة الواقعة(56): آية ۵۲ ص: 80

(آيه ۵۲)- «از درخت زقّوم ميخوريد» (لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ).

سورة الواقعة(٥٦): آية ٥٣ ص: ٨٠

(آیه ۵۳)- «و شکمها را از آن پر می کنید» (فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ).

تعبیر فوق اشاره به این است که آنها نخست گرفتار حالت گرسنگی شدید میشوند به گونهای که حریصانه از این غذای بسیار ناگوار میخورند و شکمها را پر میکنند.

سورة الواقعة(56): آية 54 ص: 80

(آیه ۵۴)– هنگامی که از این غذای ناگوار خوردند تشنه میشوند، اما نوشابه آنها چیست؟ قرآن در این آیه میگوید: «و روی آن (غذای ناگوار) از آب سوزان مینوشید»! (فَشارِبُونَ عَلَیْهِ مِنَ الْحَمِیمِ).

سورة الواقعة(56): آية 55 ص: 80

(آیه ۵۵)- «و همچون شتران مبتلا به بیماری عطش از آن می آشامید» (فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِیم).

شتری که مبتلاـ به بیمـاری استسـقا میشود آن قـدر تشـنه میگردد و پی در پی آب مینوشـد تـا هلاک شود، آری این اسـت سرنوشت «ضالّون مکذّبون» در قیامت.

سورة الواقعة (56): آية 56 ص: 84

(آیه ۵۶) – و در این آیه بار دیگر اشاره به این طعام و نوشابه کرده، می گوید:

«این است وسیله پذیرائی از آنها در قیامت»! (هذا نُزُلُهُمْ یَوْمَ الدِّینِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۸۱

و این در حالی است که «اصحاب الیمین» در سایه های بسیار لطیف و پرطراوت آرمیده اند، و از بهترین میوه ها و چشمه های آب گوارا، و شراب طهور، می نوشند و سرمست از عشق خدا هستند.

سورة الواقعة(٥٦): آية ٥٧ ص : ٨١

(آیه ۵۷) – هفت دلیل بر مسأله معاد: از آنجا که در آیات گذشته سخن از تکذیب کنندگان معاد در میان بود، و اصولا تکیه بحثهای این سوره عمدتا روی مسأله اثبات معاد، است در اینجا به بحث و بررسی پیرامون ادله معاد می پردازد، روی هم رفته هفت دلیل بر این مسأله مهم ارائه می دهد که پایه های ایمان را در این زمینه قوی کرده، قلب انسان را به وعده های الهی که در آیات گذشته پیرامون مقربان و اصحاب الیمین و اصحاب الشمال آمده بود مطمئن می سازد.

در مرحله اول می گوید: «ما شما را آفریدیم پس چرا (آفرینش مجدد را) تصدیق نمی کنید»؟ (نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْ لا تُصَدِّقُونَ). چرا از رستاخیز و معاد جسمانی بعد از خاک شدن بدن تعجب می کنید؟ مگر روز نخست شما را از خاک نیافریدیم؟

سورة الواقعة(٥٦): آية ٥٨ ص: ٨١

(آیه ۵۸)- در این آیه به دلیل دوم اشاره کرده، میفرماید: «آیا از نطفهای که در رحم میریزید آگاهید»؟! (أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ).

سورة الواقعة (۵۶): آية ۵۹ ص: ۱۸

(آیه ۵۹)- «آیا شـما آن را (در دوران جنینی) آفرینش (پی در پی) میدهید؟ یا ما آفریدگاریم؟! (أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ).

چه کسی این نطفه بی ارزش و ناچیز را هر روز به شکل تازهای در می آورد و خلقتی بعد از خلقتی، و آفرینشی بعد از آفرینشی می دهد؟ راستی این تطورات شگفت انگیز که اعجاب همه اولوا الالباب و متفکران را برانگیخته از ناحیه شماست یا خدا؟ آیا کسی که قدرت بر این آفرینشهای مکرر دارد از زنده کردن مردگان در قیامت عاجز است؟!

سورة الواقعة (٥٦): آية 60 ص: ٨١

(آیه ۶۰)– سپس به بیـان دلیـل سوم پرداخته، میگویـد: «مـا در میان شــما مرگ را مقــدر ساختیم، و هرگز کســی بر ما پیشــی نمـی گیرد» (نَحْنُ قَدَّرْنا بَیْنَکُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۸۲

آرى! ما هرگز مغلوب نخواهيم شد و اگر مرگ را مقدر كردهايم نه به خاطر اين است كه نمي توانيم عمر جاويدان بدهيم.

سورة الواقعة (۵۶): آية ۶۱ ص: ۲۲

(آیه ۶۱)- بلکه هـدف این بوده است «تا گروهی را به جای گروه دیگری بیاوریم، و شـما را در جهانی که نمیدانیـد آفرینش تازهای بخشیم» (عَلی أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِی ما لا تَعْلَمُونَ)

استدلال در دو آیه فوق چنین است: خداوند حکیم که انسانها را آفریده و مرتبا گروهی میمیرند و گروه دیگری جانشین آنها میشوند هدفی داشته، اگر این هدف تنها زندگی دنیا بوده سزاوار است که عمر انسان جاودان باشد، نه آنقدر کوتاه و آمیخته با هزاران ناملائمات که به آمد و رفتنش نمیارزد.

بنابر این قانون مرگ به خوبی گواهی می دهـ د که اینجا یک گـذرگاه است نه یک منزلگاه یک پل است، نه یک مقصد، چرا که اگر مقصد و منزل بود باید دوام می داشت.

سورة الواقعة (56): آية ۶۲ ص: ۲۲

(آیه ۶۲) - در این آیه سخن از چهارمین دلیل معاد است، می فرماید: «شما عالم نخستین را دانستید چگونه متذکر نمی شوید» که جهانی بعد از آن است (وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةُ النُّولي فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ).

این دلیل را به دو گونه می توان بیان کرد: نخست این که فی المثل اگر ما از بیابانی بگذریم و در آن قصر بسیار مجلل و با شکوهی با محکمترین و عالیترین مصالح، و تشکیلات وسیع و گسترده، ببینیم، و بعد به ما بگویند این همه تشکیلات و ساختمان عظیم برای این است که فقط قافله کوچکی چند ساعتی در آن بیاساید و برود، پیش خود می گوئیم این کار حکیمانه نیست، زیرا برای چنین هدفی مناسب این بود چند خیمه کوچک برپا شود.

دنیای با این عظمت و این همه کرات و خورشید و ماه و انواع موجودات زمینی نمی تواند برای هدف کوچکی مثل زندگی چند روزه بشر در دنیا آفریده شده باشد، و گر نه آفرینش جهان پوچ و بی حاصل است، این تشکیلات عظیم برای موجود شریفی مثل انسان آفریده شده تا خدای بزرگ را از آن بشناسد معرفتی که در برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۸۳ زندگی دیگر سرمایه بزرگ اوست.

دیگر این که صحنه های معاد را در این جهان در هر گوشه و کنار با چشم خود میبنید، همه سال در عالم گیاهان صحنه رستاخیز تکرار می شود، زمینهای مرده را با نزول قطرات حیاتبخش باران زنده می کند، چنانکه در آیه ۳۹ سوره فصلت می فرماید:

«کسی که این زمینهای مرده را زنده می کند هم اوست که مردگان را زنده می کند»!

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۶۳ ص: ۸۳

(آیه ۴۳) – زارع خداوند است یا شما؟! تا کنون چهار دلیل از دلائل هفتگانهای را که در این سوره برای معاد ذکر شده خواندهایم. در این آیه و آیات آینده به سه دلیل دیگر که هر کدام نمونهای از قدرت بی پایان خدا در زندگی انسان است اشاره می کند که یکی مربوط به آفرینش دانه های غذائی و دیگری «آب» و سومی «آتش» است، زیرا سه رکن اساسی زندگی انسان را اینها تشکیل می دهد، دانه های گیاهی مهمترین ماده غذائی انسان محسوب می شود، و آب مهمترین مشروب، و آتش مهمترین وسیله برای اصلاح مواد غذائی و سایر امور زندگی است.

نخست مى فرمايد: «آيا هيچ در باره آنچه كشت مى كنيد انديشيده ايد»؟! (أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ).

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۶۴ ص: ۸۳

(آيه ۶۴)– «آيا شما آن را ميرويانيد يا ما ميرويانيم»؟ (أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ).

آری این خداوند است که در درون دانه، یک سلول زنده بسیار کوچک آفریده که وقتی در محیط مساعد قرار گرفت در آغاز از مواد غذائی آماده در خود دانه استفاده می کند، جوانه می زند، و ریشه می دواند، سپس با سرعت عجیبی از مواد غذائی زمین کمک می گیرد و گاه از یک تخم صدها یا هزاران تخم بر می خیزد.

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۶۵ ص: ۸۳

(آیه ۶۵) - در این آیه برای تأکید روی این مسأله که انسان هیچ نقشی در مسأله نمو و رشد گیاهان جز افشاندن دانه ندارد، می افزاید: «هر گاه بخواهیم آن (زراعت) را مبدل به کاه درهم کوبیده می کنیم (به گونهای) که تعجب کنید»! (لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَکَّهُونَ).

آری! می توانیم تندباد سمومی بفرستیم که آن را قبل از بستن دانه ها خشک برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۸۴ کرده در هم بشکند، یا آفتی بر آن مسلط کنیم که محصول را از بین ببرد، و نیز می توانیم سیل ملخها را بر آن بفرستیم. آیا اگر زارع حقیقی شما بودید این امور امکان داشت؟ پس بدانید همه این برکات از جای دیگر است.

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۶۶ ص: ۸۴

(آیه ۶۶)– آری! تعجب می کنیـد و به حیرت فرو می رویـد و می گوئید: «به راستی ما زیان کردهایم» و سـرمایه ز کف دادیم، و چیزی به دست نیاوردیم (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ).

سورهٔ الواقعة (۵۶): آیهٔ ۶۷ ص: ۸۴

(آیه ۶۷)- «بلکه ما بکلی محرومیم» و بیچاره (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ).

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۶۸ ص: ۸۴

(آیه ۶۸)-این آب و آتش از کیست؟ در اینجا اشاره به ششمین و هفتمین دلیل معاد، در این بخش از آیات سوره واقعه می کند که بیانگر قدرت خداوند بر همه چیز و بر احیای مردگان است.

نخست مى فرمايد: «آيا به آبى كه مى نوشيد انديشيده ايد»؟ (أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ).

سورة الواقعة(56): آية 69 ص: 84

(آیه ۶۹)- «آیا شما آن را از ابر نازل می کنید؟ یا ما نازل می کنیم»؟ (أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ). این آیات وجدان انسانها را در برابر یک سلسله سؤالها قرار می دهد و از آنها اقرار می گیرد، و در واقع می گوید: آیا در باره این آبی که مایه حیات شماست و پیوسته آن را مینوشید هرگز فکر کردهاید؟

اگر می بینیم در آیات فوق فقط روی آب نوشیدنی تکیه شده و از تأثیر آن در مورد حیات حیوانات و گیاهان سخنی به میان نیامده به خاطر اهمیت فوق العاده آب برای حیات خود انسان است، به علاوه در آیات قبل اشارهای به مسأله زراعت شده بود و نیازی به تکرار نبود.

سورة الواقعة (۵۶): آية ۷۰ ص: ۸۴

(آیه ۷۰)- سر انجام در این آیه برای تکمیل همین بحث میافزاید: «هر گاه بخواهیم این آب گوارا را تلخ و شور قرار میدهیم» (لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً).

«پس چرا شكر نمى كنيد»؟ (فَلَوْ لا تَشْكُرُونَ). بر گزيده تفسير نمونه، ج۵، ص: ۸۵

آری! اگر خدا میخواست به املاح محلول در آب نیز اجازه میداد که همراه ذرات آب تبخیر شوند، و دوش به دوش آنها به آسمان صعود کنند، و ابرهائی شور و تلخ تشکیل داده، قطرههای بارانی درست همانند آب دریا شور و تلخ فرو ریزند! اما او به قدرت کاملهاش این اجازه را به املاح نداد، نه تنها املاح در آب، بلکه میکربهای موذی و مضر و مزاحم نیز اجازه ندارند همراه بخارات آب به آسمان صعود کنند، و دانههای باران را آلوده سازند به همین دلیل قطرات باران – هر گاه هوا آلوده نباشد – خالصترین، پاکترین، و گواراترین آبهاست.

سورة الواقعة(56): آية ٧١ ص: 85

(آیه ۷۱) - سر انجام به هفتمین و آخرین دلیل معاد در این سلسله آیات میرسیم و آن آفرینش آتش است، آتشی که از مهمترین ابزار زندگی بشر، و مؤثرترین وسیله در تمام صنایع است، میفرماید: «آیا در باره آتشی که میافروزید فکر کردهاید»؟ (أَ فَرَ أَیْتُمُ النَّارَ الَّتِی تُورُونَ).

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۷۲ ص: ۸۵

(آيه ٧٢)- «آيا شما درخت آن را آفريدهايد يا ما آفريدهايم»؟ (أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ).

سورة الواقعة (56): آية 23 ص: 85

(آیه ۷۳) - در این آیه برای تأکید بحثهای فوق می افزاید: «ما آن را وسیله یاد آوری (برای همگان) و وسیله زندگی برای مسافران قرار داده ایم» (نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِینَ).

بـازگشت آتش از درون درختـان سبز از یک سو یادآور بازگشت روح به بـدنهای بیجان در رسـتاخیز است، و از سوی دیگر این آتش تذکری است نسبت به آتش دوزخ، چرا که طبق حدیثی پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله فرمود: «این آتشی که بر میافروزیـد یـک جزء از هفتـاد جزء آتش دوزخ است»! تعبیر «مَتاعـاً لِلْمُقْوِینَ» اشاره کوتاه و پرمعنی به فوائـد دنیوی این آتش است.

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۷۴ ص: ۸۵

(آیه ۷۴)– در این آیه به عنوان نتیجه گیری میفرماید: «حال که چنین است به نام پروردگار بزرگت تسبیح کن» و او را پاک و منزه بشمار (فَسَبِّحْ بِاسْم رَبِّکَ الْعَظِیم).

آری! خداوندی که این همه نعمت را آفریده، و هر کدام یادآور توحید و معاد و قدرت و عظمت اوست شایسته تسبیح و تنزیه از هر گونه عیب و نقص است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۸۶

او هم «ربّ» است و پروردگار، و هم «عظیم» است و قادر و مقتدر گر چه مخاطب در این جمله پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است ولی ناگفته پیداست که منظور همه انسانها میباشد.

سورة الواقعة(56): آية 25 ص: 88

(آیه ۷۵)- تنها پاکان به حریم قرآن راه می یابند! در تعقیب بحثهای فراوانی که در آیات قبل با ذکر هفت دلیل در باره معاد آمد در اینجا سخن از اهمیت قرآن مجید است، چرا که مسأله نبوت و نزول قرآن بعد از مسأله مبدأ و معاد مهمترین ارکان اعتقادی را تشکیل می دهد.

نخست با یک سوگند عظیم سخن را شروع کرده، میفرماید: «سوگند به جایگاه ستارگان» و محل طلوع و غروب آنها (فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِع النُّنُجُوم).

هنگامی که به این نکته توجه کنیم که طبق گواهی دانشمندان تنها در کهکشان ما حدود یک هزار میلیون ستاره وجود دارد! و در جهان، کهکشانهای زیادی موجود است که هر کدام مسیر خاصی دارند، به اهمیت این سوگند قرآن آشناتر میشویم.

سورة الواقعة(56): آية 76 ص: 88

(آیه ۷۶)- و به همین دلیل در این آیه می افزاید: «و این سو گندی است بسیار بزرگ اگر بدانید» (وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ). و این خود یک اعجاز علمی قرآن محسوب می شود که در عصری که شاید هنوز عده ای می پنداشتند ستارگان میخهای نقره ای هستند که بر سقف آسمان کوبیده شده اند! یک چنین بیانی، آن هم در محیطی که به حق محیط جهل و نادانی محسوب می شد از یک انسان عادی محال است صادر شود.

سورة الواقعة (۵۶): آية ۷۷ ص: ۸۶

(آیه ۷۷)- اکنون ببینیم این قسم عظیم برای چه منظوری ذکر شده؟ آیه مورد بحث پرده از روی آن برداشته، می گوید: «آن (چه محمد صلّی الله علیه و آله آورده) قرآن کریمی است» (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ).

و به این ترتیب به مشرکان لجوج که پیوسته اصرار داشتند این آیات نوعی از کهانت است، و یا-العیاذ بالله- سخنانی است جنون آمیز، یا همچون اشعار شاعران، یا از سوی شیاطین است، پاسخ می گوید: که این وحی آسمانی است و سخنی است که آثار و عظمت و اصالت از آن ظاهر و نمایان است، و محتوای آن حاکی از مبدأ نزول آن می باشد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵،

آرى! هم گوينده قرآن، كريم است، و هم خود قرآن، و هم آورنده آن، و هم اهداف قرآن كريم است.

سورة الواقعة(56): آية ٧٨ ص: ٨٧

(آیه ۷۸)– سپس به توصیف دوم این کتاب آسمانی پرداخته، میافزاید: این آیات «در کتاب محفوظی جای دارد» (فِی کِتابِ مَکْنُونِ).

در همان «لوح محفوظ» در «علم خدا» که از هر گونه خطا و تغییر و تبدیل محفوظ است.

سورة الواقعة (۵۶): آية ۷۹ ص: ۸۷

(آیه ۷۹)- و در سومین توصیف می فرماید: «این کتاب را «جز پاکان نمی توانند به آن دست زنند» [- دست یابند] (لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهِّرُونَ).

بسیاری از مفسران به پیروی از روایاتی که از امامان معصوم علیهم السّلام وارد شده این آیه را به عدم جواز مس کتابت قرآن بدون غسل و وضو تفسیر کردهاند.

از سوی دیگر حقایق و مفاهیم عالی قرآن را جز پاکان درک نمی کنند و حد اقل پاکی که روح «حقیقت جوئی» است برای درک حد اقل مفاهیم آن لازم است، و هر قدر پاکی و قداست بیشتر شود درک انسان از مفاهیم قرآن و محتوای آن افزون خواهد شد.

سورة الواقعة (۵۶): آية ۸۰ ص: ۸۷

(آیه ۸۰)- در چهارمین و آخرین توصیف از قرآن مجیـد میفرمایـد: این قرآن «از سوی پروردگار عالمیان نازل شـده» (تَنْزِیلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ).

خدائی که مالک و مربی تمام جهانیان است این قرآن را برای تربیت انسانها بر قلب پاک پیامبرش نازل کرده است، و همان گونه که در جهان تکوین مالک و مربی اوست، در جهان تشریع نیز هر چه هست از ناحیه او میباشد.

سورة الواقعة (۵۶): آية ۸۱ ص: ۸۷

(آیه ۸۱)- سپس میافزاید: «آیا این سخن را [-قرآن را با اوصافی که گفته شد] سست و کوچک می شمرید»؟! (أَ فَبِهـذَا الْحَدِیثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ).

در حالی که نشانههای صدق و حقانیت از آن به خوبی آشکار است و بایـد کلام خدا را با نهایت جدیت پذیرفت و به عنوان یک واقعیت بزرگ با آن رو برو شد.

سورة الواقعة (۵۶): آية ۸۲ ص: ۸۷

(آیه ۸۲)– در این آیه میفرماید: «و به جای شکر روزیهائی که به شما داده شده آن را تکذیب میکنید»؟ (وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَکُمْ

أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۸۸

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۸۳ ص: ۸۸

(آیه ۸۳) - هنگامی که جان به گلوگاه میرسد! از لحظات حساسی که آدمی را سخت در فکر فرو میبرد، لحظه احتضار و پایان عمر انسانهاست، در آن لحظه که کار از کار گذشته، و اطرافیان مأیوس و نومید به شخص محتضر نگاه می کنند، و میبینند همچون شمعی که عمرش پایان گرفته آهسته آهسته خاموش می شود، با زندگی و داع می گوید، و هیچ کاری از دست هیچ کس ساخته نیست.

قرآن مجید در تکمیل بحثهای معاد و پاسخگوئی به منکران و مکذبان، ترسیم گویائی از این لحظه کرده، می گوید: «پس چرا هنگامی که جان به گلوگاه میرسد» توانائی بازگرداندن آن را ندارید؟! (فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ).

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۸۴ ص: ۸۸

(آیه ۸۴)– «و شما در این حال نظاره می کنید» و کاری از دستتان ساخته نیست (وَ أُنْتُمْ حِینَئِذٍ تَنْظُرُونَ).

مخاطب در اینجا اطرافیان محتضرند، از یکسو نظاره حال او را می کنند، و از سوی دیگر ضعف و ناتوانی خود را مشاهده مینمایند و از سوی سوم توانائی خدا را بر همه چیز و بودن مرگ و حیات در دست او، و نیز میدانند خودشان هم چنین سرنوشتی را در پیش دارند.

سورة الواقعة (56): آية 85 ص: 88

(آیه ۸۵)– سپس می افزاید: «و ما از شما به او نزدیکتریم (و فرشتگان ما که آماده قبض روح او هستند نیز نزدیکتر از شما می باشند) ولی شما نمی بینید» (وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لا تُبْصِرُونَ).

ما به خوبی میدانیم در باطن جمان محتضر چه می گذرد؟ و در عمق وجودش چه غوغائی برپاست؟ و مائیم که فرمان قبض روح او را در سر آمد معینی صادر کردهایم، ولی شما تنها ظواهر حال او را میبینید، و از چگونگی انتقال او از این سرا به سرای دیگر بیخبرید.

به هر حال نه تنها در این موقع بلکه در همه حال خداوند از همه کس به ما نزدیکتر است حتی او نزدیکتر از ما به ماست.

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۸۶ ص: ۸۸

(آیه ۸۶)- سپس برای تأکید بیشتر، و روشن ساختن همین حقیقت، می افزاید:

«اگر هرگز در برابر اعمالتان جزا داده نمی شوید ...» (فَلَوْ لا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينينَ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۸۹

سورهٔ الواقعة (۵۶): آية ۸۷ ص: ۸۹

(آیه ۸۷)- «پس آن (روح) را باز گردانید اگر راست می گوئید» (تَرْجِعُونَها إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ).

این ضعف و ناتوانی شما دلیلی است بر این که مالک مرگ و حیات دیگری است، و پاداش و جزا در دست اوست، و اوست که میمیراند و زنده میکند.

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۸۸ ص: ۸۹

(آیه ۸۸) – سر انجام نیکوکاران و بدکاران! قرآن در اینجا یک نوع جمع بندی از آیات آغاز سوره و آیات اخیر می کند، و تفاوت حال انسانها را به هنگامی که در آستانه مرگ قرار می گیرند مجسم می سازد که چگونه بعضی در نهایت آرامش و راحتی و شادی چشم از جهان می پوشند، و جمعی دیگر با مشاهده دورنمای آتش سوزان جهنم با چه اضطراب و وحشتی جان می دهند؟

نخست مىفرمايد: كسى كه در حالت احتضار و واپسين لحظات زندگى قرار مى گيرد «پس اگر او از مقربان باشد ...» (فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ).

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۸۹ ص: ۸۹

(آیه ۸۹)- «در روح و ریحان و بهشت پرنعمت است» (فَرَوْحٌ وَ رَیْحانٌ وَ جَنَّهُ نَعِیمٍ). «روح» و «ریحان» الهی شامل تمام وسائل راحتی و آرامش انسان و هرگونه نعمت و برکت الهی میگردد.

سورهٔ الواقعهٔ (۵۶): آیهٔ ۹۰ ص: ۸۹

(آیه ۹۰)- سپس می افزاید: «اما اگر از اصحاب یمین باشد» (وَ أُمَّا إِنْ کَانَ مِنْ أَصْحابِ الْیَمِینِ). همان مردان و زنان صالحی که نامه اعمالشان به نشانه پیروزی و قبولی به دست راستشان داده می شود.

سورة الواقعة(56): آية ٩١ ص: ٨٩

(آیه ۹۱)– به او گفته می شود: «سلام بر تو از سوی دوستانت که از اصحاب یمینند» (فَسَلامٌ لَکُ مِنْ أَصْحابِ الْیَمِینِ). به این ترتیب فرشتگان قبض روح در آستانه انتقال از دنیا سلام یارانش را به او می رسانند، همان گونه که در آیه ۲۶ همین سوره در توصیف اهل بهشت خواندیم: «إِلَّا قِیلًا سَلاماً سَلاماً».

سورة الواقعة (56): آية ٩٢ ص : ٨٩

(آیه ۹۲) - سپس به سراغ گروه سوم می رود که در اوائل سوره از آنها به برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۹۰ عنوان اصحاب الشمال یاد شده بود، می فرماید: «اما اگر او از تکذیب کنندگان گمراه باشد» (وَ أَمَّا إِنْ کَانَ مِنَ الْمُکَذِّبِينَ الضَّالِّينَ).

تعبیر «مکذّبین ضالّین» می تواند اشاره به این نکته باشد که در میان گمراهان افرادی هستند مستضعف و جاهل قاصر، و عناد و

لجاجتی در برابر حق ندارند، آنها ممکن است مشمول الطاف الهی گردند، اما تکذیب کنندگان لجوج و معاند حتما گرفتار عذاب الهی میشوند.

سورة الواقعة (56): آية ٩٣ ص: ٩٠

(آیه ۹۳)- «با آب جوشان دوزخ (و حرارت و سموم آن) از او پذیرایی می شود»! (فَنُزُلُ مِنْ حَمِیمٍ). «و سرنوشت او ورود در آتش جهنم است» (و تَصْلِیَهُ جَحِیم).

آری! در همان آستانه مرگ نخستین عذابهای الهی را میچشند و طعم تلخ کیفرهای قیامت در قبر و برزخ در کام جانشان فرو میرود.

سورة الواقعة (56): آية 94 ص: 90

(آیه ۹۴)- و در پایان این سخن، می افزاید: «این مطلب حق و یقین است» (إِنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ الْیَقِینِ). «هذا» اشاره به احوال گروههای سه گانه ای است که قبلا ذکر شده.

سورة الواقعة (56): آية 90 ص: 90

(آیه ۹۵)- «حال که چنین است: «پس به نام پروردگار بزرگت تسبیح کن» و او را منزه بشمار (فَسَبِّحْ بِاشْمِ رَبِّکُ الْعَظِیمِ). تعبیر به «فسبّح» (پس تسبیح کن) اشاره به این حقیقت است که آنچه در باره این گروههای سه گانه گفته شد عین عدالت است، و بنابر این خداوندت را از هرگونه ظلم و بیعدالتی پاک و منزه بشمار، و یا این که اگر میخواهی به سرنوشت گروه سوم گرفتار نشوی او را از هر گونه شرک و بیعدالتی که لازمه انکار قیامت است پاک و منزه بدان.

بسیاری از مفسران نقل کردهاند که پس از نزول این آیه پیامبر فرمود: «آن را در رکوع خود قرار دهید» سبحان ربّی العظیم بگوئید.

«پایان سوره واقعه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۹۱

سوره حدید [۵۷] ص: ۹۱

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۲۹ آیه است

محتواي سوره: ص: 91

محتوای این سوره را به هفت بخش می توان تقسیم کرد:

۱- آیات نخستین سوره بحث جامع و جالبی پیرامون توحید و صفات خدا دارد و در حدود بیست صفت از صفات الهی در آن منعکس است.

۲- بخش دیگری از عظمت قرآن این نور الهی که در ظلمات شرک تابید سخن می گوید.

۳- در بخش سوم از وضع مؤمنان و منافقان در قیامت که گروه اول در پرتو نور ایمان راه خود را به سوی بهشت می گشایند، و گروه دوم در ظلمات شرک و کفر میمانند، بحث می کند.

۴- در بخش دیگری دعوت به ایمان و خروج از شرک، و سرنوشت جمعی از اقوام کافر پیشین منعکس شده است.

۵- بخش مهمی از این سوره پیرامون انفاق در راه خدا و مخصوصا برای تقویت پایههای جهاد فی سبیل الله، و بیارزش بودن اموال دنیا میباشد.

۶- در بخشی کوتاه، اما گویا و مستدل، سخن از عدالت اجتماعی به میان آمده که یکی از اهداف مهم انبیاست.

۷- و بالاخره در بخش دیگری مسأله رهبانیت و انزوای اجتماعی مورد مذمت قرار گرفته، و جدائی خط اسلام از آن مشخص شده است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۹۲

ضمنا نامگذاری این سوره به «حدید» به خاطر تعبیری است که در آیه ۲۵ سوره آمده است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 92

در روایات اسلامی نکته های جالب توجهی پیرامون فضیلت تلاوت این سوره آمده، البته تلاوتی که توأم با فکر، و تفکری که توأم با عمل باشد.

در حدیثی از پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله نقل شده که قبل از خواب «مسبحات» را تلاوت می فرمود (مسبّحات سوره هائی است که با «سبح لله» یا «یسبح لله» آغاز می شود و آن پنج سوره است: سوره حدید، حشر، صف، جمعه و تغابن) و می فرمود: «در آنها آیه ای است که از هزار آیه برتر است»! در حدیث دیگری از امام باقر علیه السّد الام می خوانیم: «کسی که «مسبحات» (سوره های پنج گانه فوق) را پیش از خواب بخواند از دنیا نمی رود تا حضرت مهدی علیه السّد الام را درک کند، و اگر قبلا از دنیا برود در جهان دیگر در همسایگی رسول خدا خواهد بود».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الحديد(٥٧): آية ١ ص: ٩٢

(آیه ۱)- آیات ژرف اندیشان! گفتیم این سوره با یک بخش توحیدی که جامع حدود «بیست وصف» از اوصاف الهی است آغاز می شود، اوصافی که شناخت آنها سطح معرفت انسانی را بالا می برد و به ذات مقدس او آشنا می کند، و هر قدر اندیشمندان بیشتر در آن بیندیشند به حقایق تازهای دست می یابند.

در حدیثی از امام علی بن الحسین علیه السّ لام میخوانیم: که فرمود: «خداوند متعال میدانست که در آخر زمان اقوامی می آیند که در مسائل تعمق و دقت می کنند، لذا سوره قل هو الله احد و آیات آغاز سوره حدید را نازل فرمود.

به هر حال، نخستین آیه این سوره از تسبیح و تنزیه خدا شروع کرده، میفرماید: «آنچه در آسمانها و زمین است برای خدا تسبیح می گویند، و او عزیز و حکیم است» (سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ).

سورة الحديد(٥٧): آية ٢ ص: ٩٣

(آیه ۲)- بعد از ذکر دو وصف از صفات ذات پاک خداوند یعنی «عزّت» و «حکمت» به «مالکیت و تدبیر و تصرفش در عالم هستی» که لایزمه قدرت و حکمت است پرداخته، میافزاید: «مالکیت و حاکمیت آسمانها و زمین از آن اوست» (لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).

او «زنده می کند و می میراند» (یُحْیِی وَ یُمِیتُ). آری حیات و مرگ در تمام اشکالش به دست قدرت اوست. «و او بر هر چیز تواناست» (وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَيْءٍ قَدِیرٌ).

مالکیت خداوند نسبت به عالم هستی مالکیت اعتباری و تشریعی نیست، بلکه مالکیت حقیقی و تکوینی است، یعنی او به همه چیز احاطه دارد و همه جهان در قبضه قدرت او، و تحت اراده و فرمان اوست، لذا به دنبال آن سخن از زنده کردن و میراندن و توانائی بر هر چیز به میان آمده است.

تفاوت «عزت» و «قدرت» در این است که عزت بیشتر توجه به درهم شکستن مدافع دارد، و قدرت توجه به ایجاد اسباب، بنابر این دو وصف مختلف محسوب میشوند، هر چند در ریشه توانائی با هم مشتر کند- دقت کنید.

سورة الحديد(٥٧): آية ٣ ص: ٩٣

(آيه ٣)– سپس به بيـان پنـج وصف ديگر پرداخته، مىفرمايـد: «اوّل و آخر و پيـدا و پنهان اوست و او به هر چيز داناست» (هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

توصیف به اول و آخر بودن تعبیر لطیفی است از ازلیت و ابدیت او، زیرا میدانیم او وجودی است بیانتها و واجب الوجود، یعنی هستیش از درون ذات اوست نه از بیرون، تا پایان گیرد یا آغازی داشته باشد، و بنابر این از ازل بوده و تا ابد خواهد بود. او سر آغاز و ابتدای عالم هستی است، و اوست که بعد از فنای جهان نیز خواهد بود.

بنابر این تعبیر به اول و آخر هرگز زمان خاصی را در بر نـدارد و اشاره به مدت معینی نیست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۹۴

توصیف به ظاهر و باطن نیز تعبیر دیگری از احاطه وجودی او نسبت به همه چیز است، از همه چیز ظاهرتر است چرا که آثارش همه جا را گرفته، و از همه چیز مخفی تر است چون کنه ذاتش بر کسی روشن نیست.

و یکی از نتائج این امور همان است که در پایان آیه آمده: «وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ» زیرا کسی که از آغاز بوده و تا پایان باقی است و در ظاهر و باطن جهان است چنین کسی قطعا از همه چیز آگاه میباشد.

سورة الحديد(٥٧): آية 4 ص: 94

(آیه ۴)- او همیشه بر تخت قدرت است! به دنبال اوصاف یازده گانهای که در آیات قبل در باره ذات پاک پروردگار ذکر شد در اینجا اوصاف دیگری بیان شده.

نخست از مسأله خالقیت سخن می گوید و میفرماید: «او کسی است که آسمانها و زمین را در شش روز [- شش دوران]

آفريد» (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّهُ أَيَّام).

مسأله «خلقت در شـش روز» هفت مرتبه در قرآن مجید ذکر شـده است که نخستین مرتبه در آیه ۵۴ سوره اعراف، و آخرین مورد آن همین آیه می باشد.

منظور از «یوم» (روز) در این آیات روز معمولی نیست، بلکه منظور از آن «دوران» است خواه این دوران کوتاه باشد، و یا طولانی هر چند میلیونها سال به طول انجامد.

بعـد به مسأله حکومت و تـدبير جهان پرداخته، مىافزايـد: «سـپس (بر تخت قـدرت قرار گرفت» و به تـدبير جهان پرداخت (ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْش).

بدون شک خداوند نه جسم است و نه «عرش» به معنی «تخت سلطنت» میباشد، بلکه این تعبیر کنایهای است لطیف از حاکمیت مطلقه خداوند و نفوذ تدبیر او در عالم هستی و موجودات بطوری که اگر یک لحظه نظر لطف از آنها برگیرد، و فیضش را قطع کند «فرو ریزند قالبها»! سپس شاخه دیگری از علم بیپایانش را بیان کرده، میافزاید: «آنچه را در زمین فرو میرود میداند و از آن خارج میشود، و آنچه از آسمان نازل میگردد، و آنچه به آسمان بالا میرود» همه را میداند (یَعْلَمُ ما یَلِجُ فِی الْأَرْضِ وَ ما یَخْرُجُ برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۹۵

مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها)

.و بالاخره در چهـارمین و پنجمین توصیف روی نقطه حساسـی تکیه کرده، میفرمایـد: «و هر جا باشـید او با شـماست» (وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ).

«و خداوند به آنچه انجام مىدهيد بيناست» (وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

چگونه او با شما نباشد در حالی که ما نه تنها در وجود که در بقاء خود لحظه به لحظه به او متکی هستیم و از وی مدد می گیریم، او روح عالم هستی است، او جان جهان است، بلکه او برتر از این و آن است! راستی این احساس که او همه جا با ماست از یکسو به انسان عظمت و شکوه می بخشد و از سوی دیگر اطمینان و اعتماد به نفس می دهد و شجاعت و شهامت در او می آفریند، و از سوی سوم احساس مسؤولیت شدید می بخشد، چرا که او همه جا حاضر و ناظر و مراقب است. آری! این اعتقاد ریشه اصلی تقوا و پاکی و درستکاری انسان است.

سورة الحديد(٥٧): آية ٥ ص: ٩٥

(آیه ۵)- بعد از مسأله حاکمیت و تدبیر، سخن به مسأله مالکیت او در کل جهان هستی میرسد، میفرماید: «مالکیت آسمانها و زمین از آن اوست» (لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

و سر انجام به مسأله مرجعیت او اشاره کرده، می افزاید: «و همه کارها به سوی او باز می گردد» (وَ إِلَی اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ). آری وقتی او خالق و مالک و حاکم و مدبّر ماست و همه جا با ما می باشد مسلما بازگشت همه ما و همه کارها نیز به سوی اوست.

سورة الحديد(٥٧): آية 6 ص: ٩٥

(آیه ۶) - در این آیه به دو وصف دیگر نیز اشاره کرده، می فرماید:

«شب را در روز داخل مى كند و روز را در شب» (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ).

آری! تـدریجا از یکی میکاهـد و به دیگری میافزایـد و طول شب و روز را در سال تغییر میدهـد، همان تغییری که همراه با فصول چهارگانه سال است با تمام برکاتی که برای انسانها در این فصول نهفته است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۹۶ و در پایان میافزاید: «و او به آنچه در دلها وجود دارد داناست» (وَ هُوَ عَلِیمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ).

همان گونه که اشعه حیاتبخش آفتاب و روشنائی روز در اعماق تاریکی شب نفوذ می کنـد و همه جا را روشن میسازد، علم پروردگار نیز در تمام زوایای قلب و جان انسان نفوذ می کند و همه اسرار آن را روشن میسازد.

سورة الحديد(٥٧): آية ٧ ص: ٩٦

(آیه ۷)- ایمان و انفاق دو سرمایه بزرگ نجات و خوشبختی! بعد از بیان قسمتی از دلائل عظمت خداونـد در عالم هستی و اوصاف جمال و جلال او، اوصافی که انگیزه حرکت به سوی الله است، در اینجا از آنها نتیجه گیری کرده و همگان را دعوت به ایمان و عمل مینماید.

نخست مى فرمايد: «به خدا و رسولش ايمان بياوريد» (آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ).

این دعوت یک دعوت عام است که شامل همه انسانها می شود، مؤمنان را به ایمانی کاملتر و راسختر، و غیر مؤمنان را به اصل ایمان دعوت می کند، دعوتی که تو أم با دلیل است و دلائلش در آیات توحیدی قبل گذشت.

سپس به یکی از آثار مهم ایمان که «انفاق فی سبیل الله» است دعوت کرده می گوید: «و از آنچه شما را جانشین و نماینده (خود) در آن قرار داده انفاق کنید» (وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُشتَخْلَفِینَ فِیهِ).

«انفاق» مفهوم وسیعی دارد که منحصر به مال نیست، بلکه علم و هدایت و آبروی اجتماعی و سرمایههای معنوی و مادی دیگر را نیز شامل میشود.

سپس برای تشویق بیشتر میافزاید: «کسانی که از شما ایمان بیاورنـد و انفاق کننـد اجر بزرگی دارنـد» (فَالَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِیرٌ).

توصیف اجر به بزرگی، اشارهای به عظمت الطاف و مواهب الهی، و ابدیت و خلوص و دوام آن است، نه تنها در آخرت که در دنیا نیز قسمتی از این اجر بزرگ عائد آنها میشود.

سورة الحديد(٥٧): آية ٨ ص: ٩٦

(آیه ۸)- بعد از امر به «ایمان» و «انفاق» در باره هر یک از این دو به بیانی می پردازد که به منزله استدلال و برهان است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۹۷

نخست به صورت یک استفهام توبیخی علّت عدم پذیرش دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را در مورد ایمان به خدا جویا شده، می فرماید: «چرا به خدا ایمان نیاورید در حالی که رسول (او) شما را می خواند که به پروردگارتان ایمان بیاورید و از شما پیمان گرفته است (پیمانی از طریق فطرت و خرد) اگر آماده ایمان آوردنید» (وَ ما لَکُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الرَّسُولُ یَهِ دُعُوکُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّکُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِیثاقَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ).

یعنی، اگر به راستی شما آمادگی برای پذیرش حق دارید دلائلش روشن است، هم از طریق فطرت و عقل، و هم از طریق دلیل

سورة الحديد(٥٧): آية ٩ ص: ٩٧

(آیه ۹)- این آیه برای تأکید و توضیح بیشتر پیرامون همین معنی میافزاید: «او کسی است که آیات روشنی بر بندهاش [- محمد] نازل می کند، تا شما را از تاریکیها به سوی نور برد و خداوند نسبت به شما مهربان و رحیم است» (هُوَ الَّذِی یُنَزِّلُ عَلی عَبْدِهِ آیاتٍ بَیِّناتٍ لِیُخْرِجَکُمْ مِنَ الظَّلُماتِ إِلَی النُّورِ وَ إِنَّ اللَّهَ بِکُمْ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ).

سورة الحديد(٥٧): آية 10 ص: ٩٧

(آیه ۱۰)- سپس به استدلالی برای مسأله انفاق پرداخته، میفرماید: «چرا در راه خدا انفاق نکنید در حالی که میراث آسمانها و زمین از آن خداست»؟

(وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيراتُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ).

یعنی، سر انجام همه شما چشم از جهان و مواهبش میپوشید، و همه را می گذارید و میروید، پس اکنون که در اختیار شماست چرا بهره خود را نمی گیرید! و از آنجا که انفاق در شرائط و احوال مختلف ارزشهای متفاوتی دارد در جمله بعد می افزاید: «کسانی که قبل از پیروزی انفاق کردند و جنگیدند و پیکار نمودند (با کسانی که بعد از پیروزی انفاق کردند) یکسان نیستند» (لا یَسْتَوِی مِنْکُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْح وَ قاتَلَ).

یعنی، آنها که در مواقع بحرانی از بـذل مـال و جان ابا نداشـتند از آنها که بعـد از فرو نشسـتن طوفانها به یاری اسـلام شـتافتند بر ترند.

لذا برای تأکید بیشتر می افزاید: «آنها بلند مقامتر از کسانی هستند که بعد از برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۹۸ فتح انفاق نمودند و جهاد کردند» (أُولِئِکَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قاتَلُوا).

و از آنجا که هر دو گروه با تفاوت درجه مشمول عنایات حقنه در پایان آیه میافزاید: «و خداونه به هر دو وعده نیک داده است» (وَ کُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُشنی).

این یک قدردانی برای عموم کسانی است که در این مسیر گام برداشتند.

تعبیر «حسنی» هرگونه ثواب و پاداش نیک دنیا و آخرت را در بر میگیرد.

و از آنجا که ارزش عمل به خلوص آن است، در پایان آیه میافزاید:

«و خداوند به آنچه انجام مى دهيد آگاه است» (وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).

هم از كميت و كيفيت اعمال شما با خبر است و هم از نيات و ميزان خلوص شما.

سورة الحديد(٥٧): آية ١١ ص: ٩٨

(آیه ۱۱) - و در این آیه باز هم برای تشویق در مورد «انفاق فی سبیل الله» از تعبیر جالب دیگری استفاده کرده، می گوید: «کیست که به خدا وام نیکو دهد (و از اموالی که به او ارزانی داشته انفاق کند) تا خداوند آن را برای او چندین برابر کند؟ و برای او پاداش پر ارزشی است» (مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَیُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ کَرِیمٌ).

منظور از «قرض دادن به پروردگار» هر گونه انفاق در راه اوست که یکی از مصادیق مهم آن کمک کردن به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و امام مسلمین میباشد تا در مصارف لازم برای اداره حکومت اسلامی به کار گیرد.

از امام صادق علیه السّ لام نقل شده است که فرمود: «خداوند از بندگانش وامی مطالبه نکرده است به خاطر احتیاج خود و آنچه از حقوق برای خداست برای ولی و نماینده اوست».

سورة الحديد(٥٧): آية ١٢ ص: ٩٨

(آیه ۱۲)– از آنجا که در آیه قبل خداوند انفاق کنندگان را به اجر کریم نوید داد، در اینجا مشخص می کند که این اجر کریم و ارزشمند و با عظمت در چه روزی است؟

می فرماید: «در روزی است که مردان و زنان با ایمان را می نگری که نورشان در پیش رو و در سمت راستشان بسرعت حرکت می کند» (یَوْمَ تَرَی الْمُؤْمِنِینَ برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۹۹

وَ الْمُؤْمِناتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ)

. منظور از «نور» تجسّم نور ایمان است، چرا که در آن روز عقائد و اعمال انسانها تجسم مییابد، ایمان که همان نور هدایت است به صورت روشنائی و نور ظاهری مجسم می گردد، و کفر که تاریکی مطلق است، به صورت ظلمت ظاهری مجسم می گردد.

اینجاست که به احترام آنها این ندا از فرشتگان بر میخیزد: «بشارت باد بر شما امروز، به باغهائی از بهشت که نهرها زیر (درختان) آن جاری است» (بُشْراکُمُ الْیَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ).

«جاودانه در آن خواهید ماند، و این پیروزی و رستگاری بزرگ است» (خالِدِینَ فِیها ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ).

سورة الحديد(٥٧): آية ١٣ ص: ٩٩

(آیه ۱۳) – اما منافقان که در تاریکی وحشتناک کفر و نفاق و گناه قرار گرفتهاند در این هنگام فریادشان بلند می شود و ملتمسانه از مؤمنان تقاضای نور می کنند، اما چیزی جز جواب منفی نمی شنوند، چنانکه آیه می گوید: «روزی که مردان و زنان منافق به مؤمنان می گویند: نظری به ما بیفکنید تا از نور شما پرتوی بر گیریم» (یَوْمَ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ لِلَّذِینَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبسْ مِنْ نُورکُمْ).

یعنی کمی مهلت دهید تا ما هم به شما برسیم و در پرتو نورتان راه را پیدا کنیم.

در پاسخ به آنها «گفته میشود: به پشت سر خود برگردید و کسب نور کنید»! (قِیلَ ارْجِعُوا وَراءَکُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً).

اینجا جای تحصیل نور نیست، می بایست آن را از دنیائی که پشت سر گذاشتید، از طریق ایمان و عمل صالح، به دست می آوردید، اما دیگر گذشته و دیر شده است.

«پس (در این هنگام) دیواری میان آنها زده می شود که دری دارد» (فَضُ رِبَ بَیْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۰۰

ولى دو طرف اين ديوار عظيم، يا اين در، كاملا با هم متفاوت است «درونش رحمت است و برونش عـذاب» (باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ). این «در» ممکن است برای این باشد که منافقان از این در، نعمتهای بهشتی را ببینند و حسرت ببرند، یا این که افرادی که کمتر آلودهاند پس از اصلاح از آن بگذرند و در کنار مؤمنان قرار گیرند.

سورة الحديد(۵۷): آية ۱۴ ص: ۱۰۰

(آیه ۱۴) – اما این دیوار چنان نیست که مانع عبور صدا باشد، لذا در این آیه میافزاید: «آنها را صدا میزنند: مگر ما با شما نبودیم»؟! (یُنادُونَهُمْ أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ).

هم در دنیا با شما در یک جامعه میزیستیم، و هم در اینجا در کنار شما بودیم چه شد که ناگهان از ما جدا شدید، و به روح و رحمت الهی رفتید، آنها در پاسخ «می گویند: آری!» با هم بودیم (قالُوا بَلی).

در همه جا با هم بودیم، در کوچه و بازار، در سفر و حضر، گاه همسایه هم بودیم، و یا حتی گاه در یک خانه زندگی می کردیم، ولی از نظر مکتب و عقیده و عمل فرسنگها با هم فاصله داشتیم، شما خط خود را از ما جدا کرده بودید، و در اصول و فروع از حق بیگانه بودید.

سپس می افزایند: شما گرفتار خطاهای بزرگی بودید از جمله:

۱- «شما خود را (به واسطه پیمودن طریق کفر) به هلاکت افکندید» (وَ لَکِنَّکُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَکُمْ).

٢- (و انتظار (مرگ پيامبر را) کشيديد) (وَ تَرَبَّصْتُمْ).

بعلاوه در انجام هر كار مثبت و هر حركت صحيح حالت صبر و انتظار داشتيد و تعلل مينموديد.

۳- «و پیوسته (در امر معاد و رستاخیز و حقانیت دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و قرآن) شک و تردید داشتید» (وَ ارْتَبْتُمْ).

۴- «و آرزوهای دور و دراز (آرزوهائی که هرگز دست از سر شـما برنداشت) شما را فریب داد تا فرمان خدا (دائر بر مرگتان) فرا رسید» (وَ غَرَّ تُکُمُ الْأَمانِیُّ حَتَّی جاءَ أَمْرُ اللَّهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۰۱

آری! این آرزوها لحظهای مجال تفکر صحیح به شما نداد، و آرزوی وصول به شهوات و اهداف مادی بر شما چیره بود.

۵- از همه اینها گذشته «شیطان فریبکار (که پایگاهش را در وجودتان محکم کرده بود) شما را در برابر (فرمان) خداوند فریب داد» (وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ).

گاه دنیا را در نظرتان جاودانه جلوه داد، و گاه قیامت را یک حلوای نسیه قلمداد کرد، و گاه اصلا وجود خداوند بزرگ را زیر سؤال میبرد!

سورة الحديد(٥٧): آية ١٥ ص: ١٠١

(آیه ۱۵)- سر انجام مؤمنان در یک نتیجه گیری منافقان را مخاطب ساخته، می گوینـد: «پس امروز نه از شـما فـدیهای پـذیرفته میشود» که در برابر آن از عذاب الهی رهائی یابید (فَالْیَوْمَ لا یُؤْخَذُ مِنْکُمْ فِدْیَةً).

«و نه از كافران» (وَ لا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا).

و به این ترتیب کافران نیز سرنوشتی همچون منافقان دارند، و همگی در گرو گناهان و زشتیهای اعمال خویشند، و راه خلاصی ندارند.

سپس مىافزايند: «جايگاهتان آتش است و همان سرپرستتان مىباشد» (مَأْواكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ).

«و چه بد جايگاهي است»؟! (وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ).

معمولا انسانها برای نجات از چنگال مجازات و کیفر در دنیا یا متوسل به غرامت مالی میشوند، و یا از نیروی یاور و شفیعی کمک میطلبند، ولی در قیامت تمام اسباب و وسائل مادی که در این جهان برای رسیدن به مقاصد، معمول است از کار میافتد و پیوندها بریده میشود.

و به این ترتیب قرآن روشن می کنید که تنها وسیله نجات در آن روز ایمان و عمل صالح است، حتی دایره شفاعت محدود به کسانی است که سهمی از این دو را داشته باشند نه آنها که پیوندهای خود را بکلی از خدا و اولیاء الله بریدهاند.

سورة الحديد(٥٧): آية 16 ص: 101

اشاره

(آیه ۱۶)

شأن نزول: ص: 101

نقل شده که، این آیه یک سال بعد از هجرت در باره منافقان نازل شده است به خاطر این که روزی از سلمان فارسی پرسیدند از آنچه در تورات است برای ما سخن بگو! چرا که در تورات مسائل شگفت انگیزی است (و به برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۰۲

این وسیله میخواستند نسبت به قرآن بیاعتنایی کنند) در این هنگام آیات آغاز سوره یوسف نازل شد، سلمان به آنها گفت: این قرآن «احسن القصص» و بهترین سرگذشتهاست، و برای شما از غیر آن نافعتر است.

مدتی بعد باز به سراغ سلمان آمدند و همان خواهش را تکرار کردند: در این هنگام آیه «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِیثِ کِتاباً مُتَشَابِهاً مَثانِیَ تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِینَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ... خداوند بهترین سخن را نازل کرده کتابی که آیاتش (از نظر لطف و زیبائی و معنی) همانند یکدیگر است آیاتی مکرر دارد (اما تکراری شوق انگیز) که از شنیدن آیاتش لرزه بر اندام کسانی که در برابر پروردگارشان خاشعند می افتد ...»

نازل شد. (زمر/ ۲۳) باز برای بار سوم به سراغ سلمان آمدند و همان درخواست را تکرار کردند.

در این هنگام آیه مورد بحث نازل شـد و آنها را مؤاخذه کرد که آیا موقع آن نرسیده است که در برابر نام خدا خشوع کنید و از این سخنان دست بردارید.

تفسير: ص: ١٠٢

غفلت و بی خبری تا کی؟! بعد از ذکر آن همه انذارهای کوبنده و هشدارهای بیدارگر در این آیه، به صورت یک نتیجه گیری می فرماید: «آیا وقت آن نرسیده است که دلهای مؤمنان در برابر ذکر خدا و آنچه از حق نازل کرده است خاشع گردد؟ و مانند

کسانی نباشند که در گذشته به آنها کتاب آسمانی داده شد (مانند یهود و نصاری) سپس زمانی طولانی بر آنها گذشت (و خداوند را فراموش کردند) و قلبهایشان قساوت پیدا کرد، و بسیاری از آنها گنهکارند» (أَ لَمْ یَأْنِ لِلَّذِینَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِلَاِيْوِنَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ وَ کَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ). لِذِکْرِ اللَّهِ وَ ما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَ لا یَکُونُوا کَالَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَیْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ کَثِیرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ). روشن است یاد خداوند اگر در عمق جان قرار گیرند و همچنین شنیدن آیاتی که بر پیامبر صلّی الله علیه و آله نازل شده است هرگاه به درستی تدبر شود باید مایه خشوع گردد، ولی قرآن گروهی از مؤمنان را در اینجا سخت ملامت می کند که چرا در برابر این امور خاشع نمی شوند؟ و چرا همچون بسیاری از امتهای پیشین گرفتار غفلت و بی خبری شده اند؟ همان غفلتی که نمره برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۰۳

آن فسق و گناه است! این آیه از آیات تکان دهنده قرآن مجید است که قلب و روح انسان را در تسخیر خود قرار میدهد و پردههای غفلت را میدرد. لـذا در طول تاریخ افراد بسیار آلودهای را میبینیم که با شنیدن این آیه چنان تکان خوردند که در یک لحظه با تمام گناهان خود وداع گفتند، و حتی بعضا در صف زاهدان و عابدان قرار گرفتند.

سورة الحديد(٥٧): آية ١٧ ص: ١٠٣

(آیه ۱۷) و از آنجا که زنده شدن قبلهای مرده با ذکر الهی و پیدا کردن حیات معنوی در پرتو خشوع و خضوع در مقابل قرآن، شباهت زیادی به زنده شدن زمینهای مرده به برکت قطرات حیاتبخش باران دارد در این آیه می افزاید: «بدانید خداوند زمین را بعد از مرگ آن زنده می کند» (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ یُحیی الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها).

«ما آیات (خود) را (در صحنه آفرینش و نیز در صحنه وحی) برای شما بیان کردیم شاید اندیشه کنید» (قَدْ بَیَّنَّا لَکُمُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ).

در حقیقت این آیه هم اشارهای است به زنده شدن زمینهای مرده به وسیله باران، و هم زنده شدن دلهای مرده به وسیله ذکر الله و قرآن مجید که از آسمان وحی بر قلب پاک محمد صلّی الله علیه و آله نازل شده است و هر دو شایسته تدبر و تعقل است.

سورة الحديد(٥٧): آية ١٨ ص: ١٠٣

(آیه ۱۸) - در این آیه بار دیگر به مسأله انفاق که از میوههای شجره ایمان و خشوع است باز می گردد، و همان تعبیری را که در آیات قبل خواندیم با اضافاتی تکرار کرده، می فرماید: «مردان و زنان انفاق کننده و آنها که (از این راه) به خداوند قرض الحسنه دهند، (این قرض الحسنه) برای آنان مضاعف می شود و پاداش پرارزشی دارند» (إِنَّ الْمُصَّدِّقِینَ وَ الْمُصَّدِّقاتِ وَ أَقْرُضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً یُضاعَف لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجُرٌ کَریمٌ).

منظور از «قرض الحسنه به خداوند» همان «انفاق في سبيل الله» است، هر چند وام دادن به بندگان خدا نيز از فضل اعمال است. و در آن حرفي نيست.

سورة الحديد(۵۷): آية ۱۹ ص: ۱۰۳

(آیه ۱۹)– در ادامه بحث آیات گذشته پیرامون مؤمنان و اجر و پاداششان در پیشگاه خدا، در اینجا میافزاید: «کسانی که به

خدا و رسولانش ایمان آوردند آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۰۴

صديقين و شهدا نزد پروردگارشانند» (وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولِئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ).

«صدّیق» کسی است که سر تا پا صداقت و راستی است، و عملش گفتارش را تصدیق می کند.

واژه «شهداء» ممکن است به معنی «شهادت بر اعمال» بوده باشد، همان گونه که از آیات دیگر قرآن استفاده می شود که پیامبران گواه اعمال امتهای خود هستند، و پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله گواه بر آنها، و بر امت اسلامی است، و مسلمانان نیز شاهد و گواه بر اعمال مردمند.

بعضی نیز احتمال دادهاند که «شهدا» در اینجا به همان معنی شهیدان راه خداست، یعنی افراد مؤمن اجر و پاداش شهیدان را دارند، و به منزله شهدا محسوب می شوند.

سپس مى افزايد: «براى آنهاست پاداش (اعمال) شان و نور (ايمان) شان» (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ).

این تعبیر سر بسته اشاره به پاداش عظیم و نور فوق العاده آنهاست.

و در پایان میفرماید: «و کسانی که کافر شدنـد و آیات ما را تکـذیب کردنـد آنها دوزخیانند» (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَحِیم).

تا با مقابله این دو گروه با یکدیگر مقام والای گروه اول، و انحطاط و بدبختی گروه دوم آشکار گردد.

و از آنجا که در گروه اول، سطح بالای ایمان مطرح بود، در این گروه نیز کفر شدید مطرح است، لـذا با تکـذیب آیات الهی همراه ذکر شده.

سورة الحديد(٥٧): آية ٢٠ ص: ١٠٤

(آیه ۲۰)- دنیا چیزی جز متاع غرور نیست! از آنجا که حب و علاقه دنیا سر چشمه هر گناه و «رأس کل خطیئه» است در این آیه ترسیم گویائی از وضع زندگی دنیا و مراحل مختلف، و انگیزه های حاکم بر هر مرحله را ارائه داده، می گوید:

«بدانید زندگی دنیا تنها بازی و سرگرمی و تجمل پرستی و فخر فروشی در میان شما و افزون طلبی در اموال و فرزندان است» (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ برگزيده تفسير نمونه، ج۵، ص: ۱۰۵

وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ)

.به این ترتیب «غفلت»، «سر گرمی»، «تجمل»، «تفاخر» و «تکاثر» دورانهای پنج گانه عمر آدمی را تشکیل میدهند.

سپس با ذکر یک مثال آغاز و پایان زندگی دنیا را در برابر دیدگان انسانها مجسّم ساخته، میفرماید: «همانند بارانی که محصولش کشاورزان را در شگفتی فرو میبرد، سپس خشک میشود به گونهای که آن را زرد رنگ میبینی، سپس تبدیل به کاه میشود»! (کَمَثَلِ غَیْثٍ أَعْجَبَ الْکُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ یَهِیجُ فَتَراهُ مُصْفَرًا ثُمَّ یَکُونُ حُطاماً).

«کفار» در اینجا به معنی کشاورزان است، زیرا اصل معنی «کفر» به معنی «پوشانـدن» است، و چون کشاورز بـذرافشانی کرده و آن را زیر خاک میپوشاند از این رو به او «کافر» می گویند.

سپس به بازده عمر و نتیجه و محصول نهائی آن پرداخته، میافزاید: «و در آخرت (از دو حال خارج نیست): عذاب شدید است یا مغفرت و رضای الهی» (وَ فِی الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِیدٌ وَ مَغْفِرَهٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوانٌ).

و سر انجام آیه را با این جمله پایان می دهـد: «و (به هر حال) زنـدگی دنیا جز متاع و فریب نیست»! (وَ مَا الْحَیاةُ الـدُّنْیا إِلَّا مَتاعُ

الْغُرُور).

جمله «دنیا متاع غرور است» مفهومش این است که وسیله و ابزار است برای فریبکاری، فریب دادن خویشتن، و هم فریب دیگران و البته این در مورد کسانی است که دنیا را هدف نهائی قرار میدهند و به آن دل میبندند، و آخرین آرزویشان وصول به آن است، اما اگر مواهب این جهان مادی وسیلهای برای وصول به ارزشهای والای انسانی و سعادت جاودان باشد هرگز دنیا نیست، بلکه مزرعه آخرت، و قنطره و پلی برای رسیدن به آن هدفهای بزرگ است.

سورة الحديد(٥٧): آية ٢١ ص: ١٠٥

(آیه ۲۱)- یک مسابقه بزرگ معنوی! بعد از بیان ناپایداری جهان و لذات آن، و این که مردم در سرمایههای کم ارزش این جهان نسبت به یکدیگر تفاخر و تکاثر می جویند، در اینجا مردم را به یک مسابقه عظیم روحانی در طریق کسب برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۰۶

آنچه پایدار است و سزاوار هرگونه تلاش و کوشش دعوت کرده، میفرماید: «و به پیش تازید برای رسیدن به مغفرت پروردگارتان و بهشتی که پهنه آن مانند آسمان و زمین است و برای کسانی که به خدا و رسولانش ایمان آوردهاند آماده شده است» (سابِقُوا إِلی مَغْفِرَهُ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهُ عَرْضُها کَعَرْضِ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ).

در حقیقت مغفرت پروردگار کلید بهشت است همان بهشتی که پهنه آسمان و زمین را فرا می گیرد، و از هم اکنون آماده برای پذیرائی مؤمنان است تا کسی نگوید بهشت نسیه است و بر نسیه دل نباید نهاد.

این نکته شایسته توجه است که پیشی گرفتن به سوی مغفرت پروردگار از طریق اسباب آن است، مانند توبه و جبران طاعات فوت شده و اصولا اطاعت پروردگار و پرهیز از معاصی است.

و در پایان آیه می افزاید: «این فضل خداوند است که به هر کس بخواهد می دهد و خداوند صاحب فضل عظیم است» (ذلکک فَضْلُ اللَّهِ یُوْتیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیم).

یقینا آن چنان بهشت گسترده، با آن مواهب عظیمش چیزی نیست که انسان با این اعمال ناچیز به آن برسـد، و این تنها فضل و رحمت و لطف الهی است که آن پاداش عظیم را در مقابل این قلیل قرار داده، و از او نیز جز این انتظار نیست.

چرا که پاداشها همیشه به مقیاس اعمال نیست بلکه به مقیاس کرم پاداش دهنده است.

سورة الحديد(٥٧): آية ٢٢ ص: ١٠٦

(آیه ۲۲)- سپس برای تأکید بیشتر در زمینه عدم دلبستگی به دنیا، و شاد نشدن به اقبال آن، و غمگین نگشتن به ادبار آن، میافزاید: «هیچ مصیبتی (ناخواسته) در زمین و نه در وجود شما روی نمی دهد مگر این که همه آنها قبل از آن که زمین را بیافرینیم در لوح محفوظ ثبت است، و این امر برای خداوند آسان است» (ما أَصابَ مِنْ مُصِدِ بَبَةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی أَنْفُسِ کُمْ إِلَّا فِی كِتابِ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرً). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۰۷

آری! مصائبی که در زمین رخ می دهد همچون زلزله ها و سیلها و طوفانها و همچنین مصائبی که در نفوس انسانها واقع می شود مانند مرگ و میرها، و انواع حوادث در دناکی که دامان انسان را می گیرد همه آنها از قبل مقدر شده است، و در لوح محفوظ ثبت است. ولی باید توجه داشت که مصائبی که در این آیه به آن اشاره شده، تنها مصائبی است که به هیچ وجه قابل اجتناب نیست و مولود اعمال انسانها نمیباشد و گر نه مصیبتها، و ناکامیهایی که تنها معلول گناهان و سهلانگاری خود انسان است، راه مقابله با آنها موضع گیری صحیح در برنامههای زندگی است.

و منظور از «لوح محفوظ» علم بی پایان خداوند است، و یا صفحه جهان خلقت و نظام علت و معلول که آن نیز مصداق علم فعلی خداوند است.

سورة الحديد(٥٧): آية ٢٣ ص: ١٠٧

(آیه ۲۳)– اکنون ببینیم فلسفه تقدیر این مصائب در لوح محفوظ و سپس بیان این حقیقت در قرآن چیست؟

آیه مورد بحث پرده از روی این راز مهم برداشته، می گوید: «این به خاطر آن است که برای آنچه از دست دادهاید تأسف نخورید، و به آنچه به شما داده است دلبسته و شادمان نباشید» (لِکَیْلا تَأْسَوْا عَلی ما فاتَکُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاکُمْ).

این دو جمله کوتاه در حقیقت یکی از مسائل پیچیده فلسفه آفرینش را حل میکند، چرا که انسان همیشه در جهان هستی با مشکلات و گرفتاریها و حوادث نـاگوار رو بروست، و غالبا از خود سؤال میکند: با این که خداونـد مهربان و کریم و رحیم است این حوادث دردناک برای چیست؟

قرآن می گوید: «هدف این بوده که شما دلبسته و اسیر زرق و برق این جهان نباشید».

این مصائب زنگ بیدارباشی است برای غافلان و شلاقی است، برای ارواح خفته، و رمزی است از ناپایداری جهان، و اشارهای است به کوتاه بودن عمر این زندگی.

آری این مصائب شکننده تفاخر و غرور است، لذا در پایان آیه میافزاید: برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۰۸ «و خداوند هیچ متکبر فخر فروشی را دوست ندارد» (وَ اللَّهُ لا یُحِبُّ کُلَّ مُخْتالٍ فَخُورِ).

تنها کسی گرفتار این حالات میشود که مست ناز و نعمت گردد، ولی وجود آفات و مصائب برای آنها که قابل بیـداری و هدایتند این مستی و آثار آن را از بین میبرد.

افراد بـا ایمـان بـا تـوجه به آیه فـوق هنگـامی که به نعمـتی از سوی خـدا میرسـند خود را امانتـدار او میداننـد، نه از رفتن آن غمگین میشوند و نه از داشتن آن مست و مغرور.

سورة الحديد(٥٧): آية 24 ص: ١٠٨

(آیه ۲۴)- این آیه توضیح و تفسیری است بر آنچه در آیه قبل آمده و در حقیقت «مختال فخور» (متکبر فخر فروش) را معرفی میکند، میفرماید:

«همانها كه بخل مىورزند و مردم را به بخل دعوت مىكنند» (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْل).

آری! لا زمه دلبستگی شدید به مواهب دنیا تکبر و غرور است، و لا زمه تکبر و غرور بخل کردن، و دعوت دیگران به بخل است، اما بخل کردن به این دلیل که سرمایه کبر و غرور خود را این اموال می داند، و هر گز نمی خواهد آن را از دست دهد، و اما دعوت دیگران به بخل برای این است که اگر دیگران سخاو تمند باشند او رسوا می شود و دیگر این که، چون بخل را دوست دارد مبلغ چیزی است که به آن عشق می ورزد! و برای این که تصور نشود اصرار و تأکید خداوند در مسأله انفاق و

ترک بخل و یا حتی تعبیر به وام گرفتن خداونـد از بندگان در آیات گذشـته- که همه برای تشویق آنها به انفاق است- از نیاز ذات پاک او سر چشمه می گیرد، در پایان آیه میافزاید:

«و هر كس (از اين فرمان) روى گردان شود (به خود زيان مىرساند نه به خدا) چرا كه خداوند بىنياز و شايسته ستايش است» (وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).

همه به او نیازمندند و او از همگان بینیاز است، چرا که خزائن و منابع اصلی همه چیز نزد اوست، و از آنجا که جامع همه صفات کمال است شایسته هر حمد برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۰۹

و ستایش نیز میباشد.

سورة الحديد(٥٧): آية ٢٥ ص: ١٠٩

(آیه ۲۵)- هدف اصلی بعث انبیاء! از آنجا که سبقت به سوی رحمت و مغفرت و بهشت پروردگار که در آیات قبل به آن اشاره شده بود نیاز به رهبری «رهبران الهی» دارد در این آیه که از پرمحتواترین آیات قرآن است به این معنی اشاره کرده، و هدف ارسال انبیاء و برنامه آنها را دقیقا بیان می کند، می فرماید: «ما رسولان خود را با دلائل روشن فرستادیم» (لَقَدْ أَرْسَدِلْنا بالْنَیّناتِ).

«و با آنها كتاب (آسمانى) و ميزان (شناسايى حق از باطل و قوانين عادلانه) نازل كرديم» (وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ). «تا مردم قيام به عدالت كنند» (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ).

به این ترتیب پیامبران با سه وسیله مجهز بودند: دلائل روشن، کتب آسمانی، و معیار سنجش حق از باطل و خوب از بد، و مانعی ندارد که فی المثل قرآن مجید هم «بینه» (معجزه) باشد، و هم کتاب آسمانی، و هم بیان کننده احکام و قوانین، یعنی سه بعد در یک محتوا.

و به هر حال هدف از اعزام این مردان بزرگ با این تجهیزات کامل همان اجرای «قسط و عدل» است و این یکی از اهداف متعدد ارسال پیامبران است.

ولی از آنجا که در یک جامعه انسانی هر قدر سطح اخلاق و اعتقاد و تقوا بالا باشد باز افرادی پیدا میشوند که سر به طغیان و گردنکشی بر میدارنید و مانع اجرای قسط و عدل خواهنید بود. لذا در ادامه آیه میفرماید: «و آهن را نازل کردیم که در آن نیروی شدید و منافعی برای مردم است»! (وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِیدَ فِیهِ بَأْسٌ شَدِیدٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ).

آری! تجهیزات سه گانه انبیاء الهی برای اجرای عدالت وقتی می تواند به هدف نهائی برسد که از ضمانت اجرائی آهن و «بأس شدید» آن برخوردار باشد.

امير مؤمنان على عليه السّلام در تفسير جمله «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ» فرمود: «منظور از نازل كردن آهن خلقت آن است».

سپس به یکی دیگر از اهداف ارسال انبیا و نزول کتب آسمانی و همچنین برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۱۰

آفرینش وسائلی همچون آهن اشاره کرده، میفرماید: هدف این است «تا خداونـد بدانـد چه کسـی او و رسولانش را یاری می کند بی آنکه او را ببینند» (وَ لِیَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ یَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَیْبِ).

منظور از علم خداوند در اینجا تحقیق عینی علم اوست، یعنی تا آشکار شود چه کسانی به یاری خدا و مکتب او به پا میخیزند و قیام به قسط میکننـد و چه کسانی از این وظیفه بزرگ سـرباز میزنند در حقیقت مفهوم این آیه شبیه همان است که در آیه

۱۷۹ سوره آل عمران آمده.

«ممکن نبود خداوند مؤمنان را به همان صورت که شما هستید واگذارد مگر این که ناپاک را از پاک جدا کند»! به این ترتیب مسأله آزمون و امتحان انسانها، و جدا سازی صفوف و تصفیه، یکی دیگر از اهداف بزرگ این برنامه بوده است.

تعبیر به «یاری خداوند» مسلما به معنی یاری دین و آئین و نمایندگان او و بسط آئین حق و قسط و عدل است، و گر نه خداوند نیازی به یاری کسی ندارد، و همگان به او نیازمندند.

لذا برای اثبات همین معنی آیه را با این جمله پایان میدهد که: «خداوند قوی و شکست ناپذیر است» (إِنَّ اللَّهَ قَوِیُّ عَزِیزٌ). برای او ممکن است با یک اشاره همه جهان را زیر و رو کند و تمامی دشمنان را نابود و اولیائش را پیروز گرداند، ولی هدف اصلی که ترتیب و تکامل انسانهاست از این طریق حاصل نمی گردد، لذا آنها را دعوت به یاری آئین حق کرده است.

سورة الحديد(٥٧): آية 26 ص: ١١٠

(آیه ۲۶)- پیامبران را یکی بعد از دیگری فرستادیم! چنانکه میدانیم شیوه قرآن این است که بعد از بیان یک سلسله اصول کلی تعلیمات خود، اشاره به سرنوشت اقوام پیشین می کند تا شاهد گویائی برای آن باشد، در اینجا نیز بعد از ذکر مسائل پیشین در باره ارسال رسولان همراه بینات و کتاب و میزان، و همچنین لزوم سبقت مردم بر یکدیگر در وصول به غفران پروردگار و سعادت جاویدان، از بعضی از اقوام و پیامبران پیشین نام می برد و این برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۱۱ اصول کلی را در زندگی آنها مجسم می سازد.

نخست از «نوح» و «ابراهیم» که شیخ الانبیا و سرسلسله رسولان حق بودند شروع کرده، میفرماید: «ما نوح و ابراهیم را فرستادیم، و در دودمان آن دو نبوت و کتاب قرار دادیم» (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَ إِبْراهِیمَ وَ جَعَلْنا فِی ذُرِّیَتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْکِتابَ). اما همگی از این میراث بزرگ و مواهب عظیم خداوند بهره نگرفتند، «گروهی در پرتو آن هدایت یافتهاند و بسیاری از آنها گنهکارند» (فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ کَثِیرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ).

آرى! نبوت توأم با شريعت و آئين از نوح عليه السّ لام شروع شد، و بعد از او ابراهيم عليه السّ لام پيامبر اولوا العزم ديگر، اين خط را تداوم بخشيد.

سورة الحديد(٥٧): آية 27 ص: ١١١

(آیه ۲۷)- سپس اشاره سر بسته ای به سلسله انبیای دیگر، و آخرین آنها قبل از پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله کرده، می افزاید: «سپس در پی آنان رسولان دیگر خود را فرستادیم» (ثُمَّ قَفَیْنا عَلی آثارِهِمْ بِرُسُلِنا).

یکی بعد از دیگری با اهدافی هماهنگ قیام کردند و چراغ هدایت را فرا راه مردم قرار دادند تا نوبت به حضرت مسیح علیه السّلام رسید.

«و بعد از آنان عيسى بن مريم را مبعوث كرديم» (وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ).

سپس به كتاب آسمانى مسيح عليه السّلام اشاره كرده، مىافزايد: «و به او انجيل عطا كرديم» (وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ).

بعد از ویژگیهای پیروان او سخن میگوید، میفرماید: «و در دل کسانی که از او پیروی کردند رأفت و رحمت قرار دادیم» (وَ جَعَلْنا فِی قُلُوبِ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً). سپس می افزاید: «و رهبانیتی را که ابداع کرده بودند، ما بر آنان مقرّر نداشته بودیم، هدفشان جلب خشنودی خدا بود ولی حق آن را رعایت نکردند، از این رو ما به کسانی از آنها که ایمان آوردند پاداش دادیم، و بسیاری از آنها فاسقند» (وَ رَهْبانِیَّهٔ ابْتَدَعُوها ما کَتَبْناها عَلَیْهِمْ إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعایَتِها فَآتَیْنَا برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۱۲ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ کَثِیرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ)

از آیه فوق استفاده می شود که «رهبانیت» در آئین مسیح نبوده و پیروانش آن را بعد از او ابداع کردند، ولی در آغاز نوعی زهدگرائی و از ابداعات نیک محسوب می شد، مانند بسیاری از مراسم و سنتهای حسنه ای که هم اکنون در میان مردم رائج است، و کسی نیز روی آن به عنوان تشریع و دستور خاص شرع تکیه نمی کند، ولی این سنت بعدا به انحراف گرائید و آلوده با اموری مخالف فرمان الهی و حتی گناهان زشتی شد.

از جمله بدعتهای زشت مسیحیان در زمینه رهبانیت «تحریم ازدواج» برای مردان و زنان تارک دنیا بود، و دیگر «انزوای اجتماعی» و پشت پا زدن به وظائف انسان در اجتماع، و انتخاب صومعهها و دیرهای دور افتاده برای عبادت و زندگی در محیطی دور از اجتماع بود، سپس مفاسد زیادی در دیرها و مراکز زندگی رهبانها به وجود آمد.

اسلام به شدّت «رهبانیت» را محکوم کرده چنانکه رسول خدا صلّی الله علیه و آله فرمود:

«خداوند متعال رهبانیت را برای امت من مقرر نداشته، رهبانیت امت من جهاد در راه خداست».

سورة الحديد(٥٧): آية 28 ص: ١١٢

اشاره

(آیه ۲۸)

شأن نزول: ص: 112

در مورد نزول این آیه و آیه بعد نقل شده که: رسول خدا صلّی الله علیه و آله جعفر بن ابی طالب را با هفتاد نفر به سوی نجاشی (به حبشه) فرستاد، او بر نجاشی وارد شد، و وی را دعوت به اسلام کرد، و اجابت نمود و ایمان آورد، به هنگام بازگشت از حبشه چهل تن از اهل آن کشور که ایمان آورده بودند به جعفر گفتند: به ما اجازه ده که خدمت این پیامبر صلّی اللّه علیه و آله برسیم و اسلام خود را بر او عرضه بداریم، و همراه جعفر به مدینه آمدند.

هنگامی که فقر مالی مسلمانها را مشاهده کردند، به رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله عرض کردند: اگر اجازه فرمائید به کشور خود بازگردیم و اموال خود را همراه بیاوریم و با مسلمانان تقسیم کنیم.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله اجازه فرمود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۱۳ در این هنگام آیه ۵۲ تا ۵۴ سوره قصص نازل گردید و از آنها تمجید کرد.

افرادی از اهل کتاب که ایمان نیاورده بودند هنگامی که این جمله را- که در ذیل آیات مزبور است- شنیدند: «آنها پاداش خود را به خاطر صبر و استقامتشان دو بار دریافت میدارند» در برابر مسلمانان ایستادند و گفتند: ای مسلمانان! کسانی که به کتاب شما و کتاب ما ایمان بیاورند دو پاداش دارند، بنابر این کسی که تنها به کتاب ما ایمان داشته باشد یک پاداش دارد همانند پاداش شما! بنابر این به اعتراف خودتان شما فضیلتی بر ما ندارید! اینجا بود که این دو آیه نازل شد، و اعلام داشت که مسلمانان نیز دو پاداش دارند، علاوه بر نور الهی و مغفرت، و سپس افزود: «اهل کتاب بدانند آنها توانائی بر به دست آوردن چیزی از فضل و رحمت الهی ندارند»!

تفسير: ص: ١١٣

آنها که دو سهم از رحمت الهی دارند: از آنجا که در آیات گذشته سخن از اهل کتاب و مسیحیان در میان بود، این آیه و آیه بعد تکمیلی است بر آنچه در آیات قبل آمده است.

نخست مىفرمايد: «اى كسانى كه ايمان آوردهايد! تقواى الهى پيشه كنيد و به رسولش ايمان بياوريد» (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا برَسُولِهِ).

مخاطب در آیه همه مؤمنانی هستند که در ظاهر دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را پذیرفته بودند ولی هنوز ایمان راسخ، ایمانی که اعماق جان آنها را روشن کند و در اعمال آنها ظاهر شود، پیدا نکرده بودند.

سپس در دنباله آیه به سه موهبت بزرگ که در سایه ایمان عمیق و تقوا حاصل می شود اشاره کرده، می فرماید: چنین کنید «تا دو سهم از رحمتش به شما ببخشد، و برای شما نوری قرار دهد که با آن (در میان مردم و در مسیر زندگی خود) راه بروید و گناهان شما را ببخشد و خداوند آمرزنده و مهربان است» (یُؤْتِکُمْ کِفْلَیْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ یَجْعَلْ لَکُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ).

منظور از این دو بهره همان است که در آیه ۲۰۱ سوره بقره آمده: «خداوندا در دنیا به ما نیکی مرحمت فرما، و در آخرت نیز نیکی عنایت کن». برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۱۴

دومین پاداش آنها «وَ یَجْعَلْ لَکُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ» مفهوم مطلق و گستردهای دارد، نه اختصاصی به دنیا دارد، و نه آخرت، و به تعبیر دیگر ایمان و تقوا سبب می شود که حجابها از قلب مؤمن برچیده شود، و چهره حقایق را بی پرده ببیند، و در پرتو آن روشن بینی خاصی نصیب او می شود که افراد بی ایمان از آن محرومند چرا که بزرگترین مانع شناخت و مهمترین حجاب بر قلب آدمی و هوی و هوسهای سرکش و آمال و آرزوهای دور و دراز و اسارت در چنگال ماده و زرق و برق دنیاست، هنگامی که در پرتو ایمان و تقوا این گرد و غبارها فرو نشست آفتاب حقیقت بر صفحه قلب می تابد، و حقایق را آن چنان که هست در می یابد.

سورة الحديد(۵۷): آية ۲۸ ص: ۱۱۴

(آیه ۲۹)- این آیه که آخرین آیه این سوره است بیان دلیلی است برای آنچه در آیه قبل آمده، می فرماید: این پاداشهای مضاعف الهی علاوه بر نورانیت و مغفرت به خاطر آن است «تا اهل کتاب بدانند که آنها قادر بر چیزی از فضل خدا نیستند و تمام فضل (و رحمت) به دست اوست، به هر کس بخواهد آن را می بخشد و خداوند دارای فضل عظیم است» (لِئَلًا یَعْلَمَ أَهْلُ الْکِتابِ أَلًا یَقْدِرُونَ عَلی شَیْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِیَدِ اللَّهِ یُوْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ).

این پاسخی است به آنها که می گفتند: خداوند به گروهی از اهل کتاب که ایمان به محمّد آوردهاند- طبق عقیده مسلمانان دو پاداش می دهد، بنابر این ما که ایمان به او نیاورده ایم دارای یک پاداشیم همانند دیگر مسلمانان! قرآن به آنها پاسخ می گوید که مسلمانان عموما دارای دو پاداشند، چرا که همه آنها ایمان به رسول خدا و تمام انبیاء پیشین دارند و اما گروهی از اهل کتاب که ایمان نیاورده اند هیچ سهمی ندارند تا بدانند که رحمت الهی در اختیار آنان نیست که به هر کس بخواهند بدهند و از هر کس بخواهند دریغ دارند! «پایان سوره حدید»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۱۵

آغاز جزء ۲۸ قرآن مجید ص: ۱۱۵

سوره مجادله [58] ص: 118

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۲۲ آیه است

محتواي سوره: ص : 110

این سوره طبق طبیعت سوره های «مدنی» بیشتر از احکام فقهی، و نظام زندگی اجتماعی، و روابط با مسلمین و غیر مسلمین سخن می گوید، و مجموع بحثهای آن را می توان در سه بخش خلاصه کرد:

۱- در بخش اول سخن از حکم «ظهار» می گوید که در جاهلیت نوعی طلاق و جدائی دائمی محسوب می شد، و اسلام آن را تعدیل کرد و در مسیر صحیح قرار داد.

۲- در بخش دیگری یک سلسله دستورها در باره آداب مجالست از جمله منع از «نجوی» (سخنان در گوشی) و همچنین جادادن به کسانی که تازه وارد مجلس میشوند.

۳- در آخرین بخش، بحث گویا و مشروح و کوبندهای در باره منافقان، و آنها که ظاهرا دم از اسلام میزدند اما با دشمنان اسلام سر و سر داشتند، مطرح کرده، مسلمین راستین را از ورود در حزب شیاطین و منافقین بر حذر میدارد، و آنها را به رعایت «حب فی الله» و «بغض فی الله» و ملحق شدن به «حزب الله» دعوت می کند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۱۶ نامگذاری سوره به «مجادله» به خاطر تعبیری است که در آیه نخستین آن آمده است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 118

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «هر کس سوره مجادله را تلاوت کند (و در آن بیندیشـد و به کار بندد) در قیامت در زمره حزب الله خواهد بود.»

همچنین در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّلام میخوانیم: «هر کس سوره حدید و مجادله را در نمازهای فریضه بخواند و آن را ادامه دهد، خداوند هرگز او را در تمام طول زندگی عذاب نمی کند، و در خود و خانوادهاش هرگز بدی نمی بیند، و نیز گرفتار فقر و بد حالی نمی شود». تناسب محتوای این سوره ها با پاداشهای فوق روشن است، و این خود نشان می دهـ د که هـدف از تلاوت پیاده کردن محتوای آن در زندگی است نه تلاوتی خالی از اندیشه و عمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة المجادلة(58): آية 1 ص: 118

اشاره

(آیه ۱)

شأن نزول: ص: 118

نقل کردهاند که: زنی از طایفه انصار به نام «خوله» که از طایفه «خزرج» و همسرش «اوس بن صامت» بود در یک ماجرا مورد خشم شوهرش قرار گرفت، و او که مرد تندخویی بود تصمیم بر جدائی از او گرفت، و گفت: «انت علیّ کظهر امّی تو نسبت به من همچون مادر من هستی!».

و این در حقیقت نوعی از طلاق در زمان جاهلیت بود اما طلاقی بود که نه قابل بازگشت بود و نه زن آزاد می شد که بتواند همسری برای خود برگزیند، و این بدترین حالتی بود که برای یک زن شوهردار ممکن بود رخ دهد.

چیزی نگذشت که مرد پشیمان شد.

زن خدمت رسول خدا صلّی الله علیه و آله آمد و ماجرا را چنین نقل کرد: ای رسول خدا! همسرم «اوس بن صامت» زمانی مرا به زوجیت خود برگزید که جوان بودم و صاحب جمال و مال و ثروت و فامیل، اموال من را مصرف کرد، حالا «ظهار» کرده برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۱۷

و پشیمان شده، آیا راهی هست که ما به زندگی سابق بازگردیم؟! پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: تو بر او حرام شدهای! زن پی در پی اصرار و الحاح می کرد، سر انجام رو به در گاه خدا آورد و عرض کرد: «خداوندا! بیچارگی و نیاز و شدت حالم را به تو شکایت می کنم، خداوندا! فرمانی بر پیامبرت نازل کن و این مشکل را بگشا».

در اینجا حال وحی به پیامبر صلّی الله علیه و آله دست داد، و چهار آیه آغاز این سوره بر او نازل شد که راه حل مشکل «ظهار» را به روشنی نشان میدهد.

تفسير: ص: ١١٧

«ظهار» یک عمل زشت جاهلی! با توجه به آنچه در شأن نزول گفته شد تفسیر آیات نخستین سوره روشن است، میفرماید: «خداونـد سخن زنی را که در باره شوهرش به تو مراجعه کرده بود، شنید» و تقاضای او را اجابت کرد (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها). سپس می افزاید: آن زن علاوه بر این که با تو مجادله داشت «به خداوند شکایت می کرد» و از پیشگاهش تقاضای حل مشکل نمود (وَ تَشْتَکِی إِلَی اللَّهِ).

«این در حالی بود که خداوند گفتگوی شما (و اصرار آن زن) را (در حل مشکلش) می شنید» (وَ اللَّهُ یَسْمَعُ تَحاوُرَکُما). «و خداوند شنوا و بیناست» (إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ).

آری! خداوند، آگاه از همه «مسموعات» و «مبصرات» است، بی آنکه نیازی به اعضای بینائی و شنوائی داشته باشد، او همه جا حاضر و ناظر است و همه چیز را می بیند و هر سخنی را می شنود.

سورة المجادلة(58): آية ٢ ص : ١١٧

(آیه ۲)- سپس به سراغ بیان حکم ظهار می رود و به عنوان مقدمه ریشه این عقیده خرافی را با جمله های کوتاه و قاطع در هم می کوبد، می فرماید: «کسانی از شما که نسبت به همسرانشان ظهار می کنند (و می گویند: انت علی کظهر امّی تو نسبت به من به منزله مادرم هستی) آنان هر گز مادرانشان نیستند، مادرانشان تنها کسانی هستند که آنها را به دنیا آورده اند»! (الَّذِینَ یُظاهِرُونَ مِنْکُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِی وَلَدْنَهُمْ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۱۸

مادر و فرزند بودن چیزی نیست که با سخن درست شود، یک واقعیت عینی خارجی است که هرگز از طریق بازی با الفاظ حاصل نمی شود.

و به دنبال آن مىافزايد: «آنها سخنى زشت و باطل مى گويند» (وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَ زُوراً).

مطابق این آیه «ظهار» عملی است حرام و منکر، ولی از آنجا که تکالیف الهی اعمال گذشته را شامل نمی شود، و از لحظه نزول حاکمیت دارد، در پایان آیه می فرماید: «و خداوند بخشنده و آمرزنده است» (وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ). هم می بخشد و هم می پوشاند.

بنابر این اگر مسلمانی قبل از نزول این آیات مرتکب این عمل شده نباید نگران باشد، خداوند او را می بخشد. اما به هر حال مسأله کفّاره به قوت خود باقی است.

سورة المجادلة(58): آية 3 ص: 118

(آیه ۳) ولی از آنجا که این سخن زشت و زننده چیزی نبود که از نظر اسلام نادیده گرفته شود لذا کفاره نسبتا سنگینی برای آن قرار داده تا از تکرار آن جلوگیری کند، می فرماید: «کسانی که همسران خود را ظهار می کنند، سپس از گفته خود باز می گردند، باید پیش از آمیزش جنسی آنها با هم برده ای را آزاد کنند» (وَ الَّذِینَ یُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ یَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْریرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْل أَنْ یَتَمَاسًا).

سپس مى افزايد: «اين دستورى است كه به آن اندرز داده مى شويد» (ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ).

گمان نکنید که چنین کفّارهای در مقابل «ظهار» کفّاره سنگین و نامتعادلی است، زیرا این سبب اندرز و بیداری و تربیت نفوس شماست، تا بتوانید خود را در برابر این گونه کارهای زشت و حرام کنترل کنید.

اصولاً تمام کفّارات جنبه بازدارنده و تربیتی دارد، و ای بسا کفّارههائی که جنبه مالی دارد تأثیرش از غالب تعزیرات که جنبه بدنی دارد بیشتر است. و از آنجا که ممکن است بعضی با بهانههائی شانه از زیر بار کفّاره خالی کنند برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۱۹ و بدون این که کفّاره دهند با همسر خود بعد از «ظهار» آمیزش جنسی داشته باشند، در پایان آیه میافزاید: «خداوند به آنچه انجام میدهید آگاه است» (وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ). هم از ظهار آگاه است و هم از ترک کفّاره و هم از نیّات شما!

سورة المجادلة(58): آية 4 ص: 119

(آیه ۴)- و نیز از آنجا که آزاد کردن یک برده برای همه مردم امکان پذیر نیست، همان گونه که در شأن نزول آمد و نیز ممکن است انسان از نظر مالی قادر به آزاد کردن برده باشد اما بردهای برای این کار پیدا نشود- همان گونه که در عصر ما چنین است- لذا جهانی و جاودانگی بودن اسلام ایجاب می کند که در مرحله بعد جانشینی برای آزادی بردگان ذکر شود به همین دلیل در آیه مورد بحث می فرماید:

«و کسی که توانائی (آزاد کردن بردهای) نداشته باشد دو ماه پیاپی قبل از آمیزش روزه بگیرد» (فَمَنْ لَمْ یَجِدْ فَصِ یامُ شَـهْرَیْنِ مُتَتابِعَیْن مِنْ قَبْل أَنْ یَتَمَاسًا).

این کفاره نیز اثر عمیق بازدارندهای دارد، به علاوه از آنجا که روزه در تصفیه روح و تهذیب نفوس اثر عمیق دارد می تواند جلو تکرار این گونه اعمال را در آینده بگیرد.

البته ظاهر آیه این است که هر شصت روز پی در پی انجام شود، و بسیاری از فقهای اهل سنت نیز بر طبق آن فتوا دادهاند، ولی در روایات ائمه اهل بیت علیهم السّ لام آمده است که اگر کمی از ماه دوم را (حتی یک روز) به دنبال ماه اول روزه بگیرد مصداق شهرین متتابعین و دو ماه پی در پی خواهد بود و این تصریح حاکم بر ظهور آیه است.

و از آنجا که بسیاری از مردم نیز قادر به انجام کفّاره دوم یعنی دو ماه متوالی روزه نیستند، جانشین دیگری برای آن ذکر کرده، میفرماید: «و کسی که این را هم نتواند شصت مسکین را اطعام کند» (فَمَنْ لَمْ یَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّینَ مِسْکِیناً).

ظاهر «اطعام» این است که به اندازهای غذا دهد که در یک وعده سیر شود، اما در روایات اسلامی در یک «مد» طعام (حدود ۷۵۰ گرم) تعیین شده است.

سپس در دنباله آیه بـار دیگر بـه هـدف اصـلی ایـن گـونه کفّـارات اشـاره کرده، میافزایـد: «این برای آن است که به خـدا و رسولش ایمان بیاورید» (ذلِکَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۲۰

آری! جبران گناهان به وسیله کفّارات پایههای ایمان را محکم می کند، و انسان را نسبت به مقررات الهی علما و عملا پایبند می سازد! و در پایان آیه برای این که همه مسلمانان این مسأله را یک امر جدی تلقی کنند می گوید: «اینها مرزهای الهی است، و کسانی که با آن مخالفت کنند عذاب دردناکی دارند» (وَ تِلْکَ حُدُودُ اللّهِ وَ لِلْکافِرِینَ عَذَابٌ أَلِیمٌ).

قوانین الهی را از این رو «حدود الهی» می گویند که عبور از آن مجاز نیست.

چنانکه دیدیم اسلام «ظهار» را به شدّت محکوم کرده، بنابر این هر گاه کسی نسبت به همسرش ظهار کند، همسرش می تواند با مراجعه به حاکم شرع او را موظف سازد که یا رسما از طریق طلاق از او جدا شود و یا به زندگی زناشوئی باز گردد، اما پیش از بازگشت باید به ترتیبی که در آیات فوق خواندیم کفّاره بدهد.

سورة المجادلة (58): آية 5 ص: 120

(آیه ۵)– آنها که با خدا دشمنی میکنند از آنجا که آخرین جمله آیه قبل به همگان اخطار میکرد که حدود الهی را رعایت کننـد، و از آن تجاوز ننمایند، در اینجا از کسانی سخن میگوید که نه تنها از این حدود تجاوز کرده، بلکه به مبارزه با خدا و پیامبر او صلّی الله علیه و آله برخاستهاند و سرنوشت آنها را در این دنیا و جهان دیگر روشن میسازد.

نخست میفرماید: «کسانی که با خـدا و رسولش دشـمنی میکنند خوار و ذلیل شدند آن گونه که پیشـینیان آنها خوار و ذلیل شدند» (إِنَّ الَّذِینَ یُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ کُبِتُوا کَما کُبِتَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

سپس مى افزايد: «ما آيات روشنى نازل كرديم» (وَ قَدْ أَنْزُلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ).

بنابر این، به قدر کافی اتمام حجت شده و عذر و بهانهای برای مخالفت باقی نمانده است، و با این حال اگر مخالفت کنند باید مجازات شوند.

نه تنها در این دنیا مجازات میشوند بلکه «برای کافران عذاب خوار کنندهای (در قیامت) است» (وَ لِلْکافِرِینَ عَذابٌ مُهِینٌ). به هر حال این تهدید الهی در مورد کسانی که در برابر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و قرآن ایستاده بودند به وقوع پیوست، و در جنگهای بدر و خیبر و خندق و غیر آن با ذلت برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۲۱

و شکست رو برو شدند، و سر انجام فتح مکه طومار قدرت و شوکت آنها را در هم پیچید و اسلام در همه جا پیروز گشت.

سورة المجادلة(58): آية 6 ص: 121

(آیه ۶)- این آیه در توصیف زمان وقوع عذاب اخروی آنها چنین می گوید:

«در آن روز که خداوند همه آنها را بر میانگیزد و از اعمالی که انجام دادند با خبر میسازد» (یَوْمَ یَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِیعاً فَیُنَبَّئُهُمْ بِما عَملُوا).

«اعمالي كه خداوند حساب آن را نگه داشته و آنها فراموشش كردند» (أَحْصاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ).

و این خود عذاب دردناکی است که خداوند گناهان فراموش شده آنها را به یادشان می آورد و در صحنه محشر در برابر خلایق رسوا می شوند.

و در پایان آیه می فرماید: «و خداوند بر هر چیز شاهد و ناظر است» (وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِیدٌ).

آری حضور خداوند در همه جا و در هر زمان و در درون و برون ما ایجاب می کند که نه فقط اعمال، بلکه نیات و عقاید ما را شمارش کند و در آن روز بزرگ که «یوم البروز» است همه را بازگو فرماید.

سورة المجادلة(58): آية 7 ص: 121

(آیه ۷)- سپس برای تأکید بر حضور خداوند در همه جا و آگاهی او بر همه چیز سخن را به مسأله «نجوی» (گفتگوهای در گوشی) می کشد، می فرماید: «آیا نمی دانی که خداوند آنچه را در آسمانها و آنچه در زمین است می داند» (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْض).

سپس مىافزايىد: «هيچ گاه سه نفر با هم نجوا نمىكنند مگر اين كه خداوند چهارمين آنهاست، و هيچ گاه پنج نفر با هم نجوا نمىكنند مگر اين كه خداوند ششمين آنهاست» (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاَثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ).

«و نه تعـدادی کمتر و نه بیشتر از آن، مگر این که او همراه آنهـاست هر جـا که باشـند» (وَ لاـ أَدْنی مِنْ ذلِـکَ وَ لاـ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ

مَعَهُمْ أَيْنَ ما كَانُوا).

«سپس روز قیامت آنها را از اعمالشان آگاه میسازد چرا که خداوند به هر برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۲۲ چیزی داناست» (ثُمَّ یُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا یَوْمَ الْقِیامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ).

منظور از این که خداوند چهارمین یا ششمین آنهاست این است که او در همه جا حاضر و ناظر و از همه چیز آگاه است، و گر نه ذات پاکش نه مکان دارد و نه هرگز توصیف به اعداد می شود، بلکه شبیه و نظیر و مثل و مانند ندارد.

سورة المجادلة (58): آية 8 ص: 122

اشاره

(آیه ۸)

شأن نزول: ص: 122

در مورد این آیه دو شأن نزول نقل شده که هر کدام مربوط به یک قسمت از آیه است.

نخست این که: جمعی از یهود و منافقان در میان خودشان جدا از مؤمنان نجوا می کردند و گاه با چشمهای خود اشارههای ناراحت کننده ای به مؤمنان داشتند، و همین باعث غم و اندوه مؤمنان می شد، هنگامی که این کار را تکرار کردند مؤمنان شکایت به رسول خدا صلّی الله علیه و آله نمودند، پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور داد که هیچ کس در برابر مسلمانان با دیگری نجوا نکند، اما آنها گوش ندادند، باز هم تکرار کردند، آیه نازل شد (و آنها را سخت بر این کار تهدید کرد).

همچنین نقل شده که: گروهی از یهود خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله آمدند و به جای «السّ لام علیک» گفتند: «السّام علیک یا ابا القاسم» (که مفهومش مرگ بر تو یا ملالت و خستگی بر تو باد، است).

پيامبر صلّى الله عليه و آله در جواب آنها فرمود: «و عليكم همين بر شما باد».

عایشه می گوید: من متوجه این مطلب شدم و گفتم: «علیکم السّام و لعنکم اللّه و غضب علیکم مرگ بر شما، خدا لعنت کند شما را، و غضب کند»! پیامبر به من فرمود: مدارا کن و از خشونت و بدگوئی بپرهیز.

گفتم: مگر نمی شنوی می گویند: «مرگ بر تو»! فرمود: مگر تو هم نشنیدی که من در جواب «علیکم» گفتم! اینجا بود که خداوند آیه نازل کرد که هنگامی که این گروه نزد شما می آیند تحیتی می گویند که خدا چنان تحیتی به شما نگفته است.

تفسير: ص: ١٢٢

«نجوا» از شیطان است! در اینجا همچنان ادامه بحثهای نجواست.

نخست می فرماید: «آیا ندیدی کسانی را که از نجوا [- سخنان در گوشی] نهی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۲۳ شدنـد سپس به کـاری که از آن نهی شـده بودنـد بـاز می گردنـد، و برای انجـام گناه و تعـدی و نافرمانی رسول خـدا به نجوا مى پردازند» (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجُوى ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ وَ يَتَناجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدُوانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ). از این تعبیر به خوبی استفاده میشود که قبلا به آنها هشدار داده شده بود که از نجوا بپرهیزنـد کاری که ذاتا تولید نگرانی و بدگمانی در دیگران میکند.

در ادامه این سخن به یکی دیگر از اعمال خلاف منافقان و یهود اشاره کرده، میفرمایـد: «و هنگامی که نزد تو می آینـد تو را تحیّتی (و خوشامدی) می گویند که خدا به تو نگفته است» (وَ إِذا جاؤُکَ حَیَّوْکَ بِما لَمْ یُحَیِّکَ بِهِ اللَّهُ).

منظور از «تحیت الهی» در این آیه همان جمله «السّـ لام علیک»، یا «سلام اللّه علیک» میباشـد که شبیه آن در آیات قرآن در مورد پیامبران و بهشتیان و غیر آنها کرارا آمـده است: از جمله در آیه ۱۸۱ سوره صافات میخوانیم: «و سـلام علی المرسـلین سلام بر تمام رسولان پروردگار».

سپس مىافزايىد: آنها نه فقط مرتكب اين گناهان بزرگ مىشونىد، بلكه آن چنان از باده غرور سرمست هستند كه «در دل مى گوينىد: (اگر اعمال ما بىد است پس) چرا خداوند ما را به خاطر گفته هايمان عذاب نمى كند»؟! (وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِ هِمْ لَوْ لا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ).

به این ترتیب هم عدم ایمان خود را به نبوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله ثابت کردند و هم عدم ایمان به احاطه علمی خداوند. ولی قرآن در یک جمله کوتاه به آنها چنین پاسخ می گوید: «جهنم برای آنان کافی است (و نیازی به مجازات دیگر نیست، همان جهنمی که به زودی) وارد آن میشوند و چه بد فرجامی است» (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ یَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمَصِیرُ). البته این تعبیر نفی عذاب دنیوی را در باره آنها نمی کند.

سورة المجادلة(58): آية 9 ص: 123

(آیه ۹)- و از آنجا که مؤمنان نیز گهگاه به خاطر ضرورتها یا تمایلاتی به نجوا میپرداختند در این آیه روی سخن را به آنها کرده، و برای این که در این کار آلوده به گناهان منافقان و یهود نشونـد میفرمایـد: «ای کسانی که ایمان آوردهایـد! برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۲۴

«و از خدائی که همگی نزد او جمع میشوید بپرهیزید» (وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ).

از این تعبیر به خوبی استفاده می شود که اصل نجوا اگر در میان مؤمنان باشد، سوء ظنی برنیانگیزد، تولید نگرانی نکند و محتوای آن توصیه به نیکیها و خوبیها باشد مجاز است.

سورة المجادلة(58): آية 10 ص: 124

(آیه ۱۰)– لذا در این آیه می افزاید: «نجوا تنها از سوی شیطان است» (إِنَّمَا النَّجُوی مِنَ الشَّیْطانِ).

«مىخواهد با آن مؤمنان را غمگين سازد» (لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا).

«ولى (بايد بدانند كه شيطان) نمى تواند هيچ گونه ضررى به آنها برساند جز به فرمان خدا» (وَ لَيْسَ بِضارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ).

چرا که هر مؤثری در عالم هستی است تأثیرش به فرمان خداست.

«پس مؤمنان باید تنها بر خدا تو کل کنند» و از هیچ چیز جز او نترسند و بر غیر او دل ننهند (وَ عَلَی اللَّهِ فَالْیَتَوَکَّلِ الْمُؤْمِنُونَ). بدین ترتیب «نجوا» گاه حرام است و این در صورتی است که موجب اذیت و آزار و هتک حیثیت مسلمانی گردد و چنین نجوائی نجوای شیطانی است که هدفش غمگین ساختن مؤمنان است.

در مقابل گاه حکم وجوب به خود می گیرد، و این در صورتی است که مسأله سری لایزمی در میان باشد که افشای آن خطرناک، و عدم ذکر آن نیز موجب تضییع حق و یا خطری برای اسلام و مسلمین است.

و گاه متصف به استحباب می شود و آن در جائی است که انسان برای انجام کارهای نیک و بر و تقوا به سراغ آن رود، و همچنین حکم کراهت و اباحه. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۲۵

ولی اصولاً هرگاه هدف مهمتری در کار نباشد نجوا کردن کار پسندیدهای نیست، و بر خلاف آداب مجلس است زیرا نوعی بیاعتنائی یا بیاعتمادی نسبت به دیگران محسوب می شود.

سورة المجادلة(58): آية 11 ص: 125

اشاره

(آیه ۱۱)

شأن نزول: ص: 120

نقل کردهاند که: پیامبر صلّی الله علیه و آله در یکی از روزهای جمعه در «صفّه» (سکوی بزرگی که در کنار مسجد پیامبر صلّی الله علیه و آله قرار داشت) نشسته بود و گروهی نزد حضرت حاضر بودند، و جا تنگ بود، پیامبر صلّی الله علیه و آله عادتش این بود که مجاهدان بدر را اعم از مهاجر و انصار احترام فراوان می کرد، در این هنگام گروهی از بدریون وارد شدند، در حالی که دیگران قبل از آنها اطراف پیامبر صلّی الله علیه و آله را پر کرده بودند، هنگامی که مقابل پیامبر صلّی الله علیه و آله را پر کرده بودند، هنگامی که مقابل پیامبر صلّی الله علیه و آله پاسخ فرمود سپس به حاضران سلام کردند آنها نیز پاسخ گفتند، آنها روی پای خود ایستاده بودند، و منتظر بودند حاضران به آنها جا دهند ولی هیچ کس تکان نخورد! این امر بر پیامبر صلّی الله علیه و آله سخت آمد، رو به بعضی از کسانی که اطراف او نشسته بودند کرد و فرمود: فلان و فلانی برخیزید، چند نفر را از جهاد جا بلند کرد تا واردین بنشینند (و این در حقیقت نوعی ادب آموزی و درس احترام گذاردن به پیش کسوتان در ایمان و جهاد بود.)

ولى اين مطلب بر آن چند نفر كه از جا برخاستند ناگوار آمد، منافقان گفتند:

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسم عـدالت را رعایت نکرد! در اینجا آیه نازل شـد و قسـمتی از آداب نشسـتن در مجالس را برای آنها شرح داد. احترام به پیش کسوتان در مجالس در تعقیب دستوری که در آیات گذشته در مورد ترک نجوا در مجالس، و محدود ساختن آن به موارد معین آمده، در این آیه یکی دیگر از آداب مجلس را بازگو کرده، میفرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! هنگامی که به شما گفته شود:

مجلس را وسعت بخشيد (و به تازه واردها جا دهيد) وسعت بخشيد» (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجالِسِ فَافْسَحُوا).

که اگر چنین کنید: «خداوند (بهشت را) برای شما وسعت می بخشد» و در برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۲۶ این جهان نیز به قلب و جان و رزق و روزی شما وسعت می دهد (یفسح الله لکم).

و از آنجا که گاهی مجلس آن چنان مملوّست که بدون برخاستن بعضی جا برای دیگران پیدا نمی شود، و یا اگر جائی پیدا می شود مناسب حال آنها نیست در ادامه آیه می افزاید: «و هنگامی که گفته شود: برخیزید برخیزید» (و اذا قبل انشزوا فانشزوا). نه تعلل جوئید و نه به هنگامی که بر می خیزید ناراحت شوید، چرا که گاه تازه واردها از شما برای نشستن سزاوار ترند به خاطر خستگی مفرط، یا کهولت سن، و یا احترام خاصی که دارند، و یا جهات دیگر.

سپس به بیان پاداش انجام این دستور الهی پرداخته می افزاید: اگر چنین کنید «خداوند کسانی را که ایمان آورده اند و کسانی را که علم به آنها داده شده درجات عظیمی می بخشد» (یرفع الله الذین آمنوا منکم و الذین او توا العلم درجات).

اشاره به این که اطاعت این دستورات دلیل بر ایمان و علم و آگاهی است، و نیز اشاره به این که اگر پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله به بعضی دستور داد از جا برخیزند و به تازه واردان جا دهند برای یک هدف مقدس الهی و احترام به پیشگامان در ایمان و علم بوده است.

و از آنجا که گروهی این آداب را با طیب خاطر و از صمیم دل انجام میدهند، و گروه دیگری با کراهت و ناخشنودی، یا برای ریا و تظاهر، در پایان آیه میافزاید:

«و خداوند به آنچه انجام می دهید آگاه است» (و الله بما تعملون خبیر).

این آیه نشان میدهد آنچه مقام آدمی را نزد خدا بالا میبرد، دو چیز است:

ايمان و علم.

سورة المجادلة (58): آية 12 ص: 178

اشاره

(آیه ۱۲)

شأن نزول: ص: 126

نقل کردهاند: جمعی از اغنیاء خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله میآمدند و با او نجوا می کردند (این کار علاوه بر این که وقت گرانبهای پیغمبر صلّی الله علیه و آله را می گرفت مایه نگرانی مستضعفین و موجب امتیازی برای اغنیاء بود) در اینجا این آیه نازل شد و به آنها دستور داد که قبل از نجوا کردن با پیامبر صلّی الله علیه و آله صدقهای به مستمندان بپردازند، اغنیاء وقتی چنین دیدند از نجوا خودداری کردند. آیه بعد نازل برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۲۷

شـد (و آنهـا را ملاـمت کرد و حکم آیه اول را نسـخ نمود) و اجازه نجوا به همگان داد- ولی نجوا در مورد کار خیر و اطاعت پروردگار.

تفسير: ص: ١٢٧

یک آزمون جالب! در بخشی از آیات گذشته سخن از مسأله نجوا بود، باز همین بحث را ادامه داده، نخست میفرماید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! هنگامی که میخواهید با رسول خدا نجوا کنید پیش از نجوایتان صدقهای در راه خدا بدهید» (یا ایها الذین آمنوا اذا ناجیتم الرسول فقدموا بین یدی نجواکم صدقهٔ).

سپس می افزاید: «این برای شما بهتر و پاکیزه تر است» (ذلک خیر لکم و اطهر).

این صدقه هم برای متمکنان «خیر» بود، زیرا موجب ثوابی می شد، و هم برای نیازمندان، چرا که وسیله کمکی به آنها محسوب می گشت.

و اما «اطهر» بودنش از این نظر بود که قلوب اغنیا را از حب مال میشست، و قلوب نیازمندان را از کینه و ناراحتی.

ولی از آنجا که اگر وجوب صدقه قبل از نجوا عمومیت میداشت فقرا از طرح مسائل مهم یا نیازهای خود در برابر پیامبر صلّی الله علیه و آله به صورت نجوا محروم میشدند، در ذیل آیه حکم صدقه را از این گروه برداشته، میفرماید: «و اگر توانائی نداشته باشید خداوند آمرزنده و مهربان است» (فان لم تجدوا فان الله غفور رحیم).

و به این ترتیب آنها که تمکن مالی داشتند دادن صدقه قبل از نجوا برای آنان واجب بود، و آنها که نداشتند بدون آن می توانستند با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نجوا کنند.

سورة المجادلة(58): آية ١٣ ص: ١٢٧

(آیه ۱۳) – جالب این که دستور فوق تأثیر عجیبی گذاشت و آزمون جالبی شد و همگی جز یک نفر از دادن صدقه و نجوا خودداری کردند، و او امیر مؤمنان علی علیه السّ لام بود اینجا بود که آنچه لازم بود روشن شود شد و آنچه باید مسلمانان از این دستور بفهمند و درس گیرند گرفتند.

لذا آیه مورد بحث نازل گردید و این حکم را نسخ کرد و فرمود: «آیا ترسیدید برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۲۸ فقیر شوید که از دادن صدقات قبل از نجوا خودداری کردید»؟! (أ أشفقتم أن تقدموا بین یدی نجواکم صدقات).

معلوم می شود حب مال در دل شما از علاقه به نجوای پیامبر صلّی الله علیه و آله بیشتر است، و نیز معلوم می شود در این نجواها غالبا مسائل حیاتی مطرح نمی شد، و گر نه چه مانعی داشت که این گروه قبل از نجوا صدقهای می دادند و نجوا می کردند، بخصوص این که مقدار خاصی برای صدقه نیز تعیین نشده بود و می توانستند با مبلغ کمی این مشکل را حل کنند.

سپس مى افزايد: «اكنون كه اين كار را نكرديد (و خود به تقصير خويشتن پى برديد) و خداوند توبه شما را پذيرفت، نماز را بر پا داريد و زكات را ادا كنيد، و خدا و پيامبرش را اطاعت نماييد، و (بدانيد) خداوند از آنچه انجام مى دهيد با خبر است» (فاذ لم تفعلوا و تاب الله عليكم فاقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اطيعوا الله و رسوله و الله خبير بما تعملون).

سورة المجادلة(58): آية ١٤ ص: ١٢٨

(آیه ۱۴) – حزب شیطان! در اینجا بخشی از توطئه های منافقان را بر ملا می سازد، و آنها را با نشانه هایشان به مسلمانان معرفی می کند، و ذکر این معنی بعد از آیات نجوا شاید به این مناسبت است که در میان نجوا کنندگان با پیامبر صلّی الله علیه و آله افراد منافقی نیز وجود داشتند که از این کار به عنوان پوششی برای توطئه های خود و اظهار نزدیکی به پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله استفاده می کردند همین امر سبب شد که قرآن به صورت یک امر کلی با آن برخورد کند.

نخست مىفرمايىد: «آيا نديىدى كسانى را كه طرح دوستى با گروهى كه مورد غضب خىدا بودند ريختند»؟! (ا لم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم).

سپس مى افزايد: «آنها نه از شما هستند و نه از آنان» يهود (ما هم منكم و لا منهم).

نه در مشکلات و گرفتاریها یاور شما هستند، و نه دوست صمیمی آنها، بلکه منافقانی هستند که هر روز چهره عوض می کنند، و هر لمحه به شکلی در می آیند.

باز در ادامه همین سخن می افزاید: «سوگند دروغ یاد می کنند (که از شما برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۲۹ هستند) در حالی که خودشان می دانند» دروغ می گویند (و یحلفون علی الکذب و هم یعلمون).

این راه و رسم منافقان است که پیوسته برای پوشانیدن چهره زشت و منفور خود به سوگندهای دروغ پناه میبرند، در حالی که عملشان بهترین معرف آنهاست.

سورة المجادلة(58): آية 18 ص: 129

(آیه ۱۵)- بعد به عذاب دردناک این منافقان لجوج اشاره کرده، میفرماید:

«خداوند عذاب شدیدی برای آنها فراهم ساخته است» (اعد الله لهم عذابا شدیدا).

و بدون شک این عذاب عادلانه است «چرا که آنها اعمال بدی انجام میدادند» (انهم ساء ما کانوا یعملون).

سورة المجادلة(58): آية 16 ص: 129

(آیه ۱۶)- سپس برای توضیح بیشتر در مورد نشانههای این منافقان می گوید: «آنها سو گندهای خود را سپری قرار دادنـد و مردم را از راه خدا باز داشتند» (اتخذوا ایمانهم جنهٔ فصدوا عن سبیل الله).

قسم یاد می کنند که مسلمانند و هدفی جز اصلاح ندارند در حالی که زیر پوشش این قسم به انواع فساد و خرابکاری و توطئه مشغولند، و در حقیقت از نام مقدس خدا برای جلوگیری از راه خدا بهره می گیرند.

و در پایان آیه می افزاید: «از این رو برای آنان عذاب خوار کننده ای است» (فلهم عذاب مهین).

آنها میخواستند با این سوگندهای دروغین آبرو برای خود فراهم کنند ولی خدا آنها را به عذاب خوار کننده و شدیدی مبتلا

سورة المجادلة(58): آية 17 ص: 129

(آیه ۱۷) - و از آنجا که منافقان غالبا به اموال و فرزندان (سرمایه های اقتصادی و نیروهای انسانی) خود برای حل مشکلات تکیه می کنند قرآن در این آیه می گوید، «هر گز اموال و اولادشان، آنها را از عذاب الهی حفظ نمی کند» (لن تغنی عنهم اموالهم و لا اولادهم من الله شیئا).

بلکه همین اموال طوق لعنتی برگردن آنها می شود و مایه عذاب دردناکشان.

و باز در پایان آیه آنها را با این جمله تهدیـد می کنـد: «آنها اهل آتشـند و جاودانه در آن میماننـد» (اولئک اصـحاب النار هم فیها خالدون).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۳۰

سورة المجادلة (58): آية 18 ص: 130

(آیه ۱۸) – و عجب این که این منافقان در قیامت هم دست از منافقگری خود بر نمی دارند چنانکه در این آیه می فرماید: به خاطر بیاورید «روزی را که خداوند همه آنها را بر می انگیزد (و اعمالشان را بر آنها عرضه می دارد و در دادگاه عدلش از آنها سؤال می کند) ولی آنان برای خدا نیز سوگند (دروغ) یاد می کنند همان گونه که (امروز) برای شما یاد می کنند» (یوم یبعثهم الله جمیعا فیحلفون له کما یحلفون لکم).

قیامت تجلیگاه اعمال و روحیات انسان در این دنیاست، و از آنجا که منافقان این روحیه را همراه خود به قبر و برزخ بردهاند در صحنه قیامت نیز آشکار میشود، و بر طبق عادت گذشته سوگند دروغین یاد میکنند.

سپس می افزاید: «و گمان می کنند کاری می توانند انجام دهند» (و یحسبون انهم علی شیء). ولی این یک پندار موهوم و خیالی خام بیش نیست! و سر انجام آیه را با این جمله پایان می دهد: «بدانید آنها دروغگویانند» (الا انهم هم الکاذبون). و به این ترتیب کوس رسوائی آنها را همه جا می زنند.

سورة المجادلة(58): آية 19 ص: 130

(آیه ۱۹)- در این آیه سرنوشت نهائی این منافقان تیره دل را چنین بیان می کند: «شیطان بر آنها مسلط شده، و یاد خدا را از خاطر آنها برده است» (استحوذ علیهم الشیطان فانساهم ذکر الله).

به همين دليل «آنان حزب شيطانند» (اولئك حزب الشيطان).

«بدانید حزب شیطان زیانکارانند» (ألا ان حزب الشیطان هم الخاسرون).

آری! منافقان دروغگو و مغرور به مال و مقام سرنوشتی جز این ندارند که دربست در اختیار شیطان و وسوسه های او قرار می گیرند، و خدا را بکلی فراموش می کنند، نه تنها منحرف می شوند که در زمره عمّال شیطان و اعوان و انصار لشکر و حزب او برای گمراه ساختن دیگران قرار می گیرند.

سورة المجادلة(58): آية 20 ص: 130

(آیه ۲۰)- در ادامه بیان صفات و نشانه های منافقان در اینجا که آخرین آیات سوره مجادله است نشانه های دیگری از آنها را مطرح می کند، و سرنوشت حتمی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۳۱

آنها را که شکست و نابودی است روشن میسازد.

نخست مىفرمايد: «كسانى كه با خدا و رسولش دشمنى مىكنند آنها در زمره ذليل ترين افرادنـد» (ان الـذين يحادون الله و رسوله اولئك فى الاذلين).

سورة المجادلة(٥٨): آية ٢١ ص: ١٣١

(آیه ۲۱)- این آیه در حقیقت دلیلی است برای این معنی، میفرماید: «خدا چنین مقرّر داشته که من و رسولانم پیروز میشویم» (کتب الله لاغلبن انا و رسلی).

و هیچ شک و تردیدی در آن نیست.

«چرا (چنین نباشد، در حالی) که خداوند قوی و شکست ناپذیر است» (ان الله قوی عزیز).

به همان اندازه که خداوند قدر تمند است دشمنانش ضعیف و ذلیلند، و اگر می بینیم در آیه قبل تعبیر به «اذلین» (ذلیل ترین افراد) شده دلیلش همین بوده است.

در طول تاریخ این پیروزی فرستادگان الهی در چهرههای گوناگونی نمایان شده: در عذابهای مختلفی همچون طوفان نوح، و صاعقه عاد و ثمود، و زلزلههای ویرانگر قوم لوط، و مانند آن، و در پیروزی در جنگهای مختلف، مانند غزوات «بدر» و «حنین» و فتح «مکه» و سایر غزوات پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله.

و از همه مهمتر پیروزی منطقی آنها بر مکاتب شیطانی و دشمنان حق و عدالت بوده است.

صورت امداد و توفیق است، و بعضی به صورت نتیجه و سر انجام کار بیان می کند.

سورة المجادلة(58): آية 22 ص: 131

(آیه ۲۲) - در این آیه که آخرین آیه از سوره مجادله، و از کوبنده ترین آیات قرآن است، به مؤمنان هشدار می دهد که جمع میان «محبت خدا» و «محبت دشمنان خدا» در یک دل ممکن نیست، و باید از میان این دو یکی را بر گزینند، اگر راستی مؤمنند باید از دوستی دشمنان خدا بپرهیزند و الا ادعای مسلمانی نکنند! می فرماید: «هیچ گروهی را که ایمان به خدا و روز قیامت دارند نمی یابی که با دشمنان خدا و رسولش دوستی کنند، هر چند پدران یا فرزندان یا برادران یا خویشاوندانشان باشند» (لا تجد قوما یؤمنون بالله و الیوم الآخر یوادون من حاد الله و رسوله و لو کانوا آباء هم او ابناء هم او اخوانهم او عشیرتهم). محبت پدران و فرزندان و برادران و اقوام بسیار خوب است، و نشانه زنده بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۳۲ بودن عواطف انسانی است، اما هنگامی که این محبت رو در روی محبت خدا قرار گیرد ارزش خود را از دست می دهد. سپس به پاداشهای بزرگ این گروه که قلبشان بطور کامل در اختیار عشق خداست پرداخته، و پنج موضوع را که بعضی به

در بیان قسمت اول و دوم می فرماید: «آنها کسانی هستند که خدا ایمان را بر صفحه دلهایشان نوشته، و با روحی از ناحیه

خودش آنان را تقویت فرموده است» (اولئک کتب فی قلوبهم الایمان و ایدهم بروح منه).

و در سومین مرحله می فرماید: «خداوند آنها را در باغهائی از بهشت داخل می کند که نهرها از زیر (درختانش) جاری است، جاودانه در آن می مانند» (و یدخلهم جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها).

و در چهارمین مرحله می افزاید: «خداوند از آنها خشنود است و آنها نیز از خداوند خشنودند» (رضی الله عنهم و رضوا عنه). در برابر مواهب مادّی قیامت و جنات و حور و قصور این بزرگترین پاداش روحانی است که به این گروه از مؤمنان داده

احساس رضایت مولا و معبودشان که آنها را پذیرفته، لذتبخش ترین احساسی است که به آنها دست میدهد، و نتیجهاش خشنودی کامل آنها از خداست.

و در آخرین مرحله به صورت یک اعلام عمومی- که حاکی از نعمت و موهبت دیگری است- میفرماید: «آنها حزب اللهاند، بدانید حزب الله عنور الله الله الله الله بیروزان و رستگارانند» (اولئک حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون).

نه تنها پیروزی در سرای دیگر و نیل به انواع نعمتهای مادی و معنوی در قیامت، بلکه همان گونه که در آیات قبل آمد در این دنیا نیز به لطف الهی بر دشمنان پیروزند، و در پایان جهان نیز حکومت حق و عدالت در دست آنهاست.

«پایان سوره مجادله»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۳۳

سوره حشر [39] ص: ۱۳۳

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۲۴ آیه است

محتواي سوره: ص: 133

این سوره- که بیشتر ناظر به داستان مبارزه مسلمانان با جمعی از یهود به نام «یهود بنی نضیر» است- از سوره های مهم و بیدار گر و تکان دهنده قرآن مجید است، و تناسب بسیار نزدیکی با آخرین آیات سوره قبل دارد که وعده پیروزی در آن به «حزب الله» داده شده است.

محتوای این سوره را می توان در شش بخش خلاصه کرد:

در بخش اول که تنها یک آیه است سخن از تسبیح و تنزیه عمومی موجودات در برابر خداوند عظیم و حکیم است.

در بخش دوم که از آیه ۲ تا ۱۰ میباشد ماجرای در گیری مسلمانان را با یهود پیمان شکن مدینه بازگو میکند.

در بخش سوم که از آیه ۱۱ تا ۱۷ را تشکیل میدهـد داسـتان منافقـان مـدینه آمـده است که با یهود در این برنامه همکاری نزدیک داشتند.

بخش چهارم مشتمل بر یک سلسله اندرزها و نصایح کلی نسبت به عموم مسلمانان است.

بخش پنجم که فقط یک آیه است، توصیف بلیغی است از قرآن.

و بالاخره در بخش ششم قسمت مهمی از اوصاف جمال و جلال خدا و اسماء حسنای او را بر می شمرد که به انسان در طریق معرفهٔ الله کمک شایان می کند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۳۴

ضمنا نام این سوره از آیه دوم آن گرفته شده که سخن از «حشر» یعنی اجتماع یهود برای کوچ کردن از مدینه، و یا حشر مسلمین برای بیرون راندن آنها به میان آمده است.

و بالاخره این سوره نیز یکی از سورههای «مسبّحات» است، که با تسبیح خداوند شروع شده، و اتفاقا پایان آن نیز با تسبیح الهی است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 134

در حدیثی از پیغمبر گرامی صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «هر کس سوره حشر را بخواند تمام بهشت و دوزخ و عرش و کرسی و حجاب و آسمانها و زمینهای هفتگانه و حشرات و بادها و پرندگان و درختان و جنبندگان و خورشید و ماه و فرشتگان همگی بر او رحمت میفرستند، و برای او استغفار می کنند، و اگر در آن روز یا در آن شب بمیرد شهید مرده است». بدون شک اینها همه آثار اندیشه در محتوای سوره است که از قرائت آن ناشی می شود و در زندگی انسان پرتو افکن می گردد.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الحشر(59): آية 1 ص: 134

اشاره

(آیه ۱)

شأن نزول: ص: ۱۳۴

در مورد نزول پنج آیه اول این سوره شأن نزول مفصلی ذکر کردهاند که فشرده آن چنین است:

در سرزمین مدینه سه گروه از یهود زندگی می کردند «بنی نضیر» و «بنی قریظه» و «بنی قینقاع» و گفته می شود که آنها اصلا اهل حجاز نبودند ولی چون در کتب مذهبی خود خوانده بودند که پیامبری از سرزمین مدینه ظهور می کند به این سرزمین کوچ کردند، و در انتظار این ظهور بزرگ بودند.

هنگامی که رسول خـدا صـلّی اللّه علیه و آله به مدینه هجرت فرمود با آنها پیمان عدم تعرض بست، ولی آنها هر زمان فرصتی یافتند از نقض این پیمان فروگذار نکردند.

از جمله این که بعد از جنگ «احد»- غزوه احد در سال سوم هجرت واقع شد- «کعب بن اشرف» با چهل مرد سوار از یهود به مکّه آمدند و یکسر به سراغ برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۳۵

قریش رفتند و با آنها عهد و پیمان بستند که همگی متحدا بر ضد محمّد صلّی اللّه علیه و آله پیکار کنند.

این خبر از طریق وحی به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسید.

دیگر این که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله روزی با چند نفر از بزرگان و یارانش به سوی قبیله بنی نضیر که در نزدیکی مدینه زندگی میکردند آمد و میخواست از آنها کمک یا وامی بگیرد، و شاید پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و یارانش میخواستند در زیر این پوشش وضع «بنی نضیر» را از نزدیک بررسی کنند، مبادا مسلمانان غافلگیر شوند.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در بیرون قلعه یهود بود و با «کعب بن اشرف» در این زمینه صحبت کرد، در این هنگام در میان یهودیان بذر توطئهای پاشیده شد، و با یکدیگر گفتند:

یک نفر پشت بام رود و سنگ عظیمی بر او بیفکند و ما را از دست این مرد راحت کند! یکی از یهود اعلام آمادگی کرد و به پشت بام رفت.

رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله از طریق وحی آگاه شد برخاست و به مدینه آمد، و اینجا بود که پیمان شکنی یهود بر رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله مسلم شد، و دستور آماده باش برای جنگ به مسلمانان داد.

در بعضی از روایات نیز آمده که یکی از شعرای بنی نضیر به هجو و بدگوئی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله پرداخت و این خود دلیل دیگری بر پیمان شکنی آنها بود.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله برای این که ضربه کاری قبلا به آنها بزند به «محمّد بن مسلمه» که با «کعب بن اشرف» بزرگ یهود آشنائی داشت دستور داد او را به هر نحو بتواند به قتل برساند و او با مقدماتی این کار را کرد.

کشته شدن «کعب بن اشرف» تزلزلی در یهود ایجاد کرد. به دنبال آن رسول خدا صلّی الله علیه و آله دستور داد مسلمانان برای جنگ با این قوم پیمان شکن حرکت کنند، هنگامی که آنها با خبر شدند، به قلعههای مستحکم و دژهای نیرومند خود پناه بردند، و درها را محکم بستند، پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور داد بعضی درختان نخل را که نزدیک قلعهها بود بکنند یا بسوزانند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۳۶

این کار فریاد یهود را بلند کرد گفتند: ای محمّد! تو پیوسته از این گونه کارها نهی میکردی، پس این چه برنامهای است؟ آیه پنجم این سوره نازل شد و به آنها پاسخ گفت که این یک دستور خاص الهی بود.

محاصره چند روز طول کشید و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله برای پرهیز از خونریزی به آنها پیشنهاد کرد که سرزمین مدینه را ترک گوینـد آنهـا نیز پذیرفتنـد، مقـداری از اموال خود را برداشـته و بقیه را رهـا کردنـد باقیمانـده اموال و اراضـی و باغات و خانههای آنها به دست مسلمانان افتاد.

تفسیر: ص: ۱۳۶

این سوره با تسبیح و تنزیه خداوند و بیان عزت و حکمت او شروع می شود، می فرماید: «آنچه در آسمانها و زمین است برای خدا تسبیح می گوید، و او عزیز و حکیم است» (سبح لله ما فی السماوات و ما فی الارض و هو العزیز الحکیم).

و این در حقیقت مقدمهای است برای بیان سر گذشت یهود «بنی نضیر» همانها که در شناخت خدا و صفاتش گرفتار انواع انحرافات بودند.

تسبیح عمومی موجودات زمین و آسمان اعم از فرشتگان و انسانها و حیوانات و گیاهان و جمادات ممکن است با زبان قال باشد یا با زبان حال، چرا که نظام شگفت انگیزی که در آفرینش هر ذرهای به کار رفته با زبان حال بیانگر علم و قدرت و

عظمت و حكمت خداست.

و از سوی دیگر به عقیده جمعی از دانشمندان هر موجودی در عالم خود سهمی از عقل و درک و شعور دارد هر چند ما از آن آگاه نیستیم، و به همین دلیل با زبان خود تسبیح خدا می گوید، هر چند گوش ما توانایی شنوائی آن را ندارد.

سورة الحشر(٥٩): آية ٢ ص: ١٣٦

(آیه ۲)- بعد از بیان این مقدمه به داستان رانده شدن یهود بنی نضیر از مدینه پرداخته، میفرماید: «او (خداوند) کسی است که کافران اهل کتاب را در نخستین برخورد (با مسلمانان) از خانه هایشان بیرون راند»! (هو الذی اخرج الذین کفروا من اهل الکتاب من دیارهم لاول الحشر). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۳۷

منظور از «حشر» در اینجا اجتماع و حرکت مسلمانان از مدینه به سوی قلعه های یهود، و یا اجتماع یهود برای مبارزه با مسلمین است، و از آنجا که این نخستین اجتماع در نوع خود بود در قرآن به عنوان «لأوّل الحشر» نامیده شده، و این خود اشاره لطیفی است به برخوردهای آینده با یهود «بنی نضیر» و یهود «خیبر» و مانند آنها.

سپس می افزاید: «شما هر گز گمان نمی کردید که آنها (از این دیار) خارج شوند و خودشان نیز گمان می کردند که دژهای محکمشان آنان را از عذاب الهی مانع می شود» (ما ظننتم ان یخرجوا و ظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله).

آنها چنان مغرور و از خود راضی بودند که تکیه گاهشان دژهای نیرومند و قدرت ظاهریشان بود، ولی از آنجا که خدا میخواست بر همه روشن سازد که چیزی در برابر اراده او قدرت مقاومت ندارد حتی بدون آن که جنگی رخ دهد آنها را از آن سرزمین بیرون راند! لذا در ادامه آیه می فرماید: «اما خداوند از آنجا که گمان نمی کردند به سراغشان آمد، و در دلهایشان ترس و وحشت افکند، به گونهای که خانههای خود را با دست خویش و با دست مؤمنان ویران می کردند» (فاتاهم الله من حیث لم یحتسبوا و قذف فی قلوبهم الرعب یخربون بیوتهم بایدیهم و ایدی المؤمنین).

آری! خدا این لشکر نامرئی، یعنی لشکر ترس را که در بسیاری از جنگها به یاری مؤمنان میفرستاد بر قلب آنها چیره کرد، و مجال هرگونه حرکت و مقابله را از آنها سلب نمود، آنها خود را برای مقابله با لشکر برون آماده کرده بودند بیخبر از آن که خداوند لشکری از درون به سراغشان میفرستد.

و در پایان آیه به عنوان یک نتیجه گیری کلی میفرماید: «پس عبرت بگیرید ای صاحبان چشم»! (فاعتبروا یا اولی الابصار).

سورة الحشر(٥٩): آية ٣ ص: ١٣٧

(آیه ۳)- این آیه می افزاید: «و اگر نه این بود که خداوند ترک وطن را بر آنان مقرّر داشته بود آنها را در همین دنیا مجازات می کرد» (و لو لا ان کتب الله علیهم الجلاء لعذبهم فی الدنیا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۳۸

بدون شک جلای وطن و رها کردن قسمت عمده سرمایه هائی که یک عمر فراهم کرده بودند خود برای آنها عذابی دردناک به د.

بنابر این منظور از جمله فوق این است که اگر این عـذاب برای آنها مقـدر نشـده بود عـذاب دیگری که همان قتل و اسارت به دست مسلمانان بود بر سـر آنها فرود می آمـد، خـدا میخواست آنها در جهان آواره شونـد، و ای بسا این آوارگی برای آنها دردناکتر بود، زیرا هر وقت به یاد آن همه دژها و خانههای مجلل و مزارع و باغات خود می افتادنـد که در دست دیگران اسـت و خودشان بر اثر پیمان شکنی و توطئه بر ضد پیامبر خدا صلّی اللّه علیه و آله در مناطق دیگر محروم و سرگردانند گرفتار آزار و شکنجههای روحی فراوانی میشدند.

اما این تنها عـذاب دنیای آنها بود، لـذا در پایان این آیه میافزایـد: «و برای آنها در آخرت نیز عـذاب آتش است» (و لهم فی الآخرهٔ عذاب النار).

چنین است دنیا و آخرت کسانی که پشت پا به حق و عدالت زنند و بر مرکب غرور و خودخواهی سوار گردند.

سورة الحشر (٥٩): آية 4 ص: ١٣٨

(آیه ۴) – و از آنجا که ذکر این ماجرا علاوه بر بیان قدرت پروردگار و حقانیت پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله باید هشداری برای تمام کسانی باشد که اعمالی مشابه یهود بنی نضیر دارند تا مسأله در آنها خلاصه نشود در این آیه مطلب را تعمیم داده، می افزاید: «این مجازات (دنیا و آخرت) از آن جهت دامنگیرشان شد که با خدا و رسولش به دشمنی برخاستند» (ذلک بانهم شاقوا الله و رسوله).

«و هر كس به دشمنى با خدا برخيزد (خداوند مجازاتش مىكند زيرا) خدا مجازات شديدى دارد» (و من يشاق الله فان الله شديد العقاب).

سورة الحشر (٥٩): آية ٥ ص: ١٣٨

(آیه ۵) - در این آیه به پاسخ ایرادی می پردازد که یهود بنی نضیر - چنانکه در شأن نزول نیز گفتیم - به پیامبر صلّی الله علیه و آله متوجه می ساختند، در آن موقع که دستور داد قسمتی از نخلهای نزدیک قلعههای محکم یهود را ببرند (تا محل کافی برای نبرد باشد، یا برای این که یهود ناراحت شوند و از قلعهها بیرون آیند و در گیری در خارج قلعه روی دهد). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۳۹

آنها گفتند: ای محمّد! مگر تو نبودی که از این گونه کارها نهی می کردی؟

آیه نازل شد و گفت: «هر درخت با ارزش نخل را قطع یا آن را به حال خود واگذاشتید همه به فرمان خدا بود»! (ما قطعتم من لینهٔ او ترکتموها قائمهٔ علی اصولها فباذن الله).

«و هدف این بود که فاسقان را خوار و رسوا کنند» (و لیخزی الفاسقین).

سورة الحشر (٥٩): آية 6 ص: ١٣٩

اشاره

(آیه ۶)

شأن نزول: ص: 139

از آنجا که این آیه و آیه بعد نیز تکمیلی است بر آیات گذشته، شأن نزول آن نیز ادامه همان شأن نزول است.

توضیح این که: بعد از بیرون رفتن یهود «بنی نضیر» از مدینه، باغها و زمینهای کشاورزی و خانهها و قسمتی از اموال آنها در مدینه باقی ماند، جمعی از سران مسلمین خدمت رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله رسیدند و طبق آنچه از سنت عصر جاهلیت به خاطر داشتند عرض کردند: بر گزیدههای این غنیمت، و یک چهارم آن را برگیر و بقیه را به ما واگذار، تا در میان خود تقسیم کنیم! آیات مورد بحث نازل شد و با صراحت گفت: چون برای این غنائم، جنگی نشده و مسلمانان زحمتی نکشیدهاند تمام آن تعلق به رسول اللّه (رئیس حکومت اسلامی) دارد و او هر گونه صلاح بداند تقسیم می کند.

پیامبر صلّی الله علیه و آله این اموال را در میان مهاجرین که دستهای آنها در سرزمین مدینه از مال دنیا تهی بود و تعداد کمی از انصار که نیاز شدیدی داشتند تقسیم کرد.

تفسير: ص: ١٣٩

حکم غنائمی که بدون جنگ به دست می آید در این آیه حکم غنائم بنی نضیر را بیان می کند، و در عین حال روشنگر یک قانون کلی در زمینه تمام غنائمی است که بدون دردسر و زحمت و رنج عائد جامعه اسلامی می شود که از آن در فقه اسلامی به عنوان «فییء» یاد شده است.

می فرماید: «و آنچه را خدا از آنان [- یهود] به رسولش بازگردانده (و بخشیده) چیزی است که شما برای به دست آوردن آن (زحمتی نکشیدید) نه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۴۰

اسبي تاختيد، و نه شتري» (و ما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل و لا ركاب).

سپس می افزاید: چنان نیست که پیروزیها همیشه نتیجه جنگهای شما باشد، «ولی خداوند رسولان خود را بر هر کس بخواهد مسلّط می سازد، و خدا بر همه چیز تواناست» (و لکن الله یسلط رسله علی من یشاء و الله علی کل شیء قدیر).

آری! پیروزی بر دشمن سرسخت و نیرومندی همچون یهود بنی نضیر با امدادهای غیبی خداوند صورت گرفت، تا بدانید خداوند بر همه چیز قادر است، اینجاست که مسلمانان می توانند در چنین میدانهائی هم درس معرفهٔ الله بیاموزند، و هم نشانههای حقانیت پیامبر صلّی الله علیه و آله را ببینند، و هم برنامه اخلاص و اتکاء به ذات پاک خدا را در تمام مسیر راهشان یاد گیرند.

سورة الحشر(٥٩): آية ٧ ص: ١٤٠

(آیه ۷)- این آیه مصرف «فیئ» را که در آیه قبل آمده است به وضوح بیان می کند و به صورت یک قاعده کلی می فرماید: «آنچه را خداوند از اهل این آبادیها به رسولش بازگرداند، از آن خدا، و رسول، و خویشاوندان او و یتیمان و مستمندان و در راه ماندگان است» (ما افاء الله علی رسوله من اهل القری فلله و للرسول و لذی القربی و الیتامی و المساکین و ابن السبیل).

یعنی این همانند غنائم جنگهای مسلحانه نیست که تنها یک پنجم آن در اختیار پیامبر صلّی الله علیه و آله و سایر نیازمندان قرار گیرد، و چهار پنجم از آن جنگجویان باشد.

و نیز اگر در آیه قبل گفته شـد که تمام آن متعلق به رسول خـداست مفهومش این نیست که تمام آن را در مصارف شخصـی

صرف کند، بلکه چون رئیس حکومت اسلامی، و مخصوصا مدافع و حافظ حقوق نیازمندان است قسمت عمده را در مورد آنها مصرف می کند.

پس این مصارف ششگانه ذکر اولویتهائی است که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در مورد اموالی که در اختیار دارد بایـد رعایت کند، و به تعبیر دیگر پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله این همه ثروت را برای شخص خودش نمیخواهد بلکه به عنوان رهبر و رئیس حکومت اسلامی در برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۴۱

هر موردي لازم است مصرف مي كند.

این نکته نیز قابل توجه است که این حق بعد از پیامبر صلّی الله علیه و آله به امامان معصوم علیهم السّلام و بعد از آنها به نواب آنها یعنی مجتهدان جامع الشرایط میرسد، چرا که احکام اسلام تعطیل بردار نیست، و حکومت اسلامی از مهمترین مسائلی است که مسلمانان با آن سر و کار دارند و قسمتی از پایههای این حکومت بر مسائل اقتصادی نهاده شده است و بخشی از مسائل اقتصادی اصیل اسلامی همینهاست.

سپس به فلسفه این تقسیم حساب شده پرداخته، می افزاید: این به خاطر آن است «تا (این اموال عظیم) در میان ثروتمندان شما دست به دست نگردد» و نیازمندان از آن محروم نشوند! (کی لا یکون دولهٔ بین الاغنیاء منکم).

این آیه یک اصل اساسی را در اقتصاد اسلامی بازگو می کند و آن این که جهت گیری اقتصاد اسلامی چنین است که در عین احترام به «مالکیت خصوصی» برنامه را طوری تنظیم کرده که اموال و ثروتها متمرکز در دست گروهی محدود نشود که پیوسته در میان آنها دست به دست بگردد.

و در پایان آیه می فرماید: «آنچه را رسول خدا برای شما آورده بگیرید (و اجرا کنید) و آنچه نهی کرده خودداری نمائید و از (مخالفت) خدا بپرهیزید که خداوند کیفرش شدید است» (و ما آتاکم الرسول فخذوه و ما نهاکم عنه فانتهوا و اتقوا الله ان الله شدید العقاب).

این جمله هر چند در ماجرای غنائم بنی نضیر نازل شده، ولی محتوای آن یک حکم عمومی در تمام زمینه ها و برنامه های زندگی مسلمانهاست، و سند روشنی است برای حجت بودن سنت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و بر طبق این اصل همه مسلمانان موظفند اوامر و نواهی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را به گوش جان بشنوند و اطاعت کنند، خواه در زمینه مسائل مربوط به حکومت اسلامی باشد یا غیر آن.

سورة الحشر(٥٩): آية ٨ ص: ١٤١

(آیه ۸)- سه گروه مهاجران و انصار و تابعان و صفات برجسته هر کدام! قرآن همچنان بحث آیات گذشته پیرامون مصارف ششگانه «فییء»- اموال برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۴۲

و غنائمی که بـدون جنگ عائـد مسـلمین میشود- را ادامه میدهد، که در حقیقت تفسـیری برای یتیمان و مسـکینها و بیش از همه تفسیر «ابن السبیل» است.

مى فرمايد: اين اموال «براى فقيران مهاجرانى است كه از خانه و كاشانه و اموال خود بيرون رانده شدند» (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم و اموالهم).

«آنهـا فضـل خداونـد و رضـای او را میطلبنـد و خـدا و رسولش را یاری میکننـد، آنها راسـتگویانند» (یبتغون فضـلا من الله و

رضوانا و ينصرون الله و رسوله اولئك هم الصادقون).

در اینجا سه وصف مهم برای مهاجران نخستین بیان کرده که در «اخلایس» و «جهاد مستمر» و «صدق همه جانبه» خلاصه می شود.

سورة الحشر(٥٩): آية 9 ص: ١٤٢

(آیه ۹) - در این آیه به یکی دیگر از مصارف این اموال پرداخته، و در ضمن آن توصیف بسیار جالب و بلیغی در باره طایفه انصار می کند، و بحثی را که در آیه قبل در باره مهاجران بود با آن تکمیل نموده، می فرماید: «و برای کسانی است که در این سرا [- سرزمین مدینه] و در سرای ایمان پیش از مهاجران مسکن گزیدند» (و الذین تبوؤا الدار و الایمان من قبلهم).

تعبیر به «تبوّءوا» نشان می دهد که انصار نه تنها خانه های ظاهری را آماده پذیرائی مهاجران کردند که خانه دل و جان و محیط شهر خود را تا آنجا که می توانستند آماده ساختند و اینها همه قبل از هجرت مسلمانان مکه بوده است، و مهم همین است.

سپس به سه توصیف دیگر که بیانگر کل روحیات انصار میباشد پرداخته، چنین میگوید: آنها چنان هستند که: «هر مسلمانی را به سویشان هجرت کند دوست میدارند» (یحبون من هاجر الیهم).

و در این زمینه تفاوتی میان مسلمانان از نظر آنها نیست، بلکه مهم نزد آنان مسأله ایمان و هجرت است، و این دوست داشتن یک ویژگی مستمر آنها محسوب می شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۴۳

دیگر این که: «و در دل خود نیازی به آنچه به مهاجران داده شده احساس نمی کنند» (و لا یجدون فی صدورهم حاجهٔ مما اوتوا).

نه چشم داشتی به غنائمی که به آنها داده شده است دارند، و نه نسبت به آنها حسد میورزند و نه حتی در درون دل احساس نیاز به آنچه به آنها اعطا شده می کنند.

و در مرحله سوم می افزاید: «و آنها را بر خود مقدم می دارند هر چند خودشان بسیار نیازمند باشند» (و یؤثرون علی أنفسهم و لو کان بهم خصاصهٔ).

و به این ترتیب «محبت» و «بلندنظری» و «ایثار» سه ویژگی پرافتخار آنهاست.

«ابن عباس» مفسر معروف اسلامی، می گوید: پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله روز پیروزی بر یهود بنی نضیر به انصار فرمود: «اگر مایل هستید اموال و خانه هایتان را با مهاجران تقسیم کنید، و در این غنائم با آنها شریک شوید، و اگر میخواهید اموال و خانه هایتان از آن شما باشد و از این غنائم چیزی به شما داده نشود»؟! انصار گفتند: هم اموال و خانه هایمان را با آنها تقسیم می کنیم، و هم چشم داشتی به غنائم نداریم، و مهاجران را بر خود مقدم می شمریم، آیه فوق نازل شد و این روحیه عالی آنها را ستود.

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر روی این اوصاف کریمه، و بیان نتیجه آن میافزاید: «و کسانی که از بخل و حرص نفس خویش بازداشته شدهاند، رستگارانند» (و من یوق شح نفسه فاولئک هم المفلحون).

در حدیثی میخوانیم که امام صادق علیه السّد الام فرمود: «شح از بخل شدیدتر است، بخیل کسی است که در مورد آنچه دارد بخل میورزد، ولی شحیح هم نسبت به آنچه در دست مردم است بخل میورزد و هم آنچه خود در اختیار دارد، تا آنجا که هر چه را در دست مردم ببیند آرزو می کند آن را به چنگ آورد، خواه از طریق حلال باشد یا حرام و هر گز قانع به آنچه

سورة الحشر(٥٩): آية 10 ص: ١٤٣

اشاره

(آیه ۱۰) - در این آیه سخن از گروه سومی از مسلمین به میان می آورد که با برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۴۴ الهام از قرآن مجید در میان ما به عنوان «تابعین» معروف شدهاند، و بعد از مهاجران و انصار که در آیات قبل سخن از آنها به میان آمد سومین گروه عظیم مسلمین را تشکیل می دهند.

مىفرمايىد: « (همچنين) كسانى كه بعمد از آنها [- مهاجران و انصار] آمدنىد و مى گوينىد: پروردگارا! ما و برادرانمان را كه در ايمان بر ما پيشى گرفتند بيامرز، و در دلهايمان حسد و كينهاى نسبت به مؤمنان قرار مده، پروردگارا! تو مهربان و رحيمى» (و الذين جاؤ من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم).

به این ترتیب «خودسازی» و «احترام به پیشگامان در ایمان» و «دوری از کینه و حسد» از ویژگیهای آنهاست.

تعبیر به «اخوان» (برادران) و استمداد از خداوند رءوف و رحیم در پایان آیه همه حاکی از روح محبت و صفا و برادری است که بر کل جامعه اسلامی باید حاکم باشد و هر کس هر نیکی را میخواهد تنها برای خود نخواهد.

این آیه تمام مسلمین را تا دامنه قیامت شامل می شود، و بیانگر این واقعیت می باشد که اموال «فییء» منحصر به نیاز مندان مهاجرین و انصار نیست، بلکه سایر نیاز مندان مسلمین را در طول تاریخ شامل می شود.

صحابه در میزان قرآن و تاریخ- ص : ۱۴۴

در اینجا بعضی از مفسران بدون توجه به اوصافی که برای هر یک از «مهاجران» و «انصار» و «تابعین» در آیات فوق آمده باز اصرار دارند که همه «صحابه» را بدون استثنا پاک و منزه بشمرند، و کارهای خلافی که احیانا در زمان خود پیامبر صلّی الله علیه و آله یا بعد از او از بعضی از آنان سرزده با دیده اغماض بنگرند، و هر کس را در صف مهاجران و انصار و تابعین قرار گرفته چشم بسته محترم و مقدس بدانند.

در حالی که آیات فوق پاسخ دندان شکنی به این افراد میدهد، و ضوابط «مهاجران» راستین و «انصار» و «تابعین» را دقیقا معین می کند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۴۵

در «مهاجران» اخلاص، و جهاد، و صدق را می شمرد.

و در «انصار» محبت نسبت به مهاجران، و ایثار، و پرهیز از هر گونه بخل و حرص را ذکر می کند.

و در «تابعین» خودسازی و احترام به پیشگامان در ایمان، و پرهیز از هرگونه کینه و حسد را بیان مینماید.

بنابر این ما در عین احترام به پیشگامان در خط ایمان پرونده اعمال آنها را چه در عصر پیامبر صلّی الله علیه و آله، و چه در طوفانهای شدیدی که بعد از او در جامعه اسلامی در گرفت، دقیقا تحت بررسی قرار میدهیم، و بر اساس معیارهائی که در همین آیات از قرآن دریافته ایم، در باره آنها قضاوت و داوری می کنیم، پیوند خود را با آنها که بر سر عهد و پیمان خود باقی ماندند محکم می سازیم، و از آنها که در عصر پیامبر صلّی الله علیه و آله یا بعد از او رابطه خود را گسستند می بریم، این است یک منطق صحیح و هماهنگ با حکم قرآن و عقل.

سورة الحشر(٥٩): آية ١١ ص: ١٤٥

اشاره

(آیه ۱۱)

شأن نزول: ص: 145

جمعی از منافقان مدینه مانند «عبد الله بن ابی» و یارانش مخفیانه کسی را به سراغ یهود «بنی نضیر» فرستادند و گفتند: شما محکم در جای خود بایستید، از خانه های خود بیرون نروید، و دژهای خود را محکم سازید، ما دو هزار نفر یاور از قوم خود و دیگران داریم و تا آخرین نفس با شما هستیم، طایفه بنی قریظه و سایر هم پیمانهای شما از قبیله غطفان نیز با شما همراهی می کنند.

همین امر سبب شد که یهود بنی نضیر بر مخالفت پیامبر صلّی الله علیه و آله تشویق شوند، اما در این هنگام یکی از بزرگان بنی نضیر به نام «سلام» به «حی بن اخطب» که سرپرست برنامه های بنی نضیر بود گفت: اعتنائی به حرف «عبد الله بن ابی» نکنید، او می خواهد شما را تشویق به جنگ محمد صلّی الله علیه و آله کند، و خودش در خانه بنشیند و شما را تسلیم حوادث نماید.

حیی گفت: ما جز دشمنی محمد صلّی اللّه علیه و آله و پیکار با او چیزی را نمی شناسیم، «سلام» در پاسخ او گفت: به خدا سوگند من می بینم سر انجام ما را از این سرزمین برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۴۶

بیرون می کنند، و اموال و شرف ما بر باد میرود کودکان ما اسیر، و جنگجویان ما کشته میشوند.

این آیه و سه آیه بعد از آن نازل شد که، سر انجام این ماجرا را بازگو می کند.

تفسير: ص: ۱۴۶

نقش منافقان در فتنه های یهود- بعد از بیان ماجرای طایفه یهود «بنی نضیر» در آیات گذشته، و شرح حال سه گروه از مؤمنان در اینجا به شرح حال گروه دیگری یعنی منافقان و نقش آنها در این ماجرا می پردازد.

نخست روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، میفرماید: «آیا منافقان را ندیدی که پیوسته به برادران کافرشان از اهل کتاب میگفتند: هر گاه شما را (از وطن) بیرون کنند ما هم با شما بیرون خواهیم رفت، و هرگز سخن هیچ کس را در باره شما اطاعت نخواهیم کرد، و اگر با شما پیکار شود یاریتان خواهیم نمود» (ا لم تر الی الذین نافقوا یقولون لاخوانهم الذین

كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم و لا نطيع فيكم احدا ابدا و ان قوتلتم لننصرنكم).

و به این ترتیب این گروه از منافقان به طایفه یهود سه مطلب را قول دادند که در همه دروغ می گفتند.

و به همین دلیل قرآن با صراحت می گوید: «خداوند شهادت میدهد که آنها دروغگویانند» (و الله یشهد انهم لکاذبون).

آرى! هميشه منافقان دروغگو بودهاند، و غالبا دروغگويان منافقند.

سورة الحشر(59): آية 12 ص: 146

(آیه ۱۲)- سپس برای توضیح بیشتر در باره دروغگوئی آنها میافزاید: «اگر آنها را بیرون کنند با آنان بیرون نمیروند» (لئن اخرجوا لا یخرجون معهم).

«و اگر با آنها پیكار شود ياريشان نخواهند كرد» (و لئن قوتلوا لا ينصرونهم).

«و اگر (به گفته خود عمل کنند و) یاریشان کنند پشت به میدان کرده فرار میکنند»! (و لئن نصروهم لیولن الادبار).

(سپس کسی آنان را یاری نمی کند<math>((ثم ینصرون).

سورة الحشر(٥٩): آية ١٣ ص: ١٤٦

(آیه ۱۳)– در این آیه به تشریح علّت این شکست پرداخته، می گوید:

«وحشت از شما در دلهای آنها بیش از ترس از خداست» (لانتم اشد رهبهٔ فی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۴۷ صدورهم من الله)

. چون از خدا نمی ترسند از همه چیز وحشت دارند، مخصوصا از دشمنان مؤمن و مقاومی چون شما.

«این به خاطر آن است که آنها گروهی نادانند» (ذلک بانهم قوم لا یفقهون).

سورة الحشر(٥٩): آية ١٤ ص: ١٤٧

(آیه ۱۴)- سپس به بیان نشانه روشنی از این ترس درونی پرداخته، می افزاید: «آنها هر گز با شما به صورت گروهی نمی جنگند جز در دژهای محکم یا از پشت دیوارها» (لا یقاتلونکم جمیعا الا فی قری محصنهٔ او من وراء جدر).

آری! آنها چون از دژ ایمان و توکل بر خدا بیرون هستند جز در پناه دیوارها و قلعههای محکم جرأت جنگ و رویاروئی با مؤمنان ندارند! سپس میافزاید: اما این نه به خاطر آن است که آنها افرادی ضعیف و ناتوان و ناآگاه به فنون جنگند بلکه به هنگامی که در گیری رخ می دهد «پیکارشان در میان خودشان شدید است» اما در برابر شما ضعیف (بأسهم بینهم شدید).

و در ادامه همین آیه، به عامل دیگری برای شکست و ناکامی آنها پرداخته، میفرماید: به ظاهر آنها که مینگری «آنها را متحد میپنداری در حالی که دلهایشان پراکنده است، این به خاطر آن است که آنها قومی هستند که تعقل نمیکنند» (تحسبهم جمیعا و قلوبهم شتی ذلک بانهم قوم لا یعقلون).

به این ترتیب انسجام ظاهری افراد بی ایمان و پیمان و وحدت نظامی و اقتصادی آنها هر گز نباید ما را فریب دهد، چرا که در پشت این پیمانها و شعارهای وحدت، دلهای پراکندهای قرار دارد، و دلیل آن هم روشن است، زیرا هر کدام حافظ منافع مادی خویشند، و می دانیم منافع مادی همیشه در تضاد است، در حالی که وحدت و انسجام مؤمنان بر اساس اصولی است که تضاد

در آن راه ندارد، یعنی اصل ایمان و توحید و ارزشهای الهی.

سورة الحشر(٥٩): آية ١٥ ص: ١٤٧

(آیه ۱۵) – قرآن همچنان بحث پیرامون داستان یهود بنی نضیر و منافقان را ادامه داده، و با دو تشبیه جالب، موقعیت هر کدام از این دو گروه را مشخص میسازد. نخست میفرماید: داستان یهود بنی نضیر «همچون کسانی است که کمی پیش از آنان بودند (همانها که در این دنیا) طعم تلخ کار خود را چشیدند و برای برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۴۸

آنها عذابي دردناك است» (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم و لهم عذاب اليم).

اما این گروه چه کسانی بودند که سرگذشت عبرت انگیزی قبل از ماجرای بنی نضیر داشتند؟

بسیاری از مفسران آن را اشاره به ماجرای یهود «بنی قینقاع» میدانند که بعد از ماجرای بدر واقع شد، و منجر به بیرون راندن این گروه از یهود از مدینه گردید، آنها نیز مانند یهود «بنی نضیر» افرادی ثروتمند و مغرور و در میان خود جنگجو بودند، و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و مسلمانان را تهدید می کردند، ولی سر انجام چیزی جز بدبختی و در به دری در دنیا و عذاب الیم آخرت عائدشان نشد.

سورة الحشر(٥٩): آية ١٤ ص: ١٤٨

(آیه ۱۶) – با طناب پوسیده شیطان به چاه نروید! در این آیه به تشبیهی در باره منافقان پرداخته، می گوید: داستان آنها نیز «همچون شیطان است که به انسان گفت: کافر شو (تا مشکلات تو را حل کنم) اما هنگامی که کافر شد گفت: من از تو بیزارم، من از خداوندی که پروردگار عالمیان است بیم دارم» (کمثل الشیطان اذ قال للانسان اکفر فلما کفر قال انی بریء منک انی اخاف الله رب العالمین).

منظور از «انسان» مطلق انسانهائی است که تحت تأثیر شیطان قرار گرفته، فریب وعدههای دروغین او را میخورند و راه کفر میپویند، و سر انجام شیطان آنها را تنها گذاشته و از آنان بیزاری میجوید! آری! چنین است حال منافقان که دوستان خود را با وعدههای دروغین و نیرنگ به وسط معرکه میفرستند، سپس آنها را تنها گذارده فرار میکنند چرا که در نفاق وفاداری نیست.

سورة الحشر(59): آية 17 ص: 148

(آیه ۱۷) - در این آیه نتیجه کار این دو گروه: شیطان و اتباعش و منافقان و دوستانشان از اهل کفر را روشن ساخته، میافزاید: «سر انجام کارشان این شد که هر دو در آتش دوزخ خواهند بود، جاودانه در آن میمانند، و این است کیفر ستمکاران»! (فکان عاقبتهما انهما فی النار خالدین فیها و ذلک جزاء الظالمین). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۴۹

این یک اصل کلی است که عاقبت همکاری کفر و نفاق، و شیطان و یارانش، شکست و ناکامی و عذاب دنیا و آخرت است، در حالی که همکاری مؤمنان و دوستانشان همکاری مستمر و جاودانی و سر انجامش پیروزی و برخورداری از رحمت واسعه الهی در هر دو جهان است.

سورة الحشر(٥٩): آية ١٨ ص: ١٤٩

(آیه ۱۸)- در این آیه روی سخن را به مؤمنان کرده، به عنوان یک نتیجه گیری از ماجرای شوم و دردناک «بنی نضیر» و منافقان و شیطان، می فرماید:

«ای کسانی که ایمان آوردهاید! از (مخالفت) خدا بپرهیزید، و هر کس باید بنگرد تا برای فردایش چه چیز از پیش فرستاده»؟ (یا ایها الذین آمنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد).

در حقیقت سرمایه اصلی انسان در صحنه قیامت کارهائی است که از پیش فرستاده، و گر نه غالبا کسی به فکر انسان نیست که برای او چیزی بعد از مرگ او بفرستد، و یا اگر بفرستند ارزش زیادی ندارد.

سپس بار دیگر برای تأکید می افزاید: «از خدا بپرهیزید که خداوند از آنچه انجام می دهید آگاه است» (و اتقوا الله ان الله خبیر بما تعملون).

آری! تقوا و ترس از خداوند سبب میشود که انسان برای فردای قیامت بیندیشد، و اعمال خود را پاک و پاکیزه و خالص کند.

سورة الحشر (٥٩): آية ١٩ ص: ١٤٩

(آیه ۱۹) – این آیه به دنبال دستور به تقوا و توجه به معاد، تأکید بر یاد خدا کرده، چنین میفرماید: «و همچون کسانی نباشید که خدا را فراموش کردند، و خدا نیز آنها را به خود فراموشی گرفتار کرد» (و لا تکونوا کالذین نسوا الله فانساهم انفسهم). خمیر مایه تقوا دو چیز است: یاد خدا یعنی توجه به مراقبت دائمی «الله» و حضور او در همه جا و همه حال، و توجه به دادگاه عدل خداوند و نامه اعمالی که هیچ کار صغیر و کبیری وجود ندارد مگر این که در آن ثبت میشود، و به همین دلیل توجه به این دو اصل (مبدأ و معاد) در سر لوحه برنامههای تربیتی انبیا و اولیاء قرار داشته، و تأثیر آن در پاکسازی فرد و اجتماع کاملا چشمگیر است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۵۰

اصولا یکی از بزرگترین بدبختیها و مصائب انسان خود فراموشی است، چرا که ارزشها و استعدادها و لیاقتهای ذاتی خود را که خدا در او نهفته و از بقیه مخلوقات ممتازش ساخته، به دست فراموشی می سپرد، و این مساوی با فراموش کردن انسانیت خویش است، و چنین انسانی تا سر حد یک حیوان درّنده سقوط می کند، و همّتش چیزی جز خواب و خور و شهوت نخواهد بود! و اینها همه عامل اصلی فسق و فجور بلکه این خود فراموشی بدترین مصداق فسق و خروج از طاعت خداست. لذا در پایان آیه می گوید: «آنها فاسقانند» (اولئک هم الفاسقون).

سورة الحشر (٥٩): آية 20 ص: ١٥٠

(آیه ۲۰)- در این آیه به مقایسه این دو گروه (گروه مؤمنان با تقوا، و متوجه به مبدأ و معاد، و گروه فراموشکاران خدا که گرفتار خود فراموشی شدهاند) پرداخته، می گوید: «هر گز دوزخیان و بهشتیان یکسان نیستند» (لا یستوی اصحاب النار و اصحاب الحنه).

نه در این دنیا، نه در معارف، نه در نحوه تفکّر، نه در طرز زندگی فردی و جمعی و هدف آن، و نه در آخرت و پاداشهای الهی، خط این دو گروه در همه جا، و همه چیز، از هم جداست، یکی به یاد خدا و قیامت و احیای ارزشهای والای انسانی، و اندوختن ذخائر برای زندگی جاویدان است، و دیگری غرق شهوات و لذات مادی و گرفتار فراموشی همه چیز و اسیر بند هوی و هوس.

و به این ترتیب انسان بر سر دو راهی قرار دارد یا باید به گروه اول بپیوندد یا به گروه دوم و راه سومی در پیش نیست. و در پایان آیه به صورت یک حکم قاطع می فرماید: «اصحاب بهشت رستگار و پیروزند» (اصحاب الجنهٔ هم الفائزون). نه تنها در قیامت رستگار و پیروزند که در این دنیا نیز پیروزی و آرامش و نجات از آن آنهاست، و شکست در هر دو جهان نصیب فراموشکاران است.

سورة الحشر(٥٩): آية ٢١ ص: ١٥٠

(آیه ۲۱)- اگر قرآن بر کوهها نازل می شد از هم می شکافتند! در تعقیب آیات گذشته که از طرق مختلف برای نفوذ در قلوب انسانها برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۵۱

استفاده می کرد، و مسائل سرنوشت ساز انسانها را در زنده ترین صورتش بیان نمود در این آیه که ناظر به همه آیات قرآن مجید است پرده از روی این حقیقت بر می دارد که نفوذ قرآن بقدری عمیق است که اگر بر کوهها نازل می شد آنها را تکان می داد، اما عجب از این انسان سنگدل که گاه می شنود و تکان نمی خورد! نخست می فرماید: «اگر این قرآن را بر کوهی نازل می کردیم می دیدی در برابر آن خاشع می شود، و از خوف خدا می شکافد» (لو انزلنا هذا القرآن علی جبل لرأیته خاشعا متصدعا من خشیهٔ الله).

«و اینها مثالهائی است که برای مردم میزنیم شاید در آن بیندیشید» (و تلک الامثال نضربها للناس لعلهم یتفکرون).

بعضی این آیه را بر ظاهرش حمل کردهاند و گفتهاند: تمام موجودات این جهان، از جمله کوهها، برای خود نوعی درک و شعور دارند و اگر این آیات بر آنها نازل می شد به راستی از هم متلاشی می شدند، گواه این معنی را آیه ۷۴ سوره بقره می دانند که در توصیف گروهی از یهود می گوید: «سپس دلهای شما بعد از این ماجرا سخت شد، همچون سنگ! و یا سخت تر! چرا که پارهای از سنگها می شکافد و از آنها نهرها جاری می شود، و پارهای از آنها شکاف بر می دارد و آب از آن تراوش می کند و پارهای از خوف خدا به زیر می افتد»!

سورة الحشر(59): آية 22 ص: 151

(آیه ۲۲) - در آیات بعد به ذکر قسمت مهمی از اوصاف جمال و جلال خدا - که توجه به هر یک در تربیت نفوس و تهذیب قلوب تأثیر عمیق دارد - می پردازد، و ضمن سه آیه پانزده صفت و به تعبیر دیگر هجده صفت از اوصاف عظیم او را بر می شمرد و هر آیه با بیان توحید الهی و نام مقدس «الله» شروع می شود که انسان را به عالم نورانی اسماء و صفات حق رهنمون می گردد.

مى فرمايد: «او خدائى است كه معبودى جز او نيست، داناى آشكار و نهان است و او رحمان و رحيم است» (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب و الشهادة هو الرحمن الرحيم). برگزيده تفسير نمونه، ج٥، ص: ١٥٢

در اینجا قبل از هر چیز روی مسأله توحید که خمیرمایه همه اوصاف جمال و جلال و ریشه اصلی معرفت الهی است تکیه می کند، و بعد از آن روی علم و دانش او نسبت به غیب و شهود. سپس روی رحمت عامه او که همه خلایق را شامل می شود «رحمن» و رحمت خاصه اش که ویژه مؤمنان است «رحیم» تکیه شده، تا به انسان امید بخشد. و او را در راه طولانی تکامل و سیر الی الله که در پیش دارد یاری دهد

سورة الحشر (٥٩): آية 23 ص: ١٥٢

(آیه ۲۳) - در این آیه علاوه بر تأکید روی مسأله توحید هشت وصف دیگر ذکر کرده، می فرماید: «او خدائی است که معبودی جز او نیست» (هو الله الذی لا اله الاهو).

«حاكم و مالك اصلى اوست» (الملك).

«از هر عيب منزه است» (القدوس).

«به كسى ستم نمى كند» و همه از ناحيه او در سلامتند (السلام).

سپس مى افزايد: او براى دوستانش «امنيت بخش است» (المؤمن).

او حافظ و نگاهدارنده و «مراقب (همه چیز) است» (المهیمن).

«او قدر تمندی شکست ناپذیر است» (العزیز).

«كه با اراده نافذ خود هر امرى را اصلاح مىكند» (الجبار).

سپس مى افزايد: «و شايسته عظمت است» و چيزى برتر و بالاتر از او نيست (المتكبر).

از آنجا که عظمت و بزرگی تنها شایسته مقام خداست این واژه به معنی ممدوحش تنها در باره او به کار میرود و هر گاه در غیر مورد او به کار رود به معنی مذموم است.

و در پایان آیه، بار دیگر روی مسأله توحید که سخن با آن آغاز شده بود تکیه کرده، میفرماید: «خداوند منزه است از آنچه شریک برای او قرار میدهند» (سبحان الله عما یشرکون).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۵۳

سورة الحشر(٥٩): آية 24 ص: ١٥٣

(آیه ۲۴)- و در آخرین آیه سوره در تکمیل این صفات به شش وصف دیگر اشاره کرده، چنین میفرماید: «او خداوندی است خالق» (هو الله الخالق).

«آفرینندهای بیسابقه» (الباری).

«و صورتگری» بینظیر (المصور).

و سپس از آنجا که اوصاف خداوند منحصر به این اوصاف نیست، بلکه اوصافش همچون ذاتش بیپایان است، میافزاید: «برای او نامهای نیک است» (له الاسماء الحسنی).

و به همین دلیل از هر گونه عیب و نقص، منزه و مبراست، «و آنچه در آسمانها و زمین است تسبیح او می گویند» و او را از هر عیب و نقصی پاک می شمرند (یسبح له ما فی السماوات و الارض).

و سر انجام برای تأکید بیشتر، روی موضوع نظام آفرینش به دو وصف دیگر از اوصافش که یکی از آنها قبلا- آمد، اشاره کرده، می فرماید: «و او عزیز و حکیم است» (و هو العزیز الحکیم).

اولی نشانه کمال قدرت او بر همه چیز، و غلبه بر هر مانع است، و دومی اشاره به علم و آگاهی از نظام آفرینش و تنظیم برنامه دقیق در امر خلقت و تدبیر است.

و به این ترتیب در مجموع این آیات سه گانه علاوه بر مسأله توحید- که دو بار تکرار شده- هفده وصف از اوصاف خدا آمده است بدین ترتیب:

عالم الغیب و الشهاده- رحمان- رحیم- ملک- قدّوس- سلام- مؤمن- مهیمن- عزیز- جبّار- متکبّر- خالق- بارئ- مصوّر-حکیم- دارای اسماء الحسنی- کسی که همه موجودات عالم تسبیح او می گویند.

و به این ترتیب، این آیات دست پویندگان راه معرفت الله را گرفته منزل به منزل پیش میبرد، از ذات پاک او شروع می کند، و بعد به عالم خلقت می آورد، و باز در این سیر الی الله از مخلوق نیز به سوی خالق میبرد، قلب را مظهر اسماء و صفات الهی و مرکز انوار ربانی می کند و در لابلای این معارف و انوار، او را میسازد برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۵۴ و تربیت می نماید شکوفه های تقوا را بر شاخسار وجودش ظاهر ساخته و لایق قرب جوارش می کند.

آیات آخر این سوره آیاتی است فوق العاده با عظمت و الهام بخش در حدیثی از رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «هر کس آخر سوره حشر را بخواند، گناهان گذشته و آینده او بخشوده میشود»! «پایان سوره حشر» برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۵۵

سوره ممتحنه [60] ص: ۱۵۵

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۱۳ آیه است

محتواي سوره: ص: 155

این سوره در حقیقت از دو بخش تشکیل می گردد:

بخش اول از مسأله «حبّ فی الله» و «بغض فی الله» و نهی از طرح دوستی با مشرکان سخن می گوید، و مسلمانان را به الهام گرفتن از پیامبر بزرگ خدا ابراهیم (ع) دعوت می کند، و خصوصیات دیگری را در این زمینه بر می شمرد. این معنی در پایان سوره نیز تکرار و تأکید شده است.

بخش دوم پیرامون زنان مهاجر و آزمایش و امتحان آنها و احکام دیگری در این رابطه بحث می کند.

انتخاب نام «ممتحنه» برای این سوره نیز به خاطر مسأله آزمایش و امتحان میباشد که در آیه ۱۰ آمده است.

نام دیگری برای سوره ذکر شده و آن سوره «مودّت» است به خاطر نهی از مودّت مشرکان در نخستین آیه سوره.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 155

در حدیثی از رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «هر کس سوره ممتحنه را قرائت کند تمام مؤمنین و مؤمنات، شفیعان او در روز قیامت خواهند بود». ناگفته پیداست این همه فضیلت و افتخار از آن کسانی است که تنها به تلاوت بیروح و فاقد علم و عمل قناعت نکنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۵۶

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الممتحنة(60): آية 1 ص: 158

اشاره

(آیه ۱)

شأن نزول: ص: 146

این آیه در باره «حاطب بن ابی بلتعه» نازل شده است.

جریان چنین بود که: زنی به نام «ساره» که وابسته به یکی از قبائل «مکّه» بود از مکّه به مدینه خدمت رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله آمد. حضرت به او فرمود: آیا مسلمان شدهای و به اینجا آمدهای؟

عرض كرد: نه.

فرمود: پس چرا آمدی؟

عرض کرد: شما اصل و عشیره ما بودید، و سرپرستان من همه رفتند، و من شدیدا، محتاج شدم نزد شما آمدهام تا عطائی به من کنید و لباس و مرکبی ببخشید.

فرمود: پس جوانان مکّه چه شدند؟ (اشاره به این که آن زن خواننده بود و برای جوانان خو

گفت: بعد از واقعه بدر، هیچ کس از من تقاضای خوانندگی نکرد- و این نشان میدهد ضربه جنگ بدر تا چه حد بر مشرکان مکّه سنگین بود- حضرت دستور داد، لباس و مرکب و خرج راهی به او دادند، و این در حالی بود که پیامبر صلّی الله علیه و آله آماده فتح مکّه میشد.

در این موقع «حاطب بن ابی بلتعه» (یکی از مسلمانان معروف که در جنگ بدر و بیعت رضوان شرکت کرده بود) نزد «ساره» آمد و نامهای نوشت و گفت: آن را به اهل مکّه بده و ده دینار و به قولی ده درهم نیز به او داد.

«حاطب» در نامه به اهل مکّه نوشته بود رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله قصد دارد به سوی شما آید، آماده دفاع از خویش باشید! جبرئیل این ماجرا را به اطلاع پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسانید، رسول خدا، علی علیه السّیلام و عمار و عمر و زبیر و طلحه و مقداد و ابو مرثد را دستور داد که به سوی مکّه حرکت کنند و فرمود: در یکی از منزلگاههای وسط راه به زنی میرسید که حامل نامهای به مشرکین مکّه است، نامه را از او بگیرید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۵۷

آنها در همان مکان که رسول خدا صلّی الله علیه و آله فرموده بود به او رسیدند، او سوگند یاد کرد که هیچ نامهای نزد او نیست، ولی علیه السّ لام فرمود: نه پیامبر صلّی الله علیه و آله به ما دروغ گفته، و نه ما دروغ می گوئیم، شمشیر را کشید و فرمود: نامه را بیرون بیاور، و الا به خدا سوگند گردنت را میزنم! «ساره» که نامه را در میان گیسوانش پنهان کرده بود بیرون

آورد، آنها نامه را خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آوردند.

حضرت صلّى الله عليه و آله به سراغ «حاطب» فرستاد، فرمود: اين نامه را مىشناسى؟

عرض کرد: بلی، فرمود: چه چیز موجب شد به این کار اقدام کنی؟

عرض کرد: ای رسول خدا! به خدا سوگند از آن روز که اسلام را پذیرفتهام لحظهای کافر نشدهام، ولی مسأله این است که تمام مهاجران کسانی را در مکّه دارند ولی من در میان آنها غریبم و خانواده من در چنگال آنها گرفتارند، خواستم مزاحم خانواده من نشوند، در حالی که میدانستم خداوند سر انجام آنها را گرفتار شکست میکند.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله عـذرش را پـذیرفت- اینجا بود که آیه نازل شـد و درسـهای مهمی در زمینه ترک هرگونه دوستی نسبت به مشرکان و دشمنان خدا به مسلمانان داد.

تفسير: ص: ۱۵۷

سر انجام طرح دوستی با دشمن خدا! چنانکه در شأن نزول دانستیم حرکتی از ناحیه یکی از مسلمانان صادر شد که هر چند به قصد جاسوسی نبود ولی اظهار محبتی به دشمنان اسلام محسوب می شد، لذا آیه به مسلمانان هشدار داد که از تکرار این گونه کارها در آینده بیرهیزند.

نخست می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! دشمن من و دشمن خودتان را دوست نگیرید» (یا ایها الذین آمنوا لا تتخذوا عدوی و عدو کم اولیاء).

یعنی آنها نه فقط دشمنان خدا هستند که با شما نیز عداوت و دشمنی دارند، با این حال چگونه دست دوستی به سوی آنها دراز می کنید؟! سپس می افزاید: «شما نسبت به آنها اظهار محبت می کنید در حالی که آنها به بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص:

آنچه از حق برای شما آمده (اسلام و قرآن) کافر شدهاند، و رسول خدا و شما را به خاطر ایمان به خداوندی که پروردگار همه شماست از شهر و دیارتان بیرون میرانند» (تلقون الیهم بالمودهٔ و قد کفروا بما جاءکم من الحق یخرجون الرسول و ایاکم ان تؤمنوا بالله ربکم).

آنها هم در عقیده با شما مخالفند، و هم عملا به مبارزه برخاستهاند، و کاری را که بزرگترین افتخار شماست، یعنی ایمان به پروردگار، برای شما بزرگترین جرم و گناه شمردهاند، با این حال آیا جای این است که شما نسبت به آنها اظهار محبت کنید. سپس برای توضیح بیشتر می افزاید: «اگر شما برای جهاد در راه من و جلب خشنودیم هجرت کرده اید» پیوند دوستی با آنها برقرار نسازید (ان کنتم خرجتم جهادا فی سبیلی و ابتغاء مرضاتی).

اگر به راستی دم از دوستی خدا میزنید و به خاطر او از شهر و دیار خود هجرت کردهاید، و طالب جهاد فی سبیل الله و جلب رضای او هستید این مطلب با دوستی دشمنان خدا سازگار نیست.

باز برای توضیح بیشتر می افزاید: «شما مخفیانه با آنها رابطه دوستی برقرار می کنید در حالی که من به آنچه پنهان یا آشکار می سازید از همه داناترم»! (تسرون الیهم بالمودهٔ و انا اعلم بما اخفیتم و ما اعلنتم).

بنابر این مخفی کاری چه فایدهای دارد با علم خداوند به غیب و شهود.

و در پایان آیه، به عنوان یک تهدید قاطع، می فرماید: «و هر کس از شما چنین کاری کند از راه راست گمراه شده است» (و

من يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل).

هم از راه معرفت خدا منحرف گشته که گمان کرده چیزی بر خدا مخفی میماند، و هم از راه ایمان و اخلاص و تقوا که طرح دوستی با دشمنان خدا ریخته و هم تیشه به ریشه زندگانی خود زده است که دشمنش را از اسرارش با خبر ساخته و این بدترین انحرافی است که ممکن است به شخص مؤمن بعد از وصول به سر چشمه ایمان دست دهد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۵۹

سورة الممتحنة (60): آية 7 ص: 159

(آیه ۲)- در این آیه، برای تأکید و توضیح بیشتر، می افزاید: شما برای چه طرح دوستی با آنها می ریزید؟ با این که: «اگر آنها بر شما مسلّط شوند دشمنانتان خواهند بود، و دست و زبان خود را به بدی کردن به شما می گشایند» (ان یثقفو کم یکونوا لکم اعداء و یبسطوا الیکم ایدیهم و السنتهم بالسوء).

شما برای آنها دلسوزی می کنید در حالی که عداوتشان با شما آن چنان ریشهدار است که اگر بر شما دست یابند از هیچ کاری فروگذار نمی کنند.

و از همه بـدتر این است که: «دوست دارنـد شـما (از اســلام) به کفر بازگردید» و بزرگترین افتخار خود یعنی گوهر ایمان را از دست دهید (و ودوا لو تکفرون).

سورة الممتحنة (60): آية 3 ص: 159

(آیه ۳)- و در این آیه به پاسخگوئی افرادی مانند «حاطب بن ابی بلتعه» پرداخته، که در جواب پیامبر صلّی الله علیه و آله که فرمود: چرا اسرار مسلمانان را در اختیار مشرکان مکّه قرار دادی؟ گفت: خواستم از این طریق خویشاوندان و بستگانم را حفظ کنم! می فرماید: «هرگز بستگان و فرزندانتان روز قیامت سودی به حالتان نخواهند داشت» (لن تنفعکم ارحامکم و لا اولادکم). چرا که اگر اولاد و بستگان بی ایمان باشند نه آبرو و سرمایهای برای این دنیا خواهند بود و نه وسیله نجاتی در آخرت. سپس می افزاید: خداوند روز قیامت «میان شما جدائی می افکند» (یوم القیامهٔ یفصل بینکم).

اهل ایمان به سوی بهشت میروند، و اهل کفر به سوی دوزخ.

و در پایان آیه، بار دیگر به همگان هشدار میدهد که: «خداوند به آنچه انجام میدهید بیناست» (و الله بما تعملون بصیر). هم از نیّات شما آگاه است، و هم از اعمالی که بطور سرّی انجام میدهید، و اگر در مواردی اسرار شما را مانند «حاطب بن ابی بلتعه» فاش نمی کند روی مصالحی است، نه این که نداند و آگاه نباشد.

سورة الممتحنة(60): آية 4 ص: 159

(آیه ۴)- ابراهیم برای همه شما اسوه بود! از آنجا که قرآن مجید، در بسیاری از موارد، برای تکمیل تعلیمات خود از الگوهای مهمی که در جهان برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۶۰

انسانیت و جود داشته شاهد می آورد، در اینجا نیز به دنبال نهی شدیدی که از دوستی با دشمنان خدا در آیات قبل شده سخن از ابراهیم (ع) و برنامه اوج به عنوان پیشوای بزرگی که مورد احترام همه اقوام، مخصوصا قوم عرب، بوده به میان می آورد. مى فرمايد: «براى شما سرمشق خوبى در زندگى ابراهيم و كسانى كه با او بودند وجود داشت» (قد كانت لكم اسوهٔ حسنهٔ فى ابراهيم و الذين معه).

منظور از تعبیر «و الـذین معه» (آنها که با ابراهیم بودنـد) مؤمنانی است که او را در این راه همراهی می کردنـد، هر چنـد قلیل و اندک بودند.

سپس در توضیح این معنی میافزاید: «در آن هنگامی که به قوم (مشرک) خود گفتند: ما از شما و آنچه غیر از خدا میپرستید بیزاریم»! (اذ قالوا لقومهم انا برآؤا منکم و مما تعبدون من دون الله).

ما نه شما را قبول داریم، و نه آئین و مذهبتان را، ما هم از خودتان و هم از بتهای بی ارزشتان متنفریم.

و باز برای تأکید افزودند: «ما نسبت به شما کافریم» (کفرنا بکم).

البته این کفر همان کفر برائت و بیزاری است که در بعضی از روایات ضمن بر شمردن اقسام پنج گانه کفر به آن اشاره شده است.

و سوّمین بار برای تأکید بیشتر افزودند: «و میان ما و شما عداوت و دشمنی همیشگی آشکار شده است» (و بدا بیننا و بینکم العداوهٔ و البغضاء ابدا).

و این وضع همچنان ادامه دارد «تا آن زمان که به خدای یگانه ایمان بیاورید» (حتی تؤمنوا بالله وحده).

و به این ترتیب با نهایت قاطعیت و بدون هیچ گونه پرده پوشی اعلام جدائی و بیزاری از دشمنان خدا کردند، و تصریح نمودند که این جدائی تا ابد ادامه دارد، مگر این که آنها مسیر خود را تغییر دهند و از خط کفر به خط ایمان روی آورند.

ولی از آنجا که این قانون کلی و عمومی در زنـدگی ابراهیم استثنائی داشـته که آن هم به خاطر هـدایت بعضـی از مشـرکان صورت گرفته، به دنبال آن میفرماید: آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۶۱

هرگونه ارتباطشان را با قوم كافر قطع كردند و هيچ سخن محبت آميزى به آنها نگفتند: «جز آن سخن ابراهيم كه به پدرش [-عمويش آزر] گفت: (وعده داد) كه براى تو آمرزش طلب مىكنم، و در عين حال در برابر خداونـد براى تو مالـك چيزى نيستم» و اختيارى ندارم (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك و ما املك لك من الله من شىء).

ابراهیم (ع) به این وعده خود عمل کرد ولی آزر ایمان نیاورد، و هنگامی که بر ابراهیم روشن شد که او دشمن خداست و هرگز ایمان نمی آورد دیگر برای او استغفار نکرد و با او قطع رابطه نمود.

ابراهیم و پیروانش قویا با بت پرستان مخالف بودند و باید این درس را از آنها سرمشق گرفت، و داستان آزر شرائط خاصی داشته که اگر برای ما هم پیدا شود قابل تأسی است.

و از آنجا که مبارزه با دشمنان خدا با این صراحت و قاطعیت مخصوصا در زمانی که آنها از قدرت ظاهری برخوردارند جز با توکل بر ذات خدا ممکن نیست، در پایان آیه میافزاید: آنها گفتند: «پروردگارا! ما بر تو توکل کردیم و به سوی تو بازگشتیم همه فرجامها به سوی توست» (ربنا علیک توکلنا و الیک انبنا و الیک المصیر).

سورة الممتحنة(60): آية 5 ص: 161

(آیه ۵)- در این آیه به یکی دیگر از درخواستهای ابراهیم و یـارانش که در این زمینه، حسـاس و چشـمگیر است اشاره کرده، می گوید: «پروردگارا! ما را مایه گمراهی کافران قرار مده» (ربنا لا تجعلنا فتنهٔ للذین کفروا). این تعبیر ممکن است اشاره به اعمالی مانند اعمال «حاطب ابن ابی بلتعه» باشد که گاهی از افراد بی خبر سر می زند و کاری می کنند که سبب تقویت گمراهان می گردد در حالی که گمان می کنند کار خلافی نکردهاند. و در پایان آیه می افزاید: «پروردگارا! (اگر لغزشی از ما سرزد) ما را ببخش» (و اغفر لنا ربنا). «چرا که تو عزیز و حکیمی» (انک انت العزیز الحکیم). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۶۲ قدرتت شکست ناپذیر است و حکمتت نافذ در همه چیز.

سورة الممتحنة (60): آية 6 ص: 162

(آیه ۶)- در این آیه بار دیگر روی همان مطلبی تکیه می کند که در نخستین آیه تکیه شده بود، می فرماید: «برای شما (مسلمانان) در زندگی آنها اسوه حسنه (و سرمشق نیکوئی) بود، برای کسانی که امید به خدا و روز قیامت دارند» (لقد کان لکم فیهم اسوهٔ حسنهٔ لمن کان یرجوا الله و الیوم الآخر).

نه تنها برائت و بیزاریشان از بت پرستان و خط کفر، بلکه دعاهای آنها و تقاضاهایشان در پیشگاه خدا نیز برای همه مسلمانان سرمشق است.

بدون شک این تأسی و پیروی نفعش قبل از هر کس به خود مسلمانان باز می گردد لذا در پایان می افزاید: «و هر کس سرپیچی کند (به خویشتن ضرر زده است) زیرا خداوند بی نیاز و شایسته ستایش است» (و من یتول فان الله هو الغنی الحمید). زیرا طرح دوستی با دشمنان خدا آنها را تقویت می کند، و قوت آنها باعث شکست خود شماست.

همیشه وجود الگوها و سرمشقهای بزرگ در زندگی انسانها، وسیله مؤثری برای تربیت آنها بوده است، به همین دلیل، پیامبر و پیشوایان معصوم مهمترین شاخه هدایت را با عمل خود نشان میدادند.

سورة الممتحنة(60): آية 7 ص: 162

(آیه ۷)- محبت به کفاری که سر جنگ ندارند: در اینجا همچنان بحث پیرامون قطع رابطه با مشرکان ادامه می یابد، و از آنجا که این قطع رابطه یک نوع خلأ عاطفی برای جمعی از مسلمانان ایجاد می کرد، خداوند برای پاداش آنها و رفع این کمبود به آنها بشارت داده، می فرماید: «امید است خدا میان شما و کسانی از مشرکین که با شما دشمنی کردند (از راه اسلام) پیوند محبت برقرار کند» (عسی الله ان یجعل بینکم و بین الذین عادیتم منهم مودهٔ).

و این امر سر انجام تحقق یافت، سال هشتم هجری فرا رسید و مکّه فتح شد و اهل مکّه به مصداق (یدخلون فی دین الله افواجا) گروه گروه مسلمان شدند، و آفتاب ایمان با گرمی محبت و دوستی تابیدن گرفت. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۶۳ به هر حال اگر کسانی که مورد علاقه مسلمانان هستند از خط مکتبی آنان جدا شوند نباید از بازگشت آنها مأیوس شد، چرا که خداوند بر همه چیز قادر است، اوست که می تواند دلها را دگر گون سازد، و اوست که گناهان و خطاهای بندگانش را می بخشد، لذا در پایان آیه می افزاید: «و خداوند تواناست و آمرزنده و مهربان است» (و الله قدیر و الله غفور رحیم).

سورة الممتحنة(60): آية لا ص: 163

(آیه ۸)– این آیه شـرح و توضیحی است بر مسأله ترک رابطه دوستی با مشـرکان، میفرمایـد: «خـدا شـما را از نیکی کردن و

رعایت عدالت نسبت به کسانی که با شما در امر دین پیکار نکردند و شما را از خانه و دیارتان بیرون نراندند نهی نمی کند» (لا ینهاکم الله عن الذین لم یقاتلوکم فی الدین و لم یخرجوکم من دیارکم ان تبروهم و تقسطوا الیهم). «چرا که خداوند عدالت پیشگان را دوست دارد» (ان الله یحب المقسطین).

سورة الممتحنة (60): آية 9 ص: 163

(آیه ۹)- «تنها شما را از دوستی و رابطه با کسانی نهی می کند که در امر دین با شما پیکار کردند و شما را از خانههایتان بیرون راندند یا به بیرون راندن شما کمک کردند و هر کس با آنان رابطه دوستی داشته باشد ظالم و ستمگر است» (انما ینها کم الله عن الذین قاتلوکم فی الدین و اخرجوکم من دیارکم و ظاهروا علی اخراجکم ان تولوهم و من یتولهم فاولئک هم الظالمون).

از دو آیه فوق یک اصل کلی و اساسی در چگونگی رابطه مسلمانان با غیر مسلمین استفاده می شود، نه تنها برای آن زمان که برای امروز و فردا نیز ثابت است، و آن این که مسلمانان موظفند در برابر هر گروه و جمعیت و هر کشوری که موضع خصمانه با آنها داشته باشند و بر ضد اسلام و مسلمین قیام کنند، یا دشمنان اسلام را یاری دهند سرسختانه بایستند، و هر گونه پیوند محبت و دوستی را با آنها قطع کنند. اما اگر آنها در عین کافر بودن نسبت به اسلام و مسلمین بی طرف بمانند و یا تمایل داشته باشند، مسلمین می توانند با آنها رابطه دوستانه برقرار سازند.

البته نه در آن حد که با برادران مسلمان دارند، و نه در آن حد که موجب نفوذ آنها در میان مسلمین گردد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۶۴

سورة الممتحنة (60): آية 10 ص: 164

اشاره

(آیه ۱۰)

شأن نزول: ص: 164

در شأن نزول اين آيه و آيه بعد آمده است كه:

رسول خدا صلّی الله علیه و آله در «حدیبیه» با مشرکان مکّه پیمانی امضا کرد یکی از موارد پیمان این بود که هر کس از اهل مکّه به مسلمانان بپیوندد او را بازگردد می توانند او را برنگردانند. برنگردانند.

در این هنگام زنی به نام «سبیعه» اسلام را پذیرفت، و در همان سرزمین حدیبیه به مسلمانان پیوست، همسرش خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمد و گفت: ای محمّد! همسرم را به من بازگردان، چرا که این یکی از مواد پیمان ماست، و هنوز مرکب آن خشک نشده.

آیه نازل شد و دستور داد زنان مهاجر را امتحان کنید.

ابن عباس می گوید: امتحانشان به این بود که باید سو گند یاد کنند هجرت آنها به خاطر کینه با شوهر، یا علاقه به سرزمین جدید، و یا هدف دنیوی نبوده بلکه تنها به خاطر اسلام بوده است.

آن زن سوگند یاد کرد که چنین است در اینجا رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله مهریهای را که شوهرش پرداخته بود و هزینههائی را که متحمل شده بود به او پرداخت و فرمود:

طبق این ماده قرارداد تنها مردان را باز می گرداند نه زنان را.

تفسير: ص: ۱۶۴

جبران زیانهای مسلمین و کفار- در آیات گذشته سخن از «بغض فی الله» و قطع پیوند با دشمنان خدا بود، اما در اینجا سخن از «حبّ فی الله» و برقرار ساختن پیوند با کسانی است که از کفر جدا میشوند و به ایمان میپیوندند.

نخست از زنان مهاجر، سخن می گوید، و جمعا هفت دستور در این آیه وارد شده که عمدتا در باره زنان مهاجر، و قسمتی نیز در باره زنان کافر است.

۱- نخستین دستور در باره آزمایش «زنان مهاجرات» است، روی سخن را به مؤمنان کرده، میفرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! هنگامی که زنان با ایمان به عنوان هجرت نزد شما آیند، آنها را (از خود نرانید، بلکه) آزمایش کنید» (یا أیها الذین آمنوا اذا جاء کم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن).

نحوه امتحان چنین بود که آنها را سوگند به خدا میدادند که مهاجرتشان جز برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۶۵

برای قبول اسلام نبوده، و یا با پیغمبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله بیعت کنند که راه شرک نپویند، و گرد سرقت و اعمال منافی عفت، و کشتن فرزندان، و مانند آن نروند، و سر تا پا تسلیم فرمان رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله باشند.

البته ممکن است کسانی در آن سوگند و این بیعت نیز خلاف بگویند اما مقیّد بودن بسیاری از (مردم) حتّی مشرکان در آن زمان به مسأله بیعت و سوگند به خدا سبب می شد که افراد کمتر دروغ بگویند.

لذا در جمله بعد ميافزايد: «خداوند به (درون دل آنها و) ايمانشان آگاهتر است» (الله اعلم بايمانهن).

۲- در دستور بعد می فرماید: «هرگاه (از عهده این امتحان برآمدند و) آنها را مؤمن یافتید، آنها را به سوی کفّار بازنگردانید»
 (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الی الکفار).

۳- در سومین مرحله که در حقیقت دلیلی است برای حکم قبل اضافه می کند: «نه آنها بر کفار حلالند، و نه کفار برای آنها حلال» (لا هن حل لهم و لا هم یحلون لهن).

چرا که ایمان و کفر در یک جا جمع نمی شود، و پیمان مقدس ازدواج نمی تواند رابطه در میان مؤمن و کافر برقرار سازد.

۴- از آنجا که معمول عرب بود که مهریه زنان خود را قبلا میپرداختند در چهارمین دستور میافزاید: «و آنچه را همسران آنها (برای ازدواج با این زنان) پرداختهاند به آنان بپردازید» (و آتوهم ما انفقوا).

درست است که شوهرشان کافر است اما چون اقدام بر جدائی به وسیله ایمان از طرف زن شروع شده، عدالت اسلامی ایجاب میکند که خسارات همسرش پرداخت شود.

البته این پرداخت مهر در مورد مشرکانی بود که با مسلمانان پیمان ترک مخاصمه در حدیبیه یا غیر آن امضا کرده بودند.

۵- حکم دیگر که به دنبال احکام فوق آمده این است که میفرماید: برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۶۶ «و گناهی بر شما نیست که با آنها ازدواج کنید هر گاه مهرشان را به آنان بدهید» (و لا جناح علیکم ان تنکحوهن اذا آتیتموهن اجورهن).

باید توجه داشت که در اینجا زن بدون طلاق از شوهر کافر جدا می شود، ولی باید عدّه نگهدارد.

۹- اما هرگاه قضیه بر عکس باشد یعنی شوهر اسلام را بپذیرد و زن بر کفر باقی بماند، در اینجا نیز رابطه زوجیت به هم
 میخورد و نکاح فسخ میشود، چنانکه در ادامه همین آیه میفرماید: «و هرگز زنان کافر را در همسری خود نگه ندارید» (و لا تمسکوا بعصم الکوافر).

۷- در آخرین حکم که در آیه ذکر شده سخن از مهر زنانی است که از اسلام جدا شوند و به اهل کفر بپیوندند، میفرماید اگر کسی از زنان شما کافر شد و به بلاد کفر فرار کرد «حق دارید مهری را که پرداخته اید مطالبه کنید همان گونه که آنها حق دارند مهر (زنانشان را که از آنان جدا شده اند) از شما مطالبه کنند» (و سئلوا ما انفقتم و لیسئلوا ما انفقوا).

و این مقتضای عدالت و احترام به حقوق متقابل است.

و در پایان آیه به عنوان تأکید بر آنچه گذشت، می فرماید: «این حکم خداوند است که در میان شما حکم می کند و خداوند دانا و حکیم است» (ذلکم حکم الله یحکم بینکم و الله علیم حکیم).

احکامی است که همه از علم الهی سر چشمه گرفته، و آمیخته با حکمت است، و توجه به این حقیقت که همه از سوی خداست بزرگترین ضمانت اجرائی برای این احکام محسوب می شود.

سورة الممتحنة (60): آية 11 ص: 188

(آیه ۱۱)- در این آیه در ادامه همین سخن میفرماید: «و اگر بعضی از همسران شما از دستتان بروند (اسلام را رها کرده به کفّار پیوستند) و شما در جنگی بر آنها پیروز شدید و غنائمی به دست گرفتید، به کسانی که همسرانشان رفتهاند همانند مهری را که پرداختهاند (از غنائم) بدهید» (و ان فاتکم شیء من ازواجکم الی الکفار فعاقبتم فآتوا الذین ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۶۷

و در پایان آیه، همه مسلمانان را به تقوا دعوت کرده، می فرماید: «و از (مخالفت) خداوندی که همه به او ایمان دارید بپرهیزید» (و اتقوا الله الذی انتم به مؤمنون).

دستور به تقوا در اینجا ممکن است به خاطر این باشد که معمولاً در تشخیص مقدار مهریه به گفته همسران اعتماد می شود، چون راهی برای اثبات آن جز گفته خود آنها وجود ندارد، و امکان دارد وسوسه های شیطانی سبب شود که بیش از مقدار واقعی ادّعا کنند، لذا آنها را توصیه به تقوا می نماید.

سورة الممتحنة (60): آية 12 ص: 167

(آیه ۱۲)- شرایط بیعت زنان: در تعقیب آیات گذشته که احکام زنان مهاجر را بیان می کرد در این آیه حکم بیعت زنان را با پیامبر صلّی اللّه علیه و آله شرح می دهد.

بطوری که مفسـران نوشتهاند این آیه روز فتح مکّه نازل شد، هنگامی که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بر کوه صفا قرار گرفته بود

از مردان بیعت گرفت، زنـان مکّه که ایمان آورده بودنـد برای بیعت خـدمتش آمدنـد، آیه نازل شـد و کیفیت بیعت با آنان را شرح داد.

روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، می فرماید: «ای پیامبر! هنگامی که زنان مؤمن نزد تو آیند و با تو بیعت کنند که چیزی را شریک خدا قرار ندهند، دزدی و زنا نکنند، فرزندان خود را نکشند تهمت و افترائی پیش دست و پای خود نیاورند، و در هیچ کار شایسته ای مخالفت و نافرمانی تو نکنند، با آنها بیعت کن و برای آنها از درگاه خداوند آمرزش بطلب که خداوند آمرزنده و مهربان است» (یا ایها النبی اذا جاءک المؤمنات یبایعنک علی ان لا یشرکن بالله شیئا و لا یسرقن و لا یزنین و لا یقتلن اولادهن و لا یأتین ببهتان یفترینه بین ایدیهن و ارجلهن و لا یعصینک فی معروف فبایعهن و استغفر لهن الله ان الله غفور رحیم).

در مورد چگونگی بیعت بعضی نوشتهاند که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور داد ظرف آبی آوردند، و دست خود را در آن ظرف آب گذارد و زنان هم دست خود را در طرف دیگر ظرف می گذاردند، و بعضی گفتهاند: پیامبر از روی لباس با آنها بیعت می کرد.

سورة الممتحنة(60): آية 13 ص: 167

(آیه ۱۳)- چنانکه دیدیم این سوره با مسأله قطع رابطه از دشمنان خدا آغاز شد و با همین امر نیز پایان می گیرد، میفرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! با برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۶۸

قومي كه خداوند آنان را مورد غضب قرار داده دوستي نكنيد» (يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم).

شما نباید آنها را به دوستی برگزینید و اسرار خود را در اختیار آنها بگذارید.

تعبیر «قوما غضب الله علیهم» مفهوم وسیع و گستردهای دارد که همه کفار و مشرکین را شامل می شود، و تعبیر به «غضب» در قرآن مجید منحصر به «یهود» نیست، بلکه در مورد منافقان نیز آمده است (فتح/ ۶).

سپس به ذکر مطلبی می پردازد که در حکم دلیل بر این نهی است، می فرماید:

«آنان از (نجات در) آخرت مأيوسند همان گونه كه كافران مدفون در قبرها مأيوس ميباشند» (قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور).

زیرا مردگان کفار در جهان برزخ نتائج کار خود را میبینند و راه بازگشت برای جبران ندارند لذا بکلی مأیوسند، این گروه از زندگان نیز به قدری آلوده گناهند که هرگز امیدی به نجات خویش ندارند، درست همانند مردگان از کفار.

«پایان سوره ممتحنه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۶۹

سوره صف [61] ص: 189

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۱۴ آیه است

محتواي سوره: ص: 169

این سوره در حقیقت بر دو محور اساسی دور میزند:

یکی برتری اسلام بر تمام آئینهای آسمانی، و تضمین بقاء و جاودانگی آن از سوی خداوند، و دیگر لزوم جهاد در طریق حفظ و پیشرفت این آئین.

اما در یک نظر می توان به سه بخش دیگر نیز اشاره کرد.

۱- دعوت به هماهنگی گفتار و کردار و پرهیز از سخنان بیعمل.

۲- یادآوری از پیمان شکنی بنی اسرائیل و بشارت مسیح به ظهور اسلام.

۳- اشاره فشردهای به زندگی حواریین مسیح و الهام از آنها.

انتخاب نام «صف» برای سوره به خاطر تعبیری است که در آیه چهارم این سوره آمده، گاهی نیز به عنوان سوره «عیسی» و یا سوره «حواریین» نامیده شده است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 169

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله میخوانیم:

«هر کس سوره عیسی (سوره صف) را بخواند حضرت مسیح بر او درود میفرستد و تا در دنیا زنده است برای او استغفار می کند و در قیامت رفیق او است».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۷۰

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الصف(٦١): آية ١ ص: ١٧٠

(آیه ۱)- آغاز این سوره نیز تسبیح خداوند است و به همین جهت آن را جزء سورههای «مسبّحات» (سورههائی که با تسبیح خدا شروع می شود) شمرده اند.

مى فرمايد: «آنچه در آسمانها و آنچه در زمين است، همه تسبيح خدا مى گويند» (سبح لله ما فى السماوات و ما فى الارض). چرا تسبيح او نگويند و از هر عيب و نقصى منزهش نشمرند با اين كه «او شكست ناپذير، و حكيم است» (و هو العزيز الحكيم).

سورة الصف(٦١): آية ٢ ص: ١٧٠

اشاره

(آیه ۲)

شأن نزول: ص: ۱۷۰

جمعی از مؤمنان پیش از آنکه حکم جهاد نازل شود می گفتند: ای کاش خداوند بهترین اعمال را به ما نشان می داد تا عمل کنیم، چیزی نگذشت که خداوند به آنها را ناخوشایند آمد و تعلل ورزیدند، آیه نازل شد و آنها را ملامت کرد.

تفسير: ص: ١٧٠

این آیه به عنوان ملامت و سرزنش از کسانی که به گفته های خود عمل نمی کنند، می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! چرا سخنی می گوئید که عمل نمی کنید»؟! (یا ایها الذین آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون).

سورة الصف(٦١): آية ٣ ص: ١٧٠

(آیه ۳)- سپس در ادامه همین سخن می افزاید: «نزد خدا بسیار موجب خشم است که سخنی بگوئید که عمل نمی کنید» (کبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون).

آیه فوق هرگونه تخلف از عهد و پیمان و وعده، و حتی به گفته بعضی نذر را نیز شامل میشود.

در حدیثی از امام صادق علیه السّم میخوانیم: «وعده مؤمن به برادرش نوعی نذر است، هر چند کفاره ندارد، و هر کس تخلف وعده کند با خدا مخالفت کرده، و خویش را در معرض خشم او قرار داده، و این همان است که قرآن می گوید: برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۷۱

«يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون».

سورة الصف(٦١): آية 4 ص: ١٧١

(آیه ۴)- در این آیه مسأله اصلی را که مسأله جهاد است پیش کشیده، میفرماید: «خداوند کسانی را دوست میدارد که در راه او پیکار میکنند گوئی بنائی آهنین اند» (ان الله یحب الذین یقاتلون فی سبیله صفا کانهم بنیان مرصوص).

بنابر این نفس پیکار مطرح نیست، آنچه مهم است این که پیکار «فی سبیل الله» باشد و آن هم با اتحاد و انسجام کامل همانند سدّی فولادین.

از مهمترین عوامل پیروزی در برابر دشمنان انسجام و به هم پیوستگی صفوف در میدان نبرد است، نه تنها در نبردهای نظامی که در نبرد سیاسی و اقتصادی نیز جز از طریق وحدت کاری ساخته نیست.

سورة الصف(٤١): آية ۵ ص: ١٧١

(آیه ۵)- در تعقیب دو دستوری که در آیات قبل در باره «هماهنگی گفتار و کردار» و «وحدت صفوف» آمده بود در این آیه برای تکمیل این معنی به گوشهای از زندگی دو پیامبر موسی و عیسی علیهما السّ الام اشاره می کند که متأسفانه نمونههای روشنی از «جدائی گفتار و عمل» و «عدم انسجام صفوف» در زندگی پیروان آن دو دیده می شود، با سرنوشت شومی که به

دنبال آن پیدا کردند.

نخست می فرماید: «به یاد آورید هنگامی را که موسی به قومش گفت: ای قوم من! چرا مرا آزار می دهید با این که می دانید من فرستاده خدا به سوی شما هستم»؟! (و اذ قال موسی لقومه یا قوم لم تؤذوننی و قد تعلمون انی رسول الله الیکم).

این آزار اشاره به نسبتهای ناروائی است که به موسی میدادند و خداوند موسی را از آن مبرا ساخت، در آیه ۶۹ سوره احزاب میخوانیم: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! همانند کسانی نباشید که موسی را آزار دادند و خداوند او را (از آنچه در حق او میگفتند) مبرا ساخت».

ولى اين عمل بدون مجازات نماند چنانكه در پايان آيه مورد بحث مىخوانيم: «هنگامى كه آنها از حق منحرف شدند خداوند قلوبشان را منحرف ساخت، و خدا فاسقان را هدايت نمىكند» (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم و الله برگزيده تفسير نمونه، ج۵، ص:

لا يهدى القوم الفاسقين)

از این تعبیر استفاده می شود که هدایت و ضلالت، هر چند از ناحیه خداوند است اما زمینه ها و مقدمات و عوامل آن، از ناحیه خود انسان است.

سورة الصف(٦١): آية 6 ص: ١٧٢

(آیه ۶) – من بشارت ظهور «احمد» را آوردهام! در این آیه به مسأله رسالت حضرت عیسی (ع) و کارشکنی و تکذیب بنی اسرائیل در مقابل او اشاره کرده، می افزاید «و (به یاد آورید) هنگامی را که عیسی بن مریم گفت: ای بنی اسرائیل! من فرستاده خدا به سوی شما هستم، این در حالی است که تصدیق کننده کتابی که قبل از من فرستاده شده [– تورات] می باشم» (و اذ قال عیسی ابن مریم یا بنی اسرائیل انی رسول الله الیکم مصدقا لما بین یدی من التوراه).

«و بشارت دهنده به رسولی که بعد از من می آید و نام او احمد است» (و مبشرا برسول یأتی من بعدی اسمه احمد).

بنابر این من حلقه اتّصالی هستم که امت موسی و کتاب او را به امت پیامبر آینده (پیامبر اسلام) و کتاب او، پیوند می دهم. گرچه جمعی از بنی اسرائیل به این پیامبر موعود ایمان آوردند، اما گروه عظیمی سرسختانه در برابر او ایستادند، و حتّی معجزات آشکار او را انکار کردند و لذا در پایان آیه می افزاید: «هنگامی که او [-احمد] با معجزات و دلائل روشن به سراغ آنان آمد گفتند: این سحری است آشکار»! (فلما جاءهم بالبینات قالوا هذا سحر مبین).

عجب این که: طایفه یهود، قبل از مشرکان عرب، این پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را شناخته بودنـد، اما با این همه بسیاری از بت پرستان، ایمان آوردند ولی بسیاری از یهود بر لجاج و عناد و انکار باقی ماندند.

سورة الصف(٦١): آية ٧ ص: ١٧٢

(آیه ۷)- در آیه قبل خواندیم که چگونه گروهی معاند و لجوج علی رغم بشارت پیامبر پیشین حضرت مسیح (ع) در باره ظهور پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله با «بینات» و دلائل روشن و معجزات، چگونه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۷۳

به مقابله و انكار برخاستند، در اينجا عاقبت كار اين افراد، و سرنوشت آنها را تشريح مىكند.

نخست مىفرمايد: «چه كسى ظالمتر است از آن كس كه بر خدا دروغ بسته در حالى كه دعوت به اسلام مىشود» (و من اظلم ممن افترى على الله الكذب و هو يدعى الى الاسلام).

آری! چنین کسی که دعوت پیامبر الهی را دروغ، معجزه او را سحر و آئین او را باطل میشمرد ستمکارترین مردم است، چرا که راه هدایت و نجات را به روی خود و سایر بندگان خدا میبندد.

در پایان آیه می افزاید: «و خداوند گروه ستمکاران را هدایت نمی کند» (و الله لا یهدی القوم الظالمین).

سورة الصف(٦١): آية ٨ ص: ١٧٣

(آیه ۸)- میخواهند نور خدا را با دهان خود خاموش کنند! سپس برای این که نشان دهد دشمنان حق قادر نیستند آئین او را برچینند ضمن تشبیه جالبی میفرماید: «آنان میخواهند نور خدا را با دهان خود خاموش سازند، ولی خداوند نور خود را کامل می کند هر چند کافران خوش نداشته باشند»! (یریدون لیطفؤا نور الله بافواههم و الله متم نوره و لو کره الکافرون).

آری! همان گونه که خداوند اراده کرده بود این نور الهی روز به روز در گسترش است و دامنه اسلام هر زمان نسبت به گذشته وسیعتر می شود، و آمارها نشان می دهد که جمعیت مسلمانان جهان علی رغم تلاشهای مشترک «صهیونیستها»، «صلیبیها» و دیگر دشمنان اسلام رو به افزایش است.

سورة الصف(٦١): آية ٩ ص: ١٧٣

(آیه ۹) - در این آیه برای تأکید بیشتر با صراحت می گوید: «او کسی است که رسول خود را با هدایت و دین حق فرستاده تا او را بر همه ادیان غالب سازد هر چند مشرکان کراهت داشته باشند» (هو الذی ارسل رسوله بالهدی و دین الحق لیظهره علی الدین کله و لو کره المشرکون).

و سر انجام اسلام هم از نظر منطق، و هم از نظر پیشرفت عملی بر مذاهب دیگر غالب شد، و دشمنان را از قسمتهای وسیعی از جهان عقب زد و جای آنها را برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۷۴

گرفت و هم اکنون نیز در حال پیشروی است.

البته مرحله نهائی این پیشروی به عقیده ما با ظهور حضرت مهدی- عج- تحقق می یابد که این آیات خود دلیلی بر آن ظهور عظیم است.

سورة الصف(٦١): آية 10 ص: ١٧٤

(آیه ۱۰)- تجارتی پرسود و بینظیر! یکی از اهداف مهم این سوره، دعوت به ایمان و جهاد است، این آیه و سه آیه بعد نیز تأکیدی است به این دو اصل، با مثال لطیفی که انگیزه حرکت الهی را در جان انسان به وجود می آورد.

نخست مىفرمايىد: «اى كسانى كه ايمان آوردهايىد! آيا شما را به تجارتى راهنمائى كنم كه شما را از عـذاب دردناك رهائى مىبخشد»؟ (يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارهٔ تنجيكم من عذاب اليم).

سورة الصف(٦١): آية ١١ ص: ١٧٤

(آیه ۱۱)- سپس به شرح آن تجارت پرسود پرداخته، میافزاید: «و آن این که به خدا و رسولش ایمان بیاورید و با اموال و جانهایتان در راه خدا جهاد کنید» (تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون فی سبیل الله باموالکم و انفسکم).

بدون شک خدا نیازی به این تجارت پرسود ندارد، بلکه تمام منافع آن دربست به مؤمنان تعلق می گیرد، لذا در پایان آیه می فرماید: «این برای شما (از هر چیز) بهتر است اگر بدانید» (ذلکم خیر لکم ان کنتم تعلمون).

ایمان به پیامبر صلّی الله علیه و آله از ایمان به خدا جدا نیست، همان گونه که جهاد با جان، از جهاد با مال نمی تواند جدا باشد، و اگر می بینیم جهاد با مال مقدم داشته شده نه به خاطر آن است که از جهاد با جان مهمتر می باشد، بلکه به خاطر این است که مقدمه آن محسوب می شود چرا که ابزار جهاد از طریق کمکهای مالی فراهم می گردد.

سورة الصف(٦١): آية ١٢ ص: ١٧٤

(آیه ۱۲)- تا اینجا سه رکن اساسی از ارکان این تجارت بزرگ مشخص شد «خریدار» خداست و «فروشنده» انسانهای با ایمان، «و متاع» جانها و اموالشان، اکنون نوبت به رکن چهارم میرسد که بهای این معامله عظیم است.

می فرماید: اگر چنین کنید «گناهانتان را می بخشد و شما را در باغهائی از بهشت داخل می کند که نهرها از زیر درختانش جاری است و در مسکنهای پاکیزه در بهشت جاویدان جای می دهد، و این پیروزی عظیم است» (یغفر لکم ذنوبکم برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۷۵

و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار و مساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم)

.در مرحله پاداش اخروی نخست به سراغ آمرزش گناهان میرود چرا که بیشترین ناراحتی فکر انسان از گناهان خویش است، همچنین این تعبیر نشان میدهد که نخستین هدیه الهی به شهیدان راهش این است که تمام گناهانشان را میبخشد.

سورة الصف(٦١): آية ١٣ ص: ١٧٥

(آیه ۱۳) - در این آیه به دو شاخه از مواهب الهی در دنیا نیز اشاره کرده، میفرماید: «و (نعمت) دیگری که آن را دوست دارید به شما می بخشد، و آن یاری خداوند، و پیروزی نزدیک است» (و اخری تحبونها نصر من الله و فتح قریب).

چه تجارت پرسود و پربرکتی؟ که سراسرش فتح و پیروزی و نعمت و رحمت است.

سپس به همین دلیل به مؤمنان در مورد این تجارت بزرگ تبریک می گوید و میافزاید: «و مؤمنان را بشارت ده» به این پیروزی بزرگ (و بشر المؤمنین).

سورة الصف(٦١): آية ١٤ ص: ١٧٥

اشاره

(آیه ۱۴)- همچون حواریون باشید! در این آیه که آخرین آیه سوره صف می باشد باز تکیه و تأکید روی امر «جهاد» است که محور اصلی سوره را تشکیل می دهد، منتهی از طریقی دیگر این مسأله را تعقیب می کند، و مطلبی مهمتر از عنوان بهشت و

نعمتهای بهشتی ارائه داده، میفرماید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! یاوران خدا باشید» (یا ایها الذین آمنوا کونوا انصار الله). خدائی که تمام قدرتها از او سر چشمه می گیرد و به او باز می گردد.

سپس به یک نمونه تاریخی اشاره می کند تا بدانند این راه بدون رهرو نبوده و نیست، می افزاید: «همان گونه که عیسی بن مریم به حواریون گفت: چه کسانی در راه خدا یاوران من هستند»؟! (کما قال عیسی ابن مریم للحواریین من انصاری الی الله). و «حواریون (در پاسخ با نهایت افتخار) گفتند: ما یاوران خدائیم» (قال الحواریون نحن انصار الله). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۷۶

و در همین مسیر بـا دشـمنان حـق به مبـارزه برخاسـتند «در این هنگـام گروهی از بنی اسـرائیل ایمـان آوردنـد (و به حواریـون پیوستند) و گروهی کافر شدند» (فآمنت طائفهٔ من بنی اسرائیل و کفرت طائفهٔ).

اینجا بود که نصرت و یاری ما به کمک آنها شتافت «ما کسانی را که ایمان آورده بودند در برابر دشمنانشان تأیید کردیم، و سر انجام بر آنان پیروز شدند» (فایدنا الذین آمنوا علی عدوهم فاصبحوا ظاهرین).

شما نیز حواریون محمد صلّی الله علیه و آله هستید، و به این افتخار مفتخرید که یاوران الله و رسول خدا میباشید، و همان گونه که حواریون بر دشمنان غلبه کردند شما نیز پیروز خواهید شد.

حواريّون كيانند؟ ص: 176

در قرآن مجید پنج بار از حواریون مسیح (ع) یاد شده که دو بار در همین سوره است، این تعبیر اشاره به دوازده نفر از یاران خاص حضرت مسیح است که نام آنها در انجیلهای کنونی (انجیل متّی و لوقا باب ۶) ذکر شده است.

در حدیثی آمده است که پیغمبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله هنگامی که در «عقبه» با جمعی از اهل مدینه که برای بیعت آمده بودنـد رو به رو شد فرمود: دوازده نفر از خودتان را انتخاب و به من معرفی کنید که اینها نماینده قوم خود باشـند، همان گونه که حواریون نسبت به عیسی بن مریم بودهاند و این نیز اهمیت مقام آن بزرگواران را نشان میدهد.

«پایان سوره صف»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۷۷

سوره جمعه [67] ص: ۱۷۷

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۱۱ آیه است

محتواي سوره: ص: ۱۷۷

این سوره در حقیقت بر دو محور اساسی دور میزند:

نخست توجه به توحید و صفات خدا و هدف از بعثت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و مسأله معاد، و دیگری برنامه سازنده

نماز جمعه و بعضي از خصوصیات این عبادت بزرگ.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 177

در فضیلت تلاوت این سوره- چه مستقلا و یا در ضمن نمازهای یومیه- روایات بسیاری وارد شده است.

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «هر کس سوره جمعه را بخواند خداوند به تعداد کسانی که در نماز جمعه شرکت می کنند و کسانی که شرکت نمی کنند در تمام بلاد مسلمین به او ده حسنه می بخشد».

قابل ذکر است، با این که عدول از سوره توحید و «قل یا ایها الکافرون» به سورههای دیگر در قرائت نماز جائز نیست این مسأله در خصوص نماز جمعه استثنا و عدول از آنها به سوره «جمعه» و «منافقون» جایز بلکه مستحب شمرده شده است.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الجمعة(67): آية 1 ص: ۱۷۷

(آیه ۱)- این سوره نیز با تسبیح و تقدیس پروردگار شروع می شود، و به قسمتی از صفات جمال و جلال و اسماء حسنای او اشاره می کند که در حقیقت برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۷۸

مقدمهای است برای بحثهای آینده.

مى فرمايىد: «آنچه در آسمانها و آنچه در زمين است همواره تسبيح خدا مى گويند» و با زبان حال و قال او را از تمام نقايص و عيوب پاک مى شمرند (يسبح لله ما فى السماوات و ما فى الارض).

خداوندی که «مالک و حاکم است، و از هر عیب و نقصی مبرّاست» (الملک القدوس).

خداوندی که «عزیز و حکیم است» (العزیز الحکیم).

و به این ترتیب نخست بر «مالکیت و حاکمیت» و سپس «منزه بودن او از هر گونه ظلم و ستم و نقص» تأکید می کند، زیرا با توجه به مظالم بی حساب ملوک و شاهان واژه «ملک» تداعی معانی نامقدسی می کند که با کلمه «قدّوس» همه شستشو می شود.

سورة الجمعة (62): آية 2 ص: ۱۷۸

(آیه ۲)- بعد از این اشاره کوتاه و پر معنی به مسأله توحید و صفات خدا، به مسأله بعثت پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله و هدف از این رسالت بزرگ که در ارتباط با عزیز و حکیم و قدوس بودن خداوند است پرداخته، می گوید: «او کسی است که در میان جمعیت درس نخوانده رسولی از خودشان برانگیخت که آیاتش را بر آنها میخواند» (هو الذی بعث فی الامیین رسولا منهم یتلوا علیهم آیاته).

و در پرتو این تلاوت، «آنها را تزکیه می کند، و به آنها کتاب (قرآن) و حکمت می آموزد» (و یزکیهم و یعلمهم الکتاب و الحکمهٔ).

«هر چند پیش از آن در گمراهی آشکاری بودند» (و ان کانوا من قبل لفی ضلال مبین).

پیامبر اسلام از میان همین گروه درس نخوانده برخاسته تا عظمت رسالت او را روشن سازد، کتابی مثل قرآن با این محتوای

عمیق و عظیم، محال است زائیده فکر بشر باشد آن هم بشری که نه خود درس خوانده، و نه در محیط علم و دانش پرورش یافته است، این نـوری است که از ظلمت برخاسته، و این خـود معجزهای است آشکار و سـندی است روشن بر حقّانیت او. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۷۹

در آیـه فـوق هـدف ایـن بعثت را در سه امر خلاـصه کرده که یکی جنبه مقـدماتی دارد و آن تلاـوت آیـات الهی است، و دو قسمت دیگر یعنی «تهذیب و تزکیه نفوس» و «تعلیم کتاب و حکمت» دو هدف بزرگ نهائی را تشکیل میدهد.

آری! پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمده است که انسانها را هم در زمینه علم و دانش، و هم اخلاق و عمل، پرورش دهد، تا به وسیله این دو بال بر اوج آسمان سعادت پرواز کنند، و مسیر الی اللّه را پیش گیرند، و به مقام قرب او نائل شوند.

سورة الجمعة(62): آية 3 ص: 179

(آیه ۳)- ولی از آنجا که پیامبر اسلام تنها مبعوث به این قوم «امی» نبود، بلکه دعوتش همه جهانیان را در بر می گرفت در این آیه، می افزاید: «و رسول است بر گروه دیگری (از مؤمنان) که هنوز به آنها ملحق نشده اند» (و آخرین منهم لما یلحقوا بهم). به این ترتیب آیه فوق تمام اقوامی را که بعد از صحابه پیامبر صلّی الله علیه و آله به وجود آمدند از عرب و عجم شامل می شود.

و از آنجا که همه این امور از قدرت و حکمت خداوند سر چشمه می گیرد، در پایان آیه می افزاید: «و او عزیز و حکیم است» (و هو العزیز الحکیم).

سورة الجمعة(62): آية 4 ص: 179

(آیه ۴)- سپس به این نعمت بزرگ یعنی، بعثت پیامبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله و برنامه تعلیم و تربیت او اشاره کرده، می افزاید: «این فضل خداست که به هر کس بخواهد (و شایسته بداند) می بخشد، و خداوند صاحب فضل عظیم است» (ذلک فضل الله یوتیه من یشاء و الله ذو الفضل العظیم).

سورة الجمعة(62): آية 5 ص: 179

(آیه ۵)- چارپائی بر او کتابی چند! در بعضی از روایات آمده است که یهود می گفتند: اگر محمّد به رسالت مبعوث شده رسالتش شامل حال ما نیست، لـذا به آنها گوشـزد می کنـد که اگر کتب آسـمانی خود را دقیقا خوانـده و عمل می کردیـد این سخن را نمی گفتید، چرا که بشارت ظهور پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله در آن آمده است.

می فرماید: «کسانی که مکلف به تورات شدند ولی حق آن را ادا نکردند مانند دراز گوشی هستند که کتابهائی حمل می کند» آن را بر دوش می کشد اما چیزی از آن بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۸۰

نمى فهمد (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا).

این قوم از خود راضی که تنها به نام تورات یا تلاوت آن قناعت کردند، بی آنکه اندیشه در محتوای آن داشته باشند و عمل کنند همانند همین حیوانی هستند که در حماقت و نادانی ضرب المثل و مشهور خاص و عام است.

سپس در ادامه این مثل می افزاید: «گروهی که آیات خدا را انکار کردند مثال بدی دارند» (بئس مثل القوم الذین کذبوا بآیات

الله).

و در پایان آیه در یک جمله کوتاه و پر معنی میفرماید: «و خداوند قوم ستمگر را هدایت نمی کند»؟ (و الله لا یهدی القوم الظالمین).

درست است که هـدایت کار خداست، اما زمینه لازم دارد، و زمینه آن که روح حق طلبی و حق جوئی است باید از ناحیه خود انسانها فراهم شود، و ستمگران از این مرحله دورند.

در روایات اسلامی در نکوهش عالمان بی عمل تعبیرات تکان دهندهای آمده است: از جمله، از رسول خدا صلّی الله علیه و آله نقل شده که فرمود: «هر کس علمش افزوده شود ولی بر هدایتش نیفزاید، این علم، جز دوری از خدا، برای او حاصلی ندارد».

و بدون شک وجود چنین علما و دانشمندانی، بزرگترین بلا برای یک جامعه محسوب می شود و سرنوشت مردمی که عالمشان چنین باشد، سرنوشت خطرناکی است که به گفته شاعر عرب:

شبان، گوسفندان را از چنگال گرگ نجات میدهد اما وای به حال گوسفندانی که شبانشان گرگان باشند.

سورة الجمعة (67): آية 6 ص: ١٨٠

(آیه ۶)-گفتیم یهود خود را امتی برگزیده، و به اصطلاح تافتهای جدا بافته میدانستند، حتی گاهی ادعا می کردند که پسران خدا هستند! و گاه خود را دوستان خاص خداوند قلمداد می کردند، چنانکه در آیه ۱۸ سوره مائده آمده است.

قرآن در مقابل این بلند پروازیهای بی دلیل، آن هم از ناحیه گروهی که حامل برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۸۱ کتاب الهی بودند اما عامل به آن نبودند، می گوید: به آنها «بگو: ای یهودیان! اگر گمان می کنید که (فقط) شما دوستان خدائید نه سایر مردم پس آرزوی مرگ کنید اگر راست می گوئید» تا به لقای محبوبتان برسید (قل یا ایها الذین هادوا ان زعمتم انکم اولیاء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان کنتم صادقین).

چرا که دوست همیشه مشتاق لقای دوست است، و میدانیم که لقای معنوی پروردگار در قیامت رخ میدهد. اگر شما راست می گوئی پس چرا این قدر به زندگی دنیا چسبیدهاید؟ چرا این قدر از مرگ وحشت دارید؟

سورة الجمعة (62): آية 7 ص: ١٨١

(آیه ۷)- سپس به دلیل اصلی وحشت آنها از مرگ اشاره کرده، می افزاید:

«ولى آنان هرگز تمناي مرگ نمي كنند به خاطر اعمالي كه از پيش فرستادهاند» (و لا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم).

«و خداوند ظالمان را به خوبي مي شناسد» (و الله عليم بالظالمين).

در حقیقت ترس انسان از مرگ به خاطر یکی از دو عامل است: یا به زندگی بعد از مرگ ایمان ندارد، و مرگ را هیولای فنا و نیستی می پندارد، و طبیعی است که انسان از نیستی و عدم بگریزد.

و یا این که به جهان پس از مرگ معتقـد است اما پرونده اعمال خود را چنان تاریک و سیاه و خالی از حسنات می بیند که از حضور در آن دادگاه بزرگ سخت بیمنـاک است. و از آنجـا که یهود معتقـد به معاد و جهان پس از مرگ بودنـد طبعا علت وحشت آنها از مرگ، عامل دوم بود.

سورة الجمعة (62): آية 1 ص: 181

(آیه ۸)- ولی مسلما این وحشت و اضطراب مشکلی را حل نمی کند مرگ، شتری است که بر در خانه همه خوابیده است لذا قرآن می گوید: ای پیامبر! به آنها «بگو: این مرگی که از آن فرار می کنید سر انجام با شما ملاقات خواهد کرد» (قل ان الموت الذی تفرون منه فانه ملاقیکم).

«سپس به سوی کسی که دانای پنهان و آشکار است بازگردانده می شوید آنگاه شما را از آنچه انجام می دادید خبر می دهد» (ثم تردون الی عالم الغیب و الشهادهٔ فینبئکم بما کنتم تعملون). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۸۲

قانون مرگ از عمومی ترین و گسترده ترین قوانین این عالم است، انبیا بزرگ الهی و فرشتگان مقرب همه می میرند، و جز ذات پاک خداوند در این جهان باقی نمی ماند، «کل من علیها فان و یبقی وجه ربک ذو الجلال و الاکرام».

(الرحمن/ ۲۶ و ۲۷) هم مرگ از قوانین مسلم این عالم است، و هم حضور در دادگاه عدل خدا و حسابرسی اعمال و هم خداوند از تمام اعمال بندگان دقیقا آگاه است.

بنابر این تنها راه برای پایان دادن به این وحشت، پاکسازی اعمال، و شستشوی دل از آلودگی گناه میباشد که هر کس حسابش پاک است از محاسبهاش چه باک.

سورة الجمعة(62): آية 9 ص: 182

اشاره

(آیه ۹)

شأن نزول: ص: ۱۸۲

در شأن نزول این آیه و سه آیه بعد یا خصوص آخرین آیه این سوره روایات مختلفی نقل شده و همه آنها از این معنی خبر می دهد که در یکی از سالها که مردم مدینه گرفتار خشکسالی و گرسنگی و افزایش نرخ اجناس شده بودند «دحیه» با کاروانی از شام فرا رسید و با خود مواد غذائی آورده بود، در حالی که روز جمعه بود و پیامبر صلّی الله علیه و آله مشغول خطبه نماز جمعه بود.

طبق معمول برای اعلام ورود کاروان طبل زدند و حتی بعضی دیگر آلات موسیقی را نواختند، مردم با سرعت خود را به بازار رساندند، در این هنگام مسلمانانی که در مسجد برای نماز اجتماع کرده بودند خطبه را رها کرده و برای تأمین نیازهای خود به سوی بازار شتافتند، تنها دوازده مرد و یک زن در مسجد باقی ماندند- آیه نازل شد و آنها را سخت مذمّت کرد. پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «اگر این گروه اندک هم میرفتند از آسمان سنگ بر آنها می بارید.»

تفسير: ص: ١٨٢

بزرگترین اجتماع عبادی- سیاسی هفته در آیات گذشته بحثهای فشردهای پیرامون توحید و نبوت و معاد، و نیز مذمت یهود دنیا پرست آمده بود در اینجا به گفتگو پیرامون یکی از مهمترین وظائف اسلامی که در تقویت پایههای ایمان تأثیر فوق العاده دارد، و از یک نظر برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۸۳

هدف اصلی سوره را تشکیل می دهد، یعنی نماز جمعه و بعضی از احکام آن می پر دازد.

نخست همه مسلمانان را مخاطب قرار داده، می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! هنگامی که برای نماز روز جمعه اذان گفته می شود به سوی ذکر خدا (خطبه و نماز) بشتابید و خرید و فروش را رها کنید، این برای شما بهتر است اگر می دانستید» (یا ایها الذین آمنوا اذا نودی للصلاهٔ من یوم الجمعهٔ فاسعوا الی ذکر الله و ذروا البیع ذلکم خیر لکم ان کنتم تعلمون).

به این ترتیب هنگامی که صدای اذان نماز جمعه بلند می شود مردم موظفند کسب و کار را رها کرده به سوی نماز که مهمترین یاد خداست بشتابند.

البته ترک خرید و فروش مفهوم وسیعی دارد که هر کار مزاحمی را شامل میشود.

منظور از «ذکر الله» در درجه اول «نماز» است، ولی میدانیم خطبه های نماز جمعه هم که آمیخته با ذکر خداست، در حقیقت بخشی از نماز جمعه است، بنابر این باید برای شرکت در آن نیز تسریع کرد.

سورة الجمعة (62): آية 10 ص: ١٨٣

(آیه ۱۰)- در این آیه میافزاید: «و هنگامی که نماز پایان گرفت (شما آزادید) در زمین پراکنده شوید و از فضل خدا بطلبید و خدا را بسیار یاد کنید شاید رستگار شوید» (فاذا قضیت الصلاهٔ فانتشروا فی الارض و ابتغوا من فضل الله و اذکروا الله کثیرا لعلکم تفلحون).

سورة الجمعة(٤٢): آية 11 ص: ١٨٣

اشاره

(آیه ۱۱) - در آخرین آیه سوره کسانی که پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله را به هنگام نماز جمعه رها کردند و برای خرید از قافله تازه وارد به بازار شتافتند شدیدا مورد ملامت قرار داده، می گوید: «هنگامی که آنها تجارت یا سرگرمی و لهوی را ببینند پراکنده می شوند و به سوی آن می روند، و تو را ایستاده (در حالی که خطبه نماز جمعه می خوانی) به حال خود رها می کنند» (و اذا رأوا تجارهٔ او لهوا انفضوا الیها و ترکوک قائما).

ولى به آنها «بگو: آنچه نزد خداست بهتر از لهو و تجارت است و خداوند برگزيده تفسير نمونه، ج۵، ص: ۱۸۴ بهترين روزى دهندگان است» (قل ما عند الله خير من اللهو و من التجارهٔ و الله خير الرازقين).

ثواب و پاداش الهی و برکاتی که از حضور در نماز جمعه و شنیدن مواعظ و اندرزهای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و تربیت معنوی و روحانی عائد شما میشود قابل مقایسه با هیچ چیز دیگر نیست، و اگر از این می ترسید که روزی شما بریده شود اشتباه می کنید، خداوند بهترین روزی دهندگان است.

تعبیر «لهو» اشاره به طبل و سایر آلات لهوی است که به هنگام ورود قافله تازهای به مـدینه میزدند که هم نوعی اخبار و اعلام

بود و هم وسیلهای برای سرگرمی و تبلیغ کالا.

نکتهها: ص: ۱۸۴

۱- نخستین نماز جمعه در اسلام: ص: ۱۸۴

در بعضی از روایات اسلامی آمده است که مسلمانان مدینه، پیش از آن که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله هجرت کند، با یکدیگر صحبت کردند و گفتند: یهود در یک روز هفته اجتماع می کنند (روز شنبه) و نصاری نیز روزی برای اجتماع دارند (یکشنبه) خوب است ما هم روزی قرار دهیم و در آن روز جمع شویم و ذکر خدا گوئیم و شکر او را به جا آوریم، آنها روز قبل از شنبه را که در آن زمان «یوم العروبه» نامیده می شد، برای این هدف بر گزیدند، و به سراغ «اسعد بن زراره» (یکی از بزرگان مدینه) رفتند، او نماز را به صورت جماعت با آنها به جا آورد و به آنها اندرز داد و آن روز، «روز جمعه» نامیده شد، زیرا روز اجتماع مسلمین بود.

و این نخستین جمعهای بود که در اسلام تشکیل شد.

اما اولین جمعهای که رسول خدا صلّی الله علیه و آله با اصحابش تشکیل دادند، هنگامی بود که به مدینه هجرت کرد، وارد مدینه شد، و آن روز روز دوشنبه دوازدهم ربیع الاول هنگام ظهر بود، حضرت، چهار روز در «قبا» ماندند و مسجد قبا را بنیان نهادند، سپس روز جمعه به سوی مدینه حرکت کرد و به هنگام نماز جمعه به محله برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۸۵ «بنی سالم» رسید، و مراسم نماز جمعه را در آنجا برپاداشت، و این اولین جمعهای بود که رسول خدا صلّی الله علیه و آله در اسلام به جا آورد، خطبهای هم در این نماز جمعه خواند که اولین خطبه حضرت در مدینه بود.

٢- اهميت نماز جمعه: ص: ١٨٥

بهترین دلیل بر اهمیت این فریضه بزرگ اسلامی قبل از هر چیز آیات همین سوره است، که به همه مسلمانان و اهل ایمان دستور می دهد به محض شنیدن اذان جمعه به سوی آن بشتابند، و هر گونه کسب و کار و برنامه مزاحم را ترک گویند. در احادیث اسلامی نیز تأکیدهای فراوانی وارد شده است از جمله در خطبهای که موافق و مخالف آن را از پیامبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله نقل کرده اند آمده:

«خداوند نماز جمعه را بر شما واجب کرده هر کس آن را در حیات من یا بعد از وفات من از روی استخفاف یا انکار ترک کند خداوند او را پریشان می کند، و به کار او برکت نمی دهد، بدانید نماز او قبول نمی شود، بدانید زکات او قبول نمی شود، بدانید حج او قبول نمی شود، بدانید اعمال نیک او قبول نخواهد شد تا از این کار توبه کند»! البته باید توجه داشت که مذمتهای شدیدی که در مورد ترک نماز جمعه آمده در صورتی است که نماز جمعه واجب عینی باشد.

٣- فلسفه نماز عبادي- سياسي جمعه: ص: ١٨٥

نماز جمعه، قبل از هر چیز یک عبادت بزرگ دسته جمعی است، و اثر عمومی عبادات را که تلطیف روح و جان، و شستن دل از آلودگیهای گناه و زدودن زنگار معصیت از قلب میباشد در بردارد. و اما از نظر اجتماعی و سیاسی، یک کنگره عظیم هفتگی است که بعد از کنگره سالانه حج، بزرگترین کنگره اسلامی میباشد، و به همین دلیل در روایتی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله نقل شده که: «جمعه حجّ کسانی است که قادر به شرکت در مراسم حجّ نیستند.»

در حقیقت اسلام، به سه اجتماع بزرگ اهمیت می دهد: برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۸۶

اجتماعات روزانه که در نماز جماعت حاصل می شود.

اجتماع هفتگی که در مراسم نماز جمعه است.

و اجتماع حجّ که در کنار خانه خدا هر سال یک بار انجام می گیرد.

نقش نماز جمعه در این میان بسیار مهم است بخصوص این که یکی از برنامه های خطیب در خطبه نماز جمعه، ذکر مسائل مهم سیاسی و اجتماعی و اقتصادی است.

«پایان سوره جمعه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۸۷

سوره منافقون [63] ص: ۱۸۷

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۱۱ آیه است

محتوای سوره: ص: ۱۸۷

سوره منافقون از سورههای پر محتواست که محور اصلی بحثهای آن را میتوان در چهار بخش خلاصه کرد:

۱- نشانههای منافقان که خود شامل چندین قسمت حساس است.

۲- برحذر داشتن مؤمنان از توطئههای منافقان.

۳- هشدار به مؤمنان که مواهب مادی دنیا آنها را از ذکر خداوند غافل نکند.

۴- توصیه به انفاق در راه خدا، و بهره گیری از اموال، پیش از آن که مرگ فرا رسد و آتش حسرت به جان انسان بیفتد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۱۸۷

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله آمده است:

«كسى كه سوره منافقون را بخواند از هرگونه نفاق پاك مىشود».

در حدیثی از امام صادق علیه السّم میخوانیم: «بر هر مؤمنی از شیعیان ما لازم است که در شب جمعه سوره جمعه و سبح اسم ربک الاعلی بخواند، و در نماز ظهر جمعه سوره جمعه و منافقین را ...» سپس افزود: «هنگامی که چنین کند گوئی عمل رسول خدا را انجام داده و جزا و پاداشش بر خدا بهشت است».

مكرر گفته ايم كه اين فضائل و آثار مهم نمي توانـد تنها نتيجه تلاوت خالي از انـديشه و عمل باشد، چرا كه هرگز خواندن اين

سوره بی آنکه برنامه زندگی بر آن تطبیق شود روح نفاق را از انسان بیرون نمی برد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۸۸

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر سر چشمه نفاق و نشانه هاى منافقان! قبل از ورود در تفسير اين سوره ذكر مقدمه اى لازم به نظر مى رسد و آن اين كه مسأله نفاق و منافقان در اسلام از زمانى مطرح شد كه پيامبر صلّى الله عليه و آله به مدينه هجرت فرمود و پايه هاى اسلام قوى، و پيروزى آن آشكار شد، و گر نه در مكه تقريبا منافقى وجود نداشت. زيرا اظهار مخالفت بطور آشكار مشكل، و گاه غير ممكن بود، و لذا دشمنان شكست خورده براى ادامه برنامه هاى تخريبى خود تغيير چهره داده، ظاهرا به صفوف مسلمانان پيوستند، ولى در خفا به اعمال خود ادامه مى دادند.

اصولا طبیعت هر انقلابی چنین است که بعد از پیروزی چشمگیر با صفوف منافقان رو به رو خواهد شد، و دشمنان سرسخت دیروز به صورت عوامل نفوذی امروز در لباس دوستان ظاهری جلوه گر میشوند، و از اینجاست که میتوان فهمید چرا این همه آیات مربوط به منافقین در مدینه نازل شده نه در مکّه.

این نکته نیز قابل توجه است که مسأله نفاق و منافقان مخصوص به عصر پیامبر صلّی الله علیه و آله نبود، بلکه هر جامعهای مخصوصا جوامع انقلابی – با آن رو برو هستند، به همین دلیل باید تحلیلهای قرآن را روی این مسأله به عنوان یک مسأله مورد نیاز فعلی، مورد بررسی دقیق قرار داد، و از آن برای مبارزه با روح نفاق و خطوط منافقین در جوامع اسلامی امروز الهام گرفت.

نکته مهم دیگر این که خطر منافقان برای هر جامعه از خطر هر دشمنی بیشتر است، چرا که از یکسو شناخت آنها غالبا آسان نیست، و از سوی دیگر دشمنان داخلی هستند، و گاه چنان در تار و پود جامعه نفوذ می کنند که جدا ساختن آنها کار بسیار مشکلی است و از سوی سوم روابط مختلف آنها با سایر اعضا جامعه کار مبارزه را با آنها دشوار میسازد.

به همین دلیل اسلام در طول تاریخ خود بیشترین ضربه را از منافقان خورده، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۸۹ و نیز به همین دلیل قرآن سخت ترین حملات خود را متوجه منافقان ساخته و آن قدر که آنها را کوبیده هیچ دشمنی را نکوبیده است.

با توجه به این مقدمه به تفسیر آیات باز می گردیم:

سورة المنافقون(63): آية 1 ص: 189

(آیه ۱)- نخستین سخنی را که قرآن در اینجا در باره منافقان مطرح می کند همان اظهار ایمان دروغین آنهاست که پایه اصلی نفاق را تشکیل میدهد، میفرماید: «هنگامی که منافقان نزد تو آیند می گویند، ما شهادت میدهیم که حتما تو رسول خدائی»! (إذا جاءک المنافقون قالوا نشهد انک لرسول الله).

سپس می افزاید: «خداوند می داند که تو فرستاده او هستی، ولی خداوند شهادت می دهد که منافقان دروغگو هستند» و به گفته خود ایمان ندارند (و الله یعلم انک لرسوله و الله یشهد ان المنافقین لکاذبون). چرا که آنها نمی خواستند، خبر از رسالت پیامبر صلّی الله علیه و آله بدهند، بلکه می خواستند از اعتقاد خود به نبوّت او خبر دهند و مسلما در این خبر دروغگو بودند.

و از اینجا نخستین نشانه نفاق، روشن می شود و آن دوگانگی ظاهر و باطن است که با زبان مؤکدا اظهار ایمان می کنند، ولی در دل آنها مطلقا خبری از ایمان نیست، این دروغگوئی محور اصلی نفاق را تشکیل می دهد.

سورة المنافقون(63): آية 7 ص: 189

(آیه ۲)- این آیه به دومین نشانه منافقین پرداخته، چنین می گوید: «آنها سو گندهایشان را سپر ساختهاند، تا مردم را از راه خدا باز دارند» (اتخذوا ایمانهم جنهٔ فصدوا عن سبیل الله).

«آنها كارهاى بسيار بدى انجام مىدهند» (انهم ساء ما كانوا يعملون).

چرا که در طریق هدایت مردم به آئین حق، ایجاد مانع مینمایند، و چه عملی از این بدتر و زشت تر است؟

تعبیر «جنّه» (سپر) نشان می دهد که آنها دائما با مؤمنان در حال جنگ و ستیزند، و هرگز نباید فریب ظاهر سازی و چرب زبانی آنها را خورد، زیرا انتخاب سپر مخصوص میدانهای نبرد است.

سورة المنافقون(63): آية 3 ص: 189

(آیه ۳)- این آیه به علت اصلی این گونه اعمال ناروا پرداخته، میافزاید: برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۹۰

«این به خاطر آن است که آنها نخست ایمان آوردند، سپس کافر شدند، و لذا بر دلهای آنها مهر نهاده شده و حقیقت را درک نمی کنند» (ذلک بانهم آمنوا ثم کفروا فطبع علی قلوبهم فهم لا یفقهون).

منافقان دو گروهند، گروهی از اول ایمانشان صوری و ظاهری بوده، و گروه دیگر در آغاز ایمان حقیقی داشتهاند سپس راه ارتداد و نفاق را پیش گرفتهاند، ظاهر آیه مورد بحث گروه دوم را می گوید.

و این سومین نشانه از نشانه های آنهاست که از درک حقائق روشن غالبا محرومند.

سورة المنافقون(63): آية 4 ص: 190

(آیه ۴)- این آیه نشانه های بیشتری را از منافقین ارائه داده، می گوید:

«هنگامی که آنها را میبینی جسم و قیافه آنان تو را در شگفتی فرو میبرد» (و اذا رأیتهم تعجبک اجسامهم). ظاهری آراسته و قیافههائی جالب دارند.

علاوه بر این چنان شیرین و جذاب سخن می گویند که «اگر سخن بگویند به سخنانشان گوش فرا می دهی»! (و إن یقولوا تسمع لقولهم).

جائی که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله ظاهرا تحت تأثیر جذابیت سخنان آنها قرار گیرد تکلیف دیگران روشن است.

این از نظر ظاهر و اما از نظر باطن، «گوئی چوبهای خشکی هستند که به دیوار تکیه داده شدهاند» (کانهم خشب مسندهٔ).

اجسامی بیروح، و صورتهائی بیمعنی و هیکلهائی توخالی دارند، نه از خود استقلالی، نه در درون نور و صفائی و نه اراده و تصمیم محکم و ایمانی دارند، درست همچون چوبهائی خشک تکیه زده بر دیوار! سپس میافزاید: آنها چنان تو خالی و فاقد توکل بر خدا و اعتماد بر نفس هستند که «هر فریادی از هر جا بلند شود آن را بر ضد خود می پندارند» (یحسبون کل صیحهٔ علمه).

ترس و وحشتی عجیب همیشه بر قلب و جان آنها حکم فرماست، و یک حالت سوء ظن و بـدبینی جانکاه سرتاسـر روح آنها را فرا گرفته است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۹۱ و در پایان آیه به پیامبر صلّی الله علیه و آله هشدار میدهد که «اینها دشمنان واقعی تو هستند پس از آنها بر حذر باش» (هم العدو فاحذرهم).

سپس مي گويد: «خداوند آنها را بكشد، چگونه از حق منحرف مي شوند»؟! (قاتلهم الله اني يؤفكون).

سورة المنافقون(63): آية 5 ص: 191

اشاره

(آیه ۵)

شأن نزول: ص: 191

برای این آیه و سه آیه بعد شأن نزول مفصّ لمی نقل شده که خلاصه آن چنین است: بعد از غزوه بنی المصطلق (جنگی که در سال ششم هجرت در سرزمین «قدید» واقع شد) دو نفر از مسلمانان، یکی از طایفه انصار و دیگری از مهاجران به هنگام گرفتن آب از چاه با هم اختلاف پیدا کردند، «عبد الله بن ابی» که از سرکردههای معروف منافقان بود به یاری مرد انصاری شتافت، و مشاجره لفظی شدیدی در میان آن دو در گرفت، عبد الله بن ابی، سخت، خشمگین شد، و در حالی که جمعی از قومش نزد او بودند گفت: «به خدا سو گند اگر به مدینه باز گردیم، عزیزان، ذلیلان را بیرون خواهند کرد» و منظورش از عزیزان، خود و اتباعش بود و از ذلیلان مهاجران، سپس رو به اطرافیانش کرد و گفت: این نتیجه کاری است که شما به سر خودتان آوردید، این گروه را در شهر خود جای دادید و اموالتان را با آنها قسمت کردید: هرگاه باقیمانده غذای خودتان را به مثل این مرد (اشاره به مرد مهاجر) نمی دادید بر گردن شما سوار نمی شدند.

در اینجا «زید بن ارقم» که در آن وقت جوانی نوخاسته بود، رو به «عبد الله بن ابی» کرد و گفت به خدا سو گند ذلیل و قلیل توئی! و محمّد صلّی الله علیه و آله در عزّت الهی و محبّت مسلمین است، «عبد الله» صدا زد: خاموش باش تو باید بازی کنی ای کودک! زید بن ارقم خدمت رسول خدا صلّی الله علیه و آله آمد و ماجرا را نقل کرد.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کسی را به سراغ «عبد اللّه» فرستاد فرمود: این چیست که برای من نقل کردهاند؟

عبد الله گفت: به خدائی که کتاب آسمانی بر تو نازل کرده من چیزی نگفتم! و «زید» دروغ می گوید.

سپس پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دستور داد تمام آن روز و تمام شب را لشکریان به راه ادامه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۹۲

دهند، سر انجام پیامبر صلّی الله علیه و آله وارد مدینه شد.

زید بن ارقم می گوید: من از شدت اندوه و شرم در خانه ماندم و بیرون نیامدم.

در این هنگام سوره منافقین نازل شد، و زید را تصدیق، و عبد الله را تکذیب کرد پیامبر صلّی الله علیه و آله گوش زید را گرفت و فرمود: ای جوان! خداوند سخن تو را تصدیق کرد خداوند آیاتی از قرآن را در باره آنچه تو گفته بودی نازل کرد. هنگامی که این آیات نازل شد و دروغ عبد الله ظاهر گشت بعضی به او گفتند: خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله برو تا برای تو استغفار کند، عبد اللّه سرش را تکان داد و سخنان ناروائی گفت. در اینجا آیه (و اذا قیل لهم تعالوا) نازل گردید.

تفسير: ص: 19٢

نشانه های دیگری از منافقان - این آیه و آیات بعد از آن همچنان ادامه بیان اعمال منافقان و نشانه های گوناگون آنهاست، می فرماید: «هنگامی که به آنها گفته شود: بیائید تا رسول خدا برای شما استغفار کند، سرهای خود را (از روی استهزاء و کبر و غرور) تکان می دهند و آنها را می بینی که از سخنان تو اعراض کرده و تکبر می ورزند» (و اذا قبل لهم تعالوا یستغفر لکم رسول الله لووا رؤسهم و رأیتهم یصدون و هم مستکبرون).

روشن است که روح اسلام، تسلیم در برابر حق است و کبر و غرور همیشه مانع این تسلیم است، به همین دلیل یکی از نشانههای منافقان، بلکه یکی از انگیزههای نفاق را همین خود خواهی و خود برتربینی و غرور می توان شمرد.

سورة المنافقون(63): آية 6 ص: 192

(آیه ۶) - در این آیه برای رفع هرگونه ابهام در این زمینه، میافزاید: به فرض که آنها نزد تو بیایند و برای آنها استغفار کنی، زمینه آمرزش در آنها وجود ندارد بنابر این «برای آنها تفاوت نمی کند که، خواه استغفار کنی یا نکنی، هرگز خداوند آنان را نمی بخشد»! (سواء علیهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن یغفر الله لهم).

دلیل آن هم این است که: «خداوند قوم فاسق را هدایت نمی کند» (ان الله لا یهدی القوم الفاسقین). چرا که در گناه اصرار می ورزند و در برابر حق مستکبرند.

استغفار پیامبر صلّی اللّه علیه و آله تنها در صورتی اثر می گذارد که زمینه مساعد و قابلیت لازم فراهم شود، اگر به راستی آنها توبه کنند و سر تسلیم در مقابل حق فرود آورند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۹۳

استغفار پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و شفاعت او مسلما مؤثر است، و در غیر این صورت کمترین اثری نخواهد داشت.

سورة المنافقون(63): آية 7 ص: 193

(آیه ۷)- سپس به یکی از گفته های بسیار زشت آنها که روشنترین گواه نفاق آنها محسوب می شود اشاره کرده، می فرماید: «آنها کسانی هستند که می گویند: به افرادی که نزد رسول خدا هستند انفاق نکنید (و از اموال و امکانات خود در اختیار آنها قرار ندهید) تا پراکنده شوند» (هم الذین یقولون لا تنفقوا علی من عند رسول الله حتی ینفضوا).

غافل از اين كه «خزائن آسمانها و زمين از آن خداست ولى منافقان نمى فهمند» (و لله خزائن السماوات و الارض و لكن المنافقين لا يفقهون).

این بینواها نمی دانند که هر کس هر چه دارد از خدا دارد، اگر «انصار» می توانند به «مهاجران» پناه دهند و آنها را در اموال خود سهیم کنند این بزرگترین افتخاری است که نصیبشان شده، نه تنها نباید منتی بگذارند، بلکه باید خدا را بر این توفیق بزرگ شکر گویند.

سورة المنافقون(63): آية 193.... ص: 193

(آیه ۸)- سپس به یکی دیگر از نفرت انگیزترین سخنان آنها اشاره کرده، میافزاید: «آنها می گویند: اگر به مدینه بازگردیم، عزیزان ذلیلان را بیرون می کنند»! (یقولون لئن رجعنا الی المدینهٔ لیخرجن الاعز منها الاذل).

این همان گفتاری است که از دهان آلوده «عبد الله بن ابی» خارج شد، و منظورش این بود که ما ساکنان مدینه، رسول الله صلّی الله علیه و آله و مؤمنان مهاجر را بیرون می کنیم.

سپس قرآن پاسخ دندان شكنى به آنان داده، مى گويد: «عزّت مخصوص خدا و رسول او و مؤمنان است ولى منافقان نمى دانند» (و لله العزه و لرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون).

تنها منافقان مدینه نبودند که این سخن را در برابر مؤمنان مهاجر گفتند بلکه قبل از آنها نیز سران قریش در «مکّه» می گفتند: اگر این گروه اندک مسلمان فقیر را در محاصره اقتصادی قرار دهیم، یا از مکّه بیرونشان کنیم، مطلب تمام است! برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۹۴

امروز نیز دولتهای استعماری به پندار این که خزائن آسمان و زمین را در اختیار دارنـد میگوینـد ملتهائی را که در برابر ما تسلیم نمیشونـد بایـد در محاصـره اقتصادی قرار داد تا بر سـر عقل آینـد و تسلیم شونـد! این کوردلان خبر ندارند که با یک اشاره خداوند تمام ثروتها و امکاناتشان بر باد میرود و عزت پوشالی آنها دستخوش فنا میگردد.

سورة المنافقون(63): آية 9 ص: 194

(آیه ۹)- اموال و فرزندان، شما را از یاد خدا غافل نکنند! از آنجا که یکی از عوامل مهم نفاق حبّ دنیا، و علاقه افراطی به اموال و فرزندان است، در اینجا مؤمنان را از چنین علاقه افراطی باز میدارد، می گوید:

«ای کسانی که ایمان آوردهایـد! اموال و فرزنـدانتان شـما را از یاد خـدا غافل نکند»! (یا ایها الذین آمنوا لا تلهکم اموالکم و لا اولادکم عن ذکر الله).

«و كساني كه چنين كنند زيانكارانند» (و من يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون).

درست است که اموال و اولاد از مواهب الهی هستند، ولی تا آنجا که از آنها در راه خدا و برای نیل به سعادت کمک گرفته شود، اما اگر علاقه افراطی به آنها سدّی در میان انسان و خدا ایجاد کند بزرگترین بلا محسوب میشوند.

سورة المنافقون(63): آية 10 ص: 194

(آیه ۱۰) – سپس به دنبال این اخطار شدید به مؤمنان، دستور انفاق در راه خدا را صادر کرده، میفرماید: «و از آنچه به شما روزی داده ایم انفاق کنید پیش از آنکه مرگ یکی از شما فرا رسد و بگوید: پروردگارا! چرا (مرگ) مرا مدت کمی به تأخیر نینداختی تا (در راه خدا) صدقه دهم و از صالحان باشم»؟! (و انفقوا من ما رزقناکم من قبل ان یأتی احدکم الموت فیقول رب لو لا اخرتنی الی اجل قریب فاصدق و اکن من الصالحین).

در ذيل آيه مي گويد: «من انفاق كنم و از صالحان شوم» اين تعبير بيانگر تأثير عميق انفاق در صالح بودن انسان است.

بسیارند کسانی که وقتی چشم برزخی پیدا می کنند و خود را در آخرین لحظات زندگی و در آستانه قیامت میبینند، و

پردههای غفلت و بیخبری از جلو برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۹۵

چشمان آنها کنار میرود، و میبینند باید اموال و سرمایه ها را بگذارند و بروند پشیمان می شوند و تقاضای بازگشت به زندگی می کنند تا جبران کنند ولی دست رد بر سینه آنها گذارده می شود، چرا که سنّت الهی است که این راه، بازگشت ندارد!

سورة المنافقون(63): آية 11 ص: 195

(آیه ۱۱)- در آخرین آیه با قاطعیت تمام، می افزاید: «و خداوند هر گز (مرگ) کسی را، هنگامی که اجلش فرا رسد، به تأخیر نمی اندازد»! (و لن یؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها).

چنانکه در آیه ۳۴ سوره اعراف میخوانیم: «هنگامی که مرگ آنها فرا رسد، نه یک ساعت پیش می گیرند نه یک ساعت، تأخیر می کنند».

و سر انجام آیه را با این جمله پایان می دهد: «و خداوند به آنچه انجام می دهید آگاه است» (و الله خبیر بما تعملون).

و همه آنها را برای پاداش و کیفر، ثبت کرده و در برابر همه آنها به شما جزا می دهد.

«پایان سوره منافقون»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۹۷

سوره تغابن [64] ص: 197

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۱۸ آیه است

محتواي سوره: ص: 197

لحن آیات اخیر این سوره، با سورههای مدنی هماهنگ است، ولی صدر آن، با سورههای مکّی موافقتر است، اما به هر حال ما مجموع آن را طبق مشهور مدنی، تلقی می کنیم.

از نظر محتوا، این سوره را می توان به چند بخش تقسیم کرد:

۱- آغاز سوره که از توحید و صفات و افعال خدا بحث می کند.

۲- به دنبال آن، با استفاده از علم خداوند، به مردم هشدار میدهد که مراقب اعمال پنهان و آشکار خود باشند و سرنوشت اقوام پیشین را فراموش نکنند.

۳- در بخش دیگری از سوره، سخن از معاد است. و این که روز قیامت روز «تغابن» و مغبون شدن گروهی و برنده شدن گروه دیگری است (نام این سوره نیز از همین گرفته شده).

۴- در بخشی دیگر دستور به اطاعت خدا و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله داده و پایههای اصل نبوت را تحکیم میبخشد.

۵- آخرین بخش سوره، مردم را به انفاق در راه خـدا تشویق میکند و از این که فریفته اموال و اولاد و همسـران شوند بر حذر

میدارد، و سوره را با نام و صفات خدا پایان میدهد همان گونه که آغاز کرده بود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۹۸

فضيلت تلاوت سوره: ص: 198

در حدیثی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم: «کسی که سوره تغابن را در نماز فریضهاش بخواند شفیع او روز قیامت خواهد شد، و شاهد عادلی است در نزد کسی که شفاعت او را اجازه میدهد، سپس از او جدا نمی شود تا داخل بهشت گردد». بدیهی است این تلاوت باید تو آم با اندیشه باشد اندیشهای که محتوای آن را در عمل منعکس کند، تا این همه آثار و برکات بر آن مترتب گردد.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة التغابن(64): آية 1 ص: ١٩٨

(آیه ۱)- این سوره نیز با تسبیح خداوند آغاز می شود، خداوندی که مالک و حاکم بر کل جهان هستی، و قادر بر همه چیز است.

مى فرمايد: «آنچه در آسمانها و آنچه در زمين است براى خدا تسبيح مى گويند» (يسبح لله ما فى السماوات و ما فى الارض). سپس مى افزايد: «مالكيت و حكومت از آن اوست» (له الملك).

«و (به همین دلیل) تمام حمد و ستایش نیز به ذات پاک او بر می گردد» (و له الحمد).

«و او بر همه چیز تواناست» (و هو علی کل شیء قدیر).

سورة التغابن(64): آية ٢ ص: ١٩٨

(آیه ۲)- سپس به امر خلقت و آفرینش که لازمه قدرت است اشاره کرده، می فرماید: «او کسی است که شما را آفرید» (هو الذی خلقکم).

و به شما نعمت آزادی و اختیار داد، لذا «گروهی از شما کافرید و گروهی مؤمن» (فمنکم کافر و منکم مؤمن).

و به این ترتیب بازار امتحان و آزمایش الهی داغ شد و در این میان «خداوند نسبت به آنچه انجام میدهید بیناست» (و الله بما تعملون بصیر).

سورة التغابن(64): آية 3 ص: ١٩٨

(آیه ۳)– سپس مسأله «خلقت» را با توضیح بیشتر، و با اشاره به هـدف آفرینش در این آیه ادامه داده، میفرمایـد: «آسـمانها و زمین را به حق آفرید» (خلق برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۱۹۹

السماوات و الارض بالحق)

.هم در آفرینش آن، نظام حق و دقیقی است، و هم دارای هـدف حکیمانه و مصالح حقّی است، چنانکه در آیه ۲۷ سوره «ص»

نیز فرمود: «ما آسمان و زمین و آنچه را در میان این دو است بیهوده نیافریدیم، این گمان کافران است».

بعد به آفرینش «انسان» پرداخته و ما را از سیر آفاقی به سیر انفسی دعوت کرده، میافزاید: «و شما را (در عالم جنین) تصویر کرد، تصویری زیبا و دلپذیر» هم از نظر جسم و هم از نظر جان (و صورکم فاحسن صورکم).

به انسان، ظاهری آراسته، و باطنی پیراسته، عقلی فروزان و خردی نیرومند داد، و از آنچه در کل جهان هستی است، نمونههائی در وجود او آفرید.

ولی همان گونه که در پایان آیه می فرماید: «سر انجام (بازگشت همه) به سوی اوست» (و الیه المصیر).

سورة التغابن(64): آية 4 ص: 199

(آیه ۴) – و از آنجا که انسان برای هدف بزرگی آفریده شده باید دائما تحت مراقبت پروردگار باشد، پروردگاری که، از درون و برون او با خبر است، لذا در این آیه می فرماید: «آنچه را در آسمانها و زمین است می داند، و از آنچه پنهان یا آشکار می کنید با خبر است، و خداوند از آنچه در درون سینه هاست، آگاه است» (یعلم ما فی السماوات و الارض و یعلم ما تسرون و ما تعلنون و الله علیم بذات الصدور).

این آیه ترسیمی است از علم بیپایان خداوند، در سه مرحله: نخست علم او نسبت به تمامی موجودات آسمانها و زمین، سپس علم او به همه اعمال انسانها و آنچه را پنهان میدارند یا آشکار میسازند، و در مرحله سوم مخصوصا روی عقائد باطنی و چگونگی نیتها و آنچه بر قلب و جان انسان، حاکم است، تکیه میکند.

مسلما توجه به این حقیقت در اصلاح و تربیت انسان فوق العاده مؤثر است، و انسان را برای وصول به هدف آفرینش و قانون تکامل آماده میسازد.

سورة التغابن(64): آية ۵ ص: 199

(آیه ۵)- و از آنجا که یکی از مؤثّرترین وسائل تربیت و طرق انـذار، توجه دادن به سـرنوشت اقوام و امتهای پیشـین است، این آیه یک نگاه اجمالی به برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۰۰

زندگی آنها افکنده، سپس انسانها را مخاطب ساخته، می گوید: «آیا خبر کسانی که پیش از این کافر شدند به شما نرسیده است؟ (آری) آنها طعم کیفر گناهان بزرگ خود را چشیدند و (در آخرت نیز) عذاب دردناکی برای آنهاست»؟! (الم یأتکم نبأ الذین کفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم و لهم عذاب الیم).

شما از کنار شهرهای بلا دیـده و ویران شده آنها، در مسـیر خود به سوی شام و مناطق دیگر عبور می کنید، نتیجه کفر و ظلم و عصیانگری آنها را با چشم میبینید، و اخبار آنها را در تاریخ میخوانید.

این عذاب دنیای آنها بود، در آخرت نیز عذاب دردناکی در انتظارشان است.

سورة التغابن(64): آية 6 ص: 200

(آیه ۶)- این آیه به منشأ اصلی این سرنوشت دردناک اشاره کرده، میافزاید: «این به خاطر آن بود که رسولان آنها (پیوسته) با دلائل روشن به سراغشان می آمدنـد ولی آنها (از روی کبر و غرور) گفتنـد: آیا بشـرهایی (مثل ما) میخواهنـد ما را هدایت كنند»؟ مكر چنين چيزى ممكن است؟ (ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ا بشر يهدوننا).

و با این منطق پوشالی به مخالفت با آنها برخاستند «پس کافر شدند و روی برگرداندند» (فکفروا و تولوا).

«در حالی که خداوند (از ایمان و طاعتشان) بینیاز بود» (و استغنی الله). و اگر آنها را موظف به ایمان و اطاعت و پرهیز از گناه فرمود تنها برای منفعت خودشان و سعادت و نجاتشان در این جهان و جهان دیگر بود.

آرى «خداوند بينياز و شايسته ستايش است» (و الله غنى حميد).

اگر جمله کائنات کافر شوند بر دامان کبریائیش گردی نمینشیند، همان گونه که اگر همه مخلوقات مؤمن و مطیع فرمان او باشند چیزی بر جلالش افزوده نمیشود، این مائیم که نیازمند به این برنامههای تربیتی و سازنده و تکامل بخش هستیم.

سورة التغابن(64): آية 7 ص: 200

(آیه ۷)- در تعقیب بحثهایی که در آیات قبل، پیرامون هدفدار بودن آفرینش آمده در اینجا مسأله معاد و رستاخیز را- که تکمیلی است بر بحث هدف برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۰۱

آفرینش انسان- مطرح می کند.

نخست از ادعای بی دلیل، منکران رستاخیز، شروع کرده، می فرماید: «کافران پنداشتند که هرگز برانگیخته نخواهند شد» (زعم الذین کفروا ان لن یبعثوا).

سپس در تعقیب این سخن، به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهد «بگو: آری به پروردگارم سوگند همه شما (در قیامت) برانگیخته خواهید شد، سپس آنچه را عمل می کردید به شما خبر داده می شود، و این برای خداوند آسان است» (قل بلی و ربی لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم و ذلک علی الله یسیر).

وقتی که کار دست خداوند قادر متعال است مشکلی در میان نخواهد بود.

سورة التغابن(64): آية لا ص: 201

(آیه ۸)- در این آیه چنین نتیجه گیری می کند: اکنون که قطعا معادی در کار است، «به خدا و رسول او و نوری که نازل کرده ایم ایمان بیاورید» (فآمنوا بالله و رسوله و النور الذی انزلنا).

و بدانید «خداوند به آنچه انجام می دهید آگاه است» (و الله بما تعملون خبیر).

به این ترتیب دستور می دهد که خود را برای رستاخیز از طریق ایمان و عمل صالح آماده کنند، ایمان به سه اصل «خدا»، «پیامبر» و «قرآن» که اصول دیگر نیز در آن درج است.

سورة التغابن(64): آية 9 ص : 201

(آیه ۹)- روز تغابن و آشکار شدن غبنها در این آیه به توصیف روز قیامت پرداخته، چنین می گوید: «این (بعث و نشور و حساب و جزا) در زمانی خواهد بود که همه شما را در آن روز اجتماع [- روز رستاخیز] گردآوری می کند» (یوم یجمعکم لیوم الجمع).

یکی از نامهای قیامت «یوم الجمع» است که در آیات قرآن با تعبیرهای مختلف کرارا به آن اشاره شده است، از جمله در آیه

۴۹ و ۵۰ سوره واقعه میخوانیم: «بگو: تمام اولین و آخرین در میعاد روز معینی جمع میشونـد» و از آن به خوبی استفاده میشود که رستاخیز همه انسانها در یک روز است.

سپس می افزاید: «آن روز روز تغابن است» (ذلک یوم التغابن). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۰۲

روزی است که «غابن» (برنـده) و «مغبون» (بازنـده) شـناخته میشوند، روزی که روشن میشود چه کسانی در تجارت خود در عالم دنیا گرفتار غبن و خسارت و پشیمانی شدهاند؟

به این ترتیب یکی دیگر از نامهای قیامت «یوم التّغابن» روز ظهور غبنهاست.

سپس به بیان حال مؤمنان در آن روز پرداخته، میافزاید: «و هر کس به خدا ایمان بیاورد و عمل صالح انجام دهد، گناهان او را میبخشد و او را در باغهائی از بهشت که نهرها از زیر درختانش جاری است وارد میکند، جاودانه در آن میمانند و این پیروزی بزرگی است» (و من یؤمن بالله و یعمل صالحا یکفر عنه سیئاته و یدخله جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها ابدا ذلک الفوز العظیم).

به این ترتیب هنگامی که دو شرط اصلی، یعنی ایمان و عمل صالح حاصل شود، این مواهب عظیم پشت سر آن خواهد بود.

سورة التغابن(64): آية 10 ص: 202

(آیه ۱۰) - در این آیه می افزاید: «اما کسانی که کافر شدند، و آیات ما را تکذیب کردند اصحاب دوزخند، جاودانه در آن می مانند، و (سر انجام آنها) سر انجام بدی است» (و الذین کفروا و کذبوا بآیاتنا اولئک اصحاب النار خالدین فیها و بئس المصر).

در اینجا نیز، عامل بدبختی دو چیز شمرده شده است: «کفر» و «تکذیب آیات الهی» که ضد «ایمان» و «عمل صالح» است، و در نتیجه در آنجا سخن از بهشت جاویدان است و در اینجا از دوزخ همیشگی، آنجا فوز عظیم است و اینجا بئس المصیر و سر انجام مرگبار!

سورة التغابن(64): آية 11 ص: 202

(آیه ۱۱)- همه مصائب به فرمان اوست! در این آیه به یک اصل کلی در مورد مصائب و حوادث دردناک این جهان اشاره می کند، شاید از این جهت که همیشه وجود مصائب دستاویزی برای کفّار در مورد نفی عدالت در این جهان بوده است، و یا از این نظر که در راه تحقق ایمان و عمل صالح همیشه مشکلاتی وجود دارد که بدون مقاومت در برابر آنها بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۰۳

مؤمن به جائی نمیرسد، و به این ترتیب رابطه این آیات با آیات گذشته روشن میشود.

نخست مى فرمايد: «هيچ مصيبتى رخ نمى دهد مگر به اذن خدا» (ما اصاب من مصيبهٔ الا باذن الله).

منظور از «اذن» در اینجا همان اراده تکوینی خداوند است، نه اراده تشریعی.

از مجموع آیاتی که در باره مصائب در قرآن مجید آمده بر میآید که مصائب بر دو گونه است: مصائبی که با طبیعت زندگی انسان سرشته شده، و اراده بشر کمترین تأثیری در آن ندارد، مانند مرگ و میر و قسمتی از حوادث دردناک طبیعی. دوم مصائبی که انسان به نحوی در آن نقشی داشته باشد. قرآن در باره دسته اول می گوید: همه به اذن خدا روی میدهد و در باره قسم دوم می گوید: به خاطر اعمال خودتان دامانتان را می گیرد «۱».

سپس در دنباله آیه به مؤمنان بشارت می دهد که: «و هر کس به خدا ایمان آورد، خدا قلبش را هدایت می کند» (و من یؤمن بالله یهد قلبه). آن چنان که در برابر مصائب زانو نزند، مأیوس نشود، جزع و بیتابی نکند.

این هدایت الهی هنگامی که به سراغ انسان آید در نعمتها شاکر میشود و در مصیبتها صابر، و در برابر قضای الهی تسلیم. و در پایان آیه میفرماید: «و خداوند به هر چیز داناست» (و الله بکل شیء علیم).

این تعبیر می تواند اشاره اجمالی به فلسفه مصائب و بلاها باشد که خداوند روی علم و آگاهی بیپایانش برای تربیت بندگان و اعلام بیدارباش و مبارزه با هرگونه غرور و غفلت گهگاه در زندگانی آنها مصائبی ایجاد می کند، تا

(۱) شرح بیشتر این مطلب را ذیل آیات ۲۲ سوره حدید و ۳۰ سوره شوری و ۱۶۵ آل عمران مطالعه فرمائید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۰۴

به خواب فرو نروند و موقعیت خویش را در دنیا فراموش نکنند، و دست به طغیان و سرکشی نزنند.

سورة التغابن(64): آية 17 ص: 204

(آیه ۱۲) – و از آنجا که معرفت مبدأ و معاد که در آیات قبل، پایه ریزی شده و اثر حتمی آن، تلاش در راستای اطاعت خدا و پیامبر صلّی الله علیه و آله است، در این آیه میافزاید: «و اطاعت کنید خدا را و اطاعت کنید پیامبر را» (و اطیعوا الله و اطیعوا الله و اطبعوا الله و اطبعوا).

ناگفته پیداست که اطاعت رسول خدا صلّی الله علیه و آله نیز شعبهای از اطاعت خداوند است، چرا که او از خود چیزی نمی گوید، و تکرار «اطیعوا» در اینجا اشاره به همین است که این دو در عرض هم نیست، بلکه یکی از دیگری سر چشمه می گیرد، از این گذشته اطاعت خداوند، مربوط به اصول قوانین و تشریع الهی است، و اطاعت رسول مربوط به تفسیرها و مسائل اجرائی می باشد، بنابر این یکی اصل و دیگری فرع است.

سپس می فرماید: «اگر شما روی گردان شوید (و اطاعت نکنید، او هر گز مأمور به اجبار شما نیست) رسول ما جز ابلاغ آشکار وظیفهای ندارد» (فان تولیتم فانما علی رسولنا البلاغ المبین).

آرى! او موظف به رساندن پيام حق است، بعدا سر و كار شما با خداست، و اين تعبير يك نوع تهديد جدّى و سر بسته است.

سورة التغابن(64): آية 13 ص: 204

(آیه ۱۳) - در این آیه اشاره به مسأله توحید در عبودیت می کند که به منزله دلیلی برای وجوب اطاعت است، می فرماید: «خداوند (کسی است که) هیچ معبودی جز او نیست» (الله لا اله الا هو).

«مؤمنان بايد فقط بر او توكل كنند» (و على الله فليتوكل المؤمنون).

غیر از او هیچ کس شایسته عبودیت نیست، چرا که مالکیت و قدرت و علم و غنا، همه از آن اوست، و دیگران هر چه دارند، از او دارند. و به همین دلیل نباید در برابر غیر او سر تسلیم و تعظیم فرود آورند و نیز به همین دلیل برای حل هرگونه مشکل

باید از او مدد گیرند و فقط بر او توکل کنند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۰۵

سورة التغابن(64): آية 14 ص: 205

اشاره

(آیه ۱۴)

شأن نزول: ص: 205

در روایتی از امام باقر علیه السّیلام میخوانیم: که در مورد آیه «انّ من ازواجکم ...» فرمود: منظور این است که وقتی بعضی از مردان میخواستند هجرت کنند پسر و همسرش دامن او را می گرفتند و می گفتند: تو را به خدا سو گند که هجرت نکن، زیرا اگر بروی ما بعد از تو بی سرپرست خواهیم شد، بعضی می پذیرفتند و می ماندند، آیه نازل شد و آنها را از قبول این گونه پیشنهادها و اطاعت فرزندان و زنان در این زمینه ها بر حذر داشت.

اما بعضی دیگر اعتنا نمی کردند و میرفتند ولی به خانواده خود می گفتند: به خدا اگر با ما هجرت نکنید و بعدا در (دار الهجرهٔ) مدینه نزد ما آئید ما مطلقا به شما اعتنا نخواهیم کرد، ولی به آنها دستور داده شد که هر وقت خانواده آنها به آنها پیوستند گذشته را فراموش کنند و جمله «و ان تعفوا و تصفحوا ...» ناظر به همین معنی است.

تفسير: ص: ۲۰۵

اموال و فرزندانتان وسیله آزمایش شما هستند! از آنجا که در آیات گذشته فرمان به اطاعت بیقید و شرط خدا و رسولش آمده بود، و نیز یکی از موانع مهم این راه علاقه افراطی به اموال و همسران و فرزندان است در اینجا به مسلمانان در این زمینه هشدار می دهد.

نخست می گوید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! بعضی از همسران و فرزندانتان دشمنان شما هستند، از آنها بر حذر باشید» (یا ایها الذین آمنوا ان من ازواجکم و اولاد کم عدوا لکم فاحذروهم).

البته نشانههای این عـداوت کم نیست گاه میخواهیـد اقـدام به کار مثبتی همچون هجرت کنیـد دامان شـما را می گیرند و مانع این فیض عظیم میشوند، و گاه انتظار مرگ شما را می کشند تا ثروت شما را تملک کنند، و مانند اینها.

البته این دشمنی گاه در لباس دوستی است و به گمان خدمت است، و گاه به راستی با نیت سوء و قصد عداوت انجام می گیرد، و یا به قصد منافع خویشتن.

ولی از آنجا که ممکن است این دستور بهانهای برای خشونت و انتقام جوئی برگزید...تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۰۶ و افراط از ناحیه پدران و همسران گردد بلافاصله در ذیل آیه برای تعدیل آنها میفرماید: «و اگر عفو کنید و چشم بپوشید و ببخشید (خداوند شما را مشمول عفو و رحمتش قرار میدهد) چرا که خداوند بخشنده و مهربان است» (و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحیم).

بنابر این اگر آنها از کار خود پشیمان شدند و در مقام عذرخواهی برآمدند، و یا بعد از هجرت به شما پیوستند آنها را از خود نرانید، عفو و گذشت پیشه کنید، همان طور که انتظار دارید خدا هم با شما چنین کند.

سورة التغابن(64): آية 15 ص: 208

(آیه ۱۵)- در این آیه به یک اصل کلی دیگر در مورد اموال و فرزندان اشاره کرده، میفرماید: «اموال و فرزندانتان فقط وسیله آزمایش شما هستند»نما اموالکم و اولادکم فتنهٔ)

.و اگر در این میدان آزمایش، از عهده برآئید «اجر و پاداش عظیم نزد خداوند (از آن شما) خواهد بود» الله عنده اجر عظیم) در آیه گذشته تنها سخن از عداوت بعضی از همسران و فرزندان نسبت به انسان بود که او را از راه اطاعت خدا منحرف ساخته، به گناه، و گاهی به کفر می کشانند، ولی در اینجا سخن از همه فرزندان و اموال است که وسیله آزمایش انسانند.

در واقع این دو موضوع، بیش از هر چیز دیگر وسیله امتحان است، و به همین دلیل در روایتی از امیر مؤمنان علی علیه السّم الام میخوانیم که فرمود: «هیچ کس از شما نگوید: خداوندا! من به تو پناه می برم، از امتحان و آزمایش، چرا که هر کس دارای وسیله آزمایشی است (و حد اقل مال و فرزندی دارد و اصولا طبیعت زندگی دنیا، طبیعت آزمایش و بوته امتحان است) و لکن کسی که میخواهد به خدا پناه برد، از امتحانات گمراه کننده پناه برد چه این که خداوند می گوید. بدانید اموال و اولاد شما وسیله آزمون است».

سورة التغابن(64): آية 16 ص: 206

(آیه ۱۶)- در این آیه، به عنوان نتیجه گیری می فرماید: «پس تا می توانید تقوای الهی پیشه کنید و گوش دهید و اطاعت نمایید و انفاق کنید که برای شما بهتر برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۰۷

است» (فاتقوا الله ما استطعتم و اسمعوا و اطيعوا و انفقوا خيرا لانفسكم).

نخست دستور به اجتناب از گناهان می دهد- چرا که تقوا بیشتر ناظر به پرهیز از گناه است- و سپس دستور به اطاعت فرمان و شنیدنی که مقدمه این اطاعت است و از میان طاعات بخصوص روی مسأله انفاق که از مهمترین آزمایشهای الهی است تکیه می کند و سر انجام هم می گوید: سود تمام اینها عائد خود شما می شود.

در پایان آیه به عنوان تأکیدی بر مسأله انفاق می فرماید: «و کسانی که از بخل و حرص خویشتن مصون بمانند رستگارانند» (و من یوق شح نفسه فاولئک هم المفلحون).

این دو صفت رذیله از بزرگترین موانع رستگاری انسان، و بزرگترین سدّ راه انفاق و کارهای خیر است.

در حدیثی میخوانیم که امام صادق علیه السّ لام از شب تا صبح طواف خانه خدا به جا می آورد و پیوسته می فرمود: «اللّهمّ ق شحّ نفسی خداوندا! مرا از حرص و بخل خودم نگاهدار».

یکی از یارانش عرض می کند: فدایت شوم، امشب نشنیدم غیر از این دعا، دعای دیگری کنی! فرمود: «چه چیز از بخل و حرص نفس مهمتر است در حالی که خداوند می فرماید: و من یوق شح نفسه فاولئک هم المفلحون».

سورة التغابن(64): آية 17 ص: 207

(آیه ۱۷) - سپس برای تشویق به انفاق و جلوگیری از بخل و شعّ نفس می فرماید: «اگر به خدا، قرض الحسنه دهید، آن را برای شما مضاعف می سازد، و شما را می بخشد، و خداوند شکر کننده و بر دبار است» (ان تقرضوا الله قرضا حسنا یضاعفه لکم و یغفر لکم و الله شکور حلیم).

چه تعبیر عجیبی خدائی که آفریننده اصل و فرع وجود ما، و بخشنده تمام نعمتهاست از ما وام می طلبد! و در برابر آن وعده «اجر مضاعف و آمرزش» می دهد، و نیز از ما تشکر می کند، لطف و محبت بالاتر از این تصور نمی شود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۰۸

سورة التغابن(64): آية 18 ص: 208

(آیه ۱۸)- و بالاخره در آخرین آیه، میفرماید: «او دانای پنهان و آشکار است و او عزیز و حکیم است» (عالم الغیب و الشهادهٔ العزیز الحکیم).

از اعمال بندگان مخصوصا انفاقهای آنها، در نهان و آشکار، با خبر است، و اگر از آنها تقاضای قرض می کند، نه به خاطر نیاز و عدم قدرت است بلکه به خاطر کمال لطف و محبت است، و اگر این همه پاداش در برابر انفاقها به آنها و عده می دهد، این نیز مقتضای حکمت اوست.

«پایان سوره تغابن»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۰۹

سوره طلاق [64] ص: 209

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۱۲ آیه است

محتوای سوره: ص: 209

محتوای این سوره به دو بخش عمده تقسیم می شود.

بخش اول هفت آیه نخستین سوره است که پیرامون طلاق و مسائل مربوط به آن سخن می گوید.

بخش دوم که در حقیقت انگیزه اجرای بخش اول است از عظمت خداوند، و عظمت مقام رسول او، و پاداش صالحان، و مجازات بدکاران، بحث می کند، و مجموعه منسجمی را برای ضمانت اجرای این مسأله مهم اجتماعی ارائه می دهد، ضمنا این سوره نام دیگری نیز دارد و آن سوره «نساء قصری» (بر وزن و معنی صغری) در مقابل سوره معروف نساء است که «نساء کبری» می باشد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 209

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله آمده است: «هر کس سوره طلاق را بخواند (و آن را در برنامههای زندگی خود به کار بندد) بر سنت پیامبر از دنیا میرود».

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الطلاق(65): آية 1 ص: 209

اشاره

(آیه ۱)- شرایط طلاق و جدائی: در نخستین آیه روی سخن را به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله به عنوان پیشوای بزرگ مسلمانان کرده سپس یک حکم عمومی را با صیغه جمع بیان می کند، می فرماید: «ای پیامبر! هر زمان خواستید برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۱۰

زنان را طلاق دهید در زمان عدّه آنها را طلاق گویید» (یا ایها النبی اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن).

یعنی، صیغه طلاق در زمانی اجرا شود که زن از عادت ماهیانه پاک شده، و با همسرش نزدیکی نکرده باشد.

و این نخستین شرط طلاق است.

سپس به دومین حکم که مسأله نگهداشتن حساب عدّه است پرداخته، میفرماید: «و حساب عدّه را نگه دارید» (و احصوا العدهٔ).

دقیقا ملاحظه کنید که سه بار زن، ایّام پاکی خود را به پایان رسانید و عادت ماهیانه ببینید، هنگامی که سومین دوران پاکی پایان یافت، و وارد عادت ماهیانه سوّم شد، ایّام عدّه سر آمده و پایان یافته است.

قابل توجه این که: مخاطب به نگهداری حساب عدّه، مردان هستند، این به خاطر آن است که مسأله «حقّ نفقه و مسکن» بر عهده آنهاست، و همچنین «حق رجوع» نیز از آن آنان است، و گر نه زنان نیز موظفند که برای روشن شدن تکلیفشان حساب عدّه را دقیقا نگه دارند.

بعد از این دستور، همه مردم را به تقوا و پرهیز کاری دعوت کرده، می فرماید:

«و از خدائی که پروردگار شماست بپرهیزید» (و اتقوا الله ربکم).

او پروردگار و مربی شماست، و دستوراتش، ضامن سعادت شما میباشد، بنابر این فرمانهای او را به کار بندید و از عصیان و نافرمانیش بپرهیزید.

بعد به «سومین» و «چهارمین» حکم- که یکی مربوط به شوهران و دیگری مربوط به زنان است- پرداخته، میفرماید: «نه شما آنها را از خانههایشان، بیرون کنید و نه آنها (در دوران عدّه) بیرون روند» (لا تخرجوهن من بیوتهن و لا یخرجن).

گرچه بسیاری از بیخبران، این حکم اسلامی را به هنگام طلاق اصلا اجرا نمی کنند، و به محض جاری شدن صیغه طلاق، هم مرد به خود اجازه می دهد که زن را بیرون کند، و هم زن خود را آزاد می پندارد که از خانه شوهر خارج شود و به برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۱۱

خانه بستگان بازگردد، ولی این حکم اسلامی فلسفه بسیار مهمی دارد، زیرا علاوه بر حفظ احترام زن، غالبا زمینه را برای بازگشت شوهر از طلاق، و تحکیم پیوند زناشوئی، فراهم میسازد. پشت پا زدن به این حکم مهم اسلامی که در متن قرآن مجید آمده است سبب می شود بسیاری از طلاقها به جدائی دائم منتهی شود، در حالی که اگر این حکم اجرا می شد، غالبا به آشتی و بازگشت مجدّد منتهی می گشت.

ولی از آنجا که گاهی شرائطی فراهم میشود که نگهداری زن بعد از طلاق در خانه طاقت فرساست، به دنبال آن پنجمین حکم را به صورت استثناء اضافه کرده، می گوید: «مگر این که کار زشت آشکاری انجام دهند» (الا ان یأتین بفاحشهٔ مبینهٔ).

مثلاً آنقدر ناساز گاری، بدخلقی، و بد زبانی با همسر و کسان او کند که ادامه حضور او در منزل، باعث مشکلات بیشتر گردد.

به دنبال بیان این احکام به عنوان تأکید می افزاید: «اینها حدود و مرزهای الهی است و هر کس از حدود الهی تجاوز کند به خویشتن ستم کرده» (و تلک حدود الله و من یتعد حدود الله فقد ظلم نفسه).

چرا که این قوانین و مقررات الهی ضامن مصالح خود مکلفین است.

در پایان آیه ضمن اشاره لطیفی به فلسفه عدّه، و عدم خروج زنان از خانه و اقامتگاه اصلی، میفرماید: «تو نمی دانی شاید خداوند بعد از این، وضع تازه (و وسیله اصلاحی) فراهم کند» (لا تدری لعل الله یحدث بعد ذلک امرا).

با گذشتن زمان، طوفان خشم و غضب که غالبا موجب تصمیمهای ناگهانی در امر طلاق و جدائی می شود فرو می نشیند، و حضور دائمی زن در خانه در کنار مرد در مدّت عدّه، و یادآوری عواقب شوم طلاق، مخصوصا در آنجا که پای فرزندانی در کار است، و اظهار محبت هر یک نسبت به دیگری، زمینه ساز رجوع می گردد.

در حدیثی از امام باقر علیه السّ بلام میخوانیم: «زن مطلّقه در دوران عـدّهاش میتوانـد آرایش کنـد، سـرمه در چشم نمایـد، و موهای خود را رنگین، و خود را معطر، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۱۲

و هر لباسی که مورد علاقه اوست بپوشد، زیرا خداوند میفرماید: شاید خدا بعد از این ماجرا وضع تازهای فراهم سازد، و ممکن است از همین راه زن بار دیگر قلب مرد را تسخیر کرده و مرد رجوع کند».

طلاق منفورترين حلالها ص: 212

اصل مسأله طلاق یک ضرورت است، اما ضرورتی که باید به حد اقل ممکن تقلیل یابد، و تا آنجا که راهی برای ادامه زوجیت است کسی سراغ آن نرود.

به همین دلیل در روایات اسلامی، شدیدا از طلاق مذمت گردیده، در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: «چیزی از امور حلال، در پیشگاه خدا مبغوضتر از طلاق نیست».

چرا که طلاق مشکلات زیادی برای خانوادهها، زنان و مردان و مخصوصا فرزندان به وجود می آورد.

سورة الطلاق(65): آية ٢ ص: 212

(آیه ۲)- یا سازش یا جدائی خدا پسندانه! در ادامه بحثهای مربوط به «طلاق» در این آیه به چند حکم دیگر اشاره می کند، نخست می فرماید: «و چون عدّه آنها سر آمد، آنها را بطرز شایستهای نگه دارید یا بطرز شایستهای از آنان جدا شوید» (فاذا بلغن اجلهن فامسکوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف).

منظور از «بلغن اجلهنّ» (رسیدن به پایان مدت) رسیدن به اواخر مدت است. و گر نه رجوع کردن بعد از پایان عده جایز نیست مگر این که نگهداری آنها از طریق عقد جدید صورت گیرد.

همان گونه که زندگی مشترک باید روی اصول صحیح و طرز انسانی و شایسته باشد، جدائی نیز باید خالی از هر گونه جار و جنجال و دعوی و نزاع و بدگوئی و ناسزا و اجحاف و تضییع حقوق بوده باشد، چرا که ممکن است در آینده این زن و مرد بار دیگر به فکر تجدید زندگی مشترک بیفتند، ولی بدرفتاریهای هنگام جدائی چنان جوّ فکری آنها را تیره و تار ساخته که راه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۱۳

بازگشت را به روی آنها میبندد، از سوی دیگر بالاخره هر دو مسلمانند و متعلق به یک جامعه، و جدائی توأم با مخاصمه و امور ناشایست نه تنها در خود آنها اثر می گذارد که در فامیل دو طرف هم اثرات زیانباری دارد، و گاه زمینه همکاریهای آنها را در آینده بکلی بر باد میدهد.

سپس به دومین حکم اشاره کرده، می افزاید: «و (هنگام طلاق و جدائی) دو مرد عادل از خودتان را گواه گیرید» (و اشهدوا ذوی عدل منکم). تا اگر در آینده اختلافی روی دهد، هیچ یک از طرفین، نتوانند واقعیتها را انکار کنند.

و در سومین دستور، وظیفه شهود را چنین بیان می کند: «و شهادت را برای خدا برپا دارید» (و اقیموا الشهادهٔ لله).

مبادا تمایلی قلبی شما به یکی از دو طرف، مانع شهادت به حق باشد.

سپس به عنوان تأکید در باره تمام احکام گذشته می افزاید: «این چیزی است که مؤمنان به خدا و روز قیامت به آن اندرز داده می شوند»! (ذلکم یوعظ به من کان یؤمن بالله و الیوم الآخر).

و از آنجا که گاهی مسائل مربوط به معیشت و زندگی آینده و یا گرفتاریهای دیگر خانوادگی سبب می شود که دو همسر به هنگام طلاق یا رجوع، و یا دو شاهد به هنگام شهادت دادن از جادّه حق و عدالت منحرف شوند در پایان آیه می فرماید: «و هر کس از خدا بپرهیزد و ترک گناه کند خداوند برای او راه نجاتی قرار می دهد» و مشکلات زندگی او را حل می کند (و

سورة الطلاق(65): آية ٣ ص: 213

من يتق الله يجعل له مخرجا).

(آیه ۳)- «و او را از جائی که گمان ندارد روزی میدهد» (و یرزقه من حیث لا یحتسب).

«و هر کس بر خداونـد توکـل کنـد (و کـار خود را به او واگـذارد خـدا) کفـایت امرش را میکنـد» (و من یتوکل علی الله فهو حسبه).

«خداوند فرمان خود را به انجام مىرساند و خدا براى هر چيزى اندازهاى قرار دادهاست» (ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شىء قدرا).

به این ترتیب به زنان و مردان و شهود هشدار میدهد که از مشکلات حق برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۱۴ نهراسند، و مجری عدالت باشند، و گشایش کارهای بسته را از خدا بخواهند چرا که خداوند تضمین کرده که مشکل پرهیزکاران را بگشاید.

آیات فوق از امید بخش ترین آیات قرآن مجید است که تلاوت آن دل را صفا و جان را نور و ضیا میبخشد، پردههای یأس و نومید را میدرد، و به تمام افراد پرهیزکار با تقوا وعده نجات و حل مشکلات میدهد. در حدیثی از رسول خدا صلّی الله علیه و آله نقل شده که در تفسیر این آیه فرمود: «خداوند پرهیز کاران را از شبهات دنیا و حالات سخت مرگ و شدائد روز قیامت رهائی میبخشد».

سورة الطلاق(65): آية 4 ص: 214

(آیه ۴)- احکام زنان مطلّقه و حقوق آنها از جمله احکامی که از آیات گذشته استفاده شد لزوم نگهداشتن عده بعد از طلاق است، و از آنجا که در آیه ۲۲۸ سوره بقره حکم زنانی که عادت ماهیانه می بینند در مسأله عده روشن شده است که باید سه بار پاکی را پشت سر گذاشته عادت ماهانه ببینند هنگامی که برای بار سوم وارد عادت ماهانه شدند عدّه آنها پایان یافته، ولی در این میان افراد دیگری هستند که به عللی عادت ماهانه نمی بینند و یا باردارند، آیه مورد بحث حکم این افراد را روشن ساخته و بحث عدّه را تکمیل می کند.

نخست مى فرمايد: «و از زنانتان آنان كه از عادت ماهانه مأيوسند اگر در وضع آنها (از نظر باردارى) شك كنيد عدّه آنان سه ماه است» (و اللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثهٔ اشهر).

«و همچنین آنها که عادت ماهانه ندیدهاند» آنها نیز باید سه ماه تمام عدّه نگهدارند (و اللائی لم یحضن).

سپس به سومین گروه اشاره کرده، می افزاید: «و عدّه زنان باردار این است که بار خود را بر زمین بگذارند» (و اولات الاحمال اجلهن ان یضعن حملهن).

به این ترتیب حکم سه گروه دیگر از زنان در آیه فوق مشخص شده است، دو گروه باید سه ماه عدّه نگهدارند، و گروه سوم یعنی، زنان باردار با وضع حمل برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۱۵

عدّه آنان پایان می گیرد، خواه یک ساعت بعد از طلاق وضع حمل کنند یا مثلا هشت ماه.

منظور از جمله «ان ارتبتم» (هر گاه شک و تردید کنید) احتمال و شکّ در وجود «حمل» است، به این معنی که اگر بعد از سن یأس (سن پنجاه سالگی در زنان عادی و شصت سالگی در زنان قرشی) احتمال وجود حمل در زنی برود باید عدّه نگهدارد، این معنی هر چند کمتر اتفاق می افتد ولی گاه اتفاق افتاده است.

و بالاخره در پایان آیه مجددا روی مسأله تقوا تکیه کرده، میفرماید:

«و هر كس تقواى الهي پيشه كند خداوند كار را بر او آسان ميسازد» (و من يتق الله يجعل له من امره يسرا).

هم در این جهان و هم در جهان دیگر مشکلات او را- چه در رابطه با مسأله جدایی و طلاق و احکام آن و چه در رابطه با مسائل دیگر- به لطفش حل می کند.

سورة الطلاق(65): آية 5 ص: 215

(آیه ۵)- در این آیه باز برای تأکید بیشتر روی احکامی که در زمینه طلاق و عدّه در آیات قبل آمده، می افزاید: «این فرمان خداست که بر شما نازل کرده است» (ذلک امر الله انزله الیکم).

«و هر کس تقوای الهی پیشه کند (و از مخالفت فرمان او بپرهیزد) خداوند گناهانش را میبخشد، و پاداش او را بزرگ میدارد» (و من یتق الله یکفر عنه سیئاته و یعظم له اجرا).

سورة الطلاق(65): آية 6 ص: 215

(آیه ۶)- این آیه توضیح بیشتری در باره حقوق زن بعد از جدائی میدهد، هم از نظر «مسکن» و «نفقه» و هم از جهات دیگر. نخست در باره چگونگی مسکن زنان مطلّقه، میفرماید: «آنها را هر جا خودتان سکونت دارید و در توانایی شماست سکونت دهید» (اسکنوهن من حیث سکنتم من وجدکم).

سپس به حکم دیگری پرداخته، می گوید: «به آنها زیان نرسانید تا کار را بر برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۱۶ آنان تنگ کنید» و مجبور به ترک منزل شوند (و لا تضآروهن لتضیقوا علیهن).

مبادا كينه توزيها و عداوت و نفرت، شما را از راه حق و عدالت منحرف سازد، و آنها را از حقوق مسلّم خود در مسكن و نفقه محروم كنيد، و آن چنان در فشار قرار گيرند كه همه چيز را رها كرده، فرار كنند! در سومين حكم در مورد زنان باردار مى گويد: «و اگر باردار باشند نفقه آنها را بپردازيد تا وضع حمل كنند» (و ان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن).

زيرا مادام كه وضع حمل نكردهاند در حال عدّه هستند، و نفقه و مسكن بر همسر واجب است.

و در چهارمین حکم در مورد حقوق «زنان شیرده» میفرماید: «و اگر برای شما (فرزند را) شیر میدهند، پاداش آنها را بپردازید» (فان ارضعن لکم فآتوهن اجورهن).

اجرتی متناسب با مقدار و زمان شیر دادن بر حسب عرف و عادت.

و از آنجا که بسیار می شود نوزادان و کودکان مال المصالحه اختلافات دو همسر بعد از جدائی واقع می شوند در پنجمین حکم، یک دستور قاطع در این زمینه صادر کرده، می فرماید: در باره سرنوشت فرزندان کار را «با مشاوره شایسته انجام دهید» (و أتمروا بینکم بمعروف).

مبادا اختلافات دو همسر ضربه بر منافع کودکان وارد سازد از نظر جسمی و ظاهری گرفتار خسران شوند، و یا از نظر عاطفی از محبت و شفقت لایزم محروم بمانند، پدر و مادر موظفند خدا را در نظر گیرند، و منافع نوزاد بیدفاع را فدای اختلافات و اغراض خویش نکنند.

و از آنجا که گاهی توافق لازم میان دو همسر بعد از طلاق برای حفظ مصالح فرزند و مسأله شیر دادن حاصل نمی شود در شسمین حکم می فرماید: «و اگر هر کدام بر دیگری سخت گرفتید و به توافق نرسیدید زن دیگری شیر دادن آن بچه را بر عهده می گیرد» تا کشمکشها ادامه نیابد (و ان تعاسرتم فسترضع له اخری). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۱۷ اشاره به این که اگر اختلافها به طول انجامید خود را معطل نکنید، و کودک را به دیگری بسپارید.

سورة الطلاق(65): آية 7 ص: 217

(آیه ۷)- این آیه هفتمین و آخرین حکم را در این زمینه بیان کرده، می افزاید: «آنان که امکانات وسیعی دارند، از امکانات وسیع خود انفاق کنند، و آنها که تنگدستند، از آنچه که خدا به آنها داده انفاق نمایند، خداوند هیچ کس را جز به مقدار توانایی که به او داده، تکلیف نمی کند» (لینفق ذو سعهٔ من سعته و من قدر علیه رزقه فلینفق مما آتاه الله لا یکلف الله نفسا الا ما

دستور انفاق به اندازه توانائي هم مربوط به زناني است كه بعد از جدائي، شير دادن كودكان را بر عهده مي گيرنـد، و هم

مربوط به ایام عدّه است که در آیات قبل بطور اجمال اشاره شده بود.

به هر حال آنها که توانائی کافی دارند، باید مضایقه و سختگیری نکنند، و آنها که تمکن مالی ندارند، بیش از توانائی خود مأمور نیستند، و زنان نمی توانند ایرادی به آنها داشته باشند.

و در پایان آیه، برای این که تنگی معیشت، سبب خارج شدن از جاده حق و عدالت نگردد، و هیچ یک زبان به شکایت نگشایند، می فرماید: «خداوند به زودی بعد از سختیها، آسانی قرار می دهد» (سیجعل الله بعد عسر یسرا).

یعنی، غم مخورید، بیتابی نکنید، دنیا به یک حال نمیماند، مبادا مشکلات مقطعی و زود گذر رشته صبر و شکیبائی شما را پاره کند.

سورة الطلاق(65): آية 8 ص: 217

(آیه ۸)- سر انجام دردناک سرکشان شیوه قرآن این است که در بسیاری از موارد بعد از ذکر یک سلسله از دستورات عملی اشاره به وضع امتهای پیشین میکند، تا مسلمانان نتیجه «اطاعت» و «عصیان» را در سرگذشت آنها با چشم ببینند، و مسأله شکل حسی به خود گیرد.

لـذا در ایـن سـوره نیز بعـد از ذکر وظـائف مردان و زنـان در موقع طلاق و جـدائی به سـراغ همین معنی رفته، و به عاصـیان و گردنکشان هشدار میدهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۱۸

نخست می فرماید: «چه بسیار شهر و آبادیها که اهل آن از فرمان پروردگار و رسولانش سرپیچی کردند، و ما به شدت به حسابشان رسیدیم و به مجازات کم نظیری گرفتار ساختیم»! (و کاین من قریهٔ عتت عن امر ربها و رسله فحاسبناها حسابا شدیدا و عذبناها عذابا نکرا).

سورة الطلاق(65): آية 9 ص: 218

(آیه ۹) - سپس در این آیه می افزاید: «آنها آثار سوء کار خود را چشیدند، و عاقبت کارشان خسران بود» (فذاقت وبال امرها و کان عاقبهٔ امرها خسرا).

چه زیانی از این بدتر که سرمایه های خداداد را از کف دادند، و در این بازار تجارت دنیا نه تنها متاعی نخریدند بلکه سر انجام با عذاب الهی نابود شدند.

سورة الطلاق(65): آية 10 ص: 218

(آیه ۱۰)- سپس به عذاب اخروی آنها اشاره کرده، میفرماید: «خداوند عذاب سختی برای آنها آماده ساخته» (اعد الله لهم عذابا شدیدا).

عذابی دردناک، شدید، وحشت انگیز، خوار کننده، رسواگر، و همیشگی در دوزخ برای آنها از هم اکنون فراهم است. حال که چنین است «پس از (مخالفت فرمان) خدا بپرهیزید ای خردمندانی که ایمان آورده اید»! (فاتقوا الله یا اولی الالباب الذین آمنوا).

فكر و انديشه از يكسو، ايمان و آيات الهي از سوى ديگر، به شما هشدار ميدهد كه سرنوشت اقوام متمرد و طغيانگر را ببينيد،

و از آن عبرت بگیرید، مبادا در صف آنها واقع شوید.

سپس مؤمنان اندیشمند را مخاطب ساخته، می افزاید: «خداوند چیزی که مایه تذکر است بر شما نازل کرده است» (قد انزل الله الیکم ذکرا).

سورة الطلاق(65): آية 11 ص: 218

(آیه ۱۱)- «رسولی به سوی شما فرستاده که آیات روشن خدا را بر شما تلاوت میکند تما کسانی را که ایمان آورده و کارهای شایسته انجام دادهاند از تاریکیها به سوی نور، خارج سازد» (رسولا یتلوا علیکم آیات الله مبینات لیخرج الذین آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات الی النور).

هدف نهائی از ارسال این رسول و انزال این کتاب آسمانی این است که با برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۱۹ تلاـوت آیـات الهی آنهـا را از ظلمتهـای کفر و جهل و گناه و فساد اخلاق بیرون آورده، به سوی نور ایمان، و توحیـد، و تقوا، رهنمون گردد.

و در پایان آیه به اجر و پاداش کسانی که ایمان و عمل صالح دارند اشاره کرده، می افزاید: «و هر کس به خدا ایمان آورده و اعمال صالح انجام دهد (و این راه را تداوم بخشد خداوند) او را در باغهایی از بهشت وارد می سازد که از زیر (درختانش) نهرها جاری است، جاودانه در آن می مانند، و خداوند روزی نیکوئی برای او قرار داده است» (و من یؤمن بالله و یعمل صالحا یدخله جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها ابدا قد احسن الله له رزقا).

تعبیر «رزقـا» مفهوم وسیعی دارد که هرگونه موهبت الهی را در آخرت و حتی در دنیا نیز در بر میگیرد، چرا که افراد مؤمن و پرهیزکار در این دنیا نیز زندگی پاکتر و آرامتر و لذتبخش تری دارند.

سورة الطلاق(65): آية ١٢ ص: ٢١٩

(آیه ۱۲)– هدف از آفرینش عالم، معرفت است این آیه– که آخرین آیه سوره طلاق است– اشاره پرمعنی و روشنی به عظمت قدرت خداوند در آفرینش آسمانها و زمین، و نیز هدف نهائی این آفرینش دارد.

نخست مى فرمايد: «خداوند همان كسى است كه هفت آسمان را آفريد» (الله الذي خلق سبع سماوات).

«و از زمین نیز همانند آنها را» (و من الارض مثلهن).

یعنی، همان گونه که آسمانها «هفتگانه» اند زمینها نیز هفتگانه میباشند، و این تنها آیهای از قرآن مجید است که اشاره به زمینهای هفتگانه می کند.

با توجه به آیه ۶ سوره صافات که می گوید: «ما آسمان نزدیک (آسمان اول) را با کواکب و ستارگان زینت بخشیدیم».

روشن می شود که آنچه ما می بینیم و علم و دانش بشر به آن احاطه دارد همه مربوط به آسمان اول است، و ماورای این ثوابت و سیّارات، شش عالم دیگر وجود دارد که از دسترس علم ما بیرون است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۲۰

و سیارات، سس عالم دیگر وجود دارد که از دسترس علم ما بیرون است. بر دریده نفسیر نمونه، ج ما ص. ۱۱۰ اما زمینهای هفتگانه ممکن است اشاره به طبقات مختلف کره زمین باشد، زیرا امروز ثابت شده که زمین از قشرهای گوناگونی تشکیل یافته، و یا اشاره به اقلیمهای هفتگانه روی زمین باشد چرا که هم در گذشته و هم امروز کره زمین را به هفت «منطقه» تقسیم می کردند. سپس به مسأله تدبير اين عالم بزرگ به فرمان خداوند اشاره كرده، مىافزايد:

«فرمان او در ميان آنها پيوسته فرود مي آيد» (يتنزل الامر بينهن).

و در پایان به هدف این آفرینش عظیم اشاره کرده، می گوید: «اینها همه به خاطر آن است «تا بدانید خداوند بر هر چیز تواناست و این که علم خداوند به همه چیز احاطه دارد» (لتعلموا ان الله علی کل شیء قدیر و ان الله قد احاط بکل شیء علما). انسان باید بداند او بر تمام اسرار وجودش احاطه دارد، و از همه اعمالش با خبر است، و نیز بداند وعدههایش در زمینه معاد و رستاخیز، در زمینه پاداش و کیفر و در زمینه وعده پیروزی مؤمنان تخلف ناپذیر است.

«پایان سوره طلاق»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۲۱

سوره تحريم [66] ص: 271

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۱۲ آیه است

محتواي سوره: ص: 221

این سوره عمدتا از چهار بخش تشکیل شده است:

بخش اول که از آیه یک تا پنج ادامه دارد مربوط به ماجرای پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با بعضی از همسرانش میباشد. بخش دوم که از آیه ۶ تا ۸ ادامه دارد خطابی است کلی به همه مؤمنان در مورد مراقبت در امر تعلیم و تربیت خانواده، و لزوم توبه از گناهان.

بخش سوم که تنها یک آیه است، خطاب به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در مورد جهاد با کفار و منافقین است. در بخش چهـارم که شامل آیه ۱۰ تا ۱۲ میباشـد، خداونـد برای تبیین بخشـهای قبل شـرح حال دو نفر از زنان صالح (مریم و

همسر فرعون) و دو نفر از زنان ناصالح (همسر نوح و همسر لوط) را بیان کرده است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 221

در حدیثی از امام صادق علیه السّ بلام میخوانیم: «هر کس سوره طلاق و تحریم را در نماز فریضه بخواند، خداوند او را در قیامت از ترس و اندوه پناه میدهد، و از آتش دوزخ رهائی میبخشد، و او را به خاطر تلاوت این سوره و مداومت بر آن، وارد بهشت میکند، زیر این دو سوره، از آن پیغمبر صلّی الله علیه و آله است».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۲۲

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة التحريم(66): آية 1 ص: 222

(آیه ۱)

شأن نزول: ص: 222

پیامبر صلّی الله علیه و آله گاه که نزد «زینب بنت جحش» (یکی از همسرانش) می رفت زینب او را نگاه می داشت و از عسلی که تهیه کرده بود خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله می آورد، این سخن به گوش «عایشه» رسید، و بر او گران آمده، می گوید: من با «حفصه» (یکی دیگر از همسران پیامبر صلّی الله علیه و آله) قرار گذاشتیم که هر وقت پیامبر صلّی الله علیه و آله نزد یکی از ما آمد فورا بگوئیم، آیا صمغ «مغافیر» خوردهای؟! «مغافیر» صمغی بود که یکی از درختان حجاز به نام «عرفط» تراوش می کرد و بوی نامناسبی داشت و پیامبر صلّی الله علیه و آله مقیّد بود که هر گز بوی نامناسبی از دهان یا لباسش استشمام نشود. روزی پیامبر صلّی الله علیه و آله نزد «حفصه» آمد، او این سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله گفت.

حضرت فرمود: من «مغافیر» نخورده ام، بلکه عسلی نزد زینب بنت جحش نوشیدم، و من سوگند یاد می کنم که دیگر از آن عسل ننوشم ولی این سخن را به کسی مگو- مبادا به گوش مردم برسد، و بگویند چرا پیامبر غذای حلالی را بر خود تحریم کرده، و یا از کار پیامبر در این مورد و یا مشابه آن تبعیت کنند، و یا به گوش زینب برسد و او دل شکسته شود.

ولی سر انجام او این راز را افشا کرد، و بعدا معلوم شد اصل این قضیه توطئهای بوده است، پیامبر صلّی الله علیه و آله سخت ناراحت شد و پنج آیه اول این سوره نازل گشت- و ماجرا را چنان پایان داد که دیگر این گونه کارها در درون خانه پیامبر صلّی الله علیه و آله تکرار نشود.

تفسير: ص: ٢٢٢

سرزنش شدید نسبت به بعضی از همسران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بدون شک مرد بزرگی همچون پیغمبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله تنها به خودش تعلق نـدارد، بلکه به تمـام جـامعه اسـلامی و عـالم بشـریت متعلق است، بنـابر این اگر در داخل خانه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۲۳

او توطئههایی بر ضد وی، هر چند به ظاهر کوچک و ناچیز، انجام گیرد نباید به سادگی از کنار آن گذشت.

آیه مورد بحث در حقیقت قاطعیتی است از سوی خداوند بزرگ در برابر چنین حادثهای، و برای حفظ حیثیت پیامبرش.

نخست روی سخن را به خود پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، می گوید: «ای پیامبر! چرا چیزی را که خدا بر تو حلال کرده به خاطر جلب رضایت همسرانت بر خود حرام می کنی»؟! (یا ایها النبی لم تحرم ما احل الله لک تبتغی مرضات ازواجک).

معلوم است که این تحریم، تحریم شرعی نبود، بلکه بطوری که از آیات بعد استفاده می شود سوگندی از ناحیه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله یاد شده بود و می دانیم که قسم خوردن بر ترک بعضی از مباحات گناهی ندارد.

بنابر این جمله «لم تحرّم» (جرا بر خود حرام می کنی؟) به عنوان عتاب و سرزنش نیست بلکه نوعی دلسوزی و شفقت است. سپس در پایان آیه می افزاید: «و خداوند آمرزنده و رحیم است» (و الله غفور رحیم).

این عفو و رحمت نسبت به همسران است که موجبات آن حادثه را فراهم کردند که اگر راستی توبه کنند مشمول آن خواهند بود.

سورة التحريم(66): آية ٢ ص: 223

(آیه ۲)- در این آیه اضافه می کند: «خداوند راه گشودن سو گندهایتان را (در این گونه موارد) روشن ساخته است» (قد فرض الله لکم تحلهٔ ایمانکم).

به این ترتیب که کفّاره قسم را بدهید و خود را آزاد سازید.

سپس مى افزايد: «و خداوند مولاى شماست و او دانا و حكيم است» (و الله مولاكم و هو العليم الحكيم).

لذا او راه نجات از این گونه سوگندها را برای شما هموار ساخته، و طبق علم و حکمتش مشکل را برای شما گشوده است. از روایات استفاده می شود که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بعد از نزول این آیه بردهای آزاد کرد و آنچه را بر خود از طریق قسم

حرام کرده بود حلال نمود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۲۴

سورة التحريم (66): آية ٣ ص: 224

(آیه ۳) - در این آیه شرح بیشتری پیرامون این ماجرا داده، می فرماید:

«به خاطر بیاورید هنگامی را که پیامبر یکی از رازهای خود را به بعضی از همسرانش گفت، ولی هنگامی که وی آن را افشا کرد و خداوند پیامبرش را از آن آگاه ساخت، قسمتی از آن را برای او بازگو کرد و از قسمت دیگر خودداری نمود» (و اذ اسر النبی الی بعض ازواجه حدیثا فلما نبات به و اظهره الله علیه عرف بعضه و اعرض عن بعض).

این راز دو مطلب بود: یکی نوشیدن عسل نزد همسرش زینب بنت جحش، و دیگری تحریم نوشیدن آن بر خود در آینده بود، و منظور از همسر غیر رازدارش در این آیه «حفصه» بود، که او این سخن را شنید و به «عایشه» بازگو کرد.

به هر حال «هنگامی که پیامبر همسرش را از آن خبر داد، گفت: چه کسی تو را از این راز آگاه ساخت»؟ (فلما نباها به قالت من انبأک هذا).

«كفت: خداوند عالم و آكاه مرا با خبر ساخت» (قال نبأني العليم الخبير).

از مجموع این آیه بر می آید که بعضی از همسران پیامبر صلّی الله علیه و آله نه تنها او را با سخنان خود ناراحت می کردند بلکه مسأله رازداری که از مهمترین شرائط یک همسر باوفاست نیز در آنها نبود.

سورة التحريم (66): آية 4 ص: 224

(آیه ۴)- سپس روی سخن را به این دو همسر- که در توطئه بالا دست داشتند- کرده، می گوید: «اگر شما از کار خود توبه کنید (و دست از آزار پیامبر صلّی الله علیه و آله بردارید به نفع شماست زیرا) دلهایتان با این عمل از حق منحرف گشته» و به گناه آلوده شده (ان تتوبا الی الله فقد صغت قلوبکما).

منظور از این دو نفر به اتفاق مفسران شیعه و اهل سنّت، «حفصه» و «عایشه» است که به ترتیب دختران «عمر» و «ابو بکر» بودند.

سپس اضافه می کند: «و اگر بر ضد او دست به دست هم دهید (کاری از پیش نخواهید برد) چرا که خداوند یاور اوست، و همچنین جبرئیل و مؤمنان صالح، و فرشتگان بعد از آنان پشتیبان او هستند» (و ان تظاهرا علیه فان الله هو مولاه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۲۵

و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهير)

این تعبیر، نشان می دهد که تا چه حد این ماجرا در قلب پاک پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و روح عظیم او تأثیر منفی گذاشت، تا آنجا که خداوند به دفاع از او پرداخته، و با این که قدرت خودش از هر نظر کافی است، حمایت جبرئیل و مؤمنان صالح و فرشتگان دیگر را نیز اعلام می دارد.

«صالح المؤمنین» معنی وسیعی دارد که همه مؤمنان صالح و با تقوا و کامل الایمان را شامل می شود، اما در این که مصداق اتم و اکمل. آن در اینجا کیست؟ از روایات متعددی استفاده می شود که منظور امیر مؤمنان علی علیه السّلام است.

سورة التحريم(66): آية ۵ ص: 220

(آیه ۵)- در این آیه خداوند روی سخن را به تمام زنان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، با لحنی که خالی از تهدید نیست می فرماید: «امید است اگر او شما را طلاق گوید پروردگارش به جای شما همسرانی بهتر برای او قرار دهد همسرانی مسلمان، مؤمن، متواضع، توبه کار، عابد، هجرت کننده، زنانی غیر باکره و باکره» (عسی ربه ان طلقکن ان یبدله ازواجا خیرا منکن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثیبات و ابکارا).

به این ترتیب به آنها هشدار میدهد تصور نکنند که پیامبر هرگز آنها را طلاق نخواهد داد، و نیز تصور نکنند که اگر آنها را طلاق دهد همسرانی بهتر از آنان جانشین آنها نمی شود.

در آیه فوق قرآن شش وصف برای همسران خوب شمرده است که می تواند الگوئی برای همه مسلمانان به هنگام انتخاب همسر باشد.

سورة التحريم (66): آية 6 ص: 225

(آیه ۶)- خانواده خود را از آتش دوزخ نجات دهید! به دنبال اخطار و سرزنش نسبت به بعضی از همسران پیامبر صلّی الله علیه و آله، خداوند در این آیه، روی سخن را به همه مؤمنان کرده، و دستوراتی در باره تعلیم و تربیت همسر و فرزندان و خانواده به آنها میدهد.

نخست می فرماید: «ای کسانی که ایمان آورده اید! خود و خانواده خویش را از آتشی که هیزم آن انسانها و سنگهاست نگه دارید» (یا ایها الذین آمنوا قوا برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۲۶

انفسكم و اهليكم نارا وقودها الناس و الحجارة)

.نگهداری خویشتن به ترک معاصی و عدم تسلیم در برابر شهوات سرکش است، و نگهداری خانواده به تعلیم و تربیت و امر به معروف و نهی از منکر، و فراهم ساختن محیطی پاک و خالی از هرگونه آلودگی، در فضای خانه و خانواده است.

این برنامهای است که بایـد از نخستین سـنگ بنای خانواده، یعنی از مقـدمات ازدواج، و سـپس نخستین لحظه تولد فرزند آغاز گردد، و در تمام مراحل با برنامهریزی صحیح و با نهایت دقت تعقیب شود. سپس می افزاید: «فرشتگانی بر آن آتش گمارده شده، که خشن و سختگیرند و هرگز فرمان خدا را مخالفت نمی کنند، و آنچه فرمان داده شدهاند (بطور کامل) اجرا می کنند» (علیها ملائکهٔ غلاظ شداد لا یعصون الله ما امرهم و یفعلون ما یؤمرون). و به این ترتیب، نه راه گریزی وجود دارد و نه گریه و التماس و جزع و فزع مؤثر است.

سورة التحريم(66): آية ٧ ص: 276

(آیه ۷)- در این آیه کفار را مخاطب ساخته، و وضع آنها را در آن روز بازگو می کند می فرماید: «ای کسانی که کافر شده اید! امروز عذرخواهی نکنید، چرا که تنها به اعمالتان جزا داده می شوید» (یا ایها الذین کفروا لا تعتذروا الیوم انما تجزون ما کنتم تعملون).

سورة التحريم(66): آية 1 ص: 278

(آیه ۸)- این آیه در حقیقت راه نجات از آتش دوزخ را نشان میدهد، می گوید: «ای کسانی که ایمان آوردهاید! به سوی خدا توبه کنید، توبهای خالص» (یا ایها الذین آمنوا توبوا الی الله توبهٔ نصوحا).

آری! نخستین گام برای نجات، توبه از گناه است، توبهای که از هر نظر خالص باشد، توبهای که محرک آن فرمان خدا بوده باشد.

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم هنگامی که «معاذ بن جبل» از توبه نصوح سؤال کرد، در پاسخ فرمود: «آن است که شخص توبه کننده به برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۲۷

هیچ وجه بازگشت به گناه نکند آن چنان که شیر به پستان هرگز باز نمی گردد»! این تعبیر لطیف بیانگر این واقعیت است که توبه نصوح چنان انقلابی در انسان ایجاد می کند که راه بازگشت به گذشته را بکلی بر او میبندد همان گونه که بازگشت شیر به پستان غیر ممکن است.

سپس به آثار این توبه نصوح اشاره کرده، میافزاید: «امید است (با این کار) پروردگارتان گناهانتان را ببخشد» (عسی ربکم ان یکفر عنکم سیئاتکم).

«و شما را در باغهائی از بهشت که نهرها از زیر درختانش جاری است وارد کند» (و یدخلکم جنات تجری من تحتها الانهار). این کار «در روزی خواهد بود که خداوند پیامبر و کسانی را که با او ایمان آوردند خوار نمی کند» (یوم لا یخزی الله النبی و الذین آمنوا معه).

«این در حالی است که نور (ایمان و عمل صالح) آنها از پیشاپیش و از سوی راستشان در حرکت است» و عرصه محشر را روشن میسازد، و راه آنها را به سوی بهشت می گشاید (نورهم یسعی بین ایدیهم و بایمانهم).

در اینجاست که آنها رو به درگاه خداوند آورده «و میگویند: پروردگارا! نور ما را کامل کن، و ما را ببخش که تو بر هر چیز توانایی» (یقولون ربنا اتمم لنا نورنا و اغفر لنا انک علی کل شیء قدیر).

سورة التحريم(66): آية ٩ ص: 227

(آیه ۹)– از آنجا که منافقان از افشای اسرار درونی خانه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و بروز مشاجرات و اختلافهائی در میان

همسران او که در آیات قبل به آن اشاره شده قطعا خوشحال بودند، بلکه به شایعات در این زمینه دامن میزدند شاید به همین مناسبت در این آیه دستور شدت عمل در باره آنها داده، میفرماید: «ای پیامبر! با کفّار و منافقین پیکار کن و بر آنان سخت بگیر جایگاهشان جهنم است و بدفرجامی است» (یا ایها النبی جاهد الکفار و المنافقین و اغلظ علیهم و ماواهم جهنم و بئس المصیر).

این جهاد در مورد کفار ممکن است به صورت مسلحانه یا غیر مسلحانه بوده باشد، ولی در مورد منافقان بدون شک جهاد مسلحانه نیست، زیرا در هیچ تاریخی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۲۸

نقل نشده که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با منافقان پیکار مسلحانه کرده باشد، بلکه مراد از جهاد با آنها همان توبیخ و سرزنش و تهدید و انذار و رسوا ساختن آنها، و یا در بعضی از موارد تألیف قلوب آنهاست.

البته بعد از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله امیر مؤمنان علی علیه السّلام با منافقان مسلح به نبرد برخاست.

سورة التحريم(66): آية ١٠ ص: ٢٢٨

(آیه ۱۰)-الگوهائی از زنان مؤمن و کافر: بار دیگر به ماجرای همسران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله باز می گردد، و برای این که درس عملی زندهای به آنها بدهد به ذکر سرنوشت فشرده دو نفر از زنان بی تقوا که در خانه دو پیامبر بزرگ خدا بودند، و سرنوشت دو زن مؤمن و ایثارگر که یکی از آنها در خانه یکی از جبارترین مردان تاریخ بود می پردازد.

نخست می فرماید: «خداوند برای کسانی که کافر شده اند به همسر نوح و همسر لوط مثل زده است» (ضرب الله مثلا للذین کفروا امرأت نوح و امرات لوط).

«آن دو تحت سرپرستی دو بنده از بندگان صالح ما بودند، ولی به آن دو خیانت کردند» (کانتا تحت عبدین من عبادنا صالحین فخانتاهما).

«اما ارتباط با این دو (پیامبر) سودی به حالشان (در برابر عذاب الهی) نداشت، و به آنها گفته شد: وارد آتش شوید همراه کسانی که وارد میشوند» (فلم یغنیا عنهما من الله شیئا و قیل ادخلا النار مع الداخلین).

و به این ترتیب، به دو همسر پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله که در ماجرای افشای اسرار و آزار آن حضرت دخالت داشتند هشدار می دهد که گمان نکنند همسری پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به تنهائی می تواند مانع کیفر آنها باشد و در ضمن هشداری است به همه مؤمنان در تمام قشرها که پیوندهای خود را با اولیاء اللّه در صورت گناه و عصیان مانع عذاب الهی نپندارند.

به هر حال این دو زن به این دو پیامبر بزرگ خیانت کردند، البته خیانت آنها هر گز انحراف از جاده عفت نبود، زیرا هرگز همسر هیچ پیامبری آلوده به بیعفتی نشده است، چنانکه در حدیثی از پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله صریحا آمده است: «همسر هیچ برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۲۹

پیامبری هر گز آلوده عمل منافی عفت نشد».

سورة التحريم(66): آية 11 ص : 229

(آیه ۱۱)– سپس دو مثال برای افراد با ایمان ذکر کرده، می گوید: «و خداونید برای مؤمنان به همسر فرعون مثل زده است در آن هنگیام که گفت: پروردگارا! خانهای برای من نزد خودت در بهشت بساز، و مرا از فرعون و کار او نجات ده و مرا از گروه ستمكران رهايي بخش» (و ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرات فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنه و نجني من فرعون و عمله و نجني من القوم الظالمين).

معروف این است که نام همسر فرعون «آسیه» و نام پدرش «مزاحم» بوده است، گفته اند هنگامی که معجزه موسی علیه السّلام را در مقابل ساحران مشاهده کرد اعماق قلبش به نور ایمان روشن شد، و از همان لحظه به موسی ایمان آورد او پیوسته ایمان خود را مکتوم می داشت، هنگامی که فرعون از ایمان او با خبر شد بارها او را نهی کرد، ولی این زن با استقامت هرگز تسلیم خواسته فرعون نشد.

سر انجام فرعون دستور داد دست و پاهایش را با میخها بسته، در زیر آفتاب سوزان قرار دهند، و سنگ عظیمی بر سینه او بیفکنند، هنگامی که آخرین لحظه های عمر خود را می گذراند دعایش این بود «پروردگارا! برای من خانهای در بهشت در جوار خودت بنا کن و مرا از فرعون و اعمالش رهائی بخش و مرا از این قوم ظالم نجات ده»! خداوند نیز دعای این مؤمن پاکباز فداکار را اجابت فرمود و او را در کنار بهترین زنان جهان مانند مریم قرار داد.

در روایتی از رسول خدا صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «برترین زنان اهل بهشت چهار نفرند «خدیجه» دختر خویلد و «فاطمه» دختر محمد صلّی الله علیه و آله و «مریم» دختر عمران و «آسیه» دختر مزاحم همسر فرعون».

سورة التحريم(66): آية ١٢ ص: ٢٢٩

(آیه ۱۲)- سپس به دومین زن با شخصیت که الگوئی برای افراد با ایمان محسوب می شود اشاره کرده، می فرماید: و نیز خداوند مثلی زده است به «مریم برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۳۰

دختر عمران که دامان خود را پاک نگه داشت» (و مریم ابنت عمران التی احصنت فرجها).

«و ما از روح خود در آن دمیدیم» (فنفخنا فیه من روحنا).

و او به فرمان خدا بدون داشتن همسر، فرزندی آورد که پیامبر اولوا العزم پروردگار شد.

سپس می افزاید: «او سخنان پروردگار و کتابهایش را تصدیق کرد» و به همه آنها ایمان آورد (و صدقت بکلمات ربها و کتبه). «و از مطیعان فرمان خدا بود» (و کانت من القانتین).

از نظر ایمان در سر حد اعلی قرار داشت، و به تمام کتب آسمانی و اوامر الهی مؤمن، و از نظر عمل پیوسته مطیع اوامر الهی بود، و بندهای بود جان و دل بر کف، و چشم بر امر و گوش بر فرمان داشت.

«پایان سوره تحریم»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۳۱

آغاز جزء 29 قرآن مجید ص: 231

سوره ملك [67] ص: 231

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۳۰ آیه است

محتوای سوره: ص : 231

سوره ملک- که نام دیگرش «منجیه» (نجاتبخش) و نام سومش «واقیه» یا «مانعه» است زیرا تلاوت کننده خود را از عذاب الهی یا عـذاب قبر نگاه میدارد- از سورههای بسـیار پرفضـیلت قرآن میباشـد، و مسائل زیادی در آن مطرح شـده که عمدتا بر سـه محور دور میزند.

۱- بحثهائی پیرامون «مبدأ» و صفات خداوند، و نظام شگفتانگیز خلقت مخصوصا آفرینش آسمانها و ستارگان، و آفرینش زمین و مواهب آن، و همچنین آفرینش پرندگان، و آبهای جاری و آفرینش گوش و چشم و ابزار شناخت.

۲- بحثهائی پیرامون «معاد» و عذاب دوزخ، و گفتگوهای مأموران عذاب با دوزخیان، و مانند آن.

۳- انذار و تهدید کافران و ظالمان به انواع عذابهای دنیا و آخرت.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 231

در حدیثی از امام باقر علیه السّ لام میخوانیم که فرمود: «سوره ملک سوره «مانعه» است، یعنی از عذاب قبر ممانعت میکند، و در تورات به همین نام ثبت است، کسی که آن را در شبی بخواند بسیار خوانده، و خوب خوانده، و از غافلان محسوب نمی شود». برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۳۲

البته این همه آثار عظیم مربوط به خواندن بدون فکر و عمل نیست، هدف خواندنی است آمیخته با الهام گرفتن برای عمل. بسم الله الرحمن الرحیم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورة الملك(67): آية 1 ص: 222

(آیه ۱)- این سوره با مسأله مهم مالکیت و حاکمیت خداوند و جاودانگی ذات پاک او آغاز می شود که در واقع کلید همه بحثهای این سوره است.

مى فرمايد: «پر بركت و زوال ناپذير است كسى كه حكومت جهان هستى به دست اوست، و او بر هر چيز تواناست» (تبارك الذي بيده الملك و هو على كل شيء قدير).

سورة الملك(67): آية 7 ص: 222

(آیه ۲)- در این آیه به هدف آفرینش مرگ و حیات انسان که از شؤون مالکیت و حاکمیت خداست اشاره کرده، می فرماید: «آن کسی که مرگ و حیات را آفرید تا شما را بیازماید که کدامیک از شما بهتر عمل می کنید» (الذی خلق الموت و الحیاهٔ لیبلوکم ایکم احسن عملا).

منظور از آزمایش خداوند نوعی پرورش است، به این معنی که انسانها را به میدان عمل میکشد تا ورزیده و آزموده و پاک و پاکیزه شوند. و لایق قرب خدا گردند.

به این ترتیب عالم میدان آزمایش بزرگی است برای همه انسانها و وسیله آزمایش، مرگ و حیات، و هدف این آزمون بزرگ رسیدن به حسن عمل، که مفهومش «تکامل معرفت، و اخلاص نیّت، و انجام هر کار خیر» است.

و از آنجا که در این میدان آزمایش بزرگ، انسان گرفتار لغزشهای فراوانی می شود و نباید این لغزشها او را مأیوس کند، و از تلاش و کوشش برای اصلاح خویش باز دارد، در پایان آیه به بندگان و عده یاری و آمرزش داده می گوید: «و او شکست ناپذیر و بخشنده است» (و هو العزیز الغفور).

سورة الملك(67): آية 3 ص: 222

(آیه ۳)– بعد از بیان نظام مرگ و زندگی، به نظام کلی جهان پرداخته، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۳۳

و انسان را به مطالعه مجموعه عالم هستی دعوت می کند، تا از این طریق خود را برای آن آزمون بزرگ آماده کند، میفرماید: «همان کسی که هفت آسمان را بر فراز یکدیگر آفرید» (الذی خلق سبع سماوات طباقا).

و به دنبال آن مي افزايد: «در آفرينش خداوند رحمان هيچ تضاد و عيبي نمي بيني» (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت).

با تمام عظمتی که عالم هستی دارد هر چه هست نظم است و استحکام، و انسجام، و ترکیبات حساب شده، و قوانین دقیق و اگر بی نظمی در گوشهای از جهان راه می یافت آن را به نابودی می کشید.

و در پایان آیه برای تأکید بیشتر میفرماید: «بار دیگر نگاه کن (و عالم را با دقت بنگر) آیا هیچ شکاف و خلل و اختلافی (در جهان) مشاهده میکند»؟! (فارجع البصر هل تری من فطور).

منظور این است که هر چه انسان در جهان آفرینش دقت کند کمترین خلل و ناموزونی در آن نمی بیند.

سورة الملك(67): آية 4 ص: 223

(آیه ۴)- و لذا در این آیه برای تأکید همین معنی می افزاید: «بار دیگر به عالم هستی بنگر، سر انجام چشمانت به سوی تو باز می گردد در حالی که خسته و ناتوان شده» و در جستجوی خلل و نقصان در این عالم بزرگ ناکام مانده است! (ثم ارجع البصر کرتین ینقلب الیک البصر خاسئا و هو حسیر).

سورة الملك(67): آية 5 ص: 233

(آیه ۵)- این آیه، نظری به صفحه آسمان افکنده، و از ستارگان درخشنده و زیبا سخن به میان آورده، می گوید: «ما آسمان پایین را با چراغهای فروزانی زینت بخشیدیم، و آنها [- شهابها] را تیرهائی برای شیاطین قرار دادیم، و برای آنان عذاب آتش فروزان فراهم ساختیم» (و لقد زینا السماء الدنیا بمصابیح و جعلناها رجوما للشیاطین و اعتدنا لهم عذاب السعیر).

این آیه بار دیگر این حقیقت را تأکید می کند که تمام ستارگانی که ما می بینیم همه بخشی از آسمان اول است، آسمانی که از میان آسمانهای هفتگانه به ما نزدیکتر می باشد، و به همین دلیل به عنوان «السماء الدنیا» (آسمان نزدیک و پائین) برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۳۴

از آن تعبیر شده است.

سورة الملك(67): آية 6 ص: 234

(آیه ۶)- از آنجا که در آیات گذشته سخن از نشانههای عظمت و قدرت خدا و دلائل آن در عالم آفرینش بود، در اینجا سخن از کسانی می گوید که این دلائل را نادیده گرفته، و راه کفر و شرک را پیش می گیرند، و همچون شیاطین، عذاب الهی را به جان می خرند.

نخست مىفرمايىد: «براى كسانى كه به پروردگارشان كافر شدنىد عنداب جهنم است و بدفرجامى است» (و للذين كفروا بربهم عذاب جهنم و بئس المصير).

سورة الملك(67): آية 7 ص: 234

(آیه ۷)- سپس به شرح گوشهای از این عذاب وحشتناک پرداخته، میافزاید: «هنگامی که (کفّار) در آن افکنده شوند صدای وحشتناکی از آن میشنوند و این در حالی است که پیوسته میجوشد» (اذا القوا فیها سمعوا لها شهیقا و هی تفور).

آری! هنگامی که آنها با نهایت ذلت و حقارت در آن پرتاب میشوند فریاد وحشتناک و طولانی جهنم بر میخیزد، و تمام وجود آنها را در وحشت فرو میبرد.

سورة الملك(67): آية 1 ص: 234

(آیه ۸)- سپس برای مجسم ساختن شدت خشم «دوزخ» میافزاید: «نزدیک است از شدت غضب پاره پاره شود»! (تکاد تمیز من الغیظ).

درست همانند ظرف عظیمی که روی آتش فوق العاده پرحرارتی گذاردهاند و چنان میجوشد و زیر و رو میشود که هر زمان بیم متلاشی شدن آن میرود.

سپس ادامه می دهد: «هر زمان که گروهی در آن افکنده می شوند نگهبانان دوزخ (از روی تعصب و توبیخ) از آنها می پرسند (مگر شما رهبر و راهنما نداشتید؟) مگر بیم دهنده الهی به سراغ شما نیامد»؟ پس چرا به این روز سیاه افتاده اید؟! (کلما القی فیها فوج سالهم خزنتها الم یا تکم نذیر).

سورة الملك(67): آية 9 ص: 234

(آیه ۹)- ولی آنان در پاسخ «می گویند: آری بیم دهنده به سراغ ما آمد، ولی ما او را تکذیب کردیم و گفتیم: خداوند هرگز چیزی نازل نکرده (تا به هوای نفس خویش ادامه دهیم، حتی به آنها گفتیم) شما در گمراهی عظیمی هستید»! (قالوا بلی قد جاءنا نذیر فکذبنا و قلنا ما نزل الله من شیء ان انتم الا برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۳۵

في ضلال كبير)

نه تنها آنها را تصدیق نکردیم، و به پیام حیات بخشـشان گوش فرا ندادیم، بلکه به مخالفت برخاسته، و این طبیبان روحانی را گمراه خواندیم، و از خود راندیم.

سورة الملك(67): آية 10 ص: 235

(آیه ۱۰)- بعد به دلیل اصلی بدبختی و گمراهی خود اشاره کرده «و می گویند: اگر ما گوش شنوا داشتیم، و یا تعقل می کردیم، در میان دوزخیان نبودیم»! (و قالوا لو کنا نسمع او نعقل ما کنا فی اصحاب السعیر).

سورة الملك(67): آية 11 ص: 235

(آیه ۱۱)- آری «اینجاست که به گناه خود اعتراف می کنند، دور باشند دوزخیان از رحمت خدا»! (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعیر).

از یکسو خداونید گوش شنوا عقل و هوش داده، و از سوی دیگر پیامبرانش را با دلائل روشن فرستاده، اگر این دو با هم ضمیمه شوند سعادت انسان تأمین است.

و گر نه بدبختی و دوری از رحمت خدا نصیب انسان خواهد شد.

سورة الملك(67): آية 12 ص: 235

(آیه ۱۲)- به دنبال بحثهائی که در آیات گذشته پیرامون کفّار و سرنوشت آنها در قیامت بیان شد، قرآن در اینجا به سراغ مؤمنان و پاداشهای عظیم آنها میرود.

نخست می فرماید: «کسانی که از پروردگارشان در نهان می ترسند مسلما آمرزش و پاداش بزرگی دارند»! (ان الذین یخشون ربهم بالغیب لهم مغفرهٔ و اجر کبیر).

سورة الملك(67): آية 13 ص: 235

(آیه ۱۳) - سپس برای تأکید می افزاید: «گفتار خود را پنهان کنید یا آشکار (تفاوتی نمی کند) او به آنچه در سینه هاست آگاه است» (و اسروا قولکم او اجهروا به انه علیم بذات الصدور).

بعضی از مفسران شأن نزولی برای این آیه از «ابن عباس» نقل کردهاند که جمعی از کفار یا منافقان پشت سر پیامبر خدا صلّی اللّه علیه و آله خبر میداد، بعضی از آنها به یکدیگر گفتند: «سخنان ناروائی می گفتند و جبرئیل به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله خبر میداد، بعضی از آنها به یکدیگر گفتند: «سخنان خود را پنهانی بگوئید تا خدای محمّد نشنود»! برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۳۶ آیه فوق نازل شد و گفت: چه آشکار بگوئید و چه پنهان، خدا از آن آگاه است.

سورة الملك(67): آية 14 ص: 238

(آیه ۱۴)- این آیه در حقیقت به منزله دلیلی است برای آنچه در آیه قبل آمد، می فرماید: «آیا آن کسی که موجودات را آفریده از حال آنها آگاه نیست؟ در حالی که او (از اسرار دقیق) با خبر و آگاه است» (ا لا یعلم من خلق و هو اللطیف الخبیر).

سورة الملك(67): آية 15 ص: 236

(آیه ۱۵)– به دنبال بحثهائی پیرامون دوزخیان و بهشتیان، و کافران و مؤمنان که در آیات پیشین گذشت در اینجا برای ترغیب

و تشویق به پیوستن به صفوف بهشتیان، و بر حذر بودن از راه و رسم دوزخیان، به ذکر بخشی از نعمتهای الهی، و سپس به قسمتی از عذابهای او، اشاره کرده، میفرماید: «او کسی است که زمین را برای شما رام کرد» (هو الذی جعل لکم الارض ذلولا).

«بر شانههای آن راه برویـد، و از روزیهای پروردگار بخوریـد، و (بدانیـد) بازگشت و اجتماع همه به سوی اوست» (فامشوا فی مناکبها و کلوا من رزقه و الیه النشور).

«ذلول» به معنی «رام» جامعترین تعبیری است که در باره زمین ممکن است بشود. چرا که این مرکب راهوار با حرکات متعدد و بسیار سریعی که دارد آن چنان آرام به نظر میرسد که گوئی مطلقا ساکن است، بعضی از دانشمندان می گویند: زمین چهارده نوع حرکت مختلف دارد که سه قسمت آن حرکت به دور خود، و حرکت به دور خورشید، و حرکت همراه مجموعه منظومه شمسی در دل کهکشان است، این حرکات که سرعت زیادی دارد چنان نرم و ملایم است که تا براهین قطعی بر حرکت زمین اقامه نشده بود کسی باور نمی کرد حرکتی در کار باشد! از سوی دیگر، پوسته زمین نه چنان سفت و خشن است که قابل زندگی نباشد، و نه چنان سست و نرم است که قرار و آرام نگیرد، بلکه کاملا برای زندگی بشر رام است.

از سوی سوم، فاصله آن از خورشید نه چندان کم است که همه چیز از شدت برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۳۷

گرما بسوزد، و نه چندان دور است که همه چیز از سرما بخشکد، فشار هوا بر کره زمین آن چنان است که آرامش انسان را تأمین کند، جاذبه زمین نه آنقدر زیاد است که استخوانها را در هم بشکند، و نه آن قدر کم است که با یک حرکت انسان از جا کنده شود و در فضا پرتاب شود! خلاصه از هر نظر «ذلول» و رام و مسخر فرمان انسان است.

در عین حال تا گامی برندارد و تلاشی نکند بهرهای از روزیهای زمین نخواهد داشت! ولی بدانید اینها هدف نهائی آفرینش شما نیست، اینها همه وسائلی است در مسیر «نشور» و رستاخیز و حیات ابدی شما.

سورة الملك(87): آية 18 ص: 237

(آیه ۱۶) به دنبال این تشویق و تبشیر به سراغ تهدید و انذار میرود، و میافزاید: «آیا خود را از عذاب کسی که حاکم بر آسمان است در امان میدانید که دستور دهد زمین بشکافد و شما را در خود فرو برد، و دائما به لرزش خود ادامه دهد»؟! بطوری که حتی قبر شما هم آرام نباشد (أ امنتم من فی السماء ان یخسف بکم الارض فاذا هی تمور).

آری! اگر او دستور دهد این زمین ذلول و آرام طغیان می کند، و به صورت حیوان چموشی در می آید، زلزله ها شروع می شود، شکافها در زمین ظاهر می گردد و شما و خانه ها و شهرهایتان را در کام خود فرو می بلعد، و باز هم به لرزه و اضطراب خود ادامه می دهد.

سورة الملك(67): آية 17 ص: 237

(آیه ۱۷)- سپس می افزاید: لازم نیست حتما زلزله ها به سراغ شما آید بلکه می تواند این فرمان را به تندبادها دهد «آیا خود را از عذاب خداوند آسمان در امان می دانید که تندبادی پر از سنگریزه بر شما فرستد» و شما را زیر کوهی از آن مدفون سازد؟! (ام امنتم من فی السماء ان یرسل علیکم حاصبا).

«و به زودی خواهید دانست تهدیدهای من چگونه است»! (فستعلمون کیف نذیر).

سورة الملك(67): آية 18 ص: 232

(آیه ۱۸) – در حقیقت آیات فوق به این معنی اشاره می کند که عذاب آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۳۸ منحصر به عذاب قیامت نیست، در این دنیا نیز خداوند با مختصر تکان زمین، یا حرکت بادها، می تواند به زندگی آنها پایان دهد، و بهترین دلیل این امکان، وقوع آن در امتهای پیشین است.

لذا در این آیه می گوید: «کسانی که پیش از آنان بودند (آیات الهی و رسولان او را) تکذیب کردند، اما (ببین) مجازات من چگونه بود»؟! (و لقد کذب الذین من قبلهم فکیف کان نکیر).

گروهی را با زلزلههای ویرانگر، و اقوامی را با صاعقهها، و جمعی را با طوفان یا تندباد مجازات کردیم، و شـهرهای ویران شده و خاموش آنها را به عنوان درس عبرتی باقی گذاردیم.

سورة الملك(67): آية 19 ص: 228

(آیه ۱۹) – به این پرندگان بالای سر خود بنگرید! در آیات آغاز این سوره به هنگامی که بحث از قدرت و مالکیت خداوند بود سخن از آسمانهای هفتگانه و ستارگان و کواکب آنها به میان آمد، در این آیه همین مسأله قدرت با ذکر یکی از موجودات به ظاهر کوچک عالم هستی تعقیب می شود، می فرماید: «آیا به پرندگانی که بالای سرشان است و گاه بالهای خود را گسترده و گاه جمع می کنند نگاه نکردند؟! (ا و لم یروا الی الطیر فوقهم صافات و یقبضن). همه پرواز می کنند اما هر کدام برنامه مخصوصی دارند.

این اجسام سنگین بر خلاف قانون جاذبه از زمین برمیخیزند، و به راحتی تمام بر فراز آسمان، ساعتها، و گاه هفتهها و ماهها پشت سر هم به حرکت سریع و نرم خود ادامه میدهند، بی آنکه هیچ مشکلی داشته باشند.

چه کسی بدن آنها را به گونهای آفریده که به راحتی در هوا سیر می کنند؟! و چه کسی این قدرت را به بالهای آنها بخشیده؟ لذا در پایان آیه می افزاید: «جز خداوند رحمان کسی آنها را بر فراز آسمان نگه نمی دارد، چرا که او به هر چیز بیناست،» و نیاز هر مخلوقی را می داند (ما یمسکهن الا الرحمن انه بکل شیء بصیر).

اوست که وسائل و نیروهای مختلف را برای پرواز در اختیار آنها گذارده، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۳۹ نگهدارنده پرندگان در آسمان، همان نگهدارنده زمین و موجودات دیگر است و هر زمان اراده کند نه پرنده قدرت پرواز دارد و نه زمین آرامش خود را حفظ می کند.

سورة الملك(67): آية 20 ص: 239

(آیه ۲۰)- در این آیه به این معنی اشاره می کند که کافران در برابر قدرت خداوند هیچ گونه یار و مدد کاری ندارند، می فرماید: «آیا این کسی که لشکر شماست می تواند شما را در برابر خداوند رحمان یاری دهد»؟! (امن هذا الذی هو جند لکم ینصر کم من دون الرحمن).

نه تنها نمی توانند شما را در گرفتاریها یاری دهند، بلکه اگر بخواهد همانها را مأمور عذاب و نابودی شما می کند. «ولی کافران تنها گرفتار فریبند» (ان الکافرون الا فی غرور). پردههای غرور و جهل بر عقلهای آنها افتاده، و به آنان اجازه نمیدهد این همه درس عبرت را بر صفحات تاریخ یا در گوشه و کنار زندگی خود ببینند.

سورة الملك(67): آية 21 ص: 229

(آیه ۲۱)- باز برای تأکید بیشتر می افزاید: «یا آن کس که شما را روزی می دهد اگر روزیش را باز دارد» چه کسی می تواند نیاز شما را تأمین کند؟ (امن هذا الذی یرزقکم ان امسک رزقه).

هرگاه به آسمان دستور دهد نبارد، و زمینها گیاهی نرویاند، و یا آفات مختلف نباتی محصولات را نابود کنند، چه کسی توانائی دارد غذائی در اختیار شما بگذارد؟ و یا اگر روزیهای معنوی و وحی آسمانی را از شما قطع کند چه کسی توانائی راهنمائی شما را دارد؟

اینها حقایقی است آشکار، ولی لجاجت و خیره سری، حجابی است در برابر درک و شعور آدمی، و لذا در پایان آیه می فرماید: «بلکه آنها در سرکشی و فرار از حقیقت لجاجت می ورزند» (بل لجوا فی عتو و نفور).

سورة الملك(67): آية 22 ص: 229

(آیه ۲۲)- راست قامتان جاده توحید! در تعقیب آیات گذشته، پیرامون کافران و مؤمنان، در این آیه وضع حال این دو گروه را در ضمن مثال جالبی منعکس ساخته، می فرماید: «آیا کسی که به رو افتاده حرکت می کند، به هدایت نزدیکتر است، یا کسی که راست قامت در صراط مستقیم گام بر می دارد» و پیش می رود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۴۰ (ا فمن یمشی مکبا علی وجهه اهدی امن یمشی سویا علی صراط مستقیم).

در اینجا افراد بی ایمان و ظالمان لجوج مغرور، به کسی تشبیه شده اند که از جاده ای ناهموار و پرپیچ و خم، می گذرد، در حالی که به رو افتاده، و با دست و پا، یا به سینه حرکت می کند، نه راه را به درستی می بیند، و نه قادر بر کنترل خویشتن است، نه از موانع با خبر است و نه سرعتی دارد؟ کمی راه می رود و درمانده می شود.

ولی مؤمنان را به افراد راست قامتی تشبیه می کند که از جادهای هموار و صاف و مستقیم با سرعت و قدرت و آگاهی تمام، به راحتی پیش میرود.

چه تشبیه جالب و دقیقی؟ که آثار آن در زندگی این دو گروه کاملا نمایان است و با چشم خود می بینیم.

سورة الملك(67): آية 23 ص: 240

(آیه ۲۳)- در این آیه پیامبر صلّی الله علیه و آله را مخاطب ساخته، می افزاید: «بگو: او کسی است که شما را آفرید، و برای شما گوش و چشم و قلب قرار داد، اما کمتر سپاسگزاری می کنید» (قل هو الذی انشاکم و جعل لکم السمع و الابصار و الافئدهٔ قلیلا ما تشکرون).

خداوند، هم وسیله مشاهده و تجربه را در اختیار شما قرار داد (چشم) و هم وسیله آگاهی بر نتیجه افکار دیگران (گوش) و هم وسیله اندیشیدن در علوم عقلی را در اختیار شما گذارده اسیله اندیشیدن در علوم عقلی را در اختیار شما گذارده است، اما کمتر کسی سپاس این همه نعمتهای بزرگ را به جا می آورد، زیرا شکر نعمت آن است که هر نعمتی در مسیر هدفی

که به خاطر آن آفریده شده است به کار گرفته شود.

سورة الملك(67): آية 24 ص: 240

(آیه ۲۴)- بار دیگر پیامبر صلّی الله علیه و آله را مخاطب ساخته، میفرماید: «بگو: او کسی است که شما را در زمین آفرید و به سوی او محشور میشوید» (قل هو الذی ذراکم فی الارض و الیه تحشرون).

پیام این سه آیه این است که: در راه راست و صراط مستقیم ایمان و اسلام گام بردارید، و از تمام ابزار شناخت بهره گیرید، و به سوی زندگی جاویدان حرکت کنید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۴۱

سورة الملك(67): آية 25 ص: 241

(آیه ۲۵)- سپس در همین رابطه، به گفتار منکران معاد و پاسخ آنها پرداخته، میفرماید: «آنها (از روی استهزاء) می گویند: اگر راست می گوئید این وعده قیامت چه زمانی است»؟! (و یقولون متی هذا الوعد ان کنتم صادقین).

سورة الملك(67): آية 26 ص: 241

(آیه ۲۶) - در این آیه به آنها چنین پاسخ می گوید: «به آنها بگو: علم آن تنها نزد خداست، و من تنها بیم دهنده آشکاری هستم» (قل انما العلم عند الله و انما انا نذیر مبین).

و بایـد چنین باشـد چرا که اگر تاریـخ قیامت معلوم بود هرگاه فاصـله زیادی داشت مردم در غفلت فرو میرفتند، و اگر فاصـله کم بود حالتی شبیه به اضطرار پیدا می کردند، و در هر حال، هدفهای تربیتی ناتمام میماند.

سورة الملك(87): آية 27 ص: 241

(آیه ۲۷)- در این آیه، می افزاید: «هنگامی که آن (وعده الهی) را از نزدیک می بینند صورت کافران زشت و سیاه می گردد» به گونه ای که آثار غم و اندوه از آن می بارد (فلما راوه زلفهٔ سیئت وجوه الذین کفروا).

«و به آنها گفته می شود: این همان چیزی است که تقاضای آن را داشتید»! (و قیل هذا الذی کنتم به تدعون).

سورة الملك(67): آية 28 ص: 241

(آیه ۲۸)- این آیه و دو آیه بعد که آخرین آیات سوره «ملک» است و همه با کلمه «قل» خطاب به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله شروع می شود ادامه بحثهائی است که در آیات قبل با کفار شده، که جنبههای دیگرش در این آیات، منعکس است. نخست به آنها که غالبا انتظار مرگ پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و یارانش را داشتند و گمان می کردند که با مرگ وی آئین او

برچیده می شود و همه چیز پایان می یابد- و غالب دشمنان شکست خورده در باره رهبران راستین همیشه همین انتظار را دارند- می فرماید: «بگو: به من خبر دهید اگر خداوند مرا و تمام کسانی که با من هستند، هلاک کند، یا مورد ترحم قرار دهد چه کسی کافران را از عذاب دردناک پناه میدهد»؟ (قل ا رایتم ان اهلکنی الله و من معی او رحمنا فمن یجیر الکافرین من عذاب الیم).

کافران مکه، به پیامبر صلّی الله علیه و آله و مسلمانان نفرین می کردند و تقاضای مرگ او را برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۴۲

داشتند به گمان این که اگر آن حضرت از دنیا برود، دعوتش نیز برچیده میشود، آیه فوق نازل شد و به آنها پاسخ داد.

سورة الملك(67): آية 29 ص: 242

(آیه ۲۹)- و در ادامه همین سخن می افزاید: «به آنها بگو: او خداونید رحمان است، ما به او ایمان آورده، و بر او توکل کرده ایم، و به زودی می دانید چه کسی در گمراهی آشکار است» (قل هو الرحمن آمنا به و علیه توکلنا فستعلمون من هو فی ضلال مبین).

یعنی، اگر ما به خدا ایمان آوردهایم، و او را ولی و و کیل و سرپرست خود برگزیدهایم، دلیلش روشن است، او خدای رحمان است، رحمت عامش همه جا رسیده، و فیض انعامش دوست و دشمن را فرا گرفته، اما معبودهای شما چه کاری کردهاند؟!

سورة الملك(67): آية 30 ص: 242

(آیه ۳۰) - در آخرین آیه به عنوان ذکر یک مصداق از رحمت عام خداونید که بسیاری از مردم از آن غافلنید، می گوید: «به آنها بگو: به من خبر دهید اگر آبهای (سرزمین) شما در زمین فرو رود چه کسی می تواند آب جاری و گوارا در دسترس شما قرار دهد»؟! (قل ا رایتم ان اصبح ماؤکم غورا فمن یأتیکم بماء معین).

در روایاتی که از ائمه اهل بیت علیهم السّ لام به ما رسیده، آیه اخیر به ظهور حضرت مهدی - عج - و عدل جهان گستر او تفسیر شده است که همه از باب «تطبیق» است، و به تعبیر دیگر ظاهر آیه مربوط به آب جاری است که مایه حیات موجودات زنده است، و باطن آیه مربوط به وجود امام و علم و عدالت جهان گستر اوست که آن نیز مایه حیات جامعه انسانی است. «یایان سوره ملک»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۴۳

سوره قلم [۶۸] ص: ۲۴۳

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۵۲ آیه است

محتوای سوره: ص: 243

محتوای آیات این سوره کاملاـ هماهنگ با سورههای «مکّی» است چرا که بیش از هر چیز بر محور مسأله نبوت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله، و مبارزه با دشـمنانی که او را مجنون میخواندنـد، و دعوت به صبر و استقامت، و انذار و تهدید مخالفان

به عذاب الهي، دور ميزند.

روی هم رفته مباحث این سوره را می توان در هفت بخش خلاصه کرد:

۱- نخست به ذکر قسمتی از صفات ویژه رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله مخصوصا اخلاق برجسته او میپردازد، و آن را با قسمتهای مؤکدی تأکید میکند.

۲- سپس قسمتی از صفات زشت و اخلاق نکوهیده دشمنان او را بازگو مینماید.

۳- در بخش دیگری داستان «اصحاب الجنّهٔ» که در حقیقت هشداری است به مشرکان زشت سیرت بیان شده.

۴- در قسمت دیگری مطالب گوناگونی راجع به قیامت و عذاب کفار در آن روز آمده است.

۵- در بخش دیگری انذارها و تهدیدهائی نسبت به مشرکان بازگو شده.

۶– در بخش دیگری به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله دستور میدهد که در برابر دشمنان سرسخت، استقامت و صبر نشان دهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۴۴

۷- سر انجام در پایان سوره نیز سخن از عظمت قرآن و توطئههای مختلف دشمنان بر ضد پیامبر به میان آورده.

انتخاب نام «قلم» برای این سوره به تناسب نخستین آیه آن است، بعضی نیز نام آن را سوره «ن» ذکر کردهاند، و از بعضی از روایات که در فضیلت این سوره آمده استفاده می شود که نام آن سوره «ن و القلم» است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 244

از پیغمبر گرامی اسلام نقل شده که فرمود: «کسی که سوره «ن و القلم» را تلاوت کند خداوند ثواب کسانی را که دارای حسن اخلاقند به او می دهد».

در حدیثی از امام صادق علیه السّم لام میخوانیم: «کسی که سوره ن و القلم را در نماز واجب یا نافله بخواند خداوند او را برای همیشه از فقر در امان میدارد، و هنگامی که بمیرد او را از فشار قبر پناه میدهد».

این ثوابها تناسب خاصی با محتوای سوره دارد، و نشان میدهـد که هدف تلاوتی است که تو أم با آگاهی و به دنبال آن عمل باشد.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة القلم(68): آية 1 ص: 244

(آیه ۱)- این سوره تنها سورهای است که با حرف مقطع «ن» آغاز شده است، می فرماید: «ن» (ن).

سپس به دو موضوع از مهمترین مسائل زندگی بشر سوگند یاد کرده، میافزاید: «سوگند به قلم و آنچه مینویسند» (و القلم و ما یسطرون).

در واقع آنچه به آن در اینجا سوگند یاد شده است ظاهرا موضوع کوچکی است: یک قطعه نی، و یا چیزی شبیه به آن، و کمی ماده سیاه رنگ، و سپس سطوری که بر صفحه کاغذ ناچیز رقم زده میشود.

اما در واقع این همان چیزی است که سر چشمه پیدایش تمام تمدنهای انسانی، و پیشرفت و تکامل علوم، و بیداری اندیشهها و افکار، و شکل گرفتن برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۴۵ مذهبها، و سر چشمه هدایت و آگاهی بشر است، تا آنجا که دوران زندگی بشر را به دو دوران تقسیم می کند «دوران تاریخ» و «دوران قبل از تاریخ»، دوران تاریخ بشر از زمانی شروع می شود که خط اختراع شد، و انسان توانست ماجرای زندگی خود را بر صفحات نقش کند، عظمت این سوگند هنگامی آشکار تر می شود که توجه داشته باشیم آن روزی که این آیات نازل گشت، نویسنده و ارباب قلمی در آن محیط وجود نداشت، و اگر کسانی مختصر سواد خواندن و نوشتن را داشتند تعداد آنها در کل سرزمین «مکّه» که مرکز عبادی و سیاسی و اقتصادی حجاز بود به بیست نفر نمی رسید، آری سوگند به قلم یاد کردن در چنین محیطی عظمت خاصی دارد.

سورة القلم(68): آية 2 ص: 245

(آیه ۲)- سپس به چیزی که سو گند برای آن یاد شده پرداخته، می فرماید:

«به (برکت) نعمت پروردگارت تو مجنون نیستی» (ما انت بنعمهٔ ربک بمجنون).

دیوانه آنها هستند که مظهر عقـل کـل را متهم به جنون میکننـد، و رهبر و راهنمـای انسانها را با این نسـبت ناروا از خود دور میسازند.

سورة القلم(٦٨): آية ٣ ص: ٢٤٥

(آیه ۳)- و به دنبال آن می افزاید: «و برای تو پاداشی عظیم و همیشگی است» (و ان لک لاجرا غیر ممنون). «ممنون» از ماده «من» یعنی، اجر و پاداشی که هر گز قطع نمی شود و دائما باقی است.

سورة القلم(٦٨): آية 4 ص: 245

(آیه ۴)- این آیه در توصیف دیگری از پیامبر صلّی الله علیه و آله می گوید: «و تو اخلاق عظیم و برجستهای داری» (و انک لعلی خلق عظیم).

اخلاقی که عقل در آن حیران است لطف و محبتی بی نظیر صفا و صمیمیتی بی مانند، صبر و استقامت و تحمل و حوصلهای توصیف ناپذیر.

اگر مردم را به بندگی خدا دعوت می کنی تو خود بیش از همه عبادت می نمائی، و اگر از کار بد باز می داری تو قبل از همه خود داری می کنی آزارت می کنند و تو اندرز می دهی، ناسزایت می گویند و برای آنها دعا می کنی، بر بدنت سنگ می زنند و خاکستر داغ بر سرت می ریزند و تو برای هدایت آنها دست به در گاه خدا بر می داری! بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۴۶ در حدیثی آمده است که پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: «انّما بعثت لأتمّم مکارم الاخلاق من برای این مبعوث شده ام که فضائل اخلاقی را تکمیل کنم».

و در حدیث دیگری از آن حضرت آمده است: «مؤمن با حسن خلق خود به درجه کسی میرسد که شبها به عبادت میایستد، و روزها روزهدار است».

سورة القلم(68): آية 5 ص: 246

(آیه ۵)– و به دنبال آن می افزاید: «به زودی تو می بینی و آنان نیز می بینند» (فستبصر و یبصرون).

سورة القلم(٦٨): آية ٦٠... ص: ٢٤٦

(آیه ۶)- «که کدامیک از شما مجنونند»! (بایکم المفتون).

حرکتها و موضعگیری تو در آینده و پیشرفت و نفوذ سریع اسلام در سایه آن نشان خواهد داد که تو منبع بزرگ عقل و درایتی، دیوانه خفاشانی هستند که با نور این آفتاب به ستیز برخاستند.

و البته در قيامت اين حقايق باز هم روشنتر و آشكارتر خواهد بود.

سورة القلم(٦٨): آية ٧ ص: 245

(آیه ۷)- باز برای تأکید بیشتر می افزاید: «پروردگارت بهتر از هر کس می داند چه کسی از راه او گمراه شده و او هدایت یافتگان را نیز بهتر می شناسد» (ان ربک هو اعلم بمن ضل عن سبیله و هو اعلم بالمهتدین).

چرا که راه، راه اوست و او بهتر از هر کس راه خود را می شناسد، و به این ترتیب به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله اطمینان بیشتر می دهد که او در مسیر هدایت و دشمنانش در مسیر ضلالتند.

سورة القلم(٦٨): آية ٨ ص: 245

(آیه ۸)- از آنها که دارای این صفاتند پیروی مکن بعد از ذکر اخلاق عظیم پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در اینجا به ذکر اخلاق دشمنان او می پردازد تا در یک مقایسه، فاصله میان این دو کاملا روشن شود.

نخست مىفرمايد: «از تكذيب كنندگان (ى كه خدا و پيامبر و روز رستاخيز و آئين او را تكذيب مىكنند) اطاعت مكن» (فلا تطع المكذبين).

سورة القلم(68): آية 9 ص: 246

(آیه ۹)- سپس به تلاش و کوشش آنها برای به سازش کشیدن پیامبر صلّی اللّه علیه و آله اشاره کرده، می افزاید: «آنها دوست دارند نرمش نشان دهند» نرمشی تو أم با انحراف از مسیر حق (ودوا لو تدهن فیدهنون).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۴۷

سورة القلم(68): آية 10 ص: 247

(آیه ۱۰)- سپس بار دیگر از اطاعت آنها نهی کرده و صفات نه گانه مذمومی را که هر یک به تنهائی می تواند مانع اطاعت و تبعیت گردد بر می شمرد، می فرماید:

«و از هر كسى كه بسيار سو گند ياد مى كند و پست است اطاعت مكن» (و لا تطع كل حلاف مهين).

سورة القلم(68): آية 11 ص: 247

(آیه ۱۱)- سپس می افزاید: «کسی که بسیار عیبجوست و به سخن چینی آمد و شد می کند» و در این کار اصرار دارد. (هماز مشاء بنمیم).

سورة القلم(68): آية 12 ص: 247

(آیه ۱۲)- در پنجمین و ششمین و هفتمین وصف می گوید: کسی که «بسیار مانع کار خیر و تجاوز گر گناهکار است» (مناع للخیر معتد اثیم).

نه تنها خود کار خیری نمی کنید و راه خیری ارائه نمی دهد، بلکه سدی است در مقابل خیر و برکت دیگران، به علاوه انسانی است متجاوز از حدود الهی و حقوقی که خدا برای هر انسانی تعیین کرده، و اضافه بر این صفات، آلوده هرگونه گناهی نیز هست، بطوری که گناه جزء طبیعت او شده است.

سورة القلم(٦٨): آية ١٣ ص: ٢٤٧

(آیه ۱۳)- و سر انجام به هشتمین و نهمین صفات آنها اشاره کرده، میفرماید: «علاوه بر اینها کینه توز و پرخور، و خشن و بدنام است» (عتل بعد ذلک زنیم).

به این ترتیب قرآن روشن میسازد که مخالفان اسلام و قرآن و مخالفان شخص پیامبر صلّی الله علیه و آله چگونه افرادی بودهاند، افرادی دروغگو، پست، عیبجو، سخن چین، متجاوز گنهکار، بیاصل و نسب، و به راستی از غیر چنین افرادی مخالفت با چنان مصلح بزرگی انتظار نمی رود.

سورة القلم (۶۸): آية ۱۴ ص: ۲۴۷

(آیه ۱۴) - در این آیه هشدار می دهد «مبادا به خاطر این که صاحب مال و فرزندان فراوان است» از او پیروی کنی (ان کان ذا مال و بنین).

بدون شک پیامبر هرگز تسلیم نمی شد، و این آیات در حقیقت تأکیدی است بر این معنی، تا خط مکتبی و روش عملی او بر همه آشکار گردد، و هیچ کس از دوست و دشمن چنین انتظاری نداشته باشد.

سورة القلم (68): آية 15 ص: 247

(آیه ۱۵) - این آیه عکس العمل این گونه افراد را که دارای چنین صفات بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۴۸ پست هستند در برابر آیات الهی نشان داده، می گوید: (هنگامی که آیات ما بر او خوانده می شود می گوید: اینها افسانههای خرافی پیشینیان است»! (اذا تتلی علیه آیاتنا قال اساطیر الاولین).

و با این بهانه و این بر چسب زشت از آیات خداوند فاصله می گیرد.

سورة القلم(68): آية 16 ص: 248

(آیه ۱۶) - در این آیه از یکی از مجازاتهای این گروه پرده برداشته، می افزاید:

«ما به زودى بر بيني او علامت و داغ ننگ مينهيم»! (سنسمه على الخرطوم).

این تعبیری است گویا و رسا بر نهایت ذلیل ساختن آنها، زیرا تعبیر به «خرطوم» (بینی) که تنها در مورد خوک و فیل گفته می شود تحقیر روشنی برای آنهاست، و دوم این که، بینی در لغت عرب معمولا کنایه از بزرگی و عزت است همان گونه که در فارسی نیز وقتی می گوئیم بینی او را به خاک بمالید دلیل بر این است که عزت او را بر باد دهید و سوم این که علامت گذاردن مخصوص حیوانات است، حتی در حیوانات در صورت آنها مخصوصا بر بینی آنها علامت گذاری نمی شود، و در اسلام نیز این کار نهی شده است، همه اینها با بیانی رسا می گوید:

خداوند این چنین افراد طغیانگر خود خواه متجاوز سرکش را چنان ذلیل میکند که عبرت همگان گردند.

سورة القلم(68): آية 17 ص: 248

(آیه ۱۷)– داستان عبرت انگیز «اصحاب الجنهٔ»! به تناسب بحثی که در آیات گذشته پیرامون ثروتمندان خودخواه و مغرور بود در اینجا داستانی را در باره عدهای از ثروتمندان پیشین که دارای باغ خرم و سرسبزی بودند، ذکر میکند.

نخست مىفرمايد: «ما آنها را آزموديم همان گونه كه صاحبان باغ را آزمايش كرديم» (انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنه).

ماجرا چنین بود: این باغ – که طبق مشهور در یمن بوده – در اختیار پیرمردی مؤمن قرار داشت، او به قدر نیاز از آن بر می گرفت، و بقیه را به مستحقان و نیازمندان می داد، اما هنگامی که چشم از دنیا پوشید، فرزندانش گفتند: ما خود به محصول این باغ سزاوار تریم، و به این ترتیب تصمیم گرفتند تمام مستمندان را محروم سازند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۴۹ آیه می گوید: ما آنها را آزمودیم، «هنگامی که سو گند یاد کردند: میوه های باغ را صبحگاهان (دور از چشم مستندان) بچینند» (اذ اقسموا لیصرمنها مصبحین).

سورة القلم(٤٨): آية ١٨ ص: ٢٤٩

(آیه ۱۸)– «و هیچ از آن استثنا نکنند» و برای مستمندان چیزی فرو نگذارند (و \mathbf{K} یستثنون).

این تصمیم آنها ناشی از بخل و ضعف ایمان آنها بود، زیرا انسان هر قدر هم نیازمند باشد می تواند کمی از محصول یک باغ پردر آمد را به نیازمندان اختصاص دهد.

سورة القلم(68): آية 19 ص: 249

(آیه ۱۹)- سپس در ادامه این سخن می افزاید: «اما عذابی فراگیر (شب هنگام) بر (تمام) باغ آنها فرود آمد در حالی که همه در خواب بودند» (فطاف علیها طائف من ربک و هم نائمون).

سورة القلم(68): آية 20 ص: 249

(آیه ۲۰)- آتشی سوزان و صاعقهای مرگبار چنان بر آن مسلط شد که «آن باغ سرسبز همچون شب سیاه و ظلمانی شد» و جز مشتی خاکستر از آن باقی نماند (فاصبحت کالصریم).

سورة القلم(68): آية 21 ص: 249

(آیه ۲۱)- صاحبان باغ به گمان این که درختهای پربارشان آماده برای چیدن میوه است «صبحگاهان یکدیگر را صدا زدند» (فتنادوا مصبحین).

سورة القلم (68): آية 22 ص: 249

(آیه ۲۲) - و گفتند: «که به سوی کشتزار و باغ خود حرکت کنید، اگر قصد چیدن میوه ها را دارید»! (ان اغدوا علی حرثکم ان کنتم صارمین).

سورة القلم(68): آية 23 ص: 249

(آیه ۲۳)- به این ترتیب «آنها (به سوی باغ) حرکت کردند در حالی که آهسته با هم می گفتند:» (فانطلقوا و هم یتخافتون).

سورة القلم (68): آية 24 ص: 249

(آیه ۲۴)– «مواظب باشید امروز حتی یک فقیر وارد بر شما نشود»! (ان لا یدخلنها الیوم علیکم مسکین).

چنین به نظر میرسد که به خاطر سابقه اعمال نیک پدر، جمعی از فقرا همه سال در انتظار چنین ایامی بودند که میوه چینی باغ شروع شود و بهرهای عائد آنها گردد، و لـذا این فرزنـدان بخیل و ناخلف چنان مخفیانه حرکت کردنـد که هیـچ کس احتمال ندهد چنان روزی فرا رسیده.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۵۰

سورة القلم(68): آية 25 ص: 25

(آیه ۲۵)- و به این ترتیب، «آنها صبحگاهان تصمیم داشتند که با قدرت از مستمندان جلوگیری کنند» (و غدوا علی حرد قادرین).

سورة القلم(68): آية 26 ص: 25

(آیه ۲۶)– اما «هنگامی که (وارد باغ شدند و) آن را دیدند گفتند: حقا ما گمراهیم» (فلما راوها قالوا انا لضالون).

سورة القلم(68): آية 27 ص: 250

(آیه ۲۷)– سپس افزودند: همه چیز از دست رفته «بلکه ما محرومیم» (بل نحن محرومون).

میخواستیم مستمندان و نیازمندان را محروم کنید اما خودمان از همه بیشتر محروم شدیم، هم محروم از در آمد مادی، و هم برکات معنوی.

سورة القلم(68): آية 28 ص: 250

(آیه ۲۸)- در این میان «یکی از آنها که از همه عاقلتر بود گفت: آیا به شما نگفتم چرا تسبیح خدا نمی گویید»! (قال اوسطهم ا لم اقل لکم لو لا تسبحون).

از این آیه استفاده می شود که در میان آنها فرد مؤمنی بود که آنها را از بخل و حرص نهی می کرد، ولی کسی گوش به حرفش نمی داد.

سورة القلم(٦٨): آية ٢٩ ص: ٢٥٠

(آیه ۲۹)- آنها نیز لحظه ای بیدار شدند و به گناه خود اعتراف کردند و «گفتند: منزه است پروردگار ما (از هرگونه ظلم و ستم) مسلما ما ظالم بودیم» هم بر خویشتن ستم کردیم و هم بر دیگران (قالوا سبحان ربنا انا کنا ظالمین).

سورة القلم(٦٨): آية ٣٠ ص: ٢٥٠

(آیه ۳۰)- ولی مطلب به اینجا خاتمه نیافت «سپس رو به یکدیگر کرده، به ملامت هم پرداختند» (فاقبل بعضهم علی بعض یتلاومون).

و احتمالاً هر کدام در عین اعتراف به خطای خویش گناه اصلی را به دوش دیگری میانداخت و او را شدیدا سرزنش می کرد. آری! همه ظالمانی که در چنگال عذاب الهی گرفتار میشوند در عین اعتراف به گناه، هر کدام سعی دارد عامل اصلی بدبختی خود را دیگری بشمرد.

سورة القلم(٦٨): آية ٣١ ص: ٢٥٠

(آیه ۳۱)- سپس می افزاید: هنگامی که به عمق بـدبختی خود آگاه شدنـد فریادشان بلنـد شـد «گفتنـد: وای بر ما که طغیانگر بودیم»! (قالوا یا ویلنا انا کنا طاغین).

آنها در مرحله قبل اعتراف به «ظلم» و ستم کردند، و در اینجا اعتراف به برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۵۱ «طغیان» و در حقیقت طغیان مرحله ای است بالاتر از ظلم.

سورة القلم(٦٨): آية ٣٢ ص: ٢٥١

(آیه ۳۲)– سر انجام آنها بعـد از این بیداری و هشیاری و اعتراف به گناه و بازگشت به سوی خدا، رو به درگاه او آوردند، و گفتند: «امیدواریم پروردگارمان (گناهان ما را ببخشد و) بهتر از آن به جای آن به ما بدهد» (عسی ربنا ان یبدلنا خیرا منها). «چرا که ما به او علاقهمندیم» و به ذات پاکش دل بسته ایم و حل این مشکل را نیز از قدرت بی پایان او می طلبیم (انا الی ربنا راغبون).

سورة القلم(٦٨): آية ٣٣ ص: ٢٥١

(آیه ۳۳) - در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری کلی و درس همگانی میفرمایـد: این گونه است عـذاب (خداونـد در دنیا) و عذاب آخرت از آن هم بزرگتر است اگر میدانستند» (کذلک العذاب و لعذاب الآخرهٔ اکبر لو کانوا یعلمون).

شما نیز اگر به خاطر مال و ثروت و امکانات مادی مست و مغرور شوید، و روح انحصار طلبی بر شما چیره گردد، همه چیز را برای خود بخواهید، و نیازمندان را محروم کنید، سرنوشتی بهتر از این نخواهید داشت.

سورة القلم(68): آية 34 ص: 251

(آیه ۳۴)- میدانیم روش قرآن این است که شرح حال زنـدگی بـدان و خوبان را در مقابل هم قرار میدهـد، تا در مقایسه با یکدیگر بهتر شناخته شوند.

طبق همین روش بعد از ذکر سرنوشت دردناک «اصحاب الجنّه» (صاحبان باغ خرم و سرسبز) در اینجا به ذکر حال پرهیز کاران پرداخته، می گوید: «برای پرهیز کاران نزد پروردگارشان باغهای پرنعمت بهشت است» (ان للمتقین عند ربهم جنات النعیم). باغهائی از بهشت که هر نعمتی تصور شود کاملترین نوع آن در آنجاست، علاوه بر نعمتهائی که به فکر هیچ انسانی نرسیده است.

سورة القلم(٦٨): آية ٣٥ ص: ٢٥١

(آیه ۳۵) – ولی از آنجا که جمعی از مشرکان و ثروتمندان خود خواه بودند که ادعا می کردند همان طور که در دنیا وضع ما عالی است در قیامت نیز بسیار خوب است، خداوند در این آیه شدیدا آنها را مورد مؤاخذه قرار داده بلکه محاکمه می کند، می فرماید: «آیا مؤمنانی را (که در برابر حق و عدالت تسلیمند) همچون برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۵۲ مشرکان و مجرمان قرار دهیم»؟ (ا فنجعل المسلمین کالمجرمین).

سورة القلم(68): آية 36 ص: 252

(آیه ۳۶)- «شما را چه می شود؟ چگونه داوری می کنید»؟! (ما لکم کیف تحکمون).

هیچ انسان عاقلی باور می کند سرنوشت عادل و ظالم، مطیع و مجرم، ایثار گر و انحصار طلب یکسان باشد؟ آن هم در پیشگاه خداوند.

سورة القلم(68): آية 37 ص: 252

(آیه ۳۷)- سپس می افزاید: اگر عقل و خرد، شما را به چنین حکمی رهنمون نشده آیا دلیلی از «نقل» بر آن دارید «آیا کتابی

دارید که از آن درس میخوانید ...»؟ (ام لکم کتاب فیه تدرسون).

سورة القلم (68): آية 38 ص: 252

(آیه ۳۸)- «که آنچه را شما اختیار می کنید از آن شماست»؟! (ان لکم فیه لما تخیرون).

شما انتظار دارید مجرمانی همچون خودتان همطراز مسلمین باشند، این سخنی است که نه عقل به آن حکم می کند و نه در هیچ کتاب معتبری آمده است.

سورة القلم (68): آية 39 ص: 252

(آیه ۳۹) - در این آیه چنین ادامه می دهد: آیا شما مدر کی از عقل و نقل بر این ادعا دارید؟ «یا این که عهد و پیمان موکد و مستمری تا روز قیامت بر ما دارید که هر چه را حکم کنید برای شما باشد»؟ (ام لکم ایمان علینا بالغهٔ الی یوم القیامهٔ ان لکم لما تحکمون).

چه کسی می تواند ادعا کند که از خدا عهد و پیمان گرفته است که تسلیم تمایلات او گردد!

سورة القلم(٦٨): آية ٤٠ ص: ٢٥٢

(آیه ۴۰)- باز در ادامه این پرسشها که راهها را از هر سو به روی آنان می بندد می افزاید: «از آنها بپرس کدامیک از آنان چنین چنین چیزی را تضمین می کنند» که مجرمان و مؤمنان یکسان باشند یا هر چه آنها می خواهند خدا در اختیار شان بگذارد (سلهم ایهم بذلک زعیم).

سورة القلم(٦٨): آية ٤١ ص: ٢٥٢

(آیه ۴۱)- و در آخرین مرحله از این بازپرسی عجیب میفرماید: «یا این که معبودانی دارند که آنها را شریک خدا قرار دادهاند (و برای آنان شفاعت میکنند) اگر راست میگویند معبودان خود را بیاورند»! (ام لهم شرکاء فلیأتوا بشرکائهم برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۵۳

ان كانوا صادقين)

. آیا آنها کمترین دلیلی دارند بر این که بتها این جمادات کم ارزش و بیشعور شریک خدا و شفیع درگاه اویند؟

سورة القلم(٦٨): آية ٤٢ ص: ٢٥٣

(آیه ۴۲)- آن روز میخواهند سجده کنند اما قادر نیستند! در تعقیب آیات گذشته که مشرکان و مجرمان را در برابر یک بازپرسی کوبنده قرار میداد، در اینجا گوشهای از سرنوشت آنها را در قیامت نشان میدهد تا روشن شود این گروه خود خواه و پرادعا در آن روز چقدر ذلیل و خوارند؟

می فرماید: به خاطر بیاوریـد «روزی را که (از شدت ترس و وحشت) ساق پاها برهنه می گردد و دعوت به سـجود می شوند اما

نمى توانند» سجود كنند (يوم يكشف عن ساق و يدعون الى السجود فلا يستطيعون).

آری! در آن روز همگان به سجده و خضوع در برابر پروردگار دعوت میشونـد، مؤمنـان به سـجده میافتنـد، ولی مجرمـان قدرت سجده ندارند!

سورة القلم(٦٨): آية ٤٣ ص: ٢٥٣

(آیه ۴۳)- این آیه می گوید: «این در حالی است که چشمهایشان (از شدت شرمساری) به زیر افتاده و ذلت و خواری تمام وجودشان را فرا گرفته» (خاشعهٔ ابصارهم ترهقهم ذلهٔ).

افراد مجرم هنگامی که در دادگاه محکوم میشوند معمولاً سر خود را به زیر میافکنند، و ذلت تمام و جودشان را فرا می گیرد. سپس میافزاید: «آنها پیش از این (در دار دنیا) دعوت به سجود میشدند در حالی که سالم بودند» ولی امروز دیگر توانائی آن را ندارند (و قد کانوا یدعون الی السجود و هم سالمون).

آنها هرگز سجده نکردند، و روح استکبار و تمرد و سرپیچی را با خود به صحنه قیامت آوردند با این حال چگونه قدرت بر سجده دارند.

سورة القلم(٦٨): آية ٤٤ ص: ٢٥٣

(آیه ۴۴) - سپس روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، می گوید: «اکنون مرا با آنها که این سخن (یعنی قرآن) را تکذیب می کنند واگذار» تا حساب همه آنها را برسم (فذرنی و من یکذب بهذا الحدیث). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۵۴

این تهدیدی است شدید از ناحیه خداوند قادر قهار که به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می گوید:

نمیخواهد تو دخالت کنی، مرا با این تکذیب کنندگان لجوج و سرکش رها کن، تا آنچه مستحقند به آنها بدهم! سپس میافزاید: «ما آنان را از آنجا که نمیدانند به تدریج به سوی عذاب پیش میبریم» (سنستدرجهم من حیث لا یعلمون).

سورة القلم(٦٨): آية ٤٥ ص: ٢٥٤

(آیه ۴۵) - «و به آنها مهلت (بازگشت) می دهم (و در عذابشان عجله نخواهم کرد) چرا که نقشه های من محکم و دقیق (و عذاب من شدید) است» (و املی لهم ان کیدی متین).

در حدیثی از امام صادق علیه السّر لام میخوانیم: «گاه هنگامی که بندگان سرکش گناه میکنند خداوند به آنها نعمتی میدهد، آنها از گناه خود غافل میشوند، و توبه را فراموش میکنند، این همان استدراج و بلا و عذاب تدریجی است».

هنگامی که انسان گناه می کند از سه حال بیرون نیست، یا خودش متوجه می شود و باز می گردد، و یا خداوند تازیانه «بلا» بر او می نوازد تا بیدار شود، و یا شایستگی هیچ یک از این دو را ندارد، خدا به جای بلا نعمت به او می بخشد و این همان «عذاب استدراج» است.

لذا انسان باید به هنگام روی آوردن نعمتهای الهی مراقب باشد نکند این امر که ظاهرا نعمت است «عذاب استدراج» گردد، به همین دلیل مسلمانان بیدار در این گونه مواقع در فکر فرو میرفتند، و به بازنگری اعمال خود میپرداختند، چنانکه در حدیثی

آمده است که یکی از یاران امام صادق علیه السّر الام عرض کرد: من از خداوند مالی طلب کردم به من روزی فرمود، فرزندی خواستم به من بخشید، خانهای طلب کردم به من مرحمت کرد، من می ترسم نکند این «استدراج» باشد! امام علیه السّلام فرمود: «اگر اینها توأم با حمد و شکر الهی است استدراج نیست» (نعمت است).

سورة القلم(68): آية 46 ص: 254

(آیه ۴۶) - در ادامه بازپرسیهائی که در آیات گذشته از مشرکان و مجرمان شده بود، در اینجا دو سؤال دیگر بر آن میافزاید، نخست می گوید: «یا این که تو از برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۵۵

آنها مزدی می طلبی که پرداختش برای آنها سنگین است»؟ (ام تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون).

اگر بهانه آنها این است که شنیدن دعوت تو خرج دارد و اجر و مزد کلانی باید در مقابل آن بپردازند و آنها قادر بر آن نیستند این سخن دروغی است، و تو مطلقا از آنها اجر و پاداشی مطالبه نمی کنی، و نه هیچ پیامبر دیگری از پیامبران خدا مزدی مطالبه کردند.

سورة القلم (68): آية ٤٧ ص: 255

(آیه ۴۷) - سپس در ادامه همین گفتگو، می افزاید: «یا اسرار غیب نزد آنهاست، و آن را می نویسند» و به یکدیگر منتقل می کنند، و در این اسرار آمده است که آنها با مسلمانان یکسانند؟ (ام عندهم الغیب فهم یکتبون).

سورة القلم(68): آية 48 ص: 255

(آیه ۴۸)- و از آنجا که سرسختی و بی منطقی مشرکان و دشمنان اسلام گاه چنان قلب پیامبر صلّی الله علیه و آله را می فشرد که امکان داشت در مورد آنها نفرین کند، خداوند در این آیه پیامبرش را دلداری داده، و امر به صبر و شکیبائی می کند، می فرماید:

«اکنون که چنین است صبر کن و منتظر فرمان پروردگارت باش» (فاصبر لحکم ربک).

منتظر باش تا خداوند وسائل پیروزی تو و یارانت و شکست دشمنانت را فراهم سازد، و بدان این مهلتها که به آنها داده می شود یک نوع عذاب استدراج است.

سپس مى افزايد: «و مانند صاحب ماهى [- يونس] مباش» كه در تقاضاى مجازات قومش عجله كرد، و گرفتار مجازات ترك اولى شد (و لا تكن كصاحب الحوت).

«در آن زمان که با نهایت اندوه خدا را (از درون شکم ماهی) خواند» (اذ نادی و هو مکظوم).

منظور از این «ندا» همان است که در آیه ۸۷ سوره انبیا آمده است «او در میان ظلمتها صدا زد که معبودی جز تو نیست، منزهی تو من از ستمکاران بودم».

و به این ترتیب به ترک اولای خود اعتراف کرد، و از خدا تقاضای عفو و بخشش نمود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۵۶

سورة القلم(٤٨): آية ٤٩ ص: ٢٥٦

(آیه ۴۹)- در این آیه میافزاید: «و اگر رحمت پروردگارش به یاریش نیامـده بود (از شکم ماهی) بیرون افکنـده میشـد در حالی که نکوهیده بود» (لو لا ان تدارکه نعمهٔ من ربه لنبذ بالعراء و هو مذموم).

منظور از «نعمت» در آیه فوق همان توفیق توبه و شمول رحمت الهی است.

سورة القلم(88): آية 50 ص: 258

(آیه ۵۰)- لذا در این آیه می فرماید: «ولی پروردگارش او را برگزید و از صالحان قرار داد» (فاجتباه ربه فجعله من الصالحین). و به دنبال آن مأموریت هدایت قومش را مجددا بر عهده او گذارد و او به سراغ آنها آمد، و همگی ایمان آوردند.

سورة القلم(٦٨): آية ٥١ ص: ٢٥٦

(آیه ۵۱) – میخواهند تو را نابود کنند اما نمی توانند! این آیه و آیه بعد که پایان سوره «قلم» را تشکیل می دهد، در حقیقت تعقیب چیزی است که در آغاز این سوره در باره نسبت جنون از ناحیه دشمنان به پیامبر صلّی الله علیه و آله آمده، نخست می فرماید: «نزدیک است کافران هنگامی که آیات قرآن را می شنوند با چشم زخم خود تو را از بین ببرند و می گویند: او دیوانه است» (و ان یکاد الذین کفروا لیزلقونک بابصارهم لما سمعوا الذکر و یقولون انه لمجنون).

آنها وقتی آیات قرآن را می شنوند آنقدر مجذوب می شوند و در برابر آن اعجاب می کنند که می خواهند تو را چشم بزنند (زیرا چشم زدن معمولاً در برابر اموری است که بسیار اعجاب انگیز باشد) اما در عین حال می گویند: تو دیوانهای، و این راستی شگفت آور است، دیوانه و پریشان گوئی کجا و این آیات اعجاب انگیز جذاب و پرنفوذ کجا؟

سورة القلم(88): آية ۵۲ ص: ۲۵۶

اشاره

(آیه ۵۲)- و سر انجام در آخرین آیه می افزاید: «در حالی که این (قرآن) جز مایه بیداری برای جهانیان نیست» (و ما هو الا ذکر للعالمین).

معارفش روشنگر، انذارهایش آگاه کننده، مثالهایش پر معنی، تشویقها و بشارتهایش روحپرور، و در مجموع مایه بیداری خفتگان و یادآوری غافلان است، با این حال چگونه می توان نسبت جنون به آورنده آن داد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۵۷

آیا چشم زدن واقعیت دارد؟ ص: ۲۵۷

بسیاری از مردم معتقدند در بعضی از چشمها اثر مخصوصی است که وقتی از روی اعجاب به چیزی بنگرند ممکن است آن را

از بین ببرد، یا درهم بشکند، و اگر انسان است بیمار یا دیوانه کند.

این مسأله از نظر عقلی امر محالی نیست و در روایات اسلامی نیز تعبیرات مختلفی دیده میشود که وجود چنین امری را اجمالا تأیید می کند.

در حدیثی آمده است که امیر مؤمنان علی علیه السّلام فرمود: پیامبر برای امام حسن و امام حسین علیه السّلام «رقیه» «۱» گرفت، و این دعا را خواند: «شـما را به تمام کلمات و اسـماء حسـنای خداوند از شـرّ مرگ و حیوانات موذی، و هر چشم بد، و حسود آنگاه که حسد ورزد میسپارم.

سپس پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نگاهی به ما کرد و فرمود: «این چنین حضرت ابراهیم برای اسماعیل و اسحاق تعویذ نمود». «پایان سوره قلم»

(۱) منظور از «رقیه» دعاهائی است که مینویسند و افراد برای جلوگیری از چشم زخم با خود نگه میدارند و آن را «تعویذ» نیز می گویند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۵۹

سوره حاقّه [69] ص: 259

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۵۲ آیه است

محتواي سوره: ص: 259

مباحث این سوره بر سه محور دور میزند.

محور اول که مهمترین محورهای بحث این سوره است مسائل مربوط به قیامت و بسیاری از خصوصیات آن میباشد، و لذا سه نام از نامهای قیامت یعنی «حاقه» و «قارعه» و «واقعه» در این سوره آمده است.

محور دوم بحثهائی است که پیرامون سرنوشت اقوام کافر پیشین، مخصوصا قوم عاد و ثمود و فرعون، میباشد که مشتمل بر انذارهای قوی و مؤکدی است برای همه کافران و منکران قیامت.

محور سوم بحثهائی است پیرامون عظمت قرآن و مقام پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و کیفر تکذیب کنندگان.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 259

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام میخوانیم: «کسی که سوره حاقه را بخواند خداوند حساب او را در قیامت آسان می کند». بسم الله الرحمن الرحیم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورة الحاقة(69): آية 1 ص: 259

(آیه ۱)- این سوره از مسأله قیامت و آن هم با عنوان تازهای شروع می شود، می فرماید: روز رستاخیز «روزی است که مسلما واقع می شود»! (الحاقهٔ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۶۰

سورة الحاقة(69): آية ٢ ص: 260

(آیه ۲)- «چه روز واقع شدنی»! (ما الحاقهٔ).

سورة الحاقة(69): آية 3 ص: 760

(آیه ۳)- «و تو چه می دانی آن روز واقع شدنی چیست»؟ (و ما ادراک ما الحاقهٔ).

تقریباً عموم مفسران «حاقه» را به معنی روز قیامت تفسیر کردهانید، به خاطر این که روزی است که قطعا واقع می شود، همانند تعبیر به «الواقعهٔ» در سوره «واقعهٔ».

تعبير به «ما الحاقّهٔ» برای بيان عظمت آن روز است.

و تعبیر به «مـا ادراک مـا الحاقـهٔ» بـاز هم برای تأکیـد بیشتر روی عظمت حوادث آن روز عظیم است، تا آنجا که حتی به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله خطاب میشود که تو نمیدانی آن روز چگونه است؟

سورة الحاقة(69): آية 4 ص: 260

(آیه ۴)- سپس به سراغ بیان سرنوشت اقوامی میرود که روز قیامت (یا نزول عـذاب الهی را در دنیا) منکر شدند، میافزاید: «قوم ثمود و عاد عذاب کوبنده الهی را انکار کردند» و نتیجه شومش را دیدند (کذبت ثمود و عاد بالقارعهٔ).

سورة الحاقة(69): آية 5 ص: 260

(آیه ۵)- «اما قوم ثمود با عذابی سرکش هلاک شدند» (فاما ثمود فاهلکوا بالطاغیهٔ).

«قوم ثمود» در یک منطقه کوهستانی میان حجاز و شام زندگی می کردند، حضرت «صالح» به سوی آنها مبعوث شد، ولی آنها هرگز ایمان نیاوردند، حتی از او خواستند که اگر راست می گوئی عذابی را که به ما وعده می دهی فرود آور! در این هنگام «صاعقهای ویرانگر» بر آنها مسلّط شد، و در چند لحظه همه چیز را در هم کوبید و جسمهای بی جانشان بر زمین افتاد.

سورة الحاقة(٤٩): آية 6 ص: 260

(آیه ۶) - سپس به سراغ سرنوشت «قوم عاد» می رود، قومی که در سرزمین «احقاف» در شبه جزیره عرب یا یمن زندگی می کردند قامتهائی طویل، اندامی قوی، شهرهائی آباد، زمینهائی خرم و سرسبز، و باغهائی پرطراوت داشتند، پیامبر آنها حضرت «هود» بود، آنها نیز طغیان و سرکشی را به جائی رساندند که خداوند با عذابی دردناک - که شرح آن در همین آیات آمده است - برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۶۱

طومار زندگی آنها را در هم پیچید.

نخست می فرماید: «و اما قوم عاد با تندبادی طغیانگر و پر سر و صدا به هلاکت رسیدند» (و اما عاد فاهلکوا بریح صرصر عاتیهٔ).

سورة الحاقة(69): آية 7 ص: 261

(آیه ۷)- سپس به توصیف دیگری از این تندباد کوبنده پرداخته، میافزاید: « (خداوند) این تندباد بنیان کن را هفت شب و هشت روز پی در پی بر آنها مسلّط ساخت» (سخرها علیهم سبع لیال و ثمانیهٔ ایام حسوما).

نتیجه آن شد که قرآن می گوید: «و (اگر آنجا بودی) میدیدی که آن قوم همچون تنه های پوسیده و تو خالی درختان نخل در میان این تند باد روی زمین افتاده و هلاک شدهاند»! (فتری القوم فیها صرعی کانهم اعجاز نخل خاویهٔ).

چه تشبیه جالبی که هم بزرگی قامت آنها را مشخص می کند، و هم ریشه کن شدن آنها را، و هم تو خالی بودن در برابر عذابهای الهی به گونهای که تندباد آنها را به آسانی جا به جا می کرد.

سورة الحاقة(69): آية لا ص: 261

(آیه ۸)- و در این آیه می افزاید: «آیا کسی از آنها را باقی می بینی»؟! (فهل تری لهم من باقیهٔ).

آری! امروز نه تنها اثری از قوم عاد نیست که از ویرانه های شهرهای آباد، و عمارتهای پرشکوه، و مزارع سرسبز آنها نیز چیزی باقی نمانده است.

سورة الحاقة(69): آية 9 ص: 261

(آیه ۹)- کجاست گوشهای شنوا؟ بعد از ذکر گوشهای از سرگذشت قوم عاد و ثمود به سراغ اقوام دیگری همچون قوم «نوح» و قوم «لوط» میرود تا از زندگی آنها درس عبرت دیگری به افراد بیدار دل دهد.

مى فرمايد: «و فرعون و كسانى كه پيش از او بودند و همچنين اهل شهرهاى زير و رو شده [- قوم لوط] مرتكب گناهان بزرگ شدند» (و جاء فرعون و من قبله و المؤتفكات بالخاطئة).

سورة الحاقة(69): آية 10 ص: 261

(آیه ۱۰)- سپس می افزاید: «و با فرستاده پروردگارشان مخالفت کردند و خداوند آنها را به عذاب شدیدی گرفتار ساخت» (فعصوا رسول ربهم فاخذهم أخذهٔ رابیهٔ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۶۲

فرعونیان با «موسی» و «هارون» به مخالفت برخاستند، و ساکنان شهرهای «سدوم» به مخالفت با حضرت «لوط» و اقوام دیگر نیز از فرمان پیامبر خود سرپیچی کردند، و هر گروهی از این سرکشان به نوعی عذاب گرفتار شدند، فرعونیان در کام امواج «نیل» که مایه حیات و آبادی و برکت کشورشان بود غرق گشتند، و قوم لوط با زلزله شدید، و سپس «بارانی از سنگ» محو و نابود شدند.

سورة الحاقة(69): آية 11 ص: 262

(آیه ۱۱)- و سر انجام اشاره کوتاهی به سرنوشت قوم نوح و مجازات دردناک آنها کرده، می گوید: «و هنگامی که آب طغیان کرد ما شما را بر کشتی سوار کردیم» (انا لما طغی الماء حملناکم فی الجاریهٔ).

طغیان آب چنین بود که ابرهای تیره و تار آسمان را پوشانید، و چنان بارانی نازل شد که گوئی سیلاب از آسمان فرو میریزد، چشمهها نیز از زمین جوشیدن گرفت، و این هر دو آب دست به دست هم دادنید، و همه چیز زیر آب فرو رفت، تنها گروهی که نجات یافتند مؤمنانی بودند که همراه نوح سوار بر کشتی شدند.

تعبیر به «حملناکم» (شما را حمل کردیم) کنایه از اسلاف و نیاکان ماست چرا که اگر آنها نجات نیافته بودنـد ما نیز امروز وجود نداشتیم.

سورة الحاقة(69): آية 12 ص: 262

اشاره

(آیه ۱۲)- بعد به هدف اصلی این مجازاتها اشاره کرده، می افزاید: منظور این بود «تا آن را وسیله تذکری برای شما قرار دهیم» (لنجعلها لکم تذکرهٔ)

«و گوشهای شنوا آن را دریابد و بفهمد» (و تعیها اذن واعیهٔ)

.هرگز نمیخواستیم از آنها انتقام بگیریم، بلکه هدف تربیت انسانها و هدایت آنها در مسیر کمال، و ارائه طریق، و ایصال به مطلوب بوده است.

فضيلت ديگري از فضائل على عليه السّلام ص: 767

در بسیاری از کتب معروف اسلامی اعم از تفسیر و حدیث آمده است که پیغمبر گرامی اسلام به هنگام نزول آیه فوق (و تعیها اذن واعیهٔ)

فرمود: «من از خدا خواستم که گوش علی را از این گوشهای شنوا و نگه دارنده حقایق قرار دهد».

و به دنبال آن على عليه السّرلام مىفرمود: «من هيچ سخنى بعد از آن، از رسول خدا نشنيدم كه آن را فراموش كنم بلكه هميشه آن را به خاطر داشتم». برگزيده تفسير نمونه، ج۵، ص: ۲۶۳

در «غایهٔ المرام» شانزده حدیث در این زمینه از طرق شیعه و اهل سنت نقل کرده است، و تفسیر «البرهان» از «محمّد بن عباس» نقل می کند که در این باره سی حدیث از طرق عامه و خاصه نقل شده است.

و این فضیلتی است بزرگ برای پیشوای بزرگ اسلام علی علیه السّلام که صندوقچه اسرار پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و وارث تمام علوم رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله بود، و به همین دلیل بعد از او در مشکلاتی که برای جامعه اسلامی در مسائل علمی پیش میآمد موافقان و مخالفان به او پناه میبردند، و حل مشکل را از او میخواستند که در کتب تاریخ مشروحا آمده است.

سورة الحاقة(69): آية 13 ص: 263

(آیه ۱۳) – روزی که آن واقعه بزرگ رخ میدهد! در ادامه آیات آغاز این سوره که ناظر به مسأله رستاخیز و قیامت بود، در اینجا بحثهائی از حوادث این رستاخیز عظیم را مطرح می کند، می فرماید: «به محض این که یکبار در صور دمیده شود ...» (فاذا نفخ فی الصور نفخهٔ واحدهٔ).

چنانکه قبلاً نیز اشاره کردهایم از قرآن مجید استفاده می شود که پایان این جهان و آغاز جهان دیگر، ناگهانی و با صدائی عظیم انجام می گیرد که از آن تعبیر به «نفخه صور» دمیدن در شیپور) شده است.

نفخه صور دو نفخه است: «نفخه مرگ» و «نفخه حیات مجدد» و آنچه در آیه مورد بحث آمده «نفخه اول» یعنی، نفخه پایان دنیاست.

سورة الحاقة(69): آية 14 ص: 263

(آیه ۱۴)- سپس می افزاید: «و (هنگامی که) زمین و کوهها از جا برداشته شوند، و یکباره در هم کوبیده و متلاشی گردند» (و حملت الارض و الجبال فدکتا دکهٔ واحدهٔ). به گونهای که یکباره از هم متلاشی و هموار گردند.

سورة الحاقة(69): آية 15 ص: 263

(آیه ۱۵)– سپس میافزاید: «در آن روز واقعه عظیم روی میدهد» و رستاخیز برپا میشود (فیومئذ وقعت الواقعة).

سورة الحاقة(69): آية 16 ص: 263

(آیه ۱۶) - نه تنها زمین و کوهها متلاشی می شوند، بلکه «آسمانها از هم می شکافد و سست می گردد و فرو می ریزد» (و انشقت السماء فهی یومئذ واهیهٔ).

کرات عظیم آسمانی از این حادثه هولناک و وحشتناک برکنار نمی مانند، آنها برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۶۴ نیز شکافته، پراکنده و متلاشی و سست خواهند شد.

سورة الحاقة(69): آية 17 ص: 264

(آیه ۱۷)- «فرشتگان در اطراف آسمان قرار می گیرند» و برای انجام مأموریتها آماده می شوند (و الملک علی ارجائها). سپس می فرماید: «و آن روز عرش پروردگارت را هشت فرشته بر فراز همه آنها حمل می کنند» (و یحمل عرش ربک فوقهم بو مئذ ثمانیهٔ).

منظور از «عرش» مجموعه جهان هستی است که عرش حکومت خداوند است، و به وسیله فرشتگان که مجری فرمان او هستند تدبیر می شود.

و جالب این که در روایتی آمده است: «حاملان هشتگانه عرش خدا در قیامت چهار نفر از اولین، و چهار نفر از آخرین هستند، اما چهار نفر از اولین نوح و ابراهیم و موسی و عیسی میباشند، و چهار نفر از آخرین محمّد صلّی الله علیه و آله و علی و حسن و حسین علیهم السّلام هستند»! این تعبیر ممکن است اشاره به مقام شفاعت آنها برای اولین و آخرین باشد، البته شفاعت

در مورد کسانی که لایق شفاعتند، و به هر حال گسترش مفهوم «عرش» را نشان میدهد.

سورة الحاقة(69): آية 18 ص: 264

(آیه ۱۸)- ای اهـل محشـر، نـامه اعمال مرا بخوانیـد! در تفسیر آیات گذشـته گفته شـد که «نفـخ صور» دو بار رخ میدهـد و چنانکه گفتیم آیات آغاز سوره از نفخه اول خبر میدهد، و آیات بعد از نفخه دوم.

در ادامه همین مطلب در اینجا می فرماید: «در آن روز همگی به پیشگاه خدا عرضه می شوید و چیزی از کارهای شما پنهان نمی ماند» (یومئذ تعرضون لا تخفی منکم خافیهٔ).

البته، انسانها و غیر انسانها در این دنیا نیز دائما در محضر خدا هستند، ولی این مطلب در قیامت ظهور و بروز بیشتری دارد. نه تنها اعمال مخفیانه انسانها که صفات و روحیات و خلقیات و نیتها همه بر ملا می گردد، و این حادثهای است عظیم، و به گفته بعضی از مفسران عظیمتر از متلاشی شدن کوهها و شکافتن کرات آسمان! روز رسوائی بزرگ بدکاران برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۶۵

و سر بلندى بىنظير مؤمنان.

سورة الحاقة(69): آية 19 ص: 765

(آیه ۱۹)- و به دنبال آن می گوید: «پس کسی که نامه اعمالش را به دست راستش دهند (از فرط خوشحالی) فریاد میزند که (ای اهل محشر!) نامه اعمال مرا بگیرید و بخوانید» (فاما من اوتی کتابه بیمینه فیقول هاؤم اقرؤا کتابیه).

سورة الحاقة(69): آية 20 ص: 268

اشاره

(آیه ۲۰)- سپس بزرگترین افتخار خود را در این کلمه خلاصه کرده، می گوید: «من یقین داشتم (که قیامتی در کار است، و) به حساب اعمالم میرسم» (انی ظننت انی ملاق حسابیه).

یعنی، آنچه نصیب من شده به خاطر ایمان به چنین روزی است، و راستی هم همین است ایمان به حساب و کتاب به انسان روح تقوا و پرهیزگاری میبخشد و تعهد و احساس مسؤولیت در او ایجاد میکند، و مهمترین عامل تربیت انسان است.

پاسخ به یک سؤال: ص: ۲۶۵

در اینجا ممکن است سؤالی مطرح شود و آن این که آیا مؤمنانی که طبق آیات فوق صدا میزنند: ای اهل محشر! بیایید و نامه اعمال ما را بخوانید، مگر گناهی در تمام نامه اعمالشان نیست؟

پاسخ این سؤال را می توان از بعضی احادیث استفاده کرد از جمله، در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی اللّه علیه و آله

میخوانیم که: «خداوند در قیامت نخست از بندگان خود اقرار بر گناهانشان می گیرد، سپس میفرماید: من این گناهان را در دنیا برای شما مستور ساختم، و امروز هم آن را میبخشم سپس (فقط) نامه حسناتش را به دست راست او میدهند».

سورة الحاقة(69): آية 21 ص: 765

(آیه ۲۱)- در این آیه گوشهای از پاداشهای چنین کسانی را بیان کرده، میفرماید: «پس او در یک زندگی (کاملا_) رضایتبخش قرار خواهد داشت» (فهو فی عیشهٔ راضیهٔ).

سورة الحاقة(69): آية 22 ص: 265

(آیه ۲۲)- گرچه با همین یک جمله همه گفتنیها را گفته است، ولی برای توضیح بیشتر میافزاید: او «در بهشتی عالی» قرار دارد (فی جنهٔ عالیهٔ).

بهشتی که آنقدر رفیع و والاست که هیچ کس مانند آن را ندیده و نشنیده و حتی تصور نکرده است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۶۶

سورة الحاقة(69): آية 23 ص: 766

(آیه ۲۳)- بهشتی که «میوههایش در دسترس است» (قطوفها دانیهٔ).

نه زحمتی برای چیدن میوه ها در کار است، و نه مشکلی برای نزدیک شدن به درختان پربارش، و اصولا تمام نعمتهایش بدون استثنا در دسترس است.

سورة الحاقة (69): آية 24 ص: 766

(آیه ۲۴)- و در این آیه، خطاب محبت آمیز خداوند را به این بهشتیان چنین بیان کرده، «بخورید و بیاشامید گوارا، در برابر اعمالی که در ایام گذشته انجام دادید» (کلوا و اشربوا هنیئا بما اسلفتم فی الایام الخالیه).

آری! این نعمتهای بزرگ بیحساب نیست، اینها پاداش اعمال شماست البته این اعمال ناچیز هنگامی که در افق فضل و رحمت الهی قرار گرفته به چنین ثمراتی منتهی شده است.

سورة الحاقة (69): آية 25 ص: 768

(آیه ۲۵) - در آیات گذشته سخن از «اصحاب الیمین» و مؤمنانی بود که نامه اعمالشان به دست راستشان داده می شود، ولی این آیه درست به نقطه مقابل آنها یعنی «اصحاب الشمال» پرداخته، و در یک مقایسه وضع آن دو را کاملا روشن می سازد. نخست می فرماید: «اما کسی که نامه اعمالش را به دست چپش بدهند می گوید: ای کاش هر گز نامه اعمالم را به من نمی دادند»! (و اما من أوتی کتابه بشماله فیقول یا لیتنی لم أوت کتابیه).

سورة الحاقة(69): آية 26 ص: 768

(آیه ۲۶)- «و نمی دانستم حساب من چیست»؟ (و لم ادر ما حسابیه).

سورة الحاقة(69): آية 27 ص: 768

(آیه ۲۷)- «ای کاش مرگم فرا میرسید»! و به این زندگی حسرتبار پایان میداد (یا لیتها کانت القاضیهٔ).

آری! در آن دادگاه بزرگ، آهی حسرتبار، و نالهای شرربار دارد، آرزو میکنـد با گذشـتهاش بکلی قطع رابطه کند، همان گونه که در آیه ۴۰ سوره نبأ نیز آمده است:

يقول الكافريا ليتني كنت ترابا

کافر در آن روز می گوید: ای کاش خاک بودم (و گرفتار عذاب نمی شدم)!»

سورة الحاقة(69): آية 28 ص: 768

(آیه ۲۸)- سپس میافزاید: این مجرم گنهکار زبان به اعتراف گشوده، میگوید: «مال و ثروتم هرگز مرا بینیاز نکرد» و به درد امروز که روز بیچارگی من برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۶۷

است نخورد (ما اغنى عنى ماليه).

سورة الحاقة(69): آية 29 ص: 267

(آیه ۲۹) - نه تنها اموالم مرا بینیاز نکرد و حل مشکلی از من ننمود بلکه «قدرت من نیز از دست رفت»! (هلک عنی سلطانیه). خلاصه نه مال به کار آمد، و نه مقام، و امروز با دست تهی، و در نهایت ذلت و شرمساری، در دادگاه عدل الهی حاضرم، همه اسباب نجات قطع شده، قدرتم بر باد رفته، و امیدم از همه جا بریده است.

یک داستان عبرت انگیز! در اینجا سرگذشتهای بسیاری نقل شده که همه تأکیدی است بر محتوای آیات فوق و درس عبرتی است برای آنها که تکیه بر مال و مقام کرده، سر تا پا آلوده غرور و غفلت و گناهند، از جمله:

در «سفینهٔ البحار» از کتاب «نصائح» چنین نقل شده: «هنگامی که بیماری هارون الرشید در خراسان شدید شد دستور داد طبیبی از طوس حاضر کنند، و سپس سفارش کرد که ادرار او را با ادرار جمع دیگری از بیماران و از افراد سالم بر طبیب عرضه کنند، طبیب شیشه ها را یکی بعد از دیگری وارسی می کرد تا به شیشه هارون رسید، و بی اینکه بداند مال کیست، گفت: به صاحب این شیشه بگوئید وصیتش را بکند، چرا که نیرویش مضمحل شده و بنیهاش فرو ریخته است! هارون از شنیدن این سخن از حیات خود مأیوس شد، و شروع به خواندن این اشعار کرد:

انّ الطّبيب بطبّه و دوائه لا يستطيع دفاع نحب قد أتى

ما للطّبيب يموت بالدّاء الّذي قد كان يبرء مثله فيما مضى

«طبیب با طبابت و داروی خود-قدرت ندارد در برابر مرگی که فرا رسید دفاع کند».

اگر قدرت دارد پس چرا خودش با همان بیماری می میرد- که سابقا آن را درمان می کرد»؟

در این هنگام به او خبر دادنـد که مردم شایعه مرگ او را پخش کردهانـد، برای این که این شایعه برچیـده شـود دسـتور داد چهارپائی آوردند و گفت: مرا بر آن سوار برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۶۸

کنید، ناگهان زانوی حیوان سست شد.

گفت: مرا پیاده کنیـد که شایعه پراکنان راست می گویند! سـپس سـفارش کرد کفنهائی برای او بیاورند، و از میان آنها یکی را پسندید و انتخاب کرد، و گفت در کنار همین بسترم قبری برای من آماده کنید.

سپس نگاهی در قبر کرد و این آیه را تلاوت نمود: (ما اغنی عنی مالیه- هلک عنی سلطانیه) و در همان روز از دنیا رفت.

سورة الحاقة(69): آية 30 ص: 268

(آیه ۳۰) - او را بگیرید و زنجیرش کنید! در ادامه آیات گذشته که سخن از «اصحاب شمال» می گفت که نامه اعمالشان را به دست چپشان می دهند در این هنگام به فرشتگان عذاب دست چپشان می دهند در این هنگام به فرشتگان عذاب دستور داده می شود: «او را بگیرید و در بند و زنجیرش کنید»! (خذوه فغلوه).

سورة الحاقة(69): آية 31 ص: 268

(آیه ۳۱)- «سپس (گفته می شود:) او را در دوزخ بیفکنید» (ثم الجحیم صلوه).

سورة الحاقة(69): آية 32 ص: 268

(آیه ۳۲)- «بعد او را به زنجیری که هفتاد ذراع است ببندید» (ثم فی سلسلهٔ ذرعها سبعون ذراعا فاسلکوه).

«ذراع» به معنی فاصله آرنج تا نوک انگشتان است (در حدود نیم متر) که واحد طول نزد عرب بوده، و یک مقیاس طبیعی است، ولی بعضی گفتهاند که این ذراع غیر از ذراع معمولی است بطوری که هر ذراع از آن فاصلههای عظیمی را در بر می گیرد، و همه دوزخیان را به آن زنجیر می بندند.

سورة الحاقة(69): آية 33 ص: 268

(آیه ۳۳) - در این آیه و آیه بعد به علت اصلی این عذاب سخت پرداخته، میفرماید: «چرا که او هر گز به خداوند بزرگ ایمان نمی آورد» (انه کان لا یؤمن بالله العظیم).

و هر قدر انبیا و اولیا و رسولان پروردگار او را به سوی خدا دعوت می کردند نمی پذیرفت، و به این ترتیب پیوند او با «خالق» بکلی قطع شده بود.

سورة الحاقة (69): آية 34 ص: 268

(آیه ۳۴) – «و هرگز مردم را بر اطعام مستمندان تشویق نمی نمود» (و V یحض علی طعام المسکین). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۶۹

و به این ترتیب پیوند خود را از «خلق» نیز بریده بود.

از این دو آیه به خوبی استفاده می شود که عمده اطاعات و عبادات و دستورات شرع را می توان در رابطه با خلق و خالق خلاصه کرد، و عطف «اطعام مسکین» بر «ایمان» اشاره به اهمیت فوق العاده این عمل بزرگ است.

سورة الحاقة(69): آية 35 ص: 769

(آیه ۳۵)- سپس می افزاید: «چون عقیده و عمل او چنین بود «از این رو امروز هم در اینجا یار مهربانی ندارد»! (فلیس له الیوم هاهنا حمیم).

سورة الحاقة(69): آية 36 ص: 769

(آيه ٣٤)- «و نه طعامي جز از چرك و خون» (و لا طعام الا من غسلين).

قابل توجه این که کیفر و عمل آنها کاملا با هم متناسبند، به خاطر قطع پیوند با خالق، در آنجا دوست گرم و صمیمی ندارند، و به خاطر ترک اطعام مستمندان، غذائی جز چرک و خون از گلوی آنها پایین نمیرود، چرا که آنها سالها لذیذترین طعامها را میخوردند در حالی که بینوایان جز خون دل طعامی نداشتند.

سورة الحاقة(69): آية 37 ص: 769

(آیه ۳۷) - در این آیه، برای تأکید می افزاید: «غذائی که جز خطاکاران آن را نمی خورند» (لا یأکله الا الخاطؤن). کسانی که با تعمد و آگاهی و به عنوان طغیان و سرکشی راه شرک و کفر و بخل را می پویند.

سورة الحاقة(٤٩): آية 38 ص: 269

(آیه ۳۸) - این قرآن قطعا کلام خداست به دنبال بحثهائی که در آیات گذشته پیرامون قیامت و سرنوشت مؤمنان و کافران بود، در اینجا بحث گویائی پیرامون قرآن مجید و نبوت بیان می کند، تا بحث «نبوت» و «معاد» مکمل یکدیگر باشند. نخست می فرماید: «سوگند به آنچه می بینید»! (فلا اقسم بما تبصرون).

سورة الحاقة(69): آية 39 ص: 769

(آیه ۳۹)- «و آنچه نمی بینید» (و ما لا تبصرون).

این دو تعبیر سراسر عالم «شهود» و «غیب» را شامل می شود.

سورة الحاقة(69): آية 40 ص: 259

(آیه ۴۰)– سپس در این آیه به ذکر نتیجه و جواب این سوگند بزرگ و بی نظیر پرداخته، می فرماید: «که این قرآن گفتـار

رسول بزرگواری است» (انه لقول رسول کریم). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۷۰

منظور از «رسول» در اینجا بـدون شـک پیغمـبر گرامی اسـلام صـلّی اللّه علیه و آله است نه جبرئیـل و میدانیم آنچه را رسول می آورد گفتار فرستنده اوست.

سورة الحاقة(69): آية 41 ص: 270

(آیه ۴۱)- سپس می افزاید: «و گفته شاعری نیست، اما کمتر ایمان می آورید» (و ما هو بقول شاعر قلیلا ما تؤمنون).

سورة الحاقة(69): آية ٤٢ ص: 270

(آیه ۴۲)- «و نه گفته کاهنی، هر چند کمتر متذکّر می شوید» (و لا بقول کاهن قلیلا ما تذکرون).

در حقیقت دو آیـه فـوق نفی نسبتهای نـاروائی اسـت کـه مشـرکان و مخالفـان به پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله میدادنـد، گـاه می گفتند: او شاعر است و اینها کهانت.

«شعر» معمولا_زائیده تخیلات، و بیانگر احساسات برافروخته، و هیجانات عاطفی است، و به همین دلیل فراز و نشیب و افت و خیز فراوان دارد در حالی که قرآن در عین زیبائی و جذابی کاملا_ مستدل و منطقی، و محتوائی عقلا_نی دارد، و اگر پیشگوئیهائی از آینده کرده این پیشگوئیها اساس قرآن را تشکیل نمیدهد، تازه بر خلاف خبرهای کاهنان همه قرین واقعیت بوده.

سورة الحاقة(69): آية 43 ص: 274

(آیه ۴۳) - و در این آیه به عنوان تأکید با صراحت می گوید: «کلامی است که از سوی پروردگار عالمیان نازل شده است» (تنزیل من رب العالمین).

بنابر این قرآن نه شعر است و نه کهانت، نه ساخته فکر پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و نه گفته جبرئیل، بلکه سخن خداست که به وسیله پیک وحی بر قلب پاک پیامبر نازل شده.

سورة الحاقة (69): آية 44 ص: 270

(آیه ۴۴)- اگر او دروغ بر ما میبست مهلتش نمیدادیم! در ادامه بحثهای مربوط به قرآن، در اینجا به ذکر دلیل روشنی بر اصالت آن پرداخته، میفرماید: «اگر او سخنی دروغ بر ما میبست ...» (و لو تقول علینا بعض الاقاویل).

سورة الحاقة (69): آية 45 ص: 270

(آیه ۴۵)- «ما او را با قدرت می گرفتیم» (لاخذنا منه بالیمین).

سورة الحاقة(69): آية 46 ص: 270

(آیه ۴۶)- «سپس رگ قلبش را قطع می کردیم»! (ثم لقطعنا منه الوتین).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۷۱

سورة الحاقة(69): آية 47 ص: 271

(آیه ۴۷)- «و هیچ کس از شما نمی توانست از (مجازات) او مانع شود» و از او حمایت کند (فما منکم من احد عنه حاجزین).

سورة الحاقة(69): آية 48 ص: 271

(آیه ۴۸) - در این آیه باز هم برای تأکید و یادآوری میفرماید: «و آن (قرآن) تـذکری برای پرهیزکاران است» (و انه لتـذکرهٔ للمتقین).

برای آنها که آمادهاند خود را از گناه پاک کنند و راه حق را بپویند، برای آنها که جستجو گرند و طالب حقیقت، و کسانی که این حد از تقوا را ندارند مسلما نمی توانند از تعلیمات قرآن بهره گیرند.

تأثیر عمیق و فوق العادهای که قرآن از این نظر دارد خود نشانه دیگری از حقانیت آن است.

سورة الحاقة(69): آية 49 ص: 271

(آیه ۴۹)- سپس می گوید: «و ما میدانیم که بعضی از شما (آن را) تکذیب می کنید» (و انا لنعلم ان منکم مکذبین). اما وجود تکذیب کننده لجوج هرگز دلیل بر عدم حقانیت آن نخواهد بود، چرا که پرهیز کاران و طالبان حقیقت از آن متذکر می شوند، نشانه های حق را در آن می بینند و در راه خدا گام می نهند.

سورة الحاقة(69): آية 50 ص: 271

(آیه ۵۰)- در این آیه می افزاید: «و آن مایه حسرت کافران است» (و انه لحسرهٔ علی الکافرین).

امروز آن را تکذیب می کنند، ولی فردا که «یوم الظّهور» و «یوم البروز» و در عین حال «یوم الحسرهٔ» است می فهمند چه نعمت بزرگی را به خاطر لجاجت و عناد از دست داده اند، و چه عذابهای در دناکی را برای خود خریده اند.

سورة الحاقة (69): آية ٥١ ص: 271

(آیه ۵۱)- و برای این که کسی تصور نکند که شک و تردید، یا تکذیب منکران به خاطر ابهام مفاهیم قرآن است، در این آیه اضافه می کند: «و آن (قرآن) یقین خالص است» (و انه لحق الیقین).

یعنی، قرآن یقینی است خالص، و یا به تعبیر دیگر «یقین» دارای مراحل مختلفی است: گاه از دلیل عقلی حاصل می شود، مثل این که دودی را از دور مشاهده می کنیم و از آن، یقین به وجود آتش حاصل می شود، در حالی که آتش را برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۷۲

ندیدهایم، این را «علم الیقین» گویند.

گاه نزدیکتر می رویم و شعله های آتش را با چشم می بینیم، در اینجا یقین محکمتر می شود، و آن را «عین الیقین» می نامند. گاه از این هم نزدیکتر می رویم و در مجاورت آتش قرار می گیریم، و سوزش آن را با دست خود لمس می کنیم، مسلما این مرحله بالاتری از یقین است که آن را «حقّ الیقین» می نامند.

آیه فوق می گوید قرآن در چنین مرحلهای از یقین است، و با این حال کوردلان آن را انکار می کنند!

سورة الحاقة(٤٩): آية ٥٢ ص: ٢٧٢

(آیه ۵۲)- و سر انجام در آخرین آیه میفرماید: «حال که چنین است به نام پروردگار بزرگت تسبیح گوی»! و او را از هر گونه عیب و نقص منزّه بشمار (فسبح باسم ربک العظیم).

قابل توجه این که مضمون این آیه و آیه قبل با مختصر تفاوتی در آخر سوره واقعه نیز آمده است، با این تفاوت که در اینجا سخن از قرآن مجید است و توصیف آن به «حق الیقین» اما در پایان سوره «واقعه» سخن از گروههای مختلف نیکوکاران و بدکاران در قیامت است.

«پایان سوره حاقه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۷۳

سوره معارج [24] ص: 273

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۴۴ آیه است

محتواي سوره: ص: 273

معروف در میان مفسران این است که سوره «معارج» از سورههای مکّی است. ولی بعضی از آیات آن در مدینه نازل شده و دلیل بر آن روایات زیادی است که در تفسیر این آیات به خواست خدا خواهد آمد.

به هر حال این سوره دارای چهار بخش است:

بخش اول از عذاب سریع کسی سخن می گوید که بعضی از گفته های پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را انکار کرد، و گفت: اگر این سخن حق است عذابی بر من نازل شود و نازل شد. (آیه ۱ تا ۳) در بخش دوم بسیاری از خصوصیات قیامت و مقدمات آن و حالات کفار در آن روز آمده است. (آیات ۴ تا ۱۸) بخش سوم این سوره بیانگر قسمتهائی از صفات انسانهای نیک و بد است که او را بهشتی یا دوزخی می کند. (آیات ۱۹ تا ۳۴) بخش چهارم شامل انذارهائی است نسبت به مشرکان و منکران، و بار دیگر به مسأله رستاخیز بر می گردد و سوره را پایان می دهد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۲۷۳

در حـدیثی از پیغمبر صـلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «کسـی که سوره «سـأل سائـل» را بخوانـد خداونـد ثواب کسـانی را به او

می دهـ د که امانـات و عهـد و پیمان خود را حفظ می کننـد و کسانی که مواظب و مراقب نمازهای خویشـند». برگزیـده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۷۴

بدیهی است آنچه انسان را مشمول این همه ثواب عظیم می کند تلاوتی است که با عقیده و ایمان، و سپس با عمل همراه باشد، نه این که سوره را بخواند و هیچ انعکاسی در روح و فکر و عملش نداشته باشد.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة المعارج(20): آية 1 ص: 274

اشاره

(آیه ۱)

شأن نزول: ص: ۲۷۴

هنگامی که رسول خدا صلّی الله علیه و آله علی علیه السّلام را در روز غدیر خم به خلافت منصوب فرمود و در باره او گفت: من کنت مولاه فعلیّ مولاه هر کس من مولی و ولیّ او هستم علی مولی و ولیّ اوست.

چیزی نگذشت که این مسأله در بلاد و شهرها منتشر شد «نعمان بن حارث فهری» خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله آمد و عرض کرد: تو به ما دستور دادی شهادت به یگانگی خدا و این که تو فرستاده او هستی دهیم ما هم شهادت دادیم، سپس دستور به جهاد و حج و روزه و نماز و زکات دادی ما همه اینها را نیز پذیرفتیم، اما با اینها راضی نشدی تا این که این جوان علی علیه السّ لام را به جانشینی خود منصوب کردی، و گفتی: من کنت مولاه فعلیّ مولاه آیا این سخنی است از ناحیه خودت یا از سوی خدا؟! پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: «قسم به خدائی که معبودی جز او نیست این از ناحیه خداست».

«نعمان» روی برگرداند در حالی که میگفت: «خداوندا! اگر این سخن حق است و از ناحیه تو، سنگی از آسمان بر ما بباران»! اینجا بود که سنگی از آسمان بر سرش فرود آمد و او را کشت، همین جا این آیه و دو آیه بعد نازل گشت.

تفسير: ص: ۲۷۴

عذاب فوری: سوره معارج از اینجا آغاز می شود که می فرماید: «تقاضا کنندهای تقاضای عذابی کرد که واقع شد» (سأل سائل بعذاب واقع).

سورة المعارج(20): آية 2 ص: 274

(آیه ۲)- سپس می افزاید: این عذاب «مخصوص کافران است و هیچ کس نمی تواند آن را دفع کند» (للکافرین لیس له دافع). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۷۵

سورة المعارج(20): آية 3 ص: 275

(آیه ۳)- و در این آیه به کسی که این عذاب از ناحیه اوست اشاره کرده، می گوید: «از سوی خداوند ذی المعارج» خداوندی که فرشتگانش بر آسمانها صعود و عروج می کنند (من الله ذی المعارج).

از آنجا که خداوند مقامات مختلفی برای فرشتگان قرار داده که با سلسله مراتب به سوی قرب خدا پیش میروند، خداوند به «ذی المعارج» توصیف شده است.

آرى! اين فرشـتگانند كه مأموريت عذاب كافران و مجرمان دارند، و همانها بودند كه بر ابراهيم خليل عليه السّـ لام نازل شدند، و به او خبر دادند كه ما مأمور نابودى قوم لوط هستيم.

سورة المعارج(20): آية 4 ص: 275

(آیه ۴)- روزی به اندازه پنجاه هزار سال! بعد از ذکر داستان عذاب دنیوی کسی که تقاضای عذاب الهی کرده بود وارد بحثهای معاد و عذابهای اخروی مجرمان در آن روز می شود، نخست می فرماید: «فرشتگان و روح [- فرشته مقرب خداوند] به سوی او عروج می کنند در آن روزی که مقدارش پنجاه هزار سال است» (تعرج الملائکه و الروح الیه فی یوم کان مقداره خمسین الف سنه).

مسلما منظور از «عروج فرشتگان» عروج جسمانی نیست، بلکه عروج روحانی است. یعنی، آنها به مقام قرب خدا می شتابند، و در آن روز که روز قیامت است آماده گرفتن فرمان، و اجرای آن می باشند.

منظور از «روح» در اینجا همان «روح الامین» بزرگ فرشتگان است که در سوره «قدر» نیز به او اشاره شده است.

و اما تعبیر به «پنجاه هزار سال» از این نظر است که آن روز بر حسب سالهای دنیا تا این حد ادامه پیدا می کند، و با آنچه در آیه ۵ سوره سجده آمده است که مقدار آن را یک هزار سال تعیین می نماید منافاتی ندارد، زیرا همان گونه که در روایات وارد شده است در قیامت پنجاه موقف است، و هر موقف به اندازه یک هزار سال طول می کشد.

سورة المعارج(٧٠): آية ٥ ص: ٢٧٥

(آیه ۵) - در این آیه پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله را مخاطب ساخته، می فرماید: «پس بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۷۶ صبر جمیل پیشه کن» و در برابر استهزاء و تکذیب و آزار آنها شکیبا باش (فاصبر صبرا جمیلا).

«صبر جمیل» به معنی شکیبائی زیبا و قابل توجه است، و آن صبر و استقامتی است که تداوم داشته باشد، یأس و نومیدی به آن راه نیابد، و توأم با بیتابی و جزع و شکوه و آه و ناله نگردد، و در غیر این صورت جمیل نیست.

سورة المعارج(٧٠): آية 6 ص: 278

(آیه ۶)- سپس می افزاید: «زیرا آنها آن روز را دور می بینند» (انهم یرونه بعیدا).

سورة المعارج(20): آية 7 ص: 278

(آیه ۷)– «و ما آن را نزدیک می بینیم» (و نراه قریبا).

آنها اصلا باور نمی کنند چنان روزی در کار باشد که حساب همه خلایق را برسند و کوچکترین گفتار و کردار آنها محاسبه شود، آن هم در روزی که پنجاه هزار سال به طول می انجامد، ولی آنها در حقیقت خدا را نشناخته اند و در قدرت او شک و تردید دارند.

سورة المعارج(20): آية 8 ص: 278

(آیه ۸)- در اینجا بحثهای گذشته در باره قیامت با شرح و توضیح بیشتری ادامه یافته، میفرماید: «همان روز که آسمان همچون فلز گداخته میشود» (یوم تکون السماء کالمهل).

سورة المعارج(20): آية ٩ ص: 278

(آیه ۹)- «و کوهها مانند پشم رنگین متلاشی خواهد بود» (و تکون الجبال کالعهن).

آری! در آن روز آسمانها از هم متلاشی و ذوب می شود، و کوهها درهم کوبیده و خرد و سپس با تند بادی در فضا پراکنده می گردد، همچون پشممی که تند باد آن را با خود ببرد و چون کوهها رنگهای مختلفی دارند تشبیه به پشمهای رنگین شدهاند، و بعد از این ویرانی، جهانی نوین ایجاد می گردد، و انسانها حیات نوین خود را از سر می گیرند.

سورة المعارج(٧٠): آية ١٠ ص: 278

(آیه ۱۰)- هنگامی که رستاخیز در آن جهان نو برپا می شود آن چنان وضع حساب و رسیدگی به اعمال وحشتناک است که همه در فکر خویشند، احدی به دیگری نمی پردازد «و هیچ دوست صمیمی سراغ دوستش را نمی گیرد» بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۷۷

(و لا يسئل حميم حميما).

سورة المعارج(20): آية 11 ص: 277

(آیه ۱۱)- نه این که دوستان صمیمی خود را در آنجا نشناسند، بلکه مخصوصا «آنها را نشانشان میدهند» ولی هر کس گرفتار کار خویشتن است (یبصرونهم).

مسأله این است که هول و وحشت بیش از آن است که بتواند به دیگری بیندیشد.

و در ادامه همین سخن و ترسیم آن صحنه وحشتناک میافزاید: وضع چنان است که «گنهکار دوست میدارد فرزندان خود را در برابر عذاب آن روز فدا کند» (یود المجرم لو یفتدی من عذاب یومئذ ببنیه).

سورة المعارج(20): آية ١٢ ص: 277

(آیه ۱۲)- نه تنها فرزندانش بلکه دوست دارد «همسر و برادرش را» بدهد (و صاحبته و اخیه).

سورة المعارج(20): آية 13 ص: 277

(آیه ۱۳)- «و قبیلهاش را که همیشه از او حمایت می کرد» (و فصیلته التی تؤویه).

سورة المعارج(20): آية 14 ص: 277

(آیه ۱۴)- بلکه «همه مردم روی زمین را تا مایه نجاتش شوند» (و من فی الارض جمیعا ثم ینجیه).

آری! به قدری عذاب خدا در آن روز هولناک است که انسان میخواهد عزیز ترین عزیزان را- که در چهار گروه در اینجا خلاصه شدهاند و حتی همه مردم روی زمین را- برای نجات خود فدا کند.

سورة المعارج(20): آية 15 ص: 277

(آیه ۱۵)- ولی در جواب همه این تمناها و آرزوها میفرماید: «هرگز چنین نیست» که با اینها بتوان نجات یافت (کلا). آری «شعلههای سوزان آتش است» (انها لظی). پیوسته زبانه می کشد، و هر چیز را در کنار و مسیر خود می یابد می سوزاند.

سورة المعارج(20): آية 16 ص: 277

(آیه ۱۶)- «دست و پا و پوست سر را می کند و با خود می برد»! (نزاعهٔ للشوی).

سورة المعارج(20): آية 17 ص: 277

(آیه ۱۷) - سپس به کسانی اشاره می کند که طعمه چنان آتشی هستند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۷۸ می فرماید: «و کسانی را که به فرمان خدا پشت کردند (و از اطاعت او روی گردان شدند) صدا می زند» و به سوی خود می خواند (تدعوا من ادبر و تولی).

سورة المعارج(٧٠): آية ١٨ ص: 278

(آیه ۱۸)- و آنها که «اموال را جمع و ذخیره کردند» و در راه خدا انفاق نکردند (و جمع فاوعی).

به این ترتیب این آتش سوزان با زبان حال و جاذبه مخصوصی که نسبت به مجرمان دارد، یا با زبان قال که خداوند به او داده، پیوسته آنها را صدا میزند و به سوی خود فرا میخواند.

سورة المعارج(٧٠): آية ١٩ ص: ٢٧٨

(آیه ۱۹)- بعد از ذکر گوشهای از عذابهای قیامت به ذکر اوصاف افراد بی ایمان و در مقابل آنها مؤمنان راستین می پردازد تا معلوم شود چرا گروهی اهل عذابند و گروهی اهل نجات.

نخست مى فرمايد: «انسان حريص و كم طاقت آفريده شده است» (ان الانسان خلق هلوعا).

سورة المعارج(٧٠): آية 20 ص: 278

(آیه ۲۰)- «هنگامی که بدی به او رسد بیتابی میکند» (اذا مسه الشر جزوعا).

سورة المعارج(20): آية 21 ص: 278

(آیه ۲۱)- «و هنگامی که خوبی به او رسد مانع دیگران میشود» و بخل میورزد (و اذا مسه الخیر منوعا).

سورة المعارج(20): آية 22 ص: 278

(آیه ۲۲)- سپس به ذکر اوصاف انسانهای شایسته به صورت یک استثنا ضمن بیان نه صفت از اوصاف برجسته پرداخته، می گوید: «مگر نمازگزاران» (الا المصلین).

سورة المعارج(20): آية 23 ص: 278

(آیه ۲۳)- «آنها که نمازها را پیوسته به جا می آورند» (الذین هم علی صلاتهم دائمون).

این نخستین ویژگی آنهاست که ارتباط مستمر با درگاه پروردگار متعال دارند، و این ارتباط از طریق نماز تأمین می گردد، نمازی که انسان را از فحشاء و منکر باز میدارد، نمازی که روح و جان انسان را پرورش میدهد، و او را همواره به یاد خدا میدارد و این توجه مستمر مانع از غفلت و غرور، و فرو رفتن در دریای شهوات، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۷۹ و اسارت در چنگال شیطان و هوای نفس می شود.

بدیهی است منظور از مداومت بر نماز این نیست که همیشه در حال نماز باشند، بلکه منظور این است در اوقات معین نماز را انجام میدهند.

سورة المعارج(٧٠): آية ٢٤ ص: ٢٧٩

(آیه ۲۴)- به هر حال بعد از ذکر نماز که بهترین اعمال، و بهترین حالات مؤمنان است، به دومین ویژگی آنها پرداخته، میافزاید: «و آنها که در اموالشان حق معلومی است» (و الذین فی اموالهم حق معلوم).

سورة المعارج(٧٠): آية 25 ص: 279

(آیه ۲۵)- «برای تقاضا کننده و محروم» (للسائل و المحروم).

و به این ترتیب هم ارتباطشان را با خالق حفظ می کنند، و هم پیوندشان را با خلق خدا.

مراد از «حق معلوم» چیزی غیر از زکات است که انسان بر خود لازم می شمرد که به نیاز مندان دهد.

«سائل» کسی است که حاجت خود را می گوید و تقاضا می کند، و «محروم» کسی است که شرم و حیا مانع تقاضای اوست.

سورة المعارج(20): آية 26 ص: 279

(آیه ۲۶)- این آیه به سومین ویژگی آنها اشاره کرده، میافزاید: «و آنها که به روز جزا ایمان دارند» (و الذین یصدقون بیوم الدین).

سورة المعارج(20): آية 27 ص: 279

(آیه ۲۷)- و در ویژگی چهارم می گوید: «و آنها که از عذاب پروردگارشان بیمناکند» (و الذین هم من عذاب ربهم مشفقون).

سورة المعارج(٧٠): آية 28 ص: 279

(آیه ۲۸)- «چرا که هیچ کس از عذاب پروردگارش در امان نیست» (ان عذاب ربهم غیر مأمون).

سورة المعارج(20): آية 29 ص: 279

(آیه ۲۹)- بخش دیگری از ویژگیهای بهشتیان در آیات گذشته چهار وصف از اوصاف ویژه مؤمنان راستین و آنها که در قیامت اهل بهشتند ذکر شد، و در اینجا به پنج وصف دیگر اشاره می کند که مجموعا نه وصف می شود.

در نخستین توصیف می فرماید: «و آنها که دامان خویش را (از بی عفتی) حفظ می کنند» (و الذین هم لفروجهم حافظون). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۸۰

سورة المعارج(٧٠): آية 30 ص: 280

(آیه ۳۰)- «جز با همسران و کنیزانشان (که در حکم همسرند آمیزش ندارند) چرا که بهره گیری از اینها مورد سرزنش نخواهند بود» (الا علی ازواجهم او ما ملکت ایمانهم فانهم غیر ملومین).

بدون شک غریزه جنسی از غرائز سرکش انسان، و سر چشمه بسیاری از گناهان است تا آنجا که بعضی معتقدند در تمام پروندههای مهم جنائی اثری از این غریزه دیده می شود، لذا کنترل و حفظ حدود آن از نشانه های مهم تقواست و به همین دلیل بعد از ذکر نماز و کمک به نیازمندان و ایمان به روز قیامت و ترس از عذاب الهی کنترل این غریزه ذکر شده است.

سورة المعارج(20): آية 31 ص: 280

(آیه ۳۱)- در این آیه برای تأکید بیشتر روی همین موضوع می افزاید:

«و هر كس جز اينها را طلب كند، متجاوز است»! (فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون).

و به این ترتیب اسلام طرح اجتماعی را میریزد که هم به غرائز فطری در آن پاسخ داده می شود، و هم آلوده فحشا و فساد جنسی و مفاسد ناشی از آن نیست.

سورة المعارج(20): آية 32 ص: 280

(آیه ۳۲) - سپس به دومین و سومین اوصاف آنها اشاره کرده، می گوید:

«و آنها كه امانتها و عهد خود را رعايت ميكنند» (و الذين هم لاماناتهم و عهدهم راعون).

«امانت» معنی وسیعی دارد که نه تنها امانتهای مادی مردم را از هر نوع در بر می گیرد، بلکه امانتهای الهی و پیامبران و پیشوایان معصوم همه را شامل میشود.

هر یک از نعمتهای الهی امانتی از امانات او هستند، پستهای اجتماعی و مخصوصا مقام حکومت از مهمترین امانات است. و از همه مهمتر دین و آئین خدا و کتاب او قرآن، امانت بزرگ او است، که باید در حفظش کوشید.

«عهد» نیز مفهوم وسیعی دارد که هم عهدهای مردمی را شامل می شود و هم عهدها و پیمانهای الهی را.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۸۱

سورة المعارج(20): آية 33 ص: 281

(آیه ۳۳)- و در چهارمین وصف اضافه می کند: «و کسانی که به ادای شهادتشان قیام مینمایند» (و الذین هم بشهاداتهم قائمون).

زيرا اقامه شهادت عادلانه و ترك كتمان آن، يكي از مهمترين پايههاي اقامه عدالت در جامعه بشري است.

سورة المعارج(20): آية 34 ص: 281

(آیه ۳۴) - در آخرین وصف که در واقع نهمین توصیف از این مجموعه است بار دیگر به مسأله نماز باز می گردد، همان گونه که آغاز آن نیز از نماز بود، می فرماید: «و کسانی که بر نماز مواظبت دارند» (و الذین هم علی صلاتهم یحافظون). نمازی که مهمترین وسیله تهذیب نفوس و پاکسازی جامعه است.

البته در نخستین وصف اشاره به «تداوم» نماز بود، اما در اینجا سخن از حفظ آداب و شرائط و ارکان و خصوصیات آن است آدابی که هم ظاهر نماز را از آنچه مایه فساد است حفظ می کند، و هم روح نماز را که حضور قلب است تقویت می نماید، و هم موانع اخلاقی را که سد راه قبول آن است از بین می برد، بنابر این هر گز تکرار محسوب نمی شود.

سورة المعارج(20): آية 35 ص: 281

(آیه ۳۵)- در پایان این سخن مسیر نهائی صاحبان این اوصاف را بیان می کند، همان گونه که در آیات گذشته مسیر نهائی مجرمان را شرح داد، در اینجا در یک جمله کوتاه و پر معنی می فرماید: «آنها در باغهای بهشتی (پذیرایی و) گرامی داشته می شوند» (اولئک فی جنات مکرمون).

چرا گرامی نباشند؟ در حالی که میهمانهای خدا هستند، و خداوند قادر و رحمان تمام وسائل پذیرائی را برای آنها فراهم ساخته است.

سورة المعارج(20): آية 35 ص: 281

(آیه ۳۶) - به کدام رو سفیدی طمع بهشت داری! در آیات گذشته بحثهائی پیرامون نشانه های مؤمنان و کفار و سرنوشت هر یک از این دو گروه آمده است، در اینجا بار دیگر به شرحی پیرامون وضع کفار و استهزای آنها نسبت به مقدسات باز می گردد.

بعضی گفتهاند این آیات در مورد گروههائی از مشرکان نازل شده که وقتی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در مکّه آیات معاد را برای مسلمانان میخواند، آنها از هر گوشه و کنار برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۸۲

می آمدند و می گفتند: اگر معادی در کار باشد وضع ما از این افرادی که به تو ایمان آوردهاند در آن عالم بهتر است، همان گونه که در این دنیا وضع ما از آنها بهتر می باشد! قرآن در پاسخ آنها چنین می گوید: «این کافران را چه می شود که با سرعت نزد تو می آیند ...» (فما ل الذین کفروا قبلک مهطعین).

سورة المعارج(٧٠): آية ٣٧ ص: ٢٨٢

(آیه ۳۷)- «از راست و چپ گروه گروه» و آرزوی بهشت دارند (عن الیمین و عن الشمال عزین).

سورة المعارج(20): آية 38 ص: 282

(آیه ۳۸)- «آیا هر یک از آنها (با این اعمال زشتش) طمع دارد که او را در بهشت پر نعمت الهی وارد کنند»؟ (ا یطمع کل امری منهم ان یدخل جنهٔ نعیم).

با كدام ايمان و با كدام عمل چنين شايستگي براي خود قائلند؟!

سورة المعارج(٧٠): آية ٣٩ ص: ٢٨٢

(آیه ۳۹)- در اینجا قرآن مجید به پاسخ آنها پرداخته، می گوید: «هر گز چنین نیست (که آنها وارد باغهای پرنعمت بهشت شوند) ما آنها را از آنچه خودشان میدانند آفریدهایم» (کلا انا خلقناهم مما یعلمون).

در حقیقت خداوند میخواهد با این جمله غرور آنها را در هم بشکند، زیرا می گوید: خودتان بهتر می دانید که ما شما را از نطفهای بی ارزش، از آبی گندیده آفریده ایم! و دوم این که پاسخی به استهزاء کنندگان معاد می گوید که اگر شما در امر معاد شک دارید بروید و حال نطفه را بررسی کنید، و ببینید چگونه از یک قطره آب بی ارزش موجودی بدیع می سازیم که در تطورات جنینی هر روز خلقت و آفرینش تازه ای به خود می گیرد.

آیا خالق انسان از نطفه قادر نیست که بعد از خاک شدن لباس حیات در تن انسان بپوشاند.

سورة المعارج(٧٠): آية 40 ص: 282

(آیه ۴۰) - سپس برای تأکید این مطلب می افزاید: «سوگند به پروردگار مشرقها و مغربها که ما قادریم ...» (فلا أقسم برب المشارق و المغارب انا لقادرون).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۸۳

سورة المعارج(20): آية 41 ص: 283

(آیه ۴۱)- «که جای آنان را به کسانی بدهیم که از آنها بهترند و ما هر گز مغلوب نخواهیم شد» (علی ان نبدل خیرا منهم و ما نحن بمسبوقین).

این جمله ممکن است اشاره به آن باشد که ما نه تنها قادریم که آنها را بعد از خاک شدن به زندگی و حیات نوین بازگردانیم، بلکه می توانیم آنها را به موجوداتی کاملتر و بهتر تبدیل کنیم.

و یا اشاره به این باشد که برای ما هیچ مانعی ندارد شما را به کیفر اعمالتان نابود کنیم و افرادی شایسته و آگاه و مؤمن جانشین شما سازیم و چیزی مانع ما از این کار نخواهد بود.

سورة المعارج(٧٠): آية ٤٢ ص: 283

(آیه ۴۲)- در این آیه به عنوان انـذار و تهدیـد کـافران سرسـخت و استهزاء کننـده و لجوج، میفرمایـد: «آنان را به حال خود واگذار، تا در باطل خود فرو روند، و بازی کنند، تا زمانی که روز موعود خود را ملاقات کنند» (فذرهم یخوضوا و یلعبوا حتی یلاقوا یومهم الذی یوعدون).

بیش از این استدلال و موعظه لازم نیست، آنها نه اهل منطقند و نه آمادگی برای بیدار شدن دارند، بگذار در اباطیل و اراجیف خود غوطهور باشند، تا روز موعود آنها، روز رستاخیز، فرا رسد، و همه چیز را با چشم خود ببینند!

سورة المعارج(20): آية 43 ص: 283

(آیه ۴۳)- سپس به معرفی آن روز موعود پرداخته، و نشانههائی از این روز وحشتناک و هولانگیز را بیان کرده، میفرماید: «همان روز که از قبرها بسرعت خارج میشوند گوئی به سوی بتها میدوند»! (یوم یخرجون من الاجداث سراعا کانهم الی نصب یوفضون).

این تعبیر سخریهای است نسبت به عقائد پوچی که در عالم دنیا داشتند.

سورة المعارج(٧٠): آية 44 ص: 283

(آیه ۴۴)- سپس به نشانههای دیگری پرداخته، میافزاید: «در حالی که چشمهایشان از شرم و وحشت به زیر افتاده» و خاضعانه نگاه میکنند (خاشعهٔ ابصارهم).

«و پردهای از ذلت و خواری آنها را پوشانده است» (ترهقهم ذلهٔ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۸۴

و در پایان آیه می فرماید: «این همان روزی است که به آنها وعده داده می شد» (ذلک الیوم الذی کانوا یو عدون).

آری! این همان روز موعود است که آن را به باد مسخره می گرفتنـد، و گاه می گفتنـد: به فرض که چنین روزی در کار باشـد وضع ما در آن روز از مؤمنان هم بهتر است.

«پایان سوره معارج»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۸۵

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۲۸ آیه است

محتواي سوره: ص: 285

این سوره چنانکه از نامش پیداست سرگذشت نوح پیامبر را بیان می کند، در سورههای متعددی از قرآن مجید به سرگذشت این پیامبر بزرگ اشاره شده، از جمله سورههای «شعرا»، «مؤمنون»، «اعراف»، «انبیاء» و از همه مشروحتر در سوره «هود» آمده، ولی آنچه در سوره نوح آمده قسمت خاصی از زندگی اوست که در جائی دیگر به این سبک نیامده است، و این قسمت مربوط به دعوت مستمر و پی گیر او به سوی توحید، و کیفیت، و عناصر این دعوت است.

بـا توجه به این که این سوره در مکّه نـازل شـده، و پیـامبر و مسـلمانان انـدک آن زمان در شـرائطی مشابه شـرائط زمان نوح و یارانش قرار داشتند، مسائل زیادی را به آنها میآموزد.

۱- به آنها یاد می دهد که چگونه از طریق استدلال منطقی تو أم با محبت و دلسوزی کامل دشمنان را تبلیغ کنند.

۲- به آنها می آموزد که هر گز در طریق دعوت به سوی خدا خسته نشوند.

۳- به آنها می آموزد که در یک دست وسائل تشویق، و در دست دیگر عوامل انذار را داشته باشند، و از هر دو در طریق دعوت بهره گیرند.

۴- آیات آخر این سوره هشداری است برای مشرکان لجوج که اگر در برابر حق تسلیم نشوند و به فرمان خدا گردن ننهند عاقبت دردناکی در پیش دارند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۸۶

به تعبیر دیگر این سوره ترسیمی است از بیان مبارزه دائمی طرفداران حق و باطل و برنامههایی که طرفداران حق در مسیر خود باید به کار بندند.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۲۸۶

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله میخوانیم:

«کسی که سوره «نوح» را بخواند از مؤمنانی خواهد بود که شعاع دعوت نوح پیامبر او را فرا می گیرد».

ناگفته پیداست که هدف از تلاوت آن این است که انسان از راه و رسم این پیامبر بزرگ و استقامت و شکیبائی یاران او در راه دعوت به سوی حق الهام گیرد، و خود را در شعاع دعوت او قرار دهد، نه خواندن فاقد اندیشه و فکر و نه اندیشهای خالی از عمل.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۱ ص: ۲۸۶

(آیه ۱)-گفتیم این سوره بیانگر آن قسمت از حالات نوح است که مربوط به مسأله دعوت او میباشد.

نخست از مسأله بعثت او شروع کرده، می فرماید: «ما نوح را به سوی قومش فرستادیم، و گفتیم: قوم خود را انذار کن پیش از آنکه عذاب دردناک به سراغشان آید» (انا ارسلنا نوحا الی قومه ان انذر قومک من قبل ان یأتیهم عذاب الیم).

این عـذاب دردناک ممکن است عـذاب دنیا باشد یا عذاب آخرت، و مناسـبتر این که هر دو باشد، هر چند به قرینه آیات آخر سوره بیشتر منظور عذاب دنیاست.

سورهٔ نوح (۷۱): آیهٔ ۲ ص: ۲۸۶

(آیه ۲)- نوح این پیامبر «اولو العزم» که صاحب نخستین شریعت و آئین الهی بود و دعوت جهانی داشت بعد از دریافت این فرمان به سراغ قومش آمد و «گفت: ای قوم! من برای شما بیم دهنده آشکاری هستم» (قال یا قوم انی لکم نذیر مبین).

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۳ ص: ۲۸۶

(آیه ۳)- هدف این است «که خدا را پرستش کنید و از مخالفت او بپرهیزید و مرا اطاعت نمایید» (ان اعبدوا الله و اتقوه و اطیعون).

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۴ ص: ۲۸۶

(آیه ۴) - سپس به تشویق آنها پرداخته نتائج مهم اجابت این دعوت را در برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۸۷ دو جمله کوتاه بیان می کند، می گوید: اگر دعوت مرا اجابت کنید «خداوند گناهانتان را می آمرزد» (یغفر لکم من ذنوبکم). سپس می افزاید: «و شما را تا زمان معینی به تأخیر می اندازد» عمرتان را طولانی کرده و عذاب را از شما دور می دارد (و یؤخر کم الی اجل مسمی).

«زیرا هنگامی که اجل الهی فرا رسد تأخیری نخواهد داشت اگر میدانستید» (ان اجل الله اذا جاء لا یؤخر لو کنتم تعلمون). از این آیه به خوبی استفاده میشود که «اجل» و سر رسید عمر انسان دو گونه است «اجل مسمّی» و «اجل نهائی».

قسم اول سر رسیدی است که قابل تغییر و دگرگونی است، و بر اثر اعمال نادرست انسان ممکن است بسیار جلو بیفتد که عذابهای الهی یکی از آنهاست و به عکس بر اثر تقوا و نیکوکاری و تدبیر ممکن است بسیار عقب بیفتد.

ولی اجل و سر رسید نهائی به هیچ وجه قابل دگرگونی نیست.

در روایات اسلامی نیز روی این معنی تأکید فراوان شده است، از جمله در یک حدیث پر معنی از امام صادق علیه السّ لام می خوانیم: «آنها که بر اثر گناهان می میرند بیش از آنها هستند که به مرگ الهی از دنیا می روند، و کسانی که بر اثر نیکو کاری عمر طولانی پیدا می کنند بیش از کسانی هستند که بر اثر عوامل طبیعی عمرشان زیاد می شود».

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۵ ص: ۲۸۷

(آیه ۵)- از هر فرصتی برای هدایت آنها استفاده کردم، اما ...

در اینجا در ادامه رسالت و مأموریت نوح برای دعوت قومش سخنانی از زبان خود او، هنگامی که به پیشگاه پروردگار شکایت میبرد، نقل شده که بسیار آموزنده است.

سخنان نوح در این زمینه سخنانی است که می تواند راهگشا برای همه مبلغان دینی باشد، می فرماید: «نوح گفت: پروردگارا! من قوم خود را شب و روز به سوی تو دعوت کردم» (قال رب انی دعوت قومی لیلا و نهارا).

و لحظهای در ارشاد و تبلیغ آنها کوتاهی نکردم.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۸۸

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۶ ص: ۲۸۸

(آیه ۶)- «اما دعوت من چیزی جز فرار از حق بر آنان نیفزود» (فلم یزدهم دعائی الا فرارا).

و این عجیب است که دعوت به سوی چیزی سبب فرار از آن شود، اما با توجه به این که تأثیر دعوتها نیاز به یک نوع آمادگی و سنخیت و جاذبه متقابل دارد جای تعجب نیست که در دلهای ناآماده اثر معکوس و منفی ببخشد.

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۷ ص: ۲۸۸

(آیه ۷)- سپس نوح در ادامه این سخن می افزاید: خداوندا! من هر زمان آنها را دعوت کردم که (ایمان بیاورند و) تو آنها را بیامرزی انگشتان خویش را در گوشهایشان قرار داده، و لباسهایشان را بر خود پیچیدند و در مخالفت اصرار ورزیدند و به شدت استکبار کردند» (و انی کلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فی آذانهم و استغشوا ثیابهم و اصروا و استکبروا استکبارا).

گذاشتن انگشت در گوشها برای این بوده که صدای حق را نشنوند و پیچیدن لباس بر خویشتن یا به این معنی است که لباس بر سر می انداختند تا پشتوانه ای برای انگشتان فرو کرده در گوش باشد و کمترین امواج صوتی بر پرده صماخ آنها نرسد، و یا می خواستند صورت خود را بپوشانند مبادا چشمانشان بر قیافه ملکوتی نوح این پیامبر بزرگ بیفتد، در واقع اصرار داشتند هم گوش از شنیدن باز ماند و هم چشم از دیدن! این آیه نشان می دهد که یکی از عوامل مهم بدبختی آنها استکبار و غرور بود که همیشه یکی از موانع مهم راه حق بوده و ثمره شوم آن را در تمام طول تاریخ بشر در زندگی افراد بی ایمان مشاهده می کنیم.

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۸ ص: ۲۸۸

(آیه ۸)- نوح همچنان به سخنان خود در پیشگاه پروردگار ادامه داده، می گوید: خداوندا! «سپس آنها را با صدای بلند (به اطاعت فرمان تو) دعوت کردم» (ثم انی دعوتهم جهارا).

در جلسات عمومی و با صدای بلند آنها را به سوی ایمان فرا خواندم.

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۹ ص: ۲۸۸

(آیه ۹)- به این نیز قناعت نکردم «آشکارا و نهان (حقیقت توحید و ایمان را) برای آنان بیان داشتم» (ثم انی اعلنت لهم و اسررت لهم اسرارا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۸۹

این حوصله عجیب، و آن دلسوزی عجیبتر، و پشتکار و استقامت بی نظیر سرمایه او در راه دعوت به آئین حق بود.

و شگفتانگیزتر این که در طول نهصد و پنجاه سال دعوتش تنها حدود هشتاد نفر به او ایمان آوردند یعنی، برای هدایت هر یک نفر بطور متوسط حدود دوازده سال تبلیغ کرد!

سورهٔ نوح (۷۱): آیهٔ ۱۰ ص: ۲۸۹

(آیه ۱۰) – پاداش دنیوی ایمان: «نوح» در ادامه بیانات مؤثر خود برای هدایت آن قوم لجوج و سرکش این بار روی بشارت و تشویق تکیه میکند، و به آنها وعده مؤکد میدهد که اگر از شرک و گناه توبه کنند خدا درهای رحمت خویش را از هر سو به روی آنها می گشاید، عرض میکند: خداوندا! «به آنها گفتم: از پروردگار خویش آمرزش بطلبید که او بسیار آمرزنده است (فقلت استغفروا ربکم انه کان غفارا).

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۱۱ ص: ۲۸۹

(آیه ۱۱)- «تا بارانهای پربرکت آسمان را پی در پی بر شما فرو فرستد» (یرسل السماء علیکم مدرارا). خلاصه هم باران رحمت معنوی و هم باران پربرکت مادی او شما را فرا می گیرد.

سورهٔ نوح(۲۱): آیهٔ ۱۲ ص: ۲۸۹

(آیه ۱۲)- سپس می افزاید: «و شما را با اموال و فرزندان فراوان کمک می کند» (و یمدد کم باموال و بنین).

«و باغهای سرسبز و نهرهای آب جاری در اختیارتان قرار میدهد» (و یجعل لکم جنات و یجعل لکم انهارا).

به این ترتیب یک نعمت بزرگ معنوی، و پنج نعمت بزرگ مادی به آنها وعده داده، نعمت بزرگ معنوی بخشودگی گناهان و پاک شدن از آلودگی کفر و عصیان است، اما نعمتهای مادی: ریزش بارانهای مفید و به موقع و پر برکت، فزونی اموال، فزونی فرزندان (سرمایههای انسانی)، باغهای پر برکت، و نهرهای آب جاری.

آرى! ايمان و تقوا طبق گواهي قرآن مجيد هم موجب آبادي دنيا و هم آبادي آخرت است.

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۱۳ ص: ۲۸۹

(آیه ۱۳)- سپس بار دیگر به انذار باز می گردد، می گوید: «چرا شما (از خدا بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۹۰ نمی ترسید و) برای خدا عظمت قائل نیستید»؟! (ما لکم لا ترجون لله وقارا).

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۱۴ ص: ۲۹۰

(آیه ۱۴)- «در حالی که شما را مراحل مختلف آفرید» (و قد خلقکم اطوارا).

نخست «نطفه» بی ارزشی بودید، چیزی نگذشت که شما را به صورت «علقه» و از آن پس به صورت «مضغه» در آورد، سپس شکل و اندام انسانی به شما داد، بعد لباس حیات در اندام شما پوشانید، و به شما روح و حس و حرکت داد.

نه تنها از نظر جسمانی اشکال مختلفی به خود می گیرد، که چهره روح و جان شما نیز دائما در تغییر است، هر یک از شما استعدادی دارید، و در هر سری ذوقی و در هر دلی عشقی است.

و به این ترتیب او در همه جا با شماست و در هر گام رهبری و هدایت می کند و با این همه لطف و عنایت او، این همه کفران و بی حرمتی چرا؟

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۱۵ ص: ۲۹۰

(آیه ۱۵)- حضرت «نوح» در بیانات عمیق و مستدل خود در برابر مشرکان لجوج نخست دست آنها را گرفته و به اعماق وجودشان برد، تا آیات انفسی را مشاهده کنند، سپس آنها را به مطالعه نشانه های خدا در عالم بزرگ آفرینش دعوت کرده و آنان را به سیر آفاقی می برد.

نخست از آسمان شروع کرده، می گوید: «آیا نمیدانید چگونه خداوند هفت آسمان را یکی بالای دیگری آفریده است»؟! (ا لم تروا کیف خلق الله سبع سماوات طباقا).

آسمانهای هفتگانه یکی بالای دیگری قرار دارد، و بطوری که در تفسیر آسمانهای هفتگانه در گذشته گفته ایم آنچه را ما با چشم مسلح و غیر مسلح از ستارگان ثابت و سیار می بینیم همه جزء آسمان اول است، و شش عالم دیگر یکی ما فوق دیگری بعد از آن قرار دارد که از دسترس علم و دانش انسان امروز بیرون است، و ممکن است در آینده این شایستگی را پیدا کند که آن عوالم عجیب و گسترده را یکی بعد از دیگری کشف کند.

سورة نوح(٧١): آية ١٦ ص: ٢٩٠

(آیه ۱۶) – سپس می افزاید: «و ماه را در میان آسمانها مایه روشنائی و خورشید را چراغ فروزانی قرار داده است» (و جعل القمر فیهن نورا و جعل برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۹۱ الشمس سراجا).

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۱۷ ص: ۲۹۱

(آیه ۱۷)- باغبان هستی، شما را همچون گلی پرورش داد! سپس بار دیگر به آفرینش انسان باز می گردد، میافزاید: «و خداوند شما را همچون گیاهی از زمین رویانید»! (و الله انبتکم من الارض نباتا).

تعبیر به «انبات» و رویانیدن، در مورد انسان، بخاطر آن است که آفرینش نخستین انسان از خاک است، دوم این که، تمام مواد غذائی و غذائی که انسان میخورد و به کمک آن رشد و نمو می کند از زمین است، یا مستقیما مانند سبزیها و دانههای غذائی و میوهها، و یا بطور غیر مستقیم مانند گوشت حیوانات، و سوم این که، شباهت زیادی در میان انسان و گیاه وجود دارد و بسیاری از قوانینی که حاکم بر تغذیه و تولید مثل و نمو و رشد گیاهان است بر انسان نیز حکمفرماست.

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۱۸ ص: ۲۹۱

(آیه ۱۸)- بعد به سراغ مسأله معاد که یکی دیگر از مسائل پیچیده برای مشرکان بوده است رفته، میفرماید: «سپس شما را به همان زمین باز می گرداند، و بار دیگر شما را خارج میسازد» (ثم یعیدکم فیها و یخرجکم اخراجا).

در آغاز خاک بودید بار دیگر به خاک بر می گردید، و همان کسی که قدرت داشت در آغاز شما را از خاک بیافریند توانائی دارد بار دیگر بعد از خاک شدن لباس حیات در اندامتان بپوشاند.

سورهٔ نوح (۷۱): آیهٔ ۱۹ ص: ۲۹۱

(آیه ۱۹)- بار دیگر به آیات آفاقی و نشانه های توحید در عالم بزرگ باز می گردد و از نعمت وجود زمین سخن می گوید، می فرماید: «و خداوند زمین را برای شما فرش گسترده ای قرار داد» (و الله جعل لکم الارض بساطا).

نه آن چنان خشن است که نتوانید بر آن استراحت و رفت و آمد کنید، و نه آن چنان نرم است که در آن فرو روید و قدرت حرکت نداشته باشید.

به علاوه بساطی است گسترده و آماده و دارای همه نیازمندیهای زندگی شما.

سورهٔ نوح (۷۱): آیهٔ ۲۰ ص: ۲۹۱

(آیه ۲۰)- نه تنها زمینهای هموار همچون فرش گستردهای است، بلکه کوهها به خاطر درّه و شکافهایی که در لابلای آن وجود دارد و قابل عبور است نیز بساط گستردهای میباشد هدف این است «تا از راههای وسیع و درّههای آن برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۹۲

بگذرید» و به هر جا میخواهید بروید (لتسلکوا منها سبلا فجاجا).

ولی نه آن انذارهای نخستین و نه بشارتها و تشویقها و نه استدلالات منطقی هیچ یک در دل سیاه این قوم لجوج اثر نگذاشت

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۲۱ ص: ۲۹۲

(آیه ۲۱)- لطف حق با تو مداراها کند ...

هنگامی که نوح آخرین تلاش خود را در طی صدها سال به کار زد، و آن قوم، جز گروه اندکی، همچنان بر کفر و بت پرستی و گمراهی و فساد اصرار ورزیدند از هدایت آنها مأیوس شد، رو به در گاه خدا آورد و تقاضای مجازات برای آنها کرد. چنانکه در این آیه میخوانیم: «نوح (بعد از هدایت آنان) گفت: پروردگارا! آنها نافرمانی من کردند، و از کسانی پیروی نمودند که اموال و فرزندانشان چیزی جز زیانکاری بر آنها نیفزوده است» (قال نوح رب انهم عصونی و اتبعوا من لم یزده ماله و ولده الا خسارا).

اشاره به این که رهبران این قوم جمعیتی هستند که تنها امتیازشان اموال و فرزندان زیاد است، آن هم اموال و فرزندانی که جز در مسیر فساد به کار گرفته نمی شود.

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۲۲ ص: ۲۹۲

(آیه ۲۲)- سپس می افزاید: «و (این رهبران گمراه) مکر عظیمی به کار بردند ...» (و مکروا مکرا کبارا).

آنها طرحهای شیطانی عظیم و گسترده ای برای گمراه ساختن مردم، و ممانعت از قبول دعوت نوح ریخته بودند، که احتمال دارد همان مسأله بت پرستی بوده باشد، زیرا طبق بعضی از روایات بت پرستی قبل از نوح سابقه نداشت، بلکه قوم نوح آن را به وجود آوردند.

سورهٔ نوح (۷۱): آیهٔ ۲۳ ص: ۲۹۲

(آیه ۲۳)- این آیه می تواند گواه این مطلب باشد، زیرا بعد از اشاره سر بسته به این مکر بزرگ می افزاید: رؤسای آنها «گفتند: دست از خدایان و بتهای خود برندارید» (و قالوا لا تذرن آلهتکم).

و هرگز دعوت نوح را به خدای یگانه نپذیرید، خدائی که هرگز دیده نمی شود، و با دست قابل لمس نیست! برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۹۳

مخصوصا روی پنج بت تأکید کردند و گفتند: «بتهای ود و سواع و یغوث و یعوق و نسر را هرگز رها نکنید و دست از دامنشان نکشید» (و لا تذرن ودا و لا سواعا و لا یغوث و یعوق و نسرا).

از قرائن چنین استفاده می شود که این پنج بت امتیازات ویژهای داشتند، و مورد توجه خاص آن قوم گمراه بودند، به همین دلیل رهبران فرصت طلب آنان نیز روی عبادت آنها تکیه می کردند.

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۲۴ ص: ۲۹۳

(آیه ۲۴)- سپس نوح می افزاید: خداوندا! «آنها (رهبران گمراه و خود خواه) گروه بسیاری را گمراه ساختند» (و قـد اضـلوا کثیرا).

خداوندا! «ظالمان را جز ضلالت ميفزا» (و لا تزد الظالمين الا ضلالا).

منظور از افزودن ضلالت و گمراهی ظالمان و ستمگران، همان سلب توفیق الهی از آنهاست که سبب بدبختی آنها میشود، و یا مجازاتی است که آنها به خاطر ظلمشان دریافت میدارند که خدا نور ایمان را از آنها می گیرد، و تاریکی کفر را جانشین آن میسازد.

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۲۵ ص: ۲۹۳

(آیه ۲۵)– سر انجام در این آیه خداونـد سخن آخر را در این زمینه چنین میفرمایـد: «به خاطر گناهانشان غرق شدنـد، و در آتش دوزخ وارد گشتند و جز خدا یاورانی نیافتند» که در برابر خشم او از آنها دفاع کند (مما خطیئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم یجدوا لهم من دون الله انصارا).

تعبیر آیه نشان می دهد که آنها بعد از غرق شدن بلافاصله وارد آتش شدند، و این عجیب است که از آب فورا وارد آتش شوند! و این آتش همان آتش برزخی است، چرا که طبق گواهی آیات قرآن گروهی بعد از مرگ در عالم برزخ مجازات می شوند، و طبق بعضی از روایات «قبر» یا باغی از باغهای بهشت است یا حفرهای از حفرههای دوزخ!

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۲۶ ص: ۲۹۳

(آیه ۲۶)- این قوم فاسد و مفسد باید بروند! در این جا که همچنان ادامه سخنان نوح و شکایاتش از قوم به درگاه خدا و نفرین در باره آنهاست، میفرماید: «نوح گفت: پروردگارا! هیچ یک از کافران را روی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۹۴ زمین باقی مگذار»! (و قال نوح رب لا تذر علی الارض من الکافرین دیارا).

این سخن را هنگامی گفت که بطور کامل از هدایت آنها مأیوس شده بود، و آخرین تلاش و کوشش خود را برای ایمان آوردن آنها به کار زد و نتیجهای نگرفت، و تنها گروهی اندک به او ایمان آوردند.

تعبیر به «علی الارض» (بر صفحه زمین) نشان میدهد که هم دعوت نوح جهانی بوده، و هم طوفان و عذابی که بعد از آن آمد.

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۲۷ ص: ۲۹۴

(آیه ۲۷)- سپس «نوح» برای نفرین خود استدلال می کند و میافزاید: «زیرا اگر آنها را باقی بگذاری بندگانت را گمراه می کنند، و جز نسلی فاجر و کافر به وجود نمی آورند»! (انک ان تذرهم یضلوا عبادک و لا یلدوا الا فاجرا کفارا).

این نشان میدهد که نفرین انبیاء، از جمله نوح (ع) از روی خشم و غضب و انتقامجوئی و کینه توزی نبود، بلکه روی یک حساب منطقی صورت گرفته است.

سورهٔ نوح(۷۱): آیهٔ ۲۸ ص: ۲۹۴

(آیه ۲۸)- در پایان، نوح برای خودش و کسانی که به او ایمان آورده بودند چنین دعا می کند: «پروردگارا! مرا و پدر و مادرم، و تمام کسانی را که با ایمان وارد خانه من شدند و جمیع مردان و زنان با ایمان را بیامرز و ظالمان را جز هلاکت میفزا» (رب اغفر لی و لوالدی و لمن دخل بیتی مؤمنا و للمؤمنین و المؤمنات و لا تزد الظالمین الا تبارا).

این طلب آمرزش برای این است که نوح میخواهد بگوید گرچه من صدها سال تبلیغ مستمر داشتم، و هر گونه زجر و شکنجه را در این راه تحمل کردم، اما چون ممکن است ترک اولائی در این مدت از من سر زده باشد من از آن هم تقاضای عفو می کنم، و هر گز خود را در پیشگاه مقدست تبرئه نمی نمایم.

«پایان سوره نوح»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۹۵

سوره جنّ [۷۲] ص: ۲۹۵

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۲۸ آیه است

محتوای سوره: ص : 295

این سوره، چنانکه از نامش پیداست، عمدتا در باره خلق ناپیدائی به نام «جنّ» سخن می گوید، سخن از ایمان آنها به پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله، و خضوع در برابر قرآن مجید، و ایمان و اعتقاد آنها به معاد، و وجود گروهی مؤمن و کافر در میان آنان و مسائلی از این قبیل است.

این بخش از سوره نوزده آیه از بیست و هشت آیه سوره را در بر می گیرد، و بسیاری از عقائد خرافی را در زمینه «جنّ» اصلاح می کند و بر آنها خط بطلان می کشد.

در بخش دیگری از این سوره اشارهای به مسأله توحید و معاد آمده است.

و در آخرین بخش این سوره، سخن از مسأله علم غیب است که هیچ کس از آن آگاهی ندارد جز آنچه خداوند اراده کرده است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 295

در حدیثی از امام صادق (ع) آمده است: «هر کس بسیار سوره جنّ را بخواند هر گز در زندگی دنیا چشم زخم جنّ و جادو و سحر و مکر آنها به او نمی رسد، و با محمّد (ص) همراه خواهد بود، و می گوید: پروردگارا! من کسی را به جای او نمی خواهم، و هر گز از او به دیگری متمایل نمی شود».

البته این تلاوت مقدمهای است بر آگاهی از محتوای سوره، و سپس به کار بستن آن.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۹۶

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

شأن نزول: ص: ۲۹۶

در تفسیر آیات ۲۹ تا ۳۲ سوره احقاف شأن نزولهائی آمده بود که با مطالب این سوره کاملا هماهنگ است، و نشان میدهد که هر دو مربوط به یک حادثه است، دو مورد از آنها را بطور فشرده نقل میکنیم.

۱- پیامبر صلّی اللّه علیه و آله از مکّه به سوی بازار «عکاظ» در «طائف» آمد، تا مردم را در آن مرکز اجتماع بزرگ به سوی اسلام دعوت کند، اما کسی به دعوت او پاسخ مثبت نگفت، در بازگشت به محلی رسید که آن را وادی «جنّ» می گفتند شب را در آنجا ماند و تلاوت آیات قرآن می فرمود، گروهی از جن شنیدند و ایمان آوردند، و برای تبلیغ به سوی قوم خود بازگشتند.

۲- «ابن عباس» می گوید: پیامبر صلّی الله علیه و آله مشغول نماز صبح بود، و در آن تلاوت قرآن می کرد، گروهی از جن در صدد تحقیق از علّت قطع اخبار آسمانها از خود بودند صدای تلاوت قرآن محمد صلّی الله علیه و آله را شنیدند.

گفتند: علت قطع اخبار آسمان از ما همین است، به سوی قوم خود بازگشتند و آنها را به سوی اسلام دعوت کردند.

ولی شأن نزول دیگری در اینجا آمده که با آنها متفاوت است و آن این که از «عبد الله بن مسعود» پرسیدند: آیا کسی از شما یاران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در حوادث شب جنّ خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله بود؟ گفت: احدی از ما نبود، ما شبی در مکّه پیامبر صلّی الله علیه و آله را نیافتیم، و هر چه جستجو کردیم اثری از او ندیدیم، از این ترسیدیم که پیامبر صلّی الله علیه و آله را کشته باشند، به جستجوی حضرت در درّههای مکّه رفتیم، ناگهان دیدیم از سوی کوه «حرا» می آید، عرض کردیم کجا بودی ای رسول خدا؟ ما سخت نگران شدیم، و دیشب بدترین شب زندگی ما بود. فرمود: دعوت کننده جنّ به سراغ من آمد، و من رفتم قرآن برای آنها بخوانم.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۹۷

سورة الجن(27): آية 1 ص: 297

(آیه ۱)- ما قرآن عجیبی شنیدهایم! در این آیه میفرماید: «بگو: به من وحی شده که جمعی از جنّ به سخنانم گوش فرا دادهاند، سپس گفتهاند، ما قرآن عجیبی شنیدهایم ...» (قل اوحی الی انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا).

این آیه به خوبی نشان می دهد که طایفه «جنّ» دارای عقل و شعور و فهم و درک، و تکلیف و مسؤولیت، و آشنائی به لغت، و توجه به فرق بین کلام اعجاز و غیر آن دارند، همچنین خود را موظّف به تبلیغ حق می دانند، و مخاطب خطابهای قرآن نیز هستند.

آنها حق داشتند که قرآن را سخنی عجیب بشمرند، زیرا هم لحن و آهنگ آن عجیب است، و هم نفوذ و جاذبهاش، هم محتوا و تأثیرش عجیب است و هم آورنده آن که درس نخوانده بود و از امیین برخاست.

سورة الجن(22): آية 2 ص: 292

(آیه ۲)– آنها به دنبال این جمله، سخنان دیگری به قوم خود گفتند که قرآن در آیات بعد در دوازده جمله، آنها را بیان کرده که هر کدام با «انّ» شروع شده که نشانه تأکید است.

نخست می فرماید: آنها گفتند: «که (این قرآن همگان را) به راه راست هدایت می کند، و لذا ما به آن ایمان آورده ایم و هرگز کسی را شریک پروردگارمان قرار نمی دهیم» (یهدی الی الرشد فآمنا به و لن نشرک بربنا احدا).

سورة الجن(22): آية 3 ص: 292

(آیه ۳)- بعد از ابراز ایمان و نفی هرگونه شرک سخنان خود را در باره صفات خدا چنین ادامه دادند: «و بلند است مقام با عظمت پروردگار ما (از شباهت به مخلوقین، و از هرگونه عیب و نقص) و او هرگز برای خود همسر و فرزندی انتخاب نکرده است» (و انه تعالی جد ربنا ما اتخذ صاحبهٔ و لا ولدا).

سورة الجن(22): آية 4 ص: 292

(آیه ۴)- سپس افزودند: ما اکنون اعتراف می کنیم «که سفیه ما (ابلیس) در باره خدا سخنان ناروا می گفت» (و انه کان یقول سفیهنا علی الله شططا).

یعنی، سفهای ما برای خـدا همسـر و فرزنـدان قائل بودنـد، و شبیه و شـریکی انتخاب کرده بودند، و از راه حق منحرف شده و

سخنی به گزاف می گفتند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۹۸

و احتمال دارد که: «سفیه» در اینجا اشاره به «ابلیس» باشد که بعد از مخالفت فرمان خدا نسبتهای ناروائی به ساحت مقدس او داد و از آنجا که «ابلیس» از جن بوده مؤمنان جن به این وسیله از او ابراز تنفر می کنند، و سخن او را گزافه و شطط می نامند.

سورة الجن(22): آية ۵ ص: 298

(آیه ۵)- سپس افزودند: «و ما گمان می کردیم که انس و جنّ هر گز، بر خدا دروغ نمیبندند» (و انا ظننا ان لن تقول الانس و الجن علی الله کذبا).

این سخن ممکن است اشاره به تقلیـد کورکورانهای باشـد که این گروه قبلا از دیگران داشـتند، و برای خدا شـریک و شبیه و همسر و فرزند قائل بودند می گویند:

اگر ما این مسائل را از دیگران بدون دلیل پذیرفتیم به خاطر خوش باوری بود، هرگز خیال نمی کردیم که انس و جن به خود جرأت دهند که چنین دروغهای بزرگی به خدا ببندند، ولی اکنون به غلط بودن این تقلید ناروا پیبردیم و به این ترتیب به اشتباه خود و انحراف مشرکان جن اعتراف می کنیم.

سورة الجن(22): آية 6 ص: 298

(آیه ۶)- سپس افزودند: یکی دیگر از انحرافات جن و انس این بود که:

«مردانی از بشر به مردانی از جن پناه میبردند، و آنها سبب افزایش گمراهی و طغیانشان میشدند» (و انه کان رجال من الانس یعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا).

مفهوم آیه، مفهوم وسیعی است که شامل هر گونه پناه بردن افرادی از انسانها به جن را شامل می شود چه این که می دانیم در میان عرب کاهنان زیادی و جود داشتند که معتقد بودند به وسیله طایفه «جنّ» بسیاری از مشکلات را حل می کنند و از آینده خبر می دهند.

سورة الجن(22): آية 7 ص: 298

(آیه ۷)- این آیه همچنان ادامه سخنان مؤمنان جن است که به هنگام تبلیغ قوم خود بیان داشتند و از طرق مختلف آنها را به سوی اسلام و قرآن دعوت نمودند.

نخست می گویند: «و این که آنها گمان کردند- همان گونه که شما گمان کردید- که خداوند هر گز کسی را (به نبوت) مبعوث نمی کند» (و انهم ظنوا کما بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۲۹۹

ظننتم أن لن يبعث الله أحداً)

.لذا به انکار قرآن، و تکذیب نبوت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله برخاستند، ولی ما هنگامی که با دقت به آیات این کتاب آسـمانی گوش فرا دادیم حقانیت آن را به روشنی درک کردیم، مبادا شما هم مانند مشرکان انسانها، راه کفر پیش گیرید و به سرنوشت آنها گرفتار شوید.

این تعبیر هشداری است به مشرکان که بدانند وقتی جن، منطقش این است و داوریش چنین، بیدار شوند و به دامن قرآن و

پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله چنگ زنند.

سورة الجن(22): آية لم ص: 299

(آیه ۸)- سپس مؤمنان جن، به یکی از نشانه های صدق گفتار خود که در جهان طبیعت برای همه جنیان قابل درک است اشاره کرده، می گویند: «ما آسمان را جستجو کردیم و همه را پر از محافظان قوی و تیرهای شهاب یافتیم» (و انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شدیدا و شهبا).

سورة الجن(22): آية 9 ص: 299

(آیه ۹)- «ما پیش از این به استراق سمع در آسمانها مینشستیم (و اخباری از آن را دریافت میداشتیم و به اطلاع دوستان خود میرساندیم) اما اکنون هر کس بخواهد استراق سمع کند، شهابی را در کمین خود مییابد) که او را هدف قرار میدهد»! (و انا کنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن یستمع الآن یجد له شهابا رصدا).

آیا این وضع تازه، دلیل بر این حقیقت نیست که با ظهور این پیامبر و نزول کتاب آسمانی او دگر گونی عظیمی در جهان رخ داده است؟ چرا شما قبلا قدرت بر استراق سمع داشتید، و الآن احدی توانائی بر این کار ندارد؟!

سورة الجن(22): آية 10 ص: 299

(آیه ۱۰)- سپس افزودند: با این اوضاع و احوال «ما نمی دانیم آیا (این ممنوعیت از استراق سمع دلیل بر این است که) اراده شری در باره اهل زمین شده، یا خداوند می خواهد از این طریق آنها را هدایت فرماید»؟ (و انا لا ندری ا شر ارید بمن فی الارض ام اراد بهم ربهم رشدا).

و به تعبیر دیگر ما نمی دانیم آیا این امر مقدمه نزول عذاب و بلا از سوی خداست یا مقدمه هدایت آنها؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۰۰

مؤمنان جن قاعدتا باید فهمیده باشند که ممنوعیت از استراق سمع که با ظهور پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله مقارن بوده، مقدمه هدایت انسانها، و برچیده شدن دستگاه کهانت و خرافات دیگری مانند آن است.

اما از آنجا که «جنّ» به مسأله استراق سمع دلبستگی خاصی داشت هنوز نمی توانست باور کند که این محرومیت یک نوع خیر و برکت است، و گر نه روشن است که کاهنان در عصر جاهلیت با اتکا به همین مسأله استراق سمع سهم بزرگی در گمراه ساختن مردم داشتند.

سورة الجن(22): آية 11 ص: 300

(آیه ۱۱)- این آیه همچنان ادامه گفتار مؤمنان جن به هنگام تبلیغ قوم گمراه خویش است، نخست از زبان آنها می گوید: «و در میان ما افراد صالح و افرادی غیر صالحند و ما گروههای متفاوتی هستیم» (و انا منا الصالحون و منا دون ذلک کنا طرائق قددا). این جمله را احتمالاً به این منظور گفتنـد که مبادا وجود «ابلیس» در میان طایفه جن، این توهّم را برای عـدهای از آنها به وجود آورد که طبیعت جنّ بر شر و فساد و شیطنت است، و هرگز نور هدایت به قلب او نمی تابد.

مؤمنان جن با این سخن روشن میسازند که اصل اختیار و آزادی اراده بر آنها نیز حاکم است. و افرادی صالح و غیر صالح هر دو وجود دارند، بنابر این زمینههای هدایت در وجود آنها فراهم میباشد.

این آیه در ضمن ذهنیات ما انسانها را در باره جن نیز اصلاح می کند، زیرا در تصور بسیاری از مردم واژه «جنّ» با نوعی «شیطنت» و فساد و گمراهی و انحراف، همراه است، این آیه می گوید آنها نیز گروههای مختلفی دارند، صالح و غیر صالح.

سورة الجن(22): آية 12 ص: 300

(آیه ۱۲)- مؤمنان جن در ادامه سخنان خود به دیگران هشدار می دهند و می گویند: «و ما یقین داریم هر گز نمی توانیم بر اراده خداوند در زمین غالب شویم و نمی توانیم از (پنجه قدرت) او بگریزیم» (و انا ظننا ان لن نعجز الله فی الارض و لن نعجزه هربا). بنابر این، اگر تصور کنید می توانید از کیفر و مجازات خدا با فرار کردن به بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۰۱ گوشهای از زمین یا نقطهای از آسمانها نجات یابید، سخت در اشتباهید.

سورة الجن(22): آية 13 ص: 301

(آیه ۱۳)- مؤمنان جن در ادامه کلام خود می افزایند: «ما هنگامی که هدایت قرآن را شنیدیم به آن ایمان آوردیم» (و انا لما سمعنا الهدی آمنا به).

و اگر شما را به هدایت قرآن فرا میخوانیم، قبلا خودمان به این برنامه عمل کردهایم، بنابر این دیگران را به چیزی دعوت نمی کنیم که خود آن را ترک گفته باشیم.

سپس نتیجه ایمان را در یک جمله کوتاه بیان کرده، می گوید: «هر کس به پروردگارش ایمان بیاورد، نه از نقصان می ترسد و نه از ظلم» (فمن یؤمن بربه فلا یخاف بخسا و لا رهقا).

و هر کار کوچک و بزرگی را انجام دهد، اجر و پاداش آن را بی کم و کاست دریافت مینماید.

سورة الجن(22): آية 14 ص: 301

(آیه ۱۴) - و در این آیه برای توضیح بیشتر پیرامون سرنوشت مؤمنان و کافران می گویند: ما از طریق هدایت قرآن می دانیم «گروهی از ما مسلمان و گروهی ظالمند» (و انا منا المسلمون و منا القاسطون).

«هر کس اسلام را، اختیار کند، راه راست را برگزیده» و به سوی هدایت و ثواب الهی گام برداشته (فمن اسلم فاولئک تحروا رشدا).

سورة الجن(22): آية 15 ص: 301

(آیه ۱۵)- «و اما ظالمان، آتشگیره و هیزم دوزخند» اما القاسطون فکانوا لجهنم حطبا)

سورة الجن(27): آية 16 ص: 301

(آیه ۱۶)- شما را با این نعمتهای فراوان می آزمائیم! در آیات گذشته سخن از پاداشهای مؤمنان در قیامت بود، و در اینجا سخن از پاداشهای دنیوی آنهاست.

مى فرمايد: «اگر آنها [- جن و انس] در راه ايمان استقامت ورزند با آب فراوان سيرابشان مى كنيم»! (و ان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا).

باران رحمت خود را بر آنها فرو میباریم، و منابع و چشمههای آب حیاتبخش را در اختیارشان می گذاریم، و از آنجا که آب فراوان است همه چیز فراوان است، و به این ترتیب آنها را مشمول انواع نعمتها قرار میدهیم. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۰۲

این برای چندمین بار است که قرآن مجید روی این مطلب تکیه می کند که «ایمان و تقوا» نه تنها سر چشمه «برکات معنوی» است که موجب فزونی ارزاق مادی و وفور نعمت و آبادی و عمران و «برکت مادی» نیز میباشد.

البته طبق این آیه آنچه مایه وفور نعمت می شود، استقامت بر ایمان است نه اصل ایمان.

سورة الجن(27): آية 17 ص: 302

(آیه ۱۷)- در این آیه به حقیقت دیگری در همین رابطه اشاره کرده، میافزاید: «هدف این است که ما آنها را با این نعمت فراوان بیازمائیم» (لنفتنهم فیه).

و از اینجا روشن می شود که یکی از اسباب مهم امتحان الهی وفور نعمت است، و اتفاقا آزمایش به وسیله «نعمت» از آزمایش به وسیله «عذاب» سخت تر و پیچیده تر است، زیرا طبیعت فزونی نعمت، سستی و تنبلی و غفلت و غرق شدن در لذائذ و شهوات است، و این درست چیزی است که انسان را از خدا دور می سازد و میدان را برای فعالیت شیطان آماده می کند تنها کسانی می توانند از عوارض نامطلوب فزونی وفور نعمت در امان بمانند که بطور دائم به یاد خدا باشند.

و لذا به دنبال آن، می افزاید: «و هر کس از یاد پروردگارش روی گرداند او را به عذاب شدید و فزاینده ای گرفتار می سازد» (و من یعرض عن ذکر ربه یسلکه عذابا صعدا).

سورة الجن(٧٢): آية ١٨ ص: ٣٠٢

(آیه ۱۸)- در این آیه از زبان مؤمنان جن به هنگام دعوت دیگران به سوی توحید چنین می گوید: «مساجد از آن خداست، پس هیچ کس را با خدا نخوانید (و ان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا).

منظور از «مساجد» مکانهائی است که در آنجا برای خدا سجده می شود که مصداق اکمل آن، مسجد الحرام، و مصداق دیگرش سایر مساجد، و مصداق گسترده ترش، تمام مکانهائی است که انسان در آنجا نماز می خواند، و برای خدا سجده می کند، و به حکم حدیث معروف پیغمبر صلّی الله علیه و آله که فرمود:

«جعلت لی الارض مسجدا و طهورا تمام روی زمین، سجده گاه و وسیله طهور (تیمّم کردن) برای من قرار داده شده» همه جا را شامل می شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۰۳ و به این ترتیب پاسخی است به اعمال مشرکان عرب و مانند آنها که خانه کعبه را بتکده ساخته بودند، و به اعمال مسیحیان منحرف که به سراغ «تثلیث» رفته و در کلیساهای خود خدایان سه گانه را می پرستیدند، قرآن می گوید: تمام معابد، مخصوص خداست و در این معابد، جز برای خدا سجده نمی توان کرد و پرستش غیر او ممنوع است.

سورة الجن(22): آية 19 ص: 303

(آیه ۱۹) - و در ادامه این سخن برای بیان تأثیر فوق العاده قرآن مجید و عبادت پیامبر صلّی الله علیه و آله می افزاید: «هنگامی که بنده خدا [- محمّد] به عبادت بر می خاست و او را می خواند گروهی پیرامون او بشدت از دحام می کردند» (و انه لما قام عبد الله یدعوه کادوا یکونون علیه لبدا).

تعبیر «لبـد» بیانگر هجوم عجیب مؤمنان جن برای شـنیدن قرآن در اولین برخورد با آن، و همچنین بیانگر جاذبه فوق العاده نماز پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است.

سورة الجن(22): آية 20 ص: 303

(آیه ۲۰)- در اینجا برای تحکیم پایههای توحید، و نفی هرگونه شرک که در آیات قبل به آن اشاره شده بود، نخست به پیامبر صلّی الله علیه و آله دستور می دهد: «بگو: من تنها پروردگارم را می خوانم (و فقط او را عبادت می کنم) و هیچ کس را شریک او قرار نمی دهم»! (قل انما ادعوا ربی و لا اشرک به احدا).

سورة الجن(22): آية 21 ص: 303

(آیه ۲۱)- سپس دستور می دهد: «بگو: من مالک زیان و هدایتی برای شما نیستم» و هدایت به دست دیگری است (قل انی لا ا املک لکم ضرا و لا رشدا).

سورة الجن(22): آية 22 ص: 303

(آیه ۲۲)- و بـاز اضافه می کنـد: «بگو: (اگر من نیز بر خلاف فرمانش رفتار کنم) هیچ کس مرا در برابر او حمایت نمی کنـد و پناهگاهی جز او نمی یابم» (قل انی لن یجیرنی من الله احد و لن اجد من دونه ملتحدا).

به این ترتیب نه کسی می تواند به من پناه دهد نه چیزی می تواند پناهگاه واقع شود این سخنان از یک سو اعتراف به عبودیت کامل در پیشگاه خداوند است، و از سوی دیگر هرگونه «غلق» را در مورد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نفی می کند، و از سوی سوم نشان می دهد که نه تنها از بتها کاری ساخته نیست که شخص پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نیز با آن همه عظمت ملجأ و پناه مستقلی در برابر عذاب خدا نمی تواند باشد، و از سوی چهارم برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۰۴

سورة الجن(27): آية 23 ص: 304

(آیه ۲۳) - در این آیه می افزاید: «تنها وظیفه من ابلاغ از سوی خدا و رساندن رسالتهای اوست» (الا بلاغا من الله و رسالاته). این تعبیر شبیه چیزی است که در آیه ۹۲ سوره مائده می خوانیم: «تنها چیزی که بر عهده پیامبر است ابلاغ آشکار است». و در آیه ۱۸۸ سوره اعراف آمده است: «بگو: من مالک سود و زیانی برای خویش نیستم، مگر آنچه خدا بخواهد، و اگر از غیب با خبر بودم منافع فراوانی برای خود فراهم می ساختم، و هیچ بدی به من نمی رسید، من تنها بیم دهنده و بشارت دهنده ام برای گروهی که ایمان می آورند».

به هر حال در پایان آیه هشدار میدهد که: «هر کس نافرمانی خدا و رسولش کند آتش دوزخ از آن اوست، و جاودانه در آن می ماند» (و من یعص الله و رسوله فان له نار جهنم خالدین فیها ابدا).

روشن است که منظور هر گنهکاری نیست، بلکه منظور مشرکان و کافران است زیرا هر گنهکاری مستحق خلود در آتش دوزخ نمی باشد.

سورة الجن(22): آية 24 ص: 304

(آیه ۲۴) - سپس می افزاید: این وضع کفار و مشرکان که پیوسته مسلمانان را استهزا می کنند و ضعیف می شمرند همچنان ادامه می یابید «تا آنچه را به آنها و عده داده شده ببینند، آنگاه می دانند چه کسی یاورش ضعیفتر، و جمعیتش کمتر است» (حتی اذا راوا ما یو عدون فسیعلمون من اضعف ناصرا و اقل عددا).

لحن آیه به خوبی نشان می دهد که دشمنان اسلام پیوسته قدرت و کثرت نفرات خود را به رخ آنها می کشیدند، و آنها را ضعیف و ناتوان می شمردند قرآن به این وسیله به مؤمنان دلداری و نوید می دهد که سر انجام روز پیروزی آنها و شکست و ناتوانی دشمنان فرا خواهد رسید.

سورة الجن(22): آية 25 ص: 304

(آیه ۲۵) - عالم الغیب خداست! چون در آیات قبل اشاره به این حقیقت بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۰۵

شده بود که «استهزا و سرکشی این گروه همچنان ادامه می یابد تا زمانی که وعده الهی دائر بر عذاب فرا رسد» این سؤال را بر میانگیزد که این وعده کی تحقق می یابد؟

قرآن مجید به پاسخ این سؤال پرداخته می گوید: «بگو: من نمی دانم آنچه به شما وعده داده شده (از عذاب دنیا و قیام رستاخیز) نزدیک است، یا پروردگارم زمانی برای آن قرار می دهد»؟ (قل ان ادری ا قریب ما توعدون ام یجعل له ربی امدا).

این علم مخصوص ذات پاک خـداست، و او خواسته از بنـدگانش مکتوم بمانـد تا موضوع امتحان و آزمون خلق کامل گردد، چرا که اگر بدانند دور است یا نزدیک در هر دو صورت امتحان کم اثر خواهد بود.

بارها در آیات قرآن مجید به این معنی برخورد می کنیم که هر وقت سؤال از زمان قیامت میشد پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله اظهار بیاطلاعی میفرمود و می گفت: علم آن مخصوص خداست.

در حدیثی آمده است که روزی «جبرئیل» در صورت یک عرب بیابانی در برابر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله ظاهر شد، و از جمله سؤالاتی که از آن حضرت نمود این بود که گفت: «به من بگو: کی قیامت بر پا میشود»؟

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «کسی که از او سؤال میکنی (در این مسأله) آگاهتر از سؤال کننـده نیست»! بار دیگر آن

مرد عرب با صدای بلند گفت: «ای محمّد! قیامت کی خواهد آمد»؟

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «وای بر تو قیامت می آید، بگو ببینم چه چیز برای آن فراهم کردهای؟» اعرابی گفت: من نماز و روزه بسیاری فراهم نکردهام، ولی خدا و رسولش را دوست دارم.

پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «پس تو با کسی خواهی بود که دوستش داری»! بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۰۶ « «انس» یکی از یاران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله می گوید: «مسلمانان از هیچ سخنی مانند این سخن خوشحال نشدند».

سورة الجن(22): آية 25 ص: 308

(آیه ۲۶)- سپس در ادامه این بحث یک قاعده کلی را در مورد علم غیب بیان میدارد، میفرماید: «دانای غیب اوست و هیچ کس را بر اسرار غیبش آگاه نمیسازد» (عالم الغیب فلا یظهر علی غیبه احدا).

سورة الجن(22): آية 27 ص: 308

(آیه ۲۷)- سپس به عنوان یک استثنا از این مسأله کلی می افزاید: «مگر رسولانی که آنان را برگزیده» و از آنان راضی شده (الا من ارتضی من رسول).

آنچه را بخواهد از علم غیب به او می آموزد، و از طریق وحی ابلاغ می کند.

«سپس مراقبینی از پیش رو و پشت سر برای آنها قرار میدهد ...» (فانه یسلک من بین یدیه و من خلفه رصدا).

و این خود یکی از دلائل معصوم بودن پیامبران است که با نیروهای غیبی و امدادهای الهی، و مراقبت فرشتگان او، از لغزشها و خطاها مصون و محفوظند.

سورة الجن(22): آية 28 ص: 308

اشاره

(آیه ۲۸)- در این آیه که آخرین آیه سوره است دلیل وجود این نگاهبانان و مراقبین را چنین بیان می کند: مقصود این است «تا بدانید که پیامبرانش رسالتهای پروردگارشان را (بی کم و کاست) ابلاغ کردهانید، و او به آنچه نزد آنهاست احاطه دارد، و همه چیز را احصا کرده است» (لیعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم و احاط بما لدیهم و احصی کل شیء عددا).

البته معنی آیه این نیست که خداوند چیزی را در باره پیامبرانش نمیدانسته و بعدا دانسته است، چه این که علم خدا ازلی و ابدی و بیپایان است، بلکه منظور این است که این علم الهی در خارج تحقق یابد و صورت عینی به خود بگیرد یعنی، پیامبران رسالت او را عملا ابلاغ کنند و اتمام حجت نمایند.

نکتهها: ص: ۳۰۶

۱- تحقیق گستردهای پیرامون علم غیب ص: 306

با دقت در آیات مختلف قرآن به خوبی روشن میشود که دو دسته آیه در برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۰۷ زمینه علم غیب وجود دارد نخست آیاتی که علم غیب را مخصوص خدا معرفی کرده و از غیر او نفی مینماید، مانند آیه ۵۰ و ۵۹ سوره انعام.

گروه دوم آیاتی است که به روشنی نشان میدهد که اولیای الهی «اجمالا» از غیب آگاهی داشتند، چنانکه در آیه ۱۷۹ سوره آل عمران میخوانیم: «چنان نبود که خدا شما را از علم غیب آگاه کند ولی خداوند از میان رسولان خود هر کس را بخواهد برمی گزیند» (و قسمتی از اسرار غیب را در اختیار او می گذارد).

و در معجزات حضرت مسیح (ع) میخوانیم که فرمود: «من شما را از آنچه میخورید، یا در خانههای خود ذخیره می کنید خبر می دهم». (آل عمران/ ۴۹) آیه مورد بحث نیز با توجه به استثنائی که در آن آمده نشان می دهمد که خداوند قسمتی از علم غیب را در اختیار رسولان برگزیدهاش قرار می دهد.

از سوی دیگر آیاتی از قرآن که مشتمل بر خبرهای غیبی است نیز کم نیست، مانند آیه دوم تا چهارم سوره روم: «رومیان مغلوب شدند- و این شکست در سرزمین نزدیک واقع شد، اما آنها بعد از این مغلوبیت به زودی غالب خواهند شد- در عرض چند سال».

اصولاً وحی آسمانی که بر پیامبران نازل می شود نوعی غیب است که در اختیار آنان قرار می گیرد، چگونه می توان گفت آنها آگاهی از غیب ندارند در حالی که وحی بر آنان نازل می شود.

از همه اینها گذشته، روایات زیادی داریم که نشان میدهد پیامبر صلّی الله علیه و آله و امامان معصوم علیهم السّدام اجمالا آگاهی از غیب داشتند، و گاه از آن خبر میدادند مانند خبر دادن از ماجرای جنگ «موته» و شهادت جعفر، و بعضی دیگر از فرماندهان اسلام که در همان لحظه وقوع، پیامبر صلّی الله علیه و آله در مدینه مسلمانان را آگاه کرد و مانند آن در زندگی پیامبر صلّی الله علیه و آله کم نیست.

در «نهج البلاغه» نیز پیشگوئیهای بسیاری از حوادث آینده به چشم میخورد که نشان میدهد علی علیه السّلام این اسرار غیب را میدانست، مانند آنچه در خطبه ۱۳ در مذمت اهل بصره آمده است که میفرماید: «گویا میبینم عذاب خدا از آسمان برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۰۸

و زمین بر شما فرود آمده و همه غرق شده اید، تنها قله بلند مسجدتان همچون سینه کشتی در روی آب نمایان است»! و مانند آنچه «کمیل بن زیاد» به «حجاج» گفت که «امیر مؤمنان علی علیه السّلام به من خبر داده که تو قاتل منی».

اکنون سخن در این است که چگونه بین این آیات و روایات که بعضی علم غیب را از غیر خدا نفی، و بعضی اثبات می کنند جمع کنیم؟

در اینجا طرق مختلفی برای جمع وجود دارد. از جمله:

۱- از معروفترین راههای جمع این است که منظور از اختصاص علم غیب به خدا علم ذاتی و استقلالی است، بنـابراین غیر او مستقلا هیچ گونه آگاهی از غیب ندارند، و هر چه دارند از ناحیه خداست، با الطاف و عنایت اوست، و جنبه تبعی دارد.

۲- اسرار غیب دو گونه است قسمتی مخصوص به خداست و هیچ کس جز او نمی داند مانند قیام قیامت، و اموری از قبیل آن،
 و قسمتی از آن را به انبیاء و اولیاء می آموزد.

۳- راه دیگر این که خداوند بالفعل از همه اسرار غیب آگاه است، ولی انبیا و اولیا ممکن است بالفعل بسیاری از اسرار غیب را ندانند، اما هنگامی که اراده کنند خداوند به آنها تعلیم میدهد، و البته این اراده نیز با اذن و رضای خدا انجام می گیرد.

۲- تحقیقی پیرامون آفرینش «جن» ص: 308

«جن» چنانکه از مفهوم لغوی این کلمه به دست می آید موجودی است ناپیدا که مشخصات زیادی در قرآن برای او ذکر شده، از جمله این که:

۱- موجودی است که از شعله آتش آفریده شده، بر خلاف انسان که از خاک آفریده شده است. (الرّحمن/ ۱۵) ۲- دارای علم و ادراک و تشخیص حق از باطل و قدرت منطق و استدلال است. (آیات مختلف سوره جنّ) برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۰۹

۳- دارای تکلیف و مسؤولیت است. (آیات سوره جنّ و سوره الرّحمن) ۴- گروهی از آنها مؤمن صالح و گروهی کافرند. (جنّ / ۱۱) ۵- آنها دارای حشر و نشر و معادند. (جنّ / ۱۵) ۶- آنها قدرت نفوذ در آسمانها و خبرگیری و استراق سمع داشتند، و بعدا ممنوع شدند. (جنّ / ۹) ۷- آنها با بعضی انسانها ارتباط برقرار می کردند و با آگاهی محدودی که نسبت به بعضی از اسرار نهانی داشتند به اغوای انسانها می پرداختند. (جنّ / ۶) ۸- در میان آنها افرادی یافت می شوند که از قدرت زیادی برخوردارند، همان گونه که در میان انسانها نیز چنین است. (نمل / ۳۹) ۹- آنها قدرت بر انجام بعضی کارهای مورد نیاز انسان دارند «گروهی از جن پیش روی سلیمان به اذن پروردگار کار می کردند، و برای او معبدها، تمثالها، و ظروف بزرگ غذا تهیه می کردند» (سبأ / ۱۲ و ۱۳) ۱۰- خلقت آنها در روی زمین قبل از خلقت انسانها بوده است (حجر / ۲۷) و ویژگیهای دیگر.

تما اینجا سخن از مطالبی بود که از قرآن مجید در باره این موجود ناپیدا استفاده می شود که خالی از هر گونه خرافه و مسائل غیر علمی است، ولی می دانیم مردم عوام و ناآگاه خرافات زیادی در باره این موجود ساخته اند که با عقل و منطق جور نمی آید، و به همین جهت یک چهره خرافی و غیر منطقی به این موجود داده که وقتی کلمه جن گفته می شود مشتی خرافات نیز با آن تداعی می شود از جمله این که آنها را با اشکال عجیب و غریب و وحشتناک، و موجوداتی موذی و پر آزار و موهومات دیگری از این قبیل.

در حالی که اگر موضوع وجود جن از این خرافات پیراسته شود، اصل مطلب کاملا قابل قبول است و از سوی دیگر هیچ دلیل عقلی بر نفی آن وجود ندارد، بنابراین باید آن را پذیرفت، و از توجیهات غلط و ناروا باید برحذر بود همان گونه که از خرافات عوام در این قسمت باید اجتناب کرد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۱۰

این نکته نیز قابل توجه است که جن گاهی بر یک مفهوم وسیعتر اطلاق می شود که انواع موجودات ناپیدا را شامل می گردد، اعم از آنها که دارای عقل و درکند و آنها که عقل و درک ندارند، و حتی گروهی از حیوانات که با چشم دیده می شوند و معمولا در لانه ها پنهانند، نیز در این معنی وسیع وارد است.

شاهد این سخن روایتی است از پیامبر صلّی الله علیه و آله که فرمود: «خداوند جن را پنج صنف آفریده است: صنفی مانند باد در هوا (ناپیدا هستند) و صنفی به صورت مارها، و صنفی به صورت عقربها، و صنفی حشرات زمین اند، و صنفی از آنها مانند انسانها که بر آنها حساب و عقاب است».

«پایان سوره جنّ»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۱۱

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۲۰ آیه می باشد

محتوای سوره: ص: 311

محتوای این سوره را می توان در پنج بخش خلاصه کرد:

بخش اول آیات آغاز سوره است که پیامبر را به قیام شبانه برای عبادت و تلاوت قرآن دعوت می کند، و برای آمادگی پذیرش یک برنامه سنگین آماده میسازد.

بخش دوم سوره او را به صبر و شكيبائي و مقاومت و مدارا با مخالفان در اين مقطع خاص دعوت مي كند.

در بخش سوم بحثهائی پیرامون معاد، و ارسال موسمی بن عمران به سوی فرعون و سرکشی و سپس عذاب دردناک او را بیان میدارد.

بخش چهارم دستورات شدیدی را که در آغاز سوره پیرامون قیام شبانه آمده است به خاطر گرفتاریهای مسلمانان تخفیف میدهد.

و در بخش پنجم بار دیگر دعوت به تلاوت قرآن، و خواندن نماز و دادن زکات و انفاق فی سبیل الله و استغفار مینماید.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 211

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله آمده است:

«هر کس سوره مزّمّل را بخواند سختیها در دنیا و آخرت از او برداشته می شود».

و در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّ_م لام میخوانیم: «هر کس سوره مزّمّل را در نماز عشاء دوم (منظور همان نماز عشاء است زیرا گاه به مغرب عشاء اول گفته برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۱۲

می شود) یا در آخر شب بخواند، شب و روز، و همچنین خود این سوره، گواه او در روز قیامت خواهد بود، و خداوند او را حیات پاکیزه و مرگ پاکیزهای خواهد داد»! مسلما این فضائل بزرگ در صورتی است که محتوای سوره دائر به قیام شبانه و تلاوت قرآن و صبر و استقامت و ایثار و انفاق عملی گردد، نه تلاوتی خالی از عمل.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة المزمل(٧٣): آية ١ ص: ٣١٢

(آیه ۱)- ای جامه به خود پیچیده به پاخیز! همان گونه که از لحن آغاز این سوره بر می آید دعوتی است آسمانی از پیامبر صلّی اللّه علیه و آله برای استقامت، و آمادگی جهت پذیرش یک وظیفه بزرگ و سنگین، که بدون خود سازی قبلی انجام. آن ممکن نیست.

مى فرمايد: «اى جامه به خود پيچيده»! (يا ايها المزمل).

سورة المزمل(٧٣): آية ٢ ص: ٣١٢

(آیه ۲)- «شب را جز کمی به پا خیز»! (قم اللیل الا قلیلا).

سورة المزمل(٧٣): آية ٣ ص: ٣١٢

(آیه ۳)- «نیمی از شب را، یا کمی از آن کم کن» (نصفه او انقص منه قلیلا).

سورة المزمل(٧٣): آية ٢ ص: ٣١٢

(آیه ۴)- «یا بر نصف آن بیفزا» (او زد علیه).

«و قرآن را با دقت و تأمل بخوان» (و رتل القرآن ترتيلا).

به یا خیز که دوران «جامه به خود پیچیدن» و در گوشه انزوا نشستن نیست.

تعبیر به «ترتیل» که در اصل به معنی «تنظیم» و «ترتیب موزون» است، در اینجا به معنی خواندن آیات قرآن با تأنی و نظم لازم، و اداء صحیح حروف، و تبیین کلمات، و دقت و تأمل در مفاهیم آیات، و اندیشه در نتایج آن است.

همچنین روایاتی که در تفسیر «ترتیل» وارد شده همگی گواه بر این حقیقت است که نباید آیات قرآن را به عنوان الفاظی خالی از محتوا و پیام، تلاوت کرد، بلکه باید به تمام اموری که تأثیر آن را در خواننده و شنونده عمیق میسازد توجه داشت، و فراموش نکرد که این پیام الهی است، و هدف تحقق بخشیدن به محتوای آن است. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۱۳ ولی متأسفانه امروز بسیاری از مسلمانان از این واقعیت فاصله گرفته، و از قرآن تنها به الفاظی اکتفا نمودهاند، بی آنکه بدانند این آیات برای چه نازل شده؟

درست است كه الفاظ قرآن نيز محترم، است ولي نبايد فراموش كرد كه اين الفاظ و تلاوت مقدمه بيان محتواست.

در حدیثی از امام صادق علیه السّ بلام در تفسیر «ترتیل» میخوانیم: «وقتی از کنار آیهای می گذری که در آن نامی از بهشت است توقف کن و از خدا بهشت را بطلب (و خود را برای آن بساز) و هنگامی که از آیهای می گذری که در آن نام دوزخ است از آن به خدا پناه بر». و خویشتن را از آن دور دار.

سورة المزمل(23): آية 5 ص: 213

اشاره

(آیه ۵)- سپس هدف نهایی این دستور سخت و مهم را چنین بیان می کند:

«ما به زودی سخنی سنگین را به تو القا خواهیم کرد» (انا سنلقی علیک قولا ثقیلا).

سنگین از نظر محتوا، و مفهوم آیات! و بیان مسؤولیتها.

سنگین از نظر تحمل آن بر قلوب و دلها، تا آنجا که قرآن در آیه ۲۱ سوره حشر می گوید: «اگر این قرآن را بر کوهها نازل می کردیم آن را خاشع و از هم شکافته می دیدی»! سنگین از نظر تبلیغ، و مشکلات راه دعوت! و برنامه ریزی و اجرای کامل آن! سنگین در ترازوی عمل و در عرصه قیامت.

ولی پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله و یاران انـدکش با استمداد از تربیت قرآن مجیـد، و استعانت به نماز شب و استفاده از تقرب به ذات پـاک پروردگـار، توانسـتند بر تمـام این مشـکلات فائق آینـد، و بار این «قول ثقیل» را بر دوش کشـند و به منزل مقصود برسانند!

فضیلت نماز شب: ص: 313

این آیات بار دیگر اهمیت شب زنده داری، و نماز شب، و تلاوت قرآن را در آن هنگام که غافلان در خوابند گوشزد می کند، عبادت در شب، مخصوصا در سحر گاهان و نزدیک طلوع فجر، اثر فوق العاده ای در صفای روح، و تهذیب نفوس، و تربیت معنوی انسان، و پاکی قلب و بیداری دل و تقویت ایمان و اراده، و تحکیم پایه های تقوا در دل و جان انسان دارد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۱۴

به همین دلیل علاوه بر آیات قرآن در روایات اسلامی نیز تأکید فراوان روی آن شده است.

از جمله در حدیثی از امام صادق علیه السّر لام میخوانیم: «سه چیز از عنایات مخصوص الهی است: عبادت شبانه (نماز شب) و افطار دادن به روزه داران، و ملاقات برادران مسلمان».

سورة المزمل(٧٣): آية 6 ص: ٣١٤

(آیه ۶)- تأثیر نیایش در دل شب: این آیه ادامه بحث پیرامون عبادت شبانه، و آموزشهای معنوی در پرتو تلاوت قرآن در دل شب است و در حقیقت به منزله بیان دلیلی است برای آنچه در آیات قبل آمده است، میفرماید: «مسلما نماز و عبادت شبانه پابرجاتر و با استقامت تر است» (ان ناشئهٔ اللیل هی اشد وطئا و اقوم قیلا).

آیه فوق از آیاتی است که با تعبیرات پرمحتوایش رساترین سخن را در باره «عبادت شبانه» و نیایش سحرگاهان، و راز و نیاز با محبوب، در ساعاتی که اسباب فراغت خاطر از هر زمان فراهمتر است، و همچنین تأثیر آن در تهذیب نفس، و پرورش روح و جان انسانی، بیان کرده است، و نشان می دهـ که روح آدمی در آن ساعات آمادگی خاصی برای نیایش و مناجات و ذکر و فکر دارد.

سورة المزمل(٧٣): آية ٧ ص: ٣١٤

(آیه ۷)- در این آیه میافزاید: این به خاطر آن است که «در روز تلاش و کوشش مستمر و طولانی خواهی داشت» (ان لک فی النهار سبحا طویلا).

دائما مشغول هدایت خلق و ابلاغ رسالت پروردگار، و حل مشکلات زندگی جمعی و فردی هستی، و مجال کافی برای عبادت و نیایش حاصل نمی شود، بنابراین عبادت شبانه را جانشین آن کن و آمادگی لازم برای این فعالیتهای بزرگ و گسترده

سورة المزمل(٧٣): آية ٨ ص: ٣١٤

(آیه ۸)- بعد از دستور قیام عبادت شبانه و اشاره اجمالی به آثار عمیق آن به ذکر پنج دستور که مکمّل آن است پرداخته، می فرماید: «و نام پروردگارت را یاد کن» (و اذکر اسم ربک).

مسلم است منظور تنها ذکر نام نیست، بلکه توجه به معنی است چرا که یاد برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۱۵ لفظی مقدمه یاد قلبی است، و ذکر قلبی روح و جان را صفا می بخشد، و نهال معرفت و تقوا را در دل آبیاری می کند. در دستور دوم می فرماید: «تنها به او دل ببند» و از غیر او قطع امید کن و خالصانه به عبادتش برخیز (و تبتل الیه تبتیلا). «تبتل» آن است که انسان با تمام قلبش متوجه خدا گردد، و از ما سوی الله منقطع شود، و اعمالش را فقط به خاطر او به جا آورد و غرق در اخلاص گردد.

سورة المزمل(٧٣): آية ٩ ص: ٣١٥

(آیه ۹)– سپس به سومین دستور پرداخته میافزاید: «همان پروردگار شرق و غرب که معبودی جز او نیست، او را نگاهبان و و کیل خود انتخاب کن» (رب المشرق و المغرب لا اله الا هو فاتخذه وکیلا).

در اینجا بعد از مرحله «ذکر الله» و «اخلاص» مرحله توکل و واگذاری همه کارها به خدا فرا میرسد، خداوندی که مشرق و مغرب عالم، یعنی، مجموعه جهان هستی در زیر سیطره حکومت و ربوبیت او قرار دارد، و تنها معبود شایسته پرستش، اوست. این تعبیر در حقیقت به منزله دلیلی است برای موضوع توکل بر خدا، چگونه انسان بر او توکل نکند، و کار خویش را به او نسپارد، در حالی که در پهنه جهان هستی غیر از او حاکم و فرمانروا و منعم و مربّی و معبود نیست.

سورة المزمل(٧٣): آية ١٠ ص: ٣١٥

(آیه ۱۰)- و بالاخره در چهارمین و پنجمین دستور میفرماید: «و در برابر آنچه (دشمنان) میگویند صابر و شکیبا باش، و بطرزی شایسته از آنان دوری گزین»! (و اصبر علی ما یقولون و اهجرهم هجرا جمیلا).

و به این ترتیب در اینجا مقام «صبر» و «هجران» فرا میرسد، چرا که در مسیر دعوت به سوی حق، بدگوئی دشمنان، و ایذاء و آزار آنان، فراوان است، و اگر باغبان بخواهد گلی را بچیند باید در برابر زبان خار صبر و تحمل داشته باشد.

به علاوه گاهی در اینجا بیاعتنائی و دوری لازم است، تا هم از شرشان در امان بماند و هم درسی از این طریق به آنان بدهد، ولی این هجران و دوری نبایـد به معنی قطع برنامههای تربیتی، و تبلیغ و دعوت به سوی خـدا باشد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۱۶

مرحوم «طبرسی» در «مجمع البیان» در ذیل آیه می گوید: «این آیه دلالت می کند که مبلغین اسلام، و دعوت کنندگان به سوی قرآن، باید در مقابل ناملائمات شکیبائی پیشه کنند، و با حسن خلق، و مدارا، با مردم معاشرت نمایند، تا سخنان آنها زودتر پذیرفته شود».

سورة المزمل(٧٣): آية ١١ ص: ٣١٦

(آیه ۱۱) - در آیه قبل اشارهای به کار شکنیها و سخنان ناروا و اذیت و آزار دشمنان اسلام بود در اینجا آنها را زیر رگباری از تهدیدات شدید، دائر به عذابهای دنیا و آخرت از سوی خداوند، قرار داده، و آنها را دعوت به تجدید نظر در برنامههای شوم خود می کند، و هم به مسلمانان صدر اول در برابر هجوم سخت این دشمنان دلداری می دهد، و پایمردی می بخشد.

نخست مىفرمايد: «مرا با تكذيب كنندگان صاحب نعمت واگذار، و آنها را كمى مهلت ده»! (و ذرنى و المكذبين اولى النعمة و مهلهم قليلا).

یعنی، طرف آنها تو نیستی، مجازات و کیفر آنها را به خود من واگذار، و کمی به آنها مهلت ده، تا هم اتمام حجت گردد، و هم ماهیت خود را آشکار سازند، و میدانیم مدت کمی گذشت که مسلمانان نیرومند شدند، و ضربات سنگین و شکننده خود را در جنگهای «بدر» و «حنین» و «احزاب» و مانند آن بر پیکر دشمن وارد آوردند و نیز مدت کمی بیشتر نگذشت که این گردنکشان از دنیا رفتند، و گرفتار عذاب الهی در برزخ شدند و عذاب قیامت نیز از آنها چندان دور نیست.

سورة المزمل(٧٣): آية ١٢ ص: ٣١٦

(آیه ۱۲) - سپس در ادامه همین تهدید به صورت صریحتر می گوید: «نزد ما غل و زنجیرها و (آتش) دوزخ است»! (ان لدینا انکالا و جحیما).

آری! در برابر آزادی بیقید و شرط و تنعمی که در این دنیا داشتند بهره آنها در آنجا اسارت است و آتش!

سورة المزمل(٧٣): آية ١٣ ص: ٣١٦

(آیه ۱۳)- و باز می افزاید: «و غذائی گلوگیر و عذابی دردناک» (و طعاما ذا غصهٔ و عذابا الیما).

غذائی بر عکس غذاهای چرب و شیرین دنیای آنها که به راحتی از گلو فرو میرفت و گوارا بود، و زندگی دردناک در برابر آسایش بیحساب این مغروران برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۱۷

خودخواه و مستكبر در اين جهان.

با این که غذای خشن و گلوگیر خود عذابی است الیم، بعد از آن عذاب الیم را جداگانه ذکر می کند، و این نشان می دهد ابعاد عذاب الیم آخرت از نظر شدت و عظمت بر هیچ کس جز خدا معلوم نیست، و لذا در حدیثی می خوانیم که: روزی یکی از مسلمانان این آیه را تلاوت می کرد، و پیامبر صلّی الله علیه و آله استماع می فرمود: ناگهان شخص مزبور صیحهای زد و مدهوش شد.

سورة المزمل(٧٣): آية ١٤ ص: ٣١٧

(آیه ۱۴) - در این آیه به شرح روزی میپردازد که این عذابها در آن ظاهر میشوند، میفرماید: «در آن روز که زمین و کوهها سخت به لرزه در می آید و کوهها (چنان در هم کوبیده میشود که) به شکل تودههائی از شن نرم در می آید» (یوم ترجف الارض و الجبال و کانت الجبال کثیبا مهیلا).

سورة المزمل(٧٣): آية ١٥ ص: ٣١٧

(آیه ۱۵) – سپس به مقایسهای در میان بعثت پیامبر صلّی الله علیه و آله و مخالفت زورمندان عرب، و قیام موسی بن عمران در مقابل فرعونیان پرداخته، می فرماید: «ما پیامبری به سوی شما فرستادیم که گواه بر شماست، همان گونه که به سوی فرعون رسولی فرستادیم» (انا ارسلنا الیکم رسولا شاهدا علیکم کما ارسلنا الی فرعون رسولا).

هدف او، هدایت شما و نظارت بر اعمال شماست، همان گونه که هدف موسی بن عمران، هدایت فرعون و فرعونیان و نظارت بر اعمال آنها بود.

سورة المزمل(٧٣): آية ١٦ ص: ٣١٧

(آیه ۱۶)- ولی «فرعون به مخالفت و نافرمانی آن رسول، برخاست و ما او را سخت مجازات کردیم»! (فعصی فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبیلا).

نه لشکر عظیم او مانع از عـذاب الهی شد، و نه وسـعت مملکت و قدرت حکومت و اموال و ثروتشان جلو این کار را گرفت و سر انجام همگی در امواج خروشان نیل که به آن مباهات می کردنـد غرق شدند، شـما که در سطحی بسـیار پائینتر از آنها قرار دارید در باره خود چه میاندیشید؟

سورة المزمل(٧٣): آية ١٧ ص: ٣١٧

(آیه ۱۷) – سپس روی سخن را به کفار زمان پیامبر اسلام کرده، به آنها چنین هشدار میدهد: «شما (نیز) اگر کافر شوید چگونه خود را (از عذاب الهی) بر کنار برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۱۸ میدارید در آن روز که کودکان را پیر میکند»! (فکیف تتقون ان کفرتم یوما یجعل الولدان شیبا).

سورة المزمل(٧٣): آية ١٨ ص: ٣١٨

(آیه ۱۸)- در این آیه توصیف بیشتری در باره آن روز وحشتناک بیان کرده، می افزاید: در آن روز «آسمان از هم شکافته می شود، و وعده او شدنی و حتمی است» (السماء منفطر به کان وعده مفعولا).

وقتی آسمان و کرات آسمانی با آن همه عظمت نتواننـد در برابر حوادث عظیم آن روز مقاومت کنند از این انسان ضعیف و ناتوان و آسیب پذیر چه کاری ساخته است؟

سورة المزمل(23): آية 19 ص: 218

(آیه ۱۹)- در پایان این بحث اشارهای به تمام هشدارها و انذارهای گذشته کرده، می فرماید: «این هشدار و تذکری است» (ان هذه تذکرهٔ).

شما در انتخاب راه آزاد هستید، «پس هر کس بخواهد (هدایت شود و طالب سعادت ابدی باشد) راهی به سوی پروردگارش برمی گزیند» (فمن شاء اتخذ الی ربه سبیلا). اگر پیمودن این راه از طریق اجبار و اکراه صورت گیرد، نه افتخاری است، نه فضیلتی، فضیلت آن است که انسان با اراده و اختیار خود این راه را انتخاب کرده، و بپوید.

سورة المزمل(٧٣): آية ٢٠ ص: ٣١٨

(آیه ۲۰)- هر چه برای شما امکان دارد قرآن بخوانید! این آیه که طولانی ترین آیه این سوره است مشتمل بر مسائل بسیاری است که محتوای آیات گذشته را تکمیل می کند.

نخست می فرماید: «پروردگارت می داند که تو و گروهی از آنها که با تو هستند نزدیک دو سوم از شب یا نصف یا ثلث آن را به پا می خیزید خداوند شب و روز را اندازه گیری می کند» (ان ربک یعلم انک تقوم ادنی من ثلثی اللیل و نصفه و ثلثه و طائفهٔ من الذین معک و الله یقدر اللیل و النهار).

اشاره به همان دستوری است که در آغاز سوره به پیامبر داده شده، تنها چیزی که در اینجا اضافه دارد این است که گروهی از مؤمنان نیز در این عبادت برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۱۹

شبانه، پیامبر صلّی الله علیه و آله را همراهی می کردند- به عنوان یک حکم استحبابی و یا احتمالا یک حکم وجوبی زیرا شرائط آغاز اسلام ایجاب می کرد که آنها با تلاوت قرآن که مشتمل بر انواع درسهای عقیدتی و عملی و اخلاقی است و همچنین عبادات شبانه خود را بسازند و آماده تبلیغ اسلام و دفاع از آن گردند.

ولی از بعضی روایات استفاده می شود جمعی از مسلمانان در نگهداشتن حساب «ثلث» و «نصف» و «دو ثلث» گرفتار اشکال و در دسر می شدند و این امر سبب می شد که گاه تمام شب را بیدار بمانند، و مشغول عبادت باشند، تا آنجا که پاهای آنها به خاطر قیام شبانه ورم کرد! لذا خداوند این حکم را بر آنها تخفیف داد و فرمود: «او می داند که شما نمی توانید مقدار آن را (به دقت) اندازه گیری کنید (برای عبادت کردن) پس شما را بخشید، اکنون آنچه برای شما میسر است قرآن بخوانید» (علم ان لن تحصوه فتاب علیکم فاقرؤا ما تیسر من القرآن).

سپس به بیان دلیل دیگری برای این تخفیف پرداخته، میافزاید: خداوند «میداند به زودی گروهی از شما بیمار میشوند، و گروهی دیگر در راه خدا جهاد می کنند» و گروهی دیگر در راه خدا جهاد می کنند» و از تلاوت قرآن باز میمانند (علم ان سیکون منکم مرضی و آخرون یضربون فی الارض یبتغون من فضل الله و آخرون یقاتلون فی سبیل الله).

«پس به اندازهای که برای شما ممکن است از آن تلاوت کنید» (فاقرؤا ما تیسر منه).

روشن است که ذکر بیماری، و مسافرتهای ضروری، و جهاد فی سبیل الله، به عنوان سه مثال برای عـذرهای موجه است، ولی منحصر به اینها نیست، منظور این است چون خداوند میداند شما گرفتار مشکلات مختلف زندگی در روز خواهید شد، و این مانع تداوم آن برنامه سنگین است، به شما تخفیف داده است.

در حقیقت در آغاز اسلام به خاطر وجود شرائطی این تلاوت و عبادت شبانه واجب بوده، و بعد هم از نظر مقدار و هم از نظر حکم تخفیف داده شده، و به برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۲۰

صورت یک حکم استحبابی آن هم به مقدار میسور در آمده است.

البته مهم خوب خواندن و تدبّر و انديشه در آن است. لذا امام عليّ بن موسى الرضا عليه السّـ لام مىفرمايد: «آن مقدار بخوانيد

که در آن خشوع قلب و صفای باطن و نشاط روحانی و معنوی باشد».

سپس به چهار دستور دیگر در پایان آیه اشاره کرده، و برنامه خودسازی ارائه شده را به این وسیله تکمیل می کند، می فرماید: «و نماز را بر پا دارید، و زکات را بپردازید و به خدا قرض الحسنه دهید [- در راه او انفاق نمایید] و (بدانید) آنچه را از کارهای نیک برای خود از پیش می فرستید نزد خداوند به بهترین وجه و بزرگترین پاداش خواهید یافت» (و اقیموا الصلاهٔ و آتوا الزکاهٔ و اقرضوا الله قرضا حسنا و ما تقدموا لانفسکم من خیر تجدوه عند الله هو خیرا و اعظم اجرا).

«و از خداوند آمرزش بطلبید که خداوند آمرزنده و مهربان است» (و استغفروا الله ان الله غفور رحیم).

منظور از «نماز» در اینجا نمازهای واجب پنجگانه و منظور از «زکات» زکات واجب است، منظور از دادن «قرض الحسنه» به خداوند همان انفاقهای مستحبی است، و این بزرگوارانه ترین تعبیری است که در این زمینه تصور می شود، چرا که مالک تمام ملکها، از کسی که مطلقا چیزی از خود ندارد قرض می طلبد، تا از این طریق او را تشویق به انفاق و ایثار و کسب فضیلت این عمل خیر کند، و از این طریق تربیت شود و تکامل یابد.

ذکر «استغفار» در پایان این دستورات ممکن است اشاره به این باشد که مبادا با انجام این طاعات خود را انسان کاملی بدانید و به اصطلاح طلبکار تصور کنید، بلکه همواره باید خود را مقصر بشمرید، و عذر به درگاه خدا آورید، «ورنه سزاوار خداوندیش کس نتواند که به جا آورد».

«پایان سوره مزّمّل»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۲۱

سوره مدّثر [۷۴] ص: ۳۲۱

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۵۶ آیه می باشد

محتوای سوره: ص: 321

سوره «مدثر» نخستین سورهای است که بعد از دعوت آشکار بر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نازل شد و طبیعت سورههای مکّی که دعوت به مبدأ و معاد و مبارزه با شرک، و انذار و تهدید مخالفان به عذاب الهی است در این سوره کاملا منعکس است، و بحثهای این سوره روی هم رفته بر هفت محور دور میزند:

۱- دعوت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به قیام و انذار و ابلاغ آشکار و صبر و استقامت در این طریق، و تحصیل آمادگیهای لازم برای این کار.

۲- اشاره به رستاخیز، و صفات دوزخیان، همانها که به مقابله با قرآن برخاسته، و به استهزای حق پرداختند.

۳- قسمتی از ویژگیهای دوزخ تو أم با انذار کافران.

۴- تأكيد بر امر رستاخيز از طريق سو گندهاي مكرر.

۵- ارتباط سرنوشت هر انساني با اعمال او، و نفي هر گونه افكار غير منطقي در اين زمينه.

۶- قسمتی از ویژگیهای بهشتیان و دوزخیان و سرنوشت هر کدام از آنها.

۷- چگونگی فرار افراد جاهل و بیخبر و مغرور و خودخواه از حق.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 321

در حدیثی از امام باقر علیه السّلام آمده است: «کسی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۲۲

سوره مـدّثّر را در نماز فریضه بخواند بر خداوند حق است که او را همراه پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله و در جوار و درجه او قرار دهد و در زندگی دنیا بدبختی و رنج دامنش را هرگز نگیرد».

بدیهی است چنین نتائج عظیمی تنها بر خواندن الفاظ سوره مترتب نخواهد شد، بلکه باید محتوای سوره را نیز در نظر گرفت و مو به مو اجرا کرد.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة المدثر(٧٤): آية ١ ص: ٣٢٢

(آیه ۱)- برخیز و جهانیان را انذار کن! بدون شک مخاطب در این آیات شخص پیامبر صلّی الله علیه و آله است هر چند تصریحی به این عنوان در آن نشده، ولی قرائن موجود در این آیات بیانگر این واقعیت است. نخست می فرماید: «ای جامه خواب به خود پیچیده» و در بستر آرمیده (یا ایها المدثر).

سورة المدثر (٧٤): آية ٢ ص: ٣٢٢

(آیه ۲)- «برخیز و انذار کن» و عالمیان را بیم ده (قم فانذر). که وقت خواب و استراحت گذشته، و زمان قیام و تبلیغ فرا رسیده است.

مشركان عرب در آستانه موسم حج جمع شدند، و سران آنها مانند ابو جهل، و ابو سفيان، و وليد بن مغيره، و نضر بن حارث، و ... به مشورت پرداختنـد كه در برابر سؤالاـت مردمى كه از خـارج به مكّه مىآينـد، و جسـته گريخته مطـالبى در بـاره ظهور پيامبر اسلام صلّى اللّه عليه و آله شنيدهاند چه بگويند؟

اگر هر کدام بخواهند جواب جداگانهای بدهند، یکی کاهنش خواند، و دیگری مجنون، و دیگری ساحر، این تشتت آراء اثر منفی خواهد گذاشت، باید با وحدت کلمه به مبارزه تبلیغاتی بر ضد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله برخیزند! بعد از گفتگو به اینجا رسیدند که بهتر از همه این است که بگویند: «ساحر» است! زیرا یکی از آثار پدیده «سحر» جدائی افکندن میان دو همسر، و پدر و فرزند است، و پیامبر با عرضه آئین اسلام چنین کاری را انجام داده بود! بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۲۳ این سخن به گوش پیامبر صلّی اللّه علیه و آله رسیده سخت ناراحت شده و بیمار گونه و غمگین به خانه آمد و در بستر آرمید که آیات فوق نازل شد و او را دعوت به قیام و مبارزه کرد.

سورة المدثر (٧٤): آية ٣ ص: ٣٢٣

(آیه ۳)- و به دنبال دعوت به قیام و انذار، پنج دستور مهم به پیامبر میدهد که سرمشقی است برای دیگران، و نخستین دستور در باره توحید است، می فرماید: «و پروردگارت را بزرگ بشمار» (و ربک فکبر).

همان خدائی که مالک و مربّی توست، و هر چه داری از او داری و خط سرخ بر تمام معبودهای دروغین درکش، و هرگونه آثار شرک و بت پرستی را محوکن.

منظور از جمله «فکتر» تنها گفتن «الله اکبر» نیست، هر چند گفتن «الله اکبر» یکی از مصداقهای آن است که در روایات نیز به آن اشاره شده، بلکه منظور این است که خدای خود را بزرگ بشمار، هم از نظر اعتقاد، هم عمل، و هم در سخن و او را متصف به اوصاف جمال و منزه از هرگونه نقص و عیب بدان، بلکه او را از این که در توصیف بگنجد برتر بدان. همان گونه که در روایات اهل بیت علیهم السّلام آمده است که معنی «الله اکبر» این است که خداوند برتر از آن است که توصیف شود و در فکر انسان بگنجد.

سورة المدثر (٧٤): آية 4 ص: ٣٢٣

(آیه ۴)- و به دنبال مسأله توحید دومین دستور را در باره پاکیزگی از آلودگیها داده، میافزاید: «و لباست را پاک کن» (و ثیابک فطهر).

تعبیر به «لباس» ممکن است کنایه از عمل انسان باشد چرا که اعمال هر کس به منزله لباس اوست، و ظاهر او بیانگر باطن اوست.

و ممکن است به معنی همان لباس ظاهری باشد چرا که پاکیزگی لباس ظاهر از مهمترین نشانه های شخصیت و تربیت و فرهنگ انسان است، مخصوصا در عصر جاهلیت کمتر از آلودگیها اجتناب مینمودند و لباسهای بسیار آلوده داشتند.

در حقیقت آیه اشاره به این نکته نیز دارد که رهبران الهی هنگامی می توانند نفوذ کلمه داشته باشند که دامانشان از هرگونه آلودگی پاک باشد و تقوا برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۲۴

و پرهیز کاریشان از هر نظر مسلّم گردد، و لذا به دنبال فرمان قیام و انذار، فرمان پاکدامنی میدهد.

سورة المدثر (٧٤): آية ٥ ص: ٣٢٤

(آیه ۵)- در سومین دستور می فرماید: «و از پلیدی دوری کن» (و الرجز فاهجر).

آیه فوق مفهوم جامعی دارد که هرگونه انحراف و عمل زشت و پلید، و هر کاری را که موجب خشم و عذاب الهی در دنیا و آخرت می گردد شامل میشود.

مسلم است پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله حتی قبل از نبوت از این امور پرهیز و هجران داشت ولی در اینجا به عنوان یک اصل اساسی در مسیر دعوت الی اللّه، و نیز به عنوان یک الگو و اسوه برای همگان، روی آن تکیه شده است.

سورة المدثر (٧٤): آية 6 ص: 324

(آیه ۶)- و در چهارمین دستور می فرماید: «و منت مگذار و فزونی مطلب» (و لا تمنن تستکثر).

در این که نهی از منت و فزونی طلبیـدن در چه مـواردی است بـاز در اینجـا مفهـوم آیه کلی و گسـترده است، و هرگـونه منت

گذاردن بر خالق و خلق را شامـل میشود، نه بر پروردگـارت منت بگـذار که برای او جهاد و تلاش میکنی، چرا که او بر تو منت گذارده که این مقام منیع را به تو ارزانی داشته است.

همچنین عبادت و اطاعت و اعمال صالحت را بسیار مشمر، بلکه همیشه خود را در سر حد «قصور» و «تقصیر» بدان، و عبادت را یک نوع توفیق بزرگ الهی برای خودت بشمار.

و نیز اگر خدمتی به خلق میکنی چه در جهات معنوی باشد مانند تبلیغ و هدایت و چه در جهات مادی مانند انفاق و بخشش، هیچ کدام را نباید با منت یا انتظار جبران، آن هم جبرانی فزونتر تو أم نمائی چرا که منت، اعمال نیک را باطل و بیاثر میکند.

سورة المدثر(٧٤): آية ٧ ص: ٣٢٤

(آیه ۷) - در این آیه به آخرین دستور در این زمینه اشاره کرده، می گوید:

«و به خاطر پروردگارت شکیبائی کن» (و لربک فاصبر). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۲۵

یعنی در طریق ادای این رسالت بزرگ شکیبائی کن، و در برابر آزار مشرکان و دشمنان جاهل و نادان صابر باش، در طریق عبودیت اطاعت فرمان خدا استقامت نما، و در جهاد با نفس و در میدان جهاد با دشمن شکیبا باش.

اصولا مهمترین سرمایه راه تبلیغ و هدایت همین صبر و شکیبائی است.

سورة المدثر (٧٤): آية ٨ ص: ٣٢٥

(آیه ۸) – در تعقیب دستوری که در زمینه قیام و انـذار در آیات قبل آمده، در اینجا انذار را با بیانی بسیار مؤکد و رسا شـروع می کند، و میفرماید: «هنگامی که در صور دمیده میشود» (فاذا نقر فی الناقور).

این تعبیر اشاره به نفخ دوّم و بر پایی رستاخیز است.

سورة المدثر (٧٤): آية ٩ ص: ٣٢٥

(آیه ۹)- «آن روز، روز سختی است» (فذلک یومئذ یوم عسیر).

سورة المدثر (٧٤): آية ١٠ ص: ٣٢٥

(آیه ۱۰)- روزی است بسیار پرمشقت که «برای کافران آسان نیست» (علی الکافرین غیر یسیر).

سورة المدثر (٧٤): آية ١١ ص: ٣٢٥

اشاره

(آیه ۱۱)

شأن نزول: ص: 324

قریش در «دار النّهدوه» (مرکزی در نزدیکی مسجد الحرام که برای شور در مسائل مهم در آن جمع می شدند) اجتماع کردند، «ولید» (مرد معروف و سرشناس «مکّه» که مشرکان به عقل و درایت او معتقد بودند و در مسائل مهم با او به مشورت می پرداختند) رو به آنها کرده گفت: شما مردمی هستید دارای نسب والای و عقل و خرد، و عرب از هر سو به سراغ شما می آیند و پاسخهای مختلفی از شما می شنوند حرف خود را یکی کنید.

سپس رو به آنها کرده گفت: شما در باره این مرد (اشاره به پیغمبر اکرم) چه می گوئید؟

گفتند: می گوئیم «شاعر» است! ولید چهره در هم کشید و گفت: ما شعر بسیار شنیده ایم، اما سخن او شباهتی به شعر ندارد! گفتند: می گوئیم «کاهن» است.

گفت: هنگامی که نزد او میروید سخنانی را که کاهنان (به شکل اخبار غیبی) می گویند در او نمی یابید. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۲۶

گفتند: می گوئیم «دیوانه» است.

گفت: وقتی به سراغ او میروید هیچ اثری از جنون در او نخواهید یافت.

گفتند: مي گوئيم «ساحر» است.

گفت: ساحر به چه معنی؟

گفتند: کسی که میان دشمنان و میان دوستان ایجاد دشمنی می کند.

ولید فکر کرد و نگاهی نمود و چهره در هم کشید و گفت: بلی او «ساحر» است و چنین می کند! سپس از «دار الندوه» خارج شدنـد در حـالی که هر کـدام پیغمبر اکرم صـلّی الله علیه و آله را ملاقات می کرد می گفت: ای ساحر! ای ساحر! این مطلب بر پیامبر گران آمد، خداوند آیات آغاز این سوره را (تا آیه ۲۵) نازل فرمود (و پیامبرش را دلداری داد).

تفسير: ص: ٣٢٦

ولید آن ثروتمند مغرور حق نشناس! در تعقیب آیات گذشته که کافران را بطور جمعی مورد انذار قرار میداد، در اینجا بالخصوص روی بعضی از افراد آنها که مؤثرتر بودند انگشت گذارده و با تعبیراتی گویا و رسا و کوبنده او را زیر رگبار شدیدترین انذارها می گیرد.

نخست می گوید: «مرا با کسی که او را به تنهائی آفریدهام واگذار» (ذرنی و من خلقت وحیدا). که خودم او را کیفر شدید دهم.

این آیه و آیات بعد چنانکه در شأن نزول گفتیم در مورد ولید بن مغیره مخزومی یکی از سران معروف قریش نازل شده است.

سورة المدثر (٧٤): آية ١٢ ص: ٣٢٦

(آیه ۱۲)- سپس می افزاید: «همان کس که برای او مال گسترده قرار دادم» (و جعلت له مالا ممدودا).

سورة المدثر (٧٤): آية ١٣ ص: ٣٢٦

(آیه ۱۳)- سپس به فزونی نیروی انسانی او اشاره کرده، می افزاید:

«و فرزندانی (برای او قرار دادم) که همواره نزد او و در خدمت او هستند» (و بنین شهودا).

دائما آماده کمک و خدمت بودند، و حضورشان مایه انس و راحت او بود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۲۷

سورة المدثر(٧٤): آية ١٤ ص: ٣٢٧

(آیه ۱۴)- و بعد به سایر مواهبی که به او ارزانی داشته بود بطور کلی اشاره کرده، میفرماید: «وسائل زندگی را از هر نظر برای وی فراهم ساختم» (و مهدت له تمهیدا).

نه فقط مال و فرزندان برومند، بلکه در جهات اجتماعی و جنبههای جسمانی از هر نظر غرق در نعمت بود.

سورة المدثر (٧٤): آية ١٥ ص: ٣٢٧

(آیه ۱۵) – ولی او به جای این که در برابر بخشنده این همه نعمتها سر تعظیم فرود آورد، و پیشانی به آستانش بساید، در مقام کفران و افزون طلبی بر آمد و با این همه مال و نعمت «باز هم طمع دارد که بر (نعمتهای) او بیفزایم» (ثم یطمع ان ازید). این منحصر به «ولید بن مغیره» نبود، بلکه همه دنیا پرستان چنیند، هر گز عطش آنها فرو نمی نشیند، و اگر هفت اقلیم را زیر نگین آنها قرار دهند باز هم در بند اقلیمی دیگرند.

سورة المدثر (٧٤): آية ١٦ ص: ٣٢٧

(آیه ۱۶)- ولی این آیه با شدت تمام دست ردّ به سینه این نامحرم می گذارد، می گوید: «هر گز چنین نخواهد شد (که بر نعمتش بیفزایم) چرا که او نسبت به آیات ما دشمنی میورزد» (کلا انه کان لآیاتنا عنیدا).

و بـا ایـن کـه به خـوبی میدانست که این قرآن نه کلاـم جن است و نه کلاـم بشر، ریشههائی نیرومنـد و شـاخههـایی پرثمر و جاذبهای بیمانند دارد باز آن را «سحر» مینامید و آورنده آن را ساحر!

سورة المدثر(٧٤): آية ١٧ ص: ٣٢٧

(آیه ۱۷)- و در این آیه، به سرنوشت دردناک او با عبارتی کوتاه و پر معنی اشاره کرده، میفرماید: «و به زودی او را مجبور می کنم که از قلّه زندگی بالا رود» و سپس او را به زیر میافکنم (سارهقه صعودا).

احتمال دارد که آیه اشاره به عذاب دنیوی «ولید» در این جهان باشد، زیرا او بعد از رسیدن به اوج قله پیروزی در زندگی فردی و اجتماعی چنان سقوط کرد که تا آخر عمر مرتبا اموال و فرزندان خود را از دست میداد و بیچاره شد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۲۸

سورة المدثر(24): آية 18 ص: 228

(آیه ۱۸)- مرگ بر او، چه نقشه شومی کشید! در اینجا توضیحات بیشتری پیرامون مردی که خداوند مال و فرزندان فراوان به او داده بود و او در مقام مخالفت با پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله برآمد- یعنی ولید بن مغیره مخزومی-آمده است. می فرماید: «او اندیشه کرد (که پیامبر و قرآن را به چه چیز متهم کند؟) و مطلب را آماده ساخت» (انه فکر و قدر).

سورة المدثر (٧٤): آية ١٩ ص: ٣٢٨

(آیه ۱۹)- سپس برای مذمت او میافزاید: «مرگ بر او باد! چگونه (برای مبارزه با حق) مطلب را آماده کرد» (فقتل کیف قدر).

سورة المدثر (٧٤): آية ٢٠ ص: ٣٢٨

(آیه ۲۰)- و به عنوان تأکید می افزاید: «باز هم مرگ بر او، چگونه مطلب (و نقشه شیطانی خود را برای مبارزه با حق) آماده نمود» (ثم قتل کیف قدر).

و این اشاره به همان چیزی است که در شأن نزول آمد که او میخواست افکار مشرکان را متحد سازد، تا یک زبان، مطلبی را بر ضد پیامبر صلّی اللّه علیه و آله تبلیغ کنند.

این جملهها دلیل بر این است که «ولید» در افکار شیطانی مهارت داشت، آن چنان که فکر و اندیشهاش مایه تعجب بود.

سورة المدثر (٧٤): آية ٢١ ص: ٣٢٨

(آیه ۲۱)- سپس می افزاید: «سپس نگاهی افکند» (ثم نظر). و ساخته و پرداخته فکر خود را مورد بازرسی مجدد قرار داد تا از استحکام و انسجام لازم و جنبههای مختلف آن آگاه و مطمئن گردد.

سورة المدثر (٧٤): آية 22 ص: 228

(آیه ۲۲)- «بعد چهره درهم کشید و عجولانه دست به کار شد» (ثم عبس و بسر).

سورة المدثر (٧٤): آية ٢٣ ص: ٣٢٨

(آیه ۲۳)– «سپس پشت (به حق) کرد و تکبر ورزید» (ثم ادبر و استکبر).

سورة المدثر(24): آية 24 ص: 328

(آیه ۲۴) - «و سر انجام گفت: این (قرآن) چیزی جز افسون و سحری همچون سحرهای پیشینان نیست» (فقال ان هذا الا سحر یؤثر).

سورة المدثر(٧٤): آية ٢٥ ص: ٣٢٨

(آیه ۲۵)- «این فقط سخن انسان است» و هیچ ارتباطی با وحی آسمانی ندارد! (ان هذا الا قول البشر). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۲۹

و به این ترتیب آخرین سخن خود را بعد از مطالعه مکرّر و تفکر شیطانی و برای مبارزه با قرآن اظهار داشت.

سورة المدثر (٧٤): آية 25 ص: 329

(آیه ۲۶)- و این هم سرنوشت شوم او! در ادامه آیات گذشته که وضع بعضی از سران شرک و سخن او را در نفی و انکار قرآن مجید و رسالت پیامبر صلّی الله علیه و آله بازگو می کرد، در اینجا به مجازات وحشتناک او در قیامت اشاره کرده، می فرماید:

«به زودی او را وارد سقر $[- \, {\it cej} \,]$ می کنم»! (ساصلیه سقر).

«سقر» به معنی دگرگون شدن و ذوب شدن بر اثر تابش آفتاب است، سپس به عنوان یکی از نامهای جهنم انتخاب شده و کرارا در آیات قرآن آمده است.

سورة المدثر (٧٤): آية 27 ص: 329

(آیه ۲۷)- سپس برای بیان عظمت و شدت عذاب دوزخ می گوید: «و تو نمی دانی سقر چیست»؟ (و ما ادراک ما سقر). یعنی به قدری عذاب آن شدید است که از دایره تصور بیرون می باشد، و به فکر هیچ کس نمی گنجد، همان گونه که اهمیت نعمتهای بهشتی و عظمت آن به فکر کسی خطور نمی کند.

سورة المدثر (٧٤): آية ٢٨ ص: ٣٢٩

(آیه ۲۸)- آتشی است که «نه چیزی را باقی می گذارد، و نه چیزی را رها میسازد»! (لا تبقی و لا تذر).

این جمله ممکن است اشاره به آن باشد که آتش دوزخ بر خلاف آتش دنیا- که گاه در نقطهای از بدن اثر می کند، و نقطه دیگر سالم می ماند، و گاه در جسم اثر می گذارد، و روح از آن در امان می باشد- آتشی است فراگیر که تمامی وجود انسان را در بر می گیرد، و هیچ چیز را رها نمی کند.

سورة المدثر (٧٤): آية ٢٩ ص: ٣٢٩

(آیه ۲۹)- سپس به بیان وصف دیگری از این آتش سوزان قهر الهی پرداخته، میافزاید: «پوست تن را بکلی دگرگون می کند» (لواحهٔ للبشر).

سورة المدثر(٧٤): آية 30 ص: ٣٢٩

(آیه ۳۰)- و در این آیه، می فرماید: «نوزده نفر (از فرشتگان عذاب) بر آن گمارده شدهاند» (علیها تسعهٔ عشر).

فرشتگانی که قطعا مأمور به ترحم و شفقت و مهربانی نیستند، بلکه مأمور به کیفر و عذاب و خشونتند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۳۰

کسانی مانند ابو جهل وقتی این آیه را شنیدند از روی استهزا به طایفه قریش گفتند: مادرانتان به عزایتان بنشینند شما گروه عظیمی از شجاعانید آیا هر ده نفر از شما نمی تواند یکی از آنها را مغلوب کند.

یکی از افراد زورمند قریش گفت: من از عهده هفده نفر از آنها بر می آیم شما هم حساب دو نفر دیگر را برسید!

سورة المدثر (٧٤): آية ٣١ ص: ٣٣٠

(آیه ۳۱) – این عدد مأموران دوزخ برای چیست؟

همان گونه که در آیات قبل خواندیم خداوند عدد خازنان و مأموران دوزخ را نوزده نفر (یا نوزده گروه) ذکر میکند، و نیز خواندیم که ذکر این عدد سبب گفتگو در میان مشرکان و کفار شد، و گروهی آن را به باد سخریه گرفتند.

این آیه که طولانی ترین آیه این سوره است به آنها پاسخ داده، می فرماید:

«مأموران دوزخ را فقط فرشتگان (عذاب) قرار داديم» (و ما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة).

فرشتگانی نیرومند، پرقدرت و به تعبیر قرآن «غلاظ» و «شداد» خشن و سختگیر که تمام گنهکاران در برابر آنها ضعیف و ناتوانند.

سپس مىافزايد: «و تعداد آنها را جز براى آزمايش كافران معين نكرديم» (و ما جعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا).

این آزمایش از دو جهت بود: نخست این که آنها استهزا می کردند که چرا از میان تمام اعداد، عدد نوزده انتخاب شده، در حالی که هر عدد دیگری انتخاب شده بود جای همین سؤال وجود داشت.

از سوی دیگر این تعداد را کم میشمردند، و از روی سخریه می گفتند: ما در مقابل هر یک از آنها ده نفر قرار میدهیم، تا آنها را در هم بشکنیم! در حالی که فرشتگان خدا چنان هستند که به گفته قرآن چند نفر از آنها مأمور هلاکت قوم لوط می شوند و شهرهای آباد آنها را از زمین برداشته زیر و رو می کنند.

و باز مى افزايد: هدف اين بود: «تا اهل كتاب [- يهود و نصارى] يقين پيدا بر گزيده تفسير نمونه، ج۵، ص: ٣٣١ كنند» (ليستيقن الذين او توا الكتاب).

و از آنجا که آنها ایرادی به این موضوع نکردنـد معلوم میشود آن را هماهنگ بـا کتب خود یافتنـد، و بر یقین آنها به نبوت پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله افزوده شد.

لذا در جمله بعد مى افزايد: «و (هدف اين بود تا) بر ايمان مؤمنان بيفزايد» (و يزداد الذين آمنوا ايمانا).

و بلافاصله بعد از ذكر اين جمله روى همان اهداف سه گانه به عنوان تأكيد باز مى گردد، و مجددا روى ايمان اهل كتاب، سپس مؤمنان و بعد به آزمون كفار و مشركان تكيه كرده، مى گويد: «و هدف اين بود كه اهل كتاب، و مؤمنان (در حقانيت قرآن) ترديد به خود راه ندهند، و بيمار دلان و كافران بگويند: خدا از اين توصيف چه منظورى دارد»؟! (و لا يرتاب الذين او توا الكتاب و المؤمنون و ليقول الذين فى قلوبهم مرض و الكافرون ما ذا اراد الله بهذا مثلا).

سپس به دنبال این گفتگوها که در باره چگونگی بهره گیری مؤمنان و کافران بیمار دل از سخنان الهی بود میافزاید: «این

گونه خداونـد هر کس را بخواهـد گمراه میسازد، و هر کس را بخواهـد هـدایت میکند» (کذلک یضل الله من یشاء و یهدی من یشاء).

جمله های گذشته به خوبی نشان می دهد که این مشیت و اراده الهی در باره هدایت بعضی، و گمراهی بعضی دیگر، بی حساب نیست، آنها که معاند و لجوج و بیمار دلند استحقاقی جز این ندارند، و آنها که در برابر فرمان خدا تسلیم و مؤمنند مستحق چنین هدایتی هستند.

و در پایان آیه می فرماید: «و (به هر حال) لشکریان پروردگارت را جز او کسی نمی داند، و این جز هشدار و تذکری برای انسانها نیست»! (و ما یعلم جنود ربک الا هو و ما هی الا ذکری للبشر).

بنابر این اگر سخن از نوزده نفر از خازنان دوزخ به میان آمده مفهومش این نیست که لشکریان خداوند محدود به اینها هستند. علی علیه السّلام در نخستین خطبه نهج البلاغه میفرماید: آنگاه آسمانهای بالا را از برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۳۲ هم باز کرد، و آنها را مملو از اصناف مختلف فرشتگان ساخت:

گروهی از آنان همیشه در سجودند و به رکوع نمی پردازند.

و گروهی دائما در رکوعند و سر از رکوع بر نمی دارند.

و گروهی دائما ایستادهاند و به عبادت مشغولند و تغییر موضع نمی دهند.

گروهی همواره تسبیح می گویند و خسته نمی شوند.

و گروهی دیگر امنای وحی اویند، و زبان او به سوی پیامبران که پیوسته برای ابلاغ فرمان و امر او در رفت و آمدند.

و جمعی دیگر حافظان بندگان او هستند و دربانان بهشت برین.

سورة المدثر (٧٤): آية ٣٢ ص: ٣٣٢

(آیه ۳۲) - در ادامه بحث با منکران نبوت پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله، و انکار رستاخیز، در اینجا سو گندهای متعددی یاد کرده، و بر مسأله قیامت و رستاخیز و دوزخ و عذاب آن تأکید مینماید.

مى فرمايد: «اين چنين نيست كه آنها تصور مى كنند، سو گند به ماه» (كلا و القمر).

ذکر سوگند به «ماه» به خاطر آن است که یکی از آیات بزرگ الهی است، هم از نظر خلقت، و هم گردش منظم، و هم نور و زیبائی، و هم تغییرات تدریجی که خود، تقویم زندهای برای مشخص ساختن روزهاست.

سورة المدثر (٧٤): آية ٣٣ ص: ٣٣٢

(آیه ۳۳)- سپس می افزاید: «و (سوگند) به شب هنگامی که (دامن برچیند و) پشت کند» (و اللیل اذ ادبر).

سورة المدثر (٧٤): آية 34 ص: 232

(آیه ۳۴)- «و به صبح هنگامی که چهره بگشاید» (و الصبح اذا اسفر).

شب گرچه آرام بخش است و خماموش، و هنگمام راز و نیاز عاشقان حق، اما این شب تاریک آن زمان جالب است که پشت کند و رو به صبح روشنی پیش رود و آخر سحرگاه باشد، و طلوع صبح از همه زیباتر و دل انگیزتر است که هر انسانی را به

وجد و نشاط مي آورد.

این سوگندهای سه گانه در ضمن، تناسبی با نور هدایت «قرآن» و پشت کردن ظلمات «شرک» و بت پرستی و دمیدن سپیده صبحگاهان «توحید» دارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۳۳

سورة المدثر(24): آية 35 ص: 333

(آیه ۳۵)- بعد از بیان این سوگندها، به چیزی می پردازد که سوگند به خاطر آن یاد شده، می فرماید: «آن (حوادث هولناک قیامت) از مسائل مهم است» (انها لاحدی الکبر).

سورة المدثر (٧٤): آية 37 ص: 333

(آیه ۳۶)- سپس اضافه می کند: هدف از آفرینش دوزخ هر گز انتقامجوئی نیست، بلکه «هشدار و انذاری است برای انسانها» (نذیرا للبشر).

سورة المدثر (24): آية 37 ص: 333

(آیه ۳۷)- و سر انجام برای تأکید بیشتر می افزاید این انذار مخصوص گروه معینی نیست بلکه: برای همه افراد بشر است «برای کسانی از شما که می خواهند پیش افتند یا عقب بمانند» [- به سوی هدایت و نیکی پیش روند یا نروند]! (لمن شاء منکم ان یتقدم او یتأخر).

سورة المدثر (٧٤): آية ٣٨ ص: ٣٣٣

(آیه ۳۸)– شـما چرا اهل دوزخ شدید؟ در ادامه بحثی که در باره دوزخ و دوزخیان در آیات قبل آمد، در اینجا میافزاید: «هر کس در گرو اعمال خویش است» (کل نفس بما کسبت رهینهٔ).

گوئی تمام وجود انسان در گرو انجام وظائف و تکالیف اوست، هنگامی که آن را انجام میدهـد آزاد میگردد و گر نه در قید اسارت باقی خواهد ماند.

سورة المدثر (٧٤): آية ٣٩ ص: ٣٣٣

(آیه ۳۹) و بلافاصله می فرماید: «مگر اصحاب یمین» (الا اصحاب الیمین). که نامه اعمالشان را به نشانه ایمان و تقوایشان به دست راستشان می دهند! آنها در پرتو ایمان و عمل صالح، غل و زنجیرهای اسارت را شکسته اند، و بی حساب وارد بهشت می شوند.

«اصحاب اليمين» كسانى هستند كه داراى ايمان و عمل صالحند، و اگر گناهان مختصرى داشته باشند تحت الشعاع حسنات آنهاست، و به حكم «ان الحسنات يذهبن السيئات» «۱» اعمال نيكشان اعمال بد را مى پوشاند، يا بدون حساب وارد بهشت

می شوند و یا اگر حسابی داشته باشند سهل و ساده و آسان است، همان گونه که در آیه ۷ سوره انشقاق آمده است: «اما کسی که نامه اعمالش

(۱) سوره هود (۱۱) آیه ۱۱۴.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۳۴

به دست راست او داده شده حساب او آسان خواهد بود».

«قرطبی» مفسر معروف اهل سنت از امام باقر علیه السّلام در تفسیر این آیه نقل کرده است که فرمود: «ما و شیعیانمان اصحاب الیمین هستیم، و هر کس ما اهل بیت را دشمن دارد در اسارت اعمال خویش است».

سورة المدثر(٧٤): آية 40 ص: 334

(آیه ۴۰)- سپس به گوشهای از شرح حال اصحاب الیمین و گروه مقابل آنها پرداخته، میافزاید: «آنها در باغهای بهشتند، و سؤال می کنند ...» (فی جنات یتساءلون).

سورة المدثر (٧٤): آية ٢١ ص: ٣٣٤

(آیه ۴۱)- «از مجرمان» (عن المجرمین).

سورة المدثر (٧٤): آية ٤٢ ص: ٣٣٤

(آیه ۴۲)- می گویند: «چه چیز شما را به دوزخ وارد ساخت»؟! (ما سلککم فی سقر).

از این آیات به خوبی استفاده می شود که رابطه میان بهشتیان و دوزخیان بکلی قطع نمی گردد، بهشتیان می تواننـد از عالم خود وضع دوزخیان را مشاهده کنند، و با آنها به گفتگو پردازند.

سورة المدثر (٧٤): آية ٤٣ ص: ٣٣٤

(آیه ۴۳) - مجرمان در پاسخ این سؤال به چهار گناه بزرگ خویش در این رابطه اعتراف می کنند نخست این که: «می گویند: ما از نماز گزاران نبودیم» (قالوا لم نک من المصلین).

اگر نماز میخواندیم نماز ما را به یاد خدا میانداخت، و نهی از فحشاء و منکر می کرد، و ما را به صراط مستقیم الهی دعوت مینمود.

سورة المدثر (٧٤): آية ٤٠ ص: ٣٣٤

(آیه ۴۴) - دیگر این که: «ما اطعام مستمند نمی کردیم» (و لم نک نطعم المسکین).

اطعام مسکین گرچه به معنی غـذا دادن به بینوایـان است، ولی ظـاهرا منظور از آن، هرگونه کمـک به نیازمنـدیهای ضـروری

نیاز منـدان میباشد، اعم از خوراک و پوشاک و مسکن و غیر اینها و منظور از آن «زکات واجب» است چرا که ترک انفاقهای مستحبی سبب ورود در دوزخ نمیشود.

سورة المدثر (٧٤): آية 45 ص: 334

(آیه ۴۵) - دیگر این که: «و پیوسته با اهل باطل همنشین و همصدا برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۳۵ می شدیم» (و کنا نخوض مع الخائضین).

«خوض در باطل» معنی وسیع و گستردهای دارد که هم شامل ورود در مجالس کسانی می شود که آیات خدا را به باد استهزا می گیرند، تبلیغات ضد اسلامی می کنند، و یا شوخیهای رکیک دارند، یا گناهانی را که انجام دادهاند به عنوان افتخار یا تلذذ نقل می کنند، و همچنین شرکت در مجالس غیبت و تهمت و لهو و لعب و مانند آنها، ولی در آیه مورد بحث بیشتر نظر بر مجالسی است که برای تضعیف دین خدا و استهزای مقدسات، و ترویج کفر و شرک و بی دینی تشکیل می شود.

سورة المدثر (٧٤): آية 46 ص: 330

(آیه ۴۶) - سپس می افزاید: «و این که ما همواره روز جزا را انکار می کردیم» (و کنا نکذب بیوم الدین).

سورة المدثر(24): آية 47 ص: 338

(آیه ۴۷)- «تا زمانی که مرگ ما فرا رسید» (حتی اتانا الیقین).

روشن است انکار معاد و روز حساب و جزا، تمام ارزشهای الهی و اخلاقی را متزلزل میسازد، و انسان را برای ارتکاب گناه تشجیع می کند، به هر حال از این آیات به خوبی استفاده می شود که کفار همان گونه که مکلف به اصول دین هستند به فروع دین نیز مکلفند، و نیز نشان می دهد این امور چهارگانه یعنی «نماز» و «زکات» و ترک مجالس اهل باطل» و «ایمان به قیامت» اهمیت و نقش فوق العاده ای در هدایت و تربیت انسان دارد، و به این ترتیب جهنم جای نمازگزاران واقعی، و زکات دهندگان، و تارکان باطل، و مؤمنان به قیامت نیست.

سورة المدثر (٧٤): آية ٤٨ ص: 330

(آیه ۴۸)- و در این آیه، به عاقبت شوم این گروه اشاره کرده، می گوید: «از این رو شفاعت شفاعت کنندگان به حال آنها سودی نمی بخشد» و باید در عذاب الهی برای همیشه بمانند (فما تنفعهم شفاعهٔ الشافعین).

نه شفاعت انبیا و رسولان پروردگار و امامان، و نه شفاعت فرشتگان و صدیقین و شهداء و صالحین، چرا که شفاعت نیاز به وجود زمینه مساعد دارد، و اینها زمینهها را بکلی از میان بردهاند، شفاعت همچون آب زلالی است که بر پای برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۳۶

نهال ضعیفی ریخته می شود، و بدیهی است اگر نهال بکلی مرده باشد این آب زلال آن را زنده نمی کند.

ضمنا این آیه بار دیگر بر مسأله شفاعت و تنوع و تعدد شفیعان در گاه خدا تأکید می کند، و پاسخ دندان شکنی است برای آنها

كه منكر اصل شفاعتند.

همچنین تأکیدی است بر این که شفاعت بیقید و شرط نیست، و به معنی چراغ سبز برای گناه محسوب نمی شود، بلکه عاملی است برای تربیت انسان که حد اقل او را به مرحلهای که قابلیت شفاعت داشته باشد برساند، و رابطه او با خدا و اولیای او بکلی قطع نشود.

سورة المدثر(24): آية 49 ص: 338

(آیه ۴۹) - چنان از حق می گریزند که گورخران از شیر! در ادامه بحثی که پیرامون سرنوشت مجرمان و دوزخیان در آیات قبل آمده بود در اینجا وحشت این گروه معاند و لجوج را از شنیدن سخن حق و هر گونه اندرز و نصیحت به روشنترین وجهی منعکس می کند.

نخست مي گويد: «چرا آنها از تذكر روى گردانند»؟ (فما لهم عن التذكرهٔ معرضين).

سورة المدثر(٧٤): آية ٥٠ ص: ٣٣٦

(آیه ۵۰)- «گوئی گور خرانی رمیدهاند» (کانهم حمر مستنفرهٔ).

سورة المدثر (٧٤): آية ٥١ ص: ٣٣٦

(آیه ۵۱)- «که از (مقابل) شیری فرار کردهاند» (فرت من قسورهٔ).

آیه فوق تعبیری است بسیار رسا و گویا از وحشت و فرار مشرکان از آیات روح پرور قرآن، آنها را به گور خر تشبیه کرده که هم فاقد عقل و شعور است، و هم به علّت وحشی بودن گریزان از همه چیز، در حالی که در برابر آنها چیزی جز تذکره (وسیله یادآوری و بیداری و هوشیاری) قرار ندارد.

سورة المدثر (٧٤): آية ٥٢ ص: ٣٣٦

(آیه ۵۲)- ولی با این همه نادانی و بیخبری آن چنان پرادعا و متکبرند که «هر کدام از آنها انتظار دارد نامه جداگانهای (از سوی خداوند) برای او فرستاده شود»! (بل یرید کل امری منهم ان یؤتی صحفا منشرهٔ).

این شبیه چیزی است که در آیه ۹۳ سوره اسراء آمده است: «اگر به آسمان نیز بروی ما به تو ایمان نمی آوریم مگر آن که نامهای (از سوی خدا) برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۳۷

بر ما نازل كني»!

سورة المدثر (٧٤): آية ٥٣ ص: ٣٣٧

(آیه ۵۳) و لذا در این آیه می افزاید: «چنین نیست» که آنها می گویند (کلا).

نازل شدن کتاب آسمانی بر آنها و مطالب دیگری از این قبیل همه بهانه است.

«آنها از آخرت نمي ترسند» (بل لا يخافون الآخرة).

به حق باید گفت که ایمان به جهان رستاخیز و پاداش و کیفر قیامت شخصیت تازهای به انسان میبخشد، و می تواند افراد بی بند و بار و متکبر و خودخواه و ظالم را به انسانی متعهد و متقی و متواضع و عدالت پیشه تبدیل کند.

سورة المدثر (٧٤): آية ٥٤ ص: ٣٣٧

(آیه ۵۴)- سپس بار دیگر تأکید می کند: «چنین نیست» (کلا). که آنها در باره قرآن می اندیشند.

«آن (قرآن) یک تذکر و یادآوری است» (انه تذکرهٔ).

سورة المدثر (٧٤): آية ٥٥ ص: ٣٣٧

(آیه ۵۵) - «هر کس بخواهد از آن پند می گیرد» (فمن شاء ذکره).

سورة المدثر (24): آية 52 ص: 333

(آیه ۵۶)- در عین حال پند گرفتن از آن جز به مشیت و توفیق الهی ممکن نیست «و آنها پند نمی گیرند مگر این که خدا بخواهد» (و ما یذکرون الا ان یشاء الله).

یعنی انسان نمی تواند راه هدایت را بپوید جز این که به ذیل عنایت پروردگار توسل جوید، و از او توفیق و امداد طلبد.

تا که از جانب معشوق نباشد کششی کوشش عاشق بیچاره به جائی نرسد

و در پایان آیه می فرماید: «او اهل تقوا و اهل آمرزش است» (هو اهل التقوی و اهل المغفرهٔ).

شایسته است که از عقاب او بترسند، و از این که چیزی را شریک او قرار دهند بپرهیزند و نیز شایسته است که به آمرزش او امیدوار باشند.

این جمله اشارهای به مقام «خوف» و «رجاء» و «عذاب» و «مغفرت» الهی است. و در حقیقت تعلیلی است برای آیه قبل. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۳۸

این احتمال نیز هست که «تقوا» در اینجا به معنی فاعلی تفسیر شود یعنی خدا، اهل تقواست، از هرگونه ظلم و قبیح و هرگونه کاری که برخلاف حکمت است می پرهیزد. و در حقیقت بالاترین مقام تقوا از آن خداست و آنچه در بندگان است، شعله ضعیفی از آن تقوای بی انتهاست.

به هر حال این سوره با امر به «انذار» و «تکلیف» شروع شد، و با دعوت به «تقوا» و «وعده مغفرت» پایان می پذیرد. «یایان سوره مدّثر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۳۹

سوره قيامت [25] ص: 339

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۴۰ آیه است

محتوای سوره: ص: 339

همان گونه که از نام سوره پیداست مباحث آن بر محور مسائل مربوط به معاد و روز قیامت دور میزند، جز چند آیه که در باره «قرآن مجید» و مکذبین به آن سخن می گوید، و اما بحثهائی که در مورد قیامت در این سوره آمده روی هم رفته در چهار محور است.

۱- مسائل مربوط به اشراط السّاعةً و حوادث عجیب و بسیار هول انگیزی که در پایان این جهان و آغاز قیامت روی میدهد.

۲- مسائل مربوط به وضع حال نیکو کاران و بدکاران در آن روز.

٣- مسائل مربوط به لحظات پراضطراب مرگ و انتقال از این جهان به جهان دیگر.

۴- بحثهای مربوط به هدف آفرینش انسان و رابطه آن با مسأله معاد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 339

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «کسی که سوره قیامت را بخواند من و جبرئیل برای او در روز قیامت گواهی میدهیم که او ایمان به آن روز داشته، و در آن روز صورتش از صورت سایر مردم درخشنده تر است».

و در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: «کسی که تداوم بر سوره «لا اقسم» (سوره قیامت) کند و به آن عمل نماید خداوند این سوره را در قیامت همراه او از قبرش با بهترین چهره بر میانگیزد، و پیوسته به او بشارت می دهد و در صورتش برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۴۰

می خندد تا از صراط و میزان بگذرد».

قابل توجه این که آنچه را از قرائن در فضیلت تلاوت سورههای قرآن در موارد دیگر استفاده می کردیم در اینجا صریحا در متن روایت آمده است زیرا می فرماید:

هر کسی بر آن مداومت کند، و به آن عمل نماید.

بنابر این همه اینها مقدمه عمل کردن و به کار بستن مضمون آن است.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة القيامة (٧٥): آية ١ ص: ٣٤٠

(آیه ۱)– سوگند به روز قیامت و وجدان ملامتگر؟

این سوره با دو سوگند پر معنی آغاز شده، می فرماید: «سوگند به روز قیامت» (لا اقسم بیوم القیامهٔ).

سورة القيامة (٧٥): آية ٢ ص: 34

(آیه ۲)- «و سوگند به (نفس لوّامه و) وجدان بیدار و ملامتگر» (و لا اقسم بالنفس اللوامهٔ). که رستاخیز حق است و همه شما

در قیامت برانگیخته می شوید و به سزای اعمالتان می رسید! در مورد رابطه این دو سوگند با هم باید بگوییم: حقیقت این است که یکی از دلائل وجود «معاد» وجود «محکمه وجدان» در درون جان انسان است که به هنگام انجام کار نیک روح آدمی را مملو از شادی و نشاط می کند، و از این طریق به او پاداش می دهد، و به هنگام انجام کار زشت یا ارتکاب جنایت روح او را سخت در فشار قرار داده و مجازات و شکنجه می کند، به حدی که گاه برای نجات از عذاب وجدان اقدام به خود کشی می کند.

وقتی «عالم صغیر» یعنی وجود انسان در دل خود محکمه و دادگاه کوچکی دارد، چگونه «عالم کبیر» با آن عظمتش محکمه عدل عظیمی نخواهد داشت؟

و از اینجاست که ما از وجود «وجدان اخلاقی» پی به وجود «رستاخیز و قیامت» می بریم و نیز از همین جا رابطه جالب این دو سو گند روشن می شود، و به تعبیر دیگر سوگند دوم دلیلی است بر سوگند اول.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۴۱

سورة القيامة(٧٥): آية ٣ ص: ٣٤١

(آیه ۳)- سپس در این آیه به عنوان یک استفهام انکاری میافزاید: «آیا انسان میپندارد که هر گز استخوانهای او را جمع نخواهیم کرد»؟ (ا یحسب الانسان الن نجمع عظامه).

سورة القيامة(٧٥): آية 4 ص: 341

(آیه ۴)- «آری! قادریم که (حتی خطوط سر) انگشتان او را موزون و مرتب کنیم» (بلی قادرین علی ان نسوی بنانه). این تعبیر می تواند اشاره لطیفی به خطوط سر انگشت انسانها باشد که می گویند کمتر انسانی در روی زمین پیدا می شود که خطوط سر انگشت او با دیگری یکسان باشد.

سورة القيامة(٧٥): آية ٥ ص: 341

(آیه ۵)- در این آیه به یکی از علل حقیقی انکار معاد اشاره کرده، میفرماید: انسان شک در معاد ندارد «بلکه او میخواهد (آزاد باشد و بدون ترس از دادگاه قیامت) در تمام عمر گناه کند»! (بل یرید الانسان لیفجر امامه).

او میخواهد از طریق انکار معاد، کسب آزادی برای هرگونه هوسرانی و ظلم و بیدادگری و گناه بنماید، هم وجدان خود را از این طریق اشباع کاذب کند، و هم در برابر خلق خدا مسؤولیتی برای خود قائل نباشد.

سورة القيامة (٧٥): آية 6 ص: ٣٤١

اشاره

(آیه ۶)- و لذا به دنبال آن می افزاید: «می پرسد قیامت کی خواهد بود»؟! (یسئل ایان یوم القیامهٔ).

آری! او برای گریز از مسؤولیتها استفهام انکاری در باره وقت قیامت میکند، تا راه را برای فجور خود بگشاید.

«محکمه وجدان» ص: 341

یا قیامت صغری! از قرآن مجید به خوبی استفاده می شود که روح و نفس انسانی دارای سه مرحله است:

۱- «نفس اماره» یعنی روح سرکش که پیوسته انسان را به زشتیها و بدیها دعوت میکند، و شهوات و فجور را در برابر او زینت می بخشد.

۲- «نفس لوّامه» که در آیات مورد بحث به آن اشاره شد، روحی است بیدار و نسبتا آگاه، هر چند هنوز در برابر گناه مصونیت نیافته گاه لغزش پیدا می کند و به مسیر سعادت باز می گردد. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۴۲

این همان چیزی است که از آن به عنوان «وجدان اخلاقی» یاد می کنند، در بعضی از انسانها بسیار قوی و نیرومند است و در بعضی بسیار ضعیف و ناتوان ولی به هر حال در هر انسانی وجود دارد.

۳- «نفس مطمئنه» یعنی روح تکامل یافتهای که به مرحله اطمینان رسیده، نفس سرکش را رام کرده، و به مقام تقوای کامل و احساس مسؤولیت رسیده که دیگر به آسانی لغزش برای او امکان پذیر نیست.

به هر حال این «نفس لوامه» چنانکه گفتیم رستاخیز کوچکی است در درون جان هر انسان که بعد از انجام یک کار نیک یا بد، بلافاصله محکمه آن در درون جان تشکیل می گردد و به حساب و کتاب او میرسد.

این دادگاه عجیب درونی شباهت عجیبی به دادگاه رستاخیز دارد:

۱-قاضی و شاهد و مجری حکم در حقیقت در اینجا یکی است همانطور که در قیامت چنین است: «خداوندا! تو از اسرار پنهان و آشکار آگاهی و تو در میان بندگانت قضاوت خواهی کرد» (زمر/ ۴۶).

۲- این دادگاه وجدان توصیه و رشوه و پارتی و پرونده سازی رایج بشری را نمیپذیرد، همانطور که در باره دادگاه قیامت نیز
 میخوانیم: «از آن روز بترسید که هیچ کس به جای دیگری مجازات نمیشود، و نه شفاعتی پذیرفته می گردد، و نه فدیه و رشوهای، و نه یاری میشوند» (بقره/ ۴۸).

۳- محکمه وجدان مهمترین و قطورترین پرونده ها را در کوتاهترین مدت رسیدگی کرده، حکم نهائی را صادر می کند، همانطور که در باره دادگاه رستاخیز نیز میخوانیم: «خداوند حکم می کند و حکم او رد و نقض نمی شود و حساب او سریع است» (رعد/ ۴۱).

 * - مجازات و کیفرش بر خلاف مجازاتهای دادگاههای رسمی این جهان، نخستین جرقههایش در اعماق دل و جان افروخته می شود، و از آنجا به بیرون سرایت می کند، نخست روح انسان را می آزارد، سپس آثارش در جسم، و چهره آشکار می شود، همانطور که در باره دادگاه قیامت نیز می خوانیم: «آتش برافروخته برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: * ۳۴۳ الهی که از قلبها زبانه می کشد»! (همزه/ ۶ و ۷).

۵- این دادگاه وجدان چندان نیاز به ناظر و شهود ندارد بلکه معلومات و آگاهیهای خود انسان متهم را به عنوان شهود به نفع یا بر ضدّ او می پذیرد، همانطور که در دادگاه رستاخیز نیز ذرات وجود انسان حتی دست و پا و پوست تن او گواهان بر اعمال او هستند چنانکه می فرماید: «چون به کنار آتش دوزخ برسند گوش و چشم و پوست تن آنها بر ضد آنها گواهی می دهد»

(فصّلت/ ۲۰).

این شباهت عجیب در میان این دو دادگاه نشانه دیگری بر فطری بودن مسأله معاد است، زیرا چگونه می توان باور کرد در وجود یک انسان چنان حساب و کتاب و دادگاه مرموز و اسرار آمیزی وجود داشته باشد، اما در درون این عالم بزرگ مطلقا حساب و کتاب و دادگاه و محکمهای وجود نداشته باشد، این باور کردنی نیست.

سورة القيامة (٧٥): آية ٧ ص: 343

(آیه ۷)- در آیه قبل سخن به سؤالی که منکران رستاخیز در باره قیامت داشتند منتهی شد.

در این آیه، نخست به حوادث قبل از رستاخیز یعنی تحول عظیمی که در دنیا پیدا می شود و نظام آن متلاشی می گردد اشاره کرده، می فرماید: «در آن هنگام که چشمها از شدّت وحشت به گردش در آید» (فاذا برق البصر).

سورة القيامة (٧٥): آية ٨ ص: ٣٤٣

(آیه ۸)- «و ماه بی نور گردد» (و خسف القمر).

سورة القيامة(٧٥): آية ٩ ص: ٣٤٣

(آیه ۹)- «و خورشید و ماه یکجا جمع شوند» (و جمع الشمس و القمر).

در مورد جمع ماه و خورشید این احتمال وجود دارد که ماه تـدریجا تحت تأثیر جاذبه خورشید به آن نزدیک و سر انجام به سوی آن جذب و جمع میشود، و هر دو بیفروغ می گردند.

در آیه ۱ سوره تکویر میفرماید: «اذا الشمس کورت هنگامی که خورشید تاریک گردد» و میدانیم نور ماه از خورشید است، هنگامی که خورشید تاریکی وحشتناکی فرو میرود. هنگامی که خورشید تاریکی وحشتناکی فرو میرود.

سورة القيامة (٧٥): آية 10 ص: 343

(آیه ۱۰)- به این ترتیب با یک انقلاب و تحول عظیم، جهان پایان می یابد سپس با تحول عظیم دیگری (با نفخه صور دوم که نفخه حیات است) رستاخیز برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۴۴

انسانها آغاز مي گردد «آن روز انسان مي گويد: راه فرار كجاست!» (يقول الانسان يومئذ اين المفر).

آری! انسانهای کافر و گنهکار که روز قیامت را تکذیب می کردند آن روز از شدت خجالت و شرم پناهگاهی میجویند، و از سنگینی بار گناه و ترس از عذاب راه فرار میطلبند.

سورة القيامة (٧٥): آية ١١ ص: 344

(آیه ۱۱)- ولی به زودی به آنها گفته می شود: «هرگز چنین نیست، راه فرار و پناهگاهی وجود ندارد» (کلا لا وزر).

سورة القيامة(٧٥): آية ١٢ ص: 344

(آیه ۱۲)- «آن روز قرار گاه نهائی تنها به سوی پروردگار تو است» (الی ربک یومئذ المستقر)

سورة القيامة (٧٥): آية ١٣ ص: ٣٤٢

(آیه ۱۳)- سپس می افزاید: «در آن روز انسان را از تمام کارهائی که از پیش یا پس فرستاده آگاه می کنند» (ینبؤا الانسان یؤمئذ بما قدم و اخر)

.منظور از این دو تعبیر اعمالی است که در حیات خود از پیش فرستاده، یا آثاری که بعد از مرگ از او باقیمانده، اعم از سنت نیک و بد که در میان مردم گذاشته و به آن عمل می کنند و حسنات و سیئاتش به او میرسد، و یا کتاب و نوشته ها، و بناهای خیر و شر، و فرزندان صالح و ناصالح، که آثارش به او میرسد.

در حدیثی از امام باقر علیه السّلام در تفسیر این آیه آمده است که فرمود: «در آن روز به انسان خبر می دهند آنچه از خیر و شر را مقدم داشته، و آنچه مؤخر نموده است، از سنتهائی که از خود به یادگار گذارده، تا کسانی که بعد از او می آیند به آن عمل کنند، اگر سنت بدی بوده به اندازه گناه عمل کنندگان بر او خواهد بود، بی آنکه چیزی از گناه آنان بکاهد، و اگر سنّت خیری بوده همانند پاداشهای آنها برای او خواهد بود بی آنکه چیزی از اجر آنها کاسته شود».

سورة القيامة(٧٥): آية ١٤ ص: 344

(آیه ۱۴)- در این آیه می افزاید: گرچه خداوند و فرشتگان او، انسان را از تمام اعمالش آگاه می کنند، ولی نیازی به این اعلام نیست، «بلکه انسان خودش از وضع خود آگاه است» (بل الانسان علی نفسه بصیرهٔ)

. و خود و اعضایش در آن روز بزرگ شاهد و گواه او هستند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۴۵

سورة القيامة(٧٥): آية ١٥ ص: 340

(آیه ۱۵)- «هر چند (در ظاهر) برای خود عذرهائی بتراشد» (و لو القی معاذیره)

این آیات در حقیقت همان چیزی را می گویـد که در آیات دیگر قرآن در باره گواهی اعضای انسان بر اعمال او آمـده است، مانند آیه ۲۰ سوره فصّلت که می گوید:

«گوشها و چشمها و پوستهای تنشان به آنچه انجام می دادند گواهی می دهند».

بنابر این، در آن دادگاه بزرگ قیامت بهترین گواه بر اعمال انسان، خود اوست، چرا که او از همه بهتر از وضع خویشتن آگاه است.

این آیات عالم دنیا را نیز شامل می شود، در اینجا نیز مردم از حال خود آگاهند، هر چند گروهی با دروغ و پشت هم اندازی و ظاهر سازی و ریاکاری چهره واقعی خویش را مکتوم میدارند.

سورة القيامة(٧٥): آية 16 ص: 340

(آیه ۱۶)- جمع و حفظ قرآن بر عهده ماست! این آیه و سه آیه بعد از آن به منزله جمله معترضهای است که گاه گوینده در لابهلای سخن خویش می آورد.

خداوند موقتا رشته سخن در باره قیامت و احوال مؤمنان و کافران را رها کرده، و تذکر فشردهای به پیامبرش در باره قرآن میدهد، میفرماید: «زبانت را به خاطر عجله برای خواندن آن [-قرآن] حرکت مده» (لا تحرک به لسانک لتعجل به) در تفسیر این آیه، تفسیر معروفی است که از ابن عباس در کتب حدیث و تفسیر نقل شده است، و آن این که پیامبر صلّی الله علیه و آله به خاطر عشق و علاقه شدیدی که به دریافت و حفظ قرآن داشت، هنگامی که پیک وحی، آیات را بر او میخواند، همراه او زبان خود را حرکت میداد و عجله می کرد، خداوند او را نهی فرمود که این کار را مکن، خود ما آن را برای تو جمع می کنیم.

سورة القيامة(25): آية 17 ص: 340

(آیه ۱۷)- سپس می افزاید: «چرا که جمع کردن و خواندن آن بر عهده ماست»! و این کار به وسیله پیک وحی انجام می شود (ان علینا جمعه و قرآنه)

سورة القيامة (٧٥): آية ١٨ ص: ٣٤٥

(آیه ۱۸)– «هر گاه آن را خواندیم، از خواندن آن پیروی کن» (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) . برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۴۶

سورة القيامة (٧٥): آية ١٩ ص: ٣٤٦

(آیه ۱۹)- «سپس بیان (و توضیح) آن (نیز) بر عهده ماست» (ثم ان علینا بیانه).

بنابر این هم جمع قرآن، و هم تلاوت آن بر تو، و هم تبیین و تفصیل معانی آن هر سه بر عهده ماست، به هیچ وجه نگران مباش، آن کس که این وحی را نازل کرده، در تمام مراحل حافظ آن است.

این آیـات در ضـمن بیـانگر اصـالت قرآن، و حفـظ آن از هرگـونه تحریف و دگرگونی است، چرا که خداونـد وعـده جمع و تلاوت و تبیین آن را داده است.

سورة القيامة(٧٥): آية 20 ص: 348

(آیه ۲۰)- در اینجا بار دیگر به ادامه بحثهای مربوط به معاد باز می گردد، و ویژگیهای دیگری را از قیامت، و همچنین علل انکار معاد را بیان می کند.

می فرماید: «چنین نیست که شما می پندارید (و دلایل معاد را کافی نمی دانید) بلکه شما این دنیای زود گذر را دوست دارید» و هوسرانی بی قید و شرط را (کلا بل تحبون العاجلهٔ).

سورة القيامة(٧٥): آية ٢١ ص: 348

(آیه ۲۱)– «و (به همین دلیل) آخرت را رها می کنید» (و تذرون الآخرهٔ).

دلیل اصلی انکار معاد شک در قدرت خداوند و جمع آوری «عظام رمیم» و خاکهای پراکنده نیست، بلکه علاقه شدید شما به دنیا، و شهوات و هوسهای سرکش سبب می شود که هر گونه مانع و رادعی را از سر راه خود بردارید، و از آنجا که پذیرش معاد و امر و نهی الهی، موانع و محدودیتهای فراوانی بر سر این راه ایجاد می کند، لذا به انکار اصل مطلب بر می خیزید، و آخرت را بکلی رها می سازید.

دو آیه فوق در حقیقت تأکیدی است بر آنچه در آیات قبل گذشت که میفرمود: (بل یرید الانسان لیفجر امامه یسئل ایان یوم القیامهٔ).

سورة القيامة (٧٥): آية 22 ص: 348

(آیه ۲۲)– چهرههای خندان و چهرههای عبوس در صحنه قیامت! سپس به بیان حال مؤمنان نیکوکار، و کافران بدکار، در آن روز پرداخته، چنین می گوید: «در آن روز صورتهائی شاداب و مسرور است» (وجوه یومئذ ناضرهٔ).

سورة القيامة(٧٥): آية 23 ص: 348

(آیه ۲۳)- این از نظر پاداشهای مادی، و اما در مورد پاداشهای روحانی آنها میفرماید: «و به پروردگارش مینگرد»! (الی ربها ناظرهٔ). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۴۷

نگاهی با چشم دل و از طریق شهود باطن، نگاهی که آنها را مجذوب آن ذات بی مثال، و آن کمال و جمال مطلق می کند. پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «هنگامی که اهل بهشت وارد بهشت می شوند خداوند می فرماید: چیز دیگری می خواهید بر شما بیفزایم؟

آنها می گویند: (پروردگارا! همه چیز به ما دادهای) آیا روی ما را سفید نکردی؟ آیا ما را وارد بهشت ننمودی؟ و رهائی از آتش نبخشیدی؟

در این هنگام حجابها کنار میرود (و خداوند را با چشم دل مشاهده میکنند) و در آن حال چیزی محبوبتر نزد آنان از نگاه به پروردگارشان نیست».

سورة القيامة (٧٥): آية ٢٤ ص: ٣٤٧

(آیه ۲۴)– و در نقطه مقابل این گروه مؤمنان «صورتهایی، عبوس و درهم کشیده است» (و وجوه یومئذ باسرهٔ).

آنها وقتی که نشانههای عـذاب را مینگرند، و نامههای اعمال خویش را خالی از حسنات و مملو از سیئات، مشاهده می کنند، سخت پریشان و محزون و اندوهگین میشوند، و چهره درهم می کشند.

سورة القيامة (٧٥): آية ٢٥ ص: ٣٤٧

(آیه ۲۵)- «زیرا می داند عذابی در پیش دارد که پشت را درهم می شکند» (تظن ان یفعل بها فاقرهٔ).

این تعبیر کنایه از انواع مجازاتهای سنگینی است که در دوزخ در انتظار این گروه است، این گروه انتظار عذابهای کمرشکن را می کشند در حالی که گروه سابق در انتظار رحمت پروردگار، و آماده لقای محبوبند اینها بدترین عذاب را دارند، و آنها برترین نعمت جسمانی و موهبت و لذت روحانی را.

سورة القيامة(25): آية 25 ص: 347

(آیه ۲۶)- در ادامه بحثهای مربوط به جهان دیگر و سرنوشت مؤمنان و کافران، در اینجا سخن از لحظه دردناک مرگ است که دریچهای است به سوی جهان دیگر.

مى فرمايد: «چنين نيست (كه انسان مى پندارد، او ايمان نمى آورد) تا موقعى كه جان به گلوگاهش برسد» (كلاـ اذا بلغت التراقى).

آن روز است که چشم برزخی او باز میشود، حجابها کنار میرود، نشانههای عـذاب و کیفر را میبیند، و به اعمال خود واقف میشود، و در آن لحظه ایمان برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۴۸

مي آورد، ولي ايماني كه هرگز مفيد به حال او نخواهد بود.

سورة القيامة (٧٥): آية 27 ص: 348

(آیه ۲۷)- در این هنگام اطرافیان او سراسیمه و دستپاچه به دنبال راه نجاتی می گردنید «و گفته می شود: آیا کسی هست که (این بیمار را از مرگ) نجات دهد»؟

(و قیل من راق)

.این سخن را از روی عجز و یأس و بیچارگی میگویند، در حالی که میدانند کار از کار گذشته است، و از دست طبیب نیز کاری ساخته نیست.

سورة القيامة (٧٥): آية 28 ص: 348

(آیه ۲۸) - در این آیه به یأس کامل «محتضر» اشاره کرده، می گوید: در این حال او از زندگی بطور مطلق مأیوس شده «و به جدائی از دنیا یقین پیدا کند» (و ظن انه الفراق).

سورة القيامة (٧٥): آية 29 ص: 348

اشاره

(آیه ۲۹) – «و ساق پاها (از سختی جان دادن) به هم بپیچد» (و التفت الساق بالساق).

این به هم پیچیـدگی، یا به خاطر شـدت ناراحتی جان دادن است، یا در نتیجه از کار افتادن دست و پا و بر چیده شدن روح، از

لحظه دردناک مرگ! ص: 348

از قرآن به خوبی استفاده می شود لحظه مرگ، لحظه سخت و دردناکی است ولی از روایات اسلامی استفاده می شود که این لحظه بر مؤمنان راستین آسان می گذرد، در حالی که برای افراد بی ایمان سخت دردناک است.

از جمله در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم که فرمود: «مرگ نسبت به مؤمن همچون عطر بسیار خوشبوئی است که آن را میبوید و حالتی شبیه خواب به او دست میدهد، و درد و رنج بکلی از او قطع میشود! و نسبت به کافر مانند گزیدن افعیها و عقربها و یا شدیدتر از آن است»!

سورة القيامة (٧٥): آية 30 ص: 348

(آیه ۳۰) - در این آیه، می فرماید: «مسیر (همه خلایق) در آن روز به سوی (دادگاه) پروردگار توست» (الی ربک یومئذ المساق).

آری! همه به سوی او باز می گردند و در دادگاه عدل او حاضر می شوند و تمام خطوط به او منتهی خواهد گشت. این آیه هم تأکیدی بر مسأله معاد و رستاخیز عمومی بندگان است، و هم زیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۴۹ می تواند اشارهای به جهت گیری حرکت تکاملی خلایق به سوی ذات پاک او که ذاتی است بی نهایت از هر جهت، بوده باشد.

سورة القيامة (٧٥): آية ٣١ ص: ٣٤٩

(آیه ۳۱) - در ادامه بحثهای مربوط به «مرگ» و نخستین گام در سفر آخرت که در آیات گذشته آمده، در اینجا از خالی بودن دست کافران از توشه این مسافرت سخن می گوید، می فرماید: « (در آن روز گفته می شود:) او هر گز ایمان نیاورد و نماز نخواند» (فلا صدق و لا صلی).

سورة القيامة (٧٥): آية ٣٢ ص: ٣٤٩

(آیه ۳۲)- «بلکه تکذیب کرد و روی گردان شد» (و لکن کذب و تولی).

سورة القيامة(٧٥): آية ٣٣ ص: ٣٤٩

(آیه ۳۳) - در این آیه میافزاید: «سپس به سوی خانواده خود بازگشت، در حالی که متکبرانه قدم بر میداشت» (ثم ذهب الی اهله یتمطی).

او به گمان این که با بیاعتنائی و تکذیب پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و آیات الهی، پیروزی مهمی به دست آورده، از باده غرور سرمست بود، و به سراغ خانواده خود می آمد تا طبق معمول مسائل افتخار آمیز را که در خارج خانه رخ داده برای آنها بازگو کند، حتی راه رفتن و حرکت اعضای پیکرش همگی بیانگر این کبر و غرور بود.

سورة القيامة (٧٥): آية 34 ص: 349

(آیه ۳۴)- سپس این گونه افراد بی ایمان را مخاطب ساخته، و به عنوان تهدید می گوید: با این اعمال «عذاب الهی برای تو شایسته تر است، شایسته تر»! (اولی لک فأولی).

سورة القيامة (٧٥): آية ٣٥ ص: ٣٤٩

(آیه ۳۵)- «سپس عذاب الهی برای تو شایسته تر است، شایسته تر»! (ثم اولی لک فاولی).

در روایات آمده است که رسول خدا صلّی الله علیه و آله دست ابو جهل را گرفت (و طبق بعضی از روایات گریبان او را گرفت) و فرمود: «أولی لک فاولی ثم اولی لک فاولی» ابو جهل گفت: «مرا به چه تهدید می کنی، نه تو می توانی و نه پروردگارت می تواند به من زیانی برساند، من قدر تمند ترین افراد این سرزمین هستم»! اینجا بود که همین جمله ها بر پیامبر صلّی الله علیه و آله به صورت آیات قرآنی نازل شد.

سورة القيامة(25): آية 35 ص: 349

(آیه ۳۶)- خدائی که انسان را از نطفه بی ارزشی آفرید ...!

در اینجا به دو استدلال جالب در باره معاد می پردازد که یکی از طریق بیان برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۵۰ «هدف آفرینش» و حکمت خداوند است، و دیگری از طریق بیان «قدرت» او به استناد تحول و تکامل نطفه انسان در مراحل مختلف عالم جنین.

در مرحله اول مىفرمايد: «آيا انسان گمان مىكند كه بىهدف رها مىشود»؟! (ا يحسب الانسان ان يترك سدى).

منظور از «انسان» در این آیه همان انسانی است که منکر معاد و رستاخیز میباشد، آیه می گوید: او چگونه باور می کند خداوند این جهان پهناور را، با این عظمت، و این همه شگفتیها، برای انسان بیافریند، ولی در آفرینش انسان هدفی نباشد؟ چگونه می توان باور کرد، که هر عضوی از اعضای انسان برای هدف خاصی آفریده شده باشد ولی برای مجموع وجود او هیچ هدفی در کار نباشد.

سورة القيامة(٧٥): آية ٣٧ ص: ٣٥٠

(آیه ۳۷)– سپس به بیان دلیل دوم پرداخته، میافزاید: «آیا او نطفهای از منی که در رحم ریخته میشود نبود»! (ا لم یک نطفهٔ من منی یمنی).

سورة القيامة (٧٥): آية ٣٨ ص: ٣٥٠

(آیه ۳۸)– «سپس (این مرحله را پشت سر گذارد) و به صورت خون بسته درآمد، و خداوند او را آفرید و موزون ساخت» (ثم

كان علقهٔ فخلق فسوى).

سورة القيامة(٧٥): آية ٣٩ ص: ٣٥٠

(آیه ۳۹)– باز در این مرحله متوقف نماند «و از او دو زوج مرد و زن آفرید» (فجعل منه الزوجین الذکر و الانثی).

سورة القيامة (٧٥): آية ٤٠ ص: ٣٥٠

(آیه ۴۰)- آیا کسی که نطفه کوچک و بی ارزش را در ظلمتکده رحم مادر، هر روز آفرینش جدیدی می بخشد، و لباس تازه ای از حیات زندگی در تن او می کند، و چهره نوینی به او می دهد، تا سر انجام انسان مذکر یا مؤنث کاملی می شود و از مادر متولد می گردد «آیا چنین کسی قادر نیست که مردگان را زنده کند»؟! (الیس ذلک بقادر علی ان یحیی الموتی). این بیان در حقیقت در مقابل منکرانی است که در مسأله معاد جسمانی غالبا دم از محال بودن می زدند، و امکان بازگشت به زندگی را بعد از مردن و خاک شدن نفی می کردند.

«پایان سوره قیامت»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۵۱

سوره دهر (انسان) [78] ص: 311

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و ۳۱ آیه دارد

محتوای سوره: ص : 251

این سوره از یک نظر به پنج بخش تقسیم می شود:

در بخش اول از آفرینش انسان و خلقت او از نطفه «امشاج» (مختلط) و سپس هدایت و آزادی اراده او سخن می گوید.

در بخش دوم سخن از پـاداش ابرار و نیکان است که شأن نزول خاصـی در مورد اهل بیت علیهم السّ<u>ـ</u> لام دارد که به آن اشاره خواهد شد.

در بخش سوم: دلائل استحقاق این پاداشها را در جملههایی کوتاه و مؤثر بازگو می کند.

در بخش چهارم به اهمیت قرآن، و طریق اجرای احکام آن، و راه پرفراز و نشیب خودسازی اشاره شده.

و در بخش پنجم سخن از حاكميت مشيت الهي (در عين مختار بودن انسان) به ميان آمده است.

برای این سوره نامهای متعددی است که مشهورترین آنها سوره «انسان» و سوره «دهر» و سوره «هل اتی» است که هر کدام از آنها از یکی از کلمات اوائل سوره گرفته شده، هر چند در روایاتی که بعدا در فضیلت سوره میخوانیم تنها از «هل اتی» یاد شده است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 311

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله آمده است: «کسی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۵۲ سوره هل اتی را بخواند پاداش او بر خداوند بهشت و لباسهای بهشتی است».

و در حدیثی از امام باقر علیه السّ لام آمده که «یکی از پاداشهای کسی که سوره هل اتی را در هر صبح پنجشنبه بخواند این است که در قیامت با پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله خواهد بود».

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الإنسان(76): آية ١ ص: ٣٥٢

(آیه ۱)- با این که بیشترین بحثهای این سوره پیرامون قیامت و نعمتهای بهشتی است، ولی در آغاز آن سخن از آفرینش انسان است چرا که توجه به این آفرینش زمینه ساز توجه به قیامت و رستاخیز است، می فرماید: «آیا (چنین نیست که) زمانی طولانی بر انسان گذشت که چیز قابل ذکری نبود»! (هل اتی علی الانسان حین من الدهر لم یکن شیئا مذکورا).

منظور از «انسان» در اینجا نوع انسان است، و عموم افراد بشر را شامل می شود.

سورة الإنسان(٧٦): آية ٢ ص: ٣٥٢

(آیه ۲)- بعد از این مرحله، نوبت آفرینش انسان، و موجود قابل ذکر شدن است. میفرماید: «ما انسان را از نطفه مختلطی آفریدیم، و او را می آزمائیم، (بدین جهت) او را شنوا و بینا قرار دادیم» (انا خلقنا الانسان من نطفهٔ امشاج نبتلیه فجعلناه سمیعا بصرا).

آفرینش انسان از «نطفه مخلوط» ممکن است اشاره به اختلاط نطفه مرد و زن و ترکیب «اسپرم» و «اوول» بوده باشد همان گونه که در روایات اهل بیت علیهم السّلام اجمالا به آن اشاره شده است.

یـا اشـاره به اسـتعدادهای مختلفی که در درون نطفه از نظر عامـل وراثت از طریـق ژنهـا و ماننـد آن وجود دارد، و یـا اشـاره به اختلاط مواد مختلف ترکیبی نطفه است، چرا که از دهها ماده مختلف تشکیل یافته، و یا اختلاط همه اینها با یکدیگر.

معنی اخیر از همه جامعتر و مناسبتر است.

جمله «نبتلیه» اشاره به رسیدن انسان به مقام «تکلیف و تعهد و مسؤولیت و آزمایش و امتحان» است و از آنجا که «آزمایش و تکلیف» بدون «آگاهی» ممکن برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۵۳

نیست، در آخر آیه اشاره به ابزار شناخت و چشم و گوش می کند که در اختیار انسانها قرار داده است.

سورة الإنسان(76): آية ٣ ص: ٣٥٣

(آیه ۳)- و از آنجا که تکلیف و آزمایش انسان علاوه بر مسأله آگاهی و ابزار شناخت نیاز به دو عامل دیگر یعنی «هدایت» و «اختیار» دارد- این آیه به آن اشاره کرده، می فرماید: «ما راه را به او نشان دادیم، خواه شاکر باشد (و پذیرا گردد) یا ناسپاس» (انا هدیناه السبیل اما شاکرا و اما کفورا).

«هـدایت» در اینجـا معنی و سـیع و گسـتردهای دارد کـه هـم هـدایت «تکـوینی» را شامـل میشـود و هـم هـدایت «فطری» و هم «تشریعی» را هر چند سوق آیه بیشتر روی هدایت تشریعی است.

سورة الإنسان(٧٦): آية 4 ص: ٣٥٣

(آیه ۴)- در این آیه، اشاره کوتاه و پرمعنائی به سرنوشت کسانی که راه کفر و کفران را میپویند کرده، میفرماید: «ما برای کافران زنجیرها و غلها و شعلههای سوزان آتش آماده کردهایم» (انا اعتدنا للکافرین سلاسل و اغلالا و سعیرا).

ذکر غل و زنجیر، و سپس شعله های سوزان آتش بیانگر مجازات عظیم این گروه است که در آیات دیگر قرآن نیز به آن اشاره شده، و عذاب و اسارت در آن جمع است.

سورة الإنسان(26): آية 5 ص: 333

اشاره

(آیه ۵)

شأن نزول: ص: 253

سندی بزرگ بر فضیلت اهل بیت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله ابن عباس می گوید: «حسن و حسین علیهما السّه لام بیمار شدند، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با جمعی از یاران به عیادتشان آمدند، و به علی علیه السّه لام گفتند: ای ابو الحسن! خوب بود نذری برای شفای فرزندان خود می کردی.

علی علیه السّلام و فاطمه علیها السّلام و فضه که خادمه آنها بود نذر کردند که اگر آنها شفا یابند سه روز روزه بگیرند. چیزی نگذشت که هر دو شفا یافتند، در حالی که از نظر مواد غذائی دست خالی بودند علی علیه السّلام سه من جو قرض نمود، و فاطمه علیها السّلام یک سوم آن را آرد کرد، و نان پخت، هنگام افطار سائلی بر در خانه آمد و گفت: «السّلام علیکم اهل بیت محمّد صلّی اللّه علیه و آله سلام بر شما ای خاندان محمد! مستمندی از مستمندان مسلمین هستم، غذائی به من بدهید». برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۵۴

آنها همگی مسکین را بر خود مقدم داشتند، و سهم خود را به او دادند و آن شب جز آب ننوشیدند.

روز دوم را همچنان روزه گرفتنـد و موقع افطار وقتی که غـذائی را آماده کرده بودنـد (همان نان جوین) یتیمی بر در خانه آمد آن روز نیز ایثار کردند و غذای خود را به او دادند (بار دیگر با آب افطار کردند و روز بعد را نیز روزه گرفتند).

در سومین روز اسیری به هنگام غروب آفتاب بر در خانه آمد باز سهم غذای خود را به او دادند هنگامی که صبح شد علی علیه السّد لام دست حسن و حسین علیهما السّدلام را گرفته بود و خدمت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آمدند هنگامی که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آنها را مشاهده کرد دید از شدت گرسنگی می لرزند! فرمود: این حالی را که در شما می بینم برای من بسیار گران است، سپس برخاست و با آنها حرکت کرد هنگامی که وارد خانه فاطمه علیها السّد لام شد دید در محراب عبادت

ایستاده، در حالی که از شدت گرسنگی شکم او به پشت چسبیده، و چشمهایش به گودی نشسته، پیامبر صلّی الله علیه و آله ناراحت شد در همین هنگام جبرئیل نازل گشت و گفت ای محمّد! این سوره را بگیر، خداوند با چنین خاندانی به تو تهنیت می گوید، سپس سوره «هل اتی» را بر او خواند».

بعضی گفته اند که از آیه «ان الابرار» تا آیه «کان سعیکم مشکورا» که مجموعا هیجده آیه است در این موقع نازل گشت. آنچه را در بالا_ آوردیم نص حدیثی است که با کمی اختصار در «الغدیر» آمده است، و در همان کتاب از ۳۴ نفر از علمای معروف اهل سنت نام می برد که این حدیث را در کتابهای خود آورده اند.

به این ترتیب روایت فوق از روایاتی است که در میان اهل سنت مشهور بلکه متواتر است.

و اما علمای شیعه همه اتفاق نظر دارند که این هیجده آیه یا مجموع این سوره، در ماجرای فوق نازل شده است و همگی بدون استثناء در کتب تفسیر یا حدیث روایت مربوط به آن را به عنوان یکی از افتخارات و فضائل مهم علی علیه السّلام و فاطمه زهرا و فرزندانشان علیهم السّلام آوردهاند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۵۵

تفسير: ص: ٣٥٥

پاداش عظیم ابرار! در آیات گذشته بعد از آن که انسانها را به دو گروه «شاکر» و «کفور» یا شکرگزار و کفران کننده تقسیم کرد، اشاره کوتاهی به مجازات و کیفر سخت کفران کنندگان آمده بود، در اینجا به سراغ پاداشهای شکرگزاران و ابرار (نیکان و ابرار (نیکان) میرود، و نکات جالبی در این زمینه یادآوری می کند، نخست میفرماید: «به یقین ابرار (و نیکان) از جامی مینوشند که با عطر خوشی آمیخته است» (ان الابرار یشربون من کأس کان مزاجها کافورا).

آیه فوق نشان میدهد که این شراب طهور بهشتی بسیار معطر و خوشبو است که هم ذائقه از آن لذت میبرد، و هم شامه.

سورة الإنسان(76): آية 6 ص: 355

(آیه ۶)- سپس به سر چشمهای که این جام شراب طهور از آن پر می شود اشاره کرده، می افزاید: «از چشمهای که بندگان خاص خدا از آن می نوشند، و از هر جا بخواهند آن را جاری می سازند»! (عینا یشرب بها عباد الله یفجرونها تفجیرا).

آری! این چشمه شراب طهور چنان در اختیار ابرار و عباد الله است که هر جا اراده کنند از همانجا سر بر می آورد، و جالب این که در حدیثی از امام باقر علیه السّـ لام نقل شده که در توصیف آن فرمود: «این چشمهای است در خانه پیغمبر اسلام صلّی الله علیه و آله که از آنجا به خانه سایر پیامبران و مؤمنان جاری می شود».

آری! همان گونه که در دنیا چشمههای علم و رحمت از خانه پیامبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله به سوی بندگان خدا و نیکان سرازیر می شود، در آخرت که تجسم بزرگی از این برنامه است چشمه شراب طهور الهی از همین بیت وحی می جوشد، و شاخههای آن به خانههای مؤمنان سرازیر می گردد! و با نوشیدن از این شراب هر گونه اندوه و ناراحتی و ناخالصی را از درون جان خود می شویند.

سورة الإنسان(٧٦): آية ٧ ص: ٣٥٥

(آیه ۷) - در آیات بعد به ذکر اعمال و اوصافی که «ابرار» و «عباد الله» دارند، پرداخته، با ذکر پنج وصف دلیل استحقاق آنها را نسبت به این همه نعمتهای بیمانند توضیح داده، میفرماید: «آنها به نذر خود وفا میکنند» (یوفون بالنذر).

«و از روزی که شر و عذابش گسترده است بیمناکند» (و یخافون یوما کان شره مستطیرا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۵۶ ترس آنها از شرّ آن روز بزرگ اشاره به ایمانشان به مسأله معاد، و احساس مسؤولیت شدید در برابر فرمان الهی است.

سورة الإنسان(٧٤): آية ٨ ص: ٣٥٤

(آیه ۸)– سپس به ذکر سومین عمل شایسته آنها پرداخته، می گوید:

«و غذای (خود) را با این که به آن علاقه (و نیاز) دارند به مسکین و یتیم و اسیر میدهند» (و یطعمون الطعام علی حبه مسکینا و یتیما و اسیرا).

اطعام کردن آنها ساده نیست، بلکه توأم با ایثار در هنگام نیاز شدید است، و از سوی دیگر اطعامی است گسترده که انواع نیازمندان را از «مسکین» و «یتیم» و «اسیر» شامل می شود، و به این ترتیب رحمتشان عام و خدمتشان گسترده است.

ضمنا از آیه فوق به خوبی استفاده می شود که یکی از بهترین اعمال، اطعام محرومین و نیازمندان است، نه تنها نیازمندان مسلمان که اسیران بلاد شرک نیز تحت پوشش این دستور اسلامی قرار گرفته، تا آنجا که اطعام آنها یکی از کارهای برجسته «ابرار» شمرده شده است.

سورة الإنسان(٧٤): آية ٩ ص: ٣٥٤

(آیه ۹)- این آیه چهارمین عمل برجسته ابرار را اخلاص می شمرد، و می فرماید: آنها می گویند: «ما شما را تنها به خاطر خدا اطعام می کنیم، و هیچ پاداش و سپاسی از شما نمی خواهیم» (انما نطعمکم لوجه الله لا نرید منکم جزاء و لا شکورا).

این برنامه منحصر به مسأله اطعام نیست که تمام اعمالشان مخلصانه و برای ذات پاک خداوند است و هیچ چشمداشتی به پاداش مردم و حتی تقدیر و تشکر آنها نیست و اصولا در اسلام ارزش عمل به خلوص نیّت است، و گر نه اعمالی که انگیزههای غیر الهی داشته باشد، هیچ گونه ارزش معنوی و الهی ندارد.

سورة الإِنسان(76): آية 10 ص: 358

(آیه ۱۰)- و در آخرین توصیف «ابرار» می فرماید: آنها می گویند: «ما از پروردگارمان خائفیم از آن روز که عبوس و سخت است» (انا نخاف من ربنا یوما عبوسا قمطریرا).

تعبیر از روز قیامت به روز «عبوس» (سخت) با این که عبوس از صفات انسان است و به کسی میگویند که قیافهاش را در هم کشیده، به خاطر تأکید بر وضع وحشتناک آن روز است، یعنی آنقدر حوادث آن روز سخت و ناراحت کننده است برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۵۷

که نه تنها انسانها در آن روز عبوسند بلکه گوئی خود آن روز نیز عبوس است.

سورة الإنسان(76): آية 11 ص: 327

(آیه ۱۱) - در این آیه، به نتیجه اجمالی اعمال نیک و نیات پاکی که «ابرار» دارند اشاره کرده، میفرماید: به خاطر این عقیده و عمل «خداوند آنان را از شرّ آن روز نگه میدارد و آنها را میپذیرد در حالی که غرق شادی و سرورند» (فوقاهم الله شر ذلک الیوم و لقاهم نضرهٔ و سرورا).

بنابر این، اگر در دنیا به خاطر احساس مسؤولیت از آن روز بیمناک بودند، خداوند در عوض آنها را در آن روز غرق شادمانی و سرور می کند.

سورة الإنسان(76): آية 12 ص: 324

(آیه ۱۲)- پاداشهای عظیم بهشتی! بعد از اشاره اجمالی در آیات گذشته به نجات «ابرار و نیکان» از عذابهای دردناک روز قیامت، و رسیدن آنها به لقای محبوب، در اینجا به شرح این نعمتهای بهشتی پرداخته، حد اقل پانزده نعمت را در طی این آیات بر می شمرد:

نخست از مسکن و لباس این بهشتیان سخن می گوید، می فرماید: خداوند «در برابر صبرشان بهشت و لباسهای حریر بهشتی را به آنها پاداش می دهد» (و جزاهم بما صبروا جنهٔ و حریرا).

نه تنها در این آیه، که در آیات دیگر قرآن نیز به این حقیقت تصریح شده که پاداشهای قیامت در مقابل صبر و شکیبائی انسان است- صبر در طریق اطاعت، صبر در برابر معصیت، و صبر و استقامت در برابر مشکلات و مصائب.

در آیه ۲۴ سوره رعد میخوانیم، فرشتگان به بهشتیان چنین خوشامد می گویند:

سلام علیکم بما صبرتم درود بر شما به خاطر صبر و استقامتی که داشتید».

سورة الإنسان(76): آية ١٣ ص: ٣٥٧

(آیه ۱۳)- سپس می افزاید: «این در حالی است که در بهشت بر تختهای زیبا تکیه کرده اند نه آفتاب را در آنجا می بینند، و نه سرما را» (متکئین فیها علی الارائک لا یرون فیها شمسا و لا زمهریرا).

نه این که خورشید و ماه در آنجا وجود نداشته باشد، بلکه تابش ناراحت کننده خورشید وجود ندارد، با وجود سایههای درختان بهشتی.

«آلوسی» مفسر معروف اهل سنت در «روح المعانی» در حدیثی از ابن عباس برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۵۸ چنین نقل می کند: «هنگامی که بهشتیان در بهشت هستند ناگهان نوری همچون نور آفتاب مشاهده می کنند که صحنه بهشت را روشن ساخته، بهشتیان به رضوان (فرشته مأمور بهشت) می گویند: این نور چیست با این که پروردگار ما فرموده: «در بهشت نه آفتاب را می بینند و نه سرما را»؟

او در پاسخ می گوید: «این نور خورشید و ماه نیست، ولی علی علیه السّلام و فاطمه علیها السّلام خندان شدهاند و بهشت از نور دندانشان روشن گشته است»!

سورة الإنسان(٧٤): آية ١٤ ص: ٣٥٨

(آیه ۱۴) – در ادامه این نعمتها می افزاید: «و در حالی است که سایه های درختان بهشتی بر آنها فرو افتاده، و چیدن میوه هایش

بسيار آسان است» (و دانيهٔ عليهم ظلالها و ذللت قطوفها تذليلا).

نه مشکلی وجود دارد، نه خاری در دست میرود، و نه احتیاج به تلاش و حرکتی برای چیدن میوههاست!

سورة الإنسان(٧٦): آية ١٥ ص: ٣٥٨

(آیه ۱۵) - در این آیه به توضیح قسمتی از چگونگی پذیرائی از این میهمانان بهشتی خدا و وسائل پذیرائی آنها، و پذیرائی کنندگان پرداخته، میفرماید: «و در گرداگرد آنها ظرفهائی سیمین و قدحهائی بلورین می گردانند» پر از بهترین غذاها و نوشیدنیها (و یطاف علیهم بآنیهٔ من فضهٔ و اکواب کانت قواریرا).

سورة الإنسان(٧٦): آية ١٦ ص: ٣٥٨

(آیه ۱۶)- «ظرفهای بلورینی از نقره! که آنها را به اندازه مناسب آماده کردهاند» (قواریرا من فضهٔ قدروها تقدیرا).

در این ظرفها انواع غذاهای بهشتی، و در آن قدحهای بلورین انواع نوشیدنیهای لذت بخش و نشاط آفرین، به مقداری که میخواهند و علاقه دارند موجود است، و خدمتکاران بهشتی پیوسته گرد آنها دور میزنند و به آنها عرضه میکنند.

سورة الإنسان(٧٦): آية ١٧ ص: ٣٥٨

(آیه ۱۷)- سپس میافزاید: «و در آنجا از جامهائی سیراب میشونید که لبریز از شراب طهوری آمیخته با زنجبیل است» (و یسقون فیها کأسا کان مزاجها زنجبیلا).

بسیاری از مفسران تصریح کردهاند که عرب جاهلی از شرابهائی که آمیخته با زنجیل بود لذت میبرد زیرا که تندی مخصوصی به شراب میداد، و قرآن در اینجا از جامهائی سخن می گوید که شراب طهورش با زنجبیل آمیخته است، ولی بدیهی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۵۹

است میان این شراب و آن شراب تفاوت از دنیا تا آخرت است!

سورة الإنسان(76): آية ١٨ ص: ٣٥٩

(آیه ۱۸)- سپس می افزاید: این جامها «از چشمه ای در بهشت که نامش سلسبیل است» پر می شود (عینا فیها تسمی سلسبیل). «سلسبیل» نوشیدنی بسیار لذیذی را می گویند که به راحتی در دهان و گلو جاری می شود و کاملا گواراست.

سورة الإنسان(76): آية 19 ص: 259

(آیه ۱۹) – سپس از پذیرائی کنندگان این بزم پر سرور که در جوار رحمت حق در بهشت برین برپا می شود سخن به میان آورده، می گوید: «و برگردشان (برای پذیرائی) نوجوانانی جاودانی می گردند که هر گاه آنها را ببینی گمان می کنی مروارید پراکندهاند»! (و یطوف علیهم ولدان مخلدون اذا رأیتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا).

هم خودشان در بهشت جاودانی هستند، و هم طراوت و زیبائی و نشاط جوانی آنها جاودانی است، و هم پذیرائی کردن آنان.

تعبیر به «لؤلؤا منثورا» (مرواریدهای پراکنده) اشارهای است به زیبائی و صفا و درخشندگی و جذابیت آنها، و هم حضورشان در همه جای این بزم الهی و روحانی.

سورة الإنسان(٧٦): آية ٢٠ ص: ٣٥٩

(آیه ۲۰)- و از آنجا که نعمتهای جهان دیگر به وصف نمی آیـد- هر قـدر الفاظ گویا و رسا باشـد- در این آیه به صورت سر بسته میافزاید: «و هنگامی که آنجا را ببینی نعمتها و ملک عظیمی را می بینی»! (و اذا رأیت ثم رأیت نعیما و ملکا کبیرا).

سورة الإنسان(٧٦): آية ٢١ ص: ٣٥٩

(آیه ۲۱)– تـا اینجـا به قسـمتی از نعمتهـای بهشتی از قبیـل «مساکن» و «تختها» و «سایهها» و «میوهها» و «نوشـیدنیها» و «ظرفها» و «گروه پذیرائی کنندگان» اشاره شد، اکنون نوبت وسائل تزیینی بهشتیان است.

می فرماید: «بر اندام آنها لباسهائی است از حریر نازک سبز رنگ، و از دیبای ضخیم» (عالیهم ثیاب سندس خضر و استبرق). سپس می افزاید: «و با دستبندهائی از نقره آراسته اند» (و حلوا اساور من فضهٔ).

نقرههائی شفاف که همچون بلور میدرخشد، و از یاقوت و درّ و مروارید زیباتر است.

و سر انجام در پایان آیه به عنوان آخرین و مهمترین نعمت از این سلسله برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۶۰ نعمتها می فرماید: «و پروردگارشان شراب طهور به آنان می نوشاند» (و سقاهم ربهم شرابا طهورا).

در حدیثی از امام صادق علیه السّلام نقل شده است که: این شراب «قلب و جان آنها را از همه چیز جز خداوند پاک می کند». و از حدیثی که از رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله نقل شده استفاده می شود که چشمه شراب طهور بر در بهشت قرار دارد: «جرعهای از این شراب طهور به آنها داده می شود و خدا به وسیله آن قلوب آنها را از حسد (و هرگونه صفات رذیله) پاک می سازد».

سورة الإنسان(26): آية 22 ص: 360

(آیه ۲۲)– و در این آیه، آخرین سخن را در این زمینه بیان کرده، می فرماید:

از سوی خدا به آنها گفته می شود: «این پاداش شماست، و سعی و تلاش شما (در طریق اطاعت فرمان حق) مورد قدردانی است» (ان هذا کان لکم جزاء و کان سعیکم مشکورا).

مبادا کسی تصور کند که این مواهب و پاداشهای عظیم را بیحساب میدهند، اینها همه جزای سعی و عمل و پاداش مجاهدتها و خودسازیها و چشم پوشی از گناه است.

سورة الإنسان(76): آية 23 ص: 360

(آیه ۲۳)- پنج دستور مهم برای موفقیت در اجرای حکم خدا آیات این سوره از آغاز تا کنون در باره خلقت انسان و سپس معاد و رستاخیز او سخن می گفت، در اینجا روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، دستورات مؤکدی برای هدایت انسانها و صبر و مقاومت در این راه به او میدهد، در واقع این آیات راه وصول به آن همه نعمتهای بیمانند را نشان داده است که تنها از طریق تمسک به قرآن و پیروی از رهبری چون پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و الهام گرفتن از دستورات او امکان یذیر است.

نخست مى فرمايد: «مسلما ما قرآن را بر تو نازل كرديم» (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا).

سورة الإنسان(76): آية 24 ص: 360

(آیه ۲۴) - سپس پنج دستور مهم به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله میدهد که نخستین آن دعوت به صبر و استقامت است، می فرماید: «سپس در (تبلیغ و اجرای) حکم پروردگارت شکیبا (و با استقامت) باش» (فاصبر لحکم ربک). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۶۱

از مشکلات و موانع راه و کثرت دشمنان و سرسختی آنها ترس و هراسی به خود راه مده، و همچنان به پیش حرکت کن. و در دومین دستور، پیامبر صلّی الله علیه و آله را از هرگونه سازش با منحرفان بر حذر داشته، می گوید: «و از هیچ گنهکار یا کافری از آنان اطاعت مکن» (و لا تطع منهم آثما او کفورا).

در حقیقت این حکم دوم تأکیدی است بر حکم اول چرا که جمعیت دشمنان تلاش می کردند که از طرق مختلف پیامبر صلّی الله الله علیه و آله را در مسیر باطل به سازش بکشانند، چنانکه نقل شده که «عتبهٔ بن ربیعه» و «ولید بن مغیره» به پیامبر صلّی الله علیه و آله می گفتند: از دعوت خود بازگرد، ما آنقدر ثروت در اختیار تو می گذاریم که راضی شوی، و زیباترین دختران عرب را به همسری تو در می آوریم، و پیشنهادهای دیگری از این قبیل، و پیامبر صلّی الله علیه و آله به عنوان یک رهبر بزرگ راستین باید در برابر این وسوسههای شیطانی، یا تهدیداتی که بعد از بی اثر ماندن این تطمیعات عنوان می شود، صبر و استقامت به خرج دهد، نه تسلیم تطمیع گردد، و نه تهدید.

سورة الإنسان(26): آية 25 ص: 321

(آیه ۲۵)- ولی از آنجا که صبر و استقامت در برابر هجوم این مشکلات عظیم کار آسانی نیست و پیمودن این راه دو توشه خاصی لازم دارد، در این آیه می افزاید:

«و نام پرورد گارت را هر صبح و شام به یاد آور» (و اذکر اسم ربک بکرهٔ و اصیلا).

سورة الإنسان(27): آية 25 ص: 321

(آیه ۲۶)- «و در شبانگاه برای او سجده کن، و مقدار طولانی از شب او را تسبیح گوی» (و من اللیل فاسجد له و سبحه لیلا طویلا).

تا در سایه آن «ذکر» و این «سجده» و «تسبیح» نیروی لازم و قدرت معنوی و پشتوانه کافی برای مبارزه با مشکلات این راه فراهم سازی.

دو آیه فوق در حقیقت بیانگر لزوم توجه شبانه روزی و مستمر به ذات مقدس پروردگار است.

در اینجا باید به این نکته توجه داشت که دستورهای پنجگانه آیات فوق گرچه به صورت برنامهای برای پیامبر اسلام صلّی اللّه

علیه و آله ذکر شده، ولی در حقیقت سرمشقی است برای همه کسانی که در مسیر رهبری معنوی و انسانی جامعه بشری گام بر میدارند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۶۲

آنها بایـد بداننـد بعـد از اطمینان و ایمان کامل به هـدف و رسالتی که دارنـد لازم است صبر و استقامت پیشه کننـد، و از انبوه مشکلات راه، وحشت نداشته باشند.

و در مرحله بعد باید در برابر وسوسه های شیاطینی که مصداق آثم و کفورند، و با انواع حیل و تزویر سعی در منحرف ساختن رهبران و پیشوایان می کنند، تا رسالت آنها عقیم ماند، با کمال قدرت مقاومت کنند، نه فریب تطمیع را بخورند و نه واهمهای از تهدید به خود راه دهند.

و در تمام مراحل برای کسب قدرت روحی، و نیروی اراده، عزم راسخه، و تصمیم آهنین، هر صبح و شام به یاد خدا باشند، و پیشانی را بر درگاهش بسایند، مخصوصا از عبادتهای شبانه و راز و نیاز با او مدد گیرند که اگر این امور رعایت شود پیروزی حتمی است، و اگر در پارهای از مراحل مصیبت و شکستی رخ دهد در پرتو این اصول می توان آنها را جبران کرد، برنامه زندگی پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله و دعوت و رسالت او سرمشق مؤثری برای رهروان این راه است.

سورة الإنسان(76): آية 27 ص: 322

(آیه ۲۷)- این یک هشدار است، و انتخاب راه با شماست! در آیات گذشته به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله هشدار داده شده که تحت تأثیر افراد «آثم» و «کفور» (مجرم و کافر) هرگز واقع نشود.

در اینجا معرفی بیشتری از آنها کرده، می گوید: «آنها زنـدگی زود گـذر دنیا را دوست دارند، در حالی که روز سـختی را در پشت سر خود رها می کنند» و نادیده می گیرند! (ان هؤلاء یحبون العاجلهٔ و یذرون وراءهم یوما ثقیلا).

سنگین از نظر محاسبه، از نظر طول زمان و فضاحت و رسوایی.

افق افکار آنها از خور و خواب و شهوت فراتر نمیرود، و آخرین نقطه دید آنها همین لذائذ بیقید و شرط مادی است، و عجیب این که میخواهند روح بزرگ پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را نیز با همین مقیاس بسنجند.

سورة الإنسان(26): آية 28 ص: 322

(آیه ۲۸)- در این آیه به آنها هشدار میدهد که از نیرو و قدرت خود مغرور نشوند که اینها را همه خدا داده، و هر زمان بخواهد بسرعت بازپس می گیرد.

می فرماید: «ما آنها را آفریدیم، و پیوندهای وجودشان را محکم کردیم (به برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۶۳ آنها قوت و قدرت بخشیدیم) و هر زمان بخواهیم جای آنها را به گروه دیگری می دهیم» (نحن خلقناهم و شددنا اسرهم و اذا شئنا بدلنا امثالهم تبدیلا).

به راستی قرآن در اینجا انگشت روی نقطه حساسی گذارده، و آن پیوندهای مختلف اجزای وجود بشر است از عصبهای کوچک و بزرگ که همچون طنابهای آهنین عضلات را به یکدیگر مربوط می سازد گرفته، تا رباطها و عضلات مختلف، آن چنان قطعات کوچک و بزرگ استخوان و گوشتهای اندام انسان را به یکدیگر محکم بسته که از مجموع آنها یک واحد کاملا منسجم - که آماده انجام هرگونه فعالیتی است - ساخته، اما روی هم رفته این جمله کنایه از قدرت و قوت است.

این آیه در ضمن غنا و بینیازی ذات پاک خدا را، از آنها، و از اطاعت و ایمانشان، روشن میسازد، تا بدانند اگر اصراری برای ایمان آنهاست، در حقیقت لطف و رحمتی است از ناحیه پروردگار.

سورة الإنسان(٧٦): آية ٢٩ ص: 333

(آیه ۲۹)- سپس به کل بحثهائی که در این سوره آمده است- که مجموعا یک برنامه جامع سعادت را ارائه می دهد- اشاره کرده، می گوید: «این یک تنذکر و یادآوری است، و هر کس بخواهد (با استفاده از آن) راهی به سوی پروردگارش برمی گزیند» (ان هذه تذکرهٔ فمن شاء اتخذ الی ربه سبیلا).

وظیفه ما نشان دادن راه است، نه اجبار بر انتخاب، این شما هستید که باید با عقل و درک خود، حق را از باطل تشخیص دهید، و با اراده و اختیار خود تصمیم بگیرید.

این در حقیقت تأکیدی است بر آنچه در آغاز سوره گذشت که فرمود: «ما راه را به او نشان دادیم، خواه پذیرا شود و شکر این نعمت را به جا آورد، یا روی گرداند و کفران کند».

سورة الإنسان(26): آية 30 ص: 363

(آیه ۳۰) - و از آنجا که ممکن است افراد کوته فکر از تعبیر فوق نوعی تفویض و واگذاری مطلق به بنیدگان تصور کننید، در این آیه برای نفی این توهّم می افزاید: «و شما هیچ چیز را نمی خواهید مگر این که خدا بخواهد» (و ما تشاؤن الا ان یشاء الله). «چرا که خداوند دانا و حکیم بوده و هست» (ان الله کان علیما حکیما). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۶۴

و این در حقیقت اثبات اصل معروف «الا مربین الا مربین» است، از یک سو میفرماید: «خدا راه را نشان داده و انتخاب با شماست» و از سوی دیگر میافزاید:

«انتخاب شما منوط به مشیت الهی است» یعنی شما استقلال کامل ندارید بلکه قدرت و توان و آزادی اراده شما همه به خواست خدا و از ناحیه اوست، و هر زمان اراده کند می تواند این قدرت و آزادی را سلب کند.

به این ترتیب نه «تفویض» و واگذاری کامل است و نه «اجبار» و سلب اختیار، بلکه حقیقتی است دقیق و ظریف در میان این دو یا به تعبیر دیگر: نوعی آزادی وابسته به مشیت الهی است، که هر لحظه بخواهد می تواند آن را باز پس گیرد، تا هم بندگان بتوانند بار تکلیف و مسؤولیت را که رمز تکامل آنهاست بر دوش گیرند و هم خود را بی نیاز از خداوند تصور نکنند.

ذیل آیه که میفرماید: (ان الله کان علیما حکیما) نیز ممکن است اشاره به همین معنی باشد چرا که علم و حکمت خدا ایجاب می کند بندگان را در پیمودن راه تکامل آزاد بگذارد، و گر نه تکامل اجباری و تحمیلی تکامل نیست، به علاوه علم و حکمت او اجازه نمی دهد که افرادی را مجبور به کار خیر و افرادی را مجبور به کار شر کند، و بعد گروه اول را پاداش دهد، و گروه دوم را مجازات کند.

سورة الإنسان(76): آية 31 ص: 364

(آیه ۳۱) – و سر انجام در آخرین آیه این سوره، به سرنوشت نیکو کاران و بـدکاران در یک جمله کوتـاه و پر معنی اشـاره کرده، میفرمایـد: خـدا «هر کس را بخواهد (و شایسته بداند) در رحمتش وارد میکند، و برای ظالمان عذاب دردناکی آماده ساخته است» (يدخل من يشاء في رحمته و الظالمين اعد لهم عذابا اليما).

جالب این که در آغاز آیه می گوید: «هر کس را بخواهد در رحمت خود وارد می کند» ولی در پایان آیه، عذاب را روی ظالمان متمرکز می سازد، و این نشان می دهد که مشیت او بر عذاب به دنبال مشیت انسان بر ظلم و گناه است، و به قرینه مقابله روشن می شود که مشیت او در رحمت نیز به دنبال اراده انسان در ایمان و عمل صالح و اجرای عدل است، و جز این از حکیم نمی توان انتظار داشت.

پایان سوره دهر (انسان)

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۶۵

سوره مرسلات [۷۷] ص: ۳۶۵

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۵۰ آیه است

محتوای سوره: ص : 265

بیشترین مطلبی که در این سوره مطرح شده، مسائل مربوط به قیامت و تهدید و انذار مکذبان و منکران است.

و از امتیازات این سوره این است که آیه «ویل یومئذ للمکذبین وای در آن روز بر تکذیب کنندگان» ده بار در آن تکرار شده، و هر بار به دنبال مطلب تازه ای.

بعد از ذکر سوگندهائی، از قیامت و حوادث سنگین و سخت رستاخیز خبر می دهد.

در مرحله بعد سرگذشت غمانگیز اقوام گنهکار پیشین.

و در مرحله سوم گوشهای از ویژگیهای آفرینش انسان.

و در مرحله چهارم قسمتی از مواهب الهی در زمین.

و در مرحله پنجم قسمتهایی از عذاب تکذیب کنندگان را شرح می دهد.

همچنین در هر مرحله اشارهای به مطلبی بیدارگر و تکان دهنده کرده، و به دنبال آن این آیه را تکرار می کند، و حتی در بخشی از آن به نعمتهای بهشتی که نصیب پرهیز کاران شده اشاره نموده تا انذار را با بشارت بیامیزد، و تهدید را با تشویق. و به هر حال این تکرار، تکرار بعضی از آیات را در سوره «الرحمن» تداعی می کند، با این تفاوت که در آنجا سخن از نعمتها بود، و در اینجا غالبا از عذابهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۶۶

مكذّبان است.

انتخاب نام «مرسلات» برای این سوره به تناسب نخستین آیه این سوره است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 366

در حدیثی از امام صادق علیه السّ بلام آمده است: «کسی که این سوره را بخواند خداوند او را با پیامبر آشنا (و همجوار)

مىسازد».

بدون شک این ثواب و فضیلت از آن کسانی است که بخوانند و بیندیشند و عمل کنند، و لذا در حدیثی آمده است: بعضی از یاران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله خدمتش عرض کردند: «چه زود آثار پیری در شما نمایان شده ای رسول خدا»؟! فرمود: «سورههای هود، واقعه، مرسلات، و عمّ یتسائلون مرا پیر کرده»! قابل توجه این که در تمام این سورهها احوال قیامت و مسائل هول انگیز آن دادگاه بزرگ منعکس است، و همینها بوده که در روح مقدس پیامبر صلّی اللّه علیه و آله اثر گذارده. بدیهی است تلاوت بدون فکر و تصمیم بر عمل نمی تواند چنین اثری بگذارد.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة المرسلات(٧٧): آية ١ ص: ٣٦٦

(آیه ۱) - در آغاز این سوره مقدمتا در پنج آیه، پنج سو گند آمده که در تفسیر معنی آنها سخن بسیار است: می فرماید: «سو گند به فرشتگانی که پی در پی فرستاده می شوند» (و المرسلات عرفا).

سورة المرسلات(27): آية 2 ص: 366

(آیه ۲)- «و آنها که همچون تندباد حرکت میکنند» (فالعاصفات عصفا).

سورة المرسلات(٧٧): آية ٣ ص: ٣۶۶

(آیه ۳)- «و سو گند به آنها که (ابرها را) می گسترانند» (و الناشرات نشرا).

سورة المرسلات(27): آية 4 ص : 368

(آیه ۴)- «و آنها که جدا می کنند» (فالفارقات فرقا).

سورة المرسلات(27): آية 5 ص: 368

(آیه ۵)- «و سوگند به آنها که آیات بیدار گر (الهی) را (به انبیا) القا مینمایند» (فالملقیات ذکرا).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۶۷

سورة المرسلات(٧٧): آية 6 ص: 367

(آیه ۶)- «برای اتمام حجت یا برای انذار» (عذرا او نذرا).

سو گند اول و دوم ناظر به مسأله «بادها و طوفانها» است، و سو گند سوم و چهارم و پنجم ناظر به نشر آیات حق به وسیله «فرشتگان»، و سپس جدا کردن حق از باطل، و بعد القاء ذکر و دستورهای الهی به پیامبران، به منظور اتمام حجت و انذار

سورة المرسلات(٧٧): آية ٧ ص: 367

(آیه ۷) - حال باید دید که این سوگندها برای چه منظوری است؟ در این آیه پرده از روی این معنی برداشته، می گوید: «آنچه به شما (در باره قیامت) وعده داده می شود یقینا واقع شدنی است» (انما توعدون لواقع). بعث و نشور، ثواب و عقاب، حساب و جزا، همه حق است، و تردیدی در آن نیست.

سورة المرسلات(٧٧): آية ٨ ص: 367

(آیه ۸)- سپس به بیان نشانه های این روز موعود پرداخته، می فرماید: «در آن هنگام که ستارگان محو و تاریک شوند» (فاذا النجوم طمست).

سورة المرسلات(٧٧): آية ٩ ص: 367

(آیه ۹)- «و (کرات) آسمان از هم بشکافند» (و اذا السماء فرجت).

سورة المرسلات(٧٧): آية 10 ص: 367

(آیه ۱۰)- «و در آن زمان که کوهها از جا کنده شوند» (و اذا الجبال نسفت).

اصولا از آیات متعددی در قرآن مجید استفاده می شود که پایان این جهان با یک سلسله حوادث بسیار هول انگیز و کوبنده همراه است، بطوری که نظام آن را بکلی متلاشی می سازد، و جهان آخرت با نظامی نوین جایگزین آن می گردد.

سورة المرسلات(٧٧): آية ١١ ص: ٣٦٧

(آیه ۱۱) - و به دنبال آن اشارهای به صحنه رستاخیز کرده، می افزاید:

«و در آن هنگام که برای پیامبران (به منظور ادای شهادت) تعیین وقت شود» (و اذا الرسل اقتت).

همان گونه که در آیه ۶ سوره اعراف آمده است: «ما هم از کسانی که رسولان به آنها مبعوث شدند سؤال می کنیم، و هم از رسولان».

سورة المرسلات(٧٧): آية ١٢ ص: ٣٦٧

(آیه ۱۲)- سپس می افزاید: «برای چه روزی (شهادت این رسولان و گواهی آنها بر امتها) به تأخیر افتاده»؟! (لای یوم اجلت).

سورة المرسلات(٧٧): آية ١٣ ص: ٣٦٧

(آیه ۱۳)- «برای روز جدائی» (لیوم الفصل). روز جدائی حق از باطل، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۶۸ جدائی صفوف مؤمنان از کافران، و نیکوکاران از بدکاران، و روز داوری مطلق حق در باره همگان.

سورة المرسلات(٧٧): آية ١٤ ص: ٣٦٨

(آیه ۱۴)- سپس برای بیان عظمت آن روز می فرماید: «تو چه می دانی روز جدائی چیست»؟ (و ما ادراک ما یوم الفصل). جائی که پیامبر صلّی الله علیه و آله با آن علم وسیع و گسترده، و با آن دیده تیزبینی که اسرار غیب را مشاهده می کرد ابعاد عظمت آن روز را به درستی نداند، تکلیف بقیه مردم روشن است.

سورة المرسلات(٧٧): آية ١٥ ص: 368

(آیه ۱۵)- و در این آیه تکذیب کنندگان آن روز را شدیدا مورد تهدید قرار داده، می فرماید: «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان»! (ویل یومئذ للمکذبین).

«ویل» را بعضی به معنی «هلاکت»، و بعضی به معنی «انواع عـذاب» و بعضی آن را به معنی «وادی پر عذابی در جهنم» تفسیر کردهانـد، ایـن کلمه معمولاـدر مـورد حـوادث اسـفناک به کـار میرود، و در اینجـا حکـایت از سـرنوشت دردنـاک تکـذیب کنندگان در آن روز میکند.

منظور از «مكذبين» در اينجا كساني است كه قيامت را تكذيب مي كنند.

سورة المرسلات(٧٧): آية ١٦ ص: ٣٦٨

(آیه ۱۶) - در این آیات نیز از طرق مختلف به منکران رستاخیز هشدار میدهد، و با بیانات گوناگون، آنها را از خواب سنگین غفلت بیدار می کند.

نخست دست آنها را گرفته، به گذشته تاریخ میبرد، و سرزمینهای بلاـ دیـده اقـوام کفـار پیشـین را به آنهـا نشـان میدهـد، می فرماید: «آیا ما اقوام (مجرم) نخستین را (که راه کفر و انکار پیش گرفتند) هلاک نکردیم» (ا لم نهلک الاولین). آثار آنها نه تنها بر صفحات تاریخ که بر صفحه روی زمین نیز نمایان است.

سورة المرسلات(٧٧): آية ١٧ ص: ٣٦٨

(آیه ۱۷)- «سپس دیگر (مجرمان) را به دنبال آنها میفرستیم» (ثم نتبعهم الآخرین). چرا که این یک سنّت مستمر است و تبعیض و استثنا بر نمی دارد، مگر ممکن است گروهی را به جرمی مجازات کند و همان جرم را برای دیگران بپسندد؟!

سورة المرسلات(27): آية ١٨ ص: 368

(آیه ۱۸)- و لذا در این آیه می افزاید: «این گونه ما با مجرمان رفتار می کنیم» بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۶۹ (کذلک نفعل بالمجرمین). این آیه در حقیقت به منزله بیان دلیل بر هلا-کت «اقوام اولین» و به دنبال آنها هلاکت «اقوام آخرین» است، چرا که عذابهای الهی نه جنبه انتقامجوئی دارد، و نه تسویه حساب شخصی است، بلکه تابع اصل استحقاق و مقتضای حکمت است.

سورة المرسلات(٧٧): آية ١٩ ص: ٣٦٩

(آیه ۱۹) – و سر انجام نتیجه گیری کرده، می افزاید: «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان» (ویل یومئذ للمکذبین). «یومئذ» در اینجا اشاره به روز رستاخیز است که مجازات اصلی و مهم آنها مربوط به آن روز است، و این تکرار برای تأکید مطلب است.

سورة المرسلات(27): آية 20 ص: 369

(آیه ۲۰)- سپس دست آنها را گرفته، به عالم جنین میبرد، و عظمت و قدرت خداوند، و کثرت مواهب او را در این جهان اسرار آمیز، به آنها نشان میدهد، تا از یک سو به قدرت خدا بر مسأله رستاخیز و معاد پیببرند، و از سوی دیگر خود را مدیون نعمتهای بیشمارش بدانند، و سر تعظیم بر آستانش فرود آورند.

مى فرمايد: «آيا ما شما را از آبي پست و ناچيز نيافريديم»؟! (الم نخلقكم من ماء مهين).

سورة المرسلات(٧٧): آية ٢١ ص: 369

(آیه ۲۱)- «سپس آن را در قرارگاهی محفوظ و آماده قرار دادیم» (فجعلناه فی قرار مکین).

قرارگاهی که تمام شرائط حیات و پرورش و رشد و محافظت نطفه انسان در آن از هر نظر تأمین شده، و آنقدر عجیب و جالب و موزون است که هر انسانی را در شگفتی فرو میبرد.

سورة المرسلات(٧٧): آية 27 ص: 369

(آیه ۲۲)- سپس می افزاید: قرار گرفتن نطفه در آن جایگاه محفوظ «تا مدتی معین» ادامه دارد (الی قدر معلوم).

مدتی که آن را هیچ کس جز خدا نمی داند، مدتی مملوّ از تغییرات و دگرگونیها و تحولات بسیار که هر روز لباس تازهای از حیات و زندگی بر نطفه پوشانیده می شود، و او را در مسیر تکامل در آن مخفیگاه پیش می برد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۷۰

سورة المرسلات(٧٧): آية ٢٣ ص: ٣٧٠

(آیه ۲۳)– سپس نتیجه گیری می کند «ما قدرت بر این کار داشتیم (که از نطفه بیارزش و حقیر و ناچیزی چنان انسان شریف و کاملی بسازیم) پس ما قدرتمند خوبی هستیم» (فقدرنا فنعم القادرون).

این همان دلیلی است که قرآن بارها برای اثبات مسأله معاد روی آن تکیه کرده است، از جمله در آیات آغاز سوره حج می گوید: چگونه در بازگشت مردگان به حیات جدید تردید می کنید با این که قدرت او را در آفرینش این انسان از یک نطفه بیارزش مشاهده میکنید که هر روزش معاد و رستاخیزی است؟! چه تفاوتی میان خاک و آن نطفه بیارزش است؟

سورة المرسلات(٧٧): آية ٢٤ ص: ٣٧٠

(آیه ۲۴)- در پایان باز همان جمله را تکرار فرموده، می گوید: «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان» (ویل یومئذ للمکذبین). وای بر آنها که این همه آثار قدرت او را می بینند و باز او را انکار می کنند.

سورة المرسلات(٧٧): آية ٢٥ ص: ٣٧٠

(آیه ۲۵) - در بخش دیگری از این آیات به بیان قسمتی از آیات و نشانه های آفاقی خداوند و نعمتها و مواهب او در جهان بزرگ می پردازد که هم دلیل بر قدرت و رحمت واسعه اوست، و هم دلیلی بر امکان معاد، در حالی که در آیات گذشته سخن از آیات انفسی و مواهب خداوند در آفرینش خود انسان بود.

مى فرمايد: «آيا ما زمين را مركز اجتماع انسانها قرار نداديم»؟ (الم نجعل الارض كفاتا).

سورة المرسلات(٧٧): آية ٢٠ ص: ٣٧٠

(آیه ۲۶)- «هم در حال حیاتشان و هم مرگشان» (احیاء و امواتا).

منظور این است که زمین قرارگاهی است برای همه انسانها، زنـدگان را روی خود جمع میکند، و تمام حوائج و نیازهایشان را در اختیارشان میگذارد، و مردگان آنها را نیز در خود جای میدهـد، که اگر زمین، آماده برای دفن مردگان نبود عفونت و بیماریهای ناشی از آن فاجعهای برای همه زندگان به وجود میآورد.

سورة المرسلات(٧٧): آية ٢٧ ص: ٣٧٠

(آیه ۲۷)- سپس به یکی از نعمتهای بزرگ الهی در کره زمین اشاره کرده، میافزاید: «و در آن کوههای استوار و بلندی قرار دادیم» (و جعلنا فیها رواسی شامخات). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۷۱

این کوهها که سر به آسمان کشیده، و ریشههای آن به یکدیگر پیوسته است از یک سو همچون زرهی زمین را در برگرفته، و در برابر فشار داخلی و فشارهای ناشی از جزر و مد خارجی حفظ می کند، و از سوی دیگر جلو اصطکاک قشر هوا را با زمین می گیرد، و پنجه در هوا انداخته و آن را با خود به گردش در می آورد، و از سوی سوم طوفانها و بادهای عظیم را کنترل می کند، و به این ترتیب از جهات مختلف به اهل زمین آرامش می بخشد.

و در ذیل همین آیه به یکی دیگر از برکات کوهها اشاره کرده، می افزاید:

«و آبی گوارا به شما نوشاندیم» (و اسقیناکم ماء فراتا).

آبی که هم برای شما گوارا و مایه حیات است، و هم برای حیوانات شما و زراعتها و باغهایتان.

بسیاری از چشمهها و قناتها از کوهها میجوشد، و سر چشمه بسیاری از نهرها و شطهای عظیم از برفهای متراکمی است که بر قلههای کوهها مینشیند، و مهمترین ذخائر آبی انسانها را تشکیل میدهد.

سورة المرسلات(٧٧): آية 28 ص: 371

(آیه ۲۸)- در پایان این قسمت باز می فرماید: «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان» (ویل یومئذ للمکذبین).

همان کسانی که این همه آیات و نشانه های قدرت حق را با چشم خود می بینند، و این همه نعمتهای الهی را که در آن غرقند مشاهده می کنند باز هم رستاخیز و دادگاه قیامت را که مظهر عدل و حکمت اوست انکار می نمایند.

سورة المرسلات(27): آية 29 ص: 271

(آیه ۲۹) – در این جا سرنوشت نهائی تکذیب کنندگان قیامت، و منکران آن دادگاه عـدل الهی بیان شده است، بیانی که به راستی انسان را در وحشتی عمیق فرو میبرد، و ابعاد فاجعه را روشن میسازد.

می فرماید: در آن روز به آنها گفته می شود: «بی درنگ به سوی همان چیزی که پیوسته آن را انکار می کردید بروید»! (انطلقوا الی ما کنتم به تکذبون).

رهسپار شوید به سوی جهنم سوزان که همیشه آن را به باد استهزا می گرفتید به سوی انواع عذابها که با اعمالتان آن را از پیش فراهم ساختهاید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۷۲

سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٠ ص: ٣٧٢

(آیه ۳۰) – سپس به توضیح بیشتری در باره این عذاب پرداخته، می گوید:

«بروید به سوی سایه سه شاخه» دودهای خفقان بار و آتش زا! (انطلقوا الی ظل ذی ثلاث شعب).

شاخه ای از بالاسر، و شاخه ای از طرف راست، و شاخه ای از طرف چپ، و به این ترتیب از هر طرف این دود غلیظ مرگبار آنها را احاطه می کند، و در کام خود فرو می برد.

سورة المرسلات(٧٧): آية ٣١ ص: ٣٧٢

(آیه ۳۱)- «سایهای که نه آرام بخش است، و نه از شعلههای آتش جلوگیری می کند» (لا ظلیل و لا یغنی من اللهب). چه این که خود برخاسته از آتش است.

سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٢ ص: ٣٧٢

(آیه ۳۲) - سپس در توصیف دیگری از آن آتش سوزان می افزاید:

«شراره هایی از خود پرتاب می کند مانند یک کاخ» (انها ترمی بشرر کالقصر).

نه همچون جرقههای آتش این دنیا که گاه به اندازه سر سوزنی بیش نیست.

سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٣ ص: ٣٧٢

(آیه ۳۳) - در این آیه به توصیف دیگری از شرارهها و جرقههای این آتش سوزان پرداخته، میفرماید: «گویی (در سرعت و کثرت) همچون شتران زرد رنگی هستند» که به هر سو پراکنده میشوند! (کانه جمالت صفر).

جائی که جرقه ها این چنین باشد، پیداست که خود آن آتش سوزان چگونه است؟ و در کنار آن چه عذابهای دردناک دیگری قرار گرفته؟

سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٤ ص: ٣٧٢

(آیه ۳۴)- بار دیگر در پایان این بخش از آیات، همان هشدار را تکرار کرده، میفرماید: «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان» (ویل یومئذ للمکذبین).

سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٥ ص: ٣٧٢

(آیه ۳۵) – سپس فصل دیگری از مشخصات آن روز هولناک را شروع کرده، میافزاید: «امروز، روزی است که سخن نمی گویند» و قادر بر دفاع از خویش نیستند (هذا یوم لا ینطقون).

آری! خداوند در آن روز بر دهان مجرمان و گناهکاران مهر سکوت میزند همان گونه که در آیه ۶۵ سوره یس آمده است: «الیوم نختم علی افواههم امروز بر دهانشان مهر مینهیم».

سورة المرسلات(٧٧): آية 36 ص: ٣٧٢

(آیه ۳۶) – سپس می افزاید: «و به آنها اجازه داده نمی شود که عذرخواهی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۷۳ کنند» (و لا یؤذن لهم فیعتذرون).

نه اجازه سخن گفتن دارند، و نه عذر خواهی و دفاع از خویشتن، چرا که همه حقایق در آنجا روشن است، و چیزی برای گفتن ندارند، آری این زبان پشت هم انداز که در دنیا از آزادی خود سوء استفاده کرده، به تکذیب انبیا و استهزاء اولیاء و باطل کردن حق و حق جلوه دادن باطل، می پرداخت در آنجا باید به کیفر آن اعمال قفل شود، و از کار بیفتد، که این خود عذاب و شکنجه دردناکی است.

در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام آمده است که: «خداونـد برتر و عادلتر و بزرگتر از آن است که بنـدهاش عـذر موجهی داشته باشد و به او اجازه عذرخواهی ندهد، بلکه آنها در حقیقت هیچ عذر موجهی ندارند که مطرح کنند».

سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٧ ص: ٣٧٣

(آیه ۳۷)- باز در پایان این مقطع می گوید: «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان» (ویل یومئذ للمکذبین).

سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٨ ص: ٣٧٣

(آیه ۳۸)- در مقطع دیگر روی سخن را به مجرمان کرده، به عنوان حکایت از صحنه آن روز، می گوید: «امروز همان روز

جدائي (حق از باطل) است كه همه شما و پيشينيان را در آن جمع كردهايم» (هذا يوم الفصل جمعناكم و الاولين).

امروز همه انسانها را بـدون اسـتثنا از اولین گرفته، تا آخرین، همه را برای حسابرسـی و فصل خصومت در این عرصه و دادگاه بزرگ گردآوردهایم.

آرى! امروز روز جدايي حق از باطل و ظالم از مظلوم است.

سورة المرسلات(٧٧): آية ٣٩ ص: ٣٧٣

(آیه ۳۹)- «اکنون اگر چارهای در برابر من (برای فرار از چنگال مجازات) دارید انجام دهید» (فان کان لکم کید فکیدون). آیا می توانید از قلمرو حکومت من بگریزید؟ یا توانائی دارید با پرداختن فدیهای آزاد شوید؟ و یا قدرت دارید مأموران حسابرسی را فریب دهید؟

هر كار از دست شما ساخته است انجام دهيد، ولي بدانيد كاري از شما ساخته نيست.

سورة المرسلات(٧٧): آية 40 ص: ٣٧٣

(آیه ۴۰)- و باز همان جمله تهدید آمیز و بیدار کننده را تکرار کرده، می فرماید: «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان» (ویل یومئذ للمکذبین).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۷۴

سورة المرسلات(٧٧): آية 41 ص: 374

(آیه ۴۱)- میدانیم برنامه قرآن آمیختن انـذار به بشارت، و تهدیـد به تشویق است، و همچنین ذکر سـرنوشت مؤمنان در برابر سرنوشت، مجرمان تا با قرینه مقابله مسائل بهتر درک شود.

بر اساس همین سنّت، قرآن به دنبال بیان مجازاتهای گوناگون مجرمان در قیامت، اشاره پر معنی و کوتاهی در باره وضع پرهیزکاران در آن روز کرده، میفرماید:

«پرهیز کاران در سایههای (درختان بهشتی) و در میان چشمهها قرار دارند» (ان المتقین فی ظلال و عیون).

سورة المرسلات(٧٧): آية ٤٢ ص: ٣٧٤

(آیه ۴۲)- سپس می افزاید: «و (آنها) در میان انواع میوهها از آنچه مایل باشند» قرار دارند (و فواکه مما یشتهون).

سورة المرسلات(٧٧): آية ٤٣ ص: ٣٧٤

(آیه ۴۳)- جالب این که آنها در این میهمان سرای الهی به عالیترین وجهی پذیرائی میشوند، همان گونه که در این آیه آمده که به آنها گفته میشود: «بخورید و بنوشید گوارا، اینها در برابر اعمالی است که انجام میدادید»! (کلوا و اشربوا هنیئا بما کنتم تعملون).

تعبیر «بما کنتم تعملون» (در مقابل اعمالی که انجام میدادید) اشاره به این است که این مواهب را بدون حساب به کسی نمی دهند، و با ادعا و خیال و پندار به دست نمی آید، تنها به وسیله تقوا، اعمال صالح و احسان و نیکو کاری فراهم می شود. «هنیء» هر چیزی است که مشقتی به دنبال ندارد، و ناراحتی تولید نمی کند، و این اشاره به آن است که میوه ها و غذاها و نوشابه های بهشتی، همانند آب و غذای دنیا نیست که گاه آثار سوئی در بدن می گذارد یا عوارض نامطلوبی به دنبال دارد.

سورة المرسلات(٧٧): آية 44 ص: 374

(آیه ۴۴) - در این آیه باز روی این مطلب تکیه می کند که این نعمتها بیحساب نیست، می افزاید: «ما این گونه، نیکو کاران را پاداش می دهیم» (انا کذلک نجزی المحسنین).

سورة المرسلات(٧٧): آية 45 ص: 374

(آیه ۴۵) – و در پایان این مقطع باز تکرار می کند: «وای در آن روز بر بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۷۵ تکذیب کنندگان» (ویل یومئذ للمکذبین).

وای بر آنها که از تمام این نعمتها و محبتها محروم میشوند، که حسرت این محرومیت آزارش کمتر از آتش سوزان دوزخ نیست؟

سورة المرسلات(٧٧): آية 46 ص: ٣٧٥

(آیه ۴۶) - و از آنجا که یکی از عوامل انکار معاد پرداختن به لذات زود گذر دنیا، و تمایل به آزادی بیقید و شرط برای بهره گیری از این لذات است، در این آیه روی سخن را به مجرمان کرده، با لحنی تهدید آمیز میفرماید: «بخورید و بهره گیرید در این مدت کم (از زندگی دنیا و بدانید عذاب الهی در انتظار شماست) چرا که شما مجرمید» (کلوا و تمتعوا قلیلا انکم مجرمون).

جمله «انکم مجرمون» (این تهدید به خاطر آن است که شما مجرمید) نشان میدهد که سر چشمه عذاب الهی جرم و گناه انسان است که از بی ایمانی یا اسارت در چنگال شهوات ناشی می شود.

سورة المرسلات(٧٧): آية ٤٧ ص: ٣٧٥

(آیه ۴۷) - سپس این تهدید را بار دیگر با جمله: «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان» تکمیل می کند (ویل یومئذ للمکذبین).

همانها که به زرق و برق دنیا و لذات و شهوات آن مغرور و فریفته شدند، و عذاب الهی را برای خود خریدند.

سورة المرسلات(٧٧): آية ٤٨ ص: ٣٧٥

(آیه ۴۸)- در این آیه به یکی دیگر از عوامل انحراف و بـدبختی و آلودگی آنها اشاره کرده، میافزاید: «و (چنان از باده غرور

سرمستند) هنگامی که به آنان گفته شود (در برابر پروردگار) رکوع کنید رکوع نمیکنند» (و اذا قیل لهم ارکعوا لا یرکعون). آنها نه فقط از رکوع و سجود ابا دارنـد بلکه این روح غرور و نخوت در تمامی افکار و زنـدگیشان منعکس است نه در برابر خدا تسلیمند و نه در برابر دستورات پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و نه حقوق مردم را به رسمیت می شناسند.

سورة المرسلات(٧٧): آية ٤٩ ص: ٣٧٥

(آیه ۴۹)- و بعد برای دهمین و آخرین بار در این سوره میفرماید: «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان» (ویل یومئذ للمکذبین).

سورة المرسلات(٧٧): آية ٥٠ ص: ٣٧٥

(آیه ۵۰)– و در آخرین آیه سوره با لحنی آمیخته از عتاب، و مملوّ از برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۷۶

سرزنش، به صورت یک استفهام آمیخته با تعجب میفرماید: اگر آنها به این قرآن- که دلائل صدقش از تمام آیاتش نمایان است، و حقانیتش در تمام تعبیراتش منعکس میباشد- ایمان نمیآورند «پس به کدام سخن بعد از آن ایمان میآورند»؟! (فبای حدیث بعده یؤمنون).

کسی که به قرآنی که اگر بر کوهها نازل میشد لرزان و خاشع میشدند و از هم میشکافتند ایمان نیاورد، در برابر هیچ کتاب آسمانی، و هیچ منطق عقلانی تسلیم نخواهد شد، و این نشانه روح عناد و لجاج است.

«پایان سوره مرسلات»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۷۷

آغاز جزء ۳۰ قرآن مجید ص: ۳۷۷

سوره نبأ [٧٨] ص: ٣٧٧

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۴۰ آیه است

محتوای سوره: ص: 377

اصولاً اکثریت قریب به اتفاق سوره های جزء آخر قرآن در «مکّه» نازل شده، و بیش از همه چیز روی مسأله مبدأ و معاد، و بشارت و انذار تکیه می کند.

محتوای این سوره را می توان در چند بخش خلاصه کرد.

۱- سؤالی که در آغاز سوره، از حادثه بزرگ (نبأ عظیم) یعنی روز قیامت مطرح شده است.

۲- سپس به بیان نمونههائی از مظاهر قدرت خداوند در آسمان و زمین و زندگی انسانها- به عنوان دلیلی بر امکان معاد و

رستاخيز – مي پردازد.

۳- در بخش دیگر قسمتی از نشانههای آغاز رستاخیز را بیان میدارد.

۴- در بخش دیگری گوشهای از عذابهای دردناک طغیانگران را.

۵- به دنبال آن قسمتی از نعمتها و مواهب بهشتی را شرح می دهد.

۶- سر انجام با انذار شدیدی از عذاب قریب، و سپس ذکر سرنوشت غمانگیز کافران سوره پایان می گیرد.

ضمنا نامگذاری این سوره به خاطر تعبیری است که در آیه دوم آن آمده است، و گاه از آن به عنوان سوره «عمّ» به تناسب آیه نخستین آن تعبیر می شود.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۷۸

فضيلت تلاوت سوره: ص: 378

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله آمده است:

«کسی که سوره عمّ یتسائلون را بخواند خداوند از نوشیدنی خنک و گوارای بهشتی در قیامت سیرابش میکند».

و نیز در حدیث دیگری از آن حضرت نقل شده که فرمود: «کسی که آن را بخواند و حفظ کند حساب او در روز قیامت (چنان سریع انجام می گیرد که) به مقدار خواندن یک نماز خواهد بود».

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة النبإ(٧٨): آية ١ ص: ٣٧٨

(آیه ۱)- خبر مهم! در نخستین آیه سوره به عنوان یک استفهام آمیخته با تعجب میفرماید: «آنها از چه چیز از یکدیگر سؤال میکنند»؟ (عم یتساءلون).

سورة النبإ(٧٨): آية ٢ ص: ٣٧٨

(آیه ۲)- سپس بی آنکه در انتظار پاسخ آنها باشد خود به پاسخگوئی پرداخته، می افزاید: «از خبر بزرگ و پراهمیّت» رستاخیز (عن النبا العظیم).

سورة النبإ(28): آية 3 ص: 278

(آیه ۳)- «همان خبری که پیوسته در آن اختلاف دارند» (الذی هم فیه مختلفون).

در این که منظور از این خبر بزرگ «نبأ عظیم» چیست؟

دقت در مجموع آیات این سوره مخصوصا تعبیراتی که در آیات بعد آمده و جمله «انّ یوم الفصل کان میقاتا» که بعد از ذکر نشانههای قدرت خداوند در زمین و آسمان آمده و توجه به این حقیقت که شدیدترین مخالفت مشرکان در مسأله «معاد» بود، روی هم رفته تفسیر به روز معاد و رستاخیز را تأیید می کند. ولی این مانع نمی شود که آیه مصداقهای دیگری نیز داشته باشد چرا که قرآن دارای بطون مختلفی است، یعنی یک آیه ممکن است معانی متعددی داشته باشد که از میان آنها یک معنی ظاهر است، و معانی دیگر بطون قرآن است که به کمک قرائن مختلفی از آن استفاده می شود، لذا در روایات زیادی که از طرق اهل بیت علیهم السّ بلام و بعضی از طرق اهل سنت نقل شده «نبأ عظیم» (خبر بزرگ) به مسأله برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۷۹

ولا یت و امامت امیر مؤمنان علی علیه السلام که مورد اختلاف و گفتگو از سوی جمعی بود، یا به مسأله ولا یت بطور اعم تفسیر شده است.

سورة النبإ(٧٨): آية 4 ص: 379

(آیه ۴)- سپس می افزاید: «چنین نیست که آنها فکر می کنند و به زودی می فهمند» (کلا سیعلمون).

سورة النبإ(٧٨): آية ۵ ص: 379

(آیه ۵)– «باز هم چنین نیست و به زودی میفهمند» (ثم کلا سیعلمون).

«آن روز با خبر می شوند که فریاد وا حسرتای آنها بلند است، و از تفریط و کوتاهی خود سخت پشیمان می شوند». (زمر/ ۵۶) آن روز که امواج عذاب گرداگرد آنها را می گیرد، و تقاضای بازگشت به دنیا را می کنند «آیا راهی به بازگشت وجود دارد». (شوری/ ۴۴) حتی در لحظه مرگ که حجابها از برابر چشم انسان کنار می رود و حقایق عالم دیگر در برابر او آشکار می شود و به برزخ و معاد یقین پیدا می کند در همان لحظه نیز فریادش بلند می شود که:

«مرا باز گردانید تا عمل صالحی انجام دهم». (مؤمنون/ ۹۹ و ۱۰۰)

سورة النبإ(28): آية 6 ص: 379

(آیه ۶)- همه از بهر تو سرگشته و فرمانبردار ...

از این آیه به بعد در حقیقت پاسخی است به سؤالاتی که منکران معاد و اختلاف کنندگان در این نبأ عظیم داشتهاند، زیرا در این آیات گوشهای از نظام حکیمانه این عالم هستی که نقش بسیار مؤثری در زندگی انسانها دارد بیان شده است، که از یک سو دلیل روشنی بر قدرت خدا بر همه چیز و از جمله تجدید حیات مردگان است و از سوی دیگر اشاره به این است که این نظام حکیمانه نمی تواند بیهوده و عبث باشد، در حالی که اگر با پایان این زندگی مادی دنیا همه چیز پایان یابد، مسلما طرحی عبث و بیهوده خواهد بود.

و به این ترتیب از دو جهت، استدلال برای مسأله معاد محسوب می شود، از طریق «برهان قدرت» و «برهان حکمت».

و در یـازده آیه به دوازده نعمت مهم، بـا تعبیراتی آمیخته بـا لطف و محبت، و تو أم با اسـتدلال و تحریک عواطف، اشاره شـده است، نخست از زمین شروع برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۸۰

كرده، مى فرمايد: «آيات زمين را محل آرامش (شما) قرار نداديم»؟! (الم نجعل الأرض مهادا).

انتخاب این تعبیر برای زمین، بسیار پر معنی است، چرا که از یکسو قسمتهای زیادی از زمین آن چنان نرم و صاف و مرتب است که انسان به خوبی می تواند در آن خانه سازی کند، زراعت و باغ احداث نماید.

از سوی دیگر همه نیازمندیهای او بر سطح زمین یا در اعماق آن به صورت مواد اولیه و معادن گرانبها نهفته است.

و از سوی سوم مواد زائـد او را به خود جـذب میکنـد و اجسـاد مردگـان با دفن در آن به زودی تجزیه و متلاشـی میشونـد و انواع میکربها به واسطه اثر مرموزی که دست آفرینش در خاک نهاده است نابود میگردد.

و از سوی چهارم با حرکت نرم و سریع به دور خورشید و به دور خود، شب و روز و فصول چهارگانه را که نقش عمدهای در حیات انسان دارند می آفریند.

سورة النبإ(٧٨): آية ٧ ص: ٣٨٠

(آیه ۷)- و از آنجا که ممکن است در برابر نرمی زمینهای مسطح، اهمیت کوهها و نقش حیاتی آنها، فراموش شود، در این آیه میافزاید: «و (آیا) کوهها را میخهای زمین» قرار ندادیم؟ (و الجبال او تادا).

کوهها علاوه بر این که ریشههای عظیمی در اعماق زمین دارند، و همچون زرهی پوسته زمین را در برابر فشار ناشی از مواد مذاب درونی، و تأثیر جاذبه جزر و مد آفرین ماه از بیرون حفظ می کنند، دیوارهای بلندی در برابر طوفانهای سخت و سنگین محسوب می شوند.

و از سوی سوم کانونی هستند برای ذخیره آبها و انواع معادن گرانبها.

علاموه بر همه اینها در اطراف کره زمین قشر عظیمی از هوا وجود دارد که بر اثر وجود کوهها که به صورت دندههای یک چرخ، پنجه در این قشر عظیم افکندهاند همراه زمین حرکت می کنند، دانشمندان می گویند: اگر سطح زمین صاف بود، قشر هوا به هنگام حرکت زمین روی آن می لغزید، و طوفانهای عظیم ایجاد بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۸۱ می شد، و هم ممکن بود این اصطکاک دائمی سطح زمین را داغ و سوزان و غیر قابل سکونت کند.

سورة النبإ(28): آية 8 ص: 281

(آیه ۸)- بعد از بیان این دو نمونه از مواهب و آیات آفاقی به سراغ مواهب درونی وجودی انسان و آیات انفسی میرود، می فرماید: «و شما را به صورت زوجها آفریدیم» (و خلقناکم ازواجا).

«ازواج» جمع «زوج» به معنی جفت، و جنس «مذکر و مؤنث» است، و آفرینش انسان از این دو جنس علایوه بر این که ضامن بقای نسل اوست، سبب آرامش جسم و جان او محسوب می شود، چنانکه در آیه ۲۱ سوره روم می خوانیم: «از نشانه های (عظمت) خداوند این است که همسرانی از جنس خودتان برای شما آفرید، تا در کنار آنها آرامش بیابید، و در میان شما محبت و رحمت قرار داد.»

سورة النبإ(28): آية 9 ص: 281

(آیه ۹)- سپس به پدیده «خواب» که از مواهب بزرگ الهی بر انسان است و نقش عظیمی در سلامت جسم و جان او دارد اشاره کرده، می افزاید: «و خواب شما را مایه آرامشتان قرار دادیم» (و جعلنا نومکم سباتا).

با این که یک سوم زندگی انسان را «خواب» فرا گرفته، و همیشه انسان با این مسأله مواجه بوده، هنوز اسرار خواب به خوبی شناخته نشده است، و حتی این که چه عاملی سبب می شود که در لحظه معینی بخشی از فعالیتهای مغزی از کار بیفتد، و سپس پلک چشمها بر هم آمده، و تمام اعضای تن در سکون و سکوت و استراحت فرو رود، هنوز به درستی روشن نیست! گرچه آیه فوق ناظر به خواب به عنوان یک نعمت الهی است، ولی از آنجا که «خواب» شباهت به «مرگک» و «بیداری» شباهتی به «رستاخیز» دارد، می تواند اشارهای به این مطلب نیز باشد.

سورة النبإ(28): آية 10 ص: 381

(آیه ۱۰)- سپس در رابطه با مسأله خواب سخن از موهبت «شب» به میان آورده، میفرماید: «و شب را پوششی (برای شما) قرار دادیم» (و جعلنا اللیل لباسا).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۸۲

سورة النبإ(٧٨): آية ١١ ص: ٣٨٢

(آیه ۱۱)– و بلافاصله میافزاید: «و روز را وسیلهای برای زندگی و معاش» (و جعلنا النهار معاشا).

مطابق آیات فوق پرده شب لباس و پوششی است بر اندام زمین، و تمام موجودات زندهای که روی آن زیست می کنند، فعالیتهای خسته کننده زندگی را به حکم اجبار تعطیل می کند، و تاریکی را که مایه سکون و آرامش و استراحت است بر همه چیز مسلط می سازد، تا اندامهای فرسوده مرمّت گردد و روح خسته تجدید نشاط کند، چرا که خواب آرام جز در تاریکی میسّر نیست.

از این گذشته با فرو افتادن پرده شب، نور آفتاب برچیده می شود که اگر بطور مداوم بتابد تمام گیاهان و حیوانات را می سوزاند، و زمین جای زندگی نخواهد بود! آخرین سخن این که آمد و شد شب و روز و نظام دقیق تغییرات تدریجی آنها یکی از آیات خلقت و نشانه های خداست، به علاوه سر چشمه پیدایش یک تقویم طبیعی برای نظام بندی زمانی زندگی انسانها محسوب می شود.

سورة النبإ(28): آية 12 ص: 282

(آیه ۱۲)- پس از زمین به «آسمان» پرداخته، می فرماید: «و بر فراز شما هفت (آسمان) محکم بنا کردیم» (و بنینا فوقکم سبعا شدادا).

عدد «هفت» در اینجا ممکن است عدد تکثیر و اشاره به کرات متعدد آسمان، و مجموعههای منظومهها و کهکشانها و عوالم متعدد جهان هستی باشد، که دارای خلقتی محکم و ساختمانی عظیم و قوی هستند و یا عدد تعداد. به این ترتیب که آنچه ما از ستارگان می بینیم همه به حکم آیه ۶ سوره صافّات: «ما آسمان پایین را با ستارگان زینت بخشیدیم» متعلق به آسمان اول است و ماورای آن شش عالم و آسمان دیگر وجود دارد که از دسترس علم بشر بیرون است.

سورة النبإ(٧٨): آية ١٣ ص: ٣٨٢

(آیه ۱۳)– بعد از اشاره اجمالی به آفرینش آسـمانها به سراغ نعمت بزرگ آفتاب عالمتاب رفته، میفرماید: «و چراغی روشن و

حرار تبخش آفریدیم» (و جعلنا سراجا وهاجا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۸۳

«وهاج» از ماده «وهج» به معنی نور و حرارتی است که از آتش صادر میشود بنابر این، ذکر این وصف برای این چراغ پر فروغ آسمانی اشارهای به دو نعمت بزرگ است که خمیر مایه همه مواهب مادی این جهان است «نور» و «حرارت».

نور خورشید نه تنها صحنه زنـدگی انسـان و تمام منظومه شمسـی را روشن میسازد، بلکه تأثیر عمیقی در پرورش موجودات زنده دارد.

حرارت آن نیز علاوه بر تأثیری که در حیات انسان و حیوان و گیاه بطور مستقیم دارد، منبع اصلی وجود ابرها، وزش بادها، نزول بارانها و آبیاری سرزمینهای خشک است.

خورشید به خاطر اشعه مخصوص «ماوراء بنفش» تأثیر فراوانی در کشتن میکربها دارد، و نوری سالم و مجانی و دائمی و از فاصلهای مناسب، نه چندان گرم و سوزان، و نه سرد و بیروح، در اختیار همه ما میگذارد.

سورة النبإ(٧٨): آية ١٤ ص: ٣٨٣

(آیه ۱۴)- به دنبال نعمت نور و حرارت از ماده حیاتی مهم دیگری که ارتباط نزدیکی با تابش خورشید دارد سخن به میان آورده، می افزاید: «و از ابرهای بارانزا آبی فراوان نازل کردیم» (و انزلنا من المعصرات ماء ثجاجا).

سورة النبإ(٧٨): آية ١٥ ص: ٣٨٣

(آیه ۱۵) – گرچه نزول باران به خودی خود مایه خیر و برکت است، هوا را لطیف می کند، آلود گیها را می شوید، کثافات را با خود می برد، گرمای هوا را فرو می نشاند و حتی سرما را تعدیل می کند، از عوامل بیماری می کاهد و به انسان روح و نشاط می دهد، ولی با این همه در آیات بعد به سه فایده مهم آن اشاره کرده، می فرماید: هدف از نزول باران این است «تا به وسیله آن دانه و گیاه بسیار برویانیم» (لنخرج به حبا و نباتا).

سورة النبإ(٧٨): آية ١٦ ص: ٣٨٣

(آیه ۱۶)- «و باغهایی پر درخت» (و جنات الفافا).

در دو آیه فوق به تمام مواد غذائی که انسان و حیوان از آن استفاده می کنند، و از زمین می روید، اشاره شده است، زیرا قسمت مهمی از آنها را دانه های غذائی تشکیل می دهد (حبّیا) و قسمت دیگری سبزیها و ریشه هاست (و نباتا) و بخش دیگری نیز میوه ها می باشد (و جنات). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۸۴

سورة النبإ(٧٨): آية ١٧ ص: 384

(آیه ۱۷)– سر انجام روز موعود فرا میرسد در آیات قبل اشاراتی به دلایل مختلف معاد آمده بود، در این آیه به عنوان یک نتیجه گیری، میفرماید: «روز جدائی (روز رستاخیز) میعاد همگان است» (ان یوم الفصل کان میقاتا).

تعبیر به «یوم الفصل» تعبیر بسیار پرمعنائی است که بیانگر جدائیها در آن روز عظیم است:

جدائي حق از باطل.

جدائى صفوف مؤمنان صالح از مجرمان بدكار.

جدائی پدر و مادر از فرزند، و برادر از برادر.

سورة النبإ(٧٨): آية ١٨ ص: ٣٨٤

(آیه ۱۸)– سپس به شرح بعضی از ویژگیها و حوادث آن روز بزرگ پرداخته، میگوید: «روزی که در صور دمیده میشود، و شما فوج فوج به (محشر) میآیید» (یوم ینفخ فی الصور فتأتون افواجا).

از آیات قرآن به خوبی استفاده می شود که دو حادثه عظیم به عنوان «نفخ صور» واقع می شود، در حادثه اول نظام جهان هستی به هم می ریزد، و تمام اهل زمین و همه کسانی که در آسمانها هستند می میرند، و در حادثه دوم، جهان نوسازی می شود، و مردگان به حیات جدید باز می گردند و رستاخیز بزرگ انجام می گیرد.

و این آیه اشاره به نفخ دوم است.

سورة النبإ(28): آية 19 ص: 384

(آیه ۱۹) - و به دنبال آن می افزاید: «و آسمان گشوده می شود، و به صورت درهای متعددی در می آید» (و فتحت السماء فکانت ابوابا).

ممكن است منظور از اين «درها» و گشوده شدن آنها اين باشد كه: درهای عالم «غيب» به عالم «شهود» گشوده می شود، حجابها كنار می رود، و عالم فرشتگان به عالم انسان راه می يابد.

سورة النبإ(٧٨): آية 20 ص: 384

(آیه ۲۰)- و بالاخره در این آیه وضع کوهها را در قیامت، منعکس کرده، میفرماید: «و کوهها به حرکت در می آید و به صورت سرابی می شود»! (و سیرت الجبال فکانت سرابا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۸۵

بطوری که از جمع بندی آیات مختلف قرآن در باره سرنوشت کوهها در قیامت به دست می آید، کوهها مراحلی را طی می کند، نخست کوهها به حرکت در می آید. (طور/ ۱۰) سپس از جا کنده و سخت در هم کوفته خواهد شد. (حاقه/ ۱۴) و بعدا به صورت توده ای از شنهای متراکم در می آید. (مزّمّ ل/ ۱۴) و بعد به صورت پشم زده شده در می آید که با تند باد حرکت می کند.

(قارعه/ ۵) و سپس به صورت گرد و غبار در می آید که در فضا پراکنده می شود.

(واقعه/ ۵ و ۶) و بالاخره چنان که در آیه مورد بحث آمده تنها اثری از آن باقی میماند و همچون سرابی از دورنمایان خواهد شد

سورة النبإ(٧٨): آية ٢١ ص: ٣٨٥

(آیه ۲۱)– جهنم کمینگاه بزرگ! بعد از بیان بعضی از دلایل معاد، و قسمتی از حوادث رستاخیز، به سراغ سرنوشت دوزخیان و بهشتیان میرود، نخست از دوزخیان شروع کرده، میفرماید: «مسلما (در آن روز) جهنم کمینگاهی است بزرگ» (ان جهنم کانت مرصادا).

از این گذرگاه عمومی احدی از سرکشان نمی توانند بگذرند، یا فرشتگان عذاب آنها را میربایند، و یا جاذبه شدید جهنم.

سورة النبإ(٧٨): آية 22 ص: 388

(آیه ۲۲)- «و محل بازگشتی برای طغیانگران»! (للطاغین مآبا).

سورة النبإ(28): آية 23 ص: 385

(آیه ۲۳)- «مدتهای طولانی در آن میمانند» (لابثین فیها احقابا).

سورة النبإ(٧٨): آية ٢٤ ص: ٣٨٥

(آیه ۲۴)- سپس به گوشه کوچکی از عذابهای بزرگ جهنم اشاره کرده، می افزاید: «در آنجا نه چیز خنکی می چشند (که گرمای و حشتناک دوزخ را فرو نشاند) و نه نوشیدنی گوارائی، که عطش شدید آنها را تسکین بخشد (لا یذوقون فیها بردا و لا شرابا).

سورة النبإ(٧٨): آية ٢٥ ص: ٣٨٥

(آیه ۲۵)- «جز آبی سوزان و مایعی از چرک و خون» (الا حمیما و غساقا).

و جز سایه دودهای غلیظ و داغ و خفقان آور آتش که در آیه ۴۳ سوره واقعه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۸۶ آمده است «و ظل من یحموم».

این در حالی است که بهشتیان از چشمه های گوارای شراب طهور به وسیله پروردگارشان سیراب می شوند. (دهر/ ۲۱)

سورة النبإ(28): آية 25 ص: 388

(آیه ۲۶) - و از آنجا که ممکن است وجود این کیفرهای سخت و شدید در نظر بعضی عجیب آید، در این آیه می افز اید: «این مجازاتی است موافق و مناسب» اعمالشان (جزاء وفاقا).

چرا چنین نباشـد؟ در حالی که آنها در این دنیا قلبهای مظلومان را سوزاندنـد، روح و جان آنها را به آتش کشیدند و با ظلم و ستم و طغیان خود بر کسی رحم نکردند.

سورة النبإ(٧٨): آية 27 ص: 388

(آیه ۲۷)- سپس به توضیح علت این مجازات پرداخته، میفرماید: «چرا که آنها هیچ امیدی به حساب (و ترسی از عقاب خداوند) نداشتند» (انهم کانوا لا یرجون حسابا).

و همین بی اعتنائی به حساب و روز جزا مایه طغیان و سرکشی و ظلم و ستم آنها شد، و آن ظلم و فساد چنین سرنوشت در دناکی را برای آنان فراهم ساخت.

چرا که آنها حساب روز قیامت را از برنامه زندگی خود کاملا حذف کرده بودند.

سورة النبإ(٧٨): آية 28 ص: 388

(آیه ۲۸)- و لذا بلافاصله می افزاید: «و آیات ما را بکلی تکذیب کردند» (و کذبوا بآیاتنا کذابا).

هوای نفس آن چنان بر آنها چیره شده بود که همه آیات بیدارگر الهی را شدیدا انکار کردند، تا به هوسهای سرکش خود ادامه دهند، و به خواسته ها و تمنیات نامشروع خویش لباس عمل بپوشانند.

سورة النبإ(28): آية 29 ص: 388

(آیه ۲۹)- سپس به عنوان هشدار به این طغیانگران و هم برای تأکید بر مسأله وجود موازنه میان «جرم» و «جریمه» و حاکمیت «جزای وفاق» می افزاید:

«و ما همه چیز را شمارش و ثبت کرده ایم» (و کل شیء احصیناه کتابا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۸۷ تا گمان نکنید چیزی از اعمال شما بی حساب و مجازات می ماند و نیز هر گز فکر نکنید این کیفرهای شدید غیر عادلانه است. این حقیقت در بسیاری از آیات قرآن منعکس است.

در یک جا می فرماید: «هر کاری را که انجام دادند در نامه های اعمالشان ثبت است و هر عمل کوچک و بزرگی نوشته می شود». (قمر/ ۵۲ و ۵۳) و در جای دیگر می خوانیم: ما آنچه را از پیش فرستاده اند و همچنین تمام آثار آنها را می نویسیم». (یس/ ۱۲) و لذا هنگامی که نامه اعمال مجرمان را به دست آنها می دهند فریادشان بلند می شود، می گویند: «ای وای بر ما! این چه کتابی است که هیچ کار کوچک و بزرگی نیست مگر این که آن را ثبت و شماره کرده است»؟! (کهف/ ۴۹) این اعتقاد مانع بزرگی میان انسان و گناه ایجاد می کند و از عوامل مهم تربیت محسوب می شود.

سورة النبإ(28): آية 30 ص: 387

(آیه ۳۰) - در این آیه، لحن سخن را تغییر داده و از «غیبت» به «خطاب» مبدل نموده، آنها را مخاطب ساخته، و ضمن جمله تهدید آمیز و خشم آلود و تکان دهندهای میفرماید: «پس بچشید که چیزی جز عذاب بر شما نمیافزائیم»! (فذوقوا فلن نزید کم الا عذابا).

این جزای کسانی است که وقتی در مقابل دعوت پر مهر انبیای الهی به سوی ایمان و تقوا قرار می گرفتند، می گفتند: «برای ما یکسان است میخواهی اندرز ده، یا اندرز مده»! (شعراء/ ۱۳۶) در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله نقل شده است که فرمود: «این آیه شدیدترین آیهای است که در قرآن مجید در باره دوزخیان آمده است»!

سورة النبإ(٧٨): آية ٣١ ص: ٣٨٧

(آیه ۳۱)- بخشی از پاداش عظیم پرهیز کاران در آیات پیشین سخن از سرنوشت طغیانگران و قسمتی از کیفرهای دردناک آنها و علت این بـدبختی بود، در اینجـا به شـرح نقطه مقابل آنها پرداخته، از مؤمنان راستین و پرهیز کاران و قسمتی از مواهب آنها در قیامت سخن می گوید، تا در یک بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۸۸

مقایسه رویارو میان این دو حقایق روشنتر گردد.

نخست می فرماید: «برای پرهیز کاران نجات و پیروزی بزرگی است» (ان للمتقین مفازا).

سورة النبإ(٧٨): آية ٣٢ ص: ٣٨٨

(آیه ۳۲)- سپس به شرح این فوز و سعادت پرداخته، می افزاید: «باغهائی سرسبز و (محفوظ با میوه هائی از) انواع انگورها» (حدائق و اعنابا).

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «بهترین میوههای شما انگور است».

سورة النبإ(٧٨): آية 33 ص: 388

(آیه ۳۳)- سپس به همسران بهشتی که یکی دیگر از مواهب پرهیزکاران است اشاره کرده، میافزاید: «و (برای آنها) حوریانی بسیار جوان و هم سنّ و سال» است (و کواعب اترابا).

سورة النبإ(٧٨): آية 34 ص: 388

(آیه ۳۴)- سپس چهارمین نعمت بهشتی را که در انتظار پرهیزکاران است چنین شرح میدهد: «و جامهائی لبریز و پیاپی» از شراب طهور! (و کأسا دهاقا).

اما نه شرابی همچون شرابهای آلوده دنیا که عقل را میزداید، بلکه شرابی که عقل آور، و نشاط آفرین و جان پرور و روح افزاست.

سورة النبإ(28): آية 35 ص: 388

(آیه ۳۵)- و از آنجا که سخن از جام و شراب تداعی معنی نامطلوب آن را در دنیا می کند، در حالی که شراب بهشتی درست نقطه مقابل شرابهای شیطانی دنیاست بلافاصله می افزاید: بهشتیان «در آنجا نه سخن لغو و بیهوده ای می شنوند، و نه دروغی» (لا یسمعون فیها لغوا و لا کذابا).

یکی از مواهب بزرگ معنوی بهشتیان این است که در آنجا اثری از دروغ پردازیها، بیهوده گوییها، تهمتها و افتراها، تکذیب حق و توجیه باطل، و گفتگوهای ناهنجاری که قلب پرهیزکاران را در این دنیا آزار می دهد وجود نخواهد داشت و به راستی چه زیباست آن محیطی که اثری از این سخنان ناموزون و رنج آور در آن وجود ندارد، و طبق آیه ۶۲ سوره مریم «در آنجا هرگز گفتار لغو و بیهودهای نمی شنوند و جز سلام در آنجام سخنی نیست».

سورة النبإ(٧٨): آية 37 ص: 388

(آیه ۳۶) - و در پایان ذکر این نعمتها به نعمت معنوی دیگری اشاره می کند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۸۹ که از همه بالا_تر است، می فرماید: «این پاداشی است از سوی پروردگارت، و عطیهای است کافی» (جزاء من ربک عطاء حسابا).

چه بشارت و نعمتی از این برتر و بالاتر که بنده ضعیف، مورد نوازش و الطاف و محبتهای مولای کریم خود قرار گیرد. و به گفته شاعر:

من که باشم که بر آن خاطر عاطر گذرم لطفها می کنی ای خاک درت تاج سرم

سورة النبإ(٧٨): آية 37 ص: 389

(آیه ۳۷)- سپس در این آیه، می افزاید: «همان پروردگار آسمانها و زمین و آنچه در میان آن دو است، پروردگار رحمان» (رب السماوات و الارض و ما بینهما الرحمن).

در حقیقت، آیه فوق اشارهای به این واقعیت است که اگر خداونـد چنین وعـدههائی را به متقین میدهـد گوشهای از آن را در این دنیا، به صورت رحمت عامش، به اهل آسمانها و زمین نشان داده است.

و در پایان آیه می فرماید: «و (در آن روز) هیچ کس حق ندارد بی اجازه او سخنی بگوید» یا شفاعتی کند (لا یملکون منه خطاما).

زیرا آن قدر حساب الهی دقیق و عادلانه است که جائی برای «چون و چرا» باقی نمی ماند.

سورة النبإ(28): آية 38 ص: 389

(آیه ۳۸) - در آیات گذشته قسمتهای قابل ملاحظهای از کیفرها و مجازاتهای طغیانگران و مواهب و پاداشهای پرهیز کاران در روز رستاخیز بیان شد، در اینجا به معرفی آن روز بزرگ پرداخته، بخشی از اوصاف آن روز و حوادث آن را شرح می دهد. می فرماید: اینها همه در «روزی (است) که روح و ملائکه در یک صف می ایستند و هیچ یک، جز به اذن خداوند رحمان سخن نمی گویند و (آنگاه که می گویند) درست می گویند» (یوم یقوم الروح و الملائکهٔ صفا لا یتکلمون الا من اذن له الرحمن و قال صوابا). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۹۰

بدون شک قیام «روح» و «فرشتگان» در آن روز در یک صف، و سخن نگفتن جز به اذن خداونـد رحمان، فقط برای اجرای فرمان اوست، آنها در این جهان نیز «مدبرات امر» و مجری فرمانهای او هستند، و در عالم آخرت این امر آشکارتر و واضحتر و گسترده تر خواهد بود.

و منظور از «روح» در اینجا یکی از فرشتگان بزرگ الهی است که بر طبق بعضی از روایات حتی از جبرئیل برتر است، چنانکه در حدیثی از امام صادق علیه السّر لام میخوانیم: «او فرشته ای است بزرگتر از جبرئیل و میکائیل»! به هر حال این مخلوق بزرگ الهی در قیامت همراه ملائکه آماده اطاعت فرمان او هستند، چنان هول و اضطراب محشر، همه را فرا گرفته که هیچ کس را یارای سخن گفتن نیست.

در حدیثی آمده است که از امام صادق علیه السّر الام در باره این آیه سؤال کردند، فرمود: «روز قیامت به ما اجازه داده می شود و سخن می گوئیم».

راوی سؤال می کند در آن روز شما چه می گوئید؟

فرمود: «تمجید و ستایش پروردگارمان را می کنیم، و بر پیامبرمان درود میفرستیم، و برای پیروانمان شفاعت می کنیم، و خداوند شفاعت ما را رد نمی کند».

از این روایت استفاده می شود که انبیاء و امامان معصوم نیز در صف فرشتگان و روح قرار می گیرنـد، و از کسانی که به آنها اجازه سخن گفتن و مدح و ثنای خداوند و شفاعت داده می شود آنها هستند.

سورة النبإ(٧٨): آية 39 ص: 390

(آیه ۳۹)- سپس اشاره به این روز بزرگ- که هم روز قیامت انسانها و هم فرشتگان و هم یوم الفصل و روز کیفر طاغین و پاداش متقین است- کرده، می فرماید: «آن روز حق است» (ذلک الیوم الحق).

«حقّ» به معنی چیزی است که ثابت است، واقعیت دارد و تحقق مییابد، و این معنی در بـاره قیامت کاملا صادق است بعلاوه روزی است که «حق» هر کس به او داده میشود، حقوق مظلومـان از ظالمان گرفته خواهـد شـد، و «حقایق» و اسـرار برگزیـده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۹۱

درون به ظهور می پیوندند، بنابر این روزی است به تمام معنی حق.

و چون توجه به این واقعیت می تواند مؤثر ترین انگیزه انسان برای حرکت به سوی پروردگار، و اطاعت فرمان او گردد، بلافاصله می افزاید: «پس هر کس بخواهد راهی به سوی پروردگارش بر می گزیند» و به سوی او باز می گردد (فمن شاء اتخذ الی ربه مآبا).

یعنی تمام اسباب این حرکت الهی فراهم است، انبیا به قدر کافی ابلاغ فرمان حق کردهاند، عقل انسانی نیز- که پیامبری از درون او است- راه او را روشن کرده سرنوشت طاغیان و پرهیزکاران نیز به خوبی تبیین شده، تنها چیزی که باقی مانده تصمیم قاطع انسان است که با استفاده از اختیاری که خدا به او داده است راه را برگزیند و پیش رود.

سورة النبإ(٧٨): آية 40 ص: 391

(آیه ۴۰)– سپس به عنوان تأکید روی مسأله مجازات مجرمان، و بیان نزدیک بودن آن روز بزرگ در برابر کسانی که آن را دور یا نسیهاش میپندارند، میافزاید:

«و ما شما را از عذاب نزدیکی بیم دادیم»نا انذرناکم عذابا قریبا)

.امير مؤمنان على عليه السّلام مىفرمايد: «هر چيزى كه مى آيد قريب و نزديك است».

چرا نزدیک نباشد در حالی که مایه اصلی عذاب الهی اعمال خود انسانها است که همیشه با آنهاست «و جهنم هم اکنون کافران را احاطه کرده» (عنکبوت/ ۵۴).

و از آنجا که در آن روز گروه عظیمی غرق حسرت و اندوه شده، نادم و پشیمان می گردند، حسرتی که به حالشان سودی نخواهد داشت و ندامتی که نتیجهای ندارد، به دنبال این هشدار می افزاید: «این عذاب در روزی خواهد بود که انسان آنچه را از قبل با دستهای خود فرستاده می بیند، و کافر می گوید: ای کاش خاک بودم» و گرفتار عذاب نمی شدم!وم ینظر المرء ما قدمت یداه و یقول الکافر یا لیتنی کنت ترابا)

اصولا یکی از بهترین پاداشهای نیکو کاران، و یکی از بدترین کیفرهای بدکاران همین اعمال مجسم آنهاست که همراهشان خواهد بود.

آری! کار انسانی که اشرف مخلوقات است گاه بر اثر کفر و گناه به جائی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۹۲

می رسد که آرزو می کند در صف یکی از موجودات بی روح و پست باشد.

در آیات قرآن میخوانیم: کفار و مجرمان هنگامی که صحنه قیامت و دادرسی پروردگار و جزای اعمال را مشاهده می کنند، عکس العملهای مختلفی نشان می دهند که همگی حکایت از شدت تأثر و تأسف آنها می کند.

گاه می گویند: «وای بر ما از این حسرت که در اطاعت فرمان خدا کوتاهی کردیم» (زمر/ ۵۶).

و گاه مي گويند: «خداوندا! ما را به دنيا بازگردان تا عمل صالح انجام دهيم» (الم سجده/ ١٢).

و گاه می گویند: «ای کاش خاک بودیم و هر گز زنده نمی شدیم» همان گونه که در آیات مورد بحث آمده است.

«پایان سوره نبأ»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۹۳

سوره نازعات [29] ص: 393

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۴۶ آیه است

محتواي سوره: ص: 393

محتوای این سوره در شش بخش خلاصه می شود:

۱- نخست با قسمهای مؤکدی که ارتباط با مسأله معاد دارد روی تحقق این روز بزرگ تأکید میکند.

۲- سپس به قسمتی از مناظر هول انگیز و وحشتناک آن روز اشاره مینماید.

۳- و بعد اشاره کوتاه و گذرائی به داستان موسی و سرنوشت فرعون طغیانگر دارد که هم مایه تسلی خاطر پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و مؤمنان است و هم هشدار به مشرکان طغیانگر، و هم اشارهای است به این که انکار معاد انسان را به چه گناهانی آلوده می کند.

۴- در بخش بعد نمونههایی را از مظاهر قدرت خداوند در آسمان و زمین که خود دلیلی است برای امکان معاد و حیات بعد از مرگ بر می شمرد.

۵- بار دیگر به شرح قسمتی دیگر از حوادث وحشتناک آن روز بزرگ و سرنوشت طغیانگران و پاداش نیکوکاران میپردازد. ۶- سر انجام در پایان سوره بر این حقیقت تأکید میکند که: هیچ کس از تاریخ آن روز با خبر نیست، ولی همین اندازه مسلم است که نزدیک است. انتخاب نام «نازعات» برای این سوره به خاطر نخستین آیه آن است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 393

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله آمده است: «کسی که برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۹۴

سوره نازعات را بخواند توقف و حساب او در روز قیامت تنها به اندازه خواندن یک نماز روزانه است، و بعد از آن وارد بهشت می شود».

مسلم است کسی که محتوای این سوره را که آیات تکان دهندهاش ارواح خفته را بیدار و متوجه وظائف خود میسازد در جان خویش پیاده کند از چنان پاداشهائی برخوردار خواهد شد، نه آنها که فقط به خواندن الفاظ قناعت می کنند.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة النازعات(29): آية 1 ص : 394

(آیه ۱)- سوگند به این فرشتگان پر تلاش! در آغاز سوره به پنج موضوع مهم، قسم یاد شده و هدف از این سوگندها بیان حقانیت و تحقق مسأله معاد و رستاخیز است.

می فرماید: «سو گند به فرشتگانی که (جان مجرمان را بشدت از بدنهایشان) بر می کشند» (و النازعات غرقا).

سورة النازعات(29): آية 2 ص: 394

(آیه ۲)- «و فرشتگانی که (روح مؤمنان را) با مدارا و نشاط جدا میسازند» (و الناشطات نشطا).

سورة النازعات(٧٩): آية ٣ ص: ٣٩٤

(آیه ۳)- «و سو گند به فرشتگانی که (در اجرای فرمان الهی) با سرعت حرکت میکنند» (و السابحات سبحا).

سورة النازعات(٧٩): آية 4 ص: 394

(آیه ۴)- «و سپس بر یکدیگر سبقت می گیرند» (فالسابقات سبقا).

سورة النازعات(٧٩): آية ۵ ص: ٣٩٤

(آیه ۵)- «و آنها که امور را تدبیر می کنند» (فالمدبرات امرا).

منظور از این سوگندها «فرشتگانی» است که مأمور قبض ارواح کفار و مجرمانند که آنها را به شدت از بدنهایشان بر می کشند، ارواحی که هرگز حاضر به تسلیم در برابر حق نبودند.

و فرشتگانی که مأمور قبض ارواح مؤمنانند که با مدارا و نرمش و نشاط آنها را جدا میسازند.

و فرشتگانی که در اجرای فرمان الهی با سرعت حرکت می کنند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۹۵ سپس بر یکدیگر پیشی می گیرند.

و سر انجام امور جهان را به فرمان او تدبیر می کنند.

سورة النازعات(٧٩): آية 6 ص: ٣٩٥

(آیه ۶)- معاد تنها با یک صیحه عظیم رخ می دهد! بعد از آن که با قسمهای مؤکد وقوع قیامت به عنوان یک امر حتمی در آیات گذشته بیان شد، در اینجا به شرح بعضی از نشانهها و حوادث این روز بزرگ می پردازد، می فرماید: این بعث و رستاخیز «در آن روز است که زلزلههای وحشتناک همه چیز را به لرزه در می آورد» (یوم ترجف الراجفهٔ).

سورة النازعات(٧٩): آية ٧ ص: ٣٩٥

(آیه ۷) – «و به دنبال آن، حادثه دومین [– صبحه عظیم محشر] رخ می دهد» (تتبعها الرادفهٔ).

منظور از «راجفه» همان صیحه نخستین یا نفخ صور اول است که شیپور فنای جهان و زلزله نابودی دنیاست و «رادفه» اشاره به صیحه دوم یا نفخ صور ثانی است که نفخه حیات و رستاخیز و بازگشت به زندگی جدید است.

سورة النازعات(٧٩): آية ٨ ص: ٣٩٥

(آیه ۸)- سپس می افزاید: «دلهائی در آن روز سخت مضطرب است» (قلوب یومئذ واجفهٔ). دلهای مجرمان و گنهکاران و طغیانگران همه بشدت می لرزد، و نگران حساب و جزا و کیفر است.

سورهٔ النازعات(۲۹): آیهٔ ۹ ص: ۳۹۵

(آیه ۹)- این اضطراب درونی به قدری شدید است که آثار آن در تمام وجود گنهکاران ظاهر می شود، لذا در این آیه می افزاید: «و چشمهای آنان از شدت ترس فرو افتاده است» (ابصارها خاشعهٔ).

در آن روز چشمها به گودی مینشیند، از حرکت باز میایستد و خیره میشود، و گوئی دید خود را از شدت ترس از دست میدهد.

سورة النازعات(٧٩): آية ١٠ ص: ٣٩٥

(آیه ۱۰)- آنگاه سخن را از قیامت به دنیا می کشاند، می فرماید: ولی امروز «می گویند: آیا ما به زندگی مجدد باز می گردیم»؟! (یقولون أ إنا لمردودون فی الحافرة).

سورة النازعات(29): آية 11 ص: 393

(آیه ۱۱)- این آیه ادامه سخنان آنها را نقل کرده، می گوید: «آیا هنگامی که بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۹۶ استخوانهای پوسیدهای شدیم» ممکن است زنده شویم؟ (أ إذا کنا عظاما نخرهٔ).

این همان چیزی است که همواره منکران معاد روی آن تکیه می کردند، و می گفتند: باور کردنی نیست که استخوانهای پوسیده بار دیگر لباس حیات در تن بپوشد، در حالی که فراموش کرده بودند در آغاز نیز از همان خاک آفریده شدهاند.

سورة النازعات(29): آية 12 ص: 398

(آیه ۱۲)- منکران معاد به این هم قناعت نمی کنند، بلکه به استهزای «معاد» برخاسته و به عنوان مسخره، «می گویند: اگر قیامتی در کار باشد بازگشتی است زیانبار» و حال ما در آن روز سخت و دردناک خواهد بود! (قالوا تلک اذا کرهٔ خاسرهٔ).

سورة النازعات(29): آية 13 ص: 398

(آیه ۱۳)- در این آیه بار دیگر به مسأله قیام قیامت و برپاشدن رستاخیز باز می گردد، و با لحنی قاطع و کوبنده، میفرماید: «این بازگشت تنها با یک صیحه عظیم است» (فانما هی زجرهٔ واحدهٔ).

سورة النازعات(٧٩): آية ١٤ ص: ٣٩٦

(آیه ۱۴)- «ناگهان همگی بر عرصه زمین ظاهر می گردند» (فاذا هم بالساهرهٔ).

این کار پیچیده و مشکلی نیست، همین که به فرمان خدا نفخه دوم دمیده شود و بانگ حیات و زندگی برخیزد، تمام این خاکها و استخوانهای پوسیده یک مرتبه جمع میشوند و جان می گیرند، و از قبرها بیرون می پرند!

سورة النازعات(29): آية 15 ص: 398

(آیه ۱۵) – بعد از بیانات نسبتا مشروحی که در آیات قبل در باره مسأله معاد و انکار و مخالفت مشرکان آمد، در اینجا به داستان یکی از طغیانگران بزرگ تاریخ یعنی فرعون و سرنوشت دردناک او اشاره می کند، تا هم مشرکان عرب بدانند که افراد نیرومندتر از آنها نتوانستند در برابر خشم و عذاب الهی مقاومت کنند، و هم مؤمنان را دلگرم سازد که از برتری نیروی ظاهری دشمن هراسی به دل راه ندهند، چرا که در هم کوبیدن آنها برای خداوند بسیار سهل و آسان است. نخست از اینجا شروع می کند: «آیا داستان موسی به تو رسیده است»؟ (هل اتاک حدیث موسی).

سورة النازعات(٧٩): آية ١٦ ص: ٣٩٦

(آیه ۱۶) – سپس می افزاید: «در آن هنگام که پروردگارش او را در سرزمین برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۹۷ مقدس طوی ندا داد» (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوی).

«طوی» ممکن است نام سرزمین مقدسی باشـد که در شام در میان «مدین» و «مصـر» قرار داشت، و نخستین جرقه وحی در آن بیابان بر قلب موسی وارد شد.

سورة النازعات(٧٩): آية ١٧ ص: ٣٩٧

(آیه ۱۷)- سپس به پیامی که خداوند به موسی در آن سرزمین مقدس داد، در دو جمله کوتاه و پر معنی، اشاره کرده، می فرماید: «به سوی فرعون برو که طغیان کرده است»! (اذهب الی فرعون انه طغی).

سورة النازعات(29): آية 18 ص: 397

(آیه ۱۸)- «و به او بگو: آیا میخواهی پاکیزه شوی»؟ (فقل هل لک الی ان تزکی).

سورة النازعات(٧٩): آية ١٩ ص: ٣٩٧

(آیه ۱۹)- «و (پس از پاک شدن و لایق لقای محبوب گشتن) من تو را به سوی پروردگارت هدایت کنم، تا از او بترسی» و گناه نکنی (و اهدیک الی ربک فتخشی).

سورة النازعات(٧٩): آية 20 ص : 397

(آیه ۲۰)- و از آنجا که هر دعوتی باید آمیخته با دلیل باشد در این آیه میافزاید: موسی «به دنبال این سخن بزرگترین معجزه را به او نشان داد» (فاراه الآیهٔ الکبری).

این معجزه خواه معجزه تبدیل شدن عصا به مار عظیم باشد، یا ید بیضا، و یا هر دو، از معجزات بزرگ موسی بوده است که در آغاز دعوتش بر آن تکیه کرده.

این آیات نشان می دهد که یکی از اهداف بزرگ انبیا هدایت طغیانگران یا مبارزه قاطع با آنهاست.

سورة النازعات(29): آية 21 ص: 397

(آیه ۲۱)- اکنون ببینیم فرعون در برابر این همه لطف و محبت، و این منطق و بیان زیبا و ارائه آیت کبری چه عکس العملی نشان داد؟

این طاغوت خیره سر، هرگز از مرکب غرور پیاده نشد، چنانکه در این آیه میفرماید: «او (دعوی موسی را) تکذیب، و عصیان کرد» (فکذب و عصی).

این نشان می دهد که تکذیبها مقدمه عصیانهاست، همان گونه که تصدیقها و ایمانها مقدمه طاعتهاست.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۹۸

سورة النازعات(٧٩): آية ٢٢ ص: ٣٩٨

(آیه ۲۲)- به این مقدار هم قناعت نکرد و در برابر دعوت موسی بی تفاوت نماند بلکه: «سپس پشت کرد و پیوسته (برای محو آیین حق) تلاش نمود» (ثم ادبر یسعی).

سورة النازعات(٧٩): آية 23 ص: ٣٩٨

(آیه ۲۳)- و از آنجا که معجزه موسی تمام موجودیت طاغوتی او را به خطر میانداخت، مأموران را به شهرهای مختلف اعزام کرد «و ساحران را جمع کرد و مردم را دعوت نمود» تا مبارزه ساحران با موسی را مشاهده کنند (فحشر فنادی).

سورة النازعات(٧٩): آية 24 ص: ٣٩٨

(آیه ۲۴)- باز به این توطئه ها اکتفا نکرد، بلکه بزرگترین ادعا را با بدترین تعبیرات مطرح نمود «و گفت: من پروردگار برتر شما هستم»! (فقال انا ربکم الاعلی).

خودش یکی از بت پرستان بود، ولی در اینجا ادعا می کند من پروردگار بزرگ شما هستم، یعنی حتی خودش را از معبود خودش نیز بالاتر می شمرد و این است بیهوده گوئیهای طاغوتها!

سورة النازعات(٧٩): آية ٢٥ ص: ٣٩٨

(آیه ۲۵)- به هر حال فرعون سرکشی را به آخرین مرحله رسانده و مستحق دردناکترین عذاب شده و فرمان الهی باید فرا رسد و او و دستگاه ظلم و فسادش را درهم بکوبد لذا در این آیه می فرماید: «از این رو خداوند او را به عذاب آخرت و دنیا گرفتار ساخت» (فاخذه الله نکال الآخرهٔ و الاولی).

در اینجا تفسیر دیگری برای آیه ذکر شده است و آن این که منظور از «الاولی» کلمه نخستین است که فرعون در مسیر طغیان گفت و ادعای الوهیت کرد (قصص/ ۳۸) و «الاخرهٔ» اشاره به آخرین کلمهای است که او گفت و آن ادعای ربوبیت اعلی بود خداوند او را به مجازات این دو ادعای کفر آمیزش در همین دنیا گرفتار ساخت.

سورة النازعات(29): آية 25 ص: 398

(آیه ۲۶) – و سر انجام در این آیه، از اتمام این ماجرا نتیجه گیری کرده، می فرماید: «در این (داستان موسی و فرعون و عاقبت آنان درس) عبرتی است برای کسی که (از خدا) بترسد» (ان فی ذلک لعبرهٔ لمن یخشی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۳۹۹ این آیه به خوبی نشان می دهد که عبرت گرفتن از این ماجراها تنها برای کسانی میسّر است که بهرهای از خوف و خشیت و احساس مسؤولیت به دل راه داده اند و یا به تعبیر دیگر دارای چشمی عبرت بینند.

ای خوشا چشمی که عبرت بین بود عبرت از نیک و بدش آیین بود

سورة النازعات(29): آية 27 ص: 399

(آیه ۲۷)- آفرینش شما مشکلتر است یا آسمانها؟ (دلیل دیگری بر معاد) به دنبال نقل سر گذشت موسی و فرعون به عنوان یک درس عبرت برای همه طغیانگران و تکذیب کنندگان بار دیگر به مسأله معاد و رستاخیز بر می گردد.

نخست منکران معاد را مخاطب ساخته، و ضمن یک استفهام توبیخی میفرماید: «آیا آفرینش شما (و بازگشت به زندگی پس از مرگ) مشکلتر است یا آفرینش آسمان که خداوند آن را بنا نهاده است» (أ انتم اشد خلقا ام السماء بناها). این سخن در حقیقت پاسخی است به گفتار آنها که در آیات پیشین گذشت که می گفتند: «أ إنا لمردودون فی الحافرهٔ آیا ما به حالت اول بازمی گردیم».

این آیه می گوید: هر انسانی در هر مرحلهای از درک و شعور باشد میداند که آفرینش این آسمان بلند، این همه کرات عظیم و کهکشانهای بیانتها قابل مقایسه با آفرینش انسان نیست کسی که این قدرت را داشته چگونه از باز گرداندن شما به حیات عاجز است؟!

سورة النازعات(29): آية 28 ص: 399

(آیه ۲۸)– سپس بـه شـرح بیشـتر در بـاره این آفرینش بزرگ پرداخته، میافزایـد: «سـقف آسـمان را برافراشت و آن را منظم ساخت» (رفع سمکها فسواها).

احتمال دارد که آیه هم اشاره به ارتفاع آسمان و فاصله بسیار زیاد و سرسام آور کرات آسمانی از ما بوده باشد و هم اشاره به سقف محفوظ و قشر عظیم هوای اطراف زمین.

سورة النازعات(29): آية 29 ص: 399

(آیه ۲۹)- سپس به یکی از مهمترین نظامات این عالم بزرگ یعنی نظام نور و ظلمت اشاره کرده، میفرماید: «و شبش را تاریک و روزش را آشکار نمود» (و اغطش لیلها و اخرج ضحاها). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰۰

که هر کدام از این دو در زندگی انسان و سایر موجودات زنده اعم از حیوان و گیاه نقش فوق العاده مهمی دارد. نه انسان بدون نور می تواند زندگی کند که همه برکات و روزیها و حس و حرکت او وابسته به آن است و هم بدون ظلمت و زندگی او ممکن نیست که رمز آرامش اوست.

سورة النازعات(٧٩): آية 30 ص: 400

(آیه ۳۰) - سپس از آسمان به زمین می آید، می فرماید: «و زمین را بعد از آن گسترش داد» (و الارض بعد ذلک دحاها). منظور از «دحو الارض» این است که در آغاز تمام سطح زمین را آبهای حاصل از بارانهای سیلابی نخستین فرا گرفته بود این آبها تدریجا در گودالهای زمین جای گرفتند و خشکیها از زیر آب سر بر آوردند و روز به روز گسترده تر شدند تا به وضع فعلی در آمد - و این مسأله بعد از آفرینش زمین و آسمان روی داد.

سورة النازعات(٧٩): آية ٣١ ص: 400

(آیه ۳۱)- بعد از گسترش زمین و آماده شدن برای زندگی و حیات سخن از آب و گیاه به میان آورده، میفرماید: «و از آن، آب و چراگاهش را بیرون آورد» (اخرج منها ماءها و مرعاها).

این تعبیر نشان می دهد که آب در لابلای قشر نفوذ پذیر زمین پنهان بود، سپس به صورت چشمه ها و نهرها جاری شد و حتی دریا و دریاچه ها را تشکیل داد.

سورة النازعات(٧٩): آية ٣٢ ص: 400

(آیه ۳۲) - ولی از آنجا که عوامل مختلفی می توانست آرامش زمین را بر هم زند - از جمله طوفانهای عظیم و دائمی و دیگر جزر و مدهائی که بر اثر فشار مواد مذاب درونی رخ جزر و مدهائی که بر اثر فشار مواد مذاب درونی رخ می دهد - آن را به وسیله شبکه نیرومندی از کوهها که سرتاسر روی زمین را فرا گرفته آرام کرد. و لذا می فرماید: «و کوهها را ثابت و محکم نمود» (و الجبال ارساها).

سورة النازعات(٧٩): آية ٣٣ ص: 400

(آیه ۳۳)- و در پایان میفرماید: «همه اینها برای بهره گیری شما و چهارپایانتان است»! (متاعا لکم و لانعامکم).

تا از مواهب حیات بهره گیرید و به غفلت نخورید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰۱

اینها از یکسو نشانههای قدرت او بر مسأله معاد است و از سوی دیگر دلائل عظمت و نشانههای وجود او در مسیر توحید و معرفت است.

سورة النازعات(٧٩): آية 34 ص: 401

(آیه ۳۴)- بعد از اشاره به بعضی از دلائل معاد، در آیات قبل، در اینجا بار دیگر، به مسأله رستاخیز و سرنوشت خدا ترسان و هوی پرستان در آن روز باز می گردد، می فرماید: «هنگامی که آن حادثه بزرگ، رخ دهد» نیکوکاران و بدکاران هر کدام به جزای اعمال خویش می رسند (فاذا جاءت الطامهٔ الکبری).

«طامّه» در اینجا اشاره به قیامت است که مملوّ از حوادث هولناک میباشد و توصیف آن به «کبری» تأکید بیشتری در باره اهمیت و عظمت این حادثه بینظیر است.

سورة النازعات(29): آية 35 ص: 401

(آیه ۳۵)- سپس می افزاید: «در آن روز انسان به یاد کوششهایش می افتد» (یوم یتذکر الانسان ما سعی).

اما این تذکر و یاد آوری چه سودی برای او می تواند داشته باشد.

اگر تقاضای بازگشت به دنیا و جبران گذشته کند دست رد به سینه او میزنند و در پاسخ این تقاضا «کلّا» (چنین نیست) می گویند.

و اگر توبه کند و از اعمالش پوزش طلبد فایدهای ندارد چرا که درهای توبه دیگر بسته شده است.

آری! در آن روز حجابها از قلب و روح انسان برداشته میشود و همه حقایق مکنون بارز و آشکار میشود.

سورهٔ النازعات(٧٩): آيهٔ 37 ص: 401

(آیه ۳۶)- و لذا در این آیه می افزاید: «و (در آن روز) جهنّم برای هر بیننده ای آشکار می گردد» (و برزت الجحیم لمن یری). جهنم هم اکنون نیز وجود دارد بلکه طبق آیه ۵۴ سوره عنکبوت «کافران را از هر سو احاطه کرده» اما حجابهای عالم دنیا مانع رؤیت آن است ولی آن روز که روز ظهور و بروز همه چیز است جهنّم از همه آشکارتر ظهور می کند.

سورة النازعات(29): آية 37 ص: 401

(آیه ۳۷)- سپس به وضع حال مجرمان و افراد بی ایمان در صحنه قیامت اشاره کرده و با چند جمله کوتاه و پر معنی هم سرنوشت آنها را بیان میکند و هم برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰۲ عوامل گرفتاری آنها را، می فرماید: «اما آن کسی که طغیان کرده» (فاما من طغی).

سورة النازعات(29): آية 38 ص: 401

(آیه ۳۸)- «و زندگی دنیا را (بر همه چیز) مقدم داشته» (و آثر الحیاهٔ الدنیا).

سورة النازعات(29): آية 39 ص: 407

(آیه ۳۹)- «مسلما دوزخ جایگاه اوست» (فان الجحیم هی المأوی).

در جمله اول اشاره به فساد عقیـدتی آنها میکنـد زیرا طغیان ناشـی از خود بزرگ بینی است و خود بزرگ بینی ناشـی از عدم معرفهٔ اللّه است.

کسی که خدا را به عظمت بشناسد خود را بسیار کوچک و ضعیف میبیند و هرگز پای خود را از جاده عبودیت بیرون نمی گذارد.

و جمله دوم اشاره به فساد عملی آنهاست چرا که طغیان سبب می شود که انسان لذت زود گذر دنیا و زرق و برق آن را بالاترین ارزش حساب کند و آن را بر همه چیز مقدم بشمرد.

این دو در حقیقت علت و معلول یکدیگرند: طغیان و فساد عقیده سر چشمه فساد عمل و ترجیح زندگی ناپایدار دنیا بر همه چیز است و سر انجام این دو آتش سوزان دوزخ است که در جمله سوم به آن اشاره شده.

سورة النازعات(٧٩): آية ٤٠ ص: 40٢

(آیه ۴۰)- سپس به ذکر اوصاف بهشتیان در دو جمله کوتاه و بسیار پر معنی پرداخته، میفرماید: «و آن کسی که از مقام پروردگارش ترسان باشد و نفس را از هوی باز دارد ...» (و اما من خاف مقام ربه و نهی النفس عن الهوی).

سورة النازعات(٧٩): آية 41 ص: 4٠٢

(آیه ۴۱)- «قطعا بهشت جایگاه اوست» (فان الجنهٔ هی المأوی).

آری! شرط اول بهشتی شدن «خوف» ناشی از «معرفت» است، شناختن مقام پروردگار و ترسیدن از مخالفت فرمان او، شرط دوم که در حقیقت نتیجه شرط اول و میوه درخت معرفت و خوف است تسلّط بر هوای نفس و باز داشتن آن از سرکشی، چرا که تمام گناهان و مفاسد و بدبختیها از هوای نفس سر چشمه می گیرد.

سورة النازعات(29): آية 47 ص: 407

(آیه ۴۲)- تاریخ قیامت را فقط خدا میداند: در تعقیب مطالبی که در باره قیامت و سرنوشت نیکان و بدان در آن روز در آیات پیشین آمد، در اینجا به سراغ سؤال همیشگی مشرکان و منکران معاد رفته، میفرماید: «و از تو در باره قیامت برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰۳

مى پرسند كه در چه زماني واقع مىشود» (يسئلونك عن الساعة ايان مرساها).

سورة النازعات(29): آية 43 ص: 404

(آیه ۴۳) – قرآن در پاسخ این سؤال برای این که به آنها بفهماند که هیچ کس از لحظه وقوع قیامت با خبر نبوده و نخواهد بود، روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، می گوید: «تو را با یادآوری این سخن چه کار»؟! (فیم انت من ذکراها). یعنی تاریخ وقوع قیامت حتی از تو پنهان است، تا چه رسد به دیگران، این از آن علم غیبی است که از مختصات ذات پرورد گار می باشد، و احدی را به آن راهی نیست!

سورة النازعات(٧٩): آية 44 ص: 404

(آیه ۴۴)- سپس می افزاید: «نهایت آن (قیامت) به سوی پروردگار تو است» و هیچ کس جز خدا از زمانش آگاه نیست (الی ربک منتهاها).

این همان مطلبی است که در آیه ۳۴ سوره لقمان نیز آمده است: «علم زمان وقوع قیامت تنها نزد خداست».

سورة النازعات(٧٩): آية ٤٥ ص: 404

(آیه ۴۵)- باز برای توضیح بیشتر می افزاید: «کار تو فقط بیم دادن کسانی است که از آن می ترسند» (انما انت منذر من یخشاها).

وظیفه تو همین انذار و هشدار و بیم دادن است و بس، و اما تعیین وقت قیامت از قلمرو وظیفه و آگاهی تو بیرون است.

سورة النازعات(29): آية 46 ص: 404

(آیه ۴۶)- و سر انجام در آخرین آیه این سوره برای بیان این واقعیت که تا قیامت زمان زیادی نیست، میفرماید: «آنها در آن روز که قیام قیامت را میبینند چنین احساس میکنند که گوئی توقفشان (در دنیا و برزخ) جز شامگاهی یا صبح آن بیشتر نبوده است»! (کانهم یوم یرونها لم یلبثوا الا عشیهٔ او ضحاها).

به قدری عمر کوتاه دنیا بسرعت می گذرد، و دوران برزخ نیز سریع طی میشود که به هنگام قیام قیامت آنها فکر می کنند تمام این دوران چند ساعتی بیش نبود.

«پایان سوره نازعات»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰۵

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۴۲ آیه است

محتوای سوره: ص: 4+5

محتوای این سوره را می توان در پنج موضوع خلاصه کرد:

۱- عتاب شدید خداوند نسبت به کسی که در برابر مرد نابینای حقیقت جو برخورد مناسبی نداشت.

٢- ارزش و اهميت قرآن مجيد.

۳- کفران و ناسپاسی انسان در برابر نعمتهای خداوند.

۴- بیان گوشهای از نعمتهای او در زمینه تغذیه انسان و حیوانات برای تحریک حس شکر گزاری بشر.

۵- اشاره به قسمتهای تکان دهندهای از حوادث قیامت و سرنوشت مؤمنان و کفار در آن روز بزرگ.

نامگذاری آن به «عبس» به تناسب نخستین آیه سوره است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 4+5

در حدیثی از پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله آمده است:

«کسی که سوره عبس را بخواند روز قیامت در حالی وارد محشر می شود که صورتش خندان و بشاش است».

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱ ص: ۴۰۵

اشاره

(آیه ۱)

شأن نزول: ص: 405

ده آیه آغاز سوره اجمالا نشان می دهد که خداوند کسی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰۶

را در آنها مورد عتاب قرار داده به خاطر این که فرد یا افراد غنی و ثروتمنـدی را بر نابینای حق طلبی مقدم داشـته است، اما این شخص مورد عتاب کیست؟ در آن اختلاف نظر است.

مشهور در میان مفسران عامه و خاصه این است که:

عدهای از سران قریش مانند عتبهٔ بن ربیعه، ابو جهل، عباس بن عبد المطلب، و جمعی دیگر، خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله بودند و آن حضرت مشغول تبلیغ و دعوت آنها به سوی اسلام بود و امید داشت که این سخنان در دل آنها مؤثر شود. در این میان «عبد الله بن ام مکتوم» که مرد نابینا و ظاهرا فقیری بود وارد مجلس شد، و از پیغمبر صلّی الله علیه و آله تقاضا کرد آیاتی از قرآن را برای او بخواند و به او تعلیم دهد، و پیوسته سخن خود را تکرار می کرد و آرام نمی گرفت، زیرا دقیقا متوجه نبود که پیامبر صلّی الله علیه و آله با چه کسانی مشغول صحبت است.

او آنقدر کلام پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله را قطع کرد که حضرت ناراحت شد، و آثار ناخشنودی در چهره مبارکش نمایان گشت و در دل گفت: این سران عرب پیش خود می گویند: پیروان محمد نابینایان و بردگانند، و لذا از «عبد اللّه» رو برگرداند، و به سخنانش با آن گروه ادامه داد.

در این هنگام این آیات نازل شد (و در این باره پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را مورد عتاب قرار داد).

رسول خدا بعد از این ماجرا «عبد الله» را پیوسته گرامی می داشت.

البته در آیه چیزی که صریحا دلالت کند که منظور شخص پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است وجود ندارد و به فرض که شأن نزول فوق واقعیت داشته باشد این مطلب در حد ترک اولائی بیش نیست و کاری که منافات با مقام عصمت داشته باشد در آن مشاهده نمی شود.

تفسير: ص: ۴۰۶

عتاب شدید به خاطر بی اعتنائی به نابینای حق طلب! با توجه به آنچه در شأن نزول آیات گفته شد، به سراغ تفسیر آیات می رویم، نخست می فرماید: «چهره درهم کشید، و روی برتافت» (عبس و تولی).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰۷

سورهٔ عبس(80): آیهٔ ۲ ص: 407

(آیه ۲)- «از این که نابینائی به سراغ او آمده بود»! (ان جاءه الاعمی).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۳ ص: ۴۰۷

(آیه ۳)- «تو چه می دانی شاید او پاکی و تقوا پیشه کند»؟ (و ما یدریک لعله یزکی).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲ ص: ۴۰۷

(آیه ۴)- «یا (از شنیدن سخنان حق) متذکّر گردد و این تذکر به حال او مفید باشد» (او یذکر فتنفعه الذکری). و اگر صد در صد پاک و با تقوا نشود لا اقل از تذکر پند می گیرد و بیدار می شود، و این بیداری در او اجمالا اثر می گذارد.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۵ ص: ۴۰۷

(آیه ۵)- سپس این عتاب را ادامه داده، می افزاید: «اما آن کس که توانگر است» (اما من استغنی).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۶ ص: ۴۰۷

(آیه ۶)– «تو به او روی می آوری»! (فانت له تصدی).

و اصرار به هدایت او داری در حالی که او گرفتار غرور ثروت و خودخواهی است، غروری که منشأ طغیان و گردنکشی است.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۷ ص: ۴۰۷

(آیه ۷)- «در حالی که اگر او خود را پاک نسازد چیزی بر تو نیست» (و ما علیک الا یزکی).

وظیفه تو تنها ابلاغ رسالت است. خواه از آن پنـد گیرند یا ملال بنابر این به خاطر این گونه افراد نمی توانی نابینای حق طلب را نادیده بگیری، هر چند هدف تو هدایت این گردنکشان باشد.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۸ ص: ۴۰۷

(آیه ۸)- بار دیگر تأکید و عتاب را از سر می گیرد و همچنان به صورت خطاب میفرماید: «اما کسی که به سراغ تو می آید، و (برای هدایت و پاکی) کوشش می کند» (و اما من جاءک یسعی).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۹ ص: ۴۰۷

(آیه ۹)- «و از خدا ترسان است» (و هو یخشی).

و همین انگیزه ترس از خداوند او را به دنبال تو فرستاده، تا حقایق بیشتری بشنود و به کار بندد، و خود را پاک و پاکیزه کند.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۰ ص: ۴۰۷

(آیه ۱۰)- «تو از او غافل می شوی» و به دیگری می پردازی (فانت عنه تلهی). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰۸ این عتاب و خطاب خواه به شخص پیامبر صلّی الله علیه و آله باشد یا غیر او بیانگر این واقعیت مهم است که اسلام و قرآن اهمیت و احترام خاصی برای پویندگان راه حق مخصوصا از طبقات مستضعف قائل است. و به عکس موضع گیری تند و خشنی در برابر آنها که بر اثر وفور نعمت الهی، مست و مغرور شده اند دارد.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۱ ص: ۴۰۸

(آیه ۱۱)- در تعقیب آیات گذشته که در آن سخن از سرزنش کسی آمده بود که نسبت به نابینای حق طلبی کم توجهی نموده بود، در اینجا به مسأله اهمیت قرآن مجید و مبدأ پاک آن و تأثیرش در نفوس پرداخته، میفرماید: «هرگز» این کار را تکرار مکن و آن را برای همیشه فراموش نما (کلا).

چرا که «این (قرآن) تذکر و یادآوری است» (انها تذکرهٔ).

این احتمال نیز وجود دارد که آیه فوق پاسخی باشد به تمام تهمتهای مشرکان و دشمنان اسلام در مورد قرآن که گاه شعرش میخواندند، و گاه سحر، و گاه نوعی کهانت، قرآن می گوید: هیچ یک از این نسبتها صحیح نیست، بلکه این آیات وسیلهای است برای آگاهی و ایمان و دلیل آن در خودش نهفته است.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۲ ص: ۴۰۸

(آیه ۱۲) - سپس می افزاید: «و هر کس بخواهد از آن پند می گیرد» (فمن شاء ذکره).

این تعبیر هم اشارهای است به این که اکراه و اجباری در کار نیست، و هم دلیلی است بر آزادی اراده انسان که تا نخواهد و تصمیم بر قبول هدایت نگیرد نمی تواند از آیات قرآن بهره گیرد.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۳ ص: ۴۰۸

(آیه ۱۳)- سپس میافزاید: این کلمات بزرگ الهی «در الواح پر ارزشی ثبت است» (فی صحف مکرمهٔ).

تعبیر به «صحف» نشان میدهـد که آیات قرآن قبل از نزول بر پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله در الواحی نوشـته شـده بود، و فرشتگان وحی آن را با خود میآوردند الواحی بسیار گرانقدر و پر ارزش.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۴ ص: ۴۰۸

(آیه ۱۴) – بعد می فرماید: این صحائف و الواح «و الاقدر و پاکیزه است» برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰۹ (مرفوعهٔ مطهرهٔ).

بالا ـ تر از آن است که دست نااهلان به سوی آن دراز شود، و یا قادر بر تحریف آن باشند، و پاکتر از آن است که دست ناپاکان آن را آلوده کند، و نیز پاک است از هرگونه تناقض و تضاد و شک و شبهه.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۵ ص: ۴۰۹

(آیه ۱۵) - از این گذشته، این آیات الهی «به دست سفیرانی است» (بایدی سفرهٔ).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۶ ص: ۴۰۹

(آیه ۱۶)- سفیرانی «والا مقام و فرمانبردار و نیکوکار» (کرام بررهٔ).

منظور از «سفره» در اینجا فرشتگان الهی است که سفیران وحی یا کاتبان آیات او هستند.

در حدیثی از امام صادق علیه السّم لام میخوانیم که فرمود: «کسی که حافظ قرآن باشد و به آن عمل کند با سفیران بزرگوار فرمانبردار الهی خواهد بود».

این تعبیر به خوبی نشان میدهد که حافظان و مفسران و عاملان به قرآن در ردیف این «سفره» و همگام آنها هستند، نه این که

خود آنها میباشند و این یک واقعیت است که وقتی این دانشمندان و حافظان، کاری شبیه کار فرشتگان و حاملان وحی انجام دهند در ردیف آنها قرار می گیرند.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۷ ص: ۴۰۹

(آیه ۱۷)- سپس می افزاید: با وجود این همه اسباب هدایت الهی که در صحف مکرمه به وسیله فرشتگان مقرب خداوند، با انواع تذکرات، نازل شده، باز هم این انسان سرکش و ناسپاس تسلیم حق نمی شود «مرگ بر این انسان، چقدر کافر و ناسپاس است»؟! (قتل الانسان ما اکفره).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۸ ص: ۴۰۹

(آیه ۱۸)- و از آنجا که سر چشمه سرکشیها و ناسپاسیها غالبا غرور است برای در هم شکستن این غرور در این آیه میفرماید: خداوند «او را از چه چیز آفریده است»؟ (من ای شیء خلقه).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۱۹ ص: ۴۰۹

(آیه ۱۹)- «او را از نطفه ناچیزی آفرید، و سپس اندازه گیری کرد و موزون ساخت» (من نطفهٔ خلقه فقدره).

دقت در آفرینش انسان از نطفه و اندازه گیری تمام ابعاد وجودی او، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۰

اعضاء پیکرش، استعدادهایش و نیازهایش خود بهترین دلیل برای خداشناسی و معرفهٔ الله است.

و چه بزرگ است آن خدائی که این موجود ضعیف را این همه قدرت و توانائی بخشید که میتواند آسمان و زمین و اعماق دریاها را جولانگاه خود قرار دهد، و همه نیروهای محیط خود را مسخر فرمان خویش سازد.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۰ ص: ۴۱۰

(آیه ۲۰)- در ادامه همین سخن می افزاید: «سپس راه را برای او آسان کرد» (ثم السبیل یسره).

راه تکامل پرورش جنین در شکم مادر، و سپس راه انتقال او را به این دنیا سهل و آسان نمود.

از عجائب تولد انسان این است که قبل از لحظات تولد آن چنان در شکم مادر قرار دارد که سر او به طرف بالا و صورتش به پشت مادر و پای او در قسمت پایین رحم است، ولی هنگامی که فرمان تولد صادر می شود ناگهان واژگونه می گردد سر او به طرف پایین می آید، و همین موضوع امر تولد را برای او و مادر سهل و آسان می کند.

بعد از تولد نیز در مسیر نمو و رشد جسمی در دوران کودکی، و سپس نمو و رشد غرائز، و بعد از آن رشد در مسیر هدایت معنوی و ایمان، همه را از طریق عقل و دعوت انبیاء برای او سهل و آسان ساخته است.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۱ ص: ۴۱۰

(آیه ۲۱)- سپس به مرحله پایانی عمر انسان بعـد از پیمودن این راه طولانی اشاره کرده، میفرمایـد: «بعـد او را میراند و در قبر

پنهان نمود» (ثم اماته فاقبره).

دستور به دفن کردن بدن مردگان (بعد از غسل و کفن و نماز) دستوری است الهام بخش که مرده انسانها باید از هر نظر پاک و محترم باشد تا چه رسد به زنده آنها!

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۲ ص: ۴۱۰

(آیه ۲۲)- بعد به مرحله رستاخیز انسانها پرداخته، می افزاید: «سپس هرگاه که بخواهد او را زنده (و برای حساب و جزا محشور) می کند» (ثم اذا شاء انشره).

سورهٔ عبس(80): آیهٔ ۲۳ ص: 410

(آیه ۲۳) - در این آیه می فرماید: با این همه مواهب الهی نسبت به انسان، از آن روز که به صورت نطفهای بی ارزش بود تا آن روز که قدم در این دنیا گذارد، و راه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۱

خود را به سوی کمال طی کرد و سپس از این دنیا میرود و در قبر پنهان می گردد باز این انسان راه صحیح خود را پیدا نمی کند «چنین نیست که او می پندارد، او هنوز آنچه را (خدا) فرمان داده، اطاعت نکرده است» (کلا لما یقض ما امره).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۴ ص: ۴۱۱

(آیه ۲۴) – انسان باید به غذای خود بنگرد! از آنجا که آیات قبل سخن از مسأله معاد می گفت، و آیات آینده نیز با صراحت بیشتری از این مسأله سخن می گوید، به نظر می رسد که آیات مورد بحث به منزله دلیلی است برای مسأله معاد که از طریق بیان قدرت خداوند بر همه چیز، و همچنین احیای زمینهای مرده به وسیله نزول باران – که خود نوعی معاد در عالم گیاهان است میکند.

در ضمن چون این آیات از انواع غـذاهائی که خـدا در اختیار انسان و چهارپایان قرار داده سخن می گوید حس شـکرگزاری انسان را بر میانگیزد و او را به شناخت منعم و معرفت الله دعوت می کند.

نخست مى فرمايد: «انسان بايد به غذاى خويش (و آفرينش آن) بنگرد» (فلينظر الانسان الى طعامه).

نزدیکترین اشیاء خارجی به انسان غذای اوست که با یک دگرگونی جزو بافت وجود او می شود، و اگر به او نرسد به زودی راه فنا را پیش می گیرد، و به همین دلیل قرآن از میان تمام موجودات روی مواد غذائی آن هم موادی که از طریق گیاهان و درختان، عاید انسان می شود تکیه کرده است.

روشن است که منظور از «نگاه کردن» تماشای ظاهری نیست، بلکه نگاه به معنی دقت و اندیشه در ساختمان این مواد غذائی، و اجزاء حیاتبخش آن، و تأثیرات شگرفی که در وجود انسان دارد، و سپس اندیشه در خالق آنهاست.

و نیز دقیقا بنگرد که آنها را از چه راهی تهیه کرده، حلال یا حرام؟ مشروع یا نامشروع؟

در بعضی از روایات که از معصومین نقل شده آمده است که منظور از «طعام» برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۲

در اینجا علم و دانشی است که غذای روح انسان است، باید بنگرد که آن را از چه کسی گرفته؟

آری! انسان بایـد درست بنگرد که سـر چشـمه اصـلی علم و دانش او که غـذای روحـانی اوست کجاست مبادا از سـر چشـمه

آلودهای تغذیه شود و روح و جان او را بیمار کند یا به هلاکت افکند.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۵ ص: ۴۱۲

(آیه ۲۵)- سپس به شرح تفصیلی این مواد غذائی و منابع آن پرداخته، میفرماید: «ما آب فراوان از آسمان فرو ریختیم» (انا صببنا الماء صبا).

آری! آب که مهمترین مایه حیات است همواره به مقدار فراوان به لطف پروردگار از آسمان نازل میشود، و میدانیم تمام نهرها، چشمهها، قناتها و چاههای آب، ذخائر آبی خود را از باران می گیرند.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۶ ص: ۴۱۲

(آیه ۲۶)- بعد از ذکر موضوع آب که یکی از ارکان مهم رویش گیاهان است، به سراغ رکن مهم دیگر یعنی «زمین» میرود و میافزاید: «سپس زمین را از هم شکافتیم» (ثم شققنا الارض شقا).

این شکافتن اشاره به شکافتن زمین به وسیله جوانه های گیاهان است، و به راستی این یکی از عجائب است که جوانه ای با آن همه نرمی و لطافت خاکهای سخت را می شکافد، و گاه در کوهستانها از لابلای سنگها عبور کرده، سر بیرون می آورد. و احتمال دارد منظور از شکافتن زمین خرد شدن سنگهای سطح آن در آغاز باشد.

به این ترتیب آیه اشاره به یکی از معجزات علمی قرآن است که نشان میدهد اول بارانها فرو میبارند، و سپس زمینها شکافته میشوند و آماده زراعت می گردند، نه تنها در روزهای نخست این عمل صورت گرفته که امروز نیز ادامه دارد.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۷ ص: ۴۱۲

(آیه ۲۷)- بعد از ذکر این دو رکن اساسی یعنی «آب» و «خاک» به هشت قسمت از روئیدنیها که از ارکان اساسی غذای انسان یا حیوانات است اشاره کرده، میفرماید: «و در آن دانه های فراوانی رویاندیم» (فانبتنا فیها حبا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۳

دانههای غذائی که مایه اصلی تغذیه انسان و انواع حیوانات است، دانههایی که اگر یک سال بر اثر خشکسالی قطع شود قحطی و گرسنگی تمام جهان را فرا می گیرد و انسانها همه در زحمت فرو میروند.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۲۸ ص: ۴۱۳

(آیه ۲۸)- و در مرحله بعد می افزاید: «و (همچنین) انگور و سبزی بسیار» (و عنبا و قضبا).

ذکر «عنب» (انگور) از میان تمام میوه ها به خاطر مواد غذائی و حیاتی فراوانی است که در این میوه نهفته شده و آن را به صورت یک غذای کامل در آورده است.

توجه داشته باشید که «عنب» هم به «انگور» گفته می شود و هم به «درخت انگور» و در آیات قرآن بر هر دو اطلاق شده، ولی در اینجا مناسب همان انگور است. «قضب» در اینجا معنی گستردهای دارد که هم سبزیهای خوردنی را شامل میشود، و هم میوههای بوتهای و هم ریشههای غذائی را.

سورهٔ عبس (۸۰): آیهٔ ۲۹ ص: ۴۱۳

(آیه ۲۹)- سپس می افزاید: «و زیتون و نخل فراوان» (و زیتونا و نخلا).

تکیه روی این دو میوه نیز دلیلش روشن است چرا که امروز ثابت شده که هم «زیتون» و هم «خرما» از مهمترین مواد غذائی نیروبخش و مفید و سلامت آفرین است.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۳۰ ص: ۴۱۳

(آیه ۳۰)- و در مرحله بعد می افزاید: «و باغهای پردرخت» با انواع میوه های رنگارنگ (و حدائق غلبا).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۳۱ ص: ۴۱۳

(آیه ۳۱)- سپس می افزاید: «و میوه و چراگاه» (و فاکههٔ و ابا).

«اَبّ» به معنی گیاهان خودرو و چراگاهی است که آماده چریدن حیوانات و یا چیدن گیاهان باشد.

در اینجا این سؤال پیش می آید که در آیات گذشته بعضی از میوهها بالخصوص مطرح شده بود، و در اینجا میوه بطور کلی مطرح شده، و از این گذشته در آیه قبل که سخن از باغها می گفت ظاهرا نظر به میوههای باغها داشت، چگونه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۴

بار دیگر میوه در اینجا مطرح شده است؟

در پاسخ می گوئیم: اما این که بعضی از میوه ها بالخصوص ذکر شده مانند انگور و زیتون و خرما (به قرینه درخت نخل) به خاطر اهمیت فوق العاده ای است که از میان میوه ها دارند، و اما این که چرا «فاکهه» (میوه) جداگانه از «حدائق» (باغها) ذکر شده؟ ممکن است به خاطر این باشد که باغها منافع دیگری غیر از میوه نیز دارند، منظره زیبا، طراوت و هوای سالم و مانند آن. از این گذشته برگ بعضی از درختان و ریشه و پوست بعضی دیگر، جزء مواد غذائی هستند (مانند چای و دارچین و زنجبیل و امثال آن) به علاوه برگهای بسیاری از درختان خوراک مناسبی برای حیوانات است و میدانیم آنچه در آیات فوق آمده، هم خوراک انسان را شامل می شود، هم خوراک حیوان را.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۳۲ ص: ۴۱۴

(آیه ۳۲)- و لذا در این آیه می افزاید: «تا وسیله ای برای بهره گیری شما و چارپایانتان باشد» (متاعا لکم و لانعامکم). «متاع» هر چیزی است که انسان از آن متمتع و بهرهمند می شود.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۳۳ ص: ۴۱۴

(آیه ۳۳) - صیحه رستاخیز: بعد از ذکر قسمت قابل توجهی از مواهب الهی و نعم دنیوی، به بیان معاد و گوشهای از حوادث رستاخیز و سرنوشت مؤمنان و کافران می پردازد، تا از یکسو اعلام کند که این مواهب و متاع هر چه باشد زود گذر است و نقطه پایانی دارد، و از سوی دیگر وجود اینها دلیلی است بر قدرت خداوند بر همه چیز و بر مسأله معاد.

مىفرمايد: «هنگامى كه آن صداى مهيب [- صيحه رستاخيز] بيايد» كافران و مجرمان در اندوه عميقى فرو مىروند (فاذا جاءت الصاخة).

«صاخّه» در اینجا اشاره به «نفخه دوم صور» است، همان صبیحه عظیمی که صبیحه بیداری و حیات می باشد و همگان را زنده کرده، به عرصه محشر دعوت می کند.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۳۴ ص: ۴۱۴

(آیه ۳۴)- و لذا بلافاصله بعد از آن می افزاید: «در آن روز که انسان از برادر خود می گریزد» (یوم یفر المرء من اخیه). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۵

همان برادری که با جان برابر بود و همه جا به یاد او بود و در فکر او، امروز بکلی از او گریزان می شود.

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۳۵ ص: ۴۱۵

(آیه ۳۵)- «و (همچنین) از مادر و پدرش» (و امه و ابیه).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۳۶ ص: ۴۱۵

(آیه ۳۶)- «و زن و فرزندانش» (و صاحبته و بنیه).

و به این ترتیب انسان نزدیکترین نزدیکانش را که برادر و پدر و مادر و زن و فرزند هستند نه فقط فراموش مینماید بلکه از آنها فرار میکند و این نشان میدهد هول و وحشت محشر آنقدر زیاد است که انسان را از تمام پیوندها و علائقش جدا میکند.

سورهٔ عبس (۸۰): آیهٔ ۳۷ ص: ۴۱۵

(آیه ۳۷) - در این آیه دلیل این فرار را بیان کرده، میفرماید: «در آن روز هر کدام از آنها وضعی دارد که او را کاملا به خود مشغول میسازد» (لکل امرئ منهم یومئذ شأن یغنیه).

در حدیثی آمده است که بعضی از خاندان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله از آن حضرت سؤال کردند که آیا در روز قیامت انسان به یاد دوست صمیمیش میافتد؟

در پاسخ فرمود: «سه موقف است که هیچ کس در آنها به یاد هیچ کس نمیافتد: اول پای میزان سنجش اعمال است تا ببیند آیا میزانش سنگین است یا سبک؟ سپس بر صراط است تا ببیند آیا از آن می گذرد یا نه؟ و سپس به هنگامی است که در نامههای اعمال را به دست انسانها می دهند تا ببیند آن را به دست راستش می دهند یا دست چپ؟ این سه موقف است که در

آنها کسی به فکر کسی نیست، نه دوست صمیمی، نه یار مهربان، نه افراد نزدیک، نه دوستان مخلص، نه فرزندان، و نه پدر و مادر، و این همان است که خداوند متعال می فرماید: در آن روز هر کسی به قدر کافی به خود مشغول است.»

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۳۸ ص: ۴۱۵

(آیه ۳۸)– سپس به چگونگی حال مؤمنان و کافران در آن روز پرداخته، می گویـد: «چهرههائی در آن روز گشاده و نورانی است» (وجوه یومئذ مسفرهٔ).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۳۹ ص: ۴۱۵

(آیه ۳۹)- «خندان و مسرور است» (ضاحکهٔ مستبشرهٔ).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۴۰ ص: ۴۱۵

(آیه ۴۰)- «و صورتهائی در آن روز غبار آلود است» (و وجوه یؤمئذ علیها غبرهٔ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۶

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۴۱ ص: ۴۱۶

(آیه ۴۱)- «و دود تاریکی آن را پوشانده است» (ترهقها قترهٔ).

سورهٔ عبس(۸۰): آیهٔ ۴۲ ص: ۴۱۶

(آیه ۴۲)- «آنان همان کافران فاجرند»! (اولئک هم الکفرهٔ الفجرهٔ).

از این آیات به خوبی استفاده می شود که در صحنه قیامت آثار عقائد و اعمال سوء انسانها در چهره هایشان نمایان می گردد. تعبیر به «وجوه» به خاطر این است که رنگ صورت بیش از هر چیزی می تواند بیانگر حالایت درونی باشد، هم ناراحتیهای فکری و روحی و هم ناراحتیهای جسمانی.

«پایان سوره عبس»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۷

سوره تکویر [۸۱] ص: ۴۰۱۷

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۲۹ آیه است

محتوای سوره: ص: 417

محتوای این سوره عمدتا بر دو محور دور می زند:

۱- آیات آغاز این سوره بیانگر نشانه هائی از قیامت و دگرگونیهای عظیم در پایان این جهان و آغاز رستاخیز است.

۲- بخش دوم سوره از عظمت قرآن و آورنده آن و تأثیرش در نفوس انسانی سخن می گوید، و این قسمت با سو گندهای بیدار کننده و پر محتوایی همراه است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 417

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «کسی که سوره اذا الشّمس کوّرت را بخوانـد خداونـد او را از رسوائی در آن هنگام که نامه عملش گشوده میشود حفظ می کند».

در حدیث دیگری میخوانیم که به پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله گفتند: چرا این قدر زود آثار پیری در شما نمایان گشته؟ فرمود: «سوره هود، واقعه، مرسلات، عمّ، و اذا الشّـمس کوّرت، مرا پیر کرد» زیرا آن چنان حوادث هولناک قیامت در اینها ترسیم شده است که هر انسان بیداری را گرفتار پیری زودرس می کند.

تعبیراتی که در روایات بالا آمده به خوبی نشان میدهد که منظور تلاوتی است که سر چشمه آگاهی و ایمان و عمل باشد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۸

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة التكوير(٨١): آية ١ ص: 41٨

(آیه ۱)- آن روز که طومار کائنات پیچیده شود! در آغاز این سوره چنانکه گفتیم به اشارات کوتاه و هیجان انگیز و تکان دهندهای از حوادث هولناک پایان این جهان و آغاز رستاخیز برخورد می کنیم که انسان را در عوالم عجیبی سیر می دهد، و مجموعا هشت نشانه از این نشانه ها را بازگو می کند.

نخست مى فرمايد: «در آن هنگام كه خورشيد در هم پيچيده شود» (اذا الشمس كورت).

میدانیم خورشید در حال حاضر کرهای است فوق العاده داغ و سوزان به اندازهای که تمام مواد آن به صورت گاز فشردهای در آمده و در گرداگردش شعلههای سوزانی زبانه می کشد که صدها هزار کیلومتر ارتفاع آنهاست و اگر کره زمین در وسط یکی از این شعلههای عظیم گرفتار شود در دم خاکستر و تبدیل به مشتی گاز می شود! ولی در پایان این جهان و در آستانه قیامت این حرارت فرو می نشیند، و آن شعلهها جمع می شود، روشنائی آن به خاموشی می گراید، و از حجم آن کاسته می شود و این است معنی «تکویر».

این حقیقتی است که در علم و دانش امروز نیز منعکس است و «ثابت خورشید» تدریجا رو به تاریکی و خاموشی میرود.

سورة التكوير(٨١): آية ٢ ص: 418

(آیه ۲)- سپس می افزاید: «و در آن هنگام که ستارگان بی فروغ شوند» (و اذا النجوم انکدرت).

سورة التكوير(81): آية 3 ص: 418

(آیه ۳)- در سومین نشانه رستاخیز می فرماید: «و در آن هنگام که کوهها به حرکت در آیند» (و اذا الجبال سیرت).

از آیات مختلف قرآن استفاده می شود که در آستانه قیامت کوهها مراحل مختلفی را طی می کنند- شرح بیشتر در این باره را در همین جلد در تفسیر آیه ۲۰ سوره نبأ مطالعه فرمایید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۹

سورة التكوير(81): آية 4 ص: 419

(آیه ۴)- سپس می افزاید: «و در آن هنگام که با ارزشترین اموال به دست فراموشی سپرده شود» (و اذا العشار عطلت).

«عشار» جمع «عشراء» در اصل به معنی شتر ماده بارداری است که ده ماه بر حمل او گذشته، و در آستانه آوردن بچه است یعنی چیزی نمی گذرد که شتر دیگری از او متولد می شود، و شیر فراوان در پستان او ظاهر می گردد.

در آن روز که این آیات نازل گشت چنین شتری با ارزشترین اموال عرب محسوب میشد.

منظور این است شدت هول و وحشت آن روز به قدری است که هر انسانی نفیسترین اموال خویش را فراموش می کند.

سورة التكوير(81): آية 5 ص: 419

(آیه ۵)- در این آیه می افزاید: «و در آن هنگام که وحوش جمع شوند» (و اذا الوحوش حشرت).

همان حیواناتی که در حال عادی از هم دور بودند، و از یکدیگر می ترسیدند و فرار می کردند، ولی شدت وحشت حوادث هولناک آستانه قیامت آن چنان است که اینها را گرد هم جمع می کند، و همه چیز را فراموش می کنند، گوئی می خواهند با این اجتماعشان از شدت ترس و وحشت خود بکاهند.

و به تعبیر دیگر: وقتی آن صحنه های هولناک خصائص ویژه حیوانات وحشی را از آنها می گیرد با انسانها چه می کند!

سورة التكوير(81): آية 6 ص: 419

(آیه ۶)- سپس می افزاید: «و در آن هنگام که دریاها برافروخته شوند»! (و اذا البحار سجرت).

می دانیم آب از دو ماده «اکسیژن» و «هیدروژن» ترکیب یافته که هر دو سخت قابل اشتعال است، بعید نیست که در آستانه قیامت آب دریاها چنان تحت فشار قرار گیرد که تجزیه شوند و تبدیل به یکپارچه آتش گردند.

سورة التكوير(81): آية 7 ص: 419

(آیه ۷)- بعد از ذکر شش تحول عظیم که از مقدّمات رستاخیز است به نخستین طلیعه آن روز بزرگ اشاره کرده، می فرماید: «و در آن هنگام که هر کس با همسان خود قرین گردد» (و اذا النفوس زوجت). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲۰ صالحان با صالحان، و بدکاران با بدکاران، اصحاب الیمین با اصحاب الیمین، و اصحاب الشّمال با اصحاب الشّمال، بر خلاف این دنیا که همه با هم آمیخته اند، گاه همسایه مؤمن، مشرک است، و گاه همسر صالح، ناصالح ولی در قیامت که یوم الفصل

و روز جدائیهاست این صفوف کاملا از هم جدا میشوند.

سورة التكوير(81): آية 8 ص: 424

(آیه ۸)- سپس به سراغ یکی دیگر از حوادث رستاخیز رفته، می افزاید: «و در آن هنگام که از دختران زنده به گور شده سؤال شود:» (و اذا الموؤدهٔ سئلت).

سورة التكوير(81): آية 9 ص: 420

(آیه ۹)– «به کدامین گناه کشته شدند»؟! (بای ذنب قتلت).

یکی از دردناک ترین و وحشیانه ترین پدیده های عصر جاهلیت عرب پدیده زنده به گور کردن دختران است که در قرآن مجید مکرر به آن اشاره شده، با نهایت تأسف این مسأله به اشکال دیگری در جاهلیت قرون اخیر نیز خودنمایی می کند. در بعضی از روایات در تفسیر این آیه توسعه داده شده، تا آنجا که شامل هر گونه قطع رحم، و یا قطع مودت اهل بیت علیهم

در بعضی از روایات در تفسیر این آیه توسعه داده شده، تا آنجا که شامل هر گونه قطع رحم، و یا قطع مودت اهل بیت علیهم السّلام میشود.

در حدیثی از امام باقر علیه السّ لام میخوانیم هنگامی که از تفسیر این آیه سؤال شد فرمود: «من قتل فی مودّتنا منظور کسانی است که در طریق محبت و دوستی ما کشته میشوند».

البته ظاهر آیه همان است که گفتیم، ولی ملاک و مفهوم آن قابل چنین توسعهای میباشد.

سورة التكوير(81): آية 10 ص: 470

(آیه ۱۰)–آن روز معلوم شود که در چه کاریم همه؟ به دنبال بحثی که در آیات گذشته در مورد مرحله اول رستاخیز آمده بود، در اینجا به مرحله دوم آن یعنی، بروز و ظهور عالم دیگر و حسابرسی اعمال اشاره کرده، میفرماید: «و در آن هنگام که نامههای اعمال گشوده شود» (و اذا الصحف نشرت).

گشوده شدن نامههای اعمال در قیامت هم در برابر چشم صاحبان آنهاست، تا بخوانند و خودشان به حساب خود برسند، همان گونه که در سوره اسراء آیه ۱۴ آمده است و هم در برابر چشم دیگران، که خود تشویقی است برای نیکو کاران و مجازات و رنجی است برای بدکاران.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲۱

سورة التكوير(٨١): آية ١١ ص: ٢٢١

(آیه ۱۱)- سپس می افزاید: «و در آن هنگام که پرده از روی آسمان برگرفته شود» (و اذا السماء کشطت). این پرده هایی که در این دنیا بر جهان ماده و عالم بالا افکنده شده، و مانع از آن است که مردم فرشتگان یا بهشت و دوزخ را که درون این جهان است ببینند کنار می رود، و انسانها حقایق عالم هستی را می بینند.

مطابق آیه ۴۹ سوره توبه جهنم هم امروز موجود است، ولی پردهها و حجابهای عالم دنیا مانع از مشاهده آن است، همان گونه

که مطابق بسیاری از آیات قرآن بهشت نیز هم اکنون آماده برای پرهیز کاران است.

به هر حال آیه فوق ناظر به حوادث مرحله دوم رستاخیز، یعنی مرحله بازگشت انسانها به زندگی و حیات نوین است.

سورة التكوير(٨١): آية ١٢ ص: ٤٢١

(آیه ۱۲)- و لذا در این آیه می افزاید: «و در آن هنگام که دوزخ شعله ور گردد» (و اذا الجحیم سعرت).

سورة التكوير(81): آية 13 ص: 421

(آیه ۱۳) – و در این آیه می فرماید: «و در آن زمان که بهشت (به پرهیز کاران) نزدیک شود» (و اذا الجنهٔ ازلفت).

همین معنی در آیه ۹۰ سوره «شعرا» نیز آمده است با این تفاوت که در اینجا تصریح به نام «متقین» نشده و در آنجا تصریح شده است.

سورة التكوير(81): آية 14 ص: 421

(آیه ۱۴)- و بالاخره در این آیه، که در حقیقت مکمل تمام آیات گذشته و جزایی برای جمله های شرطیه ای است که در دوازده آیه قبل آمده، می فرماید: آری در آن هنگام «هر کس می داند چه چیزی را آماده کرده است»! (علمت نفس ما احضرت).

این تعبیر به خوبی نشان میدهد که همه اعمال انسانها در آنجا حاضر میشود، و علم و آگاهی آدمی نسبت به آنها علمی توأم با شهود و مشاهده خواهد بود.

این حقیقت در آخرین آیات سوره زلزال نیز آمده است آنجا که می فرماید:

«هر کس به اندازه ذرّهای کار نیک کرده باشد آن را می بیند، و هر کس به اندازه ذرّهای کار بد کرده باشد آن را می بیند».

سورة التكوير(٨١): آية ١٥ ص: ٢٢١

(آیه ۱۵)– به دنبال آیات گذشته که سخن از معاد و مقدمات رستاخیز و بخشی از حوادث آن روز بزرگ می گفت، در اینجا به بحث از حقانیت قرآن و صدق برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲۲

گفتار پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله می پردازد، و در حقیقت آنچه را در آیات قبل پیرامون معاد آمده است تأکید می کند و با ذکر قسمهای آگاهی بخش، مطلب را مؤکد میسازد.

نخست مى فرمايد: «سو گند به ستار گانى كه بازمى گردند» (فلا اقسم بالخنس).

سورة التكوير(٨١): آية ١٦ ص: 42٢

(آیه ۱۶)- «حرکت می کنند و از دیده ها پنهان می شوند» (الجوار الکنس).

منظور از این سو گندها - همان گونه که در حدیثی از امیر مؤمنان علی علیه السّ لام در تفسیر این آیات نقل شده - پنج ستاره

سیار منظومه شمسی است که با چشم غیر مسلح دیده می شود (عطارد، زهره، مرّیخ، مشتری، و زحل).

توضیح این که اگر در چند شب متوالی چشم به آسمان بدوزیم به این معنی پی می بریم که ستارگان آسمان دسته جمعی تدریجا طلوع می کنند و با هم غروب می نمایند بی آنکه تغییری در فواصل آنها به وجود آید، گوئی مرواریدهایی هستند که روی یک پارچه سیاه در فواصل معینی دوخته شدهاند، و این پارچه را از یک طرف بالا می آورند و از طرف دیگر پایین می کشند، تنها پنج ستاره است که از این قانون کلی مستثناست، یعنی در لابلای ستارگان دیگر حرکت می کنند. گوئی پنج مروارید ندوخته روی این پارچه آزاد قرار گرفته اند، و در لابلای آنها می غلطند! اینها همان پنج ستاره عضو خانواده منظومه شمسی می باشد، و حرکات آنها به خاطر نزدیکیشان با ماست، و گر نه سایر ستارگان آسمان نیز دارای چنین حرکاتی هستند اما چون از ما بسیار دورند ما نمی توانیم حرکات آنها را احساس کنیم، این از یکسو.

از سوی دیگر: توجه به این نکته لازم است که علمای هیئت این ستارگان را «نجوم متحیّره» نامیدهاند زیرا حرکات آنها روی خط مستقیم نیست، و به نظر میرسد که مدتی سیر میکنند بعد کمی بر میگردند، دو مرتبه به سیر خود ادامه میدهند که در باره علل آن در علم «هیئت» بحثهای فراوانی شده است.

آیات فوق ممکن است اشاره به همین باشد که این ستارگان دارای حرکتند (الجوار) و در سیر خود رجوع و بازگشت دارند (الخنّس) و سر انجام به هنگام طلوع سپیده صبح و آفتاب مخفی و پنهان میشوند، شبیه آهوانی که شبها در بیابانها برای به دست آوردن طعمه می گردند، و به هنگام روز از ترس صیاد و حیوانات برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲۳ وحشی در «کناس» خود مخفی میشوند (الکنس).

به هر حال گویا قرآن مجید میخواهد با این سوگندهای پرمعنی و آمیخته با نوعی ابهام اندیشهها را به حرکت درآورد و متوجه وضع خاص و استثنائی این سیارات در میان خیل عظیم ستارگان آسمان کند، تا بیشتر در آن فکر کنند و به عظمت پدید آورنده این دستگاه عظیم آشناتر شوند.

سورة التكوير(81): آية 17 ص: 423

(آیه ۱۷)– در این آیه، به دومین سوگند پرداخته، میگوید: «و قسم به شب، هنگامی که پشت کند و به آخر رسد» (و اللیل اذا عسعس).

سورة التكوير(81): آية 18 ص: 423

(آیه ۱۸)- و سر انجام به سراغ سومین و آخرین قسم رفته، میفرماید: «و به صبح، هنگامی که تنفس کند»! (و الصبح اذا تنفس).

این تعبیر شبیه تعبیری است که در سوره مدّنّر بعد از سوگند به شب آمده است که میفرماید: «و الصبح اذا اسفر سوگند به صبح هنگامی که نقاب از چهره برگیرد» گوئی ظلمت شب همچون نقاب سیاهی بر صورت صبح افتاده، به هنگام سپیده دم نقاب را کنار میزند و چهره نورانی و پرفروغ خود را که نشانه زندگی و حیات است به جهانیان نشان میدهد.

سورة التكوير(٨١): آية ١٩ ص: ٤٢٣

(آیه ۱۹)- پیک وحی الهی بر او نازل شده! در این آیه به چیزی که تمام این سوگندها به خاطر آن یاد شده پرداخته، می فرماید: «یقینا این (قرآن) کلام فرستاده بزرگواری است [- جبرئیل امین]» که از سوی خداوند برای پیامبرش آورده (انه لقول رسول کریم).

و این پاسخی است به آنها که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را متهم میکردند که قرآن را خود ساخته و پرداخته، و به خدا نسبت داده است.

در این آیه و آیات بعد پنج وصف برای «جبرئیل» پیک وحی خدا بیان شده، که در حقیقت اوصافی است که برای هر فرستاده جامع الشرائط لازم است.

نخست توصیف او به «کریم» بودن که اشاره به ارزش وجودی اوست.

سورة التكوير(٨١): آية ٢٠ ص: 423

(آیه ۲۰) - سپس به اوصاف دیگر پرداخته، می افزاید: «او صاحب قدرت است، و نزد (خداوند) صاحب عرش مقام والائی دارد»! (ذی قوهٔ عند ذی العرش مکین). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲۴

«ذی العرش» اشاره به ذات پاک خداوند است، گر چه او صاحب تمام عالم هستی است ولی از آنجا که عرش-خواه به معنی عالم ماوراء طبیعت باشد، و یا مقام علم مکنون خداوند-اهمیت بیشتری دارد، او را به صاحب عرش بودن توصیف می کند.

سورة التكوير(٨١): آية ٢١ ص: 424

(آیه ۲۱)- و در چهارمین و پنجمین توصیف می گوید: «در آسمانها مورد اطاعت (فرشتگان) و امین است» (مطاع ثم امین). از روایات استفاده می شود که گاه جبرئیل امین برای ابلاغ آیات قرآن از سوی گروه عظیمی از فرشتگان همراهی می شد و مسلما در میان آنها مطاع بود و یک رسول باید در میان همراهانش مطاع باشد.

در حدیثی آمده است به هنگام نزول این آیات پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله به جبرئیل فرمود: «چه خوب خداوند تو را ستوده است که فرموده: صاحب قدرت است، و در نزد خداوند صاحب عرش، قرب و مقام دارد و در آنجا فرمانرواست و امین، نمونهای از قدرت و امانت خود را بیان کن! جبرئیل در پاسخ عرض کرد: اما نمونه قوت من این که مأمور نابودی شهرهای قوم لوط شدم، و آن چهار شهر بود، در هر شهر چهارصد هزار مرد جنگجو وجود داشت، به جز فرزندان آنها، من این شهرها را از بین برداشتم و به آسمان بردم تا آنجا که فرشتگان آسمان صدای حیوانات آنها را شنیدند، سپس به زمین آوردم، و زیر و رو کردم! و اما نمونه امانت من این است که هیچ دستوری به من داده نشده که از آن دستور کمترین تخطی کرده باشم».

سورة التكوير(٨١): آية ٢٢ ص: 424

(آیه ۲۲)- سپس به نفی نسبت ناروائی که به پیامبر صلّی الله علیه و آله میدادند پرداخته، میافزاید: «و صاحب شما [- پیامبر] دیوانه نیست» (و ما صاحبکم بمجنون).

تعبیر به «صاحب» اشاره به این است که او سالیان دراز در میان شما زندگی کرده، و همنشین با افراد شما بوده است، و او را به

عقل و درایت و امانت شناخته اید، چگونه نسبت جنون به او می دهید؟! برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲۵

سورة التكوير(٨١): آية 23 ص: 423

(آیه ۲۳)- بعد برای تأکید ارتباط پیامبر صلّی الله علیه و آله با جبرئیل امین می افزاید: «او (جبرئیل) را در افق روشن دیده است»! (و لقد رآه بالافق المبین).

منظور از «افق مبین» همان «افق اعلی» و افق آشکار کننده فرشتگان است که پیامبر جبرئیل را در آن مشاهده کرد.

سورة التكوير(81): آية 24 ص: 424

(آیه ۲۴)– سپس میافزاید: «و او نسبت به آنچه از طریق وحی دریافت داشته بخل ندارد» (و ما هو علی الغیب بضنین).

همه را بی کم و کاست در اختیار بندگان خدا مینهد، او مانند بسیاری از مردم نیست که وقتی به حقیقت مهمی دست مییابند اصرار در کتمان آن دارند، و غالبا از بیان آن بخل میورزند.

اگر دیگران به خاطر علوم محدودشان چنین صفتی را دارند پیامبر که سر چشمه علمش اقیانوس بیکران علم خداست از این گونه صفات مبراست.

سورة التكوير(81): آية 25 ص: 423

(آیه ۲۵)- و نیز می افزاید: «و این (قرآن) گفته شیطان رجیم نیست» (و ما هو بقول شیطان رجیم).

این آیات قرآنی هرگز مانند سخنان کاهنان که از طریق ارتباط با شیاطین دریافت میداشتند نمی باشد، و نشانه های این حقیقت در آن ظاهر است، چرا که سخنان کاهنان آمیخته با دروغ و اشتباهات فراوان بود، و بر محور امیال و مطامعشان دور میزند، و این هیچ نسبتی با قرآن مجید ندارد.

سورة التكوير(٨١): آية 26 ص: 425

(آیه ۲۶)- ای غافلان به کجا میروید؟! در آیات گذشته این حقیقت روشن شد که قرآن مجید کلام خداست، چرا که محتوایش نشان می دهد که گفتار شیطانی نیست بلکه سخن رحمانی است، که به وسیله پیک وحی خدا با قدرت و امانت کامل بر پیامبری که در نهایت اعتدال عقل است نازل شده.

در اینجا مخالفان را به خاطر عـدم پیروی از این کلام بزرگ مورد توبیخ قرار داده با یک استفهام توبیخی می گویـد: «پس به کجا میروید»؟ (فاین تذهبون). چرا راه راست را رها کرده، به بیراهه گام مینهید؟

سورة التكوير(٨١): آية 27 ص: 420

(آیه ۲۷)- سپس می افزاید: «این (قرآن) چیزی جز تذکّری برای جهانیان برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲۶

نيست» (ان هو الا ذكر للعالمين).

همه را اندرز می دهد، هشدار می دهد، تا از خواب غفلت بیدار شوند.

سورة التكوير(٨١): آية ٢٨ ص: 476

(آیه ۲۸) - و از آنجا که برای هدایت و تربیت تنها «فاعلیت فاعل» کافی نیست بلکه «قابلیت قابل» نیز شرط است، در این آیه میافزاید: قرآن مایه بیداری است «برای کسی از شما که بخواهد راه مستقیم پیش گیرد» (لمن شاء منکم ان یستقیم).

آیه قبل عمومیت فیض هدایت الهی را بیان می کند، و این آیه شرط بهره گیری از این فیض را، و تمام مواهب عالم چنین است که اصل فیض عام است ولی استفاده از آن مشروط به اراده و تصمیم است.

سورة التكوير(11): آية 29 ص: 476

(آیه ۲۹) – اما از آنجا که تعبیر به مشیت و اراده انسان ممکن است این توهّم را ایجاد کنید که انسان چنان آزاد است که هیچ نیازی در پیمودن این راه به خداونید و توفیق الهی نیدارد، در آخرین آیه این سوره به بیان نفوذ مشیت پروردگار پرداخته، میفرمایید: «و شیما اراده نمی کنید مگر این که خداوند – پروردگار جهانیان – اراده کند و بخواهد» (و ما تشاؤن الا ان یشاء الله رب العالمین).

در حقیقت مجموع این دو آیه همان مسأله دقیق و ظریف «امر بین امرین» را بیان می کند، از یکسو می گوید تصمیم گیری به دست شماست، از سوی دیگر می گوید: تا خدا نخواهد شما نمی توانید تصمیم بگیرید، یعنی اگر شما مختار و آزاد آفریده شده اید این اختیار و آزادی نیز از ناحیه خداست، او خواسته است که شما چنین باشید.

انسان در اعمال خود نه مجبور است، و نه صد در صد آزاد، نه طریقه «جبر» صحیح است و نه طریقه «تفویض» بلکه هر چه او دارد، از عقل و هوش و توانائی جسمی و قدرت تصمیم گیری همه از ناحیه خداست. و همین واقعیت است که او را از یکسو دائما نیازمند به خالق میسازد، و از سوی دیگر به مقتضای آزادی و اختیارش به او تعهد و مسؤولیت میدهد.

«پایان سوره تکویر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲۷

سوره انفطار [82] ص: 427

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۱۹ آیه است

محتوای سوره: ص: 427

این سوره ماننـد بسیاری از سوره های دیگر جزء آخر قرآن بر محور مسائـل مربوط به قیـامت دور میزنـد، و روی هم رفته در آیات نوزده گانه آن به پنج موضوع در این رابطه اشاره شده:

- ۱- اشراط السّاعه: یعنی حوادث عظیمی که در پایان جهان و در آستانه قیامت رخ می دهد.
 - ۲- توجه انسان به نعمتهای خداوند که سراسر وجود او را فرا گرفته.
 - ٣- اشاره به فرشتگاني كه مأمور ثبت اعمال انسانها هستند.
 - ۴ سرنوشت نیکان و بدان در قیامت.
 - ۵- گوشهای از سختیهای آن روز بزرگ.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 477

در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: «هر کس این دو سوره: سوره انفطار و سوره انشقاق را تلاوت کند، و آن دو را در نماز فریضه و نافله برابر چشم خود قرار دهد هیچ حجابی او را از خدا محجوب نمی دارد، و چیزی میان او و خداوند حائل نمی شود، پیوسته (با چشم دل) به خدا می نگرد و خدا (با لطفش) به او نگاه می کند، تا از حساب مردم فارغ شود». مسلما نعمت بزرگ حضور در پیشگاه خدا، و از میان رفتن حجابها میان او و پروردگار، برای کسی است که این دو سوره را در عمق جانش جای دهد و خود را براساس آن بسازد، نه این که به لقلقه زبان اکتفا کند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲۸

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الانفطار (82): آية 1 ص: 478

(آیه ۱)- آن زمان که نظام جهان در هم ریزد! باز در آغاز این سوره به قسمتی از حوادث وحشت انگیزی که در آستانه رستاخیز سرتاسر این جهان را فرا می گیرد برخورد می کنیم.

نخست مى فرمايد: «در آن زمان كه آسمان [- كرات آسماني] از هم شكافته شود» (اذا السماء انفطرت).

سورة الانفطار(82): آية 2 ص: 428

(آیه ۲) – «و آن زمان که ستارگان پراکنده شوند و فرو ریزند» (و اذا الکواکب انتثرت).

نظام جهان بالا در هم میریزد، و انفجارهای عظیمی سراسر کرات آسمانی را فرا می گیرد، منظومهها نظام خویش را از دست می دهند، و ستارگان از مدار خود بیرون میروند، و بر اثر تصادم شدید به یکدیگر متلاشی می شوند، عمر این جهان به پایان می رسد، و همه چیز ویران می شود، تا بر ویرانه هایش عالم نوین آخرت برپا گردد.

هدف اعلام این مطلب است جایی که این کرات عظیم آسمانی به چنین سرنوشتی دچار شوند تکلیف انسان ضعیف در این میان معلوم است.

سورة الانفطار(82): آية 3 ص: 428

(آیه ۳)- سپس از آسمان به زمین می آید، می فرماید: «و آن زمان که دریاها به هم پیوسته شود» (و اذا البحار فجرت).

گرچه امروز نیز تمام دریاهای روی زمین (غیر از دریاچهها) به هم ارتباط دارند، ولی به نظر میرسد که در آستانه قیامت بر اثر زلزلههای شدید، یا متلاشی شدن کوهها و ریختن آنها در دریاها چنان دریاها پر می شوند که آب سراسر خشکیها را فرا می گیرد، و دریاها به صورت یک اقیانوس گسترده و فراگیر در می آیند، همان گونه که یکی از تفسیرهای آیه ۶ سوره تکویر «و اذا البحار سجرت» نیز همین است «۱».

(۱) احتمال دیگری در تفسیر این آیه داده شده که در ذیل آیه ۶ سوره تکویر ذکر گردید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲۹

سورة الانفطار (82): آية 4 ص: 429

(آیه ۴)- سپس در باره مرحله دوم رستاخیز و تجدید حیات جهان و تجدید حیات مردگان می فرماید: «و آن زمان که قبرها زیر و رو گردد» (و اذا القبور بعثرت). و مردگان بیرون آیند و برای حساب آماده شوند.

سورة الانفطار (82): آية 5 ص: 429

(آیه ۵)- و بعد از ذکر این نشانه ها که قبل از رستاخیز و بعد از آن صورت می گیرد، سخن نهائی را چنین بیان می کند: در آن زمان «هر کس می داند آنچه را که از پیش فرستاده و آنچه را برای بعد گذاشته است» (علمت نفس ما قدمت و اخرت).

آری! آن روز حجابها کنار میرود، پردههای غرور و غفلت دریده می شود، و حقایق جهان عریان و آشکار می گردد، آنجاست که انسان تمامی اعمال خود را می بیند و از نیک و بد آن آگاه می شود، چه اعمالی را که از قبل فرستاده، و چه کارهائی که آثارش بعد از او در دنیا باقی مانده مانند خیرات و صدقات جاریه، و بناها و آثاری که برای مقاصد رحمانی یا شیطانی ساخته، و از خود به جا نهاده است، و یا کتابها و آثار علمی و غیر علمی که برای مقاصد نیک و بد تحریر یافته، و بعد از او مورد بهره برداری دیگران قرار گرفته است، همچنین سنتهای نیک و بد که اقوامی را به دنبال خود کشانیده.

اینها نمونههائی است از کارهائی که نتایجش بعد از انسان به او میرسد و مصداق «اخّرت» در آیه فوق است.

در حدیثی از امام صادق علیه السّم میخوانیم: «بعد از مرگ انسان، پرونده اعمال او بسته می شود، و اجر و پاداشی به او نمی رسد مگر از سه طریق (و در روایت دیگری این امور شش چیز شمرده شده:) بناها و اشیاء مفیدی که برای استفاده مردم از خود به یادگار گذارده، فرزند صالح، قرآنی که آن را تلاوت می کند، چاهی که حفر کرده، درختی که غرس نموده، تهیه آب، و سنّت حسنه ای که بعد از او باقی می ماند و مورد توجه قرار می گیرد.»

سورة الانفطار(82): آية 6 ص: 429

(آیه ۶)- ای انسان! چه چیز تو را مغرور ساخته؟ در تعقیب آیات گذشته که پیرامون معاد سخن می گفت، در اینجا برای بیدار کردن انسان از خواب غفلت، و توجه او به مسؤولیتهایش در برابر خداوند، نخست او را مخاطب ساخته، و با یک برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۳۰

استفهام تـوبیخی شدیـد و در عین حـال تو أم بـا نوعی لطف و محبت میفرمایـد: «ای انسـان! چه چیز تو را در برابر پروردگـار

كريمت مغرور ساخته»؟ (يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم).

به مقتضای ربوبیتش پیوسته او را در کنف حمایت خود قرار داده، و تربیت و تکامل را بر عهده گرفته، و به مقتضای کرمش او را بر سر خوان نعمت خود نشانده، و از تمام مواهب مادی و معنوی برخوردار ساخته است.

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله آمده است که هنگام تلاوت این آیه فرمود: «غرّه جهله جهل و نادانیش او را مغرور و غافل ساخته است»! و از اینجا روشن میشود هدف این است که با تکیه بر مسأله ربوبیت و کرم خداونـد غرور و غفلت و جهل انسان را در هم بشکند.

سورة الانفطار(82): آية ٧ ص: 430

(آیه ۷)- سپس برای بیدار ساختن این انسان غافل به گوشهای از کرم و الطافش به او در چهار مرحله اشاره کرده، میفرماید: «همان خدائی که تو را آفرید، و سامان داد و منظم ساخت» (الذی خلقک فسواک فعدلک).

سورة الانفطار(82): آية 8 ص: 430

(آیه Λ) – «و در هر صورتی که میخواست تو را ترکیب نمود» (فی ای صورهٔ ما شاء رکبک).

در این آیات و بسیاری دیگر از آیات قرآن خداوند این انسان فراموشکار و مغرور را وادار به عرفان خویشتن می کند از آغاز آفرینش در رحم مادر، تا لحظه تولد، و از آنگاه تا نمو و رشد کامل، وجود خویش را مورد بررسی دقیق قرار دهد، و ببیند در هر گام، و در هر لحظه، نعمت تازهای از سوی آن منعم بزرگ به سراغش آمده، تا خود را سراپا غرق احسان او بیند و از مرکب غرور و غفلت پایین آید و طوق بندگی حق را بر گردن نهد.

سورة الانفطار (82): آية 9 ص: 430

(آیه ۹)- سپس به منشأ غرور و غفلت آنها اشاره کرده، میفرماید: «آن گونه که شما میپندارید نیست بلکه شما روز جزا را منکرید» (کلا بل تکذبون بالدین).

نه مسأله كرم خداونـد مایه غرور شماست، و نه لطف و نعمتهای او، بلكه ریشه اصلی را در عـدم ایمان به روز رستاخیز باید بیابید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۳۱

سورة الانفطار (82): آية 10 ص: 431

(آیه ۱۰)- سپس برای از میان بردن عوامل غرور و غفلت و تقویت ایمان به معاد میافزاید: «و بی شک نگاهبانانی بر شما گمارده شده ...» (و ان علیکم لحافظین).

سورة الانفطار (82): آية 11 ص: 431

(آیه ۱۱)- نگاهبانانی که در نزد پروردگار «والا مقام و نویسنده» اعمال نیک و بد شما هستند (کراما کاتبین).

سورة الانفطار (82): آية 12 ص: 431

(آیه ۱۲)- «که میدانند شما چه میکنید» (یعلمون ما تفعلون). حتی از اراده و تصمیم باطنی شما به هنگام گناه یا کار نیک با خبرند.

منظور از «حافظین» در اینجا فرشتگانی هستند که مأمور حفظ و نگهداری اعمال انسانها اعم از نیک و بد هستند که در آیه ۱۷ سوره ق از آنها تعبیر به «رقیب و عتید» شده است: «انسان هیچ سخنی را تلفظ نمی کند مگر این که نزد او فرشتهای است مراقب و آماده برای انجام مأموریت».

و در همان سوره ق آیه ۱۶ میفرماید: «به خاطر بیاورید هنگامی را که دو فرشته از راست و چپ که ملازم شما هستند اعمال شما را تلقی و ثبت میکنند».

سورة الانفطار (82): آية 13 ص: 431

(آیه ۱۳)- به دنبال بحثی که در آیات گذشته پیرامون ثبت و ضبط اعمال انسانها به وسیله فرشتگان آمد، در اینجا به نتیجه این حسابرسی، و مسیر نهائی نیکان و بدان اشاره کرده، می فرماید: «به یقین نیکان در نعمتی فراوانند» (ان الابرار لفی نعیم).

سورة الانفطار (82): آية 14 ص: 431

(آیه ۱۴)- «و بدکاران در دوزخند»! (و ان الفجار لفی جحیم).

این که می فرماید: «نیکو کاران در بهشت، و بدکاران در دوزخند» ممکن است به این معنی باشد که آنها هم اکنون نیز در بهشت و دوزخ وارد شدهاند، و در همین دنیا نیز نعمتهای بهشتی و عذابهای دوزخی آنها را فرا گرفته، همان گونه که در آیه ۵۴ سوره عنکبوت می خوانیم: «دوزخ کافران را احاطه کرده است».

و نیز جمعی گفتهاند که این گونه تعبیرها اشاره به آینده حتمی است- ولی معنی اول با ظاهر آیه سازگارتر است.

سورة الانفطار (82): آية 15 ص: 431

(آیه ۱۵) - در این آیه توضیح بیشتری در باره سرنوشت فاجران داده، می افزاید: «روز جزا وارد آن می شوند و می سوزند» (یصلونها یوم الدین).

هرگاه معنی آیه گذشته چنین باشد که آنها هم اکنون داخل دوزخند این آیه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۳۲ نشان میدهد که در روز قیامت ورود بیشتر و عمیقتری در این آتش سوزان مییابند و اثر آتش را به خوبی احساس میکنند.

سورة الانفطار (82): آية 16 ص: 422

(آیه ۱۶)- و باز برای تأکید بیشتر می فرماید: «و آنان هرگز از آن غایب و دور نیستند» (و ما هم عنها بغائبین).

بسیاری از مفسران این جمله را دلیلی بر خلود و جاودانگی عذاب «فجار» گرفته اند، و چنین نتیجه گیری کرده اند که منظور از «فجیار» در این آیات کفّارند. چرا که «خلود» و جاودانگی جز در مورد آنها وجود ندارد بنابر این فجیار کسانی هستند که پرده های تقوا و عفاف را به خاطر عدم ایمان و تکذیب روز جزا دریده اند. نه به خاطر غلبه هوای نفس در عین داشتن ایمان. ضمنا آیه فوق این حقیقت را نیز بازگو می کند که عذاب دوزخیان هیچ گونه فترتی ندارد، و حتی برای ساعت و یا لحظه ای از آن دور نمی شوند.

سورة الانفطار(82): آية 17 ص: 422

(آیه ۱۷)- بعد برای بـازگو کردن اهمیت آن روز بزرگ میافزایـد: «تـو چه میدانی روز جزا چیست»؟ (و مـا ادراک مـا یـوم الدین).

سورة الانفطار (82): آية 18 ص: 422

(آیه ۱۸)- «باز چه می دانی روز جزا چیست»؟ (ثم ما ادراک ما یوم الدین).

جائی که پیامبر صلّی اللّه علیه و آله با آن آگاهی وسیع از قیامت و علم فوق العاده او نسبت به مبـدأ و معاد، حوادث آن روز بزرگ و اضطراب و وحشت عظیمی را که بر آن حاکم است به خوبی نداند تکلیف بقیه روشن است.

سورة الانفطار (82): آية 19 ص: 422

(آیه ۱۹) - سپس در یک جمله کوتاه و پر معنی یکی دیگر از ویژگیهای آن روز را که در حقیقت همه چیز در آن نهفته است مطرح کرده، می فرماید: «روزی است که هیچ کس قادر بر انجام کاری به سود دیگری نیست، و همه امور در آن روز از آن خداست» (یوم لا تملک نفس لنفس شیئا و الامر یومئذ لله). البته در این جهان نیز همه کارها به دست قدرت اوست، و همگان به او نیازمندند، ولی در آن روز این مالکیت و حاکمیت صوری و مجازی انسانها نیز برچیده می شود و حاکمیت مطلقه خداوند و مالکیت او بر هر چیز از هر زمان آشکار تر است.

«پایان سوره انفطار»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۳۳

سوره مطفّفين [83] ص: 433

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۳۶ آیه است

محتوای سوره: ص : 433

بحثهای این سوره بر پنج محور دور میزند:

۱- هشدار و تهدید شدیدی نسبت به کم فروشان.

۲- اشاره به این مطلب که گناهان از عدم ایمان راسخ به رستاخیز سر چشمه می گیرد.

۳- بخشی از سرنوشت «فجّار» در آن روز بزرگ.

۴- قسمتی از مواهب عظیم و نعمتهای روح پرور نیکو کاران در بهشت.

۵- اشارهای به استهزای جاهلانه کافران نسبت به مؤمنان و معکوس شدن این کار در قیامت.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 423

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «هر کس سوره مطففین را بخواند خدا او را از شراب طهور زلال و خالص که دست احدی به آن نرسیده در آن روز سیراب می کند».

و در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام آمده است: «هر کس در نمازهای فریضه خود سوره مطففین را بخواند خداوند امنیت از عذاب دوزخ را در قیامت به او عطا می کند، نه آتش دوزخ او را می بیند و نه او آتش دوزخ را» پیداست این همه ثواب و فضیلت و برکت برای کسی است که خواندن آن را مقدمهای برای عمل قرار دهد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۳۴

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

شأن نزول: ص: 434

«ابن عباس» می گوید: هنگامی که پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله وارد مدینه شد بسیاری از مردم سخت آلوده کم فروشی بودند، خداوند این آیات را نازل کرد و آنها پذیرفتند و بعد از آن کم فروشی را ترک کردند.

در حدیث دیگری آمده است که: بسیاری از اهل مدینه تاجر بودند و در کار خود کم فروشی می کردند، و بسیاری از معاملات آنها معاملات حرام بود، این آیات نازل شد و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله آنها را برای اهل مدینه تلاوت فرمود سپس افزود: «پنج چیز در برابر پنج چیز است»! عرض کردند: ای رسول خدا! کدام پنج در مقابل کدام پنج است؟

فرمود: «هیچ قومی عهدشکنی نکردند مگر این که خداوند دشمنانشان را بر آنها مسلّط ساخت.

و هیچ جمعیتی به غیر حکم الهی حکم نکردند مگر این که فقر در میان آنها زیاد شد.

و در میان هیچ ملّتی فحشا ظاهر نشد مگر این که مرگ و میر در میان آنها فراوان گشت! هیچ گروهی کم فروشی نکردند مگر این که زراعت آنها از بین رفت و قحطی آنها را فرو گرفت! و هیچ قومی زکات را منع نکردنـد مگر این که باران از آنها قطع شد»!

سورة المطففين(83): آية 1 ص: 434

(آیه ۱)- وای بر کم فروشان! در آغاز سوره قبل از هر چیز کم فروشان را مورد تهدید شدیدی قرار داده، میفرماید: «وای بر کم فروشان»! (ویل للمطففین).

این در حقیقت اعلان جنگی است از ناحیه خداوند به این افراد ظالم و ستمگر و کثیف که حق مردم را به طرز ناجوانمردانهای پایمال می کنند.

قابل توجه این که در روایتی از امام صادق علیه السّلام آمده که خداوند «ویل» را برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۳۵ در باره هیچ کس در قرآن قرار نـداده مگر این که او را کافر نام نهاده همان گونه که در آیه ۳۷ سوره مریم، میفرماید: «وای بر کافران از مشاهده روز بزرگئ».

از این روایت استفاده می شود که کم فروشی بوی کفر می دهد!

سورة المطففين(83): آية 2 ص: 435

(آیه ۲)– سپس به شرح کار مطففین و کم فروشان پرداخته، میفرماید:

«آنان که وقتی برای خود پیمانه میکنند حق خود را بطور کامل میگیرند» (الذین اذا اکتالوا علی الناس یستوفون).

سورة المطففين(83): آية 3 ص: 433

(آیه ۳)- «اما هنگامی که میخواهند برای دیگران پیمانه یا وزن کنند کم می گذارند»! (و اذا کالوهم او وزنوهم یخسرون). البته بعید نیست با استفاده از الغای خصوصیت «کم فروشی» کم گذاردن در خدمات را نیز فراگیرد، فی المثل کارگر و کارمندی چیزی از وقت خود بدزدد در ردیف «مطففین» و کم فروشانی است که آیات این سوره سخت آنها را نکوهش کرده است. حتی بی تناسب نیست اگر هر گونه تجاوز از حدود الهی و کم و کسر گذاشتن در روابط اجتماعی و اخلاقی را مشمول آن بدانیم.

سورة المطففين(83): آية 4 ص: 433

(آیه ۴)- سپس آنها را با این جمله استفهام توبیخی، مورد تهدید قرار میدهد:

«آيا آنها گمان نمي كنند كه برانگيخته مي شوند»؟! (ا لا يظن اولئك انهم مبعوثون).

سورة المطففين(83): آية 5 ص: 433

(آیه ۵)- «در روزی بزرگ» (لیوم عظیم). روزی که عذاب و حساب و خبر او و هول و وحشتش همه عظیم است.

سورة المطففين(83): آية 6 ص: 433

(آیه ۶)– «روزی که مردم در پیشگاه پروردگار جهانیان میایستند» (یوم یقوم الناس لرب العالمین).

یعنی اگر آنها قیامت را باور میداشتند و میدانستند حساب و کتابی در کار است، و تمام اعمالشان برای محاکمه در آن دادگاه بزرگ ثبت میشود، هرگز چنین ظلم و ستم نمی کردند، و حقوق افراد را پایمال نمیساختند.

در حـدیثی از امـام باقر علیه السّـ لام نقل شـده است: «هنگامی که امیر مؤمنان علی علیه السّـ لام در کوفه بود همه روز صـبح در

بازارهای کوفه می آمـد و بـازار بـه بـازار می گشت و تازیـانهای (برای مجـازات متخلفـان) بر دوش داشت در وسـط هر بـازار میایستاد برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۳۶

و صدا میزد: «ای گروه تجّار! از خدا بترسید»! هنگامی که بانگ علی را میشنیدند هر چه در دست داشتند بر زمین گذاشته و با تمام دل به سخنانش گوش فرا میدادند، سپس میفرمود:

«از خداوند خیر بخواهید، و با آسان گرفتن کار بر مردم برکت بجوئید، و به خریداران نزدیک شوید، حلم را زینت خود قرار دهید، از سوگند بپرهیزید، از دروغ اجتناب کنید، از ظلم خودداری نمایید، و حق مظلومان را بگیرید، به ربا نزدیک نشوید، پیمانه و وزن را بطور کامل وفا کنید، و از اشیاء مردم کم نگذارید، و در زمین فساد نکنید»! و به این ترتیب در بازارهای کوفه گردش می کرد، سپس به دار الاماره باز می گشت و برای دادخواهی مردم مینشست.

سورة المطففين(83): آية 7 ص: 438

(آیه ۷)- تو نمی دانی «سجّین» چیست؟ در تعقیب بحثی که در آیات گذشته در باره کم فروشان، و رابطه گناه با عدم ایمان راسخ به روز رستاخیز آمده بود، در اینجا به گوشهای از سرنوشت بدکاران و فاجران در آن روز اشاره کرده، می فرماید: «چنین نیست که آنها (در باره قیامت) می پندارند به یقین نامه اعمال بدکاران در سجّین است» (کلا ان کتاب الفجار لفی سجین).

سورة المطففين(83): آية 8 ص: 438

(آیه ۸)- «تو چه می دانی سجّین چیست»؟ (و ما ادراک ما سجین).

سورة المطففين(83): آية 9 ص: 438

(آیه ۹)- «نامهای است رقم زده شده و سرنوشتی است حتمی» (کتاب مرقوم).

در تفسير اين آيات عمدتا دو نظريه وجود دارد:

۱- منظور از «کتاب» همان نامه اعمال انسانهاست که هیچ کار کوچک و بزرگ و صغیره و کبیرهای نیست مگر این که آن را احصا کرده، و همه چیز بی کم و کاست در آن ثبت است.

و منظور از «سبخین» کتاب جامعی است که نامه اعمال همه بـدکاران بطور مجموعی در آن گردآوری شـده است. و به تعبیر ساده مانند دفتر کلی است که حساب هر یک از بستانکاران و بدهکاران را در صفحه مستقلی در آن ثبت می کنند.

و تعبیر از آن به عنوان «سجین» شاید به خاطر این باشد که محتویات این برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۳۷

دیوان سبب زندانی شدن آنها در جهنّم است، یا خود این دیوان در قعر جهنّم جای دارد، به عکس کتاب ابرار و نیکان که در «اعلی علیین» بهشت است.

۲- تفسیر دوم این است که «سجین» به همان معنی مشهور و معروف یعنی «دوزخ» است که زندان عظیمی است برای همه بد کاران، و یا محل سختی از دوزخ میباشد، و منظور از «کتاب فجار» همان سرنوشتی است که برای آنها رقم زده شده.
 بنابر این، معنی آیه چنین است: «سرنوشت مقرّر و مسلم بد کاران در جهنم است».

جمع میان این دو تفسیر نیز مانعی ندارد، چرا که ستجین در تفسیر اول به معنی دیوان کل اعمال بدکاران است، و در تفسیر دوم

به معنی دوزخ یا قعر زمین و معلوم است که اینها علت و معلول یکدیگرند، یعنی هنگامی که نامه عمل انسان در دیوان کل اعمال بدکاران قرار گرفت همان سبب می شود که او را به پست ترین مقام و قعر دوزخ بکشاند.

سورة المطففين(83): آية 10 ص: 437

(آیه ۱۰) - در این آیه، با یک جمله تکان دهنده به عاقبت شوم منکران معاد اشاره کرده، می فرماید: «وای در آن روز بر تکذیب کنندگان» (ویل یومئذ للمکذبین).

تكذيبي كه سر چشمه انواع گناهان و از جمله كم فروشي و ظلم است.

سورة المطففين(83): آية 11 ص: 437

(آیه ۱۱)– در آیه قبل اشاره کوتاهی به سرنوشت شوم مکذبان شده بود، در اینجا به معرفی آنان پرداخته، می گوید: «همانها که روز جزا را انکار می کنند» (الذین یکذبون بیوم الدین).

سورة المطففين(83): آية 12 ص: 437

(آیه ۱۲)- و بعد می افزاید: «تنها کسانی آن را تکذیب می کنند که متجاوز و گنهکارند» (و ما یکذب به الا کل معتد اثیم). یعنی ریشه انکار قیامت، منطق و استدلال نیست، بلکه افرادی که می خواهند پیوسته به تجاوزها ادامه دهند و در گناه غوطهور باشند منکر قیامت می شوند.

سورة المطففين(83): آية 13 ص: 437

(آیه ۱۳) - در این آیه به سومین وصف منکران قیامت اشاره کرده، می افزاید:

« (همان كس كه) وقتى آيات ما بر او خوانده مى شود مى گويد: اين افسانه هاى پيشينيان است» (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين).

آنها علاوه بر این که تجاوزگر (معتد) و گنهکار (اثیم) هستند آیات الهی را نیز برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۳۸ به باد سخریه و استهزا گرفته، آن را مجموعهای از اسطورهها و افسانههای موهوم و سخنان بی ارزش، نظیر آنچه از دورانهای نخستین (دوران نادانی بشر) به یادگار مانده است معرفی می کنند و به این بهانه می خواهند خود را از مسؤولیت در برابر این آیات برکنار دارند.

در آیات دیگری از قرآن مجید نیز میخوانیم که مجرمان جسور برای فرار از اجابت دعوت الهی به همین بهانه متوسل می شدند.

سورة المطففين(83): آية 14 ص: 438

(آیه ۱۴)- گناهان زنگار دلهاست! قرآن در این آیه بار دیگر به ریشه اصلی طغیان و سرکشی آنها اشاره کرده، می افزاید:

«چنین نیست که آنها می پندارند، بلکه اعمالشان چون زنگاری بر دلهاشان نشسته» و از درک حقیقت وامانده اند (کلا بل ران علی قلوبهم ما کانوا یکسبون). چرا که نور و صفای نخستین را که به حکم فطرت خداداد در آن بوده گرفته، به همین دلیل پر تو انوار وحی در آن منعکس نمی گردد! در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «هنگامی که بنده گناه کند، نکته سیاهی در قلب او پیدا می شود، اگر توبه کند، و از گناه دست بردارد و استغفار نماید قلب او صیقل می یابد، و اگر باز هم به گناه بر گردد سیاهی افزون می شود، تا تمام قلبش را فرا می گیرد، این همان زنگاری است که در آیه «کلا بل ران علی قلوبهم ما کانوا یکسبون» به آن اشاره شده».

سورة المطففين(83): آية 15 ص: 438

(آیه ۱۵) - در این آیه می افزاید: «چنین نیست که می پندارند، بلکه آنها در آن روز از پروردگارشان محجوبند» (کلا انهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون).

و این دردناکترین مجازات آنهاست، همان گونه که لقای معنوی پروردگار، و حضور در بارگاه قرب او برای ابرار و نیکان بالاترین موهبت و لذتبخش ترین نعمت است.

سورة المطففين(83): آية 16 ص: 438

(آیه ۱۶)- «سپس آنها به یقین وارد دوزخ می شوند» و ملازم آن هستند (ثم انهم لصالوا الجحیم).

این ورود در آتش نتیجه محجوب بودن از پروردگار است، و اثری است که از آن جـدا نیست، و بطور مسـلم آتش محرومیت از دیدار حق، از آتش دوزخ هم برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۳۹

سوزانتر است!

سورة المطففين(83): آية 17 ص: 439

(آیه ۱۷)- و در این آیه می فرماید: «سپس به آنها گفته می شود: این همان چیزی است که آن را تکذیب می کردید»! (ثم یقال هذا الذی کنتم به تکذبون).

این سخن به عنوان توبیخ و ملامت و سرزنش به آنها گفته میشود و عذابی است روحانی و شکنجهای است معنوی برای این گروه خیره سر و لجوج.

سورة المطففين(83): آية 18 ص: 439

(آیه ۱۸)- «علّیین» در انتظار ابرار است! به دنبال توصیفی که در آیات گذشته در باره «فجّار» و نامه اعمال و سرنوشت آنها آمده، در اینجا، سخنی از گروه مقابل آنان، یعنی ابرار و نیکان است که ملاحظه افتخارات و امتیازات آنها در برابر فاجران، موقعیت هر دو را روشنتر میسازد.

نخست می فرماید: «چنان نیست که آنها (در باره معاد) می پندارند، بلکه نامه اعمال ابرار و نیکان در علّین است» (کلا ان

كتاب الابرار لفي عليين).

«ابرار» کسانی هستند که روحی وسیع و همتی بلند و اعتقاد و عملی نیک دارند.

شبیه همان دو تفسیر که در آیات سابق در باره «ستجین» داشتیم در باره «علّیین» نیز صادق است.

نخست این که: منظور از «کتاب الابرار» نامه اعمال نیکان و پاکان و مؤمنان است، و هدف بیان این نکته است که نامه اعمال آنها در یک دیوانی که بسیار بلند مرتبه و والا مقام است.
است.

يا اين كه نامه اعمال آنها بر فراز آنها در شريفترين مكان، يا بر فراز بهشت در بلندترين مقام جاى دارد، و همه اينها نشان مىدهد كه مقام خود آنها فوق العاده بلند و والاست.

تفسیر دیگر این که «کتاب» در اینجا به معنی سرنوشت و حکم قطعی الهی است که مقرر داشته نیکان در اعلی درجات بهشت باشند.

و البته جمع میان این دو تفسیر نیز ممکن است که هم نامه اعمال آنها در یک دیوان کل قرار دارد، و هم مجموعه آن دیوان بر فراز آسمانهاست و هم فرمان الهی بر آن قرار گرفته که خودشان در بالاترین درجات بهشت باشند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۴۰

سورة المطففين(83): آية 19 ص: 440

(آیه ۱۹)- سپس برای بیان اهمیت و عظمت «علّین» میافزاید: «و تو چه میدانی علّین چیست» (و ما ادراک ما علیون). اشاره به این که مقام و مکانی است برتر از «خیال و قیاس و گمان و وهم» که هیچ کس حتی پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله نیز نمی تواند ابعاد عظمت آن را دریابد.

سورة المطففين(83): آية 20 ص: 440

(آیه ۲۰)- سپس خود قرآن به توضیح بیشتر پرداخته، میافزاید: علّیین «نامهای است رقم خورده و سرنوشتی است قطعی» (کتاب مرقوم).

این بنابر تفسیری است که «علیین» را به معنی دیوان کل نامه اعمال ابرار معرفی می کند، و اما بنابر تفسیر دیگر معنی آیه چنین است: «این سرنوشت حتمی است که خداوند در باره آنها رقم زده که جایگاهشان برترین درجات بهشت باشد».

سورة المطففين(83): آية 21 ص: 440

(آیه ۲۱)- سپس می افزاید: این کتاب کتابی است که «مقرّبان شاهد آنند»! یا بر آن گواهی می دهند (یشهده المقربون). «مقربون» گروهی از خاصان و برگزیدگان مؤمنانند که مقامی بس والا دارند، و شاهد و ناظر نامه اعمال ابرار و نیکان دیگرند. البته همه مقربان از ابرارند ولی همه ابرار در سلک مقربان نیستند.

سورة المطففين(83): آية 22 ص: 444

(آیه ۲۲)- سپس به شرح بخشی از پاداشهای عظیم ابرار و نیکان پرداخته، میفرماید: «مسلما نیکان در انواع نعمتاند» (ان الابرار لفی نعیم).

سورة المطففين(83): آية 23 ص: 440

(آیه ۲۳)- بعد به شرح بعضی از آنها پرداخته، میفرماید: «بر تختهای زیبای بهشتی تکیه کرده، و (به زیباییهای بهشت) مینگرند»! (علی الارائک ینظرون).

سورة المطففين(83): آية 24 ص: 440

(آیه ۲۴)- سپس می افزاید: هر گاه به آنها بنگری «در چهره هایشان طراوت و نشاط نعمت را می بینی و می شناسی» (تعرف فی وجوههم نضرهٔ النعیم).

اشاره به این که نشاط و سرور و شادی در چهرههایشان موج میزند.

سورة المطففين(83): آية 25 ص: 440

(آیه ۲۵)- بعد از نعمت تخت و نگاه و آرامش و نشاط اشاره به نعمتی دیگر یعنی شراب بهشتیان کرده، می افزاید: «آنها از شراب (طهور) زلال دست نخورده سر بسته ای سیراب می شوند» (یسقون من رحیق مختوم).

شراب طهوری که مانند شراب آلوده و شیطانی دنیا معصیتزا و جنون آفرین برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۴۱ نیست، بلکه هوش و عقل و نشاط و عشق و صفا می آفریند.

سورة المطففين(83): آية 25 ص: 441

(آیه ۲۶)- سپس می فرماید: «مهری که بر آن نهاده شده از مشک است» (ختامه مسک).

نه همچون ظرفهای در بسته دنیا که مهر آن را با «گل» مینهند، و هنگامی که انسان میخواهد شیء سر بسته را با شکستن مهرش باز کند، دستش آلوده می شود، شراب طهور بهشتی چنین نیست، هنگامی که دست بر مهرش مینهند، بوی عطر مشک در فضا پراکنده می شود! و در پایان آیه بعد از ذکر اوصاف شراب طهور بهشتی، می فرماید: «و در این (نعمتهای بهشتی) راغبان باید بر یکدیگر پیشی گیرند» (و فی ذلک فلیتنافس المتنافسون).

«تنافس» به معنی تمنی و تلاش دو انسان است که هر کدام میخواهد شیء نفیسی که برای دیگری است در اختیار او نیز باشد. در حقیقت مضمون آیه شبیه چیزی است که در آیه ۲۱ سوره حدید آمده است: «پیشی بگیرید بر یکدیگر برای رسیدن به مغفرت پروردگارتان، و بهشتی که پهنه آن مانند پهنه آسمان و زمین است»!

سورة المطففين(83): آية 27 ص: 441

(آیه ۲۷)- و بعد به آخرین نعمتی که در این سلسله آیات آمده اشاره کرده، میفرماید: «این شراب (طهور) آمیخته با تسنیم

است» (و مزاجه من تسنيم).

سورة المطففين(83): آية 28 ص: 441

(آیه ۲۸)- «همان چشمه ای که مقرّبان از آن مینوشند» (عینا یشرب بها المقربون).

از این آیات استفاده می شود که «تسنیم» بر ترین شراب طهور بهشتی است که مقربان آن را بطور خالص می نوشند، و از آسمان بهشتی یا طبقات بالای آن فرو می ریزد. ولی برای ابرار مقداری از آن را با رحیق مختوم که نوع دیگری از شراب طهور بهشتی است می آمیزند! در روایات متعددی این شراب بهشتی پاداش کسانی ذکر شده که از شراب آلوده دنیا چشم بپوشند، و تشنه کامان را سیراب کنند، و آتش اندوه را در دل مؤمنان برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۴۲

خاموش سازند. و کسانی که در روز گرم تابستان روزه بگیرند.

از جمله پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله به علی علیه السّیلام فرمود: «ای علی! کسی که خمر و شراب را به خاطر خدا ترک گوید خداوند او را از شراب زلال در بسته مهر شده بهشتی سیراب می کند».

سورة المطففين(83): آية 29 ص: 442

اشاره

(آیه ۲۹)

شأن نزول: ص: 442

مفسران برای این آیه و هفت آیه بعد از آن دو شأن نزول نقل کردهاند نخست این که: روزی علی علیه السّ لام و جمعی از مؤمنان از کنار جمعی از کفار «مکّه» گذشتند، آنها به علی علیه السّ لام و مؤمنان خندیدند و استهزا کردند، آیات مورد بحث نازل شد و سرنوشت این گروه کافر استهزا کننده را در قیامت روشن ساخت.

دیگر این که آیات مورد بحث در باره افرادی همچون عمار، صهیب، خباب، بلال، و سایر فقرای مؤمنین که مورد استهزای مشرکان قریش همچون ابو جهل، و ولید بن مغیره، و عاص بن وائل، واقع می شدند نازل شده.

جمع میان این دو شأن نزول نیز کاملا ممکن است.

تفسیر: ص: ۴۴۲

آن روز آنها مؤمنان را مسخره می کردند، اما امروز ...! در تعقیب آیات گذشته که سخن از نعمتها و پاداشهای عظیم ابرار و نیکان می گفت، در اینجا به گوشهای از مصائب و زحمات آنها که در این جهان به خاطر ایمان و تقوا با آن رو به رو می شوند اشاره می کند، تا روشن شود که آن پاداشهای بزرگ بی حساب نیست.

نخست می فرماید: «بد کاران (در دنیا) پیوسته به مؤمنان می خندیدند» (ان الذین اجرموا کانوا من الذین آمنوا یضحکون). خندهای تمسخر آمیز و تحقیر کننده، خندهای که از روح طغیان و کبر و غرور و غفلت ناشی می شود، و همیشه افراد سبک سر و مغرور در برابر مؤمنان باتقوا چنین خنده های مستانه داشته اند.

سورة المطففين(83): آية 30 ص: 447

(آیه ۳۰)– در این آیه دومین برخورد زشت آنها را بیان کرده، میفرماید:

«و هنگامی که از کنارشان می گذشتند آنها را با اشاره تمسخر می کردند» (و اذا مروا بهم یتغامزون)

.و با این علامات و اشارات می گویند: این بیسر و پاها را ببینید که مقربان در گاه بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۴۳ خدا شدهاند. این آستین پارهها و پا برهنهها را تماشا کنید که مدعی نزول وحی الهی بر خودشان هستند! و این گروه نادان را بنگرید که می گویند استخوان پوسیده و خاک شده بار دیگر به حیات و زندگی بر می گردد و امثال این سخنان زشت و بی محتوا.

سورة المطففين(83): آية 31 ص : 443

(آیه ۳۱)- اینها همه در برخوردشان با مؤمنان بود، در جلسات خصوصی نیز همین برنامه را بازگو کرده، و سخریهها را غیابا ادامه میدادند، همان گونه که آیه مورد بحث می گوید: «و هنگامی که به سوی خانواده خود باز می گشتند مسرور و خندان بودند» و از آنچه انجام داده بودند خوشحالی می کردند (و اذا انقلبوا الی اهلهم انقلبوا فکهین).

گوئی فتح و پیروزی نصیب آنها شده که به آن مباهات می کنند، و باز هم در غیاب، همان سخریهها، و همان استهزاءها ادامه دارد.

سورة المطففين(83): آية 22 ص: 443

(آیه ۳۲)- چهارمین عکس العمل شرارت آمیز آنها در برابر مؤمنان این بود که: «وقتی آنان را می دیدند می گفتند: اینها گمراهانند» (و اذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون).

چرا که راه و رسم بت پرستی و خرافاتی را که در میان آنها رائج بود و هدایتش میپنداشتند رها کرده، و به سوی ایمان به خدا و توحید خالص بازگشته و به گمان آنها لذت نقد دنیا را به نعمتهای نسیه آخرت فروخته بودند.

سورة المطففين(83): آية 33 ص: 443

(آیه ۳۳) – و از آنجا که مؤمنان غالبا از افرادی بودند که موقعیت اجتماعی و ثروت قابل توجهی در اختیار نداشتند – و به همین دلیل کفار به آنها با چشم حقارت می نگریستند، و ایمانشان را بی ارزش شمرده، و آئینشان را به باد مسخره می گرفتند – قرآن می گوید: «در حالی که هرگز مأمور مراقبت و متکفل آنان [– مؤمنان] نبودند» (و ما ارسلوا علیهم حافظین).

این در حقیقت جوابی است به این افراد خود خواه و پر ادعا که به شما چه مربوط که مؤمنان از کـدام گروهنـد؟ شـما در متن

دعوت و محتوای آئین پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله بنگرید.

سورة المطففين(83): آية 34 ص: 443

(آیه ۳۴) - ولی در قیامت مسأله بر عکس می شود، چنانکه در این آیه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۴۴ می فرماید: «ولی امروز مؤمنان به کفّار می خندند»! (فالیوم الذین آمنوا من الکفار یضحکون).

چرا که قیامت بازتابی است از اعمال انسان در دنیا، و در آنجا باید عدالت الهی اجرا شود، و عدالت ایجاب می کند که در آنجا مؤمنان پاکدل به کفار لجوج و معاند و استهزاگر بخندند، و این خود نوعی عذاب دردناک برای این مغروران مستکبر است! در بعضی از روایات از رسول خدا صلّی الله علیه و آله آمده است که: «در آن روز دری از بهشت به روی کفار گشوده می شود، و آنها به گمان این که فرمان آزادی از دوزخ و ورود در بهشت داده شده است به سوی آن حرکت می کنند، هنگامی که به آن رسیدند ناگهان در بسته می شود، و این کار چند بار تکرار می شود و مؤمنان که از بهشت نظاره گر آنانند می خندند»!

سورة المطففين(83): آية 35 ص: 444

(آیه ۳۵) – لذا در این آیه میافزاید: «در حالی که بر تختهای آراسته بهشتی نشسته و (به سرنوشت شوم آنها) مینگرند» (علی الارائک ینظرون).

به چه چیز نگاه میکنند! به آن همه نعمتهای بیپایان الهی، به آن مواهب عظیم و به آن عـذابهای دردناکی که کفار مغرور و خودخواه در نهایت ذلت و زبونی به آن گرفتارند.

سورة المطففين(83): آية 36 ص: 444

(آیه ۳۶) – سر انجام در آخرین آیه این سوره به صورت یک جمله استفهامیه، میفرماید: «آیا (با این حال) کافران پاداش اعمال خود را گرفتند»؟! (هل ثوب الکفار ما کانوا یفعلون).

این سخن خواه از ناحیه خداوند باشد، یا فرشتگان، و یا مؤمنان، نوعی طعن و استهزا نسبت به افکار و ادعاهای این مغروران مستکبر است که انتظار داشتند در مقابل اعمال زشتشان جایزه و پاداشی هم از خداوند دریافت دارند، در برابر این پندار غلط و خیال خام می فرماید: «آیا آنها پاداش اعمالشان را گرفتند»؟

«پایان سوره مطفّفین»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۴۵

سوره انشقاق [84] ص: 443

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۲۵ آیه است

محتوای سوره: ص: 445

این سوره مانند بسیاری از سوره های جزء اخیر قرآن مجید از مباحث معاد سخن می گوید، در آغاز اشاراتی به حوادث هولناک و تکان دهنده پایان جهان و شروع قیامت می کند، و در مرحله بعد به مسأله رستاخیز و حساب اعمال نیکو کاران و بد کاران، و سرنوشت آنها، و در مرحله سوم به بخشی از اعمال و اعتقاداتی که موجب عذاب و کیفر الهی می شود، و در مرحله مرحله چهارم بعد از ذکر سو گندهائی به مراحل سیر انسان در مسیر زندگی دنیا و آخرت اشاره می کند و سر انجام در مرحله پنجم باز سخن از اعمال نیک و بد و کیفر و پاداش آنهاست.

در باره فضیلت تلاوت این سوره ص: 445

در حديثي از پيغمبر اكرم صلّى الله عليه و آله ميخوانيم:

«كسى كه سوره انشقاق را بخواند خداوند او را از اين كه در قيامت نامه اعمالش به پشت سرش داده شود در امان مىدارد»! بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الانشقاق(84): آية ١ ص: 443

(آیه ۱)- همان گونه که در شرح محتوای سوره گفتیم در آغاز این سوره نیز به حوادث عظیم و عجیب پایان جهان اشاره شده، می فرماید: «در آن هنگام که آسمان [- کرات آسمانی] شکافته شود» (اذا السماء انشقت). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۴۶

نظیر آنچه در آغاز سوره انفطار آمده که می فرماید: «در آن زمان که آسمان (و کرات آسمانی) شکافته و ستارگان پراکنده شوند و فرو ریزند».

و این اعلام پایان دنیا و خرابی و فنای آن است.

در حدیثی از امیر مؤمنان علی علیه السّ لام در تفسیر آیه آمده که فرمود: «در آستانه قیامت این کواکب را که ما مشاهده می کنیم از کهکشان جدا می شود، و نظام همگی به هم می خورد».

سورة الانشقاق(84): آية ٢ ص: 449

(آیه ۲)– سپس میافزاید: «و تسلیم فرمان پروردگارش شود و شایسته است چنین باشد» (و اذنت لربها و حقت).

مبادا تصور شود که آسمان با آن عظمت کمترین مقاومتی در مقابل این فرمان الهی می کند.

چگونه می تواند تسلیم نباشد در حالی که فیض وجود لحظه به لحظه از سوی خداوند به آن می رسد، و اگر یک آن این رابطه قطع گردد متلاشی و نابود خواهد شد.

سورة الانشقاق(84): آية 3 ص: 446

(آیه ۳)- و در مرحله بعد به وضع «زمین» اشاره کرده، می فرماید: «و در آن هنگام که زمین گسترده شود» (و اذا الارض

مدت).

کوهها- به شهادت آیات فراوانی از قرآن- بکلی متلاشی و بر چیده میشونید و تمام بلندیها و پستیها از میان میرود، زمین صاف و گسترده و آماده حضور همه بندگان در صحنه میشود.

سورة الانشقاق(84): آية 4 ص: 448

(آیه ۴)- و در سومین مرحله، میافزاید: «و (زمین) آنچه در درون دارد بیرون افکنده و خالی میشود» (و القت ما فیها و تخلت).

معروف در میان مفسران این است که مفهوم آیه این است که تمام مردگانی که در درون خاک و داخل قبرها آرمیدهاند یکباره همه به بیرون پرتاب میشوند، و لباس حیات و زندگی بر تن میکنند.

بعضی دیگر گفتهانـد علاـوه بر انسانهـا، معادن و گنجهای نهفته درون زمین نیز همگی بیرون میریزد. برگزیـده تفسـیر نمونه، ج۵، ص: ۴۴۷

این احتمال نیز وجود دارد که مواد مذاب درون زمین با زلزلههای هولناک و وحشتناک بکلی بیرون میریزد، و همه پستیها را پر میکند و سپس درون زمین خالی و آرام میگردد.

سورة الانشقاق(84): آية ۵ ص: 447

(آیه ۵)- باز به دنبال این سخن، میافزاید: «و تسلیم فرمان پروردگارش گردد و شایسته است» که تسلیم باشد (و اذنت لربها و حقت).

این حوادث عظیم که با تسلیم کامل همه موجودات تو أم است، از یکسو بیانگر فنای این دنیاست، فنای زمین و آسمان و انسانها و گنجها و گنجها و از سوی دیگر دلیل بر ایجاد نقطه عطفی است در جهان آفرینش، و مرحله نوین و تازه هستی. و از سوی سوم نشانه قدرت خداوند بزرگ است، بر همه چیز مخصوصا بر مسأله معاد و رستاخیز.

آری! هنگامی که این حوادث واقع شود، انسان، نتیجه اعمال نیک و بـد خود را میبینـد- و این جملهای است که در تقـدیر است.

سورة الانشقاق(84): آية 6 ص: 447

(آیه ۶)- تلاشی پر رنج به سوی کمال مطلق! سپس انسانها را مخاطب ساخته و سرنوشت آنها را در مسیری که در پیش دارند برای آنها روشن کرده، میفرماید: «ای انسان تو با تلاش و رنج به سوی پروردگارت میروی، و او را ملاقات خواهی کرد» (یا ایها الانسان انک کادح الی ربک کدحا فملاقیه).

این آیه اشاره به یک اصل اساسی در حیات همه انسانهاست، که همواره زندگی، آمیخته با زحمت و رنج و تعب است، حتی اگر هدف رسیدن به متاع دنیا باشد، تا چه رسد به این که هدف آخرت و سعادت جاویدان و قرب پروردگار باشد، این طبیعت زندگی دنیاست، حتی افرادی که در نهایت رفاه زندگی می کنند آنها نیز از رنج و زحمت و درد بر کنار نیستند.

تعبیر به «ملاقات پروردگار» در اینجا، خواه اشــا...Dبه ملاقات صحنه قیامت که صحنه حاکمیّت مطلقه اوست باشد، یا ملاقات

جزا و پاداش و کیفر او، یا ملاقات خود او از طریق شهود باطن، نشان میدهد که این رنج و تعب تا آن روز ادامه خواهد برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۴۸

یافت، و زمانی به پایان میرسد که پرونده این دنیا بسته شود و انسان با عملی پاک خدای خویش را ملاقات کند.

آری! راحتی بیرنج و تعب، تنها در آنجاست.

تکیه بر عنوان «ربّ» (پروردگار) اشاره به این است که این سعی و تلاـش جزئی از برنـامه ربوبیت خداونـد و تکامل و تربیت انسان است.

سورة الانشقاق(84): آية 7 ص: 448

(آیه ۷)- ولی در اینجا انسانها به دو گروه تقسیم میشوند همان گونه که میفرماید: «پس کسی که نامه اعمالش به دست راستش داده شود» (فاما من اوتی کتابه بیمینه).

سورة الانشقاق(84): آية 8 ص: 448

(آیه Λ)- «به زودی حساب آسانی برای او می شود» (فسوف یحاسب حسابا یسیرا).

سورة الانشقاق(84): آية 9 ص: 448

(آیه ۹)- «و خوشحال به اهل و خانوادهاش باز می گردد» (و ینقلب الی اهله مسرورا).

اینها کسانی هستند که در مدار اصلی آفرینش، در همان مداری که خداوند برای این انسان و سرمایهها و نیروهای او تعیین کرده حرکت میکنند، و تلاش و کوشش آنها همواره برای خدا، و سعی و حرکتشان به سوی خداست، در آنجا نامه اعمالشان را به دست راستشان میدهند که این نشانه پاکی عمل و صحّت ایمان و نجات در قیامت است، و مایه سر افرازی و سر بلندی در برابر اهل محشر.

منظور از «حساب یسیر» حساب سهل و آسان است که سخت گیری و دقت در آن نباشد، از سیئات بگذرد و حسنات را پاداش دهد و حتی سیئات آنها را به حسنات تبدیل کند.

سورة الانشقاق(84): آية 10 ص: 448

(آیه ۱۰)- آنها که از شرم نامه اعمال را پشت سر می گیرند! به دنبال بحثی که در آیات قبل پیرامون اصحاب الیمین (مؤمنانی که نامه اعمال از کفّار و مجرمان و چگونگی نامه اعمال آنها سخن می گوید.

نخست می فرماید: «و اما کسی که نامه اعمالش به پشت سرش داده شود» برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۴۹ (و اما من او تی کتابه وراء ظهره).

سورة الانشقاق(84): آية 11 ص: 449

(آیه ۱۱)- «به زودی فریاد می زند: ای وای بر من که هلاک شدم»! (فسوف یدعوا ثبورا).

سورة الانشقاق(84): آية 12 ص: 449

(آیه ۱۲) – «و در شعلههای سوزان آتش می سوزد» (و یصلی سعیرا).

«اصحاب الیمین» با سر افرازی و افتخار و مباهات نامه اعمالشان را به دست راست گرفته و صدا میزنند: هاؤم اقرؤا کتابیه ای اهل محشر! بیایید و نامه اعمال مرا بگیرید و بخوانید» (حاقه/ ۱۹).

اما وقتی مجرمان تبهکار نامه اعمالشان را به دست چپشان میدهند آنها از شرمساری و ذلت دست را پشت سر می گیرند، تا این سند جرم و فضاحت کمتر دیده شود، ولی چه فایده که در آنجا چیزی پنهان شدنی نیست.

سورة الانشقاق(84): آية 13 ص: 449

(آیه ۱۳)– سپس به بیان علت این سرنوشت شوم پرداخته، میفرماید: «چرا که او در میان خانوادهاش پیوسته (از کفر و گناه خود) مسرور بود» (انه کان فی اهله مسرورا).

سروری آمیخته با غرور، و غروری آمیخته با غفلت و بیخبری از خدا، سروری که نشانه دلبستگی سخت به دنیا و بیاعتنایی به جهان پس از مرگ بود.

سورة الانشقاق(84): آية 14 ص: 449

(آیه ۱۴)- و لذا در این آیه، می افزاید: این به خاطر آن است که «او گمان می کرد هر گز بازگشت نمی کند» و معادی در کار نیست! (انه ظن ان لن یحور).

در حقیقت منشأ اصلی بدبختی او اعتقاد فاسد و گمان باطلش دائر بر نفی معاد بود، و همین اعتقاد باعث غرور و سرور او شد، او را از خدا دور ساخت و در شهوات و انواع گناهان غوطهور نمود، تا آنجا که دعوت انبیا را به باد استهزا گرفت، و وقتی به سراغ خانواده خود می آمد از این استهزا و سخریه شاد و خوشحال بود، همین معنی در آیه ۳۱ سوره مطففین نیز آمده است.

سورة الانشقاق(84): آية 15 ص: 449

(آیه ۱۵) - در این آیه، برای نفی عقائد باطل آنها می فرماید: «آری پروردگارش نسبت به او بینا بود» و اعمالش را برای حساب ثبت کرد! (بلی ان ربه کان به بصیرا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۵۰

تعبير ابن آيه همانند آيه «يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه».

می تواند به منزله دلیلی بر مسأله معاد محسوب شود، بخصوص این که در هر دو آیه روی عنوان «رب» تکیه شده است، چرا که سیر تکاملی انسان به سوی پروردگار هرگز نمی تواند با مرگ متوقف گردد، و زندگی دنیا کمتر از آن است که هدف چنین سیری باشد.

و نیز بصیر بودن خداونـد نسبت به اعمـال آدمی، و ثبت و ضبط آنهـا حتما بایـد مقـدمهای برای حساب و جزا باشـد و گر نه

سورة الانشقاق(84): آية 16 ص: 400

(آیه ۱۶)- به دنبال بحثی که در آیات گذشته پیرامون سیر تکاملی انسان به سوی خداوند آمد، در اینجا برای تأکید این مطلب و توضیح بیشتر، می فرماید:

«سو گند به شفق» (فلا اقسم بالشفق).

سورة الانشقاق(84): آية 17 ص: 400

(آیه ۱۷)- «و سوگند به شب و آنچه را (از امور پراکنده) جمع آوری می کند» (و اللیل و ما وسق).

سورة الانشقاق(84): آية ١٨ ص: 450

(آیه ۱۸)- «و سو گند به ماه آنگاه که بدر کامل می شود» (و القمر اذا اتسق).

سورة الانشقاق(84): آية 19 ص: 400

(آیه ۱۹)- «که همه شما پیوسته از حالی به حال دیگر منتقل می شوید» تا به کمال برسید (لترکبن طبقا عن طبق).

منظور از «شفق» در اینجا همان روشنی آمیخته با تاریکی در آغاز شب است.

و از آنجا که ظهور «شفق» خبر از یک حالت تحول و دگرگونی عمیق در جهان می دهد، و اعلام پایان روز و آغاز شب است، به علاوه جلوه و زیبائی خاصی دارد، و از همه گذشته وقت نماز مغرب است، خداوند به آن سوگند یاد فرموده تا همگان را وادار به اندیشه در این پدیده زیبای آسمانی کند.

و اما سوگند به شب به خاطر آثار و اسرار زیادی است که در آن نهفته شده و در گذشته مشروحا از آن سخن گفته ایم. تعبیر به «ما وسق» با توجه به این که «وسق» به معنی جمع کردن پراکنده هاست اشاره به بازگشت انواع حیوانات و پرندگان و حتی انسانها به خانه ها و لانه های خود به هنگام شب است، که نتیجه آن آرامش و آسایش عمومی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۵۱

جانداران می باشد، و یکی از اسرار و آثار پر اهمیت شب محسوب می شود.

قابل توجه این که هر چهار موضوعی که در آیات فوق به آن سوگند یاد شده است (شفق، شب، موجوداتی که شب آنها را گردآوری می کند، ماه در حالت بدر کامل) همه موضوعاتی است مربوط به هم و مکمل یکدیگر، و مجموعهای زیبا و منسجم را تشکیل می دهد که اندیشه انسان را تحریک می کند، تا در قدرت عظیم آفرینش بیندیشد، و از این دگر گونیهای سریع به مسأله معاد و قدرت خداوند بر آن آشناتر شود.

جمله «لترکبن طبقا عن طبق» بیانگر حالات مختلفی است که انسان در مسیر زندگی خود یکی پس از دیگری پیدا می کند. از جمله حالات گوناگونی که انسان در طریق پر رنج و مشقت خود به سوی خداوند و کمال مطلق پیدا می کند، نخست عالم

دنیا، بعد جهان برزخ و سپس رستاخیز و حالات مختلف آن.

سورة الانشقاق(84): آية 20 ص: 451

(آیه ۲۰)- سپس به عنوان یک نتیجه گیری کلی از بحثهای گذشته، میفرماید: «پس چرا هنگامی که آنها ایمان نمی آورند»؟! (فما لهم لا یؤمنون).

با این که دلائل حق روشن و آشکار است هم دلائل توحید و خداشناسی و هم دلائل معاد، هم آیات آفاقی و هم آیات انفسی.

سورة الانشقاق(84): آية 21 ص: 451

(آیه ۲۱)- سپس از کتاب «تکوین» به سراغ کتاب «تـدوین» میرود، میافزایـد: «و (چرا) هنگـامی که قرآن بر آنها خوانـده میشود سجده نمیکنند»؟

(و اذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون).

قرآنی که نور اعجاز از جوانب مختلف آن می در خشد، و هر ناظر بی طرف می داند ممکن نیست زائیده مغز بشری باشد.

سورة الانشقاق(84): آية 22 ص: 451

(آیه ۲۲)- در این آیه، می افزاید: «بلکه کافران پیوسته آیات الهی را تکذیب می کنند» (بل الذین کفروا یکذبون). به کار بردن «فعل مضارع» (یکذّبون) در اینجا که معمولا برای استمرار می آید گواه بر این معنی است که آنها در تکذیبهای خود اصرار داشتند، اصراری که از روح برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۵۲

لجاج و عناد سر چشمه مي گرفت.

سورة الانشقاق(84): آية 23 ص: 457

(آیه ۲۳)- سپس با لحنی تهدید آمیز می فرماید: «و خداوند آنچه را در دل پنهان می دارند به خوبی می داند» (و الله اعلم بما یوعون).

خداوندا از نیات و اهداف آنها، و انگیزههائی که سبب این تکذیبهای مستمر می گردد، با خبر است هر قدر آنها بر آن پرده پوشی کنند و سر انجام کیفر همه آن را به آنها خواهد داد.

سورة الانشقاق(84): آية 24 ص: 452

(آیه ۲۴)- و در این آیه، می فرماید: «پس آنها را به عذابی دردناک بشارت ده» (فبشرهم بعذاب الیم).

تعبیر به «بشارت» که معمولاً در خبرهای خوش به کار می رود در اینجا نوعی طعن و سرزنش است، این در حالی است که مؤمنان را حقیقتا بشارت به نعمتهای گسترده بهشتی می دهد، تا تکذیب کنندگان دوزخی در حسرت و اندوه فرو روند.

سورة الانشقاق(84): آية 25 ص: 452

(آیه ۲۵)- در آخرین آیه این سوره، به صورت یک استثناء بار دیگر به سرنوشت مؤمنان صالح العمل اشاره کرده، میفرماید: «مگر کسانی که ایمان آورده و اعمال صالح انجام دادهاند که برای آنها پاداشی است قطع نشدنی» (الا الذین آمنوا و عملوا الصالحات لهم اجر غیر ممنون).

این آیه راه بازگشت را به روی کفار میگشاید، و میفرماید: این عذاب الیم از کسانی که توبه کنند و ایمان آورند و اعمال صالح انجام دهند قطعا برداشته شده و پاداش دائم و نقصان ناپذیر به آنها داده میشود.

«پایان سوره انشقاق»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۵۳

سوره بروج [۸۵] ص: ۴۵۳

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۲۲ آیه است

محتواي سوره: ص: 453

بـا توجه به این که این سوره از سورههـای «مکّی» است چنین به نظر میرسـد که هـدف اصـلی تقویت روحیه مؤمنـان در برابر دشمنان و تشویق آنان به پایمردی و استقامت است.

و در همین رابطه در این سوره داستان «اصحاب اخدود» را نقل می کند، همانها که خندقها کندند و آتشهای عظیمی در آن افروختند، و مؤمنان را تهدید به شکنجه با آتش کردند، گروهی را زنده زنده در آتش سوزاندند، اما آنها از ایمانشان بازنگشتند.

در قسمت دیگری از این سوره کافرانی را که مؤمنان را تحت فشار قرار میدهند سخت مورد حمله قرار داده و آنها را به عذاب سوزان جهنم تهدید میکند، در حالی که مؤمنان را بشارت به باغهای پر نعمت بهشتی میدهد.

در مقطع بعمد آنها را به گذشته تاریخ باز می گردانمد، و داستان فرعون و ثمود و اقوام زورمند را در برابر دیدگانشان مجسم میسازد، تا کفّار «مکّه» که نسبت به آنها قدرت ناچیزی داشتند حساب خود را بکنند، و هم مایه تسلّی خاطر پیامبر صلّی الله علیه و آله و مؤمنان بوده باشد.

و در آخرین مقطع سوره اشاره به عظمت قرآن مجید و اهمیت فوق العاده این وحی الهی می کند، و سوره را با آن پایان می دهد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۵۴

نامگذاری این سوره به «بروج» به تناسب سوگندی است که در آیه نخستین آن آمده است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 454

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «هر کس این سوره را بخواند خداوند به تعداد تمام کسانی که در نماز جمعه اجتماع میکنند، و تمام کسانی که روز عرفه (در عرفات) جمع میشوند، ده حسنه به او میدهد، و تلاوت آن انسان را از ترسها و شدائد رهائی میبخشد».

با توجه به این که یکی از تفسیرهای آیه «و شاهد و مشهود» روز جمعه و روز عرفه است، و نیز با توجه به این که سوره حکایت از مقاومت شدید مؤمنان پیشین در برابر شدائد و فشارها می کند، تناسب این پاداشها با محتوای سوره روشن می شود، و در ضمن نشان می دهد که این همه اجر و پاداش از آن کسانی است که آن را بخوانند و در آن بیندیشند و سپس عمل کنند. بسم الله الرحمن الرحیم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورة البروج(85): آية 1 ص: 454

(آیه ۱)- در آغاز سوره، می فرماید: «سوگند به آسمان که دارای برجهای بسیار است» (و السماء ذات البروج).

برجهای آسمانی یا به معنی ستارگان درخشان و روشن آسمان است یا به معنی «صورتهای فلکی» یعنی مجموعهای از ستارگان که در نظر ما شباهت به یکی از موجودات زمینی دارد، و برجهای دوازده گانه دوازده صورت فلکی است که خورشید در مسیر سالانه خود در هر ماه محاذی یکی از آنها قرار می گیرد- البته خورشید حرکت نمی کند بلکه زمین به دور آن می گردد ولی به نظر می رسد که خورشید جا به جا می شود و محاذی یکی از این صورتهای فلکی می گردد.

سورة البروج(85): آية 2 ص: 454

(آیه ۲)- سپس می افزاید: «و سوگند به آن روز موعود» روز رستاخیز (و الیوم الموعود). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۵۵ همان روزی که تمام انبیا و پیامبران الهی آن را وعده داده اند و صدها آیه قرآن مجید از آن خبر می دهد.

سورة البروج(85): آية 3 ص: 453

(آیه ۳)- و در سومین و چهارمین سوگند، می فرماید: «و قسم به شاهد و مشهود» (و شاهد و مشهود).

در این که منظور از «شاهد» و «مشهود» چیست؟ مفسران حدود سی تفسیر ذکر کردهاند که مهمترین آنها تفسیرهای زیر است: ۱- «شاهد» شخص پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله و «مشهود» روز قیامت است.

۲- «شاهد» گواهان عمل انسانند، مانند اعضای پیکر او و «مشهود» انسانها و اعمال آنها هستند.

۳- «شاهـد» به معنى روز جمعه است كه شاهـد اجتماع مسـلمين در مراسم بسـيار مهم نماز آن روز است. و «مشـهود» روز عرفه است كه زائران بيت الله الحرام شاهد و ناظر آن روزند.

۴- «شاهد» روز عید قربان و «مشهود» روز عرفه می باشد.

۵- منظور از «شاهد» شبها و روزها، و «مشهود» بنی آدم است که به اعمال او گواهی می دهد.

۶- منظور از «شاهد» ملائکه و «مشهود» قرآن است.

۷- منظور از «شاهد» حجر الاسود و «مشهود» حاجیانند که در کنار آن می آیند و دست بر آن می نهند.

۸- «شاهد» خلق است، و «مشهود» حق است.

- ۹- منظور از «شاهد» امت اسلامی است و «مشهود» امتهای دیگر.
- ۱۰ «شاهد» پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله و «مشهود» سایر انبیاء هستند.
- ۱۱ «شاهد» پیامبر صلّی الله علیه و آله و «مشهود» امیر مؤمنان علی علیه السّلام است.

البته تناسب این آیه با آیات قبل ایجاب می کند که «شاهد» اشاره به شهود روز قیامت باشد، اعم از پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله یا سایر پیامبران نسبت به امتهای خود، و ملائکه و فرشتگان و اعضای پیکر آدمی و شب و روز، و مانند آنها، و «مشهود» برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۵۶

انسانها يا اعمال آنهاست.

و به این ترتیب بسیاری از تفاسیر فوق درهم ادغام میشود و در یک مجموعه با یک مفهوم وسیع خلاصه می گردد و تضادی میان آنها وجود ندارد.

چرا که «شاهد» هر گونه گواه را شامل می شود، و «مشهود» هر چیزی را که بر آن گواهی می دهند.

آری! آسمان و ستارگان درخشان و برجهای موزونش همگی نشانه نظم و حساب است و «یوم موعود» صحنه روشنی از حساب و کتاب، و شاهد و مشهود نیز وسیلهای است برای رسیدگی دقیق به این حساب، وانگهی همه این سوگندها برای آن است که به شکنجه گران ظالم هشدار دهد اعمال آنها در مورد مؤمنان راستین همگی ثبت و ضبط، و برای روز موعود نگهداری می شود.

سورة البروج(85): آية 4 ص: 459

(آیه ۴)- مؤمنان در برابر کورههای آدم سوزی! قرآن بعد از این سوگندها می فرماید: «مرگ بر شکنجه گران صاحب گودال» آتش (قتل اصحاب الاخدود).

سورة البروج(85): آية 5 ص: 456

(آیه ۵)- «آتشی عظیم و شعلهور» (النار ذات الوقود).

سورة البروج(85): آية 6 ص: 489

(آیه ۶)- «هنگامی که در کنار آن نشسته بودند» (اذ هم علیها قعود).

سورة البروج(85): آية ٧ ص: 456

(آیه ۷)- «و آنچه را با مؤمنان انجام می دادند (با خونسردی و قساوت) تماشا می کردند»! (و هم علی ما یفعلون بالمؤمنین شهود).

این گروه شکنجه گر خندقهای بزرگی از آتش فراهم ساخته بودند، و مؤمنان را وادار می کردند که دست از ایمان خود بردارند، هنگامی که با مقاومت آنان رو به رو می شدند آنها را در این کورههای آدم سوزی انداخته، به آتش می کشیدند!

سورة البروج(85): آية 8 ص: 456

(آیه ۸)– سپس می افزاید: «آنها (شکنجه گران) هیچ ایرادی بر مؤمنان نداشتند جز این که به خداوند عزیز و حمید ایمان آورده بودند»؟! (و ما نقموا منهم الا ان یؤمنوا بالله العزیز الحمید).

تعبیر به «عزیز» (قدرتمند شکست ناپذیر) و «حمید» (شایسته هر گونه ستایش و دارای هر گونه کمال) در حقیقت پاسخی است به جنایتهای آنها، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۵۷

و دلیلی است بر ضد آنان، یعنی مگر ایمان به چنین خدائی جرم و گناه است؟! در ضمن تهدید و هشداری نیز به این شکنجه گران در طول تاریخ محسوب می شود که خداوند عزیز و حمید در کمین آنهاست.

سورة البروج(85): آية 9 ص: 457

اشاره

(آیه ۹)- سپس به بیان دو وصف دیگر از اوصاف این معبود بزرگ پرداخته، میافزاید: «همان کسی که حکومت آسمانها و زمین از آن اوست و خداوند بر همه چیز گواه است» (الذی له ملک السماوات و الارض و الله علی کل شیء شهید).

در حقیقت این چهار وصف از اوصافی است که شایستگی برای عبودیت را مسلّم میکند، قدرت و توانائی، واجد هر گونه کمال بودن، مالکیت آسمانها و زمین، و آگاهی از همه چیز.

در ضمن بشارتی است به مؤمنان که خدا حاضر و ناظر است و صبر و شکیبایی و استقامتشان را در راه حفظ ایمان می بیند. و البته توجه به این حقیقت به آنها نیرو و نشاط می دهد.

از سوی دیگر تهدیدی است برای دشمنان آنها و هشداری است که اگر خدا مانع کار آنها نمی شود نه به خاطر ناتوانی است، بلکه به خاطر آزمون و امتحان است، و سر انجام طعم تلخ عذاب دردناک خدا را خواهند چشید.

اصحاب اخدود چه کسانی بودند؟ ص: 457

«اخدود» به معنی گودال بزرگ یا خندق است، منظور در اینجا خندقهای عظیمی است که مملوّ از آتش بود تا شکنجه گران، مؤمنان را در آنها بیفکنند و بسوزانند.

معروف و مشهور آن است که این ماجرا مربوط به «ذو نواس» آخرین پادشاه «حمیر» «۱» در سرزمین «یمن» است.

توضیح این که: «ذو نواس» که آخرین نفر از سلسله گروه «حمیر» بود به آیین یهود در آمد، و گروه «حمیر» نیز از او پیروی کردند، او نام خود را «یوسف» نهاد،

(۱) «حمیر» قبیلهای بود از قبایل معروف «یمن».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۵۸

و مدتی بر این منوال گذشت، سپس به او خبر دادند که در سرزمین «نجران» (در شمال یمن) هنوز گروهی بر آیین نصرانیتند، هم مسلکان «ذو نواس» او را وادار کردند که اهل «نجران» را مجبور به پذیرش آیین یهود کند، او به سوی نجران حرکت کرد، و ساکنان آنجا را جمع نمود، و آیین یهود را بر آنها عرضه داشت و اصرار کرد آن را پذیرا شوند، ولی آنها ابا کردند حاضر به قبول شهادت شدند. اما حاضر به صرف نظر کردن از آیین خود نبودند.

«ذو نواس» دستور داد خندق عظیمی کندند و هیزم در آن ریختند و آتش زدند، گروهی را زنده زنده به آتش سوزاند، و گروهی را با شمشیر کشت و قطعه قطعه کرد، بطوری که عدد مقتولین و سوختگان به آتش به بیست هزار نفر رسید! «۱» بعضی افزودهاند که در این گیر و دار یک تن از نصارای نجران فرار کرد و به سوی روم و دربار قیصر شتافت، و از ذو نواس شکایت کرد و یاری طلبید.

قیصر گفت: سرزمین شما از من دور است، اما نامهای به پادشاه حبشه مینویسم که او مسیحی است و همسایه شماست، از او میخواهم شما را یاری دهد، مرد نجرانی نزد سلطان حبشه «نجاشی» آمد، و نجاشی از شنیدن این داستان سخت متأثر گشت، و از خاموشی شعله آیین مسیح (ع) در سرزمین نجران افسوس خورد، و تصمیم بر انتقام شهیدان را از او گرفت.

لشکریان حبشه به جانب یمن تاختند و در یک پیکار سخت سپاه ذو نواس را شکست دادند، و گروه زیادی از آنان کشته شد، و طولی نکشید که مملکت یمن به دست نجاشی افتاد و به صورت ایالتی از ایالات حبشه در آمد.

سورة البروج(85): آية 10 ص: 458

(آیه ۱۰)- شکنجه گران در برابر مجازات الهی! بعد از بیان جنایت عظیم

(۱) این کوره های آدم سوزی که به دست یهود به وجود آمد احتمالا نخستین کوره های آدم سوزی در طول تاریخ بود، ولی عجب این که این بدعت قساوت بار ضد انسانی سر انجام دامان خود یهود را گرفت، و چنانکه می دانیم گروه زیادی از آنها در ماجرای آلمان هیتلری در کوره های آدم سوزی به آتش کشیده شدند، و مصداق «عذاب الحریق» این جهان نیز در باره آنها تحقق یافت.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۵۹

شكنجه گران اقوام پیشین در اینجا به كیفر سخت الهی نسبت به آنان، و پاداشهای عظیم مؤمنان اشاره كرده، می فرماید: «كسانی كه مردان و زنان با ایمان را شكنجه دادند، سپس توبه نكردند، برای آنها عذاب دوزخ و عذاب آتش سوزان است» (ان الذین فتنوا المؤمنین و المؤمنات ثم لم یتوبوا فلهم عذاب جهنم و لهم عذاب الحریق).

جمله «ثمّ لم یتوبوا» نشان می دهد که راه توبه حتی برای چنین شکنجه گران ستمگری باز است، و این نهایت لطف پروردگار را نسبت به گنهکاران نشان می دهد، و ضمنا هشداری است به مردم مکه که تا دیر نشده دست از آزار و شکنجه مؤمنان بردارند، و به سوی خدا بازگردند.

قابل توجه این که در این آیه دو گونه عذاب برای آنها ذکر کرده: یکی عذاب جهنم و دیگری «عذاب حریق» (عذاب آتش سوزان سوزان) ذکر این دو ممکن است به خاطر این باشد که در جهنم انواعی از مجازاتها وجود دارد که یکی از آنها آتش سوزان است، و ذکر آن بالخصوص به خاطر این است که شکنجه گران مزبور مؤمنان را با آتش می سوزاندند و باید در آنجا با آتش

مجازات شوند اما این آتش کجا و آن آتش کجا.

سورة البروج(85): آية 11 ص: 459

(آیه ۱۱)- سپس به پاداش مؤمنان پرداخته، می فرماید: «و برای کسانی که ایمان آوردند و اعمال صالح انجام دادند باغهایی از بهشت است که نهرها زیر درختانش جاری است، و این نجات و پیروزی بزرگ است» (ان الذین آمنوا و عملوا الصالحات لهم جنات تجری من تحتها الانهار ذلک الفوز الکبیر).

چه فوز و پیروزی از این برتر که در جوار قرب پروردگار و در میان انواع نعمتهای پایـدار، با سـر بلنـدی و افتخار جای گیرنـد، ولی نباید فراموش کرد که کلید اصلی این پیروزی و فوز کبیر، ایمان و عمل صالح است.

سورة البروج(85): آية ١٢ ص: 459

(آیه ۱۲)- سپس بار دیگر به تهدید کفار و شکنجه گران پرداخته، میافزاید:

«گرفتن قهر آميز و مجازات يروردگارت به يقين بسيار شديد است»! (ان بطش ربک لشديد).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۶۰

سورة البروج(85): آية 13 ص: 460

(آیه ۱۳)- بعد می فرماید: گمان نکنید قیامتی در کار نیست و یا بازگشت شما مشکل است «اوست که آفرینش را آغاز می گرداند» (انه هو یبدی و یعید).

سورة البروج(85): آية 14 ص: 460

(آیه ۱۴)– سپس به بیان پنج وصف از اوصاف خداوند بزرگ پرداخته، می گوید: «و او آمرزنده و دوستدار (مؤمنان) است» (و هو الغفور الودود).

سورة البروج (٨٥): آية ١٥ ص: 46٠

(آیه ۱۵)- «صاحب عرش و دارای مجد و عظمت است» (ذو العرش المجید).

سورة البروج(85): آية 16 ص: 460

(آیه ۱۶)- «و آنچه را میخواهد انجام میدهد» (فعال لما یرید).

در حقیقت ذکر این اوصاف در برابر تهدیدی که در آیات قبل آمده برای بیان این حقیقت است که راه بازگشت به روی گنهکاران باز است، و خداوند در عین شدید العقاب بودن غفور و ودود و رحیم و مهربان است.

سورة البروج(85): آية ١٧ ص: 460

(آیه ۱۷)- دیدی خدا با لشکر فرعون و ثمود چه کرد؟

آیات قبل بیان قدرت مطلقه خداوند و حاکمیت بلا منازع او، و تهدید کفّار و شکنجه گران بود، برای این که معلوم شود این تهدیدها عملی است در اینجا روی سخن را به پیامبر صلّی الله علیه و آله کرده، میفرماید: «آیا داستان لشکرها به تو رسیده است» (هل اتاک حدیث الجنود).

لشکریان عظیمی که در برابر پیامبران الهی صف آرائی کردند و به مبارزه برخاستند به گمان این که میتوانند در مقابل قدرت خدا عرض اندام کنند.

سورة البروج(85): آية 18 ص: 460

(آیه ۱۸)- و بعد به دو نمونه آشکار از آنها که یکی در قدیم الایام، و دیگری در عصر نزدیکتر واقع شد اشاره کرده، می افزاید: «لشکریان فرعون و ثمود» (فرعون و ثمود).

همانها که بعضی شرق و غرب جهان را زیر سلطه خود قرار دادنـد، و بعضـی دل کوهها را شـکافتند و سـنگهای عظیم آن را برکندند، و از آن خانهها و قصرهای عظیم ساختند، و کسی را یارای مقابله با آنها نبود.

> اما خداوند گروه اول را با «آب» و گروه دوم را با «باد» که هر دو وسیلههای برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۶۱ حیات آدمی هستند، در هم کوبید!

سورة البروج(85): آية 19 ص: 460

(آیه ۱۹)- در این آیه می افزاید: «ولی کافران پیوسته در تکذیب حقند» (بل الذین کفروا فی تکذیب).

چنان نیست که نشانه های حق بر کسی مخفی و پنهان باشد، لجاجت و عناد اجازه نمی دهد که بعضی راه را پیدا کنند، و در طریق حق گام بگذارند.

تعبیر به «بل» که به اصطلاح برای اضراب (عدول از چیزی به چیز دیگر) است گوئی اشاره به این است که این گروه مشرک از قوم فرعون و ثمود هم بدتر و لجوج ترند، دائما مشغول تکذیب و انکار قرآنند.

سورة البروج (٨٥): آية ٢٠ ص: 460

(آیه ۲۰)- ولی آنها باید بدانند که «و خداوند به همه آنها احاطه دارد» و همه در چنگال قدرت او هستند (و الله من ورائهم محبط).

اگر خدا به آنها مهلت می دهد نه به خاطر عجز و ناتوانی است، و اگر آنها را سریعا مجازات نمی کند نه به خاطر این است که از قلمرو قدرتش بیرونند.

سورة البروج(85): آية 21 ص: 460

(آیه ۲۱)- در این آیه می افزاید: اصرار آنها در تکذیب قرآن و نسبت آن به سحر و کهانت و شعر بیهوده است این آیات، سحر و دروغ نیست «بلکه قرآن با عظمت است ...» (بل هو قرآن مجید).

محتوایش عظیم و گسترده، و معانیش بلند و پرمایه است، هم در زمینه معارف و اعتقادات، و هم اخلاق و مواعظ و هم احکام و سنن.

سورة البروج(85): آية 22 ص: 460

(آیه ۲۲)– «که در لوح محفوظ جای دارد» (فی لوح محفوظ). و دست نااهلان و شیاطین و کاهنان هرگز به آن نمیرسد، و از هرگونه تغییر و تبدیل و زیاده و نقصان بر کنار میباشد.

بنابر این اگر نسبتهای ناروا به تو میدهند، و شاعر و ساحر و کاهن و مجنونت میخوانند، هر گز غمگین مباش، تکیه گاه تو محکم، راهت روشن، و پشتیبانت قدرتمند و تواناست.

منظور از «لوح» در اینجا صفحهای است که قرآن مجید بر آن ثبت و ضبط شده است ولی نه صفحهای همچون الواح متداول در میان ما، بلکه در تفسیری از برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۶۲

ابن عباس آمده است «لوح محفوظ» طولش به اندازه فاصله زمین و آسمان! و عرضش به اندازه فاصله مغرب و مشرق است! و اینجاست که به نظر می رسد که لوح محفوظ همان صفحه علم خداوند است که شرق و غرب عالم را فرا گرفته، و از هرگونه دگرگونی و تحریف مصون و محفوظ است.

«پایان سوره بروج»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۶۳

سوره طارق [86] ص: 463

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۱۷ آیه است

محتوای سوره: ص : 463

مطالب این سوره عمدتا بر دو محور دور میزند.

۱– معاد و رستاخيز.

۲ - قرآن مجید و ارزش و اهمیت آن.

ولى در آغاز بعد از سوگندهايي انديشه آفرين اشاره به وجود مراقبين الهي بر انسان مي كند.

بعد برای اثبات امکان معاد، به زندگی نخستین و بدو پیدایش انسان از آب نطفه، اشاره فرموده، نتیجه گیری می کند: خداوندی که قادر است او را از چنین آب بیارزش و ناچیزی بیافریند توانائی بر بازگشت مجدد او دارد.

در مرحله بعـد به بعضـی از ویژگیهای روز رسـتاخیز اشاره کرده، سـپس با ذکر سوگنـدهای متعدد و پر معنائی اهمیت قرآن را

گوشزد مینماید، و سر انجام سوره را با تهدید کفار به مجازات الهی پایان میدهد.

در باره فضیلت تلاوت این سوره ص: 463

در حدیثی از پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم:

«هر کس آن را تلاوت کند خداوند به تعداد هر ستارهای که در آسمان وجود دارد ده حسنه به او میبخشد»! بدیهی است محتوای سوره و عمل به آن است که این همه پاداش عظیم را به بار می آورد نه تلاوت خالی از عمل.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۶۴

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الطارق(86): آية 1 ص: 464

(آیه ۱)- این سوره نیز همچون بسیاری دیگر از سورههای جزء آخر قرآن، با سوگندهای زیبا و اندیشه برانگیزی آغاز میشود، می فرماید: «سوگند به آسمان و کوبنده شب»! (و السماء و الطارق).

سورة الطارق(86): آية ٢ ص: 464

(آیه ۲)- «و تو نمی دانی کوبنده شب چیست»؟! (و ما ادراک ما الطارق).

سورة الطارق(86): آية 3 ص: 464

(آیه ۳)- «همان ستاره درخشان و شکافنده تاریکیهاست» (النجم الثاقب).

قرآن خودش در اینجا «طارق» را تفسیر کرده، می گوید: «این مسافر شبانه، همان ستاره درخشانی است که بر آسمان ظاهر می شود و بقدری بلند است که گوئی میخواهد سقف آسمان را سوراخ کند، و نورش به قدری خیره کننده است که تاریکیها را می شکافد و به درون چشم آدمی نفوذ می کند.

منظور از «نجم ثاقب» ستارگان درخشانی است که نور آنها پردههای ظلمت را میشکافد و در چشم آدمی نفوذ می کند همانند ستاره «زحل» که در فارسی به آن «کیوان» می گویند.

سورة الطارق(86): آية 4 ص: 464

(آیه ۴)- اکنون ببینیم این سو گندها برای چیست؟ در این آیه می فرماید:

«مسلما هر كس مراقب و محافظي دارد» (ان كل نفس لما عليها حافظ).

که اعمال او را ثبت و ضبط و حفظ می کند، و برای حساب و جزا نگهداری می نماید.

به این ترتیب شما هرگز تنها نیستید، و هر که باشید، و هر کجا باشید، تحت مراقبت فرشتگان الهی و مأموران پروردگار خواهید بود، این مطلبی است که توجه به آن در اصلاح و تربیت انسان فوق العاده مؤثر است.

سورة الطارق(86): آية 5 ص: 464

(آیه ۵)- ای انسان! بنگر از چه چیز آفریده شدهای؟

در این آیه به عنوان یک استدلال بر مسأله معاد در برابر کسانی که آن را غیر بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۶۵ ممکن می شمردند، می فرماید: «انسان باید بنگرد از چه چیز آفریده شده است»؟! (فلینظر الانسان مم خلق).

و به این ترتیب قرآن دست همه انسانها را گرفته و به خلقت نخستین باز می گرداند، و با یک جمله استفهامیه از آنها میپرسد: «آفرینش شما از چه بوده است»؟

سورة الطارق(86): آية 6 ص: 463

(آیه ۶)- و بی آنکه منتظر پاسخ آنها باشد جواب این سؤال را- که روشن است- خودش داده، می فرماید: «از یک آب جهنده آفریده شده است»! (خلق من ماء دافق). که این توصیفی است برای نطفه مرد که در آب منی شناور است، و به هنگام بیرون آمدن جهش دارد.

سورة الطارق(86): آية ٧ ص: 463

(آیه ۷)- و بعد در توصیف دیگری از این آب می گوید: «آبی که از میان پشت و سینه ها خارج می شود» (یخرج من بین الصلب و الترائب).

«صلب» به معنی پشت است و اما «ترائب» جمع «تریبه» بنابر مشهور میان علمای لغت استخوانهای بالای سینه است، همانجا که گردنبند روی آن قرار می گیرد.

در اینجا قرآن به یکی از دو جزء اصلی نطفه که همان نطفه مرد است، و برای همه محسوس میباشد، اشاره کرده، و منظور از «صلب» و «ترائب» قسمت پشت و پیش روی انسان است، چرا که آب نطفه مرد از میان این دو خارج میشود.

این تفسیری است روشن و هماهنگ با آنچه در کتب لغت در معنی این دو واژه آمده است، در عین حال ممکن است حقیقت مهمتری در این آیه نیز نهفته باشد که در حد علم امروز برای ما کشف نشده و اکتشافات دانشمندان در آینده از روی آن پرده برخواهد داشت.

سورة الطارق(86): آية 8 ص: 468

(آیه ۸)– سپس از این بیان نتیجه گیری کرده، می گوید: «مسلما او [- خدایی که انسان را از چنین چیز پستی آفرید] می تواند او را بازگرداند» (انه علی رجعه لقادر).

در آغاز خاک بود، و سپس بعد از طی مراحلی به صورت نطفه در آمد، و نطفه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۶۶ نیز بعد از طی مراحل پیچیده و شگفتانگیزی، تبدیل به انسان کاملی شد، بنابر این بازگشت او به حیات و زندگی مجدد هیچ مشکلی ایجاد نمی کند.

سورة الطارق(86): آية 9 ص: 466

(آیه ۹) – در این آیه به توصیف آن روز بزرگ پرداخته، می فرماید: «در آن روز که اسرار پنهان (انسان) آشکار می شود» (یوم تبلی السرائر).

آری! در آن روز که «یوم البروز» و «یوم الظهور» است اسرار درون آشکار می شود، اعم از ایمان و کفر و نفاق، یا نیت خیر و شر، یا ریا و اخلاص، و این ظهور و بروز برای مؤمنان مایه افتخار و مزید نعمت است، و برای مجرمان مایه سر افکندگی و منشأ خواری و خفت و چه دردناک است که انسان عمری با آبرو در میان مردم زندگی کند ولی در آن روز در برابر همه خلایق شرمسار و سر افکنده شود.

سورة الطارق(86): آية 10 ص: 466

(آیه ۱۰)- اما مشکل مهم در آن روز اینجاست که «و برای او هیچ نیرو و یاوری نیست» (فما له من قوهٔ و لا ناصر). نه نیرویی که بر زشتیهای اعمال و نیات او پرده بیفکند، و نه یاوری که او را از عذاب الهی رهائی بخشد.

سورة الطارق(٨٤): آية ١١ ص: 466

(آیه ۱۱)- در تعقیب آیات گذشته که استدلال بر مسأله معاد از طریق توجه به آفرینش نخستین انسان از نطفه داشت، در اینجا باز برای تأکید در امر معاد و اشاره به بعضی از دلائل دیگر بحث را ادامه داده، می فرماید: «سوگند به آسمان پر باران» (و السماء ذات الرجع).

سورة الطارق(86): آية ١٢ ص: 466

(آیه ۱۲)- «و سو گند به زمین پر شکاف» که گیاهان از آن سر بر می آورند (و الارض ذات الصدع).

سورة الطارق(86): آية ١٣ ص: 466

(آیه ۱۳)- «که این (قرآن) سخنی است که حق را از باطل جدا می کند» (انه لقول فصل).

سورة الطارق(86): آية 14 ص: 466

(آیه ۱۴)- سخنی است جدی «و هر گز شوخی نیست»! (و ما هو بالهزل).

در حقیقت این دو سوگند اشارهای است به احیای زمینهای مرده به وسیله باران که قرآن بارها آن را به عنوان دلیلی بر مسأله رستاخیز ذکر کرده است، مانند آیه ۱۱ سوره ق که می فرماید: «ما به وسیله بـاران سـرزمین مردهای را زنـده کردیم، خروج برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۶۷

و قيام شما در قيامت نيز همين گونه است»!

سورة الطارق(86): آية 15 ص: 467

(آیه ۱۵)- سپس برای تسلی خاطر پیامبر صلّی الله علیه و آله و مؤمنان از یکسو، و تهدید دشمنان اسلام از سوی دیگر می افزاید: «آنها پیوسته حیله می کنند» و نقشه ها می ریزند (انهم یکیدون کیدا).

سورة الطارق(86): آية 16 ص: 467

(آیه ۱۶)- «و من هم در برابر آنها چاره می کنم» و نقشه هاشان را نقش بر آب می کنم (و اکید کیدا).

سورة الطارق(86): آية ١٧ ص: 46٧

(آیه ۱۷)- «حال که چنین است کافران را (فقط) اندکی مهلت ده» تا عاقبت کار خویش را ببینند! (فمهل الکافرین امهلهم رویدا).

آری! آنها پیوسته نقشههای شومی برای مبارزه با تو طرح می کنند:

گاه از طریق استهزا وارد میشوند. گاه به محاصره اقتصادی دست میزنند.

گاه مؤمنان را شکنجه و آزار می کنند. گاه ساحرت میخوانند، گاه کاهنت می گویند، گاه دیوانهات می شمرند.

گاه می گویند کسانی که دور تو را گرفتهاند فقرا و بینوایانند آنها را دور کن تا ما با تو باشیم.

منظور از «كيد دشمنان» در آيه فوق روشن است كه به نمونه هاى آن اشاره كرديم، و اما منظور از «كيد الهى» همان الطافى است كه شامل حال پيامبر صلّى الله عليه و آله و مؤمنان مىشد و دشمنان اسلام را غافلگير مىساخت، كوششهاى آنها را از ميان مىبرد، و توطئه هاى آنان را در هم مىشكست، كه نمونه هايش در تاريخ اسلام فراوان است.

این آیه سرمشقی است برای همه مسلمانان که در کارهای خود مخصوصا هنگامی که در مقابل دشمنانی نیرومند و خطرناک قرار می گیرند با حوصله و صبر و شکیبائی و دقت رفتار کنند، و از هرگونه شتابزدگی و کارهای بینقشه یا بیموقع بپرهیزند. «پایان سوره طارق»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۶۹

سوره اعلى [۸۷] ص: ۴۶۹

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۱۹ آیه است

محتوای سوره: ص: 469

این سوره در حقیقت از دو بخش تشکیل یافته، بخشی که در آن روی سخن به شخص پیامبر صلّی الله علیه و آله است و دستوراتی را در زمینه تسبیح پروردگار، و ادای رسالت، به او میدهد، و اوصاف هفتگانهای از خداونـد بزرگ در این رابطه

مىشمرد.

و بخش دیگری که از مؤمنان خاشع، و کافران شقی، سخن به میان می آورد، و عوامل سعادت و شقاوت این دو گروه را بطور فشرده در این بخش بیان می کند.

و در پایان سوره اعلام میدارد که این مطالب تنها در قرآن مجید نیامده است، بلکه حقایقی است که در کتب و صحف پیشین، صحف ابراهیم و موسی، نیز بر آن تأکید شده است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 469

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «هر کس سوره اعلی را بخواند خداوند به عدد هر حرفی که بر ابراهیم (ع) و موسی (ع) و محمد صلّی الله علیه و آله نازل کرده ده حسنه به او عطا میفرماید».

و در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّلام میخوانیم: «کسی که سوره اعلی را در فرائض یا نوافل خود بخواند، روز قیامت به او گفته میشود: از هر یک از درهای بهشت میخواهی وارد شو ان شاء الله». برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۷۰ از مجموعه روایاتی که در این زمینه رسیده استفاده میشود که این سوره از اهمیت خاصی برخوردار است، تا آنجا که در حدیثی از علی علیه السّلام میخوانیم:

«این سوره محبوب پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله بود.»

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الأعلى(٨٧): آية ١ ص: ٤٧٠

(آیه ۱)- خداوند بزرگ را تسبیح گوی! این سوره که در حقیقت عصاره مکتب انبیا و دعوت پیامبران است از تسبیح و تقدیس پروردگار شروع می شود و در آغاز روی سخن را به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله کرده، می فرماید: «منزه شمار نام پروردگار بلند مرتبهات را» (سبح اسم ربک الاعلی).

یعنی نام خداوند در ردیف نام بتها قرار داده نشود، و ذات پاک او را از هرگونه عیب و نقص، و صفات مخلوقها و عوارض جسم و جسمانیت، و هرگونه محدودیت و نقصان منزه بشماریم.

تعبیر به «اعلی» بیانگر این حقیقت است که او از هر کس و هر چیز و هر چه تصور کنیم، و هر خیال و قیاس و گمان و وهم، و هرگونه شرک جلی و خفی برتر و بالاتر است.

سورة الأعلى(87): آية 7 ص: 470

(آیه ۲)– و بعد از این دو توصیف (ربّ، اعلی) در توضیح آن پنج وصف دیگر را بیان می کند که همگی شرح ربوبیت اعلای پروردگار است، میفرماید:

«همان خداوندی که آفرید و منظم کرد» (الذی خلق فسوی).

نظام عالم آفرینش- که از بزرگترین منظومه های آسمانی را شامل می شود تا موضوعات ساده ای همچون خطوط سر انگشتهای انسان که در آیه ۴ سوره قیامت به آن اشاره شده (بلی قادرین علی ان نسوی بنانه)- شاهد گویایی بر ربوبیت او، و اثبات وجود

سورة الأعلى(87): آية ٣ ص: 470

(آیه ۳)- بعد از مسأله آفرینش و نظم بندی خلقت، به موضوع برنامه ریزی برای حرکت تکاملی، و هدایت موجودات در این مسیر پرداخته، میافزاید: برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۷۱

«و همان که اندازه گیری کرد و هدایت نمود» (و الذی قدر فهدی).

منظور از «تقدیر» همان اندازه گیری و تعیین برنامههای حرکت به سوی اهدافی است که موجودات به خاطر آن آفریده شدهاند. و منظور از «هدایت» همان هدایت تکوینی است که به صورت انگیزهها و قوانینی بر هر موجودی حاکم ساخته-اعم از انگیزههای درونی و برونی.

فی المثل از یکسو پستان مادر و شیر آن را برای تغذیه طفل آفریده و به مادر عاطفه شدید مادری داده و از سوی دیگر در طفل انگیزهای آفریده که او را به سوی پستان مادر می کشاند، و این آمادگی و جاذبه دو جانبه در مسیر هدف، در همه موجودات دیده می شود.

البته در مورد انسان غیر از برنامه هدایت تکوینی، هدایت دیگری وجود دارد که از طریق وحی و ارسال انبیاء صورت می گیرد، و هدایت تشریعی انسان نیز در تمام زمینه ها مکمل هدایت تکوینی اوست.

سورة الأعلى(87): آية 4 ص: 471

(آیه ۴)- در مرحله بعد اشاره به گیاهان و مخصوصا مواد غذائی چهارپایان کرده، میافزاید: «و آن کسی که چراگاه را به وجود آورد» و از دل زمین بیرون فرستاد (و الذی اخرج المرعی).

سورة الأعلى(87): آية 5 ص: 471

(آیه ۵)– و بعد میافزاید: «سپس آن را خشک و تیره قرار داد» (فجعله غثاء احوی).

«غثاء احوی» (گیاهان خشکیده تیره رنگ) هم بازگو کننده فنای دنیاست و هم منافع زیادی در بر دارد هم غذای مناسبی است برای زمستان حیوانات، و هم وسیلهای است برای سوخت و سوز انسان، و هم کود مناسبی برای زمینها.

سورة الأعلى(87): آية 6 ص: 471

(آیه ۶)- در آیات گذشته سخن از ربوبیت و «توحید» پروردگار بود و به دنبال آن در اینجا سخن از قرآن و «نبوت» پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است، در آیات گذشته سخن از «هدایت عمومی» موجودات بود، و در اینجا سخن از «هدایت نوع انسان» است، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۷۲

و بالاخره در آیات گذشته تسبیح پروردگار «علی اعلی» آمده بود، و در اینجا از قرآن که بیانگر این تسبیح است سخن به میان میآورد. می فرماید: «ما به زودی (قرآن را) بر تو می خوانیم و هر گز فراموش نخواهی کرد» (سنقرئک فلا تنسی).

بنابر این هنگام نزول وحی عجله مکن، و هرگز نگران فراموش کردن آیات الهی مباش، آن کس که این آیات بزرگ را برای هدایت انسانها بر تو فرستاده، هم او حافظ و نگاهبان آنهاست.

در جای دیگر میفرماید: «برای خواندن قرآن پیش از آنکه وحی آن بر تو تمام شود عجله مکن، و بگو: پروردگارا! علم مرا افزون کن» (طه/ ۱۱۴).

سورة الأعلى(87): آية 7 ص: 477

(آیه ۷)- سپس برای اثبات قدرت خداوند و این که هر خیر و برکتی است از ناحیه اوست، می افزاید: تو چیزی از آیات الهی را فراموش نمی کنی «مگر آنچه را خدا بخواهد که او آشکار و پنهان را می داند» (الا ما شاء الله انه یعلم الجهر و ما یخفی). مفهوم این تعبیر آن نیست که پیامبر صلّی الله علیه و آله چیزی از آیات الهی از فراموش می کند بلکه هدف بیان این حقیقت است که موهبت حفظ آیات الهی از سوی خداست، و لذا هر لحظه بخواهد می تواند آن را از پیامبرش بگیرد. و این یکی از معجزات پیغمبر اسلام صلّی الله علیه و آله است که آیات و سوره های طولانی را با یکبار تلاوت جبرئیل به خاطر

و این یکی از معجزات پیغمبر اسلام صلی الله علیه و آله است که آیات و سورههای طولانی را با یکبار تلاوت جبرئیل به خاطر میسپرد، و همیشه به خاطر داشت، و چیزی را فراموش نمیکرد.

سورة الأعلى(87): آية 8 ص: 477

(آیه ۸)- سپس پیامبر صلّی الله علیه و آله را دلداری داده، می افزاید: «و ما تو را برای هر کار خیر آماده می کنیم» (و نیسر ک للیسری).

و به تعبیر دیگر هدف بیان این حقیقت است که در راهی که تو در پیش داری مشکلات و سختیها فراوان است، هم در راه گرفتن وحی و حفظ آن، و هم در تبلیغ رسالت و ادای آن، و هم در انجام کارهای خیر و عمل به آن ما در تمام این امور (دریافت وحی و ابلاغ و نشر و تعلیم و عمل کردن به آن) به تو یاری میدهیم برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۷۳ و مشکلات را بر تو آسان میسازیم.

سورة الأعلى(87): آية 9 ص: 473

(آیه ۹)- بعد از بیان موهبت وحی آسمانی به پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله، و وعده توفیق و تسهیل امور برای او، به ذکر مهمترین وظیفه او پرداخته، می فرماید: «پس تذکّر ده اگر تذکر مفید باشد» (فذکر ان نفعت الذکری).

منظور این است که تـذکر به هر حـال سودمنـد است، و افرادی که به هیـچ وجه از آن منتفع نشونـد کمنـد، به علاـوه حـد اقل موجب اتمام حجت بر منکران میشود که این خود منفعت بزرگی است.

و لـذا پیغمبر اکرم صـلّی اللّه علیه و آله برای تبلیغات و تـذکرات خود هیچ قید و شـرطی قائل نبود و همگان را وعظ میکرد و انذار مینمود.

سورة الأعلى(87): آية 10 ص: 473

(آیه ۱۰)- سپس به عکس العمل مردم در برابر تـذکر، وعظ و انذار پرداخته، و آنها را به دو گروه تقسیم میکند، میفرماید: «و به زودی کسی که از خدا می ترسد (و احساس مسؤولیت میکند) متذکر می شود» (سیذکر من یخشی).

آری! تما روح «خشیت» و ترس و یما به تعبیر دیگر روح «حق طلبی» و «حق جوئی» که مرتبهای از تقواست در انسان وجود نداشته باشد از مواعظ الهی و تذکرات پیامبران نفعی نمیبرد، لذا در آغاز سوره بقره قرآن را مایه هدایت برای پرهیز گاران شمرده می گوید: (هدی للمتقین).

سورة الأعلى(87): آية 11 ص: 473

(آیه ۱۱)– و در این آیه به گروه دوم پرداخته، میافزاید: «اما بدبخت ترین افراد از آن دوری می گزیند» یتجنبها الاشقی)

سورة الأعلى(٨٧): آية ١٢ ص: 473

(آیه ۱۲) - در این آیه سرنوشت گروه اخیر را چنین بیان می کند «همان کسی که در آتش بزرگ وارد می شود» (الذی یصلی النار الکبری).

سورة الأعلى(87): آية ١٣ ص: 473

(آیه ۱۳) – «سپس در آن آتش (برای همیشه می ماند) نه می میرد، و نه زنده می شود»! (ثم V یموت فیها و V یحیی).

یعنی نه می میرد که آسوده گردد، و نه حالتی را که در آن است می توان زندگی نام نهاد، بلکه دائما در میان مرگ و زندگی دست و پا می زند، و این بدترین بلا و مصیبت برای آنهاست. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۷۴

توصیف آتش جهنّم به «کبری» در مقابل آتش «صغری» یعنی آتشهای این دنیا می باشد، همان گونه که در حدیثی آمده که امام صادق علیه السّم لام فرمود: «این آتش شما جزئی از هفتاد جزء از آتش دوزخ است، که هفتاد مرتبه با آب خاموش شده، باز شعلهور گردیده و اگر چنین نبود هیچ انسانی قدرت تحمل آن را نداشت و نمی توانست در کنار آن قرار گیرد.

سورة الأعلى(87): آية 14 ص: 474

(آیه ۱۴) - در آیات قبل اشارهای به مجازات سخت کفار معاند، و دشمنان حق شده بود، و در اینجا به نجات اهل ایمان و عوامل این نجات اشاره کرده، میفرماید: «به یقین کسی که پاکی جست (و خود را تزکیه کرد)، رستگار شد» (قد افلح من تزکی).

سورة الأعلى(87): آية 15 ص: 474

(آیه ۱۵)– «و (آن که) نام پروردگارش را یاد کرد سپس نماز خواند» (و ذکر اسم ربه فصلی).

به این ترتیب عامل فلاح و رستگاری و پیروزی و نجات را سه چیز می شمرد، «تزکیه» و «ذکر نام خداوند» و سپس «به جا آوردن نماز». «تزکیه» معنی وسیعی دارد که هم پاکسازی روح از آلودگی شرک، و هم پاکسازی نفس از اخلاق رذیله، و هم پاکسازی عمل از محرمات و هر گونه ریا، و هم پاکسازی مال و جان به وسیله دادن زکات در راه خدا را شامل می شود.

سورة الأعلى(٨٧): آية ١٦ ص: 474

(آیه ۱۶) - سپس به عامل اصلی انحراف از این برنامه فلاح و رستگاری اشاره کرده، می افزاید: «ولی شما زندگی دنیا را مقدم می دارید» (بل تؤثرون الحیاهٔ الدنیا).

سورة الأعلى(87): آية 17 ص: 474

(آیه ۱۷)- «در حالی که آخرت بهتر و پایدارتر است» (و الآخرهٔ خیر و ابقی).

و این در حقیقت همان مطلبی است که در احادیث نیز آمده: «محبت دنیا سر چشمه هر گناهی است».

بنابر این برای قطع ریشههای گناه راهی جز این نیست که حب و عشق دنیا را از دل بیرون کنیم و به دنیا همچون وسیله و یا مزرعهای بنگریم.

سورة الأعلى(87): آية 18 ص: 474

(آیه ۱۸)- و سر انجام در پایان سوره می فرماید: «این دستورها (که گفته شد برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۷۵ منحصر به این کتاب آسمانی نیست، بلکه) در کتب آسمانی پیشین (نیز) آمده است» (ان هذا لفی الصحف الاولی).

سورة الأعلى(٨٧): آية ١٩ ص: 4٧٥

(آیه ۱۹)- «در کتب ابراهیم و موسی» (صحف ابراهیم و موسی).

تعبیر به «صحف اولی» در مورد کتابهای ابراهیم و موسی در برابر صحف اخیر است که بر حضرت مسیح و پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله نازل شده است.

آیات فوق نشان میدهد که حضرت ابراهیم و موسی علیهما السّلام نیز دارای کتابهای آسمانی بودهاند.

در روایتی از أبو ذر میخوانیم که می گوید:

به پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله عرض کردم: انبیا چند نفر بودند؟

فرمود: ۱۲۴ هزار نفر.

گفتم: رسولان آنها چند نفر بودند؟

فرمود: ۳۱۳ نفر، و بقیه فقط «نبی» بودند.

عرض کردم: آدم «نبی» بود؟

فرمود: بله، خداوند با او سخن گفت و او را با دست خود آفرید.

سپس پیامبر صلّی اللّه علیه و آله افزود: ای أبو ذر! چهار نفر از انبیاء عرب بودند: هود و صالح و شعیب و پیامبر تو.

گفتم: ای رسول خدا! خداوند چند کتاب نازل فرمود؟

فرمود: ۱۰۴ کتاب، ده کتاب بر «آدم» پنجاه کتاب بر «شیث» و بر «اخنوخ» که ادریس است سی کتاب، و او نخستین کسی است که با قلم نوشت و بر «ابراهیم» ده کتاب و نیز تورات و انجیل و زبور و فرقان را (بر موسی و مسیح و داود و پیامبر اسلام نازل کرد.)

«پایان سوره اعلی»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۷۷

سوره غاشیه [88] ص: 477

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۲۶ آیه دارد

محتواي سوره: ص: 477

این سوره عمدتا بر سه محور دور میزند: محور اول بحث «معاد» است، مخصوصا کیفرهای دردناک مجرمان و پاداشهای شوق انگیز مؤمنان.

محور دوم بحث «توحید» است که با اشاره به آفرینش آسمان و خلقت کوهها و زمین و توجه انسانها به این سه موضوع اسرار آمیز بیان شده.

و محور سوم بحث از «نبوت» و گوشهای از وظائف پیامبر اسلام صلّی الله علیه و آله است.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 477

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «هر کس آن را تلاقوت کند خداوند حساب او را در قیامت آسان می کند».

و در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: «کسی که مداومت بر قرائت این سوره در نمازهای فریضه یا نافله کند خداوند او را تحت پوشش رحمت خود در دنیا و آخرت قرار میدهد، و در قیامت او را از عذاب آتش امان میبخشد». مسلما این همه ثواب و فضیلت در صورتی عائد میشود که تلاوت انگیزه اندیشه و عمل گردد.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الغاشية(88): آية 1 ص: 477

(آیه ۱)- خستگان بینصیب! در آغاز این سوره به نام تازهای در باره قیامت برخورد می کنیم که آن «غاشیه» است، میفرماید: «آیا داستان غاشیه [- روز قیامت برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۷۸

كه حوادث وحشتناكش همه را مي پوشاند] به تو رسيده است»؟! (هل اتاك حديث الغاشية).

«غاشیه» از ماده «غشاوهٔ» به معنی پوشاندن است، انتخاب این نام برای قیامت به خاطر آن است که حوادث وحشتناک آن ناگهان همه را زیر پوشش خود قرار میدهد.

سورة الغاشية(88): آية 2 ص: 478

(آیه ۲)- سپس به بیان چگونگی حال مجرمان پرداخته، می گوید:

«چهرههائی در آن روز خاشع و ذلتبارند» (وجوه یومئذ خاشعهٔ).

ذلت و ترس از عـذاب و کیفرهـای عظیم آن روز تمام وجود آنها را فرا گرفته، و از آنجا که حالات روحی انسان بیش از همه جا در چهره او منعکس میشود، اشاره به خوف و ذلت و وحشتی میکند که سراسر چهره آنها را میپوشاند.

سورة الغاشية(88): آية 3 ص: 478

(آیه ۳)- آنگاه می افزاید: «آنها که پیوسته عمل کرده و خسته شدهاند» (عاملهٔ ناصبهٔ).

تلاش و کوشش زیادی در زندگی دنیا به خرج میدهند، ولی هیچ فایدهای جز خستگی نصیبشان نمی شود، نه عمل مقبولی در در گاه خدا دارند، و نه نام نیکی از خود به یادگار می گذارند، و نه فرزند صالحی، آنها زحمتکشان خسته و بینوایند، و چه تعبیر رسائی است جمله «عاملهٔ ناصبهٔ» در حق آنان.

سورة الغاشية(88): آية 4 ص: 478

(آیه ۴)- «و (سر انجام این زحمتکشان خسته و بیهوده گر) در آتش سوزان وارد می گردند» و با آن می سوزند (تصلی نارا حامیهٔ).

سورة الغاشية(88): آية ۵ ص: 478

(آیه ۵)- ولی مجازات آنها به همین جا ختم نمی گردد، بلکه هنگامی که بر اثر حرارت آتش تشنه می شوند «از چشمه ای بسیار داغ به آنها می نوشانند» (تسقی من عین آنیهٔ).

در آیه ۲۹ سوره کهف میخوانیم: «و اگر تقاضای آب کنند آبی برای آنها می آورند مانند فلز گداخته که صورتهایشان را بریان می کند، چه بد نوشیدنی است و چه بد محل اجتماعی»؟!

سورة الغاشية (88): آية 6 ص: 478

(آیه ۶)- و در این آیه در باره خوراک آنها به هنگامی که گرسنه می شوند برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۷۹ می افزاید: «غذایی جز از ضریع [- خار خشک تلخ و بدبو] ندارند» (لیس لهم طعام الا من ضریع).

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «ضریع چیزی است که در آتش دوزخ، شبیه خار، تلخ تر از «صبر» و متعفن تر از مردار، و سوزنده تر از آتش، خداوند آن را ضریع نام نهاده است».

سورة الغاشية(88): آية 7 ص: 479

(آیه ۷)- سپس می افزاید: «غذائی که نه آنها را فربه می کند و نه از گرسنگی می رهاند» (لا یسمن و لا یغنی من جوع). آنها که در این دنیا انواع غذاهای لذیذ و چرب و شیرین را از طریق ظلم و تجاوز به حقوق دیگران فراهم کردند، و آنها که اجازه ندادند محرومان جز از غذاهای گلوگیر و ناگوار استفاده کنند، باید در آنجا غذائی داشته باشند که «عذاب الیم» آنها گردد.

سورة الغاشية(88): آية 8 ص: 479

(آیه ۸)- دورنمایی از نعمتهای روح پرور بهشتی: به دنبال توصیفی که در آیات گذشته از حال مجرمان و بدکاران در جهان دیگر و عذابهای دوزخی آمده، در اینجا به شرح حال مؤمنان نیکوکار، و توصیف نعمتهای بینظیر بهشتی میپردازد، تا «قهر» را با «مهر» بیامیزد، و «انذار» را با «بشارت» همراه سازد.

می فرماید: «چهره هائی در آن روز شاداب و باطراو تند» (وجوه یومئذ ناعمهٔ).

به عکس چهره بدکاران که در آیات قبل به آن اشاره شده بود که غرق ذلت و اندوه است.

سورة الغاشية(88): آية 9 ص: 479

(آیه ۹)- این چهرهها چنان مینماید که: «از سعی و تلاش خود خشنودند» (لسعیها راضیهٔ).

به عکس دوزخیان که از تلاش و کوشش خود جز خستگی و رنج بهرهای نبردند، بهشتیان نتایج تلاش و کوشش خود را به احسن وجه می بینند و کاملا راضی و خشنودند.

تلاشهائی که در پرتو لطف خدا به اضعاف مضاعف، گاه ده برابر، و گاه هفتصد برابر، و گاه بیشتر، رشد و نمو یافته، و گاهی با آن جزای بیحساب را خریداری کردهاند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۸۰

سورة الغاشية(88): آية 10 ص: 480

(آیه ۱۰)- سپس به شرح این مطلب پرداخته، می گوید: «در بهشتی عالی جای دارند» (فی جنهٔ عالیهٔ).

آرى! آنها در طبقات عالى و مقامات بالاى بهشتند.

سورة الغاشية(88): آية 11 ص: 480

(آیه ۱۱)- بعد به توصیف دیگری از این بهشت که جنبه روحانی و معنوی دارد پرداخته، میافزاید: «در آنجا هیچ سخن لغو و بیهودهای نمی شنوند» (لا تسمع فیها لاغیهٔ).

و چه آرام بخش است محیطی که از همه این سخنان پاک باشد، و اگر درست بیندیشیم قسمت عمده ناراحتیهای زندگی دنیا از شنیدن این گونه سخنان است که آرامش روح و جان و نظامات اجتماعی را برهم میزند و آتش فتنه ها را شعله ور می سازد.

سورة الغاشية(88): آية 12 ص: 480

(آیه ۱۲)- بعد از ذکر این نعمت روحانی و آرامش که بر روح و جان بهشتیان به خاطر نبودن سخنان لغو و بیهوده حکم فرماست به بیان قسمتی از نعمتهای مادی بهشت پرداخته، می گوید: «در آن چشمهای جاری است» (فیها عین جاریهٔ). چشمهای که مطابق میل بهشتیان به هر طرف که بخواهند جریان پیدا می کند، و نیازی به شکافتن نهر و ساختن بستر ندارد. وجود چشمههای متعدد علاوه بر افزودن بر زیبائی و طراوت، این فایده را نیز دارد که هر کدام نوشابه مخصوصی دارد و ذائقه بهشتیان را هر زمان با انواع شراب طهور شیرین و معطر می کند.

سورة الغاشية(88): آية ١٣ ص: 480

(آیه ۱۳)- بعد از ذکر چشمه ها به سراغ تختهای بهشتی می رود، می فرماید:

«در آن (باغهای بهشتی) تختهای زیبای بلندی است» (فیها سرر مرفوعهٔ).

بلند بودن این تختها به خاطر آن است که بهشتیان بر تمام مناظر و صحنه های اطراف خود مسلط باشند، و از مشاهده آن لذت برند.

سورة الغاشية(88): آية 14 ص: 480

(آیه ۱۴) – و از آنجا که استفاده از آن چشمههای گوارا و شرابهای طهور بهشتی، نیاز به ظرفهایی دارد، در این آیه میافزاید: «و قدحهایی (که در کنار این چشمه) نهاده» (و اکواب موضوعهٔ). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۸۱ هر زمان اراده کنند قدحها از چشمهها پر میشود، تازه به تازه مینوشند، و سیراب میشوند و لذت میبرند، لذتی که توصیفش برای ساکنان دنیا غیر ممکن است.

سورة الغاشية(88): آية 15 ص: 481

(آیه ۱۵)- باز به نکته های بیشتری از جزئیات نعمتهای بهشتی پرداخته، اضافه می کند: «و بالشها و پشتیهای صف داده شده» (و نمارق مصفوفهٔ).

تعبیر به «مصفوفه» اشاره به تعدد و نظم خاصی است که بر آنها حاکم است، این تعبیر نشان می دهد که آنها جلسات انس دسته جمعی تشکیل می دهند.

سورة الغاشية(88): آية 16 ص: 481

(آیه ۱۶) – و در این آیه، به فرشهای زیبای بهشتی اشاره کرده، میفرماید: «و (در آنجا) فرشهای فاخر گسترده شده» (و زرابی مبثوثهٔ).

سورة الغاشية(88): آية 17 ص: 481

(آیه ۱۷) – به شتر نگاه کن که خود آیتی است! در آیات گذشته بحثهای فراوانی پیرامون بهشت و نعمتهایش آمده بود، اما در اینجا سخن از کلید اصلی وصول به آن همه نعمتها که «معرفهٔ الله» است به میان آمده، و با ذکر چهار نمونه از مظاهر قدرت خداوند، از خلقت بدیع خدا، و دعوت انسان به مطالعه در باره آنها راه ورود به بهشت را نشان می دهد، در ضمن اشارهای است به قدرت بی پایان خدا که کلید حل مسأله «معاد» است.

نخست می فرماید: «آیا آنان به شتر نمی نگرند که چگونه آفریده شده است»؟

(ا فلا ينظرون الى الابل كيف خلقت).

پیـداست که روی سـخن در مرحله اول به اعراب «مکّه» بود که «شتر» همه چیز زندگی آنها را تشکیل میداد، و شب و روز با آن سر و کار داشتند.

از این گذشته این حیوان ویژگیهای عجیبی دارد که او را از حیوانات دیگر ممتاز میکند، و به حق آیتی است از آیات خدا، از جمله این که:

۱- شتر حیوانی است که هم گوشتش قابل استفاده است، و هم شیرش، هم از آن برای سواری و هم باربری استفاده می شود.

۲- شتر نیرومندترین و با مقاومت ترین حیوان اهلی است.

۳- شــتر می توانــد روزهــای متوالی (حــدود یـک هفته الی ده روز) تشـنه بمانــد، و در مقابـل گرسـنگی نیز تحمـل بسـیار دارد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۸۲

۴- شتر می تواند هر روز مسافتی طولانی را طی کند، و از زمینهای صعب العبور، و شنزارهائی که هیچ حیوانی قادر بر عبور از آن نیست بگذرد، و به همین دلیل عربها آن را «کشتی بیابانها» می نامند.

۵- از نظر تغذیه بسیار کم خرج است و هرگونه خار و خاشاکی را میخورد.

خلاصه این که ویژگیهای این حیوان چنان است که دقت در آفرینش او انسان را متوجه خالق بزرگی می کند که آفریننده چنین موجودی است.

نـاگفته پیـداست منظور از «نظر» در جمله «ا فلاـ ینظرون» نگـاه کردن عـادی نیست، بلکه نگاهی است تو أم با تفکر و انـدیشه و دقت.

سورة الغاشية(88): آية 18 ص: 482

(آیه ۱۸)- و بعد از آن به آسمان پرداخته، می فرماید: «و (آیا) به آسمان نگاه نمی کنند که چگونه برافراشته شده»؟! (و الی السماء کیف رفعت).

چگونه این کرات عظیم هر یک در مدار خود میخکوب شدهاند؟ و بدون ستونی در جای خود قرار گرفتهاند؟ میلیونها سال بر کرات منظومه شمسی می گذرد و محورهای اصلی حرکت این کرات تغییر نمی یابد.

آیا نباید در باره خالق و مدبر این جهان بزرگ اندیشید و به اهداف بزرگ و والای او نزدیک شد؟!

سورة الغاشية(88): آية 19 ص: 482

(آیه ۱۹)- سپس می افزاید: «و (آیا) به کوهها نگاه نمی کنند که چگونه در جای خود نصب گردیده»؟! (و الی الجبال کیف

نصبت).

کوههائی که ریشههای آن به یکدیگر متصل است، و همچون حلقههای زره گرداگرد زمین را فرا گرفته، و لرزشهای ناشی از مواد مذاب درونی، و جذر و مد ناشی از جاذبههای ماه و خورشید را به حد اقل میرساند.

«نصبت» از ماده «نصب» به معنی ثابت قرار دادن است، و ممکن است این تعبیر ضمنا اشارهای به کیفیت خلقت کوهها در آغاز آفرینش نیز بوده باشد، همان چیزی که علم امروز پرده از آن برداشته، و پیدایش کوهها را به عوامل متعددی نسبت میدهد، و انواع و اقسامی برای آن قائل است:

کوههائی که بر اثر چین خوردگی زمین پیدا شده. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۸۳

كوههائي كه از آتشفشانها به وجود آمده.

کوههائی که نتیجه آبرفتهای ناشی از باران است.

و کوههائی که در دل دریاها تکوین می یابد و مجموعهای است از رسوبات دریا و باقی مانده حیوانات آن-مانند کوهها و جزائر مرجانی.

آری! هر کدام از این کوهها، و آثار و برکات آنها برای انسانهای بیدار نشانههای زندهای است از قدرت پروردگار.

سورة الغاشية (88): آية 20 ص: 483

(آیه ۲۰)- سپس به زمین پرداخته، می گوید: «و (آیا) به زمین (نگاه نمی کنند) که چگونه گسترده و هموار گشته است»؟ (و الی الارض کیف سطحت).

چگونه بارانهای مداوم کوهها را شسته، و ذرات خاک را به وجود آورده، سپس در گودالها پهن کرده و زمینهای صافی که هم آماده کشاورزی است و هم قابل هرگونه ساختمان، در اختیار انسان قرار داده است؟

اگر به راستی کره زمین تماما کوه و دره بود زندگی کردن بر آن چقدر مشکل و طاقت فرسا بود؟ چه کسی آن را پیش از تولد ما مسطح و قابل استفاده ساخت؟

امور چهارگانهای که در آیات فوق آمده-شتر، آسمان، کوهها، زمین-زیر بنای زندگی انسان را تشکیل می دهد:

آسمان کانون نور است و باران و هوا، و زمین مرکز پرورش انواع مواد غذائی، کوهها رمز آرامش و ذخیره آب و مواد معدنی، و شتر نمونه روشنی از چهارپایان اهلی که در اختیار بشر قرار دارد.

به این ترتیب هم مسائل کشاورزی، هم دامداری و هم صنعتی در این امور چهارگانه نهفته شده است، و اندیشه در این نعمت نعمتهای گوناگون، خواه ناخواه انسان را به شکر منعم وا میدارد، و شکر منعم او را به معرفت الله و شناخت خالق نعمت دعوت می کند.

سورة الغاشية (88): آية 21 ص: 483

(آیه ۲۱)- و به دنبال این بحث توحیدی روی سخن را به پیامبر کرده، می گوید: «پس اکنون که چنین است آنها را) تذکر ده که تو فقط تذکر دهندهای» (فذکر انما انت مذکر).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۸۴

سورة الغاشية(88): آية 22 ص: 484

(آیه ۲۲)- «تو سلطه گر بر آنان نیستی که (بر ایمان) مجبورشان کنی» (لست علیهم بمصیطر).

آری! آفرینش آسمان و زمین و کوهها و حیوانات نشان میدهد که این عالم بیحساب نیست، و آفرینش انسان نیز هدفی داشته، اکنون که چنین است آنها را با تذکرات خویش به اهداف خلقت و آفرینش آشنا ساز، و راه قرب خدا را به آنها نشان ده، و در مسیر تکامل رهبر و راهنمایشان باش.

البته راه کمال در صورتی پیموده میشود که با میل و اراده و اختیار همراه باشد، تو هرگز نمیتوانی آنها را مجبور سازی، و اگر هم میتوانستی فایدهای نداشت.

سورة الغاشية(88): آية 23 ص: 484

(آیه ۲۳)- در این آیه به صورت یک استثنا، می فرماید: «مگر کسی که پشت کند و کافر شود» (الا من تولی و کفر). که در برابر آنها به زور متوسل شو و مقابله کن.

سورة الغاشية(88): آية 24 ص: 484

(آیه ۲۴)- «که خداوند او را به عذاب بزرگ مجازات می کند» (فیعذبه الله العذاب الاکبر).

منظور از عذاب اکبر یا «عذاب آخرت» است در برابر «عذاب دنیا» که عذاب کوچک و کم اهمیت نسبت به آن است و یا قسمت شدیدتری از عذاب قیامت و دوزخ است زیرا عذاب همه مجرمان در دوزخ یکسان نیست.

سورة الغاشية(88): آية 25 ص: 484

(آیه ۲۵)- و در پایان سوره با لحنی تهدید آمیز می گوید: «به یقین بازگشت (همه) آنها به سوی ما است» (ان الینا ایابهم).

سورة الغاشية(88): آية 25 ص: 484

(آیه ۲۶)- بعد می افزاید: «و مسلما حسابشان (نیز) بر ما است» (ثم ان علینا حسابهم).

و این در حقیقت نوعی دلداری و تسلی خاطر به پیامبر صلّی الله علیه و آله است که در مقابل لجاجت آنها ناراحت و دلسرد نشود، و به کار خود ادامه دهد، و در ضمن تهدیدی است نسبت به همه این کافران لجوج که بدانند حسابشان با کیست. به این ترتیب سوره غاشیه که از مسأله قیامت آغاز شد به مسأله قیامت نیز پایان می یابد.

«پایان سوره غاشیه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۸۵

سوره فجر [۸۹] ص: ۴۸۵

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۳۰ آیه است

محتوای سوره: ص : 485

در بخش اول این سوره به سو گندهای متعددی برخورد می کنیم که در نوع خود بی سابقه است، و این قسمها مقدمهای است برای تهدید جبّاران به عذاب الهی.

در بخش دیگری از این سوره اشارهای به بعضی از اقوام طغیانگر پیشین مانند قوم عاد و ثمود و فرعون، و انتقام شدید خداوند از آنان کرده است، تا قدرتهای دیگر حساب خود را برسند.

در سومین بخش این سوره به تناسب بخشهای گذشته اشاره مختصری به امتحان و آزمایش انسان دارد.

در آخرین بخش این سوره به سراغ مسأله معاد و سرنوشت مجرمان و کافران، و همچنین پاداش عظیم مؤمنانی که صاحب نفوس مطمئنه هستند میرود.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 485

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «کسی که آن را در شبهای دهگانه (ده شب اول ذی الحجه) بخواند خداوند گناهان او را می بخشد و کسی که در سایر ایام بخواند نور و روشنائی خواهد بود برای روز قیامتش».

در حدیثی از امام صادق علیه السّ_ی لام میخوانیم: «سوره فجر را در هر نماز واجب و مستحب بخوانید که سوره حسین بن علی علیه السّلام است، هر کس آن را بخواند با برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۸۶

حسين بن على عليه السّلام در قيامت در درجه او از بهشت خواهد بود».

معرفی این سوره به عنوان «سوره حسین بن علی» علیه السّ لام ممکن است به خاطر این باشد که مصداق روشن «نفس مطمئنه» که در آخرین آیات این سوره مخاطب واقع شده حسین بن علی علیه السّ لام است، همان گونه که در حدیثی از امام صادق علیه السّلام ذیل همین آیات آمده است.

و به هر حال این همه پاداش و فضیلت از آن کسانی است که تلاوت آن را مقدمهای برای اصلاح خویش و خودسازی قرار دهند.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الفجر(89): آية 1 ص: 489

(آیه ۱)- در آغاز این سوره به پنج سوگند بیدارگر اشاره شده نخست می فرماید: «به سپیده دم سوگند» (و الفجر).

سورة الفجر(89): آية ٢ ص: 489

(آیه ۲)- «و به شبهای دهگانه» (و لیال عشر).

«فجر» در اصل به معنی شکافتن وسیع است، و از آنجا که نور سپیده صبح تاریکی شب را میشکافد از آن تعبیر به «فجر» شده است.

بعضی گفتهاند: منظور از «فجر» هر روشنائی است که در دل تاریکی میدرخشد.

بنابر این درخشیدن اسلام و نور پاک محمدی صلّی الله علیه و آله در تاریکی عصر جاهلیت یکی از مصادیق «فجر» است، و همچنین درخشیدن سپیده صبح قیام حضرت مهدی (عج) هنگام فرو رفتن جهان در تاریکی و ظلمت ظلم و ستم، مصداق دیگری از آن محسوب می شود - همان گونه که در بعضی از روایات به آن اشاره شده است.

و قیام عاشورای حسینی در آن دشت خونین کربلا، و شکافتن پردههای تاریک ظلم بنی امیه، و نشان دادن چهره واقعی آن دیو صفتان مصداق دیگر بود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۸۷

و همچنین تمام انقلابهای راستینی که بر ضد کفر و جهل و ظلم و ستم در تاریخ گذشته و امروز انجام می گیرد.

و حتى نخستين جرقه هاى بيدارى كه در دلهاى تاريك گنهكاران ظاهر مى شود و آنها را به توبه دعوت مى كند «فجر» است. البته اين يك توسعه در مفهوم آيه است در حالى كه ظاهر آيه همان «فجر» به معنى طلوع سپيده صبح است.

و اما «لیال عشر» (شبهای دهگانه) مشهور همان شبهای دهگانه ذی الحجه است که شاهد بزرگترین و تکان دهنده ترین اجتماعات عبادی- سیاسی مسلمین جهان یعنی حجّ است.

بعضی نیز آن را به ده شب آخر ماه مبارک رمضان که شبهای قدر در آن است و بعضی آن را به شبهای آغاز ماه محرم، تفسیر کردهاند- البته جمع میان هر سه تفسیر ممکن است.

در بعضی از روایاتی که اشاره به بطون قرآن می کند «فجر» به وجود حضرت مهدی- عج- و «لیال عشر» به ده امام قبل از او، و «شفع» که در آیه بعد می آید به حضرت «علی» و «فاطمه زهرا» علیهم السّلام تفسیر شده است.

سورة الفجر(89): آية 3 ص: 487

(آیه ۳)- سپس سو گندها را ادامه داده، می افزاید: «و به زوج و فرد» (و الشفع و الوتر).

در تفسیر «شفع» و «وتر» (زوج و فرد) در این آیه بالغ برسی و شش قول نقل کردهاند ولی دو معنی از همه مناسبتر است. -

نخست این که: منظور روز عید قربان و روز عرفه باشد که با شبهای دهگانه آغاز ذی الحجه مناسبت کامل دارد، و مهمترین قسمتهای مناسک حج در آنها انجام می شود.

دوم این که منظور همان نماز شفع و وتر است که در آخر نافله شب خوانده می شود و این با سوگند به فجر- که وقت سحر گاهان و وقت راز و نیاز به درگاه پروردگار است- مناسب است بخصوص این که هر دو تفسیر در روایاتی که از برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۸۸

معصومین نقل شده نیز وارد است.

سورة الفجر(89): آية 4 ص: 488

(آیه ۴)- و بالاخره در آخرین سوگند، میفرماید: «و به شب هنگامی که (به سوی روشنائی روز) حرکت میکند سوگند» (و اللیل اذا یسر). که پروردگارت در کمین ظالمان است! گوئی شب موجود زندهای است و دارای حس و حرکت که در

تاریکی خود گام بر می دارد، و به سوی صبحی روشن حرکت می کند.

اگر الف و لام «اللّیل» به معنی عموم باشد تمام شبها را شامل می شود که خود آیتی است از آیات خدا، و پدیدهای است از پدیده های مهم آفرینش.

و اگر الف و لام آن عهد باشد اشاره به شب معینی است، و به تناسب سو گندهای گذشته منظور شب عید قربان است که حاجیان از عرفات به «مزدلفه» (مشعر الحرام) و بعد از گذراندن شب در آن وادی مقدس به هنگام طلوع آفتاب به سوی سرزمین منی روان می شوند- این تفسیر در روایاتی که از معصومین نقل شده نیز آمده است.

به هر حال شب از آیات عظمت الهی است، و از موضوعات پر اهمیت عالم هستی، شب حرارت هوا را تعدیل می کند، و به همه موجودات آرامش می بخشد، و جوّ آرامی برای راز و نیاز به در گاه خدا فراهم می سازد.

به هر حال پیوند این قسمهای پنجگانه (سو گند به فجر، و شبهای دهگانه، و زوج و فرد و شب به هنگامی که حرکت می کند) در صورتی که همه را ناظر به ایام ذی الحجه و مراسم بزرگ حج بدانیم روشن است.

در غیر این صورت اشاره به مجموعهای از حوادث مهم عالم تکوین و تشریع شده که نشانههایی هستند از عظمت خداونـد و پدیدههایی هستند شگفت انگیز در عالم هستی.

سورة الفجر(89): آية ٥ ص: 488

(آیه ۵)- بعد از ذکر این قسمهای پر معنی و بیدارگر، میافزاید: «آیا در آنچه گفته شد سوگند مهمی برای صاحبان خرد نیست»؟! (هل فی ذلک قسم لذی حجر).

«حجر» در اصل به معنی «منع» میباشد و از آنجا که «عقل» انسان را از برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۸۹ کارهای نادرست منع میکند از آن تعبیر به «حجر» شده.

سورة الفجر(89): آية 6 ص: 489

(آیه ۶)- پروردگارت در کمین ظالمان است! به دنبال آیات گذشته که متضمن سوگندهای پر معنایی در باره مجازات طغیانگران بود، در اینجا به چند قوم نیرومند از اقوام پیشین که هر کدام برای خود قدرتی عظیم داشتند، اما راه طغیان و کفر را پیش گرفتند اشاره میکند، و سرنوشت دردناک آنها را روشن میسازد.

مى فرمايد: «آيا نديدى پروردگارت با قوم عاد چه كرد؟» (الم تركيف فعل ربك بعاد).

منظور از «رؤیت» (دیـدن) در اینجا علم و آگاهی است، منتها از آنجا که داسـتان این اقوام به قدری مشـهور و معروف بوده که گوئی مردم زمانهای بعد نیز آن را با چشم خود میدیدند تعبیر به «رؤیت» شده است.

«عـاد» همـان قوم پيـامبر بزرگ خـدا «هود» بودنـد و احتمالاـحـدود هفتصـد سـال قبل از ميلاد مسـيح (ع) وجود داشـتند و در سرزمين «احقاف» يا «يمن» زندگي مي كردند.

سورة الفجر (89): آية ٧ ص: 489

(آیه ۷)- سپس می افزاید: «و با آن شهر ارم با عظمت» (ارم ذات العماد).

«عماد» به معنی ستون اشاره به ساختمانهای با عظمت و کاخهای رفیع و ستونهای عظیمی است که در این کاخها به کار رفته بود.

سورة الفجر(89): آية 8 ص: 489

(آیه ۸)- و لذا در این آیه، می افزاید: «همان شهری که مانندش آفریده نشده بود» (التی لم یخلق مثلها فی البلاد). این تعبیر نشان می دهد که منظور از «ارم» همان شهر بی نظیر آنهاست.

سورة الفجر (89): آية 9 ص: 489

(آیه ۹) – سپس به سراغ دومین گروه طغیانگر از اقوام پیشین می رود، می فرماید: «و قوم ثمود که صخره های عظیم را از (کنار) درّه می بریدند» و از آن خانه و کاخ می ساختند (و ثمود الذین جابوا الصخر بالواد).

قوم «ثمود» از قدیمی ترین اقوامند و پیامبرشان «صالح» (ع) بود، و در سرزمینی به نام «وادی القری» میان مدینه و شام زندگی داشتند، دارای تمدّنی پیشرفته و زندگانی مرفّه و ساختمانهای عظیم و پیشرفته بودند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۹۰

سورة الفجر(89): آية 10 ص: 490

(آیه ۱۰)- سپس به سومین قوم پرداخته، می گوید: «و فرعونی که قدرتمند و شکنجه گر بود»! (و فرعون ذی الاوتاد).

اشاره به این که آیا ندیدی خداوند با قوم فرعون قدر تمند و ظالم و بیدادگر چه کرد؟! «او تاد» به معنی میخ است و فرعون را «ذی الاو تاد» گفتهاند زیرا او دارای لشکر فراوانی بود که بسیاری از آنها در خیمه ها زندگی می کردند، و چادرهای نظامی را که برای آنها برپا می شد با میخها محکم می کردند.

دیگر این که بیشترین شکنجه فرعون نسبت به کسانی که مورد خشم او قرار می گرفتند این بود که آنها را به چهار میخ می کشید، دستها و پاهای او را با میخ به زمین می بست، یا با میخ به زمین می کوبید، و یا بر روی قطعه چوبی می خواباندند و دست و پای او را با میخ به آن می کوبیدند، یا می بستند و به همان حال رها می کردند تا بمیرد!

سورة الفجر(89): آية 11 ص: 490

(آیه ۱۱)- سپس در یک جمع بندی به اعمال این اقوام سه گانه اشاره کرده، می افزاید: «همان اقوامی که در شهرها طغیان کردند» (الذین طغوا فی البلاد).

سورة الفجر(89): آية 12 ص: 490

(آیه ۱۲) – «و فساد فراوان در آنها به بار آوردند» (فاکثروا فیها الفساد).

فساد که شامل هرگونه ظلم و ستم و تجاوز و هوسرانی و عیاشی میشود در واقع یکی از آثار طغیان آنها بود.

سورة الفجر(89): آية 13 ص: 490

(آیه ۱۳)- سپس در یک جمله کوتاه و پر معنی به مجازات دردناک همه این اقوام طغیانگر اشاره کرده، می افزاید: «به همین سبب خداوند تازیانه عذاب را بر آنها فرو ریخت» (فصب علیهم ربک سوط عذاب).

این تعبیر کوتاه اشاره به مجازاتهای شدید و مختلفی است که دامنگیر این اقوام شد، اما «عاد» به وسیله تندباد سرد و سوزناک هلاک شدند (حاقه/ ۶).

و قوم ثمود به وسیله صبحه عظیم آسمانی نابود شدند (حاقه/ ۵).

و اما قوم فرعون در میان امواج نیل غرق و مدفون گشتند (زخرف/ ۵۵).

سورة الفجر(89): آية 14 ص: 490

(آیه ۱۴) - و در این آیه، به عنوان هشدار به همه کسانی که در مسیر آن اقوام برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۹۱ طغیانگر گام بر می دارند، می فرماید: «به یقین پروردگار تو در کمینگاه (ستمگران) است» و مراقب اعمال بندگان (ان ربک لبالمرصاد).

اشاره به این که گمان نکنید کسی می تواند از چنگال عذاب الهی بگریزد، همه در قبضه قدرت او هستند و هر وقت اراده کند آنها را مجازات می نماید.

تعبیر به «ربّک» (پروردگار تو) اشاره به این است که سنّت الهی در مورد اقوام سرکش و ظالم و ستمگر در امت تو نیز جاری می شود و هم تسلی خاطری است برای پیامبر صلّی الله علیه و آله و مؤمنان که بدانند این دشمنان لجوج کینه توز از چنگال قدرت خدا هر گز فرار نخواهند کرد، و هم اعلام خطری است به آنها که هر گونه ظلم و ستمی را به پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله و مؤمنان روا می داشتند، آنها باید بدانند کسانی که از آنان قدر تمند تر و نیرومند تر بودند در مقابل یک تندباد، یک طوفان و یا یک جرقه و صیحه آسمانی، تاب مقاومت نیاوردند، اینها چگونه فکر می کنند می توانند با این اعمال خلافشان از عذاب الهی نجات یابند.

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم که فرمود: «روح الامین به من خبر داد در آن هنگام که خداوند یکتا خلایق را از اولین و آخرین در صحنه قیامت متوقف میسازد، جهنم را میآورد، و صراط را که باریکتر از مو و تیزتر از شمشیر است بر آن مینهد، و بر صراط سه پل قرار دارد، روی پل اول امانت و درستکاری و رحمت و محبت است و بر پل دوم نماز و بر پل سوم عدل پروردگار جهان! و به مردم دستور داده میشود که از آن بگذرند، آنها که در امانت و رحم کوتاهی کرده باشند، در پل دوم میمانند، و اگر از آن بگذرند و اگر از آن بگذرند چنانچه در نماز کوتاهی کرده باشند، در پل دوم میمانند، و اگر از آن بگذرند در پایان مسیر در برابر عدل الهی قرار می گیرند، و این است معنی آیه (ان ربک لبالمرصاد).

سورة الفجر(89): آية 15 ص: 491

(آیه ۱۵)– نه از نعمتش مغرور باش و نه از سلب نعمت مأیوس! در تعقیب آیات گذشته که به طغیانگران هشدار می داد و آنها را به مجازات الهی تهدید می کرد، در اینجا به مسأله امتحان که معیار ثواب و عقاب الهی است و مهمترین مسأله زندگی انسان محسوب می شود می پردازد، می فرماید: «اما انسان برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۹۲

هنگامی که پروردگارش او را برای آزمایش، اکرام میکند و نعمت میبخشد (مغرور میشود و) میگوید: پروردگارم مرا گرامی داشته است»! (فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاکرمه و نعمه فیقول ربی اکرمن).

او نمی داند که آزمایش الهی گاه با نعمت است، و گاه با انواع بلا، نه روی آوردن نعمت باید مایه غرور گردد، و نه بلاها مایه یأس و نومیدی.

سورة الفجر (89): آية 16 ص: 497

(آیه ۱۶)– «و اما هنگامی که برای امتحان، روزیش را بر او تنگ می گیرد (مأیوس میشود و) می گویـد: پروردگارم مرا خوار کرده است»! (و اما اذا ما ابتلاه فقدر علیه رزقه فیقول ربی اهانن).

یأس سر تا پای او را فرا می گیرد، و از پروردگارش می رنجد، غافل از این که اینها همه وسائل آزمایش و امتحان اوست-که خداوند طبق حکمتش هر گروهی را به چیزی آزمایش می کند- امتحانی که رمز پرورش و تکامل انسان، و به دنبال آن سبب استحقاق ثواب، و در صورت مخالفت مایه استحقاق عذاب است.

در آیه ۵۱ سوره فصلت، نیز آمده است: «هنگامی که نعمتی به انسان میدهیم روی می گرداند و با تکبر از حق دور می شود، اما هنگامی که مختصر ناراحتی به او برسد پیوسته دعا می کند و بیتابی می نماید».

و در آیه ۹ سوره هود، آمده است: «هرگاه ما به انسان رحمتی بچشانیم سپس از او بگیریم نومید و ناسپاس می شود».

سورة الفجر (89): آية 17 ص: 497

(آیه ۱۷) - سپس به شرح اعمالی که موجب دوری از خدا و گرفتاری در چنگال مجازات الهی می شود پرداخته، می فرماید: «چنان نیست که شما می پندارید (که اموالتان دلیل بر مقام شما نزد پروردگار است، بلکه اعمالتان حاکی از دوری شما از خداست) شما یتیمان را گرامی نمی دارید» (کلا بل لا تکرمون الیتیم).

سورة الفجر (89): آية ١٨ ص: 49٢

(آیه ۱۸)- «و یکدیگر را بر اطعام مستمندان تشویق نمی کنید» (و لا تحاضون علی طعام المسکین).

قابل توجه این که در مورد یتیمان از «اطعام» سخن نمی گوید، بلکه از «اکرام» برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۹۳

سخن می گوید، چرا که در مورد یتیم تنها مسأله گرسنگی مطرح نیست، بلکه از آن مهمتر، جبران کمبودهای عاطفی اوست. بایـد آن چنان مورد اکرام قرار گیرد که جای خالی پـدر را احساس نکنـد، و لذا در روایات اسـلامی به مسأله محبت و نوازش

یتیمان اهمیت خاصی داده شده است.

جمله «لا تحاضّون» اشاره به این است که تنها اطعام مسکین کافی نیست، بلکه مردم باید یکدیگر را بر این کار خیر تشویق کنند، تا این سنت در فضای جامعه گسترش یابد.

سورة الفجر(89): آية 19 ص: 493

(آیه ۱۹) - سپس به سومین کار زشت آنها اشاره کرده، و آنها را مورد نکوهش قرار داده، می افزاید: «میراث را (از طریق مشروع و نامشروع) جمع کرده می خورید» (و تأکلون التراث اکلالما).

بدون شک خوردن اموالی که از طریق میراث مشروع به انسان رسیده کار مذمومی نیست، بنابراین نکوهش این کار در آیه فوق ممکن است اشاره به یکی از امور زیر باشد.

نخست این که منظور جمع میان حق خود و دیگران است بخصوص این که عادت عرب جاهلی این بود که زنان و کودکان را از ارث محروم می کردند، و حق آنها را برای خود بر میداشتند.

دیگر این که وقتی ارثی به شما میرسد به بستگان فقیر و محرومان جامعه هیچ انفاق نمیکنید، جائی که با اموال ارث که بدون زحمت به دست میآید چنین میکنید، مسلما در مورد درآمد دسترنج خود بخیلتر و سختگیرتر خواهید بود و این عیب بزرگی است.

سوم این که منظور خوردن ارث یتیمان و حقوق صغیران است زیرا بسیار دیده شده که افراد بی ایمان یا بی بند و بار هنگامی که دستشان به اموال ارث می رسد به هیچ وجه ملاحظه یتیم و صغیر را نمی کنند، و از این که آنها قدرت بر دفاع از حقوق خویش ندارند حد اکثر سوء استفاده را می کنند، و این از زشت ترین بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۹۴ و شرم آور ترین گناهان است.

جمع میان هر سه تفسیر نیز امکان پذیر است.

سورة الفجر (89): آية 20 ص: 494

(آیه ۲۰)- بعد به چهارمین عمل نکوهیده آنها پرداخته، می افزاید: «و مال و ثروت را بسیار دوست می دارید» و به خاطر آن گناهان زیادی مرتکب می شوید! (و تحبون المال حبا جما).

شما افرادی دنیا پرست، ثروت اندوز، عاشق و دلباخته مال و متاع دنیا هستید، و مسلما کسی که چنین علاقه فوق العادهای به مال و ثروت دارد به هنگام جمع آوری آن ملاحظه مشروع و نامشروع و حلال و حرام را نمی کند، و نیز چنین شخصی حقوق الهی آن را اصلا نمی پردازد، و یا کم می گذارد، و نیز چنین کسی جائی برای یاد خدا در دل او نیست.

و به این ترتیب بعد از ذکر آزمایش انسانها به وسیله نعمت و بلا، آنها را متوجه چهار آزمایش مهم می کند.

و عجب این که تمام این آزمونها جنبه مالی دارد، و در واقع اگر کسی از عهده آزمایشهای مالی برآید آزمایشهای دیگر برای او آسانتر است.

سورة الفجر(89): آية 21 ص: 494

(آیه ۲۱)- روزی بیدار میشوند که کار از کار گذشته! به دنبال نکوهشهایی که در آیات قبل از طغیانگران دنیاپرست و متجاوز به حقوق دیگران شده بود، در اینجا به آنها اخطار میکند که سر انجام قیامتی در کار است، و حساب و کتاب و مجازات شدیدی در پیش است، باید خود را برای آن آماده کنند.

نخست می فرماید: «و چنان نیست که آنها می پندارند» (کلا). که حساب و کتابی در کار نیست، و اگر خدا مال و ثروتی به آنها داده به خاطر احترام آنها بوده نه برای آزمایش و امتحان. «در آن هنگام که زمین سخت در هم کوبیده شود» (اذا دکت الارض دکا دکا).

تعبیر «دکّه» اشاره به زلزله ها و حوادث تکان دهنده پایان دنیا و آغاز رستاخیز است، چنان تزلزلی در ارکان موجودات رخ می دهد که کوهها همه از هم متلاشی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۹۵

شده، و زمینها صاف و مستوی می شوند، چنانکه در آیه ۱۰۶–۱۰۸ سوره طه آمده است: «از تو در باره کوهها سؤال می کنند، بگو: پروردگارم آنها را برباد می دهد، سپس زمین را صاف و هموار و بی آب و گیاه رها می سازد، به گونهای که هیچ پستی و بلندی در آن نمی بینی»!

سورة الفجر(89): آية 22 ص: 495

(آیه ۲۲)- بعد از پایان یافتن مرحله نخستین رستاخیز یعنی ویرانی جهان، مرحله دوم آغاز می شود و انسانها همگی به زندگی باز می گردند، و در دادگاه عدل الهی حاضر می شوند «و (در آن هنگام) فرمان پروردگارت فرا رسد، و فرشتگان صف در صف حاضر شوند» (و جاء ربک و الملک صفا صفا). و گرداگرد حاضران در محشر را می گیرند و آماده اجرای فرمان حقند. این ترسیمی است از عظمت آن روز بزرگ و عدم توانائی انسان بر فرار از چنگال عدالت.

سورة الفجر (89): آية 23 ص: 493

(آیه ۲۳) – سپس می افزاید: «و در آن روز جهنّم را حاضر می کنند (آری) در آن روز انسان متذکر می شود، اما این تذکر چه سودی برای او دارد» (و جیء یومئذ بجهنم یومئذ یتذکر الانسان و انی له الذکری).

از این تعبیر استفاده می شود که جهنّم قابل حرکت دادن است، و آن را به مجرمان نزدیک می کنند! همان گونه که در مورد بهشت نیز در آیه ۹۰ سوره شعرا می خوانیم: «بهشت را به پرهیز کاران نزدیک می سازند»! در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله می خوانیم که وقتی آیه فوق «و جیء یومئذ بجهنم» نازل شده رنگ چهره مبارکش دگرگون گشت، این حالت بر اصحاب گران آمد، بعضی به سراغ علی علیه السّلام رفتند و ماجرا را بیان کردند.

علی علیه السّلام آمد میان دو شانه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را بوسید و گفت: «ای رسول خدا! پدر و مادرم به فدایت باد، چه حادثهای روی داده؟

فرمود: جبرئيل آمد و اين آيه را بر من تلاوت كرد.

على عليه السّلام مي گويد: عرض كردم: چگونه جهنّم را مي آورند؟

فرمود: هفتاد هزار فرشته آن را با هفتاد هزار مهار می کشند و می آورند! و آن برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۹۶ در حال سرکشی است که اگر او را رها کنند همه را آتش می زند، سپس من در برابر جهنّم قرار می گیرم و او می گوید: ای محمّد! مرا با تو کاری نیست، خداوند گوشت تو را بر من حرام کرده، در آن روز هر کس در فکر خویش است ولی محمّد می گوید:

ربّ امّتی! امّتی! پروردگارا! امتم امتم»! آری! هنگامی که انسان مجرم این صحنهها را میبینـد تکان میخورد و بیـدار میشود نگاهی به گذشته خویش میکند، و از اعمال خود سخت پشیمان میشود اما این پشیمانی هیچ سودی ندارد.

سورة الفجر (89): آية 24 ص: 498

(آیه ۲۴)- اینجاست که فریادش بلند می شود «می گوید: ای کاش برای (این) زندگیم چیزی از پیش فرستاده بودم»! (یقول یا لیتنی قدمت لحیاتی).

سورة الفجر (89): آية 25 ص: 498

(آیه ۲۵)- سپس در دو جمله کوتاه شدت عذاب الهی را در آن روز تشریح می کند، می فرماید: «در آن روز هیچ کس همانند او [- خدا] عذاب نمی کند» (فیومئذ لا یعذب عذابه احد).

آری! این طغیانگرانی که به هنگام قدرت بدترین جرائم و گناهان را مرتکب شدند در آن روز چنان مجازات میشوند که سابقه نداشته، همان گونه که نیکوکاران چنان پاداشهائی میبینند که حتی از خیال کسی نگذشته است.

سورة الفجر (89): آية 26 ص: 498

(آیه ۲۶)- «و (نیز در آن روز) هیچ کس همچون او کسی را به بند نمی کشد»! (و لا یو ثق و ثاقه احد).

نه بند و زنجیر او مانندی دارد، و نه مجازات و عذابش، چرا چنین نباشد در حالی که آنها نیز در این دنیا بندگان مظلوم خدا را تا آنجا که قدرت داشتند در بند کشیدند، و سخت ترین شکنجهها را به آنها دادند.

سورة الفجر(89): آية 27 ص: 498

(آیه ۲۷) – ای صاحب نفس مطمئنه! بعد از ذکر عذاب وحشتناکی که دامان طغیانگران و دنیاپرستان را در قیامت می گیرد، در اینجا به نقطه مقابل آن یعنی «نفوس مطمئنه» و مؤمنانی که در میان این طوفان عظیم از آرامش کامل برخوردارند پرداخته، و آنها را با یک دنیا لطف و محبت مخاطب ساخته، می گوید: «تو ای روح آرام یافته»! (یا ایتها النفس المطمئنهٔ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۹۷

سورة الفجر(89): آية 28 ص: 497

(آیه ۲۸)- «به سوی پروردگارت باز گرد، در حالی که هم تو از او خشنودی و هم او از تو خشنود است»! (ارجعی الی ربک راضیهٔ مرضیهٔ).

سورة الفجر (89): آية 29 ص: 497

(آیه ۲۹)- «پس در سلک بندگانم درآی» (فادخلی فی عبادی).

سورة الفجر(89): آية 30 ص: 497

(آیه ۳۰)– «و در بهشتم وارد شو» (و ادخلی جنتی).

چه تعبیرات جالب و دل انگیز و روح پروری؟ که لطف و صفا و آرامش و اطمینان از آن میبارد! منظور از «نفس» در اینجا همان روح آدمی است.

و تعبیر به «مطمئنه» اشاره به آرامشی است که در پرتو ایمان حاصل شده، چنانکه قرآن می گوید: «الا بذکر الله تطمئن القلوب بدانید تنها با ذکر خدا دلها آرام می گیرد» (رعد/ ۲۸) چنین نفسی هم اطمینان به وعده های الهی دارد، و هم به راه و روشی که بر گزیده مطمئن است، هم در اقبال دنیا و هم در ادبار دنیا، هم در طوفانها، و هم در حوادث و بلاها، و از همه بالاتر در آن هول و وحشت و اضطراب عظیم قیامت نیز آرام است.

منظور از بـازگشت به سوی پروردگـار بـازگشت به سوی خود اوست، یعنی در جوار قرب او جـای گرفتن، بازگشتی معنوی و روحانی نه مکانی و جسمانی.

تعبیر به «راضیهٔ» به خاطر آن است که تمام وعدههای پاداش الهی را بیش از آنچه تصور می کرد قرین واقعیت می بیند، و اما تعبیر به «مرضیهٔ» به خاطر این است که مورد قبول و رضای دوست واقع شده است.

جالب این که در روایتی که در کتاب «کافی» از امام صادق علیه السّ لام نقل شده، میخوانیم: که یکی از یارانش پرسید: آیا ممکن است مؤمن از قبض روحش ناراضی باشد؟! فرمود: «نه به خدا سوگند، هنگامی که فرشته مرگ برای قبض روحش می آید اظهار ناراحتی می کند، فرشته مرگ می گوید: ای ولی خدا ناراحت مباش! سوگند به آن کس که محمّد صلّی الله علیه و آله را مبعوث کرده من بر تو مهربانترم از پدر مهربان، درست برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۹۸

چشمهایت را بگشا و ببین، او نگاه می کند، رسول خدا صلّی الله علیه و آله و امیر مؤمنان علی علیه السّلام و فاطمه علیها السّلام و حسن و حسن علیهما السّلام و امامان از ذرّیه او علیهم السّلام را می بیند، فرشته به او می گوید نگاه کن این رسول خدا و امیر مؤمنان و فاطمه و حسن و حسین و امامان علیهم السّلام دوستان تواند.

او چشمانش را باز می کند و نگاه می کند، ناگهان گوینده ای از سوی پروردگار بزرگ ندا می دهد، و می گوید: «یا ایتها النفس المطمئنهٔ ای کسی که به محمّد و خاندانش اطمینان داشتی! و او با ثوابش از تو خشنود است، داخل شو در میان بندگانم یعنی محمّد و اهل بیتش علیهم السّلام و داخل شو در بهشتم، در این هنگام چیزی برای انسان محبوبتر از آن نیست که هر چه زود تر روحش از بدن جدا شود و به این منادی بپیوندد»! «پایان سوره فجر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۹۹

سوره بلد [90] ص: 499

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۲۰ آیه است

محتوای سوره: ص : 499

این سوره در عین کوتاهی حقایق بزرگی را در بر دارد.

در قسمت اول این سوره بعد از ذکر سوگندهای پرمعنائی اشاره به این حقیقت شده که زندگی انسان در عالم دنیا همواره توأم با مشکلات و رنج است، تا از یکسو خود را برای رفتن به جنگ مشکلات آماده سازد، و از سوی دیگر انتظار آرامش و آسودگی مطلق را در این جهان از سر بیرون کند.

در بخش دیگری از این سوره قسمتی از مهمترین نعمتهای الهی را بر انسان ... نشمرد، و سپس به ناسپاسی او در مقابل این نعمتها اشاره می کند.

در آخرین بخش مردم را به دو گروه «اصحاب المیمنهٔ» و «اصحاب المشئمهٔ» تقسیم کرده، و گوشهای از صفات اعمال گروه اول (مؤمنان صالح) و سپس سرنوشت آنها را بیان می کند، و بعد به نقطه مقابل آنها یعنی کافران و مجرمان و سرنوشت آنها می پردازد.

فضيلت تلاوت سوره: ص: 499

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله نقل شده که فرمود:

«كسى كه سوره بلد را بخواند خداوند او را از خشم خود در قيامت در امان مى دارد».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۰۰

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة البلد(٩٠): آية ١ ص: ٥٠٠

(آیه ۱)- سوگند به این شهر مقدس! سنّت قرآن در بسیاری از موارد بر این است که بیان حقایق بسیار مهم را با سوگند شروع می کند، سوگندهائی که خود نیز سبب حرکت اندیشه و فکر و عقل انسان است و ارتباط خاصی با همان مطلب مورد نظر دارد.

در اینجا نیز برای بیان این واقعیت که زندگی انسان در دنیا توأم با درد و رنج است از سوگند تازهای شروع کرده، میفرماید: «قسم به این شهر مقدس» [- مکّه] (لا اقسم بهذا البلد).

سورة البلد(٩٠): آية ٢ ص: ٥٠٠

(آیه ۲)- «شهری که تو در آن ساکن هستی» (و انت حل بهذا البلد).

البته شرافت و عظمت سرزمین «مکّه» ایجاب می کند خداوند به آن سوگند یاد نماید، چرا که نخستین مرکز توحید و عبادت پروردگار در اینجا ساخته شده، و انبیای بزرگ گرد این خانه طواف کردهاند، ولی جمله «و انت حل بهذا البلد» مطلب تازهای در بر دارد، می گوید: این شهر به خاطر وجود پر فیض و برکت تو چنان عظمتی به خود گرفته که شایسته این سوگند شده است.

ای کعبه را زیمن قدوم تو صد شرف وی مرده را زمقدم پاک تو صد صفا بطحا زنور طلعت تو یافته فروغ یثرت زخاک تو با رونق و نوا

سورة البلد(٩٠): آية ٣ ص: ٥٠٠

(آیه Υ) – سپس می افزاید: «و قسم به پدر و فرزندش» (و والد و ما ولد).

منظور از «والد» ابراهیم خلیل و از «ما ولد» اسماعیل ذبیح است و با توجه به این که در آیه قبل به شهر «مکّه» سوگند یاد شده و می دانیم ابراهیم و فرزندش بنیانگذار «کعبه» و شهر «مکّه» بودند این تفسیر بسیار مناسب به نظر می رسد بخصوص این که عرب جاهلی نیز برای حضرت ابراهیم و فرزندش اهمیت فوق العاده ای قائل بود، و به آنها افتخار می کرد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۰۱

سورة البلد(٩٠): آية 4 ص: ٥٠١

(آیه ۴)- سپس به چیزی میپردازد که هدف نهائی این سوگندهاست، میفرماید: «ما انسان را در رنج آفریدیم» و زندگی او پر از رنجهاست (لقد خلقنا الانسان فی کبد).

حتی نگاهی به زندگی انبیاء و اولیاء اللّه نیز نشان میدهد که زندگی این گلهای سرسبد آفرینش نیز با انواع ناملایمات و درد و رنجها قرین بود، هنگامی که دنیا برای آنها چنین باشد، وضع برای دیگران روشن است.

سورة البلد(٩٠): آية ۵ ص: ٥٠١

(آیه ۵)- سپس می افزاید: «آیا او گمان می کند که هیچ کس نمی تواند بر او دست یابد»؟ (ا یحسب ان لن یقدر علیه احد). اشاره به این که آمیختگی زندگی انسان با آن همه درد و رنج دلیل بر این است که او قدرتی ندارد ولی هنگامی که به قدرتی می رسد هر کار خلاف و گناه و جرم و تجاوزی را مرتکب می شود گوئی خود را در امن و امان می بیند.

سورة البلد(٩٠): آية 6 ص: ٥٠١

(آیه ۶)- سپس در ادامه همین سخن می افزاید: «می گوید: من مال زیادی را (در کارهای خیر) نابود کردهام» (یقول اهلکت مالا لبدا).

اشاره به کسانی است که وقتی به آنها پیشنهاد صرف مال در کار خیری می کردند از روی غرور و نخوت می گفتند: ما بسیار در این راهها صرف کردهایم در حالی که چیزی برای خدا انفاق نکرده بودند، و اگر اموالی به این و آن داده بودند برای تظاهر و ریاکاری و اغراض شخصی بوده است.

بعضی نیز گفتهاند: آیه اشاره است به کسانی که اموال زیادی در دشمنی با اسلام و پیامبر صلّی اللّه علیه و آله و توطئههای ضد اسلامی صرف کرده بودند، و به آن افتخار می کردند.

سورة البلد(٩٠): آية ٧ ص: ٥٠١

(آیه ۷)- سپس می افزاید: «آیا (انسان) گمان می کند هیچ کس او را ندیده (که عمل خیری انجام نداده) است»؟ (ا یحسب ان لم یره احد).

او از این حقیقت غافل است که خداوند نه فقط ظواهر اعمال او را در خلوت و جمع می بیند، بلکه از اعماق قلب و روح او نیز آگاه است، و از نیات او با خبر هم کیفیت تحصیل آن اموال نامشروع را می داند و هم چگونگی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۰۲

صرف کردن ریاکارانه و مغرضانه آن را.

سورة البلد(٩٠): آية ٨ ص: ٥٠٢

(آیه ۸)- نعمت چشم و زبان، و هدایت! در تعقیب آیات گذشته که سخن از غرور و غفلت انسانهای طغیانگر می گفت در اینجا بخشی از مهمترین نعمتهای مادی و معنوی الهی را بر این انسان می شمرد، تا از یکسو غرور و غفلت او را بشکند، و از سوی دیگر وی را وادار به تفکر در خالق این نعمتها کند، و با تحریک حس شکر گزاری در درون جانش او را به سوی معرفت خالق سوق دهد.

مى فرمايد: «آيا براى او دو چشم قرار نداديم»؟ (الم نجعل له عينين).

سورة البلد(٩٠): آية ٩ ص: ٥٠٢

(آیه ۹)- «و یک زبان و دو لب»؟! (و لسانا و شفتین).

سورة البلد(٩٠): آية ١٠ ص: ٥٠٢

(آیه ۱۰)- «و او را به راه خیر و شر هدایت کردیم» (و هدیناه النجدین).

این هدایت از سه طریق انجام می گیرد: از طریق ادراکات عقلی و استدلال، و از طریق فطرت و وجدان بدون نیاز به استدلال، و از طریق وحی و تعلیمات انبیاء و اوصیا.

آنچه را مورد نیاز بشر در پیمودن مسیر تکامل است خداوند به یکی از این سه طریق یا در بسیاری از موارد با هر سه طریق به او تعلیم کرده است.

در اهمیت نعمتهای فوق همین بس که: «چشم» مهمترین وسیله ارتباط انسان با جهان خارج است، شگفتیهای چشم به اندازهای است که براستی انسان را به خضوع در مقابل خالق آن وامی دارد، طبقات هفتگانه چشم که به نامهای صلبیه (قرنیه) مشیمیه، عنبیه، جلدیه، زلالیه، زجاجیه، و شبکیه نامیده شده، هر کدام ساختمان عجیب و ظریف و شگفتانگیزی دارد که قوانین فیزیکی و شیمیائی مربوط به نور و آئینه ها به دقیقترین وجهی در آنها رعایت شده بطوری که پیشرفته ترین دوربینهای دقیق عکاسی در برابر آن، موجود بی ارزشی است.

اگر در تمام وجود انسان جز چشم، چیز دیگری نبود، مطالعه شگفتیهایش برای شناخت علم و قدرت عظیم پروردگار کافی بود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۰۳

و اما «زبان» مهمترین وسیله ارتباط انسان با انسانهای دیگر و نقل و مبادله اطلاعات و معلومات از قومی به قوم دیگر، و از نسلی به نسل دیگر است، و اگر این وسیله ارتباطی نبود هر گز انسان نمی توانست تا این حد در علم و دانش و تمدّن مادی و مسائل معنوی ترقی کند.

و اما «لبها» نقش مؤثری در تکلم دارند، چرا که بسیاری از مقاطع حروف به وسیله لبها ادا می شود، و از این گذشته لبها کمک زیادی به جویدن غذا، و حفظ رطوبت دهان، و نوشیدن آب می کنید و اگر نبودنید مسأله خوردن و آشامیدن انسان و حتی منظره چهره او بر اثر جریان آب دهان به بیرون، و عدم قدرت بر اداء بسیاری از حروف وضع اسف انگیزی داشت.

امیر مؤمنان علی علیه السّلام می فرماید: «شگفتا از این انسان که با یک قطعه پیه می بیند، و با قطعه گوشتی سخن می گوید، و با استخوانی می شنود، و از شکافی نفس می کشد»! و این کارهای بزرگ حیاتی را با این وسائل کوچک انجام می دهد.

جمله «و هدیناه النجدین» – علاوه بر این که مسأله اختیار و آزادی اراده انسان را بیان می کند، با توجه به این که «نجد» مکان مرتفع است – اشاره به این است که پیمودن راه خیر خالی از مشکلات و زحمت و رنج نیست، همان گونه که بالا رفتن از زمینهای مرتفع مشکلاتی دارد، چه بهتر که انسان با سعی و تلاشش راه خیر را برگزیند.

به هر حال انتخاب راه با خود انسان است، اوست که می تواند چشم و زبان را در مسیر حلال یا حرام به گردش در آورد، و از دو جاده «خیر» و «شر» هر کدام را بخواهد برگزیند.

و لـذا در حـدیثی از پیغمبر اکرم صـلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «خداوند متعال به فرزندان آدم می گوید: «ای فرزند آدم! اگر زبانت خواست تـو را وادار به حرام کنـد من دو لب را برای جلـوگیری از آن در اختیـار تو قرار دادهام، لب را فرو بنـد، و اگر چشمت بخواهد تو را به سوی حرام ببرد من پلکها را در اختیار تو قرار دادهام، آنها را فرو بند! ...».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۰۴

سورة البلد(٩٠): آية ١١ ص: ٥٠٤

(آیه ۱۱)– گردنه صعب العبور! به دنبال ذکر نعمتهای بزرگی که در آیات قبل آمده بود در اینجا بندگان ناسپاس را مورد ملامت و سرزنش قرار میدهد که چگونه با داشتن آن همه وسائل سعادت راه نجات را نپیمودهاند.

نخست مى فرمايد: «ولى او (انسان ناسپاس) از آن گردنه مهم نگذشت» (فلا اقتحم العقبهٔ).]

سورة البلد(٩٠): آية ١٢ ص: ٥٠٤

(آیه ۱۲)- سپس می فرماید: «تو نمی دانی آن گردنه چیست»؟ (و ما ادراک ما العقبهٔ).

سورة البلد(٩٠): آية ١٣ ص: ٥٠٤

(آیه ۱۳) - «آزاد کردن بردهای» (فک رقبهٔ).

سورة البلد(٩٠): آية ١٤ ص: ٥٠٤

(آیه ۱۴)- «یا غذا دادن در روز گرسنگی» (او اطعام فی یوم ذی مسغبهٔ).

این تعبیر تأکیدی است بر اطعام گرسنگان در ایام قحطی و خشکسالی و مانند آن. برای اهمیت این موضوع، و الا اطعام

گرسنگان همیشه از افضل اعمال بوده و هست.

سورة البلد(٩٠): آية ١٥ ص: ٥٠٤

(آیه ۱۵)– «یتیمی از خویشاوندان» (یتیما ذا مقربهٔ).

تأكيد روى يتيمان خويشاوند نيز به خاطر ملاحظه اولويتهاست، و گر نه همه يتيمان را بايد اطعام و نوازش نمود.

سورة البلد(٩٠): آية ١٦ ص: ٥٠٤

(آیه ۱۶)- «یا مستمندی خاک نشین را» (او مسکینا ذا متربهٔ).

به این ترتیب این گردنه صعب العبور که انسانهای ناسپاس هر گز خود را برای گذشتن از آن آماده نکردهاند، مجموعهای است از اعمال خیر که عمدتا بر محور خدمت به خلق و کمک به ضعیفان و ناتوانها دور میزند، و نیز مجموعهای از عقائد صحیح و خالص است که در آیات بعد به آن اشاره شده.

و به راستی گذشتن از این گردنه با توجه به علاقه شدیدی که غالب مردم به مال و ثروت دارند کار آسانی نیست. در حدیثی آمده است: امام علی بن موسی الرضا علیه السّلام هنگامی که میخواست غذا بخورد دستور میفرمود سینی بزرگی

کنار سفره بگذارند، و از هر غذائی که در سفره بود از بهترین آنها بر میداشت و در آن سینی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص:

۵۰۵

می گذاشت، سپس دستور میداد آنها را برای نیازمندان ببرند، بعد این آیه را تلاوت میفرمود: (فلا اقتحم العقبهٔ ...) سپس میافزود: «خداوند متعال میدانست که همه قادر بر آزاد کردن بردگان نیستند راه دیگری نیز به سوی بهشتش قرار داد»!

سورة البلد(٩٠): آية ١٧ ص: ٥٠٥

(آیه ۱۷) - در ادامه تفسیری که برای این گردنه صعب العبور بیان فرموده، در این آیه می افزاید: «سپس از کسانی باشد که ایمان آورده، و یکدیگر را به صبر و رحمت توصیه می کنند» (ثم کان من الذین آمنوا و تواصوا بالصبر و تواصوا بالمرحمهٔ). به این ترتیب کسانی از این گردنه سخت عبور می کنند که هم دارای ایمان هستند و هم اخلاق والائی همچون دعوت به صبر و عواطف انسانی دارند، و هم اعمال صالحی همچون آزاد کردن بردگان و اطعام یتیمان و مسکینان انجام داده اند.

سورة البلد(٩٠): آية ١٨ ص: ٥٠٥

(آیه ۱۸)– و در پایان این اوصاف، مقام صاحبان آن را چنین بیان می کند:

«آنها اصحاب اليمين اند» كه نامه اعمالشان را به دست راستشان مي دهند! (اولئك اصحاب الميمنة).

سورة البلد(٩٠): آية ١٩ ص: ٥٠٥

(آیه ۱۹)– سپس به نقطه مقابل این گروه یعنی آنها که نتوانستند از این گردنه صعب العبور بگذرنـد، پرداخته، میفرماید: «و

كسانى كه آيات ما را انكار كردهاند افرادى شومند» كه نامه اعمالشان به دست چپشان داده مىشود! (و الذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة).

و این نشانه آن است که دستشان از حسنات تهی، و نامه اعمالشان از سیئات سیاه است.

یعنی این گروه کافر افرادی شوم و نامیمونند که هم سبب بدبختی خودشانند، و هم بدبختی جامعه، ولی از آنجا که شوم بودن و خجسته بودن در قیامت به آن شناخته می شود که نامه اعمال افراد در دست چپ، یا در دست راست آنها باشـد بعضـی این تفسیر را برای آن پذیرفته اند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۰۶

سورة البلد(٩٠): آية ٢٠ ص: ٥٠٦

(آیه ۲۰)- و در آخرین آیه این سوره اشاره کوتاه و پر معنایی به مجازات گروه اخیر کرده، میفرماید: «بر آنها آتشی است فرو بسته»! که راه فراری از آن نیست (علیهم نار مؤصدهٔ).

«مؤصدهٔ» از ماده «ایصاد» به معنی بستن در و محکم کردن آن است، ناگفته پیداست انسان در اتاقی که هوای آن کمی گرم است میخواهد درها را باز کند، نسیمی بوزد و گرمی هوا را تعدیل کند، حال باید فکر کرد در کوره سوزان دوزخ هنگامی که تمام درها بسته شود چه حالی پیدا خواهد شد؟! «پایان سوره بلد»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۰۷

سوره شمس [٩١] ص : ۵۰۷

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۱۵ آیه دارد

محتوا و فضيلت سوره: ص: 207

این سوره که در حقیقت سوره «تهذیب نفس» و «تطهیر قلوب از ناپاکیها و ناخالصیها» ست، بر محور همین معنی دور میزند، منتها در آغاز سوره به یازده موضوع مهم از عالم خلقت و ذات پاک خداوند برای اثبات این معنی که فلاح و رستگاری در گرو تهذیب نفس است قسم یاد شده، و بیشترین سوگندهای قرآن را بطور جمعی در خود جای داده است.

و در پایان سوره به ذکر نمونهای از اقوام متمرد و گردنکش-که به خاطر ترک تهذیب نفس در شقاوت ابـدی فرو رفتنـد، و خداوند آنها را به مجازات شدیدی گرفتار کرد، یعنی قوم ثمود- میپردازد.

در فضیلت تلاوت این سوره همین بس که در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله آمده است: «هر کس آن را بخواند گوئی به تعداد تمام اشیائی که خورشید و ماه بر آنها می تابد در راه خدا صدقه داده است»! و مسلما این فضیلت بزرگ از آن کسی است که محتوای بزرگ این سوره کوچک را در جان خود پیاده کند، و تهذیب نفس را وظیفه قطعی خود بداند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۰۸

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الشمس(٩١): آية ١ ص: ٥٠٨

(آیه ۱)- رستگاری بدون تهذیب نفس ممکن نیست! سوگندهای پی در پی و مهمی که در آغاز این سوره آمده، به یک حساب «یازده» سوگند و به حساب دیگر «هفت» سوگند است، و به خوبی نشان میدهد که مطلب مهمی در اینجا مطرح است، مطلبی به عظمت آسمانها و زمین و خورشید و ماه، مطلبی سرنوشت ساز و حیات بخش.

نخست مى فرمايد: «به خورشيد و گسترش نور آن سوگند» (و الشمس و ضحاها).

سو گندهای قرآن عموما دو مقصد را تعقیب می کند: نخست اهمیت مطلبی که سو گند به خاطر آن یاد شده، و دیگر اهمیت خود این امور که مورد سو گند است، چرا که سو گند همیشه به موضوعات مهم یاد می شود.

«خورشید» مهمترین و سازنده ترین نقش را در زندگی انسان و تمام موجودات زنده زمینی دارد، زیرا علاوه بر این که منبع «نور» و «حرارت» است و این دو از عوامل اصلی زندگی انسان به شمار می رود، منابع دیگر حیاتی نیز از آن مایه می گیرند، وزش بادها، نزول بارانها، پرورش گیاهان، و حتی پدید آمدن منابع انرژی زا، همچون نفت و ذغال سنگ، هر کدام درست دقت کنیم بصورتی با نور آفتاب ارتباط دارد. بطوری که اگر روزی این چراغ حیات بخش خاموش گردد تاریکی و سکوت و مرگ همه جا را فرا خواهد گرفت.

سورة الشمس(٩١): آية ٢ ص: ٥٠٨

(آیه ۲)- سپس به سومین سوگند پرداخته، می گوید: «و قسم به ماه هنگامی که بعد از آن (خورشید) در آید» (و القمر اذا تلاها).

این تعبیر – چنانکه جمعی از مفسران نیز گفتهاند – در حقیقت اشاره به ماه در موقع بدر کامل یعنی شب چهارده است، زیرا ماه در شب چهاردهم تقریبا مقارن غروب آفتاب سر از افق مشرق بر میدارد، و چهره پر فروغ خود را ظاهر کرده، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۰۹

و سلطه خویش را بر پهنه آسمان تثبیت می کند، و چون از هر زمان جالبتر و پرشکوهتر است به آن سوگند یاد شده.

سورة الشمس(٩١): آية ٣ ص: ٥٠٩

(آیه ۳)- و در چهارمین سوگند، می افزاید: «و به روز هنگامی که صفحه زمین را روشن سازد» (و النهار اذا جلاها). سوگند به این پدیده مهم آسمانی به خاطر تأثیر فوق العاده آن در زندگی بشر، و تمام موجودات زنده است، چرا که روز رمز حرکت و جنبش و حیات است و تمام تلاشها و کششها و کوششهای زندگی معمولاً در روشنائی روز صورت می گیرد.

سورة الشمس(٩١): آية 4 ص: ٥٠٩

(آیه ۴) – و در پنجمین سوگند می فرماید: «و به شب، آن هنگام که زمین را بپوشاند» (و اللیل اذا یغشاها).

«شب» با تمام برکات و آثارش، که از یکسو حرارت آفتاب روز را تعدیل می کند، و از سوی دیگر مایه آرامش و استراحت همه موجودات زنده است.

سورة الشمس(٩١): آية ۵ ص: ٥٠٩

(آیه ۵)- در ششمین و هفتمین سوگند به سراغ آسمان و خالق آسمان میرود، و میافزاید: «و قسم به آسمان و کسی که آسمان را بنا کرده» (و السماء و ما بناها).

اصل خلقت آسمان با آن عظمت خیره کننده از شگفتیهای بزرگ خلقت است، و بنا و پیدایش این همه کواکب و اجرام آسمانی و نظامات حاکم بر آنها شگفتی دیگر، و از آن مهمتر خالق این آسمان است.

سورة الشمس(٩١): آية 6 ص: ٥٠٩

(آیه ۶)- سپس در هشتمین و نهمین سوگند سخن از زمین و خالق زمین به میان آورده، میفرماید: «و به زمین و کسی که آن را گسترانیده» (و الارض و ما طحاها).

زمین که گاهواره زندگی انسان و تمام موجودات زنده است.

زمین بـا تمـام شـگفتیها: کوههـا و دریاها، درّهها و جنگلها، چشـمهها و رودخانهها، معادن و منابع گرانبهایش، که هر کـدام به تنهائی آیتی است از آیات حق و نشانهای از نشانههای او. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۱۰

و از آن برتر و بالاتر خالق این زمین و کسی که آن را گسترانیده است.

سورة الشمس(٩١): آية ٧ ص: ٥١٠

(آیه ۷)- سر انجام به دهمین و یازدهمین سوگند که آخرین قسمها در این سلسله است پرداخته، میفرماید: «و قسم به جان آدمی، و آن کس که آن را (آفریده و) منظم ساخته» (و نفس و ما سواها).

همان انسانی که عصاره عالم خلقت، و چکیده جهان ملک و ملکوت، و گل سرسبد عالم آفرینش است.

منظور از «نفس» جسم و روح هر دو میباشد و مراد از «سوّیها» (از ماده تسویه) هم تنظیم و تعدیل قوای روحی انسان است، از حواس ظاهر گرفته، تا نیروی ادراک، حافظه، انتقال، تخیل، ابتکار، عشق، اراده و تصمیم، و مانند آن که در مباحث «علم النفس» مطرح شده است.

و هم تمام شگفتیهای نظامات بدن و دستگاههای مختلف آن را که در علم «تشریح» و «فیزیولوژی» (وظایف الاعضاء) بطور گسترده مورد بحث قرار گرفته شامل می شود چرا که شگفتیهای قدرت خداوند هم در جسم است و هم در جان و اختصاص به یکی از این دو ندارد.

سورة الشمس(٩١): آية ٨ ص: ٥١٠

(آیه ۸)– در این آیه به یکی از مهمترین مسائل مربوط به آفرینش انسان پرداخته، میافزاید: «سپس فجور و تقوا (شرّ و خیرش)

را به او الهام كرده است» (فالهمها فجورها و تقواها).

خداوند آن چنان قدرت تشخیص و عقل و وجدان بیدار، به او داده که فجور و تقوا را از طریق عقل و فطرت در می یابد.

آری! هنگامی که خلقتش تکمیل شد، و هستی او تحقق یافت، خداوند بایدها و نبایدها را به او تعلیم داد، و به این ترتیب وجودی شد از نظر آفرینش مجموعهای از گل بدبو و روح الهی و از نظر تعلیمات آگاه بر فجور و تقوا و در نتیجه، وجودی است که می تواند در قوس صعودی بر تر از فرشتگان گردد و در قوس نزولی از حیوانات درنده نیز منحطتر گردد و این منوط به آن است که با اراده و انتخابگری خویش کدام مسیر را برگزیند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۱۱

سورة الشمس(٩١): آية ٩ ص: ٥١١

(آیه ۹)- و سر انجام بعد از تمام این سوگندهای مهم و پی در پی به نتیجه آنها پرداخته، میفرماید: سوگند به اینها «که هر کس نفس خود را پاک و تزکیه کرده رستگار شده» (قد افلح من زکاها).

آری! رستگاری از آن کسی است که نفس خویش را تربیت کند و رشد و نمو دهد، و از آلودگی به خلق و خوی شیطانی و گناه و عصیان و کفر پاک سازد و در حقیقت مسأله اصلی زندگی انسان نیز همین «تزکیه» است، که اگر باشد سعادتمند است و الا بدبخت و بینوا.

سورة الشمس(٩١): آية ١٠ ص: ٥١١

(آیه ۱۰)– سپس به سراغ گروه مخالف رفته، می فرماید: «و آن کس که نفس خویش را با معصیت و گناه آلوده ساخته، نومید و محروم گشته است»! (و قد خاب من دساها).

و به این ترتیب پیروزمندان و شکست خوردگان در صحنه زندگی دنیا مشخص می شوند، و معیار ارزیابی این دو گروه چیزی جز «تزکیه نفس و نموّ و رشد روح تقوا و اطاعت خداوند» یا «آلودگی به انواع معاصی و گناهان» نیست.

در حدیثی آمده است که: رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله هنگامی که آیه «قد افلح من زکاها» را تلاوت میفرمود توقف می کرد و چنین دعا مینمود: «پروردگارا! به نفس من تقوایش را مرحمت کن، تو ولی و مولای آن هستی، و آن را تزکیه فرما که تو بهترین تزکیه کنندگانی».

سورة الشمس(٩١): آية ١١ ص: ٥١١

(آیه ۱۱) – عاقبت مرگبار طغیانگران: به دنبال هشداری که در آیات قبل در باره عاقبت کار کسانی که نفس خود را آلوده می کنند آمده بود، در اینجا به عنوان نمونه به یکی از مصداقهای واضح تاریخی این مطلب پرداخته، و سرنوشت قوم طغیانگر «ثمود» را در عباراتی کوتاه و قاطع و پر معنی بیان کرده، می فرماید: «و قوم ثمود بر اثر طغیان (پیامبرشان را) تکذیب کردند» (کذبت ثمه د بطغه اها).

«قوم ثمود» که نام پیامبرشان «صالح» بود از قدیمی ترین اقوامی هستند که در برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۱۲ یک منطقه کوهستانی میان «حجاز» و «شام» زندگی می کردند، زندگی مرفّه، سرزمین آباد، دشتهای مسطح با خاکهای مساعد و آماده برای کشت و زرع، و قصرهای مجلل، و خانههای مستحکم داشتند، ولی نه تنها شکر این همه نعمت را به جا نیاوردند، بلکه سر به طغیان و سرکشی برداشته، و به تکذیب پیامبرشان صالح برخاستند، و آیات الهی را به باد سخریه گرفتند، و سر انجام خداوند آنها را با یک صاعقه آسمانی نابود کرد.

سورة الشمس(٩١): آية ١٢ ص: ٥١٢

(آیه ۱۲)- سپس به یکی از نمونههای بارز طغیان این قوم پرداخته، میافزاید: «آنگاه که شقی ترین آنها به پا خاست» (اذ انبعث اشقاها).

«اشقی» (شقی ترین) اشاره به همان کسی است که ناقه ثمود را به هلاکت رساند.

در بعضى از روايات آمده است كه پيغمبر اكرم صلّى اللّه عليه و آله به على عليه السّلام فرمود:

«سنگدلترین افراد اقوام نخستین که بود؟» علی علیه السّ لام در پاسخ عرض کرد: «آن کسی که ناقه ثمود را به هلاکت رساند» پیامبر فرمود: «راست گفتی، شقی ترین افراد اقوام اخیر چه کسی است؟» علی علیه السّ لام می گوید: «عرض کردم نمی دانم ای رسول خدا!».

پیامبر صلّی الله علیه و آله فرمود: «کسی که شمشیر را بر این نقطه از سر تو وارد می کند» و پیامبر صلّی الله علیه و آله اشاره به قسمت بالای پیشانی آن حضرت کرد.

هیچ یک از این دو خصومت شخصی نداشتند، بلکه هر دو میخواستند نورحق را خاموش کنند، و معجزه و آیتی از آیات الهی را از میان بردارند.

سورة الشمس(٩١): آية ١٣ ص: ٥١٢

(آیه ۱۳)- در این آیه به شرح بیشتری در زمینه طغیانگری قوم ثمود پرداخته، میافزاید: «و فرستاده الهی [- صالح] به آنان گفت: ناقه خدا [- همان شتری که معجزه الهی بود] را با آبشخورش واگذارید» (فقال لهم رسول الله ناقهٔ الله و سقیاها).

منظور از «رسول الله» در اینجا حضرت صالح علیه السّ لام پیغمبر قوم ثمود است، و تعبیر به «ناقهٔ الله» (شتر ماده متعلق به خداوند) اشاره به این است که این شتر یک برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۱۳

شتر معمولی نبود، بلکه به عنوان معجزه و سند گویای صدق دعوی صالح فرستاده شده بود، یکی از ویژگیهای آن طبق روایت مشهور این بود که از دل صخرهای از کوه بر آمد تا معجزه گویائی در برابر منکران لجوج باشد.

سورة الشمس(٩١): آية ١٤ ص: ٥١٣

(آیه ۱۴) - و در این آیه می گوید: این قوم سرکش اعتنائی به کلمات این پیامبر بزرگ و هشدارهای او نکردند «پس او را تکذیب و ناقه را پی کردند» (فکذبوه فعقروها).

جالب توجه این که کسی که ناقه را به هلاکت رساند، یک نفر بیشتر نبود ولی در آیه فوق این عمل به تمام طغیانگران قوم ثمود نسبت داده شده، این به خاطر آن است که دیگران هم به نحوی در این کار سهیم بودند و با خشنودی و رضایت کامل آنها انجام گرفت. و به دنبال این تکذیب و مخالفت شدید، خداوند چنان آنها را مجازات کرد که اثری از آنان باقی نماند، چنانکه در ادامه همین آیه میفرماید: «از این رو پروردگارشان آنها (و سرزمینشان) را به خاطر گناهشان در هم کوبید و با خاک یکسان و صاف کرد»! (فدمدم علیهم ربهم بذنبهم فسواها).

صاعقه همان صیحه عظیم آسمانی در چند لحظه کوتاه چنان زلزله و لرزهای در سرزمین آنها ایجاد کرد که تمام بناها روی هم خوابید و صاف شد و خانههایشان را به گورهای آنها مبدل ساخت.

سورة الشمس(٩١): آية ١٥ ص: ٥١٣

(آیه ۱۵)- سر انجام در آخرین آیه سوره برای این که هشدار محکمی به تمام کسانی که در همان مسیر و خط حرکت می کنند بدهد، می فرماید:

«و (خداوند) هر گز از فرجام این کار [- مجازات ستمگران] بیم ندارد» (و لا یخاف عقباها).

بسیارند حاکمانی که قدرت بر مجازات دارند ولی پیوسته از پیامدهای آن بیمناکند، و از واکنشها و عکس العملها ترسان، و به همین دلیل از قدرت خود استفاده نمی کنند، و یا به تعبیر صحیحتر قدرت آنان آمیخته با ضعف و ناتوانی و علمشان آمیخته با جهل است چرا که می ترسند توانائی بر مقابله برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۱۴

با پیامدهای آن را نداشته باشند.

ولی خداوند قادر متعال که علمش احاطه به همه این امور و عواقب و آثار آن دارد، و قدرتش برای مقابله با پیامدهای حوادث با هیچ ضعفی آمیخته نیست بیمی از عواقب این امور ندارد، و به همین دلیل با نهایت قدرت و قاطعیت آنچه را که اراده کرده است انجام میدهد.

«پایان سوره شمس»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۱۵

سوره ليل [٩٢] ص: ۵۱۵

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۲۱ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص : 215

در آغاز سوره بعد از ذکر سه سوگند مردم را به دو گروه تقسیم میکند: انفاق کنندگان با تقوا، و بخیلانی که منکر پاداش قیامتند، پایان کار گروه دوم را سختی و تنگی و بدبختی میشمرد. در بخش دیگری از این سوره، بعد از اشاره به این معنی که هدایت بندگان بر خداست، همگان را از آتش فروزان دوزخ انذار می کند.

و در آخرین بخش کسانی را که در این آتش میسوزند و گروهی را که از آن نجات مییابند با ذکر اوصاف معرفی میکند.

در فضیلت تلاوت این سوره از پیغمبر گرامی صلّی اللّه علیه و آله آمده است که فرمود:

«هر کس این سوره را تلاوت کنـد خداونـد آنقـدر به او میبخشـد که راضـی شود، و او را از سـختیها نجات میدهـد و مسـیر زندگی را برای او آسان میسازد».

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

شأن نزول: ص: ۵۱۵

مفسران برای کل این سوره شأن نزولی از ابن عباس نقل کردهاند که چنین است: «مردی در میان مسلمانان بود که شاخه یکی از درختان خرمای او بالای خانه مرد فقیر عیالمندی قرار گرفته بود، صاحب نخل هنگامی که بالای درخت میرفت برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۱۶

تما خرماهما را بچینمد، گماهی چنمد دانه خرمها در خانه مرد فقیر میافتاد، و کودکانش آن را برمیداشتند، آن مرد از نخل فرود می آمد و خرما را از دستشان می گرفت.

مرد فقیر به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله شکایت آورد.

پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: برو تا به کارت رسیدگی کنم. سپس صاحب نخل را ملاقات کرد و فرمود: این درختی که شاخه هایش بالای خانه فلان کس آمده است به من می دهی تا در مقابل آن نخلی در بهشت از آن تو باشد! مرد گفت: من درختان نخل بسیاری دارم، و خرمای هیچ کدام به خوبی این درخت نیست - و حاضر به چنین معامله ای نیستم.

کسی از یاران پیامبر صلّی اللّه علیه و آله این سخن را شنید، عرض کرد: ای رسول خدا! اگر من بروم و این درخت را از این مرد خریداری و واگذار کنم، شما همان چیزی را که به او میدادید به من عطا خواهی کرد؟

فرمود: آرى.

آن مرد رفت و صاحب نخل را دید و با او گفتگو کرد، صاحب نخل گفت: آیا میدانی که محمّد حاضر شد درخت نخلی در بهشت در مقابل این به من بدهد- و من نپذیرفتم.

خریدار گفت: آیا میخواهی آن را بفروشی یا نه؟

گفت: نمی فروشم مگر آن که مبلغی را که گمان نمی کنم کسی بدهد به من بدهی.

گفت: چه مبلغ؟

گفت: چهل نخل.

خریدار تعجب کرد و گفت: عجب بهای سنگینی برای نخلی که کج شده مطالبه میکنی، چهل نخل! سپس بعد از کمی سکوت گفت: بسیار خوب، چهل نخل به تو می دهم.

فروشنده (طمعکار) گفت: اگر راست می گوئی چنـد نفر را به عنوان شـهود بطلب! اتفاقـا گروهی از آنجا می گذشـتند آنها را صدا زد، و بر این معامله شاهد گرفت.

سپس خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله آمد و عرض کرد ای رسول خدا! نخل به ملک من برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۱۷

در آمد و تقدیم (محضر مبارکتان) می کنم.

رسول خدا صلّی الله علیه و آله به سراغ خانواده فقیر رفت و به صاحب خانه گفت: این نخل از آن تو و فرزندان توست. اینجا بود که سوره لیل نازل شد- و گفتنیها را در باره بخیلان و سخاوتمندان گفت. در بعضی از روایات آمده که مرد خریدار شخصی به نام «ابو الدحداح» بود.

سورة الليل(92): آية 1 ص: 217

(آیه ۱)- تقوا و امدادهای الهی: باز در آغاز این سوره به سه سوگند تفکر انگیز از «مخلوقات» و «خالق عالم» برخورد میکنیم. می فرماید: «قسم به شب در آن هنگام که (جهان را) بپوشاند» (و اللیل اذا یغشی).

تعبیر به «یغشی» ممکن است به خاطر آن باشد که تاریکی شب همچون پردهای بر نیمی از کره زمین میافتد، و آن را زیر پوشش خود قرار میدهد، و یا به خاطر این که چهره روز یا چهره آفتاب عالمتاب با فرا رسیدن آن پوشانده می شود، و به هر حال اشارهای است به اهمیت شب و نقش مؤثر آن در زندگی انسانها، از تعدیل حرارت آفتاب گرفته، تا مسأله آرامش و سکون همه موجودات زنده در پرتو آن، و نیز عبادت شب زنده داران بیدار دل و آگاه.

سورة الليل(٩٢): آية ٢ ص: ٥١٧

(آیه ۲)- سپس به سراغ سوگند دیگری رفته، می افزاید: «و قسم به روز هنگامی که تجلی کند» (و النهار اذا تجلی). و این از لحظه ای است که سپیده صبح پرده ظلمانی شب را می شکافد و تاریکیها را به عقب می راند و بر تمام پهنه آسمان حاکم می شود.

سورة الليل(٩٢): آية ٣ ص: ٥١٧

(آیه ۳)– و بعد به سراغ آخرین قسم رفته، میفرماید: «و قسم به آن کس که جنس مذکر و مؤنث را آفرید» (و ما خلق الذکر و الانثی).

چرا که وجود این دو جنس در عالم «انسان» و «حیوان» و «نبات» و دگرگونیهایی که از لحظه انعقاد نطفه تا هنگام تولد رخ می دهد، و ویژگیهایی که هر یک از دو جنس به تناسب فعالیتها و برنامههایشان دارند، و اسرار فراوانی که در مفهوم زوجیّت نهفته است، همه نشانهها و آیاتی است از جهان بزرگ آفرینش، که از طریق آن می توان به عظمت آفریننده آن واقف شد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۱۸

سورة الليل(92): آية 4 ص: 218

(آیه ۴)- و سر انجام به هدف نهائی این سو گندها میرسد و میفرماید: «که سعی و تلاش شما (در زندگی) مختلف است» (ان سعیکم لشتی).

جهت گیری تلاشها و نتائج آن نیز کاملا مختلف و متفاوت میباشد. اشاره به این که شما به هر حال در زندگی آرام نخواهید گرفت، و حتما به سعی و تلاشی دست میزنید، و نیروهای خداداد که سرمایههای وجودتان است در مسیری خرج میشود، ببینید سعی و تلاش شما در کدام مسیر، به کدام سمت، و دارای کدام نتیجه است؟ نکند تمام سرمایه ها و استعدادهای خود را به بهای اندکی بفروشید، و یا بیهوده به هدر دهید.

سورة الليل(٩٢): آية ٥ ص: ٥١٨

(آیه ۵)- سپس مردم را به دو گروه تقسیم کرده، و ویژگیهای هر یک را بر می شمرد، می فرماید: «اما آن کس که (در راه خدا) انفاق کند و پرهیزکاری پیش گیرد» (فاما من اعطی و اتقی).

تأکید بر «تقوا» به دنبال انفاق اموال، اشاره به لزوم نیت پاک و قصد خالص به هنگام انفاق، و خالی بودن از هرگونه منت و اذیت و آزار می باشد.

سورة الليل(٩٢): آية 6 ص: ٥١٨

(آیه ۶) - «و جزای نیک (الهی) را تصدیق کند» (و صدق بالحسنی).

سورة الليل(٩٢): آية ٧ ص: ٥١٨

(آیه ۷) – «ما او را در مسیر آسانی قرار می دهیم» و به سوی بهشت جاویدان هدایت می کنیم (فسنیسره للیسری).

اصولا ایمان به معاد و پاداشهای عظیم الهی تحمل انواع مشکلات را برای انسان سهل و آسان می کند، نه تنها «مال» که «جان» خود را نیز در طبق اخلاص می گذارد و به عشق شهادت در میدان جهاد شرکت می کند، و از این ایثار گری خود لذت می برد.

سورة الليل(٩٢): آية ٨ ص: ٥١٨

(آیه ۸)– سپس به نقطه مقابل این گروه پرداخته، میفرماید: «اما کسی که بخل ورزد و (از این راه) بینیازی طلبد» (و اما من بخل و استغنی).

سورة الليل(٩٢): آية ٩ ص: ٥١٨

(آیه ۹)- «و پاداش نیک (الهی) را تکذیب کند» (و کذب بالحسنی).

سورة الليل(٩٢): آية 10 ص: ٥١٨

(آیه ۱۰)- «به زودی او را در مسیر دشواری قرار می دهیم» (فسنیسره للعسری).

«بخل» در اینجا نقطه مقابل «اعطا» است که در گروه اول (گروه سخاو تمندان سعاد تمند) بیان شد، «و استغنی» (بی نیازی بطلبد) بهانهای است برای بخل برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۱۹

ورزیدن، و وسیلهای است برای ثروت اندوختن.

اصولاً برای این بخیلان بی ایمان انجام اعمال نیک و مخصوصا انفاق در راه خدا کار سخت و دشواری است. در حالی که برای گروه اول نشاطآور و روح افزاست.

سورة الليل(٩٢): آية ١١ ص: ٥١٩

(آیه ۱۱) – و در این آیه به این بخیلان کوردل هشدار داده، میفرماید: «و در آن هنگام که (در جهنّم) سقوط می کند اموالش به حال او سودی نخواهد داشت» (و ما یغنی عنه ماله اذا تردی). نه میتواند این اموال را با خود از این دنیا ببرد، و نه اگر ببرد مانع سقوط او در آتش دوزخ خواهد شد.

سورة الليل(٩٢): آية ١٢ ص: ٥١٩

(آیه ۱۲) - در تعقیب آیات گذشته که مردم را به دو گروه مؤمن سخاوتمند و گروه بی ایمان بخیل تقسیم کرده، و سرنوشت هر کدام را بیان می نمود در اینجا به سراغ این مطلب می رود که کار ما هدایت است نه اجبار و الزام، این وظیفه شماست که تصمیم بگیرید و مرد راه باشید، به علاوه پیمودن این راه به سود خود شماست، و ما هیچ نیازی به آن نداریم.

مى فرمايد: «به يقين هدايت كردن بر ما است» (ان علينا للهدى).

چه هـدایت از طریق تکوین (فطرت و عقـل) و چه از طریق تشـریع (کتـاب و سـنّت) ما آنچه در این زمینه لازم بوده گفته ایم و حق آن را ادا کرده ایم.

سورة الليل(٩٢): آية ١٣ ص: ٥١٩

(آیه ۱۳)- «و آخرت و دنیا از آن ما است» (و ان لنا للآخرهٔ و الاولی).

هیچ نیازی به ایمان و اطاعت شما نداریم، نه اطاعت شما به ما سودی میرساند، و نه معصیت شما زیانی، و تمام این برنامهها به سود شما و برای خود شماست.

سورة الليل(92): آية 14 ص: 219

(آیه ۱۴)- و از آنجا که یکی از شعب هدایت هشدار و انذار است در این آیه، می افزاید: «من شما را از آتشی که زبانه می کشد بیم می دهم»! (فانذر تکم نارا تلظی).

سورة الليل(٩٢): آية ١٥ ص: ٥١٩

(آیه ۱۵)- سپس به گروهی که وارد این آتش برافروخته و سوزان میشونید اشاره کرده، میفرمایید: «کسی جز بدبخت ترین مردم وارد آن نمی شود» (لا یصلاها الا الاشقی).

سورة الليل(٩٢): آية ١٦ ص: ٥١٩

(آیه ۱۶)- و در توصیف اشقی میفرماید: «همان کسی که (آیات خدا را) تکذیب کرد و به آن پشت نمود» (الذی کذب و تولی). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۲۰

بنابر این، معیار خوشبختی و بدبختی همان کفر و ایمان است با پیامدهای عملی که این دو دارد و به راستی کسی که آن همه نشانههای هدایت و امکانات برای ایمان و تقوا را نادیده بگیرد مصداق روشن «اشقی» و بدبخت ترین مردم است.

سورة الليل(٩٢): آية ١٧ ص: ٥٢٠

(آیه ۱۷)- سپس سخن از گروهی می گوید که از این آتش شعلهور سوزان برکنارند، میفرماید: «به زودی با تقواترین مردم از آن (آتش سوزان) دور داشته میشود» (و سیجنبها الاتقی).

سورة الليل(٩٢): آية ١٨ ص: ٥٢٠

(آیه ۱۸)– «همان کسی که مال خود را (در راه خدا) میبخشد تا پاک شود» (الذی یؤتی ماله یتزکی).

تعبیر به «یتزکّی» در حقیقت اشاره به قصد قربت و نیت خالص است خواه این جمله به معنی کسب نمو معنوی و روحانی باشد، یا به دست آوردن پاکی اموال، چون «تزکیه» هم به معنی «نمو دادن» آمده و هم «پاک کردن».

سورة الليل(٩٢): آية ١٩ ص: ٥٢٠

(آیه ۱۹)- سپس برای تأکید بر مسأله خلوص نیت آنها در انفاقهایی که دارند، می افزاید: «و هیچ کس را نزد او حق نعمتی نیست تا بخواهد (به این وسیله) او را جزا دهد» (و ما لاحد عنده من نعمهٔ تجزی).

سورة الليل(٩٢): آية ٢٠ ص: ٥٢٠

(آیه ۲۰)– «بلکه تنها هدفش جلب رضای پروردگار بزرگ اوست» (الا ابتغاء وجه ربه الاعلی).

یعنی انفاق مؤمنان پرهیزکار به دیگران نه از روی ریاست، و نه به خاطر جوابگوئی خدمات سابق آنها، بلکه انگیزه آن تنها و تنها جلب رضای خداوند است، و همین است که به آن انفاقها ارزش فوق العادهای میدهد.

سورة الليل(٩٢): آية ٢١ ص: ٥٢٠

(آیه ۲۱)- و سر انجام در آخرین آیه این سوره به ذکر پاداش عظیم و بینظیر این گروه پرداخته، و در یک جمله کوتاه، می گوید: «و به زودی راضی و خشنود می شود» (و لسوف یرضی).

آری! همان گونه که او برای رضای خدا کار می کرد خدا نیز او را راضی میسازد، رضایتی گسترده و نامحدود که تمام نعمتها در آن جمع است.

«پایان سوره لیل»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۲۱

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۱۱ آیه دارد

محتوا و فضيلت سوره: ص: 221

طبق بعضی از روایـات وقتی پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله بر اثر تأخیر و انقطاع موقت وحی ناراحت بود، و زبان دشـمنان نیز باز شده بود، این سوره نازل شد و همچون باران رحمتی بر قلب پاک پیامبر صلّی اللّه علیه و آله نشست.

این سوره با دو سوگند آغاز می شود، سپس به پیامبر صلّی الله علیه و آله بشارت می دهد که خدا هرگز تو را رها نساخته است.

بعد به او نوید می دهد که خداوند آنقدر به او عطا می کند که خشنود شود.

و در آخرین مرحله، گذشته زندگانی پیامبر صلّی اللّه علیه و آله را در نظر او مجسّم میسازد که خداوند چگونه او را همیشه مشمول انواع رحمت خود قرار داده، و در سخت ترین لحظات زندگی حمایتش نموده است.

و لـذا در آخرین آیات به او دستور میدهـد که (به شـکرانه این نعمتهای بزرگ الهی) با یتیمان و مستمندان مهربانی کنـد و نعمت خدا را بازگو نماید.

در فضیلت این سوره همین بس که در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله نقل شده است: «هر کس آن را تلاوت کند از کسانی خواهد بود که خدا از آنها راضی می شود و شایسته است که محمد صلّی اللّه علیه و آله برای او شفاعت کند و به عدد هر یتیم و مسکین سؤال کننده ده حسنه برای او خواهد بود».

و این همه فضیلت از آن کسی است که آن را بخواند و در عمل پیاده کند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۲۲

قابل توجه این که مطابق روایات متعددی، این سوره و سوره آینده (الم نشرح) یک سوره است، و لذا برای این که در هر رکعت بعد از سوره حمد باید یک سوره کامل خوانده شود این دو سوره را باید با هم خواند.

بسم الله الرحمن الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر در باره شأن نزول اين سوره «ابن عباس» مي گويد: پانزده روز گذشت، و وحي بر پيامبر صلّى الله عليه و آله نازل نشد، مشركان گفتند: پروردگار محمد، او را رها كرده، و دشمن داشته، اگر راست مي گويد مأموريت او از سوى خداست، بايد وحي بطور مرتب بر او نازل مي شد.

در اینجا سوره مورد بحث نازل گشت- و به سخنان آنها پاسخ گفت.

قابـل توجه این که طبق حـدیثی وقتی این سوره نـازل شـد پیامبر صـلّی اللّه علیه و آله به جبرئیل فرمود: دیر کردی در حالی که سخت به تو مشتاق بودم.

جبرئيل گفت: «من به تو مشتاقتر بودم، ولي من بنده مأمورم و جز به فرمان پروردگار نازل نمي شوم»!

سورة الضحى(٩٣): آية ١ ص: ٥٢٢

(آیه ۱)- در آغاز این سوره نیز با دو سوگند رو برو می شویم: سوگند به «نور» و «ظلمت» می فرماید: «قسم به روز در آن هنگام

که آفتاب برآید» و همه جا را فرا گیرد (و الضحی).

سورة الضحى(93): آية ٢ ص: ٥٢٢

(آیه ۲)- «و سوگند به شب در آن هنگام که آرام گیرد» و همه جا را در آرامش فرو برد (و اللیل اذا سجی).

«ضحی» از ماده «سجو» به معنی اوائل روز است آن موقعی که خورشید در آسمان بالا بیاید و نور آن بر همه جا مسلط شود، و این در حقیقت بهترین موقع روز است.

«سجی» از ماده «سجو» در اصل به معنی «سکون و آرامش» است، و آنچه در شب مهم است همان آرامشی است که بر آن حکمفرماست، و طبعا اعصاب و روح برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۲۳

انسان را در آرامش فرو می برد، و برای تلاش و کوشش فردا و فرداها آماده می سازد، و از این نظر نعمت بسیار مهمی است که شایسته است سوگند به آن یاد شود.

میان این دو قسم و محتوای آیه شباهت و رابطه نزدیکی وجود دارد، روز همچون نزول نور وحی بر قلب پاک پیامبر صلّی اللّه علیه و آله است و شب همچون انقطاع موقت وحی که آن نیز در بعضی از مقاطع لازم است.

سورة الضحى(93): آية 3 ص: 223

(آیه ۳)– و به دنبال این دو سوگند بزرگ به نتیجه و جواب قسم پرداخته، میفرماید: «خداوند هرگز تو را وانگذاشته و مورد خشم قرار نداده است» (ما ودعک ربک و ما قلی).

این تعبیر دلداری و تسلّی خاطری است برای شخص پیامبر صلّی اللّه علیه و آله که بداند اگر گاهی در نزول وحی تأخیر افتد روی مصالحی است که خدا میداند، و هرگز دلیل بر آن نیست که طبق گفته دشمنان خداوند نسبت به او خشمگین شده باشد یا بخواهد او را ترک گوید، او همیشه مشمول لطف و عنایات خاصّه خدا، و همواره در کنف حمایت ویژه اوست.

سورة الضحى(93): آية 4 ص: 223

(آیه ۴)- سپس اضافه می کند: «و مسلما آخرت برای تو از دنیا بهتر است» (و للآخرهٔ خیر لک من الاولی).

تو در این جهان مشمول الطاف او هستی، و در آخرت بیشتر و بهتر، نه در کوتاه مدت مورد غضب پروردگار خواهی بود، و نه در دراز مدت، کوتاه سخن این که تو همیشه عزیزی، در دنیا عزیز و در آخرت عزیزتر.

سورة الضحى(93): آية ۵ ص: ۵۲۳

(آیه ۵)- آنقدر به تو میبخشد که خشنود شوی! در این آیه برترین نوید را به پیامبر داده، میافزاید: «و به زودی پروردگارت آنقدر به تو عطا خواهد کرد که خشنود شوی» (و لسوف یعطیک ربک فترضی).

این بالاترین اکرام و احترام پروردگار نسبت به بنده خاصیش محمد صلّی الله علیه و آله است که میفرماید: آنقدر به تو میبخشیم که راضی شوی، در دنیا بر دشمنان پیروز خواهی شد و آیین تو جهان گیر خواهد گشت، و در آخرت نیز مشمول

بزرگترین برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۲۴

مواهب خواهي بود.

بدون شک پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله به عنوان خاتم انبیا و رهبر عالم بشریت خشنودیش تنها در نجات خویش نیست، بلکه آن زمان راضی و خشنود میشود که شفاعتش در باره امتش نیز پذیرفته شود.

لذا در حدیثی از امام باقر علیه السّلام از پدرش امام زین العابدین علیه السّلام از عمویش «محمّد بن حنفیه» از پدرش امیر مؤمنان علیه السّلام میخوانیم: رسول اللّه فرمود: «روز قیامت من در موقف شفاعت می ایستم، و آنقدر گنه کاران را شفاعت کنم که خداوند گوید:

أ رضيت يا محمد؟ «آيا راضي شدى اى محمد؟

من می گویم: رضیت، رضیت راضی شدم، راضی شدم»! سپس امیر مؤمنان علی علیه السّلام رو به جمعی از اهل کوفه کرده و افزود: «شما معتقدید امید بخش ترین آیات قرآن آیه «قل یا عبادی الذین اسرفوا علی انفسهم لا تقنطوا من رحمهٔ الله ای کسانی که نسبت به خود زیاده روی کرده اید از رحمت خدا نومید نشوید» است.

گفتند: آری! ما چنین می گوییم.

فرمود: «ولى ما اهل بيت مى گوييم اميد بخش ترين آيات قرآن آيه «و لسوف يعطيك ربك فترضى» است»! ناگفته پيداست كه شفاعت پيامبر صلّى اللّه عليه و آله شرائطى دارد، نه او براى هر كس شفاعت مى كند، و نه هر گنهكارى مى تواند چنين انتظارى را داشته باشد «۱».

در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّلام میخوانیم: «رسول خدا وارد خانه فاطمه علیها السّلام شد در حالی که لباس خشنی از پشم شتر در تن دخترش بود، با یک دست آسیا می کرد، و با دست دیگر فرزندش را شیر میداد، اشک در چشمان پیامبر صلّی اللّه علیه و آله ظاهر شد، فرمود: دخترم! تلخی دنیا را در برابر شیرینی آخرت تحمل کن، چرا که خداوند بر من نازل کرده است که آنقدر پروردگارت به تو می بخشد که راضی شوی (و لسوف یعطیک ربک فترضی».

(۱) مشروح این بحث را در جلد اول همین تفسیر ذیل آیه ۴۸ سوره بقره مطالعه فرمایید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۲۵

سورة الضحى(93): آية 6 ص: 225

(آیه ۶)- به شکرانه این همه نعمت که خدا به تو داده ...!

چنانکه گفتیم هدف این سوره تسلّی و دلداری پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله و بیان الطاف الهی نسبت به آن حضرت است، لذا در ادامه آیات گذشته که از این معنی سخن می گفت، در اینجا نخست به ذکر سه موهبت از مواهب خاص الهی به پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله پرداخته، و سپس سه دستور مهم در همین رابطه به او میدهد.

مى فرمايد: «آيا او (خداوند) تو را يتيم نيافت و پناه داد» (الم يجدك يتيما فآوى).

در شکم مادر بودی که پدرت عبد الله از دنیا رفت، تو را در آغوش جدّت «عبد المطلب» (سید مکه) پرورش دادم.

شش ساله بودی که مادرت از دنیا رفت، و از این نظر نیز تنها شدی، اما عشق و محبت تو را در قلب «عبد المطلب» افزون

ساختم.

هشت ساله بودی که جدّت «عبـد المطلب» از دنیا رفت عمویت «ابو طالب» را به خـدمت و حمایتت گماشـتم، تا تو را همچون جان شیرین در بر گیرد و محافظت کند.

آری تو یتیم بودی و من به تو پناه دادم.

سورة الضحى(93): آية ٧ ص: 225

(آیه ۷) – بعد به ذکر نعمت دوم پرداخته، می فرماید: «و تو را گمشده یافت و هدایت کرد» (و وجدک ضالا فهدی).
آری! تو هرگز از نبوت و رسالت آگاه نبودی، و ما این نور را در قلب تو افکندیم که به وسیله آن انسانها را هدایت کنی! چنانکه در جای دیگر می فرماید: «تو نه کتاب را می دانستی و نه ایمان را (از محتوای قرآن و اسلام قبل از نزول وحی آگاه نبودی) ولی ما آن را نوری قرار دادیم که به وسیله آن هر کس از بندگانمان را بخواهیم هدایت می کنیم» (شوری/ ۵۲). بنابر این منظور از «ضلالت» در اینجا نفی ایمان و توحید و پاکی و تقوا نیست، بلکه نفی آگاهی از اسرار نبوت، و قوانین اسلام، و عدم آشنائی با این حقایق بود، ولی بعد از بعثت به کمک پروردگار بر همه این امور واقف شد و هدایت یافت. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۲۶

سورة الضحى(٩٣): آية ٨ ص: 278

(آیه ۸)- بعد به بیان سومین نعمت پرداخته، می فرماید: «و تو را فقیر یافت و بی نیاز کرد» (و وجدک عائلا فاغنی). توجه «خدیجه» آن زن مخلص با وفا را به سوی تو جلب نمود تا ثروت سرشارش را در اختیار تو و اهداف بزرگت قرار دهد، و بعد از ظهور اسلام غنائم فراوانی در جنگها نصیب تو کرد آن گونه که برای رسیدن به اهداف بزرگت بی نیاز شدی.

سورة الضحى(٩٣): آية 9 ص: ٥٢٦

(آیه ۹)- سپس به عنوان نتیجه گیری از آیات قبل، سه دستور پر اهمیت به پیغمبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله میدهد که هر چند مخاطب در آن شخص رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله است ولی مسلما همگان را شامل میشود.

نخست مى فرمايد: «حال كه چنين است يتيم را تحقير مكن» (فاما اليتيم فلا تقهر).

تو هم خود یتیم بودی و رنج یتیمی را کشیدهای، اکنون از دل و جان مراقب یتیمان باش و روح تشنه آنها را با محبت سیراب کن.

این نشان می دهد که در مورد یتیمان مسأله اطعام و انفاق گرچه مهم است، ولی از آن مهمتر دلجوئی و نوازش و رفع کمبودهای عاطفی است، و لذا در حدیث معروفی میخوانیم که «رسول الله» صلّی الله علیه و آله فرمود: «هر کس به عنوان نوازش دست بر سر یتیمی کشد به تعداد هر موئی که دست او از آن می گذرد در روز قیامت نوری خواهد داشت».

سورة الضحى(93): آية 10 ص: 276

(آیه ۱۰)– و در این آیه به دومین دستور پرداخته، میفرماید: «و سؤال کننده را از خود مران» (و اما السائل فلا تنهر).

در این که منظور از «سائل» در اینجا چه کسی است؟ چند تفسیر وجود دارد:

نخست این که منظور کسانی است که سؤالاتی در مسائل علمی و اعتقادی و دینی دارند.

دیگر این که: منظور کسانی است که دارای فقر مادی هستند، و به سراغ تو برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۲۷

می آیند، باید آنچه در توان داری به کار گیری، و آنها را مأیوس نکنی، و از خود مرانی.

سوم این که: هم ناظر به فقر علمی است و هم فقر مادی، دستور می دهد که به تقاضای سائلان در هر قسمت پاسخ مثبت ده، این معنی هم تناسب با هدایت الهی نسبت به پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دارد و هم سرپرستی از او در زمانی که یتیم بود.

سورة الضحى(٩٣): آية ١١ ص: ٥٢٧

(آیه ۱۱)- و سر انجام در سومین و آخرین دستور، میفرماید: «و نعمتهای پروردگارت را بازگو کن» (و اما بنعمهٔ ربک فحدث).

بازگو کردن نعمت، گاه با زبان است و تعبیراتی که حاکی از نهایت شکر و سپاس باشد، نه غرور و برتری جوئی، و گاه با عمل است به این ترتیب که از آن در راه خدا انفاق و بخشش کند، بخششی که نشان دهد خداوند نعمت فراوانی به او عطا کده است.

البته واژه «نعمت» تمام نعمتهای معنوی و مادی را شامل می شود.

لذا در حدیثی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم که فرمود: معنی آیه چنین است:

«آنچه را خدا به تو بخشیده و برتری داده و روزی عطا فرموده و نیکی به تو کرده و هدایت نموده همه را بازگو کن».

«پایان سوره ضحی»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۲۹

سوره انشراح [94] ص: 229

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۸ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص: 229

معروف است که این سوره بعد از سوره «و الضحی» نازل شده و محتوای آن نیز همین مطلب را تأیید می کند چرا که در این سوره باز قسمتی از مواهب الهی بر پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله شمرده شده است در واقع سه نوع موهبت بزرگ در سوره و الضّحی آمده بود و سه موهبت بزرگ در سوره الم نشرح آمده است مواهب گذشته بعضی مادی و بعضی معنوی بود اما مواهب سه گانه این سوره همه جنبه معنوی دارد و عمدتا این سوره بر سه محور دور می زند.

یکی بیان همین نعمتهای سه گانه و دیگر بشارت به پیامبر از نظر برطرف شدن مشکلات دعوت او در آینـده و دیگر توجه به

خداوند یگانه و تحریص و ترغیب به عبادت و نیایش.

و به همین دلیل در روایات اهل بیت علیهم السّ لام چنانکه قبلا هم اشاره کردهایم این دو به منزله یک سوره شـمرده شده است و لذا در قرائت نماز برای این که یک سوره کامل خوانده شود هر دو را با هم میخوانند.

در فضیلت تلاوت این سوره در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم که فرمود: «هر کس این سوره را بخواند پاداش کسی را دارد که محمّد صلّی اللّه علیه و آله را غمگین دیده و اندوه را از قلب او زدوده است».

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۳۰

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الشرح(94): آية 1 ص: 230

(آیه ۱)- ما تو را مشمول انواع نعمتها ساختیم! لحن آیات آمیخته با لطف و محبت فوق العاده پروردگار و تسلّی و دلـداری پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله است.

در نخستین آیه به مهمترین موهبت الهی اشاره کرده، می فرماید: «آیا ما سینه تو را گشاده نساختیم» (ا لم نشرح لک صدرک). منظور از «شرح صدر» در اینجا گسترش روح و فکر پیامبر به وسیله نور الهی و سکینه و آرامش خداداد می باشد، این توسعه می تواند مفهوم وسیعی داشته باشد که هم وسعت علمی پیامبر را از طریق وحی و رسالت شامل گردد و هم بسط و گسترش تحمل و استقامت او در برابر لجاجتها و کارشکنیهای دشمنان و مخالفان.

و لذا در حدیثی آمده است که پیامبر میفرماید: «من تقاضائی از پروردگارم کردم و دوست میداشتم این تقاضا را نمی کردم، عرض کردم: خداوندا! پیامبران قبل از من بعضی جریان باد را در اختیارشان قرار دادی، و بعضی مردگان را زنده می کردند!» خداوند به من فرمود: آیا تو یتیم نبودی پناهت دادم؟

گفتم: آری! فرمود: آیا گمشده نبودی هدایتت کردم؟

عرض کردم: آری، ای پروردگار! فرمود: آیا سینه تو را گشاده، و پشتت را سبکبار نکردم؟

عرض کردم: آری ای پروردگار!».

این نشان می دهد که نعمت «شرح صدر» ما فوق معجزات انبیاست، و به راستی اگر کسی حالات پیامبر صلّی الله علیه و آله را دقیقا مطالعه کند و میزان شرح صدر او را در حوادث سخت و پیچیده دوران عمرش بنگرد یقین می کند که این از طریق عادی ممکن نیست، بلکه یک تأیید الهی و ربانی است.

و به خاطر همین «شرح صدر» بود که پیامبر صلّی الله علیه و آله به عالیترین وجهی مشکلات برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۳۱

رسالت را پشت سر گذاشت، و وظائف خود را در این طریق به خوبی انجام داد.

سورة الشرح(94): آية 2 ص: 231

(آیه ۲)- سپس به ذکر موهبت دیگری از مواهب عظیم خود به پیامبر صلّی الله علیه و آله پرداخته، می افزاید: «و (آیا) بار سنگین را از تو برنداشتیم»!؟ (و وضعنا عنک وزرک).

سورة الشرح (٩٤): آية ٣ ص: ٥٣١

(آیه ۳)- «همان باری که سخت بر پشت تو سنگینی می کرد» (الذی انقض ظهر ک).

این کدام بار بود که خداوند از پشت پیامبرش برداشت؟

قرائن آیات به خوبی نشان میدهد که منظور همان مشکلات رسالت و نبوت، و دعوت به سوی توحید و یکتاپرستی، و برچیدن آثار فساد از آن محیط بسیار آلوده بوده است، نه تنها پیغمبر اسلام صلّی الله علیه و آله که همه پیغمبران در آغاز دعوت با چنین مشکلات عظیمی رو برو بودند، و تنها با امدادهای الهی بر آنها پیروز می شدند، منتها شرائط محیط و زمان پیغمبر اسلام صلّی الله علیه و آله از جهاتی سخت تر و سنگین تر بود.

سورة الشرح(٩٤): آية ٢ ص: ٥٣١

(آیه ۴)– و در بیان سومین موهبت، می فرماید: «و آوازه تو را بلند ساختیم» (و رفعنا لک ذکرک).

نام تو همراه اسلام و نام قرآن همه جا پیچید، و از آن بهتر این که نام تو در کنار نام الله هر صبح و شام بر فراز مأذنه ها و هنگام اذان برده می شود، و شهادت به رسالت تو، در کنار شهادت به توحید و یگانگی خداوند نشان اسلام، و دلیل پذیرش این آیین پاک است.

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله در تفسیر این آیه میخوانیم که فرمود: جبرئیل به من گفت: خداوند متعال می گوید: هنگامی که نام من برده میشود نام تو نیز همراه من ذکر میشود- و در عظمت مقام تو همین بس.

سورة الشرح(٩٤): آية ۵ ص: ٥٣١

(آیه ۵)- در این آیه، به پیامبرش مهمترین بشارت را میدهد و انوار امید را بر قلب پاکش می پاشد، می فرماید: «به یقین با (هر) سختی آسانی است» (فان مع العسر یسرا).

سورة الشرح(94): آية 6 ص: 231

(آیه ۶)- باز تأکید میکند: «مسلّما با هر سختی آسانی است» (ان مع العسر یسرا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۳۲ غم مخور مشکلات و سختیها به این صورت باقی نمی ماند، کارشکنیهای دشمنان برای همیشه ادامه نخواهد یافت، و محرومیتهای مادی و مشکلات اقتصادی و فقر مسلمین به همین صورت ادامه نمی یابد.

قابل ذکر است که، این دو آیه به صورتی مطرح شده که اختصاص به شخص پیامبر اکرم صلّی الله علیه و آله و زمان آن حضرت ندارد، بلکه به صورت یک قاعده کلی و به عنوان تعلیلی بر مباحث سابق مطرح است، و به همه انسانهای مؤمن مخلص و تلاشگر نوید می دهد که همیشه در کنار سختیها آسانیهاست.

در حدیثی آمده است که پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله فرمود: «بدان که با سختیها آسانی است، و با صبر پیروزی و با غم و اندوه خوشحالی و گشایش است».

صبر و ظفر هر دو دوستان قدیمند بر اثر صبر نوبت ظفر آید.

سورة الشرح(٩٤): آية ٧ ص: ٥٣٢

(آیه ۷)- سپس در این آیه، می فرماید: «پس هنگامی که از کار مهمی فارغ می شوی به مهم دیگری پرداز» (فاذا فرغت فانصب).

هرگز بیکار نمان، تلاش و کوشش را کنار مگذار، پیوسته مشغول مجاهده باش و پایان مهمی را آغاز مهم دیگر قرار ده.

سورة الشرح (٩٤): آية ٨ ص: ٥٣٢

(آیه ۸)- و در تمام این احوال به خدا تکیه کن «و به سوی پروردگارت توجه کن» (و الی ربک فارغب). رضایت او را بطلب، و خشنودی او را جستجو کن، و به سوی قرب جوارش بشتاب.

مطابق آنچه گفته شد آیه مفهوم گستردهای دارد که فراغت از هر مهمی، و پرداختن به مهم دیگر را شامل می شود، و جهت گیری تمام تلاشها را به سوی پروردگار توصیه می کند.

به هر حال مجموعه این سوره بیانگر عنایت خاص الهی به پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله و تسلی او در برابر مشکلات، و وعده نصرت و تأیید او در برابر مشکلات و فراز و نشیبهای راه رسالت است. و در عین حال مجموعهای است امید بخش سازنده و حیات آفرین برای همه انسانها و همه رهروان راه حق.

«پایان سوره انشراح»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۳۳

سوره تین [۹۵] ص: ۵۳۳

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۸ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص: 333

این سوره در حقیقت بر محور آفرینش زیبای انسان، و مراحل تکامل، و انحطاط او دور میزند، و این مطلب با سوگندهای پر معنائی در آغاز سوره شروع شده است، و بعد از شمردن عوامل پیروزی و نجات انسان، سر انجام تأکید بر مسأله معاد و حاکمیت مطلقه خداوند پایان می گیرد.

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله آمده است: «هر کس این سوره را بخواند خداوند دو نعمت را مادامی که در دنیاست به او می بخشد: سلامت و یقین، و هنگامی که از دنیا برود به تعداد تمام کسانی که این سوره را خواندهاند ثواب یک روز روزه به عنوان پاداش به او می بخشد».

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة التين(٩٥): آية ١ ص : 333

(آیه ۱) – در آغاز این سوره به چهار سوگند پر معنی برخورد می کنیم که مقدمه برای بیان معنی پراهمیتی است. می فرماید: «قسم به انجیر و زیتون [- یا قسم به سرزمین شام و بیت المقدس]» (و التین و الزیتون).

سورة التين(95): آية 7 ص: 333

(آیه ۲)- «و سوگند به طور سینین» (و طور سینین).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۳۴

سورة التين(٩٥): آية ٣ ص: ٥٣٤

(آیه ۳) – «و قسم به این شهر امن» [– شهر مکه] (و هذا البلد الأمین).

«تین» در لغت به معنی «انجیر» و «زیتون» همان زیتون معروف است که ماده روغنی مفیدی از آن می گیرند.

در این که آیا منظور سوگند به همین دو میوه معروف است یا چیز دیگر؟

بعضی آن را اشاره به همان دو میوه معروف میدانند که خواص غذائی و درمانی فوق العاده زیادی دارد، بعضی دیگر معتقدند که منظور از آن، دو کوهی است که شهر «دمشق» و «بیت المقدس» بر آنها قرار گرفته، چرا که این دو سرزمین، محل قیام بسیاری از انبیا و پیامبران بزرگ خداست، و این تفسیر با سوگندهای سوم و چهارم که از سرزمینهای مقدسی یاد می کند هماهنگ است.

و اما «هذا البلد الامین» مسلما اشاره به سرزمین «مکّه» است سرزمینی که حتی در عصر جاهلیت به عنوان منطقه امن و حرم خدا شمرده میشد، و کسی در آنجا حق تعرض به دیگری نداشت.

و هر گاه این دو قسم (تین و زیتون) را بر معنی ابتدائی آنها حمل کنیم یعنی انجیر و زیتون معروف، باز سوگند پر معنائی است زیرا:

«انجیر» دارای ارزش غذائی فراوانی است و لقمهای است مغذی و مقوی برای هر سن و سال و خالی از پوست و هسته و زوائد. در حدیثی از امام علی بن موسی الرضا علیه السّ بلام آمده است: «انجیر بوی دهان را میبرد، لثهها و استخوانها را محکم می کند، مو را میرویاند درد را برطرف میسازد، و با وجود آن نیاز به دارو نیست.»

و نیز فرمود: «انجیر شبیه ترین اشیا به میوه بهشتی است.»

و غذاشناسان و دانشمندان بزرگ برای زیتون و روغن آن اهمیت فوق العادهای قائلند، و معتقدند کسانی که میخواهند همواره سالم باشند باید از این اکسیر حیاتی استفاده کنند.

روغن زیتون دوست صمیمی کبد آدمی، و برای رفع عوارض کلیه ها و سنگهای صفراوی، و قولنجهای کلیوی، و کبدی و رفع یبوست بسیار مؤثر است. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۳۵

روغن زیتون سرشار از انواع ویتامینها است و دارای فسفر، کلسیم و پتاسیم و منگنز است در حدیثی از امام علیّ بن موسی الرضا علیه السّ بلام آمده است: «روغن زیتون غذای خوبی است، دهان را خوشبو و بلغم را برطرف میسازد، رنگ صورت را صفا و طراوت میبخشد، اعصاب را تقویت کرده، بیماری و درد و ضعف را از میان میبرد و آتش خشم را فرو مینشاند».

سورة التين(٩٥): آية 4 ص: 330

(آیه ۴)- ما انسان را در بهترین صورت آفریدیم! بعد از ذکر این قسمهای پرمحتوای چهارگانه به جواب قسم پرداخته، می فرماید: «مسلما ما انسان را در بهترین صورت و نظام آفریدیم» (لقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم).

«تقویم» به معنی در آوردن چیزی به صورت مناسب، و نظام معتدل و کیفیت شایسته است، و گستردگی مفهوم آن اشاره به این است که خداوند انسان را از هر نظر موزون و شایسته آفرید، هم از نظر جسمی، و هم از نظر روحی و عقلی، چرا که هر گونه استعدادی را در وجود او قرار داده، و او را برای پیمودن قوس صعودی بسیار عظیمی آماده ساخته، و با این که انسان «جرم صغیری» است، «عالم کبیر» را در او جا داده و آنقدر شایستگیها به او بخشیده که لایق خلعت «و لقد کرمنا بنی آدم ما فرزندان آدم را کرامت و عظمت بخشیدیم» «۱» شده است.

سورة التين(٩٥): آية ٥ ص : ٥٣٥

(آیه ۵)- ولی همین انسان با تمام این امتیازات اگر از مسیر حق منحرف گردد چنان سقوط می کند که به «اسفل سافلین» کشیده می شود، لذا در آیه مورد بحث، می فرماید: «سپس او را به پایین ترین مرحله باز گرداندیم» (ثم رددناه اسفل سافلین). چرا چنین نباشد در حالی که موجودی است مملو از استعدادهای سرشار که اگر در طریق صلاح از آن استفاده کند بر بالاترین قله افتخار قرار می گیرد، و اگر این همه هوش و استعداد را در طریق فساد به کار اندازد بزرگترین مفسده را می آفریند و طبیعی است که به «اسفل سافلین» کشیده شود.

(۱) سوره اسراء (۱۷) آیه ۷۰.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۳۶

سورة التين(٩٥): آية 6 ص: 338

(آیه ۶)- ولی در این آیه، می افزاید: «مگر کسانی که ایمان آورده و اعمال صالح انجام داده اند که برای آنها پاداشی تمام نشدنی است» (الا الذین آمنوا و عملوا الصالحات فلهم اجر غیر ممنون).

سورة التين(٩٥): آية ٧ ص: ٥٣٦

(آیه ۷)- در این آیه، این انسان ناسپاس و بیاعتنا به دلائل و نشانههای معاد را مخاطب ساخته، می گوید: «پس چه چیز سبب می شود که بعد از این همه (دلائل روشن) روز جزا را انکار می کنی»؟! (فما یکذبک بعد بالدین).

ساختمان وجود تو از یکسو، و ساختمان این جهان پهناور از سوی دیگر، نشان میدهد که زندگی چند روزه دنیا نمی تواند هدف نهائی آفرینش تو و این عالم بزرگ باشد.

اینها همه مقدمهای است برای جهانی و سیعتر و کاملتر، و به تعبیر قرآن در آیه ۶۲ سوره واقعه «نشئه اولی» خود خبر از «نشئه دیگری» می دهد، چرا انسان متذکر نمی شود.

سورة التين(٩٥): آية ٨ ص: ٥٣٦

(آیه ۸)- و در آخرین آیه سوره، میفرماید: «آیا خداوند بهترین حکم کنندگان و داوران نیست»؟! (الیس الله باحکم الحاکمین).

در حدیثی آمده است هنگامی که پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله سوره «و التین» را تلاوت میفرمود وقتی به آیه «ا لیس الله باحکم الحاکمین» میرسید، میفرمود: «بلی و انا علی ذلک من الشّاهدین آری خداوند بهترین حکم کنندگان است و من بر این امر گواهم».

«پایان سوره تین»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۳۷

سوره علق [96] ص: ۵۳۷

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۱۹ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص: 337

مشهور در میان مفسران این است که این سوره نخستین سورهای است که بر پیغمبر گرامی اسلام صلّی الله علیه و آله نازل شده، و محتوای آن نیز مؤید همین معنی است.

در آغـاز به پیغمبر اکرم صـلّی الله علیه و آله دسـتور قرائت و تلاوت میدهـد و سـپس از آفرینش این انسان با عظمت، از یک قطعه خون بیارزش، سخن می گوید.

در مرحله بعد از تکامل انسان در پرتو لطف و کرم پروردگار، و آشنائی او به علم و دانش و قلم بحث می کند.

و در مرحله بعد، از انسانهای ناسپاسی که علی رغم این همه موهبت و اکرام الهی راه طغیان را پیش می گیرنـد سـخن به میان می آورد.

و سر انجام به مجازات دردناک کسانی که مانع هدایت مردم و اعمال نیکند اشاره میکند و سوره را با دستور سجده و تقرب به درگاه پروردگار پایان میدهد.

در فضيلت تلاوت اين سوره از امام صادق عليه السّلام نقل شده است كه فرمود:

«هر کس در روز یا شب سوره «اقرا باسم ربّک» را بخواند، و در همان شب یا روز بمیرد شهید از دنیا رفته است و خداوند او را شهید مبعوث می کند و در صف شهیدان جای می دهد، و در قیامت همچون کسی است که با شمشیر در راه خدا همراه پیامبر خدا جهاد کرده است.» برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۳۸

این سوره به مناسبت تعبیرهای مختلفی که در آغاز آن است به نام سوره «علق»، «اقرا»، «قلم» نامیده شده.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

شأن نزول: ص: ۵۳۸

در روایات آمده است که پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله به کوه «حرا» رفته بود جبرئیل آمد و گفت: ای محمّد بخوان! پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: من قرائت کننده نیستم.

جبرئیل او را در آغوش گرفت و فشرد، و بـار دیگر گفت: بخوان! پیـامبر صـلّی اللّه علیه و آله همان جواب را تکرار کرد، بار دوم نیز جبرئیل این کار را کرد، و همان جواب را شـنید، و در سومین بار گفت: (اقرأ باسم ربک الـذی خلق ...) (تا آخر آیات پنج گانه).

این سخن را گفت و از دیده پیامبر صلّی اللّه علیه و آله پنهان شد.

رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله که بـا دریافت نخستین اشـعه وحی سـخت خسـته شـده بود به سـراغ خـدیجه آمـده، و فرمود: «زمّلونی و دثّرونی مرا بپوشانید و جامهای بر من بیفکنید تا استراحت کنم».

«طبرسی» در «مجمع البیان» نیز نقل می کنید که: رسول خیدا صلّی الله علیه و آله به خیدیجه فرمود: هنگامی که تنها می شوم ندائی می شنوم (و نگرانم!).

خدیجه عرض کرد: خداوند جز خیر در باره تو کاری نخواهد کرد، چرا که به خدا سوگند تو امانت را ادا میکنی، صله رحم به جا می آوری، در سخن گفتن راستگو هستی.

«خدیجه» می گوید: بعد از این ماجرا ما به سراغ «ورقهٔ بن نوفل» رفتیم (او از آگاهان عرب و عمو زاده خدیجه بود) رسول الله صلّی الله علیه و آله آنچه را دیده بود برای «ورقه» بیان کرد، ورقه گفت: هنگامی که آن منادی به سراغ تو می آید دقت کن ببین چه می شنوی؟ سپس برای من نقل کن. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۳۹

پیامبر صلّی الله علیه و آله در خلوتگاه خود این را شنید که می گوید: ای محمّه د بگو: بسم الله الرّحمن الرّحیم الحمد لله ربّ العالمین - تا - و لا الضّالین، و بگو: لا اله الّا الله، سپس حضرت به سراغ ورقه آمد و مطلب را برای او بازگو کرد.

«ورقه» گفت: بشارت بر تو، باز هم بشارت بر تو، من گواهی می دهم تو همان هستی که «عیسی بن مریم» بشارت داده است! و تو شریعتی همچون «موسی» داری تو پیامبر مرسلی، و به زودی بعد از این روز مأمور به جهاد می شوی و اگر من آن روز را در ک کنم در کنار تو جهاد خواهم کرد! هنگامی که «ورقه» از دنیا رفت رسول خدا صلّی الله علیه و آله فرمود: «من این روحانی را در بهشت (بهشت برزخی) دیدم در حالی که لباس حریر بر تن داشت، زیرا او به من ایمان آورد و مرا تصدیق که د».

البته در بعضی از کلمات مفسرین، یا کتب تاریخ، مطالب ناموزونی در باره این فصل از زندگی پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله به چشم میخورد که مسلما از احادیث مجعول و اسرائیلیات است.

به نظر می رسد این گونه روایات ضعیف و رکیک، ساخته و پرداخته دشمنان اسلام است که خواستهاند هم اسلام را زیر سؤال برند و هم شخص پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله را.

سورة العلق(96): آية 1 ص: 239

(آیه ۱)- بخوان به نام پروردگارت! در نخستین آیه پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله را مخاطب ساخته، می گویـد: «بخوان به نام پروردگارت که (جهان را) آفرید» (اقرأ باسم ربک الذی خلق).

قابل توجه این که در اینجا قبل از هر چیز تکیه روی مسأله «ربوبیت» پروردگار شده است، و میدانیم «رب» به معنی «مالک مصلح» است کسی که هم صاحب چیزی است و هم به اصلاح و تربیت آن می پردازد.

سپس برای اثبات ربوبیت پروردگار روی مسأله خلقت و آفرینش جهان هستی تکیه شده، چرا که بهترین دلیل بر ربوبیت او خالقیت اوست، کسی عالم را تدبیر میکند که آفریننده آن است.

این در حقیقت پاسخی است به مشرکان عرب که «خالقیت» خدا را پذیرفته برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۴۰

بودند، اما ربوبیت و تدبیر را برای بتها قائل بودند! به علاوه ربوبیت خداوند و تدبیر او در نظام هستی بهترین دلیل بر اثبات ذات مقدّس اوست.

سورة العلق(96): آية ٢ ص: ٥٤٠

(آیه ۲)- سپس از میان مخلوقات روی مهمترین پدیده جهان خلقت و گل سرسبد آفرینش یعنی «انسان» تکیه کرده، و آفرینش او را یادآور شده، میفرماید:

«همان كس كه انسان را از خون بستهاى خلق كرد» (خلق الانسان من علق).

از آنجا که نطفه بعد از گذراندن دوران نخستین در عالم جنین، به شکل قطعه خون بسته چسبندهای در می آید که در ظاهر بسیار کم ارزش است، مبدأ آفرینش انسان را در این آیه همین موجود ناچیز می شمرد، تا قدرت نمائی عظیم پروردگار روشن شود که از موجودی چنان بی ارزش مخلوقی چنین پرارزش آفریده است.

بعضی نیز گفتهاند: منظور از «علق» در اینجا «گل» آدم است که آن هم حالت چسبندگی داشت، بدیهی است خدائی که این مخلوق عجیب را از آن قطعه «گل چسبنده» به وجود آورد، شایسته هرگونه ستایش است.

گاه «علق» را به معنی موجود «صاحب علاقه» دانستهاند که اشارهای است به روح اجتماعی انسان، و علقه آنها به یکدیگر که در حقیقت پایه اصلی تکامل بشر و پیشرفت تمدّنها را تشکیل میدهد.

بعضی نیز «علق» را اشاره به «نطفه نر» (اسپرم) میدانند که شباهت زیادی به «زالو» دارد، این موجود ذره بینی در آب نطفه شناور است، و به سوی «نطفه زن» در رحم پیش میرود، و به آن میچسبد، و از ترکیب آن دو، نطفه کامل انسان به وجود می آید.

درست است که در آن زمان این گونه مسائل هنوز شناخته نشده بود، ولی قرآن مجید از طریق اعجاز علمی پرده از روی آن برداشته است.

از میان این تفسیرهای چهارگانه تفسیر اول روشنتر به نظر میرسد، هر چند جمع میان چهار تفسیر نیز مانعی ندارد.

سورة العلق(96): آية ٣ ص: ٥٤٠

(آیه ۳)- بار دیگر برای تأکید می افزاید: «بخوان که پروردگارت (از همه) بزرگوارتر است» (اقرأ و ربک الاکرم). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۴۱

تعبیر این آیه در حقیقت پاسخی است به گفتار پیامبر صلّی اللّه علیه و آله در جواب جبرئیل که گفت: من قرائت کننده نیستم، یعنی «از برکت پروردگار فوق العاده کریم و بزرگوار، تو توانائی بر قرائت و تلاوت داری».

سورة العلق(96): آية 4 ص: 241

(آیه ۴)- سپس به توصیف خداوندی که اکرم الاکرمین است پرداخته، می فرماید: «همان کسی که به وسیله قلم تعلیم نمود» (الذی علم بالقلم).

سورة العلق(96): آية ۵ ص: ۵۴۱

(آیه ۵)– «و به انسان آنچه را نمی دانست یاد داد» (علم الانسان ما لم یعلم).

در حقیقت این آیات نیز پاسخی است به همان گفتار پیامبر صلّی اللّه علیه و آله که فرمود «من قرائت کننده نیستم» یعنی همان خدائی که به وسیله قلم انسانها را تعلیم داد، و به انسان آنچه را نمیدانست آموخت، قادر است که به بندهای درس نخوانده همچون تو نیز قرائت و تلاوت را بیاموزد.

جمله «الـذى علم بـالقلم» تاب دو معنى دارد، نخست اين كه: خداونـد نوشـتن و كتابت را به انسان آموخت و قـدرت و توانائى اين كار عظيم را كه مبدأ تاريخ بشر، و سر چشمه تمام علوم و فنون و تمدّنهاست، در او ايجاد كرد.

دیگر این که: منظور این است که علوم و دانشها را از این طریق و با این وسیله به انسان آموخت.

و در هر حال تعبیری است پر معنی که در آن لحظات حساس نخستین نزول وحی در این آیات بزرگ و پر معنی منعکس شده است.

پایه اسلام از همان آغاز بر علم و قلم گذارده شده، و بیجهت نیست که قومی چنان عقب مانده بقدری در علوم و دانشها پیش رفتند که علم و دانش را- به اعتراف دوست و دشمن- به همه جهان صادر کردند، و به اعتراف مورخان معروف اروپا این نور علم و دانش مسلمین بود که بر صفحه اروپای تاریک قرون وسطی تابید، و آنها را وارد عصر تمدن ساخت.

چقدر نازیباست ملّتی این چنین، و آئینی آن چنان، در میدان علم و دانش عقب بمانند و نیازمند دیگران و حتی وابسته به آنها شوند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۴۲

سورة العلق(٩٦): آية ٦ ص: ٥٤٢

(آیه ۶)- در تعقیب آیات گذشته- که در آن اشاره به نعمتهای مادی و معنوی پروردگار نسبت به انسان شده بود، و لازمه یک چنین نعمت گستردهای سپاسگزاری انسان تسلیم او در برابر خداوند است- در این آیه میفرماید: «چنین نیست (که نعمتهای الهی روح شکرگزاری را همیشه در او زنده کند، بلکه) به یقین انسان طغیان می کند» (کلا ان الانسان لیطغی).

سورة العلق(96): آية ٧ ص: ٥٤٢

(آیه ۷)- «به خاطر این که خود را بی نیاز ببیند» (ان رآه استغنی).

این طبیعت غالب انسانهاست، طبیعت کسانی که در مکتب عقل و وحی پرورش نیافتهاند که وقتی به غلط خود را مستغنی می پندارند، شروع به سرکشی و طغیان می کنند. نه خدا را بندهاند، نه احکام او را به رسمیت می شناسند، نه به ندای وجدان

گوش فرا می دهند، و نه حق و عدالت را رعایت می کنند.

به هر حال چنین به نظر میرسد که هدف آیه این است که پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله انتظار نداشته باشد مردم به زودی دعوتش را پذیرا شوند، بلکه باید خود را برای انکار و مخالفت مستکبران طغیانگر، آماده سازد، و بداند راهی پرفراز و نشیب در پیش روی اوست.

سورة العلق(96): آية 1 ص: 242

(آیه ۸)- سپس این طاغیان مستکبر را مورد تهدید قرار داده، می فرماید:

«و به یقین بازگشت (همه) به سوی پروردگار تو است» (ان الی ربک الرجعی)

.و اوست که طغیانگران را به کیفر اعمالشان میرساند.

و همان گونه که بازگشت همه چیز به سوی اوست، و همه می میرند «و میراث آسمان و زمین برای ذات پاک او می ماند» (آل عمران/ ۱۸۰).

در آغاز نیز همه چیز از ناحیه او بوده، و جای این نیست که انسان خود را بینیاز بشمرد و مغرور گردد، و طغیان کند.

سورة العلق(96): آية 9 ص: ۵۴۲

(آیه ۹)– سپس به قسمتی از کارهای طغیانگران مغرور، ممانعت آنها از سلوک راه حق و پیمودن طریق هدایت و تقوا پرداخته، میافزاید: «به من خبر ده آیا کسی که نهی میکند» (ا رایت الذی ینهی).

سورهٔ العلق(۹۶): آیهٔ ۱۰ ص: ۵۴۲

(آیه ۱۰)- «بندهای را به هنگامی که نماز میخواند» آیا مستحق عذاب الهی بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۴۳ نیست؟ (عبدا اذا صلی).

در احادیث آمده است: «ابو جهل» از اطرافیان خود سؤال کرد: آیا محمّد در میان شما نیز (برای سجده) صورت به خاک می گذارد؟

گفتند: آری! گفت: سوگند به آنچه ما به آن سوگند یاد می کنیم، اگر او را در چنین حالی ببینم با پای خود گردن او را له می کنم! به او گفتند: ببین، او در آنجا مشغول نماز خواندن است! ابو جهل حرکت کرد تا گردن پیامبر صلّی الله علیه و آله را زیر پای خود بفشارد، ولی هنگامی که نزدیک آمد عقب نشینی کرده و با دستش گوئی چیزی را از خود دور می کرد! به او گفتند: این چه وضعی است که در تو می بینیم؟

گفت: ناگهان میان خودم و او خندقی از آتش دیدم و منظرهای وحشتناک و همچنین بال و پرهائی مشاهده کردم! در اینجا پیغمبر خدا صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «قسم به کسی که جانم در دست اوست اگر به من نزدیک شده بود فرشتگان خدا بدن او را قطعه قطعه می کردند و عضو عضو او را می ربودند»! – اینجا بود که آیات فوق نازل شد.

سورة العلق(95): آية 11 ص: 343

(آیه ۱۱)- در این آیه برای تأکید بیشتر، می افزاید: «به من خبر ده اگر این بنده (نماز گزار) به راه هدایت باشد» (ا رایت ان کان علی الهدی).

سورة العلق(96): آية 12 ص: 343

(آیه ۱۲)– «یا مردم را به تقوا فرمان دهد» (او امر بالتقوی).

آیا نهی کردن او سزاوار است؟ و آیا مجازات چنین کسی جز آتش دوزخ می تواند باشد؟!

سورة العلق(96): آية ١٣ ص: ٥٤٣

(آیه ۱۳)- «به من خبر ده اگر (این طغیانگر که رهروان راه حق را از نماز و هـدایت و تقوا باز میدارد) حق را انکار کنـد و به آن پشت نماید» آیا مستحق مجازات الهی نیست؟ (ا رایت ان کذب و تولی).

سورة العلق(96): آية ۱۴ ص: ۵۴۳

(آیه ۱۴)- «آیا او ندانست که خداوند (همه اعمالش را) میبیند» و همه را برای حساب و جزا ثبت و ضبط می کند؟ (الم یعلم بان الله یری).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۴۴

سورة العلق(95): آية 15 ص: 544

(آیه ۱۵)- به دنبال بحثی که در آیات گذشته پیرامون طغیانگران کافر و مزاحمت آنها نسبت به پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله و نمازگزاران آمده بود، در اینجا آنها را زیر رگبار شدیدترین تهدیدها گرفته، میفرماید: «چنان نیست» که او میپندارد (کلا).

گمان می کند می تواند پا بر گردن پیغمبر به هنگام سجده بگذارد و او را از این برنامه الهی باز دارد.

«اگر دست (از این جهل و غرور خود) بر نـدارد ناصیهاش [- موی پیش سـرش] را گرفته» و با ذلّت و خواری به سوی عـذاب میکشانیم (لئن لم ینته لنسفعا بالناصیهٔ).

سورة العلق(96): آية 16 ص: 344

(آیه ۱۶)- «همان ناصیه دروغگوی خطاکار را»! (ناصیهٔ کاذبهٔ خاطئهٔ).

در روایتی میخوانیم: هنگامی که سوره «الرحمن» نازل شد پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله به یارانش فرمود: چه کسی از شما این سوره را بر رؤسای قریش میخواند؟

حاضران در پاسخ کمی سکوت کردند، چرا که از آزار سران قریش بیمناک بودند.

«عبد الله بن مسعود» برخاست و گفت: ای رسول خدا! من این کار را می کنم ...

ابن مسعود که جثه ای کوچک داشت و از نظر جسمانی ضعیف بود برخاست و نزد سران قریش آمد، آنها را در گرد کعبه جمع دید، تلاوت سوره الرحمن را آغاز کرد.

«ابو جهل» برخاست و چنان سیلی به صورت او زد که گوش او پاره شد، و خون جاری گشت! ابن مسعود گریان به خدمت پیامبر صلّی الله علیه و آله بر او افتاد، ناراحت شد، ناگهان جبرئیل نازل شد در حالی که خندان و مسرور بود.

فرمود: ای جبرئیل چرا میخندی در حالی که ابن مسعود گریان است؟

عرض کرد: به زودی دلیل آن را خواهی دانست.

این ماجرا گذشت، هنگامی که مسلمانان روز جنگ بدر پیروز شدند ابن مسعود در میان کشته های مشرکان گردش می کرد، چشمش به ابو جهل افتاد، در حالی که آخرین نفسهای خود را می کشید، ابن مسعود روی سینه او قرار گرفت برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۴۵

هنگامی که چشمش به او افتاد، گفت: ای چوپان ناچیز! بر جایگاه بلنـدی قرار گرفتهای! ابن مسعود گفت: «الاسـلام یعلو و لا یعلی علیه اسلام برتری می گیرد و چیزی بر اسلام برتری نخواهد گرفت».

ابو جهل به او گفت: به دوست محمّ بد بگو: احدی در زندگی در نظر من از او مبغوضتر نبود و حتی در حال مرگم! هنگامی که این سخن به گوش پیغمبر صلّی الله علیه و آله رسید فرمود: فرعون زمان من، از فرعون موسی بدتر بود، چرا که او در واپسین لحظات عمر گفت: من ایمان آوردم، ولی این طغیانش بیشتر شد! سپس ابو جهل رو به ابن مسعود کرد و گفت: سر مرا با این شمشیر قطع کن که تیزتر است، هنگامی که ابن مسعود سرش را جدا کرد نمی توانست آن را بردارد و به خدمت رسول خدا آورد- موی پیش سر او را گرفت و روی زمین کشید و خدمت پیامبر آورد، و مضمون آیه در این دنیا نیز تحقق یافت.

سورة العلق(96): آية ۱۷ ص: ۵۴۵

(آیه ۱۷)- در روایتی از ابن عباس آمده است: روزی ابو جهل نزد رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله آمد در حالی که حضرت نزدیک مقام ابراهیم مشغول نماز بود، صدا زد مگر من تو را از این کار نهی نکردم؟

حضرت صلّی اللّه علیه و آله بر او بانگ زد و او را از خود راند.

ابو جهل گفت: ای محمّد! بر من بانگ میزنی، و مرا میرانی؟ تو نمیدانی قوم و عشیره من در این سرزمین از همه بیشتر است.

در اینجا آیه مورد بحث نازل شد: «سپس هر که را میخواهد صدا بزند» تا یاریش کند (فلیدع نادیه).

سورة العلق(96): آية ۱۸ ص: 545

(آیه ۱۸)- «ما هم به زودی مأموران دوزخ را صدا میزنیم» تا او را به دوزخ افکنند (سندع الزبانیهٔ).

تـا معلوم شود که از این غافـل بیخبر کاری ساخته نیست، و در چنگال مأموران عـذاب همچون پر کاهی در وسط یک طوفان سهمگین است!

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۴۶

سورة العلق(96): آية 19 ص: 346

(آیه ۱۹) - در آخرین آیه این سوره که آیه سجده است، می فرماید: «چنان نیست» که آن طغیانگر می پندارد و اصرار بر ترک سجده تو دارد (کلا).

«هر گز او را اطاعت مكن و سجده نما و (به خدا) تقرّب جوى» (لا تطعه و اسجد و اقترب) «١».

ابو جهلها کوچکتر از آنند که بتوانند مانع سجده تو شوند، و یا در راه پیشرفت آئینت سنگ بیندازند و مانع ایجاد کنند، تو با توکل بر پروردگار و نیایش و عبادت و سجده، در این مسیر گام بردار و هر روز به خدای خود نزدیک و نزدیکتر شو.

ضمنا از این آیه به خوبی استفاده می شود که «سجده» باعث قرب انسان در در گاه خداست، و لذا در حدیثی از رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله می خوانیم که فرمود: «نزدیکترین حالت بنده به خداوند زمانی است که در سجده باشد».

البته می دانیم طبق روایات اهل بیت عصمت علیهم السر لام چهار سجده واجب در قرآن داریم «الم سجده» و «فصلت» و «النجم» و در اینجا (سوره علق) و بقیه سجده های قرآن مستحب است.

«يايان سوره علق»

(١) این آیه سجده واجب دارد. [....]

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۴۷

سوره قدر [۹۷] ص: ۵۴۷

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۵ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص: ۵۴۷

محتوای این سوره چنانکه از نامش پیداست بیان نزول قرآن مجید در شب قدر است، و سپس بیان اهمیت شب قدر و برکات و آثار آن.

در فضیلت تلاوت این سوره از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله نقل شده که فرمود: «هر کس آن را تلاوت کند پاداش کسی را دارد که ماه رمضان را روزه گرفته، و شب قدر را احیا داشته است».

واضح است این همه فضیلت از آن کسی است که میخواند و میفهمد و به محتوایش جامه عمل میپوشاند، قرآن را بزرگ میشمرد و آیاتش را در زندگی پیاده می کند.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة القدر (97): آية ١ ص: ٥٤٧

(آیه ۱)- شب قدر شب نزول قرآن! از آیات قرآن به خوبی استفاده می شود که قرآن مجید در ماه مبارک رمضان نازل شده است: «شهر رمضان الذی انزل فیه القرآن» (بقره/ ۱۸۵).

و ظاهر این تعبیر آن است که تمام قرآن در این ماه نازل گردید.

و در نخستین آیه سوره قدر می فرماید: «ما آن [-قرآن] را در شب قدر نازل برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۴۸ کردیم» (انا انزلناه فی لیلهٔ القدر).

تعبیر به «انـا انزلناه» (ما آن را نازل کردیم) اشاره به عظمت این کتاب بزرگ آسـمانی است که خداونـد نزول آن را به خودش نست داده است.

نزول آن در شب «قدر» همان شبی که مقدرات و سرنوشت انسانها در تمام سال در آن شب تعیین می شود دلیل دیگری بر سرنوشت ساز بودن این کتاب بزرگ آسمانی است «۱».

از ضمیمه کردن این آیه با آیه سوره بقره نتیجه گیری می شود که شب قدر در ماه مبارک رمضان است، اما کدام شب است؟ از قرآن چیزی در این مورد استفاده نمی شود، ولی مشهور و معروف در روایات این است که در دهه آخر ماه رمضان و شب بیست و یکم، یا بیست و سوم است البته در روایات متعددی بیشتر روی شب بیست و سوم تکیه شده.

در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام نیز نقل شده که فرمود: «تقدیر مقدرات در شب نوزدهم و تحکیم آن در شب بیست و یکم، و امضا در شب بیست و سوم است» و به این ترتیب بین روایات جمع می شود.

سورة القدر (٩٧): آية ٢ ص: ٥٤٨

(آیه ۲)- در این آیه برای بیان عظمت شب قدر، می فرماید: «و تو چه می دانی شب قدر چیست؟» (و ما ادراک ما لیلهٔ القدر). این تعبیر نشان می دهد که عظمت این شب به قدری است که حتی پیامبر با آن علم وسیع و گسترده اش قبل از نزول این آیات به آن واقف نبود.

سورة القدر (٩٧): آية ٣ ص: ٥٤٨

(آیه ۳)- و بلافاصله می گوید: «شب قدر بهتر از هزار ماه است» (لیلهٔ القدر خیر من الف شهر).

بهتر بودن این شب از هزار ماه به خاطر ارزش عبادت و احیای آن شب است، و روایات فضیلت لیلهٔ القـدر و فضـیلت عبادت آن، که در کتب شیعه

(۱) البته این امر هیچ گونه تضادی با آزادی اراده انسان و مسأله اختیار نـدارد، چرا که تقـدیر الهی به وسیله فرشـتگان بر طبق شایسـتگیها و لیاقتهای افراد، و میزان ایمان و تقوا و پاکی نیّت و اعمال آنهاست. یعنی برای هر کس آن مقـدر می کند که لایق آن است.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۴۹

و اهل سنت فراوان است این معنی را کاملا تأیید می کند.

علاوه بر این نزول قرآن در این شب، و نزول برکات و رحمت الهی در آن سبب می شود که از هزار ماه برتر و بالاتر باشد.

در بعضی از تفاسیر آمده است که پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله فرمود: یکی از بنی اسرائیل لباس جنگ در تن کرده بود و هزار ماه از تن بیرون نیاورد و پیوسته مشغول (یا آماده) جهاد فی سبیل اللّه بود! اصحاب و یاران تعجب کردند و آرزو داشتند چنان فضیلت و افتخاری برای آنها نیز میسر می شد، آیه فوق نازل گشت و بیان کرد که «شب قدر از هزار ماه برتر است».

سورة القدر (٩٧): آية 4 ص: ٥٤٩

(آیه ۴) – سپس به توصیف بیشتری از آن شب بزرگ پرداخته، می افزاید:

«فرشـتگان و روح در آن شب به اذن پروردگارشـان برای (تقـدیر) هر کاری نازل میشونـد» (تنزل الملائکـهٔ و الروح فیها باذن ربهم من کل امر).

با توجه به این که «تنزّل» فعل مضارع است، و دلالت بر استمرار دارد روشن می شود که شب قدر مخصوص به زمان پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله و نزول قرآن مجید نبوده، بلکه امری است مستمر و شبی است مداوم که در هر سال تکرار می شود. منظور از «روح» مخلوق عظیمی است ما فوق فرشتگان، چنانکه در حدیثی از امام صادق علیه السّیلام نقل شده است که شخصی از آن حضرت سؤال کرد: «آیا روح همان جبرئیل است»؟

امام علیه السّلام در پاسخ فرمود: «جبرئیل از ملائکه است، و روح اعظم از ملائکه است، مگر خداوند متعال نمیفرماید: ملائکه و روح نازل میشوند»؟

منظور از «من کل امر» این است که فرشتگان برای تقدیر و تعیین سرنوشتها و آوردن هر خیر و برکتی در آن شب نازل می شوند، و هدف از نزول آنها انجام این امور است.

سورة القدر (٩٧): آية ٥ ص: ٥٤٩

(آیه ۵)- و در آخرین آیه میفرماید: «شبی است سرشار از سلامت (و برکت و رحمت) تا طلوع سپیده» (سلام هی حتی مطلع الفجر). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۵۰

هم قرآن در آن نازل شده، هم عبادت و احیاء آن معادل هزار ماه است، هم خیرات و برکات الهی در آن شب نازل می شود، هم رحمت خاصش شامل حال بندگان می گردد، و هم فرشتگان و روح در آن شب نازل می گردند.

بنابر این شبی است سر تا سر سلامت و نور و رحمت از آغاز تا پایان، حتی طبق بعضی از روایات در آن شب شیطان در زنجیر است و از این نظر نیز شبی است سالم و توأم با سلامت.

«پایان سوره قدر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۵۱

سوره بيّنه [۹۸] ص: ۵۵۱

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۸ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص : 251

این سوره اشاره به رسالت جهانی پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله و آمیخته بودن آن با دلائل و نشانههای روشن می کند. و در بخش دیگری از این سوره موضعگیریهای مختلف اهل کتاب و مشرکان را در برابر اسلام مشخص می کند که آن گروه که ایمان آوردند و اعمال صالح انجام دادند بهترین مخلوقاتند، و آن گروه که راه کفر و شرک و گناه پیش گرفتند بدترین مخلوقات محسوب می شوند.

این سوره دارای نامهای متعددی است که به تناسب الفاظ آن انتخاب شده، اما از همه معروفتر سوره «بیّنه» و «لم یکن» و «قیّمهٔ» است.

در فضیلت تلاوت این سوره از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله چنین نقل شده: «اگر مردم میدانستند این سوره چه برکاتی دارد خانواده و اموال را رهما کرده، به فرا گرفتن آن می پرداختند»! مردی از قبیله «خزاعه» عرض کرد: ای رسول خدا! تلاوت آن چه اجر و پاداشی دارد؟

فرمود: «هیچ منافقی آن را قرائت نمی کند، و نه کسانی که شک و تردید در دلشان است، به خدا سو گند فرشتگان مقرب از آن روز که آسمانها و زمین آفریده شده است آن را میخوانند، و لحظهای در تلاوت آن سستی نمی کنند، هر کس آن را برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۵۲

در شب بخوانـد خداونـد فرشـتگانی را مأمور می کنـد که دین و دنیای او را حفظ کننـد، و آمرزش و رحمت برای او بطلبند، و اگر در روز بخواند به اندازه آنچه روز آن را روشن می کند و شب آن را تاریک میسازد ثواب به او میدهند».

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة البينة (٩٨): آية ١ ص: ٥٥٢

(آیه ۱)- در آغاز سوره به وضع اهل کتاب (یهود و نصاری) و مشرکان عرب قبل از ظهور اسلام پرداخته، می گوید: «کافران از اهل کتاب و مشرکان (می گفتند:) دست از آیین خود بر نمی دارند تا دلیل روشنی برای آنها بیاید» (لم یکن الذین کفروا من اهل الکتاب و المشرکین منفکین حتی تأتیهم البینه).

سورة البينة (٩٨): آية ٢ ص: ٥٥٢

(آیه ۲)- «پیامبری از سوی خـدا (بیاید) که صـحیفههای پاکی را (بر آنها) بخواند» (رسول من الله یتلوا صـحفا مطهرهٔ). مطهر از شرک و دروغ و دخالت شیاطین جن و انس.

سورة البينة (٩٨): آية ٣ ص: ٥٥٢

(آیه ۳)- صحیفه هائی که «در آن نوشته های صحیح و پرارزشی باشد» ولی هنگامی که آمد ایمان نیاوردند مانند اهل کتاب! (فیها کتب قیمهٔ).

سورة البينة (٩٨): آية ٢ ص: ٥٥٢

(آیه ۴)- آری! آنها قبل از ظهور پیغمبر اسلام صلّی الله علیه و آله چنین ادعائی را داشتند، ولی بعد از ظهور او و نزول کتاب آسمانیش صحنه عوض شد، و آنها در دین خدا اختلاف کردند «و اهل کتاب اختلاف نکردن سمگر بعد از آنکه دلیل روشن (و پیامبر راستین و آشکار) برای آنها آمد» (و ما تفرق الذین اوتوا الکتاب الا من بعد ما جاءتهم البینه).

آیه فوق شبیه چیزی است که در سوره بقره آیه ۸۹ آمده است: «هنگامی که از طرف خداوند کتابی برای آنها آمد که موافق نشانه هائی بود که با خود داشتند، و پیش از آن به خود نوید فتح می دادند، هنگامی که این کتاب و پیامبری را که از قبل شناخته بودند نزد آنها آمد کافر شدند، پس لعنت خدا بر کافران باد»! برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۵۳

می دانیم اهل کتاب انتظار چنین ظهوری را داشتند، و قاعدتا مشرکان عرب که اهل کتاب را از خود عالمتر و آگاهتر می دانستند نیز در این برنامه با آنها همصدا بودند. ولی بعد از تحقق آرزوهایشان مسیر خود را تغییر دادند و به صف مخالفان پیوستند.

سورة البينة (٩٨): آية ٥ ص: ٥٥٣

(آیه ۵)- سپس «اهل کتاب» و به تبع آنها «مشرکان» را مورد ملامت قرار داده، می گوید: چرا در این آیین جدید اختلاف کردند، بعضی مؤمن و بعضی کافر شدند در حالی که در این آیین «دستوری به آنها داده نشده بود جز این که خدا را بپرستند در حالی که دین خود را برای او خالص کنند و از شرک به توحید بازگردند نماز را بر پا دارند و زکات را بپردازند» (و ما امروا الا لیعبدوا الله مخلصین له الدین حنفاء و یقیموا الصلاهٔ و یؤتوا الزکاهٔ).

سپس مىافزايد: «و اين است آيين مستقيم و پايدار» (و ذلك دين القيمهٔ).

منظور از «و ما امروا» این است که در آیین اسلام دستوری جز توحید خالص و نماز و زکات و مانند آن نیامده، و اینها اموری هستند شناخته شده، چرا از قبول آن سرباز میزنند و در پذیرش آن اختلاف میکنند؟

منظور از «دین» مجموعه دین و شریعت است، یعنی آنها مأمور شده بودند که خدا را پرستش کنند و دین و آیین خود را در تمام جهات خالص گردانند.

جمله «و ذلک دین القیمهٔ» اشاره به آن است که این اصول یعنی توحید خالص و نماز (توجه به خالق) و زکات (توجه به خلق) از اصول ثابت و پا بر جای همه ادیان است، بلکه می توان گفت: اینها در متن فطرت آدمی قرار دارد.

زیرا از یکسو سرنوشت انسان بر مسأله توحید است، و از سوی دیگر فطرتش او را دعوت به شکر منعم و معرفت و شناخت او می کند، و از سوی سوم روح اجتماعی و مدنیت انسان او را به سوی کمک محرومان فرا میخواند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۵۴

سورة البينة (٩٨): آية 6 ص: ۵۵۴

(آیه ۶)- بهترین و بـدترین مخلوقات! در آیات گذشته آمده بود که کفار اهل کتاب و مشرکان در انتظار این بودند که دلیل روشنی از سوی خداوند سراغ آنها بیاید. در اینجا به دو گروه «کافران» و «مؤمنان» در برابر این دعوت الهی، و سر انجام کار هر یک از آنها اشاره می کند.

نخست مىفرمايىد: «كافران از اهل كتاب و مشركان (به اين آيين جديـد) در آتش دوزخنـد، جاودانه در آن مىماننـد، آنها بدترين مخلوقاتند»! (ان الذين كفروا من اهل الكتاب و المشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية).

تعبیر «اولئک هم شر البریهٔ» (آنها بدترین مخلوقاتند) تعبیر تکان دهندهای است که نشان میدهد در میان تمام جنبندگان و غیر جنبندگان مینهند جنبندگان موجودی مطرودتر از کسانی که بعد از وضوح حق و اتمام حجت راه راست را رها کرده در ضلالت گام مینهند یافت نمی شود.

مقدم داشتن «اهل کتاب» بر «مشرکان» در این آیه نیز ممکن است به خاطر این باشد که آنها دارای کتاب آسمانی و علما و دانشمندان بودند و نشانههای پیغمبر اسلام در کتب آنها صریحا آمده بود، بنابر این مخالفت آنها زشت تر و بدتر بود.

سورة البينة (٩٨): آية ٧ ص: ٥٥٤

(آیه ۷) - در این آیه به گروه دوم که نقطه مقابل آنها هستند و در قوس صعودی قرار دارند اشاره کرده، می فرماید: «کسانی که ایمان آوردند و اعمال صالح انجام دادند بهترین مخلوقات خدا هستند» (ان الذین آمنوا و عملوا الصالحات اولئک هم خیر الله به).

تعبیر «اولئک هم خیر البریهٔ» به خوبی نشان میدهد که انسانهای مؤمن و صالح العمل حتی از فرشتگان برتر و بالاترند، چرا که آیه مطلق است، و هیچ استثنائی در آن نیست، آیات دیگر قرآن مانند آیه ۷۰ سوره اسراء نیز گواه بر این معنی میباشد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۵۵

سورة البينة (٩٨): آية ٨ ص: ٥٥٥

اشاره

(آیه ۸)- سپس پاداش آنها را در چند جمله کوتاه چنین بیان می کند:

«پاداش آنها نزد پروردگارشان باغهای بهشت جاویدان است که نهرها از زیر درختانش جاری است (در حالی که) همیشه در آن میمانند» (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجری من تحتها الانهار خالدین فیها ابدا).

«هم خدا از آنها خشنود است و (هم) آنها از خدا خشنودند» (رضى الله عنهم و رضوا عنه).

«و این (مقام والا و پاداشهای مهم و بینظیر) برای کسی است که از پروردگارش بترسد» (ذلک لمن خشی ربه). چرا که همین ترس انگیزه حرکت به سوی هرگونه اطاعت و تقوا و اعمال صالح است.

آنها از خدا راضیند چرا که هر چه خواستهاند به آنها داده، و خدا از آنها راضی است چرا که هر چه او خواسته انجام دادهاند، و اگر هم لغزشی بوده به لطفش صرف نظر کرده، چه لذتی از این برتر و بالاتر که احساس کند مورد قبول و رضای معبود و محبوبش واقع شده، و به لقای او واصل گردیده است.

دارد هر کس از تو مرادی و مطلبی مقصود ما دنیا و عقبی لقای تو است!

آرى! بهشت جسم انسان، باغهاي جاويدان آن جهان است، ولي بهشت جانش رضاي خدا و لقاي محبوب است.

على عليه السّلام و شيعيانش خير البريّهاند؟ ص: 255

در روایات فراوانی که از طرق اهل سنت و منابع معروف آنها، و همچنین در منابع معروف شیعه نقل شده، آیه «اولئک هم خیر البریهٔ» (آنها بهترین مخلوقات خدا هستند) به علی علیه السّلام و پیروان او تفسیر شده است.

در تفسير «الدرّ المنثور» از «ابن عباس» آمده است كه وقتى آيه «ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» نازل شد پيغمبر اكرم صلّى الله عليه و آله به على فرمود:

«آن تو و شیعیان تو در قیامت می باشید که هم شما از خدا خشنود هستید و هم خدا از شما خشنود».

نامبرده در حدیث دیگری از «ابن مردویه» از علی علیه السّلام نقل می کند که برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۵۶ پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله به من فرمود: «آیا این سخن خدا را نشنیده ای که می فرماید:

کسانی که ایمان آورده و اعمال صالح انجام دادهاند بهترین مخلوقاتند؟ این تو و شیعیان تو هستید، و وعده گاه من و شما کنار حوض کوثر است، هنگامی که من برای حساب امتها می آیم و شما دعوت می شوید در حالی که پیشانی سفید و شناخته شده اید».

کوتاه سخن این که حدیث فوق از احادیث بسیار معروف و مشهور است که از سوی غالب دانشمندان و علمای اسلام پذیرفته شده، و این فضیلتی است بزرگ و بی نظیر برای علی علیه السّلام و پیروانش.

ضمنا از این روایات به خوبی این حقیقت آشکار می شود که واژه «شیعه» از همان عصر رسول خدا صلّی الله علیه و آله به وسیله آن حضرت در میان مسلمین نشر شد، و اشاره به پیروان خاص امیر مؤمنان علی علیه السّد الام است، و آنها که گمان می کنند تعبیر «شیعه» از تعبیراتی است که قرنها بعد به وجود آمده سخت در اشتباهند.

«پایان سوره بیّنه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۵۷

سوره زلزله [٩٩] ص: ۵۵۷

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۸ آیه است

محتواي سوره: ص: ۵۵۷

مطالب این سوره عمدتا بر سه محور دور می زند:

نخست از «اشراط الساعهٔ» و نشانه های وقوع قیامت بحث می کند، و به دنبال آن سخن از شهادت زمین به تمام اعمال آدمی آمده است.

در بخش دیگر از تقسیم مردم به دو گروه «نیکوکار» و «بدکار» و رسیدن هر کس به اعمال خود سخن می گوید.

در فضیلت تلاوت این سوره تعبیرات مهمی در روایات اسلامی آمده، از جمله در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم: «هر کس آن را تلاوت کند گویی سوره بقره را قرائت کرده، و پاداش او به اندازه کسی است که یک چهارم قرآن

را تلاوت كرده باشد».

و در حدیثی از امام صادق علیه السّم لام میخوانیم که فرمود: «هرگز از تلاوت سوره «اذا زلزلت الارض» خسته نشوید، چرا که هر کس آن را در نمازهای نافله بخواند هرگز به زلزله گرفتار نمی شود، و با آن نمی میرد، و به صاعقه و آفتی از آفات دنیا تا هنگام مرگ گرفتار نخواهد شد».

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الزلزلة (٩٩): آية ١ ص: ٥٥٧

(آیه ۱)– همان گونه که گفتیم آغاز این سوره با بیان بعضی از حوادث برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۵۸

هول انگیز و وحشتناک پایان این جهان و شروع رستاخیز همراه است، نخست میفرماید: «هنگامی که زمین شدیدا به لرزه در آید» (اذا زلزلت الارض زلزالها).

و آن یـا زلزله تمـام کره زمین است- بر خلاف زلزلههای معمولی که موضعی و مقطعی است- و یا اشاره به زلزله معهود یعنی زلزله رستاخیز است.

سورة الزلزلة(٩٩): آية ٢ ص: ٥٥٨

(آیه ۲)- «و زمین (چنان زیر و رو شود که) بارهای سنگینش را خارج سازد» (و اخرجت الارض اثقالها).

بعضی گفتهاند: منظور از «اثقال» (بارهای سنگین زمین) انسانها هستند که با زلزله رستاخیز از درون قبرها به خارج پرتاب میشوند.

و بعضی دیگر گفتهاند: گنجهای درون خود را بیرون میریزد، و مایه حسرت دنیا پرستان بیخبر می گردد.

این احتمال نیز وجود دارد که منظور بیرون فرستادن مواد سنگین و مذاب درون زمین است که معمولا کمی از آن به هنگام آتشفشانها و زلزلهها بیرون میریزد، در پایان جهان آنچه در درون زمین است به دنبال آن زلزله عظیم به بیرون پرتاب میشود. تفسیر اول مناسبتر است هر چند جمع میان سه تفسیر نیز بعید نیست.

سورة الزلزلة(٩٩): آية ٣ ص: ۵۵۸

(آیه ۳)- به هر حال، در آن روز «انسان (از دیدن این صحنه بیسابقه، سخت متوحش می شود، و) می گوید: زمین را چه می شود» که این گونه می لرزد؟

(و قال الانسان ما لها).

«انسان» در اینجا معنی گستردهای دارد که همگان را شامل میشود، زیرا تعجب از اوضاع و احوال زمین در آن روز مخصوص به کافران نیست.

این تعجب، و سؤال ناشی از آن نفخه اولی است که نفخه پایان جهان است، زیرا زلزله عظیم در پایان جهان رخ می دهد. و در این صورت منظور از اثقال زمین معادن و گنجها و مواد مذاب درون آن است.

سورة الزلزلة(٩٩): آية 4 ص: ۵۵۸

(آیه ۴) – و از آن مهمتر این که: «در آن روز تمام خبرهایش را بازگو می کند» برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۵۹ (پومئذ تحدث اخبارها).

آنچه از خوبیها و بدیها، و اعمال خیر و شر، بر صفحه زمین واقع شده، همه را برملا میسازد، و یکی از مهمترین شهود اعمال انسان در آن روز همین زمینی است که ما اعمال خود را بر آن انجام میدهیم، و شاهد و ناظر ماست.

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «منظور از خبر دادن زمین این است که اعمال هر مرد و زنی را که بر روی زمین انجام دادهاند خبر میدهد، می گوید: فلان شخص در فلان روز فلان کار را انجام داد، این است خبر دادن زمین»!

سورة الزلزلة(٩٩): آية ٥ ص: ٥٥٩

(آیه ۵)- در این آیه میافزاید: «این به خاطر آن است که پروردگارت به او وحی کرده است» (بان ربک اوحی لها). و زمین در اجرای این فرمان کوتاهی نمی کند.

تعبیر «اوحی» در اینجا به خاطر آن است که چنین سخن گفتن اسرار آمیز بر خلاف طبیعت زمین است و این جز از طریق یک وحی الهی ممکن نیست.

سورة الزلزلة (٩٩): آية 6 ص: ۵۵۹

(آیه ۶)- سپس می فرماید: «در آن روز مردم بصورت گروههای پراکنده (از قبرها) خارج می شوند تا اعمالشان به آنها نشان داده شود»! (یومئذ یصدر الناس اشتاتا لیروا اعمالهم).

جمله «لیروا اعمالهم» به معنی «تجسّم اعمال» و مشاهده خود اعمال است، و این آیه یکی از روشنترین آیات که بر مسأله تجسّم اعمال دلالت دارد محسوب می شود یعنی در آن روز اعمال آدمی به صورتهای مناسبی تجسّم می یابد و در برابر او حضور پیدا می کند، و همنشینی با آن مایه نشاط یا رنج و بلاست.

سورة الزلزلة(٩٩): آية ٧ ص: ٥٥٩

(آیه ۷)- سپس به سر انجام کار هر یک از این دو گروه مؤمن و کافر، نیکوکار و بدکار، اشاره کرده، میفرماید: «پس هر کس هم وزن ذرّهای کار خیر انجام دهد آن را می بیند» (فمن یعمل مثقال ذرهٔ خیرا یره).

سورة الزلزلة(٩٩): آية ٨ ص: ٥٥٩

(آیه ۸)– «و هر کس هم وزن ذرّهای کار بد کرده آن را می بیند»! (فمن یعمل مثقال ذرهٔ خیرا یره).

ظاهر این آیات نیز تأکید مجددی است بر مسأله «تجسم اعمال» و مشاهده بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۶۰

خود عمل، اعم از نیک و بـد در روز قیامت، که حتی اگر سـر سوزنی کار نیک یا بد باشد در برابر صاحب آن مجسم میشود و آن را مشاهده می کند.

منظور از «ذرّهٔ» در اینجا کوچکترین وزنهاست.

نه تنها از آیات فوق، که از آیات مختلف قرآن به خوبی استفاده می شود که در حسابرسی اعمال در قیامت فوق العاده دقت و موشکافی می شود، در آیه ۱۶ سوره لقمان می خوانیم: «پسرم! اگر به اندازه سنگینی دانه خردلی (عمل نیک یا بد) باشد و در دل سنگی یا در گوشهای از آسمانها یا زمین پنهان گردد، خداوند آن را (در قیامت) برای حسابرسی می آورد، خداوند دقیق و آگاه است».

این تعبیرات نشان می دهد که در آن حسابرسی بزرگ کوچکترین کارها محاسبه می شود، ضمنا این آیات هشدار می دهد که: نه گناهان کوچک را کم اهمیت بشمرند، و نه اعمال خیر را کوچک، چیزی که مورد محاسبه الهی قرار می گیرد هر چه باشد کم اهمیت نیست.

به راستی ایمان عمیق به محتوای این آیات کافی است که انسان را در مسیر حق وادارد، و از هرگونه شر و فساد باز دارد. «پایان سوره زلزله»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۶۱

سوره عادیات [۱۰۰] ص: ۵۶۱

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۱۱ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص: 261

در آغاز سوره سوگندهای بیدار کنندهای را ذکر میکند، و بعد از آن سخن از پارهای از ضعفهای نوع انسان همچون کفر و بخل و دنیا پرستی به میان می آورد، و سر انجام با اشاره کوتاه و گویائی به مسأله معاد، و احاطه علمی خداوند به بندگان، سوره را پایان می دهد.

در فضیلت تلاوت این سوره از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله آمده است: «هر کس آن را تلاوت کنـد به عـدد هر یک از حاجیانی که (شب عید قربان) در «مزدلفه» توقف میکنند و در آنجا حضور دارند ده حسنه به او داده میشود.

در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّر بلام میخوانیم: «هر کس سوره «و العادیات» را بخواند، و بر آن مداومت کند، خداوند روز قیامت او را با امیر مؤمنان علی علیه السّلام مبعوث می کند و در جمع او و میان دوستان او خواهد بود».

ناگفته پیداست که این همه فضیلت برای آنهاست که آن را برنامه زندگی خویش قرار دهند و به تمام محتوای آن ایمان دارند و عمل میکنند.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

شأن نزول: ص: 261

در حدیثی آمده است که: این سوره بعد از جنگ «ذات السلاسل» نازل شد و ماجرا چنین بود: بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص:

در سال هشتم هجرت به پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله خبر دادند که دوازده هزار سوار در سرزمین «یابس» جمع شده، و با یکدیگر عهد کردهاند که تا پیامبر صلّی الله علیه و آله و علی علیه السّلام را به قتل نرسانند و جماعت مسلمین را متلاشی نکنند از پای ننشینند! پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله جمع کثیری از یاران خود را به سر کردگی بعضی از صحابه به سراغ آنها فرستاد، ولی بعد از گفتگوهائی بدون نتیجه بازگشتند، سر انجام پیامبر، علی علیه السّلام را با گروه کثیری از مهاجر و انصار به نبرد آنها اعزام داشت، آنها بسرعت به سوی منطقه دشمن حرکت کردند و شبانه راه می رفتند، و صبحگاهان دشمن را در حلقه محاصره گرفتند، نخست اسلام را بر آنها عرضه داشتند چون نپذیرفتند هنوز هوا تاریک بود که به آنها حمله کردند و آنان را در هم شکستند، عده ای را کشتند، و زنان و فرزندانشان را اسیر کردند، و اموال فراوانی به غنیمت گرفتند.

سوره عادیات نازل شد در حالی که هنوز سربازان اسلام به مدینه بازنگشته بودند، پیغمبر خدا صلّی اللّه علیه و آله آن روز برای نماز صبح آمد، و این سوره را در نماز تلاوت فرمود.

بعد از پایان نماز اصحاب عرض کردند: این سورهای است که ما تا به حال نشنیده بودیم! فرمود: آری، علی علیه السّدام بر دشمنان پیروز شد، و جبرئیل دیشب با آوردن این سوره به من بشارت داد- چند روز بعد علی علیه السّدام با غنائم و اسیران به مدینه وارد شد.

سورة العاديات(100): آية 1 ص: 262

(آیه ۱)- سوگند به جهادگران بیدار! گفتیم این سوره با سوگندهای بیدارگری آغاز شده، نخست میفرماید: «سوگند به اسبان دونده (مجاهدان) در حالی که نفس زنان پیش میرفتند» (و العادیات ضبحا).

یا به شتران حاجیان که از سرزمین «عرفات» به «مشعر الحرام» و از «مشعر» نفس زنان به سوی «منی» حرکت میکنند سوگند. و این تفسیر از جهاتی مناسبتر به نظر میرسد، و در روایات اهل بیت علیهم السّلام نیز وارد شده.

سورة العاديات(١٠٠): آية ٢ ص: ٥٦٢

(آیه ۲)- سپس می افزاید: «و سوگند به افروزندگان جرقه آتش» در برخورد سمهایشان با سنگهای بیابان (فالموریات قدحا). برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۶۳

اسبان مجاهدانی که چنان با سرعت به سوی میدان نبرد حرکت میکنند که از اثر برخورد سمّ آنها به سنگهای بیابان جرقهها می پرد، یا شترانی که بسرعت به مواقف حج می دوند و سنگها و ریگها از زیر پای آنها پریده و بر اثر برخورد به سنگهای دیگر تولید جرقه می کند.

سورة العاديات(١٠٠): آية ٣ ص: ٥٥٣

(آیه ۳)- سپس در سومین سو گند، می فرماید: «و سو گند به هجوم آوران سپیده دم» (فالمغیرات صبحا).

سورة العاديات(١٠٠): آية ٢ ص: ٥٥٣

(آیه ۴)- سپس به یکی دیگر از ویژگیهای این مجاهدان و مرکبهای آنها اشاره کرده، میافزاید: آن چنان بر دشمن هجوم سریع میبرند «که گرد و غبار به هر سو پراکندند» (فاثرن به نقعا).

یا این که بر اثر هجوم شتران حاجیان از مشعر الحرام به سوی منی، گرد و غبار از هر سو پراکنده می شود.

سورة العاديات(١٠٠): آية ٥ ص: ٥٦٣

(آیه ۵)- و در آخرین ویژگی از ویژگیهای آنها می فرماید: «و (ناگهان) در میان دشمن ظاهر شدند» (فوسطن به جمعا). چنان هجوم آنها غافلگیرانه و برق آسا بود که در چند لحظه صفوف دشمن را از هم شکافته و به قلب آنها هجوم بردند، و جمعیت آنها را از هم متلاشی کردند، و این نتیجه همان سرعت عمل و بیداری و آمادگی و شهامت و شجاعت است. و یا اشاره به ورود حاجیان از «مشعر» به قلب «منی» است.

از اینجا روشن می شود که جهاد آن چنان عظمتی دارد که حتی نفسهای اسبهای مجاهدان شایسته سوگند است، و همچنین جرقههای ناشی از برخورد سمشان به سنگها، و همچنین گرد و غباری که در فضا پخش می کنند، آری گرد و غبار صحنه جهاد هم پر ارزش و با عظمت است.

سورة العاديات(١٠٠): آية 6 ص: ٥٦٣

(آیه ۶)- بعد از این سوگندهای عظیم به پاسخ قسم، یعنی چیزی که سوگندها به خاطر آن یاد شده است پرداخته، میفرماید: «مسلما انسان در برابر نعمتهای پروردگارش بسیار ناسپاس و بخیل است» (ان الانسان لربه لکنود).

همان انسان تربیت نایافته، همان انسانی که انوار معارف الهی و تعلیمات انبیا بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۶۴ بر قلبش نتافته، و بالاخره همان انسانی که خود را تسلیم غرائز و شهوات سرکش نموده است او مسلما «ناسپاس» و «بخیل» است.

تعبیر «انسان» در این گونه موارد به معنی انسانهای شرور هوی پرست سرکش و طغیانگر است.

سورة العاديات(١٠٠): آية ٧ ص: ٥٦٤

(آیه ۷)- سپس می افزاید: «و او خود (نیز) بر این معنی گواه است» (و انه علی ذلک لشهید). چرا که انسان نسبت به نفس خویش بصیرت دارد، و اگر صفات درونی خود را از هر کس بتواند پنهان کند از خدا و وجدان خویش نمی تواند مخفی دارد، خواه به حقیقت اعتراف کند یا نه!

سورة العاديات(١٠٠): آية ٨ ص: ٥٦٢

(آیه ۸)- در این آیه می افزاید: «و او علاقه شدید به مال دارد» (و انه لحب الخیر لشدید). و همین علاقه شدید و افراطی او به مال و ثروت سبب بخل و ناسپاسی و کفران او می شود.

اطلاق «خیر» بر «مال» به خاطر آن است که در حد ذات خود چیز خوبی است، و می تواند وسیله انواع خیرات گردد، ولی انسان

ناسپاس و بخیل آن را از هدف اصلیش بازداشته، و در مسیر خود خواهی و خود کامگی به کار می گیرد.

سورة العاديات(١٠٠): آية ٩ ص: ٥٦٤

(آیه ۹) - سپس به صورت یک استفهام انکاری تو أم با تهدید، می فرماید:

«آیا (این انسان ناسپاس و بخیل و دنیاپرست) نمی داند در آن روز تمام کسانی که در قبرها هستند برانگیخته می شوند» (ا فلا یعلم اذا بعثر ما فی القبور).

سورة العاديات(100): آية 10 ص: 564

(آیه ۱۰)- «و آنچه در درون سینه ها (از کفر و ایمان، اخلاص و ریا، کبر و تواضع، نیات خیر و سوء) است آشکار می گردد» (و حصل ما فی الصدور).

سورة العاديات(100): آية 11 ص: 564

(آیه ۱۱)– «در آن روز پروردگارشان از آنها (و اعمال و نیاتشان) کاملا باخبر است» و بر طبق آن به آنها کیفر میدهـد (ان ربهم بهم یؤمئذ لخبیر).

آری! خداونـد همیشه و در همه حـال از اسـرار درون و برون بطور کامـل آگاه است ولی اثر این آگاهی در قیامت و به هنگام پاداش و کیفر ظاهرتر و آشکارتر میگردد. و این هشداری است به همه انسانها که اگر به راستی به آن ایمان داشته باشند سدّ نیرومندی در میان آنان و گناهان ایجاد میکند.

«پایان سوره عادیات»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۶۵

سوره قارعه [101] ص: 565

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۱۱ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص : 865

این سوره بطور کلی از معاد و مقدمات آن سخن می گوید، با تعبیراتی کوبنده و بیانی تکان دهنده، و انذار و هشداری صریح و روشن، و سر انجام انسانها را به دو گروه تقسیم می کند:

گروهی که اعمالشان در میزان عـدل الهی سـنگین است، و پاداشـشان زنـدگانی سراسـر رضـایتبخش در جـوار رحمت حق، و گروهی که اعمالشان سبک و کم وزن است و سرنوشتشان آتش داغ و سوزان جهنم.

نام این سوره یعنی «قارعه» از آیه اول آن گرفته شده است.

در فضیلت تلاوت این سوره در حدیثی از امام باقر علیه السّلام میخوانیم: «کسی که سوره قارعه را بخواند خداوند متعال او را از فتنه دبّال و ایمان آوردن به او حفظ می کند، و او را در قیامت از چرک جهنّم دور میدارد ان شاء اللّه».

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة القارعة (١٠١): آية ١ ص: ٥٦٥

(آیه ۱)- حادثه کوبنده! این سوره که در وصف قیامت است، نخست می فرماید: «آن حادثه کوبنده» (القارعهٔ).

سورة القارعة(101): آية ٢ ص: 565

(آیه ۲)- «و چه حادثه کوبندهای»! (ما القارعهٔ).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۶۶

سورة القارعة (١٠١): آية ٣ ص: ٥٦٦

(آیه ۳)- «و تو چه می دانی که حادثه کوبنده چیست»؟ آن حادثه همان روز قیامت است (و ما ادراک ما القارعهٔ).

بسیاری از مفسران گفتهاند که «قارعهٔ» یکی از نامهای قیامت است، ولی درست روشن نساختهاند که آیا این تعبیر اشاره به مقدمات قیامت می باشد که عالم دنیا در هم کوبیده می شود.

و یا این که منظور مرحله دوم، یعنی مرحله زنـده شدن مردگان، و طرح نوین در عالم هستی است، و تعبیر به «کوبنده» به خاطر آن است که وحشت و خوف و ترس آن روز دلها را می کوبد.

ولی روی هم رفته احتمال اول مناسبتر به نظر میرسد، هر چند در این آیات هر دو حادثه پشت سر یکدیگر ذکر شده است.

سورة القارعة (١٠١): آية ٢ ص: ٥٦٦

(آیه ۴)- سپس در توصیف آن روز عجیب می گوید: «روزی که مردم مانند پروانه های پراکنده خواهند بود» (یوم یکون الناس کالفراش المبثوث).

تشبیه به «پروانه» به خاطر آن است که پروانه ها معمولا خود را دیوانه وار به آتش میافکنند و میسوزانند، بدکاران نیز خود را در آتش جهنم میافکنند.

سورة القارعة(١٠١): آية ۵ ص: ۵۶۶

(آیه ۵)- سپس به سراغ یکی دیگر از اوصاف آن روز رفته، می افزاید:

«و كوهها مانند پشم رنگين حلاجي شده مي گردد»! (و تكون الجبال كالعهن المنفوش).

سابقا گفتهایم که طبق آیات مختلف قرآن کوهها در آستانه قیامت نخست به حرکت در می آیند بعد در هم کوبیده و متلاشی

می گردنـد و سر انجام به صورت غباری در آسـمان در می آیند که در آیه مورد بحث آن را تشبیه به پشـمهای رنگین حلاجی شده کرده است، پشمهایی که تنها رنگی از آنها نمایان باشد، و این آخرین مرحله متلاشی شدن کوههاست.

سورة القارعة(101): آية 6 ص: 566

(آیه ۶)- بعد به مرحله حشر و نشر و زنده شدن مردگان و تقسیم آنها به دو گروه پرداخته، میفرماید: «اما کسی که (در آن روز) ترازوهای اعمالش سنگین است» ... (فاما من ثقلت موازینه).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۶۷

سورة القارعة (١٠١): آية ٧ ص: ٥٥٧

(آیه ۷)- «در یک زندگی خشنود کننده خواهد بود» (فهو فی عیشهٔ راضیهٔ). و تنها زندگی آخرت است که سراسر رضایت و خشنودی و آرامش و امنیت و مایه جمعیت خاطر میباشد، چرا که زندگی دنیا هر قدر مرفّه و پرنعمت باشد باز از عوامل ناخشنودی خالی نیست.

در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام آمده است که وقتی از معنی «میزان» سؤال کردند، در پاسخ فرمود: «ترازوی سنجش همان عدل است».

و در حدیثی میخوانیم: «امیر مؤمنان و امامان از دودمانش ترازوهای سنجشند».

به این ترتیب وجود اولیاء الله یا قوانین عدل الهی مقیاسهائی هستند که انسانها و اعمالشان را بر آنها عرضه می کنند، و به همان اندازه که با آنها شباهت دارند و مطابقت دارند وزنشان سنگین است.

و روشن است که سبک و سنگین بودن «موازین» به معنی سنگین و سبک بودن خود اعمال است.

سورة القارعة (١٠١): آية ٨ ص: ٥٦٧

(آیه ۸)– «و اما کسی که ترازوهایش سبک است» ... (و اما من خفت موازینه).

سورة القارعة (١٠١): آية ٩ ص: ٥٦٧

(آیه ۹)- «پناهگاهش هاویه [- دوزخ] است» (فامه هاویهٔ). که در آن سقوط می کند.

تعبیر به «ام» (مادر) در جمله فوق به خاطر این است که مادر پناهگاهی است برای فرزندان که در مشکلات به او پناه میبرند، و نزد او میمانند، و در اینجا اشاره به این است که این گنهکاران سبک عمل محلی برای پناه گرفتن جز دوزخ نمی یابند.

سورة القارعة(١٠١): آية ١٠ ص: ٥٥٧

(آیه ۱۰)- «و تو چه می دانی هاویه چیست»؟! (و ما ادراک ما هیهٔ).

سورة القارعة (١٠١): آية ١١ ص: ٥٥٧

(آیه ۱۱)- «آتشی است سوزان» و فوق تصوّر همه انسانها (نار حامیهٔ).

«پایان سوره قارعه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۶۹

سوره تكاثر [107] ص: 569

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۸ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص : 569

محتوای این سوره نخست سرزنش و ملامت افرادی است که بر اساس یک سری مطالب موهوم بر یکدیگر تفاخر می کردند، سپس هشداری نسبت به مسأله معاد و قیامت و آتش دوزخ، و سر انجام هشداری در زمینه مسأله سؤال و بازپرسی از نعمتها می دهد.

نام این سوره از آیه اول آن گرفته شده است.

در فضیلت تلاوت این سوره ص: ۵۶۹

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله میخوانیم: «کسی که آن را بخواند خداوند در برابر نعمتهایی که در دنیا به او داده او را مورد حساب قرار نمیدهد و پاداشی به او میدهد که گوئی هزار آیه قرآن را تلاوت کرده».

بدیهی است این همه ثواب از آن کسی است که آن را بخواند و در برنامه زندگی به کار گیرد و روح و جان خود را هماهنگ با آن بسازد.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

شأن نزول: ص: 269

مفسران معتقدنید که این سوره در باره قبائلی نازل شد که بر یکدیگر تفاخر می کردند، و با کثرت نفرات و جمعیت یا اموال و ثروت خود بر دیگران مباهات مینمودنید تا آنجا که برای بالا بردن آمار نفرات قبیله به گورستان برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۷۰

میرفتند و قبرهای مردگان هر قبیله را میشمردند! ولی مسلم است که این شأن نزول هرگز مفهوم آیه را محدود نمی کند.

سورة التكاثر(107): آية 1 ص: 370

(آیه ۱)- بلای تکاثر و تفاخر! در آغاز سوره نخست با لحنی ملامت بار میفرماید: «افزون طلبی (و تفاخر) شما را به خود مشغول داشته (و از خدا غافل نموده) است» (الهاکم التکاثر).

سورة التكاثر(102): آية 2 ص: 570

اشاره

(آیه ۲)- «تا آنجا که به دیدار قبرها رفتید» و قبور مردگان خود را برشمردید و به آن افتخار کردید (حتی زرتم المقابر). از امیر مؤمنان علی علیه السّیلام در نهج البلاغه آمده است که بعد از تلاوت «الهاکم التکاثر حتی زرتم المقابر» فرمود: «شگفتا! چه هدف بسیار دوری! و چه زیارت کنندگان غافلی! و چه افتخار موهوم و دردناکی به یاد استخوان پوسیده کسانی افتادهاند که سالهاست خاک شدهاند، آن هم چه یادآوری! با این فاصله دور به یاد کسانی افتادهاند که سودی به حالشان ندارند، آیا به محل نابودی پدران خویش افتخار می کنند؟ و یا با شمردن تعداد مردگان و معدومین خود را بسیار می شمرند؟ آنها خواهان بازگشت اجسادی هستند که تار و پودشان از هم گسسته، و حرکاتشان به سکون مبدل شده. این اجساد پوسیده اگر مایه عبرت باشند سزاوارتر است تا موجب افتخار گردند»!

سر چشمه تفاخر و فخر فروشی! ص: ۵۷۰

یکی از عوامل اصلی تفاخر و تکاثر همان جهل و نادانی نسبت به پاداش کیفر الهی و عدم ایمان به معاد است. از این گذشته جهل انسان به ضعفها و آسیب پذیریهایش، به آغاز پیدایش و سر انجامش، از عوامل دیگر این کبر و غرور و تفاخر است.

عامل دیگر همان احساس ضعف و حقارت ناشی از شکستهاست، که افراد برای پوشاندن شکستهای خود پناه به تفاخر و فخر فروشی میبرند و لذا در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: «هیچ کس تکبر به فخر فروشی نمی کند مگر به خاطر ذلّتی که در نفس خود می یابد».

سورة التكاثر(107): آية ٣ ص: 370

(آیه ۳)- در این آیه آنها را با این سخن مورد تهدید شدید قرار داده، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۷۱ می فرماید: «چنین نیست که می پندارید به زودی (نتیجه این تفاخر موهوم خود را) خواهید دانست» (کلا سوف تعلمون).

سورة التكاثر(107): آية 4 ص: 271

(آیه ۴)- باز برای تأکید می افزاید: «باز چنان نیست که شما می پندارید به زودی خواهید دانست» (ثم کلا سوف تعلمون). در حدیثی از امیر مؤمنان علی علیه السّ لام آمده است که فرمود: «گروهی از ما پیوسته در باره عذاب قبر در شک بودند تا این که سوره (الهاکم التکاثر) نازل شد، تا آنجا که فرمود: (کلا سوف تعلمون منظور از آن عذاب قبر است، سپس میفرماید: (ثم کلا سوف تعلمون) منظور عذاب قیامت است».

سورة التكاثر(102): آية ۵ ص: 271

(آیه ۵)- سپس می افزاید: «چنان نیست (که شما خیال می کنید) اگر شما علم الیقین (به آخرت) داشتید» افزون طلبی شما را از خدا غافل نمی کرد (کلا لو تعلمون علم الیقین).

«یقین» نقطه مقابل «شکُّ» است و طبق روایات به مرحله عالی ایمان «یقین» گفته می شود و برای آن سه مرحله است.

۱- علم الیقین و آن این است که انسان از دلائل مختلف به چیزی ایمان آورد مانند کسی که با مشاهده دود، علم به وجود آتش پیدا می کند.

۲- عین الیقین و آن در جائی است که انسان به مرحله مشاهده میرسد و با چشم خود مثلا آتش را مشاهده می کند.

٣- حق اليقين و آن همانند كسى است كه وارد آتش شود و سوزش آن را لمس كند، و به صفات آتش متصف گردد، و اين بالاترين مرحله يقين است، كه در حقيقت از دو علم تشكيل يافته: علم به معلوم و علم به اين كه خلاف آن علم محال است.

سورة التكاثر(107): آية 6 ص: 271

(آیه ۶)- باز برای تأکید و انذار بیشتر می افزاید: «قطعا شما جهنم را خواهید دید» (لترون الجحیم).

سورة التكاثر(107): آية ٧ ص: 271

(آیه ۷)- «سپس (با ورود در آن) آن را به عین الیقین خواهید دید» (ثم لترونها عین الیقین).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۷۲

سورة التكاثر(102): آية 1 ص: 272

(آیه ۸)- «سپس در آن روز (همه شما) از نعمتهائی که داشته اید بازپرسی خواهید شد» (ثم لتسئلن یومئذ عن النعیم).

بایـد در آن روز روشـن سازیـد کـه ایـن نعمتهـای خـداداد را در چـه راهی مصـرف کردهایـد؟ و از آنهـا برای اطـاعت الهی یا معصیتش کمک گرفتهاید، یا نعمتها را ضایع ساخته هرگز حق آن را ادا ننمودهاید؟

«نعیم» یک معنی بسیار گسترده دارد که همه مواهب الهی را اعم از «معنوی» مانند دین و ایمان و اسلام و قرآن و ولایت، و انواع نعمتهای «مادی» را اعم از فردی و اجتماعی شامل میشود، منتها نعمتهایی که اهمیت بیشتری دارند مانند نعمت «ایمان و ولایت» بیشتر از آنها سؤال میشود که آیا حق آنها ادا شده یا نه؟

«پایان سوره تکاثر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۷۳

سوره عصر [۱۰۳] ص: ۵۷۳

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۳ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص: ۵۷۳

جامعیت این سوره به حدی است که به گفته بعضی از مفسران تمام علوم و مقاصد قرآن در این سوره خلاصه شده است. نخست از سوگند پر معنی به «عصر» شروع می شود سپس سخن از زیانکار بودن همه انسانها که در طبیعت زندگی تدریجی نهفته است به میان می آورد، بعد فقط یک گروه را از این اصل کلی جدا می کند، آنها که دارای برنامه چهار مادهای زیر هستند:

ایمان، عمل صالح، سفارش یکدیگر به حق، و سفارش یکدیگر به صبر و این چهار اصل در واقع برنامههای اعتقادی و عملی و فردی و اجتماعی اسلام را در بر می گیرد.

در باره فضیلت تلاوت این سوره در حدیثی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم:

«هر کس سوره «و العصر» را در نمازهای نافله بخواند خداوند او را در قیامت بر میانگیزد در حالی که صورتش نورانی، چهرهاش خندان و چشمش (به نعمتهای الهی) روشن است، تا داخل بهشت شود»! و معلوم است که این همه افتخار و سرور و شادمانی از آن کسی است که این اصول چهارگانه را در زندگی خود پیاده کند، نه فقط به خواندن قناعت نماید.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۷۴

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة العصر(١٠٣): آية ١ ص: ٥٧٤

(آیه ۱) - در ابتدای این سوره با قسم تازهای رو برو می شویم، می فرماید:

«به عصر سو گند»! (و العصر).

واژه «عصر» در اصل به معنی «فشردن» است، و سپس به وقت عصر اطلاق شده، به خاطر این که برنامهها و کارهای روزانه در آن پیچیده و فشرده می شود.

سپس این واژه به معنی مطلق «زمان» و دوران تاریخ بشر و یا بخشی از زمان، مانند عصر ظهور اسلام و قیام پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله، و امثال آن استعمال شده است، و لذا در تفسیر این سوگند، بعضی از مفسران آن را اشاره به سراسر زمان و تاریخ بشریت دانسته اند که مملو از درسهای عبرت، و حوادث تکان دهنده و بیدارگر است، و روی همین جهت آن چنان عظمتی دارد که شایسته سوگند الهی است.

ولی بعضی دیگر روی قسمت خاصی از این زمان مانند عصر قیام پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله یا عصر قیام حضرت مهدی (عج) که دارای ویژگی و عظمت خاصی در تاریخ بشر بوده و هست انگشت گذارده، و سوگند را ناظر به آن میدانند.

ولی مناسبتر همان عصر به معنی زمان و تاریخ بشر است، چرا که بارها گفتهایم سوگندهای قرآن همواره متناسب با مطلبی است که سوگند به خاطر آن یاد شده، و مسلم است که خسران انسانها در زندگی نتیجه گذشتن زمان عمر آنهاست. و یا عصر قیام پیغمبر خاتم صلّی اللّه علیه و آله به خاطر این که برنامه چهار مادهای ذیل سوره در چنین عصری نازل گردیده.

سورة العصر(١٠٣): آية ٢ ص: ٥٧٤

(آیه ۲)- در این آیه اشاره به چیزی می کند که این سو گند مهم برای آن یاد شده است، می فرماید: «به یقین انسانها همه در زیانند» (ان الانسان لفی خسر).

سرمایههای وجودی خود را چه بخواهند یا نخواهند از دست میدهند، ساعات و ایام و ماهها و سالهای عمر بسرعت می گذرد، نیروهای معنوی و مادی تحلیل میرود، و توان و قدرت کاسته میشود. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۷۵

یک قلب استعداد معینی برای ضربان دارد، وقتی آن استعداد و توان پایان گرفت قلب خود به خود می ایستد، بی آنکه عیب و علت و بیماری در کار باشد، و این در صورتی است که بر اثر بیماری قبلاً از کار نیفتد همچنین سایر دستگاههای وجودی انسان و سرمایه و استعدادهای مختلف او.

به هر حال از نظر جهان بینی اسلام دنیا یک بازار تجارت است همان گونه که در حدیثی از امام هادی علیه السّلام میخوانیم: «دنیا بازاری است که جمعی در آن سود میبرند و جمع دیگری زیان.»

آیه مورد بحث می گوید: همه در این بازار بزرگ زیان می کنند، مگر یک گروه که برنامه آنها در آیه بعد بیان شده است.

سورة العصر (١٠٣): آية ٣ ص: ٥٧٥

اشاره

(آیه ۳)- آری! تنها یک راه برای جلوگیری از این خسران عظیم و زیان قهری و اجباری وجود دارد، فقط یک راه که در آخرین آیه این سوره به آن اشاره شده است، می فرماید: «مگر کسانی که ایمان آورده و اعمال صالح انجام دادهاند، و یکدیگر را به حق سفارش کرده، و یکدیگر را به شکیبایی و استقامت توصیه نمودهاند» (الا الذین آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر).

برنامه چهار مادهای خوشبختی!.... ص: ۵۷۵

قرآن برای نجات از آن خسران عظیم برنامه جامعی تنظیم کرده که در آن بر چهار اصل تکیه شده است:

اصل اول در این برنامه مسأله «ایمان» است که زیر بنای همه فعالیتهای انسان را تشکیل میدهد، چرا که تلاشهای عملی انسان از مبانی فکری و اعتقادی او سر چشمه می گیرد، نه همچون حیوانات که حرکاتشان به خاطر انگیزههای غریزی است.

و به تعبیر دیگر اعمال انسان تبلوری است از عقائد و افکار او، و به همین دلیل تمام انبیای الهی قبل از هر چیز به اصلاح مبانی عقیدتی امتها میپرداختند، مخصوصا با شرک که سر چشمه انواع رذائل و بدبختیها و پراکندگیهاست به مبارزه میپرداختند.

در اصل دوم به میوه درخت بارور و پرثمره ایمان پرداخته از «اعمال صالح» سخن می گوید.

آرى «صالحات» همان «اعمال شايسته» نه فقط عبادات، نه تنها انفاق في برگزيده تفسير نمونه، ج۵، ص: ۵۷۶

سبیل الله، نه فقط جهاد در راه خدا، نه تنها کسب علم و دانش، بلکه هر کار شایستهای که وسیله تکامل نفوس و پرورش اخلاق و قرب الی الله و پیشرفت جامعه انسانی در تمام زمینه ها شود.

و از آنجا که ایمان و اعمال صالح هرگز تداوم نمی یابد مگر این که حرکتی در اجتماع برای دعوت به سوی حق و شناخت و معرفت آن از یکسو، و دعوت به استقامت و صبر در طریق انجام این دعوت از سوی دیگر صورت پذیرد، به دنبال این دو اصل، به دو اصل دیگر اشاره می فرماید که در حقیقت ضامن اجرای دو اصل اساسی «ایمان» و «عمل صالح» است.

در اصل سوم به مسأله «تواصی به حق» یعنی دعوت همگانی و عمومی به سوی حق اشاره می کنید تا همگان حق را از باطل به خوبی بشناسند و هرگز آن را فراموش نکنند و در مسیر زندگی از آن منحرف نگردند.

در اصل چهارم مسأله شکیبائی و «صبر» و استقامت و سفارش کردن یکدیگر به آن مطرح است، چرا که بعد از مسأله شناخت و آگاهی، هر کس در مسیر عمل در هر گام با موانعی رو برو است اگر استقامت و صبر نداشته باشد هر گز نمی تواند احقاق حق کند، و عمل صالحی انجام دهد و یا ایمان خود را حفظ کند.

آری! احقاق حق و اجرای حق، و ادای حق در جامعه جز با یک حرکت و تصمیم گیری عمومی و استقامت و ایستادگی در برابر موانع ممکن نیست.

«صبر» در اینجا نیز معنی وسیع و گستردهای دارد که هم صبر بر اطاعت را شامل می شود، و هم صبر در برابر انگیزههای معصیت، و هم صبر در برابر مصائب و حوادث ناگوار، و از دست دادن نیروها و سرمایهها و ثمرات.

و به راستی اگر مسلمانان امروز همین اصول چهارگانه را در زندگی فردی و اجتماعی خود اجرا کنند مشکلات و نابسامانیهای آنها حل می شود، عقب ماندگیها جبران می گردد، و ضعفها و شکستها به پیروزی مبدل می شود، و شر اشرار جهان از آنها قطع می گردد.

«پایان سوره عصر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۷۷

سوره همزه [۱۰۴] ص: ۵۷۷

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۹ آیه است

محتوا و فضیلت سوره: ص: ۵۷۷

در این سوره از کسانی سخن می گوید که تمام هم خود را متوجه جمع مال کرده، و تمام ارزشهای وجودی انسان را در آن خلاصه می کنند، سپس نسبت به کسانی که دستشان از آن خالی است به دیده حقارت می نگرند و آنها را به باد استهزا می گیرند.

و در پایان سوره از سرنوشت دردناک آنها سخن می گوید که چگونه به صورت حقارت آمیزی در دوزخ پرتاب می شوند، و آتش سوزان جهنم قبل از هر چیز بر قلب آنها مسلط می گردد، و روح و جان آنها را به آتش می کشد. در فضیلت تلاوت این سوره در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله آمده است:

«هر کس این سوره را تلاوت کند به عدد هر یک از کسانی که محمد و یارانش را استهزا کردند ده حسنه به او داده می شود». و در حدیثی از امام صادق علیه السّ لام می خوانیم: «هر کس آن را در نماز فریضهای بخواند فقر از او دور می شود، روزی به او رو می آورد، و مرگهای زشت و بد از او قطع می گردد».

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

شأن نزول: ص: ۵۷۷

جمعی از مفسران چنین گفتهاند که آیات این سوره در باره ولید بن برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۷۸ مغیره نازل شده است که پشت سر پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله غیبت می کرد، و در پیش رو طعن و استهزا می نمود. بعضی دیگر آن را در باره افرادی دیگری از سران شرک و دشمنان کینه توز و سرشناس اسلام مانند «اخنس بن شریق» و «امیهٔ بن خلف» و «عاص بن وائل» دانسته اند.

ولی چنانچه این شأن نزولها را بپذیریم باز عمومیت مفهوم آیات شکسته نمی شود، بلکه شامل تمام کسانی است که دارای این صفاتند.

سورة الهمزة (۱۰۴): آية ١ ص: ۵۷۸

(آیه ۱)- وای بر عیبجویان و غیبت کنندگان! این سوره با تهدیدی کوبنده آغاز می شود، می فرماید: «وای بر هر عیبجوی مسخره کنندهای!» (ویل لکل همزهٔ لمزهٔ).

آنها که با نیش زبان و حرکات، دست و چشم و ابرو در پشت سر و پیش رو، دیگران را استهزا کرده، یا عیبجوئی و غیبت میکنند، یا آنها را هدف تیرهای طعن و تهمت قرار میدهند.

از مجموع کلمات ارباب لغت استفاده می شود که دو واژه «همزه» و «لمزه» به یک معنی است، و مفهوم وسیعی دارد که هرگونه عیبجوئی و غیبت و طعن و استهزا به وسیله زبان و علائم و اشارات و سخن چینی و بدگوئی را شامل می شود.

اصولا آبرو و حیثیت اشخاص از نظر اسلام بسیار محترم است، و هر کاری که موجب تحقیر مردم گردد گناه بزرگی است. در حدیث از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله آمده است: «ذلیل ترین مردم کسی است که به مردم توهین کند»! در حدیث دیگری پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله فرمود: «من در شب معراج گروهی از دوزخیان را دیدم که گوشت از پهلویشان جدا می کردند و به آنها می خوراندند! از جبرئیل پرسیدم اینها کیانند؟

گفت: اینها عیبجویان و استهزاکنندگان از امت تواند»!

سورة الهمزة (۱۰۴): آية ٢ ص: ٥٧٨

(آیه ۲)- سپس به سر چشمه این عمل زشت (عیبجوئی و استهزا) که غالبا برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۷۹ از کبر و غرور ناشی از ثروت مایه می گیرد پرداخته، می افزاید: «همان کسی که مال فراوانی جمع آوری و شماره کرده» بی آنکه مشروع و نامشروع آن را حساب کند (الذی جمع مالا و عدده). آنقدر به مال و ثروت علاقه دارد که پیوسته آنها را میشمرد، و هر درهم و دیناری برای او بتی است، نه تنها شخصیت خویش که تمام شخصیتها را در آن خلاصه می بیند، و طبیعی است که چنین انسان گمراه و ابلهی مؤمنان فقیر را پیوسته به باد سخریه بگیرد.

به هر حال آیه ناظر به ثروت اندوزانی است که مال را نه به عنوان یک وسیله بلکه به عنوان یک هدف مینگرند، و در جمع آوری آن هیچ قید و شرطی قائل نیستند، از حلال و حرام و تجاوز بر حقوق دیگران، از طریق شرافتمندانه و یا طرق پست و رذیلانه آن را جمع آوری می کنند، و آن را تنها نشانه عظمت و شخصیت می دانند.

آنها مال را برای رفع نیازهای زندگی نمیخواهند، و به همین دلیل هر قدر بر اموالشان افزوده شود حرصشان بیشتر می گردد، و گر نه مال در حدود معقول و از طرق مشروع نه تنها مذموم نیست، بلکه در قرآن مجید گاهی از آن به عنوان «فضل الله» تعبیر شده، آنجا که می فرماید: «و ابتغوا من فضل الله و از فضل خدا بطلبید» (جمعه/ ۱۰) و در جای دیگر از آن تعبیر به خیر می کند: «بر شما مقرر شده که وقتی مرگ یکی از شما فرا رسد اگر خیری از خود به یادگار گذارده وصیت کند». (بقره/ ۱۸۰).

چنین مالی مسلما نه مایه طغیان است، نه وسیله تفاخر، نه بهانه استهزای دیگران، اما مالی که معبود است و هدف نهائی ننگ است و ذلت، و مصیبت است و نکبت، و مایه دوری از خدا و خلود در آتش دوزخ است.

و غالبا جمع آوری مقدار زیادی از این مال جز با آلودگیهای فراوان ممکن نمی شود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۸۰ لذا در حدیثی از امام علی بن موسی الرضا علیه السّ لام می خوانیم که فرمود: «مال جز با پنج خصلت در یکجا جمع نمی شود: بخل شدید، آرزوهای دور و دراز، حرص غالب، قطع رحم، و مقدم داشتن دنیا بر آخرت».

سورة الهمزة (۱۰۴): آية ٣ ص: ٥٨٠

(آیه ۳)- در این آیه می افزاید: این انسان زر اندوز و مال پرست «گمان می کند اموالش او را جاودانه می سازد» (یحسب ان ماله اخلده).

چه پندار غلط و خیال خامی؟ اموالی که آنقدر در اختیار قارون بود که کلید گنجهایش را چندین مرد زورمند به زحمت بر میداشت، ولی به هنگام حمله عذاب الهی نتوانستند مرگ او را ساعتی به تأخیر اندازند، و خداوند او و گنجهایش را در یک لحظه با یک زمین لرزه مختصر در زمین فرو برد (قصص/ ۸۱).

اموالی که نمونه کاملش در دست فراعنه مصر بود، همانگونه که قرآن میفرماید: «چه بسیار باغها و چشمهها از خود به جای گذاشتند و زراعتها و قصرهای جالب و گران قیمت و نعمتهای فراوان دیگر که در آن متنعم بودنـد» (دخان/ ۲۵ تا ۲۷) ولی همه اینها به آسانی در عرض ساعتی به دیگران رسید (دخان/ ۲۸).

و لذا در قیامت که پردهها کنار میرود آنها به اشتباه بزرگشان پی میبرند و فریادشان بلند میشود: «مال و ثروتم هرگز مرا بینیاز نکرد، قدرت من نیز از دست رفت». (حاقه/ ۲۸ و ۲۹) از این بیان روشن شد که پندار جاودانگی به وسیله مال دلیلی برای جمع مال، و جمع مال نیز عاملی برای استهزاء و سخریه دیگران در نظر این کوردلان محسوب میشود.

سورة الهمزة (۱۰۴): آية ۴ ص: ۵۸۰

(آیه ۴) – قرآن در پاسخ این گروه می فرماید: «چنین نیست» که می پندارد (کلا). «به زودی در حطمه [- آتشی خرد کننده] پر تاب می شود»! (لینبذن فی الحطمهٔ).

سورة الهمزة (۱۰۴): آية ۵ ص: ۵۸۰

(آیه ۵)- «و تو چه می دانی حطمه چیست»؟! (و ما ادراک ما الحطمهٔ).

سورة الهمزة (۱۰۴): آية 6 ص: ۵۸۰

(آيه ۶) - «آتش برافروخته الهي است» (نار الله الموقدة).

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۸۱

سورة الهمزة (104): آية ٧ ص: ٥٨١

(آیه ۷)- «آتشی که از دلها سر میزند» و نخستین جرقه هایش در قلوب ظاهر می شود! (التی تطلع علی الافئدهٔ).

یعنی خداوند، این مغروران خود خواه برتربین را در آن روز به صورت موجوداتی ذلیل و بیارزش در آتش دوزخ پرتاب می کند، تا نتیجه کبر و غرور خود را ببینند.

عجب این که این آتش برخلاف تمام آتشهای دنیا اول بر دلها شراره میزند، و درون را میسوزاند، نخست قلب را، و بعد مغز و استخوان را، و سپس به خارج سرایت میکند.

چرا چنین نباشد؟ در حالی که قلبهای آنها کانون کفر و کبر و غرور بود و مرکز حب دنیا و ثروت و مال.

آری! آنها دل مؤمنان را در این دنیا با سخریه ها و عیبجوئی و غیبت و تحقیر سوزاندند، عدالت الهی ایجاب می کند که آنها کیفری همانند اعمالشان را ببینند.

سورة الهمزة (١٠٤): آية ٨ ص: ٥٨١

(آیه Λ) – در آخرین آیات این سوره می فرماید: «این آتش بر آنها فرو بسته شده»! (انها علیهم مؤصدهٔ).

در حقیقت همانگونه که آنها اموال خود را در گاو صندوقها و مخازن در بسته نگاه میداشتند خداوند هم آنها را در عذاب در بسته دوزخ که راه خلاص و نجاتی از آن نیست زندانی میکند.

سورة الهمزة (١٠٤): آية ٩ ص: ٥٨١

(آیه ۹)- و سر انجام می گوید: «در ستونهای کشیده و طولانی» قرار خواهند داشت (فی عمد ممددهٔ).

جمعی از مفسران این تعبیر را اشاره به میخهای عظیم آهنین دانستهاند که درهای جهنم محکم با آن بسته میشود، به گونهای که راه خروج مطلقا از آن وجود ندارد، و بنابر این تأکیدی است بر آیه قبل که می گوید: درهای جهنّم را بر آنها میبندند و از هر طرف محصورند.

«پایان سوره همزه»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۸۳

سوره فیل [۱۰۵] ص : ۵۸۳

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۵ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص: ۵۸۳

این سوره چنانکه از نامش پیداست اشاره به داستان تاریخی معروفی میکند که در سال تولد پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله واقع شده، و خداوند خانه «کعبه» را از شرّ لشکر عظیم کفاری که از سرزمین یمن سوار بر فیل آمده بودند حفظ کرد.

یادآوری این داستان هشداری است به کفار مغرور و لجوج که بدانند در برابر قدرت خدا کمترین قدرتی ندارند، خداوندی که لشکر عظیم فیل را با آن پرنـدگان کوچک، و آن سـنگریزههای نیمبند (بحجارهٔ من سـجیل) در هم کوبید قدرت دارد که این مستکبران لجوج را نیز مجازات کند.

در فضیلت تلاوت این سوره در حدیثی از امام صادق علیه السّلام آمده است: «هر کس سوره فیل را در نماز واجب بخواند در قیامت هر کوه و زمین هموار و کلوخی برای او شهادت می دهد که او از نماز گزاران است، و منادی صدا می زند در باره بنده من راست گفتید، شهادت شما را به سود یا زیان او می پذیرم بنده ام را بدون حساب داخل بهشت کنید او کسی است که من وی را دوست دارم و عملش را نیز دوست دارم».

بدیهی است این همه فضیلت و ثواب و پاداش عظیم از آن کسی است که با خواندن این آیات از مرکب غرور پیاده شود و در طریق رضای حق گام بردارد.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۸۴

داستان اصحاب فیل ص: ۵۸۴

- مفسران و مورخان این داستان را به صورتهای مختلفی نقل کردهاند، و ما آن را طبق روایات معروف که از «سیره ابن هشام» و «بلوغ الارب» و «بحار الانوار» و «مجمع البیان» خلاصه کردهایم می آوریم:

«ذو نواس پادشاه یمن، مسیحیان نجران را که در نزدیکی آن سرزمین میزیستند تحت شکنجه شدید قرار داد، تا از آئین مسیحیت بازگردند- قرآن این ماجرا را به عنوان اصحاب الاخدود در سوره «بروج» آورده، و ما آن را در تفسیر همان سوره مشروحا بیان کردیم.

بعد از این جنایت بزرگ مردی به نام «دوس» از میان آنها جان سالم به در برد، و خود را به «قیصر روم» که بر آیین مسیح بود رسانید، و ماجرا را برای او شرح داد.

«قیصر» نامهای به «نجاشی» سلطان «حبشه» نوشت تا انتقام نصارای نجران را از «ذو نواس» بگیرد، و نامه را با همان شخص برای

«نجاشي» فرستاد.

«نجاشی» سپاهی عظیم بالغ بر هفتاد هزار نفر به فرماندهی شخصی به نام «اریاط» روانه یمن کرد «ابرهه» نیز یکی از فرماندهان این سپاه بود.

«ذو نواس» شکست خورد، و «اریاط» حکمران یمن شد، بعد از مدتی، ابرهه بر ضد او قیام کرد و او را از بین برد و بر جای او نشست.

خبر این ماجرا به نجاشی رسید، او تصمیم گرفت «ابرهه» را سرکوب کند، ابرهه برای نجات خود موهای سر را تراشید، و با مقداری از خاک یمن به نشانه تسلیم کامل نزد نجاشی فرستاد و اعلام وفاداری کرد.

نجاشی چون چنین دید او را بخشید و در پست خود ابقا نمود.

در این هنگام «ابرهه» برای اثبات خوش خدمتی کلیسای بسیار زیبا و مهمی بنا کرد که مانند آن در آن زمان در کره زمین وجود نداشت، و به دنبال آن تصمیم گرفت مردم جزیره عربستان را به جای «کعبه» به سوی آن فرا خواند، و تصمیم گرفت آنجا را کانون حج عرب سازد. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۸۵

برای همین منظور مبلغان بسیاری به اطراف، و در میان قبائل عرب و سرزمین حجاز فرستاد.

طبق بعضی از روایات گروهی آمدند و مخفیانه «کلیسا» را آتش زدند، و طبق نقل دیگری بعضی آن را مخفیانه آلوده و ملوث ساختند.

«ابرهه» سخت خشمگین شد، و تصمیم گرفت خانه «کعبه» را بکلی ویران سازد، تا هم انتقام گرفته باشد، و هم عرب را متوجه معبد جدید کند، با لشکر عظیمی که بعضی از سوارانش از «فیل» استفاده می کردند عازم مکّه شد.

هنگامی که نزدیک مکّه رسید کسانی را فرستاد تا شتران و اموال اهل مکه را به غارت آورنـد، و در این میان دویست شتر از «عبد المطلب» غارت شد.

«ابرهه» کسی را به داخل مکّه فرستاد.

فرستاده «ابرهه» وارد مکّه شد و از رئیس و شریف «مکه» جستجو کرد، همه «عبد المطلب» را به او نشان دادند، ماجرا را نزد «عبد المطلب» بازگو کرد فرستاده ابرهه به عبد المطلب گفت: باید با من نزد او بیایی، هنگامی که عبد المطلب وارد بر ابرهه شد، او سخت تحت تأثیر قرار گرفت تا آنجا که برای احترام او از جا برخاست و روی زمین نشست، سپس به مترجمش گفت: از او بپرس حاجت تو چیست؟

عبد المطلب گفت: حاجتم این است که دویست شتر را از من به غارت بردهاند دستور دهید اموالم را باز گردانند.

ابرهه به مترجمش گفت: به او بگو: هنگامی که تو را دیدم عظمتی از تو در دلم جای گرفت، اما این سخن را که گفتی در نظرم کوچک شدی تو در باره دویست شترت سخن می گوئی، اما در باره «کعبه» که دین تو و اجداد توست و من برای ویرانیش آمده ام مطلقا سخنی نمی گوئی؟! عبد المطلب گفت: «من صاحب شترانم، و این خانه صاحبی دارد که از آن دفاع می کند» – این سخن، ابرهه را تکان داد و در فکر فرو رفت. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۸۶

«عبد المطلب» به مکّه آمد، و به مردم اطلاع داد که به کوههای اطراف پناهنده شوند، و خودش با جمعی کنار خانه کعبه آمد تا دعا کند و یاری طلبد.

دست در حلقه خانه کعبه کرد و اشعار معروفش را خواند، از جمله:

«خداونـدا! هر کس از خانه خود دفاع می کنـد تو خانهات را حفظ کن!» «هر گز مبـاد روزی که صـلیب آنهـا و قـدرتشان بر

نیروهای تو غلبه کننـد!» سپس عبـد المطلب به یکی از درههای اطراف مکه آمد و در آنجا با جمعی از قریش پناه گرفت، و به یکی از فرزندانش دستور داد بالای کوه ابو قبیس برود ببیند چه خبر میشود.

فرزندش بسرعت نزد پدر آمده و گفت: پدر! ابری سیاه از ناحیه دریا (دریای احمر) به چشم میخورد که به سوی سرزمین ما می آید، عبد المطلب خرسند شد صدا زد: «ای جمعیت قریش! به منزلهای خود باز گردید که نصرت الهی به سراغ شما آمد» این از یکسو.

از سوی دیگر ابرهه سوار بر فیل معروفش که «محمود» نام داشت با لشگر انبوهش برای درهم کوبیدن کعبه از کوههای اطراف سرازیر مکّه شد، ولی هر چه بر فیل خود فشار می آورد پیش نمی رفت، اما هنگامی که سر او را به سوی یمن باز می گرداندند بسرعت حرکت می کرد، ابرهه از این ماجرا سخت متعجب شد و در حیرت فرو رفت.

در این هنگام پرنـدگانی از سوی دریا فرا رسیدند، هماننـد پرستوها و هر یک از آنها سه عدد سنگریزه با خود همراه داشت، یکی به منقار و دو تا در پنجهها، تقریبا به انـدازه نخود، این سـنگریزهها را بر سـر لشـکریان ابرهه فرو ریختنـد، و به هر کدام از آنها اصابت میکرد هلاک میشد، و بعضی گفتهاند:

سنگریزهها به هر جای بدن آنها میافتاد سوراخ می کرد و از طرف مقابل خارج میشد.

خود «ابرهه» نیز مورد اصابت سنگ واقع شد و مجروح گشت، و او را به صنعاء (پایتخت) یمن بازگرداندند و در آنجا چشم از دنیا پوشید. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۸۷

بعضی گفتهاند: اولین بار که بیماری حصبه و آبله در سرزمین عرب دیده شد آن سال بود.

و در همین سال مطابق مشهور پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله تولید یافت، و جهان به نور وجودش روشن شد، و لـذا جمعی معتقدند که میان این دو رابطهای وجود داشته.

به هر حال اهمیت این حادثه بزرگ بقدری بود که آن سال را «عام الفیل» (سال فیل) نامیدند و مبدأ تاریخ عرب شناخته شد. بسم الله الرحمن الرحیم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورة الفيل(100): آية 1 ص: 287

(آیه ۱)- با ابرهه گو کز پی تعجیل نیاید! در نخستین آیه این سوره پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله را مخاطب ساخته، می فرماید: «آیا ندیدی پروردگارت با فیل سواران [- لشکر ابرهه که برای نابودی کعبه آمده بودند] چه کرد»؟ (الم تر کیف فعل ربک باصحاب الفیل).

سورة الفيل(١٠٥): آية ٢ ص: ٥٨٧

(آیه ۲)- سپس می افزاید: «آیا نقشه آنها را در ضلالت و تباهی قرار نداد»؟

(الم يجعل كيدهم في تضليل).

آنها قصد داشتند خانه کعبه را خراب کنند، به این امید که به کلیسای یمن مرکزیت بخشند، اما آنها نه تنها به مقصود خود نرسیدند، بلکه این ماجرا بر عظمت مکه و خانه کعبه افزود.

منظور از «تضلیل» (گمراه ساختن) این است که آنها هر گز به هدف خود نرسیدند.

سورة الفيل(١٠٥): آية ٣ ص: ٥٨٧

(آیه ۳)- سپس به شرح این ماجرا پرداخته، می فرماید: «و بر سر آنها پرندگانی را گروه گروه فرستاد» (و ارسل علیهم طیرا ابابیل).

سورة الفيل(105): آية 4 ص: 287

(آیه ۴)- «که با سنگهای کوچکی آنان را هدف قرار میدادند» (ترمیهم بحجارهٔ من سجیل). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص:

و این سنگهای کوچک بر هر کس فرود می آمد او را از هم متلاشی میساخت!

سورة الفيل(١٠٥): آية ٥ ص: ٥٨٨

(آیه ۵)- چنانکه در این آیه میفرماید: «سر انجام آنها را همچون کاه خورد شده (و متلاشی) قرار داد»! (فجعلهم کعصف مأکول).

این سوره هشداری است به همه گردنکشان و مستکبران جهان، تا در برابر قدرت خداوند تا چه حد ناتوانند؟! «پایان سوره فیل»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۸۹

سوره قریش [۱۰۶] ص: ۵۸۹

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و ۴ آیه دارد

محتوای سوره: ص : ۵۸۹

این سوره در حقیقت مکمل سوره «فیل» محسوب می شود و آیات آن دلیل روشنی بر این مطلب است.

محتوای این سوره بیـان نعمت خداونـد بر قریش و الطاف و محبتهای او نسبت به آنهاست، تا حسّ شکرگزاری آنها تحریک شود و به عبادت پروردگار این بیت عظیم که تمام شرف و افتخارشان از آن است قیام کنند.

همان گونه که در آغاز سوره «و الضّحی» گفتیم آن سوره و سوره «الم نشرح» در حقیقت یک سوره محسوب می شود، همچنین سوره «فیل» و سوره «قریش» چرا که پیوند مطالب آنها بقدری است که می تواند دلیل بر وحدت آن دو بوده باشد. به همین دلیل برای خواندن یک سوره کامل در هر رکعت از نماز اگر کسی سوره های فوق را انتخاب کند باید هر دو را با هم بخواند.

فضيلت تلاوت سوره: ص: ۵۸۹

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله نقل شده که فرمود:

«کسی که آن را بخواند به تعداد هر یک از کسانی که در گرد خانه کعبه طواف کرده، یا در آنجا معتکف شده، ده حسنه به او می دهند».

مسلما چنین فضیلتی از آن کسانی است که در پیشگاه خداوندی که پروردگار کعبه است سر تعظیم فرود آورده، او را عبادت کنند، و احترام این خانه را پاسداری کرده و پیامش را با گوش جان بشنوند و به کار بندند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۹۰

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورهٔ قریش (۱۰۶): آیهٔ ۱ ص: ۵۹۰

(آیه ۱)- از آنجا که در سوره قبل شرح نابودی اصحاب الفیل و لشکریان «ابرهه»- که به قصد نابود کردن خانه کعبه آمده بودند- آمد، در اولین آیه این سوره که در واقع تکمیلی است برای سوره «فیل» میفرماید: کیفر لشکر فیل سواران «به خاطر این بود که قریش (به این سرزمین مقدس) الفت گیرند» و زمینه ظهور پیامبر فراهم شود (لایلاف قریش).

زیرا آنها و تمام اهل «مکّه» به خاطر مرکزیت و امنیت این سرزمین در آنجا سکنی گزیده بودند، بسیاری از مردم حجاز هر سال به آنجا می آمدند، مراسم حج را به جا می آوردند و مبادلات اقتصادی و ادبی داشتند و از برکات مختلف این سرزمین استفاده می نمودند.

همه اینها در سایه امنیت ویژه آن بود، اگر با لشکرکشی ابرهه و امثال او این امنیت خدشهدار می شد یا خانه کعبه ویران می گشت دیگر کسی با این سرزمین الفتی پیدا نمی کرد.

سورهٔ قریش(۱۰۶): آیهٔ ۲ ص : ۵۹۰

(آیه ۲)- در این آیه می افزاید: «الفت آنها در سفرهای زمستانه و تابستانه» و به خاطر این الفت به آن بازگردند! (ایلافهم رحلهٔ الشتاء و الصیف).

ممکن است منظور الفت بخشیدن قریش به این سرزمین مقدس باشد که آنها در طول سفر تابستانه و زمستانه خود عشق و علاقه به این کانون مقدس را از دل نبرند، و به خاطر امنیتش به سوی آن باز گردند، نکند تحت تأثیر مزایای زندگی سرزمین یمن و شام واقع شوند و «مکّه» را خالی کنند.

و یا این که منظور ایجاد الفت میان قریش و سایر مردم در طول این دو سفر بزرگ است، چرا که بعد از داستان ابرهه مردم با دیده دیگری به آنها مینگریستند، و برای کاروان قریش احترام و اهمیت و امنیت قائل بودند.

می دانیم زمین «مکّه» باغ و زراعتی نداشت، دامداری آن نیز محدود بود، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۹۱

بیشترین در آمـد آن از طریق همین کاروانهـای تجـاری تأمین میشـد، در فصل زمسـتان به سوی جنوب یعنی سـرزمین یمن که هوای آن نسبتا گرم بود روی می آوردند، و در فصل تابستان به سوی شمال و سرزمین شام که هوای ملایم و مطلوبی داشت، و اتفاقا هم سرزمین یمن و هم سرزمین شام از کانونهای مهم تجارت در آن روز بودند، و مکّه و مدینه حلقه اتصالی در میان آن دو محسوب می شد.

البته قریش با کارهای خلافی که انجام میدادند مستحق این همه لطف و محبت الهی نبودند، اما چون مقدر بود از میان آن قبیله، و از آن سرزمین مقدس، اسلام و پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله طلوع کند، خداوند این لطف را در حق آنها انجام داد.

سورهٔ قریش (۱۰۶): آیهٔ ۳ ص: ۵۹۰

(آیه ۳)- در این آیه چنین نتیجه می گیرد که قریش با این همه نعمت الهی که به برکت کعبه پیدا کردهانید «پس (به شکرانه این نعمت بزرگ) باید پروردگار این خانه را عبادت کنند» نه بتها رالیعبدوا رب هذا البیت)

سورهٔ قریش (۱۰۶): آیهٔ ۴ ص: ۵۹۱

(آیه ۴)- «همان کس که آنها را از گرسنگی نجات داد و از ترس و ناامنی ایمن ساخت» (الذی اطعمهم من جوع و آمنهم من خوف).

از یکسو به آنها رونق تجارت عطا فرمود، و جلب منفعت نمود، و از سوی دیگر ناامنی را از آنها دور کرد و دفع ضرر فرمود، و اینها همه با شکست لشکر «ابرهه» فراهم گشت، و در حقیقت استجابت دعای ابراهیم بنیانگذار کعبه بود، ولی آنها قدر این همه نعمت را ندانستند، و این خانه مقدس را به بتخانهای تبدیل کردند، و عبادت بتان را بر پرستش خدای خانه مقدم داشتند، و سر انجام ثمره شوم این همه ناسپاسی را دیدند.

«پایان سوره قریش»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۹۳

سوره ماعون [107] ص: 293

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۷ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص: 293

در این سوره صفات و اعمال منکران قیامت در پنج مرحله بیان شده، که آنها به خاطر تکذیب این روز بزرگ چگونه از «انفاق» در راه خدا، کمک به «یتیمان» و «مسکینان» سرباز میزنند، و چگونه در مورد «نماز» مسامحه کار و ریا کارند، و از کمک به «نیازمندان» روی گردانند؟

در فضیلت تلاوت این سوره در حدیثی از امام باقر علیه السّلام آمده است که:

«هر کس این سوره را در نمازهای فریضه و نافلهاش بخوانید خداونید نماز و روزه او را قبول می کنید، و او را در برابر کارهائی که در زندگی دنیا از او سر زده است مورد محاسبه قرار نمی دهد». در شأن نزول این سوره بعضی گفتهاند: در باره «ابو سفیان» نازل شده که هر روز دو شتر بزرگ نحر می کرد، و خود و یارانش از آن استفاده می نمودند اما روزی یتیمی آمد و تقاضای چیزی کرد او با عصایش بر او زد و او را دور کرد.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الماعون(١٠٧): آية ١ ص: ٥٩٣

(آیه ۱)- اثرات شوم انکار معاد: در این سوره نخست پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله را مخاطب قرار داده، و اثرات شوم انکار روز جزا را در اعمال منکران بازگو می کند، برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۹۴

مى فرمايد: «آيا كسى كه روز جزا را پيوسته انكار مى كند ديدى»؟! (ا رايت الذى يكذب بالدين).

منظور از «دین» در اینجما «جزا» یما «روز جزا» ست، و انکمار روز جزا و دادگاه بزرگ آن، بازتاب وسیعی در اعمال انسان دارد که در این سوره به پنج قسمت از آن اشاره شده است.

سورة الماعون(107): آية 2 ص: 294

(آیه ۲)- سپس بی آنکه در انتظار پاسخ این سؤال بماند می افزاید: «او همان کسی است که یتیم را با خشونت می راند»! (فذلک الذی یدع الیتیم).

سورة الماعون(107): آية ٣ ص: 294

(آیه ۳)- «و (دیگران را) به اطعام مسکین و مستمند تشویق نمی کند» (و لا یحض علی طعام المسکین).

سورة الماعون(١٠٧): آية 4 ص: ٥٩٢

(آیه ۴)- در سومین وصف این گروه، می فرماید: «پس وای بر نماز گزارانی که ...» (فویل للمصلین).

سورة الماعون(١٠٧): آية ٥ ص : ٥٩٤

(آیه ۵)- «در نماز خود سهل انگاری می کنند» (الذین هم عن صلاتهم ساهون).

نه ارزشی برای آن قائلند، و نه به اوقاتش اهمیتی میدهند، و نه ارکان و شرائط و آدابش را رعایت میکنند.

سورة الماعون(١٠٧): آية 6 ص: ٥٩٤

(آیه ۶)- در چهارمین مرحله به یکی دیگر از بدترین اعمال آنها اشاره کرده، میفرماید: «همان کسانی که ریا میکنند» (الذین هم یراؤن).

جامعهای که به ریاکاری عادت کند، نه فقط از خدا و اخلاق حسنه و ملکات فاضله دور می شود، بلکه تمام برنامههای

اجتماعی او از محتوا تهی می گردد، و در یک مشت ظواهر فاقله معنی خلاصه می شود، و چه دردناک است سرنوشت چنین انسان، و چنین جامعهای!

سورة الماعون(١٠٧): آية ٧ ص: ٥٩٤

(آیه ۷)- و در آخرین مرحله می افزاید: «و دیگران را از ضروریات زندگی منع می کنند» (و یمنعون الماعون).

مسلما یکی از سر چشمههای تظاهر و ریاکاری عدم ایمان به روز قیامت، و عدم توجه به پاداشهای الهی است، و گر نه چگونه ممکن است انسان پاداشهای برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۹۵

الهي را رها كند و رو به سوى خلق و خوشايند آنها آورد؟

«ماعون» از ماده «معن» به معنی چیز کم است، و منظور از آن در اینجا اشیاء جزئی است که مردم مخصوصا همسایه ها از یکدیگر به عنوان عاریه یا تملک می گیرند، مانند مقداری نمک، آتش (کبریت) ظروف و مانند اینها.

بدیهی است کسی که از دادن چنین اشیائی به دیگری خودداری می کند آدم بسیار پست و بی ایمانی است، یعنی آنها به قدری بخیلند که حتی از دادن این اشیاء کوچک مضایقه دارند.

پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله فرمود: «کسی که وسائل ضروری و کوچک را از همسایهاش دریغ دارد خداوند او را از خیر خود، در قیامت منع می کند، و او را به حال خود وا می گذارد، و هر کس خدا او را به خود واگذارد، چه بـد حالی دارد؟» «پایان سوره ماعون»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۹۷

سوره کوثر [۱۰۸] ص: ۵۹۷

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۳ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص : 297

در شأن نزول این سوره میخوانیم: «عاص بن وائل» که از سران مشرکان بود، پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله را به هنگام خارج شدن از مسجد الحرام ملاقات کرد، و مدتی با حضرت گفتگو نمود، گروهی از سران قریش در مسجد نشسته بودند و این منظره را از دور مشاهده کردند، هنگامی که «عاص بن وائل» وارد مسجد شد به او گفتند: با که صحبت می کردی؟ گفت: با این مرد «ابتر»! توضیح این که: پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله دو فرزند پسر از بانوی اسلام خدیجه داشت:

یکی «قاسم» و دیگری «طاهر» که او را «عبد الله» نیز مینامیدند، و این هر دو در مکّه از دنیا رفتند، و پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله فاقد فرزند پسر شد، این موضوع زبان بدخواهان قریش را گشود، و کلمه «ابتر» (یعنی بلا_عقب) را برای حضرتش انتخاب کردند فکر می کردند با رحلت پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله برنامههای او به خاطر نداشتن فرزند ذکور تعطیل خواهد شد و خوشحال بودند.

قرآن مجید نازل شد و به طرز اعجاز آمیزی در این سوره به آنها پاسخ گفت، و خبر داد که دشمنان او ابتر خواهند بود، و برنامه اسلام و قرآن هرگز قطع نخواهد شد، بشارتی که در این سوره داده شده از یکسو ضربهای بود بر امیدهای دشمنان اسلام، و از سوی دیگر تسلّی خاطری بود به رسول الله صلّی الله علیه و آله که بعد از شنیدن این لقب زشت و توطئه دشمنان قلب پاکش غمگین و مکدّر شده بود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۹۸

در فضیلت تلاوت این سوره در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله آمده است:

«هر کس آن را تلاوت کند خداوند او را از نهرهای بهشتی سیراب خواهد کرد و به عدد هر قربانی که بندگان خدا در روز عید (قربان) قربانی میکنند، و همچنین قربانی هائی که اهل کتاب و مشرکان دارند، به عدد هر یک از آنان اجری به او میدهد».

نام این سوره (کوثر) از اولین آیه آن گرفته شده است.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الكوثر(١٠٨): آية ١ ص: ٥٩٨

(آیه ۱)- ما به تو خیر فراوان دادیم! روی سخن در تمام این سوره به پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله است- مانند سوره و الضحی و سوره الم نشرح- و یکی از اهداف مهم هر سه سوره تسلّی خاطر آن حضرت در برابر انبوه حوادث دردناک و زخم زبانهای مکرر دشمنان است.

نخست مى فرمايد: «ما به تو كوثر [- خير و بركت فراوان] عطا كرديم» (انا اعطيناك الكوثر).

«کوثر» در این که منظور از «کوثر» در اینجا چیست؟ در روایتی آمده است که وقتی این سوره نازل شد پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله بر فراز منبر رفت و این سوره را تلاوت فرمود، اصحاب عرض کردند: این چیست که خداوند به تو عطا فرموده؟ گفت: نهری است در بهشت، سفیدتر از شیر، و صافتر از قدح (بلور) در دو طرف آن قبّههایی از در و یاقوت است».

بعضی آن را به نبوت تفسیر کرده، و بعضی دیگر به قرآن، و بعضی به کثرت اصحاب و یاران، و بعضی به کثرت فرزندان و ذرّیّه که همه آنها از نسل دخترش فاطمه زهرا علیها السّلام به وجود آمدند.

بعضی نیز آن را به «شفاعت» تفسیر کردهاند.

ولی ظاهر این است که «کوثر» مفهوم وسیع و گستردهای دارد که هر یک از برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۵۹۹ آنچه در بالا گفته شد یکی از مصداقهای روشن آن است، و مصداقهای بسیار دیگری نیز دارد که ممکن است به عنوان تفسیر مصداقی برای آیه ذکر شود.

فراموش نباید کرد این سخن را خداوند زمانی به پیامبرش می گوید که آثار این خیر کثیر هنوز ظاهر نشده بود، این خبری بود از آینده نزدیک و آینده های دور، خبری بود اعجاز آمیز و بیانگر حقانیت دعوت رسول اکرم صلّی اللّه علیه و آله.

سورة الكوثر(١٠٨): آية ٢ ص: ٥٩٩

(آیه ۲)- این نعمت عظیم و خیر فراوان شکرانه عظیم لازم دارد، هر چند شکر مخلوق هر گز حق نعمت خالق را ادا نمی کند، بلکه توفیق شکر گزاری خود نعمت دیگری است از ناحیه او لذا می فرماید: اکنون که چنین است «پس برای پروردگارت نماز

بخوان و قرباني كن» (فصل لربك و انحر).

آری! بخشنده نعمت اوست بنابر این نماز و عبادت و قربانی که آن هم نوعی عبادت است برای غیر او معنی ندارد. این در برابر اعمال مشرکان است که برای بتها سجده و قربانی می کردند، در حالی که نعمتهای خود را از خدا می دانستند!

سورة الكوثر(١٠٨): آية ٣ ص: ٥٩٩

اشاره

(آیه ۳)- و در آخرین آیه این سوره با توجه به نسبتی که سران شرک به آن حضرت می دادند، می فرماید: «و (بدان) دشمن تو قطعا بریده نسل و بی عقب است» (ان شانئک هو الابتر).

تعبیر به «شانئک» بیانگر این واقعیت است که آنها در دشمنی خود حتی کمترین ادب را نیز رعایت نمی کردند، یعنی عداو تشان آمیخته با قساوت و رذالت بود.

حضرت فاطمه عليها السّلام و «كوثر»! ص: ٥٩٩

گفتیم «کوثر» یک معنی جامع و وسیع دارد، و آن «خیر و برکت فراوان» است، ولی بسیاری از بزرگان علمای شیعه یکی از روشنترین مصداقهای آن را وجود مبارک «فاطمه زهرا» علیها السّ لام دانسته اند، چرا که شأن نزول آیه می گوید: آنها پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله را متهم می کردند که بلا عقب است، قرآن ضمن نفی سخن آنها می گوید: «ما به تو کوثر دادیم». از این تعبیر استنباط می شود که این «خیر کثیر» همان فاطمه زهرا علیها السّلام است، بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۰۰ زیرا نسل و ذریه پیامبر صلّی اللّه علیه و آله به وسیله همین دختر گرامی در جهان انتشار یافت نسلی که نه تنها فرزندان جسمانی پیغمبر بودند، بلکه آیین او و تمام ارزشهای اسلام را حفظ کردند، و به آیندگان ابلاغ نمودند، نه تنها امامان معصوم اهل بیت علیهم السّلام که آنها حساب مخصوص به خود دارند.

در اینجا به بحث جالبی از «فخر رازی» برخورد می کنیم که در ضمن تفسیرهای مختلف کوثر می گوید:

قول سوم این است که این سوره به عنوان رد بر کسانی نازل شده که عدم وجود اولاد را بر پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله خرده می گرفتند، بنابر این معنی سوره این است که خداوند به او نسلی می دهد که در طول زمان باقی می ماند، ببین چه اندازه از اهل بیت را شهید کردند، در عین حال جهان مملوّ از آنهاست، این در حالی است که از بنی امیه (که دشمنان اسلام بودند) شخص قابل ذکری در دنیا باقی نماند، سپس بنگر و ببین چقدر از علمای بزرگ در میان آنهاست. مانند باقر و صادق و رضا و نفس زکیه.

هزاران هزار از فرزندان فاطمه علیها السّر لام در سراسر جهان پخش شدند، در میان آنها نویسندگان و فقها و محدثان و مفسران والا مقام و فرماندهان عظیم بودند که با ایثار و فداکاری در حفظ آیین اسلام کوشیدند.

«پایان سوره کوثر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۰۱

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۶ آیه است

محتوای سوره: ص: 601

لحن سوره نشان می دهـد در زمانی نازل شده که مسلمانان در اقلیت بودند و کفار در اکثریت، و پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله از ناحیه آنها سخت در فشار بود، و اصرار داشتند او را به سازش با شرک بکشانند، پیامبر صلّی اللّه علیه و آله دست ردّ بر سینه همه آنها می زند، و آنها را بکلی مأیوس می کند، بدون آن که بخواهد با آنها در گیر شود.

این سرمشقی است برای همه مسلمانان که در هیچ شرائطی در اساس دین و اسلام با دشمنان سازش نکنند، و هر وقت چنین تمنائی از ناحیه آنها صورت گیرد آنها را کاملا مأیوس کنند، مخصوصا در این سوره دو بار این معنی تأکید شده که «من معبودهای شما را نمی پرستم» و این تأکید برای مأیوس ساختن آنها است، همچنین دوباره تأکید شده که «شما هر گز معبود من، خدای یگانه را نمی پرستید» و این دلیلی است بر لجاجت آنها، و سر انجامش این است که «من و آیین توحیدیم، و شما و آیین یوسیده شرک آلودتان»!

فضيلت تلاوت سوره: ص: 601

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله نقل شده که فرمود:

«کسی که سوره «قل یا ایّها الکافرون» را بخواند گوئی ربع قرآن را خوانده، و شیاطین طغیانگر از او دور میشوند، و از شرک پاک می گردد، و از فزع بزرگ (روز قیامت) در امان خواهد بود».

و در حدیثی از امام صادق علیه السّلام میخوانیم که فرمود: «پدرم می گفت: «قل یا بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۰۲ ایها الکافرون»

ربع قرآن است، و هنگامی که از آن فراغت می یافت می فرمود: من تنها خدا را عبادت می کنم من تنها خدا را عبادت می کنم». بسم الله الرحمن الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

شأن نزول سوره: ص: ۶۰۲

در روایات آمده است که: «این سوره در باره گروهی از سران مشرکان قریش نازل شده، مانند «ولید بن مغیره» و «عاص بن وائل» و «حارث بن قیس» و ... گفتند: ای محمّد! تو بیا از آیین ما پیروی کن، ما نیز از آیین تو پیروی می کنیم، و تو را در تمام امتیازات خود شریک می سازیم، یک سال تو خدایان ما را عبادت کن! و سال دیگر ما خدای تو را عبادت می کنیم.

پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله فرمُود: پناه بر خدا که من چیزی را همتای او قرار دهم! گفتند: لا اقل بعضی از خدایان ما را لمس کن و از آنها تبرک بجوی ما تصدیق تو میکنیم و خدای تو را میپرستیم! پیامبر صلّی اللّه علیه و آله فرمود: من منتظر فرمان

پروردگارم هستم.

در این هنگام سوره «قل یا ایّها الکافرون» نازل شد، و رسول الله به مسجد الحرام آمد، در حالی که جمعی از سران قریش در آنجا جمع بودند بالای سر آنها ایستاد، و این سوره را تا آخر بر آنها خواند آنها وقتی پیام این سوره را شنیدند کاملا مأیوس شدند، و حضرت و یارانش را آزار دادند».

سورة الكافرون(109): آية 1 ص: 607

(آیه ۱)- هرگز با بت پرستان سر سازش ندارم! آیات این سوره پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله را مخاطب ساخته، میفرماید: «بگو: ای کافران»! (قل یا ایها الکافرون).

سورة الكافرون(١٠٩): آية ٢ ص: ٢٠٠٢

(آیه ۲)- «آنچه را شما می پرستید من نمی پرستم» (V اعبد ما تعبدون).

سورة الكافرون(١٠٩): آية ٣ ص: ٢٠٢

(آیه ۳)- «و نه شما آنچه را من می پرستم می پرستید» (و Y انتم عابدون ما اعبد).

به این ترتیب جدائی کامل خط خود را از آنها مشخص می کند، و با صراحت برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰۳ می گوید: من هرگز بت پرستی نخواهم کرد، و شما نیز با این لجاجت که دارید و با تقلید کورکورانه از نیاکان که روی آن اصرار میورزید و با منافع نامشروع سرشاری که از بت پرستان عائد شما می شود هرگز حاضر به خداپرستی خالص از شرک نیستند.

سورة الكافرون(١٠٩): آية 4 ص: 603

(آیه ۴)- بار دیگر برای مأیوس کردن کامل بت پرستان از هر گونه سازش بر سر توحید و بت پرستی می افزاید: «و نه من هرگز آنچه را شما پرستش کرده اید می پرستم» (و لا انا عابد ما عبدتم).

سورة الكافرون(109): آية ۵ ص: 603

(آیه ۵)- «و نه شما آنچه را که من می پرستم پرستش می کنید» (و لا انتم عابدون ما اعبد).

تکرار نفی عبادت بتها از ناحیه پیغمبر صلّی الله علیه و آله و نفی عبادت خدا از ناحیه مشرکان، برای تأکید و مأیوس کردن کامل مشرکان، و جدا نمودن مسیر آنها از اسلام است، و اثبات عدم سازش میان توحید و شرک میباشد و این در حدیثی از امام صادق علیه السّلام نیز وارد شده.

سورة الكافرون(109): آية 6 ص: 603

(آیه ۶)- حال که چنین است «آیین شما برای خودتان و آیین من برای خودم» (لکم دینکم و لی دین).

یعنی آیین شما به خودتان ارزانی باد! و به زودی عواقب نکبتبار آن را خواهید دید.

«پایان سوره کافرون»

زیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۰۵

سوره نصر [۱۱۰] ص: ۶۰۵

اشاره

این سوره در «مدینه» نازل شده و دارای ۳ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص : 6.5

این سوره بعد از هجرت نازل شده است، و در آن بشارت و نوید از پیروزی عظیمی میدهد که به دنبال آن مردم گروه گروه وارد دین خدا میشوند، و لذا به شکرانه این نعمت بزرگ پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله را دعوت به «تسبیح» و «حمد» الهی و «استغفار» می کند.

گرچه در اسلام فتوحات زیادی رخ داد، ولی فتحی با مشخصات فوق جز «فتح مکه» نبود، بخصوص این که طبق بعضی از روایات، اعراب معتقد بودند اگر پیامبر اسلام صلّی اللّه علیه و آله مکّه را فتح کند و بر آن مسلّط گردد این دلیل بر حقانیت اوست.

بعضی گفتهاند: این سوره بعد از «صلح حدیبیه» در سال ششم هجرت، و دو سال قبل از «فتح مکه» نازل گردید.

یکی از نامهای این سوره سوره «تودیع» (خداحافظی) است چرا که در آن بطور ضمنی از رحلت پیامبر صلّی اللّه علیه و آله خبر میدهد.

در حدیثی آمده است هنگامی که این سوره نازل شد و پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله آن را بر یاران خود تلاوت کرد همگی خوشحال و خوشدل شدند، ولی «عباس» عموی پیامبر صلّی الله علیه و آله که آن را شنید گریه کرد، پیغمبر صلّی الله علیه و آله فرمود: ای عمو چرا گریه می کنی؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۰۶

عرض کرد: گمان میکنم خبر رحلت شما در این سوره داده شدهای رسول خدا! پیامبر فرمود: مطلب همان گونه است که تو می گوئی.

در باره فضیلت تلاوت این سوره در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله آمده است:

«كسى كه آن را تلاوت كند همانند اين است كه همراه پيغمبر صلّى اللّه عليه و آله در فتح مكّه بوده است».

در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّ بلام میخوانیم: «کسی که سوره (اذا جاء نصر الله و الفتح) را در نماز نافله یا فریضه بخواند خداوند او را بر تمام دشمنانش پیروز میکند و در قیامت در حالی وارد محشر می شود که نامه ای با اوست که سخن می گوید، خداوند آن را از درون قبرش همراه او بیرون فرستاده، و آن امان نامه ای است از آتش جهنم ...».

ناگفته پیداست این همه افتخار و فضیلت از آن کسی است که با خواندن این سوره در خط رسول اللّه قرار گیرد، و به آیین و

سنت او عمل كند.

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة النصر(110): آية 1 ص: 606

(آیه ۱)– هنگامی که پیروزی نهائی فرا رسـد ...! در نخستین آیه این سوره میفرمایـد: «هنگـامی که یاری خـدا و پیروزی فرا رسـد» (اذا جاء نصر الله و الفتح).

سورة النصر(110): آية ٢ ص: 606

(آیه ۲)- «و ببینی مردم گروه وارد دین خدا می شوند» (و رأیت الناس یدخلون فی دین الله افواجا).

درست است که برای غلبه بر دشمن باید تأمین قوا و تهیه نیرو کرد، ولی یک انسان موحّد، نصرت را تنها از ناحیه خدا میداند و به همین دلیل به هنگام پیروزی مغرور نمیشود، بلکه در مقام شکر و سپاس الهی در می آید.

سورة النصر(110): آية ٣ ص: 606

اشاره

(آیه ۳)- از این رو در این آیه میفرماید: «پس (به شکرانه این نعمت بزرگ و این پیروزی و نصرت الهی) پروردگارت را تسبیح و حمد کن، و از او آمرزش بخواه برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۰۷

كه او بسيار توبه پذير است» (فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان توابا).

در این سوره نخست از نصرت الهی، و سپس فتح و پیروزی، و بعد نفوذ و گسترش اسلام، و ورود مردم دسته دسته در دین خدا سخن به میان آمده، و این هر سه علت و معلول یکدیگرند، تا نصرت و یاری الهی نباشد فتح و پیروزی نیست، و تا فتح و پیروزی نرسد و موانع از سر راه برداشته نشود مردم گروه گروه مسلمان نمی شوند، و البته به دنبال این سه مرحله مرحله چهارم یعنی مرحله شکر و حمد و ستایش خدا فرا می رسد.

«تسبیح» به معنی منزه شمردن خداوند از هرگونه عیب و نقص است، و «حمد» برای توصیف او به صفات کمالیه و «استغفار» در برابر نقصانها و تقصیرهای بندگان است.

این فتح عظیم سبب شد که افراد گمان نکنند خداوند یارانش را تنها میگذارد (پاکی از این نقص) و نیز بدانند که خداوند بر انجام وعدههایش توانا است (موصوف بودن به این کمال) و نیز بندگان به نقص خود در برابر عظمت او اعتراف کنند.

فتح مکه بزرگترین پیروزی اسلام: ص: ۶۰۷

فتح مکه فصل جدیدی در تاریخ اسلام گشود، و مقاومتهای دشمن را بعد از حدود بیست سال درهم شکست، در حقیقت با

فتح مکه بساط شرک و بت پرستی از جزیره عربستان برچیده شد، و اسلام آماده برای جهش به کشورهای دیگر جهان گشت. «پایان سوره نصر»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۰۹

سوره مسد [۱۱۱] ص: ۶۰۹

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای پنج آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص: 6.9

این سوره که تقریبا در اوائل دعوت آشکار پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله نازل شده تنها سورهای است که در آن حمله شدیدی با ذکر نام نسبت به یکی از دشمنان اسلام و پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله در آن عصر و زمان بیغی ابو لهب شده است، و محتوای آن نشان می دهد که او عداوت خاصی نسبت به پیغمبر اسلام صلّی الله علیه و آله داشت، او و همسرش از هیچ گونه کار شکنی و بد زبانی مضایقه نداشتند.

قرآن با صراحت می گوید: هر دو اهل دوزخند و این معنی به واقعیت پیوست، سر انجام هر دو بیایمان از دنیا رفتند و این یک پیشگوئی صریح قرآن است.

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله آمده است که فرمود: «کسی که آن سوره را تلاوت کند من امیدوارم خداوند او و ابو لهب را در خانه واحدی جمع نکند» یعنی او اهل بهشت خواهد بود در حالی که ابو لهب اهل دوزخ است.

ناگفته پیداست این فضیلت از آن کسی است که با خواندن این سوره خط خود را از خط ابو لهب جدا کند، نه کسانی که با زبان میخوانند ولی ابو لهبوار عمل میکنند.

شأن نزول سوره: ص: 6.9

از «ابن عباس» نقل شده هنگامی که آیه «و انذر عشیر تک بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۰

الاقربين»

(۱» نازل شد و پیغمبر مأموریت یافت فامیل نزدیک خود را انذار کند و به اسلام دعوت نماید (دعوت خود را علنی سازد) پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله بر فراز کوه صفا آمد و فریاد زد: «یا صباحاه»! (این جمله را عرب زمانی می گفت که مورد هجوم غافلگیرانه دشمن قرار می گرفت، برای این که همه را با خبر سازند و به مقابله برخیزند) هنگامی که مردم مکّه این صدا را شنیدند گفتند: کیست که فریاد می کشد؟

گفته شد: «محمّد» است، جمعیت به سراغ حضرتش رفتند.

فرمود: به من بگوئید اگر به شما خبر دهم که سواران دشمن از کنار این کوه به شما حملهور می شوند، آیا مرا تصدیق خواهید کرد؟

در پاسخ گفتند: ما هرگز از تو دروغی نشنیدهایم.

فرمود: «انّی نذیر لکم بین یدی عذاب شدید من شما را در برابر عذاب شدید الهی انذار می کنم» (شما را به توحید و ترک بتها دعوت می نمایم).

هنگامی که ابو لهب این سخن را شنید گفت: «زیان و مرگ بر تو باد! آیا تو فقط برای همین سخن ما را جمع کردی»؟! در این هنگام بود که این سوره نازل شد.

بعضی در اینجا افزودهاند: هنگامی که همسر ابو لهب (امّ جمیل) با خبر شد که این سوره در باره او و همسرش نازل شده، به سراغ پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله آمد در حالی که آن حضرت را نمی دید، سنگی در دست داشت و گفت: من شنیدهام «محمّد» مرا هجو کرده، به خدا سو گند اگر او را بیابم با همین سنگ بر دهانش میزنم! من خودم نیز شاعرم! سپس به اصطلاح اشعاری در مذمت پیغمبر و اسلام بیان کرد.

خطر ابو لهب و همسرش برای اسلام و عداوت آنها منحصر به این نبود، و اگر میبینیم قرآن لبه تیز حمله را متوجه آنها کرده و با صراحت از آنها نکوهش میکند دلائلی بیش از این دارد که بعدا به آن اشاره خواهد شد.

(۱) سوره شعراء (۲۶) آیه ۲۱۴.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۱۱

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة المسد(١١١): آية ١ ص: ٦١١

(آیه ۱)- بریده باد دست ابو لهب! همان گونه که در شأن نزول سوره گفتیم این سوره در حقیقت پاسخی است به سخنان زشت «ابو لهب» عموی پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله و فرزند عبد المطلب که از دشمنان سرسخت اسلام بود.

قرآن مجید در پاسخ این مرد بد زبان می فرماید: «بریده باد هر دو دست ابو لهب» و مرگ بر او باد (تبت یدا ابی لهب و تب). در روایتی آمده است که شخصی به نام «طارق محاربی» می گوید: من در بازار «ذی المجاز» بودم (ذی المجاز نزدیک عرفات در فاصله کمی از مکّه است) ناگهان جوانی را دیدم که صدا می زند: «ای مردم! بگوئید: لا اله الا الله تا رستگار شوید»، و مردی را پشت سر او دیدم که با سنگ به پشت پای او می زند به گونهای که خون از پاهایش جاری بود، و فریاد می زد، «ای مردم! این دروغگوست، او را تصدیق نکنید»! من سؤال کردم این جوان کیست؟

گفتند: «محمّد» است که گمان می کند پیامبر می باشد، و این پیرمرد عمویش ابو لهب است که او را دروغگو می داند ... در خبر دیگری می خوانیم: هر زمان گروهی از اعراب خارج مکّه وارد آن شهر می شدند به سراغ ابو لهب می رفتند، به خاطر خویشاوندیش نسبت به پیامبر صلّی الله علیه و آله و سن و سال بالای او، و از رسول الله صلّی الله علیه و آله تحقیق می نمودند،

محمّ د مرد ساحری است، آنها نیز بی آنکه پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله را ملاقات کنند باز می گشتند، در این هنگام گروهی آمدند و گفتند: ما از مکّه باز نمی گردیم تا او را ببینیم، ابو لهب گفت: ما پیوسته مشغول مداوای جنون او هستیم! مرگ بر او باد! از این روایات به خوبی استفاده می شود که او در بسیاری از مواقع همچون سایه به دنبال پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله بود، و

از هیچ کارشکنی فرو گذار نمی کرد، مخصوصا زبانی بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۱۲

زشت و آلوده داشت، و تعبیرات رکیک و زننده می کرد، و شاید از این نظر سر آمد تمام دشمنان پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله محسوب می شد، و به همین جهت آیات مورد بحث با این صراحت و خشونت، او و همسرش امّ جلیل را به باد انتقاد می گیرد.

سورة المسد(١١١): آية ٢ ص: ٦١٢

(آیه ۲)- سپس می افزاید: «هرگز مال و ثروتش و آنچه را به دست آورد به حالش سودی نبخشید» و عـذاب الهی را از او باز نخواهد داشت (ما اغنی عنه ماله و ما کسب).

از این تعبیر استفاده می شود که او مرد ثروتمند مغروری بود که بر اموال و ثروت خود در کوششهای ضد اسلامیش تکیه می کرد.

سورة المسد(١١١): آية ٣ ص: ٦١٢

(آیه ۳) - در این آیه می افزاید: «و به زودی وارد آتشی شعلهور و پر لهیب می شود» (سیصلی نارا ذات لهب).

اگر نام او «ابو لهب» بود، آتش عذاب او نیز «ابو لهب» است و شعله های عظیم دارد.

نه تنها «ابو لهب» که هیچ یک از کافران و بدکاران، اموال و ثروت و موقعیت اجتماعیشان آنها را از آتش دوزخ و عذاب الهی رهائی نمی بخشد، چنانکه در جای دیگر میخوانیم: «قیامت روزی است که نه اموال و نه فرزندان، هیچ کدام سودی به حال انسان ندارد، مگر آن کس که با قلب سالم (روحی با ایمان و با تقوا) در محضر پروردگار حاضر شود» (شعرا/ ۸۸ و ۸۹).

در روایات آمده است که بعد از جنگ «بدر» و شکست سختی که نصیب مشرکان قریش شد، ابو لهب که شخصا در میدان جنگ شرکت نکرده بود پس از بازگشت ابو سفیان ماجرا را از او پرسید.

ابو سفیان چگونگی شکست و در هم کوبیده شدن لشکر قریش را برای او شرح داد، سپس افزود: به خدا سوگند ما در این جنگ سوارانی را دیدیم در میان آسمان و زمین که به یاری محمّد آمده بودند! در اینجا «ابو رافع» یکی از غلامان «عباس» می گوید: من در آنجا نشسته بودم، دستم را بلند کردم و گفتم: آنها فرشتگان آسمان بودند. بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص:

ابو لهب سخت برآشفت و از سوز دل خود پیوسته مرا کتک میزد، در اینجا همسر عباس «ام الفضل» حاضر بود چوبی برداشت و محکم بر سر ابو لهب کوبید، و گفت: این مرد ضعیف را تنها گیر آوردهای سر ابو لهب شکست و خون جاری شد، و بعد از هفت روز بدنش عفونت کرد و دانهها.....همچون «طاعون» بر پوست تنش ظاهر شد، و با همان بیماری از دنیا رفت. عفونت بدن او به حدی بود که جمعیت جرأت نمی کردند نزدیک او شوند، او را به بیرون مکّه بردند، و از دور آب بر او ریختند، و سپس سنگ بر او پرتاب کردند تا بدنش زیر سنگ و خاک پنهان شد!

سورة المسد(111): آية 4 ص: 213

(آیه ۴)- در این آیه به وضع همسرش «ام جمیل» پرداخته، می فرماید:

«و (نیز) همسرش، در حالی که هیزمکش (دوزخ) است» (و امرأته حمالهٔ الحطب).

سورة المسد(١١١): آية ۵ ص: ٦١٣

(آیه ۵)- «و در گردنش طنابی است از لیف خرما»! (فی جیدها حبل من مسد).

در این که همسر ابو لهب که خواهر «ابو سفیان» و عمه «معاویه» بود و در عداوتها و کارشکنیهای شوهرش بر ضد اسلام شرکت داشت حرفی نیست، اما در این که قرآن چرا او را «حمالهٔ الحطب» (زنی که هیزم بر دوش می کشد) توصیف کرده، بعضی گفته اند: این به خاطر آن است که بوته های خار را بر دوش می کشید، و بر سر راه پیغمبر اسلام صلّی الله علیه و آله می ریخت تا پاهای مبارکش آزرده شود.

«پایان سوره مسد»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۱۵

سوره اخلاص [117] ص: 618

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۴ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص : 615

این سوره از توحید پروردگار، و یگانگی او سخن می گوید، و در چهار آیه کوتاه چنان توصیفی از یگانگی خداوند کرده که نیاز به اضافه ندارد.

در شأن نزول این سوره از امام صادق علیه السّ لام چنین نقل شده: «یهود از رسول اللّه تقاضا کردند خداوند را برای آنها توصیف کند، پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله سه روز سکوت کرد و پاسخی نگفت، تا این سوره نازل شد و پاسخ آنها را بیان کرد».

در فضیلت تلاوت این سوره روایات زیادی در منابع معروف اسلامی آمده است که حاکی از عظمت فوق العاده آن میباشد از حمله:

در حدیثی از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم که فرمود: «آیا کسی از شما عاجز است از این که یک سوم قرآن را در یک شب بخواند»؟! یکی از حاضران عرض کرد: ای رسول خدا! چه کسی توانائی بر این کار دارد؟

پيغمبر صلّى الله عليه و آله فرمود: «سوره قل هو الله را بخوانيد».

و در حدیث دیگری از امام صادق علیه السّ لام میخوانیم: هنگامی که رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله بر جنازه «سعد بن معاذ» نماز گزارد فرمود: هفتاد هزار ملک که در میان آنها «جبرئیل» نیز بود بر جنازه او نماز گزاردند! من از جبرئیل پرسیدم او به خاطر کدام عمل مستحق نماز گزاردن شما شد؟ برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۱۶

گفت: به خاطر تلاوت «قل هو الله احد» در حال نشستن، و ایستادن، و سوار شدن، و پیاده روی و رفت و آمد».

سورة الإخلاص(117): آية 1 ص: 618

(آیه ۱)- او یکتا و بیهمتاست: نخستین آیه از این سوره در پاسخ سؤالات مکرری که از ناحیه اقوام یا افراد مختلف در زمینه اوصاف پروردگار شده بود، میفرماید: «بگو: خداوند یکتا و یگانه است» (قل هو الله احد). ذات منفردی است که نظیر و شبیهی برای او نیست.

آغاز جمله با ضمیر «هو» - که ضمیر مفرد غائب است و از مفهوم مبهمی حکایت می کند - در واقع رمز و اشارهای به این واقعیت است که ذات مقدس او در نهایت خفاء است، و از دسترس افکار محدود انسانها بیرون، هر چند آثار او آن چنان جهان را پر کرده که از همه چیز ظاهرتر و آشکارتر است، چنانکه در آیه ۵۳ سوره فصلت می خوانیم: «به زودی نشانههای خود را در اطراف جهان و در درون جانشان به آنها نشان می دهیم تا برایشان آشکار گردد که او حق است».

سپس از این حقیقت ناشناخته پرده بر می دارد و می گوید: «او خداوند یگانه و یکتاست».

در حدیثی از امیر مؤمنان علی علیه السّ لام میخوانیم که فرمود: «در شب جنگ بدر «خضر» را در خواب دیدم، از او خواستم چیزی به من یاد دهد که به کمک آن بر دشمنان پیروز شوم گفت: بگو: یا هو، یا من لا هو الّا هو هنگامی که صبح شد جریان را خدمت رسول الله صلّی الله علیه و آله عرض کردم.

فرمود: «ای علی علیه السّلام اسم اعظم به تو تعلیم شده، سپس این جمله ورد زبان من در جنگ بدر بود».

«عمار یاسر» هنگامی که شنید حضرت علی علیه السّ لام این ذکر را روز صفین به هنگام پیکار میخواند، عرض کرد: این کنایات چیست؟

فرمود: «اسم اعظم خدا و ستون توحید است»! برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۱۷

«الله» اسم خاص برای خداوند است که در همین یک کلمه به تمام صفات جلال و جمال او اشاره شده و این نام جز بر خدا اطلاق نمی شود، در حالی که نامهای دیگر خداوند معمولا اشاره به یکی از صفات جمال و جلال او است مانند عالم و خالق و رازق و غالبا به غیر او نیز اطلاق می شود.

این نام مقدس قریب «هزار بار» در قرآن مجید تکرار شده، و هیچ اسمی از اسماء مقدس او این اندازه در قرآن نیامده است، نامی است که قلب را روشن می کند، به انسان نیرو و آرامش می بخشد، و او را در جهانی از نور و صفا مستغرق می سازد.

«احـد» یعنی خداونـد احـد و واحـد است و یگانه و یکتاست نه به معنی واحـد عددی، یا نوعی و جنسـی، بلکه به معنی وحدت ذاتی، و به عبارت روشنتر وحدانیت او به معنی عدم وجود مثل و مانند و شبیه و نظیر برای او است.

دلیل این سخن نیز روشن است: او ذاتی است بی نهایت از هر جهت، و مسلم است که دو ذات بی نهایت از هر جهت غیر قابل تصور است، چون اگر دو ذات شد هر دو محدود می شود، این کمالات آن را ندارد، و آن کمالات این را- دقت کنید.

سورة الإخلاص(١١٢): آية ٢ ص: ١٧٧

(آیه ۲) – در این آیه در توصیف دیگری از آن ذات مقدس یکتا میفرماید: «خداوندی است که همه نیازمندان قصد او می کنند» (الله الصمد).

در تفسير «صمد» در حديثي ميخوانيم كه: «محمّد بن حنيفه» از امير مؤمنان على عليه السّدلام در باره «صمد» سؤال كرد حضرت عليه السّلام فرمود:

«تأویل صمد آن است که او نه اسم است و نه جسم، نه مانند و نه شبیه دارد، و نه صورت و نه تمثال نه حد و حدود، نه محل و نه مکان، نه «کیف» و نه «این» نه اینجا و نه آنجا، نه پر است و نه خالی، نه ایستاده است و نه نشسته، نه سکون دارد و نه حرکت، نه ظلمانی است نه نورانی نه روحانی است و نه نفسانی، و در عین حال هیچ محلی از او خالی نیست، و هیچ مکانی گنجایش او را ندارد، نه رنگ دارد و نه بر قلب انسانی خطور کرده، و نه بو برای او موجود است، همه اینها از ذات پاکش منتفی است». برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۱۸

این حدیث به خوبی نشان می دهد که «صمد» مفهوم بسیار جامع و وسیعی دارد که هر گونه صفات مخلوقات را از ساحت مقدسش نفی می کند.

سورة الإخلاص(١١٢): آية ٣ ص: ١٨٨

(آیه ۳)- سپس در این آیه به ردّ عقاید نصاری و یهود و مشرکان عرب که برای خداونید فرزنیدی، یا پیدری قائیل بودنید، پرداخته، می فرماید: « (هرگز) نزاد و زاده نشد» (لم یلد و لم یولد).

در مقابل این بیان، سخن کسانی است که معتقد به تثلیث (خدایان سه گانه) بودند، خدای پدر، و خدای پسر، و روح القدس! «یهود گفتنـد: عزیر پسر خداست! و نصارا گفتند: مسیح پسر خداست! این سخنی است که با زبان خود می گویند که همانند گفتار کافران پیشین است، لعنت خدا بر آنها باد چگونه از حق منحرف می شوند»! (توبه/ ۳۰).

مشرکان عرب نیز معتقد بودند که ملائکه دختران خدا هستند! «آنها برای خدا پسران و دخترانی به دروغ و از روی جهل ساختند»! (انعام/ ۱۰۰).

سورة الإخلاص(١١٢): آية 4 ص: 618

اشاره

(آیه ۴)- و بالاخره در آخرین آیه این سوره مطلب را در باره اوصاف خدا به مرحله کمال رسانده، میفرماید: «و برای او هیچ گاه شبیه و مانندی نبوده است» (و لم یکن له کفوا احد).

«کفو» در اصل به معنی همطراز در مقام و منزلت و قدر است، و سپس به هر گونه شبیه و مانند اطلاق می شود.

مطابق این آیه تمام عوارض مخلوقین، و صفات موجودات، و هرگونه نقص و محدودیت از ذات پاک او منتفی است، این همان توحید ذاتی و صفاتی است، در مقابل توحید عددی و نوعی.

بنابر این، او نه شبیهی در ذات دارد، نه مانندی در صفات، و نه مثلی در افعال، و از هر نظر بی نظیر و بی مانند است.

امیر مؤمنان علی علیه السّ لام در خطبه ۱۸۶ نهج البلاغه میفرماید: «او کسی را نزاد که خود نیز مولود باشد، و از کسی زاده نشد تا محدود گردد، ... مانندی ندارد تا با او همتا گردد، و شبیهی برای او تصور نمی شود تا با او مساوی باشد». برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۱۹ و اين تفسير جالبي است كه عاليترين دقايق توحيد را بازگو ميكند (سلام الله عليك يا امير المؤمنين).

نكتهها: ص: 619

١-دلائل توحيد: ص: ١٩٩

اشاره

توحید، یعنی یگانگی ذات خداونید و عدم وجود هرگونه همتا و شبیه برای او، گذشته از دلائل نقلی و آیات قرآن مجید، با دلائل عقلی فراوان نیز قابل اثبات است که در اینجا قسمتی از آن را به صورت فشرده می آوریم:

الف) برهان صرف الوجود-.... ص: 619

و خلاصهاش این است که خداوند وجود مطلق است، و هیچ قید و شرط و حدّی برای او نیست، چنین وجودی مسلما نامحدود خواهد بود، چرا که اگر محدودیتی پیدا کند باید آلوده به عدم گردد، و ذات مقدسی که هستی از آن میجوشد هرگز مقتضی عدم و نیستی نخواهد بود و چیزی در خارج نیست که عدم را بر او تحمیل کند بنابر این، محدود به هیچ حدی نمی باشد.

از سوی دیگر دو هستی نامحدود در عالم تصور نمی شود، زیرا اگر دو موجود پیدا شود حتما هر یک از آنها فاقد کمالات دیگری است، یعنی کمالات او را ندارد، و بنابر این هر دو محدود می شوند، و این خود دلیل روشنی است بر یگانگی ذات و اجب الوجود - دقت کنید.

ب) برهان علمي – ص: 919

هنگامی که به این جهان پهناور نگاه می کنیم در ابتدا عالم را به صورت موجوداتی پراکنده می بینیم، زمین و آسمان و خورشید و ماه و ستارگان و انواع گیاهان و حیوانات، اما هر چه بیشتر دقت کنیم می بینیم اجزاء و ذرات این عالم چنان به هم مربوط و پیوسته است که مجموعا یک واحد منسجم را تشکیل می دهد، و یک سلسله قوانین معین بر سراسر این جهان حکومت می کند.

این وحـدت نظـام هستی، و قوانین حـاکم بر آن، و انسـجام و یکپارچگی در میان اجزای آن نشان میدهـد که خالق آن یکتا و یگانه است.

ج) برهان تمانع ص: 619

(دلیل علمی فلسفی) - دلیل دیگری که برای اثبات یگانگی ذات خداوند ذکر کردهاند و قرآن در آیه ۲۲ سوره انبیاء الهام بخش آن است برهان برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۲۰

تمانع است، می فرماید: «اگر در زمین و آسمان خدایانی جز خداوند یگانه بود زمین و آسمان به فساد کشیده می شد و نظام جهان به هم می خورد، پس منزه است خداوندی که پروردگار عرش است از آنچه آنها توصیف می کنند»

د) دعوت عمومي انبيا به خداوند يگانه-.... ص: 20

این دلیل دیگری برای اثبات توحید است، چرا که اگر دو واجب الوجود در عالم بود هر دو باید منبع فیض باشند، چرا که یک وجود بی نهایت کامل ممکن نیست در نور افشانی بخل ورزد، زیرا عدم فیض برای وجود کامل نقص است، و حکیم بودن او ایجاب می کند که همگان را مشمول فیض خود قرار دهد.

حضرت علی علیه السّ لام در وصیت نامهاش به امام مجتبی علیه السّ لام می فرماید: «بدان فرزندم! اگر پروردگارت همتائی داشت فرستادگان او به سراغ تو می آمدند و آثار ملک و سلطان او را مشاهده می کردی، و به افعال و صفاتش آشنا می شدی ولی او معبود یکتاست همان گونه که خودش توصیف کرده است»

۲- شاخههای پربار توحید: ص: ۶۲۰

اشاره

معمولاً براى توحيد چهار شاخه ذكر مي كنند:

الف) توحيد ذات ص: 270

(آنچه در بالا شرح داده شده).

ب) توحید صفات ص : 624

یعنی خداوند نه صفاتش زائد بر ذات اوست، و نه جدا از یکدیگرند، بلکه وجودی است تمامش علم، تمامش قدرت، تمامش ازلیت و ابدیت.

اگر غیر از این باشد لا زمهاش ترکیب است، و اگر مرکب باشد محتاج به اجزا می شود و شیء محتاج هر گز واجب الوجود نخواهد بود.

ج) توحيد افعالي ص: ٢٠٠

یعنی هر وجودی، هر حرکتی، هر فعلی در عالم است به ذات پاک خدا بر می گردد حتی افعالی که از ما سر میزند به یک معنی از اوست، او به ما قدرت و اختیار و آزادی اراده داده، بنابر این در عین حال که ما فاعل افعال خود هستیم، و در مقابل آن مسؤولیم، از یک نظر فاعل خداوند است، زیرا همه آنچه داریم به او باز می گردد.

د) توحید در عبادت: ص: ۶۲۰

یعنی تنها باید او را پرستش کرد و غیر او شایسته برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۴۲۱

عبودیت نیست، چرا که عبادت باید برای کسی باشد که کمال مطلق و مطلق کمال است، کسی که از همگان بینیاز است، و بخشنده تمام نعمتها، و آفریننده همه موجودات، و این صفات جز در ذات پاک او جمع نمی شود.

شاخههای توحید افعالی-.... ص: ۶۲۱

اشاره

توحید افعالی نیز به نوبه خود شاخههای زیادی دارد که در اینجا به شش قسمت از مهمترین فروع آن اشاره می کنیم

1-توحيد خالقيت- ص: 221

همان گونه که قرآن می گوید: «بگو: خداوند آفرید گار همه چیز است» (رعد/ ۱۶).

دلیل آن هم روشن است وقتی با دلائل گذشته ثابت شد واجب الوجود یکی است، و همه چیز غیر از او ممکن الوجود است، بنابر این خالق همه موجودات نیز یکی خواهد بود

٧- توحيد ربوبيت-.... ص: ٢١٩

یعنی مدبّر و مدیر و مربّی و نظام بخش عالم هستی تنها خداست، چنانکه قرآن می گوید: «آیا غیر خدا را پروردگار خود بطلبم در حالی که او پروردگار همه چیز است»؟ (انعام/ ۱۶۴).

دلیل آن نیز وحدت واجب الوجود و توحید خالق در عالم هستی است

۳- توحید در قانونگذاری و تشریع - ص: ۶۲۱

چنانکه قرآن می گوید: «هر کس که به آنچه خدا نازل کرده است حکم نکند کافر است» (مائده/ ۴۴).

زیرا وقتی ثابت کردیم مدیر و مدبّر اوست، مسلما غیر او صلاحیت قانونگذاری نخواهد داشت، چون غیر او در تدبیر جهان سهمی ندارد تا قوانینی هماهنگ با نظام تکوین وضع کند.

4- توحید در مالکیت- ص: 621

خواه «مالکیت حقیقی» یعنی سلطه تکوینی بر چیزی باشد، یا «مالکیت حقوقی» یعنی سلطه قانونی بر چیزی اینها همه از اوست. چنانکه قرآن می گوید: «مالکیت و حاکمیت آسمانها و زمین مخصوص خداست» (آل عمران/ ۱۸۹).

و نیز می فرماید: «انفاق کنید از اموالی که خداوند شما را نماینده خود در آن قرار داده» (حدید/ ۷). بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۲۲

دلیل آن هم همان توحید در خالقیت است، وقتی خالق همه اشیا اوست طبعا مالک همه اشیا نیز ذات مقدس اوست بنابر این هر ملکیتی باید از مالکیت او سر چشمه گیرد.

۵- توحید مالکیت-.... ص: ۶۲۲

مسلما جامعه بشری نیاز به حکومت دارد، چون زندگی دسته جمعی بدون حکومت ممکن نیست، تقسیم مسؤولیتها، تنظیم برنامهها، اجرای مدیریتها و جلوگیری از تعدیات و تجاوزها، تنها به وسیله حکومت میسر است. از طرفی اصل آزادی انسانها می گوید هیچ کس بر دیگری حق حکومت ندارد، مگر آنکه مالک اصلی و صاحب حقیقی اجازه دهد، و از همین جاست که ما هر حکومتی را که به حکومت الهی منتهی نشود مردود میدانیم، و نیز از همین جاست که مشروعیت حکومت را از آن پیامبر صلّی الله علیه و آله و سپس امامان معصوم علیهم السّد الام و بعد از آن برای فقیه جامع الشرائط میدانیم.

البته ممكن است مردم به كسى اجازه دهند كه بر آنها حكومت كند، ولى چون انفاق تمام افراد جامعه عادتا غير ممكن است چنين حكومتى عملا ممكن نيست «۱».

9- توحيد اطاعت-.... ص: 627

یعنی تنها مقام «واجب الاطاعه» در جهان، ذات پاک خداست، و مشروعیت اطاعت از هر مقام دیگری باید از همین جا سر چشمه گیرد، یعنی اطاعت او اطاعت خدا محسوب می شود.

زیرا وقتی حاکمیت مخصوص اوست مطاع بودن هم مخصوص اوست، و لـذا ما اطاعت انبیا علیهم السّـ لام و ائمه معصومین و جانشینان آنها را پرتوی از اطاعت کنید خدا و رسول او و صاحبان امر (امامان معصوم) را» (نساء/ ۵۹).

و نیز می فرماید: «هر کس رسول خدا را اطاعت کند خدا را اطاعت کرده است» (نساء/ ۸۰).

«پایان سوره اخلاص»

(۱) لذا اگر حکومت از طریق آراء عمومی و اکثریت تعیین شود باید از طریق فقیه جامع الشرائط تنفیذ گردد تا مشروعیت الهیه پیدا کند.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۲۳

سوره فلق [113] ص: 223

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۵ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص: 623

محتوای این سوره تعلیماتی است که خداوند به پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله خصوصا و به سایر مسلمانان عموما، در زمینه پناه بردن به ذات پاک او از شرّ همه اشرار می دهد، تا خود را به او بسپارند، و در پناه او از شرّ هر موجود صاحب شر در امان مدارند.

در فضیلت تلاوت این سوره از پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله نقل شده است، که فرمود: «آیاتی بر من نازل شده که همانند آنها نازل نشده و آن دو سوره «فلق» و «ناس» است.

و در حدیث دیگری از امام باقر علیه السّ لام میخوانیم: «کسی که در نماز «وتر» سوره «فلق» و «ناس» و «قل هو الله احد» را بخواند به او گفته میشود: ای بنده خدا! بشارت باد بر تو خدا نماز وتر تو را قبول کرد».

و باز در روایت دیگری از پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله میخوانیم که به یکی از یارانش فرمود: «میخواهی دو سوره به تو تعلیم کنم که بر ترین سوره های قرآن است»! عرض کرد: آری ای رسول خدا! حضرت معوذتان (سوره فلق و سوره ناس) را به او تعلیم کرد، سپس آن دو را در نماز صبح قرائت نمود و به او فرمود: «هر گاه بر میخیزی و میخوابی آنها را بخوان». برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۲۴

روشن است اینها برای کسانی است که روح و جان و عقیده و عمل خود را با محتوای آن هماهنگ سازند. بسم الله الرحمن الرحیم به نام خداوند بخشنده بخشایشگر

سورة الفلق(113): آية 1 ص: 624

(آیه ۱)- پناه میبرم به پروردگار سپیده دم! در نخستین آیه به شخص پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله به عنوان یک الگو و پیشوا چنین دستور میدهد: «بگو: پناه میبرم به پروردگار سپیده صبح» که دل سیاهی شب را میشکافد (قل اعوذ برب الفلق).

سورة الفلق(113): آية 2 ص: 224

(آیه ۲)- «از شر تمام آنچه آفریده است» (من شر ما خلق).

از شرّ همه موجودات شرور، انسانهای شرور، جن و حیوانات و حوادث و پیشامدهای شرّ و از شرّ نفس اماره.

«فلق» در اصل به معنی شکافتن چیزی و جدا کردن بعضی از بعضی دیگر است، و از آنجا که به هنگام دمیدن سپیده صبح پرده سیاه شب می شکافد، این واژه به معنی طلوع صبح، به کار رفته، بعضی آن را به معنی همه موالید و تمام موجودات زنده اعم از انسان و حیوان و گیاه میدانند، چرا که تولد این موجودات که با شکافتن دانه و تخم و مانند آن صورت می گیرد از عجیبترین مراحل وجود آنهاست.

و بعضی نیز مفهوم «فلق» را از این هم گسترده تر گرفتهاند، و آن را به هرگونه آفرینش و خلقت اطلاق کردهاند، چرا که با آفرینش هر موجود پرده عدم شکافته میشود و نور وجود آشکار میگردد.

هر یک از این معانی سه گانه (طلوع صبح- تولید موجودات زنیده- آفرینش هر موجود) پدییدهای است عجیب که دلیل بر عظمت پروردگار و خالق و مدبر آن است، و توصیف خداوند به این وصف دارای مفهوم و محتوای عمیقی است.

تعبیر به «من شـر ما خلق» مفهومش این نیست که آفرینش الهی در ذات خود شـری دارد، چرا که آفرینش همان ایجاد است، و ایجاد و وجود خیر محض است، قرآن می گوید: «همان خدائی که هر چه را آفرید نیکو آفرید» (الم سجده/ ۷).

بلکه شرّ هنگامی پیدا میشود که مخلوقات از قوانین آفرینش منحرف شوند بر گزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۲۵

و از مسیر تعیین شده جدا گردند، فی المثل نیش و دندان برّنده حیوانات یک حربه دفاعی برای آنهاست که در برابر دشمنانشان به کار میبرند همانند سلاحی که ما در مقابل دشمن از آن استفاده میکنیم، اگر این سلاح به مورد به کار رود خیر است، اما اگر نا به جا و در برابر دوست مصرف گردد شرّ است.

وانگهی بسیاری از امور است که ما در ظاهر آنها را شر حساب میکنیم ولی در باطن خیر است مانند حوادث و بلاهای

بیدارگر و هشدار دهنده که انسان را از خواب غفلت بیدار ساخته و متوجه خدا می کند اینها مسلما شرّ نیست.

سورة الفلق(113): آية 3 ص: 625

(آیه ۳)- سپس در توضیح و تفسیر این مطلب می افزاید: «و از شر هر موجود شرور هنگامی که شبانه وارد می شود» (و من شر غاسق اذا وقب).

سورة الفلق(113): آية 4 ص: 625

(آیه ۴)- بعد می افزاید: «و از شر آنها که در گرهها می دمند» و هر تصمیمی را سست می کنند (و من شر النفاثات فی العقد). بسیاری از مفسران «نفاثات» را به معنی «زنان ساحره» تفسیر کرده اند آنها اورادی را می خواندند و در گرههایی می دمیدند و به این وسیله سحر می کردند.

ولی جمعی آن را اشاره به زنان وسوسه گر میدانند که پی در پی در گوش مردان، مخصوصا همسران خود، مطالبی را فرو میخوانند تا عزم آهنین آنها را در انجام کارهای مثبت سست کنند.

فخر رازی می گوید: زنان به خاطر نفوذ محبتهایشان در قلوب رجال در آنان تصرف می کنند.

این معنی در عصر و زمان ما از هر وقت ظاهرتر است زیرا یکی از مهمترین وسائل نفوذ جاسوسها در سیاستمداران جهان استفاده از زنان جاسوسه است که با این «نفّاثات فی العقد» قفلهای صندوقهای اسرار را می گشایند و از مرموزترین مسائل با خبر می شوند و آن را در اختیار دشمن قرار می دهند.

بعضی نیز نفاثات را به «نفوس شریره»، و یا «جماعتهای وسوسه گر» که با تبلیغات مستمر خود گرههای تصمیمها را سست می سازند تفسیر نمودهاند. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۲۶

بعید نیست که آیه مفهوم عام و جامعی داشته باشد که همه اینها را شامل شود حتی سخنان سخن چینها، و نمّامان که کانونهای محبت را سست و ویران میسازند.

سورة الفلق(113): آية 45 ص: 628

(آیه ۵)- در آخرین آیه این سوره می فرماید: «و از شرّ هر حسودی هنگامی که حسد می ورزد» (و من شر حاسد اذا حسد). این آیه نشان می دهد که حسد از بدترین و زشت ترین صفات رذیله است، چرا که قرآن آن را در ردیف کارهای حیوانات درنده و مارهای گزنده، و شیاطین وسوسه گر قرار داده است.

«حسـد» یک خوی زشت شیطانی است که بر اثر عوامل مختلف ماننـد ضعف ایمان و تنگ نظری و بخل در وجود انسان پیدا می شود، و به معنی درخواست و آرزوی زوال نعمت از دیگری است.

حسد سر چشمه بسیاری از گناهان کبیره است همان گونه که امام باقر علیه السّلام میفرماید: «حسد ایمان انسان را میخورد و از بین میبرد همان گونه که آتش هیزم را!».

«پایان سوره فلق»

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۲۷

اشاره

این سوره در «مکّه» نازل شده و دارای ۶ آیه است

محتوا و فضيلت سوره: ص: 627

انسان همیشه در معرض وسوسههای شیطانی است، و شیاطین جن و انس کوشش دارند در قلب و روح او نفوذ کنند، هر قدر مقام انسان در علم بالاتر رود و موقعیت او در اجتماع بیشتر گردد، وسوسههای شیاطین شدیدتر میشود، تا او را از راه حق منحرف سازند و با فساد عالمی و ابر باد دهند.

این سوره به پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله به عنوان یک سرمشق و پیشوا و رهبر دستور میدهد که از شر همه وسوسه گران به خدا پناه برد.

محتوای این سوره از جهتی شبیه سوره «فلق» است، هر دو ناظر به پناه بردن به خداوند بزرگ از شرور و آفات میباشد، با این تفاوت که در سوره فلق انواع مختلف شرور مطرح شده، ولی در این سوره فقط روی شرّ وسوسه گران ناپیدا (وسواس خنّاس) تکیه شده است.

در فضیلت تلاوت این سوره روایات متعددی وارد شده از جمله این که در حدیثی میخوانیم که: «پیغمبر اکرم صلّی الله علیه و آله شدیدا بیمار شد، جبرئیل و میکائیل (دو فرشته بزرگ خدا) نزد او آمدند، جبرئیل نزد سر پیامبر نشست و میکائیل نزد پای او، جبرئیل سوره «فلق» را تلاوت کرد، و پیغمبر را با آن در پناه خدا قرار داد، و میکائیل سوره «قل اعوذ برب الناس» را.» برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۲۸

بسم الله الرحمن الرحيم به نام خداوند بخشنده بخشايشگر

سورة الناس(114): آية 1 ص: 628

(آیه ۱)- پناه میبرم به پروردگار مردم! در این سوره که آخرین سوره قرآن مجید است روی سخن را به شخص پیامبر صلّی الله علیه و آله به عنوان سرمشق و مقتدا و پیشوای مردم کرده، میفرماید: «بگو: پناه میبرم به پروردگار مردم» (قل اعوذ برب الناس).

سورة الناس(114): آية ٢ ص: 628

(آیه ۲)- «به مالک و حاکم مردم» (ملک الناس).

سورة الناس(114): آية ٣ ص: 628

(آیه ۳)- «به (خدا و) معبود مردم» (اله الناس).

قابل توجه این که در اینجا روی سه وصف از اوصاف بزرگ خداونـد (ربوبیت و مالکیت و الوهیت) تکیه شـده است که همه آنها ارتباط مستقیمی به تربیت انسان، و نجات او از چنگال وسوسه گران دارد.

البته منظور از پناه بردن به خدا این نیست که انسان تنها با زبان این جمله را بگوید، بلکه باید با فکر و عقیده و عمل نیز خود را در پناه خدا قرار دهد، از راههای شیطانی، برنامههای شیطانی، افکار و تبلیغات شیطانی، مجالس و محافل شیطانی، خود را کنار کشد، و در مسیر افکار و تبلیغات رحمانی جای دهد، و گر نه انسانی که عملا خود را در معرض طوفان آن وسوسهها قرار داده، تنها با خواندن این سوره و گفتن این الفاظ به جائی نمی رسد.

با گفتن «برب الناس» اعتراف به ربوبیت پروردگار می کند، و خود را تحت تربیت او قرار می دهد.

با گفتن «ملک الناس» خود را ملک او می داند، و بنده سر بر فرمانش می شود.

و با گفتن «اله الناس» در طریق عبودیت او گام مینهد، و از عبادت غیر او پرهیز می کند، بدون شک کسی که به این صفات سه گانه مؤمن باشد، و خود را با هر سه هماهنگ سازد از شر وسوسه گران در امان خواهد بود. برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۲۹

در حقیقت این اوصاف سه گانه سه درس مهم تربیتی و سه وسیله نجات از شر وسوسه گران است و انسان را در مقابل آنها بیمه می کند.

سورة الناس(114): آية 4 ص: 629

(آیه ۴)- لذا در این آیه می افزاید: «از شر وسوسه گر پنهانکار» (من شر الوسواس الخناس).

سورة الناس(114): آية ۵ ص: 279

(آیه ۵)- «که درون سینه انسانها وسوسه می کند» (الذی یوسوس فی صدور الناس).

سورة الناس(114): آية 6 ص: 629

(آیه ۶)- «خواه از جن باشد یا از انسان» (من الجنهٔ و الناس).

«خنّاس» صیغه مبالغه از ماده «خنوس» به معنی جمع شدن و عقب رفتن است، این به خاطر آن است که شیاطین هنگامی که نام خدا برده می شود عقب نشینی می کنند، و از آنجا که این امر غالبا با پنهان شدن تو أم است این واژه به معنی «اختفا» نیز آمده است.

بنابر این مفهوم آیات چنین است: «بگو: من از شر وسوسه گر شیطان صفتی که از نام خدا می گریزد و پنهان می گردد به خدا پناه می برم».

کار شیطان تزیین است و مخفی کردن باطل در لعابی از حق، و دروغ در پوستهای از راست، و گناه در لباس عبادت، و گمراهی در پوشش هدایت.

خلاصه هم خودشان مخفی هستند، و هم برنامههایشان پنهان است، و این هشداری است به همه رهروان راه حق که منتظر نباشند شیاطین را در چهره و قیافه اصلی ببینند، آنها وسواس خناسند، و کارشان حقه و دروغ و نیرنگ و ریاکاری و ظاهر

سازی و مخفی کردن حق.

جمله «من الجنه و الناس» هشدار می دهد که «وسواسان خناس» تنها در میان یک گروه و یک جماعت، و در یک قشر و یک لباس نیستند، در میان جن و انس پراکنده اند و در هر لباس و هر جماعتی یافت می شوند، باید مراقب همه آنها بود و باید از شر همه آنها به خدا پناه برد.

دوستان ناباب، همنشینهای منحرف، پیشوایان گمراه ظالم، کارگزاران جباران و طاغوتیان، نویسندگان و گویندگان فاسد، مکتبهای الحادی و التقاطی برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۳۰

ظاهر فریب، وسائل ارتباط جمعی وسوسه گر، همه اینها و غیر اینها در مفهوم گسترده «وسواس خناس» واردند که انسان باید از شرّ آنها به خدا پناه برد.

در حدیث پر معنی و تکان دهنده ای از امام صادق علیه السّر الام میخوانیم: «هنگامی که آیه و الـذین اذا فعلوا فاحشهٔ او ظلموا انفسهم ذکروا الله فاستغفروا لذنوبهم کسانی که وقتی کار بدی انجام دهند یا به خویشتن ستم کنند خدا را یاد میآورند و برای گناهانشان استغفار میکنند» «۱» نازل شد، ابلیس بالای کوهی در مکّه رفت، و با صدای بلند فریاد کشید، و سران لشکرش را جمع کرد.

گفتند: ای آقای ما! چه شده است که ما را فرا خواندی؟

گفت: این آیه نازل شده (آیهای که پشت مرا میلرزاند و مایه نجات بشر است) چه کسی میتواند با آن مقابله کند؟

یکی از شیاطین بزرگ گفت: من می توانم، نقشه ام چنین است و چنان! ابلیس طرح او را نپسندید! دیگری برخاست و طرح خود را ارائه داد باز هم مقبول نیفتاد! در اینجا «وسواس خنّاس» برخاست و گفت: من از عهده آن برمی آیم.

ابلیس گفت: از چه راه؟

گفت: آنها را با وعده ها و آرزوها سرگرم می کنم، تا آلوده گناه شوند، و هنگامی که گناه کردند توبه را از یادشان می برم! ابلیس گفت: تو می توانی از عهده این کار برآیی (نقشه ات بسیار ماهرانه و عالی است) و این مأموریت را تا دامنه قیامت به او سیرد».

پایان سوره ناس و پایان جلد پنجم برگزیده تفسیر نمونه

(١) سوره آل عمران (٣) آيه ١٣٥.

برگزیده تفسیر نمونه، ج۵، ص: ۶۳۱

در پایان لازم است از آقای محمد شهرابی که در کنترل و تصحیح اوراق و آقای محمّد محمّدی در حروفچینی و صفحه آرایی و آقای حاج مرتضی آخوندی در چاپ و نشر این مجموعه صمیمانه همکاری نمودند تقدیر و تشکر نماییم.

پروردگارا! دام سخت و دشمن بیدار است و نقشههایش مخفی و پنهان، و جز با لطف تو نجات ممکن نیست.

خداوندا! ما را به حقیقت این کتاب بزرگ آسمانیت آشناتر فرما.

بار الها! ما در برابر قرآن كريمت سر تعظيم فرود آوردهايم، توفيق عمل به آن را نيز به همه ما مرحمت نما.

بار الها! چگونه شکر این نعمت بزرگ را به درگاه تو بگزاریم که منت نهادی و این افتخار بزرگ و توفیق را نصیب کردی که در این ساعت و بعد از سه سال این تفسیر را به پایان ببریم.

ای خدا رحیم و مهربان! این خدمت ناچیز را به کرمت قبول فرما، و ذخر معاد و روز جزایمان قرار ده و آخر دعوانا ان الحمد

لله ربّ العالمين.

قم- حوزه علميه احمد على بابائي دوازدهم ارديبهشت ماه ١٣٧٤

درباره مركز تحقيقات رايانهاي قائميه اصفهان

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (سوره توبه آيه ۴۱)

با اموال و جانهای خود، در راه خدا جهاد نمایید؛ این برای شما بهتر است اگر بدانید حضرت رضا (علیه السّه الام): خدا رحم نماید بندهای که امر ما را زنده (و برپا) دارد ... علوم و دانشهای ما را یاد گیرد و به مردم یاد دهد، زیرا مردم اگر سخنان نیکوی ما را (بی آنکه چیزی از آن کاسته و یا بر آن بیافزایند) بدانند هر آینه از ما پیروی (و طبق آن عمل) می کنند بنادر البحار-ترجمه و شرح خلاصه دو جلد بحار الانوار ص ۱۵۹

بنیانگذار مجتمع فرهنگی مذهبی قائمیه اصفهان شهید آیت الله شمس آبادی (ره) یکی از علمای برجسته شهر اصفهان بودند که در دلدادگی به اهلبیت (علیهم السلام) بخصوص حضرت علی بن موسی الرضا (علیه السلام) و امام عصر (عجل الله تعالی فرجه الشریف) شهره بوده و لذا با نظر و درایت خود در سال ۱۳۴۰ هجری شمسی بنیانگذار مرکز و راهی شد که هیچ وقت چراغ آن خاموش نشد و هر روز قوی تر و بهتر راهش را ادامه می دهند.

مركز تحقیقات قائمیه اصفهان از سال ۱۳۸۵ هجری شمسی تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن امامی (قدس سره الشریف) و با فعالیت خالصانه و شبانه روزی تیمی مركب از فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مختلف مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

اهداف : دفاع از حریم شیعه و بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام) تقویت انگیزه جوانان و عامه مردم نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی، جایگزین کردن مطالب سودمند به جای بلوتوث های بی محتوا در تلفن های همراه و رایانه ها ایجاد بستر جامع مطالعاتی بر اساس معارف قرآن کریم و اهل بیت علیهم السّیلام با انگیزه نشر معارف، سرویس دهی به محققین و طلاب، گسترش فرهنگ مطالعه و غنی کردن اوقات فراغت علاقمندان به نرم افزار های علوم اسلامی، در دسترس بودن منابع لازم جهت سهولت رفع ابهام و شبهات منتشره در جامعه عدالت اجتماعی: با استفاده از ابزار نو می توان بصورت تصاعدی در نشر و پخش آن همت گمارد و از طرفی عدالت اجتماعی در تزریق امکانات را در سطح کشور و باز از جهتی نشر فرهنگ اسلامی ایرانی را در سطح جهان سرعت بخشید.

از جمله فعالیتهای گسترده مرکز:

الف)چاپ و نشر ده ها عنوان کتاب، جزوه و ماهنامه همراه با برگزاری مسابقه کتابخوانی

ب) تولید صدها نرم افزار تحقیقاتی و کتابخانه ای قابل اجرا در رایانه و گوشی تلفن سهمراه

ج)تولید نمایشگاه های سه بعدی، پانوراما ، انیمیشن ، بازیهای رایانه ای و ... اماکن مذهبی، گردشگری و...

د)ایجاد سایت اینترنتی قائمیه www.ghaemiyeh.com جهت دانلود رایگان نرم افزار های تلفن همراه و چندین سایت مذهبی دیگر

ه) تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و ... جهت نمایش در شبکه های ماهواره ای

و)راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی (خط ۲۳۵۰۵۲۴) ز)طراحی سیستم های حسابداری ، رسانه ساز ، موبایل ساز ، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک ، SMS و...

ح)همکاری افتخاری با دهها مرکز حقیقی و حقوقی از جمله بیوت آیات عظام، حوزه های علمیه، دانشگاهها، اماکن مذهبی مانند مسحد حمکه ان و ...

ط)برگزاری همایش ها، و اجرای طرح مهد، ویژه کودکان و نوجوانان شرکت کننده در جلسه

ی)برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم و دوره های تربیت مربی (حضوری و مجازی) در طول سال

دفتر مرکزی: اصفهان/خ مسجد سید/حد فاصل خیابان پنج رمضان و چهارراه وفائی / مجتمع فرهنگی مذهبی قائمیه اصفهان تاریخ تأسیس: ۱۳۸۵ شماره ثبت: ۲۳۷۳ شناسه ملی: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

وب ســــــايت: www.ghaemiyeh.com ايميــــــل: Info@ghaemiyeh.com فروشــــگاه اينترنـــتى: www.eslamshop.com

تلفن ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳ (۰۳۱۱) فکس ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) دفتر تهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) بازرگانی و فروش ۹۱۳۲۰۰۱۱۹ امور کاربران ۲۳۳۳۰۴(۰۳۱۱)

نکته قابل توجه اینکه بودجه این مرکز؛ مردمی ، غیر دولتی و غیر انتفاعی با همت عده ای خیر اندیش اداره و تامین گردیده و لی جوابگوی حجم رو به رشد و وسیع فعالیت مذهبی و علمی حاضر و طرح های توسعه ای فرهنگی نیست، از اینرو این مرکز به فضل و کرم صاحب اصلی این خانه (قائمیه) امید داشته و امیدواریم حضرت بقیه الله الاعظم عجل الله تعالی فرجه الشریف توفیق روزافزونی را شامل همگان بنماید تا در صورت امکان در این امر مهم ما را یاری نمایندانشاالله.

الاحتجاج - به سندش، از امام حسین علیه السلام -: هر کس عهده دار یتیمی از ما شود که محنتِ غیبت ما، او را از ما جدا کرده است و از علوم ما که به دستش رسیده، به او سهمی دهد تا ارشاد و هدایتش کند، خداوند به او میفرماید: «ای بنده بزرگوار شریک کننده برادرش! من در کَرَم کردن، از تو سزاوار ترم. فرشتگان من! برای او در بهشت، به عدد هر حرفی که یاد داده است، هزار هزار، کاخ قرار دهید و از دیگر نعمتها، آنچه را که لایق اوست، به آنها ضمیمه کنید».

التفسیر المنسوب إلی الإمام العسکری علیه السلام: امام حسین علیه السلام به مردی فرمود: «کدام یک را دوست تر می داری: مردی اراده کشتن بینوایی ضعیف را دارد و تو او را از دستش می رَهانی، یا مردی ناصبی اراده گمراه کردن مؤمنی بینوا و ضعیف از پیروان ما را دارد، امّ ا تو دریچه ای [از علم] را بر او می گشایی که آن بینوا، خود را بِدان، نگاه می دارد و با حجّتهای خدای متعال، خصم خویش را ساکت می سازد و او را می شکند؟».

[سپس] فرمود: «حتماً رهاندن این مؤمن بینوا از دست آن ناصبی. بی گمان، خدای متعال می فرماید: «و هر که او را زنده کند، گویی همه مردم را زنده کند و از کفر به ایمان، ارشاد کند، گویی همه مردم را زنده کرده است، پیش از آن که آنان را با شمشیرهای تیز بکشد».

مسند زید: امام حسین علیه السلام فرمود: «هر کس انسانی را از گمراهی به معرفت حق، فرا بخواند و او اجابت کند، اجری مانند آزاد کردن بنده دارد».

